

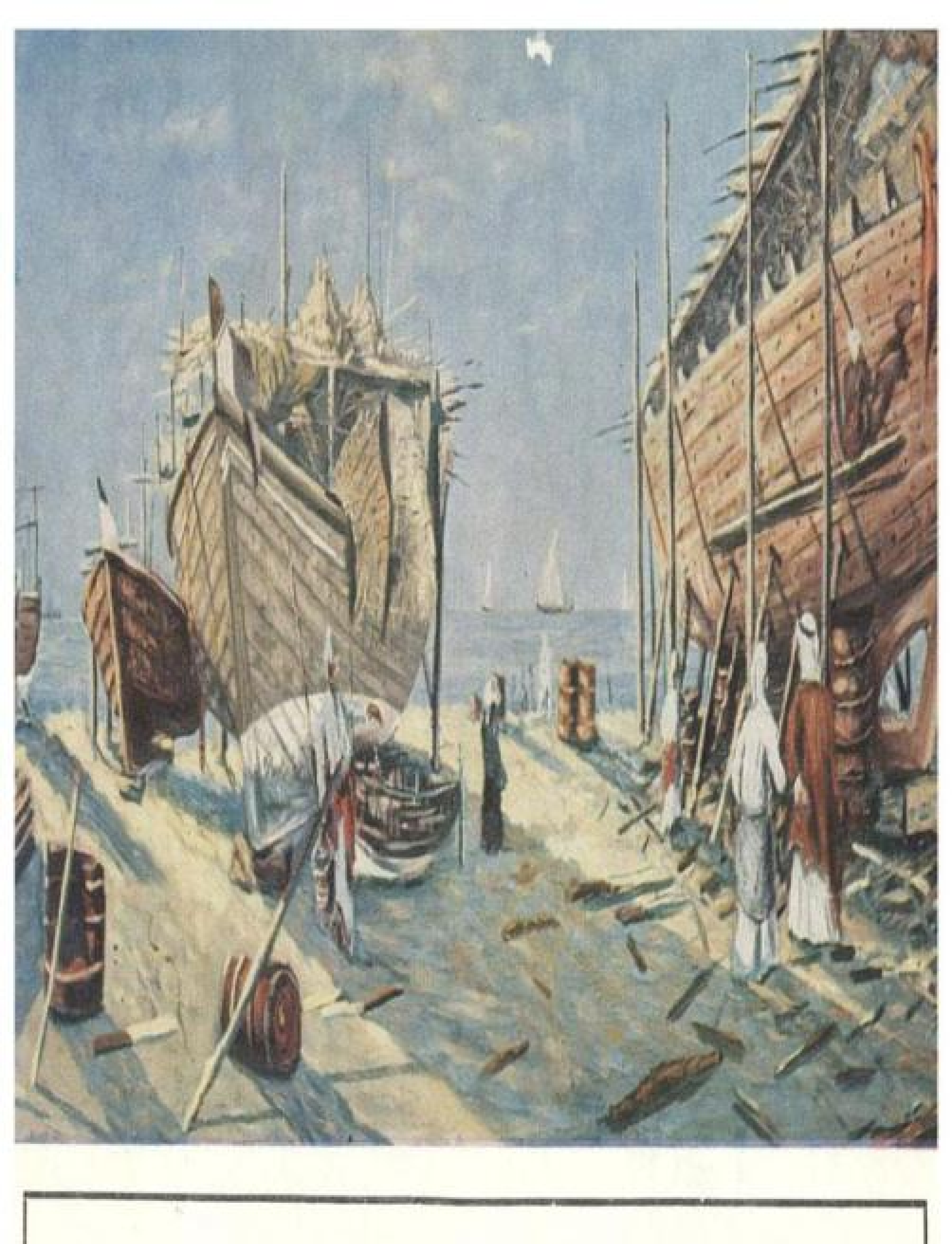
عدد
ممتاز

العدد ١٢٢ - شوال ١٣٨٨ - يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩

الفهرس
السنو
داخل العد

هدية:
خريطة
الوطن العربي

عمرها عشر سنوات
ولدت مع ولادة العربي



فَنَّانُو العَرَب

ونبدأ بهذه اللوحة ، وهي للفنان الكويتي خالد الفعود وهي تمثل صناعة السفن العربية الكويتية التقليدية .. (الأوشار)

عزيزي القارئ

● بهذا العدد نحتفل على عادتنا بعيد ميلاد ((العربي)) . وهذا هو عيد الميلاد العاشر . عشر سنوات انقضت منذ بدانا ((العربي)) ، جاءت باحداث في الوطن العربي جسام ، نرجو ان تاتي العشر الثانية بما هو اكثر خيرا واكثر حمدا .

وقد تعودنا في مثل هذا العدد ان ناتي برسم موجز لسياسة ((العربي)) في تحريره ، وتبويبه ، وطبعه ، وعلاقته مع قرائه وكتابه . وقد راينا هذه المرة اننا قلنا فيما مضى ما فيه الكفاية . ومع هذا نجمل ما سبق ان ذكرناه :

● ان ((العربي)) مجلة شهرية ، أولى بان تسمى كتابا شهريا ثقافيا ، فالغاية الأولى منه ثقافة الشباب العربي الناهض ثقافة عربية ، من طريف المدنيات وتالدها . وليس في ((العربي)) يرجى تتبع الأخبار ، فلهذه الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

● ان ((العربي)) تؤمن بالتغيّر من اجل التطوّر النافع ، من أجل هذا هي تبدّل وتغيّر الأبواب ، وما تتضمنه الأبواب ، في صمت ، دون اعلان ، في اى شهر من العام ، حتى لا يحس بذلك القارىء .

● ان ((العربي)) تؤمن بكفاية الكتّاب ، وكفاية ما يكتبون ، فان كان لا بد من ترجيح ، فالمكتوب يرجح الكاتب . وهي تشجع الكاتبين من الشبان الناضجين، مع الاحتفاظ بحق جمهور القارئين في حسن ما يقرأون.

● و ((العربي)) تبلغها الشكاوى المتزايدة من قلة ما يطرح في الاسواق . وهى تطرح ١٢٥٠٠٠ نسخة في الشهر ، و ٢٠٠٠٠٠ نسخة من هذا العدد الممتاز . وهى تحاول ان توسع طاقة المطابع ، فهى العائق الوحيد دون الزيادة .

● واخيرا ، ف ((العربي)) هي هدية الكويت الى أبناء الوطن العربي، فهى لا تبغى من وراء ذلك النشر كسبا ، الا حمدَ الأخوّة الصادقة .

والله الموفق ،

المحرر



العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت



والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 121 December 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

طُبِعَ مِنْ هذا العَدَد المُمْتاز

٢٠٠,٠٠٠ نُسْخَة

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج.ع.م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٥ر٣ شلن • ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .





السفراء في الدول الاسلامية

قرأت بمزيد من الاعجاب موضوع السفراء في الدول الاسلامية » المنشور في مجلة « العربي » ، غير انني استغربت لان كاتب المقال لم يتطرق الى ذكر الحارث بن عمير الازدي الذي ارسله النبي (صلعم) سفيرا الى ملك بصرى في الشام . والذي آثر ان يضحي بحياته على ان يطلع الاعداء على رسالة النبي الكريم .

ولهذا اكتب اليكم سردا سريعا لبطولة ذلك السفير .

« حمل الحارث رسالة من رسول الله (صلعم الى ملك بصرى ، ولما بلغ صحراء مؤتة ، تصدى له امير مؤتة شرحبيل بن عمر الغساني وخيره بين الموت وبين تسليم الرسالة له . ولما رأى الحارث ان اعداءه كثيرون وقد يستطيعون ان يحصلوا على الرسالة عنوة ، رجع الى الوراء وطفق يمزق الرسالة اربا اربا بسرعة مذهلة ، وجن جنون شرحبيل وهجم على الحارث محاولا انقاذ الرسالة عبثا .

وأبى الحارث ان يخبرهم بمضمون الرسالة ، فلاقى انواع العذاب وهو اشد صبرا واثبت جنانا ، مما ضاق شرحبيل ذرعا به فامر بضرب عنقه .

ولما بلغ الرسول (صلعم) نبأ موت الحارث قال لاصحابه :

« ترحموا على الحارث فقد جاهد في سبيل الله ، وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا كبيرا ، فقد قضى ما عليه وبقي ما عليكم » .

رعد حاكم الفلاحي
الحلة / العراق

القراء يهنئون « العربي » بعيد ميلاده العاشر

● عدد كبير من رسائل التهنئة وصلت الى « العربي » بمناسبة اتمامه عامه العاشر .

و « العربي » اذ يشكر قراءه على رسائلهم الرقيقة التي تفيض بالكثير ، لايسعه الا ان يعد القراء بان يكون دائما وابدا في خدمة الثقافة والعلوم العربية ، وأن يؤدي رسالته على أتم وجه حتى يحتفظ بالثقة الكبيرة التي تربط بينه وبين قرائه من مختلف البلدان العربية .

زيدونا من اخبار العلم

● نحن نقرأ كل ما يحويه العربي من اخبار وبحوث ودراسات علمية بشغف وولع شديدين .. وفي كل مرة يطلع علينا العربي بموضوع علمي جديد ، نحس بعد قراءته اننا استكشفنا اغوارا مجهولة .. زيدونا بالله عليكم من العلم واخباره ومن دراسات العلماء وابحاثهم . فالعلم هو المستقبل ، وهو الطريق الى عالم افضل وحياة اعظم وارقى .

محمد تهامي مصطفى
جده / السعودية

والد يحرم ابنه من الدراسة

● عشقت الدراسة فاعطيتها كل وقتي وجهدي، حتى اكملت تعليمي الثانوي وحصلت على شهادة العام الدراسة الثانوية ، ورحت أتطلع الى اليوم الذي ادخل فيه الجامعة ، لكي احقق الامل الذي عشت من اجله طوال هذه الأعوام . ولكنني اصبت بخيبة امل مريرة عندما رفض والدي الحاقي بالجامعة ، قائلا: « كفاك من العلم ما حصلت عليه. ابحث لك عن عمل !» وجن جنوني وطار صوابي ، وانا ارى كل احلامي تنهار . ولو ان والدي كان فقيرا لعذرته . ولكنه رجل ثري يملك من المال الكثير ، وهو قادر على الانفاق على تعليمي دون اي ارهاق لميزانيته . هذه مشكلتي اضعها بين ايديكم .. قولوا لي ماذا افعل وكيف السبيل الى تحقيق أمنيتي . انني شاب مستقيم حسن الخلق كما يشهد بذلك كل اساتذتي ، وليس لي من مطمع في هذه الدنيا الا ان انهل من العلم والمعرفة طوال ايام حياتي .

شبلي المحاسنه ـ الطفيلة ـ الاردن

العربي : ان صح ما تقول فهذه صورة سيئة من صور الآباء . وكنا نود أن نعرف سبب رفضه ، لعل عنده ما يقوله ، فان لم يكن عنده ، فقد وجب ان يكون في الدول محاكم خاصة يلتجيء اليها الابن وتلتجيء البنت وتلتجيء الام والزوجة ويلتجيء كل فرد في الأسرة ليصحح المعوج فيها ، لا سيما ان كان المعوج هو رب الأسرة الذي يفرضه المجتمع وتفرضه الضرورة قيما عليها .

القات والحشيش

● قرات في باب مسائل ومشاكل واحداث في مجلتنا المحبوبة « العربي » نبذة بعنوان « لبنان يعلن الحرب على زراعة الحشيش » وعن دور مكاتب مكافحة المخدرات التابعة للجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة في هذه الحرب ..وحزنت في نفس الوقت على ما يحدث امام عيني في بلدي الذي احبه « اليمن » .. فنحن نعاني من وباء يهدد شعبنا بل وأمتنا باجمعها ، وهو زراعة « القات » تلك الزراعة التي تنتشر في كل مكان الآن ببلادنا. لقد اقتلعت اشجار الفاكهة والخضراوات وحتى البن ، الذي كان اهم الحاصلات الزراعية اليمن ، اقتلعت اشجاره هو أيضا لتحل محلها اشجار « القات » .

وانا اتساءل الآن هل تعتبر مكاتب مكافحة المخدرات التابعة الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة ان القات ليس مخدرا .. وبذلك تتركه يزرع عيانا جهارا دون محاولة للتدخل ؟ .. او انه مجرد اهمال من هذه المكاتب في تادية عملها ؟ او انه شيء اكثر من اهمال ؟ !



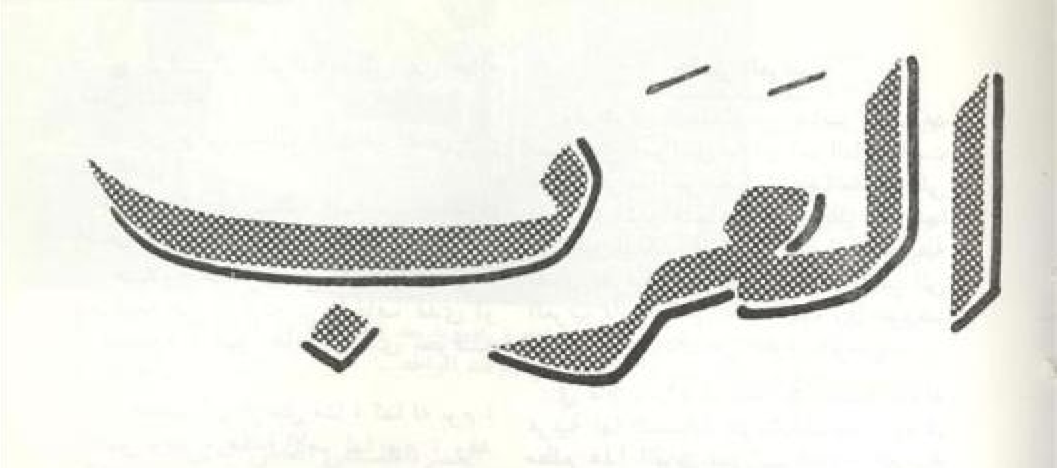
بالله عليكم انشروا هذه الكلمة حتى تتنبه الاجهزة العربية والدولية وتعمل على محاربة زراعة هذا النبات اللعين الذي يكاد يفتك بسكان اليمن كلهم رجالهم ونسائهم ، شيوخهم وشبابهم .

عبد الباقي محمد عبده
جنوب اليمن



لا خوفٌ علينا اليوم .. ولا غداً ..

- عصر الظلام في أوروبا، كان عند العرب عصر نور.
- صحوة العرب لم تكتمل، إنهم في القرن الخامس عشر.
- عرب يرفضون العلم والتكنية جميعاً.
- فئة شغلها الحفر في ماضينا، عن بناء حاضرنا.
- تمجيد الفقر باسم الروحانية، لا يخلق دولة عربية قوية.
- للعرب الزراعة، وللغرب الصناعة. والصناعة آكلة والزراعة مأكولة.



ولا بعد غد، .. ولا نحن نحزن!

- لم يكن ما حدث، من قوة الصهاينة، ولكنه ضعف العرب.
- الوحدة الوطنية، فى كثير من البلاد العربية، وحدة ممزقة.
- إسرائيل تريد توغلا سلميا فى البلاد العربية.
- القوة تسير أولا، ويجرى الحق وراءها.
- أطماع فى الوطن العربى، تثيرها قلة السكان مع كثرة الخير.
- بضع ملايين من الصهاينة سوف تغرهم فتغرقهم مئات الملايين من العرب.

■ قرات ان اعرابيا سئل عن حاله فقال لسائله :

ــ عن يومي تسأل ، ام عن امسي ، ام عن غدي ؟ .

فلما قال له سائله انما عن حاضرك اسأل ، قال :

حلاوة حاضري من حلاوة امسي ، ومرارته من مرارته . وأخاف غدي او ارجوه ، فهو حاضر عندي بخوفه ورجائه .

واحسب ان الرجل منا ، كما له يوم ، وامس وغد ، فكذا الأمم لها يوم ، وغد وامس .

واحسب ان الرجل كما يحس حلاوة امسه او مرارته في حاضره . وكما يخاف غده او يرجوه ، فهو حاضر عنده بخوفه ورجائه ، فكذلك الأمم .

والأمة التي اعنيها خاصة بحديثي هذا انما هي امتي ، أمة العرب ، امة لساني هذا الذي أتحدث به ، وامة قلمي هذا الذي اكتب به ، وامه هذا الجنان الكامن وراء هذا القلم وهذا اللسان .

حاضر العرب

واريد ان اتحدث عن حاضر العرب بعيدا عن اسرائيل . ان اسرائيل وقعت على الخريطةالعربية كما تقع العقرب على الورق، فشوهتها،وسوف تظل تشوهها الى حين،ولكني اريد ان انظر الىالخريطة بدون عقرب تشوهها . اريد أن انظر الى العرب فأراهم على حقيقتهم، وفي طورهم الحاضر-الصادق من اطوار الزمان .

في عام ١٩٠٠ لم تكد تكون هناك دولة عربية لها السيادة على اراضيها . ومنذ مطلع هذا القرن تحركت الدول العربية حركات للتحرر ، لم تكن الأولى ، لتيل استقلالها ، ثم استقلت الدول العربية ، واحدة بعد اخرى ، عن دول غير عربية كانت تسودها . واستبدلت بالسيادات الأجنبية ، سيادات من داخلها عربية ، من كل لون . ولكن هذه السيادة العربية لم تستطع أن تصمد أمام المكائد التي كانت تكيدها لها سيادات أجنبية غادرت بلادها ، ولا امام الاضطرابات الداخلية التي اثارتها فئات من اهل البلاد ، عن اخلاص حينا ، وعن جهل حينا ، وحينا عن مروق لا سيما عند تلك الفئات التي لم ترضع لبن العروبة منذ طفولتها . وتسابق المصلحون الى الاصلاح ، وتسابقوا الىالسلطةسبيلا الى الاصلاح، ثم انبهمت لديهم الغايات فجاء عليهم وقت لم يدروا فيه ، أوراء اصلاح هم يجرون ، أم وراء السلطة والسلطان .



تيمورلنك

من علائم افول نجم الدولة العربية ، ان تيمورلنك ، في أواخر القرن الرابع عشر ، وقد استبطأ حركة جيشه في اللحاق به ، ركب في شرذمة تبلغ نحو بضع مئات فقط من الرجال ، وباغت بغداد ، ودخلها دون مقاومة ، وعلى غير انتظار ، ولم تعط هذه المباغتة لحاكمها التركي من الوقت غير ما يستطيع فيه الهرب الى مصر .



اول مطبعة في عصر النهضة الاوروبية: جوتنبرج Gutenberg ، الالماني ، صاحب اول مكنة للطباعة ، بحروف منفصلة ، يعرض صحيفة من طباعته على شريكه في المطبعة . ان هذه المكنة الطابعة ظلت تستخدم في اوروبا بعد ذلك نحوا من قرن ونصف . ولم تكن تستطيع ان تطبع من كتاب كبير غير صحيفتين في الوقت الواحد .

عصور للظلام عندنا وعندهم ، وعصور نور

على انه ، لوضع العرب في الطور الصادق من اطوار الأمم الذى وضعهم فيه الزمان ، لا بد من الرجوع الى ما وراء هذا القرن الحاضر ، القرن العشرين ، عدة من قرون. فما يكفي القرن الواحد ، او بعض القرن ، لتتطور الامم . واستقلال الأمم لا يعد من التطور في شيء ، وانما هو اجازة عبور من حال الى حال .

لهذا اعود الى الوراء لاقول ان المؤرخين وصفوا القرون الوسطى في التاريخ الاوروبي بعصر الظلام . وجاء على اوروبا من بعد عصر الظلام عصر النهضة ، فعصر التنوير . وجاءت الثورة العلمية ، فالثورة الصناعية ، وانتهى كل هذا بمدنية اوروبا الحاضرة التي تسعى لتكون مدنية عالمية .

والقرون الوسطى ، التي كانت عصر ظلام طويل في اوروبا ، كانت عند العرب عصر اشراق ، امتد عدة قرون . وعندما بدات اوروبا تصحو ، بدانا نحن أهل الشرق نغفو ، وثقل النوم بنا عددا لا يحصى من السنين .

فعصر النهضة الأوروبية Renaissance الذي زامن القرن الميلادى الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، وكذلك عصر التنوير Enlightenment ، ذلك العصر الفلسفي العقلي الذى ساد أوروبا في القرن الثامن عشر ، وكذلك عصر الثورة العلمية وعصر الثورة الصناعية وما تلا ذلك من ثورات من صنوف شتى ، تتقدمها ثورات اجتماعية عامة ، كل هذه العصور مرت على اهل الغرب ، واهل الشرق في سبات عميق .

صحوة العرب

وصحا العرب من نومهم . وكان لا بد ان يفركوا اجفانهم طويلا حتى يروا الدنيا ، الدنيا الجديدة ، على حقيقتها ، وحتى يستيقنوا أن هذه الدنيا غير الدنيا التي عرفوا .

واخيرا ايقنوا ان أوروبا ، وان تكن حقا في القرن العشرين ، فهم لا يزالون ، من حيث التطور في القرن الخامس عشر او السادس عشر . وهم كلما امعنوا زادوا ادراكا أنها خمسة قرون سبقت بها أوروبا جعلت منها عالما آخر . وان القرن الأول من هذه القرون الخمسة كان يأتي هؤلاء الاقوام بالجديد ، فيأتي القرن الثاني باضعاف مضاعفة مما أتى به القرن الأول ، واذا بالثالث يضاعف محصول الثاني مائة ضعف ، واذا الرابع يضاعف ما سبقه الف ضعف . وبلغت الفروق حدا لم يكد ان يبقى معه امل في لحاق .

ردود فعل ، عند الصحو ، شتى

تكشفت لنا ، نحن العرب ، كل هذه الأمور. فكانت لها ردود فعل فينا شتى.

« امور لا تتسع لها عقولنا »

بعض منا راى لاول وهلة ، ان ما جاء به الغرب انما هو امور « لا تتسع لها عقولنا » . بذلك وصف المؤرخ المصري الشهير ، الجبرتي ، ما عرضته البعثة الفرنسية برئاسة نابليون على الجمهور من علم الكيمياء ، عندما حضرت الى القاهرة ، في بيت في حيّ السيدة زينب.

« عمل من اعمال الشياطين »

وبعض منا راى في بعض ما صنع اهل الغرب شيئا مما تصنع الشياطين . ومن ذلك ما جرى للملك العربى عبد العزيز آل سعود ، عندما استخدم المذياع لاول مرة . انكره البدو بناء على هذا الزعم ، فاوعز جلالته الى من اذاع من الناحية الأخرى شيئا من آيات الذكر الحكيم ، فلما استمعوا لها ، سألهم الملك الحصيف: وهل تقرأ الشياطين كلام الله . . قالوا : لا . واطمأنوا بعد ذلك لما سمعوا (١) .

فئة رفضت العلم والتكنية جميعا

وبعض منا فهم فادرك ، واحسن فهما ، واحسن ادراكا . ولكنه خشي من اوروبا ما صحب العلم من جحود بالله ، وما صحب التكنية من مادية طاغية . فرفض العلم والتكنية جميعا . وانى لأراها في هذه الايام حركة دائبة هى كل يوم متجددة ، يقول بها قوم فيهم كثير من الاخلاص ، ولكن بهم ايضا كثير من خطل في الرأى . فهذه هى الفئة التى تريد أن تنأى بنا عن العلم وعن التكنية جميعا .

وقد جاءنى منذ قريب مقال من رجل له ذكر ، يقول فيه : لا نريد علماء ، ولا نريد رجالا ممن يسمونهم بالتكنولوجيين، وانما نريد شعراء يتغنون لنا بماضينا ، الجميل .

فئة راحت تحفر عن مآثر الآباء

وفئة رابعة أو لعلها الخامسة رأت البون واسعا شاسعا بين ما حصّل الغرب وما تخلف الشرق ، فعملوا مثل ما يعمل الرجل الفقير اذا أتت باغته في منزله على فقر ورقة حال . تحدث له هذه المفاجأة عقدة في نفسه ، يروح يحلها بأن يبحث في ذاكرته عن جد له كان ذا ثراء، ليحدثك عنه ، ليسدّ به من ماضيه فراغا وقع له في حاضره .

فهذه الفئة منا راحت تجعل كل همها التنقيب في ماضي الزمان البعيد لتكشف لنا فيه امجادا ، وتكشف رجالا . وتلك جهود حمدناها كل الحمد ، لا سيما ما اتصل بها بأصول عقيدة واصول فكر ، فهذه اصول تتصل بأصول العيش فينا واصول ثقافتنا . ولكن ان يقوم الحفر عن الماضي بديلا عن الحفر والبناء للمستقبل ، ولا سيما للحاق بركب الانسانية الذى فاتنا ، فهذا ما لا نرضاه ابدا ، لا سيما وقد تبين لنا أن الكاشفين عن الماضي انما يكشفون للفخر . وشر الأشياء على الامم الفخر . لأن الفخر بالآباء والتباهى بالقدماء مكسلة ، وهو لا يغنى عن عمل اليوم شيئا .

ومن هذه الفئة من يكشف عن مجد الآباء ليقول بعد ذلك : هؤلاء آباؤنا صنعوا . اى انهم يطلبون من الآباء شهادة بأنهم جديرون بأن يصنعوا مثل ما صنعوا، أى انهم يطلبون من الآباء شهادة تدل على جدارة الأبناء . وهذه الشهادة ، أو هذه الدعوى ، باطلة من وجهين :

الوجه الأول : اننا لسنا لهؤلاء الآباء بأبناء ، عن طريق الدماء ، خلصاء ، فالعروق اختلطت ، وعروبتنا اليوم ليست عروبة سلالات صافية ، وانما هى عروبة ثقافات. ثقافات واحدة ،وتواريخ

---

(١) من كتاب الشيخ حافظ وهبه في الجزيرة العربية .

واحدة ، وأوطان واحدة ، وحظوظ في الحياة واحدة . وفوق كل هذا لغة واحدة .

ان الوطنيات بالسلالات قد انقضى امرها وانفرط . فما قومية في العالم تدعي اليوم أن لها أصولا تطول الى اكثر من قرن في صفاء فكيف بقرون .

والوجه الثاني التي تبطل به هذه الدعوى ، أن هؤلاء الآباء ، لو كنا لهم أبناء دماء خلصاء ، لما نزل منهم الينا هذا الارث الذي ندعيه . فعلم الوراثة يحجب توارث الصفات والمؤهلات والكفايات بعد الجيل الرابع أو الخامس . وبيننا اليوم وبين الأقحاح من أنسال العرب فوق الخمسين من الأجيال .

واذكر في هذا الصدد بيتاللمتنبي قاله في رثاء جدته ، قال يخاطبها :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد
لكان اباك الضخم ُ كونك لي اُمّا

اى ان اباها كان أكرم والد . وحتى لو لم يكن ، فقد كفاها عن فخر الآباء فخرُها بالأبناء . فخرها بابنها المتنبي ، فقد كفاها فخرُها بالابن عن كل فخر بأب .

ويزيد المتنبي هذا المعنى الجميل قوة بذكر من هو ، ليزيد في عظمة الابن ، فيقول :

لئن لذّ يومُ الشامتين بيومها
فقد ولدتْ مني لانفسهم رَغْما
تغرّبَ لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما

ان الدول القوية الحاضرة لا ماضي لها تذكره .

واكبر دولتين اليوم في الأرض ،

هنا ، يحفر اليهود في اساس المسجد الاقصى يبحثون عن انقاض هيكل سليمان ليبنوا فوقها الهيكل





الى اليمين : بنات رام اللـه ونابلس يتظاهرن، ويتحدين بالـذي كتبن على السبورة من حولهن من جنود

الى اليسار : هكذا يقتاد الصهاينة من يشاءون من العرب في الاراضي المحتلة ، وهكـذا هم بهم يصنعون

الأمريكان والروس ، لم أسمع أنهم يحفرون ليكشفوا عن أمجاد آباء وأجداد . فان حفروا فللعلم لا للفخر يحفرون . ولقد سمعت من المؤرخين من يقول : ان انجح الأمم اليوم من لا أبَ لها أو جد .

وابتدعوا خصومة بين الروح والجسد

وفئة أخرى ابتدعت خصومة بين الروح والجسد . خصومة لم أجدها في القرآن ، ولكني وجدتها من قبل قرآن ، عند فلاسفة الهند . وحقروا الجسد بحسبانه مادة ، وادخلوا في الدين ما ليس فيه . والقرآن يقول : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » . وما الجسد ؟ وهل الجسد الا آية من آيات الله الكبرى .

ومن معنى الروح والجسد جاءوا بالروحانية والمادية ، وهما لفظان تدل صياغتهما على عُجمتهما . حتى لفظ المادة لم يرد بين الفاظ القرآن أصلا . والروح ، لم يأت لفظها في القرآن بمعنى يستفاد منه أنها والجسد في منزلتين غير متكافئتين أبدا . وسُئل النبي (صلعم) عن الروح فنزلت الآية تقول : « قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقامـوا يرمـون المـادة بكل شرور هذه الدنيا ، وما المادة الا من خلق الله . وبالفواحتى حبّذوا الفقر للمؤمنين ، وقالوا انه بهم أولى وأشبه . وقالوا ان الدنيا انما هي معبر ، وما زادوا الناس بذلك علما . وهم انما قالوها ليقولوا للناس بعد ذلك اذن فاقضوا هذا المعبر في فقر وتعاسة لتجنوا خيرا بعد ذلك في الآخرة ، ونسوا أن الله يقول : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . ويقول تعالى : « قل من حرم زينة الله ، التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق » .

ونسوا أن أمة عربية تنزل من الفقر بحيث ينزلونها ، ومن كره المادة بحيث يريدونها ، أمة لا حياة لها على ظهر هذه الارض في هذه الايام خاصة ، الا حياة الذل ، وما كان ذل الارض مَعْبرا الى خير ، في حكم الله أبدا .



اني ، انا العربي ، ما دمت اسعى للرزق ، واكسب ما اكسب مما يسمونه مادة على الحلال ، واقي بواجبي نحو نفسي ونحو اهلي ووطني وربي ، فانا في رحاب الله آمن . هكذا هو خلقني، وهكذا هو سوّاني ، واليه مرجعي مع الراجعين على الخير دائما ابدا .

ورجل جاءني ، يحدثني في المادية والروحانية ، وخرجت أودعه الى باب داري ، وانا اتساءل: اي دابة يا ترى ترك عند الباب سوف تحمله الى داره . وحسبت انها لا بد أن تكون قد فرغت من علفها . فاذا تطالعني عند الباب ، لا دابة من الدواب ، ولكن سيارة من افخم ما اخرج أهل الغرب من سيارات واضخم .

وكاد ان يصح عندي ، ما قاله بعض اهل البصر من المسلمين ، عن ان هذه الدعوة الى العزوف عن المادةوعن الدنيا، يقوم بها قوم من الدعاة ، عن علم ، او عن غير علم ، انما هي رسالة حَمَلها قديما هؤلاء الدعاة ، حملوها من اهل الثراء الى أهل الفقر ، ليبقى هؤلاء على فقرهم مع التحلي بفضيلة القناعة ، وليبقى اولئك على ثرائهم ويطمئنوا على الأمن في سربهم . وما كان هذا من شريعة الله في شيء . انهادعوة يكفي في ابطالها أن يقال أن شعبا عازفا عن المادة، عازفا عن الدنيا، فقيرا ، لا يمكن ان يؤلف الا امة فقيرة ذليلة في حاضر هذه الأيام بين امم الارض.

عوائق عوّقت القوافل فلم تصل سريعا الى غاياتها

كل هذه العوائق كانت من الصنف الذي يمس العواطف فسهُل ، لا سيما عند العامة ، دخولها الى قلوب الناس . وكانت من الصنف الذي يدغدغ الفكر ولا يوقظه . ومن الفكر ما تستطيع ان تمشي به في الشوارع ، وانت نصف نائم . وكانت دعوات أقرب الى السلب منها الى الايجاب . وهي تطلب من الناس ان ينحدروا من الجبل ، لا ان يطلعوه ، والانحدار أسهل عليهم من طلوع ، وهو

يجرى حتى في غيبة الارادة ، ولكنه يكون معه عند ذلك تحطيم .

ومع كل هذه العوائق لم تجد الأقطار العربية بدا من السير فيما سارت فيه أمم الارض جميعا ، مع استعمار ، ومن بعد استعمار . واقتبس العرب فى مدنهم من طيبات المدنية الغربية كل ما استطاعوا ، ولكن من السهل غير المتنع . اقتبسوا منها في تعليم وفي مدارس وجامعات . واقتبسوا في أسواق وبنوك وحسابات . واقتبسوا لمبان وطرق وعمارات. واقتبسوا قطارات وسيارات وطائرات . واقتبسوا ادارات ومؤسسات ووزارات . واقتبسوا سينمات وراديات وتلفازات . والشرطة والجيش وسائر صنوف الخفر والدفاع ، صاغوها افرنجية النظام ، افرنجية السلاح . والزراعة والصحة والطب والمرض ، وكل العلوم والآداب .

وامتلأت الأسواق والمخازن ، والبيوت والمكاتب ، وحيثما ذهبت ، فى المدن العربية الكبرى ، بالكثير من اشياء هذه المدنية . وهى اشياء لا يشملها الحصر .

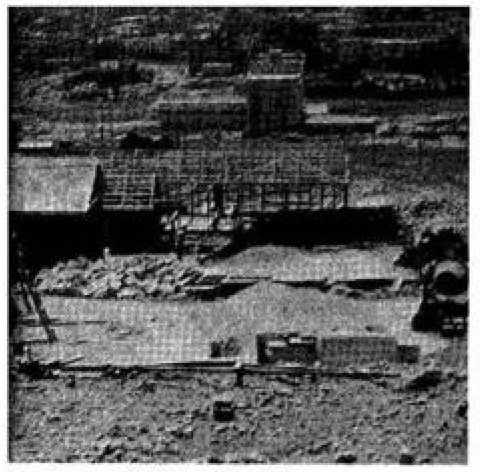
ولكن حصلنا عليها كلها بالشراء .

لم نكد نصنع منها شيئا ، حتى ساعة اليد ، وهى أصغر ما يحمل عربى المدينة ، اشتريناها من حصيلة ما نزرع .

للعرب الزراعة .

وللغرب الصناعة .

وكان هذا هو الفالق الأكبر الذى فلق الأرض فلقتين ، وقدها نصفين ، نصفا فيه الغني ونصفا فيه الفقر . الفقر الواسع المرقع برقع من غنى . نصف فيه العلم الحديث ، ونصف فيه العلم القديم وأكثره في الخزائن . نصف علمه الله بالقلم ما لم يكن يعلم ، ونصف كثرته الكبرى امية لم تتعلم . والحصيلة النهائية من الوجهة السياسية والمالية والاجتماعية ، نصف من اهل الأرض مغلوب على امره ، محكوم ، ونصف يتحكم .



هكذا بدا الصهاينة يقيمون مستعمرا[...] المجتمع العربى ، تمهيدا لدمجه[...]

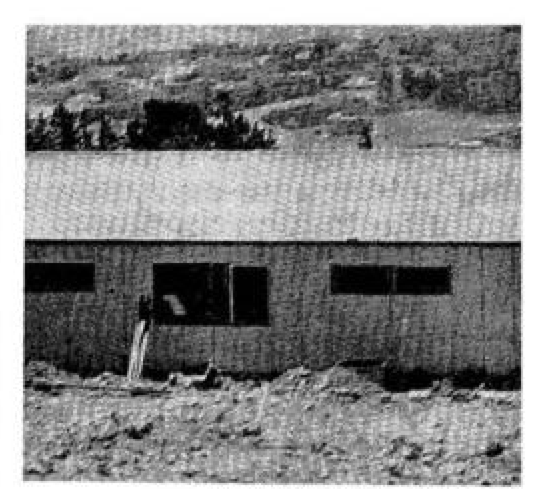
في هذا الطور من اطوار العرب سقطت العقرب على القرطاس

في هذا الطور من اطوار العرب سقطت العقرب الصهيونية على الخريطة العربية فشوهتها .

كان من الطبيعي ان يقع هذا . فان لم تغز العرب اسرائيل لغزتهم امم غير اسرائيل .

والغزو اشكال والوان . والاستعمار صار صنوفا شتى. وان صح انه انقضى طور من استعمار في هذه الأيام ، فهو لا شك عائد فى طور له جديد . ان الاستعمار باق باق ، وان اختلفت صوره . وهو باق ما بقيت له بقايا من امم ، هي من الضعف بحيث تستعمر . ان قانون الحياة انت واجده حيثما سرت بين طوائف الحيوان .. وانت واجده هو هو بين انسال بنى الانسان . ان الاستعمار كالدودة في الشرنقة تختفى فيها لتتطور ، ثم تظهر .

اقول سقطت العقرب الصهيونية على الخريطة العربية فى الموعد الموقوت . ولا اريد أن املأ هذه الصفحات بذكر مايعلمه كل الناس ، من يوم حل الصهاينة بيننا الى يومنا هذا . وبحسبى أن أقول انهم بداوا بيننا وهم بضع عشرات من



في الضفة الغربية المحتلة ، في قلب ومنعا لقيام الحركات الثورية فيه .

ذلك الاحساس الفعال ، الذى يخرج به من الجمود الى الحركة ، هو اليوم فى ادنى حالاته . واترك لك انت ايها القارىء ان تفتش عن اسباب ذلك . والوحدة بين الدول العربية احسن ما يمكن ان نقول فيها اليوم أنها ليست كبيرة التماسك . وزادها تفككا أن من هذه الدول من شرّق اضطرارا . ومنها من غرّب . والوحدة في البلد الواحد ، في أكثر من بلد عربى واحد، لا تكاد توجد. حتى أنك لو صنعت امة من سود الزنوج ، وبيض النرويج ، وصفر الصين ، فربما كانوا أكثر وحدة واكثر انسجاما فيما بينهم وأكثر تماسكا.

اخطار تحيط بالعرب ، لا شك فيها في سلم ، فكيف والحرب قائمة .

ليس ما بنا بضعف ، انما هو طور الصبي الناشىء

وانا ، ان جاز ان يرى المرء في مكروه شيئا يحمده ، فقد أرى في الحدث الصهيونى الذى كان ، من نصر ، ولو مسروقا ، كبوه ، وخذلان لنا لا شك فيه ، قد ارى في ذلك شيئا يحمَد ، ذلك انه كشف عن اعراض لأمراض كانت خافية عنا ، فكشفت عنها النوائب .

بل لا اقول عرضا ولا مرضا . وانما اتابع النظرة التى بدأتها ، وهى أن ما نحن فيه من ضعف ، لا يمكن ان يسمى ضعفا، الا اذا سمّيتَ ضعف الصبى النامى ضعفا . ان العرب بداوا بيقظة جديدة ، بعد سبات طويل عميق دام قرونا ، فهم كالمخلوق الجديد ، فاجاه الصهاينة ، وهو في صباه ، ولم يبلغ بعد عنفوانه . وانه لبالغه .

ليس لي بصر الأنبياء

وبالطبع يود القارىء ان يسمع ، رأيا منى فى الأزمة العربية الصهيونية الحاضرة . ولست ارى فيها خطرا على الصبى العربى النامى . انها نكسة تزول . كالحصبة تصيب الصبية ، ثم تهبط درجة الحرارة ويزول الخطر . واريد أن اتنبأ ، وتعوزنا

الوف من الناس ، فلم يلبثوا أن صاروا الوفا مؤلفة ، وفي زمن غير طويل . ولقد ظننا في اول الأمر أننا سوف ندوسهم بالنعل دوس العقرب، فانتهوا بأن صاروا الحية التى يخشى أن تقترب . وبدأنا نخاصمهم وأكثر الدنيا معنا ، وانتهينا في خصامهم والدنيا كلها تقريبا علينا .

ولم يكن كل هذا الذى حدث بسبب قوة اليهود ، ولكن بسبب ضعف العرب . وعلى الأخص بسبب ضعف الانسان العربى . انهم لم يمهلوه حتى يتطور . وهم لا يريدون له امهالا حتى يتطور ، لانهم يخشونه .

والناظر في الأمة العربية نظرة صدق، بعيدة عن العاطفة العربية ، وما أقواها في قلوبنا في هذه الساعات ، وبعيدا عن الشعارات، يقول ان حالة العرب في حاجة الى الربط الكثير والضبط الأكمل حيثما نظرت اليها . الفرق كبير بين ما هو كائن ، وبين ادنى الكفاية التى وجبت أن تكون . في علم . في مران . في استنارة . . في . . في . . وأخيرا في كفايات يتطلبها حمل السلاح الحديث .

احساس الانسان العربى بوطنه في ادنى حالاته

حتى احساس الانسان العربى بوطنه ،

المغطيات . وليس لي بصر الأنبياء . ولا اعرف في العالم العربي كله ، او حتى في العالم الصهيوني من يستطيع ان يتنبأ ، في هذا اليوم ، الذي اكتب فيه ، والساعة التي اكتب فيها ، الا نبوءة يجوز عليها الخطأ ويجوز الصواب .

المحنة العربية في المدى القريب

ولكن من لا يستطيع ان يتنبأ ما يكون، يستطيع ان يصف ما هو كائن .

السلم الذي يطلبه الصهاينة

واولى الحقائق ان الصهاينة يريدون ان تفتح لهم البلاد العربية الأبواب ، وهم يعبرون عن هذا بأساليب شتى : بالمفاوضة المباشرة . او بالحدود المأمونة ، كان تكون الضفة الغربية من الأردن خالية من السلاح العربي . ويعني هذا ، الضم ، ان عاجلا او آجلا . وكذا سائر الحدود التي يريدون ان يحتفظوا بها ، كلها نقط انطلاق الى جوف البلاد العربية ، ولو من غير سلاح . فدرجة التطور التي لم تبلغ بعد الكفاية في البلاد العربية يكفي فيها دخول الصهاينة بغير سلاح . ذلك لأن أساليب السيادات الحاضرة ، تلك التي قامت من بعد استعمار ، أساليب تهز كيان الدول من الداخل ، لا من الخارج . فاذا ما انهدمت كل ابراج المناعة في داخل البلاد ، فما ايسر الاستيلاء .

اسرائيل حقيقة واقعة عند الأمريكان والروس وفرنسا والألمان

الحقيقة الثانية ان دولة اسرائيل صارت عند دول الارض حقيقة واقعة . هي هكذا عند الأمريكان والروس، وفرنسا والالمان . كل يريد بقاءها . وكل يريد حماية حدودها . والأمريكان يرجون المزيد . فما توغلُ الصهاينة في الشرق الأوسط الا تمهيد لتوغل الأمريكان . وسلطان الصهاينة الذي يرجونه هو في المخطط سلطان الأمريكان .

ومن الحقائق المقررة ان الأمريكان واسرائيل لهما في المشرق العربي هدف واحد . اعرب جونسون عن هذا بما لا يرتاب فيه أغبى الخلق . يعطيهم ما يشاؤون ، وعند الباب يسألهم هل من مزيد يريدون . فيقولون اما الآن فلا وشكرا .

وشيء آخر اثبته جونسون، في الشرق الاوسط ، وفي فتنام ، على السواء : ان هيئة الامم لا وزن لها ، وليس لها حتى الكرامة تلتزم بها الدولة القوية في هذا العالم . الأكثرية الكبرى من العالم وقفت ضد الولايات المتحدة في سياستها في فتنام ، تلك السياسة التي ذكرتنا بعهود البرابرة الأولى على الرغم مما في اسلحتها الحديثة من دقة في الفن وسبق في العلم . وشذت دول تنتفع من ثراء الولايات او تخاف جبروتها .

سياسة الأمريكان في العالم سياسة القوة ، وويل للراس الذي لا ينحني

ان سياسة الولايات سياسة القوة . وويل للضعيف . وويل لذى الراس الذي لا ينحني .

القوة لا تزال اليوم ، كالقوة في الأمس القريب والبعيد، وكالقوة في الغد القريب والبعيد ، هي الحكم وهي الفيصل : انه الاقطاع يستشري بين الأمم ، في الوقت الذي خيل لنا فيه أنه امتنع بين الأفراد في أكثر بقاع الارض .

هذه هي الحقائق التي يجب ان تراعى في التنبؤ بما سيأتي به الغد القريب من حل للمحنة التي نحن فيها .

واي حل يأتي ، سوف يوزن ما فيه من كسب او خسران ، بوضعه في كفة ميزان ، نضع في الكفة الأخرى منه ، ما بلغه العالم العربي اليوم من تطور ، وما بلغه من علم ، وما بلغه من قوة ، بمفهوم هذه الايام . فان تكن خسارة فبمقدار ما فرّطنا ، وان يكن كسب فبمقدار ما حصّلنا . ولا عتبَ على الأيام ، فلكل امرىء ما سعى .



هذه صورة فوتغرافيه وجدت على باب قاعة شهيرة للمحاضرات في لندن ، تدعو القوم الى حضور محاضرة عنوانها « معجزة العودة الاسرائيلية في الشرق الاوسط » . وفي الصورة خريطتان ، خريطة على اليسار حاضرة ، واخرى الى اليمين تكشف اطماع اليهود في غير خفاء ولا حياء .

المحنة العربية في المدى البعيد

فهذه هى المحنة في المدى القريب .
وغير ذلك المحنة في المدى البعيد .

لن يكون للصهاينة من اعداد العرب المتكاثرة غير الغرق

ان اسرائيل ، مهما حشدوا لها ، فلن يبلغ ما بها من سكان الا بضعة ملايين . والعرب قاربوا اليوم المائة مليون . ولا يعقل ان هذه القلة تستطيع السيطرةعلى مثل هذه الكثرة ، ولو كانت هذه الكثرة ابقارا واغناما . فكيف وهم من انسال من البشر ورثوا من المدنية القديمة ميراثا عظيما ، وورثوا من حاضر هذه المدنية اقساطا غير قليلة ، ولا زالوا يحصلون .

وهم في آخر هذا القرن اكثر أعدادا ، واقدر اجسادا ، واملأ افهاما ، واوسع علما ، واخبر تِكنيّة . مصر وحدها ، وهى بلد متاخم ، ان قدّر لاسرائيل ان تبقى ، قد يبلغ عدد سكانها في ختام هذا القرن ٥٠ مليونا . فليذكر هذا الذين يحلمون بدولة الملك داود وعودتها الى الأرض .

وتثير مسالة السكان امرين هامين :

زيادة السكان سياسة العرب

الأمر الأول : ان زيادة السكان ، لا نقصهم ، يجب ان تكون سياسة العرب ، على شريطة ان يكون الحكام من اليقظة بحيث لا ينتجون الانسال للعرى والجوع ، ولكن للرزق الحلال من العمل النافع بعد التخطيط له .

قلة السكان مع كثرة الخير تحرك الاطماع

الامر الثاني : ان بعض مناطق الوطن العربي قد تصبح في اي وقت موضعا لاطماع تغزوها من الخارج ، وذلك لكثرة خيرها ، مجتمعا هذا الى قلة سكانها . وضعف الدفاع فيها بناء على ذلك . وهذه الاطماع قد تأتي من جارات فيها الكثرة من السكان والقلة من الخير .

وآسف يا قارئي اذا انت فهمت انى انما عنيت بالخير ، الزيت .

انما عنيت ما هو آصل واثبت في الحياة : الارض الطيبة ، والماء الوفير .

لقد اذكر اني قرات مقالة في المجاعة المنذرة المخوفة في العالم ، وفيها راح الكاتب يعدد بقاعا من الارض اصلح ما تكون لزرع ولكنها لا تزرع ، ففى التربة الخصب وعندها الماء ، ولكن يعوزها الرجال . ومسح الوطن العربى وجاء فيه بمساحات هائلة ، قال : اما ان يزرعها اهلها ، أو تزرعها هيئة عالمية على الرغم منهم (هكذا !) اغتصابا وانتهابا ، بحسبانها ارض الله وفاء بطعام خلقه .

ولقد ذكرت احاديث في لندن قديما مع يهود ، كانوا في عهد لا يبالون فيه تصريحا ، علمت منها انهم لا يهدفون الى النقب ، او الى سيناء ، ولا حتى الى الاردن الشرقى يحتلونه ، فما هذه عندهم الا مناطق صحراء غبراء . ولكنهم يهدفون الى ابعد من ذلك ، واخطر من ذلك ، وامرع نباتا ، واكبر محصولا ، واكثر ثمرا ، واقل رجالا . بل حيث لا رجال . ولست اسمى .

وهنا يتراءى لى راى تراءى قبلى لخبراء السكان من علماء الجغرافيا الانسانية Demographists : اذا لم تكن سرعة النسل في قطر واحد بمسعفة ، فما بال الهجرة ، من مكان فيه كثرة ، الى مكان فيه قلة . واضيف فاقول : نعم الهجرة ، ما دام انهم عرب ينزلون في ارض عربية ، وما دام انهم هناك ينزلون ، ليعملوا ، وهم من عرق جبينهم ، في حرث ارض ، وبذر حب ، وجمع حصاد ، يأكلون ويكتسون .. والارض بدونهم كالصحراء رغم الخصب الذى فيها والماء .

انها مشكلة يجب ان يثيرها العرب اليوم ، وان يفرضوها على انفسهم ، رغم الانانية والتخوف ، وقبل ان تفرضها الايام .

حياة البداوة صارت في هذا العصر نشازا

وبذكر الصحراء اذكر البدو .

لم لا تكون الهجرة من البدو ، الى حيث تقل الرجال ، وهناك يستزرعون الارض ، ويستقرون ويستوطنون .

ان حياة البداوة صارت في هذا العصر نشازا . ومسكين هذا البدوى ، وتلك البدوية التي لا تعرف اليوم من العيش الا ارتياد العشب عند مساقط الماء في الصحراء . ان الشعب البدوى انما يعيش على هامش الحياة ، وان فيه لذكاء فكر وصفاء قلب ، كلاهما منسيّ مضيّع .

اما بعد كل هذا ، فنحن العرب لا خوف علينا اليوم ، ولا غدا ، قريبة والبعيد ، ولا نحن نحزن .

وبودي لو عشت ربع قرن أو نصف قرن ، لأرى الوطن العربي عند ذاك . اذن لرايته وقد تغير وجه الدنيا به ومنه . واذن لوجدت جيلا اصلب عودا ، واكثر حنكة ، واخلص نية ، واقدر على اطراح الخرافات ، وخلع الشعارات ، واوسع علما ، واخبر تكنية . ومع اقتباسه كل نافع جميل من المدنية الحاضرة ، لايغفل عما بها من زيف شأن المدنيات جميعا .

ثم هو جيل يعلم ان لكل حياة ختاما ، وهو يرجو حسن الختام وحسن المآل .

والله الموفق .

٢ ديسمبر ١٩٦٨

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٢٠

الأسماء الفائزة بالجوائز

■ بالرغم من أن التعريف بثلاثين كلمة كان كافيا للنجاح في المسابقة ، الا ان اغلب الاجابات اشتملت على ردود صحيحة للاثنتين والاربعين كلمة ، التي جاء ذكرها في المسابقة . . وفيما يلي نموذج لاجابة صحيحة :

كابري : جزيرة ايطالية **كابول** : عاصمة افغانستان **كوري** : مكتشفة الراديوم **كارلسباد** : مدينة بتشيكوسلوفاكيا **كمران** : جزيرة جنوب البحر الاحمر **الكاظمية** : احدى ضواحي بغداد **كاروزو** : مغني اوبرا ايطالي **كازانوفا** : مغامر ايطالي اشتهر بغرامياته **الكوفة** : مدينة في العراق **كونت** : فيلسوف فرنسي **كانت** : فيلسوف الماني **كاليه** : ميناء في فرنسا **كانتون** : ميناء في جنوب الصين **الكواكبي** : ثائر ومصلح اجتماعي **كاي شيك** : رئيس جمهورية الصين الوطنية **كبلنج** : شاعر انجليزي **كتشنر** : قائد بريطاني **كراتشي** : العاصمة السابقة لباكستان **كريشنا منون** : وزير هندي سابق **كربلاء** : مدينة مقدسة في العراق **كوف دومورفيل** : رئيس وزراء فرنسا **كرومر** : لورد انجليزي مات عام ١٩١٧ **كريت** : جزيرة يونانية **كركوك** : مدينة في شمال العراق **كسلا** : مدينة في السودان **كرومويل** : ثائر بريطاني على الملكية **كشمير** : ولاية بين الهند وباكستان **كمبوديا** : دولة بالهند الصينية **كولوزيوم** : من اشهر آثار روما **كينيا** : دولة في افريقيا **كمبردج** : مدينة بانجلترا اشتهرت بجامعتها **كونفشيوس** : صاحب مذهب في الصين **كوبا** : جمهورية بالبحر الكاريبي **كوبنهاجن** : عاصمة الدانمرك **الكامرون** : دولة في افريقيا **كورسيكا** : جزيرة في البحر المتوسط **كلمنجارو** : اعلى جبل في افريقيا **كرفو** : جزيرة يونانية **كردفان** : مدينة في السودان **كوناكري** : عاصمة جمهورية غينيا **كيسنجر** : مستشار المانيا الغربية **كييف** : عاصمة اوكرانيا ،

ومن بين الاجابات العديدة الصحيحة اجريت القرعة ففاز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

❋ محمد محمد سالم ـ المساكن التعاونية منزل رقم ٧ ـ شارع الجلاء ـ طنطا .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها :

❋ نجوى فخرى ـ بغداد ـ العراق .

الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير فازت بها سوسي قربتيان ـ بيروت .

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :

١ ـ محمد حاق عطية الشريف ـ وزارة المواصلات ـ الرياض / السعودية .

٢ ـ عياد موسي العوامى ـ البيضاء الثانوية ـ البيضاء / ليبيا .

٣ ـ علي ابراهيم محمد الجناحي ـ ١٩ شارع القادسية ـ قطعة ٣ ـ الكويت

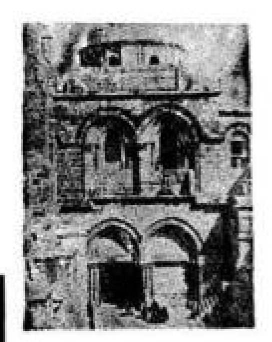
٤ ـ طلال عبد الله محمود سالم ـ الجامعة الاردنية ـ عمان / الاردن .

٥ ـ نصر احمد عبد الله شرقى ـ الخرطوم ـ السودان .

٦ ـ اسماعيل متعب نصر ـ السويداء ـ الجمهورية العربية السورية .

٧ ـ عباس بنعبد السلام ـ اكدال ـ الرباط ـ المغرب .

٨ ـ عصام الدين محمد عبد الله ـ دبى ـ ص ب ٢٠٦ ■■



كنيسة القيامة

تدويل

مُغامرة

بقلم الشيخ أحمد حسن الباقوري

مدير جامعة الازهر

■ ان الاسلام يعترف بالديانة اليهودية والديانة المسيحية .. ويقرر ان الايمان بموسى وعيسى عليهما السلام.. شرط لتحقق الايمان بمحمد عليه السلام .. فليس بمسلم من يؤمن بمحمد ويكفر بموسى او عيسى عليهما السلام .. وليس هذا كلاما لا سند له .. فان القرآن الكريم ــ وهو كتاب المسلمين المقدس ــ يأمرهم فيقول لهم : « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا ، وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » .

موقف عمر بن الخطاب

ان شرط الايمان بالقرآن .. الايمان بالتوراة التي انزلت على موسى ، وبالانجيل الذى انزل على عيسى .

هذا من الجانب النظرى .. وليست العبرة كل العبرة تجيء في الجانب النظرى .. ولكن المقياس التطبيقي العملي هو المقياس الصحيح للنظريات .. ومن الجانب العملي التطبيقي نرى عمر بن الخطاب ، امير المؤمنين ، حين تم في عهده فتح بيت المقدس ، وحين دُعيَ لزيارة البلد الجديد (ايلياء) وهي بيت المقدس ، استجاب وذهب الى هناك ، وجلس حتى حان وقت الصلاة فالتمس مكانا يصلي فيه . غير أن القساوسة الذين يشرفون على كنيسة القيامة دعوا امير المسلمين الى ان يؤدى صلاته في كنيسة القيامة ، ولكن عمر رفض ان يستجيب لهذه الرغبة ؛ وكان رفضا قائما على اكرم معنى يمكن ان يقع في قلب انسان كبير .. فقد قال لهؤلاء القساوسة : « اخشى ان انا صليت في هذا المكان ، ان يجيء المسلمون من بعدى ويقولوا ها هنا صلى خليفة رسول الله وامير المؤمنين عمر ، ثم يغلبوكم ايها المسيحيون على هذا المكان ويأخذوه منكم .. ويتخذوه مسجدا .. ثم قام عمر الى موضع آخر بعيدا وادى صلاته .. والمكان الذى صلى فيه يقوم عليه الآن في مدينة القدس مسجد يسمى مسجد عمر بن الخطاب » .

تسامح صلاح الدين

وانه حين جاء صلاح الدين الايوبي محررا لبيت المقدس .. كان عمر قدوة

القُدْس .. بالإسلام

له فى التسامح والتأدب بأدب الاسلام . فاظهر من احترام الاماكن اليهودية والمسيحية ما لا يزال المنصفون من علماء اوروبا وامريكا يرفعون من ذكره ويعلون من قدره الى اليوم ..

وقد عرف هذه المعاني الموصولة بالاسلام لصلاح الدين أعظم كتاب القصص في الغرب ، وانتجوا افلاما مثل فيها كبار الممثلين الغربيين ، تعرض سماحة الاسلام وتقيد صلاح الدين المسلم بالاسلام وترفع من قدر هذا التسامح .

خادم الكنيسة .. مسلم

ولما انتصر الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى ، راى حارس كنيسة القيامة وهو عربي مسلم ان يسلم مفاتيح الكنيسة الى الفاتح الانجليزي .. غير ان اللورد اللنبي قائد قوات الحلفاء المنتصرة في تلك الحرب رد المفاتيح الى الذين كانوا يقومون على خدمة كنيسة القيامة ، ورعايتها منذ عشرات السنين .. وربما كان تصرف هذا القائد ملاحظا فيه ما كان قائما بين الطوائف المسيحية من الاتفاق على ان يلى مفاتيح الكنيسة مسلم دفعا للخلاف بين هذه الطوائف منذ القديم ..

المسلمون يحترمون المقدسات

ومن هنا كان بقاء بيت المقدس فى ايدى المسلمين خير ضامن للحرية الدينية واحترام الاماكن المقدسة للمسلمين وغير المسلمين ، لأن المسلمين بحكم دينهم يحترمون مقدساتهم ومقدسات غيرهم من أهل الديانات السماوية يهودا كانوا أو نصارى .. واما اليهود فانهم لا يعترفون ولا يحترمون مقدسات المسيحيين .. وكذلك المسيحيون لا يعترفون بالاسلام ولا يقدسون مقدسات المسلمين ، وهذا معناه انهم لن يحترموا الاماكن المقدسة احتراما ناشئا عن الدين ، واذ احترموا هذه الاماكن المقدسة فان احترامهم لها احترام ناشيء عن السياسة .. وليس يخفى ان الاحترام الناشيء عن الدين عميق عمق العقيدة وخالد خلودها .. والاحترام الناشيء عن السياسة احترام سطحي ومحدود بالظرف السياسي والمصلحة السياسية .

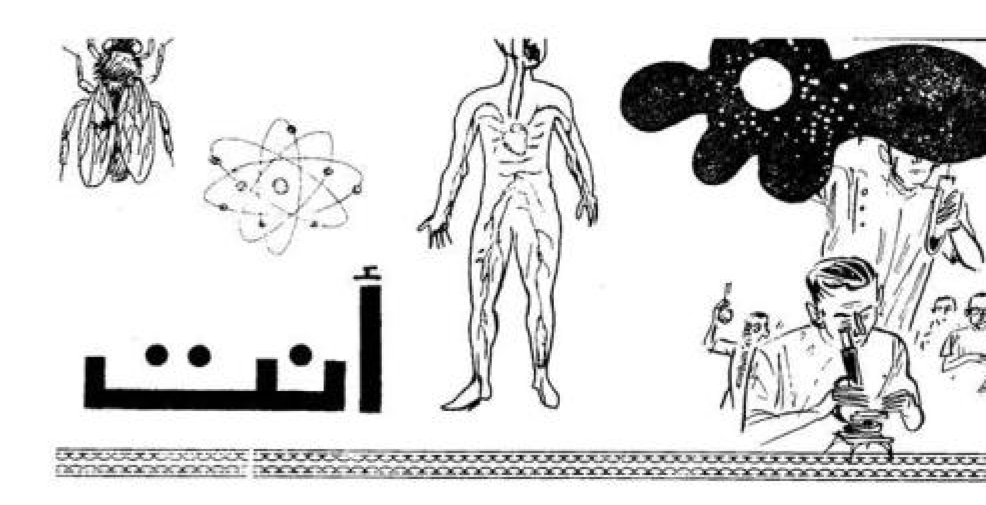
التدويل عواقبه سيئة

خلاصة هذا ان التفكير فى تدويل القدس .. تفكير لا يبالى بالعواقب السيئة ، ويريد أن يغامر بتجربة جديدة .. تاركا وضعا كريما مستقرا منذ مئات السنين .. الى وضع جديد لا تسانده عقيدة ولا تؤيده تقاليد .

ولربما كان هذا الوضع الجديد مدعاة لقتال دموى يقوم بين المسيحيين بعضهم وبعض ، وبين المسلمين والمسيحيين من جانب واليهود من جانب آخر .

وبوصفي مديرا لجامعة الأزهر الشريف ادعو الذين يريدون تدويل هذه الارض المقدسة ، وعلى راسهم قداسة بابا روما ، ان يتأملوا هذه الكلمات على ضوء الحقائق الدينية والتاريخية ، وسوف يتبين لهم ان بقاء هذه الارض فى سلطان المسلمين ، كما كانت من قبل اقدر على تحقيق الطمانينة ، وأضمن لتقرير السلام فى ارض السلام ■■

احمد حسن الباقورى



بقلم الدكتور أحمد زكي

البازوكة

● في عدد اول اغسطس عام ١٩٦٨ من « العربي » شرحتم لنا معنى مدفع الهاون الذي يتردد اسمه في حرب فيتنام ، فافدتمونا خيرا . فهل تزيدوننا من الخير بان تشرحوا لنا لفظا آخر يتردد في هذه الحرب كانه شبيه بالاول ، اعني البازوكة Bazooka .

ــ اذا ذُكرت البازوكة لجندي حَضَرَ الحرب العالمية الثانية، ذكر بها على الفور الدبابات ، وذكر الولايات المتحدة مبدعة هذا السلاح الجديد .

ذلك أن من مصاعب تلك الحرب كانت الدبابات ، يلقاها الجند المشاة ، فلا يجدون ما يدفعون به عن انفسهم ضدها . وكان من انجح ما فكر فيه الحلفاء ، ما اهتدت اليه الولايات المتحدة من ذلك السلاح الذي عرف باسم البازوكة ، وسموه البازوكة ، لأنه شابه قرنا كان يحمله ممثلهم الهزلي بوب برنز BoB Burnos وسماه بازوكة .

والبازوكة عبارة عن انبوبة من الفولاذ، طولها نحو ٥ اقدام ، وقطرها ٢ر٣٦ بوصة ، ناعمة الباطن ، مفتوحة من طرفيها ، ولها يد تمسك يدَ الانسان بها ، وبها شبه مقعد تقعد به على كتف الجندي ، فهو يحملها على كتفه عند الاطلاق . وبها الزناد ، وكل ما تحتاجه البندقية من التحريك والاطلاق .

اما الذي تطلقه فصاروخ يحمل راسا به ذخيرة من نوع جديد ، ينفذ في صفيح الدبابة عندما يصل اليها . راس به الذخيرة « مشكلة » تشكيلا يجعلها عندما تنفجر ترتش على الهدف ارتشاشا وهي في درجة من الحرارة عالية ، وفي سرعة فائقة . اما الذخيرة فمن المفرقع القوى ، البنتوليت Pentolite.

وصاروخ البازوكة طوله ١٩ بوصة ، وبزن ٣ ١/٢ رطل ، وبه نصف رطل من البنتوليت ، وهو يخترق من الطبق



وَالعِلمْ.. وَالحَيَاة

المصفح نحو ٥ بوصات اذا اطلق وهو على بعد ٣٠٠ ياردة من الدبابة .

اما ان الأنبوبة لها فتحتان ، فقد جعلها انفتاحهما ان لا ترتد الأنبوبة الى الوراء عند الانطلاق ، كما ترتد البنادق والمدافع .

ولكن كان للبازوكة عند انطلاقها ، بسبب ذلك ، عصفة سوداء من دخان تخرج منها من وراء ، تجعل اطلاقها لا يكون الا في مكان طلق . انه لا يكون الا في العراء .

والجندى يحمل البازوكة على كتفه . ورجل يشحنها بالذخيرة . ورجل يطلقها .

ووزن البازوكة ١٤١/٢ رطلا .

ومع تقدم الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تقوم بتحسين تصميم البازوكة الأولى فأدخلت عليها اصلاحات تجعل منها اداة ضد دبابات الألمان الثقيلة اقوى . ومن ذلك انها صارت تصنع من الألمنيوم بدلا من الفولاذ . وصارت الأنبوبة قطعتين لا قطعة واحدة ، تركب احداهما الاخرى لتكونا قطعة واحدة عند الحاجة ، ليسهل حملها فى الادغال . وازداد قطرها فكان ٣ر٥ بوصة . ووزنها ١٥ رطلا .

اما صاروخها المضاد للدبابات فطوله ٢٣١/٢ بوصة ، ووزنه ٩ ارطال ، ومدى قذفه ٤٠٠ ياردة .

وعيب البازوكة قصر مداها .

وعيبها كذلك عدم الدقة فى تحريرها او تصويبها .

ومع هذا ، فقد ابلى بها الأمريكان بلاء حسنا ، عندما نزلوا في شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية ، وبالبازوكة المحسنة في الحرب الكورية (١٩٥٠ - ١٩٥٣) .

وتزيد الدبابات تصفيحا ، وتزيد البازوكة تحسينا ، وتصطرع العقول ، وتتبارى التكنيّات ، ومن لا تكنية له يقتله الرصاص وتدهسه الدبابات .

والبازوكة ..



لم كان للحيوان ذيل؟

● لم كان للحيوانات ذيل ، ولم يكن للانسان ؟ وما منافع الذيول ، ان تكن لها منافع ؟

ـ وابدأ بالاجابة على الفقرة الاخيرة من السؤال، هل للذيول منافع ؟ والجواب الذى اقوله ، وهو لا يتصل بهذا السؤال خاصة ، انه ما من شيء في الخلق الا وله منافع . لم يخلق شيء عبثا . ثم افتح اذنى لهذا السؤال بالذات فاقول ، على البداهة كذلك ، انى لا اتصور ثورا او حمارا أو كلبا يدور بيننا وليس له ذيل . انه عندئذ الباب الذى رفع عنه ستاره . وشر من هذا أن يكون الذى ارتفع عنه الستار بقرة او حمارة او كلبة . انها مخارج الطعام وملامس العفة يجب ان تستر عن عين الانسان ذى المزاج الرقيق الأصيل . ولا تسالنى لماذا ؟ فذلك حكم الطبع الذى لا منطق فيه ، وما هو في حاجة الى منطق ، فهو في هذا كالكثير من حقائق هذا الوجود . والانسان ، لو مشي عاريا ، لتمنيت والله أن يكون له ذيل . وكثيرا ما تشعر العرايا من بنات الناس على المسارح بالحاجة الى الذيل فتلبس من ورائها ذيلا .

يضاف الى هذا معان تتصل بالجمال . فكم كلب زاد جمالا بان أكتسى ذيله شعرا ثم تقوس وعلا، وهو يسير مرفوع الراس والأنف تيّاها مختالا . وكذا القط . وكذا الفرس . وأكثر الحيوانات ازدهاء بذيله الطاووس .

اما نفع الذيول للحيوانات فشتى .

وقبل أن نبدأ فنأتي بالأمثال ننبه الى ان الذيل لا يكون في كل الحيوانات . ان الذيل انما هو امتداد للعمود الفقرى ، فهو اذن لا يوجد في سوى الفقريات من الحيوانات ، سواء مشت على اربع ، او زحفت على ارض ، او سبحت في ماء ، او طارت بجناح .

الذيل في القطط والكلاب ، وفي الماشية

والذيل في كثير من الحيوانات ، كالقطط والكلاب ، يستخدم لموازنة الجسم عند الحركة ، كانت مشيا ، أو نطا ووثبا ، او انقلابا . والماشية تهش بذيولها الذباب عن ظهورها ، وقلدها الانسان في ذلك فاستخدم المهفّة واتخذها من شعر .

وذيول الخراف

وذيول الخراف لا ننساها ، وهى تعمل مخزنا للغذاء . ففيها يتجمع الدهن . وفي بعضها يتجمع منه مقدار يثقل به الذيل حتى لتنوء به الخراف وتنوء النعاج .

ذيول القردة

ثم ذيول القردة . والذيل لها ، لاسيما لقردة امريكا الجنوبية ، يدٌ اخرى . انه ذيل يعمل عمل اليد . انه يلتف حول افرع الشجر ، حيث تعيش هذه القردة، فيمسك بها كما تمسك اليد او أشدّ مسكا .

وهذه القردة ، بيديها الأماميتين ، ورجليها الخلفيتين وهما في الواقع يدان آخريان ، وبالذيل وهو يد خامسة ، تتنقل بين الشجر تنقلا فريدا اكسب هذه القردة لقب بهلوانات المملكة الحيوانية الأولى .

ذيل الكنغر

وصل المكتشف الجغرافي الشهير جيمس كوك James Cook سواحل استراليا في عام ١٧٧٠ ، فهاله فيها مما هال حيوان ضخم يزن نحو ٢٠٠ رطل ، ويطول حتى ليبلغ مع ذيله عشرة اقدام ، والذيل وحده



الكناغر . وهي قد تنط فترتفع ٧ اقدام ، وتصل قدماً الى مدى ٢٥ قدما . وترى الكنغر السابق قد تهيا للهبوط فحمل رجليه الى امام واستعد للنزول على ثلاث ، رجليه الخلفيتين وذيله . اما يداه الاماميتان فيمسك بهما الطعام .



انثى الكنغر وقد جلست على رجليها الخلفيتين وذيلها وفي كيسها الكنغر الصغير ، وهي تحمله الى ان يقدر على العيش وحده ، وذلك بعد بضعة اشهر . وهو عند الولادة لا يزيد طوله عن بوصة واحدة .

٤ اقدام الا انه ذيل به من العضـلات شيء سميك . ويجلس ، اذا جلس ،على رجليه الخلفيتين، ويعتمد على ذيله هذا، فكأنما يجلس على أرجل ثلاث . ويقفز هذا الحيوان قفزات قوية عالية في الهواء يشترك ذيله في موازنتها وتوزيع اثقالها في الهواء .

فهذا هو الحيوان المعروف بالكنغر Cangaroo.

وذيل القندس

وذيل القندس Beaver وهو من اظهر شيء في خلقه .

انه ذيل يطول الى ١٠ بوصات .

وهو عريض مفرطح ، مكسو بجلـد ،



القندس :

واعجب ما فيه ذيله اذ يضرب به الماء عند الفزع ينذر به قومه !! .

العقرب ..



السحلية ..



الطاووس . وهو اكثر الطيــور تيها بذيله . !

عليه طبقة قرنية كثيرة الحراشف Scaly.

والقندس اذا جلس اعتمد على ذيله ، واذا نزل الى الماء استخدم ذيله مجـدافا واستخدمه دفة يتوجه به في الماء .

واذا اراعه شيء ضرب بذيله سـطح الماء عاليا لينذر مجتمع القنادس بالخطر الكائن .

وذيول السحالى

وهي ذيول تقوم بوظيفتها العامة من حيث أداء نصيبها في موازنة الحركة في السحالى ، وهى سريعة الحركة جدا ، تغير اتجاهاتها بسرعة فائقة ، فهى الى الأذيال في حاجة ظاهرة .

الا انها اذيال تهون على السحالى عندما تتأزم الامور . فاذا وقعت السحلية في مأزق ، كأن هاجمها واصابها عدو ، فأول ما تتخلص منه الذيل ، فينفصل عنها ، ويظل بعد انفصاله يتحرك حركة سريعة شديدة تلفت النظر اليه . وتنتهز السحلية

تحول النظر عنها الى الذيل فتهرب . وينمو بدل الذيل ذيل جديد ، ولكن لا يكون كالذيل الاول تماما .

ذيل العقرب

وللعقرب كما هو معروف ذيل طويل تحنيه عاليا من فوق جسمها حتى يبلغ طرفه ما يمسك مخلباها من ضحايا من امام . فهذا الذيل يحمل في طرفه ابرة جوفاء تملؤها العقرب سما يخرج من كيس يوجد في آخر مفصل من مفاصل هذا الذيل . وبهذه الابرة تضرب .

والذيل في الأسماك

والذيل في الأسماك السابحة هو المحرك الدافع الأول لها في الماء، وهو يذهب يمينا ثم يسارا ، ثم يمينا ، ويدفع جسم السمكة الى امام . والزعانف توجهه.

وذيل السمكة جزء من جسمها ، انما هو قد اكتنز ، وتفرطح ، وعملت فيه عضلات قوية قمينة بنصيبه في الحركة اللازمة .

والذيل في الطيور

وفي الطير تتقاصر فقراته الأخيرة وتتضام حتى تكون منها عظمة تحمل كل ريش الذنب. ذلك الريش الذى له الخطر المعروف في الطيران . وفي توجيهه .

آكلو لحوم البشر

● نسمع كثيرا عن اقوام من بنى البشر تاكل لحوم بنى البشر ، فهل هذه حقيقة واقعة او هى بعض الترهات او المبالغات ؟ ذلك انه من غير المعقول ان لا ياكل الكلب" الكلب" ، والنمر" النمر" ، وياكل الانسان" الانسان" . وان صح هذا ، فهل ينفع لحم الانسان طعاما للانسان ؟

— نبدا بالجواب على الفقرة الاخيرة من السؤال ، تلك التى تسال عن لحم الانسان ، هل هو طعام صالح للانسان ؟ ونقول بالطبع ، ومن الوجهة النظرية ، ليس اصلح منه طعاما . فالانسان حين ياكل لحم الحيوانات انما يحلله ليعود فيؤلف منه لحما وانسجة واوعية واعضاء هي اعضاء الانسان لا اعضاء الحيوان . ونقول من الوجهة النظرية ، وهي كذلك من الوجهة المنطقية . وقد قرات قديما لعالم ينتقد الجنس البشرى من الوجهة الاقتصادية فى انه لا ينتفع باجسام من يموتون من الناس . انه يتركهم للدود في القبور ، او للنار والحريق عند من يحرقون الموتى . وصح قوله لو انه كان يتحدث عن شيء غير الانسان . فنحن لا ندفن الأبقار ولا نحرقها ، وحتى الاحصنة نأكل لحومها لا سيما والحرب قائمة . ولكن للانسان قيم انسانية ترجح كل الحجج الاقتصادية . طن واحد من هذه القيم يرجح الف طن من اثقال المنطق جميعها .

اما عن عادة اكل لحوم البشر ، فقد جرى فيها كثير من المبالغات ، ولكن لم تحجب هذه المبالغات الحقيقة الواقعة ، وهي ان اكل لحوم البشر كان على الاقل مما مارسته قبائل الانسان . وقد لا يزال منها الى اليوم بقية غير يسيرة تمارسه .

ونذكر من بقاع الارض التى لا تزال توجدفيها هذه القبائل : غينيا الجديدة، فى أواسطها. ونذكر بقايا قليلة من غرب افريقيا واواسطها .. وبقايا في ماليزيا لا سيما فى جزائر فيجي Fiji . وفى استراليا . وبين المغوريين بنيوزيلندة . وقبيلة الباتاك Batac فى سومطرة وبقايا قبائل فى امريكا شمالها وجنوبها.

اما الهدف من أكل لحوم البشر فيختلف من قبيلة لقبيلة ، ومن حال لحال .

فأكلو لحم البشر فى ماليزيا يسوون بين لحم الانسان ولحم الحيوان من حيث الاستهلاك، فهم مع المنطق البدائي دون القيَم .

والمغوريون في نيوزيلندة يقطعون اجسام القتلى بعد المعارك ويجعلونها اللون الاول فى ولائم يقيمونها من بعد نصر .

وقبيلة الباتاك فى سومطرة كانتتبيع لحم الانسان فى الاسواق كما تبيع لحم الخرفان والابقار . وكانت هنا فعل مَضَى .

والفيجيون كان يفخر رؤساؤهم بعدد من يستهلكون من أبدان بشرية ، فيحرصون على حصرها وتسجيلها .

ومن القبائل من أكل اجسام البشر ، لا انتقاما من اربابها ، ولا ازدراء لها ، وانما احتراما وتَجِلّة . ومن ذلك ما حكاه قديما المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس . قال . أن ملكا احضر نفرا من اليونانيين ، وعرض عليهم مالا كثيرا اذا هم اكلوا ابدان آبائهم عند موتهم . فارتاع هذا النفر ارتياعا كبيرا . (عادة اليونان ان يحرقوا موتاهم) . وبالطبع رفضوا . فعرض الملك مثل هذا المال الكثير على نفر من قبيل آخر

قــوّة الحِصَـــان

● اسمع ان السيارات تقاس بالاحصنة، فيقال ان سيارة كذا تعادل قوة ٥٠ حصانا، واخرى تعادل قوة ثمانين حصانا ، فمامعنى هذا بالضبط ؟ ولم نسمع عن ان القاطرات البخارية ، ومخترعها جيمس وط ، تقاس قوتها بالاحصنة ، فما سبب ذلك ؟

– في سؤالك يا سائلي عدة اشياء لابد من تصحيحها .

ولابدأ بمن سميته مخترع القاطرة البخارية الاولى المستر جيمس وط James watt فهو لم يكن مخترع القاطرة البخارية الاولى . انه ولد في عام ١٧٣٦ ومات في ١٨١٩ . وهو اسكتلندى الاصل . ومن هذا ندرك انه لم يدرك اختراع القاطرة البخارية الاولى .

والاقرب الى الصحة انه اخترع الآلة البخارية « النافعة الكافية الاولى » ، وهى الآلة التى وجب ان تسبق اختراع القاطرة البخارية وانشاء السكك الحديدية ، بل وكل الآلات البخارية الاخرى التيتعتمد على دوران العجلات. ذلك لان آلة وط كانت الثالثة ، نعم فى الآلات البخارية ، بل الرابعة ، ولكنها كانت الاولى التى وصفناها « بالنفع والكفاية » لانها الاولى التى استطاعت ان تحوّل قوة البخار ، الرافعة الخافضة ، الى « قوة تدير عجلة » ، فانفتح بذلك الباب واسعا لادارة









البروج باسم الكوكبات . فبرج الحمل وبرج الثور ، وهلم جرا .

وهي بروج وضع القدماء اسماءها ومواقعها من قديم ، اذ قسموا هذا الشريط الكوني الدائرى (وهو ٣٦٠ درجة طبعا) الى ١٢ قسما ، او برجا،اتساعه ٣٠ درجة،ونظروا الكوكبة التى كانت فيه عند ذاك وسموا البرج باسمها ، واتخذوا اسم الكوكبة مما أوحى به لهم شكلها .

وتطلع الشمس،ويكون عند موضعها من المشرق فى بحر العام برج العقرب مثلا ، فيقال ان الشمس في برج العقرب او يكون برج السرطان فيقال ان الشمس فى برج السرطان . وهلم جرا .

وعندما وضع هذا النظام اول مرة ظهرت الشمس فى برج الحمل من ٢١ مارس الى ١٩ ابريل .

وظهرت الشمس فى برج الثور من ٢٠ ابريل الى ٢٠ مايو .

وظهرت الشمس فى برج التوامين من ٢١ مايو الى ٢١ يونيه .

وهلم جرا .

والسبب فى ذلك بالطبع ان الشمس موقعها الظاهر من النجوم ، الظاهر للناظر اليها من الارض ، يتغير تبعا لفصول العام .

فهذا عن العلم .

اما عن التنجيم فقد كان صناعة بدات منذ عهد بابل والاكاديين ، وانتقلت الى الاغريق ، وتغيرت عند الاغارقة وتبدلت .

نظر البابليون لنجوم السماء فجعلوا منها آلهة . وجعل الاغارقة آلهتهم من البشر ، رجالا ونساء ، ولكن من بشر فوق البشر . وانتقلت آلهة البابليين الى آلهة الاغريق فامتزجت بها فكانت لهم آلهة جمعت ما بين أرض وسماء . والشمس اصل الحياة . فالآلهة ، ومساكنها النجوم عندها حظوظ بنى الناس جميعا،وهى توزع الشر والخير على اهل الارض ، وبيدها المستقبل جميعه.

وحياة الناس ، من شقاء واسعاد ، تتحكم فيها صورة النجوم التى كانت يوم ميلاد الفرد على هذه الارض ، بل ساعة ميلاده، ومن اهم هذه الصور موقع الشمس من الابراج فى يوم الميلاد .

وذهبت دولة التنجيم .

ومع هذا بقيت ملايين من الناس ، لا تؤمن بالتنجيم ايمانها بان الشمس سوف تطلع غدا ، ولكنها تخال ان قد يكون فى الطوالع شيء حقيق باستدراك . وان لم يكن ، فلا اقل من قراءة الطوالع فى العديد من الصحف ، لا سيما الغربية ، ففيها كل يوم ما يثير كوامن الآمال . ويقتل الكثير من المخاوف . لا سيما وهذه الصحف عرفت كيف تجمع بين الابهام الشديد ، والحلو الممزوج بالمر . وقد يصادف القارىء بعد ذلك مرًّا قد تنبأوا به ، او حلوًا قد تنبأوا به . وكم تحلو حتى الخرافة عند بعض الحكماء .

●●

احمد زكي



الكَوَيْتُ تكشِفُ

عَنْ وَجْهَيْها

الكويت

١٩٥٨



النِّقابَ

قَدِيمِهـا والجَدِيد

وكَذاعَنْ وَجِهِها في المُسْتَقْبل القَرِيب

الكويت
١٩٦٨



ساحة الصفاة .. وهي الميدان الرئيسي في الكويت القديمة ، واكثر ساحاتها أو ميادينها ازدحاما بالحركة والمرور .. كانت هذه الساحة الرحبة تزدحم بالسيارات فتعرقل حركة المرور فيها ، مما حدا بالمسؤولين الى اجراء تنظيم جديد للساحة، فمنعوا منذ عام ١٩٦٦ وقوف السيارات فيها منعا باتا واصبح

■ المدن كالناس الذين يعيشون فيها .. شواهد حية دائمة النمو والتطور .. بعضها ينمو فيصبح آية في الروعة والجمال .. وبعضها يقف ولا يتطور، فلا يلبث أن يتحول الى أكوام من الأحجار الصماء الشوهاء ..

ولعل مدينة الكويت في طليعة تلك المدن الحية المتطورة ، التي اجتازت في غضون الأعوام العشرة الماضية مراحل هامة من البناء والتعمير ، قلما شهد العالم مثلها ..

وقد يكون من المستحسن أن ندع الكويت تحدثنا عن نفسها . وعن قفزاتها المعمارية .. فقط ، ولن نتناول في هذه الكلمة اى وجه آخر من وجوه النشاط ، فهذا يضيق عنه المقام .. ترى ما الذى ستقوله ؟ تعالوا نستمع اليها ..

هكذا كنت

« لا شك انى كنت في وضع مشابه لوضع كثير من المدن العربية الأخرى ، التي تعيش في القرن التاسع عشر ، في حين أن مواطنيها يعيشون في القرن العشرين .. اذ لم تكن عندى القدرة على تلبية احتياجات الحياة الحديثة للفرد .. كانت منازلى متلاصقة متقاربة مشيدة بالفروش (الصخر المستخرج من قاع البحر) ، ومطلية بالطين الذى اكتسب لون رمال الصحراء .. وطرقى كانت ازقة ودروبا رملية ضيقة .. أضف الى ذلك سورا طويلا طوقني وكاد أن يخنقني ..

وذات يوم من أيام ١٩٥٧ فوجئت بالمعاول تهدم ذلك السور ، وكدت أطير من الفرح لصوت تلك المعاول ، فقد شعرت انى على أبواب عهد جديد.. عهد يسمح لي بالمضي قدما في اتجاه التجديد والتقدم السليم ..

وبعد هدم ذلك السور بدات انطلاقتي الحقيقية عام ١٩٥٨ ، ولكن بعد أن سبقتهـا تخطيطات ودراسات ، استمرت سنوات ..

مولد شارع

لقد استسلمت عن طيب خاطر لأعمال تطويرى ، التي بدأت من عند بوابة الجهراء ، وهى البوابة الرئيسية في سورى المهدوم ..

وتبدأ القصة صباح يوم ٧ سبتمبر من عام ١٩٥٩ عندما خرجت الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) تعلن للشعب عن مولد أهم شارع حديث فى الكويت الناهضة ..

وتطالب أصحاب المحلات والبيوت الواقعة على جانبى ذلك الشارع ـ شارع الجهراء ـ بالعمل



السير فيها حركة مستمرة لا توقف فيها .. ان عملية تنظيم المرور هذه تعتبر خطوة اولى في التنظيم الواسع الذي سيشمل هذا الميدان مستقبلا ، فسوف يضم انفاقا تحت الارض ونافورات مياه ، ونصبا تذكاريا .. لاحظ في الصورة اليمنى المقبرة القديمة ، وكيف تحولت الى حديقة زاهرة في الصورة اليسرى ..

على هدم منازلهم في غضون ٣ شهور ، وبالشروع في بناء منازل ومتاجر اخرى حديثة مكانها ..

والواقع انى شعرت بشيء من المرارة ، وانا ارى تلك المنازل الوفية ، التى شهد بعضها مولدى ، تهدم في لمحة عين .. لقد هدموا ٢٩٤ منزلا ، قالوا انها قديمة لا تتناسب مع عصرنا .. وقسموا الاراضي التى قامت عليها الى ١٠٣ (قسيمة) قطعة .. ارتفعت عليها ونهضت لاول مرة في تاريخي مائة عمارة حديثة ، اغلبها مكون من اربعة طوابق ، وبعضها مكون من تسعة طوابق ، وتضم في مجموعها نحو ٢٢٠٠ شقة سكنية ، واكثر من الف متجر ..

وتحولت مرارتى الى سرور طافح ، وانا ارى هذا الشارع الحديث يضفى على ملامحى مسحة من الجمال رائعة ..

المستحيل يتحقق

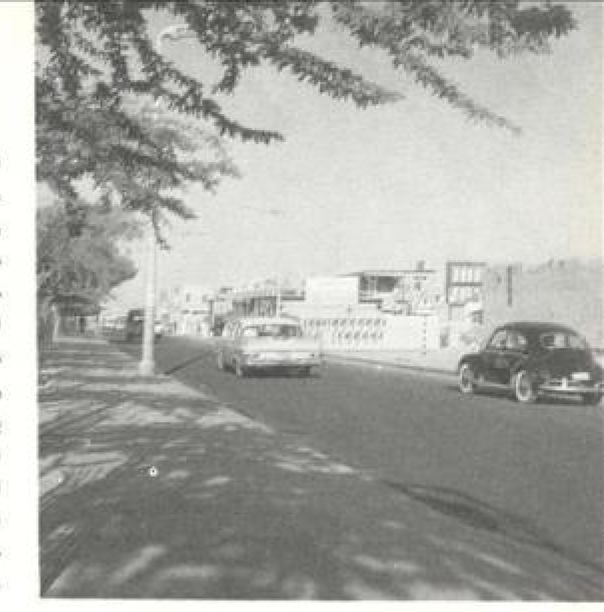
كان شق هذا الشارع بمثابة تجربة ناجحة رائعة ، ولكن الكثير من احيائى الاخرى كانت ما تزال تغط في نوم عميق، وخاصة اسواقى التجارية، التى فقدت كل مظاهر التنظيم والتنسيق ، فبدت وكانها مخزن كبير ، يزدحم بالناس وكانهم في يوم الحشر ..

تلك الاسواق المزدحمة ، حملتنى على الاعتقاد بانه من المستحيل على اى انسان احداث اى تغيير او تبديل فيها ..

وعندما دعا رئيس البلدية ، تجار البلد الى الاجتماع به للوقوف على رأيهم في اصلاح هذه المنطقة التجارية المركزية المكتظة ، التى هى بمثابة القلب من الجسم ، لم اكن اتوقع الاستعداد في اى منهم لتقبل ذلك الاصلاح ولو من حيث المبدأ.

ولكنى استيقظت في صباح ٧ اغسطس ١٩٦٠ على صوت ضجيج مرتفع من سوق التجار .. ولم يكن الضجيج سوى اصوات الذين كانوا يتحدثون عن قرار خطير .. قرار اقره اعضاء المجلس البلدى ومجلس الانشاء والمجلس الاعلى .. قرار يقضي بهدم المنطقة المركزية التجارية باسواقها التقليدية، واعادة انشائها على اسس تنظيمية حديثة .. واصبت بالدوار عندما علمت بالنبا .. ولكنهم لم يتركوا لى فرصة للاحتجاج فبين عشية وضحاها رايت اسواقى الضيقة ومنازلى المتساندة تهوى وتتساقط ، لتحل محلها مراكز تجارية حديثة رحبة فيها العمارات الشاهقة ، وقد صفحت جدران طوابقها السفلى بالفولاذ لتكون المبانى والمآوى المناسبة لبنوك الكويت وخزائنها .. وقد انتقلت

الى اليمين : هكذا كان شارع فهد السالم ، أو الجهراء ، كما كان يسمى عام ١٩٥٨ ، منازل قديمة مكوّنة من طابق واحد ، شرعوا في هدمها عام ١٩٥٩ ليقيموا مكانها منازل ضخمة حديثة ذات واجهات متناسقة .. وقد أصبح هذا الشارع اليوم المركز التجارى الرئيسي في الكويت لما يحويه من متاجر تضمّ أحدث البضائع والمبتكرات . ولحماية المارة من قسوة حرارة الصيف ، بنوا سقوفا فوق الأرصفة المحاذية لواجهات المتاجر ، بحيث لا يتعرض الناس لأشعة الشمس الحارقة . والصورة السفلى التقطت حديثا في نفس الجهة التي التقطت منها الصورة اليمنى .. ولكن الفارق بين الصورتين هو عشر سنوات ..





الى اليسار : مدخل شارع فهد السالم من جهة ميدان الصفاة .. كان موحشا مقفرا بمقبرته المهجورة منذ ٧٠ عاما .. اما اليوم فقد اتسع الشارع وأصبح عرضه ٤٠ مترا بدلا من ١٢ مترا .. واما المقبرة فقد ازيلت وقامت في مكانها حديقة زاهرة كما تحولت المنازل الصغيرة المبنية من طابق واحد الى عمارات ضخمة ذات خمسة طوابق .. وكان من المستحيل التقاط الصورة الحديثة من نفس المكان الذى التقطت منه الصورة القديمة ، لان العمران قد امتد فحجب المنظر القديم الذى مضى عليه عشرة اعوام ، فجاءت الصورة الحديثة مخالفة بعض الشيء للصورة الاولى ..



بوابة الجهراء .. البوابة الرئيسية في سور الكويت القديم الذي شيدته الكويت عام ١٩٢٠ لتهدمه عام ١٩٥٧ مبقية على أربع من بواباته الأثرية .. وكانت السيارات تمر من تحت بوابة الجهراء هذه عام

مراكز هذه البنوك الرئيسية كلها الى تلك العمارات لتكون قريبة من التجار ..

الى أين توصل الطرق ؟

وانتشرت بعد ذلك عمليات التجميل والتنظيم فشملت كل ركن من اركاني .. شوارع تشق ، ومنازل تهدم ، وعمارات ترتفع ، وحدائق تزدهر .. واعتقد الكثيرون ان هذه المباني الحديثة سوف تحل أزمة السكن المستفحلة ولكن الزيادة الهائلة في عدد سكاني وقد تضاعفوا خمس مرات في اقل من عشرين عاما اشعرت المسئولين بضرورة توسيع رقعتي لتشمل الاراضي الشاسعة الممتدة خارج السور .. وبعيدا عنه ..

وبدات في الامتداد على شكل دائري في الصحراء التي كانت تحيط بى خارج السور، وكانت الطرق المعبدة هى الخطوة الأولى في عملية التخطيط الجديدة . فظهر منها طرق مجموع اطوالها نحو الف كيلو متر وسط رمال الصحراء ، وعلى هذه الطرق سار مراسل مجلة تايم الامريكية وكتب يقول : « حقيقة انها طرق واسعة معبدة احسن تعبيد ، ولكن الغريب انها كلها توصل الى لا شيء .. الى الصحراء !! »

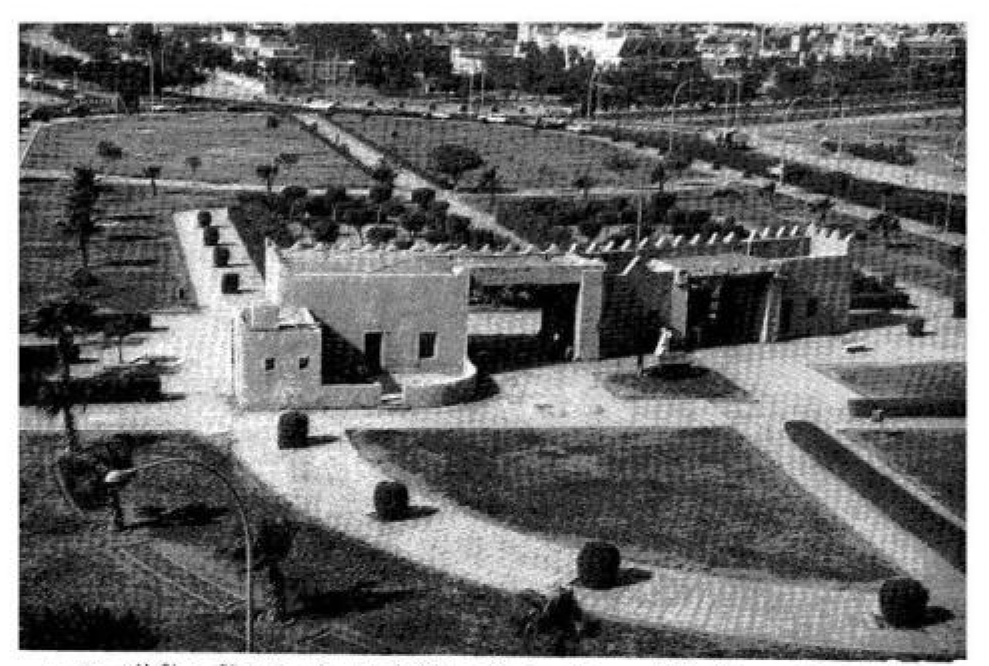
لقد ضحكت بالأمس طويلا لما كتبه مراسل التايم، اما اليوم فاني اتساءل عن شعور ذلك الصحفي عندما يسير على نفس الطرق ، ويرى انها توصله الى مناطق ماهولة تزخر بالحياة وتعج بالسكان ..

لقد اصبح عدد الضواحي التابعة لي حوالي عشرين ضاحية جديدة ، يتسع كل منها لعدد يتراوح بين ٥ و ١٥ الف نسمة ، ولولا هذه الضواحي ، والمناطق السكنية الاخرى ، لما امكنني ايواء عشرات الألوف من السكان الجدد القادمين الى الكويت .

اتصال الاجزاء المتناثرة

هذا فضلا عن أن هذه الضواحي ملات الفراغات التي كانت تفصل بيني وبين ضواح اخرى قديمة نسبيا ، ومثال ذلك اذكر منطقة السالمية التي اصبحت متصلة بى ، بل جزءا لا يتجزا مني ، وقد كانت من قبل ضاحية مستقلة معزولة عني .

ومنطقة الخالدية ، ظنوا انها أبعد من أن يشملها توسعي ، ولكن امتدادي سار بأسرع مما يقدرون ،



١٩٥٨ . وقد اصبحت البوابة اليوم من اهم معالم الكويت الاثرية ، تحيط بها حديقة جميلة التنسيق .. اما صهريج الماء الحديدي القديم فقد ازيل نهائيا من مكانه ..

وان هي الا فترة وجيزة حتى اصبحت الخالدية منطقة سكنية نموذجية تضم اجمل المساكن والفيلات ..

حتى مطارى القديم ازيلت مدارجه ، فامكن تحويله الى ضاحيتين سكنيتين ، بوشر في تعميرهما فعلا ، وما ذلك الا نتيجة التوسع الذى فرض على ذلك المطار الاول ، أن يكون في قلب المناطق السكنية ..

ولكنى لا أستطيع البقاء بلا مطار ، وخوفا من أن يلقى مطارى الدولى الجديد نفس المصير الذى لقيه مطارى القديم ، اختاروا له بقعة تبعد عنى ١٢ كيلومترا .. ولكن كما قالوا ، تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن .. فقد لا تمضي سنوات قليلة على اتمام مطارى الجديد حتى اكون قد احطت به من كل جانب !!

قصة الارض

وكان التساعى المتزايد نعمة كبيرة على أبناء الكويت، فعن طريق هذا التوسع استطاعت حكومتى اغناء الاهالى بايصال جانب لا يستهان به من عائدات النفط اليهم ..

فالاراضي التى كان يقع عليها الاختيار لتصبح ضواحى جديدة ، كانت ملكا للاهالى ، وكانت البلدية تقوم بتثمينها وتقدير قيمتها بأثمان كبيرة قبل أن تستملكها وتشتريها من أصحابها .. فمثلا كان المواطن يقبض في بعض الاحيان نحو ٣٠٠,٠٠٠ الف دينار ثمنا لأرضه المستملكة التى قد لا تساوى قيمتها الحقيقية اكثر من عشرة آلاف دينار ..

وحتى لا يحرم المواطن من ملكية الارض أو المنزل الذى يسكن ، كانت البلدية تعمد الى اعطائه قطعة ارض اخرى في ضاحية سكنية جديدة مقابل مبلغ زهيد يتراوح بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠ دينار .

وهكذا أصبح المواطن الكويتى يملك الارض ، والمال الذى يمكنه من بناء مسكن حديث ، واقامة تجارة او صناعة بالمبلغ المتبقى معه ..

مهر المدينة

وأحصت بلديتى عدد قسائم السكن النموذجية وقسائم بيوت ذوى الدخل المحدود ، التى وزعتها



في عام ١٩٥٨ كان قلب مدينة الكويت تتوسطه مقبرة كبيرة مهجورة لم يدفن فيها أحد منذ سبعين عاما .. وكانت هذه المقبرة تقع قديما على حدود الكويت الصغيرة ولكنها ما لبثت أن أصبحت في قلبها سنة ١٩٥٨ .. لهذا استندت البلدية عام ١٩٦٠ الى فتوى من سماحة المفتي العام في الاردن والى فتوى أخرى من قاضي المحكمة الشرعية في الكويت وعملت على تحويل المقبرة القديمة المهجورة الى حديقة عامة فسيحة ، أصبحت بمثابة الرئة التي تتنفس منها مدينة الكويت .. ومما يذكر أنه ما زالت هناك تسع مقابر قديمة مهجورة داخل الكويت ، وقد منع الدفن فيها منعا باتا منذ فترة طويلة ..





كانت مدينة الكويت ، الى عهد قريب ، تتجه نحو البحر أكثر من اتجاهها نحو البر .. ولما ظهر النفط انتقل مركز الثقل من الساحل الى داخل المدينة ، وتركت الواجهة البحرية دون عناية ، ولكن سرعان ما ظهر مشروع الكورنيش الكبير ، وبدأ تنفيذ مراحله الأولية بتجفيف وردم مساحات كبيرة من الشواطىء الضحلة وقد اقيم عليها طريق مزدوج واسع ، انتظارا لتكملة بقية مراحل المشروع



خلال السنوات العشر الماضية فوجدتها ٢٠ ألف قسيمة ..

وعندما علمت بأن الحكومة دفعت مبلغ ٥٠٠ مليون دينار في السنوات العشر الماضية لاستملاك اراضي المواطنين ، شعرت بمقدار حبهم لي ، لاني اعتبرت هذا المبلغ بمثابة مهر للعروس ، التي هي انا .. !

فرحة مؤقتة

ومن الاحداث الهامة التي مرت بي في عام ١٩٥٨ انشاء ميناني الكبير الذي بلغت تكاليفه ٣٠ مليون دولار تقريبا .. لقد رست على أرصفته خمس سفن كبيرة في عام ١٩٦٠ وكان هذا حدثا هاما شهدته لاول مرة في تاريخي ، لانه قبل هذا التاريخ كانت السفن الكبيرة ترسو على بعد ميلين من شواطئي الضحلة ، تنتظر المراكب الصغيرة لتنقل لهـا بضائعها الى الشاطيء وكان في هذا ضياع كبير للوقت ، وتلف زائد للبضائع ..

ولكن فرحتي بمينائي الحديث الكبير لم تستمر اكثر من سبع سنوات ، شعرت بعدها بان هـذا الميناء الجميل عاجز عن مواجهة الازدهار الهائل للحركة التجارية والصناعية في البلاد .. حقيقة انه يقوم بمجهود جبار فقد استطاع خلال عام ١٩٦٧ مثلا ان يفرغ على ارصفته ما زنته مليون ونصف مليون طن من البضائع ، ولكن هذا الرقم الضخم لم يكن كافيا ، وهذا هو ما حدا بالمسئولين الى العمل فورا على توسيع ارصفـة الميناء بحيث تستطيع تفريغ ما زنته ٢ مليون طن من البضائع والمهمات سنويا ..

الميزانية الانشائية ٨٠ مليون دينار

ولو حاولت أن اعدد لكم مختلف مظاهر العناية التي يغمرني بها المسئولون لعجز هذا العدد من « العربي » عن احتوائها .. ولكن يكفي أن اقول لكم ان ما انفقته الحكومة من اموال على انشاءاتي في العام الماضي فقط بلغ ٨٠ مليون دينار ، هذا خلاف ما انفقه القطاع الاهلي على مبانيه ..

اني مدينة تطورت بسرعة خارقة ، ولم يستغرق تطوري هذا في مراحله الاخيرة اكثر من عشـر سنوات . ان تطوري السريع هذا سبب متاعب كثيرة للمخططين والمهندسين اذ أن تخطيطاتهم كانت تفقد



تفخر الكويت وتعتز بشبكة طرقها الفسيحة الطويلة ، وفي كل عام من الاعـوام العشرة الماضية كان يتم تعبيد ما مساحته مليون متر مربع سنويا .. وكانت عمليـة هدم المنازل القديمة الداخلـة في التنظيم تجري بمعدل ٥٠٠ منـزل تهدم كل عشرة شـهور لتظهر مكانها المباني الحديثة التي انتشرت على طول الكويت وعرضـها .. والصـورتان اللتان تراهما بجانب هذا الكلام هما لشارع واحد هو شارع عبد الله السالم .. ولعلهما يكفيان لابراز الفرق الهائل الذي حدث خـلال العشر السنوات الماضية ..

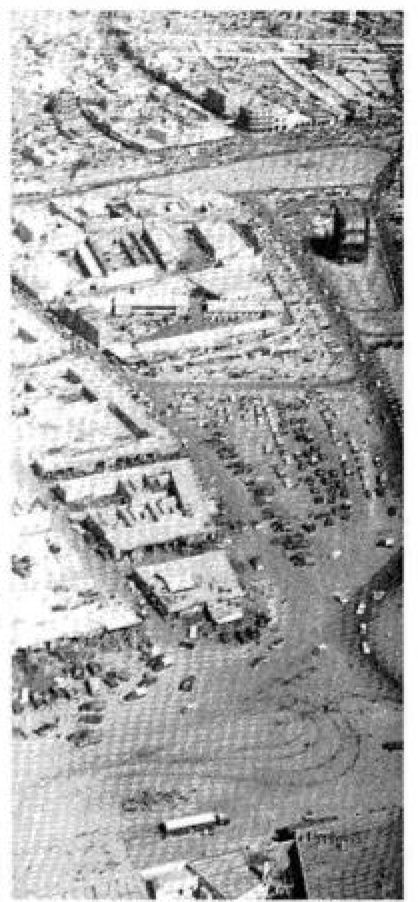
قيمتها اذا لم تنفذ بسرعة . ومن دلائل تطوري السريع هذه الارقام التي اذكرها على سبيل المثال :

كان سكاني يشربون ٩١٢ مليون جالون من المياه العذبة عام ١٩٥٨ ، اما اليوم فقد شربوا اكثر من اربعة آلاف مليون جالون في عام ١٩٦٨ .

وكانوا يستعملون ٨١٧ مليون جالون من الميـاه القليلة الملوحة لسقى زراعتهم وغسيلهم في عام ١٩٥٨ ، اما اليوم فقد قفز الاستهلاك الى خمسة الاف مليون جالون وذلك خلال عام ١٩٦٨ .

والتيار الكهربائي كان استهلاكه لا يتعدى ١٣٦ مليون كيلوواط ساعة في عام ١٩٥٨ ، اما اليوم فقد بلغ رقما مذهلا وصل الى الف مليون و ٥٠٠ مليون كيلوواط ساعة في العام . وهذه القوة الكهربائية الهائلة جعلت بالامكان اضاءة شوارعي بمصـابيح الصوديوم والزئبق والتنجستون وكذلـك النـور





المتطور .. ومد أكثر من ٢٥٠٠ منشأة جديدة بحاجتها من القوة الكهربائية المحركة .. وازدياد المصانع دفع بالمخططين الى اقامة مناطق صناعية خاصة تكون بعيدة عن المناطق السكنية ..

ان تطوري المذهل الفريد في نوعه جعل جميع مشاريع التخطيط السابقة تبدو وكأنها مشاريع فات زمانها .. فمن كان يظن أن شوارعي الواسعة الحديثة أصبحت في حاجة الى تخطيط جديد لتستطيع تحمل ضغط ١٦٠ ألف سيارة ودراجة .

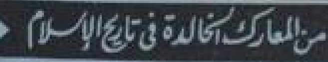
من كان يصدق أن سيارات نقل الركاب الكبيرة سوف تقوم بنقل ٢٠ مليون راكب ، وتقطع ما يبلغ مجموعه ٢٠ مليون كيلومتر في السنة الواحدة .

من كان يصدق أن مشاريع مسجد الكويت الكبير ومباني الجامعة الجديدة ، والاستاد الرياضي .. والمسرح القومي ومجمع الاذاعة والتلفزيون ... ومباني الوزارات .. وحديقة الحيوان .. كلها سوف تقام في غضون السنوات القليلة القادمة ..

لقد رأيت بعثة من كبار مهندسي ومخططي المدن يهبطون على أرض مطاري .. لقد جاءوا ليدرسوا ويخططوا بعد ان شعر المسئولون ان دولة الكويت في حاجة الى تخطيط هيكلي شامل ، والى خطة مدروسة دراسة عميقة يمكن السير عليها في توسعي في المستقبل .

انهم يفكرون الآن في خلق شقيقات لي حتى لا أكون دائما .. المدينة .. العاصمة .. الدولة .. انى أشعر براحة كبيرة ، وبزهو لا يعادله زهو ، اذ بينما يعتز الناس بجمالي الحالي ورونقي أشعر أن المسئولين عني ما زالوا يشعرون أن الاعمال التي سأشهدها في السنين القادمة ستفوق بكثير ما حدث لي خلال العشر السنوات الماضية .. ■■

س ٠ ز





الموقعة التي فتحت الطريق أمام المسلمين الى المدائن وغيرت مجرى التاريخ فجرى كما أراده الله

بقلم
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

■ عندما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلافة المسلمين واجهته عدة مشاكل ، وكانت اول مشكلة هي مشكلة الفتوحات ، وموقف تلك الجيوش التى ارسلها ابو بكر الصديق الى العراق والشام ، وكان الفرس قد اخلوا هجوم خالد بن الوليد على العراق ، وانتصاره في كل المعارك التى خاضها ماخذ الجد ، فلم يسعهم الا ان يقاتلوا العرب ، ويخرجوهم من تلك الارض التى كانت خاضعة لنفوذهم منذ زمن بعيد .

وكان المثنى بن حارثة امير جيش العراق موجودا بالمدينة يطلب مددا ، وقد جدّ عمر في ندب الناس الى القتال في العراق ، غير انهم كانوا يسمعون ولا يستجيبون ، حتى اذا ندبهم عمر للمرة الرابعة قام اليه ابو عبيد بن مسعود الثقفي ◄

بريشة أحمد الوردجي


بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي
التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبة - ١١١)
« قرآن كريم »

متندبا ، واخذ عمر يلحّ على الناس ويدفعهم الى الجهاد حتى جمع الف رجل وأمّر عليهم ابا عبيد ، وأباح لمن ارتد من العرب ثم رجع الى الاسلام ، ان يشترك في الجهاد ، فاقبلوا مسرعين ، وضمهم عمر الى الجيش .

وسار أبو عبيد بالجيش بعد أن أوصاه عمر باعمال الروية وحسن التدبير ، وبالحزم والاناة ، ومعه المثنى تابعا ، ووصل أبو عبيد الى العراق ، وانضم اليه من كان هناك من المسلمين ، ثم تهيأ للقاء الفرس ، وكان ابو عبيد مثالا للقائد الشجاع الجريء ، وقد غلبت شجاعته وجرأته رأيه وأناته وغلبت جميع الآراء التي أشارت عليه بعدم عبور الفرات وملاقاة الفرس ، فعبر النهر بجيشه وقطع الجسر من ورائه حتى لا يفرّ احد ، وقاتل المسلمون مستبسلين ، بيد أن الفرس على كثرتهم قدّموا الفيلة ، وهي شيء لم يألفه العرب في قتالهم من قبل ، وعندما رأت خيول المسلمين الفيلة نفرت منها نفارا شديدا ، وقتل ابو عبيد في هذه الموقعة ، كما قتل عدد من المسلمين ، فتولى القيادة المثنى ، واضطر الجيش في آخر الامر الى الانسحاب ، فاذا بالنهر من ورائهم والجسر مقطوع ، فغرق البعض ونجا آخرون ، ونادى المثنى من عبروا وأمرهم بعقد الجسر فعقدوه ، وأمر المسلمين بالعبور في هدوء حتى لا يغرق منهم أحد آخر ، وبقي هو حتى عبر آخر جندي ، ثم عبر هو النهر ، ومات من المسلمين في هذه الموقعة ما يزيد عن اربعة الاف بين قتيل وغريق .

وعندما بلغ عمر نبأ هذه الهزيمة بكى وقال :

«رحم الله أبا عبيد ، لو انحاز الي لكنت فئته»

ثم أمدّ المثنى بجيوش كثيرة انتصر بها على الفرس في « أليس » ، ثم في « البويب » ، ولو أنه جاءه مدد في اعقاب « البويب » لسار الى « المدائن » ودخلها ، غير ان المدد أبطأ عليه ، والموت عاجله .

عمر يستعد لموقعة القادسية

تهيأ عمر لقتال الفرس بعد موقعة الجسر ، فخرج من « المدينة » ودعا الناس الى القتال والاستعداد للخروج ، فاستعد الناس ، وهمّ بالمسير الى « العراق » على رأس جيشه ، متوليا قيادته بنفسه .

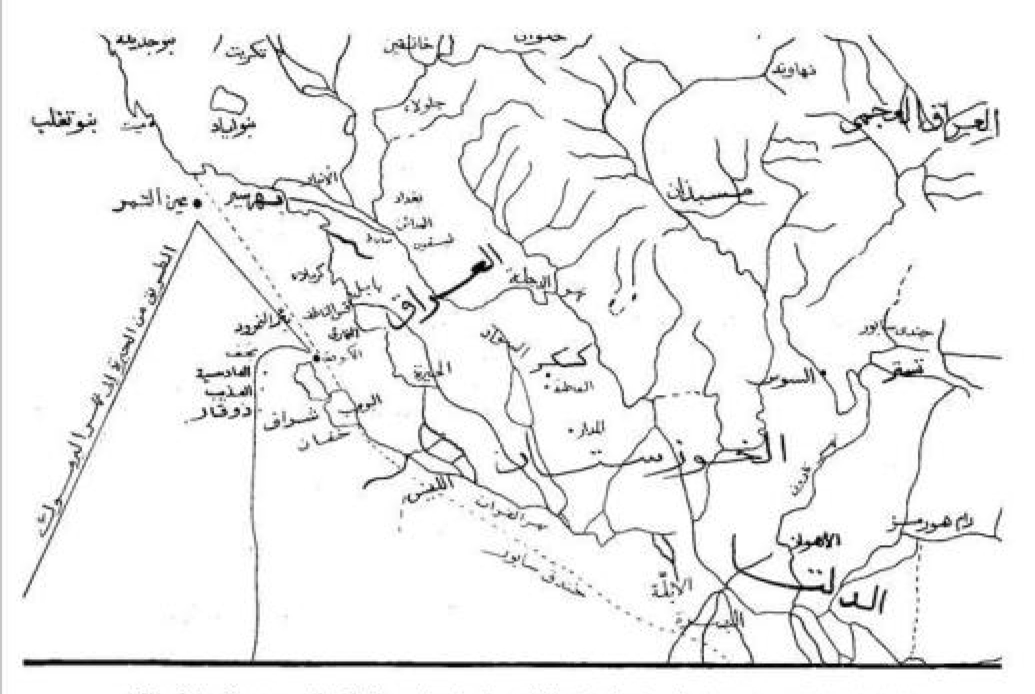
واستشار عمر الناس في ذلك الامر ، هل يسير هو بنفسه على رأس الجيش الى « العراق » ؟ ، أم يقيم بالمدينة ويؤمّر رجلا غيره على الجيش ؟ فاشار عليه عامة الناس بأن يتولى قيادة الجيش ويمضي للجهاد ، ودخل عمر في رأي العامة . وكره ان يدعهم الا ان يخرجوا من هذا الرأي في رفق ، ولكن كثيرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اشاروا عليه بعدم الذهاب ، وبالبقاء في « المدينة » حصنا للمسلمين يمدّهم بالجيوش والعتاد ، حتى لا يعرض نفسه للاخطار ، لانه لو ذهب واصيب فان اصابته ستعرض الامة لخطر عظيم ، فنزل على رأيهم ، ووافق على البقاء وتوليه غيره امارة الجيش .

تولية سعد بن أبي وقاص قيادة الجيش

سأل عمر من كان موجودا معه عمن يختاره لقيادة الجيش ، وبينما هم يعرضون عليه الاسماء اذ جاءه كتاب من سعد بن ابي وقاص يخبره بانه تخير الف فارس ذوي نجدة ورأي ، وسمع القوم ما جاء في الكتاب وعمر يسألهم عمن يؤمّره على الجيش ، فأجابوه بانه قد وجد الرجل ، قال : من ؟ قالوا : الاسد في براثنه ! سعد .. فوافقهم على رأيهم ، وارسل الى سعد يدعوه للحضور ، فاستخلف سعد على عمله احد رفاقه وجاء « المدينة » ، فأمّره عمر على الجيش وأوصاه بألا يغامر بالمسلمين ، وان ينزلهم منزلا بين حضر « العراق » ومدر العرب ، وان ينتظر الامداد .

خروج الجيش الى العراق

خرج سعد من « المدينة » قاصدا « العراق » على رأس جيش مكوّن من اربعة آلاف رجل معهم نساؤهم ، وكان سعد يستنفر من مرّ به من القبائل ويدعوهم للانضمام الى الجيش ، وعمر يمده بالقوات ما استطاع الى امداده سبيلا ، فازداد جند سعد عددا وقوة ، حتى بلغت هذه القوات عشرين الفا ، اما قوات المثنى التي انسحبت الى « ذي قار » بعد موقعة « البويب » فكانت ثلاثة آلاف انضم اليهم خمسة آلاف غيرهم من القبائل المجاورة ، وهذا عدا القوات التي جاءت من الشام تحت امرة هاشم بن عتبة ،



خريطة العراق القديم .. وقد ظهر عليها موقع القادسية وغيرها من الاماكن التى ورد ذكرها في المقال

وكانت ثمانية آلاف ، وبذلك بلغ الجيش ستة وثلاثين الفا تقريبا ، ويُعد هذا الجيش اضخم جيش عباه المسلمون لغزو « العراق » منذ سار المثنى الى دلتا النهرين في عهد ابى بكر .

عمر القائد

اقام سعد بجيشه قريبا من « العراق » ، وظل ينتظر امر عمر اليه بالتقدم ، وفي الوقت نفسه ينتظر قدوم الفرس عليه ، وكان عمر في «المدينة» على علم تام بكل تحركات جيش « العراق » وتنقلاته ، فقد كانت أوامره الى سعد ان يكتب اليه بامر المسلمين يوما بيوم ، وان يتلقى اوامره، حتى يكون مع المسلمين من خلال كتب سعد ، يعلم ما يأتون وما يدعون ، وكان سعد قد كتب اليه اول ما نزل « شراف » وقبل علمه بموت المثنى ، يذكر له انباءه ليسترشده ، فلما قرأ عمر الكتاب كان رأيه كرأى المثنى قبل وفاته في وصيته ، فأمر سعدا ان يبادر الى « القادسية » ، وان يكون بين الحجر والمدر ، وان يأخذ الطرق والمسالك على الفرس .

وكان عمر في اوامره التى يصدرها الى قواده لا تفوته صغيرة ، فلم يكن يكفيه تشجيع الجند والقواد ، وتحذيرهم من العدو وخداعه ، بل كان يرسم لهم الخطط والتكتيك الحربى ، ويذكر لهم موعد الانتقال من مكان الى آخر ، وكأنه على علم بأرض العراق وتقويمها .

لقد وضع في احدى كتبه المرسلة الى سعد خطة عسكرية استراتيجية ضمنها امورا عسكرية غاية في الاهمية فهو قد حدد له « القادسية » مكانا تدور عليه المعركة ، واعطاه خطة واضحة للعمل ، مضمونها ارسال حاميات امامية تطوق منطقة « القادسية » وتستطلع أخبارها وتمنع العدو من التسرب الى مواقع المسلمين ، وفي الوقت نفسه تقوم بحماية قوات المسلمين الضاربة، التى يجب ان تكون قريبة من الصحراء ، حتى يسهل انسحابها اليها عند الضرورة وبدون خسائر ، لان العرب يعرفونها ويطيقون القتال عليها ، والعدو لا يعرفها ولا يطيق القتال عليها ، وفي هذه الحالة يفشل العدو ـ في حالة انتصاره ـ في مطاردة المسلمين ، فيعيد المسلمون عليهم الكرة، وهذه خطة مضمونة النجاح في الحالتين ، حالة الانتصار ، وحالة الانسحاب .

مسيرة الجيش الى القادسية

بدأ سعد سيره من « شراف » الى « القادسية » تنفيذا لامر عمر ، وقبل ان يغادر « شراف » كان قد عبأ الجيش تعبئة اقرها عمر ، وسار سعد بالجيش متمهلا حتى بلغ « العذَيْب » ، فلم يجد بها من الفرس احدا ، فاقام بها وقتا ، وفي اثناء اقامته كان يبعث بقوات من جنده تغير على ما حول « العذيب » ، وترجع بالغنائم والاسرى ، وعندما اطمان سعد الى موقفه حصن الموقع ، وترك به كثيرا من الاسر العربية ، ثم سار الى « القادسية » ، ونزل بحصن « قديس » ، ووزع الفرق في كل مكان .

ومكث سعد في « القادسية » شهرا لا يأتيه من الفرس خبر ، فبث سراياه بين « كسكر » و « الانبار » فاغارت على من ليس لهم ذمة ، ومن غدر من اهلها ، فارسل اهل السواد الى يَزْدَجِرد «الثالث» ملك الفرس يخبرونه بما صنع المسلمون، ويستغيثون به ويطلبون النجدة والعون .

الاستعداد للمعركـة

ارسل عمر الى سعد يستحثه على قتال الفرس، فقد مضت شهور ولم يحدث قتال بعد ، فاخذ سعد يستعد للمعركة ، وفي الوقت نفسه ارسل يزدجرد الى رستم وأمره بالاستعداد والتاهب ليكون قائدا لجيش عظيم يحارب به المسلمين ، فامتثل كرها عنه ، لانه كان يرى مطاولة المسلمين حتى يهنوا ، فخرج وعسكر بجنده في « ساباط »، وبلغ خبر رستم سعدا ، فابلغ عمر الذى رد عليه بقوله : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم » ، فنفذ امر عمر وبعث الى يزدجرد بوفد فيه اهل الراى والسياسة والشجاعة ، وأمرهم بان يدعوه الى الاسلام ، فان رفض فالجزية ، فان رفض فالحرب .

ذهب الوفد الى « المدائن » ، وقد تعجب اهلها حين رأوا رجاله ، واخذوا ينظرون الى اشكالهم والى ملابسهم ونعالهم ، والى السياط التي في ايديهم ، والى خيولهم الضعيفة ، ويتساءلون فيما بينهم : كيف يقدم هؤلاء على غزونا ، ويطمعون في الانتصار علينا واقتحام عاصمتنا ؟

واستأذن الوفد في الدخول على يزدجرد ، فاستدعى وزراءه واستشارهم ، ثم اذن للوفد فدخل عليه ، وعرض الوفد على يزدجرد الاسلام او الجزية أو الحرب ، فكبر على يزدجرد ان يسمع مثل هذا الكلام ، واخذ منه الغضب كل ماخذ ، فوقف قائلا . « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندى » .

ثم بعث من أتى بوقر من التراب وقال : « احملوه على اشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن » .

لم يفزع الوفد من غضب يزدجرد ، بل قام عاصم بن عمرو وقال : « انا اشرفهم ، انا سيد هؤلاء » .

واخذ التراب وحمله على راسه حتى خرج من ايوان كسرى وركب راحلته ، ومضى هو واصحابه حتى بلغوا « القادسية » ، وعندما وصلوا الى سعد وعلم بما كان قال لعاصم : « ابشر ، فوالله لقد اعطانا الله مقاليد ملكهم » .

خرج رستم من « ساباط » في جيشه الهائل المكون من مائة الف او يزيد ، وتابع سيره وكأنما القدر يدفعه الى نهايته ونهاية فارس ، وفي الوقت الذى كان يسير فيه رستم بجيشه صوب « القادسية » كان سعد يبعث بالغارات الى « النجف » و « الفراض » ومنازل القبائل المنتشرة في السواد ، يستاقون منها الدواب والماشية والغلال وشتى الوان الطعام الى جند المسلمين .

السفارات بين الفريقين

ارسل رستم لسعد أن يرسل اليه رجلا يكلمه، فارسل اليه المغيرة بن شعبة : فجلس معه وحدثه بمثل ما تحدث به زملاؤه مع مليكه يزدجرد ، ثم انتهى الى ما انتهى اليه اصحابه : الاسلام او الجزية او الحرب ، وعظم على اصحاب رستم ان يذكر المغيرة جزية يفرضها المسلمون على الفرس . فهاج هائجهم ، غير ان رستم استمهل المغيرة ريثما يتروى في الامر ، ثم بعث لسعد في اليوم

التالي يطلب منه ان يوفد اليه من يحدثه في الامر ، وذهب سفير آخر اليه ، ولم يكن موقفه باسهل من موقف المغيرة ، فاستمهله رستم مرة اخرى ، ثم بعث يطلب سفيرا آخر ، فكان موقفه مثل موقف صاحبيه ، وكان المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤجلون مثل هذه السفارات اكثر من ثلاثة ايام ، يكون بعد انقضائها احد الامرين ، الصلح او الحرب .

واستقر راى رستم على القتال ، فبعث الى سعد يقول له : اما ان تعبروا النهر الينا ، واما نعبره اليكم وما كان لسعد ان يعبر النهر وذكرى موقعة الجسر ما زالت ماثلة امام عينيه ، وما كان ليدع رستم ان يعبر اليه وينظم صفوف جيشه لقتاله ، لذلك بقي في مكانه مطمئنا الى موقفه ، فالنهر امامه يحميه ، وخندق سابور عن يمينه ، والصحراء وراء ظهره ، ولم يقف رستم جامدا ، فلا بد له من عبور النهر وقتال المسلمين والا ضاعت هيبة الفرس ، فانتهز فرصة مجيء الليل وامر رجاله بردم جسر « القادسية » ، وعبر بجيشه النهر ، ووقف الجيشان في حالة استعداد ينتظران بدء القتال بين لحظة واخرى .

مرض سعد

أحس سعد بالم شديد ، ان به عرق النسا ، ودمامل تمنعه من الجلوس ، فهو لا يستطيع أن يركب او ينزل الى اصحابه ، فهو مكب على وجهه ، في صدره وسادة يعتمد عليها ، انه لن يستطيع أن يشترك في هذه الموقعة ، انه يود أن يقاتلهم كما قاتل مشركي « مكة » في موقعة « بدر » وموقعة « أحد » انه يود ان يصول ويجول كما كان في الايام الخوالي ، فازداد الما ، وثار الدم في عروقه ، وارسل الى خالد بن عرفطه واستخلفه على الناس .

وكان يزدجرد حريصا على تتبع انباء تلك الموقعة اولا باول ، ولذلك وضع الرجال من « المدائن » الى « القادسية » ، يلقى ادناهم من الموقعة بانبائها الى من بعده ، فيلقيها هذا الى من يليه ، وهكذا حتى تبلغ « المدائن » ، وبهذا تصل انباء الموقعة الى مسامعه نبا بعد نبا . ولعل اول نبأ وصله هو مرض سعد .

علم المسلمون ان سعدا لن يشترك في المعركة ، وانه قد استخلف خالدا ، فاخذوا يتنادرون به ويتغامزون عليه ، وبلغ سعد أن بعض وجوه القوم تتهمه وترميه بالخور وضعف العزيمة ، فحز ذلك في نفسه وقال لبعض من حوله : احملوني واشرفوا بي على الناس ..فحملوه ، فاكب مطلا عليهم من سطح القصر ، وعندما راى الجند ما به من المرض عذروه ،غير ان ذلك لم يكفه ، بل شتم الذين شغبوا عليه وهمَّ بهم الا انه امر برجال بينهم أبو محجن الثقفي وحبسهم في القصر .

وقتلت الفتنة في مهدها،وكتبسعد الى اصحاب الرايات ينبئهم انه قد استخلف عليهم خالد بن عرفطه ، ثم ارسل الى ذوى الراى والنجدة والشعر وامرهم بان يستحثوا الجند ويحرضوهم على القتال ، فخرجوا من عنده وقد عقدوا العزم على اثارة حمية المقاتلين ، فاخذوا يخطبون ويقولون الشعر . ويعدون الجند النصر في عبارات تهز المشاعر والقلوب .

وشاهد رستم تجهز العرب للقتال ، فلبس ملابس الحرب ، وبعث هو ايضا من يحرض جنوده على قتال المسلمين الذين خضعوا سنوات لحكمهم، ثم اذا هم اليوم يريدون قتالهم ليظفروا بدولتهم.

يوم ارماث

وقف الجيشان متقابلين ينتظران امر الصدام، وقد اخذت الحمية والحماسة منهما كل ماخذ فالمسلمون يقاتلون في سبيل النصر او الاستشهاد، والفرس يقاتلون في سبيل وطنهم وفي سبيل ملك كسرى وعظمته .

وكان سعد قد ارسل في الجند : أن الزموا صفوفكم ، فاذا صليت الظهر فاني مكبر ، فاذا كبرت الاولى فكبروا واستعدوا ، واذا كبرت الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ، واذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا ويطاردوا ، فاذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وارتفع صوت المؤذن يؤذن لصلاة الظهر ، وعندما قضيت الصلاة ارتفع صوت سعد بالتكبيرة الاولى ، فكبر الجند من خلفه وارتج المكان ،

واسرع كل واحد الى صفه ، ثم كبر سعد التكبيرة الثانية ، فتهيأ الرجال للقتال ، ثم كبر سعد التكبيرة الثالثة ، فخرج غالب بن عبد الله يطلب الطعن والنزال ، فخرج اليه هرمز ، فاسره وسلمه الى سعد ، ثم رجع الى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو ، فتصدى له رجل من اهل فارس ، وما كادا يتبادلان الضربات حتى فر الفارسي ، فجد عاصم في أثره ، فاختفى بين صفوف الاعداء .

وبينما الناس في انتظار التكبيرة الرابعة ، كان عمرو بن معد يكرب يحرض الجند بين الصفين ، وبرز رجل من الفرس وراح يسدد سهامه صوب المسلمين ، وارتطم سهم من سهامه بدرع عمرو ، فثار وخرج اليه ، وانقض عليه وقتله ، ثم التفت الى الجند وقال : هكذا فاصنعوا بهم .

وكبر سعد التكبيرة الرابعة ، والتحم الجيشان، وابلى الابطال المسلمون بلاء لم يعرف له سعد نظيرا ، فقلوبهم مليئة بالايمان والشجاعة ، ولم يكن اشد على المسلمين في ذلك اليوم من الفيلة ، لقد راى الفرس بني بَجيلة يصولون ويجولون في الميدان ، فوجهوا اليهم ستة عشر فيلا عليها التوابيت ، وعلى كل فيل عشرون راكبا ، وحمل اصحاب الفيلة على بَجيلة ، ففرقت بين الكتائب، وذعرت الخيل ونفرت ، ودبت الفوضى بينهم ، وكادت الفيلة تبيد الرجال ، فارسل سعد الى بني اسد ان يدافعوا عن بَجيلة ومن معها من الجند ، فخرج طليحة بن خويلد في جماعة من قبيلته،وانطلقوا بقوة وراحوا يطعنون الفيلة ،ولكن الفيلة كانت تشيع الفوضى بينهم ، فارسل سعد الى عاصم بن عمرو زعيم بني تميم ان ينظر حيلة للفيلة ، فنادى رماة قومه وقال لهم : « يا معشر الرماة ، ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل » ، ونادى قوما آخرين وقال لهم : « استدبروا الفيلة واقطعوا وضنها » .[1]

شد الرماة قسيّهم ، واخذت السهام تصيب صدور الرجال الراكبين على الفيلة ، وتسلل من انتدبهم عاصم بن عمرو حتى اصبحوا خلف الفيلة ، وراحوا يزحفون بحذر حتى اقتربوا منها وقطعوا وضنها ، فسقط من في التوابيت وارتفع صياحهم .

فصوت الفيلة واخذت تدوس بأرجلها من وقع ثم فرت ، فشاع الاضطراب في صفوف الفرس ، وخف الضغط على بَجيلة واسد ، بعد ان قتل من بَجيلة وحدها اكثر من خمسمائة .

وانقضى النهار والقتال ما يزال دائرا ، وعندما اظلمت الدنيا اخذت المعركة تخف شيئا فشيئا حتى توقف الفريقان عن القتال تماما ، ورجع كل منهما الى مواقعه .

وتسمى ليلة هذا اليوم بليلة الهداة ، لانه لم يحدث فيها اى اشتباك بين الفريقين ، ولم يذكر احد من المؤرخين سببا لتلك التسميات التي اطلقت على ايام المعركة ولياليها .

يوم اغواث

وفي صباح اليوم التالي وكل سعد بالجرحى من يداويهم ، وبالقتلى من يدفنهم ، وعبأ الجيش كما كان بالامس ، وبينما هم مصطفون في انتظار الاشارة ببدء القتال ، اذ قدم على المسلمين مدد من الشام ، بعثه ابو عبيدة بن الجراح بأمر من عمر ، وعليه هاشم بن عتبه بن ابى وقاص ، وكان على مقدمة هذا المدد القعقاع بن عمرو ، فوصل اولا ، وبلغ سعدا واصحابه قبل استئناف المعركة، فاقبل عليهم وبشرهم بالجنود واقبالها ، ثم تقدم القعقاع الصفوف يستفتح القتال بعد ان قال للجند اصنعوا كما اصنع . فلما كان بين الصفين هتف : من يبارز ؟ فخرج اليه فارس ، فسأله القعقاع : من أنت ؟ فعرفه بنفسه قائلا : انا بهمن جاذويه، فعرفه القعقاع ، انه صاحب موقعة الجسر ، فنادى : يا لثارات ابى عبيد وسليط واصحاب الجسر . ثم تضاربا ، وانقض عليه القعقاع وسدد اليه ضربة اوردته حتفه ، والتحم الجيشان ، ودارت رحى المعركة .

كان سعد قد حبس ابا محجن الثقفي مع من حبسهم قبل المعركة عندما عاوده المرض ،وكان ابو محجن من فرسان العرب المشهود لهم بالكفاءة والقدرة الممتازة على القتال ، فلما اشتد القتال وتردد تكبير المقاتلين في اذنه تأسف على ما يفوته من تلك المواقف ، فصعد الى سعد يسأله ان يخلي سبيله ليخرج ويشترك في القتال ، فزجره

---

(١) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور او من شعر ، وهو الحزام .

سعد ورده ، فنظر الى سلمى زوجة المثنى بن حارثة والتي تزوجها سعد بعد وفاته ، وطلب منها ان تفك قيوده ، وان تعيره البلقاء فرس سعد ، واقسم لها ان سلمه الله ان يرجع ويضع رجليه في القيد ، فردت عليه سلمى بقولها : وما أنا وذلك . . فانحدر مكتئبا يرسف في قيده ويقول :

كفى حزَناً ان ترتدي الخيلُ بالقنا
واتركُ مشدوداً عليَّ وثاقيا

اذا قمتُ عنّاني الحديد واغلِقَتْ
مصاريع دوني قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركوني واحدا لا اخا ليا

ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت الا ازورَ الحوانيا

فلما سمعت سلمى شعره رقت له وقالت : « اني استخرت الله ورضيت بعهدك » ، واطلقته، فاقتاد البلقاء وركبها وعليه سلاحه ، وانطلق بين الصفين حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ، ثم حمل على ميسرة الفرس يلعب برمحه وسلاحه بينهم ، فاوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرين،ثم غاص في صفوف المسلمين وخرج من ميسرتهم وحمل على ميمنة الفرس فاوقفهم ، لايبدو له فارس الا قتله، ثم غاص في قلب صفوف المسلمين وبرز امامهم ووقف بازاء قلب الفرس ، فاوقف القلب ، ولم يبرز له من الفرس فارس الا اختطفه ، وحمل عن المسلمين الحرب .

لم يعرف الناس هذا الفارس البطل ، وتعجبوا من افعاله وحاروا في امره ، واخذ سعد يفكر فيمن يكون وهو مطل من القصر ويقول : « لولا محبس ابي محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقاء » فلما انقضى اليوم رجع ابو محجن ووضع رجليه في القيد وقال :

لقد علمت ثقيف غيرَ فخر
باننا نحن اكرمهم سيوفا

فاكثرهم دورعا سابغات
واصبرُهم اذا كرهوا الحتوفا

وليلة قادس لم يشعروا بي
ولم اشعر بمخرجي الزحوفا

فان احبس فذلكم بلائي
وان اترك اذيقهم الحتوفا

فسألته سلمى في اي شيء حبسه سعد ؟ فقال لها : ما حبسني في حرام اكلته او شربته ، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، فاصف القهوة وتداخلني اريحية فالتذ بمدحي اياها ، فلذلك حبسني اذ قلت فيها :

اذا مت فادفنّي الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما متُّ الا اذوقها

وبلغ من شك سعد في امر هذا الفارس ان تحامل على نفسه ونزل ، فوجد فرسه يعرق ، فسأل عن سبب ذلك ، فروت له سلمى ما حدث فرضي عن ابي محجن واطلقه .

واتصل القتال في هذا اليوم الى منتصف الليل والمسلمون يرون انهم منتصرون ، فاخذوا يهاجمون الفرس بغرض اجلائهم عن مواقعهم ، فوقع منهم الكثير من القتلى ، غير أن كثرة عدد العدو وشدة مقاومته لم تمكن المسلمين من الظفر بهم ،وانفصل الجيشان عن بعضهما ، ورجع كل منهما الى معسكراته ليعيد تنظيم صفوفه ،وليكون في الصباح على أتم استعداد .

وبات القعقاع للصباح ساهرا يسرب اصحابه الذين جاءوا معه من الشام الى المكان الذى كانوا به في الصباح قبل معركة اليوم ، وامرهم بتنفيذ نفس الخطة التي نفذوها في الصباح ، وهي انه اذا طلعت الشمس عليهم ان يقبلوا مائة مائة، فان جاء هاشم بن عتبة ومن معه فبها . وان لم يأت فانهم بعملهم هذا سوف يجددون الامل في قلوب الجنود بوصول المدد ، فيزداد الجنود اقداما في الحرب ، وايمانا في الفوز على اعدائهم ، وتسمى ليلة هذا اليوم بليلة السواد .

يوم عمَاس

اصبح الصباح والجيشان في مواقعهما ، وبين الصفين من جرحى المسلمين وقتلاهم الفان ،فنقلهم

اخوانهم ، القتيل للدفن والجريح الى حيث يعنى به ، وكانت نساء المسلمين يعنين بالجرحى ويمرضنهم ، ويبذلن من الوان العناية ما يرفه عنهم وينسيهم الهم ، وبذلك اشتركن في عهده الموقعة الحاسمة ، وكان لهن فيها من الفضل ما خلده التاريخ وما سجله الشعراء في شعرهم ، اما قتلى الفرس الذين كانوا يزيدون على عشرة الاف، فلم يعتن قومهم بنقلهم .

وعندما طلعت الشمس وقف القعقاع في المؤخرة ينظر الى الصحراء ، فلما رأى خيله أقبل كبّر ، وكبّر الناس معه وقالوا : جاء المدد .. وتقدم الفرسان على هيئة كتائب ، واستمر مدد المسلمين متواصلا وابتدأ الفريقان الطعن والضرب ، وبلغت المعركة ذروتها ،ووصل هاشم الميدان واتجه الى القلب ، وعندما رآه المسلمون كبّروا ، فارتج المكان بتكبيرهم ، واخذ المسلمون مصافهم ، وقد عين الفرس على الفيلة حراسا بعد ان اصلحوا توابيتها خشية ان تقطع وضنها كما حدث في اليوم الاول ، ولم تنفر منها خيول المسلمين ، لان الفيل اذا كان وحده كان اوحش ، واذا احاط به الرجال كان آنس ، ولان الخيول تعودت رؤية الفيلة .

وقد شد فرسان المسلمين على حماة الفيلة ، فكانت المعركة تدور حولها ، فتجعل الفيلة في حيرة لاتدرى من تضرب ومن تدع ، وعلى هذا الشكل ظل القتال دائرا على شدته بين الفريقين ، يتقدم العرب فيردهم الفرس ، ويتقدم الفرس فيردهم العرب ، ويأتي حرس يزدجرد مددا للفرس فيزداد باسهم ، ولكن ذلك لا يضعف من همة العرب ، ولايخفف من شدتهم في النزال والقتال .

ولم تلبث الفيلة ان اعتادت الموقف والفته ، فعادت الى ما كانت عليه اول يوم ، فانتدب سعد القعقاع ومعه آخر لقتل الفيل الابيض كبير الفيلة، وانتدب آخرين لقتل الفيل الاجرب ، وكان هذان الفيلان اشد الفيلة ضراوة والفيلة كلها تتبعهما ، فذهب القعقاع ومن معه واشرع كل منهما رمحه فوضعه في عين الفيل ، فوقع على جنبه ، ثم قتلا ساسته ، وذهب الاخران فطعن أحدهما الفيل الاجرب في عينه فتساند الى ما وراءه ، ثم استوى فضربه الثاني فابان مشفره ، فصاح الفيل وارتد الى صفوف الفرس ، فنخسوه فرجع الى صفوف المسلمين ، فوخزوه ، فولى الفيل ووثب الى النهر ، فتبعته الفيلة كلها وقد القت ركبانها من على ظهورها ، وتخطت النهر عابرة الجسر .

ومن هنا اضطرب ميزان المعركة ، فعندما بدات المعركة بدت كفة الفرس هي الراجحة ، اما الان وقد فرت الفيلة فهذا نصر من الله ، ولم يهن فرار الفيلة من عزيمة الفرس ، بل زادهم اصرارا على القتال ، واخذت الدماء تتدفق انهارا ،وسقط من الفريقين قتلى كثيرون،فالسيوف تحصد الناس حصدا .

وجاء الليل ، ولم يبد الضعف في القاتلين ،فقد رغب كل من الفريقين ان يحسم الموقف بنتيجة تكون في صالحه ، فاشتد المسلمون في القتال غير ان القتال هدأ عندما اقبل الليل ، وايقن سعد ان المسلمين قد عقدوا العزم على مواصلة القتال طوال هذه الليلة التي سميت بليلة الهرير، وانهم بذلك يتهياون ليوم رابع سيكون اشد فتكا من أرماث واغواث وعماس ، فاخذ يفحص ميدان القتال ،فرأى مخاضة اسفل من المعسكر، فرأى ان يحتلها المسلمون خشية ان يأتيه العدو منها، فارسل طليحة وعمرا ومعهما جماعة من الجند الى المخاضة، فلم يجدا بها احدا فاحتلاها ، وسوّلت لهما نفساهما ان يأتيا الفرس من خلفهم ، فاخذ طليحة يجد في السير حتى اصبح وراء معسكر الفرس ، فكبّر ثلاث تكبيرات ارتاع لها الفرس ، وتعجب المسلمون وحسبوا ان الفرس فتكوا برجالهم فهم يكبرون مستغيثين ، واغار عمرو على رجال من الفرس اسفل المخاضة ، فقدم الفرس صفوفهم زاحفين ، ورأى القعقاع ما صنعوا ،فزاحفهم من غير ان يأذن له سعد بالزحف ، ثم زحفت قبيلة بني أسد ايضا ، ولم يغضب سعد من ذلك ، بل دعا الله للجميع بالنصر .

وعندما صلى سعد العشاء كبر ،فحمل المسلمون كلهم على الفرس واستقبلوهم بالسيوف ، وترك المسلمون الكلام وانما كانوا يصيحون ويهرون هريرا، ولذلك سميت هذه الليلة ليلة الهرير وبات

الجيشان يقتتلان بشدة ، وسعد لايعلم من امر ما يدور شيئا ، فقد انقطعت عنه الاصوات والانباء ، فلم يكن يملك الا الدعاء ، وعندما بدأ نور الصباح يظهر اخذ المسلمون ينتمون الى قبائلهم ، عندئذ اطمأن سعد الى ان جنوده منتصرون باذن الله .

يوم القادسية

ظهر الصباح ولم يكن النصر قد عقد لواؤه لأى من الفريقين ، ولكن رحى الحرب دائرة والابطال المسلمون يلعبون بالسيف ، وسار القعقاع بين الجنود يزيد من حماستهم للقتال ويرفع روحهم المعنوية ، واستمر القتال حتى الظهيرة ، فابتدات الفرس في التقهقر ، وكان اول من تراجع الفيرزان والهرمزان في المجنبتين ، فانكشف القلب ، ثم حمل هلال بن علقمة احد فرسان المسلمين وقتل رستم، فاسقط في ايدى الفرس ووهنت عزائمهم ، فقام الجالينوس يأمرهم بعبور النهر ، فعبر من نجا منهم ، ولكن الجسر الذى صنعوه بالردم انهار في النهر، نغرق ثلاثون الف فارس مقترنين بالسلاسل ، وتبعهم زهرة التميمي وادرك الجالينوس فقتله ، واخذ ضرار بن الخطاب الراية العظمى لفارس ، وهي « درفش كابيان » .

وانهزمت جيوش يزدجرد شر هزيمة ، وانطلقت فلولهم يولون الادبار ، ثم امر سعد بجمع الاسلاب والغنائم وقسمها كما امر الله ، وبعث بالخمس والبشارة الى عمر الذى كان يخرج كل يوم من « المدينة » يتنسم الاخبار حتى يرده حر الظهيرة، فلما جاء البشير لاقاه عمر وهو يسير سيرا حثيثا، فسأله عمر : من اين ؟ فاخبره بانه آت من قبل سعد ، فقال : ياعبد الله حدثني .. فرد عليه : هزم الله المشركين ونصر المسلمين ، وقتل رستم والجالينوس وقواد كثيرون ، وكانت معركة ما شهد العرب مثلها ، وغنمنا غنائم لا حصر لها .

كل هذا وعمر يسرع وراء الرسول والرجل لا يعرفه ، حتى دخل « المدينة » فاذا بالناس يسلمون على عمر بامرة المؤمنين ، فقال البشير : هلا اخبرتني رحمك الله ، فقال عمر : لابأس عليك يا اخي .

اخذ عمر كتاب سعد اليه ثم انطلق الى المسجد وقام في الناس وقرأ عليهم الكتاب فسرت في « المدينة » موجة من الفرح والسرور بانتصار المسلمين ، وكانت هذه الموقعة سنة ١٤ هـ على اصح الاراء .

هذه هي موقعة القادسية التي فتحت الطريق الى ايوان كسرى ، وغيرت مجرى التاريخ فجرى كما اراد الله له ان يجرى . ■■

القاهرة **محمد رجاء حنفي عبد المتجلي**

المراجع :

١ ـ سعد بن ابى وقاص/عبد الحميد جودة السحار

٢ ـ اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء/محمد الخضرى

٣ ـ عمر بن الخطاب الفاروق القائد : اللواء الركن محمود شيت خطاب .

٤ ـ فتوح البلدان/البلاذرى .

٥ ـ مروج الذهب/المسعودى

٦ ـ الكامل في التاريخ/ابن الاثير

٧ ـ العقد الفريد/ابن عبد ربه

٨ ـ الشيخان/طه حسين

٩ ـ تاريخ الخلفاء/السيوطى

١٠ ـ طبقات ابن سعد/ابن سعد

١١ ـ تاريخ اليعقوبى/احمد بن ابى يعقوب

١٢ ـ الفتوحات الاسلامية بعد الفتوحات النبوية/زينى وحلان

١٣ ـ تاريخ عمر بن الخطاب/ابن الجوزي

١٤ ـ الفاروق عمر / محمد حسين هيكل .



الأَنْدلسـيَّة الحَسْـناء الـَّتِي غَدَتْ .

امبراطورة فرنسا

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ هي مـــاري اوجيني اوماريا اوخنيا دي مونتيخو Eugenie de Montijo ، أو باسم أخصر واشهر « الامبراطورة اوجيني زوجة نابليون الثالث امبراطور فرنسا » .

ان القليل من الناس يعرفون،ان هذه الامبراطورة الحسناء التي خلبت ألباب المجتمع الفرنسي حينا من الدهر ، والتي استطال عمرها زهاء قرن من الزمان ، انما هي اندلسية غرناطية ، ولدت بغرناطة في الخامس من مايو سنة ١٨٢٦ . وأبوها دُنْ تيبانو كوثمان،كونت دي تيبا ثم كونت دي مونتيخو وعظيم اسبانيا . وأمها امريكية هي ابنة قنصل امريكا في ثغر مالقة . وكان أبوها في شبابه مـن ضباط الجيش النابوليوني وقت أن كان يحارب في اسبانيا . وانفقت ماريا اوخنيا طفولتها في مدريد ـ ثم انتقلت مع امها وأختها في سنة ١٨٤٣ الى باريس حيث ربيت في دير « القلب المقدس » (ساكريه كير) . ولما أتمت دراسـتها وبلغت

العشرين من عمرها ، كان جمالها الرائع يبهر الانظار ، ويحيطها بهالة من الاعجاب والعطف البالغ . وكانت فرنسا تتجه يومئذ الى نبذ الملكية والعودة الى الجمهورية . ووقع ذلك في سنة١٨٤٨ حيث ارغم الملك لويس فيليب على التنازل ،واعلن قيام الجمهورية الثانية. ولم يلبث ان تولى رياسة هذه الجمهورية الثانية رجل لم يلمع اسمه من قبل ، هو شارل لويس نابوليون ، ابن لويس بونابرت اخى نابوليون الكبير ، والملكة هورتينس بوهارنيه ابنة جوزفين زوجة نابوليون الاولى .

★ ★ ★

وقد ولد لويس نابليون في باريس سنة ١٨٠٨ . ولما هزم عمه نابوليون الكبير في واترلو ، وسقطت الامبراطورية في سنة ١٨١٥، غادرت الملكة هورتينس وولدها لويس فرنسا الى سويسرا ، وهنالك تلقى لويس تربية عسكرية ، والتحق مدى حين بالجيش الاتحادى، ثم انضم الى جماعة الكربونارى السرية الايطالية . ولما توفى الدوق ريخشتات عميد آل بونابرت ، غدا لويس مكانه عميد الاسرة ، واعلن مطالبته بعرش فرنسا ، وحاول بمعاونة انصاره ان ينتزع العرش ، وكان يحتله يومئذ لويس فيليب سليل أسرة البوربون. ودبرت بالفعل من اجل ذلك محاولتان ، الاولى في شتراسبورج في سنة ١٨٣٦ ، والثانية في بولونيا سنة ١٨٤٠ ، وقبض على لويس نابوليون في هذه المحاولة الثانية ، وحوكم أمام المحكمة العليا ، فقضت عليه بالسجن مدى الحياة وزج به الى قلعة هام ، ولكنه استطاع ان يفر منها بعد بضعة أعوام ، وأن يجوز البحر الى انجلترا ، وهنالك استقر في لندن فترة اخرى.

ولما اضطرمت الثورة الجمهورية في أوائل سنة ١٨٤٨ ، وسقط لويس فيليب ،عاد لويس نابوليون الى فرنسا ، واستطاع بمعاونة انصاره ان يغدو عضوا في الجمعية التاسيسية الجديدة .

وكان لويس نابوليون شخصا غامضا ، قليل الكلام ، كثير التامل ، يبدو وكانه انسان حالم ، ولم يكن يُعرف الكثير عن مبادئه وآرائه . بيد انه كان يضطرم باطماع ضخمة ، وكان ما يزال ثمة كتلة كبيرة من الشعب الفرنسي تتاثر بامجاد الامبراطورية القديمة ، وتحبوها بعطفها ، وكان لويس نابوليون في نظرها ، هو الرمز الذى يحوطه هذا العطف ، ومن ثم فانه لم يمض سوى قليل ، حتى اتفقت معظم الاحزاب على انتخاب لويس نابوليون رئيسا للجمهورية وذلك في ديسمبر سنة ١٨٤٨ .

على أن هذه لم تكن آخر خطوة في اطماع لويس نابوليون . وقد كان الراى في الجمعيه التاسيسية منقسما حول عدة من الشئون الهامة ، وفي مقدمتها قانون التعليم العام ، وقانون الانتخاب ، وقانون الصحافة . وكانت النزعة الرجعية هى الغالبة ، بالرغم من جهود الكتلة الجمهورية ، وعلى رأسها مسيو تيير . ومن ثم فقد صدرت هذه القوانين متضمنة لكثير من القيود والنصوص الرجعية .

وكان ذلك مقدمة واضحة لعودة الملكية . وقد بذلت في هذا السبيل محاولة لجمع كلمة الاحزاب الملكية القديمة . وكان لويس نابوليون يسعى الى تغيير الدستور قبل أن تنتهى رياسته في سنة ١٨٥٢ ، لان القانون لا يسمح بعودته الى الرياسة، وبذلت في هذا السبيل جهود عنيفة ، وكان الجيش يميل الى مؤازرته ، ووُضع استفتاء جديد عما اذا كان الشعب يمنح لويس نابوليون تفويضا بسلطاته لكى يضع دستورا جديدا . فاضطرم الخلاف بين الاحزاب الخصيمة ، .. واشتدت المقاومة ، وقبض على عدد كبير من اعضاء الجمعية التاسيسية ، واضطر الجيش الى اطلاق النار على الجماهير الباريسية . وانتهى الامر بعمل الاستفتاء المرغوب في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٥١ ، وظفر لويس نابوليون بتأييد الاغلبية الكبيرة .

وهكذا قامت الدكتاتورية الجمهورية ، وصدر الدستور الجديد في ١٤ يناير سنة ١٨٥٢ ،باعتبار ان فرنسا جمهورية يتولى رياستها رئيسها لمدة عشرة اعوام ، وانشئت عدة هيئات دستورية جديدة مثل « مجلس الشيوخ » و « الهيئة التشريعية » ، و « مجلس الدولة » .

وفي اوائل نوفمبر أصدر مجلس الشيوخ قرارا بان يُطرح للاستفتاء مسالة عودة الامبراطورية ، واسباغ اللقب الامبراطورى على الرئيس لويس نابوليون . ومن القريب ان هذا الاستفتاء قد أسفر عن اغلبية ساحقة لتأييد الامبراطورية. وفي يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٢ اعلن لويس نابوليون امبراطورا لفرنسا باسم نابوليون الثالث . وفي الحال نقل مقامه الى قصر التويلرى Tuileries ، وانشأ له بلاطا



حافلا مثل بلاط نابوليون الاول ، ولم يمض سوى قليل حتى كان هذا البلاط من ألمع قصور أوروبا .

★ ★ ★

وفي خلال ذلك ــ كانت عناصر الرواية الغرامية، التي حملت اوخينيا دي مونتيخو الى العرض تجتمع وتكتمل . وكانت قد أتمت تعليمها ، وغدت فتاة تملأ الانظار ، تزور قصر الاليزيه Élysée مع والدتها لتشهد المراقص الرسمية ، التي كان يقيمها لويس نابوليون رئيس الجمهورية . وكان الرئيس يلحظ هذه الفتاة التي تفتح جمالها الرائع ببالغ عطفه . وفي نوفمبر سنة ١٨٥٢ دعيت الام والابنة الى قصر فونتنبلو Fontainebleau ، واشتركت الابنة في حفلات الصيد التي اقيمت يومئذ ، وابدت براعة فائقة في الفروسية ، وكانت موضع اعجاب الرئيس .

وفي ٢ ديسمبر من هـذا العام اعلنت الامبراطورية ، وفي خلال الحفلات العديدة الباذخة التي اقيمت في كمْبيين Compiène بهـذه المناسبة ، وكانت تشهدها اوخينا ، اشتد اعجاب الامبراطور بها وحزم امره نحوها . وفي الثاني من يناير سنة ١٨٥٣ ، قدم الامبراطور طلبا رسميا بالزواج من اوخينا دي مونتيخو ، واعلن ذلك في خطبة العرش التي تليت في يوم ٢٢ يناير وقال خلالها انه قد آثر الزواج بامراة يحبها ويحترمها على امراة لا يعرفها .

واحتفل بعقد الزواج في حفلة باذخة اقيمت في كنيسة نوتردام في ٣٠ يناير سنة ١٨٥٣ ، وهكذا ، غدت اوخينا امبراطورة فرنسا ، وعرفت من ذلك التاريخ بالامبراطورة اوجيني ، وهو منطوق اسمها الفرنسي .



وفي ١٦ مارس سنة ١٨٥٦ رزقت الامبراطورة بولد ، لقب « بالامير الامبراطوري » . وأسبغت أوجيني بجمالها واناقتها وسحرها الأخاذ ، روعة على النظام الامبراطوري .

وكانت أوجيني امراة قوية نابهة . وكانت تبدي رايها في مختلف الشئون العامة ، وكانت دائما تحبذ الراي الاوفر جراة واقداما ، وكانت بنوع خاص تعارض كل اتجاه يرمي الى الحد من سلطة البابوية الزمنية .

ولسنا نريد ان نتتبع تاريخ الامبراطورية الفرنسية في عهد نابوليون الثالث ، وزوجه الامبراطورة اوجيني ، وانما نكتفي باستعراض سريع لاهم الحوادث التي وقعت في هذا العهد . فاولها وقوع حرب القرم التي اشتركت فيها انجلترا وفرنسا معا . وفي سنة ١٨٥٩ سارت الجيوش الفرنسية الى ايطاليا لتعاونها في معركتها ضد النمسا ، واحرزت النصر في موقعتي ماجنتا وسولفرينو . ثم بعثت فرنسا بقواتها فيما وراء البحار ، لتعاون الامبراطور ماكسيميليان النمسوي على انشاء دولة كاثوليكية في المكسيك ، وانتهت هذه الحملة بماساة مروعة ، سحق فيها الجيش الفرنسي . واعدم ماكسيميليان .

بيد انه يوجد في حياة الامبراطورة اوجيني حادث يهمنا ان نشير اليه بشيء من التفصيل ، هو زيارة الامبراطورة الحسناء لمصر لمناسبة افتتاح قناة السويس .

كان حادث افتتاح قناة السويس في نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، من أعظم الحوادث السياسية والاجتماعية في القرن التاسع عشر . وقد استعدت له مصر وعاهلها الخديوي اسماعيل أعظم استعداد ، ودعى لشهوده سائر ملوك اوروبا . وشهده منهم ، الامبراطورة اوجيني ، والامبراطور فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا والمجر ، واولياء عهد : الروسيا ، وبروسيا ، وهولانده ، والبرنس اوجست شقيق ملك السويد والنرويج ، وغيرهم من الامراء والكبراء .

ووصلت الامبراطورة اوجيني الى ثغر الاسكندرية ــ وتوصف في الوقائع المصرية « بحضرة امبراطوريجة فرنسا المحتشمة » ــ وصلت يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٦٩ على ظهر الباخرة الفرنسية ، « ايثل » واستقبلها في الميناء الخديوي اسماعيل وولي عهده توفيق ، وسائر الوزراء واكابر رجال الحاشية ، ثم استقلت مع الخديوي « عربة سكة الحديد الفاخرة الى مصر المحروسة » فوصلت في الساعة الثالثة الى محطة مصر « وكانت مزينة بالاعلام الاسلامية والفرنساوية مرونقة من اجل قدومها بانواع الازهار والمنسوجات البهية » واستقبلت عند نزولها أعظم استقبال .



اوجينى وزوجها نابليون الثالث .. لقد كان الامبراطور شخصا غامضا قليل الكلام ، كثير التأمل ، ولم يكن يعرف الكثير عن مبادئه وآرائه

« ثم ركبت هى وحضرة الخديوى الاعظم العربية المهمة البهية .. المجرورة باربعة من الخيول .. وما من مكان اذ ذاك من بيوت او شبابيك الا وهو مغصوص بما لا يحصى عدده من الناس ذكورا واناثا مؤدين الراسيم الاحترامية . مزين بانواع الزينة واقواس النصر.ومرت منميدان الاسماعيلية الى قصر النيل ، ومنه ركبت وابور عبرت به الى جانب النهر الآخر ، وأوصلت الى سراية الجزيرة البهيجة البهية المخصصة لاقامة حضرتها السمية».

ثم تحدثنا الوقائع المصرية بعد ذلك تفصيلا عما قامت به الامبراطورة من زيارات لمعالم القاهرة الاثرية . وما اقيم لتكريمها من الولائم والحفلات ، وما تظم خلال ذلك من الزينات والالعاب النارية. ثم تصف لنا رحلتها النيليةالىالصعيد ومشاهدتها للاثار المصرية القديمة كل ذلك بتفصيل ممتع .

وبهرت اوجينى بروعة جمالها ، وفيض اناقتها وسحرها ، رجالات مصر وجموع الشعب المصرى اينما حلت .

ثم جاء اليوم المشهود ، واحتفل في اليومالسابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ بافتتاح قناة السويس ، وذلك بحضور سائر الملوك والامراء الذين حضروا لشهوده ، وفي مقدمتهم الامبراطورة اوجينى . وانفقت مصر على المهرجانات الباذخة التى اقيمتبهذه المناسبة مبلغ مليون جنيه ، وهى قيمة لها خطرها في ذلك العصر .

★ ★ ★

عادت الامبراطورة اوجينى الى فرنسا ، ولم يمضعلىعودتها بضعة اشهر،حتى بدات الخصومة تسيطر على علائق فرنسا وبروسيا. وكانالامبراطور نابوليون خلال هذه الاعوام الاخيرة يعانى من الاوصاب والمرض المستمر . وكان بسمارك يضع خطته المحكمة يومئذ ، لاستدراج فرنسا الىصدام مسلح ، يوقن بتفوق بروسيا فيه . ووقعتالكارثة بالفعل في ٢ اغسطس سنة ١٨٧٠ ، وبدات الحرب الفرنسية البروسية الشهيرة . ولم تمض اسابيع قلائل حتى وقعت نكبة سيدان Sedan الشهيرة التى سحق فيها الجيش الفرنسي وارغم على التسليم ، واسر الامبراطور ، وفر ولده الامير الملكى الى انجلترا . ثم قامت الثورة في باريس وسقطت الامبراطورية الثالثة ، واضطرت الامبراطورة ان تغادر قصر التويلرى متنكرة . واستطاعت ان تعبر البحر الى انجلترا . هذا بينما اعلن قيام الامبراطورية الالمانيه الكبرى في فرساى ذاتها ، وفقدت فرنسا الالزاس واللورين .

وقامت الجمهورية الفرنسية الثالثة ، واستقال لويس نابوليون . ولما افرج عنه بعد نهاية الحرب، عبر البحر الى انجلترا ، واقام مع زوجه وولده في شزلهرست Chiselhurst بجوار لندن وهنالك توفي بعد ثلاثة اعوام .

ولبثت الامبراطورة السابقة اوجينى مقيمة مع ولدها الامير الملكى . وكان القدر يخبىء لها نكبة مروعة . ذلك ان هذا الامير الفتى ، الحعلى والدته وعلى الملكة فكتوريا ان يشترك في الحملة التى ارسلت ضد جموع « الزولو » في افريقية سنة ١٨٧٩ . فقضى نكد الطالع ان يقع الامير وفرقته في كمين دبره الزنوج وان يفقد فيه حياته . وهكذا فجعت اوجينى في اعز مخلوق لديها . وتوجت

هذه المحنة الساحقة آلامها واحزانها ، وقامت برحلة الى افريقية وسارت الى حيث قتل ولدها، وعملت على استرداد رفاته ، وعادت الى انجلترا تسيطر عليها فكرة قاهرة ، هي أن تنشيء ضريحا لائقا يدفن فيه زوجها وولدها .

★ ★ ★

والآن ، فلننتقل الى الخاتمة . لقد كانت هذه الخاتمة بعيدة جدا . ولقد استطاعت الامبراطورة ان تبنى لزوجها وولدها في شزلهرست .. ضريحا بجوار كنيسة سانت مارى . ولكن هذا الضريح كان صغيرا ، ولم تسمح لها الظروف بتوسعته ، لمعارضة الملاك المجاورين . فقامت الامبراطورة بناء على نصح الملكة فكتوريا بشراء ضيعة في ضاحية فارنبره Farnborough بمقاطعة هامبشير Hampshire ، وانتقلت اليها في سنة ١٨٨١ .

واستقرت الامبراطورة اوجيني في هذا المقام الهادىء في منزل أنيق ، زينته بطائفة مختارة مما استطاعت ان تحتفظ به من تحف وذخائر ملكية ، واستقرت به أربعين عاما أخرى وهي تنفق كل عام معظم وقتها في الخارج .

وعنيت الامبراطورة بأن تحقق امنية حياتها الباقية ، فانشات على ارض ضيعتها تجاه المنزل الذى تقيم فيه كنيسة وديرا تعمرهما طائفة من الرهبان البندكتيين الفرنسيين ،وانشات في أقبية الكنيسة ضريحا فخما ، لزوجها وولدها ، ثم لها حين تأتي الخاتمة .

وعاشت اوجيني في فارنبره وفي الرفييرا بقية حياتها ،في عزلة تامة،بعيدة عن أحداث السياسة. ولما نشبت الحرب العالمية الاولى جعلت من منزلها في فارنبره ، مستشفى عسكريا ، وعاشت لترى هزيمة فرنسا سنة ١٨٧١ وقد عوضت بنصر سنة ١٩١٨ ، واذلال المانيا في معاهدة فرساي .

ثم توفيت أخيرا في يوم ١١ يولية سنة ١٩٢٠ عن خمسة وتسعين عاما بينما كانت تزور ابن أختها الدوق دى البا في مدريد ، وحملت لتدفن في ضريحها في فارنبره الى جانب زوجها وابنها .

★ ★ ★

ولقد قصدنا ذات يوم من أيام ربيع سنة ١٩٦٧ الى ضاحية فارنبره ، وهي لا تبعد عن لندن اكثر من ثلاثين كيلومترا ، وقضينا وقتا في زيارة دير اوجينا دى مونتيخووكنيستها وضريحها الفخم ، وتفقد صورها وآثارها الامبراطوريةالمحفوظةبمتحف الدير . ويقع الضريح تحت الدير وقد وضع تابوت الامبراطورة في صدر الضريح على منصة رخامية عالية ، ووضع تابوت زوجها نابوليون الثالث الى اليمين ووضع تابوت ولدهما الامير الملكى الى



لوحة زيتية مشهورة تمثل الاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، وقد ظهر فيها الخديوى اسماعيل، خديوىمصر، والامبراطورة أوجيني ، يتوسطهما الامبراطور فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا، وسار وراءهم فرديناند دى ليسبس مهندس قناة السويس وسائر أعيان الغرب والشرق



نابليون الثالث وزوجته الامبراطورة اوجيني وابنهما

اليسار . وقد علمنا من الراهب العلامة الذى كان يرافقنا أن تابوت الامبراطورة قدمته الملكـــة فيكتوريا ، وقد نشر فوقه العلم الامبراطورى .

اما المنزل الذى كانت تقيم فيه اوجينى فما زال يقوم على التل المقابل للكنيسة والدير . وهـــو يستعمل الان مدرسة داخلية للبنات . وما زالت ذكريات الاندلسية الحسناء ، وآثارها الباقية ، تسبغ على ضاحية فارنبره جوا من المهابة والسحر، وما زالت فارنبره مقصد الحاج من سائر الانحاء.

■■
محمد عبد الله عنان

« العربى » :

جاءت الامبراطورة اوجينى الى مصر بعد زوال ملكها ، ونزلت متنكرة في فندق ببورسعيد ، فنظم حافظ ابراهيم فيها قصيدة رائعة ، يقارن فيها بين مجيئها الى مصر امبراطورة ، ضيفة اسماعيل، بمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، وبين مجيئها هذا ، الى مصر ، عام ١٩٠٥ ، امراة جللها المشيب . قال حافظ فيما قال .

اين يومُ (القنال) ؟ يا ربّة التـــا ج ويا شمسُ ذلـك المهرجـان !
اين مَجرى (القنال)؟اين مُميتُ الـ ـمال ؟ اين العزيز ذو السلطان ؟
قد طـواه الردي ولو كان حيـًا لمشى في ركابـك الثقـــلان
وتولت حـراسةَ الموكب الأســـ ـنى نجـومُ السـماء والنيّران
ان يكن غاب عن جبينك تـــاج كان بالغـرب أشـرف التيجـان
فلقـد زانـك المشيب بتـــاج لا يدانيـه في الجـلال مُـدانى
ذاك من صَنْعـة الانام وهـــذا من صنيع المُهيمن الديّــان
كنت بالأمس ضـيفة عنـد مَلك فانزلى اليوم ضيفةً في خـان
واعذرينـا على القصـور ، كلانا غيّرته طـوارىء الحـدَثان

حُبُّ الوَطَن

للشاعر : عبد الرزاق العائش

إن كـان حبُّكَ في الصِّبا لم يُنصَفِ ... وَعزفتَ عن ينبوعه لم تَغْـرِفِ
ارعَ الهوى حتّى المشيبِ وعِشْ بـه ... طول المدى .. ياقلبُ لا لاتَعزِفِ
طعم الهوى يحلو إذا صُبِّغَ المشيـ ... ب بدا لِذي الحسِّ الرقيق المُرهفِ
يكفيك من زهر الرياض عبيرُه ... تَستافُه حتّى وإن لـم تَقطـفِ

* * *

حسْبُ المتيّمِ أن يرى من تيّمهْ ... طيفاً يبثّ لـه الشجون فيَرحَمَهْ
ويضمّه ضمَّ الغريق لمُنْقِـذٍ ... والبحرُ يصخب والشواطئ مُعتِمَهْ
يارُبَّ طيفٍ من حبيب في الكرَى ... مَسحتْ أناملُه الجراحَ المؤلِمَـهْ
بعض الأمـاني والصبا في أوْجـه ... حَظِيَتْ بها شيخوخةٌ متهدِّمَـهْ

* * *

ليسَ الهوى وَقفاً على ذات الجمـالْ ... أو شادنٍ يَسبيك من فرْطِ الدَّلالْ
خُذْ من كتابِ الكونِ أروعَ سامـرٍ ... إشراقُه وأصيله خصْبَ الخيالْ
واقـرأ سطورَ الحب في صفحاتـه ... منذ النُّشوء ولم تَرُمْ نيْلَ الوصال
الشمس تغذُو الكائناتِ بنورهـا ... فيها لأرباب النُّهى أسمى مِثـالْ

* * *

مَزّقتُ في ميدان حُبّي لأمّـتي ... وسَحقتُ قوْسي والسهامَ وجَعْبَتي
وعزَفتُ عن حبِّ العذارى .. إنما ... حبّي غدا وَقفاً لخدمة أمّـتي
يمّمتُ وَجهي شَطْرَ أنبلِ غايـةٍ : ... الـذَّوْدِ عن وَطني وحقّ عُروبتي
إن خاب حـبّي في صِبايَ فلم يَخِبْ ... أملي بنيْلِ النَّصـر في شيخوختي



وطني ، فديتك هل أبثك لوعتي ... أم أنطوي حتى تحين منيتي ؟؟
المسجد الأقصى أتسمع صوته ... يدعوك قد هتك الصهاين حرمتي
والقبلة الأولى يشم أريجها ... أنف اليهود ، فقم وطهر قبلتي
لب النداء ولا تؤمل نصرة ... من (مجلس) يسعى لوأد حقيقتي

★ ★ ★

فتنام خذها من زمانك عبرة ... لا تتخذ مجد الأوائل مضغة
شعب أبى أن يستكين لغاصب ... جعل التفاخر بالخيال حقيقة
عصفت به روح الولاء لأرضه ... فأحال نصر الأقوياء هزيمة
لسنا ـ وإن جرت الرياح بعكسنا ... بأقل من هذي الشعوب عزيمة

الموصل عبد الرزاق العائش

مَعَ العَقَّـاد ...

فى دِيوَانِه "هَـديَّةُ الـكَـرَوان"

بقلم : محمد احمد العزب

■ كان الشعر العربي المعاصر ـ قبل مدرسة الديوان ـ قد وصل الى مرحلة يمكن ان تسلمه الى طريق مسدود ، فشعراؤه الكبار على الرغم من تحليقهم وابداعهم في مجالات كثيرة لم يستطيعوا ان يضيفوا الى روح المسار الشعرى جديدا يذكر ، سوى براعات ذكية في التناول الشعرى لموضوعات بليت من طول ما استعملت او كادت ... فالشاعر « راصد » لحركة الكون ... واحداث التاريخ ... ومواقف الاشخاص ... في تعميم لا يتناول من الاشياء الا سطحها الظاهر .. ولكنه لم يخض في عباب النفس البشرية وأدغالها الكثيفة . ولم يفطن الى اقامة هذا الحوار النفسى او المنولوج الداخلى في شعره الا قليلا ... فكانت مدرسة الديوان باعلامها الثلاثة .. العقاد .. شكرى .. والمازنى ... احتجاجا صارخا على هذا التجميد لمسارنا الشعرى .. ومن هذه المدرسة تفجرت روح الجسارة والتجديد في شعرنا الحديث .

ونحن مع رائد هذه المدرسة في واحد من دواوينه عبر هذه السطور ، وديوانه الذى اخترنا الوقوف معه هو « هدية الكروان » .

لقد رزق العقاد حساً شاعرا .. وقلبا يخفق بكل ما تخفق به الطبيعة من اسرار ، حتى انه ليرى في غناء الكروان مرة بعد مرة ابداعا في الغناء مجدد الالحان :

زعموك غير مجـدِّد الألحـــانِ ... ظلموك ، بل جهلوك يا كروانـي
قد غيَّرتك ، وما تُغَيِّر شـاعراً ... عشرون عامـاً .. في طراز بيـانِ
أسمعتَنى بالأمسِ ما لا عهـد لـي ... بسَماعه في غابـر الألحـــان
ورويت لى بالأمس ما لم تَـرْوِه ... من نَغْمة .. وفصاحة .. ومعـان

ولأن العقاد بفكره العملاق .. وخياله المحلق ، اكثر طيرانا في آفاق الفكر من الكروان في آفاق الفضاء ، فهو يناجيه في حب واعتناق .. طائرا بجناحه .. شاعرا بلسانه .. مناجيا بضميره .. نابضا بقلبه .. رائيا بعينيه .. ناعيا اليه كثافة الطين في انسان الارض :

أنا لأراك .. وطالما طَرَقَ النُّهى ... وَحْيى ولم تظفـر بـه عينـان
أنا في جَناحك حيث غاب مع الدُّجى ... وإن استقرَّ على الثَّرى جثمانـي

أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى ... مرحاً وإن غلب السرورُ لساني

أنا في ضميرك حيث باح فما أرى ... سِراً يُغَيّبه ضمير زماني

أنا منك في القلب الصغير مُساجِلٌ ... خَفَقَ الربيعِ بذلك الخفقانِ

أنا منك في العين التي تتهب الكرى ... وتَضِنُّ بالصحوات والأشجان

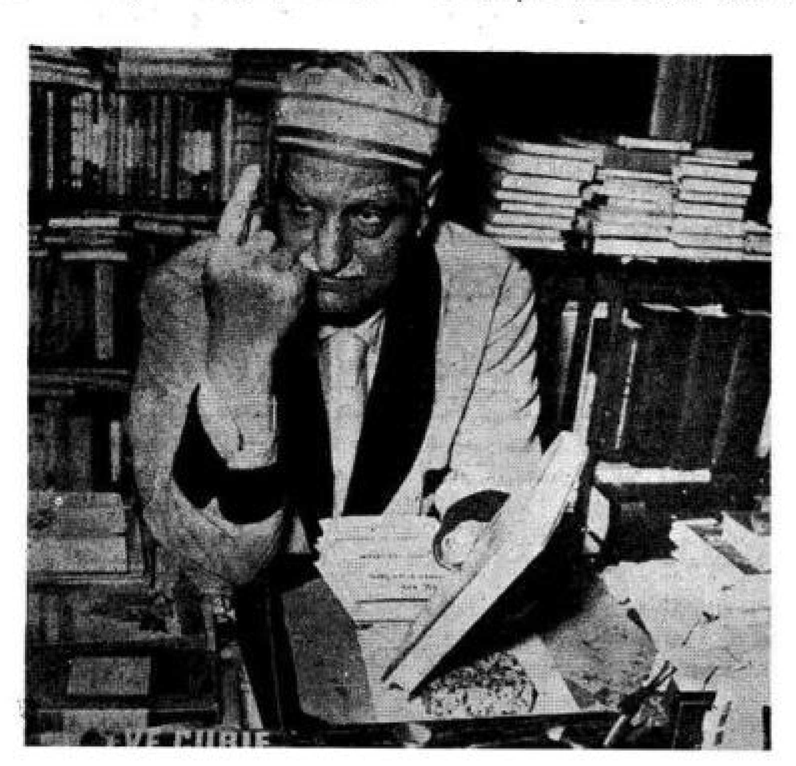
طِرْفي الظلام بمُهجة لو صافحت ... حَجَرَ الوِهادِ لَتَهَمَّ بالطيران

تُغْنيك عن ريش الجناح وعزْمِهِ ... فَرحاتُ مُنْطَلِق الهوى نشوان

فَرحات دُنْيا لا يُكدِّر صفوها ... بالمَيْنِ غيرُ سرائرِ الإنسان

وتطول عبر الديوان رحلة العقاد مع الطير ... كروانه ... وببغائه ... وغرابه .. وهو في كل هذه المناجاة لا يفعل ما يفعل الشعراء العرب حين يناجون فى الطير جمال شكله .. وخفة حركته .. وانطلاق ابعاده .. ولكنه يرقى بالمناجاة من مجرد الوقوف امام مظاهر الأشياء الى التغلغل الغائر العميق في اطواء النفس ، وقيعان الضمير ، مفلسفا كل شيء .. عاقدا ما يشبه الوشيجة بين الانسان والطير ، نافضا احزانه وهمومه بين يدى هذا الكائن الشفاف ، داعيا كل البشر للاصاخة الى هتفاته في عمق المساء .. وتستبين قدرة الريشة العقادية القادرة في رصد اصداء الغناء الكرواني وتحسسها ، ملاحقا حتى ادق تحركاته عبر الفضاء :

أنا صائدٌ لصداك ، ، لست بصائد ... لك أنت ياكروان فأَمَّنْ صائدى



بينا أقول هنا .. إذا بك من هنــــا / في جنح هذا الليل أبعد باعـد
ووددتُ يا كروانُ لو ألقيتَ لـي / صوتين منك على مكان واحـد
إن كنت تشفق أن أراك فلا تـزل / في مسمعي وخواطري وقصائـدي
عاهدتُ هذا الصيفَ لستُ بواهب / سمعي سواكَ . فهل تراك معاهدي

ويختتم العقاد كروانياته بغنائية رائعة في « سحر الطير » مؤكدا ان لهذا الكائن الجميل سحرا هو الذى يطير به وليس طيرانه بالجناح .. وان روحه المحلق اللطيف هو الذى اعار جنبيه ريش السبح والتحليق ، وان من الظلم ان ينتمى الطير للسماء بواشجة الجناح والريش ، ولا ينتمى اليها بالغناء والترجيع .. وان سؤال الادميين القديم : كيف يعلو ويحلق الطير ؟ يجب ان يستوى على وجهه الصحيح فيصبح : كيف يهبط الطير ويسف ؟ لان طبيعة الاشياء ان يتسامى الطير دائما بالتحليق والطيران :

بك خفَّ الجناح يا أيها الطيـ / ـرُ وما كنت بالجناح تخف
لطفُ روحٍ أعار جنبيك ريشاً / فمن الروح لا من الريش لطفُ
ليس ينميك للسماء جناحٌ / بل غناءٌ عن الضياء يشف
إن مضى الناسُ يعجبون قديماً / كيف تعلو ؟ عجبت كيف تسف

وفى القسم الثانى من الديوان « غزل ومناجاة » نلتقى بقلب العقاد السائل رقة .. وعذوبة ... ومعانقة لاجمل الاشياء .. وربما كان من العجيب ان يقال : كيف جمع العقاد بين صلابة الاصرار .. ورقة الحب ؟ ان قليلا من التامل الفاهم ، والغوص وراء حقائق الاشياء يؤكد ان لا تعارض على الاطلاق بين صلابة الاصرار ورقة الحب . فكل عظماء التاريخ الذين حركوا محاور الكون .. ووجهوا تيار الزمن التقوا وجها لوجه بعاطفة الحب ، وعاشوا اجمل اناتها ولحظاتها .. فاذا اردنا نحن ان نقيم جدارا بين الحب والعظمة .. او بين العاطفة والرجولة .. فلسنا ندرى بعد من الذى يستطيع ان يحب ؟ او من الذى يستطيع ان يصمد ؟ .. ان الرجل فى سواء الرجولة هو الذى يتراحب قلبه ووجدانه فيسع انبل عواطف الوجود وهو الحب ... واكرم مظاهره وهو الرجولة .. وهكذا كان العقاد العظيم .. محبا يعشق الكون من خلال الطبيعة .. والمراة ... وقصيدة الشعر .. ورجلا يحرك هوامد الاشياء من خلال الكلمة الحرة .. والموقف البطل .. والرفض الشريف .

تعبير يحمل روح الكون

ولكن لا يفوتنا هنا ان نلاحظ ان تعبير العقاد عن حبه ليس كتعبير الآخرين ساذجا هشا .. ولكنه تعبير يحمل روح الكون كله . وروح الحقيقة كلها .. لانه رجوع بالعاطفة الى منابعها الأصيلة . وعودة بالخاطر الى روافده الاولى . مما يتيح لقارىء العقاد الشاعر أن يستبطن من خلال قراءته لشعره اكثر من مجرد النشوة . واعمق من مجرد المتاع :

منّى أطيبَ المنى يا حبيـبي / فالمنى وحدهنّ منك نصيبي
إن يفتنّنا منالُها لم تفتنـا / نظرةٌ من خيالها المرقوب
منّى ، بل دع المنى ياحبيـبي / فشقائي في الموعد المكذوب

هانَ فَقْدُ المُنَى التى لم تَعِدْهـا | وافتقادُ الموعود جِدُّ صَعيبِ
أَعطِنِي أَعطِنِي إِذَنْ يا حبيبى | غير ما نَاكِثٍ ولا مُستجيبِ
أعطِنِي صفوكَ ارتجالاً ودَعْنـا | مِن مِطالٍ بالوعد أو تقريبِ
فارتجالُ المُنَى أحبُّ لنَفْسٍ | شَبِعَت مِن رَوِيَّة التجريبِ

واذا كان شعراء الغزل فى شعرنا العربى قد احالوا انثاهم المعشوقة الى مجرد دمية رائعة الجمال تثير فى عاشقها نوازع الجسد او نوازع الروح . فان العقاد الشاعر قد استطاع ان يجعل من فاتنته شيئا آخر يطل به على كون زاخر بالجمال والأسرار .. ويفجر فيه شلالات من الفكر الغائص فى متاهات الوجود ..

كلما قلتَ لى الربيعُ جَميلٌ | قلتُ حقاً وزاد عندى جَمالاَ
عجباً لى .. بل العَجيبةُ عندى | صُوَرُ الكون كم يَسعَن كَمالا
خِلْتُنِي قد وَعَيْتُهُنَّ عياناً | وتَتَبَّعتُ مَنْ وَعَوْهَا خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئَ كُتْبٍ | قرأ الكُتْبَ دارساً فأطالا
فإذا نظرة بلحظِك تُبْدِي | صُوَرًا ما طرقنَ عندِيَ بالا

حتى اذا احس فى حضور فاتنته كل هذه المعانى والاشياء ، اجهش فيما يشبه الانذهال :

بعِدادِ الأنوارِ في أعيُنِ الحُبِّ نعدُّ الأكوانَ والأجيالا

واذا كانت حركة التجديد في شعرنا العربي المعاصر تدل بانها قد اهتدت الى سواء التعبير الشعرى حين اهتدت الى ما نسميه « التعبير بالصور » فان العقاد الشاعر قد اهتدى الى هذا اللون من الوان التعبير فى بواكير نضوجه الشعرى . فهو يرسم لوحة رائعة متكاملة الابعاد والاتساق فى قصيدته « ضياء وضياء » ان ابياتها تتساند وتتعاضد ، لتعطى صورة فذة نابضة لموقف الشاعر العاشق من ضوء القمر الساكب حنانه على وجنتى من يحب ، مغازلا ... ومعابثا .. ومختلسا قبلة من هنا وقبلة من هناك ..

على وَجنَتَيه ضياءُ القَمَرْ | نَظيرانِ يَستبِقانِ النَّظَرْ
جَمعتُهما أنا في قُبْلَةٍ | أو البدرُ قَبلَه فابتَدَرْ ؟
فما زال يَلحظُه جَهْرةً | ويَغمِزه مِن وراء الشَّجَرْ
ويَزعمها قُبلةً مِن أخٍ | فَفيمَ إذَنْ قَطفُها في حَذَرْ ؟
ولو شِئتُ ظَلَّلْتُ وَجهَ الحبيب | ولو شئتُ كَلَّلْتُه بالزَّهَرْ
ولكن كرمتُ فخُذْ يا قمرْ | مِنَ الزَّادِ ما تشتهى في السَّفَرْ

واذا كانت في الديوان قصيدتان عن « ساعى البريد » الاولى بهذا العنوان والثانية بعنوان « عجب الساعى » فانهما بلا جدال يعدان من اروع ما قيل في الشعر العربى والشعر العالمى على السواء .. ففى القصيدة الاولى « ساعى البريد » نرى توتر الشاعر .. وقلق العاشق .. وتمزق الانسان فى لحظات

الانتظار .. ان الشاعر هنا يثور بساعي البريد مرة ، ويعاتبه في صمت مرة اخرى .. ويناجيه في ابتهال مرة ثالثة .. وعيناه دائما على وطابه المحشود آلاما وآمالا :

لو لمْ يكنْ خِطابـــبي في ذلـكَ الوِطـــابِ
لم تَطوِ كُلَّ بـــابِ يا ساعِيَ البريـدِ

ولقد تقف بالشاعر ساعات العمر ومواقيته حتى لا يحركها الى مداراتها غير اهلال ساعى البريد او غروبه ... كأن الزمن كله معلق به .. واثب خلفه :

لا أَحسب الساعاتِ في حاضـرٍ وآتِ
إلاّ علـى الميقـاتِ ميقاتِـك الوئيـدِ

ولقد يختصر الشاعر الناس كما يختصر الزمن فى ساعى البريد عبر رحلة الانتظار :

في شُرْفتي أَبتكِـرُ غيرَكَ لا أَنتظـرُ
وإن سعى لى القَمـرُ يا ساعِيَ البَريـدِ
كم لَهفةٍ نَسيتُهـا أَماتنـي مُميتُهـا
لَقيتُهـا .. لَقيتُهـا ياساعِيَ البَريـدِ

وفى القصيدة الثانية « عجب الساعى » تهدأ ثورة الشاعر العاشق لان فاتنته قد أتت .. فاذا به لا ينتظر ، ولا يحصد الافق بعينيه ترقبا ... ويعجب الساعى لهدوء شاعره الهادىء .. فيصيح به الشاعر الفنان :

إنَّ من تُحضِرُ لى أخبـارَه أيها الساعى بخيْرٍ حَضَـرا
أَلْقِ إن شئتَ وِطابـاً حافِـلاً لا أُبالِي لحظةً إن صَفِـرا
الطريق الآن لا أَرقُبُـه لأرى وَجْهَكَ .. لكـنْ لأَرَى

ولست احب ان نمر على هذه الأبيات دون وقفة عند بيتها الأخير :

الطريق الآن لا أرقبـه لأرى وجهـك .. لـكن لأرى

فهل يريد الشاعر بتجهيل الرؤية فى قوله : « لكن لأرى » ان يقول : لأرى حبيبتى قادمة مثلا ؟ ان كان هذا فهو فى ذاته جميل .. ولكن يخيل الى ان الأجمل منه ان يراد هنا من الرؤية ان يقال : لأرى مجرد رؤية .. اى ان الشاعر بعد ان حضرت اليه حبيبته قد اكتفى بها من الحياة والاحياء على السواء .. فاذا نظر الى الطريق فهو مجرد نظر الى اللاشىء .. واذا رأى فهى مجرد رؤية عارية عن كل شىء .. عارية من الترقب ..والتلهف .. ومغازلة المدى البعيد في لحظة انتظار .. ان رؤيته ـ في حضور من يحب ـ ليست استقطابا لشىء معين .. ولكنها رؤية .. ما دامت فاتنته تحيا فى بيته العامر بالأغنيات ..

هذه اطلالة خاطفة على بعض من ديوان « هدية الكروان » لعملاق الفكر العربى المعاصر .. عباس محمود العقاد .. وربما كان ما تبقى في الديوان مما يستحق التأمل والتقييم اكثر كنوزا مما وقفت الآن عنده .. فليكن لنا معه لقاء ... ■■

القاهرة : محمد احمد العزب



الصومالية

بين الحروف اللاتينية والعربية

بقلم: محمد محمود أحمد محمدين

الاستاذ بمعهد الدراسات الاسلامية

برعو - جمهورية الصومال

■ هناك على ساحل افريقيا الشرقى ، حيث تصافح أمواج المحيط الهندى مياه خليج عدن ، وحيث تلتقى افريقيا بآسيا ولا يفصل بينهما الا شريط ضيق من الماء ، هناك في هذه المنطقة يعيش شعب امتزجت فيه الصفات السامية بالدماء الحامية . دينه الاسلام ، يمتاز بالرشاقة والتقاطيع الدقيقة .. انه شعب الصومال أحفاد سكان « بنت » تلك البلاد التى يرتبط ذكرها بخمسين قرنا مضت من تاريخ مصر يوم كانت طقوس المصريين القدماء الدينية لا تعقد ولا تتم الا في جو مشبع ببخور « بنت » أرض الآلهة كما سماها المصريون القدماء . في هذه البلاد التى تغطى مساحة تزيد على ٦٠٠٠٠٠ كم٢ وحيث تداعب المياه أكثر من الفى كيلومتر من سواحلها يعيش نحو ثلاثة ملايين فرد يتكلمون لغة اثبتت الدراسات اللغوية التى قام بها الباحثون انها تنتمى الى مجموعة اللغات الكوشية (*) التى تضم بضعا وثلاثين لغة ولهجة تنتشر في شمال شرقى السودان وأريتريا والصومال الفرنسى والجمهورية الصومالية واثيوبيا واقليم N.F.D. الصومالى الخاضع لحكم كينيا . ويبدو كذلك من الدراسات التى أجريت ان اللغة الصومالية وكذلك بقية المجموعة الكوشية ترتبط مع مجموعة لغوية او عائلة لغوية كبرى تشمل لغة البربر والمصريين القدماء واللغة السامية وقد بنيت هذه الدراسة على التشابه النحوى وتشابه بعض الكلمات والمفردات .

واللغة الصومالية كأية لغة تأثرت بالاحتكاك الثقافي نتيجة لظروف مختلفة، وغير خاف عنا ان أى احتكاك يحدث بين لغتين أو لهجتين أيا كان سبب هذا الاحتكاك ومهما كان مقداره فانه يؤدى الى تأثر كل منهما بالاخرى ويختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التى تربط بين الشعبين وما يتاح لهما من فرص الاحتكاك المادى والثقافي . ويذكر التاريخ أن علاقة الصومال بالعرب والبلدان العربية بدأت قبل ظهور الاسلام حين تعددت رحلات العرب وهجراتهم الى الساحل الافريقي الشرقي الذى يعتبره الجغرافيون امتدادا طبيعيا للجزيرة العربية بل يصفون البحر الاحمر بانه مجرد كسر أخدودى في القشرة الارضية في أرض واحدة يجمعها مناخ وتضاريس متشابهة ، وهذا الساحل قام بدور حاسم في نشر العقيدة الاسلاميه واللغة العربية لأنه من أهم المسالك التى سلكها دعاة الاسلام وعلى هذا تأثرت اللغة الصومالية كثيرا باللغة العربية .

وتضم اللغة الصومالية اثنين وعشرين حرفا هى: « أ - ب - ت - ج - ح - خ - د - ر - س - ش - ط - ع - غ - ف - ق - ك - ل - م - ن - و - هـ - ى » وتنطق جميع هذه الحروف

(*) Handbook of African Languages by A. N. Tucker, Published by the International African Institute 1958.

كما هي ما عدا حرف « ط » فينطق بين الدال والطاء وفيه يقلب اللسان لملامسة سقف الفم وينطق حرف « غ » الصومالى كالجيم القاهرية غير المعطشة ..

وتتميز اللغة الصومالية بوجود خمس حركات قصيرة وخمس طويلة هي كالآتي :

كسرة قصيرة خالصة ، وكسرة غير خالصة كما في الامالة . وفتحة قصيرة وضمة غير خالصة وضمة خالصة ولكل حركة نظيرها المثل في حركة طويلة .

كسرة قصيرة خالصة بِ .

كسرة قصيرة غير خالصة ب (١) كما في كلمة « بِنت » ابنه .

فتحة قصيرة بَ .

ضمة قصيرة غير خالصة ب (٢) كما في « بن (٣) » القهوة .

مشكلة كتابة اللغة الصومالية

لم يتفق الصوماليون حتى الآن على رسم معين لكتابة الصومالية ولم يستقر الرأى على اتخاذ حروف معينة . وهناك تيارات قوية متصارعة فالبعض ينادى بكتابتها بحروف القرآن والبعض ينادى بالحروف العثمانية نسبة الى مبتكرها عثمان يوسف كنديد، والحروف العثمانية تشابه الحروف الامهرية وتكتب من الشمال الى اليمين وهى بهذا تبدو متأثرة باللاتينية كما أن ترتيب حروفها ووجود حروف مد للحركات الطويلة يشابه العربية وهى تتكون من تسعة وعشرين حرفا وقد ظهرت منذ اكثر من ٣٠ عاما . وهناك تيار قوى لكتابتها بالحروف اللاتينية،وقد شكلت الحكومة الصومالية سنة ١٩٦١ لجنة لغوية لبحث هذه المشكلة وقد قدم اللجنة ثماني عشرة طريقة لكتابة اللغة الصومالية ثم قدمت اللجنة نتائج دراستها وتوصياتها للحكومة حتى يعرض الموضوع على الجمعية الوطنية لاتخاذ الرأى النهائى في هذا الشان ، وقد تمت محاولات كثيرة في الماضي وكتبت اللغة الصومالية بحروف عربية ، ومن الذين كتبوا الصومالية بحروف عربية منذ أكثر من خمسين سنة الشيخ قاسم البراوى وفي سنة ١٩٦٢ قام الاستاذ ابراهيم حاشي وهو احد أبناء الوطن الصومالى وخريج كلية اللغة العربية ، باصدار كتاب اطلق عليه الصومالية بلغة القرآن وهو محاولة لكتابة الصومالية بالحروف العربية مع استبدال الحروف بالحركات . فالكسرة تمثلها الياء والالف تمثل الفتحة والضمة تمثلها الواو ، ومن الجدير بالذكر أن الحزب الحاكم وهو حزب وحدة الشباب الصومالي كان قد اعلن في برنامجه سنة ١٩٥٦ أن من أهدافه أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، وقد ظهرت في الآونة الاخيرة في مقديشو عدة مدارس لتعليم الصومالية بالحروف العثمانية الا أن البعض يعارض هذه الحروف على انها ستكون مقصورة على الصومال وان حروفها لا مثيل لها في العالم .. وفي سنة ١٩٦٦ اصدر احد الصوماليين ويدعى «شرى جامع» مجلة اطلق عليها « اِفْتِينْكا اَقْتَنْا » اى ضوء المعرفة وهى بحروف لاتينية ، وكما أن للحروف العربية انصارا . فهناك ايضا انصار لكتابة الصومالية بالحروف اللاتينية والحروف العثمانية وهناك كذلك فريق آخر ينادى باتخاذ العربية لغة رسمية للبلاد . ولقد وجه أنصار اللاتينية الطعنات الى اللغة العربية وحروفها من حيث قصور حركاتها بالنسبة للكسرة غير الخالصة والضمة غير الخالصة ويمكن بسهولة تمثيل الاولى كما ذكرت كالآتي ب (ٍ) والثانية وهي الضمة غير الخالصة ب (٥) ولو بحثنا الابجديتين العربية واللاتينية بطريقة علمية لاتضح لنا أن الابجدية العربية أنسب لكتابة الصومالية ، فالحروف اللاتينية في اللغة الانجليزية على سبيل المثال تتكون من ستة وعشرين رمزا ، سبعة منها حركة أو جزء من حركة مثل Aeicuwy والباقى تسعة عشر حرفا، في حين اننا نجد أن الابجدية العربية تستعمل كلها كحروف صامتة وقد يستعمل اثنان منهما حركتين طويلتين وهما الواو والياء . كذلك نجد أن الابجدية اللاتينية تنقص عن الابجدية العربية « الحاء ـ الخاء ـ الصاد ـ الضاد ـ الطاء ـ الظاء ـ العين ـ الغين » وتمثل بعض الحروف الاخرى بحرفين مثل الثاء والذال والشين وكل هذه امكانيات صوتية تتفوق بها الابجدية العربية كذلك يختلف نطق بعض الحروف من كلمة لاخرى مثل حرف C كما في School و Circle و حرف G كما في Give و Edge و Right

---

(١) بِ (٢) بُ (٣) بُن (٤) بُ (٥) بُ

وبالنسبة للحركات فالنطق بها غير ثابت كما في الامثلة الآتية Area, Man, Was وكذلك الحال بالنسبة للحركة O في Brother, Not, Word وكذلك الحال بالنسبة للحركة w لاينطق بها في How كالنطق بها في Lowوهناك عديد من الامثلة .

ومما يوجب استخدام الابجدية العربية انتشار الاف من « الدكسيات » وهى تشبه نظام « الكتاتيب » يتعلم فيها الاطفال الصوماليون الابجدية العربية على الواح من الخشب يبلغ طولها نحو مترين ثم يتعلمون القرآن الكريم . ولا شك ان استخدام العربية سوف يؤدى الى بقاء الوعى بالدين الاسلامى والمحافظة عليه لا سيما أن الشعب الصومالى شعب مسلم يحتاج دائما الى دراســة القرآن والدين بلغة الدين وهى العربية ودراسة الدين واجبة بنص الدستور . اما اذا اتخذت اى حروف اخرى غير العربية فقد يؤدى هذا على مر السنين الى الابتعاد التدريجي عن لغة الدين .

والواقع ان هناك علاقة كبيرة بين اللغة الصومالية واللغة العربية وان هذه العلاقة سابقة على الاسلام فكما يتكون المجتمع من افراد فكذلك تتكون اللغة من الفاظ او كلمات لكل شخصيتها القائمة بذاتها . وبعض كلمات اللغة أو افرادها تنتقل وتهاجر من لغة الى اخرى، وحدث ان هاجرت كلمات حضارية كثيرة من العربية الى الصومالية وقد اتضح لى من بحث قمت باجرائه ان نحوا من ثلاثين الى خمس وثلاثين في المائة من الكلمات الصومالية من أصل عربي وتصوملت واخذت طابع وخصائص الكلمات الصومالية من حيث الاشتقاق والتصريف كما يتضح من الامثلة الآتية : قلم = قَلِين ْ ، معلم = مُعَلِن ْ ، آدم = آدِن ْ والسبب في قلب الميم التى في نهاية الكلمة الى نون انه لاتوجد اسماء في اللغة الصومالية تنتهى بالميم ، والى جانب ابدال الحروف في بعض الكلمات العربية التى دخلت الصومالية تطالعنا بعض الكلمات العربية التى حدث فيها قلب مثل احسان = اسحان ، ابره = اربه .

والى جانب هذه الكلمات هناك الفاظ كثيرة عربية تتعلق بالشريعة الاسلامية دخلت كما هي في اللغة الصومالية مثل صلاة ، اخلاق ، اصحاب ، اصنام ، اسلام ، بريء ، بارود ، تقوى ، توحيد ، جاهل ، حرام ، حقوق ، حلال ، حكم ، خسارة ، دواة ، دولة ، رسول ، رؤيا ، رزق ، رخيص ، والى غير ذلك من آلاف الكلمات ، والى جانب الكلمات المشتركة هناك ايضا قواعد مشتركة مثل ما الاستفهامية والنافية كما توضح الامثلة الآتية :

ما رايت = ما آرَكِين

ما رايت ؟ = ما آرْكَتَى ْ ؟

كما تبدا بعض الافعــال الصــومالية بحــروف « أنيت » الدالة بشروطها على المضارع في العربية كالآتي :

أعرف = أقَانَا تعرف = تَقَانَا

نعرف = نَقَانَا يعرفون = يَقَانَين

يعرف = يَقَانَا تعرفون = تَقَانَين

أكون = أهَىْ ، يكون = يَهَىْ ، تكونين = تَهَىْ ، تكون = تَهَىْ ، يكونون = يَهِين ْ ، تكونون = تَهِين ْ ، نكون = نَهَى ْ .

ونلاحظ بين لغة شمال الصومال ولغة الجنوب اختلافا يسيرا لا يحول دون التفاهم ويتمثل هذا الاختلاف في بعض الكلمات الايطالية في لهجــة الجنوب وبعض الكلمات الانجليزية في لهجة الشمال نتيجة للاحتلال البريطاني لشمال الصومال سنة ١٨٨٣ والاحتلال الايطالي لاقليم الصومال الجنوبي سنة ١٨٩٦ ومن امثلة الكلمات الايطالية التى دخلت الجنوب كلمة «بكيرى» (٦) اى كوب . شِكُوَما = منشفة ومن امثلة الكلمات الانجليزية التى دخلت الشمال = غِلاَسْ = كوب ، تُوِل ْ = منشفة . ويلاحظ ان الاذاعة تلعب دورا هاما في تعميم بعض الالفاظ الاجنبية بحسب ثقافة المذيع ومن امثلة ذلــك كلمة استفتاء سمعت استِفْتَاء ْ كَا ورَ فَرَ نْدَ مْكَا ، والاخيرة ماخوذة من كلمة Roferendum الانجليزية مع اضافة اداة تعريف المذكر في نهايــة الكلمــة وهى « كا » .

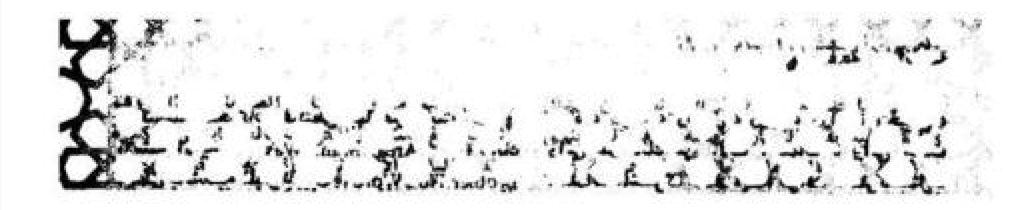
من هذا العرض السريع يتضح لنا ان علــى الصومال الافريقى المسلم ان يتخــذ الحــروف العربية ثوبا للغته ان لم يتخذ العربية لغة رسمية حفاظا على صلته بالاسلام وعلاقته بالعرب . ■■

محمد محمود أحمد محمدين

الصومال

---

(٦) بكيري



فتح العرب فرنسا وماوراء جبال البرانس

بقلم : نور الدين بن محمود

■ كان الملك شارلمان Charlemagne يعتبر الجالية اليهودية التى استوطنت نربونة Narbonne من اقدم الجاليات واشدها محافظة وتمسكا بشعائرها الدينية .

كان يرعى شؤون تلك الجالية ويتحكم في زمامها ملك متحدر من ارومة الملك داود عليه السلام ، ولما كان الملك شارلمان يعطف على تلك الجالية ويعتبر نربونة عاصمة روحية ليهود اوروبا قاطبة ، لجا لصديقه الخليفة العباسي هارون الرشيد ليرسل اليه من بغداد من يختاره خلفا لامير اليهود الراحل ، فلم يتردد الخليفة عن قضاء مأربه وتلبية طلبه لما بينهما من صداقة وود . فبعث اليه بالحبر اليهودى ملشير Melchir ليستقر بنربونة .

وهكذا دعم ملك الفرنج مركز الخلافة العباسية باروبا واعترف بأن اهل الذمة ما زالوا راجعين بالنظر الى خليفة المسلمين ببغداد . وتناسى عمدا امر الدولة الاموية بالاندلس التى احتلت جزءا من ارض نربونة وغيرها من البلاد .

فهو ارضى الخليفة العباسي بهذا السلوك الذى لا يخلو من ديبلوماسية واحكم الصلة بينه وبين الخلافة العباسية ليسدد الضربات الى خصومه الامويين المكتسحين لارضه منذ فجر القرن الثامن الميلادى .

واهدى الخليفة هارون الرشيد ساعة رملية لشارلمان ، ثم لعبة شطرنج ما زالت الى الآن محفوظة بجناح الاوسمة التابع للمكتبة الوطنية بباريس .

وجرى على هذا المسلك من قبل ، ملك الفرنجة



موقعة « بلاط الشهداء » كما تخيلها رسام فرنسي : المسلمون على يمين الصورة وجيوش شارل مارتيل على شمالها .

بيان القصير Pépin le bref لتأييد الخليفة المنصور العباسي ، اذ تبادل السفارات بين عاصمته ميتز Metz وعاصمة الخلافة ببغداد في سنة ٧٦٥ م . بينما تهاون بأمر السفراء الذين قدموا اليه في سنة ٧٦٠ م . موفدين من قبل الملك سليمان الاموى بالاندلس من اجل ابرام معاهدة صلح بينهما يضمن بموجبها الخليفة الاموى مصالحه البحرية بالابيض المتوسط .

هذان الحادثان التاريخيان الهامان ، لم اعثر عليهما في كتب التاريخ بالعربية سواء بالمشرق او بالمغرب ، ولا في كتب تاريخ الفرنجة المتداولة ، بل ظفرت بالرواية الاولى في كتاب احد المؤرخين اليهود ، وبالثانية في حوليات محفوظة بمتحف ميتز . وهذا ما يجعل كتابة تاريخ مفصل عن الفتح الاسلامي لفرنسا شاقة وعسيرة لندرة المراجع واستحالة العثور عليها في مظانها . ومع الجزم بان المعلومات التى اعرضها في هذا المقال صحيحة فانا جازم ايضا انها ناقصة وغير موفية بالقصد والموضوع .

يعتقد من درسوا التاريخ الاسلامي اعتقادا جازما ان العرب اقتحموا جبال البرانس فتصدى لهم شارل مارتيل Charles Mortel (المطرقة) ببواتيى Poitiers (بلاط الشهداء) في سنة ٧٣٢ م فهزمهم واستحق اعتراف النصارى بالجميل لانه نجّى اوروبا من دخول الاسلام لربوعها . تلك روايتهم . ولكن الواعين من رواة التاريخ يعلمون

ان موقعة بلاط الشهداء لم تكن حربا بل مجرد معركة الفيء والاسلاب ، وان المسلمين كسبوا بعدها معارك حاسمة جعلتهم يفتحون الجزء الاعظم من « الارض الكبيرة » . لقد بلغوا مشارف باريس عندما حاصروا سانس Sens التى لا تبعد عن عاصمة فرنسا سوى ١٦ ميلا ، ورابطوا بالربوع الفرنسية ثلاثة قرون باكملها بعد موقعة بلاط الشهداء .

حقيقة موقعة بلاط الشهداء

لما نشبت الفتنة بين العرب والبربر بالاندلس ، وكثيرا ما كانت تنشب ، استقدم عقبة والى الاندلس جنده المتوغل بغاليا La gaule (الارض الكبيرة) لقمعها فلما استعد الجيش لتلبية امر الوالي كان له العدو بالمرصاد .

دام الاستعداد من الجانبين ثمانية أيام اعقبته مناوشات محلية ، ثم بدات المعركة ببلدة تور Tours وانتهت ببواتيي (بلاط الشهداء) . واستخدم « شارل المطرقة » دهاءه فلم يواجه جيش الفاتحين من ميمنته ولا من ميسرته ، فضلا عن قلب جهازه ، بل فتنه بالهجوم على مستودع الفيء على حين غرة ، فاذا بالفاتحين يتخلون عن مواقعهم ويهرعون ذودا عما اكتسبوه من مغنم ، بينما كان لهم العدو متأهبا . وادرك قائدهم عبد الرحمن الغافقى حرج الموقف فركب جواده وخرق الصفوف ليستنفرهم وليردهم الى مواقعهم فأصابه سهم فاتك ، استشهد على اثره في ساحة الجهاد .

انتشر خبر وفاته فاصاب الجند الهلع ،وتملكهم الفزع.وتحتستار الليل فكروا فيالانسحاببنظام . فلما أصبح الصباحظن شارل مارتيلانهم سيجرونه لميدان يختارونه : فجيشهم لم يصب بخسائر فادحة ولم يهزم الهزيمة النكراء ولذا لم يجرؤ على ملاحقتهم كما وعد بذلك حليفه اود ـ دوق اكيتانيا Eudes. duc d' Aquitaine الذى تحالف مع شارل مارتيل ليمحو العار الذى الحقه به القائد عبد الرحمن الغافقي لما هزمه على ضفاف نهر الدوردون Dordogne .

ومما يؤيد روايتنا ان لقاء ثانيا حصل بين شارل مارتيل ـ الذى عززته جيوش اخيه ـ بعد موقعة بلاط الشهداء بخمس سنوات فقط ، فصده الفاتحون المسلمون عن دخول نربونة وافنيون Avignon وردوا جيوشهما مدحورة في سنة ٧٣٧م .

ويؤيده كذلك مرابطة العرب بدون انقطاع في ثلثى فرنسا مدة ٣ قرون مما جعلهم يتخذون من فرنسا قاعدة لفتح سويسرا La suisse باكملها وجزء كبير من الجنوب الايطالى واغلب جزر الحوض الغربى من المتوسط .

★ ★ ★

لماذا أغفل المؤرخون واخص منهم المسلمين ذكر هؤلاء الفاتحين ؟

أسباب اهمال المؤرخين لفتح فرنسا

ان لذلك اسبابا ، فالعداء المستحكم بين ملوك الاندلس الامويين ، وبين خلفاء الدولة العباسية ، جعل مؤرخى هذه الدولة يهملون امر هذا الفتح الذى قام على اعباء امراء من بني امية بالاندلس ومن بني الاغلب بالقيروان ، ثم بعد الشقة ، واستمرار الوقائع ، وعدم قيام دولة ، وعدم الاستقرار . اما أهم تلك الاسباب على ما نظن فهى أن فتح غاليا لم يكن الا تمهيدا لاحتلال أجزاء أخرى من الارض ، ولم تكن فرنسا سوى المعبر الطبيعى ، فلما لم يتحقق الا البعض من الهدف لم ير المؤرخون والمؤتمرون بامر ملوك بني امية وبني الاغلب حاجة لتدوين تلك الوقائع التى اصيبت في بدايتها بنكسة وكان الطابع الغالب عليها كرّ وفرّ وهجوم . ولم تستقر الاوضاع الا في مناطق بعينها استخدمت قاعدة فيما بعد لغارات مكنتهم من عبور الالب Alpes واحتلال سويسرا وجنوبي ايطاليا تحقيقا لهدفهم المنشود الا وهو الوصول لتخوم القسطنطينية Constantinople واقتحامها من خلف الحصون البحرية ، تلك الحصون التى عجزت عن دكها اساطيل الامويين بالشام والعباسيين ببغداد في حملات متلاحقة لم يكتب لها الفوز . فكان مطمح امراء بني امية جريئا غاية الجراة . ولما اخفق المشروع في نصفالطريق لعدة أسباب أهمل المؤرخون المغاربة شانه كما فعل زملاؤهم المشارقة ولكن لدوافع أخرى واعتبارات ثانوية .

ولما قامت الحروب الصليبية وحشد لها اساقفة فرنسا جميع القوى المسيحية الضاربة باوربا حرص مؤرخوهم على طمس معالم ثلاثة قرون من الفتح الاسلامي : من ٧١٠م الى ١٠١٩م . وذهب عند الناس مذهب اليقين أن شارل مارتيل اجلى العرب عن اوربا اجلاء تاما في ٧٣٢م بينما التاريخ يسفه اولئك المؤرخين ويتعرض لعدة وقائع سنذكرها باقتضاب رغم انها لم تأت في اي كتاب من كتب التاريخ مجتمعة بل هي مبعثرة في بطون الكتب والحوليات Annaks الاقليمية وشذرات متفرقة بلا عقدة أو تسلسل .

المعارك الحاسمة

في سنة ٧١١م والسنة التي تلتها انطلقت من نربونة وافينيون جيوش طارق بن زياد وفتحت عاصمة Lyon ليون . وما عتمت حتى احتلت منطقة ليون بتمامها وكمالها في سنة ٧٢٩م . وعاد اليها القائد عبد الرحمن بن الحكم في سنة ٨٤٥م. فاعادها لحظيرة الحكام العرب بعد أن اضطرب بها حبل الامن .

★ ★ ★

في مستهل القرن الثامن الميلادي عقد الخليفة عقبة (الذى تولى الحكم بعد موت عبد الرحمن وعبد الملك أميرى بنى أمية بالاندلس) بواسطة واليه على نربونة يوسف معاهدة تعاون وحسن جوار مع Riculphe ريكولف حاكم منطقة نيم Nimes ومع مورونت Moronte حاكم منطقة مرسيليا Marseille تهدف الى الهجوم على ايطاليا واقتسامها . وأقاموا معسكراتهم في مقاطعات البروفانس Provence والدوفيني Dauphiné .

★ ★ ★

وفي سنة ٧٢٦ م تمكن الفاتحون من احتلال الدوفيني وفي أقل من قرنين اقتحموا ايطاليا (سنة ٩٠٦م) وسلكوا مسلك التحالف مع جيرانهم الاقوياء .

مهد الفاتحون لحملتهم الايطالية فاقتحموا جبال الالب سنة ٩١١ م . واعتصموا بها وشيدوا القلاع والحصون . ومهدوا لها قبل ذلك بمدة طويلة لما قام قائدهم عنبسة في ٧٢٥ م . باحتلال



خارطة تبين امتداد الفتح الاسلامي لفرنسا في القرن الثامن المسيحي : وقد شمل ثلثي فرنسا ، وسويسرا وجزر البحر المتوسط (الحوض الغربي) . ووجدنا من العبث ترجمة أسماء المدن الفرنسية .

ضفاف الرون Rhône وتحصينها بالرباطات ودعم حصون قرقشونة Carcassonne التي انطلقت منها جيوشه . ولكن فاجاه الموت سنة ٧٢٦ م فخلفه القائد عذارة الذى رأى من حسن السياسة العدول عن المناوشات والعودة الى الاندلس .. ولما عاود الفاتحون الكرة واحتلوا

سلسلة جباب الالب اصبحوا يشرفون على كل المعابر الجبلية بالالب من نهاية القرن التاسع الى الثلث الاول من القرن العاشر (٩٢٧م) . وبعد تفكير قرر سكان الالب العليا والسفلى التعاون مع الفاتحين العرب تفاديا من هجمات الفرنك الجرمان Germains - Frnce واللمباردين الطليان Lombards . فلما نجحت سياسة التآخي مع الاهالي سكان المنطقة استعد الفاتحون سنة ٩٢٩م لعبور التخوم الفرنسية الايطالية والسويسرية فبلغوا حدود ليغوريا Ligurie الايطاليةوفتحوا بسويسرا مقاطعات فالي valais والفريزون Grisons ودخلوا جنيف Geneve في سنة ٩٣٩م. تم لهم هذا الاكتساح المظفر في مدة عشر سنين .

ولما شنت ضدهم الدولتان هجومات عنيفة صمدوا لها بفضل ايمانهم وبفضل المساعدات التى كانوا يتلقونها من اخوانهم وجيرانهم عن طريق البحار والانهر بواسطة المراكب وسفن الاسطول .

كان القائد العبقرى موسى بن نصير مدوخ الاندلس اول قائد اسلامى وطئت فرسه ضفاف الرون في سنة ٧١١ م . وفي سنة ٧٢٥ م . سار على هديه القائد عنبسة فحاذى الضفة الجنوبية للنهر الكبير « الرون » ووجهته بورغونيا ourgogne وسلسلة جبال الالب . وقبل ان يدركه الموت سنة ٧٢٦ م كان قد اخضع المناطق الواقعة غربي ذلك النهر وابرم مع اقيال المنطقة الفرنسيين معاهدات ولاء وصداقة . وبذلك تمكن الفاتحون من تشييد رباطاتهم التى كانت كلها تعتمد على القاعدة الدفاعية الكبرى بمدينة آفينيون التي أصبحت بعد الجلاء مقر البابوات . وقام بحملات استطلاعية صوب الشمال مستهدفا الاستيلاء على الاسطول النهرى المعادى تفاديا من مباغتة محتملة يقوم بها العدو مستعينا باسطوله النهرى .

★ ★ ★

وهكذا تتضح الخطة الاسلامية من اكتساح فرنسا منذ السنوات الاولى للفتح الاسلامي والتى تهدف اولا بالذات لغزو ايطاليا وسويسرا والتقدم صوب تخوم القسطنطينية . اذ لو كان هدفهم الوصول لباريس لما صدتهم عن ذلك حواجز طبيعية كالتي اعترضتهم لما حاولوا عبور التخوم الفرنسية الايطالية الا وهي سلسلة جبال الالب الشاهقة وطقسها الشتوى الرهيب حيث لا تنقطع عن قممها الثلوج صيفا وشتاء .

في سنة ٧١١م. انطلقت جيوش طارق بن زياد من نربونة واستطاعت أن تدخل المدينتين الكبيرتين آفينيون وليون . ولما خلف طارقا القائد يوسف شرع سنة ٧٢٤ م في اقامة سلسلة من الاستحكامات حول المدينة وخارجها حتى ضفاف نهر الرون بعد ان وثق من موورونت Moronte دوق مرسيليا الذى ابرم معه معاهدة . واصبحت افينيون بعد ذلك قلب الجهاز الدفاعي الذى تعتمد عليه الرباطات جميعا والمواجهة للضفة الشمالية على ضفتي نهر الرون الواسع .

ملابسات الفتح

من دراسة الوقائع التاريخية تتجلي لنا الحقائق التالية :

١ — ان الفاتحين موسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي وابن مغيث الرومي حرصوا جميعا على الاستيلاء على الثغور الرابطة بين فرنسا وتخومها الايطالية والسويسرية والاسبانية : معبر مودان Modane ومضيق سان برنار الكبير المتحكمين في جبال الالب الايطالية ورونسفو Roncevanx المتحكم في جبال البرانس على الحدود الاندلسية وسارازان على الحدود السويسرية . كما وثقوا من الاستحكامات التي اقاموها على ضفة الرون الجنوبية وحول نربونة وآفينيون حتى يتفادوا المفاجآت من الداخل والخارج .

٢ — عقدوا معاهدات تعاون وحسن جوار مع دوق مرسيليا « موورونت » ومع حاكم نيم « ريكولف » وتعاونوا مع الباسك Basquge واستخدموا اليهود ليتفادوا الخطر الداهم ويتمثل في الفرنك الجرمان واللمبارد الطليان والنورمان Normands وشارلمان صديق العباسيين . وفعلا نجحوا في عدة مواقع فهزموا شارلمان وشارل مارتيل وكان كلاهما قد ضم اليه جيوش ابن عمه (شارلمان) او اخيه (شارل مارتيل) في معارك ذكرها التاريخ وملحمة رولان الشعرية .

٣ — السبب الرئيسي الذى عجل بسقوط الفتح

الاسلامي يعود لعدة عوامل : ضعف الخلافة بالاندلس التي اصبحت نهب الفتن ، وشماتة الخلفاء العباسيين وبعد دارهم ، وقيام حملة اوربية شاملة تزعمها البابا متمثلة في الحروب الصليبية التي بدات بقيادة أوربان الثاني Urbain II ١٤ اغسطس١٠٩٥ برعايةملك فرنسا لويس الحادي عشر الملقب بالقديس والذي قاد فيما بعد الحملتين السابعة سنة ١٢٤٨ م واسر في اثنائها بالقاهرة والثامنة سنة ١٢٧٠ م ومات في اثنائها بالضاحية التونسية على مقربة من سيدي ابي سعيد ، قبل تحقيقها .

٤ ـ ساهمت في فتح فرنسا قوات عبرت جبال البرنس قادمة من الاندلس ومعظمها من العرب والبربر ، ثم قوات جهزها بنو الاغلب بالقيروان ففتحت صقلية Sicile وكرسيكا ثم قصة العاصفة البحرية التي يرويها التاريخ كما يلي : أثناء مبارزة بين امير واحد الشبان الاثرياء باحد ميادين الاندلس،هزم الشاب اميره وجرحهبالرمح في وجهه فخافت عائلة الشاب مغبة هذا التصرف وعاقبة حقد الامير ففررت الرحيل . وانضم لاسرة الشاب جميع الاصهار . وركبت الاسرتان في سنة ٨٨٩م مركبا شراعياووجهتهما سوريا . والد الشاب ووالد الفتاة من أثرياء الاندلس المرموقين كانا قدما من دمشق للاتجار في التجارة والصياغة فنقلا ما خف حمله وغلا ثمنه . وثارت عاصفة هوجاء بالبحر في وجه الثمانين راكبا ولم ير الربان مخرجا سوى محاذاة الشاطىء فاذا بالاقدار ترمي بمركبهم على السواحل البروفانصية الفرنسية . وتحطم المركب على الصخور فحمدوا الله وشكروه على نجاتهم . وطاب لهم المقام بتلك المنطقة فشمروا عن ساعد الجد ووفروا لانفسهم وسائل الاستقرار والاقامة وباشروا مهنتهم فالاخشاب متوفرة بالغاب والاصباغ في الجراب . وبعثوا لاصدقائهم بالاندلسيطمئنونهم على وضعهمالجديد ويستقدمونهمللموطن السعيد : فقدم في شهر نوفمبر من تلك السنة جماعات عمرت غريمو Grimaud وسان برويز والفاردفريني Gdrde - Freinet . واصبح الساحل اللازوردي ارض هجرة ومقام في وجه مهاجري الاندلس فبنوا الاستحكامات والرباطات واقاموا هناك زهاء قرن من سنة ٨٨٩ الى ٩٧٥ م . وهكذا استطاعوا بفضل تلك الحصون التي انشأوها من

LES SARRASINS DANS
LA VALLÉE DE L'ARDÈCHE
AU VIIIe SIÈCLE

VIENNE
Colline du Castellet
Andance
Sarrasinière
TOURNON
Isère
Soyons
La Voulte
Le Pouzin
PRIVAS
Ardèche
Aubenas
Rochemaure
ARGENTIÈRE
Vinezac
Balazuc
Joyeuse
Rosières
Dent de Rez
Viviers
Drôme
Lagorce
St Remèze
Comps
Vallon-Pont-d'Arc
Beauregard
Bourg-St Andéol
Beaulieu
St Marcel
St Just
PLATEAU DE St REMÈZE
Aygues
Cèze
Centre de résistance
0 10 20 km.

خارطة تبين مواقع الاستحكامات وبقية الرباطات التي شيدها العرب قرب نهر الارديش Ardeche بالقرن الثامن المسيحي

التوغل شرقا وشمالا ومن احتلال مودان Modane ومضيق تيند Tende وقاب Gap وامبرين

Embrun وبرسلونات وايز Eze قرب نيس وبفضلها ايضا عبروا الحدود الجبلية الالبية واحتلوا منطقة وادى اوست بايطاليا Vallée D'Aoste .

٥ ـ يذكر التاريخ ان المسلمين استخدموا في غزوهم الخيول المطهمة في اول الامر . ثم بنوا القلاع لترسيخ اقدامهم وتامين بقائهم سواء بالمدن او الجبال او على ضفة الرون . ومن بعد ذلك استعملوا في هجوماتهم على المدن المنجنيقات المجرورة . فبالقرب من باريس على مسافة ١١٦ ميلا حاصروا بلدة سانس . ويقول المؤرخ بابيون Babilion ان الراهب ابيون Ebbon تزعم حركة المقاومة لصد غارات الفاتحين الذين طوقوا المدينة واقتربوا من الاسوار في عربات خشبية تحمل المنجنيقات فلجأ الى الحيلة واشار على حرسة الاسوار باملاء العربات نارا لاحراقها بواسطة المشاعل المقذوفة من اعالي السور سنة ٧١٢ م فصدوا طلائع طارق عن اكتساح المدينة . وعاود المسلمون بعد ذلك الكرة سنة ٧٢٦ م .

٦ ـ عامل المسيحيون اسارى المسلمين بعاطفة انسانية اذا قارناها بالسلوك المتبع في حروب تلك العصور . والظاهر ان الجزاء كان من نفس العمل فعامل المسيحيون اسرى المسلمين بشيء من الرحمة كما عاملهم المسلمون قبل ذلك ولما دارت الدائرة على المسلمين سنه ٧٣٧ م بميدان بوارون Boiron استخدموا الاسرى المسلمين بالحقول . ولما حدثت فتنة سنة ٧٥٣ وتزعمها المسلمون في المناطق التي يحكمها بيبان القصير بعث بالثائرين الى مناجم الفضة بمنطقة صيفين Cevennes . اسوة بما فعله شارل مارتيل سنة ٧٣٧ م الذى بعث بهم لمناجم الفضة بلارجنتيار Largentiére .

٧ ـ خلفت الحرب من المآسي والمذابح ما اضفى على موقعة بواتيي كلمة توحي بالدماء والفداء والاستشهاد : بلاط الشهداء . وخلفت السياسة التى اعقبت الحرب شهيدى غرام . هما القائد البربرى مانوسة وزوجه الجميلة لامبيجي Lampégie يذكر نهايتهما سكانٌ مون ـ لوى Mont - Louis فتذرف عيونهم دمعا ساخنا .

لما قرر ملوك الاندلس سلوك سياسة الاخاء بالاراضي المحتلة رأى القائد البربرى لما حطت جيوشه باكيتانيا Aquitaine ، أن يخطب ود الدوق الحاكم في ربوعها واسمه اود Eudes فزوجه هذا الاخير ابنته . وماعتمت السياسة حتى قلبت لهما ظهر المجن فصدرت الاوامر من الاندلس بتغيير السلوك بالاراضي المفتوحة وجاء من الاندلس للقائد مانوسة امر بالكف عن تلك السياسة والاقلاع عن مسلكه الاول . فوجد نفسه امام امرين اما ان يتنكر لزوجه واصهاره ومنهاجه السياسي واما ان يخون اميره وسياسة وطنه العليا . فلم يجد مناصا من الانتحار ولما اعلن لزوجه الجميلة عن عزمه الميئت آثرت ان تقاسمه نفس النهايةفماتا شهيدى الحب والواجب ودفنا جنبا لجنب بالمقبرة التى طمست فيما بعد وشيدت عليها كنيسة .

أسباب ضحالة الآثار

ان الملابسات التي اقترنت بفتح الارض الكبيرة والطابع الذى اتسمت به تجعل الآثار قليلة نادرة بخلاف ما حدث بالاندلس . كانت الارض الكبيرة في نظر امراء الاندلس معبرا لاحتلال غيرها من البلاد (كايطاليا وسويسرا) بغية الوصول للهدف الاسمى وهو احتلال القسطنطينية التى كانت شجى يمنع توغل القوات الاسلامية . وهذا ما يفسر لنا ضحالة الآثار الاسلامية والعربية بفرنسا : اقاموا مساجد وقلاعا بالمدن التي فتحوها وخارجها ، ومرفأين شقوهما بماغيلون Maguelonne قرب مرسيليا وسان تروبيز Saint - Tropez قرب نيس . ومقابر وحمامات . ولكن التعصب الديني الذى سبق الحملات الصليبية محا تلك الآثار . فشيدت الكنائس على انقاض المساجد ثم دكت المقابر دكا وانهارت القلاع بحكم تقادم العهد اذ مضى على غالبها اكثر من عشرة قرون . اما وسائل الحضارة والازدهار فبقي بعضها بفضل اقامة التجار الاندلسيين بفرنسا وهم الذين رمت بهم الاقدار والعاصفة على الساحل اللازوردى فشقوا الترع وبنوا المصانعواكتشفوا مناجم الفضة واحتاجوا للقطران لطلاء سفنهم فغرسوا الاشجار وعنوا بزراعة الثمار وجاءوا بحضارة سوريا والاندلس الى تلك الربوع .

اما في الميدان الروحي والعلمي والادبي فكان

تاثيرهم اوضح واغنى. وكان المستفيدون من ذلك في المقام الاول اليهود أخذا وعطاء . اى أخذوا ما وعوه عن المسلمين ونقلوه للمسيحيين .

مسجد نربونة

قريبا من قصر الاساقفة القديم وبباحة القديسة مادلين Sainte Madeleine تبدو للعيان آثار مسجد نربونة الجامع . وعلى الرغم من حرص الصليبيين على طمس جميع المعالم الاسلامية فان آثار المسجد ما زالت تصارع الزمن وتقلبات الدهر . يشاهد الزائر الآن بالناحية الغربية « المحراب » وتحيط به اقواس الاروقة وكذلك يشاهد البئر والساقية كان يستعملهما المصلون للوضوء وحول المسجد مقبرة للمسلمين .

هذا المسجد اوصى بتشييده الخليفة بالاندلس الوليد الاموى . وعند اجراء الحفريات عثروا على قطع زجاجية وخزفية مطلية وقطع من الزليج لتغطية القاعات . وكلها محفوظ بمتحف سيفر Sévres بضاحية باريس .

وكانت لنربونة مكانة سامية في نفوس المسلمين لعدة أسباب : كانت ركيزة لهم في اعمالهم الحربية تتحكم في جميع استحكاماتهم . فلما فتحها المسلمون اول مرة سنة ٧١١م نقض اهلها العهد فارسل عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٧١٤م جنده منطلقا من اشبيلية فحاصرها القائد الحر ثم السمح الذى دخلها سنة ٧١٩م ونزحت اليها اسر كاملة من المغرب لتعمرها فغرست حولها لاول مرة الرمان والتين والخرنوب . وما زالت تحمل شوارعها اسم القائد العربي السمح محرفا : زاما Zama.

وصوّبت ضدها حملات شقيق شارل مارتيل (شيلد براند Child Brand) سنة ٧٣٧ وبيبان القصير سنة ٧٥٢ فاخفقت. وما زالت مواقع بيش ماهو Pech - Maho بجزيرة اوط Iledel'aute وقريبا من قرى ريبو Ripaud تضم رفات المحاربين المسلمين . غير ان خيانة الاهالي الذين ذبحوا جميع القاتلين المسلمين غدرا سمحت لبيبان القصير ان يدخلها من ابوابها بعد خيبته الاولى بسبع سنوات اى سنة ٧٥٩ . فلم يهضم الخليفة هشام الاول الاموى هذه الكارثة وظروفها البشعة فعهد لقائده عبد الملك بن مغيث بفتحها ، وتم ذلك سنة ٧٩٣م . واوصاه بنقل التراب من اسوار نربونة الى قرطبة وبنى مسجدا بذلك التراب الذى طهرته دماء المجاهدين الزكية .

قرية محمد (صلعم)

وهناك اثر ثان جدير بالاشادة وحرى بالتنويه وهو مسجد أسسه احد النبلاء كان شارك في الحملات الصليبية واسمه بيار دانغلير Pierre D'anglure كونت بور سيمونت Conte De Bourcémont . فلما وقع بالاسر تعرف على اخلاق المسلمين وهداه الله لدينه الحنيف فلما عاد لموطنه في القرن الثالث عشر بنى المسجد واطلق على الموضع الذى عاش فيه اسم محمد (صلعم) Mahomet وهو واقع في الطريق الكبير الرابط بين رانس Reims وقطر اللكسمبورج Duché du Luxembourg.

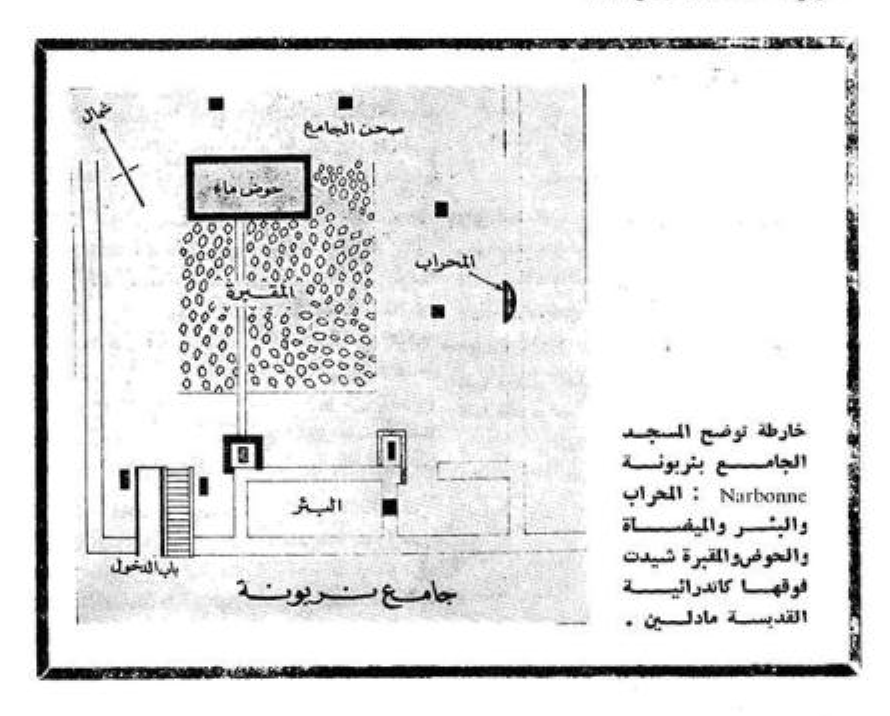
آثار اخرى

وتوجد بقصر امبواز Amboise حيث قضى الامير عبد القادر الجزائرى مدة في المنفى بعض الآثار التي خلفها بالقصر ويحافظ عليها الآن حفيد ملوك فرنسا كونت باريس. كما ترك الامير عبدالقادر ببلدة بو Peu عدة رباع اوقفها في سبيل البر وهي راجعة للمسلمين غير انهم بنوا فوقها عمارات .

وفي بربينيان Perpignan عثروا على دنانير عربية بعضها بالحروف العربية واخرى بالحروف العربية واللاتينية مؤرخة في ٧٤٤م وعلى دراهم مؤرخة بسنة ٧٦٢م و ٧٧٤م .

اما الآثار المتبقية بالكنائس فهي اجل من ان تحصى فجميع الكنائس القديمة التي هي من الطراز الرومانى Rohan فيها تقليد ونقل للفن الاسلامي في الهندسة ، وفي غيرها توجد تماثيل العذراء السوداء التى تذكر بالسحنة العربية مع العلم بان المشتركين بالحروب الصليبية عادوا بأقمشة وحرائر وتحف نسبوها للسيدة العذراء ولبيت المقدس .

طبع الفتح الاسلامي لفرنسا بطابعه الممتاز الحياة الروحية والفكرية والادبية بطابع لايمحى



خارطة توضح المسجد الجامع بنربونة Narbonne : المحراب والبئر والميضاة والحوض والمقبرة شيدت فوقها كاتدرائية القديسة مادلين .

بينما لم يخلف من الآثار القائمة مثل ما خلفه بالاندلس بسبب تعاقب الفتن وتوالي المحن وتحكم العصبية الدينية في النفوس بسبب اندلاع نيران الحروب الصليبية .

من الآثار الادبية الملحمة الفرنسية الكبرى واسمها قصيدة رولان Chnson de Roland وهي التى تذكر بهزيمة شارلمان لما عبر جبال البرنس لنجدة نصارى كاتالونيا فتصدى له العرب والباسك بمعبر رونسفو الجبلي ومزقوا مؤخرته شر تمزيق ومات ابن اخيه رولان امير معابر بريطانيا الفرنسية ولم تفده استغاثاته شيئا .

ثم ان الدائرة دارت على المسلمين بعد ثلاثة قرون من الفتح فاسر خلق كثير بعثوا بالبعض لخدمة اراضي النبلاء او لاستخراج الفضة من الارض او استخدموهم عبيدا . ويذكر التاريخ ان ارنولد Arnold اسقف نربونة باع عبيده المسلمين جميعهم في سنة ١١٤٩ الى اسقف بيزيه . كما يذكر ان الدوق روني دانجو René D'anjou امير بروفانس اشترى سنة ١٤٨٠م ثلاثة من العبيد المسلمين ولعلهم من احفاد العبيد المسلمين الذين استمروا في حياة الرق مفضلينها على المروق عن دينهم الاسلامي وعلى اعتناق دين المسيح عليه السلام .

على ان البعض من الاسرى ممن ضعف ايمانهم تنصروا وعاشوا يحملون اسماء عربية وسحنة سمراء . ومن بين احفاد هؤلاء السيد ابو زيد Abou zit وكان والده وجده من الاطباء النابهين عاش بطولوزه وآمن بالبروتستانتية . فلما اضطهد لويس الرابع عشر جميع البروتستانت لجا مع اللاجئين الى سويسرا واستقر بجنيف وذاع صيته فيها لتبحره في العلوم وتوطدت الصداقة بينه وبين المفكر الفرنسي جان جاك روسو J.J. Rousseau والفيلسوف الساخر فولتير Voltaire . وتبودلت بينهم الرسائل واعترفت جنيف بقيمته العلمية فعينته حافظا لمكتبتها ، ولما مات اطلقوا اسمه على اكبر شارع بالمدينة .

وفي عهد الملك هنرى الرابع الفرنسي عبر جبال

البرنس مائة وخمسون الفا من الاندلسيين المسلمين فارين بدينهم من حملة التنصير التي شنها فيليب الثاني الاسباني فتدخل السلطان التركي لفائدتهم ونقلوا الى المغرب العربي غير ان البعض منهم فضل البقاء بفرنسا وكانوا النواة الاولى للمستوطنين المسلمين بها والذين يبلغ عددهم المليونين تقريبا في الوقت الحاضر .

ودخل فرنسا الاف من القيان والجوارى عقب انهزام المسلمين بموقعة بارباسترو Barbastro في ايطاليا سنة ١٠٦٤ م . واسرهن خليفة البابا الاسكندر الثاني فتوزعن بين نورماندى بالشمال الغربي من فرنسا وبجنوبيها بمقاطعات بورغونيا Bonrgogne وبروفانص واكيتين وكان من بينهن مطربات وراقصات اثرن في حياة الفن واسهمن في النهضة الموسيقية .

ولما اعجب النبلاء بفن تلك القيان ارادوا التعمق في دراسة الموسيقى العربية فنقلوا كتب الكندى الموسيقية الى اللاتينية واستوحوا منها موسيقاهم القديمة . واستعملوا الات للطرب لم يعهدوها من قبل كالعود والرباب والناى والصنجات وجميع الالات الوترية ثم القانون الذى ابتكره الفارابي في منتصف القرن العاشر .

وفي الميدان الزراعي احدثوا بفرنسا زراعات كثيرة كالخوخ والرمان واللوز والبرقوق والبرتقال والموز والكستناء والتمر . واستعملوا لاول مرة بها الناعورة للسقي وغير ذلك .

ويضيق هذا المقال عن سرد جميع محتويات المتاحف والمكتبات العامرة بالاثار والكتب والمخطوطات والنفائس العربية ، وجرد اسماء الكتاب الذين تاثروا بالشرق وكتبوا في شانه الدراسات كما يضيق عن ذكر اسماء الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ويكفينا ان نقول في خاتمة هذا المقال ان ترجمات معاني القرآن الكريم التي ظهرت من القرن الحادى عشر الى الآن بلغت الاربعين وان الكتب التي تعرضت لسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ورسالته التوحيدية اكثر من ذلك بكثير . ■■

باريس — **نور الدين بن محمود**
الصحفي التونسي

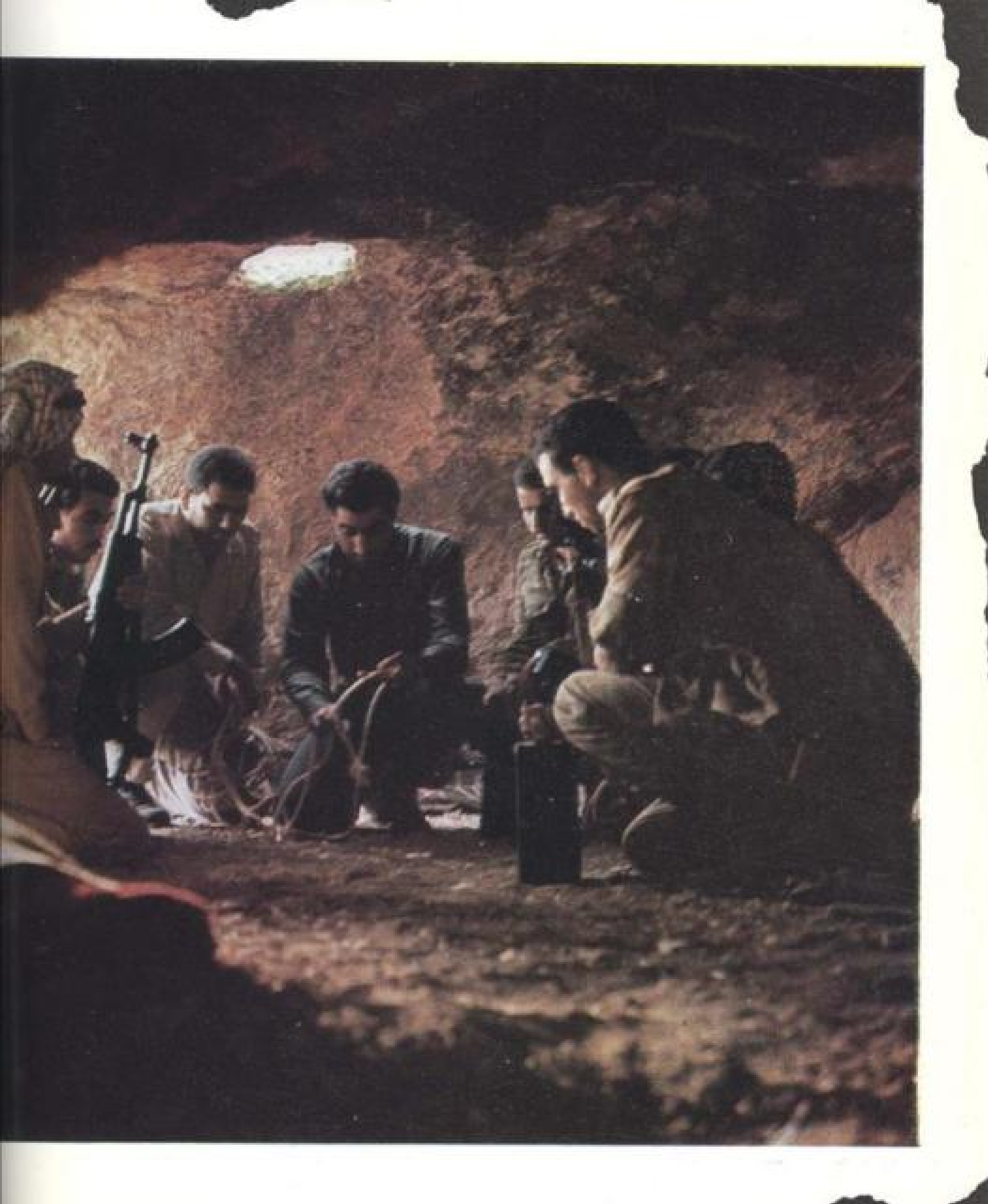
● **كتب تلميذ يعرّف العمود الفقرى : « العمود الفقرى ، سلسلة طويلة من العظام ، رأسك يجلس على احد طرفيها ، وأنت تجلس على الطرف الآخر ؟ » .**

● **ضل طفلان طريقهما في الصحراء ، وكان أحدهما ابن واعظ المسجد . وعندما أوشك الظلام أن يهبط ، شعر الطفلان باليأس ، وعندئذ ركع ابن الواعظ على ركبتيه ورفع يديه الى السماء قائلا : أنت تعرفنى طبعا يا رب .. أنا ابن الشيخ أمين ! .**

● **كان يجد صعوبة كبيرة في الاستيقاظ مبكرا ، فذهب الى طبيب وصف له دواء . وتناول الرجل الدواء ، ونام نوما هنيئا ، ثم استيقظ في الصباح قبل أن يسمع جرس المنبه . وذهب الى مقر عمله باسما ، وقال لرئيسه : انني لم أجد صعوبة في الاستيقاظ هذا الصباح .. فقال المدير : هذا جميل .. ولكن هل لي أن أعرف لماذا لم تأت الى العمل أمس ؟!**

"اتبعني"

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
أوسكار متري





هكذا يقول:

الفدائي الفلسطيني الثائر



الفدائيون يقولون:
بأجسادنا نَبْني جُسورًا
لعودة العائدين.

●

١٥ ألف متطوع،
بعد معركة الكرامة.

●

حديث مع أبو عَمَّار.
يستمر حَتَّى الصَّباح.

■ عشرون عاما مضت وهم يبحثون عن الطريق الذى يعيدهم الى منازلهم ..

عشرون عاما قضوها وهم يظنون انهم يسيرون على الطريق الصحيح ، فاذا بهم يجدون انفسهم يسيرون فى الاتجاه العكسي المؤدى الى ابعد نقطة من منازلهم ..

لقد عانوا خلال العشرين عاما الماضية ، اقسى صنوف العذاب : من تشرد وتشتت واضطهاد .. بدات نكبتهم عندما اخرجوا من منازلهم عام ١٩٤٨ ليعيشوا تحت خيام نصبت لهم فى ضواحي مدن اريحا ونابلس وطولكرم .. وغيرها ... وجاءت النكسة ومعها هجرة ثانية مع خيامهم الى اغوار الاردن على الضفة الشرقية للنهر المقدس .. ولم يعبا العدو بحالهم فامطرهم بوابل من صواريخه وقنابله المحرقة ، فكانت هجرتهم الثالثة من الاغوار على عمق ٤٠٠ متر تحت سطح البحر ، الى رءوس الجبال على ارتفاع ٩٢٠ مترا ..

لماذا يا رب ؟

ومن تحت الخيام ارتفعت الايدى والزفرات تناجي خالقها : « لماذا يا رب نطرد من ارضنا ليتمتع بها وبخيراتها غيرنا .. ؟ » .

وكانما استجاب الله لدعاء الثكالى واليتامى المشردين فنفخ فيهم روحا جديدا .. وفتح عيونهم ليروا معالم الطريق الذى بدأ العمل الفدائي السير عليه منذ مطلع عام ١٩٦٥ فالتفوا حوله واحتضنوه ، وهكذا عرف الشعب الفلسطيني طريقه ، وشعر انه لا يحك جلدَه مثلُ ظفره وان عليه تولى مسئولية امره .

وكان الطريق متعرجا تملؤه الفجوات والعراقيل والاشواك .. انه طريق الفداء والتضحية .. ولم يتردد الفلسطيني فى السير عليه وبدأ طابور الشهداء يزيل عقباته ويسد فجواته باجساد مؤمنة طاهرة ، آلت على نفسها أن تكون جسرا تمر من فوقه قوافل العودة ..

« احنا حلفنا .. واحنا زحفنا .. كل العالم ما يوقفنا .. » النشيد الحماسي الذى يردده أشبال « فتح » وهم يتدربون على السير الطويل وحمل السلاح ..





اطفال صغار في عمر الزهور يستمعون الى « الفدائي الكبير » يقول لهم : « ان الخيام ليست منازلكم .. وانما منازلكم اغتصبها العدو بقوة السلاح .. لهذا يجب أن تتدرب لتطرده بقوة السلاح » .

حديث من القلب

وكان الفلسطينيون شديدي القسوة على انفسهم ، فراحوا يحملونها على التمرس واليقظة والعمل الدائب واعداد الصغار للسير على درب الثورة .

وقبل غروب الشمس مساء كل يوم يجلس الفدائي الكبير في معسكر « فتح » للاشبال ، وسط حلقة من الاطفال ، ويبدأ في التحدث اليهم ، حديثا نابعا من قلبه الكبير الجريح :

« يا ابنائي .. هذه الخيام التي تعيشون تحتها اليوم ليست منازلكم .. ان بيوتكم هناك وراء الجبال .. حيث لكل واحد منكم أرض أو بيت أو بيارة أو كرم عنب .. وجاء العدو فطردنا بقوة السلاح من أرضنا ، لهذا يجب أن نطرده بقوة السلاح أيضا .. يا ابنائي .. ان اليهود شعب لا نكرهه ، ولكن لأنه اغتصب منزلي واحتل وطني فأنا مضطر لمقاتلته .. اننا نكره الحرب ، كما يكرهها كل انسان يملأ الخير قلبه ، ولكن بقاء الوجود الصهيوني على أرضنا .. بقاء اسرائيل في بلادنا يفرض علينا الحرب ، لان انتصار الصهيونية لا يعني السلام .. ومن أجل تحرير بلدنا الجميلة جئنا الى هنا .. جئنا من أجل التدرب لتحقيق النصر .. » .

وينتهي الفدائي الكبير من حديثه ، فيسرع ابطال المستقبل في خطواتهم لينضموا الى اخوانهم الاشبال في طابور المساء ، وتنطلق من حناجرهم الصغيرة اغنيتهم الحماسية : « احنا حلفنا ..

نفوس أبية وسواعد قوية .. وأسلحة فعالة تعمل لتحرير الارض الفلسطينية من الوجود الصهيوني الاستعماري التوسعي بإرادة ثورية مؤمنة بحقها في الحياة الكريمة فوق وطنها .. متخذة الكفاح المسلح وسيلة وحيدة للتحرير كنتيجة حتمية لطبيعة الوجود الصهيوني العدواني، ان هذه السواعد القوية التي بدأت في ٦٥/١/١ على شكل زُمر فدائية قد تحولت بسبب وضوح « الطريق » وتفاعل الجماهير ، الى مجموعات مسلحة تشكل نواة لجيش الشعب المنتظر ، الذي سيخوض معركة التحرير النهائية بدعم وسند من الجيوش والقوى العربية ان شاء الله .. والصور المنشورة على هاتين الصفحتين تمثل بعض الأسلحة الحديثة التي يستعملها الفدائيون .



واحنا زحفنا .. كل العالم ما يوقفنا .. » .

نعم .. لم يعد احد يستطيع ايقاف شعب صمم على العودة الى منازله ..

اتبعني حتى النصر

ووسط هذا الجو المفعم بحرارة الفداء والتضحية ، وعلى بداية طريق العودة ، سارت بعثة « العربي » تسجل لك لأول مرة صورة حقيقية واقعية عن حياة اخوة لك .. اخوة اختلطت عندهم معاني الموت والحياة .. فاصبح الموت يعني الحياة .. والحياة تعني الفداء ! وشعارهم : « ايعني حتى النصر .. الثورة حتى النصر .. » .

« افتح ذراعيك لي يا بلدى .. »

وعند الكتابة عن الفداء تتزاحم عناصر هذا الموضوع المتشعب ، كل منها يريد الانطلاق قبل غيره .. ولكن لا ، فقد حان الوقت الذى يسكت فيه القلم ليسمع صوت الفدائي ومدفعه ..

لقد تخلى الفدائيون عن اقلامهم ، واستبدلوا بها المدافع .. لقد تبدلت حياة هذا الشعب الذى كان يعشق الشعر والأدب ، واصبحت المعركة هي ادبه وشعره لا اساس لهما الا فيها ، ولا ينبعان الا منها ..

وفي المسرحية الوطنية « الطريق » نجد مثلا رائعا لادب المعركة الجديد قدمه شباب المسرح الفلسطيني وضمنه نقدا قاسيا مريرا لكل مظهر من مظاهر الحياة التي الفناها ، كقول احدهم لفتاة : « الا تخجلين من وضع أحمر الشفاه على شفتيك ، بينما تغطى حمرة الدماء شفاه شهدائنا .. » .

ويتجه الممثل الى المتفرجين ويقول : « وانتم ما الذى تفعلونه هنا .. ان مكانكم ليس هنا ؛ وانما هناك .. هناك حيث العدو الغاصب .. » .

وتنتهي المسرحية بمشهد يضم مجموعة من الشباب المثقف والعمال والفلاحين والأدباء ، فضلا عن الفتيات ، يرفعون ايديهم مخاطبين وطنهم قائلين : « افتح ذراعيك لي يا بلدى .. اني قادم اليك بقلبي وروحي ووجداني .. » .

اسئلة بالجملة

ويتعرض المتصل بالعمل الفدائي الى العديد من الأسئلة ، يطرحها عليه المواطن العادى الذى يسأل بلهفة : « كيف حال الفدائيين .. هل صحيح ما نسمعه عن بطولاتهم ؟ .. ما وجه الدقة في بلاغاتهم العسكرية ؟ كم عدد المنظمات الفدائية حاليا .. لماذا لا يتحد بعضها مع بعض ؟ .. ما سر خلافها ؟ .. هل عندهم القدر الكافي من الرجال والعتاد ؟ .. هل .. وهل .. وهل ؟ .

عشرات الأسئلة اصبحت تشغل فكر المواطن العربى الذى كاد يشك في قدرتنا على الانتصار ـ ولو في معارك صغيرة فرعية ـ لكثرة ما تعرضت له امتنا من هزائم !

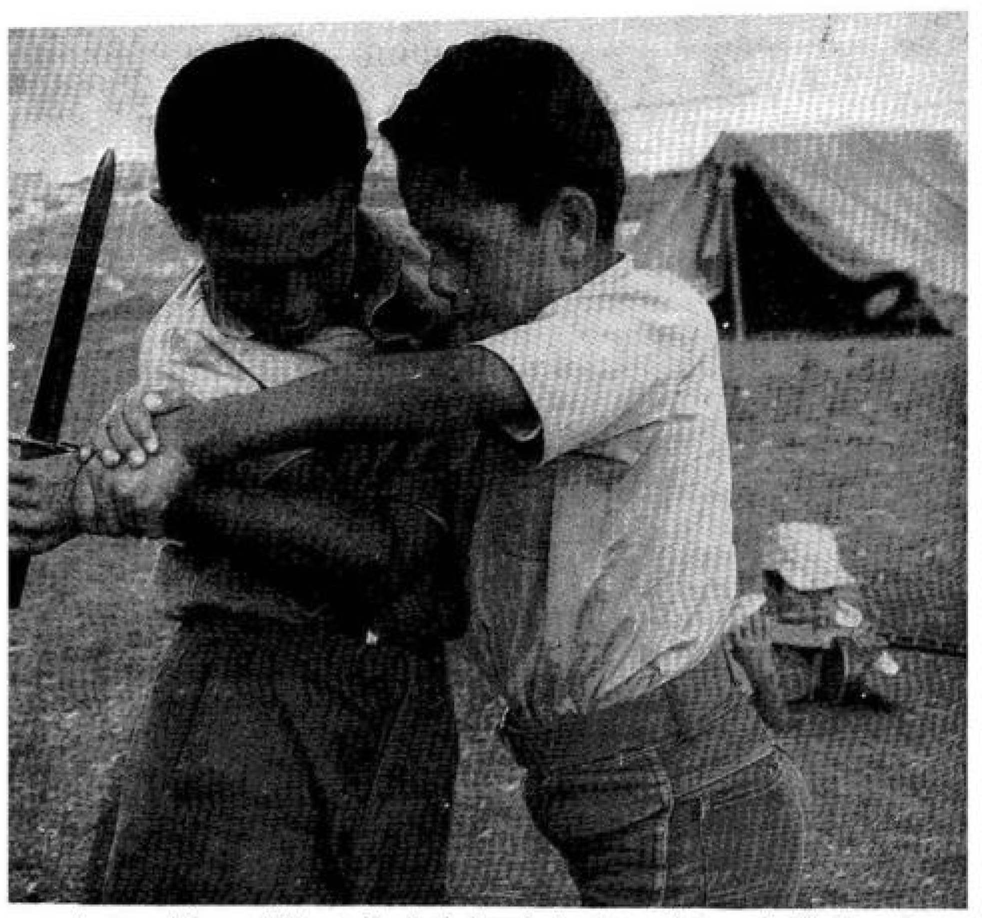
هل أنت بخير ؟

والواقع اننا لا نستطيع الكتابة عن كل ما شهدناه ، ولكن في وسعك ان تطمئن ، فقد شهدنا ما يثلج الصدر ويبعث على الزهو والفخر .. ان الفدائيين بخير والف خير .. يسيرون قدما وبخطىً ثابتة،ولا يسوؤهم او ينغص عليهم الا قلقهم عليك انت..انهم يفكرون فيك دوما ، وقد سألونا عنك عندما قابلناهم ، ان سؤالهم هو : « هل انت بخير يا عزيزى المواطن ؟ .. هل تشعر حقا بانك ارتفعت في تفكيرك وعملك الى مستوى العمل الفدائي وتضحياته ؟..اننا نحارب من أجلك ونستشهد من أجل مستقبلك ومستقبل أبنائك واحفادك..فهلا وقفت معنا تحمينا وتحنو علينا» ؟ .

٤٢ جبهة ومنظمة ! ؟

ونتساءل مع المتسائلين : لماذا كانت كل هذه المنظمات والجبهات الفدائية ؟

ويجيبنا المسئولون بقولهم : « عندما كنا شعبا تائها يتلمس طريقه ، وبسبب القيود المفروضة عليه بدأت تظهر الجبهات الفدائية السرية ؛ كل منها مكون من تكتل ١١ أو ١٥ شخصا ، وكان الواجب ذاك الوقت تشجيع كل نشاط فلسطيني ! ، وقد بلغ عدد التكتلات ٤٢ جبهة في يوم ما .. بعضها يتبع احزابا عربية وبعضها يتبع حكومات عربية ، وبعضها الآخر نشأ من منطلق وطني فلسطيني لا علاقة له بحزب أو حكومة



في معسكر الاشبال .. شبلان يتدربان على استعمال السلاح الابيض والدفاع عن النفس بينما يمسك شبل ثالث ببندقيه الرشاش .. ان الأسلحة الخفيفة هي التي تلائم حرب العصابات ...

.. كان بعضها لا يكاد يصدر بلاغ تكوينه حتى يعلن الثاني عن حله لنفسه .. ! » .

ويتابع المسئولون احاديثهم بقولهم :

« ووسط هذا الخضم ولدت « فتح » وهي تحمل شعار : « العمل من خلال ارادة فلسطينية حرة في الفكر والقول والعمل ، مع رفض كامل للوصاية والتبعية والاستزلام .. وعدم التدخل في الشئون الداخلية لأي بلد عربي ، واعطاء معركة تحرير فلسطين الأولوية الاولى ، أي انه كان يتحتم على كل فلسطيني تجميد اتجاهه الحزبي والتحول الى ميدان الكفاح الوطني المسلح في سبيل تحرير ارض فلسطين » .

وهكذا ظلت الجبهات والتكتلات تتكون منفصلة حتى قام الشهيد احمد موسى ، بطل فتح المعروف، باول عملية فدائية نسف خلالها ركنا رئيسيا في نفق عيلبون ادى الى تعطيل مضخات مشروع تحويل مياه نهر الاردن لمدة ثلاثة اشهر .. وكان هذا في اول يوم من عام ١٩٦٥ يوم استانف الشعب الفلسطيني حمل سلاحه بعد سنين طويلة من الضياع والاتكالية والتشتتالنفسي والاجتماعي والفكرى والسياسي .

« وفي أعقاب تلك العملية مباشرة انضمت ثماني جبهات فدائية مختلفة الى « فتح » بهدوء وصمت يتفق ومعاني نكران الذات التي يتميز بها العمل الفدائي .

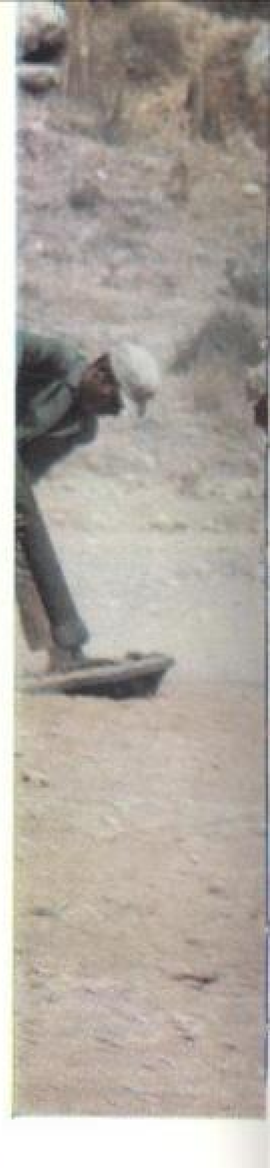
ويتابع المسئولون احاديثهم بقولهم :



الصورة العليا : بهذه الصفحة تمثل عمليات تدريب على مدافع الهاون يظهر فيها الاعداد القوي الذي يمارسه جنود وفدائيو جيش التحرير الفلسطيني.. وفي الصورة العليا على الصفحة المقابلة مشهد مماثل على مدفع حديث مضاد للمدرعات

الى اليسار : الحرب الطويلة المدى هي الاستراتيجية العسكرية التي تؤمن بها « فتح » وكل من يعمل وفق مبادئها في تحرير الارض المحتلة .. ان هذه الحرب العادلة تحتاج الى موجات من الشباب الصلب ، موجة من بعد موجة ، قد تشمل أجيالا ، ولذلك حرص ثوار فلسطين على تربية جيل جديد يتحمل أعباء النضال ويشترك باديء ذي بدء مع الكبار في عمليات عسكرية ، ومن امثلة هذا الجيل الجديد الصورة التي الى اليسار ، والتي يظهر فيها أحد أشبال العاصفة، الذي ما أن تتحدث اليه حتى تدرك معنى القول بأن جيلا فلسطينيا جديدا بدأ يتكون ..





« أما اليوم فلم يعد في الميدان سوى منظمتين أصيلتين وقويتين هما : منظمة التحرير الفلسطينية .. وفتح .. اما الجبهة الشعبية ـ ذات الرصيد الممتاز من الاعمال الفدائية البطولية ـ فهي وليدة تجمع عدة تنظيمات فدائية .. ولكن حدث اخيرا انقسام بينها ، والمفاوضات تدور حاليا من أجل انضمام الفئات غير الحزبية منها الى احدى المنظمتين القويتين .

متى تتحد .. ؟

وسألنا السيد يحيى حمودة ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، عن سر الخلافات بين ابناء فلسطين ، ولماذا لا تتحد المنظمات . فاجابنا بصراحة بالغة : « الفلسطيني لم يختلف أبدا مع الفلسطيني .. وانما الدول العربية والاحزاب العربية هي التي اختلفت مع بعضها ، فانعكس هذا الاختلاف على الشعب الفلسطيني الذي يعيش في أرض غير أرضه .. وهكذا تجده منقسما تبعا لانقسامات الدول العربية والأحزاب العربية » .

ويتابع رئيس منظمة التحرير حديثه بقوله :



يحيى حمودة : رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يتحدث الى « العربي »

« ان « فتح » هي جزء من الشعب الفلسطيني .. ومنظمة التحرير هي الأخرى جزء من الشعب الفلسطيني .. أي اننا شعب واحد لم يعد يهاب أي شيء ، لأن كل شيء قد ضاع منه .. وأصبح لا يؤمن الا بأسلوب الكفاح المسلح وسيلة لتحرير بلاده .. »

ومنظمة التحرير الفلسطينية هي وليدة مؤتمر القمة الاول الذي عقد عام ١٩٦٤ انها الواجهة الرسمية للشعب الفلسطيني، فهي تمثله في جميع المؤتمرات الدولية والعربية ، ولها مركز أبحاث لشرح القضية،ولها مدارس لتعليم ابناء فلسطين، وترسل المتفوقين منهم الى الخارج في منح دراسية تتلقاها من مختلف بلاد العالم .. ولها مكاتب في نيويورك والصين والبلاد العربية،ولها جيش مكون من ثلاث كتائب .. ومواردها المالي الحالي ينحصر في تبرعات الموظفين الفلسطينيين في مختلف أجزاء الوطن العربي .. وبعد معركة ٥ حزيران ١٩٦٧ عملت المنظمة على تقوية وزيادة قوتها الفدائية التي أصبحت تقوم بدور فعال في الاغارة على قوات العدو وتكبيده أفدح الخسائر .

تحفظات « فتح »

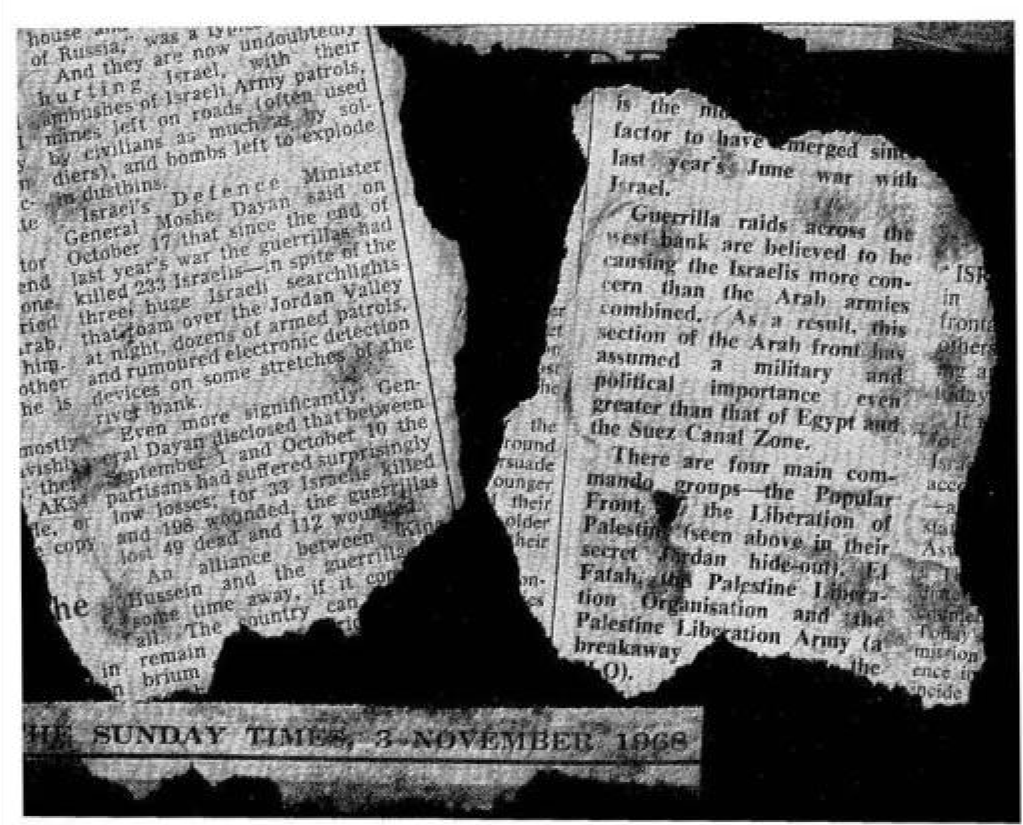
واتجهنا الى « فتح » نستوضح رجالها حول النقطة نفسها : « لماذا لا تتحد المنظمات الفدائية ؟ »

ومن خلال احاديثنا معهم أدركنا أن « فتح » تريد البقاء بعيدا عن المتناقضات العربية والمصارعات الحزبية ، وبالتالي عن المعارك الجانبية التي قد تعوق مسيرتها المتجهة مباشرة نحو العدو الأساسي للشعب الفلسطيني والأمة العربية..نحو اسرائيل .

ان « فتح » تعمل ما في وسعها لتقوم الحكومات العربية والأحزاب العربية بدعم الثورة الفلسطينية لا منافستها أو احتوائها ، بحجة عروبة القضية تارة ، أو زيادة الفعالية تارة أخرى ..

ممنوع اقامة منظمات أو جبهات

ولكن المنتظر أن يشهد المؤتمر الوطني الفلسطيني، الذي سيعقد في هذا الشهر (يناير ١٩٦٩) تحقيق نتائج ايجابية في طريق الوحدة الفلسطينية، وبعدها لن يسمح باقامة أي تنظيم فدائي جديد من شأنه أن يضر بالعمل الفدائي القائم في الوقت الحاضر ، أو يجعل من اسم فلسطين مجرد واجهة يتلاعب باسمها بعض الصيادين في الماء العكر ..



house and ... was a typic...
of Russia," ...
And they are now undoubtedly
hurting Israel, with their
ambushes of Israeli Army patrols,
mines left on roads (often used
by civilians as much as by sol-
diers), and bombs left to explode
in dustbins.

Israel's Defence Minister
General Moshe Dayan said on
October 17 that since the end of
last year's war the guerrillas had
killed 233 Israelis—in spite of the
three huge Israeli searchlights
that roam over the Jordan Valley
at night, dozens of armed patrols,
and rumoured electronic detection
devices on some stretches of the
river bank.

Even more significantly, Gen-
eral Dayan disclosed that between
September 1 and October 10 the
partisans had suffered surprisingly
low losses: for 33 Israelis killed
and 198 wounded, the guerrillas
lost 49 dead and 112 wounded.

An alliance between King
Hussein and the guerrillas ...
some time away, if it co...
all. The country can...
remain ...
brium

is the ...
factor to have emerged sin...
last year's June war with
Israel.

Guerrilla raids across the
west bank are believed to be
causing the Israelis more con-
cern than the Arab armies
combined. As a result, this
section of the Arab front has
assumed a military and
political importance even
greater than that of Egypt and
the Suez Canal Zone.

There are four main com-
mando groups—the Popular
Front for the Liberation of
Palestine (seen above in their
secret Jordan hide-out), El
Fatah, the Palestine Libera-
tion Organisation and the
Palestine Liberation Army (a
breakaway ...
...LO).

THE SUNDAY TIMES, 3 NOVEMBER 1968

قصاصتان لبعض ما نشرته الصحف العالمية عن العمل الفدائي ، وأثره على الصهاينة .

أثر العمل الفدائي

وفوق جسر الملك حسين ، المقام على مياه نهر الأردن ، وقفنا نرقب حركة التنقل بين الضفتين ، وكان معنا مراسل صحيفة لندنية شهيرة معروفة ، يتمتع بحرية التنقل بين الضفتين ، ومقابلة المسئولين في البلاد العربية واسرائيل .

قلت له : ما رأيك ؟

قال : « لا تتعبوا أنفسكم ، اسرائيل لن تجلو عن القدس ولن تعيد اللاجئين ، واذا أنتم تقويتم تحلفاؤها سيقوونها أضعافا ... واستشهادكم بحملات مكثت في منطقتكم مئات السنين ثم طردتموها لا ينطبق على الوضع الحالي فالفوارق عديدة بين الماضي والحاضر » ..

قلت له : وما هو الحل في رأيك ؟

فاجاب بعد سكوت طويل : .. الحل هو تحويل الجيوش العربية الى فدائيين وهدم اسرائيل داخليا .. ان العمل الفدائي الحالي لم يتصاعد بعد الى درجة الخطر الشديد ، ولكنه رغم ذلك أضعف الهجرة الى اسرائيل ، وزاد الهجرة منها الى الخارج..انى اكرر عليكم أن تصعيدكم للعمل الفدائي هو السبيل الوحيد لبث الرعب والذعر داخل اسرائيل فلا يعود ينفعها ميراج أو فانتوم ... ولكنى أحذركم من أن أحد أساليب اسرائيل في ضرب العمل الفدائي ستكون متروكة لكم انتم .. وهى تستعمل لهذا الغرض كل وسائل الدس والايقاع على كافة المستويات ، مسخرة في ذلك قوتها الدعائية وسيطرتها على معظم شبكات الاعلام والصحف العالمية » ..

وقد بدأ هذا الأسلوب يتجسد في كثير من كتابات صحف الغرب ، التى اصبحت مليئة بالدس والتفرقة بين العرب ..





يقول الاعداء ان الفدائيين هم جماعة من المخربين ..
ويقول الفدائيون اننا أبناء ثورة ، كل ما نريده ممارسة
حقنا الطبيعي في الحياة أسيادا في وطننا الذي احتله
الصهاينة .. لقد وجد الصهاينة على ترابنا بالقوة
ولا يمكن أن يزول هذا الوجود الا بالقوة .. ان حربنا
ليست حربا استعمارية تستهدف امتصاص دماء
الشعوب ، ولكنها حرب عادلة تستهدف اعادة الكرامة
الى شعب عز الشعب الفلسطيني .. والى أمة من
الامة العربية ..





خلق الله الليل للناس سكنا ، وخلق النهار حركة ، ولكن العدو الصهيوني باحتلاله أرض فلسطين العربية لم يُبق لأبناء فلسطين نهارا ولا ليلا ، بل أصبح الليل بالنسبة لهم هو النهار .. لذلك ما تكاد الشمس تغيب حتى يتحركوا تحت أغصان البرتقال النابت على أرضهم ، وبين أشواك « الصبر » المحيط بكرومهم ، يمارسون عملهم البطولي ..



أسباب الخوف من « فتح »

ومن مقال كتبه كولين ليجوم من القدس المحتلة ونشرته صحيفة الاوبزرفر مؤخرا نقتطف ما يلي :

« تهتم اسرائيل الآن بمنظمة « فتح » العسكرية التي تعمل من قواعد لها في الاردن وتلقى تأييدا شاملا من كافة الشعوب والدول العربية ، أكثر من اهتمامها بجيوش الدول العربية التي أضعفتها حرب ٥ حزيران .

« .. ان « فتح » هي العامل الوحيد الهام الذي ظهر في النزاع العربي الاسرائيلي بعد حرب حزيران .. » .

ويتابع مندوب الاوبزرفر مقالـه بقولـه :

« وعلى الرغم من أن « فتح » **لا تمثل تحديا عسكريا كبيرا لاسرائيل ، الا انها تشكل خطرا سياسيا عسكريا على أمن الدولة الصهيونية ، وذلك لأربعة أسباب :**

أولا : تحافظ « فتح » وتعمل على رفع الروح المعنوية في الفلسطينيين العرب الذين يقيمون في الأراضي المحتلة ، والذين فقدوا الامل في مساعدة الدول العربية لهم في المستقبل القريب على الاقل .

ثانيا : تفرض فتح على جيش اسرائيل الاستمرار بالبقاء في حالة تأهب وعمل دائم .

ثالثا : نشاط « فتح » يكفل لمشكلة النزاع الاسرائيلي البقاء مشكلة حية في المحافل الدولية السياسية .

رابعا : تسبب « فتح » قلقا بالغا للمستعمرات الاسرائيلية التي تقع على حدود الاردن ووادي بيسان .

« أنتِ فتح ؟ »

وتحدثنا مع القادمين من الضفة المحتلة عن أثر ضربات الفدائيين ، وكان بين الذين التقينا بهم وحدثناهم الحاجة تودد سعيد عبد الهادي ، التي اعتقلها الاسرائيليون بتهمة الانتماء لفتح : ووضعوها تحت حراسة مشددة ، ثم اخرجوها الى الضفة الشرقية وكان من جملة ما قالته لنا عن تجربتها مع العدو : « كانت الحارسة تمرُّ بي في سجني الانفرادي في نابلس ، وتقول لي : « أنتِ فتح ؟ » وتشير الى رقبتها ، وكأنها تريد القول انى من منظمة « فتح » واني أريد قطع رقبتها .. » .



كم من المعاني تحملها قرية الكرامة .. أو معسكر اللاجئين الذي أطلق عليه اسم الكرامة .. انه يشير الى كرامة الشعب الفلسطيني التي اعتدى عليها الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة ، كما يشير من خلال الثورة الفلسطينية الى ارادة ثورية لاستعادة هذه الكرامة .. وقد تجسدت هذه الارادة في معركة الكرامة المشهورة التي أثبت فيها ثوار فلسطين انهم قادرون على العمل الكبير ، والتي انتج فيها التعاون بين الجيش الاردني وبين أبطال « فتح » ومنظمة التحرير ، نتاجا ممتازا ، حبذا لو كانت درسا نطبقه بوفاء في صراعنا مع العدو من أجل تحرير فلسطين .. وفي الصورة يظهر مسجد الكرامة ، وقد أصابته قنابل العدوان ، وكأنه يصرخ بملء فمه مع منارة المسجد الاقصى مناديا ومستغيثا يطلب الطهر والتحرير ..

الفداء .. والثورة

وهنا نتوقف قليلا لنصحح خطأ شائعا رددناه أكثر من مرة في مقالنا .. وهو كلمة « العمل الفدائي » والواقع أن هذه الكلمة لا تروق لأبناء فلسطين ، الذين يقولون : « لقد تحول عملنا الفدائي الى ثورة .. انها الثورة الفلسطينية ، بكل ما في كلمة الثورة من معان .. ان العمل الفدائي كان البداية وهو يمر الآن في مرحلة الثورة ليصبح « حرب الشعب » .

مواعيد « أبو عمار » العرقوبية !

واردنا ايضاحا أكثر عن الثورة فقالوا : عليكم بمقابلة « أبو عمار » ..

وظننا انها ستكون مقابلة سهلة .. وانتظرنا .. وطال انتظارنا .. ساعات بعد ساعات ، امتدت حتى أصبحت خمسة أيام ، حصلنا خلالها على أكثر من عشرين موعدا لمقابلة « الأخ الأكبر » ولكنها كانت تلغى كلها دون سابق انذار ، أو حتى ابداء الأسباب ..

واخيرا جاء أحد الفدائيين في التاسعة مساء وصعدنا معه الى سيارة « جيب » انطلقت بنا حتى وصلت الى منطقة حساسة كثرت فيها دوريات حراسة « فتح » التي اكثرت من ايقاف السيارة لتسمع من سائقها كلمة السر قبل أن تسمح له بالانطلاق في ظلمة الليل .

وبعد فترة وصلت السيارة الى نهاية الطريق ، فنزلنا منها وبدانا السير على الأقدام ، نتسلق الصخور حينا ، ونمشي على الأشواك حينا آخر ، حتى وصلنا الى كهف في الجبل ، دخلناه وسرنا فيه ، ولن نتحدث عما شهدناه ولكنه كان اشبه بخلية نحل ، تعج بالعمل الدائب المستمر في كل ركن من أركانه المقسمة الى مكاتب وغرف ..

وجلسنا في حجرة محفورة في الصخر نتحدث مع هذا الشباب المؤمن الذي تملأ أحاديثه ووطنيته بشحنة دافقة من الحماس ، وأحسسنا بحركة غير عادية ، راينا بعدها وجوها تطفح معالمها بالبشر والأمل : وجوها عرفنا اكثرها لرجال كانوا يحتلون مراكز رفيعة في وطننا العربي .. فهذا أستاذ في الجامعة ، وهذا مهندس ، وهذا طالب في السنة النهائية من الجامعة .. وذاك طبيب ترك عمله .. وابن عائلة ميسورة ترك متعته وأمواله .. وهذا هو « أبو عمار » يضحك من ملء قلبه ، انها عادته عندما يحمل أخبار عمليات فدائية ناجحة قامت بها قوات « فتح » .

وقابلنا معه وجها لوجه ، فأخذني بالأحضان رغم مرور ١٤ عاما على لقائنا الأول .. ودعانا الى ركن في الكهف ، وجلس معنا على الأرض الصخرية صحفي ايطالي كبير أعطيناه الزاوية ليسأل « أبو عمار » ..

الخوف على الصهاينة ! ؟

وكانت أسئلة الصحفي الايطالي غريبة ، كلها تنم عن الخوف على المقيمين في اسرائيل.. الخوف من أن يصيبهم مكروه اذا انتصر الفدائيون ؟! .. قال الصحفي الايطالي :

— في حالة انتصاركم ماذا ستفعلون باليهود الذين في « اسرائيل » ، هل ستلقونهم في البحر ؟

فأجابه أبو عمار : عندما نحرر أرضنا سنتعامل مع من يعيش معنا من خلال ايماننا الطبيعي بمبادئ الحق والعدل والانسانية ..

فسأله الصحفي : هل تنتظر مساعدات كبيرة من البلاد العربية ؟

فأجابه بلهجة التأكيد : « قطعا فنحن شعب واحد ، وثورتنا ثورة واحدة .. ان التدريب لا بد أن يتم في أرض عربية .. ونقل الأسلحة والمؤن لا بد أن يسير في أرض عربية .. ومخازن السلاح والتموين لا بد أن تكون في أرض عربية .. والمال لا بد وأن يأتينا من الجماهير والحكومات العربية..وتنظيم الجماهير لا بد أن يتم في الأرض العربية بحكم وجودها فيها .. وهذا يعني أن ثورتنا الفلسطينية تتأثر بالواقع العربي والسلطة العربية تأثرا مباشرا .. وطالما كان من واجبنا أن نقاتل فان من حقهم وواجبهم أن يقدموا لنا كل عون ومساعدة ، فمعركتنا في النهاية لصالح الأمة العربية بكاملها » .

فسأله الصحفي : هل تكره اليهود ؟

فأجابه أبو عمار : « اننا لا نكره اليهود لأنهم يعتنقون الديانة اليهودية ، ولكننا نكره الفكرة الصهيونية لأنها فكرة عنصرية أكثر من النازية ، كما أننا نكره الوجود الصهيوني على الأرض الفلسطينية ، والدولة الصهيونية فوق التراب الفلسطيني » .

فسأله الصحفي الايطالي : هل تحصلون على مساعدات من العرب المقيمين في اسرائيل ؟

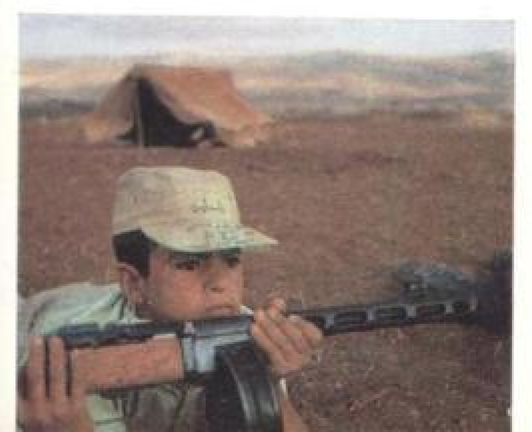
فأجابه : « لماذا لا تسأل العرب في الأرض المحتلة عن السبب في اعتقالهم وسجنهم ونسف منازلهم ؟ ؟ » .

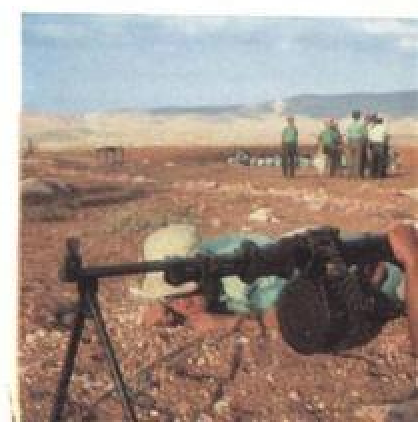
لماذا اختاروه ؟

وجلسنا بعد ذلك الى ياسر عرفات الذي يحمل اسم « أبو عمار » تيمنا باسم أول شهيد في الاسلام ، وهو ياسر أبو عمار بن ياسر الصحابي الجليل .. قلنا له : لماذا اختاروك متحدثا رسميا باسم « فتح » ؟

فأجابنا متململا : لقد قالوا ان السبب هو لأني أقلهم كلاما !! والواقع أنه لم يعلن اسم أي شخص من « فتح » قبل معركة الكرامة سوى الذين استشهدوا أو وقعوا في أيدي العدو ..

« اننا نعمل على خلق جيل الفداء ، الجيل الذي سوف يأخذ مكاننا في حربنا من اجل استعادة ارضنا » **لقد اصبح هؤلاء الاطفال يجيدون استعمال السلاح ، ويصيبون الاهداف ببراعة فائقة ..**
« اننا ندرب اطفالنا لان العدو فرض نفسه بقوة السلاح .. ودعم وجوده بقوة السلاح .. ولم يكن هناك من سبيل امامنا الا ان نرفع جميعنا السلاح لنتخلص من وجوده .. اننا نثور على واقع فاسد لانرضاه : ولا نعلم كم من الزمان سوف تستغرق ثورتنا : لهذا ندرب اطفالنا ونعدهم لمعركة طويلة الامد لا مفر لنا من خوضها مع عدونا الاسرائيلي .. » **وعلى هذه الصفحة ثلاث صور لاشبال « فتح » في احد المعسكرات الخاصة بهم يتدربون على القيام باعمال الدوريات ، وعلى استعمال المدافع الرشاشة**







« سنقاتل او نموت .. فقد قررنا الا نعيش اذلاء . » **وفى كل يوم تتخرج مجموعات جديدة من الاشبال الذين يجيدون استعمال السلاح .**

« .. وعندما يصبح كل لاجىء فدائيا مدربا مسلحا فاننا قطعا عائدون .. » **ويتجمع الاشبال حول الفدائي الكبير الذى يدربهم على استعمال السلاح ، وفى نفس الوقت يشرح لهم خصائص سلاح العدو على احدى القطع التي استولوا عليها بعد معركة الكرامة .. انه مدفع رشاش يطلق عليه اسم** « ناطو » **وهو من صنع بلجيكا ، ويستطيع ان يطلق ٢٠ طلقة متتابعة فى ثوان ، ويبلغ مداه ١٥٠٠ متر**

(انظر الصورة السفلى)

ولكن بعد معركة الكرامة اخذت فتح تحتل مركزا قويا وفعالا في قلوب الجماهير ، وقد ظهرت في تلك الفترة بوادر خطرة أهمها نسبة أقوال وتصريحات لـ « فتح » تفتقر الى الكثير من الدقة والصحة ، الأمر الذى جعل قيادة « فتح » تختار ناطقا باسمها حتى لاينسب اليها الا ما يصدر عنها .. وهذهمهمة شاقة ماكنت اريدها لولا انها صدرت من قيادتنا ، وانا كفدائي ملزم بتنفيذ أمر القيادة .. »

على ان « أبو عمار » أصبح رمزا حيا .. الكتب تؤلف عنه ، وصحفيو العالم يتسابقون لمقابلته ، والفدائيون يتخذونه مثلهم الأعلى ، والاشبال يعتبرونه بطلهم المفضل !

ولكنه يشعر بضيق كبير من ذلك ، لأن مبادىء «فتح» القائمة على القيادة الجماعية ، وليس على قيادة الفرد ، هي مبادىء صارمة ومقدسة ، ولكن ماحيلتنا مع واقعنا العربي الذى تعود تمجيد الفرد ؟ .

قلنا : « هل تعتقد ان الثورة الفلسطينية سوف تنتصر ؟ » .

اجاب : « لولا ايماننا المطلق بالنصر لما بدانا ثورتنا في ظروف غارقة في المصاعب .. كنا نشق طريقنا بصعوبة كصعوبة من يحفر الصخر باظافره .. ولم يسجل التاريخ حادثة هزم بها شعب لتحرير وطنه الا اذا قتل جلّ افراد هذا الشعب، كما حدث للهنود الحمر في أمريكا .. ولا اعتقد ان الصهاينة قادرون على ابادتنا ، لاننا لسنا شعبا فلسطينيا محدودا بل نحن جزء من امة عربية كثيرة العدد .. ولا بد لطاقات هذه الأمة ، من خلال كفاحنا وثورتنا ، ان تنطلق لدعم هذه الثورة حتى النصر .. »

بطولات خارقة

قلنا: « هل تعتقد أن العمل الفدائي قد تطور ؟ »

اجابنا : « عندما خرج الفدائيان محمود بكر حجازي واحمد موسى عام ١٩٦٥ في العملية الفدائية الأولى ، كانا يحملان سلاحا يعلوه الصدأ ، ويعود صنعه الى عام ١٩٤٦ وكان الناس ينظرون الينا كمغامرين فقدنا عقولنا او استهوانا حب المغامرة .. ينظرون الينا بعين الشفقة ، ويتهمنا بعضهم بالجنون .. اما اليوم ، والحمد لله ، فقد اصبحت قواتنا تملكاسلحة حديثة فعالة في حرب العصابات ، واصبحت الجماهير تحتضننا بحنايا قلوبها وتحمينا وتدعمنا .. ولكن الأسلحة ليست كل شيء ، وانما المهم هي روح الرجال الذين يحملون السلاح .. خذ مثلا شهيدنا ربحي محمد حسين تخرج كيمائيا من كلية في ميونخ بالمانيا ، ولكنه اختار الانضمام الينا ، وفي معركة الكرامة صعد فوق برج دبابة اسرائيلية ضخمة مرتديا حزامه الناسف ، ومالبث أن نسف تلك الدبابة ونسف نفسه » .

« وقصة استشهاد الملازم الأول رؤوف ، كان يحمل سلاحا مضادا للدروع يطلق منه قنابله على الدبابات المهاجمة في المعركة ،فحاصرته ست منها فالتجا الى جامع الكرامة فقذفته الدبابات بمدافعها وهدمت المسجد فوقه فاستشهد أروع استشهاد ، في سبيل الله والوطن » ..

« وعبد الفتاح حمود هذا الفدائي الذى ترك راتبه الضخم الذى بلغ ..) دينار في الشهر ، ومركزه الكبير كنائب لكبير مهندسي شركة شل في قطر ، وسيارته الفخمة ومنزله المكيف الهواء ليعيش مع زوجته واولاده الستة في غرفة واحدة في عمان ، ليستشهد بعد ذلك وهو يؤدى واجبه الوطني » ..

« وغير ذلك من هذه الامثلة كثير .. كلها تعج بروح التضحية والتجرد والوفاء للثورة والوطن .. ان شعبا يفعل ذلك لا بد ان ينتصر » ..

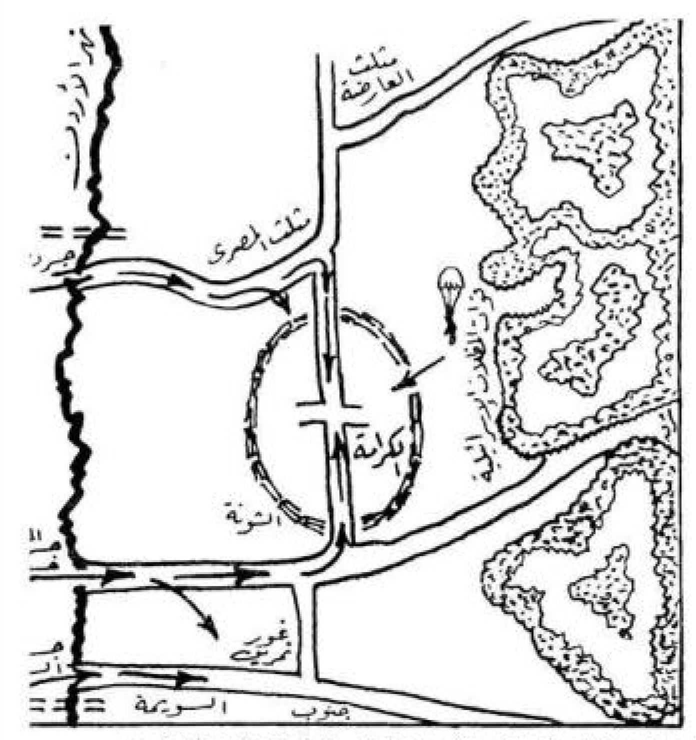
لا نحارب ارانب ! ؟

قلنا : « يقولون ان خسائر فتح في الارواح كثيرة .. فما السبب في هذا ؟ »

فاجاب بقوله : « العمل الذى نقوم به عمل فدائي محفوف بالمخاطر من كل جانب .. ففي احد الاشهر الاخيرة قمنا بـ ٩١ غارة داخل ارضنا المحتلة ، استشهد خلالها ٢١ من رجالنا » ..

« ان الذى يجب أن يفهمه الجميع اننا لانحارب ارانب .. بل نقاتل جيشا قويا سريع الحركة » ..

« ومع كل هذا لانعتبر خسائرنا كثيرة اذا قارناها بخسائر العدو ، ولايعقل ان نخوض حربا تحريرية بدون شهداء .. ان الميزان الذى توزن به منجزات الثورة لايكون في عدد الشهداء ، بل يكون في الثمن الذى تحققه الثورة بدماء شهدائها ، والخسائر التى يوقعونها بعدوهم .. هل نسيت أن من مفاخر الثورة الجزائرية انها تسمى ثورة المليونشهيد » .



« في الساعة الخامسة والنصف من صباح ١٩٦٨/٣/٢١ تقدم العدو الاسرائيلي مجتازا نهر الاردن ، من شمال« الكرامة» وجنوبها في عملية تطويق لها .. ومن جهة اخرى بدا عملية انزال لقواته المظلية خلف مدينةالكرامةوشرقها ، على قمم الجبال لسد منافذ الانسحاب علىمقاتلينا .. ولكن الكمائن المنتشرةفي تلك المناطق ، واغلبهاالقوات تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بدأت تحصد العدو برشاشاتها ، مما جعله يحمل قتلاه وجرحاه بطائرات الهليوكبتر .. اما الدبابات الثقيلة فقد دخلت الشوارع الرئيسية في المدينة وبدات في تدمير مبانيها ، ونترك تكملة الحديث لمراسل الصحيفة الالمانية « دي تسيّت »Diezeit يصف ما حدث بقوله :

« ... ولشدة دهشة الصهاينة لم يجدوا احدا في المدينة .. ولكن فجأة بدات نيران الفدائيين (وكلهم من قوات فتح) تلتهمهم .. وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون في المنطقة ، ثم اندفع قسم منهم وطوق الاسرائيليين ، بينما اشتبك قسم آخر مع القوات الغازية بالايدي ورؤوس الحراب والمديات ، وحتى بالاسنان . ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الجرحى الاسرائيليين ، دليلا ظاهرا علىمدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم . »

واقعنا المرير ..

ـ ما هو وجه الدقة في بلاغاتكم العسكرية ؟

ـ لاشيء يؤلمنا كما يؤلمنا هذا السؤال المتكرر .. ان الثوار لايمكن أن يكونوا ثوارا الا اذا كانوا على مستوى رفيع من الخلق .. والثورة في حد ذاتها قمة الأخلاق ، لانها لاتسمى ثورة الا اذا كانت ضد الظلم ، ولا اعتقد ان هناك ظلما أكثر من ذلك الذي وقع بشعبنا .

« ان ما أود تأكيده هو أننا دائما نتوخى الحقيقة والدقة في بلاغاتنا ، ولا أبالغ اذا قلت ان كثيرا من عملياتنا لانذكر عنها شيئا لان اخبارها تصل الينا في وقت متأخر يجعلنا نبتعد عن نشرها .. واود بهذه المناسبة أن أشير الى واقع نفسي مرير تعاني منه امتنا العربية ، نتج عن هروب متوال جعل الانتصارات تظهر وكأنها شيء نادر ، وهذا جعل تقبّل الخسارة أكثر من تقبل الانتصار » .

« كما اود الاشارة الى ظاهرة بدات تظهر في الصحف العبرية بالأرض المحتلة اثر كل عملية كبيرة يقوم بها رجالنا .. هذه العملية هي كثرة حوادث السيارات التى يذهب فيها كثير من الضحايا العسكريين الاسرائيليين ولو جمعنا عدد الذين قتلوا في هذه الحوادث ، وما صدر عنا من بلاغات لوجدنا تقاربا شديدا في العدد .. ان هذه الظاهرة ليست استنتاجا نحن فقط ، بل وردت على شكل تساؤلات من القراء الاسرائيليين نشرت في صحيفة (هاعولام هازيه) اى (عالم اليوم) تتهم سلطات العدو بحجب الحقيقة عن الصهيونيين في الأرض المحتلة » ..



يخضع الفرد الراغب في ان يصبح فدائيا لتدريب عنيف على مستوى تستوجبه حرب العصابات .. هذا بالاضافة الى التخصص في شؤون اخرى تتصل بالعمل الفدائي من قريب أو من بعيد .. اما عن البعثات الفدائية التى ترسل للتدرب خارج البلاد فيقولون لك :

« نحن نرسل افرادنا الى كل مكان تتوفر فيه فائدة التدرب على حرب العصابات .. مع الاخذ بعين الاعتبار ان التدريب العسكرى الحقيقي افضل ما يكون على ارضنا نفسها لانها هي التي ستقاتل فوق ترابها .. »

وعلى هاتين الصفحتين ثلاث صور للتدرب على زرع الالغام يقوم بها فدائيان من الجبهة الشعبية ، وحمل السلاح الخفيف ، ونسف المتفجرات يقوم بها فدائيو منظمة التحرير الفلسطينية .





ست دبابات وناقلات جنود ضخمة ، تركتها القوات الاسرائيلية بعد انتهاء معركة « الكرامة » .. وترى هنا جلالة الملك حسين يتفقد احدى هذه الدبابات الضخمة .. والى اليمين صورة سيارة اسرائيلية مصفحة تم تدميرها ..



١٥ ألف متطوع

قلنا : «كيف انتشر اسم فتح على نطاق دولي ؟»

اجابنا أبو عمار : « كانت معركة الكرامة نقطة التحول الهامة في تاريخنا ،فقد بقيت قوات «فتح» داخل المدينة الخاوية ، بينما تفرقت القوات الأخرى في الجبال والمرتفعات المحيطة بالمدينة .. واستطاع ٣٠٠ فدائي من قواتنا الثبات ١٥ ساعة امام قوة هائلة للعدو ، قوامها ثلاثة الوية مدرعة تساندها مئات الدبابات والآليات . فضلا عن الفي مظلي وعشرات من طائرات الهليوكبتر والمقاتلة .. لقد ظن الاسرائيليون ـ بعد نكسة ٥ حزيران ـ اننا لن نستطيع مواجهتهم ، ولكن الواقع اثبت لهم عكس ما ظنوا .. ولو كانت لدينا الكمية الكافية من السلاح والذخيرة لاستطعنا ان نبيد من قوات العدو اكثر مما ابدنا .. ولعل تخلي العدو عن جثث بعض قتلاه وعن ست من آلياته في ساحة المعركة ، وذلك للمرة الاولى في تاريخه ، لدليل



على حسن بلاء رجالنا .. »

« وبعد معركة الكرامة تلقت « فتح » ١٥ ألف طلب تطوع من الشباب الفلسطيني والعربي ، ونحن نقوم بارسال خطاباتنا بالموافقة الى الذين نختارهم للعمل معنا » ..

جيل الفداء والحرية

قلنا : « ولكن لماذا تدربون الاطفال الصغار مادمتم تتلقون هذه الطلبات العديدة من الكبار ؟ اليس من الافضل تركهم ليتلقوا تعليمهم العادي؟»

اجابنا ابو عمار : « عشرون عاما مضت علينا ، كانت حصيلتها تكوين « جيل عدم المبالاة » .. واليوم نحن نعمل على خلق جيل يبالي .. بل يتفجر بالقوة والايمان والحماس لتحرير بلده المغتصب .. لقد أنشأ اليهود جيلا من القتلة

سيارة نصف مجنزرة اسرائيلية تركها العدو بعد معركة الكرامة .. لقد تم اصلاح هذه السيارة وغيرها من المصفحات والدبابات وأصبحت تعمل في القوات المسلحة الاردنية .. **وفي الصورة العليا** يرى جلالة الملك حسين وهو يعاين برج احدى الدبابات ..



الى جانب التدرب على زراعة الألغام ، واستعمال الأسلحة الخفيفة ، يتلقى الفدائيون برامج تثقيفية سياسية عميقة ، لأنهم لا يحاربون من اجل الحرب وانما يحاربون من اجل التحرير ...
ولا بد للمقاتل أن يكون مقاتلا عن وعي وايمان كاملين ، سواء كان ذلك بالنسبة للهدف الذي يقاتل لتحقيقه ، أو للاسباب التي تفرض عليه أن يستعمل القتال كوسيلة حتمية ووحيدة لتحرير بلاده ...

في احد الكهوف العديدة التي يتخذها الفدائيون مراكز لهم جلس « ابو عمار » المتحدث الرسمي باسم « **فتح** » يجيب على اسئلتنا .. ولكن « ابو عمار » ليس متحدثا فقط ، بل انه فدائي قبل ان يكون متحدثا رسميا .. لهذا تراه يشترك مع اخوانه في دراسة الموقع الذي ينوون مهاجمته ، وقد حمل كل منهم سلاحه السريع بيده .. لقد وهب هؤلاء الرجال انفسهم فداء في سبيل وطنهم ، غير طامعين في اي منصب او مصلحة شخصية ..



والسفاحين اسموه جيل الصبرة Sabras اي الشباب الذين ولدوا وكبروا في فلسطيننا وهؤلاء لعبوا دورا هاما في حرب حزيران .. ولعلنا اقدر من الغاصبين بتكوين جيل نغرس في قلوبه حب الحرية .. وحب الوطن وعقيدة القتال من اجل حرب عادلة تحرر بلاده وتعيده سيدا على ارضه.. انه الجيل الذي ستطأ اقدامه ـ ولاشك ـ ساحل البحر المتوسط .. ربما لانصل نحن الى البحر ، ولكننا واثقون من انهم واصلوه .. ذلك ان حربنا مع اسرائيل قد تستمر سنوات » ..

الفانتوم تأثيرها على غيرنا

قلنا : ما رأيك في صفقة طائرات الفانتوم التي ستحصل عليها اسرائيل ؟

اجاب : « ليس لطائرات الفانتوم اي تأثير على حرب العصابات وانما تأثيرها على الجيوش والبلاد العربية ، وخاصة تلك البعيدة ، التي كانت تعتقد انها في مأمن من طائرات العدو وقنابله ، ولعل هذا يشعر المواطن العربي من المحيط الى الخليج بأنه مهدد في وجوده وحضارته وسيادته ، طالما اسرائيل موجودة في فلسطين ، فيشعر تبعا لذلك بواجبه وضرورة مساندته الثورة الفلسطينية ، التي ـ وان كانت خط الهجوم الاول بالنسبة للنفسية الفلسطينية ، ـ تمثل خط الدفاع الاول بالنسبة للوجود العربي والحضارة العربية امام الغزو الصهيوني الاستيطاني التوسعي .. »

المساعدات المطلوبة

وكان قد مضى على حديثنا عدة ساعات متصلة ، حينما شرعنا بمغادرة الكهف .. كنا نود ان نطرح كل الاسئلة التي تجول في خاطر كل مواطن عربي ، ولكن شعورنا بالمسئوليات الملقاة على اكتاف هؤلاء الرجال ، جعلنا نحاول الاكتفاء بهذا القدر ، ولكننا وفيما نحن متجهون الى مخرج الكهف سألناه :

« ما هي المساعدات التي يمكن أن يقدمها العربي الى « فتح » والعمل الفدائي عامة ؟ »

فأجاب بقوله : « المساعدات التي يمكن ان يقدمها الجهد العربي هي الدعم والمساندة وتلبية احتياجات الثورة الفلسطينية من مال وسلاح واعلام .. الى ان تأتي مرحلة المشاركة الفعلية الواسعة من خلال المتطوعين في صفوف الثورة ..»

« لابد من الايمان بضرورة زيادة القوة الذاتية للثورة الفلسطينية من خلال كونها فلسطينية وطنية ، وليس اضعاف هذه القوة بادخال التناقضات العربية الى داخل صفوف الثورة .. ان خلق تنظيمات جديدة ثم المطالبة بتوحيدها ، لان الوحدة افضل من التفرقة ، من الامور التي تعوق تقدم الثورة .. ان المواطن العربي والتنظيم العربي والحزب العربي اذا اقتنع بهذا المفهوم للثورة الفلسطينية وتجاوب مع متطلباتها الوطنية، يمكنه عندئذ ان يسهم في هذه الثورة بدور لايقل عن دور المواطن الفلسطيني والثورة الفلسطينية ..»

في منزل احد الشهداء

وانطلقنا بعد هذا الحديث الطويل لزيارة اسرة احد الشهداء الذين اقبلوا على الفداء بنفوس أبية تعشق الحرية.. واستقبلتنا والدة الشهيد البطل محمد رشاد دياب من مواليد يافا عام ١٩٤٦ ، مرحبة قائلة : تصوروا انني لم اكن ادري انه كان ثائرا في « فتح » ، وانه كان يتلقى تدريبه في اثناء دراسته في كلية التجارة بجامعة بغداد .. كان في السنة النهائية ، ولم يكد ينتهي من الامتحان حتى بدأ العمل مع اخوانه داخل الارض المحتلة، وفي احدى العمليات تحققت امنيته واستشهد وعندها فهمت ما كان يكتبه لشقيقه : « ما لم احترق انا ، ولم تحترق انت .. فمن ينير الظلمة اذن ؟ ! »

« وعندما عرض عليه شقيقه عفيف تكملة تحصيله العلمي العالي اجابه بقوله : كنت اود أن أسمع منك أن ترجو لي أن أؤدي دوري نحو وطني .. نحو أمتي .. نحو الأرض الغالية .. ان الشهادات لن تحل « فلسطين » أبدا .. « فلسطين» تحلها الدماء .. والدماء الغزيرة .. ثق أن « فلسطين » ستصنع شباب الفداء .. ستصنع منهم عواصف لتفتح بها أبواب التاريخ .. »

وتستطرد ام البطل قائلة : كان يقول لي دائما : احسدي ام الشهيد فلان .. وأم الشهيد فلان .. لقد سجل ابناهما اسميهما في سجل الخلود .. والآن اصبحت انا موضع حسد زميلاتي لان ابني مات شهيدا..شهيد «فتح» .. شهيد العاصفة.. شهيد فلسطين ..

« لقد روى ابني بدمائه الزكية ارض وطننا المقدس يوم ٥ آب (اغسطس) ١٩٦٨ وهو ذكرى يوم ميلاده .. وفي المساء جاء ساعي البريد يحمل



« .. انا اشعر ان علي مسئوليات تجاهكم .. الا ان التزامي نحو الارض أكبر .. ما هو مستقبلي .. خريج كلية ؟ .. حامل بكالوريوس ؟ .. وبعد ذلك ؟؟ .. في الاول وفي الآخر انا فلسطيني رمز التشريد والبؤس والذل والفقر والضعف .. ان شعوري بالحب تجاه فلسطين اكثر من حبي لكم ، واكثر من العاطفة تجاهكم .. انتم بعض منها وهي الاصل .. واذا حدثت التضحية وضحيت وفديت الارض بدمائي ، لا تبكي ابدا يا امي ولا تحزني .. في موت الشهيد لورة .. اللهم اعطنا التضحية والفداء والشجاعة لان نضحي .. » **هكذا كتب الشهيد محمد رشاد دياب لوالدته قبل استشهاده .. وتراها هنا في الصورة مع شقيقتيه وابن اخته بجانب صورة للشهيد ، يقلبون كراسة صور الذكريات لابنهم الشهيد**

له شهادة نجاحه في بكالوريوس التجارة من جامعة بغداد .... »

كلنــا فدائيون

واصبح الشهيد الذي يسقط في ميدان الشرف ، يرقد وهو مرتاح الضمير .. فهو يعرف ان اولاده وبناته سيتمتعون بكل عطف ورعاية بعد استشهاده ..

وفي مدرسة بيت المقدس لرعاية بنات الشهداء ، التي اقامتها « فتح » ، سألنا احدى الفتيات اللواتي لم يتجاوز عمرها سبع سنوات : ماذا يعمل شقيقك ؟

قالت : فدائي ..

ــ وانت ماذا ستصبحين ؟

ــ فدائية .. اننا كلنا هنا فدائيات .. وكلكم فدائيون .. حتى انت سوف تصبح فدائيا .. حتى مدرساتنا فدائيات شقيقات او زوجات لفدائيين استشهدوا في ميدان البطولة والشرف .

بهذه الروح الوثابة نحو العمل الفدائي ، تخاطبك فتيات اشبه بالزهرات .. انهن مربيات جيل المستقبل ، وامهات الغد ..

كنزة الفدائي .. واجب مقدس على كل امرأة عربية

لقد حققت المرأة العربية تطورا كبيرا في مختلف المجالات ، ومن سيدات رام الله في الضفة الغربية المحتلة تلقت السيدات العربيات درسا جديدا ، عميق المعنى بعيد المغزى .. فقد استطاعت نساء هذه البلدة المحتلة ، بالرغم من حملات الارهاب الصهيوني الوحشية ، توصيل كمية من الكنزات



« أخي الفدائي .. نسجتها من خيوط أمل الشعب بك.. حقق الله بك الآمال ونصرك.. »

رسالة من عشرات الرسائل التى ترفقها المرأة العربية مع « الكنزات الصوفية » التي تنسجها للفدائيين لحمايتهم ووقايتهم من برد الشتاء .. ان المطلوب من كل امرأة عربية ، في كل بلد عربي أن تساهم بدورها وتصنع بيديها « كنزة » واحدة ، لينجح مشروع « كنزة الفدائي » .. ومن بعده نبدأ مشروعا جديدا لصالح الفدائي.. ان المرأة العربية تتحمل مسئولية لا تقل اطلاقا عن تلك التى يحملها شقيقها الفدائي ، الذى يحمل السلاح في أرضنا المحتلة .. والى جانب توزيع الكنزات يقع على المرأة عبء العناية ببنات الشهداء وتربيتهن .. وترى الى اليمين الحاجة تودد وسط بنات الشهداء ، وفي الصورة العليا اثناء عملية استلام الكنزات ، وقد ظهرت في الطرف الايمن السيدة سهام خلف ، امينة سر جمعية أسر الشهداء ..



« ثلاث وجبات..وبسكويت مع شيكولاته
نقدمهما لهن في الساعة الخامسة .. الى
جانب اعطائهن الدروس المقررة في المدارس
الحكومية ، والعناية بهن صحيا ، وتوفير
الملابس لهن ، والسهر عليهن اثناء نومهن
هذا بعض ما نقوم به ونقدمه لبنات
شهداء « فتح » .. » هكذا قالت لنا
الحاجة تودد سعيد عبد الهادى ، التى
أبعدها اليهود من جنين فجاءت الى الضفة
الشرقية لتصبح المسئولة عن بنات الشهداء
.. « أن الثورة عمل متكامل يحتاج الى
العقل والتخصص والتنظيم والمال وحمل
السلاح ، كل في موضعه ، وضمن امكانات
ومجالات تحركه قادر على أن يسهم في
هذه الثورة .. ولكن هذا الاسهام لا يمكن
أن يتحقق الا من خلال جهد منظم متكامل
ينطلق من الشعور بالواجب ، ويستهدف
تحقيق هذا الواجب .. »

الصوفية (بول اوفر) الى قيادة « فتح » ، وقد صنعنها بايديهن ، ليرتديها الفدائيون ويتقوا بها شر البرد في الشتاء ..

وانتشرت الفكرة في الاردن ولبنان حيث بدأت أعداد كبيرة من النسـاء والفتيات في صنع كنزة واحدة لكل فدائي.. وهنا نتساءل : ما بال النساء في البلاد العربية الاخرى لا يحركن ساكنا ؟ ! لم لا يبارين نساء الاردن وفلسطين ولبنان في صنع الكنزات وتقديمها الى الفدائيين ؟

ان على كل امرأة عربية في كل بلدة وقرية ومدينة تقع بين المحيط والخليج أن تنسج بيدها كنزة صوفية واحدة أو أن تشترى مثل هذه الكنزة ان تعذر عليها نسجها .. وأن تبعث بها مشفوعة بكلمة رقيقة الى من يوصلها الى فدائي يلبسها ويمتع نفسه بقراءة الكلمة الرقيقة المرسلة ..

وعلى عشرات الكنزات الصوفية التي وصلت قرأنا العبارات التالية ، التي تضمنتها رسائل السيدات اللواتي صنعن الكنزات :

* أخي الفدائي .. نسجتها من خيوط أمل الشعب بك .. حقق الله بك الآمال ونصرك ..
* أخي الفدائي .. خذني معك الى بلدي .. الى فلسطين .
* أخي الفدائي .. ينبت الورد على جرح مقاتل .. قاتل .. قاتل .. حتى تجني الورد .
* أخي الفدائي .. واضيعتاه للعرب .. ان ناموا وان لم يثأروا ..

وتفعل هذه الرسائل فعل السحر في الفدائي انها تبعث في نفسه الدفء والحرارة أكثر من الصوف نفسه . فتراه يرتديها ويتسلح بالايمان أكثر من تسلحه بالسلاح نفسه ، ويعبر نهر الاردن وكأنه يتطهر من عار ٢٠ عاما ظل خلالها حبيس اجهزة دعاية مخدرة .. قبل أن ينطلق على الطريق الطويل نحو آفاق جديدة .. لقد اكتشف نفسه واكتشف أن عدوه مرتعب منه ، فتراه ينقض عليه يوميا يقفز من فوقه ويفرغ في جوفه طلقات مدفعه الرشاش ، وينسف مصفحاته ودباباته بمدفع (الآر ـ بي ـ جي) الذي يحمله فوق كتفه ، ويتخلع قلب العدو فيطلق النيران في كل اتجاه وينير المنطقة بصواريخه المضيئة ويطلق مدفعيته على المكان الذي يعتقد أن الفدائي مختف فيه ..

وتهدأ المعركة ، ويعتقد العدو ، ان الغارة قد انتهت .. ولكن سرعان ما تهجم عليه موجة ثانية تقضي على البقية الباقية من قوته المحتمية وراء أكياس الرمال ..

أمنية الفدائي

وسألنا الفدائي عن شعوره بعد المعركة فأجابنا :

عندما أكون فوق أرض بلدي ، أشعر بفرحة غريبة ، وكبرياء شريف ، وأحس بأن واجبي يحتم عليّ تنظيفها من اللصوص الذين سلبوني اياها .. لهذا تراني أضرب بقوة وعنف وسرعة خاطفة ثم انسحب .. لأعيد الكرة ثانية ..

ـ ما هي أمنيتك في الحياة ؟

ـ أمنيتي أن أشهد حولي جميع اخواني نضرب هذا العدو الذي يرتعد كلما رآنا .. أمنيتي أن تنقشع الغشاوة من أعيننا لنرى أن عدونا ليس بالفخامة التي صورها لنا انتصاره الرخيص في ٥ حزيران .. أمنيتي أن استشهد على تراب وطني أو أرى ساعة التحرير .. ساعة تحرير بلادي .. ■■

سليم زبال



الشرفات في مدرسة بيت المقدس ، يقمن بدور الأمهات لبنات الشهداء ، فيقدمن لهن الدواء في حالة توعكهن كما ترى في الصورة .

ســوريــا

تحقق الاكتفاء الـــذاتي في البــترول

■ احتفلت سوريا بتصدير الشحنة الاولى من بترولها في اواخر شهر يونيه (حزيران) الماضي ، اى بعد مباشرتها اعمال التنقيب عن ذلك البترول بنحو اربع سنوات .. ولا ريب في ان هذه مدة قصيرة وخاصة اذا قيست بالمنجزات الشاملة المتكاملة التى تم تحقيقها اثناءها .

واول ما يذكر من هذه المنجزات ، طبعاً ، حقول البترول وآباره .

ولقد بلغ مجموع الآبار المنتجة التى حفرت وطورت في سوريا في فترة الاربع السنوات ٥٧ بئرا موزعة بين حقول البترول الثلاثة كالآتي :

٣٥ بئرا في حقل السويدية

١٧ بئرا في حقل كراتشوك

٥ آبار في حقل رميلان .

وتنتج هذه الآبار من الزيت الخام حاليا نحو ١ر٢ مليون طن سنويا . وعلى قلة هذه الكمية نسبيا فانها تفي بحاجة البلاد وتسمح بتصدير نحو مليون طن من زيتها الخام الى الخارج .

والحديث عن التصدير يسوقنا الى الحديث عن خط الانابيب الذى يتدفق البترول السورى فيه الى ميناء طرطوس على البحر المتوسط . ويبلغ طول هذا الخط ٦٥٠ كيلومترا . اما قطره فيبلغ ٢٢ بوصة على طول مسافة الـ ٥٦٠ كيلو مترا الممتدة بين حقول البترول في شمال شرق البلاد والمصفاة في مدينة حمص . ثم يضيق الخط ويصبح قطره ١٩ بوصة ، وذلك بعد تركه المصفاة في حمص وحتى يصل ميناء طرطوس ، اى لمسافة طولها ٩٠ كيلومترا .

ومصفاة حمص التى ذكرنا هي الاخرى في عداد تلك المنجزات ، بل لعلها اهمها . وتجدر الاشارة هنا الى ان في مدينة حمص مصفاتين للبترول لا مصفاة واحدة . الاولى قديمة هي الآن قيد التوسيع ، والثانية حديثة ستكفل مضاعفة الطاقة الاجمالية لتكرير البترول في سوريا بحيث تصبح ٢ر٧ مليون طن في السنة .

ومعنى ذلك ان هاتين المصفاتين لن تقفا عند حد اغناء سوريا عن استيراد المشتقات البترولية ، ولا عند سد حاجاتها ، وتحقيق اكتفائها الذاتي فيما يتصل بتلك المشتقات . بل ان طاقتهما ستتعدى هذا فتمكن سوريا من تصدير الفائض عن حاجات البلاد من المشتقات البترولية المكررة ، ويقدر هذا الفائض بنحو نصف مليون طن سنويا ، او يزيد قليلا ، وذلك اعتبارا من سنة ١٩٧٠ ولمدة لاسبيل الى حصرها الآن . ذلك ان حاجات البلاد من تلك المشتقات في السنة المذكورة مقدرة بنحو ٢ر١٦٨ر٠٠٠ طن . ونذكر من تلك الحاجات على سبيل المثال :

٢٠ر٠٠٠ طن غاز البوتان سنويا

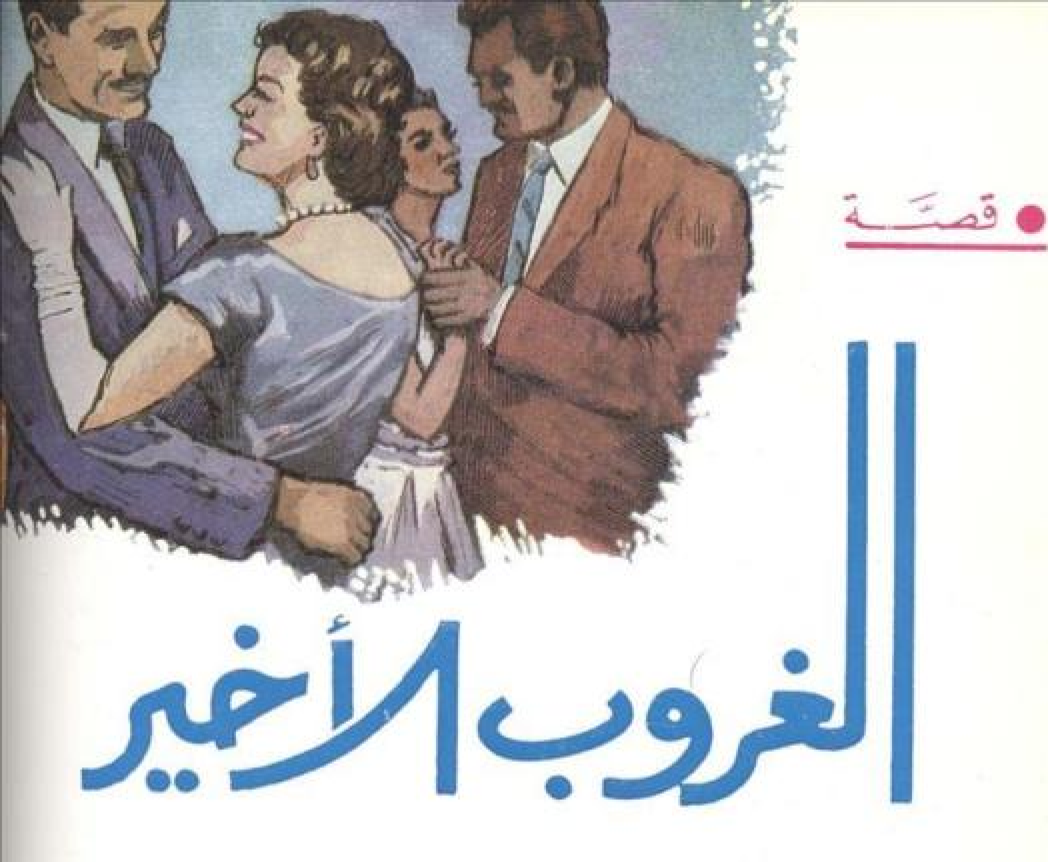
١٤٣ر٠٠٠ طن غازولين للسيارات سنويا

١٩٨ر٠٠٠ طن كيروسين سنويا

٨٧ر٠٠٠ طن مازوت للتدفئة والسيارات سنويا

والجدير بالذكر ان مصفاتي حمص ستنتجان بالاضافة الى المشتقات البترولية الاستهلاكية مشتقات اخرى صناعية . ونخص بالذكر من هذه المشتقات او الخامات ٣٠ر٠٠٠ طن من الكبريت و ٥ر٠٠٠ طن من البنزين . وستغطي كمية الكبريت حاجة مصنع لسماد السوبر فسفات الذى سينتج من هذا السماد المركز بنسبة ٤٨٪ ما يقدر بنحو ١٠٠ر٠٠٠ طن في السنة وذلك اعتبارا من سنة ١٩٧١ . اما كمية البنزين فستفي بحاجة مصنع آخر من المواد الاولية ، هو مصنع سماد نترات النشادر الجيرية الذى سينتج نحو ١٥٠ الف طن سنويا من السماد المذكور وذلك ابتداء من منتصف هذه السنة ١٩٦٩ .

وتجدر الاشارة بعد هذا كله الى ان صناعة البترول في سوريا صناعة وطنية خالصة ، سواء من حيث انتاج البترول او تكريره او نقله داخل البلاد او تسويقه . ■■



● قصة

الغروب الأخير

بقلم : عماد الدين غازى

▩ كان جرس الهاتف يرن بالحاح لم تجد معه محاولات الدكتور سامي للتخلص منه بوضع الوسادة على راسه ، ولكنه فيما يبدو قد سلم للامر الواقع ، فمد يده بتخاذل وتناول السماعة وهو يتثاءب : الو ...

ــ لم كل هذا التاخير ..... ؟

ــ كنت نائما ...

ــ وهل ينام احد في مثل هذه الساعة من النهار .. الا تدرى انها الحادية عشرة .. لاشك ان المرضى قد ملوا الانتظار في عيادتك ..

ــ صحيح .. لاشك انهم ملوا وذهبوا لغير رجعة .. حتى لم يبق الا الاثاث . وما يدريني فربما يذهب هو الآخر ....

ويضحك الدكتور غياث على الطرف الآخر من الهاتف ويتابع :

ــ صحيح انك تعاني من قلة الزبائن الآن ولكنك ستنجح في المستقبل وكما تعلم ان المجتمع عندنا لم يالف وجود اطباء نفسانيين ، وربما تتحسن الاحوال .

ــ كفاك مراعاة لشعورى .. لقد سئمت هذا الكلام ... والآن قل هل لي ان اعلم سبب ايقاظك اياى من النوم .. ؟



تعود الضحكة لغياث ويجيب بتفاؤل :

اليوم سوف نسهر الى الفجر ...

ـ وما المناسبة .. ؟

ـ الا تدري .. وهل يوجد احد لا يعلم أن اليوم عيد رأس السنة ؟

ـ تبا لهذه الايام . لا اكاد اشعر بوقع خطواتها المتسارعة ... حسنا سأكون عندك كالمعتاد ..

ـ انا بالانتظار ...

★ ★ ★

اللحن يعلو ويخفت محاولا ان يرادف كلمات المغنى الشاب وهو يؤدى اغنيته الراقصة ، تاركا العنان لصوته ، بل لكل جسده ليتحرك كما يشاء ليجارى جموع الراقصين ويتابع اجسادهم وهي تتلوى كافاع هاربة ، تفجر جنون الجنس بهذه الحركات العشوائية .

ومع الابتسامة المعهودة يشير الدكتور غياث بيده الى حلبة الرقص مخاطبا الدكتور سامي :

ـ هاهم زبائنك يادكتور ..

ويفتح سامي فمه كمن يريد ان يقول شيئا ولكنه يفتقده مع زيادة الضجيج فيؤثر ان ينظر الى ساعته :

آه انها الثانية عشرة تماما .

ولم يكد يتم كلمته حتى خيم الظلام المقصود على الجميع ، وتعالت صيحات المخمورين تهلل بسرور ، ثم لم تلبث ان ذابت مع همسات الاشباح المتعانقة . الا ان سامى لاحظ أحد هذه الاشباح وهو يقترب نحوه ليقف على قيد خطوة منه ، وكانه قد تسمر في مكانه فلما عادت الحيـاة للانوار ظهر الشبح فكان امراة تنظر اليه وهي تكبت صرخة مكبوته عمر ... عمر .

نظر اليها بامعان يتفحص آيات الجمال الباهتة على محياها محاولا أن يجد الكلمة المناسبة ، ومع أن الشجاعة قد خانته فقد استدرك نفسه فقال :

ـ هل توجهين الكلام لي يا آنسـة ؟

ـ .....

ـ آسف اذا لم أكن المقصود . ولكن لا بأس أن نتعارف . زميلي الدكتور غياث ، وأنا الدكتور سامى .

لم تدعه يتم كلامه ، استدارت وهي تتمتم في حزن وبصوت خافت « لا ... عمر لم يعد بعد » .

نظـر سامى الى زميله بتعجب فلمـح تلـك الابتسامة الساخرة على محياه ..

شيء غريب ، هل يوجد شخص يشبهني لهذه الدرجة ..

ـ لو كنت مكانك لما توانيت عن معرفة ذلك ...

ـ ماذا تعنى ؟ ..

ـ أعني انها فرصة .. لِمَ لا تدعوها الـى الرقص . ؟

وهل ستقبل ؟ ..

ـ جرب .

ـ واذا رفضت ؟

ـ لا شيء .

ـ سأحاول على كل حال .

قالها سامي بشجاعة وهو يتوجه الى حيث جلست تلك الفتاة مع رجل مسن منهمك بحديث تبدو عنه لاهية .

ـ آسف اذا قطعت حديثكما .. هل تسمحين يا آنسة بهذه الرقصة ؟ **وجال ببصره حيث الرجل المسن يُحدّق فيه مشدوها وهو يردد موجهـا الكلام لابنته .**

ـ لِمَ لا ، ارقصي معـه يا نادية أنت تحبين الرقص .

وانصاعت نادية لرغبة والدها ، ولو ان تلك النظرات السابحة في اللانهاية تبحث عن شيء مفقود جعلت سامى يشعر انها في عالم آخر لا تحس بوجوده اطلاقا ، واراد ان يردها اليه باحثا عن شيء في ذاكرته يكون نواة حديث .

نادية اسم لطيف . ترى هل انت اخترت هذا الاسـم ؟ .

ويبدو ان سهمه اصاب فلاحظ شبه ابتسامة على شفتيها ......

فاستطرد قائلا :

ـ حبذا لو يستطيع كل انسـان ان يختار لنفسـه اسما معينا برغبة ... ترى لو كان بامكانك ان تختارى اسما لى فاى اسم تختارين .. ؟

ـ عمـر ...

ـ اسم جميل ولكن هل انا اشبهه الى هـذه الدرجة ؟

شعر بجسمها يختلج بين ذراعيه ، وتتغير نظرتها البريئة الى ما يشبه الذعر .

ــ كيف عرفتَ ؟ ...

ــ الامر بسيط .. الم تحببيني اياه قبل قليل ؟

تنهدت بارتياح ، وعادت تلك النظرة الحزينة لعينيها :

ــ صحيح ..

وابن هو الآن ...؟

ــ لنعد الى الطاولة انني متعبة ..

قالت ذلك محاولة ان تتهرب من الجواب . فآثر الصمت ، فبادره والدها .

ــ لم تنته الرقصة بعد على ما اظن ..

ــ نعم ولكن الآنسة نادية متعبة قليلا ..

ــ آه ... اذن بامكانك ان تغسلي وجهك بالماء البارد فربما يشعرك بقليل من النشاط .

وبصورة آلية غادرت نادية المائدة لتمسح وجهها ، بينما اغتنم الاب هذه الفرصة فوجه الكلام الى سامي :

ــ ما اختصاصك يا دكتور ؟ ..

ــ الامراض النفسية .

وشع بريق غريب يدل على السرور في عيني الأب وأردف قائلا :

ــ يبدو ان الحظ قد ابتسم لي هذه الليلة مرتين ، الاولى انك تشبه الى حد غريب شخصا اعرفه اسمه عمر ، والثانية كونك دكتورا نفسانيا ، وهذا هو المهم .

ــ ماذا تقصد ؟

ــ اسمع يادكتور . هذه حالة لك الفضل ان عالجتها وهذا امل لي فيك . لقد كانت نادية مخطوبة لشاب يدعى عمر تحبه بكل جوارحها ، سافر الى بلاد الغرب ليتم دراسته العالية وبعد فترة انقطعت اخباره الى ان علمنا انه توفى هناك ، فاصيبت نادية بصدمة قوية . وهي لاتزال تقول انه حي يرزق ، وسيعود لها يوما ما بل انها تنتظره كل يوم مع غروب الشمس كما عوَّدها ، وعندما تغرب الشمس تعود لكآبتها ، لشد ما يحزنني ان اراها كذلك ، ولا ام لها تواسيها ، لقد افنيت عمري وانا آمل ان اراها سعيدة .. نعم يادكتور ، لقد ساعدني الحظ اليوم بمعرفتك .. لانني لم ادع طبيبا الا وطلبت ان يعالجها ولكنهم فشلوا لانها لم تكن لتساعدهم . واليوم لاحظت ميلها اليك الناتج عن ذلك الشبه الغريب بينك وبين عمر ، لقد شاهدتك قبل انقطاع التيار بلحظة فصرخت وتوجهت اليك . انها ملاك .. ملاك حقيقي لولا تلك الدموع الدائمة وهذا الحزن . انه يفتك بقلبي اكثر منها . ارجوك يادكتور ساعدنا فربما يكون ذلك نهاية لمرضها بفضل معالجتك اياها ، اريدك ان تعالجها دون ان تعلم هي بذلك ، لانها قد تضيع عليك فرصة النجاح اذا ادركت انك تعالجها كطبيب . كن لها صديقا تستطيع من خلال صداقتك ان تزيل عقدة المرض فيها ، سأكتب لك عنوان المنزل لتزورنا كصديق عادي وسأدعوك امامها لزيارتنا ، والآن انتبه هاهي تقترب ..

ــ هل تحسن الحال ؟ ..

ــ لا بأس ولكن من الافضل ان نعود الآن .

ــ كما تشائين .. واذا سمح الدكتور سامي ، وبالمناسبة لقد دعوته لزيارتنا وآمل ان يلبي دعوتي اليس كذلك يادكتور . ؟

سيكون ذلك من دواعي سروري .

لم يدر سامي ما حقيقة ذلك الشعور الذي انتابه وهو يراقبها تغادر المكان ، كان حائرا امام هذا الجمال البريء الذي شارف الذبول وحاول ان يطرد افكاره بعيدا ولكنه لم يفلح الى ان قطع تفكيره الدكتور غياث قائلا :

ــ ارى شيئا ما قد تغير في ملامحك .. قل لي ماذا حدث وهل وُفقت لمعرفة غريبك ؟ ..

ــ لست ادري ، وسأقص عليك كل شيء فيما بعد لأن الوقت قد تأخر وأفضل العودة للمنزل .

★ ★ ★

وفي اليوم التالي كان سامي يبدو متعبا شارد الذهن يحاول ان يحصر افكاره وهو يحدث الدكتور غياث :

ــ انني حائر .. هل اذهب ام لا ؟ ... واجبي

البقية على صفحة ١٦٤

جهاز الهضم

في جسم الانسان

■ انه انبوبة طويلة تضيق احيانا ، وتنتفخ احيانا . تبدا بالفم ، فالحلق ، فالمرىء ، فالمعدة ، فالمعاء الدقيق ، فالمعاء الغليظ ، فالاست . ويمر الطعام بها ، فتهضمه بالذى تصب عليه من مواد كيماوية فعالة ، تعرف بالأنزيمات Enzymes تغير من كيمياء هذا الطعام ، على شتى أصنافه ، وتحوله الى مواد تمكن الجهاز الهضمى من أن يمتصها فتدخل الجسم لينتفع بها . أما الذى يفرز الانزيمات ، فغدد تمد هذا الجهاز الهاضم أو هى خلايا به مختصة بذلك . والجهاز الهاضم يقوم أيضا بامتصاص ما انهضم من الطعام . أما الذى لا يهضم من الطعام ولا يمتص فيخرج من الاست برازا .

ونتحدث هنا باختصار عن الغدد والخلايا وما تفرز من انزيمات، وعما تهضم الانزيمات من صنوف الطعام . علما بأن صنوف الطعام الكبرى ثلاثة : البروتينات (اللحم الاحمر ، والبيض وما الى ذلك) ،والكربوادراتات (النشويات ، والسكريات معا مثل : النشا ، وسكر القصب ، وسكر اللبن ، وسكر الشعير) ، والدهون (دهن اللحم ، وزبد اللبن ، وزيت الزيتون ، وزيت بذرة القطن) .

الفم

في الفم يتهيا الطعام للهضم بالطحن ، مع التليين باللعاب .

وتقوم بالطحن الأسنان ، ويشترك في العجن اللسان والأشداق .

أما اللعاب ، فتفرزه في الفم الغدد اللعابية وهى ثلاثة أنواع . النوع الاول : الغدة النكفية وتوجد منها واحدة على كل جانب من جوانب الوجه ، موضعها امام الاذن ، ومن تحتها . وهى الغدة التى اذا التهبت سببت المرض المعروف بالنكاف .

والثانية غدة ما تحت الفك الأسفل ، وتوجد منها واحدة على كل جانب من الوجه تحت حرف الفك الى الوراء . والثالثة غدة ما تحت اللسان ، واسمهما يدل على موضعيهما .

وغير هذه الغدد الأصيلة توجد غدد في جدران الفم كثيرة : في الشفة ، والأشداق ، واللثة ، وسقف الحلق .

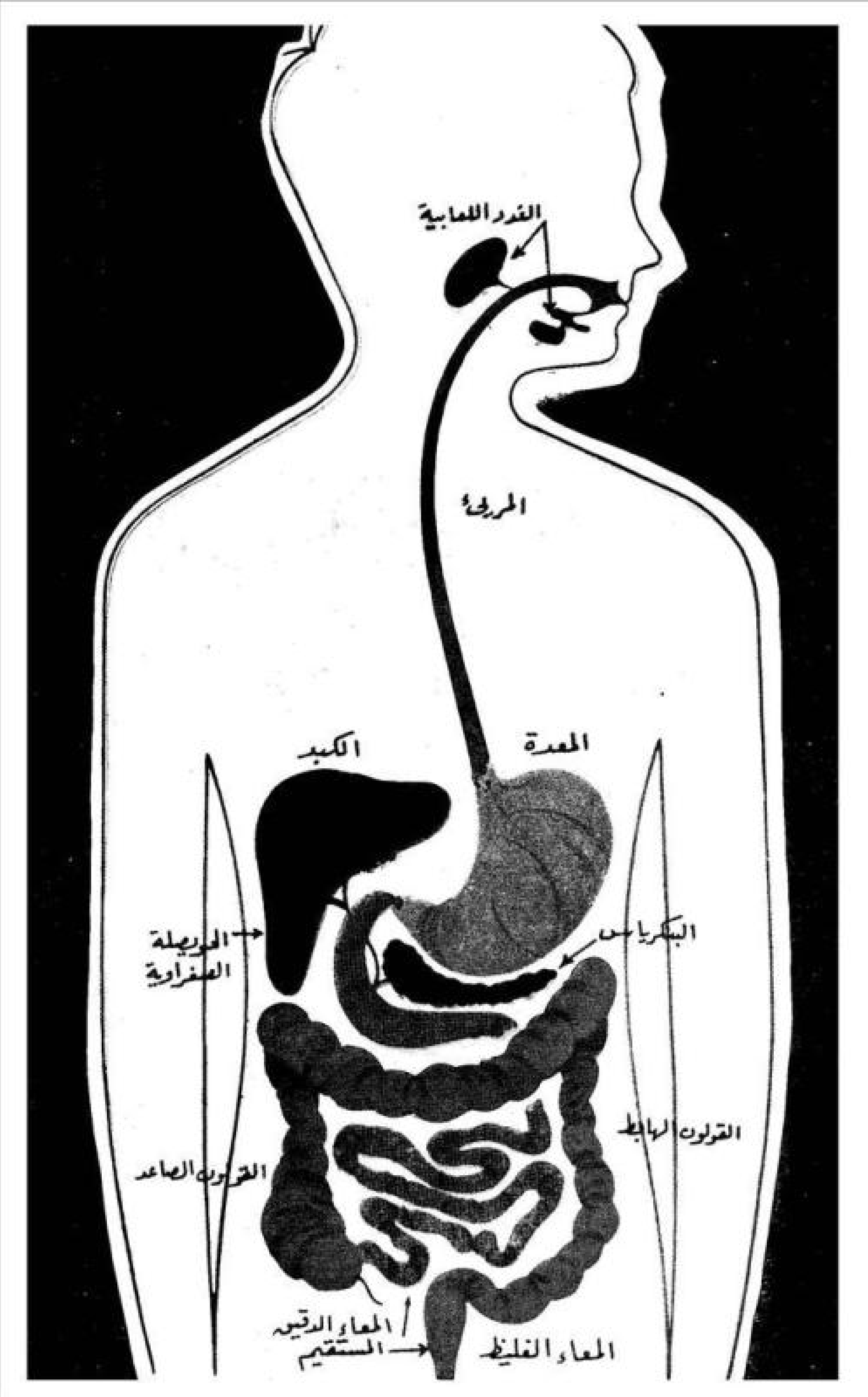
والفم يفرز من اللعاب ما بين ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب في الأربع والعشرين ساعة ، وهو دائم الافراز لترطيب الفم وتزليج أجزائه وتسهيل حركات اللسان فيه والكلام .

واللعاب ٩٩ في المائة منه ماء ، وواحد في المائة انزيم Enzyme ومخاطين Mucin وملح .

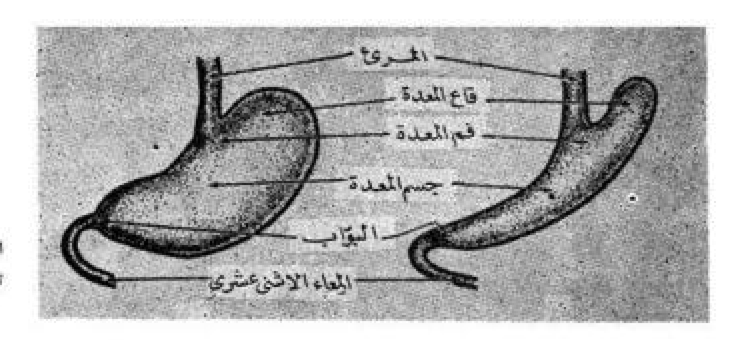
أما المخاطين في اللعاب فلتزليج اللقمة وهى تطحن ليسهل بلعها .

وأما الأنزيم ، وهو المسمى اميلاز الفم Amylase فهو الذى يحل النشا حلا كيماويا ، فيبسط تركيبه ، فيحوله الى سكر الشعير .

واللقمة الممضوغة لا تبقى في الفم طويلا ، فهضم



الغدد اللعابية
المريء
الكبد
المعدة
الحويصلة الصفراوية
البنكرياس
القولون الهابط
القولون الصاعد
المعاء الدقيقة
المستقيم
المعاء الغليظ



المعدة : فارغة
ثم ملآنة

النشا فيها لا يطول ولا يتم طبعا ، وهي اذا نزلت الى المعدة وفيها الحامض ، أوقف هذا الحامض تفاعل هذا الانزيم مع النشاء فلم يبلغ حلّه النشا ، اى هضمه ، الى تمامه . الا أن يتروى في القوس الاعلى من المعدة الى حين .

والخلاصة ان عمل الفم في الهضم عمل اكثره واخطره ميكانيكى ، لا كيماوى ، هو الطحن والعجن والتزليج ليسهل البلع .

المــريء

اذا تهيأت المضغة للبلع مرت في الحلق الى المرىء ، وفي أثناء البلع ينسد الطريق الى القصبة الهوائيةحتى لا يدخلها الطعام ، فاذا دخل فيها شيء أخذ الانسان يسعل بشدة لاخراج ما دخل فيها .

والمرىء انبوبة عضلية تصل من الحلق الىالمعدة، وطولها نحو ربع متر ، وموضعها خلف القصبة الهوائية والقلب ، وأمام فقرات سلسلة الظهر . والمرىء يخترق الحجاب الحاجز ، الى اليسـار من الخط الراسي الذى هو أوسط الجسـم ، ليصل الى المعدة .

والبلع يبدأ عملا اراديا يحدثه اللسانوالأشداق ، فاذا دخل الطعام الى الحلق فالمرىء صار غـير ارادى .فعندئذ تنشا في المرىء حركة توصـف بالدودية : يتقبض عضل المرىء وراء اللقمة ، ويرتخي أمامها ، وهكذا هو يظل يفعل فيتقدم بها الى المعدة . وهذه الحركة الدودية تشمل كل انبوبة الجهاز الهضمى تقريبا . ويستغرق وصول اللقمة من الحلق الى المعدة نحو ١٠ ثوان . اما السوائل فتستغرق ما بين ثانيتين الى أربع .

وليس في المرىء غدد تصب سوائل هضمية فيه. انّ هى الا الغدد المخاطية المبعثرة في الغشـاء المخاطيء للمرىء تفرز المخاطين للتزليج والحماية .

المعـدة

وموضعها تحت الحجاب الحاجز مباشرة ، في النصف الايسر من الجسم ، وهي تتصل من أعلى بالمرىء عن طريق فتحة فم المعدة وهي فتحة مزودة بعضلة حلقية تضيق في الوقت المناسب لتمنع طعام المعدة ان يعود الى المرىء . والمعدة تتصل من أسفل بالاثنى عشرى : وهو الجزء الأولى من المعاء ، وبينهما عضلة حلقية تنغلق وتنفتح وفق الحاجة وتعرف بالعضلة الحلقيـة العاصرة للبـوّاب Pyloric Sphincter . والبواب Pylorus هو اسم اصطلاحي للمنطقة الضيقة من المعدة التى تتصل بالاثنى عشرى .

والطعام يهبط من المرىء الى المعدة فتتسع له من بعد ضيق ، حتى اذا امتلأت تقبضت العضلة الحلقيـة التـي في فـم المعدة ، وكـذا عضلة البواب العاصرة ، وأخذت المعدة تهضم الطعام فى هدوء بمعزل عن سائر الجهاز الهضمي .

ثم تأخذ تسرى فى جدرانها حركات ، من تقلص عضلي ، يليه ارتخاء" يليه تقلص : وهكذا ، يؤدى كله الى تحريك ما فى المعدة من طعام . وهي بذلك تخلطه وتخضه خـض اللبن ، وتمزجـه بالعصارة الهضمية التى صبتها على الطعام ما في جدران المعدة من غدد قدروها بنحو ٣٥،٠٠٠،٠٠٠ غدة .

وهذه الغدد تحتوى على خلايا ، كل متخصص بالذى يفرز . فبعض يفرز مادة مخاطية ، وبعض يفرز حامض الكلوردريك ، وبعض يفرز الانزيم الذى يتحول مع حامض الكلوردريك الى الببسين Pepsin ، وهو الانزيم المعروف الذى يهضم اللحم . وهو لا يهضم الا فى وسط حامضي ، ومن أجل هذا كان وجود حامض الكلوردريك .

وبالعصارة الهضمية المعدية الانفحة ، وهى انزيم مجبّن للبن . على أن حامض الكلوردريك وحده

فهين بتجبينه . وهو انزيم انفع في حالة الاطفال حيث العصارة الهضمية ليست بالغة الحموضة . والا يتجبن اللبن يفعل فيه الببسين فعله في اللحم ، فما الجبن الا بروتين .

وفي العصارة الهضمية المعدية انزيم يهضم الدهن Lipase ، ولكن ليس له في المعدة خطر كبير .

ويؤثر في افراز العصارة الهضمية كل اضطراب نفسي ، كالغضب ، والخوف وحتى الموقف الحرج .

ويتم هضم الطعام في المعدة ، فتاخذ في افراغه في الاثنى عشري فيما بين ٣ الى ٤ ساعات من الانتهاء من الطعام . وهذا الزمن يختلف بمقدار الطعام ، ونوعه ، وسهولة هضمه ، واستطاعة المعدة تحويله الى سائل لخين .

وكلما فرغت المعدة من هضم انفتحت بها فتحة البواب المغلقة بالعضلة الحلقية العاصرة ، وخرج الطعام الى المعاء الاثنى عشري . والجسم يتحكم في هذا الفتح والاغلاق بطريقة لم تتضح بعد تماما .

واهم شيء وقع في المعدة من هضم ، هو الهضم الكيماوي الذى قام به الببسين Pepsin ، فهو يحل البروتين اللحم والبيض واشباههما) الى بروتينات ابسط تركيبا ، الى بروتيوزات وببتونات Proteoses & Peptones ، وهو لا يحلها الى الغاية المطلوبة ، الى احماض امينية يستطيع ان يمتصها الجسم .

ومن كل هذا ، يتضح ان المعدة ليست باخطر جزء من جهاز الهضم . انها خطيرة ما وجدت . ولكن ، حدث ان ازيل من المعدة جزء قليل ، فجزء كبير ، فاجزاء ، حتى لم يبق منها غير انبوب ، ومع هذا عاش صاحبها ، لان باقى الجهاز الهضمي قام بالهضم كاملا . انما وجب على صاحبها ان ياكل القليل في الوجبات الكثيرة .

المِعاء الدقيق

لا نبالغ اذا قلنا ان الهضم تقع كثرته الكبرى في المعاء الدقيق ، والقليل منه في المعدة .

والمعاء الدقيق عبارة عن انبوب طوله نحو ٢٠ قدما . وهو ثلاثة اقسام ، المصران الاثنى عشري Deuodenm وطوله نحو ١٠ بوصات (سمي بذلك قلنا بأن طوله ١٢ بوصة) ، يليه الجزء الأوسط من المِعاء ويسمى بالصائم Jejunum (سمي بذلك لحسبان أنه يفرغ عند الموت) ، وطوله من ٢/١ ٧ الى ٨ اقدام ، يليه الجزء الاخير ويسمى المعاء اللفائفي Eleum ، وطوله من ١١ الى ١٢ ، وهو الذى يتصل بالمعاء الغليظ ويصب فيه ما يفرغ منه من طعام .

مصادر ثلاثة هاضمة

اما المواد الهاضمة في المعاء الدقيق فلها مصادر ثلاثة ، البنكرياس وما يصنعه من انزيمات هاضمة ، وجدران المعاء وما تفرزه من انزيمات ، ثم الكبد وما تصبه في المعاء من صفراء .

البنكرياس

اما البنكرياس فغدة طولها ٦ بوصات وعرضها بوصة واحدة وسمكها بوصة واحدة ، وتخرج افرازاتها من قناة تصب في المعاءالاثنى عشري ، وهي تشترك مع قناة الصفراء الآتية من الكبد ، فيصبان في الاثنى عشري معا .

والبنكرياس مشهور بافراز الانسولين ، وليس هو الآن من همّنا ، وهو على كل حال ليس بالمادة الهاضمة ، وهو لا يخرج عن البنكرياس افرازا عن طريق قناتها ، انما هو يسير في الدم مباشرة .

انزيمات البنكرياس

اما افراز البنكرياس الذى يصب في المعاء فيبلغ نحوا من ٨٠٠ سنتيمتر من السائل في كل ٢٤ ساعة ، و ٩٨٪ منه ماء و ٢٪ من المواد الصلبة اكثرها انزيمات ، وهي انزيمات في مقدورها حل المواد البروتينية ، والمواد النشوية السكرية ، والمواد الدهنية ، من اول خطوة الى آخر خطوة ، فان كانت خطوة من هذه سبق ان تمت في الفم او في المعدة ، ففي مقدور هذه الانزيمات اتمام حل هذه المواد الى المواد الابسط التي يستطيع المعاء الدقيق امتصاصها لفائدة الجسم .

وان كان لا بد من ذكر اسماء هذه الانزيمات فها هي :

التربْسين Tripsin ، والكيموتربسين Chymotripsin ، والكربُكسيبيْتيداز Carboxypeptedase ، وهى تحل البروتينات.

واميلاز البنكرياس Amylase ، وهو يحل

النشا وينهي تحويله الى الجلوكوز . ثم ليباز البنكرياس Lipase ويحل الدهون ، ولكن بمساعدة الأملاح التى تأتى بها الصفراء من الكبد .

وهذه الأنزيمات تعمل فى المحاليل المتعادلة من حيث عباد الشمس ، أو القليلة القاعدية .

انزيمات جدران المعاء الدقيق

وهى أنزيمات تصنع فى هذه الجدران .

ومن هذه الأنزيمات ما يكمل حل البروتين الذى لم يسبق ان اكتمل حله . أو السكر الثنائي لسكر القصب وسكر اللبن وسكر الشعير فيحلها الى سكاكر أبسط مثل الجلوكوز (سكر العنب) ونحوه . ومنها ما يحل الدهون .

الصفراء

والصفراء وهى سائل أصفر يميل الى السمرة تصنعه الكبد ، وتختزنه الحويصلة الصفراء ، وهو ينصب فى الاثنى عشرى حيث ينصب افراز البنكرياس . والكبد تفرز منها من ٤٠٠ الى ٨٠٠ سنتيمتر فى اليوم الواحد ، ٩٨٪ منها ماء و ٢٪ من المواد الصلبة ، أهمها من حيث الهضم ملحان عضويان ، عملهما استحلاب الدهن الذى يلقيانه فى الأمعاء ، واذن يسهل حله بالأنزيم المعوى الى جلسرين وحوامض عضوية قابلة للامتصاص .

والكبد لا تمد الجهاز الهضمى بأنزيمات للهضم أبدا .

خطر المعاء الدقيق في الهضم

يتضح من كل هذا نصيب المعاء الدقيق فى الهضم ، وانه نصيب عظيم كما سبق أن ذكرنا .

ويلاحظ أن السوائل الثلاثة ، الآتية من البنكرياس ، أو جدار المعاء ، أو الكبد ، بها من القلوية ما تعادل به حموضة الطعام الداخل الى المعاء من المعدة . فالانزيمات فى هذا المعاء تعمل أحسن عملها فى سائل متعادل أومائل الى القلوية .

كذلك لا ننسى ان نقول ان الطعام يستغرق فى هذا المعاء من ٣ ساعات الى ٥ ، تدفعه فيه تلك الحركة الدودية التى سبق أن وصفناها . تقبض فى الانبوبة الهضمية يسرى فيها على طولها ، يلاحقها مثله ثان ، وثالث ورابع .

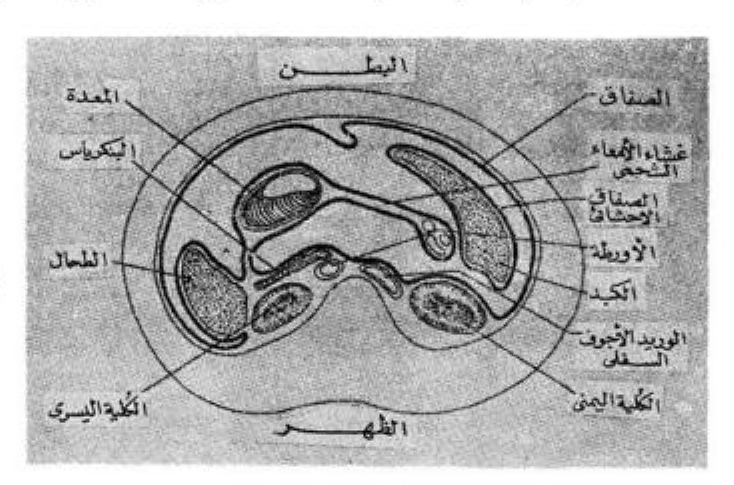
ولو أن موضوع امتصاص الطعام غير وارد الآن ، الا انه لا بأس في هذا الصدد الحاضر أن نقول ان الطعام المهضوم كله تقريبا يمتصه المعاء الدقيق ، وذلك بواسطة نحو ٥٠٠٠٠٠٠ شعرة تخرج من جدرانه تمتص أبسط السكاكر ، والأحماض الأمينية والحوامض العضوية والجلسرين . وهى المواد التى لا بد من حل الأطعمة اليها ليمكن امتصاصها .

اما الامتصاص في الفم ، وفي المريء ، فيمكن اعتباره صفرا . وهذا يقال أيضا فى المعدة ، الا فيما يختص بالكحول ، فهى تمتص ما بين ٣٠ الى ٤٠ في المائة مما يشرب منه ، وما بقي فيمتص فى الأمعاء . وهذا هو السبب فى سرعة التأثر بالمشروبات الروحية اذا شربها الشارب على معدة فارغة .

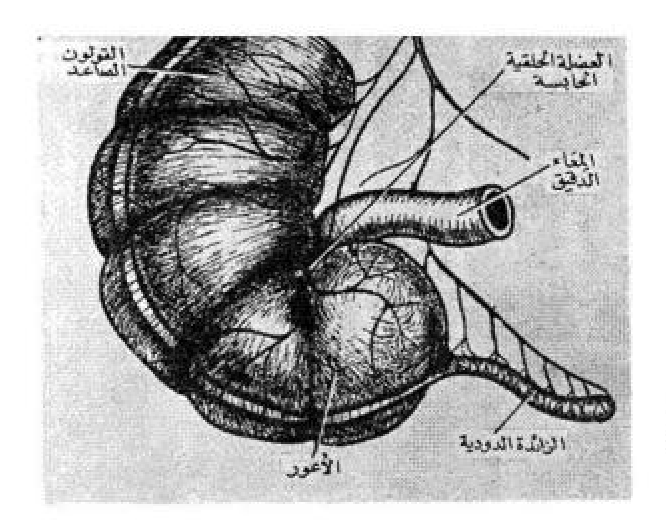
والماء يمتص اكثره المعاء الغليظ .

المعاء الغليظ

وهو انبوبة طولها نحو ٥ اقدام ، ويسمى ايضا بالقولون Colon ، ويتألف من ثلاثة اجزاء ، قولون صاعد ، وقولون مستعرض ، وقولون هابط.



مقطع افقى فى أوسط الجسم ، اذ تنظر اليه من أعلى



حيث يتصل المعاء الدقيق بالمعاء الغليظ

والمعاء الدقيق يصب الطعام الذى فرغ منه فى القولون الصاعد ، فى اوطأ جزء منه ، ويسمى بالاعور Caecum . وبطرف الاعور توجد الزائدة الدودية وطولها نحو ٤ بوصات وسمكها دون سمك الاصبع الخنصر .

والاعور سمي بهذا الاسم ، ترجمة للفظ الافرنكي فبمعناه الأعمى او الاعور وذلك لان هذا الجزء من المعاء الغليظ مسدود الأسفل .

ونصعد مع القولون الصاعد ، فى الجانب الأيمن من البطن ، الى ناحية الكبد ، وعندها ينثني القولون فيصبح افقيا ، وعندئذ يسمى بالقولون المستعرض ، ونسمى هذه الثنية بالثنية الكبدية Hepatic Flexure لوقوعها قرب الكبد . فاذا وصل القولون المستعرض الى الجانب الأيسر من الجسم انثنى الى اسفل وصار القولون الهابط ، وتسمى الثنية بالثنية الطحالية . ويتشكل الطرف الأسفل للقولون الهابط بشكل الحرف الافرنجي S بينا هو يغور فى الحوض .

ثم ياتي المستقيم ، وهو آخر شيء فى القناة الهضمية ، وهو يتجه الى اسفل وهو يميل الى الوراء ويسمى عندئذ بقناة الاست او الشرج .

وعند بدء المعاء الغليظ ، واتصاله بالمعاء الدقيق، تحرس المدخل عضلة حلقية حابسة ، تنغلق وتنفتح وفق الحاجة . وكذلك ، فى الاست توجد عضلتان حلقيتان حابستان ، الأولى الداخلة غير ارادية ، والاخرى الخارجة ارادية يحكمها الشخص .

نظام شامل لهذه العضلات الحلقية الحابسة او العاصرة كما يسميها بعضهم . وقد وجدناها عند اتصال المرىء بالمعدة ، واتصال المعدة بالمعاء الدقيق . ابواب حارسة تنفتح وتنغلق وفقا لحاجات عمليات الهضم الجارية .

وليس فى القولون انزيمات تفرز ، ذلك لانه لا حاجة اليها بعد ان قد تم هضم الطعام . وانما يفرز القولون كثيرا من المخاط ليزلق الفضلات فيسهل مرورها فيه .

والقولون يتسلم بقايا الغذاء مائعة ، وهو يقوم بامتصاص اكثر مائها .

وبقايا الاغذية تبقى فيه زمنا اكثر مما تستغرقه فى اى جزء آخر من الجهاز الهضمي ، فهي قد تستغرق ٢٤ ساعة للمرور فيه .

وتوجد فى المعاء الغليظ حركة دودية كالتي وصفناها فى المعاء الدقيق ، تساعد بقايا الاغذية على التحرك الى امام .

وعندما يأكل الانسان وتمتلىء معدته تحدث حركة قوية فى القولون سببها هذه الحركة الدودية، وتتركز هذه الحركة فى القولون الصاعد فتجرى الموجة فيه ، قبضة فى العضل ، تليها قبضة ، تليها اخرى . وهي قبضات تزج بالنفايا الى القولون الهابط . حتى اذا هي وصلت الى المستقيم كان الافراغ ، والا فهو الامساك .

والامساك سببه ركود فى القولون الهابط بسبب زيادة بالغة فى امتصاص الماء فى القولون ، او طول بقاء الفضلات فيه ، او لعله سوء اختيار الأطعمة ، ام المبالغة فى استخدام المسهلات ، او هو اغفال لاستجابة الطبيعة عندما تطلب . واحيانا يكون بسبب قولون متقلص . ●●

أ . ز .



التراجم

■ كتابة التراجم والسير شعبة من شعب كتابة التاريخ مأثورة ، ولون نراه من الوانه ، يحاول توضيح غوامضه ، واستيفاء نقصه ، وقد اقترن ظهورها بظهور كتابة التاريخ . وكاتب الترجمة او السيرة لا يتناول جيلا من الأجيال او أمة من الأمم او جماعة من الناس ، وانما يدير بحثه حول حياة رجل او امرأة فينشر مطوى اخباره وتجاربه الدنيوية وآثاره . والتاريخ من بعض الوجوه يشمل تراجم عدة ، وسيرا كثيرة . ودراسة الماضي سواء كانت للمتعة والتسلية او لطلب المعرفة والبحث عن الحق،او الافادة من تجارب الأمم الخالية، تقوم على قراءة التاريخ والاطلاع على التراجم والسير ، ولا يمكن الاكتفاء باحدهما على حساب الآخر ، لذلك عني الانسان بكتابة التاريخ كما عني بكتابة السير والتراجم .



بقلم : علي ادهم

التراجم اقدر على تحريك خيالنا من التاريخ

وكتابة التراجم مثل كتابة التاريخ فيها الجيد والرديء ، والصحيح والزائف ، واوضح مزاياها انها تمثل الحياة تمثيلا واضحا قويا لا يتيسر فى اغلب الأوقات لكتاب التاريخ ، وقد كثر فى القرن الحالي تناول التاريخ من ناحية التراجم ، فالى جانب من يقرأ التاريخ فى العصر الحاضر نجد الكثيرين يؤثرون قراءة التراجم ، واكثر من يريدون الاطلاع على تاريخ الثورة الفرنسية فى العصر الحاضر يؤثرون ان يقراوه ممثلا فى حياة روبسبيير Robespierre او دانتون Danton او ميرابو Mirabeau . وكثيرون ممن يحاولون الاطلاع على تاريخ الثورة الانجليزية وعلى عيوب النظام الملكي يفضلون ان يقراوا ترجمة كرومويل Cromwell زعيم الثورة . والواقع ان التراجم فى الاغلب الأعم اقدر على اثارة اهتمامنا ، وتحريك خيالنا ، من التاريخ .

ومن المسلم به ان العامل الشخصي في الماضي اقل اهمية من العامل الاجتماعي وان الاتجاهات الثقافية والقوى الاقتصادية وصور الحكم واشكاله والتقاليد المرعية والبناء الاجتماعى اعظم تأثيرا من عمل اى فرد من الافراد مهما بلغ من السيطرة والمكانة ، ولكن الدور الذى يلعبه الفرد يشوقنا بوجه خاص ، ويؤثر فى نفوسنا ، ولا نجد صعوبة كبيرة فى تصوره وادراكه كالتي تقابلنا حينما

بعض كتب التراجم

وفى الكتاب المقدس طائفة من القصص تعد من قبيل التراجم مثل قصة نوح ، وقصة ابراهيم واسحاق ، وقصة يوسف الصديق .

وكتاب زينوفون Xenophon فى الدفاع عن سقراط يعد من قبيل الترجمة لحياة الفيلسوف الحكيم سقراط من وجهة نظر زينوفون .

وقد ظهر فى القرن الأول الميلادى كتاب فلوطارخس Plutark ، وبه ست واربعون ترجمة لأعيان الرومان واليونان ، وهو يعد من اهم كتب التراجم .

وفى القرن الثاني الميلادى ظهر كتاب سبتونياس عن القياصرة الاثنى عشر وهو ليس فى مستوى كتاب فلوطارخس ، ولكنه برغم ما به من عيوب اوضحها شدة ولع المؤلف بسرد العيوب ، وتحرى الاشارة الى الفضائح ، يلقي ضوءا على حياة القياصرة الخاصة ومستوى آداب العصر بوجه عام .

نحاول أن نتمثل التاريخ باتجاهاته المتعددة وتياراته الكثيرة .

ويختار كاتب الترجمة شخصية أحد رجال التاريخ الذين يثيرون اهتمامه ويرينا صراعها مع الظروف المختلفة ، والاحوال المتقلبة التي عرضت لها وكيف راضت عصيّها وتغلبت على العقبات المعترضة ، وقد يقال ان كتابة التراجم تبسط التاريخ ، وانها تميل بنا الى أن ننظر الى الأحداث الجليلة والأزمات الخطيرة من وجهة نظر المترجم له ،وتغفل وجهات نظر أخرى ربما كانت لا تقل أهمية عن وجهة نظره ،ولكن القارىء العادي يرى ان فهم حركة الاصلاح الديني في الغرب أيسر فهما وأقل تعقيدا اذا تتبعنا اصولها في خلال حياة أحد كبار قادتها مثل مارتن لوثر Luther ، فالتبسيط والتيسير هنا فضيلة تعين على الفهم دون أن ترهق الذاكرة ، وتجهد الخيال .

التراجم ليست ابعد عن النزاهة من التاريخ نفسه

وقد يؤخذ على التاريخ الترجمي انه تاريخ ذاتي تنقصه الموضوعية ، وتشوبه شوائب التعصب والتحيز ، لأن كاتب الترجمة يتمثله ملونا بألوان افكار بطله وعواطفه ومصالحه واهتماماته ، ولكن الواقع ان التراجم الممتازة ليست أكثر تحزبا وأنأى عن النزاهة من التاريخ نفسه ، وحقيقة أن كاتب الترجمة قد يقع تحت تأثير الشخصية التي يكتب عنها ويدين بآراء صاحبها ويقف في صفه ، ولكن هناك المزية التي لا يمكن انكارها وهي مزية الوضوح التي قد نفتقدها في كتب التاريخ . وكتّاب التاريخ انفسهم معرضون للتأثر بالاهواء والنزعات ، ورعاية المصلحة الخاصة ، واخفاء بعض الحقائق التي قد تسيء الى أحد الأحزاب المتنازعة ، او التهوين من امرها ، واعطائها اهمية اكثر مما تستحق . ولا نزاع في ان كاتب الترجمة الذي يسرف في التحمس لبطله ، ويقف منه موقف المدره الذي يبرر الاخطاء ويتحمل الاعذار للمساوىء والعيوب والسقطات يفسد الترجمة ، ويثير شكوكنا في تصويره للشخصية وسرده للاحداث ، كما أن كاتب الترجمة الذي لا يشعر بشيء من العطف على الشخصية التي تجرد لدراستها عرضة لأن يسيء فهم اهدافها وتفسير بواعثها النفسية وحوافزها الاخلاقية .

ومن أعظم التراجم في تاريخ الأدب الانجليزي والأدب العالمي بوجه عام ترجمة بوزويل Boswell للعلامة الدكتور جونسون Dr Johnson ، وهي تجمع بين التقدير العاطف والاعجاب الشديد والصراحة في تقرير الحوادث وتصوير الشخصية ، ولذلك اصبحت مضرب المثل والقدوة الصالحة لكتاب التراجم برغم ما عرف عن بوزويل نفسه من التهوس والانحراف عن الجادة .

الفهم الصحيح للحركات التاريخية

ومن وجوه الاعتراض على الاقتراب الترجمي من التاريخ انه لا يرينا اثر الحركات الجماعية في التاريخ ، والعوامل الاقتصادية ، ويعودنا على أن نوجه اهتمامنا الى دراسة أثر الافراد وأعمالهم، وهو أعتراض له وجاهته ، ولكن ان كان التاريخ يعيننا على تفهم نفسية الجماعات وطبيعة النظم السائدة والمشكلات الاجتماعية القائمة فان قراءة التراجم تساعدنا في فهم نفسية الزعماء والقادة والرجال البارزين في الحياة العامة ، ومعرفة بواعثهم الخفية ، ويرينا كيف عالجوا الأزمات ، وصانعوا الظروف والأحوال حتى أصابوا اهدافهم .

ومحاولتنا الفهم الصحيح للحركات التاريخية الكبيرة تقتضينا أن ندرسها من الناحية التاريخية ومن الناحية

الترجمية، وتراجم الرجال الذين اشتركوا في تلك الحركات تمدنا بالكثير من المعلومات الجدية وتساعدنا في فهم طبيعة تلك الحركات . وترجمة حياة رجل مثل الزعيم لينين Lenin تلقى الكثير من الضوء على تاريخ الثورة الشيوعية ، كما ان ترجمة حياة رجل مثل يوليوس قيصر تيسر لنا فهم مشكلة تطور نظام الحكم عند الرومان ، وترجمة حياة سياسي بارز مثل بسمارك Bismark تمدنا بمعلومات كثيرة عن السياسة الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وترجمة حياة رجل مثل الزعيم السياسي الايطالي ماتسيني تمهد السبيل لفهم الحركات القومية في القرن التاسع عشر .

وحتى البحاثة الاجتماعي الذي ينتقص الاهتمام بالفرد ويدعو الي توجيه العناية بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية لا يسعه الا ان يسلم بوجاهة ضرورة توجيه جانب من العناية الى تفهم النفسية الفردية واثرها في التاريخ ، وقد كان الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر Spencer يخالف رأى كارلايل Carlyle القائل « الحياة الاجتماعية هي جماع حياة كل الافراد الذين كونوا المجتمع ، والتاريخ هو فحوى سير لا حصر لها » . والذى يقول عن حياة العظماء « في رأيي ان تاريخ العالم ، تاريخ ما انجزه الانسان في هذه الدنيا ، ما هو في قراره سوى تاريخ العظماء الذين عملوا بهذه الأرض ، فقد كان هؤلاء العظماء قادة الناس ، وكانوا صانعي القوالب وكانوا النماذج ، وكانوا بمعنى اوسع الخلاقين لكل ما حاولته أو ظفرت به جموع جماهير الناس ، وان كل ما نراه من اشياء ناجزة ماثلة في العالم ليس في واقع الأمر غير التضحية الملموسة الظاهرة والتحقق والتجسد العمليين للافكار التي قامت في نفوس هؤلاء الرجال العظماء الذين ارسلوا الى الدنيا » .

ويقول « سبنسر » ان الجهلة في كل العصور كانوا يستمسكون بنظرية الرجل العظيم وتأثيره في التاريخ ، في حين ان عناصر الماضى غير الشخصية هي التى يجب ان تظفر بالجانب الاكبر من اهتمامنا » ، ولكنه برغم ذلك يرى أن العناصر الشخصية لا بد لها من ان تنال قسطا من اهتمامنا ، وهو يقول « ان توفر المعلومات عن الملوك والبابوات والوزراء حتى حينما تضاف الى معرفة وافية بالدسائس والمعاهدات والوقعات والحصارات ، لا تيسر لنا النفاذ الى قوانين التطور الاجتماعى ، في حين أن حقيقة واحدة ، وهي ان توزيع العمل كان يتقدم ويتطور في كل الامم الناهضة المتقدمة غير مكترث بارادة صانعي القوانين وغير ملحوظ منهم » » اقول ان هذه الحقيقة وحدها كافية لتظهر لنا أن القوى التى تشكل المجتمع تنتج نتائجها وتؤتى ثمارها وهي بمنأى عن اهداف القادة من الرجال ، بل في الاغلب الاعم برغم اهدافهم ، ومع ذلك فانه يمكن الافادة من النظر في حياة عدد معين معتدل من قادة الرجال ، والخطوات والمراحل السالفة في تقدم البشرية التي يجب ان يعرفها كل انسان لا تبدو معالمها واضحة اذا انتزعت انتزاعا تاما وجردت من افكار الاشخاص والظروف والملابسات المتصلة بها . وعلاوة على ذلك فان قدرا من هذه المعرفة لازم لتوسيع نطاق فهمنا لطبيعة الانسان بوجه عام ولبيان قابليتها للتورط في الوان من الاسراف قد يكون صالحا من الحين الى الحين ولكنه في الاعم الاغلب ردىء » .

والتراجم في الوقت نفسه تبين لنا تأثير بعض القوى العاملة في التاريخ ، لان بعض الاشخاص البارزين كانوا هم انفسهم من القوى الفعالة في التاريخ مثل الاسكندر المقدوني ، وهانيبال ويوليوس قيصر ، وغيرهم من الرجال الذين لا نستطيع ان ننكر تأثيرهم في سير الحوادث وتوجيه

التاريخ ، والرجال الاقل منهم تأثيرا وسيطرة على الحوادث كانوا طرزا تمثل العصر الذى عاشوا فيه، فدراسة حياتهم او عرض سيرتهم يزيدنا معرفة بعصرهم .

صفة الترجمة الطيبة والمترجم الناجح

والترجمة الجيدة تعيد خلق الشخصية ، وترينا الانسان فى حركاته، وسكناته وصمته وكلماته والنزعات الغالبة عليه ، وادراك الصفات الرئيسية والملامح الدالة والمواقف الكاشفة تستلزم براعة من كاتب الترجمة ، وحسن فهم ودقة تمييز . وكاتب الترجمة لا بد ان يتوفر فيه الجمع بين الملاحظة الدقيقة ، والحس الشفاف ،والبداهة الموفقة ، وبدون ذلك يضل طريقه بين الاخبار المتناقضة والصفات الانسانية المتعارضة فالرجل الشفيق العطوف قد يأتي اعمالا تنم على القسوة، والبخيل قد يصدر منه ما يدل على الكرم والاريحية ، والجبان الرعديد قد يبدو في بعض المواقف في صورة الشجاع المقدام . وعلى كاتب الترجمة أن يميز بين المظهر والحقيقة ، والطبع الغالب والنزوة العارضة ، وأن يقدم اعمال صاحب الترجمة بطريقة خالية من الهوى بريئة من التعصب الذميم ، او التحامل البغيض . ومن اشد الاشياء خطرا فى كتابة التراجم محاولة تأليه المترجَم له ، واختصاصه بكل الصفات الكريمة والشمائل المحبوبة ، والاسراف فى اخفاء عيوبه ونواحي الضعف والتهافت فى شخصيته ، ومحاولة جعله انموذجا يحتذى واقامته مثلا للقدوة .

ومن مزايا الترجمة انها تبين مكانة المترجَم له فى اطار التاريخ ، وفى بعض الاحيان لا يمكن كتابة تاريخ حركة من الحركات الاجتماعية او ثورة من الثورات الا بعد معرفة تراجم الكثيرين من الرجال الذين اشتركوا فى احداثها، وقاموا بتمثيل روايتها. وحياة كل انسان الى حد كبير انعكاس لاحوال عصره ، ورد فعل لها سواء فى السياسة او الاقتصاد ، فكل ترجمة اذا كانت صالحة تلقي ضوءا على العصر الذى عاش فيه المترجم له، وهي تغنى تجاربنا وتزيد معلوماتنا بطريقة قد لا يستطيعها التاريخ ، وكاتب الترجمة فى الوقت نفسه فى حاجة ماسة الى الاستعانة بالتاريخ لتوضيح الصورة الخلقية لحياة الانسان الذى آثره باهتمامه واختار حياته للكتابة عنها وعرضها على قرائه . وعلى كاتب الترجمة أن يراعى التوازن بين الصورة الخلقية ورسمه للشخصية، لان الاسراف في رسم الصورة الخلقية يحيل الترجمة تاريخا ، كما ان اغفال العناية بالصورة الخلقية يجعل المترجَم له كأنه يعيش في فراغ . وتوضيح الصورة الخلقية في حاجة الى التلطف وحسن الاحتيال في سوق المعلومات حتى لا تطغى على صورة المترجم له .

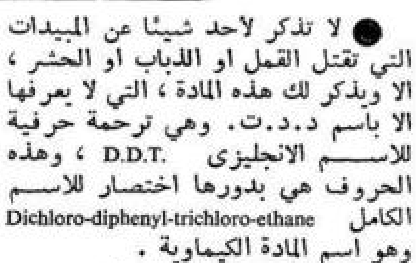
والفرق الاصيل بين الترجمة والتاريخ ان الترجمة تتناول الانسان بوصفه فردا، في حين أن التاريخ يتناوله باعتباره جزءا من كل ، وكلا الترجمة والتاريخ مكمل للآخر ولازم له . ■■

على ادهم

● قتل أحد المسافرين في حادث تصادم بالسكة الحديد بانجلترا . وقررت الادارة منح زوجته مبلغ الف جنيه بمثابة تعويض ، لكنها ارادت أن تتلطف في ايراد خبر الوفاة اليها ، فبعث اليها المدير بالخطاب التالي :
((سيدتي .. يسرنا ان نبلغك ان زوجك قد ربح الف جنيه في حادث تصادم بالسكة الحديد !)) .

أنباء الطب والعلم والاختراع

اشهر مبيد للحشرات د.د.ت





● لا تذكر لأحد شيئا عن المبيدات التي تقتل القمل او الذباب او الحشر ، الا ويذكر لك هذه المادة ، التي لا يعرفها الا باسم د.د.ت. وهي ترجمة حرفية للاسم الانجليزى D.D.T. ، وهذه الحروف هي بدورها اختصار للاسم الكامل Dichloro-diphenyl-trichloro-ethane وهو اسم المادة الكيماوية .

وما عليك من هذا اذا لم تكن درست الكيمياء العضوية .

وهذه المادة بدأ استخدامها قاتلة للحشرات فى اوائل عام ١٩٤٠ والحرب العالمية الثانية قائمة . وكان لها فى قتل القمل الذى يسبب المرض القاتل ، مرض التيفوس ، فى الجيوش بايطاليا والحرب قائمة ، خطر عظيم .

وليس يدلك على مقدار خطر هذه **المادة كمقدار ما يصنع العالم منها كل عام.**

واذا نحن ضربنا مثلا بالولايات المتحدة ، دولة الاحصاء ، لوجدنا انها تصنع لحاجتها الداخلية فى العام من هذه المادة ٤٦ مليون رطل ، وتصنع الى جانب ذلك ٩٥ مليون رطل للتصدير .

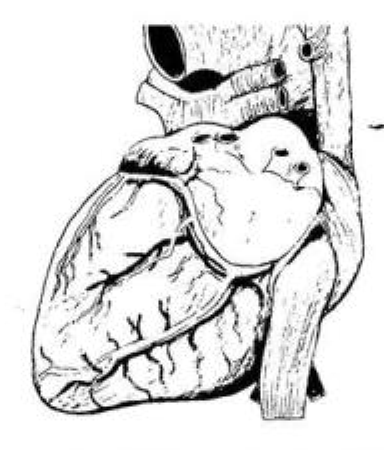
ولكن ما من شيء نفع الا وظهرت له اضرار . ولا نستثني من ذلك هذه المادة العضوية المبيدة ، مادة د.د.ت .

انها تستخدم ، فيما تستخدم ، فى رش الحقول الزراعية ، وتقوم بالرش الطائرات . وذلك لتقتل ما فى زراعاتها من حشرات واحياء ضارة .

ولكن يحدث ان يتبقى طبعا من هذه المادة على المحاصيل او على الثمرات ، او الخضراوات ، ما يأكله الناس ، وهم بذلك انما يأكلون مادة تضر بهم . او تأكله الحيوانات ، فيدخل ال د . د . ت الى لحومها وتذبح فيأكل الناس لحومها وبها من مادة د.د.ت ما بها

لهذا جعلت الامم حدا يجب ان لاتزيده هذه المادة فى اللحوم . وقد كان هذا الحد سبعة اجزاء من كل مليون جزء من اللحم ، وهو يصبح من اول عام ١٩٦٩ جزءا واحدا من كل مليون جزء من اللحم .

وقد اهتمت استراليا بمثل ذلك فعمدت الى مثل هذا الحد من المبيدات في لحومها وألبانها وزبدتها ، حرصا على صادراتها .



الكول ستيرول Cholesterol

● هذه المادة مادة فى الطب مشهورة.

ومن شهرتها ان الحصى الذى يتكون فى الحويصلة الصفراوية ، ويسبب المرض ، فالجراحة ، يتألف أساسا من هذه المادة الصلبة التي اذا بلورناها من المحاليل العضوية كالكحول والاثير خرجت على صورة بلورات هندسية الشكل لا لون لها .

ومن شهرة هذه المادة ، ويوجد منها فى اجسامنا نحو ١٥٠ جراما ، ان الاطباء وجدوا علاقة بين زيادة كميتها فى بعض الاجسام ، وبين ما فيها من مرض قلب او سوء حال شرايين . علاقة اعتبروها علاقة العلة بالداء . علاقة اختلف فيها راى الاطباء اختلافا كبيرا .

وخبر اليوم انهم وجدوا ، ان المادة الكيماوية التي فصلوها اول مرة فى عام ١٩٤٨ ، وهي مادة الكانديسيدين Candicidin ، تهبط بكمية الكول

الكول ستيرول ومنظمة الصحة العالمية

● ونعود مرة اخرى الى مادة الكول ستيرول هذه .

ذكرنا عنها ان الاطباء وجدوا فى بعض مرضى القلوب زيادة فى مقدارها الذى توجد به فى الدم ، اى زيادة عن معدلها العادى ، فقالوا ان مرض هذه القلوب كان بسبب هذه الزيادة ، وانه فى خفض مقدار هذه المادة فى الدم يخف المرض .

وعنوا بمرض القلوب خاصة مرض الشريان التاجي الذى يغذّى بالدم عضلات القلب ، فهو اذ تسدّه هذه المادة يقل الدم الذاهب عن طريقه الى عضلات القلب ، او يتوقف كلية فتموت هذه العضلات ويتوقف القلب .

والخبر الجديد فى هذا الصدد ان منظمةالصحة العالمية قد اعلنت فى مدينة جنيف بسويسرا ، وهناك مركزها ، اعلنت عن قيامها بدراسة هذا الموضوع ، او بلفظ آخر دراسة خَفْضِ مقدار الكول ستيرول فى رجال توجد هذه المادة فى دمائهم بنسبة عالية ، وذلك باعطائهم العقاقير المعروفة بخفض هذه المادة فى الدم ، ثم النظر بعد ذلك فى كم من هؤلاء الرجال يصابون بمرض الشريان التاجي الخطير .

انه بحث طويل الاجل . ولكنه بحث ينتظره كل مريض بقلبه اليوم ، وكل من يحتمل ان يمرض به غدا .

اما العقار الذى سوف تستخدمه

ستيرول فى دم الارانب والفئران والجرذان والدجاج . ولم يجربوها بعد فى الانسان.

ويقول العالمان الدكتور شفنر Schaffner ، وهو من جامعة Rutgers والدكتور جوردن Gordon ان هذه المادة تربط نفسها بالكولستيرول الموجود فى المعدة والمعاء ، وبذلك تخلص الجسم منه قبل ان تدخل اليه وتستقر فيه . ويعبر الدكتور شفنر عن هذا فيقول ان هذه المادة تعمل عمل المسهلات فى الخروج بالكول ستيرول من الجسم .

بقى تجربة هذه المادة فى الانسان ، فلو فعلت فيه ما فعلته فى الارانب انفتح باب فى الطب خطير .



عمر الكون

● سبق ان حسب العلماء عمر الكون ، منذ بدأ الى اليوم . فكان ٤ بلايين من السنين ، او بلفظ اوضح ٤ آلاف مليون من الأعوام .

واليوم يقول الاستاذ فيولا Viola ان عمر الكون ٦١/٢ بليون من السنين ، اى انه زاده ٢ ١/٢ بليون .

والعجيب ان كليهما بنى حساباته على ما فى الأرض اليوم من عناصر مشعة ، منسوبة الى ما كان منها عندما بدأ الكون، وذلك بعد تقديركم تحول منها ، وكم وجب ان يستغرق هذا التحول الاشعاعي .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

المنظمة فهو المعروف باسم كلوفبرات Clofibrate ، وهو مسجل فى انجلترا بحسبانه اختراعا محميا ، ولكنه يصنع فى الولايات المتحدة ، واسمه التجارى هناك Atromid-s .

وقد بدأ الاطباء بالمستشفى الملكي بادنبره هذه الدراسة باختبار هذا العقار



منظمة الصحة العالمية

فى ٥٠٠٠ رجل ، اكثرهم بين ٣٠ و ٤٩ من الاعمار .

وفى تشيكوسلوفاكيا ، قام الدكتور فيجفار Zdenek Fejfar ، رئيس الوحدتين الطبيتين الخاصتين بأمراض القلوب والاوعية الدموية ، التابعتين لمنظمة الصحة العالمية ، قام بحشد طائفتين اخريين تتالف كل منهما من ٥٠٠٠ نفس ، فى مدينة براج ومدينة بودابست ، ليشتركوا فى هذه الدراسات القائمة .

كذلك قام الدكتور المذكور بفتح سجلات فى مدن مختارة ، يسجل فيها كل ما يتجمع من حالات امراض القلب ، وكل ما يتصل بها من تشخيص ، الى علاج ، الى ما يجرى عليهم من بحث تشريحي من بعد موت .

الانسولين
مادتان
لا مادة واحدة

● ان الهرمون المعروف باسم الانسولين يحتوى على مادتين كيماويتين مختلفتين ، احداهما سموها الانسولين الصغير Little Insulin ، وهى تعمل بمجرد دخول السكر فى الجسم . اما المادة الاخرى، وسموها الانسولين الكبير Big Insulin ، فهى اكبر ، وتشغل نحو ٥٠ في المائة من الانسولين الموجود فى الدورة الدموية ، وتعمل بعد ساعتين او اكثر من استهلاك الطعام .

ويقول الدكتور جس روث Jesse Roth بالمعاهد القومية للصحة ، فى بتسدا Bethesda ، وهو كاشف هاتين المادتين من الانسولين ، ان فسيولوجية انتاج الانسولين في الجسم يجب اعادة دراستها في ظل هذا الكشف الجديد .

العثة فى غبار المنازل تسبب الربو

● المعروف منذ قرنين او قرنين ونصف قرن ان غبار المنازل قد يسبب احداث نوبة الربو في مرضاه . ولكن لم يتمكن العلماء من تحقيق هذا الزعم الا حديثا ، اى تحقيق ان غبار المنازل هو العامل المثير لهذا النوع من الربو .

فقد وجدوا في هذا الغبار نوعا من العث ، اكثره انتشارا العثة المسماة Dermaphagoides Pteronissynus وهي حيوان صغير جدا ، طوله ٣٠٠ مكرون (المكرون جزء من الف من المليمتر) ، ويعيش في قشور الجلد المتقشر للانسان الذى يوجد في هذا الغبار .

وقد اثبت البحث ان هذا العث او

مرض البلهارسيا والتقدم

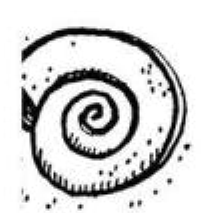
● انه المرض الوبيل الذى يضعف اجسام الناس ، لاسيما الفلاحين الذين تقتضيهم اعمالهم الخوض في مياه الترع والانهار .

وهذا المرض ينشأ عن دخول حيوان طفيلى جسم الانسان ، لايلبث ان يجرى في الدورة الدموية حتى يصل الى اوردة الكبد وهناك يتحول الى ديدان حية كاملة النمو . وينتهى الامر بها الى بلوغ الاوردة الصغيرة التي تحيط بالمعاء او بمثانة البول ، ثم تأخذ تبيض مقادير كبيرة من البيض . وبذلك يخرج من الرجل فى بوله فى اليوم الواحد مقدار من هذا البيض قد يبلغ المليون فى اليوم الواحد .

والذى يجد من هذا البيض سبيله الى الماء ، ماء القنوات ، او ماء الترع ، التى فيها يتبول المرضى ، يفقس وتخرج منه اليرقات ، وبعضه يجد لنفسه في نوع من القواقع مكانا يستضاف فيه لحين . وفيها يتكاثر ويخرج منها اخيرا على صورة اشكال صغيرة تعوم . وهذه لاتلقى جسم رجل حتى تثقبه وتدخل فيه وتبدأ الدورة ، دورة هذه الحياة لهذه الاحياء الصغيرة ، ودورة المرض للرجل والرجال ، لتختتم ، ثم لتعود سيرتها الاولى .

واقامت الدول النامية على انهارها سدودا وقناطر للرى هيأت للقواقع مياهات طيبة تحتلها ويطيب فيها عيشها .

وهيئة الصحة العالمية انشئت في عام





ما يخرج من برازه يسبب في الجلد حساسية في نحو ٩٤ في المائة من مرضى الربو .

وجرت ايضا بحوث اخرى ، في اماكن اخرى ، شبيهة بهذه ، فيها ربّي العث تربية فوق لحم ، غذاء له ، واستخلص من هذا العث خلاصات كان لها حساسية في جلد مرضى الربو ، اعني مرضاه الذين يسبب ربوهم غبار المنازل .

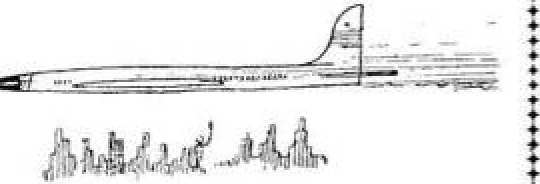
والظاهر ان هذا العث يعيش ويتكاثر في الاماكن الرطبة حيث يتجمع الغبار ، كما في مراتب النوم ، وفي اغطيته وفي السجاجيد . وعند التنظيف يتطاير الغبار ومعه العث فيحمله الهواء الى الحساسين من المرضى والحساسات .

ويلاحظ ان هؤلاء المرضى تتحسن حالهم بنقلهم من منازلهم الى المستشفيات ، ولعل هذا لقلة الغبار فقلة العث في المستشفى .

الولايات المتحدة وحاجتها من الطيارين

● حسب الحاسبون ما تحتاجه صناعة الطيران فى الولايات المتحدة بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٨٠ من العاملين ، فكان عددهم ٢١٧٩٨١ لأطقم الطائرات المدنية و ٢٣٣٨٧٥ من الميكانيكيين والتكنيين اللازمين الارض .

وكان من ذلك ان اوصوا باقامة مركز قومي للتدريب سوف يتكلف نحو ٢٢ مليون دولار .



فى سبيل الحد منه

١٩٤٨ ، وهي من ذلك الحين واضعة نصب اعينها هذا المرض الوبيل ، ولم تنس انها سوف تقوم يوما بمحاولة استئصاله . ومع هذا فلم يحدث من اجل بلوغ هذه الغاية شيء الا حديثا .

واستئصال هذا المرض له جانبان ، جانب شفاء المريض المبتلى ، وجانب اعدام القواقع التى يتخذ منها هذا الحيوان الطفيلى بيتا ليتحول فيه .

اما عن المرض في الانسان فمنذ نحو سنتين قامت شركة سيبا Ciba فابتدعت عقارا سمته نيرى دازول Niridazole ، اوامبلهار Ambilhar ، وكان له وقع عظيم . فهو يقتل البيض في الانسان ، ويمنع الطفيلي ان يبيض ، وهو يقتل الدود أصل البلية .

وهو يشفى مائة في المائة من نوع البلهارسيا الاكثر انتشارا ، ذلك الموسوم ببلهارسيا البول التناسلي Genito-urinary اما في النوع الموسوم بالمعائى Intestinal فنسبة الشفاء تقع بين ٧٠ و ١٠٠ في المائة .

اما عن القواقع واعدامها فقد جرت بحوث كثيرة في ذلك ، كشفوا فيها عن سموم للحيوانات الرخوة Moluscs عديدة ، منها المادة التى حصل عليها علماء شركة شل ، اعنى بها المادة التى اسمها فرسكون Frescon واتضح ان لها مستقبلا ذابال . وسوف يجربونها قريبا في مشروعات رى الجزيرة بالسودان .

والمعروف بالطبع ان البلهارسيا يعالجها الاطباء في الانسان بواسطة عقاقير الانتيمون ، ولكنه علاج قاس شاق .

مسابقة أسئلتها

جوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد هي مسابقة من نوع جديد . انها أسئلة من موضوعات تناولتها مجلة « العربي » في أعدادها التي صدرت في عام ١٩٦٨ . والغرض من هذه المسابقة هو اتاحة الفرصة لقارىء « العربي » أن يعرف مقدار ما استفاده من معلومات جديدة اكتسبها من قراءته « للعربي » ، وأضافها الى رصيده من المعلومات في شتى المجالات .

والمطلوب منك أن تختبر ذاكرتك وان تجيب على خمسة أسئلة من الاسئلة الثمانية الآتية :

(١)

الزلازل قسمان ، القسم الأول يتسبب عن تفجر البراكين في باطن الارض وخروج الحمم منها الى سطح الارض . والنوع الآخر يتسبب عن تحرك صخور في باطن الارض ، وانطلاق امواج مختلفة السرعة والاتجاه تصل الى السطح فتهز المدن والقرى .

اذكر اي هذين النوعين اكثر تخريبا للمباني والمرافق في قرية او مدينة ؟

(٢)

هذا الكون ، على ضخامة أجرامه ، وتباعد اطرافه ، له وجهان :

مادة وطاقة .

ثنائية كثنائية الانسان والحيوان .

جسم وروح .

اذكر ثلاثة اسماء تتمثل فيها الطاقة في حياة الناس .

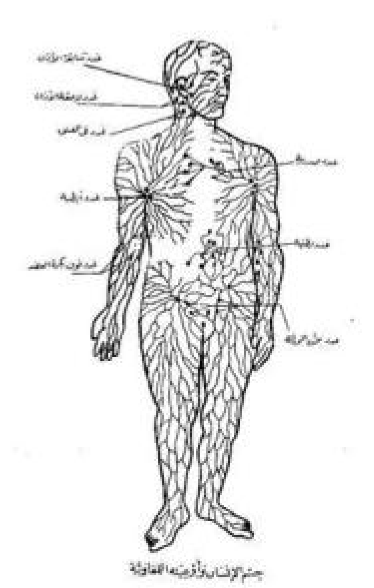
(٣)

طبيب اغريقي قديم ولد في عام ١٣٠ بعد الميلاد ومات نحو عام ٢٠٠ ميلادية ، سيطر على العالم الطبي ١٤ قرنا ظل فيها ابا الطب الذي لا ينازع .

هذا الطبيب اسمه : ابوقراط ـ جالينوس ـ حامورابي .

(٤)

اذكر في بضع كلمات اهم عمل تقوم به الغدد الليمفاوية في جسم الانسان .



جسم الانسان وأوعيته الليمفاوية



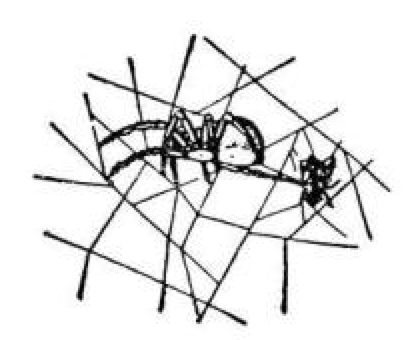
مما سبق نشره فى العربى

(٥)

بين الصدر والبطن فى داخل الجسم عضلة مبسوطة افقيا تفصلهما . هذه العضلة تنخفض مع امتلاء الرئتين بالهواء شهيقا ، ثم تتقاصر وتعلو ، عندما يزفران الهواء ، فهى عضلة لا تستريح ابدا.
ما اسم هذه العضلة ؟

(٦)

العناكب لها صفة تتميز بها عن سائر حشرات الارض . ما هى هذه الصفة ؟



(٧)

نوع من السمك قديم فى البحار . جسمه من احسن الاجسام انسيابا وجمالا . وهو يشق الماء كالطوربيد استقامة وقوة وسرعة . وينفلت فى سيره انفلاتا بالغا قويا اذ يرى صيدا ، وفى سرعة البرق يضرب بأسنانه الضحية . اسمه مخيف لكل من ينزل الى ماء البحر .
هل عرفته ؟

(٨)

توجد فى نهايات اطراف الاعصاب المنتشرة فى سطح جلد الانسان كله مستقبلات عصبية .وهى التى تتقبل الاحساس باللمس ، وترسله الى المخ فيتفهمه ويقدره . فكم عدد هذه المستقبلات ؟
٥٠٠ ـ مليون ـ ٥٠٠ الف ؟

شروط المسابقة

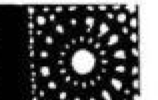
١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٢ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٩
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

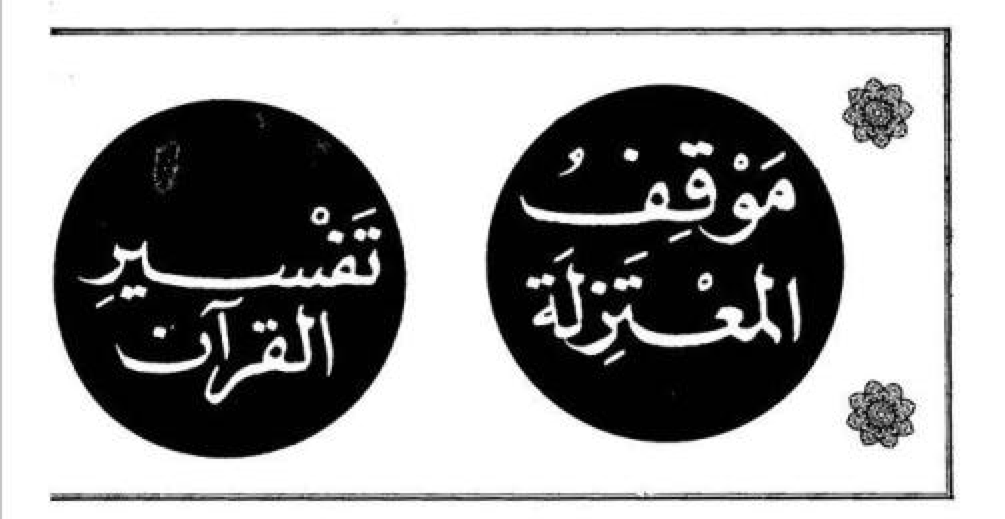
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٢٢





بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجويني

مدرس البلاغة ـ جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم

■ لقد وقف المعتزلة منذ البدء من تفسير القرآن والحديث المروى موقفا عقليا واضحا ، ذلك انهم اعتبروا العقل قبل الشرع ، وعلى هذاارتضوا خمسة أصول فكرية لم يخالفوا فيها ـ وان خالفوا فى مسائل فرعية عنها ـ وهي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) .

يضيء موقفهم هذا ما يحكيه الخياط المعتزلي من انه : سال جعفر بن بشر عن قوله تعالى : « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » وعن « الختم والطبع » فقال : انا مبادر الى حاجة ، ولكني القى عليك جملة تعمل عليها : اعلم انه لا يجوز على احكم الحاكمين ان يامر بمكرمة ثم يحول دونها ، ولا ان ينهي عن قاذورة ثم يدخل فيها . وتأول الآيات بعد هذا كيف شئت (٢) .

ودلالة هذا الخبر ذات اهمية واضحة ، فالمعتزلة ملتزمون بالمبدأ العقلي اولا وهو هنا مبدأ العدل ، وتتفرع عنه مسائل منها : المسالة الواردة فى الخبر المسوق ، وهي هل الارادة الانسانية حرّة مختارة أو مُجبَرَة مسيرة ؟ أما العقل فيشير الى استحالة ان يجبر الله امرأ على فعل ثم يحاكمه عليه ، واذن فلتأول الآيات فى هذا المجال الفكرى بعدئذ بفنون وحيل .

أما وقد أصبح للمعتزلة اسسهم العقلية ، فهم بعد يجولون بنظرة عقلية كاشفة جامعة فى خلال القرآن كله ، وينتهون الى أن ما وافق ظاهرُ معناه مبادئهم فهو مُحكم ، وما لم يوافق ظاهره اصولهم الفكرية فهو مُتشابه .

ولعل أول اشارة صريحة الى هذا نراها فى مسالة انبنى عليها تاسيس فرقة المعتزلة ، وهي مسالة مرتكب الكبيرة ومدى عقوبته . فارتأى مؤسسا مدرسة الاعتزال ، واصل وعمرو ، ان المُحكَمات ما اعلم الله سبحانه من عقابه للفساق كقوله « ومن يقتل مؤمنا متعمدا » وما اشبه ذلك

---

(١) الانتصار للخياط ص ٤٩ ـ ٦٠ .

(٢) المنية والامل للمرتضى ص ٤٣ .



من اى الوعيد ، والمتشابه هو ما اخفى الله عن العباد عقابه عليه ولم يبين انه يعذب عليه كما بين في المحكم منه (٣) ، واذن تصبح رسالة التفسير عند المعتزلة هي تاويل ما لا يتفق مع مبادئهم العقلية ، اى نظمٌ معنى ما هو متشابه في سلك ما هو محكم . وحكموا بان من في قلبه زيغ يتبع المتشابه كاتباع المشبهة والمجبّرة ظاهرً ما في القرآن فذمهم الله تعالى بذلك ، والواجب اتباع الدليل ، وليس في المتشابه آية الا ويقترن بها ما يدل على المراد والعقل يدل على ذلك (٤) .

مفهوم « التاويل » عند المعتزلة

على انه قبل التعرض لبعض اساليب المعتزلة في التاويل يحسن بنا ان نتبين مفهوم المصطلح « تاويل » لديهم ، ونتبينه عند امام من ائمتهم هو الجاحظ (٥) . يورد الجاحظ خبرا يحدث فيه عن العرب انه كان يقول احدهم في موضع الكفارة والامنية : اذا بلغتْ ابلي كذا وكذا ، وكذلك غنمي ، ذبحتُ عند الاوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من تنسّك الرجبية ، والجمع عتائر ، والعتائر من الظباء فاذا بلغت ابل احدهم وغنمه ذلك العدد ، استعمل التاويل . وقال : انما قلت انى اذبح كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما ان الغنم شاء فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الظباء (٦) . فالتاويل هنا انما هو توجيه اللفظ عن الوجهة المعنوية الاولى المرادة الى وجهة ثانية وفق الهوى ، مع استغلال مرونة اللغة في ذلك . فالظباء شاء ، والغنم شاء . والعربي كان قصد بقربانه الى الغنم اولا ، لكنه ضن بغنمه لما تكامل عددها ، وجعل قربانه مما صاده من الظباء .

ادوات للتاويل اجملها الشريف المرتضى

هذا المعنى بعينه للتاويل نرى المعتزلة يترسمونه في منهجهم في تفسير القرآن وتفهم الحديث جميعا . ثم هذا التاويل كان لا بد له من ادوات اجملها كلها الشريف المرتضى في وقفته عند آية من سورة يوسف نصها :

« ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلَصِين » . قال : (انه اذا ثبت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال ، والمجاز ، ووجوه التاويلات ، ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام ، صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب او سنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها ، كما يفعل مثلُ ذلك فيما يَرِد بظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز) (٧) .

فالادوات هي : العقل يساند اصول الاعتزال ، واللغة ، والخبرة الممارسة للتاويل .

---

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعري ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ٥٢ .

(٥) للقوم نقاش في هذا المجال اورده السيوطي في اتقانه ، ولعل اوضحهم تمييزا لفرق ما بين التفسير والتأويل هو الراغب الاصفهاني ، ولب فكرة الراغب تدور حولها رسالة ابن تيمية (الاكليل في المتشابه والتأويل) .

(٦) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ١٨ .

(٧) امالي المرتضى ج ٢ ص ١٢٥ — ١٢٩ .

اللغة ، أداة للتأويل ، حظيت باهتمام المعتزلة

اما اولى الادوات فلن نقف امامها ، لان مجالها كتب الكلام ، واشار صدر هذا البحث الى امهات مسائلهم فيها . لكن ما يقفنا قليلا هنا انما هو اللغة ، التي حظيت بجانب عظيم من اهتمام المعتزلة واخضعوها الى حد كبير لمنهجهم العقلى . فبادىء ذى بدء ، حين رأوا أن اهل السنة — ويمثل رأيهم ابنُ فارس — يقولون بان اللغة توقيف (٨) وان في قولهم هذا يكمن الراى بخلق الله لافعال العباد ، وهو معتقد اهل السنة ، قال المعتزلة من جانبهم — ومثل رأيهم ابنُ جنى وابو على الفارسي — ان اللغة اصطلاح ، ورفضوا المواضعة ، لأن القديم سبحانه لا يجوز ان يوصف بان يواضع أحدا على شيء اذ ان المواضعة لا بد معها من ايماء واشارة بالجارحة،والقديم لا جارحة له فيصح الايماء والاشارة (٩) .

واذا كانت فعالية اللغة تخضع لارادة انسانية حرة ، فيصبح من ثم للفظ معان قد تتخالف اذ تستخدم فى مواطن تعبير مختلفة ، وتحوطها ظروف متغايرة ، وعلى حد قول الجاحظ : (قد يشبه الاسمُ الاسمَ فىصورة تقطيع الصوت ، وفىالخط : وفى القرطاس ، وان اختلفت أماكنه ودلالته ، فاذا كان ذلك ثانما يعرف فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات، وبالذين عنُوا بالكلام) (١٠) .

ويبقى ثمة مجال بعد لتمرُّنَ اللغة فى أيدى المعتزلة وتطوّع اكثر ، فذهبوا الى انه (ليس يجب ان تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها اكثر) (١١) والمجاز كما نعلم صورة من صور التعبير الأدبي ، فيه من المنافذ الى التأويل ما لا نجده فى الاسلوب التحقيقي الذى لا يبيح للفظ ان يحتمل أكثر من معنى أو معان محددة الاستعمال . ومن هنا تنشأ عند المعتزلة — مسألة وجوه المعاني . وهذا امر طبيعي حدوثه ، فهم أولا مدرسة عقلية لها مبادئها . وهم ثانيا كانوا فى موقف المدافع عن الاسلام ضد هجوم الديانات الأخرى ، واقتضاهم التأمل العقلى للآى القرآنى تلمس الوجوه المناصرة . وكلما كثرت أدلتهم وزادت براهين حجاجهم كان هذا مدعاة لارباك الخصم المناظر أو استسلامه . واعانهم على مهمتهم مرونتهم العقلية كمتكلمين درسوا الفلسفة والمنطق من ناحية : وكفصحاء ذوى دراية باللغة والأدب من ناحية ثانية . وكذلك تتضخم ثروة التفسير عندهم من موروث نقلى لا يعارض مبادئهم، واعتزالي تناقلته أجيالهم ، ومستحدَث يضيفه كل جيل الى ما لديه . ومن ثمَّ نجد عند مثل المرتضى مثل هذه العبارة (ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه ..) (١٢) . بل ان المرتضى نفسه ينبه فى صراحة — وان لم ينص على القرآن — — ما يتّبع فى تفسير الكلام . يقول : (الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني) (١٣) .

معاناة المعتزلة من منهجهم اللغوى فى التأويل

والآن لنر الى اى حد عانى المعتزلة من تطبيق هذا المنهج بتقليب النص على كل الوجوه المعنوية المحتملة فى اطار مبادئهم الفكرية . هذه آية ظاهرها يصدم فى صراحة رأى المعتزلة فىالتوحيد . والمسألة فيها هي : هل البصر يستطيع رؤية الله على التحقيق ؟ يمهد الشريف المرتضى للتقليب المعنوى للنص بقوله (اعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا فى ابطال ما ظنه أصحاب الرؤية فى قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » على وجوه معروفة ، لانهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحد محتملاته) . وهكذا فى تحديد قاطع يَضَع المبدأ الاعتزالي واضحا نصب العين .

---

(٨) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٥ .
(٩) المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٩ .
(١٠) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٢٠٥/٢٠٦ .
(١١) امالى المرتضى جـ ٢ ص ٣٦ .
(١٢) مثلا أمالى المرتضى جـ ٢ ص ٩٧/ و جـ ٢ص ٥٤ / ومواضيع عديدة اخرى .
(١٣) أمالى المرتضى جـ ١ ص ١٤

ثم يتطرق من هذا الى تاويل مفهوم (النظر) فهو عنده ينقسم اقساما كثيرة : (منها : تقليب الحدقة الصحيحة فى جهة المرئي طلبا لرؤيته ..

ومنها : النظر الذى هو الانتظار ..

ومنها : النظر الذى هو التعطف والرحمة ..

ومنها النظر الذى هو الفكر والتامل ...) .

ويخلص الى انه (اذا لم يكن فى اقسام النظر الرؤية ، لم يكن للقوم بظاهرها تعلق ، واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الآية من غير جهة الرؤية) . ثم يذكر أن بعض المفسرين تاوّل « النظر » على الانتظار للثواب ، وان كان المنتظر فى الحقيقة محذوفا ، والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة . ثم اذ انتهى المرتضى من تقرير ذلك كله فى تاويل النظر على أنه ليس الرؤية ، يعود فيسلم بان النظر قد يكون من اقسامه الرؤية بالبصر ، ولكن رؤية ماذا ؟ (وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤيـة بالبصر ، وحَمَلَ الآية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي فى الحقيقة) . ومن بعد ذلك العناء كله يحاول الشريف المرتضى أن يهدأ بالا ، فينتهي الى راى بعض المعتزلة فى تاويل الآية : (وهاهنا وجه غريب فى الآية حكيّ عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر ، او الى تقدير محذوف ، ولا يحتاج الى منازعتهم فى ان النظر يحتمل الرؤية أو لا يحتملها ، بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور فى الآية هو الانتظار بالقلب ام الرؤية بالعين ، وهو أن يحمل قوله تعالى « الى ربها » الى أنه اراد نعمة ربها لان الآلاء النعم ...) (١٤) . وليس من شك أنه اذا كان المرتضى قد ارتاح الى هذا التاويل الاخير ، فلسنا نرتاح اليه لما يحمل من تعسـف وتمحل واضحين ، اذ « الى » هنا حرف جر وليسـت اسما بمعنى النعمة .

ومع هذا فلمنهج المعتزلة حسنات

واذا كان طبيعيا ان مثل هذا المنهج الذى اتبعوه فى تفسير القرآن دعاهم الى التعسف والتكلف فيما ورد من آى قد تعارض مبادئهم من ناحية ، الا انه كان لهذا المنهج من ناحية اخرى فضل غير منكور . منه هذه الوقفات العقلية من تفسـير القصص القرآني وآيه .

المعتزلة والمفسرون

فاوصى النظام المعتزلي بالا نسترسل الى كثير من المفسرين وان نصبوا أنفسهم للعامة واجابوا فى كل مسالة ، فان كثيرا منهم يقول بغير رواية ، على غير اساس ، وكلما كان المفسّر أغرب عند العامة كان احب اليهم . وضرب مثلا بعكرمة ، والكلبي ، والسدى ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وابى بكر الأصم ، ودعا الى عدم الوثوق بتفسيراتهم . فقد قالوا فى قوله عز وجل « وان المساجد لله » ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها بل انما عنى الجباه ، وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وانف وثفنة ... وقالوا فى قوله تعالى « ويل للمطففين » الويل : واد فى جهنم . ثم قعدوا يصفون ذلك الوادى ، ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهلية قبل الاسلام وهو من أشهر كلامهم .. وقال آخرون فى قوله تعالى « عينا فيها تسمى سلسبيلا » قالوا : اخطا من واصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وانما هي (سل سبيلا اليها يا محمد) . فان كان كما قالوا ، فاين معنى تسمى ، وعلى اى شيء وقع قوله تسمّى، فتسمى ماذا ؟ وما ذلك الشيء ... الخ (١٥) .

وللمعتزلة ملاحظ أدبية رائعة

ومن حسنات ذلك المنهج ايضـا فطنتهم الى ملاحظ ادبية ذات قيمة تبلغ اوجَها فى تفسير واحد منهم هو الزمخشري . ولكن ليكفنا هنا ما نجدهم وفقوا اليه من استشفاف ما فى النص من معان نفسية ، من مثل ما نجد من صنيع الجاحظ حين يفسر قوله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » ، فيقول (لأن

---

(١٤) أمالي المرتضى جـ ١ ص ٢٨

(١٥) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٦ .

الانسان عن الانسان الفهم وطباعه بطباعه آنس ، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه) (١٦) . وينظم الآى :

أ : « كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

ب : « في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة » .

جـ : « فاما من اوتى كتابه بيمينه » .

د : « واما من اوتى كتابه وراء ظهره » .

هـ : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

ينظمها فى تفسير نفسي واحد فيقول : (ولو لم تكتب اعمالهم ، لكانت محفوظة . لا يدخل ذلك الحفظ نسيان . ولكنه تعالى وعز ، علم ان كتابة المحفوظ ونسخه اوكد وابلغ فى الانذار والتحذير ، واهيب فى الصدور) (١٧) .

موقف المعتزلة من الحديث

والموقف عينه الذى وقفه المعتزلة من تفسير القرآن يقفونه من الحديث المروى ، مع فارق هام ، وهو ان النص القرآنى نص مُوثق معتمد فى الدرجة الاولى من حيث متلقى الوحىَ والموحَى به، فحرية المعتزلة فيه حرية تأويل . اما الحديث فلقد يوضَع ويزيّف : ومن ثم يجرّح السنَد والرواة، والذ حرية المعتزلة فى الحديث مطلقة .

لقد يتفق ان نجد سلسلة رواة هى هى فى حديثين، لكن ابا على المعتزلى مع توثيقه لهذه السلسلة يجول بعقله ناقدا متن احد الحديثين ، غير ملتفت هنا الى السند الذى وثقه هناك . (سأل البركاني ابا علي فقال : ما تقول فى حديث ابى زيادة ، عن الاعرج ، عن ابي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ؟ فقال ابو علي : هو صحيح . ، فيقول البركاني : فبهذا الاسناد نقل حديث حجَّ آدمُ موسَى . فقال ابو علي : هذا الخبر باطل . فيجيبه البركاني : حديثان باسناد واحد صححت احدهما وابطلت الاخر ؟ فيرد ابو على قائلا : لان القرآن يدل على بطلانه واجماع المسلمين ودليل العقل ... اليس فى الحديث ان موسى لقى آدم فى الجنة فقال : ياآدم ، انت ابوالبشر ، خلقك الله بيده ، واسكنك جنته ، واسجد لك ملائكته ، فعصيته ؟ فقال آدم : ياموسى ، اترى هذه المعصية فعلتها انا ام كتبها الله علي قبل ان اخلق بالفي عام ؟ قال موسى : بل شيء كان كتب عليك . قال : فكيف تلومني على شيء كان قد كتب علي ؟ قال فحج آدم موسى . قال ابو على للبركاني : اليس هذا الحديث هكذا ؟ قال : بلى . قال ابو علي : اليس اذا كان عذرا لآدم يكون عذرا لكل كافر وعاص من ذريته وان يكون من لامهم محجوجا ؟ فسكت) (١٨) .

وهكذا فمع ان السند الراوى موثق عنده ، لكنه غير ملتفت اليه ، لان متن الحديث يصدم فكرة المعتزلة فى حرية الارادة الانسانية ، ومتن الحديث ظاهر اشارته الى ان ارادة البشر مسيرة غير مخيرة . لكنا نلحظ انه وان استخدم ابو على آلة المنطق والعقل فى نقد الحديث لم يأت بدليلى القرآن والاجماع ..

امور ينبغي للمشتغل بالحديث ان يتفطن اليها

على كل حال فلقد نادت بالمعتزلة تشريحاتهم العقلية لمتن الاحاديث للتنبه الى امور ينبغي للمشتغل بالحديث التفطن لها ، منها مناسبة الحديث وسبب روايته ، وصلته بنسقه المعنوى ، بما قيل قبله او بعده من كلام ، وبما لابسه من ظروف القول وعلله . وينبهنا الى هذا ما نسمعه من الجاحظ اذ يقول مرة فى حديث قتل الوزغة : (.. وبعد ، فلعل النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا القول ، ان كان قاله على الحكاية لاقاويل قوم . ولعل ذلك كان على معنى كان يومئذ معلوما فترك الناس العلة ورووا الخبر سالما من العلل ، مجردا غير مضمن . ولعل من سمع آخر هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد اوله. ولعله عليه الصلاة والسلام قصد بهذا الكلام الى ناس من اصحابه قد كان داربينهم وبينه فيه شيء .

---

(١٦) الحيوان جـ ١ ص ٤٥ .

(١٧) الحيوان جـ ١ ص ٦٢ .

(١٨) المنية والامل للمرتضى ص ٤٦

وكل ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدفوع .) (١٩)

المعتزلة هدفت الى نقد النص ، صح السند او لم يصح

ويقول في موضع ثان : (ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعتبة بن ابى لهب « اكلك كلب الله » فاكله الأسد ... والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا قط وان كان قاله فعلى صلة كلام او على حكاية كلام) (٢٠)

وبين ان المعتزلة لم يتوقفوا مثلا عند مسالة السند اول الامر — صنيع المحدثين — يوثقون او يضعفون لتسهل لهم بعدئذ مهمتهم النقدية ، لكنهم قصدوا قصدا الى متن الحديث يخضعونه لعقلهم سواء على فرض صحة روايته او عدمها . فيروى الجاحظ في شان طعن بعض الملحدين من المعاندين، او بعض الموحدين من الاغبياء المنقوصين ، في ملك الخَصيّ وبيعه وابتياعه انهم يذكرون في هذا السبيل الخصى الذى كان المقوقس عظيم القبط اهداه الى النبي صلى اللهعليه وسلم وعلى آله مع مارية القبطية ام ابراهيم عليه السلام ... ويقول ناقدا : (.. قبل كل شيء لايخلو هذا الحديث من ان يكون مرضيّ الاسناد صحيحَ المخرج ، او يكون مسخوط الاسناد فاسد المخرج . فان كان مسخوطا بطلت المسالة ، وان كان مرضيا فقد علمنا انه قبله منه بعد ان علم انه خصى ، وعلى ان قبول الهدية خلاف الابتياع .. الخ) (٢١) وهكذا يمضي الجاحظ في تشريحه العقلي للحديث ، ولايخدعنا تشكيكهفي سلسلة الرواة بصيغة الفرض والاحتمال ، فقد كان يمكن ان يعفينا ويعفى نفسه مئونة نقد الحديث لو انه انتهى فيهم الى راى بجرْح او تعديل ، ولكن همه المتن اولا واخيرا . ولقد امعن المعتزلة في منهجهم النقدى هذا تجاه الحديث المروى اتصل بمبادئهم ام لم يتصل .

ابن قتيبة والمعتزلة

وكان لموقف المعتزلة هذا من الحديث رد فعل عند اهل السنة ، فتصدى ابن قتيبة لهم يؤلف كتابه (تاويل مختلف الحديث) . والمعتزلة هم قصده بتاليفه قال : (ونحن لم نرد في هذا الكتاب ان نرد على الزنادقة والمكذبين بآيات الله عزوجل ورسله ، وانما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين الى المسلمين) (٢٢)

ابن حنبل والمعتزلة

وفي مجال التفسير والحديث مما نعى ابن حنبل على المبتدعة — ومن بينهم المعتزلة — انهم يعتمدون على العقل واللغة ، ولا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وانما يعتمدون على كتب الادب وكتب الكلام وقد وضعتها رؤوسهم(٢٣)

ما يؤخذ على المعتزلة

ثم .. هل من مأخذ على منهج المعتزلة ؟

انهم أخطاوا حين وقفوا من ظاهر النص القرآني موقفين متعارضين : الظاهر ما سائد مذهبهم ، والا رفضوه ونادوا بالتأويل واعمال العقل يمرون التماسا لما في رؤوسهم من افكار . والحق انخطاهم الاكبر انما يكمن في اعتمادهم لمبادئهم الفكرية اعتمادا قاطعا باتا ، حاولوا به ان يخضعوا الدين — وفيه من الغيبيات ما فيه — لتلك المبادىء ،وكانت التهم الاولى في ذلك العقل الذى جمحوا به جموحا اوردهمموارد الشطط والتعسف مسخرين في سبيل تلك الغاية ما وعوا من معارف .

ولئن كانت بدايتهم دفاعا عن الاسلام من طعنات اعدائه ، فلقد كانت نهايتهم تعصبا مذهبيا لغاية التعصب وردد صدى ذلك كله تاويلهم النص القرآني .

الخرطوم **مصطفى الصاوى الجوينى**

---

(١٩) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٦

(٢٠) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٢/١٨١

(٢١) الحيوان للجاحظ جـ١ص ١٦٣ — ١٦٦

(٢٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٥٣

(٢٣) الايمان لابن تيمية ص ٤٨



تعانى من صغر حجم ثدييها

● **انا فتاة في السادسة عشرة من عمرى اعانى من صغر حجم الثديين بدرجة كبيرة . وقد استعملت دواءالجينوسيد ولكن بدون فائدة ، فهل هناك علاج لحالتى ؟**

ـ ان صغر حجم الثديين له اسباب كثيرة ولكل واحد منها علاج مختلف . . وسنبسط لك في هذه العجالة الاسباب المختلفة والعلاج المتعلق بها وعليك بمراجعة اخصائى ليحدد لك بالضبط سبب حالتك هذه وبعدها يسهل العلاج . . اما الاسباب فهى :

١ ـ اسباب وراثية وعائلية وهذه تتعلق بالوراثة ولا حيلة لأحد فيها .

٢ ـ اعتلال عام بالصحة وغذاء غير كاف أو غير متوازن .

٣ ـ نقص افراز المبيضين وهذا سبب هام :

فالمبيض يفرز هرمون الاستيروجين « Oestrgens » وهو يساعد على نمو قنوات الغدد .

ويفرز هرمون البروجستيرون « Progesterone » وهو يساعد على نمو الغدد نفسها . . فالثدى كما تعلم يتكون تشريحيا من غدد افراز اللبن وهذه تتصل بواسطة قنوات حتى تنفتح في الحلمة بحوالى ١٢ فتحة .

كما انه حول الغدد يوجد نسيج خلوى وكمية من الدهن تعطى الثدى حجمه واستدارته . وهذه كلها تقع تحت تأثير هرمونات المبيض التى تبلغ أوج نشاطها عند البلوغ . كما أن افراز هرمونات المبيض يقع تحت تأثير الغدة النخامية Pituitary في المخ . فأى اضطراب في افراز هذه الهرمونات سواءاكان ناتجا عن اضطراب في المبيض نفسه ام من الغدة النخامية يؤثر تأثيرا واضحا على نمو وحجم الثدى وقد يكون مصاحبا لهذه الحالة قلة الحيض او وقفه نهائيا مع ضعف في الاعضاء التناسلية الداخلية .

٤ ـ اسباب تتعلق بالثدى نفسه بوجود خطأ ما في الغدة الثديية .

العلاج :

١ ـ اذا ثبت ان السبب يكمن في بعض

هرمونات المبيض لذا يمكن تكملة نمو الثدى بتزويد الجسم بما ينقصه منها عن طريق الفم أو الحقن العضلى او حتى بواسطةالمراهم التىتمتص بواسطةالجلد. وعموما يكون التاثير وقتيا ويتوقع بعض الاخفاق في العلاج عند وقفالهرمونات.

وفى حالة وجود حيض طبيعي ونسبة من هرمونات المبيض فى الدم والبول بصورة طبيعية ففى هذه الحالة لا يوجد داع مطلقا لاعطاء هرمونات المبيض حيث لا يكون لها اى فاعلية على حجم الثدى فالسبب يكمن في الثدى نفسه كأن لا يستجيب للهرمون المفرز بنسبة طبيعية في الجسم وهذا دائما السبب طالما أن المبيض يؤدى وظيفته على الوجه الاكمل والمراة غير نحيفة.

٢ ـ الغذاء : تشجع المراة النحيفة دائما على زيادة كمية الغذاء لتزداد وزنا وسمنة.

٣ ـ العلاج الطبيعى Physiotherapy كالتدليك الموضعى والتمرينات الرياضية لتقوية عضلات الصدر وتحسين الدورة الدموية كلها ذات اثر محدود.

٤ ـ بواسطة الجراحة التجميلية على يد اخصائي جراحة التجميل.



الفحوص والتحليلات الدقيقة لازمةلتشخيص الدوسنطاريا

● انا مصاب بدوسنطاريا مزمنة وبالرغم من استعمالى كثيرا من الادوية مثل حقن الامتين وحبوب الانتوبكس وغيرهما الا ان المرض يزول مؤقتا ثم يعاودنى بعد انقطاعى عن العلاج. فهلهناك علاج ناجع للدوسنطاريا ؟

ــ الدوسنطاريا نوعان : دوسنطاريا اميبية ، ودوسنطاريا باسيلية ــ والاولى تعالج بواسطة حقن الامتين وحبوب الانتوبكس ، وحبوب الهيوماتين ، والانتروفيوفرم وغيرها من مركبات متشابهة ، أما الثانية فتعالج بمركبات السلفا « Sulpha ».

وكلا العلاجين له اثر فعال فى الحالات الحادة شريطة ان يعطى بمقدار فعال ولمدة تزيل الميكروبالمسببللدوسنطاريا من الامعاء وذلك بتحليل البراز عدة مرات للتاكد منخلوه منهذهالميكروبات.

وفي بعض الحالات المزمنةيعطىالمريض علاجا ثابتا لمدة أطول ويداوم على هذا العلاج بمختلف المركبات وربما يمتد ذلك الى شهور حتى نتأكد من خلو البراز من الميكروبات أو الطفيليات المسببة له.

وفي بعض الحالات يكونالقولون متأثرا بالمرض رغم خلو البراز من الأميبا ، ويكونحاسا ويسمىبالقولونالحساس وتعترى المريض من آن الى آخر نوبات مغص شديد مع خروج براز به مخاط وربما يعتقد المريض أنه ما زال مصابا بالمرض ، ويحتاج هذا الى علاج خاص وفي بعض الحالات الاخرى يكون هذا المرض ليس بالدوسنطاريا ولكنه مرض القولون المتقرح وهذا يحتاج الى علاج غير علاج الدوسنطاريا ، لذا كان الفحص الدقيق والتحليلات الدقيقة لازمينلكل مريضبما يسمى بدوسنطاريا مزمنة.

تيبس الاقدام وتصلب الشرايين

● ابلغ من العمر ستين عاما .. وقدبدات اشعر في الفتره الاخيرة بتيبس في اقدامى .. وكذلك ببعض التيبس فىاصابع يدى .. مع فقدان الاحساس بهما ؟ فما هو السبب ؟ وهل هنالعلاج لهذا ؟

ــ ان للتيبس في الاقدام واصابع اليد اسبابا عدة وهى تعود الى وجود مرض فىالعضلات والجلد الذى يغطيها. وبالطبع لكل من هذه الامراض ما يميزه عن الآخر من اعراض وعلامات مرضية .

ولعل من أهم الاسباب في سن الستين هو وجود تصلب في الشرايين خصوصا لو كان هناك ارتفاع فى ضغط الدم. ويلاحظ المصاب بهذا المرض ان التيبس فى القدمين يكون مصحوبا بالم في عضلات الساقين خصوصا عند المشي ، ويزول هذا الالم عند التوقف عن المشي مع الراحة، وكذلك يكون مصحوبا بفقدان الحساسية . وكذلك مرض السكر فى هذه السن ، يسبب تصلبا في الشرايين مع التهاب في الاعصاب وفقدان للحساسية .

ويلاحظ فى مرض تصلب الشرايين أن تكون هذه الاعراض مصحوبة ببرودة فى الاطراف لقلة الدم الذى يصل اليها عبر هذه الشرايين الضيقة المصابة بهذا المرض .

وكذلك التهاب المفاصل المزمن ــ وهو على انواع مختلفة ــ والمصحوب بالتهاب في الاعصاب يسبب هذا التيبس .

وهناك اسباب أخرى عديدة كما قلت، ولا اريد ان أطيل فيها حتى لا يلتبس الامر على السائل ، وأنصحه بعرض نفسه على الطبيب ليحدد السبب ، ويكون العلاج على أساس سليم ، والاهمال في ذلك يؤدى في النهاية الى مضاعفات شديدة يصعب علاجها .

زلال البول ... وتورم القدم

● اصبت بتورم في قدمى ..وذهبت الى الطبيب الذى احالنى الى المختبر .. حيث قاموا بتحليل البول .. وجاءت النتيجة تبيّن أن هناك زلالا بكمية كبيرة في البول .. فهل هذا يدل على مرض خطير ؟

ــ ان التورم في القدمين مع وجود زلال بكمية كبيرة فى البول ينتج فى اغلب الاحيان عن مرض في الكلي .. وامراض الكلى هذه عديدة ومتنوعة .. ويمكن ان تسمى تجاوزاً التهابات فى الكلى ، منها الالتهابات الحادة .. والمزمنة . . وشبه الحادة .

ولكنّ هناك كثير من الامراض الاخرى العامة التى تنعكس آثارها على الكلى .. فتسبب ظهور الزلال .

والشيء الذى أحب ان اؤكده هنا ان ظهور الزلال فى البول . . هو عرض لمرض وليس مرضا في حد ذاته .

وعلى فرض صحة التعبير بوجود الزلال بكمية كبيرة في البول مع وجود تورم في القدمين .. فان هذا يعنى أن حالتك تستحق زيادة فى الفحوص والتحليلات لتحديد المرض الذى سبب ظهور هذا الزلال .

ونصيحتى أن تعرض نفسك على طبيبك لاجراء ما يلزم تجاهك وتحديد نوع المرض والعلاج ولا اريد ان اخيفك فأقول انه مرض خطير .. ولكنه ظاهرة عرضية تستوجب العناية وعدم الاهمال قبل أن يستفحل المرض ويصعب العلاج وتتراكم المضاعفات .



المرأة في أطوار الحياة

لكل سن جماله.. ولكل عمر متعته !!

بقلم: منير نصيف

■ كيف تبدو المراة في مختلف سنى حياتها ؟

كيف تبدو الفتاة في ربيع الحياة ثم وهي زوجة شابة ، ثم كيف تبدو وهي ام لطفل أو لعدد من الأطفال ثم وهي ام لجيل جديدة من الشباب واخيرا وهي جدة تحمل أحفادها ، وتحمل معهم بعضا من العبء الكبير الواقع على الأبوين الشابين اللذين ما زال حظهما من تجارب الحياة قليلا .

وهكذا نعود من حيث بدانا ، جيل يأتى من بعد جيل ، الأيام تمضي والسنون تطوى صفحات وتفتح صفحات جديدة ، فهذه سنة الحياة ..

وعمر المراة من اسرارها ، فهى تحتفظ به لنفسها .. لا تكشف عنه الشموع التى تضعها في كعكة عيد الميلاد .. ولا الأعوام التى يحسبها جيرانها وأصدقاؤها ، ولا حتى شهادة الميلاد التى تظل منطوية في صندوقها .. لا شيء من هذا كله قادر على كشف سرها الدفين ..

الرجل سبب حساسية المراة

فالمراة شديدة الحس بكل ما يتصل بعدد سنى

يوم الام مشحون بالعمل . من الدقيقة التى يستيقظ فيها طفلها حتى الدقيقة التي يداعب النوم فيها جفونه .



حياتها على الارض ، والسبب في هذه الحساسية الشديدة هو الرجل ، ذلكالمخلوق الاناني الذى يريد دائما ان يملأ عينيه بميعة الشباب من حوله، ثم هو الرجل مرة أخرى ، الذى لا يسير الى الشيخوخة بنفس السرعة التى تعدو بها المرأة عدوا الى السن الحرجة او الى سن اليأس ،كما يسمونها !

عامل الزمن

ومن هنا نبدأ موضوعنا اليوم ، فللحياة نظام طبيعى ، وفي ظل هذا النظام لا بد لنا أن نعيش ، وهناك وقت نولد فيه ، وهناك وقت نفترق فيه عن الدنيا ، ومن فيها وما عليها.. وبين الوقتين، نكبر وننمو ، كأى مخلوق آخر حى ، ونحن نعجز عن ان نغير هذا التطور من الطفولة الى المراهقة الى النضوج ثم الشيخوخة .. تماما كما نعجز عن وقف عقارب الزمن أو منع غروب الشمس وشروقها معلنة نهاية يوم وبداية يوم جديد !

ولكن" هناك فارق كبير بين من يتقبلون ما يحل بهم بايمان ورضا ، وبين من يتحدون الزمن ، فيقاومونه بمرارة ويأس محاولين خداع انفسهم وخداع الناس ، فلا يلبثون أن يخسروا معركتهم ، ويخسروا معها شخصياتهم الضائعة وربما حياتهم نفسها !

فالحكمة هنا تأتى من الادراك .. ادراك عامل الزمن وأثره في حياتنا ، ثم ادراك التغيير الذى يطرأ علينا من سنة لاخرى ، ثم ادراك حدود امكانياتنا وقدراتنا في كل سن وفي كل مرحلة من مراحل حياتنا .

جدة تداعب حفيدها .. انها لحظات سعادة لكل منهما .



الحياة العصرية

حقيقة أن بريق الحياة العصرية التى نعيشها كثيرا ما ينسينا أننا كنا نستطيع أن نفعله بالامس لا نستطيع أن نفعله اليوم .. وبذلك ننسى أثر الزمن في حياتنا .. وبعض تصرفاتنا يؤكد هذا الرأى ويسانده . فنحن مثلا ننسى أن موعد نومنا قد حان اذا جلسنا نرقب برنامجا مسليا على شاشة التلفاز ، وننسى موعد الغداء ، عندما يدق جرس التليفون وندخل في حديث ممتع مع الصديق الذى عاد بعد غيبة طويلة من الخارج .

ودافعنا الى هذه التصرفات وما يترتب عليها من ارهاق لنا ، ولأبداننا ، هو حبنا للحياة نفسها ، ورغبتنا في الاستقرار وخوفنا من التخلف، ثم محاولاتنا المستمرة في اللحاق بركب الشباب مهما تقدم بنا العمر ..

والمرأة اكثر ميلا من الرجل للانجراف في هذا التيار والظهور بمظهر الشباب، ناسية أو متناسية ان لكل سن جمالها ومباهجها. ان المرأة لكى تبدو منسجمة دائما مع الزمن ، لا بد لها أن تعيش في الطور الذى يؤهله لها عمرها !

رأى برنارد شو

سألوا الكاتب الانجليزى برنارد شو يوما : « اى النساء تحب .. وأى النساء تكره ؟ »

فقال : « احب المرأة التى تبدو على طبيعتها.. تلك التى اذا نظرت الى وجهها ، استطعت أن احسب عدد سنى حياتها بلا عناء . واكره المرأة المتصابية .. الأم التى تنافس ابنتها الشابة في زينتها وملبسها ، وتصر على أن ترافقها مع خطيبها ، الى مجتمعات الشباب بحجة أنها تريد أن تحميها من الفتنة ، فاذا بالابنة تكتشف أن امها قد سرقت خطيبها منها !! » .

سن الشباب

والفتاة في سن الشباب ترتدى أجمل الثياب وتتجمل وتتزين ، فتلك هى اجمل سنى حياتها ، العيون تلاحقها ، وكلمات الاطراء تتسابق لتهمس في اذنيها..الحياة بالنسبة لها انشودة جميلة تسمع الحانها في نومها وفي صحوها .. وعندما تقرأ وعندما تتنزه في كل شيء ، وفي كل مكان ، وفي كل وقت مع شروق الشمس وتحت ضوء القمر ..



ليس هناك أجمل وأحلى من تلك اللحظات التى تقضيها الأم مع فلذات أكبادها وأطفالها تلاعبهم وترعاهم .

فدنياها أحلام ، وعالمها ربيع دائم وزهور تملأ الهواء بعبيقها !

الأم المتصابية

هذه الفتاة كيف تبدو أمها ، وكيف تعيش حياتها ؟ وبعض الامهات يفزعن وهن يرقبن بناتهن في هذه السن . وهو فزع مبعثه الانانية يصيب الام التى لم تنل قدرا كافيا من الثقافة ، فتراها ترفض ان تعترف بدورها كأم .. فترى في ابنتها منافسا لها بعد ان كبرت وبلغت مبلغ النساء ! ولا تزيدها الايام الا تمسكا بالشباب وتعلقا به ، فلا تكاد الابنة تتزوج وتترك بيت والديها ، حتى تهرع الام الى مرآتها تتطلع الى وجهها ، بحثا عن بصمات تلك السنين التى اخذت منها لتعطى ابنتها .. تلك الشعيرات البيضاء التى بدأت تتسلل الى سواد شعرها .. ثم هذه التجعيدات التى تلتف حول عنقها .. وهذا الارتخاء الذى اصاب جلد وجهها .. حتى عيناها قد ذبلتا وجف بريقهما ..

ويستبد بها هلع قاتل وهى ترى جمالها يذوى!

الصورة بلا رتوش

وليس هناك ما هو اشد ايلاما على نفس المرأة من أن ترى صورتها في الاربعين او الخمسين .. صورتها الطبيعية بلا رتوش !

وتسرع هذه الأم الى اصباغها ومساحيقها تستنجد بهما لتخفى ما فعلته السنون بجمالها .. وتعود الى ملابسها القديمة . فتكتشف فجأة انها لم تعد تناسبها وانه لابد لها من ان تشترى أثوابا جديدة أكثر شبابا ..

مثل هذه الام التى تحاول عن جهل ان تتحدى الزمن ، قد صور لها تفكيرها المريض ان الحياة قد انتهت بالنسبة لها ، بعد ان رأت بعينيها ما فعله الزمن بوجهها في مرآتها .. وتنسى انها بمحاولاتها اليائسة اعادة عقارب الزمن الى الوراء ، سوف تخسر نفسها وتخسر معركتها مع الحياة ذاتها ..

وليس هذا هو حال كل الامهات فالأم الجاهلة: هى وحدها التى يمكن ان تقع في مثل هذه الاسواء ..

متعة وحياة وجمال

فالمرأة المثقفة العاقلة ، هى التى تجد في كل مراحل حياتها ، منذ ذلك اليوم الذى تزف فيه عروسا لرجلها ، حتى تبلغ سن الشيخوخة ، متعة وحياة وجمالا ، وان اختلفت مقاييسها الا انها تبقى في النهاية حياة جميلة حافلة بالايام الحلوة والذكريات الحافلة ..

فالفتاة عندما تتزوج وتصبح أما ، تتخلى عن الكثير من حريتها ، وعن بعض جوانب حياتها الخاصة في سبيل اسعاد زوجها واطفالها ... وليس معنى هذا انها تهمل نفسها ، فتصبح « عبدة » لهم ، وانما معناه انها لن تكون نفس الفتاة التى كانت تقضى معظم اوقات فراغها في الأندية ودور السينما والمجتمعات التى كانت تتردد عليها ..

فليست هذه الاخيرة هى الحياة ، وانما هى جانب مُسلٍ من جوانبها الجافة ..والزوجة على استعداد لان تتنازل عن طيب خاطر عن هذه الحريات من اجل سعادة أعظم .. وهل هناك أجمل وأحلى

من تلك اللحظات التى تقضيها الأم مع فلذات اكبادها .. فترقبهم وهم يخطون خطواتهم الاولى فوق الارض التى فرشتها لهم امهم بحبها وحنانها.

الاخت الكبرى

ويكبر الاطفال ، وتكبر امهم معهم . فترى فيهم شبابها .. وليس هناك أسعد من الأم التي تتخذ من اولادها وبناتها اخوة لها ، يحدثونها عن مشروعاتهم للمستقبل ، وللزواج ، ويبثونها الامهم .. ويلجاون اليها في مشاكلهم ، ويلتفون حولها ويسهرون بجوار فراشها اذا احست بالتعب ، او الم بها مرض ، فهى امهم وهى صديقتهم وهى اختهم الكبرى ..

فالمراة العاقلة ، والام المثقفة هى التيتعيش عمرها ، كما قدمنا ، فاذا بلغت الخامسة والاربعين او الخمسين ، لم تفعل الا ما تفعله المراة فى هذه السن . فتبدو كما تبدو اية امراة اخرى فى مثل عمرها ..

قالت مسز جوزيف كنيدى ، الأم التى فقدت ثلاثة ابناء من خيرة الشباب : « لقد كان زوجي يقول لى دائما اننى اجمل امراة فى الدنيا ، الى ان كبر ابنائي وبناتى ، وتوقعت الا اسمع منه تلك التحية التى تعود أن يرددها مجاملة لى . لم جاء يوم التام فيه شمل الأسرة ، يوم تخرج ابنى جون « الرئيسالامريكى الراحل جون كنيدى » فى جامعة هارفارد . ووقفنا كلنا انا وابنائى السبعة من حولى ، بينما انهمك جوزيف فى تسجيل صورة لنا بعدسته .

اجمل أم !

« وما كاد ينتهى من التقاط الصورة ، حتى اقترب منى وهمس فى اذنى : لقد كنت رائعة .. لم ارك اجمل واروع مما كنت اليوم ! »

ويتزوج الابناء والبنات .. ويعيش كل منهم حياته الجديدة .. ويخلو بيت الاسرة ، الا من الذكريات.. ذكرياتتملا أرجاء البيت الكبير الذى كان يغص يوما بالاولاد والبنات الذين تركوه ، ليبدأوا حياة جديدة .. حقيقة قد لا تكون كلها ذكريات حلوة ، وقديكون بعضها على غير ما كان الوالدان يأملان ويتوقعان .. ولكنها ذكريات على اى حال ..

وتتطلع الأم العجوز ، وقد اصبحت جدة لعدد من الاحفاد الذين جاءوا ثمرة لزواج ابنائها .. تتطلع فيما حولها ، فلا تجد الا فراغا لا يملؤه سوى ذلك الشيخ العجوز الذى شاركها حياتها.. زوجها ووالد ابنائها الذى امتد به الاجل فراى احفاده ..

بداية وليست نهاية

هل انتهت الحياة بالنسبة لمثل هذه الام ؟ يقول علماء النفس : « بل لقد بدأت الحياة .. ولم تنته .. ففى هذه السن تكتشف المراة اشياء جديدة تثير اهتماماتها..فهى تشعر لأول مرة بهذا الرجل الذىشاركها حياتها .. بزوجها ذلكالشيخ العجوز الذى اصبح لا يفارق مقعده المفضل ، فلم تعد هناك مشاغلتشغلها عنه . انها تقضيالساعات الطويلة تستمع الى حديثه..فتكتشف فيه نواحى جديدة لم تكن تعرفها عنه ، أو ربما عرفتها فى شبابها ولكنها نسيتها فى زحمة اهتماماتها بالاسرة والبيت ومشاكل الابناء ..

جمال الخريف

فالحياة فى خريف العمر لا تخلو من جمال ولا تخلو من متعة .. وبلوغ الشيخوخة والعيش فى هذا الجو الرتيبالهادىءالذىخلا من المسئوليات، ليس نهاية الدنيا ، طالما أن الابدان صحيحة والعقول سليمة .. بل لقد سجل التاريخ حالات كثيرة لرجال ونساء على السواء ، بلغوا الذروة فى انتاجهم الفكرى والعملى فى سن الستين وما بعدها ..

والعمل وحده متعة وهو سر الحياة الطويلة ... وليس الهدف من العمل فى الشيخوخة هو الكسب ، بقدر ما هو ملء لهذا الفراغ الذى يحتوى حياة المراة والرجل ..

لقد كتب المؤلف الانجليزى الشهير سومرست موم احسن مؤلفاته بعد السبعين .. سالوه يوما : « ما هى اجمل متعة وجدتها فى شيخوختك ؟ » قال : « عندما كنت ازور الاماكن التى رايتها فى شبابى ..عندما كنت ارى الاشياء التى رايتها .. ولكن بعينين جديدتين ذابلتين .. عندها فقط تمنيت لو اننى قضيت بقية ايام حياتى مع الذكريات » .

منير نصيف

كتاب الشهر

إذا لم يكن سلم ؟

بقلم : محمد طنطاوي

تنبؤات عن ... الأسلحة الجديدة

Unless Peace Comes

محرر الكتاب : نيجل كالدر
NIGEL CALDER

■ العلم يخطو خطوات سريعة متلاحقة فكل يوم نسمع عن كشف علمي جديد يؤثر تأثيرا مباشرا في حياتنا. بالعلم استطاع الانسان ان يحقق كثيرا من احلامه في حياة سعيدة هانئة مريحة .. استطاع أن يقهر المرض ، وان يقهر الفضاء ، وان يقهر الزمن نفسه ، وان يسخر الطاقات المختلفة من بخار الى كهرباء الى طاقه نوويه ، لكي يحيل حياته على الارض الى نعيم مقيم .. ولكن بالعلم ايضا يتعرض العالم الآن الى خطر رهيب .. خطر الدمار الشامل ..

ومشكلة العصر العلمي الذى نعيش فيه الآن ان العلم يتقدم بخطوات اوسع من الخطوات التي يتقدم بها المجتمع الانساني من الناحيتين السياسية والاجتماعية . وهذا هو السبب الذى قد يحوّل العلم من نعمة الى نقمه .. فالعلم اتاح للانسان قوة لم يكن يحلم بها .. ولكن هذه القوة اصبحت سلاحا ذا حدين .. اما ان يستخدمها في اتاحة حياة سعيدة لملايين البشر ، واما ان يستخدمها كسلاح لابادة ملايين البشر .. او لابادة الحياة نفسها بكل انواعها على سطح الكره الارضية .

وكتاب « اذا لم يكن سلم » وهو من تحرير الكاتب الانجليزى « نيجل كالدر » ، كتاب مذهل يضم تنبؤات علميه لـ ١٤ عالما عالميا عن اسلحة الدمار وآلات الحرب الجديدة التي جعلها العلم





الحديث حقيقة بعد ان كانت أشبه بالخيال .

وفصول الكتاب تحتوى على حقائق وتنبؤات مبنيه على اسس علمية تثير الفزع وترسم صورة قاتمة مجلله بالسواد لمستقبل البشريه . ويقول نيجل في مقدمة الكتاب « ان الغرض من الكتاب ليس اثارة ذعر الناس : بقدر ماهو اثارة واحياء رغبة الرأى العام العالمى في نزع السلاح وانهاء سباق التسلح المحموم . وازاحة الستار عن الاهوال التي تتربص بالجنس البشرى كله نتيجة لاسلحة الدمار الجديدة التي بدأت تدخل مرحلة الحقيقة بعد ان كانت لاتتعدى كونها مجرد احتمالات في خيال العلماء » .

القنبلة الذرية .. والحرب الكيماوية

في عام ١٩٤٥ عندما استعملت القنبله الذريه لاول مرة : ثار الفزع في العالم .. وترددت صيحات الذعر عن خطر زوال البشرية بسبب الاسلحة الذريه .. واذا قارنا بين القنبله الذريه الاولى وبين الاسلحة الذرية الحديثة لبدت تلك القنبله وكأنها قزم الى جوار عملاق .

ولكن صفحات « اذا لم يكن سلم » تنقلنا مرة اخرى الى مقارنة اخرى أبشع وافظع .. فالاسلحة الذرية ليست هي الكلمة الاخيرة او الحلقة الاخيرة في سلسلة جهود الجنس البشرى نحو ايجاد وسائل جديدة ليقتل ويفتك بعضه ببعض . ان هناك ميادين كثيره من مجالات البحث العلمى التي يمكن استغلالها في البحوث العسكرية وعلى سبيل المثال البحوث البيولوجيه التي تساعد على انتاج فيروسات تستخدم في حرب الجراثيم ، والبحوث الكيماوية التي ادت الى اكتشاف كثير من العقاقير التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الجهاز العصبي للانسان ، فاتحة الباب امام اسلحة كيماويه فتاكه .

٢٠ عاما مضت و ٢٠ عاما قادمة

ان الاسلحة التي تم اكتشافها خلال العشرين عاما الماضيه تضم القنابل الهيدروجينيه ـ القنابل الذريه التكتيكيه ـ قاذفات القنابل الثقالة الضخمة ـ الصواريخ الموجهة على مختلف انواعها ـ القذائف الصاروخية ـ الغواصات الذرية المسلحة بصواريخ ذات رؤوس هيدروجينية ـ اقمار صناعية تستخدم كمراكز للمواصلات والتجسس ـ والصواريخ المضادة للصواريخ وهي احدث شيء في سباق التسلح الآن .

ويقول الكتاب انه اذا استمر هذا السباق المحموم فان علينا ان نتوقع اسلحه جديدة في خلال العشرين عامة القادمه .

ومن هنا تبدأ تنبؤات العلماء الاربعة عشر .. وكلها تنبؤات مبنية على اسس البحوث العلمية التي تجرى الآن خلف جدران المعامل في جو يسوده التكتم والسرية .

حرب الجراثيم

في هذا الفصل من الكتاب يقول العالم السويدى كارل جوران هيدن Carl Goran Heden وهو عالم متخصص في الوقايه من الحروب البيولوجيه « ان الاسلحة البيولوجية باختصار هي عبارة عن ميكروبات تسبب امراضا ، من انواع معروفه للانسان او للحيوان او للنبات . ويمكن اختيار اى مرض على حسب رغبة المعتدى . فالطاعون للقتل والإبادة .. والحميات الحادة غير القاتلة لشل العدو مؤقتا . »

ويستطرد هيدن قائلا : « انه من الممكن لقارب سريع يسير بالقرب من شواطىء بريطانيا ان يطلق في دقائق سحبا من الجراثيم الخاصة ب « بحمى الارانب » Rabbit Fever ، تزن طنا واحدا ، وتكفى لاصابة كل سكان بريطانيا بهذا المرض .

ويقول هيدن ايضا ان الحياة في المدن الحديثة تتيح الفرص لعمليات التخريب عن طريق الميكروبات وذلك بتلويث مصادر الطعام والماء في تلك المدن بواسطة عملاء . وهي عملية بسيطة ولاتكلف شيئا في حين ان نتائجها رهيبة . اما عن الدفاع ضد الهجوم البيولوجى فهو امر صعب ان لم يكن مستحيلا . وحتى الآن لم يتمكن العلماء من ايجاد طريقة لاكتشاف او معرفة ان هناك هجوم ميكروب قد بدأ وذلك في وقت يسمح بوقايه الجماهير منه . وعلى سبيل المثال فان الطاعون الصدرى يقتل المصاب به خلال ٢٤ ساعة اذا لم يتم علاجه .

وتوفير العلاج صعب في حالات الاصابات الجماعية التي تنتج عن حرب الجراثيم .

وهناك ايضا وسائل كثيرة علمية لتعمية العدو عن نوع الميكروبات التي تستعمل ضده في مثل هذا النوع من الحروب .

ويستخلص العالم السويدى المتخصص في الوقاية من الحروب البيولوجيه من هذه الحقائق العلميه نتيجة واحده وهي ان العسكريين الذين يبررون التكاليف الضخمة اللازمة لبناء شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ بحجة حماية شعوبهم من اى هجوم بالصواريخ الذرية مخطئون تماما ، وانهم اشبه برجال يسيرون على ثلج ذائب. فهم يفرضون ان العدو — ايا كان هذا العدو — سيقوم بتصرفات تدل على الانسانية بالنسبة لاستخدام الاسلحة البيولوجيه . في حين ان هذه الاسلحة اسهل بكثير في انتاجها من انتاج الاسلحة الذرية او الهيدروجينية . وهناك كثير من الدول غير الذرية تستطيع انتاج الاسلحة البيولوجية بيسر وسهولة . وهناك ايضا ناحية اخرى هامة وهى ان عملية ايصال الميكروبات الى ارض العدو عملية سهلة يستطيع عدة افراد ان يقوموا بها .

الحرب الكيماوية

بعد هذه الصورة المخيفة عن حرب الجراثيم ، ينتقل الكتاب الى الحرب الكيماوية ، ويذكر العالمان الفرنسيان مارسيل فيتزون Marcel Fetizon ، وميشيل ماجات Michel Magat وهما استاذان في كلية العلوم في اورساى Orsay « ان هناك الآن انواعا كثيرة مختلفة من المواد الكيماوية التي تؤثر على الجهاز العصبي المركزى للانسان . وان كيلو جراما واحدا من مادة (ل.س.د) L. S. D. تكفي ، اذا تم توزيعها توزيعا منسقا لاصابة سكان مدينة لندن (حوالى ١٠ مليون نسمة) بحالة من الفصام العصبي المؤقت .

اما عن المستقبل ، فهما يتنبآن ، بانه من الممكن ان تكفى ١٠ كيلو جرامات فقط من السموم الكيماوية الى ابادة كافة أنواع الحياة على الارض » .

ويختتم العالمان الفرنسيان حديثهما عن الحرب الكيماوية بتساؤل : « بأن العالم لا يستطيع ان يعيش بالعلم والحرب معا . ولذا يجب ان يتخلص من واحد منهما » !

اشعة الشمس قد تصبح سلاحا فتاكا

ولكن هل اكتملت الصورة البشعة ، لما يمكن ان يفعله استغلال التقدم العلمي الهائل في ميادين الحرب ؟! ان صفحات الكتاب تحمل المزيد من الاحتمالات والتنبؤات التي تزيد الصورة بشاعة وقبحا . العلم — كما ورد في الكتاب — يستطيع ان يتوصل الى احداث ثغرة في طبقة الاوزون ، التي تحمى الحياة على الارض من خطر الاشعة الفوق البنفسجية القاتلة الناتجة من اشعة الشمس . ويؤدى هذا الى هلاك كل من يتعرض لهذه الاشعة ولو لفترة قصيره جدا . وبهذا يحول العلم اشعة الشمس من نعمة الى سلاح فتاك .

سلاحف الكترونية وجنود آليون

حدود العلم اصبحت اشبه باللانهائية ، الالكترونات والانسان الآلى ، الآليات التى تسير بلا انسان يقودها . كلها تحققت في عصرنا هذا .. فهل يتركها تجار الحروب دون ان يستفيدوا منها .. ؟! الجواب بالنفي طبعا .. فطالما هناك احتمال حرب ، فهناك دائما سباق التسلح .. وسباق نحو تحسين الاسلحة الموجودة وايجاد اسلحة جديدة . وفي مجال الالكترونات والانسان الآلى نترك الحديث للبروفسور ميريديث ثرينج Meredith Thring ، استاذ الهندسة في جامعة لندن واحد المتخصصين في « الانسان الآلى » وهو يتنبأ بأن الانسان البشرى سيختفي من ميادين الحرب ويحل محله الانسان الآلى ، في قيادة الطائرات والغواصات وفى ميدان القتال كجندى محارب وخاصة في المهام الانتحارية .

ويقول ثرينج ان هناك احتمالا كبيرا ان يصبح هناك انسان آلي مصنع له ارجل عديدة كارجل

السلاحف ويحمل قنبلة ذرية او هيدروجينية ويستطيع هذا الانسان اختراق صفوف العدو بواسطة آلات التوجيه الالكترونية متوجها الى هدفه ، ولايستطيع احد ايقافه الا بواسطة استعمال الاسلحة الذرية ، وهذا يؤدى الى تخريب شامل للمنطقة التى تتعرض لهجوم من هذا النوع ، لسبب واحد بسيط ، وهو ان القنابل الهيدروجينية او الذرية التى يحملها هذا الانسان الآلى ستنفجر عند اصابته بواسطة العدو .

البحار والمحيطات ميدان جديد للدمار

العالم يعانى من الانفجار السكانى : فمع صباح كل يوم ومع اشراقة الشمس على الارض ، يضاف الى تعداد سكان العالم عدد ضخم جديد من الافواه الجائعة التى تصرخ مطالبة بالمزيد من الطعام ، محذرة من المستقبل الذى يتطلب بذل جهد من العلماء والمتخصصين لايجاد وسائل جديدة لاشباع هذه الافواه الفاغرة .

ولهذا اتجه العلماء الى المحيطات يبحثون بين مياهها وقيعانها على طعام جديد لسد هذه الافواه الجائعة . واجريت البحوث العلمية واحرزت نتائج لها قيمتها لافادة البشرية .. ولكن نفس هذه البحوث يمكن استغلالها في ميادين الدمار ايضا لا في ميادين العمار وحدها ..

وفي استغلال المحيطات كميدان من ميادين الدمار يقول العالم ويليام نيرنبرج William Nierenberg وهو متخصص في علوم البحار ، وكان يعمل قبل ذلك سكرتيرا عاما مساعدا للشئون العلمية لحلف شمال الاطلسي ، ان المحيطات ايضا يمكن استغلالها في تدمير العالم اذا استمر سباق التسلح الحالى .

سفن المستقبل ستصبح اشبه بالطائرات ، سرعتها ستصل الى ١٠٠ عقدة او اكثر في الساعة. قواعد ثابتة في قاع المحيط ستقام . جزر صناعية عائمة ستملأ المحيطات لتصبح قواعد ذرية . الغواصات الذرية ستملأ قاع المحيطات .

وقد تبدو هذه التنبؤات عادية وغير مثيرة . ولكنها في الحقيقة تحمل اكثر من معنى واحد مثير . ولعل اهم معنى تخفيه بين طياتها هو ان مئات الملايين او آلاف الملايين من الجنيهات ستنفق على وسائل الدمار والخراب في حين ان العالم تشتد حاجته الى كل درهم من هذه النقود لينفقه في توفير الراحة والطمانينة والطعام للبشر ، لا اشاعة القلق والاضطراب النفسي بينهم .

عودة الى الخطر الذرى

والسؤال الذى يفرض نفسه بعد ان قرانا ما قرانا عن الحرب الكيماوية ، وعن الحرب البيولوجية (حرب الجراثيم) وعن آلات الدمار الالكترونية الآلية .. هو هل يعنى هذا ان الاسلحة الذرية قد اصبحت شيئا قديما .. ؟!

ويجيب على هذا السؤال الدكتور دافيد انجلز David Inglis ، وهو عالم طبيعة امريكي ، واحد الذين اشتركوا في صنع القنبلة الذرية . يقول « انجلز » على صفحات الكتاب : « ان فكرة ابادة البشرية كلها بالاسلحة الذرية ليست مستبعدة علميا ، فالاقمار الصناعية يمكن تزويدها باسلحة ذرية وهيدروجينية ، وشبكات الصواريخ المضادة للصواريخ لا تستطيع ان تفعل شيئا ضد هذه الاقمار » .

اضف الى هذا ان هناك تحسينات كثيرة ادخلت على القنابل الهيدروجينية والذرية ، اصبح حجمها صغيرا واصبحت قوة تدميرها اكبر .
وهكذا لاتزال الاسلحة الذرية تمثل خطرا كبيرا على البشرية .

★ ★ ★

هذه التنبؤات العلمية وغيرها كثير .. بين صفحات هذا الكتاب « اذا لم يكن سلم » قد تثير الذعر في نفس قارئها .. ولكنها في نفس الوقت تثير مشكلة اخرى اعمق .. انها مشكلة عصرنا الحاضر .. عصر العلم الحديث والتقنية .. انها مشكلة نزع السلاح والتعايش السلمي بين دول العالم ، وتسخير العلم في خدمة الانسانية لاتسخيره ليكون اداة ابادة الجنس البشرى من على سطح الارض .

بقي أن نتذكر ما قاله العالمان الفرنسيان مارسيل فيتزون وميشيل ماجات : « على العالم الآن ان يختار بين العلم والحرب فلا مكان لهما معا على سطح كوكبنا هذا » . ■■

محمد طنطاوى



تاريخ الادب العباسي

تاليف : البروفيسور رينولد.ا. نكلسن
ترجمة وتحقيق : الدكتور صفاء خلوصي ــ الناشر : المكتبة الاهلية في بغداد ــ العراق .

● دراسة عن الادب العباسي ، على الاسلوب الغربي ، لتاريخ فترة من اهم فترات تاريخنا الادبي ، حيث يمثل الادب العباسي الادب العربي بمعناه الحقيقي ، من حيث تنوع اغراضه ، وتعدد مذاهبه الادبية ، وتطورات اساليب التعبير فيه . ويزعم المؤلف ان تاريخ الادب العباسي يجب ان ندرسه كادب رومانتيكي ثائر على الادب الكلاسيكي الجاهلي ، وان سقوط الدولة الاموية انما ازاح نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا كان له تاثيره في الادب والفكر العباسي .

مع الخالدين

تاليف : سمير شيخاني ــ الناشر : منشورات دار سمير للطباعة والنشر ــ بيروت .

استعراض وترجمة لحياة مجموعة من الادباء والمخترعين والرحالة والقادة والفاتحين والفلاسفة والشعراء والساسة من الشرق والغرب وما اسدوه للحضارة الانسانية من تقدم ونماء في كافة المجالات التي نبغوا فيها .

قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث

تاليف : نجم الدين غالب الكيب ــ الناشر : منشورات دار مكتبة الكسر طرابلس ــ ليبيا .

● دراسة عن الاكتشافات في ليبيا مابين القرن السابع عشر والقرن العشرين ،والامم التي ساهمت في عملية الكشف في مجاهل الصحراء الكبرى من بعثات انجليزية وفرنسية والمانية وايطالية ، ثم ماذا كان وراء حركة الكشف هذه من نوايا . ثم دور العرب في حركة الكشف الافريقية .

ديوان كمال نصرت

قدم له : ابراهيم الوائلي ــ الناشر : مطبعة دار البصري ــ بغداد ــ العراق .

● ديوان شعر يحوى مجموعة من القصائد الوطنية والسياسية والاجتماعية ثم بعض المراثي والغزليات والوصف .

العلم ومشكلات الانسان

تاليف : يوسف مصطفى الحاروني ــ الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة .

● يتضمن هذا الكتاب بحوثا عديدة عن العلم والمشكلات التي يعانيها الانسان في عصرنا الحاضر ، والكتاب ينقسم الى اربعة ابواب تناول المؤلف في الباب الاول التطور الحضارى والتكنولوجي ، والخواص المميزة للانسان . اما الباب الثاني فقد درس المؤلف المشكلات الكبرى في العالم ، مثل مشكلة الانفجار السكاني ، وتوفر الغذاء في العالم. وفي الباب الثالث تكلم المؤلف عن مشروعات التنمية في الجمهورية العربية المتحدة ، والباب الاخير تكلم فيه المؤلف عن اذكاء النظرة العلمية في المجتمع العربي .

الارض

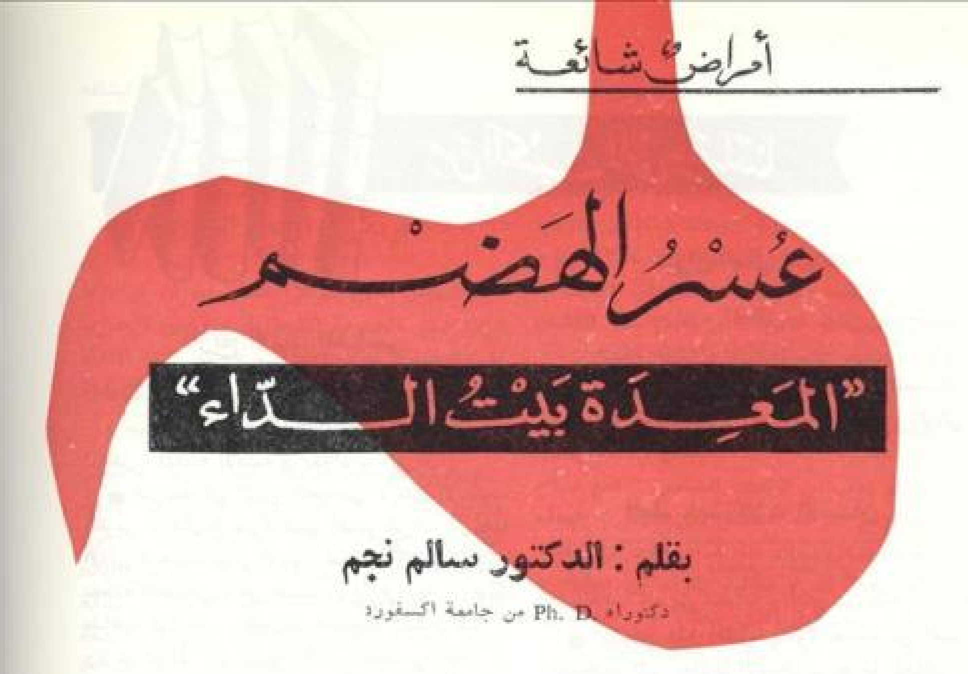
تاليف : اميل زولا . ترجمة : رفعت سعيد . الناشر : المكتبة العصرية صيدا/بيروت .

● قصة واقعية طويلة يحاول المؤلف فيها ان يصور معالم بيئة فلاحية تتناهب حياتها المشاكل الاقتصادية والعاطفية والجنسية وخلال ذلك يبحث ابطالها عن انفسهم الضائعة .

رياح كانون

تاليف : فاضل السباعي ــ الناشر : دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ــ بيروت .

● قصة عاطفية طويلة . ■■



عسرُ الهضم

«المعِدَة بيتُ الداء»

بقلم : الدكتور سالم نجم

دكتوراه Ph. D. من جامعة اكسفورد

▪ يجمع معظم الاطباء على القول بأنه من النادر ان تجد انسانا لم يعان من عسر الهضم أو اضطرابات المعدة فى فترة من فترات حياته ، سواء كان ذلك فى صورة حادة طارئة او فى صورة مزمنة ، وتختلف تسمية المرض من بلد الى بلد ، بل ومن شخص الى آخر . فمن قائل انها اضطرابات هضمية او التهابات معدية او انتفاخ بطني الى آخر يقول بل انها تلبك الطعام وكسل الكبد واختلال فى الجهاز الهضـــمي . ويذهب البعض الى انها الحموضـة القاتلة والغازات اللعينة . وتســمع من يصفها بالمعدة العصبية والامعاء القلقة الى غير ذلك من التسميات التي ان دلت على شيء فانما تدل على معنى واحد هو ان « المعدة بيت الداء » .

وقبل ان نستطرد في وصف هـذا المرض ارى انه من الضرورى أن يتعرف القارىء على جانب من جوانب وظيفة الجهاز الهضمي فى حالته الطبيعية لأن ذلك سوف يساعده على فهم الحالة المرضية بصورة واضحة .

وصف القناة الهضمية ※

القناة الهضمية عبارة عن انبوب متصل يتفاوت فى السعة والضيق طبقا للوظيفة التي يؤديها كل قسم من اقسامه . وهي تبدا بالفم وتنتهي بالمستقيم ففتحة الشرج . وتشمل فيما بينهما من أعلى الى اسفل الاجزاء التالية : الحلقوم، المرىء ، المعدة ، المعى الدقيق (الاثنى عشر واللفائف) ، القولون (أو المعى الغليظ) باقسامه (الصاعد والمستقيم والهابط) ، ويبلغ طول القناة الهضمية كلها فى الشخص المكتمل النمو حوالي ثلاثين قدما الا ان هنالك عوامل كثيرة تؤثر على طول القناة مثل : العمر ، الجنس ، البنية ، التكوين ، عادات الطعام ونوع التغذية ومقدار تعرض الانسان لامراض الجهاز الهضمي سواء كانت امراضا عضوية او وظيفية . ويتكون جدار القناة من طبقات ثلاث : داخلية مخاطية « Mucous » ووسطى عضلية « Muscular » وخارجية مصلية .

※ تجد لها وصفا كاملا فى مقال « صفحة الطب المصور » صفحة ١٢٠

هضم الطعام

يدخل الطعام لقمة بعد أخرى الى الفم حيث يختلط باللعاب وتقوم الاسنان بتقطيعه ومضغه ثم ينزل الطعام الى المعدة عن طريق المرىء ليبقى هناك بعضا من الوقت ليمتزج بالعصارات المعدية الهاضمة . وفي المعدة يتم هضم المواد النشوية أما المواد الدهنية والزلالية فيكتمل هضمها في المعى الدقيق بواسطة خمائر من غدة البنكرياس وصفراء الكبد وفي المعى الدقيق يتم امتصاص المواد الغذائية بانواعها الثلاثة بالاضافة الى مواد غذائية اخرى . وما تبقى من الغذاء يسمى فضلات الطعام وهذه تذهب الى القولون حيث تختزن بعضا من الوقت ويمتص منها الماء لتأخذ الشكل الصلب للبراز الذى لا يلبث أن يخرج من فتحة الشرج في عملية التبرز . وتستغرق رحلة الطعام من الفم الى فتحة الشرج من ٢٤ – ٣٦ ساعة والجدير بالذكر أن الجهاز الهضمي ينتج يوميا ما يقرب من خمسة لترات من العصارة الهضمية التي تحتوي على الخمائر الضرورية لتحليل الطعام الى عناصره الاساسية لكي يسهل امتصاصها وتمثيلها . وكل خميرة تتولى تحليل نوع معين من الغذاء وتحت ظروف محددة من التفاعل القلوى أو الحمضي . فمثلا في المعدة تعمل الخمائر الهاضمة في وسط حمضي ولا تحسن العمل اذا ما صار قلويا والمعى على عكس ذلك فمحتوياته قلوية ولا يتكامل هضم أو امتصاص اذا اصبحت حمضية .

الأعراض المرضية لعسر الهضم

وأعراض عسر الهضم كثيرة وهي غير متميزة في مريض دون سواه بل وتختلف شكوى المريض الواحد من آن الى آخر ومن النادر أن تجتمع كلها في شخص واحد . ولكن من الممكن تلخيصها كالآتي :

١ – آلام في أعلى البطن وتحت الضلوع .

٢ – انتفاخ في المعدة مع شعور بالثقل فيها أو بشيء ضاغط عليها .

٣ – تجمع الغازات في المعى والشعور بحركتها وانتقالها من مكان الى آخر .

٤ – الحموضة الحارقة مع صعود محتويات المعدة الى الفم بمصاحبة التجشؤ .

٥ – اعتلال المزاج والشعور بعدم الارتياح وكذلك بعدم القدرة على وصف المرض .

٦ – الشعور بالرغبة في القيء وأحيانا بالقيء المزمن صباحا أو عقب الوجبات .

وقد تستمر هذه الأعراض شهورا أو سنين طويلة مع فترات تحسن مؤقت لعدة ايام أو عدة أسابيع غير أن صحة المريض العامة جيدة ووزنه لا ينقص بل ربما يزيد ، ونشاطه وحيويته لا يتأثران وتلك علامات حسنة نرجو أن يلاحظها المريض لأنها تدعو الى التفاؤل واليقين بأن المرض أساسه اضطرابات في الوظيفة فقط وليس مرضا عضويا . (المرض العضوى هو المرض الذى يصاب فيه الجهاز الهضمي من حيث مادته كأن يصيبه التهاب مثلا ، أما الوظيفي فالذى يحدث من حيث أداء العضو عمله) .

أسباب عسر الهضم

ان الأعراض المرضية التي شرحناها سابقا ليست أعراضا محددة لمرض محدد في عضو محدد ولكنها أعراض عامة قد تشير الى نوعين من الأمراض (١) عضوية – (٢) وظيفية .

١ – أمراض عضوية :

أ – في الجهاز الهضمي : مثال ذلك : التهاب المعدة المزمن ، قرحة المعدة والاثنى عشر ، التهاب المرارة ، التهاب غدة البنكرياس ، التهاب الزائدة الدودية المزمن ، التهاب المعى الدقيق والقولون .

ب – خارج الجهاز الهضمي : مثال ذلك : عسر الهضم الناتج عن التسمم بالبولينا من أمراض الكليتين ، أو في المسالك البولية وكذلك الأعراض الدالة على وجود أمراض في الجهاز الدموى مثل هبوط القلب المزمن . ان هذه الأمراض العضوية بقسميها ليست هي المقصودة في هذا المقال ولكننا أوردنا هذه القائمة من الأمراض لاستكمال الموضوع فقط .

٢ – أمراض وظيفية في القناة الهضمية تؤدى الى عسر في الهضم :

هذه الأمراض الوظيفية هي موضوع مقالنا

الحالي ولها المقام الاول من الاهمية اذ تبلغ نسبة المصابين بها حوالي ٦٥٪ من مجموع امراض الجهاز الهضمي في معظم بلاد العالم الغربي وذلك طبقا لما جاء في احصاء قام به الدكتور وليمز وزملاؤه في بريطانيا عام ١٩٥٦ . ولقد تأكدت هذه النسبة في بحث تقدم به قسم الابحاث الطبية بالكويت الى المؤتمر الطبي العربي الخامس المنعقد بالكويت عام ١٩٦٦ حيث كانت نسبة الأمراض غير العضوية بين قطاع من سكان الكويت ٦٧٪ بالنسبة لأمراض الجهاز الهضمي . اما نسبتها لجميع الأمراض الاخرى فهي حوالي ٤٢٪ والأعراض المرضية التي ذكرت سابقا تنطبق غالبا على هذا النوع من الأمراض الا انه يجب التأكد طبيا من خلو الشخص من أي مرض عضوي سواء داخل الجهاز الهضمي او خارجه .

ميكانيكية عسر الهضم الوظيفي

ربما ينشأ الخلل الوظيفي للمعدة او الامعاء من تغييرات في الحالة الفسيولوجية للجهاز الهضمي فينتج عنه :

١ ــ اضطرابات في افرازات العصارة الهاضمة للقناة الهضمية حيث تزيد كمية الاحماض وتقل نسبة الخمائر في المعدة مما يعطل عملية الهضم وذلك يؤدي الى تخمر المواد النشوية والزلالية . وينعكس اثر ذلك على المريض الذي لا يلبث ان يشكو من انتفاخ في البطن مع تجشؤ ورغبة في التخلص من غازات تملأ معاه وتنغص عليه صفوه . ولكي يتخلص من هذه المتاعب تجده يلجأ الى استحداث القيء بوضع اصبع في حلقه وذلك لافراغ محتويات معدته بعد مرور بضع ساعات على تناول طعامه .

٢ ــ اضطرابات في حركة المعدة والامعاء : ينتقل الطعام خلال القناة الهضمية من اعلى الى اسفل بواسطة انقباضات عضلية منتظمة في صورة موجات محددة . ويتحكم الجهاز العصبي في هذه الحركة كما يتحكم كذلك في افرازات العصارة الهضمية . فاذا حدث ما يزعج النفس ويهيج الخاطر فان تأثير ذلك قد ينعكس على حركة الجهاز الهضمي وينتج عن ذلك انقباضات عضلية غير منتظمة بل ومختلفة الاتجاه وربما كانت غاية في الشدة والعنف بحيث يشعر المرء بآلام معدية حادة في اعلى البطن مع قيء مستمر حتى تفرغ المعدة كل ما فيها . وفي حالات القيء الشديد يفقد الانسان كذلك عصارات المرارة والمعي ويظل في حالة اعياء شديد ربما استمر عدة ايام .

٣ ــ اختلال في الدورة الدموية للجهاز الهضمي : كما تتأثر افرازات الجهاز الهضمي وحركته بالحالة النفسية ، كذلك تتأثر دورته الدموية وذلك عن طريق الجهاز العصبي . في حالات الانفعال النفسي تحتاج الاجهزة الدفاعية للجسم للمزيد من الوقود فالقلب ينبض بشدة والتنفس تزداد سرعته والمخ يتحفز والعضلات تتهيأ وكل ذلك يحتاج الى زيادة في كمية الدم الذاهب الى هذه الاعضاء ويضطر الجهاز الهضمي (وهو اقل الاجهزة اهمية في هذه الحالات) بالقبول باقل مما يحتاجه من الدم في هذه الظروف الطارئة . فاذا علمنا ان الدم يلعب دورا هاما في افرازات العصارة الهاضمة وفي حركة الامعاء وفي عملية الامتصاص والتمثيل فان النقص في كمية الدم يعتبر من العوامل الاساسية في عسر الهضم .

عادات ضارة ربما ادت الى عسر في الهضم

تعتبر الاضطرابات النفسية والعاطفية وحياة القلق والانفعال السبب الرئيسي في عسر الهضم الوظيفي وذلك عن طريق استثارة الجهاز العصبي الذي يؤثر بدوره على الجهاز الهضمي مما يترتب عليه اختلال في وظائفه الافرازية والحركية ودورته الدموية . الا ان هناك بعض العادات الضارة التي ان مارسها الانسان فترة كافية ربما نتج عنها سوء في الهضم . واليك اهم هذه العادات :

١ ــ المشروبات الكحولية في اية صورة بغض النظر عن نسبة الكحول فيها .

٢ ــ التدخين والاكثار من المشروبات المنبهة كالقهوة والشاي .

٣ ــ الاسراف في استعمال التوابل والبهارات .

٤ ــ التعود على استعمال الادوية وخاصة مركبات الساليسلات .

٥ ــ الافراط في تناول الاطعمة الدسمة والمركزة واختلال مواعيد الوجبات .

٦ ــ تجاهل اعراض الحساسية المعدية بعد

تناول انواع معينة مـن الاغذيـة او الادويـة او التعرض للبرد .

علاج عسر الهضم

مما لا شك فيه ان علاج عسر الهضم يلزمـه بالدرجة الاولى تجنب اسبابه او العوامل المؤدية اليه ، وذلك يتطلب من الانسان ان يبتعد عما يؤدى الى الاضطرابات النفسية والعاطفية وان يوطد نفسه على قبول الحياة كما هي وان يواجه مشكلاته مواجهة صريحة صادقة مع نفسه اولا ثم مع المجتمع الذى يعيش فيه حتى يستطيع ان يجد لها الحلول العملية المباشرة دون ان يترك لهـا جذورا في اعماقه تسبب له الازعاج والقلق . هذا بالاضافة الى تحسين عاداته الطعامية والبعد عن المهيجات والمثيرات التي ذكرت منذ قليل . وانصح هنا باتباع بعض العادات التي تساعد على تنظيم عملية الهضم بصورة طبيعية :

١ ـ ان تقوم عن الطعام وانت له راغب ولا تملأ معدتك مهما كانت المقربات .

٢ ـ ادخال الطعام على الطعام مفسدة للهضم والصحة فلا تأكل حتى تجوع واذا اكلت فلا تشبع.

٣ ـ شرب الماء واجب اثناء الطعام ولكن لا تشربه بعد الاكل لمدة ساعتين .

٤ ـ لا تذهب الى الفراش عقب الطعام فلا بد من مرور ساعة على الاقل بين الطعام والنوم .

٥ ـ من الافضل ان تقلل ما امكن مـن عـدد الاصناف على مائدتك . ونوع واحد او نوعان في الوجبة الواحدة خير للمعدة والصحة من الالوان المتعددة من الطعام .

٦ ـ لا باس من استعمال بعض المركبات والادوية الهاضمة ولكن فقط عند الضرورة .

استشارة الطبيب واجبة

اذا استمرت اعراض عسر الهضم فترة ولـم تفلح معها الوسائل السابقة فلا بد من استشارة الطبيب المختص وعمل الفحوصات الضرورية من مختبرية وشعاعية للتأكد من سلامة الجسم .وذلك لاستبعاد وجود مرض عضوى سواء داخل الجهاز الهضمي او خارجه . وكذلك ليطمئن قلب المريض ويهدأ خاطره . فالثقة بين الطبيب والمريض تقرب طريق الشفاء وتقطع طريق التوهم والشرود . ■■

سالم نجم الكويت : المستشفى الاميرى

★ ★ ★

● اذا بحثت عن السعادة طويلا ، فستجدها ... ولكن كما وجد ذلك العجوز نظارته آخر الامر .. وجدها على أنفه .

● اذا أعجبت المرأة بالرجل الصموت، فلأنها تعتقد أنه ينصت اليها .

● لا تجادل رجلا أحمق .. فقد يخطىء المشاهدون التمييز بينكما ..

● خلقت المتاعب لتجعلنا نفكر ، لا لتجعلنا نقلق .

● قال المريض للطبيب :
ـ متى تعتقد أننى ساكون في حالة تسمح لى باكل الاشياء التى لا تتفق مع صحتى ؟!

طرائف عربية

بين العباس رضى الله عنه وآخر

● سال رجل العباس رضى اللهعنه: انت اكبر ام رسول الله صلى عليه وسلم ؟

فأجاب العباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر ، وانا ولدت قبله .

بين ملك وزاهد

● دعا أحد الملوك زاهدا فابى عليه اجابة الدعوة .

فقال الملك : وكيف لا يجيئنا وقد دعوناه ؟

فارسل الزاهد الى الملك يقول : ايها الملك ، ان الذى منعك ان تجيئنا منعنا انتجيئكوهو الكبرياء.

بين سعيد بن عثمان ومعاوية بن ابى سفيان

● قال المدائنى : دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن ابى سفيان . فقال له :

علام جعلت يزيد ولى عهدك دونى ،فوالله لأبى خير من ابيه ، وامى خير من امه ، وانا خير منه ، وقد وليناك فماعزلناك ، وبنا نلت ما نلت .

فأجاب معاوية على البديهة : اما ان اباك خير من ابيه ، فقد صدقت لعمرالله فان عثمان خير منى . واما قولك ان امك خير من امه فحسب المراة ان تكون في بيت قومها وان يرضاها بعلها وان يَنجب ولدها .

واما قولك أنك خير من يزيد ، فوالله ما يسرنى ان لى بيزيد ملء الغوطة مثلك

واما قولك انكم وليتمونى فما عزلتمونى ، فما وليتمونى وانما ولانى من هو خير منكم (عمر) فاقررتمونى وما كنت بئس الوالى لكم ، لقد قمت بثاركم وقتلت قتله ابيكم ، وجعلت الامر فيكم ، واغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم .

بين معاوية وعقيل

● كان عقَيل بن ابى طالب قد هجر اخاه عليا ، وانحاز الى معاوية فبالغ في العطف عليه للنيل والكيد لعلى رضى الله عنه ، ولما قتل على واستقر الامر لمعاوية واستقل به ، ثقل عليه امر عقيل وتجهّم له ، وجلس معاوية يوما ، فقال لمن حوله :

اتعرفون ابا لهب الذى انزل الله فيه قوله تعالى : (تَبَّتْ يدا أبى لهبٍ وتبّ) ؟

فقالوا له :

لا نعرفه ؟

فقال معاوية :

هو عم هذا ، واشار الى عقيل .

ذكر علي بن عبيدة القلم فقال : اصم يسمع النجوى ، اعيا من باقل ، وابلغ من سحبان وائل . يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة واعينا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة .

بين أبى الاسود وامرأته

قال ابو عبيدة : تخاصم ابو الاسود الدؤلى وامرأته فى ولد لهما وكلاهما يدعى بحقه فيه وتحاكما الى زياد والى البصرة .

فقال زياد : ماخطبكما ؟

قالت المراة : خصمان اختصما فى ولدهما .

فقال زياد : فلتدل المراة اولا بحجتها .

قالت المراة : اصلح الله الامير هذ ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه وثديى سقاءه ، اكلؤه اذا نام واحفظه اذا قام ، فلم ازل كذلك سبعة اعوام ، فحين امتلت نفعه ، ورجوت دفعه ، غصبه منى قهرا .

فقال الامير : وانت يا ابا الاسود ماهى حجتك ، وما هو جوابك المقنع امام هذا المنطق ؟

قال ابو الاسود : اصلحك الله ايها الامير ، فانا حملته قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه .

فقالت المراة : لقد صدق ايها الامير ولكن حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها .

فقال زياد : والله لقد وازنت بين الحجتين وقارنت الدليل بالدليل ، فما وجدت لك عليها من سبيل .

بين يزيد بن المهلب وولده

مر يزيد بن المهلب باعرابية فقرته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية :

كم معك يا معاوية من النفقة ؟

فقال ولده معاوية :

يا ابت كل ما معى ثمانمائة دينار .

قال يزيد :

ادفعها كلها اليها .

فقال ولده معاوية :

يا ابت انك تطلب الرجال ، ولا يكون الرجال الا بالمال ، وهى بعد لاتعرفك ويقنعها القليل واليسير . فقال يزيد : ان كانت هي ترضي باليسير فانا لا ارضى الا بالكثير ، وان كانت لاتعرفنى فانا اعرف نفسي — ادفعها اليها —

بن أبى طالب

فقال عقيل على البديهة .

وأنتم أتعرفون امراة ابى لهب التى قال الله فيها (وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) ؟

فقالوا لا .

قال عقيل :

هي عمة هذا ، واشار الى معاوية . فهى ام جميل بنت حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة ابى لهب بن عبد العزى المشار اليها فى السورة .

طرائف غريبة



نوعان من الرجال

● هناك نوعان من الرجال في هذا العالم .. هؤلاء الذين يتقبلون الكوارث في خنوع ويستسلمون ، وهؤلاء الذين لا تكاد تحل بهم كارثة حتى يبدأوا في العمل بجد واجتهاد ليحولوا الهزيمة الى نصر .

* * *

مقومات النجاح في الامم المتحدة

● حدد بعضهم شروط النجاح في العمل الدبلوماسي عامة ، وفي المنظمة الدولية بصفة خاصة ، في كلمات ثلاث هي : البروتوكولات والمرطبات والابتسامات ..

والظاهر ان هذا القول ليس بعيدا عن الحقيقة . ويتضح لنا ذلك لو ذكرنا ان الحفلات التي اقامها **اللورد كرادون** ، مندوب بريطانيا في تلك المنظمة ، اثناء دور انعقادها الثاني والعشرين ، (سنة ١٩٦٧) كانت كالتالي :

٩٦ حفلة كوكتيل

١٠٥ حفلة عشاء

عدد لا يحصى من حفلات الشاي .

علما بأن دور الانعقاد المذكور لم يستغرق أكثر من ٨٤ يوما !

ثمن الفشل !

● سأل الصحفيون السناتور يوجين مكارثي Eugene McCarthy الذي رشح نفسه لانتخابات الرئاسة الامريكية لهذا العام وفشل في ترشيح حزبه الديمقراطي له ، سألوه عن المبالغ التي لا مفر لمرشح الرئاسة من ان ينفقها قبل الوصول الى البيت الابيض ، فأجاب : « أنا لا أعلم شيئا عن المبالغ التي ينفقها المرشح قبل أن ينتخب رئيسا للولايات المتحدة .. فأنا لم أنتخب رئيسا لبلادنا أبدا .. »

وصمت مكارثي هنا قليلا ، ولكنه لم يلبث ان استدرك قائلا : « على انني أستطيع ان اعطيكم فكرة واضحة عن المبالغ التي يتكلفها مرشح الرئاسة الفاشل .. فقد انفقت ما يتراوح بين ٤ ــ ٥ ملايين دولار !! »



قولان

● المجتمع اليوم ليس سوى حشد كبير من الناس مهذب ، ينقسم الى فئتين ، فئة تثير الملل ، وفئة تستقبله .

« لورد بايرون »

● تاريخ حياة الناس هو اصدق التواريخ .

توماس كارليل

بين الاستاذ وتلميذه

● كان هنرى ارسكين Henry Erskine المدعى العام في اسكتلندة في اواخر القرن الثامن عشر يتلقى علومه على يد استاذ خاص اشتهر بضعف ذاكرته . وكان ارسكين شديد الاعجاب باستاذه العجوز . وفي احد الايام التقى التلميذ باستاذه بعد أن تخرج واصبح رئيسا للنيابة ، فساله هذا الاخير : « لقد علمت بمزيد الاسف يا بنى أن أحد افراد اسرتك قد أصيب بالحمى ، وانه قضي نحبه . ترى هل كنت انت ام شقيقك هو الذى مات بهذه الحمى ؟ »

وذهل ارسكين وهو يستمع الى سؤال استاذه الغريب ، فما كان منه الا أن قال : « كنت انا يا سيدى الذى أصيب بالحمى ومات !! »

ومد الاستاذ يده مصافحا تلميذه ثم قال : « آسف جدا يا بنى ، ارجو ان تبلغ اسرتك خالص تعزيتي ! » وانصرف الاستاذ العجوز !! .



الالم يخلق رباطا لا ينفصم

● « الحياة مع انسان آخر في ظروف يكتنفها الالم ، تخلق رباطا لا يمكن فصمه . والناس قد يستمتعون بحياتهم، وينظرون الى ماضي علاقاتهم، نظرة ملؤها السعادة ، ولكن هذه العلاقات السعيدة لا يمكن ابدا ان تخلق مثل ما يخلقه هذا الرباط الذى يجمع بين شخصين عاشا وحيدين وكان الالم وحده ثالثهما » .

(اليانور روزفلت)

سور جامعة هارفارد

● أول كلية انشئت في امريكا هي كلية هارفارد التي عرفت فيما بعد بجامعة هارفارد . وقد شيدت في عام ١٦٣٦ في ضاحية كامبريدج ، وهي بلدة صغيرة تقع خارج مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس (غير كامبريدج انجلترا طبعا) ولكن قليلين هم الذين يعرفون قصة السور العالى الذى يحيط بالجامعة من كل الجهات : فقد شيدوه لصد خطر الذئاب الجائعة التى كانت تهاجم طلبة الكلية ، والهنود الحمر الذين كانت الحرب ما زالت قائمة بينهم وبين الرجل الابيض منذ اكثر من ثلاثمائة عام . ولقد اختفت الذئاب ، وانتهت الحرب وبقي السور ! .

تعريفات لاذعة

الزواج الثاني : معركة انتصر فيها الامل على التجربة .

السعادة : عمل متواصل يشغلك عن التفكير في مشاكلك .

السائق المتهور : هو دائما سائق السيارة الاخرى التى تعترض طريق سيارتك .

الامريكي : هو الرجل الذى يبدى استعداده دائما لمناقشة دستور بلاده ، بالرغم من انه لم يقراه مرة واحدة !

السياسي : رجل يهز يدك مصافحا قبل الانتخابات ، ثم يهز كيانك كله بعد فوزه في الانتخابات .

الرجل الثرى : لايراه ولايشعر بوجوده الا الفقير .

قصة الغروب الاخير

بقية المنشور على الصفحة ١١٩

كطبيب بامرتي بالذهاب ، وواجبى كاى فرد عادى يخشى المستقبل يتهاني . انني لا اعلم حقيقة شعورى الشخصي تجاهها ، اريد ان اراها ثانية ، انها لغز لي اريد حله بنفسي .

ـ اذهب . وعلى اى حال هي احدى مريضاتك ولا داعي للتردد ولكل هذه الافكار ...

وفكر سامي قليلا قبل ان يجيب .

سأفعل وسأتعمد الحضور قبل الغروب بدقائق .

★ ★ ★

كانت الساعة تشير الى الخامسة عندما قرع سامى الباب ليفتح له على الفور والد نادية .

ـ لقد تاخرت يادكتور عن موعدك .

ـ لا بأس اين هي ؟

ـ انها ق الشرفة . هلمَّ معى .

وفيما هما في الطريق لمح سامي صورة كبيرة لرجل ، فوقف امامها مشدوها وتمتم .

لو لم تكن هذه الصورة هنا لحسبت انها صورتي .

ـ اترى الآن انها لم تكن مخطئة عندما حسبتك اياه .

فتح سامى باب الشرفة ليجد نادية جالسة وقد علقت عيناها في الافق حيث الشمس تودع الحياة معانقة السحاب لتعكس عليه لونها الارجواني فتبدو كتلة بيضاء متماوجة كأمواج بحر هادىء وصاخب معا .

ـ اراك تجلسين وحيدة ..

ـ ......

ـ ان منظر الغروب جميل من هذه الشرفة .

كانت نادية تسبح في عالم آخر بعيدة عن الحقيقة المؤلمة فاعادتها كلمات سامي عن الغروب لرشدها ومع انها كانت تفضل الصمت الذى تحبه الا انها تكلمت :

ـ الغروب جميل حقا .

ـ ولكن الإسوارك الملل من مرآه كل يوم ؟

ـ لا ... الا ترى الشمس وهي ترسل خيوطها الذهبية تحضن الغيوم وكأنها تتمسك بها ترجوها الخلاص من الموت ، ولكن المصير يشدها اليه. انها تكاد ان تتكلم ، ان تشكو . انها زميلتي الوحيدة ، وكل يوم لي مثل هذا اللقاء البسيط معها تذكرني فيه بالايام الماضية ، وتحمل لي المستقبل ، تحكيه لكل طائر عابر عله يعود بالغائب من عالم المجهول ....

كانت تتحدث بطلاقة ناسية نفسها بل متناسية **وجود هذا الغريب الذى اعادها للحقيقة بسؤاله :**

وهل هذا سبب محبتك لغروب الشمس ؟ ..

ـ وكيف لا ... وقد بنيت عليه آمالي . لقد شهدناه سويا من قبل . والآن استمعُ لتلك الحكايات وحدى ..

ـ ولكن لاتنسي انني شهدته معك اليوم ..

ارتعشت لدى سماعها كلماته وهبت واقفة تريد الدخول .

ـ نادية ارجوك اسمعيني ... لقد سرد لي والدك كل شيء وانا لا اطلب منك ان تنسي الماضي لانه جزء من حياتنا وحاجتنا اليه كحاجتنا الى المستقبل ، انهما مترابطان بحبال لاتنقطع ، ولولا الماضي ما كان المستقبل .

انا لا انهاك عن ذلك الامل المرتقب طالما انك تعيشين للحظة يجدد الزمن فيها عهده . ارجوك انني غريب ووحيد مثلك . دعيني اكن صديقا لك بل دعيني اشهد الغروب معك قربما يكون لي امل يأتى مع الغروب وعلى صفحته المجهولة ، اننا لانعلم الساعة التى يولد فيها الامل . والشمس التى تمسكت بأهداب الحياة اليوم ستولد ثانية وتكون اكثر جمالا وروعة . ارجوك . اريد ان اكون صديقا لك لا اكثر قربما اجعل من آمالك احلاما تحمل الحقيقة والواقع الذى نعيشه ..

كانت تستمع اليه باحثة في عينيه عن الحقيقة التى افتقدتها .. تخيلتها واقعة ، فعلت البسمة ثغرها وتالقت عيناها ببريق غريب وشعرت بنفسها كمن يولد من جديد .. وهمت ان تتكلم . ولكن اى شيء تقوله ....

★ ★ ★

ـ آه يافيات لقد مرت الايام مسرعة ، وبالامس تدت كل شيء بالنسبة لي . انني احب نادية

فهي لم تعد مريضتي بل قل صديقتي او حتى حبيبتي . ان عينيهـا لتسرد لي اشياء غريبـة جميلة لم اكن اعرفها من قبل ، اكاد اقسم لك انها تحبني حقا بعد هذه الفترة وكل هذه اللقاءات المتكررة بيننا . لقد غدوت احب الغروب ، ولا اجد نفسي الضائعة الا به ، وهو يلفني معها كل يوم . وحديثنا عن اللانهاية والشفق والامل وكل شيء انه يتجدد باستمرار يحمل كل امنية عذبة في هذه الحياة .

ـ رويدك .. رويدك ياسامي اجدك قد قطعت اشواطا بعيدة ومريضتك اصبحت حبيبتك لقـد قلت انك تشعر انها تحبك ، وهذا لا يعني انهـا كذلك ، ربما كانت تراه في شخصك واعني ذلك الشبه لعمر ، فتكون قربك بجسدها ، وقلبها هناك حيث تاه الحبيب .

ـ لا ياغيات بالأمس فقط كنت اظن ذلك ، ولكنها اعترفت لي انها ، حقيقة،عاشت مع شبيهي ولكنها كانت تتمناه بصورتي ومركزي انا بـل احبتني انا بشخصه على الاصح . واستطيع الآن ان أؤكد لك أن كل ماضيها ذهب ادراج الرياح ، والغد ربما يزيل تلك الهوة تماما ليجعل حياتنا أكثر سعادة . والآن قل لي كم الساعة ؟ ..

ـ الخامسة والربع .

ـ آه .. لقد تأخرت يجب ان اسرع انها بانتظاري وستساورها الظنون ان لم اصل عندها حالا .

لم يكن ببال سامي شيء الا أن يصل الى منزل نادية بأكبر سرعة ممكنة ، وعلى التحديد قبل غروب الشمس ، لانه كان يصل كل يوم في الوقت المحدد، ويخشى ان تساورها الظنون .

نظر الى ساعته ثم تابع سيره بسرعة أكبر حتى شارف منزلها فجال ببصره الى الشرفة حيث شاهدها تجلس وحيدة ، وعبر الشارع وهو معلق بصره حيث كانت ، حتىانه لم ينتبه الى تلكالعربة المسرعة التى تجاوزت المنعطف واصبحت تجاهه تماما . تنبه لصيحات المارة ولكن بعد فوات الاوان شعر بصدمة قوية ارتد على أثرها الى الخلف خطوات عديدة واصطدم بعمود الكهرباء ، ورفع رأسه محاولا أن يعدل من جلسته ولكنه هـوى فاقدا الرشد .

★ ★ ★

ـ أرجوك يا دكتور قل لي صارحني بحالته ..

ـ هدئي من روعك يا آنسة نادية . انك لم تذوقي طعم الراحة منذ يوم وساحدثك بكل شيء ..

ـ أرجوك .. هل سيعيش أ حياتي فداء له . انه كل أمل لي .

ـ ساخبرك بكل شيء وأرجوك أن تكوني متعقلة وتفهمي كلامي بدون تسرع . لا خطر عليه بعد الان، وسيستعيد صحته ، ولكنه تلقى الصدمة على قدميه . ثم رأسه ، فسبب له ذلك شللا نصفيا اى انه لن يستطيع الوقوف على قدميه ، ولا اعنى انه لن يقف أو يعود لحالته العادية مطلقا لا بل هناك أمل كبير في استعادة قوته وشفائه من هذا الشلل ، ولكن ذلك يستغرق وقتا غير معلوم وعلاجا مستمرا ، أرجوك افهميني ان وجودك سيساعدني في اعلامه هذه الحقيقة .

تلقى سامي الحقيقة بشجاعة مصطنعة . لقد احب الحياة في هذه اللحظة التى خانه القـدر بها . شعر أن ما بناه قد تهدم . ورسم تلك الابتسامة المتفائلة وهو يسمع كلمات نادية تحدثه عن المستقبل وتزينه له . أراد أن يتكلم ، أن يمسك بكتفها ويهزه بعنف . أراد أن يقول لهـا تكلمى الواقع بل دعى دموعك تهبط وقولى ما في فؤادك من حزن خلف هذه الابتسامة الحزينة . كانت تبث فيه الامل بعدما كان يقدمه لها ،وتبسم بسخرية وهو يسمع حديث عينيها .

ـ لن نسمع أحاديث الغروب معا بعد الآن ..

لم تفلح نادية في اخفاء دموعها وتهدج صوتها :

بل سنشاهده ونسمع كل همسة من همسـاته ولن تتغير حياتنا ابدا لانني سأحاول أن لا أدعك لحظة وخاصة ساعة الغروب ، سأشهده من دارك.

ومدت يدها تعانق يده وتضغط عليها بقوة كأنها تقول له انا مازلت معك ساعيش وأموت معك .

★ ★ ★

تتالت الايام مسرعة . كانت تزيد خوف سامي

من المستقبل المجهول ، وغدا يعاني صراع نفسه . يريد أن يدفن حبه لنادية الى الابد فلا امل لديه. يريد أن يوقف تعلقها الشديد به . ينتظر حلول معجزة ما تعيد كل شيء لمجراه ، فكر كثيرا ولكن فكرة واحدة ظلت تلازمه ، أن يضع حدا لحياته ، لان الموت وحده كفيل بانهاء تلك العلاقة بينهما .

حانت ساعة الغروب ولكن نادية لم تأت كعادتها ، بل كانت دهشة سامي كبيرة عندما شاهد والدها يدخل غرفته ويبادره للفور :

ـ سامي .. لا اعلم كيف اخبرك لقد ساءت حالة نادية اليوم لدرجة كبيرة بعد هذه المفاجاة اذ قرع جرس الباب ففتحته لتشاهد .. عمر .. نعم عمر انه لم يمت بل كان فاقدا للذاكرة اثر صدمة أصيب بها ، وقد استعاد ذاكرته فحضر للفور ، ولكنها لم تستقبله بل أغلقت الباب في وجهه وهرولت الى غرفتها تبكي ، ولم تستمع لتوسلاته ، انني في حيرة ، حاولت أن أكلمها فلم أفلح ، أنت الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر عليها ، كلمها في الهاتف ..

ـ سأحاول .

تمنعت نادية عن التحدث مع سامي بادىء الامر ولكنها رضخت بتأثير الحاحه الشديد :

ـ الو .. نادية . لقد ساورني القلق لعدم مجيئك عندي اليوم .

ـ شعرت انني متعبة قليلا

ـ وهل يمنعك هذا عن الحضور ؟ بل نسيت ان اليوم عيد رأس السنة أو ذكرى لقائنا ..

ـ آه ...

لم تقل كلمة غير هذه ، ولكنها شعرت بغصة كبيرة . كانت تعرف ذلك ، ولكنها تمنعت لعلمها مسبقا أن سامي سينصحها بالعودة لعمر :

ـ لم أنس يا سامي ، انني أنسى كل شيء الا ذلك ، ولكنك علمت ما حدث لي ، وعلى أي حال سأحضر عندك بعد قليل .

ـ لا .. أرجوك اسمعيني ، لقد أهديتني أجمل هدية الا وهي الامل ، ذلك الذي تعلقت به ، وابيت أن تتركيه في الوقت الذي أنكره الجميع . لا داعي لاذكرك . فان ما أقوله هو كنز احتفظت به ذاكرتك ، ذلك الاحساس الذي شعرت به أن عمر لم يمت وسيعود ، الآن قد تحقق هذا الحلم وغدا حقيقة جميلة ، وأحاديث الغروب وهمساته لك لم تكن خداعا ، ولا وهما ، بل كانت بشيرا لك بما سيحمله المستقبل ، وها هو عمر قد عاد وآن لك أن تعودي له . لقد كنت صديقا لك لا أكثر . وطبيبا عالجك بخبرته، وها أنت قد شارفت الشفاء لذلك أرجوك .. ارجوك عودي للعهد القديم فهو يحمل المستقبل الزهر لك .

ـ لا .. سامي

ـ أرجوك فكري في كلامي وافعلي كما أخبرتك . لا داعي لحضورك عندي اليوم لانني سأستقبل صديقي بعد قليل ولي حديث معه ، ورجائي الثاني ان تذهبي اليوم لحفلة السهرة فاليوم عيد رأس السنة وأنت تحبين هذه الحفلات . أرجوك اذهبي ، والآن الى اللقاء .

تنهد سامي بارتياح بعد أن انهى مكالمته الهاتفية ودفع بعجلات كرسيه حتى اقترب من مكتبه واخذ يخط رسالة الى نادية ، حتى اذا انتهى وضعها في مظروف واغلقه باحكام وجلس ينتظر وصول الدكتور غياث .

★ ★ ★

هب غياث واقفا يودع سامي ويعتذر لضيق الوقت فقد كان لديه موعد لا يريد أن يفقده ولكن سامي استوقفه :

ـ غياث هل لك أن تؤدي خدمة لي

ـ خدمة ؟ .. ألف خدمة

ـ أرجوك وأنت ذاهب أن تعرج على منزل نادية وتعطيها هذا المظروف ، وقد لاتجد أحدا في المنزل فضعه خلف الباب ولك ألف شكر .

عاد سامي يدفع عجلات الكرسي حتى اقترب من خزانة صغيرة للادوية واخذ يبحث عن شيء ما بداخلها لم يلبث أن وجده فخاطب نفسه :
آه لقد وجدتك . يا للسخرية . أعددتك لاسمم تلك الحشرات المؤذية وها أنا أستعملك لاسمم نفسي .. على كل حال لن أشعر بألم كبير ولو أن

المفعول بطيء ولكنه يفي بالغرض .

وبشجاعة افرغ محتويات الزجاجة في جوفه وعاد الى مكانه السابق قرب النافذة واخذ يفكر في عام مضى حمل له الامل والياس ويستعيد في ذاكرته الحوادث مرتبة كانه يراها من جديد على شريط سينمائي .

وصل غياث لمنزل نادية وقرع الجرس مرات عديدة ولما لم يجد احدا أدخل الرسالةبين شقي الباب وانصرف .

شعرت نادية بانقباض شديد وارادت العودة الى المنزل فخاطبت والدها :

ـ دعنا نعد للمنزل انني اشعر بضيق ولا اريد ان اتم السهرة .

ـ ولكن الوقت ما زالمبكرا ، والساعة لم تجاوز الحادية عشرة والنصف ، والسهرة ما تزال في بدايتها .

ـ لم أعد احتمل . اريد العودة .

ـ كما تشائين .

عادت ناديا لمنزلها ، وبينما كان والدها يفتح الباب سقط المغلف فتناوله وقرا عليه اسم نادية، فرفع حاجبه باستغراب وقال :

ـ هذا لك

ـ لي ؟ .. شيء غريب .

تناولت المغلف وفتحته للفور لتقراه :

« نادية »

أعذريني لكلماتي القليلة هذه ولكنني خططتها لاعبر لك عن رغبتيالاخيرة راجيا أن تنفذيمضمونها لانها تحمل الحقيقة في ثناياها .

عندما تقرئين رسالتي هذه أكون قد فارقت الحياة سابحا الى عالم مجهول أحمل الامنية التي طالما طلبتها .وددت لو شاهدت الغروب معيالبوم، لا لشيء ، بل لتسمعي حديثه. كان متفائلا ، ولاول مرة لم تودع الشمس الحياة باكية ، بل كانت مستبشرة بعدما غدت احلامها واقعا ضمنكمن جديد لجانب عمر ، كانت راضية بعدما جعلت من آمالك السابقة واقعا جميلا .

« نادية

أحببت عمر قبل أن تريني . لقد خلقت له كما خلق لك ، كنت تعيشين على أمل اللقاء وها قد تحقق هذا اللقاء . أما أنا فلم أكن سوى طبيب ساعدك في محنتك لا أكثر .. ليس بامكاني أن أعطيك ما سيقدمه لك عمر . هو سيقدم لك الحياة ، وأنا .. نصف رجل . أحمل الآلام . ان المستقبل معه لا معي ، وامنيتي الوحيدة في لحظاتي الاخيرة أن تتزوجيه . افعلي ذلك ان شئت أن تكوني مخلصة لي ، واذا ما شعرت أنك بحاجة لي يوما ما ، فانتظري غروب الشمس والقي ببصرك الى هناك حيث الشفق ، وفي نقطة التقاء قوس قزح ستجدين روحي هناك تبحث عن شيء افتقدته في عالم الاحياء .

سامي

استيقظ سامي من اغفاءته وقد شعر بدوار شديد براسه ونظر الى ساعته ليجدها الثانية عشرة الا خمس دقائق فتناول لفافة وشرع يدخنها ببطء ينسي معه أله من تاثير السم شاعرا بدنو أجله ، وفي تلك اللحظة فتحت نادية البابوالقت بنفسها تحضنه وتبلل وجهه بدموعها .

ـ لمَ فعلت ذلك ياسامي . أنا أحبك ، اريدك أنت . انك كل شيء لي في هذه الحياة .

وبكلمات متعثرة تخرج بصعوبة بالغة من فم سامي المرتجف :

ـ لا . نادية ، تزوجي عمر انه المستقبل لافائدة لك من رجل كسيح ، تزوجيه يا نادية هذه وصيتي لك ..

اتذكرين ، لقد التقينا فيليلة رأسالسنة ونفترق في نفس الليلة كأن شيئا لم يكن !! انني .. مسرور.

قالها سامي في اللحظة التي أعلنت فيها الساعة الثانية عشرة ، ووقعت اللفافة من يده وهوى رأسه على صدر نادية وقد رسمت على شفتيه ابتسامة سخرية ، وعيناه معلقتان هناك ، على شيء ما افتقده في هذه الحياة وراحت الروح تبحث عنه مع غروب الشمس . ■■

دمشق **عماد الدين غازي**

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

الفن القوطي

● قرأت ان كاتدرائية نوتردام الشهيرة في باريس تمثل روعة الفن القوطي ـ فهل لكم ان تذكروا لنا نبذة عن هذا الفن .. اين ومتى نشأ ؟

موفق عبد الحق ـ دمشق

ـ الفن المعماري القوطي اصطلاح يطلق على الفن الذي ظهر بعد الفن الرومانسك Romanesque في القرن الثاني عشر الميلادي واخذ في الانتشار في كافة دول اوربا في منتصف القرن الثالث عشر . وقد استمر انتشار هذا الفن حتى بداية عصر النهضة في اوائل القرن السادس عشر .

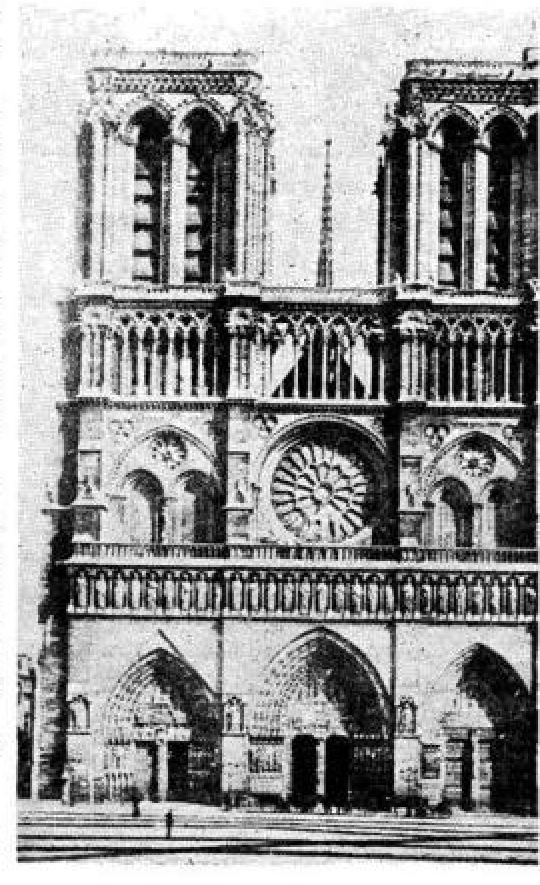
وتسمية الفن القوطي لا تعني نسبته الى القوط (الفاندال) وهي تلك الشعوب الهمجية التي كانت تقطن المانيا في القرن الرابع والخامس والسادس . (وهم الذين اجتاحوا روما وخربوها وكانوا يسمونهم بالبربر لوحشيتهم) .

ويسمى الطراز القوطي احيانا بالطراز المحدب، لكثرة استخدامه الاقواس المحدبة والقباب. وقد اخذت تلك الاقواس ـ وهي ابرز خصائص الفن القوطي ـ عن الشرق الاوسط ، والدليل على ذلك تلك الاقواس التي تبدو في مباني القرن السادس في سورية ، وفي مساجد سامراء بالعراق ، ومسجد ابن طولون بالقاهرة . وقد ظهر الفن القوطي اول ما ظهر ، في فرنسا ـ على ما يرى اكثر المؤرخين ـ ثم انتقل بعد ذلك الى انجلترا والمانيا وايطاليا واسبانيا ـ واقدم الامثلة للطراز القوطي الكامل في فرنسا هو كنيسة نوتردام الشهيرة التي يرتادها السياح في باريس .

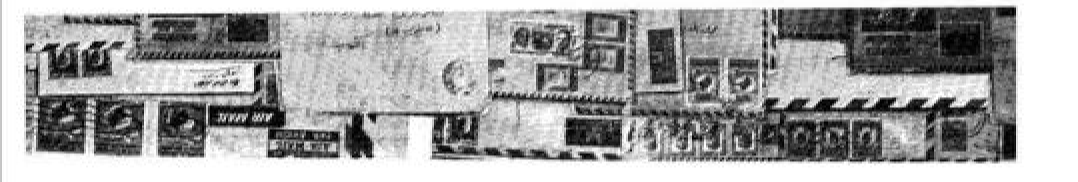
وفي انجلترا تحولت العمارة من الطراز النورمندي الى الطراز القوطي في أواخر القرن الثاني عشر ، ويتمثل هذا الطراز في كنيسة وستمنستر الشهيرة . وقد اتجه الفنانون في اسبانيا وايطاليا الى العناصر الزخرفية التي غلبت على الخصائص القوطية البحتة، فقام هؤلاء الفنانون بابداع التماثيل ، ولوحات الزجاج المعشق ، والنقوش المحفورة على الاقواس والتي تشبه الدانتلا لدقتها .

ولايزال الفن القوطي يستعمل حتى الآن في بعض مباني الجامعات وناطحات السحاب .

(م. ط.)



كاتدرائية نوتردام الشهيرة في باريس



سوازيلاند والمستعمرات البريطانية فى افريقيا

● لقد سمعت اخيرا عن تحرر اقليم سوازيلاندمن الاستعمار البريطاني وأريد معرفة كل شيء عن هذا الاقليم :مساحته :عدد سكانه ، ماهي عاصمته وهل توجد مستعمرات اخرى لبريطانيا في القارة الافريقية ، وماهي ؟!

حامد مهدى سالم ــ سوهاج ــ ج . ع . م

ــ تبلغ مساحة اقليم سوازيلاند ٦٧٠٥ اميال مربعة وبلغ عدد سكانه ...ر٢٧٥ نسمة حسب اخر احصائية .وعاصمة سوازيلاند هي « مبابان » Mbabane وتعداد سكانها يبلغ ٨٣٩٠ نسمة.

وتقع سوازيلاند على حدود جنوب افريقيا وموزمبيق.فيحدها من الشمال والغرب والجنوب مقاطعة الترنسفال في جنوب افريقيا ومن الشرق موزمبيق . وقد سميت بسوازيلاند نسبة الى قبائل السوازى التى تقطن هذه المنطقة الجبلية من الارض .ويدين اغلب السكان بالديانات القبلية الوثنية .

ويعود أصل « السوازى » الى مجموعه البانتو وكانوا يقيمون فى الجزء الشمالي من اراضي « الزولو » ولكنهم نزحوا من هذه الارض بعد معارك طاحنة بينهم وبين القبائل الاخرى في اوائل القرن التاسع عشر ، واستقروا في هذه البقعة التى سميت باسمهم . وقد تعهدت بريطانيا منذ عام ١٨٨١ بمنحهم الاستقلال كما وافقت على هذا ايضا حكومة جنوب افريقيا . وفى عام ١٩٠٧ اصبح اقليم سوازيلاند تحت حكم مندوب سام بريطاني . وفى ابريل ١٩٦٧ كفل الدستور الجديد للاقليم ان يحكم حكما ذاتيا على ان تكون الشئون الخارجية من اختصاص بريطانيا .

واخيرا حصلت سوازيلاند على استقلالها الكامل واصبحت مستقلة عن بريطانيا .

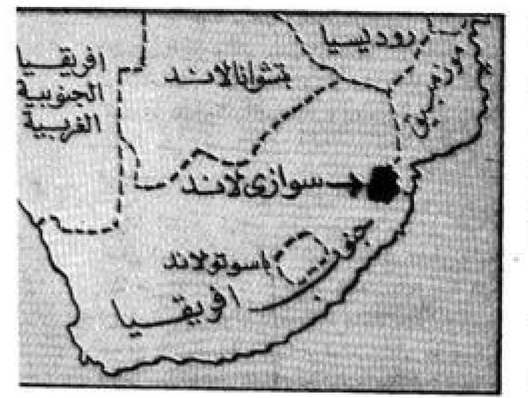
اما عن المستعمرات البريطانية الاخرى فى القارة الافريقية فقد اصبحت بعد استقلال اغلب دول افريقيا في السنوات الاخيرةلاتزيد عن ٣ مستعمرات هي :

١ ــ جزيرة سانت هيلانة Saint Helena وتعداد سكانها ٤٦٢٤ نسمة . وهى الجزيرة التى نفوا اليها نابليون .

٢ ــ جزيرة سيشل Seychelles وتعداد سكانها ٤٦٠٤٧٢ وهى الجزيرة التى نفوا اليها سعد زغلول .

٣ ــ الاراضي البريطانية الهندية في المحيط. وتسمى بجزر الزيت وتضم مجموعة من الجزر الصغيرة فى المحيط الهندي .

(م . ط)



أرز غزير المحصول

● سمعنا قبل مدة عن الارز الجديد الذي اكتشفوه في الهند .. فما هي قصة هذا الارز .. وهل سيقي الهند حقاً شر المجاعة .. ؟

خليل الاسكندراني ـ الحسكة ـ سوريا

ـ الهند ، على ما يبدو ، هي بلد المجاعات . ولعل ذكرى مجاعتها الاخيرة ما زالت ماثلة في الأذهان ، وقد حلّت باقليم (بهار) قبل أكثر من عام ، وعانى منها ثلاثون مليونا من سكان ذلك الاقليم ، أي ثلاثة أخماسهم ، فمرض منهم من مرض ومات من مات .. ولكن الهند ، على ما يبدو أيضا ، بلد لا يخلو من المفاجآت ذات الصلة الوثيقة بتلك المجاعات . ولعل أبرز ما يذكر في هذا الصدد النجاح الذي اصابه بعض العلماء الهنود ، وكلهم صغار السن" ناشئون ، في تطوير النوع الجديد من الأرز الذي تسأل عنه ، والذي يمتاز عن سائر الانواع الاخرى بوفرة الانتاج وغزارة المحصول . ومن يدري فقد تؤدي هذه الغزارة بالهند الى تصدير الارز في غد قريب !

والمؤسف أننا لا نعرف لهذه الغزارة نسبة" ، ولو على وجه التقريب . فكل ما نعلمه بشأنها هو ان موسم الحبوب الهندي الاخير ، وهو الذي انتهى حصاده في مطلع السنة الحالية ، قد سجّل رقما قياسيا ، بل خياليا بفضل غزارة الارز الجديد. اذ بلغت محاصيل هذا الموسم بمجموعها ١٠٢ مليون طن ، أي بزيادة ١٥ مليون طن عن مجموع ما جاء به موسم ١٩٦٥ ، وهو أجود المواسم التي عرفتها الهند في تاريخها الطويل .

وكم كنا نود لو أن بياناً علميا وافيا عن الارز الهندي الجديد قد صدر عن معهد ارز مانيلا حيث تم اكتشافه ، والتثبت من غزارته ، أو عن المعهد الهندي للبحوث الزراعية ، حيث يجرى العمل حاليا على تحسينه وزيادة محتويات البروتين في تركيبه .

اما الشطر الثاني من سؤالك ، وهو الذي تسأل فيه عما اذا كان الأرز الجديد سيقي الهند حقا شر المجاعة ، فالجواب عليه يبتعد بنا قليلا عن موضوع المواد الغذائية والمحاصيل ويقترب بنا من العقائد والتقاليد . فهذه ، على ما يبدو لا تقل شأنا عن المحاصيل الزراعية وغزارتها ، والأمطار الموسمية وجودتها ، فيما يتصل بالتغذية في الهند على اقل تقدير .

فلو علمت أن الهنود يمتنعون عن ذبح البقر ، بل يؤثرون الموت جوعا على ذبحها وأكل لحمها، وانهم يعتقدون كذلك بقداسة الفئران التي يمتنعون عن قتلها بالرغم من أنها تلحق بالهند اضرارا جسيمة تقدر بنحو ٢٥٠ مليون جنيه في كل موسم!!! ولو علمت ان مياه بعض الانهار في الهند مقدسة بحيث لا يسمح لأحد باستغلال تلك المياه، ولا حتى

جمهورية ديجول الخامسة

● لماذا سميت جمهورية ديجول ، الجمهورية الفرنسية الخامسة ؟

عبد الرحمن علي ـ جده

ـ قامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) واشتركت فيها فرنسا ، بزعامة حكومة تتألف من الحزب الاشتراكي الراديكالي ، وفي ظل الجمهورية الفرنسية الثالثة .

وبانتهاء الحرب وانتصار الحلفاء فيها ، كان ذلك ايذانا بالقضاء على الحزب الاشتراكي الراديكالي في فرنسا وبه انتهت الجمهورية الثالثة .

وبدأت الجمهورية الرابعة في عام ١٩٤٥ ، وقد عاشت فرنسا في ظل هذه الجمهورية احلك ايامها اذ شهدت هزيمة الجيش الفرنسي في الهند الصينية ، كما بدأ نفوذها يتقلص في افريقيا وفي غيرها من مناطق العالم . وساءت علاقاتها بعدد كبير من الدول العربية والافريقية والاسيوية . ومما ساعد على توالي الهزائم والنكبات على فرنسا اضطراب الاحوال السياسية وعدم استقرارها في الداخل نتيجة لتنازع الاحزاب وتهافتها على الحكم، حتى لقد بلغ عدد الحكومات التي قامت في فرنسا في ظل هذه الجمهورية ثماني عشرة حكومة . حتى كان عام ١٩٥٨ عندما قام بيير منديس فرانس ، احد زعماء فرنسا الاشتراكيين بمحاولة يائسة لاعادة الحياة الى الحزب الاشتراكي الراديكالي الزائل . ولكن محاولته مالبثت ان باءت بالفشل، وجاء الجنرال شارل ديجول الى الحكم ، معلنا قيام الجمهورية الفرنسية الخامسة التي خلصت فرنسا من كثير من متاعبها السياسية .

(م. ن)

● انت تسأل .. ونحن نجيب

اسطول : كلمة يونانية

● عقدتم مقارنة بين الأسطولين السوفييتي والامريكي ، في العدد الأخير من مجلة « العربي »، فهل كلمة « اسطول » كلمة عربية ؟ واذا لم تكن عربية ، فمن أين جاءت ، ومن الذى أدخلها على اللغة العربية ؟

سليمان حازم/جدة

ـ كلمة اسطول ، ليست كلمة عربية ، وانما هي لفظ يوناني ، واصلها Stolos ، وهي تطلق على مجموعات السفن والطائرات الحربية او التجارية . وقد كان المسلمون العرب هم أول من استخدم هذه الكلمة وأدخلها على العربية في عام ٢٨ هجرية . فعندما فتح العرب بلاد مصر والشام ، وادركوا خطر اساطيل البيزنطيين على فتوحاتهم ، اخذوا يعملون على بناء قوة بحرية تدعم جيوشهم وتدفع خطر هؤلاء البيزنطيين عنهم من البحر .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أول من انشأ اول «اسطول» اسلامي للدولة العربية بعد ان اذن لمعاوية بن أبي سفيان والي الشام ، بغزو الروم بحرا .فقام معاوية بمساعدة أهل مصر والشام وشمال افريقيا ، في بناء السفن وتجهيزها حتى تم لهم ذلك ، فغزوا قبرص وفتحوها في عام ٢٨ هـ . وكان أن أطلق العرب على هذه السفن الحربية كلمة « أسطول ». وهو أول أسطول بحرى في تاريخ الدولة العربية وقد ساهم هذا الأسطول في اتساع رقعة الدولة العربية ، اذ استخدمه العرب بعد ذلك في فتح جزر البحر المتوسط مثل سردينيا ورودس وصقلية وكريت وغيرها .

(م. ن)



أيام الجفاف .. لو علمت ذلك وعلمت فوقه أن الهند ما زالت تعتمد كثيرا على الامطار في ري المزروعات ، والأمطار ، كما لا يخفى ، ليست مضمونة كمياه الأنهار .. لو علمت ذلك كله لاتضح لك بأن مشاكل التغذية والمجاعة في الهند لا سبيل الى حلها حلا جذريا بالارز الجديد ، مهما بلغت غزارته ووفرته ، وايقنت أن الامر يتطلب حلولا اخرى من نوع آخر .

(ى. ز)

ردود خاصة :

ا . م . اللاذقية

ـ ليس هناك سوى حل واحد ، وهو أن تطلعي والديك على ما حدث .

س . ت : الاردن

ـ تزوجها يا بني ، فهذا هو سبيلك الوحيد للتكفير عن الجريمة التي ارتكبتها .

هل تتزوج المرأة بأكثر من رجل .. ؟!

● نعلم ان الرجل يتزوج اكثر من امرأة ، وانى الصين لا حد لزوجات الرجل الواحد . ولكن سمعنا بعكس ذلك ، فهل صحيح ان المرأة تتزوج اكثر من رجل واحد ؟!

جواد . م . بغداد

ـ ان الاجابة المباشرة على سؤالك بالايجاب .. فهناك عدة قبائل تقيم في التبت وفي مرتفعات الهند، وقبائل الاسكيمو في القطب الشمالي ، تمارس هذا النوع من الزواج الذى يسمى بتعدد الازواج. والاستفاضة في الاجابة تتطلب منا ان نتحدث عن الزواج نفسه .

الزواج هو الاتحاد او الاندماج القانوني والاجتماعي بين رجل وامرأة والذى يضمن وضعا اجتماعيا مقبولا لاطفالهم .

وللزواج قوانين وعادات وقواعد واعتقادات تحدد حقوق وواجبات الزوج والزوجة .

والزواج امر تحتمه الطبيعة البشرية ويحتمه الفرق بين الانسان والحيوان . فالطفل الآدمي يحتاج الى رعاية لمدة طويلة حتى يستطيع الاعتماد على نفسه بعكس اطفال الحيوانات التى يستطيع بعضها الاعتماد على نفسه بعد خروجه الى الحياة مباشرة ويحتاج الطفل الى رعاية من الام والاب فى وقت واحد . فالام تقوم بتغذيته والاب ، عادة، يعمل ليعول الام والابن . فالزواج وسيلة من وسائل بقاء الجنس البشرى .

وتختلف عادات وقواعد وقوانين الزواج من مجتمع الى آخر .. ولكن هناك ثلاثة انواع من الزواج يكاد كل مجتمع من مجتمعات العالم يسمح بها ، وهذه الانواع هى :

١ ـ الزواج من زوجة واحدة . Monogamy

وهو اشيع انواع الزواج فى العالم ، وهو ان لا يتزوج الرجل باكثر من زوجة واحدة في نفس الوقت وكذلك ان لا تتزوج المرأة باكثر من زوج واحد فى نفس الوقت .

٢ ـ تعدد الزوجات Polygyny

ينتشر هذا النوع من الزواج فى كثير من البلدان. وقد حرمه الدين المسيحي ، وان كانت هناك مناقشات كثيرة حول ان المسيحية لم تنص صراحة على تحريم تعدد الزوجات . فالمورمون يحللون الزواج باكثر من واحدة . وفي اوربا كان تعدد الزوجات مسموحا به من قبل الكنيسة في القرون الوسطى . والملك شارلمان كان لديه زوجتان ، والقوانين التى عرفت فى عهده تدل على ان تعدد الزوجات كان معروفا حتى بين القسس . مع هذا نترك هذا الموضوع لاخواننا من القادة المسيحيين يدلون لنا فيه بدلوهم فعندهم العلم الاوثق .

وتعدد الزوجات امر معروف منذ القدم وقد قال حامورابي ان الزواج يجب ان يكون بواحدة فقط ، ولكن اذا مرضت فعلى الزوج ان يتزوج باخرى ، وكذلك اذا كانت لاتنجب فيمكن للزوج ان يتزوج مرة اخرى .

٣ ـ تعدد الازواج والزوجة واحدة Polyandry

وهذا النوع هو موضوع سؤالك ، وهو قليل الانتشار ولا يوجد الا بين بعض القبائل التي تعيش فى مرتفعات وسط آسيا وقبائل الاسكيمو والتبت وينقسم هذا النوع الى ٤ انواع :

أ ـ ان يعترف الاطفال بابوة اكثر من رجل لهم. وهو النوع الموجود فى التبت وعادة ما يكون ازواج المرأة كلهم اخوة .

ب ـ تحمل المرأة اطفالا شرعيين لعدة ازواج على التتابع ويوجد هذا النوع فى شمال نيجيريا .

جـ ـ تعاشر المرأة عدة ازواج ولايعتبر اى واحد منهم ابا لاطفالها (قبائل التايار فى الهند) .

د ـ زوج شرعي واحد يسمح لزوجته بمعاشرة رجال آخرين .ويتضمن هذا النوع اعارة الزوجة ويحدث فى بعض قبائل الاسكيمو .

هذه هي الانواع الثلاثة الرئيسية للزواج .. وهناك ايضا انواع اخرى ولكنها شاذة ونادرة اوانقرضت بمرور الزمن وتطور الحضارة الانسانية.

(م. ط)

عمر الخيام أبدع فى العلوم بقدر أبداعه فى الرباعيات

● قرأت فى احد المراجع مؤخرا أن عمر الخيام، صاحب الرباعيات، كان عالما الى جانب كونه شاعرا .. فهل هذا صحيح .. ؟ وأي علم ذلك الذى أجاد فيه الشاعر الخيام ان كان قد أجاد حقا فى علم من العلوم .. ؟ .

علي كرام ـ عمان ـ الاردن

ـ نعم ان ما قرأته صحيح بل ان عمر الخيام او ، عمر بن ابراهيم الخيامي (١٠٥٠ ـ ١١٢٣ م) كما كان اسمه على وجه الدقة ، لم يبدع فى الشعر أكثر مما ابدع فى العلوم . ولا ينفي ذلك ذيوع صيت الخيام بوصفه الشاعر الساخر الذى صورته لنا الرباعيات وعدم شهرته نسبيا من حيث هو عالم ، بل علم من اعلام الفلك والهندسة والرياضيات ...

وتتجلى كفاءات الخيام العقلية الممتازة ، ومنجزاته العلمية الفذة ، فيما كتبه في الرياضيات والهندسة عامة ، وفى كتابه « الجبر » بصفة خاصة . فهذا الكتاب وضعه الخيام فى اللغة العربية ، لا فى الفارسية كما فعل فى الرباعيات ، ونشره المستشرق Woepecke فاخرجه الى النور سنة ١٨٥١ ، ليضع الخيام فى مصاف الخوارزمي نفسه ، بل يفوقه عليه بمراحل ، على نحو ما يؤكد بعض المطلعين .

ومحمد بن احمد الخوارزمي المتوفى حوالى سنة ٨٢٥ م ، فى غنى عن التعريف . فهو فى طليعة من نعتز بهم في تراثنا من علماء ورياضيين . غير انه وقف فى كتابه « الجبر » حيث بدأ الخيام فى كتابه الذى يحمل نفس الاسم . وقف عند المعادلات التربيعية ولم يتعداها . أما الخيام فقد تخطاها وركز جل اهتمامه فيما يعرف فى علم الجبر بالمعادلات التكعيبية .

ومن طريف ما يروى بمناسبة الحديث عن عمر الخيام ، ان احدهم ، ويدعى علي شاه ، قد زعم مؤخرا ان مخطوطة الرباعيات التي فى حوزته ، والتي ترجمها لهو بالتعاون معه الى اللغة الانجليزية السيد روبرت جريفز Robert Graves هي المخطوطة الأقدم والأكثر اصالة من المخطوطة المتداولة التي اعتمدها فتزجيرالد FitzGerald فى ترجمته الانجليزية الرائعة والشهيرة للرباعيات. ولا تسل عن الضجة الهائلة التي احدثتها هذه المزاعم فى الاوساط الأدبية الانجلو سكسونية . على ان هذه المزاعم لم تلبث ان ثبت زيفها وبطلانها .

(ى . ز)

تشيكوسلوفاكيا

● بمناسبة الاحداث الاخيرة فى تشيكوسلوفاكيا، نرجو أن تقدموا لنا بعض البيانات عن موقع هذه الدولة وعدد سكانها ومساحتها .

غازى العامرى/الكويت .

ـ تشيكوسلوفاكيا دولة اشتراكية تقع فى اوربا الوسطى وتبلغ مساحتها ١٢٧ الفا و ٨٧٠ كيلو مترا مربعا ، ولها حدود مشتركة مع الاتحاد السوفيتي ، وجمهورية المانيا الاتحادية ،وجمهورية المانيا الديمقراطية ، وبولنده والمجر والنمسا .

ويبلغ تعداد سكان هذه الجمهورية حوالى ١٤ مليون نسمة ، وهم يتألفون اساسا من عنصرين ، التشيك وهو الغالب ، والسلاف ، ورغم تباين العنصرين من حيث اللغة والعادات والثقافة والتاريخ ، الا انهما نجحا فى الانصهار معا فى مجتمع جديد بعد خلافات ومنازعات دامت اجيالا طويلة .

ويعتبر المجتمع التشيكي من اكثر المجتمعات تقدما فى القارة الاوروبية ، وهو مجتمع صناعى زراعى معا ، حقق فى ميدان الصناعة الثقيلة نجاحا مطردا . فقد اشتهرت تشيكوسلوفاكيا بصناعة الآلات والمعدات التى تستخدم في السلم والحرب، وكذلك صناعة المنسوجات والاواني الزجاجية الدقيقة الصنع (الكريستال) .

والمنتجات الكيماوية والسيارات والدراجات .

وهي بلد غني بموارده الطبيعية ، ففيه مناجم للحديد والفحم وتنمو في ارضه مختلف المحاصيل الزراعية ، وفى مقدمتها البطاطس ، وهو غذاء رئيسى ، والبنجر الذى يصنع منه السكر .

وتعتبر براغ ، وهي العاصمة ، من اهم المراكز الصناعية فى تشيكوسلوفاكيا .

(م . ن)

هل يتزوج الطالب ؟

● انا طالب في العشرين من عمري ، وارغب في الزواج ، ولكنني اخشى ان يعطلني الزواج عن اتمام دراستي . بماذا تنصحونني ، علما بأن حالتي المالية تسمح لي بالزواج ،

عمر عباس ـ السعودية

ـ تزوج يابني ، طالما انت قادر على الانفاق على نفسك وعلى زوجتك . ففي الزواج استقرار عاطفي وراحة نفسية ، ولاتحسب ان زواجك سيعطلك عن اتمام دراستك ، بل بالعكس فقد يكون حافزا لك على الاستمرار في الدراسة بجد واجتهاد . وحبذا لو كانت زوجتك ايضا طالبة مثلك تدرس هي الاخرى ، تشغلها دروسها ، فلا تضيق بالحياة وهي تراك منكبا على كتبك ، مشغولا عنها بدراساتك . وهذا حال عدد كبير من الشباب في الخارج .. في بلاد الغرب والشرق على السواء .. طالب وطالبة يلتقيان في الحرم الجامعي ويتزوجان ، ويبارك الاباء زواج الابناء بشرط الا يكونوا عالة على غيرهم بعد زواجهم . وفي كثير من الاحيان يضطر الزوج الشاب او زوجته الى العمل للكسب وتوفير نفقات حياتهما الجديدة في اوقات الفراغ . فيجمع احدهما او كلاهما بين العلم والعمل . تزوج اذن فلم يكن الزواج نقمة ابدا الا عند اصحاب النفوس الضعيفة ، الذين يفضلون اللقاء في الظلام وفي مخابيء الشيطان .

(م. ن)



العدد ١٢٣
ذو القعدة ١٣٨٨
فبراير
(شباط) ١٩٦٩

المرأة الكويتية تقيم سوق الفداء (انظر ص ٣٨)

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

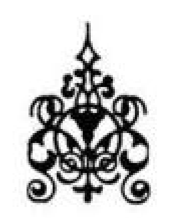
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



تجميل العروس قبل الزفاف

● هو الاسم الـذى أطلقـه الفنان التونسي محمود عز الدين الخياشي على هذه اللوحة التى تمثل عادة من العادات التونسية التقليدية وهي تجميل العروس قبل الزفاف .

ويعتبر الفنان الخياشي من اشهر الفنانين التونسيين .



عزيزي القارئ

● بدأنا طبع هذا العدد من « العربي » ، كعادتنا ، قبل وصوله اليك بنحو شهرين على الأقل . وافتتاحية العدد ، وهي عادة آخر ما يُطبع من العدد ، كتبت قبل وصولها الى يدك بنحو شهر على اقل تقدير . وذلك بسبب ظروف الطباعة القائمة لدينا ، وبسبب بعد الأسواق والسفر الطويل الذي لا بد يقطعه « العربي » قبل ان يصل الى اسواقه .

● فاذا احسست أيها القارىء يوما ، وانت تقرأ « العربي » ، بأن الوصل انقطع بين ما تقرأ في « العربي » ، وبين ما تقرأ في صحف يومك ، من أحداث ، فاعلم انه اختلاف زمان .

● وكثيرا ما تحدس ما سوف يكون بعد شهر أو شهرين ، ولكن لا نؤمن به ، وينقطع الوصل ، بين ما نكتب وبين ما ينتظر القارىء منا من الخضوع للأحداث . ويكون القطع هنا عندئذ ليس بسبب اختلاف زمان ، ولكن بسبب اختلاف ايمان .

● مثال ذلك : ان مصادر الأخبار الآن كلها توقع في الروع أن الفَرَج كله سوف يأتي بعد اليوم العشرين من يناير عام ١٩٦٩ ، أي يوم خروج جُنْسَن من البيت الأبيض ، ودخول نِكْسَن اليه . ونحن لا نؤمن بأن الأزمة العربية ستنفرج بخروج رئيس للولايات المتحدة قديم ودخول رئيس للولايات جديد . ذلك لأن الولايات المتحدة تجري الصهيونية في لحمها ودمها . وجسم الولايات متشبع بها كما يتشبع الصلصال بمائه .

● ونحن نؤمن بانه لا يخلِّص العرب من محنتهم الحاضرة الا خلاص هم صانعوه ، وهم مدبِّروه . وعقيدتنا انه مهما حدث فلا بد من مصابرة الأيام . نعم لا بد من مصابرة الأيام .

المحـــرر



العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 123 - February 1979 P.O.Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

لغة وآداب :

عروبة :

استطلاعات صحفية مصورة :

اسلاميات :

ركن الاسرة والمرأة :

طب وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 123 - February 1979 P.O.Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا « العربى »
الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير





تعقيب على مقال

● عطفا على مقال الأستاذ عثمان الكعاك حول جامع الزيتونة الأعظم (العدد ١١٨ من العربي) أحب أن اشير الى انه ذكر أن أول جوامع القارة الافريقية هو جامع الفسطاس (والصواب الفسطاط) ، وذكر بأن ثاني المساجد جامع الناقة بطرابلس ، وأوما اليه بانه جامع عمرو بن العاص، وهذا خلاف الواقع . فجامع عمرو بن العاص تأسس ابان الفتح الاسلامي المظفر ، وتم تجديده على يد السلطان احمد باشا القره مانالي في القرن الثامن عشر بينما بني جامع الناقة كما هو وارد في المظان التاريخية المعتمدة ، ابان العهد الفاطمي ،زمن رحيلهم من تونس الى مصر في القرن الرابع الهجرى . وذكر بعد ذلك ان جامع عقبة بالقيروان تأسس سنة ٥١ هـ وجامع الزيتونة سنة ١١٤ ، اثر فتوحات عبد الله بن الحبحاب وعبد الرحمن الغافقي . وربما اختلط الأمر على الأستاذ ! فالذي تحدثنا به الكتب التاريخية الموثوق بها أن الأول بدىء في بنائه سنة ٥٠ هجرية وانتهى من تشييده حوالي سنة ٥٥ هـ ، أما الجامع الأعظم فاغلب المصادر متضافرة على انه اختط سنة ٨٠ هجرية ، بواسطة حسان بن النعمان ، واعاد بناءه أحسن من ذي قبل (عبيد الله بن الحبحاب) في سنة ١١٦ كما يرجح المؤرخ الفذ حسن حسني عبد الوهاب حجة التاريخ التونسي المعاصر . وامانة العلم هي التي املت علينا هذا التعقيب ، مشفوعا بتقدير واكبار استاذنا عثمان الكعاك حفظه الله .

محمد مسعود جبران
طرابلس الغرب / ليبيا

أنت والعلم والحياة

● خرج العدد الممتاز وقد حذفتم منه باب الموسوعة العلمية واستبدلتم به باب « أنت والعلم والحياة » .. وقد كنا اسفنا لاختفاء الموسوعة ، ولكننا اطمأننا بعد أن قرأنا الباب الجديد .

صور ـ لبنان — عزام عزالدين

العربي : الواقع هو أن باب « في سبيل موسوعة علمية » هو نفسه باب « أنت والعلم والحياة » ... اذ الفرق بينهما هو في ان الاول يعالج موضوعا واحدا بتوسع والثاني يعالج بضعة مواضيع باختصار . فان كان في الأول شيء من عمق فان في قصر مواضيع الثاني شيئا من طرافة . والبابان كما تلاحظ شيء واحد في جوهرهما .

المواضيع العلمية فى العربى

● كان للزيارة التى قمنا بها للعربى سنة ١٩٦٧ ، انا وزملائى من اعضاء نادى الرازى ، كان لتلك الزيارة اعمق الاثر في نفوسنا . ولا نقول هذا على سبيل المجاملة .. فقد اصبحنا بعد تلك الزيارة اكثر ميلا الى المواضيع العلمية والتكنية التى تتناولها مجلة « العربى » ، سواء في حديث الشهر او في انباء الطب والعلم والاختراع او في غير ذلك ، واصبحنا نتمنى لو اكثرتم من الكتابة في هذه المواضيع المجدية في المجلة . اذ انها تعود بالنفع والفائدة لا على الافراد فحسب ، ولكن على الأمة العربية بأسرها ، وقد أصبح بُعدُها عن العلوم سببا في تأخرها وفي نيل اعدائها الصهاينة والمستعمرين منها .

حول قاموس « لين » أو مد القاموس

● في العدد الأخير من العربي (رقم ١٢٠) وردت نبذة تعريفية عن « مد القاموس » الذى قام بتصنيفه المستشرق ادوارد وليم لين .

تكرموا بافادتي ان كان هذا السفر النفيس مطروحا للبيع وما هى قيمته ومن أين يمكن الحصول عليه .

عبد الرحمن عتبه ـ العين
دائرة العدل ـ امارة ابو ظبي

العربي : ظهر « مد القاموس » فى الأسواق مؤخرا ، وقد مضى زمن غير قصير على اختفائه منها . وكان مد القاموس ، أو « قاموس لين » ، فى تلك الفترة السابقة لا يوجد الا فى المكتبات الكبرى ، الا أنه ظهر مجددا فى الأسواق ، وقد عمدت الى نشره من جديد مكتبة لبنان فى بيروت . فانت تستطيع أن تطلبه من المكتبة المذكورة ، وتستطيع أن تطلبه كذلك من مكتبة وكالة المطبوعات فى الكويت حيث يبلغ ثمنه بأجزائه الثمانية ٣٧٫٥٠٠ دينار كويتي .

أولى الدول الخيِّرة

● قرات عن « الدولة الخيرة » فى حديث الشهر من عدد ديسمبر الأخير من العربي .. والواقع هو ان المرء يجد فى بريطانيا مثلا رائعا للعدالة الاجتماعية والخدمات التي تعرف بها الدول الخيرة ... فالعبرة في هذا الصدد للمنجزات لا للشعارات والتمنيات ..

توفيق بازرعه ـ المحامي
الجيزة ـ مصر

المركب الصعب

● بلغ الاقبال على « العربى » في بلدتنا حدا مكن موزعى هذه المجلة من حصر بيعها باصدقائهم فقط .. وحمل بعض الراغبين في شرائها على طلبها من اولئك الموزعين برسائل بريدية ، ينتحلون فيها اسماء اصدقاء لهم ، ويذيلونها بتواقيع مزيفة ، يقلدون بها تواقيع أولئك الاصدقاء .. ولا داعى للشك في هذه الرواية .. اذ أننى احد أولئك الذين اضطروا لركوب هذا المركب الصعب ....

اسماعيل احمد الداغرى ـ درعا

« العربي » والقضايا الحيوية

● بحثنا في العدد الممتاز ١٢٢ من العربي عن باب « مسائل ومشاكل واحداث » فلم نعثر له على اثر . ارجو الا يكون هذا الباب قد حذف نهائيا ، وان يكون اختفاؤه مؤقتا ومقصورا على هذا العدد . ذلك اننا كنا نجد في باب مسائل ومشاكل واحداث شرفة نطل منها على القضايا الحيوية والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهامة ، مما لا تتعرض له ابواب مجلة العربي الأخرى ..

خليل زمبركجي ـ دمشق

العربي : جاءنا من كثير من القراء أن الشبه كبير بين باب « مسائل ومشاكل واحداث » وباب « أنت تسأل ونحن نجيب » . أضف الى ذلك أن القراء لا تفوتهم المسائل والمشاكل الحيوية والأحداث الهامة .. فهم يتتبعونها دوما ، ومن تتبعهم لها يطرحون علينا الأسئلة التي كنا نشتق منها ما كنا نكتب فى الباب الذى حذفنا اكتفاء بما سيظهر من هذه المواضيع فى باب « أنت تسأل .. ونحن نجيب » . فان كان عندك ما تسأل عنه من المهم ، فهلم بنا ..

على أن هذا لا يعني أننا لن نتطرق الى المشاكل والمسائل الكبرى ، ولو فى غير باب مخصص بها .



اشتدي أزمة تنفرجي

بهذا البيت كان يتمثل عظيم العرب ، بل عظيم عظمائهم ، كلما نزلت به وبقومه النوازل واشتدت . وقد كدت اسميه لولا ريبة ساورتني في صدق ذاكرتي ، وهي ريبة لو زالت،لصليت على صاحب هذا الاسم الكريم وسلمت .

ونشأت على ان اتمثل بهذا البيت كلما نزلت بي ضائقة واشتدت . واي حي لا تنزل به في حياته وهو على هذه الأرض الضائقات . تنزل به في نفسه ، وتنزل به في اهله ، وتنزل به في صحبه . وتنزل به في قومه . ويحتاط لها وما تنفع حيطة . ويحاذر وما ينفع حذر . انها كالرعد الذي لا بد هو هادر ، في الوقت

قد آذن ليلك بالبلج

الذي لا يدريه حتى هو ، ولا هو يريده. ومعه البرق الذي لا بد هو صاحبه ، أو لعلها الصاعقة التي تصعق وهي لا تدري من تصعق ولا لأي شيء تصعق .

واتمثل بالبيت واترنم به ، وارفع صوتي،وكلماارتفع بهصوتي زاد اطمئناني، وقل توجسي . ويعينني المنطق الذي انطوى عليه هذا البيت فاقول : انه ما ليل الا وله آخر . وما جبل- انت طالعه الا له قمة ينتهي عندها طلوع ، ثم تعود فتنزل . وما واد انت نازله الا له قاع تنتهي عنده في النزول ، ثم تعود فتطلع. واقول لنفسي: ان هذه ان تكن تشبيهات لغوية ، فان في ظواهر الأرض والسماء ، وظواهر الحياة ، اشياء هي في جوهرها

الدَّوْلَةُ العَرَبِيَّةُ ما قامَتْ إِلَّا عَلَى جَماجِمِ الرِّجالِ والفِتْيانِ

بقلم رئيس التحرير

سواسية ، حكمها واحد ، وكذلك حكمة مستفادة منها .

محنة تشتد

واليوم ارى محنة العرب تشتد ، واريد منهم ان يتمثلوا بهذا البيت الذى احسب ان قد تمثل به قبلهم عظيم العرب :

اشتدي ازمة تنفرجي
قد آذن ليلك بالبلج

ما جبل ، انت طالعه ، جاهدا ، الا وله نهاية .

واريد منهم ان يتمثلوا بعجز هذا البيت مرة ، وأن يتمثلوا بصدره مرارا .

وذلك لاني لا احسب ان ازمة العرب اشتدت اليوم بالذى فيه الكفاية . انها اشتدت بالذى فيه الكفاية وطغت ، ولكن على القلة ، ولكن الكثرة ظلت في منجى . ان أكثر العرب لم يذوقوا حربا كالتى ذاقتها اوروبا ، وذاقها رجال ونساء، وشيوخ واطفال في حربين عالميتين كبيرتين ، ولهذا ، فاكثر العرب الذين يتحدثون عن حرب لايدركون ما حقيقتها، ولا يدركون ما خطورتها .

ان اكثرية العرب اذا تحدثوا عن الحروب فانما يتحدثون عنها بالقدر الذى يعرفه منها قارىء قرأ عنها في

صحيفة او كتاب ، او مشاهد شاهدها في فلم من افلامها في السنما .

اتاوة الحــــرب

ان الحرب لها اتاوة تؤدى ، لم يؤدها العرب ، جملة وامة ، الى اليوم .

فالحرب تنتظر منا ان نؤدى اتاوتها .

والحرب محنة . ومحنة العرب اليوم ان تكن جبلا نحن صاعدوه ، فلم نبلغ بعد من ارتفاع الجبل الا الأقل ، وبقى الأكثر . وان تكن واديا نحن هابطوه ، فنحن لم نبلغ الا الأقل من عمقه ، وبقى الاعمق . المحنة اذن لم تشتد بالقدر الكافي لكي ينبلج صباحها .

والحرب ازهاق ارواح ، وتخريب بيوت ، وهدم مرافق ، وجوع وعرى ، وتشرد .

ونسميها اتاوة الحرب .

وهى باسم اتاوة الحرية اولى .

ان الشرق العربى ذل من امد بعيد ، وما ذل الا لأنه رفض ان يدفع اتاوة الحرب ، اتاوة الحرية . واستكان للعيش السهل الذليل القليل الرخيص .

ان الحرية تباع وتشترى .

والأمم تشترى حريتها بدمها .

هذه انجلترا حرة . فكم نفسا دفعت في حريتها في الحرب العالمية الماضية وحدها ؟ دفعت الكثير من حياة رجالها ، والكثير من حياة نسائها ، والخراب في الكثير من مدنها ، غير حياة لمن نجا ، تمنى البعض معها الموت ، استمرت خمسة أعوام .

وهذه المانيا حرة . فكم نفسا دفعت في حريتها في الحرب العالمية الماضية وحدها ؟ دفعت ٣ ملايين من ارواح ابنائها ، وتحطمت اكثر بلادها .

وهذه فرنسا . وهذه ايطاليا . وهذه روسيا .

نعم . روسيا . دفعت في سبيل حريتها اكثر من ٧ ملايين من انفس الجند وحدهم .

وهذه فتنام كادت أن تكسب حريتها ، فكم دفعت من انفس ، وكم تخرب فيها من منزل ، ومن مرفق ، ومن طريق ، وكم أزيل من مدن ؟!

كل هذه اتاوات حرب .

كل هذه اتاوات حرية . ثمن للارض التى يعيشون من زرعها ، ويدفنون آخر الامر في ترابها مهما طالت بهم السلامة .

آخر الأمر : تراب

نعم . ان الذى لا يذكره العرب كثيرا ، او لا يذكرونه كما يذكره وذكره اهل الغرب والحرب الماضية قائمة ، ان الحياة آخرها تراب ، مهما طال الأمد .

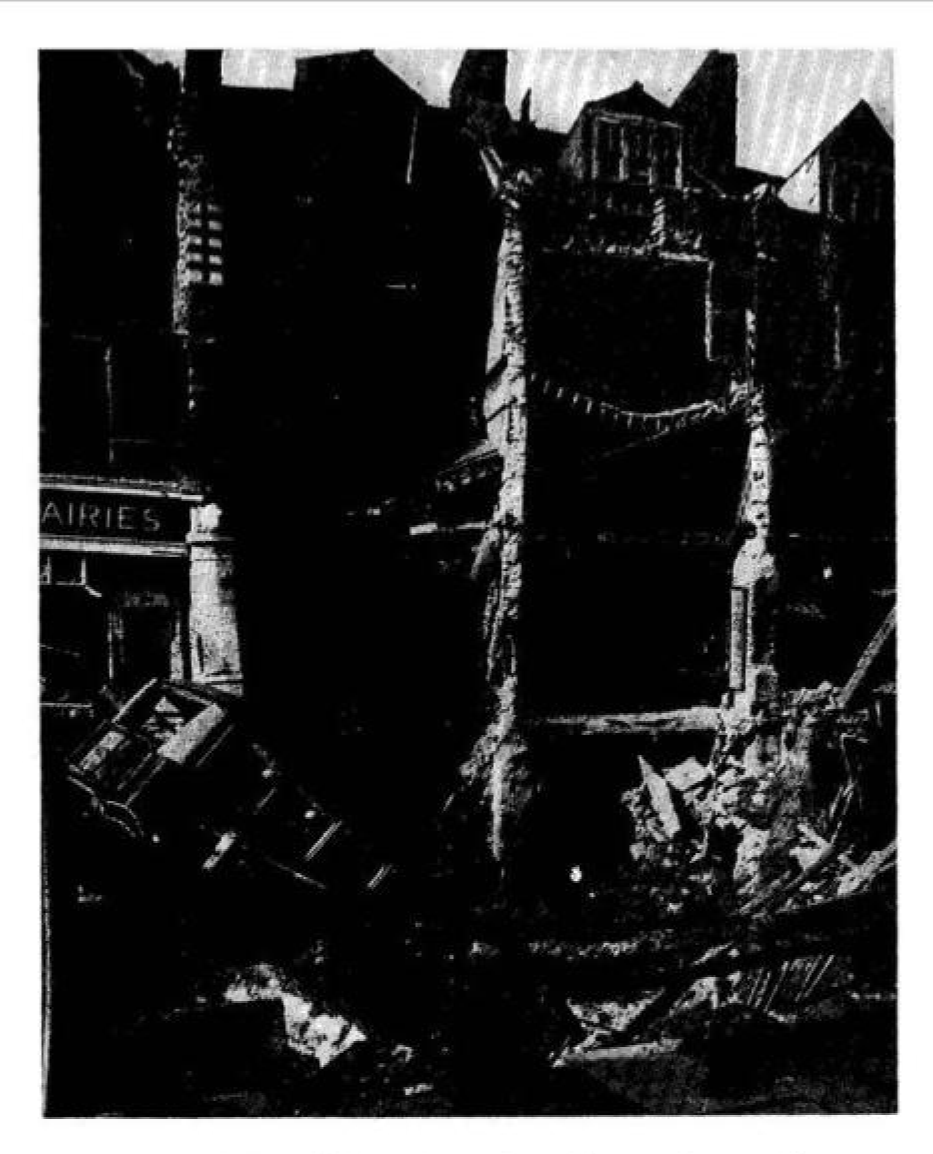
انى لأذكر تلك المعركة التى ذهبت في اضابير التاريخ باسم معركة بريطانيا .

فاذكر فيها كم طار فيها من شباب بريطانيا ، وكلهم براعم لم تكد تتفتح بالحياة بعد ، الى الموت ، وتسابقوا اليه ، وتدافعوا الى الجو ، وهم قلة ، في قلة من الطائرات ، وعلى نقص من خبرة في معركة ، لو انهم خسروها لتغير مجرى تاريخ العالم الذى تعرفه الآن كله .

كان هذا في الحرب العالمية الثانية . وكان على التحديد بعد أن فرغ هتلر من غزو فرنسا واخضاعها واستسلامها . ورأى ان يغزو بريطانيا بحرا في الاسبوع الاول والثانى من سبتمبر عام ١٩٤٠ . وان يغزوها بجيش عظيم جهز له ، في الناحية الشرقية من بحر المانش ، كل ما يستطيع

« ان اكثر العرب لم يذوقوا حربا كالتي ذاقتها اوربا » .

وفى الصورة مثل لذلك منازل تهدمت بسكانها . كانوا في الصباح جميعا ، فما دجى الليل حتى كانوا اشتاتا رفاتا . وفى الضفة الغربية اليوم افظع من هذا واشنع



من عتاد ومن جهاز ومن سفن . وكان لا بد ان يمهد للغزو جوا بضرب الدفاع الجوى البريطاني على ان يبدأ هذا في العاشر من اغسطس ليتم في أول سبتمبر حين يبدأ الغزو البحرى .

وحشد للغزو الجوى نحوا من ألف طائرة مقاتلة ، ونحوا من ١٦٠٠ طائرة مقنبلة ، تعززها من ورائها مثلها اذا لزم الحال .

وتجهز الانجليز على عجل للدفاع ، ونحن نعلم انهم دخلوا الحرب على غير استعداد ، فجمعوا نحوا من ٦٠٠ طائرة مقاتلة . وبدأ الصراع في ١٢ اغسطس . وظهر الفرق واضحا بين صراع وصراع . صراع مدافع ، وصراع طامع . الالماني يصطرع ليكسب مجدا ، اكثره ريبة ، وهو كالطبل يسمع من بعيد لكثرة ما فيه من هواء . والانجليزى يصطرع ليحمي أما ، أو ليحمي أبا ، أو ليحمي أختا أو شابة حبيبة ، يخالهم في تلك الساعة وهم من تحته على الأرض لا



صورة لمعركة بريطانيا . قلة من طائرات بريطانية تدفع عن عاصمتهم كثرة من مقاتلات ومقنبلات المانية. وغلبت القلة آخر الامر الكثرة المعتدية ، بقوة الصبر والايمان بالوطن

يبعدون عنه الا أميالا قصارا ، يتطلعون الى السماء، يتوسمون ما يجري فيها ، ويتوجسون ، والأفواه صامتة ،والقلوب واجفة ، ومن يدري فلعل العيون كذلك دامعة .

وفي يوم واحد ، هو يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٠ ، أسقط الشباب الانجليزي ، الذين كادوا ان يكونوا صبية ، اسقطوا ٥٦ طائرة المانية بينما فقدوا هم ٢٥ طائرة. وتوالت خسائر الالمان كثيرة رهيبة . انه اليأس تفجّر ففتح فاه واسعا فالتهم ما صنع الطمع من آمال . وما جاء اليوم الثلاثون من سبتمبر حتى أيقن الالمان ان لا رجاء لهم في كسب هذه المعركة الهائلة ، معركة غزو انجلترا . فتحولوا. ومع تحولهم ، تحول التاريخ .

وكم عاد من هؤلاء الفتية من بعد لقاء ؟

لم يعد منهم ، على ما احسب ، غير قلة . ان الذين يكتبون التاريخ اغلبهم لا يعودون . وهم لا يخافون التراب يحتويهم من بعد حياة قصيرة ، وهو يطويهم وعلى الوجوه ابتسامة عريضة ، هي رضى المخلوق بأن ارضى خالقه قبل ان يمضي نفرا ، مذكورا أو غير مذكور ، في الماضين .

الدولة العربية قامت فيما قامت عليه على جماجم الرجال والفتيان

اني اقول ان العرب اليوم آلفوا الحياة فوق آلفتهم الموت ، فأعطاهم حب الحياة من العزة القليل ، وذهب خوف الموت عنهم من العزة بالكثير. وكان هذا ايذانا بشيخوخة الدولة العربية ، فأخذت تنحدر في القرون من ضعف الى ضعف ، حتى لم يكن للعرب من بعد ذلك سيادة .

وعلى غير هذا الحال كان العرب والدولة في ابانها ، وحياض الموت كثيرة الزحام . يسقط اب سيد فيقوم مكانه ابن سيد، قؤول بما قال الكرام فعول. والنخوة كان لها في النفوس معان عارمة صارمة قبل أن تضعف وتلين، في جاهلية واسلام على السواء .

في الجاهلية قال قائلهم :

ساغسل عنى العار بالسيف جالبا
على قضـــاء الله ما كان جــالبا

فان تهدموا بالغـــدر دارى فانهـا
تــراث كــريم لا يبالى العواقبـا

اذا هم القى بين عينيـه عـزمه
ونكّب عـن ذكـر العواقب جانبا

ولـم يستشـر في رايه غير نفسه
ولـم يرض الا قـائم السيف صاحبا

وفي الاسلام تقول الأم لابنها ، وقـد خشي ان يخرج الى اعدائه ، وهو قلة ، وهم كثرة ، وقد خشي ان يمثلوا بجسمه بعد موته . تقول له : « ان الذبيحة اذا ماتت لا يؤلمها السلخ » .

انها اسماء بنت ابى بكر . وما ولدها الا عبد الله بن الزبير . وتلفف في كفنه، ثم خرج ، وحارب ، ومات واشتفى .

أهداف تتراءى لنا اليوم غريبة بعيدة. لا لأنها هى التى تغرّبت ، ولكن لأننا نحن الذين تغرّبنا . ولا لأنها هى التى بَعُدت ولكن لأننا نحن الذين بعدنا . ولا نـزال نعجبُ بها ونسميها سامية ، ونسميها سامقة ، ونسميها نبيلة .

واتساءل هل فنيت حقا هذه الروح بين العرب .

وتقول نفسي نعم .

ثم تقول نفسى لا .

قصة من بطن الريف

واذكر عند قولى ، عمّة لى ، رحمها الله . كانت ريفية تعيش في مصر في بطن الريف . ولها بعلها ، ولها أبناء أشداء . وعند الأسرة مطاحن الدقيق يديرونها وتدرّ عليهم رزقا طيبا . ولم يمنع هذا، الأسرة من أن تعيش العيشة الريفية البسيطة .

ويدخل على عمتى احد اولادها يوما مقطّب الجبين . انه كان يركب حمارا ، ومرّ بعمدة القرية ولم يترجل ، وفرض عليه العمدة ان يترجل ، وسبّه . وتسمع الأم هذا ، وتثور . كانت طويلة فارعة ، اشبه بامراة ميدان منها بامراة حقل . وتدور في البيت رافعة صوتها صارخة صاخبة . يا لقومى ادركونى . وتجمع حولها ابناؤها . وتأمر ولدها هذا بأن يخرج ويركب حماره ، ويتعمد ان يمر به عمدة القرية ، فلا يترجل . وفعل . واختصما . وكان اخوته للعمدة بالمرصاد .

وانتهت الخصومة بين الأسرة والحكومة (العمدة في تلك الأيام كان حكومة وحده) بأن فرضت الأم على بعض ابنائهـا ان يغادروا القرية ، الى الصحراء ، الى العراء ، وأن يتسللوا اليها في الليالى ،

قرية في بطن الريف المصرى : كفاح بالعمل في السلم ، لا بد بحمية نطاق من دم .



ليعبثوا بالحكم ، وينالوا من العمدة والجند ، وينطيحوا بالأمن . حرب عصابات . حرب العاجز المستضعف يشنها على القادر الفاجر . وظلوا كذلك . والام تطعمهم وتموّنهم ، حتى سقط العمدة وسقطت جماعته . وعاد الأبناء الى قريتهم . وتهتف بهم الأم فتقول : كيف يطيب العيش في قرية لا يستطيع الرجل فيها ان يركب حماره ولا يترجل.

وتحدثني عمتي عن قصتها هذه ، وهي تهدف في عمرها الطويل الى السبعين ، وهي قائمة في سربالها الطويل الاسود ، في لغة حارة تخرج فيها الفاظها من فيها متلاحقة ، كالرصاصات تخرج من السلاح النارى . لغة لو اننا ترجمناها الى الفصحى ، لكانت كلغة عَفْراءَ في بطائح نجد ، ولغة اسماء في شعاب مكة . القلب واحد . والنبع واحد ، والعزة واحدة .

وما اسمها ؟ كان اسمها خديجة ، وهو اسم من تلك السلالة الكريمة من الاسماء التى انطوت على مكارم الأخلاق .

حب الأوطان

على ان تلبية نداء الأوطان ، عند الفزع ، يسبقه حتما حب هذه الأوطان . وحب الوطن عاطفة تنشأ مع تنشؤ الفتى والفتاة في مدارج الحياة ، في قرية او مدينة او عاصمة .

وحبّب أوطان الرجال اليهم
مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا

اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو
عهود الصبا فيها فحنّوا لذالكا

فحب الأوطان هو حكم الطبع .

فاذا صرخ الوطن استجاب الطبع ، تماما كما تصرخ الأم فيستجيب ابنها ، وهو لا يستأنى ليسأل نفسه ما سببُ صراخها . انه للنجدة اولا ، ثم السؤال من بعد ذلك .

والشاعر العربي يصف ما بين الأخوة من التزام فيقول :

لا يسألون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

ولكن حب الوطن ، الذى هو طبع ، قد تفسده الصنعة .

يفسده الظلم ان يكن في الوطن ظلم قائم . الظلم كريه ، والظلم يذهب بالحب عن اب ظالم ، وعن اخ ظالم ، وكذلك عن وطن ظالم . والوطن الظالم لا ينجده من ابنائه احد ، وقد يتمنّون له الخذلان ، اذا كان في الخذلان استبدال عدل بظلم .

وحب الوطن تفسده الطبقية . والناس لا يمكن ان تتساوى اقدارا ، ولا اجساما ، ولا عقولا ، ولا حتى حظوظا . ولكن الكريه هى الطبقية التى يحتكرها الدم ، ومع الدم الثراء ، ثم لا يتقدم للدفاع فللموت غير الفقراء . هؤلاء لا يدفعون عن الأوطان غائلة . وكثيرا ما تكون قلوبهم مع الأعداء .

ان الوطن الجدير بالدفاع هو ذلك الوطن الذى تتوزع فيه النكبة بين ابنائه بالتساوى ان تكن نكبة ، او تتوزع النعمة ان تكن نعمة . . نصيب كل من خسارة وكسب سواء .

وفي العرب مثل يقول : « لا ناقة لى فيها ولا جمل » . والوطن التعس هو الذى يكون فيه من ابنائه طائفة تقول بحق : لا ناقة لنا فيه ولا جمل . هؤلاء لا يهمهم نصر لأوطانهم او خذلان .

فلينظرْ كل بلد عربى في أمر نفسه ، وليقدرْ كم فيه بين اهله لموطنهم هذا من حب ، ثم ليحسب بناء على ذلك كم يُرجَى لهذا الوطن ، لو قامت حرب ، من نصر وكم يخشى من خذلان .

هذا الى جانب ما يكون غير هذا من حسابات أخرى .

على ان الحرب ليست غاية في ذاتها

على ان الحرب ليست غاية للعرب اليوم تُطلب لذاتها ، الا اذا هي فرضت عليهم فرضا .

حرب اليوم ليست اداتها العصا ، ولا السيوف ، ولا حتى البنادق . حرب اليوم اداتها تكنية- لا تتيسر لكل احد . وهي تبدأ بالحصول على احدث الاسلحة ، والحصول عليها اليوم عسير ، وهي غالية الثمن . والدولة اذا لم تدفع فيها دراهم ، كانت اغلى ثمنا . ومهما غلا الثمن لا بد من اسلحة . والتدريب عليها غير يسير . وكنا في الاجيال الماضية نتقدم بالأميين منا ، ندربهم على السلاح وندفع بهم الى ميدان الحرب ، ثم ظهر انهم في الحروب يلاقون من الاعداء جنودا متقفين غير أميين ، فينقلب بنا وبهم الميزان . فما التقى امي بمثقف غير امي في حرب الا انهزم .

وغير السلاح وغير الرجال ، هناك الزمن .

ان أمضى الأسلحة اليوم في مثل اجوائنا الطائرات ، وهي عزيزة المنال نادرة ، وطياروها أكثر عزة وندرة . والطيار يحتاج الى ٣ سنوات والى ٥ سنوات ليمتلك ناصية الهواء . وهنا يظهر عامل الزمن وتظهر خطورته . والطيار من رجال الحرب أسرعهم تخلفا اذا انقطع عن تدريب ، واكثرهم فقدانا لمهارته بالسن المتقدمة . فالدولة ملتزمة ان تنتج كل حين من الطيارين الجديد .

الحرب اذن ليست بالشيء المستطاع في كل ظرف ، وكل آن ، ولكل قوم . والحرب يخطط لها في عام ليتم تخطيطها بعد بضعة اعوام . هذا في البلد التكني المتقدم . وتطول السنوات في البلد المتخلف .

هذا ما يقول به العقل السليم البارد .

ولكن للقلب قول غير هذا ، لا سيما اذا هو احتر .

ومن اصحاب القلوب الحارة طائفة من القراء تكتب الينا تقول انها تريد ان تخرج الى الاعداء ببندقية ، فان لم تكن فسيف . ونبحث في الكتاب عن بادرة تدل على انه نوع من المزح فلا نجد غير الجد في اصرم عبارة .

ان القلوب تحدثت ، بينا صمتت العقول .

والكثرة الكبرى من الناس لا تبلغ بالطبع هذا المبلغ من الخطل ، ولكن فكرة الناس عامة عن الحرب ، وعن الاستعداد للحرب ، اداة ورجالا ، فكرة تتراءى لنا مما نقرأ منهم سهلة بسيطة ساذجة .

ولقد ذكرت معركة بريطانيا ، ولكني لم اذكر ما صنع الرادار Radar بها . ومن اجل ذلك قد يكون بين القراء من خال ان الذي كسب معركة بريطانيا ، انما هي وحدها حرارة قلوب الطيارين من شبابها .

لهذا ، وجب ان اعود فأقول ان بريطانيا كانت كشفت الرادار أول كاشف ، وهي به كشفت في السماء عن طائرات الالمان ، فأوردتها موارد التهلكة .

وكان من اسباب كسب هذه المعركة ، وهي كسب قلة لكثرة ، تعاون جرى بين محاربي السماء ومنسقي عملياتها في الارض . تعاون لا يمكن أن يكون الا بين اقوام بلغوا من الثقافة مبلغا عاليا . فحتى ثقافة الأمة العامة تحدد قدرتها على حرب ، او جنوحها الى سلم ومذلة سلم .

فاذا نحن العرب ذكرنا الحرب ، يجب ان نذكرها ونقضي في أمرها عن دراسة . والا فالحرب بيننا وبين الأعداء صنوف . ومن هذه الصنوف ما نستطيع

ان نمارسه سنين ، ونحن نستعد ، ونعلم انهم كذلك يستعدون .

لا نريد كارثة اخرى .

لا نريد ان نروي جزعنا الحاضر ، وقلة صبرنا ، بالحماقات .

ان قال الدارسون ان بنا القـدرة ، فلنتوكل على الله ، وما خاب من عمل ودرس ، ثم توكل على الله .

« اعقلها وتوكل » .

وان قـال الدارسون ليس بنا الآن مقدرة ، فلنصبر ولنكظم حتى تكون . ونكون فيها القادرين .

ومع هذا ، فان جنحوا الى سلم ، فلنجنح لها . وهيهات .

الاستعداد ليس استعداد جهاز حرب فقط

والاستعداد ليس اعداد جهاز حرب فقط .

ولا اعداد رجال حرب فقط .

ان الحروب اليوم لا تقوم بين جيوش، وانما تقوم بين شعوب وشعوب . انها الحرب الشاملة ، كل بقعة أرض في الوطن جاز أن تكون للحرب ميدانا . بيتي وبيتك قد يكونان يوما ميدانها . لعلها قنبلة ناسفة ، أو أخـرى من قنابل النابلم حارقة .

هذه كلها امور لا بد من اعداد الشعوب لهـا .

الشعوب الأوروبية لها خبرة سابقة بهـا .

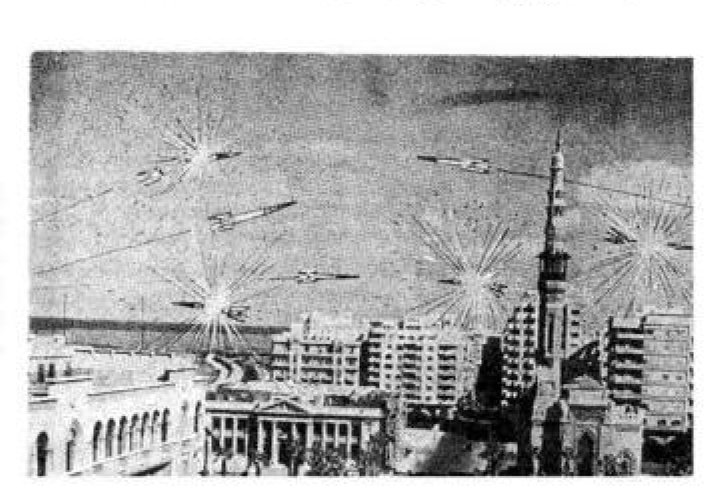
ولكن خمس قنابل أو عشر ، تلقى في اوسط عاصمة عربية، قد تثير من الذعر ما لا يتناسب مع حجم غارة كهذه أبدا .

والذعر له اضرار فوق اضرار القنابل لا يمكن تصورها . منها ما يتصل بالأمن، وقد يكون الاخلال به هدفا من أهداف العدو . وقد يكون له في تلك المناطـق اعوان .

والادارات لا بد أن تتعود العمـل كالمعتاد مع صراخ الصواريخ ، فلا تهتز اعصابها ، ولا تتعثر خطواتها .

والتموين لا بد يجرى سويا ، وتحت هاطل من القذائف .

والخـدمات الضرورية لا يمكن أن تتعطل .



الخدمات لا بد أن تتعود العمل كالمعتاد مع صراخ الصواريخ فوق المدن ، ولا تهتز اعصابها ولا تتعثر .

كل هذه أمور لا بد من مران الشعب عليها مرارا وتكرارا ، جهارا واعلانا ، حتى يطلع الناس على حقائق الامـور ، فلا تخويف ولا تهوين .

انه تدريب للشعب في البيت والشارع، وفي المدرسة والملهى، وفي النوم والصحو، وليعيشَ الشعب ، شـعب القـرن العشرين، فيما يعيش فيه سائر الشعوب: فترات للسلم يرجونها ان تطول ، على العـزة وعلى الكرامة ، داخل البـلاد وخارجها ، تتخللها فترات حرب ينسكب فيها الدم والدمع جنبا الى جنب .

هذه هى الحياة التى عاشها الانسان قبل أن يتحضر ، وهى هى الحياة التى يعيشها الانسان المتحضر اليوم .

والذاهبـون منا لن ننساهم

والحرب ، لأى سبب كانت ، ولأى غاية ، وعلى اى حالة ، مُفجعة . فيها التيتم ، وفيها التأيم ، وفيها فقـدان الكاسب .

والرجل منا الذى يعطى حياته لبلده، انما يعطى اغلى شيء لديه في الدنيا . ولمن يعطيه ؟ لى ، ولك ، ولهذا الرجل ، ولذاك ، ولتلك المراة ولهذه الفتاة ، وحتى لهذه الطفلة التى لم تتنشأ بعد . انه دين توزع على الأمة فالتزم كل من فيها ، من يوم ولد الى يوم يمـوت بنصيب .

والدولة تؤدى عن أهلها الدين .

لقد تغير الزمان .

حين كانت الدولة العربية جـديدة ناشئة ، كان سادة القوم جندها ، ونبينا محمد وصحبه عليهم السلام كانوا عماد المعركة . والأغنيـــاء في المعارك سبقوا الفقراء .

ثم تبدل الحال ، حتى جاء زمن كان يساق فيه الى التجنيد الفقراء الجهلاء واهلهم من ورائهم يبكون ويولولون . وكنت وانا صبى أسمع هــذه الولولة فاعجب واستحى منها . ثم كبرت ، وعرفت منها ما لم اكن اعرف ، حتى وقع في نفسي انى والله لو كنت فيهـم لبكيت وصرخت وراء الجند اذا اخذوهم من اهلى وولولت .

كانوا يأخذونهم ويجمعونهم كما تجمع الشياه للذبح . ويرمونهم فى معـارك تحصدهم ، لا غاية لهم فيها ، ولا صلة لهم بها ، ولا هم حتى يفهمونها . يختصم الحكام فتتحرك اهواؤهم فـيرمى كل بجنده في الميدان .

ومن مات فعليه رحمة الله . واحسب انهم ان قاموا بعد ذلك بدفنه استحقوا على ذلك شكرا .

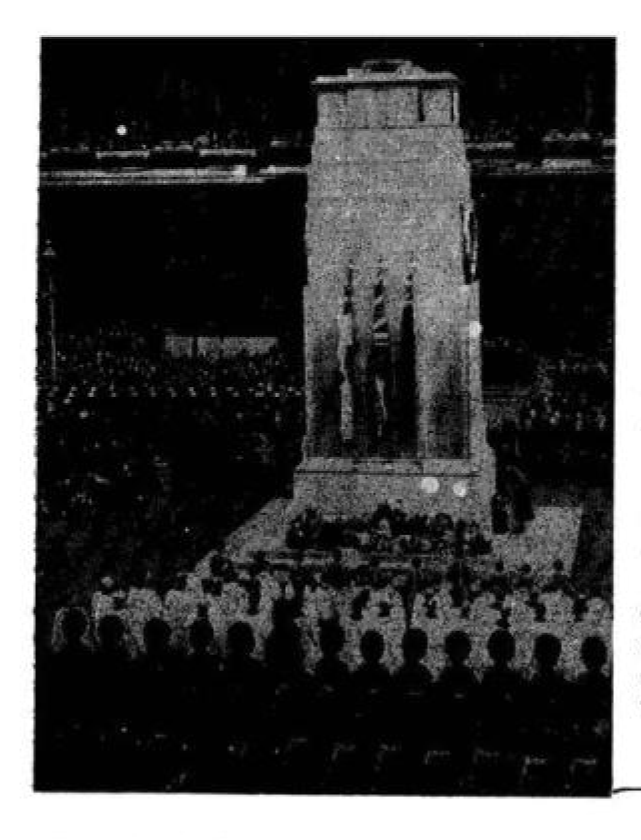
وتســال عنه اهلـه ، فكل الذى يجيبونك به « انه ذهب الى الجهادية فلم يعد » .

كان هذا حال الدنيا اجمع .

ثم تردُّ الى الناس حقوقهم ، ويرد اليهم ، حتى على الجهل ، وحتى علـى الفقر ، اعتبارهم .

وتدخل التكنيَّة الى أجهزة الحرب ، ويدخل الجيش التكنيون ، والمثقفـون المحاربون ، فيساعد دخولهم سـيادة الديمقراطية الحديثة(ذات الجذور التى هى في الانسان عريقة) ، فيصبـح الجندى يؤدى خدمته قياما بواجبه ، ولكن كذلك نيابة عن أهل بلاده .

فان مات ، وان عجز ، قامت الدولة،



نصب الجندى المجهول، جعلوه رمزا يذكرون به كل عام من ضحوا بحياتهم فى حماية البلاد من اعدائها . وهم مع ذلك لم ينسوا ان يعوضوا هؤلاء المجاهدين عما بذلوا من انفسهم وذلك بان بذلوا العون لمن خلفوا من ابناء وازواج وآباء وامهات . فمات من مات منهم بقلوب راضية وانفس مطمئنة .

نيابة عن الأمة بسد هذا العجز او ملء الفراغ الذى تركه بموته . ابناء فقدوا عائلهم ، او ام فقدت عائلها ، او زوجة .

صار كل هذا فرضا على الدولة بعد ان كان منحة ، تعطى احيانا وتمنع احيانا .

وفي هذا معنى جديد في تضامن افراد، تتألف منهم امة، ولو بلغوا مئات الملايين . ينظر المواطن او المواطنة الى الجندى وتحس انها انما تنظر الى جنديها هي خاصة . وينظر الجندى الى اهله ، واهل بلده ، وافراد امته ، فيحس بأنه مكلف بالذود عن هؤلاء ، كانما امضى بينه وبين كل فرد منهم عقدا على انفراد .

نظرات جديدة في المجتمعات الحديثة، لا ادرى الى كم بلغت في الشرق احاسيسها، والى اى عمق .

وقد يهون على الرجل المحارب ان يشترى عزته وعزة اهله وقومه ويدفع حياته ثمنا لها ، ولكن يؤرقه ابن له يخلف وراءه ، او بنت ، او ام لهذين .

ولقد سرنا ما جاء به مستطلعونا للفدائيين ما كان من اقامة مدرسة ومأوى اوى ابناء الشهداء اليه واليها بعد أن ذاق آباؤهم الموت ، ولم يكن لهم من بعد آبائهم عائل . هذه مآو ، ومدارس لا بد منها لكل ساقط عربى يسقط دفاعا عن بلده في ميدان . اطلبها لهم حقا كاملا ، لا منحة . واطلبها كما اطلب وفاء لثمن بضاعة استلمها مستلمها . وقلما اطلبه ثمنا ، فليس للروح التى تصعد الى ربها في ميدان حرب ثمن يقدر عليه انسان . انه الثمن الذى لا يقدر عليه غير الله .

●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٢١

القرّاء أجابوا على الأسئلة الثمانية

■ آثر عدد كبير من القراء الذين اجابوا على اسئلة مسابقة العدد ١٢١ أن يجيبوا على الاسئلة الثمانية جميعها .

وفيما يلي نموذج للاجابة الصحيحة :

الصورة الاولى : مدينة رام الله .

الصورة الثانية : طائفة السامريين .

الصورة الثالثة : مدينة الخليل .

الصورة الرابعة : مصيف البيرة .

الصورة الخامسة : مدينة غـزة .

الصورة السادسة : طريق الآلام بمدينة القدس .

الصورة السابعة : مدينة بيت لحم .

الصورة الثامنة : قبة الصخرة في المسجد الاقصى .

الفائزون بالجوائز

وقد أجرينا القرعة بين الاجابات الصحيحة ففاز القراء الآتية اسماؤهم بالجوائز التى يبلغ مجموعها مائة دينار كويتي .

الجائزة الاولى : وقيمتها ثلاثون دينارا ، فاز بها : توفيق محمد الطيراوى ــ بيروت ــ لبنان .

الجائزة الثانية : وقيمتها عشرون دينارا ، فاز بها : عبد العزيز يوسف بهزاد ــ المنامه / البحرين .

الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير ، فاز بها : جمال بن يوسف ــ البليدة ــ الجزائر .

٨ جوائز مجموع قيمتها (٤٠) دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :

١ ــ لولوة خليفة الحمود ــ كيفان/ الكويت .
٢ ــ علاء الدين عبد الدايم صالح ــ اسوان ــ ج.ع.م .
٣ ــ جواد الشيخ حسين ــ البصرة ــ العراق .
٤ ــ علي محمد احمد ردايده ــ اربد ــ الاردن .
٥ ــ محمد محمود زيتون ــ حمص ــ سوريا .
٦ ــ محمد محمود الحسنات ــ القطيف ــ السعودية .
٧ ــ محمد اشرف سيد سليمان ــ براغ / تشيكوسلوفاكيا .
٨ ــ هدى احمد الكيالي ــ بورسودان/ السودان .

وسترسل الجوائز الى الفائزين بالبريد . ■■

● في سبيل موسوعة علمية

الخبز
وَهُوَ الطَّعَامُ الأَوَّلُ

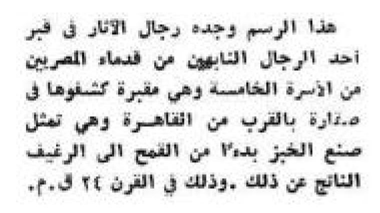
بقلم الدكتور أحمد زكى

■ وهو الطعام الذى لا تكاد تذكره في ساعة من ساعات النهار او ساعات الليل ، الا ، وتتخيل فيها الالوف المؤلفة من الافران الموقدة ، على شتى احجامها واشكالها ، التي تقوم بخبزه في شتى بقاع الارض .

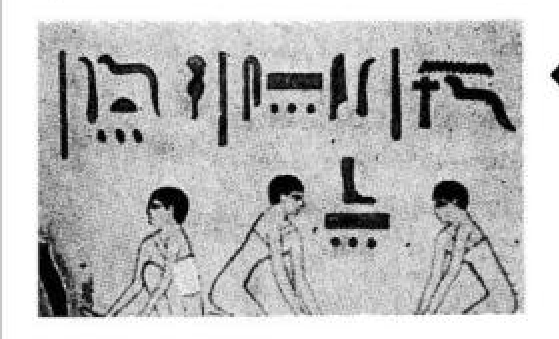
الخبز ، في الامم ، انواع واشكال

والمواد التي يصنع منها الخبز شتى، وكذلك شتّى ، أشكالُ الرغيف الذى به يتشكل . وهي مواد واشكال تكاد تختلف من امة لأمة ، ومن قطر لقطر . وقد تختلف في القطر الواحد .

ففي بلد كمصر يصنع الرغيف من القمح ، ولكن الى جانبه الرغيف الذى يصنع من الذرة ، وهو رقيق واسع . ومنه ما اكتنز . وفي الكويت . نرى الرغيف المصرى ، وهو ذو الطبقتين السميكتين ، ولهما لباب ، والى جانبه الرغيف الشامي ، وهو ذو الطبقتين الرقيقتين وبلا لباب ، والى جانبه الخبز الذى اسموه بالايراني ، الواسع الكبير الذى يملأ الذراع ، وهو من طبق



هذا الرسم وجده رجال الآثار في قبر أحد الرجال النابهين من قدماء المصريين من الأسرة الخامسة وهي مقبرة كشفوها في سقارة بالقرب من القاهرة وهي تمثل صنع الخبز بدءاً من القمح الى الرغيف الناتج عن ذلك .وذلك في القرن ٢٤ ق.م.



وَهُوَ الطَّعَامُ الأَرْخَصُ

الَّذِي يَأْكُلُه مِنَ النَّاسِ العَدَدُ الأَكْثَر

واحد ، ومفقع . ويسمى بالتنورى ، لانه يصنع في التنور ، وهو بهذا الاسم اولى ، والى جانب كل هذه ، الرغيف الافرنجي ما بين مربع قصير ومدور طويل . اشكال لا حصر لها لثقافات عدة متباينة ، اجتمعت كلها في بلد حديث اتسع للثقافات جميعا .

حبوب لصنع الخبز اخرى

وان صنع الانجليز خبزهم من القمح على نحو ما ذكرنا ، مربع المقطع ، يقصر او يطول ، ففي اسكتلندة ، جارتهم ، كثيرا ما يفضلون الخبز المصنوع من الشوفان Oats او الشعير مخبوزا فوق الصاج يفضلونه على احسن خبز يصنع من دقيق القمح الابيض .

وفي الصين واليابان يصنع الكثير من الخبز من دقيق الأرز . واليابان استعارت من الولايات المتحدة خبزها ، انواعا وصناعة ، بعد الحرب العالمية الثانية . وفي الهند يصنع الخبز من دقيق حبة الدُخن Millet .

وفي المانيا ، وفي اسوج والنرويج ، وفي روسيا ، يتخذ الخبز من الجاودار Rye يضاف اليه الشعير احيانا ، وذلك لانهما ايسر انباتا في تلك البلاد الشمالية الباردة .

وفي المكسيك يصنع الناس الخبز اساسا من الذرة ، وكذلك اكثر اهل امريكا الجنوبية ، سوى البرازيل فهي تصنعه من جذور نبات يسمى كسافا Cassava ، بجذوره الكثير من النشا .

الخبز في التاريخ

والخبز ، كسائر الاشياء القديمة التى



نشات مع الانسان ، مدفونة اخباره في اطواء التاريخ لا يجتليها المجتلي الا ظنا . والا بالذى يجده من آثار خلفتها تلك الازمان القديمة على الارض .

ومن هذه الآثار ، ما تركه قدماء المصريين في مقابرهم من رسوم . وهذه الرسوم دلت على ان هؤلاء القدماء عرفوا زرع القمح وحصده وطحنه وخلط طحينه لعمل الخبز ، وخبزه .

والمعروف كذلك ان هؤلاء القدماء من المصريين اكتشفوا بالتجربة ان العجين اذا ترك وحده تخمر ، وخرج عن هذا التخمر غازات زاد منها حجم العجين ، وانها عند الخبز تنتج من هذا العجين رغيفا اخف مما تعودوه بدون تخمير . وكانت هذه الحقيقة اهم ما حدث في تاريخ الرغيف ، ولو ان استجلاء حقيقة هذه الظاهرة تفصيلا لم يحدث الا في هذه القرون الحاضرة الحديثة ، قرون العلم الحديث .

وبالطبع ، كان للأمم القديمة ، مثل روما ، واثينا ، وغيرهما ، خبزهم وافرانهم . ولكن بقيت هذه الصناعة صناعة بيتية الى عهود قريبة . وفي الريف كان الزرع والطحن والعجن والخبز كلها اعمالا يقوم بها الرجال المحليون والنساء .

ثم خرج الرغيف آخر الامر عن البيوت الى المصانع ، كما خرجت بفعل الصناعة الحديثة سائر الحاجات .

وشيئان اخذا بيد هذه الصناعة ، صناعة الخبز ، الى الامام :

(أ) تقدم صناعة الطحن .

(ب) اكتشاف الخمائر وفصلها .

وبالطبع ، قبل ذلك ، كان استحثاث الناس انفسهم لتيسير حاجة من حاجاتهم الاولى للعيش ، حاجة الطعام . وكان الخبز في المرتبة الاولى من حاجات الطعام ، لهذا سموه في بعض البلاد « بالعيش » . يقولون « فرغ المنزل اليوم من العيش » . او « لم يبق في السلة من العيش غير رغيفين » .

صناعة الطحن

بدات صناعةالطحن بدقه في مِدَقات من حجر اشبه بالهاون . كتلة من حجر جوفوها . يهبط على القمح بداخلها مِدَق ثقيل من حجر صلد ايضا .

ثم استبدلت بالمدق الرحى : حجران مستديران ، يدار اعلاهما على اسفلهما باليد ، وفي اوسط الاعلى فرجة مستديرة يصب فيها القمح ، فيجرى بين القرصين فيندش .

وكبرت هذه الرحوات حتى كانت تدار بالحيوانات كالثيران ، او بقوة اندفاع الماء من مجاريه الطبيعية ، او بمراوح الهواء تطول عالية نحو السماء . وشققوا سطوحها التى تمس القمح حتى تكون لها اطراف حادة تمزق الحب . وشاعت هذه في القرون الوسطى في اوروبا شيوعا كبيرا .

ثم دخلت صناعة الطحين في الدور

في كثير من ريف السويد والنرويج يخبز الخبز هكذا في افران شبيهة بافران اهل الشرق . وهذه المراة السويدية قائمة بخبز مقدار من خبز الشوفان والشعير يكفي لعدة اشهر ، وهو الخبز السائد في تلك المناطق الشمالية .



الاحدث بدخول الاسطوانات الطاحنة اليها ، فهي وحدها التى استطاعت ان تستخرج من القمح من النوع« الجامد » الدقيق الابيض وأذن فالرغيف الابيض. وصنعوها من الفولاذ ، تدور الواحدة منها افقية لصق اختها . وعمدوا الى سطوحها فخدّدوها الاخاديد ذات الحروف الحادة ، لتهشّم الحبة من القمح تهشيما ، ولكنها تبقى مع ذلك على جرثومتها (وهي التى منها يتنبّت النبات اذا وضع في الارض) ، وكذلك تبقي على قشرتها (وهي النخالة او الردّة) . وبهذا يسهل فصلهما بعد ذلك من الدقيق الابيض .

ونلخص العملية بأن نقول : انها تتألف من خطوات كثيرة من سحق ثم فصل ، ثم سحق ، ثم فصل ، ويبدأ السحق خفيفا يستخدم بعده الهواء لحمل النخالة التى انفصلت عن الحب ، ثم يشتد السحق ، وتستخدم المناخل . وكلما تعددت العملية ابيض الدقيق الناتج .

ويختلف وزن الدقيق الصافي الناتج منسوبا الى الحب ، فمنه الذى يبلغ ٧٠ في المائة من وزن الحب ، وهذا هو العادى في المخابز . ومنه ما تزيد تنقيته فيصل الى ٥٦ في المائة فقط من وزن الحب . وهلم جرا . ولكلٍّ غاية .

اكتشاف الخميرة

وكما تقدم نوع الرغيف بتقدم صناعة الطحن ، فكذلك هو تقدم وتقدمت صناعته في العصور الحديثة ، وكبرت مخابزه العامة باكتشاف الخميرة وفصلها .

وحدث هذا اول الأمر باستخدام الخميرة التى ربّوها على الهريس الذى يستخدم في صناعة البيرة . حدث هذا في اواخر القرن الثامن عشر . وما بدأ القرن التاسع عشر حتى عم استخدام

هذا نوع من الأفران كان شائعا في الولايات المتحدة وكندا ، ولا تزال منه بقية في مقاطعة كويبك بكندا . وهو مبني في العراء . وفيه توقد النار في قاع الفرن ، فاذا حَمِي الفرن وبلغت حرارته الدرجة المطلوبة ، اخرجوا ما تبقى فيه من رماد ، وادخلوا الأرغفة مكانه لتخبز .

هذه الخميرة في انجلترا وشمال أوروبا. وزاد في صناعة الخبز وتجارته اتساعا تلك الخميرة التى صنعوها مكبوسة في الولايات المتحدة ، وجاءوا بها من صناعة الخمور المقطرة . وكان هذا في عام ١٨٦٨ .

وتمت الخطوة الكبرى في عام ١٨٨٣ ففيها تم فصل خلايا الخمائر المختلفة ، صافية نقية ، أنواعا شتى ، ودرست خواصها ، واختبر منها ما هو اصلحُ واثبتُ واوفق للنتيجة المطلوبة . بهذا أمكن مصانع الخبز عامة ان تخرج دائما رغيفا ثابت الصفات لا يختلف باختلاف الخميرة .

حبة القمح

انها تتألف من قشرة ذهبية عادة ، فهذه هى النخالة . وهى تغطى قلب الحبة . وبقلب الحبة ، في طرف منها الجرثومة ، او الجنين ، وهو الجزءالذى يتمثل فيه نبات المستقبل. فاذا وضعت الحبة في الارض وارتوت ، بدأ الجنين

يتحرك ، طرف منه يعلو ليكون الساق ، وطرف ينخفض ويكون الجذور .

والطحين يهدف الى التخلص من القشرة والجرثومة معا كما ذكرنا ،ولكن بهذا يضيع من الخبز الكثير مما في الحب من حديد ومن فيتامينات (ثيامين Thiamine وهو فيتامين ب١ . ، ريبوفلافين Riboflavine وهو فيتامين ب٢ . ، وحامض النيكوتين Nicotinic Acid) ، وليس في الحب فيتامين ج Vitamin C .

بقى من تركيب الحبة تلك البقية التى قصد بها أن تكون غذاء النبات عندما ينبت ، وقبل ان يستطيع كسب غذائه بنفسه . وهى تلك البقية العظيمة النفع التى نهدف اليها نحن ، عند الطحين ، ونستخرجها ، ونسميها الدقيق الأبيض .

فهذه تتألف من شيئين :

النشا ، وهو كسائر النشا الذى في الأرز والبطاطس ، ومنه يستمد كل آكل الطاقة التى بها يعمل .

ثم البروتين ، وهو اكثر من نوع ، اذا وضع في الماء تحول الى مادة مطاطة تعرف باسم الجلوتين Gluten ، وهى المادة اللزجة التى تجعل العجينة تلصق في يد الانسان . اذ لو كانت العجينة نشا فقط لغسلها من فوق اليد الماء .

وهى ، من حيث انها بروتين ، تفي عندما يأكل الآكل الخبز ، ببعض حاجة الجسم من البروتينات .

ولكن عملها في التخمير هو هدفنا الآن من الحديث. ان الخميرة تؤثر كيماويا في بعض النشا ، فتحلله ، ويخرج من تحلله فيما يخرج غاز هو ثاني اكسيد الكربون. فهذه المادة اللزجة تحبسه . وكلما زاد التخمير زادت العجينة حجما بسبب هذا الغاز . فالرغيف العجين اذا دخل الفرن بعد ذلك ، زاد بالحرارة حجم

غاز الكربونيك الذى بالرغيف فانتفش ، ثم هرب الغاز .

والنتيجة : رغيف منفوش خفيف عند المضغ ليس بكثيف .

ويستنتج من هذا امران :

(١) ان الرغيف يثقل ويكثف اذا لم يختمر .

(٢) ان الرغيف ، لكي يختمر ، ويحتبس بهالغاز الناتج ، لا بد ان يحتوى دقيقه على الجلوتين . واذن ليس كل دقيق يصنع منه رغيف منفوش خفيف. انه لا يصنع من البطاطس، ولا من الأرز، ولا من الذرة ، ولا من الشعير .

وهو يصنع من الشوفان .

بذرة الخبيز

هى مسحوق لو خلط بالدقيق واضيف اليه سائل أو ماء ، تفاعلت مكوناته معا ، وانتجت غاز اكسيد الكربونيك،وتصاعد، واحتبس في الجلوتين الذى يكون في الدقيق ، فهو يفعل فعل الخميرة ، الا انه اسرع فعلا . وهو يستخدم عادة في صنع الكعك والبسكوت . والغاز الناتج يزيد في حجم العجينة زيادة كبرى تبلغ أضعاف حجمها الأول ، لا سيما عندما تدخل الفرن ، وتخف الكعكة الناتجة كثافة بسبب ذلك .

والمسحوق الذى ينتج غاز الكربونيك يتألف كما يعرف كل كيماوى من حامض أو مادة حامضية ، وكربونات . أما الحامض فقد يكون مشتقا من الكلسيوم الحامضي Calcium Monophosphate أو ملح حامض الطرطير البوتسيومي الحامضي Potassium Acid Tartarate ، أما الكربونات فهى ثانى كربونات الصديوم .

والحامض والكربونات لا يتفاعلان الا مع وجود الماء . ولهذا يحفظ المسحوق بعيدا عن الرطوبة حتى يستخدم .

الخبز غذاء

لعل القارىء يعنى أول ما يعنى بالخبز الأبيض ، والخبز الاسمر . ونحن هنا نأتى بتحليل لهذين النوعين فقط ، وذلك فيما يختص بأصول الطعام الثلاثة ، اى البروتين والنشا والدهن ، ثم الفيتامينات .

الخبز الأبيض (الذى يحتوى على ٧٠٪ من مادة القمح) :

بروتين	نشا	دهن	ثيامين	ريبوفلافين	حامض نيكوتين
٨ر٥	٥٤ر٦	١ر١	٠ر٠٤	٠ر٠٣	٠ر٧

الخبز الأسمر (الذى به ٩٢٪ من مادة القمح)

بروتين	نشا	دهن	ثيامين	ريبوفلافين	حامض نيكوتين
٦ر٣	٥٠ر٢	١ر١	٠ر٣٢	٠ر١٨	١ر٢

من هذا نرى أن الفرق بين الخبز الأبيض والخبز الأسمر لا يكاد يذكر . وأن الذين ينصحون مرضى السكر بأكل الخبز الأسمر واهمون .

ولكن هناك خبز يسمى بالخبز الجلوتينى Gluten Bread ، وهو كالخبز العادى ، وانما قللوا منه النشا ، فزادت نسبة الجلوتين به . والجلوتين بروتين . وهذا يوجد اليوم في أوروبا . وقد تذوقناه بسكوتا ، وله طعم حسن .

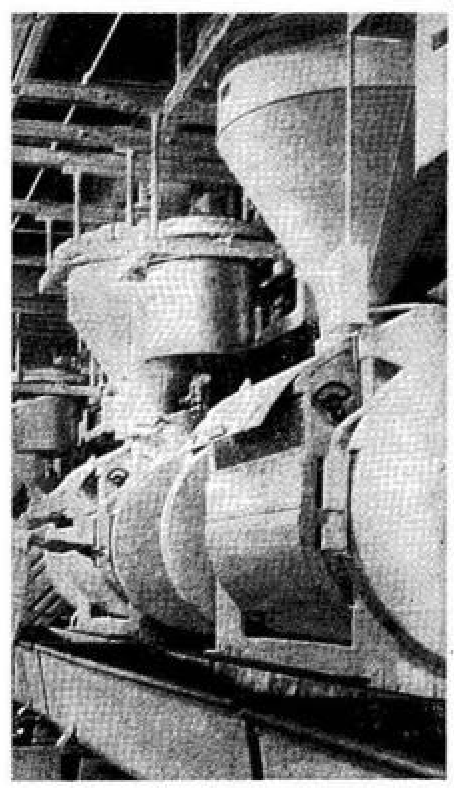
ويلاحظ أن الخبز الأبيض يفقد بعض فيتاميناته ، وبعض أملاحه . ولكن أهل الغرب يضيفون الى دقيقه ما يعوضه ما فاته من ذلك . ويسمى خبزهم اصطلاحا Enriched Bread اى الخبز المدعّم ، وهو خبزهم العادى ، لاسيما في الولايات المتحدة .

صناعة الخبز

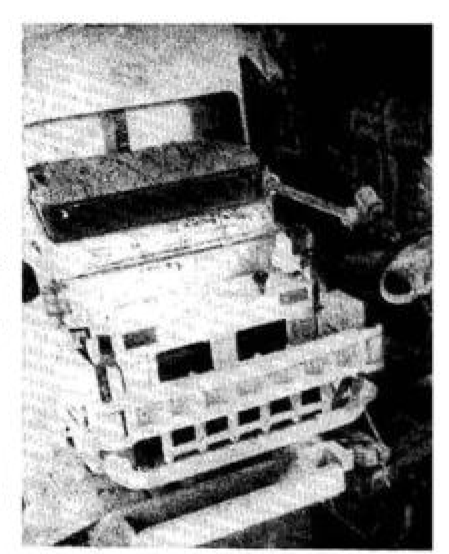
صناعة الخبز من الصناعات الخطيرة في البلاد المتقدمة التى لم تعد تعرف الرغيف يصنع في البيت . ولكن صارت تعرفه شيئا يشترى في الأسواق من دكاكينه كل يوم . واذا نحن ضربنا مثلا بأكثر الأمم تقدما في هذا المضمار ، أعنى الولايات المتحدة ، لوجدنا أن صناعة الخبز فيها هى ثانى صناعات الأغذية حجما ، وسابعها عامة .

والمواد التى يصنع منها الخبز ، ونعنى به هنا خبز القمح ، تختلف باختلاف البلاد ، واختلاف نوع القمح وما به من جلوتين ، واختلاف الخبز الذى يراد آخر الأمر . ولنضرب مثلا :

١٠٠ رطل من الدقيق + ٦٠ الى ٦٥ رطلا من الماء + ٢ ½ رطل من الخميرة



الخلاطات الميكانيكية ، والاقماع فى اعلاها . والخلاطة تتسع لعجين يكفي لصناعة ١٠٠٠ رغيف



القسّامات الميكانيكية ، وهي تقسم العجينة الى ارغفة ذات وزن معلــوم لا يختلف .

الصافية + ٢ رطل من الملح + ٦ الى ٧ أرطال من السكر + رطل من عسل الشعير + ٤ أرطال من اللبن المجفف الخالي من الدهن + ٣ أرطال من الدهن + نحو نصف رطل من غذاء الخميرة .

في الخلاطـات

وتخلط هذه المواد دفعة واحدة ، او على دفعات متقطعة . وهي في أثناء الخلط يعطى لها الوقت لتختمر في حجرات ذات حرارة معلومة ورطوبة معلومة ، وفيها تبقى الساعات . وتعاد الى الخلاطات لتزيد خلطا ، وليضاف اليها بقية المواد وهي تخلط .

في القسّامات

وتحمل العجينة حملا مكنيا الى القسامات ، وهي تقسم العجينــة الى اقسام لها وزن معلوم ينتــج الرغيف المطلوب بالوزن المطلوب ، فلا يزيد ولا ينقص .

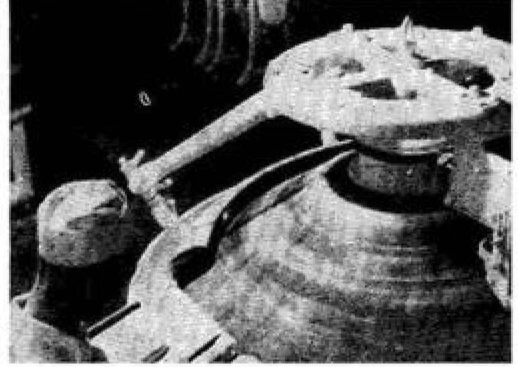
في المكـــوّرات

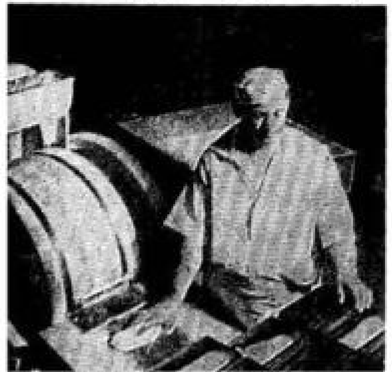
ومن القسامات تذهب الأرغفة ،رغيفا بعد رغيف ، الى المكورات . وهي دوّارات تدور ميكانيكيا ، ويدور فيها الرغيف المجين المنثور بالدقيق دورة حلزونية ، ينتهي عند راسها بالسقوط في مجرى الى أسفل .

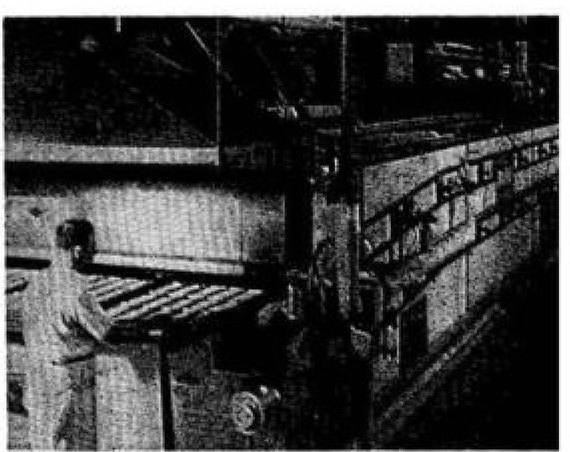
الى صفيحة الرغيف

وقبل ان يذهب الرغيف الى الصفيحة

المكوّرات الدوارة ، **وهي تدور بالرغيف المجين بعد تقسيمه فتصنع منه كرة ، تسقط آخر الأمر في المجرى الظاهر في الصورة الى اليمين . ومن هناك تذهب فتفرطحها اسطوانتان ، ثم تطوى الفطيرة الناتجة آلة أخرى فتصنــع منها الشــكل المألوف للرغيف الافرنجي .**







الفرن ، وهو طويل ، وقد بلغ طوله ٣٠ قدما او يزيد ، وفيه تسير الصواني بالارغفة من طرف الى طرف ، فلا تصل الى الطرف الآخر حتى تكون قد تم نضجها .



الحزام المتحرك ، وهو يحمل الخبز بعد تمامه الى حيث يتبرد ويغلف آليا ويحمل الى الأسواق .

المعدنية التي يرقد فيها ويدخل بها الى الفرن،يمر بين اسطوانتين تفرطح عجينته فيكون كالفطيرة ، ثم الى مكنة تطويه بالشكل الذى يراد ان يكونه بعد الخبز ، (هذه الأجهزة صورها ليست مع هذه الكلمة) .

في الفــرن

وقبل الدخول الى الفرن تترك الارغفة في صفائحها المعدنية في خزائن ذات حرارة ورطوبة معلومة لتزيد اختمارا ، ولتزيد ارتفاعا .

ثم هى تدخل آليا الى الفرن صفوفا على صينيات متحركة ، تدخل في الفرن من طرف،لتخرج منه من الطرف الآخر . وفي هذه الرحلة يتم نضج الرغيف . وهو يُحمل بعد ذلك آليا كذلك على حزام متحرك الى حيث يترد .

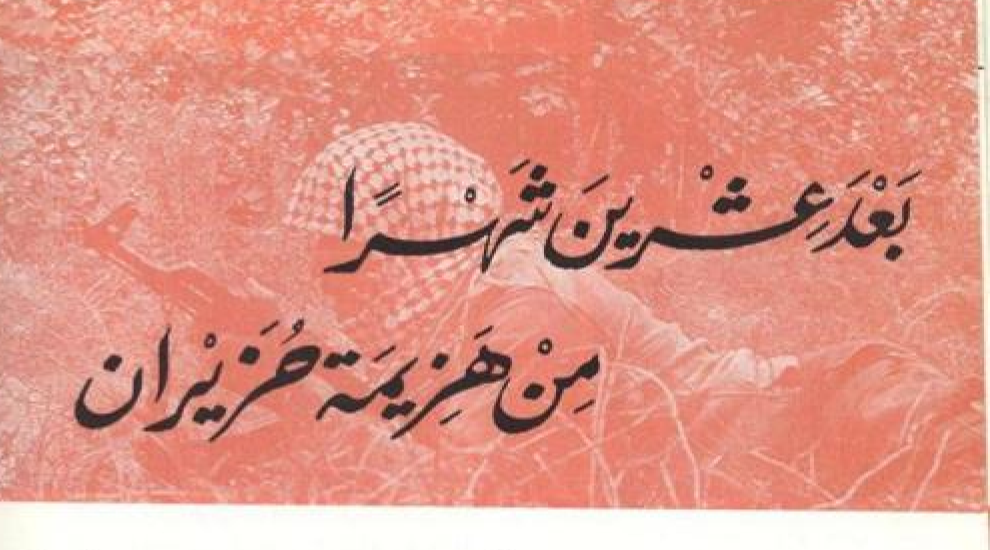
ثم هو يلف بالورق ، تلفه الآلة فلا تمسه الأيدى .

احدث الطرق في الخبز والمخابز في القرن العشرين

تلك الطريقة الجديدةهىالتىيسمونها بالمتواصلة ، وهي التي توضع فيها مكونات الرغيففيطرف من جهاز المصنع لتظهر آخر الأمر في الطرف الآخر من جهاز المصنعارغفةجاهزة معباة فيالورق، ويأخذ العامل يراقب العملية وهى تنتقل من طور من الصناعة الى طور الى طور، حتى يأتى الطور الأخير،بالطريقةالمعروفة بالذاتيةAutomatic . لقد ذوّتوا الطريقة فلم يعد يتدخل الانسان في شيء مما يجرى ، الا ان يحدث خلل ميكانيكى . وبذلك اختصروا الزمن ، واختصروا الجهد . حتى الجهد الفكرى ، ابطلوه ، فنام ، الا ان يوقظه توقف المكائن ، فيستيقظ ، وهو اقوى ما يكون عقلا واعمق فكرا ، واوسع افقا . فاذا تم الاصلاح ، نام الفكر مرة اخرى ، او على الاصح هدأ .

●●

أحمد زكى



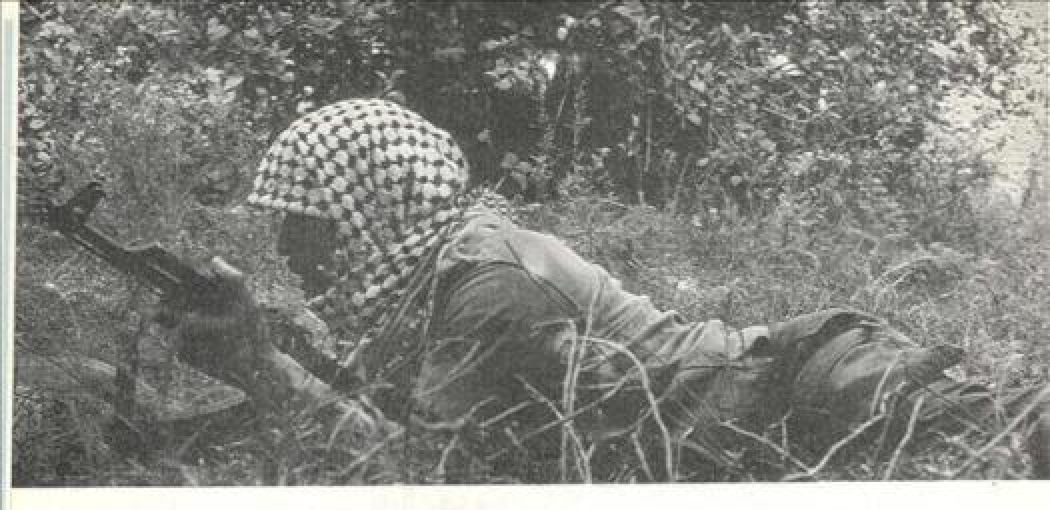
مَاذا أَعْدَدْنا ؟ أَنَحْنُ رَاضُونَ بِمَا تَمَّ ؟

بقلم : احمد السقاف

■ بعد هزيمة حزيران الموجعة كتبنا في مجلة العربي نطالب بالاستعداد ليوم الثأر ، وقلنا فيما قلنا ان العصابات الصهيونية قد استعدت لتلك المعركة المشؤومة استعدادا يفوق الخيال ، وكنامخدرين بكثرتنا العددية وبما تذيع عن قواتنا العسكرية من تدريب وتجهيز حديثين . ولقد كان استعدادنا العسكري – للاسف الشديد – بعيدا عما يجب ان يكون عليه الاستعداد لمعركة مصيرية نخوضها ضد جيش حديث متدرب تدريبا فنيا ممتازا ، مزود بأحدث الاسلحة ، ويضم بين وحداته الكثيرين من الفنيين المتطوعين الذين سقطوا في شراك الصهيونية العالمية . وفي تلك المقالة طالبنا باستصراخ بان تبادر كافة الحكومات العربية الى التدريب العسكرى فلا تترك مواطنا واحدا يصلح لحمل السلاح دون تدريب على استعمال السلاح ، وحثثنا وزراء التربية في كافة الأقطار العربية على ان يدخلوا التدريب العسكرى مادة اساسية في المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا على ان يشمل التدريب الطلاب والطالبات سواسية . ونبهنا بأن تكون الامة العربية مستيقظة لما تعد هذه العصابات ، وناشدنا المسئولين القابضين على زمام الأمور في كل بلد عربى ان يعملوا للشرف العربى المهان عملا جديا صادقا فالمعركة معركة مصير والشعوب العربية لن تقبل اى عذر لأى مقصر او متهاون .

بعد عشرين شهرا ماذا صنعنا ؟

واليوم وبعد مرور عشرين شهرا على هزيمة حزيران هل نستطيع ان نحاسب انفسنا بصدق وصراحة وتجرد ؟ هل نستطيع ان نقول اننا فعلا اعددنا للمعركة القادمة ما يريح ضمائرنا ويبرىء انفسنا ؟ هل يستطيع كل مسئول عربى في كل قطر عربى ان يضع امامه كشفا بما هيأ للمعركة القادمة التى نريدها ماحية للعار .



.. لا نريدُ العجلة، ولكننا نرفضُ التأخير

بطولات الفدائيين رفعت الرؤوس من جديد!

مطهرة للديار ، معيدة له ولشعبه ولأمته العربية جمعاء الشرف والكرامة ؟! هل يستطيع كل مسئول عربي في كل قطر عربي أن يقول بكل صدق انه لا يستطيع ان يعمل أكثر مما عمل ، ولا يستطيع ان يستعد اكثر مما استعد ، وان ما عمله وما استعد به لليوم المشهود لهما في قمة اعماله وفي اعلى مراتب الاستعداد بالنسبة اليه ؟!

واجبنا : في التطوع والتبرع

ثم اليس من الواجب علينا ـ نحن المواطنين العرب ـ من خليجنا الى محيطنا أن نحاسب انفسنا ايضا عما قدمنا للمعركة وعما يجب أن نقدمه لها ان تأججت كما نريد وكما تريد لها الكرامة العربية ان تكون .

هناك اكثر من مجال للعمل القومي من أجل المعركة ونحسب التبرع بالمال والتطوع في صفوف الفدائيين من اهم الأعمال وأكثرها نفعا .

فلماذا لا يتطوع الالوف من شباب العرب ؟ اليس من الرائع حقا ان يسمع العالم اجمع ببطولات في ساحة الشرف لمواطنين من تونس والعراق والمغرب واليمن والكويت ولبنان وعمان !

لقد سمعنا جميعا اشياء كثيرة عن معركة حزيران ، ومما سمعناه تطوع المئات من الفنيين اليهود من كافة الاقطار، ونحن نقول المئات للتقليل من شأن ذلك التطوع ولكننا نظنه بلغ الآلاف ، أفلا يجد العربي نفسه اليوم متلهفا للتطوع في صفوف اخوانه الفدائيين ؟؟ ثم اليس من الواجب والمهم في نفس الوقت ان يتبارى الموسرون من المواطنين في تبرعاتهم للمعركة سواء أكان هؤلاء المواطنون في الجزائر والمغرب أم كانوا في « ابو ظبي » وقطر والكويت ؟؟ ان المال له شأن خطير في

المعركة وأرباب الملايين كثيرون في الوطن العربي ولله الحمد ! وليس معنى ذلك ان يكون التبرع مقصورا عليهم وانما تبرُّعُ هؤلاء - ان ارادوا ان يتبرعوا حقا - له وزنه واهميته ، فالبلاد العربية ، وبخاصة تلك التي انعم الله عليها بالبترول ، فيها عدد كبير من ارباب الملايين . وهؤلاء يستطيعون ان شاءوا أن يجهزوا جيشا عرمرما بأحدث الاسلحة على نفقتهم ومن فائض اموالهم فاين هي تبرعاتهم ؟؟ ايكون عَبَدَةُ الفلس والدرهم من ابناء صهيون أكثر سخاء منهم ؟؟ ان تبرع الموسرين اليهود في كل جولة يقوم بها صنم من اسرائيل يبلغ عشرات الملايين من الجنيهات .

الم يشاهد اغنياؤنا صور ضحايا العدوان المستمر على المدن والقرى الاردنية . وهي صور رهيبة تهتز لها الجبال الشامخات ، فكيف لا يهتزون لهذه المناظر وهي لأطفال ابرياء فتك العدوان بهم وشوه اجسامهم بقنابله المحرقة وسوّى منازلهم بالتراب !!

فأي يوم ينتظر هؤلاء الموسرون لتتجلى فيهم الأريحيّة وليبرهنوا عن القومية والوطنية ، فان لم يكن هذا اليوم هو يومهم فلسنا نعتقد ان هناك يوما اولى بالنجدة من هذا اليوم .

كنا مائة مليون ترانسستر

لقد قال كاتب من لبنان بعد هزيمة حزيران في حديثه عن عددنا الذي يقارب المائة مليون عربي ، : لقد كنا يوم المعركة مائة مليون « ترانسستر » وقول الكاتب اللبناني قول صحيح فلو كنا مائة مليون رشاش او بندقية لما لحقت بنا هزيمة من اية دولة من دول العالم .

فهل استطاعت الهزيمة ان تحطم « الترانسستر » او تخلق الى جانبه البندقية والرشاش ؟

هذا الذي نريد ايها القارىء العزيز ، وهو عمل يشترك في تحقيقه الشعب والحكومة في كل قطر من اقطار العروبة .

الاستعداد لردع المطامع

ان الاستعداد الذي نريد يجب الا يكون كفيلا بازالة الوجود الصهيوني في فلسطين فحسب وانما يجب ايضا أن يكون كفيلا بردع اية مطامع في وطننا لاية دولة من الدول قريبة كانت ام بعيدة . فالوطن العربي معرض بحكم موقعه الاستراتيجي الخطير لمطامع الدول الكبرى ، والوطن العربي محكوم عليه بالحياد الايجابي هكذا شاء له القدر ، ومعنى ذلك انه لايستطيع ولن يستطيع ان يدخل في مناطق النفوذ ، فطرق مواصلات العالم تمر بمياه هذا الوطن ، والنفط الذي يفيد منه العالم وتحتاج اليه حضارة العالم يستخرج من هذا الوطن ، والعرب بعد ذلك وقبل ذلك يعشقون الحرية ويكرهون الانضواء والتبعية ، وهم مصممون اليوم على عدم الانحياز لاية قوة من القوى الاجنبية المتصارعة على مناطق النفوذ ، ومعنى ذلك ان العرب لن يتركوا وشأنهم وان تخلصوا من الوجود الدخيل في فلسطين فتعرضهم بشكل او بآخر لعدوان اجنبي يجب الا يغرب عن البال .

ومن هنا تظهر اهمية الاستعداد الذي نريد ، ومن هنا أيضا يبرز دور التدريب العسكري لكافة أفراد الشعب في خلق المقاتلين الشجعان القادرين على الصمود والكفاح ودرء الأخطار عن اوطانهم ومقدساتهم .

ان الدعوة الى السلم لا يسمعها العالم الا اذا جاءت من الاقوياء ولذلك يجب علينا ان تكون اقوياء ان كنا دعاة سلم حقا .

ان الضعيف لا يمكن ان يكون حكما ولن يستمع لحكمه احد ، وسواء أكان مع هذا الفريق او ذاك ام كان حياديا دقيقا في حياده فهو كم مهمل لا شأن له في أعين

الاقوياء ، ولا مكان له بينهم حين يجلسون ليقرروا مصائر الشعوب !

لا فائدة من حرب قبل الاستعداد

ولقد كثر الاجتهاد في هـذه الايام وتبارت الاقلام مخلصة وغير مخلصة في الكتابة عن ضرورة اشعال نيران المعركة وتهجم المتهجمون على سياسة ضبط الأعصاب وسياسة النفس الطويل، ونحن نرى الا فائدة من حرب يجرنا اليها العدو جرا قبل اكتمال الاستعداد من كافة الوجوه كما اننا لا نرضى بأن تنام ليلة واحدة على العار الذي لحق بنا بعد اكتمال استعدادنا ووثوقنا من الانتصار في المعركة .

العمل الفدائي

وفي هذا الوقت علينا جميعا أن نمد العمل الفدائي بما نستطيع فلا نمسك عن ابطالنا شيئا يحتاجون اليه ، فهؤلاء الأبطال هم الذين رفعوا هاماتنا بعد الهزيمة الموجعة ، وهم الذين مزّقوا الدعاية الصهيونية السامة القائلة بأن جيش العصابات الصهيونية جيش عظيم لا يقهر . وقد ظهر في معركة «الكرامة» ان هذا الجيش لا يستطيع ان يحارب الا اذا كان قادته مربوطين في سياراتهم ومصفحاتهم بالسلاسل !! فاين هؤلاء الملفقون من الشجاعة !؟ ومتى عرف الناس اليهود شجعانا ؟ وفي أية معركة من المعارك التاريخية تحدثت عنهم كتب التاريخ ؟؟

ان العمل الفدائي يجب ان يحظى بنصرة كافة الشعوب العربية كما يجب أن يحظى بعون الحكومات العربية وتأييدها المطلق، اذ لا سبيل اليوم وفي هذه المرحلة بالذات الى تحطيم معنويات العدو الصهيوني الا بضربات هؤلاء الأبطال .

وليس معنى هذا ان الجولة القادمة الحاسمة ستكون في غنى عن العمل الفدائي وانما الذي نريد ان نقول اننا اليوم لا نملك سوى العمل الفدائي وفي غد سيكون الى جانب العمل الفدائي عمل عسكري يزيل الخرافة الصهيونية من خريطة الوطن ان شاء الله .

والعمل الفدائي ـ كما نعلم ـ حق مقدس لابناء فلسطين الذين حملوا ذل التشرد كما حملنا عار الهزيمة منذ ١٩٤٨ ، وهو بالاضافة الى كونه عملا مزعجا للصهاينة ومخيبا لأحلامهم في ازدياد الهجرة ، ومتعبا لخزينتهم ومبعثرا لجهودهم الحربي ، فانه قد أسمع العالم كله قضية فلسطين كما يجب ان يسمعها العالم . واذا كانت الدعاية الصهيونية في الماضي قد صورت قضية فلسطين بأنها خلاف بين هذه العصابات وبين الدول العربية المحيطة بفلسطين فان هذه القضية بفضل العمل الفدائي الرائع قد اصبحت مفهومة بصورة مخالفة لتلك الصورة المضللة التي رسمتها الدعاية الصهيونية واصبح العالم يدرك ان هناك شعبا شردته الصهيونية العالمية والمطامع الاستعمارية لتقيم في ارضه نفايات مختلفة من كافة شعوب العالم .

يقظة وحذر

أما اليقظة والحذر لما يكتبه المتحمسون والمغرضون من تحريض لخوض المعركة اليوم فاننا نعتقد أن المسئولين في كافة الاقطار العربية لا سيما المحيطة بفلسطين المحتلة يعلمون حق العلم ان الأمة العربية غير مستعدة لهزيمة جديدة ولن تقبل في المعركة القادمة الا النصر ولا شيء غير النصر ، فلقد كان من اسباب الهزيمة في حزيران عدم الاستعداد ، ودخول المعركة على غير تخطيط او تنسيق، ومع ذلك ـ مع التريث للاستعداد القوي ـ لسريع ـ نطالب بالحاح بأن يكون ردع العصابات الصهيونية ردعا موجعا كلما قامت بغارة على مدينة عربية او مرفق من المرافق المهمة كما حدث لمطار بيروت كيلا نبقى مهزلة في اعين سكان العالم ، تكيل لنا هذه العصابات

الرعديدة الضربات في المدن والمنشآت ونحن نملأ الدنيا صراخا وعويلا مكتفين بالدفاع. ثم نفاخر بأننا قد احسنا الدفاع وأن خسائرنا لم تكن جسيمة كأننا لا نحسن ان نقوم بما قامت به هذه العصابات أو اننا لا نملك الحق في أن نرد التحية بأحسن منها في المدن والمنشآت الصهيونية وهو حق مشروع لا يمكن ان يمنعنا عنه احد.

مطالب ستة

وفذلكة ما تقدم أننا نطالب بالأمور الآتية : ــ

١ ــ دعم العمل الفدائي بالمال والسلاح والرجال شريطة أن يكون البذل في مستوى هذه المعركة المصيرية والا يضن اغنياؤنا ارباب الملايين بتبرعاتهم ، وأن يكون التطوع والتبرع مشمولين بعناية صادقة في كل قطر من اقطار العروبة تتولاهما هيئات وطنية مؤمنة بهذه القضية الخطيرة بالاضافة لما تقدمه الحكومات العربية من عون ودعم وتأييد .

٢ ــ وجوب مبادرة الحكومات العربية لا سيما تلك التي لم تبادر الى تدريب المواطنين على استعمال السلاح على ان يكون التدريب العسكري مادة اساسية في المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا لكلا الجنسين .

٣ ــ وجوب السرعة في الاستعداد العسكري على ان يكون هذا الاستعداد خاضعا لمقتضيات العلم وفنون الحرب الحديثة ، فالشعب العربي قد سئم الانتظار ومل الاحاديث المتكررة عن اقتراب موعد الجولة القادمة . والوطن العربي قبل ذلك محتاج اشد الحاجة من خليجه الى محيطه لمثل هذا الاستعداد .

وبدون الاستعداد العسكري وبدون خلق المواطن المقاتل فان هذا الوطن لن يكون بمنجى عن أحلام الطامعين !

٤ ــ ردع العصابات الصهيونية كلما قامت بعدوان على المنشآت والمدن العربية ردعا عسكريا قويا ، وعدم الاكتفاء بالدفاع والالتجاء بالشكوى للهيئة الدولية .

٥ ــ وجوب الاتصال بالمسئولين في امارات الخليج العربي ممن تفتحت لهم خزائن الارض، ولم يشاركوا في التزامات المعركة ، وحثهم على المشاركة الجادة المستمرة اسوة باخوانهم الآخرين . فنحن نعلم أن عائدات البترول في بعض تلك الامارات كقطر و « ابو ظبي » وعمان تتضاعف سنة بعد سنة، كما نعلم ايضا أن عدد نفوس تلك الامارات قليل . فهل يجوز بعد ذلك ان تقف هذه الامارات موقف المتفرج من هذه الأعباء التي تنوء بها الحكومات المحيطة بفلسطين المحتلة ، ؟ وهل يجوز ايضا ان يقف هؤلاء المسئولون موقف المتفرج أمام الفدائيين وهم يصارعون الموت ويصارعون الحاجة والعوز وقلة السلاح ؟

اني لعلى ثقة تامة من ان هؤلاء الأخوة في هذه الامارات العربية مستعدون لتلبية الواجب ، وما على اخوانهم بجامعة الدول العربية الا مناداتهم للمشاركة في معركة المصير .

٦ ــ اليقظة والحذر لما تروجه الدعايات المغرضة ولما تكتبه الاقلام المسمومة فسبل التضليل كثيرة والحرب النفسية التي اتقنها العدو وأسياد العدو كانت ومازالت معلنة بصورة رهيبة على الأمة العربية لتشكيكها في قدرتها على الصمود ولتشكيكها في قدرتها على الحرب .

ولا شك أن المواطنين الواعين من ابناء الأمة العربية يتحملون عبء تنوير الجماهير العربية وحمايتها من تأثير هذه الحرب النفسية وليعلم العرب قاطبة ان العصابات الصهيونية قد ظفرت بوزن غير حقيقي لحجمها وقوتها وهي، دون شك، لا تستحقه ولا يمكن ان تكون اهلا له ، فلنكن عربا كما أراد الله أن نكون والنصر قادم ان شاء الله . ■■

الكويت ــ **أحمد السقاف**



١٠ مخترعون و ١٠ اختراعات !

■ مسابقة هذا العدد هى اختبار لمعلوماتك العامة في دنيا الاختراعات والاكتشافات .

وفيما يلي جدولان : الاول يتضمن اسماء عشرة مكتشفين عالميين ، والجدول الثاني يتضمن الاكتشافات التي توصل اليها هؤلاء العلماء ولكن دون ترتيب .

والمطلوب منك هو ان تضع امام اسم كل عالم الاختراع او الاكتشاف الذي توصل اليه . ويكفي الاجابة على ثمانية اسماء لكي تفوز باحدى الجوائز .

البرت اينشتاين	Einstein	التطعيم ضد الجدري
جون بيرد	Bird	الديناميت
داروين	Darwin	التليفون
بلهارس	Bilharz	التليفزيون
الفريد نوبل	Nobel	مصل شلل الاطفال
ادوارد جينر	Jennar	مرض البلهارسيا
سابين	Sabin	المنطاد الموجه
الكسندر بل	Bell	قوانين الجاذبية والحركة
اسحق نيوتن	Newton	نظرية النسبية
زبلن	Zeppelin	نظرية التطور

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٣ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر مارس (آذار) ١٩٦٩ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

صفحة من الطب المصور

كيف يقيم الإنسان جسمه

ويوازن بين أجزائه

فلا يميل

■ ان الرجل منا يقيم جسمه، ويحمله معتدلا ، وهو جالس ، او واقف ، او ماش ، او جار ، ما دام صاحيا . فاذافقد الوعي ، فلا يلبث ان يجد جسمه قد انهدم ، وسقط على الأرض فهوركام . ضاعت الارادة التي تقيمه وتوازنه .

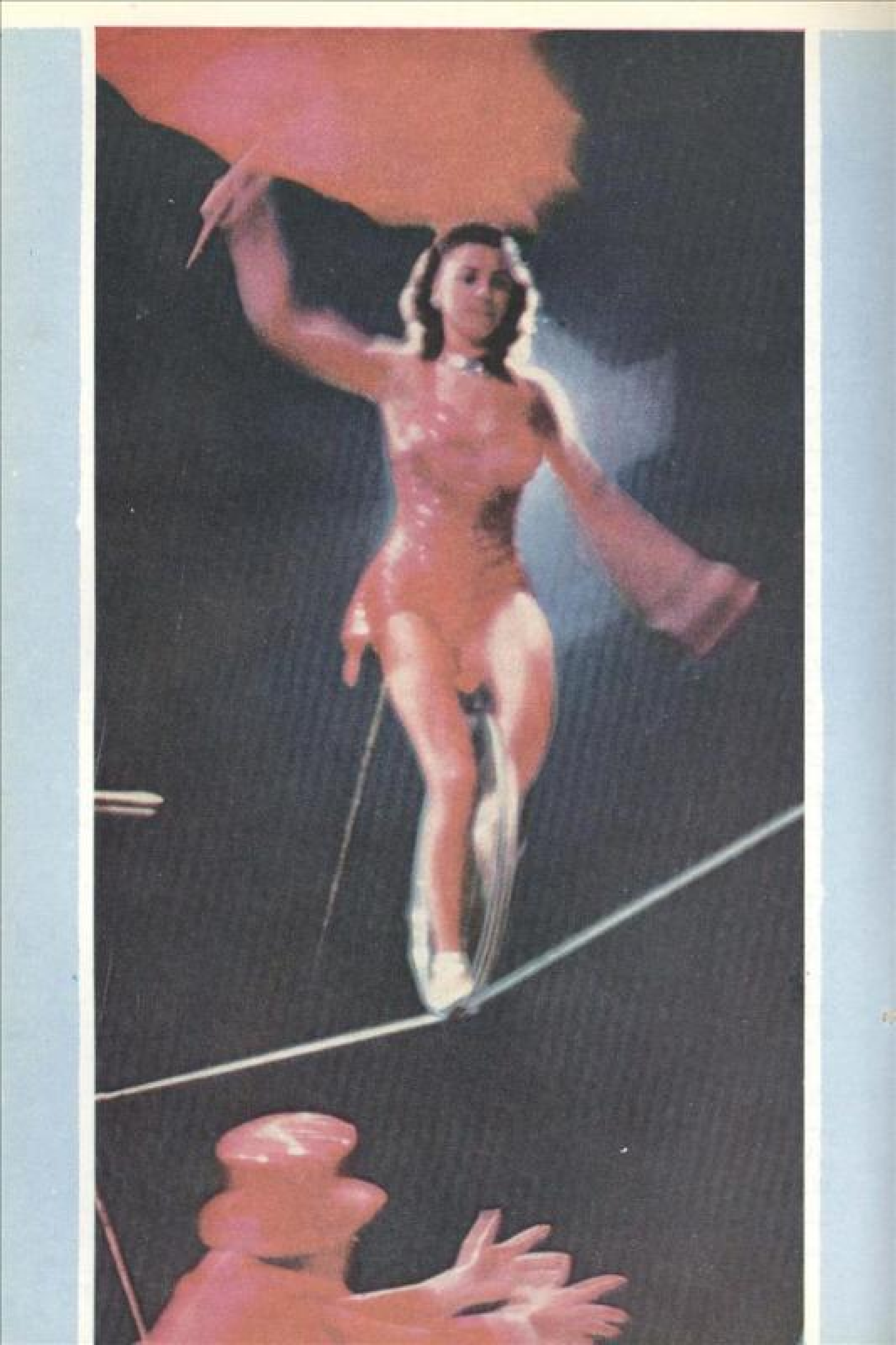
والرجل منا اذا جلس فى مقعد وثير مريح يسنده فيه منه ظهر وذراعان، يظل معتدل الراس والرقبة ، حتى اذا فاجأه النوم ، سقط الراس ، وانحنت الرقبة ، وقد يسقط على الأرض .

اذن فارادة الرجل الصاحي هي التي تقيم جسمه وتسنده ، وتوزع أوزانه فلا يسقط أو يميل . وطريق ذلك العضلات يتحكم فيها المخ ، ولكن بصورة تكاد تكون تلقائية .

وقد يتعثر المرء فى الطريق فما أسرع ما يعمل ليصلح من عثرته . يحس المخ بالعثرة فيعطي اوامره لمخ البرق الى عضلات لتنقبض ، والى عضلات لترتخي، ليكون من ارتخاء هذه وانقباض تلك استقامة بناء . فى مثل هذه العثرة فقط تبلغ عملية الاصلاح درجة من الوعى ترتفع فوق التلقائية فيحس بها صاحبها . وقد يعجز عن اقالة العثرة فى وقتها فما أسرع ما يمد يده ليمسك بشيء يحميه من السقوط .

كل امر ياتي من المخ ، يكون جوابا لرسالة تصله ، نسميها احساسا

كل هذا تعلمه الانسان منذ ان كان طفلا رضيعا ، وبدأ يزحف ، ثم هو يمشي . لهذا هو يقيم جسمه وهو صبي نام او رجل مكتمل بموازنات ومقاصّات بين عضلات جسمه لا يكاد يعيها ، تأتيه اوامر من المخ . ولكن كل



امر يصـــدر من المخ يكون غالبا جوابا لرسالة وصلته تفيد أن هذا الجانب من الجسم فى حاجة الى تصحيح ، أو انه ذاك . رسالات نسميها احاسيس .

انك اذ تحك جلدك بظفرك (وقد تحكه وانت غير واع) انما يكون ذلك بسبب امر جاء من المخ الى عضل يدك المختص، يأمره بأن يقوم بالحك فيطيع. ولكن هذا الأمر لا يكون الا بعد رسالة من احساس تصل من الموضع المحتاج الى الحك تنبيء المخ بأن هذا الموضع فى حاجة الى حك .

احاسيس ، لموازنة الجسم ، غير الأحاسيس الخمسة

والأحاسيس كما نعلم خمسة : النظر والسمع والشم والذوق واللمس .

فأي هذه الأحاسيس يقوم بارسال الرسالات الاحساسية الى المخ ، التي تنبئه بميل الجسم هنا ، او هناك ، ليقوم المخ باصدار الأوامر المطلوبة الى العضل للتصحيح ؟ .

ليس من هذه الأحاسيس الخمسة ما يقوم بذلك .

انهما نوعان من الاحاسيس آخران مختلفان ، قل ان يذكرهما الذاكرون عند الاجمال :

(أ) الأحاسيس التي منشؤها داخل الجسم كالعضلات وما اليها .

(ب) الأحاسيس التي منشؤها الأذن الداخلة .

ونبدأ بالنوع الأول من الأحاسيس .

(أ) الأحاسيس التي منشؤها داخل الجسم كالعضلات وما اليها .

ويسميها أهل العلم بالأحاسيس التقبلية الذاتية Propioceptic Sensations.

ولا تجفل يا قارئي من هذه المصطلحات العلمية ، فما دام علم ، فلا بد من اسماء ، وهي كأسماء الشوارع بمدينة لا بد منها، ولو استعجمت . وتقرأ عنها فيزول استعجامها ، وترتاح لزيادة عرفان .

وهذه احاسيس تنشأ فى اطراف الأعصاب فى اعضاء مختلفة من الجسم . ففي العضلات مثلا توجد اطراف اعصاب متصلة بألياف عضلية خاصة . فعندما تتمدد هذه الألياف او تنكمش ، تسري نبضات فى أطراف هذه الأعصاب تصل الى المخ عن طريق النخاع الشوكي ، تدل على نوع التغير الذى حدث وشدته . واطراف اعصاب أخرى فى نعل القدم مثلا ، او فى عضلات الإلية التى يجلس عليها الانسان تستجيب بمثل ذلك للضغط الذى يحدث فى هذه المواضع . ومن اطراف الأعصاب ما يستجيب للشد يحدث فى الروابط Ligaments التي تربط العضل بالعظام ، أو لاختلاف يقع فى زاوية بين عظمتين تلتقيان فى مفصل واحد ، وهلم جرا .

والمخ ، بدرجة من الوعي هابطة جدا من حيث المقدار ، يؤلف بين كل هذه الرسالات التى تصله، كما تؤلف الحاسبات الالكترونية التي اشتهرت فى هذه الأيام ، ويستجيب على الفور عاملا على تنسيق عمل العضلات بحيث يكون منها اتزان الجسم .

وتسمى هذه الأحاسيس بالتقبلية لأن المخ يتقبلها فهي صادرة اليه ، وتسمى بالذاتية لانها تخرج من باطن الجسم الى باطن الجسم ، ولعلها كانت من اجل ذلك بالباطنية أولى . ولعلهم لم يفعلوا لأنهم سبقوا فاستخدموا اصطلاح الأحاسيس الباطنية لشيء آخر .

ومن الناس من يجمع هذه الاحاسيس فى احساس واحد ويسميه احساس الوضع Position Sense لأنه الاحساس الذى يبنى عليه وضع الجسم واتزانه .

(ب) الأحاسيس التي منشؤها الأذن الداخلة .

سبق لنا فى « العربي » لشهر اكتوبر عام ١٩٦٨ (بصفحة ١٢٢) أن تناولنا شرح الأذن وجئنا على وصفها ورسومها.

ونعيد هنا شيئا مما وصفناه هناك ، فنقول ان الأذن ثلاثة أقسام ، خارجة ، ومتوسطة ، وداخلة . (راجع أشكال الأذن التي أوردناها فى ذاك العدد) .

وهمنا الآن فى الأذن الداخلة . وهى تتضمن جهازين : القوقعة Cochlea وهي جهاز السمع ، والمتاهة Labyrinth وهي لاتزان الجسم .

وهمنا الآن في المتاهة وهي عبارة عن شبه كرة مملوءة بسائل ، تخرج منها ٣ قنوات على شكل نصف دائرة لتعود اليها ، وهى مليئة بالسائل . واثنتان من هذه القنوات فى مستويين راسيين ، احدهما متعامد على الآخر ، واما الثالث فافقي . ومعنى هذا ان أى حركة تجرى فى الراس تحلها هذه القنوات الثلاث وتسجلها ، وذلك بحركة السائل الذى يجرى فيها ، وهي قنوات جمعت الفراغ فى ابعاده الثلاثة كاملة .

وتتأثر شعرات عند مداخل هذه القنوات بالحركة الحادثة ، وتنقلها الى ما هي متصلة به من خلايا عصبية تنقلها بدورها الى المخ ، فيدرك من ذلك ما كان من حركة ، وما كان لها من سرعة .

وفى الكرة نفسها ، فى قاعها ، توجد شعرات اشبه بتلك ، تنقل الى المخ الوضع الذى عليه الراس ، وكم تغير .

فاذا اختل اتزان ، اصدر المخ الى العضلات المعنية اوامره بالعمل ، فتكون استقامة .

عمل العين فى اتزان الجسم

وهذه الاحاسيس تفعل في الرجل المبصر كما تفعل فى الرجل الأعمى . ومع هذا ، فالعين ترتبط بها دقة الاتزان لا سيما فى الحركة الموجهة ، تدرك ذلك اذا أنت اغمضت عينيك وحاولت ان تسير فى خط مستقيم . وتفتح عينيك فتدرك ان خط السير قد اعوج بك وانت لا تدرى ، وذلك فى غيبة البصر .

فى ملاعب السرك

وموازنة الجسم وضبطه ، والتحكم فيه ، فى السكون وعند الحركة ، يختلف فيه الناس كثيرا . وهو يربى بالتدريب.

ولعل اقدر الناس على ذلك رجال السرك ونساؤه ، ففي ملاعبهم يأتون من الحركات ، ويتخذون فى الفراغ من الأوضاع ، ما تقف له أنفاس المشاهدين هلعا . ومع هذا لا يقع شر . وذلك لحسن التدريب ولطول مدته .

فتاة الصورة

وفتاة السرك هذه التي بالصورة تمثل الغاية فى دقة الأحاسيس المرتبطة باتزان الجسم ، سواء منها ما منشؤه الأذن ، وما منشؤه العين . وحملت بيمناها المظلة لتضيف بها أقل مقدار من ثقل يلزم لاتزانها عن يمناها ،أو تطرحه، حتى لا تميل فتسقط .

وتعمل هذه ما تعمل ، وتركب ما قد يكون فيه من خطر ، وذلك للترفيه عن الناس . فهذا سبيل رزقها المقدور فى الحياة .

●●



صوت « فلسطين الشهيدة » ينطلق من شفتي طفلة صغيرة عند افتتاح السوق الخيري لصالح العمل الفدائي

المرأة الكويتية في ربع قرن من الزمان

اقبال عا...

الى اسفل : المرأة الكويتية فى ثلاث صور ، الاولى الى اليمين : ثلاث من كرائم سيدات الكويت يضعن اللمسات الاخيرة فى تنسيق المعروضات التي صنعنها بايديهن ..أما الصورة الوسطى فتمثل بعض عضوات جمعية الثقافة الاجتماعية يبعن المعروضات لجمهور المشتريات من السيدات والآنسات اللواتي جئن ليساهمن بأموالهن





دور المرأة في دعم المجهود الحربي

« لقد تجاوبنا مع النكبة التى المت بوطننا في ٥ حزيران (يونيو) الماضي ، فقمنا بتجميد كل نشاط فرعي ، وجعلنا همنا جمع اكبر قدر من المال .. وفي هذا السبيل عملت عضواتنا ليل نهار لتحقيق هذا الهدف ... والحمد لله استطعنا في عام ١٩٦٧ ان نجمع ١٠٠ الف دينار و ٦٠ كيلوجراما من الذهب الخالص من اجل دعم المجهود الحربي .....

وفي نهاية عام ١٩٦٨ قررنا اقامة سوق لمساعدة الفدائيين .. ونحن قبل ان نقيم السوق .. حددنا المبلغ الذى نريد جمعه .. وتحقيقا لهذا الهدف بدات العضوات في العمل ... فقد قررنا جمع مبلغ ١٠ آلاف دينار ... وعملت السيدات ليل نهار في صنع مختلف انواع المعروضات ... وافتتحنا المعرض لمدة ثلاثة أيام ... احصينا بعدها ما جمعناه ، فوجدناه ١٢ الفا وخمسمائة دينار » ...

« وكانت حصيلة الصناديق الخاصة التى وضعناها في المحلات العامة خمسة آلاف دينار » .

« وما كدنا ننتهي من هذا السوق الكبير ، حتى انتهزنا فرصة وجود عارضات الأزياء المصريات اللواتي قدمن للكويت بمناسبة اقامة معرض الجمهورية العربية المتحدة ... فقررنا اقامة حفلة عرض للأزياء خصص دخلها للفدائيين ... وكانت الحصيلة الف دينار اخرى للعمل الفدائي » ...

وعندما ابدينا اعجابنا بهذا المجهود المرهق المتواصل ، اجابتنا رئيسة الجمعية بقولها : « ان كل شيء يهون في سبيل دعم العمل الفدائي ، وهذه هي الروح الطيبة التي تتحلى بها جميع عضوات الجمعية » .

قلنا : وماذا عن نشاط الجمعية لصالح المرأة الكويتية ؟

فاجابت لولوة : « اقمنا موسما ثقافيا وموسما اجتماعيا ، وقمنا بتنظيم اسبوع النظافة في احد احياء الكويت » ....

قلنا : « قد يكون هذا هو السبب الذى دفع بالمسئولين الى القول بأن الجمعيات النسائية في الكويت لم تؤد دورها ... فانتم توجهون اعمالكم بعيدا عن النشاطات النسوية المعتادة ؟ » ...

وسكتت رئيسة الجمعية الثقافية لحظة ، اندفعت بعدها قائلة :

من الظلمة الى النور

« لقد تكرر سماعنا لمثل هذا الاتهام في جميع



لولوة القطامى ، اتمت دراستها في كلية المعلمين بأدنبرة ، وعادت الى الكويت عام ١٩٦٠ لتعمل مدرسة ، ثم وكيلة لثانوية البنات ، ثم مسجلة في كلية البنات بجامعة الكويت ، والى جانب كل ذلك انتخبت رئيسة للجمعية الثقافية الاجتماعية .. وترى هنا تتناقش في أمر احدالاسواق الخيرية مع زميلتها نوار ملا حسين الحاصلة على ليسانس الصحافة من جامعة القاهرة بدرجة جيد جدا .. والى جانب عملها الصحفيفي وزارة الارشاد والانباء تعمل سكرتيرة للجمعية الثقافية الاجتماعية ..

الى اليمين صورتان .. الى أعلى العضوات يشرفن على معروضات السوق . والى أسفل فتيات كويتيات وفلسطينيات ارتدت كل واحدة منهن زى بلدها القومي .

الدول العربية .... ان الذين يوجهون الينا مثل هذا الاتهام ينسون الماضي القريب ، عندما كانت المراة العربية مكبلة باغلال العزلة والجول ... ملقاة في قفص الحريم لا ترى احـدا ولا يراها احـد » ..

« وفي الكويت لم يكن حال المراة باحسن منه في اى بلد عربي آخر ، وقد وصفها الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي مفتي الكويت عام ١٩٥٤ بقوله : « وليس للمراة الكويتية قيمة عند الرجال ، سيما المتقدمين في السن منهم ، فهي عندهم من سقط المتاع .. وترغم الفتاة على الزواج ممن لا تريده ، سيما اذا كان الزوج ابن عم لها حتى ولو كان قبيح الوجه ساقط الاخلاق ... والذى بلغ من العمر ٨٠ سنة له ان يتزوج بنتا لها من العمر ٢٠ سنة ، ويرغمها الولي على ذلك ، وخاصة اذا كان الخطيب غنيا ، وان كرهت عشرته ... وتجد في وصايا الكويتي حرمان الاناث من الارث ، وقطع ما امر الله به ان يوصل » ...

هكذا كان حالنا حتى عشر سنوات خلت ... وعندما بدانا نتعلم وننطلق لخدمة مجتمعنا وجدنا ان مشاكلنا تختلف عن مشاكل المراة العربيـة الاخرى ، فالرعاية الاجتماعية ورعايـة شئـون الاسرة والاحداث تقوم بها باحثـات اجتماعيات متخصصات .. لهذا اتجهنا الى انطلاقة اوسع .. انطلاقة تمتد الى ما وراء حـدودنا .. ان الخبرة التى اكتسبناها في مجال اقامة الاسواق لن نبخل بها على اختنا العربية ، وقد بدانا في التعاون مع شقيقاتنا في امارات الخليج العربي .. وقريبا سوف تشهد الكويت سوقا نسائيا ننظمه مع جمعية نهضة الفتاة البحرانية يخصص ايراده من اجل القضاء على الامية في صفـوف المراة البحرانيـة .

« وفي الربيع القادم سوف تذهب بعثة من اعضاء جمعية الثقافة الاجتماعية الى امارات ساحـل عمان للتعارف والوقوف على مختلف المشاكل التي تعانيها المراة في هذا الجزء العزيز من وطننـا العربي » ...

وعدنا نسأل رئيسة الجمعية :

« وما هي اهم معركة اجتماعية تخوضها المراة الكويتية حاليا ... ؟ »

الاختلاط في الجامعة

فاجابتنا بقولها : « الواقع ان الفتاة الكويتية الجامعية يشغل تفكيرها اليوم مشكلة جديدة علينا هي مشكلة الاختلاط » ... فاصبح عندنا خمس كليات للبنين و ٥ كليات مشابهة للبنات ، وفي هذا مضار كثيرة ... فمن الناحية المادية تكون المصاريف مضاعفة .. ولكن الاهـم ، هو ان الاختلاط اصبح من الضروريات .. لانه مـن السخف ان نمنع الاختلاط في الجامعة ونسمح به في جميع المجالات الخارجية ، فالفتاة الجامعية ستعمل وسط الرجال في مكاتب الحكومة والشركات بعد تخرجها ، لهذا يجب ان نعدها لتواجه الحياة العملية ، وكما يجب ان نسلحها بالعلم يجب ان نعلمها الادراك الصحيح لابعاد الحياة الواقعية .. حياتنا العربية الحديثة بكل اصالتها القديمة ..

ان شريعتنا الاسلامية السمحة هي شريعة يسر لا عسر ، فقد سمحت للمراة بان تقف بجـانب الرجل في ساحة الوغى ، ودور العبادة ، ودور العلم .. فكيف نمنعها من حق احله الله لها ؟

وتنهي الآنسة لولوة القطامي كلامها بقولها : « من المؤسف اننا ما زلنا نخوض معارك جانبية من سفور وحجاب ، وتعليم واختلاط ، في حين اننا نهمل العقبات الرئيسية التى تقف في سبيل تقدم المراة اينما كانت تقدما صحيحا .. وهذه العقبات اوردتها الامم المتحدة في تقريرها وهي :

١ ــ التشريعات التى تفرق بين الرجل والمراة .

٢ ــ الاتجاهات الاجتماعية .

٣ ــ الظروف الاقتصادية .

٤ ــ قصور المعلومات الخاصة باحتياجات المراة وكفاياتها ..

٥ ــ نقص المصـادر القوميـة الاقتصاديـة والبشرية ..

٦ ــ المشاكل المتعلقة بالتخطيط القومي لتقدم المراة ..

فهل فكر رجالنا في سد هذا النقص ، وازالة هذه العقبات التى تقف في وجه تقدم المراة ــ كل امراة ــ وخاصة المراة الكويتية » !؟ ■■

س. ز.



اسعاف النشاشيبي

عماد من عمد العربية

نتاج حقبة من الدهر

لن يعود بمثلها أو مثاله الزمان

بقلم : أكرم زعيتر

■ اسعاف النشاشيبي ولقبه الاثير « اديب العربية » كان اماما في اللغة وعلوم اللسان ، ما عرفت له نظيرا في سعة الاطلاع وعلوم اللسان من حرف ونحو وبيان ، وفيه يقول خليل السكاكيني : « انه معجم لسان العرب يمشي على قدمين » .

الصورة أعلاه : اسعاف النشاشيبي وهو في صباه مع أمير الشعراء احمد شوقي .

نشأته

يمم بيروت في الثانية عشرة من عمره ، وانتمى الى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ، وتتلمذ للأستاذ عبد الله البستاني ، استاذ الامير شكيب ارسلان وخليل المطران ، كما تتلمذ لمحيي الدين الخياط ومصطفى الغلاييني ، وقضى في بيروت اربع سنين ثم « لا مدرسة من قبل ولا مدرسة من بعد » على قوله .

في الحرب العالمية الاولى

كان اسعاف في اثناء الحرب العالمية الاولى ، استاذا للعربية في المدرسة الصلاحية في القدس ، وهي مدرسة انشاها احمد جمال باشا الشهور بعدئذ بالسفاح لصلبه نخبة من احرار العرب ، وسماها باسم صلاح الدين واقام على ادارتها الاستاذ رستم حيدر ، وكان انتماء رستم حيدر الى جمعية « العربية الفتاة » خافيا على السلطة التركية ، لان سر هذه الجمعية التى صلب جمال باشا بعض اعضائها لم يتكشف الا بعد زوال الحكم التركي عن بلاد الشام ونهوض السلطان العربي في دمشق . وكان اسعاف مختبئا لئلا ينتظم في سلك الجندية العثمانية ، ولكن الاستاذ رستم حيدر اخرجه من مخبئه وعينه استاذا في الصلاحية زميلا لعبد العزيز شاويش .

اسعاف مديرا للمدرسة الرشيدية

وفي خريف سنة ١٩١٨ احتل الانكليز القدس ، وانقضى عهد الصلاحية ، وعين الحاكم العسكرى اسعافا مديرا للمدرسة الرشيدية . وتقام حفلة رياضية في ربيع سنة ١٩١٩ في ساحة الرشيدية وتوزع قبلئذ رقاع الدعوة على الناس ، ويحتفظ بعض شيوخ القدس بتلك الرقاع لطرافتها وغرابتها وهي تنم على اسلوب النشاشيبي في آنفة شبابه وهذا نصها :

« اما بعد فقد كان السلف الصالح المقدس ينتدب امته في كل حين للاهتمام بالتدريب الرياضي (او اللعب الرياضي) لايقانه بانه يشد عضد الفضيلة والعلم في تقويم دره البشر واصلاح فاسدهم ويساندهما في تحبيب الوجود اليهم وترغيبهم فيه واسعادهم ، وقد قال الخليفة الثاني سيدنا الفاروق (رضوان الله عليه) لاتزالون اصحاء مانزعتم ونزوتم (النزع في القسي والنزو على ظهور الخيل) . والدربة الرياضية في الامم تختلف ، ولكل قبيل في التدريب اسلوب متبع ، والمقاصد كريمة متحدة ، ولا حرج على امة ان هدت هدى الذين فضلوها في الخير واقتبست من نورهم . وانه لما اتخذت مدرستنا سيرة السلف الراشد شريعة لها غير منسوخة عنيت بالتمرين الرياضى عناية شارفت عنايتها بالاخلاق العربية والعلم . وهاهي معتزمة في هذا الوقت على ان تعالن الناس بطائفة مما تدرب طالبوها به ومرنوا عليه . ولك ايها السيد الاجل (اطال الله بقاءك واعز بك سوريتك وعربيتك) في قصر دار المدرسة في اليوم الثامن والعشرين من هذا الشهر في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وشهود هذه (اللعب الرياضية) التى سيرأسها صاحب السعادة الحاكم العسكرى الجنرال ستورس حفلها المجتمع ــ الرأى العالمي والسلام » .

اسعاف مفتشا للغة العربية في فلسطين

وما لبث اسعاف حينا حتى عين مفتشا اللغة العربية في معارف فلسطين .

وفي مطلع شبابي كان التدريس اول ما اضطلعت به من عمل ، فكان اسعاف يطالعنا معشر المدرسين بنشرات تنضح بالغيرة على لغة القرآن ، ويحتم فيها على الاساتذة ان يخاطبوا تلاميذهم بالفصحى، وحين يجيء مفتشا ازوره ونخبة من المتادبين نتحلق حوله ونستفتيه في شؤون اللغة والادب والمفاضلة بين الادباء كتابا وشعراء ، ثم يتلو علينا بعض ما حاضر او خطب ، وكنت اكثر رصفائي دابا على الاختلاف الى مجلسه والافادة من علمه . وقد اهدى الى « البستان » « ومجموعة النشاشيبي » وفيهما مختارات لكي يرويها نشء العرب ويستظهرها الشادون من الطالبين « وفيها يقول المقتطف : انها من اختيار اديب العرب من ادب العرب لابناء العرب » فكتبت مقالات في احدى الصحف الفلسطينية عن الروح القومية في بستان النشاشيبي ، ثم احتفى بخطبته في الرابطة الشرقية في القاهرة . (كلمة في اللغة العربية) فحرلتها حرثا ، ورحت اسأله عن بعض مقاصدها واستزيده الحديث عن وقعها على السامعين ، وتاثيرها فيهم واستقرئه تقاريظ الاعلام اياها واماديح الادباء لها . وآنس مني هذا الاعجاب البالغ بادبه ، والافتتان بضلاعته ، فمنحني من عطفه وصدق مودته وذهب في حسن ظنه بي من جميل المذهب ، ما كنت اتجاهى به على اقراني . وحدث ان عزا الي مسؤول بريطاني تحريض الطلاب على مناواة السلطات البريطانية فنقلت من نابلس الى عكا « حيث المحيط الهادىء » كما جاء في قرار النقل فكتبت الى استاذى اسعاف استرئيه في الاستقالة والعمل في البحرين فاجاب : « ...

والراى الذهاب الى عكاء ، والركوب الى «البحر الواحد لا ارضاه فكيف الى البحرين حيث جهنم الحمراء تتقد ، ومع اليوم غد ، ومثلك لاييأس من حال وانت انت في اى بلد كنت » .

بينى وبين اسعاف في القدس

وظللت في عكاء حتى نشبت ثورة ١٩٢٩ وحدث ما حملني على الاستقالة احتجاجا ويممت القدس احرر احدى صحفها ، واتلقى الحقوق في معهدها ، وكان محض وجود الاستاذ النشاشيبي في القدس اعظم ما يغريني بالاقامة فيها : فكنت القاه في الغدو والآصال ، اعب من نمير فضله ، حريصا على ان اقوم لساني وانهج النهج العربي الاصيل في بياني . نعم . كنت اسهر في بيتـه وادون اسانيده وطرائفه وبعض مختاراته ، واستنطقه الرأى في الادباء القدماء منهم والحدثاء ، واتلو عليه مقالاتي قبل نشرها ويكون قوله الفصل في مبناها ومعناها . وكثيرا ما كـان يتلفن لي : « ارسلت اليك الطنوّمَبيل (هكذا كان يلفظها) فعندى ما يهمك » واهرع اليه فاراه جذلان ، لانه اطلع على طرفة ادبية بارعة او تلقى من الامير شكيب ارسلان او السيد رشيد رضا او امين الريحاني رسالة تنوه بفضله ، وعلى ما بينه وبين الريحاني من خلاف ومنافره في الاسلوب فقـد اقرأني احدى رسائله اليه وفيها يقول : « ثلاثة ساذكرها على الدوام : الحرم الشريف وجبل الزيتون واسعاف النشاشيبي ، وهل من جمال اجمل من روحه السامية الحافلة بانوار مـن الشرق والغرب ! »

بين اسعاف وشوقي

وفي مهرجان شوقي « القى اسعاف خطبة ترنح لها شوقي وانتشى منها ، وانعقدت بينهما اصرة مودة صميمة ، فاذا يمم شوقي لبنان حرص على ان يلقاه فيه اسعاف ، وتحدث اسعاف عن ذلك المهرجان ، وبينا كان يتلو خطبته في سامرنا وانا ارهف مسمعي قال : « اسمع يا اكرم ما الذى اسكر شوقي وهزّ عطفه وابتنى لي ذلك الحب لديـه » .

واستأنف التلاوة : « .. واني اقسم بالقرآن وبلاغته ، واعجازه وعبقريته ، وعجائبه التى لن تحصى ، ان لو لم يكرَّم لفظ شوقي لما كرُم معناه ، ولو لم تشرق هذه الديباجة الشوقيـة المليحة ذات الحفلة ذلك الاشراق ما كان شوقي شاعر العرب الاكبر وما كان ملك الشعر ، ولكنه عاقل حكيم عرف كيف يقول وكيف يبنى قصيده وبشيد اهرامه ليخلد فيها . وما يقى المعاني من الدثور الا متانة لفظها وما يخدمها الدهور الا تحقيق كلامها . ان لم تكن القاهرة حاضرة الامم العربية السياسية فان القاهرة حاضرة الامم العربية اللغوية ، مَلِكُ الشعر فيها شوقي ، والاقاليم العربية في المشرق والمغرب قاطبة من اعمالها ، وادباؤها عُمّاله ، واهلها « رعيـة احسانه » وان لهذا الملك علينا السمع ، وان لنا عليه الاجادة في القول ، وقد والله اجاد وقـد سمعنا واطعنا » .

وقد بلغت نشوة شوقي الغـاية حين وقـف اسعاف في احدى ليالي المهرجان في كرمة ابن هاني (دارة شوقي) ليرتجل في صوت متهدج صارخا : « ليس بسمارك هو شائد الوحدة الجرمانيـة ولكن شائد وحدتهم هو غوتيه ، بانيها قبل بلغته وادبـه ، وان غوتيه الامم العربيـة هو احمـد شـوقي » .

واما في حفلة نقابة الموظفين في المهرجان فقـد وقف اسعاف ليشكر باسم الوفود العربية قائلا : « شكران شكر نقدر عليه ، وشكر لانقدر عليه . اما شكر الاحتفاء بنا واكرام وفادتنا فانه يستطاع - على عظم المعروف وكبره - واما الشكر لمصر خدمة العربية ووقايتها الدهر الاطول فهذا لا نقدر عليه ولا يقدر عليه احد او امة في الدنيا ، وليس هناك قادر الا رجل واحد وهو المقيم في يثرب مهوى افئدتكم ، وقرة اعيننا واعينكم ، خالق العرب والعربية ، معنى هذا الكون محمد بن عبد اللـه، فهو يتولى شكر مصر والمصريين وحمدهم عـلى ذلـك » .

وهنا ترقرقت بالدمع عيون شوقي ورشيد رضا وعبد العزيز شاويش ومحمد بن عبد المطلب .

في تأبين الحسين بن علي

واذكر ذات ليلة ونحن نتسامر في قصر اسعاف ،

وكانت فلسطين تستعد للاحتفال باربعين الحسين ابن علي ، ابى الثورة العربية ، ودعى الى القول فيها اعلام في الشعر والسياسة ، وابرق شوقي الى اسعاف ينبئه بان قصيدته في رثاء الحسين في طريقها اليه ويرجو ان يتلوها اسعاف في الحفل ، وجاءت القصيدة واشهد انها ابلغ ما قيل في الرثاء – وبينا كان اسعاف يرتل لنا في السامر تلك القصيدة اذا بالهاتف يرن :

– هنا القاهرة . هنا جريدة الجهاد . الباشا يريد ان يكلم الاستاذ النشاشيبي .

– اهلا اهلا امير الشعراء . القصيدة عظيمة يامولانا ، اننا نرتلها ترتيلا .

يا استاذ اسعاف ليكن ختام القصيدة هذا البيت في القدس :

– تأمرون . هاته :

– وتجلت من البُراق بطُهْرا .

ومن حافر البُراق بخاتم .

توفيق بك دياب يسلم عليك .

– اعظم بدياب خطيبنا الكبير . اعظم به اقرأوا عليه السلام .

ثم كان الاحتفال بتأبين الحسين بن علي في ساحة كلية روضة المعارف في القدس ، وتبارى شعراء العربية وخطباؤها في تمجيد الراحل ولكن الصوت الذى دوى في الحفل وهز المشاعر كان صوت اسعاف يتلو قصيدة شوقي :

لـك فـي الارض والسـماء مآتم
قـام فيهـا ابـو الملائـك هاشـم

قعـد الآل للعـزاء وقامـت
باكيات عـلى الحسـين الفواطـم !

الى ان قال :

كلنـا وارد السـرابَ وكـلٌ
حَمَلٌ في وليمـة الـذئب طاعـم !

قـد رجونا مـن المغانـم حظـا
ووردنـا الوغـى فكنـا الغنائـم !

ومما رواه شوقي لاسعاف ، ولمناسبة تأبين الحسين ، انه كان يستقل الباخرة الى اوروبا ولقى فيها فيصلا بن الحسين ملك العراق فهش له وقال : « مصر نور الشرق وشوقي نور مصر » وهنا قال اسعاف : « كيف التقى البحـران في السفينة في البحر ! »

بين اسعاف وسعد زغلول

وكان مهرجان تأمير شوقي برئاسة سعد زغلول ، واسعاف كان وفدى النزعة معجبا بسعد ، وتمكنت المحبة من نفس اسعاف حين لقى سعدا اثر القاء كلمته في اللغة العربية في الرابطة الشرقية وفي هذا يقول اسعاف : « لما قصدت القاهرة لاقول كلمتي في اللغة العربية فتكون فصل الخطاب في منازعة لغوية نجمت في ذاك الوقت ، وقد كانت والحمد لله ، تقدم سعد (رضي الله عنه) الى الاستاذ حافظ عوض بان يلاقيني ويقول لي ان سعدا يحب ان يراني فهل احب ان اراه ؟ فقلت : حبًا ياشيخ . قُلْ يأمر . انما هو الامر المطاع . وهل انا في هذا البلد الا في حمى عمرو بن العاص وحماه ؟ فانهى عوض بك الى الزعيم مقالي ثم يممنا في اليوم التالي ذاك العرين ، بيت الامة ، الدار المباركة المقدسة طُوى ، وعرجنا عليه فيها ، وكان الزعيم يومئذ موعوكا .

فان تك قـد نالتـك اطـراف وعكة
فـلاعجـب ان يُوعَـك الاسـد الورد

وطلع علينا سعد ومشى الينا فسارعنا اليه

فلم ار قبـلي مـن مشى البحـر نحوه
ولا رجـلا قـامت تعانقـه الأسـدُ

مكثت والاستاذ حافظ عوض في تلك الحضرة ذات الجلال وذات الهيبة حينا ، وكانت احاديث جمة اروى منها حديثين : ذكر الزعيم جمال الدين الافغاني وأياديه البيض في هذه اليقظة الادبية ، وافاض في هذا المعنى ، فقلت : يامولاى انه لم ينتبه من امم الشرق في ذاك الوقت الا امتان لا ثالثة معهما : الامة اليابانية وجمال الديـن ، فابتهج البطل الخالد بهذا القول في بطل مثله واكبره وقال : حقا حقا ان جمال الدين امة وحـده .. ثم قلت له قبل توديعه : يامولاى من داب الطبيعة عند ارتقاء امة ان تلخصها في رجل ، ومصر لم تبرح تتقدم وتعلو منذ حين طويل ، وقد خلصها الله ولخصها في سعد . فأجاب جـواب

الابطال العظماء المتواضعين ، وهل يكون العظيم الا متواضعا ؟ وهل يستعير رداء الكبر يلبسه الا الصغير ؟ »

وظل اسعاف على ولائه لسعديته فكان ذاك الولاء العقبة الكاداء دون اختياره يومئذ عضوا في المجمع اللغوى .

اسعاف ورثاء شوقي

وقضى شوقي ، وكان اسماعيل صدقي يتراس الحكومة المصرية ، واقيمت في القاهرة حفلة تابين دعي اليها بعض ادباء البلاد العربية ، ولم يدع الى القول فيها اسعاف ، صديق شوقي وصفيه .

وحرص ادباء فلسطين على ان يقيموا حفلات تابين لشوقي في اربعينه ، ودعى اسعاف الى حفلات تقام في القدس ونابلس وحيفا ، فآثر ان يخطب في نابلس وان يبعث بخطبته الى الحفلتين الاخريين لتلقى فيهما ، ورافقته الى الحفل ، وكانت المفاجاة حين نهض اسعاف لالقاء كلمته ان صرخ :

« الا ليعلم جميع العقلاء في الاقاليم العربية كافة ان روح شوقي هربت من القاهرة في اليوم الرابع واليوم الخامس من كانون الاول سنة ١٩٣٢ مضطربة متالة لافراط القوم في الاساءة اليها » .

اسعاف وكتاب الامة العربية

واذكر انني كنت ظهر كل خميس استقل السيارة من نابلس الى بيت الاستاذ النشاشيبي في القدس فنتناول الغداء ونستريح قليلا ثم نجلس في شرفة قصره المطلة على المدينة المقدسة وياخذ استاذنا في رواية بعض ما غاص عليه من طرف وتلاوة بعض ما كتبه ، ويضفي ببديهته مرحا فاذا استشهدنا بالمتنبي قال : المتنبي هو الذى يدخل شخصا ثالثا في كل قضية .

واقضي الجمعة في ضيافته السخية واكون صبح السبت في نابلس ، وكان يلقبني مداعبا بمختار نابلس (والمختار هو عمدة القرية في مصر) لما يراه من اضطلاعي ببعض الشؤون المحلية .

وحدث ان اعتذرت عن عدم قدرتي الشخوص الى القدس خميس ذاك الاسبوع فبعث الي مع رسول خاص برسالة تدل على انه كان دعابا مراحا وهذا نصها :

« من اسعاف النشاشيبي الى مختار المخاتير وشيخ المشايخ المتجلب بالجلباب الفضفاض جلباب الفضل الشيخ المقدم المكرم (اكرم) :

لاتزعجنى . لاتعذبنى . لاتخبرنى بمفاوضة الراتف او المبرة او التلفون . نهار الخميس الساعة الواحدة ارتقب طلوع البدر المنير في هذه المدينة الحالكة .. وان .. فوالله ... في ٨ رجب الاصم ١٣٥١ » .

ويممت القدس فهش بي وبش ، وطعمنا ، وعلى الشرفة قال لي : دع عنك « البستان »و« مجموعة النشاشيبي » ودونك هذا الكثير الكثير مما اخترته من الاف الكتب . انها مختارات في كل فن وباب . هيهات ان يكون لها نظير .

وقد شرعت انتقى منها نتفا من طرفها لتنشر نقلا للاديب ، والنقل ما يتنقل به على الشراب « وحار في تسمية كتابه الضخم الفخم ، ايسميه دستور العرب ام كتاب العرب » ؟ الى ان اطلع الدكتور زكي مبارك على بعض المنقول فكتب : « ان الذوق في نقلها قد بلغ الغاية في شرف التحقيق واظنها ستصبح كتابا يحق له ان يسمى كتاب الامة العربية » فاتفق الراى على تسميته : كتاب الامة العربية .

في ذكرى موقعة حطين

وقرر مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين الرابع الذى انعقد في عكاء الاحتفال بذكرى موقعة حطين فاقيمت في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥١ حفلات في انحاء فلسطين وكانت اعظمها حفلة مدينة حيفا ، وكنت واستاذنا النشاشيبي من خطبائها . ولا ازال اذكر كيف نهض النشاشيبي ليفجر قنابله ، ويقيم الحضور ويقعدهم وقد جاوزوا خمسة الاف شخص وحين صرخ واصفا حال المسلمين يومئذ : « محمد ابن عبد الله ، نحن عبيدك . ونحن عبيد عبيدك . نحن منتمون اليك . منتمون الى قرآنك . منتمون

الى دينك . منتمون الى عربيتك . فماذا تريد ؟؟ ادركنا . نجنا . خلصنا . انقذنا . ان الاعادي تداعت من كل صوب علينا . ونحن في الدنيا عبيدك . نحن فيها جنودك . ابا القاسم انا انما نبتغي ان نكون في الدنيا من اجلك . انا انما نبغي الا نبيد من اجلك ، لاجل قرآنك . لاجل لغتك . لاجل عروبتك . ولولا انت لصحنا حي على الفناء! حي هل بالفناء . وعلى الدنيا العفاء ! الله اكبر ولت بلاد محمد ! ذهب قرآن محمد ! ذهبت لغة محمد ! ذهب دين محمد ! » وهنا هاج الجمهور وماج ، وثار وفار ، وانطلقت الحناجر تدوي الله اكبر » الى أن التمس اسعاف سكوتها ليقول : « هاتف من وراء الغيب يقول : لا تحزن ، لا تيأس .. لا تقنط . عندي بطلان ، سيفان من سيوف الله المدخرة ليوم باسل ذي ايام . عندي بطلان - بجيشان وينقذان بلادي وامتي وديني وقرآني وعربيتي . ولغتي . خذ . خذوا محمود بن الشهيد ويوسف بن أيوب . ثم اذهب واذهبوا واشهد واشهدوا موقعة حطين . »

ونشرت خطبة اسعاف في الزهراء في مصر تحت عنوان « أسطول اسعاف النشاشيبي » ، وطبعها وأهداها الى أصدقائه ، وعلى مألوف العادة هتف بي : « تعال واقرأ رسالة أمين الريحاني » .. .. وفي الرسالة يقول الريحاني : « بحر أحبار العربية حياه الله .. النافخ في الصور .الضارب بالطبول، المنهض المحرض المثير الصبور حياه الله. بحر البلاغة الزاخر وافق المعاني الباهر ومرج البيان الساحر حياه الله ، ان بيانه لاعصار فيه نار وانه لسماء تتلالأ بالانوار » الى أن يقول : « ان لندائك صوتا بعيد الصدى والقرار ، وان بيانك لجدير باكليل من الغار ، وبتهاليل الأحرار وبصلوات الأبرار » .

كتابه : الاسلام الصحيح

والف الأستاذ النشاشيبي كتابه « الاسلام الصحيح » ، وفي اجتهاده انه خير ما كتب ، وكان يتباهى به ، وحدث أن زرت القاهرة ، ولقيت فيها الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني فقال لي فيما قال : « أدهشني ما في « الاسلام الصحيح » من تحقيق ، شرعت أقرؤه مساء ولم اقو على تركه وفرغت منه مطلع الفجر . انه كتاب عظيم . قل للأستاذ النشاشيبي ان المازني عاتب عليك لانك حرمته النوم ليلة كاملة » . وعدت الى القدس ، ونسيت ان انقل الى الاستاذ قولة المازني ، ثم نشر المازني مقالا عن كتاب « الاسلام الصحيح » وبعث بالقصاصة الى اسعاف وقد كتب على هامشها : « لعل أكرم أبلغك الرسالة » . وسألني اسعاف عن الرسالة فابلغته اياها فاخذ عليّ الا أخيره خبرها فور عودتي من القاهرة ، ولم ير في النسيان موجبا للغفران فاغبر وجه المودة حينا ثم تطلق .

اسعاف في مرضه ووفاته

وكانت ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ وغادرتها سنة ١٩٣٧ وظللت مبعدا عنها ثلاث عشرة سنة بفضل الظلم البريطاني ، وفي اثناء الهجرة سنة ١٩٤٧ مررت بالقاهرة في طريقي الى أمريكا اللاتينية لاداء مهمة وطنية وعلمت ان استاذنا نزيل فندق الكونتننتال فاهرعت اليه ووجدت صفوة من فضلاء مصر يتحلقون حوله فانتظمت فيها بعد أن رحب بي بشوق وحنان . ويممت الفندق في اليوم التالي لاودعه فوجدته مريضا في غرفته والأستاذ الزيات يهدهد آلامه ، وعلمت انه جاء القاهرة ليشرف على طبع كتابه « الأمة العربية » ، ولكن مرضه بدا لي عياء فودعته متوجعا ..

وبينما كنت أطوف في المهاجر الامريكية تلقيت رسالة صديق ينعى فيها اسعافا ويقول : « ولقد سمعه عوّاده يصرخ ليلة فاته : « لعنة الله عليك يا ترومان » .

وكان همي حين عدت الى مصر أن أبحث عن أصول كتابه « الأمة العربية » فلم أهتد الا الى بعض دفاتر ومسودات ومختارات بخطيده اهديتها الى متحف الجامعة الاردنية في عمان .

وبعد فما تذكرت اسعافا الا تذكرت تمجيده القرآن واشادته بمحمد وقوله : « الا ان القرآن في الكلام مثل محمد في الانام فان وجدت لمحمد خطيرا ألفيت للقرآن نظيرا » . ■■

أكرم زعيتر

زَوْرَةُ الطَّيْف ...

للشاعرة : الدكتورة عاتكة الخزرجي

أَلَمَّ بنا .... ما كان أحلى وأجملا ..! — فما ضرَّ لو دارى وداوى وعلَّلا
وماهي إلا غمضةٌ فانتباهـــةٌ — أَمَرَّت علينا كلَّ ما كان قد حلا
لِقاءٌ وَشيكٌ ثم بَيْنٌ على المَدَى — فيا لَلنَّوى.. لِلْقلب مـا كان أقتلا
أكان جزائي في هواك الـذي أرى.. — يباع ببخسٍ كلُّ مـا عزَّ أو غلا
أحبك .. لو أدَّتْ عن الحبِّ لفظة — ولو أعربَتْ عن باطنٍ ظلَّ مُشكِلا
وسخَّرْتُ شعرى في هـواك عسى به — يُفَصِّلُ شوقٌ كان في الروح مُجملا
وأرسلته كالوحى صفواً مرقرقـا — فيا لَقصيدٍ في الهوى راح مُرْسَلا
أمولاى أنت الحُسن والسِّحر والهوى — تباركْتَ فرداً بات في الخَلْقِ أكملا
فإنك في دُنيا المحاسن « يوسـف » — وهل كان إلاَّ الحسنُ فيك مُمثَّلا

★ ★ ★

أمولاى لو أوليت مـولاك رحمـة — وإلاَّ تُصِبْ من قلبه اليومَ مَقتلا
تَرفَقْ بقلبٍ أنت سرُّ الـذى بـه — وما كان فيه الداء لولاك مُعْضِلا
ودارِ ذَماءً أنت أتلفت لُبَّهـا — أمَا آخرٌ يُرْجَى لمن خابَ أوَّلا ...؟
حَنانَيْكَ قلبي في يَديك وَديعـة — فهل عطفة مولاى منـك فتقبـلا ؟
أنِلْنى الذى أرجوه ... ودُّك خالصا — وإلاَّ فعلِّلْنـى بوَهْمٍ تعلُّـلاَ
هَواك غدا كُلِّى وبَعْضى وإنَّـنى — وعينيك عن عهْدِ الهوى لن أحوَّلاَ
فما كلَّ من يشكو الهوى يعرف الهوى — وهل لدعى أنْ يُطاوِلَ مُبتلـى

■■

عاتكة الخزرجي
كلية التربية ــ جامعة بغداد

أنباء الطب والعلم والاختراع

الوصول الى القمر ..
أيهما يسبق ، الامريكان أم الروس

● ارسل الروس ، كما علم الناس ، جرمهم الفضائي ، زند الخامس Zond 5 فدار حول القمر ثم عاد ، ولم يكن به رجل .

وهم اطلقوه ، لا من سطح الارض ، ولكن من جرم آخر كان يدور حول الارض ، وذلك في الخامس عشر من سبتمبر ١٩٦٨ . وبلغ الى حيث القمر ، ودار حوله ، ثم عاد يطلب الارض .

وكان لا بد للحصول على هذه النتيجة من اطلاق زند بحساب متناه في الدقة لكي يصل بالقرب من القمر ، كأن يكون منه على بعد نحو ١٣٠٠ ميل ، وذلك لتفعل فيه جاذبية القمر فتجعله يدور حوله ، ثم تتغلب عليه جاذبية الارض فينطلق نحوها ويزيد سرعته ، ولكن بغير ان ينطلق منه صاروخ يعطيه قوة منه دافعة .

وفي ٢١ سبتمبر ١٩٦٨ دخل زند جو الارض ، وهبط في المحيط الهندي ، حيث انتشلته سفينة روسية .

وبسبب هذا النجاح قال مدير مؤسسة الطيران والفضاء الامريكاني قال : « ان الروس في استطاعتهم ان ينزلوا رجلا على القمر في غضون الاثنى عشر شهرا القادمة او نحو ذلك » .

ويقول الخبراء ان الامريكان جاز ان يكون لهم السبق ، ولو ان الفرصة اقل .

ذلك ان الامريكان قاموا من تجارب ابولو Apollo العشر بثماني تجارب ، ثامنتها تلك التي قاموا بها في ديسمبر ١٩٦٨ وداروا بمركبتهم ، وبها رجال ثلاثة حول القمر . وسنأتي ان شاء الله على تفصيل هذه التجربة .

اما التجربة رقم ٩ فموعدها مارس ١٩٦٩ .

قوانين الاجهاض

● ان الاجهاض محرم قانونا في كثير من الدول ، ويعاقب عليه قانونا الا ان يكون بسبب خشية ان تصاب الام بالضرر لو انها استمرت في الحمل الى نهايته .

وبهذا الحال جرت السنون الطويلة .

ثم بدات الامور تتغير ، فاشتدت المطالبة في بعض الدول بالاذن بالاجهاض ، ورفع العقوبة عنه ، ولو لم يكن لخلاص الام من مرض يلحقها . فهو قد يكون لرغبة عن الحمل في نفس هذا الوقت المعلوم لاسباب عدة ، كان تكون العائلة من الفقر وقلة الكسب بحيث لا تكون على استعداد للترحيب بالضيف القادم .

وقد يتلاحق الحمل وتريد الأم ان لا تلد الا على فترات حتى يكون بين الحمل والحمل فترة راحة للأم .

ومن الناس من قد يحاول ابقاء معنى

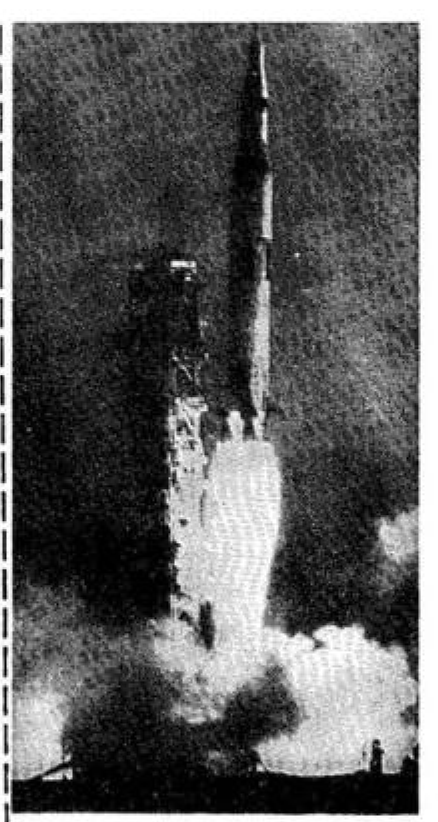
أصوات مزعجة
فى المدينة الحاضرة
لا بد من حماية الناس منها

● ونقصد اول ما نقصد اصوات المصانع ، فيها من الأصوات المزعجة ما يقدر العارفون انها سوف تورث الصمم ، كاملا او غير كامل ، ملايين من العمال التي تعمل في هذه المصانع . والعامل يستطيع ، اذا هو اصيب بالصمم من جراء ما في مصنعه من اصوات ضارة بالاذان ، أن يطالب المصنع آخر الأمر بالتعويض بالمال عن المضار التي لحقته .

ولكن كم من الملايين خارج المصانع ، يتعرضون كل يوم للضجيج يأتي من شتى المصادر ، ثم لا يكون معه تعويض . واى تعويض يقوم مقام السمع الذى هو احد الأحاسيس الخمسة التى تهدى الانسان في سُبُل الدنيا . الشوارع زائطة بالذى يسير بها من عربات

الحفارة الهوائية لحفر الارض الصلبة ولا سيما افاريز الشوارع وهى تشتغل بواسطة الهواء المضغوط يرجّها ويرج الارض معها رجّا ، ومع الرّج الصوت الفظيع الذى يكاد يصم الآذان .





ابولو ـ ٨ لحظة انطلاقها من كيب كنيدى في فلوريدا وبداخلها رجال الفضاء الثلاثة في اول الطريق الى القمر

اما التجربة رقم ١٠ فقد تكون للوصول الى القمر، على فرض نجاح كل التجارب السابقة . وابدر وقت لهذه التجربة لن يسبق منتصف عام ١٩٦٩ .

الاجرام على الاجهاض حتى تبقى الفتاة التى ضلت الطريق فحملت ، موسومة بما فعلت عبرة لغيرها . ولكن هذا الهدف اصبح غير ذى موضوع بعد ان صار في حبوب منع الحمل ما يسهل للضالة ان تضل ولا يكون مع ذلك حمل .

ان العلم يعمل وحده في معزل عن المجتمع . وتظهر مبتدعاته فما اسرع ما تغير من المجتمع ، وفي الصميم من اركانه .

وسيارات . والبيوت التى تهدم تقوم بهدمها الآلات . وعندما يحين حفر اساساتها تحفرها الحافرات الميكانيكية، بدقة من بعد دقة ، يدق لها القلب كلما دقت . والطائرات التى تشق الهواء شقا فكانما تشقه بمنشار عظيم الصراخ هائل ، تنزل اصواتها على طبلة الاذن على حين بغتة ، فتكاد تفعل بها فعل المدق على السندان ، وهي اصوات يبشروننا بزيادتها اضعافا عندما تكثر الطائرات التى تسير بسرعة الصوت ، بل فوق سرعته .

والاذن ، كسائر الاحاسيس ، انما هي باب الى النفس . فازعاج الاذن المستمر ازعاج للنفس كذلك مستمر . وفعله في النفس يتراكم على مهل ، وينتهي كما يقول علماء النفس بامراض نفسية لا شك فيها .

على ان الحكومات وسائر هيئات البحوث في الدول اخذت منذ حين تستيقظ لأمر الصوت واثره الضار في العيش في المدن الحديثة ، وهي تحاول الى اليوم تصحيحه وتعديله ، واخذت تجمع طوائف الباحثين لاستجلاء هذه الامور في المختبرات وعلى الطبيعة تحسبا لما ينتظر ان يأتي به الغد من زيادة في الازعاج بحكم اتساع ميادين هذه الحضارة الحاضرة .

الادمان الكحولي

● عالج المؤتمر الدولى الثامن والعشرون للادمان الكحولي والكحوليين امر هذا المرض ، وخرج المؤتمرون من دراساتهم بأمور نافعة شتى .

ولكن الطريف فيما خرجوا به هو تقدهم للادارات الصحية والمستشفيات فى انها لم تخط خطوات فعالة لمعالجة هؤلاء المدمنين ، بل انهم قالوا ان كثيرا من هؤلاء المرضى منعتهم أكثر المستشفيات من الدخول اليها ، وان مدارس الطب لا تمرن الاطباء عند تخرجهم على معالجة هذا الداء .

هذا بالرغم من انه ، فى العشر السنوات الماضية ، انشئت بعض مراكز خاصة للعناية بهؤلاء الكحوليين ، ولعلاجهم ، وان التجربة فى هذه المراكز دلت على انها قادرة على شفاء نحو الثلثين من هؤلاء المرضى . ومن هؤلاء المراكز مركز عالج من ١٠٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ كحولي ، فى السنوات الثانية عشرة الماضية ، وانه شفى ٦٥ فى المائة من مرضى الكحول هؤلاء ، وان خمسة على الاقل من كل عشرة من هؤلاء المرضى كفوا عن الشرب كفا حاسما .



واتضح من الاحصاءات ان الدول الغربية قد يبلغ عدد مرضى الكحول بها بضعة ملايين .

وشارب الكحول غير مريض الكحول . ان مريض الكحول هو الذى بلغ به المرض حدا فقد فيه السيطرة على ارادته . تأتيه النوبة فى طلب الشراب ، فلا يشفيه منها الا الشراب ، وهو يحس ويعلم ان الشراب انما ينزل بصحته ، وبأعصابه ، وبعقله الى الهاوية ، ولا يستطيع ان يكف .

الادمان المركب

● وبالادمان الكحولي نذكر الادمان المركب .

فالذين يتعاطون المشروبات الروحية ، ويسرفون ، لا يقفون عند هذا النوع من الادمان . انهم كثيرا ما يضيفون الى هذا الشر شرا ثانيا وثالثا ورابعا . فيصبح الادمان مركبا .

فقد كشف الباحثون عن هذا الادمان المركب لدى الشباب، فيما دون الثلاثين من العمر ، في الولايات المتحدة ودول غرب اوروبا . فهؤلاء ضموا الى الكحول العقاقير المسكنة Tranquilizers والمنبهة Stimulants والمخدرة Narcotics وغيرها .

وتقول الدكتورة فوكس Fox ان نحو ١٥٠٠ مريض دخلوا مستشفاها للعلاج من مرض الكحول في عام واحد ، وقد ظهر من الكشف عليهم ان ٤٠ في المائة منهم كان بدمائهم عقاقير اخرى للادمان غير الكحول .

وتقول الدكتورة فوكس انها عرفت لأول مرة ان العقار الشهير المسمى لبريم Librium من العقاقير التي يصحبها الادمان ، وذلك في السنة الماضية فقط ، وذلك لأن اعراض الخروج من عادة تعاطيه لا تظهر الا متأخرة .

وعند الدكتورة فوكس ان الاعراض



التي تصحب اطراح تعاطي هذه العقاقير ، وهي شارة الادمان الاولى ، تظهر اسرع عند مدمني تعاطي المشروبات الروحية : وهي تظهر عادة بعد ١٢ ساعة من التوقف عن تعاطي الخمور . تليها اعراض التوقف عن تعاطي الاربتورات Barbiturates وهي تبلغ الذروة في اليوم الرابع والخامس والسادس . تليها اعراض التوقف عن تعاطي القسم الثاني من المسكنات Tranquilizers ، وهي تتضمن اللبريم Librium وتظهر في اليوم السابع والثامن والتاسع من التوقف .

وقد فاتتها هذه الاعراض لأن المرضى كانوا ينصرفون من المستشفى في اليوم الرابع او الخامس . بعد التوقف عن ادمان الخمر .

بين الفحم والزيت في الولايات المتحدة

● الفحم شيء ، والزيت شيء آخر . هكذا يحسب الحاسب منا غير الخبير . ولكن علماء الكيمياء والنبات والأرض ، واهل العلم بالوقائع التي كانت في الدهور العتيقة ، يقولون ان الفحم وان الزيت ابناء اعمام ، وانهما في الارومة القديمة اشباه ، فهما جميعا من مواد عضوية بدائية واحدة ، وهما كلاهما عمل فيهما

الضغط الكثير والحرارة العالية ، فتشكلها ذلك الشكل الذي يكشف عنه حفر الارض اليوم .

وعلم الالمان ذلك . وقل عندهم في الحرب العالمية الماضية الزيت ، وكثر الفحم ، فحاول كيميائيوهم تحويل الفحم الى الزيت ، فبالزيت تدار المكنات

والسيارات والدبابات ، ولا تدار بالفحم .

وعلموا ان زيت البترول يتالف من عنصرين اساسيين الكربون والأدروجين ، وعلموا ان الفحم الحجرى به الكربون ، وقلة من الأدروجين ، الى جانب عناصر اخرى ، فطحنوا الفحم ، واضافوا اليه غاز الأدروجين ، يفعل فيه تحت الضغط والحرارة، فحصلوا آخر الأمر على زيت.

ذكر الامريكان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، وذكروا مصادرهم المتناقصة من الزيت ، وذكروا كثرة ما لديهم من الفحم ، فعمدوا الى هذه الطريقة يحيونها .

لقد شحت موارد الولايات المتحدةمن الزيت واصبحوا لا يجدون كل يوم جديدا من مصادره في ارضهم ، وحسبوا ما في باطن ارضهم من فحم ، وحسبوا لو انهم حولوه الى زيت فالى كم عام يفي في المستقبل بحاجاتهم ، فوجدوا انه يفي بحاجاتهم من الزيت قرنين او ثلاثة قرون .



فحم الولايات المتحدة الامريكية يكفى لانتاج زيت يكفيها ثلاثة قرون

وبداوا بحوث التحويل . انه تحويل غالي الثمن . ويبدلون الطريقة ويحورونها . وبالأمس القريب اعلنت السلطة المختصة في الولايات المتحدة الطريقة النهائية التى ارتضتها آخر الأمر ، وبعد البحث الطويل ، لهذا التحويل .

وبانتهاء البحث ، بدات فترة التجربة الصناعية . وسيبدأون باقامة الجهاز الصناعي النموذجي التجريبي الصغير الهادى عما قريب . وهم يبدأون في انتاج الزيت من الفحم على القدر الكبير بعد ذلك بنحو ٥ سنين ، اى في نحو عام ١٩٧٥ .

ان هذا ان دل على شيء ، فانه يدل على قرب نفاد الزيت بحسبانه محرك الكثير من آلات هذه المدنية ، وفي الوقت الذى فيه يتراءى للناس ان الزيت تزيد مصادره كل يوم في سطح الأرض كثرة . ولكن يظهر ان الأمريكان يريدون ان يؤمنوا هذه المدنية اكثر ما يمكن من قرون .

ولكن هذا يوقع في رَوْع المرء منا ان المدنية ، كما نعرفها ، لن تبقى الى الأبد . الزيت ناضب . والفحم ذاهب مهما طال به الامد . واليورنيوم ، الميسور منه في طبقات الأرض قليل ، والعسير لا يكاد يجد اليه الانسان السبيل . ماذا بقي من مصادر القدرة ؟ بقيت مساقط الماء تصنع الكهرباء، وبقيت الريح تهب فتدير طاحونا او تجرى سفينا .

ونعود الى دواب الارض فنلقي عندها عصا التسيار . ومن يدرى ، فلعلها تكون حياة أهنأ ، وفي بساطتها اسعد .

●●



بها صور من الجمال رائعة يكشف عنها الدرس والذوق الرفيع

بقلم : صالح الصالح

■ جمعت لغة العرب من الخصائص ، وتوافر لها من المميزات ما لم يجتمع ويتوافر فى غيرها من اخواتها الساميات .

فقد اخذت خير ما فيهن من الالفاظ والتعابير والمصطلحات ، لانها أحدثهن انفصالا عن اللغة الأم : فهي اوسعهن مفردات ، واكثرهن مترادفات ، والينهن حروفا ، واسهلهن مخرجا ، واعذبهن نطقا واصفاهن نغما وجرسا .

واللفظة العربية تمتاز عن غيرها من الفاظ اللغات الأخرى بأنها تستدعي اختها استدعاء لحيفا ، لتقف الى جانبها بواسطة « المتعلق » وروابط الكلمات والجمل ، وأدوات الفصل والوصل .

وهي الى جانب كل هذا تحتمل المعنيين :

١ ــ المعنى المباشر :

وهو المعنى الذى وضع لمفهوم اللفظة منذ نشوئها .

٢ ــ المعنى المجازى :

وهو كما يدل عليه اسمه، أى ما تجاوز الحقيقة الى ما يقابلها لرابط بين المعنى الحقيقى ، وبين هذا المقابل .

ولقد ادخلت العصور الحديثة والتطور الحضارى على اللفظة العربية ظاهرة « التجسيد » ووسعت عالم طاقتها ، وفجرت هذه الطاقة ، فخلقت عوالم من الصور ، وكونت دنياوات من الاحاسيس ، ما كانت تحملها اللفظة العربية من قبل .

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وانها كائن حي ، نام ، خاضع لنواميس التطور ، وقوانين الارتقاء .

ويتحلى الذهن العربي بالنقاء والصفاء ، والتفتح والانطلاق ، والتمرد والانعتاق من الحدود الضيقة وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، المتفتحة الآفاق ، الملونة الجواء ، المترامية السعة والابعاد ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية ، وظهر في مفرداتها وتعابيرها ، وصورها واغراضها .

واجتمع من كل ذلك للعربي جمال التعبير ، الى سعة الخيال وخصبه وحرارة العاطفة وتوقدها ، وامداء التطلع والتشوف ، وبلغ القول عنده غايته الجمالية ، فكانت البلاغة ، وكان الاقناع . والبلاغة والاقناع هما كل ما ترمي اليهما اغراض التعبير في كل اللغات .

وانك لتجد فيما تركه العرب من أشعارهم واقوالهم ، اللفظة المأنوسة المعبرة ، المسؤولة عن رسالتها في الجملة ، والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها في تأدية الفكرة ، واغناء الصورة ، تساوق كلماتها وتناغم حروفها ، ويضاف الى هذا تزاوج في الجمل المترادفة على المعنى الواحد لزيادة ايضاحه ، وتركيزه في الذهن ، وتلوينه ، وعرضه بصور متعددة .

كما تجد التوازن والتوافق بين هذه الجمل ، والتجاوب الموسيقي ، وكل ذلك يشترك اشتراكا مباشرا ، ويتوزع توزيعا طبيعيا محكما ، ليعطينا المعنى المراد .

١ ـ الجمال في المقطع الصوتي :

لعل في بيت البحتري الذي يصف به تموج الشمس على زجاج حيطان القصر الكامل ـ احد قصور الخلافة في بغداد ـ وتشبيهه بأمواج البحر خير مثال للتجسيم الصوتي في الكلمة .

وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل

فهذا الأجيج الذي يحدثه حرف الجيم في البيت يجسم لك صوت الأمواج في ساحل البحر .

وقال :

ذعر الحمام وقد ترنم فوقه
من منظر خطر المذلة هائل

فالحروف والمقاطع التي تتألف منها لفظة « ترنم » الواردة في البيت تعطينا صورة صادقة لصوت الحمام المترنم على شرفات القصر .

وقال شاعر يصف كوخه :

غنة الأرغن فيه ، وبه
بحة الناى ، وبوح المزهر

فالنونات المشددة ، وحرفا الغين الواردة في صدر البيت تعطي صوت الارغن وغنته ، وصحل حرف الحاء في عجز البيت يصور ـ صوتيا ـ بحاحة الناى ، وبوح المزهر .

وكل الافعال الرباعية المضاعفة في لغة العرب مثل : زعزع ، ولعلع ، وزلزل ، ودمدم ، وجلجل ، هي أصوات تجسمت مقاطع وكلمات . وتضعيفها يعني تواتر الصوت ، وتكراره .

ويمكننا ان نطلق على هذه الزمرة الأخيرة من الاصوات اسم :

« حكاية الأصوات » لانها تحكي الصوت ذاته ، في حين يمكننا ـ ومن باب الدقة ـ ان نطلق على الزمرة الاولى اسم : « أصوات الحكاية » لانها تحكي الظاهرة النفسية ، وتصور مخزون النفس من اللذة والالم ، عن طريق المقاطع الصوتية المختلفة .

٢ ـ الجمال في اللفظة مفردة ومركبة :

اللفظة المفردة تقوم بدور هام في اعداد النفس ، واحداث الاضطراب فيها ، ولكن دورها مركبة يكون أكثر عمقا في الوجدان ، واقوى لمسا للاحساس ، واقدر على تحريك سواكن النفس ، واستثارة كوامنها ، وادعى لبعث انفعالها وهيجانها .

واللفظة المفردة مهما اوتيت من تساوق الحروف ، وتزاوج المخارج وتناغم اللفظ ، ومهما حملت من سعة المعنى ، وشموله ، وجلاله ، فانها لا تستطيع ان تؤدى الرسالة التي تؤديها وهي مركبة ، وانها لأشبه بالدرة الفريدة يزيدها انتظامها في العقد بهاء ورونقا ولألاء .

فالتركيب في اللغة العربية اذا تعهدته يد صناع ، وتكفله ذوق سليم ، ونظمه عقل عليم بأسرار الجمال

البياني ، اذا تم له كل ذلك تفجرت طاقات الالفاظ وانداح عبيرها الآسر ، وملأت جواء النفس ارتعاشا محببا ، ونشرت في جوانبها واعماقها ارتياحا عميقا .

لا يمكن لحجارة البناء مهما كان حظها من جودة الصقل ، ونصاعة اللون ، وكرم المعدن ، واستقامة الزوايا ، ان تستأثر باعجابنا ، وتستحوذ على تقديرنا ، وهي مفردة ، متفرقة ، كما لو ضمت الى نظيراتها في بناء القصر المتسق الجميل ، الذى صممته يد مهندس خبير بأسرار البناء .

ولناخذ على سبيل المثال : لفظتي : ارتد النفس ـ بفتح الفاء ـ فماذا تعطياننا ؟ انهما تعطياننا المعنى المباشر الموضوع لهاتين اللفظتين في طفولتهما وهو معنى لا يثير فينا هزة ، ولا يحدث في اعصابنا زلزلة ، حتى ولا اختلاجة ، وما ذلك الا لانه اخذ بمعناه العادى البسيط على طريقة الأخبار أو الانشاء . ولكن لناخذه بمعناه المجازى ونضعه مع مقابل له يزيده وضوحا ، ويكسبه بالمقارنة روعة وجمالا .

قال بشار بن برد ـ مخضرم الدولتين الأموية والعباسية ـ يصف حركات حبيبته :

صدت بخد وجلت عن خد
ثم انثنت كالنفس المرتد

لقد أحسن الشاعر توظيف هاتين الكلمتين ، وتمكن ببراعته وخبرته بصناعة البيان العربي أن يحملها مسؤولية فنية ، وهذه المسؤولية هي :

تشبيهه سرعة حركات حبيبته سرعة تكسبها خفة ورشاقة وجمالا .

ونجد وراء هذه الصورة التى تتبادر أولا الى اذهاننا معنى ادق وابعد ، وغرضا اسمى واعمق ، وهو أن صاحبته رشيقة القوام ، وكثيرة الميسان ، وهي صفة محبوبة في نساء ذلك العصر ، كما يوحي هذا التعبير الينا انها حيية خفرة ، تنفتل بخفة ورشاقة لتتقي الناظرين ، والخفر والحياء صفتان مرغوبتان في المرأة العفيفة .

والآن لناخذ لفظة « الشهوة » أو جمعها « الشهوات » فعلى ما في هذه اللفظة من مقاطع صوتية مثيرة ، كالشين المفخمة ، والهاء الحلقية ، والجهد الذى تبذله الشفتان في التلفظ بمقطع الواو ، فان كل ذلك يظل مقصورا على حركات ، وانقباضات ، وانبساطات ، يقوم بها جهاز النطق ، لتهيئة النفس لقبول الأثر الخارجي ، ولكن اذا اخذنا هذه اللفظة مركبة مع غيرها كما اوردها العباس بن الاحنف ، فانها تخلق جوا أوسع ، واصدى وانغم :

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

فتوالي حركات هذه اللفظة وامتداد الصوت عند نطقها ، واختلاف هذا الامتداد بين الثنايا ، والصدر ، والشفتين ، واضافتها الى لفظتي السمع والبصر تخرجها من طفولة المعنى وبساطته الى عنفوانه وسموه وروعته .

وهل فاتك أن العباس بن الأحنف هو من شعراء العفة العذريين القانعين بشهوات السمع والبصر ، عن شهوات اللمس والذوق الحسيين ، وانه استطاع بهذا البيت أن يترفع بهذا الحب عن الدنايا ، مع أنه استعمل لفظة كان مدلولها ـ في الأصل ـ للذوق واللمس الماديين .

ولفظة « تحير » تفيد التوقف ، وعدم الاهتداء ، ولما استعملها ابن أبي ربيعة في محلها ونفث بها من مجاز المعنى أعطت جمالا اغنى ، وافقا أرحب ، وربيعا أخصب :

وهي مكنونة تحير منها
في أديم الخدين ماء الشباب

فماء الشباب على ترقرقه وصفائه في الخدين ، وتوهجه بنار الشباب ، لم تكتمل ملاحته ، ولم تستكفي روعته ، الا بهذا « التحير » .

هذا مع الاشارة الى اني ارغب التجاوز عن لفظة « اديم » الواردة في بيت ابن ابي ربيعة ، واعتبرها قلقة غريبة نالت من جمال البيت ، وترف لفظه ، ولم يشر النقاد ـ قديما أو حديثا ـ الى ذلك مع انهم أشبعوا هذا البيت نقدا ودرسا ، واكثروا منه تمثيلا واستشهادا .

وعند كثير عزة نجد أمثال هذه الأوابد الشوارد التي يمتاز بها شعر العرب ، قال :

لو ان عزة خاصمت شمس الضحى
فى الحسن ـ عند موفق ـ لقضى لها

فهل بادهتك الروعة وبهرك الجمال فى شبه الجملة المعترضة ـ عند موفق ؟ .

وأى معنى تحصل عليه اذا جردت البيت من هاتين اللفظتين المعترضتين ؟ .

من المتخاصمان ؟ عزة ، و الشمس .

الشمس فى راد الضحى ، لا فى مستهل الصباح ، ولا فى اصفرار الأصيل .

ما هو الحكم المشروط ؟ .

هو ان يحكم لعزة على خصيمتها ليكون موفقا .

وهذه لفظة « تتقرى » وهى على شيءمنالغرابة وخشونة اللفظ ، اخذها البحترى واستعملها فى ازالة شكه وارتيابه المقتلي ، عندما وقف يتامل بدهشة وذبول صور الفرس والروم ، وأعلامهم وسيوفهم ورماحهم المشرعة فى معركة انطاكية المرسومة على جدران ايوان كسرى ، حتى خيل اليه انهم احياء ـ جد احياء ـ .

ولا يفوتك التعبير ـ جد احياء ـ لما فيه من التاكيد والالحاح على السامع ليقنعه بأن يرى اناسا احياء ، لا صورا مرسومة على الجدران .

هذه اللفظة كما ذكرنا استخدمها هذا الشاعر للتأكد من الحقيقة عن طريق لمس اليد ـ لا بل اليدين متناوبتي اللمس ، او متعاونتين ـ فجاءت كما ارادها طبعه السليم .

تحسب العين أنهم جد أحيا
ء لهم بينهم اشارة خرس

يغتلي فيهم أرتيابي حتى
تتقراهم يداى بلمس

ومن التعابير الفنية الفنية التي تزخر بها لغة العرب قول الشريف الرضي :

ولقد مررت على ديارهم
وطلولها بيد البلى نهب

وتلفتت عيني ومذ خفيت
عني الطلول ، تلفت القلب

فالتفاتة العين شيء طبيعي لا يستثيرنا ، ولا يحدث فينا هزة ولا ارتعاشة ، اما تلفت القلب فهو الشيء الذى ينتزع اعجابنا ويحركنا لما فيه من (تجسيد) اللفظة . والذى زاده امعانا فى الحسن ، وايغالا فى الجمال ، هذه المقارنة بين تلفت العين وتلفت القلب .

بين هذه الالتفاتة الطبيعية وهذا الالتفات المجازى ، وفن التداعي للمشابهة والمناسبة ، ان نورد فى هذا المقام قول البحترى ايضا :

عذيرى فيك من لاح اذا ما
اطلت العتب حرقني ملاما

فتعبير « حرقني » بلغ غاية الاجادة لما اجتمع للفظة « حرقني » من مقاطع صوتية هازة ، ولما فى وزن « فعل » من تعطيش عين الفعل وقوتها ، ولما فى اسناد « التحرق » للملام ، ونقله من معناه الذى هو للنار الى المعنى المجازى ، ولما بين حرارة النار وحرارة الملام من مشابهة فى الايلام .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى « الجمال » فى المقاطع الصوتية الواردة فى صدر هذا البيت ، فامتداد الصوت في الياء الساكنة المكسور ما قبلها فى لفظتي : عذيرى ، وفيك ، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها فى الفاظ « لاح » اذا ما يحمل شحنة عاطفية ترتاح اليها النفس فى هذا الانسياب الناعم .

★ ★ ★

والآن وبعد ما تقدم ، علينا ان نحاول ايجاد نوع جديد من الدراسة الفنية ، تطبق فيه ـ بقدر الامكان ـ المعايير والمقاييس الحديثة التي اشرنا اليها فى هذه الدراسة لتكونمنهاجا جديدا يخرجنا من نطاق الدراسات الكلاسيكية المعروفة .

نعتمد فى هذا المنهاج على ثلاثة عناصر :

١ ـ البناء النغمي او الموسيقي أو ما سميناه بجمال المقاطع الصوتية ومدى تناسقه مع التوتر النفسي وقوة حركته وموجاته .

٢ ـ البناء التناسقي وتداعي الكلمات وتآخيها وتماسكها وحيويتها .

٣ ـ البناء المنطقي أو عمل العقل المنظم من حسن عرض واغناء صور وتلوين آفاق .

على ضوء هذه الأسس والمقاييس سنتلمس الجمال في هذين البيتين ومدى الشحنة العاطفية والوجدانية التي يحملانها ، والأثر الذى يتركانه في النفس . ونرى هل توافرت هذه العناصر وما هي النسبة لكل منها .

ولما نزلنا واديا طلّه الندى
حييا ، وبستانا من النَّوْر حاليا
أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسنه
مُنىً ، فتمنينا ، فكنتِ الأمانيا

١ ـ أننا نجد التشديد المتعطش ، الذى يعني التوقف لخلق شحنة من الاستثارة وتعميقها في سبعة مواضع من البيتين ، وفي الالفاظ التالية :

ولما ـ طله ـ الندى ـ حييا ـ النور ـ أجد ـ فتمنينا .

٢ ـ نجد الاطلاق الصوتي في الألف الساكنة المفتوح ما قبلها في خمسة عشر موضعا ـ ولما ـ نزلنا ـ واديا ـ الندى ـ حييا ـ وبستانا ـ حاليا ـ لنا ـ المكان ـ منى ـ فتمنينا ـ الامانيا .

وهذا الانسياب الصوتي مع الألف الساكنة يعني راحة النفس بقذف ما تختزنه من الطاقة العاطفية .

٣ ـ نجد بوحا هامسا في لين الواو والياء الساكنتين في لفظتي : النور . وطيب ، وفي ضمة الهاء المشبعة من لفظة : « حسنه » .

وهذا كله يشكل خطا بيانيا متعرجا للتوتر النفسي الداخلي ، والفترات الزمنية التي تستغرقها الذبذبات والاصوات في اغوار النفس ، صاعدا مع الضمة واشباعها ، متناسبا ممتدا مع الفتحة ، مستقيما صلبا مع التشديد ، هامسا منغوما مع اللين والسكون ، هابطا رقيقا مع الكسرة .

ولعلك لم تفتك هذه الانات التي تبعثها فيك هذه النونات المتعاقبة في شطر البيت الثاني ، منىً ـ وتمنينا ـ فكنتِ الامانيا . فهذه « الفنفنة » التي يحدثها هذا الحرف النغيم تعطينا صورة صوتية مهموسة ناغمة لما يعتمل في اعماق النفس من انفعالات .

أما البناء المنطقي وتسلسل صوره فيتجلى في ان الوادى المطلول يكون « حييا » متحليا بالنور والاريج ، ويصبح النزول به ـ وهو على هذه الشاكلة ـ حاجة طبيعية ملحة .

ثم جاءت لفظة « لما » الحينية لتضع الزمان بجانب المكان ، ليكون للقول مرتسم في الذهن وتصور في الخيال ، لان الذهن والعقل يتطلبان الحدود الزمانية والمكانية ، ومتى حصل الزمان والمكان اطمان العقل وهدأ الذهن ودخلت الحادثة في حيز الحصر والامكان والتصور .

وهنا ندرك أن قيام الزمان والمكان في تصورنا . والنزول في الوادى المطلول بالانداء وفرت الاسباب الخارجية المثيرة للحواس ، فتمَّ التداعى واستحضار الصور فتذكر الشاعر حبيبته .

وانظر كيف « نكّر » الشاعر لفظة « منى » لتكون شائعة في جنس الامنيات العديدة ، وكيف « عرَّف » لفظة « الأماني » في قوله : « فكنت الامانيا » والمعرف يستغرق كل الجنس لا بعضه.

ولو أردنا استقصاء الجمال في هذين البيتين لاعوزنا وقت أطول وجد أوسع . ولكن حسبنا اننا اشرنا بعض اشارة ودللنا بعض تدليل على الجمال المتدفق منهما مقطعا ولفظا مفردا ومركبا .

هذه المامة عجلى ، ولمحة خاطفة ، بل هذا غيض من فيض ، مما تذخر به لغة العرب ـ وخاصة في الشعر ـ من جمال صوتي وتعبيرى ومعنوى ، وهي خاصة تميزت بها لغتنا العربية عن الكثير من اللغات .

ولكن هذه الكنوز لا يمكن استخراجها ، والانتفاع بما فيها الا اذا توافرت في المنقب الدارس ، الملكة الفنية ، والحس الرهيف ، والذوق الرفيع ، والعلم الواسع ، والاطلاع الشامل على اسرار الكلم العربي ، وأوتي القدرة على استجلاء معانيه واكتناه جمالاته ، وتفجير طاقاته . فعلى أدباء الأمة العربية أن يكتشفوا هذه الجوانب الجمالية المتميزة في لغتهم ويكشفوها كشفا واسعا ■■

الرياض ـ **صالح الصالح**

● علم نفس ●

شابٌ غلبتهُ أنوثةٌ زائفة

■ رجل شاب في الثلاثين من عمره ، تبدو عليه امارات الرجولة الكاملة ، متزوج منذ عدة سنوات من زوجة عمرها ٢٥ عاما . يعمل في احدى الشركات. كل ظروف حياته تهيىء له جوا سعيدا مستقرا ، ولكن هناك شيء ينغص عليه حياته ، ومن أجل هذا الشيء أتى للمحلل النفساني (١) .

هذا الرجل المكتملة رجولته ، تراوده منذ طفولته فكرة ارتداء ملابس النساء ! ولا يرتاح نفسانيا الا عندما يرتدى هذه الملابس . تزوج لعله يهرب من هذه العادة . ولكن لم تمض اسابيع على زواجه الا وعاد مرة أخرى الى الشعور بالرغبة الجارفة في ارتداء ملابس النساء .

ومع هذه الرغبة في التشبه بالنساء كان يشعر دائما بانه غير قادر على اتخاذ قرار حاسم في اى امر من الامور . بل كان يترك امر اتخاذ اى قرار يتعلق بحياته للآخرين . ثم بعد ذلك يعارض هذه القرارات بشدة .

بدأ المحلل النفساني عمله بان حصل على تاريخ حياة المريض منذ الصغر .

انه اكبر ثلاثة اخوة ، أخ واخت توأمان يصغرانه باربع سنوات . كان الابن المدلل لامه . بينما كان ابوه يدلل اخاه الاصغر الذى كان يتمتع بجسم رياضي وعضلات مفتولة ، في حين انه ـ أى المريض ـ كان نحيلا ضعيف البنية ، ويعانى من قصر نظر في عينيه ولكنه كان يرفض أن يستعمل نظارة طبية.

ترك الدراسة في الخامسة عشرة من عمره لشعوره برغبة في كسب مبلغ من المال يساعد به اسرته لان والده كان يفقد عمله مرة بعد أخرى . وكانت الام تسيطر على كل شيء في المنزل ، في حين ان اباه لم يكن له حول ولا قوة . كانت الأم تحب ابنها وتدلله طالما هو خاضع لارادتها تماما ، والويل كل الويل له ، اذا عارض مشيئتها في اى أمر من الأمور .

ذكريات الطفولة

طلب المحلل النفساني من مريضه أن يعود بذاكرته الى أيام طفولته ، وأن يروى له بعض هذه الذكريات التى لا تزال لاصقة بذهنه .

وبدأ المريض يتحدث :

« لقد عثرت ذات يوم على شال من القطيفة يخص والدتي ، وارتديته وجاءت أمى وابتسمت عندما رأتنى أرتدى شالها ، بينما شعرت أنا بدفء ونعومة القطيفة ، كما شعرت بسعادة بالغة . »

وتقول الذكريات :

« عندما كنت طفلا صغيرا ، كنت دائما ألعب بالدمى والعرائس ، ولا أحب سواها من اللعب ، بينما كان شقيقى يلعب بالمسدسات والسيارات.»

وتتضح الصورة كاملة أمام المحلل النفسانى عندما يقول المريض :

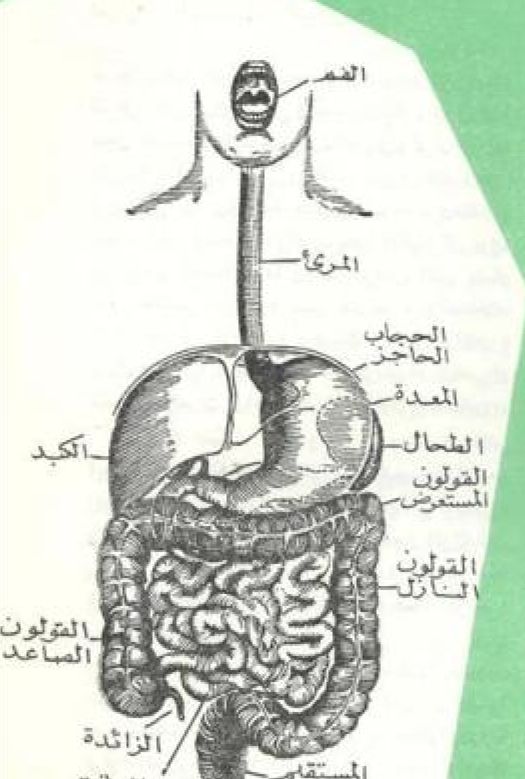
« في يوم من الايام أعطت خالتى لأمى مجموعة من ملابس ابنتها ، وكانت تماثلنى في العمر ، والبستنى امى هذه الملابس . كرهت ذلك في بداية الامر ، ولكن بعدها ابتدأت اتمتع بالاعجاب الذى ابدته أمى وصديقاتها لأنى اشبه فتاة حلوة جميلة.»

بعد هذا الحديث تم فحص المريض فحصا طبيا شاملا ، وجاءت النتيجة انه لا يعانى من اى مرض عضوى سوى قصر النظر . وقام الطبيب بتحليل اقوال المريض واستخلص منها عدة اشياء هامة هي :

* علاقة المريض بامه كانت علاقة قوية جدا .

---

(١) هذه الحالة من سجلات مركز أدلر للعلاج النفسي في نيويورك .



الذى يفقده الجسم ، مع اعطاء المريض مركبات السلفا المختلفة التى تؤثر على هذا المرض . وفوق كل هذا ، الوقاية وهي ان نحافظ على طعامنا من التلوث وعدم تعرضه للذباب ، والتأكد من انه ليس هناك حامل للمكروب عند من يقدم الطعام .

الدوسنطاريا الاميبية

وتسببها الاميبة ، وهي احياء طفيلية مكرسكوبية تدخل الجسم مع الطعام الذى لوثه الذباب بها . وسرعان ما يذوب الجدار المحيط بهذه الاحياء لتخرج منها الأميبة وتنقض على القولون بجميع اجزائه ، تحفر فيه حفرا بحثا وراء غذائها ، مكونة ما يسمى بالتقرحات ، ومسببة مرض الدوسنطاريا الاميبية. فيشكو المريض من الم فى منطقة البطن السفلى يكون فى بعض الاحيان مبرحا ، ويضطره للذهاب الى دورة المياه مرات كثيرة ليخرج كمية بسيطة من البراز المحمل بالمخاط والدم والقيح . ولا يلبث ان تعاوده الكرة مع احساس بانه لم يفرغ كل ما فى امعائه . ويصحب ذلك توعك شديد وارتفاع في درجة الحرارة وفقدان الشهية وضعف عام .

وربما استفحل الامر واخذت الأميبة في حفرها وتعمقت داخل جدار القولون الى ان تلتقي بوريد يحملها الى الكبد ، فتنقض على خلاياها وتسبب ما يعرف بالتهاب الكبد الاميبي . وربما ازدادت وطأتها واخذت تنهش خلايا الكبد فتحولها الى فجوات ومسببة ما يسمى بخراج الكبد الاميبي .

الوقاية : والوقاية من هذا المرض تكون بأن لا ناكل من طعام الا بعد التاكد من نظافته ولا ناكل من الخضراوات الطازجة الا بعد غسلها جيدا ، ولا ناكل طعاما تعرض للذباب .

العلاج : واهم ما فى علاج الدوسنطاريا الاميبية ان يبدا العلاج مبكرا وان يستمر لمدة تكفي للقضاء على المرض .

اما العلاج فيكون بحقن المريض بالعقار المعروف بالاميتين Emetine . وهناك مركبات كثيرة تستعمل فى هذا المرض ولشركات عدة ، منها فيوراميد Furamid ، وماكسافورم Maxaform ، وانتوبكس Entobex ، وهيوماتين Humatin ، وغيرها كثير .

ولابد ان يستمر العلاج لفترة طويلة ثم بعد اربعة اسابيع من العلاج يفحص البراز من ٤ الى ٦ مرات للتاكد من خلوه من الاميبة واكياسها . وزيادة في الحيطة يفحص البراز مرة كل شهر لمدة ثلاثة اشهر بعد ذلك اذا امكن . واذا اتضح ان المرض ما زال قائما وجب اعادة العلاج . ولعل السبب فيما يعانيه معظمنا من ان المرض صار عنده مزمنا يرجع الى عدم العناية في بادىء الامر ، واخذ العلاج دون اكتراث ، وعدم الاستمرار فيه حتى الشفاء . والازمان له مضاعفاته الوخيمة .

القولون الحساس

لعلني بعد ان أسهبت فى الدوسنطاريا أجد لي

مدخلا رحبا يجعلني أتحدث باسهاب عن هـذا المرض الذى أرق المرضى وأتعب الاطباء : تقابل هذا يقول لك عندى الغليظ ، وذلك يقول لا أراك الله مكروها انه القولون ، والثالث يتبرى لك ويقول لا يمكنني ان اعمل لقد جاءتني النوبة . وهكذا . كلمات أنات وشكوى مرّة يسمعها الاطباء كل يوم. واذا نحن تعمقنا في ما وراء الاعراض التى يشكو منها معظـم المرضى ، مـن غازات ، وانتفاخات وارتباكات فى الامعاء ، وامساك ومغص وآلام ، وأرق مصاحبا لدقات فى القلب تزداد أو تنقص او تتغير . نجد ان وراء كل هذا القولون الحساس .

بل واذا تعمقت أكثر وأكثر لوجدت ان الامر ابعد من ذلك . هذا يشكو من الكبد ، وذلك من الطحال ، وذاك من الكلى ، وهذا من ألم بالظهر ، وتلك من ارتباك في المعدة ، وهذا من الزائدة . وسبب ذلك ان القولون فى موضع قريب من هذه الاعضاء فيجعل المريض يفكر بأن هناك مرضـا يعترى هذه الاعضاء .

اعرف مرضى حيرهم القولون وصاروا يهيمون على وجوههم من طبيب الى طبيب دون أن يصلوا الى نتيجة على الاقل ترضيهم ، ضاقوا ذرعـا تركوا الديار وشدوا الرحال الى أوروبا وأمريكا ولكن لم يطفا لهم ظمأ ولم يشف لهم مرض . وكان الجواب انه القولون الحساس ، وعادوا من حيث ذهبوا وعلى صفحة تقريرهم الطبي انه القولون الحساس أو Irritable Colon أو Spastic Colon الا انها فى هذه المـرة مكتوبة بالخط العريض وبارزة فى الورقة ، وسواء استساغها المريض ام لم يستسغها ، فهي دائمـا تلحقه . وربما بعد سفره وكثرة تنقله يرضى بما قسمه الله له وتهدأ حالته ويهدأ معه قولونه .

فما هي ياترى قصة هذا القولون العجيب ؟؟

انها قصة طريفة تبدأ بان المريض يصاب في بعض الاحيان بدوسنطاريا ، ويتعاطى علاجا كافيا لها او غير كاف ، وفى بعض الحالات لا يصاب بمثل هذه الحالات ويأتيه المرض من عدم انتظام فى عمل القولون مما يؤدى الى انقباض شديد فيه ، ويزداد هذا بالاجهاد وبالاضطرابات النفسية المختلفة وما اكثرها فى العصر الذى نعيش فيه .. وعندما يشتد هذا الانقباض يؤدى الى امساك شديد . ثم تتجمع الغازات التى تسبب أصواتا مزعجة فى بطن المريض.

ثم تنتقل هذه الغازات والانقباضات على طول القولون مسببة آلاما فى مناطق مختلفة من البطن تشبه كما قلت الآلام المختلفة التى تحدث عند مرض أى عضو من الاعضاء المنتشرة فى البطن . لذا يختلط الامر على المريض فيتخيل انه مريض بهذا المرض او ذاك ، ويصحب ذلك ما يعكر صفو الحياة من صداع ، وقلة تركيز فى العمل والآم فى الجسم هنا وهناك وقلق وعدم استقرار . ومما يزيد الطين بلة ان المريض دائما يفكر فيما هو أخطر من ذلك . أعرف مريضا كان يفكر دائما بأنه قد أصيب بسرطان وصار هذا الوهم يراوده من آن الى آخر مدة عشر سنوات .

وعندما تنفرج التقلصات يخرج المريض برازا جافا ، وبكميات قليلة نتيجة لعملية الامتصاص الشديدة للماء التى يقوم بها القولون . كذلك يخرج مخاطا بكميات كثيرة نتيجة لاعتصار القولون. وفى بعض الحالات يكون البراز مخلوطا بدم .ويخيل للمريض انه مصاب بالدوسنطاريا ، وتجده يتنقل من طبيب الى طبيب ووراء سراب الدوسنطاريا لعله يجد علاجا ناجعا . ويفحص البراز مرات ومرات دون أن يعثر على مكروب أو سبب لهذه الدوسنطاريا التى توهمها .

العـلاج :

وكما ان المرض محير من كل وجوهه ، سواء فى ذلك الاعراض التى يشكو منها المريض أو طـول مدة المرض وتعرضها للثورة الشديدة تارة ،والهدوء تارة أخرى ، فكذلك هو العلاج . ففي بعض الحالات يعطي العلاج لفترات دون أن يحس المريض بتحسن. فى حين انه لو ترك الجو الذى يعيش فيه قـد تتحسن حالته دون أن يتعاطى أى علاج .

وقد لا يخطر المرض على باله أثناء اجازته

ولكن عندما يعود الى ماكان عليه بعد اجازته يعاوده المرض .

من هنا يتضح أن للحالة النفسية القسط الاوفر فى تطور الحالة ، ومن هناك أيضا يجب أن يبحث الطبيب وان يساعده المريض فى الوصول الى السبب أو الاسباب التى أدت الى المرض وعلاج هـذه الاسباب النفسية . ثم انه يجب على المريض أن يلاحظ ما يثير عليه قولونه سواء من ناحية الغذاء وأى صنف من الاكل يسبب له ذلك ، وان يلاحظ اذا كان الانهاك وكثرة الاجهاد له ضلع فى ذلك .

على هذا الاساس يكون العلاج ، فيعطى المريض مهدئا من المهدئات وما اكثرها في هذه الايام .. ويستحسن أن يغير المريض المهدىء من آن الى آخر الى أن يتغلب على صعوباته التى تسبب له الارتباك في امعائه . وعلى سبيل المثال لا الحصر : اقراص ليبريوم Librium ، فاليوم Valium ، ليبراكس Librax ، اكوانيل Equanil ، توفرانيل Tofranil وغيرها كثير .

ثم يتبع ذلك اقراص تساعد على التغلب على التقلص الشديد الذى يتعرض له القولون وهي كثيرة ايضا وعلى سبيل المثال البربانثين Propanthin ، انترانيل Antranyl ، سبازموسيبالجين Spasmocibalgin باسكوبان Buscopan ، ثم علاج اى التهاب طارىء يتعرض له القولون بسبب مكروب يكتشف وجوده في البراز عند الفحص وأخذ العلاج اللازم على ضوء هذا الفحص .

ثم علاج الامساك ، وهنا أود أن أحذر من استعمال المسهلات لانه بعد الاسهال الشديد ، الذى يتعرض له المريض باستعمالها تاتي فترة آلام ومغص شديد وكذلك فترة طويلة من الامساك يستنجد فيها المريض بمسهل آخر وهنا يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار . وهكذا يتعرض المريض للادمان على المسهلات ولا يعمل قولونه الا اذا استحث بهذه المسهلات . ومن هنا كانت خطورة استعمالها.

لذا انصح بالابتعاد عن المسهلات ، ويستعاض عنها بمحاولةاخذ سوائل بكثرة خصوصا عند القيام من النوم وشرب العصير او حتى الماء ، لان ذلك يساعد على تحرك الامعاء ، ثم أكل الخضراوات والفواكه الطازجة بكثرة . واذا احتاج المريض الىملينفلياخذ مليناً كزيت البارافين Parafin Oil او الاجارول Agarol ، أو الكانورمال Kanormal او سلفاك Celevac Granules لانها أهون من المسهلات ولا تسبب مغصا ولا يضطر المريض الى الادمان عليها .

وانصح مرضى القولون بالتحرك كثيرا وممارسة الرياضة لان هذا يساعد على التغلب على الامساك ويحسن من نفسية المريض . وفي بعض الحالات التى لا تستجيب الى الملينات تستعمل اللبوسات (التحاميل) التى تحتوى على مواد تساعد على خروج البراز مثل لبوس الجليسرين ــ أو لبوس دالكولاكس Dulcolax .

اما الغازاتالتى يمتلىء بها القولون فتجد بعض المرضى يستعملون حبوب الفحم بكثرة . وليس في هذا ضرر ولكن مفعولها غير مؤكد اذ أن مسام الفحم التى تقوم بامتصاص الغازاتتمتلىءبالسائل من الجهاز الهضمى وتتشبع به ولا توجد مسام لامتصاص الغاز . والمهم في التخلص من الغازات هو ان يبتعد المريض من التربعة ويبلع ريقه عندما يحس الرغبة في ذلك اذ ان هذا يقلل دخول الغازات الى المعدة وامتلاء الجهاز الهضمى بها ، وكذلك استعمال الملينات يساعد على التخلص من مثل هذه الغازات . وعلى المريض أن يلاحظ الاكلات التى تسبب له الغازات فيقلل منها او يبتعد عنها .

وكلمة اهمس بها في اذن من يعانون من هذا القولون او الغليظ أن ياكلوا ما يريح امعاءهم ولا يتقيدوا باى اكل خاص ، ويلاحظوا اى آكلة تثير القولون فيبتعدوا عنها . فلقد لاحظت ان كل كل مريض يختلف عن الآخر . وقد أصف أكلا خاصا لمريض فيكون سببا في حدوث نوبة له في حين انه لا يحدث ذلك في مريض آخر . لذا كان من الاوفق أن يتناول كل مريض ما يتناسب مع حالته والابتعاد عن المهيجات المعروفة كالتوابل والحريفات والمياه الغازية بكثرة ، والشاى الثقيل ، والقهوة ، كلها اشياء مهيجة للقولون ومثيرة للاعصاب .

ــ وعلى مرضى القولون ايضا أن ينظموا حياتهم ويتمتعوا باجازة الاسبوع واجازاتهم العادية في جو هادىء ــ يريح اعصابهم وفي الوقت نفسه يريح اعصاب معائهم ــ وهم بلا شك يشعرون بمدى التحسن عندما يتمتعون بمثل هذه الاجازات .

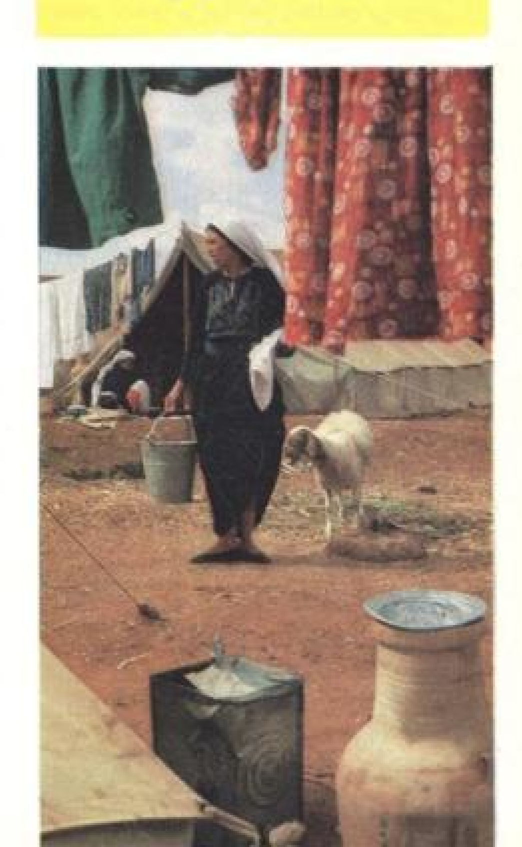
وكلمة اخيرة : ان يستمع المريض الى نصيحة طبيبه ، ولا يعرض نفسه كل يوم على طبيب فيختلط عليه الامر وتزداد حالته سوءا ، وكل يوم يمر يواجه بتشخيص جديد وعلاج جديد يؤثر على نفسيته ويزيدها تدهورا يجعل علاج مثل هذه الحالات صعبا ويزيدها تعقيدا . وليطمئن بالا كل مريض بهذا المرض اذ انه سيتغلب عليه يوما من الايام مهما طال الزمن وذلك بعزيمته وطرد الاوهام والمخاوف والاخطار التى تدور في مخيلته والتغلب على مرضه بأن يعيش عيشة هادئة منظمة تحدوها السعادة والطمأنينة . ■■

محمد أبو شوك

الأردن

بين .. عمان و النازحين من ساكني الخيام

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
اوسكار متري



احدى اللاجئات خرجت من خيمتها لاحضار المياه اللازمة لها في حياتها اليومية



ازدحمت عمان بالنازحين اليها ، وقد بلغ عددهم أكثر من ١٥٠ الفا . وهذه هي صورة مسجد السوق الكبير ، وقد امتلأ المسجد بالمصلين حتى فاض بهم فلم تكد تتسع لهم الساحة المحيطة به .

■ وقفنا أمام حطام الجسر نتأمل الصورة.. صورة ما حدث لهذا الشعب الذى لم يعترف بالهزيمة .. لقد ارتكبت فى حقه أبشع جريمة يمكن ان ترتكب فى حق شعب شردته المطامع والأحقاد والمعارك التي لن تهدأ ابدا طالما بقي الأعداء يحتلون البيوت وكروم العنب وبساتين البرتقال ..

لماذا اطلقوا المدافع

ماذا حدث عبر هذا الجسر المحطم .. واية ماساة ترويها الصورة المؤلمة التي وقفنا نتاملها ؟ .

هنا على الأرض العربية التي يقف الأبطال يدافعون عما تبقى منها بدمائهم وارواحهم ، سمعنا باذاننا ورأينا بعيوننا قصة المأساة كلها ، ويا لهول ما سمعنا ورأينا .. وقد أتاح لنا هذا الذى سمعنا ، الالمام بالمأساة منذ ان بدات فى الآونة الأخيرة ، حتى بدأت الثلوج بالسقوط فى هذا الشتاء الذى ما زلنا نعيش فيه .

لقد اطلقوا المدافع ، والقوا قنابل النابلم على أرض فلسطيننا المقدسة ، تقتل ، وتجرح الالاف من الابرياء ، فمزقوا شعبا ، وشردوا امة ، وفرضوا من أنفسهم ولاة وسلاطين على الأرض العربية المقدسة ، التي سلبوها ونهبوها ، وعاثوا فيها فسادا ..

مع مياه النهر المقدس

وبين مدن الاردن ، ومخيمات النازحين تنقلت بعثة « العربي » ، وسارت فى الاغوار ومع مياه النهر المقدس .. وشاهدت الجسور المحطمة ، وقوات الصهاينة المتجمعة .. وعادت لتقدم لك هذا الاستطلاع الخاطف عن الحياة فى ذلك البلد العربي الثابت : الأردن ..

ماذا حدث فى عمان ؟

ما من شك ان عمّان العاصمة ، تعكس حالة الأردن بشكل بارز .. فهي مدينة كانت تتناثر منازلها على سبعة تلال .. وقد امتدت اليوم واتسعت حتى اصبحت تغطي من التلال والجبال واحدا وعشرين ..

فما الذى حدث .. ؟ ومن اين جاء هذا الاتساع الهائل ؟ .

كانت عمان حتى الحرب العالمية الثانية قرية صغيرة ذات ماض تمتد جذوره الى ما قبل ٣٠٠٠ عام : لقد بدات عمان تاخذ باسباب الحضارة وحياة المدينة منذ العهد القديم ، عهد العمونيين احفاد لوط .. واستمرت على نفس النمط فى عهد البطالسة الذين غيروا اسمها فجعلوه فيلادلفيا .. وظلت المدينة تحظى باهتمام الرومان والبيزنطيين ، وازداد ازدهارها فى عهد الفتوحات الاسلامية .. حتى بدات الخلافة العباسية فى



آثار شظايا قنابل الصهاينة تبدو واضحة على واجهة بقالة « ابراهيم دياب » فى قرية الشونة الشمالية ، التى تتعرض لقصف اسرائيلى مستمر . ومع ذلك لم يهجر ابراهيم متجره



بعد تبادل اطلاق المدافع بجوار جسر الملك حسين أصيبت مواقع المدفعية الاسرائيلية اصابات مباشرة وفي اليوم التالي للمعركة جاءت مجموعة من الضباط والخبراء الاسرائيليين لدراسة المنطقة واعداد خطط الاعتداءات القادمة ، وكانت عدسة العربي عند الجسر في تلك اللحظة فالتقطت هذه الصورة للعسكريين الاسرائيليين ، وهم يعاينون مواقع مدفعيتهم المصابة بالقنابل الاردنية ، فوق الجبل .. بينما وقف جنديان اردنيان يراقبان الموقع .

العراق في القرن العاشر الميلادي ، فتوارت عمان وطوى ذكرها ظلام التاريخ ، وظل نجمها آفلاً طوال العصور الوسطى والعصور الحديثة حتى عام ١٩٢٢ عندما انتزعت القرية المنسية لقب عاصمة امارة شرق الأردن ، من قرية أخرى كانت مرشحة للفوز بهذا اللقب هي قرية السلط .

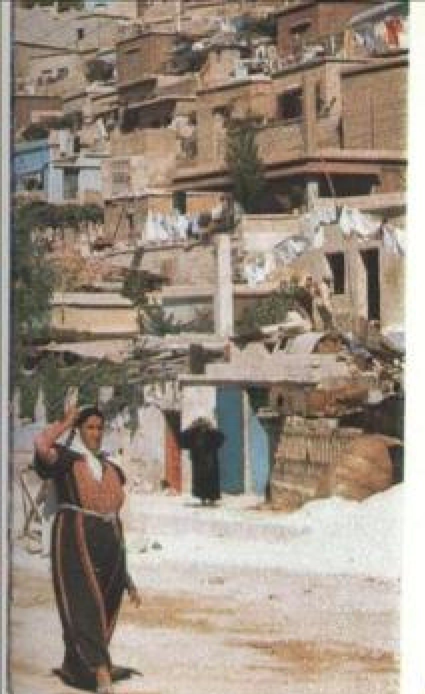
ولم يكن عدد سكان عمان يزيد على ستة الاف نسمة في ذلك الوقت .. ودارت السنون وحلت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وتقاطر المهاجرون الى عمان ، وارتفع عدد السكان الى نحو ٢٥٠ الف نسمة .. ثم أصيب العرب بهزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ وللمرة الثانية توافد النازحون من الضفة الغربية قاصدين عمان .. وامتلأت عمان بالسكان حتى قدروهم بنحو نصف مليون نسمة ..

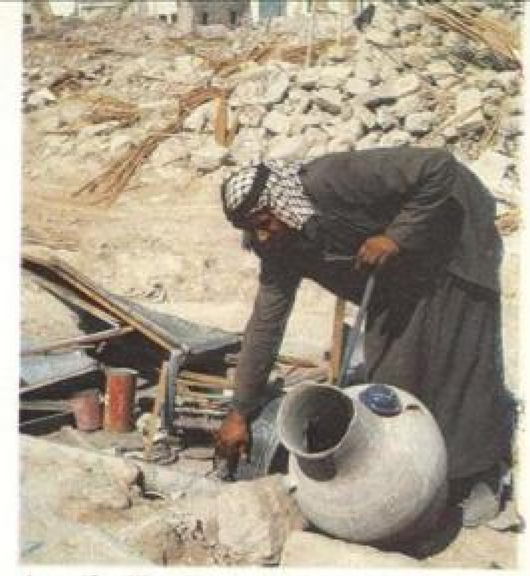
المدينة القرية ؟!

سيل متدفق من البشر جاء ليسكن مدينة التلال ويدمغها بطابع غريب فريد ، طابع « المدينة القرية » ؟! .. نعم .. ففي كل مرة تتهيأ فيها عمان لتتخذ طابع مدينة عصرية حديثة ، تفاجأ بموجة من نازحي القرى التي تأتي لتسكن في ضواحيها وتشدها الى الخلف ، وتؤخرها اجتماعيا وعمرانيا .. ولكنها لا تؤخرها اقتصاديا ! اذ أن أهل عمان سرعان ما يسحبون أموالهم من البنوك ويشرعون في بناء الدور والعمارات ليسكن فيها المهاجر واسرته .. ونتيجة لهذا الازدحام الهائل ارتفع ايجار الغرفة الواحدة الصغيرة الى ١٢ دينارا شهريا ! .

١٥٠ ألف نازح الى عمان

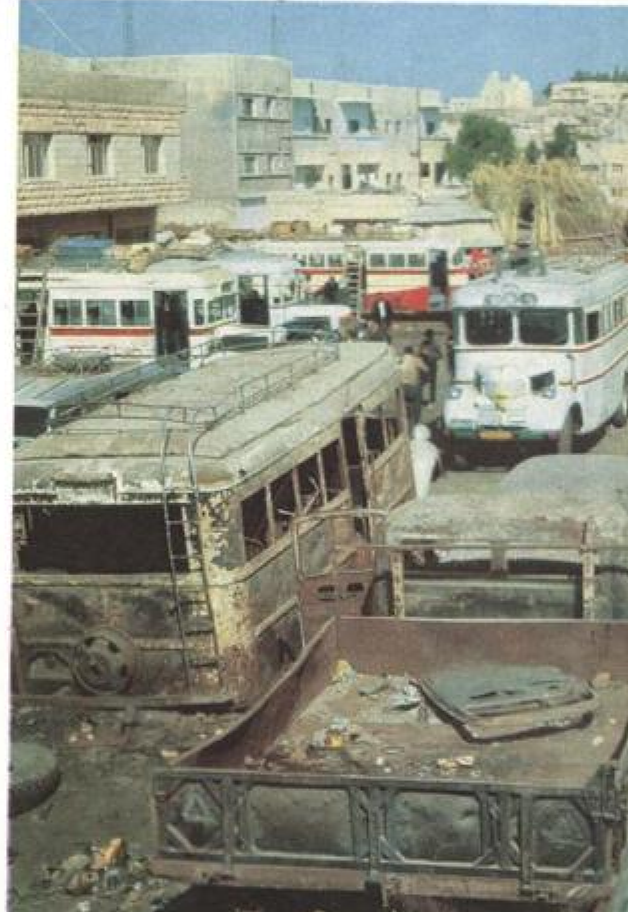
وتبعا لهذه الهجرات انقسمت عمان الى قسمين قسم حديث ذي شوارع فسيحة وعمارات عالية ، ويشمل ثلاثة جبال هي : اللويبدة والحسين وعمان .. وقسم ثان هو أشبه بالقرى منه بالمدن .. شوارع مكتظة ، ومنازل متلاصقة خالية من كل عناصر الجمال المعماري .. ويمتد هذا القسم





بعد معركة « الكرامة » جاء الى المكان الذى كان يوما منزله يبحث بين حطامه عله يجد شيئا قد بقى سليما فيه.

بيوت متراكمة بعضها فوق بعض ، فوق هذا الجبل حتى امتلأ بها ، وهو واحد من ٢١ جبلا تحيط بعمان امتلأت كلها بالمساكن لكثرة النازحين اليها .



موقف اوتوبيسات فى مدينة « اربد » ، وقد احترقت سيارات الاتوبيس به بعد أن قصفها الاسرائيليون بقنابل النابالم الحارقة منذ وقت قريب .

شارع عمان الرئيسي وقد ازدحم بالسيارات والناس ، لقد أصبح سكان العاصمة الأردنية الآن حوالي نصف مليون نسمة .



٥٠٠ جرام ارز و ٦٠٠ جرام حب او فول ، و ١٠ كيلو طحين و ٦٠٠ جرام سكر و ٢٧٥ جرام زيت، وقطعة صابون واحدة .. على هذه الكمية الضئيلة من الطعام يجب أن يعيش النازح لمدة شهر كامل .. ومما يذكر أن ميزانية وكالة غوث اللاجئين بلغت هذا العام ٤٢ مليون دولار ..

فيشمل ١٨ جبلا وتلا ، منها : الهاشمي ، المحطة، النظيف ، التاج ، الجوفة ، الوحدات ، الأشرفية .. وفي هذه الضواحي او القرى انضم ١٥٠ الف نازح جديد الى اللاجئين السابقين ..

مشاكل العاصمة

وامام هذا الوضع الغريب ، وجد المسئولون عن تخطيط العاصمة ، انفسهم امام مسئوليات هائلة متشعبة ، حدثنا عنها المهندس احمد فوزى وزير اشغال الأردن وأمين عاصمته ، حديثا مسهبا قال فيه : « .. قبل ٥ حزيران كنا نركض لحل مشاكل تنظيم العاصمة ، دون ان نستطيع اللحاق بها .. وفجاة وجدنا انفسنا مسئولين عن نصف مليون نسمة ! حقيقة اننا كنا نتوقع ارتفاع عدد سكان عمان الى هذا الرقم ، ولكن فى عام ١٩٨٠ وليس فى عام ١٩٦٧ .

« وهذا ما قلب مشاريعنا رأسا على عقب ، فنحن ننفذ حاليا المشاريع التي كانت ستنفذ بعد ١٢ عاما » .

ويتابع المسئول الأردني حديثه بقوله : « ان المشكلة الرئيسية التي تواجهنا هي كيفية تأمين الخدمات العامة الضرورية للحياة ، من مياه وكهرباء ومجار فضلا عن مد الطرقات .. هذه هي مشكلتنا الرئيسية ، وبعدها تأتي مشاكل لا حصر لها .. اننا نعطى ٧٠ رخصة بناء اسبوعية فى عمان .. ورغم هذا نجد مساكن وعمارات ترتفع دون ترخيص فنضطر لهدمها، لتعمل على استيفاء الشروط الضرورية لسلامة العيش . والحمد لله اننا استطعنا انقاذ عمان من الأوبئة التي تنشأ عادة من هجرة غير متوقعة .. رششنا المدينة بمادة تلتصق بالجدران فتقضي على الذباب ، وابتعنا احدث ثماني سيارات ضخمة تحمل النفايات وتطحنها فى اثناء سيرها ، بحيث ان السيارة الواحدة منها تستطيع نقل حمولة ٦ سيارات عادية .. » .

هجرة داخلية

والى جانب الهجرة من خارج البلاد ، تشهد عمان هجرة داخلية يومية .. جموع من البشر تهبط من الجبال الثمانية عشرة المتخلفة ، لتتجه

الى اليسار : تمتد منطقة الغور من أريحا على البحر الميت حتى الشونة الشمالية، لمسافة ١٠٠ كيلو متر..ودرجة حرارتها التي تتراوح بين ٣٦ و٤٠ درجة مئوية على مدار السنة ، ومياه نهر الاردن وقناة الغور ، جعلتاها منطقة زراعية ممتازة ينمو فيها الموز والخضراوات المبكرة والحمضيات وبعض فواكه المناطق الحارة ، ويقدر انتاج الغور بنحو ٢٠ الف طن سنويا من هذه الانواع . ولكن هذا الازدهار الزراعي أولد الحقد عند الصهاينة فعمدوا الى القنابل والصواريخ يطلقونها على المزارع والبيارات ليخيفوا الاهالي ويجعلوهم ينزحون من أرضهم الطيبة .. وترى في الصورة اليسرى المزارع توقيق الفياض ممسكا بندقيته بيمينه وبرتقاله بيساره. لقد تسلل الصهاينة الى منزله ونسفوه منذ ستة شهور، ولكنه ظل في مزرعته يزرعها ويجني ثمارها الطيبة .. ان الجمعيات التعاونية تحاول مواجهة التحدي الاسرائيلي ، ولكنها تحتاج لنصف مليون دينار لتقدمها قروضا ومساعدات للمزارعين المتضررين ..

الى الجبال الثلاثة المتقدمة حيث دور الوزارات والبنوك والشركات والفنادق .

ويستعمل سكان العاصمة في هجرتهم اليومية الداخلية مختلف وسائل النقل ، التي تمر كلها في قلب المدينة فتجعله يتعرض لضغط هائل لن يخففه الا بناء دور الجراجات الحلزونية ، وتشييد الجسرين لربط الجبال الثلاثة اللويبدة والحسين وعمان بعضها ببعض .. ان هذين الجسرين سوف يختصران الوقت الذي تقطعه السيارة من ٦٠ دقيقة الى ٨ دقائق فقط ! وسيكون ارتفاع كل جسر ٤٠ مترا ، وقد تمت دراسة صنع الجسرين من الاسمنت المسلح..وتقدر تكاليف انشاء كل جسر منهما بنحو نصف مليون دينار ! .

ان هذين الجسرين ضروريان جدا لعمان لأن طرقها تعتبر من اصعب الطرق واشقها في المدن العربية ، فانت دائما في صعود أو هبوط ، أو دوران حول الجبل .. وهذا ما يرهقك حتى ولو كنت جالسا في السيارة !! .

ضواح جديدة

لقد اتجه تخطيط عمان الحديثة نحو وقف تضخيمها واتساعها ، عن طريق اقامة ضواح تتبع العاصمة وتحيط بها على بعد ٢٠ كيلو مترا .. وتكون هذه الضواحي بمثابة مراكز سكنية مستوفية الشروط والخدمات التي يحتاج اليها المواطن ..

ثورة .. وجنس !

ووسط هذا الجو المفعم بالمشاكل والاحتياجات التي تكاد في أهميتها الا تقل خطورة عن حوادث

مخيم البقعة تحت خيامه
التى تحيط بها الجبال
من كل ناحية يعيش ٣٤
الف لاجىء تهددهم السيول
والبرد والثلوج . وهو أحد
٦ مخيمات كبيرة في الاردن.

الخيام اهترأت من تأثير
العوامل الجوية القاسية .
وأصبحت لا تحمي من يقيم
فيها من الهواء البارد أو
الشمس الحامية . ولكن
اللاجئين رفضوا أن
يستسلموا لاى شيء وبدأوا
يصلحون خيامهم بأنفسهم
لتصبح مرة أخرى صالحة
لسكناهم ، ولو لفترة من
الزمن .



صورتان لخيمة ، تعيش فيها عائلة مكونة من اثني عشر شخصا ، منهم التلميذ ومنهم الطفل الرضيع ، كلهم يعيشون في مساحة ضيقة ، ان العدوان الصهيوني الغاشم تسبب في هدم بيت هذه العائلة وبيوت الكثيرين غيرها ، فعاشت تحت سقف هذه الخيمة في انتظار يوم العودة ..



كانت سيارات النقل تعبر جسر الملك حسين حاملة المنتجات الزراعية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وعندما تعود الى الضفة المحتلة يضع سائقها الرقم الاسرائيلي فوق الرقم الاردني قبل أن يعبر الجسر .. وقد جاءت الاخبار أخيرا تفيد بمنع تنقل السيارات بين الضفتين ..

تبادل القذائف والنيران مع العدو على الحدود.. تسير الحياة في عمان .. الناس يتزاحمون في شوارع فيصل والهاشمي والملك حسين والأمير محمد ، يروحون ويجيئون. يتفرجون على واجهات المحلات .. ويتجمعون حول المنشورات واللافتات التي تعلقها المنظمات الفدائية على الجدران للاعلان عن عملياتها .. ويقرأون عناوين الصحف والمجلات والكتب التي كثيرا ما تكون متنافرة .. فهذه مذكرات جيفارا ، وأصداء المعركة ، وهذا كتاب كفاحي لهتلر ، وهذه صحف ومجلات تحمل على صفحاتها صورا جنسية فاضحة ..

ثورة على المصورين !

وتتحرك كتل البشر ببطء شديد .. فليس أمامها ما يدفعها الى الاسراع .. انها تعيش في فراغ .. الرجال مكدسون في المقاهي يلعبون طاولة الزهر ، ويدخنون النارجيلة ويحتسون الشاي : والنساء يتزاورن في منازلهن .. ولكن هذا الهدوء لا يلبث أن ينقلب الى ثورة عارمة عندما تقع انظارهم على مصور ما يحاول أن يلتقط صورة ما ، سواء أكان ذلك في عمان أم في غيرها من المدن والقرى .. ولم تستثن بعثة العربي من ذلك .. فكم من مرة هجم المارة على مصورنا .. وكم من مرة توقفت سيارات فجاة وفي عرض الطريق ليندفع منها اشخاص في اتجاهنا ، يريدون مهاجمتنا أو على الاقل يريدون تكسير الكاميرا التي كنا نصور بها ، ولولا الشرطي المرافق لنا لما ظهرت صورة من هذه الصور المنشورة مع هذا الكلام .. ان الاهوال والمصائب التي حلت بأهل الأردن جعلتهم مرهفي الحساسية ، بحيث أصبحوا يشعرون بأن كل صورة تلتقط سوف ترسل الى المخابرات الاسرائيلية ، ويا لبؤس السائحين المساكين الذين حاولوا التقاط صور عامة ، فقد تعرض بعضهم للضرب وسيق بعضهم الى مخافر الشرطة ، اما آلات تصويرهم فقد آل أمرها الى التحطيم في معظم الاحيان .

السينما بعد التعب

ويظل الناس يتجولون في الشوارع حتى تتعب اقدامهم ، فيتجه بعضهم الى دور السينما ، ويتجه بعضهم الآخر الى محلات بيع الشطائر ، ويجلس آخرون في المقاهي .. اما الملهى الليلي الوحيد الباقي في عمان فلا يذهب اليه الا ميسورو الحال نظرا لارتفاع أسعاره .

ستة مخيمات كبيرة

وبينما كانت عمان تغط في سبات عميق في ظلام ليلها الوحش الثقيل .. كنا نتجاذب أطراف الحديث مع بعض المسئولين ، عن حالة اللاجئين ، ومنهم عرفنا أن عدد النازحين الجدد في الأردن بلغ نصف مليون نسمة تقريبا ، ١٥٠ الفا منهم يعيشون في عمان وضواحيها ، والبقية يقيمون في ستة مخيمات كبيرة :

١ ــ مخيم البقعة ويضم ٣٤ الف نسمة .

٢ ــ مخيم الحصن ويضم ١٠ آلاف نسمة .

٣ ــ ومخيم جرش ويضم ١١ الف نسمة .

٤ ــ ومخيم سوف ويضم ٨ آلاف نسمة .

٥ ـ ومخيم ماركا ويضم ١٣ الف نسمة .

٦ ـ ومخيم زيزيا ويضم ٤ آلاف نسمة .

١٦ تحت خيمة

واتجهنا الى المخيمات نزورها .. المنظر الخارجي يوحى بانها هي نفس الحالة التي وصفها مئات الكتاب طوال ٢١ عاما : بؤس وشقاء ..

عائلات مختلفة تعيش تحت خيمة واحدة لا يزيد طولها على ثلاثة امتار ، وعرضها على المترين ، ولا تكاد تكفى لأسرة واحدة بمفردها ، وقد يبلغ عدد افراد هذه الأسرة ٨ أشخاص أو ١٠ ، أو حتى ١٦ شخصا كما تبين لنا بالعد الفعلي ، وفى ركن من الخيمة يقع المطبخ .. والأغطية التي تستعمل للنوم « تنشر » على الحبال فى النهار لتفرش فى الليل على الارض وينام عليها افراد العائلة جميعا من رجال ونساء وشباب وبنات .. وعلى ضوء مصباح الغاز يدرسون ويؤدون واجباتهم المدرسية ، ويساهمون فى السهر على اختهم المريضة .. هذا واخوهم الطالب الثانوى ينظر اليهم فيكاد قلبه يتفجر حسرة ومرارة ..

قوتنا نستمدها من بؤسنا

بيد أن الكبرياء العربية استطاعت ان تثبت وجودها بالرغم من تلك المآسي والآلام ..

فالبرغم من ان هذا الشتاء الذى نعيشه كفيل باغراق آلاف الخيام بامطاره ، وتجميدها بثلوجه، فضلا عن اقتلاعها وقذفها بعيدا برياحه .. وعلى الرغم من انه كفيل أيضا بموت الأطفال والنساء

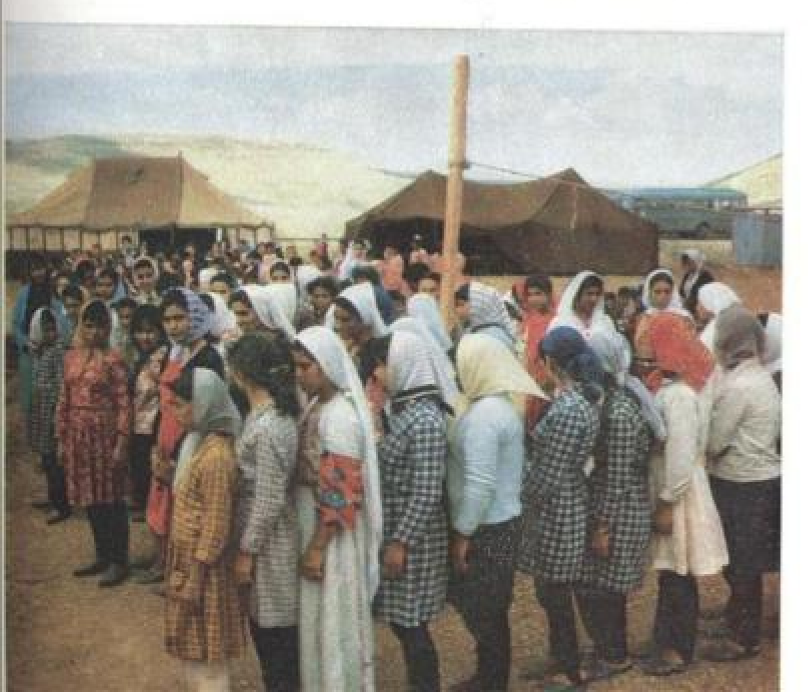


نحو ٨٠ ألف نسمة يعيشون فى مدينة اربد ، التى تبعد ٢٥ كيلومترا عن مرتفعات الجولان السورية المحتلة .. ومن فوق هذه المرتفعات تنطلق الصواريخ وقنابل المدافع الاسرائيلية لتسقط على المدينة الآمنة ، بينما تحلق فوق المدينة طائرة هليكوبتر اسرائيلية تراقب سقوط القنابل والصواريخ وتصحح تصويب المدفعية عن طريق الاتصال اللاسلكى ! ؟ !



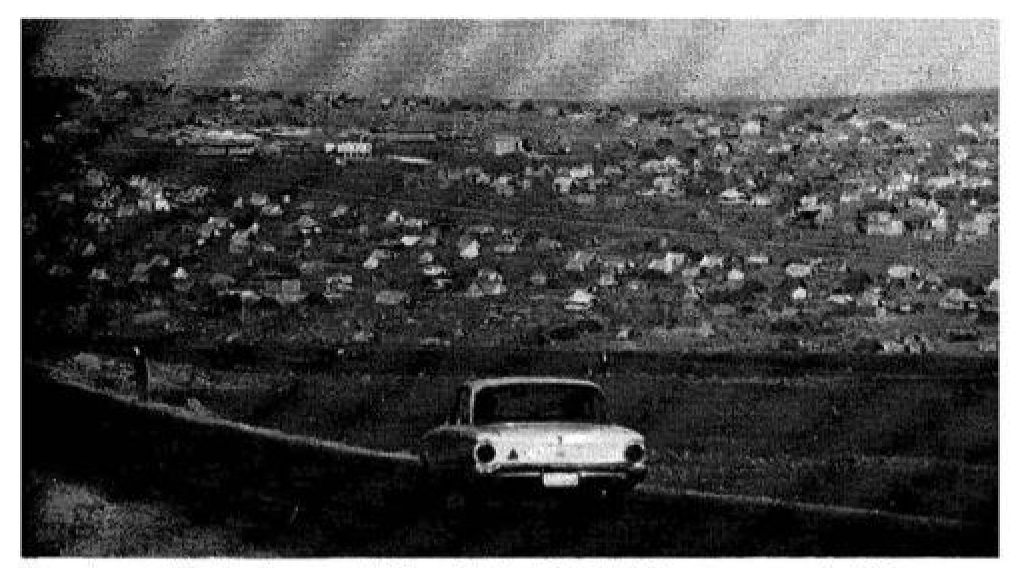
الى اليمين : قوائم خشبية تمثل مشروعا لم يتم . لقد ارادوا أن يقيموا للاجئين منازل ثابتة ولكنهم رفضوا وقالوا: لا نريد ان نقيم تحت سقف بناء ، نريد أن تظل الخيام مأوانا .. لان البناء معناه الاستيطان ونسيان الاوطان .

في الطريق الى المدرسة الخيمة ، وقفت فتيات في عمر الزهور ترتدي كل واحدة منهن زيا يختلف عن زي زميلاتها ، لم تمنعهن معيشتهن القاسية تحت الخيام من الدراسة وتحصيل العلم . فالعلم أصبح سلاحا لكل نازح .





كوب من اللبن توزعه وكالة غوث اللاجئين التابعة لهيئة الامم المتحدة على اطفال المخيم ، ومع كل رشفة من هذا الكوب يخيم الاسى والحزن على قسمات وجوه هؤلاء الاطفال الابرياء .. انه كوب الذل الذي يسقونه حتى الثمالة.



عشرة آلاف نازح يعيشون تحت الخيام المتناثرة على الجبل في منطقة الحصن .. ان هؤلاء النازحين يواجهون ال
العام الماضي تجنب كوارث كثيرة عن طريق اقامة مخيمات النازحين في غور الاردن الدافيء ، ولكن كثرة القتلى
من المستحيل عودتهم الى الاغوار هذا العام .. وعندماتهب عاصفة ثلجية تذكر أن أخوة لك يعيشون تحت خ

بالجملة نظرا لشدة برده وصقيعه ، فقد كان رد النازحين على الاقتراح بانشاء منازل لهم ، بالقول : « لا .. لا نريد أن نقيم تحت سقف مبنى .. نريد ان تظل الخيام مأوانا .. لأن البناء معناه الاستيطان ونسيان الأوطان .. ونحن نريد العودة .. اننا سنغالب الطبيعة بارادتنا ، وسنقاوم الموت بعزيمتنا وسنعيش .. ان منظر بؤسنا وعارنا تحت الخيام هو الذى سيدفعنا الى تقديم اطفالنا وشبابنا ليصبحوا فدائيين .. انه يجعلنا نشعر بالمرارة ويستحثنا على العمل من اجل العودة الى أرضنا .. » .

اذهبوا الى حيفا ويافا

واتجهنا الى اكبر معسكرات اللاجئين ـ معسكر البقعة ـ الاف الخيام متناثرة على امتداد البصر .. وقررنا التجول بين هذه الخيام ، وما كدنا نشرع فى التجول حتى التقينا بشيخ مسن ، وكان ثائرا هائجا ، لم يترك لنا فرصة للسلام او الكلام .. اذ انطلق يصرخ فينا قائلا : « ماذا تريدون منا .. الا يكفينا ما حل بنا .. اتركونا وشأننا ، واذا كنتم تريدون التقاط الصور فاذهبوا الى القدس ويافا وحيفا ، صوروا هناك من تشاؤون من الصهيونيات فهن كثيرات .. فى القدس تجرى عملية تدنيس المساجد والمقدسات .. ولا نجد منكم الا صورا ومقالات تنشرونها على صفحات جرائدكم ومجلاتكم .. لماذا لا تذهبون وتصورون الحرم الخليلي بعد أن تدنس هو الآخر .. اذهبوا وصوروا نساءهم ، واتركونا وشأننا .. » .

وتقدمت مجموعة من الشباب لانقاذنا من الشيخ الثائر ، وهم يقولون له : « هؤلاء اخوة عرب .. وليسوا أجانب .. ان هذه الصور سوف تستخدم لصالح قضيتنا لا للدعاية ضدها .. » .

وتهدأ ثورة الرجل الكبير ، وننطلق بجورنا نتجول بين الثلاثة الآلاف خيمة التي يعيش تحتها ٣٢ الف انسان .. أو لعل الأجدر بنا ألا نستعمل كلمة « يعيش » فى هذا الاستطلاع ، فهي لا تنطبق على الواقع ، اضف الى ذلك أن الذى يعيش فى تلك الخيام انما هو صورة مجسمة للألم والبؤس والذل والشقاء التي ابتليت بها الكرامة الانسانية وعزة النفس العربية ..

أول دراسة علمية عن اللاجئين

ومن المؤسف أن الباحثين الاجتماعيين العرب لم يقدموا لنا أية دراسة علمية اجتماعية وافية



شتاء قاسيا في اماكن اقامتهم الحالية .. لقد امكن في النازحين نتيجة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة جعلت بالية دون أى حماية ، الا حماية الله .

عن اللاجئين وأسباب نزوحهم ، حتى كان العام الماضي ، عندما قصد مجموعة من الطلبة العرب المتخصصين فى علم الاجتماع ، فى الجامعة الأمريكية ببيروت، يرافقهم اثنان من الاساتذة ، هما الدكتور حليم بركات والدكتور بيتر ضود ، فاقاموا ٢١ يوما مع النازحين، واصدروا أول دراسة اجتماعية علمية عربية بعيدة عن المبالغة والتهويل .

ان جمع المعلومات واعداد دراسة عن النازحين، من الأمور الشاقة الصعبة ، لهذا ظل حديث الصحف والمجلات يدور دائما حول كتابة المقالات الشاعرية عن « جراح اللاجئين ومأساة اللاجئين » .. اما التعمق في دراسة المشكلة فلم يظهر الا في شكل هذا التقرير ، الصغير ، انتظارا لتقرير اوسع واشمل سيصدر قريبا .

عقلية الخيام والرحيل ؟!

ويحاول البعض أن يتفلسف ويقول : ان هؤلاء الناس أصبحت لهم عقلية خاصة ، فرضتها ظروف الحياة التي تعودوها .. الا وهي « عقلية الخيام والرحيل » .. ويفند التقرير هذه المغالطة فيقول : ان نسبة النازحين من ديارهم للمرة الأولى بلغت ٦١٪ وهؤلاء كانوا يملكون منازلهم وارضهم ويعيشون فى ٤٥ قرية ومدينة فى الضفة الغربية .. ويذكر التقرير ان الذين كانوا يعيشون لاجئين منذ عام ١٩٤٨ ونزحوا للمرة الثانية لا تتعدى نسبتهم ٢٧٪ فقط من مجموع النازحين..

لماذا نزحوا ؟

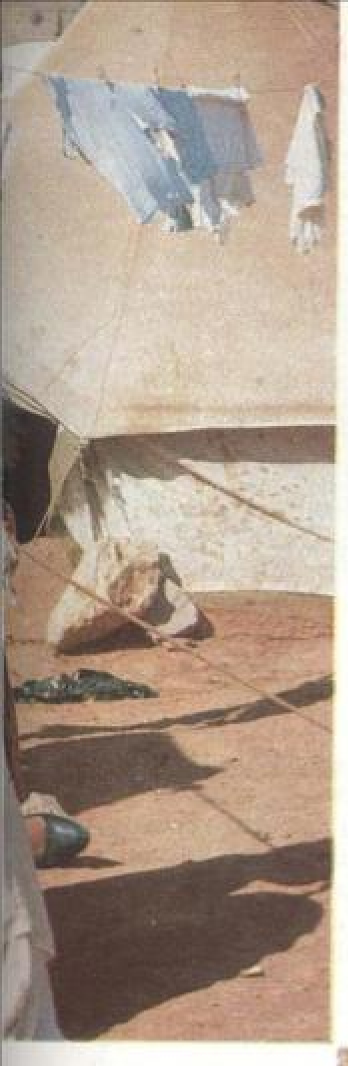
اما الأسباب المباشرة التي تسببت فى النزوح فيأتي في مقدمتها : هدم القرى والمنازل وطرد اهلها مثل ما حدث فى قرى عمواس وبيت نوبا ويالو وبيت حنينا ،وبيت فجار، والنبي صموئيل، وبير نبالا .. هذا عدا الذين هدمت منازلهم أو طردوا من بيوتهم ، كما حدث فى القدس وبيت لحم وطولكرم وغيرها ..

وكان السبب الثاني للنزوح هو : الخوف .. الخوف من مذبحة شبيهة بمذبحة دير ياسين .. والخوف من القبض على الشباب .. والخوف من انتهاك العرض .. واخيرا الخوف من الطائرات.. فقد كانت الطائرات تنخفض الى ارتفاع خمسة امتار وتلقى قنابل النابلم بوحشية وقسوة .

لم نكن نعرف شيئا عن النابلم

ويروى سامي عويضة (٤٥ سنة) الذى كان يعمل مساعدا لرئيس بلدية اريحا قصة «الخوف» الذى استبد به بقوله : ذهبت مع فرقة الاطفاء الى المعسكر ٨٨ الذى كان يحترق فى اريحا .. لم نكن نعرف انه النابلم .. الماء لم يؤثر فيه .. كل شيء ظل يحترق .. كان بعض الجنود الذين اشتعلت النار فى اجسامهم يقذفون بانفسهم امام خراطيم المياه ليطفئوا لهيبها .. ولكنهم ظلوا يلتهبون .. صراخهم كان يصل الى عنان السماء .. لم يكن احد من رجال الاطفاء مدربا على مكافحة نيران النابلم .. » .

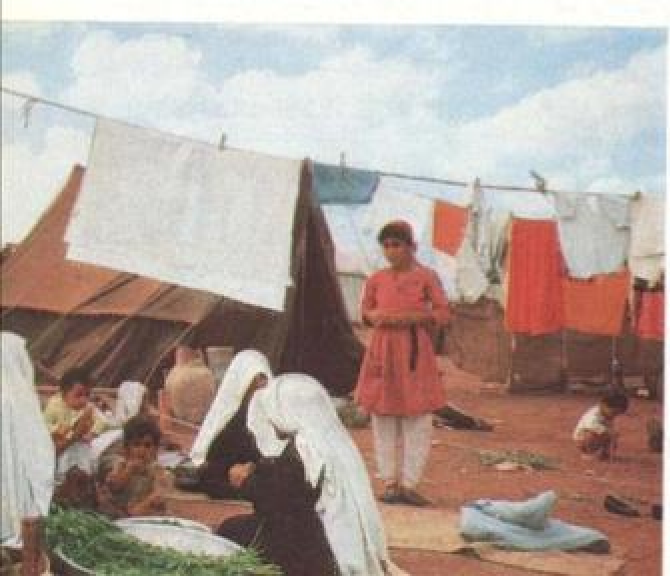
وترك « عويضة » داره فى أريحا واتجه مع اسرته وعبر الجسر .. وساروا فى الطريق .. « وشاهدت طائرات تنقض علينا كالنسر ، والقينا بانفسنا على الأرض وفجاة وجدنا انفسنا وسط النيران .. الأولاد يشتعلون انا بدأت اشتعل .. حاولت أن أفعل شيئا ولكن على غير جدوى .. النار تأكل اجسادنا وتحيط بنا من كل جانب .. حملت ابنى (٧ سنوات) وكان جسمه كله شعلة





بعد نكسة ٥ حزيران ،
كان يعبر نهر الاردن يوميا
نحو عشرة الاف نازح من
قرى ومدن الضفة الغربية
الى الستة مخيمات التي
اقيمت في الضفة الشرقية
.. وكان مجموع النازحين
نحو نصف مليون شخص
.. وعلى هاتين الصفحتين
خمس صور توضح حياة
الشقاء والذل والتعاسة





التي يعيشها هؤلاء النازحون، الذين يصارعون اليوم العواصف الثلجية والسيول التي تجرف خيامهم .. ومن خلال هذا الشقاء والبؤس يولد كل يوم ابطال وفدائيون جدد، نذروا ان تكون اجسادهم هي الجسور التي سيعبر من فوقها العائدون الى وطنهم السليب ..

من نار وقذفته خارج دائرة النار .. وقذفت بناتي بعد أن عرّتهن النيران من ثيابهن .. كانت النيران تلتصق بيدي ووجهي ، وعادت الطائرات تنقض علينا ، استلقيت على ظهري .. أبصرت الطائرات تنقض علي : ثم هبطت حتى حسبت أن عجلاتها ستمر فوق جسمي .. رأيت الطيار ينحني ويتطلع الي ويقهقه ! ووصلنا الى كفرين .. وبعدها ماتت بناتي الواحدة تلو الأخرى لعدم وجود اخصائي لمعالجة حرقى النابلم .. وبقينا انا وابني لتروى هذه المأساة » .

النابلم .. النابلم

ولا نظن أن هذه المأساة في حاجة الى تعليق . ولم تكن مأساة « عويضة » وحده ، وانما كانت مأساة المئات والألوف من ضحايا النابلم .. ماذا أعددنا لحرب النابلم ، هل انتهت حربنا مع اسرائيل ؟ هل انتهت المشكلة التي عشناها طوال العشرين عاما الماضية ؟ والجواب : لا بطبيعة الحال .. اذن فالحرب بيننا وبين العدو الرابض قائمة ومستمرة والعودة اليها حتمية ، ذكرى قنابل النابلم المحرقة ما زالت تسيطر على عقولنا ، والعدو المتربص يهدد ويتوعد انه اذا نشبت الحرب من جديد فسوف يضربنا بسلاحه الحارق المهلك .. ولقد اكدت الاحداث انهم جادون في تهديداتهم ففي العدوان الاخير على السلط استعملت اسرائيل النابلم مرة أخرى ، وسوف تستعمله مرة ثالثة ورابعة ..

أين دراسات الاطباء عن النابلم ؟

نحن نسأل : ما الذي يعرفه اطباؤنا عن علاج حروق النابلم ؟ .. لقد سنحت الفرصة أمام مجموعة كبيرة من اطبائنا لمعالجة مصابى النابلم فى مستشفيات دمشق وعمان ، فهل لهم ان ينشروا اقتراحاتهم على شكل واسع ؟ ومهزلة تجارب الدفاع المدني التي نقوم بها ، هل يمكن ان نحولها الى الواقعية ونتدرب على اطفاء حرائق النابلم .. لا بد أن هناك وسيلة فعالة لهذا .. خاصة ان راديو اسرائيل يهددنا فى اذاعته بقوله : اذا قامت حرب جديدة فان ما سيصيب المدن العربية سيكون هائلا مرعبا .. » .



الحاجة ماسة الى مزيد من العناية بالشباب فى مخيمات ... « قاعة المطالعة » تحوى مختلف أنواع الكتب التى تتحدث ... والامريكي البشع !! اما عدد المطالعين فقليل نسبيا لـ... التحرير ..

يجب أن نستعد لحرب النابلم

ان النابلم ستستعمله اسرائيل على نطاق واسع فى حربها القادمة لهذا تطالب نقابات الأطباء ووزارات الصحة فى بلادنا العربية أن تعمل على توفير اقسام للمصابين بالنابلم فى كل مستشفى ، حتى لا تتكرر مأساة مصابي النابلم فى مستشفيات دمشق وعمان .. يجب أن نستعد لحرب النابلم كما لو كانت ستقع غدا ! .

السرعة اذهلتنا .. فنزحنا

وعدنا بدورنا نسأل النازحين : لماذا هجرتم بلادكم ؟ فاجابونا : لم تكن مهيئين لأى احتمال الا النصر : كنا نعتقد انه على الأبواب .. كنا نثق فى العودة .. كنا ندمن الاستماع الى الاذاعات العربية « ونؤمن بكل كلمة نسمعها» وفجأة انهارت آمالنا واحلامنا بسرعة اذهلتنا فلم يكن امامنا مجال للتفكير في مصيرنا .. لقد وجدنا انفسنا نسير بسرعة نحو الجسور لنعبر النهر الى الضفة الشرقية .. » .

لماذا لم يرجع أحد ؟

وفى اثناء كتابة هذا الاستطلاع أعلنت اسرائيل

النازحين ، وفي مركز الشباب في المخيمات أصبحت
عن الفداء وجيفارا والثورة الفلسطينية وكفاحي لهتلر ،
أغلب الشباب أصبحوا أعضاء في ، « فتح » ومنظمة

انها تفتح أبوابها لسبعة آلاف لاجيء حتى يعودوا الى ديارهم ، الى الضفة الغربية .. ولم تلق هذه الدعوة اى استجابة ، فلم يعبر النهر الا ٧٠ شخصا فقط ، اما بقية السبعة الالاف نازح فكان ردهم : « على أى أساس نعود ؟ .. ومن الذى يضمن لنا انهم لن يعتقلوا شبابنا ، ويسوقوهم والرشاشات فى صدورهم ؟ .. من الذى يضمن لنا انهم لن ينسفوا منازلنا لمجرد الاشتباه .. ويمنعونا من الانتقال الا بتصاريح مرور .. ويحظروا علينا الخروج من منازلنا والتجول لعدة أيام كما حدث فى القدس وغيرها من مدننا المحتلة .. كل هذه العوامل والضغوط الارهابية تجعل من عودتنا امرا مستحيلا .. » .

الطلبة ضائعون

ومن خلال الآلام والشقاء يلمع عنصر هام يبعث على الأمل .. انه التعليم .. فهناك اجماع من النازحين على ضرورة تعليم اولادهم بأى وسيلة .. وفى مخيم البقعة أحصينا عدد المباني المدرسية فوجدناها ٥٨ خيمة كبيرة تضم ٥٨ فصلا يتبعون عشر مدارس : ست منها للذكور وأربع للاناث ..

ان مشاكل التعليم تحت الخيمة ـ رغم تعددها وكثرتها ـ تتضاءل كلها أمام مشكلة الكتب المدرسية المحظورة .. فهناك مجموعة من كتب الجغرافيا والتاريخ حذفتها منظمة اليونسكو العالمية ، لأنها تحوى مواد تتحدث عن اسرائيل بأسلوب لا ترضى عنه المنظمة الدولية العالمية ، لأجل هذا تراها تحجز الكتب وتمنع تعليمها بحجة أنها رهن تدقيق وفحص المختصين .

وهكذا يذهب هؤلاء الطلبة ضحية اليونسكو ، لأن امتحانات نهاية العام الحكومية تشمل المواد التى تحويها هذه الكتب الممنوعة .. ان الحكومة لا تعبأ باعتراض اليونسكو ، واليونسكو لا تعترف بكتب الحكومة .. والطلبة النازحون ضائعون بين الاثنين ..

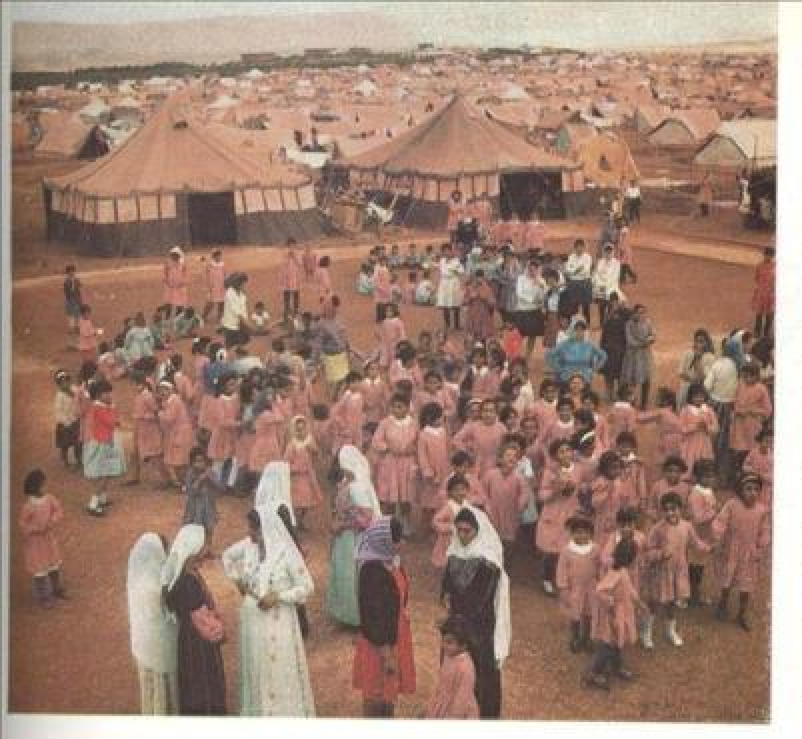
المعركة ليست عسكرية فقط

ان الحديث عن اللاجئين ومأساتهم كثير وطويل حتى اصبح مجموع ما كتب عنهم بمثابة اكبر مجلد فى هذا العالم ! ان أول من سئم من احاديث الرثاء والنواح هم اللاجئون أنفسهم .. وقد انعكس هذا الضجر فى المقابلة الخشنة التي يستقبلون بها الصحفيين ، والزوار الأجانب ، وخاصة الأمريكيين منهم ..

لقد أصبح اللاجئون يعرفون أن العودة لن تتم الا بقوة السلاح ، ولكن المعركة ليست عسكرية فقط وانما معها حرب نفسية هائلة تجعل اهل الاردن يعيشون على أعصابهم . فالدعاية الاسرائيلية تجند كل امكانياتها مستعينة بالاخصائيين فى علمي النفس والاجتماع من أجل احداث البلبلة بين مختلف فئات هذا الشعب الثابت ، والاذاعة والتلفزيون الاسرائيليان لا يكفان عن التشكيك وبذر بلور الفرقة بين الأخ واخيه .. حتى المقالات « البريئة » فى الصحف العالمية الكبرى التى تعالج موضوعات الاردن تخفى بين سطورها سما زعافا لهدم الشعب الاردني وتحطيم معنوياته .

اين السائح العربي ؟

ان دور الدول العربية فى مساعدة الاردن يعتمد على السطحية ، فالاردن ليس فى حاجة الى دعم مادي وعسكرى فقط ، وانما فى حاجة الى دعم اعلامى وسياحى .. « فقد خسرنا ٧٥٪ من المناطق



٢٥٠٠ طالبة وتلميذة
٣٣٠٠ طالب يتلقون تعليمهم
تحت ٥٨ خيمة في معسكر
البقعة .. والمنهاج المقرر هو
منهاج وزارة التربية الاردنية،
ولكن منظمة اليونسكو منعت
تدريس بعض الكتب المدرسية
لأنها تتحدث عن اسرائيل
بأسلوب لا توافق عليه المنظمة
الدولية ، فأصبح العبء على
التلاميذ مضاعفا .. فهم
يمتحنون في مواد لم يتعلموها
.. والى جانب هذا يعاني
الشباب من عدم وجود اماكن
لمراجعة دروسهم .. اما من
الناحية الصحية فأكثر ما
يضايقهم البراغيث المنتشرة في
طول المخيم ..

يتلقى الاطفال النازحون تعليمهم تحت الخيام ، وفي قاعات مزدحمة .. ولمواجهة الاعداد الهائلة من التلاميذ تقرر جعل الدراسة على فترتين في الصباح وبعد الظهر .. والتعليم ابتدائي واعدادي فقط ..



الى اليمين : فتاتان تتعلمان التطريز تحت الخيمة التي اقامتها جمعية الراوا .. وهي احدى الجمعيات التي تضم سيدات من مختلف الجنسيات ، والتي تعمل على مد يد المساعدة للفتيات النازحات بتعليمهن الخياطة وتربية الطفل والتدبير المنزلي والزراعة في الحقل ..



الى أعلى : بعد الكوارث التي حلت بالاردن واهله ، ظهرت مشاكل اجتماعية لا حصر لها .. ومنذ عامين فتح معهد الخدمة الاجتماعية بالتعاون مع هيئة الامم المتحدة ، ومنظمة الاطفال العالمية ، ابوابه ليستقبل الطالبات والطلاب الراغبين في التخصص في حقل الخدمة الاجتماعية .. ومدة الدراسة في المعهد سنتان بعد التوجيهي ، وقد تخرج اول فوج منه في السنة الماضية وضم ٣٠ طالبا وطالبة .. وفي الصورة بعض اعضاء المعهد خلال حفل السمر الذى أقيم عند تخرج الدفعة الاولى منهم في عمان

التي لها قيمة روحية .. وفقدنا ٨٥٪ من تجهيزاتنا من فنادق سياحية وادلاء ، عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧ » هكذا قال لنا السيد غالب بركات مدير عام السياحة الأردني .. الذى يستطرد قائلا : « ولكننا في الوقت الذى نسعى فيه لتخليص ارضنا المغتصبة نمسك بالسلاح في يد ونعمر باليد الاخرى .. اننا نعمل الآن على صقل « بترا » تلك الجوهرة السياحية ، التي يمكن أن نحييها اذا ما توافر لدينا مبلغ مليون دينار لتنفيذ مشروع اقامة منتزهات واماكن سياحية .. ان هذا المشروع الذى انتهت دراسته يمكننا من استقبال عشرة آلاف سائح يوميا .. اننا ننتظر من المواطن العربي أن يأتي الينا سائحا واخا كريما .. ليساعدنا في محنتنا » .

وهكذا تركنا الاردن في معارك مستمرة متنوعة ، معارك من أجل صيانة الجبهة الداخلية وتأمين ما يلزمها من سكن ومنع انتشار المرض .. ومعارك من أجل النهوض بالاقتصاد والسياحة .. ومعارك مع الدعاية الاسرائيلية المركزة لهدم معنويات هذا الشعب الثابت .. وقبل كل هذا وذاك معركة الفداء ضد اسرائيل .

.. نحن بخير .. طمنونا عنكم

وفي كل مساء ترتفع من اذاعة العدو أصوات لاخوة واشقاء تنادى أسرها تقول : « انا فاطمة عبد الرحمن اهدى سلامي الى اخي واختي وعمتي وارجو ابلاغ سلامي الى عمي في لبنان وخالتي في سوريا ، والى اخي في عمان نحن بخير طمنونا عنكم بواسطة الاذاعة » .

ويستمع الأهل الى صوت العائلة الممزقة وينفتح الجرح العميق .. وفي سكون الليل – كل ليل – يولد أبطال عرب جدد .. وتتابع الضربات الانتقامية ضد اسرائيل .. انهم الفدائيون الذين وهبوا أنفسهم من أجل استعادة بعض الكرامة العربية التي ضاعت في التراب .. ■■

سليم زبال

في التشريع الإسلامي

مَقاصِدُ الشَّارع

مِنْ أَحْكامٍ شَرَّعَها

بقلم : محمد نجيب بكير

■ للشارع مقاصد من الاحكام التى شرعها ، سواء اكانت مامورات ام منهيات .

المامورات هي التي يجب اتيانها ، والمنهيات هي التي يجب الامتناع عنها .

والمقصد من تشريع الحكيم للاحكام هو حفظ مصالح الناس ، بجلب النفع لهم ودفع الضر عنهم . ولا يخفى انه لا يراد بالنفع مايراه الانسان نفعا له ، ولا بالضر مايراه الانسان ضارا له . بل يقصد به مايراه الشارع نفسه ضارا او نافعا ، لان الانسان قد يرى السرقة وقتل الخصم وشرب الخمر ونحوها من المنهيات التى تميل النفس اليها ، نفعا له ، وان كان فيها ضرر له وللمجموع . وكذلك قد يرى الشيء ضارا به وان كان فيه نفع له وللمجموع ، وذلك نحو اخراج الواجب من الزكاة فانه يرى فيه نقصا لمالهِ ، ويرى بيع السلعة بالثمن المعقول فى اوقات حاجة الناس اليها ضارا به وان كان فيه نفع للمجموع ، ويرى شرب الخمر نفعا له مع انه ضار" به وبالمجموع . وهكذا ، لو تتبعنا احكام الشريعة لوجدنا انها معللة بما يتفق مع مصالح الناس .

انواع المصالح التى يقصد اليها الشارع فى تشريعه

والمصالح التى يقصد اليها الشارع فى تشريعه ويعمل على تحقيقها اولا ، والمحافظة على بقائها ثانيا ، ثلاثة انواع بحسب الاستقراء العقلي والواقعي وهي :

ــ الضروريات

ــ والحاجيات

ــ والتحسينيات

والمقاصد الضرورية هي الامور التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية او الدنيوية ، بحيث



لو لم توجد تختل الحياة في الدنيا ، ويفوت النعيم في الاخرة ، بل ويحل العقاب . وهذه الضروريات تنحصر في خمسة أشياء : الدين والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

وكل الشرائع التي جاءت لاصلاح الخلق لم تهمل المحافظة على هذه الاشياء

وطريق المحافظة عليها يكون من ناحيتين :

الاولى ـ تحقيقها وايجادها

الثانية ـ المحافظة على بقائها

فالدين : وهو يشمل اركان الاسلام الخمسة (شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج للمستطيع) يكون تحقيقه بهذه الاشياء ، وتكون المحافظة عليه بمجاهدة من يريد ابطاله واجتياح بلاد اهله ، وعقوبة من يرتد عنه ، ومن يبتدع فيه ماليس منه .

والنفس : يكون تحقيقها وايجادها بالتزاوج الذى يدعو الى ابقاء النوع ، والمحافظة على بقائها تكون بفرض العقوبات على قاتلها ، وهو القصاص، وتعزير من يمتنع عن الغذاء ليموت ، كما تكون بتناول ما تحتاج اليه البنية من غذاء ودواء .

والعقل : اذ وهبه الله للانسان ، طالبه بما يحفظه عليه فمنعه من شرب الخمر ، وأمر بعقوبته اذا لم يمتثل

والنسل : شرع لاقامته الزواج ، وشرع للمحافظة عليه حد الزنا وحد القذف . وقياسا على ذلك يجب ان توضع عقوبة لمن يقوم بتعقيم النساء لغير ضرورة محققة .

والمال : شرع لاقامته السعي في طلب الرزق والمعاملات المالية بين الناس ، وشرع للمحافظة عليه حد السارق بقطع يده ، وتضمين الصناع اذا اتلفوا ما طلب منهم صناعته ، وتحريم اتلاف مال الغير ، وتضمين ما اتلفه ، والحجر على السفيه وذى الغفلة ، وتحريم الربا ، وغير ذلك مما يترتب عليه حفظ المال وحمايته مما يدنسه .

المقاصد الحاجية

اما المقاصد الحاجية فهي الامور التي يحتاج اليها الناس لرفع الحرج ودفع المشقة عنهم ، واذا فقدت لاتختل حياتهم كما هو الحال في الضروريات، بل ينالهم من فقدها الحرج والمشقة. واذا تتبعنا جميع ابواب التشريع الاسلامي من عبادات ومعاملات ، وجدنا دفع الحرج بارزا فيها، وكذا نجدها في العادات .

ففي العبادات نجد الشارع رخص في قصر الصلاة للمسافر ، وأباح الفطر في رمضان للمريض والمسافر ، واذن في الصلاة بالقعود للمريض الذى لايقدر على الوقوف ، واباح التيمم لمن لم يجد الماء، والاتجاه لغير القبلة لمن يصلي في السفينة اذا غيرت اتجاهها عن القبلة التي بدأ صلاته اليها ..

وفي المعاملات : قد اباح السلم مع أن احد العوضين غير موجود ، كما اجاز الاستصناع والاجارات ، والمزارعة مع أنها لا تتوافر فيها الشروط العامة التي يوجب القياس توافرها ..

وفي العادات : أباح الصيد ، واباح التمتع بما حل من لذيذ الطعام والشراب ، وما جمل من اللباس والمسكن والمركب .

وفي العقوبات : شرع درء الحدود بالشبهات ، والتلاعن عند قذف الرجل زوجته ، والدية على العاقلة (وهى القبيلة) تخفيفا عن القاتل خطأ .. ونحو ذلك من التخفيفات التي وردت في الشريعة.

المقاصد التحسينية

واما المقاصد التحسينية فترجع الى ما يحسن حال الناس ، ويجعلها على وفق ماتقتضيه مكارم الاخلاق ، وهذه توجد في العبادات ، والمعاملات والعادات ، والعقوبات .

ففي العبادات : شرع وجوب التطهر للصلاة ، من النجاسات الحسية والمعنوية ، وستر العورة، ولبس ماجمل من الثياب عند دخول المساجد ، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والصلاة والصوم ..

وفي المعاملات : شرع الامتناع عن بيع النجاسات، وما فضل من الماء والكلأ . كما حرم الغش ،

والتفرير ، وبيع الانسان على بيع أخيه ، وعن تلقى الركبان خارج الاسواق .

وفي العادات : حثنا على الاخذ بآداب الاكل ، كالتناول باليمين ، وان يأكل الانسان مما يليه لامما يكون امام غيره ، وتجنب الاسراف والتقتير ، وترك المآكل الخبيثة .

وفي العقوبات : شرع عدم قتل الحر بالعبد ، ومنع التمثيل بالقتيل قصاصا او في الحرب.وحرم قتل الرهبان والصبيان والنساء في الجهاد ..الى غير ذلك من كل ماهو من مكارم الاخلاق .

مكملات لانواع المقاصد الثلاثة

وقد اقتضت الحكمة التي دعت الشارع الى تشريع احكام تحفظ هذه الانواع الثلاثة ـ الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينيات ـ ان يشرع احكاما تعتبر مساعدة لهذه الاحكام ومكملة لها في تحقيق هذه المقاصد الثلاثة .

فلما شرع في الضروريات لحفظ الدين «الصلاة» شرع احكاما اخرى تعتبر مكملة لها في حفظ الدين واقامته على اكمل وجه ، وتلك الاحكام الاخرى هي انه شرع اداءها جماعة وان يسبقها اذان للاعلام بوقتها حتى يجتمع الناس لادائها .

ولما شرع للمحافظة على النفس (القصاص) ، شرع مكملا له التماثل فيه ، فالقاتل بالمقتول لازيادة ولاتمثيل ، ليكون في ذلك البلوغ الى المقصود ، وهو ردع الناس عن القتل ، من غير ان يكون فيه اثارة للعداوة التي قد تنجم عن عدم التماثل .

ولما شرع للمحافظة على النسل (الزواج) ، شرع مكملا له اعتبار الكفاءة بين الزوجين ليكون ذلك ادعى الى حسن العشرة ودوام الالفة ، كما شرع النظر الى المخطوبة ، وعدم الخلوة بها ، للذريعة الى المحرم .

ولما شرع لحفظ العقل « تحريم الخمر » ، والحد على شربها ، شرع حرمة القليل منها وان لم يكن مسكرا ، سدا للذريعة الى الكثير .

ونتج عن هذا ان شرع احكاما تعتبر وسيلة الى الواجب ، أو وسيلة الى الامتناع عن المحرم ، فكانت الاولى من قبيل مالايتادى الواجب الا به فهو واجب ، وكانت الثانية من قبيل ما يكون وسيلة الى الحرام فهو حرام .

وفي الحاجيات : لما شرع أنواع المعاملات من بيع واجارة وشركة وغيرها ، شرع مايكملها محافظة على تمام المقصود وذلك كنهيه عن الغرر ، وعن بيع المعدوم ، وعن جهالة المبيع ، وجعل للمشترى خيار الرؤية ، ولكل منهما (للبائع والمشترى) خيار الشرط ، وبيّن ما يصح من الشروط في العقود ومالايصح .. الى غير ذلك مما يكون المقصود منه سد حاجة الناس دون ان ينشأ عنه احقاد وخصومات .

وفي التحسينيات : لما شرط الطهارة الحسية والمعنوية في العبادات ، شرع ما يكمل ذلك ، وهو الاتيان بما ندب اليه فيها مما ليس فرضا في الطهارة . ولما ندب الى التطوع جعل الشروع فيه موجبا له حتى يتربى المكلف على الوفاء بما عاهد عليه ، ويقلع عن ابطال ما بدأه من اعمال . ولما شرع الضحية ندب الى تخيرها ، ولما ندب الى التطوع بنوافل الصدقات شرع تحرّى الوسط في المال للانفاق«ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون» .

هل يجوز الاخلال بالمقاصد الثلاثة ؟

ليس كل نوع من انواع المقاصد الشرعية الثلاثة مستقلا بنفسه ، فالضروريات تتكمل بالحاجيات والتحسينيات والحاجيات تتكمل بالتحسينيات. ولهذا كانت الضروريات اصلا للمقاصد الشرعية كلها ، ومن أخل بها فقد اخل بما عداها حتما ، اما من أخل بالحاجيات والتحسينيات فانه وان لم يكن مخلا بالضروريات يكون بسبيل الاخلال بها ، لانه كالراعى الذى يرعى حول الحمى ، فانه يوشك ان يقع فيه ـ ولهذا كانت المحافظة على الحاجيات والتحسينيات ضربا من ضروب المحافظة على الضروريات . وانما كان من أخل بالضروريات مخلا بالحاجيات والتحسينيات لان الضروريات كالفرائض ، والحاجيات كالنوافل ، والتحسينيات كالامور التى هي دون النوافل ، وبدهي أن من ترك الفرائض كان اجرأ على ترك ما هو دونها .

النتيجة .. والقاعدة

يتنج من كل ما قدمنا أن الضروريات أهم هذه المقاصد اذ يتوقف على تحققها نظام الحيـاة ، ويترتب على فقدها الاخلال بهذا النظـام ، اما الحاجيات فلا يتـرتب على فقدهـا الا الحـرج والضيق فى الحياة ، والتحسينيات لايترتب على فقدها اخلال بنظام الحياة ولاحرج فيها ، ولكن يترتب على فقدها خروج الناس من مناهج الكمال فى الحياة .

وبناء على ذلك تكون الاحكـام التي شـرعت للمحافظة على أنواع المقاصد الثلاثة تابعة فى الاهمية لهذه المقاصد . فالاحكام التي شرعت للمحافظة على الضروريات أهم من التي شرعت للمحافظـة على الحاجيات والتحسينيات ، وكل واحدة من الاخريتين مكملة للتى فوقها ، كما انهما جميعـا مكملتان للضروريات .

القاعدة التشريعية

يمكننا ان تخلص بقاعدة تشريعية مما قررناه : هي أن الاصل مقدم على المكمل . ولا يخفى أن هذه القاعدة تقضى بها البداهة ، وعلى هذا لايصح أن يعني بالمكمل الى الحد الذى يبطل به الاصل .

وحينئذ لا يصح أن يراعى حكم تحسيني اذا كان فى رعايته ابطال حكم حاجي أو ضروري ، فستر العورة من التحسينيات ولكن ابيح كشفها اذا اقتضى ذلك عملية جراحية او تشخيص مرض او علاج ، لان المحافظة على النفس ضرورى ، ومـا ادى الى ذلك ضرورى . وكذلك ابيح اكل الميتة للمضطر لان التحرز عن خبيث المطعومات تحسيني، والمحافظة على النفس ضرورى .

كذلك لايراعى حكم حاجي اذا ادى ذلك الى الاخلال بحكم ضرورى . فرفع الحرج حاجي ، واداء الفرائض ضرورى ، فاذا كان نوع من انواع رفع الحرج يؤدى الى الاخلال بفرض اهدرنا الاول. والشارع لما كلف الناس التكاليف كان يعلم ان فى هذه التكاليف نوعا من المشقة ، ولو أراد رفعه لما كلف الناس بالفرائض ، ولكنه أهدر رعاية هذا النوع من الحرج فى سبيل اقامة الفرائض التي هي من الضروريات فالصلاة ضرورية ، واستقبال القبلة حكم حاجي مكمل للضرورى ، فلا يصح أن تسقط الصلاة للعجز عن استقبال القبلة يقينا . ويكفى فيه الظن .

ومراعاة لهذا الاصل يلزم ان نعقد مناسبة بين الضروريات ، فاذا وجدنا ضروريا أهم من الاخر كان هذا الاخر بمنزلة المكمل ، فلا تصح المحافظة عليه اذا ادى ذلك الى الاخلال بما هو أهم منه .

وبناء على ذلك نجد أن المحافظة على النفس حكم ضرورى ، لانه شرع لامر ضرورى هو النفس. ولكن المحافظة على النفس قد تتعارض معالمحافظة على الدين اذا هجم علينا الاعداء ووجب علينـا مجاهدتهم ووجه المعارضة أن الجهاد مما يؤدى الى اهلاك النفوس ،وفى هذه الحال نهدر حكم المحافظة على النفس فى سبيل المحافظة على الدين ، لان المحافظة على الدين أهم .وكذلك ابيح شرب الخمر واكل المنهى عنه اذا اقتضتهما ضرورة المحافظـة على النفس .

.. وهكذا كل ضرورى اقل اهمية من ضرورى آخر يهدر حكمه فى سبيل الحكم الاخر لانه كالمكمل له ..

المبدأ العام وما يتفرع عنه

يخلص مما تقدم أن الشارع لاحكام الاسلام راعى فى تشريعه مبدأ عاما هو حفظ مصالح الناس ودفع الضر عنهم ، وذلك يكون بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسينياتهم .

وهذا المبدأ العام ينشأ عنه عدة مبادىء يعتبر كل واحد منها قاعدة شرعية نجمل أهمها فيما يلي:

١ ـ الضرر يجب أن يزال .

٢ ـ يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

٣ ـ الضرر لايزال بالضرر .

٤ ـ يرتكب أخف الضررين لازالة اشدهما .

٥ ـ الضرورات تبيح المحظورات .

٦ ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٧ ـ اباحة المحظورات اذا اقتضت الحاجيات ذلك .

نجيب محمد بكير

ليسانس وماجستير ـ حقوق القاهرة

مسلمات خالدات



عائشة حبيبة رسول الله بنت أبي بكر الصديق

بقلم : سنية قراعة

■ الله اكبر ....

هذا محمد الامين صلى الله عليه وسلم في فراشه، وقد استغرق في نومه . بعد يوم شاق من ايام الجهاد المضنى فى سبيل نصرة دين الله ، وابلاغ رسالته الكبرى .. وهذا جبريل عليه السلام يبدو لرسول الله في الرؤيا ، وفي يده سَرَقة من حرير اخضر فيها صورة لم تتجاوز صاحبتها مراحل الطفولة السعيدة ، ولم تخطر بعد نحو عتبات الشباب المبكر النضر .

وعجب سيدنا رسول الله للرؤيا الصادقة ، وانتبه من نومه وهو يكبر ويحمد الله ، ويتساءل فى عجب عما يمكن أن تعنيه تلك الرؤيا ؟ .

وجاء مع الصباح الوليد ، يوم آخر من ايام جهاده العظيم صلى الله عليه وسلم ، فشغلته شواغل الدعوة الكبرى .

وركب سفهاء قريش رؤوسهم ، وابوا ان يصغوا الى محمد أو ان يؤمنوا بما جاء به وهو الحق من عند الله ..

وتولى النهار .. واقبل الليل .. وغشيت الدنيا ظلماته .. وأوى محمد صلى الله عليه وسلم الى فراشه واحتواه نوم عميق ..

ومرة اخرى .. تبدت رؤيا الامس ثانية .. وانتبه الصادق الامين من نومه ، والرؤيا لم تزل بعد عالقة بخياله الشريف ثم كبر وحمد الله ، فقد بدات الرؤيا تتضح ، وراحت الحقيقة تبين ..

وجاء مع الصباح الوليد يوم آخر من ايام الجهاد الاعظم فى سبيل دعوة الحق ، فشغلته صلى الله عليه وسلم شواغل النضال ..

ومضى اليوم كامسه الذى ذهب ، واقبل الليل فى مواكب صمته ، وغشيت الدنيا ظلماته ، وعاد محمد صلى الله عليه وسلم الى بيته ، وأوى الى فراشه ولم يلبث ان احتواه نوم عميق ... ومرة

ثالثة .. تبدت للنائم العظيم رؤيا الامس والامس الذى قبله .. نفس السرقة الحريرية الخضراء وفيها نفس الصورة التي قدر على محمد ان يشهدها في رؤياه تلك للمرة الثالثة ..

ونشر جبريل السرقة ، وتبدت الصورة ظاهرة .. وعاد يقول للرسول الكريم .. : هذه زوجك في الدنيا وفي الاخرة ..

واذا .. وما دام الله المقدر الهادى ، قد اراد صاحبة الصورة الملتفة في السندس الاخضر ، زوجة لرسوله الكريم ، واما للمؤمنين ، فلتكن ارادته السامية ، وليفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء .. وصارح صاحبه الصديق بالامر كله ، ثم خطب اليه ابنته عائشة .

ما توقع ابو بكر الصديق هذا الامر ابدا ، ولا تصور حدوثه ، وانها لمفاجاة سعيدة ولا جدال ، ان يوثق الحق سبحانه رباط الاخاء بين الرجلين العظيمين ، برباط جديد هو رباط المصاهرة والنسب ، ولكن ..

ولكن عائشة الصغيرة كانت قد سميت من قبل لجبير بن مطعم بن عدى .. وان ابا بكر ليستشعر الحرج امام رسول الله ، ولا يجد ما يقوله ردا على طلبه يد عائشة الا ان يشرح له الامر ويرجوه ان يتكرم بامهاله بعض الوقت حتى يحل عائشة من جبير بن مطعم، ويحرر نفسه هو من وعده لصاحبه مطعم الذى قبل في يوم ما زواج ابنه جبير بعائشة.

واسرع ابو بكر ليحرر نفسه من الوعد ، وحل عائشة من ابن صاحبه ثم .. تمت خطبتها رضي الله عنها الى رسول الله .. وهي يومها صغيرة .. فبقيت في بيت ابيها الكريم حتى يحين الوقت الذى يريده الله ..

كان محمد صلى الله عليه وسلم قد فقد من قبل زوجه البارة ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فافتقر البيت النبوى من الروح العالي ، والشريكة البارة الحبيبة التى لحقت بربها راضية مرضية ، فتزوج الرسول من بعدها زوجه الثانية ام المؤمنين سودة بنت زمعة (١) وانه اليوم ليخطب عائشة استجابة للتوجيه وخضوعا للاختيار المقدس ثم ..

ثم ينسى محمد صلى الله عليه وسلم في غمرة جهاده ، امر الخطبة والمخطوبة ويدفع بقوة ايمانه، وحرارة يقينه ، موكب الجهاد الاعظم ليسير في طريقه المرسوم ..

وجن جنون قريش ،وثارت كوامن احقاد ساداتها اعداء محمد وحاسديه ..وركب السفهاء رؤوسهم، وقد رأوا ان السكوت على محمد ليس غير جرم رهيب في حق الصنم المعبود .. ومن هنا ، وامام الخطة الرهيبة التي استقر عليها تفكير جميع الحاقدين على الدين القويم والداعي اليه ، برزت فكرة الجريمة النكراء ، وهان الدم الزكى في عيون سفهاء قريش ، واستقر بهم الرأى في النهاية على ضرورة التخلص من محمد صلى الله عليه وسلم.

وبدات الفكرة الاجرامية تنفذ ساعية الى حيز العمل وتخرج من مستقرها المظلم الى مجال التنفيذ ، وحدد الكفار مكانها وزمنها وعينوا من سيقومون بتنفيذها ، ومكروا ، ومكر الله والله خير الماكرين ..

وامر الله سبحانه وتعالى رسوله بالهجرة من مكة ، الى يثرب ، مدينته صلى الله عليه وسلم المنورة بدينه ، المشرقة بدعوته ، فخرج اليها مع ابي بكر صاحبه وصهره ،فلقيته اعظم لقاءورحبت به اروع ترحيب ، فربط الاخاء بين انصاره والمهاجرين ، وآخى بين أوس يثرب وخزرجها وجعل من المسلمين جميعا ، وحدة متجانسة قوية، شديدة التماسك ، التفت حواليه صلى الله عليه وسلم،فكانتدرعالدعوة القوىوسيفها المسلول..

وهكذا دخل الاسلام مع الهجرة طورا جديدا مباركا من أطوار العزة والمنعة والقوة وعظم الشان فاليوم ، بحاضره العزيز ، وغده المشرق ،ومستقبله المستقر الدعم المرموق ..

وامام هذا الاستقرار الدعم الذى أراد الله ان تحققه الهجرة المباركة ، رأى سيدنا رسول الله، وصاحبه الصديق ، ان يبعثا في طلب اهلهما من مكة ، اذ لا مقام لهم هناك بين جموع الكافرين المتربصين ، فكان ان ارسلا لذلك زيد بن حارثة وعبد الله ابن اريقط ..

والتام الشمل .. وتجمع الاهل في رحاب يثرب المعتزة بوحدتها ، ومنعة المسلمين فيها ، وبدات الحياة تسير مسيرها الذى عهده جميع المسلمين.

وذات يوم ، ومحمد وصاحبه الصديق معا ،

---

(١) يروى أيضا أن عائشة كانت هى الثانية .

يتناقشان ، وجدها ابو بكر فرصة مواتية ليطرق باب حديث ما فكر قبل اليوم في الاقتراب منه ، نزولا على الظروف التي مرت بالدعوة العظمى وصاحبها العظيم .. وتكلم ابو بكر .. واصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسأله لماذا لا يبني باهله .

اجل .. لماذا لم يبن محمد باهله ، وماذا كان يمنعه ان يعرس بعائشة المطهرة ، التي شهدها في رؤيا صادقة ثلاث ليال متوالية .. انه لم يجد ما يقول لابي بكر الصديق غير الموافقة على رأيه ، والاستجابة لمشورته .

وهكذا ، بنى محمد بعائشة ، ودخلت بيته الكريم ، وهو اعرف الناس بها ، واكثرهم خبرة بطبيعتها فلم ينس انها لم تزل بعد صغيرة ، لينة العود ، فاخذها باللين ، وعاملها بالرفق ، ورعاها بالحنان ، وراح يحدوها ، ويعدها للدور العظيم الذى خلقها الله له ، باعتبارها اما من امهات المؤمنين .

وكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروسه كل اسباب الرعاية ، وهيا لها الجو الذى ارتاحت له ، وسكنت اليه ، وانها وهي في بيت الزوجية ، تعود بخيالها البرىء الى طفولتها .. الى اترابها ومن كن في مثل سنها .. غريرات ما زلن يلعبن بالدمى ، بعيدات عن مسئوليات الزواج وتبعاته الجسام ، فكانت تخلو الى نفسها ، ويغلبها مرح الطفولة مرة ، فاذا هي تعد الدمى ، وتصنع « العرائس » وتجهز « الشخوص » وترتب هؤلاء وهؤلاء ، وتجعلهن صفا بعد صف تجود على بعضه بالاجلاس ، وعلى بعضه بالكسوة ، وعلى بعضه بأن تجعل له هيئات خاصة او اجنحة .

ويرقب محمد الحاني عروسه الطاهرة ،ويسالها عن « عرائسها » ذوات الدمى ، فتجيب في صفاء ومرح « انهن خيول سليمان » .. ويضحك صلى الله عليه وسلم ويستفسر عن « الاجنحة » التي ركبتها لهن ، فتعود هي وتساله : الم تكن لخيول سليمان اجنحة يحلقن بها في الفضاء ويسابقن الريح .. !!

ويضحك محمد .. ويتضاعف حنانه لعروسه التي كان يحدث احيانا ، وهي تعد الخبز ، ان يغلبها الارهاق ويسودها الكلال والتعب ، لتغفو حيث هي ،او يداعب النوم جفنيها فتنام وتغفل عما في يدها ، فلا تلبث ان تدخل الشاة فتأكل « العجين » ولا تبقي عليه !!

ابدا ما غضب محمد الزوج الحاني لشيء من هذا ، ولا هو ابدى استياءه ، بل راح في رفق ولين وهوادة ، يرعى عائشة ويبرها ، ويشجعها بالكلمة الطيبة الرقيقة والتوجيه الحاني،والعطف السابغ لتطيب نفسا ، وتعتاد حياتها الجديدة وتستطيع بما وعت ان تحمل اعباءها وتساير ما سوف يمر بها من ظروف واحداث .

واخذت عجلة الزمن تدور مع مسير الايام ، وسار الجهاد وجهته المقدسة ، وتعاظم امر الاسلام والمسلمين ، وايدهم الله بنصره ورعاهم .

ولقد عاشت ام المؤمنين عائشة هذه الاحداث كلها .. شهدت الامجاد المتلاحقة جمعاء ..وتذوقت في اخلاص مرها قبل حلوها .. وظلت في مكانها الذى فرضه الله عليها ، ترقب واعية ، وتتعلم في كل يوم جديدا .

ابدا ما فاتت عائشة شاردة ولا واردة من رسول الله ، بل كيف كانت تفوتها ، وهي التي كانت اقرب نسائه الى قلبه الكبير واحبهن الى ذاته المطهرة ، والصقهن به ، فاخذت عنه صلى الله عليه وسلم كل جديد في التوجيه والارشاد ، وعرفت عنه وحدها اكثر مما كان يعرفه كثيرون من خاصته ، وانها رضي الله عنها لتفاخر وتقول ان الوحي لم ينزل عليه وهو في بيت أحد من نسائه غيرها ، وهذا حدث افتخرت به عائشة على سائر امهات المؤمنين .

وكانت رضي الله عنها من الذكاء والالمعية والفطنة بحيث وعت جيدا كل ما كانت ترى ،وكانت دائمة السؤال ، دائبة الاستفسار منه صلى عليه وسلم ، فلم يبخل عليها بمعرفة ولا توجيه حتىلقد وعت ما لم يستوعبه كثيرون،وفهمت ما دق على افهام كثيرين ، وحتى لقد قال عنها صلى عليه وسلم وهو الذى لا ينطق عن الهوى : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء !! » .

وعرف المسلمون جميعا مدى اعزازه صلى الله عليه وسلم لعائشة ، فكانوا يخصون يومه عندها بما هو جدير به من الاعزاز والتكريم ، وكانوا يقدمون للنبي هداياهم في ذلك اليوم بالذات مما كان له بعض الاثر في نفوس امهات المؤمنين فاجتمعن الى الزهراء البتول فاطمة بنت محمد ، وحدثنها

فى ذلك الشأن ، وعرضن عليها الامر الدقيق وطلبن منها ان تكون شفيعتهن لدى الزوج العظيم ليسوى بينهن وبين عائشة حتى فى توجيه المسلمين الى تقديم هداياهم .

وذهبت فاطمة الى أبيها العظيم ، وحملت اليه رسالة امهات المؤمنين ، فسمعها صلى الله عليه وسلم وهو صامت ساكت لا يريم ، بل نكس راسه طويلا ، وظل على صمته الطويل ، مما جعل فاطمة تعيد عليه السؤال ، وتلح فى أن يعدل بين نسائه جميعا ، حتى فى تقبل هدايا المسلمين التي يبعثون بها اليه .

وزفر محمد الاب الحاني زفرة طويلة ، ذكر فيها اسم الله ثم رفع وجهه الكريم بعدها الى فاطمة الحبيبة الغالية وسألها ان كانت تحبه !!

ودهشت فاطمة رضي الله عنها للسؤال ، وما دار بخلدها يوما ان يسالها ابوها ان كانت تحبه ، وهو يعلم ان حبها له ، واعزازها يعدلان الدنيا وما حوت ، ولكنها وجدت نفسها تجيبه صلى الله عليه وسلم بانها تحبه ، فعاد يسالها ان كانت تحبه ، فلتحب ما يحب ومن يحب .. ثم امرها عليه الصلاة والسلام ان تحب عائشة وان تخلص فى حبها ..

ولم تجد الزهراء البتول قولا ترده بعد مقال ابيها العظيم غير ان سكتت واذا بمحمد الحاني العادل المقسط بين نسائه يقول لابنته ما اراد أن تعرفه امهات المؤمنين جميعا :

ــ فليتقين الله فى عائشة ، فوالله ما نزل على الوحي وانا فى فراش واحدة منهن غيرها .. وكانت عائشة رضي الله عنها تعرف مكانها جيدا من قلب رسول الله ، وكانت تعزه وتؤثره ، وتغار عليه أشد الغيرة ، حتى لقد حدث ذات ليلة ومحمد صلى الله عليه وسلم فى بيتها ان أرق من نومه ، فاذا هو يخرج تاركا الدار ويتجه الى البقيع كعادته فى مثل لياليه الارقة ليهل على سكان القبور ، ويحادث أهل البقيع ، ويناجي ارواحهم ، ويقف لحظات خاشعة امام جلال الموت ..

وارقت عائشة بعد خروج زوجها العظيم ارقا شديدا ، واسلمت نفسها الى غريب الافكار التي راحت تعبث بها فى قسوة وعنف ، فلم تستطع ان تقاوم الغيرة التى تملكتها ، وجعلتها تتخيل ما لم يحدث ، حتى عاد صلى الله عليه وسلم من زيارته للبقيع ، فاذا به يلقاها ، وهي على حال غريب ، لم يتركها عليه ساعة خرج ، فاقبل عليها حانيا ودودا يسالها ما بها ..

وتكلمت عائشة .. وضحك محمد العظيم استاذ الشعوب ومعلم الامم ، وقد عرف ان ما كانت تشكو منه زوجته ، لم يكن غير غيرتها عليه ، واذا به صلى الله عليه وسلم يقول لها :

ــ أو غلبك شيطانك يا عائشة ..

وعجبت عائشة لسؤال الرسول الكريم ، وهو يسالها عن شيطانها ذلك الذى غلبها فى ليلتها هذه واسلمها الى الغيرة وكانما عز عليها وهي زوج محمد ، ان يكون لها شيطان وان يغلبها ذلك الشيطان .

واذا بهادى الامم ، ومعلم البشرية جمعاء ، يرشدها ويعلمها ، ويقول لها ان لكل امرىء شيطانه الذى يوسوس فى صدره بما يريد ساعة يجد فرصته الى تملك الانسان والعبث به ،ودفعه الى حيث يريد من الاهواء ..

وعرفت فعلا أن شيطان الغيرة المقيتة قد تملكها فى لحظة استسلام وضعف وانها ركنت اليه ثم ما لبثت بعد كلمات الرسول الكريم ان استردت نفسها ، وتخلصت من كل وهم صوره لها ذلك الشيطان .

حتى كان ذات يوم من الايام واذا باللعين الرجيم يفلح مرة ، حيث اخفق عديدا من المرات ، ويصل فى غمضة عين الى حيث لم يستطع من قبل ، واذا بنساء النبي يتجمعن على رسول الله ، وهو الزاهد فى الدنيا ومتاعها ، العزوف عن بهرجها وزينتها ــ وقد رحن يسالنه التوسعة عليهن فى مطالب الحياة .

لقد عرف الوسواس الخناس كيف يطرق باب الوصول ..

لقد صور التطلع لنساء محمد ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح الله عليه وايده بالنصر بعد النصر ، وقد كثر الفيء فى ايدى المسلمين ودخلت الاموال بيت مالهم واصبحت القبائل تخطب وده ، ورؤوسها يبعثون اليه بالهدايا ، ..انه صلى الله عليه وسلم قد اصبح فى مكان

كسرى أو على عرش قيصر ، وانه قادر بما اوتي من عروض الدنيا ، ان يبدل سنن الحياة ، ويجعل من نسائه ، نساء تتخمهن الحياة ، وتتكاثر عليهن أسباب زينتها وشتى ألوان خيلائها.. خيل هذا الى نساء محمد ، أو هكذا صور لهن التطلع ، وجمله في عيونهن طمع النفس ورغبتها .. والرواة هنا .. وامام مظاهرة نساء محمد عليه السلام ، يقفون موقف الحيرة وهم يحاولون الوصول الى سبب المطالبة بالتوسعة في النفقة ، ومن كانت اولاهن في الاشارة اليه ، وجمع بقية صواحبها حولها للتقدم بما يطلبن الى النبي ، عساه يجد في اجماعهن على الطلب واصرارهن على مضاعفة النفقة ما يجعله ينزل على رأيهن ،فيعطيهن ما سالنه ، ويحقق لهن الاحلام التي طوفت برؤوسهن فيكون لكل منهن ما كان لنساء قيصر ، وما استمتعت به نساء كسرى من مطالب الحياة وزينتها ..

ولقد قال بعضهم ، ان عائشة وحفصة ، كانتا صاحبتي الفكرة ، ومن ثم انضم بقية امهات المؤمنين الى رأيهما ..

وقال آخرون ، وفيهم ابن عباس رضى الله عنه، ان عائشة كانت صاحبة الراى وان ابن عباس سال في ذلك عمر بن الخطاب فاكد له الراى وان عائشة هتفت باحلامها وصورت فكرتها فطابت لها نفوس امهات المؤمنين ، وتجمعن على النبي ورحن يسالنه ما لا يملك ، وما لا طاقة له به ..

وسواء أكانت عائشة وحفصة هما الوحيدتين بالتحريض على طلب التوسعة أم كانت عائشة وحدها هي صاحبة الفكرة أم كانت نساء محمد جميعا ، هن صاحبات هذا الراى ــ فالمعروف اجماعا ان نساء محمد قد تجمعن عليه في شبه اصرار يسألنه توسعة الحياة وتحقيق بعض رغائبهن الدنيوية والكمالية ، وانه صلى الله عليه وسلم استمع اليهن في صمت وهدوء ولم يتكلم ..

ولقد ذكر الرواة ان طلب مضاعفة النفقة تم ، وانه قد حضره ابو بكر وعمر ، وان كلا منهما قد قام غاضبا فوجأ عنق ابنته ، لاجترائها على الرسول الكريم ومطالبته بما لم يكن يملك ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم ، خلال هذا كله لم يتكلم ابدا ، ولم يتحرك من مكانه ، وانه ظل على صمته الطويل امام تلك الظاهرة الغريبة والمطلب الاشد غرابة ..

لقد وجد رسول الله نفسه امام قضية من نوع جديد .. قضية ليست خاصة ابدا ، لانها ان خصت اليوم نساء محمد ، فستخص مع الغد والغد الذى بعده نساء المسلمين جميعا ، والراى فيها والحال هذه لا يجب ابدا ان يكون راى محمد وحده بل رايا اهم واخطر واجل قدرا ، رايا ينسحب على المسلمات جميعا لا في عصر محمد فحسب أو في عصر يليه بل على كل العصور وعلى المسلمات جميعا ، على مسير الازمنة . فنساء النبي ، هن القدوة الحسنة دائما ، وما يسرى عليهن من اوامر وتوجيهات ملزم لجميع نساء المسلمين على شتى العصور ..

وطال الصمت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتكلم ، ولم يجب في طلب نسائه بلا او بنعم .. ولم يقف في صف ابى بكر ، وقد قام فوجأ عنق عائشة ولم يظاهر عمر ، وقد فعل المثل بحفصة بل قام من مكانه في هدوء ووقار ، ثم اعتزل نساءه جميعا ، حتى لقد قيل يومها انه طلقهن !!

ولكن محمدا الكامل ، قدوة العالمين جميعا ، لم يطلق نساءه اذ لو فعلها ، لكانت سنة من بعده ، ولكانت ذريعة يلجأ اليها كل مسلم تسأله زوجته النفقة ، وزيادة التوسعة ، في مطالب الحياة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وباعدهن ، ففي الاعتزال والتباعد زجر وتاديب كاملان ..

وطالت مدة الاعتزال شهرا كاملا ، وهذا منتهى الزجر ، ثم هو بعد هذا منتهى التاديب والتوجيه الصحيح الى ما يجب ومالا يجب فللنساء ، اى نساء ، مطالب ولكن .. يجب ان تكون في حدود مقدرة الزوج وطاقته ، و .. هذا هو الاهم .. متمشية مع منطق الحاجة ، وشرعة المجتمع الذى يعشن فيه ، فلا يكفى ابدا ان تطلب زوج من رجلها القادر ، اكثر مما تطلبه سائر نساء زمنها ، فهذا هو الخروج ، وهذا هو الشذوذ عن القاعدة ،وتلك هي الوسيلة الى التمنى ثم الى التطلع ، وهذا شر يجب ان يتحرر منه المجتمع الاسلامى ..

المهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه شهرا كاملا ..

ثم شاء الله ان يحقق امنية رسوله فى ان يكون هو جل وعلا ، الحكم فى تلك القضية الدقيقة ، فنزل فى ذلك قوله تعالى :

« يا ايها النبى قل لازواجـك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة ، فان الله أعد للمحسنات منكن اجراعظيما»

وكانت آية التخيير هذه هى الكلمة الحاسمة ، التى وضعت نساء النبىامام الامرالربانى الواجب الطاعة ، وأن عليهن أن يتخيرن فمن أرادت الحياة الدنيا وزينتها فلتصارح محمدا برغبتها تلكاليمتعها بما تشاء ثم ليسرحها بعد ذلك سراحا جميلا ، اما من كانت تريد الاخرة منهن ، ورضـوان الله ورسوله ، فعليها بالرضا ، والقبول لكل وضع وان لا تنظر الى غيرها ، او تتمنى ان يكون لها كذا ، لان الله قد اعد لها اذا احسنت ، ولم تستسلم الى رغبات النفس ، ومطالبها ـ اجرا عظيما ..

وهكذا قضى الله على الفتنة الصغيرة التىقامت فى البيت الكريم ، ووضع نساء محمد المطهرات فى محك التجربة، فكان ان برئت كل منهن من اطماعها ومطالب دنياها ، وتخيرت الله ورسوله ..

وكان من الطبيعى ان تتخير عائشة هى الاخرى الله ورسوله ، وانها لتقول للنبى فى ذلك :

بابى انت وامى يا رسول اللـه .. أفى هذا تخيرنى !! بل أختار الله ورسوله ..

وعاد الصفاء يخيم على بيت محمد ، والهدوء والقناعة والرضا ، تغمر نفوس نسائه اجمعين .

وتوالت الاحداث .. وتعددت الانتصارات .. وكثر خروج رسول الله فى غزواته المظفرة لنشر دين الله الحق ، واعتاد صلى الله عليه وسلم ان يصطحب معه فى اثناء خروجه هذا بعض نسائه ، وها هو ذا عليه الصلاة والسلام يخرج مع المسلمين الى قبيلة بنى المصطلق، وكانت تتآمر عليه ، وتنوى اغتياله ، ..

وهكذا .. خرج المسلمون الى تحقيق نصرجديد وخرج على راسهم رسول الله ، وخرجت معـه زوجه الغالية ، ام المؤمنين عائشة ..

وانتصر محمد على بنى المصطلـق .. وامكنه الله منهم .. وايد المسلمين بنصره العظيـم ..

وعند ماء البئـر كادت تحـدث فتنة خطيرة ، اوشكت أن تندلع على اثرها نار القبلية المقيتة التى قضي عليها الاسلام ، وكاد يتشابك المهاجرون والانصار ، لولا أن أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاطفا النار قبل ان تندلع وامر بالتجهز للعودة الى المدينة فورا فتسارع المسلمون يلبون أمره ..

ونسوق بعض النص كما روى عـن السيـدة عائشة :

« ثم اذن مؤذن فى الناس بالرحيل ، فارتحـل الناس،وخرجت لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار ـ الجزع : الخرز وظفار من اليمن فلما فرغت انسل من عنقى ولا ادرى ، فلمارجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ،وقد اخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القـوم خلافى الذى كانوا يرحلون لى البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون انى فيه كما كنت اصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا انى فيه ، ثم اخـذوا براس البعير فانطلقوا به . فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قالت فتلفعت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفتان لو افتقدت لرجع الناس الى».

وامسى الليل .. وانتشرت غواشيه فى الافق ولمح رجل (١) ممن كانوا يعملون على ساقة الجيش شبحا فى مكان مخيم المسلمين الذين رحلوا ،فاسرع يتبين الشبح واذا هو امام ام المؤمنين فغضبصره ثم تراجع وعرفها بنفسه فعرفت انه ممن يعملون مع ساقة الجيش وانه مكلف بجمع ما يكون قد نسيه المسلمون ابان تعجلهم بالعودة ، وسالها ان تتجهز لتعود معه ..

ودخلت عائشة الى المدينة ، وعند مشارفها كان المنافقون وعلى راسهم عبد الله بن ابى بن سلول وفئة ممن على شاكلته ، يتحدثون حديث الحقـد والضغينة ، واذا بهم وهـم فى غمرة الحـديث

١ ـ هو صفوان بن المعطل ، كما جاء فى حديثها.

المسموم يرون « الهودج » العائد ويعرفون ان بداخله عائشة ..

ووجدها ابن سلول فرصة للنيل من محمـد ، فاطلقها كلمة لعينة هي الكذب المسمـوم ، وهي الافتراء وهي الافك ، ورمى بعض من معه المحصنة الغافلة بما لم يكن فيها ، وبما لم يكن يرقى اليها الشك فيه .. وما أسرع ما سرى في المدينةالهمس بما قال راس المنافقين وبطانته من أعداءسيدنا رسول الله وانتشرت الاكذوبة الباغية اللعينـة كوهج النار الساطعة الضوء في جوف ليلة رهيبة الظلمات ..

وطرقت الهمسات اللعينة اذنى الزوج العظيم ، فارتاع لها ، وتعوذ من شرورها ، ووقف عليه الصلاة والسلام امام ما سمع موقف الحائر المتردد ، لا يدرى ، هل ياخذ بما تقول به المتقولون ، ويصدق ما اشاع الحاسدون ، او يتحقق من الامر بنفسه فيسأل ويستجوب ..

كانت ام المؤمنين المبراة الطاهرة ، قد عادت من رحلتها ، مرهقة متعبة ، قد أثر فيها حادث ترك المسلمين اياها وحيدة في الصحراء ، فتملكها خوف واخذتها رهبة ، شعـرت معهما بالمـرض واسرعت الى الاعتكاف وقد برح بها ما وجدت .. واحزنها ان لاحظت اعراض زوجها العظيم عنها ، وتحاشيه النظر الى وجهها المحبب اليه ، فاغتمت لذلك ، وحز في نفسها انه صلى الله عليه وسلم قد شغل عنها بعروسه الجديدة التى تخيرها من بين سبايا بنى المصطلق ..

واستبدت بعائشة همومها ، ولم تطق ان تبقى حيث هي ضحية للوهم والشكوك والغيرة مـن أن يكون قد انصرف عنها قلب محمد ، فطلبت منه صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها لتعود الى بيت ابيها لتعنى بها امها هناك ، فوافقها محمد دون معارضة او اهتمام .. وذهبت الى بيت الصديق.

ووجدت الفتنة في خروج عائشة من بيت محمد مرتعا جديدا رحبا تمرح فيه ، وطعاما مستساغا تعيش من جديد عليه .. فزادت انتشارا ، وعظم امرها حتى صارت شاغل الناس ..

ورسول الله ..مـاذا كان بوسعه ان يفعـل والعاصفة تشتد والهول يتعاظم ..

انه يعرف عائشه جيدا يعرفها باكثر مما تعرف الصديقة المبراة نفسها ولكن .. لماذا لا يسـأل ويستجوب فقد تستكشف له نواح ربما لم يعرفها ولم يصل اليها ..

وسأل الزوج العظيم ، صاحبات عائشة عنها .. سأل امهات المؤمنين ، فلم تذكرها واحدة منهن بغير الكمال والتسامى ، ولم تشهد احداهن الا بما كان يعرف محمد عن عائشة ..

اذا فماذا يفعل .. فيسأل الجارية .. وماذا كان بوسع الجارية أن تقول اكثر مما قالت أمهات المؤمنين ..

واقبل محمد الزوج الحائر على أحد اصحابه يسأله ، واذا به ينفى الاتهام عن عائشة ، بـل ويستنكر ان يسمعه ، ويأبى في اصرار ، وقوة ان يقال هذا عنها .

وعائشة ... عائشة الصديقة ، المبراة الغالية عائشة الاثيرة المحبوبة .. ماذا كان موقفها مـن الافك وحديث الافك !!

لم تكن الضحية ـ التىنالقالةالسوءمنها ـ تعلم شيئا مما قيل والحمدلله بل لم يصل الى سمعها بهتان اهل البهتان وزور اهل الزور ، اذ كانت مريضة تعانى نتائج احوال تلك الليلة الرهيبة .. وتقاسى في ذات الوقت الما نفسيا رهيبا ..

كانت تظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف عنها الى زوجه الجديدة « جويرية بنت الحارث بن ضرار » سيد بنى المصطلق .. وانها احتلت عنده صلى الله عليه وسلم مكانـة عائشة فزاد بها الهم وبرحت بها الغيرة وتضاعفت اضعافا،ساعات كانت تراهصلى اللهعليهوسلموقد اتى ليعودها ، فلا يخاطبها ولا يقترب منها ولا يبادلها حديثا بل يقول لابويها مشيرا اليها : كيف تيكم »

ابدا ما تصورت الصديقة المبراة انبعض المنافقين قالوا فيها قول الافك ، ورموها بما لم يكن فيها ، وما براها الله منه ..

ابدا ما تصورت عائشة هـذا ، حتى فوجئت بسماع الحقيقة ذات يوم ، وعن طريق المصادفة المحضة ، فذعرت وبكت ، وكاد يغمى عليها !!

اذا فاعراض محمـد عنها لم يكـن بسبب ام المؤمنين جويرية بنت الحارث .. بل كان مرجعه قالة السوء التى روجها المنافقون ، ولكن .. ماذا كان بوسع الصديقة أن تفعل !!

كيف كانت تستطيع عائشة ان تدفع عن نفسها ما قيل ، وتبرىء ذاتها المصونة من حديث الافك والبهتان . كيف .. كيف .. !!

انها ايام قلائل مرت ولكنها في بطئها كانها دهور ودهور ..

وسال محمد نفسه .. لماذا لا يواجه الامر .. ولماذا لا يتولى سؤال عائشة ومناقشتها .. واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر .. ودخل على ام المؤمنين وعندها ابواهاوامراة من الانصار تبكي غما وحزنا وتشاركها عائشة البكاء ولكنها ما ان رات زوجها العظيم يهل عليها حتى سكتت وكفكفت الدمع ..

واخذ محمد صلى الله عليه وسلم مكانه بالقرب من زوجه المبراة ومال عليها يسالها ان تصارحه بحقيقة ما كان ، وسالها ان تتقي الله وتخشاه وتساله التوبة .

وعز على ام المؤمنين الطاهرة ان تسمعها سمعت وكبر لديها ان يظن بها زوجها السوء ، وارسلت نفسها الى البكاء ونظرت الى ابويها الصامتين الحزينين تسالهما ان يتوليا عنها الجواب ..

وحارت الام ، ولم يدر الاب بماذا يجيب عن ابنته واذا بعائشة تلتفت الى زوجها وتقول له : « والله لا اتوب الى الله مما ذكرت ابدا .. والله اني لاعلم لئن اقررت بما تقول الناس ــ والله يعلم اني منه بريئة ــ لاقولن ما لم يكن ، ولئن انا انكرت ما تقولون لا تصدقونني .. ولكني اقول لكم جميعا ما قاله يعقوب لبنيه .. فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .. »

وخيم الصمت على بيت ابي بكر ومن فيه .. ومرت اللحظات بطيئة متكاسلة ملولا .. ولم يبرح محمد صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى جاءه الوحي فسجي بثوبه حيث كان .. ووضعت وسادة تحت راسه ...

ومرت اللحظات في رهبة وقسوة : وفزع الجميع الا هي .. الا عائشة المبراة التي كانت تعرف انها بريئة ، وان الله لن يتركها نهبا مقسما لتطاول الناس واجترائهم على ذاتها .. وافاق محمد في النهاية ، ووجهه يتالق بالبشر وينطق بالسعادة ، والتفت الى عائشة يبشرها بان الله قد انزل براءتها من فوق سبع طباق ، فهتفت تقول الحمد لله ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت ابي بكر الى المسجد ، وراح يتلو على جموع المسلمين براءة عائشة التي انزلها الله من السماء:

« ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم : بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ، وقالوا هذا افك مبين * لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم في ما افضتم فيه عذاب عظيم * اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين * »

وهكذا حصحص الحق ، ووضحت اضواء اليقين ، ونزلت براءة المطهرة عائشة من السماء ، في قران قطع السنة المتقولين .

وعادت عائشة الى بيت محمد عزيزة مكرمة ، لتحتل مكانها المرموق في البيت النبوي ، وفي قلب محمد العظيم ، وعاد الصفاء مرة ثانية يخيم على الجميع .. ثم

ثم اخذت عجلة الحياة تدور ، واحداثها تسير ، وحقق سيدنا رسول الله النصر بعد النصر ، حتى افاء الله عليه بالفتح الاكبر ، ومكنه من الكافرين عبدة الصنم ، واتم فتح مكة ، وحطم اصنامها ، ودخل الناس في دين الله افواجا .

ومرت الايام والشهور .. وها هي ذي تقف في بطء امام يوم ، لم يكن من مقدمه مهرب ولا مفر ، يوم مرض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض الموت الذي فاجاه وهو في بيت ام المؤمنين زينب بنت جحش ، فراح صلى الله عليه وسلم يقاومه في صبر وقوة ، ثم انتقل بعد ذلك الى بيت ام المؤمنين « ميمونة » بنت الحارث ..

واحس محمد بقسوة المرض ، وانه في حاجة الى مزيد من الرعاية ، وانه من الضروري ان يريح بدنه بعض الشيء .. واجتمعت نساؤه حوله وراح صلى الله عليه وسلم يتنقل فيهن بصره وهو يقول :

اين انا غدا ؟

فتجيب احداهن : عندي انا .

فيعود الى تكرار السؤال ، حتى فهمت امهات المؤمنين ما يعنيه ..

لقد اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون فى بيت عائشة ، وان تشرف هى على تمريضه ورعايته ، فكان ان استجابت نساء النبي الى رغبته ، ونزلن عليها عن رضى ، وانتقل صلى الله عليه وسلم الى بيت عائشة .

ولم يكد الرسول الكريم يستقر فى بيت المبراة، الطاهرة ، حتى احس بثقل المرض ، وبانه سوف يصعب عليه ان يمر بنسائه جميعا كما عودهن فبعث فى طلب ابنته الحبيبة فاطمة الزهراء البتول ، واسر اليها ان تستاذن امهات المؤمنين فى اعفائه من المرور عليهن ، فهو فى حاجة الى الراحة ، وان يقبلن راضيات بان يبقى طوال امد مرضه حيث اراد ان يكون فى بيت عائشة ، فقبلن جميعا عن رضى .

وجاءت سكرة الموت بالحق .. وقبض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بين حجر عائشة وسمت روحه المبراة الى الرفيق الاعلى ، وآخر ما شهده من دنياه ، وجه ام المؤمنين عائشة الغالية احب نسائه اليه ..

وانتشر النبا الفاجع بين المسلمين ، انتشار النار فى الهشيم ، وتجمعت جموعهم امام البيت وهم لا يصدقون ان رسول الله صلى عليه وسلم قد انتقل الى الرفيق الاعلى .. واسرع ابو بكر يستاذن فى الدخول كعادته ، واذا بصوت عائشة يصل الى مسمعه وهي تقول له باكية حزينة ، : « لا حاجة لاحد فى طلب الاذن بعد اليوم ، فقد قبض رسول الله » ..

ودفن محمد صلى الله عليه وسلم مكان موته فى بيت عائشة ، الذى اصبح المستقر الاخير للجسد الطاهر على صاحبه رضوان الله عليه وسلامه وجزيل الصلوات .. وصلى عليه المسلمون فرادى لا يؤمهم احد ، اذ افتقدوا امامهم الاعظم محمدا سيد الناس ، وامام الرسل اجمعين ..

وحمل ابو بكر تبعات الامر بعد سيدنا رسول الله واصبح الخليفة المسئول عن زعامة المسلمين فما قصر فى امر من امورهم ، ولا تهاون فى حد من حدود الله : بل اتبع منهاج محمد واسلوبه فى قوة واعتداد وعنفوان ، ولم يمكن لخارج من الخروج ، ولا ترك فرصة لمقصر الا رده الى جادة الحق بكل وسيلة وسلاح ..

وقرت ام المؤمنين عائشة فى بيتها بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قرت فى بيوتهن سائر امهات المؤمنين ...

ومضي ابو بكر ، وجاء امير المؤمنين عمر ثم .. خلفه عثمان الطيب ذو النورين ، وكان رجلا غلبت عليه الطيبة التي سمحت لبعض ذوى قرابته فى التدخل فى امس امور الدولة ، فكره المسلمون ذلك، وعلت اصواتهم فى سائر الامصار ، يعترضون ويعلنون عدم الرضا على كثير من الامور ، بل سارت وفودهم الى المدينة قادمة من هنا وهناك..

واعتبر عثمان قدوم اهل الامصار الى المدينة خروجا على الطاعة ، وكره ان يتفرق امر المسلمين على هذه الصورة ، فردهم وابى ان ينزل على ارائهم او يستجيب لمطالبهم ، فكانت الفتنة الكبرى ، وكانت غضبة المسلمين ، لانصراف امير المؤمنين عنهم ، ولم يجدوا غير ان يطرقوا باب عائشة ، ويتشفعوا بها عنده حتى لا يتسع الخرق ويعظم امر الفتنة ..

وكبر على عثمان ان يلجا اهل الامصار الى عائشة ، وان تستجيب هي لهم ، وتقحم نفسها فى امس امور الدولة وهو وحده المسئول عنها ، ولم يحدث قبل اليوم ان تدخلت واحدة من النساء ايا كانت فى مثل هذه الامور ..

وكان عثمان صريحا فى اعلان رايه هذا .. وكانت صراحته تلك بمثابة امر لام المؤمنين عائشة لتلتزم بيتها وان تقر حيث امرها الله .. وهنا ..

وهنا اقف مشفقة ، فالمحدثون والرواة ، لم يقفوا من هذا الحادث موقف الحيدة ابدا ، ولم يلتزموا فيه جانب الحقيقة والتاريخ ، واذا هم اكثر من فريق ، واكثر من رواية ، واكثر من محدث ، حتى لقد ضلت الحقيقة ، وعرتها مبالغات جعلت من ام المؤمنين عائشة ، تخرج على حدودها وتعلن العداء علانية لعثمان بل .. وتقيم خيمتها فى صحن المسجد وسط جموع الثائرين وترفع نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى تقول لامير المؤمنين الذى كانت تستحى منه الملائكة انه خرج على شريعة صاحب ذلك النعل ! !

اللهم هذه فرية لا يرضاها مسلم وما كنت احب ان اذكرها لولا ورودها فى كثير من

المصادر ، حتى لتاخذ صورة جديدة تنقلب بعد هذا الى تحريض سافر من عائشة على قتل عثمان فى القول الذى اقحم عليها بغير حق ، وقد ادعوا انها قالت للثائرين على أمير المؤمنين :

« اقتلوا نعثلا (عثمان) فقد كفر .. »

فهل يعقل هذا .. وهل يرضى الله ورسوله ان يتجاسر المتقولون على الحرمات بهذه الصورة، وان يجعلوا عائشة أم المؤمنين تحكم بأن عثمان ، ذا النورين ، وصاحب رسول الله السباق الى الاسلام والى نصرته ــ بأنه قد كفر ، وهو الموعود بالجنة !!

هذه افتراءات تاريخ وعائشة منها براء ، ولكنها تواردت وكثرت وتوارثها الناس دون تحقيق حتى لقد بلغ التحزب بفئات منهم ان حملت أم المؤمنين تبعة التحريض على قتل عثمان ابن عفان ثالث الراشدين بعد رسول الله ..

وقتل عثمان .. ونجحت الفتنة الكبرى .. فاذا بالخيال يشتط بالمجترئين المتقولين ويجمح بهم الى ابعد مما كانوا يتصورون ، واذا بهم يجعلون السيدة الكريمة المبرأة التي حرضت فى رواياتهم المفتراة على قتل عثمان ، بعد ان قضت بكفره ــ تقف اليوم فى موقف المطالب بدم الشهيد العظيم ممن خرجوا عليه وسفكوا دمه ...

اللهم هذا افتراء على مقام ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واني لاجزم انها كانت أبعد الناس عن الفتنة ، ولكن حب الاثارة واعادة الامور الى اصول خيالية جعل الناس يقحمون اسم الصديقة أم المؤمنين عائشة فى المؤامرة ، ليخونهم السرد الخيالي بعد ذلك وهم يتنقلون بالاحداث الى الصراع الذى قام بين عائشة ، وبين الامام الاعظم علي بن أبي طالب ، لما صار اليه الامر بعد عثمان واصبح اميرا للمؤمنين ! !

وقد اجارى بعد هذا من يقولون ان المسلمين فى اثناء اشتداد الفتنة الكبرى واندلاع أوارها ، قد لجئوا الى عائشة يتنصحون بنصحها ، وان ام المؤمنين وقفت موقف الحياد ، أو قد تكون نصحت عثمان بكذا وكذا ــ اما ان تكون قد رفعت فى وجهه نعل سيدنا رسول الله ، وحرضت المسلمين على قتله لانه كفر ، وخرج على شريعة صاحب النعل ، فذلك أمر ارفضه ولا ارضاه ..

ولنسرع بعد هذا الى ما قام بين عائشة وعلي ، وكيف تطورت الامور بينهما الى حد الخروج علنا على البيعة الاجماعية والتحريض على خلع أمير المؤمنين .. ثم لنقف فى حذر .. ولنمسك بالخيط من بدايته فنسخر من الزعم بأن عائشة كانت تكره علي بن أبي طالب لانه وقف فى غير صفها أيام حديث الافك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء غيرها كثيرات ، ودعا الى طلاقها ! !

هذا ايضا قول مفترى ، ولا أساس له من الصحة ولا يمكن ان يرضاه احد ، فعائشة كانت من آهل محمد « وعلي » وهو ابن عم محمد وزوج ابنته الحبيبة ، وكان أحب الناس الى سيدنا رسول الله ولن يعقل ابدا ان تكره عائشة احدا كان يخصه محمد بالحب والتقدير والاعزاز .

اذا .. لماذا خرجت عائشة على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ! !

ذلك هو السؤال .. لماذا خرجت عائشة .. ولماذا اقدمت على تفريق أمر المسلمين وجعلت بعضهم يقدم على حرب بعضهم الاخر ..

هذا أمر يعرفه جيدا من صوروا لعائشة الامر بعد مقتل عثمان على غير حقيقته واتهموا عليا بأنه تقاعد عن نصرة عثمان ، ولم يأخذ بدمه، وافهموها ان خروجها فيه صلاح لامر المسلمين وتجميع لكلمتهم فخرجت ..

وكانت وقعة « الجمل » الرهيبة .. كان النصر الذى أيد الله به علي بن أبي طالب ثم .. كان ارجاع عائشة الكريمة معززة مكرمة الى بيتها حيث امرها الله ان تقر فيه ، وقد عرفت حقيقة الصراع ثم ندمت على انها شاركت فيه دون تحقيق ..

وشهدت عائشة رضي الله عنها عهد معاوية ثم لحقت بالرفيق الاعلى فى السابع عشر من رمضان للعام الثامن والخمسين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ودفنت بالبقيع ، وصلى عليها ابو هريرة .. وطويت صفحتها ، انضر صفحة واطهر صفحة فى صحائف النساء المسلمات الخالدات .

القاهرة سنية قراعة

عندما يلحق الاسم العربي بالاسم الافرنجي

■ جاءنا من القراء ما يلي :

❊ قرأت في العربية عن الكاتب النمساوي كفكا ومن الفيلسوف الالماني اشبنجلر ، واردت أن أستزيد علما بهما وبآرائهما ، فلم أجد الا المصادر الاوروبية ، ورحت أبحث عنهما فلم أهتد. واتضح لي أن السبب في جهلي هجاء هذه الاسماء بالافرنجية ، حتى اطلعت في « العربي » على الاسم العربي مقرونا به الاسم الافرنجي فكان الاول Kafka ، وكان الثاني Spengler ، فاستطعت من بعد ذلك أن أستزيد من علمي منهما في دائرة المعارف البريطانية وغيرها . وبهذا حمدت « للعربي » هذا الجمع ، في المسميات الافرنجية ، بين اسمها العربي واسمها الافرنجي . كذلك وجدت هذا نافعا في أسماء البلاد الاجنبية . فشكرا . ولكني أود أن أعرف أكثر عن السبب في عدم تطابق اللغة العربية واللغات الافرنجية من حيث الهجاء ، بحيث صار من الصعب الانتقال من الهجاء العربي الى الافرنجي بسهولة .

ع . عبد الدايم/سامراء

❊ لقد سَنّت مجلة « العربي » في الحقول العلمية، سُنّة محمودة، ان تترجم المصطلح العلمي الى جانب المصطلح الافرنجي ، وبذلك ، تساعد على الاستزادة من هذه العلوم الحديثة ، ولكنا كثيرا ما نرى في مختلف المقالات المصطلح العربي اختلف وبقي مقابله المصطلح الافرنجي واحدا ، فكيف كان هذا ؟

محمد بنعبد الله / المغرب

اختلاف الهجاء

العربي : تعليقا على كلمة القارىء الاول نقول : الجمع بين اسم العلم العربي والافرنجي ، سواء كان لشخص أو لمدينة ، فائدته ظاهرة ، زادها ظهورا الأمثلة التى ذكرها القارىء الكريم الاول . والسبب في الصعوبة التى يجدها كل من اراد ان يصل من الاسم العربي الى الاسم الافرنجي ان الذين يكتبون العربية وينشرونها في الكتب والصحف يتخلون عن شكل الحروف ، وفي الافرنجية توجد حروف اللين vowels ، وهي تقوم مقام الشكل .

وعدا هذا ، ففي العربية حروف اللين ثلاثة : الألف ، والياء والواو ، وهي تتطلب المد في النطق فنقول : باب وبير وبوق ، ويقابلها في الافرنجية حروف لين كهذه ، ولكن اكثر من ثلاثة ، وكذلك يجتمع حرفا اللين ليؤديا في الافرنجية اصواتا ليست كهذه الثلاثة الاصوات .ولكن وسطا بينها احيانا ، او جمعا بينها ، وبذلك تعدد الهجاء في الافرنجية ، وزادت ادواته عما في العربية . ففي احرف اللين يوجد oi, ou, ei, ie, ai, y, u, o, i, e, a, . وليس هذا الخلاف مقصورا على احرف اللين، ولكنه كذلك يمس الاحرف الساكنة ، فالكاف هي في الافرنجية K أو C او CH والشين هي في الافرنجية SH و CH و S . وهلم جرا .

والخلاصة ان الذى يطلب الاسم الافرنجي عن طريق الاسم العربي كثيرا ما لا يهتدى .

اختلاف المصطلح العربي

العربي : اما عن السائل الكريم الثاني ، فنقول ان اختلاف المصطلح العربي في بعض المقالات كثيرا ما يرجع الى الكاتب نفسه . فالموضوع الذى يكتب فيه ، سواء كان فزياء او كيمياء ، او علم نفس او فلسفة ، موضوع افرنجي حديث الصنع ، فالاصل فيه المصطلح الافرنجي . واستقررنا على كثير من المصطلحات العربية التى تقابل المصطلحات الافرنجية . وبقي الكثير الاكثر . ومن المصطلحات الافرنجية ما تعددت مقابلاتها العربية بتعدد مصادر واضعيها او مقترحيها . فالعرب لم توجد لديهم بعد ، الاداة التى تستطيع ان تؤلف بينهم حتى في المصطلحات . واذن فلكل كاتب ان يختار المصطلح العربي الذى يحلو له . ويبقى المصطلح الموحد بين العرب ، هو ، كما في سائر شئونهم ، افرنجيا . ونحن ، في العلم وحده ، لا نبالي به ان يكون اجنبيا ، الى حين ، فالعلم لا قومية له . ●●



الملل

عاهة العصر الحديث.. لايكاد يخلو منها بيت

بقلم : منير نصيف

■ ما أكثر تلك اللحظات التى يشعر فيها الانسان بالملل ، رجلا كان أو امرأة فالحياة نفسها تبعث على الملل . فنحن نولد ونكبر ونكافح لنعيش، ثم لا نلبث أن نموت ! والكون من حولنا يولد في نفوسنا الشعور بالملل .. كل شيء يسير حسب نظام دقيق لا يتغير .. الشمس تشرق من بعد ظلام .. والربيع يأتى من بعد شتاء .. الصورة هى هى لا تتغير ولا تتبدل منذ أن كانت هناك حياة ، ومنذ أن عرف الانسان أسرار هذه الحياة التى عاشها أجدادنا قبلنا منذ الاف السنين ..

ونحن نمل الصورة التى تتكرر ، والروتين الذى لا يتغير ، والحياة التى تعيد نفسها .

فالرجل يمل عمله ، أيا كان نوع هذا العمل ، طالما أنه يؤديه كل يوم ، والمرأة تمل حياتها في بيتها أو في مكتبها أو في محل عملها أيا كان هذا ، ما دامت هذه الحياة هى نفسها التى ألفتها بالأمس، وهى ذاتها التى تتوقعها غدا وبعد غد !

ولكن هل معنى هذا أن العالم قد مل الحياة ؟

مرض من أمراض المدنية

يقول علماء النفس ، أن الملل مرض من أمراض المدنية .. فهو شعور نشأ مع الحياة العصرية .. تلك التى قامت فيها الآلة لتعمل جنبا الى جنب مع العامل في مصنعه ومع الفلاح في حقله ومع الموظف في مكتبه ومع العالم في معمل أبحاثه وتجاربه . فأجدادنا لم يعرفوا الملل ، ولم يتطرق هذا الشعور يوما الى نفوسهم .

تلك كانت خلاصة التقرير الذى أجراه فريق من مشاهير العلماء النفسانيين ، فقد قام هؤلاء الأخصائيون بدراسة دقيقة في بعض المناطق المتخلفة، استغرقت ستة أشهر كاملة ، وشملت الدراسة الحالة النفسية لشعوب هذه المناطق التى لم تدخلها المدنية الحديثة ، وخرج الباحثون بنتائج هامة ، فقد اكتشفوا مثلا أن المرأة التى تغسل ملابس زوجها وأسرتها في مياه القناة ، لم تعرف الملل ! وكم من مرة شاهدوها تروح وتغدو من بيتها الى حيث تجرى مياه القناة..والابتسامة لا تفارق شفتيها ، وصوتها يرتفع بالغناء تسلى به نفسها في ذهابها وايابها !



الفلاح لم يعرف الملل ..



ربة البيت كيف تتخلص من الملل ؟

الحب .. وملكة الابتكار

وكذلك زوجها ، ذلك الفلاح البسيط الذى يحمل فاسه ويخرج به من بيته قبل شروق الشمس متخذا طريقه الى حقله القريب ليعمل ويعمل من اجل توفير لقمة العيش لنفسه ولمن يعول . لقد بدا أسعد مخلوق في دنياه الصغيرة انه يحب عمله ، وهو يعطيه كل وقته وفكره ..

ومن هذا الحب تولدت ملكة الابتكار والخلق والابداع .. ولو عدنا الى أصل المخترعات الحديثة كلها ، لوجدنا انها ليست سوى نتاج لفكر هؤلاء الذين سبقونا .

وقد سجل الباحثون هذه الظاهرة التى تميزت بها حياة أجدادنا ، في غيبة عامل الروتين ، فلم يكن عملهم يسير على وتيرة واحدة ، وان سارت سفينة الحياة بهم كما تسير بنا اليوم .. ان الفرق بين حياتهم وحياتنا ، انهم كانوا يتجددون ويتطورون من جيل الى جيل ..

بيننا وبينهم

اما نحن الذين نعيش اليوم في الثلث الأخير من القرن العشرين ، فقد حققنا من وسائل الرفاهية والتقدم درجات قد نتوقف عندها لأجيال عديدة قادمة .. وليس معنى هذا أن تطورنا قد توقف وأن تقدمنا قد وصل الى أقصى ما يمكن ان نصل اليه ، فليس للتطور والتقدم حدود . ولكن معناه أن الحياة أصبحت سهلة هينة ، بفضل المخترعات الحديثة التى حققها العلم والعلماء ، وأن ما يبذل اليوم من جهد في سبيل احراز أى تقدم جديد اقل كثيرا مما كان يبذله أجدادنا من أجل ابتكار وسيلة جديدة لحرث الارض او توصيل الماء اليها، وجمع ثمارها !

والذى نعنيه أيضا أن العمل عند أجدادنا كان هو الحياة نفسها ، فلم يكن عندهم مكان للقاعدين او العاطلين .. كان لابد لكل شخص أن يعمل ليعيش ، اما اليوم فقد أصبح العمل ، أى عمل ، مهما كان نوعه ، مجرد شيء لابد لنا أن نعمله لكى نحصل على المال الذى نعمل به شيئا آخر ! حتى العاطلين، لم تعد لقمة العيش مشكلة بالنسبة لهم ، فالدولة تعنى بهم وتقدم لهم ما يكفى أودهم حتى يجدوا لأنفسهم عملا يرتزقون منه !

العمل ليس واجبا فحسب

ولعل هذه العوامل مجتمعة ، من أسباب ذلك المرض الجديد الذى نعانى منه اليوم .. الشعور بالملل !!

فالنظرة الى العمل على أساس انه واجب لابد لنا ان نؤديه ، او مجرد عمل لكسب الرزق ، تقتل في نفوسنا ملكة الابتكار والتجديد ، وتحولنا الى عقول جامدة لا تفكر الا بمقدار ما يتطلبه عملنا من تفكير .

ما هو تعريف العمل اذن ؟

يقول العلماء : « انه مصدر الرضا الأساسي الذى يسعى المرء اليه في حياته ، وهو مصدر رزقه وسعادته ، وأهم عامل يدخل في تكوين شخصيته وتحديد مركزه في المجتمع » .

السخط .. والطموح

ولكن كثيرين منا يملون عملهم ، لأنهم بدلا من أن يعيشوا في قناعة واكتفاء ، يتمردون ويسخطون على عملهم وعلى مجتمعهم الذى لم يكتشف مواهبهم ولم يقدرهم حق قدرهم . وليس هذا بطموح .. فالطموح لا يكون الا بالعمل والا بالخلق والابتكار !

أما القعود والبكاء على الحظ العاثر ، ثم التفكير في الناس وما يصيبون من نجاح أكبر ورزق أوفر ، فلا يثير في نفس صاحبه سوى الشعور البغيض بالملل من الحياة ومن الذين يعيشونها من حوله ! .. ذلك الشعور الذى يولد في أجسامنا التعب ويثير في نفوسنا عوامل القلق والسخط والاستياء !

وهم في ذلك اشبه ما يكونون بالطفل المدلل الذى يملك كل شيء ، ثم يبكى لانه شاهد في يد صديقه لعبة صغيرة ليس لديه مثلها ..

الملل .. والتعب

ونتوقف هنا قليلا لنتحدث عن العلاقة بين الملل والتعب ، ويؤكد الدكتور جوزيف بارماك Joseph Barmack ، في كتابه « ارشيف علم النفس » Archives of psychology ، ان درجة انفعال الانسان بالعمل الذى يؤديه ، تؤثر عليه اكثر من تاثير المجهود الذهني والجثماني الذى يبذله اثناء تاديته لهذا العمل .

وقد ضمن الدكتور بارماك كتابه هذا خلاصة تجارب عديدة قام بها ليؤكد نظريته القائلة بان الملل يولد التعب . فقد اجرى اختبارا لفريق من الطلبة في بعض المواد التى يعلم انها لا تثير اهتماماتهم .. وكانت النتيجة بعد مضي ساعة واحدة على بدء الاختبار ان الطلبة شكوا من التعب ومن آلام في رؤوسهم ومن ارهاق لعيونهم .. بل لقد اصيب البعض منهم باضطرابات في جهازهم الهضمى !

قصة زوجة ملت حياتها

ثم ساق الدكتور بارماك امثلة في كتابه على التعب الذى يجيء نتيجة للملل ، فروى قصة زوجة شابة تعمل مدرسة في احدى المدارس الثانوية . لقد عادت الى بيتها في المساء وهى تشكو من صداع شديد ، ومن آلام في ظهرها وفى كل جزء من اجزاء جسمها .. فما كان منها الا ان سارعت بدخول غرفة نومها لتلقى بجسدها المهدود على فراشها .. وحاول زوجها ان يخفف عنها ويقنعها بتناول العشاء معه ، ولكن على غير جدوى .

ثم دق جرس التليفون، ورفعت الزوجة السماعة لتسمع صوت صديقتها تدعوها هى وزوجها لحضور حفل عيد زواجها .

وان هى الا لحظات حتى كانت الزوجة قد قفزت من فراشها لترتدى ثيابها وتصفف شعرها وتجمل وجهها وتستعجل زوجها للذهاب الى الحفل! وعندما انتهت السهرة وعادا الى بيتهما في الساعة الواحدة صباحا ، تمنت الزوجة « المتعبة » لو ان السهرة قد امتدت بهما حتى الصباح !

الروتين .. الروتين

كيف يفسر علماء النفس حالة مثل هذه الزوجة، انها واحدة من مئات الزوجات العاملات وغير العاملات اللواتى يصيبهن الشعور بالملل نتيجة الروتين الذى ينظم حياتهن ويفرض عليهن الحياة داخل اطار تحده المواعيد والقيود في المكتب او في البيت او في الاثنين معا !

فماذا نفعل اذن لكى نحصن انفسنا ضد هذا « المرض » ؟

ان العمل والملل شيئان متلازمان ، ولكن في يدنا وحدنا أن نجعل من عملنا ، مهما كان نوعه ، شيئا مسليا نافعا نستفيد منه ونفيد به الآخرين .. عندئذ فقط يتغير شعورنا نحو هذا العمل الذى نؤديه ، وتتبدل نظرتنا اليه وتقديرنا له ، فنقبل عليه سعداء قانعين ..

الخلق والتنويع

ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا عن طريق الخلق والابتكار والتنويع .. وكل رجل قادر على ان يغير أسلوب عمله ويطوره وينهض به .. وكل امراة تستطيع ان تحول عملها من مجرد واجب يتحتم عليها أن تؤديه الى شيء مسل تجد متعة في الاقبال عليه وانجازه !

ربة البيت مثلا التى تبدا يومها بالعمل في تنظيف بيتها واعداد الطعام والاشراف على شئون الاسرة .. انها تستطيع ان تقضي على الوحدة التى تشكو منها ، وتستطيع ان تقتل الروتين الذى يبعث الملل الى نفسها ، بان تتفق مع احدى صديقاتها من الجيران على تبادل الزيارات في الصباح ، وتشترك ربة البيت مع صديقتها في انجاز اعمال بيتها ، فاذا فرغا منه انتقلا الى بيت الصديقة واعادا الكرة هناك . فهذه الصحبة ، وما يتخللها من احاديث مسلية تؤثر تاثيرا مباشرا على الحالة النفسية للمراة غير العاملة وتساهم في التخلص من الوحدة التى تعتبر مصدرا اساسيا للشكوى ثم هى ايضا لا تعطيها الفرصة للتفكير في مشاكل الأسرة ومتاعب الحياة .

التغيير والترويح

والتغيير ، من اهم العوامل التى تطرد الشعور بالملل ، تغيير اسلوب العيش وبرنامج الحياة

اليومية ، ثم الترويح عن النفس ، وهو في مقدمة الوسائل الاساسية التي ينصح بها الباحثون في اسباب الملل ، فلأبداننا وعقولنا علينا حق . ولابد لنا من ان نستريح ونتروح . ونحن هنا في الشرق لا نهتم بالاجازات والعطلات .. وكأنما هي مجرد ساعات فراغ نقضيها في خمول وكسل ! بينما نجد اهل الغرب يقدسون عطلاتهم وينتظرون مواعيد حلولها ، ويستعدون لقضائها بعيدا عن جو البيت والعمل الذى الفوه ، ويخصصون لها ميزانيات من دخولهم !

وفي الشتاء يخرجون الى الريف ، فاذا جاء الصيف قصدوا شواطيء البحر ، ليلقوا بأجسامهم فوق رمالها الناعمة ، وينسوا متاعبهم تحت الشمس الدافئة .

وقد يظن البعض ان المراة العاملة اقل تعرضا من اختها غير العاملة ، للشعور بالملل ، لان مجال تحركها اوسع ، فهى تلتقى بوجوه جديدة كل يوم في طريقها الى مكتبها او في عودتها منه . فهى اذن اكثر حظا في العثور على الصحبة التي تفتقدها ربة البيت وتبحث عنها بين صديقاتها وجيرانها !

الاحساس بقيمة العمل

ولكنها لا تكاد تجلس الى مكتبها وتعود الى عملها اليومى حتى تشعر بالملل يحتويها ..

يروى الدكتور جون برانتون John Branton استاذ علم النفس ، قصة احدى الخريجات من تلاميذه ، وكانت قد التحقت بمكتبة الجامعة بعد تخرجها .. لقد جاءت اليه يوما تشكو من عملها كسكرتيرة لرئيس قسم التاريخ بالمكتبة . فقد قضت ثلاث سنوات تؤدى نفس العمل يوميا .. تدخل مكتب رئيسها ليملى عليها خطاباته فتسجلها بالاختزال الذى تعلمته، ثم تكتبه على الآلة الكاتبة.



وسألها استاذها : « وماذا يفعل غيرك في المكتبة» قالت : « هناك خمس فتيات في غرفة النسخ على الآلة الكاتبة ، وكل واحدة منهن تتمنى ان تجلس في مكتبي وتصبح سكرتيرة مثلى ، ولو كانت بينهن واحدة تجيد الاختزال لتنازلت لها عن وظيفتي عن طيب خاطر ! » .

وقال الاستاذ : « ولماذا لا تعلمينهن الاختزال ما دمت تريدين اعداد واحدة منهن لشغل وظيفتك. عندئذ تستطيعين ان تتركيها وتبحثي عن عمل آخر !».

وفعلت .. وحولت الفتاة مكتبها في ساعات الفراغ الى مدرسة .. واقبلت الفتيات الخمس على دراسة الاختزال !

وانقضت ثلاثة اشهر قبل ان يلتقى الاستاذ بتلميذته مرة اخرى ، فقال يسألها : « هل نجحت في اعداد واحدة من زميلاتك لتحل محلك » .

فقالت الفتاة : « ومن قال لك انني اريد أن اترك عملى ؟ » .

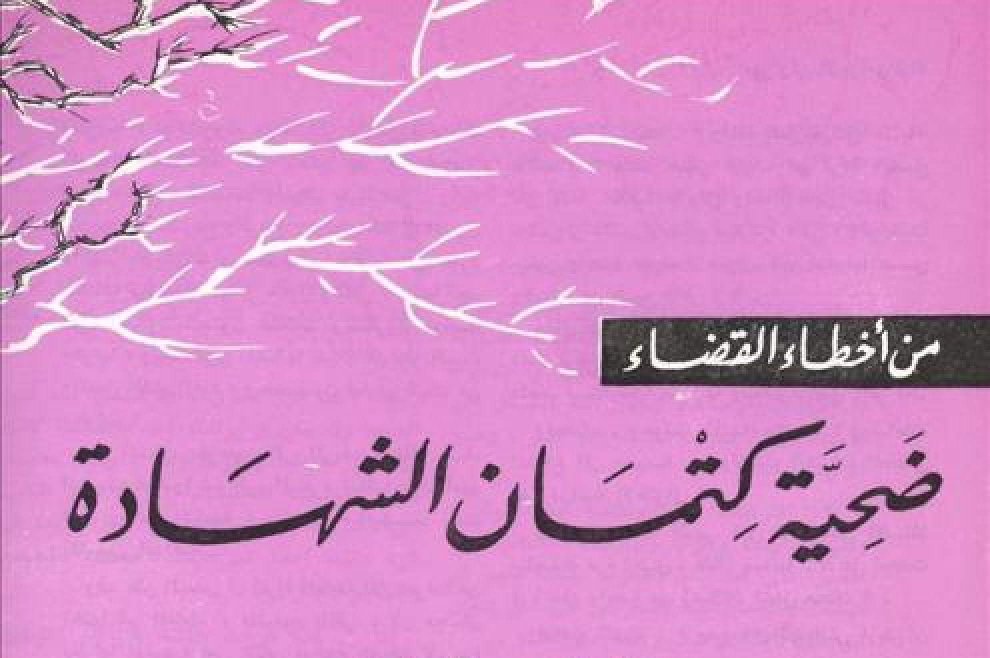
طبق دسم

ماذا حدث ؟ لقد اكتشفت فتاتنا بان في يدها طبقا دسما تمنت كل فتاة من زميلاتها لو انه اصبح وجبة لها وحدها ! فاحست بقيمتها ، وشعرت بالسعادة التي تنشدها عندما وجدت انها تفيد وتستفيد . حينئذ فارقها الشعور بالملل الى غير عودة !

وكثيرا ما كان هذا الشعور او « المرض » باعثا على النجاح ايضا .. يقول الشاعر الانجليزى الكبير بن جونسون Johnson Ben (١٥٧٢ - ١٦٣٧) صديق شكسبير : « لولا شعورى بالملل من نظم الشعر لما اصبحت كاتبا مسرحيا .. » وفي اول واعظم مسرحياته Everyman in His Humour « لكل رجل مزاجه » روى جونسون قصة الملل الذى انتابه ، وكيف خرج به من نظم القصائد الى كتابة المسرحيات التي ارتفعت به الى كاتب من اعظم كتاب انجلترا .

لقد تحدثنا عن الملل وصورة الملل الكبرى التي تلح على اذهاننا فلا يجب أن ندع هذا الشعور يسيطر علينا .. لا يجب ان تعيش حياتنا على وتيرة واحدة ، فلا شيء يقضي على الملل كالتغيير والتجديد في روتين الحياة .

منير نصيف



من أخطاء القضاء

ضحية كتمان الشهادة

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

سبيل المحقق لاكتشاف مرتكب الجريمة ان يضبط المتهم متلبسا بجرمه وهذا أمر نادر او يعترف المتهم بجريمته وهذا اندر من النادر . او تثبت الجريمة بأدلة علمية : بصمات اصابع او تحاليل كيماوية او قرائن قوية . اما الغالبية فهى شهادة الشهود .

فاذا تعمد الشهود الكذب . أو كتموا الشهادة اثنين : افلت المجرمون وأخطأ القاضى . فاذا اضيف الى كتمان الشهادة ان كان المحقق متحيزا او ذا غرض فتلك ثالثة الاثافى .

وهذا هو الذى حدث فى القضية التى نحن بسبيل عرض وقائعها المثيرة .

* * *

كان اسمه فريد . . .وهذا ليس اسمه الحقيقى . امريكى من اصل شرقى . وفد الى بلاد العم سام يسعى للرزق والثروة ان امكن . وواتاه الحظ فاستقر فى احدى المدن الكبيرة المشهورة بصناعة السيارات واتخذ له مسكنا فى احدى الضواحى فى وسط جماعة من ابناء جنسه الوافدين مثله من تلك البلاد . اتخذوا من تلك الضاحية مقرا لهم يعيشون فيه بين انفسهم ولا يكادون يختلطون بالمتأمركين من الاجناس الاخرى .

وابتسم الزمان لفريد واقبلت عليه الدنيا ــ لما ابداه من جد ومثابرة ومهارة فى ادارة شئون تجارته ، فتزوج بفتاة من بنات بلده الاصلى ورزق منها بنين وبنات وشيد لنفسه فى تلك الضاحية منزلا كبيرا اشبه بالقصر وكملت له اسباب السعادة . . . ولكن الى حين . فقد مرضت زوجته وام اولاده فرضها على امهر النطاسيين ولكن الأجل كان قد حل فانتقلت الى الدار الآخرة وخلفت وراءها زوجا حزينا كرس حياته لتربية ابنائه . ولكن الابناء طوحت بهم مطالب الحياة فاستقلوا عن ابيهم وتزوجت البنات فانفصلن وبقى هو وحده فى القصر الكبير .

* * *

ووجد نفسه وهو بعد فى الخمسين من عمره وفى كامل صحته وثرائه وحيدا . ثقلت عليه وحدته . وتلقفته احدى الامريكانيات التى وجدت فيه فريسة صالحة . القت عليه حبالها فقتنصته . كانت فى الخامسة والعشرين ذات جمال صارخ



وأنوثة متفجرة . وكانت تحب الحياة الصاخبة .
ففتحت ابواب القصر لكل من هب ودب ممن هم
على شاكلتها ولم يكن فى مقدور الرجل ان ينهى
عبثهـا . واصبحت الالسن تلوكه واصبح هـو
وزوجته زاويتى مثلث ، الزاوية الثالثة منه تتغير
من وقت لآخر . والزوج آخر من يعلم .

* * *

وذات يوم من ايام يناير القارسة البرد عثر
الابن الاكبر على جثة ابيه ملقاة فى ممر ناء من
ممرات الغابة المترامية الاطراف المحيطة بالمدينة .
واخطر البوليس . ودل الكشف على انه قتل
برصاصة مسدس اطلقت عليه من مسافة قريبة
جدا وهو نائم . كما دلت التحريات المبدئية أن
السرقة لم تكن الدافع على القتل فقد وجدت
محفظة نقوده سليمة وساعته الذهبية فى جيبه .

وتأكد المحققون ان الرجل قتل لانه كان عقبة فى
الطريق . وبدأوا يجمعون المعلومات ليحددوا
شخصية الرجل الذى له مصلحة فى ازالته عن
طريقه . ولكن المحققون صدموا اذ وجدوا انفسهم
امام ضاحية متضامنة تأبى ان تفضى اليهم
بمعلوماتها . فكان كل من يسألونه ممن يعتقدون
أن لديهم معلومات تفيد فى الوصول الى الحقيقة
يرفض الادلاء بما عنده من معلومات . اما قفلا
للباب الذى تأتى منه الريح كما يقول المثل او
خوفا من بطش قوة جبارة يخشى بأسها او انتقامها .

وبرغم كل تلك الصعوبات استطاع المحققون ان
يحصروا اتهامهم فى عدد ممن ثبت انهم كانوا
يكونون ـ فى فترات مختلفة ـ الزاوية الثالثة من
المثلث الذى تحدثنا عنه .

* * *

وفجأة وبينما المحققون فى حيرتهم تذكر احد
الذين اتجهت شكوك المحققين اليهم ان شخصا اسمه
لويس جروس اعترف له انه هو ـ لويس جروس ـ
الذى قتل فريد . وكان هذا القول من رجل حامت
حوله الشكوك موضع استغراب وشك ـ اذ لو كان
صحيحا لادلى به من أول الامر . ولكن البوليس
ما كان يستطيع ان يغفل مثل هذا الخيط الذى
قد يوصله الى معرفة القاتل . فالقى القبض على
لويس جروس .

ولويس جروس هذا بائع متجول اتخذ من تلك
الضاحية ميدانا لنشاطه المحدود ومن سكانها زبائن
دائمين يتردد عليهم فى بيوتهم يعرض عليهم بضاعته

واستعداده لشراء ماهم في حاجة اليه ويقدم لهم ما يطلبون من خدمات . وكان السكان يلجاون اليه في انفاء حوائجهم ـ لانه دائما تحت الطلب ـ بالرغم من أن سمعته لم تكن فوق الشبهات فقد سبق اتهامه وادانته ثلاث مرات بتهم السرقة او الشروع في السرقة .

★ ★ ★

وجـه المحقق الى لويس جروس تهمة القتل العمد مع سبق الاصرار واعترف لويس ان واحدا من الذين يشتبه فيهم البوليس قد عرض عليه مبلغا من المال ليقتل فريد ولكنه ـ اى لويس ـ رفض . وتمت مواجهة بين لويس والشخص الذى اتهمه فاصر لويس علىروايته بينما كذبه الشخص الآخر وقال ان لويس اخترع هذه الرواية الكاذبة من الفها ليائها وان الحقيقـة أن لويس جروس سرق سجادتين وباعهما الى فريد.وان فريد اكتشف ان السجادتين مسروقتان فامتنع عن دفع باقى الثمن الى لويس وان لويس قتل فريد لهذا السبب .

واستمع المحقق الى عدد كبير من الشهود تقدم بهم لويس من ناحية وخصومه من الناحية الاخرى وكانت اقوالهم متضاربة وغير معقولة (لبن سمك تمر هندى) وليس فيها ما يمكن ان يعتبر دليلا قاطعا . ولكن سوابق لويس كانت تثقل ميزانه وكـان البوليس مقتنعا بانه هـو الـذى ارتكب الجريمة وهكذا قدمت القضية لمحكمة الجنايات .

والظاهر ان المحلفين وجدوا انفسهم امام اقوال متضاربة وادلة متعارضـة ومحققين يؤكدون أن المتهم هو القاتل وسوابق المتهم تدينه فامسكوا بالعصى من منتصفها . لـم يحكموا على لويس جروس بالاعدام واكتفوا بالسجن المؤبد مع السماح له باستئناف الحكم . وهكذا عادوا الى بيوتهم لا يشعرون بقلق الضمير .

ولكن كيف يستطيع لويس جروس ان يستانف ذلك الحكم . ؟ لقد كان النظام يحتم عليـه ان يحصل ـ على حسابه الخاص ـ على صور كاملة من محاضر محاكمته . وكان ذلك يتطلب مالا وفيرا ولويس جروس ـ على حد تعبير الحريرى ـ خاوى الوفاض بادى الانفاض ـ فدخل السجن يصيح امام كل من يقابله انه برىء ولا يلقى لصيحته صدى ولا لاقواله مستمعا .

★ ★ ★

ومضت سنوات ... استطاع لويس من عمله في السجن ان يجمع مبلغا من المال خيل اليه انه قد يكفى للحصول على صور محاضر محاكمته فكتب الى كاتب المحكمة يسأله عن المبلغ المطلوب ....

وهنا كانت المفاجأة ... لقد اكتشف كاتب المحكمة ان المذكرات التي كتبها اثنـاء المحاكمة والمحاضر والصور قد فقدت جميعها ... فقدا متعمدا . فقد مزقت من سجلاتها بعناية حتى لا تترك لهـا اثرا ... اى انه لم يعد ممكنا ـ رسميا ـ اعطاء الصور المطلوبة ... او بعبارة اخرى .. لا يوجد في السجلات ما يثبت سبق محاكمة لويس جروس.

وذهب الكاتب الى النائب العام وافضى اليـه بما اكتشفه . وكان هذا النائب قد انتخب حديثا خلفا للنائب الذى حاكم لويس وكان قد جاء الى المنصب بآراء جديدة ومبادىء قوية . فاهتم بالامر وزاد من اهتمامه به انه وجد ان الذى فقد ليس فقط الصور التي كانت بملفات كاتب الجلسة بل ان المسـودات واوراق الاختزال قد فقـدت هي الاخـرى بنفس الطريقـة وان العبث امتد الى سجلات البوليس ايضا والى خزانة اوراق النائب العام نفسه . ووضح امام النائب العام الجديد ان الايدى التي عبثت بكل هذه الاوراق انما هي ايدى اشخاص محيطين باسرار القضية ملمين باسرار النيابة العمومية ولهم من السلطة والنفوذ ما مكنهم من كل ذلك العبث .

★ ★ ★

وآلى النائب العام ان يكتشف سر ذلك العبث لا من اجل خاطر لويس جروس بل غضبا للعبث بملفاته الرسـمية وانتقاما لكرامة المركز الذى يشغله . ومن اسف ان موعد الانتخـاب لوظيفة النائب العام كـان قد قـرب ـ ولا تزال هـذه الوظائف ـ في كثير من الولايات المتحدة تشـغل بطريق الانتخاب المباشر وتخضع للتيارات والعوامل الحزبية . ولعبت القوى الخفية التي لفقت الاتهام ضد لويس جروس في البداية وعملت على منعه من استئناف الحكم الخاطىء . لعبت لعبتها فلم ينجح النائب العام في الانتخاب وحل محله نائب عـام جديد لم يتحمس لقضية لويس جروس عن قصد او اهمال . وهكذا بقيت ابواب السجن وجدرانه تحتفظ بلويس جروس لعدة سنوات اخرى .

★ ★ ★

مع ذلك لم يستسلم لويس جروس لليأس . واستمر من وقت لآخر يحتج على ادانته ويؤكد انه برىء وان اتهامه ملفق وكانت اقواله تذهب في مهب الريح وتقابل من سامعيه بنظرات الشك

او العطف الممزوج بالسخرية . واصيب بالدرن وضعفت صحته فضعفت مقاومته وفقد كل امل . وضاقت في عينه الدنيا فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج .

عين للسجن قسيس جديد متفتح الذهن سريع الادراك مولع بدراسة الحالة النفسية لرعاياه من المسجونين. استمع الى اقوال لويس جروس واهتم بموضوع اختفاء الملفات واقتنع باحساسه ببراءة لويس فكتب الى محرر صحيفة معروفة بالبحث والتنقيب في قضايا المحكوم عليهم خطا يشرح له شكوكه في صحة الحكم الذى صدر ضد لويس جروس ويطلب منه الاهتمام بقضيته . ولكن محرر الجريدة لم يجد فيما عرض عليه ما يحمله على الاهتمام بتلك القضية . فقد دلته تجاربه العديدة ان غالبية المحكوم عليهم يدعون انهم ابرياء . ورد على القسيس معتذرا ولكن القسيس لم ييأس ووالى الكتابة الى المحرر وامام مثابرة القسيس واصراره كتب المحرر الى لويس جروس خطابا يقول له فيه « ان سوابقك لا تشجع على الاعتقاد بانك برىء فهل لديك دليل على حسن خلقك ؟ »

ورد لويس بخطاب طويل مشوش ولكن جملة قصيرة في الخطاب لفتت نظر المحرر حيث يقول لويس « لقد مضى عليّ اثنا عشر عاما وانا في زنزانة واحدة في نفس المبنى من السجن ولم تقدم ضدى اية شكوى لا من احد من جيراني المسجونين ولا من احد من موظفي السجن او حراسه . هذا دليلى على حسن سلوكي وخلقي . »

★ ★ ★

اثرت تلك البساطة في التعبير في محرر الجريدة فذهب يزور لويس في سجنه ووجد نفسه امام انسان محطم جسمانيا وعقليا . واخذ يحاوره لعله يستخلص منه ما يمكن ان يكون ركيزة لاثبات براءته ولكن امله خاب . فقد بقى لويس يردد امام المحرر انه برىء ولا شىء اكثر من ذلك . ولو ان القرار كان متروكا لمحرر الجريدة لعاد الى صحيفته ليطوى ملف هذه القضية معتقدا انها خاسرة لا تستحق اى مجهود . ولكن قسيس السجن كان حاضرا اثناء تلك المحاورة فخرج مع محرر الجريدة وما زال به حتى اقنعه انه اذا كان لويس قد اخطا في حق الهيئة الاجتماعية فقد كفر عن ذنبه ولا يجوز ان تحول سوابقه دون العمل على رفع ظلم وقع عليه . وبلغ من قوة ايمان القسيس وتفاؤله ان نقل حماسه للمحرر فقرر ان يواصل البحث .

ادى الاستمرار في البحث الى العثور على محضر حرره احد القضاة الذين وصلتهم التماسات من لويس جروس اجرى به تحقيقا حول ضياع محاضر محاكمة لويس وترك مذكرة بسبق اطلاعه على تلك المحاضر وذكر ملخصا لها . وابدى دهشته من ضياع تلك المحاضر واعتقاده ان تلك السرقة من عمل اشخاص مطلعين على دخائل الامور . واسفه من انه لم يستطع ان يوجه اتهاما لاشخاص بعينهم ولذلك لا يستطيع ان يصدر قرارا في امر لويس جروس .

ولهذا بقى لويس جروس بغير بت في امره رهين جدران السجن .

★ ★ ★

ولكن العثور على هذا المحضر شجع محرر الجريدة على الاستمرار في ابحاثه فعلم ان احد ضباط شرطة الغابة التي اكتشفت بها جثة فريد فصل من عمله عقب اكتشاف الجثة بفترة وجيزة وان سبب فصله فيما يقال انه اظهر اهتماما زائدا لحل لغز الجريمة. وان اسم ذلك الضابط كروس. وانه كان محل ثقة الكثيرين من اهل الضاحية يفضون اليه بما يخفونه على غيره من رجال الشرطة والمحققين .

كان قد مضى على فصل الضابط كروس اربعة عشر عاما . وتبين انه بعد فصله قد وجد عملا آخر في ولاية فلوريدا ولا احد يعلم له عنوانا . ولكن محرر الجريدة طار الى فلوريدا ووفق بعد عناء الى معرفة الشركة التي التحق كروس بالعمل فيها ولكنه اكتشف ان كروس بعد ان انتهى عمله حصل على مكافاته وترك الولاية ولم يترك عنوانه الجديد . وعاد المحرر بخفى حنين او بما اعتقد انه خفى حنين . ولكن العناية الالهية كانت تريد للحقيقة ان تظهر وللعدالة ان تتحقق برغم مضى كل تلك السنين .

★ ★ ★

عاد المحرر الى السجن لمقابلة قسيسه ليفضى اليه بفشله ويعتذر عن عدم الاستمرار في البحث وطلب منه القسيس كمحاولة اخيرة ان يذهبا للغابة الى مكان العثور على الجثة فمن يدرى لعلهما يجدان اثرا هناك . فلما وصلا الى هناك كانت المفاجأة . لقد وجدا منزلا حديثا من الخشب اقيم بجوار

ذلك المكان فطرقا بابه فاذا بهما – وجها لوجه – امام الضابط كروس .

لم يمانع الضابط السابق كروس فى الافضاء اليهما بذلك السر الذى ثقل على ضميره طوال تلك السنوات . قال ان بعض سكان الضاحية افضوا اليه – فى كتمان شديد وخشية من بطش خصوم اقوياء – ان لويس جروس ليس هو القاتل وان التهمة لفقت ضده للتستر على القاتل الحقيقى . وانه لذلك اهتم بالقضية اهتماما خاصا ليثبت التهمة على القاتل الحقيقى .

وبينما هو فى تحرياته استدعاه احد ذوى النفوذ السياسى الكبير من ذوى السلطان ودارت بينهما المحادثة الآتية . قال له صاحب النفوذ

– بلغنى انك لاتزال تبحث فى قضية لويس جروس بعد ان صدر الحكم عليه.فدع تلك القضية فقد انتهى امرها .

– ولكننى اعتقد ان لويس جروس ادين خطأ .

– لقد سمعتَ ما قلته لك واقول لك مرة اخرى « دع تلك القضية ولا شان لك بها . »

ولكننى اعتقد ان الاتهام ملفق .

– لقد قلت لك لا شان لك بهذا الموضوع .

– ان لدى معلومات تقطع بان جروس برىء وتشير الى القاتل الحقيقى .

ووقف صاحب النفوذ ايذانا بانتهاء المقابلة وقال له « لقد قلت لك ان تدع هذا الموضوع وهذا كل مايجب ان تعلمه » .

فنظر كروس الى محدثه بنظرات غاضبة وقال له « اننى لن اترك هذا الموضوع يمر وفى استطاعتى اظهار الحقيقة » .

وخرج كروس مصمما على البحث عن الحقيقة ولكن لم يكد يمضى شهر حتى كان قد فصل من وظيفته . وانشغل بالبحث عن عمل يتعيش منه عن البحث عن ادلة لتصحيح الخطا وانصاف المظلوم وطوحت به المقادير فلم يجد عملا الا فى فلوريدا ومضت السنون وضميره معذب والعين بصيرة واليد قصيرة حتى كانت هذه المقابلة على غير انتظار .

★ ★ ★

واراد المحرر ان يستكمل تحقيقه باخذ صورة لمنزل فريد فاعترضه جمهور غفير من اهل الضاحية وكادوا يفتكون به وادرك ان القوى الخفية التى لفقت الجريمة ضد لويس جروس لا تزال محتفظة بسلطانها .

ذهب المحرر بالمعلومات الجديدة التى جمعها الى النائب العام فوجد أن نظرة النائب العام الجديد لرسالته تختلف كل الاختلاف عن نظرة النائب العام السابق بل تختلف عن نظرة الكثيرين من ممثلى الاتهام . انه كما قال له يكرس كل قواه لادانة المذنب ولكنه يسعى بنفس القوة لانصاف البرىء . واصدر على الفور امرا بانتداب اثنين من اكفا المحققين لاجراء تحقيق جديد واظهار كل ماخفى فى قضية مقتل فريد .

وسار المحققان فى تحقيقهما وبرغم الكثير من الصعاب التى واجهتهما عثرا على شخص من اهل الضاحية قبل ان يخضع الى جهاز اثبات الحقيقة.

وهذا الجهاز – كما يعلم القارىء – يقيس نبضات المستجوب عند اجابته على الاسئلة الموجهة اليه . فان كان يقول الحق بقيت الابرة (المؤشر) فى مكانها وان كان يكذب تحركت الابرة . وما كاد المحققان يوجهان الاسئلة الى ذلك الشخص حتى بدات الابرة تتحرك فى حركة جنونية تقطع بان المستجوب يخفى الحقيقة . وعدل المستجوب عن الاستمرار فى الامتحان ولا يسمح القانون باجباره على ذلك .

★ ★ ★

انجز النائب العام وعده . فتقدم بنفسه الى المحكمة وطلب بوصفه ممثلا للاتهام وامين الدعوى العمومية ان يؤذن له باعادة التحقيق فى قضية لويس جروس وترافع مرافعة قوية اكد فيها انه قد ثبت له – بعد تحقيق دقيق – ان لويس جروس ليس القاتل وطلب الحكم ببراءته ووعد بتقديم القاتل الحقيقى للمحاكمة .

وصدر الحكم ببراءة لويس جروس بعد ان امضى ستة عشر عاما فى السجن .

★ ★ ★

ان موقف النائب العام فى هذه القضية يستحق كل ثناء وان كان لم يفعل الا الواجب . فان كثيرين من ممثلى الاتهام يحرصون اكثر ما يحرصون على نسبة الادانة فى القضايا التى يقدمونها ولذلك لا يتقبلون الا بصعوبة الاعتراف بوقوع خطأ فى الاحكام التى يحصلون عليها ولو ادت الى ظلم فاحش . ذلك ان ممثل الاتهام وان جاء ليمثل الهيئة الاجتماعية لم يجىء ليقتص لها من المتهم وان ثبتت براءته .

القاهرة : حسن الجداوى



يشكو من تدرن الفدد

● انا اشكو من اصابة الفـددالليمفاوية في الناحية اليمنى من عنقى بالتدرن . وبالرغم من مداومتي علىالعلاج لمدة شهرين فقد انتقلت عدوى التدرن الى الفـدد الليمفاوية فيالناحية اليسرى من عنقى ، فهل هناك علاج غير حقن الستربتومايسين ، التى اعالج بها الآن .. وهل يعتبر تدرن الفدد الليمفاوية مرضا كالسل الرئوى؟

ـ الدرن أو ما يسمي بالسل اصطلح خطأ عند الناس ، على أنه مرض يصيب الرئتين ويسمى بالسل الرئوى . والواقع ان الدرن مرض يصيب اى جزء في الجسم فهناك بالاضافة الى السل الرئوى تدرن الغدد الليمفاوية الموجودة في كل جزء من جسم الانسان وكذلك سل العظام والامعاء والجلد والكلى ، والاعضـاء التناسلية والعينين .. الخ .

والدرن يسببه ميكروب السل او ما يسمى Mycobacterium Bacilli وهو السبب الوحيد للمرض ومصدره اما بصاق الانسان في أغلب الاحيان، وفي اقلها عن طريق شرب حليب الحيوانات المصابة بالدرن .

وقد يدخل الميكروب جسم الانسان ولكن نظرا لضعف الميكروب او لزيادة مناعة المريض قد لا يسبب المرض دخول هذا الميكروب . فالميكروب قد يستقر في بؤرة في الرئة ويتليف ويتكلس ولا يسبب ضررا ، اما اذا كانت جرعة الميكروب كبيرة ومناعة الجسم قليلة ، لاسباب كثيرة ، فقد يتسبب في السل الرئوى او ينتقل عن طريق الدم ، او الاوعية الليمفاوية ، الى اماكن اخرى في الجسم مسببا تورما في الغدد . وفي حالة القارىء فان المرض موجود اصلا في الغدد الموجودة في عنقه من الناحيتين ، وان كانت ناحية منهما اصابها تورم قبل الاولى .

اما تساؤل المريض عن استمراره في العلاج لمدة شهرين بعقار الاستربتومايسين فاحب ان انهى الى علمه ان العلاج ليس بالاستربتومايسين وحده ، ولكن يضاف اليه عقارات كعقار الـ Pascinn لكى تتحقق النتيجة المرجوة . واذا استعملنا عقارا واحدا منها ، فان ميكروب الدرن يكتسب مناعة ضد هذا العقار . اما مدة العلاج فلا بد للقارىء أن يعلم ان العلاج

لابد أن يستمر بالعقارات المذكورة لمدة لا تقل عن ١٨ شهرا ، وقد تصل الى ٢٤ شهرا .

ورغم ان طبيعة المرض في الغدد وفي الرئة واحدة، الا ان مرض السل الرئوى يسبب العدوى للمخالطين للمريض الذين لا يتبعون الطرق الصحية للوقاية .

ومريض السل الرئوى لا بد أن يدخل احدى المصحات للعلاج ، حتى يصبح بصاقه خاليا من الميكروب . وبعدها يمكنه أن يخالط المجتمع بدون خوف ، على أن يستمر علاجه لمدة ٢٤ شهرا .



آلام أسفل الظهر

● انا سيدة في الخامسة والثلاثين من عمرى تزوجت منذ ١٧ عاما وانجبت من زوجي ستة اطفال ، وانا اشكو منذ عدة سنوات من الم مزمن باسفل ظهرى يكون احيانا من الشدة بحيث يقعدني طريحة الفراش لعدة أيام او اسابيع . واحيانا يتلاشى الالم وكأنه لم يكن ! ولقد احترت طويلا في علاج هذا الالم وترددت على الكثير من الاطباء وحتى « الكى » جربته ولكن الآلام لا تزال تعاودني بين فترة واخرى .

ــ ان ما تشكين منه من آلام في أسفل الظهر منتشر بين الناس رجالا ونساء واسبابه كثيرة وعلاجه متنوع اما اسبابه المختلفة فهى :

١ ــ الم ينتج عن الاداء الوظيفي ــ طبيعيا كان أو غير طبيعي ــ لأعضاء في مكان آخر من الجسم غير الظهر وذلك مثل الآلام التى تصاحب الحيض والحمل وبعض الأمراض النسوية كالتهابات عنق الرحم المزمنة والتهابات الحوض والمبيضين . وتذهب الآلام بمعالجة السبب .

٢ ــ مرض خاص بالفقرات الظهرية يتم علاجه بالتعاون ما بين الطبيب الباطنى وجراح العظام .

٣ ــ الانزلاق الغضروفي (وقد نشرت مجلة العربي في عددها الصادر في ديسمبر ٦٨ مقالا وافيا عنه) .

٤ ــ الاصابات والعيوب الخلقية .

وحيث انك تقولين في سؤالك انك قد انجبت ستة اطفال فانه من المرجح ان تكون آلام ظهرك المزمنة ناتجة عن الحمل المتكرر المتتابع الذى ادى الى حالة تعرف « بالظهر الضعيف » نتيجة الى ان الحمل المتكرر قد أضعف الاربطة العضلية والعظمية للعمود الفقرى . واعراض هذا المرض تتلخص في الم مستمر او متكرر في أسفل الظهر يشعر به المريض من حين لآخر ، يتحسن بالراحة ويسوء بالنشاط والحركة ، ولكن الالم لا يحد من نشاط المريض أو حركته العادية . وقد تكون هناك نوبات حادة من الالم من حين لآخر .

وتشخيص هذه الحالة يحتاج الى دقة في الفحص . والعلاج عادة يهدف الى تقليل العبء عن العمود الفقرى وعضلات الظهر ، وذلك يكون بالراحة التامة ، ويستحسن ان ينام المريض على لوح سرير خاص من الخشب المستوى وان يجعل ظهره مفرودا حين ينهض من قعود ويتجنب العمل مدة طويلة والجسم قائم في وضع مائل للامام .

والعلاج الطبيعي يفيد في تقوية عضلات الظهر الضعيفة وتنشيط الدورة الدموية بها . وأحيانا ينصح بارتداء مشد خاص للظهر (كورسيه) وخاصة للسيدات ذوات العضلات البطنية المرتخية . .



تعاني من ألم أثناء الدورة الشهرية

● أشعر بالام شديدة أثناء الدورة الشهرية كما تنهاني امى اثناء هذه الدورة عن تناول البطيخ والشمام والخيار واللبن والليمون والبصل والبامية بحجةانها تضر بصحةالحائض. وانا أريد رأى العلم في هذه المسألة .. هل تسبب هذه الالوان من الطعام ضررا فعليا أم انها مجرد خرافة ومعتقدات بالية ؟

ـ للاجابة عن الشق الاول من سؤالك نقول لك ان ألم الدورة الشهرية له اسباب ثلاثة هي :

١ ـ الم أولى Primay Dysmenorrhoea

٢ ـ الم ثانوى ناتج عن مرض آخر Secondary Dysmenorrhoea .

٣ ـ نوع خاص من ألم الحيض / الم الحيض الغشائى Membraneous Dyem .

النوع الاول :

وهو ألم الحيض الاولى . واسبابه حتى الآن غير معروفة تماما وهناك عدة نظريات وضعت لتفسيره منها :

١ ـ النظرية الانسدادية : ناتجة عن ضيق قناة عنق الرحم او انحناء الرحم الحاد .

٢ ـ صغر خلقى في حجم الرحم Hypoplasia .

٣ ـ اختلاف تكوين دم الحيض عن الطبيعى .

٤ ـ اسباب هرمونية : عدم تناسق في النسبة الطبيعية لكل من هرمون الاستيروجين والبروجيستيرون فى الدم (وهما يفرزان بواسطة المبيض) .

٥ ـ اسباب عصبية : عضوية كانت او نفسية .

الاعراض :

يبدأ الالم في خلال ساعات قليلة من بدء الحيض الشهرى وربما استمر ساعة أو ساعتين الى ٤٨ ساعة . والالم عادة يكون على شكل « مغص » شديد جدا يسبب اجهادا للمريضة . الالم حاد والدم قليل وعادة يبدأ في الزوال مع اطراد نزول الدم .

وقد يكون هذا الالم مصحوبا بقىء او صداع شديد مع ازدياد في كمية البول واسهال ونادرا ما يؤدى الى الاغماء .

العلاج :

❋ تعليم الفتيات المراهقات في المدرسة وفي البيت واعدادهن اعدادا صحيحا لاستقبال هذه الظاهرة .

❋ تشجيع الرياضة الخلوية بالمشي او اى رياضة اخرى والعدول عن حياة الكسل والجلوس .

❋ تنظيم الاكل وساعات العمل .

❋ احيانا يوصى بالعلاج الطبيعي وهناك مسكنات وادوية لعلاج مثل هذه الحالة وتترك للطبيب المعالج .

النوع الثانى :

وهو الم الحيض الغشائى . ويتميز بخروج الغشاء المبطن لداخل الرحم وهو نادر الحدوث . والالم فى هذا النوع يزداد شدة وحدة حتى يخرج هذا الغشاء فيبدأ فى الزوال .

والعلاج يكون بتوسيع عنق الرحم وكحت الرحم من الداخل وربما لعدة مرات .

النوع الثالث :

وهو ينتج من عدة امراض نسوية كثيرة كالالتهابات والاورام وغيرهما . ويكون علاجه بعلاج السبب ويتميز بوجود الالم لمدة أسبوع أو عدة أيام قبل ميعاد الحيض الشهرى ويزول تماما عندما يبدأ الدم في النزول وذلك بسبب ازدياد احتقان الاعضاء الانثوية الداخلية في الحوض بالدم وزوال هذا الاحتقان عند بدء الحيض .

أما الشق الثاني من سؤالك فالواضح انه ليست هناك اية علاقة علمية تربط الدورة الشهرية باى نوع من انواع الطعام .

مطالبُ الطلّاب ..
وعصرُ القلق والتغير

منذ سنوات ليست ببعيدة قال أحد رجالات الهند : « اذا اردت ان تكون زعيما ، ما عليك الا ان تعمل على تخريج عدد من المثقفين العاطلين وان تتولى امر قيادتهم » .

هذا القول يقفز الى الاذهان امام تلك الاحداث الجامعية والطلابية التى تجرى هنا وهناك فى ارجاء العالم . قد تبدو هذه الاحداث غريبة امام الرائي العادى . اما من استطاع ان يدرك الصفة الحقيقية لتطور البِنَى المدرسية اولا ولتطور البِنَى الاقتصادية والاجتماعية ثانيا ، في ربع القرن الاخير ، فانه يرى فى هذه الاحداث نتيجة طبيعية لجملة من الظواهر التى بدت مميزة لعصرنا فى سنواته الاخيرة خاصة .

ولايعني هذا – كما قد يبدو باديء الامر – ان ما نشهد من ثورات طلابية – بدءا من فرنسا حتى تركيا – يرجع كله الى اسباب تربوية واجتماعية واقتصادية عميقة ، وان الاسباب السياسية وعوامل التحريض الفردية والجماعية لا شان لها فى هذا كله . بل الذى نريد ان نقرره منذ البداية هو أن هذا « التفجر الطلابي » يحمل وراءه اسبابا ظاهرة عارضة واخرى باطنة عميقة ثابتة . اما ما ظهر من الاسباب فيرجع الى ما يتراءى للناظر من دوافع مختلفة ، اكثرها سياسي ، وبعضها مِهْني ومعاشى ، تبدو وكأنها المحرك لتلك الامواج العارمة من الطلاب فى شتى انحاء الارض . واما ماخفي من الاسباب ، وهو الذى رغبنا ان نتريث عنده ، فقوامه ما آلت اليه اوضاع الناشئة واوضاع التعليم فى السنوات الاخيرة . وما اصابها من انقلابات بِنْيَوية جذرية فى اعداد المتعلمين وحاجات المجتمع ومجالات العمل وسواها . وهذه الاسباب البنيوية الثابتة هي المسؤولة الاولى فى نظرنا عما نشهد من احداث طلابية ، وعما سنظل نشهد على نطاق لا بد ان يتسع يوما بعد يوم ، ان لم يأخذ اولو الشأن باسباب الامور ويجندوا كل شيء فى سبيل مواجهة

بقلم الدكتور
عبد الله عبد الدائم

عصر القلق والتغير

ليس جديدا أن نقول أن عصرنا ـ عصر الالة والتقدم التكني ـ هو عصر حوّل قلّب ، هو عصر التغير السريع في كل شيء . ومع ذلك فلعل جيل الراشدين الذين لم يعيشوا عصر الالة والتكنية كما يعيشه اطفالنا اليوم ، لايدركون ادراكا كافيا ابعاد ذلك التغير السريع ومعانيه ونتائجه . لعلهم لايعون كما ينبغي ان يكون الوعي ان عالم الهدوء والسكينة « عالم غدا وراءنا ما في ذلك شك » على حد تعبير غاستون بيرجيه « Gaston Berger فالعالم المتغير ، السريع في تغيره ، ما يزال يدهش الانسان الراشد ويثير فيه التساؤل والقلق والخوف في كثير من الاحيان ، قبل أن يثير فيه العزم الاكيد والارادة المستقرة من اجل التجديد . ولا نغلو اذا قلنا ان هذا الجيل الراشد الذى ما يزال يمسك بزمام السلطة ، يشكو من ضياع حقيقي بين الماضي ـ الماضي القريب منه ، الماضي الذى عرفه ، لا الماضي البعيد ، ماضي الاجداد ـ وبين حضارة ضخمة جديدة تنفجر امام عينيه ولا تبدو له قسماتها الا حائلة غائمة .

ذلك اننا في واقع الامر امام انقلاب وقفزة جذرية لا امام تطور طبيعي وتغير عادى . فهنالك انقلاب في شروط الحياة واشكالها . انقلاب في المعارف وحجمها ونوعها نكاد ننكره . انقلاب في طرائق التفكير ومفاهيم الاخلاق ومواقف المجتمع . انقلاب في وسائل الانتاج وفنون عمل الالة . وهنالك تغير واضح عميق في مجالات النشاط الاقتصادى حيث نرى قطاع الخدمات شيئا بعد شيء يربو على قطاع الصناعة والزراعة . ومثله التغير في بنية الاستخدام وحاجات الاستخدام ، حيث تشتد الحاجة الى كل ما يعتمد على الخبرة التكنية وتتناقص الحاجة الى العمل اليدوى والجسدى، وحيث تنقرض مهن وصناعات وانماط من العمل ، وتبزغ مهن وصناعات اخرى وانماط من العمل

هذا الانقلاب العميق في بنية التعليم ومضمونه ومنتهاه .

ان هذه الاسباب البنيوية العميقة فيما نرى اشبه بالتربة الصالحة التى يمكن ان تنبت فيها اعراض المرض . اما الاسباب السياسية والمعاشية الظاهرة فهي الاعراض التي تفيد من التربة ومطاوعتها ، لتعشش وتفرخ وتحمل وتتم .

وعسير علينا في هذه العجالة ان نقدم صورة كاملة لهذه الاوضاع البنيوية الجديدة التي تغزو التعليم منذ حوالي ربع قرن بوجه خاص . واصعب من هذا أن نتحدث عن معالم الازمة العالمية في التربية ، تلك الازمة التى اخذ الحديث عنها يملأ الاسفار ويشغل المؤتمرات ويقلق بال مخططي التربية السنوات الاخيرة (*) .

على اننا سنقتحم هذا اللج بمخاطره ، فنعرض لمحات وصورا شتيتة ولقطات واشارات ، نرجو ان تكون موحية بالصورة الكاملة الثاوية وراءها .



(*) سبق لنا أن كتبنا كلمة موجزة عن الازمةالعالميةفي التربية ، في عدد نيسان ١٩٦٨ في مجلة « العربي » .

لاعهد لنا بها . هنالك انقلاب في كل شيء : في الالة في الاختصاص ، في اوقات الراحة ، في معنى الاستجمام وفرصة ، في ما يراه العين وتسمعه الاذن ، في وسائل النقل وحاملات الابعاد ، في معرفتنا بالكون الاصغر والكون الاكبر .. بل لعل انقلابا لابد ان يداهمنا في بنية الجنس البشري نفسه بعدما بدانا نشهد ونسمع عن ابحاث علم الوراثة والسلالات Genitique .

ووسط هذا العالم المتغير لايستطيع الانسان ـ وهو الذي يخلق التغير ـ ان يبقى في معزل عن التيارات التي يخلقها . انه ما يلبث حتى يغدو عبد ما يبدع ، واسير ما يكتشف ، وما يلبث حتى يجد نفسه عاريا امام التجربة الجديدة ، تجربة هو اصلها وغايتها . ان عليه ان يعيد النظر في كل شيء ويخلق طراز حياته كلها من جديد ، ويعاود الابتكار والخلق والتجديد في كل ميدان . فالارث الماضي الذي يحمله لن ينفعه والطرق والمسارات القديمة لن تجديه ، والدروس التليدة لن تسعده . ان عليه ان يجدد ويجدد . غير ان الحركة مغذة في سرعتها والموجة طاغية عنيفة ، ومن هنا تاتي نبواته ومخططاته وصوره التي يرسمها للمستقبل املا في ان يجد فيها المتكأ والمستقر ، مقصرة دوما عن الركب ، تتدافعها مياه اليم الكبير ، وتهدد مجراها الاحداث المذهلة والتطورات الهاربة في سرعتها حتى من مجرى التطور . وهكذا يجد نفسه امام آفاق تبتعد عنه دوما ، وامام بيئي متحركة ابدا ما يكاد يمسك بها ، وامام عجز عن التكيف اللازم .

انه حقا في حضارة المغامرة ، مهما تكن هذه المغامرة « محسوبة » على حد تعبير المخططين اليوم .

وليس هذا المصير مصير الطفل والشاب ، وما هذا الشان شانه :

انه يولد مع هذا العالم الجديد ، فلا يجهله ولا يحمل امامه ارثه وعاداته وماضيه ، ولا يتردد حياله مقدما رجلا مؤخرا اخرى ، بل يعيش واياه في الفة ويتكيف معه منذ ايامه الاولى وينقل بيسر عادات عصره وتقاليد زمانه .

ومن هنا ياتي تبرمه من حيرة الراشدين وقلقهم وعجزهم عن الاستجابة السريعة كما يريدها ويفهمها . من هنا نجده لا يقبل بتلك البيئي الانتقالية التي يحبس فيها الراشدون انفسهم ، من هنا لا يفقه الكثير مما يرسمه له الراشدون من حلول ، وما يضعونه لتربيته وتعليمه خاصة من نظم ما تزال في نظره ـ رغم تطورها الكبير في راي الراشد ـ تمشي على استحياء وتسير قلقة حائرة غير مطمئنة ، تشدها الى الجديد والمستقبل خطوة وتشدها الى الماضي القريب والبعيد خطوات .

صحيح ان بيئي المجتمع والبيئي المدرسية والجامعية بوجه خاص تغيرت في السنوات العشر الاخيرة تغيرا لم تشهده منذ قرون حتى كادت تمحى منها ـ في راى كثيرين من ابناء الجيل القديم ـ معالمُ الماضي وحتى كاد ينكرها اصحابها انفسهم. غير ان من الصحيح كذلك انها ما تزال في نظر الجيل الجديد مقصرة عن الشاو المطلوب ، وما تزال اعجز عن اللحاق بعصر حوّل قلّب ، ولا بد ان تحمل دوما في ثناياها قيود المحافظة والابقاء على التقاليد ، تلك القيود التي هي سمة التربية وطبعها . ومن هنا لا نعجب اذا قرانا للكاتب الفرنسي « البير كامو A bert Camus » منذ عام ١٩٤٦ ، اى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية « عبارة كالتالية : ان العالم يتغير ، ويتغير معه الانسان وتتغير فرنسا نفسها . اما التعليم الفرنسي فهو وحده الذى لم يتغير بعد . فما زلنا نعلم ابناء هذا البلد ان يحيوا ويفكروا في اطار عالم مضى وانقضى » . ولا نعجب اذا قرانا للفيلسوف الانكليزى «برتراندرسل Russel « ان العلم يتقدم بخطى الممالقة . وهو في كل يوم يصوغ مصير الانسان اكثر فاكثر . انه يغير انماط حياته ويصيبه حتى في استجاباته العميقة، على غير علم منه . ومع ذلك ما نزال نفكر ونعمل كأن شيئا لم يكن ولم يحدث منذ نصف قرن » .

تفجر البنى السكانية

ويزيد ضغثا على ابالة تفجر البنى السكانية في العالم كله ، ذلك التفجر الذى يدفع باعداد متزايدة من الاطفال كل عام ، والذى سيجعل سكان العالم يتضاعفون خلال اقل من نصف قرن . واهم نتائج هذا التفجر السكاني تزايد عدد الاطفال والشبان في بلدان العالم جميعا وفي البلدان السائرة في طريق النمو خاصة ـ بالقياس الى

عدد الكهول والشيوخ . فشعب العالم في معظم البلدان ، ينزع الى ان يصبح شعبا فتيا ، تزيد في بعضه نسبة الشبان (دون ٢٠ سنة) الى مجموع السكان على ٥٧٪ ، وتطوف هذه النسبة في معظمه حول ٤٥ - ٥٠٪ ، في حين ان هذه النسبة كانت لا تجاوز في ماضيات الايام القريبة ٣٥٪ في الجملة وتقصر في معظم الاحيان عن ٣٠٪ .

وهذا الرقم وحده جدير بالتأمل الكبير ، وهذه وحدها محملة بالنتائج الكثيرة : نحن في عصر التغير ، في عصر قلق لا يكاد يلحق به الجيل الراشد - جيل السلطة - وهو الجيل الاقل عددا ، بينما يمشي فيه الجيل الجديد الشبان جيل الكثرة ، في الفة وتفهم ، متسائلا عن مستقبله الذى يعجز ان يرسمه له جيل السلطة ، منكرا تردد ذلك الجيل وحيرته ودهشته امام معالم الكون الجديد .

تفجر البنى المدرسية

وفوق تفجر البنى السكانية ، فوق تزايد اعداد جيل المستقبل وطغيانها على اعداد جيل الامس ، تأتي ثالثة الاثافي ، نعني تزايد الاعداد المدرسية تزايدا لم تعرفه الانسانية في تاريخها ولم تبلغ منه في قرون ما بلغته في سنوات معدودات .

وهل افصح من الارقام قيلا ؟

لقد زاد عدد طلاب التعليم الابتدائي في العالم منذ عام ١٩٥٠ حتى الان ما يقارب ٥٠٪ وتضاعف عدد طلاب التعليم الثانوى في العالم كله خلال الفترة نفسها ، وازداد عدد طلاب الجامعة - نعم الجامعة التي نشهد فيها ما نشهد - زيادة تربو على سبعة اضعاف في بعض البلدان .

واذا أردنا ان نستقى بعض الارقام من فرنسا - حيث شهدنا ما شهدنا من ثورة طلابية - فجاءنا أن عدد طلاب رياض الاطفال الذى لم يكن يجاوز بضع عشرات الالاف في مطلع القرن ، اصبح عام ١٩٥٠ يربو على ٨٢٧ الفا وغدا عام ١٩٦٥ يطوف حول مليون ونصف المليون ، وسيغدو عام ١٩٧٥ - كما تتنبأ الخطة الخمسية الفرنسية - حوالي مليونين ونصف المليون .

اما التعليم الالزامي فشأنه ادهى وامر . واعجب منه ما نراه في التعليم الثانوي حيث بلغ عدد الطلاب الذين يرتادونه (بين ١١ - ١٦ سنة) مليونين ونصف عام ١٩٦٥ (بعد انكان عدد الطلاب بين ١١ - ١٨ سنة لا يجاوزون في بداية القرن مائتي الف) والمرجو ان يبلغ هذا العدد - حسب تنبؤات الخطة ايضا - ثلاثة ملايين وثلاثمائة الف طالب عام ١٩٧٥ !

الطامة الكبرى في التعليم العالى

على ان المسالة كل المسالة ثثوى في التطور الهائل الذى اصاب التعليم العالى ، ولا سيما في البلدان المتقدمة . صحيح ان التعليم كله تزايدت اعداده تزايدا مخيفا خلال السنوات الاخيرة . غير ان نصيب التعليم العالى من هذا التزايد كان نصيب الاسد - وههنا بيت القصيد - ولنأخذ فرنسا - حيث الاحداث الجامعية - مثالا ايضا : لئن زاد فيها مجموع السكان حوالي خمسة ملايين بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٥ فبلغ ٤٨,٥ مليون ونيف ، ولئن انتقل فيها مجموع عدد الطلاب بين هذين العامين من سبعة ملايين ونصف مليون الى حوالي احد عشر مليونا ، ولئن انتقل فيها عدد طلاب التعليم الابتدائي خلال هذين العامين ايضا من حوالي ستة ملايين ونصف مليون طالب الى زهاء ستة ملايين وسبعمائة الف طالب فقط ، فان التعليم الثانوى قفز من حوالي مليون الى ثلاثة ملايين ونيف ، في حين قفز التعليم العالي من (١٤٤) الف طالب الى (٤١٢) الف طالب والمأمول ان يبلغ هذا العدد - حسب تنبؤات الخطة دوما - حوالي (٨٠٠) الف طالب عام ١٩٧٢ ، اى بعد اربعة اعوام فقط . اجل زهاء مليون طالب في التعليم العالى وحده بعد حوالي اربعة اعوام !

اين المال والرجال ؟

ولنسكت مؤقتا عن مجالات العمل التى يمكن ان توجد لهذه الاعداد الضخمة . فلا بد ان نسائل اولا : اين نجد المال للوفاء بحاجات هذه الاعداد المتزايدة ؟

واذا وجدنا المال ، جدلا ، فأين نجد الرجال الذين يتولون امر تعليمها وقيادتها ؟ لا سيما اذا ذكرنا ان كلفة التعليم العالي تفوق كثيرا جدا كلفة

الانواع الاخرى من التعليم . واليك ايضا بعض الارقام البليغة نستقيها من فرنسا :

لقد كشف استقصاء جرى عام ١٩٥٥ في فرنسا حول كلفة التعليم ، ان متوسط الكلفة السنوية للطالب تبلغ :

١٩٧ فرنكا فرنسيا في التعليم قبل الابتدائي .
٣٤٥ فرنكا فرنسيا في التعليم الابتدائي .
٩٤٤ فرنكا فرنسيا في التعليم الثانوى العام .
١٠٦٥ فرنكا فرنسيا في التعليم الثانوى الفني.
١٠٦٠ فرنكا فرنسيا في التعليم الجامعي .
٣٨٠٠ فرنك فرنسي في التعليم العالي بالمعاهد الفنية وسواها .

كذلك كشف هذا الاستقصاء عن ان مجموع ما تنفقه الدولة على تعليم الفرد منذ بداية التعليم حتى التخرج ، تبلغ في المتوسط :

٢١٥٤ فرنكا فرنسيا حتى نهاية المرحلة الالزامية .

١٠٣٠٩ فرنكات فرنسية حتى نهاية التعليم الثانوي .

١٤٤٥٩ فرنكا فرنسيا حتى نهاية التعليم العالى (مرحلة الاجازة) .

٢٧٦٨٠ فرنكا فرنسيا حتى نهاية معاهد التعليم العالية (المدارس الكبرى الفرنسية) .

اما عن المعلمين اللازمين ، فيكفى ان نذكر ان الاعداد الجديدة اللازمة منذ العام الماضى حتى عام ١٩٧٢ تبلغ :

٢٤٦٧٢ معلما في التعليم قبل الابتدائي وفي التعليم الاولى .

٥٨٥٧٩ معلما في التعليم الثانوي (بمرحلتيه).

١٩٠٠٠ معلم فى التعليم الجامعي .

١٣٢٥٠ معلما في التعليم الخاص (تعليم المعوقين) .

١٦٠٩٢ معلما في التربية البدنية .

هذا فضلا عن الاعداد الاضافية اللازمة لسد النقص الحالي القائم .

ومعنى هذا ــ بالاضافة الى الصعوبات العديدة الراجعة الى امكانات تأهيل المعلمين وتوفير الابنية والتجهيزات ــ أن تحتمل ميزانية الدولة مالا قبل لها باحتماله : ان تبلغ نسبة نفقات التعليم الى مجموع ميزانية الدولة اكثر من الربع ، وان تبلغ حوالي ٥٪ من الدخل القومي ! وهذه النفقات الهائلة ــ التى يصعب توفيرها ــ تكاد تكفي لسد حاجات التوسع الاطرادى في التعليم ، نعني التوسع السلبي الذى يدفع اليه التزايد الطبيعي للطلاب والضغط الطبيعي لدخول المدارس . اما اذا اراد المسؤولون الاخذ بسياسة توسعية مبنية على اساس الاهداف الاقتصادية والاجتماعية ، فالامر اخطر ، والنفقات اكبر والعبء يصعب ان يحمل .

سوق العمل

ووراء هذا كله سوق العمل وحدودها وتغير طبيعتها . فتلك الاعداد المتكاثرة من الخريجين والطلاب تبحث عن مجالات العمل والاستخدام في قلق وحيرة . وليس مرد ذلك الى كثرتها فحسب ، بل مرده فوق هذا وقبل هذا الى تغير بنية النشاطات الاقتصادية تغيرا سريعا ، والى تغير بنية الاستخدام والعمالة بالتالي . فالالة تحل محل الانسان في الزراعة والصناعة بل في كثير من الاعمال التى تبدو وكأنها عصية على الالة . أو لم تداخل التربية نفسها حيث نرى التعليم المبرمج ــ التعليم بالالات ــ يبدأ بالحلول محل المعلم ؟ وهي في هذا تقدم عونا للانسان دون شك ، غير انها تخلق فى الوقت نفسه صعوبات جديدة وتخلق اوضاعا يصعب التنبؤ بها وتغير نوع الحاجة الى العاملين في شتى مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي تغييرا جذريا . واذا كان حلول الالة محل الانسان وانتقال الطاقة العاملة بالتالي من قطاع الزراعة والصناعة الى قطاع الخدمات ، يبشر في نظر بعض الاقتصاديين ــ امثال فوراستييه Fourastie الفرنسي ــ بولادة حضارة الصق بحاجات الانسان وابعد عن الحضارة الصناعية التى استعبدته زمنا ، فان مثل هذه النبوءات المتفائلة ان صحت لن تكون الا على المدى البعيد ، وذلك المجتمع الانساني المنشود الذى يقوم فيه الانسان بما هو جدير بالانسان من نشاط فكرى وفني وفلسفي وسواه وتقوم فيه الالة بما هو جدير بالالة من عمل اوتوماتي ومن جهد شاق (كما يرى اصحاب النبوءة) ، ذلك المجتمع لن يتم الوصول اليه قبل المرور بمرحلة انتقالية طويلة صعبة ، تتغير فيها الموازين وتنقلب الحاجات في سوق العمل انقلابا قلقا ، قبل ان تصل الامور الى مستقرها المأمول .

وحين تحل الالة محل الانسان في هذه المرحلة الانتقالية تبدو الحاجة ماسة الى الاختصاص الضيق ويزول الى الابد الانسان الموسوعي القادر على ان يصنع كل شيء . الامر الذي يدعو الى تعميق الكفاءة والخبرة والسير بها نحو الاختصاص الدقيق ، ونتيجة هذا ان يحدث تغير اساسي في طراز التعليم الذي يقدم للناشئة يتناسب مع هذا التزايد في الاختصاص وتقسيم الاعمال وتجزيئها ، ولا ينال هذا التجزيء والتقسيم والاختصاص الضيق مجالات الصناعة والتقنية وحدها ، بل يصيب المهن الحرة كما تدعى ، فلا نجد طبيبا بل انواعا من الاطباء ، ولا نجد استاذا للفلسفة بل عالم نفس او عالم اجتماع او عالم منطق ، بل عالما في جانب من هذه البحوث في كثير من الاحيان .

وهكذا تبدو سوق العمل لطلاب اليوم ـ وهم ابناء القرن الحادي والعشرين ـ محملة بالمجهول ، سريعة التقلب ، لا يلحق بتقلبها نظام التربية الجامد وأطره القديمة واساليب اعداده التي غدت بالية . كما تبدو متطلبات هذه السوق عصية على تنبؤات المربين والمخططين ودارسي الطاقة العاملة وحاجاتها في المستقبل . لقد قيل في نقد المشرفين على السياسة التربوية في كثير من البلدان ان الخيال يعوزهم . والحق ان ضعف الخيال هذا لا يرتد الى تخلفهم عن الركب وعجزهم عن ادراك خط التطور فحسب ، بل يرجع ايضا الى ان المستقبل القريب والبعيد الذي يفترض ان يرسموا صورته ، مستقبل يقصر عنه كل خيال وينهار حياله كل وهم .

مستقبل قلق غامض وحلول مستأنية

هذه نظرة خاطفة الى ازمة التعليم ، الى ازمة الجيل الجديد ، الى بواطن الثورة الطلابية العالمية :

اجيال فتية متزايدة تتدافع الى الوجود وتطغى اعدادها على اعداد جيل الكهول والشيوخ ، جيل السلطة . وارقام خيالية تغزو التعليم في شتى جنباته ، وعلى راسه التعليم العالي . هذه الاجيال والاعداد تنظر الى المستقبل من خلال عالم جديد نشأت فيه ، عالم متغير ، عالم شهد انقلابات جذرية في كل شيء . انها تنظر الى مستقبلها فيه ، ومستقبلها لم يعد بالامر اليسير : انه مستقبل الملايين التي تبحث عن العمل وعن مجالات النشاط في عالم متغير وفي اقتصاد متقلب وفي سوق للعمل متنقلة؛ لا مستقبل قلة من الافراد المثقفين كانوا يتخرجون في جيلنا الماضي فيجدون ابواب العمل مفتوحة على مصراعيها لكل من كسب حظا ولو ضئيلا من المعرفة . ان كلمة المستقبل لها رنينها ومعناها الواقعي الخاص لدى هذه الملايين من الشبان : انها حقا مستقبل كل منهم ، عمله ، سعادته ، قدرته على الحياة في عالم متغيرة بنيته وتتغير حاجاته وتتغير مطالبه ومستلزمات العمل فيه تغيرا يفوق التصور .

وامام هذا البحث الجاهد عن المستقبل وصورته ، يقدم جيل الراشدين الذي يملك زمام الامور ، حلولا انتقالية مستأنية ـ مهما تبدو سريعة ـ وصورا باهتة وتصورات قلقة مترددة ، ترسم المستقبل في غموض وشك . ويزيد في تردد هذا الجيل الراشد ما يتراءى له من اعباء مالية ينوء بحملها اذا هو اراد ان يمنح المستقبل حقه والشبيبة مطالبها .

ويقوم الفراق ويقوم الطلاق بين جيلين ويشتد ، ويمعن الشبان في الرؤى ولا يرون في الصورة الا مطالبهم الملحة الحادة وينسون المصاعب والعقبات . ويستهتر الكبار زمنا وينامون دون ازيز المطالب الجديدة ، حتى يفيقوا على احلام مزعجة .

اما وسائل العلاج فتحتاج الى بحث خاص . على ان اجادة طرح المشكلة ـ كما يقول المثل اللاتيني ـ نصف الحل . فهل طرحنا المشكلة ؟ وهل يسهل الحل امام ازمة وصفت بحق انها في اعماقها ازمة الحضارة الغربية الكبرى ؟ ■■

بيروت ـ **عبد الله عبد الدائم**



بقلم : الدكتور محمود السمره

الأستاذ بالجامعة الأردنية

[illegible] هى الكتب التى وضعت عن المنظمة الصهيونية ، فى لغات عدة . وهذا الكتاب من تأليف السيد اسعد عبد الرحمن ، وقد قدمه لرسالة الماجستير فى الجامعة الامريكية ببيروت . والظاهرة المعجبة فى هذا الكتاب ان شبابنا المثقف قد اخذ فى تطبيق المنهج العلمى على ما يقوم به من دراسات ، ونجح فى ان يجعل العقل رائده . ولا يعسر على من يرصد حياتنا ، بصورة عامة ، ان يلاحظ ان تغيرا قد حدث فى عقلياتنا وان كان هذا التغير بطيئا .

وهذا الكتاب فى ستة فصول ، واربعة ملاحق ، والفصول هى : مقدمة تاريخية، المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٩٧ ــ ١٩٠٤ ، المنظمة الصهيونيةالعالمية ١٩٠٤ ــ ١٩٢٩ ، الوكالة اليهودية لفلسطين ، المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٢٩ ــ ١٩٤٨ ، التفاعل مع المحيط السياسى .

وفى آخر الكتاب ثبت بالمصادر ، وقائمة بالمصطلحات .

★ ★ ★

ونحب منذ البدء ان نقرر ان عوامل خمسة ساهمت فى بناء اسرائيل هى : الفكرة ، والتنظيم، والزعامة ، والشعب العامل البناء ، والتاييد العالمى . اما الفكرة والتنظيم فقد تجسدا فى المنظمة الصهيونية .

وفى الفصل الاول من الكتاب مقدمة تاريخية يتحدث فيها المؤلف عن اوضاع اليهود فى اوروبا : فهم قد كانوا يعيشون فى احياء خاصة بهم ، عرفت باسم « الجيتو » Ghetto . ولكن موجة التحرر التى اجتاحت اوروبا فى القرن التاسع عشر قضت على « الجيتو » ، واتاحت الفرصة لليهود ليندمجوا فى المجتمعات الاوروبية ، ومع هذا فانهم حافظوا على عزلتهم ، وانقسموا الى فئات ، كل فئة لهارايها الخاص فى حل المشكلة اليهودية : فآمنت فئة بالمخلص الذى سياتى وينقلهم مماهم فيه ، ورات جماعة ان الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها هو الحل الامثل ، وذهبت جماعة الى ان الاندماج مستحيل ولهذا لا بد من الهجرة الى مكان آخر ، وقام فريق ينادى بنسف النظم القائمة فى اوروبا لان القضاء على هذه النظم سيؤدى الى تحرر اليهود ولهذا كان اليهود على راس الثورات التى قامت فى اوروبا . ولكن الفئة التى سادت فكرتها هى تلك التى نادت بالقومية اليهودية ، وقامت على الفكرة الصهيونية،ورفضت كل الحلول الاخرى . ولفظة « صهيونية » نحتها ناثان بيرنباوم (١٨٦٤ ــ ١٩٣٧) ، وهو احد

الصّهيُونيّة العَالميّة

زعماء حركة « حب صهيون » ، وهى حركة يهودية انتشرت فى كل انحاء اوروبا ، كانت تدعو اليهود الى الهجرة لفلسطين والاستيطان فيها ، وتقدم للمهاجرين المساعدات المالية والمعنوية .

★ ★ ★

وقد وضع البذور الاولى للفكرة الصهيونية اربعة ، هم : الحاخام كاليشر Rabbi Zevi - Hirsch Kalischer (١٧٩٥ — ١٨٧٤) ، وموسى هيس Moses Hess (١٨١٢ — ١٨٧٥) ، وليو بنسكر Leo Pinsker (١٨٢١ — ١٨٩١) ، وثيودور هيرتسل Dr. Theodor Herzl (١٨٦٠ —١٩٠٤) .

والحاخام كاليشر هو مؤلف كتاب « البحث عن صهيون » ، وهو كتاب بالغ الاهمية فى تاريخ الحركة الصهيونية ، وقد اكد كاليشر فى كتابه هذا على القومية اليهودية ، ودعا اليهود الى استيطان فلسطين ، واقترح اقامة منظمة لتسهر على تحقيق هذه الغاية . وقد هاجم اولئك اليهود الذين يؤمنون بالمخلص ، وان عليهم انتظار ظهوره ، وقال لهم : « المسيح المخلص » لن يظهر ، وعليهم ان يضعوا حدا لانتظارهم » .

وآراء هيس فى كتابه « رومه والقدس » شبيهة بآراء كاليشر ،الا ان هيس افاض فى بيان استحالة ذوبان اليهود فى المجتمعات الاوروبية ، وانتهى الى ان النهضة القومية وحدها هى القادرة على حل مشكلات اليهود ، ودعا الى اقامة المستعمرات فى الارض المقدسة .

« وبنسكر » من اليهود الروس ، وقد وضع آراءه فى بيان وجهه الى اليهود بعنوان « التحرر الذاتى » . وفى هذا البيان هجوم عنيف على تلك الفئة من اليهود التى بنت آمالها على تغيير الحكومات الاوروبية،كخطوة لتغيير معاملة الاوروبيين اليهود . وبذل بنسكر جهودا كبيرة من اجل اقامة منظمة مركزية،تكون مهمتها شراء الارض ليستوطنها ملايين اليهود .

وهيرتسل من مواليد بودابست فى المجر . وبدأ حياته صحفيا . وهو صاحب المؤلف المعروف « الدولة اليهودية » ،وفيه يرى ان اليهوديكونون شعبا واحدا ، بحيث ان المذابح المتكررة لم تتمكن من ابادتهم . والحل الوحيد لمشاكلهم هو تمسكهم بقوميتهم ، وسعيهم الى اقامة دولتهم .

وبعد ان نشر هيرتسل آراءه فى كتابه ، اخذ يسعى لتطبيقها عمليا ، الى ان نجح اخيرا فى عقد المؤتمر الصهيونى الاول ، الذى افتتح اعماله فى ٢٩ اغسطس (آب) ١٨٩٧ فى مدينة بال Basel وقد حضر المؤتمر (٢٠٤) من المشتركين اليهود من مختلف اقطار العالم وقد حضروا ، بصفتهم الشخصية ، وبحثوا مشاكل اليهود ، ووضعوا حلولا لها . وفى هذا المؤتمر اتخذت الخطوات الاولى فى بناء المنظمة الصهيونية العالمية .

وقد حقق هذا المؤتمر نتائج هامة : ففيه وضع البرنامج الصهيونى المعروف ببرنامج بال ، وقامت المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ هذا البرنامج ، وهو برنامج يمكن تلخيصه فى النقاط التالية : تشجيع استيطان اليهود فى فلسطين ، وتنظيمهم فى مؤسسات وجمعيات ، وبعث الوعى القومى فى نفوسهم ، والاتصال بالدول الكبرى للحصول على موافقتها من اجل تحقيق هدف الصهيونية . وقد حدد المؤتمر هدف الصهيونية فى العبارة التالية : « ان هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، يضمنه القانون العام » .

وقد فتح المؤتمر الباب على مصراعيه لليهود ليكونوا اعضاء فى المنظمة الصهيونية التى اعطاها الحياة ، على شرط ان يكون المتقدم مؤمنا ببرنامج بال . وعلى العضو ان يدفع رسم العضوية ، وهو زهيد .

وتعليقا على هذا المؤتمر ، يقول هيرتسل في مذكراته : « اذا ماأردت تلخيص معنى مؤتمر بال ، وهو ما لن افعله علنا ، فانني اقول : في بال اقيمت الدولة اليهودية . واذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت عال ، فساقابل بسخرية العالم . ولكن من المحتمل بعد خمسة اعوام ، وبالتأكيد بعد خمسين عاما ، سيرى الدولة كل انسان » .

وبعد تسعة واربعين عاما ، اعلنت دولة اسرائيل في الخامس عشر من شهر مايو (ايار) من سنة ١٩٤٨ !!

★ ★ ★

وفي حياة هيرتسل ، وبجهوده ، قامت المؤسسات الصهيونية المالية التي تبنتها المنظمة الصهيونية ، كما ان جهوده الدبلوماسية شكلت معظم الجهد الدبلوماسي لها . ففي الميدان المالي حمل المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد في اغسطس (آب) ١٩٠١ على انشاء الصندوق القومي اليهودي ، وهدفه استملاك اراض في فلسطين . وابدى هيرتسل منذ البداية ، كما هو واضح في كتابة « الدولة اليهودية » ، اهتمامه الشديد باقامة بنك صهيوني ، ولكن لم يكن بامكانه ان يخرج هذا البنك الى حيز الوجود الا في المؤتمر الصهيوني الخامس . وقد عرف هذا البنك باسم « صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار » ، وانشيء فرع له في يافا عرف ، فيما بعد ، باسم « البنك البريطاني الفلسطيني » ، وحدد له مكان عمله على ان يكون في المشرق العربي ، وبخاصة في فلسطين وسورية .

وتبنى المؤتمر الصهيوني الخامس فكرة انشاء صندوق قومي يهودي ، قائم على التبرع الطوعي ، برأسمال قدره عشرة ملايين جنيه ، بهدف شراء اراض في فلسطين . وقد حدد المؤتمر هدف الصندوق القومي اليهودي بانه « الحصول على اراض في فلسطين تكون ملكا للشعب اليهودي ، ولا يمكن التفريط فيها ، وان يكون الصندوق قائما كليا على تبرعات طوعية من اليهود في جميع انحاء العالم » .

اما جهود هيرتسل الدبلوماسية فاهمها اتصالاته التي اجراها مع المسؤولين في المانيا ، وتركيا وبريطانيا وغيرها . وكان هدفه من المفاوضات مع المانيا ، الحصول على براءة باقامة شركة يهودية تحت الحماية الالمانية ، تعنى بأمور تهجير اليهود ، وتوطينهم في فلسطين . وقد بذل جهوداكبيرة لمقابلة امبراطور المانيا ، حتى تم له ذلك اخيرا في ١٩اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩٨ في القسطنطينية ، ولكنه لم يستطع ان يقنع الامبراطور بشيء .

وانفق هيرتسل الاموال ، يرشي بها الوسطاء والمسؤولين الاتراك ، من اجل الوصول الى السلطان العثماني . وبعد محاولات استمرت ثلاث سنوات ، استقبل السلطان العثماني في ١٧ مايو (ايار) ١٩٠١ هيرتسل ، بصفته صحفيا يهوديا بارزا ، لا بصفته رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية . ثم استقبله مرتين بعد هذا في فبراير (شباط) ١٩٠٢ ، ويوليه (تموز) ١٩٠٢ . وفي هذه المقابلات الثلاث حاول هيرتسل ان يقنع السلطان بمنح اليهود حقوقا للهجرة الى فلسطين ، وستقوم المنظمة الصهيونية مقابل هذا بتسديد ديون تركيا . ولكن السلطان اصر من جانبه على تحديد الهجرة اليهودية ، وعلى ان تكون الى بقاع اخرى في الامبراطورية العثمانية ، لا الى فلسطين ، وهكذا فشلت محادثات هيرتسل مع السلطان .

ولما رأى هيرتسل ان من العسير فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية ، اخذ يفكر في هجرة اليهود الى قبرص ، وقرر ان يعرض برنامجه هذا على المؤتمر الصهيوني الثالث ، ولكنه عدل عنه عندما شعر بالمعارضة العنيفة .

وفي ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٢ قابل هيرتسل العديد من المسؤولين البريطانيين ، منهم تشمبرلين وزير المستعمرات ، ولانسدون وزير الخارجية ، اللذان عرضا عليه مشروعا جديدا عرف باسم « مشروع العريش » . وقام هيرتسل بزيارة الى مصر لمقابلة لورد كرومر ، والمسؤولين في مصر من البريطانيين والمصريين ، ليتحدث اليهم حول هذا المشروع ، ولكن الحكومة المصرية رفضت المشروع .

ولما علم تشمبرلين بفشل مشروع العريش ، قدم لهيرتسل عرضا جديدا عرف باسم (مشروع أوجنده) يفتح امام اليهود الهجرة الى هذه المنطقة من شرقي افريقيا . وقبل هيرتسل بهذا المشروع ، ولكنه فشل في اقناع زعماء الصهيونية بقبول الهجرة الى بلد غير فلسطين .

وبقي هيرتسل على اتصال مستمر بالمسؤولين في

الدول الاوروبية ، حتى اللحظات الاخيرة من حياته وكانت وفاته في ٣ يولية (تموز) ١٩٠٤ .

★ ★ ★

ويبدو ان زعماء الصهيونية كانوا يحسون بان وفاة هيرتسل تركت فراغا كبيرا في المنظمة الصهيونية، ولهذا عين ثلاثة ليقوموا بما كان يقوم به ، هؤلاء الثلاثة هم : ماكس نوردو Max Nordou ، وديفيد ولفسون David Wolfson ، واوتو واربورج Otto Warburg .

وفي هذه المرحلة الجديدة من حياة المنظمة الصهيونية تم تنفيذ أول عملية تطوير منظمة للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وذلك ببناء منطقة سكنية كانت نواة تل أبيب التي نعرفها اليوم .

وعندماقامت الحرب العالمية الاولى، شلت أعمال المنظمة ، وتفرق زعماؤها ، فظهر حاييم وايزمن Chaim Weizmann في لندن كزعيم للمنظمة الصهيونية . وبرز عامل جديد في هذه الحركة هو نشاط يهود الولايات المتحدة الامريكية وحماستهم للفكرة الصهيونية ، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة الامريكية هي المركز الثاني ، بعد لندن ، للمنظمة الصهيونية ، وانتخب (برانديس) Louis Brandeis رئيسا لفرع المنظمة ، وقد اصبح برانديس هذا ، فيما بعد ، قاضيا في محكمة العدل العليا .

واستطاع وايزمن ورفاقه في بريطانيا ، بالتعاون مع برانديس ورفاقه في أمريكا ، أن يقربوا بين وجهتي النظر البريطانية والامريكية بالنسبة لقضية الصهيونية ، وكانت نتيجة التقارب صدور وعد بلفور في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ . وكان وايزمن قد اوضح اهداف السياسة الصهيونية في رسالة بعث بها الى سكوت ، رئيس تحرير جريدة « المانشستر غارديان » ، ويمكن تلخيص هذه الاهداف في النقاط الاربع التالية :

١ ـ ضرورة انتصار الحلفاء .

٢ ـ اقامة انتداب بريطاني في فلسطين .

٣ ـ على أن يسهل ذلك الانتداب دخول مليون يهودي ، على الاقل ، الى فلسطين .

٤ ـ أن ينتهي الانتداب ، بعد أن يكون اليهود قد سيطروا على مقدرات فلسطين .

وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء ، وتقسيم البلاد العربية ، على الصورة المعروفة .

اما بالنسبة للصهيونية فان انتصار الحلفاء ، وانتداب بريطانيا على فلسطين ، فتح امامها أبواب الارض المقدسة فتكونت «اللجنة الصهيونية» في فلسطين التي أصبحت حكومة داخل الحكومة ، مما دعا السكرتير العام لحكومة فلسطين ، وهو كبير الاداريين البريطانيين : الى ان يقول « لقد نظمت اللجنة الصهيونية نفسها في هيئة حاكمة ، وبذلت جهودا لكي تعمل كحكومة داخل الحكومة الفعلية ، وحتى خارج الحكومة بحكم صلاتها وعلاقاتها الوثيقة مع رجال الدولة في بريطانيا ... ونما جهازها الاداري العامل بشكل أصبح معه عدد الدوائر التابعة لها مطابقا لعدد الدوائر التي تحتسلطتي. هذه الحكومة داخل الحكومة جعلت قيام الحكومة الرسمية بمسؤولياتها امرا مستحيلا . »

وفي هذه الفترة عانت المنظمة الصهيونية العالمية من صراع داخلي : فوايزمن الذي فرض نفسه على قيادة الحركة الصهيونية ، وجد نفسه في صراع مع برانديس ، رئيس فرع المنظمة في أمريكا . وسبب هذا الصراع ان وايزمن وجماعته طالبوا بان تكون المنظمة الصهيونية في امريكا فرعا تابعا للمنظمة الصهيونية العالمية ، بينما اراد برانديس وجماعته ان تكون المنظمة الصهيونية في أمريكا جزءا من المنظمة الصهيونية العالمية على ان تمارس استقلالا في المسائل الاساسية ، وفي صياغة سياستها .

وسافر وايزمن وعدد من زعماء الصهيونية الى امريكا لتسوية الخلاف ، وانتهى الصراع بهزيمة برانديس وجماعته وبهذا اصبح وايزمن هو زعيم المنظمة .

وفي فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ، قامت « الوكالة اليهودية » لتكون ممثلة للمنظمة الصهيونية . وقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على ما يلي :

« تنظم وكالة يهودية على أسس مناسبة ، لتقدم النصح ،وتتعاون ، مع حكومة فلسطين في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التي يمكن أن تؤثر على اقامة الوطن القومي اليهودي ، أو الامور التي لها علاقة بمصالح الشعب اليهودي في فلسطين... وطالما ان دستور المنظمة الصهيونية مناسب في رأي حكومة الانتداب فان المنظمة

الصهيونية سيعترف بهـا على انها الوكالـة اليهودية . وعلى المنظمة ، بالتشاور مع حكومة صاحب الجلالة ، ان تتخذ خطوات لضمان تعاون جميع اليهود الراغبين فى المساعدة فى اقامة الوطن القومي اليهودى . »

وفى ٦ اغسطس (آب) ١٩٣٠ اعترفت الحكومة البريطانية رسميا بالوكالة اليهودية ، وجعل مقر مكتبها التنفيذى فى القدس ، ولها فرع فى لندن مهمته تنسيق العلاقات بين حكومة الانتداب ، والوكالة اليهودية . وتقرر أن يكون رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، رئيسا للوكالة اليهودية الا اذا تقرر غير هذا ثلاثة ارباع أصوات الاعضاء فى مجلس الوكالة .

وتتلخص أعمال الوكالة فى الامور الخمسـة التالية : تشجيع حركة الهجرة وتعزيزها ، تلبية الاحتياجات الدينية لليهود ، تطوير اللغة العبرية والثقافة اليهودية ، امتلاك الاراضي ، واخيرا رفع مستوى الاستيطان الزراعي .

وقد مثلت الوكالة اليهودية الشعب اليهودى بصورة شكلية : ففاوضت باسمه ، واتخذت القرارات الكفيلة بتحقيق الوطن القومي اليهودى فى فلسطين . ولكن علينا أن نذكر ان الوكالـة اليهودية كانت دوما اداة فى يد المنظمة الصهيونية.

★ ★ ★

واثناء الحرب العالمية الثانية ادرك زعمـاء الصهيونية ان مركز الثقل فى العالم قد انتقل من لندن الى واشنطن ، ولهذا قرروا أن ينقلوا مركز ثقلهم أيضا من لندن الى واشنطن . وعندما لاحت بوادر انتصار الحلفاء فى الحرب ، سارع الصهاينة الى الاجتماع والتخطيط ، للاستفادة من هـذا النصر . وهكذا تم اجتماع زعماء الصهيونية فى بلتيمور ، فى ٨ مايو (أيار) ١٩٤٢ . وحضر الاجتماع ٦٠٠ من زعمائهم ، من بينهم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ورئيس الوكالة اليهودية ، وديفيد بن غوريون رئيس اللجنـة التنفيذية فى الوكالة اليهودية ، وناحوم جولدمان رئيس اللجنة الادارية للمؤتمر اليهودى العالمي .

وقد أسفر هذا المؤتمر عن وضع برنامج عرف باسم « برنامج بلتيمور » ، واهم قراراته : الدعوة الى اتاحة الفرصة لليهود لاقامة « كومنولث يهودى » فى فلسطين ، تنفيذا لوعد بلفور ، وانشاء قوة عسكرية يهودية ، ومنح الوكالة اليهودية حق السيطرة على الهجرة الى فلسطين ، وفتح أبوابها امام اليهود . وقد أصبح « برنامج بلتيمور » هذا هو السياسة الرسمية للمنظمة الصهيونية العالمية، خلال السنوات التى تلت .

وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون فى ٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ ، فى مدينة بال بسويسرة — وهو آخر مؤتمر للمنظمة ينعقد قبل قيام اسرائيل — كان همه الاول التأكيد على ما ورد فى « برنامج بلتيمور » ، وعينت لجنة تنفيذية ائتلافية برئاسة بن جوريون ، لمتابعة تنفيذ بنوده .

★ ★ ★

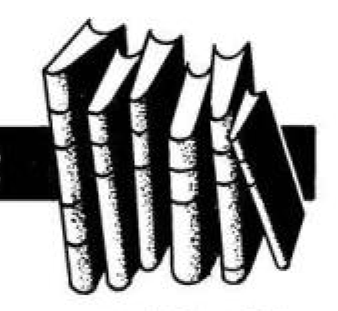
وتسارعت الاحداث بعد عام ١٩٤٧ ، فى فلسطين والامم المتحدة ، ونشطت الصهيونية : فاسس المجلس الصهيوني العام مجلسا وطنيا من سبعة وثلاثين عضوا ، تم انتخابهم من بين أعضاء المنظمة الصهيونية المقيمين فى فلسطين .

وتم فى هيئة الامم لليهود ما ارادوا ، وذلـك بموافقتها على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وتقرر ان تترك بريطانيا البلاد نهائيا بنهاية اليوم الرابع عشر من شهر مايو (أيار) ١٩٤٨ . وفى هذا التاريخ بالذات قام بن جوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ، ولجنة الوكالة اليهوديـة التنفيذية ، باعلان قيام اسرائيل ، وتشكلت حكومة مؤقتة من بين أعضاء اللجنة التنفيذية للوكالـة اليهودية ، واصبح بن جوريون رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع ، وحاييم وايزمن رئيسا للدولة ، وهو الذى قضى أكثر من عشرين سنة رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية .

وقد اثبتت أحداث السنين التالية ان اسرائيل بحدودها التى اقرتها هيئة الامم المتحدة ، لم تكن سوى المرحلة الاولى فى بناء اسرائيل ، وكل يوم لدينا دليل بان الصهاينة جادون ، ليل نهار ، لتحقيق حلمهم ، وهو : اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

لقد حققت الصهيونية ما حققته : بالتنظيم المحكم ، والقيادة التى اكتسبت — بتصرفاتها — ثقة شعبها ، وولاءه المطلق . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الطرب عند العرب

تأليف : عبدالكريم العلاف ـ الناشر : منشورات المكتبة الاهلية ـ بغداد / العراق .

● **بحث قيم عن الموسيقى والغناء العربيين منذ العصر الجاهلي والاموى والعباسي والاندلسي ، ومعرفة الاصوات والات الطرب العربية ، ثم دراسة عن الغناء في مصر والعراق بجنوبه وشماله وتسليط الضوء على اشهر المغنين العرب وما استحدثوه من جديد في الغناء والموسيقى العربية.**

فلسطين وحق تقرير المصير لجنة كنج ـ كراين

تأليف : صلاح الدين حسن ـ الناشر : منشورات دار مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ ليبيا .

● **كتاب يتناول بالدراسة والبحث تاريخ لجنة كنج كراين والملابسات التي احاطت بها تناولا علميا مدعما بالوثائق والمراجع . والكتاب مقسم الى خمسة اقسام : تناول في الفصل الاول عرضا سريعا للاحوال السائدة في المنطقة بصورة عامة ، وفي فلسطين بصورة خاصة قبيل قدوم اللجنة . اما الفصل الثاني فيتتبع الاسلوبين المباشر وغير المباشر اللذين حملا مجلس الصلح على اتخاذ قراره التاريخي باجراء استفتاء حر في المنطقة ، والباب الثالث يتناول التحقيق الذى اجرته اللجنة في فلسطين ثم استعراض المنهج الذى سلكته في تحقيقها ونقد وتقييم لتوصياتها وفي الفصل الخامس تبين الاسباب والمبررات التي ادت الى طمس التقرير وتعطيله .**

الفصول

تأليف : سالم الخباز ـ الناشر : مطابع الجمهورية ـ الموصل ـ العراق .

● **ديوان شعر يحوى مجموعة من القصائد المختلفة وفي اغراض مختلفةفي الوطنيات والتسيب.**

الحقيقة الواضحة عن السرطان

تأليف : الدكتور موريس بستون . تعريب : الدكتور فوزى بشير هنانو . الناشر : منشورات المكتبة العصرية / صيدا بيروت .

● دراسة عن السرطان وطرق معالجته على صورة تخفف من وطأة المخاوف التى استحوذت على كثير من الناس من جراء انتشار مرض السرطان، والمؤلف يشرح في فصول كتابه أسباب السرطان ومسبباته ثم الاعراض والدلائل ، ثم فصل عن المعالجة والتداوى بالاضافة الى مجموعة من الصور التوضيحية .

العراق من الاحتلال حتى الاستقلال

تأليف : عبد الرحمن البزاز / الناشر : مطبعة العاني / بغداد

● **دراسة تاريخية شاملة عن العراق منذ الاحتلال التركى الى عصر الاستقلال ، يوضح فيها المؤلف التكوين الحقيقى للعراق الحديث ، ثم يعرض عرضا موضوعيا لأهم مشكلاته ، وقد اضاف المؤلف الى هذه الطبعة فصلين جديدين عن الدستور العراقي واوجه النقص فيه ثم عرض للمشكلة الكردية في العراق .**

قصص من التاريخ

تاليف : علي الطنطاوى . الناشر : منشورات المكتب الاسلامي ـ بيروت .

● مجموعة قصص استخرجها المؤلف من امهات الكتب العربية والاسلامية القديمة حاول ان يضفي على بعضها التحليل النفسى او يطيل ويوجز في بعضها الاخر ، وقد اهتم المؤلف بذكر قصص التاريخ العلمي وتاريخ القصور والملوك والتاريخ السياسي وتاريخ القضاة الذين نذروا انفسهم لله مجاهدين وكانت لهم صولات وجولات امام الخلفاء والولاة .

البقية على صفحة ١٥٢

طرائف غربية

اقوال ..

● ليست عظمة الفنان في يده وانما هي في قلبه ، فاليد لا تستطيع ان تفعل اكثر مما يوحي به القلب .

امرسون

● لقد خيل له الغرور ما خيلته الشمس للديك عندما اشرقت فحسبها انما اشرقت لتطرب لصياحه .

« جورج اليوت »

● غزو الانسان لنفسه هو أعظم غزو يحققه الانسان في حياته .

بلاتو

صلاة طفلة !

● يروى الرئيس الامريكي الاسبق ايزنهاور قصة طريفة نقلها اليه احد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي من الحزب الديمقراطي المعارض اثناء حكمه .
قال ايزنهاور ان السناتور كان يناقش سياسة حكومته ويندد بها امام بعض الاصدقاء في بيته . وكانت ابنته الصغيرة ماري تجلس في هدوء وتتابع والدها باهتمام ، الى أن غلبها النعاس ، فقالت له انها تريد ان تذهب الى فراشها لتنام . فحملها والدها الى غرفة نومها ، وركعت الطفلة التي لم تتجاوز عامها الخامس لتصلي ، قالت : « يارب بارك ابي رامي وارجوك ان تعني بنفسك لانه لو حدث لك مكروه ، فلن يبق لنا سوى ذلك الرجل ايزنهاور ، وانت تعلم انه لايحب ابي كثيرا لانه يشتمه !! »



الى حبيبتي

● اشربي لي ، ولكن بعينيك وحدهما . او ، اذا شئت ، ضعي الكأس الى شفتيك ، ثم املئيها بالقبلات . انى لا اراك ابدا ، حتى احس بالظمأ ، فاذا جاءتني الكأس ، وحملتها بيدي ، فسوف لا ارشف منها ولكن من شفتيك ..

لقد ارسلت لك باقة من ورد ، ليس لاكرمك بارسالها ، ولو ان هذه الفكرة خطرت لي ، ولكن على الاكثر لتكرمي انت الورد ، فلا يعتريه الذبول ..

فان شئت ان تسدى لحبيبك جميلا ، فارسلي اليه ما يتبقى لديك من الورد ، ليعود اليه لابرائحته وحده ، ولكن برائحة طيبة منك ..

★ ★ ★

هذه هي الرسالة التي ارسلها فلافيوس فيلوستراتوس Philostratus ، الفيلسوف اليوناني الذى عاش بين القرن الثاني والثالث الميلادى في روما الى حبيبته سليا Celea ، وبعد ١٤ قرنا قرأها بن جونسن Ben Johnson ، صديق شكسبير ، ثم صاغها شعرا ، صار من بعد ذلك اغنية شهيرة ، هي الآن ترقد في بطون الكتب .

ابن الفيلسوف !

● فوجىء الفيلسوف الامريكى الكبير جون ديوى John Dewey ، (١٨٥٩ـ ١٩٥٢) عند عودته الى بيته في المساء ، بالمياه تغرق حمام البيت ، وابنه الصغير يجلس على الارض وقد ابتلت كل ملابسه بالماء الذى افلت من المواسير المتآكلة ! .

وراح الفيلسوف الكبير يتطلع حوله باهتمام ، ثم عقد يديه فوق صدره ووقف يفكر ، بينما كان الصبى الصغير الذى لم يتجاوز التاسعة يحاول جاهدا ان يوقف تدفق الماء ولكن بلا جدوى !

وفجأة تطلع الابن الى ابيه فرآه واقفا في مكانه لايبدى حراكا ، فقال : « اسمع يا ابى . ليس هذا وقت الفلسفة ، اخلع ملابسك وتعال لتعاوننى في انقاذ البيت من الغرق ! »



تويتبى

عالم النفاق

● يقول المؤرخ الانجليزى الكبير ارنولد توينبى Arnold Toynbee ، ان اكبر دليل على اننا نعيش في عالم قائم على المجاملات والنفاق ، هو ازدحام المتاحف والشوارع والميادين بتماثيل السياسيين والفنانين والشعراء والموسيقيين ، دون ان يقف بينهم تمثال واحد لناقد ، ايا كان لونه !

لقد عاش هؤلاء النقاد بيننا في كل العصور ، وارتفعت اصواتهم تدوى ضد الظلم والطغيان والانحراف . فلما ماتوا لم يجرؤ احد على تذكير العالم بهم الا في كتب التاريخ لمن يدرسون التاريخ!

تشرشل

رأى تشرشل فى الدبلوماسية

● سألوا ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحل : « ما هى الدبلوماسية ؟ » فقال : « ان تعرف متى تتكلم ، ومتى تسكت ، ومتى تضرب ، ومتى تتراجع ، ولكن ان تعرف قبل كل شىء ان تفكر بعقلك وقلبك معا .

فكثيرا ما يصاب العقل بالجنون . وما اكثر المناسبات التى اصيبت فيها بالجنون فجر جنونى الكوارث على بلادى ! » .

عندما سقطت الفرشاة من يد الرسام

● يروى عن الملك شارل الخامس (١٥٠٠ ـ ١٥٥٨) الذى ورث عن جده ماكسميليان الأول ، الامبراطورية الرومانية ، انه كان معجبا بالرسام العالمي تيتيان *، اعجابا يفوق كل وصف ، وفى احد الايام وقف الملك يرقب الرسام الشهير وهو يعمل فى احدى لوحاته الرائعة فى قصره . وفجأة سقطت الفرشاة من يد الرسام ، فسارع الملك بالتقاطها وتقديمها اليه ، وارتبك الرسام وراح ينحني بقامته أمامه عدة مرات ، وهو لا يدرى كيف يشكره ..

فمد الملك يده فى هدوء وربت على كتفه قائلا : « لا يا تيتيان . فان فنك يضعك في مصاف الملوك ... انك اولى الناس بوراثة الامبراطورية من بعدى ! » .

* الرسام تيتيان من أعظم الفنانين الذين برزوا فى عصر الامبراطورية الرومانية .



اسم

قصة قصيرة للكاتب الروسي كونستانتين سيمونوف (١)

في الخريف الفائت ، عندما كنا لا نزال على الضفة اليسرى لنهر ديزنا ، اصيبت احدى عجلات سيارتنا ، فاضطررنا ان نجلس على الارض مدة نصف ساعة تقريبا ، حتى تمكن السائق من اصلاح العجل . وكما يحدث في مثل هذه الحالات ، جاءت وقفتنا في اشد الأماكن خطرا ، عند نقطة كان العمل يجرى فيها لمد جسر مؤقت فوق مجرى النهر .

واثناء نصف الساعة تلك مرت فوقنا مجموعتان من طائرات الالمان ، والقت كل مجموعة منهما عددا من القنابل الصغيرة حول المعبر . في المرة الاولى أسقطت القنابل بالاسلوب التقليدى ، فالقى المهندسون بانفسهم على الارض وظلوا كذلك حتى انتهاء الغارة . ولكن في المرة الثانية ، تخلفت احدى الطائرات الالمانية واخذت تحوم فوق النهر. وبعد قليل وقف ضابط قصير القامة اسود الشعر برتبة رائد كان يتولى قيادة وحدة المهندسين ، واخذ يشتم ويلعن،ثم صرخ في وجوه رجاله قائلا :

ـ وهكذا سوف يستمرون في التحليق فوقنا طوال اليوم وستقضون الليل منبطحين هناك ، وسيبقى الجسر كما هو . لن تكون بنا حاجة لبنائه بعد ان تنتهى الحرب ! سنبنى بعد الحرب قنطرة لسكة الحديد هنا . هيا . هلموا لمباشرة العمل .

ونهض الرجال واحدا بعد آخر،وعادوا يباشرون العمل وهم يرمقون السماء بنظرات شزراء .

ومضت الطائرة المعادية تدور فوق الجسر مدة طويلة ، وعندما ايقن قائدها ان تحليقه لم يوقف العمل ، بادر الى القاء قنبلتيه الأخيرتين وابتعد .

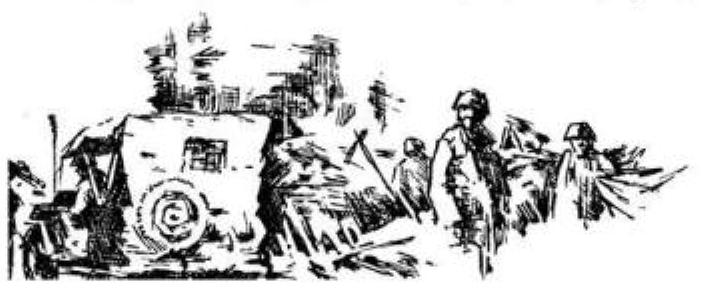
وقال الرائد بصوت مرتفع : ها هو قد ذهب .

ثم اخذ يتمطى على حافة الجسر وقد اقترب من ماء النهر حتى خشيت أن يسقط فيه في اية لحظة .

كان من الأرجح ان انسى هذه الحادثة الصغيرة لولا ان ذكرتني بها احداث معينة اعقبتها . ففي اواخر فصل الخريف كنت مرة أخرى في جبهة القتال ، وفي المواقع ذاتها تقريبا ، أولا عند نهر الدنيبر ثم الى ما وراءه . كنت على عجلة من أمرى كي الحق بالجيش الذى كان قد تقدم أشواطا الى الامام.وبينما كنت اقطع المسافات بالسيارة،أخذت الاحظ اسما معينا يتكرر امام ناظرى، هنا وهناك، مثل رفيق الطريق . كان الاسم يظهر احيانا على لوحة خشب أثبتت بمسمار على عمود التلغراف او على حائط كوخ ، واحيانا اخرى يظهر مكتوبا بالطباشير على جانب مصفحة المانية محطمة :

---

(١) كتبت هذه القصة سنة ١٩٤٤ قبل ان تنتهى الحرب العالمية الثانية . وكاتبها سيمونوف من مواليد ١٩١٥ وهو شاعر ومؤلف مسرحيات نشرت مجموعة شعره الاولى سنة ١٩٣٤ وله روايات حولت الى افلام ناجحة . ومن رواياته « الأحياء والموتى » و « الجنود لا يموتون » .





« لا توجد الغام ـ ارتميف » ، او « استكشفنا الطريق ـ ارتميف» ، او «خذ الطريق الى اليسار ـ ارتميف » ، أو « أصلحنا الجسر ـ ارتميف » ، او كلمة بسيطة واحدة « ارتميف » مضافا اليها سهم يشير الى الطريق .

لم يكن عسيرا ان يحدس المرء ان ارتميف هذا لا بد ان يكون ضابطا فى سلاح المهندسين ، عبر بهذه الطريق مع الوحدات المتقدمة ومهد الطريق امام الجيش . ولكن تلك الاشارات كانت متعددة بصورة خاصة ، وتحتوى على التفاصيل اللازمة ، واكثر من هذا فانها كانت مولوفة صادقة الى اقصى حد .

وبعد أن قطعت ما لا يقل عن مائتى كيلو متر ، برز لى خلالها اسم ارتميف ربما عشرين وربما ثلاثين مرة ، تذكرت ذلك الرائد القصير القامة الأسود الشعر الذى اعطى الأمر بمواصلة العمل فى بناء الجسر على نهر ديزنا تحت قصف القنابل، وتساءلت فى نفسى عما اذا لم يكن هو بالذات هذا الـ « ارتميف » الغامض الذى يشق الطريق أمام الجنود كأنه ملاك حارس .

وذات يوم ماطر موحل ، توقفنا في مزرعة على ضفة نهر (بوج) حيث كان قد تم انشاء مستشفى ميدان . وفي المساء تحلقت مع الاطباء حول النار بانتظار الشاي . ولا ادري كيف خطر لي أن أذكر أمر تلك الاشارات .

وقال رئيس الاطباء : « اوه ، نعم،انني اعرف . لقد كنـا نتتبع خطى تلك الاشارات على طـول خمسمائة كيلومتر تقريبا . انه لاسم شهير . لقد بَعُدَ صيته حتى تعلقت قلوب بعض النساء به . ولكن لا تغضبي يا فيرا نيكولايفنا . انني امزح وحسب . قال هذا وهو يلتفت الى طبيبة شابة كانت قد ندت عنها ايماءة احتجاج غضبى .

وقالت الطبيبة وهي تلتفت الي : ليست المسالة مسالة مزاح . يبدو انك تعتزم التقدم الى الامام اليس كذلك ؟

ـ أجل .

ـ انهم يضحكون على ما يسمونه حدسا غيبيا عندي . ولكن اسمي هو ارتميفا ايضا ، وعندي شعور داخلي ان الشخص الذي يكتب تلك الاشارات هو أخي .

ـ أخوك ؟

ـ نعم . لقد فقد الاتصال بيننا منذ بدء الحرب ، حينما افترقنا في (مينسك) . قبل الحرب كان اخي مهندس طرق ، ويلازمني الشعور انه هو . بل انني اعتقد حقا انه هو .

وقال رئيس الاطباء مقاطعا : انها تعتقد ذلك حقا ، ويكاد يصيبها الجنون لان ارتميف هذا لا يثبت الحروف الاولى من اسمه .

ووافقت فيرا نيكولايفنا بكل بساطة : نعم ، انه لأمر مزعج . لو انـه فقط كتب اسـمه « أ.ن. ارتميف ـ الكسانـدر نيكولا يفتش ارتميف » ، لو انه فعل ذلك لعرفت دون ذرة من الشك انه اخي .

وتدخل رئيس الاطباء مرة اخرى بقوله : أتعرف ماذا فعلت ذات يوم ؟ لقد كتبت تحت واحدة من تلك الاشارات « أانت الكساندر نيكولا يفتش ؟ اذا كنت اياه فان اختك ارتميفا تبحث عنك ـ مستشفى الميدان ٣٩٠ ب » .

وقلت متسائلا : احقا فعلتِ هذا ؟

ـ اجل ، لقد كتبت ذلك . ولكنهم ضحكوا مني جميعا وقالوا انه مهما فعل ضـباط الأسـلحة الاخرى فان المهندسين يندر أن يعودوا من الطرق التي شقوها . هذا صحيح دون شك ، ولكن رغم كل شيء فقد كتبت ما كتبت .. ثم اضافت تقول : عندما تمضي الى الامام ، اسال في قيادة الفرقة ، فمن المحتمل أن تلتقي بـه . سأكتب لك رقم وحدتنا . واذا عرفت شيئا فاكتب لي سطرين . اليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد سوف اكتب .

واقتطعت طرف صحيفة كانت معها ، ودونت العنوان عليه واعطتني القصاصة . وعندما أودعت القصاصة في جيب صداري لاحظت أن عينيها كانتا تتابعان حركة يدي ، كانما كانت تحاول ملاحقة الورقة حتى باطن جيبي كي تستوثق انها اصبحت في حرز حريز .

واتصل الزحف الروسي . وفيما وراء (الدنيبر) و (الدنيستر) استمرت لقاءاتي باسم ارتميف « استكشفنا الطريق ـ ارتميف » ، « يمكن عبور النهر بأمان ـ ارتميف » ، « المنطقة نظيفة من الالغام ـ ارتميف » ، أو ببساطة « ارتميف » مضافا اليها سهم يشير الى الطريق .

وعندما اقبل الربيع كنت في بسارابيا ، وهناك زرت احدى فرق المشاة ، وسالت مرة اخرى عن الاسم « ارتميف » ، وكان جواب القائد هذه المرة مختلفا :

ـ لماذا تسال ؟ اعرفه دون شك . انه يتولى قيادة كتيبة المهندسين في فرقتي . يا له من مهندس قدير . ولكن لماذا تسأل ؟ ايحتمل انك التقيت باسمه مرات ومرات ؟

ـ اجل ، مرات عديدة .

ـ بالتأكيد . انه يستكشف الطريق ليس للفرقة فحسب ، وليس للفيلق فحسب ، بل يفعل ذلك بالنسبة للجيش بأجمعه . انه دائما في المقدمة . الجيش كله يعرف اسمه مع أن كثيرين لم يتعرفوا عليه شخصيا . اسم شهير ، بل يمكن القول انه اسم خالد .

ومرة اخرى تذكرت عبورنا نهـر (ديزنا) واستعدت في ذهني ملامح الرائد القصير القامة الأسود الشعر . وقلت للقائد انني اود أن التقي بارتميف .

ـ يتعين عليك أن تنتظر فيما اذا توقفنا بصورة مؤقتة، ربما تستطيع عندئذ أن تراه.. لا أمل للتي أن تلحق به الآن ، انه في مكان ما في الطليعة مع وحدات الاستكشاف .

ـ على فكرة ما هو اسمه الكامل ؟

ـ الكساندر نيكولا يفتش ارتميف . لماذا ؟

وقصصت للقائد كيف التقيت بالدكتورة ارتميفا في مستشفى الميدان .

وقال القائد : نعم انه من قوات الاحتياط ، هذا صحيح . ولكن من يعرفه عن كثب يحسب انه خدم في الجيش طوال عمره . من المحتمل ان يكون الرجل ذاته .

ومساء تلك الليلة نبشت في جيب صداري حتى عثرت على قصاصة الصحيفة ، ثم كتبت بضع كلمات للدكتورة ارتميفا على عنوان مستشفى الميدان ، مفادها أن حدسها كان صحيحا وانها ستكون بعد مسافة قصيرة قد قطعت الف كيلومتر وهي تقتفي خطوات اخيها .

ولكن بعد اسبوع او اثنين ندمت على ارسالي تلك الرسالة .

كان ذلك على الجانب الآخر من نهر (بروت) . لم يكن قد تم انشاء الجسر بعد ، بل كانت هناك معديتان اثنتان تروحان وتغدوان من ضفة الى ضفة بانتظام الساعة . وحينما وصلت بسيارتي الى النهر شاهدت على درع مدفع الماني محطم الاشارة المألوفة : « العبور منتظم ـ ارتميف » .

وعبرت النهر على متن المعدية البطيئة ثم وقفت على الضفة الثانية واخذت انطلع حوالي باحثا عن الاسم المألوف . وعلى بعد عشرين خطوة ، عند طرف الضفة المنحدرة ، شاهدت كومة من التراب أقيمت حديثا وقد نصب في وسطها شاهد خشبي اثبتت في أعلاه لوحة مربعة تحت نجمة من المعدن . كانت اللوحة تحمل الكلمات التالية :

هنا يرقد الرائد أ.ن.ارتميف ، مهندس ، سقط في المعركة اثناء عبور نهر بروت .

وتحت هذه الكلمات وبخط أحمر كبير كان مكتوبا « الى الامام ، باتجاه الغرب » .

واقتربت من الضريح فرايت صورة مثبتة على الشاهد تحت قطعة مربعة من الزجاج. وأمعنت النظر فيها . لقد كانت صورة قديمة تهرات حوافها ـ ربما لانها بقيت مدة طويلة في جيب صدار ، ولكن ملامحها كانت واضحة بما فيه الكفاية : كانت صورة الرائد القصير القامة الاسود الشعر الذي شاهدته عندما عبرنا نهر ديزنا .

ووقفت الى جانب الضريح تتنازعني مشاعر الأسى : اشفقت على الاخت التي فقدت أخيها ، ربما قبل ان تتسلم الرسالة التي تنبئها بوجوده على قيد الحياة. وكان هناك شعور غريب بالوحدة. لن تكون الطريق بعد اليوم كما كانت من قبل عندما كانت تتخللها الاشارات التي تحمل اسم ارتميف . لقد فقدت رفيقا مجهولا كان يحرسني على طول الطريق . ولكن ماذا نستطيع أن نفعل ؟ في الحرب عليك أن تعتاد لقاء الموت ، سواء كرهت او رضيت .

وانتظرنا نزول سياراتنا من المعدية ثم مضينا في طريقنا . وبعد مسافة خمسة عشر كيلو مترا ، في موضع تكتنفه الأخاديد العميقة على جانبي الطريق، شاهدنا كثيرا من الالغام رصفت فوق بعضها البعض، وكانت هناك لوحة من الخشب اثبتت على عمود متوحد من أعمدة التلغراف كتب عليها « استكشفنا الطريق ـ ارتميف » .

كلا لم تكن هناك اعجوبة . كانت كتيبة المهندسين قد اعتادت أن تدعو نفسها « كتيبة ارتميف » مثلها في ذلك مثل كثير من الوحدات العسكرية التي يظل قائد واحد على راسها مدة طويلة . وهكذا قرر رجال ارتميف ان يكرموا ذكرى قائدهم بكتابة اسمه عند المواضع التي يمرون بها اثناء قيامهم بتنظيف الطريق امام الجيش . وبعد ان تابعت هذه الاشارات من جديد على مسافة عشرين فثلاثين فسبعين كيلو مترا ، وهي ترفع ذلك الاسم الخالد ، شعرت انني سوف التقي مرة بعد مرة في مستقبل غير بعيد بلوحات من ذات الطراز عبر نهر النيمن ونهر الأودر ونهر السبرى ، الى الغرب ، وهي تحمل على صفحاتها عبارة « استكشفنا الطريق ـ ارتميف » . ■■

نقلها الى العربية : سليمان موسى

طرائف عربية

في النساء

قال ابو العباس السفاح لخالد بن صفوان : يا خالد ان الناس قد اكثروا في النساء ، فأيهن اعجب اليك ؟

قال : اعجبهن يا امير المؤمنين التى ليست بالضرع الصغيرة ، ولا الفانية الكبيرة ، وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب . اعلاها قضيب واسفلها كثيب ، كانت في نعمة ثم اصابتها فاقة فاترفها الغنى وأدّبها الفقر .

في النوم

قيل النوم ثلاثة اوجه خرق" وحمق وخلق . فاما الخرق فنوم الضحى ، شغل" عن امر الدنيا والآخرة . والحمق النوم بين العصر والمغرب ، فانه لا ينامها الا احمق او عليل او سكران . واما الخلق فنوم الهاجرة .

الصدق منجاة

كان للمامون جماعة من المغنين وفيهم مغن يسمى سوسنا ، عليه وسم جمال . فبينما هو عنده يغنى اذ تطلعت جارية من جواريه فنظرت اليه وعشقته فكانت اذا حضر سوسن تسوى عودها وتغنى :

ما مررنا بالسوسن الغض الا
كان دمعي لمقلتيّ نديما

حبذا انت والمسمّى به انت
وان كنت منه أزكى نسيما

فاذا غاب سوسن امسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره . فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون ، فدعا بها ودعا بالسيف والنّطع ثم قال : أصدقيني امرك . قالت : يا امير المؤمنين ، ينفعني عندك الصدق . قال لها : ان شاء الله . قالت : يا امير المؤمنين ، اطلعت من وراء الستارة فرايته فعشقته . فامسك المامون عن عقوبتها وارسل الى المغني فوهبها له .

أسدة من

ذكر معبد بن خالد الجدلي قال : خطبتُ امراة من بني أسد في زمن زياد ، وكانت النساء يجلسن لخطّابهن . قال فجئت لأنظر اليها ، وكان بيني وبينها رواق ، فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللا باللحم ، فأتت على آخره ، والقت العظام نقية ثم دعت بشن عظيم مملوء لبنا ، فشربته حتى اكفاته على وجهها .

● قال الحسن لابنه : يا بنى اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت،ولا تقطع على أحد حديثا وان طال حتى يسكت.

آثرت أولادها

● عن على بن ابى طالب كـرم الله وجهه أنه قال : يا رسول الله ، لو تزوجت ام هانىء بنت أبى طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابة فتكون صهرا ايضا . فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لهو احب الى من سمعى وبصرى ، ولكن حقه عظيم ، ولدىّ ايتام . فان قمت بحقه خفت ان اضيع ايتامى ، وان قمت بامرهم قصّرت عن حقه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خيرُ نساء ركبن الابل نساءُ قريش ، احناها على ولد في صغره ، وارعاها على بعل في ذات يده .

أجاد فشهد له

● غنى رجل في المسجد الحرام، وهومستلق على قفاه ، صوتا ، ورجل من قريش يصلى بجواره . فسمعه خدام المسجد فقالوا : يا عدو الله ، أتغنى في المسجد الحرام ! ورفعوه الى صاحب الشرطة، فتجوّز الجار القرشي في صلاته، ثم سلم واتبعه ، فقال لصاحب الشرطة: كذبوا عليك أصلحك الله ، انما كان يقرأ فقال : يا فسّاق ، أتأتون برجل قرأ القرآن، تزعمون انه غنّى ! خلوا سبيله.

فلما خلوه ، قال له القرشي: والله لولا انك احسنت وأجدت ما شهدت لك . اذهبْ راشدا .

ميزان يوزن به الكلام

● كان عبد الله بن عمر يحب عبدالله ابن جعفر حبا شديدا ، فدخل عليه يوما وبين يديه جارية في حجرها عود . فقال: ما هذا يا ابا جعفر ؟ قال : وما تظن به يا ابا عبد الرحمن ؟ فان أصاب ظنك فلك الجارية . قال : ما اراني الا قد اخذتها، هذا ميزان رومى فضحك ابن جعفر . وقال : صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام، والجارية لك . ثم قال هات فغنت

ايا شوقا الى البلد الأمين
وحيٌ بين زمزم والحجون

ثم قال : هل ترى بأسا ؟ قال : هل غير هذا ؟ قال : لا . قال : فما أرى بهذا بأسا .

بني أسـد

وقالت : يا جارية ارفعى السجف ، فاذا هى جالسة على جلد اسد واذا امراة شابة جميلة، فقالت: يا عبد الله أنا أسدة من بنى اسد ، أجلس على جلد أسد ، وهذا طعامى وشرابى فعلام ترى ؟ فان احببت ان تتقدم فتقدم ، وان احببت ان تتاخر فتاخر . فقلت أستخير الله في امرى وانظر . ثم خرجت ولم اعد .



الرباب بنت امرىء القيس

● قرات في كتاب مقتل الحسين بن علي انهناك ولدا للحسين قد قتل في كربلاء ، وان هذا الابن من ام اسمها « الرباب » بنت امريء القيسالشاعر الجاهلي ، وهي زوجة من زوجات الحسين ابن علي بن ابي طالب. فكيف يكون هذا مع ان امراالقيس قد توفي قبل مبعث الرسول بحوالي ١٥٤ عاما حسب ما جاء في كتاب شرح المعلقات السبعةللزوزني ؟

فهل هناك امرؤ قيس آخر ام ماذا ؟

ناصر حسن العلاف
بغداد / العراق

ــ امرؤ القيس الشاعر المشهور صاحب المعلقة التى مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـــزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

هو من كندة ، واسمه امرؤ القيس بن حجر . وكِنْدة ينتهى نسبها الى كهلان بن سبأ ، وقد هلك امرؤ القيس الشاعر هذا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما امرؤ القيس والد الرباب التى تزوجها الامام الحسين رضى الله عنه فانه امرؤ القيس بن عدى وهو من قبيلة كلب التى ينتهى نسبها الى قضاعة من حمير بن سبأ ، وقد وفد ابوها مسلما باهله في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان له ثلاث بنات : الاولى المحياة وتزوجها الامام علي كرم الله وجهه وذلك بعد وفاة السيدة فاطمة باعوام .

والثانية : سلمى وتزوجها سيدنا الحسين ابن علي رضى الله عنه .

والثالثة : الرباب وتزوجها الامام الحسين رضى الله عنه ، وخلفت منه سكينة وفيهما يقول :

لعمــرك انــى لاحــب دارا
تحلُّ بهـا سُكينة والـربـاب

وقد خطبت الرباب بعد استشهاد الحسين فقالت :

ما كنت لاتخذ حمَاً بعد رسول الله .

وقالت ترثي الحسين :

ان الذى كان نوراً يستضاء به
بكربلاءَ قتيلٌ غير مدفـــون

سبط النبي جزاك الله صـــالحة
عنــا وجُنبـــت خسران الموازين

قد كنت لى جبلا صعبا الوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين

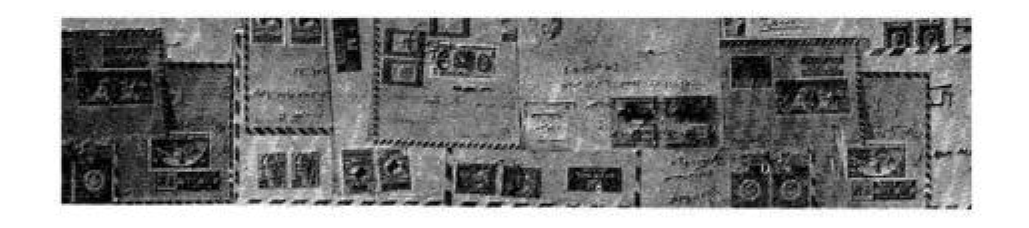
من لليتامى ومن للســائلين ومن
يغنى ويأوى اليــه كل مســكين

والله لا أبتغى صهرا بصهركم
حتى أُغيَّبَ بين الرمل والطين

وابنه منها الذى قتل معه صغيرا في كربلاء اسمه عبد اللــه .

اما سكينة فكان لها في المجتمع وتشجيع الادب شان كبير .

ع. ف



جائزة نوبل

● ما هي جائزة نوبل ، ولماذا سميت بهذا الاسم، ومتى بدأ توزيع هذه الجائزة ؟

صابر صبرى ـ القاهرة

ـ جائزة نوبل ، جائزة ادبية ومالية تمنح خمس منها سنويا لهؤلاء الذين قدموا خلال العام الذى سبق توزيع الجوائز ، أعظم فائدة للبشرية في ميادين علوم الفيزياء والكيمياء والطب ، والذين قدموا بحثا او مؤلفا ادبيا يساعد على تدعيم أواصر الاخوة بين الشعوب ، والذين ساهموا في اقرار السلام العالمى بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقيمة هذه الجائزة المالية ليست ثابتة فقد



الفريد نوبل

كانت قبل عام ١٩١٥ ، ٥٠ الف دولار أمريكى ، ثم هبطت الى ٤٢ الفا في عام ١٩٣٥ والى ٤١ الفا في عام ١٩٥٨ وما بعده .

وقد وزعت هذه الجوائز لأول مرة في اليوم العاشر من شهر ديسمبر من عام ١٩٠١ في يوم الاحتفال بذكرى مرور خمس سنوات على وفاة مؤسسها الفريد برنارد نوبل، الذى سميت باسمه.

ولقد كان نوبل من علماء السويد ، ولد في ستوكهلم ، العاصمة في عام ١٨٣٣ ودرس الكيمياء والهندسة ، وسافر في عدة رحلات للخارج لاتمام علومه الجامعية . وفي عام ١٨٧٦ فاجا العالم باختراعه للديناميت ، وجمع ثروة طائلة بفضل هذا الاختراع ، وبفضل استغلاله لحقول البترول في مدينة باكو عاصمة جمهورية اذربيجان على بحر قزوين . وقد عاش نوبل حياته وحيدا عليلا ، فهو لم يتزوج .. وكان للوحدة والمرض اثرهما في نظرة التشاؤم التى كان ينظر بها الى العالم من حوله ، رغم ملايينه العديدة . ولكنه مع ذلك كان مؤمنا ايمانا قويا بمستقبل البشرية .

وقد مات نوبل عن ٦٣ عاما بمدينة سان ريمو بايطاليا يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٦ وعندما فتحوا وصيته وجدوا أنه قد رصد الجزء الأكبر منها (حوالى ٩ مليون و ٢٠٠ الف دولار) لهذه الجوائز الخمس ، التى طلب توزيعها سنويا على العلماء والمكتشفين والباحثين دون تمييز بين جنسياتهم .

مشكلة الزنوج .. مشكلة قديمة في امريكا !

● نسمع كثيراً عن مشكلة التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة الامريكية ، وانا اتساءل عن الاسباب الرئيسية التي فصلت بين السود والبيض هناك .. وهل هي اسباب قديمة او جديدة .. ؟!

زياد عبد الكريم ـ عمشيت / لبنان

ـ ان قصة الزنوج في الولايات المتحدة والتفرقة العنصرية التي يعانون منها هناك قصة قديمة كل القدم .. ويعود تاريخها الى اوائل القرن السابع عشر ، وعلى وجه التحديد في اواخر شهر اغسطس من عام ١٦١٩ حين وصلت الى ميناء جيمس تاون بامريكا سفينة هولندية تحمل اول شحنة آدمية قادمة من افريقيا ، وتتكون من ٢٠ رجلا وامراة ليعملوا كخدم لمن يدفع ثمنا اغلى . وحتى ذلك الوقت لم تكن العبودية معترفا بها رسميا في امريكا . ولكنها كانت تمارس علنا وتحميها بعض القوانين التي كانت تطبق على الخدم من الملونين فقط . فهناك قانون في كل من ولايتي فيرجينيا وماريلاند يمنع الخدم الملونين من حمل السلاح بينما يبيح هذا الحق للخدم البيض . وفي عام ١٧١٢ صدر اول قانون في ولاية كارولينا الجنوبية ينظم العبودية ! وينص هذا القانون على ان العبيد من الملونين الذين احضروا الى هذه البلاد انما ينحدرون من اصل بربري متوحش ، وهذا يجعلهم غير مؤهلين لتطبق قوانين وعادات الولاية عليهم !!.. وهذا القانون القديم والذى صدر منذ اكثر من ٢٥٠ عاما يدل على ان شعور التفرقة العنصرية ضد السود لم يكن بسبب انهم جاءوا الى امريكا كعبيد يباعون ويشترون فقط ، وانما ايضا بسبب لونهم وكونهم من افريقيا السوداء .. ويبدو هذا واضحا في الاحداث التاريخية التي وقعت في امريكا قبل تنظيم قوانين العبودية . ففي عام ١٦٣٠ بولاية فيرجينيا قامت السلطات الحاكمة بجلد شخص ابيض يسمى « داتيس » امام جمع كبير من الزنوج والبيض ، لانه خان وطنيته وديانته ودنس جسده لوقوعه في حب امراة ملونة .. ؟!

والذى حدث في عام ١٦٣٠ لايزال يحدث حتى الان بعد ٣٣٨ سنة .. مع فارق بسيط ، فبدلا



من الجلد بالسياط ، فان المجتمع يجلد من يقع في حب فتاة ملونة بسياط من القاطعة والاحتقار والاذلال الذى يجعل الجلد بالسياط أرحم وأخف .. !! .. وهناك اسباب اخرى للتفرقة العنصرية في امريكا تعود اصولها الى ايام الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب والتي سميت بحرب تحرير العبيد .. وكذلك ايضا الخلاف في الثقافة والعادات بين البيض والسود ..

ومشكلة التفرقة العنصرية مشكلة متشعبه لها اسباب متعددة لعل ما ذكرناه منها هو اهمها .

(م.ط)

رجال كانوا فى الامس نساء

● يبدو أننا نعيش في عصر العجائب والغرائب .. فقد سمعنا أن ابنة جيراننا سامية التي أخذها أهلها قبل مدة الى فينا، ستعود قريبا وقد تحولت الى ذكر بعد أن كانت فتاة كاملة الانوثة .. ترى هل هذا ممكن أو معقول وهل يأتي حقاً نتيجة الاسراف في الرياضة البدنية كما يقولون .. ؟! .

خليل الفران ـ الخرطوم
السودان

ـ لا عجب ولا غرابة فيما تذكر عن تحول ابنة جيرانكم الى ذكر . ولن تكون سامية هذه الفتاة الاولى التي يحدث لها مثل هذا ولن تكون الاخيرة ...

ويبدو انك لم تطلع على العدد ١٠٧ من العربي ، حيث جرى بحث موضوع التحول من الانوثة الى الذكورة على الصعيد العلمي . ولعلك لا تتابع كذلك قراءة الصحف والمجلات ، فلم تسمع بقصة بطلة العالم البولونية في عدو المسافات القصيرة ... فقد كانت « اواكلوبوكوفسكا » الرشيقة هذه فتاة شقراء رائعة الجمال ، طيلة احدى وعشرين سنة . الا انها لم تلبث أن تعرضت للطعن في انوثتها ، ثم حكم عليها بالخروج من عداد الجنس اللطيف ، وحرمت ، قبل نحو عام ، من الاشتراك في مباريات مدينة كييف النسائية .

ولعلك لم تسمع كذلك بالبطلتين الروسيتين الشقيقتين تمارا وارينا بترس ، وقد آثرتا الانسحاب من مباريات البطولة النسائية الاوروبية الثامنة أصلا ، على أن تتقدما لفحص الانوثة الذى يجرونه في مثل هذه المناسبات .

وتجدر الاشارة الى ان الفحص المذكور لم يكن معمولا به في الماضي ، حينما اكتفت الهيئات المشرفة على مباريات النساء بشهادة طبية يسهل الحصول عليها من اى طبيب او طبيبة ، تؤكد انوثة الفتاة التي تحملها . ويبدو أن ارتياب الكثيرين في انوثة بعض بطلات الرياضة اللواتي اوحت مظاهرهن بالذكورة والبتت نتائجهن قوة فائقة تشبه قوة الرجال ، هو الذى حدا باتحاد هواة الرياضة الدولي الى استحداث الفحص الدقيق الذى ذكرنا ، وذلك في مؤتمر ذلك الاتحاد المنعقد في طوكيو سنة ١٩٦٤ . وتتجلى دقة امتحان الانوثة هذا في عدم الاعتماد على مظاهر الجسم واعضائه .

ولعل التقيد بهذا الفحص في كافة مباريات النساء ، وعدم الاخذ به في غير الرياضة في المجالات واوجه النشاط النسائية الاخرى ، هو الذى ساعد على انتشار الوهم بأن الرياضة البدنية هي المسؤولة عن وجود الخنثيات او تحول النساء الى رجال وقد اشرت الى هذا الوهم في سؤالك .

ولو طلبت يا أخ خليل مزيدا من الامثلة على أن الظاهرة التي تسألنا بصددها ليست من الظواهر الخارقة لاقترحنا عليك زيارة المدعو هر هرمان ، اى السيد هرمان ... لدى زيارتك لالمانيا ، ولمدينة هامبورج بالذات ... حيث يعمل المذكور في احدى الحانات .. فالسيد هرمان هذا ، ان كان لا يزال حيا يرزق ، ليس الا الآنسة دورا راتجن سابقا ، وقد اشتهرت قبيل الحرب العالمية الاخيرة بتربعها على عرش بطولة القفز

العالي للنســـاء في العالم ، واحاطها هتلر بكل اسباب التقدير والثناء ، حتى اكتشف امرها ، فاجريت لها العملية الخاصة ، فاصبحت الهر هرمان الذى اقترحنا عليك زيارته .

وتستطيع أن تعرّج ، بعد زيارتك لهامبورج ، على مقاطعـــة اللوريـــن . فلعلك تجتمع الى (ليا كاولا) بطلة المباريات النسائية لعام ١٩٤٦ ، وهي ابنة تلك المقاطعة. ومن يدرى فقد لا تستطيع الاهتداء الى تلك الفتاة على الاطلاق ، اذ لم يعد لها وجود ، وقد اجريت لها عملية الذكورة ، واذا بها تصبح رجلا ، بل زوجا لامراة اخرى وابا لعدة اولاد .

(ى . ز)

« الكترا » .. هل كانت تعانى من مركب النقص ؟ !

● قرأت في العدد ١١٧ من مجلة « العربي » قصة اوديب الملك . وكيف ان « أوديب » كان يعاني أيضا من مركب النقص لا من عقدة « أوديب » فقط التي قال عنها فرويد . وقد سمعت ان هناك قصة من شخصية تسمى « الكترا » وانها تمثل الطرف الاخر في عقدة « أوديب » . فمن تكون « الكترا » هذه ؟ وما قصتها ؟ وهل كانت تعاني من مركب النقص ؟

بداوى عبد القادر ــ المغرب .

ــ « الكترا » المقصودة فى سؤالك هى ابنـة اجاممنون Agamemnon أحد ابطال الاساطير الاغريقية القديمة ومحاصر طروادة ، من زوجته كليتامنسترا Cleytamenstra . وهي بطلة مسرحية سوفوكليس المسماة « بالكترا » . والتى تتلخص فى ان « الكترا » قد انقذت حياة شقيقها اوريستيس Oristes بأن هربته بعيدا عن اعين امها وعشيق امها اجيسوس Agisos بعد أن قاما بقتل « اجاممنون » وتظل « الكترا » صابرة في حياتها مع امها وعشيق امها في انتظار عودة شقيقها للقصاص من قتلة أبيه .

وتتعرض « الكترا » لشتى الانفعالات النفسية من حب الى كراهية عنيفة، الى يأس قاتل ثم فرح غامر ، ويعود أوريستيس ليقتـل امـه وعشيقها بمساعدة شقيقته « الكترا » . وتنتهي مسرحيـة سوفوكليس بزواج « الكترا » من صديق شقيقها بيلادس Pilades .

وشخصية « الكترا » في رأى علماء النفس تمثل ظاهرة كثيرا ما تظهر فى محيط الاسرة وهي ان الاولاد الذكور يميلون الى امهاتهم اكثر من ميلهم لآبائهم ، وان البنات يملن الى آبائهن اكثر من ميلهن الى امهاتهن . وهى ــ اى الكترا ــ تمثل الجانب الاخر « لعقدة اوديب » وهو الاسم الذى اطلقه فرويد على هذه الظاهرة النفسية من ميل الابناء الذكور لامهاتهم وميل البنات لآبائهن .

فاوديب قتل اباه وتزوج امه .. والكترا كرهت امها وعملت على تحريض شقيقها لكي يقتلها .

اما عن الجزء الاخر من سؤالك وهو اصابـة الكترا بمركب النقص . فان من الواضح من القصة ان الكترا لم تكن تعانى من اى تشويه خلقى قد يسبب لها هذا المركب ، ولكنها فى نفس الوقت افتقدت الحنان الابوى وكانت تشعر بعدم الامان بالنسبة للمجتمع وكانت تعيش فى جو غير طبيعي مع قتلة أبيها .. يملأ نفسها الحقد والخوف واليأس وهذه كلها عوامل يتسبب عنها الاصابة بمركب النقص Inferiority Complex .

والكترا تتشابه شخصيتها مع شخصية اوديب فى الحالات النفسية التي عاناها كل منهما .

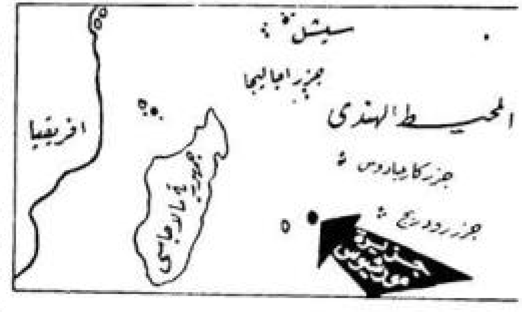
ولا تنس ان مؤلف القصتين واحد، وان اوجه الشبه بين ابطال قصصه كانت كثيرة .

(م. ط)

الدولة رقم ٢٧ فى الكومنولث البريطاني

● قرانا اخيرا ان جزيرة مورشيوس قد حصلت على استقلالها ، فنرجو ان تذكروا لنا شيئا عن هذه الجزيرة واين تقع وكم مساحتها وعددسكانها ، وبماذا تشتهر ؟

احمد السيد / دمشق ـ سوريا .



ـ جزيرة مورشيوس ، Mauritius تقع فى المحيط الهندي على بعد ٩٣٤ ميلا الى الجنوب الشرقي من جزيرة سيشل Seychelles التي نفى فيها الانجليز سعد زغلول زعيم الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩ ، وكانت جزيرة مورشيوس تعرف في الماضى باسم ايل دى فرانس I Le de France اى جزيرة فرنسا ، وهي جزيرة صغيرة لايزيد طولها على ٣٩ ميلا وعرضها ٢٩ ميلا ويبلغ تعداد سكانها ٧٧٣٠٠٠ نسمة غالبيتهم من الهنود والمستوطنين الفرنسيين والافريقيين ، ولو ان معظم السكان من الهنود الذين يبلغ تعدادهم ثلثي مجموع عدد سكان الجزيرة .

وقد اكتشف هذه الجزيرة البرتغاليون بين عامي ١٥٠٧ و ١٥١٢ ، وكانت في تلك الحقبة من التاريخ جزيرة قحلة لا حياة فيها ، وثبت من الدراسات التي قام بها علماء الآثار ان هذه الجزيرة لم تكن مسكونة فى يوم من الايام قبل اكتشافها فى اوائل القرن السادس عشر كما ذكرنا . وعندما نزل اليها البرتغاليون لاول مرة ، شاهدوا طيورا كبيرة تحط على شواطئها ، وكانت هذه الطيور شديدة الشبه بطائر البجع ، فاسموا الجزيرة Ilha De Cirnos ومعناها بالاسبانية « جزيرة البجع » .

وقد احتلها الهولنديون فى عام ١٦٣٨ ، الا انهم مالبثوا ان رحلوا عنها فى عام ١٧١٠ لكي يحتلها الفرنسيون بعدهم فى عام ١٧١٥ .. فادخلوا اليها زراعة قصب السكر ، التي مازال الجزيرة تشتهر بها حتى اليوم .

وبدا الناس ياتون الى هذه الارض البكر من فرنسا والهند وافريقيا . ولكن الفرنسيين ما لبثوا ان رحلوا عنها كما رحل الهولنديون من قبلهم . وجاء الانجليز بقيادة الجنرال ابركرومبي Abercromby ليرفعوا العلم البريطاني على هذه الجزيرة فى عام ١٨١٠ ، وتاكدت ملكية بريطانيا للجزيرة فى معاهدة باريس عام ١٨١٤ ومع موجة التحرر التي سادت القارة الافريقية ، بدا سكان الجزيرة الصغيرة يفيقون ويطالبون بدورهم بالاستقلال . واستقلت جزيرة مورشيوس فى ١٢ مارس عام ١٩٦٨ ، لتصبح الدولة رقم ٢٧ فى الكومنولث البريطاني .

وتعتمد البلاد على محصول واحد تقريبا هو القصب الذى يستخرج منه السكر ، ويمثل ٩٣٪ من صادرات البلاد .. وتكسوا مزارعه ٤٥٪ من مجموع مساحة الجزيرة .. ومن الحاصلات الاخرى الشاى والتبغ .. وهناك ثروة سمكية وافرة فى المياه التي تحيط بالجزيرة .

بقى ان نذكر ان هناك عدة جزر تابعة لمورشيوس اهمها جزيرة رود ريج Rodrigues وتقع على مسافة ٣٥٠ ميلا الى الشرق .. وجزيرة آجاليجا Agalega وتقع على بعد ٥٨٠ ميلا الى الشمال .. وجزيرة كارجادوس Cargados وتقع الى الشمال الشرقي منها وعلى بعد ٢٥٠ ميلا .

ورودريج اهم هذه الجزر ومساحتها ٤٠ ميلا مربعا وعدد سكانها ٢٠٠٠٠ يعملون فى الزراعة وصيد الاسماك .. ■■

(م ٥٠)

من الكتب التي وصلتنا

(بقية المنشور على صفحة ١٣٧)

كنز الانساب ومجمع الآداب

تأليف : ابو عبد الكريم حمد بن ابراهيم الحقيل .

الناشر : مؤسسة المعارف ـ بيروت .

● كتاب في انساب العرب ذلك العلم الذي يبحث تناسل القبائل والبطون والشعوب وتناسل الابناء من الآباء وتفرع الغصون من الاصول في الشجرة البشرية ، وحفظ الانساب ليس خاصا بالعرب بل هو علم مشترك بين سائر الشعوب الا ان العرب امتازوا بذلك وتغلب على مشاعرهم واحساساتهم لما له من فوائد جمة ، نظرية وعلمية وجعلوها من الضرورات الشرعية ، والاجتماعية والادبية ، منها اثبات المواريث واحكام الوقف والانكحة والديات .

ديوان السيد موسى الطالقاني

تحقيق : محمد حسين آل الطالقاني . الناشر : مطبعة الغري الحديثة ـ النجف ـ العراق .

● ديوان شعري يحوي العديد من القصائد في فنون الشعر المختلفة في المدائح والمراثي والموشحات والاخوانيات ، كما زود الكتاب بترجمة وافية عن حياة موسى الطالقاني ومكانته العلمية ومنزلته الاجتماعية وآثاره العلمية .

الفكر الاسلامي الحديث في مواجهه الافكار الغربية

تأليف : محمد المبارك . الناشر : دار الفكر ـ بيروت .

● مجموعة مقالات توضح التيارات المختلفةالتي واجهت الفكر الاسلامي منذ الحرب العالمية الاولى وحملات التشكيك في مثلنا وقيمنا وحضارتنا وديننا ولغتنا ، ثم المحاولات القوية التي تغذيها مراكز خارجية سياسية وعلمية لزحزحتنا من مواقع دفاعنا .

افكار معاصرة

تأليف : احمد بهاء الدين . الناشر : منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية . بيروت .

● مجموعة مقالات متنوعة كتبت في أزمان متباعدة تتناول مواضيع شتى سياسية واجتماعية مختلفة .

تاريخ مدينة سامراء

تأليف : يونس الشيخ ابراهيم السامرائي .

الناشر : مطبعة دار البصري ـ بغداد .

● دراسة عن مدينة سامراء وبيان اهميتها التاريخية والخلفاء الذين حكموها ثم دراسة عن المعالم الاثرية مثل جامع الملوية ومنارة ابي دلف ودار العامة . ومرقد الامامين علي الهادي وولده الحسن العسكري .

الكراكي

تأليف : نور الدين فارس .

الناشر : المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .

● بعد مقدمة تجريدية عن الانسان والمسرح قام المؤلف باستعراض لمسرحية الكراكي بعيدا عن تقييمها او اطرائها تاركا ذلك للقارىء راضيا ان يكون قد قدم عملا حيا للمسرح الصاعد . والمسرحية في ذاتها من النوع التاريخي يحاول الكاتب أن يجعل من حوارها حوارا تجريديا متأثرا بذلك بمدرسة اللامعقول الحديثة .

منهج التربية عند الامام علي

تأليف : علي محمد الحسين الاديب ـ الناشر : المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ـ العراق .

● كتاب يتناول بالبحث والتحليل اصول التربية ومناهجها عند الامام علي على ضوء السمات الاساسية للمدرسة الاسلامية ، والبحث يتلمس الطريق المنهجي المنظم لبناء مجتمع اسلامي قائم على قواعد القرآن والسنة النبوية وقد استمد المؤلف مادة كتابه من خلال تقريرات ورسائل وخطب الامام علي وهو بذلك يحاول ان يخطط المستقبل التربوي للمجموعة الانسانية التي تهوى الحق والخير ككل . ■■

العربي

العدد ١٢٤
ذو الحجة ١٣٨٨
مارس
(آذار) ١٩٦٩

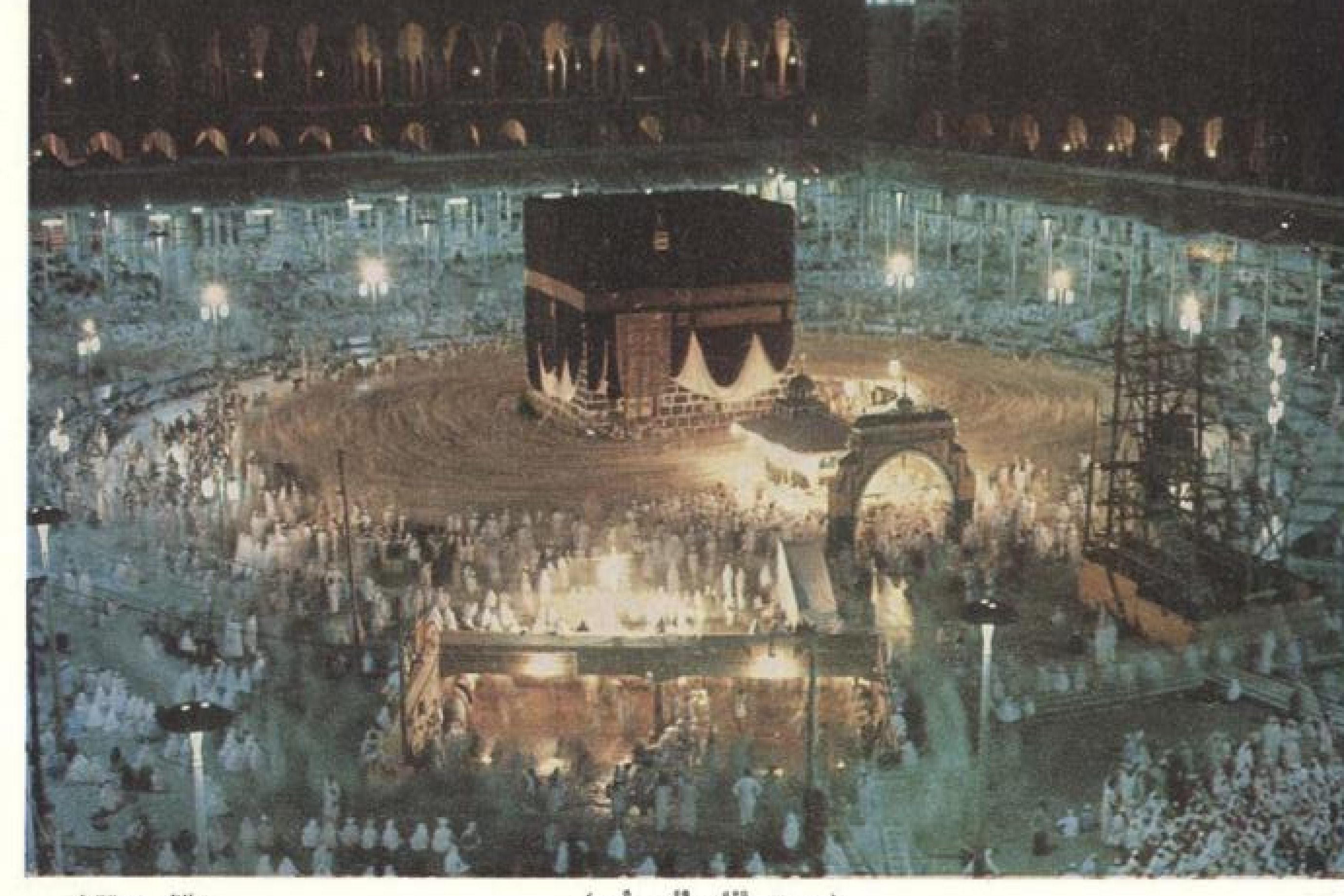


الربيع .. فيه تستيقظ الطبيعة من سباتها

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي ٢	ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية ٢	ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم



(بيت الله الحرام) (انظر ص ٢٢)

« وَأذّن في الناس بالحَج يأتوكَ رِجالا وعلى كل ضامِر يأتينَ من كل فَجٍّ عميق »



صاحب السمو
أمير الكويت

عزيزى القارىء

أكاد ألمح ، وأنا أكتب هذه الكلمة القصيرة اليك ، مشرق يومين ، يأتيان على المدى القريب :

● أحدهما يوم العيد الاكبر ، يوم الحجيج ، فكل عام وأنت بخير ، وسائر المسلمين بخير ، وسائر خلق الله . وان تكن يومَ العيد تنفتح أبواب السماء للدعوات ، فدعوتنا أن لا يجيء العيد القادم ، الا وقد ارتفعت الغمّة عن هذه الأمة ، انه سميع مجيب .

● وثانى اليومين ذكرى اليوم الذى نالت الكويت فيه استقلالها . انه يوم الكويت الوطني .

وهذا اليوم يجمع ذكريات الكويت ، منذ كانت ومن بعد ما صارت . ولا أحسب ان أحدا ، خبيرا بنشأة الأمم ، وبتواريخها وبمصائرها ، وبدرجاتٍ درجتها في سبيل حياتها ، الا باعثا بتهنئة خالصة الى الكويت ، بما كسبتْ في هذا العمر القصير من حياة الأمم .

● وبذكر الكويت في عيدها نذكر أميرها ، صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح ، فقد شاء حبّه للكويت أن يجعل من عيدها وعيد جلوسه عيدا واحدا . عيدان في عيد ، مباركان ان شاء الله دائما أبدا .

المحـرر

١٩٦٩/٢/٩

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 124 - March 1969 P.O.Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● في ظلال الاشجار الوارفة ، ومع خيوط الشمس التي راحت تتسلل بين الأغصان فتشيع الدفء فيما حولها .. وامام القنوات التي جرت فيها المياه بعد شتاء طويل ، جلست تتامل جمال الطبيعة وتسرح ببصرها في ربيع الحياة ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .





نحن العرب

● استاذنا الكبير

طالعت باعجاب بالغ ، مقالكم الصريح المنشور في العدد ١٢٢ بعنوان « نحن العرب » ، وقرأته مرات ومرات ، دون ان ارتوى من حلاوته وطلاوته.

فلا فُضَّ فوك ، وجعلك الله ذخرا للقضية العربية .. وارى ان مقالا واحدا بهذه الصراحة عن حقيقة اوضاعنا البالية لا يكفي ، فقد نمنا بما فيه الكفاية ، واطبقنا اجفاننا على امجاد أجدادنا واقفلنا افواهنا عن قول الحقيقة المجردة المؤلمة .. وتحاسدنا ، وتباغضنا ، وتشاتمنا ، تاركين للعدو فرصة العمل لزيادة شقة الخلاف بيننا ، عندما وجد في نفسياتنا استعدادا لهذا حتى على مستوى الافراد ، وفي البلد الواحد ، بل وفي البيت الواحد ... وقد لا ندرك هذا ، وقد ندركه ، ونتجاهل حتى لا نستطعم المرارة ، وتعجز معدتنا المرتبكة عن هضمها .. فيا استاذنا الكبير ، مزيداً من الحقيقة والواقعية فانت مدعو للجهاد في سبيلها ...

نقيب / عبد الله عمر باجنيد
الدمام / السعودية

ليس للخليل بن أحمد

● في بريد القراء في العدد ١٢١ ديسمبر ١٩٦٨ في الصفحة ١٣٩ يذكر عبد الستار فراج ان هذا البيت من الشعر

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

للشاعر عمرو بن معديكرب الزبيدى . والحقيقة ان هذا البيت هو لصاحب علم العروض الخليل ابن احمد .

اكتب لكم هذا للعلم ليس الا ..

وليد محمد رجب ـ الجامعة الاردنية

العربى : مِنْ تسرُّع الشباب أن يحكم دون ان يكلف نفسه عناء البحث . والبيت ليس للخليل ابن احمد وانما طلب الخليل من شخص قليل الفهم كان يتعلم العروض أن يقطع هذا، اما البيت فهو لعمرو بن معديكرب من قصيدته التى مطلعها :

أمن ريحانة الداعى السميع
يؤرقنى واصحابى هجوع

فليقرأ كل الكتب التى ترجمت لعمرو، كالأغانى ومعجم الشعراء والاصابة ، والاستيعاب ، ومعاهد التنصيص .

« العربى » لماذا لا تصل أمريكا بانتظام ؟

● أشعر برغبة ملحّة في ان تصل مجلة «العربى» الينا هنا في امريكا بانتظام ، خاصة وانها تحمل الى قرائها خلاصة دسمة من الفكر العربي والعالمى .. لماذا لا تعملون على ايصال « العربى » الى امريكا حيث السوق مفتوحة ، وحيث العرب المقيمون هنا يتلهفون على مطالعة ما يصل الى بعض السفارات من اعدادها ..

محمود عبد الهادى
لوس انجيلوس ـ الولايات المتحدة

العربى : اقتراحك جدير بالاهتمام لولا أن الأعداد التى تصدر من « العربى » حاليا لا تكفى البلاد العربية وحدها .. ونرجو أن تتيسر الأمور قريبا بحيث نستطيع أن نفى بما يقترح الأخ الكريم، خاصة وأن مقترحات مماثلة قد جاءتنا من مكتبات بعض الجامعات في أمريكا ، وقد اشترك بعضها في العربى فعلا .

متى بدأ نشر باب أمراض شائعة فى «العربى»

● **لقد اطلعت مؤخرا على ما تنشرونه في «العربى» من مواضيع طبية ، وراقني جدا ما تكتبونه تحت عنوان امراض شائعة . واود ان اعرف متى بدأتم الكتابة في هذه الامراض وهل في النية اصدار كتاب يشمل ما كتبتم في هذه المواضيع لينتفع بها القراء .. ؟**

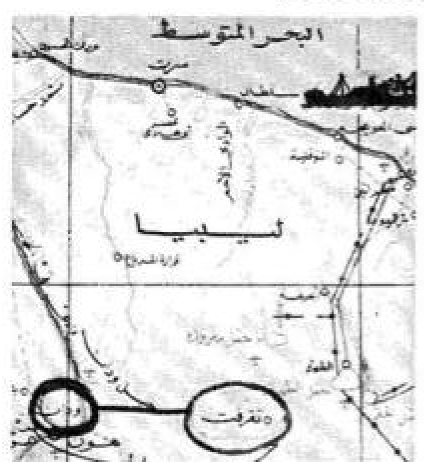
عبد الرحمن محمد ـ السعودية

العربى : بدأنا الكتابة في الأمراض الشائعة في العدد ١٠٢ الصادر في شهر مايو (آيار) سنة ١٩٦٧ . ونذكر لك فيما يلي طائفة من الأمراض التي تعرضنا لها ونذكر لك مراجعها :

الحمّى الروماتزمية	١٠٢	مايو / ١٩٦٧
الذبحة الصدرية والسدة الصدرية . . .	١٠٣	يونيه / ١٩٦٧
السكتة المخية	١٠٤	يوليو / ١٩٦٧
الكلِيرة : مرض القرون الماضية ووباء العصور الحديثة	١٠٥	اغسطس / ١٩٦٧
الصفراء : عرض ومرض	١٠٨	نوفمبر / ١٩٦٧
اللوزتان :	١١١	فبراير / ١٩٦٨
الزهرى :	١١٢	مارس / ١٩٦٨
الصداع :	١١٥	يونيه / ١٩٦٨
الحصبة :	١١٧	اغسطس / ١٩٦٨
الحمّى الروماتزمية	١١٨	سبتمبر / ١٩٦٨
الانزلاق الغضروفي في الظهر	١٢١	ديسمبر / ١٩٦٨

اما عن جمعها في كتاب ، وقد سبق أن فكرنا في هذا الاحتمال، فلعلنا نقدم على تحقيقه اذا اسمحت الظروف لذلك .

وادان وتاجرفت .. !



● **اطلعت في العدد ١٢١ على ما جاء في تعقيب السيد صالح حسن المنفى . واود أن الفت نظر سيادتكم الى أن السيد صالح على صواب وأن ياقوت على خطأ ، مع الأسف ! ذلك لان وادان وتاجرفت هما مدينتان في ليبيا ، وفي الجفرة بالضبط ، وتقعان بالقرب من أكبر حقلين للبترول في تلك المنطقة . وفي الخريطة المرفقة الدليل القاطع على ما اقول . وهذا دليل أيضا على أن المدينتين ليستا في موريتانيا ..**

مسعود على الهمالي ـ طرابلس ـ ليبيا

العربى : انت محق فيما تقول باستثناء ما ما ذكرته في العبارة الأخيرة .. فلو دققت النظر في خريطة مفصّلة لموريتانيا لوجدت ان فيها مدينتين تحملان مثل اسمي المدينتين الليبيتين المذكورتين .. ونشكرك على اهتمامك على كل حال .



..ولَيْسَ كُلُّ رجُلٍ

بقلم رئيس التحرير

■ كتب الاعزةمن ابنائنا شبان العرب، يستصرخون . يطلبون منا ولو خناجر يغمدونها في صدور الأعداء يطلبون شفاء عاجلا لما أصاب صدورهم من ضيق . ومنهم من تمنى ذلك سبيلا للاستشهاد «تقريب» .

ارخاص الحياة رأس الفضائل

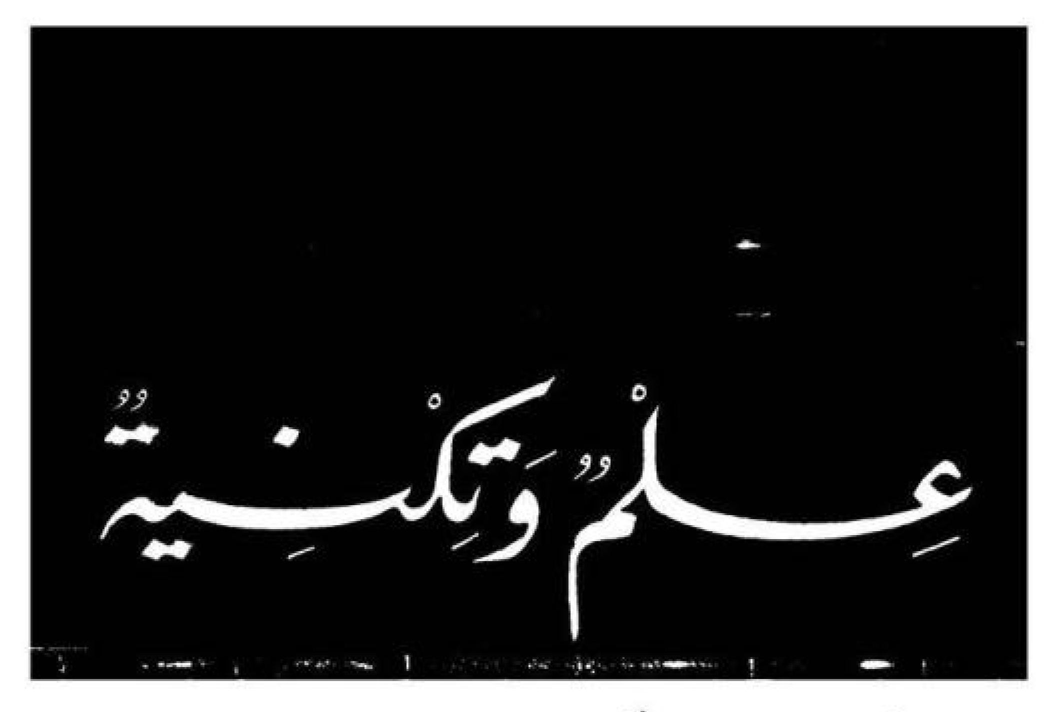
استرخاصٌ للحياة ، تلك العزيزة على كل حي ، هو راس الفضائل جميعا . واكرمْ بحياة تبذل في احقاق حق ، وابطال باطل . وهل احقاق حق كاستمساك بارض هي الوطن ، وهل ابطال باطل كدفع الخزى عن سكان ارض هم الأهل وهم العشيرة .

ما أكثر ما تغيَّر الزمان

ولكن ..

ولكنَّ ما أكثر ما تغير الزمان .

احسست بهذا التغير بالأمس خاصة عندما قرات قصيدة ابي تمام التي يرثي فيها خالد بن يزيد الشيباني ويصف اقدامه في الحرب وحسن تمرُّسه فيها ، وذلك عندما قرات الأبيات الآتية :



في قارعة الطريق بمحارب

ونفس تعاف العار حتى كأنه
هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر
فاثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه
فلم ينصرف الا واكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمرا فما دجا
لها الليل الا وهي من سندس خضر

وتذكرت أنه ما كان عند هؤلاء القوم في حروبهم الا سيف وترس ، وما شابه ذلك . فما أسرع ما جاءهم الموت . وما أسرع ما جاءهم استشهاد في سبيل الحق .

وتراءى لي ان دخول ميدان الحرب الحديثة اليوم، بسيف وترس ، أو مغفر ودرع ، ليس فيه من الاستشهاد شيء ، ولا من المثوبة عند الله شيء ، بل فيه الاجرام كل الاجرام . انه قتل النفس غيلة . ذلك ان الله سبحانه يقول : ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة .

العلم والتكنية غيرا وسائل الحرب

ان العلم والتكنية غيرا وسائل الحرب اصلا وفرعا . لقد ركباها وقد عقداها . وأساليب الحرب صارت دروسا تطول ، والتدريب على آلات الحرب أصبح وهو ليس بالمورد القريب . وقد كان يدخل الجيش ، ويحمد دخوله ، كل من كان له جسم سليم ، وعضل مفتول ، وعين ترى ، وأذن تسمع ، وذكاء غير كبير . ولم يكن من الضروري جدا ان يعرف الجندي كيف يقرا وكيف يكتب .

وكانت ادارة الحرب تأتلف وهذه المواصفات في الرجال .. مواصفات اكثر الرجال ، في حرب كحرب نابليون ، أو حتى في الحرب العالمية الأولى .

ثم تبدل الحال .

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وتقدم العلم بين الحربين ، على كل الجبهات ، وجرى قدما اشواطا طويلة ، فكان من جراء ذلك أن أدوات الحرب العالمية الثانية ، لا اقول تبدلت ، ولكن اقول انقلبت على أم راسها انقلابا .

وانتهت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، وبين الأمم من الريبة ما بينها . حتى الأمم المنتصرة المتحالفة ، فقفز هذا العلم وجرى سابقا على كل الجبهات ، وعلى جبهات لم يكن لها وجود . جرى اشواطا لا يكاد يحصرها حاصر . كان العلم كالبحيرة ، يصل العالم الغاطس الى ما يحسب انه قاعها ، في دقائق . فاذا بالعلم كالبحر يغطس العالم فيه ، فلا يكاد يحس له قرارا .

وفي ربع القرن الذي مضي تقدمت الذرة ، وتفجرت القنبلة النووية ، من ذرية وادروجينية .

وفي ربع القرن هذا الذي مضى ابتدعت الصواريخ ، من ارضية ، وهوائية ، وفضائية ، ومع الصواريخ الأقمار الصناعية .

وفي ربع القرن الذي مضي تقدمت العلوم الالكترونية،فكان منها الأعاجيب. ودخلت هذه الأعاجيب أدوات الحروب، ففهم رجل الحرب منها نتائج ادائها ، وان عجز عن فهم أسبابها . الرادار منها ، وتلك التي اسموها بالعقول الالكترونية منها .

وذكرنا من العلم بعضا ، وتركنا الكثير .

فهذه كلها دخلت اجهزة القتال الحديث ، فجعلت منه فنونا . وجعلت المقاتل صاحب فن وصاحب علم ، قل أو كثر .

الطيران اكثر اسلحةالقتال نصيبا من علم

ولعل اكثر اسلحة القتال نصيبا من علم هو سلاح الطيران .

بدات الطائرة في أواخر الحرب العالمية الأولى اداة استطلاع . كان كل المطلوب منها أن تستطيع أن تطير فوق مواقع الأعداء ، ثم تعود فتدلي بما رات . انها عين الطيار ، ارادوها أن ترتفع عن الأرض لترى ، ثم تعود لتحكي. والتقت هذه الطائرات ، من عدوة وصديقة ، في الهواء ، فكان لا بد من تسليحها لتحمي نفسها .

وما جاءت الحرب العالمية الثانية حتى

طائرة مقاتلة فرنسية وعليها الوسمات البريطانية ، وهي من الطائرات التي ظهرت في الحرب العالمية الأولى ولم يكن عليها من الادوات الالكترونية شيء كل ما كان يراد منها أن تصعد وترى وتخبر بالذى رات وتعود سالمة . قارنها بالطائرتين الميراج والفانتوم بهذا العدد من العربي بصفحة ٢٨ تجد الفرق هائلا .



اختلفت واجبات الطائرات واختلفت انواعها ، واختلفت تصاميمها واشكالها . فمن طائرة مقاتلة تطارد طائرات العدو عن ارض الوطن . ومن طائرة مهاجمة ، تغوص الى اهداف الأعداء وتضرب . وطائرة مقنبلة ، ترمي بحمولتها من علٍ على مصانع العدو ومراكز جنده . وطائرة مستطلعة ، واخرى ناقلة ، الى سائر ما هنالك من صنوف .

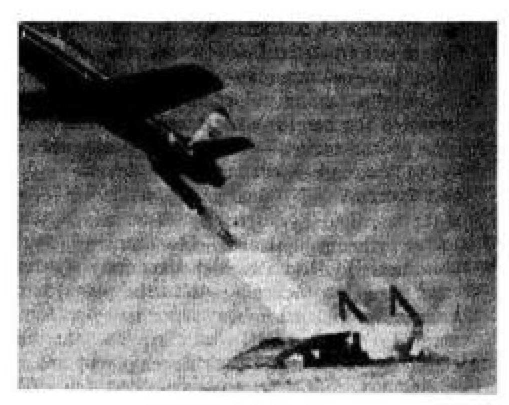
ولكن ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، ودخلنا فى العقد السابع من القرن الحاضر ، اى فى الستينيات ، حتى كانت الطائرات قد خلقت خلقا جديدا ، وكذا طياروها .

فى الحرب العالمية الأولى ، وكذلك فى الحرب العالمية الثانية ، كان الطيار في طائرته يرى طائرة العدو . كان يراها بعينيه ، فيوجه طائرته نحوها بحيث تكون منها فى موضع تصح فيه اصابتها . ثم هو يضغط على الزر بيده ، فتخرج القذيفة ووجهتها الهدف الذى يراه امامه .

كل هذا مضى وانقضى .

قضت عليه السرعة الهائلة التى بلغتها الطائرات . سرعة كسرعة الصوت ، أو كضعف سرعة الصوت ، أو فوق ذلك قدرا . وعلى ارتفاع قد يكون فى السماء هائل .

فى هذه السرعة العالية لا تنفع العين لرؤية ، واستجابة الطيار باطلاق قذائفه لا يمكن أن تلحق بطائرة العدو هذه الخاطفة . انه عجز اعصاب الطيار عن ملاحقة الاثر البصرى بالعمل العضلى . من أجل هذا وجب على العلم، ووجب على التكنية ، أن تجعل من الطائرة الحربية الحديثة طائرة ذاتية ، تلقائية ، بأن تبتدع فيها الأجهزة التي تكشف العدو ، وتقترب منه ، وتطلق النار عليه ، وذلك بأقل معونة من الرجل



طائرة حديثة اطلقوها في المطار بدون مُدَرَّج تدرج عليه ، وانما هي ارتفعت الى السماء على الفور بواسطة صاروخ اطلق منها ، مرتبط بذيلها .

الجالس فى حظيرة الطائرة ، أعني الطيّار . ان الطيار فى مثل هذه الطائرة لا بد يعتمد على وسائل الطائرة الالكترونية فى العثور على عدوه ، وأن يعتمد على الحاسبات الالكترونية Computers التي تحملها طائرته ليشتبك بعدوه ، فى اللحظة التي تحددها هذه الحاسبات ، ويطلق اسلحته فى اللحظة التي تقضي بها هذه الالكترونيات . بل انها هي التي تطلقها .

« انه لا يزال يدخل في تبعة الطيار ان يصعد بطائرته أو لا يصعد ، ولا يزال فى مقدوره ان يشتبك مع العدو أو لا يشتبك ، وان اشتبك ، أن يقطع هذا الاشتباك ويعود الى قاعدته سالما . ولكنه ، وهو قائم باشتباك فعلا ، ليس له من الخيار فى أمر نفسه الا ما تقضي به اجهزته » .

الطيار يستغرق تدريبه من ٢ الى ٥ سنوات

والطيار ، وقد عرفنا بعد الذى ذكرنا ، ما هو ، وكم هو ، وكم وجب ان يكون محصوله من بعض علم ، وبعض تكنية ، يحتاج ليتم تدريبه الى ما بين

ثلاث سنوات او خمس . هكذا قال لنا العارفون .

قيمة الطيار فى الجيش

والطيار من أغلى رجال الجيش قيمة.

دلنا على ذلك صديق قال : ان ضابط الأرض ، أو ضابط البحر ، اذا وقع ايهما فى اسر ، وطلب اليه العدو ان يوقع وثيقة مزيفة تفيد العدو ، يكون ثمنها اطلاق سراح هذا الضابط ، لم يجز للضابط ان يوقع ولو كان جزاء هذا الرفض الموت . واستثنوا من ذلك الطيار . فقد جاز له أن يوقع على الوثيقة المزيفة لينجو بحياته . فحياة الطيار شيء ثمين لبلاده ، لا يجوز التفريط فيها .

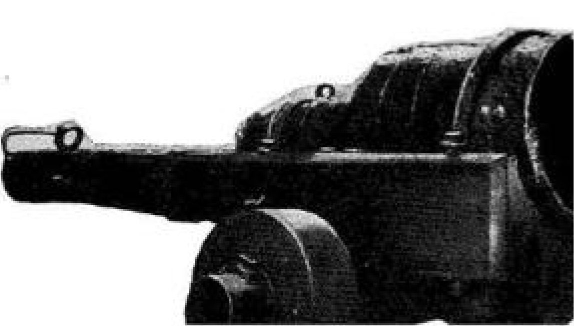
وكالسلاح الجوى سائر اسلحة الجيش

والعلم والتكنية اللذان دخلا سلاح الجو دخلا سائر أسلحة الجيش ، على درجات شتى .

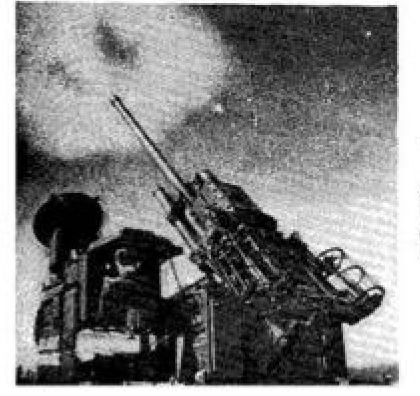
وثقافة الجيش ، في الأمم المتقدمة ، تسبقها دائما ثقافة المدرسة . فالعلم والتكنية لا يبنيان على فراغ من ثقافة . وجند الجيوش ، وهم مجندون من شعوب تلك الأمم ، لا يجندون الا وقد فرغوا على الأقل من ثقافات نالوها فى مدارسهم الى السن الخامسة عشرة فما فوقها . وهي ثقافة يصل مداها الى نصف مرحلة التعليم الثانوي أو يزيد .

والحروب صارت حروبا تحصد فيها رؤوس ابناء الجامعات

اذا ، لا ينفعنا اليوم ، نحن العرب ، اذا ما أردنا جيوشا حديثة تتصدى لأعداء يتصلون اتصالا وثيقا بالمدنية الحاضرة ، أن نؤلف جيوشنا من جنود غير مثقفين . مضى الزمن الذى يكتفي فيه الجيش بالرجل الأمي ، ولو كانت له قوة شمشون . ان رصاصة طائشة تودى به فى طرفة عين . وجاء الزمن الذى يحصد فيه الموت فى الحروب رؤوس الكثير من ابناء الجامعات ، فى أعالي الجو ، أو في أعماق البحار ، وفي الأرض السوية والجبال .



مدفع من مدافع القرن الرابع عشر قطر اسطواناته ١٥ بوصة ، مصنوع من الحديد ، يقذف قذيفة من حجر وزنها ١٦٠ رطلا .



مدفع مضاد للطائرات قطر ماسورته ٧٥ مليمترا يعمل بمعونة الرادار وينطلق ذاتيا في اللحظة المواتية . انه مثل رائع من دخول التكنية في الحرب بما لم يكن يخطر ببال محارب قديم .

في حزيران ، وحرب النكسة قائمة

ولكم سمعت والمت ، وحرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ قائمة ، مما رددته الاذاعات على اهل البلاد ، صباحا ، وظهرا ، ومساء ، كانت هذه الآية الكريمة من آيات الله :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » يدعون بها الشباب الى المسارعة الى ميدان القتال ، وسد الثغرات ، ورد العدو على اعقابه .

قلت لنفسي الى أي شيء تدعو هذه الحناجر . انها تدعو الى دخول ميدان الحرب هكذا عسفا واعتباطا ، بين ليلة وليلة . انها تدعو الى قتل النفس التي حرم الله . انها لم تقرأ عن الحرب الا في واقعة القادسية واليرموك وأمثالهما ، ونعمت المواقع ، ونعم من سقط فيها من شهداء ابرار . اما الحرب الحديثة ، فما قرأوا عنها ،ولا علموا انها فن يدرس، وانها آلات تمارس ، وانها علم وفطنة لا يحظى بالقسط الضروري منهما لحرب الا القوم المثقفون ثقافة هذا اليوم الحاضر ، وعلى الزمن غير القصير .

وانها لهي هي تلك الحناجر التي قامت اخيراً ، وبقدرة قادر ، تدعو الى محاربة العلم الغربي ، والتكنية الغربية ، واحراق كتبها ، واغلاق السماء دون اذاعاتها ، بحسبانها مدنية مادية ، وبأن بها انحرافا . وما عرفت الا ان الانسان من مادة ، وان العيش من مادة ، وانه لولا المادة ما جرت معدة بهضم ولا راس بفكر ولا قلب بايمان . اما الانحراف فما



الصاروخ المسمى التترى ، وهو من الصواريخ الحديثة ، ويطلق من الارض الى السماء لاصابة الطائرات ، وهو موجه بشعاع من الرادار ، وكذلك بنظام يأخذ بقيادته عندما يقترب من هدفه .

عرفت ان مدنية ، كانت أو تكون ، ليس بها انحراف ، الى جانبه الهدى الكثير والخير الكثير .

حركة اعلامية أخذت تشتد ، لا ادرى ما مصدرها ، اهو الجمود الجاهل في بعض نفر بيننا ، أم هو العدو الماكر ، الذي يريد أن يحول بيننا وبين مدنية حية ، هي سبيله في سرقة أوطاننا ؟ (١)

ورجل آخر ممن يسمونهم « برجال الله » سألته في ذلك . قال : نعم ، ان المسلمين ليس لهم الا دعاء الله .

لم أغضب من الرجل ، وكيف أغضب من رجل يجد وسيلته الى الخلاص استنجادا بالله . ويأبى الله نجدة ، الا وفق سنن سنها هو سبحانه للحياة ، لا يريد لها تبديلا .

وعدت اسأل الرجل الطيب : فان لم يستجب الله للدعاء ، فماذا انت فاعل ؟ قال : الصبر ، فما الدنيا الا معبر ،

---

(١) من خبث هذه الاعلامية انها توحي الى الناس دائما بان دعاة الأخذ من المدنية الحاضرة ، خصوم للمدنية الاسلامية الماضيه،وهذا افك وبهتان ،فالصالح صالح في كل زمان ومكان.وهم يقتبسون للتشنيع بالمدنية الحاضرة ما فيها من شر ، ويصمتون عما فيها من خير ، ليحسب الناس انه هكذا كل ما في الوعاء. وما عرفنا مدنية الا وكان فيها الطيب والخبيث، بحكم ان الانسان، مصدر الخير والشر،صاحبوا.

وبقدر الصبر على اذاها يكون الأجر . فان غلب الأعداء فى الدنيا ، فالمؤمنون فى الآخرة هم الغالبون ..

حكمة من نوع ، ليس فيها من عيب الا انها تنفي الحياة .

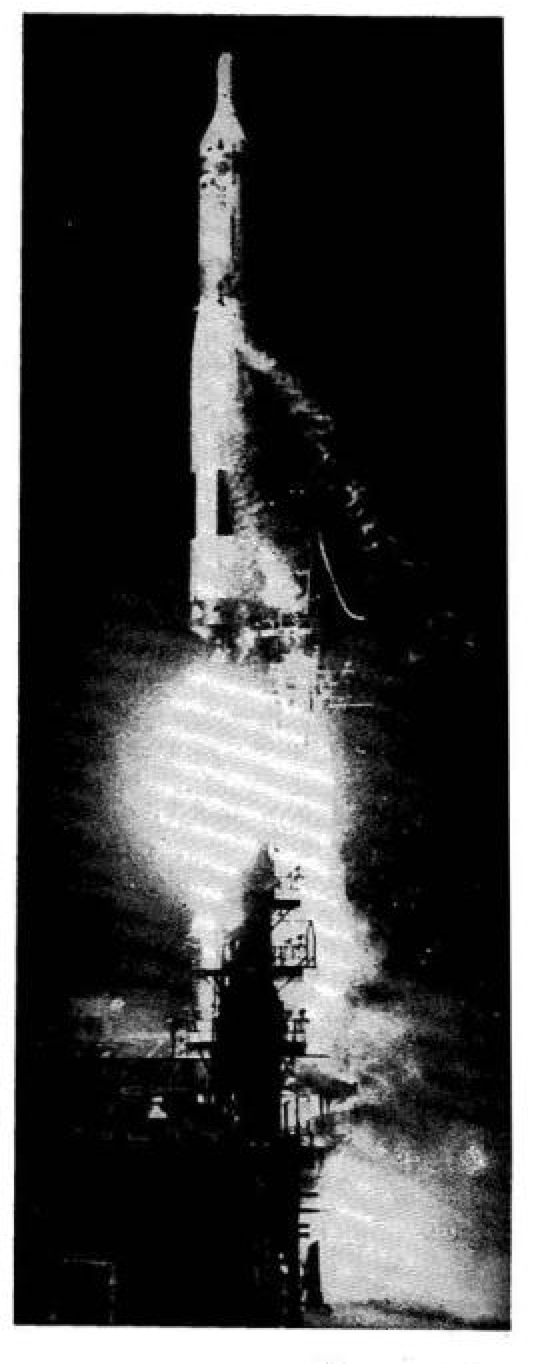
وليس فيها من خطر الا انها تتفق مع هؤلاء الذين يروجون في الناس ، أن اخذنا من المدنية الحاضرة اثم عند الله كبير .

استشهاد فى سبيل الله ولكنه طويل المدى

ولست بمنكر على مؤمن أن يستشهد فى سبيل الله . ولكن انكر عليه ان يكون الموت غاية . وعندى انه لا استشهاد الا فى كسب شيء لأمة ، أو فى ذود عن عرض واهل ودار .

وليس من خطأ من استشهدوا فى سبيل الله من القدماء ، أن كان مدى الدربة على القتال قصيرا ، والخروج به من الدنيا غير عسير ، فهكذا كان شأن ذلك الزمان .

أما فى هذا الزمان الحاضر ، فالاستشهاد النافع فيه ، فى سبيل الله،



القذيفة الصاروخية المسماة تيتان ، وهي قذيفة حربية تنطلق من قارة الى قارة ويبلغ مداها أكثر من ٥ آلاف ميل. والقسم الاول من القذيفة له قوة دفع تبلغ ٣٠٠ الف رطل أما القسم الثاني الذى فوقه ، فله قوة دفع تبلغ ٨٠ الف رطل . اما رأس القذيفة فالمفروض ان تكون به القنبلة الذرية . ويبلغ طول القذيفة ٩٨ قدما أى نحو ٣٠ مترا . وهي من انتاج ما بعد الحرب العالمية الثانية .

اشق ، والتحضير له اعصى ، والصبر على التحضير له امرُّ . وهل فى استطاعتى أن أقول ، فالأجر له أكثر ، وأكثر كثيرا .

الشجاعة شجاعتان قصيرة وطويلة

وهذا ينتقل بي الى راى طالما تردد عليَّ ، ذلك أن الشجاعة شجاعتان ، شجاعةٌ ساعة او يوم ، وشجاعةٌ السنين أو العمر . الأولى تأتي بغتة ، وهي أكثر ما تكون أطول فى الناس شعاعا ، وابعد فى الناس وعلى الأجيال صدى . والثانيةاقصر شعاعا ، واضعف صدى ، ولكنها عند الله اثقل فى الميزان واثقل كثيرا .

مَثَلُ الشجاعة القصيرة ان تنازل عدُوك ، فتقتلهبرصاصةمنك أو يقتلك . فان كنت من ذوى الخطر الكبير جرت بذكرك الركبان .

ومثل الشجاعةالطويلة شجاعةالرجل الذى يظل يدبّر لمنازلة عدوُه السنين ، ويتعلم الخطير من الفنون ، ويرهق جسمه وعقله ، ويملأ بذلك نهاره وليله ، حتى اذا قيل له لقد بَلَغت ، دخل الميدان ، أو صعد الى الجو ، فكسب لأهله وذويه بمقدار علمه . ثم فى ضحوة نهار يأتيه قضاء الله ، فى سرعة البرق ، ومن حيث لا يدرى ، فاذا هو شيء على التراب رميم . انْ ذكره ذاكر فسطر فى صحيفة ، أو اسم على رخام . ولكنه عند الله من الخالدين .

حقائق الحياة حلوة ومرة

حقائق الحياة هذه يجب أن يتعلمها

هكذا ظهر الفارس المحارب في اوروبا في القرن الرابع عشر ، وفى يده سيف ويحمل ترسا ، وعلى جسده ما يحميه من درع ونحوه .

ويعيها الفتى منا والرجل ، لتكون امة . انها حقائق مرَّة ، ولكن ما يجب أن يكون في حقائق الكون على حيٍّ خفاء .

ان طعوم الحياة الوان ، منها الحلو ، ومنها الملح ، ومنها الحاذق . ولكن كذلك منها المرُّ .

ويجب ان نستمتع بالحياة ، ونهش لها . نستمتع بحلوها وملحها وبحاذقها . ولا نجعّد الوجوه تقززا من مرِّها . لأنه كائن . وكل كائن هو بعض الحياة . فاذا جاءنا المرُّ ونحن في نشوة من حلاوة ، وجب ان نقف بالحلو عند غاية ، ونقول للمرِّ تقدم فما عليك من بأس .

وقديما قال كبير من كبراء العرب ،

وقد جاءه الخبر بمقتل ابيه : اليوم خمر وغدا أمر . . .

نعم ، يجب ان يتعلم الشباب منا والرجال ان الدنيا ورود وأشواك ، وأن الله ما جمع الورد والشوك على ساق واحدة عبثا . انها رمز الحياة .

ويجب ان يتعلم الشباب منا والرجال ان كثيرا مما نشأنا عليه ، من اسماء



هكذا ظهر الجندى الامريكي في النصف الاخير من حرب كوريا ، وقد لبس ثوبا داخليا بغير اكمام من النايلون . وقد تضمن ثوبه هذا مواضع من امام ومن خلف للصدر والبطن والظهر ، تغمد فيها صفائح مصنوعة من فتائل الزجاج مقواة بالراتنج ، سمكها ١/٨ بوصة ، تحمي كل هذه المواضع من الجسم . فقد كانت الاحصاءات دلت قبل ذلك على أن ٧٠٪ من اصابات الجند تقع في صدورهم وبطونهم ، وقد قرر الاطباء بعد استخدام هذه الدروع الواقية ان الاصابات هبطت بنحو ٥٠ الى ٧٠٪ وهذه الثياب لا تحمي من الرصاص المباشر ، ولكنها تحمي من الشظايا المتناثرة من القنابل وغيرها .

الأشياء ، الكاذب ، وان كثيرا ، مما ظن الفلاسفة انهم اهتدوا اليه ، الزائف .

قالوا المجد ، ولم افهم من المجد ، وقد بلغت من العمر ما بلغت ، معنى . الا ان يكون مجدا لله في الأعالي .

وقالوا العدل ، وما رأيت فى تصاريف الحياة لونا من العدالة صرفا .

ويدعو الناس للناس بطول الأعمار ، وغاية الأعمار ان تصب فى بحر الزمان ، قصيرها وطويلها .

وقالوا العلم ، والعلم هدى ، ولكن من الناس من اتخذ منه الى جحود الله مطية .

ويجب أن يتعلم الشباب منا والرجال ان الله جعل فى طبائع بني الناس حسا بالخير ، وحسا بالشر ، وجعل فيها حسا بالجميل وحسا بالقبيح ، وجعل فيها حسا بالعدل وحسا بالظلم . وان هذه الاحاسيس ، أحاسيس الطبع هذه، اذا لم تفسدها ممارسة الحياة ، كانت خير هاد للناس .

فاذا اقتحم عليك بابك ، وأنت بين بنيك وبناتك ، مقتحم ، يريد أن يغتصب دارك ، أو يستبيح عرضك ، نقمت تدفع عن نفسك وعن أهلك وبيتك ، حتى قتلت أو قتلت ، فاعلم أن الذى صنعت هو الحق الذى لا مرية فيه . انه حكم الطبع السليم ، حكم الله خالقه ، الذى لا تستفتى فيه أحدا .

●●

١٩٦٩/٢/٥

أحمد زكي



بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس

عميد كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة سابقا

■ اجمعت الروايات على ان الشعر العربي كان ينشد فى اسواق العرب قبل الاسلام فيهز قلوب السامعين هزاً ، ويطرب القوم لموسيقى الانشاد . كما اجمعت الروايات على ان الشعر كان ينشد امام النبي (صلعم) وفي مجالس الخلفاء بعد الاسلام فيطربون له .

ولا شك ان اصحاب الروايات القديمة قد عنوا بالانشاد شيئا غير الغناء . فتحدثنا الروايات دائما عن الانشاد ، وما فيه من قوة وحماس ، وان الشاعر كان ينظم القصيدة ثم يفد بها فينشدها فى الاسواق مفاخراً أو مادحا . ولم يكن الغناء من عمل الشاعر ، ولا مما ينتظر منه . فكان الشاعر قبل الاسلام يأنف ان يجلس مجلس المغنى ، ويترك هذا للجوارى والقيان .

اما ما اشتهر عن الاعشى من انه صناجة العرب فقد فسره كثير من مؤرخى الادب بانه سمى كذلك لجودة شعره . وربما ارادوا بجودة الشعر هنا غلبة العنصر الموسيقى في الفاظ شعره اذا قيس بشعر غيره ، او لان شعره كان اصلح من غيره للغناء به .

واستمر استقلال الشعراء عن المغنين فى العصور الاسلامية ، هؤلاء ينشدون واولئك

يغنون ، غير أن شأن المغنين قد نبه ، واصبحوا ممن يجالسون الخلفاء والامراء ، وينالون عندهم الحظوة والجاه . ويكفي أن نتصفح كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني لندرك مدى الفصل بين صنعة الشعر ونظمه على بحوره المختلفة ، وبين غنائه على احد تلك الاصوات والالحان التي وصلت في عهد الرشيد الى المائة ! !

ويعنينا هنا انشاد الشعر الذي نعده عنصرا هاما من عناصر الجمال في كل شعر . وحسن الانشاد قد يسمو بالشعر من احط الدرجات الى ارقاها ، كما أن سوء انشاد الشعر قد يخفض من قدره برغم ما قد يتضمنه من الفاظ عذبة ، ومعان سامية ، وصور وأخيلة رائعة . وكان الرشيد فيما يروى عنه يطرب لانشاد الشعر اكثر من طربه بالغناء .

قراءة الشعر ، مكان انشاده ، افقدته الكثير من موسيقاه

غير ان التدوين والاكتفاء بقراءة الشعر بالعين قراءة صامتة قد افقده شيئا من جماله الموسيقي في معظم عصور اللغة بعد الاسلام . فبعد أن كانت الاشعار تنتقل من مكان الى مكان على السنة المجيدين للانشاد اصبحت تروى مكتوبة لا منطوقة ، وشتان ما بين شعر ناطق وشعر صامت. ذلك لان انشاد الشعر يبعث فيه حياة وحرارة ، فلا تكاد الآذان تسمعه حتى تتلقفه القلوب .

وقد ظلت الحال هكذا حتى عصرنا الحديث ، فقد كانت الصحف تطالعنا بقصائد « شوقي » الرائعة فيقرؤها معظمنا كما تقرأ الأخبار العابرة، او بعبارة اخرى كنا ننظر اليها دون أن نحرك بها شفاها ، أو نلقي بالا الى جمال موسيقاها . فاذا اتيح لاحد منا أن يشهد حفلا ينشد فيه الشاعر من شعره احسسنا بالابيات تهزنا هزا ، فتثير من احاسيس القلوب والمشاعر ما كان خامدا هامدا .

ولم يكن « شوقي » رحمه الله ممن يحسنون الانشاد ، فكان يتخير لانشاد شعره في المحافل من يجيدون انشاده ، وان لم يوفق في اختياره في كثير من المناسبات . اما « حافظ » فقد كان من خير الشعراء المحدثين انشادا ، ولذا كان يؤثر القاء شعره بنفسه في المحافل على نشره في الصحف . وما انشد « حافظ » في حفل الا بزّ اقرانه من الشعراء ، وملك قلوب السامعين بقوة صوته وحسن ادائه ، برغم انه قد يكون في الحفل من هو أجود منه لفظا ومعنى ، ولكن الانشاد الجيد يخلع على الشعر ثوبا من الجمال والجلال لا يدركه القارىء او الناظر الى الاشعار بعينيه .

ونرجو الآن بعد انتشار الاذاعة أن يعود للانشاد قدره ومنزلته . اذ يستطيع الشاعر الآن أن يلقى في قلوبنا وافئدتنا وهو ينشد علينا هذا الشعر كثيرا من احاسيسه الرقيقة والهاماته اللطيفة . ولم يعد الانشاد بعد انتشار الاذاعة مقصورا في الاستمتاع به على أولئك الذين تتاح لهم فرصة شهود المحافل والمجامع .

ونحن حين نتتبع مؤلفات القدماء في أوزان الشعر نراهم يكتفون بذكر بحوره التي ليست الا نظام توالي المقاطع . ومثل عملهم مثل النوتة الموسيقية التي تنقصها دقة التعبير عن كل النغمات ، ولا بد معها من الموسيقي الماهر الذي ينطقها ويبعث فيها الحياة ، وذلك هو الانشاد في الشعر .

الايقاع في انشاد الشعر

ولم يحدثنا القدماء عن كيفية انشاد الشعر في عصور اللغة . فاذا اردنا الحكم على انشاد الشعر العربي في العصر الحديث تبين لنا بوضوح أن ما يسميه المحدثون بالايقاع يختلف الى حد ما بين أبناء البلاد العربية . فالعراقي مثلا ينشد الشعر العربي مع ايقاع يختلف عن ايقاع المصري في انشاده . ولعل الايقاع في انشاد الشعر ببلاد المغرب هو اعجب وأغرب ما نسمع الآن في انشاد الشعر العربي .

ترتيل القرآن لا يتطلب الايقاع الموسيقى ، كالشعر

ولست ادعى هنا انى قد انجزت دراسة طرق الايقاع في انشاد الشعر العربى ، واختلافها بين البلاد العربية الآن ، وارجو ان تتيح لى بحوث المستقبل اتمام هذه الدراسة . ويكفى ان المح الى ظاهرة الايقاع ، بان اشير الى بعض تلك الآيات القرآنية ، التى وجد القدماء من العرَوضيين انها في نظام توالى المقاطع تنسجم مع البحور الشعرية . فقد تبين لهم ويحق ان الآية الكريمة « ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله » توافق شطرا من الطويل ، وان الآية « تملى عليه بكرةً واصيلا » توافق شطرا من الكامل .. الى آخر ما سردوه في كتبهم ، فلم يدعوا بحرا من البحور التى استنبطها الخليل الا وجدوا له آية قرآنية من وزنه .

ولكنا نتساءل هل اذا رتلت هذه الآيات الترتيلَ القرآني يسمعها المرءكما يسمع تلك الأشطر الشعرية في قصائدها وهي تنشد ؟ هل يكون لها نفس الوقع الموسيقى الذى نعهده في انشاد الشعر ؟ اظن اننا لا نتردد في الجواب ، ونقول طبعا لا ! ! لان الترتيل القرآنى المألوف لا يتطلب ذلك الايقاع الموسيقى الذى يتطلبه انشاد الشعر . اى اننا حينئذ نفتقد عنصرا موسيقيا يراه كل شاعر ، بل وكل متشاعر ضروريا لتحقيق موسيقى الشعر .

انشاد الشعر فى مصر

اما انشاد الشعر فى مصر فى العصر الحديث فقد اتخذ طابعا خاصا توارثناه عن اساتذتنا ، واصبحنا فيه نقلد من اشتهروا به من امثال حافظ والجارم والعقاد وغيرهم . والذى نلحظه بوجه عام ان انشاد المصريين للشعر العربى يخضع في ايقاعه الى نفس القواعد التى يخضع لها نبرهم للكلام . فحين ننشد نزيد من الضغط على المقاطع المنبورة ، وبذلك نطيل زمن النطق او الاداء للبيت من الشعر . فالمرء يستغرق عادة في انشاده بيتا من البحر الطويل ما يقرب من عشر ثوان ، في حين انه اذا قرأه دون ايقاع ، اى كما يقرأ النثر ينقص هذا الزمن الى ما يقرب من ثلثه او نصفه . ويظهر الايقاع في المقطع المنبور بصورة اوضح اذا كان هذا المقطع حرف مدٍّ . ففى قول المتنبى :

بادٍ هواكَ صبرتَ أمْ لم تصبرا
وبُكاكِ إنْ لم يجْرِ دمعُكَ أو جرَى

نلحظ اننا عند انشاد هذا البيت نطيل ألف المدّ في الكلمات « باد ، هواك ، بكاك » وهو في كل كلمة من هذه الكلمات موضع النبر .

الانشاد يصل بين الكلمات وصلا وثيقا

وطبيعة الانشاد تتطلب اتصال كلمات الشطر بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، فاذا تصادف أن اشتمل الشطر على كلمة قصيرة لا تزيد على مقطع واحد مثل (لى . في . بى) وثق اتصالها بالكلمة قبلها بحيث ينطق بهما كانهما كلمة واحدة . استمع مثلا الى قول الشاعر :

أَزورهمْ وسوادُ الليلِ يشفعُ لِي
وأَنثنِي وبياضُ الصبحِ يُغرِى بِي

ففى كلمة « يغرى » حين تقع في النثر نجد أن النبر على المقطع الاول فيها ، ولكنا حين ننشد هذا البيت نلحظ أن الكلمتين « يغرى » و « بى » قد اتصلتا اتصالا وثيقا حتى اصبحتا في الانشاد بمثابة كلمة واحدة مثل « تعذيبى » ، وهنا يصبح النبر على المقطع « رى » حين ننشد هذا البيت . اما في الفعل « يشفع لى » فالنبر باقٍ على حاله في نفس الموضع حتى بعد اتصال الكلمتين اتصالا وثيقا ، لان نسج الكلمة بعد هذا الاتصال لم يتغير .

الايقاع فى صعوده وهبوطه

ويختلف الايقاع في صعوده وهبوطه عند الاستفهام والتعجب وفي الجمل الاخبارية فنحن الآن فى انشاد الشعر نراعي المعنى ، وتكيف النغمة

الايقاعية على حسب هذا المعنى . فاذا كان البيت مما يمكن ان يكون مستقلا في انشاده ، أداه المنشد ، حتى اذا انتهى الى آخر المقاطع منه هبط صوته ليشعر السامع بانتهاء المعنى ، ويغلب ان يكون هذا في مطالع القصائد . غير ان المنشدين في كثير من الاحوال يقسمون القصيدة الى قطع يمكن ان يستقل كل منها بهدف خاص . وقد تكون القطعة من بيتين او ثلاثة او اربعة أو ربما خمسة ، ثم ينشد الشاعر ويختتم كل بيت من القطعة بنغمة صاعدة تشعر السامع ان للمعنى بقية ، حتى اذا وصل الى البيت الاخير من القطعة هبطت النغمة في آخره واحس السامع بانتهاء الهدف من تلك القطعة .

وقد يتضح ما ترمي اليه بذكر بعض الامثلة من الشعر الحديث ، فقد استمعنا الى « حافظ » وهو يرثي « سعد زغلول » فبدأ القصيدة بقوله :

إيه ياليلُ هلْ شهدتَ المُصابا
كيف ينصبُّ في النفوس انصبابا

فاحسسنا بنغمة الاستفهام مشوبة بالتعجب في هذا البيت ، ثم لم يهبط صوته الا في آخر البيت الثاني حين قال :

بلِّغِ المشرقَينِ قبلَ انبلاجِ الصبْ
حِ أن الرئيس ولّى وغابا

واستمعنا الى الجارم ينشد قصيدته في مهرجان دار العلوم ، ورأيناه على عادته في كثير من قصائده يجعل المطلع مستقلاً بمعناه ، فانشد وقد هبط صوته في نهاية هذا المطلع :

ياخليليَّ خلِّياني وما بي
أوْ أعيدا إليَّ عهدَ الشبابِ

ولما وصل من قصيدته الى قوله :

ومجونٍ يحوطه الأدبُ الجـ
ـمُّ فما راعَهُ اللسانُ بعابِ

صعد صوته في نهاية البيت ، ثم استمر على نفس النغمة الموسيقية الصاعدة في بيتين بعده، هما :

يتغنَّوْن بالنُّواسيِّ حيناً
وبشعر الفتى أبي الخطّابِ
كلما هزّت المُدامُ يديْهمْ
قهقهتْ ثلّةٌ من الأكوابِ

ثم انتهى من القطعة بالبيت الاتي وقد هبطت نغمة صوته في آخره فقال :

صاحَ فيهمْ ديكُ الصباحِ فطارُوا
كلُّ جمعٍ لفُرقةٍ واغترابِ

السكتات والوقفات

وهناك أمر هام لا بدّ من مراعاته في الانشاد الجيد ، وهو السكتات والوقفات القصيرة التي قد يلجأ اليها المنشد لاظهار جمال لفظ من الالفاظ او ايضاح معنى دقيق لكلمة من الكلمات في القصيدة . وحسن تخيّر المواضع في الوقفات يزيد النغمة جمالا ، كذلك الدقة في قدر السكتات والوقفات تساعد على انسجام الموسيقى في البيت. ففي مثل قول « شوقي » :

وُلدَ الهُدى فالكائناتُ ضياءُ
وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثناءُ

نشعر انه يتحتم السكوت قليلا على كلمة « الهدى » من البيت .

تلك هي بعض الخواطر التي عنّت لنا بصدد انشاد الشعر العربي راجين أن ينال الانشاد حظه من الدراسة ، والعناية بجودته بين أبناء البلاد العربية . ■■

القاهرة ــ **ابراهيم انيس**

الرَّد ..

بقلم : أحمد السقاف

« حين شعرت العصابات الصهيونية باشتداد المقاومة الفلسطينية أوعزت الى عملائها بنشر اشاعة تقول ان هذه العصابات تستطيع صنع القنبلة الذرية، فكان هذا الرد »

ان أهابَ القنابلَ الذريّه   فأنا اليومَ قد وَعَيتُ القضية
موقفي موقفُ الرجالِ وإنّي   عربيٌ من أمةٍ عربية
وبلادي لها الخلودُ وبالرو   حِ أفدّي سهولها السُنْدسيّه
وعلى كلّ حفنةٍ من ثَراها   خلق الله ألفَ ألفِ مزيّه
كيف أحيا بدونَ أرضي ألشقي   دون ذنبٍ جنَيْته للبريه؟
ومن العار أن تظلَّ بلادي   تحت أقدامِ طُغْمَةٍ أجنبيه

★ ★ ★

يافلسطينُ سامحيني فإني   كنتُ في صبريَ الطويلِ ضحيّه
هاأنا اليومَ ماردٌ يرفض الظلـ   ـم ويهوى الردى ويأبى الدنيّه
ومن الظلم يُخْلَقُ الثائر الصلْـ   ـبُ وتدْوي مدافعُ الحريه
فاهتفي أمتي فقد طلع الفجـ   ـرُ وثارتْ تلك الخيامُ الشقيه
وأبى اللاجئُ الغريبُ حياةً   ملؤها الذلُّ في بلادٍ قصيّه
فتصدّى للغاصبين ولم يَخـ   ـشَ انتقامَ العصابة البربريه
فهو في مَسْمعِ الزمان هُتافٌ   ردّدته كلُّ النفوس الأبيّه
رغم أنف الطغاة تحيا فلسطيـ   ـنُ وعاش الرشّاش والبندقيه

الكويت : احمد السقاف





وعبادةٌ لها..

بقلم الشيخ : عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة الوعى الاسلامي ـ الكويت

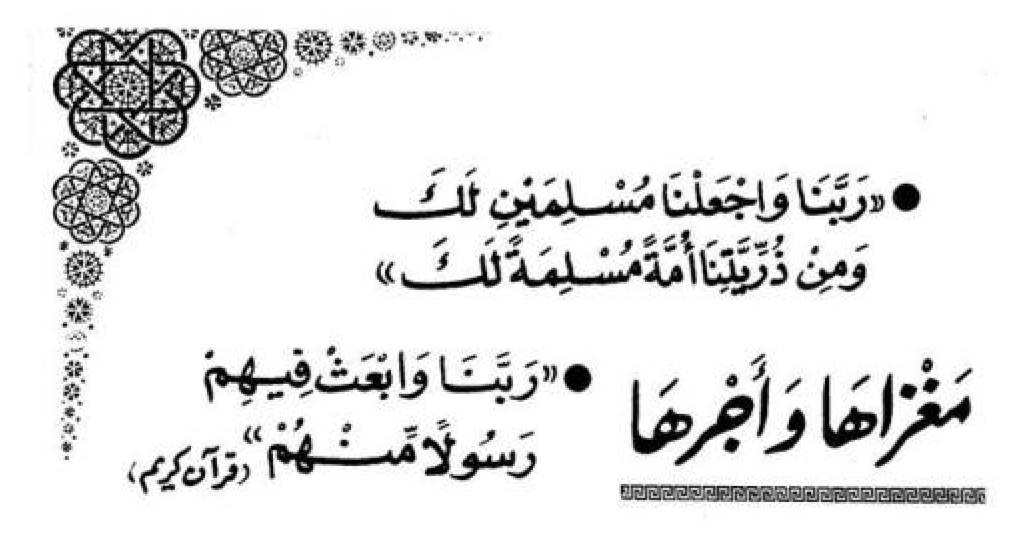
■ يمر الكثيرون مرورا عابرا على رحلة سيدنا ابراهيم بزوجه هاجر مع ابنهما اسماعيل الى ارض مكة ، دون ان يقفوا عندها ليتأملوا حوادثها وآثارها ، ويذهب الحجاج الى بيت الله الحرام ، ويؤدون مناسك الحج ، واغلبهم ـ ان لم يكن كلهم ـ لا ينفذون الى حوادث التاريخ التى صنعت مكة ؛ ووضعت حجر الأساس لهذا التاريخ المجيد الذى حظيت وتحظى به في القلوب .. كما وضعت حجر الأساس لأعمال الحج التى تؤديها الآن .. ولربما كان ذلك حاملا للكثيرين على التساؤل عن الحكمة في هذه الاعمال ..

وقد ترتسم في ذهن القارىء علامة استفهام عن الصلة بين رحلة ابراهيم عليه السلام الى مكة والحديث عن الحج الآن .. وهذا التساؤل او ذاك هو الذى اريد ان اثيره فعلا واتحدث عنه ، لنفهم سويا السر في رحلتنا الى الحج وفي اعمال الحج نفسها ..

رحلة غير طبيعية :

لم تكن رحلة سيدنا ابراهيم هذه رحلة طبيعية ، متفقة مع الاسباب التى قيل انها حملته على ترك دياره في فلسطين ، لانه لم يترك ارض فلسطين كلها الى هذا المكان البعيد القفر الذى سمته التوراة (برية فاران) ، ويقطع اليه هذه المسافة الطويلة ، بين وديان وجبال ، لمجرد انه كان يريد ان يتجنب مشاكل الزوجية كما قيل .. فقد كان فيما حوله من قرى فلسطين ، او حتى في وطنه الاصلي الذى نزح منه شرق الجزيرة الى فلسطين ، مكان طبيعي لزوجه وابنه يأمن فيه عليهما ، حيث تتيسر لهما سبل الحياة ، ويسهل عليه او على احد من اسرته التردد عليهما ، بين حين وآخر لرعايتهما ، كما هو شان كل اب في مثل موقفه ، لو ان الامور كانت تسير حسب طبيعتها العادية ، دون تدخل خارج على هذه الطبيعة .

فخروج ابراهيم ـ اذن ـ على التصرف الذى تمليه عليه طبيعة الموقف عادة ، وذهابه الى مكة ، لا يمكن ان نعده امرا طبيعيا . بل لا بد ان يكون



مغزاها وأجرها

● «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ»

● «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ» (قرآن كريم)

هناك توجيه خاص ، أو أسباب خاصة أملت عليه هذا التصرف ، لأمر يريده الله ، ويدبر له أسبابه .. وكان أمر الله مفعولا .

هذا التفكير الذى يهدينا اليه العقل ، نجد فيما رواه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأييدا له وتصديقا . فقد روى أن ابراهيم بعد أن وضعهما في هذا المكان القفر : (مضى منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم . أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها .. فقالت ـ وقد أحست شيئا : الله أمرك بهذا ؟

قال : نعم .

قالت : اذن لا يضيعنا ... الخ .

فالأمر ـ اذن ـ فيه توجيه من الله وتدبير . وابراهيم ينفذ هذا التوجيه ، لأمر يريده الحكيم الخبير ..

ولكن ابراهيم الوالد .. الحنون .. وان لم يملك أن يستمر معهما يرعاهما ، أو يترك لهما شيئا مما يحرص الوالد ـ طبيعيا ـ على توفيره في مثل هذا الموقف ، فانه لم يستطع أن يغادر المكان دون أن يبذل ما يملك ، ويرفع الى الله ضراعة الوالد المطيع لربه : أن يرعاهما ، ويحرسهما بعنايته .

وما أغلاها من وديعة ،وما أحره من دعاء .. وما أعظمه من رب يحرس ويرعى ويصون . وانطلقت دعواته وضراعته لربه الذى يعلم ما يعانيه : « ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم .. ربنا ليقيموا الصلاة . فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (١) .

وعاش الضعيفان ـ الأم وابنها ـ في كنف هذه الدعوة المباركة . لم يتركهما الله يعانيان الضياع في هذا المكان القفر .. ولم تستكن الأم أو تهدأ ، وهى تحس حاجتها وحاجة وليدها .. فأخذت تبحث عن أصل الحياة ـ الماء ـ . وجرت هنا ، ورجعت هناك .. حتى أدركتها عناية الله ، وفجر ينبوع الماء لهما ، ليعيشا ، ولتجتمع الناس حولهما .. والآبار في الصحارى مصدر الحياة يتجمع الناس حولها ، ويعيشون في كنفها ، وعلى خيرها ..

وكبر الطفل وكان من الطبيعى أن يكون والده على صلة مستمرة بهذا المكان الذى أودعه فلذة كبده .. حتى تلقى من الله أمرا ببناء البيت بمساعدة ولده ، فنفذا أمر الله وهما لا يكفان عن الدعاء : « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتُبْ علينا انك أنتَ التوابُ الرحيم » (٢) .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٧

(٢) سورة البقرة آيتا (١٢٧ و ١٢٨)

ويخص هذا المكان وسكانه بدعوة منه : « رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزقْ أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .. قال (أى قال الله) : ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير » (١) فالرزق في هذه الدنيا ليس مقصورا على المؤمنين ، بل يناله البر والفاجر ، كل على قدر سعيه وجهده .

ثم تمتد ببصيرته عبر الاجيال فيرى أن أسرته الصغيرة بمكة ستتكون منها أمة ، فيدعو الله أن يبارك هذه الامة ويرعاها ، ويرفع ذكرها ، ويشرفها باختيار رسول منها فيقول : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (٢) .

وهكذا نرى أن الله سبحانه ساق ابراهيم بأسرته الصغيرة من مكان بعيد الى هذا المكان القفر ليعمره ، ويبنى البيت الحرام ، ولتكون من أسرته امة ، وليكون من هذه الامة رسول اليها والى البشرية كلها وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى ختم الله برسالته الرسالات ، وفي ذلك يقول رسول الله : (أنا دعوة أبى ابراهيم ..) كما رواه الامام أحمد ..

فاى عمل يبلغ في عظمته وآثاره وخلوده ما بلغته هذه الرحلة المباركة ؟ ومن أولى من الاسلام وكتابه ورسوله وامته بتسجيل هذا الفضل والاعتراف به ، واحياء ذكراه ؟

لقد جاء القرآن الكريم فسجل فضل ابراهيم عليه السلام ، وخطواته المباركة ، وخلد ذكرى أعماله ، ودعا اتباعه الى تخليدها واحيائها . فكان ذلك شهادة للاسلام ولابراهيم معا .

وهل كان من الممكن أن يكون الا هذا من دين هو من عند الله ، ويعتبر امتدادا لدين ابراهيم ، ومن امة هى دعوة ابراهيم المستجابة ، ومن رسول هو من ذرية ابراهيم ودعوته المستجابة ايضا ؟ « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » (٣) ، « وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملةَ أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيدا عليكم وتكونوا شهداءَ على الناس » (٤) ، « قل انني هداني ربى الى صراط مستقيم دينا قيِّماً ملةَ ابراهيم حنيفا » (٥) .

ولعل هذا يفسر لنا السر في انه جاء رسل كثيرون من نسل ابراهيم من غير هذه الامة ولم نعرف انهم امروا بالحج الى بيت الله الحرام . وجاء محمد بعدهم جميعا .. فامر هو وامته بالحج الى هذا المكان تعظيما له ، واحياء لذكرى واضع حجره الاول .

أول بيت . قطب الدائرة

لقد اقام ابراهيم اول بيت لعبادة الله : « ان أولَ بيتٍ وُضع للناس للذى بِبكةَ مباركا وهدًى للعالمين » . فاستحق ان يكون ابا لبيوت الله كلها اينما توجد ، ومركزا لاتجاهها واتجاه المصلين فيها وفي خارجها ، ومن حق هذا البيت ــ وهذا شانه ــ أن يهرع اليه المتعبدون ليروه رأى العين ، بعد أن كثر اتجاههم اليه في صلواتهم ، واستبد بهم الشوق والحنين الى رؤيته حتى اذا وصلوا اليه اخذوا يطوفون به ، ويرون جوانبه كلها ، وتذكروا انهم يطوفون حيث طاف من قديم ابراهيم واسماعيل ، بعد أن أتما بناءه ، وحيث طاف رسول الله وصحابته والمؤمنون من بعده ، وأن الله أراد بهذا أن يجمع قلوب المسلمين ووجهتهم حول نقطةواحدة او مركز وقطب واحد .. وأن تظل قلوبهم منجذبة نحو هذا المركز وما يرمز اليه كما تنجذب الاشياء وتتجمع حول النواة او القطب المغناطيسي ، ويرتفعون بهذا التفكير عن المعنى الوثنى الى ما عبر عنه عمر وهو يقبل الحجر الاسود : « انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع » .

---

(١) سورة البقرة (١٢٦) .
(٢) سورة البقرة (١٢٩) .
(٣) سورة آل عمران آية (٦٨) .
(٤) آخر سورة الحج ..
(٥) سورة الأنعام آية (١٦١) .

وأصل البركة والحياة

ويشعر حين يتجه لبئر زمزم ، ويشرب منها ، أنها البئر التى فجر الله ماءها لينقذ اسماعيل وامه ، ولتطيب لهما الاقامة حولها ، ويكونا أصل أمة صار لها شأنها في مجرى التاريخ ، برسول الله وبرسالته الخاتمة الخالدة ..

ولقد ترددت كثيرا على البيت الحرام أثناء عملى هناك وبعده .. وما طفت بالبيت الحرام مرة ، ولا شربت من زمزم ، الا تذكرت هذه الاحداث البعيدة ، وكيف صنعت هذا المجد كله الذى تشهده المنطقة ، وكنت اقول : ماء زمزم هو الذى احيا هذا المكان ، ولولاه ما كان هذا الذى اراه، وراه ويراه الناس من قبلى ومن بعدى .

واذا كانت الحضارات القديمة قد نشأت حول شواطىء الأنهار .. فان بئر زمزم وحدها قد صنعت هذه الأمة العربية ، وكانت أصلا لمجدها .. واذا كنا الآن نراها شيئا ثانويا في حياة من حولها ، ومن يقصدها ، فلقد كانت هى كل شىء حين نشأت الحياة حولها .. ولولاها لكانت هذه المنطقة مثل أية منطقة أخرى . ولكن الذى اراد قيام البيت في مكانه هذا ، هو الذى هيأ سبل الحياة حوله بهذه البئر المباركة التى فجرها ..

لهفة ودعاء مستجاب

واذا انتهى الانسان من الطواف والشرب من ماء زمزم ، واتجه للسعى بين الصفا والمروة .. تذكر ـ وهو يسعى مع آلاف الساعين ـ أن هاجر الأم ، التى شاء الله أن تتحمل مرارة التجربة الأولى في اقامة هذا الصرح العتيد ، كان هنا سعيها وهى تجرى مهرولة ملهوفة ، تطلب قطرة ماء تنقذ بها وليدها اسماعيل ، وأن الله الرحيم استجاب للهفة هذه الأم ، وفجر لها الماء ، ولكل ساع بين الصفا والمروة حاجة لله ، فليتضرع اليه سبحانه في اخلاص ـ كما تضرعت هاجر ـ فلعل الله يتقبل ضراعته ، ويستجيب له ويغيث لهفته، كما استجاب لهاجر من قبل ، وكشف عنها غمتها، وفرج كربتها ، فهو الذى « يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » .

ساحة العرض

فاذا شد رحاله الى عرفات ، ليقضي في هذه الساحة الواسعة مع مئات الآلاف ساعات ، كان من الضرورى أن يتذكر أن اباه ابراهيم قد خف الى هذا المكان من آلاف السنين مع اسرته الصغيرة .. ووضع حجر الأساس لهذا الركن من الحج .. وأن الذين جاءوا بعده من أمة العرب ، تابعوا خطواته ، ووقفوا فيهذه الساحة ـ كما كان يقف ـ ولكنهم افسدوا صفاء العبادة بوثنيتهم ، حتى جاء الاسلام ، فكان اولى أن يكرم ابراهيم،ويحيى ذكرى افعاله ، ويجعل الحج عرفة .. فيقف أتباع محمد بالآلاف ومئات الآلاف كل عام ، حتى يرث الله الارض ومن عليها، يجددون ذكرى الوقفة الاولى للأسرةالصغيرة،في هذا المكانالواسع،وكأنهم فيساحة عرض كبيرة أمام الله ، يستعرض فيها قلوبهم ، وما تكن صدورهم ، ويمنح جوائزه في هذا الاستعراض لأنظف الناس قلبا ، وأسلمهم صدرا، وأشدهم خشوعا ، واخلصهم لله انابة ورجوعا . استعراض له ملابسه ، وله نشيده لا يهتف فيه لمخلوق ، ولكن لله وحده :

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك ».

وجوائز الله بعد هذا الاستعراض .. هى العفو والمغفرة ، حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة » .

ولعل هذا هو سر الحديث : « الحج عرفة » وأن من فاته الوقوف بعرفة في وقته المحدد له يكون قد فاته الحج ، وعليه ان يؤدى حجه في عام آخر .

عهد وتصميم

واذا كان في كل ما سبق مظهر من مظاهر احياء ذكرى ابراهيم واعماله ، فان ذلك يبرز بصورة اقوى في رمى الجمرات الثلاث : الصغرى، والوسطى ، والعقبة او الكبرى .

فعندما اراد ابراهيم تنفيذ امر ربه في ذبح ولده، استغل الشيطان عاطفة الأبوة فيه ، كما استغل غريزة حب البقاء في الولد الصغير .. وحاول بكل اساليبه أن يحول بين ابراهيم وبين طاعته لربه ، ويتابعه اينما تنقل ، وابراهيم يطارده ويصده ، ويقذفه ليبعده عنه .. حتى انتصر أخيرا عليه ، واقبل على تنفيذ امر ربه ، فتجلت رحمة الله عليه وعلى ابنه : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » (١) .

هذه المعركة العنيفة التى دارت بين ابراهيم والشيطان .. يثيرها الشيطان مع كل انسان في كل امر يتصل بطاعته لمولاه .. ومطلوب من الانسان أن يحارب شيطانه ويطرده بعيداً عنه ، وليس هناك مكان يثير مثل هذا المعنى ويؤكده عند الانسان مثل هذا المكان الذى يحمل ذكرى أعنف معركة واقساها بين الخير والشر ، ويحمل معها ذكرى انتصار الاول على الثانى ..

والأماكن التاريخية توحى الى الانسان في صمت بالغ معانى ما جرى فيها ، وتغذى نفسه بذكرياتها .. ذكريات البطولة او كما قال المويلحى « تنطق بالعبر وتحدث عمن غبر » . الا ترى حين تقف في أرض معركة حربية قاسية استطاع أجدادك مثلا ان يحرزوا فيها النصر ، ويسجلوا أروع معانى البطولة والتضحية .. الا يثير هذا في نفسك تقديرك لأجدادك ، وحبك للبطولة والتضحية تأسيا بهم ؟

وارض الجمرات هى ارض معركة البطولة التى خاضها ابراهيم وولده .. لا يسير - أو لاينبغى ان يسير - فيها الحاج ، او حتى اى انسان يمر بها في الأوقات العادية ، الا وهو يتذكر هذه الاحداث . ولا يرمى الحاج الحصى الا وهو يتمثل قوة العزيمة التى جعلت ابراهيم يتخلص من الشر ، ويعرف أن قوة الايمان هى التى جعلته يضحى بأغلى شيء لدى الانسان - وهو ابنه - في سبيل طاعته لربه .. وان الايمان بالله يصنع من الانسان قوة تتغلب على كل ما في الحياة من صعاب وأهوال .. وأن من الضرورى عليه وهو يرمى الحصاة ان يكون ذا عزم وايمان يتغلب بهما على نوازع الشر .. ويصمم في كل رمية يرميها انه يقضي على وكر من اوكار الشر في نفسه ، حتى اذا انتهى من رمى الجمرات المتعددة ، في ايام معدودة ، يكون قد تطهر نفسيا .

وقد يكون تعدد الحصى ، وتعدد امكنة الرمى وايامه بمثابة تمرينات أو تدريبات متوالية لا بد منها لتطهير النفس من وساوسها وشرورها ، وغرس عهد وعزم جديدين في الانسان كى يظل منتصرا في حياته كلها على شيطانه .

بهذه المعانى يجب أن يقبل الانسان على حجه، وعلى مناسكه ، حتى لا يكون الحج مجرد اعمال وتنقلات من مكان الى مكان ، تمنح المسلم بعدها لقب (حاج) بين الناس ، دون أن يظفر من الله بالجائزة التى رصدها للحجاج المخلصين ، والتى اعلن عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

واذا كنا نرحل الى الحج لنكون اكثر قربى الى الله ، ولنزداد عزما وتصميما على طاعته .. فما أشقى الذين يسيئون الادب مع الله وهم في ضيافته ، ويعصونه وهم في حرمه ، انهم يعودون مأزورين غير مأجورين .. ■■

عبد المنعم النمر

---

(١) الآيات ١٠٣ - ١٠٧ من سورة الصافات .

نتيجة مسابقة العدد ١٢٢

أسماء الفائزين بالجوائز

■ تضمنت مسابقة العدد ١٢٢ ثمانية أسئلة عن موضوعات تناولتها مجلة « العربي » في أعدادها التى صدرت عام ١٩٦٨ ، وكان الغرض منها هو اتاحة الفرصة لقارىء « العربى » أن يعرف مقدار ما استفاده من معلومات جديدة اكتسبها من قراءته « للعربى » . وفيما يلي نموذج لاجابة صحيحة :

١ ـ الزلازل التى تتسبب عن تحرك صخور في باطن الارض ، وانطلاق امواج مختلفة السرعة والاتجاه ، هى النوع الذى يعتبر أكثر تخريبا للمبانى والمرافق في قرية أو مدينة .

٢ ـ هناك أنواع من الطاقة كثيرة نذكر منها : طاقة كهربائية ، طاقة ميكانيكية ، وطاقة حرارية.

٣ ـ الطبيب الاغريقى هو جالينوس .

٤ ـ تقوم الغدد الليمفاوية بتنقية الدم وتطهيره ، وهى تطهر السائل اللمفاوى مما احتواه من البكتير وسمومه .

٥ ـ الحجاب الحاجز هو الستار العضلى الذى يفصل بين الصدر والبطن .

٦ ـ تتميز العناكب عن سائر حشرات الارض بما تنسج من بيوت .

٧ ـ سمك القرش هو أخوف اسم سمك لكل من ينزل الى ماء البحر .

٨ ـ عدد المستقبلات العصبية التى توجد في نهايات اطراف الأعصاب المنتشرة في سطح جلد الانسان هو ٥٠٠ الف مستقبل .

ومن بين الاجابات العديدة الصحيحة اجريت القرعة ففاز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

* ادريس محمد حسن / بغداد / العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

* خليل حاج ابراهيم النجم/ دير الزور / سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :

* تاج السر وداعة احمد الشيخ / بور مدني/ السودان .

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها :

(١) جاسم محمد عبد الله شمس الدين / الدعية / الكويت

(٢) منذر محمود محيي الدين / الطائف/ السعودية

(٣) حارث مصطفى زغيب / بيروت / لبنان

(٤) محمود مراد / عمان/ الاردن

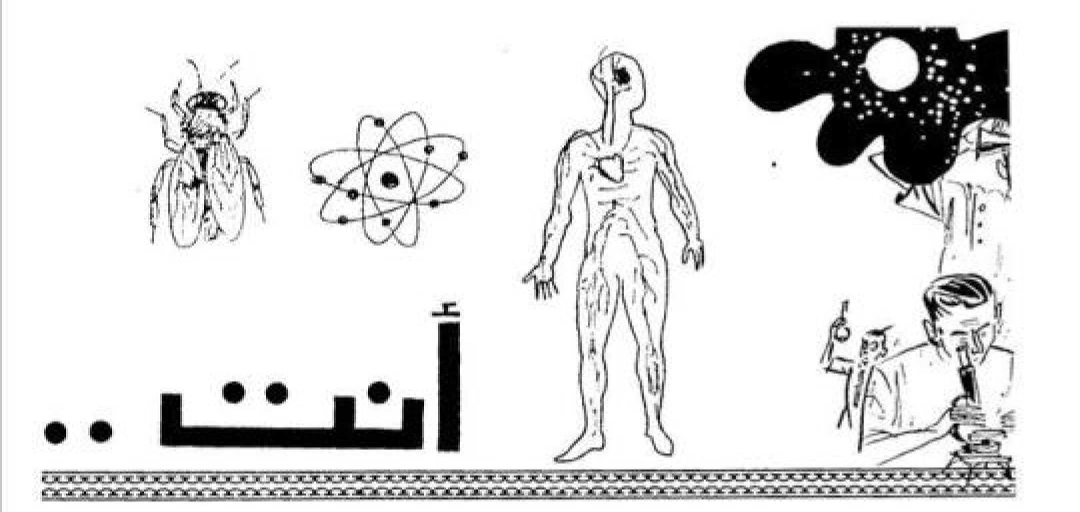
(٥) أحمد ابراهيم محمد حشيش / البحيرة / ج. ع. م.

(٦) عبد الرحمن سلطان الشرهان/راس الخيمة الخليج العربى

(٧) عبد الله الدوبكى / الدار البيضاء / المغرب

(٨) محمد محمود ابراهيم صالح / كراتشي / باكستان .

وسترسل الجوائز الى الفائزين . ■■



الطائرتان : الميراج والفانتوم

■ سألنا السائل قال ما الميراج التي صنعتها فرنسا لاسرائيل ثم منعتها عنها فكان لهذا المنع الصدى العالمي الكبير ؟ .

وسألنا سائل آخر قال ما الفانتوم التي وعدت الولايات المتحدة بها اسرائيل فضج لذلك العالم العربي ضجة غير يسيرة . ؟

وآخرون سألوا مثل ما سأل هؤلاء ، وأشباها لما سألوا .

وقلنا لا علم لنا .

قالوا استخبروا .

واستخبرنا ، والى اوثق المراجع واحدثها رجعنا .

فكانت هذه الكلمات العشر ، استخلصناها من كلمات الف ! .

طائرة الميراج

هي الطائرة التي تصنعها فرنسا .

وتصنعها شركة Dassault الفرنسية ، ومؤسسها Marcel Dassault . وهذه الشركة تختص في صناعة الطائرات الحربية والمدنية ، في انشائها وانتاجها ، وفي القذائف الموجهة وما اليها .

وللشركة بفرنسا عشرة مصانع تحتل مساحة مقدارها نحو ٢ مليون قدم مربع . وبها من العمال ٨٥٥٠ عاملا ، عدا ٣٠٫٠٠٠ عامل بمراكز اخرى فى فرنسا يبلغ عددها ١٥٠٠ يقومون بعمل اجزاء واشياء للشركة الأم .

ومن اشهر ما اشتهرت به هذه الشركة من انتاج ، الطائرة الحربية المقاتلة الميراج



والعلم .. والحياة

بقلم الدكتور أحمد زكى

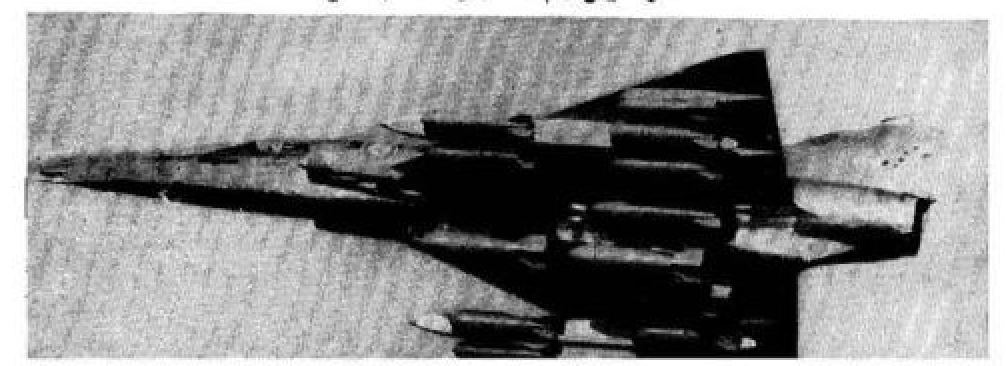
رقم ٣ Mirage III والميراج رقم ٥ Mirage 5 والميراج هو اللفظ الفرنسي للفظ العربى السراب .

الميراج رقم ٣

والميراج رقم ٣ صممت اول ما صممت لتكون طائرة معترضة Interceptor ، تصعد فى الهواء لتعترض اية طائرة مجهولة الهوية ، صديقة او معادية ، وتصنع ما وجب نحوها ، وتقوم بذلك معونة للدفاع الارضي . وهي صممت بحيث لا تحتاج عند صعودها الى الهواء الا الى مدرج قصير من الارض تدرج عليه قبل أن ترتفع . وبحيث تصل سرعتها الى ضعفي سرعة الصوت . وصممت فوق ذلك لتحتمل صنوف الاجواء جميعا .

وهذه الطائرة اختبرت أول مرة فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٦ . وأطيرت فى ٣٠ يناير عام ١٩٥٧ ، ومحركها نفاث تربيني Turbojet ، فزادت سرعتها

طائرة الميراج رقم ٣ ، وهى محملة بالسلاح



عند ذاك على ٥ر١ من سرعة الصوت ، وذلك في الطيران الافقي ، وعلى ارتفاع ٠٠٠ر١١ متر . وبعد ذلك اضافوا الى محركها النفاث التربيني محركا صاروخيا فبلغت سرعتها ٩ر١ من سرعة الصوت . والمعروف بالطبع ان السرعة تتوقف على علو الطيران وعلى اتجاهه .

ثم استنسخوا من هذه النسخ الأولى من الميراج ٢ نسخا اخرى ، فمنهـا ما صُمم ليحمل رجلين مكان رجل واحد ، ومنها ما صمم ليكون طائـــرة مقاتلة مقنبلة معا ، طويلة المدى .

واضيف الى اسم كل نســخة من هذه الطائرات حــرف او اكثر يدل على النسخة الجديدة ، فكان هناك الميراج III - B ، والميراج III-BZ ، والميراج III - E . وليس الرقم III الا رقم ٣ بالترقيم الروماني الذى لا يزال يوجد على بعض اوجه الساعات التي يحملها الناس فى جيوبهم .

ثم الميراج رقم ٥ ، وهي ليست الا نسخة مشتقة من الميراج رقم III - E ونفردها بالذكر لأنها من أواخر هذه النسخ ، **ولأنها النسخة التي اشترتها اسرائيل من فرنسا ، ثم منعت فرنسا تصديرها اليها .**

وانتجت الشركة من هذه الطائـرة ، طائرة الميراج ٣ Mirage III ، من كل نسخها ، الى ٣٠ مارس عام ١٩٦٨ ، ٦٠٠ طائرة ، من ١٠٠٠ طائرة مطلوبة منها . ويتضـمن هذا العدد الذى تم صنعه الطائرات التي تم صنعها خارج فرنسا باذن من الشركة .

الميراج رقم III - E

وهي نسخة طائرة الميراج التي اشتقت منها الميراج رقم ٥ **التي اشترتها اسرائيل من فرنسا ، ثم رفضت فرنسا تسليمها اياها حرصا على السلام فى الشرق الأوسط .**

وهي طائرة مشتقة بدورها من ميراج ٣ Mirage III ولذلك احتفظت بالرقم III ضمن اسمها .

وهي طائرة مقتحمة Intruder .

وهذه اهم اوصافها مما يهم القارىء الاطلاع عليه ، وهي تنطبق تقريبا على سائر النسخ التى هى اساسها ، فهي اشباه .

اوصاف الميراج رقم III - E

انها طائرة ذات مقعد واحد .

وبها مظلـــة تســاعد كوابحها على التوقف عند الهبوط على الأرض .

وهي ذات محرك واحد نفاث تربيني Turbojet ، يساعده اختيارا محرك صاروخي .

ويبلغ ما تحمل من وقود فى داخلها ٧٣٣ جالون (٣٣٣٠ لتر) اذا خلت من المحرك الصاروخي . فاذا رُكب فيهـا هذا المحرك الصاروخي الاضافي وجب زيادة الوقـود بمقدارين أقصى مقدار للواحد منهما ٣٧٤ جالونا يوضـعان فى خزانات تحت الجناحين .

وللطيار مقعد يقذف به من الطائرة عند الخطر .

وبالطائـرة جهازان لتكييف الجو ، احدهما للطيار فى حظيرتـــه ، والثاني للأجهزة الالكترونية التي بالطائرة .

وبالطائرة كل ما تحتاجه من اجهـزة كهربائية واخرى الكترونية ، ومنهـا الرادار ، وكذلك الحاسبات الالكترونية Computors ، فكل هذه الادوات هي عين الطيار واذنه ، عن طريقها يرى ، وعن طريقها يسمع ، وبها يتوجه ، وبتوجيهها ينطلق ما ينطلق من سلاح .

سلاح الميراج رقم III - E

وسلاح الطائرة العادى ، وهي تعمل طائرة معترضـة ، يتألف من قذيفة من الهواء الى الهواء توضع تحت جسم



طائرة الميراج الفرنسية رقم ٥ (صورة من الجانب)

الطائرة ، وبها موضعان لمدفعين من قطر ٣٠ مليمترا في جسم الطائرة أيضا ، ومع كل ١٢٥ طلقة . وفي الجانبين قذيفتان يطلقان جانبيا من الهواء الى الهواء .

اما عندما تستخدم الطائرة للهجوم الارضي فيتألف سلاحها عادة من المدفعين السابقين المذكورين ، ومعهما قنبلتان كل منهما ... ١ رطل ، أو قذيفة من الهواء الى الهواء تحمل تحت جسم الطائرة ، وقنابل من وزن الف رطل تحمل تحت الاجنحة . أو تحمل الطائرة تحت الاجنحة عوضا عن ذلك خزينا يتألف من مائة قرنة تحمل الواحدة منها ١٨ صاروخا ، و ٥٥ جالونا (٢٥٠ لترا) من الوقود .

سرعة الميراج رقم III - E

واقصى سرعة للطائرة ، وهي على ارتفاع ٣٦٠٠٠ قدم (١١٠٠٠ متر) تبلغ في الساعة ١٤٣٠ ميلا (٢٣٠٠ كيلو متر) . وهي تساوي ٢٫١٥ من سرعة الصوت .

واقصي سرعة وهي في الارتفاع المنخفض تبلغ في الساعة ٩٢٥ ميلا (١٤٩٠ كيلو مترا) .

وسرعتها وهي مشتبكة في الارتفاعات العالية تبلغ ١٫٨ من سرعة الصوت .

وهي تصعد الى ٣٦٠٠٠ قدم (١١٠٠٠ متر) ، وعلى جانبيها حمولتان ، وسرعتها ١٫٨ من سرعة الصوت ، وذلك في ٦ دقائق وثلاثين ثانية .

مجال طيران الميراج رقم III - E

ومجال طيرانها ، اذا استخدمت لهجوم في مستوى قرب سطح الأرض ، له قطر دائرة أقصاه ٥٦٠ ميلا (٩٠٠ كيلو متر) .

اما في الاشتباك وهي تسير بسرعة ٠٫٩ من سرعة الصوت على ارتفاع ٣٦٠٠٠ قدم (١١٠٠٠ متر) ، فنصف قطر مجالها في الهواء يبلغ أقصاه ٧٤٥ ميلا (١٢٠٠ كيلومتر) .

طائرة الميراج رقم (٥)

انها طائرة الميراج رقم ٥ Mirage 5

وهي مشتقة كما قلنا من الميراج رقم III - E التي فرغنا على التو من وصفها ، ولكنها تزيد عليها ، بما تحمله زيادة من وقود ، وهي أوسع منها حملا للمؤونة ،

فهي عندما تقوم بدور طائرة للهجوم على العدو فى الارض تستطيع ان تحمل ٤٠٠٠ كيلو جرام من السلاح وحمل ١٠٠٠ لتر من الوقود (٢٢٠ جالون) فى مواضع سبعة من جسمها واجنحتها .

والميراج رقم ٥ يمكن استخدامها ايضا طائرة معترضة ، وعندها يراعى هذا الامر فى نوع السلاح الذى تحمله ، وفى الوقود الذى ترتفع به .

والميراج رقم ٥ انتجت اول مرة وعرضت فى معرض باريس للطيران فى عام ١٩٦٧ .

وبلغ أول طلب لشرائها ستين طائرة اكثرها لاسرائيل . وهذه الستين تضمنت طائرتين بهما مقعدان لرجلين .

والنسخة المطلوبة لاسرائيل سميت Mirage 5 J .

وفى فبراير ١٩٦٨ جاء الى الشركة طلب بطلب ٨٨ طائرة منها لسلاح الطيران البلجيكي ، واحتمال زيادة هذا الطلب بنحو ٦٨ طائرة اخرى . ويتالف هذا الطلب البلجيكى من ٣ نسخ من ميراج٥ .

الطائرات الميراج التي عند اسرائيل

كان عند اسرائيل قبل حرب يونية عام ١٩٦٧ ٧٢ طائرة ميراج ٣ ، من النسخة التي رمزها III-CJ ، وكانت الشركة بدات بارسالها الى اسرائيل فى اوائل عام ١٩٦٣ . ونلاحظ ان رموز الطائرات التي طلبتها اسرائيل من فرنسا ضمنتها الحرف J . ولعله الحرف الاول من اسم Jerusalem اى اورشليم اى القدس .

وهذه الطائرات عدا بالطبع ما كان عندها من طائرات من صنوف اخرى غير فرنسية : نمتنع عن ذكرها .

طائرة الفانتوم

وهي الطائرة التي **تعهدت الولايات المتحدة ببيع ٥٠ طائرة بل اكثر منها الى اسرائيل** ، وذلك قبيل ترك رئيس الولايات ، الرئيس جونسن ، رئاسة الولايات بمدة قصيرة .

واسمها بالانجليزية Phantom II واللفظ معناه الشبح،ويرمز لهذه الطائرة خاصة ب F 4 ، وهي عبارة عن مقاتلة ذات محركين ومقعدين ، وتصنعها الآن شركة Mc Donnell Company بمدينة St. Louis بالولايات المتحدة ، وتصنعها للبحرية الأمريكية ولسلاح الطيران الامريكي ولمشاة البحرية الأمريكية ، وكذلك لسلاح الطيران الملكي والبحرية الملكية البريطانية ، ولسلاح الطيران الايراني الامبراطوري . وهذه المعلومات موثوق بها حتى آخر مارس عام ١٩٦٨ .

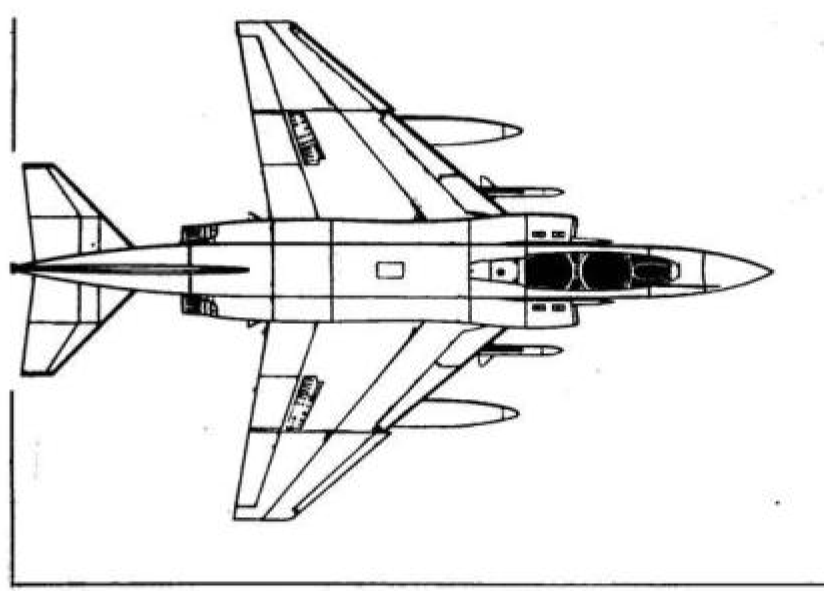
أوصاف الفانتوم

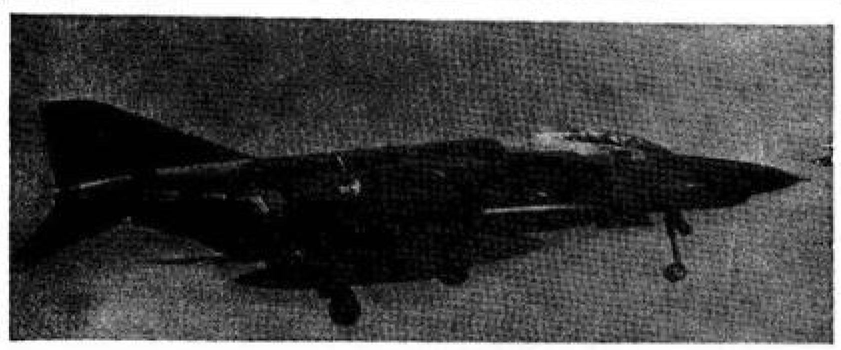
لهذه الطائرة صيغ عديدة ، او ان شئت فنسخ ، وفقا لاختلاف الأغراض المرسومة لها .

ولكن يمكن ان توصف الفانتوم Phantom II عامة بما يلي ، وسوف نقتصر على ما هو قريب لفهم القارىء غير المختص .

ومما يذكر لطائرة الفانتوم هذه ، انها ضربت ارقاما قياسيةفى كثير من التجارب منذ ديسمبر عام ١٩٥٩ . ففي السرعة بلغت ١٦٠٦ر٤٨ ميلا فى الساعة (٢٥٨٥ كيلو متر) اى اكثر من ضعف سرعة الصوت . وفى الارتفاع بلغت ٩٨٥٥٦ قدما (٣٠٠٤٠ مترا) .

وفى سرعة الارتفاع ، ارتفعت الى ٣٠٠٠ متر (٩٨٤٠ قدما) فى ٣٤ر٥٠ ثانية ، والى ٣٠٠٠٠ متر (٩٨٤٠٠





الطائرة الأمريكية الفانتوم

قدم) فى ٦ دقائق و ١١ر٤٣ ثانية .

وطائرة الفانتوم هذه ذات محركين ، وذات مقعدين كما ذكرنا ، وعند الخطر المحدق يقذف الطيار بمقعده خارج الطائرة ويهبط بالمظلة .

ومحركاها نفاثان تربينيان Turbojet والوقود في الأجنحة ، غير ستة خزانات للوقود اخرى فى جسم الطائرة ، وتتسع لألفي جالون من الوقود ٧٥٦٩ لترا) .

وذلك غيراحتياط متخذ لوقود مقداره ٦٠٠ جالون (٢٢٧٠ لترا) يوضع فى خزانات خارجة تحت جسم الطائرة ، ولمقدارين كل منهما ٣٧٠ جالونا (١٤٠٠ لتر) توضع تحت الأجنحة .

سلاح الفانتوم

أما السلاح ، فتستطيع الطائرة ان تحمل ما حمولته نحو ١٦٠٠٠ رطل (٧٢٥٠ كيلو جرام) من الذخيرة النووية أو العادية ، وسواء من القنابل أو القذائف ، وهي تحمل في خمسة مواضع تحت جسم الطائرة وتحت الأجنحة .

ولنضرب مثلا بحمولة تتألف من ١٨ قنبلة وزن الواحدة ٧٥٠ رطلا ، وخمسين لغما وزن الواحد ٦٨٠ رطلا ، و ١١ قنبلة وزن الواحدة ١٠٠٠ رطل ، و ٧ قنابل للدخان ، و ١٥٠ جالونا من النابالم فى قنابله ، و ٤ قذائف توجه من

الهواء الى الارض ، و ١٥ حزمة من الصواريخ توجه من الهواء الى الارض .

مجال طيران الفانتوم

واكثر سرعة للطائرة وهي تطير افقيا وبأحمالها الخارجية تبلغ أكثر من ضعف سرعة الصوت .

ومجال قتالها اذا استخدمت كطائرة معترضة ، مجال نصف قطره ٩٠٠ ميل اى (١٤٥٠ كيلو متر) .

ومجالها اذا استخدمت لهجوم على ارض ، مجال نصف قطره ١٠٠٠ ميل (١٦٠٠ كيلو متر) .

المدى الذي تبلغه طائرة الميراج وطائرة الفانتوم من الأهداف العربية

سؤال سئلناه كثيرا، وتجنبناه كثيرا. لأن جوابه ليس بالجواب الواضح الحاسم . وذلك لأنه يتوقف على المكان الذي ينطلق منه العدو . فالعدو قد ينطلق من تل ابيب ، أو من صحراء النقب ، أو من صحراء سيناء كما ظننا انه فعل عندما ضرب نجع حمادى على النيل في مصر ، وهي منطقة خالية من الدفاع العسكرى . فنجع حمادى البعيدة عن تل ابيب ، قريبة من اطراف سينا . ان الطائرة تقطع من اطراف سينا الى نجع حمادى ثلث المسافة فقط .

كذلك يفرض السائل في سؤاله أن الجو خلو من الدفاع العربي ، وهذا ان جاز في بعض المناطق ، فهو غير جائز في المناطق العربية ذات الاهداف، فالمفروض بالطبع ان الدفاع العربي عند تلك الاهداف ثقيل منيع .

والسؤال يمكن قلبه ، فكما يسال السائل كم تقطع الطائرة الاسرائيلية من مسافة الى الاهداف العربية ، يمكن ان يكون السؤال ، كم تقطع الطائرات العربية لتنال الاهداف الاسرائيلية. ذلك ان وقعت حرب ، واخفقت محاولات السلام القائمة .

على كل حال هذه معان يجب ان لا تغيب عن فكر الرجل العربي الحذر المتزن ، واخصها علم المسافات الواقعة بيننا وبين الاعداء ، من اى جانب كان الاعتداء . كل شيء ممكن . دلت على ذلك حوادث اللامبالاة القريبة التي قام بها العدو ، واليقظة واجبة . ووضع العصابات على عيون العرب حتى لا يروا ، سياسة ظهر فشلها الذريع . ان البعض يخشى ان الكشف عن الحقائق يضعف المقاومة ، ونحن نرى انه يذكيها ، لا سيما عند الشباب العربي المثقف . وقراء « العربي » من هؤلاء .

وعلى هذا ، نذكر فيما يلي ما بيننا وبين الاعداء من مسافات تقطعها الطائرات ، طياراتنا او طياراتهم . وقد ذكرنا عن وصف طائرة الميراج ، وطائرة الفانتوم ، مدى المجال الذي فيه يعملان. الاولى نصف قطر مجالها في الجو اقصاه ٥٦٠ ميلا او ٧٤٥ ميلا حسب الظروف ، ونصف قطر مجال الثانية فوق ٩٠٠ ميل ، كما سبق ان ذكرنا .

المسافات عبر الهواء ، كما يقطعها الطير

من القدس الى كل من :

القاهرة	٢٦٧ ميلا .
الاسكندرية	٣١٦ ميلا .
اسوان	٥٥٣ ميلا .
بغداد	٥٥٣ ميلا .
البصرة	٧٥٠ ميلا .
الكويت العاصمة	٧٩٠ ميلا .
مكة	٧٩٠ ميلا .

الميراج ف ١

على ان الحكومة الفرنسية اتمت او كادت تتم صناعة الطائرة Mirage F 1 وهي للاعتراض وللهجوم الأرضي ، واقصي مداها Maximum Range اذا هي حملت اقصى حمولتها من الوقود يبلغ ٢٠٥٠ ميلا (٣٣٠٠ر٣ كيلومتر) ، واقصى سرعة لها تزيد على ٢ر٢ من سرعة الصوت . والارتفاع الذى تبلغه في عملها ٦٥٦٠٠ قدم (٢٠٠٠٠ متر) .

أحمد زكي ●●

الكليتان

افرازات الجسم

عمليات الجسم عمليات كيماوية ، تصاحبها حرارة . اما وقود هذه الحرارة فالطعام الذى ناكله . فالطعام ، بعد هضمه ، وامتصاص الجسم اياه ، يحترق في خلايا الجسم . ومن هذا الاحتراق تتواصل الحياة .

وكل حريق يحتاج الى اكسجين . والاكسجين الذى يحتاجه الجسم يحصل عليه من الهواء بالاستنشاق عن طريق الرئتين . وكل حريق له مخلفات، كالرماد المتخلف من حريق قطعة من الخشب مثلا . ومادة الخشب يدخل في تركيبها اساسا ذرات الكربون والادروجين والاكسجين . يضاف اليها عند الاحتراق اكسجين الهواء ، فينتج عن ذلك اكسيد الكربون (ثاني) والماء . ولا نراهما لانهما يصعدان عند الحريق في الهواء . ويتخلف الرماد لايستطيع صعودا .

واشبه بالخشب عند احتراقه ، الطعام عند احتراقه في خلايا الجسم .

والطعام اصوله ثلاثة :

سكر وما يتحول الى السكر كالنشا ، وهي مؤلفة من الكربون والادروجين والاكسجين . ونتيجة احتراقها اكسيد الكربون (ثانى) والماء .

ثم الدهون ، وهي تتالف من نفس العناصر التي يتالف منها السكر والنشا، وتحترق في الجسم فينتج اكسيد الكربون (ثاني) والماء كذلك .

ثم البروتينات ، كمادة اللحم الاحمر ومادة البيض . فهذه تتالف من نفس ما سبق من عناصر يضاف اليها الأزوت او النتروجين (اسمان لعنصر واحد) .

وكل ما ينتجه الجسم ويخرج عنه فهو افراز خارجي Excrements .

والافرازات كالماء واكسيد الكربون (ثاني) يخرجان مع هواء الزفير . ويقدر الماء الذى يخرج مع الزفير بنحو نصف لتر في اليوم الكامل . والماء كذلك يخرج في العرق عن طريق الجلد ، ويخرج في البول عن طريق الكليتين ، ويخرج مع البراز عن طريق المعاء .

كل ما يتخلف عن حريق الاطعمة في الجسم سهل افرازه ، اما غازا ، واما ذائبا في الماء . وحتى الأملاح التي ناكلها ولم نذكرها ، هذه يخرج ما لا نحتاجه منها ذائبا في الماء السائل من مخارجه .

عنصر واحد يصعب التخلص منه بهذه السهولة ، ذلك الأزوت .

الكربون الذى في الطعام وجدنا له مركبه البسيط ، ثاني اكسيد الكربون ، وهو غاز لا يضر ، فهو يخرج على هذه الصورة في سهولة من الجسم .

والادروجين الذى في الطعام ، كذلك يتاكسد فيكون منه الماء ، وهو لا يضر ، وما اسهله خروجا من الجسم ، بخارا او سائلا .

اما الأزوت ، فمن بسيط مركباته اكسيد الأزوت مثلا (أ٢ز) ، وما أضره بالجسم ! او النشادر ، وجزيئه يتالف من ذرة ازوت وثلاث ذرات ادرجين ، وهو سام .

وشاءت الحكمة ان يتخذ الجسم للأزوت صورة لخروجه هي البولينة Urea ، وهي عبارة عن ذرة اكسجين مرتبطة بذرة كربون ، مرتبط بها من كل من جانبيها ذرة ازوت تحمل ذرتين من الادروجين يدهز . لكا . زيفم .

فهذه مادة تجري في الدم ، من بقايا احتراق البروتين ، ولا تضر ، الا اذا هي تكاثرت .

والحق ان من اغراض الكليتين الاولى انما هو التخلص من مادة البولينة هذه . ويقولون مات فلان بكليتيه . وتسأل ، وتعلم انه مات لعجز كليتيه عن تخليص الدم من بولينته الزائدة .

ولكن للكليتين اهداف اخرى تماثل هذا الهدف خطورة .

الكليتان

وهما اثنتان . ومن رحمة الله ان كانتا اثنتين ، كما كان للانسان عينان ، اذا فقئت احداهما قامت الاخرى تهدي .

وشكل الكلية كشكل الفولة . طولها نحو ٤١/٢ بوصة ، وعرضها نحو ٢١/٢ بوصة ، وسمكها نحو ١١/٢ بوصة . وموضع الكليتين عند حائط البطن الخلفي من الداخل طبعا ، امام الضلع الثاني عشر كما ترى في الصورة . والكلية اليمنى اوطأ من الكلية اليسرى بنحو ١/٢ بوصة وذلك بسبب احتلال الكبد الجهة اليمنى من البطن .

والكليتان محفوظتان في كيسين ليفيين ، كل في كيس ، وهما محوطان بمقدار من الدهن ، وهما معلقتان بالظهر في غير ارتباط وثيق بواسطة نسيج رابط .

تركيب الكلية في داخلها

الكلية تتألف من طبقة خارجة ولنسمها اللحاء ، ولها سمكها Cortex ، تليها طبقة دونها ، ولنسمها اللب، ولها سمكها Medulla ، ويلي هذه الطبقة طبقة بها شكل الحلمات Papillae يتقطر منها البول آخر الامر ليهبط الى حوض الكلية وهو الفراغ الأزرق الذي يتصل بالانبوبة الزرقاء (في الصورة) التي هي قناة البول Ureter المعروفة بالحالب ، الذاهبة الى المثانة Bladder ، ومن بعدها الى خارج الجسم .

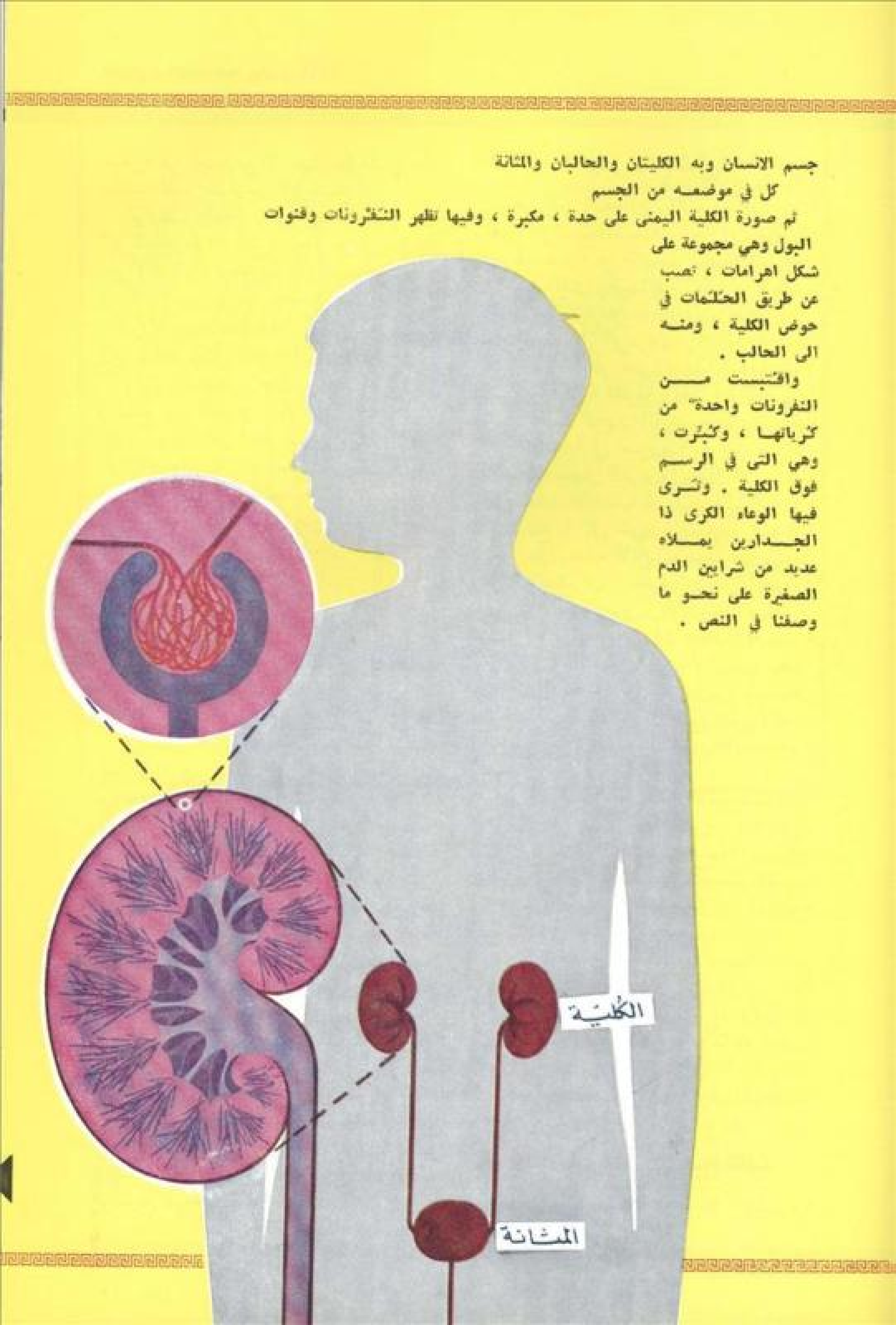
ان الكلية جهاز ترشيح ، ولو انه ليس كسائر الاجهزة .

وهو يتألف من وحدات للترشيح غاية في الصغر تسمى بالنفرونات Nephrons (احتاجوا الى اسم لهذه الوحدات فاشتقوه اصطلاحا من اسم Nephros وهو لفظ الكلية باليونانية) . وبالكلية الواحدة يوجد ما بين ١٠٠٠٠٠٠ الى ١٥٠٠٠٠٠ نفرون . والنفرون الواحد طوله ١/٤ ١١ الى ١١/٢ بوصة . وهم حسبوا فوجدوا ان هذه النفرونات ، ادوات الترشيح هذه بالكليتين ، لو وضعت في خط واحد ، وطرف كل واحد منها في طرف الآخر ، لكان طول هذا الخط ما بين ٣٠ الى ٤٥ ميلا .

وموضع هذه النفرونات في اللحاء من الكلية ، اما جزؤها الأسفل ، فهو يطول حتى يدخل الى لب الكلية ، ثم تطول القنوات حاملة البول الى الحلمات ومنها يتقطر البول الراشح ، ويصب في حوض الكلية ، ومنه الى الحالب . (انظر الصورة) . ولكل كلية حالب .

وحدات الترشيح : النفرونات

يستنتج مما تقدم ان النفرونات هي المرشحات التي يترشح منها البول من الدم . والنفرون الواحد يتألف على



جسم الانسان وبه الكليتان والحالبان والمثانة كل في موضعه من الجسم

ثم صورة الكلية اليمنى على حدة ، مكبرة ، وفيها تظهر النفرونات وقنوات البول وهي مجموعة على شكل اهرامات ، تصب عن طريق الحلمات في حوض الكلية ، ومنه الى الحالب .

واقتبست من النفرونات واحدةٌ من كُرباتها ، وكُبِّرت ، وهي التى في الرسم فوق الكلية . وترى فيها الوعاء الكرى ذا الجدارين يملاه عديد من شرايين الدم الصغيرة على نحو ما وصفنا في النص .

صغره من جهازين لا جهاز واحد . وان شئت قلت جهازين للترشيح .

اولهما : جهاز ترشيح يكاد يكون عمله كترشيح ورقة الترشيح يحبس ما كبر من الاشياء ، ويمر منه كلما صغر وذاب في الماء بدون تمييز . ويسمى هذا الجهاز بالكرية Glumerulus او الجهاز الكرى لان شكله شكل الكرة الصغيرة .

وثانى الجهازين عمله رد الراشح الذى رشح من الجهاز الكرى الى مجرى الدم ، وقد كان أخذ منه ، ولكنه لا يرد الا الماء والمواد النافعة للجسم . وهو من اجل ذلك يرشح عاكسا مجرى الترشيح ، الى الدم لا من الدم . ويسمى بالجهاز الأتيبيبى (تصغير أنبوبة) . ونزيد هذا تفصيلا فيما يلى :

الجهاز الكرىّ

وهو اول الجهازين اللذين تتألف منهما وحدة الترشيح المسماة بالنفرون كما ذكرنا .

ويسمى الكرية اختصارا . وهو كما تراه في الصورة (معزولة صورته وحدها فوق صورة الكلية الملونة) . مكون من وعاء مكوّر ، جداره جداران بينهما فراغ . وفي الوعاء شبكة هائلة من الشرايين تحمل الدم الأحمر من الشريان الكلوى الآتى من الأورطة مباشرة . وترقّ جدر هذه الشرايين وهى ملتصقة بالجدار الداخلى للوعاء المكور ، ويرق كذلك هذا الجدار ، فيسهل انتقال مصل الدم ، بما يحويه من مواد ذائبة ، الى ما بين جدارى الوعاء . وهذا السائل الراشح يحمل معه من مصل الدم كل شيء تقريبا ، ما ينتفع به الجسم غذاء وما لا ينتفع ، وكذلك ما يضره لو تراكم . فيحمل السكر والأملاح والبولينة وغير ذلك . الا البروتين لكبر جزيئه . انه ترشيح غير هادف .

الجهاز الأتيبيبى

وهو ثانى الجهازين اللذين تتألف منهما وحدة الترشيح المسماة بالنفرون كما ذكرنا

وهو عبارة عن أنابيب صغيرة تتسلم الراشح الذى يأتيها من الجهاز الأول ، الجهاز الكرى Glumerulus ، وفيه مصل الدم يحمل كل شيء تقريبا ، نافع للجسم وغير نافع (انظر صورة هذا الجهاز ، لا في صورة الكلية الملونة ، فقد حذفناه منها واثبتنا فيها الجهاز الكرى وحده . ولكن انظر الصورة في صورة النفرون ، وهى تتألف من الجهاز الكرى والجهاز الأنيبيبى) وعلى هذه الانابيب ان تردّ الى الدم ، بالرشح ، كل شيء نافع . ولهذا توجد حول هذه الانابيب شعيرات عديدة رقيقة الجدران (حذفناها من الصورة حتى لا تحجب صورة الانابيب الصغيرة) تتصل جدرانها بجدران هذه الانابيب ، وترق ، وتأخذ منها ٩٩ في المائة من مائها ، وبه كل الأغذية النافعة ، كالسكر والأحماض الامينية والأملاح وغير ذلك . وتتجمع هذه الشعيرات أوردة صغيرة لتصب في الوريد الكلوى .

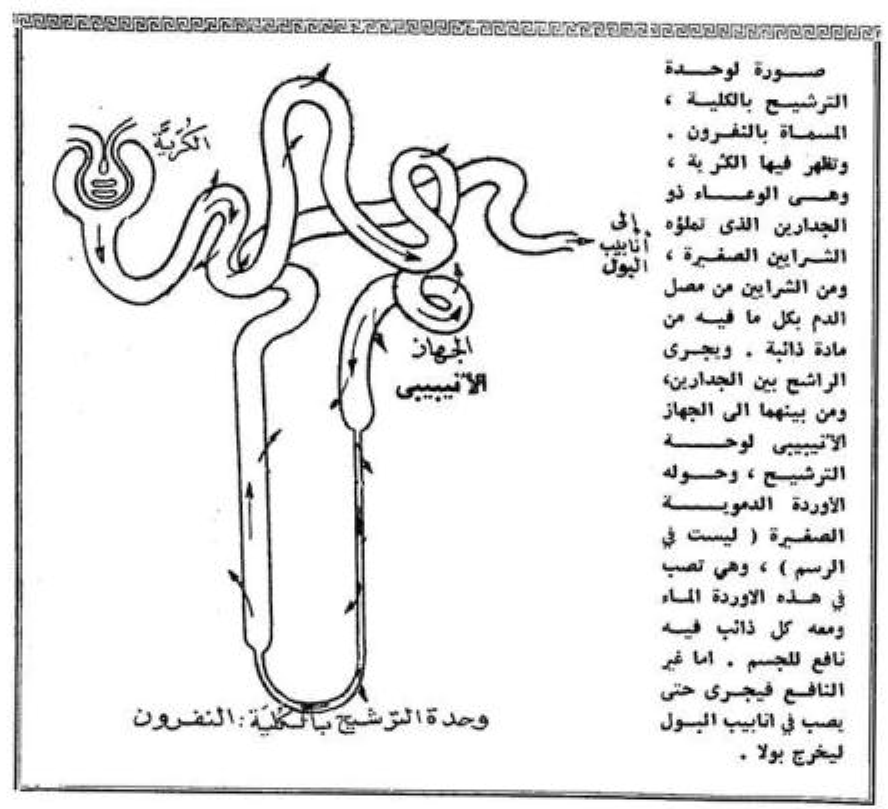
اما ما يتبقى في هذه الأنيبيبات ، وهو ١ ٪ من مائها الذى كان ، وبه المواد التى لا يريدها الجسم (ومنها البولينة) فتصب في أنابيب تجمعها لتصبها كلها في حوض الكلية . وما هذا الماء المتجمع المصبوب في حوض الكلية غير البول .

من ذلك ترى ان هذه الأنيبيبات لم تردّ الى الدم الوريدى كل شيء . انها انتقت كل نافع وسمحت له بالارتداد الى الدم ، واستبقت غير النافع ليكون البول .

وكيف تصنع ذلك ؟ انه حديث يطول ، وفيما أوردنا الكفاية .

الاهرامات التى في نسيج الكلية

وترى في نسيج الكلية (الصورة



وحدة الترشيح بالكلية : النفرون

صورة لوحدة الترشيح بالكلية ، المسماة بالنفرون . وتظهر فيها الكرية ، وهي الوعاء ذو الجدارين الذى تملؤه الشرايين الصغيرة ، ومن الشرايين من مصل الدم بكل ما فيه من مادة ذائبة . ويجرى الراشح بين الجدارين، ومن بينهما الى الجهاز الأنيبيبى لوحدة الترشيح ، وحوله الأوردة الدموية الصغيرة (ليست في الرسم) ، وهي تصب في هذه الأوردة الماء ومعه كل ذائب فيه نافع للجسم . اما غير النافع فيجرى حتى يصب في انابيب البول ليخرج بولا .

الملونة)ما يشبه الاهرامات. وما هذه الا الانابيب التى تحمل البول الى الحوض، عن طريق تلك الطبقة التى تظهر بينهما وكأنها الحلمات .

الحالب

ومن الحوض يخرج البول من الكلية الواحدة الى الحالب . ومن هذا المخرج يخرج الوريد الكلوى ، ومنه يدخل الشريان الكلوى الى الكلية .

والحالبان يصبان في المثانة ، ومن المثانة يخرج البول الى خارج الجسم .

دورة الدم والسوائل في الكليه

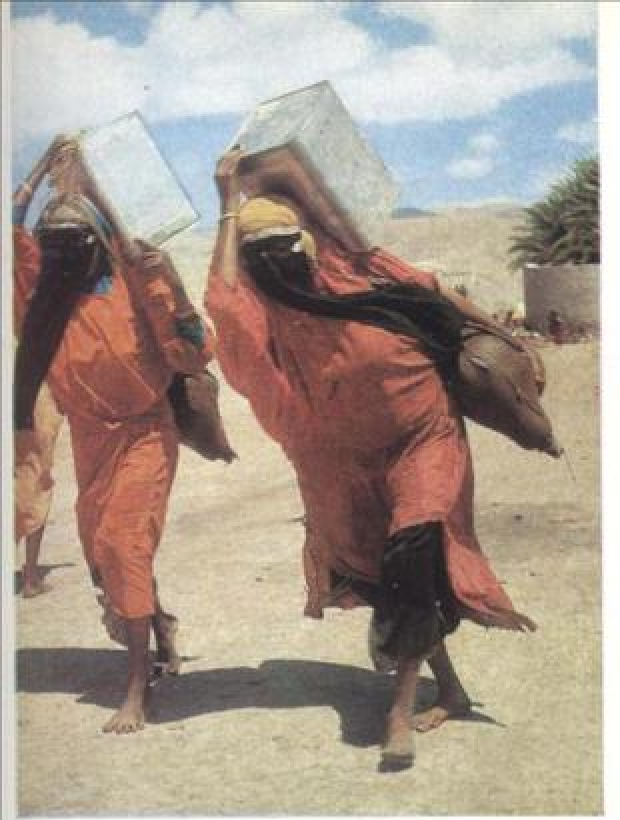
يأتى الدم للكلية عن طريق الشريان الكلوى كما ذكرنا ، وهذا يأتى من الشريان الأورطى رأسا .

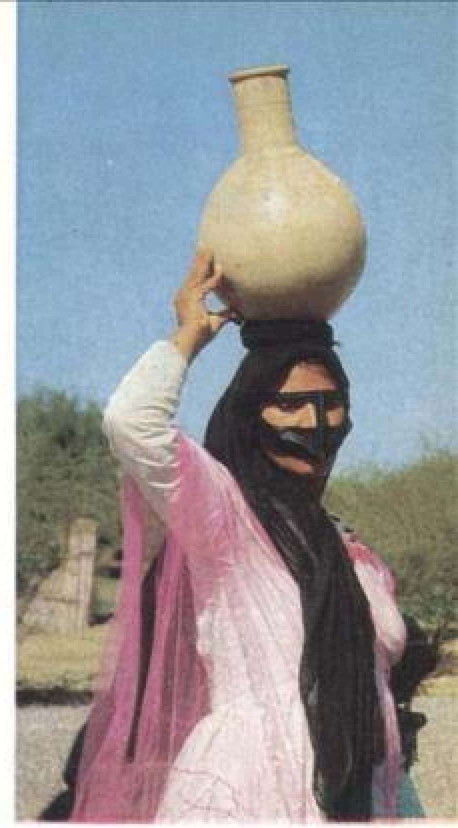
والدم الذاهب من الكلية عن طريق الوريد الكلوى ، يذهب الى الوريد الأجوف السفلى في الجسم .

والدم الذى في الجسم البالغ يبلغ نحو ٥ لترات في المتوسط (ويحتوى على ٣ لترات من المصل) وهو يمر في القلب في نحو دقيقة واحدة . ونحو خمس هذا المقدار يمر بالكليتين في الدقيقة اى يمر نحو لتر واحد منه في الدقيقة .

والبول الناتج يتراوح ما بين نحو ١٢٠٠ و ١٥٠٠ سنتيمتر في اليوم الكامل . ●●

أ . ز .





بمناسبة هذا المقال الذى يتناول الحجاب عند الشعوب القديمة ننشر هنا الاولى لتمثل فتاة محجبة من الفجيرة وهى احدى امارات الخليج العربى ، المغرب . والى أسفل من جهة اليمين رجل من قبائل الطوارق في الجزائر

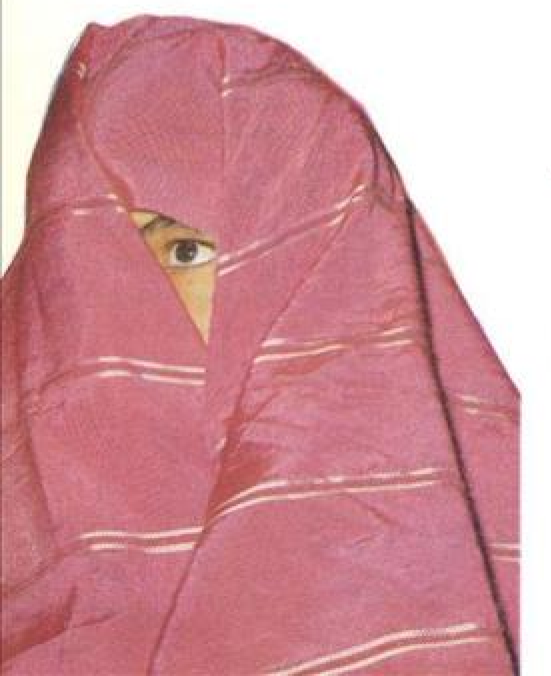
الحِجاب

عند

الشعوب القديمة



امثلة مما بقي الى اليوم من صور لحجاب الوجه في البلاد العربية . والصورة تليها صورة من صور الحجاب في حضرموت ثم تليها الى اليسار صورة من يرتدي الحجاب، والى اسفل من جهة اليسار صورة من صور الحجاب في ليبيا



بقلم
الدكتور محمد سلام زناتي

استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت

■ يظن الكثيرون، من المسلمين وغيرهم ان حجاب النساء نظام خاص بالمسلمين لم تسبقهم اليه امة من الأمم ، ولا عرفه بعدهم شعب من الشعوب . واذا كان حقا ان المسلمين كانوا آخر من فرض الحجاب على النساء ، فليس حقا انهم كانوا اول من استن هذه السنة . فقد سبقتهم اليه شعوب اخرى من العالم القديم . فقد عرفه الاشوريون واليونان والهندوس والفرس وغيرهم . وقبل ان

تتحدث عن الحجاب في هذه المجتمعات المدنيـة العريقة يجدر بنا ، لكي تكون الصورة أمامنا واضحة ، أن نتبين موقف المجتمعات القبلية في هذا الامر .

المجتمعات القبلية

نقصد بالمجتمعات القبلية هنا المجتمعات التي تعيش في ظل ظروفها الاصلية اي تلك التي لم تتأثر معتقداتها او تقاليدها بتعاليم دين معين او حضارة معينة .

ففي هذه المجتمعات لا نجد حجابا بين الذكور والاناث من افرادها . بل يختلط الفتية والفتيات والرجال والنساء في شيء كثير من الحريـة ، ويساهمون في كثير من وجوه النشاط التي تنطوي عليها حياتهم اليومية على قدم المساواة . ويبدأ هذا الاختلاط منذ مرحلة الطفولة ويستمر حتى نهاية الحياة . ففي مرحلة الطفولة ليست هناك اية قيود على نشاط الاطفال ، فهم يمارسـون العابهم المختلفة دون ما تفرقة بسبب الجنس . بل ان احدى العابهم المفضلة هي تمثيل حفلات الزواج وتقليد الحياة الزوجية حيث يقوم الصبي بدور العريس أو الزوج وتقوم الصبية بدور العروس او الزوجة . وعندما يكبر الاطفال بعض الشيء يبدأون في مساعدة والديهم ، وهنا تبدأ التفرقة بين الاناث والذكـور . فتقوم البنات بمعاونة امهاتهن في القيام بالاعمال النسائية فيساعدنها في اداء الواجبات المنزلية المختلفة : تنظيف الكوخ ، جلب الماء والوقود ، اشعال النار ، اعداد الطعام وما الى ذلك . كما يساعدنها فيما يقع على عاتقها من عمل زراعي . بينما يقوم الفتيان بمساعدة آبائهم في الاعمال التي يجري العرف باعتبارها من اختصاص الرجال : اعداد الزريبة ، العنايـة بقطعان الماشية والاغنام ، اصطحابها الى المرعى وحراستها .

لكن هذا لا يعني انفصالا بين الذكور والاناث . فرغم اختلاف طبيعة عمل الجنسين هناك فرص عديدة للقاء بعضهم بعضا ، فهم يلتقون في المراعي حيث يتجاذبون اطـراف الحديث ، ويتقابلون في حلبات الرقص حيث يشاركون في ادائه او يكتفون بمشاهدة الراقصين ، ويجتمعون في حفلات الزواج وغيره من المناسبات . وتؤم النساء الاسـواق القبلية جنبا الى جنب مع الرجال ، ويترددن على الحقول حيث يعملن عندما يقتضي الامر في زمرة تضم الرجال والنساء على السواء .

مناسبات يفصل فيها بين الذكور والاناث

واذا كانت القاعدة في المجتمعات القبليـة هي اباحة الاختلاط بين الجنسين ، فان هناك مناسبات معينة يفصل فيها بين الذكور والاناث . ويرجع هذا الفصل بين الجنسين الى اعتبارات تختلف تبعا للاحوال . فقد يجري العرف بتقييد اتصال شخص او اشخاص معينين بآخرين ، وقد يجري بتحريم الاتصال بين الجنسين في مناسبة او ظرف خاص . ومن الأمثلة على تقييد الاتصال بين اشخاص معينين تقييد حرية الرجل في الاختلاط بحماته وحرية المرأة في الاختلاط بحماها . وتختلف القبائل في كيفيـة تنظيمها لهذا التقييد لكنها تتفق في محاولة جعل هذا الاختلاط في أضيق الحدود .

ويمكن ان نضرب لهذا مثلا بما يجري به العرف لدى الباجندا (في اوغنده بافريقيا) حيث يحرم على الأم دخول بيت ابنتها المتزوجة او الحديث مع زوج ابنتها . واذا تقابلا في الطريق وجب عليها ان تتنحى جانبا وأن تغطي راسها بثوبها ، واذا لم يكن ثوبها كافيا وجب عليها أن تجلس القرفصاء وان تخفي عينيها وجزءا من وجهها براحتيها .

ومن امثلته ايضا تحريم الاختلاط بين الاخ واخته لدى بعض القبائل . كما هو الحال مثـلا لدى الهوتنتوت (في جنوب افريقيا) حيث تعتبر الاخت في علاقتها باخيها شخصا واجب الاحترام لا ينبغي الحديث اليه أو عنـه في خفة . ويقال عن الاخ انه يكون خجلا في حضورها ، فيجب الا يخاطبها وجها لوجه . واذا اراد الحديث اليها فعليه أن يطلب الى آخر توجيه الحديث نيابة عنه ، واذا لم يوجد من يقوم بذلك يمكنه ان يقول بصوت مرتفع اني اود لو ان احدا اخبر اختي بانني اريد جرعة لبن او اي كلام آخر يريد توجيهه اليها .

ومن امثلة الحالات التي يحرم فيها الاتصال بين الجنسين لظرف خاص ختان البنات . ويرجع المنع هنـا الى اعتبارات تتعلق بالحيـاء من ناحية ، ومن ناحيـة اخرى الى الخـوف من تأثـير وجود بعض الاشخاص تأثيرا سـيئا على صحة

البنات اللاتى تتم بالنسبة لهن عملية الختان .

وتعتبر الولادة مناسبة لحجاب المرأة عن الرجال بحيث لا يجوز لأحدهم دخول كوخها . وقد يطبق المنع على الزوج نفسه . وقد تمتد فترة الحجاب الى شهر أو أكثر .

كذلك يعتبر بعض القبائل مجيء الحيض سببا لاعتزال المرأة واحتجابها أثناء مدة الحيض بحيث يمتنع عليها الاتصال بزوجها أو غيره من الرجال خلال هذه الفترة . والسبب فى احتجاب المرأة هنا هو الاعتقاد فى انها تكون فى حالة نجاسة شعائرية تنطوى على مخاطر لمن يتصل بها .

وعلى ذلك فالمرأة القبلية تتمتع بحرية كبيرة فى الاتصال بالرجال ، فهي تسير سافرة لا تحمل برقعا او نقابا ، وتخاطب الرجال وجها لوجه ، وتجلس معهم للحديث وتشاركهم وجوه النشاط المختلفة . ولا تعرف هذه المجتمعات لحجاب المرأة سوى حالات قليلة لها مبررات خاصة .

المجتمعات المدنية

اذا كانت حرية الاختلاط بين الجنسين هي الطابع الغالب على المجتمعات القبلية ، فان الاتجاه نحو تقييد هذه الحرية هو ، على العكس ، الطابع الغالب على المجتمعات المدنية . وقد نتساءل عن الاسباب التي تؤدى الى هذا التحول فى النظرة الى العلاقات بين الجنسين . فى اعتقادنا أن هذا التطور يرجع ، فى الدرجة الأولى ، الى الرغبة فى ضمان عفة النساء ، وبالتالى فى تحقيق الهدف الذى تعلق عليه المجتمعات المدنية اهمية بالغة ، الا وهو شرعية النسل . ففي المجتمعات المدنية ، على خلاف الحال فى المجتمعات القبلية ، يعلق الرجل اهمية كبيرة على أن يكون الاولاد الذين يولدون له من زوجته قد جاءوا حقيقة من صلبه . واذا عرفنا أن فرصة المرأة ، فى المجتمع المدني ، للاتصال بغير زوجها دون افتضاح امرها أكبر منها فى المجتمع القبلى ، حيث أن المجتمع فى المدينة ، على خلاف المجتمع فى المضرب أو القرية ، واسع الارجاء لا يكاد يعرف بعضه بعضا ، ولا يكاد يُعنَى البعض نفسه بشئون البعض الآخر ، واذا عرفنا أن المجتمعات المدنية يسودها ، على الأقل فى فترات معينة ، جو من الانحلال والترخص الجنسي بسبب كثرة الارقاء لا سيما من النساء ، ادركنا لماذا يستبد القلق بالرجال ويسيطر عليهم الخوف من عدم وفاء زوجاتهم ، وبالتالى الخوف من أن تلد زوجاتهم اولادا ليسوا من صلبهم . وفى مثل هذه الظروف من الطبيعي أن يفكر الرجال فى وسيلة يزيلون بها مخاوفهم ويؤمّنون عن طريقها شرعية نسلهم ، وكانت حصيلة هذا التفكير وسائل متعددة . ففي بعض الشعوب ابتكر الرجل حزاما خاصا ـ وهو ما يعرف بحزام العفة ـ وهو حزام ذو قفل روعى فى تصميمه ان يسمح للمرأة بقضاء حاجتها وان يحول فى نفس الوقت دونها وان تكون طرفا فى اتصال جنسي . وقد شاع استعمال هذا الحزام فى اوربا فى العصر الوسيط كما كان معروفا فى اليابان . وفى شعوب اخرى سعى الرجال الى تقييد حرية النساء تدريجيا وانتهى الأمر باخضاعهن للحجاب . وفيما يلي نستعرض الشعوب المختلفة التي عرفت الحجاب قبل أن يعرفه المسلمون .

أشور

الآشوريون من أقدم الشعوب التي أخضعت النساء للحجاب . فقد عثر فيما بين عامي ١٩٠٣ و ١٩١٤ فى حفائر أشور القديمة على لوحات طينية ترجع الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد تتضمن قواعد قانونية اقدم من ذلك عهدا . وفى احدى فقرات اللوحة الأولى منها نجد بيانا مفصلا عن نظام الحجاب ، منه نعلم أن الحجاب كان مطبقا على الحرائر دون الاماء والعواهر . بل كانت توقع على الآمة او العاهر التي تتحجب عقوبات شديدة . فالآمة كانت تُصلَم اذنها ، والعاهر كانت تجلد خمسين جلدة ويصب القطران على رأسها . وكان من الواجب على كل مواطن يشاهد امة او عاهرا متحجبة ان يقبض عليها ويأتي بها الى محكمة القصر وكان يكافأ على عمله بمنحه ثيابها . وعلى العكس من ذلك اذا شاهد مواطن أمة أو عاهرا متحجبة ولم يقبض عليها تعرض لجزاء شديد ، فكان يجلد خمسين جلدة وتثقب اذناه وتربطان بخيط يعقد عند ظهره ويأخذ من أقام عليه الدعوى ثيابه ويسخّر فى خدمة الملك شهرا . ومع ذلك فاذا خرجت الآمة مع سيدتها وجب عليها أن تتحجب . كذلك تفعل العاهر اذا تزوجت . وتبين فقرة أخرى فى نفس اللوحة الاجراءات التي ينبغي اتباعها عندما يريد الرجل اعطاء سرّيته

صفة الزوجة فتقضي بأن عليه أن يستدعي خمسة او ستة من جيرانه ويحجبها امامهم قائلا « انها زوجتي » فتصبح زوجة له .

اليونان

كذلك فرضت اثينا ومعظم بلاد اليونان الحجاب على النساء الحرائر واعفت منه الاماء والبغايا .

ففي دار أبيها كانت الفتاة تقبع في ركن الحريم لا تغادره حتى زواجها فتنتقل الى بيت زوجها . ولم يكن الزوجان يرى أحدهما الآخر الا ليلة الزفاف . ولم يكن الزواج يخول المرأة حرية الاختلاط بالرجال ولا حرية الخروج من المنزل . فلم تكن المرأة تستقبل في دارها سوى النساء او اقاربها الاقربين من الذكور . فلم يكن يسمح لها باستقبال ضيوف زوجها او مجالستهم او تناول الطعام معهم ولو بحضور زوجها . بل كان مجرد حضور الزوج مصحوبا بأحد اصدقائه سببا في اختفاء المرأة من الجزء الخارجي من الدار لتحتمي في الغرف المخصصة للنساء . وعندما قدم كورنيليوس نيبوس Cornelius Nepos (وهو مؤرخ روماني عاش في القرن الاول قبل الميلاد) الى بلاد اليونان ادهشته حياة العزلة والانفصال التى تعيشها المرأة اليونانية وهو الذى تعود في بلده على اختلاط الجنسين ، فكتب يقول : « كثير من الاشياء التى نظمها الرومان بلباقة يرى فيها اليونانيون منافاة لحسن الآداب . فأى روماني يستشعر العار من اصطحابه زوجته الى مأدبة ؟ والرومانيات يشغلن عادة الحجرات الاولى من المنزل والاكثر تعرضا للرؤية حيث يستقبلن كثيرا معارفهن . واما عند اليونانيين فالامر على النقيض. فنساؤهم لا يشتركن في مأدبة الا اذا كانت لدى اقاربهن ، وهن يشغلن دائما الجزء الاكثر انزواء من المنزل والذى دخوله محرم على كل رجل غير قريب » .

ولم يكن للمرأة أن تخرج من دارها الا باذن زوجها ، ولم يكن ذلك عادة الا لسبب وجيه كزيارة قريبة او عيادة مريض او اداء واجب العزاء . وفي الحالات التى كان يسمح فيها للمرأة بالخروج كانت التقاليد تلزمها بوضع حجاب ثقيل يخفي معالم وجهها . يصف ديكايرش حجاب نساء طيبة ، احدى المدن اليونانية ، فيقول : « انهن كن يلبسن ثوبهن حول وجههن بطريقة يبدو معها هذا الاخير وكأنه قد غطي بقناع ، فلم يكن يرى سوى العينين » . وفضلا عن ذلك كان من اللازم ان يرافقها أحد اقاربها من الذكور أو أحد الارقاء . وكان بعض الازواج لا يكتفي بما كانت تفرضه التقاليد على حرية المرأة فكانوا يضعون اختامهم على ابواب دورهم عندما يتغيبون رغبة في زيادة الاطمئنان .

وقد وجد من الكتاب والفلاسفة اليونانيين من طالب بالغاء نظام الحجاب . فيقول ميناندر مثلا : « على الزوج الأ يرتئي احاطة زوجته برقابة متطرفة وحبسها في اغوار منزله ، فعيوننا مشغوفة بمتع الخارج ، فلا تضنوا على المرأة معرفتها هذه المتع . اتركوها ترى كل شيء وتذهب حيث تشاء . فان حب استطلاعها سيشبع ولن تفكر في فعل السوء . فما يحجب عنا يهيج رغباتنا ، وهذا بالنسبة للرجال وبالنسبة للمرأة سواء بسواء . فالزوج الذى يبغي زوجته وراء المزاليج ووراء قفل مغلق ثلاثا يظن أنه يسلك مسلك الرجل الحكيم . ان هو في الحقيقة الا احمق وحكمته المزعومة ان هي الا محض جنون » . كذلك كان من رأى افلاطون اتاحة الفرصة للفتاة لتتلقى الثقافة التي يتلقاها الفتى حتى يمكنها فيما بعد ان تؤدى للوطن نفس الخدمات التي يؤديها . وكان من رأيه أيضا أن تكون المدارس مشتركة للجنسين معتقدا أنه بذلك يقل احساس الفتيان والفتيات - نتيجة رؤية بعضهم البعض منذ الطفولة - بالتعارض وعدم الاكتراث الذى كثيرا ما يسبب الشقاق بين الجنسين لا سيما أثناء الزواج .

مصر القديمة

كانت المرأة المصرية في العصر الفرعوني تتمتع باكبر قسط من الحرية تمتعت به امرأة في شعب من الشعوب القديمة . فلم يعرف المصريون فكرة انفصال الجنسين وحجاب المرأة . بل كانت المرأة تغدو وتروح في حرية وتتحدث مع من تشاء وتخرج بين الناس سافرة الوجه . وكانت تساهم بنصيب كبير في الحياة الاجتماعية . يبدو ذلك واضحا من نقوش المقابر التي تصور مظاهر الحياة الاجتماعية

المختلفة . فالمرأة من عامة الشعب كانت تذهب الى الاسواق ســـافرة تحمل اليها ما تريد بيعه وتاتي منها بما ترغب في شرائه . وتخرج الى الحقل لمساعدة زوجها في البذر والحصاد . كذلك كانت المرأة تخرج في صحبة زوجها لزيارة الاقارب والاصدقاء أو القيام بنزهة للصيد . كما كانت تستقبل مع زوجها الضيوف من الجنسين . وكانت العادة أن يصطف الرجال في جانب والنســـاء في الجانب الآخر . لكن ذلك لم يكن قاعدة مطلقة فقد يحدث أن يختلط الرجال والنساء . وللرجل عندئذ أن يجلس الى جوار زوجته اذا شاء . وقد ظلت المرأة المصرية تتمتع بكامل حريتها في الغدو والرواح طيلةالعصر الفرعوني فعندما قدم هيرودوت الى مصر ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، ادهشته حياة التحرر والاختـــلاط التي تحياها المـرأة المصرية ـ وهو رجل قد اعتاد في بلده على رؤية النساء يقعدن في البيوت ويحتجبن من الرجال ـ فكتب ، في كتابه عن تاريـــخ العالم ، يقول : « المصريون نظرا الى مناخ بلادهم الخاص ، والى ان نهرهم له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة ســـائر الانهار ، قد اتخذوا لأنفسهم عادات وسننا مخالفة من كل الوجوه تقريبا لما يتخذه سائر الشعوب ... فالنساء عند المصريين يذهبن الى الاسواق ويمارسن التجارة ـ أما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون » .

على أن هناك من الدلائل ما يشير الى أنالحجاب قد عرف طريقه الى مصر في بعض العصور . ولا شك أن هذه العصـــور هي تلك التي تميزت بالاضطرابات والفتن الداخلية أو تلك التي خضعت فيها مصر للغزو الأجنبي . ففي مثل هذه الظروف لم تكن المرأة تأمن على نفسها اذا خرجت ، ولذلك كانت تقر في بيتها . واذا خرجت تخفت في ثيابها فامنت التعرض لها . يدلنا على ذلك بعض نقوش ترجع الى عهد رمسيس الثالثيفخر فيها بالانتصار على أعدائه واقرار الامن في ربوع البلاد . وقد جاء فيها ما يلي : « لقد أمكن كل امرأة الآن أن تسير خارج منزلها كما تريد رافعة قناعها بلا خوف ولا وجل لأنه لم يعد أحد يتعرض لها » . وأيضـا « لقد جعلت المرأة المصرية تذهب كما تشاء مكشوفة الأذنين فلا يتعرض لها أجنبي أو غيره » .

الهـنـد

ذهب فريق من الكتاب ، الأوربيين والهنود على السـواء ، الى أن الحجاب لم يكن معروفا في الهند قبل الفتح الاسلامي ، وأن الهندوس قد نقلوه عن المسلمين عندما استوطن المسلمون بلادهم واختلطوا بهم . ومع ذلك فان دراسة كتب الفقه الديني القديمة والآثار الأدبيـة التي ترجع الى القــرن الرابع والثالث قبل الميلاد تكشف بما لا يدع مجالا للشك عن حدوث تطور في هذا الموقف نحو تقييد حرية المرأة في الاتصال بالرجال . فقد ظهرت في الفقه الديني فكرة أن الابن يؤول في العالم الآخر الى والده الحقيقي سواء كان زوجا لامه أو لم يكن . وان القرابين التي يقدمها الابن لا يفيد منها سوى هذا الوالد . ولذلك نجد الفقهاء على مر العصـــور يحثون الأزواج على بذل أكبر قدر من الاهتمام في مراقبة سلوك زوجاتهـم حتى يحولوا دونهن والاتصال برجال آخرين لكي لا يكون انجابهن أولادا عديم الفائدة بالنســـبة لهم . فالفقيه « اباستمبا » مثلا يشبه المرأة بالوعاء الذي يحتوي على رائب لتقديمه كقربان ويوصي بحراستها من كل نجاسة لأنه كما أن القربان لا يمكن اداؤه برائب من لبن غير طاهر فكذلـك لا يمكن اداء القربان بواسطة الزوجة أو اولادها اذا كان غير طاهر . وفي كتاب فقيه آخر هو « مَنـو » نقرا ما يلي : « لا يمكن لأي رجل أن يحرس النساء حراسـة كاملة بالقوة ، لكن من الممكن حراستهن باستخدام الوسائل التالية : ليشغل الزوج زوجته في جمع وانفاق ثروته ، في ابقاء كل شيء نظيفا . في أداء الواجبات الدينية ، في اعداد طعامه وفي العناية بالادوات المنزلية » . كما نقرأ فيه من ناحيـة أخرى : « لا ينبغي للمرء أن يجلس في مكان منعزل مع امه أو أخته أو ابنته فالشهوات غلابة وهي تتسلط حتى على الرجل العالم » . وما يقطع بوجوب الحجاب في هذه الحقبة من الزمن ما جاء في أحد الآثار الأدبية من أن الملك « راما » خرج يوما من قصره مع زوجته « ســيتا » فوجد رعاياه ينتظرون بفارغ الصبر عند باب القصر لالقاء نظرة

عليهما . وعندما وجد الملك هذا الجمهور المتلهف حوله امر زوجته قائلا : « يا سيدة «ميثيلا» ارفعي نقابك » ، ثم التفت الى الناس وقال لهم : « تطلعوا دون غضاضة الي زوجتي هذه ولتسل الدموع على وجوهكم مدرارا . فلا اثم في النظر الى النساء عند التضحية وفى الزفاف وعند الكارثة وفى الغابة » .

فــارس

كذلك فرض الفرس الحجاب على نسـائهم . ففي الرسوم والنقوش التي خلفها الفن الفارسي والتي تحكى مشاهد الحياة العامة للناس لا تجد اثرا للمرأة . كما يروى عن أحد ملوكهم انه اقام مادبة للرجال فى مقصورته الخاصـة بينما كانت زوجته تستقبل النساء فى مقصورة اخرى ، وعندما دعا الملك الملكة الى القدوم عليه رفضت الظهور أمام الرجال .

اليهــود

كذلك كان الحجاب معروفا ومطبقا لدى اليهود . فالتلمود يحـرم نظر الرجل الى كعب امـراة غير زوجتـه او لمس يدهـا أو الحديث معها . بل ان التلمود يحرم على الرجل ، اذا تحدث الى زوجته، أن يطيل الحديث .

واضح اذن من العرض السابق أن الحجاب كان نظاما شائعا فى بلاد الحضــارات القديمة ، وهي البلاد التي خضع معظمها لســلطان العرب بعد الاسلام ، فاختلطوا باهلها ، ونهلوا من ثقافاتهم وتاثروا بتقاليدهم وعاداتهم . ولعلنا لا نجاوز القصد اذا قلنا ان اخذ العرب والمسلمين بنظام الحجاب الشائع اليوم فى بلاد كثيرة كان مظهـرا من مظاهر هذا التاثر . ■■

محمود سلام زناتي



أرسل أحد اليابانيين مقالا الى ادارة احدى الصحف لتنشره ، وبعد يومين تلقى مرسل المقال الخطاب التالى من رئيس التحرير :

« سيدى العزيز ...

يا أخا الشمس ، وابن الأصل العريق ، اسمح للعبد المكبل بالخطايا أن يتوجه الى ذاتك المحترمة بالحديث .. وصلنا مقالك القيم الذى تفضلتم ، وتكرمتـم ، وخصصتم به المجلة التى يشرف عليها الضعيف الـذى يكتب لكم . وقد قرأنا المقال ، فبهرتنا بلاغته ، وراعنا ما حوت سطوره من معلومات نفيسة ، وما تضمنه من فوائد قيمة هى ولا شك من هدى الآلهة اختصت به ذاتكم المبجلة .. ولقد أعددنا المقال النشر في صدر هذه المجلة ، ولكنني يا سيدى قلت لنفسي فى اللحظة الأخيرة لو أننا نشرنا مقالكم النفيس، لأصبح كل ما ينشر بعده غثا سخيفا ، لا يستحق القراءة ، حتى تجود علينا قريحتكم الوقادة بمقال آخر . وقد يؤثر هذا فى رواج المجلة ولهذا ارجو يا سيدى أن تسمح للعبد أن ينحنى خاشعا، ويقبل قدمى سيده ، ويرد له المقال شاكرا .. » .



بقلم : الدكتور
علي احمد علي

■ يقصد بالطاعة الخضوع لسلطة معينة ، واطاعة ما تامر به هذه السلطة . وقد تكون هذه السلطة سماوية او سلطة القانون أو سلطة الوالدين أو سلطة الرئاسة من أى نوع . وطالما أن هنالك افرادا في مراكز السلطة والمسئولية ، فعادة ما يتخذون القرارات ويصدرون الاوامر التى يكون على مختلف الافراد اطاعتها وتنفيذها .

وقد ذكرت الطاعة كثيرا في القرآن الكريم وخاصة الطاعة لله سبحانه وتعالى ورسوله : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله » . وفي آية اخرى : « فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا » .

وقد جاءت الطاعة التى يامر بها القرآن الكريم طاعة الله ورسوله واولي الامر منهم طالما كان اولو الامر يسيرون في طريق الحق والعدل والصراط المستقيم . اما اذا خرج اولو الامر عن طاعة الله وتعدوا حدوده ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وقد نهى القرآن الكريم في مواقع كثيرة عن طاعة الكفار والمنافقين مثل ما جاء في قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

وقد حدد القرآن حدود الطاعة بالنسبة للأبناء في علاقاتهم بالآباء . فطاعة الآباء واجبة على الأبناء وفاء لهم وردا واجبا على ما بذلوه من جهد وما عانوه من مشقة في سبيل رعاية هؤلاء الأبناء وتربيتهم وتنشئتهم نشأة صالحة . ولكن طاعة الأبناء للآباء ليست مطلقة . فهذه الطاعة ليست مطلوبة من الأبناء اذا كان فيها خروجا على طاعة الله أو تعديا على حدوده مثل ما جاء في قوله تعالى : « وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » .

الطاعة في المجتمعات الانسانية

الواقع أن أي تجمع انساني سواء أكان هذا المجتمع حديثا أو كان منذ آلاف السنين وسواء أكان هذا التجمع بدائيا أو عصريا متقدما ، فانه لا غنى لهذا التجمع الانساني عن وضع بعض النظم والقواعد والتقاليد تسير عليها الجماعة ، ويجب على جميع أفراد الجماعة طاعتها واحترامها. وهي قواعد درجة تعقدها تختلف باختلاف المجتمع السائد ، ومدى تقدمه والشوط الحضاري الذي قطعه .

ومجتمع الاسرة مجتمع صغير يشبه المجتمع الكبير من ناحية سيادة سلطة معينة فيه ونظام معين يحدد سلوك اعضائه ويوجهه ، وان اختلف هذا المجتمع عن المجتمع الكبير في طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراده ودرجة تعقدها . والسلطة السائدة في الاسرة هي سلطة الوالدين او الكبار في هذه الاسرة ، وعلى افراد سائر الاسرة الطاعة . ولكن هنا نشأ سؤال : الى أي حد تكون طاعة الأبناء لأوامر الآباء ؟ والى أي حد نسمح للأبناء بمناقشة هذه الاوامر ، والاجابة على هذا التساؤل تتوقف على واقع الجو الذي يسود الاسرة هل هو جو ديمقراطي أو جو استبدادي .

تغير النظرة الى الطاعة

وقد تغيرت نظرة بعض الناس لموضوع الطاعة واعتبروها شيئا قديما عفى عليه الزمن وصار معنى الطاعة عندهم يجب أن يشمله التغيير حتى يساير حياتنا المعاصرة . وقد كان الدافع لتغير النظرة الى الطاعة ما لوحظ في المجتمعات الحديثة من احلال العمل الجماعي والتعاوني محل الاوامر والاستجابة لها . وأصبحت وظيفة القائد ليست اصدار الاوامر التي على الافراد طاعتها والاستجابة لها ، ولكن أصبحت وظيفته توجيه جهود الجماعة وتنسيقها لخدمة أهداف الجماعة واغراضها .

والواقع أن الاتجاه الى ديمقراطية السلطة ، وكذلك الاتجاه الى مزيد من التعاون بين الافراد ، لا يمكن بأي حال من الاحوال أن يلغي وجوب طاعة الافراد لما تستقر عليه الجماعة من قرارات أو أنظمة والتي تم التوصل اليها بأسلوب ديمقراطي وتعاوني . ان الطاعة في هذه الحالة تقوم على الاقتناع بالاوامر والنظم التي يجب على الافراد طاعتها .

راى علماء النفس والعلاج النفسي في الطاعة

بالرغم من بعض القيمة التي يعطيها علماء النفس وعلماء العلاج النفسي للطاعة ، الا أنهم يذكرون آلاف المواقف التي كانت فيها السلطة ظالمة وغير عادلة ، وكان اتباع الفرد لما تفرضه هذه السلطة وما تمليه من أوامر ضارا بالصحة النفسية ، وأدى بالفرد الى الكثير من المشكلات والصراعات النفسية . فالمفروض على الفرد أن يطيع ، ولكنه قد يكون في الوقت نفسه غير مؤمن أو مقتنع بالاوامر التي يجب عليه طاعتها ، وعندئذ يحدث الضرر . وهذا القول يصدق أيضا بالنسبة للأطفال . فالطفل عليه أن يطيع أوامر الآباء حتى لو كانت ظالمة وغير منطقية والا عرض نفسه لفقدان الحب والطمأنينة والامن نتيجة لعصيانه هذه الاوامر .

الطاعة في مرحلة الطفولة

ان الطاعة اذا أحسن استخدامها تلعب دورا لا غنى عنه في حياة كل فرد ، وفي تحقيق نضجه ونموه ، وكذلك في تحقيق الفرد لذاته . ولذلك فانه من اللازم أن يفهم الآباء طبيعة الطاعة ومخاطر اساءة استخدامها .

ان الطاعة وسيلة لتحقيق أهداف تربوية كثيرة، وهي ليست هدفا في حد ذاتها . فنحن لا نجبر

اطفالنا على الطاعة حبا في الطاعة نفسها ، ولكننا نطلب منهم أن يكونوا مطيعين في بعض المواقف سعيا وراء القيم التربوية لهذه الطاعة بالنسبة لهم . فعن طريق طاعة الابناء للاباء يكتسب الابناء الكثير من القيم والاتجاهات الطيبة والخبرة النافعة، كما انهم يتدربون منذ طفولتهم على احترام النظم والقواعد والتقاليد المرعية فيرعونها حين يكبرون ويخرجون الى المجتمع الكبير .

والطاعة عموما يعتبرها الناس فضيلة من الفضائل . وعادة ما يكون وصف الطفل بانه مطيع امر يدعو الى السرور والغبطة .

وتعتبر الطاعة عملية مركبة لانها تتضمن عددا من الملابسات منها : احترام السلطة ، ووضع اراء الغير موضع الاعتبار ، واحترام الذات وتقديرها ، وشعور الامن وغير ذلك ، وهذه الملابسات جميعا نجدها منسوجة في المثال الاتى : ــ

طفل صغير يلعب بالكرة بعد الظهر مع بعض الاصدقاء امام منزله . هذا الطفل ــ ما لم يحدث اى تدخل من جهة ما ــ سيستمر في لعب الكرة حتى يتعب او حتى يخيم الظلام فيضطر الى التوقف عن اللعب والعودة الى منزله .

ولكن قد تناديه امه ، فيخرج الطفل من اللعب ويترك زملاءه ويذهب ليرى ماذا تريد منه الام ، وقد جاء نداؤها اياه غير متوقع .

وعندما يترك الطفل زملاءه ليرى ماذا تريد امه فانه لايعرف بالضبط السبب . ولكنه يعرف على الاقل ان هناك افرادا آخرين هو مرتبط معهم في اللعب يجب أن يهتم بمطالبهم وآرائهم .

ويعرف الطفل سبب نداء الام اياه . وقد يكون هذا السبب ان والده سيخرج مبكرا هذا المساء وان على الاسرة أن تتناول معه العشاء قبل خروجه ، او قد يكون السبب أن احد زملاء الطفل قد طلبه بالتلفون وان عليه ان يدخل البيت للرد عليه . وسواء عرف الطفل السبب كله أو بعضه ، فان عليه لكى يباعد بين نفسه وبين الصراع النفسى ان يتقبل فكرة ان والديه يعرفان اكثر منه وانهما يفعلان ما يريانه صالحا بالنسبة له .

ولا شك ان ترك الطفل للعب الكرة يعتبر امرا غير سار بالنسبة له ، ولكن عليه ان يفعل ذلك وأن يطيع أوامر امه اذا اراد أن يتجنب العقاب ايضا ، واذا اراد أن يبتعد عن كل ما يهدد علاقاته بوالديه وبالتالى يهدد امنه .

ولكن الطفل كذلك قد يكون مستغرقا تماما في اللعب فلا يسمع نداء امه . وقد يجول بخاطر الطفل عشرات من الاسباب التى قد تدفعه الى عدم اطاعة اوامر امه فى هذا المجال اذا هو سمع . فمثلا قد يرى الطفل نفسه غير جائع وبالتالى فلا داعى للعودة الى المنزل وتناول العشاء . وقد يرفض الطفل العودة لانه يرى أن امه تكثر التدخل في شئونه الخاصة ، وهذا قد يدعوه الى عدم اطاعة اوامرها . وقد يرى انه لا يوجد مبرر مقنع يدفعه الى الدخول الى البيت قبل الانتهاء من لعبه .

والواقع ان المثل السابق ، وان كان يبدو تافها في تمثيله للطاعة ، الا انه يوضح التعقيد الذى تشتمل عليه عملية الطاعة ، ويوضح ما قد يعتمل في نفس الفرد عندما يكون عليه اطاعة أمر من الاوامر .

وهناك عدد من الاتجاهات المحددة التى يحدد وجودها او عدم وجودها طبيعة خبرة الطفل مع الطاعة ، وهل ستكون خبرة تربوية مفيدة أو خبرة غير تربوية معوقة وضارة .

كيف نجعل للطاعة قيمة تربوية

حتى نجعل للطاعة قيمة تربوية بالنسبة لاطفالنا ، لابد من توافر الامور الآتية :

اولا : الصراحة

فلا بد أن يسود جو الصراحة العلاقة بين الاباء والابناء . فالطفل اذا لم يكن مقتنعا بأمر من الاوامر ، يجب أن يصارح والديه بوجهة نظره في هذا المجال قبل طاعته . فالطفل يجب أن يكون مقتنعا بقيمة الامر وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للاسرة التى يعيش فيها . ولا بد أن تقوم صراحة بين الاباء والابناء تمكن الابناء من الاعتراض على بعض الاوامر وابداء الرأى فيها في حدود قدرتهم ومستوى نضجهم ودون خروج عن حدود الادب واللياقة .

ثانيا : شعور الامن

شعور الطفل بالامن يجعل العلاقة بينه وبين مصدر السلطة علاقة ود وتفاهم ، وهذا يجعله اكثر تقبلا لاوامر الوالدين . اما الطفل الذى لايشعر بالامن والذى يحس بأن كيانه في البيت مهدد ، فانه عادة يتقبل أوامر الوالدين ليس عن

اقتناع ولكن خوفا من أن تؤدى معارضة هـذه الاوامر الى تعريض كيانه في الاسرة لمزيد من الخطر والتهديد .

وقد يؤدى عدم شعور الطفل بالامن في الاسرة الى سلوك مضاد للسلوك الذى سبق ذكره . فقد يدفع ذلك الطفل الى عدم اطاعة اوامر الوالدين والوقوف في وجه هذه الاوامر ، فماذا عساه أن يفقد في حالة عصيانه لاوامر الوالدين ؟ !

ثالثا : الاعتراف بنواحي النقص والقصور

عادة ما تكون الطاعة مرتبطة باعتراف الفـرد بجوانب النقص والقصور في نفسه ، ذلك لان الفرد اذا لم يعترف بذلك فانه يجد صعوبة في الخضوع لسلطان الاخرين . كما أنه لا يشعر في هذه الحالة بالحاجة الحقيقية لغيره من الناس ، كما انه لايطيع الغير لانه يرى في نفسه الكمال وانه في مركز افضل منهم .

وطالما أن الطفل يعرف حدود قدرته ويعرف ضعفه ونقائصه ، فانه يجد طاعة الوالدين امـرا يسيرا ومقبولا . فهو يدرك أن والديه يعرفان اكثر منه وانهم أدرى بمصلحته . ومن الامور الهامة ان يكون اعتراف الطفل بضعف قدرته واقعيا ، وأن يدرك أن هذا الضعف بالمقارنة بقدرة والديه لايرجع الى عيب أصيل فيه بقدر ان مرجعه مرحلـة النمو التى يمر بها .

الفترات التي تتسم بالاتجاه نحو عـدم الطاعة في حياة الطفل

يمكن أن نحدد ثلاث فترات تتسم بعدم الطاعة أى العصيان في حياة الطفل وهذه الفترات هى :

أولا : الفتـرة بـين سن العامين والاربعة الاعوام

وفي هـذه الفتـرة يبدأ الطفـل في الاحساس بشخصيته المستقلة . وعادة ما يحاول أن يميز نفسه عن الآخرين المحيطين به ، وذلك عن طريق عدم موافقتهم على كل ما يطلبونه منه . لهـذا فالطفل يتصف في هذه الفترة بشدة المراس . وفي سن الثانية تقريبا يستخدم الطفل كلمة « لا » كثيرا ، فهو يعترض على الكثير من الاشياء ، ويجد لذة كبيرة في معارضة آراء الكبار واوامرهم لان ذلك يشعره بقيمته وكيانه المستقل . كما أن الطفل يجد لذة في اختبار قوته عن طريق رفضه ما يمليه عليه الكبار واتخاذه موقفا مستقلا .

وقد يصحب عدم الطاعة هـذا نوبات غضب للطفل . فهو يرفض الامر ولا يطيع الا في جو انفعالي معين .

ويجب على الآباء في هـذه الحالة الا يقابلوا غضب الطفل بغضب مثله ، كما أن على الآباء الا يتوقعوا أن يفهم الطفل منطقهم في هذه السـن المبكرة .

ثانيا : الفترة بين سن السادسة والسابعـة

وتتميز هذه الفترة أيضا بعدم الطاعة من جانب الطفل ، خاصة بعد ان يدخل عالم المدرسة وهـو غريب عليه . وعادة ما تشتد وتكثر حالات عـدم الطاعة كلما اشتدت المطالب على الطفل من جانب عدد كبير من الافراد الذين يتعامل معهم كالمعلمين والآباء والزملاء وغيرهم . وتعتبر عدم الطاعة في هذه الحالة احتجاجا منه ضد المطالب الكثيـرة المفروضة عليه .

ويستطيع المربون أن يساعدوا الطفل على تخطى هذه الفترة بسلام اذا زادوا من فهمهم له ونسقوا بين مطالبهم ومطالب المدرسة . فالطفل يطيـع اذا كانت المطالب المفروضة عليه عادلة ومنطقية . أما اذا كانت على خلاف ذلك ، فلا يكلف اللـه نفسا الا وسعها .

ثالثا : الفترة بين سن الثالثة عشـرة والرابعـة عشـرة

فهذه الفترة تمثل مرحلة المراهقة المبكرة وهى أيضا تمثل نهاية مرحلة الطفولة . وتتميز هـذه المرحلة برغبة المراهق ــ أو الطفل الكبير ــ في اثبات كيانه ووجوده المستقل كشخص كبيـر ، لذلك فانه يرفض تدخـل الوالدين وغيرهـم في شئونه الخاصة ، كما انه قد لايطيع بعض الاوامر التى لا يراها مناسبة . ولا شك أن المراهق يكون تحت وطأة صراع نفسى كبير في هذه الحالة ، حيث تتجاذبه الرغبة في الاستقلال والحرية ، وفي الوقت نفسه يخشى ان يفقد تأييد والديه وتوجيههما ومساعدتهما اذا لم يطع أوامرهما .

وبالرغم من عدم الطاعة الذى تتسم به هذه الفترة ، الا أن المراهق عادة ما يكون أكثر تقبلا للمنطق . فهو مستعد لتقبل السلطة واحترام واطاعة اوامرها اذا اقتنع بقيمة هذه الاوامر . لذلك يجب أن تكون هذه الاوامر الصادرة الى المراهق من الآباء والمعلمين وغيرهم منطقية ومعقولة. كما أن هذه الاوامر يجب أن تحترم شخصية المراهق والا تقلل هذه الاوامر من قيمة المراهق أو تتعدى على استقلاله .

الجوانب الشاذة المتصلة بالطاعة

كثيرا ما تكون الطاعة مظهرا للاضطراب النفسى أو التكيف غير السوى ومن امثلة هذه الجوانب الشاذة ما يأتى : ـ

استخدام الطاعة للسيطرة على الغير

فاحيانا يكون الطفل مطيعا لأبعد الحدود، وكثيرا ما ينتظر الطفل من الآباء والكبار المحيطين به الاوامر لينفذها اولا بأول دون مناقشة . ويكون من نتيجة ذلك أن يجد الآباء أنفسهم تحت رحمة الطفل ، لانهم يريدون أن يكونوا بجانبه باستمرار لتوجيهه واصدار الاوامر اليه في المواقف المختلفة . وبهذا يتحول الطفل الى محرك للوالدين ومسيطر عليهم عن طريق الطاعة المستمرة العمياء لاوامرهم .

استخدام الطاعة للاساءة للغير :

كثيرا ما يلجأ الاطفال المحدودو القدرة وقليلو الحيلة الى الطاعة العمياء لاوامر الآباء والكبار المحيطين بهم حتى يتصفوا على أنفسهم بعض الصفات الحميدة ، كأن يقول الآباء عنهم انهم مطيعون . وحتى يظهر الاطفال الآخرون في نفس الوقت وكأنهم غير مطيعين . وتعتبر الطاعة في هذه الحالة أسلوبا غير مباشر للاساءة للغير والتقليل من شأنهم .

الطاعة والتقمص الزائد

ومن الصور الشاذة للطاعة ، ما هو قائم على التقمص الزائد Overcompensation . فالطفل عن طريق التقمص يقلد الآباء الذين يحبهم ويحترمهم . وهذا التقمص يحدد سلوك الطفل في المستقبل الى حد كبير ، لانه يمتص عن طريق التقمص الكثير من القيم والاتجاهات وأساليب السلوك . والواقع أن قيم الطفل اذا كانت تتوقف كلية على تقمص شخصية أحد الافراد الذين في مركز السلطة ، فانه عادة ما يفقد فرديته وشخصيته المستقلة ، ومثله فى هذه الحالة كمثل شخص قد أجرى له غسيل دماغ Brainwashing . فهو في هذه الحالة يطيع الاوامر ليس لانه مقتنع بها ، مؤمن بفائدتها، ولكن تعتبر هذه الطاعة مظهرا من مظاهر فقدانه لشخصيته المستقلة وتوحدها وذوبانها في شخصية الكبير .

فالطاعة في هذه الحالة تصبح عَرَضًا لسلوك شاذ وتفقد قيمتها التربوية ، لانها تعتبر مظهرا من مظاهر ضياع شخصية الطفل المستقلة .

والخلاصة

والخلاصة انه لكى تتحقق الجوانب المفيدة للطاعة لا بد من توافر عدد من الشروط في الاوامر التى تطاع .

١ ـ أن تكون الأوامر سليمة ، بمعنى الا تؤدى هذه الأوامر الى الاضرار بكيان الطفل أو تعريضه للخطر في الحاضر أو المستقبل . فالمفروض في الاوامر أن تحقق مصلحة الفرد كما تحقق مصلحة الجماعة في نفس الوقت .

٢ ـ أن تكون الاوامر واضحة بمعنى أن تكون مصاغة بأسلوب وبلغة يفهمها الاطفال الذين توجه اليهم هذه الأوامر .

٣ ـ أن تكون الاوامر مقنعة . فقد تكون الأوامر واضحة وقد تكون سليمة ولكنها قد لا تكون مقنعة. فالاقناع يتمثل في استثارة الطفل وتشجيعه على اطاعة الأوامر .

واخيرا ، فان الجو الديمقراطي اذا ساد الاسرة فان اطاعة الاطفال للاوامر عادة ما تقوم على الاقناع وتحقيق المصلحة المشتركة لجميع الاطراف المعنية. وفي هذه الحالة تكون الطاعة سبيلا لتدعيم نمو الطفل ونضجه . اما الطاعة القائمة على القسر والعقاب فان قيمتها التربوية عادةما تكون محدودة، وعادة ما يكون شرها أكثر من نفعها . ■■

على أحمد على
بتخطيط التعليم العالى ـ القاهرة




البَطَلُ الثَّائِر

للشاعر : محيي الدين الحاج عيسى



دعـــاه الوطنُ الغالي ... فلبّاه وحيّـــاه
وقال فُديـــت ياوطني ... أنا من أنت ترضاه
سأجعل منك للطغيـــا ... ن قبرا فيه مأواه
وأرضـا تنفُثُ النيرا ... نَ لاتنفك تغشاه
ويومـا أسود الأنحا ... ء مُرًّا ليس ينساه
فأحرمــه هنـاء العيـ ... ـش في أمن تمنّاه
إلى أن ينجلـــى عنـا ... ويأتى الحق مأتـاه



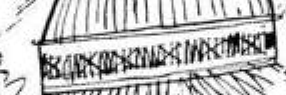
★ ★ ★

وســار يحقق الآمـا ... ل ذاك الثائر البطلُ
ولا يُرضيـــه إلا الجـــد ... والإخلاص والعمل
وعينُ الله ترقبـــــه ... وشعب كله أمـــل
لقد قاسى من الأحدا ... ث جرحا ليس يندمل
فصاح فأسمعَ الدنيا ... وأصغى السهلُ والجبل
بلادى حُرَّةٌ عاشت ... ولاعاش الفتى الوَكِـل
وباء الغاصب الغدا ... ر يعصر قلبه الفشل



★ ★ ★

وأقـدم غير هيّـــاب ... به الأرزاء تنقشع
ألم تَرَهُ وفي يـــده ... شهاب الموت يرتفع؟




ومدفعهُ بعاتقـــــه　　كما الأقدار يندفعُ

وقنبلةٌ يفجّرهـــا　　وألغامٌ لها تَبَـع

فيأتى الغدرَ يمطُـــره　　جحيما ليس ينقطع

يدكُّ لـه معاقلـــه　　فلايُبقي ولايَـدع

ويسحقـه بمعـتَرَك　　به الآجالُ تَصطرع

★ ★ ★

فبـات عدوه يقضـى　　سواد الليل في أرقِ

كمن في مركب في البحـ　　ـر لم يأمن من الغرق

وفي الإصباح لاينجـو　　من الأخطارفي الطُّرق

ومن ليث فدائـــي　　يباغته بمفـتَرقِ

فيسقيه الردى مـــرّاً　　مزيج الحقد والحَنَق

فدب الرعب في دمهـم　　دبيبَ السم في المرق

وصار شعار صهيـون　　شعار الخوف والقلق

★ ★ ★

ألا حُييت يامـن قـد　　ركبت الصعب جذلانا

ورُحت تقارع العدوا　　ن كالآساد حرْدانـا

رعاك الله أمطرْهـم　　من النيران بركانـا

وأكثرْ فيهـم قتلا　　وتنكيلا وإثخانـا

ولا تترك لهم أثرا　　بأرضك أينما كانـا،

فهم رجس يدنّسها　　وهم شرٌ تحدّانـا

وما للشر إلا الشر يمحو منه أركانـا

■■

حلب : محيي الدين الحاج عيسى



ق



الحقائق التى لا تعرف كثيرا عن الاتحاد السوفيتي وقومياته المتعددة ، أن فيه جالية عربية ، قوامها بضعة الاف من الاشخاص ، تعيش منذ عدة قرون في جمهورياته الجنوبية ، وخاصة في جمهورية « ازبكستان » ، وانها لا تزال محتفظة بلغتها وبالكثير من تقاليدها العربية .

وتمثل هذه الجالية احدى الاقليات القومية في الاتحاد السوفيتى الذى يعتبر من أكثر دول العالم تعدد قوميات بل اكثرها جميعا . فقد سجل احصاء السكان العام الذى اجرى سنة ١٩٥٩ في الاتحاد السوفيتى (١٠٩) قومية ، الى جانب ١١ مجموعة صغيرة تتصل بقوميات أخرى . ولكل من هذه القوميات والمجموعات لغتها وثقافتها القومية وطراز معيشتها .

والعرب في الاتحاد السوفيتى ينتشرون في المنطقة التى كانت تدعى في السابق « تركستان » وتعرف جغرافيا باسم « آسيا الوسطى » ، وخاصة في منطقتى « بخارى » و « قاشقا دريا » . وهنالك اكثر من ثمانين قرية يسكنها العرب ولا تزال محتفظة باسماء مثل : عرب ، عربخانة ، عربليار ، عرب قشلاق ، عرب مزار ، وما أشبه .

وتختلف الآراء في اصل هؤلاء العرب وزمن قدومهم الى هذه المنطقة . ويرى بعض الباحثين والمؤرخين انهم ينحدرون عن العرب الذين رافقوا تيمورلنك الى « سمرقند » عند عودته من حملته في الشرق الادنى في القرن الرابع عشر الميلادى ، وهنالك من يذهب الى القول بانهم من بقايا الحملات العربية التى وصلت الى المنطقة أيام الفتح العربى بقيادة قتيبة بن مسلم فى القرن الثامن الميلادى .

ولم تكن هنالك ـ حتى أوائل هذا القرن ـ عناية تذكر بدراسة أحوال هذه الجاليات العربية او تاريخها ، سوى اشارات عرضية عابرة في كتب بعض الرحالة الذين سافروا الى آسيا الوسطى . ومنهم المستشرق الرحالة المجرى « فامبيرى » الذى ذهب الى بخارى سنة ١٨٦٣ متخفيا بزى « الدرويش » للاطلاع على أحوالها ودراسة سكانها ، وكان من أوائل الأوروبيين الذين وصلوا الى تلك المناطق . وقد كتب عن العرب الذين شاهدهم فيها انهم « فيما عدا ملامحهم ، ليس لهم شبه كبير باخوانهم في الحجاز او العراق . حتى انني رأيت بينهم كثيرين ممن لا يتكلمون العربية . ويبلغ عددهم ٦٠ الفا ، ومعظمهم يعيشون عيشة الحضر » (١)

واخذت الجاليات العربية في آسيا الوسطى تنال شيئا من الاهتمام بعد الثورة البلشفية ، وخاصة بعد الاطاحة بامير « بخارى » في نهاية سنة ١٩٢٠ ، اذ اهتمت « اكاديمية العلوم السوفيتية » بدراسة سكان تلك المنطقة وارسلت في سنة ١٩٢١ بعثتين اثنوغرافيتين لهذه الغاية .

وعندما قررت الحكومة السوفيتية اعادة تقسيم آسيا الوسطى الى مناطق ادارية جديدة على أساس القوميات التى يتألف منها سكانها ، ألفت لجنة خاصة لدراسة هذا الموضوع . وقامت

(١) A. Vambery 'Travels in Central Asia', London, 1864, P. 308

الاتحاد السوفيتي

بقلم
نجدة فتحي صفوة

اللجنة ، ضمن واجباتها ، بالتحري عن عدد العرب في منطقة « بخارى » ، كما حصلت على مزيد من المعلومات عن العرب المنتشرين في تاجيكستان وتركمانيا .

وفي سنة ١٩٢٦ قامت باحثتان سوفياتيتان هما « ن.ن. بوريكينا » و « م.م اسماعيلوفا » برحلة الى المناطق التى يسكنها العرب ، ودرستا لغتهم ، واشتركتا في اعداد بحث عن لهجاتهم . وكان اكتشاف لغة عرب آسيا الوسطى من الاحداث المهمة في تاريخ الاستشراق .

وتوالت الدراسات عن عرب آسيا الوسطى ولهجاتهم بعد ذلك :

ففي سنة ١٩٣٦ أرسل معهد الشؤون الشرقية « التابع لاكاديمية العلوم السوفيالية » بعثة الى ازبكستان ، فقامت ـ بارشاد المستشرق المعروف كراتشكوفسكي ـ بدراسة لغة عرب آسيا الوسطى وفولكلورهم والاتنوغرافيتهم . وتعاقبت لدراسة هذا الموضوع بعثات عديدة حتى سنة ١٩٤٣ ، كما ظهر في الاتحاد السوفيتي عدد من العلماء والمستشرقين الذين اهتموا بدراسة عرب آسيا الوسطى ولهجاتهم، وتخصصوا في هذه الموضوعات. ومن ابرزهم المستشرق اللنينغرادي « فينيكوف »، والمستشرق الجورجي « تسيريتيلي » ـ أستاذ اللغات السامية في جامعة تفليس ـ . فقد اتخذ الاول « العرب في الاتحاد السوفيتي » موضوعا لرسالة الدكتوراه التي قدمها الى جامعة لينينغراد في سنة ١٩٤١ ، كما نشر عددا كبيرا من الابحاث اللغوية والاتنوغرافية عن هذا الموضوع تضمنت



نتائج دراساته والمعلومات التى جمعها شخصيا في مناطق توطن العرب ، ووضع قواميس كبيرة للهجات العربية في آسيا الوسطى ، لما تنشر بعد . اما «تسيرتيلى» فقد اهتم بصورة خاصة بدراسة لغة عرب آسيا الوسطى ولهجاتهم ، وشارك في بعثات عديدة الى مناطق توطنهم ، وقضى في ابحاثه اكثر من عشرين عاما كان من حصيلتها كتابه الضخم عن الموضوع ، وهو في أربعة مجلدات ، فضلا عن أبحاث ودراسات مهمة أخرى .

وهنالك الى جانب اعمال هذين الباحثين دراسات متفرقة أخرى لعدد من كبار المستشرقين كدراسة « يوشمانوف » عن « اللهجة العربية في الشرق السوفيتي » ، ودراسة « بيليايف» عن « الخطوط الرئيسية لتطور الادب العربى في آسيا الوسطى » ، ودراسة « فولين » عن « تاريخ عرب آسيا الوسطى » .

وان مما يبعث على الاسف طبعا الا تكون هذه الدراسات ـ بل ولا واحدة منها ـ مترجمة الى اللغة العربية حتى الآن . وعسى أن يضطلع بهذا العمل بعض شبابنا الذين تخرجوا في الجامعات السوفيتية ، فيقدموا للغتهم خدمة ممتازة .

وعنيت الدراسات المختلفة عن عرب آسيا الوسطى بمعرفة عددهم الحقيقى ، والبلاد التى جاءوا منها ، وتاريخ هجرتهم ، ومناطق توطنهم ، ومدى احتفاظهم بلغتهم وتقاليدهم ، ودراسة لهجاتهم وفولكلورهم .

اما فيما يتعلق بعددهم فلم يكن هنالك في السابق احصاء دقيق له ، وكانت التخمينات تتراوح بين عشرين الفا واربعين الفا . وظهر بنتيجة احصاء السكان الذى أجرى في سنة ١٩٢٦ ـ وهو أول احصاء رسمي في العهد السوفيتي ـ تسجيل (٢٨٫٩٧٨) عربيا ، ولكن هذا العدد كان بعيدا عن الواقع ودون العدد الحقيقى للعرب الموجودين في الاتحاد السوفيتي .

فقد كان عرب آسيا الوسطى في العهد القيصري يعانون من اضطهاد شديد وتمييز فاضح . وكان « الخانات » و « الأمراء » الذين يحكمون مقاطعات آسيا الوسطى يفرضون عليهم ضرائب اضافية تعسفية تجبى منهم في صورة اموال ورجال ـ يمتلك الامراء رقابهم ويكونون تحت تصرفهم أو يجندون في جيوشهم ـ مما حمل معظم العرب على اخفاء قوميتهم ، وتغيير لغتهم ، وهجر قراهم الى غيرها ، والتظاهر باحدى القوميتين الازبكية أو التاجيكية . وقد أدى ذلك الى عملية من الانصهار التدريجي ، وضياع الخصائص القومية لمعظمهم .

ويرى « فينيكوف » أن ٩٥ بالمائة من عرب آسيا الوسطى قد انصهروا في القوميات الاخرى بهذه الطريقة قبل ثورة أكتوبر البلشفية ، ويقدر أن عددهم الحقيقى خلال العشرينيات لم يكن اقل من (٥٠٫٠٠٠) .

أما احصاء سنة ١٩٣٩ فقد سجل (٢١٫٧٩٣) عربيا ، وانخفض هذا العدد في احصاء سنة ١٩٥٩ الى (٨٫٠٠٠) ، أى أن عددهم انخفض بنسبة ٦٣ بالمائة خلال عشرين سنة .

وقدر المستشرق الفرنسي « بنيكسن » ـ وهو من الخبراء المعروفين في شؤون آسيا الوسطى ـ ان نسبة الذين كانوا يتكلمون العربية في سنة ١٩٥٩ كانت ٣٥ بالمائة منهم (١) . بينما ذكر « تسيرتيلى » في بحث القاه في المجمع العلمي العربى بدمشق سنة ١٩٥٦ انه « يعيش في الوقت الحاضر في مقاطعتي بخارى وقاشقا داريا في آسيا الوسطى أكثر من خمسة الاف عربى يتكلمون العربية » .

ان المعلومات التى استقيت بنتيجة التحقيقات مع سكان المنطقة تحمل على الظن بان القبائل العربية الموجودة في آسيا الوسطى قد انتقلت اليها من افغانستان في موجات متعددة قبل فترة تتراوح بين مائتين وثلاثمائة سنة . ولا شك أن معرفة الزمن الذى ترك فيه العرب مواطنهم الاولى الى افغانستان لأشد صعوبة. ولكن المعلومات التى جمعها الباحثون تسمح ببعض الافتراضات أيضا :

فان الأساطير والروايات التى يتناقلها عرب المنطقةويرددونها تربط جميعا ـ ودونما استثناء ـ خروج العرب من بلادهم بحملة تيمورلنك . واننا ان لم ناخذ بتلكالأساطير والروايات فلنا انفترض على الاقل ان خروج اسلاف هؤلاء العرب منموطنهم

---

(١) A. Bennigsen & C. Quelquejay, ' The Evolution of the Muslim Nationalities of e U' S S R and their Linguistic problems . (English Translation) Lcndon, 1961, p. 32

السابق ان لم يكن ذا صلة بتيمورلنك فانه تم بعد موته (في سنة ١٤٠٥ ميلادية) بمدة قصيرة . وبغير ذلك لا يمكن تفسير تلك الاساطير وانتشارها هذا الانتشار الواسع . كما أنه لا يمكن ارجاع خروجهم الى وقت يسبق عهد تيمورلنك كثيرا . اذ لو صح ذلك لما بقيت تلك المجموعات محتفظة بلغتها وخصائصها القومية ، وهي محاطة بقوميات اخرى اكبر منها عددا .

وظهر بنتيجة الدراسات المختلفة أيضا أن معظم اولئك العرب رحلوا أولا الى واحة « بخارى » وفي هذه المنطقة تسكن حتى الآن اغلبية عرب الاتحاد السوفيتي . ويعتقد أن بعضهم انتقلوا الى سمرقند والمناطق المجاورة الاخرى من هذه الواحة . واستوطنت الموجة الثانية من العرب في سهول « قاشقادريا » .

اما اللغة العربية الدارجة في آسيا الوسطى فيجدها معظم الباحثين اقرب الى اللهجة العراقية ، وكان اول من توصل الى هذا الرأى العالم السويدى « غ . نيوبرغ » في سنة ١٩٣٠ حين اكد وجود لهجة عربية حية في آسيا الوسطى ، قريبة الى اللهجات العراقية ، وفيها عناصر مقتبسة من اللغتين الازبكية والتاجيكية (١) . ويقول تسيرتيلي : « لقد دلت البحوث على ان اللغة العربية المستعملة في آسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكانا خاصا بين اللهجات الاخرى ، على الرغم من أنها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الأخرى بلهجات البدو في اواسط شبه الجزيرة العربية » (٢) .

وقد ظهر بنتائج الدراسات – عدا ذلك – أن هناك في الوقت الحاضر لهجتين مستقلتين على الأقل ، لهجة عرب بخارى ، ولهجة عرب قاشقادريا – وهما المنطقتان الرئيسيتان اللتان يتركز فيهما معظم عرب آسيا الوسطى – وأن هاتين اللهجتين تختلفان بدرجة تجعل التفاهم بين ابناء المجموعتين متعذرا . ولا يقتصر هذا الاختلاف على المفردات وحدها ، وانما يتعداه الى المخارج الصوتية وتركيب الجمل أيضا ، كما ان كثيرا من المفردات المشتركة في اللهجتين تستعمل لمعان مختلفة .

ان هذه الفروق الواضحة بين اللهجتين تدل أيضا على أن تلك المجموعات العربية عاشت بمعزل عن بعضها مدة طويلة ، كما انها تؤيد الآراء القائلة بانها لم تنتقل الى المناطق التى تستوطنها دفعة واحدة ، وانما في عهود مختلفة .

ولا شك أن العرب في الاتحاد السوفيتي ينصهرون تدريجيا في القوميات الكبيرة المحيطة بهم ، وخاصة الازبكية ، وأن استعمال اللغة العربية فيما بينهم يختفي بسرعة كبيرة لتحل محلها احدى اللغتين الازبكية أو التاجيكية ، فضلا عن الروسية ، كما أن هناك كثيرا من الذين يعدون انفسهم عربا ولا يعرفون شيئا من لغة اجدادهم . والاطفال العرب يتعلمون اما في المدارس الازبكية او التاجيكية لعدم وجود اية دراسة ابتدائية بلغتهم . فان دراسة اللغة العربية في الاتحاد السوفيتي – بالرغم من العناية الكبيرة التى توجه اليها – مقتصرة على الجامعات والمعاهد الاختصاصية لتخريج المستعربين والدبلوماسيين .

ومع ذلك فان العرب في الاتحاد السوفيتي لا يزالون في عداد قومياته الكثيرة ، ولا يمكن أن يعتبروا في حكم المنقرضين ، ولكن ليس من المحتمل أن يبقى منهم احد بعد جيل واحد اذا لم يبذل مجهود ما للحيلولة دون انقراضهم . ولعل الاتحاد السوفيتي الذى اظهر صداقته للعرب في كثير من الظروف الحاسمة والشدائد ، وشجع ازدهار الدراسات الاكاديمية عن العرب الذين استوطنوا اراضيه منذ قرون ، سيعير هؤلاء العرب شيئا من عنايته ، ويبذل بعض الجهود العملية بما يتمشى وسياسته ازاء القوميات الكثيرة التى تعيش في الاتحاد السوفيتي والحفاظ على لغاتها وثقافاتها ، لا سيما وان امكانياته للقيام بذلك في الوقت الحاضر اكثر توافرا ، وعلاقاته بالامة العربية اليوم غيرها بالامس .

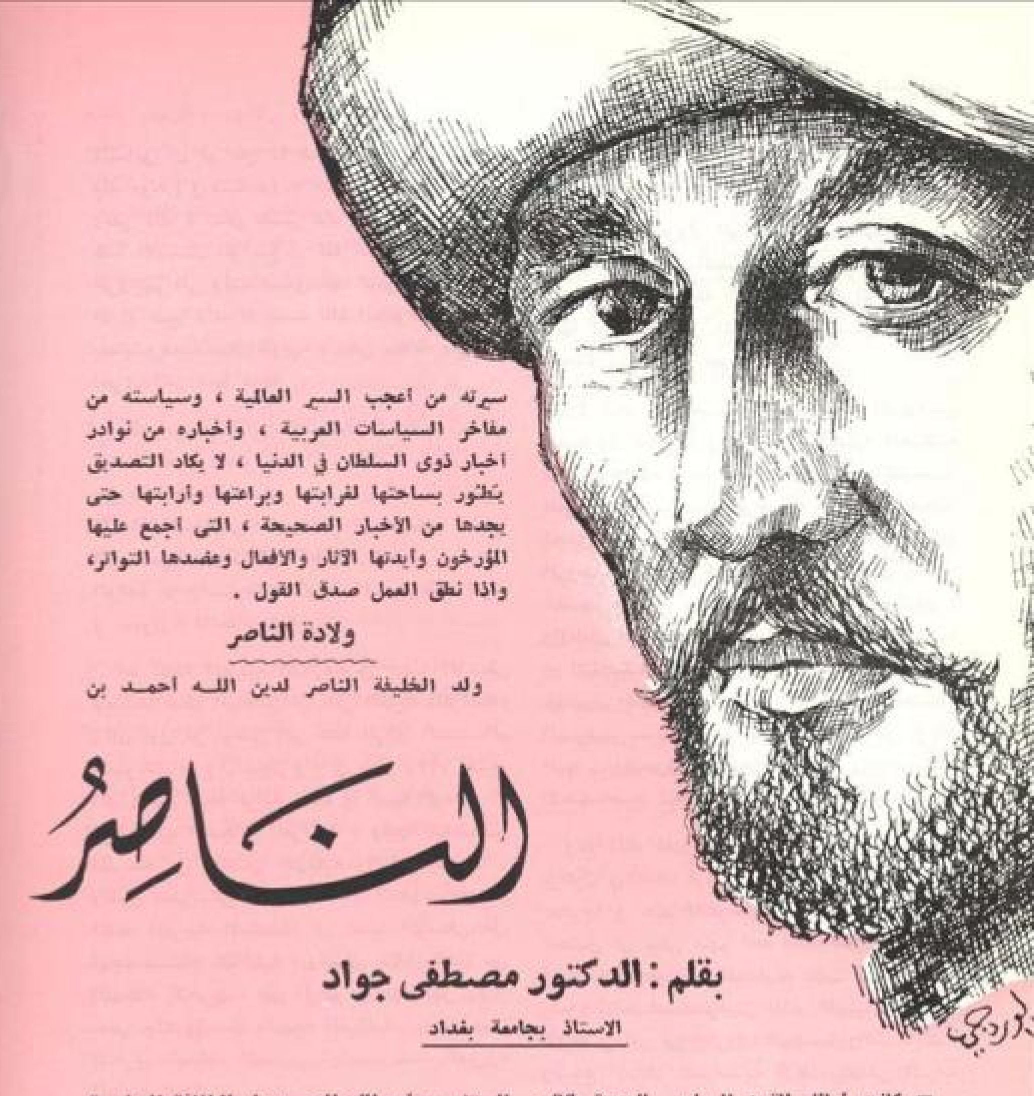
■■

بغداد **نجدة فتحي صفوة**

---

(١) (Le Monde Oriental) المجلد ٢٤ سنة ١٩٣٠ الجزءان : ١ – ٢

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المعدد ٣٠ الجزء ٤ سنة ١٩٥٦



سيرته من أعجب السير العالمية ، وسياسته من مفاخر السياسات العربية ، واخباره من نوادر اخبار ذوى السلطان في الدنيا ، لا يكاد التصديق يتطور بساحتها لغرابتها وبراعتها وأرابتها حتى يجدها من الأخبار الصحيحة ، التي أجمع عليها المؤرخون وايدتها الآثار والافعال وعضدها التواتر، واذا نطق العمل صدق القول .

ولادة الناصر

ولد الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن

الناصر

بقلم : الدكتور مصطفى جواد

الاستاذ بجامعة بغداد

كانت أوائل القرن السادس للهجرة طلائع نهضة واستقلال للدولة العباسية في أواخر عصورها ، وتلكم النهضة وذلكم الاستقلال كانا حصيلة مجهود عظيم وكفاح جسيم بدأ بهما الخليفة المسترشد بالله « ٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ » وابنه الراشد بالله ، واخوه المقتفي لأمر الله « ٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ » وابنه المستنجد بالله « ٥٥٥ ـ ٥٦٦ » ثم انتكست الخلافة العباسية بعض الانتكاس على عهد الخليفة المستضيء بأمر الله « ٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ » فهيا الله تعالى لها الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله « ٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ » ، وهو الخليفة الهمام الذى وحّد العرب وغيرَهم من المسلمين ، وبلغ درجة التقديس عندهم ، وبقيت

المستضيء بأمر الله الحسن بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد ، يوم الثلاثاء عاشر رجب من سنة «٥٥٣ هـ» وامه جارية تركية اسمها « زمرد » وتلقب بخاتون ، وقد أدركت خلافته وعاشت من سنيها أربعا وعشرين سنة ، قال ظهير الدين الكازروني الاصل البغدادى المؤرخ « كانت راغبة في الخير والصدقة وأفعال البر ، ولها من الصدقات والوقوف ببغداد وغيرها شيء كثير » .

المقتفي واعادة سلطة الخلافة

كان مولد الناصر لدين الله على عهد أبي جده الخليفة المقتفي لأمر الله ، المشار اليه آنفا ،

لدين الله العباسي

الخليفة الذي ردّ الى الخلافة هيبتها من بعد نكسة وجمع العرب والمسلمين على ما كان عزهم من وحدة

قبل وفاته بسنتين ، وقضى طفولته وصباه في عهد جده المستنجد بالله . فالمقتفي كان خليفة هماما أتمّ محاولة أخيه المسترشد بالله ، لاعادة سلطة الخلافة العباسية ، والتخلص من هيمنة الدولة السلجوقية عليها ، والاستقلال في الحكم بالعراق ، وهو آيامئذ من تكريت في الشمال الى البصرة في الجنوب، ومن عين التمر في الغرب الى البندنيجن (١) في الشرق . وقطعت على عهده الخطبة ببغداد والعراق باسم السلطان السلجوقي في سنة ٥٤٧ وهي سنة وفاة السلطان الجبار مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي الذى كان يُخطب له بلقب السلطنة ببغداد بعد ذكر الخليفة الذى هو أمير المؤمنين والمقدم في الدين على الولاة والأمراء والسلاطين ، وبعد ذكر ولي عهده في الخطبة أيضا ، كما جرت عادة الخلفاء العباسيين في عصورهم الأخيرة . وكان هذا السلطان الجبار قد واطأ الاسماعيلية الباطنية على اغتيال الخليفتين الناهضين : المسترشد بالله وابنه الراشد بالله ، وشاركه في هذه المواطأة الشنيعة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي ملك خراسان وما اليها ، وهو يومئذ أكبر السلاطين السلجوقيين بالشرق ، وكان سلاجقة كرمان وسلاجقة بلاد الروم دونه مقاما .

المستنجد بالله وكفاحه

وكان جد الخليفة الناصر لدين الله المستنجد بالله قد شارك أباه الخليفة المقتفي لأمر الله في الكفاح عن استقلال الدولة العباسية ، وكفاح أعدائها من سلجوقيين وأتباعهم من أمراء الأطراف والأتباع والولاة ، وكان شديد الوطأة عليهم ، غيورا على ناموس الدولة الذى اقامه هو وأبوه ، واستعد للأحداث بجمع العساكر وحارب المفسدين والمعتدين ، وأحكم الحصون التى على حدود العراق واستنقذ الحِلّة وهي من مدن العراق المهمة من بني أسد ، وكثرت الحروب في أيامه ، وكثر عدوان أتباع السلاجقة على بلاده ، فاضطر الى القسوة في الحرب والاعدام ، والى رمي الخارجين عليه بالتكفير واللعن لهم على المنابر ، فضلا عن حشد الجيوش لمقاومتهم . وكانت شبهتهم الكبرى في تنقص أطراف العراق والنهب للأموال في مدنه ، هي وجوب اعادة السلطنة السلجوقية الى العراق والخطبة للسلطان ارسلان شاه بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه ، وهو صبي يومئذ يتولى اتابكيته اى تربيته أمير تركي اسمه « ايلدكز » ويحكم في بلاد مملكته التى أهم مدنها اصفهان والري وهمذان وعدة مدن في أذربيجان من البلاد المعروفة اليوم بايران .

وتنافس الأمراء السلجوقيون في طلب الخطبة بالسلطنة ببغداد والعراق حتى قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٣ هـ : « في هذه السنة ارسل آقسنقر الأحمديلي صاحب مراغة الى بغداد أن يخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان

---

١ ـ تطور اسمها على اختلاف العصور وتعرف اليوم باسم مندلي

محمد شاه . (بن محمود بن محمد بن ملكشاه) ويبذل انه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيئا غير ذلك ويبذل مالا يحمله (الى الخليفة) اذا أجيب الى ملتمسه ، فاجيب بتطييب قلبه ، وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك فجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى سنقر ، فوقعت بينهم حرب أجلت عن هزيمة السنقر وتحصنه بمراغة ، ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى ابيه بهمذان » .

يحيى بن هبيرة احسن وأسيء اليه

وإذا كان نصف السياسة اختيار رجالها لا نجد بدا من ان نذكر أن نهضة الدولة العباسية الأخيرة استندت فيمن استندت اليهم الى عون الدين ابي المظفر يحيى بن هبيرة كاتب الخليفة المقتفي لأمر الله ، ثم وزيره العالم السياسي المستيقظ المؤلف المتوفي سنة ٥٦١ هـ على عهد المستنجد بالله . قال ابن الأثير في تاريخه : « كان حنبلي المذهب ، ديّناً خيّراً عالما يسمع حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وله فيه التصانيف الحسنة ، وكان ذا رأي سديد ، ونفق على المقتفي نفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول : لم يَزِرْ لبني العباس مثله . ولما مات قبض على أولاده واهله . « فهذا الوزير كتب وحسب ونظم وساس وحارب وألف وانفق على العلم ، وايده ابناه عز الدين محمد وشرف الدين ظفر ، فكان جزاؤه بعد موته وتمهيده استقلال الدولة العباسية ان قبض على ابنيه المذكورين وأعدما بطريقة الغدر والاحتيال ، وهذه الافعال المنكرة اعني التنكيل بالمخلصين للدولة تدل على اختلال الحكم فيها .

عضد الدين يستأثر بالسلطة

ان الذي ارتكب هذه الجرائم باسم السياسة رجل فارسي ، دخل هو وابوه في خدمة الدولة وتدرج في المراتب حتى صار استاذ دار الخلافة بعد ابيه ، وهو عضد الدين ابو الفرج محمد المعروف بابن رئيس الرؤساء وبابن المسلمة ، وايده ابناؤه . وكان الخلفاء العباسيون في عصورهم المتأخرة قد استحدثوا منصبا جديدا تحت الوزارة سموه « نيابة الوزارة » فاستناب الخليفة المستنجد بالله بعد موت الوزير الكبير ابن هبيرة قاضي القضاة أبا البركات جعفرَ بن عبد الواحد الثقفي . ثم رأى تحكم استاذ الدار عضد الدين بن المسلمة المذكور في أمور الدولة فبحث عن وزير أيّد حازم ضابط ، فوجده وهو أحد ولاته ويدعى شرف الدين احمد بن محمد بن البلدي . وكان ناظرا بواسط وذا كفاية عظيما . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٣ هـ : « في هذه السنة استوزر الخليفة المستنجدُ شرفَ الدين أبا جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي . وكان عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم (١) الخليفة الى ابن البلدي بكفّ يده وأيدي أهله واصحابه ففعل ذلك » ، وكان الخليفة المستنجد بالله راغبا في اتباع آثار الخلفاء الصالحين .

وأراد هذا الوزير أن يجري حكم الشريعة في السرقة وينفذ حدودها ، فقبض سنة ٥٦٤ هـ على احد موظفي الدولة واسمه الحسين بن محمد السبيي وعلى اخيه الأصغر ـ وكانا ابني عمة استاذ الدار عضد الدين ، فأمر بقطع يد الحسين ورجله وحمله الى المارستان فمات فيه ، قال ابن الأثير : « قيل انه كان عنده صنج يقبض بها ، ويحمل الى الديوان بالصنج الصحيحة . وكان الأصغر عامل المارستان » . وبيان ذلك انه كان عنده عيار أثقل من عيار الدولة الصحيح يستوفي به حقوق الدولة لان الدنانير كانت تستوفى في الغالب بالوزن لا بالتعداد ، ويحمل الى بيت المال بالعيار الصحيح ، ويستولي على الفرق . فلذلك عُدّ سارقا ، وطبقت عليه أغلظ العقوبات في حدود السرقة المعنية . والذي يبعث الأسى والاسف على هذا الرجل السيء الحظ انه كان اديبا شاعرا .

ائتمار يودي بالمستنجد ووزيره

وبهذه الحادثة تحول التنافس الشديد بين استاذ الدار عضد الدين والوزير ابن البلدي الى عداوة زرقاء ، تراق فيها الدماء ، وترتكب فيها

---

(١) تقدم فلان بكذا : اي امر به ، وهو الغالب الاستعمال على هذا الفعل .

اسوأ الأسواء . واخذ استاذ الدار يهتبل الفرص للايقاع بالوزير ، فانضوى اولا الى مقدم الجيوش العباسية أيامئذ وهو قطب الدين قايماز التركي الأصل ، المتفوى – نسبة الى الخليفة المقتفي لأمر الله لأنه كان من مماليكه – وفي سنة ٥٦٦ هـ مرض الخليفة المستنجد بالله مرض الموت ، أو مرضا حادا . وكان قطب الدين قايماز وأستاذ الدار عضد الدين قد خافا منه أشد الخوف ، وخشيا أعظم الخشية من تأييده الوزير ابن البلدي ، فاتفقا على الائتمار به مع طبيبه المعروف بابن صفية ليقتلاه بشبهة الطب ، فوصف له الطبيب دخول الحمام مع أنه كان مصابا بالحمى المحرقة أي التيفوئيد فأبى أن يدخل الحمام لضعفه، ولكنهم ادخلوه اياه مرغما ، وأغلقوا عليه الباب فمات وكان ذلك في تاسع شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦٦ هـ المذكورة آنفا .

قال ابن الأثير « كان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية ، عادلا فيهم ، كثير الرفق بهم ، وأطلق كثيرا من المكوس – يعني أبطلها – ولم يترك بالعراق شيئا منها ، وكان شديدا على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس (٣) » وذكر بعد ذلك حكاية نادرة تدل على شدة انكاره للسعاية . وهكذا قضى نحبه هذا الخليفة العادل المتيقظ ، فقد ائتمر به الخونة القذرة من رجال الدولة فأسرعوا وفاته ، قيل انه أمر وزيره ابن البلدي باستئصال زعيميهم ، فتريث في ذلك وفاتته الفرصة ، وقرع سنه ندما ودعي الى دار الخلافة لمبايعة الخليفة الجديد وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله فلما دخلها أدخله خصماه عضد الدين وقطب الدين في موضع منها ، وأمرا رجالا مسلحين من أصحابهما بقتله وتقطيعه اربا اربا ، ثم رموا أشلاءه في نهر دجلة ، واستولى الخصمان المذكوران على جميع ما في داره ، فرأيا فيها فيما رأيا أوامر من الخليفة المستنجد بالله يأمره فيها بالقبض عليهما وجوابه بالكف عنهما ، ولكن العداوة لا تعرف الحدود .

المستضيء والمؤتمران

يأبى النظام الوراثي في الحكم الا أن ينتكس وينعكس ، وهكذا انتكست الدولة العباسية في نهضتها الاخيرة ، وولي خليفة مستضعف ولقب « المستضيء بأمر الله » . وشرط المؤتمران بأبيه أن يكون عضد الدين وهو أحدهما وزيرا ، ويكون ابنه كمال الدين عبيد الله أستاذ دار الخلافة . ويكون قطب الدين قايماز مقدم الجيوش وهو المؤامر الآخر ، ولبث الخليفة المستضيء بأمر الله كالمحجور عليه بدار الخلافة . واتفق في عهده انقراض الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧ والخطبة باسمه فيها . وكان ذلك بسعي صلاح الدين يوسف بن أيوب السلطان المشهور وعلى عهد سلطنة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي التركي الأصل .

ولم تهدأ أحوال الخلافة العباسية ، فقد بدأ النزاع بين المتآمرين الاثنين قطب الدين قايماز وعضد الدين محمد الوزير ، فكل منهما يريد السلطة العليا والتحكم التام في الدولة . وقد كان القلب لصاحب الجيش قطب الدين ، فألزم الخليفة المستضيء بأمر الله بعزل الوزير فعزله ولم تمكنه مخالفته ، واستنيب في الوزارة أبو الفضل يحيى بن عبد الله بن جعفر صاحب المخزن، والمخزن أيامئذ ديوان تجهيزات الدولة جميعها ، وفي سنة ٥٦٩ هـ احس قطب الدين بأن الخليفة المستضيء يريد اعادة عضد الدين الى الوزارة فحاصر دار الخلافة ، وأجبر الخليفة الى ترك ما أراده ، ولم يقنع بذلك بل أراد اخراج عضد الدين من بغداد ، ثم اجتزأ من ذلك (بما يسمى اليوم (فرض الاقامة الجبرية عليه مدة) .

وقد شهد الناصر لدين الله وهو أمير جميع هذه الهزاهز والاضطرابات والائتمارات ، وكانت تبدو منه أمارات الشهامة ، وعلامة الشجاعة والغيرة والتيقظ والتأثر الشديد بما يجري على الخلافة وما يقاسي أبوه من تحكم رجال الدولة وسوء تصرفهم في شؤونها وادارتها ، وكأنه لما سمع بمحاصرة قطب الدين قايماز مقدم الجيوش لدار الخلافة رقي قبة عالية من قصر التاج وهو أحد قصور دار الخلافة الفخمة فسقط منها الى أرض القصر ولكنه سلم ونجا . وكان معه مملوك له اسمه « نجاح » . فلما هوى الأمير أسقط المملوك

---

٣ – وذكر ظهير الدين الكازروني في مدحه أكثر من ذلك حتى قال « كان آخر من عمل بقواعد الخلفاء الماضين » قاله في كتابه مختصر التاريخ .

نفسه معه فقيل له : لم القيت نفسك ؟ فقال : ما كنت اريد البقاء بعد مولاي . فرعى له الامير ذلك . ولما تولى الخلافة جعله شرابيا لنفسه ، ولقبه بالملك الرحيم عز الدين وقدمه على الامراء جميعهم .

نهاية مؤتمر

وتقدم عند الخليفة المستضيء رجل اسمه ظهير الدين منصور بن نصر الحراني المعروف بابن العطار ، فرتبه صاحبَ المخزن . وهذه الوظيفة من أعلى الوظائف في الدولة العباسية في أواخر عصورها ، فحصلت نفرة بينه وبين قطب الدين قايماز مقدم الجيوش . وكان ظهير الدين رجلا متعصبا لمذهبه تعصبا أعمى ، لكنه مقرب من الخليفة المستضيء جدا وله منه رعاية بالغة ، فارسل قطب الدين يستدعي ابن العطار ليحضر عنده فهرب والتجا الى دار الخلافة ، فاحرق قطب الدين داره ، وكان ذلك سنة « ٥٧٠ هـ » وحالف اغلب الأمراء في الجيش ، وطلب منهم المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد ، لعلمه ان ابن العطار ملتجيء اليها . فلما علم الخليفة المستضيء بذلك ، ورأى القلبة صعد الى سطح قصر من قصور دار الخلافة وظهر للعامة — وكان نادر الظهور لهم — وامر خادما من خدمه ان يصيح ويستغيث ويقول للعامة : « مال قطب الدين لكم ، ودمه لي » يحضهم على نهب أمواله دون التعرض له بما يؤدي الى قتله ، فقصدت جموع الناس وخصوصا الرعاع والغوغاء والعيّارين دار قطب الدين لنهب ما فيها ، وأيد الخليفةَ يومئذ مملوك « حبشي » من مماليك جده المقتفي اسمه عماد الدين صندل (٤) ، وكان استاذ دار الخلافة اذ ذاك . وهو الرسول الذى حمل خِلَعَ الخليفة لنور الدين وصلاح الدين لما قرضا الدولة الفاطمية بمصر ، فسار في جماعة من الجند واحرق دار قطب الدين بقوارير النفط الطيّار التى تقابل اليوم القنابر (٥) المحرقة ، فاضطر قطب الدين الى الهرب من بغداد ، وقصد الى الموصل فتوفي قبل بلوغه اياها ، ونجا ظهير الدين بن العطار من عدوه وكذلك عضد الدين محمد بن المسلمة ، فاستدعاه الخليفة المستضيء — أعني عضد الدين — وولاه الوزارة ثانية ، وبقي ظهير الدين في رتبته (صاحب المخزن) وزاد نفوذ كلمة الأمراء الاحباش كعماد الدين صندل المذكور وقرينه مجاهد الدين خالص وهو الذى رآه ابن جبير الاندلسي الرحالة في دخوله بغداد سنة ٥٨٠ هـ فقال :

« ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابش المجابيب » منهم فتى اسمه (خالص) وهو قائد للعسكرية كلها ، أبصرناه خارجا احد الايام وبين يديه وخلفه أمراء الاجناد من الأتراك والديلم وسواهم ، وحوله نحو خمسين سيفا مسلولة في أيدى رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجبا في الدهر ، وله القصور والمناظر على دجلة » ولم نعرف السبب في عجب ابن جبير فقد أجبر الخليفة المقتفي على شراء المماليك الاحباش .

واستتبت أحوال الخلافة العباسية بعد هذه الاضطرابات والاشتباكات بعض الاستتباب . ثم ظهر استبداد ظهير الدين بن العطار بالتدريج واستؤنفت المنازعات بين أرباب الدولة ففي سنة ٥٧١هـ ، قبض على عماد الدين صندل أستاذ الدار وولي مكانه ابو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله المعروف بابن الصاحب ، وهو من أبناء أسرة خدمت الدولة العباسية منذ ابتداء نهضتها على عهد الخليفة المسترشد بالله ، واستؤنف تعدى امراء الاطراف على العراق بشبهة استمرار الدولة العباسية على عدم الاعتراف بالدولة السلجوقية وترك الخطبة لسلطانها ببغداد والعراق ، وارسلوا جماعة من الباطنية الاسماعيلية ففتكوا بالوزير عضد الدين بن المسلمة وهو بالجانب الغربي من بغداد وقد عزم على سلوك طريق الحج ، وكان ذلك في رابع ذى القعدة من سنة ٥٧٣ هـ وتم استبداد ظهير الدين بن العطار بأمور الخلافة ، وظهرت الفتن المذهبية ببغداد ، وثار العوام على الحكام

---

٤ — له قبر بزاويته بالجانب الغربي من بغداد لا يزال معروفا ، وقد اتخذت زاويته مسجدا ونسبت اليه المحلة المجاورة لقبره وتعرف اليوم بمحلة الشيخ صندل وكان صلاح الدين الأيوبي يعظمه في مراسلته ويمضي رسالته اليه بالأسماء المتواضعة جدا مثل « الخادم صلاح الدين » .

٥ — هو الاسم الصحيح لما يسمى بالقنابل التي هي تصحيف .

الطعام ، وحدث غلاء ووباء ، ثم عقب ذلك وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله في ثاني ذى القعدة من سنة ٥٧٥ هـ .

بيعة الناصر لدين الله العباسي

خلف المستضيء بأمر الله من الأبناء اثنين أحدهما أبو العباس احمد الذى مر ذكره غير مرة ، وابو منصور هاشم ، وكان احمد هو الأكبر وأرادت جماعة من رجال الدولة صرف الخلافة عنه الى اخيه هاشم الا أن حزب الناصر وفيهم حظية والده السيدة (بنفشة) واستاذ الدار مجد الدين هبة الله بن الصاحب ، والقائد عماد الدين صندل حملوا والده المستضيء على ان ينص عليه قبل وفاته ، فبويع بالخلافة صبيحة يوم الأحد غرة ذى القعدة ، على قول ، أو ثاني ذى القعدة على قول آخر ، من سنة ٥٧٥ هـ

وظن رجال الدولة استمرار الضعف فيها طبيعيا كما كان على عهد ابيه ، فانتقم بعضهم من بعض ، وقبض على ظهير الدين منصور بن نصر ابن العطار الحراني النائب في الوزارة ، وقيد في دار الخلافة ، وبحث عن امواله وودائعه ثم قتل واخرج من دار الخلافة ثاني عشر ذى القعدة ميتا على راس حمال سرا ، فغمز به بعض الناس وثارت به العامة فالقوا جثته عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا بها حبلا وسحبوه ببغداد وكانوا يضعون بيده مغرفة قد غمسوها بالعذرة ـ تشبيها لها بالقلم ـ وهم يقولون « وقع يا مولانا » استهزاء وتهكما ، لما راوا منه من العسف والجور والظلم والتعصب الشنيع .

وجرت العادة عند انتقام بعض رجال الدول من بعض بتمهيد الطريق الى الاستبداد وما يسمى اليوم باستغلال الاستقلال ، فلا غرابة في ان ينحو هذا النحو استاذ دار الخلافة مجد الدين هبة الله بن الصاحب ، وقد اخطأ هذا الرجل خطأ عظيما في تحكمه بشئون الدولة وكان عليه ان يدرس نفسية الخليفة الجديد ، ويسبر غوره ، ويختبر امره ، فقد كان الناصر لدين الله قوى النفس شجاعا ذكيا المعيا جريئا مدهش السياسة ظاهر الكياسة جميل الخَلق والخُلق ، عالما بحقيقة منصبه ، عارفا بالواجب عليه للدين وللأمة الاسلامية ، فمثل هذا الخليفة ينبغي أن لا يفتات عليه ، ولا يقطع أمر دون موافقته واستئماره ، وقد رآه ابن جبير عند قدومه بغداد سنة « ٥٨٠ هـ » قال : « وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكبا في زورقه ، وقد يصيد في بعض الاوقات في البرية ، وظهوره على حالة اختصار ، تعمية لأمره على العامة ، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية الا اشتهارا ، وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة ، ويؤثر التحبب لهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلا وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له . ابصرنا هذا الخليفة (٦) المذكور وهو ابو العباس احمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بنور الله (كذا) ابي محمد الحسن ابن المستنجد بالله ابي المظفر يوسف ، ويتصل نسبه الى ابي الفضل جعفر المقتدر بالله الى السلف فوقه من اجداده الخلفاء ـ رضوان الله عليهم ـ بالجانب الغربي امام منظرته ، وقد انحدر عنها صاعدا في الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط ، وهو في فتاء من سنه ، أشقر اللحية صغيرها ، كما اجتمع بها وجهه ، حسن الشكل ، جميل المنظر ، ابيض اللون ، معتدل القامة ، رائق الرواء ، سنه نحو الخمس وعشرين سنة ، لابسا ثوبا أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه ، وعلى راسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر اسود من الأوبار الغالية القيمة، المتخذ للباس الملوك مما هو كالفنك (٧) واشرف ، متعمدا بذلك زى الأتراك ، تعمية لشأنه ، لكن الشمس لا تخفى وان سترت وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين وخمسمائة ».

وقال ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ « قال من شاهده يوم المبايعة : رأيته وهو شاب أبيض مشرَّب الوجه ، مليح العينين ، أقنى الأنف، رقيق المحاسن ، خفيف العارضين ، نقش خاتمه : « رجائي من الله عفوه »،وكان قبل المبايعة قد اهلك الناس الجدبُ وغلوُّ الأسعار وقلة المعاش وكثرة الأمراض والوباء ، فلما بويع بالخلافة زال ذلك ببركة بيعته حتى درت الأمطار ، وتراخت الأسعار ، وهنأ الناس بعضهم بعضا ببركته.. فجمع الله شمل

---

٦ ـ قوله « هذا الخليفة » سببه أنه كان في مراكش وما حولها ملك من الموحدين يدعى الخلافة وهو من بني عبد المؤمن .

٧ ـ الفنك بالفاء جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء وأغلاها.

الاسلام والمسلمين ببره وجوده ثم انه عمر المساجد وجدد المشاهد .

توحيده العرب وغيرهم من المسلمين

وجد الناصر لدين الله العباسي ان عليه أن يصلح امور الدولة الداخلية أولا ثم يسيطر على العالم العربي والعالم الأسلامي لتوحيدهما ، فنظم ادارة الدولة أحسن تنظيم وأحكم قواعدها أحسن احكام ، ولما رأى اصرار استاذ الدار مجد الدين ابن الصاحب على استبداده بأمور الدولة واعتماده على الطائفية المذهبية أمر بقتله فقتل . قال ابن الأثير « كان مجد الدين ابن الصاحب متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم ، وكان هو القيم بالبيعة ، وظهر له اموال عظيمة أخذ جميعها » . وجاء في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ما يدل على انه حنق ثرياً فاحد ماله .

وكانت سياسة الناصر لدين الله تعتمد على احسان انتخاب الرجال للاعمال ، فادخل في خدمة الدولة طائفتين كانتا متعاديتين بينهما ومعاديتين للدولة العباسية ، وهما العلويون والحنابلة ، وقطع دابر الطائفية من دولته ، وأزال آثار الأعاجم التي تذكر الشعب بسلطتهم وسلطانهم ، حتى لقد رأى لوحا كان السلطان مسعود السلجوقي قد أمر بالصاقه على جدار ، وكتب فيه ابطالا لبعض المكوس ، فقال الناصر « اقلعوه فلا حاجة لنا بآثار الأعاجم » وأمر بنقض دار السلطنة السلجوقية في شمالي بغداد الشرقي ليزيل أثر الاستعباد من البلاد .

وصرف همته الى تجنيد الجنود وتحشيد الحشود ، فالف جيشا كبيرا كان يخرج منه في احتفال العيد حَسْبُ « مائة وخمسون الف جندي » ، وأمر السلطان تكش الملقب بخوارزمشاه بان يزحف الى السلطان السلجوقي « طغرل الثالث » ويزيل سلطنته ، فزحف اليه سنة « ٥٩٠ » وقتله وحمل رأسه الى بغداد . ووسع أطراف مملكته ، واحتل خوزستان وأصفهان والري وهمذان ، وجهز جيشه لانقاذ صلاح الدين من حملة ريتشارد قلب الأسد الصليبية ، الا أن أمراء صلاح الدين أجبروا صلاح الدين على عقد هدنة مع الافرنج لئلا يجيء جيش الناصر لدين الله ويكون الحكم له في بلاد الشام وفضلوا مصالحهم على مصالح الأمة .

وكانت جميع ملوك الأطراف تتصرف بحسب أمره الا شمالي افريقية وبعض الأندلس فانهما كانا في حكم الموحدين ، ومع ذلك فقد أوعز الى بني غانية اعداء الموحدين أن يقاتلوا الموحدين ، فساروا من جزائرهم واحتلوا تونس أي افريقية القديمة ، وخطبوا فيها للناصر لدين الله ، ثم تدارك الموحدون الأمر وغلبوا بني غانية . وجدد نظام الفتوة في العالمين العربي والاسلامي وأدخل أغلب السلاطين والملوك والأمراء فضلا عن الرعايا فيها ، وكان هو رئيس الفتوة في جميع البلاد ، وقد كان دخل فيها باسمه الملك العادل أبو بكر بن أيوب ملك مصر والشام وأبناؤه الثلاثة ، الملك الكامل محمد ، والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ونشأ للبلاد الاسلامية جيلا قويا شجاعا يجمع بين الديانة والصيانة والمتانة . ووضع جهازا ومؤسسة للاستخبارات في داخل العراق وخارجه ، واستعمل انواع حمام الزاجل لنقل الأخبار . حتى كان لاتخفى عليه خافية في الداخل والخارج ، ولا يخفى عليه سر من اسرار الدول ، بحيث ظن الناس أن الجن كانت تنقل اليه الأخبار ، كما ذكر شمس الدين الذهبي في تاريخه ، وتدل انباء استخباراته على أن الدول العصرية التي افتنت أعظم افتنان في التجسس لم تبلغ ما بلغه هو في الاطلاع على أخفى الأمور وأكتم الشئون في أدنى الأرض وأقصاها .

اطاعته الاسماعيلية وألف في الحديث

ودعا الاسماعيلية الباطنية الى تجديد اسلامهم والدخول في جمهور المسلمين ، وتحداهم بسيرته وديانته وامامته ، فاستجابوا لدعوته سنة ٦٠٧ هـ وانشؤوا المساجد والمعابد واعترفوا له بالامامة العليا ، ذكر ذلك جميع مؤرخي عصره ، وعني بنشر الثقافة والعلم وانشأ لوالدته مدرسة للشافعية ورباطا للصوفية بجانب تربتها المعروفة اليوم بقبر الست زبيدة في مقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد ، ووضع الوف كتب في المدرسة النظامية وفي قصره الذي ذكره ابن جبير المعروف قديما بدار المسناة وحديثا بالقصر العباسي ، وفي رباط المأمونية المنسوب الى والدته . والف كتابا في الحديث النبوي سماه « روح العارفين » رواه عن شيوخه الثقات الأثبات وأجاز للعلماء المشهورين روايته في مشارق الارض ومغاربها وشرحه جماعة من المشتغلين بالحديث .

وجدد نظام الرمي في مذهب الفتوة ، ووضع له القواعد والأحكام وأوضح أصناف الطيور التي

تصطادها الرماة الفتيان وهي المسماة تارة طيور الواجب وتارة « الطير الجليل » (٨) . وقد جدد الناصر شباب الامة الاسلامية بتجديد الفتوة .

وعاصرت خلافته الطويلة الأمد ظهور جنكيز خان ملك المغول السفاح المجتاح ، فكان على البعد يخشى من الخليفة الناصر ، ويطبع اسمه على نقوده حتى تروج بين العالمين ، ولما خرج عليه قطب الدين محمد بن تكش الملقب بخوارزمشاه ، وحرك المغول على العالم الاسلامي بسوء سياسته وكثرة عدوانه ، وسمع الناصر بتقدم المغول الى الغرب استكثر من الجنود ، وجدد المواضع الضعيفة من سور بغداد ، ولا سيما باب سورها الشرقي المعروف بباب الحَلْبة، وقد عرف بين الناس بباب الطلسم، لوجود صورة رجل مسيطر على ثعبانين في جانبيه وكانت عمارة هذا الباب سنة ٦١٨ هـ وكان هذا الباب من اجمل المباني التحصينية ، وقد نسفه الاتراك العثمانيون بالبارود الذى كان مخزونا فيه ليلة احتلال الانكليز لبغداد في اليوم الحادى عشر من آذار سنة ١٩١٧ م ، وقد حدث سبق قلم منا في تعيين الشهر المذكور في جزء سابق من هذه المجلة ، وقد ارخ هذا الاحتلال Edmund Candler في كتابه The Long Road to Baghdad وريجارد كوك في كتابه Baghdad the City o Peace والاب انستاس مارى الكرملي في كتابه « خلاصة تاريخ العراق » واشار ريجارد كوك الى نسف الباب بالبارود ، وذكرنا ذلك في « دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ » .

وحد العالمين العربي والاسلامي

ولما توفي الناصر لدين الله ، وذلك في سنة ٦٢٢ كان قد اتم توحيد العالم العربي وتوحيد العالم الاسلامي وبلغ فيهما درجة التقديس ، فقد دامت خلافته « ٤٧ » سنة وهي أطول خلافة لبني العباس ، وترك من المآثر والآثار مالا يحصى كثرة ، ولا يستقصى وفرة ، ولولا نزق سلطان خوارزم لنجى العالم الاسلامي من طوفان المغول وطغيانهم ومجازرهم البشرية وعدوانهم وعيثهم وافسادهم الا ان ذلك السلطان الاحمق جنى بخروجه على خليفة المسلمين على نفسه ومملكته والعالم الاسلامي . قال جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وقال قبله ابن نباته في كتابه الاكتفاء بتاريخ الخلفاء نقلا عن تاريخ محب الدين محمد المعروف بابن النجار وكان معاصرا للناصر لدين الله « دانت له السلاطين ، ودخل في طاعته من كان من المخالفين وذلت العتاة والطغاة ، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبغاة، واندحض اعداؤه واضداؤه ،وكثر انصاره وأولياؤه ، وفتح البلاد المديدة ، وملك من الممالك ما لم يملكه مَنْ بعده من الخلفاء والملوك ، وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين ، وكان أسد بني العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وتذل لسطوته الاقيال ، وكان حسن الخَلْق ، لطيف الخُلُق . كامل الظرف ، فصيح اللسان ، له التوقيعات المسددة ، والكلمات المؤيدة ، وكانت ايامه غرّة في وجه الدهر ، ودرة في تاريخ الفخر » .

اعمال جليلة

وقد ذكرت آنفا قول ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ « انه عمر المساجد ، وجدد المشاهد » وقال بعد ذلك : «وبني الأربطةوالمدارس واثر الآثار الجميلة .. ثم انه جدد عزيمته في قطع سلاطين العجم السلجوقية وغيرهم عن بغداد ، ومحا آثارهم وملك خوزستان بجيوشه التي انفذها اليها ، وملك بلد دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة ، وله من الفتوح شيء كثير كولاية همذان وغيرها ، وقتل طغرلبك السلجوقي وحمل رأسه الى بغداد .. ثم انه عمر دار الضيف للصادر والوارد من الحاج وغيرهم للفطور في شهر رمضان ووقف الكتب المفيدة الفقهية ، وغيرها في خزائن الكتب ، وجعلها لمن عساه يشتغل بالعلم ، وفي ايامه انتزع بيت المقدس على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب .. وانشا الرباط الذى بمشرعة الكرخ والتربة المجاورة له ، ودفن فيه جهته (٩) السعيدة سلجوقي خاتون ابنة قلج ارسلان ملك الروم وكانت صالحة محبة لافعال البر والقُرب ــ رحمهما الله ــ » .

وهذا أخصر ما يكتب من سيرة هذا الخليفة الهمام الذى كان من اكبر ساسة العالم واذكياء العالمين ، وابطالهم ، وكان فخرا للعرب والمسلمين .

بغداد ــ مصطفى جواد

---

٨ ــ انظر العربي العدد ١١٤ ص ٩٦ .

٩ ــ الجهة عندهم ايامئذ كناية من الزوجةالمحترمة ولم تقل « الزوج » خشية الالتباس .

■ « سأفتقدك يا حبيبي .. وسأفتقد قبلاتك في الصباح والمساء ، وفي كل مرة تخرج فيها الى عملك ، وفي كل مرة تعود فيها الى البيت .. هذه آخر ليلة تقضيها معي .. فبعد ساعة واحدة سيصل القطار وستصبح ملكا لامرأة أخرى .. أرجوك أن تعتني بنفسك .. لقد وضعت لك الدواء في حقيبة ملابسك الصغيرة ، ولا تنس أن ترتدي ملابسك الصوفية في الشتاء ..

أتوسل اليك أن تكتب لي .. فلا شيء سيسليني في وحدتي ويملأ الفراغ الذي سيحتوي حياتي مثل خطاباتك .. ! » .

وبدأ القطار يهدىء من سرعته .. وانطلق صفيره معلنا نهاية الرحلة التي تمنت المرأة المسكينة لو أنها لم تنته أبدا .. ومدت يدها الى حقيبتها تبحث عن منديل تجفف به دموعها ..

وربت هو على كتفيها ، وضمها اليه ثم طبع على جبينها قبلة طويلة ! .

ووصل القطار أخيرا .. ونزل الركاب .. وعلى رصيف المحطة : كان المستقبلون ، يقفون وينتظرون .. ونزل صاحبنا يتأبط ذراع المرأة التي كانت تحاول أن ترسم على وجهها ابتسامة تخفي وراءها ألم الفراق المرتقب ! .

ومن وسط الزحام ارتفعت صيحة فرح ، وانطلقت فتاة شابة جميلة تعدو الى حيث وقف صاحبنا يتطلع في وجوه المستقبلين وما كاد صوتها يصل الى أذنيه حتى ترك ذراع المرأة التي تشبثت به ، فأحست بقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها .. وأسرع نحو فتاته ليضمها الى صدره ويمطرها بالقبلات .. وسار الاثنان بضع خطوات .. ولكنه ما لبث أن توقف وكأنه تذكر شيئا .. ومن جديد راح يبحث بعينيه وسط الزحام عن المرأة التي تركها وراءه منذ لحظات ، وأخيرا وجدها .. وكانت تقف وحدها مع الحقائب التي تحتوي على ملابسه كلها ! .

أقدم لك أمي !

واقترب منها وهو ممسك بيد خطيبته ، ثم نظر الى زوجته المقبلة ، وقال : « أقدم لك أمي ! انها لم تحضر حفل خطوبتنا ، وقد جاءت اليوم لتحضر غدا حفل زواجنا ! » .

ووقفت الأم تتأمل عروس ابنها .. تلك المرأة الجديدة التي استحوذت على عقله وقلبه ، فلم يعد هناك شيء يشغل تفكيره الا هي ! وانقضت بضع لحظات قبل أن تفتح الأم ذراعيها وتعانق عروس ابنها وتقبلها ! .

★ ★ ★

قصة هذه الأم هي موضوع حديثنا اليوم .. وهي قصة كل أم يتزوج ابنها وتتزوج ابنتها .. الأم المسكينة التي تنجب وتربي ولكن لغيرها .. لشاب غريب يخطف ابنتها من بين أحضانها ، أو لامرأة أخرى تنسى ابنها كل شيء في الدنيا ! ثم لا يكون حظها هي الا الاهمال والنسيان ! .

وهي التي أسميناها « الحماة » ثم رحنا يتندرون بها ويطلقون النكات عليها ، ويسخرون من عواطفها ويجرحون شعورها ! .

يوم لا بد آت

ماذا تريد الحماة ؟ ولعلنا نجد في تلك القصة القصيرة التي قدمنا بها موضوعنا اليوم صورة لمشاعر الأم نحو فلذة كبدها الذي كانت هي سبب وجوده .. ذلك الجنين الذي حملته بين أحشائها



ووضعته وربته وقضت كل أيام حياتها ترقبه وهو ينمو ويكبر حتى صار رجلا ! .

كيف يكون شعورها : وهي ترى ثمرة تعبها وكدها ، وهو يخرج من بيتها ومن حياتها لكي يلتصق بامراة اخرى ويكونا جسدا واحدا ، فيؤديا معا نفس الدور الذى سبقتهما هي وزوجها اليه منذ سنوات بعيدة مضت ! .

لقد كانت تعلم دائما أن هذا اليوم لا بد آت .. ولكنها لم تستعد له ابدا .. لم تعود نفسها مثلا على ان تغير من نظرتها اليه بعد أن كبر واصبح رجلا ! .

الطفل المدلل

فهي لم تعلمه الاعتماد على نفسه ، ولم تعلم نفسها الخروج من حياته الخاصة ، فهو ما زال فى نظرها الطفل الصغير ، المدلل الذى يحتاج

لرعايتها وعنايتها والاشراف على شئونه الخاصة ! فلا تزيدها الأيام الا تعلقا به وولعا بتصرفاته ! وما أسعد تلك اللحظات التي تقضيها معه ، تستمع فيها الى حديثه ومغامراته ، فتتوجه اليه بالنقد احيانا وبالنصح والارشاد احيانا ، أو بالسكوت ومجرد التطلع الى وجهه بعينين امتلأتا بكل الحب والحنان اللذين تحملهما هاتان الكلمتان من معان ، وكأنها طفلة تتأمل دميتها التي لا تريد ان تفترق عنها أبدا ! .

رغبة التملك

ان أخشى ما تخشاه هذه الأم التي لا تلبث أن تتحول الى « حماة » ، بعد زواج ابنها أو ابنتها، هو أن تفقد ما كان ملكا لها وحدها ، لا ينازعها عليه احد ! وهي خشية لها ما يبررها ، لأنها تعلم ان اسلحتها المحدودة لن تستطيع الصمود أبدا امام اسلحة منافسيها .. عروس ابنها الشابة او زوج ابنتها الجميلة الذى اختارتـه من بين العشرات الذين تقدموا اليها ! ولو أن الفتاة أميل الى التعلق بوالديها ، وبأمها بصفة خاصة من الفتى ، قبل الزواج ومن بعده ! .

ليس ميدان منافسة

ولكن لماذا جعلناه ميدان منافسة ؟ .

يقول علماء النفس ان هنـاك عدة عوامل تضافرت ، فتسببت فى هذا النفور الذى ينشأ عادة بين الأم من جانب وبين زوجة الابن أو زوج الابنة من الجانب الآخر .

وفى مقدمة تلك العوامل ، الرغبة التي تسيطر على الأم فى التملك .. فهي تؤمن بأن أولادها ، كما قدمنا ملك لها ، وليس من حق أى انسان آخر أن ينتزعهم منها ! .

ثم هناك ذلك الشـعور المتوارث بكراهية « الحماة » سواء كانت أما للزوج أو الزوجة ! والأم بدورها تحس بهذه الكراهية ويؤكد هذا الاحساس ويدعمه ، ما يصدر من تصرفات زوجة ابنها أو زوج ابنتها ومسلكهما تجاهها ..

موقف الزوجة

فزوجة الابن بدورها لا تريد أن يشاركها انسان آخر فى حب زوجها : حتى ولو كان هذا الانسان هو امه . انها تحرص على أن يكون اهتمامه كله موجها اليها وحدها ، وتفكيره كله لا يشغل بشيء آخر الا بها .

حتى عمله كثيرا ما تجد نفسها وقد بدأت تشعر بالغيرة منه ومن الناس الذين يحيطون برجلها فى مكتبه ، اذا أحست انه يعطى هذا العمل وهؤلاء الزملاء ، اهتماما أكثر من اهتمامه بها .

وينعكس هذا كله على تصرفات الزوجة وعلى مسلكها ، فتثور اذا تأخر عن موعد عودته من عمله الى البيت ، وتغضب اذا عرفت انه كان يزور امه ، أو انه كان على موعد مع أحد أصدقائه او زملائه ! وتقيم الدنيا وتقعدها اذا أحسـت أن زوجها الذى نسى عيد ميلادها بالأمس ، لم ينس أن يشترى هدية يقدمها لأمه فى عيد الأم ! .

مسئولية الزوج

ولا يمكن هنا أن نغفل مسئولية هذا الزوج ! فالواقع ان جانبا كبيرا من الخلافات التي تقع بين الزوجة وحماتها ، سببها الزوج نفسـه الذى لا يعرف كيف يجمع بين واجباته نحو زوجته واطفاله وبيته الجديد ، وبين واجباته نحو والديه واخوته وأمه بصفة خاصة ، ثم بين واجباته نحو عمله ومصدر رزقه ، وعلاقاته بزملائه واصدقائه . اذ كثيرا ما يحدث أن يحاول الرجل ارضاء احد هذه الأطراف على حساب الآخرين دون أن يشعر بذلك : بسبب ضيق وقته وكثرة مشاغله ، أو ربما حرصه على ارضاء الجميع فى وقت واحد ، فتكون النتيجة أن يخرج من محاولتـه دون أن يرضي أحدا !! .

الخلافات التقليدية

كيف السبيل اذن الى ازالة الخلافات التقليدية التي تنشأ بين الام وزوجة ابنها ، أو زوج ابنتها .. والتي قد تتطور فى بعض الأحيان الى خصام ، يجد فيه الطرف الغريب ، رجلا كان أو امرأة ، نفسه ، وقد أصبح شخصا غير مرغوب فى وجوده ، او غير اهل للانتماء الى هذه الأسرة الجديدة التي كان من المفروض بحكم انتمائه اليها أن يصبح فردا من افرادها ؟ .

وهل يمكن ان تحب الحماة زوجة ابنها ؟ وهل يستطيع زوج الابنة ان يحتل مكانا فى قلب أم زوجته ؟ .

يقول البروفسور لارى تاكستون Larry Thaxton استاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا: ان كل ام تتمنى ان تضم الى اسرتها فردا جديدا ، بشرط الا تشعر انه جاء ليحرمها من احد ابنائها ! .

واذا عدنا الى حديث الأم الى ابنها الذى قدمنا به موضوعنا اليوم ، لوجدناها تتوسل اليه ان يكتب لها ، ويطلعها على اخباره وكيف يعيش ، وماذا يأكل ، وأين يذهب . ولا شيء يملأ وحدة الأم بعد ذهاب ابنهـــا ليعيش بعيدا عنها مثل الخطابات الطويلة التي يكتبها لها وتشترك زوجته فى كتابتها معه ! وتشعرها بأنها ما زالت تعيش معه .

الخطابات والحكايات

ويقول البرفسور تاكستون : « ان كل خبر صغير ، كل تفصيلات لحياة الزوجين ، مهما كانت تافهة ، تملأ قلب الأم بالسعادة وتقربها من ابنها ومن زوجته ، ومن اطفاله بعد أن يصبح أبا ! ثم الحكايات عن الأطفال وصورهم فى مختلف مراحل حياتهم ومشاكلهم ومتاعبهم ، هي من امتع القصص المحببة لقلب الأم التي أصـبحت الآن جدة ، وراحت تقارن بين ما كان يفعله ابنها ، أو طفلها الكبير ، وبين ما يفعله أبناؤه واحفادها الآن ! » .

الزيارات المتكررة

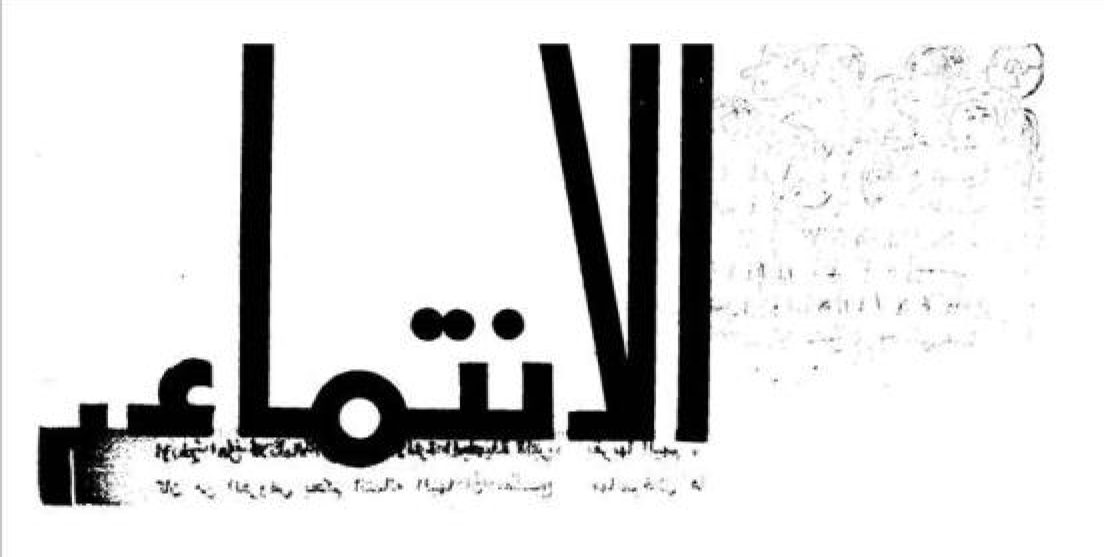
أما اذا كان الزوجان يعيشان فى نفس المدينة ، فالـزيارات المتكـررة بين الحين والحين ، لبيت الحماة ، سواء كانت أم الزوج أو أم الزوجة ، هى الوسيلة المثلى للابقاء على الروابط بين الأم وابنائها ، فمثل هذه الزيارات تشعرها دائما بقربها اليهم . ولا بأس من أن يتحدث الأبناء الى امهاتهم خلال هذه الزيارات عن متاعبهم ، ومشاكلهم ، سائلين النصح والارشاد حتى لو لم يكونوا فى حاجة اليهما ، فليس أحب الى قلب الأم من أن تشعر ان ابناءها فى حاجة اليها والى الاســتفادة من تجاربها فى الحياة .

الهدايا فى الأعياد

ثم هناك الأعياد والمناسبات ، وهذه لا يجب أن تمر دون ان يشارك الأبناء فيها . وهدية صغيرة تحملها زوجة الابن لحماتها فى عيد ميلادها ، او فى عيد زواجها ، يمكن ان تصــنع المعجزات ! وليســت الهدية فى قيمتها ولكن فى الأثر الذى ستتركه فى نفس الأم التي تشعر بأن ابنائها لم ينسوها ! ولم يهملوا تلك المناســبات العزيزة التي توقعت ان تمر فى هدوء بعد أن كبر ابناؤها وتزوجوا وتركوا لها البيت الذى تعيش فيه على الذكريات ! .

فاذا احست الأم بأن زوجة ابنها لم تنتشيه حبه لها واهتمامه بها وسؤاله عنها ، واذا شعرت بأن زواج ابنها كان عاملا رئيسيا فى استقراره ونجاحه فى عملـه وفى حياتــه الجديدة .. اذا احست الأم بهذا كله ، فتحت قلبها لهذه المرأة الغريبة التي ظنت فى يوم من الأيام انها ما جاءت الا لتسرق ابنها منها والا لكي تحرمها من حبه لهـا ! . ■■

م٥ ن



بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ قيل يوما ان « الانسان اجتماعي بالطبع » .. وأصبح القول مثلا عاديا لا يثير في الفرد المعاصر انفعالاً عميقا او وجدانا واعيا بخطورته أو مغزاه .. بل لعل الفرد المعاصر اصبح اشدّ حماسا وتجاوبا مع انباء الغاضبين.. والثائرين .. والذين لا ينتمـون في دروب الأدب ، ومسالك الحياة ومتاهات الفكر والفن . ويبدو أحيانا أن من الأصح ان يقال الآن : « كان الانسان اجتماعياً بالطبع .. ولكنه يمارس ويجرب الآن أن لا ينتمي ، وهو يحث خطاه في النصـف الثاني من القـرن العشرين ! » .

الا ان محاولات الانسان أن لا ينتمي ، اى ان ينسلخ عن دائرته وبيئته ، هذه لا يمكن أن تثبت الا حقيقة نفسية واحدة هي أن الانسان ينتمي بطبعه ، وأن اللاانتماء المستديم علة اجتماعية وظاهرة نفسية مرضية جديرة بالبحث والتحليل ، وهو ما نحاول كشفه واستعراضه في هذا المقال .

ودلائل « اجتماعية الانسان » و « انتمائيته » وفيرة جاهزة : شعوره بالحنين للوطن والجماعة عندما ينأى عنهـم .. ، وتذكره الأيام الحلوة السعيدة العابرة .. ، ونسيانه كل ما هو سيىء وقبيح في مجتمعه البعيد عنه .. ، ثم شعوره بالقلق والخوف الغامض يعتصر فؤاده اذا وجد نفسه وحيدا او بين جماعة من الغرباء .. ، ثم استرداده لثقتهوحيويته بين خلانه واصدقائه .. ، وغير ذلك كثير .. كل ذلك يؤكد بصورة لا تقبل الجدل ان الانسـان مربوط باواصر الاجتماع والانتماء : جسـميا (بيولوجيا) ، وروحيا (بالمثل والمبادىء) ، وعقليا (بالثقافة والتربية النفسية) .. ، بالاضافة الى أواصر دقيقة أخرى لا تعد ولا تحصى ..

الانتماء البيولوجي

والانتماء البيولوجي غذاء حيوى للانسان لا يقل أهمية عن البروتينات والنشويات والفيتامينات التي تشكل غذاءنا اليومي .. ، لكنه غذاء « غير منظور » لا نحس بحاجتنا اليه الا في المناسبات أو التجارب القاسية أو المرض ..

ان جهازنا العصبي لا يمكن أن يعمل بصورة صحيحة ما لم يتلق غذاءه من «الدفعات» الخارجية External Impulses والمعلومات الحسية الهائلة . والشعور بالحياة والاحساسبالوجود كل هذا انما ياتينا عن طريق الرؤية او اللمس أو السمع .. ، او عن طريق وجود الآخرين النائين والمقربين. آلاف الأحاسيس الصغيرة منها والكبيرة تغذى جهازنا العصبي وتجعل ادمغتنا مهيأة للاستجابة والاتصال بالعالـم الخارجي . والمولـود الجديد الذى لا يسمع ، لا يمكن أن ينطق أبدا لأن السمع غذاء المخ .. منه يتلقى الرموز والأصوات واللهجات ، وعليه أن يردّ ويتكلم ، فكل أصم هو أبكم ، اذا



بدأ صممه مبكرا جدا . اما الذى يسمع لفترة من حياته ثم يصاب بالطرش فانه يتكلم استنادا على « معلوماته » السابقة التي تلقاها عن اذنيه .

ولذلك يشبه بعض العلماء العقل البشرى بالعقل الالكتروني : جهاز معقد جدا لا يمكن ان يعمل ولا أن يجيب ولا ان يحل المعضلات ما لم يتلق مسبقا « غذاءه » من المعلومات الأولية ، وهي معلومات يضعها الانسان في الجهاز . اما جهازنا العقلي فيستلم غذاءه بصورة طبيعية في كل لحظة من الزمن بصورة معلومات حسية حياتية لا تحصى من الجماعة والهيئة والمحيط والثقافة ..

في حجرة معزولة عن الصوت

وقد اتجه علم النفس بسرعة الى دراسة الجماعة والمحيط والثقافة وتاثيرها على نفسية الفرد ، لانه لا تمكن دراسة الذات الواحدة والنفس المستقلة بدون دراسة الاطار الذى يحيط بها أو الفلك الذى تدور في مداره . وقد أجرى احد علماء النفس تجربة على نفسه ، اذ دخل في حجرة معزولة عن كل صوت ومبطنة بالجلد المحشو السميك .. ، فلم يتحمل « زنزانته » الاختيارية تلك أكثر من بضع دقائق ، وبدأ يستغيث طالبا اخراجه منها . فالعزلة الشديدة تؤدى بالانسان الى التخيلات وتخلق فيه هلوسات من اشباح واضواء وأصوات وهمية . ويذكر العالم الفسلجي هيب Hebb أن احد طلاب الجامعة الاصحاء تطوع لان يعزل نفسه عن الأصوات والاحساسات الأخرى لمدة ايام .. ، ووصف مشاعره بعد التجربة بانه : « اصبح منشطرا الى شخصين لا يدرى أيهما هو .. الشخص المهلوس المشوش ، ام الشخص الخائف المنهار . وانه اصبح عديم البصيرة قليل التمعن والتمحيص ، شديد الرغبة للاصغاء والاعتقاد بكل ما يجوس بخاطره من سخافات !! » .

حالة انعدام الوزن

وحالة فقدان الوزن لدى رواد الفضاء تماثل العزلة الشديدة واضمحلال الشخصية . فالطيار لا يشعر بوزنه .. وعليه أن يتنفس بقوة ويطلق الزفير لئلا يختنق . فالهواء من حوله عديم الوزن ايضا ، وكل شيء غير مربوط يعوم في الهواء بحرية ! .. ، واذا عطس او سعل فقد يقفز بكليته من مكانه ويرتطم بجدار الكوكب الصناعي . ثم ان عليه أن يشرب من اناء بلاستيك قابل للضغط والكبس والا خرج الماء من فتحات انفه ! . هذه الحالة التي ينعدم فيها الاحساس بالوزن (وهي حاسة عقلية كالابصار والشم ..) .. ، هذه الحالة الرهيبة الثقيلة الوطأة قد تؤدى ببعض الناس الى الجنون .

الحبس في السجون وانعدام الشخصية

والمكوث الطويل في السجون بحد ذاته يؤدى الى الارتباك واضمحلال معالم الشخصية وربما النكوص الى دور الطفولة والتدهور الذهني والرضوخ والعجز عن التفكير الحر المستقل. ويحتاج السجين الى فترة من الزمن بعد مغادرته السجن كي يستعيد صفاء ذهنه ومقدرته السابقة ، كما حدث للدكتور (مانيت) احد ابطال ديكنز في (قصة

مدينتين) الشهيرة .. ذلك الطبيب الذى نسي مهنة الطبابة في سجن الباستيل الرهيب .

ويحدث ما يقارب نفس هذه الحالة الرقود الطويل في المستشفيات بسبب مرض مزمن أو لكون المستشفى ضعيف النشاط الاجتماعي أو واطيء المستوى التمريضي .

كل هذه الأمثلة الحياتية تشير الى ان غذاء حيويا يعيش عليه الانسان .. وهو الانتماء البيولوجي بحد ذاته دون أن يتخلله فكر أو مبدأ أو تعليم .. مجرد صلة جسمية عن طريق الحواس تربط الكائن البشري بما يحيطه من اناس واجسام واصوات وحر وبرد وريح ونسيم . هذا الانتماء البيولوجي مخلوق فينا .. نحياه .. ونمارسه قسرا وضرورة .. ، رضينا ام ابينا .

واللاانتماء البيولوجي ..

واللاانتماء البيولوجي اشبه بالمستحيل .. ، لانه ان وجد فمعناه ان نفترض وجود كتلة حية لا تسمع ولا تبصر ولا تتألم ولا تتشرح . فان سمعت وابصرت واحست بشيء فلا هي تستجيب ولا تنفعل بما تحس. ولا يتم هذا الا في الحالات المختبرية التي يختلقها العالم النفساني لغرض الدرس والبحث ، أو في بعض الحالات العقلية المريضة مثلا . وقد جرب أحد أطباء الأمراض العقلية في جامعة لندن أن يعرض مرضى الفصام العقلي Schizophrenia الشيزوفرينيا في غرف معزولة عن كل المؤثرات الخارجية فلاحظ تحسنا ملموسا في سلوكهم واسلوب تفكيرهم.. كان الانقطاع البيولوجي اصبح دواء لهم ، بينما كانت نفس العزلة سببا في احداث اضطراب شديد بين الناس الاعتياديين .

ان اللاانتماء البيولوجي اشبه برائد الفضاء وهو يمر بحالة فقدان الوزن ، وهذا حال لا يوجد في مجتمعنا الأرضي بالطبع .

والانتماء الروحي والعقلي ..

هو عين ما قصده العلماء في قولهم ان الانسان اجتماعي بطبعه . فالانسان يستمد اسلوب تفكيره وأنماط سلوكه وحدود حرياته ومعالم القيود والمحرمات والتقاليد والمثل ..، يستمدها رويدا رويدا من ابويه وأسرته وحلقته الاجتماعية في البيت والشارع والقرية والمدينة والمجتمع الاكبر . ويتلقن الفرد تلك التعاليم سطرا سطرا . ويحتسى الثقافة المحلية جرعة جرعة .. . ويتدرج في العادات الجارية خطوة تلو الاخرى . وتبدأ حياكة المجتمع للفرد منذ أيام الطفولة الأولى ..

ولا يتضح مدى خطورتها له الا في الأزمات والصدمات والأمراض . فوجوده بين جماعة ينتمي اليها يجعلها تصبح غذاءه الروحي والعقلي ونبعا خالدا يبعث فيه طاقات الحياة والحب والدعة والاستقرار . فبين الفرد وجماعته علاقة سلوكية وطيدة ، وتعايش حيوى مستديم . لذلك وجد علماء النفس انهم اذا ارادوا تغيير اتجاه الفرد الواحد ، فان من الأسهل جدا تغيير جماعته قبل تغييره هو . فاذا ما حصل التحوير في الجماعة الصغيرة تبع الفرد جماعته تلقائيا . فالفرد اذن ينفذ دورا خاصا في تلك الجماعة. وهكذا اكتشف (لربشر) مثلا أن احسن السبل لاحداث اصلاح في جماعة من الجانحين والمجرمين يكون بتغيير واصلاح زعيم العصابة لكي يطرأ التبدل على الجماعة ومن الجماعة الى اعضائها فردا فردا . واتبع (كرت ليفن) نفس الطريقة واثبت أن الاتجاه الفردي يتبدل بتبديل افكار الجماعة بصورة عامة . والعلاج الجماعي النفساني Group Psychotherapy مثال على كيفية شفاء المرضى عن طريق الجماعة بالمناقشة والتثقيف والتوعية النفسانية ، وهي الطريقة الناجحة في المدمنين على المخدرات والسايكوباثيين .

فالانتماء الى الجماعة والتمسك بها يدرأ عن الفرد عديدا من المشاكل والأزمات والاضطرابات النفسية . والانصياع للجماعة والاندماج بها يخفف من القلق والتوتر الداخلي . وقد اشار الى ذلك فرويد Freud ، واطلق عليه (فروم) اصطلاح المسايرة الآلية Mechanical Adaptation ودعته كارين هورني بـ (الخضوع العصابي) . Neurotic Submission فلسان حال الفرد المنقاد لروحية الجماعة يقول : « انا مثلك تماما .. وساكون كما تود أن اكون .. لكي تحبني بدل أن تمقتني » .

وقد تكون للفرد آراؤه ونظرياته الخاصة التي لا تنسجم كليا مع جماعته ، لكنه يتعايش في اطارها ويقف عند حدودها العامة لأن ارباحه النفسية

أكبر من خسائره الشخصية . فهو اذن لا يزال منتميا جزئيا الى جماعته ومقتدياً بها ..

وقد لا ندرك بجلاء خطورة الانتماء الا اذا تطرقنا الى بعض أمراض عدم الانتماء والتنصل ، تلك الأمراض التي يعانيها اللامنتمي أثناء انسلاخه أو ابتعاده أو قطع صلته بجماعته ..

أمراض اللاانتماء ..

من المتفق عليه بين عديد من علماء النفس أن معنوية الطفل وتوازنه النفسي يستندان الى انتمائه وتماسكه مع اسرته وعلى طبيعة علاقاته العاطفية مع والديه . والبعد عن البيت والأم في السنين الأولى من حياته يبعث نوعا من القلق يدعى بقلق الفراق Separation Anxiety ، كما أن البعد الطويل او القطيعة بين الطفل ووالديه وبيته يولد فيه ميولا عدائية واكتئابية ونزعات اجرامية. وهذا ما حدث لنسبة من أطفال الحرب العالمية الثانية الذين اضطروا الى البعد عن ذويهم بسبب الغارات الجوية او لموت أحد الوالدين أو كليهما . فتحطم العلاقة الانتمائية الأولى بالأسرة زرع في أولئك الأطفال استعدادا للاكتئاب او الاجرام او المشاكسة المرضية النفسانية (السايكوباثية) أو الاقبال على تناول المخدرات .

كذلك ، فان التماسك مع المجموع واحترامه والاقتداء به يقلل من وطأة الصدمات والأزمات..، حتى الانتحار ترتفع نسبته بين المغتربين والمنعزلين واللامنتمين الذين وهنت صلاتهم بجماعتهم ...

ونحن ما نفتأ نعثر على اناس يعيشون في مدن كبيرة .. يسيرون بين آلاف المارة .. يسبحون في بحار من الضوضاء والصخب والحوادث .. ، لكنهم مع ذلك يعيشون لأنفسهم ، ويصنعون عوالمهم الخاصة ، ولا تحركهم ماجريات الأمور حواليهم . ونعثر على كثير من أمثال هؤلاء في المستشفيات العقلية بين مرضى الفصام ، الشيزوفرينيا . هؤلاء الذين لا ينتمون لمفاهيم وتعاليم العقلاء ..

والعلاقة المهلهلة ، والانتماء الكسيح بين المحارب وفرقته وأمته وزملائه المحاربين هي الطريق الأكيد لانهزامه وانهياره .. ، بينما المحارب الصعب المراس يتدرع باندماجه وايمانه بمبدئه وأهداف جماعته . فهو يحارب بعزم ، ويقاوم شدائد الأسر ومحن الاعتراف ..

وغير هذه الأمراض كثير وكثير .. نستدل منها على أن العزلة واللاانتماء حدث مريض، وان التبعية والعيش والاحترام المتبادل بين الجماعة والفرد تعزز من معنوياته وتمده بطاقة الحياة والعمل والكفاح . فهل يوجد « لا منتمٍ » سوى بحق ..؟ وماذا يمكن أن يكون ؟ .

من هو اللامنتمي ؟ ..

هو الذي ينتحي ناحية قصية من محيطه ، ثم ينظر الى جماعته .. ويقارنها باتجاهاته وميوله ورغباته ، فيقرر أن يفصم اواصره بها ، ويطمس معالمها من عقله ، ويمسح على بصمات ثقافتها في روحه ويمجّ ما رضعه منها من مثل او تقاليد . وقد يفعل اللامنتمي ذلك في نوبة من تحد او طيش او حماقة صبيانية .. ، او بدافع من الشعور بالخلو والحيرة والفوضى .. ، وقد يفعل ذلك لأن ناحية او اكثر فيها لا تلائم ذوقه فيتركها استنكارا ليس الا .. ، وقد يفعل ذلك لأنه يعتقد أن عليه أن يحدث تغييرا أو اصلاحا في تلك الجماعة فيتركها فترة من زمن أو يهاجمها ناقداً ..

فاللاانتماء اذن لا يتعدى أن يكون رغبة في التعبير عن السخط والثورة ، او مظهرا من مظاهر الضياع والفوضى، أو رغبة في الاصلاح والتغيير . واللامنتمي يشعر « بالغربة » قبل كل شيء..واستقلاله يتركه وحيدا .. ووحدته لا تني تقلقه .. ، والقلق يصنع اشياء كثيرة : اشياء عظيمة .. أو حقيرة ..

فالمصلح يغترب ويعتزل ويفكر ليعود الى جماعته فيحاول تغيير ما بها .. ، هو يعبر عما قاله ارخميدس يوما : « اعطني مكانا خارج الأرض ، وانا احرك الأرض .. » أي أنه لا ينتمي لفترة من زمن لكي يحرك ويفيد ، وهكذا يحرك المنازون عجلة التاريخ .

والساخط والمتمرد يغترب ويعتزل .. أو يستنكر ناحية خاصة في مجتمعه ، لكنه يعود اليه ويعبر عن سخطه ولاانتمائه في « أدب ساخط » أو « فن متمرد » بشكل قصة أو بهيئة مقالة أو بديوان شعر أو بمسرحية ..

والخارجون عن جماعتهم لمجرد نزوة طارئة

ويبتعد بعض الساخطين عن جماعتهم لمجرد نزوة طارئة او مكابرة او حبا في الشذوذ . ومن الطريف ان يذكر الدكتور مصطفى جواد في مقالته في العربي (العدد ١١٤ ص ١٠٠) عن « طيور الفتوة » قصة (ابن السفت) التي تنطبق على اللاانتماء بسبب نزوة الشذوذ هذه . وملخصها ان الخليفة الناصر لدين الله تراس الفتيان وتراس الرمي ، ومنع رمي الطيور بالبندق الا من ينتمي اليه . فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له (ابن السفت) من بغداد ، فانه هرب ولحق بالشام ولم يثنه عن عزمه المال الجزيل الذى عرضه عليه الخليفة ، بل قال : « يكفيني فخرا ان ليس في الدنيا احد الا رمى للخليفة الا انا ! » .

والخارجون فزعا من الآلة والرتابة

وآخرون لامنتمون ، اثارتهم النظم الموضوعة واقلقتهم الحياة المادية وافزعتهم الآلة والرتابة والعلوم والحروب .. ، وشعروا بالخواء والفراغ والضياع .. ، لم يجدوا اجوبة على تساؤلاتهم ولم يرضخوا للاجوبة المعروفة .. ، ثاروا على الابوة والامومة والاسرة والمدرسة .. ، اعتزلوا مجتمعهم .. وابتكروا لانفسهم مجتمعا خاصا مليئا بالغرائب والعجائب والمتناقضات : موسيقى خاصة ، او لباسا متميزا ، او تسريحة شعر ولحية ، او تناول المخدرات والعقاقير ، او سكنى بقع واحياء منعزلة من الارض وحتى الخيم والمعسكرات . وهؤلاء هم مجموعة الشباب الساخط التائه من امثال (الهيبيز) Hibbies والبروفوك Provokes ، والخنافس Beatles ، و الرولرز Rollers والبيتنك Beatniks ، والقردة Monkeys والحيوانات Animals ، .. الخ من المسميات . ولعل ادعى شيء للسخرية انهم لا منتمون من غير اصلاح او نقد بناء او فكر عميق ..

والمبتعدون للاصلاح

بقي عندنا اللامنتمي المصلح الهادف .. ، وهو اذا ابتعد عن المجموع فانه لم يقطع اواصر عطفه وشعوره بالمسئولية ، وابتعاده عن المجموع ارتفاع وتحليق لكى ينظر اليه نظرة الطير من عل Bird's Eye View نظرة الشمول والتدقيق والنقد الرامية الى الاحسن والاصلح ..

ونعود الى اثبات ما بدانا به في اول المقال من ان اللاانتماء المستديم اشبه بالمحال، وانه لا يحصل الا بين المرضى او في اروقة المختبرات والابحاث ..

استحالة اللاانتماء ..

انه مستحيل ، بمعنى ان اللامنتمي اذا خرج عن جماعته فلا يلبث ان ينتمي الى جماعة اخرى عندما ينفصم الفرد عن جماعته ويبتر اواشج التعاطف وروابط المسئوليات .. ، او عندما يحاول قلع جذورها التاريخية فيه ، فانه لا يلبث ان يجد نفسه بين جماعة غير تلك التي تركها .. ، بل سرعان ما يدرك انه خلع بزة ليرتدي اخرى !..

فصاحبنا (ابن السفت) الذى اراد ان يفاخر بعدم انتمائه الى جماعة رماة الخليفة في عاصمة الرشيد .. ، رحل الى بلاد الشام فانتمى الى مجتمع آخر وعادات اخرى ..

والاديب الساخط، والمفكر الوجودي الذى شعر وافتخر بوجوده وفاعليته وعظمته في ذاته، راح يهتم بوجود « الاخرين» وتوسيع آفاقهم الفكرية. فهو يكتب وينتج لغيره .. وهو يتمنى لو ان الغير آمن بما يقول .. وهو يتلمس وجود الغير ومؤازرتهم له من خلال التلاحم والتمازج الفكرى .. ، ولا اخاله يتمادى في نشوته وسعادته اذا ادرك يوما انه يكتب لنفسه فقط ، وان مسرحيته لم تمثل ، وان مقالته اختفت في طي النسيان . فان لم تسؤه كل تلك المنغصات .. فلعله يعيش على امل دفين هو ان الاجيال القادمة ستهتف له . فللاديب الساخط والوجودى واللامنتمي « جماعة » ما ، في بقع من المعمورة .. ، وهذا هو نوع من الانتماء الى جماعة ! .

ولاعب الكرة ينتمي الى فريقه ويستمد منه الاعتداد والفعالية .. ، بل انه يلعب مع رفاقه ولهم ، ويهمه الا يخيب ظنهم وظن مشاهديه وافراد ناديه او محلته او بلده او دولته ..

والمتدين المنتمي الى مذهب او طائفة ، اذا ما رأى استبدال مذهبه ، فانه سيلجأ الى مذهب آخر او اطار آخر من تفكير او عبادة . والمستقل ، يجد كثيرا غيره من المستقلين .. ، والمستقلون « جماعة » تلقائية . والمستقل من ناحية مرتبط من نواحٍ حياتية أخرى لا ريب فيها ..

والصبي الشقي ينتمي الى جماعة الأشقياء من امثاله . والمجرم يمتثل لاوامر عصابته ولا يستطيع ان يقدم على مخالفاته اللااجتماعية والاجرامية الا بتعزيز وتأييد من عصابته . حتى هؤلاء الشباب الغاضبون المتمردون اللامنتمون الذين يدعون أنهم قد تحرروا وحطموا القيود وداسوا على التقاليد .. ، أين هم الآن ؟ . ان كل فرد فيهم ينتمي الى جماعة ويحتذى بها ويفخر بالانتماء اليها ، ويتلقب باسمها . واسماء الفرق والجماعات ما هي الا أولى علامات الانتماء ،واسماء الخنافس والهيبز والبيتنك ترمز الى جماعة معينة لها تقاليدها وعاداتها . والهيبز الفتى (أو الفتاة) يقوم بدور المنتمي للجماعة دون أن يدرى : فهو يمارس طقوسها وعاداتها .. ويتناول مخدراتها .. ويصغي لموسيقاها ويتذوق رقصاتها وحفلاتها .. ويتمتع بممارساتها الجنسية .. ويستطيب قذاراتها .. ويرتدى بزاتها !! .. ، وهذا هو الانتماء بأجلى معانيه وابشع صوره ! .

وينتمي الفلاح الى أرضه .. وطالب البعثة الى وطنه وهو على بعد الاف الاميال منه ، فالانتماء لا يعترف بالزمان والمكان ..

اما المصلح ، اما محرك التاريخ .. ، فانه ان كان قد تجرد وتباعد عن الجماعة فلكي يغير ما بها . وغالبا ما اعتزل الرسل والأنبياء مجتمعاتهم لفترات متقطعة كي يتاملوا ويفكروا ويصلحوا . فالحكيم والمصلح يقوم بدور القيادة ويخلق له اتباعا ومريدين ، وتنشأ جماعة جديدة تنتمي له وينتمي اليها . فاذا كان قد توصل الى احداث التغيير بـ« لاانتمائه » الوقتي، فانه ما لبث ان عاد ثانية الى انتماء جديد . وكل جماعة يربو اعضاؤها على الثلاثة هي رابطة انتمائية من نوع خاص ..

فالى أين وصلت بنا الأمثال السابقة ؟ .. وصلت بنا الى أن الانتماء موجود في كل دروب الحياة وشتى ميادينها . قد يكون انتماء نسبيا أو جزئيا او وقتيا .. ، وقد يكون انتماء اصلاحيا او اخلاقيا ، أو فاسقا أو اجراميا او ساخطا أو متمردا .. ، لكنه انتماء في كل الأحوال ، والانتماء تبعية ورابطة ، والتبعية ذات حدين أو وجهين : انتماء .. والتزام .

الانتماء .. والالتزام

والالتزام وجه آخر من الانتماء وزميل حميم له . فالمنتمي ملتزم ، والتزامه ضريبة انتمائه . فالحكيم والموجّه الذى خلق كيانا جديدا من جماعة واتباع يلتزم امامهم بما دعا اليه . والمشرع الكبير الذى يضع القوانين للمجموع يلتزم بتنفيذها واطاعتها . والاديب الساخط والمسرحي العابث ملتزم بعبثه وافكاره . والقروى الذى يقتل « غسلا للعار » انما يلتزم بمفهوم سائد عريق بين جماعته . وعضو النادى الفلاني يلتزم بروحية وانظمة ومقاصد ناديه ان كان ناديا للالعاب الرياضية أو للدعوات الاخلاقية . والمجرم يلتزم بخطط عصابته الاجرامية، والشاب الخنفس أو الغجرى يلتزم بعادات وسلوك جماعته .

فالالتزام يمكن أن يكون التزاما اخلاقيا أو اجراميا أو فوضويا .. وعندما نتحدث عن « الأدب الملتزم » فانما نعني به أن يؤدى الأدب واجبه نحو الجماعة التي يكتب لها أو ينبع منها . وعندما يدعو البعض الى مبدأ الالتزام ، فانما يذكرون الغافلين بواجباتهم الطبيعية ، لأن الفرد الذى يعيش بين جماعة ويحتمي بها ويعيش عليها بيولوجيا وروحيا وعقليا .. ثم يصمت ويسبت ويغفو .. انما يقوم بدور الطفيلي الذى يأخذ ولا يعطي . والتبعية التي لا فكاك منها يجب أن تخرج عن نطاق الاتكال والتكاسل . والالتزام هو العطاء مقابل الأخذ أو الانتماء ..

بقي ان نقول ان البشرية يهمها أن يكون الانتماء انسانيا رفيعا ، وان يكون الالتزام اخلاقيا نافعا . ولا جدوى من ادعاء اللاانتماء اذ هو وَهْمٌ يتخيله المتمردون أو الحائرون أو المتطفلون . ■■

الموصل — **فخرى الدباغ**

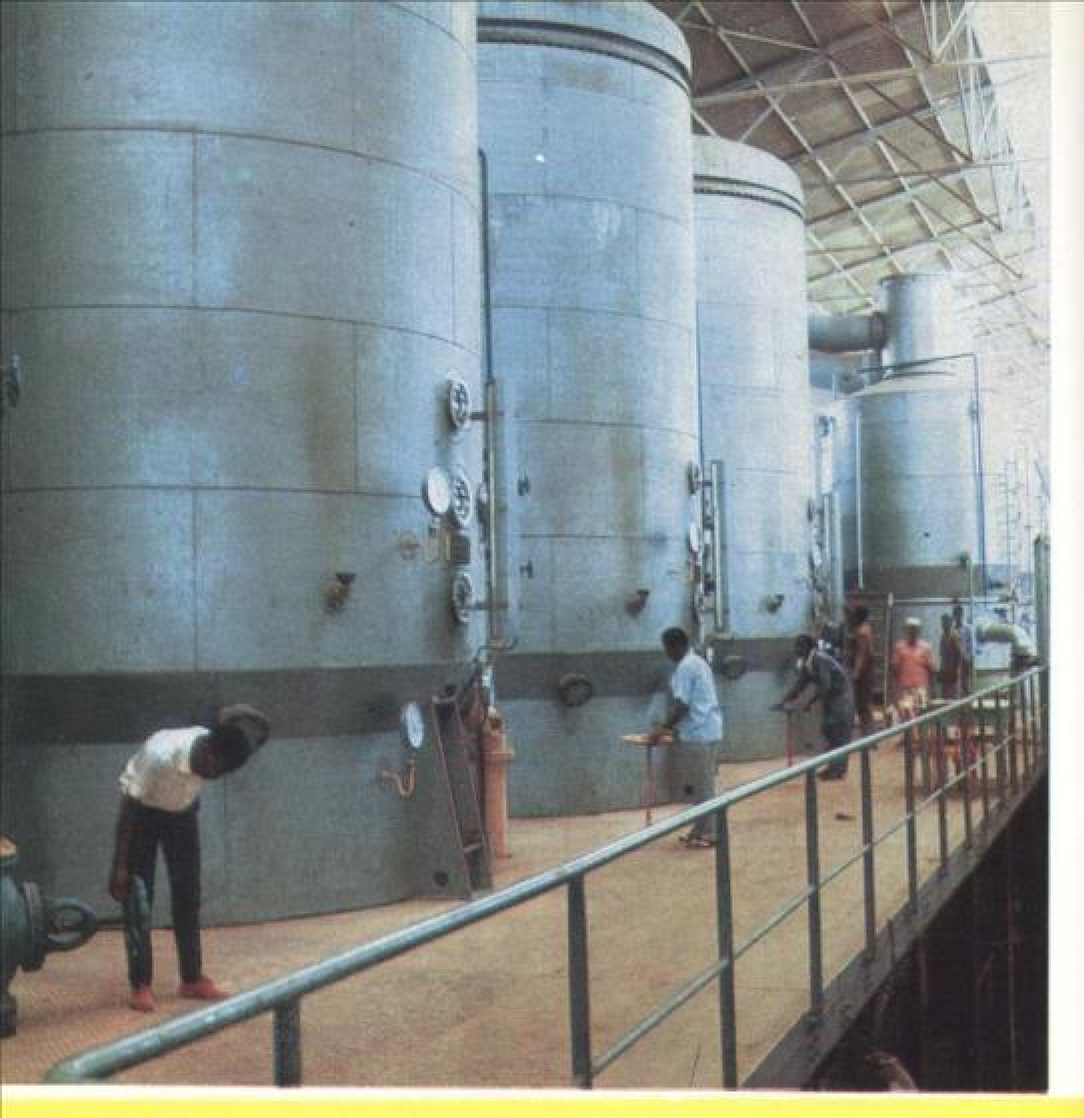


المزارعون وسط حقول قصب السكر فى بلدة الجنيد الواقعة على بعد مائة واربعين كيلومترا الى الجنوب الغربى من الخرطوم .. انهم يقومون بجمع المحصول توطئة لنقله الى المصنع ، بعد أن اكتمل نضجه ..

اعرف وطنك أيها العربي

قصة صناعة السكر

المجتمع الصناعى الجديد أحدث



خزانات تسخين عصير القصب في مصنع السكر (اقرأ كيف يصنع السكر في نهاية الاستطلاع)، وقد أقيم المصنع وسط حقول القصب، وكان أول مصنع من نوعه في السودان.

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
أوسكار مترى

فى السُّودان!

تطوُّرًا كبيرًا فى الأرْزاق

■ يحكى ان فلاحا كان يملك بقرة حلوبا ،وفي صباح كل يوم يذهب الى السوق حاملا لبن بقرته .. فيشترونه منه ليصنعوا منه زبدا وجبنا.. ويعود هو الى بيته وفي جيبه بضعة قروش زهيدة ، وهي ثمن اللبن الذى باعه ، فيشترىبها غذاءه جبنا وزبدا ويدفع ثمنا لهما اضعاف ما دفعوه له ثمنا للبن بقرته !

ثم جاء يوم اختفى الفلاح فيه فجاة ولم يعديظهر في السوق حاملا لبن بقرته ليبيعه .. وسألوا عنه ، فقالوا لهم : « لقد تزوج ! » وعرف القوميومها سر اختفاء بائع اللبن .. لقد صنعت له امرأته الزبد والجبن من لبن البقرة ..

الزراعة رجل !

لقد شبه العالم الانجليزى والكيماوى المشهور سير وليام رامسي (١٨٥٢ - ١٩١٦) ، الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٠٤ في الكيمياء ، شبه هذا الفلاح بالدولة الزراعية ، فقال ان الزراعة رجل ، والصناعة امراة .. وكما لايمكن ان تنشا الاسرة وتكتمل مقوماتها الا بوجود المراة .. كذلك لايمكن ان تاخذ اية دولة باسباب التقدم ، الا اذا تحقق التزاوج بين الزراعة والصناعة .

فلا بد للانتاج الصناعى ان ينمو ويزدهر جنبا الى جنب مع الانتاج الزراعى ، بحيث يكمل احدهما الآخر ويسانده في اطار خطة متكاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ..

قصة الارض العربية

ولقد كانت هذه هي نفسها قصة الارض العربية حتى عهد قريب .. فقد ظلت هذه الارض مزرعة هائلة تجود بخيرها ، ولكن لغير ابنائها ، اذ احتكر المستعمرون خيرات الارض الطيبة واشتروها بابخس الاثمان ..

تماما كما كانوا يفعلون في السوق مع الفلاح المسكين الذى ظل يبيع لبن بقرته الى ان تزوج !

وكانت السفن الضخمة والشاحنات تنقل الخامات والمواد الاولية وتقطع بها رحلة طويلة الى حيث قامت المصانع الضخمة في الدول الاوروبية التي ظلت تعتمد اعتمادا رئيسيا على منتجات تلك المزرعة الكبيرة !

ثم مضت الاعوام ، وتغيرت الصورة .. وحصلت الشعوب العربية على حريتها واستقلالها .. ولم تعد الارض الطيبة مزرعة للاجنبي يشترى خيراتها ، فاذا تم تصنيعها ، عاد الى اصحاب الارض مرة اخرى ليبيع لهم ما انتجته مصانعه من سلع باضعاف ما دفعه هو ثمنا لانتاج ارضهم من خامات !!

عصر التصنيع

ودخلت الدول العربية عصر الصناعة والتصنيع .. وبدات المداخن ترتفع في المدن والريف معلنة بداية جديدة في حياة شعوب الوطن العربي الكبير ..

من هنا نبدأ موضوعنا اليوم .

ولقد حرصت مجلة « العربي » في استطلاعاتها السابقةعلى ان تعرفك في كل عدد من اعدادها بجزء من وطنك الكبير .. اما اليوم فهي تقدم لك وجها جديدا من وجوه التقدم الذى حققته الاقطار العربية بعد ان استقلت وتحررت من قيود الاستعمار الذى ظل يتحكم في رزقها ومواردها اجيالا طويلة ..

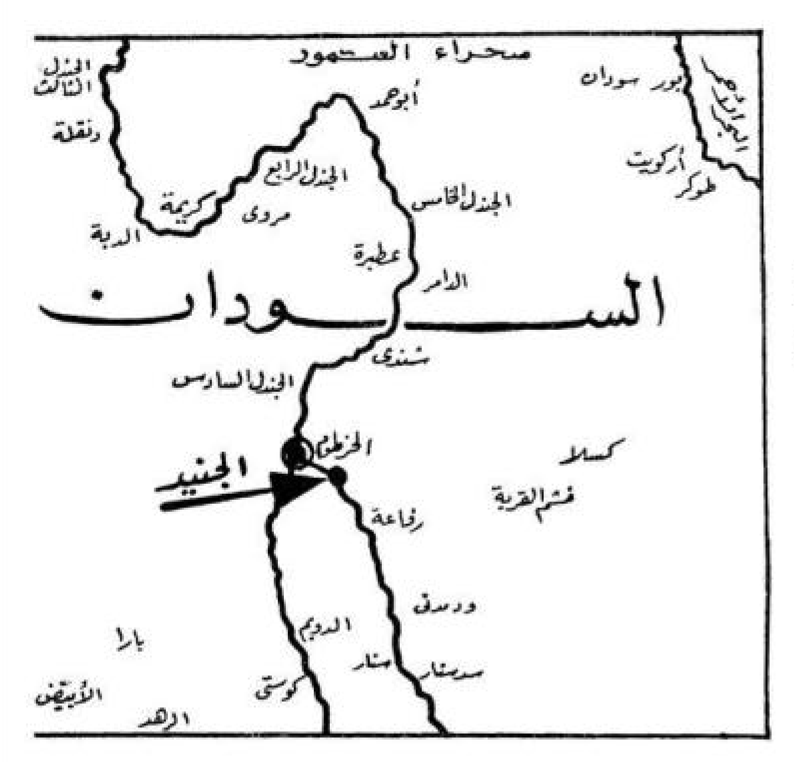
ومن السودان الشقيق عادت بعثة العربي لتقدم لك قصة صناعة السكر . وصورة من صور هذا المجتمع الصناعي الجديد .. !

لقد ظل الاقتصاد السوداني لاجيال طويلة يعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الانتاج الزراعي وبصفة خاصة على محصول رئيسى واحد ، هو القطن الذى كان وما يزال المصدر الرئيسي للدخل القومي وحصيلة البلاد من العملات الصعبة .

وكان من نتيجة ذلك ان تعرض اقتصاد البلاد في مناسبات كثيرة لهزات قوية بسبب انخفاض متوسط انتاج القطن لتقلب الاحوال الجوية وتغير الظروف الطبيعية والافات الزراعية او بسبب تدهور اسعاره في السوق العالمية وخاصة بعد ان دخلت الالياف الصناعية مثل الخيوط النايلون ، ميدان المنافسة ..

تنويع الزراعة والتصنيع

وتطلب الموقف نتيجة لذلك ، تنويع الانتاج



خريطة تبين موقع مدينة الجنيد جنوب شرقى الخرطوم عاصمة السودان .

الزراعي من ناحية ، والاخذ بسياسة التصنيع من ناحية اخرى .. فقد ايقنت الدولة منذ استقلال السودان في عام ١٩٥٤ انه لاسبيل الى زيادة الدخل القومي والارتفاع بمستوى معيشة الفرد ، الا عن طريق انشاء الصناعات وتشجيعها ، ورفع قيمة الخامات الزراعية والمعدنية ، بتصنيع الجزء الاكبر منها محليا ، على ان يسير ذلك جنبا الى جنب مع تنويع الانتاج الزراعي والاهتمام به .

وكانت الخطوة التالية ، هي دراسة احتياجات البلاد من السلع الاستهلاكية ، والمواد التموينية الاساسية التى تنفق الدولة ملايين الجنيهات من العملات الصعبة سنويا لاستيرادها من الخارج .

وقامت الدولة بانشاء عدد من المصانع منذ عام ١٩٥٩ مستعينة بالقروض التى حصلت عليها من الدول الصديقة ، مثل مدبغة الجلود ، ومصنع الورق المقوى ، او الكرتون ، ومصنع تعليب الخضراوات والفاكهة ومصنع لتجفيف البصل وآخر لتجفيف الالبان ، ومصنع للصابون ، ومصنع لزيت الطعام ، ثم مصنع للغزل والنسيج ، ومصنعين للسكر .

تشجيع الاستثمار

ولكن الدولة وجدت انه لا بد لها في نفس الوقت من تشجيع رأس المال الاجنبى وكذلك راس المال الوطنى ، لاستثمارهما في ميدان الصناعة ، فاصدرت قانونا خاصا كان له اثر كبير في تشجيع الاستثمارات ، بفضل ما قدمه من ضمانات وميزات لاصحاب رؤوس الاموال المستثمرة .. وفي مقدمتها توفير الحماية اللازمة لمنتجات المصانع الخاصة ، وذلك عن طريق منع استيراد المنتجات المماثلة من الخارج ، واعفاء المصانع الجديدة من ضريبة الانتاج خلال السنوات الخمس الاولى من بدء الانتاج .. ثم دفع التعويضات المناسبة لاصحاب هذه المصانع وتحويلها للخارج بالعملة الصعبة في حالة ما اذا اضطرت الحكومة الى تاميمها ..

مسح صناعى شامل

وقد اعتزمت الدولة في نفس الوقت التعاون مع منظمة التنمية التابعة للامم المتحدة لاجراء مسح صناعى شامل للبلاد لدراسة الامكانيات المتوفرة ، والتى يمكن ان تتوفر مستقبلا ..



يبدأ العمل في مصنع السكر خلال شهر نوفمبر أو ديسمبر من كل عام . وعند بدء العمل تؤخذ عينات من عيدان القصب وتحلل في المعمل الكيمائي لمعرفة مقدار السكر الموجود بها ، وهل بلغ النسبة المطلوبة من نضجه . **وفي الصورة اليسرى** بعض الكيميائيين يقومون بعملية تحليل عصير القصب .

الى اليمين : عمال مصنع السكر ساعة انصرافهم بعد انتهاء عملهم . وفي المصنع ١٢٠٠ عامل وموظف ثابت و ٣٥٠٠ عامل موسمي ، يعملون ستة أشهر في السنة من نوفمبر حتى اوائل مايو من العام التالى .

تحت : المعدية ، التى تراها أسفل هذا الكلام هى وسيلة النقل الوحيدة من الضفة الغربية للنيل الازرق الى الضفة الشرقية حيث تقع بلدة الجنيد ومزارع قصب السكر والمصنع ، والمدينة السكنية . وتدرس الحكومة الآن مشروعا لاقامة جسر على النيل لتسهيل عملية نقل السكر الى الخرطوم .



ويشمل هذا المسح ، حصر الخامات والمواد الاولية التى يمكن استخدامها في الصناعة ، ودراسة الاسواق المحلية والاجنبية لهذا الانتاج الصناعى المحلي الجديد .. وبذلك تتحدد معالم سياسة التصنيع للسنوات المقبلة ، ويتوفر للراغبين في الاستثمار عدد اكبر من المشروعات المدروسة فنيا واقتصاديا ..

ونعود بعد ذلك الى موضوعنا اليوم ..

السكر في السودان

ولقد كانت من نتيجة الدراسات التى قامت بها وزارة الصناعة والتعدين ، لاحتياجات البلاد من المواد التموينية الاساسية ، ان وجدت ان السكر يأتى في مقدمة هذه المواد التى تستوردها الحكومة ، وتدفع ثمنا لها ملايين الجنيهات من العملات الصعبة ، كما قدمنا .

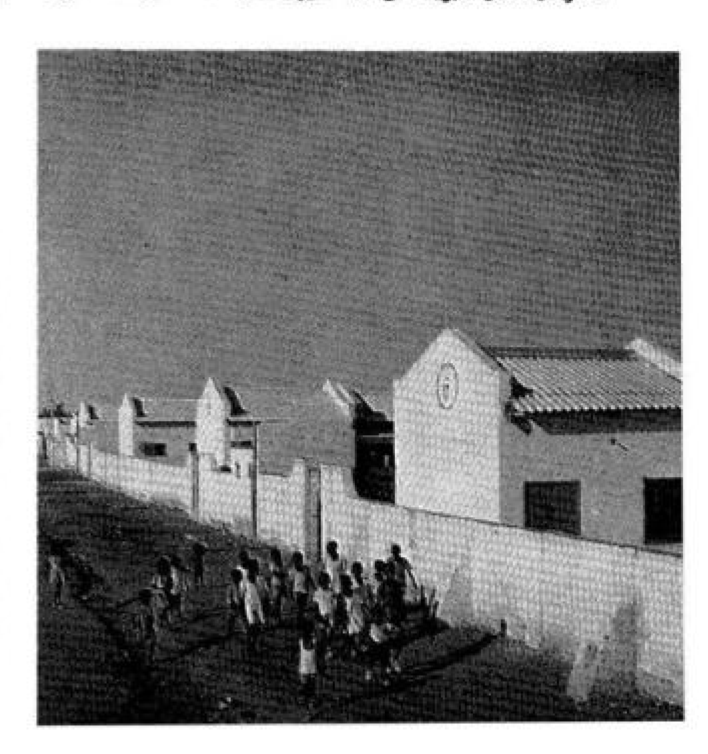
فاهل السودان يستهلكون ٢٠٠ الف طن سكر سنويا ، وهي كمية هائلة اذا قيست بتعداد سكان السودان الذى لايزيد على ١٤ مليون نسمة ، اى ان استهلاك الفرد الواحد ، سواء كان رجلا ، ام طفلا ، ام امراة يبلغ حوالى ١٥ كيلو جراما في العام ..

ولعل من اسباب ذلك ولع السودانيين بالشاى ، فهم لايشربون الماء الا قليلا ، اما الشاى ، فيقدم لهم بعد وجبات الطعام الثلاث ، وطوال ساعات النهار كلما احسوا بالعطش ، او كلما جاء اليوم ضيف وشاءوا ان يكرموه وقد يبلغ عدد المرات التى يشربون فيها الشاى اكثر من عشر مرات في اليوم الواحد ..

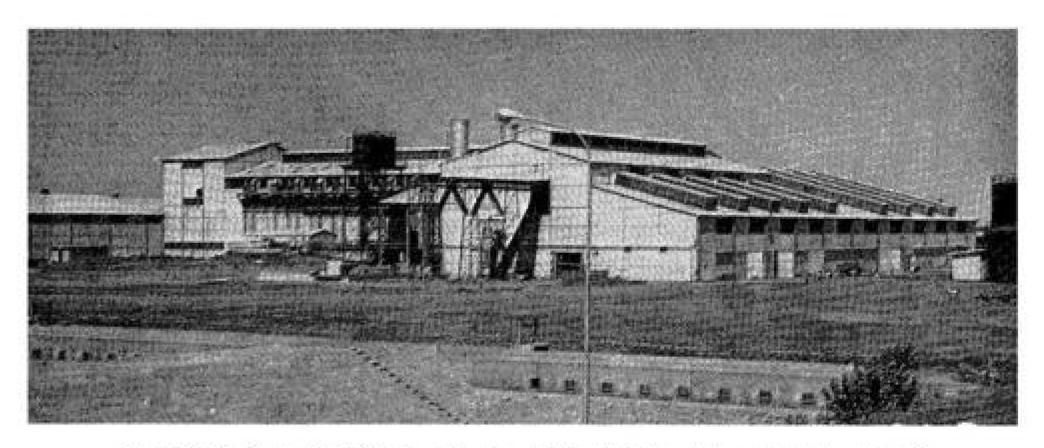
السكر في كوبا

وقد كان لدخول صناعة السكر في السودان قصة ، بدأت منذ عدة سنوات مضت عندما كان احد المسئولين السودانيين في زيارة رسمية لكوبا ، وكان ضمن برنامج الزيارة مشاهدة حقول قصب السكر والمصانع التى قامت في وسطها لانتاج السكر ..

وعاد المسئول السوداني ، وفي رأسه صورة



جانب من المدينة السكنية التى شيدت خصيصا لعمال وموظفى مصنع السكر في الجنيد ، وقد خصص قسم منها للمتزوجين ، وقسم آخر للعزاب .. ويتألف مسكن العامل الأعزب من غرفة واحدة ودورة مياه ، اما مسكن العامل المتزوج فيتألف من غرفتين أو ثلاث وتحيط به حديقة صغيرة ويتوقف حجم المسكن على عدد أفراد الأسرة .. ويعيش عمال المصنع في هذه المساكن بالمجان .



منظر عام لمصنع السكر من الخارج ، وقد ظهرت على جانبي الصورة خزانات العسل الأسود المتخلف عن صناعة السكر Molasses ، ولما كان لهذا « المولاس » فائدة صناعية ، فمن بقايا السكر الذى فيه يمكن بالتخمير انتاج الكحول ، فقد رأى المسئولون تصديره الى الخارج . وقد قامت دولة الكويت بالمعونة في ذلك فأقرضت المصنع مبلغ ١٥٠ ألف دينار ، لبناء عربات خاصة تنقله على السكك الحديدية الى بورسودان ، وكذلك لانشاء مضخات تضخه الى السفن ، لتبحر به بعد ذلك الى أسواقه .

واضحة لهذه الصناعة التى جعلت من كوبا دولة من اكبر الدول المنتجة والمصدرة للسكر ..

وانقضت فترة قبل ان يختمر المشروع في ذهن المسئولين السودانيين .. مشروع انشاء اول مصنع للسكر في السودان . وكانت المشكلة الاولى التى واجهتهم ، هى أن زراعة قصب السكر ، لم تكن موجودة وقائمة ، لاستغلالها تجاريا في مثل هذا المشروع . كان القصب موجودا ، ولكن بكميات قليلة ، حيث كان المزارعون يجمعونه ويبيعونه في الاسواق ، فيشتريه الاهالى لامتصاص عصيره الحلو ، وتقديمه شرابا لذيذا !

ادخال زراعة القصب

واذن كان لا بد من ادخال زراعة قصب السكر على نطاق واسع .. ووقع الاختيار على مساحة من الارض تبعد حوالى ١٤٠ كيلومترا الى الجنوب الغربى من الخرطوم ، على الضفة الشرقية من النيل الازرق .. وتبلغ مساحتها ٣٧ الف فدان ، وكانت هذه الارض تزرع كلها قطنا في الماضي .. وبدا بالفعل استيراد « التقاوى » وهى عقل القصب ، وزراعتها في عام ١٩٥٩ ، واثبتت التجارب التى أجريت صلاحية الارض لزراعة قصب السكر.

مصنع السكر

وعلى الفور بدات مفاوضات مع حكومة المانيا الغربية لتمويل مشروع انشاء مصنع السكر . وتم الاتفاق . وفي اواخر عام ١٩٦٠ ، بدأ بناء المصنع، ثم بدأ استيراد المعدات والآلات الضخمة تحت اشراف فريق من الخبراء الالمان الذين جاءوا مع المصنع الجديد لتدريب الفنيين على تشغيل هذه الآلات وصيانتها ..

وفي الوقت نفسه كان العمل يجرى على قدم وساق لاستصلاح الارض التى خصصت لزراعة القصب فى نفس المنطقة التى يجرى فيها بناء المصنع . وهى منطقة الجنيد ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى اسم عمدة هذه الضاحية الذى مات قبل أن يرى قريته الصغيرة وهى تتحول من مجرد أرض واسعة لزراعة القطن ، الى مدينة صناعية صغيرة حافلة بالحياة والانتاج والعمل ، وهى تابعة لمديرية النيل الازرق !

قصب السكر

وبدات زراعة قصب السكر الذى سيستخدم عصيره الحلو في هذه الصناعة الجديدة . وفي تربة الارض التى ترويها مياه النيل الازرق ، غرست التقاوى التى جاءوا بها من مصر ، ومن غينيا الجديدة ، وكان هذا البلد الاخير ، اول أرض عرفت زراعة قصب السكر ثم نقل منها الى آسيا في عصر ما قبل التاريخ .

هذا ما يؤكده الباحثون الثقات، الذين اكتشفوا

فوق : اثنان من أهالي الجنيد يتصفحان الكتب والمجلات في المكتبة التي قامت وسط السوق . أما صاحب المكتبة فهو مراسل صحيفة الرأي العام التي تصدر في الخرطوم، ومتعهد توزيع جميع الصحف والمجلات والكتب العربية في الجنيد .

تحت : تجري سيارات الاوتوبيس بين بلدة رفاعة بمديرية النيل الازرق ، ومدينة الخرطوم مارة بالجنيد والقرى الصغيرة الواقعة على الطريق الذي يصل طوله الى مائتي كيلومتر . وهذه احدى سيارات الاوتوبيس الذي يعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة بين العاصمة وهذه المدينة الصناعية الجديدة .



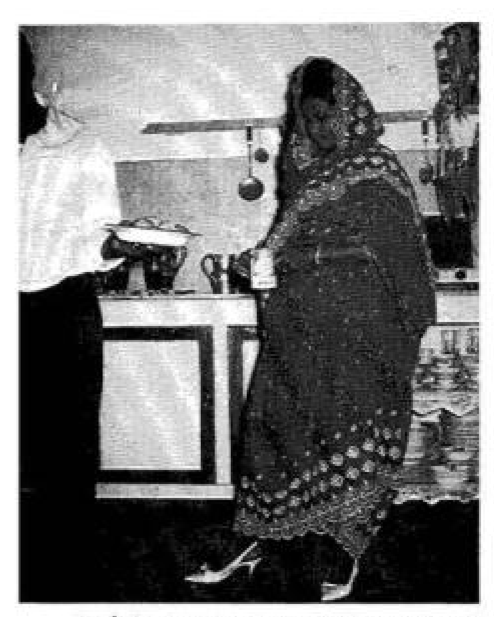
فوق : عامل في مصنع السكر بالجنيد مع زوجته وأطفاله ، داخل مسكن من المساكن التي خصصت لسكنى عمال المصنع وأسرهم بالمجان .. وتعمل الزوجة ناظرة لمدرسة الجنيد الأولية للبنات .

تحت : عند تاجر الحبوب والبقول في سوق الجنيد ، اثنان من المواطنين يشتريان الأرز والعدس والفول ، لسد حاجتهم من هذه الأغذية الشعبية .

ايضا أن أول اشارة الى زراعة قصب السكر في آسيا ، ظهرت في الادب الهندى في القرن الرابع قبل الميلاد . وقد أسموه « ساركاره » Sarkara باللغة السانسكريتية Sanskrit ، ومنها جاء اسم السكر ، الذى يكاد يكون واحدا في معظم اللغات الحديثة .

اما الارض التى وقع عليها الاختيار لزراعة قصب السكر ، فتبلغ مساحتها ٢٠ الف فدان ، وكانت هذه الارض ملكا للاهالى ، وانتقلت ملكيتها للحكومة بقانون . ثم عادت الحكومة فوزعت الارض على ملاكها الأصليين طبقا لنظام « الحواشات » .. ومساحة « الحواشة » الواحدة خمسة عشر فدانا، يلزم صاحبها بزراعة نصفها قصبا .. اما النصف الثانى فيترك منه خمسة أفدنة بورا حتى تستعيد الارض خصوبتها ، والباقى وقدره فدانان ونصف فدان يزرع فولا وحبوبا أخرى ..

وانقضت ثلاث سنوات والتجارب مستمرة على تحسين زراعة القصب وتنميتها ، قبل أن يبدأ مصنع الجنيد للسكر أول انتاج له بعد أن اكتمل بناؤه وتم تركيب الالة ومعداته ، وكان ذلك في شهر نوفمبر من عام ١٩٦٣ .



أحد المهندسين الفنيين مع زوجته ، وقد فاجأتهما عدسة « العربى » ، وهما يعدان الفطائر والشاى للضيوف في مطبخ سكنهما بالمدينة السكنية ، والمطبخ مزود بالاجهزة والمعدات المصرية من ثلاجة كهربائية وفرن يعمل بالغاز وغير ذلك .

الطريق الى الجنيد

ذهبنا اليه في سيارة صغيرة قطعت بنا الطريق المهد بين الخرطوم والجنيد في ساعة ونصف تقريبا .. طريق طويل يخترق منطقة زراعية خصبة ، تروى كلها بمياه النيل مباشرة ، ويمر بعدد من القرى الصغيرة المتناثرة هنا وهناك .

وعلى الضفة الغربية لنهر النيل الازرق توقفت بنا السيارة .. فقال لنا مرافقنا : « هناك على الضفة الشرقية قام المصنع وسط حقول قصب السكر .. وسوف تصل « المعدية » بعد دقائق قصيرة لتقلنا بسيارتنا الى الضفة الأخرى ! »

قلنا: « ولماذا لا تقيم الحكومة جسرا فوق النيل، ما دامت هذه هي وسيلة الانتقال الوحيدة بين الضفتين ؟ » .

المعدية !

قال : « اننا ندرس بالفعل مشروع بناء جسر ، وخاصة لاننا نعتمد اعتمادا كليا على « المعدية » في نقل انتاج المصنع من السكر الى الضفة الغربية حيث ينقل منها بالسيارات الى الخرطوم ، انها تعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بلا توقف، خلال شهور الانتاج ، أما في الفترة التى يتوقف فيها العمل فتعمل من الساعة الخامسة صباحا حتى الساعة العاشرة مساء ! »

وعبرنا النهر فوق المعدية ، واستغرقت رحلة العبور خمس دقائق ، انطلقت بنا السيارة بعدها الى الجنيد ، الى الحقول التى امتلأت بقصب السكر ، والى المصنع الذى تكلف بناؤه عشرة ملايين ونصف مليون جنيه سودانى ، بما في ذلك ثمن الآلات والمعدات ، واخيرا الى هذا المجتمع الصناعى الجديد الذى قام في قلب ريف السودان.

ثورة في حياة اهل القرية

ولمسنا الثورة التى احدثتها الصناعة في حياة اهل هذه الارض .. شاهدنا دخان المصنع وهو يملأ سماء المدينة الصغيرة فتختلط رائحته برائحة الارض الخضراء .. شاهدنا الفلاح وسط حقله



في مدرسة بنات الجنيد ، وقفت الناظرة السيدة رقية محمد خير تستمع الى شكوى احدى تلميذاتها .. والسيدة رقية زوجة وأم لثلاثة اطفال ، ويعمل زوجها في مصنع السكر ، وهي حاصلة على دبلوم كلية المعلمات بأم درمان ومرتبها ٦٧ جنيها سودانيا . قالت في حديثها عن المرأة العاملة : « لم تعد وظيفة المرأة مقصورة على تربية الاطفال والاشراف على شئون البيت ، فلا بد للزوجة ان تشارك في تحمل نفقات الحياة ، طالما انها قادرة على هذه المشاركة »

يجمع القصب وهو فرح مستبشر بما ستجنيه يداه من رزق ثمنا لمحصوله .. شاهدنا العامل الذى نزع عن جسمه الثياب التقليدية ثياب الفلاحين التى توارثها عن آبائه واجداده منذ قرون طويلة ، ليلبس البدلة الزرقاء ، بدلة العمل والعمال التى كانت وقفا على أهل الغرب الذين سبقونا الى الصناعة منذ مئات السنين ..

مجتمع صناعي متكامل

قال لنا السيد عوض ابراهيم موسى ، المدير العام لمصنع السكر بالجنيد : « لقد كان هدفنا عند البدء في انشاء هذا المصنع ، هو أن نقيم مجتمعا صناعيا جديدا كاملا متكاملا .. وكانت تجربة رائدة في السودان ، فقد انشانا لعمال المصنع مدينة سكنية ، خصصنا قسما منها للمتزوجين ، وآخر للعزاب .. ولا يدفع العمال أجرا مقابل سكنهم ، فهذه المنازل تقدم للعمال الدائمين بالمجان .. حتى استهلاكهم من الكهرباء والماء لا يدفعون عنه أجرا ..

« ولقد كان الهدف من وراء ذلك هو ان يشعر العامل بالاستقرار من ناحية ، والارتباط بهذا المجتمع الجديد من ناحية أخرى .. ان لدينا في المصنع ما يقرب من ١٢٠٠ موظف وعامل فنيدائمين .. وكل هؤلاء يسكنونفي المدينة السكنية بالمجان».

العمال الموسميون

« ولكن ليس هذا هو كل عدد العمال العاملين في المصنع في موسم صناعة السكر ، الذى يبدأ عادة في شهر نوفمبر من كل عام وينتهي في شهر ابريل من العام التالى.. فنحن نضطر الىالاستعانة ببعض العمال الموسميين ، الذين قد يصل عددهم الى ثلاثة آلاف وخمسمائة عامل كل عام . اذ ليس من المعقول ان ندفع أجر كل هذا العدد الهائل من العمال طوال أشهر السنة ، بينما هم في الواقع لا يعملون الا ستة اشهر تقريبا من كل عام . اما العمال الدائمون ، فهم هؤلاء الذين لا غنى للمصنع عنهم ، لانهم يقومون باعمال الصيانة للآلاتوالمعدات

الى اليمين : في المدرسة الاولية للبنات ، وقفت المدرسة تشرح للتلميذة عبارة صعب عليها فهمها .. انهن جميعا بنات العمال والفلاحين بالجنيد .. والتعليم بالمجان .. وفي الجنيد مدرستان ، للبنين والبنات .

تحت : المرشدات الاجتماعيات ، وتنحصر مهمتهن في القيام بتوعية للسيدات الأميات من زوجات العمال والفلاحين .. وكل هؤلاء المرشدات ، اكملن تعليمهن الثانوى كما اشتركن في دراسة تدريبية في هذا المجال

الى اليسار : في مسكن أنيق تحيط به حديقة صغيرة، استقبلنا مدير مصنع الجنيد وجلس يحدثنا عن سير العمل في المصنع وعن مشروعاته للمستقبل. وفي الصورة مدير المصنع السيد عوض ابراهيم موسى مع زوجته وأطفاله الثلاثة.

تحت : المقهى ، وهو ملتقى شباب المدينة في الأمسيات ، فيجتمعون فيه للتسامر ولعب الورق والنرد وشرب الشاي .. وفي الجنيد عدد كبير من المقاهي الشعبية .

خلال الشهور الستة التي يتوقف فيها العمل في المصنع » .

قلنا : « ما هو الحد الادنى للأجور ، وكم يبلغ الحد الأقصى ؟ » .

اجــور العمـــال

قال مدير المصنع : « الحد الادنى للأجور حسب القانون الجديد هو ثلاثةعشر جنيها سودانيا و ٩٠٠ مليم (بعد تخفيض الاسترليني أصبح يساوى ٨٠ قرشا سودانيا ، علما بأن الجنيه السوداني يساوي مائة قرش) أما الحد الاقصى فيصل الى ٦٧ جنيها و ٨٠٠ مليم للعامل الفنى سواء كان مؤهلا أم غير مؤهل ، فالعبرة بالخبرة وليست بالمؤهلات ، كما يدفع العامل ٥٪ من مرتبه للتامين، طبقا لقانون « التامين » ، وتدفع ادارة المصنع نفس النسبة ايضا ، وتجمع هذه المبالغ المدخرة لتقدم للعامل عند تقاعده أو الاستغناء عن خدماته»

وانتقل مدير المصنع بعد هذا الى الحديث عن السكر والانتاج ، قال : «يبلغ انتاج المصنع في الموسم حوالى ٦٠ الف طن سكر ، اما الانتاج اليومى فيتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ طن يوميا من السكر » .

قلنا : « هل هذا هو المصنع الوحيد من نوعه في السودان ، أم أن هناك مصانع أخرى للسكر ؟ »

مصنع ثان في خشم القربة

قال : « هناك مصنع ثان في خشم القربة ، أو مدينة حلفا الجديدة التي يعيش فيها الآن أهالى مدينة حلفا القديمة التي اغرقتها مياه السد العالى .. وكما ذكرت لكم ، ان مصنع الجنيد كان تجربة رائدة ، وكأى تجربة رائدة كانت هناك أخطاء وصعوبات في تنفيذها .. وقد افدنا من هذه الاخطاء عند انشاء مصنع خشم القربة ، فأمكن تلافيها قبل الوقوع فيها .. وقد بدأ انتاج مصنع خشم القربة في أواخر عام ١٩٦٥ ، وكانت مواصفاته مطابقة تماما من حيث السعة والآلات لمصنع الجنيد ، ولكن التكاليف كانت أقل ، وقد قدمتها مجموعة من البنوك الالمانية على أساس قرض يسدد خلال عشر سنوات بفائدة قدرها ٦٪ ، كما تم الاتفاق أيضا مع صندوق النقد الكويتى لتمويل نسبة معينة من قيمة الآلات والمعدات الزراعية والعربات والمبانى ومصروفات التشغيل في حدود مليون و ٧٠٠ الف جنيه سوداني . وبلغ حجم المبالغ المستثمرة في مصنع خشم القربة حتى الآن

لقد أصبحت الجنيد مدينة متكاملة حققت اكتفاء ذاتيا .. ففى سوقها الصغير يجد المواطنون كل ما يحتاجون اليه من مأكل وملبس .. كما حرص المسئولون على اقامة الملاعب الرياضية والأندية التي يجد فيها الشباب مجالا للترفيه في وقت فراغهم .. وفي الصورة الأولى الى اليمين اثنان من العمال يفحصان بعض أنواع الأقمشة الجديدة ، أما في الصورة الثانية (الى اليسار) ، فقد جلس أحد العمال يقص شعره في صالون الحلاق !





داخل مسكن في المدينة السكنية للعمال المتزوجين .. الزوج عامل بمصنع السكر ، وهو أب لاحد عشر طفلا .. وقد جلس مع زوجته وابنته الكبرى المتزوجة .. بينما وقفت احدى بناته لتستمع الى صوت الغناء السوداني من المذياع .. لقد ضاقت غرف البيت الثلاث بأفراد هذه الأسرة الكبيرة ، فوضعت بعض الأسرة في الردهة .. وكثيرون من أهالي السودان ينقلون أسرتهم الى حديقة البيت للنوم في الهواء الطلق خلال أشهر الصيف الحارة .

حوالى ٨ مليون جنيه سودانى ، ويبلغ انتاجه من السكر حوالى ٦١ الف طن في الموسم ، اى نفس الكمية التى ينتجها مصنع الجنيد تقريبا ومعنى هذا ان السودان ما زال يستورد حوالى ٨٠ الف طن سكر سنويا لسد حاجة المستهلكين . ومن أجل هذا يتجه التفكير الآن الى انشاء مصنع ثالث للسكر في خشم القربة !! » .

وقال مدير المصنع : « وسيتطلب انشاء هذا المصنع الثالث ، زيادة رقعة الارض المنزرعة قصبا سواء في خشم القربة أم فى الجنيد .»

في بيوت العمال

وتركنا مدير مصنع السكر وخرجنا نطوف بالمدينة الصغيرة .. المساكن كلها من طابق واحد، شيدت على طراز واحد ، ويتألف المسكن من غرفة واحدة للعامل العازب ، وغرفتين أو ثلاث للمتزوج طبقا لعدد أفراد الأسرة .. وفي البيت حديقة جميلة في جانب منها شيد المطبخ ودورة المياه وهى متصلة بالمجارى العامة .

واستضافنا العمال في بيوتهم وقدموا لنا الشاى ، وجلسنا نتحدث اليهم ، ونسألهم عن حياتهم الجديدة وكيف يعيشون وأين يقضون أوقات فراغهم .

قال لنا السيد خضر محمد عمر رئيس السائقين لأسطول ناقلات قصب السكر من الحقل الى المصنع ، انه أب لاحد عشر طفلا .. أكبرهم في الحادية والعشرين وهى فتاة اسمها نور تزوجت عاملا في المصنع الذى يعمل فيه والدها ، واصغرهم « طيبة » وعمرها سنة واحدة . وهو يستعد لاستقبال المولود رقم ١٢ بعد شهور قليلة !

السكن .. المشكلة الاولى

قال لنا الأب : « ان مرتبى يكفينى والحمد لله فالمشكلة الاولى التى تواجه رب الأسرة الكبيرة في السودان اليوم . هى مشكلة السكن ، اذ يبلغ ايجار الغرفة الواحدة حوالى ستة جنيهات . فالسكن يستنفد الجزء الأكبر من دخل العامل . وانا أعيش في هذا البيت بالمجان . وانفق مرتبى على الغذاء والكساء .. وعندنا هنا سوق صغير نجد فيه دائما كل ما نحتاج اليه من ملبس ومأكل. ونحن ناكل اللحم مرتين في الاسبوع . لاننا في حاجة الى ثلاثة كيلوجرامات على الاقل ثمنهـــا خمسون قرشا ندفعها للجزار في كل مرة نريد ان ناكل فيها لحما .. » .

النيل حياتنا

قلنا : « واين تقضي أوقات فراغك ؟ »

قال : « في المقهى الصغير الذى يتوسط السوق او في نادى العمال حيث نلعب الورق ونتسامر ، أو على شاطىء النيل ، فاصطحب زوجتي واولادى ونجلس بجوار الماء نرقب صفحته الهادئة ، وهى تسير امامنا في هدوء حاملة الخير للارض وما فيها ومن عليها ، فالنيل حياتنا ! »

ولقد غيرت الصناعة عقلية الاهالى وجعلتهم يخرجون على تقاليدهم القديمة ويفكرون بعقلية جديدة تستمد أفكارها من واقع الحيـــاة التى يعيشونها .. في المدرسة الابتدائية للبنات مثلا ، وهناك مدرستان ، واحدة للبنات ، واخرى للاولاد، في هذه المدرسة التقينا بالناظرةالسيدة رقية محمد خضر ، وقالت رقية : انني زوجة وأم لولد وبنتين .. وزوجي يعمل ملاحظا بالورش الزراعية التابعة لمصنع الجنيد للسكر . ومع ذلك فانا أعمل ، وقد شجعنى زوجى على العمل ، لتضاعف دخل الاسرة، بل لقد كان هو الذى بحث لى عن هذه الوظيفة والحقنى بها ! »

مدرستان ابتدائيتان

وحدثتنا السيدة رقية عن التعليم في الجنيد ، قالت : « ان الدراسة هنا بالمجان ، ونحن نسعى الآن لاقناع المسئولين بتقديم وجبة مجانية أيضا للاطفال كل صباح ، وهناك ما يقرب من ٢٢٠ تلميذة في المدرسة ، وهن جميعا ابناء العمال والفلاحين الذين يعملون في حقول قصب السكر ، وفي المصنع، ولا تكاد الواحدة منهن تكمل تعليمها الابتدائى ،حتى تلتحق بالمدرسة الثانوية ، وهى قريبة منا ، على بعد ١٢ كيلو مترا فقط ، في بلدة « رفاعة » وهناك سيارات خاصة لنقل التلاميذ من البيت الى المدرسة وبالعكس » .

والفلاح .. كيف حاله ؟

هل نسوا الفلاح ؟ نسوه ولم ينسوه .. ! فهو ما زال يعيش في كوخه الصغير الذى عاش فيهآباؤه واجداده في قلب الارض التى فلحـوها وزرعوها منذ مئات السنين ..

ولم ينسوه ، فقد اهتموا برفع مستواهالثقافى والاجتماعي ، فأوفدوا مجموعة من المرشــدات الاجتماعيات الى الجنيد . ان مهمتهن الاولى هى التوعية ونشر الثقافةالدينية والاجتماعيةوالصحية بين النساء الاميات من زوجات الفلاحين والعمال ، وتعليمهن القراءة والكتابة والاقتصاد المنزلى !

التقينا بهن في طريق عودتهن من الحقل الى المسكن الخاص الذى أعد لاقامتهن .. وسألناهن : « كيف يجدن الحياة هنا ؟ »

وضحكت احداهن وقالت : « كان يمكن ان تكون افضل ؟ »

قلنا : « كيف ؟ »

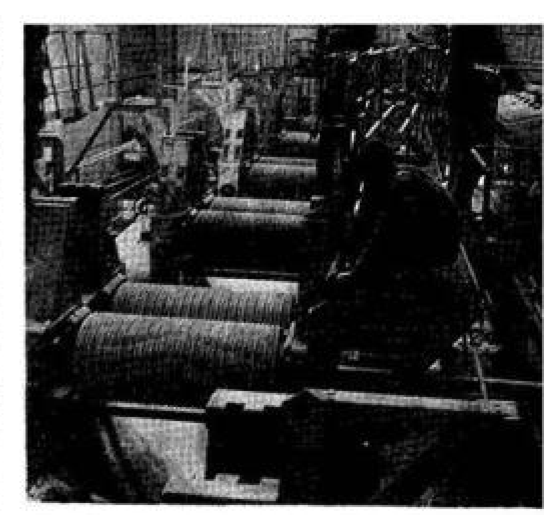
قالت : « لو اننا كنا نعيش مع ازواجنا ؟

واليس بينكن واحدة متزوجة ؟

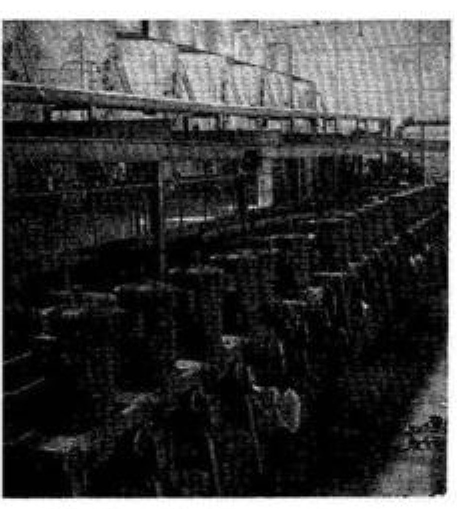
قلن في صوت واحد : لا ! »

ست فتيات جميلات مثقفات ، وليس بينهن واحدة متزوجة ؟

نعم ففى السودان ازمة زواج .. ولكن هذه قصة أخرى ! نرويها ان شاء الله في استطلاع عن السودان قريب آخر .



مكنة العصر أثناء تنظيفها ، وقد رفعوا الاسطوانة الثالثة العليا التى تضغط على قصب السكر، وهو يدور تحتها، بين الاسطوانة العليا والاسطوانتين السفليين . وذلك لتنظيف الجهاز .



صورة باعلاها أوعية يتركز فيها محلول السكر ويتبلور . وفي أسفل الصورة أجهزة فصل بلورات السكر من العسل المسمى المولاس .

صناعة السُّكَّر

في كلماتٍ قليلة

● في صناعة السكر عامة يتخلص القصب من أجزائه التى لا تنتج سكرا ثم يحمل الى المصنع . وهناك يغسل ويقطع اطوالا مناسبة ، ثم تغذى به المعاصر فتضغطه اسطواناتها ، وفي أثناء ذلك ينزل عليه رشاش من ماء يساعد على اذابة العصير .

والعصير الناتج هكذا من القصب يكون لونه غالبا رماديا غامقا أو مخضر اللون، ويكون مذاقه حامضا . انه غير نقى . ويبدأ نقاؤه باضافة الجير في مائه اليه ، للذهاب بحموضته، ثم يسخن على الفور، وينقل الى صهريج ويترك فيه ليسكن ويستقر ، فتترسب في قاع الصهريج رواسب ، يعلوها السائل الرائق الذى فيه السكر ذائبا .

عندئذ ينقل هذا المحلول الرائق الى خزان لتبخير ماء المحلول وتركيزه فيه باستخدام التفريغ الهوائي ، وحتى لا ترتفع درجة حرارته . وبهذا يتحول المحلول أولا الى شراب كثيف يُعرَف بالمسكويت Masscuite (لفظة فرنسية معناها الكتلة المطبوخة) ، وما هو الا بلورات صغيرة من السكر مع المحلول الثخين المتخلف من البلورة . وهذا المحلول الثخين يسمونه في الصناعة المولاس Molasses وهو يشبه العسل الأسود المشهور في مصر .

وينقل هذا العسل ببلوراته الى أوعية تدور حول محور لها راسي ، بحائطها ثقوب رفيعة . والحركة الدائرة السريعة

تطرد العسل وبلورات السكر الى حائط الوعاء ، ولكن الثقوب لا تأذن للبلورات بالخروج ، وتأذن للعسل ، للمولاس ، وحده . وكل هذا بقوة الطرد المركزى.

والبلورات الناتجة سكر بنى اللون .

والمولاس محلول به نسبة من السكر كبيرة .

اما السكر فتعاد اذابته في الماء . وتعاد بلورته لينقى .

وأما المولاس ، فيعاد الى المولاس اللاحق لتجرى فيه عملية البلورة من جديد .

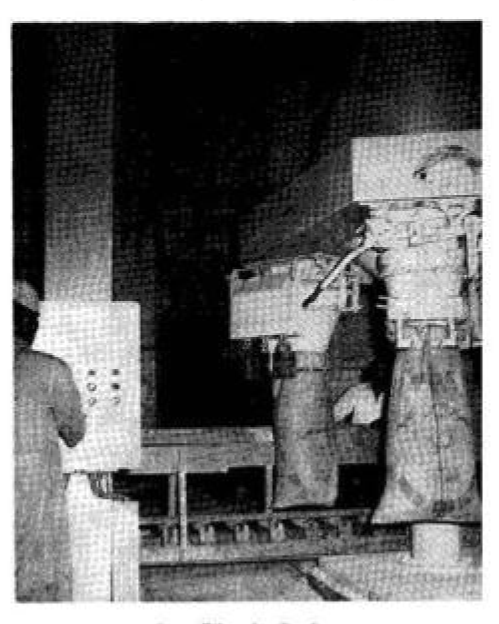
وهكذا

حتى ينتهى الأمر . بسكر متبلور ابيض اللون . اما هذا فيعبأ ويرسل الى الاسواق . وبمولاس فيه نسبة كبيرة من السكر . وهذا المولاس يستخدم لتحضير الكحول منه بتخمير ما به من سكر ، أو بخلطه مع اعلاف الحيوانات طعاما لها .

فهذا هو مجمل صناعة السكر في سائر البلاد عامة .

وفي السودان يعبأ السكر في زكائب تسع الواحدة ١٠٠ كيلوجرام ، وترسل الى مصلحة الجمارك السودانية ، فهى تحتكر تجارة السكر في السودان . وهى تشتريه بسعر أدنى هو ٢٨ مليما للكيلو او بسعر يتفق وفق السوق العالمى ، وتبيعه للمستهلك بسعر ١٤ قرشا سودانيا للكيلو .

وقد سبق ان ذكرنا كيف تتصرف السودان فيما ينتج في المصنع من مولاس .



عملية ملء الاكياس بالسكر ، وتتم اليا .

توزن الاكياس بعد ملئها بالسكر ، ويتسع الكيس الواحد لمائة كيلوجرام .





بقلم : عبد الستار فراج

١ ـ قال الله تعالى «لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريمَ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدُون. كانوا لا يتناهَوْنَ عن مُنكَرٍ فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون.» سورة المائدة ٧٨، ٧٩ وقال أبو صخر الهُذَلي

قد كُنْتُ أحسبنى جَلْدًا فهيّجنى
طيفٌ لها طارقٌ لم يَسْرِ من أممَ (١)

في ما تقدم جاءت «كان» دالّة على الزمن الماضى، حسْبَ صيغتها التى هى فعلٌ ماضٍ. وهذا هو الاستعمال الأكثر فيها، أن تكون في الفعل الماضى للماضى، وفي المضارع للحاضر أو المستقبل.

٢ ـ في القرآن أيضا «ويَخافون يوماً كان شره مُستطِيرا» سورة الإنسان ٧

وقال الطِّرِمّاح في ديوانه ١٤٩.

فإنّىَ آتيكم لأشكُرَ ما مَضَى
من الأمس واستِجْلاَبَ ما كان في غدِ

جاءت «كان» هنا دالّة على الاستقبال، فاليوم الذى يخافونه لم يَسبِقْ مجيئه، وإنما هو سيجيء، ويكون

(١) من امم : من قرب .

شرُّه مستطيرا. وكذلك في بيت الطِّرِمَّاح إنما هو استجلاب ما سيكون في الغد ، وإلاَّ لحدث في الكلام تناقض .

٣ – يقول الله تعالى « إنَّ اللهَ كان توَّاباً رحيما » سورة النساء ١٦ ويقول « وكانَ اللهُ غفوراً رحيما » سورة النساء ٩٦ وفي سور أخر أيضا .

وقال قيس بن الخَطِيم :

وكنتُ امْرءاً لا أسمعَ الدَّهرَ سُبَّةً
أُسَبُّ بها إلاَّ كشفتُ غِطاءَها

جاءت « كان » في هذه الأمثلة دالّة على معنى البقاء والاستمرار الدائم. أي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع ، وهذا الاتصال وذلك الدوام والاستمرار بحسب ما يناسبه ، فهو في جانب الله تعالى إلى ما لا نهاية لأنه مقترن بالحيّ الذي لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه ، وهو في جانب الإنسان مستمر إلى مماته ، وقيس بن الخطيم لم يفتخر بأن ذلك فعلُه في الماضي، وإنما يكشف المَسبَّةَ طولَ حياته .

وفي هذه الأقسام الثلاثة نلحظ أن « كان » هي التي لها اسم وخبر، وتسمى كان الناقصة .

٤ – (أ) « وإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ » سورة البقرة ٢٨٠

(ب) ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

(ج) كان اللهُ ولا شيءَ معه

(د) إذا كان الشتاء فأدْفِئُوني
فإنَّ الشيخ يُهْرِمه الشتاءُ

(هـ) أبْلِغا عنّيَ المُنجِّمَ أنـي
كافرٌ بالذي قَضَتْه الكواكبْ
عالمٌ أن ما يكون وما كا
ن قضاءٌ من المُهيمِن واجبْ

في هذه الأمثلة جاءت « كان » مكتفيةً بفاعل ، كسائر الأفعال غير المتعدِّية ، والدالة على حدث وزمان، وتسمى تامَّة ، ومعناها : وُجِدَ حَضَرَ ، وَقَعَ وحَصَلَ ، ثَبَتَ ، حَدَثَ ، جاء ، وكلها معانٍ متقاربة ومتداخلة ، تفسّر بها « كان » حسب ما جاءت فيه من الجملة .

٥ – « كان » من حيث هي لفظ مؤلّف من الكاف والألف والنون ، الأصل في نونها أن لا تحذف إذا كانت مجزومة ، لأن النون حرف أصليّ من بِنْيَتِها ، كالنون في « صَانَ » و « هَانَ » تقول لم يَكُنْ ولم يَصُنْ ولم يَهُنْ ، وفي القرآن « ولم يكن له كُفُواً أحد » سورة الاخلاص ٤، لكن العرب استعملوا أيضا « كان » محذوفة النون في مضارعها المجزوم ،

وكَثُر ذلك إذا جاء بعدها لفظ مبدوء بحركة : فتحة أو ضمة أو كسرة ، وقلّ إذا كان مبدوءاً بسكون ،وقد وردت في القرآن محذوفة النون في ١٨ موضعا . وكلها بعدها حركة :من ذلك « وإن تَكُ حَسنةً يضاعفْهـا » سورة النساء ٤٠ «ذلك بأنّ الله لم يَكُ مُغَيِّراً نِعمةً أنْعَمَهَاعلى قَوْمٍ حتّى يغيرّوا ما بأنفسهم » سورة الأنفال ٥٣ « فلا تَكُ في مِرْيَةٍ منه» سورة هود ١٧ « ولم أكُ بَغِيّا» سورة مريم ٢٨ « قالوا لم نَكُ من المصلّين. ولم نكُ نُطعم المِسكين »سورة المدثر ٤٣ ، ٤٤ وقال الشاعر :

أَلَمْ أكُ جارَكمْ ويكونَ بيني
وبينكم المودّةُ والإخاءُ

وأمّا التى بعدها ساكن فإن الخَنْجَرِبْنَ صخرِ الأسدىَّ نظر إلى مِرآة فوجد نفسه غيرَ وَسيم الطّلْعة فقال :

فإنْ لا تَكُ المِرآةُ أبدَتْ وَسامةً
فقد أبْدَتِ المِرآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

هذا وقد جاء مضارع كان مجزوما فى القرآن غير محذوف النون ٦٢ مرة ، منها ٤ بعدها ساكن .

٧ ــ وقالوا إن العرب تزيد « كان» في الكلام ، والمقصود بالزائد في اصطلاحهم هو الذى ليس له عَمَلٌ أوليس له معمول ، ولايقصدون أنه لا معنى له البَتّةَ ، فكل لفظ وإن جاء زائدا في الاصطلاح فهو له معنى في سياق الكلام، وتكثر زيادة « كان » وتحسن إذا وقعت في صيغة التعجب . فأنت تقول: ما أحسنَ محمدا . وقد تقول : «ما كانَ أحسنَ محمدا ».إننا نجد « كان» هنا ليس لها اسم ولا خبر . ولاعمل لها ، لكنها في الحقيقة دلّت على معنى زائد على التعجب، وهو أن الباعث على التعجب كان في زمن مضى، بقَطع النظر عن استمراره أو انقطاعه .

٨ ــ وكما تزاد « كان » ولا عمل لها ولا معمول ، فإنها تحذف ويبقى لها عمل ، وفي الحديث « الْتَمِسْ ولوخاتما من حديد » ومعناه ولو كان الملتمس خاتما من حديد. ومن القول المشهور« إن خيراً فخيرٌ ، وإنشراً فشرٌ ». أو إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا».والمعنى إن كان العمل خيرا فالجزاء خير ، أو كان الجزاء خيرا وإن كان العمل شرا فالجزاء شر، أوكان الجزاء شرا . لقد حذفت كان واسمها ، وبقى خبرها .

عبد الستار فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

الأنفلونـزة القادمة من هونج كونج

● لقد انذرنا بها في أنباء الطب والعلم والاختـراع في « العربي » عـدد اول ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٦٨ .

وقد وردت الـوافدة وفق ما قدر العلماء . فقد احتجزت اولا البحارة في جزيرة هاواي وفي سان دياجو ، ثـم انتقلت الى نيدلز Needles بكلفورنيا، ومضت شمالا الى اريجون Oregon ، ثم الى الجنوب الى اوتاه Utah ، ثم الى كولورادو ، وهناك أصابت اعدادا من الناس بلغوا مائة الف .

وبالطبـع انتقلـت الى الولايـات المتحدة بانتقال المرضى اليها من هونج كونج موطن ظهورها الاول . واحسـنا بها هنا في الكويت .

ان هذه الانفلونزة الحاضرة، ومنشأها من الفيروس ، ليست باكثر خطرا من صنوف الانفلونزة الاخرى ، تلك التـي ظلت تفد على اهل الارض في العشر من السنوات الماضية . انها تنزل بمريضها فتورثه الكآبة ثلاثة أيام او اربعة ثـم ترحل . ولكنها تهدد المريض الكبيـر السـن ، وتهدد ذا المرض المزمن .

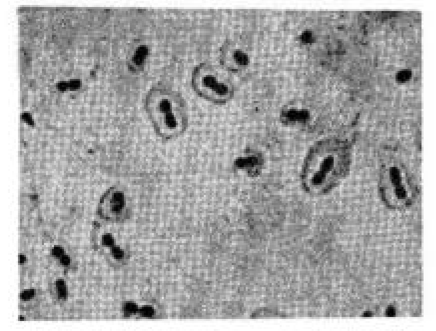
ان مصانع الادوية بدات في تحضير لقاح يحمى من هذه الانفلونزة ، وذلك من سـبتمبر الماضى ، وظلت تعمل ليل نهار في سبيل ذلك . وكان هدفها ان تبلغ بانتاجها ١٧١/٢ مليون جرعة ، وقد بلغتها لا شك في يناير ، وهو الشـهر الذى انتظروا ان تبلغ الانفلونزة فيـه غاية عنفها .

ان الشيء الذي يخشاه الاطباء من هذه الانفلونزة انما هو مضاعفاتها، وذلك بدخـول مرض ذات الرئة الى صـدر المريض. ان ذات الرئة ، او النيومونية، سببها بكتير لا فيروس . وهذا البكتير موجود في كثير مـن الناس ، خبيئا في مجاري انفاسهم . ولكن الرئتين ، على الصحة ، قادرتان على التخلص منه ، اما مريض الانفلونزة فينتهز مكروب ذات الرئة ضعفه ويستفحل .

مثـال ذلـك ان الانفلـونزة اصابت نيويورك عام ١٩٥٧ ، وفي هذا العام دل الاحصاء على ان مرض ذات الرئة زاد بنسبة ٣٠٠ في المائة عن الاعوام السابقة .

فمع معالجة الانفلونزة يجب التحسب لاصابة المريض بذات الرئة ، والاستعداد لذلك. الاستعداد لعلاج مرضين لا مرض واحد .

ميكروبات ذات الرئة تحت المجهر





طعم الدجاج الذي تنشئه المفارخ غير الذي تنشئه المزارع

● كثر هذه الأيام في الأسواق الشرقية الدجاج المستورد . ونسمع ربات البيوت تتحدث عن طعوم هذه الأصناف فتقول ان هذا النوع ، المستورد من كذا ، له طعم الدجاج حقا وصدقا ، اما ذاك الآخر ، المستورد من كذا ، فليس له طعم الدجاج حقا وصدقا ، اما ذاك الآخر ، المستورد من كذا ، فليس له طعم الدجاج اصلا .

وقد شك كثير ممن يسمعون هذا القول في صحة ما ذهب اليه هؤلاء السيدات ، الى ان جاءنا في الأخبار ان هذا الموضوع دخل نطاق البحث العلمي .

فقد تراءى لثلاث نساء من بحاث جامعة وسكنسن Wisconsin مثل ما تراءى لهؤلاء السيدات الشرقيات . لا بد انهن سمعن بذلك من ربات البيوت حولهن ، او لعلهن اكتشفنه من ذات انفسهن فرحن يجربن .

ان أكثر الدجاج يصنع اليوم بالقدر الصناعي الكبير في مصانع هائلة هي غاية في الطهارة ، لا يكاد ان يدخلها مكروب ، من يوم أن تسقط البيضة من امها ، الى يوم أن تفقس ، الى ان يخرج منها الفرخ فيترعرع ويكبر ، في حظائر قامت

الرئيس نكسن والأبحاث العلمية

● قال الرئيس الامريكي الجديد : ان البحوث العلمية لا يمكن تنشيطها ثم تثبيطها ، كما يفعل الانسان بصنبور الماء ، يفتحه ويغلقه ، وهو بالفتح من بعد غلق يعطيك نفس القدر من الماء .

ان البحوث العلمية التى تثبط ، ثم يعاد تنشيطها ، لا تبدأ من النشاط بالقدر الذى عنده تركته . ان حبس المال عن البحوث يشتت الباحثين، لا سيما أولئك الذين اكتشفوا خبرة لا تعوض في بحوثهم التى هم فيها . وحبس المال يغلق دورا للبحث ليس من السهل فتح أبوابها من بعد اغلاق . واغلاق دور البحوث حرمان للجيل الصاعد من الشباب من التدرب على البحوث وصنع نفسه وبناء مستقبله .

الحجب بينها وبين العالم الخارجي حتى لا يدخلها التلوث المكروبي ، فيكون منه تلوث بوباء يقضي على الالوف المؤلفة من الطير .

علم هؤلاء النساء الثلاث هذا .

فقمن بتربية ثلاثة صنوف من الدجاج .

الصنف الأول مطهر لا يمسه مكروب من يوم تفقسه الى يوم اعداده للمائدة .

الصنف الثاني مطهر ، الا من ٣ اصناف من المكروب المربى في مختبر المكروبات ، بقصد ادخاله الى امعاء هذا الدجاج ، علّه يصنع فيه تلك المواد التى تعطى للدجاجة ذلك الطعم الذى هو بالدجاج خاص ، وله دليل ، تماما كما يصنع المكروب في الامعاء للطير ما يحتاجه من فيتامينات .

والصنف الثالث،دجاجات غير مطهرة، اطلقن لها العنان في مزرعة تجرى فيها على هويتها ، وتقتات وفق شهيتها .

ولما استوت الدجاجات على الموائد ، وحضر المحكمون والمحكمات ، وهم وهن لا يدرون من اى صنف يأكلون ،استبانوا ان الصنف الثالث الأخير ، الذى اطلق له العنان في المزرعة ، ولم يحظ بوسائل التطهير من المكروبات ، هو الذى فاز بالطعم الدجاجي دون الصنفين الآخرين .

اذن فالمسألة ليست وهما كما يظن بعض الناس .

ومن يدرى . فلعل هذا ينطبق على الانسان . فلعل الانسان الطاهر المطهر الذى لم يصبه دنس في الحياة لكثرة الحيطة حوله بنشأ وقد فقد الكثير من الطعوم الانسانية ! من يدرى . . !

آمال جديدة

● ان العضو بالجسم قد يصيبه الخلل ، ومع هذا لا يؤدى خلله الى توقف الجسم وتوقف الحياة بناء على ذلك.

يستثنى من ذلك الكليتان . صحتهما ضرورية للحياة .

ان عشرات الالوف من مرضى الكلى تموت في العام. وهؤلاء جازت لهم الحياة لو ان الظروف مكنتهم من استخدام الكلية الاصطناعية ، تلك التى وصفناها في صفحة الطب المصور بعدد « العربى » لأول ديسمبر عام ١٩٦٨ ، ولكن مع الأسف الشديد،هذه الكليات الاصطناعية ليس منها في المستشفيات العدد الكافي . وان وجد منها العدد الكافي فليس في المستشفيات الأيدى الكافية التى مرّنت على استخدامها . فالاحصاء يدل على ان كل عشرة من المرضى الذين يحتاجون الى كلية اصطناعية لايحصل منهم على واحدة غير واحد .

ثم تظهر في عالم البحوث الطبية طريقة للخلاص جديدة .

انها طريقة كيماوية هدفها اعدام مادة البولينة Urea التى هي المادة الأولى التى تعجز عن فصلها الكلية المريضة من الدم ، واذن فهى تدور في الدم وتزداد نسبتها فيه ، فيكون الموت.

اما طريقة ذلك فكبسولة يبلعها المريض، كل بضع ساعات في اليوم ، وهذه الكبسولة بها مادتان على الأخص ، مادة تسمى اليورياز Urease ، وهى مادة تحلّ اليورية اى البولينة فتقلبها الى نشادر وغاز الكربونيك . وفي الكبسولة راتنج يتشرب بالنشادر الناشيء من حلّ البولينة .

والتخلص من البولينة على هذا النحو

لمرضى الكلَى

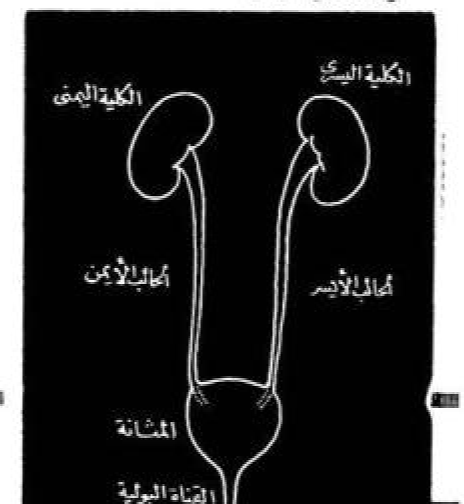
يحدث عندما تتخلل البولينية جدار الكبسولة الى داخلها .

اما التخلص من الراتنج والكبسولة بعد ذلك فسهل ، فهما يخرجان مع الافراز .

انها طريقة كيماوية هدفها آخر الأمر ان تقوم مقام الكلية الطبيعية ، أو الكلية الاصطناعية في عملها .

فقد أعلن الدكتور روبرت اسبارك Robert Spark ، منذ ثلاث سنوات قضاها في البحث ، عن نتائج مشجعة من محاولات له اولية لتجهيز كبسول يبلعه المريض ، يقوم بدور الكلية المريضة في عملها في الجسم . وما ذلك العمل الا تخليص الجسم من نتائج احتراق الأغذية فيه، وتلك هي على الأخص المواد الثلاث : البولينة Urea والكرياتنين Creatinine وحامض البوليك Uric Acid .

والدكتور اسبارك مهندس كيماوي ، وهو يعمل مع الدكتور الجيرد لندان Olgierd Lindan وهو طبيب . وهما معا توصلا الى عمل ذلك الكبسول الذى يقوم مقام الكلية . وهما سيقومان في المستقبل القريب، بتجربيه في الحيوانات والانسان معا .



انهما يستعملان بالونات من النيلون وقطر البالون نحو ١١/٢ من المليمترات . وبالبالون الأنزيم الذى يفعل في مادة البولينة ويحيلها الى غاز النشادر وغاز الكربونيك، ذلك الانزيم المسمى باليورياز Urease . وبالبالون مواد كيماوية اخرى متفاعلة ، وكذلك راتنج . فاذا بلع الانسان البالون ذهب الى جهازه الهضمى . وفي الجسم يلتقى البالون بالبولينة فتدخل اليه عبر جدرانه فيحلها الانزيم الى نشادر وغاز الكربونيك كما سبق ان ذكرنا . ويحبس الراتنج النشادر وبه يخرج من الجسم .أما غاز الكربونيك فما أيسر ما يتخلص منه الجسم .

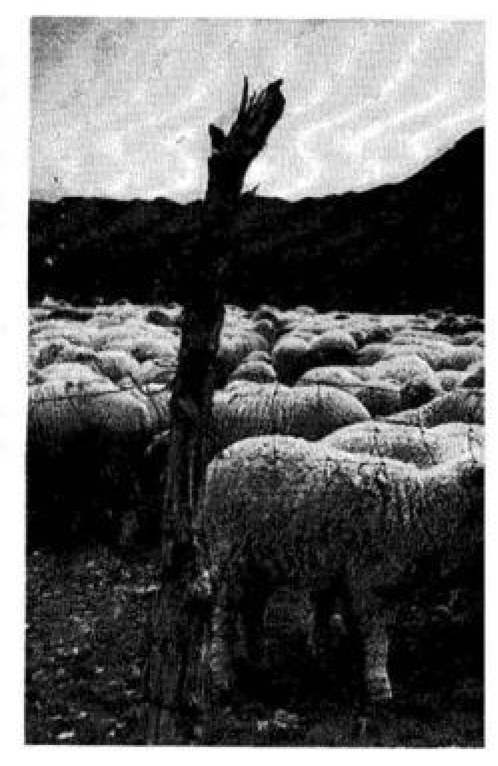
ويقول رئيس المعهد الذى تجرى فيه هذه البحوث ان البالون سيكون جاهزا للاستعمال بعد ٣ سنوات أو خمس . وعندئذ يتعاطى المريض بالكلَى بعضا من هذه البالونات في اليوم ليتخلص جسمه عن طريق الكيمياء من سموم المرض وهى قاتلة .

والآن يحتاج المريض بالكلى الى استخدام الكلى الاصطناعية ليلتين اوثلاث ليال في الاسبوع ، ولكن عند نجاح هذه الكبسولات سوف لا يحتاجها هذا المريض لأكثر من مرة واحدة كل أسبوعين .

وقد تستخدم هذه الكبسولات في تقصير مدة العلاج بالكلية الاصطناعية . وعندئذ يمكن النزول بمقدار السائل المستخدم فيها من نحو ٤٠٠ لتر الى ١٠ او ١٥ لترا ، وبذلك ننزل بحجم الجهاز . وقد ينتج عن ذلك ابتداع اجهزة صغيرة يستطيع المريض ان يستخدمها بنفسه في بيته .

انها طريقة كيماوية جديدة، لو نجحت فقد تفتح الابواب واسعة لعلاجات اخرى، مثل استخلاص ما قد يكون تناوله المريض من دواء قاتل اذا هو تناول منه فوق الجرعة المسموح بها فتعرضت حياته للخطر .

لا الكيّ بالحرارة العالية ولكن بالحرارة الواطئة



● جرت عادة رعاة الأغنام والأبقار والماشية عامة ، انهم يَسِمون مواشيهم بميسم يدل عليها ، فيدل على اصحابها اذا هي اختلطت بغيرها . وطريقة ذلك المعهودة هي كيها بالحديد بعد احمائه في النار . فالذي ينتج عن ذلك الم الماشية اولا ، ثم افساد جلدها فلا يصلح بعد ذبحها للدبغ . وشيء ثالث ، هو ان الشعر ينمو من حول الكيّة فيطمس معالمها .

وقد ابتدعوا طريقة للكي ، ولكن بعود من حديد ينزلون بدرجة حرارته الى درجة ٧٠ تحت الصفر المئوى .

وفوائد هذه الطريقة عدة . منها ان الماشية لا تكاد تحس بها . ومنها ان الشعر ينمو في هذا الموضع من الجلد ، ولكنه ينمو ابيض اللون ، واذن فهو يظل على خلاف لون شعر الماشية فتسهل استبانته . ومنها بالطبع ان الجلد لا يزال صالحا للدباغة وما يأتي بعدها من تصنيع .

الفيروس يسبب الداء السكرى في بعض الحيوانات

● لم يكن سبق ان ثبت ان بعض الأمراض المعدية تسبب داء السكرى . حتى تشر خبر منذ وقت قريب بأن طبيبين عالميين اصابا طائفة من الفئران بنوع من الفيروس المسبب مرض التهاب المخ والعضل القلبي Encephalo - Myocarditis فحدث ان اصيبت هذه الفئران بداء السكرى ، وارتفعت نسبة السكر في دمها ، وظلت مرتفعة حتى بعد ان شفيت من الداء الفيروسي ، ظلت مرتفعة احيانا بضعة ايام ، واحيانا عدة اشهر .

والذى وقع ان الفيروس اصاب تلك الجزائر الصغيرة الموجودة في بنكرياس هذه الفئران ، وهي التى تصنع الأنسولين ، فاختل صنعها اياه . واحتاجت الى وقت غير قليل لتصح حتى بعد ذهاب الداء الفيروسي نفسه .



بقلم : علي أدهم

■ يقترن اسم خرستوف كولمب بمغامرة من اعظم المغامرات التاريخية التي عرفها البشر ، وسجلها التاريخ ، وكان لها اثرها في تطوير الفكر وتقدم الحضارة .

نشأته

ويحيط الغموض باصل هذا الرجل العظيم الذى قام بهذه المغامرة ، ففي بعض الروايات انه ولد سنة ١٤٥٣ وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في يد الاتراك العثمانيين، وفي رواية اخرى انه ولد سنة ١٤٤٦ في جنوا ، ويزعم بعض مؤرخي سيرته انه ولد في اسبانيا ، وانه ابن دومينيكو كولومبو Domenico Colombo الذى كان نساجا في جنوا ، وفي بعض الروايات ان اسرته من اليهود الاسبانيين الذى دخلوا في الديانة المسيحية ، وانه كان يحاول اخفاء ذلك ، والمرجح انه ايطالي من اصل اسباني، وكان يدعى انه من سلالة الكونت كولمبو Count Colombo ليلحق نفسه بطبقة النبلاء .

وركبت اباه الديون وحبس من اجل ذلك واضطر ذلك خرستوف الى ان يعمل تاجرا متجولا وعميلا لبيت من البيوت التجارية الكبيرة في جنوا ، وهي شركة دى نجرو وسبنولا Di Negro & Spinora وفي سنة ١٤٧٦ أبحر الى انجلترا لتوزيع بعض منسوجات الشركة المذكورة، فهوجمت سفن جنوا عند رأس سنتت فنسنت بالبرتغال ، وحرقت ثلاث سفن ، واخذ البرتغاليون السفينة التي كان بها خرستوف الى لشبونة ، وكان في لشبونة فرع للشركة التي يعمل بها ، وتمكن هو بعد ذلك من الابحار الى انجلترا ، وعاد في السنة

التالية الى لشبونة يعمل فى مخازن شركة نجرو Negro وزار جزائر كنارى Canaries وماديرا Madeira .

ساد في عصر كولمب ان الارض كرة

وكثيرا ما يردد ان الفكرة التى كانت غالبة على اذهان الكثيرين فى ذلك الوقت هى ان الارض منبسطة وانها غير كروية الشكل ، وان المحيط الاطلسي حافل بالجان والشياطين ، وان خرستوف كولمب هو الذى وضع حداً لهذه الخرافات الشائعة ، ولكن الواقع ان ربابنة السفن والتجار المغامرين والعلماء والملاحين الذين كان يخالطهم خرستوف لم يكونوا يعتقدون ان الارض منبسطة وكانت فكرة ان الارض مستديرةاخذت فى الذيوع.

وقد ظل خرستوف طوال حياته يعتقد ان ليس فى الدنيا سوى اوروبا وافريقية وآسيا ، وغلب عليه الاعتقاد انه يمكن الوصول الى آسيا اذا اتجهت السفن فى الناحية الغربية لبلاد البرتغال.

وقامت كشوف جغرافية سبقت قيامه هو

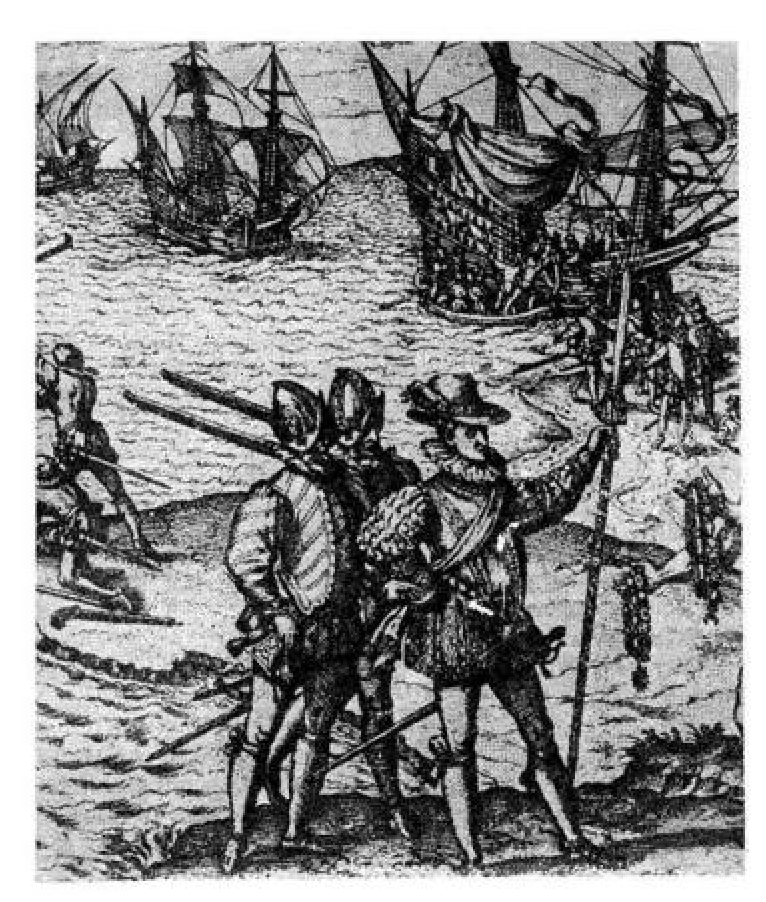
وكانت المدن الشاطئية فى البرتغال واسبانيا ملاى بكثيرين من الملاحين الراغبين في المغامرة واقتحام المجاهل ، وحياة خرستوف من هذه الناحية تعبر عن روح العصر واتجاهه ،وقبل رحلة خرستوف باربعة اعوام وصل الرحالة البرتغالي برتلميو دياز Bartholomew Diaz الى راس الرجاء الصالح ، وعاد الى البرتغال بعد ان رأى الطريق الموصل الى الهند ، وكان الى جانب الكشوف الجغرافيةالتى عرفتكشوف اخرىتعرفها بعض الشركاتالتجارية الكبيرة وتحتفظ باسرارها، وقد وضعت بعض الخرائط الجغرافية بناء على المعلومات المستمدة من الربابنة والعاملين فى تلك الشركات ، وفي رواية ان خرستوف وهو يقوم بمساعدة ابيه فى توزيع منسوجاته فى النواحي القريبة من جنوا لقى العالم الفلورنسى بيترو توسكانيللى Pietro Toscanelli وكان هذا العالم قد قام بعمل خريطة اوضح بها جزيرة كوبا تحت اسم انتيليا Antilia .

كانت قوة الاتراك فى الشرق حافزا للناس عامة بفتح طريق الى آسيا من الغرب

والواقع ان الحافز الحقيقي وراء الحركة الكشفية ، ذلك الحافز الذى كان يوقد الحماسة ويستنهض الهمم الى المغامرة والبحث عن طريق آخر للشرق كان هو تزايد قوة الاتراك العثمانيين، فقد سد ذلك الطريق الى الشرقمن ناحية الشرق في وجوه الايطاليين ، وكان لذلك اثره في تناقص الذهب وتزايد الحاجة الى التوابل والبهارات ، كما اشتدت الحاجة الى المال للقيام بحملة شعواء لايقاف تقدم الاتراك ، ومقاومة الاسلام ، وكان معنى النجاح فى الرحلات الكشفية الابقاء على سيادة اوروبا ، وفتح الطريق الى الاسواق فى الشرق الاقصى ، ولذلك كان الملاحون والعاملون فى الشركات التجارية شديدى الاهتمام بالكشوف الجغرافية ، دائمى التفكير فيها ، ومن ثم كان من الخطأ تصوير خرستوف كولمب على انه الوحيد من بين رجال عصره الذى عنى بكشف طريق جديد للهند والصين .

تزوج من أسرة برتغالية نابهة توسلا الى هدفه

وقد رأى خرستوف ان يرتبط باسرة لها مكانتها لتمكنه الصلات العائلية من تحقيق غرضه الذى ملأ شعاب نفسه ، واصبح عقيدة ملازمة له وهو امكان الوصول الى الشرق الاقصى منالناحية الغربية ، وتزوج من سيدة ميسورة ولقومها مكانة فى المجتمع البرتغالى ، وكان لوالد زوجته مكتبة حافلة بكتب الرحلات انتفع بها خرستوف ، ووردت اشارة في احد تلك الكتب الى ان هناك بين اسبانيا والهند بحرا صغيرا يمكن ان تطوى مسافته فى ايام قلائل ، وكان هناك رواية وهي ان سبعة من الاساقفة هاجروا من اسبانيا حينما استولى العرب على الاندلس وذهبوا الى انتيليا Antilia وانشاوا بها سبعمدن،وقام البرتغاليون بمحاولات كثيرة للوصول الى تلك المجموعة من الجزر التى اطلق عليها اسم انتيليا .



خرستوف كولمب ـ كما تخيله الرسام ـ عندما هبط الى احدى جزر البهاما والتى أسماها سان سلفادور وتعرف الآن باسم جزيرة « وتلنج » . وقد قام كولمب بنشر العلم الاسبانى واقامة صليب كبير على أرض الجزيرة . وقد ظن كولمب أنه وصل الى جزائر الهند ، ولم يدر أنه قد كشف قارة جديدة .

ومثل بين يدى ملك البرتغال ليحظى بتأييده

وتمكن خرستوف عن طريق اسرة زوجته من المثول بين يدى جوا الثانى Joao II ملك البرتغال ، وكان خرستوف طويل القامة ساطع اللون مشرقه ، له شارة وهيئة حسنة ، وقد اسرع الشيب الى فوديه ، وكان يتحدث في هدوء واناة ويتحاشى الاطالة في الحديث ، ويتحرى الجد ، ولايعرف الهزل ، ويعرف متى يلوذ بالصمت ،ومن العجيب في امره انه كان يجد من السهل اليسير ان يدخل البهجةعلى نفوس الملوك والعظماء بحسن حديثه وبارع اشاراته ، ولكنه لم يكن موفقا في اكتساب ثقة الطبقات الادنى والظفر بتقديرها وولائها . وكان الملاحون الذين صحبوه في رحلاته يمقتونه ويزدرونه ، وقد اصغى الملك جوا لحديثه بانتباه شديد واحترام ، ولكن الشروط التي كان يقدمها خرستوف لم يكن من السهل قبولها والنزول على حكمها .

شروط مسرفة اشترطها كولمب لما يكشف من ارض رفضها ملك البرتغال

كان يطلب ان يكون اميرا للبحر ، وواليا على النواحي التي يكشفها ، وان يكون له عشرة في المائة من تجارتها ، وان يكون له سلطة اختيار الحكام ، وان يكون ذلك كله وراثيا في اسرته ، ومعنى ذلك كله ان يكون شريكا للدولة في سيطرتها ولم يقبل خرستوف التنازل عن هذه المطالب او المساومة فيها ، وكانت هناك سوابق لرحلات كشفية ، ولكن لم يتقدم احد القائمين بها بمثل هذه المطالب المسرفة . ولم يكن هناك في مكانة خرستوف الاجتماعية ولا في ماضيه في الملاحة ما يسوغ التساهل في قبول مطالبه ، فقد كانت

قيادة السفن في عصره لايعهد بها الا لابناء الطبقة العالية ، وهويريد ان يقود اسطولا لا سفينة واحدة . كما ان مطالبته بان يفوض اليه اختيار الحكام معناه ايجاد سلطة منافسة لسلطة الدولة، ولذلك رفض الملك مطالبه ولكن في ادب وترفق .

كولمب يخرج من البرتغال الى اسبانيا

وفي بعض الروايات ان مستشارى الملك حرضوه على ان يستمع الى حديث الرحالة الجنوى ، ولايعطيه ردا قاطعا ويتركه في انتظار الاجابة ، وعلم خرستوف ان رجال الحاشية ارسلوا سرا بعض السفن لبحث المشروع ،واتجهت السفن غربا ، وواجهتها عاصفة شديدة اضطرتها الى ان تعود ادراجها ، واغضب ذلك خرستوف وحمله على الخروج من بلاد البرتغال والاتجاه الى اسبانيا ، وعرض الامر على الملك فرديناند صاحب ارجون والملكة ايزابلا صاحبة قشتالة ، وكانت زوجته قد توفيت في سنة ١٤٨٤ فاخذ معه الى اسبانيا ابنه ديجو Diego وكانت السنوات السبع التالية من اشد السنوات قسوة فيحياته، فقد كان يتحرق شوقا الى تنفيذ مشروعه ،وبرغم ان بعض الاعيان لم يحفلوا بمشروعه وسخروا من مطالبه الا ان بعض ذوى الحظوةوالنفوذ في البلاط الملكي اعاروه اذنا صاغية ، وعلى رأسهم دون سيدونيا Sedonia وكان أوسع الاسبانيين ثراء، ولكن الملك والملكه كانا حينذاك مشغولين بمحاولة القضاء على الولاية الاسلامية الباقية للعرب في اسبانيا وهي ولاية غرناطة ، وقد اوصى دوق سيدونيا صديقه وابن عمه دوق سيلي Celi خيرا بخرستوف وان يشمله برعايته ، وافق دون سيلي على مشروع خرستوف ، ولكن مطالبه المنشودة وقفت عقبة في الطريق ، وبذل خرستوف بعد ذلك جهده في محاولة لقاء الملكة ايزابلا ،وتمكن من مقابلة الملك والملكة ولكن مطالبه المغالية ظلت عقبة كأداء

التقاء كولمب بأحد الامراء فتح الطريق له

وفي احدى زياراته لثغر بالوس Palos لقى مارتن الونزو بنزون Martin Alonzo Pinzon وهو احد امراء اسرة تملك مجموعة من السفن وتعد من الاسر الثرية القوية ، وكان مارتن نفسه يتطلع الى القيام برحلة كشفية ،وله دراية واسعة بشؤون الملاحة ، وكان قد عقد العزم على القيام بالرحلة الكشفية قبل لقائه لخرستوف ، فلما التقيا تم الاتفاق بينهما ، واعطى مارتن خرستوف نفقات رحلته الى البلاط الملكى .

عندما سقطت غرناطة ، آخر معقل للعرب في اسبانيا ، تحقق حلم كولمب

وفي يناير سنة ١٤٩٢ سقطت غرناطة وهي آخر قلعة للعرب وللاسلام في الاندلس ، وضمتها فرديناند وايزابلا الى املاكهما ، واخذت ايزابلا في العمل على محو آثار الحضارة الاسلامية في الاندلس، ولاحت الفرصة لخرستوف ، وتحمست الملكة ايزابلا لمساعدته ، واعلنت انها مستعدة لبيع مجوهراتها وحليها لاعداد المال اللازم للرحلة ، واقرت منحه لقب امير البحر ، وبدا ان حلم حياته قارب التحقيق ، وكان خرستوف حينذاك قد بلغ السادسة بعد الاربعين واشتعل الشيب في راسه

ابحار كولمب بسفنه الثلاث

واعدت اخيرا سفن للرحلة ثلاث ، في مقدمتها السفينة سانتاماريا Santa Maria للقيادة، وكانت حمولتها مائة طن ، وبها مايشبه القلعة في المؤخرة وجزء مرتفع في المقدمة . وكان من الصعب اغراء الملاحين بالاشتراك في الرحلة ، لان بعضهم لم يكن لهم ثقة بهذا المغامر القادم من جنوا . وكانت السفينة الثانية بنتا Pinta اقل حجما وحمولة من السفينة الاولى ، والسفينة الثالثة هي السفينة نينا Nina وكانت حمولتها لا تتجاوز اربعين طنا .

وفي اليوم الثالث من اغسطس سنة ١٤٩٢ ابحرتالسفن الثلاث في هذه المغامرة غير المسبوقة، والتي كانت السفن تشق فيها عباب البحر بعيدا عن رؤية الشاطيء ، واتجهت السفن الثلاث الى جزائر كنارى ، وابحرت منها موغلة في احشاء المحيط الاطلسي . وبعد مرور ايام دون ان تظهر لهم الارض اخذ يستولى الرعب على نفوس البحارة ، وتضاءل ثقتهم بخرستوف ويضعف

املهم فى النجاة ، وراوا بجعتين محلقتين فى السماء مما يدل على الاقتراب من الارض ، ولكن مرت ايام وازدادت اخلاق الملاحين سوءا ، واشتد تذمرهم ، وفى اليوم التاسع من شهر اكتوبر تجدد الامل فى القلوب فقد سمعوا حفيف اجنحة الطيور فى هداة الليل وسكون الرياح .

فى مساء اليـوم الحادى عشر رأى كولمب والبحارة اضواء الشاطىء

وفى مساء اليوم الحادى عشر راوا ضوءا يشع من بعيد ، ويمكن رؤيته من الجزء الاعلى فى ظهر السفينة سانتاماريا ، ولما اشرقت الشمس ظهر الشاطىء على مسافة بضعة اميال جليا واضحا ، فشرع الملاحون يتغنـون بالاناشيد الدينيـة ، والكثيرون منهم مسحوا دموعهم ، ونزل خرستوف ومعه بنزون Pinzon وشقيقه فى مركب شراعية صغيرة وجدفوا الى الشاطىء ، وحمل خرستوف السلاح تحت عباءته الارجوانية ووثب الى الشاطىء ولكن سكان الجزيرة حينما راوا هؤلاء الغـرباء لاذوا بالفرار وهم عرايا . ونشر خرستوف العلم الاسباني المطوى ، واقام صليبا كبيرا ، وسجـد شكرا لله الذى توج رحلته بالنجاح ، واسـمى الجزيرة « سان سلفادور San Salvador وهى احدى جـزر البهاما Bahama وتعـرف الان باسم جزيرة وتلنج Watling .

وخال خرستوف انه قد وصـل الى جزائر الهند ، وانه وجد طريقا من المغرب الى كاثاى Cathay التى وصل اليها الرحالة ماركوبولو من الشرق ، ولم يدر انه قد كشف قارة جديدة وقد طوى بالسفن الثلاث اكثر من ثلاثة آلاف من الاميال دون ان يرى الارض ، وهي محاولة غير مسبوقة فى تاريخ الرحلات الكشفيةوغير الكشفية.

كولمب يتنقل بين الجزر

وراى ان اهل الجزيرة يشبهون سكان جزائـر الكنارى ، وانه من السهل حملهم على الدخول فى الديانة المسيحية ونوى ان يحمل معه فى عودته الى اسبانيا ستة منهم ليعلمهم اللغة الاسبانية ، وانهم سيكونون عبيدا صالحين .

واخذ يتنقل من جزيرة الى جزيرة باحثا عن الذهب ، ومؤملا ان يجد كاثاى ، فقـد حمـل رسالة من الملك فرديناند الى الخان الاعظـم ، وكان جمال المناظر الطبيعية فى تلك الجزر مـن بواعث الابتهاج والغبطـة فى نفس خرسـتوف وصحابته . ومن اقواله « تغريد الطيور فى تلك الجزائر يجعل الانسان غير راغب فى الارتحـال عنها ، واسراب الببغاوات تكاد تحجب ضـوء الشمس » ، وبدا له ان جزيرة كوبا هي الجنة التى وعد بها المتقون ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يغفل عن البحث عن الذهب والتوابل وهو يسرع فى التنقل بين الجزر المتقاربة .

كبرى السفن الثلاث ترتطم بالصخور

وابتعدت السفينة بنتا Pinta التي كان يقودها مارتن بنزون Pinzon تبحث عن الذهب ، وساء ذلك امير البحر ، وحدثت كارثة احزنته ، فقد ارتطمت السفينة سانتاماريا فى شـعاب وصخـور على مقربة من جزيرة هيتى Hayti واضطـر خرسـتوف وسـائر البحـارة الى مغادرتها ، ولاذ بالسـفينة نينا Nina ولكنهـا كانت صغيرة لا تحمل البحارة جميعهم ، وصنع خرستوفوبحارته حصنا صغيرا فى الجزيرة التي وجد من ملكها ودا وترحيبا وترك بها مستعمرة صغيرة من الاسبانيين .

فى طريق العودة

وفى اول يناير سنة ١٤٩٣ استعد لرحلة العودة الى اسبانيا ، وكانت السفينة بنتا قد عادت اليه ، فصحبها معه ، ومرت اسابيع والريح رخاء والجو صحو ، ثم تغير الحال فثارت الريح ، وهبت عاصفة هوجاء ، واشتد هدير البحر ، وعلت غواربه ، ومرت ايام وليال عانت البحارة فيها الشدة واختفت السفينة بنتا فجاة ، واشتد عصف الريح وطغيان الموج وتعرضـت السفينـة نينا للخطر الشديد ، ويئس الملاحون من النجاة ، وخشي خرستوف ان تغرق السفينة ولا تصل اخبار رحلته الكشفية الى اسـبانيا ، فتناول رقا ، وبذل اقصى جهده ليسجل فيه موجزا عن رحلته والامواج تتلاعب بالسفينة ، ولف الرق فى قماش مشمع ، ووضعه فى برميل فارغ ، والقى به فى مياه المحيط ، واخذ يصلىويتوسل.

عودة كولمب الى اسبانيا

واخذ الجو يصفو وبدات العاصفة تهدأ ، وفي اليوم الثامن عشر من شهر فبراير وصلت السفينة الى جزائر ازوريس Azares ، واستراح خرستوف بها قليلا من وعثاء الرحلة ولم يطل الاقامة لانه كان حريصا على الاسراع في العودة الى اسبانيا ليعلن الانباء السارة ، وفي اليوم الثالث من شهر مارس اشتد عصف الريح ، وثارت زوبعة شديدة الوطأة واشتد رعب الملاحين ، ولكنهم صبروا وجاهدوا حتى وصلوا الى مصب نهر تاجة Tagus وذاعت اخبار وصول خرستوف وتاقت الجماهير الى مشاهدة السفينة الصغيرة التي شقت عباب المحيط الاطلسي وعادت سالمة برغم الاخطار الماحقة والصعاب المتلاحقة ، وجاء الرحالة برتلميو دياز Bartholomew Diaz الى السفينة نينا ، والتقى وجها لوجه الرجلان اللذان قاما باعظم رحلتين في القرن الخامس عشر ، ورحبت اسبانيا بامير البحر العائد من الرحلة الظافرة ، والرجل الذى كشف المجهول وحقق حلمه ، وبعد ان مر في شوارع مدينة اشبيلية في موكب سار فيه ستة من سكان الجزر التي كشفها ، وحملت فيه الببغاوات والطيور الغريبة الالوان ، وقد امتطى صهوة جواد يحف به فرسان من الاسبانيين ، وقد اطلت الناس من نوافذ المنازل واسقفتها ليروا الرحالة العظيم ، تقدم من اشبيلية حتى برشلونة محفوفا بالاعجاب والاكبار، وتلقاه الملك والملكة مرحبين معجبين ، ولم تعتقد اسبانيا وحدها بل اعتقد العالم المتحضر جميعه ان خرستوف كولمب قد كشف الجزائر القريبة من شاطىء آسيا والتي لا تبعد كثيرا عن بلاد الخان الاعظم ، وقد ظلت تلك الجزائر حتى اليوم تحمل اسم جزائر الهند الغربية .

رحلة كولمب الثانية

وبعد وصوله اسبانيا بستة اشهر بدأ رحلته الثانية ، وكان الاسطول المصاحب له قد اتم استعداده في سبتمبر سنة ١٤٩٣. وكانت السفن الثلاث الكبيرة تبلغ حمولتها اربعمائة طن ومعها اربعة عشر زورقا ــ واشترك في هذه الرحلة الكثيرون من الاسبانيين من اعلى طبقات المجتمع الاسباني طمعا في ثروة جزائر الهند ، وصحب خرستوف في هذه الرحلة اخوه جيمس وراهب بندكتيني اختاره البابا ، وحمل معه بذور البرتقال والليمون وخيلا وبقرا واغناما وماعزا وصنوفا من الفاكهة والخضراوات .

ووصل الاسطول الى الجزائر الغربية في اليوم الثالث من شهر نوفمبر ، وكشف جزيرة جديدة اسماها دومنيكا ، ثم اتجه الى جزيرة هيتي Hayti ، التي ترك بها المستعمرة الاسبانية الصغيرة ، ومر خلال ذلك بجزائر اسماها جواديلوب Guadeloupe وسان مارتن San Martin وسانتا كروز Santa Cruz ومر كذلك بجزيرة بورتوريكو Porto Rico ولكنه حينما وصل الى جزيرة هيتي لم يجد اثرا للاسبانيين الذين تركهم بها ، فقد نكبت المستعمرة ، وقتل الاهالي المستعمرين ، واختار خرستوف بقعة اخرى وانشأ مدينة اسماها ايزابلا .

وحدثت خلافات ومشاحنات بينه وبين اعيان الاسبانيين الذين صحبوه ولكنه برغم ذلك حاول القيام برحلة كشفية للاهتداء الى كاثاي ، ولكنه بدلا من العثور على كاثاي وجد جزيرة جميكا Jamaica وكان لا يزال على اعتقاده انه قريب من بلاد الخان الاعظم ، وكشف شواطىء كوبا دون ان يتبين انها جزيرة ، وتنقل بين مجموعة الجزائر المتقاربة ، ومرض مرضا شديدا ، فقد اصابته الحمى ، وحمله رجاله الى مدينة ايزابلا ، وشفي من مرضه ليجد التذمر قد ساد المستعمرة.

كولمب يعود الى اسبانيا لينفي عن نفسه مقالات السوء

وارسل الاسبانيون اخبار سوء عنه الى اسبانيا، فعقد العزم على ان يعود الى اسبانيا ليدحض اقاويل السوء ، وينفي عن نفسه ما وجه اليه من التهم .

وفي يونيو سنة ١٤٩٦ وجد نفسه في ميناء قادس Cadiz وتجمعت الناس لتحية الرحالة الكبير ، ولكنه كان في هذه المرة لا يتقدم بين بحارة قد غمرهم السرور حاملين اسلاب جزائر الهند الغربية ، وانما كان يسير بين رجال قد نال منهم المرض ، وبدت عليهم مظاهر البؤس ، وسوء الحال .

رحلته الثالثة

وبعد ان قضى سنتين في اسبانيا عاد ليقوم

برحلته الثالثة ، وكان معه فى هذه الرحلة ست سفن ، وحاول ان يتجه اتجاها جنوبيا غربيا املا ان يجد ارضا في جنوب جزائر الهند الغربية ووصــل الـى جزيـرة ترينيـداد Trinidad المواجهـة لشاطىء امريكـا الجنوبيـة ، ورأى الملاحون شـاطىء امريكـا الجنوبية ، فخـالوه شاطىء احدى الجزائر ، واسرع خرستوف الى جزيرة هيتي ، وكان قد ترك اخاه حاكما بها في اثناء غيابه ، ولكن الاحوال لم تكن على ما يرام في المستعمرة .

كولمب يوضع في القيد بأمر الحكومة الاسبانية

ولم‌تحسن الاحـوال بمجيء خرســتوف ، ولم يكـن الرجـل ممـن يحسـنون الادارة ويجيدون السياسة ، وعمت‌الشكوى منه ووصلت الى الحكومـة الاسبانيـة ، وارسلت الحكومـة الاسبانية موظفا كبيرا مزودا بالسلطة التامة ، فامر حين قدومه الجزيرة بوضع خرسـتوف فى القيد ، وحمله فى سفينة الى اسبانيا ، وحزنت الملكة ايزابلا حينما رأت الرحالة العظيم الذى جلل الشيب راسه ماثلا امامها وقد بدت عليـه مظاهر البؤس والشقاء ، فاعلنت رضاءها عنه . وردت اليه اعتباره ، واعطت له سفنا ليقـوم برحلته الرابعة .

رحلته الرابعة

ولكن المحن التي قاساها والاهوال التي عاناها نالت من قوته وصلابته ، ولم يكن له من القوة الجسدية ما يمكنه من‌احتمال متاعب هذه الرحلة الرابعة ، وقد وصل سالما الى شاطىء هندوراس Honduras وبحث عن المضايق التي اعتقد انها لا بد ان تكون موجودة ولكنها لم تكشف الا بعد ثمانية عشر عاما فى الرحلـة التي قام بهـا الرحالة الكبير ماجلان Magellan واحضر لـه اهالى المنطقة جوزة الهند التي عرفها الاسبانيون لأول مرة ، كما احضروا له بضـائع مـن ارض بعيدة تدل صناعتها على حضارة عالية ، فاعتقد خرستوف انه قد وصل الى الشرق ، ولو انه اتجه غربـا على مقربة مـن المكان الذى غشيـة لكشف بلاد المكسيك بثروتها الهائلة ، ولتبع ذلك مجموعة اخرى من الكشوف ، ولكنه كان متعبا ، وقد اسامته رداءة الطقس ، وضايقته الامطار التي لم تنقطع والعواصف والبروق والرعـود والامواج الهادرة ، ونفدت المؤونة التي تحملها السفن ، واشتد به المرض حتى بدا انه قـد اشرف على الموت ، وعاد الى اسبانيا سنة ١٥٠٤ . وحمل فى محفة الى الشاطىء ، وعلم ان الملكـة ايزابلا قد توفيت .

واصبح لا صديق له ولا نصير ولا مال معـه ينفق منه .

كولمب يموت في فقر وقلة ذكر

قال « بعد عشرين سنة من الجهاد ، ومعاناة الاخطار ، لا املك فى اسبانيا سقفا يظلني » ،

ولم يزر البلاط بعد وفاة الملكة ايزابلا ، وقد مات بعدها بعامين غامض الشان مجهول المكانة ، وطلب ان تدفن معه القيود التي قيد بهـا عندما جيء به مقيدا الى اسبانيا وهكذا كانت خاتمة حياة هذا الرحالة العظيم .

ولم يعرف ان الجزائر التي كشفها خرستوف ليست آسيا ولا افريقية الا بعد موته بسنة ، حينما وصل الملاحـون الى شواطىء فنـزويلا الجنوبيـة ، وقـد صحب امريجوفسبوتشي Amerigo Vespucce احد الشبان الاسبانيين الذين اشتركوا مع خرستوف كولمب في رحلتـه الثانية ، وهـذا الشـاب هو « هوجيـدا » Hojeda واعد هذا الشاب حملة فى سنة ١٤٩٩ وصلت الى ارض امريكا الجنوبيـة المواجهـة لجزيرة ترينيداد التي كشفها خرسـتوف ، ولم تعرف اخبار هذه الرحلة الا بعد موت خرستوف بسنة ، وكتب امريجو يقول « من المناسب ان تسمى هذه الارض الدنيا الجديدة ، وقد قال القدماء انه لا يوجد ارض فى جنوب خط الاستواء ولكن هذه الرحلة الاخيرة اثبتت خطأ هذا الزعم ، فقد وجدت بلادا كثيرة السـكان والحيـوانات وسكانها وحيواناتها اكثر مما في اوروبا او آسيا او افريقية » وظهرت هذه الكلمات مطبوعة سنة ١٥٠٧ ولذا قالت الناس ان امريجو فسبوتشي قد كشف قارة جديدة ، وانه استحق ان تسمى القارة الجديدة باسمه . وهكذا مات خرسـتوف كولمب دون ان يعرف انه مهد السـبيل لكشـف قارةجديدة ، وانه كان يفصله عن‌بلاد الخان الاكبر محيط واسع المدى بعيد الاعماق . ■■

علي أدهـم

بقلم : الدكتور حيدر غيبه

■ لنبدأ الحديث عن التنمية بتعريف مبسط للانتاج القومى والدخل القومى .

ان جميع ما ينتجه مجتمع ما ، او شعب دولة ، من سلع او خدمات لها قيمة مادية ، خلال مدة معينة ، كالسنة مثلا ، يسمى بالانتاج القومى .

واما الدخل القومى فما هو سوى هذا الانتاج القومى ناقصا ما تدفعه الشركات والمواطنون من ضرائب على الدخل .

واذا قسمنا هذا الدخل القومى على المواطنين جميعا بالتساوى وصلنا الى ما يسمى بمتوسط دخل الفرد . وليس ما يسمى بمستوى المعيشة فى بلد ما سوى هذا المتوسط لدخل الفرد ، اى ما يصيب الفرد من دخل قومى على فرض توزيعه على الافراد بالتساوى .

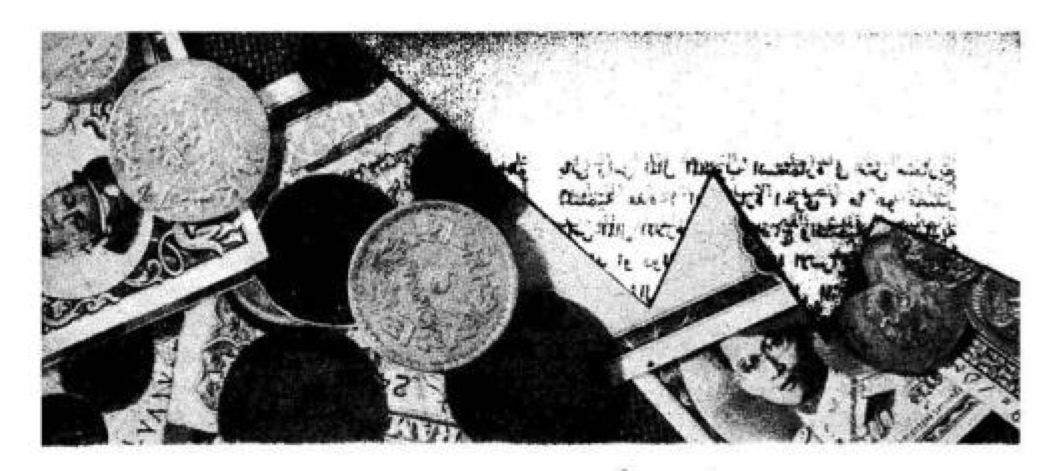
بعد هذه المقدمة الموجزة ، يمكننا تعريف التنمية الاقتصادية بايجاز بانها الزيادة التى تحصل فى الانتاج القومى او الدخل القومى خلال الفترة الزمنية المحددة ، اى خلال سنة واحدة مثلا بالنسبة للسنة التى سبقتها . ونسبة هذه الزيادة فى الدخل القومى الى مجموع الدخل القومى هى درجة التنمية الاقتصادية او Rate of Economic Growth . فاذا كان الدخل القومى مثلا مائة مليون جنيه وكانت زيادته السنوية خمسة ملايين جنيه . فهذا يعنى ان درجة التنمية الاقتصادية هى خمسة بالمائة . اى ان الدخل القومى ينمو بسرعة خمسة بالمائة سنويا . ومن الطبيعى ان متوسط دخل الفرد لا يزيد بنفس النسبة ، بل بنسبة اقل طالما ان هنالك زيادة فى عدد السكان كل سنة . فمتوسط دخل الفرد ينمو بنسبة تساوى نسبة او درجة نمو الدخل القومى ناقصة نسبة نمو او زيادة عدد السكان . فاذا كانت نسبة النمو الاقتصادى اى نمو الدخل القومى ٥٪ ونسبة نمو عدد السكان ٢٫٥٪ مثلا ، تكون نسبة نمو متوسط دخل الفرد هى ٥ ــ ٢٫٥ = ٢٫٥٪ فقط .

دول غنية ، ودول فقيرة

والظاهرة التى تسترعى الانتباه هى ان عالم اليوم ينقسم الى قسمين ، احدهما غنى والثانى فقير ، مع وجود بعض الدول او المجتمعات التى تقع بين هذين القسمين . وهذا يعنى ان متوسط دخل الفرد فى دول القسم الغنى من العالم هو مرتفع نسبيا ، بينما هو منخفض انخفاضا كبيرا بصورة نسبية فى دول القسم الفقير . وفى الحقيقة فان الهوة سحيقة جدا بين القسمين . ولاعطاء فكرة عن اتساع هذه الهوة يكفى ان نعرف ان متوسط دخل الفرد فى بلد عربي مثلا يقل عن ١٥٠ دولارا فى السنة . بينما يبلغ حوالى ٢٥٠٠ دولار فى بلد غربي كالولايات المتحدة الامريكية .

الفجوة تتسع ، بين الفقر والغنى

وتكمن المشكلة فى ان هذه الثغرة بين القسم الغنى والقسم الفقير من العالم تتسع سنة بعد سنة بدلا من ان تضيق ، وهناك صعوبة كبيرة فى تضييق هذه الفجوة ، ناهيك عن سدها . والسبب فى ذلك يرجع الى ان الدولة الفقيرة



- مفهوم الإنتاج القومي لأمة.
- مفهوم الدخل القومي.
- متوسط دخل الفرد.
- دليل مستوى المعيشة.
- التوفير للاستثمار سبيل الدول النامية.

تحتاج الى تنمية اقتصادية بدرجة او نسبة اكبر من درجة النمو الاقتصادى التى تتمتع بها الدولة الغنية لتضييق الفجوة بينهما بصورة نسبية . ولا شك ان آمال الشعوب الفقيرة المسماة بالدول النامية تتطلع الى مثل هذه التنمية السريعة لتضييق هذه الفجوة او سدها ان امكن .

ومن المؤسف ان تطور التنمية الاقتصادية فى العالم خلال السنوات الاخيرة لم يتجه هذا الاتجاه، وهذا يعنى ان الفجوة لاتزال تتسع ، كما تدل على ذلك احصاءات الامم المتحدة الاخيرة . وتشير هذه الاحصاءات الى نسبة النمو الاقتصادى العامة فى الدول النامية اى الدول الفقيرة التى كانت تسمى بالدول المتخلفة اقتصاديا ، بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٦ ، كانت تتراوح بين ٣ر٨٪ و ٥ر٤٪ سنويا ، بينما بلغت هذه النسبة فى الدول الغنية المسماة بالدول المتقدمة اقتصاديا ٢ر٣٪ فى المتوسط خلال اعوام ٥٥/١٩٦٠ ، ١ر٥٪ فى المتوسط خلال اعوام ٦٠/١٩٦٥ ، ٢ر٥٪ عام ١٩٦٥ و ٥٪ عام ١٩٦٦ ، وفي الدول الاشتراكية ١ر٨٪ في المتوسط خلال اعوام ٥٥/١٩٦٠ ، ٦ر٨٪ فى المتوسط خلال اعوام ٦٠/١٩٦٥ و ٢ر٧٪ خلال عام ١٩٦٥ . وتدل هذه الاحصاءات على ان نمو اقتصاد الدول الغنية والدول الاشتراكية كان اسرع من نمو الدول الفقيرة خلال الحقبة الواقعة بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٦ .

أثر زيادة السكان في دخل الافراد

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان نمو عدد السكان في الدول الفقيرة كان اعلى من نموه لدى الدول الغنية والاشتراكية ، اذ كان ٥ر٢٪ فى الدول الفقيرة و ٢ر١٪ فى الدول المتقدمة اقتصاديا و ٥ر١٪ فى الدول الاشتراكية سنويا خلال اعوام ٥٨/١٩٦٥ على سبيل المثال ، لتبين لنا ان نسبة زيادة متوسط دخل الفرد فى الدول الفقيرة كانت اقل بكثير من تلك النسبة فى الدول الغنية والاشتراكية . فبينما بلغت نسبة نمو متوسط انتاج الفرد حوالى ٢٪ فى الدول الفقيرة عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٦ كانت هذه النسبة حوالى ٤٪ فى الدول الغنية و ٥ر٨٪ فى الدول الاشتراكية .

عاملان من عوامل التنمية : بشرى ومادى

ان هذه الارقام تدعونا الى التفتيش عن اهم عوامل التنمية الاقتصادية لنضع ايدينا على السبب ومعالجته ان امكن . فمن المعروف ان عوامل التنمية الاقتصادية كثيرة ومتشابكة ومعقدة، ويمكن تقسيمها الى قسمين اساسيين احدهما بشري او انساني ، والثانى مادى .

العامل البشري

اما القسم الاول فيتضمن اهم ما يتضمنه الوعى

أو الحس الاقتصادي لدى افراد الشعب ، وهو الوعي الذي يجعل الانسان طموحا من الناحية المادية ويدفعه الى انتاج اكبر مقدار ممكن من الانتاج من حيث النوع والكيف باقل مقدار ممكن من التكاليف للحصول على اكبر ربح ممكن يساهم فى رفع مستوى حياته وحياة اسرته المادية . ويشتمل هذا العامل على استعداد الفرد للتضحية بالحاضر فى سبيل المستقبل عن طريق التوفير الحالي من اجل انماء الانتاج وبالتالي الثروة فى المستقبل ، ويدخل فى هذا القسم البشرى من عوامل التنمية الاقتصادية تقدم الثقافة والمعرفة والعلوم والتكنية على مختلف انواعها ، لان تقدم هذه المعارف لدى شعب من الشعوب يجعله اقدر على ابداع ما يسد حاجات الانسان المتطورة كما يجعله يعرف كيف يصنع او ينتج السلع ويقدم الخدمات باحسن شكل واقل كلفة ممكنة . كما يشمل القسم البشرى من عوامل التنمية الاقتصادية استتباب الامن وسيادة القانون وهو عامل سياسي اجتماعي هام يتصل باعداد الجو المناسب لزيادة الانتاج والتنمية .

وأما القسم الثاني وهو القسم المادى من عوامل التنمية الاقتصادية ، فاهم عامل يشتمل عليه هو تكوين رأس المال او تراكمه Capital Formation or Accumulation ومن الطبيعي ان زيادة الانتاج وبالتالي التنمية الاقتصادية ، تتطلب استثمار رؤوس الاموال فى جهة او اخرى ، كتوليد الطاقة الكهربائية وحفر المناجم وبناء المعامل ، لزيادة الانتاج الصناعي ، واقامة السدود وانشاء اقنية الري ، لزيادة الانتاج الزراعي ، وتعمير الجسور والطرقات والمرافيء ، لتسهيل المواصلات وتيسير التسويق وتشجيع السياحة ، فكل هذه المشاريع تعتبر تنمية اقتصادية لانها تزيد الانتاج القومي وترفع بالتالي الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد واذن فمستوى المعيشة المادية الاجتماعية . والقيام بهذه المشاريع يستوجب استثمارا متطورا لرأس المال وهو ما يسمى بتكوين او تراكم رأس المال . وكلما زادت هذه المشاريع عددا ، او حجما فى دولة ما ، اى كلما زاد رأسمالها المتراكم ، ازدادت طاقتها الانتاجية وازداد بالتالي غناها .

مصدر رأس المال اللازم للتنمية

ولا بد لنا عند هذه النقطة ان نتساءل من اين يأتى رأس المال المطلوب استثماره فى مثل مشاريع التنمية هذه ؟ او بعبارة اخرى ، ما هو مصدر رأس المال اللازم لزيادة الانتاج وللتنمية الاقتصادية فى بلد او دولة ما ؟ ويمكننا الاسراع بالاجابة على هذا السؤال بان مصدر تمويل المشاريع الانمائية الرئيسي هو الدخل القومي . فالدخل القومي يتوزع على الاستهلاك الخاص اى استهلاك الافراد ، والاستهلاك العام اى استهلاك الدوائر الحكومية ومؤسسات الدولة العامة وبلدياتها ، وعلى الزيادة فى المخزون من المنتجات ، وعلى التوفير اى ما يقتصده الافراد والجماعات من دخلهم ويفيض عن استهلاكهم ، واخيرا الفرق بين قيمة الصادرات من البضائع والخدمات ، وبين قيمة المستوردات من البضائع والخدمات ، اذ ان التصدير يساهم فى زيادة الدخل القومي ، والاستيراد يساهم فى تبديد جزء من الدخل القومي اى هو باب من ابواب صرفه . وبعبارة مختصرة ، ان الدخل القومي يتوزع على الاستهلاك ، والتوفير والميزان التجاري الشامل للسلع والخدمات مع فرض المخزون من السلع ثابتا بين السنة الحالية والسنة التي سبقتها .

واذا فرضنا الميزان التجاري ثابتا ، نرى الدخل القومي يتوزع على منفذين اساسيين هما الاستهلاك من جهة ، والتوفير من جهة ثانية .

التوفير هو المصدر الاساسي للاستثمار

والتوفير ، اى ما يفيض من الدخل على الاستهلاك ، هو المصدر الاساسي للاستثمار . وفى حالة انعدام التمويل الخارجي اى القروض والمساعدات الخارجية ، يبقى التوفير الداخلي المصدر الوحيد لتمويل الاستثمارات الانمائية . وحتى فى حالة لجوء الدولة الى الاقتراض من الخارج لتمويل بعض مشاريعها الانمائية ، فهي اولا لا تستطيع الاعتماد كليا على هذا المصدر الخارجي وحده ، لعدم توفره بشكل كاف من جهة ، ولان مصادر التمويل الاجنبية تحجم على الغالب من تمويل المشاريع الانمائية فى دولة لا تستطيع هى بنفسها ان تمول جزءا من هذه المشاريع من توفيرها الخاص لعدم الثقة بمثل هذه الدولة على وفاء ديونها من جهة ثانية ، يضاف الى ذلك ان القروض من الخارج لا بد من وفائها فى وقت من الاوقات ، ووفاؤها لا يمكن ان يكون

الا من التوفير الداخلي . والنتيجة اذا ان التوفير الداخلي هو المصدر الاساسي لتمويل المشاريع الانمائية في المدى القصير ، وهو المصدر الوحيد في المدى البعيد .

مشكلة ضآلة الدخل القومي في الدول النامية

ولكن مشكلة اكثر الدول النامية من هذه الناحية في ان الدخل القومي ضئيل نسبيا وبالتالي فان القسم الذي تستطيع توفيره منه لتخصصه للانفاق على المشاريع الانمائية صغير مما لا يمكنها من التنمية السريعة المبتغاة ، او بعبارة مختصرة ، ان راسمالها المتراكم صغير وراسمالها المتوفر للاستثمارات الجديدة ضئيل نسبيا او نادر . وكلما كان الدخل القومي ضئيلا نسبيا وبصورة خاصة كلما كان متوسط دخل الفرد ضئيلا كان اقتطاع جزء منه كتوفير للاستثمار اصعب . وهذا ما دعا بعض الاقتصاديين الى تسمية هذه المشكلة معضلة كما سماها البعض الاخر حلقة مفرغة .

فتنمية الدخل تحتاج الى تكوين راس مال ، وتكوين راس المال يحتاج الى دخل مرتفع نام . ولهذا فان الدول الغنية اقدر على التنمية الاقتصادية من الدول الفقيرة !

لاحل لمشكلة الاستثمار في الدول النامية الا التقشف

والسؤال الآن هو كيف تكسر طوق الدائرة المفرغة لتخرج الى افق التنمية الرحب ؟ او بعبارة ثانية ، كيف نحصل على راس المال بوفرة كافية لتنمية سريعة نسبيا ؟ فمعدلات التنمية الاقتصادية في العالم اليوم تتدرج بين الصفر ، وبعض الاحيان اقل من الصفر في حالات التدهور الاقتصادي . وبين عشرة بالمائة تقريبا . وتعتبر نسبة خمسة بالمائة نسبة متوسطة جيدة بالنسبة للدول المتقدمة اقتصاديا ، و ٧ او ٨٪ نسبة جيدة مرغوبا بها بالنسبة للدول النامية الاقل تقدما . فكيف نحصل على تنمية اقتصادية بهذه النسبة او اكثر ؟

تدل الاحصاءات المتوفرة انه للحصول على تنمية للدخل القومي بنسبة واحد بالمائة يجب ان نستثمر ٣٪ من هذا الدخل كراس مال في مشاريع انمائية ، وذلك بصورة عامة . اي للحصول على تنمية اقتصادية بمعدل ٧٪ سنويا مثلا يجب ان نوظف ما لا يقل عن ٢١٪ من الدخل القومي في مشاريع انمائية منتجة كل سنة .

وكما راينا آنفا ، هناك مصدران للحصول على راس المال المطلوب ، احدهما التوفير الداخلي من الدخل القومي ، وهو المصدر الاساسي ، والثاني الاقتراض من الخارج ، وهو المصدر المساعد .

ورب قائل يقول ان اقتطاع ١٥ ــ ٢٠٪ من الدخل القومي ، وبالتالي من متوسط دخل الفرد بصورة عامة ليس بالامر السهل اذا كان هذا الدخل بحد ذاته ضئيلا ويكاد يكفي لسد الرمق ، لا سيما بعد ان تقاربت اجزاء العالم تقاربا عجيبا عن طريق المواصلات الحديثة واطلاع افراد الشعب في الدول الفقيرة على انماط المعيشة ومستواها المرتفع في الدول الغنية عن طريق السينما والتليفزيون وما شابههما . والحقيقة ان الحصول على توفير او ادخار بهذه النسبة من الدخل القومي في الدول الفقيرة صعب ويتضمن فيما يتضمنه تضحية شاقة . وهذه التضحية لا بد ان تكون على حساب الاستهلاك وحتى الضروري منه نسبيا . ولكن ارادة التنمية ، وهي تمثل امنية غالية من اماني الشعب ، تتطلب في رأيي مثل هذه التضحية في غيبة الاقتراض من الخارج ، وهي امر لا بد منه للحصول على التنمية السريعة المطلوبة .

الثروات الطبيعية عوامل في التنمية ثانوية

هذه هي عوامل التنمية الرئيسية . وهناك عوامل اخرى طبعا . ومن هذه العوامل مثلا توافر الثروات الطبيعية كالارض الخصبة والامطار او المياه الجارية الصالحة للري ، والمعادن المدفونة في الارض وما شابهها . ولكن هذه العوامل تعتبر ثانوية في عملية التنمية الاقتصادية اذا ما قيست بالعامل الاساسي البشري وهو العامل الاول والعامل الثاني وهو توافر راس المال . وفي الحقيقة فان هذه العوامل يؤثر بعضها في بعض ، وما هو منها سبب يمكن أن يكون مسبّباً ، والعكس بالعكس . فالعامل البشري هو في نظري أهم عوامل التنمية . ودليلي على ذلك ان هناك دولا ذات ثروات طبيعية ضئيلة نسبيا ، كسويسرا والدانمرك ، حيث لا يوجد في بطون اراضيها خامات المعادن ، ومع ذلك

فتعتبر اليوم من اغنى دول العالم بالقياس الى دخلها المرتفع . وهناك دول كالبرازيل مثلا تعتبر فقيرة رغم توافر الثروات الطبيعية فيها كالاراضي الخصبة والمياه الغزيرة والمعادن المدفونة .

وحتى راس المال وهو العامل الثانى الهام في عملية التنمية الاقتصادية ، انما يتكون ويتراكم نتيجة عمل الانسان وجهده عبر السنين والقرون . فلم يكن لرأس المال من وجود في عهود البشرية الاولى . وانما تراكم على مر السنين بابداع الانسان وعمله . ومن جهة ثانية ، فان تحسين نوعية العمل البشرى ، عن طريق نشر الثقافة والبحث العلمى والتقدم التكنى ، انما يتطلب استثمارا لرأس المال في تعمير المدارس وتجهيز المخابر واستخدام المعلمين والخبراء فيهما .

لابد من نشر الثقافة والتوعية الاقتصادية

وهكذا يتبيّن مما سبق ان عملية التنمية الاقتصادية عملية شاقة وصعبة وذات عوامل كثيرة متشابكة ومعقدة . وانما النتيجة المنطقية التى توصلنا اليها في هذه العملية الشاقة هى انه لابد ان يتوافق ويتفاعل العامل البشرى مع العامل المادى للحصول على التنمية الاقتصادية بالنسبة او الدرجة المطلوبة وهذا يكون اولا عن طريق نشر الثقافة والمعرفة فى سبيل غرض اولى وهو ارساء قواعد التفكير الموضوعى العلمى ، للوصول الى سيادة روح البحث العلمى التى تعتبر شرطا للابداع والتقدم التكنى في عصر يمكن ان يسمى بحق بعصر العلم والتكنية ، واصبح فيه النظام العاطفى العشوائى نظاما متخلفا باليا لا يمكن ان يتوامم او يتلاءم معه . وثانيا عن طريق الضغط على الاستهلاك الخاص والعام لتوفير اكبر نسبة ممكنة من الدخل الفردى والقومى واستثمار هذا الفائض في مشاريع انمائية تزيد من طاقة البلاد الانتاجية .

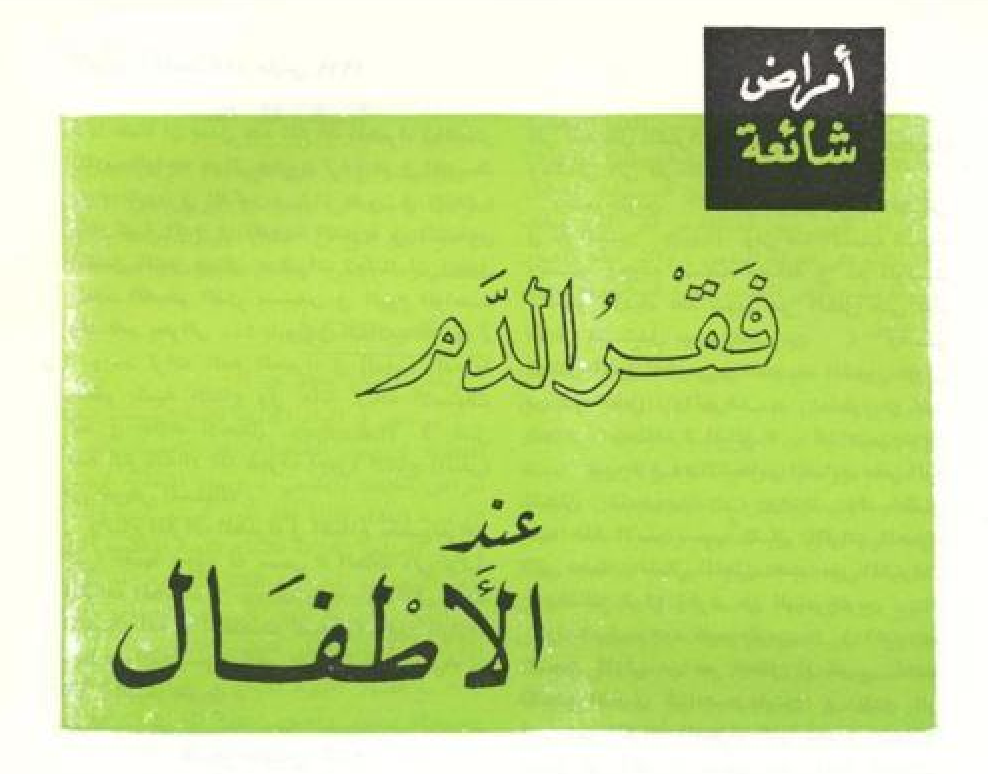
دور التجارة الخارجية في التنمية الاقتصادية

ولابد لى عند هذه النقطة من التنويه باهمية التجارة الدولية او الخارجية ودورها في عملية التنمية وان كان المجال لا يسمح لى باكثر من التنويه او الاشارة لان بيان دور التجارة الدولية في التنمية الاقتصادية موضوع هام ويكفى الان ان ابين للقارىء ان تجميع رأس المال في انشاء مشاريع انتاجية لا يكفى وحده للحصول على التنمية . والسبب في ذلك هو انه لابد من تصريف ما تنتجه هذه المشاريع . ومن البديهى ان تصريف انتاج الوحدات الانتاجية باسعار مجزية في بلد ذى دخل قومى ضئيل نسبيا محدود بحدود هذا الدخل ولا سيما فيما اذا سُحب من هذا الدخل جزء هام للتوفير . فالانتاج الزراعى والصناعى في البلاد النامية ، وخاصة حالة دخول رؤوس اموال اجنبية بكميات ضخمة نسبيا ، يتطلب على الاغلب اسواقا خارجية . فلولا الطلب الخارجي بعد الحرب العالمية الثانية لما نمت زراعة القطن في سوريا مثلا ، ولولا الطلب الخارجي لما نمت كثير من الصناعات في اليابان وغيرها وهكذا . وانني اعتقد ان التصدير وبالتالي وجود اسواق اجنبية هو في كثير من الحالات مفتاح التنمية الاقتصادية فى عدد كبير من الدول النامية ، واهميته من هذه الناحية هى تشجيع الانتاج المحلى على الزيادة ، وبالتالى فهو يساهم في زيادة الدخل القومى .

وللتصدير اهمية اخرى وهى انه يزود البلاد بما تحتاجه من عملة صعبة لاستيراد ما تحتاجه من مواد اجنبية. وما اكثر ما تحتاجه البلاد النامية من المواد والسلع الاجنبية . ولهذا فان دور التجارة الدولية اساسى في عملية التنمية الاقتصادية ، ناهيك عن دورها في تخفيض كلفة الانتاج عن طريق الاختصاص وتوزيع العمل الدوليين .

واهمية التجارة الخارجية تدعونا بدورها ايضا للتنويه باهمية الوحدات او التكتلات الاقتصادية . فاهم ما في الوحدة الاقتصادية او السوق المشتركة بين عدد من الدول هو انها تفسح المجال للتبادل التجارى بينها بحرية خالية من القيود الجمركية والادارية والنقدية وغيرها ، مما يجعل السوق المفتوحة لكل دولة من هذه الدول اكبر ، وهذا يشجع الانتاج في كل منها ويساهم في استفادتها من مزايا الاختصاص والتكامل الاقتصادى ويساهم بالتالى في زيادة انتاجها ودخلها القوميين ويعجل بتنميتها الاقتصادية ، وتحت هذا الاعتبار عقدت مثلا اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وانشئت السوق العربية المشتركة . ■■

حيدر غيبة
مجلس الوحدة الاقتصادية العربية



بقلم : الدكتور محمود محمد دوله

■ يعرف فقر الدم بأنه نقص الهيموجلوبين او كرات الدم الحمراء في الدورة الدموية .

وفي الحديث عن فقر الدم لا بد من التعرف على بعض خصائص الدم وكيف تتكون مواده المتصلة بفقر الدم ووظائف هذه المواد ثم الأسباب المؤدية الى فقر الدم والعلامات الدالة عليه وكيفية علاجه والوقاية من حدوثه .

والدم هو السائل الحيوى الذى يندفع في الأوعية الدموية من القلب مع كل نبضة من نبضاته الى الرئتين ثم الى القلب ثم الى انسجة الجسم ليمد الجميع بعناصر الحياة .

ويتكون الدم من سائل يسمى البلازما Plasma يذوب فيه كثير من المركبات والعناصر ويسبح فيه عدد كبير من كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفيحات الدموية .

ومن وظائف كرات الدم الحمراء انها تحوى الهيموجلوبين الذى يقوم بحمل الاكسجين من الرئتين الى انسجة الجسم كما يحمل ثانى اوكسيد الكربون من انسجة الجسم الى الرئتين وهذه العملية تسمى بالتنفس الداخلى ، واى نقص في كرات الدم الحمراء ينعكس اثره على هذه الوظيفة ويؤدى الى ظهور بعض الاعراض كما سيأتى بيانه فيما بعد .

كرات الدم الحمراء

وتصنع كرات الدم الحمراء في (نخاع العظم Bone marrow ما عدا في الجنين الوليد فتشترك في هذه العملية أعضاء أخرى . ومتوسط عمر الكرة في الشخص العادى ١٢٠ يوما وتنقص هذه المدة في بعض الأمراض . ونخاع العظم مطالب بتعويض ما يستهلك من هذه الكرات ويترتب على ذلك انه مطالب بانتاج كمية تعادل المجموع الكلى لعدد الكرات الحمراء في الدورة الدموية كل ١٢٠ يوما بمعدل ٨ من ١٠٠٠ من مجموع الكرات كل يوم .

فاذا علمنا ان معدل عدد الكرات الحمراء في المليمتر المكعب الواحد حوالي ٥ مليون كرة (هو في المتوسط ٥/١/٢ مليون في الذكور و ٤/١/٢ مليون في الاناث) وان كمية الدم في الدورة الدموية في الشخص المكتمل النمو حوالي ٥ لترات لامكننا ان نتخيل العدد الضخم الذي يستبدل في اليوم الواحد وقد قدر بحوالي ٢٠٠ بليون في الحالات العادية .

وعدد كرات الدم الحمراء في الدورة الدموية ينتظم بكمية الانتاج وفي حالة زيادة الاستهلاك كما في حالات الانحلال Haemolysis لا يقل عدد الكريات الا اذا عجزت أجهزة الانتاج (النقى) عن تعويض المستهلك .

وانتاج الكرات الحمراء في النخاع يخضع لعوامل كثيرة اهمها وجود ما يسمى « الحاث على توليد الكرات الحمراء » Erythropoietin الذي تنتجه الكليتان اذا ما انخفضت كمية الاكسجين الواردة لهما مع الدم بسبب نقص عدد الكرات الحمراء أو نقص الهيموجلوبين .

هيموجلوبين الدم

ومعدل كمية هيموجلوبين الدم في الشخص المكتمل النمو حوالي ١٥ جراما في كل ١٠٠ سم٣ من الدم . وهذه ما اصطلح على اعتبارها تساوي مئة في المئة (١٠٠٪) وعلى هذا الاساس تحسب نسبة هيموجلوبين الدم عند الفحص فيقال ١٠٠٪ اذا كان هيموجلوبين الدم ١٥ جراما في كل ١٠٠ سم٣ ويقال ٨٠٪ اذا كان هيموجلوبين الدم ١٢ جراما في كل ١٠٠ سم٣ منه . وتشمل التقارير عادة ذكر كمية الهيموجلوبين بالجرام والنسبة المئوية معا . ومعدل كمية الهيموجلوبين في دم الرجل (١٦٫٢ جرام في كل ١٠٠ سم٣) أعلى منها في دم المرأة (١٤٫٥ جرام في كل ١٠٠ سم٣) .

أنواع الهيموجلوبين

وانواع الهيموجلوبين المعروفة حتى الآن كثيرة تطلق عليها الحروف الابجدية واهمها هيموجلوبين A وهيموجلوبين F وهيموجلوبين S ويتحدد نوع الهيموجلوبين الذي ينتجه الجسم بعناصر وراثية Genes عن طريق تحديد نوع الاحماض الامينية المدمجة في التركيب ، وأي اختلال في هذه العناصر الوراثية يؤدي الى انتاج نوع خاص (غير طبيعي) من الهيموجلوبين يؤدي الى انحلال الكرات الحمراء Haemolysis وبالتالي الى فقر الدم .

وهيموجلوبين F هو الهيموجلوبين الطبيعي في دم الجنين Foetus ومن هنا اكتسب اسمه ، ويستمر وجوده بنسب مختلفة في دم الوليد تتناقص بازدياد عدد شهور عمر الطفل حتى تكاد تختفي لتستبدل بهيموجلوبين A وهو الهيموجلوبين الطبيعي في الدم بعد الشهور الاولى من عمر الطفل . والحرف A ماخوذ من كلمة Adult ومعناها « البالغ » . اما هيموجلوبين S فيوجد في دم الاشخاص المصابين بفقر الدم المنجلي Sickle Cell Anaemia وقد اطلق عليه هذا الاسم بسبب تشكل الكرات الحمراء التي تحمله بالشكل المنجلي تحت بعض الظروف .

وهنالك انواع اخرى من الهيموجلوبين .

واستمرار وجود هيموجلوبين F في الدم بعد الشهور الاولى من عمر الطفل او ظهور احد الانواع الاخرى غير هيموجلوبين A يؤدي الى قصر عمر الكرات الحمراء التي تحمله وانحلالها وينتج عن ذلك ما يسمى بفقر الدم الانحلالي Haemolytic Anaemia واشهر انواعه فقر دم البحر المتوسط الثلاسيميا Thalassaemia نتيجة استمرار وجود هيموجلوبين F وفقر الدم المنجلي Sickle Cell Anaemia نتيجة ظهور هيموجلوبين S ويلاحظ أن هذين المرضين لا يظهران الا بعد الشهور الثلاثة الاولى من حياة الطفل .

المواد اللازمة لانتاج الهيموجلوبين

وانتاج الهيموجلوبين يحتاج الى توفر مواد اولية منها :

١ ــ البروتينات
٢ ــ المعادن واهمها الحديد
٣ ــ الفيتامينات واهمها

أ ــ فيتامين ب ١٢ B 12 ويطلق عليه كذلك اسم العامل الخارجي Extrinsic Factor .

ب ــ حامض الفوليك Folic Acid .

جـ ــ البيريدوكسين Pyridoxin=B6 .

د ــ فيتامين جـ Vit C .

٤ ــ العامل الداخلي Intrinsic Factor .

وهو عامل يفرزه الغشاء المخاطي المبطن لجدار المعدة وضروري لتمكين الامعاء من امتصاص العامل

٥ ـ الهرمونات ـ واهمها هرمون الغدة النخامية Pituitry وهرمون الغدة الدرقية Thyroid Gland ونقص واحد او اكثر من هذه العوامل يؤدى الى ظهور صور مختلفة من فقر الدم تساعد في الغالب على معرفة النقص . واكثر هذه الصور شيوعا سببه نقص الحديد وعليه فسأتناوله ببعض التفصيل .

وفقر الدم نتيجة نقص هذا العنصر اكثر شيوعا في الاطفال خاصة فيما بين الشهر السادس والسنة الثانية من العمر بسبب نوعية أكل الطفل في هذه الفترة والذى في الغالب لا يوفر كمية الحديد اللازمة للطفل ، فالمعروف أن الحليب يكاد يكون خاليا من الحديد وتأخير اعطاء الطفل اغذية اخرى غير الحليب يعرضه للاصابة بهذا النوع من فقر الدم خاصة وان ما يختزنه الجنين الكامل النمو حتى يوم ولادته لايكفيه اكثر من ثلاثة شهور بعد ولادته ولا بد له بعدها من الاعتماد على المصادر الخارجية والتى تتحدد بنوعية الغذاء .

ويوفر الطعام العادي للشخص البالغ حوالى ١٢ ـ ١٥ مليجراما من الحديد في اليوم ويمتص الجسمعشر (١ من ١٠) هذه الكمية.وهذه الكمية البسيطة تكفي لتعويض الخسارة اليومية من الحديد للشخص العادى . ويلاحظ ان هذه الارقام تختلف بالنسبة للنساء بسبب الدورة الشهرية أو الحمل فتزداد نسبة الخسارة بمعدل مليجرام واحد في اليوم . وجدير بالذكر أن مجموع ما تفقده الحامل من الحديد اثناء مدة الحمل ـ يأخذه الجنين ـ وعند الولادة يعادل مجموع ما تفقده خلال الدورات الشهرية عن مثل تلك المده في حالة عدم الحمل وتقدر هذه الكمية بحوالي ٣٠٠ مليجرام بمعدل مليجرام واحد يوميا كما ذكر اعلاه .

وامتصاص الحديد فى الامعاء يتأثر بعوامل كثيرة منها نوع الغذاء وكمية الحديد ونوعه وافرازات البنكرياس وطبيعة الغشاء المخاطي المبطن للامعاء ونشاط النخاع العظمى وطبيعة الحديد في اماكن خزنه في الجسم .

وجدير بالذكر ان الكبد واللحوم تعتبر اغنى مصادر الاغذية في الحديد بينما الحليب والفواكه تعتبر افقرها .

اسباب فقر الدم

والاسباب المؤدية الى فقر الدم كثيرة ولتسهيل معرفتها تقسم الى مجموعتين كبيرتين على أساس ان فقر الدم ينتج من اختلال التوازن بين ما ينتجه الجسم وما يخسره وهاتان المجموعتان هما :

أ ـ نقص الانتاج

ونقص الانتاج ينجم عن :

١ ـ نقص في المواد اللازمة للانتاج بسبب سوء التغذية او سوء الامتصاص من الامعاء بسبب امراض الجهاز الهضمي . وسوء التغذية لايعني ان كمية الغذاء قليلة فقد تكون كميته كبيرة ولكنه لا يوفر العناصر اللازمة للانتاج فكمية الحليب التى توفر الوحدات الحرارية للطفل لا تمده بما يلزمه من الحديد ، مما يؤدى الى اصابته بفقر الدم اذا اعتمد في غذائه على الحليب فقط .

٢ ـ قصور اجهزة الانتاج (النخاع العظمى Bone Marrow وقصور أجهزة الانتاج له اسباب كثيرة منها مشاركته بمرض يصيب الجسم عامة او تأثره بمادة كيمياوية سامة او بفعل بعض الادوية او بالاشعاع او غزوه بخلايا سرطانية كما ان هذا القصور قد ينتج عن نقص في بعض الهرمونات . وهنالك اسباب مجهولة لم يكشف النقاب عنها بعد .

ب ـ زيادة الخسارة

وزيادة الخسارة على نوعين أيضا

١ ـ النزف Bleeding . والنزف قد يكون سريعا فيفقد المريض كميات كبيرة من دمه في فترة قصيرة جدا لا تزيد على دقائق أو ساعات Acute blood loss وفي مثل هذه الحالة لا يظهر فقر الدم الا بعد عدة ساعات (٢٤ ـ ٤٨ ساعة) من حدوث النزف وذلك بعد ان يقوم الجسم بتمديد حجم الدورة الدموية بصب كميات في السائل مما يؤدى الى تخفيف نسبة الكرات الحمراء . وقد يكون النزف بطيئا كما هو الحال في اصابة الامعاء بالطفيليات الماصة للدماء كالانكلستوما مثلا .

وقد يكون النزف خارج الجسم External bleeding وقد يكون النزف داخل الجسم Internal bleeding . وتشخيص النوع

الاول سهل جدا والتاخر في تشخيص النوع الثاني قد يؤدى الى مضاعفات خطرة ، وليس من الصعب تشخيص هذا النوع على الطبيب المختص .

٢ ـ انحلال كرات الدم الحمراء Haemolysis وانحلال كرات الدم الحمراء له اسباب كثيرة منها ما يكمن في الكرة نفسها ومنها ما هو خارج الكرة ومنها ما يجمع بين الاثنين فيجعل من الكرة الحمراء فريسة سهلة لمؤثر خارجي لا يؤثر على الكرة الطبيعية .

اما ما يكمن في الكرة نفسها فاهم الامثلة عليه فقر الدم المنجلي Sickle Cell Anaemia نتيجة وجود هيموجلوبين S وفقر دم البحر المتوسط الثلاسيميا Thalassaemia نتيجة استمرار وجود هيموجلوبين F الى ما بعد الفترة المقررة لاستبداله بهيموجلوبين A كما ذكر سابقا . ومن امثلة هذا النوع ايضا حالات فقر الدم التكوري Spherocytic Anaemia . وجميع هذه الانواع وراثية .

والعوامل المحيطة بالكرة والمؤدية الى سرعة انحلالها كثيرة منها وجود مضادات اجسام ذاتية Auto Antibodies ينتجها جسم المريض نفسه كما هو ملاحظ في حالات فقر الدم الانحلالي الذاتي Auto Immune Haemolytic Anaemia او وجود مضادات اجسام مكتسبة Iso Antibodies كما هو ملاحظ في بعض الاطفال حديثي الولادة الذين تتسرب مضادات الاجسام من دم امهاتهم الى دمهم بسبب اختلاف فصائل الدم ، وانحلال كرات الدم الحمراء في هذه الحالات يؤدى الى ظهور صفرة شديدة يرقان Jaundice نتيجة ارتفاع نسبة بليروبين الدم Senum bilirubin وقد تصل هذه النسبة الى حد يسمح بتسرب هذه المادة الى خلايا المخ فتتلفها .

ويجب عرض الوليد المصاب بصفرة شديدة على الطبيب المختص دون تاخير لاجراء اللازم . ومن العوامل المحيطة بالكرة والمؤدية الى انحلالها وجود طفيليات بالدم مثل الملاريا وكذلك (التسمم الدموى الميكروبى Septicaemia وفي الحروق .

وقد تقع الكرة الحمراء فريسة سهلة لمؤثر خارجي نتيجة لسبب يكمن فيها يجعلها اكثر من الكرة الطبيعية حساسية لهذا المؤثر كما هو ملاحظ في حالات نقص خميرة جلوكوز ٦ فوسفات ديهيدروجيناز Glucose 6- phosphate Dehydrogenase ففي هذه الحالة تكون الكرة ذات حساسية لبعض انواع الماكولات خاصة الفول العربي Fava beans ولبعض انواع المواد الكيمياوية والادوية . ومرضى هذا النوع من فقر الدم يزودون بقوائم خاصة فيها ذكر هذه المواد عند تشخيص حالاتهم في المستشفيات .

اعراض فقر الدم

واعراض فقر الدم تقسم الى مجموعتين رئيسيتين .

١ ـ اعراض خاصة ـ ناتجة عن السبب المؤدى لفقر الدم وهذه تعتمد على طبيعة المرض واثره على بقية اعضاء الجسم .

٢ ـ اعراض عامة ـ ناتجة عن فقر الدم نفسه واهمها الشحوب Pallor ، سرعة النبض ، التعب لاقل مجهود ، فقدان الشهية ، زيادة الحساسية للبرد والم بالراس وطنين بالاذنين واختلال الدورة الشهرية عند النساء .

علاج فقر الدم

ان فقر الدم عرض من الاعراض وليس بمرض ، تماما مثل ارتفاع درجة الحرارة عند المريض . ولنجاح العلاج لا بد من معرفة السبب لازالته او تصحيحه . ولا يستحسن اعطاء اي علاج قبل معرفة السبب . ومن الخطأ الشائع اعطاء المريض بعض الادوية المقوية مثل الحديد والفيتامينات قبل استشارة الطبيب لمعرفة السبب فان ذلك يؤدى الى تاخير العلاج الصحيح وقد يؤدى الى طمس معالم المرض وصعوبة تشخيصه وقد يؤدى الى مضاعفات خطرة واخص بالذكر اعطاء مركبات الحديد لمرضى فقر الدم المسمى بالثلاسيميا واعطاء حامض الفوليك لحالات نقص فيتامين ب ١٢ .

وفي نهاية حديثي احب ان اذكر بانه في حالة ظهور اعراض فقر الدم لا بد من عرض المريض على الطبيب المختص لتحديد السبب وازالته او تصحيحه ولعلاج فقر الدم نفسه بما يناسبه . وكل علاج لا يعتمد على هذه الاسس قد يؤدي الى مضاعفات لا تحمد عقباها . ■■

محمود محمد دوله



مُثبتات الآزُوت مِنَ النَّباتات

وأهميتها في توفير الغذاء للانسان

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ عمليتان اساسيتان ، يقوم بهما النبات ، ولا يقدر عليهما من الكائنات سواه ، الاولى عملية التمثيل الكربوني ، والثانية تثبيت الازوت .

اما الاولى فتتلخص فى أن النبات يستطيع ان يجهز غذاءه العضوى المعقد ، من عناصر اولية بسيطة ، هي الماء وثاني اكسيد الكربون وذلك فى وجود اليخضور والمادة الحية وضوء الشمس وتعتمد الكائنات جميعا ، على ما ينتجه النبات من غذاء تغتذى به مباشرة ، أو بحيوانات تغتذى بدورها به . وقد لقيت هذه العملية منذ كشفت عناية كبيرة من العلماء ، حتى استجليت اسرارها ، وعرفت حوافزها ، ومثبطاتها ،وشرائطها وخطواتها . ومع كل ما أجرى حولها من دراسات ،فانها ما تزال تلقى المزيد من العناية من العلمـاء ، يريدون أن يستحثوا هذا المختبر الكبير ، الذى خلقه البارى سبحانه وتعالى . فأحسن خلقه ، ليعطي المزيد من الغذاء ، ليطعم هذه الافواه المتزايدة ، التي يشتد طلبها على الطعـام الذى يعـده النبات فيحسن اعداده في صمت وسكون ، دون ما منّ او تطوّل انها تجهز بهذه الطريقة غذاء متكاملا ، به ما اصطلح على تسميته الكربوايدراتات من نشويات وسكريات ، ثم البروتينات والدهون . وما لنا لا نهتم بهذه العملية وان نصف سكان العالم ليشكون من قلة الغذاء أو من سوء التغذية ، وغالبا ما ترتفع الشكوى من نقص البروتينات الناشيء عن نقص الآزوت او من عدم القدرة على تثبيت غاز الآزوت البسيط من الهواء بتحويله الى صورة مركبة ، يمتصها النبات ، ويحيلها الى البروتيناتالمرغوبة به المطلوبة ، وهذه هي العملية الثانية « تثبيت الآزوت » .

البكتريا العقدية وتثبيت الازوت

ولئن كان النبات وحده هو القادر على الاولى ، فقد يشترك معه فى الاخرى غيره ، وان شهرت بها كائنات بكتيريةدقيقة وتسمى فى مجموعها العقدية ، تكون على هيئة تآليل على جذور بعض النباتات

من فصائل خاصة اشتهرت بها (كالقرنية مثلا من فول وبرسيم وما اليها) أو من الطحالب الزرق ، او يجريها الانسان كيميائيا في معمله او كهربيا من الهواء الجوى مباشرة . الا ان النبات هو العامل الاساسي في هذه العملية كذلك ، ولئن قدر هذا الازوت المثبت على سطح الارض بنحو مائة مليون طن سنويا فان تسعين بالمائة من هذا المقدار تحضره وتجهزه وتثبته هذه الكائنات النباتية الدقيقة .

وتجرى بحوث العلماء في هذا المجال في ثلاثة اتجاهات ، وان كانت تهدف جميعا ، الى زيادة كمية الازوت المثبت ، او زيادة الغذاء البروتيني ، بما يسد حاجة المجتمعات البشرية الى هذا اللون الاساسي من الغذاء . الاول دراسة ميدانية احصائية لكل النباتات ذات التآليل العامرة بالبكتيريا العقدية من القرنيات القادرة على تثبيت الازوت بكفاءة ، والثاني البحث عن نباتات اخرى غير القرنيات يمكن ان تستوطن تآليل جذورها هذه البكتريا ، والثالث دراسة وسائل تنشيط هذه العملية بمعرفة آلية الانزيمات بها .

وقد صنف المختصون هذه البكتيرات المثبتة للازوت ، وميزوا منها ست عشرة مجموعة ، وهي جميعا من بكتيريا التربة ، وقد جرت العادة ان تحقن التربة بانواع معينة من هذه البكتيرات قبل زراعة المحصول ، وقد ثبت أن هناك حالة من النوعيـة ، بمعنى أن أنواعا معينة من البكتيريا تتكافل مع أنواع من المحاصيل القرنية ، سرعان ما تجذب اليها ، وتكون التآليل على جذورها ، وتنشط لتثبيت آزوت الهواء الجوى ، وتقدمه للنبات الحقلي المرغوب . وقد تضاف هذه الكميات من البكتيريا الى التربة اما مستقلة او مع بذور تقاوى المحصول . ويشكو العلماء الباحثون في هذا المجال ، من قلة الاعتمادات المخصصة لهذه الدراسة رغم أهميتها ، اذ أن هناك مئات من السلالات البكترية تحتاج الى مزيد من البحث والتجريب حتى يهيىء العلماء أمثل الظروف لاتمام هذا التكافل ، واستكشاف سلالات أقدر على تثبيت كميات اكبر من الازوت . وفي المناطق المحيطة بجذور هذه النباتات تتكاثر هذه البكتيرات بقدرة فائقة طالما كانت الظروف موائية ، ولعل اهمها جميعا ، وجود افرازات معينة من جذور هذه النباتات لعلها هي التي تنبه هذه الكائنات الدنيا. فتنشط وتنقسم وتتكاثر . ومن بين هذه الافرازات مادة تسمى « تربتوفان » تتحول الى حمض « اندول خليك » بعمل مع انزيم معين يفرزه النبات القرني يحفز الى افرازه مادة اخرى تفرزها البكتيريا ، تذيب جدران الشعيرات الجذرية مما يساعد البكتيريا على ولوج الشعيرات ، وتنفذ الى انسجة قشرة الجذر . وقد اوضح المجهر الالكتروني اخيرا طريقة ولوج هذه البكتيرات وكيفية احتوائها داخل الخلايا اما فرادى او في مجاميع ، وكذلك تكبر هذه الخلايا وتتضخم وتبدأ الثؤلولة في التكون .

وقد درست هذه الظاهرة في فول الصويا خاصة ، وهو النبات الذى اشتهر بغناه بالمادة البروتينية ، وبالتالي بوفرة بكتيرته العقدية التي تثبت الازوت. وقد وجد العلماء انه اذا سحقت عقد بكتيرية من جذر نبات فول الصويا في محلول معين بعيدا عن الهواء فانه يمكن فصل هذه البكتيرات محتفظة بخصائصها المثبتة للازوت ، ثم اجروا فصل هذه البكتيرات بجهاز الطرد المركزى ، واختبروا كل سلالة في قدرتها على تثبيت الازوت بما تحويه من هذا العنصر الهام ، واثبتوا اهمية وجود مادة « ثالث فوسفات الادينوسين » ومادة أخرى هي « ثاني ثيونيت الصوديوم » حتى تنشط البكتريا لتعطي أوفر غلة من هذا الازوت المثبت . وقد ثبت أن هذه العقد والتآليل فيها من افرازات ومواد تهيىء البيئة الصالحة للبكتيريا لتقوم بعملها في تثبيت الازوت كما اثبتت التجارب هذه النوعية التي تحدثنا عنها آنفا ، بحيث ان كل نبات تستجيب لافرازاته سلالات بكتيرية معينة هي التي تأتلف معه وتتكافل واياه ، وتثبت الازوت .

عناصر معدنية هامة

وكذلك اثبتت الدراسات الفيسيولوجية التي اجريت على النباتات أن بعض العناصر المعدنية

ضرورى ليجرى التفاعل فى مجراه المرسوم ، ويتم للبكتريا تثبيت الازوت مثل الحديد المولبدنوم فتحتاج القرنيات مثلا الى تركيز اعلى من عنصر المولبدنوم لتنمو على الازوت العنصرى بصورة افضل من نموها على أزوت‌الازوتات ، وعندما يكون المولبدنوم قليلا محدودا ، فانه يتجمع في النسيج البكتيريائي . والواقع لقد أثبتت التجارب ضرورة وجود العنصرين . ولذلك يضاف المولبدنوم بصورة منتظمة للتربة التي تزرع بها محاصيل قرنية . وفي بعض جهات استراليا ، كانت اضافة اوقية واحدة من المولبدنوم للفدان كفيلة بزيادة المحصول زيادة ملحوظة . وكذلك ثبت ان عنصر « الكوبلت » ضرورى هو الاخر لنمو المحصول القرنى على الازوت العنصرى ، انه ضرورى لتخليق انزيمات مساعدة لها أثرها في تنشيط البكتيريا مثبتة الازوت . وكانت اضافة مقادير ضئيلة من العنصر كفيلة بزيادة المحصول القرنى من ٢٩ الى ٧٧٪ .

وقد اثبتت البحوث على النباتات القرنية على ان مائتى نوع‌من المحاصيل التى تكثر زراعتها تحتاج الى مائة او مائتين من الكيلوجرامات من الازوت لكل هكتار سنويا . وعلى ذلك لا ينبغى ان ننسى الاثنى عشر الف نوع من النباتات القرنية المنتشرة في الاراضي غير الزراعية في العالم ، وكثير منها شجيرات وأشجار لم تدرس بعد من ناحية قدرتها على تكوين البكتريا العقدية ، ولو أن ٩٠٪ مما تمت دراسته ، ثبت انه مما يكون العقد البكتيرية مما يضيف الى خصب التربة والى زيادة المحصول .

ومع ذلك فليست النباتات القرنية وحدها ، هي التي تحتضن البكتيريا العقدية ، التي تثبت الازوت، مضيفة الى خصب التربة زيادة المحصول وهذه النباتات هى : ـ

١ ـ نباتات من غير القرنيات من كاسيات البذور تحمل عقدا بكتيرية على جذورها وتبلغ ثلاثة عشر جنسا .

٢ ـ نباتات من عاريات البذور وتبلغ نحو ستة أجناس .

٣ ـ أنواع من الطحالب الزرق وتبلغ نحو اربعة عشر جنسا .

٤ ـ بكتيرية مثبتة للازوت وبعض الفطريات الشعاعية وتبلغ نحو خمسة عشر جنسا .

فمن بين كاسيات البذور ثلاثة عشر جنسا تضم مائتى نوع نباتى تحمل جذورها عقدا بكتيرية ،ولعل هناك غيرها كثير ينتظر الدرس والبحث . فهذه الاشجار الخشبية المعمرة ، انها نباتات رائدة تنمو في مساحات فقيرة في الازوت منتشرة في‌جهات متفرقة من العالم ، وتنتسب الى فصائل بعينها من امثال الكازورينه ، والخلنجية والنبقية والوردية والرطرية ، وحبذا لو وضع مشروع بحث استقصائي لهذا الموضوع تحت اشراف هيئة دولية لمعرفة المزيد عن هذه النباتات المثبة للازوتات ، التى تزيد في خصب التربة وبالتالى تزيد في محصولها .

وتنمو العقد البكتيرية على هيئة تآليل جانبية على البذور ، يتراوح قطرها بين بضعة مليمترات، وعشرة أو خمسة عشر مليمتر ، ويدل الفحص بالمجهر الالكترونى أنها تحوى أنواعا من البكتيريا والفطريات الشعاعية وانها تتبع نفس الطريق الذى تسلكه في النباتات القرنية للولوج الى الخلايا والانسجة ، وهي تضيف الى التربة سنويا ما بين مائة وخمسين ومائتى كيلوجرام من الازوت لكل هكتار .

اما عاريات البذور ذوات‌الجذور العقدية المثبتة للازوت فمنها ما يكون المتكافل معها احد الفطريات الطحلبية ، ينمو داخل الخلايا في القشرة كما في « بودوكاريس » ومنها ما يكون المتكافل معها احد الطحالب الزرق من امثال « نوستكوانابينا » ينمو في المسافات بين خلايا القشرة كما في«ماكروزاميا».

اما ذوات العقد الورقية من مثبتات الازوت ، فلم تكن معروفة الى عهد قريب ، ولم تكن قد لقيت العناية الكافية من العلماء والباحثين.وهي‌موجودة بصفة خاصة في « سكوتريا » و « بافيتان » من الفصيلة الفوية .

ونبات « اردیسیا » من الفصيلة « المرسنية » وهناك غدد وبراعم ورقية مثبتة للازوت في فصائل اخرى من أمثال الفربينية و «الميوبورية» ، وتتكون هذه العقد من انتفاخات تحت البشرة مملوءة بالمواد المخاطية وبالبكتيريا . وقد ثبت أخيرا انها مثبتة للآزوت ، وتنمو هذه النباتات في التربة الفقيرة في الآزوت في افريقيا واستراليا وامريكا الجنوبية وبناما . ويدلنا ذلك على التعاون العجيب بين هذه الكائنات البكتيرية الدقيقة وبين النباتات الزهرية الراقية ، فكأنما استشعرت حاجتها للآزوت ، فخفت لنجدتها، واستوطنت مساحات تحت البشرة في أوراقها ، وتكافلت واياها ، تمدها بحاجتها من الآزوت ، وتأخذ هي ما تحتاجه من عناصر ومواد اخرى .

أما الطحالب الزرق ، فانه ولو أنها تعيش مستقلة عادة ، الا ان انواعا منها تعيش متكافلة داخل خلايا جذور نخل السيكاس حيث تثبت الآزوت . وهناك نحو أربعين نوعا من الطحالب الزرق مثبتة الآزوت تنتمي أساسا الى رتبتين هما « نستوكيات » « نوستك » و « كالوثركس » و « اولسيرا » ، ورتبة « ستيجونيماتيات » مثل « فيشريلا » ، وهذه الاجناس نباتاتها خيطية وتحتوى على خلايا متحوصلة وخالية ، ليست هي المختصة بتثبيت الآزوت ولكنها الخلايا الاخرى المتجانسة. ولكن وجود هذه الخلايا المتحوصلة دليل على الطحالب الزرق مثبتة الآزوت . منها ما يعيش في المناطق القطبية حيث درجة الحرارة نحو الصفر ومنها ما يعيش في مياه الينابيع الساخنة حيث درجة الحرارة نحو ٥٠ م . بل ان منها ما يعيش في المناطق الملحية وفي البحار واشهرها أنواع من جنس « نوستك » و « كالوثركس» وقد ثبت انتشارها في بحر العرب، والمحيط الهندي والاطلنطي الجنوبي وتبلغ اقصى انتشارها في البحار تحت القطبية ، انها تضيف جرامين ونصف جرام من الآزوت لكل متر مربع سنويا ويساوى هذا المقدار عشر ما يضيفه نبات قرني من المحاصيل المنزرعة .

١٥ جنسا من البكتيريا المثبتة للآزوت

وحتى سنة ١٩٥٠ كان المعتقد أن «آزوتوباكتر» و « كلوستريديم » هما الجنسان الوحيدان من البكتيريا اللذان يثبتان الآزوت . الا انه منذ ذلك التاريخ زادت معلوماتنا في هذا المجال ، فقد عرفنا معظم أنواع البكتيريا مثبتة الآزوت ، هي من البكتيريا « اللاهوائية » ، فلم يكن من الميسور التعرف اليها في المستنبتات الهوائية، حيث لاتوجد بطبيعة الحال. ومنذئذ زاد عدد الاجناس البكتيرية مثبتة الآزوت الى أكثر من خمسة عشر جنسا . أما البكتيريا الهوائية مثبتة الآزوت مثل « ازوتوبكتر » فانها انشط ما تكون للتثبيت عندما تكون نسبة الاكسوجين ٢٠٪ فقط من كميته العادية في الهواء .

ويتراوح ما تضيفه البكتيريا مثبتة الآزوت من هذا العنصر الهام من عشر الكيلوجرام الى ثلاثة وسبعين كيلوجراما لكل هكتار سنويا تحت ظروف لا هوائية . والى نحو خمسة وثلاثين كيلوجراما تحت ظروف هوائية .

وبعد : فهذه لمحة عابرة عن النباتات مثبتة الآزوت ، وعن الدور الهام الذي تقوم به ، والذي يمكن أن تلعبه بالنسبة لاخصاب الارض وزيادة انتاجها من المحاصيل ، مما يساعد على الاسهام في حل مشكلة الغذاء الذي يشتد عليه الطلب من السكان الذين يتزايدون كل يوم ولعلها توضح ما يمكن أن يسهم به العلم والبحث العلمي في هذا المجال ، وكيف كنا نعتقد الى عهد قريب أن نباتات الفصيلة القرنية هي وحدها ذات العقد البكتيرية مثبتة الآزوت فاذا مئات الانواع من غير القرنيات تؤدى نفس المهمة بنجاح ، وكذلك يلعب العلم دوره في حل مشكلة الغذاء والتقدم الحضاري للانسان .

■■

القاهرة — **عبد الحليم منتصر**

مسابقة العربي

١٠ أسئلة سهلة في جغرافية الوطن العربي

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في عشرة أسئلة كلها تتعلق بجغرافية وتاريخ وطننا العربي ، والمطلوب منك الاجابة على سبعة من هذه الاسئلة للفوز باحدى جوائز المسابقة :

١ ـ عبد القادر مختار ـ عبد الكريم الخطابي ـ احمد عرابي ـ عثمان دقنة ـ ابراهيم هنانو ـ عبد القادر الحسيني .

ستة اسماء لابطال لعبوا دورا تاريخيا بطوليا في وطننا العربي .. اختر اربعة اسماء من هذه ، واذكر الدول التى انتسبوا اليها ..

٢ ـ يطل الوطن العربي على البحار من خلال اكثر من ١١ ميناء كبيرا تشرف على البحر الابيض المتوسط ، واكثر من ثلاثة موانىء تقع على شاطىء المحيط الاطلسي ، واكثر من ٢ موانىء على البحر الاحمر ، ونحو ثلاثة موانىء على خليج عدن وبحر العرب وخليج عمان ، واكثر من خمسة موانىء تطل على مياه الخليج العربي ، فاذكر اسماء ١٥ ميناء من هذه الموانىء على الاقل بالترتيب قادما من غرب الى شرق .

٣ ـ دولة عربية كانت تستورد المياه العذبة من جارتها داخل السفن ، ثم تحولت الى ماء البحر فقطرته بواسطة اكبر جهاز عالمي لتقطير ماء البحر .. ما اسم هذه الدولة ؟

٤ ـ قطر عربي .. سواحله الشرقية تغسلها مياه خليج .. وسواحله الغربية تغسلها مياه بحر ، ومع ذلك ليس فيه نهر .. فما اسم هذا القطر ؟

٥ ـ جامعة القرويين ، وجامع القيروان ، وجامع الزيتونة ، كل منها يقع في مدينة عربية مختلفة .. اذكر اسماء هذه المدن ؟

٦ ـ جميع الدول والامارات العربية لها حدود متصلة باليابسة .. ما عدا امارة ليس لها الا حدود بحرية اذكر اسم هذه الامارة .

٧ ـ شط العرب .. اسم نهر واسع عريض يتكون من التقاء نهرين كبيرين ما اسم هذين النهرين .

٨ ـ ياقوت الحموي / ابو الفرج الاصفهاني / عبد الله بن المقفع .

ثلاثة كتاب اشتهر كل منهم بكتاب خاص اذكر اسماء كتبهم الثلاثة (معجم البلدان / الاغاني / كليلة ودمنه) .

٩ ـ اكمل هذا الرقم بحيث يمثل السنة التى استقلت فيها الجزائر .. والرقم هو ١٩٦

١٠ ـ بغداد / القاهرة / دمشق .. اى هذه العواصم اقدم ، وايها الاحدث بناء ؟

الجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٤ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٩ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

شروط المسابقة

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

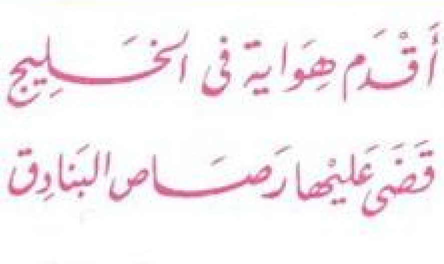
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

استطلاع

الكويت

الصَّيْدُ بالصُّقور



أَقْدَم هِوايَة فى الخَلِيج
قَضَى عَلَيْها رَصَاص البَنادِق

قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال**

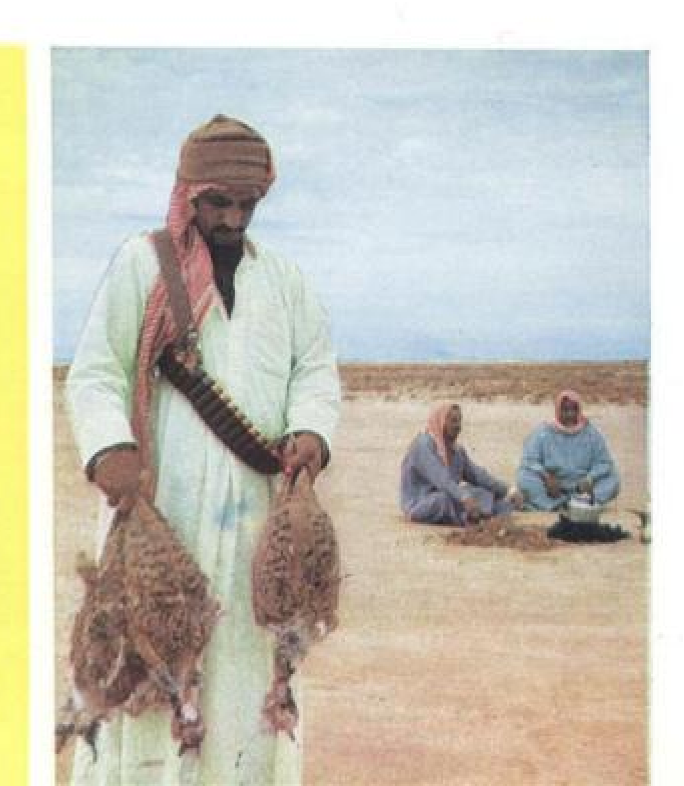


شجاعة الصقر تعادل القوة الخارقة التي يتمتع بها ، اذا ما قارناه بالطيور التى من حجمه ، لهذا يميل الناس الى تدريبه ليأخذوه معهم في رحلات الصيد التى يتنقل افرادها داخل سيارات مكشوفة حاملين الصقور على أيديهم ، لا يطلقونها الا عند تأكدهم من وجود طير الحبّارى .. كما ترى في الصورتين السفليين .





ما يكاد الصقر يلمح طير « الحُبارى » ، الذى يوازى الدجاج في حجمه ، حتى ينقض عليه ويبدأ في الفتك به بمنقاره ومخلبه الخلفى المسمى «الصايد» .. ويحرص الصقر على الابتعاد عن جناح « الحُبارى » الذى يحوى قطعة عظم قاسية ، يمكنها أن تقتله اذا أصابته على رأسه .. وفي الصورة العليا ترى الصقر جاثما فوق طير الحُبارى ينهش ريشه .. وعندما يشهد بقية سرب الحُبارى ما حل بواحد منه يصعد طائرا من المنطقة ، فتلحقه نيران البنادق السريعة لترديه قتيلا .. والى اليمين بعض الحُبارى بعد صيدها بالرصاص وذبحها بالسكين يحملها أحد أتباع الصياد



■ مع خيوط الفجر الأولى تحركت القافلة الى قلب الصحراء ، والهدف صيد طير « الحبارى » .. لقد شهدت رمال هذه الصحارى قوافل خرجت مع الفجر لنفس الغرض منذ قرون مضت ، كلها تسعى لصيد البر .. صيد طائر حبا الله به هذه الصحارى في موسم معين .. ولكن قافلتنا كانت قافلة ميكانيكية .. سيارات فارهة تطوى الأرض طيا ، وتخلف وراءها غبارا كأنه ستار من الضباب يلف صورة الماضي بجمالها وخيولها ..

وبدأ الصيد .. واطلق الصياد الصقر في الهواء .. وانطلقت السيارة بسرعة ١٢٠ كيلو مترا خلف الصقر الطائر .. وبدأ الصقر يحوم في الجو ، وفجأة انقض كالصاروخ على الارض واختفى وسط الأعشاب .. وأوقف السائق السيارة ، واستعد الصيادون ببنادقهم ، ومن حول المكان الذى فيه الصقر ، طارت عشرات طيور الحبارى ، وكأنها الدجاج السمين المجنح .. وانطلقت النيران من فوهات البنادق ، وتساقطت طيور الحبارى لتختلط دماؤها الحمراء برمال الصحراء الصفراء.

صراع الحبارى مع الصقر

واتجهت السيارة نحو الصقر ، لتجده في صراع رهيب مع احدى طيور الحبارى .. انه يضربها بمخلبه الخلفى ، ولكنه يحترس منها ، فهو يعلم جيدا انها في ساعة يأسها تفرز مادة لزجة هي « الذرق » اذا تناثرت على جناحيه عاقته عن الطير ، لهذا تجده يحتاط من الحبارى المسكينة التي يوقعها سوء حظها بين مخالبه .. انه احد أسلحتها ضد هذا الطير الكاسر ، الذى سرعان ما ينقض على رأسها الصغير فيهشمه بمخلبه الخلفى المسمى « الصايد » .. ويأتى الصقار « صاحب الصقر » ويقوم بتخليص الفريسة ، قبل أن يلتهمها الصقر ..

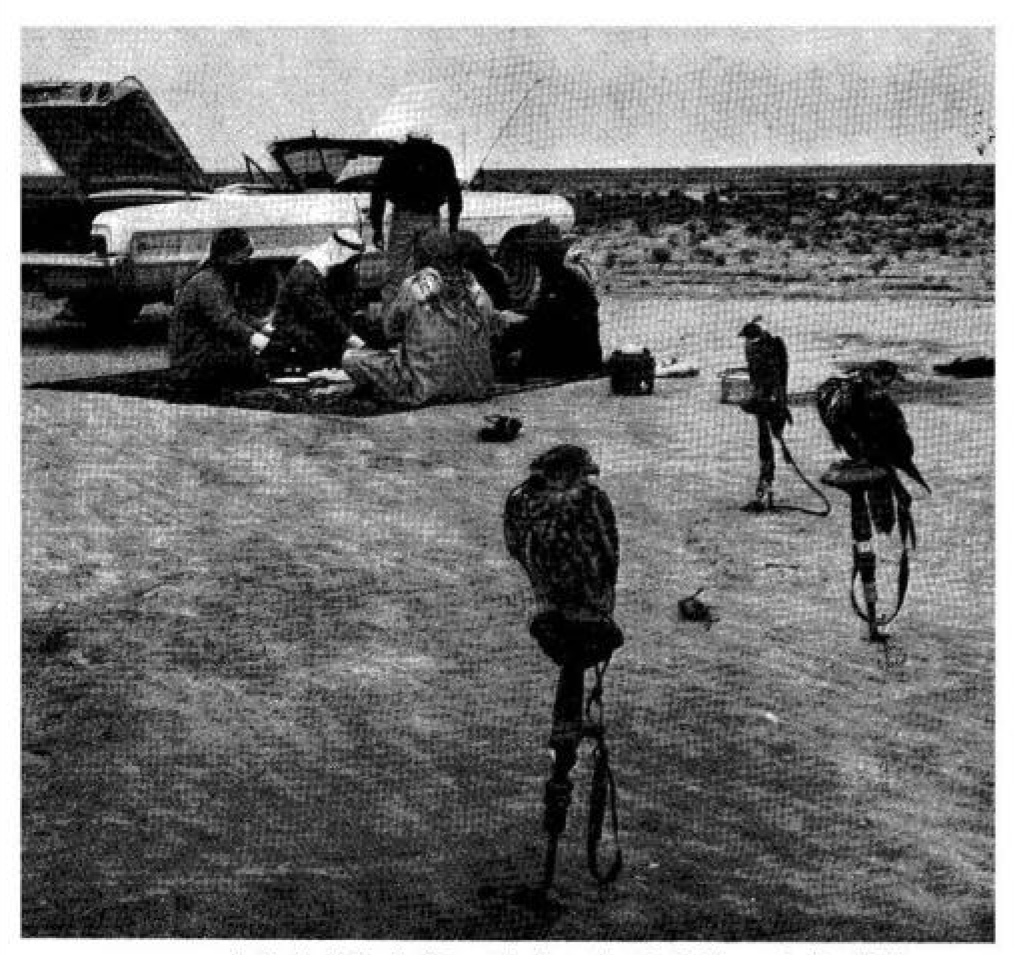
أبله من الحبارى !

ولكن يحدث في بعض الأحيان ان تكون الحبارى سمينة قوية حتى انها تقف ندا للصقر تصارعه ، لا بل وتصرعه اذا تمكنت من ضربه على رأسه بجناحها الذى يحوى قطعة من العظم قوية ..

وكثيرا ما تدور المعركة بينهما في الجو ، فعندما يشهد الصقر « الحبارى » طائرة في الجو ، ينقض عليها ويصيب مقتلا منها قبل أن يطرحها على الارض ..



يبدأ موسم الصيد في الكويت مع نهاية شهر اكتوبر حتى نهاية شهر ابريل من كل عام .. وكان الناس يخرجون للصيد على الأقدام وظهور الخيل والجمال في قديم الزمان .. أما اليوم فقوافل الصيد تنطلق في سيارات فارهة مكشوفة ، لا تبالي بوعورة أرض الصحراء وأعشابها ، كما ترى في هذه الصورة



اذا كانت الحبارى متوفرة وكثيرة ، والصيد ناجحا ، عمد قائد الرحلة الى التوقف لتستريح الصقور ، ويتناول الصقارون واتباع الصياد طعامهم ، ولتستريح السيارة في نفس الوقت !!

والحُبارَى هي طائر حجمه اكبر من الدجاجة العادية ، وعنقه اطول ، لحمه أحمر لذيذ ، يضرب المثل به في البلاهة ، لأنه ينسى مكان عشه ويحتضن بيض غيره !!

وخلف هذا الطائر اللذيذ ينطلق هواة الصيد في الكويت ، ابتداء من شهر نوفمبر حتى نهاية شهر ابريل من كل عام ..

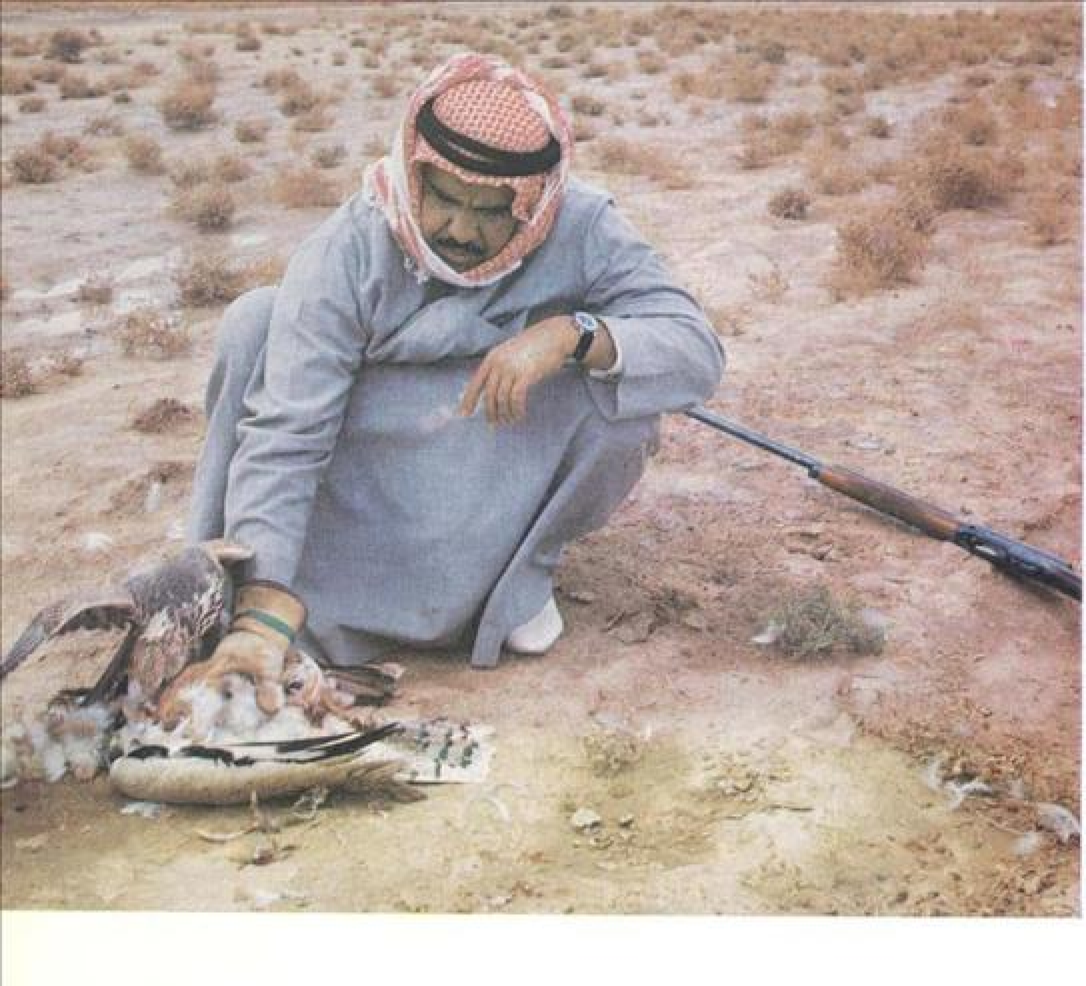
الصينيون أول من استعمل الصقور

وقصة الصيد بالصقور ترجع الى العصور القديمة جدا ، فقد عرفته الصين منذ ...٤ عام على ما يبدو..واليابان عرفته قبل المسيح بستمائة عام ، وكذلك الهند وايران والجزيرة العربية وسوريا .. ولكن الصيد بالصقور كاد أن ينقرض من جميع هذه الدول لينحصر في الجزيرة العربية ودول وامارات الخليج العربي ..

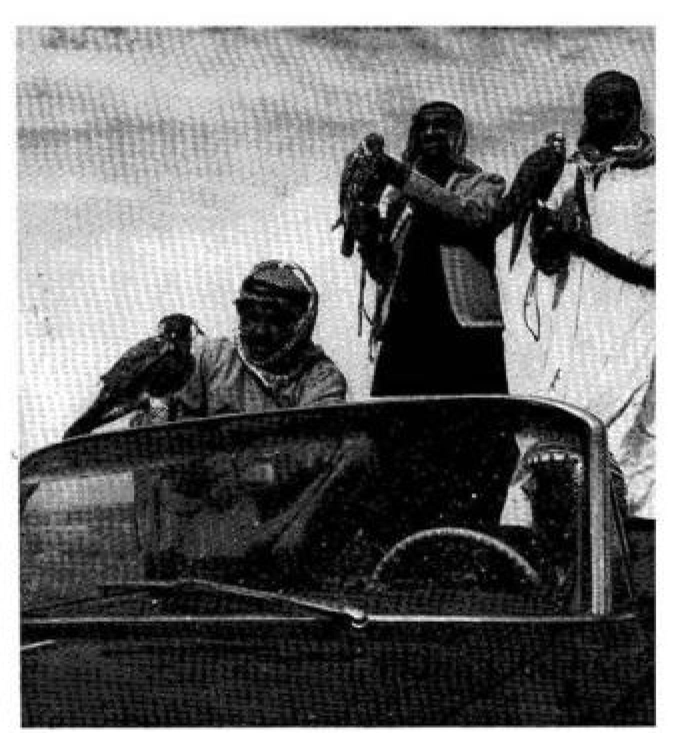
المملكة العربية تمنع الصيد بالبنادق

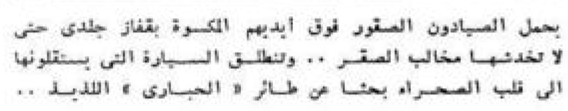
كان اهل الكويت في السابق يخرجون على ظهور الخيل والجمال وعلى الأقدام ، حاملين الصقور على أيديهم يصطادون بها الحبارى المتجمعة على مسافة عشرة كيلومترات من عاصمتهم .. اما اليوم فقد تبدل الحال واصبحت السيارات المكشوفة تعبر الحدود الى اراضي المملكةالسعودية

يتم تدريب الصقر خلال شهر من الزمان .. وتتم عملية التدريب باطلاق اسم عليه ، ثم تربط ساقه بحبل طويل ويترك ليطير في الجو وبعدها يناديه صاحبه باسمه ملوحا له بطعامه المفضل ؛ وهو حمامة طازجة ؛ فيهرع اليه لتناول طعامه ؛ وتتكرر العملية حتى يتدرب الصقر عليها تماما ، كما ترى في الصورتين العليا والسفلى



.. وبعد أن يصبح الصقر مدربا أحسن تدريب يأخذونه معهم في أول رحلة صيد ، ويطلقونه في الجو عندما يشعرون بأن الحبارى موجودة في المنطقة ، وفي هذه المرة يكون الصقر حرا غير مربوط الساق .. وعندما يلمح الصقر « الحبارى » ينقض عليها ويفتك بها ويبدأ في التهامها ، ولكن الصياد يأتي اليه ويخلص الفريسة من بين براثنه قبل أن يلتهمها كلها ، كما ترى في الصورتين المنشورتين مع هذا الكلام ..





يحمل الصيادون الصقور فوق أيديهم المكسوة بقفاز جلدى حتى لا تخدشها مخالب الصقر .. وتنطلق السيارة التى يستقلونها الى قلب الصحراء بحثا عن طائر « الحبارى » اللذيذ ..



على الجمر المشتعل يصنع اتباع الوقت يقومون بشي «الحبارى» التى الاحمرار ، وهو أطيب من

والعراق وايران ، واحيانا تصل حتى سوريا ، بحثا عن طائر الحبارى المسكين .

وتنبهت المملكة السعودية الى خطورة الصيد بالبنادق الحديثة فاصدرت في نهاية عام ١٩٦٥ بيانا جاء فيه بأنه حفاظا على الثروة الحيوانية البرية وحماية لها من الانقراض فقد رأت السلطات المختصة منع صيد الحيوانات بطريقة استعمال بنادق الصيد ، غير أنه يمكن لهواة الصيد الذين يسافرون الى المملكة لهذه الغاية ، أن يستخدموا الطيور القناصة (الصقور) أثناء القنص والصيد داخل المملكة العربية السعودية .. » .

اسواق بيع الصقور

لقد اصبح الصيد بالصقور هواية باهظة التكاليف .. وأشهر أسواق بيع الصقور تقوم في قرية رحيبة بسوريا . كما ان هناك اسواقا في الكويت والزبير وبغداد ، وبوشهر في ايران .

لقد ارتفعت أثمان الصقور ارتفاعا خياليا ، فالصقر الذى كان يباع بدينار واحد منذ ٢٠ عاما ارتفع سعره اليوم الى نحو ٣٥٠ دينارا ..

أنواعها وفصائلها

والصقور على أنواع منها : « الشهانة » اى الصقر الذى يطارد الحبارى في الجو اذا هربت من بندقية الصياد ، وهوطائر سريع جدا ،وصغير السن..وعندما يكبر يسمى « جرناس »..وتعيش الصقور ١٤ عاما مثل الكلاب، ولكنها تفقد حيويتها بعد ١٠ سنوات فلا تعود تصلح للصيد .. ومرض الجدرى هو المرض الخطير الذى يصيبها في منقارها ومخالبها ..

وللصقور فصائل مختلفة منها الحور الصافي ولون ريشه بني مائل الى اللون الاحمر ، وثمنه



الصياد القهوة والشاى ، وفي نفس ثم اصطيادها .. ان لحمها يميل الى لحم الدجاج بمراحل !!



يعتز الصيادون من اهل الكويت بصقورهم ، حتى انهم عند عودتهم من رحلة الصيد يجلسونها معهم في الصالون ، كما ترى في هذه الصورة التي تضم ثلاثة من وجهاء الكويت الذين يهوون الصيد ..

بخس رخيص .. والقاسي ولون ريشه يميل الى البياض وسعره مرتفع جدا .. فضلا عن فصيلتى الجرودى والشامى .

المذكر دائمـا !

ومدة تدريب الصقر تمتد من عشرة أيام الى شهر ، يقوم خلالها الصقار ، وهو من البدو المتمرسين ، بتدريب الصقر ، مبتدئا باختيار اسم له ، مثل : مختار ، فلاح ، بترول ، بركات ، عزام ، فريد ، ومن الضرورى ان يكون الاسـم مذكرا لا مؤنثا .. حتى لو كان الصقر انثى !!

طعام الصقر عصافير وحمام ! !

ثم يبدأ الصقار بتغطية عينى الصقر بغطـاء جلدى يسمونه « البرقع » لا ينزعه عنه ، الا عند اعطائه الطعام ، الذى يتكون من أحد هذه الأصناف الطازجة : العصافير ، الحمام ، البيض مـع الحليب ، اللحم بجميع أنواعه .. وبعد أن يألف الصقر تناول الطعام من يد الصقار ، يبـدأ صاحبه في اطلاقه في الهواء بعد أن يربط ساقه بحبل طويل ، ثم يدعوه باسمه لتناول الطعام ، فيهبط ثانية الى الارض.. وهكذا يستمر التدريب يوميا حتى يتأكد الصقار من أن صقره قد أصبح أليفا متمرنا ..

((هوى .. هوى))

ويخرج الصقر في رحلته الاولى راكبا سيارة مكشوفة ومحمولا على يد الصقار ، وتبدأ رحلة الصيد بعد الفجر مباشرة ، فتنطلق السيارات في اتجاهات مختلفة من الصحراء ، واذا صـادف

وقابلت راعيا أو بدويا سألته : هل شاهدت « حبّارى » في المنطقة ؟ ومتى شاهدتها ؟

وتسير السيارة في الرمال وسط الاعشاب، وبعد بضع دقائق يخلع الصقار « البرقع » الجلدي عن عيني الصقر ، ويرفع الطير عاليا بيده ويصرخ : « هُوي .. هُوي .. » .

ويمسح الصقر بعينيه القويتين المنطقة ، لان قوة نظره تمتد الى نحو أربعة كيلو مترات تقريبا .. ويظل الصقر ملتفتا يمينا ويسارا دون أن يتوقف .. فيفهم الصقّار أن المنطقة خالية من طير الحبّارى ..

ويعود « البرقع » فوق رأس الصقر .. وتنطلق السيارة في الصحراء .. وبعد ان تقطع بضعة كيلومترات اخرى تتوقف ، وينزع الصقّار البرقع ويرتفع الصقر يمسح بعينيه المنطقة ، وصوت الصقار يشجعه مرة ثانية : « هُوي .. هُوي » .. ويعاود الصقر مسح المنطقة ، والصقّار يرقبه بدقة متناهية ، وتتوقف عينا الصقر في اتجاه معين .. وعندئذ يعلم الصياد أن الحبّارى أمامه، فيطلق الصقر ، وينطلق خلفه بالسيارة وتبدأ عملية القنص الحقيقية ..

اختلاف طرق الصيد

وتختلف طريقة القنص اختلافا كبيرا من بلد الى آخر ، فأهل البحرين لا يستعملون البنادق اطلاقا ، انما ينطلقون خلف الصقر الذى أمسك بالحبّارى ويخلصونها منه .. أما أهل الكويت فأصبحت البندقية سريعة الطلقات ضرورية في الرحلات .. وقد سبق أن ذكرنا في أول هذا المقال احدى طرق الصيد ، وهناك طرق اخرى يهبط خلالها الصقر الى ارتفاع بضعة أمتار عن الارض، ويظل يحوم فوق المنطقة التى فيها الحبّارى ليخيفها فتعجز عن الطيران ، حتى يصل الصياد ويصطادها ببندقيته ..

ويحدث أحيانا أن ينقض الصقر من عل ليهبط على الارض التى يعتقد انه رأى الحبارى فيها .. ولكنه يجد نفسه وحيدا على الارض يتلفت يمنة ويسرة دون أن يلمح الحبارى ، التى تلتصق بالارض وتتوقف عن الحركة تماما، حتى جفن عينها لا تحركه .. وهكذا ينخدع الصقر المتفرس فلا يراها ، ولكن سرعان ما يأتي الصياد ببندقيته ويرى مجموعة الحبّارى وقد استبد بها خوف قاتل أعجزها عن الطيران ، فيضربها الواحدة تلو الأخرى بنيران بندقيته وهي باقية في مكانها دون حراك .

متى يهرب الصقر ؟

أما الحالات التى يختفى فيها الصقر ويهرب ، فتحدث عندما ينطلق خلف حبارى سريعة ، وتكون الارض وعرة فتعجز السيارة عن اللحاق بهما ، ويضل الصقر طريقه ، فتنقطع الصلة بينه وبين صاحبه ..

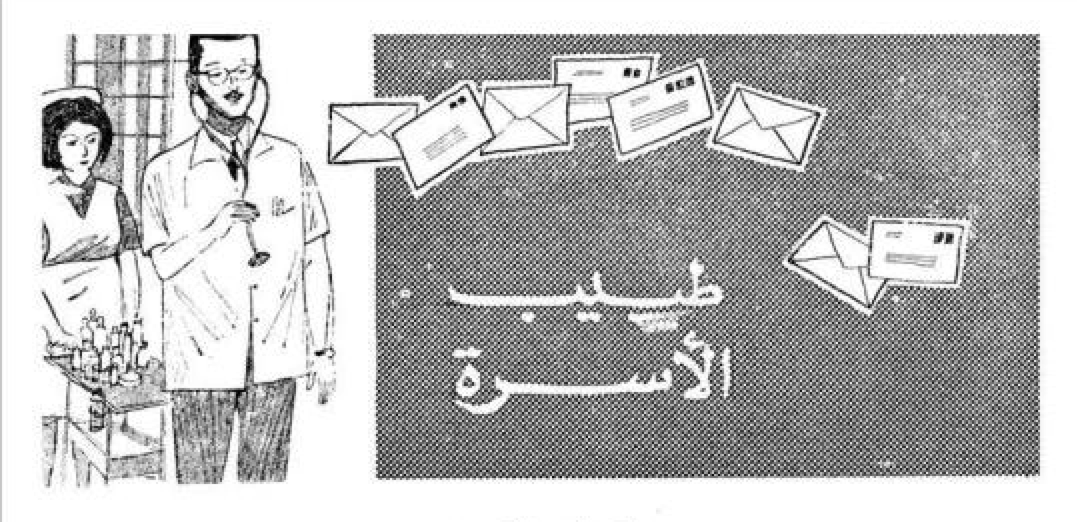
والصقر عندما يضل طريقه يتعرض لمخاطر لا تقل خطورة عن تعرض الحبارى لمخالبه ، فكثيرا ما يقع الصقر فريسة لطائر العقاب الكبير الذى ينقض عليه ويفترسه ، تماما كما يفعل هو بالحبارى المسكينة ..

في الصيف يتساقط ريش الصقر

وكثرة استعمال الصقر في الصيد تصيبه بارهاق شديد ، مما يجعل الصياد يأخذ معه اكثر من صقر في كل رحلة يقوم بها .. وفي فصل الصيف ينتهى موسم القنص فتترك الصقور في غرفة بها مروحة، أو تيار هوائي ، حيث يتساقط ريشها ، وتستبدله بريش آخر جديد ..

متى تعود الحبارى ؟

ان هذه الهواية القديمة ، هواية الصيد بالصقور ، ما زالت الهواية المفضلة للكثيرين من أبناء دولة الكويت ، مع فارق كبير ، وهو أن الحبّارى لم تعد تحط في الارض التى طالما عاشت فيها وتوالدت منذ مئات السنين ، فقد أرهبها صوت الرصاص الذى راح ينطلق من البنادق السريعة الطلقات ، تلك التى جاءت مع الحياة العصرية ، فحولت تلك الهواية الى مجرد رحلات ترفيهية ، يخرج فيها الناس في حماس واندفاع شديدين ، فلا يلبثون أن يعودوا بخفي حنين ! فقد اختفت الحبارى،ولن تعود الا اذا تعود الصيادون من جديد على ترك بنادقهم في بيوتهم ، وخرجوا يصطادونها مع صقورهم ، كما كان يفعل الآباء والاجداد منذ عشرات السنين .. ■■



التهاب الكبد

● ذهبت الى الطبيب ، متوعكا ،فلما فحصني شخص مرضي بانه « التهاب الكبد » فما هو هذا المرض وما هي مسبباته ؟ واعراضه ؟ وكيفية الوقاية منه ..

ـ التهاب الكبد الفيروسي مرض معد يسببه فيروس خاص ينتقل بواسطة الذباب من براز المريض او بواسطة الماء الملوث بهذا البراز ، فاذا حط الذباب على الطعام لوثه واذا اكله السليم ذهب الفيروس مع الاكل الى الامعاء ومنها بواسطة الدم الى الكبد .

واعراضه أن يحس المريض بالم في منطقة المعدة مع الاحساس بالقيء مع ارتفاع في درجة الحرارة وفقدان الشهية . ويلاحظ المريض ان البول يتغير ويصبح بنياغامقا كلون الشاى ، وبعد يومين وربما تمتد الفترة الى اربعة أيام يلاحظ المريض اصفرارا في بياض العين والجلد ، واذا تبرز المريض يلاحظ أن برازه فاتح اللون . واذا زادت حدة المرض او امتد لفترةطويلة احس المريض بحكة في جلده وربما كانت من الشدة بحيث تسبب له ارقا شديدا وتمنعه من النوم .

وفي بعض الحالات تكون الاصابة شديدة والفيروس قويا ومناعة المريض ضئيلة فتسبب له غيبوبة ربما أودت بحياته .

وفي الحالات العادية والتى يأخذ فيها المريض قسطا من الراحة مع تعاطي النشويات تتحسن حالته تدريجيا فيبدأ الاصفرار في الجلد والعينين يقل تدريجيا ويأخذ البول في تغيير لونه الى اللون الطبيعي اى المائل الى الصفرة ، ويبدأ البراز في التلون الى ان يصير طبيعيا ثم تزداد شهية المريض . وأهم شيء في العلاج هو الراحةالتامة بالفراش لفترات طويلة الى ان يتم الشفاء وتعود وظائف الكبد بالتحليل الى مستواها الطبيعي .

والمرض يصيب الصغار والكبار على حد سواء، وهو كما قلت معد . والوقاية منه أن لا تأكل طعاما تلوث بالذباب ، فيغلى قبل الاكل او يطهر بالمطهرات مثل محلول برمنجنات او يغسل جيدا ان كان طازجا . ويجب العناية بذلك أثناء انتشار المرض وفي المناطق الموبوءة .

ويستحسن ان يعزل المريض حتى لا يصاب باقي افراد الاسرة بالعدوى وأعطاء المخالطين له جاما جلوبيولين Y Globulin وهي اما أن تعطى مناعة فلا يصاب متعاطيها بالمرض أو تقلل من حدة المرض اذا أصيب به . وفي الحالات التى



طبيب الأسرة

بدات اعراض المرض بالظهور لا يفيد الحقن بهذه المادة . وهناك انواع أخرى من التهاب الكبد مثل التهاب الكبد الفيروسي الذي يحدث من نقل الفيروس بواسطة الحقن عندما نحقن مريضا غير مصاب بالتهاب الكبد بواسطة حقنة استعملت في حقن مريض مصاب بالتهاب الكبد الفيروسي دون ان تغلى غليا جيدا حتى يقتل الفيروس . وهناك التهاب الكبد الاميبي الذى ينتج من بعض الحالات التى تصاب بالدوسنتاريا الاميبية .

مرض البرى ـ برى وفيتامين ب ١

● قرات اخيرا ان آلاف الاطفال يموتون في بعض الدول الفقيرة من مرض « البرى ـ برى » فما هو هذا المرض ؟ وما هي اعراضه ؟ وكيف نمنع تفشيه .. وهل هو مرض معد ؟

ـ مرض « البرى ـ برى » هو مرض منتشر في المناطق التى تعتمد على الارز كغذاء رئيسي لها وذلك لان الارز الذى ازيلت قشرته لا يحتوى على فيتامين ب١ ـ والنقص في هذا الفيتامين يسبب هذا المرض ـ اذن المرض ناتج عن نقص فيتامين ب١ في الغذاء وهو مرض غير معد وكما يقول السائل يظهر في البلدان الفقيرة التى تأكل الارز فقط دون اكل المواد التى تحتوى على كميات كافية من فيتامين ب مثل الخضراوات ودقيق القمح المطحون دون ازالة قشرة الحب (اما الدقيق الابيض الصافي فلا يحتوى على كميات كافية من الفيتامين) وكذلك تحتوى اللحوم والكبد على كميات كبيرة من فيتامين ب .

ومرض البرى برى له أنواع مختلفة كلها نتيجة لنقص الفيتامين ب ، منها النوع الذى يصيب الكبار ويؤدى الى التهاب في الاعصاب مع ضعف وضمور في العضلات مما يضعف الحركة . ونوع آخر يلهب الاعصاب ويؤثر على القلب ويسبب هبوطا فيه وتورما في الجسم . والنوع الثالث الذى يسأل عنه القارىء يصيب الاطفال وهو منتشر في جنوب شرقي آسيا وهو السبب الرئيسي في زيادة نسبة الوفيات بين هؤلاء الاطفال . وهو يحدث للطفل وهو بين ثالث وسادس شهر بعد ولادته وذلك لقلة فيتامين ب في لبن الأم التى تأكل الطعام المكون من الارز المقشور فقط والخالي من الفيتامين ـ وعندما يصاب الطفل بالمرض يصرخ كثيرا ويظهر عليه عدم الاستقرار ، ويأخذ تنفسه بصعوبة مع زيادة في النبض وتورم في الوجه وباقي الجسم ، وربما تظهر زرقة على الشفتين واللسان وانامل اليدين . هذا عندما تكون الحالة حادة . وفي الحالات المزمنة يبدو الطفل ضعيفا مع فقدان للشهية مصحوب في بعض الحالات بالقيء والاسهال الشديد . والعلاج في هذه الحالات هو اعطاء فيتامين ب١ بالحقن أو بالفم والمهم في ذلك هو الوقاية وتناول الاطعمة الغنية بهذا الفيتامين .



هكذا يبدو الطفل المريض بالبرى ـ برى ، ضعف وهزال

نوعان من الاستجماتزم

● **ما هو مرض الانحراف « Astigmatism » الذي يصيب العيون وما هو علاجه ؟ وهل يسبب هذا المرض الدوخان في بعض الاحيان .. ؟!**

ـ عندما تدخل أشعة الضوء في العين الطبيعية فانها تنكسر بواسطة القرنية والعدسة والجسم الزجاجي لتتجمع في نقطة واحدة على الشبكية وتصبح الصورة واضحة تماما .

وفي حالة قصر النظر ، فان الاشعة الداخلة تتجمع في نقطة واحدة امام الشبكية ، ويمكن تصليحها بالعدسات الكروية المقعرة . وفي حالة طول النظر فانها تتجمع في نقطة واحدة خلف الشبكية ويمكن تجميعها على الشبكة لتكون الصورة واضحة بواسطة العدسات الكروية المحدبة .

اما فى حالة الاستجماتزم ، فان الاشعة الداخلة فى العين تتجمع في أكثر من نقطة واحدة بسبب ان المحاور المختلفة للقرنية او العدسة لا تتساوى فى درجة تحدبها .



ويوجد نوعان من الانحراف او Astigmatism هما :

١ ـ الاستجماتزم المنتظم، حيث يكون اكثر المحاور تحدبا عموديا على أقلها تحدبا . وتعتبر درجة الاستجماتزم ،هي الفرق الحسابي بين القوة الكاسرة لكل من المحورين . ويوجد هذا النوع في العين الطبيعية ، ولكن بمقدار قليل بحيث لا يؤثر على حدة الابصار .

٢ ـ الاستجماتزم غير المنتظم ، حيث تكون درجة التحدب للمحاور المختلفة متفاوتة ، وليست عمودية بعضها على بعض ويتسبب عادة من السحابات المنتشرة على سطح القرنية او من القرنية المخروطية . ويؤدى هذا النوع الى هبوط ملموس في قوة الابصار .

الابصـــار

ان الاستجماتزم ـ مثل الاخطاء الانكسارية الاخرى (قصر النظر وطول النظر) ، غالبا ما يكون خلقيا ، اى ان الطفل يولد به وقد يتبدل قليلا مع نمو الجسم والعين وعلى سبيل المثال القرنية المخروطية . وقد ينتج ايضا من اسباب مرضية مثل جروح او التهابات القرنية او من اثر استخراج الكاتاركتا من العين .

الاعراض : فى حالة الاستجماتزم المنتظم ، يرى الشخص قسما من الخطوط ذات اتجاه معين بوضوح تام وفى نفس الوقت يرى خطوطا اخرى ذات اتجاه آخر بصورة غير واضحة ومشوشة .

وتتداخل الاحرف اثناء القراءة مما يؤدى الى زغللة . ولكى يرى المريض الاجسام البعيدة او القريبة بوضوح فانه يحاول غلق اجفانه بصورة غير تامة وقد يصحبها تقلص لا ارادى في عضلة الجسم الهدبى ، مما يسبب له دوخة وصداعا في الراس . واذا اهمل علاجه ، فربما يؤدى الى احتقان مزمن فى ملتحمة العين او حافة الجفون .

العلاج : ان الاستجماتزم المنتظم وهو الاكثر شيوعا قد يعالج بالعدسات الاسطوانية التى تؤدى الى تجميع الاشعة على شبكة العين ووضوح الرؤية تماما . اما الاستجماتزم غير المنتظم فلا يعالج بالنظارات العادية وانما بالعدسات اللاصقة ، او باجراء عملية ترقيع قرنية، حسب الحالة .



تأليف : مارتن اسلن (١)

مسرح اللامعقول

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية

■ كثر الحديث في هذه الايام عن ادب اللامعقول، واختلف النقاد ، والادباء ، والمثقفون فيه ، بين متحمس له ، ومندد به . فما هو هذا الادب ؟

وهذا الكتاب الذى نقدمه ، وهو « مسرح اللامعقول » لمؤلفه مارتن اسلن ، من خير الكتب التي تتناول ادب اللامعقول بالتحليل والتعليق ، باسلوب يتسم بالوضوح والدقة . ولعل مؤلف الكتاب هو خير من كتب في هذا الموضوع ، وله فيه عدة كتب . وهذه خلاصة للآراء التي وردت في الكتاب ، دون عناية بالتفاصيل .

★ ★ ★

وقد حدد زعيم من زعماء اللامعقول : هو يوجين يونسكو Ionesco ، مصطلح « اللامعقول » في مقال كتبه عن كافكا ، على النحو التالى : « المجتمع هو اللامعقول ، لا الادب . والمجتمع اللامعقول هو المجتمع الذى لا غاية له ، وهو المجتمع المنفصل عن جذوره الدينية وتقاليده ... وفي مثل هذا المجتمع يكون المرء ضائعا ، ويكون كل ما يصدر عنه لا معنى له ، ولا فائدة ترجى منه .. وبهذا يكون لامعقولا . »

وهذا الاحساس المؤلم بان انسان العصر في وضع لامعقول ، هو موضوع مسرحيات زعماء هذا الادب من امثال : بيكيت Becket ، واداموف Adamov ، ويونسكو : وجان جينيه Genet ، وغيرهم .

ولكن ليس الموضوع وحده هو الذى يجعل من هؤلاء الكتاب كتابا تطلق عليهم اسم « كتاب ادب اللامعقول » ، اذ يشترك معهم في الموضوع نفسه كتاب آخرون من مذاهب اخرى ، من امثال : جيرودو Giraudoux ، وآنويه Anouih ، وسلكرو Salacrou ، وسارتر ، وكامو . والفرق بين كتاب ادب اللامعقول وغيرهم ممن ذكرنا : ان كتاب اللامعقول يعبرون عن لامعقولية المجتمع المعاصر في ادب هو صورة عن هذا المجتمع ، ليس فيه التركيب المحكم ، والبناء المنطقي : كالذى نجده في كتابات غيرهم . واعني بهذا انه اذا كان سارتر وكامو ، مثلا ، قد عبرا عن لامعقولية

(١) Martin Esslin, The Theatre of the Absurd



يونسكو

بيكيت

الكون بأسلوب مسرحي تقليـدي ، فان كتاب مسرح اللامعقول قد واءموا بين الموضوع والاسلوب.

واذا كان كامو قد قال ان العالم في عصرنا قد فقد معناه ، فانه قد توصل الى هذه النتيجـة عن طريق التفكير المنظم الذى نجد مثيلا له عند اخلاقيي القرن الثامن عشر ، ثم عبر عنهـا في مسرحيات جهد في تنسيقها وتهذيبها . واذا كان سارتر قد قال : ان الوجود يأتي اولا ، فانه قد عرض آراءه في مسرحيات رسم شخصياتها ببراعة واتقان . وكل من كامو وسارتر يؤمن بان الحوار المدروس ، والدقة في استعمال اللغة ، يمكن ان يؤديا الى وضع حلول صحيحة للمشاكل الانسانية القائمة . وهذا في رأى كتاب اللامعقول : تناقض بين الموضوع والاسلوب . وهم يرون ان الاسلوب المنسجم مع الموضوع هنا هو السير مع الغريزة ، والاستسلام للالهام ، دون تحكيم العقل . ولهذا فان كتاب اللامعقول لايناقشون لامعقولية الوضع الانسانى ، بل يعرضونه في مسرحياتهم كما هو . وهكذا نلاحظ ان الفرق بين الادب الوجـودى (ادب سارتر مثلا) ، وادب اللامعقول ، هو في اختلاف الاسلوب المسرحي وان اتفقا في الموضوع.

★ ★ ★

وادباء اللامعقول لم يطلقوا على انفسهم هذه التسمية ، ولم يجتمعوا ليكونوا لانفسهم مدرسة ادبية خاصة بهم ، شأنهم في هذا شأن ادباء الجيل الغاضب في بريطانيا . وعكس هذا هو الصحيح ، فكل اديب منهم يعتبر نفسه غريبا في مجتمعه ، وحيدا في أدبه، لاتصله بالاخريـن صلة . فاذا وجدنا بعد هذا جوانب اتفاق بين هؤلاء الكتاب ، فانه اتفاق لاشعورى ، سببه أنهم جميعا يعكسون في كتاباتهم قلق قطاع كبير من معاصريهم في الغرب، واحاسيسه ، وتفكيره .

ونحن اذا حاولنا ان نناقش هؤلاء الكتاب في فنهم ، فان جلهم سيرفضون الدخول في حوار من هذا النوع ، وسيجيبون بأنهم مهتمون بشيء واحد فقط ، هو : التعبير عن تصورهم لهذا العالم ، وهم كفنانين يجدون انفسهم مدفوعين دفعا الى هـذا .

وهنا يأتى دور الناقد : فهو بتحليله لأدب هذه الفئة من الكتاب ، يستطيع ان يتبين وجوه الشبه بينها ، وبهذا يضع الاسس التى تجعله يعتبر هذه

الجماعة من مدرسة واحدة . وكان البير كامو هو اول من استعمل مصطلح « اللامعقول » .

★ ★ ★

وقد ظهر مسرح اللامعقول لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية : ففي سنة ١٩٤٧ و ١٩٥٠ و١٩٥٢، مثلت في باريس مسرحيات لجان جينيه، ويونسكو ، وبيكيت على التوالي . ومن اشهر كتاب مسرح اللامعقول في ايطاليا : دينو بوزاتي Dino Buzzati ، وايزيو ديريكو Ezio d'Errico وفي المانيا : جنتر جراس Gunter Grass وولفجانج هيلد شيمر، Wolfgang Hildesheimer وفي بريطانيا: سمبسون N. F. Simpson وجيمس سوندرز Saunders وديفيد كمبتون Campton وهارولد بنتر Pinter وفي الولايات المتحدة الامريكية : ادورد البي Albee وهو يشبه جان جينيه في انه لقيط ، نشأ في الملاجيء .

وباريس هي مركز ادب اللامعقول دون منازع، ولكن ادباءها انفسهم غير فرنسيين : فبيكيت انجليزي ايرلندي، ويونسكو من رومانيا ، وادادموف روسي ارمني ، وفرناندو ارابل Arrabal اسباني . وجان جينيه ، وان كان فرنسيا ، الا انه غريب غربة روحية في وطنه ، فهو لقيط قضى شطرا كبيرا من حياته في الملاجيء والسجون .

وباريس مدينة عالمية ، لافرنسية فقط ، تجتذب اليها الفنانين من كل لون : لانهم فيها يستطيعون ان يحيوا بحرية ، وينطلقوا في التعبير عن انفسهم، دون أن يحسوا بأى قيد . وفيها يستطيعون أن يجدوا المخرجين والمولين المتحمسين للافكار والاساليب الجديدة . وفيها ايضا يجدون المشاهدين القادرين على تذوق انتاجهم ، الذى قد يبدو غير مستساغ لغيرهم . ولهذا السبب لم يجد مسرح اللامعقول معارضة في باريس ، كما وجد في غيرها ، ولم يحدث ان مثلت فيه مسرحية لهؤلاء الكتاب ، ثم انسحب المشاهدون بعد قليل، كما حدث في غيرها من البلدان .

ورغم كل هذه الظروف الملائمة لنجاح مسرح اللامعقول في باريس، الا انها لاتكفي لتفسير النجاح السريع الساحق الذى حققه على مسارح العالم: من فنلنده الى اليابان ، ومن الدانيمرك الى مسارح الارجنتين . وهذا يعني ان هذه المسرحيات نجحت ، لانها تتوفر فيها عناصر النجاح ، وهذا ما سنبينه بعد قليل .

ونحب أولا أن نبين الفرق بين مسرح اللامعقول والمسرح التقليدى المعروف ، والفرق بينهما كبير جدا : فعندما مثلت مسرحيات بيكيت، ويونسكو، وجان جينيه ، وادادموف ، على المسرح لأول مرة ادهشت النقاد والفنانين عامة ، والمشاهدين . ولا غرابة في هذا ، لان هذه المسرحيات ضرب جديد غير مالوف في دنيا المسرح ويحتاج الى وقت لكي يفهم ، وتحدد معالمه . وهي مسرحيات تحطم كل القواعد التي قامت عليها المسرحيات منذ القديم: فالشخصيات فيها غير محددة السمات ، ولا تكاد تكون انسانية في ملامحها اذ هي اشبه بالدمى المتحركة ، واحداثها غير بيئة الدوافع . واذا كانت المسرحية التقليدية الجيدة محبوكة النسج، ذكية الحوار ، فان الحوار في مثل هذه المسرحية اقرب الى أن يكون ثرثرة . واذا كانت المسرحية التقليدية لها وسط ، وبداية ونهاية ، فان مسرحيات اللامعقول تبدو وكانها تبدأ وتنتهي كيفما اتفق ، دون تخطيط . واذا قسنا هذه المسرحيات بكل قواعد المسرحيات التقليدية ، بدت لنا مسرحيات رديئة ، لاتستحق أن تطلق عليها اسم مسرحيات .

والشخصيات في مسرح اللامعقول لاتصور لنا واقعنا الخارجي ، بل حقيقتنا النفسية : فهي تعكس لنا مخاوفنا ، وكوابيس احلامنا ، ولكنها لاتعرض لنا قضية فكرية ، ولاتقدم حلولا لمشاكل الانسانية . ولهذا فاننا نجدها تسير في حلقة مفرغة ، فتنتهي حيث بدأت . واذا كان من الطبيعي ان يسأل المشاهدون في المسرحيات التقليدية : وماذا سيحدث بعد هذا الذى نرى على المسرح ؟ ثم يحاولوا ان يستنتجوا الاحداث التالية من سياق المسرحية ، فان مثل هذا السؤال اذا أثير في مسرح اللامعقول ، كانت الاجابة عليه مستحيلة ، لان اى شيء يمكن ان يحدث ، مادام هذا المسرح لايسير على قاعدة . ولعل التساؤل المعقول في مسرح اللامعقول هو : مامعنى هذا الذى يحدث ؟ ان المسرح التقليدى ينتهي عادة بحل ، اما مسرح اللامعقول فانه يثير في نفوس المشاهدين تساؤلات ، تختلف من واحد الى آخر. وكاتب مسرحية من ادب اللامعقول لايهدف الى أن يقص علينا قصة ، ولايريد من المشاهدين ان يعودوا الى بيوتهم وقد ارتاحت نفوسهم ، لانهم وقعوا على حل للمشكلة التي عرضتها عليهم المسرحية .

ولهذا فلا معنى لان نلوم اديب اللامعقول ، لانه لم يفعل ما لم يرد هو ان يفعله . والمهم ان ندرك ما الذى يريده ويسعى اليه .

★ ★ ★

ولابد من ان يفرض السؤال التالي نفسه علينا: لماذا انصرف كتاب اللامعقول عن الطريقة التقليدية فى كتابة المسرحية ، بما فيها من ايمان بقيم ثابتة، وعالم واضح المعالم ، واختطوا لانفسهم اسلوبا جديدا ؟

والجواب عن هذا السؤال واضح : فكتاب اللامعقول لايؤمنون بان عالمنا المعاصر واضح الغاية والهدف ، او انه معقول ومنطقي ، او انه قد بقيت فيه حقائق مسلم بها . ولذلك فانهم يعبرون فى مسرحياتهم عن اندهاشهم ، وحيرتهم ، واحيانا عن يأسهم ، فى عالم لايجدون له معنى ولايدركون له غاية . ان المسرحيات ذات القيم الثابتة ، والعوالم الواضحة ـ كما هو الحال فى المسرحيات التقليدية ـ مناقضة ، فى رأيهم ، لواقع عصرنا الذى نحيا فيه ، والذى أصبح فى النصف الثاني من القرن العشرين عالما تعمره الصور المفزعة . وفى هذا العالم غاضت العلاقات الانسانية . وفقدت اللغة مدلولها ، ومثال ذلك : اننا نجد الشخصيات فى هذه المسرحيات ، تتحدث احيانا عن الطقس ، او تسأل احداهما الأخرى أسئلة مختلفة ، لنكتشف ان كل هذا الحديث ليس سوى تعبير عن الجليد الذى يفصل بين الشخصيات ونوع من الهروب حتى لاتبوح احداهما للاخرى بما فى نفسها . ونجد ان احدى الشخصيات فى مسرحية للكاتب (هارولد بنتر) تحمل مسجلا ، فاذا ارادت ان تتحدث ادارت المسجل ، وهذا يرمز الى تفاهة ما يدور بين الناس من حديث ، فهو دائما معاد مكرور .

★ ★ ★

ورغم هذا الخروج الجذرى عن الطريقة التقليدية المألوفة ، فان كتاب مسرح اللامعقول نجحوا نجاحا باهرا ، لانهم يرسمون فى مسرحياتهم صورة لجنون عصرنا الحافل بالمتناقضات ، ولانسان هذا العصر الذى تحيط به ظلمة لاكاشف لها . انهم يعرضون علينا بصورة ساخرة ، لبست لبوس الجد ، لامعقولية الناس الذين يعيشون فى وجود لايدركون كنهه ، كما يكشفون لنا عن لامعقولية الوضع الانسانى ، بعد أن جُرِّد الانسان من الايمان الذى كان يزوده بالحقائق والمسلمات .

وهكذا نجد الشخصيات فى مسرحيات اللامعقول تقف وجها لوجه امام مظاهر الوجود المحيرة : كالحياة ، والزمن ، والموت ، مجردة من عرض الدنيا : كالمركز الاجتماعي ، والوجود التاريخي. وعلى سبيل المثال نجد شخصيات (بيكيت) تجابه مشكلة الزمن ، بينما تعرض مسرحيات (يونسكو) لمشكلة الموت ، وتتناول مسرحيات جان جينيه الوجود الانسانى كله ، وقد عرّى من الطبقات التى تكاثفت عليه بمرور الزمن . وفى مسرحيات (بنتر) يحاول الانسان ان يجد لنفسه مأوى متواضعا وسط الظلمة والبرودة ، اللتين تطبقان عليه . وهو يسعى عبثا للوصول الى قانون اخلاقي يرضى به فى مسرحيات (اداموف) ينتهي الى أن العمل الجاد فى الحياة يؤدى الى النتيجة نفسها التي تقود اليها الحياة الاتكالية اللامبالية .

ويعرض علينا كتاب مسرح اللامعقول شخصيات لانجد تفسيرا لانفعالاتها ، وافعالها . وكلما كانت هذه الشخصيات أكثر غموضا،وبعدا عن النموذج البشرى ، كان من العسير على المشاهد ان يرى العالم كما تراه هي . ومن البديهي ان الشخصيات التي لا يستطيع المشاهدون ان يروا فيها انفسهم، لابد وان تكون شخصيات كوميدية . ونحن قد نجد فى المسرحيات التقليدية مثل هذه الشخصيات، جنبا الى جنب مع شخصيات اخرى تسلك سلوكا سويا ، ونستطيع أن نتعرف عليها ، ونتجاوب معها . أما فى مسرحيات اللامعقول ، فكل شخصياتها غامضة ، غير سوية ، كوميدية ، هي صورة عن مخاوف الانسان المستترة فى اللاشعور، والتي يسعى دوما الى كبتها واخفائها .

وهكذا كانت النتيجة ان كان مسرح اللامعقول مسرحا كوميديا ، رغم أن موضوعه جاد وخطير . ولكنه ليس كوميديا بالمفهوم التقليدى ، فهو يمزج بين الفكاهة المضحكة ، والمرارة المؤلمة .

والانسان فى مسرحيات هؤلاء الكتاب جميعا ، دائما وحيد ، سجين ذاته ، عاجز عن عقد صلة بينه وبين الآخرين . ومن أجل تصوير هذا الواقع، كان أدباء اللامعقول معادين للغة بصورة عامة ، وللتعبيرات المحفوظة بصورة خاصة ، لان اللغة

لم تعد تستعمل لما وضعت له ، أى نقل المعاني التي تدور في نفس الانسان بصدق ، دون زيف ، وهم بعملهم هذا انما يحاولون ان يفتحوا اعين الشاهدين على هذه الحقيقة ، من اجل أن تعود اللغة الى اداء رسالتها ، فتعبر عما يحس به الانسان ، ولايتحقق هذا الا اذا اعدنا للفظة حرمتها ، واستبدلنا التعبيرات المحنطة بتعبيرات اخرى حافلة بالحياة .

★ ★ ★

وتوضيحا لكل ما سبق نقف وقفة قصيرة عند مسرحية لصمويل بيكيت ، واخرى ليوجين يونسكو .

اما مسرحية بيكيت فهي المسرحية المشهورة « بانتظار جودو » Waiting for Godot وهي مسرحية قادرة على اثارة قدر كبير من التوتر ، رغم أنه لاشيء يحدث فيها ، فشخصياتها الكاريكاتيرية لاتفعل شيئا ، من اول المسرحية الى آخرها ، سوى انتظار مجيء (جودو) ،الذى تنتهي المسرحية دون ان يجيء . ويبدو أن (جودو) هذا شبيه بالمسيح المنتظر .

وقد مثلت فرقة مسرحية هذه المسرحية على مسرح سجن (سان كونتن) ، وحضرها الف واربعمائة من السجناء ، وكان ذلك في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) من سنة ١٩٥٧ . وكانت هذه المسرحية هي أول مسرحية تمثل في هذا السجن ، منذ ان ظهرت على مسرحه الممثلة الفرنسية المشهورة سارة برنارد ، سنة ١٩١٣ . وكان القلق يبدو على وجوه الممثلين ، لانهم كانوا يدركون انهم يقدمون مسرحية من اكثر المسرحيات غموضا وتعقيدا ، أمام مشاهدين عرف عنهم العنف . وهي في حد ذاتها مسرحية اثارت كثيرا من الجدل في اوساط المثقفين ، والمفكرين ، عندما عرضت في اوربا . والعجيب بعد هذا ان تنجح هذه المسرحية هنا نجاحا منقطع النظير ، لم تحظ به على مسارح باريس ، ولندن ونيويورك . ولعل السبب في هذا ان السجناء استقبلوها استقبالا تلقائيا ، ولم يحاولوا فلسفتها ، ويروى ان احد السجناء قال لمراسل احدى الصحف : « اننا ندرك معنى الانتظار الذى مارسناه طويلا .. ونحن على يقين من أن (جودو) نفسه لو جاء ، فانه سيكون مخيبا للآمال » !! وقد بلغ من تأثير هذه المسرحية في نفوس سجناء سجن (سان كونتن) ان أصبحت لغتها ، وتعبيراتها ، جزءا من لغتهم اليومية ، لانها تتناول موضوعا ينطبق على حالتهم ، وهو : الانتظار دون أمل .

وأما مسرحية يونسكو فهي المسرحية المسماة « اميديه » Amedee : وفيها نشاهد زوجا متوسط العمر ، وزوجته ، في وضع غير مستمد من واقع الحياة ، فهما لم يغادرا شقتهما منذ سنوات . وتحصل الزوجة على عيشها من عملها كعاملة تليفون تديره من منزلها . اما الزوج فمنكب على كتابة مسرحية ، ولكنه لم يكتب منها خلال كل هذه السنوات سوى سطور قليلة . وفي غرفة النوم جثة مسجاة ، مضى عليها في وضعها هذا سنوات . ونحن لانعرف جثة من هي ، ولعلها جثة عشيق الزوجة الذى قتله الزوج ، عندما ضبطهما معا . واغرب ما في الجثة انها تكبر يوما بعد يوم ، حتى تصبح ضخمة لدرجة ان قدمها تتعدى غرفة النوم الى غرفة الجلوس ، وتهدد الزوجين بطردهما من بيتهما ، اذ لا تترك لهما مكانا يقيمان فيه. ونحن لانرى مثل هذا المشهد في حياتنا اليومية، ولكنا قد نراه في أحلامنا المزعجة.

وهكذا نجد ان يونسكو قد وضع للمسرح حالة من حالات الحلم . ومن الواضح ان تمثيل حلم على المسرح لا يمكن ان تنطبق عليه قواعد المسرحية التقليدية : فالحلم لايتطور تطورا منطقيا ، وهو لاينقل افكارا ، بل صورا . ومن طبيعة الاحلام انها ترمز الى العديد من المعاني ، ولهذا فان من العبث ان نسأل : أى شيء بالذات ترمز اليه هذه الجثة ؟ لانها يمكن ان ترمز الى اشياء كثيرة .



ان مسرح اللامعقول يذكرني بكتاب نيتشه المشهور « هكذا تكلم زرادشت » ، وبحادثة فيه بالذات ، وهذه الحادثة تسير كما يلي : عندما هبط زرادشت من الجبل الذى يقيم فيه ليعظ الناس ، التقى في الغابة بشيخ صالح متنسك ، حاول ان يثنيه عن الذهاب الى المدن حيث يعيش الناس ، ويغريه بالانقطاع الى العبادة في هذا القفر . عندما سأله زرادشت : وكيف تطيق هذه الوحدة ؟ فاجابه الناسك : انظم الاغاني، والحنها، ثم اغنيها لنفسي ، وعندما اضحك ، وأبكي ،

وهكذا انمو واكبر .وبهذه الطريقة اتعبد الى‌الله.

ولكن زرادشت رفض عرض الشيخ ، واستمر في طريقه ، وعندما خلا الى نفسه ، ناجاها قائلا: اهذا ممكن ؟! وكيف ؟ الم يسمع هذا الشيخ ان الايمان قد مات !!

هذه هي الحادثة .

ولاشك ان عدد الذين‌مات‌الايمان في نفوسهم قد زاد كثيرا عما كان عليه سنة نشر نيتشه كتابه هذا (١٨٨٣) ، وهم كانوا ، ومازالوا ، يبحثون عن غاية للوجود الانساني جديدة ، بعد ان فقدوا ايمانهم ، ولم يقعوا على ايمان جديد .

وأدب اللامعقول ، في تعبيره عن المأساة الناتجة عن انه لاشيء في الوجود ثابت ويقيني ، هو في الوقت نفسه يضحك ، ويبكي ، وبهذا ينمو ويكبر . وعيبه الرئيسي ، في رأيي ، انه أدب سالب ، يلغي دور الانسان ، ويراه عاجزا عن التغلب على مشاكل العصر . وليس هذا بصحيح، فالانسان بقدراته وطاقاته ومواهبه ، قادر على صنع الأعاجيب . ■■

محمود السمره



مجمل تاريخ الأدب التونسي

تأليف : حسن حسني عبد الوهاب ـ الناشر : مكتبة المنار ـ تونس

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث تاريخ الأدب التونسي منذ الفتح العربي لافريقيا الى وقتنا الحاضر ، وقد استعرض المؤلف في كتابه العصور المختلفة التي تعاقبت على الحكم في تونس منذ الفتح العربي لافريقيا وذكر مشاهير ذلك العصر ، ثم العصر الاغلبي ومشاهير رجاله ، أمثال ابراهيم ابن الأغلب ، وأسد بن الفرات . ثم العصرالعبيدي والعصر الصنهاجي ، ومشاهير الأدباء فيه مثل ابن عبدون الوراق وابن خلوف الحروري وابن الربيب ، ثم عصر الطوائف والعصر الحفصي .

ثم الدور الحديث في العصر الحسيني الأول والثاني ، ومشاهير الأدباء فيه ، أمثال علي الرشيدي باي ، ثم ابن سعيد الحجري وأبو القاسم‌الشابي،والشاذلي خزندار . فقد أورد المؤلف نبذة يسيرة عن تلك العصور وما امتازت‌به، ثم تحدث عن الأدباء الذين نبغوا في ذلك العصر ونماذج من نتاجهم الفكري .

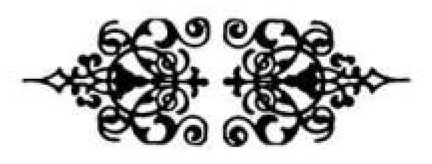
حوار بين الفلاسفة والمتكلمين حول مشكلة الوجود

تأليف : الدكتور حسام محيي الدين الالوسي
الناشر : مطبعة الزهراء ـ بغداد .

● كتاب في الفلسفة الاسلامية يتناول مسائل هامة في الفكر الكلامي والفلسفي الاسلامي ، ليس على أساس التاريخ لها فقط ، بل على‌أساس الدخول في تفاصيل هذه المسائل ودراستها دراسة مقارنة ترجع بها الى اصولها في التراث العالمي وخصوصا اليوناني ، فقد تناول المؤلف موقف الفارابي من مشكلة الوجود ، ثم موقف ابن سينا . وفي القسم الثاني من الكتاب درس المؤلف نقد المتكلمين لدليل العلة التامة ونتائجه خصوصا مسألة الترجيح ومعنى الفاعل الحر والمطلق عند الخياط والشهرستاني وابن تيمية ، اما في‌القسم الثالث من الكتاب فقد درس موقف الغزالي التفصيلي عن ادلة الفلاسفة الاربعة على قدم العالم واعتراض الغزالي على دليل العلة التامة ثم دليل الفلاسفة على قدم العالم على اساس الزمان .

البقية على صفحة ١٥١

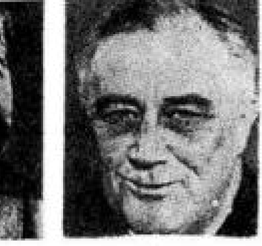




أديب وشاعر وفتوة !

● كان الدكتور صموئيل جونسن Dr. Samuel Johnson (١٧٠٩ – ١٧٨٤) ، من اعظم الأدباء الذين انجبتهم انجلترا ، ولكن قلة هم هؤلاء الذين استطاعوا ان يعرفوا الدكتور جونسن من خلال حياته الخاصة ، كما عرفه صديقه جيمس بزول ames Boswell فقد قدم بزول للادب اروع انتاج عندما سجل « حياة الدكتور جونسن » في أول كتاب له The Life of Johnson ، لا لان بزول كان كاتبا كبيرا ، ولكن لانه اختار شخصية من اعجب الشخصيات التي مثلت النهضة الأوربية في ذلك العصر منذ اكثر من مائتي عام ! كتب بزول مؤرخ حياة الدكتور جونسن الأديب الشهير يقول :

« كان جونسن رجلا قوى البنية شديد المراس، تعرض يوما لهجوم أربعة رجال من قطاع الطرق ، فصرعهم جميعا ، ودخل المسرح يوما فوجد رجلا غريبا يحتل مقعده ويرفض أن يتركه له ، فحمل الرجل والمقعد وقذف بهما الى مؤخرة المسرح . حتى عندما أصبح شيخا في السادسة والستين ، لم يجد غضاضة في ان يتحدى أحد أصدقائه في سباق للجرى تحت مياه المطر في شوارع باريس . وفاز جونسن في السباق ! » .



روزفلت ستالين

أمنية زعيم مريض !

● التقى ستالين مرة بروزفلت رئيس الولايات المتحدة ، وكان مقعدا على ما يعرف الناس . فسأله ستالين : « انك تتحدث دائما عن العالم الأفضل الذى تسعى من أجل اقامته للبشرية . فماذا تعنى بهذا العالم ؟ » .

فقال روزفلت : « انى انا المريض اشتهي أول ما اشتهي ان اقف على قدمي .. لقد اكتشفت من الجلوس فوق هذا المقعد المتحرك أن هناك شبها كبيرا بيني وبين العالم المضطرب القلق الذى نعيش فيه . انه عالم أشبه شيء بعالم مشلول ، ان عيني الرجل المريض هما اللتان تستطيعان دائما ان تريا العلة » .

الى أمي

● « الى المرأة التي وهبتني الحياة .. الى أمي ! » .

« بللي بالله خطابك بمياه السين ، قبل أن ترسليه الي يا أمي ، فقد اجد فيه قطرة ارتشفها فاروى بها ظمئى .. لقد افتقدتك يا أمي ، وافتقدت الحياة على ضفاف النهر الخالد .. انني احترق شوقا للعودة الى بلدى وارضى التي شهدت مولد حبى والحاني وانتاجي الفكرى .. لست بنادم على شيء . لقد نفذت كلماتي الى قلوبهم كما لو كانت حرابا مسمومة .. مسكين هذا الملك الصغير الذى يجلس على عرش فرنسا .. غدا سيأتي يوم ما غير هذا اليوم ، وسيذكر الفرنسيون « اميل » و « جولى » .. انني أكتب الآن كتابى الجديد الذى ضمنته مبادىء الحكم السليم .. ولكنه لن يرى النور فى فرنسا الآن

تعريفات لاذعة :

المراهقة : هي الفترة التي يشعر فيها الأبناء بانهم لن يصبحوا أبدا فى مثل غباء آبائهم ! .

التعاون : ان تقوم بعمل وانت مكره عليه ، دون أن يظهر على وجهك اى مظهر من مظاهر الضجر ! .

المجاملة : عندما تطلب راى زوجتك فى مشـــكلة ، أنت تعلم تماما طريقة حلها .

الاقتصادى : رجل يشرح لك ما يجب أن تفعله بمالك ، ولكن بعد أن تكون قد فعلت به شيئا آخر .

العبقرية : القدرة على التهرب من العمل بحيث يتراءى أنك قمت به على الوجه الاكمل .

المستشفى : المكان الوحيد الذى يتردد عليه كل الناس عندما يقتربون من رحلتهم الأخيرة .

المكتبة : بيت كبير يعيش فيه الموتى مع الأحياء .



سقراط
عندما يتحدث للشباب

● كان السئيابيدس ، شابا من اشد شباب اثينا فورة ، واكثرهـم اناقة ، واقلهم تبصرا بالعواقب . وَصَفَ ذات مرة حديث سقراط واثره فى نفسه ، قال :

اننا نســـتمع الى كثير من المتحدثين ، ولكن ليس بينهم من يترك فى نفوسنا اثرا ، حتى اذا تحدث الينا سقراط ، امتلك القليل الذى يقول ارواحنا على الرغم منا .

انى استمع اليه فيثب قلبي فى صدرى ، وتجرى الدموع مدرارا من عيني ، ولقد اســتمعت الى بركليس Pericles والى كثير من الخطباء العظام ، واُقِرُّ انهم يحسنون القول ، ولكن ليس منهم من حرك روحى . اما سقراط فقد بلغ بى ما احســـت عنده انى لا اطيق الحياة التي احياها ، وتراءى لى عندها انى اذا انا لم اغلق اذنى دونه ، فسوف يجمدنى فلا استطيع حركة وابقى عند قدميه حتى ابلغ المشيب .

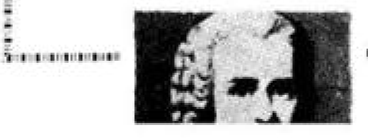
انه الشخص الوحيد الذى يجعلنى اخجل من نفسي ، ذلك لانى اعلم انى لا استطيع لما يقول جوابا . وعندما اغيب عنه تسيطر علي مباهج الحياة واهواؤها ، فاسف لانى كشفت له نفسى . ولقد يمر عليَّ حين اود فيه لو انه مات ، ومع هذا فانا اعلم انه لو مات لفرحت لموته ولحزنت فى آن ، ولكن لفرحت قليلا ، وحزنت كثيرا .

* حكموا على سقراط بالموت سما ، زعما بأنه يفسد الشباب بفلسفته .

أتمنيتى ان اعيش حتى ارى اليوم الذى تهز فيه كلماتى العرش هزا .. صلتى من أجلى !! » .

هذه فقرة من الخطاب الطويل الذى بعث به جان جاك روسو الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي المشهور ، من لندن ، الى امه فى باريس ، عندما أبعدوه من فرنسا فاضطر الى الاقامة فى بريطانيا .. ولقد تحققت امنية روسو واصبحت كتبه دستورا من الدساتير التي قامت عليها الثورة الفرنسية فى نفس ذلك القرن .. ولكنه لم يعش ليرى ثمار فلسفته .

أما اميل فهو كتابه الشهير الذى تحدث فيه عن التعليم على أســـلوب الطبيعة . وأما كتابه الذى ضمنه مبادىء الحكم السليم فلعله يعني به كـتـابه الشـهير « العقــد الاجتماعى » Le Contrat So al .





البترول فى فلسطين المحتلة

● سمعت ان هناك احتمالات لوجود كميات كبيرة من النفط في فلسطين المحتلة ، فما مدى صحة هذا القول؟

خلف العتيبي ـ الظهران ـ السعودية

ـ منذ كانت فلسطين لا تزال جزءا من الامبراطورية العثمانية ابتدا الاهتمام بالنفط ، وحصلت شركتا اويل اوف نيويورك وستاندارد الامريكيتان على ترخيص من الدولة العثمانية للتنقيب عن النفط في اراضي فلسطين عام ١٩١٤، ولكن جاءت الحرب العالمية الاولى ، واحتلت القوات البريطانية فلسطين واوقف البحث والتنقيب . ونشأت ازمة بين بريطانيا وامريكا بسبب محاولة كل منهما السيطرة على المصالح البترولية لا في فلسطين وحدها ولكن في منطقة الشرق الاوسط كلها .. وتعطلت عمليات التنقيب في فلسطين الى عام ١٩٢٢ حيث تم الاتفاق بين الحكومتين البريطانية والامريكية ، عن طريق اتفاقيات بين الشركات البترولية الامريكية والبريطانية .

وعندما احتل الصهاينة قسما من فلسطين عام ١٩٤٨ اعتبرت السلطات الصهيونية رخص التنقيب عن النفط التي منحتها حكومة الانتداب البريطاني

أصغر دولة فى العالم

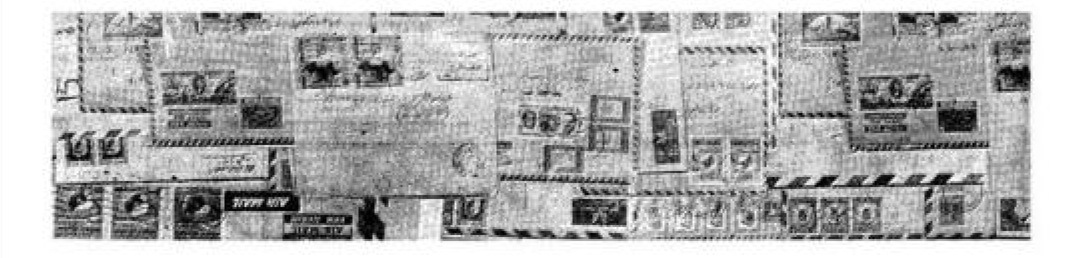
● ما هي أصغر دولة في أوربا .. وهل الفاتيكان هو تلك الدولة الصغرى حقا ، كما أخبرنا أستاذ الجغرافيا مؤخرا ؟؟

خالد سرحان ـ دمشق

ـ استاذكم ليس الوحيد في رأيه او نظرته . فمدينة الفاتيكان او الدولة البابوية هي ، في رأى الكثيرين ، الدولة الصغرى في أوربا ، ان لم نقل في العالم أجمع . ولو علمت يا اخ خالد أن مساحة هذه الدولة لا تجاوز ١.٩ فدان ، اى ما يقارب ١/٦ الميل المربع ، ولو علمت أيضا أن عدد سكانها لا يزيد على ١٠٠٠ نسمة لجزمت مع استاذك بأن الفاتيكان هو أصغر دول أوربا بلا نزاع .

وتجدر الاشارة هنا الى أن صِغَر هذه الدولة لا يتنافى وسيادتها أو استقلالها ، وقد اعترفت بهما الحكومة الايطالية في معاهدة لاتران Lateran المعقودة بين الطرفين سنة ١٩٢٩ . أضف الى ذلك ان لهذه الدولة حكومتها وقوانينها ومحاكمها الخاصة بها ، فضلا عن ممثليها الدبلوماسيين وسفرائها . ويتجلى استقلال الفاتيكان اكثر ما يتجلى في عدم دفع البابا اية ضرائب للحكومة الايطالية وذلك بالرغم من وقوع دولته ضمن اراضي الجمهورية الايطالية كما لا يخفى .

بيد أن الفاتيكان ، على كل ما ذكرناه من صغر مساحته وقلة سكانه ، ليس الدولة الصغرى



لشركات النفط الامريكية والبريطانية باطلة ، ومنحت رخصا جديدة لشركات تسيطر عليها المصالح اليهودية الراسمالية .

وبدات عمليات التنقيب منذ عام ١٩٥٢ وتم اكتشاف حقل حلتس وهو يقع في منطقة حليقات الى الشمال الشرقي من غزة ، وكانت شركة بترول العراق قد عثرت على البترول في هذه البئر في عام ١٩٤٨ ، ولكن الحفر اوقف بسبب حرب ١٩٤٨ وكان يطلق عليها اسم بئر حليقات .

وينتج حقل حلتس حوالي ١٠٪ من انتاج فلسطين المحتلة من البترول الخام .

وفي عام ١٩٥٩ تم اكتشاف حقل للغاز الطبيعي يسمى زدهار كيدور في النقب ، وهو يقع على بعد ٣٥ ميلا الى الجنوب الشرقي من بئر السبع ، ويقدر احتياطي حقل زدهار بحوالي ٥ آلاف مليون قدم مكعب من الغاز .

واتسعت عمليات التنقيب بعد ذلك فبلغ مجموع الآبار التى حفرت منذ عام ١٩٥٢ حتى اواخر عام ١٩٦٢ حوالي ١٠١ بئرا منها ٦٥ بئرا تجريبية والباقي آبار انتاج .

وفي عام ١٩٦٦ تم اجراء عمليات مسح جيوفيزيائي واسعة ، وقد وصل الانتاج الكلي للبترول في فلسطين المحتلة الى اكثر من ٢٠٠ الف طن ، منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن ، يضاف اليها بالطبع انتاج آبار البترول في أراضي شبه جزيرة سيناء والتى احتلها الصهاينة منذ حرب الخامس من حزيران /١٩٦٧ .

وهناك احتمالات اخرى لوجود البترول في اراضي فلسطين المحتلة لم تكتشف بعد .

م . ط



كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان

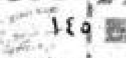
في العالم ولا حتى في أوربا . فثمة دولة أخرى بلغت من الصغر ما جعلها مجهولة او منسية ، بالرغم من ماضيها الصاخب . ولو ذكرنا ان حدود هذه الدولة الأخرى تقف عند جدران القصرين الروماتيين اللذين تشغلهما في قلب روما ، وعلى مقربة من دولة الفاتيكان .. ولو ذكرنا كذلك ان السكان الاصليين في هذه الدولة ، التى لا مكان لها في الخرائط ، لا يجاوز عددهم الأربعين نسمة .. لو ذكرنا هذا وذلك لما ساورنا شك بأنها هي بالتأكيد الدولة الصغرى في اوربا بل وفي العالم كله .

وليست الدولة التي نقصد سوى دولة فرسان مالطة ، أو ان شئت اسمها الرسمي بالكامل :

النظام العسكرى ذو السيادة لمستشفى سان جون في بيت المقدس والخاص برودس ومالطة .

Sovereign Military Order of the Hospital & St. John of Jerusalem, of Rhodes & of Malta

وقد يظن المرء أن الباعث على هذا التطويل في







الدول المتقدمة فى صناعة السيارات

● ما هى الدول السابقة في صناعة السيارات، وما هو عدد السيارات الذى تنتجه كل واحدة منها فى السنة ؟

عبد الله شابن/بغداد

ـ لعلك تجد في الرسمين المرافقين لهذا الكلام ما طلبت في سؤالك من معلومات ، واكثر قليلا مما طلبت . اذ بينما يبين لك أحدهما الدول السابقة في صنع السيارات في العالم ويرتب لك هذه الدول ، وعددها سبع ، حسب الكميات التى تنتجها من السيارات سنويا ، ترى ان الرسم الثانى يرتب لك تلك الدول السبع من حيث الكميات التى تصدرها من سياراتها سنويا .

اضف الى ذلك أن الرسمين يحددان هذه الكميات المصدرة وتلك المنتجة لا في سنة ١٩٦٨ فحسب ، ولكن في كل سنة من السنوات الثماني الماضية ايضا . اى انك تستطيع الوقوف على مدى التقدم الذى أحرزته كل دولة من الدول السبع المذكورة ، سواء في صنع السيارات أو في تصديرها ، وذلك اعتبارا من سنة ١٩٦٠ وحتى نهاية السنة الماضية .

ويلاحظ بهذه المناسبة ان التقدم الذى أحرزته اليابان في كلا المجالين في الفترة المذكورة تقدم باهر للغاية ، ويفوق التقدم الذى أحرزته اية دولة من الدول الست الأخرى ، بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية .

على ان هذا لا يعنى طبعا ان اليابان هى الدولة المتفوقة فى عدد ما تصنع من السيارات .فالدولة الأولى في هذا الصدد هى بلا منازع الولايات المتحدة الامريكية وقد بلغت الكميات التى تنتجها سنويا ١٠ ملايين سيارة أو اقل قليلا .

وقد يستغرب المرء بعد ذلك الا تكون الولايات المتحدة هذه هيالدولةالاولى فيتصدير السيارات. فتلك هى المكانة التى احتفظت بها المانيا الغربية طيلة فترة السنوات السبع السابقة ، وقد بلغ ما صدرته الى الخارج من سياراتها في السنة الماضية نحو مليونى سيارة في حين لم يزد عدد

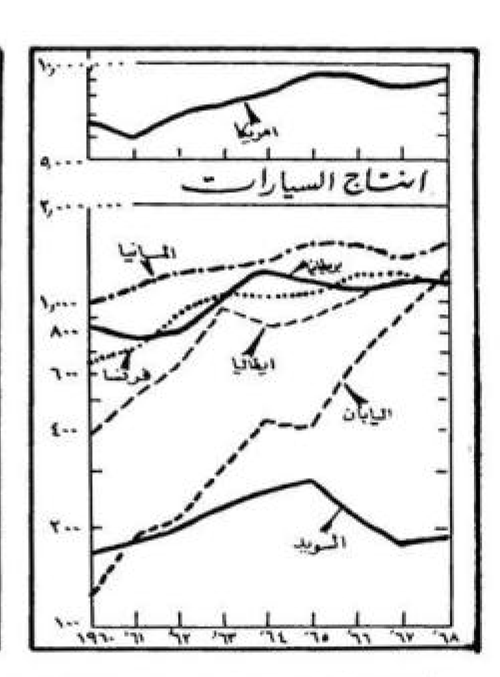
اسمها هو الرغبة في تغطية صفرها او الحرص على تاكيد سيادتها . والحقيقة هى ان سيادة دولة فرسان مالطة في غير حاجة الى هذا التاكيد . فهى ، كالفاتيكان ، تتمتع بالاستقلال التام . يدل على ذلك التمثيل الدبلوماسي الذى تتبادله و٣٧ دولة من دول العالم بقدر ما تدل عليه عملتها وطوابعها الخاصة ، التى تسكها وتصدرها وفق مشيئتها . اضف الى ذلك ان لهذه الدولة رئيسا وانه يستقبل في سائر الدول على نحو ما يستقبل به رؤساء الدول الأخرى .

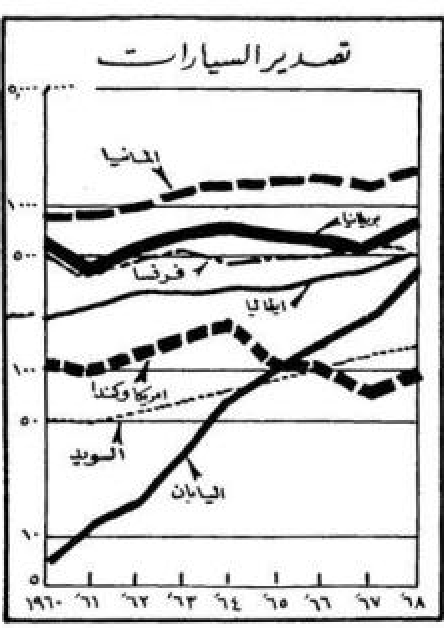
وتمارس دولة فرسان مالطة هذه أعمال البر والاحسان في هذه الأيام . فهى تقدم الخدمات الطبية للمحتاجين وتسهم في تقديم الغذاء والكساء للاجئين . وقد شملت خدماتها ومساعداتها عددا من الدول بلغ مؤخرا اثنين واربعين .

الا أن هذه الخدمات والمساعدات تختلف كثيرا عن الأعمال التى كان يمارسها أولئك الفرسان في الماضي القريب . فقد حكموا جزيرة مالطة ومن قبلها جزيرة رودس بضعة قرون عديدة وخاضوا الحروب مع الامبراطورية العثمانية في سبيل الدفاع عن هاتين الجزيرتين . وتجدر الاشارة الى انهم تمكنوا من الاحتفاظ بجزيرة مالطة حتى انتزعها نابليون من أيديهم في سنة ١٧٩٨ .

وتعود نشأة فرسان مالطة أصلا الى القرن الحادى عشر ، أيام الحروب الصليبية . وكان الهدف من تأسيس رابطتهم العمل على توفير أسباب الحماية والرعاية للراغبين من الاوروبيين التوجه الى بيت المقدس بقصد الحج والزيارة .

ي . ذ





ما صدرته الولايات المتحدة من سياراتها مباشرة ، وعن طريق كندا ، في السنة المذكورة (١٩٦٨) على المائة الف سيارة !

وتجدر الاشارة بعد هذا كله الى ان صناعة السيارات هي احدى الصناعات الكبرى في العالم. ويكفي ان نذكر ان شركة جنرال موتورز الامريكية General Motors ، وهي الشركة التي تملك مصانع الشيفروليه والبونتياك والبويك الخ .. تتفوق من حيث ضخامة دخلها السنوى على كافة الشركات الاخرى الامريكية وغير الامريكية، سواء تلك التي تصنع السيارات او تلك التي تنتج الزيت او الطائرات او غير ذلك .. فقد جاوز دخلها الاجمالي لسنة ١٩٦٨ العشرين الف مليون دولار !

ي . ز

المسيح بين التوراة والانجيل

● نسمي نحن العرب عيسى بن مريم بالمسيح ،وفي القرآن الكريم : « .. واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله .... »

ما معنى كلمة « المسيح » وهل هي عربية الاصل ؟ .

محمد علي ربيع ـ طنطا
ج٤٠٤٠

ـ كلمة المسيح « هي في الاصل كلمة عبرية بمعنى الرجل المختار . وقد اطلقها اليهود على الرجل الذى زعموا انه يأتي آخر الدهر كي يقوم فيهم بدور القائد ، ويخلصهم مما هم فيه ، فهو المخلص ، وهو الذى يقيم مملكة تسع الأرض كلها » .

اما المسيحيون فيؤمنون بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح الذى انتظره اليهود ، ولكن اليهود انكروا ذلك ، وسبب انكارهم يتلخص في الامور الآتية :

أ ـ ان عيسى بن مريم ليس له السمات التى خالها اليهود لمسيحهم المنتظر .

ب ـ ان عيسى بن مريم جاء مسالما لا محاربا ، واراد ان يخلص الناس من ذنوبهم لا من اعدائهم ، في حين ان المسيح الذى خاله اليهود ، خالوه رجلا قويا محاربا يفتك في الاعداء فتكا .

جـ ـ ان عيسى بن مريم حمل رسالة الى اهل الارض اجمع ، في حين قال اليهود ان مسيحهم المنتظر انما يكون يهوديا صميما يجيء ليخلص بني اسرائيل وحدهم دون سواهم . م . ط



■ الحرب « لعبة » عند الصغار ... و « جد » عند الكبار ، وفي كلتا الحالتين يشعلها الكبار ويحترق فيها الصغار !

كلما تذكرت تلك الحادثة وددت لو عرفت من الصبي ـ الذي لم يبق من ملامحه في ذهني سوى انفه المغطى بالنمش ـ ما مكان اقامته ومن ابواه .

في احدى امسيات الصيف دخلت حديقة عامة صغيرة ، وفوق احدى المصطبات الملقاة فيها انغمست في قراءة الكتاب الذي كان معي ، ولم انتبه لمرور الوقت الا حين بدات الحروف تنطفىء امامي .

طويت الكتاب واخذت طريقي للخروج . كانت الحديقة خالية من الزائرين ، وفي الشارع كانت المصابيح مضاءة . اسرعت الخطى حين سمعت صافرة الحارس تعلن اغلاق باب الحديقة ، ولكن توقفت فجاة ، فقد تناهى الى سمعي صوت بكاء آت من مكان غير بعيد ، دخلت من ممر جانبي محاط باشجار كثيفة فالفيت نفسي امام حجرة مطلية باللون الابيض وبجانبها « كشك » صغير يقف امامه صبي في حوالي السابعة او الثامنة من عمره وقد احنى راسه باكيا . صحت به وانا ادنو منه .

ـ ما الذي حدث أيها الصغير ، هل آذاك احد ؟

وفجاة ، وكانه تلقى امرا ، رفع راسه وكف عن البكاء واخذ ينظر الى .

ـ لا شيء ..

ـ اذن لماذا تبكي .. هيا بنا ، فالوقت متأخر وسيغلقون الحديقة .

وحاولت اخذه من يده ولكنه سحبها بعنف ، وكانت الدموع لا تزال تنساب على وجهه وقد خنقته العبرة .

ـ لا اقدر .

ـ ماذا تعني ، هل انت مريض ؟

ـ كلا

ـ اذن لماذا لا تأتي معي ؟

ـ لانني حارس .

قال هذا بصوت مرتجف .

ـ أي نوع من الحراسة ، وكيف ؟

ـ الا تفهم ، لقد كنا نلعب .

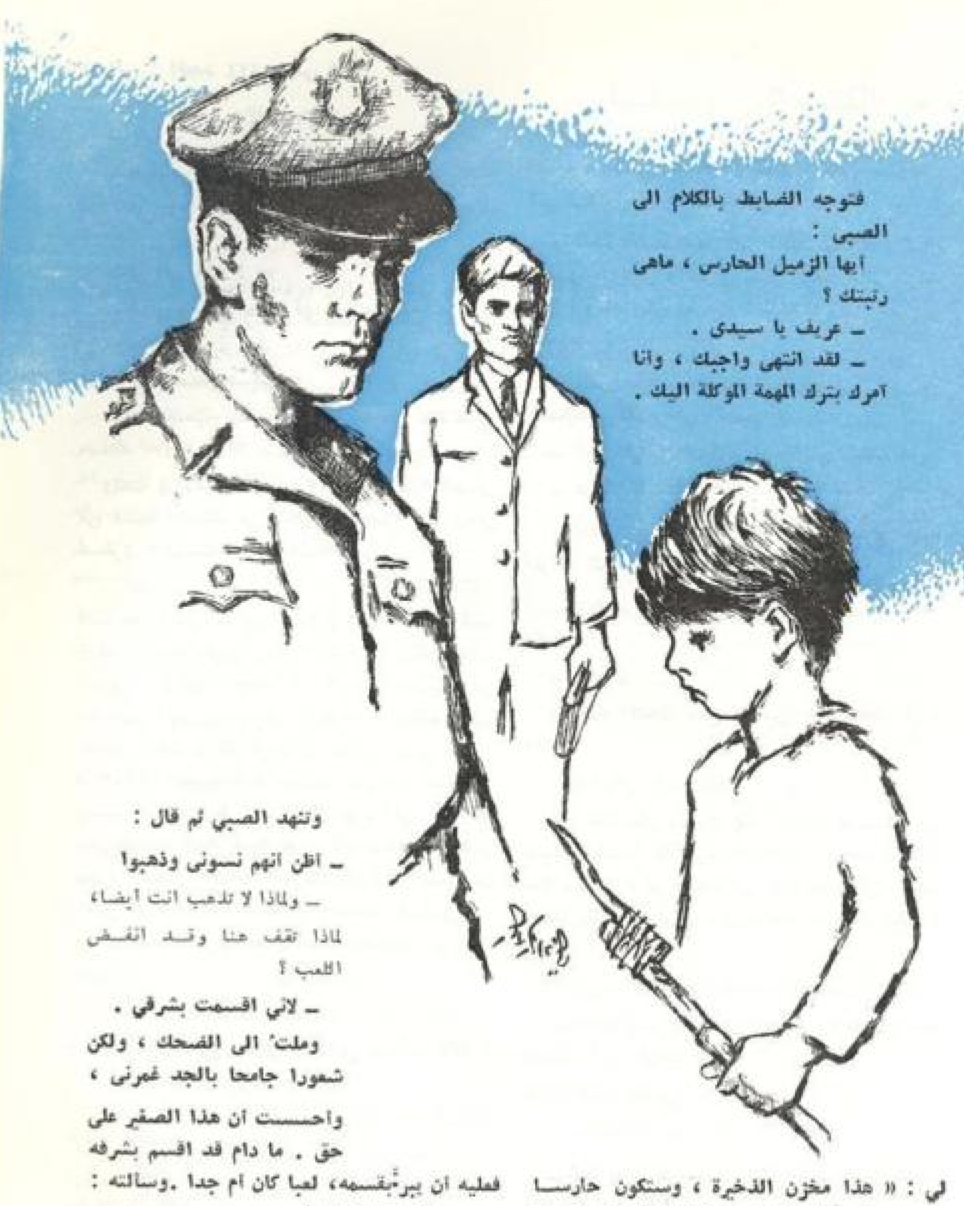
ـ ومع من كنت تلعب ؟

سكت للحظة وتنهد ثم اجاب :

ـ لا اعرف .

ـ أصغ الي كيف يحدث هذا ؟ تلعب دون ان تدري مع من تلعب .

ـ هذا صحيح ـ ولكني لا اعرفهم . كنت جالسا في الحديقة حين اقبل علي عدد من الاولاد الكبار وسالوني فيما اذا كنت ارغب مشاركتهم في « لعبة الحرب » فوافقت ، وبدانا نلعب ، واعطوني رتبة « عريف » ثم اخذني احدهم وكان كبيرا يحمل رتبة « جنرال » الى هذا المكان وقال



فتوجه الضابط بالكلام الى الصبي :
أيها الزميل الحارس ، ماهي رتبتك ؟
ـ عريف يا سيدى .
ـ لقد انتهى واجبك ، وانا آمرك بترك المهمة الموكلة اليك .

وتنهد الصبي ثم قال :
ـ اظن انهم نسوني وذهبوا
ـ ولماذا لا تذهب انت أيضا، لماذا تقف هنا وقد انفض اللعب ؟
ـ لاني اقسمت بشرفي .
وملت الى الضحك ، ولكن شعورا جامحا بالجد غمرني ، واحسست أن هذا الصغير على حق . ما دام قد اقسم بشرفه فعليه ان يبر بقسمه، لعبا كان ام جدا .وسألته :
ـ وماذا تنوى فعله ؟ .
ـ لا ادرى . ثم انخرط في البكاء ثانية .
شعرت برغبة ملحة في مساعدته ، ولكن كيف ؟ كيف يمكن مساعدته ؟
هل اذهب وافتش عن اولئك الذين تركوه هنا بعد ان اخذوا منه كلمة الشرف وذهبوا يستمتعون بدافئات الاحلام ، وتركوه يقف حارسا في الظلام يقاسي حدة الجوع .
انت جائع ، أليس كذلك ، الا تريد ان تأكل ؟

لي : « هذا مخزن الذخيرة ، وستكون حارسا عليه ، قف هنا ولا تبرح مكانك الا حين آمرك بذلك » . قلت له حسنا ، ولكنه طلب مني أن اقسم بشرفي أن لا اترك مكاني ، ففعلت .
ـ ثم ماذا ؟ .
ـ كما ترى ، وقفت وطال وقوفي ولم يأت أحد.
ـ وهل مر وقت طويل على وقوفك هناك ؟
ـ نعم كانت الشمس ما تزال في السماء .
ـ واين هم الآن ؟

ـ بلى .

ـ حسنا ، اصغ الي ـ اسرع الى بيتك وتناول عشاءك وسأقف حارسا في مكانك حتى ترجع .

فنظر الي قائلا :

ـ كيف ، وهل تعتقد أن هذا مسموح به ؟

ـ ولم لا ؟

ـ لانك لست عسكريا .

ـ هذا صحيح ـ اذن لا اقدر انا على اخلائكمن مهمتك ، ولكن رجلا عسكريا يقدر .

ولمعت في ذهني فكرة : لاجل حل هذا الصبي من قسمه واعفائه من الحراسة نحتاج الى رجل عسكري ، ليست هنالك مشكلة اذن .

ـ انتظرني دقيقة واحدة ، وسأعود اليك حالا.

قلت هذا واسرعت الى الشارع دون اضاعة وقت، ووقفت انتظر مرور رجل عسكري ، ولكن بدون جدوى . وظهرت جماعة من الرجال حسبتهم من ملابسهم انهم من رجال البحرية ، ولكنهم لم يكونوا كذلك . ثم مر رجل طويل يلبس ملابس « السكك الحديدية » محلاة بشرائط خضراء . ويئست وكنت على وشك الرجوع الى الحديقة حين لمحت قبعة عسكرية ، كان ضابطا ينتظر مجيء السيارة العامة فأسرعت نحوه ، وقبل ان اصل اليه وقفت السيارة واستعد للركوب ، ولكني تمكنت من اللحاق به ، ومسكته من يده قائلا :

ـ سيدى لحظة من فضلك .

فاستدار نحوي وحملق في وجهي بدهشة قائلا :

ـ ما الذى حدث ؟ اجبته :

ـ ؟ .. عندى مشكلة ـ هنالك في الحديقة صبي صغير يقف في حراسة ولا يقدر على ترك واجبه لانه اقسم بشرفه .. انه صغير ، صغير جدا وهو يبكي .

فسألني في جفاف :

ـ حسنا ، وماذا تريدني ان افعل ؟ .

كانت السيارة قد انطلقتوزادت نظراتهحنقا .

وبدأت اقص له ما حدث بالتفصيل ، فظهرت على وجهه علامات الاهتمام . وقال بانفعال :

ـ هيا نذهب ، لماذا لم تخبرني بذلك منذ البداية ؟

وحين وصلنا كان الحارس يضع القفل على الباب ، ولكني رجوته ان يمهلنا دقائق معدودات لاني تركت طفلا في الحديقة .

واخذت الضابط الى « الكشك » : كان الصبي ما يزال واقفا في نفس البقعه التي تركته فيها ، وكان يبكي بصمت . قلت له وانا اشير الى الضابط :

ـ لقد أحضرت لك رجلا عسكريا . فتوجه الضابط بالكلام الى الصبي :

ـ ايها الزميل الحارس ، ما هي رتبتك ؟

ـ عريف يا سيدى .

ـ لقد انتهى واجبك ، وانا امرك بترك المهمة الموكلة اليك . فسأله الصبي :

ـ وما هي رتبتك ، لم اتبين كم من النجوم عندك ؟

ـ جنرال .

في هذه اللحظة رفع الصبي يده بتحية قوية قائلا :

ـ كما تأمر يا سيدى .

قال هذا بكل وضوح وثقة بحيث لم نتمكن من ضبط انفسنا فانفجرنا ضاحكين ، وبدأ يضحك معنا سعيدا ، ثم خرجنا من الحديقة تاركين الباب خلفنا يقفله الحارس . وصافحه الضابط بحرارة قائلا :

انك رائع جدا وفيك صفات الجندي الحقيقي.

ثم حيانا واسرع ليلحق بالسيارة العامة وكانت وصلت الى الموقف .

عندئذ قلت للصبي :

ـ سأوصلك الى بيتك .

ـ كلا بيتنا قريب من هنا ، ولست خائفا .

فنظرت اليه مليئا . والحق ان من يملك كل هذه الثقة بنفسه لن يعرف الخوف طريقا الى قلبه ، ولن يخيفه الظلام ، ولا العفاريت ، بل ولا حتى الامور الاكثر رعبا . وحين يكبر سيغدو رجلا حقا ، واحسست بسعادة عظيمة لتعرفي على هذا الصبي ، وحين افترقنا شددت على يده بحرارة وحب مكين . ■■

ترجمة : عبدالوهاب قنبر الداقوقي

من الكتب التى وصلتنا

بقية المنشور على صفحة ١٤١

بغداد مدينة المنصور المدورة

تأليف : طاهر مظفر العميد ـ الناشر : المكتبة الاهلية ـ بغداد .

● دراسة مفصلة عن مدينة بغداد ايام الدولة العباسية وما امتازت به من تنظيم هندسي دقيق وما حظيت به من عناية فنية ومعمارية فائقة . وقد تناول المؤلف في اطروحته هذه اثر بغداد المدورة على بعض المدن الاسلامية والاجنبية ، وما اقتبسته هذه المدن من مبتكرات معمارية منها ، ثم دراسة عن موقع بغداد قبل بنائها وذكر للعواصم التي شيدها العباسيون قبل بناء مدينة السلام ، ثم العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والصحية التي دفعت المنصور الى اختيار موقع مدينته ، ثم تخطيط المدينة والاسوار التي بنيت لحمايتها بالاضافة الى بعض الرسوم والخرائط التوضيحية .

الرصيف النائم

تأليف : زهور ونيسي ـ الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

● مجموعة اقاصيص وطنية من واقع الثورة الجزائرية تصور هزات نفس صانعي هذه الثورة اثناء مكابدتهم لها ، وبطولات المستشهدين واثرها في نفوس من جاهدوا معهم ، وفي الاقاصيص التى تتحدث عن المراة نجد المراة العربية تعرف ما تؤمن به من الكفاح ، وكيف تؤمن . وقد استطاعت المؤلفة ان تنفذ الى اعمق اعماق نفسية المـراة التى تتحمل بايمان وتثور في عنف على ضوء من الايمان الواضح الذى يدفعها الى مواقف النبل والشهامة والفداء .

صدى السنين

تأليف : محمد بسيم الذويب . الناشر : مطبعة الايمان ـ العراق

● ديوان شعرى يحوى مجموعة من القصائد الوطنية تتسم بالروح الاسلامية ثم بعض المرثيات وقصائد اخرى متفرقة .

الاسـلام في وجه الزحف الاحمر

تأليف : محمد الغزالى ـ الناشر : مكتبة الامل ـ السالمية ـ الكويت

● كتاب يتناول موقف الاسلام من الشيوعية ويحاول ابراز حقيقة الشيوعية عارية نظـريا وعمليا ، ثم الأسباب التى أدت الى تغلغل النفوذ الشيوعى في العالم الاسلامى ، وقد ارجع المؤلف ذلك الى الفراغ الدينى في الأمة الاسلامية ثم بيّن ان الشيوعية مذهب يجرد الحياة تجريدا تاما من كل صلة بالله واليوم الآخر ، ويقصر النشـاط البشرى كله على عبادة الارض وتوفير القوت .وقد قسّم المؤلف كتابه الى عدة فصول ، تناول في احد فصول الكتاب الشيوعية والدين ، ثـم الشيوعية والحريات ، ثم الاحوال الاقتصادية في ظل الشيوعية . وفي آخر فصل من كتابه تناول بالدراسة فلسطين والشيوعية وواجبنا العام .

أهل العلم والحكم في ريف فلسطين

تأليف : أحمد سامح الخالدى ـ الناشر : منشورات دائرة الثقافة والفنون ـ عمان /الاردن

● كتاب يبحث في الـريف الفلسطينى وما اخرجه هذا الريف من رجال في العلم والفكر لعبوا أعظم دور في الحركة الفكرية في فلسطين والشام ومصر ، وكان لهم الفضل الكبير على العلم والفقه واللغة . وقد قسّم الكتاب الى قسمين ، فالقسم الأول يبحث في الريف الفلسطينى وما ورد عن فلسطين ومشاهدها ووهادها وانهارها وجبالها واغوارها وبحيراتها وحصونها من المصادر العربية الموثوق بها ، أما القسم الثانى فيبحث في قرى فلسطين وضياعها وبلدياتها وما أخرجه الريف من رجال العلم والحكم وقد رتب المؤلف كتابه على الحروف الابجدية ليسهل الرجوع اليها .

جفون تسحق الصوَر

تأليف : الدكتور بديع حقى ـ الناشر مطابع دار العلم للملايين ـ بيروت

● قصـة طويلة .

طرائف عربية

أصل العلم

● دخل رجل على عبدالملك بن مروان، وكان لا يسأله عن شيء الا وجدعنده منه علما ، فقال له : انى لك هذا ؟ فقال : لم امنع قط يا امير المؤمنين علما افيده ، ولم احتقر علما استفيده ، وكنت اذا لقيت الرجل اخذت منه واعطيته . فقال عبد الملك لو ان اهل العلم صانوا علمهم لسادوا اهل الدنيا ، ولكن وضعوه غير موضعه ، فقصّر في حقهم اهل الدنيا .

المعنى واحد

● **تكلم اربعة ملوك باربع كلمات خرجن كلهن بمعنى واحد . فقال كسرى : انا على قول ما لم اقل ، اقدر مني على رد ما قلت ،** وقال قيصر: **لا اندم على ما لم اقل، وانما اندم على ما قلت.** وقال ملك الصين: **اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها .** وقال ملك الهند : **الكلمة اسيرة في وثاق الرجل ، فاذا تكلم بها صار في وثاقها .**

المروءة

● سأل ابن زياد احد الاعراب ، مالمروءة فيكم ؟ قال : اربع خصال : ان يعتزل الرجل الريبة ، فلا يكون في شيء منها ، فانه اذا كان مريبا كان ذليلا . وان يصلح ماله ، فان من افسد ماله لم تكن له مروءة . وان يقوم لأهله بما يحتاجون اليه ، حتى يستغنوا به عن غيره ، فان من احتاج أهله الى الناس لم تكن له مروءة. وان ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه ، فان المروءة الا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه .

ردجميل

● ثارَ على عبد الرحمن الناصر ثائر في مدينة بالأندلس تسمى بلدة، فغزاه عبد الرحمن وظفر به واسره . فبينما هو سائر ، وقد حمل الثائر على بغل مكبولا، اقترب منه عبد الرحمن بفرسه ، وقال: يا بغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق ؟ قال الثائر : يا فرس ، ماذا تحمل من العفو والرحمة ؟ فقال له عبد الرحمن : والله والله لا تذوق موتا على يدى ابدا .

يا لها

قال احد الأعراب : اياك وكل امراة مذكرة منكرة ، مديدة العرقوب ، بادية الظنبوب ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشي السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس في قلبها رأفة ، ولا عليها منه مخافة . ان دخل خرجت وان خرج دخلت ، وان ضحك بكت وان بكى ضحكت . وان

الى كم تحسن الحياة ؟

● قال رجل من بنى العباس للمامون: ايحسن بمثلى طلب العلم اليوم ؟ قال: نعم ، والله لأنْ تموت طالبا للعلم آزين بك من أن تموت قانعا بالجهل. فقال: الى متى يحسن بى وقد تجاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الحياة .

طلّقها وحنَّ اليها

● ذكر الاصمعي قال: قال لي الفرزدق يوما : امض بنا الى حلقة الحسن البصرى ، فانى اريد ان اطلق النوارزوجتي. فقلت له : انى اخاف ان تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن واصحابه. قال : انهض بنا فجئنا حتى وقفنا على باب الحسن البصرى . فقال :كيف اصبحت ابا سعيد ؟ قال : بخير ؛ كيف اصبحت يا ابا فراس ؟ قال :تعلمن انى طلقت النوار ثلاثا: قال الحسن واصحابه :

قد سمعنا وشهدنا .

فانطلقنا، فقال لى الفرزدق ، يا هذا،ان في نفسي شيئا . فقلت: قد حذرتك.

فقال :

ندمت ندامة الكُسَعيِّ لمّا ... غدت مني مطلَّقة نُوار

وكانت جنَّتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني ... لكان عليَّ للقدر الخيار

سلفة الصيف وسلفة الشتاء

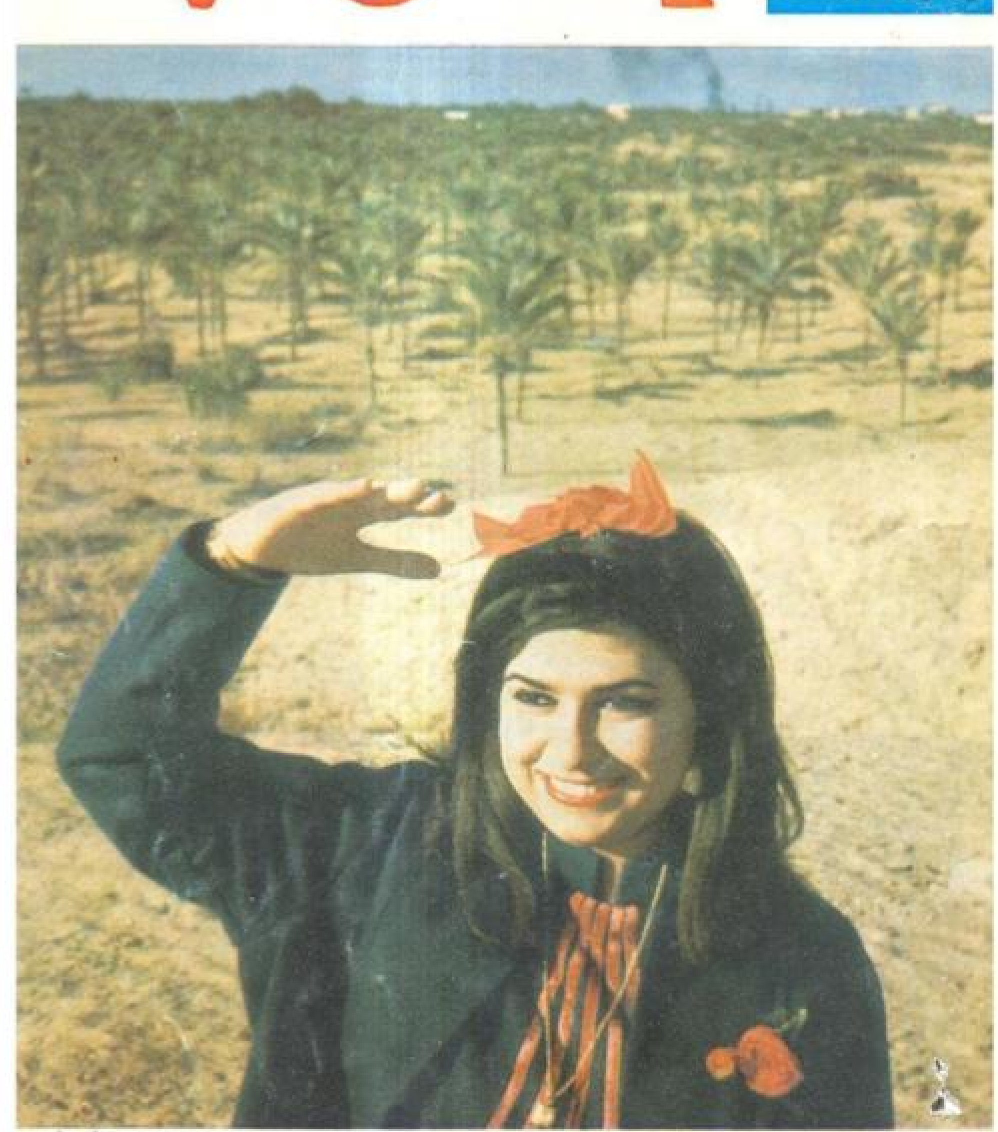
● استلف زيد بن حميد الصيرفي من بقال درهمين وقيراطا ، فماطله بهما ستة اشهر ،ثم قضاه درهمين وثلاث شعيرات. فاغتاظ البقال وقال : سبحان الله ! انت صاحب مائة الف درهم ، وانا بقال لا املك مائة فلس ، وانما اعيش بكدى ، فاعنتك واسلفتك درهمين واربع شعيرات، فقضيتنى بعد ستة اشهر درهمين وثلاث شعيرات . فقال زيد : يا مجنون ، اسلفتنى في الصيف وقضيتك في الشتاء. وثلاث شعيرات شتوية اوزن من اربعة صيفية لان هذه ندية وتلك يابسة ، وما اشك ان معك بعد هذا كله فضلا .

من امرأة

طلقها كانت حريبته ، وان امسكها كانت مصيبته . سعفاء ورهاء ، كثيرة الدعاء قليلة الادعاء . تأكل لمًا وتوسع ذمًا ، صخوب غضوب ، بذية دنية ، ليس يطفأ نارها ، ولا يهدأ اعصارها ، ضيقة الباع مهتوكة القناع . اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى في المجامع ، تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ، قد ولى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور .

العربي

العدد ١٢٥
محرم ١٣٨٩
ابريل
(نيسان) ١٩٦٩



قتاة رشيد تحيي العربي والعرب من فوق الارض الطيبة .

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ [illegible]	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم



صبية من المتسولات تكشف عن حظها بطرح النرد عـلى الارض

للفنان موريلو Murillo



جنازة البطل الشهيد . والقاهرة من حوله

عزيزى القارىء :

■ ما كادت المكنات تدور بطبع « العربي » ، حتى جاءت الاخبار عن معركة القتال ، القائمة ضارية على ضفة القنال ، تنعى الفريق عبد المنعم رياض ، رئيس اركان حرب القوات المسلحة بالجمهورية العربية المتحدة . نالته قذيفة من قذائف العدو وهو في برج مراقبة يرقب رجاله الابطال ، كيف يعملون ، وكيف يبطشون بالعدو ، وكيف يقتلون ويقتتلون . وهو نعي هزّ العرب قريبهم والبعيد ، فكان لا بد ان يشارك « العربي » في هذا النعي ولو فى آخر لحظة ، وكان لا بد ان يشيد ببطولة هذا الشهيد ، ببطولةٍ له حاضرة ، وبطولة له سابقةٍ عرفها العارفون في نكسة يونيو المشئومة ، والبطل بطل في نكسة وانتصار . ولكن لا نستطيع ان نحبس اللسان عن ان يقول ما كان يجب أن يكون موت رئيس الاركان بهذه السهولة ، والعدو له حوامة في الجو ترى ، ومن يدرى فلعل في الجانب الغربى من القتال عينا اخرى ترى ، واذنا أخرى تسمع ، وآلة ترسل ، أو اشارة تهدى . أقول هذا ولست بصاحب فن .

* وقرأنا ان مصر هى التى بدأت بالعدوان ، في حين لم يبق هناك معنى لمن يبدأ العدوان ومن يستجيب له . ان العدو يبنى في الجانب الشرقى حصونا تدل على عزمه البقاء هناك مائة عام . فهذا العزم يجب أن نهدمه بادئين أو غير بادئين .

* ونحن اذا بدأنا ، او استجبنا لبادئين بالعدوان ، فانما نضرب في ارضنا . ونضرب جندا وحصونا ، ورمالا لا حياة فيها . ويضرب العدو مدننا وبيوتنا ورجالنا والنساء ، ويتعمد ضرب مصافي البترول وكل ما له نفع للناس .

* والدول الاربع ، عبرّ المحيطات ، منهم من نخال أنهم لا يريدون السير حثيثا فى طريق الوصول الى حل لمشكلة الشرق الاوسط ، ليعطوا اسرائيل الفرصة لتتمكن في الارض ، وتبنى الحصون عند خطوط وقف النار منيعة ، دفينة ، من حديد وخراسانة ، كخط ماجينو الشهير ، ليصبح هذا الخط في القريب العاجل هو أساس الحل المنتظر ، بحسبان أن كل حل سياسي لابد ان يبنى على الأمر الواقع .

١١ مارس ١٩٦٩

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام

علم نفس :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

استطلاعات مصورة :

فلسفة :

شعر وأدب وآراء :

الأسرة والمرأة :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

AL ARABI = No. 125 - April 1969 P.O.Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



● فوق تلال « ابو مندور » ، وأمام أشجار النخيل التى تحيط بالمدينة ، وقفت تحيي بعثة العربي مودّعة .. انها طالبة بالمدارس الثانوية برشيد .. تلك المدينة التى كانت مسرحا لمعركة من معارك الشرف في الوطن العربي . (اقرأ الاستطلاع ص ٧٦) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج.ع.م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٥ر٢ شلن • ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف اشتراكات العربي .



ذيل الحيوانات

● قرأت عن الذيل في مقال « انت والعلم والحياة » في عدد يناير ١٩٦٩ من « العربي » فتراءى لي ان اسألكم : هل كل حيوان ذى فقارله ذيل من فقار ؟ وهل الذيل لا يكون الا للحيوان ذى الفقار ؟

علي الباقلاني / طالب ثانوية / بغداد

«العربي» ـ الذيل في الحيوانات هو ذلك الجزء الذى ياتي في مؤخرة جسم الحيوان في مقابلة للراس . والاصل فيه انه يوجد في الحيوانات الفقرية ، والاصل فيه كذلك ان يكون من فقار (١). ومعنى قولنا الاصل ، ان هناك ما يخالف ذلك .

من ذلك انه توجد حيوانات ذات فقار في الظهر، لا ذيل لها ، ومن ذلك الانسان ، والضفدع ، والدب ، وبعض القردة Apes .

ومن ذلك ان السمك له فقار ، وله ذيل على امتداد ذلك الفقار ، انه الزعنفة ، وهي من شوك Caudal Ein ، ووظيفتها في تحريك السمك معروفة .

ومن ذلك ان الطير له فقار ، وله ذيل ، ولكنه من ريش لا من فقار ، وريشاته صلبة تنبسط كانها المروحة ، وعملها في حركة الطير معروف . وذيل الطاووس، وهو من ريش ليس شيء أجمل منه .

« والذيل Tail في الحيوانات اللافقرية معناه، اما الطرف الاخير من الجسم ، وعلى الاخص عندما يكون رفيعا او يصلح للسباحة ، واما هو الزائدة التى تخرج من الجسم وتتجه الى الوراء » (قاموس وبستر Webster الكبير) .

ومن امثلة هذه الاخيرة ذيل العقرب او ذنبها . وقد سبق ان ذكرنا العقرب عندما تحدثنا عن رتبتى العناكب والعقارب من شعبة المفصليات في باب الموسوعة العلمية «بالعربي» لشهر يناير ١٩٦٨ .

وقارىء ذو علم ، وآخر مدرس ، اعترض كلاهما على تسميتنا الجزء الذى استطال من العقرب بالذيل . قالا انه يتالف من الجزء الخلفي من البطن . وما جاءا في ذلك بجديد غير معروف . وكانما اعتراضهما على استخدام لفظ الذيل هنا . فمن حيث اللغة تقول القواميس العربية ان زبانى العقرب هو ما تضرب به من طرف ذنبها . ومن حيث العلم تقول دائرة معارف المملكة الحيوانية Encyclopedia of Amimal Kingdom وهي تصف العقرب انها تشل فريستها بقرصة من ابرة ذيلها Tail Sting . وتقول دائرة المعارف البريطانية في وصف جسم العقرب ان الخمس الحلقات الاخيرة من الجسم تؤلف الذيل ، او البطن الخلفي . وكذلك تقول سائر كتب العلم . فليس من الضرورى ابدا ان يكون الذيل من فقرات ، وقد يكون من بطن وغير بطن .

(١) في مقال أول يناير قلنا في بدء الكلمة المشار اليها عن ذيول الحيوانات « ان الذيل انما هو امتداد للعمود الفقرى فهو اذن لا يوجد في سوى الفقريات من الحيوانات » وكان الواجب أن نقول « ان الذيل في الاصل انما هو ... الخ »

وكأنني أهرّب

● ..... تصوروا انني حين مررت مؤخرا بالمكتبة التي أتزود منها « بالعربي » في كل شهر ، رجاني صاحبُ المكتبة أن انتظر قليلا ، الى ان تخلص من زبائنه الذين كانوا يلحون بطلب « العربي » . ولم يسلمني نسختي الا بعد ان غلفها بجريدة بحيث شعرت وانا اغادر المكتبة

الكثرة لاتعني دائما القوة

● جاء في حديث الشهر من العدد ١٢٢ مايلي : لن يكون للصهاينة من اعداد العرب المتكاثرة غير الغرق » ....

حقا ، ! ..١٠ مليون عربي .. ، ولكن ...

فلقد تمكنت اسرائيل من تعويض الفارق بين عدد سكانها الضئيل وبين ملايين العرب الكثيرة ، واستعانت على ذلك بفرقة العرب ، وبعثرة طاقاتهم ، وتباعد صفوفهم .. واستعانت عليه بالاعداد والاستعداد ، وبالانقضاض علينا بغتة ، بقوة التنابلم والسلاح ...

ويحضرني في هذه المناسبة ما ذكره جمال الدين الافغاني ، مخاطبا اهل الهند ، اذ قال : « لو كنتم ، وانتم مئات الملايين ، ذبابا لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا .. ولو كنتم ، وانتم مئات الملايين ، سلاحف وخضتم البحر ، واحطتم بالجزر البريطانية ، لجررتموها الى القعر وعدتم الى بلادكم احرارا » ....

العربي : الكثرة التى ذكرناها في حديث الشهر الذى تذكر ليست كثرة اليوم ، وانما كثرة المستقبل ، التى تفوقها ، والتى لا بد وان يصحبها التقدم المطلوب ، الذى طالما رجوناه .

هما لعمرو بن معديكرب

● في العدد ١٢١ في الصفحة ١٣٩ هذان البيتان .

أعاذل انما افنى شبابى
ركوبى في الصريخ الى المنادى

ويبقى بعد حلم القوم حلمى
ويفنى قبل زاد القوم زادى

وقد نسب عبد الستار فراج هذين البيتين للشاعر عمرو بن معديكرب ، وهذا غير صحيح ، بل انهما لدريد بن الصمة ، وللتأكد بامكانكم الرجوع الى الأغانى ، ترجمة دريد ، فستجدون ما يثبت كلامنا ، ان شاء الله ، وشكرا .

الجامعة الاردنية ــ كلية الآداب
عبد الحميد لافي صيام

ــ انه ليسرنا أن يكون للشباب اهتمام بأدبنا العربى ، ولكننا ننصح بعدم التسرع في اصدار الاحكام . والبيتان منسوبان لعمرو بن معديكرب في ترجمته في « معجم الشعراء » ، وفي « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، وفي « الاصابة فى تمييز الصحابة » ، والموضع الذى ذكره في الاغانى في ترجمة دريد . قال أبو الفرج الأصفهانى : ان أباعبيدة نسب الشعر لدريد وأن غيره نسبه لعمرو بن معديكرب ، ولا يكفى أن يقرر ان ما قاله أبو عبيدة هو الصحيح فالكتب التى ذكرناها وغيرها ممن ترجم ، أو ذكر الشعر قال انه له . ولو كان الاخ عبد الحميد لافي يقرأ دواوين الشعر المحققة وتخريج الشعر فيها وامهات الكتب والمراجع لرأى أن كثيرا من الشعر متنازع، بمعنى أن ينسب الى أكثر من شاعر . هذا والأغانى نفسه لو رجع فيه الى ترجمة عمرو بن معديكرب لوجد فى القصيدة التى نسبها ابو الفرج لدريد ابياتا منها نسبها لعمرو ، واذن فمن الخطأ أن يقال ان هذا غير صحيح الا بعد تثبت ويقين . ومثلا بيت الشعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

نسب لزهير بن أبى سلمى ، ولابنه كعب بن زهير ، ولبكر بن النطاح ، ولأبى تمام ، ولدعبل الخزاعى . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز .

مادة محرمة ....

وكأنني أهرب مادة محرمة ، حشيشا او افيونا لا قدر الله !

والسبب ؟ قلة ما ترسلون من نسخ « العربي »!

عبد الغني المطرى
صاحب مجلة « الدنيا » الاسبوعية / دمشق

القُبَعَةُ تَغَيَّرتْ ،

وَظَلَّ الرَّأسُ وَاحِداً

بقلم رئيس التحرير

■ مضي ثلاثون يوما منذ كتبت حديث الشهر الماضي ، واستعرض هذه الثلاثين فلا أجد فيها من الحوادث العربية ما يثير . والحوادث على مستويات شتى . تبدأ هيئة فيثير منها الحادث القليل ، ثم تألف النفس هذه القلة وتحتاج الى شيء أفعل يحركها . ثم هي تألفه . وهلم جرا .

نعم لا تزال أصداء المناوشات على الحدود العربية الاسرائيلية تعيش في ذاكرتنا ، ولا تزال الافعال المجيدة التى يقوم بها الفدائيون تنعش آمالنا . والطلقات الستون او السبعون التى اطلقت في زوريخ لا تزال تحيي في نفوسنا مثلا للأنفس البشرية العربية ، كم تبلغ من المراقي الانسانية عندما تسخو عن اثمن شيء ، تلك حياتها ، اذ تعرضها للموت العاجل ، او ما تقضي به الاقدار من بعد ذلك .

وطلب الأعداء على عادتهم موطنا عربيا

- شهر انتظار واصطبار وترقب ، لم يأتنا بجديد
- ملك الموت لم يدع فرصة تهدم بيت أشكول تفوت
- وقيعة انجلترا بفرنسا ، مثل في علم الأخلاق رفيع !!
- المشكلة عندهم ليست مشكلة عربية إسرائيلية ، وإنما هي روسية امريكية
- الحل سلم لا يرضى به العرب ولا إسرائيل ، أو حرب مصابرة تتطاول بها السنون



يشتفون فيه مما اصابهم ، يفعلون به مثل ما فعلوا بمطار بيروت ، وسهر العرب يتحدسون اين تقع الضربة حين تكون . وسهرت معهم ، لا للضربة التى تكون ، ولكن للحدس الذى كان . والحادس قد يتحدس ويكتم ، والاحداس التى حدسوها لم يكتموها بل نشروها ، فما أسرع ما افزعت . ومع الفزع عاودني الخجل . الخجل من اننا في شئوننا العامة لا نزال في حاجة الى قلوب اضخم ، واعصاب ابرد . ووقعت الضربة المنتظرة في سورية . وبدت لنا انها لم تكن كلها أخذا ، كانت أخذا واعطاء .

بيت اشكول

وبيت ليفي اشكول ، وما اصابه من صواريخ فدائيي العرب عرفناه . وأعلن قومه في اعقاب ذلك انه مات بالسكتة . وغلب علينا الظن ان الفدائيين ربما جهلوا ، وهم يطلبون بيته ليهدموه ، انه كان فيه ، وترجح عندنا ان ملك المـوت ما كان



هكذا يضربون المدن على القنال ، ونضرب الرمال

ليجعل فرصة تهدُّم بيت اشكول تفوت دون أن ينتفع بها فيختصر في المجهود .

فترة ترقّب

وماذا جرى غير ذلك ، من احداث جديرة بالذكر ؟

جرى الكثير ، ولكنه غير الجدير .

ثم جاءت رحلة رئيس الولايات المتحدة الى أوروبا .

ثمانية أيام قضيناها نترقّب . ونرقب كل خطوة يخطوها الرجل ، ونسجل كل كلمة من الكلمات القليلة التي كان يقولها الرجل أو يقولها من حوله ، من صحْبه وغير صحبه ، في البلاد الستة أو السبعة التي زارها .

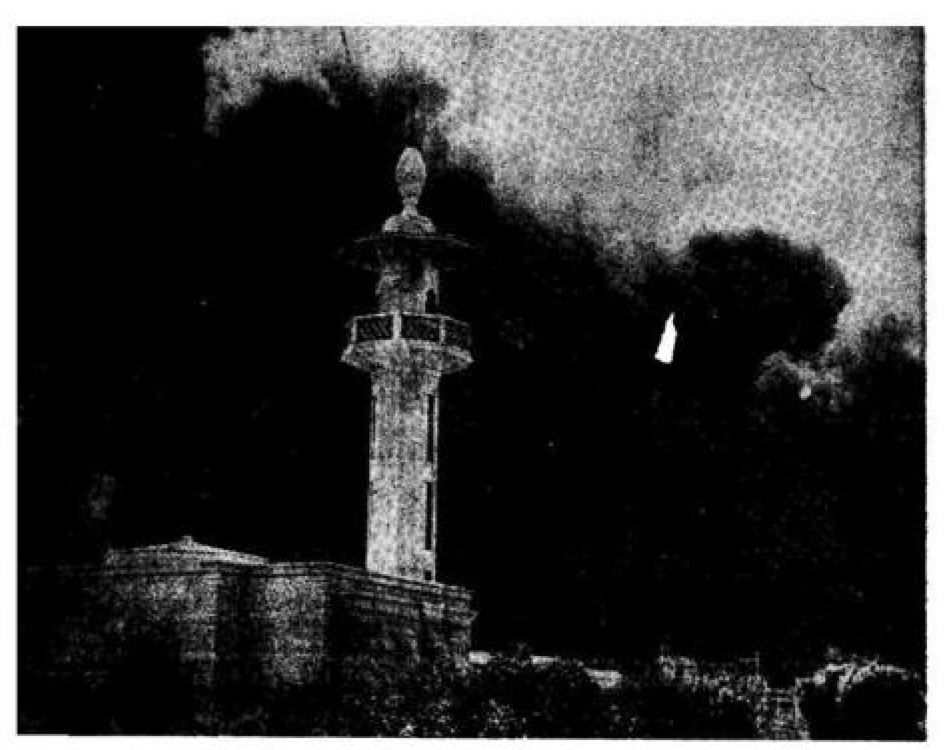
وهو زار بروكسل ، ولندن ، وبون ، وبرلين ، وروما ، وفرنسا ، والفاتيكان .

والحق اننا لم نكن وَحدنا نرقب « نكسن » ، في مراحل رحلته هذه ، بل كانت الدنيا معنا ترقب . وان أعوز أحدا الدليل على الدولة الكبرى التي بها تتصل مقدَّرات هذا العالم من تكون ، فقد كان في هذا الدليلُ كل الدليل .

رئيس جديد ، لأكبر دولة ، شاءها الله ان تكون الولايات المتحدة في عصرنا هذا ، يحل محل رئيس لها قديم ، فسعى كل رئيس دولة أخرى ليكون له عنده الحظوة .

واذ نقول أكبر دولة ، نفرّق بين اكبر دولة وخير دولة .

واذ نقول اكبر دولة ، نعلم ان الروس هم الآخرون يؤلفون دولة لهم كبرى ، ولكن « خروشوف » رئيس هذه الدولة الذي كان ، علّمنا ان روسيا لن تلحق بالولايات قبل مرور العدد العديد من السنوات .



اسرائيل تضرب ، لا الجند والمعاقل ، ولكن مصافي الزيت في السويس ، وهي قريبة ، لا تدل اصابتها على مهارة كبيرة . وليذكر العدو هذا الاعتداء عندما تجيء ساعة القصاص .

الدول ترحب بنكسن بقدر ما لها عنده من مصالح

تجهز كل رئيس دولة أوروبية للقاء « نكسن » .

وقد كان بيّنا فيما عرفناه من اجواء في عهد رئيس الولايات السابق ، ان الرئيس الجديد سيلقى من الترحيب من حكومات أوروبا ، بقدر ما لها عند الولايات من منافع .

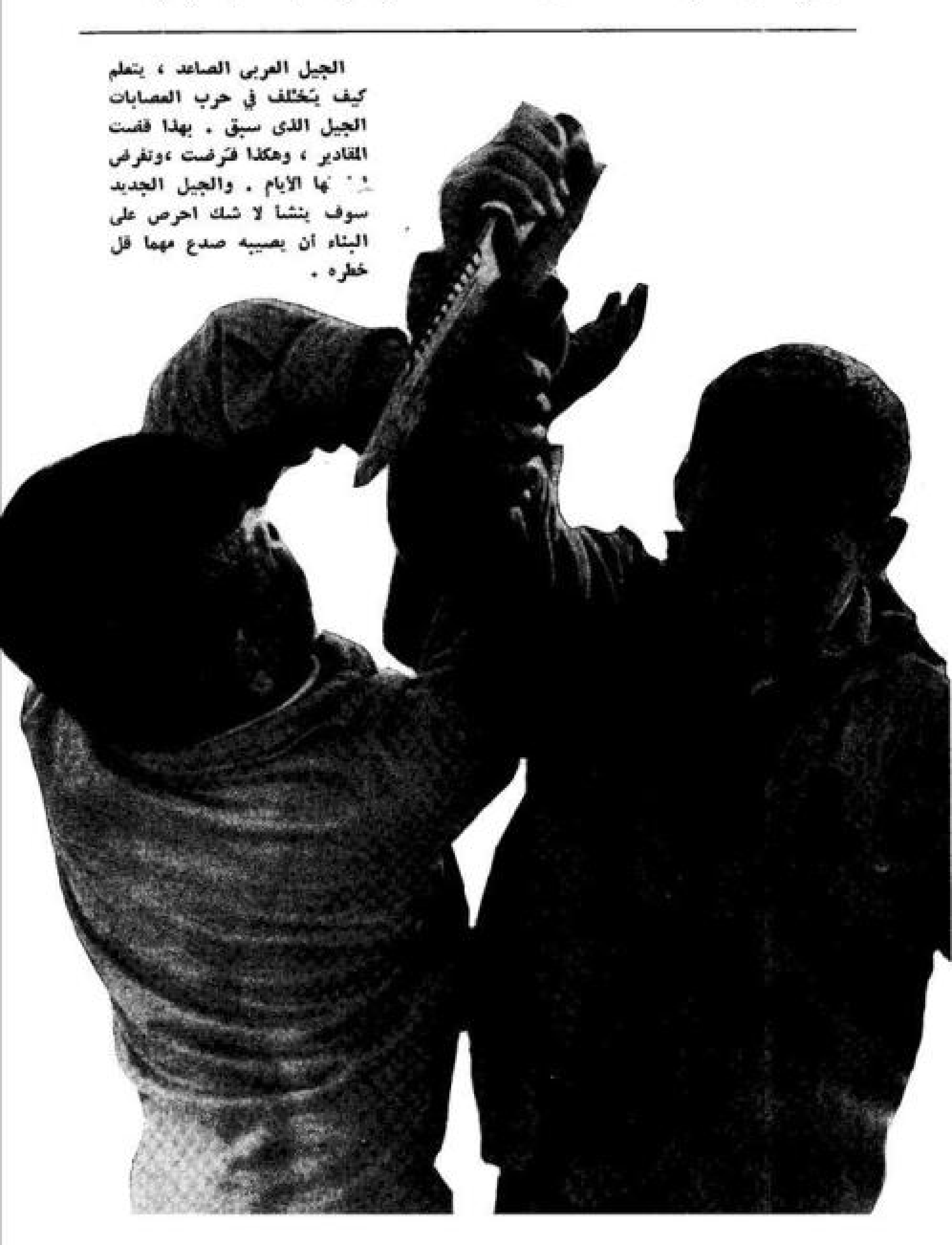
فالمانيا تصادق الولايات من اجل المائتين وعشرين الف جندي أمريكي القابعين في أراضيها يحمونها من روسيا ، ويحمّل وجودهم الولايات من التبعات للألمان ما لا تفي به الوعود تبذل لهم من بعيد ، حين ليس لأمريكا في بلادهم وبين ظهرانيهم وجود .

والمانيا تصادق الولايات من اجل الحلف الأطلسي الذي هو سبب أمنها ، والركن الأول الذي تركن اليه اذا ما هدف هادف الى النيل من استقلالها .

والمانيا تصادق الأمريكان لما اسبغ الأمريكان على الالمان من أموال طائلة قلبت موازين أوروبا ، فجعلت من المانيا ، وقد نالها من خراب الحرب العالمية الماضية ما نالها ، اول دولة تعود الى حالة السلم وهي اقوى امة في غرب أوروبا ، واكثرها مالا ، واثبتها اقتصادا، واعلاها مستوى حياة .

وقد كان راجحا من ظواهر الأمور ان حرارة الترحيب بالرئيس الجديد ستكون اخفض ما تكون في فرنسا . فرنسا الديجولية . لأن ديجول يريد اوروبا مستقلة لا تتبع احدا . ويريدها ان ترفع عن اكتافها نيرا وضعته على هذه الأكتاف الولايات المتحدة .. ومن اجل ذلك هو يعارض حلف الأطلسي

الذي يجمع بين دول غرب أوروبا، ومنها فرنسا ، والولايات المتحدة ، ويضع الولايات بحكم قوتها وحكم ثرائها،موضع الوصيّ على سائر الأعضاء . ورفضت فرنسا الحلف ، وخرجت من بعض روابطه وكادت تتم خروجا . وديجول يحاول بعد رفض الحلف أن يخلق ، بين كتلة موسكو ، وكتلة وشنجطن ، كتلة



الجيل العربي الصاعد ، يتعلم كيف يتخلف في حرب العصابات الجيل الذي سبق . بهذا قضت المقادير ، وهكذا فرضت ،وتفرض [illegible]ها الأيام . والجيل الجديد سوف ينشأ لا شك احرص على البناء أن يصيبه صدع مهما قل خطره .

عالمية ثالثة تحتل مكانها، عالميًا، وَسَطا بينهما.

وصنع ديجول مع مَن صنع من دول أوروبا، السوقَ الأوروبية المشتركة، وكان نجاحها فألا حسنا لأوروبا التي رجاها أن تكون عندما تتكتل. وبريطانيا كعادتها تأخرت عن دخول في هذه السوق عندما بدأت، حتى ترى هل تثمر، وكم تثمر. فلما بان الثمر أرادت الدخول. ونظر ديجول الى انجلترا، فاذا به يراها طرفا لائتلاف صنعه التاريخ بين أمتين سكسونيتي النجار في طرفي المحيط الأطلسي. أمتين جمعت بينهما لغة واحدة، وتاريخ واحد، وثقافة واحدة، وكتب في الحاضر واحدة وتآليف واحدة، وصحافة تنتقل حرة سهلة بين أصقاعهما جميعا، فخال ديجول أن دخول انجلترا السوق الأوروبية معناه دخول الولايات. وهذا بالطبع اضاعةٌ للفكرة الأصيلة الأولى، أن تكون لأوروبا وحدة بنفسها قائمة، أوروبيةٌ غربيةٌ، بين وحدة كبرى، في أوروبا الشرقية، وأخرى كبرى، وراء المحيط، أمريكية.

وحاولت انجلترا مرارا أن تدخل السوق، وكلما عَرَض هذا الطلب على مجلس السوق قام بنقضه ديجول فامتنع دخولها.

وودّت انجلترا أن يأتي ديجول أجلُه، وهو الرجل الذي ناهز الثمانين، فما جاء. وقعدت تتربص به، حتى كانت زيارة « نكسن »، فوجدت فى زيارته الفرصة سانحة لتردّ لديجول الصاع صاعين بل صياعا.

على الأقل هذا ما خاله من تابع الأحداث وعرف ما عند ساسة الامم من سموّ أخلاق!

وقيعة

يقولون ان السياسة فرصٌ تنتهز.

وقال المعلقون ان انكلترا انتهزت فرصة الأحداث السريعة المتحركة في أوروبا، فخالت أن توقع بديجول وقيعةً علّها تكون نهايته.

وتبدأ القصة، بأن ديجول، كما زعمت انجلترا، كان تحدث الى سفيرها في باريس عن مشروع قيام هيئة أوروبية أوسع من هيئة السوق الأوروبية المشتركة، تدخلها انجلترا. وهي هيئة قد تحل محل السوق على المدى الطويل. وفي هذه الحالة تستغنى أوروبا عن حلف الأطلسي.

وتشاء انجلترا أن لا تعلن هذا الخبر الا مفاجأة، والا قبيل بدء نكسن زيارته أوروبا. وزعمت أن هذا الحديث، أو لعلها صاغته بحيث يخيل لسامعيه أن هذا الحديث انما جرى همسا بين ديجول وسفير بريطانيا، ومن وراء ظهر الحلفاء، حلفاء فرنسا في السوق الأوروبية المشتركة.

فديجول اذن يدبّر من وراء ظهر حلفائه.

وهذا يبعد عن ديجول هؤلاء الحلفاء في تلك الايام الحرجة التي يستطلع فيها رئيس الولايات الجديد طِلع أوروبا ورأى بلادها في شتى المجالات.

وزعمت بريطانيا أن ديجول انما يريد بنظامه هذا الجديد ابعاد أمريكا وعزلها، فلا معنى لابطال حلف الأطلسي الا فك ما بين أوروبا وبين أمريكا من رباط. واذن فنكسن عندما يزور فرنسا فهو سوف يزور أمة تريد أن تقطع علائقها به وكذا علائق حلفائها.

وتساءل الناس: ماذا تريد بريطانيا من ذلك؟

قال قوم: تريد عزل فرنسا، انتقاما منها من عزلها اياها عن السوق المشتركة.

وماذا قالت فرنسا؟

قالت: ليس في هذا الذى نشروه من جديد. فهو قول معاد يعرفه حلفاؤها.

بريطانيا تدعو الاتحاد الاوروبي للانعقاد في لندن

وتمعن بريطانيا في عزل فرنسا فتدعو

الاتحاد الاوروبي ، ومنه فرنسا ، للاجتماع بلندن ! للنظر في مشكلة الشرق الأوسط ، وذلك قبل أن تعالجها الدول الكبرى الأربع تحت سقف الامم المتحدة.

ورفضت فرنسا الحضور لأنها فوجئت بالدعوة . وهي رفضتها لأن الحضور عندها لا يكون الا بعد اجماع . وسمت هذه الخطوة التي قامت بها انجلترا ما سمتها . وقالت انما هي خطوة لتمييع مشكلة الشرق . وفهمنا منها طبعا انها نصرة لاسرائيل . فاسرائيل لا ترضى عن قيام الدول الأربع الكبرى بالنظر في القضية .

وامعانا في الخطة البريطانية عاد سفير بريطانيا الى باريس ، واراد ان يقابل وزير خارجيتها دوبريه ليقول له انه مستعد لاستئناف النقاش بينه وبين الحكومة الفرنسية وديجول فيما يتصل بالهيئة الاوروبية الأوسع ولكن « على شريطة أن يعلم حلفاء فرنسا في السوق بالنقاش الذي يجري بينهما » .

سفير بريطانيا يعود ليؤكد ان المناقشة السابقة انما كانت وراء ظهور هؤلاء الحلفاء !

ورفض دوبريه أن يقابل السفير . وانتدب احد رجال وزارة الخارجية ليقابله .

انجلترا تحل محل فرنسا في تزويد اسرائيل بالسلاح ؟

وفرصة أخرى انتهزتها بريطانيا ، تلك قرار ديجول وقف اصدار الطائرات وكل عتاد حربي وكل قطع غيار الى اسرائيل، لأن هذا يشجعها على الهجوم على العرب، والاستمرار في مطالبها ، وهي ان لكل انتصار في حرب ثمنا ، ولو كان النصر اعتداء .. وانها تطلب التوسع في الأرض العربية ثمنا لهذا الانتصار .

رأت بريطانيا الفرصة سانحة ، فاذا بها تلبس الحذاء الذي خلعته فرنسا ، واذا بنا نسمع أنها سوف تبيع اسرائيل



نكسن مع ديجول في باريس .. وفي مؤتمر صحفي بعد ذلك في الولايات المتحدة . قال نكسن عن ديجول انه اكبر شخصية في اوروبا ، بماضيه ، وبحاضره ، وباَرائه ، وبشجاعته الكبرى . وانه مع ذلك سوف يعامل رئيس وزراء بريطانيا ومستشار المانيا وديجول معاملة سواء .

عتادا حربيا ، ودبابات وسائر الحاجات. ورأينا بعض أعضاء البرلمان الانجليزي يحتجون على حكومتهم أن تقوم بمثل هذا ، في مثل هذه الايام الحرجة ويطلبون من وزير خارجيتها أن يعد بأن لا تبيع الحكومة شيئا من عتاد الحرب الى



وتشارد نكسن وهارولد ولسن ، اجتمعا في لندن . وأشاد نكسن بالصداقة السكسونية التي تجمع بين البلدين ، كما كان ينتظر ، واشاد بالذى بينهما من وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة النظام ، ولكنه أفسد على ولسن وقيعته بديجول . قال نكسن : اما ما بين انجلترا وفرنسا من خصومة فلا تعنيني .

اسرائيل ، ويأبى وزير خارجيتها المستر ستيوارت أن يتعهد بشيء ، وحجته في ذلك أن العرف لم يجر بمثل ذلك التعهد، تعطيه حكومة .

وتخرج حتى الصحف البريطانية تثبت أن هذا البيع واقع . ومنها من قالت ان الحكومة البريطانية اذا قالت انها لم توقع على تعهد ببيع فقد صدقت. ولكنها لا تذكر أن هناك من التوقيعات القديمة ما يمكن احياؤه عند اللزوم .

كل ذلك نكاية في ديجول .

ومع النكاية في ديجول ، متابعة سير



صورة اخذت لنكسن وخروشوف عند زيارة نكسن لمعرض الولايات المتحدة في موسكو عام ١٩٥٩ . نطق خروشوف بكلمة في معرض المطبخ لم تعجب نكسن ، فاجابه عليها في قوة من القول دل عليها أصبعه الذى في الصورة .
وحمدت منه الولايات شجاعته هذه كل الحمد .

في الطريق الذى خطته بريطانيا لنفسها منذ عرفها العرب ، ان لا تسير خطىً الا ضد خطاهم . ومن أعطى للصهاينة وعدا بإيطانهم في فلسطين سواها ؟!

بين الشعوب وحكامها

وهنا يجب ان نفرق بين الحكومات وأممها .

نحن الذين عشنا والاستعمار قائم ، كرهنا كل مستعمر ، وكرهنا الانجليز مستعمرين ، كما كرهنا الفرنسيين وغير الفرنسيين مستعمرين . وكنا نلقى الرجل الانجليزى في البلد العربى ، وهو ذو سلطان ، فنرى راسا مرفوعا وأنفا منفوخا ، وجلد انسان أملس لا تكاد تحكّه حتى ينكشف من تحته شعرُ حيوان . وتلقى هذا الرجل نفسه في بلده فتجد الرأس اعتدل ، والأنف المنتفخ تراجع ، والكلمة الطيبة عادت الى اللسان في شيء كثير من الاطمئنان . ومنهم من تأصلت فيه العادة فحمل عرامه معه حتى الى بلده .

واليوم ، وقد زال الاستعمار عنا وعنهم ، زال عنهم مستعمِرين ، وزال عنا مستعمَرين ، بقيت بيننا وبينهم بقية لا تزال مرّة ، يخفف من مرارتها أننا نزور بلادهم فنجد فيها أناسا كسائر الناس ، ونثنى عليهم بأحسن ما يثنى قومٌ على قوم : خلقٌ دمث ، ومعونة للغريب وغير الغريب حاضرة ، وأدب جم ، وحس بالعدالة يقف الشرقى عنده مبهوتا .

وترفع بصرك الى حيث تجرى ادارة الأمة البريطانية وكل أمة اخرى غربية . ترفع بصرك عاليا تستطلع طلع الحكام الذين يصنعون مصائر شعوبهم في الداخل ، ويرعون كذلك مصالح شعوبهم بين شعوب الأرض في الخارج . وعندئذ تعلم بعد قليل من امعان أن هؤلاء الحكام يعملون في حقلين غير متشابهين . أما حقل الشعب الداخلى فمجتمع منظّم رضى اهله الخضوع للقانون بعد أن عانوا من عصور الفوضى ما عانوا ، وهذّبهم التعليم ، وشجّعهم حسن المعاملة المتبادلة بين الفرد والفرد . وأما الحقل الخارجى ، حقل ما بين الشعوب ، فمجتمع كمجتمع الغاب لا قانون فيه ، وليس فيه رادع من نظام ، والرأى فيه للنمر ذى الظفر

والناب ، أو للثعلب الذى قامت حيلته وقام خداعه مقام ظفره ونابه . مجتمع فيه الكذب ، وفيه الغدر ، والى جانب ذلك الكبرياء والغطرسة .

مجتمعان روادهما في الأمم رجال سواء ، هم في أممهم يطلبون الخير ويبالون الكذب ، اما فيما بين الامم ، فيطلبون الخير لأممهم ، أو ما يحسبون انه خيرهم ، وهم في سبيل ذلك لايبالون الكذب ، ولا يبالون الغدر ، ولا يبالون التآمر واحداث الفتن التى يذهب ضحيتها الآلاف من الناس ، أو يعيش بين انقاضها الأجيال من الناس ، ما دام ان الغاية عندهم تبرر الوسيلة .

ومن هذه الفتن فتنة فلسطين ، وقد عاش في انقاضها جيل وتلاه جيل .

وفتنة اخرى كفتنة فلسطين ، يدبّر لها في العالم الغربى والعالم الشرقى على السواء . كأنى بهم قد خططوا لها ، وهى الآن في دور التنفيذ . ولا اظن احدا لا يدرى ، ولكنى احسب انه ، في هذا المجتمع الدولى الذى لا يسوده قانون، تقضي الحكمة عند بعض الناس بالسكوت . انه أضعف الايمان الذى حدثنا عنه الرسول الكريم . وضعف الايمان هذا لو عمّ ، كان على الدنيا خرابا . لا بد لصلاح الدنيا من قوم مؤمنين لهم لسان ينطق ، وآخرون لهم أيد تعمل .

في اعقاب الطواف

ونعود الى الزيارة الخاطفة التى قام بها رئيس الولايات المتحدة لدول اوروبا الغربية . انه وزع ابتساماته بالعدل بين تلك الدول ، وانتهى التطواف ، ولم يكن يقول شيئا نفهم منه شيئا . كان حديثه دائما عن السلام وعن الخير الكثير الذى لا بد ان يطلبه أهل الارض لانه حق من حقوقهم .

وعدنا نترقب .

وعادت سائر الأمم الى ترقبها .

ويأتى الصباح ويمضي ، ونسأل هل من جديد ؟

ويأتي المساء ويمضي ، ونسأل هل من جديد ؟

ونجد في شرقنا العربى دائما جديدا . قنبلة للفدائيين تنفجر في سوق بالقدس . واخرى بل أخريات تنفجر في الجامعة العبرية . ونيران يفتحها الصهاينة على مظاهرة من نساء ، سارت في ذلك البلد العربي المحتل او ذلك . واخلاؤهم بالقوة بيوتا للعرب ليسكنها من اليهود نفر جديد . وعلى خطوط الهدنة قذائف تذهب وقذائف تجيء .

تصاعد عند هؤلاء وتصاعد عند اولئك .

ونسأل هل تقوم الحرب من جديد ، ومتى تقوم ؟ ويقول قوم تقوم . ويقول آخرون لا تقوم . ومن الصحف من قال بل انتظروها غدا او بعد غد .

ويستمر الترقب .

وتستمر التصريحات تأتى من الشرق ومن الغرب ، تناصر هذا الجانب او ذاك .

وتعود الأنظار تتجه ، الى ما تعودت ان تتجه اليه دائما في ازمات الارض ، الى نيويورك والى وشنجطن .

ان رئيس الولايات سيتحدث للصحافة . وتحدث رئيس الولايات ولم يقل شيئا . قال قوم بل تحدث بما قاصر من آمال العرب . وما أحسب أنه قاصر في آمال العرب يوما أو أطال . فلو وضعنا ما قال لصالح العرب في كفة ، وما قال عليهم ، منذ أن وقف يطلب رئاسة الولايات ، في كفة ، ما اختلفت الكفتان . انما هى الصحف تمارس لأممها ما يمارسه الطبيب النفساني الذى يحاول أن يذهب بالقلق عن مريضه . فأحيانا هو بالعقاقير المسكنة يهدئه ، وأحيانا هو يعطيه حقنة من انسولين تصدمه ، أو لعلها شحنة من كهرباء تهز كيانه .

رئيس الولايات كالقبعة فوق الرأس

ان العرب من فرط جزعهم ، وللذى

حلَّ بهم ، ولقلة النصير ، يتشبثون بكل شعاع من أمل يتراءى في السماء ، تلك التى اصطبغت بالسواد وطال اصطباغها، وتؤذّن بالفجر ، لعل الفجر ينخدع فيطلع ، ويظل الفجر بعيدا عنا غارقا في سبات عميق .

ومن تلك الشعاعات التى تراءت في السماء واحيت فينا الآمال ظهور رئيس للولايات المتحدة جديد . انه راس الدولة . واذن هو كان راى ، وهو في جانب المعارضة، ميزانَ حكومته السابقة ، بين العرب واسرائيل ، كيف مال حتى كاد يتكفىء . فهو لابد مصلح ميزانه .

ان رئيس الولايات المتحدة احد العوامل في السياسة لا شك في هذا . ولكنه عامل الى جانبه الف عامل . ان الدولة الكبيرة كالآلة العظيمة التى بها الف الف ترس ، والف الف محور ، والف الف رافعة ، واخرى خافضة ، والف الف ذراع ومعصم ويد . فاذا انت جئت لهذه الآلة العارمة بسائق جديد ، يجلس مكان السائق القديم ، لم يستطع أن يحرك هذه الآلة فيغير من حركتها أكثر كثيرا مما حركها السائق الذى اعتزل . ان اجزاءها ترفض ، والروابط التى بينها ترفض .

فهكذا هى حكومة الولايات المتحدة .

انها حكومة ليست تعمل في فراغ . انها تعمل لحقول من الزراعة آلاف ، ما عرفت الدنيا مثلها . وتعمل لدور في الصناعة آلاف ،ما عرفت الدنيا اشباهها، لا عددا ،ولا عددا ولا تعقدا . ولا مثلها انتاجا . . واسواقٌ عددَ الرمل الا انها ليست في سهولة عدّه . ومصالح اقتصادية ارتبطت بخطط الدولة السياسية فلا تكاد هذه الخطط ان تجد لنفسها الحرية في التصرف لشدة وثاقة هذا الرباط . وآراء عند جماهير الشعب، وهم مئتا مليون ، تكونت ، وانجمدت ، عن كل شيء ، وعن كل الناس ، وعن كل امة ، وعاشت في عقولهم السنين ، فهى لا يمكن تغييرها في سهولة بين يوم وليلة .

والمسالة العربية والاسرائيلية تمسُّ هذا المجتمع الأمريكى في كثير من روابطه القائمة ، وتتعارض مع كثير من آرائه المتجمّدة .

ونسمع عن الطائرات تباع لاسرائيل ، وعن الدبابات،ونصرخ في وجوه السياسيين من تلك الأمم ، ولا ينفع فيهم صراخ ، لأنها وجوه اختفت وراءها وجوه رجال الصناعة ورجال المال الذين لا يفهمون من طائراتهم ودباباتهم الا انها بضاعة تصنع لتباع . وعندهم ان الحكومة التى تمنع بيعها تجنى على اقتصاد البلاد .

ان ديجول منع طائرات الميراج عن اسرائيل . ثم تأتينا الأخبار من فرنسا انه قامت ضد ديجول المعارضات من شتى الجهات ، ونستغرب عندما نسمع ان منها ، انه أصاب صناعة الطائرات بكساد عند منع الطائرات عن اسرائيل .

ديجول قرّر على الصعيد الدولى قرارا سياسيا ، كان من نتيجته زيادة في ازمة ، حسبوها عليه ، اقتصادية . وهى اقتصادية حقا ، ولكن في اى مذهب من المذاهب الانسانية جاز أن تربح الصناعة لتأكل شعوبها من حرام .

و«جنسن» رئيس الولايات السابق، واصل حربا فتنامية ، وعلى يديه تصاعدت . وجاء « نكسن » لينهيها . ثم اذا بنا نسمع انه قد يعيد قصف فتنام الشمالية . جاء لينزل بالحرب الفتنامية مدارج ، فاذا هو ينذر بأن يصعد بها .

انها صناعات الحرب في الولايات ، تلك التى كسبت من الحرب الفتنامية من الدولارات ارقاما خيالية . لا شك يعز عليها أن تنتهى هذه الحرب هكذا انتهاء سهلا يفوت عليها تلك المكاسب الباهظة .

ونحسب أن الحرب وقع منها ما وقع في عهد جنسن، لأن جنسن ،هكذا اراد . ونحسب ان الحرب سيقع فيها في عهد نكسن ما سوف يقع لأن نكسن هكذا

يريد . والحق انه لا هذا ولا ذاك اراد او يريد . وانما هي الادارات التي وراء رئيس الدولة والمصالح العملاقة التي اليها يسند كل هذا الكيان الجبار الذي اسميناه الولايات المتحدة ، هي التي ارادت*.

ولقد سمعنا ان « نكسن » قرر ان يدعو رئيس الرابطة الامريكية بل رابطة الأمريكتين لمقابلة ، واعلن البيت الأبيض ذلك . واضطربت وزارة الخارجية لأنها لم تعلم بالنبأ قبل اعلانه، لأن من واجبها قبل ان يتقدم رئيس الولايات لأن يقابل احدا من الرؤساء الاجانب ان تزوده بشتى الآراء التي تتصل بالموضوع ، ثم بنصيحتها في الأمر الذي يثار ، واحيانا بالذي يقوله وكيف يقوله . وفي زيارته الأخيرة لأوروبا زودته وزارة الخارجية بكراسة بها ٣٠٠ ورقة مكتوبة عن كل ما يحتمل أن يلقى ، وكيف يعمل ،وكيف يتصرف . أنها خطة السير الرسمية ، ويجوز له بالطبع أن يتجاوزها ، ولكن بحساب .

والأحزاب في أمريكا تنفق الكثير في سبيل فوزها .

كان « ماكرثى » احد المتقدمين لرئاسة الولايات عن الحزب الديمقراطى ،وخرج من المعركة الانتخابية وهو في الطريق اليها . وسالوه : كم يحتاج طالب الرئاسة من النفقة ؟ قال : لا ادرى لأنى قطعت الطريق قبل ان اصل . قالوا : فكم تكون النفقة لرجل يقطع الطريق قبل الوصول قال : نحو ٥ مليون دولار .

واتضح لرجال الصحافة بعد ذلك ان الحزب الجمهورى انفق في حملته الأخيرة لنجاح نكسن ٧٦ مليون دولار .

فمن اين جاءت هذه الأموال ؟

جاءت كثرتها الكبرى من أهل المصالح التجارية والدور الصناعية .

ومن اجل ذلك وقف أرباب المصالح الكبرى دائما عند ابواب الساسة يقتضونهم ما يقبضون .

فالأمل الذى يربطه العرب برئيس الولايات المتحدة الجديد ، يجب ان يصحبه ادراك لمقدار الحركة التي يستطيع أن يتحركها هذا الرئيس في مقعده ،وهو يدير آلة الولايات المتحدة العارمة .

لكدت ان اقول ، ان الانسان لا يبدل منه شيئا كثيرا أن يضع على رأسه قبعة جديدة مكان أخرى قديمة .

مشكلة الروس والأمريكان لا مشكلة العرب واسرائيل

وشيء آخر لا بد ان نذكره .

ان المشكلة القائمة بين العرب واسرائيل تنظر اليها الدول الكبرى ، من غرب وشرق ، بحسبانها مشكلة قائمة بين الروس والأمريكان . فالحل الذى يجدونه ، ان هم وجدوه ، سوف يكون حلا للمشكلة بين الروس والأمريكان . اما كم يرضي هذا الحل العرب ، وكم يرضى أسرائيل ، فذلك له المحل الثانى.

والخلاصة : كما اراها ، انه لن يكون هناك حل يرضي العرب. ولن يكون هناك حل يرضي العرب وعرب فلسطين رضاء واحدا . واغلب الظن ، ان كان سلام ، ان يكون سلاما يرى العرب أن لا سبيل غيره ، يعطى اجيال العرب القادمة الفرص لتعويض مافوتته عليها الأجيال الذاهبة.

والا فهى حرب المناوشات ، تشتد حينا ، وتضعف حينا ، وهى اذن حرب مصابرة ، لا يعرف لها الانسان مدى .

●●

٨ مارس ١٩٦٩

أحمد زكى

---

* مثل هذا الكيان الصناعى الجبار شركة جنرال موتورز . بلغت الضرائب التى دفعتها للحكومة الامريكية في كل ساعة من عام ١٩٦٧ مبلغ ٢٣٠٠٠٠ دولار . وبلغت قيمة ما اشترته من مواد لصناعاتها في كل ساعة من ساعات ذلك العام ١ر١ مليون دولار . وبلغت مبيعاتها في السنة الواحدة نحو ٢٠ الف مليون دولار وبلغ ربحها في العام ٢٢٥٠ مليون دولار . انها دولة داخل الدولة

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة الوعي الاسلامي ـ الكويت



■ فى المقالات السابقة تحدثنا عن عوامل احاطت بفهم الصحابة للقرآن .. وبقى من هذه العوامل عامل اخير وهو المحتوى الثقافى الذى كان عليه الصحابة وتلقوا به القرآن الكريم او فهموه على ضوئه ..

وهذا عامل مهم .. لأنه على قدر وعى الانسان وثقافته يكون فهمه لما يقرؤه او لما يسمعه ، أو يكون حسن استقباله له ووضوحه عنده ، كأجهزة الاستقبال . فعلى قدر سلامتها وقوتها يكون وضوح ما تتلقاه أو تستقبله ..

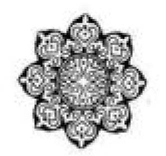
ونحن ندرك من واقعنا أن الخطبة تلقى على المستمعين ، فيأخذ كل منهم على قدر ثقافته ووعيه ، وأن الكتاب يقرأ ، فلا يكون الجميع متساوين فى فهمه واستيعابه . بل على قدر ثقافة السامع أو القارىء يكون الفهم ، ويكون الاستيعاب .

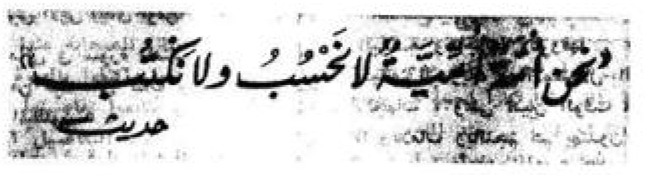
هذه حقيقة اولى **لا جدال فيها ..**

الحقيقة الثانية : **أن القرآن عربى وفي أعلى درجات البلاغة . وهو بلغة القوم الذين نزل فيهم اولا .. وخاطبهم وتحداهم .. فمن الطبيعي أن يفهموه « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .**

ولقد فهموه ، وادركوا بلاغته : وعرفوا منها سر مصدره (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) آمن به من استجاب لفطرته ، وصد عنه من قامت الحوائل عنده دون الاستجابة لهذه الفطرة ، ولكنه كان فهما قائما على ما أتقنوه من فنون المعرفة ، وأولها وأهمها : الناحية البلاغية اللفظية .

الحقيقة الثالثة : **ان أهم ما جاء القرآن من اجله : هو : العقائد والأحكام ، وما يتصل بهما من**





مكارم الاخـلاق ، ومـن أجـل توضيح العقائد وتدعيمها ، والتدليل عليها ، وتثبيت الداعين اليها ، جاءت الآيات التي تتحدث عن دلائل قدرة الله في خلقـه ، والآيات التـي تسرد قصص السابقين ...

أما الآيات التي تتحدث عن العقائد كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فهي آيات واضحة ، يفهم مضمونها كل عربي ، دون كبير عناء ، بمجرد أن يسمعها أو يقرأها ، حتى بعد أن ضعفت السليقة العربية فيهم ، وذلك في حدود قدرته وتصوره ، وأما آيات الأحكام والأخلاق فهي في جملتها كذلك واضـحة محددة ، وتكفل الرسول أيضـا بزيادة بيانها وتوضيحها قـولا وعملا ...

ومثل ذلك في العقائد :

(والهكم اله واحد لا الــه الا هو الرحمن الرحيم) (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (ان الله على كل شيء قدير) (الله لا اله الا هو الحى القيوم) (آمنوا بالله ورسوله) (الذين يؤمنون بالغيب) .. (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) .. الى غير ذلك من الآيات التي يدرك العقل ما ترمى اليه .

ومثل ذلك في الأحكام : « واحل الله البيع وحرم الربا » ، « اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » ، « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .. الى مثل ذلك من الآيات ...

ومثل ذلك في الأخلاق : « وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمسـاكين والجار ذى القربى » الآية : « ادفع بالتي هى أحسن » ..

فمن الضرورى أن تكون هذه الآيات على قدر من الوضوح يكفى لالزام المخاطبين بمضمونها وبما دعت اليه من عقائد وأحكام والا لم تقم عليه الحجة ..

وبقي بعد ذلك الآيات التي تتحدث عن المظاهر الكونيـة ، والآيات التـي تتحدث عن قصص السابقين ..

وينضم اليها كذلك الآيات التي تتحدث عن بعض صفات الله تفصيلا كالاســتواء والوجه واليدين ، والمشيئة والارادة .. الخ .. ويلحق بها الآيات التي جاءت غير واضحة وغير محددة .. مثل روح الله وكلمته . ومثل الم ... والر .. الخ ..

هذا النوع من الآيات هو في الحقيقة موضوع الحديث الذى عنينا بتوضيحه في هذه البحوث ...

وهو الذى تساءلنا عن مدى فهم الصحابة له ، أو استيعابهم فهمه ، وتحدثنا عن عوامل أثرت في فهم الصحابة له وتأتي اليوم على آخـر هذه العوامل .. وهو القدر الثقافي الذى استقبلوا هذه الآيات به ..

بعثت الى أمة أمية

وهذا يستدعى منا أن نعرف ما كان عليه العرب من ثقافة علمية وتاريخية اسـتقبلوا بها الآيات الكونية والقصـصية وبعض الآيات الأخـرى المتشابهة ...

لقد جاء في القرآن وصف العرب بأنهم أميون ، ووصف الرسول بأنه أمى ...

فيقول الله تعالى في سورة الجمعة (١) « هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

ويقول في سورة الأعراف (٢) : (فآمنوا بالله

---

(١) الآية الثانية .

(٢) آية ١٥٨ .

ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته) .

ويقول تعالى في سورة العنكبوت (٣) : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » .

وجاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب . الشهر هكذا وهكذا) واشار باصابعه يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين (٤) .

ويقول عليه الصلاة والسلام مخاطبا جبريل : (اني بعثت الى امة اميين) (٥) أو (اني بعثت الى امة أمية) ولعل اصح تفسير لمعنى كلمة أمية واميين هو ما فسرها به الرسول صلى الله عليه وسلم وعناها حين قال : «لا نحسب ولا نكتب»وهو ما وضحه الشاطبي (٦) حين قال : والأمي منسوب الى الأم ، وهو الباقي على اصل ولادة الأم لم يتعلم كتابا ولا غيره فهو على اصل خلقته التي ولد عليها .

وليس معنى هذا الجهل التام بامور الحياة وبما يكتسب منها بالتجارب والعقل ، بل معناه انه لم يتعلم بطريق الكتابة والقراءة شيئا ، وهو الذي صرحت به الآية الأخرى عن وصف الرسول بالأمي « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » ومن اجل هذا جاء وصف الرسول في القرآن به مدحا له ، ودفعا لأى شك في صحة رسالته ، ونزول القرآن من ربه .

فالعرب الذين نزل فيهم لم تكن الكتابة والقراءة منتشرة عندهم انتشارها عند الأمم المتحضرة حولهم ، وبالتالي لم يتمكنوا من دراسة العلوم التي كانت معروفة عند غيرهم من الفرس او الروم في ذلك الوقت ، فكان كل ما يتناقلونه بينهم من الطب والفلك وغيرهما لا يمكن تسميته علوما الا تجاوزا ، لانه كان مكتسبا عن طريق تجاربهم السطحية وملاحظاتهم الخاصة . المنبعثة من البيئة وحاجاتها وظروفها . مما يعينهم على حياتهم البدوية، من الاستدلال بالنجوم على معرفة الجهات ، وعلى تعيين الوقت ، كما قال الله « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ، ومما كانوا يداوون به مرضاهم بطريق التجربة والتناقل فيما بينهم ، مما يمكن ان تجد له شبيها الآن في البيئات البعيدة المنعزلة عن الحضارة المحرومة مما وصل اليه العلم من تقدم ..

على ان هذه المعرفة المحدودة لم تكن عامة شائعة لدى العرب جميعا ، بل كانت مقصورةعلى بعضهم أو خاصتهم ممن كانت الحاجة تدعوهم الى معرفتها ، ولعل هذا الوصف (الأمية) قد غلب على العرب ، حتى لم ير الرسول بدا من الاحتجاج به عند ربه ، وهو يخاطب جبريل ، كما في الحديث السابق ، كما صرح به ايضا وهو بصدد معرفة أيام الشهر .. ولهذا جرى على لسان اليهود حين قالوا : (ليس علينا في الأميين سبيل) يريدون في كلامهم هذا : العرب ، وان كان هذا مبدأ عاما عندهم في معاملة غير اليهود ، لا يرون باسا في نهب اموالهم .. لكن الآية تحكي حال اليهود الذين يعاملون العرب ، ويطلقون عليهم هذا الوصف (الأميين) ..

وكذلك كان حالهم بالنسبة لتاريخ الامم قبلهم مما قصه القرآن ، فلم يكن لهم به معرفة سابقة ، وذلك هو ما تخبر به هذه الآية الكريمة بعد ان سبقها ذكر قصة نوح مع قومه واهله : (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) (٧) ، وفي قصة مريم وزكريا : (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ، أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) (٨) .

---

(٣) آية ٤٨ .
(٤) كما جاء في صحيح البخاري في كتاب الصوم عن ابن عمر رضي الله عنهما .
(٥) كما جاء في الترمذي في باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .
(٦) ص ٦٩ جـ ٢ من الموافقات .
(٧) آية ٤٩ من سورة هود .
(٨) آية ٤٤ من سورة آل عمران .

الأمية ارتكاز لحجة من حجج الرسالة

حتى ليمكننا أن نقول انه كما كان عدم معرفة الرسول بالكتابة والقراءة ارتكازا لحجة من حجج رسالته ونزول القرآن عليه من عند الله ، كان عدم معرفة قومه بالعلوم وبالتاريخ أو « أميتهم » ارتكازا آخر لحجة من حجج رسـالته ، وكون القرآن منزلا عليه من الله .

فحين اراد اعداؤه المشركون الطعن فيه ، وفي صحة نزول القرآن عليه ، قالوا ان ما يقصه من اخبار الماضين انما هو من تعليم هذا الرومي المثقف المهاجـر الى مكة ، المقيم فيها ، فنزل القرآن يرد عليهم : (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) (٩) .

ولو كان لدى العرب عامة علم بهذه الوقائع ، او لو كان لدى خاصتهم علم بها لما لجئوا الى اتهام الرسول بالتعلم من هذا الرومي ، او لكروا بعد رد الله عليهم هذا الرد ، وقالوا : انه يتعلم من فلان العربي صاحب اللسان العربي . ولكنهم لم يجدوا عربيا عالما امامهم بهذه القصص ، حتى يسندوا اليه تهمة تعلم الرسول منه ..

وهكذا كانت أمية الرسول وأمية قومه من ممهدات الرسالة ، أو من ركائز صدقها ودلائل صحتها ..

ولعل في هذا الكفاية في الدلالة على خلو البيئة العربية التي نزل فيها القرآن من العلم بتاريخ الامم والرسل السابقين ، وكانت ارقى بيئة عربية في الجزيرة في ذلك الوقت .

فكل ما ساقه الله سبحانه - اذن - من قصص الامم السابقة مع رسلها والصالحين من عباده ، انما كانت قصصا بكرا لم يعرفها العرب من قبل ، بل استمدوا معرفتها من القرآن وحده ..

وهذه نتيجة أحب ان يقف القارىء عندها لان لها اهميتها عندما نتحدث عما جاء في تفسير قصص القرآن ، من اخبار زائدة عن منطوق القرآن : من اين جاءت ، وعمن رويت . لانهم ما داموا قد علموا هذه القصص من القرآن . وفي ثناياها اخبار طويت ، لعدم الحاجة اليها في ابراز العبرة من القصة ، فهل سأل الصحابة عنها رسول الله واجابهم ، او سكتوا واكتفوا بالعبرة الظاهرة من القصة ، دون ان يتابعوا تفاصيلها الخفية التي تركها القرآن .. تلك التفاصيل التي رأيناها تثار فيما بعد ، ويُسأل عنها ، لان النفس البشرية فيها غريزة حب الاستطلاع ، وهي تجري وراء هذه الغريزة ، متى كان الجو صالحا ومساعدا . كما رأينا ذلك بعد عصر الفتـوح ، والاتجـاه الى الاستقرار والبحث ، ولا سيما بعد دخـول غير العرب في الاسلام ...

لم نجد الصحابة يتابعون هذه الاخبار التي طويت ، او هذه الفجوات التي تركت في القصـة بسؤال الرسـول عنها ، ولم نجد فيما روى صحيحا عن الرسول ما يشبع حب الاسـتطلاع الطبيعي لدى النفوس ...

فراغ سدوه بالاسرائيليات

ومن هنا وجد الفراغ الذي حاول المفسرون سده بعد زمن الرسول عن طريق علماء اليهود ، او من ظنوهم علماء بالتوراة ، وربما لم يكونوا من العلماء ، بل من النقلة المخرفين ، الذين يحرفون ويزيدون ، أو من عوامهم الذين يسمعون وينقلون ويزيدون ويستمع منهم المسلمون ، حتى لتجد كتب التفسير محشـوة بتفاصيل لهذه القصص لم يذكرها القرآن ، ولكنها ماخوذة عن هؤلاء مما اشتهرت تسميته « بالاسرائيليات » وبعض هذه الاسرائيليات تجدها معزوة الى ابن عباس او غيره من الصحابة والتابعين ، مما يوهم روايتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وما هي كذلك ... وانما هذا مصدرها الذي اتت منه : اليهود الذين اسلموا ونصبوا من انفسهم ، او نصب منهم المسلمون معلمين مخبرين بما لم يذكره القرآن من تفاصيل القصص ...

الآيات الكونية

بقي معنا الآيات التي تتحدث عن مظاهر قدرة

---

(٩) آية ١٠٣ من سورة النحل .

الله فى خلقه : فى الانسان ، وفى السماء والأرض ، وتلفت النظر الى التدبر فى ذلك كله ، حتى يصل العقل من خـــلال ذلك الى الايمان بقدرة الله الواحد . ويستطيع العربى العادى ان ياخذ منها عبرة عامة . وهذا كاف فى الهداية والانعاظ ، ولكنها تحوى اشارات الى حقائق علمية تظهر لدارس القرآن كلما تقدم العلم ، وكشف شيئا من أسرار هذا الكون ...

مما لا شك فيه ان العرب حين نزول القرآن لم تكن عندهم قدرة لتفســـير هذه الآيات على الأساس العلمي الذى يمكن أن نفسر بعضها الآن عليه ، اذ لم تكن عندهم معلومات علمية يستقبلون بها هذه الآيات كما يستقبلها بعض علماء الطب والفلك والزراعة والجيولوجيا ... اليوم .

لم تكن عندهم طاقة لفهم الدقائق التي يفهمها هؤلاء العلماء اليوم ، ولذلك لم يفهموها او لـم يتناولوها بالشرح الا على قدر جهدهم . وكذلك علماء التفسير الذين فسروا القرآن حتى الآن تقريبا . اكتفـوا بالتفسـير اللفظى البلاغى النحوى مع النظرة العامة للمظاهر التي تتحدث عنها الآية ، ويفهمها المفسر ، ويبرز العبرة منها .. وربما اضافوا للتفسير شيئا مما سمعوه من الاسرائيليات التي لبثست عليهم ، كما فسروا مظاهر الرعد والبرق وغير ذلك مما نراه فى كتب التفسير التي بين أيدينا ..

ومن المعروف انه على قدر تفتح الذهن ، وعلى قدر المحصول العلمي للانسان ، يكون اتجاهه فى المعرفة والسؤال عما يتطلع الى معرفته ..

فالريفي الجاهل فى القرية الذى لم يقرأ ولم يكتب لا يستطيع وهو يسمع الاذاعة ، ويشاهد التليفزيون أن يتجه ذهنه الى السؤال عن دقائق صنع المذياع والتلفاز ـ كما يؤثر الدكتور احمد زكى ان يسميه ـ لكنه ينظر نظـرة عامة فى الجهازين وهما يؤديان عملهما . ويستدل من ذلك على قدرة العقل البشرى الذى صنعهما . وحتى لو ظهر منه سؤال ـ فلتة أو اعتباطا ـ : كيف يتم نقل الصوت والصورة ؟ فان من غير المناسب أن يجلس العالم بذلك ، فيشرح له دقائق هذه العملية لأن عقله لا يستوعبها ، وليس لديه أساس علمي يمكن أن يقوم عليه هذا الشرح .. فالاشتغال بذلك ـ اذن ـ مضيع للوقت ، ومجاف للحكمة : ولذلك يكون من الحكمة توجيه الجواب وجهة يحتملها عقله ..

سؤال عن الأهلة

وقد روت لنا كتب التفسير فى أسباب نزول قوله تعالى : « يسالونك عن الأهلة » من سورة البقرة . ما يشبه هذا ، فقد قال معاذ بن جبل رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس) .

وجواب هذا السؤال عرفناه ونحن صــغار ، ندرس حركة القمر الشهرية وموقعه بالنسبة للشمس والأرض ، ورســمنا له الخريطة التي توضح اشكال القمر ، او على الأصح اشكال الجزء المنير منه المواجه للشمس وما يظهر لنا نحن سكان الأرض من هذا الجزء المنير على مدار الشهر القمرى .. اعنى ان الجواب أصبح فى متناول الطلاب الصغار الآن ...

ولكنه وقت نزول القرآن لم يكن من المناسب توضيحه للعرب ، وليست عندهم أوليات علمية عن الشمس والقمر من هذه الناحية .. ولم يكن لدى الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك علم بأسباب هذا التغير .. وكان من الممكن أن ينزل القرآن به كما نزل بكثير من الأجوبة التى كان لا يعرفها الرسول ، ولكنا نرى القرآن ينزل بالرد عليهم ولكنه يتجه به اتجاها آخر غير ما سال عنه معاذ ، وهو بيان فوائد حركة القمر لنا .. (قل هي مواقيت للناس والحج) لأن هذا هو الذى كان يمكنهم فى ذلك الوقت فهمه ..

ولهذا قال علماء البلاغة فى هذا الجواب : انه من الأسلوب الحكيم .. أى الجواب بغير ما سال عنه السائل ، لصرفه عن موضع سؤاله ، ايحاء

له بأن كلا من سؤاله والجواب الحقيقي عنه غير مناسب ، بل المناسب أن يسأل عما كان الجواب فعلا عليه .. وهو فائدة تغير القمر بهذه الأشكال التي تراها .. حتى قال بعض المفسرين فهما لقوله تعالى عقب ذلك مباشرة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) قالوا ان ذلك يشبه أن يكون تقريعا لاتجاههم الى ذلك السؤال ، الذى لا يحتملون الاجابة الحقيقية عنه ، وكان الأولى الا يشتطوا فى الأسئلة ، ولا يتعرضوا لما هو فوق طاقتهم العلمية .. فمثل هذا السائل كمن أتى البيوت من ظهورها وسار الى الشيء من غير طريقه المناسب له . وليس هذا برا ، ولكن البر او الصواب هو اتقاء مثل هذه الأساليب فى الأسئلة لعدم مناسبتها لكم ..

هكذا علل بعض المفسرين سر اتصال أجزاء الآية بعضها ببعض ، وهو فهم في الآية على كل حال ، يقوم على حالة واقعة ، هى عدم معرفتهم بمسائل العلم التى تؤهلهم لادراك الجواب الحقيقى على سؤالهم هذا .

وهذا مثال من القرآن نفسه يوضح لنا ما نقول عن واقع الصحابة العلمي حين نزول القرآن ..

والنتيجة

والذى نريد أن نصل اليه من هذا كله :

أن الصحابة لم يكونوا مؤهلين بمعرفة لتاريخ الرسل وأممهم فوق ما جاء فى القرآن . فكل زيادة فى هذه الناحية ان ثبت ورودها عن الرسول قبلناها والا أبعدناها عن تفسير القرآن ، اللهم الا اذا وجدنا حفريات ونقوشا تضيف لنا جديدا عمن تحدث عنهم القرآن ..

كما أن الصحابة لم يكونوا مؤهلين بمعرفة علمية عن الانسان ومظاهر الكون أمامهم ، ولهذا لم يخوضوا فيها بتفصيل ولم يتحدثوا عنها ، وانما يكتفون بالعبرة يأخذونها من منطوق الآية ومن النظرة السطحية الى المظاهر الكونية أمامهم دون تعمق ومن هنا تركوا وراءهم فراغا يمكن للعلماء فى هذه العلوم الكونية أن يسدوه كلما تقدم العلم على مر السنين .

وقد جاء القرآن الكريم يخاطب العرب فى حالتهم تلك ، بالأسلوب المناسب لهذه الحالة ، فيأخذون منه قدرا يحرك فى نفوسهم الاتعاظ بما يحدثهم عنه ، ويخاطب من هم أعلى منهم علما ، وأدق نظرا ، على درجاتهم المتفاوتة فى العلم ودقة النظر ، فيكتسبون العبرة الظاهرة التي استفادها العرب الأميون ، ولكنهم يزيدون عليها تأملات جديدة فى الآية على ضوء ما وصلوا اليه من علوم يقينية ، يجدون فى الآية اشارة لها وتحتملها ألفاظها ..

ولهذا كان أولى الناس بتفسير الآيات الكونية انما هم أهل العلم في الطب والفلك والجيولوجيا وما يشبه ذلك من علوم ، على ألا يفسروا آية الا باليقينيات من العلم لا بالفروض والنظريات التي لم تثبت . أما أرباب النحو والبلاغة فقد فسروها كما تدل عليه ألفاظها مع ما عندهم من علم عن الكون استفادوه بالنظرة السطحية التي تشبه نظرة الصحابة ..

والخلاصة

وخلاصة هذه البحوث التي قدمتها .

أن القرآن الكريم لم يحظ بتفسير مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته ، اللهم الا فى آيات قليلة جدا ومتناثرة ، فلا يمكن أن تكون تفسيرا كاملا بالرواية يعتمد عليه .

وأن أغلب ما جاء فى التفسير بالرواية عن غير الرسول انما هي آراء يمكن الاستئناس بها ان صحت ولكنها غير ملزمة وبهذا يمكن القول : بأن ميدان التفسير ترك مفتوحا لكل مؤهل له منذ عهد الرسول الى الآن ، وسيظل كذلك.وان هذا كان السبب فى كثرة التفاسير وأنواعها وكثرة الآراء والشطط والحشو فيها ، وذلك حسب عقلية المفسر ومذهبه ونوع ثقافته . مما يمكن أن نتناوله بشيء من البيان والتوضيح ان شاء الله .

ومنه سبحانه العون والتوفيق . ■■

عبد المنعم النمر

نتيجة مسابقة العدد ١٢٣

أسئلة سهلة وإجابات عديدة

■ امتازت نتيجة مسابقة العدد١٢٣ بسهولة الأسئلة وكثرة الاجابات الصحيحة حيث تكدست لدينا الآلاف من الاجابات التى وصلتنا من كافة أقطار الارض وهذا هو نموذج للاجابة الصحيحة .

١ ـ البرت اينشتاين : نظرية النسبية

٢ ـ جون بيرد : التليفزيون

٣ ـ داروين : نظرية التطور

٤ ـ بلهارز : مرض البلهارزيا

٥ ـ الفريد نوبل : الديناميت

٦ ـ ادوارد جينر : التطعيم ضد الجدرى

٧ ـ سابين : مصل شلل الاطفال

٨ ـ الكسندر بل : التليفون

٩ ـ اسحق نيوتن : قوانين الجاذبية والحركة

١٠ ـ زبلن : المنطاد الموجه

وقد اجرينا القرعة ففاز القراء الآتية اسماؤهم بالجوائز الموعودة .

● **الجائزة الاولى :** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها:

عبد الحميد محمد احمد المصرى ـ اربد ـ الاردن .

● **الجائزة الثانية :** وقيمتها عشرون دينارا فازت بها :

حصة ابراهيم محمد الجناحى ـ القادسية ـ الكويت

● **الجائزة الثالثة :** وقيمتها عشرة دنانير فاز بها:

عبد السلام الزرماطى ـ باردو ـ الجمهورية التونسية .

●● **٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :**

١ ـ **اشرف السيد احمد العجان** ـ القاهرة ـ الدقى .

٢ ـ **حسن سعيد الحافظ** ـ المكلا ـ جمهورية اليمن الشعبية .

٣ ـ **احمد يعقوب عبد الله** ـ لندن ـ انجلترا .

٤ ـ **سمير على الزين** ـ لبنان ـ شقراء .

٥ ـ **الباقر حسين السيد المحجوب** ـ مديرية كردفان الابيض ـ السودان .

٦ ـ **محمد عصام الحموى** ـ حلب ـ سوريا .

٧ ـ **حكمت سليمان** ـ الموصل ـ العراق .

٨ ـ **سعيد على سرور النجرانى** ـ رأس تنورة ـ رضوى ـ المملكة العربية السعودية .



نجوى القلم

■ أنت الوحيد الذى أزجيك أشجانى   فتحفظ السرَّ في عمقٍ وإيمانِ
أنت الصديق الذى أشكو له ألمى   أذيع سرّى له من بعد كتمانى
وتلمع الدمعة الحرّى تؤرّقنى   مهما تخفّتْ وذابت طيَّ أجفانى
فتمسح الدمعَ في صمتٍ وفي حدَبٍ   وكم يهزّك منى فرطُ تحنانى
أبثّك الكلمةَ البيضاءَ صادقةً   لا زيفَ فيها ولا ألوانَ بهتانِ
وتنقل الشوق للأوراق في ثقةٍ   فتقرأ الناسُ أفراحى وأحزانى
ياكلَّ ماليَ من دنيايَ يؤنسنى   يا سرّ بثّ الهوى يامؤنسَ العانى
تحنو عليك يدى اليمنى فتلثمها   أمّا يسارى ففيها نبضُ ألحانى
وحين ألقاك ألقى الناسَ قاطبةً   ففرحةُ العمر عندى يوم تلقانى
وحين تهمس ألحانا منغّمة   إلى الوُريقات كم يهتزّ عطفانِ
قلْ لى أقلبك مثلى في تلهفه   أم أنت يا مؤنسى قلبٌ كصوّانِ
لا. لا أصدّق نفسى في توهمها   ما أنتَ إلا فؤادٌ خافق ثانى
ما أنت إلا رسول القلب يبعثه   إلى الحيارى فيهدى كلَّ حيران
وأنت بلسمُ روحى حين يهجرها   زهرُ الأمانى بلحظ منكَ فتّان
فتسعد الروح باحتْ بالشجى كلما   مثل الأحبة تُلقى بعد هجران
إن غبتَ عنى أحس الكونَ مكتئباً   كالشمس غابت وراحت خلف شُطآن
لو أنّ كلَّ الأُلى صاحبتهم هجروا   ماهمّنى هجرُهم ما دمتَ ترعانى
إن تدرِ من أنت ما فارقتنى أبداً   صديقَ عقلى وأحلامى ووُجدانى

■■

روحية القلينى

الخنافس

بها نحو من ٢٥٠,٠٠٠ نوع منتشرة في كل بقاع الأرض

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ ما اظن ان احدا من العرب ، لا سيما من اهل المدن ، ولا سيما من اهل العواصم ، عرف من الخنافس ، الا ما قد يكون لقيه في الحديقة ، او في الطريق المعشب او المترب ، من حشرة صغيرة سوداء ، تمشي على ارجل رفيعة ، تهدف الى غاية . والقى اليها ببصره ، ثم رفعه عنها ، قلة اهتمام بها ، وبغاية هي تسعى اليها .

وغير ذلك ساكن الريف ، فهو يلقى منها اشتاتا . ففي الريف تنطلق الحياة وتمتد الاحياء وسعها . وقد تختلط صنوف الحشر على ساكن الريف ، فلا يكاد يفرق بينها . وقد يسمى حشرا ما ليس بحشر .

اما العلماء ، فلهم طريقتهم في تصنيف الاحياء ، يبنونها على تركيب اجسامها ، وعلى تشكلها ، وعلى خصائصها . وهم لا يعثرون على حي من الاحياء جديد حتى يروحوا يصفونه شكلا ، ويشرحونه جسما ، ويدرسونه بيئة وحياة وعادات ، ثم يضعونه في خانة من خانات الصنوف التي رسموها .

وعند العلماء ان الخنافس من الحشرات .

وعند العلماء ان من الحشرات كذلك الصراصير والفراش والذباب والنمل والنحل والزنابير والقمل والبراغيث والبق وغير ذلك .

وليس من الحشر العناكب والعقارب ، ولو انه يجمعها واياها ارجل متشابهة . ارجل ذات مفاصل .



مِنَ الخنافس الشُّوسُ ، وهو يَعبَثُ بالمحاصيل كما هُوَ معروف .
ومِنَ الشُّوس دُودَة لوزة القطن ، وخسارة الولايات المتحدة منها في العام نحو ٢٠٣,٠٠٠,٠٠٠ دولار .

وليس من الحشر الثعابين والسحالي فهذه لها فقار في الظهر ، والحشرات غير ذات فقار .

واذا قلنا لانسان حقير ، انه حشرة ، فقد تجاوزنا كل معاني الحشرة العلمية الى التشبيه اللغوي ، صدق ما قلناه من حيث انه تشبيه او لم يصدق .

والذي نريد أن ننبه اليه ان للالفاظ في العلم معاني قد تختلف عن المفهوم اللغوي ، او الشائع في الناس . والمتحدث في العلم للعلماء يلتزم دائما بهذه المعاني الاصطلاحية والقواعد المرعية ، الا ان يتحدث الى الجمهور في العلم فيباح له التحلل من ذلك بمقدار ما يسهل الفهم ولا يزعج العلم ازعاجا خطيرا . فهكذا فعل كبار العلماء في شتى الامم ، ولم يأخذ عليهم احد في ذلك ماخذا .

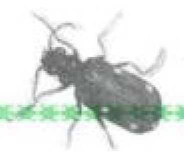
تركيب الخنافس وبناؤها الظاهر

وسنتخذ مثلا من الخنافس ، الخنفسة السوداء كثيرة الانتشار .

وقد قرنّا الى الوصف بالكلام الوصف بالرسم فهو اوضح .

وكلا الوصفين وصف اجمال يضم صفات اكثر الخنافس ، ومنها ما يشذ .

واذ نصف الخنافس ، فانما نصف الحشرات التي هي بعضها ، فاذا اتينا على الصفات التي ميزت الخنافس فجعلتها رتبة Order تقف وحدها بين



تركيب الخنفساء السوداء ، ظهرها وبطنها

رتب طائفة Class الحشر ، نبّهنا الى ذلك .

اهاب الخنفساء

عندما ينظر الناظر الى الخنفساء يلاحظ أول ما يلاحظ ظاهرها ، أو ان شئت فاهابها الخارجي ، الذي هو اشبه بالجلد للانسان ، ويلاحظ انه شيء جامد ، والحق انه من مادة قرنية تسمى كيتين Chitin تغطي اجسام الحشرات . وهذا « الجلد » له هدفان : الهدف الاول حماية جسم الحشرة من الاذى فهو درع واق . والهدف الثاني : انه يقوم للحشرة ، واذ قلنا للحشرة فقد قلنا للخنفساء ، بما يقوم به الهيكل العظمي للحيوانات التى لها هذه الهياكل داخلية ، فهو لها هيكل خارجي ، به تتعلق كل العضلات ، وترتبط مع ما بداخل الجسم من رخو الاعضاء .

ويتشكل هذا الهيكل الخارجي اشكالا



الخنفساء السيدة

وهذه ترجمة اسمها Lady Beetle ولعل هذا كان بسبب جمال هذه المجموعة من الخنافس وبسبب الوانها ، وتزاحم اهل الهواية لجمع عيناتها . فهي من احب ما يجمعه الجامع .

والطريف من هذه الخنافس انها تعيش على المنّة Aphids وهي حشرة تعيش بان تمتص عصارة الفواكه وهي على اشجارها . (راجع لوحة الصور الملونة بصفحة ٣٥) .

شتى ، وعنه تصدر الوان الخنافس التى تراها ، من اسود وازرق واخضر واصفر وغير ذلك .

للخنفساء ارجل ست

وللخنفساء ، ارجل ست فقط ، وهي من خواص طائفة الحشر التى تميزها عن سائر الطوائف الاخرى التى لها ارجل مثلها ذات مفاصل كالعقارب والعناكب (ثماني اقدام) وكالجنبرى او الاربيان Shrimps ، وابو جلنبو او السرطان Crab .

للخنفساء راس ، وصدر ، وبطن

وللخنفساء كما لسائر الحشر راس وصدر وبطن .

والراس يحمل قرنين يستشعر بهما . وبه عينان تريان . وكذلك بالراس فم به فكوك قوية للقضم والمضغ وهي تختلف باختلاف الحاجة واختلاف الطعام .

ومن اسفل الصدر تخرج ارجل الحشرة ، والصدر كذلك يحمل الاجنحة.

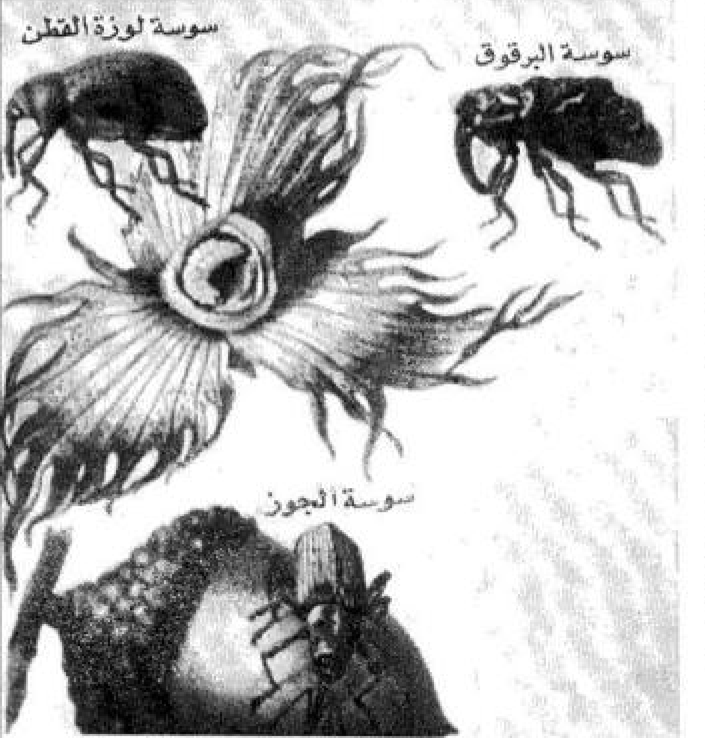
والبطن مقسم الى عشر حلقات ، ليس كلها ظاهرا للرؤية . امّا ما يظهر للرؤية فما بين ٥ الى ٨ حلقات .

وفي كل حلقة من حلقات البطن زوجان من فوهات التنفس spiracles وهي الفتحات المؤدية الى النظام الانبوبي الهوائي التنفسي للخنفساء .

الخنفساء تخضع لانسلاخ الحشر

ان اكثر الحشرات بخضع لظاهرة الانسلاخ Metamorophosis ، وهي تكتمل بأن تبيض الحشرة البالغة Adult بيضها ، ثم تنفقس البيضة عن اليرقة Larva وهي دودة تتمثل فيها صورة من دورة الانسلاخ ، ثم تتحول اليرقة

السوس وهو انواع عديدة تبلغ نحو ٢٥٫٠٠٠ نوع وقد تزيد على هذا العدد اضعافا عند البحث . وهي تتميز بان راسها له زائدة تشبه خرطوم الفيل ، وفيه فمها ، وفيه ايضا ملمساها الاستشعاريان. وهي تعيش على النباتات ، من جذورها الى ثمارها ، هي ويرقاتها . وقد اشتهرت عندنا خاصة بالظهور في المخزون من القمح والذرة والشعير ونوع من السوس يظهر في الارز المخزون. وتجد بجانب هذا الكلام صورة للسوسة التى تعيش على البرقوق، واخرى تعيش على الجوز ، ثم ثالثة من اخر السوس ، هي ويرقتها . تلك سوسة لوزة القطن . وزراع القطن يصابون من جرائها بخسارة سنوية كبيرة تبلغ ملايين كثيرة من الجنيهات .



الخنفساء صائدة اليسروع

واليَسْرع هو يرقة الفراشة ، وترى في الصورة غير الخنفساء البالغة يرقة هذه الخنفساء ، واسمها صائدة اليسروع Caterpiller Hunter وهي تتغذى على اليسروع. وهذه المجموعة من الخنافس تعرف بالجارحة لأنها تعيش على الحشرات والحيوانات الصغيرة الاخرى .ومن هذه الخنافس البالغة مايستعين على اخضاع ضحيته بان ينشر عليها سائلا حامضا يعجزها .

الى صورة اخرى من دورة الانسلاخ تعرف بالحورية Nymph ، وفيها تقترب الحشرة من شكلها البالغ المكتمل ، ثم تتحول الحورية الى الحشرة البالغة المكتملة Adult ، وهي نهاية الدورة التي تعود من بعدها الحشرة البالغة تبيض لتبدأ دورة اخرى .

وذكرنا ان البطن مقسم الى حلقات عشر لا تظهر كلها. ومن وصفنا للانسلاخ يتبيّن لنا أصل هذه الحلقات ، فهي من الدودة ، والدودة جسمها في الاصل حلقات .

رتبة الخنافس

والخنافس رتبة Order من رتب الطائفة Class الكبرى التي هي منها ، وهي طائفة الحشر Insecta كما سبق ان قلنا .

ورتبة الخنافس تعرف بلغة العلم باسم Coleoptera ، وهو لفظ مؤلف من مقطعين Ptera ومعناها الجناح ، و Coleo ومعناها الغمد . وفي اللغة



الخنفساء الجعران

وهى مجموعة من الخنافس تعرف بالخنافس الجعارين Scarb Beetles يتبعها الجعران الذى قدسه قدماء المصريين، الذى نجده اليوم من خزف في مقابرهم ، وهى أشبه ما تكون به . وتجد صورته كذلك في لوحة الصور الملونة بصفحة ٣٥ .



الخنفساء النمرة

وهى مجموعةمن الخنافس سميت بالخنافس النمرة Tiger Beetles لما بها من نهم شديد . ويرقتها لا تقل عنها نهما . وهذه اليرقة تحفر لنفسها خرقا في الارض تخفي فيه جسمها، وتضع عند فتحته راسها ، فما ان تقترب منها نملة او حشرة حتى تلتهمها بفواصمها الكبيرة . والحشرة البالغة كثيرا ما ترى وهى طائرة الا ان مداها لا يزيد عادة على قليل من الاقدام .

راجع لوحة الصور الملونة كذلك في صفحة ٢٥

غمد الشيء اى ستره . وندعو للميت العزيز فنقول تغمّده الله برحمته ، اى غمره بها غمرا حتى تستره من كل ناحية . ومن ذلك انا سمّينا غلاف السيف غمدا . فاسم هذه الرتبة هي رتبة الجناح الغِمْد ، او الجناح الساتر .

وفي هذا الاسم تلخصت الصفة البنائية الاولى التى ميّزت الخنافس من بين الحشر . ان الخنافس لها صفات الحشرات عامة ، ولكن هذا الجناح الغمد هو الذي يفصلها فتقف به تحت مِظلة الحشر ، في جانبٍ وحدَها .

ونفصّل هذا القول فنقول ، انك اذا نظرت الى خنفساء فأمعنت النظر في ظهرها لوجدته طبقة جامدة واحدة ممتدة الى الوراء تكاد تغطي الجسم كله في اكثر الخنافس ، ولو انك زدت النظر أمعانا لوجدت ان هناك حزا مستطيلا في اوسط هذه الطبقة يمتد بطولها ، يدل على ان هذه الطبقة الكاسية قسمان ، يمين وشمال . فهذان في حقيقة الأمر هما الجناحان ، وهما مصنوعان عادة من المادة القرنية الجامدة التى سبق ان ذكرنا، وهما هكذا يلتحمان بالجسم درعا له ووقاية .

ولكن من تحت هذين الجناحين يوجد الجناحان الآخران الخلفيان ، اللذان كثيرا ما يكونان للحشر ، وهما من غشاء ارق .

ومن صنوف الخنافس ما يطير واذن تنفتح الاجنحة المغلقة للطيران .

فحيثما رايت هذين الجناحين الجامدين الصلبين في ظهر الحشرة ،وهما يغطيان اكثر الصدر ، وكذا البطن او يكادان ، وفي اوسطهما حز يقسمهما ، فاغلب الظن انك وقعت على خنفساء .

أسماء الخنافس حسب وضعها راسيا في صفحة الصور الملونة المقابلة

خنفساء الدودة البيضاء	Cockchafer B.	الخنفساء الجندية	Soldier B.
الخنفساء القاذفة	Bombardier B.	الخنفساء الدافنة	Burrying B.
خنفساء المسك	Musk B.	الخنفساء النمرة	Tiger B.
الخنفساء الجعران	Scarab B	الخنفساء السيدة	Lady B.

الخنفساء العملاقة Goliath B.

خنفساء « حصان عربة الشيطان » Devils Coach-horse B.

كيف تحيا الخنافس وكيف تعيش

قلنا ان الخنافس رتبة Order من رتب الحشر .

وهذه الرتبة تتضمن فصائل عديدة Families .

وهذه الفصائل فيها أجناس Gemus وانواع عديدة Species . ويوجد منها نحو ٢٥٠٠٠٠ نوع وهي منتشرة في كل مكان على سطح الأرض تقريبا .

والخنفساء البالغةالمكتملة لها خطرها.

وكخطرها خطر يكون ليرقاتها (الدود) وقد تكون أكثر خطرا .

أما الحورية Nymph في الخنافس فلا يكاد يكون لها نشاط أو خطر .

والخنافس ويرقاتها تعيش صورا من الحياة مختلفة غاية الاختلاف فيما بينها ، هي صور من الحياة التي تحياها الحشرات عامة .

ومنها ما يعيش على الحيوان الحي ، يفتش عنه ، ويلتهمه التهاما ، ومن هذه الخنافس الأرضية Cround beetles ، والخنافس النمرة Tiger beetles ، والخنافس السيدات Lady beetles ، والخنافس الغاطسة في الماء المفترسة Diving beetles . وفي هذه الفصائل نجد ان للخنافس البالغة نفس العادات التي ليرقاتها ، واذن فاليرقات تكون عادة مزودة بالأرجل والافواه ، وكل ما يتفق ووسائل هذه الحياة .

ومن الفصائل ما يعيش هو ويرقاته على النبات ، ومنها ما يعيش علىالورق . ومنامثلة هذه الفصيلةالمعروفة بخنافس الورق والاخرى المشهورة بالسوس .

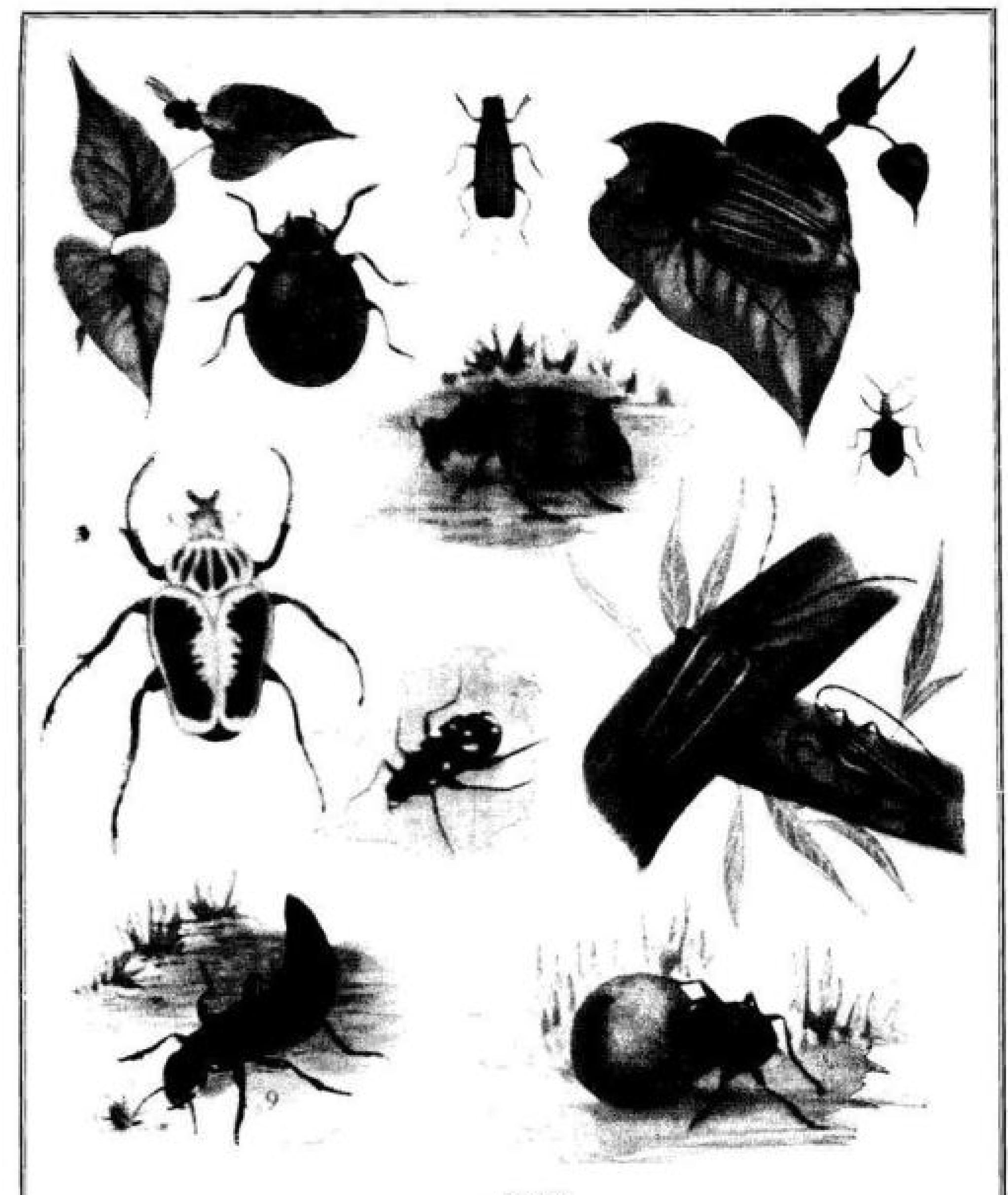
والسوس خاصة له أساليب من الحياة شتى ، ولا يوجد نبات ينجو اى جزء فيه من الجذور الى البذور من نوع من انواع السوس ، وهي كثيرة ، يسطو عليه . وقد اشتهر السوس بوجوده في الحب المخزون كالقمح والأرز ونحوه ، وليس السوس هو الخنفساء الوحيدة التي تتخذ من خزين الحب غذاء .

ومن الخنافس ، بالغها واليرق ، ما

الخنفساء ذات القرون

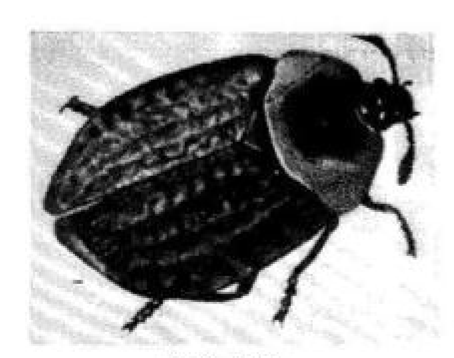
وذلك لان لها ما يشبه القرون ظاهرا Horn Beetles ، وهى غالبا ما توجد ، هي ويرقاتها في كتل كبيرة من الخشب المتآكل .



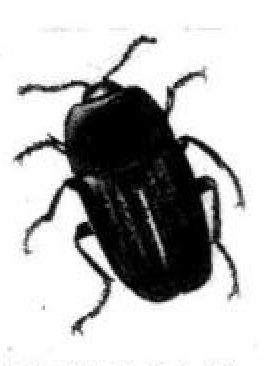


الخنافس

وتوجد في كل مكان على سطح الارض تقريبا ، يستثنى من ذلك البحار .
ويوجد منها نحو ٢٥٠٠٠٠ نوع.. وهي ليست كلها سوداء ، كما نخال نحن.
وهذه صور لانواع شهيرة ، لا نعرف لها بالعربية اسماء ، فدارسوها هم من الافرنج ، وهم واضعو أسمائها ، ومن اجل التعرف على اسمائها بالانجليزية انظر المربع الذى في المقال .



خنفساء الجيف



خنفساء الجيف (السوداء)

خنفساء الجيف

وهى مجموعة من الخنافس تعرف بخنافس الجيف Carrion Beetles ، وهى تتضمن اكثر من ١٠٠ فصيلة Families ، ومنها فصائل تعرف بالدافنة Burrying Beetles لانها تاتى الى جثة الحيوان ، وتاخذ تحفر الارض من تحتها حتى تتكون حفرة تسقط الجثة فيها . وهكذا حتى تدفن الجثة دفنا . ثم تبيض الخنفساء بيضها فى الجثة ، فاذا انفقس البيض عن اليرقات وجدت هذه اليرقات غذاءها جاهزا .

والخنافس الدافنة هى عادة اكبر من خنافس الجيف ، ولونها عادة اسود ومعه بقع حمراء او برتقالية . (راجع لوحة الصور الملونة) .

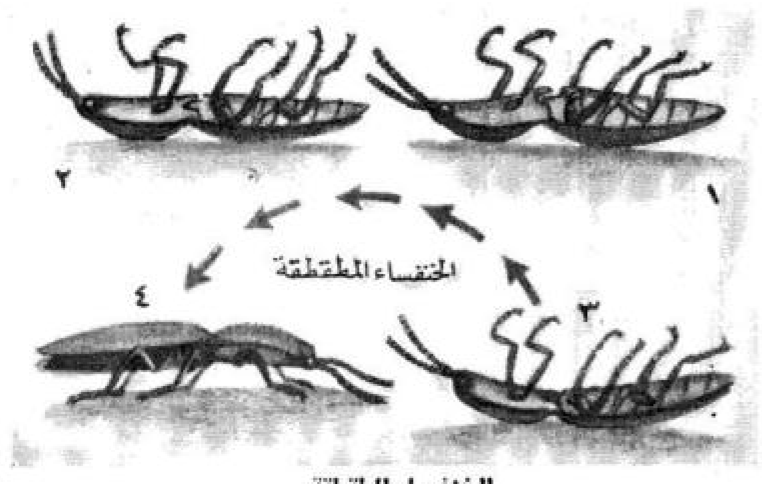
يعيش على المواد العضوية المتحللة وحدها ، وعلى الجِيَف ، وهي تحوم دائما حول المزابل ، ومن هذه الخنافس الدافنة Burrying Beetle: ، وهي تأتي الى الحيوان الميت فتحفر حوله حفرة ليسقط فيها وبذا تدفنه ، ثم تتخذ من جسمه لها ولبيضها ، ولما يخرج منه من يرقات ، غذاء . والخنفس الجعران Scarabaedie ، ومنه الجعران الذي يوجد في مدافن قدماء المصريين وهو من خزف ، وهذا يعيش في روث المواشي والحيوانات .

ومن الخنافس ما يعيش في ماء البحر ، ومنها ما يلتزم بسطحه ، ومنها ما يغوص فيه ، ولكنه يعود اليه ليتزود من الهواء .

ومن أجل صور هذه الخنافس راجع الصور المرفقة بنفس هذا المقال ، من ملونة وغير ملونة .

الخنفساءُ الوَعَلُ

وهى مجموعة من الخنافس تشبه الوعل ، ومن هنا كان اسمها Stag Beetles وذلك لان لها فكوكا طويلة كثيرا ما تطول وتتفرع حتى تشبه قرون الوعل . وهذه الخنفساوات قد تطول الى بوصتين . وهى عادة توجد بين الخشب المهترىء .



الخنفساء المطقطقة

وهي مجموعة تشتمل على مئات من الفصائل Families وسميت بالمطقطقة Click Beetles لأنها اذا سقطت على ظهرها ، تظل ساكنة دقيقة، ثم بصوت مسموع كالطقطقة تنفلت صاعدة في الهواء ، فاذا سقطت ، سقطت على ارجلها . والا عادت تحاول مرة اخرى . ومن يرقات هذه الخنافس ما يعيش على جذور النباتات كالفول والبطاطس والقطن والذرة وسائر الحبوب .

دفاع الخنافس عن حياتها

ما كاد الله ان يخلق شيئا الا وزوده بشيء من دفاع . ولما كان من شأن كل حياة ان تنتهي ، فلم تعط الطبيعة احياءها السلاح الكامل الذى يضمن لها الخلود . وهي لو كان لها هذا السلاح الكامل ظاهرا ، لاستيقظت فيها عوامل الفناء الباطنة تقول لها كفى ما نلت من حياة الدنيا ، ودونك ساعة الوداع .

ومن وسائل الخنفس ، اللون ، وقد ذكرنا ان الخنفس ليس السواد بلونه الوحيد ، فهو يتعطى الوانا شتى تجعله يختفي في النبتة التى هو فيها فتضل عنه الاعداء .

ومن وسائل دفاعه تشكله باشكال بعض الأحياء التى يعيش بينها ، وقد يعيش عليها ، فمن الخنافس ما يعيش في عش من النمل ، وهو يتشكل بما يشبه النمل ، والخنفساء الاوروبية المعروفة بخنفساء الزنبور ، تشبه الزنابير في حركاتها والوانها . والسوس، كثير منه ، عندما تدخله الريبة ، يدعي الموت ، ويلم ارجله لصق جسمه ليشبه الحب الذى هو بيته ، أو فتات التربة التى يعيش فيها . واذا حرك سقط كأن لها حياة فيه .

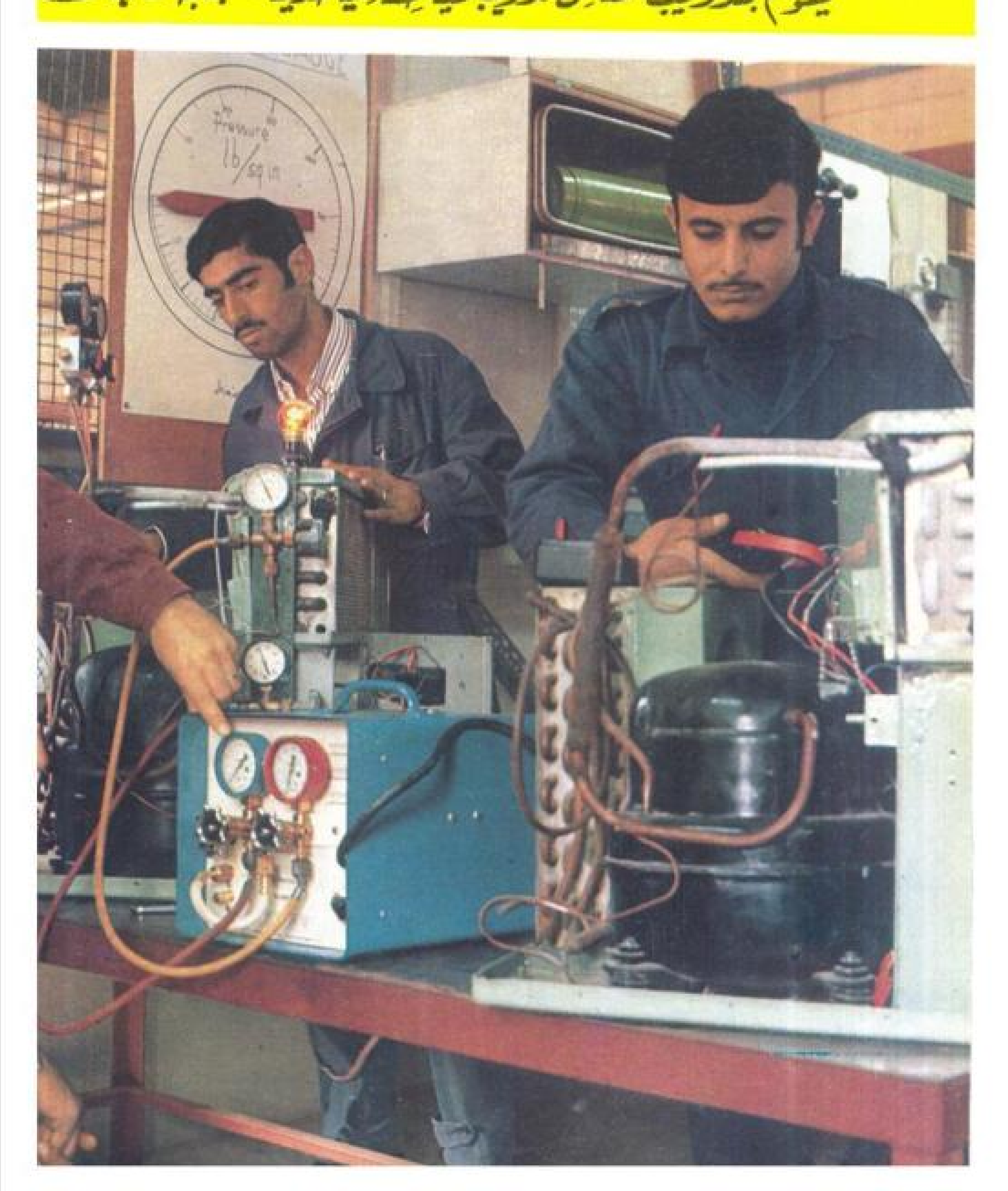
ومن الخنافس ما يدفع عن نفسه بمنظره القبيح او منظره المخيف . وبعض يدفع بما يفرزه من مادة كريهة . والخنافس المسماة بالقاذفات Bombardiers تطلق من مؤخرها مادة كريهة الرائحة تحمي بها نفسها . ●●

احمد زكى

استطلاع الكويت

مركز التدريب المهني في

يقوم بتدريب العامل تدريباً فنياً صناعياً حديثاً استجابة لحاجات



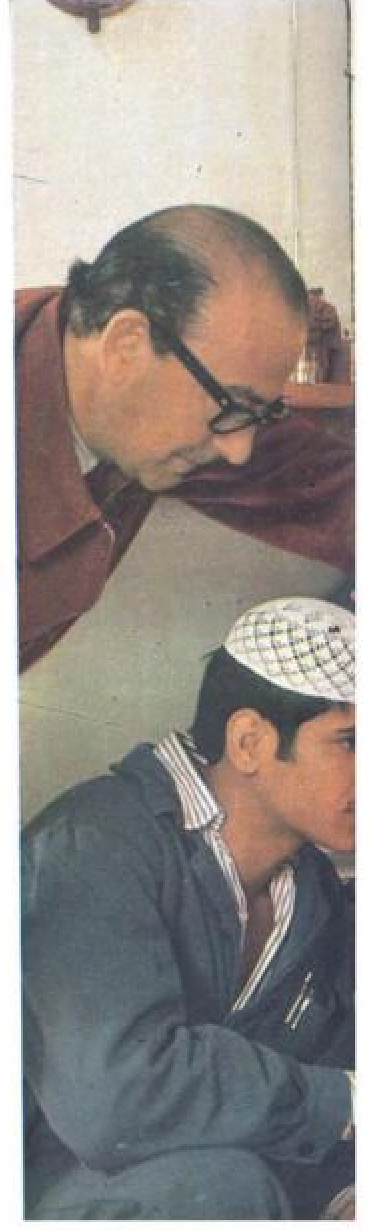
الكويت

الصناعة القائمة



فوق : في قسم صيانة محطات تقطير المياه ، متدربان يستمعان الى شرح الخبير نيو نشوبندر القادم من سويسرا عن طريقة صيانة وتصليح المضخات والصمامات والحنفيات ..





بوكانان : خبير الأمم المتحدة القادم من نيوزيلندا يشرح لأحد المتدربين طريقة ضبط صمامات محرك السيارة في قسم صيانة وتصليح السيارات في المركز.

الى اليمين : مجموعة من المتدربين في قسم تكييف الهواء والتبريد .

تصوير : اوسكار متري

■ كانت الكويت قبل اكتشاف البترول وبدء انتاجه في عام ١٩٤٦ تعتمد في مصادر دخلها الرئيسية على البحر ،حيث كان ابناؤها يصطادون من مياهه السمك ويغوصون فيها بحثا عن اللؤلؤ .

وعلى اثر اكتشاف البترول وانتاجه بدات مرحلة جديدة من التطور الاقتصادي والاجتماعي ، تركت آثارها في شتى آفاق الحياة في الكويت .

ثم اخذت الدولة بعد ذلك بسياسة تنويع مصادر الدخل القومي للتخفيف نسبيا من سيطرة النفط على النشاط الاقتصادي في المجتمع الكويتي ، وعندئذ واجهتها اخطر مشكلة يمكن ان تواجه دولة نامية غنية .. الا وهي مشكلة توفير الايدي الوطنية الصناعية الفنية اللازمة لسد حاجات مختلف المصانع الجديدة ..

ان طبيعة ظروف الكويت هي التي جعلت العمال الكويتيين من طبقات اجتماعية بعيدة عن مفهوم الصناعة الحديثة ، فقد كانوا يعملون في حرفتي الغوص وصناعة السفن على الاسلوب القديم . لهذا لم يتمكنوا من مجاراة التحول السريع الذي سارت فيه البلاد .. وهكذا وجد العامل الكويتي نفسه يعيش في عزلة عن الصناعة الحديثة التي غزت مختلف مجالات الحياة في بلاده ..

وفي كل عام يتزايد ابناء الكويت بنسبة عالية تصل الى ٣١/٢٪ .. ولا شك ان عددا كبيرا من هؤلاء المواطنين سوف يحتاج اليهم ميدان العمل والصناعة لكي يقفوا بكفاءة الى جانب اليد العاملة الفنية التي وفدت الى البلاد في السنوات الاخيرة ..

وارادت الحكومة الكويتية ان يتجه بعض الشباب نحو الصناعة الحديثة ، انها ترغب في ان يقوم الشباب الكويتي بدور اكثر فعالية وايجابية في مجال التصنيع .. ومن الاحصائيات اتضح ان نسبة العمال الفنيين الكويتيين العاملين في المؤسسات الصناعية غير الحكومية لا تزيد على ٥ر٣٪ اذ بلغ عدد العمال الكويتيين ٣٥٣ عاملا فقط في حين بلغ عدد العمال غير الكويتيين ١٠٠٤٩ عاملا .

اما في القطاع الحكومي فكانت نسبة العمال الكويتيين ٥ر١٢٪ اذ بلغ عدد العمال الكويتيين ٥٦٤٧ عاملا في حين ان عدد العمال غير الكويتيين بلغ ٤٤٢٠٤ عامل ..

قفزة صناعية

كانت الكويت العمرانية تنطلق بسرعة تبني وتعمر غير مبالية بشيء الا البناء ، ومع هدوء موجة البناء بدات الدراسة وبدأ التخطيط ، وظهر للوجود لاول مرة مشروع السنوات الخمس للنهوض بالكويت .. وكان من بين بنوده تخصيص مبلغ ٩١٢ مليون دينار – اى ما يوازى نحو ٢٥٠٠ مليون دولار – للمشاريع الصناعية الجديدة .

ولكن مثل هذه القفزة الصناعية الهائلة تحتاج الى عمال مهرة وفنيين واداريين وتنفيذيين ليتولوا ادارة هذه المصانع بالكفاءة المطلوبة .. وقدروا عدد العمال الفنيين الجدد اللازمين لهذا الغرض باكثر من ٥٠ الف عامل فنى ، عدا المديرين والملاحظين الفنيين من ابناء الكويت الذين سيشرفون على هذا العمل الكبير .

ومن هذه النقطة انطلقت فكرة ضرورة اعداد الشباب الكويتي ليصبح عاملا فنيا مدربا .. مع السعى لجعل افراد قوة العمل الكويتية الحالية اكثر كفاءة وانتاجا ، واكثر قدرة على ادارة شئون المصنع وتنسيق العمل في داخله ..

ولقد بذلت جهود عديدة موفقة لاعداد اليد العاملة الفنية في الكويت كانت تستهدف رفع كفايتها الانتاجية وشارك في ذلك جهات عديدة من اجهزة الدولة المختلفة .

مواجهة الموقف بصراحة

وواجه المسئولون في وزارة الشئون الاجتماعية



بعض المتدربين فى المركز يتدربون على صيانة محركات السيارات وضبطها بواسطة الاجهزة والعدادات الحديثة المزود بها القسم

الموقف بصراحة تامة رواها لنا السيد سلمان نصف السلمان مدير القوى العاملة في الكويت بقوله :

شعرت الحكومة امام التطور الحديث والتوسع المستمر في ميدان الصناعة والانتاج بحاجة الدولة الى عمال مهرة فنيين من ابناء البلد لكي يقوموا بدور فعال في مواصلة البناء والتقدم الذى يعيشه مجتمعنا .. لهذا فكرت فى اعداد العامل الفنى وتهيئة فرص التدريب الكفيلة بسد حاجة البلاد ، الى عناصر فنية مدربة من العمال ..

ومن هنا ولدت فكرة انشاء مركز للتدريب المهني يقوم بتدريب كل شاب متعلم ، صناعة معيشة ..

ويتابع مدير القوى العاملة حديثه بقوله :

– ان هدفنا الجديد ينحصر في انه لايمكنك أن تقفز من لا شيء لتصبح مديرا .. لقد انتهى هذا العصر ، واصبح على الذى عنده طموح ان يبدأ من اول السلم ويرتقى درجاته درجة درجة حتى يصل الى وظيفة مدير فنى للمصنع ..

وبالتعاون مع مكتب العمل الدولى التابع للامم المتحدة افتتحنا في يناير عام ١٩٦٨ مركز التدريب المهنى للعمل ، الذى ستزورونه ، لقد

يقوم المتدربون في قسم السيارات بدروس عملية على ضبط السيارات التي يوفرها المركز ، فيقومون بعمل ضبط شامل ، واصلاح المحرك .

تحت : الاجتماع الاسبوعي برئاسة الاستاذ عبد العزيز كليب ، مدير المركز ، وبحضرة الخبراء الخمسة المبعوثون من مكتب العمل الدولي ، ومساعدوهم من ابناء الكويت والبلاد العربية المختلفة .. ويرى الى يمين مدير المركز السيد ماليتوفسكي كبير الخبراء .

ارسلت الينا منظمة العمل الدولية خمسة خبراء عالميين : واحدا من بولندا وثانيا من انجلترا وثالثا من نيوزيلندا ورابعا من سويسرا وخامسا من الارجنتين .. كلهم خبراء من الدرجة الاولى قضوا سنوات عديدة من اعمارهم يدربون شبان العالم على اتقان مهنة معينة ..

ويستطرد السيد سلمان حديثه بقوله :

وما كدنا نعلن عن قرب افتتاح المركز حتى انهالت علينا طلبات الالتحاق ، احصيناها فوجدناها تزيد عن ١٥٠٠ طلب من شباب يريد ان يتدرب ويكتسب ، ولكننا للاسف لم نستطع ان نقبل اكثر من ٦٠ طلبا حسب نص اتفاقنا مع منظمة العمل الدولية .. ولكن المركز الجديد الذى سينتهى بناؤه عام ١٩٧١ سوف يستقبل ٢٥٠ طالبا يمكنهم ان يتدربوا على ١١ حرفة مختلفة .. ان البناء الجديد والادوات الحديثة التى سيحويها هذا المعهد سيكلفان الوزارة مبلغا يقرب من اربعة ملايين دينار كويتي ، ولا يوازى هذا المبلغ فى ضخامته الا المكاسب الهائلة التى ستجنيها منه الكويت سنويا ، عندما تتخرج منه الدفعات وراء الدفعات حاملة الخبرة والمهارة الفنية الصناعية » ..

برنامج سريع الحركة

وبعد هذه المقدمة من مدير القوى العاملة في الكويت اتجهنا لرؤية مركز التدريب المهنى لتدريب القوى العاملة الوطنية في الكويت .. اما المبنى الصغير المتواضع فهو مبنى مؤقت ، ولكن رغم هذا تدخله فتجده خلية نحل ، فليس هناك اى دقيقة زائدة يمكن اضاعتها ..

ان البرنامج الذى يتلقاه الطالب برنامج دولى ركز فيه الخبراء برامج ٣ سنوات في سنة واحدة .. انه برنامج سريع الحركة : ساعتان دروس بالانجليزية والترجمة ، وخمس ساعات يقضيها في « الورشة » يتدرب عمليا على واحدة من هذه الحرف الخمس الشائع استعمالها في البلاد : وفي مقدمتها صيانة واصلاح السيارات ويحتوى هذا القسم على مجموعة من محركات السيارات ، يتعلم عليها الطلبة طريقة فك وجمع الاجزاء المختلفة في المحرك والالمام بها .. كما يجرى تدريبهم على طرق استعمال الاجهزة الحديثة التى تكشف عن



يتلقى المتدربون في قسم صيانة محطات تقطير المياه دروسا عملية على آلات الخراطة وأدوات التشكيل وآلات الحفر .. وهذا أحد المتدربين يتدرب على آلة خراطة تحت اشراف مساعد الخبير ..

الخلل الموجود في الصمامات وحركة الموتور ، وجهاز خلط الهواء والبنزين .. ثم ينتقل المتدربون الى تعلم النظام الذى تسير عليه كهرباء السيارات ، والمبادىء الاساسية التى تعمل بموجبها اجهزة الديزل ..

قسم التكييف والتبريد

وهو الحرفة الثانية التى يتعلمونها .

ان قسوة حرارة الجو في الكويت اثناء شهور الصيف جعلت معظم منازل البلد مزودة بمكيفات الهواء والثلاجات الكهربائية ، لهذا اقيم هذا القسم ليتدرب فيه المتدربون على معرفة ايجاد الخلل ، وطريقة اصلاحه ، واستبدال القطع التالفة باخرى صحيحة في مكيفات الهواء .

قسم صيانة محطات تقطير المياه

وهو القسم الثالث في المركز .

ان الكويت تشرب من مياه البحر المقطرة في محطة التقطير وهذا القسم يؤهل المتدرب ليصبح عاملا صناعيا فنيا ، يجيد الخراطة والبرادة واصلاح الصمامات ، لان الملح الذى يستخلص من ماء البحر يعمل على ظهور التآكل والصدا ، على المعدات التى تستخدم في المحطة ، وذلك يستدعى القيام بالصيانة اللازمة لمعالجة هذا التآكل .. وهذا هو السبب الذى حدا الى اقامة هذا القسم ، حتى يتدرب العمال على أداء هذا العمل بالمهارة اللازمة ..

قسم المهن الكهربائية الخفيفة

وهو القسم الرابع في المركز

ويتلقى فيه المتدربون المبادىء الاساسية في علم الكهرباء عن طريق المحاضرات والدروس العلمية التى تؤهلهم ليتعلموا كيفية تركيب وصيانة

اهتم المركز اهتماما بالغا باللحام بالاوكسجين نظرا لحاجة البلاد الماسة الى عمال فنيين في هذه الحرفة .. وتبدأ عمليات التدريب باجراء عمليات لحام بسيطة تدريجيا ، ثم يتدرج المتدربون الى عمليات لحام معقدة كلحام المعادن غير الحديدية .



الاسلاك والاجهزة الكهربائية في المنازل والمؤسسات الصناعية ..

قسم اللحام بالاكسجين والكهرباء

وهو القسم الخامس والاخير في المركز .

أنشيء هذا القسم لتزايد الحاجة الى عمال فنيين في اللحام بالاكسجين والكهرباء ، بعد أن تزايد بناء المباني ، والمصانع ، ومحطات تقطير المياه وصناعة النفط .. ان المنهج الذى يتلقاه الطالب في هذا القسم يؤهله للوصول الى أعلى درجة من الكفاية في اعمال اللحام بالاكسجين والكهرباء .. » .

الفرق بين خريج الكلية وخريج المركز

وسالنا السيد عبد العزيز كليب مدير مركز التدريب المهنى عن الفرق بين خريج الكلية الصناعية الموجودة في الكويت ، وبين خريج هذا المركز فاجابنا بقوله :

ـ الكلية الصناعية تعد اخصائيين فنيين على مرحلة اكثر تخصصا .. بينما هذا المركز يعمل على اعداد عامل يدوى فنى ..

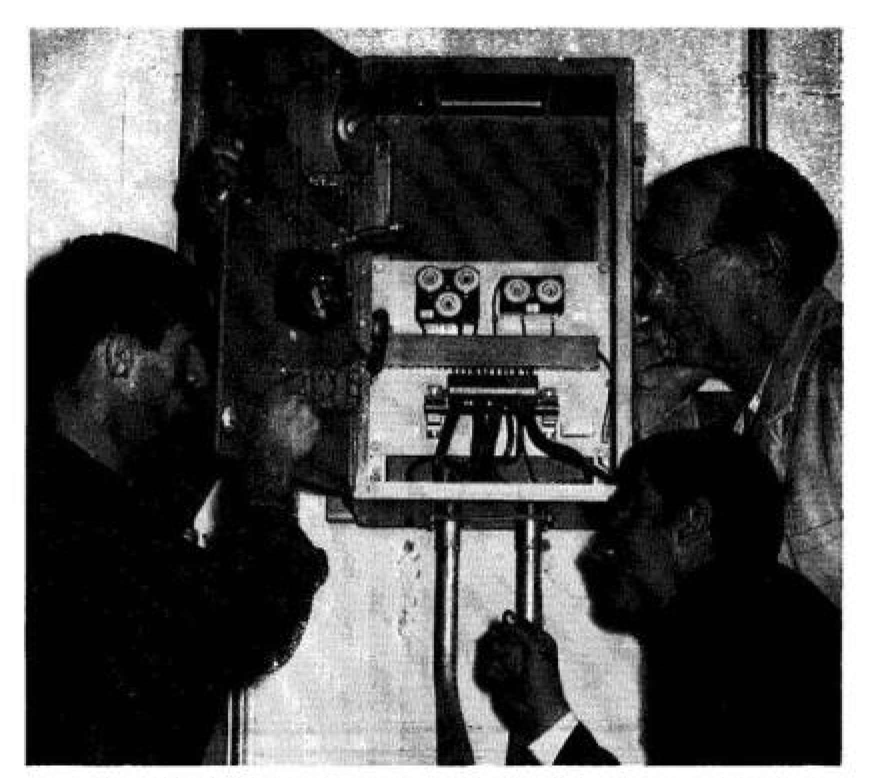
وعندما بدا المركز في العمل قسمنا الستين متدربا الى مجموعتين المجموعة الأولى وهى التى لم تصل في تعليمها العادي الى سنة رابعة متوسطة ، وهذه سيكون تدريبها لمدة سنة واحدة يتخرج بعدها المتدرب وهو مؤهل للعمل في اى مصنع ، في حدود تخصصه ..

اما الفئة الثانية فهى المتدربون الحاصلون على الشهادة المتوسطة ، وهؤلاء سنرسلهم بعد سنة من تدريبهم الى احد المصانع الكبيرة في البلد ليتدربوا هناك مدة ٦ شهور ، وبعدها نرسلهم في بعثة تدريبية الى الخارج ليعودوا الينا ويصبحوا مدربين في المركز ..

دعوة من رئيس الخبراء ..

وتحدث الينا المستر مالينوفسكى رئيس خبراء الأمم المتحدة الذى امضى ١٨ عاما مع الامم المتحدة يتولى مسئولية المراكز التدريبية في ايران والهند وسوريا حتى وصل الى الكويت .. انه كتلة دافقة من النشاط ، يؤمن بعمله ايمانا راسخا حتى انه يقول :

« انى اعتقد أن تدريب العامل فنيا اكثر أهمية



يتعلم المتدربون في قسم المهن الكهربائية الخفيفة كيفية تركيب وصيانة الاسلاك والاجهزة الكهربائية .. وهذان اثنان منهم أمام لوحة التجميع ، وقد وقف معهم الخبير فلاك القادم من بريطانيا ..

من تدريب المهندس .. ان هناك عشرات الملايين يتدربون ويتعلمون في مختلف انحاء العالم .. الحكومات تنفق بسخاء على هذه المراكز ، وفي انجلترا مثلا تدفع الحكومة مبلغ ٢٥ جنيهـا استرلينا أسبوعيا للعامل الذى يتدرب في المركز (الكويت تدفع ٤٨ر٠ دينارا شهريا لكل متدرب) .. ان مهمتنا تنحصر في أن نبنى من لا شيء عاملا فنيا في أقصر وقت ممكن ، طبقا لبرنامج دولى معتمد من الأمم المتحدة ..

وتسألنى عن الفرق بين الانســـان العربى والاوربى فأجيبك ان العامل الكويتى ذكى للغاية ، ولكن تنقصه الادارة والتنظيم .. ومن المحال ان ترسل عاملا جاهلا بالامور الفنية وتضعه وسط عمال فنيين في مصنع وتقول له : تعلم منهم .. ان هذا خطأ شائع عند العرب عامة .. لأن أى عامل فنى يجب أن تكون عنده قاعدة ومعلومات يرتكز عليها .. وكذلك لاحظت أن مستوى الطالب التعليمى أقل بكثير من مثيله في أوربا ..

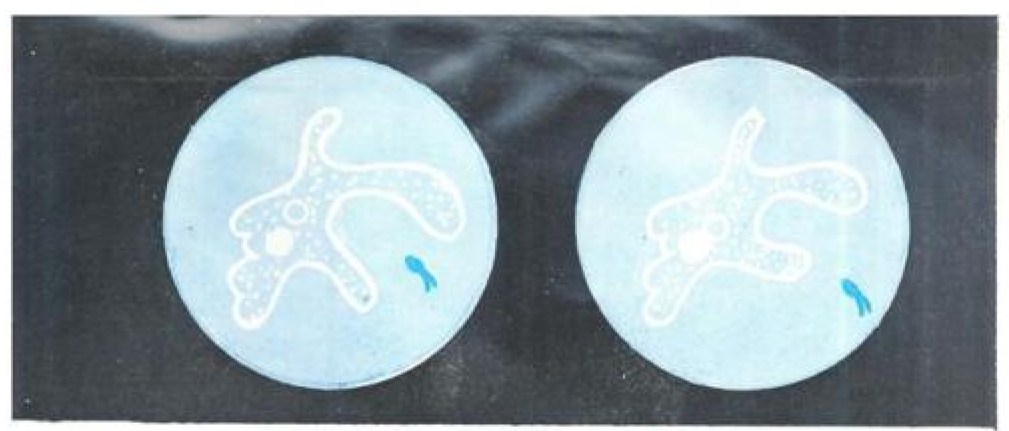
ان البرنامج الذى يستوعبه الطالب العربى في سنة يستوعبه زميله في المانيا في خلال ستة شهور

ويختتم مستر مالينوفسكى حديثه بقوله :

ـ ان هذا التدريب المهنى الذى يقوم به خبراء الأمم المتحدة «محبوب عند كل الشعوب ، لأنه مركز وقصير المدة .. ان العامل المتخرج من مثل مركزنا هو المؤهل لان يكون ملاحظا ومشرفا على العمـال الفنيين .. لأنه يمكنه أن يعود الينا ثانية بعد تخرجه وقضائه عاما على الاقل في مصنع كبير ، وعندما يقول لنا : أريد أن أصبح مراقبا للعمال سنقول له : مرحبا بك .. وندعوه لان يمكث معنا ستة أشهر أو سنة حسب نوع تخصصه .. واذا قال لنا بعد ذلك : أريد أن أصبح رئيسا للعمال .. قلنا له : امكث معنا ثلاثة شهور أخرى حتى ندربك على كيفية الادارة ، والمراقبة الفنية ، وتنظيم المخازن وغيرها من الأمور .

« انى أدعو كل عامل أن يتقدم ليتدرب في مركزنا المهنى .. فاذا كان يعمل حاليا ، فانه سيزداد خبرة ومعرفة ، واذا كان لا يعمل ، فبعد عام واحد فقط أضمن له اذا كان مثابرا ومجتهدا ان يصبح عاملا فنيا ممتازا .. »

سليم زبال



٤ صور ، ترى فيها الأميبة ، وقد أدركت أن صيدا وقع لها ، فمددت من جسمها أطرافا حتى احتوته ، ثم هي تهضمه وتلقي بما لم ينهضم منه

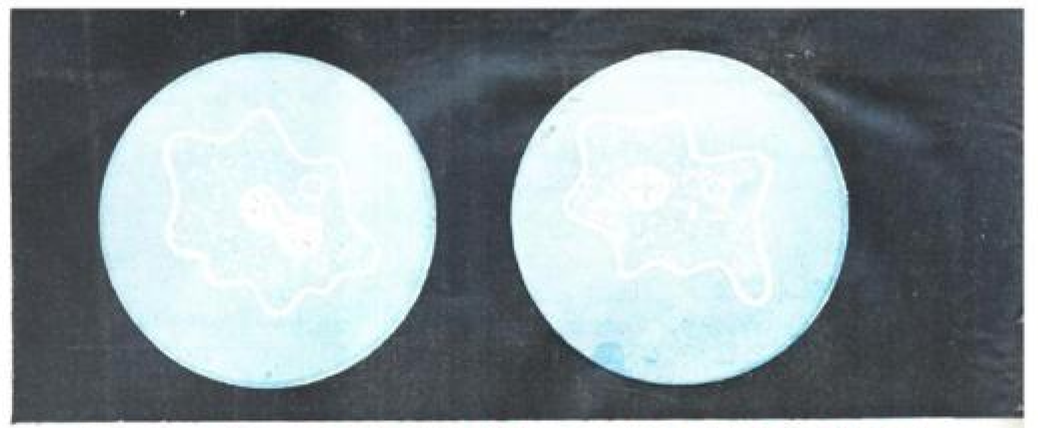


صفحة من الطب المصور

الخَلِيَّةُ

الوَحدةُ الأساسِيَّةُ في كلّ الكائناتِ الحيَّةِ

جسمُكَ يتألفُ من نحو ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ منها



٤ صور اخرى ترى فيها الاميبة ونواتها ، وقد حان لها ان تنقسم الى خليتين ، فانقسمت نواتها بالتدرج حتى صارت نواتين ، ثم اتمت الخلية انقسامها ، فكانت خليتين ، اى اميبتين ، فهكذا تكاثر الاميبة .



■ ما من شيء حيّ ، من نبات كان أو من حيوان ، الا وهو مؤلف من خلايا .

والخلية اليوم اسم مالوف لكل دارس حيوان أو نبات ، وكل دارس طب ،حتى ليخيل الينا انها كانت هكذا مالوفة بهذا المعنى للآباء والأجداد منذ قرون . ثم ياتي التاريخ فيكذب ما تخيلنا .

الخلية في التاريخ

ان التاريخ يقول ان الخلية ما عرفت بهذا المعنى ، وما رآها رائيها وتأكد منها ، الا في عام ١٦٦٣ ميلادية . وكان هذا الذى رآها هو العالم الانجليزى روبرت هوك Robert Hooke وتسأل : ولم أتيح له دون سائر البشر ان يراها ؟ والجواب ان الخلايا من الصغر بحيث تدق ، فلا تراها العين ، فوجب أن ينتظر اكتشافها حتى تتهيأ للانسان المكرسكوب الاولى التي تكبر الأشياء ، وكان ان تهيأت هذه المكرسكوبات في تلك السنين الماضية من حياة هذا العالم ، وكان ان اتجه هو بها الى رؤية ما راى من المادة الحية ،وخرج على ان هذه المادة الحية تنقسم الى اقسام صغيرة سماها بالخلايا .

لفظة الخلية

واللفظ الذى استخدمه هوك هو اللفظ الانجليزى Cell ،ومعناه الحجرة

الصغيرة الضيقة في دير او في سجن او ما اشبه ، وذلك لشبه بينهما . وكانت الترجمة العربية بطبيعة الحال خليـة ، والجمع خلايا .

الخلية : الوحدة الاساسية للكائنات الحية

والمعروف الآن ان كل النباتات مؤلفة من خلايا ، ولكن تحقيق هـذا التعميم كان لا بد ان تسبقه دراسات تزداد فيها المكرسكوب قوة ، وهذا التعميم تحقق في النصف الأول من القرن التاسع عشر . ففي عام ١٨٣٨ اعلن العالم الالماني شليدن Matias Schleiden ان الخلية هي الوحدة الأساسية التي تتألف منها كـل المواد النباتية . وفي عام ١٨٣٩ ، اعلن العالم الالماني شفان . Theodor Schwann ان الخلايا كائنات حية ، وان الحيوانات والنباتات تتألف من مجموعات كاملة من هذه الخلايا وفقا لقوانين قائمة لا تتغير .

ومن هنا انطلقت كل تلك البحـوث المتكاثرة في الخلية ، تلك التي ازدادت في سنواتنا هذه الأخـيرة زيادة يسميهـا بعضهم انفجارا ، بحسبان ان الخلية هي أصل الحياة جميعا ، وانه اذا ما اريد استقصاء ما وراء الصحة والمرض ، وحتى الحياة والموت ، وحتى نمو الاجسـام واضمحلالها ، وحتى تناسلها وتوارث الصفات والكفـايات ، فـلا بـد مـن الاستقصاء في بحث الخلية .

الجسم كالمجتمع الانساني ، افراده الخلايا

والخلية كائن حيٌّ في نسيج يتألف من خلايا ، وتجتمع الانسجـة في زُمَر ، تجتمع هي الأخرى في زُمَر اكبر ، حتى تتألف منها اعضاء الجسـم .. ومـن اعضاء الجسم تتألف الأجسام .

والجسم في هـذا اشبـه بالمجتمـع الانسـاني ، يتألف من افراد ، هي الخلايا ، ثم تؤلف الافرادُ الاسرَ ، والاسرُ الحيَّ الواحـد ، والاحياءُ المدينةَ ، والمـدن المجتمعَ القومي الكبير .

وكما ان الفرد في المجتمع له حقـوق وواجبات تخصه ، فكذلك الخليـة في المجتمع الجثماني ، لها واجبات تقـوم بها ، تهـدف بها لنفسها وللآخرين ، وحقوق يهدف بها اليها الآخرون .

فالخلية في الجسم لا تخلو من معـنى الفردية التي للانسان في مجتمعه . وهي كذلك لا تخلو من معنى عضوية المجتمع الذى هي بعضـه .

ولقد تشتد فردية الخلية حتى لتعيش وحدها بدون مجتمع ، وتستطيع مـع ذلك العيش . ومثل ذلك الأميبة .

ومن الخلايا ما لها فردية هي بين بين . تعيش الى جانب اخواتها ، ولكن في غير التحام شديد وتعاون كامل .

والخلايا في جسم الانسان اخضعت فرديتها لصالح المجتمع كله ، لصـالح الجسم كله ، ومع هذا تقوم بواجباتها كاملة ، هي من خصائصها .

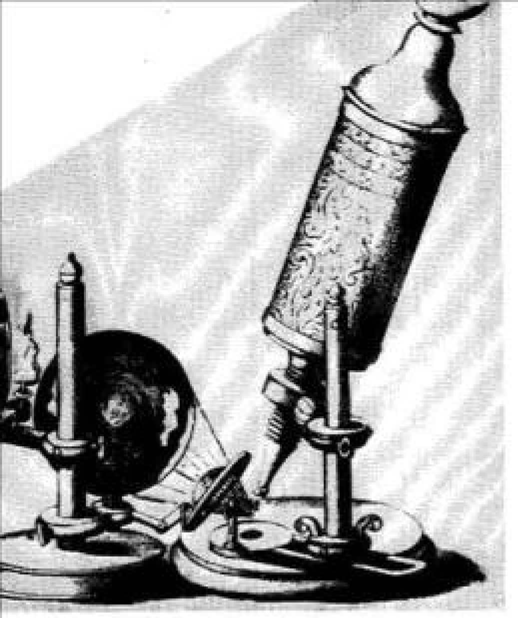
وفي الجسـم الكبـير ، اختلفـت اختصاصات الخلايا ، واختلفت وظائفها ، وتقسمت بينها اعمال لا بد منها لاقامة الحياة ، فأصبحت كل خلية من خلايـا الجسم وكأنها أسيرة سائر الخلايا .

وتسوء الخلية فتسوء الى جانبهـا خلايا .

والأفراد في المجتمع قد تعصى ، وقد تثور ، وقد تجن . وكذلك في الجسم ، قد تثور الخلايا ، وقد تجن .. ومن هذه خلايا السرطان .

احجام الخلايا

والخلية قد تصغـر حتى ما تراهـا العين الا تحت المجهر ، مثال ذلك خلايا الحيوانات والنباتات على العموم . ومن



المكرسكوب التاريخية التي رأى بها العالم الطبيعي الانكليزى روبرت هوك الخلايا الحية اول راه ، وذلك في القرن السابع عشر الميلادى

خلايا المكـروبات . مكـروبة داء « ذات الصدر » قطرها نحو ١/٢٠٠٠ من المليمتر . ومن الخلايا صفار بيضة النعامة وهي في حجم البرتقالـة .

عدد الخلايا في الجسم

وجسم الانسان البالغ به نحـو ٦٠ بليون خلية . هكذا قدروا . وهم قدروا كذلك انه يموت من جسم الانسان كل ثانية ٥٠ مليون خلية ، بينا يولد مكانها في الثانية ٥٠ مليون خلية .

ميزان . لا بد انه مختل يوما .

الأميبـة

والأميبة Amoeba اسم لكائن حي ، ينتسب الى الاحياء الحيوانية ، هو مثل يضرب للخلية المستقلة التى تعيش وحدها وتمارس الحيـاة وتقـوم بكل حاجاتهـا ، عـلى بساطـة في الخـلق والوظائف عجيبة .

والأميبة تتراءى تحت المجهر كتلة من البروتوبلزمة Protoplasm ، وهـي المادة الحيـة الاساسيـة في الخـلايا الحيوانية والنباتية ، يحتويها كيس هو الكبسول ، وهي في كيسها لا امام لهـا ولا خلف ، ولا صدر لها ولا ظهر .

وفي هذه الكتلة البروتوبلزمية يجـد الرائي نواة الخلية . وقد يرى اشيـاء اخرى الى جانبها . ونجتزىء فنقول : ان هذه الكتلة البروتوبلزمية على انبهامها ، فيها تقوم الأميبة وتنجز كل الاعمـال اللازمة لحياتها .

والأميبة اذ تتحرك في مائها ، لا تتحرك بواسطة أيد أو أرجل . انما هو جسمها كله ، تخرج منه نتوءات تطـول بعيدة عنه ، ثم يلحق بها سائر الجسم .

وتلتقى الأميبة بطعام اها ، وهو غالبا ما يكون شيئا حيا اصغر منها واضعف ، فتتجه اليه ، وتلف نتوءاتها حوله ، ثم تحتويه . وهو اذ يدخل جسم الأميبة ، وحوله غشاء ، تصب الأميبة في هـذه الفجـوة التى تضمنتـه من عصارتها الهضمية ، ثم تمتص الأميبة ما هضم منه من طعام صـالح ، وما لم يهضم تطرده الأميبـة .

وتزيد الصور المرفقة في اول هـذا المقال هذا الوصف وضوحا .

ومن حيث التكاثر ، فالأميبة تتكاثر بالتقسّم كما هو ظاهر في الصور المرفقة كذلك .

ونعود فنقـول ان الأميبـة ، عـلى صغرها ، خلية واحدة ، وهى مع ذلك حي متكامل ، كافٍ نفسَه ، مستكفٍ ، يسعى للحياة وحده ، لا يعتمد الا على نفسـه ، ومع هـذا تطّرد له الحيـاة ، قرونا تأتي ، كما اطردت له في قرون لا عد لها سبقت . ●●

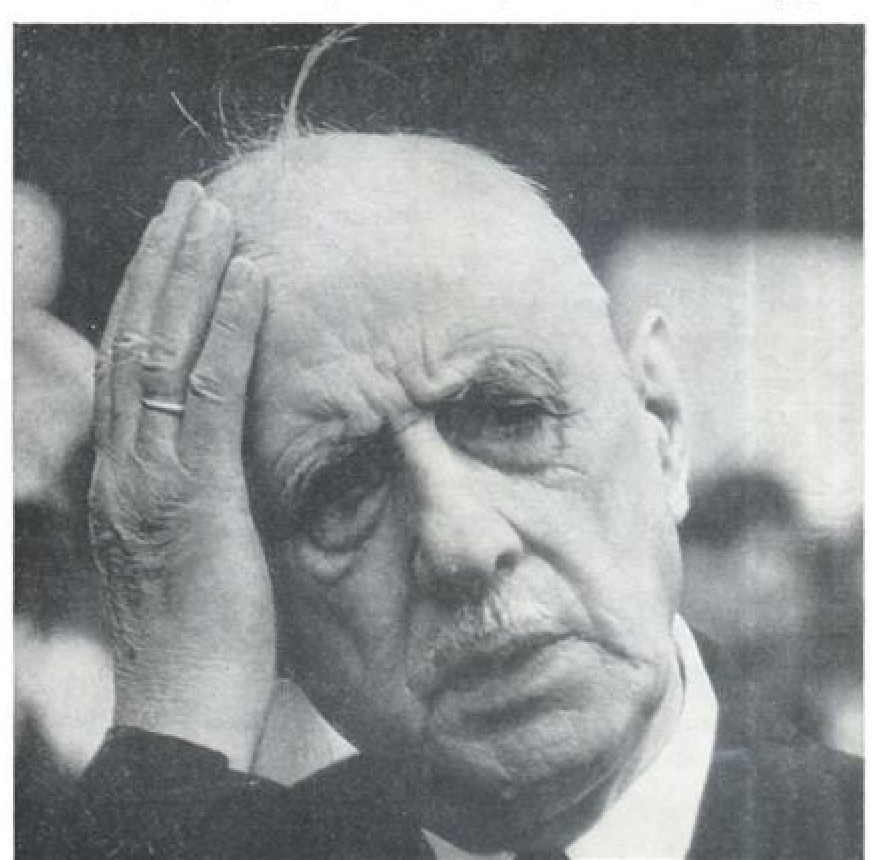
ا . ز

ديجول
رئيس فرنسا

بقلم : محمد طنطاوى

■ « ديجول » اسم يتردد على كل لسان في العالم الآن .. في امريكا .. في آسيا .. في افريقيا ... البعض يعشقه ويضفي عليه صفات العبقرية والجرأة والوطنية .. والبعض الآخر يكرهه ويتهمه بالغرور .. ولكن الطرفين يتفقان معا على شيء واحد ، وهو وطنية ديجول .. وحبه لوطنه فرنسا حبا يكاد يقرب من العبادة .

وديجول .. هو الرجل الذى يسبب صداعا لأمريكا ويقف في وجه الغزو الامريكي لأوروبا . وهو الذى يقفل الباب امام دخول بريطانيا الى السوق



العسكرى .. السياسى .. الكاتب

الذى آمن بزعامة فرنسا فى العالم
ولم يرض لها المكان الدنى
وخاصم فى ذلك حتى أمريكا
ثم انتصر

الاوروبية المشتركة .. واول سياسي غربي يعلن بصراحة ان « اسرائيل » قد اثبتت أنها دولة عدوانية .

نشأته

ولكي نعرف بعض الحقائق عن شخصية هذا الرجل الذى يثير اسمه ردود فعل مختلفة في انحاء العالم ، نعود الى الوراء ... وعلى وجه التحديد الى يوم ٢٢ نوفمبر من عام ١٨٩٠ يوم ولد شارل اندريه ماري جوزيف ديجول Charles André Marie Joseph de Gaulle في منزل قديم تملكه عائلة أمه في مدينة ليل Lille بفرنسا . وكان أبوه هنرى ديجول قد تزوج في عام ١٨٨٦ من جان ميلو ديلانوى Jeanne - Maillot - Delannoy وكلاهما ينحدر من عائلة بورجوازية قديمة من شمال فرنسا .

وكان هنرى ديجول يعمل مدرسا في كلية للجزويت في باريس حيث يقوم بتدريس اللاتينية واليونانية والفلسفة والآداب .

التحق شارل ديجول بمدرسة الجزويت التى يقوم والده بالتدريس فيها ، ثم تركها في عام ١٩٠٧ بعد أن قامت السلطات الفرنسية باغلاق مدارس الجزويت في فرنسا ، وذهب الى مدرسة للجزويت في بلجيكا حيث أكمل دراسته فيها ، وقد درس ديجول اللاتينية واليونانية والاعمال الادبية الكلاسيكية الفرنسية وخاصة تلك التى تعود الى القرن السابع عشر . ومن هنا يأتي اسلوب ديجول الفخم في الكتابة والخطابة .

الجيش هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع امجاد فرنسا

بعد ان انتهى ديجول من دراسته في مدرسة الجزويت ببلجيكا في عام ١٩٠٩ عاد الى فرنسا وكله تصميم على الالتحاق بسلك الجندية ، لاقتناعه بان الجيش هو الاداة الوحيدة التى ستحمي فرنسا ضد اى غزو ، كما انه هو الوسيلة الفعالة لاستعادة اقليمى الالزاس واللورين .. ولعل ما كتبه ديجول في مذكراته عن طفولته وتأثير والده عليه ، يكشف لنا الستار عن الأسباب التى ادت الى اقتناعه بان الجيش هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع امجاد فرنسا .. فهو يقول في الجزء الاول من مذكراته : « لم يكن هناك شيء يثير حزني غير ضعفنا واخطائنا التى تكشفت لي اثناء مرحلة طفولتي عن طريق الأحاديث التى كانت تدور من حولي وعلى وجوه المحيطين بي . ومن هذه الأحداث .. انسحاب القوات الفرنسية من فاشودا .. وقضية دريفوس ، والاضطرابات العمالية والخلافات الدينية .. ولم يكن هناك شيء يثير عواطفي اكثر من قصص الحظ السيء الذى قابل فرنسا في الماضي » .

وفي شهر اغسطس عام ١٩٠٩ اجتاز شارل ديجول امتحان الدخول لكلية سانت سير « St. Cyr » الحربية .. ولكن كان على الشاب الذى لم يتجاوز عمره انذاك التاسعة عشرة ان يمضي عاما في الجيش كجندى عادى قبل أن يتلقى

علومه العسكرية ليصبح ضابطا في الجيش الفرنسي .

وفى فرقة الفرسان الثالثة والثلاثين والمعسكرة في مدينة « آراس » اختلط الجندى شارل ديجول لأول مرة في حياته برجال من الشعب بمختلف طبقاته ، ابناء فلاحين وعمال جاءوا من جميع انحاء فرنسا . ومن هؤلاء بدات صورة فرنسا بمختلف طبقاتها ترتسم في مخيلة الشاب الصغير .

بعد أن أمضى ديجول عاما كجندى في فرقة الفرسان عاد الى كلية سانت سير حيث ظهر تفوقه ونبوغه وكان دائما من العشرة الأوائل .

الأسير المشاغب

في عام ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى . وفي ١٥ اغسطس من نفس العام أصيب الملازم شارل ديجول بجروح في معركة على الحدود البلجيكية . وعاد الى فرقته في يناير ١٩١٥ ، وفي ساحة القتال بفردون في ٢ مارس ١٩١٦ سقط ديجول جريحا ، في معركة اخرى ضارية استعمل فيها السلاح الأبيض ، وأسره الالمان بعد أن تركه جنوده ملقى على أرض المعركة . (١)

وفى معسكر الاعتقال حاول ديجول الفرار اكثر من ٥ مرات . ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل بسبب طول قامته غير العادى . وفي النهاية قام الالمان بنقل هذا الأسير الفرنسي المشاغب الى معسكر للاعتقال في بافاريا خصص للأسرى الذين حاولوا الفرار اكثر من مرة . وقضى ديجول سنوات الأسر في اتقان اللغة الالمانية ، وفي الاطلاع على الصحف الالمانية وتتبع سير الحرب من بين سطور الأخبار والتعليقات التى تنشر فيها .

ديجول يحارب الروس في بولندا

بعد أن انتهت الحرب العالمية الاولى ، وتم الافراج عن ديجول انضم الضابط الفرنسي الشاب الى فرقة فرسان بولندية تكونت في فرنسا تحت قيادة الجنرال جوزيف هالر . واشترك في معارك حامية ضد الروس في فولهينا والفستيولا .

وبقي ديجول في بولندا حيث قام بالتدريس في كليتها الحربية . وعاد اخيرا الى باريس فى عام ١٩٢١ حيث تعرف على زوجته ايفون فندرو Yvonne Vendroux . أو « تانت ايفون » كما يحلو للشعب الفرنسي ان يسميها ، عن طريق صديقة قديمة لعائلته وعائلة فندرو .. وكانت ايفون قد تقدم للزواج منها ضابط شاب ، ولكنها رفضت الزواج بحجة انها لا تريد الزواج من ضابط يتنقل من معسكر الى معسكر .. ولكن بعد ان تعرفت بديجول وتقدم طالبا يدها قبلت فورا .

ديجول في السلك العسكرى

وعين ديجول مدرسا للتاريخ العسكرى في كلية سانت سير العسكرية ثم التحق للدراسة بعد ذلك بكلية الحرب العليا . ولكن أساتذته في هذه الكلية كانوا يتضايقون من هذا الضابط الشاب الذى يملأه الغرور ، والاعتداد بالنفس ، والتمسك برايه مهما كانت الظروف ، ولذلك لم يكن يحصل الا على درجة جيد بالكاد في امتحانات الكلية بالرغم من ان كل رؤسائه كانوا يعترفون له بالذكاء الحاد والذاكرة الخارقة للعادة . وتخرج ديجول من الكلية العليا بعد عامين ليعمل في سكرتارية المارشال بيتان .

وفى عام ١٩٢٩ ذهب ديجول للخدمة مع الجيش الفرنسي في سوريا ولبنان . وفي عام ١٩٣٢ عين ديجول سكرتيرا للمجلس الاعلى للدفاع الوطنى بناء على توصية من المارشال بيتان . وأتاحت له وظيفته الجديدة والتى بقى فيها ٥ سنوات متتالية ان يشاهد عن كثب المسائل العسكرية والسياسية العليا المتعلقة بفرنسا .

ديجول الكاتب

وفي خلال هذه الفترة من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٣٧ توالت على حكم فرنسا ١٤ وزارة ، وكان الميدان السياسي في البلاد مضطربا غاية الاضطراب . واستفاد ديجول من منصبه في مجلس الدفاع

---

(١) يصف آخر كتاب صدر عن ديجول بعنوان « الجنرال » تأليف بيير جالانت قصة اسر ديجول بأن جنديا المانيا لا يزال يعيش حتى الآن واسمه « بول كاسيمير البرخت » هو الذى أسر ديجول اثناء معركة « فيردون » حينما كان ديجول يقود سرية في هجوم مضاد داخل خطوط الالمان ، اذ تقز البرخت ومعه جنديان آخران على ديجول من الخلف وجردوه من سلاحه بغتة بالرغم من المقاومة العنيفة التى أبداها .

الأعلى معرفة كاملة بأحوال فرنسا السياسية والعسكرية. وقد قام ديجول بتأليف كتابه الشهير Le Fil de L'épeé أى « حد السيف » في عام ١٩٣٢ . وقد ضمنه اراءه الخاصة بالشئون العسكرية وعن الحرب . وقد شبه الكثيرون هذا الكتاب الذى لا تزيد صفحاته عن المائة بانه اشبه بكتاب « كفاحى » لهتلر . وقد تضمن الكتاب كثيرا من التنبؤات التى تحققت في عام ١٩٤٠ بعد ان اجتاح الالمان فرنسا .

وفي عام ١٩٣٤ أصدر ديجول كتابه الثاني « نحو الجيش الآلى » Vers L'armée de Metier وقد تنبأ في هذا الكتاب بانه نتيجة لعدم تدريب الجنود الفرنسيين على استعمال الأسلحة الحديثة في الحرب ، فانه ستكون هناك خسائر فادحة في المعدات والرجال ، عندما تأتى اى تجربة عسكرية .

وانتقد ايضا سياسة فرنسا العسكرية القائمة على الاعتماد في الدفاع على خط « ماجينو » .. وطالب بتكوين فرق مدرعة ضاربة سريعة الحركة. وقد اثار هذا الكتاب ضجة كبيرة ، أدت في النهاية الى ابعاد الكولونيل ديجول عن باريس ليتولى كتيبة للمدرعات في بلدة ميتز Metz . وفي عام ١٩٣٨ نشر ديجول كتابه الثالث La France et Son Armée أى « فرنسا وجيشها ».

صراع مع قادة الجيش الفرنسي

أدت آراء ديجول الجريئة . ونقده المر لسياسة فرنسا العسكرية والتى نشرها في كتبه الى صراع شديد بينه وبين بقية القادة الفرنسيين العسكريين. وحتى المارشال بيتان، والذى كانت تربطه بديجول صداقة وطيدة ، ناصبه العداء أيضا . ولكن ديجول وقف وحده في الميدان يدافع عن آرائه محاولا أن ينبه الفرنسيين ساسة وعسكريين الى الخطر المحدق بفرنسا. ولكن مجهوداته كلها ذهبت ادراج الرياح . أولا : لأن الشعب الفرنسي لم يكن مستعدا لتقبل آراء ديجول في هذه الفترة بالذات، لأنه كان مصابا بحالة نفسية ضد الحروب نتيجة لما عاناه من خسائر رهيبة في الأرواح دفعها الشعب الفرنسي في الحرب العالمية الأولى .

وثانيا : لأن الدعاية الضخمة التى كانت تحيط باستحالة اختراق خط « ماجينو » الدفاعي قد جعلت الناس يصمون آذانهم عن اى رأى يخالف هذه الدعايات .

وتحققت نبوءات ديجول

وجاءت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ .. وبدأت نبوءات ديجول تتحقق .. اجتاح الالمان خط « ماجينو » ، واجتاحوا فرنسا كلها في ايام معدودات .. ويتذكر ديجول هذه الأيام ، وكيف هبطت معنويات الجيش الفرنسي هبوطا شديدا وكيف هرب الضباط من ميدان القتال في سياراتهم تاركين الجنود وراءهم ، وكيف هرب عدد كبير من الجنود . ولكن بالرغم من ذلك فقد خاضت بعض فرق الجيش الفرنسي معارك ضارية يائسة ضد الالمان ، ولكن بلا فائدة ، وكانت احدى هذه المعارك في مدينة آبفيل Abbevill بقيادة ديجول نفسه وقد ابدت فيها القوات الفرنسية تحت قيادته شجاعة فائقة .. ولكن قوة الالمان وتدريبهم انتصرا على الشجاعة في النهاية .

وفي خلال شهر واحد قتل من الجيش الفرنسي ١٢٠ الف جندى ، بينما بلغت خسائر الالمان ٣٠ الف جندى .

استسلم كل قادة فرنسا العسكريين والسياسيين، ووصفوا الموقف بأنه ميئوس منه ، الا رجل واحد فقط هو « ديجول » وقف يطالب باستمرار الحرب والاستعانة بجنود من أراضي الامبراطورية الفرنسية في شمال افريقيا والشرق الأوسط وبقية المستعمرات الفرنسية .. ولكن لم يقف أحد من كبار القواد او الزعماء معه يؤيده في هذا الرأى .

وانتهت الحرب بالنسبة لفرنسا بوثيقة استسلام لالمانيا واقامة حكومة فيشى برئاسة المارشال بيتان ، بينما كان ديجول يحاول جاهدا بين لندن وفرنسا ايجاد طائرات ووسائل لنقل الجنود الفرنسيين من شمال افريقيا الى شواطىء فرنسا .

تشرشل يصف ديجول

في يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ طار ديجول الى لندن بعد أن تبين له أن حكومة فرنسا قد استسلمت للالمان وأن لا فائدة ترجى من وجوده في البلاد .. وقد وصف تشرشل وضع ديجول(٢) قائلا :

---

(٢) كتاب « الحرب العالمية الثانية » لونستون تشرشل (الجزء الرابع ص ٦١١) .

« لم أكن أستطيع ان أعتبره ممثلا لفرنسا المحتلة الراسفة في القيود ، أو بالطبع فرنسا التى لها حرية تقرير مصيرها في المستقبل . لقد كنت أعلم أنه ليس صديقا لانجلترا . ولكننى عرفت فيه دائما الروح ، والفكرة التى تمثلها فرنسا عبر صفحات التاريخ .

لقد فهمت وأعجبت بتصرفاته التى تدل على الغرور والزهو ، في الوقت الذى قاومت فيه هذه التصرفات .

لقد كان لاجئا ، منفيا من بلده محكوما عليه بالاعدام . وفي موقف يعتمد كلية على حسن نية الحكومة البريطانية . فالالمان هزموا بلاده ولم يكن لديه مكان يذهب اليه . وبالرغم من هذا لم يؤثر فيه موقفه . لقد قيل في سخرية انه كان يظن نفسه المثل الحى لجان دارك ! وهذه السخرية لا تبدو لى غريبة كما يظن البعض . أما كليمنصو الذى قيل ان ديجول يقارن به نفسه ، فقد كان سياسيا اعقل كثيرا من ديجول كما كان رجل دولة محنكا .

ولكن كليهما يعطى انطباعا عن كونهما فرنسيين لا يهزمان » .

بداية حركة فرنسا الحرة

وكتب ديجول فى مذكراته يصف وصوله الى لندن يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ قائلا :

« ها أنا وحيد محروم من كل شيء . كرجل يقف على شاطىء محيط سيقوم بالسباحة فيه ».

ويقول بعد ذلك في نفس المذكرات : « ان ما صممت على انقاذه هو الشعب الفرنسي ، والدولة الفرنسية. ان على ان لا اعيد الفرنسيين وحدهم الى الحرب ، ولكن علىّ ان اعيد فرنسا أيضا » .

وفي يوم ٨ يونيو ١٩٤٠ وجه ديجول اول نداء له من اذاعة بريطانيا الى الشعب الفرنسي وختمه قائلا : مهما حدث فان شعلة المقاومة يجب ان لا تنطفىء وهى لن تنطفىء » .

وعلى أثر هذا النداء ارسلت حكومة فرنسا الى ملحقها العسكرى في لندن امرا لديجول بالعودة الى فرنسا فورا .

ولم ينفذ ديجول امر العودة ، ولكنه كتب خطابا الى وزير الحرب الفرنسي يحثه فيه على السفر الى شمال افريقيا حيث ينظم ويراس المقاومة من هناك . وأعيد الخطاب الى ديجول مشفوعا بالرفض . وبعد ذلك حوكم الجنرال ديجول غيابيا امام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام لاتهامه بالهرب من الجيش .

ومرت الايام على ديجول في لندن ، وهو يحاول جاهدا تنظيم حركة فرنسا الحرةوالمقاومة ،وضم القوات الفرنسية الموجودة في شمال افريقيا اليه .ولكن الفشل كان نصيبه في محاولاته الأولى. ولم ييأس ولم يقنط ، ولم يفرط في كرامته او اعتداده بنفسه في يوم من الأيام .

وفي ٧ أغسطس سنة ١٩٤٠ اتفق ديجول وتشرشل على وضع الأسس التنظيمية والاقتصادية لحركة فرنسا الحرة .

ومرت على ديجول ٤ سنوات وهو يعمل ويقود المقاومة الفرنسية خارج فرنسا وداخلها ، ويعمل من اجل اشراك القوات الفرنسية التابعة لفرنسا الحرة في معارك حربية مع الحلفاء ضد الالمان ، وظل يعمل بدأب وجهد بالرغم من كافة الصعوبات والمؤامرات التى حيكت ضده . بل واستطاع ان ينتصر على مؤامرات روزفلت ضده ، بتنصيب الجنرال « جيرو » Giraud قائدا على قوات شمال افريقيا الفرنسية تمهيدا لتولى « جيرو » قيادةفرنسا الحرة،تلك المؤامرةالتىنالها الفشل .

فشل سياسي

وعاد ديجول الى باريس التى تم تحريرها في اغسطس ١٩٤٤ ليواجه ازمات مع جبهات المقاومة الشعبية الفرنسية التى كان يقودها ، ومع الحزب الشيوعى الفرنسي . الا ان ديجول كان قد صمم منذ الساعة الاولى لدخوله باريس على ان يقيم حكومة فرنسية تحكم البلاد بعيدا عن نفوذ جبهات المقاومة الشعبية ، وكانت هناك بالطبع ازمات أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية . وفى اكتوبر ١٩٤٥ أجريت انتخابات أسفرت عن فوز الشيوعيين والاشتراكيين بثلاثة ارباع المقاعد ، وفاز اليمينيون والمتطرفون بربع المقاعد فقط ، وانتخب الاعضاء الجدد ديجول رئيسا للحكومة بالاجماع في اول اجتماع لهم في ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ . وبعد شهرين من تاليفديجول الوزارة ، استقال من رئاسة الحكومة نتيجة لتدخل أعضاء المجلس النيابى في كل شئون الحكومة . وغادر ديجول باريس الى بيته الريفى في بلدة كولومبى Colomby les deux Eglises

حيث بقي هناك بعيدا عن السياسة ومتاعبها . وعاد ديجول مرة اخرى الى ميدان السياسة ليقود في ابريل عام ١٩٤٧ حركة Ressemblement du Peuple Francais « اعادة تجميع الشعب الفرنسي » وقد كانت هذه الفترة من حياته السياسية تتميز بالتطرف الشديد . حتى ان حركته هذه شبهت بالحركة النازية . وقد أثار ديجول الجماهير في اوائل حركته هذه ، واستطاع ان يكتسح بحزبه انتخابات المجالس المحلية في نفس العام . ولكن الحركة فشلت بعد ذلك فشلا ذريعا نتيجة للتصريحات التي اظهر بها ديجول تحديه للرأى العام الفرنسي في كثير من المسائل . وظلت حركة ديجول هذه في الاضمحلال حتى انتهت تماما في عام ١٩٥٥ عندما أعلن الجنرال اعتزاله للحياة العامة . وتمكن ديجول باعتكافه هذا أن يكتب بقية مذكراته عن الحرب والتي كان قد نشر الجزء الأول منها في عام ١٩٥٤ .

الجمهورية الخامسة

اختفى ديجول من على مسرح السياسة منذ عام ١٩٥٥ حتى شهر مايو ١٩٥٨ عندما عاد مرة اخرى لرأس الحكومة الفرنسية وينقذ فرنسا من حرب اهلية عندما هدد الجيش الفرنسي في الجزائر بغزو فرنسا . وفي عام ١٩٥٨ استطاع أن يحقق نصرا سياسيا كبيرا، وان يصبح شخصية سياسية تختلف تمام الاختلاف عن ديجول عام ١٩٤٧ . وتولى ديجول في يناير ١٩٥٩ رئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة .

واعيد انتخابه مرة أخرى لرئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥ .

وحقق ديجول احلامه اخيرا بان اعاد لفرنسا وضعها القديم في مجال السياسة الدولية . واصبح لها اليوم شان كبير في ميزان القوى بين الدول الكبرى . كل هذا بفضل عناده ومثابرته واعتداده بنفسه .

ديجول الأب والانسان

وديجول رب اسرة مثالي . فهو يعشق بيته ويحب زوجته واولاده اليزابيث وفيليب ، ولا يزال حتى الآن يتذكر ابنته « آن » تلك الطفلة التي ولدت وهي تعاني من نقص عقلي . وكان يعطف عليها عطفا متزايدا ، فهو يخصص لها من وقته الكثير . حتى في ايام ازمة ١٩٤٠ كان يهرع الى الريف الانجليزي ليقضي مع طفلته المسكينة « آن » نهاية عطلة الاسبوع .

ومع ذلك لم يكن يريد من احد ان يبدي شفقته على طفلته المجنونة .. ففي يوم من الأيام كان مدعوا هو وزوجته على حفل عشاء في منزل اللورد بيسبورو Bassborough في لندن . وفي معرض الحديث عن الأطفال جاء ذكر « آن » فقالت زوجة ديجول باقتضاب انها مريضة .. ولكن ديجول عقب على زوجته قائلا : انها مجنونة !! وعندما ماتت ابنته «آن» في عام ١٩٤٨ قال لزوجته مواسيا بعد أن دفناها .. « .. لا تبكي يا عزيزتي من أجل « آن » ، فقد أصبحت الآن كأي طفل آخر » .

ومن اجل ذكرى هذه الابنة حاول ديجول أن يرهن منزله في كولومبي عام ١٩٥١ ، وقرر ايضا نشر مذكراته لكي يحصل على النقود التي تمكنه من الابقاء على مؤسسة آن ديجول لمساعدة ورعاية الأطفال المتأخرين عقليا .

وديجول الذي يبلغ من العمر الآن حوالي التاسعة والسبعين عاما ، يصر على أن يدفن في قريته « كولومبي » بدلا من أن يدفن في « الانفاليد Invalides » أو البانتيون Pantheon حيث يرقد عظماء فرنسا ، أو « مونت فاليريان Mont Valerien » حيث دفن أبطال المقاومة وحيث تضيء شعلة الخلود هناك ..

★ ★ ★

بقي ان نورد هنا الوصف الذي كتبه هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا الأسبق عن ديجول بالرغم من الخصومة التي كانت بينهما : «ديجول، بالرغم من أخطائه العديدة ، الا أنه عبقري حقيقة. وهب نفسه بكل عواطفه لفرنسا ، وهو نصف ثوري ونصف رجعي .. !!» .

ويصفه صديقه اندريه مالرو قائلا :

« انه كالفيل .. لديه اذن وعين وذاكرة مثله تماما .. وعندما يصاب بجرح فلديه القوة العنيفة التي يتمتع بها الفيل » .

ان ديجول زعيم من الزعماء القلائل الذين يجود بهم الزمان .. فهو واحد ممن يصنعون تاريخ أممهم . ■■

محمد طنطاوي

مسابقة العربي

جُغرافِيَّة العَالَم

ماذا تعرِفُ عنها ؟!

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في ١٥ سؤالا عن جغرافية العالم . وفي الخريطة المنشورة على الصفحة المقابلة ارقام يرمز كل واحد منها الى السؤال الذى يحمل نفس الرقم .. والمطلوب منك الاجابة على عشرة أسئلة على الاقل اجابة صحيحة لتفوز بجائزة من الجوائز المالية المخصصة ، والتى يبلغ مجموع قيمتها ١٠٠ دينار .

١ ـ هذا البحر ، هو اكبر البحار الداخلية او البحيرات في العالم .. ما اسمه ؟

٢ ـ هنا تمتد اكبر صحراء في العالم . ما اسم هذه الصحراء ؟

٣ ـ هذه الجزيرة الكبيرة الواقعة في المحيط الهندى قرب الشاطىء الافريقى تبلغ مساحتها ٥٩٢ الف كيلو متر مربع ، وعدد سكانها اكثر من نصف مليون نسمة ، اصبحت تعرف باسم غير اسمها الأصلى .. فاذكر احد هذين الاسمين : القديم او الحديث ؟

٤ ـ هذه اكبر جزيرة في العالم التى تغطى الثلوج اكثر مساحتها ،وهى ليست قارة وليست مستقلة اذ انها تابعة للدانمرك فما اسمها ؟

٥ ـ ميناء عربى يتحكم في مدخل البحر الاحمر يقع في فوهة بركان طبيعى خامد ، وقد اصبح هذا الميناء عاصمة لجمهورية مستقلة، فما اسمه ؟

٦ ـ هاتان الجزيرتان تكونان دولة مستقلة من دول الدمنيون البريطانى ، فما اسم الدولة ؟

٧ ـ اذا عبرت هذا الخط الوهمى ، فكانما تعبر الزمن ، فعندما تكون في ناحيته الشرقية يكون اليوم خميسا .. واذا عبرته الى الناحية الغربية كان اليوم جمعة .. فما اسم هذا الخط ؟

٨ ـ مضيق بحرى يفصل بين اقصى الطرف الأمريكى وجزيرة ارض النار ، اكتشفه بحار برتغالى عام ١٥٢٠ فحمل المضيق اسم هذا البحار .. فما هو هذا الاسم ؟

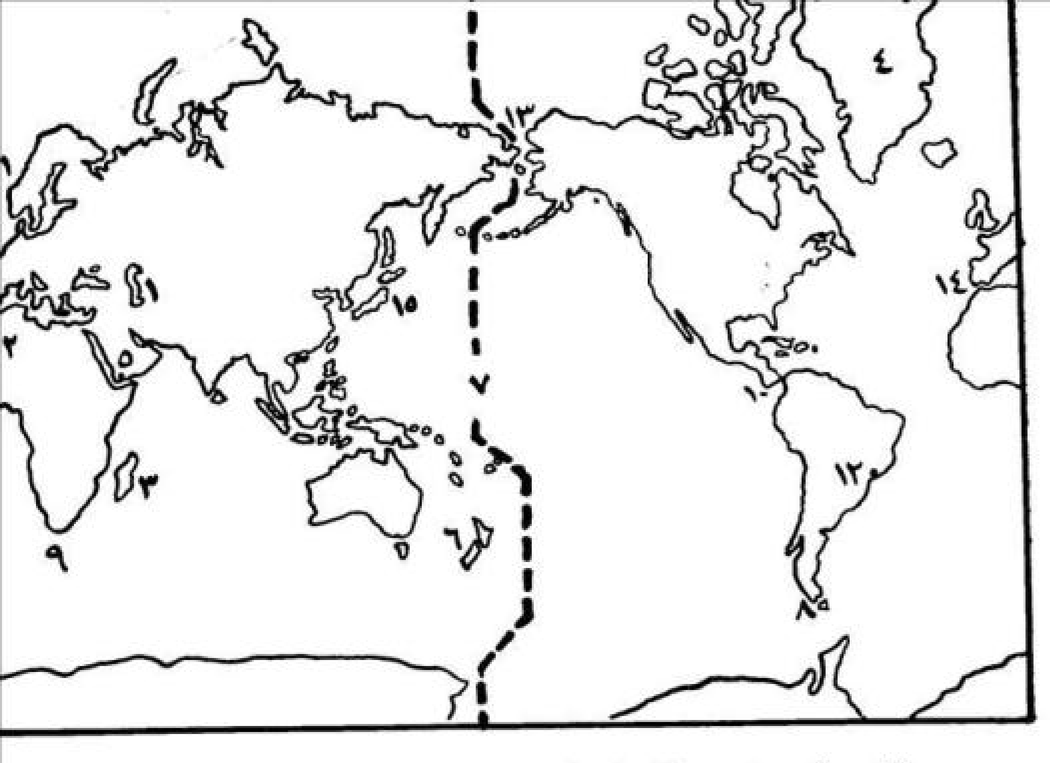
٩ ـ اكتشف عام ١٤٩٨ طريقا الى الهند عبر طرف هذه القارة .. اطلق عليه طريق راس الرجاء الصالح فما اسم البحار الرحالة الذى اكتشف هذا الطريق ؟

١٠ ـ قناة شقها الانسان طولها ٨١ كم وتوصل بين مياه المحيطين الأطلسي والهادى .. ما اسم هذه القناة ؟

١١ ـ ما اسم شبه الجزيرة هذه ؟ وما اسما الدولتين اللتين تتقاسمانها ؟

١٢ ـ هذا الميناء الكبير كان عاصمة للبرازيل قبل انشاء برازيليا ... اشتهر بمهرجانه السنوى الصاخب وبجمال موقعه ، فما اسمه ؟

١٣ ـ هذا هو مضيق بهرنج الذى يفصل حاليا بين أراضي أكبر دولتين ، والذى كان أرضا يابسة متصلة في



الماضي السحيق .. اذكر اسمي المنطقتين الموجودتين على ضفتيه ؟

١٤ــ عند هذا المضيق الذى يربط البحر الابيض المتوسط بالمحيط الاطلسي تقف صخرة كبيرة مشهورة اطلق عليها العرب اسم جبل الفتح، الا انه حدث بعد اجتياز قائد عربي مشهور لهذا المضيق وتحصينه لهذا الجبل، ان اطلق اسمه على تلك الصخرة .. فما اسم هذا القائد وما اسم هذه الصخرة حاليا ؟

١٥ــ ما اسم هذه الدولة المكونة من اربع جزر كبيرة ونحو ٣٨٠٠ جزيرة صغيرة ، تكثر فيها البراكين ، وتشتهر بمصنوعاتها المختلفة التى تغرق بها اسواق العالم ؟

شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي : مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت مسابقة العدد .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مايو (أيار) ١٩٦٩ .

٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة

النوم سلطان

بقلم : الدكتور فاخر عاقل
الاستاذ بجامعة دمشق

■ يقضي الانسان جزءا كبيرا من حياته فى النوم ، ولم يكتشف حتى الآن – فيما نعلم – حيوان لا تتخلل حياته فترات من النوم او ما يشبه النوم . ومع ذلك فان ظاهرة النوم ، وهي الظاهرة العامة والضرورية ، لم تدرس حتى الآن الدراسة اللازمة والكافية لايضاحها وتفسير خفاياها . وبالرغم من ذلك فان الناس – كل الناس – غنيهم وفقيرهم ، ذكيهم وغبيهم ، نشيطهم وكسولهم يخضعون لسلطان النوم ، ذلك الطاغية اللطيف الذى يساوي بينهم ويمنحهم الراحة والقوة والنشاط .

ومما يجدر ذكره ان الاهتمام بالنوم ليس جديدا فقد عني ارسطو الفيلسوف اليوناني بالنوم والاحلام وكتب فيهما فصولا . بيد ان التحليل التجريبي للنوم ابتدأ منذ مائة عام تقريبا ، وشهدت الاعوام الخمسة عشر الاخيرة نشاطا ملموسا فى دراسة النوم ، ومع ذلك فان ما توصل اليه العلماء بخصوص هذا الحدث الهام فى حياة الانسان ما زال ضحلا ضئيلا .

وسنحاول فى هذا المقال ان نلخص بحوثا قام بها العالم وِب W.B- Webb من جامعة فلوريدا الذى حاول فى بحث القاه امام جمعية علم النفس البريطانية عام ١٩٦٤ ونشرته احدى مجلات الجمعية ان يصف صفات النوم البشرى ايمانا منه بأن من واجبه ان يصف قبل ان يدرس .

النوم و « مقياس الكهربائية الدماغية »

فى اواخر عام ١٩٢٠ أوجد برجر Berger وهو طبيب نفساني الماني شكلا بدائياً مما يسمى اليوم بمقياس الكهربائية الدماغية – Electroencephalogram – ذلك المقياس الذى يسجل التيارات الكهربائية الصادرة عن الدماغ .

وفى عام ١٩٣٤ افاد العالمان البريطانيان (ادريان) و (ماثيوز) من هذا المقياس فى البحوث العلمية الاكلينيكية .

وفى عام ١٩٣٧ اشار (لوميز Leomis) ومعاونوه الى الصفات المتغيرة للموجات الدماغية وفقا لبداية النوم وطوله .

وفى عامي ١٩٥٦ – ١٩٥٧ اثبت كليتمان Kleitman ومعاونوه امكانية التعرف على هوية الحلم عن طريق وجود بعض التغيرات فى مقياس الكهربائية

النَّوْمُ كَمْ مَرْحَلة ؟ أيُّهَا مَرْحَلةُ الأحْلامِ ؟ أيُّ مَرَاحِلِ النَّوْمِ الأعْمَق ؟ كَمْ يَخْتَلِفُ النَّوْمُ بِاخْتِلافِ الأعْمارِ ؟

الدماغية وما يصاحبها من حركات للعين سريعة .

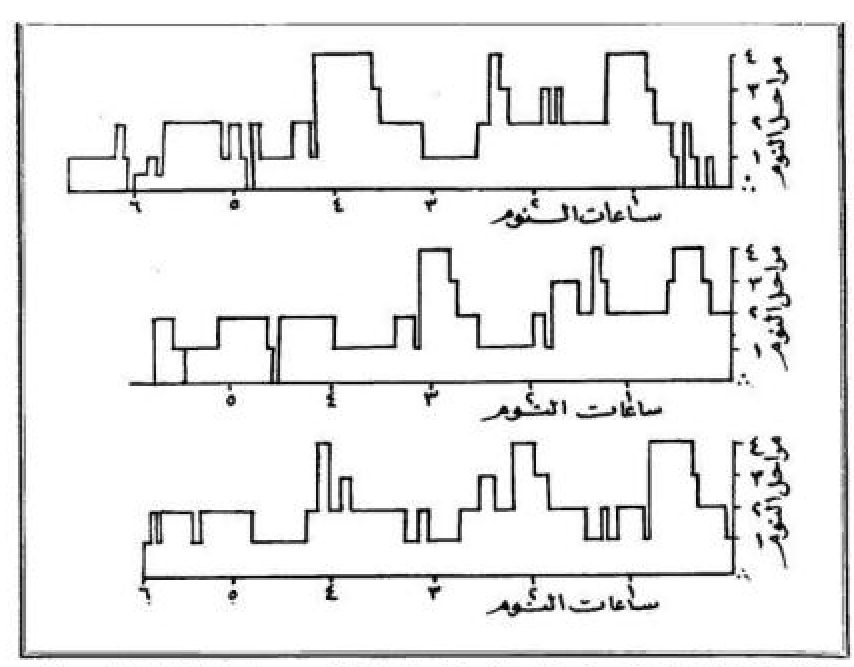
ونتيجة لهذه التطورات وتطبيقاتها نستطيع الآن ان نتبين — على الأقل — انعكاسات لعملية النوم اثناء حدوثها . ولقد اتضح انه كان ثمة خمس مراحل من النوم . والمراحل الأربع الأولى ترتب بوصفها عمقا فى النوم وعلى اعتبار أن الرابعة اعمقها . اما المرحلة الخامسة فهي مرحلة الحلم من النوم . ولقد ثبت تجريبيا أنه طوال هذه المرحلة تحدث صور بصرية من النوع المسمى بالحلم وتظهر خلال هذه المرحلة حركات للعين سريعة .

انماط قياس الكهربائية الدماغية

استفيد من قياسات الكهربائية الدماغية ، باعتبار الانماط التي تعطيها هذه القياسات متحولات ذات معنى فى دراسة النوم واستجاباته . ولقد كانت الدراسات العلمية التي عنيت بصفات القياسات الكهربائية الدماغية نادرة . وكل الموجود لم يكن يزيد عن احكام عامة وانطباعات عن مجرى هذه القياسات اثناء النوم غير المقاطع والذى يدوم طوال الليل . والسبب فى ذلك المقدار الضخم من الجهد والمال اللازمين لدراسة هذا الموضوع . ذلك بأن مقياس الكهربائية الدماغية آلة باهظة الثمن لا يستطيع المختبر السيكولوجي العادى الحصول على اكثر من واحدة منها . ثم ان المجرّب عليهم يجب ان يدرّسوا واحدا واحدا ، ومدة الدراسة لا تقل عن عشر ساعات فى الليلة الواحدة . ولا بد من اسبوع كامل لدراسة كل مجرّب عليه . ومعنى ذلك انه خلال فترة شهرين من التجريب لا يستطيع المجرّب ان يحصل على اكثر من نتائج ثمانية من المجرّب عليهم ، هذا اذا حالفه الحظ . أضف الى ذلك ان الاشخاص الذين يقبلون ازعاج انفسهم والتخلي عن راحتهم خلال اسبوع كامل ليتم التجريب عليهم فى المختبر ليسوا كثيرين . كما ان استعمال المقياس ومراقبته وقراءة نتائجه ليست أمرا سهلا يستطيعه كل طالب من طلاب علم النفس . وفى بعض الحالات كان طول الورق اللازم لتسجيل نوم مجرّب عليه واحد يتجاوز الميل ، وهذا الميل من الورق يجب ان يقرا ويفسّر بوصة بوصة .

ولا ننسى أن نشير الى مهمة المجرّب الذى يتحتم عليه أن يسهر طوال الليل يبتلع القهوة ويقرا سجلات الليلة السابقة





الشكل الاول : تغيرات النوم في مقياس الكهربائية الدماغية لمفحوص واحد خلال ثلاث ليال من النوم

ويصنفها ويفسرها ، وحين ينبلج الصبح ، ويترك المجرّب عليه المختبر ، فان المجرّب ملزم بان يستأنف حياته اليومية العادية وما تحتمه من مطالب وما تغص به من مشاكل . لكن الاندفاع يستتلى المثابرة والصبر ، وهكذا كان .

ثم ان طبيعة المعلومات التي تم الحصول عليها خلقت مشاكل اكثر ازعاجا ، ففي الشكل الأول تمثيل لثلاث ليال نموذجية تمّ الحصول عليها من انسان واحد وذلك فيما يخص مراحل نومه . ان انماط النوم ـ من حيث صفاتها الزمنية ـ تبدو غير منتظمة الطبيعة بل هي فوضى من الحوادث التي تجرى فى الزمان .

التوافق فى انماط النوم

بالرغم من الصعوبات التي ذكرناها فى الفقرة السابقة ، وكما يحدث فى كثير من البحوث النفسية ، أدت المثابرة والتفاؤل الى بزوغ حقائق عامة متوافقة من وسط الركام الفوضوى الذى تجمع من خلال الدراسات .

ويظهر من الشكل الثاني توزع مراحل النوم على ليال ثلاث كاملة بالنسبة لشخصين تم التجريب عليهما . ويرجى من القارىء ان يلاحظ مظهرين لنوم هذين الشخصين : **اولهما** التوافق الملحوظ عند كل مجرّب عليه فيما يخص ـ مثلا ـ المرحلة الرابعة من مراحل النوم ، انها تبلغ ٢٢٪ ، ٢٣ ٪ و ٢٢٪ من الوقت عند احدهما ، كما تبلغ ١٤٪ ، ١١٪ ، و ١١٪ عند الآخر . أما المرحلة الخامسة فقد استغرقت ٢٨٪ ، ٢٨٪ ، و ٢٢٪ من الوقت بالنسبة للاول و ٢٤٪ ، ٢٢٪ و ٢١٪ بالنسبة للثانى .

وثانيهما : الفرق الكبير الملحوظ بين المجرّب عليهم ، فمتوسط طول المرحلة

الرابعة عند احدهما بلغ قرابة ٢٢٪ في حين ان متوسط الثاني يبلغ ١٢٪ . اما المرحلة الخامسة فمتوسطها عند الأول ٢٦٪ فى حين أن متوسطها عند الثاني يبلغ ٢٢٪ .

ولقد اجرى (وب) تجاربه على ما يزيد عن ٤٥ شخصا ، دامت التجارب على كل واحد منهم ثلاث ليال او اكثر فجاءت النتائج مؤيدة لما سبق أن ذكرناه.

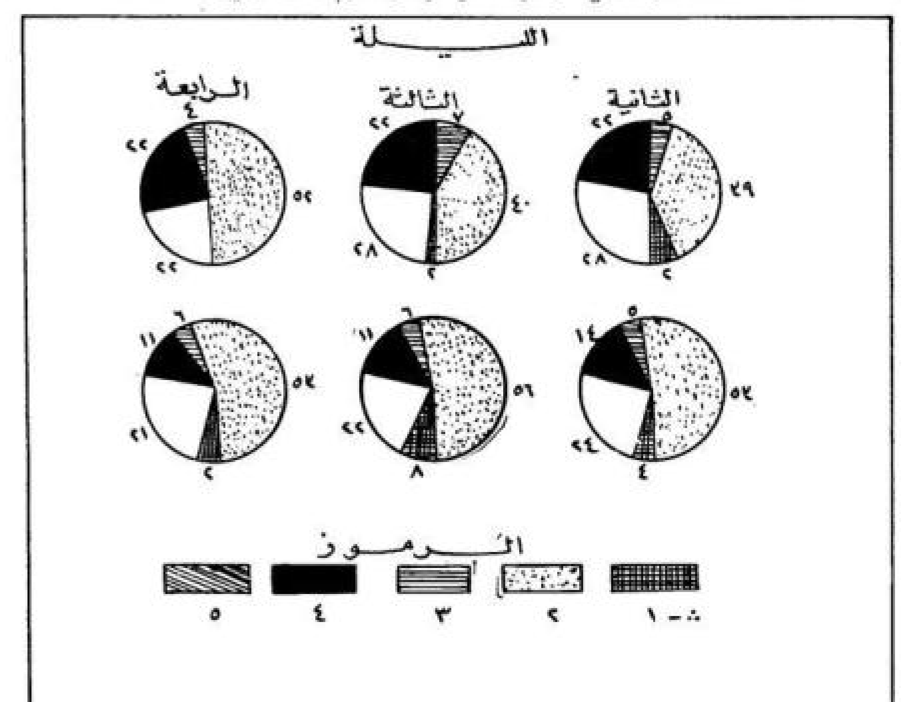
برامج النوم

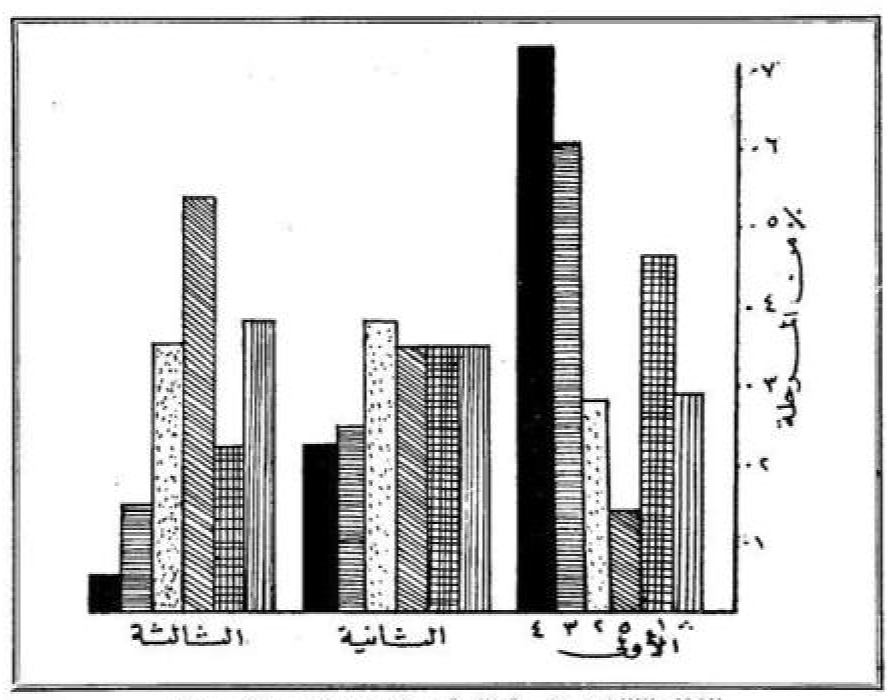
بالاضافة الى هذه الانماط الفردية من النوم يوجد (برنامجان) عامان مشتركان في النوم البشرى .

اولهما وجود حدود مبَرمَجة (بسبب طبيعة العضوية) من مراحل النوم ومثال ذلك انه ما من انسان ينام طوال الليل في مرحلة واحدة من النوم. والنوم السوى مقسوم بين المراحل الخمس من النوم ، ثم ان هذا التقسيم ليس متساويا من حيث المدة . وفى المتوسط يمضي ٥٠٪ من نوم الليلة الواحدة فى المرحلة الثانية . هذا ويبدو ان ثمة (حدا) من النوم يحدث فى كل مرحلة ، فمثلا ما من احد من المجرب عليهم نام اقل من ١٠٪ فى المرحلة الخامسة او أكثر من ٣٣٪ . وما من احد نام أقل من ٤٪ فى المرحلة الرابعة او أكثر من ٢٨٪ .

وثانيهما هو برنامج النوم المتجلي من الشكل الثالث ، ويظهر من هذا الشكل ان المراحل المختلفة من النوم تنزع الى البزوغ بشكل اعم فى بعض الأقسام من فترة النوم ومثل ذلك أن أكثر من ٧٠٪

الشكل الثاني : النسبة المئوية من النوم التي قضاها مفحوصان في كل مرحلة من مراحل النوم خلال ليلتين





الشكل الثالث : النسبة المئوية من النوم في كل مرحلة بوصفها وظيفة من وظائف الاثلاث المتتالية من مجموع فترة النوم

من المرحلة الرابعة من النوم تحدث عادة في الثلث الاول من الليل . وما يشاع من ان خير النوم هو ما يحدث « قبل منتصف الليل » يبدو صحيحا اذا كان الثلث الاول من نوم الانسان يتم قبل منتصف الليل ، ذلك بأن النوم فى هذه المرحلة يكون عميقا . ومن جهة اخرى فان المرحلة الخامسة وهي مرحلة الاحلام تحدث بصورة عامة فى الثلث الأخير من مدة النوم .

تغيرات النوم وعمقه

ان واحدا من اكثر الأمور ادهاشا كانت التغيرات التى حصلت في النوم اثناء الليل والتي تجلت من خلال الدراسة التي قام بها (وب) . ويتضح من الشكل الأول أن الانسان كثيرا ما ينتقل من مرحلة من مراحل النوم الى اخرى . والواقع ان العدد المتوسط لتنقلات النائم من مرحلة الى اخرى كان ٣٤ اثناء الساعات الست الاولى من النوم ، وكما يلاحظ الانسان من هذه التنقلات فان النائم يبدو وكأنه تتجاذبه قوتان حيويتان : **أولاهما** البقاء على صلة بالعالم الخارجى المحيط به ، **وثانيتهما** الحاجة الى النوم العميق . فاثناء المرحلتين الثانية والأولى ــ وبالرغم من كونهما من مراحل النوم ــ يحتفظ الانسان بحساسية واضحة بالنسبة للمثيرات ذات الاهمية الموجودة فى المحيط . ان الأم وحدها تستطيع أن تسمع ــ وهي

نائمة ـ ابسط ضجة تصدر عن طفلها بالرغم من انها لا تستجيب الى ضجة المواصلات الصادرة عن الطريق مثلا أو ما اليها من الضجات، وفيما عدا حالة الأم فان تزايد عمق النوم يجر وراءه قلة الحساسية بشكل واضح جدا . وثمة انطباع قوي يتجلى من دراسة الخطوط البيانية لنوم المجرب عليهم الا وهو ان النائم يكون (مشدودا) بقوتين احداهما النوم العميق وثانيتهما اليقظة ولذلك فهو لا يحتفظ بالنوم العميق الا وقتا قصيرا ، وكأني بالنائم تدفعه قوة خفية لأن يرفع راسه ويتبين ما في محيطه من مخاطر ومؤثرات ولكن لا يلبث النوم العميق أن يجره اليه . ان هذا التفاعل بين هاتين القوتين ـ اللتين تتطلب احداهما النوم العميق وتمنع الأخرى حدوثه ـ يبدو وكأنه صراع دائم يدوم طوال الليل .

ان ثمة دلائل تؤكد ما قلنا . ان الدراسات التي اجراها (وب) على المرضى العصابيين مثلا دلت على ان اضطرابات النوم عندهم تتخذ شكل التنقل المتزايد وزيادة عدد مرات الاستيقاظ خلال الليل اكثر مما تتخذ شكل عدم النوم العميق اطلاقا . ان الحاجة الى النوم العميق تجرهم الى هذه المراحل ولكن تهديد المحيط يمنعهم من الحفاظ على النوم العميق مددا طويلة من الزمن . ومن الأمور التي لاحظها (وب) ومعاونوه ان عدد التغيرات يقل كلما قضى المجرب عليه مدة اطول في المخبر (المعمل) ولقد فسر ذلك بانه يعني ان المجرب عليه يصبح اكثر ثقة بالمحيط الجديد كلما زاد الزمن الذى يقضيه فيه . وعلى كل فما زال (وب) ومعاونوه يعملون في هذه الناحية من الموضوع .

سلوك النوم

ان فضول الانسان عن صفات النوم لا حد له ، فلقد تساءل (وب) ومعاونوه عن النوم العادى الطبيعي خارج المخبر في الظروف العادية : تساءلوا ما طول المدة التي ينامها الناس ؟ ما علاقة العمر والجنس بالنوم ؟ كم مرة يستيقظ الناس أثناء نومهم ؟ .

ان طرح هذه الأسئلة وامثالها اوضح شيئا هاما ، الا وهو ان مقياس الكهربائية الدماغية وامثاله من الآلات لن يفيد في الاجابة عنها ، ولذلك لجأ (وب) ومعاونوه الى الطريقة الاوضح والابسط في اجابة هذه الأسئلة وهي سؤال الناس من مثل هذه الامور . ولذلك فقد وضعوا استبيانا Questionnaire مؤلفا من ٢٧ سؤالا تستقصي حقائق النوم ومواقفه . ومن اجل التاكد من صلاحية الاستبيان طبقت عليه الطرق العلمية اللازمة في مثل هذه الأحوال والتي لا مجال لذكرها في مقامنا هذا ،ثم قدم الى ٦١٣ شخصا كان منهم ١١٣ شخصا تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٢ سنة ، و ١٤٥ شخصا تتراوح اعمارهم بين ١٣ و ١٦ سنة و ١٥٧ تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ٢٩ سنة ، و ٧٩ شخصا تتراوح اعمارهم بين ٣٠ و ٤٩ سنة ، و ١١٩ شخصا تتراوح اعمارهم بين ٥٠ و ٨٩ سنة ولقد كان عدد الذكور مساويا لعدد النساء في كل زمرة عمرية . وكان المجرب عليهم اناسا اميركيين عاديين من الطبقة الوسطى .

استجابات الاستبيان

يمكن للقارىء ان يتصور مقدار المعلومات التي قدمتها الأسئلة السبعة والعشرون التي قدمت الى ثلاثة عشر وستمائة شخص ، ولذلك فسنحاول هنا ان نلخص بعض الامور التي تلقي على المشكلة ضوءآ واضحا والتي تجلت من خلال هذه الدراسة .

طول مدة النوم

اولا فيما يخص طول مدة النوم وجد (وب) ومعاونوه ما يتوقع من صلة بين العمر والنوم . لقد وجدوا تناقصا تدريجيا في النوم بالنسبة للتقدم في العمر . فقد بلغ متوسط نوم الذين تتراوح اعمارهم بين ٩ و ١٢ سنة ٩ر٣٢ ساعة في الليلة في حين بلغ متوسط نوم الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٠ و ٤٩ سنة ٧ر٢٣ ساعة في الليلة الواحدة . على ان مما يدهش ويعاكس الشائع بين الناس ما وجده هؤلاء الباحثون من ان الذين تتراوح اعمارهم بين ٥٠ و ٨٩ ارتفع مقدار نومهم فبلغ ٧ر٣٩ ساعة في الليلة الواحدة .

وكذلك وجد هؤلاء الباحثون ـ وكما يمكن ان يتوقع الانسان ـ اختلافا في مقدار ساعات النوم بين افراد الفريق الواحد . فمثلا قال ٢٪ من أعضاء الفريق الذى تتراوح اعمار افراده بين ٣٠ و ٤٩ سنة انهم لا ينامون اكثر من خمس ساعات في الليلة الواحدة ، في حين اشارت نفس النسبة المئوية تقريبا من الفريق ذاته الى انها تنام تسع ساعات ونصف ساعة في الليلة . ولقد كان التفاوت الأكبر في ساعات النوم ملحوظا في الفريق الذى يزيد عمر افراده عن الخمسين اذ تراوح نوم افراده بين (٤ و ١١ ساعة) ولم يظهر فرق واضح في النوم بين الرجال والنساء في فريق من الفرقاء . وحين فحص وقت بداية النوم ليلا ووقت الاستيقاظ صباحا وجد ان الانخفاض في طول مدة النوم ناتج عن التأخر في النوم نتيجة للتقدم في العمر . ولقد بقي وقت الاستيقاظ صباحا ثابتا طوال العمر باستثناء من بلغوا الستين او تجاوزوها فقد قالوا انهم أخذوا يستيقظون في وقت ابكر .

الزمن الذى يسبق الاستغراق في النوم

وباستثناء الفريق الذى تتراوح اعمار افراده بين ٩ و ١٣ سنة كان الوقت الذى يحتاجه المسؤولون للاستغراق في النوم ـ في بداية النوم ـ يتراوح بين ١٥ و ٢٠ دقيقة ، اما صغار السن فقد قالوا انهم يحتاجون لوقت أطول . ولسنا ندرى ما اذا كان السبب في زيادة الوقت هذه مردودا الى سوء تقدير هؤلاء الاحداث للوقت أم لحرص الوالدين على قسر اطفالهم على النوم قبل ان يكونوا قد استعدوا له . ولقد تبين أن اقل من ٥٪ من المدرسين يحتاجون لثلاثين دقيقة او اكثر ، اربع ليال او اكثر في الاسبوع ، للاستغراق في النوم .

الوضع المفضل في النوم

هذا وقد كان واحد من الفروق القليلة التي وجدت بين الذكور والاناث فيما يخص صفات النوم الوضع المفضل الذى يتخذه الانسان لينام ، لقد كان ٢٣٪ من النساء يفضلن النوم منكفئات على وجوههن ، في حين ان هذا الوضع لم يفضله اكثر من ١٤٪ من الرجال ، ولقد كان ١٢٪ من الرجال يفضلون النوم على ظهورهم في حين ان ٣٪ فقط من النساء كن يفضلن هذا الوضع .

الاستيقاظ أثناء الليل

ومع التقدم في العمر كان الميل الى الاستيقاظ اثناء الليل ـ وبعد النوم ـ يزداد . لقد اشار ١٦٪ ممن تتراوح أعمارهم بين ٩ و ٢٩ سنة الى انهم يستيقظون مرتين او اكثر في الليلة الواحدة ، وبلغت هذه النسبة ٣٩٪ في الفريق الذى تتراوح أعمار افراده بين

٣٠ و ٤٩ سنة ، كما بلغت ٦٩٪ فى الذين تتجاوز اعمارهم الخمسين سنة .

اما عند الاستيقاظ صباحا فقد قرر ٢٨٪ انهم يكونون تامي اليقظة والصحو ، فى حين أشار ١٥٪ الى انهم يحتاجون اكثر من ١٥ دقيقة لمثل هذه اليقظة التامة وقرر ١٦٪ انهم يحتاجون الى ساعة كاملة او أكثر للصحو واليقظة . ولعل لهذا الذى قدمنا صلة بما قرره ١٨٪ من المسؤولين بأنهم يستيقظون بصورة تلقائية فى الصباح ، وان ٤٦٪ من المسؤولين فقط يستيقظون نشيطين . وها هنا فرق آخر بين الجنسين فقد قرر ٤١٪ من النساء فقط انهن يستيقظن نشيطات فى حين قرر ٥٢٪ من الرجال انهم يستيقظون نشيطين .

ولقد تجلى من هذا البحث والمعلومات التى اعطاها نقطة هامة، فقد نسبت الجودة الى النوم بصفاتها المختلفة ، من سرعة الاستغراق في النوم في بدايته وعمق النوم والاستيقاظ مع التمتع بالنشاط وما الى ذلك من الصفات الجيدة ، الى النوم المنتظم اي الذى يتم في ساعة معينة ، فلقد كان خير النائمين اولئك الذين يذهبون الى فراشهم في وقت محدد ويستيقظون فى وقت محدد .

والنقطة الاخيرة فى هذا البحث هي ان ٣٨٪ فقط من المسؤولين قالوا انهم على استعداد لتخفيض ساعات نومهم تخفيضا واضحا اذا ثبتت ضرورة هذا التخفيض ، ولقد قرر ٧٠٪ من المسؤولين ان النوم امر يستمتعون به .

تأملات

يعلق « وب » على بحثه هذا بقوله « كلما زادت ملاحظتي لاستجابات النوم زاد تأكدى من أن هذا الشاغل الطويل لوقتنا ، اي النوم ، ما زال مهملا قليل التربية سيىء التنظيم » ثم يمضي مطالبا ايانا بأن نلاحظ طبيعة النوم غير المتشابهة من حيث المراحل ويقرر أن النوم نضال مستمر بين عمق النوم واليقظة ، وان الافراد يختلف نوع نومهم بعضهم عن بعض . ثم يقرر أن نصف نوم الانسان هو من نوع المرحلة الثانية تلك المرحلة التي تتراوح بين النوم العميق والاحلام من جهة وبين اليقظة من جهة اخرى ، ومن هنا يستطيع الانسان ان يتساءل عما اذا كان سؤاله : « كم ساعة يجب أن ينام الانسان ؟ » ليس سؤالا لا معنى له . وان السؤال الأصح هو : كم ساعة؟ ومن اي نوع من انواع النوم يجب ان ينام الانسان ؟ واذا ثبت مثلا أن النوم من نوع المرحلة الثانية ليس اساسيا ولا ضروريا وان بالامكان الاستغناء عنه فاننا نستطيع جميعا ان ننقص نومنا بمقدار ثلاث ساعات كل ليلة فنربح ١٠٩٥ ساعة من ساعات الحياة كل عام .

هذا وقد دلت هذه الدراسة على العلاقة الوثيقة بين العمر واستجابات النوم . وتدل الدراسات الجارية حاليا على أن التقدم فى العمر يستجر صعوبة تغيير استجابات النوم مما يجعل الانسان اسيرا لعاداته فى النوم لا سيما اذا كانت هذه العادات سيئة .

وختاما فانه واضح أن هذه الدراسة ليست الا باكورة ناقصة لدراسات كثيرة اخرى يجب أن تترى فى هذا الميدان . وواضح كذلك ان بها نقائص كثيرة فهي لم تتناول امورا من نوع الفاعليات التي تسبق النوم واثرها على النوم ، كما لم تتناول امورا كالحرارة الواجبة للنوم الانسب والرطوبة والثياب الواجب ارتداؤها والغطاء المستعمل وامورا اخرى كان من الممكن ان تلقى على الموضوع ضوءا مفيدا وجيدا . ■■

فاخر عاقل

شيء عن..

اللُّغَةُ الصِّينِيَّةُ

وحكاية تأليف معجم صيني عربي

بقلم : الشيخ جلال الحنفي

استاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الاجنبية

بيكين ـ الصين الشعبية

■ وصفت اللغة الصينية على السنة جماعة من اللغويين والكتاب ، فكان ذلك مثيرا في اذهان الناس كثيرا من التساؤلات التي تومىء الى حيرتهم في صدد هذه اللغة وكيف يتكلم بها اهلها ليعبروا عن حاجاتهم وليتفاهموا فيما بينهم ..

فلقد سماها العلامة اللغوى الاب انستاس مارى الكرملي باللغة الصعبة .. ووصفها الجنيدى خليفة في كتابه « نحو عربية افضل » بأنها اشتهرت بالصعوبة والتعقيد والالتواء . وقال فيها الدكتور ممدوح حقي في كتابه « شعر من الصين » ان حروفها طلسمية وشبه هيروغليفية وأن العين لا تنتهي من الركض وراء الحرف الصيني وملاحقة تمعجه وتلويه حتى تعيا وتلهث ...

لغة بلا حروف !

ليس للصينية حروف وانما هي كلمات تكتب كل منها بنمط من الكتابة غير مالوف لامثالنا ، فاذا أجرى على كلمة ما شيء يسير من التحوير تبدل مفهومها وتغير لفظها ، وربما ثبت لفظها في بعض الاحيان رغم تبدل معانيها .. وطريقة تعلم الصينية بحروفها هذه ـ وتستعمل لفظة الحروف هنا تجوزا ـ تتطلب زمنا طويلا بحيث تنقش أشكال الكلمات المرسومة نقشا في الذاكرة .. وقد تغيب صور الفاظ على الكاتب الصيني فيروح يستخرجها من دفائنها في الفكر بعد شيء من الاجهاد .. أو يراجعها في القاموس فيرى كيف تكتب وعلى اى وجه ترسم ..

ان الكلمة الصينية قد تتالف من خطين أو اكثر حتى تعد خطوطها بالعشرات ، وقد بدىء باختزال بعض تلك الخطوط الى نسبة واطئة .. وفي القواميس والمعاجم الصينية الحديثة تكتب الكلمة بشكليها القديم والحديث فيرى بذلك الفرق الشاسع بين حالها اليوم وحالها بالامس ..

وعند ارادة العثور على كلمة في القاموس فانه ينبغي تعداد ما هنالك من خطوط تتالف منها الكلمة ، وبعد معرفة ذلك ينظر في الجدول الذى تحتوى مفرداته على كلمات من تلك الفصيلة ..



ولهم ضوابط يتفهمون بها نوعية بعض المفردات أحيانا ، فاذا وضعت على الكلمة علامة معينة دل ذلك على أن الكلمة من فصيلة الثمار والمزروعات والعقاقير .. وعلامة اخرى ان وضعت يسار الكلمة دلت على أنها من الحيوانات ذات الأربع قوائم . واخرى تدل على ما يؤخذ باليد من شيء ، الى غير ذلك ..

وبهذه الطريقة امكن لهم أن يميزوا بين أصناف من الفاظهم تمييزا يسيرا ..

مفهومان للتصوير

والشائع لدى كثير من الناس ان اللغة الصينية تعتمد على التصوير . وقد تابعت هذه المسالة فرايت ان للتصوير مفهومين في هذا المجال ، احدهما ما نعرفه من رسم الأشياء على هيئتها ، وهذا موجود في الصينية بنطاق محدود ، وقد يكون هو الأصل القديم لهذه اللغة دأب اللغات القديمة المنقرضة ..

ومن هذا النوع كلمة الرجل فانها تكتب على هيئة تدل على ذي رجلين ، وكلمة الجبل فانهم يكتبونها على هيئة سلسلة من الجبال . ورسمهم لكلمة سيخ الكباب والمظلة .

أما المفهوم الثاني للتصوير فهو ربطهم بين جماعة من المقاطع ذات معان مختلفة لتكوين لفظ جديد .. ومن ذلك كلمة الجسر فقد كتبوا الكلمة من مقطعين متلاصقين احدهما يعني الخشب والثاني يعني السماء تصويرا لمعنى الجسر فهو لا يعدو أن يكون سماء من خشب وقد أضافوا الى ذلك عمودين من تحت السماء يرفعانها .. لأن الجسور لا تقام الا على مثل ذلك ..

ومثل ذلك كلمة الأخذ ، فقد رسموها من مجموع كلمتين ، احداهما تعني اليد ، والثانية تعني علبة ماء ، تعبيرا عن معنى الأخذ والتسلم .. والمتخصصون بدراسة جذور الصينية يحسنون تعليل كثير من الفاظهم والكشف عن سبب كتابتها على هيئاتها القائمة ..

أصوات غير معروفة في اللغات الاخرى

وفي الصينية أصوات حروفية لا تعرف في اللغات المشهورة من نحو الجيم التي تعلو عن مخرجها فيكون لها في السمع جرس خاص . وكذلك الحال في السين والشين .. وللنون عندهم جرسان في النطق احدهما يمثل النون الطبيعية والآخر يمثل النون المفتونة .. وتتالف كل كلمة صينية من مقطع واحد وآونة تتالف من مقطعين .. ولما كانت الكلمات المتالفة من مقطع واحد لا تكاد تكون من الكثرة بحيث تستجيب لتسمية جميع المعاني المعبر عنها في الكلام ، فانهم لجاوا في لغتهم الى تلفظ كل مقطع منها أربع مرات بنبرات القائية متنوعة مختلفة ، وبذلك نشأت للمقطع الواحد اربعة معان في الغالب ، اذ أن بعض هاتيك المقاطع لا يتكرر لفظها غير مرتين أو ثلاث مرات..

وهكذا أمكن لهم ايجاد أوعية من الألفاظ

المحدودة لاستيعاب المعاني التي يراد التعبير عنها او اطلاقها على ما يراد تسميته من الاشياء ..

فمثلا لفظة « شو » فهي بمعنى كتاب في النبرة الاولى ، وبمعنى نضج في النبرة الثانية ، وبمعنى عد في النبرة الثالثة ، وبمعنى شجرة في النبرة الرابعة .. غير ان كل واحدة من هذه الكلمات تكتب بخط مغاير لما تكتب به اختها ، واذا تلفظ بها فانما تفهم من طريقة ذلك التلفظ الذي يشار به الى ما يراد منه بنبرته الخاصة به ..

وليس هذا وحده . فلقد تكون للكلمة بنبرة واحدة معان متعددة ، وبالنبرة الأخرى مثل ذلك من تعدد المعاني ..

ولا تعرف النبرات الالقائية في العربية الا عند التعبير عن الانفعالات الكلامية من الاستفهام والتعجب والأمر والتحضيض والشدة واللين والزجر والتوبيخ والاسترضاء والتملق وغير ذلك .. وتمتاز اللهجات العامية في البلدان العربية بنبرات القائية كثيرة قد تبلغ العشرة في بعض الأحيان ..

وفي اللغة الصينية وضعوا لهذه النبرات علامات تستعمل أحيانا في كتب القراءة الابتدائية وتكتب على الحروف اللاتينية التي جرت محاولة شبه جدية للتعليم بها داخل الصين وخارجها ..

كما ان الأصوات الصينية نقلت الى الحروف اللاتينية التي اجري عليها شيء من التحوير فاستعملوا الحرف اللاتيني x للتعبير عن الشين المخففة والحرف اللاتيني Q لرسم صوت الجيم المثلثة والحرفان اللاتينيان Ch لرسم الجيم التي تخرج من مخرج يعلو على مخرج الجيم المثلثة .. ووضعوا الحرف اللاتيني G بعد النون ليصوروا به النون المغنونة ...

الحروف العربية وتصوير الاصوات الصينية

وقد لبثت أكثر من عام وانا افكر في طريقة تمكن الحرف العربي من تصوير الأصوات الصينية حتى استطعت ان أجدني انتهيت من تحقيق ذلك على وجه استقر رأيي عليه .. وذلك اني جعلت للصوت الصيني الذي يخرج مما فوق مخرج الجيم في العربية حرفا كالجيم الا أن تحته نقطتين ، واثبت الحرف الجيم الفارسية ذات النقاط الثلاث لاستعمالها فيما يقابل ذات الصوت في الصينية..

اما الصوت الصيني الذي يخرج مما فوق هذا من مخرج فوق مخرج هذا الحرف فقد اتخذت له ذات الشكل الا أن له اربع نقاط .. فيمكن وصف هذه الجيمات الأربعة بالجيم الموحدة والجيم المثناة والجيم المثلثة والجيم المربعة ..

وجئت الى الشينين الصينيتين فابقيت الشين المخففة على شكلها في العربية ، وهي ان تكتب بثلاث نقاط وعمدت الى الشين الثانية التي تلفظ متضخمة فصنعت لها أربع نقاط .. وتركت النون الموحدة ، على حالها وعمدت الى النون التي تكتب باللاتينية مقرونة بالحرف اللاتيني G فصيرت لها اربع نقاط .. وجرت العادة على كتابتها بغين بعد النون في الترجمات العربية مثل شنغهاي وانما الأصل أن تلفظ شنهاي بغنة .. وهناك صوت في الصينية يلفظ وكأنه خليط من التاء والسين لا يمكن عزل احدهما عن الآخر ، فاتخذت لذلك حرف الصاد العربي فخصصته بهذا الصوت على ان تكون تحته نقطتان ..

اما الزاى الصينية فقد ترد احيانا مجردة ، وقد ترد مبدوءة بتاء لا يمكن تصور انفصالها عنها .. فاتخذت للزاى الصينية الاولى ذات الزاى العربية ، ووضعت للثانية أربع نقاط على حرف الزاى تصويرا لها .. لم تبق بعد هذا من مشكلة في نقل الصوت الصيني الى العربية ليتاح لكل متعلم من أبناء العرب أن يدرس الصينية الا مشكلة النبرات وهذه حللتها بوضع العلامة الدالة على رتبة النبرة ودرجتها في داخل دائرة صغيرة تثبت على كل كلمة صينية منقولة اللفظ الى الحروف العربية المتممة .. وتلك النبرات هي (ـ/١٧) .

ومن هذه الناحية تعد حكاية وضع قاموس صيني عربي وآخر عربي صيني أمرا لا يحتاج لأكثر من زمن يتسع لنقل الالفاظ الصينية وتنسيقها.

وقد فكرت ان استحدث آلة طابعة فيها جماع الحروف العربية اللازمة والاشارات الخاصة بالنبرات وكذلك الحركات المعروفة في الرسم العربي ليستعان بهذه الآلة على كتابة المفردات الصينية بحروف عربية مضافا الى ذلك كتابتها باشكالها الخاصة بوسيلة أخرى بالطبع ..

الفاظ صينية من أصل عربي

لاحظت في الصينية الفاظا من اصل عربي ، والفاظا من اصول لغات اخرى .. فالتي هي من

اصول عربية ما كان من نحو قولهم « شي » بمعنى الشعر .. و « لي باى » بمعنى الصلاة وهذه من التلبية .. و « كوشى » بمعنى قصة وهي منها .. و « كاوسو » بمعنى اخبر وهي من قص يقص في العربية لذات المعنى .. و « بي دا » اى ابيض اللون .. و « خي يا » اى خائف .. و « جند وى » اى جند وجيش .. و « صوجي » اى سجية وطبيعة و « مين » بمعنى الكذب .. و « فا » بمعنى فاه اى تكلم .. وقال لي صومالي من زملائنا في الصين انه عثر على ثلاثة الفاظ في الصينية معروفة في اللغة الصومالية وهي « ميو » بمعنى لا يوجد .. و « كوبيار » بمعنى اجتنب و « زوبا » اى هيا بنا ..

وعددت من الانكليزية شيئا ومن التركية والفارسية مما يتشابه والمفردات الصينية .. ومن ناحية اللغتين الاخيرتين لا غرابة في التماثل والتلاقح وذلك لتقارب تلك اللغات وتجاورها .. اما الانجليزية وغيرها من لغات الغرب فانما كان ذلك لمكث دول غربية عديدة وهي تحتل ارجاء الصين وتتحكم فيها ..

ومما يرد في تعليل وجود الالفاظ العربية في الصينية نزول الاسلام ضيفا في قلوب من اسلم من اهل الصين منذ قرون بعيدة ، والعربية على ما هو ثابت وعاء الاسلام ومعدنه ولغته الرسمية المقدسة ..

كانت الاشكال والالفاظ الصينية يبدأ بكتابتها من اليمين فنازلا فاذا انتهى من كتابة سطر عمودى انتقل الى كتابة آخر عن شماله ، وهكذا حتى يكتمل البحث المكتوب او تملأ الصحيفة فينتقل الى صحيفة اخرى ..

ثم كتبوا من اليمين الى الشمال على خط افقي .. وفي اوائل القرن الحالي وربما كان ذلك ايام الحرب العالمية الاولى اخذوا يكتبون من اليسار الى اليمين على خط افقي .. ولكن طرائق الكتابة القديمة ما تزال حرة لمن شاء ان يكتب بها ..

والخط الصيني من ناحية التجويد الفني يتمتع بأساليب متنوعة صنفت فيها الكراريس على نحو ما نعلم من تحسين الخطوط العربية وتعدد ضروبها الفنية كالرقعة والثلث وغيرهما .

اما الاصوات الصينية التي ساعمد الى تدوينها في القاموس بالحروف العربية فلقد اعددت لها ثمانية وعشرين حرفا وهي كما يأتي .

الالف والباء الموحدة والياء المثلثة والتاء والجيمات الاربعة ــ الموحدة والمثناة والمثلثة والمربعة ــ والخاء والدال والراء والزاى وزاى اخرى تختلف عنها والسين والشينان المثلثة والمربعة والصاد وصاد اخرى ذات نقطتين من تحت والفاء والكاف والكاف ــ وهو ما يسمى بالجيم المصرية ــ واللام والميم والنون ونون اخرى منقوطة باربع نقاط والواو والهاء والياء ..

«الخان» اللغة الرسمية في الصين

ان اللغة الصينية الرسمية اليوم هي التي يسمونها لغة الخان وقد اختيرت من بين لهجات كثيرة متخالفة غير متجانسة .. ففي كانتون تتكلم الناس بغير اللهجة التي يتكلم بها اهل شنغهاى وكذلك القول على المناطق الجنوبية الاخرى .. اما لغة الخان فهي اللهجة البكينية اللغة الصينية ..

واتماما للحديث الحائم حول اللغة الصينية ادون مجموعة من التسميات المنقولة الى لغتهم على نحو ما جرت عادتهم ان يصنعوا في تحوير الاعلام والتسميات .. فهم يسمون اقليدس « اوجى لى دا » ومدينة القدس « يى لوسا لن » على اساس النقل الصوتي للفظة اورشليم .. ويسمون قبائل الاسكيمو « اى صي جى » والاشوريين « ياسو » والاسكندرية « يالى شن » واسكتلندة « سوكولن » .. والاردن « ياو دان » واستراليا « او دا لي يا » وافريقية « في جو » واوربا « او جو » والبرتغال « بوتاويا » وبرما « مين دين » وبلجيكا « بى لى شي » وبلغاريا « باو جيا لى يا » وجاكارتا « يا جادا » وروسيا « سولين » ويسمون السعودية « شاتو » وسنغافورة « شن جيا بو » وسومطرة « سومن تالا » والسويد « روى دين » وسويسرا « روى شى » وطرابلس « دى لى بو لى » وفرنسا « فاكو » وفيتنام « يوى نان » وقبرص « ساى بو لومى » وكمبوديا « جين بو جاى » وكوريا « جاوشين » وامريكا « ماى كو » والنمسا « آودالى » وهنكاريا « شن يا لى » وهونك كونك « شيان كان » واليونان « شى لا » .. ■■

الشيخ جلال الحنفي

استفتاء بين نساء

أى الأزواج

■ ماذا تريد المراة من فتى احلامها ؟ من هو الرجل الذى تبحث عنه امراة القرن العشرين وتمنى نفسها بالفوز به ؟ .

هل هو الرجل الوسيم الذى يحرص على اناقته وينفق احيانا في سبيل ظهوره بالمظهر اللائق ما لا طاقة له به ؟ فيجوع ليشترى بدلة ، ويقترض ليدفع اقساط سيارته الجديدة ؟ .

ام تراه الرجل الثرى الذى تنتفخ جيوبه باوراق « البنكنوت » ، فينفق ببذخ على نفسه وعلى اصدقائه ومعارفه ويحيط نفسه دائما بهالة من الابهة مؤمنا بان بريق المال هو وحده القادر على ان يجذب اليه اية امراة ؟ .

ام هو ذلك المغامر الذى يركب البحر ويجوب الأرض قاطعا المسافات الطويلة فيحط في بلاد تركب الافيال ، وتعبد الشمس والنار ، بحثا عن الثروة والجاه والمجد العريض ..

اتهموا المرأة بالغباء !

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، نتوقف قليلا لنتساءل : « لماذا هذه الصفات بالذات ؟ » ويقول علماء النفس : « واليست تلك هي الصفات التي يحاول كل رجل ان يتحلى بها ؟ فالرجل يتانق من اجل المراة .. ويجمع المال ثم ينفقه من اجل المراة ، فاذا تعذر عليه ذلك ، وضاقت الدنيا به ، حزم حقائبه ورحل الى حيث ظن مجال الثراء السريع اوسع ، والجاه العريض اقرب وأيسر !! واتهم الرجل المراة بالغباء ، فتصور انه يستطيع بهذه القشور ان يغزو قلبها ويفوز باعجابها ! .

ولكن ما اكثر ما يخطىء الرجل في تصوره لتفكير المراة وعواطفها !

لقد قام فريق من علماء النفس باستفتاء شمل عددا كبيرا من الفتيات والنساء من مختلف الاجناس والاعمار .. فكانت بينهن الطالبة ، والمدرسة ، والعاملةوغير العاملة .. الفتاة الشرقية والغربية .. ابنة الدانوبوامراة السين والتاميز. وعبروا البحار الى ارض الله الواسعة .. والتقوا بهن في المكاتب وفي دور العلم ، وفي المنازل ، وفي كل مكان .. وتحدثوا الى الزوجة الشابة والزوجة الأم ، والفتاة التي لم تتزوج بعد .. وكان موضوع الاستفتاء هو نفسه الذى شرحناه في بداية هذا المقال .. وهذه هي النتائج التي توصلوا اليها ..

الرجل الأنيق .. آخر الرجال

لقد كان هناك شبه اجماع بين الفتيات والزوجات اللواتي شملهن الاستفتاء ، على أن الرجل الأنيق الوسيم ، هو آخر الرجال الذين تبحث عنهم المراة في الزواج . حقيقة قد يستهويها مظهره ، ولكنها قد تتردد كثيرا في الزواج به ، اذا اكتشفت ان المكان الوحيد لهذه الصورة الجميلة، هو واجهة العرض التي يقف امامها الناس ليتأملوا محتوياتها ، فتثير اعجابهم لبضع دقائق ، ثم لا تلبث الصورة ان تختفي من اذهانهم في زحمة الحياة ! .

الاناقة .. وفراغ العقل !

وقد تطوع البعض في شرح فلسفتهن ، فقالت امراة متزوجة : « ان الرجل الوسيم الانيق الذى يبالغ في العناية بمظهره ، يوحى دائما بفراغ عقله وضعف شخصيته ! حقيقة قد تكون مهمته أسهل في اقناع محدثه بوجهة نظره ، ولكنه اذا فشل ، تحول الى اقبح رجل في العالم ! » .

وقالت اخرى : « ليس هناك ما يسيء الى المراة اكثر من ان تجد رجلها قد سرق الأضواء منها ، فبقيت هي في الظل ، بينما تحولت العيون اليه ترقبه وتتامل كل حركاته وتصرفاته .. فالمراة تفضل ان يقول الناس : « ما الذى وجدته في هذا الرجل لكى تقبله زوجا ! » ، على ان يقولوا : « مسكين هذا الرجل .. مالذى وجده في هذه المراة ؟! » .



أحب إليهن ؟

حاسة المرأة لا تخطىء

وقالت ثالثة : « ليست الصفات الظاهرة هي التي تجذب المرأة الى الرجل ، بل على العكس ، فالمرأة تبحث دائما عن صفات اخرى لا تعتمد على عينيها في اكتشافها ، وانما على حاسة خافية . لا تخطىء ، وعلى عقلهـا الذى يعمل بسرعة ليستكشف ما وراء المظاهر .. فالرجل الهادىء المفكر الذى يتحدث بعينيه اكثر مما يتحدث بلسانه ، الذى يضحك للنكتة الجيدة ويعرف متى يتكلم وماذا يقول .. مثل هذا الرجل يثير اهتمام المرأة ويشدها اليه . ولكن قليلون هم الرجال الذين يدركون هذه الحقيقة .. وليس ادل على هذا من ذلك الاهتمام البالغ الذى يوجهونه الى مظهرهم الخارجي ، والذى كثيرا ما يكون بمثابة ستار يحجب وراءه فراغا ذهنيا ، وشخصية بليدة لا تأخذ من الدنيا الا قشورها ! » .

الجمال عند الرجل !

قالت زوجة وام لشاب جاوز عامه العشرين : « كنت الوم ابنى دائما على عدم عنايته بمظهره ، واهماله في ارتداء ملابسه .. الى ان جاء اليوم الذى تخرج فيه من الجامعة ، وذهبت ، انا ووالده ، لحضور حفل تخرجه ، فاذا به يقف في مقدمة الناجحين المتفوقين ، ويفوز بمنحة دراسية لاتمام تعليمه العالي بالمجان .. وذهبت اليه حيث وقف يتسلم جائزة تفوقه ، فاقترب منى وقال يهمس في اذنى : « هل ترين هذه الفتاة الجميلة التي تقف على الجانب الآخر في صف الناجحات ؟ لقد قبلت الزواج مني ، وقالت لي انني اجمل رجل في الدنيا ! » .

فهذا هو الجمال الذى تبحث عنه المرأة في الرجل ! .

ولا الثراء أيضا !

وننتقل الى المال الذى تنتفخ به جيوب الرجل .. ولم يجد الباحثون بين النساء اللواتي اشتركن في الاستفتاء ، امرأة واحدة متزوجة توافق على الرأى القائل بأن الزوج المثالي يجب أن يكون ثريا .. بل لقد اشترط عدد كبير من الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج ، أن يكون الزوج فقيرا لا يملك سوى رزق عمله ..

وتطوعت واحدة من هؤلاء الفتيات اللواتي لم يتزوجن بعد ، بشرح وجهة نظرهن ، فقالت : « انني اريد ان اشعر بعد زواجي بانني شاركت في بناء حياتي الجديدة مع زوجي ، أريد أن اسهر معه واكافح معه ونحن نرتقى السلم درجة درجة ، من البدروم الى الادوار العليا .. والا فأى معنى للحياة اذن ، اذا بدأت سهلة ميسورة .. ان المرأة تتزوج لتبنى أسرة ، وتبنى بيتا سعيدا .. ولا يمكن أن يتم بناء الا بالعرق والتعب والتضحيات .. وليس هناك امرأة تريد أن تجلس فوق قمة الجبل ، لترقب العالم من حولها ، وهو يقف عند السفح ، محاولا الصعود الى القمة ، فيصعد درجة ويتعثر درجات ! وكم من نساء تمنين ان يهبطن الى السفح ليذقن طعم الحياة .

معنى الحياة

وقال فريق من الزوجات الشابات ان تجربتهن قد اثبتت أن الثروة الموروثة تفقد الزوج رجولته وتفهمه للمعنى الصحيح للحياة .. فما من مرة طلبت احداهن شيئا ولم يأتها زوجها به .. وكم كانت الواحدة منهن تتمنى لو انها طلبت ، وقال لها زوجها : « حسنا يا عزيزتي ، ولكن لا بد لنا ان نقتصد حتى نستطيع ان نجمع ثمن هذا الشراء الثمين ! » .

قالت احداهن ، تشرح معنى هذا الرأى ، الذى قد يبدو غريبا للبعض ممن يتصورون أن الحياة

فراش ناعم دائما : « لا بد أن أجوع لكى أشبع ، ولا بد أن أتعب لكي استريح .. فهذه لذة الحياة».

حب العمل والتفاني فيه

ثمة صفة أخرى ، قالت معظم الفتيات والزوجات .. الشابات منهن ، واللواتي انقضت سنوات طويلة على زواجهن ، انها لا بد أن تتوافر في الزوج، وهي أن يتمتع بشهية كبرى لعمله ، أيا كان نوع هذا العمل فيحبه ويخلص له ، ويتفانى في تاديته، ويبدى استعداده للعمل ١٨ ساعة يوميا دون أن يشعر بالملل أو تظهر عليه علامات الضجر والسأم..

فهذه صفة أساسية من صفات النجاح في الحياة .. اما الرجل الساخط دائما ، الناقم دائما على عمله ، وعلى حظه من الحياة ، فهو رجل فاشل لا يصلح للزواج ، ولا للحياة نفسها ..

المغامر لا يصلح زوجا

بقى الرجل المغامر الذى لم يعرف الاستقرار قبل زواجه أو من بعده .. مثل هذا الرجل لا يصلح زوجا .. هكذا اجمعت فئة كبيرة من الفتيات والنساء على السواء ..

وتقول احداهن وهي متزوجة وأم لطفلين :

« ان الزواج في حد ذاته ، استقرار واستمرار للحياة .. اما حياة السفر والترحال فهي حياة هدم لا بناء .. وقد تجد فيها المرأة ما يثيرها في البداية ، ولكنها لا تلبث أن تملها » ..

حتى الرجال الذين تضطرهم أعمالهم الى التنقل والسفر بعد زواجهم ، يواجهون متاعب في حياتهم الزوجية ، قد تتطور الى مشاكل خطيرة تهدد زواجهم بالفشل ، اذا لم يعودوا الى حياة الاستقرار في الوقت المناسب .. وفي هؤلاء قالت زوجة رجل يعمل طيارا في احدى شركات الطيران:

« قضيت أجمل سنى حياتي ، انتظر عودته ، لقد استهواني السفر قبل الزواج ، في السنوات الاولى لزواجنا ، فكنت ارافقه في رحلاته واستمتع بتلك الساعات القصيرة التي نقضيها معا في الجو ، وفي المطارات والفنادق المختلفة في شتى انحاء العالم .. الى أن اقترب موعد وصول مولودنا الاول ، ومنعني الاطباء من السفر ، فأحسست بوحدة قاتلة وفراغ هائل يحتويني .. فلا شيء يعوض المرأة عن وجود زوجها بجوارها .. يحميها ويشاركها في تحمل مسئوليات الحياة ..

المرأة تبحث عن الأب

بقيت صفة هامة تبحث عنها كل فتاة في الرجل الذى اختارته زوجا لها .. الا وهي مدى استعداد هذا الرجل لكي يصبح أبا صالحا .. أبا لها ، ولاطفالهما بعد الزواج ..

ولكن كيف للفتاة أن تكتشف هذه الصفة في رجلها ، وهي لم تعرفه زوجا ، ولا أبا بعد ؟ ومرة أخرى يظهر ذكاء المرأة ! .

قالت زوجة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها : « لقد اكتشفت بعد ثالث مقابلة تمت بيننا قبل الزواج في بيت والدى عندما كنا نستعد للخروج معا لقضاء السهرة في الخارج ، أن خطيبي سيصبح رب اسرة مثالى ، فقد حدث أن وقف أمامي ، بعد أن ارتديت معطفي ، وقال لي : « يجدر بك أن تحكمي اغلاق المعطف حول عنقك فالجو رطب في الخارج ، وأخشى عليك من الاصابة بالبرد ! .

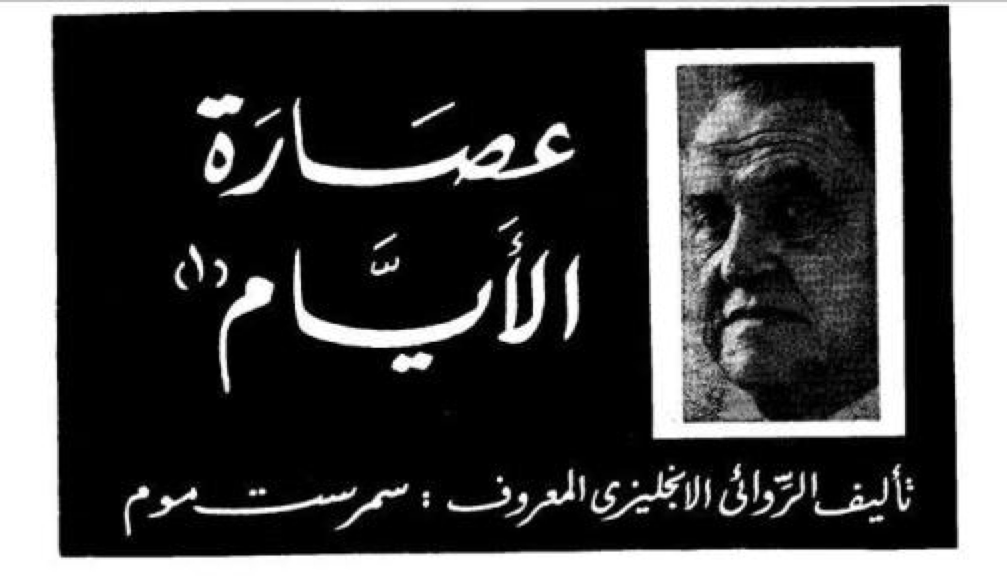
« حقيقة ، تعودت أن أسمع مثل نصيحته هذه من أمي ، ولكنني لم أتوقع سماعها من رجل ما زال غريبا عني حتى هذه اللحظة .. ويومها أدركت أن هذا هو الرجل الذى أبحث عنه وتبحث عنه كل فتاة تستعد للزواج .. وصدق ظني عندما وصل طفلنا الاول ، فقد كنت أراه يصحو من نومه في منتصف الليل على بكاء الطفل ، ليغير له ملابسه المبتلة ، أو ليضع « الحلمة » في فمه ويهز له فراشه حتى يعود الى النوم من جديد » .

مشاركة في كل شيء

وقالت الزوجة السعيدة : ان أجمل لحظات حياته هى تلك التى يقضيها في اللعب مع طفليه عندما يعود الى بيته في المساء .. فاذا مرض احدهما قضى الليل ساهرا بجوار فراشه ، واذا شعر بأنني قد أرهقت نفسي في عمل البيت ، لم يجد غضاضة في أن يمد لي يد المساعدة فيغسل الاطباق ويشارك في تنظيف البيت دون أن يشعر بان هذا العمل من صميم شئون النساء وحدهن .

هذه صورة المرأة في القرن العشرين .. المرأة التي تعلمت،ووقفت تحدد بيدها وحدها مستقبلها ومصيرها ..

(م ٥ ن)



بقلم : عبد الرزاق البصير

■ هناك امور يتلاقى فيها اهتمام الناس في جميع انحاء هذه المعمورة منها : لقاء المشهورين والعناية بهم ،فان هذه القضية من الامور التي يهتم بها الناس ، ويختلف فيها المفكرون والكتاب ، فمنهم من يرى أن هذه الفئة من الناس هي التي تستحق اللقاء بها والاستماع اليها ، والتحدث معها ، والكتابة عنها ، لأنها لم تصل الى عالم الشهرة في غالب الاحيان الا لأنها تملك طاقة خاصة لا توجد عند سائر الناس . ومنهم من يرى أن عامة الناس هم الميدان الخصب بالنسبة الى الكاتب والمفكر . وقد ذهب الى هذا المذهب مؤلف هذا الكتاب ، فقد قال : « عندى ان قضاء شهر في جزيرة مهجورة مع طبيب بيطرى افضل بكثير من قضائه مع رئيس وزارة » .

وفي اعتقادى ان هذه القضية تحتاج الى شيء من التفصيل ، فالمشهورون من الناس ينتمون الى عدة طبقات،كطبقات العلماء والسياسيين والادباء ، ثم ان الاهتمام بهم ينقسم الى اقسام ، فمنهم من يهتم بالمشهور اهتمام المبهور المعجب الذى يصبح تفكيره مشلولا ، وهذا امر لا معنى له طبعا ، فتراه يفتخر بلقائهم ، ولا سيما ، بأصحاب النفوذ السياسي أو الفكرى لاعتقاده انه سيصبح مشهورا مثلهم حين يلقاهم او حين يسمع الناس عنه ذلك . أما الاهتمام بعامة الناس فانه ينقسم الى اقسام أيضا، منها ما يتعلق بالدفاع عن المظلوم واعطاء كل ذى حق حقه ، ومنها ما يبحث في ما تنطوى عليه نفوس سائر الناس من حب للخير والتضحية والشجاعة . أما ان تريد من عامة الناس تجربة فكرية غنية فذاك امر غير معقول . ومما لا شك فيه ان بعض المغمورين كثيرا ما تنطوى جوانحهم

---

(١) هذا هو الاسم الذى اختاره المترجم حسام الخطيب لكتاب الكاتب الانجليزي الشهير سمرست موم ذلك الذى اسمه The Summing Up وهو ترجمة حياته .

على نفوس كريمة وضمائر نقية قد لا توجد عند من وصلوا الى القمة ، وقد تنبه الى هذه القضية بعض المجربين من القدماء ، فقالوا في جملة ما قالوا : يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط.

ومن الأمور التي يتشابه فيها البشر في جميع انحاء الدنيا ، ما يمر به الشباب من قوة أمل في هذه الحياة ، فان معظم الناس في هذه الفترة من العمر لا يكاد يتصور انتقاله من هذه الحياة ، وذلك لما يشعر به من قوة واندفاع .

وقد اشار مؤلف هذا الكتاب الى هذا المعنى في بعض المواضع من كتابه . ولقد كتب كثير من النابهين ترجمة حياتهم فجاءت احاديثهم ذاتية بحتة لا تكاد تتجاوز الحديث عن أنفسهم ، غير ان هذا الكاتب كان متشعب الحديث ، يتحدث عن نفسه حينا وعن مواضيع فكرية وادبية في كثير من الأحيان ، من ذلك ما أشرنا اليه من قضايا كانت مدار البحث عند كثير من المفكرين في انحاء المعمورة . ومنها انه انتقد جان جاك روسو من حيث انه اهتم بالجانب السيىء من حياته ، وقد تكون هناك جوانب حسنة ، لكنه مع هذا لم يهتم بتسجيلها ، لكني ارى ان روسو كان يعرف بأن الجانب الحسن معروف عند الناس ،اما الجانب السيىء فمجهول عندهم لذلك اهتم بتسجيله . ومن الامور التي يهتم فيها الناس الخلود ، وفي اعتقاد سمرست موم انها من الامور المستحيلة ، فان النسيان من طبع البشر .

والذي حبب موم الى نفسي هو انه يكره الغموض ، ويرى انه لا يصدر الا عمن لم يكن متأكدا مما يكتب ، أو عن متكبر لا يهتم بالناس ، وقد انتقد كثيرا اولئك الذين يتعمدون الابهام في كتاباتهم ، كما اثنى على الكتاب الذين يجتهدون في توضيح ما في ضمائرهم للناس . وهو يرى ان اسلوب الكتاب الأمريكيين افضل من اسلوب الكتاب الانجليز لوضوحه وبيانه ، وقد نهج موم نهج غيره من كتاب الغرب الذين تحدثوا عن انفسهم في تصوير حقيقتها ، فهو يقول لك بانه معتدل لا لان عقله أمره بالاعتدال ، لكن ضعف بنيته هو الذي وقف حائلا بينه وبين الاسراف فيما يميل اليه من رغبات ، كالاسراف في شرب الخمر ، والانطلاق في عالم الجنس . واسمع معي ما يقول الشاعر الالماني المشهور (جوته) من انه حين شعر بنبوغه وموهبته الشعرية ، ورأى انه لا يمكن ان يكون ابن شخص من سائر الناس ، لابد اذن ان دما نبيلا قد سرى في عروقه ، وهكذا حاول ان يقنع نفسه بان احد الأمراء قد مر بتلك المدينة وقابل امه وأحبها ، وجاء هو ثمرة هذا الحب . وانت تجد عند (بودلير) وهو من اشهر شعراء فرنسا من نوع هذه الاعترافات . فهو يقول بانه قد عاشر احدى الساقطات ووقع في حبها بالرغم من تقدم سنها وسوء اخلاقها .

والحق ان معظم الناس لا يخلون من نقائص ، ولكنهم يحاولون اظهار انفسهم على غير حقيقتها . وفي اعتقادي أن كل من يذكر نقائصه ويعترف بها فانه لا بد وان يكون متسامحا مع غيره .

وياخذ بعض النقاد على موم بانه يصور الناس على غير ما كانوا عليه ، لكنه يرد عليهم بانه ليس كذلك ، وانما عنى بصفات معينة ، اعتاد الكتاب ان يشيحوا بابصارهم عنها. ولقد تحيّر موم في النفس البشرية ، كيف تنطوي على متناقضات متباينة ، كما انه ابرز ما في نفوس بعض المجرمين من حميد الاخلاق . ومن اطرف ما يذكره هذا الكاتب عن بعض المتزمتين الذين ينصّبون انفسهم هادين للناس قوله : لو وضعوا أوراق الحمام بجانب باقات الزهور التي يضعونها امامهم لما غاب عنهم بانهم ناس من الناس. ذلك لان بعض الناس يعتقد في نفسه بانه فوق البشر .

ومن طريف ما يذكر المؤلف عن نفسه بانه ليس اجتماعيا ، فهو يوجز الحديث دائما مع من يتحدث اليه ، كما ان من عادته أن لا يبدأ أحدا بالحديث حتى لو بقي مدة طويلة مع من يصاحبه ، كما انه يحب الذين لا يهتمون به أو يهتمون به قليلا ، ويثقل عليه ظل اولئك الذين يهتمون به ويحبونه ، ويقدرونه . ولكم حاول ان يعالج هذه النقيصة النفسانية ، لكنه ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وقد تحدث عن دخوله عالم الشهرة ، فروى هذه القصة الطريفة ، ومجملها : « انه كان جالسا يتناول طعامه في ناد ، وسمع شخصين يتحدثان عنه ، وقد عزما الذهاب الى احدى مسرحياته ، ولم تكن له بهما سابق معرفة قط ، فقال احدهما لصاحبه : اظن ان صاحب هذه المسرحية شامخ الراس . اتعرفه ؟

قال الآخر : نعم . وما اظن بانه يجد قبعة يستطيع أن يلبسها لكبر رأسه ... »

ولعل من أخطر ما تحدث عنه مؤلف هذا الكتاب هو تعرضه لحياة الفنان وسلوكه ، فهذه قضية ثار حولها كثير من الجدل والنقاش ، فالمعروف ان الكثير من الفنانين يصطنعون الشذوذ في سلوكهم حتى وصفهم بعض الناس بالجنون ... الا ان موم يصور حالة الفنان تصويرا دقيقا صادقا . ولا عجب في ذلك لأنه احدهم ، فهو قادر على تفهم نفسية الفنان فيقول : « ان الحياة عند الفنان مأساة يلذ له ان يتطهر بها ، عن طريق موهبة الخلق فيه . انها المطهر الذى وصفه أرسطو بانه هدف الفنان ، والذى يستطيع الفنان بواسطته أن يتخلص من الحسرة والرعب » .

ويقول ايضا:« ان الفنان لا يحس ابدا بانه مقيد بالمقاييس المعتادة ، وبذلك يثير حفيظة الناس... وفيم يفعل ذلك ؟ أما الرجال عامة فالنهاية الاساسية لتفكيرهم وسعيهم هى ارضاء الحاجة وحفظ البقاء ، وأما الفنان فانه يسد حاجاته ويحفظ بقاءه باقتفاء فنه » .

فالفنان اذن ليس مخلوقا عاديا ، وانما هو مخلوق شاذ ، غايته في هذه الدنيا انتاجه الفني ، يثقل لهيب الالهام نفسه الى درجة يشغله عما سواه . فلا غرابة اذا ما وجدنا هوة واسعة بين انتاجه الفني وسلوكه .

ولقد كانت تجربة المؤلف تجربة غنية في هذه الحياة ، اذ انه كاتب قصصي له مكانته العظيمة في دنيا القصة والمسرح . شغل كثيرا من النقاد فهم يقولون عنه بانه يصور الناس على غير حقيقتهم ، لكنه يرد عليهم بانهم واهمون في ذلك ، وكل ما في الامر ، انه يقف على صفات معينة لا يعنى بها أحد .

ولقد كان موفقا كل التوفيق في حياته ، فهو غنى ، درت عليه قصصه ومسرحياته اموالا طائلة ، حتى اصبح من أصحاب الملايين . سافر الى كثير من بقاع العالم ، وعمل طبيبا مدة قليلة من حياته ، كما عمل جاسوسا لبريطانيا ، وابتلى بالتدرن الرئوى ، وعمل سائقا لبعض سيارات الاسعاف . كل هذه الادوار التى لعبها موم تجعل آثاره غنية نافعة ، وان اتهمه البعض بالسطحية .

ويحسن بنا أن نشير الى نقطتين هامتين ، وقف حولهما هذا النابغة ، اولاهما : ان كل قصاص لا يستطيع الا أن يعتمد على الحياة الواقعية في الشخصيات التى يصورها في قصصه. حتى الذين ينكرون ذلك ، فانهم واهمون ، ولا داعي للكاتب ان يخجل من هذه الحقيقة ، فهي تفرض نفسها عليه .

وربما لا يرضي هذا الرأى كتاب القصة والمسرحية ، لان ذلك يعني التقليل من ابداع هؤلاء الكتاب ، أو التصغير من شان موهبتهم ، لكن هذا خطأ في فهم الرأى الذى ذهب اليه هذا الكاتب العظيم ، وكل الذى عناه بقوله هذا هو أن كل لون من ألوان الادب لا يمكن ان يكون صادقا الا اذا كان مستمدا من الحياة الواقعية .

وأما الاخرى : فانها تتعلق برأيه في كيفية نشأة هذه الحياة . فهو يقول ، اننا نعيش على كوكب صغير يدور حول كوكب أصغر ، وربما كان كوكبنا هذا ، هو الوحيد الذى يصلح لاستمرار الحياة فيه ، وربما في جهات أخرى من الكون استطاعت كواكب أخرى أن تشكل بيئة مناسبة لتلك المادة التى نفترض ان الناس خلقوا منها مع مرور الزمن . واذا كان الفلكي ينبيء بالحقيقة ، فلا بد أن يصل هذا الكوكب الى حالة لا يمكن للاحياء ان يستمروا فيها ، ومن ثم يبلغ الكون بعد الاحقاب الطوال تلك المرحلة النهائية من التوازن التى يتوقف عندها حدوث أى شيء .

وستكر دهور ، ودهور ، قبل ان يختفي هذا الانسان . فهل من الممكن اذذاك أن نفترض ان هذا الانسان الذى وجد يوما ليس له اى شأن ؟ انه فصل في تاريخ الكون ، ليس له دلالة ، شأنه في ذلك شأن الفصل الذى يروى قصص الوحوش الهائلة الغريبة التى سكنت الارض في العصور البدائية الاولى .

الكويت ـ عبد الرزاق البصير



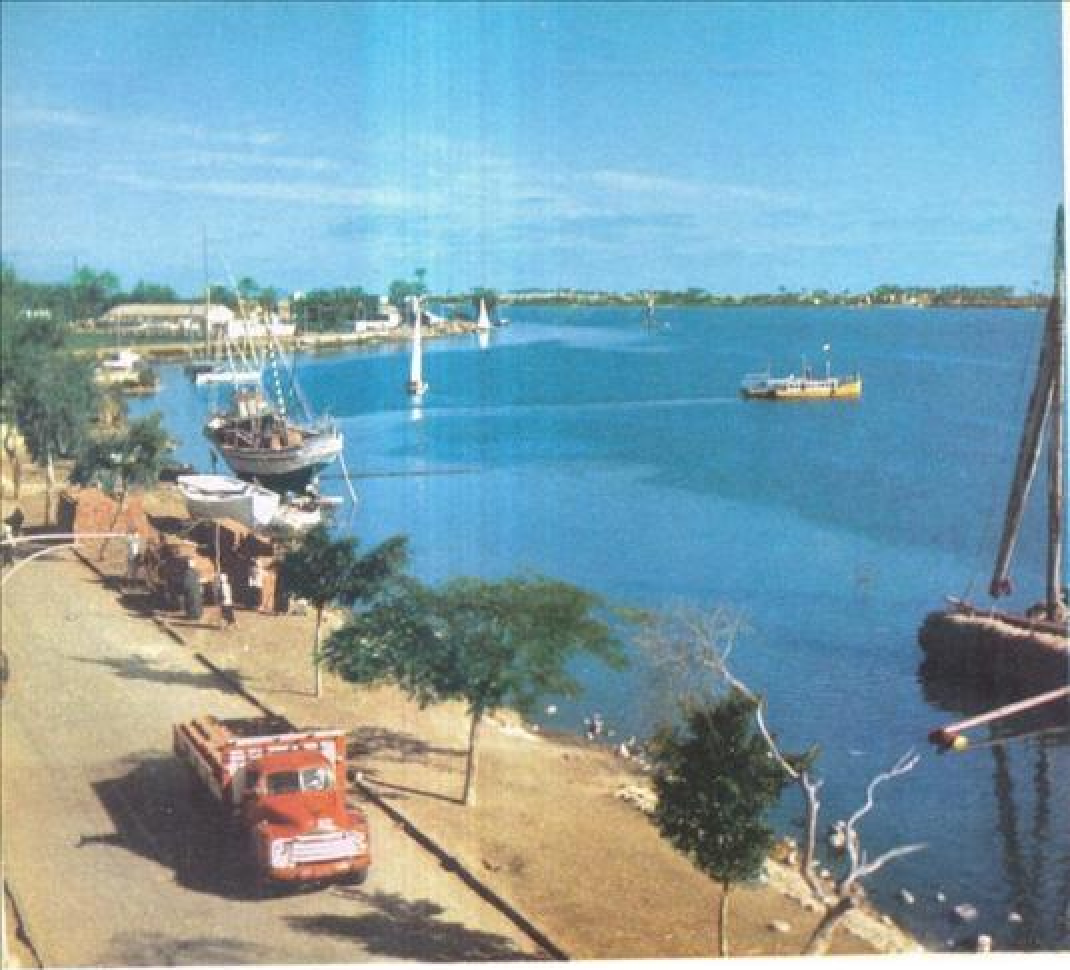
رشيد

مدينة الأرز والبلح ...

ومسرح لمعركة عربية في التاريخ مذكورة مشهورة

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقره



الى اليمين : **لوحة تمثل معركة رشيد بين أهالي المدينة الذين وطدوا العزم على النصر ، وبين جنود اقوى امبراطورية في العالم في ذلك الوقت منذ مائة وستين عاما .. صفحة بطولية في تاريخ العرب .**

فوق : **كورنيش النيل على الضفة الغربية لفرع رشيد حيث قامت مدينة رشيد .. مدينة غنية بتاريخها وبمناظرها الطبيعية الجميلة.**

• • •

■ في تاريخ الشعوب .. صفحات نضال لاتنسى .. وفي حياة الامم قصص بطولة تتناقلها الافواه جيلا من بعد جيل .. فهي قصص في كتب التاريخ حية ابدا لاتموت ..

ونحن نعود الى هذه الصفحات ، وتلك القصص ، عندما نشعر اننا بحاجة الى زاد يقوى نفوسنا ، والى عبر من تاريخ كفاحنا تشد ازرنا وتدعم صمودنا ..

ومن رشيد احدى مدن محافظة البحيرة بالوجه البحري في مصر .. تلك المدينة العربية القديمة الواقعة عند التقاء النيل بالبحر المتوسط ، عادت بعثة العربي ، لتقدم لك قصة من قصص البطولة والفداء رائعة .. وصفحة من صفحات نضال العرب في سبيل حريتهم واستقلالهم ..

جئنا اليها قادمين بالسيارة التي قطعت الطريق من الاسكندرية الى رشيد وطوله ٧٠ كيلو مترا في ساعة تقريبا .. طريق ممهد جميل تنتشر على جانبية الملاحات .. تلك المساحات الكبيرة من الاراضي المنخفضة المغمورة بمياه البحر ..

ودخلنا المدينة .. ورحنا نطوف بشوارعها الصغيرة الضيقة ، وبين منازلها .. القديم منها والحديث وقد قام بعضها بجوار البعض وسط اشجار النخيل ومآذن المساجد التي ارتفعت في طول المدينة وعرضها ..

وعلى شاطىء النيل ، اصطفت القوارب الشراعية والبخارية التي كان اهل رشيد يستخدمونها في صيد ارزاقهم من الماء .

الماضي والحاضر

وفوق التلال الرملية الناعمة ، التي تطل على المدينة ، وقفنا نستعيد تاريخ رشيد ، تلك التي قال عنها بعض المؤرخين في يوم من الايام انها اجمل مدن مصر بعد القاهرة ، لما اشتهرت به مبانيها ومحالها التجارية من روعة وجمال ..

وطالت بنا الوقفة فوق تلال رشيد الشهيرة .. تلال (ابو مندور) ، نسبة الى اسم المسجد الذي يقع عند سفحها .. وقطع تاملاتنا فجاة صوت مرافقنا وهو يقول : « فوق هذا التل الذي تقفون عليه ، نصب الانجليز مدافعهم ، وراحوا يدكون رشيد دكا » !

ولم يكن عجيبا بعد ذلك ان يشدنا الماضي ، ويستوقفنا ويثير في نفوسنا الذكريات ..

ولم تكن التلال وحدها هي الشيء الوحيد الذي ذكرنا بمعركة رشيد الخالدة ، وبقصة انتصار رشيد على الانجليز منذ اكثر من مائة وستين عاما مضت .. فقد كان كل شيء في المدينة يحمل ذكرى هذا النصر ..

الشوارع الصغيرة الضيقة التي دارت فيها اعنف المعارك بين اهالي المدينة ، باسلحتهم البدائية البسيطة .. وبين جنود اقوى امبراطورية في العالم في ذلك الوقت ، ببنادقهم ومدافعهم الحديثة ..

قلاع الحرية

البيوت العربية القديمة التي تحولت الى قلاع لصد الغزاة بقطع الطوب والحجارة والزيت المغلى الذي كان يتساقط فوق رؤوس العدو من الاسطح والنوافذ .. لقد بقي هذا كله يتحدى الزمن طوال هذه السنين ، وخلت البيوت من سكانها .. ومن كل شيء يمت الى الحياة بصلة ، الا من تاريخ انتصار رشيد ..

ثم مئذنة مسجد زغلول التي تهدم نصفها العلوي بقذائف المدافع ، عندما اكتشف العدو ان اذان الفجر ، لم يكن سوى اشارة البدء للقتال الدموي الذي اجبر الانجليز على الانسحاب امام صمود الاهالي ومقاومتهم .. حتى هذه المئذنة، بقيت قائمة محطمة حتى يومنا هذا تحكي قصة انتصار رشيد ..

رشيد في التاريخ

ولنعد قليلا الى ما سجلته كتب التاريخ عن معركة رشيد ، لنستمع الى القصة من اولها ، قبل ان نتحدث عن حاضر المدينة .. لقد جردت انجلترا حملتها على مصر في عام ١٨٠٧ بغرض احتلالها ، وانتهز الانجليز فرصة الصراع الذي كان قائما في ذلك الوقت بين محمد علي والمماليك، وما ترتب عليه من ضعف في الجبهة الداخلية ، وتمزق لصفوفها ، لتنفيذ خطة الغزو ..

ولقد وصلت اول سفينة استطلاع انجليزية الى ميناء الاسكندرية في اول مارس سنة ١٨٠٧ ، حتى اذا ما جاء يوم ١٦ من نفس هذا الشهر والعام ، كانت قوات الغزو قد وصلت في ٢٢ سفينة انجليزية الى الميناء ..

احتلال الاسكندرية

وتم للانجليز الاستيلاء على الاسكندرية بعد ان تواطأ حاكمها التركي امين اغا مع قوات الاحتلال تحت الضغط والتهديد تارة ، وتحت اغراء المال تارة اخرى ، وما لبث ان دبر لهم خطة النزول الى البر بعد ان قصفت نيران المدافع الانجليزية ابراج الاسكندرية ودكت اسوارها ..



خريطة تبين موقع مدينة رشيد في دلتا نهر النيل بالقرب من الاسكندرية بالجمهورية العربية المتحدة .

وعندئذ القت السفن الحربية مراسيها ، ونزل الجنرال فريزر ، قائد الحملة من "سفينة القيادة" على رأس جيش يضم سبعة الاف جندى ، ثم اسرع الى دار القنصلية الانجليزية ، واتخذ منها مقرا لقيادته العليا ..

ولكن فريزر رأى بعد ان استقر به المقام ، ان احتلال الاسكندرية لن يكون هدفا في حد ذاته ، لان هذه المدينة تعتمد في تموينها بالمواد الغذائية على المناطق المجاورة لها ، فالماشية تصلها من منطقتى دمنهور والرحمانية ، والغلال ترد اليها من رشيد .. واذن لا بد من الزحف الى هذه المدن الثلاث الواقعة كلها في محافظة البحيرة حتى يضمن استمرار وصول المواد الغذائية لقواته فلا تتعرض لمجاعة ..

اما رشيد يومئذ ، فقد كانت من اهم الثغور المصرية على الاطلاق ، وموضع اهتمام السلاطين العثمانيين ، الذين شيدوا فيها القصور ، واضفوا الطابع التركي على كثير من مبانيها التى لاتزال قائمة حتى اليوم ... واما حاكمها ، فكان رجلا وطنيا شجاعا يدعى علي بك السلانيكلى ، وقد اشتهر بعدائه الشديد للانجليز .. وكان تحت يده حامية لا يزيد قوامها على ٥٥٠ رجلا ..

وعلم قنصل بريطانيا في رشيد واسمه بتروشى Petrucci ، باعتزام الجنرال فريزر ، احتلال رشيد ، فبعث اليه برسالة يؤكد فيها ، استنادا الى « معلوماته الخاصة » ، ان اهل رشيد عن بكرة أبيهم يستعدون للترحيب بالانجليز ، لتخليصهم مما هم فيه من مظالم !!

عنق الزجاجة

وامام هذا التأكيد ، راح فريزر يضع خطة الاستيلاء على رشيد دون ان يغيب عن ذهنه وهو يعد العدة لارسال حملته ، ان موقع هذه البلدة يجعلها بمثابة عنق الزجاجة للطريق النيلى بين الاسكندرية والقاهرة ، وهو اكثر امانا من الطريق الصحراوى ..

وتم اعداد الخطة بالفعل ، وتحركت من الاسكندرية قوة قوامها ١٦٠٠ جندى انجليزى

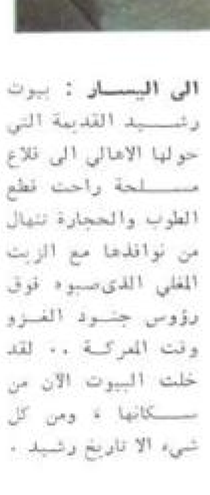
فوق : في متحف رشيد الذى افتتح يوم ١٩٥٩/٩/١٩ وهو يوم ذكرى انتصار رشيد القديمة ضد الانجليز تبارى الرسامون والمثالون في تصوير المعركة .. وفي الصورة تماثيل تصور اهالي رشيد وهم ينقضون على جنود بريطانيا في قلب المدينة بكل ما تصل اليه أيديهم .

الى اليمين : مئذنة مسجد زغلول التى تلقى منها الاهالي اشارة البدء بالمعركة الشهيرة في عام ١٨٠٧ ، وقد دمرها الانجليز بمدافعهم ،وبقيت المئذنة محطمة حتى يومنا هذا تحكى قصة النصر .





الى اليسار : صورة زيتية لعلي بك السلانكلي محافظ رشيد وبطل معركتها ، وهي تحتل اليوم مكانا مرموقا في متحف المدينة .



الى اليسار : بيوت رشيد القديمة التي حولها الاهالي الى قلاع مسلحة راحت قطع الطوب والحجارة تنهال من نوافذها مع الزيت المغلي الذي صبوه فوق رؤوس جنود الغزو وقت المعركة .. لقد خلت البيوت الآن من سكانها ، ومن كل شيء الا تاريخ رشيد .

بقيادة الجنرالان ووكوب وميد Wauchope&Mead يوم ٢٩ مارس سنة ١٨٠٧ ، ومعها مدفعان ثقيلان . وكان فريزر واثقا من ان هذه القوة كفيلة بان ترعب اهل رشيد ، فيرفعوا ايديهم بالاستسلام بمجرد وصولها ..

رحلة شاقة

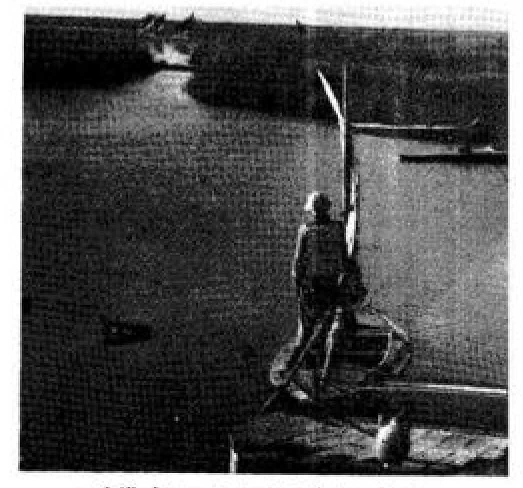
وسارت الحملة بطريق البر حتى وصلت الى « ابو قير » حيث اعدت بعض القوارب المسلحة لنقل الجنود الى بوغاز بحيرة ادكو . وفي البوغاز اقامت الحملة قاعدة للانتقال الى رشيد .. وعندما اقتربوا من مشارف المدينة كانت الشمس تغرب في يوم ٣٠ مارس ، فرابطوا فوق تلال « ابو مندور » ، التى تطل على المدينة من جنوبها فنزع الجنود اسلحتهم ، والقوا بها عن كواعلهم ، وناموا في خيامهم التى نصبوها في ظلال اشجار النخيل !

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ، كانت العمليات العسكرية قد اعدت للتنفيذ ، بينما توجه الجنرال ميد الى منزل القنصل البريطانى بتروشى لتناول طعام الافطار داخل رشيد ، وفي الطريق راى بعينى راسه ان المدينة خاوية على عروشها ، حتى قوارب الصيد لم يكن لها اثر على الشاطىء .. فاعتقد تماما ان البلدة قد استسلمت وآثر اهلها السلامة والامان .

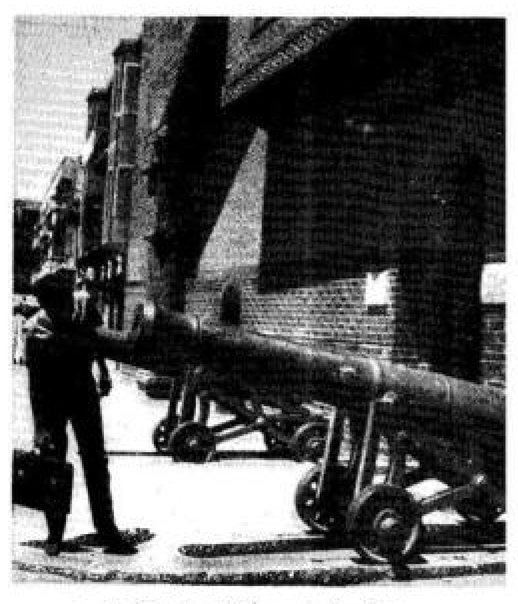
القوات البريطانية تتحرك

وبدات القوة البريطانية كلها تتحرك في وقت واحد ، دون ان تكون هناك اية قوات احتياطية تحمى المؤخرة فاتجهت فرقة لاقتحام رشيد من جهة البساتين الممتدة على الضفة اليسرى للنيل ، وفرقة لاقتحامها من الباب الرئيسي للبلدة ، وبذلك تشقها من وسطها ، وفرقة ثالثة لاقتحامها من باب الاسكندرية ، على الجانب الاخر عنها ..

وسار الجنود بخطوات ثابتة ، دون ان يدور بخلدهم ، انهم انما كانوا يسعون الى حتفهم سعيا ، اذ سرعان ما دوى في المدينة صوت اشبه بعواء الذئب ، ثم تلاه الاذان : « الله اكبر .. الله اكبر » ، من فوق مئذنة جامع زغلول ، وما



تصاقي مياه الرى ، وقد تجمعت في الاراضي المنخفضة فكونت بحيرات صغيرة ، على جانبي الطريق الموصل بين رشيد والاسكندرية ، وهم يصطادون من مياهها الاسماك الصغيرة.



متحف رشيد من الخارج ، وقد وضع امام بابه الخارجي مدفعان اثريان من المدافع التي استخدمها عرابي في ثورته ضد توفيق خديوى مصر عندما استنجد بالانجليز ضد الشعب .

لبث ان انشق هذا التهليل والتكبير عن الهول الكبير .. واذا باهالي المدينة الذين ظنهم الانجليز فروا ، وقد تحصنوا داخل منازلهم التى حولوها الى قلاع مسلحة ، راحوا يطلقون من نوافذها الرصاص على جنود الغزو الذين انتشروا في البلدة فاصبحوا فريسة سهلة لقطع الطوب والحجارة والزيت المغلى الذى كان يتدفق عليهم من فوق اسطح المنازل ، كلما حاولوا اقتحام بيت او قلعة من قلاع المقاومة ..

الجبرتي يصف المعركة

يقول المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتي في وصف المقاومة الشعبية : « فدهموهم من كل ناحية وصدقوا في الحملة عليهم ، والقوا بانفسهم في النيران ، ولم يبالوا برميهم وهجموا ، واختلطوا بهم وادهشوهم بالتكبير والصياح ، حتى ابطلوا رميهم والقوا سلاحهم ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا الكثير منهم ، وارسلوا بالاسرى ورؤوس القتلى الى القاهرة ، وفر من استطاع ان ينجو منهم الى الاسكندرية » .

ولم تدم هذه المعركة اكثر من ساعتين ، انسحب بعدها الانجليز تاركين وراءهم اكثر من خمسمائة جندى بين قتيل وجريح ، وحوالى اربعين اسيرا . اما الجنرالان قائدا الحملة ، فقد قتل احدهما وهو الجنرال ووكوب ، واصيب الجنرال ميد بجروح خطيرة .

خطة المقاومة

وتقول كتب التاريخ ان الفضل الاول في هذه المعركة يرجع الى حاكمها علي بك السلانكلى . الذى ما كاد يتلقى خبر اعتزام الانجليز احتلال رشيد ، حتى راح يستعد للمعركة المرتقبة ، فاصدر اوامره الى اهل البلدة بالاستعداد ، ووزع عليهم السلاح ، وطلب اليهم ان يختفوا داخل بيوتهم ويحكموا اغلاقها واغلاق نوافذها وان يخلوا الشوارع والميادين تماما .. حتى قوارب الصيد نقلوها هي الاخرى الى الشاطىء الشرقى للنيل ، امعانا في التضليل ، حتى يتصور جنود العدو ، ان الاهالى قد هجروا البلدة الى الشاطىء الآخر ، خوفا من بطشهم .



تشتهر رشيد بصناعة اقفاص الجريد ، التى تجمع فيها الفاكهة والخضراوات ، وقد قامت هذه الصناعة لتوفر الجريد الذى يقطع من اشجار النخيل في رشيد ، وهناك خمسون مصنعا للاقفاص ينتج الواحد منها ما بين ٥٠٠ و٦٠٠ قفص في اليوم .

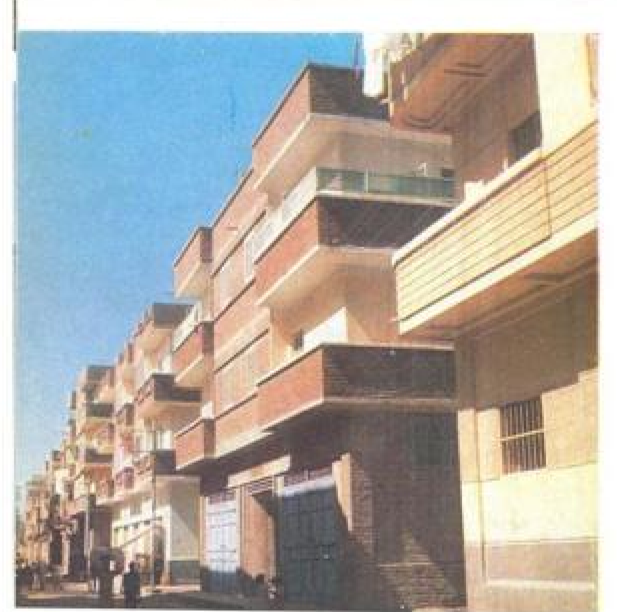


يصنع الطوب او الطابوق من الطمى والرمل وقشر الارز او الدريس ، وفي الصورة عاملان اثناء وضعهما هذه المواد الثلاث في الخلاط الآلى الذى يعمل بالديزل ، بعد اضافة الماء اليها بنسبة معينة . وقد وفر هذا الخلاط الآلى الذى بدأ يعمم في جميع المصانع الوقت والجهد كما ضاعف الانتاج .

فوق : في الاجازات تنظم المدارس رحلات لطلبتها وطالباتها لزيارة معالم رشيد التاريخية ، والقيام بنزهات في القوارب الشراعية فوق صفحة النيل

تحت : احواض بناء قوارب الصيد واصلاحها على شاطىء رشيد ، وقد اصطفت القوارب الشراعية والبخارية التي يستخدمها الاهالي في صيد رزقهم من الماء .. انها تستعد الآن للرحيل الى بحيرة ناصر في اسوان

فوق : فتيان رشيدوفتياتها يتلقون العلم في مدرسة رشيد الثانوية.. لقد شيدت المدرسة في عام ١٩٥٥ ؛ وبدأت تجربة التعليم المشترك ؛ بعد عام من تأسيسها ،تحت ضغط الحاجة ؛ فاذا بها تنجح نجاحا بيناء. احترام متبادل وحسن أخلاق .



الى اليسار : المساكن الشعبية الحديثة التي انشئت للموظفين والعمال بدأ بناؤها في عام ١٩٥٦ ، ولا تزال ترتفع كل عام لتحل محل المباني القديمة المتداعية .

ونجحت الخطة ، وكان لدور المقاومة الشعبية بزعامة الشيخ حسن كريت نقيب الاشراف وغيره من ابناء رشيد البارزين ، اثر كبير في تنظيم الصفوف . وتوحيدها لصد محاولة الغزو الانجليزى ..

حصار رشيد

الا ان الانجليز ، رغم الهزيمة التى حلت بهم ، لم ييأسوا ، فقد قاموا بمحاولة اخرى لاحتلال رشيد والانتقام من اهلها ، عندما جرد فريزر حملة ثانية بقيادة الجنرال ستيوارت .. ووصلت الحملة في ١١ ابريل عام ١٨٠٧ وبدأ الانجليز حصارهم المشهور الذى استمر ١٢ يوما ، اصلوا فيها المدينة وابلا من قذائف مدافعهم ، مستهدفين ارهاب الاهالى ، وتجويعهم واستسلامهم .. ولكن هذا الحصار لم يزد اهل رشيد الا عنادا واستبسالا في الدفاع عن مدينتهم حتى الموت ..

وكان ان نشبت المعركة الفاصلة الثانية التى لم تستمر لاكثر من ثلاث ساعات ، وكان انتصار رشيد فيها حاسما ، اذهل قوات العدو ، التى لم يبق منها غير الجنرال ستيوارت ، وقوة صغيرة ما لبثت ان انسحبت حاملة عار الهزيمة والفشل .

وانقضت بضعة اسابيع قبل ان يدرك فريزر القائد الاعلى لقوات الغزو ان الحملة قد فشلت ، فما كان منه الا ان عرض الصلح والانسحاب ، وطالب باعادة الاسرى اليه .

جلاء الانجليز عن مصر

وفي ١٩ سبتمبر عام ١٨٠٧ ، اى بعد ستة اشهر من تاريخ وصول الحملة الى ثغر الاسكندرية تم جلاء الانجليز عن مصر .

تلك كانت قصة انتصار رشيد على بريطانيا عام ١٨٠٧ ، وهو نصر كان له اكبر الفضل في تاخر احتلال بريطانيا لمصر مدة تزيد على ٧٥ عاما ، ذلك الاحتلال الذى لم يتم الا في عام ١٨٨٢ بناء على استدعاء الخديوى توفيق للقوات البريطانية لحماية عرشه من الثورة الوطنية العربية العرابية .

ونترك رشيد وماضيها المجيد ، الذى قال فيه احد ابنائها ، الشاعر المعروف على الجارم ..

ارشيد مجدك في القديم صحيفة
بيضاء لا لبسٌ ولا ابهامُ
ملأت مآذنك السماءَ شوامخا
بين السحابِ كأنها اعلامُ

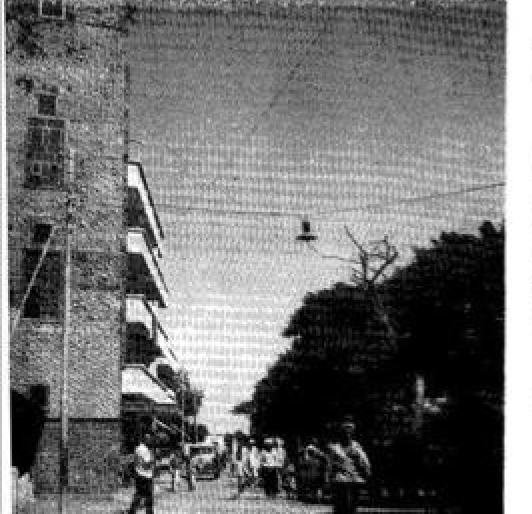
نترك ماضي رشيد ، ونتنقل الى حاضرها .. كيف اصبحت ، ثم كيف تعيش وعلام يعتمد اهلها في رزقهم ..

بلد صناعي

ورشيد بلد زراعي ، ومركز لصناعة من اهم الصناعات في مصر ، وهى صناعة ضرب الارز ، التى اشتهرت بها منذ سنوات بعيدة مضت ..

يعيش فيها اليوم ما يقرب من اربعين الف نسمة .. يعتمد غالبيتهم على الزراعة ، وقسم منهم يعمل في مضارب الارز ، وفي مصانع الطابوق . ثم في صيد السمك الصغير او السردين ، ولو ان هذه الصناعة الاخيرة بدأت تتلاشى ، اذ كان السردين يملأ مياه النيل عند رشيد في موسم الفيضان ، فيخرج الصيادون في قواربهم البخارية

شارع جديد في رشيد ، وقد بدأت المبانى الحديثة تزحف على المبانى القديمة (الى يسار الصورة) وكل شوارع رشيد الجديدة فسيحة مضاءة بالكهرباء .



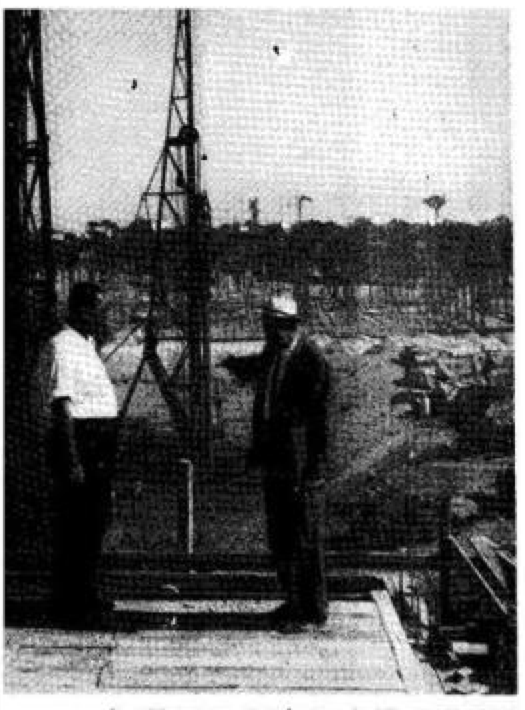
الكبيرة ويصطادونه ويبيعونه ، وكانت حصيلة القارب في اليوم الواحد تتراوح بين خمسة وعشرة اطنان . وتساوى مبلغا يتراوح بين خمسمائة والف جنيه .

السد العالي

اما اليوم ، وبعد قيام السد العالي ، بدأت كميات السردين الموجود في مياه رشيد تقل وتتضاءل ، فقد حجز السد مياه الفيضان مدخرا اياها لتلك المساحات الشاسعة من الاراضي القاحلة ، التي كانت تتحرق شوقا للقاء المياه الحلوة ، لتجود بما في بطنها من خير ..

ولم يحجز السد المياه وحدها ، وانما حجز معها الطمى .. تلك الحبيبات الصغيرة من الصخر الذى فتته مياه الفيضان وجرفته معها لتلقى به على جانبي النيل في مسيرتها الكبرى ، عبر المجرى المتعرج الطويل حتى المصب عند رشيد ودمياط .. وهما فرعا النيل اللذان يحتضنان دلتا النهر .. اخصب ارض في وادي النيل كله من منبعه الى مصبه ..

ومع توقف وصول الطمى ، بدأ السردين الذى كان يتغذى على هذا الطين ، يختفي ، وبدأت



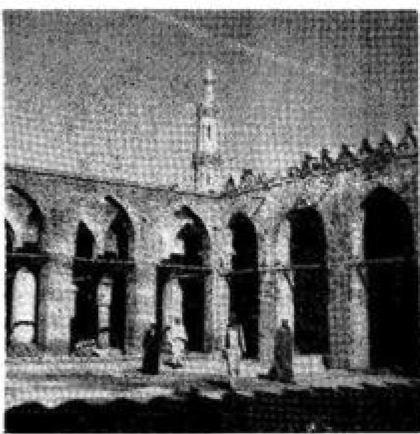
يجرى العمل الآن في بناء أحدث مضرب للارز في الجمهورية ، بمدينة رشيد ، وقد تكلف بناؤه مليونين من الجنيهات ، وسيبدأ تشغيل المضرب الجديد في نهاية العام الحالي .

وفي الصورة مهندسان يشرفان على اتمام عملية بناء أحد جوانب المضرب الجديد .

شيخ جامع « أبومندور » يقرأ الفاتحة على مقام هذا الولى الذى كان يجمع بين الحقيقة والشريعة .. وتشتهر رشيد بالمساجد وفيها الآن ٢٠ مسجدا .



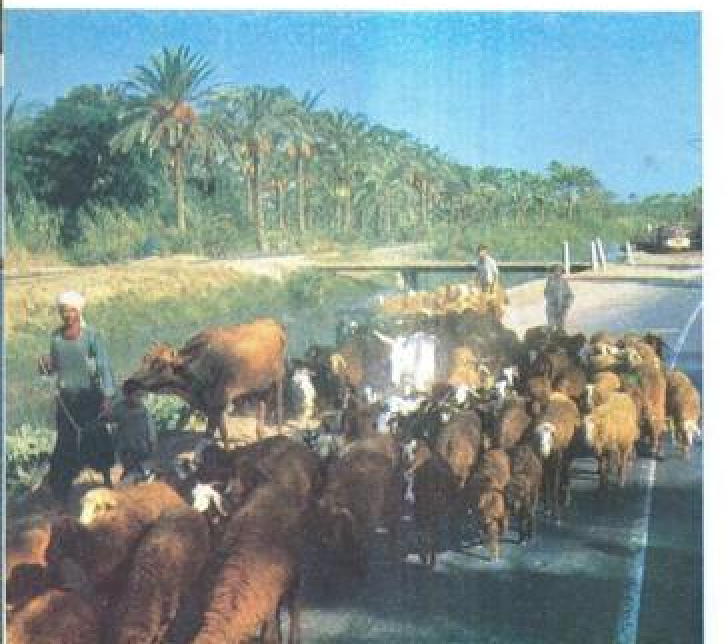
ساحة مسجد زغلول ، وكان هذا المسجد كالأزهر قديما ، يتلقى فيه المسلمون الدروس الدينية ، وبه ٣٦٦ عمودا بعدد أيام السنة الكبيسة . ويجرى الآن ترميمه واصلاحه .



الى اليمين : بقايا أسوار قلعة قايتباى ، التي امر بانشائها السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباى في ذى الحجة عام ٨٧٦ هـ (مايو ١٤٢٢) . وقد اطلق عليها الفرنسيون اسم حصن سان جوليان ، اثناء الحملة الفرنسية على مصر . وفي هذه القلعة عثروا على حجر رشيد الذى كان اكبر عون لشامبليون وغيره من علماء الآثار في حل رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية). والحجر الآن في متحف لندن .

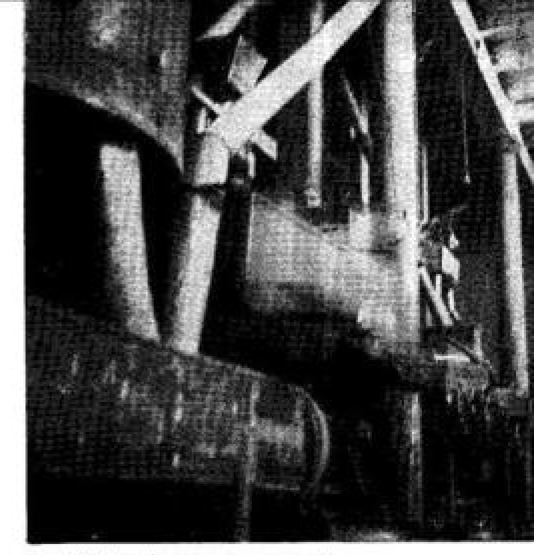
الى اليسار : مسجد العباسى، انشىء سنة ١٢٢٤ هجرية وهو مسجد اثرى يقع على شاطىء النيل مباشرة ، ويمتاز بقبته المبنية بالطوب النيىء وقد صمدت طويلا .

الى اليمين : احد شوارع رشيد الحديثة .. وقد اصطفت الاشجار على جانبيه .. ويجرى العمل الآن في اعادة تخطيط هذه المدينة العربية القديمة ..



الى اليسار : الطريق من الاسكندرية الى رشيد ، طريق ممهد تجرى فيه السيارات وتحف به القنوات واشجار النخيل والملاحات.. ويستخدمه المزارعون في نقل مواشيهم والتاجهم من البلح والخضراوات .





(أ ، ب ، ج ، د) تبدأ عملية الارز بدرسه ، أى نزع قشرته الخارجية (التى تستخدم في صناعة الطابوق) : ثم يغربل لتخليصه من القشور العالقة به ، ويمرر على ماكنة تتضمن ثلاث مراحل لتبييضه أى نزع قشرته الداخلية الصورة الأولى ، أ ـ وبذلك يصبح أرزا أبيض اللون ، ولكنه مختلف الأحجام ، لهذا ينقل الى قسم الغربلة لفصله الى أحجام

صناعة السردين في رشيد تصاب بالكساد ..

سألنا الصيادين ، وعددهم اربعة الاف صياد يعملون على اسطول من القوارب التجارية يضم ١٢٥ قاربا ، غير القوارب الصغيرة التى تسير بالمجاديف وعددها خمسمائة ، تنتشر على طول شواطىء المدينة .. سألناهم : « ماذا انتم فاعلون » ؟

الى بحيرة ناصر

قالوا : « سوف ننتقل نحن وقواربنا الى بحيرة ناصر .. حيث الماء والطمى والصيد الوفير » ..

ان كساد هذه الصناعة في رشيد ، لا يذكر اذا قيس بالفوائد الضخمة التى ستعود على بلادنا بعد قيام السد العالى .. اننا جميعا صيادون مهرة .. وكل أرض في مصر ارضنا .. وسيان عندنا ان نصطاد في رشيد او امام السد العالى .. المهم ان نظل نمارس المهنة التى توارثناها ابا عن جد .. فالصيد حياتنا » .

صناعة الطابوق

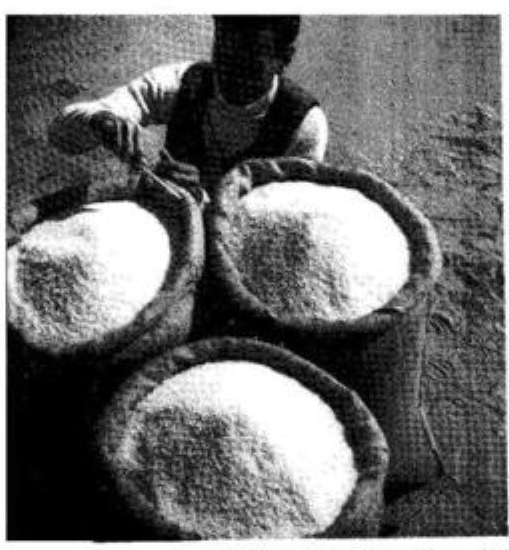
وقد أثر اختفاء الطمى على صناعة الطابوق ايضا ، فهي صناعة تعتمد اساسا على هذا الطين القوى المتماسك .. ولكن اصحاب مصانع الطابوق ، وعددها خمسة عشر مصنعا ، بداوا يبحثون عن مصدر آخر ، غير مياه النيل ، للحصول على الطمى . وقد أصبحوا يحصلون عليه الآن من المناطق الاخرى القريبة من رشيد ، وينقلونه بالمراكب الى مصانعهم ..

وهذا الطمى الجديد ، هو الطبقة العليا من الارض الزراعية التى ترتفع عن مياه الرى .. والفلاح يقدمها لهم ، لأن في نزعها والتخلص منها تجديدا للتربة واستصلاحا لها .

ويخلط الطمى الذى يستخدم في صناعة الطوب بنسب معينة من الرمل والسرس ، وهذا الاخير ،

✱ (بحيرة ناصر هي البحيرة الواسعة التى يحجز فيها السد العالى المياه الزائدة في موسم الفيضان فلا تضيع هباء فى البحر) .





مختلفة ، وفي الصورة ب ـ يوضع الأرز فوق غربال هزاز يسقط من ثقوبه الحب الصغير وحده . ثم ينقل المتخلف من الارز الى غربال هزاز آخر ثقوبه أكبر كما في الصورة ج ـ وأخيرا ينقل الى غربال ثالث ثقوبه حجمها أكبر . ثم يعبأ في جوالات، كما ترى في الصورة ـ للتصدير او الاستهلاك .

هو الغلاف الخارجي للارز ، وكانت عملية خلط عجينة الطوب تتم في الماضي بطريقة بدائية تتسم ايضا بالقسوة ، فكانوا يجيئون باربعة خيول قوية يعصبون عيونها ، ويربطونها في عمود ، فتسير الخيول حول العمود في حركة دائرية ، فتخلط المواد بعضها ببعض ، مع كل خطوة تخطوها في هذا الوحل الذى يزيد عمقه على نصف متر تقريبا من عجينة الطوب .

ولكن هذه الطريقة اندثرت الآن ، وحلت الآلة محل الخيول المسكينة التى لم تكن تعمر لاكثر من ثلاث او اربع سنوات .. واصبح انتاج المصنع الواحد الآن من الطوب في السنة يتراوح بين ٧و١٠ مليون طوبة تعد للبيع بعد تجفيفها تحت أشعة الشمس ، ثم احراقها في افران تدار بوقود المازوت المخلوط بالسرس ايضا !

صناعة ضرب الارز

اما اقدم الصناعات في رشيد ، فهي صناعة ضرب الارز ، وقد انشىء اول مضرب للارز عام ١٨٣٨ ، وبلغ عدد المضارب في رشيد في وقت من الاوقات ٢٧ مضربا ، الا ان عددها الآن اصبح ثمانية فقط تنتج سنويا ٤٠ الف طن من الارز الابيض .

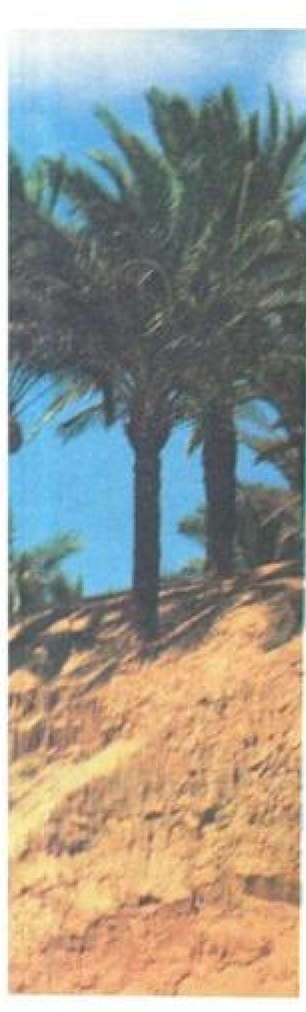
وسوف ترتفع هذه الكمية الى ٦٥ الف طن سنويا تصدر كلها للخارج ، بعد ان يتم تشغيل مضرب الارز الجديد او « مضرب التحرير » وهذا اسمه ، في نهاية العام الحالى ، وهو احدث مضارب الارز في مصر .

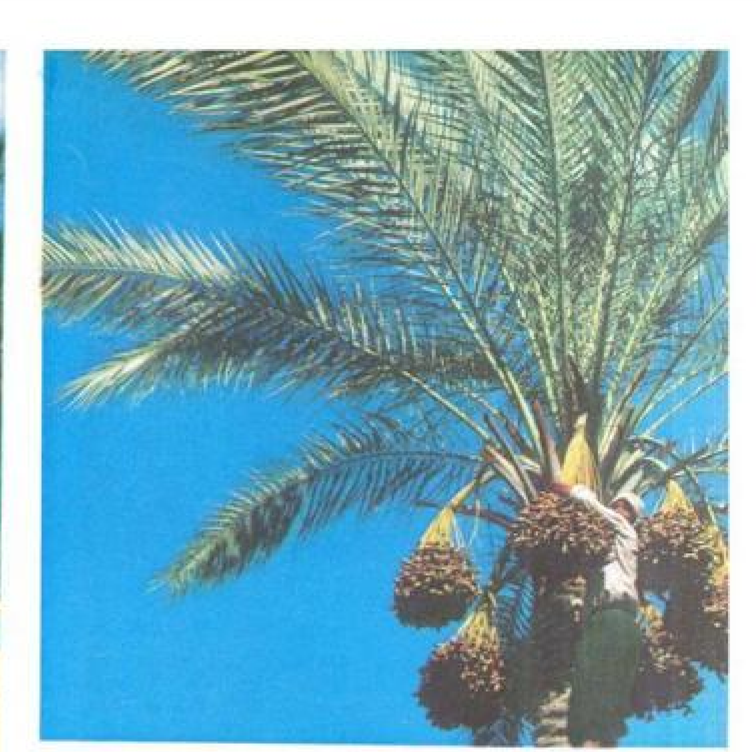
وقد تكلف بناء هذا المضرب الحديث حوالى مليونين من الجنيهات ، وبدأ العمل في بنائه في شهر ديسمبر من عام ١٩٦٧ ، فوق ارض تزيد مساحتها على ثلاثين فدانا ..

ذهبنا الى واحد من المضارب السبعة القديمة الواقعة على شاطىء النيل ، ووقفنا نرقب عملية ضرب الارز . ونستمع الى شرح المهندس المسئول ، للمراحل التى يمر بها الارز منذ لحظة حصاده من الحقول حتى لحظة تعبئته للتصدير او للاستهلاك المحلى .

كيف يضرب الارز ؟

وتبدا العملية بوصول الارز الشعير في جوالات

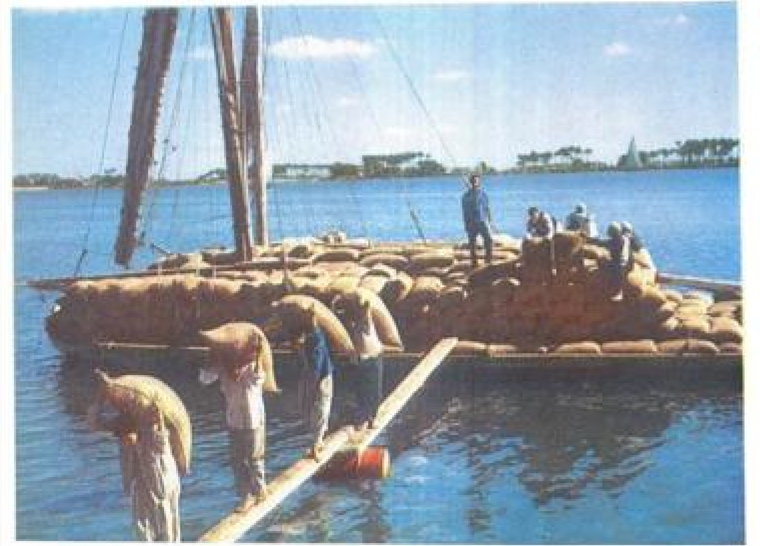




الصورتان العلويتان : تشتهر
مليون نخلة ، وهي منطقة تصدير
وبلح عائشة ، الى جميع انحاء

الى اليمين : مضرب قديم
من مضارب الارز التي
اشتهرت بها رشيد ، وقد
تهدمت منه مدخنته ،
وتكدست امامه قشور الارز
او « السرس » كما يسمونها
وهي التي تدخل في صناعة
الطوب .

رشيد بالنخيل ، وفيها تصف داخلي لبراعم نخيل بلح الزغلول مصر .



الى اليسار : العمال ينقلون جوالات الارز من القوارب الشراعية التي تنقله من مناطق زراعة الارز حول رشيد ؛ حيث تجرى عملية ضربه وتبييضه واعداده للاستهلاك المحلي والتصدير .

بطريق البر او البحر ، حيث تنقله السيارات الضخمة أو القوارب الشراعية من مناطق زراعته حول رشيد ، ثم يجفف بواسطة مجففات آلية او بطريق تعريضه لاشعة الشمس لمدة اربعة ايام متتالية على الاقل .. وعلى اثر ذلك تبدأ عملية التشغيل .. فيدرس الارز وتنزعقشرته الخارجية التى يسمونها « السرس » ، وهي التى تستخدم في صناعة الطوب ، كما ذكرنا ، وتتم عملية دراسة الارز بواسطة حجرين دائرين يشبهان حجرى الطحين ، مع فارق واحد ، هو ان الحجر السفلى هو الذى يدور في حالة درس الارز ، لا الحجر العلوى ، كما هو الحال في عملية الطحين ..

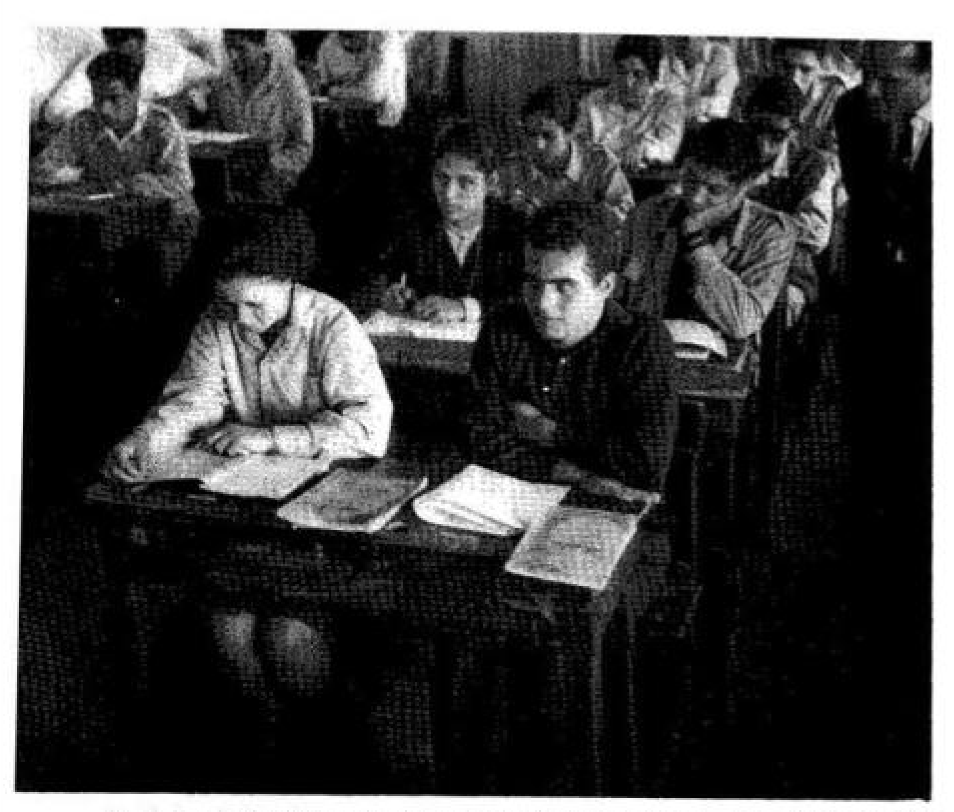
ويغربل الارز بعد ذلك لتخليصه من القشور العالقة به ، ثم يمرر على ثلاث ماكينات ، لاتمام عملية تبييضه ، او نزع قشرته الداخلية ، وهي التي يسمونها « رجيع الكون » . ومن هذه القشرة تستخرج الزيوت ، ثم يقدم ما تبقى منها علفا للماشية .

ثلاثة انواع من الارز

اما الارز الذى تمت عملية تبييضه ، فينقل الى قسم الغربلة حيث يغربل على مراحل ، فنحصل في النهاية على ثلاثة انواع من الارز .. النوع الاول ، وهو الارز رقم (١) ولا تزيد نسبة الكسر فيه على ٢٪ ، وهو اجود انواع الارز . ويليه الارز رقم (٢) ، ولا تزيد نسبة الكسر فيه على ٦٪ ، ثم الارز رقم (٣) وتصل نسبة الكسر فيه الى ١٢٪ ، وهذان النوعان الاخيران يعدان للاستهلاك المحلى .

احد احواض بناء القوارب على شاطىء النيل ، وفي رشيد ١٢٥ قاربا تسير بمحركات الديزل ويكلف الواحد منها خمسة آلاف جنيه ، ويملك هذه القوارب الاهالى ، وفي رشيد ما يقرب من أربعة آلاف صياد.





طلبة وطالبات القسم الادبي بالمدرسة الثانوية المشتركة في حصة التاريخ ، ويقول ناظر المدرسة الاستاذ عبد المقصود الطيباني : ان التعليم المشترك اثبت أن وجود الفتاة بجانب الفتى في هذه المرحلة ، يهذب من أخلاق الفتى وعلاقاته الانسانية ، ويدفعه الى الظهور بمظهر الشاب الذى يعمل بجد واجتهاد وفي أدب جم ليفوز باعجاب زميلاته ، وما يقال من الفتى يقال أيضا عن الفتاة .

وفي رشيد اليوم ١٧ مدرسة ابتدائية تضم ثمانية آلاف تلميذ ، ومدرسة اعدادية للبنين وأخرى للبنات ، ومدرسة ثانوية تجارية ، وأخرى صناعية ، لاعداد جيل من العمال المثقفين . هذا الى جانب المدارس الاولية ، ومدارس المحافظة على القرآن الكريم ، علما بأن عدد سكانها لا يزيد على ٤٠ الفا .

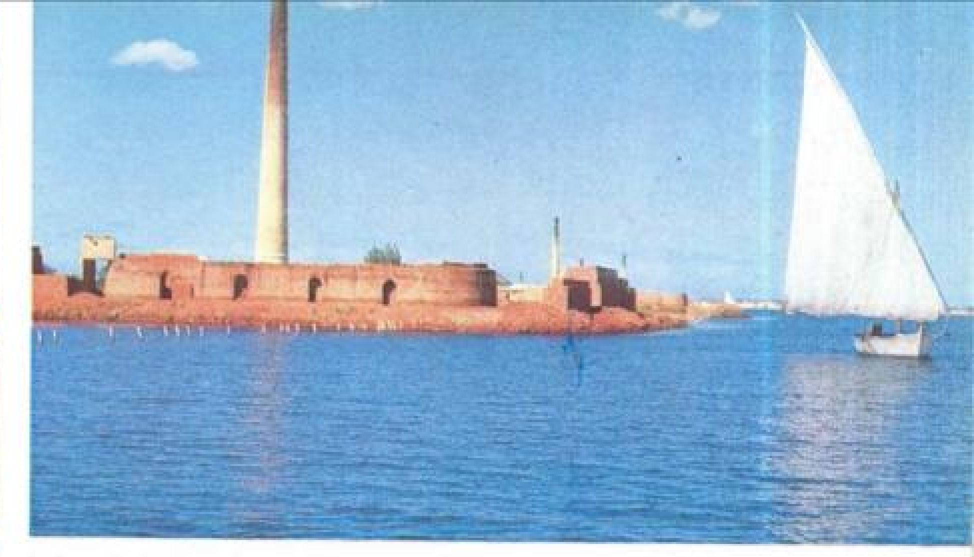
نصف مليون نخلة

ونترك ارز رشيد ، لتنتقل الى صناعة اخرى ، هي صناعة البلح الذى اشتهرت به هذه المدينة ، ففي رشيد اكثر من نصف مليون نخلة ، تنتج اجود انواع البلح الزغلول الاحمر ، والبلح السماني الذى تصنع منه المربى ، ثم بلح عائشة الذى يُجفف ويعلب ويصدر الى جميع انحاء الجمهورية والى الخارج ..

واذا وقفت فوق تلال « ابو منذور » ، التى ترتفع حوالى ٦٠ مترا عن سطح البحر .. شاهدت اجمل منظر يمكن ان تقع عليه عيناك في هذه البقعة من الارض العربية .. منظر رؤوس اشجار النخيل ، وقد اصطفت امامك على مرمى البصر ، وكأنها بساط اخضر نثروه فوق رمال في لون الذهب !

مدينة عربية

هذه جولة سريعة في مدينة رشيد ، تلك المدينة العربية القديمة التى اسسها العرب في القرن الثالث الهجرى (الثامن الميلادى) في خلافة المتوكل على الله العباسي ، كما جاء في دائرة المعارف



فوق : مصانع الطوب ، وفي رشيد ١٥ مصنعا للطوب ، ينتج الواحد منها بين ٧ر١٠ مليون طوبة سنويا ... وتقع معظم المصانع على شاطىء النيل مباشرة حتى يسهل نقل انتاجها بالقوارب .

تحت : كان صيد السردين من أهم الصناعات التي تشتهر بها رشيد قبل تحكم السد العالي في مياه النيل ، أما اليوم فقد بدأ وصول السردين يقل وبدأ الصيادون يبحثون عن مناطق أخرى للصيد

فوق : مسجد ابى النظر الشهير بمسجد « ابو مندور » ، وهو من سلالة الامام علي بن ابى طالب رضي الله عنه (الجبرتي) وقد جاء ابو مندور الى رشيد وعاش ومات ودفن في أرضها ، فبنى الاهالى هذا المسجد الذى سمي باسمه عام ١٠٠٢ ميلادية ، وجدد سنة ١٨٨٩ م .

تحت : تكثر الملاحات خارج مدينة رشيد وفي الطريق الى الاسكندرية ، فيملاون الاحواض بمياه البحر ، ثم يغلقونها ، فتتبخر المياه ويبقى الملح ، الذى يجمع ويصدر الى جميع انحاء الجمهورية

الفرنسية الكبرى La Grande Encyclopedie وفي القاموس العالمي للتاريخ والجغرافيا Dict. Universal D'histoire Et De Geographie

ولو أن بعض كتب التاريخ تقول ان تاريخ انشاء المدينة يرجع الى ما قبل ذلك بآلاف السنين، الى العصر الفرعوني ، عندما زحف اليها الملك نارمر من الصعيد في ثورته الاولى لتحقيق الوحدة بين مصر السفلى ومصر العليا .

ويقول محمد زيتون في كتابه « اقليم البحيرة »: « وقد دخلت رشيد الاسلام على يد عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية عام ٢٠ هـ ، وكان حاكمها القبطي يسمى قزماس او قزمان في بعض الروايات ، وهو الذي عقد صلحا مع عمرو ، وادى الجزية للمسلمين ، وظلت الكنائس في رشيد على ما هي عليه ، لمن بقي على دينه من أهلها ..

وقد طابت الاقامة في رشيد لصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فعمروها ، وفتحوا قلوب أهلها ، وقلوب جيرانهم على نور الاسلام ، فاقاموا البيوت ، ووزعوا الارض وشيدوا المساجد التي دفن فيها نخبة منهم ..

وفي القرن الثالث الهجري ، أصبحت رشيد مدينة عامرة لها ميناء بحري تدخله السفن من البحر .. ولما أنشأ المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة عام ٩٦٩م ، ضعف المركز التجاري لمدينة الاسكندرية،واشتدت المنافسة بين رشيد ودمياط على احتلال هذا المركز ، فانتعشت تجارة رشيد واتسع العمران فيها وشيدت بها القصور الفخمة وانتشرت الحدائق والبساتين بين أرجائها وامتلأت المدينة بالمساجد والمآذن ..

ضعف رشيد

ولكن مركز رشيد ما لبث أن ضعف ، ابتداء من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بعد اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح ، وتحول تجارة مصر الى جنوب افريقيا ، وازداد ضعف رشيد بعد حفر ترعة المحمودية عام ١٨١٩ م ، عندما أصبحت الملاحة مباشرة من القاهرة الى المحمودية في النيل، ومن المحمودية الى الاسكندرية ..

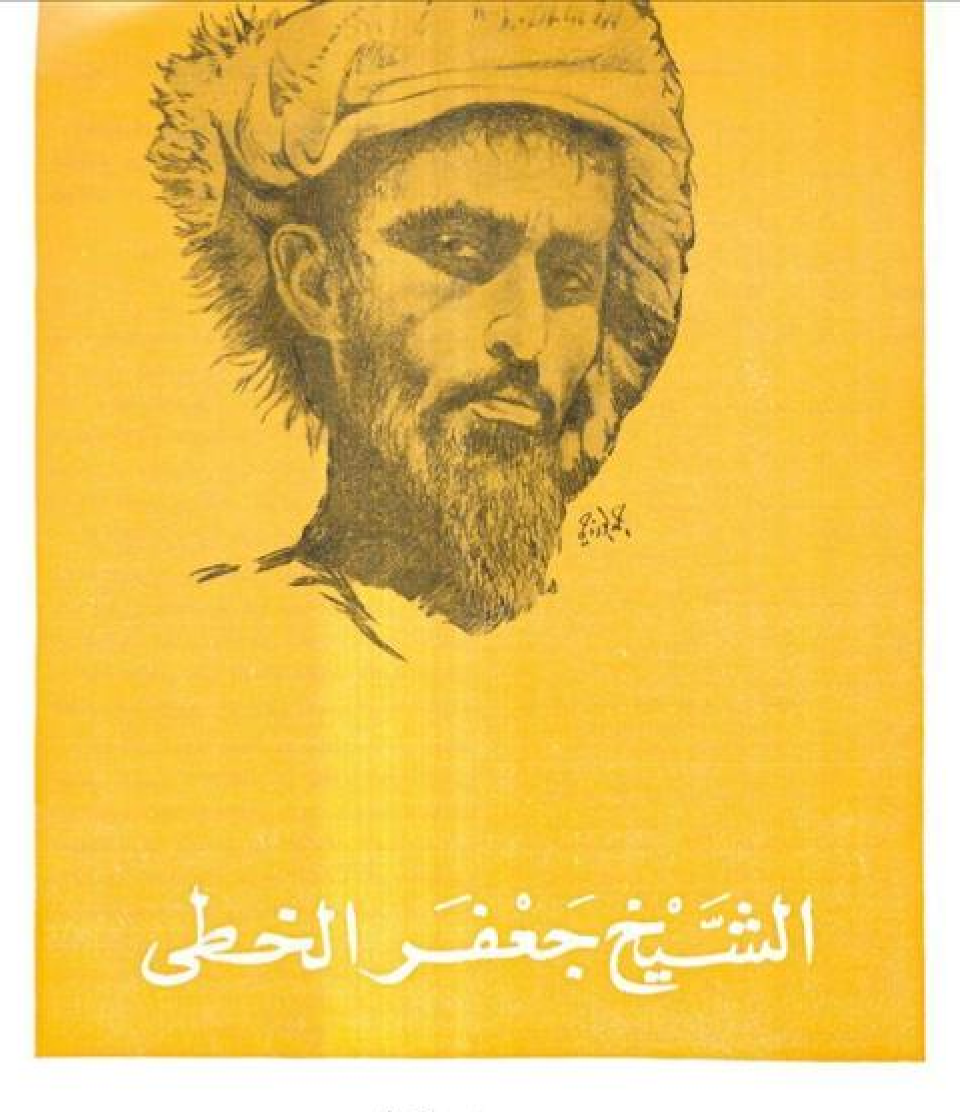
اعادة بناء رشيد

وبقيت رشيد على حالها .. مدينة صغيرة جميلة حبتها الطبيعة بمناظر خلابة ، وامتلأت أرضها بالآثار القديمة التي تحكي فصولا من تاريخها الحافل الطويل ، الذي امتلأت به كتب المؤرخين .. وكادوا ينسونها ، لولا أن امتدت اليها يد الاصلاح، فايقظتها من نومتها .. فشيدت المدارس والمستشفيات والمباني الحديثة ، وشقت الشوارع والطرق الجديدة .. ورصدت الأموال للنهوض بصناعاتها التقليدية القديمة .. الى أن كان عام ١٩٥٩ عندما نقلت معركة رشيد من أجل حريتها ، الى متحف خاص بها تخليدا لذكرى انتصارها ..

■■

منير نصيف

ناقلات الكهرباء العازلة وقد ظهرت في سماء رشيد وهي تنقل اليها والى ما حولها كهرباء من مصادر أحدها السد العالي



شاعر الخليج

بقلم : حسن الامين

■ هذا الخليج الطيب ، الذى تطلُّ منه مجلة « العربى » في مطلع كل شهر فتتلقفها الايدى العربية شغوفة، كان جديرا بمجلة مثل «العربي». لما في ماضيه من صفحات مشرقة بالعلم والادب والشعر ، وبما ساد في ربوعه من شغف بالمعرفة وتفوق في الفقه وتقدم في القريض ، وبما أطلع من كواكب مضيئة في سماء العرب على مر العصور، وبما خلف افذاذه من تراث فكرى زاخر .

انه بذلك كان خليقا بان يتابع مجرى ماضيه ، فيطلع على دنيا العرب باقباس من النور تضيء حوالك السبل وداجيات المسالك .

ما حققته مجلة العربي

وها هي ذي مجلة « العربي » اليوم تحقق لمحبي الخليج ، ممن خبروا ماضيه وعرفوا مآتيه ما تمنوه للخليج من دوام المضي بقيادة نهضات طالما عرفها الخليج ، من امثال ميثم البحراني ، واحمد المتوج ، وسليمان الماحوزي ، ويوسف آل عصفور ، وعشرات غيرهم كانوا في تاريخنا العلمي وتراثنا الادبي من انضر الوجوه وارفع الرؤوس .

منذ هؤلاء وغيرهم كانت القطيف يوما والاحساء يوما والبحرين يوما ، هي القاعدة والمنبت ، طورا هذه وطورا تلك تسلم كل منها الزمام الى الاخرى او يتوليانه معا . وها هي الكويت اليوم بمجلتها الرفيعة تقبض على الزمام وتحمل اللواء فيتفيأ ظلاله ، لا الخليج وحده بل العرب حيثما حلوا .

واذا كانت هذه المجلة قد حققت ما لم تحققه اضخم الجهود ، فالتقت بين منازع الفكر العربي من اقصى شرقه الى اقصى غربه ، واذا كانت قد استطاعت أن تكون رسول الثقافة الاسلامية الى انأى ديار المسلمين ، وبريد النهضة العربية في شتى ديار العرب ، فانها في واقعها صورة لما كان عليه هذا الخليج ولما نحب ان يظل عليه من بروز في ميادين الادب العربي ومجالات الفكر الاسلامي .

شعر الخليج

والشعر بخاصة كان له في هذا الخليج التفوق والاجادة منذ طرفة بن العبد واخته ، الى علي بن المقرب الاحسائي ، الى من ظلوا على طول العصور حتى هذا العصر ، شعراء من احب الشعراء الى قلوبنا واقربهم الى نفوسنا .

ومن خير ما اختصهم الله به في شعرهم هو هذا الوفاء لارضهم والحنين لبلدهم والتشوق لمولدهم ، ولعل ارادة الله شاءت أن تمتحنهم بالنزوح عن الاوطان والهجرة الى شتى البلدان ، لا لشر أريد بهم ، بل لخير اريد بشعرهم ، فكان لنا منه ذخيرة من اللوعة والوجد واللهفة ، تدفقت شعرا رقيقا وقصائد صافية تلذ للسامع وتطيب للقارىء .

فمنذ انشد طرفة بن العبد :

لِخولةَ أطلالٌ بِبرقة ثَهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
وقوفا بها صحبي عليَّ مطيهم
يقولون لا تَهلِكْ أسًى وتجلَّد

وانشد :

وبنو بكر إذا ما اجتمعوا
دوحةُ الحرب وجرثوم الكرم
وشباب وكهول بيننا
كليوث ضاريات في الأكم
نردع الجاهل في مجلسنا
فترى المجلس منا كالحرم

ومنذ انشد قبله عمرو بن قميئة :

إلى دار قوم حسان الوجوه
عظام القباب طوال العوالي
فوجهتهن إلى مهمه
قليل الوغى غير صوت الرئال
سراعا ذَرائبَ ما ينثنين
حتى احتللْنَ بحي حلال
بسعد بن ثعلبةَ الأكرمين
أهل الفضائل أهل النوال

وانشد ابو زياد الكلبي :

أراك إلى كثبان « يبرين » صبة
وهذا لعمري لو قنعت كئيب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى
إليَّ وإن لم آته لحبيب

وانشدت الشاعرة الخليجية المجهولة :

أيا جبلي وادي « عُريعرة » التي
نأت عن ثوى قومي وحم قدومها

ألا خليا مجرى الجنوب لعلهـــا
يداوي فؤادي من جواه نسيمهـــا

منذ أولئك توالى الانشاد تغنيا بالخليج وتمدحا بظلاله وحنينا الى نخيله وتشوقا الى شطوطه ، فانشد علي بن المقرب الاحسائي :

ياحبذا وادي « الحسـاء » وإنـه
لو ساءني واد إلـيّ مُحَبَّـب
بل حبذا « درب الثَّلِيم » وحبذا
ذاك القطـين به وذاك الملعـب

ثم انشد ماجد الصادقي :

ياساكني « جَدّ حفص » لاتخطّفكم
رَيْبُ المَنُون ولا نالتكم المِحَن
ولا عدت زهرات الخصب واديكم
ولا أغبّ ثراه العـارض الهتِن
الدهر شاطَرَ مابيني وبينكـم
ظلما فكـان لكم روح ، ولي بدن

ثم انشد علي شبانه :

وإلى « أَوال » تروع قلبي كلمـا
سرَت الصَّبَا من تلكـم الساحات
وإلى نواحـي أرضها وربوعهـا
ولما بها قد مرّ من أوقـــات
وعِراصُها الفيحُ التي قد طُرّزت
أطرافها ببواسق النخـــلات

ثم انشد علي البحراني :

يانسيم الريح إن جئت « المقامـا »
فأبلغـن عنى أحبابي الســلاما
سفر قد صـار من أهوالـــه
فيه كل المستحبات حرامـــا
طال حـتى ملت الروح بـــه
الجسم والقلب به حل « المقامـا »

ثم انشد عبد العزيز المبارك :

طال ليلي في « أبي ظبي » ولا
ظبي لي فيه يضاهي البدر حسنـا
وأُصَيْحاب أنا جيبٌ لهـــم
أصبح المجد كما شاؤوه قُنـا
أوطنوا « الأحساء » فارتاحت بهم
واكتسى الدهر بهم زينا وحسنـا
ياندامای بذيّـاك الحِمَـــى
بلّـغ الله بكم ما نتمنّـــى
« بالقبيليـات » لازالت بهـم
جنةٌ منها ثمـار الخير تُجتـنى

ثم انشد عبد الله عبد القادر :

لقد غادرت في « هَجَر » فؤادي
وإن أمسيت في أرض سواهـــا
بها أهلي وجيراني وصحـــبي
سقاها الله من بلـد سقاهـــا

ثم انشد علي التاروتي :

سمعا مهفهفة « المفوف » من « هَجَر »
أنغمة الصوت ذا أم رنّـة الوترِ
وذا الذي عطّر الآفاق فاتُحُــه
ترديد نفسك ذا أم نَفْحَة العَطِر

فهل ترى ارضا عربية ذكرها اهلها وغنى بها شعراؤها بمثل ما فعل اهل الخليج بخليجهم حين انشدوا في حنينهم شعرا تعجزه وطنيتهم وبعثه وفاؤهم ، معبرين عما في الخليج من المعيات واريحيات ، وممثلين طيب ارضه وصفاء سمائه وسؤدد ابنائه !

هكذا نرى الخليج على افواه الشعراء في كل العصور نغما عذبا وشدوا رقيقا، خالدا ذكره

خلود الادب دائرا اسمه في الناس ما دار الشعر وجال النثر .

الشيخ جعفر الخطى

وهذا واحد من شعراء الخليج ، بل هذا شاعر الخليج فى عصره ، ولد في مغانيه وتنقل بين اقطاره ثم ترحل عنه فهفا اليه وتلهف عليه . ذاك هو الشيخ جعفر الخطى المتوفي سنة ١٠٢٨ هجرية ، ١٦١٨ ميلادية ، لقد عاش بين القطيف والبحرين ثم سافر الى أصفهان حيث كان النابغة العربى بهاء الدين محمد العاملى الذى جمع الى الحكمة والعلم ، الشعر والادب ، وقد كان لقاء العلمين فى اصفهان مجالا لتساجلهما بالشعر ، فعارض الخطى قصيدة العاملى التى مطلعها :

سرى البرقُ من نجد فهيّج تذكارى
عهودا بحزوى والعُذيب وذى قارِ

فقال الخطى :

هى الدار تستقيك مدّ معك الجارى
فسقيا ، فأجدى الدمع ما كان للدار

وفيها يحن الى الخليج :

أموسم لذاتى وسوق مآربــــى
ومجنَى لُباناتى ومنهب أوطارى
سقتك برغم المُحل أخلافُ مزنة
تلف إذا جاشت سهولا بأوعــار

وتشاء الاقدار ان تنتهى حياة الشاعر في ايران فيموت بعيدا عن الخليج وأرضه ، تلك الارض التى طالما تغنى بها واشتاقها .

شعره

اجمل شعر الخطى واخلده هو ما كان صدى لعواطفه ومظهرا لحنينه ، ففيما عدا الشعر التقليدى الذى عرفه كل الشعراء في تلك الفترات ، فان الخطى نظم في الحنين الى القطيف حين هجرها الى البحرين ، ثم في الحنين الى كليهما حين رحل الى ايران . وهو في كل ذلك يذكر الاماكن ويتشوق الى المنازل :

هلا سألت الربع من « سيهــــات »
عن تلكم الفتيان والفتيــــــات
ومجرّ أرسان الجياد كأنهـــا
فوق الصعيد مسارب الحيـــات
ومُجدّفات السفن أدنى بره‍ـــا
من بحرهــا ومبارك الهجمـــات
حيث المسامع لاتكاد تفيق من
ترجيع نوتيّ وصوت حُــداة
إن « القطيف » وإن كلِفتُ بحبها
وعلت على استيطانها زفراتـــى
إذ حيث جزتُ رأيت فيها مدرجى
طفلا وأترابى بها ولداتـــــى
لأجلّ ملتمَسى وغايةُ منيتى
أنى أنيم بتلكم الساحـــــات
فسقى الغمام إذا تحاب ركبـــه
تلك الرحابَ الفيح والعرَصــات
واجتازت المزن العشــار فطبقت
بالسقى من « عتك » إلى « نبكات »

وهكذا فان «سيهات» و « القطيف » و « عتك » و« نبكات » هى مطمح انظاره ومثار هواه ، ومرابع الخليج وما فيها من حياة بحرية برية تلتقى فيها أصوات الحداة باصداء النوتية ، وتتمزج مجاديف السفن بارسان الخيل ، ان حياة الخليج هذه يشغف بها شاعر الخليج فيصورها لنا ويحدثنا عنها فنرى شعره صورة وطنه .

ولا عجب ففى الخليج درج طفلا ، وجال يافعا وشابا بين الاتراب واللِدات كما يحدثنا هو في هذا الشعر الذى نحس انه شعر « خليجى » بكل ما في الخليج من طبيعة واحياء وحياة .

واذا كان وهو في البحرين يحن الى بلده الاول القطيف ، فكيف به وقد نأى عن كليهما ونزح عن الخليج وبَعُد عن « مُجدّفات سفْنه » و « مَجرّ ارسان خيله » وحل بشيراز سنة ١٠١٢ هجرية . ان جواه في هذا ليطول ووجده ليثور فيقول :

ياهل ترون لنازح قذفت بــــه
أيدي البعـاد «بجدّ حفص» إيابا
لاتحسب «البحرين» أنى بعدهـا
متبوىء دارا ولا أصحـابا
ما أصبحت «شيراز» وهي حبيبة
عندي بأبهـج من «أوال» جنابا

ولكن البحرين ليست وحدها الآن هي التي تشوقه فهو موزع الفؤاد في الخليج كله ، فاذا ذكر البحرين تداعى الحنين عليه من كل جانب ، فالقطيف قبل البحرين كانت مدارج صباه وملاعب هواه ، انه لم ينسها وهو في البحرين غير بعيد عنها ، اينساها وقد شطت دارها وبعد مزارها :

ياساكني «الخط» في قلبي لكم خطط
معمورة بمعانيـكم مغانيهـا
ياهل ترون لمحنيّ الضلوع علـى
ذكـر الديار وقوفا في محانيهـا
ماذا على الطير إذ أبلى الضنا جسدي
فخف لو حملتني في خوافيهـا
إن يقعد الطير عن حملي لكم وسرت
ريح الصبّا فاطلبوني في مساريهـا

وهكذا يتداوله الشوق من القطيف الى البحرين الى افياء الخليج من حيث امتدت تلك الافياء :

عُج بالمَطيّ على معالم (بـوري)
بمحل لذاتـي وربع سـروري
لم تجعل العبرات خـدي مَعْبرا
إلا على مري بهـا وعبـوري
هل لي إلى تلك المنازل عـودة
يخبو بها وجدي وفرطُ زفـيري
يامن أسير كل يوم نحوهـم
كتْبي إذا أعيا عليّ مسـيري
آهٍ وقل على (أوالَ) أوهـى

فإذا جننتُ بها فغير كثـير
هيهـات ما (شيراز) وافية بمـا
في تلك لي من نعمة وحبـور

ويظل يتشوق ويتاوه :

حمامات شيرازَ رِفقاً بنـا
لَتهجتنّ بالنّوح ما عندنـا
ألا قُلْ لسكان (وادي المحـل)
هلْ وردوا في الهوى وِرْدنـا
فيا هل علمتم وأنتم هنـاك
ما عندنا فيكـم هاهنـا
فيا صاحبي والفـتى ربمـا
أحـال على خلّـه ما عنـا
لسكان (ظهر مني) من «أوال»
أول مطلبنـا والمـنى
ألا رُبّ قوم أباحوا لنـا
من الوصل أطيبَ ما يجتـنى
وفيهـم من الحسن ما فيهـم
فلم نـر ذاك مستحسنـا
يريـدون سلواننـا عنـكم
وإن كان ذلك لم يُسلنـا
فلا تنكرن علينـا الرحيـل
غداة نأى الركـب عنكـم بنا
فبالرغم أن يستقل المُحـب
عمن يحب وأن يظعنـا

هذه ملامح من شعر شاعر الخليج الشيخ جعفر الخطي كان فيها وفيا للخليج برًا به . وهذا الشاعر لا تقوم بالتعريف به هذه الصفحات القليلة ولكنها اذا استطاعت ان تدل عليه وتشير اليه فحسبها ذلك . ■■

بيروت ـ حسن الامين

شَكْوَى وَعُنْفُوان

للشاعر : الدكتور نور الدين ابو ريشه

■ مُلهمَ الشعرِ .. ما الذي أعياني ... فسبَى خاطري وزهوَ افتتاني

لمْ تَعد بي بقيّةٌ لحنينٍ ... في فؤادي ولا صدًى خفقان

والفراغ الذي ألمَّ بعمري ... طالَ في قفرِه هجوعُ كياني

وخمولُ الحياةِ في خافق الشا ... عر شكوى مريرةُ الألحان

لاتطيقُ الآذانُ رجْعَ معانيـ ... ـها إذا ما ارتمتْ على الآذان

وخطوبُ الحياةِ مهما ادلهمّتْ ... لن أريها الدموعَ في أجفاني

وتماسكتُ أستزيد الليالي ... وأريها تجلّدي واتزاني

أتجيش الرغاب ملْجمةَ الأفـ ... ـواه لم ترتعشْ لها شفتانِ

رَضعتْ من دمي ومرهف حسّي ... وتأبّتْ على مراد الزمانِ

همُّها سدْرةُ العلى .. ومراميـ ... ـها جناحٌ مفضفضُ الألوانِ

تتخطّى عليه حينَ تخطّى ... مابدنيايَ من صريعٍ فانِ

وإذا ما اجتلتْ رؤاها اشرأبّتْ ... ومدى طرفِها قصيٌّ .. دانِ

كنتُ بالأمس أستحثُّ قوافيَّ ... فتجري رخيّةً في لساني

أتشهّى فما أملُّ تشهّـ ... ـي وأمضي فما تضيقُ المعاني

كلُّ مابي تفتّحٌ وانطلاقٌ ... في خضمِّ السنا وخفقِ حنانِ

تلكَ دنيايَ ما جنيتُ بها حلْـ ... ـمًا وما كانَ باحتنا أولاني

لو تبدّلتُ في انطلاقي إليها ... لتملّحتها بدرْبِ الهوانِ

وجناحي جابَ الذرى وتملّا ... ها فما يرتمي على القيعانِ



حَسْبُه من عَلٍ يُكَحِّلُ جَفْنَيـ ... ـهِ ويُطْفِي حَشاشةَ الظمآنِ

إنّها الأرض ما أَضَلَّ .. ثراهـا ... تَركَتْ سِرَّه بغير احتضانِ

مَا وَعَتْ ما به ومن غربتـه ... رُوحُه .. لم يَبِتْ على اطمئنانِ

كَمْ تَشَظَّى لـه عليها جَنَـاحٌ ... ورِغابٌ مُزَغْرِداتُ الأمانـي

وَمضَى في الفضَـاءِ يَنْشُدُ فـي ... آفاقِـه نَجْعَةَ الجَوى الحرّانِ

أتـراه يعـود منـه كما عـد ... ت خَضيبَ الجناحِ دامي الجنانِ

مُلْهِم الشِّعر لمْ أعد أتَصَبَّا ... كَ ولا بِي إليـك شَوْقٌ كفاني

خَلِّ عنّي فما خَطَوْتُ بِدُنْيَا ... كَ على غَيْرِ شائكٍ أدْمـانـي

والخَيالاتُ والرُّؤى كم تجنَّتْ ... وأراقَتْ سَرابَها في دِنانـي

أَيَطُولُ السِّفَارُ في مَوْكِبِ الشَّكْوَى ؟ فإنِّي سَئِمْتُها يا زَمانـي ■■

نور الدين ابو ريشه

أنباء الطب والعلم والاختراع

قنال بنما الجديد يصل المحيطين الأطلسي والهادى

● هذا هو المشروع الذى يقوم العلماء اليوم بدراسته .

ويوجد الآن قنال يصل المحيطين الاطلسي والهادى ، يقطع البرزخ الذى يصل امريكا الشمالية بأمريكا الجنوبية ، ولكنه ليس في مستوى ماء واحد ، لهذا وجب ان تدخل السفن التى تدخله الهويسات (بيوت الماء) ليتعدل مستوى الماء الذى يحملها تمهيدا لاطراد سيرها في الجهة التي تريدها الى المحيط الآخر . وهذا عمل معطل وغير ميسر دائما .

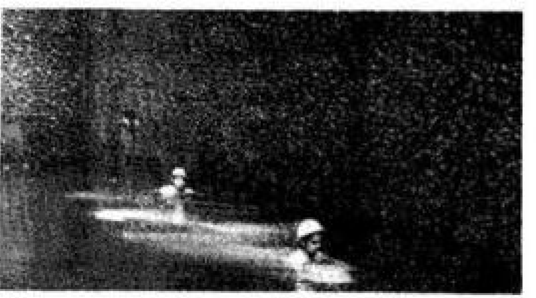
والعلماء البيولوجيون ، علماء البحار والاسماك ، يحذرون اليوم من الخطر الناجم من حفر هذا القنال الجديد ، او بلفظ اصرح من تيسير انتقال صنوف الاسماك من محيط الى محيط ، هذا الانتقال الذى قد يكون له مضار عظيمة هى اليوم غير منظورة .

وهم يذكرون الخسارة التى وقعت في تجارة الاسماك في البحيرات الشمالية التى تقع بين كندا والولايات المتحدة ، بوصلها بقنال ويلند Welland فقد تسبب عن ذلك دخول نوع من السمك ، هو اللامبرى Lampreys ، وهو شبيه بالثعابين ، الى هذه البحيرات ، حيث قضى على اكثر الاحياء الثمينة التى كانت فيه ، وكانت عماد الصيد وتجارة الاسماك هناك .

ان العلماء يقولون ان الطبيعة لها طرقها في تغيير بيئاتها ، ولكن تدخل الانسان يغيّر من البيئات الطبيعية اصطناعا ، غير مأمون العواقب ، لا سيما اذا جاء من غير دراسة ، او اذا كانت الدراسة ليست ميسورة في زمن من اعمار الناس معقول .



السمكة الثعبانية التي دخلت من المحيط الاطلسي الى البحيرات التي بين الولايات المتحدة وكندا وقضت على حياة السمك فيها وعلى تجارته



استاذان يدرسان بمياه اهوسة قناة بنما يبحثان عن احتمال وجود أسماك ضارة تنتقل من الاطلسي الى الهادى

وهم يضربون المثل بقناة السويس .

انها القناة التي تصل بين بحرين عظيمين ، البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر . ولكل بحر اسماكه ، ولكل صنوفه .

وهم يقولون انه بعد مائة عام من فتح قناة السويس اتضح ان عشرات من صنوف الاسماك بالبحر الاحمر قد هاجرت الى البحر الابيض المتوسط . ويرى كثير من علماء علم الحياة ان هذه الاصناف سوف تحل مع الزمن محل اكثر صنوف البحر الابيض المتوسط .

هذا والمعروف ان السمك لا ينتقل سهلا بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . ففي قناة السويس يوجد حائل طبيعي ، اذا لم يمنع السمك من ان يجتاز القناة ، فلا اقل من انه يجعل امر اجتيازها عسيرا . ونعني بهذا الحائل الطبيعي البحيرات المرة ، فهي من الملوحة بحيث ان القليل فقط من صنوف الاسماك هو الذى يستطيع اجتيازها .

وقناة بنما المزمع حفرها لن يكون بها حائل كهذا يمنع السمك ان يجتاز .

سرطان الفم

● ان كثيرا من الناس اليوم يخشون سرطان الصدر ، فيهربون من تدخين السجاير الى تدخين السيجار والى البيبة ، ذلك لان قليلا بين مدخني السيجار والبيبة من يستنشق الدخان عند التدخين .

ولكن الدخان يمكن ان يضر بالفم ، ان فاته ان يضر بالرئة ، وهو يصيب مدخني السيجار والبيبة .

وسرطان الفم يقتل الآلاف في العام في البلاد المتقدمة . والذين يصابون به لا يرجى لهم العيش اكثر من ٥ سنوات .

المُحليات الكيماوية تحول دون الجسم وامتصاصه المضادات الحيوية

● هكذا تدل بعض البحوث . والمحليات المعنية هي التي عمادها مركب السيكلامات Cyclamates وهي غير السكارين .

وقد دلت البحوث ان هذه المحليات الاصطناعية تحول دون امتصاص المضاد الحيوى في الدم ، واذن تحول دون وصوله الى موضع العدوى . مثال ذلك ان وجود هذه المحليات السيكلاماتية في الدم نزل بامتصاص مادة Lincomycin Hydrochloride الى نحو الربع .

سكان استراليا الأصلاء سلالات أبت ان تذوب في سلالات المدنية الحاضرة

● عندما اخذ اهل اوروبا يسكنون استراليا ، منذ نحو ٢٠٠ عام ، كان بهذه القارة نحو من ٣٠٠٠٠٠ من سكانها الاصليين ، مقسمين الى عدد كبير من القبائل في نواح من القارة متفرقة .

وهؤلاء الاستراليون القدماء يمثلون في السلالات الانسانية سلالة تختلف اختلافا واضحا عن السلالات الثلاث الكبرى المعروفة ، وهي القوقازانية ، والزنجانية والمغولانية . والمظنون انهم اصلا كانوا من سكان آسيا ثم عبروا الى استراليا من الركن الجنوبي الشرقي من آسيا .

وكالعادة ، حدث ما يحدث عند التقاء الحضارة الحديثة بأهل الحضارات البدائية القديمة ، اذ تضمحل هذه الحضارات . ودليل ذلك عدد سكان استراليا من المواطنين الأصليين الصرحاء فقد نقص في عام ١٩٥٨ الى ٣٨٠٠٠ .

ثم اخذ هذا العدد في الزيادة حتى صار اقرب الى ٤٥٠٠٠ . وتعزى هذه الزيادة الى رعايات خيرية اقيمت لهم والى عناية الحكومة بهم .

ويوجد غير هؤلاء الأصليين نحو ٧٧٠٠٠ من أنصاف الخلصاء ، وبعض هؤلاء تميز في الرياضات البدنية ونال شهرة ، ومنهم من اشتهر بين أهل المهن واهل الفن .

ان اموالا كثيرة بذلت لاذابة هؤلاء القوم في البوتقة الاسترالية العامة من السكان ، واقيمت في سبيل ذلك المساكن والمدارس والمستشفيات ، ولكن ناهض كل هذا ما في هذه القبائل من الحرية

الحصبة الالمانية وخطرها على المواليد اكتشفوا لها لقاحا

● انه لقاح جربوه في فرموزا ، تيوان كما يسمونها اليوم ، وهي الجزيرة الصينية التي رئيسها شانج كاي شيك .

حدث فيها وباء من هذه الحمى في يناير عام ١٩٦٨ ، فقام الدكتور جرايستون Grayston بتلقيح ٣٠٠٠ طالب في الجزيرة ، واثبت أن هذا اللقاح فعال بمقدار ٩٥ في المائة .

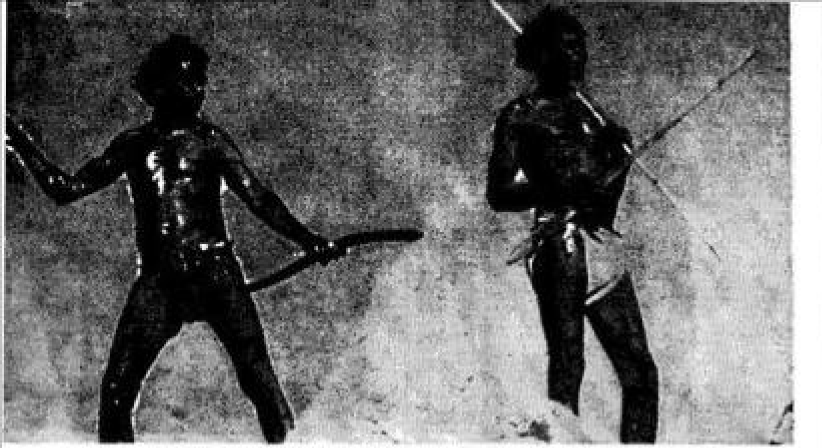
كذلك اجريت تجارب لهذا اللقاح في اماكن اخرى ، واتت بنفس النتائج .

ولكن لما حقنت بها النساء ، خلفت لديهن في المفاصل شيئا اشبه بالروماتزم المفصلي ، ولم يحدث شيء من ذلك في الاطفال .

والمأمول ان يعم هذا اللقاح في الاطفال، وهم الهدف الاول الذي يهدف اليه هذا الوباء ، وبذلك يمتنع انتشاره .

ولا بد من ان نذكر انه في عام ١٩٦٤ كان هناك وباء بالحصبة الالمانية في الولايات المتحدة، نشأ عنه ميلاد ٣٠٠٠٠ طفل مشوه ، من امهات اخذن المرض اثناء الحمل .

فأي حصانة ضد هذا المرض ، ولو لم تبلغ بالضبط ١٠٠٪ ، حصانة يرحب بها المسئولون كل الترحيب .



سكان استراليا الاصليون مايزالون يستخدمون ادوات من ابتداع اجدادهم



رجل من سكان استراليا الاصلاواضح اللامح وفي صدره ندوب جراح

الطبيعية والانطلاق والرغبة عن التقيد بقيود المدنية والدخول في صفوفها .

واخيرا ظهر بين هذه القبائل من قام يطالب ببعض اراضيهم المفقودة .

كان رجال هذه القبيلة يعملون اجراء في مزرعة لتربية المواشي كبيرة . وكانوا فرسانا مهرة ، وكانوا مهرة في تتبع الاثر حتى ما يجاريهم في هذا احد . وفجاة اعتصبوا ، وبعثوا « للورد الكبير » في العاصمة ، يعنون الحاكم الاسترالى العام ، رسالة مكتوبة على قشر الشجر ، وهم القوم الأميون ، يطلبون منه ان يخصص لهم من ارضهم القبلية ..٥٠ ميل مربع يعيشون فيها مثل ما عاش آباؤهم الأولون منذ ١٨ الف عام . وأجابهم الحاكم بأن اعطى لهم ثمانية اميال فقط . ثم ثنى الحاكم بأن خفض حتى هذه المساحة القليلة من الارض .

وذهلت القبيلة . انحبهم ارضهم حب تقديس .

وذهل معهم فئات من الاستراليين عديدة راوا ان السبيل الى المزج عن طريق بناء المساكن وفتح المدارس قد خاب ، واذن لا بد من حل آخر في ارجاء هذه القارة الواسعة .

وفي العام الماضي وافق اهل البلاد على اعتبار رجال هؤلاء القبائل مواطنين استراليين . ولكن ليس لهم بحق الميلاد وحده حق ملكية للارض . لهم الحق في العيش فوق الارض ، والعيش منها في المساحات القارية الواسعة التى خصصت لهم ، يترحلون فيها ، ويجنون منها ما يجنون من طعام بالصيد وبغير الصيد . وليس يمنعهم شيء من شراء الأرض ، ولكن بأى شيء يشترون ؟ وهم الفقراء ؟ .

ومع هذا فالأرض لهم يستغلونها على هواهم ، وهم مهرة كما قدمنا في تربية المواشي ، فلو أنهم انصرفوا اليها ، فيهذه المساحات الواسعة ، لعادوا على الدولة بالثراء الواسع .

ولقد درس العلماء عمر بعض المخلفات القديمة التى خلفها قدماؤهم ، فوجدوا من بحث فحم نباتى متروك في موقد حجرى هناك ، انه بلغ من العمر نحوا من ٢٥ الف عام . ومخلفات اخرى وجدوها ودرسوها ، دلت على تواريخ اقدم من ذلك .

يا للقوم القدامى عندما لا يجارون الزمان في تطوره . انهم يصبحون نغمة ناشزة بين انغام هذه الدنيا الحاضرة !



في المناطق المتجمدة
بيوت على اعمدة عالية
تمنع الثلوج من ان تتراكم

● ان هذا وقع في منطقة القطب الجنوبي .
بنوا البيوت هناك للبحوث . فلماهبت الثلوج ، وقفت عند البيوت لما صدتها ، ومنعتها من المرور . وتراكمت الثلوج حتى سدت على هذه البيوت النوافذ .
وكان الخلاص من ذلك ان عمدوا الى بناء البيوت على اعمدة عالية ، حتى اذا اتى الثلج يهب هبًا ، لم يتوقف عند البيوت ، ولكنه يجرى من تحتها الى ما يريد الذهاب اليه .
وبذلك تخلصت البيوت من الثلوج المتراكمة التى تطمسها طمسا .

اى من المضادات الحيويه
هو افعل لهذا المرض العفن ؟
طريقة سريعة لكشف ذلك

● انها طريقة سريعة تكشف عن المضاد الحيوى Antibiotic الأفعل الذى يعطى لمريض به مرض سببه المكروب . وهي طريقة اسرع من الطريقة العادية بنحو ٢٤ ساعة ، فيكون بسببها العلاج أسرع وافعل .
فالمعروف أن البكتير اذا اجتمع بكرات الدم الحمراء اخذ يستهلك الاكسجين ، واذن تأخذ الكرات الحمراء في فقد لونها الاحمر . ولكن اذا اضيف اليهما المضاد الحيوي الأصلح ، ثبتت الكرات الحمراء على حمرتها . ذلك لأن المضاد الحيوى عندئذ يحمى الكرات الحمراء من البكتير ويعطل البكتير . ●●



ملح الطعام وأهميته لجسم الانسان

● يقال ان ملح الطعام يضر بالصحة ويسبب ارتفاع ضغط الدم ، والبدانة .. وفي نفس الوقت يقول البعض ان المرء يجب ان يتناول الكثير من الملح في فصل الصيف خاصة .. فأي الرأيين أصح ؟ وما هو مقدار الملح اللازم لجسم الانسان ؟

ـ ملح الطعام او ما يسمى كيمائيا بكلوريد الصوديوم هام للجسم ولا بد ان يحتوى عليه الطعام لكي يحافظ الجسم على مستواه الطبيعي في الدم وهو اذا اخذ بكميات قليلة او كثيرة بواسطة الشخص العادى فان للجسم القدرة على ان يكيف نفسه بحيث تبقى نسبته في الدم طبيعية . اما في مرض ارتفاع



ضغط الدم مع هبوط في القلب فان افرازه من الجسم يقل وعندئذ ترتفع نسبته في الدم مما يسبب استبقاء الماء داخل الجسم فتزيد السوائل في الخلايا ، ويسبب تورما وزيادة في ارتفاع ضغط الدم ، لذا كان من الواجب ان نقلل من الملح حتى لا يحدث ذلك .

اما في حالات السمنة فكما قلت ان الملح يسبب تورما في الجسم ويزيد من الوزن لأن الماء يحتجز داخل الجسم بكثرة ، واذا فقد المريض هذا الماء قل وزنه . ولكن هذا ليس السبب المهم في السمنة اذ ان تناول الطعام بكثرة هو السبب الرئيسي لذلك. وزيادة الماء داخل الجسم ما هي الا سبب مؤقت للسمنة يزول بالاقلال من الملح وشرب الماء بكثرة . وفي الصيف يفرز الجسم عرقا كثيرا وهذا العرق محمل بملح الطعام لذا يقل مستوى الملح في الدم ويسبب انهاكا شديدا مع خفض ضغط

الدم والاعياء الشديد . لذا كان يجب تعويض الجسم بأخذ كميات كافية من الملح في الصيف . ومقدار الملح اللازم للجسم يوميا يتراوح بين ١٠ ــ ١٥ جراما ، وهذا في الايام العادية اى عندما لا يعرق الانسان بكثرة كما في ايام الصيف او عندما يتعرض لحرارة شديدة ولمدة طويلة .

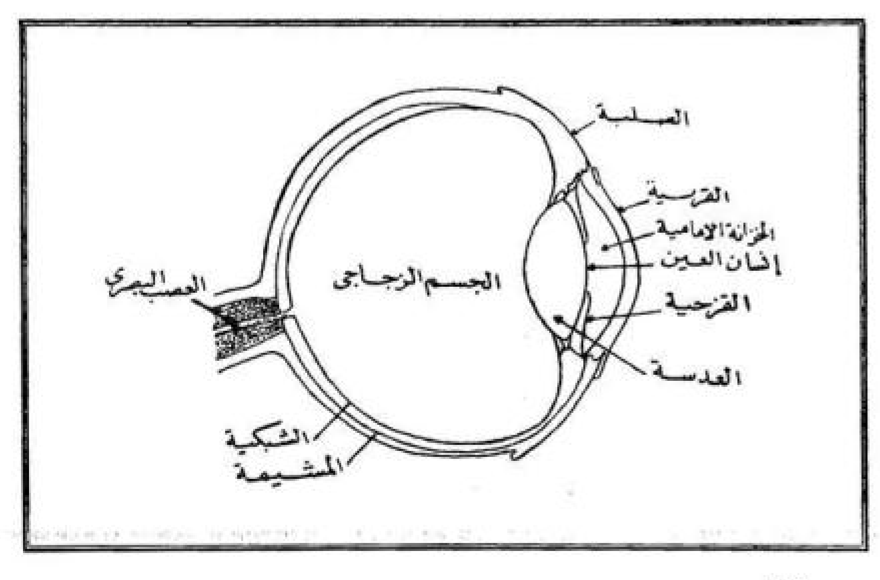
عتامة فى العين

● انا رجل في الخامسة والخمسين من عمرى . اصبت بتعب فى عيني وذهبت الى طبيب العيون الذى اخبرني انني مصاب بمرض اسمه « كاتاركت » وانه من الضرورى اجراء عملية جراحية لي .

وسؤالي هو : كيف ينشا هذا المرض ؟ وهل هناك علاج آخر غير الجراحة ؟

ــ تحدث الرؤية عندما يقع الضوء على جسم امام العين وينعكس الضوء من الجسم الى العين فيمر خلال القرنية ، ثم من انسان العين ، ثم خلال العدسة فالجسم الزجاجى ، ثم تقع الأشعة الضوئية على شبكية العين مكونة الصورة . ولكي تصل الاشعة الى الشبكية يجب ان تكون كل هذه الاجزاء المذكورة من العين شفافة تماما .

وعندما تحدث غمامة في عدسة العين ينشأ المرض الذى نسميه « السّد » او « الكاتاركت » . وبالتالي يتواجد حاجز معتم في طريق الضوء الداخل الى العين



احدث علاج للبلهارزيا

● هل هناك علاج جديد للبلهارزيا المزمنة التى اعاني منها منذ ١٥ عاما ؟

ــ آخر ما استحدث من علاج للبلهارزيا هو أقراص Ambilhar وتنتجها شركة Ciba ولها فعل أكيد في القضاء على البلهارزيا ولكن لها مضاعفات ولو أنها بسيطة وقليلة الا أنه يستحسن أن يأخذ المريض علاجه بالمستشفى وتحت ملاحظة الطبيب .

والعلبة بها عشرون قرصا تستعمل منها كمية حسب وزن المريض وعلى فترة ستة أو سبعة أيام . ولانه تحدث مضاعفات في القلب والكبد والجهاز العصبي . لذا كان من الواجب ان يؤخذ العلاج تحت ملاحظة الطبيب ويكون المريض في راحة تامة بالفراش. ويلاحظ ان البول يسود لونه اثناء العلاج ويكون مصحوبا بمغص وآلام في البطن لذا يعطى مع العلاج اقراص ضد الحساسية مثل Periton او غيره .

والعلاج بهذه الطريقة يفيد المرضى المصابين بالبلهارزيا التى تصيب القولون والجهاز البولي .

وهذا يمنع وصول الاشعة المكونة للصورة الى الشبكية .

كيف ينشا هذا المرض :

١ ــ سد خلقي : قد يولد الطفل وهو مصاب بعتامة العدسة لسبب غير معروف او بسبب اصابة الوالدة بسوء التغذية وبالتالي الجنين . وقد يكون بسبب اصابة الوالدة بمرض ناشيء عن فيروس وخاصة الحصبة الالمانية او لاسباب اخرى .

٢ ــ سد مكتسب : وهو الذى يحدث بعد ظهور الانسان في الحياة .

ويقسم الى انواع اهمها :

أ ــ سد ناتج عن اصابة العين بحادث .

ب ــ سد مضاعف اى الذى ينتج كأحد مضاعفات مرض موضعي في العين .

ج ــ سد سكرى وهو الذى ينشأ كأحد مضاعفات مرض السكر .

د ــ سد اولى : وهو يحدث بدون اى سبب ظاهر .

هـ ــ انواع اخرى .

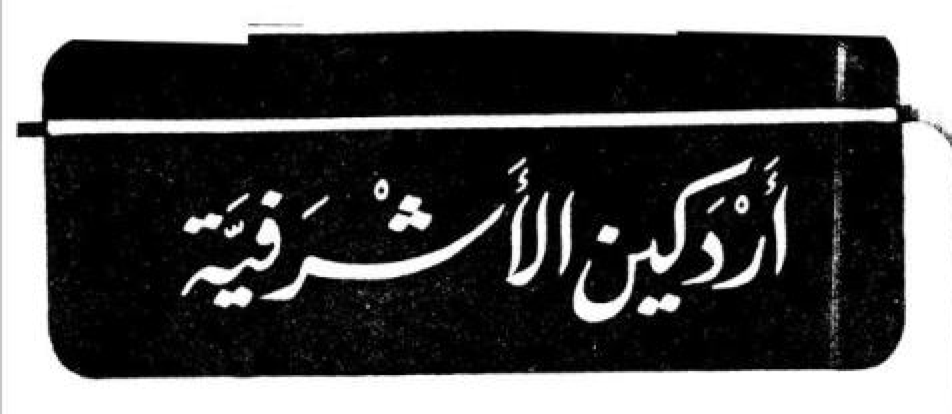
السد الاولى : هو أكثر الانواع . وغالبا عند حدوثه يكون الانسان في العقد الخامس من عمره أو بعد ذلك .

اما كيف ينشأ فذلك يكون بحدوث عتامات تدريجية في عدسة العين او في العدستين . ويشعر المريض بضعف تدريجي في قوة ابصاره حتى يتم نضوج السد نضوجا تاما حيث لايستطيع المريض أن يرى خيال اليد عند تحريكها امام العين وكذلك يمكنه رؤية الضوء ومعرفة اتجاهه .

العلاج

لا يوجد اى علاج غير اجراء العملية الجراحية . ونفضل الانتظار حتى يتم نضج السد حيث تكون كلها متماسكة . وفي هذه العملية تفتح العين بين القرنية ، والصلبة ونخرج العدسة المعتمة .

وبعدها يحتاج المريض لنظارة طبية اى تعوضه عن عدسة عينه بعدسة اخرى في صورة نظارة .



أَرْدَكين الأَشْرَفِيَّة

بقلم سنية قراعة

■ اخذت اضواء الشموع والقناديل الملونة العديدة تشع في جوانب القاعة ، حتى لقد بدت على سعتها وفخامة اثاثها وكانها تسبح في محيط من النور تزاحمت فيه الاطياف وخالطتها الظلال وغمره صمت كئيب ..

اضواء واجمة حيرى لا حياة فيها ولا حس ، لم يسبحوا في فيوضها ، اذ ران عليهم صمت بغيض، كانت تحوم في سماواته الزفرات الحائرة الولهى ، خالطت انات الضيق والتبرم .

واخذت اللحظات تمر وكأنها من فرط ثقلها اجيال بطيئة متكاسلة ..

هذا الصمت اللعين لماذا يخيم على قطاع منعزل من قطاعات قصر السلطان المنصور قلاوون الالفي في قلعة الجبل !!

لماذا .. لماذا .. وأي شيء كان يعوز من فيه ، والحياة كلها .. والنعيم والراحة والسعادة ملك ايمانهم !!

وبرم الحسن المشبوب والفتنة المتوثبة بذلك الصمت اللعين .. وضاق بالكآبة الخرساء التي كان يفرضها كل ليلة الامير « خليل بن المنصور قلاوون » ..

وجعلت زوجته الشابة « اردكين » ترقبه في هدوء كما تعودت كل ليلة ، وهي لا تتكلم ، حتى يتكلم هو ، اذ طالما اعتبرت صمتها هذا فخا لايلبث ان يقع في شراكه ، فيسلم ويبوح بكل شيء ..

ولكن خليل ابن السلطان لم يتكلم هذه المرة ، وان اردكين ساحرته الفاتنة لترقبه في سذاجة غير المهتمة بأمره ، فما دام قد آثر الصمت، واصر على عدم الكلام ، وابى ان يلقى عن كتفيه احمال همومه، واثقال متاعبه فلتتركه الى نفسه وشجونه والامه وهي كثيرة لا يحصرها عد ..

لقد كان خليل هذه الليلة قلقا متبرما .. كان يقوم من مجلسه ليجلس على اي مقعد آخر قريب أو بعيد .. ثم يجلس ليقوم .. ثم يقوم مرات ومرات في عصبية ليذرع القاعة الفسيحة التى كان يغمرها بالنسبة له وحده ظلام لم تفلح الشموع العديدة ولا القناديل الزاهية الالوان في تبديده ..

ابدا لم يكن الظلام ظلام ليل . .ولم يكن السواد سواد ظلمات .. بل كانت الظلمة ظلمات فوق ظلمات تخيم على نفس خليل وتغلفها بأردية سود رهيبة هي الحقد ، وهي الضغينة ، وهي عدم الرضا .. وهي التطلع الى ما في يد غيره .. ثم هي بعد هذا كله .. الكراهية اللعينة العمياء ..

اجل .. الكراهية العمياء .. الوحش المشوه الكسيح المنفر الهيئة البغيض السحنه ..

يا عجبا !! كيف كان لمثل هذا المسخ البغيض ان يصل الى قلب الامير السامي المكانة ، ويتملك زمام نفسه ، وهو الذى كانت الدنيا بين يديه ..

انه ابن السلطان الاعظم « المنصور قلاوون الالفي » فكيف ينظر الى الحياة تلك النظرة البغيضة ، ولماذا كان دائما أبدا يستسلم لمشاعر الكراهية تعمر احاسيسه وتتملكه وتعصف به !!

لقد كان خليل هو الابن الثاني للمنصور قلاوون



.. واتجه اليها في تبرم
وضيق وعصبية يسألها
سر ضحكتها تلك ، وهل
هى سخرية منه ومن دمته
واطرائه ! ..

.. ومن أجل أنه الابن الثانى .. وليس بكر ابيه
.. واولهم ترتيبا وقدوما الى هذه الحياة ..
كره الناس .. كره نفسه .. كره والده العظيم،
وطالما ركن الى هذه الكراهية الشوهاء وأحبها ،
ففيها متنفسه وفيها راحته الكبرى كلما اجتاحته
كاعصار مدمر وغمره ثوراتها الرهيب ، فيحس أنه
سيد الناس ، وأن الناس جميعا أمامه حشرات
وتوافه يطؤها بقدميه .. دون تمييز ، وخاصة
أخاه لأبيه .. أخاه « عليا » بكر المنصور قلاوون ،
ووريث سلطانه وولى عهده ، واحب الناس اليه !!

واخذت اللحظات تمر .. والوية الكآبة تتعاقد متكاثفة على سماء القاعة .. والصمت يخيم ويخيم .. وزفرات خليل تزداد حرارة وضراما ..

وتندت شفتا « اردكين » عن ضحكة سريعة خافتة.. ضحك الجمال سخرية بالكآبة..وسخرت الفتنة بالضيق والتبرم ..

وهب خليل وكأنما انقض على رأسه جبل .. ونظر الى زوجته الحبيبة نظرة شرسة رهيبة لم تلبث ان ردتها اليه بنظرة نارية ..

لطالما عرفت « اردكين » الفاتنة كيف تروض شراسة خليل وتسلس قياده ، وتجعله في يدها كدمية .. او كطفل شرس لا يلبث ان يلين عند ما تفتح له امه ذراعيها ، ويحتويه حنانها الغامر الفياض ..

ابدا ما تصورت اردكين ان زوجها كان قد تملكه الشر بصورة بشعة تلك الليلة بالذات .. وابدا ما تصورت ان هذه النفس المريضة التى ظنت انها ابرأتها من الحقد والضغينة والبغضاء ، قد عاودها الداء اللعين ، وان جرحها قد انتكأ باشد واروع من ذى قبل ..

لقد ظنت اردكين انزوجها قد هفت نفسه الى ماضيه الماجن الصاخب .. وعاوده الحنين الى رفقة السوء ، وصحبة الشر ، وسهراتهم الماجنة العابثة ، والجوارى الشاديات الراقصات .. و .. بائعات الهوى الرخيص !!

ذلكم ما ظنت اردكين زوجها يفكر فيه ، اذ قد انتشلته من تلك الوهدة المتردية ، ولم تقبل الزواج به الا بعد ان عاهدها على الاستقامة ، والبعد عن الشر ، واهل المجون ..

ولكن خليل كان يفكر في اشياء ابعد مدى من مجالس الشراب ، والندمان ، والشاديات ومن اليهن .. كان يفكر في غده ..

لقد شغله الغد المجهول .. الغد المظلم بالنسبة اليه .. شغله امر أبيه قلاوون .. وامر اخيه « على » المحظوظ .. شغلته مطامعه .. شغلته دنياه ، وكأنما نسي الواقع ونسي الحقيقة .. ونسي ان ما قدره الله واراد سوف يكون ، وانه لن يصيب المرء الا ما كتبه الله له ..

واخرجت ضحكة اردكين زوجها من عالمه العابس الجهم الوجه ، البغيض الملامح ، واتجه اليها في تبرم وضيق وعصبية يسألها سر ضحكتها تلك ، وهل هى سخرية منه ومن صمته واطراقته !! ..

وتكلمت اردكين الفاتنة .. تكلمت في صراحتها المعهودة ، وقالت لخليل الذى يكاد يصعق لسماعها .. انها تضحك سخرية منه فعلا ، لانه يأبى الا ان يعود الى بيته ومعه همومه العديدة ومشاغله .. بل واوهامه وتصوراته الرعناء الجامحة في حين ان الواجب يحتم عليه ان ينسى كل هذا خارج البيت وينفض منه يديه !!

وقبل ان يتكلم خليل وصل الى اذنيه صوت اردكين تقول له : انه اضعف من ان يعاند القدر ، وانه رغم مكانته ، ومكانة ابيه ، فانه لايستطيع ان ينتزع من الحظ ما لم يوهب له عن رضا ،فكل شيء مقدر مقسوم ، وطوبى لمن يرضى ، وتبا لمن يتمرد او يعصى ، ويطمع في شيء لم يقدر له .. ان الظروف نفسها ترغمه على الرضا والقبول ، وهو ذليل مهان .. ولو قبلها عن رضا ما احس الذلة ولا استشعر المهانة ..

وسكت خليل .. وعاد ينظر الى زوجته الفاتنة .. ويطيل النظر في اغوار عينيها الخضراوين .. انهما محيط شاسع المدى .. عميق الاغوار لايخافه .. ولا يخاف اعماقه المجهولة .. بل يحبها .. فعند شاطئيه يلقى حمولة نفسه واثقال قلبه ، فينسى الدنيا ، وهو يسلم نفسه الى اللجة الهادئة .. فتغسل عنه اوصاب الحياة ..

كانت « اردكين » أميرة من التتار ، احبها خليل حبا ملك عليه نفسه فتزوجها ، واخلص لها الحب فكانت المرأة الوحيدة في حياته منذ ارتبط بها .. وقد عرفت اردكين الذكية المتبدة كيف تفرض شخصيتها على زوجها المضطرب النفسية،الشديد القلق ، الدائم السخط على الحظ ، اللاعن لظروف الحياة ، فوصلت الى دخيلة نفسه وتملكته ، عن تسليم منه ورغبة وراحة ، فقد احس بوفائها وشديد اخلاصها له ، وانها كانت القلب الوحيد الذى طالما اولاه الحب وخصه بالعطف والحنان ..

كان خليل يعرف انه وحيد في قلعة الجبل .. وحيد في قصر ابيه .. بعيد عن الجميع حتى عن قلب ابيه العظيم قلاوون الذى كان قلبه منصرفا بكليته الى ولده البكر على والى ابنه الصغير محمد ..

ولقد كان قلاوون محقا في تباعده عن ولده خليل .. فخليل كان شاذا رهيبا .. كان قاسيا لا تعرف الرحمة من سبيل الى قلبه .. وكان دائم الشكوك في الناس ، وكانما اوحى اليه العصر المملوكي الذى عاش فيه ذلك الاحساس .. فالناس هنـاك .. كل الناس .. حتى السلاطين العظام ، كانوا اذا اووا الى فراشهم لا يعرفون هل يطلع عليهم النهار او يلعبون ضحية مؤامرة من المؤامرات التى طالما كانت تحاك في الظلام ..

وكانت اردكين على عكس زوجها .. راضية .. هادئة النفس .. مستقرة الضمير .. تعرف أن ما قدر سوف يكون ..

وكانت مسلمة متدينة ، شديدة التقوى .. كثيرة التعبد ، لم تهتم بعلاقاتها بالناس ايا كان اولئك الناس ، قدر اهتمامها بصلتها باللهالقادر، الذى جعلته مناط رجائها وعمادها ، وعونها في كل شيء ..

وطالما حاولت اردكين التقية ان تجعل زوجهـا الدائم السخط على حياته ، وحظه ، صورة منها هى .. ولكنها كانت تنجح مرة ثم تفشل مرات ..

وان اردكين ، المؤمنة ، القانعة ، لتجد نفسها وفي تلك الليلة بالذات امام رجل تكاد تنكـره وتنكر كل شيء فيه .. فلم يكن خليل زوجهـا الذى عرفته ، هو من كانت تراه امامها .. بل رجلا آخر يختلف عن خليل في كل شيء ..

رجل !! لا .. ان هذه الصورة التى طالعها بها ابن قلاوون لم تكن ابدا صورة رجل .. صورة انسان يحس ويشعر .. ؟! بل صورة حيوان كاسر مفترس !! حيوان جائع متوثب يسعى الى الفريسة ، وانها وهى تنظر الى عينيه لتـرى صورة ذلك الوحش الاحمر العينين ، وكانها بالدم يطل منهما ، وقد برزت منه الانياب ، وراح يشم ، ويزاد ويتطلع وكانما يترقب فريسة !!

وللمرة الاولى في حياة اردكين الزوجية احست بالخوف والرهبة من زوجها .. خشيت الوحش المتوثب المستعد للانقضاض والفتك بعريسته .. .. ولم تكذبه القول ، ولم تخف عنه رايها هذا وانها لتصارحه به فيولى عنها وجهه في رهبة ، ويدبر مبتعدا ، لم يعود وقد سـادت الصفرة وجهه واختلجت مشاعره وراح يهذى ويتكلم ..

لماذا لا يكون وحشا ضاريا .. أسدا مثلا !!

وتسخر اردكين منه وهى تقول ان الاسد لايغدر .. ولا يكمن لفريسته في الظلام ، لانه سيد ... ويحس برهوبته وسلطانه ..

اذا .. فاى شيء يكون خليلهذا ؟! فهد مثلا !!

وتضحك اردكين سخرية وهى تابى أن يكون زوجها فهدا .. فالفهد الوثاب ، حيوان كاسر يتميز بالغدر .. ولا يميز فريسته ويهاجم حتى ولو كان متخما في غير حاجة الى طعام ، فكل هوايته هى أن يفترس وان يلغ في الدم ، ويغرق فيه اظفاره وانيابه !!

وارتاح خليل الى صـورته الجديدة ، وتلك التي تخيرتها .. صورة الفهد الضاري .. شديد البطش .. سريع الهجوم .. عاشق منظر الدم ..

وران الصمت .. وركن خليل الى صورته .. وسكن الى شراسته .. وعبثا حاولت اردكين ان تكشف خبيئة نفسه .. ورغم هذا .. تكلم .. لا عن نفسه بل عن الفهد الوثاب !!

انه يمجده ويقره على غدره ، وما دام يصل الى ما يريد .. ويحقق كل ما يبغيه .. فليكن ما يكون ..

وان « خليلا » بدوره ليريد .. وان اردكين لتقول له : ولكن الله يفعل دائما ما يريد !! فيابى التعس الا ان يتمرد ، ويأبى في حماقته الا ان يحمل وزر العصيان والخروج وعدم الطاعة ..

ومرت الليلة .. ملولة بغيضة الساعات ، ولم يغمض لاردكين جفن ، وقد خشيت على زوجها مغبة تمرده ..

ان المنصور قلاوون يعرف ابنه جيدا . ويعرف مشاعره وعواطفه وميوله ، فلم يرتح اليه ابدا .. وانه ليراقبه عن قرب وعن بعد .. أبدا ما أحس الأب بالراحة نحو نوايا ولده .. ولا هو شعر بالامان وهو ينظر اليه .. وكان يخاف على اخوته منه ، ومنهول نظرته اليهم .. وانالسلطان ليعتزم اليوم أن يقوم بزيارة الديار الشامية ، ويريد أن يصطحب معه ولي عهده وابنه البكر « عليا » ولكن ..

ولكن هل يامن قـلاوون الالفى جانب خليل

.. وهل يخرج من مصر الى الشام ويترك خليلا وحده في مصر ومعه طغمة من المماليك قد تدفعه بالانقضاض على أبيه .. أو قد يغريهم هو بالمؤامرة والوثوب على السلطان !!

ورأى السلطان قلاوون الحذر أن أسلم طريقة للخروج الى الشام هى أن يخرج ومعه كل من « على » .. و « خليل » .. وارتاح الى هذا الرأى وبعث في طلب خليل وأعلمه بذلك ليستعد لفوره للسفر ..

وأسرع خليل ينفذ أمر أبيه وهو يكاد يطير بجناحي الشوق واللهفة ، حتى لقد راع اردكين النبيلة أن تنظر في وجهه وتتفرس ملامحه ..

لقد تغيرت سحنة خليل ، وأن خلجات وجهه كلها لتكاد تنطق بالشر ، وازداد احمرار عينيه ، واتسعت حدقتاه ، حتى لقد دخل في روعها أنها فعلا أمام فهد متربص في مكمنه يترقب اقتراب الفريسة ليثب عليها ..

وأسرعت اردكين الى زوجها تحاول بالحنان وليونة الانثى الطيبة أن تصل الى نفسه أو تكشف حقيقته ، وتعرف سره ، وأية أفكار كانت تراوده ، واذا بها وبدافع خفي تتراجع في رهبة وقد سادتها قشعريرة أحست معها أنها أمام شيطان ..

لقد خيل الى اردكين أنها سمعت خليلا يحدث نفسه همسا وفي نبرة صوته المرتعد ، رجعة الحيوان المكب على الفريسة ، وقد راح يزمجر .. خيل اليها أنها سمعته يهمس في خفوت .. سيجد الفهد فريسته .. سيجدها معدة تماما .. وستقع .. وليكونن تعسا يستحق الموت ان هى أفلتت منه ..

فريسة معدة !! وفهد متوثب !! ما معنى هذا !! وأى شر انتواه خليل الشرس الطباع !!

ولم تكد اردكين النبيلة تتقدم من زوجها تسأله ماذا كان يقول حتى تراجعت ، وقد دوت في خيالها أصداء ضحكته الوحشية .. يالها كانت من ضحكة ذات أصداء بغيضة منفرة ، اذ سمعت أردكين فيها زمجرة النمر الاسود الغادر ، وهو كامن على غصن تلفه أوراق الغابة بجار ، ليثب بعد لحظات على الفريسة التعسة التى لن تفلت من يديه !!

وأسرع خليل الى الخارج واردكين مكانها ذاهلة ترقبه وصوته يدوى ، في اذنيها قائلا انه خارج الى الشام مع أبيه .. وأخيه على ..

ووجدت أردكين نفسها تتجه بقلبها الى الله تسأله اللطف بزوجها والرحمة ، وأن يجنبه الشطط والزلل والعدوان والخطيئة ، ويحميه من شر نفسه ..

وطال بها أمد صلاتها الخاشعة ، فلم تدر كم من الوقت مر عليها وهى على تلك الحال ..

وتقضت ساعات اليوم .. وانتصف النهار أو كاد .. وركب السلطان وولداه في طريقهم الى الشام .. وحل وقت الظهيرة ، فمد السماط ، وجلس قلاوون يتناول طعام غدائه مع ولديه وبعض خاصته المقربين ثم ارتاح ثلاثتهم في القيلولة .. ومع الاصيل الهادىء استأنف الركب المسير ..

وراحت الظلمة تزحف من أقصى الافق وخليل يرقب في حذر « عليا » ، ويحصي عليه حركاته وسكناته .. ووجه خليل يتلون تلون الحرباء ..

وعلت صرخة « على »المسكين .. وأسرع السلطان وخاصته الى ولى العهد المحبوب فاذا به يصرخ ويئن ويتوجع ، واذا به يشكو نزيفا حادا في أمعائه .. وراح أهل الخبرة يحاولون اسعاف « على » المسكين ، والحالة تزداد سوءا ولم يكد يرخي الليل سدوله ، حتى وجد السلطان أنها مغامرة غير مأمونة العواقب أن يداوم السير في رحلته التى خرج لها فأمر الركب أن يعود الى القاهرة.. الى قلعة الجبل ..

ودخل خليل فجأة على أردكين زوجته النبيلة .. دخل وعلى ملامحه طابع الذلةوالشعور بالرهبة والجزع .. الشعور بالذنب .. الاحساس بالجريمة النكراء التى ارتكبها ..

ومات « على » المسكين .. مات الابن الاول .. واصبح خليل الابن الثانى ، هو الابن الاول .. المقدم على الجميع وهو ولى عهد قلاوون..ووريث ملكه .. !

مات على وأكثر من أصبع اتهام تشير في صمت الى خليل الغادر الوحش الذى لا قلب له .. حتى الأب الملتاع نفسه كان يشك في خليل ولكنه لم يستطع أن يتكلم ..

لقد دس له اللعين خليل السم ليخلو له الجو .. وان خليلا ليحاول الظهور بمظهر الطاهر البرىء من دم أخيه ، ولكن اللعنة التى لاحقت قابيل حومت فوقه ولاحقته ، وراحت تنتظـــر الوقت المناسب للقصاص فالدم بالدم .. والقادر لا بد أن يقدر به .. والقاتل لا بد أن يقتص منه ، فان افلت من القصاص الدنيوى ، فلا بد أن ينال العقاب في الآخرة .

كانت أصابع الاتهام كلها تشير الى خليل الذى أظهر الحزن والاسى لموت أخيه « علي » ولكن .. هل كان هذا كله يعفيه من قسوة الاتهام الصامت، أو يرحمه من تعذيب ضميره ووخزه الشديد .. ولقد كابر الجانى وجادل وانكر وأقسم وتجاهل وافلح ولو ظاهريا في صرف اللغط والهمسات عنه ولكن ..

ولكن أردكين .. أردكين زوجته النبيلة ... الحذرة الفطنة .. هل كان يستطيع أن يجادلها او ان يكابر امامها .. لا .. لقد كان خليل على جبروته وقسوته أضعف الناس أمام ملائكيتها .. كان يخشاها .. وكان يعلم انها اذا واجهته علانية واتهمته صراحة فسوف ينهار ويعترف بكل شيء ومن أجل هذا تحاشاها .. كما تحاشته هى الاخرى وان أظلهما سقف واحد ، وجمعتهما سويا جدران أربعة صامتة ..

ومرت الأيام رتيبة .. بطيئة .. باكية .. ثكلى يكاد الحزن يصبغها بصبغته القاتمه التى لم يردها السلطان قلاوون ، وأبى أن يركن الى ظلالها البغيضة ..

كان الرجل مؤمنا بقضاء الله .. ولم يكن في حاجة الى من يقول له ان الموت حق محتوم وكأس لابد أن يدور على البشر جميعا ، وان الاجـــل مقدور ، محدود ، وان عليه بعد ذلك ان يساير ركب الحياة ويجاريها والا فان الموكب سيفوته ويسبقه وقد يتعذر عليه بعد ذلك ان يدرك الاحداث.

أسبوع واحد مر على وفاة « على » أســبوع ما كان أرهب أيامه وأطول لياليه .. ولكنه انقضى ومر كما تمر كل الايام .. وبدأت الرياح تواتى خليلا ، وتدفع سفينة امانيه الى حيث كان يريد .. واذا به يقفز الى حيث كان يطمع ، وتتحقق امانيه بين تولى ليل ومقدم نهار .. واذا بالسلطان الحزين ، يجارى الاوضاع ويساير الظروف برغمه

.. وينادى على كره منه بولده خليل وليا للعهد ، ويأمر باعداد الموكب التقليدى المتعارف عليـــه ليعرف الناس جميعا المكانة الجـــديدة للوريث المحظوظ .. !!

ومن احدى الكوات العالية في قلعة الجبل ، أطلت أردكين ترقب الموكب العظيم ... زوجهـا خليل يركب بشعار ولاية العهد ، وعليه مظـاهر المنصب والجاه ، وقد تحلى بكل شارات منصبه الجديد ...

وحولت الزوجة النبيلة وجهها عن زوجها ... لقد تخيلته واللون الارجوانى الرهيب يجلل شعارات منصبه ، واصداء صرخات الضحية تلاحقه ... وجرت مسرعة الى الداخل وهى تتمتم ... ويلك يا خليل !! ويلك يا خليل !!

ودوت الطبول .. ثم تحرك الموكب ، وخليل .. أو الاشرف خليل كما قد نودى به يسير ، ويسير على رأس الجمع الحاشـــد ، وقد اغرقتــه اجيج السعادة ، فلم يذكر الا ما وصل اليه ، اما كيف وصل ... فذلك ما لم يفكر فيه ...

وطاف الموكب مطافه التقليدى ، مبتدئا من قلعة الجبل حتى باب النصر ، ثم من باب زويلة الى قلعـة الجبل مرة أخرى والامراء بـين يدى الاشرف والقضاة والاعيان والاجناد ...

وعادت الحياة تسير سيرتها ... وأقبلت الدنيا على خليل ، وخضع له الجميع ، وخشيه كل ذى جاه ومكانة فقد كانوا يعرفونه جيدا ... ويخافونه ... ويخافون غدره وسرعة وثوبه ...

ومر عام ، ومن بعده عام ، ومع مطلع العام الثالث اراد قلاوون الواجم الحزين أن يشغل نفسه بعمل عظيم ، فاتجه الى فلسطين ...

اتجه سلطان مصر الساهر على الصوالح القومية الى فلسطين الجريحة ، التى سلبها الصليبيون من أهلها ، وطال بينهم وهم المغتصبون وبين أهل الحق من أصحابها الصراع حتى لقد قارب مائتى عـــام ...

مائتا عام طوال ، مـا كف العرب خلالهـا عن الجهاد ، ولا توانوا عن طرد الغاصبين البغاة ..

مائتا عام حملت مصر فيها أكبر نصيب من ثقل المعركة ، وخاضتها ببسالة عبر قرنين طوال حققت

فيهما انتصارات بعد انتصارات وفتوحا بعد فتوح ، حتى حررت الارض كلها أو كادت ، ولم يبق في يد الغاصبين غير حصن عكا المنيع ، الذى خرج السلطان المنصور اليوم لاسترجاعه ليتم بذلك تحرير الارض المقدسة من لوثة الغرباء الغاصبين الذين ستروا مطامعهم خلف الصليب .

اتجه قلاوون الالفى الى فلسطين ... الى عكا بالذات ، تسبقه البشائر التى روعت قلب الغاصب المحتل ولكن ...

ولكن القدر لم يمهل البطل ليحقق امنيته ، وابى الموت وقد دنت ساعته الا ان يقف بالسلطان المنصور قلاوون حيث وصل من طريق الكفاح ... فعاد مرة ثانية ...

اجل ... عاد المنصور مرة ثانية الى بلاده وعلى راس جيشه الصامت الذى خيم عليه الاسى ، واحاطت به الاحزان ... فقد كان المنصور جثة هامدة ، وحديثا من اعظم احاديث البطولة يروى على مسامع الايام ...

وفي اليوم التالى ... والحزن الكئيب يخيم على البلاد كلها ... وقد انتشرت راياته السود في اعماق النفوس - نودى بالسلطان الاشرف خليل خلفا لابيه العظيم ...

وضحك القدر ... وابتسمت اردكين ابتسامة الرثاء ... لقد نال خليل ابعد مما تمنى ، فهل تم له ما اراد ، وكل ما أراد !!

وزفرت زفرة القلق ، وهى تنظر حواليها وكأنها تودع الامن والسكينة والسلام ، بل والبيت الوادع الهادىء الذى نعمت فيه بالحياة طويلا وهى مجرد امرة من امرات بيت قلاوون ... وزوج ولده خليل ...

وراحت اردكين تتنقل في هدوء ، كأنما تودع هذا الجناح الحبيب من قلعة الجبل ، فعما قليل سوف تتركه الى الجناح السلطانى ... الى البهرج والمظهر والجاه ... فهى اليوم السلطانة المعظمة اردكين الاشرفية زوج السلطان الاشرف خليل ، والمرأة الوحيدة في حياته القلقة الصاخبة !!

وفي بهو العرش في قلعة الجبل تلاقى الزوجان ... السلطان الاشرف خليل والسلطانة اردكين ... تلاقى الزوجان بعد فراق اربى على العامين لم يحس فيه اقرب المقربين اليهما بان غيوما كانت تتلبد في سماء حياتهما الناعمة ...

كان خليل يحس انها قاضيته وجلاده ... وكانت اردكين تشعر بالنفور من زوجها ، فهو في نظرها قاتل ، سفاح ، غادر ، حقت عليه لعنة الله التى لاحقت قابيل على كر العصور ...

ولكنهما تلاقيا اليوم ... واليوم غير الامس ... لقد ادبر الامس وتولى ... وان الاشرف خليلا ليقبل على زوجته الحبيبة فرحا وكانما يقول لها انه اليوم ... واليوم بالذات يشعر بحاجته القصوى الى وجودها بجانبه ، تعينه بالراى ، وتساعده في حل كثير من المعضلات ...

واحست اردكين بهزة في اعماقها وخليل يقبل عليها بروح سمحة ، ووجه بشوش ضاحك ... وشعرت كانما كابوس الماضى الرهيب قد انجاب عن صدرها ، واطرقت لحظة اندفعت بعدها الى خليل ... الى السلطان شريكها في كل شيء ...

وبكى الحبيبان ... بكى الزوجان فرحا ، وقد احس الاشرف خليل ، ان امجادا قد واتته ، وسلطانا زاد الى سلطانه ... ان اردكين معه ... الى جانبه وقد زايلتها اشباح الماضى وانها اليوم في موقف الزوجة الحانية الحبيبة المحبوبة !!

ومرت لحظة خيال سريعة باردكين ... لحظة تواردت طيوف الماضى امامها وقد ولت الى غير رجعة ... واذا بالزوجة المؤمنة ... الشديدة اليقين ، المستمسكة باهداب دينها ، يخيل اليها انها كانت تسمع في اعماق قلبها اصداء اصوات تردد فيه « اتبع السيئة الحسنة تمحها .... » ولا تلبث ان تعلو اصداء اخرى ، اكثر دويا وصخبا تردد : « ان الحسنات يذهبن السيئات ..... »

وبكت اردكين ... بكت من فرط فرحها ... ان ابواب التوبة تتفتح على مصاريعها للاشرف خليل ... التوبة ... التوبة !!

اجل التوبة ... بلسم الشفاء الناجع لجراحات الاسى ... الشراب السحرى الذى يزيل ندبات المعصية ، ويمحو اثارها من الوجود !!

التوبة ... والتوبة عن صدق ... ومرة ثانية اصغت اردكين الى الاصوات الحانية تردد : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم ... لا تقنطوا من رحمة الله ... ان الله يغفر الذنوب جميعا .. »

وتردد شفتا اردكين في همس عصبى ما سمعته يدوى في اعماق خيالها ... وسمعها الاشرف خليل ،

فاذا بموجة من الاستسلام تغمره ، واذا ببرد الراحة يتملك نفسه ويغمر وجدانه ... ان باب التوبة لمفتوح الابواب وطوبى للمتطهر الذى يلجه في اخلاص وحب صادق للتوبة ومغفرة الله ...

وعلا صوت الاشرف خليل يسال اردكين الوليه الحميمة ... والحبيبة المخلصة ... وكيف السبيل الى التوبة ... واذا بها تقول في حرارة ... العمل هو السبيل الوحيد الى التوبة ، والى مغفرة الله ورحمته ... وان الله الحق ليقول وهو اصدق القائلين : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ... »

وبدات اردكين المسلمة المخلصة تتكلم ، وراح الاشرف خليل ينصت اليها ، ومغاليق قلبه تتفتح ... ان عليه اليوم ان يعمل لدنياه وكانه يعيش فيها مخلدا ... ثم عليه بعدها وعن طريق عمله الدنيوى ، أن يدخر الحسنات من هذا العمل لاخرته وكانه يموت بعد لحظات !!

وتحدثت اردكين وافاضت وهى تصف عمل الاخرة ، الذى لم يخرج عن الصالح من اعمال الدنيا ... فسيراه المطلع على كل شيء ... وسيراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، يوم يباهى بهذا العامل الصالح من امته وقد تجمع الناس في يوم عظيم ... ثم سيراه الناس بعد ذلك ... سيرونه كلهم ... اليوم ... وغدا ... وبعد اعوام واعوام طوال ... وهذا هو الخلود الدنيوى ... معبر الخلود الباقى في الحياة الآخرة ...

وارتاح الاشرف خليل الى حديث زوجته الوفية النبيلة اردكين ... ووجد فيه نجاته وخلاصه وتطهره الاعظم الذى يرجوه لينسى الماضي واحداثه وما كان فيه ... واقبل الزوج الحانى على زوجته الطيبة يسالها عن نوع العمل المطلوب منه ان يقدمه لينال رضوان الله والرسول وحمد الناس وتقديرهم العظيم ...

واسرعت اردكين الاشرفية تحدث زوجها عن ذلك العمل وتعينه له بالذات وترسم حدوده وخطوطه ... وطالبته بالسرعة المطلقة في تنفيذه وهى تقول: انه الجهاد ... اجل الجهاد في سبيل الله ... في سبيل العروبة الحرة المجاهدة ... في سبيل الحق... اجل اعادة الارض السليبة الى اصحابها ، وطرد الغاصبين عنها ليعودوا اذلاء محطمى الآمال الى بلادهم التى نبذتهم وعز عليهم ان يجدوا فيها المقام الكريم ، فجاءوا الى الشرق يسرقون الاحرار ارضهم وبلادهم ...

واصغى الاشرف خليل واصغى ، وقد وجد في الحديث راحته ومتنفسه ... وجعل ينصت بحواسه كلها الى اردكين المؤمنة وهى تشجعه ان يتم البناء ، ويكمل العمل الذى قعد به العمر دون ابيه ويتوج به بداية مرحلة حياته ، ونهاية كفاح ابيه المنصور قلاوون .

وظلت اردكين تتكلم ، وكانما وجد الاشرف خليل في كلماتها روحا كان يداخله بالقوة والاعتداد ، والعزيمة القوية ... انها تتحدث عن الخلود الحق ... لا الملك باق ... ولا الجاه ... ولا الثراء ... ولا السلطان ولكن ... العمل الصالح والجهاد الحق في سبيل الله ، ومن اجل نصرة الحق واصحاب الحق فهذه هى الطاعة الكبرى ... طاعة الله ...

وهكذا ... وقبل ان يمر عام واحد على وفاة المنصور قلاوون الالفى كان ولده الاشرف خليل قد حقق حلم السيادة العربية المطلقة على ارض الرسالات المقدسة ... وحررها نهائيا من لوثة الغاصب واتم طرد الصليبيين عن حصن عكا آخر معاقلهم عام ستمائة وتسعين هجرية الموافق عام ١٢٩١ الميلادى ...

وعاد الاشرف خليل الى بلاده ظافرا منصورا ، عاد ببشارات النصر وشعاراته الخفاقة ، وارتال الاسر تساق امام موكبه سوق الانعام ، فاقيمت الافراح ، لا في مصر وحدها ، بل في الشرق العربى باسره ، وقد احس العرب جميعا ان كابوس العار قد انجاب عن الصدور ...

واسرعت اردكين الى زوجها تضمه الى صدرها الخافق الحانى ، فراعها ان وجدته يبكى ...

كان الاشرف خليل يبكى ، وقد كرت عائدة امام خياله صور من ماضيه ...

لقد كرهه ابوه وابغضه ... بل خافه وخشيه ، ورغم انه نادى به وليا للعهد فلم يوقع امر تقليده ذاك ، وابى ان يوقعه ، وقد كبر عليه ان يولى على الناس طاغية يعرفه ويخشاه ويعرف مدى كراهية الناس له وتخوفهم منه !!

عرف الاشرف خليل كل هذا ... عرفه بعد أن بدأ يسير في الطريق السوى ، فاغتمت نفسه ، وكره الوجود ومن فيه ... فاذا كان هذا هو مدى شعور الوالد نحو وريثه وأكبر ابنائه فكيف تكون مشاعر الناس اذا ... وما مدى نظرتهم جميعا للسلطان الجديد الاشرف « خليل بن المنصور قلاوون » !!

وراحت أردكين بعطفها وحنانها السابغ تحاول ان تعيد الى نفس خليل صفاءها الذى عرفه في النهاية ... ودون جدوى ... اذ تغير السلطان وتبدلت نظرته للناس ... وخاصة بطانته وكل من حوله !!

وضم الاشرف اردكين الى صدره في عصبية والتياع ... انها هى كل من بقى له الآن ... انها هى كل من له ... هى بطانته ... وهى عونه ... وهى كل ما يرجوه ... وانه ليتوسل اليها الا تتخلى عنه فهو مقدم على صراع رهيب ليعيد مكانته ... ويرد اعتباره ... وينفى الوسط الذى يعيش فيه من الادران التى أوجدها الاب المتشكك في نوايا ولده ، دون قصد منه ...

وكانت أردكين من التعقل والحكمة بحيث وافقت الاشرف على كل ما ذهب اليه ... وأبت أن تعارضه ... ولم تحاول توجيهه وجهة أخرى ، وصممت في نفسها أن تجارى التيار لتعرف مساربه ثم تتحكم في مسيره بعد ذلك ، وتفعل وهى قادرة متمكنة كل شيء !!

وارتاح السلطان الشاب الى الحياة الجديدة ... واسعده ان تكون اردكين الى جانبه ... انها قوته الروحية العظمى ... وانه ليحس وهى معه انه قادر على كل عمل ... متمكن من كل شيء ... ممسك بزمام الامور ... بزمام السلطان... وزمام الامراء ... وزمام الشعب ...

وراحت أردكين في حذر توجه الاشرف الى حيث كانت تريد ليبنى وجوده وسلطانه على أساس من الحب المتبادل بينه وبين أمرائه ثم بينه وبين شعبه ... وكانت الظروف نفسها في صف أردكين ... وان جواريها ليحملن الى السلطان ذات يوم أسعد الانباء !!

اردكين حامل !!! الزوجة السعيدة... المخلصة الوفية حامل ... يا للبشرى العظيمة .. ان الانثى الخالدة التى طالما اسعدت رجلها تابى الا أن تصل الى أعماق روحه بمشاعر جديدة من الفرح والطمأنينة والاستقرار ... انها ستهبه الوريث المنتظر الذى سيكون له سلطان آل قلاوون !!

واسرع العرافون يؤكدون لسلطانهم أن الوريث القادم ذكر ... يا للبشرى ... ويا للسعادة ... لقد كاد الاشرف خليل يطير بجناحى الشوق والسعادة ، فقد ضاقت الدنيا بمشاعر فرحه ... وانه ليريد التعبير عن ذلك بكل وسيلة ...

ستكون الافراح عامة شاملة ... ستدوم أياما !! بل شهورا ... وأعواما لا حصر لها ... وانه ليبعث الى الديار الشامية يامر بان تصنع لليوم الموعود يوم مولد وريثه ... معالم الافراح والنور ... مائة شمعدان ضخم من النحاس المكفت ... مائة شمعدان ينقش عليها اسمه والى جوار الاسم السعيد القاب السلطان كلها ... ثم مائة شمعدان اخرى من الذهب والفضة ... هذا غير الشموع وشتى احتياجات اليوم السعيد المرتقب ...

وجعل الاشرف يعد الايام الباقية ... ويعين اليوم المرجو ... يوم تول على الدنيا طلعة الوريث السعيد الذى سيكون له الملك ، وله الجلال ، وله المقام الاعظم في البلاد وبين الناس ... وامر بالاستعداد لاقامة معالم الافراح الصاخبة ولكن...

ولكن هذه الرياح الهوج طالما أتت بما لا يشتهى السفن ... وجاء المولود المرتقب فاذا هو انثى !!

واحس الاشرف بالاسى ، ودهمت الاحزان نفسه .. وانقبض صدره ولكنه أبى الا ان يستمر الحفل الصاخب وادعى انه اقامه احتفالا بختان اخيه وولى عهده « محمد » ولابن أخيه موسى ..

واستمرت معالم الحفل .. واذا بالطبيعة نفسها تزمجر وتعول ، وتأبى في ثورانها الا أن تعبر عن الهول الذى كان يحسه الاشرف خليل .. وغام الجو .. وتلبد .. واظلم وجه الدنيا .. وتعالى صراخ الناس من الهول .. وانقلبت معالم الافراح جلبة وصياحا ، وراح الناس يجرون هنا وهناك ، وكمن يفرون من بطش السماء ..

وبكت اردكين .. بكت في صمت واسى ولوعة.. وعلت الى سماء الله بالضراعة والتوسل والرجاء ، وهي ترجو من الله رحمته ..

لقد كفر الاشرف خليل عن آثامه كلها .. فتح فى حياته صفحات جديدة ولكن .. هل يغنى الحذر من القدر .. وهل يضيع الدم المسفوك ظلما .. وتضل شريعة القصاص ! !

وبكت أردكين فى صمت .. بكت وقد تذكرت كل كلمة همست بها بعد أن عاد زوجها منذ بضعة اعوام تولت ، وقد فتك بأخيه « على » ودس له السم .. وقضى عليه ..

ودوت الاصداء فى خيالها .. الدم بالدم .. والقادر لا بد أن يقدر به .. والقاتل لا بد أن يقتص منه .. فان افلت من القصاص الدنيوى ، فلا بد ان ينال العقاب فى الاخرة ..

وبدا مع الايام يتحقق ظن أردكين .. لقد ساءت طباع الاشرف خليل حتى ضج منه الجميع .. بطانته وامراؤه .. وشعبه ..

وذات يوم .. والسلطان مع أمرائه يلهون بالصيد انقض الامير « بيدرا » على سيده .. وقتله .. وترك جثته فى العراء واسرع الى الخيمة السلطانية فتصدرها وجلس فى مجلس الاشرف خليل ونادى به الامراء سلطانا ..

ووصلت الانباء الى أردكين الملتاعة .. وصلت الانباء الى الزوجة التى حدثها قلبها بالفاجعة وتنبأت بها قبل أن تحدث .. فنظرت خلفها وحواليها تلتمس النصير .. واين النصير ! ؟ ؟

لم يكن وراء الاشرف خليل من يأخذ بثاره اللهم الا أخاه الصغير الناصر محمد بن قلاوون .. وهو حدث لم يكن يستطيع أن يقف فى وجه العاصفة الجامحة الشديدة الهبوب ..

وكادت اردكين تجن .. ماذا تفعل .. ماذا تصنع بالقاتل الذى ارتدى شارات السلطان واخذ مكانه جريا على عادة المماليك فى مثل هذه الظروف !! هل تسكت وتسلم وتترك جثة الاشرف فى العراء طعاما لجوارح الطير ! !

أيضيع دم خليل بهذه البساطة ! ! واسرعت أردكين تفامر .. أسرعت تعد عدتها للقضاء على الخائن « بيدرا » واستطاعت أن تقف فى وجه العاصفة وأن تأخذ الامير « لاجين » الى جانبها ومعه بعض الامراء المخلصين لبيت قلاوون .. ثم .. أجزلت العطاء ، ولم تبخل بمال ولا جوهر ولا وعود ، وما اسرع ما انقض الامراء على الخائن « بيدرا » وفتكوا به ، قبل أن يفرح بانتصاره الوهمى ! !

ووقفت أردكين بعد ذلك ، وقفة جبارة لم تسمح فيها للمطامع بالانطلاق .. وابت فى غمرة اخلاصها وحبها لذكرى زوجها الا أن تقف فى صف أهله .. ومع بيت « قلاوون » فهى منهم .. وما أسرع ما أوحت لاعوانها ان ينادوا بالناصر « محمد بن قلاوون » سلطانا على البلاد ، فى مكان أخيه الاشرف خليل ..

وحمل جثمان خليل الى القبة الاشرفية المجاورة للمشهد النفيسى ، فدفن فيها .. ثم عادت أردكين الوفية الى مكانها المبجل فى قلعة الجبل لتعيش فى ظل السلطان الصغير محمد بن قلاوون الذى كانت ترعاه امه « الخوند أشلون خاتون » وتشرف على تدبير شئونه ..

ومرت الايام .. وتنازل محمد بن قلاوون عن السلطنة ... ثم أعيد اليها برغبة الشعب والامراء .. وتدبير أردكين المحكم .. فلم تنس .. « أشلون خاتون » لاردكين الوفية اخلاصها أولا واخيرا فجعلت الناصر محمدا يتزوج أرملة أخيه الفاتنة أردكين ..

وشاءت الاقدار أن ترزق أردكين من الناصر بالولد .. فوضعت ولدها الاول واسمه « على ».. ولكن الموت سبق أحلامها وأمانيها واعتصر عوده النضر ..

ومرت الايام .. وأحس الناصر محمد بن قلاوون أن أردكين منصرفة عنه .. ووجد فى انصرافها هذا سببا للتخلص منها ، فقد كان يخشاها .. ويخشى نفوذها .. فهى صاحبة الفضل عليه أولا واخيرا ..

وطلق الناصر زوجته وصاحبة الفضل عليه أردكين الاشرفيه .. وانزلها من قلعة الجبل فشعرت بالمهانة والتحقير .. وضاقت الدنيا فى عينيها ، وكرهت ما حولها ومن حولها .. وصرفت حياتها فى الحزن والالتياع على وحيدها « على » ، بحيث لم تفارق قبره تحت القبة القلاوونية ، حتى لحقت به بعد أن أوقفت على قبره ذلك كل ما كان لها من جوهر ومال وتراث .. ■■

القاهرة : سنية قراعة



الانسان .. والكلب !

● الصداقة بين الانسان والكلب . صداقة قديمة نشأت منذ قرون طويلة مضت عندما اتخذ الانسان الصيد مهنة له .. ومن حياة بعض مشاهير الناس تستطيع ان تلمس مدى تعلق الانسان بهذا الحيوان الوفي الأمين ..

فقد كان مايكل انجلو الرسام الايطالي الشهير يصحب كلبه الصغير الى كنيسة سيستين حيث رسم لوحاته الدينية المعروفة في سقفها ، وكان



الكلب ينتظر سيده كل يوم حتى يفرغ من عمله ! وكان كلب الموسيقار ريتشاد واجنر يجلس وسط العازفين على المسرح ولا يترك مكانه الا في نهاية الحفل عندما يرى سيده يهم بالانصراف ! .

اما الموسيقار شوبان ، فقد اهدى احدى مقطوعاته وهي من نوع الفالس ، لكلب صديقته الكاتبة الفرنسية التي اتخذت الاسم المستعار جورج ساند .

حتى القواد العسكريون احبوا الكلاب واصطحبوهم معهم في غزواتهم ، فقد حرص نابليون على ان يرافقه كلبه « لوريل » في عدد كبير من معاركه الحربية ، وعندما نفوه في جزيرة البا ، كان كلبه هو رفيقه الوحيد .

قال مارك توين يوما : « اذا اطعمت كلبا جائعا ، فثق انه لن يعضك ابدا .. وهذا هو الفارق بين الكلب والانسان ! » .

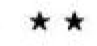
اعظم لوحة !

● طاف الرسام الفرنسي رينوار Renoir (١٨٤١ – ١٩١٩) بدول اوربا كلهـا بحثا عن الجمال ليسجله بريشته ، ورسم عشرات اللوحات الفنية الرائعة التى تقف اليوم شاهدا على عظمة هذا الفنان ! ولكنه لم يكن راضيا ابدا عن انتاجه ..

الى ان جاء يوم كان يزور فيه ضاحية صغيرة من ضواحي مدينة ميونيخ بالمانيا ، فشاهد امراة عجوزا تجلس وحدها على مقعد متحرك وسط حديقة جفت اشجارها وتساقطت اوراقها ..

وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة تحمل كل معانى الحزن العميق .. فاقترب منها ليتحدث اليها ، وقالت هي : « لقد كانت امنيتي طوال حياتي ان امتلك بيتا صغيرا تحيط به حديقة جميلة ، القضي بين زهورها بقية ايام عمرى . وقد اصبح لي بيت وحديقة ، ولكنني اصبحت عجوزا لا اقوى

★ ★



نمو الطفل ،

● كتبت السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند تقول : « هناك تشابه غريب بين نمو الطفل ونمو الأمة بأسرها .. فالشعور السائد بين الآباء في مختلف مراحل نمو الطفل ، أن كل مرحلة يبلغها اسوأ من سابقتها .. فهو يصرخ في طفولته ويملأ الدنيا صياحا ، وتقول الأم : « ليته يكبر فيكف عن الصياح » ويتوقف صياح الطفل بعد ان يكبر ، ولكن لا تلبث أن تظهر مشاكل اخرى ، فهو قد بدأ يمشي ، ويحطم كل شيء في طريقه ، ولولا يقظة والديه لكان القى بنفسه في النار . ولا يملك الوالدان الا أن يعترفا بأن المرحلة السابقة كانت

على الوقوف والعناية بازهارها، فجفت وماتت !».

وبلا تردد خلع رينوار معطفه ، وراح يزرع ويسقي اشجار الزهور الجافة .. وانقضت اربعة اسابيع ، والرسام الكبير يزور حديقة السيدة كل يوم ويمضي فيها جزءا كبيرا من يومه .. وفي احد الايام ، جاء رينوار كعادته ليعمل في الحديقة، فاذا بها قد امتلات بالزهور الجميلة .. واذا بالسيدة العجوز تجلس على مقعدها ، وتتطلع فيما حولها ، وقد امتلات عيناها بالدموع ..

وهزه هذا المنظر ، فجلس يسجله بريشته ، وعندما انتهى منه ، ذهب اليها يودعها .. بعد ان تحققت امنيتها .. فاذا به يجدها جثة هامدة لا حياة فيها ! .

قال رينوار وهو يحمل لوحته عائدا الى باريس : « لقد كانت هذه اعظم لوحة رسمتها في حياتي ! » .

★ ★

ونمو الأمة !

اسهل .. وهكذا كل مرحلة تجيء تبدو أصعب من سابقتها ..

« وما يحدث للطفل ، يحدث للأمة ، فهي لا تكاد تصل الى مستوى معين من الرقى ، حتى تتعقد مشاكلها .. وكلما تقدمت الأمة ، ازدادت مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية . »





الخطاب الطويل !

سألوا الرئيس الامريكي الراحل وودرو ولسن Woodrow Wilson (١٨٥٦ ــ ١٩٢٤) ، عن الوقت الذى يحتاج اليه لاعداد خطاب يستغرق عشر دقائق ، فقال : خمسة عشر يوما على الأقل ! .

وعادوا يسألونه : « وكم من الوقت تحتاج لاعداد خطاب يستغرق القاؤه ساعة كاملة . قال : « بضعة أيام ! » .

ــ واذا طلب منك أن تلقى خطابا جامعا طويلا يستغرق القاؤه عدة ساعات ! .

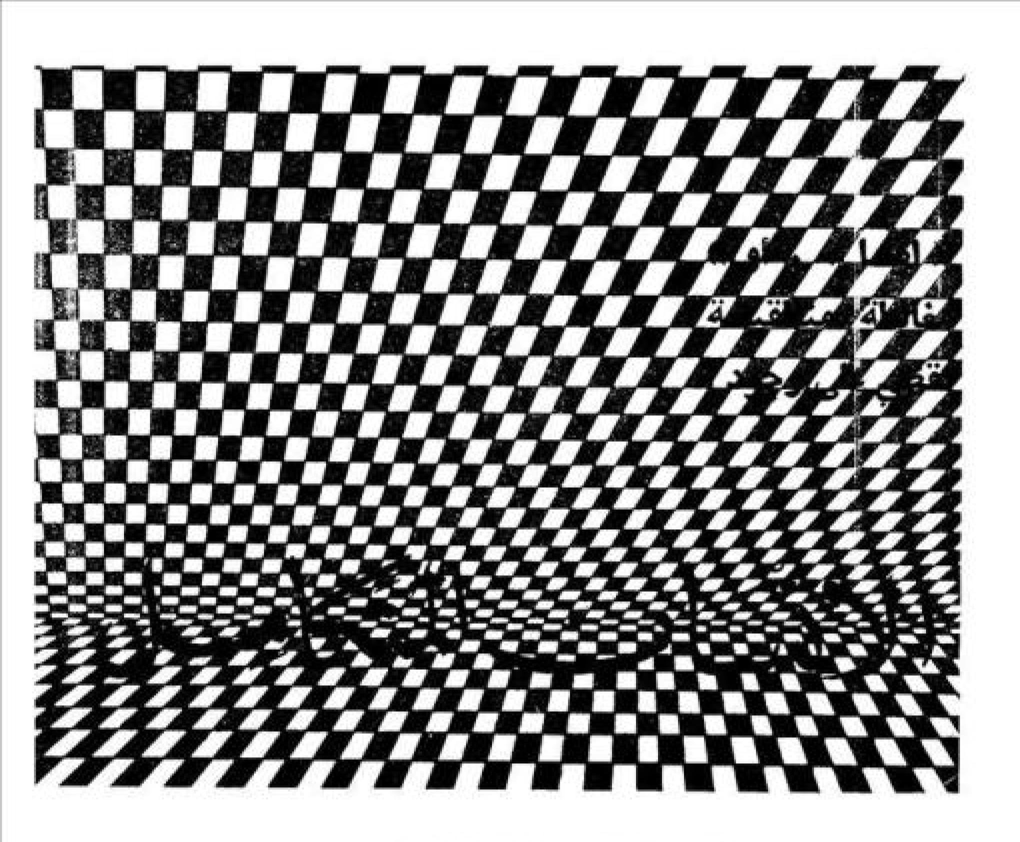
فقال الرئيس الأسبق : « أنا مستعد الآن لالقي اى خطاب يستمر حتى الصباح ! » .

الخاسرون .. والرابحون !

يقول الدكتور اريك برن العالم النفساني الامريكي ان الحياة ابسط مما يتصور الكثيرون . فكل ما يحتاجه المرء لمواجهة المشاكل ، هو ان يتخذ ما يراه مناسبا من قرارات ، وقد يخطىء ، قد يصيب في طرق معالجته لمشاكله .

« والفرق بين المخطىء والمصيب ، ان المخطىء الخاسر يقضي كل حياته يفكر فيما عساه فاعل ، أما الرابح فيقضي حياته دائما سعيدا بالحياة راضيا ..

ونتساءل : لماذا اخطأ الأول فخسر ولماذا أصاب الثاني فربح ؟ والجواب : انه العقل دائما في البداية والنهاية ! .



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ــ عمان

■ يحدثنا المناطقة المحدثون عن نوع من القضايا يسمونها باسم « القضايا التحليلية » Analytical Propositions ، كالقضايا المستخدمة في المنطق والرياضيات ، وهي قضايا صادقة دائما ، ولكنها لا تزيد عن كونها مجرد « تحصيل حاصل » . فلو اننا قلنا ــ مثلا ــ اما أن يكون بعض النمل طفيليا أو لا يكون اي منه كذلك » ، لكان قولنا هذا « عبارة تحليلية » صادقة بالضرورة ، وان كانت لا تنبئنا عن حقيقة امر النمل . ولو اننا قلنا انه « اما أن تمطر السماء غدا أو لا تمطر » ، لكانت عبارتنا هذه تحليلية لا موضع للشك في صحتها على الاطلاق ، ولو ان مثل هذه القضية لا تمدنا باية معلومات حقيقية عن حالة الجو . فالقضايا التحليلية عبارات منطقية لا تنطوي على اي مضمون واقعي ، ولكنها تساعدنا على فهم الكثير من المسائل اللغوية الصرفة . ولهذا يقرر المناطقة أن القضية تكون تحليلية حينما تتوقف صحتها ، لا على اي امر من امور الواقع ، بل على اتساقها الداخلي ، أو على توافق الرموز التي تتكون منها .

ولكننا اعتدنا ــ في الكثير من الاحكام التي نصدرها على الواقع ــ استخدام مثل هذا النوع من القضايا فاصبحنا نقول ــ مثلا ــ انه « اما ان يكون المجتمع تقدميا او متخلفا » ، و « اما ان يكون هذا الحزب راديكاليا او محافظا» ، و«اما ان يكون هذا المفكر من دعاة التقدم أو من دعاة النظام » ، و « اما أن يكون هذا الفيلسوف من القائلين بالتغير او من الداعين الى الثبات » ،



و « اما أن تكون دعامة هذا المجتمع هي العلم او هي الفن » ، و « امـا أن يكـون قـوام الحيـاة الاجتماعية هو القيم المادية او هو القيم الروحية » .. الى آخر تلك القضايا الشرطية المنفصلة التي تحفل بها لغتنا العادية في الحديث عن شتى مظاهر الحيـاة ، والفكـر ، والسياسة ، والاجتماع .. والواقع ان مغالطة « اما .. او » مغالطة منطقية كبرى تهدد معظم جوانب حياتنا : لاننا نظن انه لا بد لنا من الاختيار بين التقدم او التخلف ، بين الثورية أو النظام ، بين التغير أو الثبات ، بين العلم أو الفن ، بين القيم المادية او القيم الروحية ، بين التفاؤل او التشاؤم .. الخ .. وفاتنا أن من طبيعة الحياة أن تضـم في ثناياها العـديد مـن المتناقضات ، فهي تجمع بين التغير والثبات ، بين الحركة والسكون ، بين النمو والاتزان ، وهي لا بد من أن تتغلب على كل تلك المتناقضات ، ولكن لا بمحوها او القضاء عليها ، بل بنسجها جميعا في خيوط تلك « الوحدة الكلية الشاملة » التي تطوي في تضاعيفها شتى العناصر .

للضحك وقت وللبكاء وقت .. !

لقد كان سـليمان الحكيم ـ صاحب سـفر « الجامعة » ـ يقول : « ان للضحك وقتا ، وللبكاء وقتا » ! ومهما كان من بساطة هذه الحكمة فانها تذكرنا ـ على كل حال ـ بالخطأ الذي يقع فيه المتفائلون حينما يتناسون ما في الحياة البشرية من دموع، والخطأ الذي يقع فيه المتشائمون حينما يغلقون اعينهم عما في الحياة البشرية من ضحكات. فليس الوجود الانساني في جوهره سـوى هذا الاستقطاب الحاد بين البكاء والضحك ، أو بين الآلام والآمال ، أو بين فلسـفة الشقاء وفلسـفة السعادة ! وليس ايسر على الانسان ـ بطبيعة الحال ـ من أن يتجاهل أحد هذين القطبين ، لكي يضغط بكل ثقله على القطب الآخر ، ولكنه عندئذ ـ لسوء الحظ ـ لن يلبث أن يتحقـق مـن أن « الضيف الثقيل » الذي طرده من الباب قد عاد اليه من النافذة ! وما دام البشر يحيَوْن في عالم ناقص يسوده التناقض ، فسيظل الوجود البشري مسرحا خصيبا لهذا التعارض الاليم بين الخير والشر ، بين الصواب والخطأ،بين النجاح والفشل ، بين الضحك والبكاء .

والحق ان ثمة استحالة كبرى في أن نتصور عالما بشريا قد محي منه الشر تماما ، وزال منـه الخطأ عن بكرة أبيه ، وارتفع عنه الالم الى غير ما رجعة ! ولو امكن ان يكون هناك ضمير انساني لم يختبر يوما تجربة الشر ، ولم يعان لحظة واحدة خبرة الفشل ، ولم ينصهر قط في بوتقة الالم ، لما كان ثمة شيء يمكن تسميته باسـم « الخير » أو « النجاح » او « الغبطة » بالقياس الى مثل هذا الضمير ! ومعنى هذا أنه لو استوت في أعيننا كل ضروب الوجود او اساليب الحياة ، لما قامت للقيم ـ في أعيننا ـ اية قائمة ، ولما كان هناك ـ بالتالي ـ موضع للتفرقة بين خير وشر ، او صواب وخطأ ، أو نجاح وفشل .. الخ .

وقد نتصـور أحيانا امكـان قيـام « الخير »

بمقتضى ضرورة صارمة مطلقة ، ولكننا سرعان ما نتحقق من أن « الخير » لا يمكن أن يصبح يوما مجرد قانون من قوانين الطبيعة ، لانه لا يمكن أن يستحيل الى « واقعة محضة » لا يكون علينا الا أن نتقبلها ! والسبب فى ذلك ان القيم لا توجد الا بالقياس الى الوعى البشرى الذى يقابل بينها ، ويحكم عليها ، ويمارس حريته فى قبولها او رفضها. ومن هنا ، فان الشر ، والالم ، والخطأ ، والفشل واليأس ، والبكاء ، لا تزيد عن كونها « الواجهة الخلفية » لعملة الحياة التى تحمل على « واجهتها الامامية » صورة الخير ، والسرور ، والصواب ، والنجاح ، والامل ، والنشوة ! وحسبنا ان ننظر الى الكائنات الحية ، والمجتمعات البشرية، وشتى الشخصيات الفردية ، لكى نتبين فى وضوح وجلاء انه لا يمكن لاى منها أن يرد الى نسق واحد بعينه، او أن يكون محكوما بنظام واحد لا موضوع فيه لاى استقطاب او تناقض او ثنائية ! ولا غرو، فان الحياة نفسها لا يمكن أن ترد الى أى نسق أو نظام بعينه، والا لاستحالت سمفونيتها المتسقة الى « نشاز » بغيض يقوم على تنافر النغمات ! وكيف للسيمفونية ان تتألف من نغمة واحدة رتيبة مطردة ، وهى التى تستند فى اتساقها الى « تنوع الوحدة» و «وحدة التنوع » ؟

« فلسفة التأليف المفتوح »..

صحيح اننا نشهد اليوم مذاهب فلسفية عديدة تكاد تقوم على مبدأ « النغمة الواحدة » ، ولكن من المؤكد أن كل اصحاب هذه المذاهب من ماديين ومثاليين ، وطبيعيين ووجوديين ، وفرديين واشتراكيين ، وشخصانيين وعالميين ، وغير ذلك ، انما هم ضحايا لمغالطة « اما .. أو » التى تجعل الفيلسوف يتقوقع فى « مذهب » مغلق ، فتصبح كل فلسفته بمثابة « نغمة واحدة » يراد لها أن تفسر سيمفونية الوجود كلها ! وحين يرتضى الفيلسوف لنفسه أن يقنع بقطب واحد من اقطاب الحقيقة ، او حين يأخذ على عاتقه أن يقتطع احد قرنى « الاحراج المنطقى » الذى يواجهه به الواقع ، فانه عندئذ لا بد من أن يستحيل الى داعية مغرض لا ينطق الا بانصاف الحقائق! ولنضرب لذلك مثلا فنقول ان بعض مفكرى الهنود ، وبعض فلاسفة الاغريق ، قد نظروا الى « الحركة » على انها مجرد وهم ، وحكموا على « الزمان » بانه مجرد صورة ناقصة للأزلية الثابتة ، ومن ثم فقد راحوا ينشدون « الحقيقة » فى « الثبات » وحده. وليس من شك فى ان هؤلاء المفكرين قد جانبوا الصواب حينما اغفلوا ما فى الوجود من عنصر « دينامى » يتمثل فى التغير ، والتطور، والصيرورة، والتاريخ ، وشتى مظاهر الحركة . ولكن من المؤكد أيضا أن الفلاسفة الذين قالوا بالتغير وحده ، من امثال هيرقليطس ، وهيجل ، وماركس ، وانجلز ، وبرجسون ، وديوى ، وغيرهم ، قد ارتكبوا خطأ مماثلا حينما استبعدوا تماما كل ما فى الوجود من سكون ، وثبات ، ودوام ، واطراد ، وانتظام..الخ.

ومعنى هذا ان « فلاسفة التغير » قد اغفلوا العنصر السكونى (أو الاستاتيكى) من عناصر الوجود ، فلم يكن فى تحمسهم للنزعة «الديناميكية» سوى مجرد تعبير ناقص لا يكاد يفى الا بنصف الحقيقة ! وليس من سبيل امامنا اليوم لتلافى هذا النقص ، اللهم الا باعتناق فلسفة « التأليف المفتوح » : Open Synthesis ، وهى فلسفة اولئك الذين يرفضون التقوقع ، وينبذون التحيز، ويثورون على كل « مذهبية » ضيقة ، ويضيقون ذرعا بشتى « البطاقات » ! Lables . والحق انه اذا اريد للفلسفة أن تكون واسعة كالحياة ، فلا بد من تحطيم كافة « الأطر » الضيقة التي قد يميل المفكرون احيانا الى احتباس الحقيقة فى ابعادها القاصرة ! والا ، فكيف يخطر على بال فيلسوف منصف أن يزعم لنفسه انه قد استطاع تفسير الحياة بأسرها ، سواء اكان ذلك عن طريق مبدأ التغير وحده ، ام عن طريق مبدأ الثبات وحده ، فى حين ان التجربة شاهدة على ان كلا من النظام والتغير ، او الثبات ، والتحول ، او الاستمرار والجدة ، انما هما صفتان اساسيتان من صفات الحياة ؟! صحيح ان دعاة المذهبية لن يروا فى هذه « الفلسفة التأليفية المفتوحة » سوى مجرد صورة من صور « التوفيق » او « التلفيق » ، ولكن من المؤكد اننا لا ننكر « المذهبية » الا باسم « الحياة العضوية » التى تقوم على الاتزان والانسجام ، لا على التوفيق والتلفيق !

تكامل الانسان رهن بقدرته على « التوازن الحركى » ..

والحق ان الحياة نفسها لا بد من ان تقوم على

ضرب من الاتزان - ان لم نقل الايقاع Rythm - بين حالتين متعارضتين : الثبات والتغير ، او الامن والمخاطرة ، او الضرورة والحرية . وآية ذلك انه لو انعدم الاطراد والاستمرار ، لما كان هناك قدر كاف من الثبات والانتظام فى اية عملية ، بحيث يتمكن المرء من الوقوف على التغير نفسه ، ومن ثم يستطيع الحكم عليه بانه نافع او ضار ، حافز على ترقى الحياة او دافع الى تهدمها .. وربما كانت السمة الاساسية التى تميز الكائنات العليا هى هذه المقدرة على تحقيق التوازن بين الكائن وبيئته، او بين الاستقرار الباطنى والتغيرات الخارجية . وليس الاتزان مجرد حالة عضوية ضرورية للاستمرار فى البقاء ، بل هو شرط اساسى ايضا لمواصلة « النمو » أو الترقى . ومن هنا فقد ذهب بعض علماء النفس الى ان المهمة الاولى التى تقع على عاتق التربية هى تحقيق عملية التوازن دون اعاقة النمو، والعمل على تزايد النمو دون الاخلال المستمر بحالة التوازن Equilibrium .

والظاهر أن مفهوم التوازن قد تجلى لاول مرة فى تاريخ الحضارة البشرية ، لدى اليونان ، كما تشهد بذلك تماثيلهم العديدة التى حرصوا فيها على اظهار جمال الجسم البشرى وانسجامه والواقع ان المتامل فى التماثيل الاغريقية القديمة يلاحظ ان تصور اليونانين للجسم البشرى كان قائما على البساطة ، والقوة ، والفطرة ، فلم يكن اليونانيون يرون اى عار فى تصوير العرى البشرى ، ولم يكونوا يحفلون بتغطية اجساد الناس او تزيينها او وشمها ! واغلب الظن ان الاغريق كانوا حريصين على تحقيق النمو الكامل للجسم البشرى ، دون أى ستر او اخفاء ، ودون اى تشويه او اغراق ، فكانوا يجدون جمالا فى الانسجام الحيوى للجسم البشرى وكانوا يعدون توازنه الباطنى نموذجا للقوة الطبيعية، دون ان يقرنوا هذا الاحساس باية شهوة جسدية او اى شعور بالحياء او الخجل ! ولم يلبث فلاسفة اليونان ان حاولوا نقل هذه الفكرة من مجال الجسم الى مجال النفس ، فراحوا يتحدثون عن الاعتدال او التوازن النفسى او الانسجام الروحى ، كما فعل افلاطون - مثلا - حينما دعا الى اقامة ضرب من التوازن بين قوى الانسان الثلاث ، الا وهى القوة الشهوانية ، والقوة الغضبية ، والقوة الناطقة ، واما اهل اثينا انفسهم فكانوا يرون فى « سوفوكليس » نموذجا للشخصية المتوازنة : نظرا لانه استطاع ان يجمع فى شخصه بين جمال الجسم وجمال النفس، فضلا عن انه قد نجح فى قيادة جيش باسره ، كما برز فى كتابة الدراما التراجيدية، الى جانب امتيازه فى التحرك عبر سائر ابعاد الخبرة البشرية ..الخ.

بيد ان فهم الاقدمين (وخاصة الاغريق) لحالة التوازن (او الاتزان) قد بقى مشوبا بطابع سكونى لانهم ربطوا التوازن بالاستقرار Stability او الثبات ، دون ان يفطنوا الى ان التوازن المطلوب لا يمكن ان يكون هو توازن قطعة البلور التى اكتسبت صيغة محددة حاسمة ، فاصبح فى وسعها ان تبقى كما هى الاف السنين ، بل هو توازن نافورة المياه التى لا تكف عن التغير ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تتغير الا وفقا لنمط خاص يحافظ على بقاء شكلها . والحق ان تشبيه « النافورة » قد لا يفى بوصف نوع « التوازن الحركى » الذى تشتمل عليه الحياة العضوية : لان من شان هذا التوازن الدينامى نفسه ان يخضع للكثير من مظاهر التحول والتغير ، من خلال العمليات التراكمية او التجميعية Cumulative التى تضطلع بها الذاكرة ، ومن خلال شتى ضروب « التاثيرات » Effects التى تجلبها على النضج والنمو كافة عوامل الزمان ، وعناصر الاحداث الجديدة . والمؤثرات الناجمة عن ظهور بعض المقاصد الجديدة .. الخ .

وربما كان الادنى الى الصواب ان نشبه هذا « التوازن الدينامى » بتوازن راكب الدراجة الذى لا بد له من الحركة حتى يتمكن من الاستمرار فى التقدم . صحيح ان ثمة عوامل قد يكون من شانها زعزعة تكامل الشخصية فى الحياة الواقعية ، كالمرض والشقاء والحزن والخطا والخطيئة ، وما الى ذلك ، ولكن كل هذه العوامل لا يمكن ان تكون بمثابة « قوى هدامة » تقضى تماما على كل توازن حركى ، وكانما هى المعول الذى يحطم التمثال، بل هى لا تزيد عن كونها مجرد « قوى منشطة » تحفز الذات الى المزيد من النمو الروحى والترقى النفسانى . ومن هنا فان التوازن الحركى الذى تتطلبه الحياة الانسانية ابعد ما يكون عن ذلك « الكمال اللازمانى » Timeless Perfection الذى يجهل عمليات النضج ، والمحاولة والخطا ، وشتى العوائق والعثرات .. الخ .

والواقع ان التوازن في حد ذاته لا يمكن ان يعد غاية النمو ، بل هو مجرد عامل مساعد على النمو.

الانسان المتكامل هو حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

.. وان البعض ليتحدث عن علم الغرب وفن الشرق،وكان القيم المادية وقف على الغرب وحده، وحينما قال المرحوم امين الريحاني : « انا الشرق ، الحقيقة انه ليس امعن في السخف من تلك المقارنات السطحية المبتذلة التي تقوم على «مغالطة اما/او»! وحينما قال المرحوم امين الريحاني : « انا الشرق، عندي فلسفات ، ولكن ليس عندي دبابات » ، فانه كان يظن ان الفلسفة وقف على الشرق ، وان التقدم الصناعي الذي ارتفعت رايته في بلدان الغرب لن يعرف طريقه الى الشرق ! .

ولكن الواقع شاهد على ان المجتمعات التي قطعت اشواطا بعيدة المدى في مضمار التقدم العلمي والتكنية الصناعية،لم تتخل عن الشعر والموسيقى والمسرح وغيرها من ضروب الفن ، لمجرد انها قد اصبحت دولا صناعية تحيا في عصر التكنية العلمية. وبالمثل ، يمكننا أن نقول ان الدول المتخلفة التي لم تصل بعد الى المستوى التكنولوجي المنشود ، لم تستطع ان تسبق غيرها من الدول الصناعية في مضمار الترقي الفني ، لمجرد انها لم تصبح بعد دولا صناعية تكنية ! .

والحق ان هذه المفاضلة المزعومة بين الفن والعلم لا تزيد عن كونها مجرد اسطورة اخترعتها بعض العقول الحالمة التي ظن اصحابها ان السر في تاخر الشرق انه قد ظل يحيا في عصر الفن ، في حين أن الغرب قد تقدم عليه فاصبح يحيا في عصر العلم !

ولكن حسبنا أن نعود الى الحضارات قديما وحديثا ، في الشرق والغرب على السواء ، لكي نتحقق من انه هيهات لاي مجتمع ان يحيا بلا فن ، ولكن هيهات له ايضا ان يحيا بلا فلسفة ، او بلا علم ، او بلا دين ! وقد كان عظماء البشرية — في كل زمان ومكان — رجالا « متكاملين » ارادوا ان يجمعوا في اشخاصهم بين المحارب ، والكاهن ، والفيلسوف ، والعامل اليدوي ، والرجل الرياضي القوي .. الخ .

وهذا ما حدث — مثلا — في عصر النهضة : فقد كان « الانسان المثقف » رجلا ناضجا نجح في ارهاف حواسه ، وترقية فكره ، وازكاء عواطفه ، وشحذ ارادته ، وزيادة قدرته على العمل . ولم يكن ليوناردو دافنشي وميكائيل انجيلو سوى مجرد نموذجين لهذا « الانسان المثقف » الذي اعلى من شانه رجالات عصر النهضة ،بوصفه المثل لما ينبغي ان يكون عليه « الانسان المتكامل » .

وهنا قد يقال اننا نحيا في « عصر التخصص » ، فلم يعد هناك موضع لاسطورة الانسان المتكامل الذي يجمع في شخصه بين « الانسان الروحي » ، الذي كان مثلا اعلى لاهل العصور الوسطى ، و « الانسان الذكي » الذي كان مثلا اعلى لاهل عصر التنوير ، و « الانسان الاقتصادي » الذي كان هو المثل الاعلى لاهل العصر الفيكتوري ، وهلم جرا .

وردنا على هذا الاعتراض ان « مغالطة اما/او » هي وحدها التي قد تصور لنا ان « الشرق شرق، والغرب غرب ، ولن يتلاقيا » ، وهي وحدها ايضا التي قد توقع في ظننا انه لا سبيل الى الجمع بين الفن والعلم ، او بين القيم الروحية والقيم المادية، او بين النزعة التصوفية والنزعة الآلية .. الخ .

وليس من المستحيل على انسان القرن العشرين ان ينمي حواسه ، ويرهف عواطفه ، ويرقي قدراته العقلية ، ويربي في نفسه الملكات اليدوية والعملية، ولكن مثل هذه « التربية التكاملية » قد تقتضي منا — اولا وقبل كل شيء — العمل على ازالة الحواجز التي مازالت تفصل مناحي المعرفة البشرية ،وتحول دون تحقق التفاهم بين اصحاب التخصصات المختلفة. وليس من شك في أن السبيل الاوحد الى تزايد التفاهم والتواصل بين بني البشر ، انما يكون عن طريق التوحيد بين افكار الشرق وافكار الغرب ، والعمل على خلق « مركب متكامل » Integrated Complex يكون بمثابة « الوحدة العضوية » التي تضم في ثناياها شتى عناصر الانسان الروحية ، والعقلية،والاقتصادية ،والجمالية والحربية..الخ.

ولن تكون « انسانا » اللهم الا اذا عرفت كيف تقضي كل يوم من أيام حياتك في اجتلاء الجمال ، والبحث عن الحقيقة ، والمضي في طريق الخير ، والسعي نحو الكمال ، والتعجب لما في الوجود من اسرار !

عمان — زكريا ابراهيم

أمراض ش

الأكزيما

بقلم : الدكتور محمد الشاذلي

■ الاكزيما مرض جلدي يعرفه الكثير من الناس وتقف نسبة الاصابة به عالية بين الأمراض الجلدية ، اختلف في تعريفه الأطباء سنين عديدة ، واخيرا أجمعوا على اعتباره التهابا جلديا غير معروف السبب .

وتدخل الاكزيما ضمن امراض الحساسية ، والعامل الاساسي في ظهورها هو زيادة في حساسية الانسان ، ثم ياتي العامل الثاني من المحيط الخارجي ويتمثل في اى مادة تؤذى الجلد . اما الزيادة في الحساسية فهذه غالبا ما يرثها الانسان، الا انها في بعض الاحوال قد تكتسب اثناء الحياة ومما قد يساعد على اكتسابها وجود بؤر تلوث بالجسم او اى اختلال في صحة الانسان ، وكذلك بعض الامراض .

وتختلف انواع الاكزيما باختلاف درجة حساسية الانسان ومدى فاعلية العامل الخارجي المؤذى . ففي الاكزيما التى تشاهد في الصناعات المختلفة ، والتى تحدث من تلامس بعض المواد ، يكاد العامل الخارجي ان يكون السبب المباشر في احداث المرض اما في حالات الاكزيما التى تشاهد بين الاشخاص ذوى الحساسية الموروثة فيتخذ عامل الحساسية المقام الاول في احداث هذه الحالات .

وقد سميت الاكزيما التى تتسبب في ظهورها الحساسية باكزيما الحساسية . اما الاكزيما التى يتسبب في احداثها عامل خارجي فتسمى التهابا جلديا ناتجا من تلامس هذه المادة .

وفي مرض اكزيما الحساسية غالبا ما نجد في اسرة المريض تاريخا لأحد امراض الحساسية مثل ضيق التنفس ، أو الحكة Itch ، أو



التهاب جلدى في الوجه ناتج من استعمال احد مستحضرات التجميل

اكزيما مزمنة



حساسية الانف او العينين او الارتكاريا Uriticaria . فقد نجد فردا أو اكثر من هذه الاسرة مصابا باحد هذه الأمراض أو بمرضين منها في آن واحد . وقد أعطيت اكزيما الحساسية اسماء تتمشى وعمر المريض ، الا انها جميعا تتشابه في مضمونها .

عوامل موضعية

وبالاضافة الى العاملين الاساسيين اللذين لهما التاثير الاول في ظهور الاكزيما . هناك عوامل اخرى قد تساعد على ظهورها . بعضها موضعي وبعضها عام . ومن العوامل الموضعية :

١ ـ جفاف الجلد كما يحدث في الجو البارد وعند المسنين او كما يحدث في بعض الامراض الجلدية التي تتميز بجفاف الجلد .

٢ ـ زيادة نسبة الرطوبة ، فهي تزيد من كمية العرق خاصة في ثنايا الجسم حيث ترتفع الحرارة نسبيا ويحدث الاحتكاك المستمر تسلخات في الجلد تساعد على ظهور الاكزيما .

٣ ـ التعرض المستمر للمواد التي تؤذي الجلد واهمها المواد الكيماوية التي تستخدم في كثير من الصناعات حيث يرتفع تركيز تلك المواد الى درجة تفوق مقاومة الخطوط الدفاعية للجلد الامر الذي يسهل حدوث الالتهاب الجلدي .

٤ ـ زيادة أو نقص الدهنيات بالجلد . فكثرة الاغتسال خاصة بانواع الصابون الرديئة او كثرة استعمال الكحول او الكولونيا . هذه كلها قد تؤدي الى نقص كمية الدهن بالجلد الذي يسهل ظهور الاكزيما عليه .

عوامل عامة

ومن العوامل العامة :

١ ـ الاطعمة او المواد الغذائية المختلفة ، وهذه يظهر تاثيرها بوضوح في حالة الارتكاريا عنه في حالات الاكزيما الا انه في حالات الاكزيما المنتشرة والحادة يفضل الابتعاد عن بعض انواع من الاطعمة التي يشك في ان لها صلة بظهور الاكزيما .

٢ ـ الاجهاد العام والقلق والاضطرابات النفسية .

٣ ـ السن : تكثر الاكزيما في الاطفال والمسنين ، وكذلك قد تكثر في السيدات في سن اليأس . الا اننا نراها في اى عمر كما انها تصيب الذكور والاناث على السواء .

وقد تظهر الاكزيما عادة في فصل معين من فصول السنة ، وهذا لا يعني انها لا تظهر في اى وقت من السنة . وقد تصيب عادة مكانا معينا من الجسم الا انها قد تظهر في اى مكان دون تحديد .

اعراض الاكزيما

وتصاحب الاكزيما حكة شديدة تؤرق نوم المريض وتزيد من سوء حالته النفسية ، وقد تؤدي الحكة الى تلوث المنطقة المصابة بالجراثيم المختلفة . وقد تزمن الاكزيما وقد تظهر لفترة ما ثم تختفي وتعود للظهور مرة اخرى وهكذا .

وتبدأ الاكزيما عادة باحمرار الجلد مع ظهور بثرات مائية دقيقة قد تتحد مكونة فقاعات اكبر حجما ، وهذه تنفجر وتغطي سطح المنطقة بسائل ، وهذا بدوره عندما يجف يكون قشورا تغطي السطح ، وقد لا تجف وتظل الاكزيما تنشع ذلك السائل لفترة ما .. ومثل هذه الحالة تكون عرضة للتلوث بالميكروبات ويتضح ذلك بوجود بثرات ممتلئة صديدا .

وتستمر تلك الصورة لفترة ما ثم تنتهي بزيادة في سمك الطبقة العليا من الجلد مع ظهور بعض الحبيبات عليه وتبدو الاكزيما ادكن لونا عن باقي لون الجلد المحيط بها .

اكزيما الوجه عند الاطفال

من انواع الاكزيما ما يصيب الاطفال في الشهر الثاني او الثالث من عمرهم ، وهي مصدر ازعاج للطفل واهله وطبيبه المعالج . وهذا النوع من الاكزيما يظهر عادة على الوجنتين فيبدو الجلد محمرا مع وجود حبيبات وبثرات تنضح سائلا يجف ليكون قشورا ، وقد يتلوث المكان بالجراثيم ، وقد تظهر عليه بعض الخدوش او الجروح من شدة الحك ... وقد تنتشر هذه الاكزيما فتصيب اجزاء اخرى من جسم الطفل كفروة الراس والاذنين والرقبة والاطراف ومثل هذه الحالات تشتد احيانا وتختفي احيانا اخرى ، وقد تزمن ، ويبدو ذلك واضحا في زيادة سمك الجلد ، وهذه الحالات تصحبها حكة شديدة ، ويبدو الطفل متوترا دائم الحركة منقطع النوم .

وغالبا ما تاخذ هذه الاكزيما في الاختفاء خلال

العام الثاني من عمر الطفل الا انها قد تصاحبه فترة اطول .

الاكزيما العصبية

اما الاكزيما العصبية فهي احدى صور اكزيما الحساسية ، التى نراها فى البالغين ، وتشاهد فى كلا الجنسين . وقد تزيد فى الاناث ، وهي بحسب المناطق التى تكون فى متناول يد المريض ليسهل حكها فتظهر حول العينين والجفون ومؤخرة العنق وثنايا الذراعين واليدين والصفن والفخذين . ويتميز ذلك النوع من الاكزيما بان يكون متمركزا فى اغلب الاحيان ، وكذلك يتميز بالازمان والحك الشديد المستمر ، ويبدو المكان المصاب سميك الجلد ولونه ادكن من لون الجلد المحيط ، وثنايا الجلد فيه اكثر وضوحا مع وجود حبيبات منتشرة على سطحه .

العلاج

وعلاج الاكزيما عموما يحتاج للمثابرة لأنه قد يستمر لوقت طويل . ولا بد من بذل الجهود لمعرفة سبب حدوثها وان وجد سبب وجب علاجه بكل الطرق الممكنة .

وعلاج اكزيما الاطفال يتطلب تعاونا وثيقا بين اهل الطفل والطبيب ، حيث انه من الضرورة توفير المحيط الصحي للطفل مع ابعاده عن المواد التى قد تؤذى جلده سواء كانت كيماوية او انواعا من الملابس ، او حتى بعض اللعب ، وفى الاطفال عموما تفضل الملابس القطنية مع تهيئة جو ذى حرارة معقولة ، والابتعاد عن تيارات الهواء . كذلك يجب منع الطفل من حكه جلده بكل الطرق حتى لو اضطرت الأم لربط يدى الطفل او تغطية وجهه .

كذلك يراعى فى حالات الاكزيما ان يكون عمل الامعاء منتظما مع التخلص من الامساك ان وجد .

عادة لا يلجأ الى الابتعاد عن انواع معينة من الاطعمة او المواد الغذائية الا فى حالات الاكزيما المنتشرة والحادة ، وفى الاطفال يجب عدم اعطائهم اى غذاء يشك فى انه يزيد من سوء حالتهم ، وعلى الأم ان تراعي ذلك بكل دقة فعليها ان تختبر طفلها بالنسبة لكل مادة غذائية على حدة ، وان تستثني من طعامه ما يضره فعلا ، ولا داعي لأن تحرم الطفل من طعام لا يسبب له ضررا ، وليست هناك قاعدة بالنسبة لانواع الاطعمة التى يجب تفاديها ، ولكن التجربة هي الاساس .

اما الادوية المضادة للحساسية فهي تقلل من الحكة ، كما ان مفعولها مهدىء . كذلك قد تعطى الادوية المهدئة . اما الكورتيزون ومشتقاته ، فلا يلجأ اليها الا اذا فشلت كل محاولة لاخماد المرض ، واذا اعطيت فلا بد ان يكون ذلك تحت اشراف الطبيب المعالج .

وقد تعطى المضادات الحيوية فى الحالات التي يرافقها تلوث ميكروبي ، فيعطى المضاد الحيوى المناسب ، ويفضل الابتعاد عن السلفا والبنسلين والاستربتوميسين .

اما العلاج الموضعي للاكزيما فيختلف بالنسبة للحالة . ففي الحالات الحادة تستعمل الغسولات كغسول تحت خلات الرصاص ، او خلات الالومنيوم او غسول الكالامينا Calamine وفى الاحوال الحادة المنتشرة ، قد نلجأ الى الحمامات كحمام النشا . واذا كان هناك تلوث جرثومي ، يضاف للغسول او الحمام احد المطهرات مثل حمض البوريك او برمنجنات البوتاسيوم .

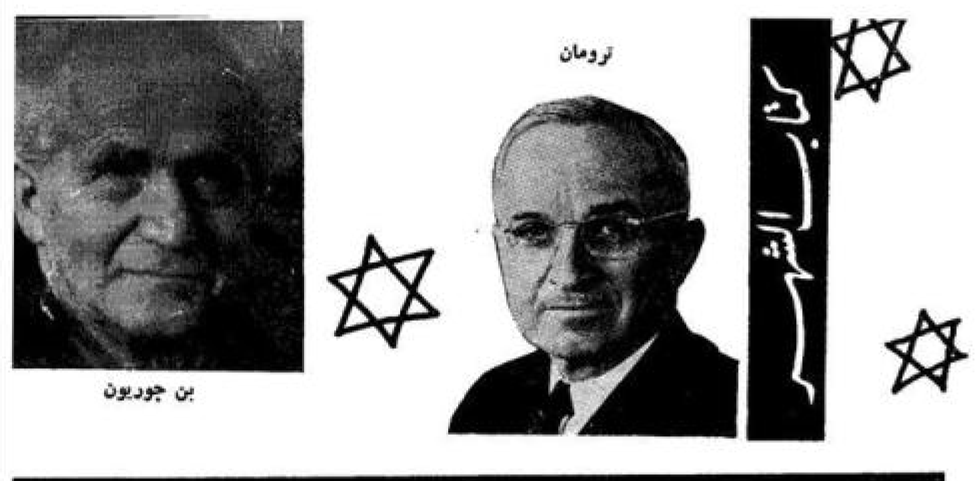
وقد يستعمل الكورتيزون او احد مشتقاته ، وهذه اكثر استعمالا فى الالتهاب الجلدى الناتج من تلامس مادة ما ، وكذلك فى اكزيما الاطفال اذا كانت متمركزة .

وبزوال الحالة الحادة تستبدل هذه العلاجات باخرى مناسبة . ففي الحالات المزمنة تستعمل المراهم كمراهم الكورتيزون او القطران ومشتقاتهما .

ويراعى فى اكزيما الاطفال ازالة القشور ان وجدت قبل استعمال اى علاج موضعي حتى يؤدى ذلك مفعوله . وتزال هذه القشور بمحلول حمض البوريك او برمنجنات البوتاسيوم او زيت الزيتون .

اما محاولات الاقلال من حساسية الانسان لمادة ما ، فقد تكون ممكنة فى بعض الاحيان ، الا ان طرق الاختبار المتبعة للوصول لمعرفة تلك المادة وكذلك طرق الاقلال من حساسية الانسان لها قد ثبت انها لا تؤدى الى النتائج المرجوة . ■■

محمد الشاذلي
اخصائي امراض جلدية وتناسلية
الكويت



ترومان

بن جوريون



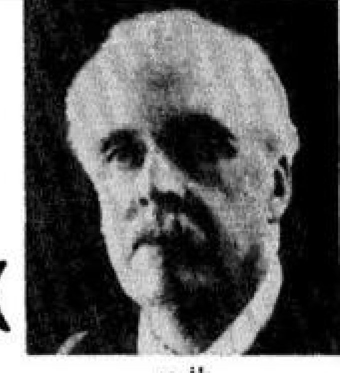
التحدي الصهيوني

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية

■ هذا كتاب ظهر في ترجمته العربية ، قبل ان يظهر في اصله الفرنسي ، ومن الأمور الواضحة أن القضية العربية اخذت تكسب انصارا ومؤيدين اكثر بكثير من السابق . لقد بلغ من هزال الاعلام العربي في الماضي أن استطاع الصهاينة عام ١٩٤٨ اقناع العالم ان العرب هم المعتدون ، وان فلسطين لهم ، وان ما بقي من فلسطين مع العرب انما اغتصبه العرب منهم !!

وهذا الكتاب الذي نقدمه لا يضيف معلومات جديدة ، ولكنه يثير قضايا جديدة . وعيبه الكبير أنه مفكك الموضوعات ، مضطرب الفصول . وعلينا ان نذكر دوما ، عند قراءتنا لأى كتاب اجنبي عن قضايانا ، ان الكاتب ليس عربيا ، ولهذا لا ينتظر منه أن يتبنى وجهة نظرنا مائة بالمائة . ونحن لا ننتظر هذا منه ، في هذه المرحلة التي تعقب مرحلة جهل الغربيين المطبق بكل ماله صلة بنا . وتبقى بعد هذا مسؤولية الاعلام العربي ، والمثقفين العرب ، الذين عليهم أن ينشطوا ويحاوروا المجتمع الغربي القارىء ، من اجل اطلاعه على الحقائق ، وكشف زيف الدعاية الصهيونية . ومثل هذه المهمة تحتاج الى تجنيد المثقفين ، الجادين ، الواعين ، الذين يعرفون كيف يتحدثون الى العقلية الغربية ، وكيف يخاطبونها . ولا اعني بكلامي هذا ان معركتنا مع الصهيونية



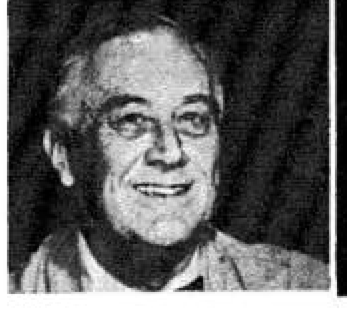


بلفور



روزفلت





معركة اعلامية فقط ، بل هي معركة في ميدانين ميدان الاستعداد والفداء على ارض المعركة ، وميدان الاعلام لكسب العالم الى جانبنا . ولا يستطيع احد ان يماري اليوم ، فيقلل من قيمة الراى العالمي .

هذه كلمة لا بد منها عند الحديث عن هذا الكتاب وأمثاله .

★ ★ ★

من القضايا التي يثيرها هذا الكتاب : النفسية اليهودية . وهي نفسية قوامها الحقد ، والقسوة، على الجنس البشرى . وقد اكتسب اليهود هذه النفسية من تعاليم اليهودية ، كما وردت في التوراة المحرفة : فقد ورد فيها ان الرب قال لموسى : « سارسل هيبتى امامك ، وازعج جميع الشعوب الذين تاتي عليهم ... لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الارض خربة ، فتكثر عليك وحوش البرية . قليلا ، قليلا ، اطردهم من امامك ، الى ان تثمر ، وتملك الارض ... فاني ادفع الى ايديكم سكان الارض ، فتطردوهم من امامكم » .

وورد في التوراة : « اسمع ، يا اسرائيل ... متى أتى بك الرب الهك الى الارض ، التى أنت داخل اليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من امامك ... لا تقطع لهم عهدا ، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم » ...

وجاء فيها ايضا : « اسمع ، يا اسرائيل ... اتى الرب الهك الى الارض التى حلف لابائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك : الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملاها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها » ..

ومثل هذه النصوص في التوراة كثير . وكلها نصوص تفيض وحشية ، وعنصرية ، ومنها استقى اليهود تركيبهم النفسي . وقد استغلت الصهيونية هذه النصوص ، وغذت عقول اليهود بها ، واكبر دليل على هذا ما حدث في فلسطين : فقد كان الفلسطينيون يعيشون على أرضهم في سلام ، فجاء اليهود ، وذبحوهم ، واغتصبوا أرضهم ، ثم استطاعوا أن يخدعوا العالم ويضللوه ، بفضل ما يملكون من أدوات الاعلام الحديثة الضخمة .

ويروى الاستاذ شوارتز في كتابه « العرب في اسرائيل » (١٩٥٩) انه كان يتجول في الارض المحتلة ليتعرف الى أوضاع العرب فيها ، وقابل امام مسجد في احدي القرى ، فسأله :

ـ « حدثنى بصراحة ، ايها الامام الجليل ، عن حياة العرب هنا » .

فاجابه :

ـ « قديما ، يابنى ، في ايام العباسيين ، ضاق هارون الرشيد ، خليفة بغداد ، بما بلغه وزيره جعفر البرمكي من سلطان ومحبة في قلوب الناس ، فاراد ان يذله بتكليفه مهمة مستحيلة ، فناداه اليه ، واعطاه حملا صغيرا ، قائلا له : « خذه فاطعمه ستة ايام خير ما في مستطاعك من غذاء ، ثم رده الي بعد ذلك ، ولكن شريطة الا يزداد وزنه ثقل شعره . » وحار الوزير فيما يفعل ، فاستشار شيوخ أسرته ، فقال له احد اعمامه : « لا عليك فالأمر يسير . ارسل الى الغابة من يأتيك بذئب ، ثم اجعله ينام في الزريبة نفسها

التي تضع فيها الحمل » . واخذ الوزير بالنصيحة . فلما انقضت الايام الستة كان الحمل هزيلا ، بدلا من أن يسمن ، على الرغم من كل ما قدم له من اطايب العلف » .

وهذه ايضا قصة العرب واليهود .

ولكن اذا جاز للاستاذ شوارتز ان يستشهد بهذه القصة لملاءمتها للعقلية الغربية ، فان علينا نحن ، أصحاب القضية ، ان نذكر دوما المثل السائر : اذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب .

والغريب العجيب ان يقف اليهود من العرب هذا الموقف العدائي الوحشي ، وهم الذين نعموا في ظل الدولة العربية الاسلامية بالسلام والرخاء ، بينما يتعرضون في اوروبا لضروب الاضطهاد : لقد منحهم الاسلام الحرية ، واعتبرهم « أهل الكتاب » ، واتاح لهم الفرصة للوصول الى المراتب العليا في الدولة ، وشجع واكرم من نبغ منهم من الشعراء ، والفلاسفة ، والعلماء ، والاطباء ، والمؤرخين ... وفي هذا الوقت بالذات كانوا يعتبرون في اوروبا « قتلة الرب » و « جلادي المسيح » ، وكانوا متكتلين في جماعات مغلقة على ذاتها ، وبسبب هذه العزلة عانوا الوانا من الزراية والاضطهاد ، وكثيرا ما اخذوا بجريرة آثام لم يرتكبوها .

وقد شغل زعماء الغرب في التفكير بطريقة يستطيعون بها التخلص من اليهود ، وطردهم من بلادهم ، وقد وردت على السنتهم اقوال كثيرة تكشف عن هذه الخطط ، ونكتفي هنا بالتحذير الذي وجهه بنجامين فرانكلين ، الى مواطنيه عام ١٧٨٩ ، فقد ورد فيه ما يلي : « ان الولايات المتحدة تتعرض لخطر رهيب ، هو الخطر الذي يؤلفه وجود اليهود فيها ، فحيثما حلوا تدنى المستوى الخلقي ، والشرف التجاري . وحيثما وجدوا ظلوا على انعزالهم ، لا يلتحمون ابدا بالشعوب الاخرى ، وهم اذ يخشون على انفسهم الاضطهاد ينتهون بخنق البلد الذي هم فيه على الصعيد الاقتصادي : انظروا الى اسبانيا !! انظروا الى البرتغال !! ... انهم سيغيرون شكل الحكم الذي من اجله سالت دماؤنا ، ومن أجله ضحى كثيرون منا بارواحهم ... فاذا انتم لم تطردوا اليهود ، فان احفادنا سيغاسون الكثير منهم بعد مائة عام ... انني انذركم ، ايها السادة !! اذا لم تبعدوا اليهود ، فان اولادكم سيلعنون قبوركم . انهم خطر على بلادنا !! »

★ ★ ★

والقضية الثانية التي يثيرها هذا الكتاب ، ان لليهود في فلسطين حقا تاريخيا . ولا يثير المؤلفان هذا الموضوع كقضية ، ولكنا نقع على الاستنتاج ، من خلال قراءتنا للكتاب .

والتاريخ يحدثنا ان فلسطين اجتذبت اليها كثيرا من الغزاة ، منذ فجر التاريخ ، بسبب كثرة خيراتها وموقعها الاستراتيجي ، اذ هي احد الجسور الرئيسية التي تصل بين اوروبا وآسيا ، وقد كانت منذ القديم موطنا للعرب الكنعانيين ، ولم يحصل اى تبدل على طابعها العربي ، رغم تعاقب العديد من الغزاة : كالفلسطينيين الذين اعطوا البلد اسمه ، والعبريين ، واليونان ، والرومان ، والفرس ، والصليبيين ، والاتراك . وما ذلك الا لان اكثرية السكان كانت من العرب ، وبسبب هذا احتفظ عرب فلسطين بلغتهم ، وتقاليدهم في بلادهم ، على مدى آلاف السنين .

واما ادعاء اليهود بان لهم حقا تاريخيا في فلسطين ، فيمكن الرد عليه ، في رأينا ، من ثلاثة وجوه :

الاول : ان العبريين (أى الذين عبروا نهر الاردن الى فلسطين بين عامي ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد) لم يحكموا فلسطين الا مدة ١١٣ عاما فقط ، خلال تاريخها الذى يمتد اكثر من اربعين قرنا . وتفسير هذا تاريخيا ان العبريين استولوا على السلطة في فلسطين من عام ١٠٥٠ ق.م حتى عام ٩٣٧ ق.م ، اى حين اتحدت أسباطهم في عهد شاوول ، وداود ، وسليمان ، ثم زال حكمهم ، ولم يبق لهم سوى مملكتين صغيرتين هما : مملكة اسرائيل في الشمال ، ومملكة يهوذا في الجنوب . وقد قضى الأشوريون على المملكة الاولى بعد خمس عشرة سنة من قيامها ، وقضى نبوخذ نصر على المملكة الثانية عام ٥٨٦ ق.م. وحوالي عام ١٦٧ ق.م. قامت دولة عبرية بالغة الصغر عاشت حوالي القرن ، حتى الغزو الروماني عام ٦٣ ك.م. وفي العام السبعين بعد الميلاد اخذت جماعة من اليهود تقوم ببعض الفتن ، فسحقهم تيتوس الروماني .

وهذه الحقائق التاريخية هي التي جعلت (جورج اير في) يقول في كتابه « السراب الصهيوني » ما يلي : « لم يكن اليهود اول من احتل فلسطين ، ولم يقطنوها قط وحدهم » .

الثاني : ان اليهود لم يجتمعوا كلهم قط في فلسطين : فقد كانوا موزعين في بلدان كثيرة من العالم ، كما هم اليوم . يقول دانيال روبس ، المؤرخ الكاثوليكي لفجر المسيحية : « كانت هناك ملايين من اليهود ، تعيش خارج الارض المقدسة . وهذه حقيقة كان يعرفها كل من عاصر المسيح » .

الثالث : ان اليهودية ليست دما ، وليس يهود اليوم ابناء اولئك الذين سكنوا فلسطين فترة قصيرة من الزمن ، فاليهود اليوم قسمان : اليهود الشرقيون المعروفون باسم « السفرديين » ، وهم يتناقضون تناقضا صارخا مع اليهود الآخرين ، في امزجتهم ، واخلاقهم ، وتقاليدهم . والقسم الثاني من اليهود ، هم : الغربيون المتهودون ، واليهم تنسب الغالبية العظمى من الصهيونيين ، كما ان جل المهاجرين الى الارض المحتلة منهم ، وقد لاحظ الأستاذان ماسينيون وريسلر ، ان الغربيين المتهودين ، يختلفون عن اليهود الشرقيين حتى في سماتهم الجسدية ، ولا صلة لهم اطلاقا بقدامى العبريين ، فهم قوم تهودوا في فترة من فترات التاريخ الوسيط خاصة . وهم يعرفون باسم « الاشكنازيين » ، ويتكلمون لغة تسمى « اليديش » ، وهي احدى اللهجات الالمانية العامة المحشوة بكلمات عبرية ، محرفة على الأغلب . وموطنهم أوروبا الوسطى والشرقية ، والمانيا وبولونيا ، وهناك يهود تهودوا في بلاد اوروبية اخرى كثيرة ، وفي بلاد غير اوروبية .

واكبر مجموعة من المتهودين ، هي تلك المجموعة من عشائر الخزر التي اعتنقت الدين اليهودي في القرن الثامن الميلادي . وقصة هذا التهود ان بولان ، احد ملوك الخزر ، اراد ان يخلص شعبه من عبادة الاوثان فتبنى دين جيرانه اليهود ، الذين كانوا يعيشون في شبه جزيرة القرم .

ويروى المؤرخ اليهودي الحاخام يهودا الحلبي ، وهو من مواليد طليطلة ، في كتابه « تاريخ الخزر » القصة التالية عن تهود الخزر : « دعا بولان مسلما ، ومسيحيا ، ويهوديا ، ليعرض عليه كل منهم أسس ايمانه فقال الشيخ المسلم : التوراة ، والانجيل ، والقرآن . وقال الكاهن المسيحي : التوراة والانجيل . وقال الحاخام اليهودي : التوراة .. وحينئذ قال الملك بولان ، بعد تفكير : تلاثتكم اتفقتم على التوراة ، فلناخذ اذن بالتوراة سيكون الخزر كلهم يهودا ..»

وهكذا نشات هذه العشائر على اليهودية ، جيلا بعد جيل ، تتلو التوراة ، وتنشد انغامها الدينية وفي اواخر القرن العاشر الميلادي استطاع ايفوريفيتش ، امير كييف ، أن يقضي على مملكة الخزر ، بعد حروب طويلة ، فتشرد أهلها ، وانتشروا في روسيا واوربا . وقد ساعدت وحدة العقيدة على أن يقوم تزاوج وتقارب بين اليهود الشرقيين المستغربين ، وبين الغربيين المتهودين .

وهكذا يتضح لنا أن اليهود لا ينتمون الى عرق واحد ، وأن اليهود الاشكنازيين لم يعرف اجدادهم قط فلسطين ، ولم يكن لهم بها صلة في اى يوم من الأيام ، وهؤلاء اليوم هم غلاة الصهيونيين .



والقضية الثالثة التى يمكن أن يثيرها هذا الكتاب في نفس القارىء المتامل ، هي : دور بريطانيا فى قيام اسرائيل . لقد منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور في الثاني من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من سنة ١٩١٧ ، وكانت تظن انها بهذا الوعد انما تستخدم اليهود لخدمة مصالحها ، فاذا باليهود يستخدمون الدولة العظمى لتحقيق أهدافهم في اقامة دولة لهم في فلسطين . وعندما منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور ، لم تكن تملك اى حق في ذلك ، ولكنها منحته رغبة في الحصول على معونة اليهود ، اثناء الحرب ، في ميدانين : كجواسيس في صفوف الأعداء ، وكقوة ضاغطة على الولايات المتحدة لكي تدخل في الحرب الى جانب بريطانيا ، وقد تحقق لبريطانيا الهدفان . وكانت بريطانيا ، بدورها تامل أن تقدم الدولة اليهودية مزيدا من الحماية لطريق بريطانيا الى مستعمراتها عبر قناة السويس ، ولمصالحها في الشرق العربي .

وانتهت الحرب العالمية الاولى بانتصار بريطانيا وحلفائها ، وهنا اخذت تطالب الحلفاء بمنحها حق

الانتداب على فلسطين ، وقد وضعت الصهيونية العالمية كل ثقلها من أجل تحقيق هذا . وفي عام ١٩١٩ أوفد الرئيس الامريكي ويلسون بعثة (كنج ــ كرين) الى الشرق العربي لتحقق في هـــذا الانتداب الذى تطلبه بريطانيا ، على فلسطين ، وقد غادر اعضاء البعثة أمريكا ، وهم يعطفون على الصهيونية ، وعادوا ليكتبوا تقريرا يشجبها ، ويحذر الولايات المتحدة من أخطارها . وقد أكد تقرير البعثة على نقطتين :

الاولى : ان الصهيونيين العاملين ، الـــذين تحدثت اليهم اللجنة ، لم يكتموا أن هدفهم هو نزع ملكيات عرب فلسطين ، بكل الوسائل .

الثانية : ان جميع الضباط البريطانيين ، ذوى الخبرة بشـــؤون الشرق الاوسط ، والــذين استجوبتهم البعثة ، اجمعوا على أن الصهيونية لا بد أن تؤدى الى الحرب في المنطقة ، آجلا أو عاجلا .

ولكن تقرير البعثة كتم أمره ، واعتبـر من الوثائق « السرية جدا » ، ولهذا لم ينشر الا بعد انتهاء رئاسة ويلسون .

وفي عــــام ١٩٢٢ عهدت عصبة الأمم لانجلتره بالانتداب على فلسطين ، ولكنها أكدت على بريطانيا بان فكرة اقامة « دولة يهودية » فيها ، يجب أن تستبعد تماما ، كما فرض صــك الانتداب على بريطانيـــا أن تنظـم الهجـرة اليهودية وتعـدّ السكان لادارة شؤونهم بأنفسهم ، على أن يتم ذلك في أقرب فرصة ممكنة .

فماذا حدث ؟

لقد حرمت حكومة الانتداب العرب من حقوقهم المدنية والسياسية ، وأعطت المناصب الادارية العليا الى بريطانيين ، أو صهيونيين ، أو بريطانيين من أمثال هربرت صموبل ، أول مندب ســـام لفلسطين . وعين يهودى مسؤولا عن صياغةالقوانين كما كان لليهود سيطرة تامة على ادارات الهجـرة والجوازات ، والجنسية . ونتيجة لكل هـــذه الاجراءات ارتفع عدد اليهود بالنسبة الى مجموع السكان ، من ٨٪ عام ١٩٠٠ ، الى ٢٢٪ عــام ١٩٣٨ . ومما يلفت النظر أن جل المهاجرين كانوا من الشباب الذين خدموا في جيش الحلفاء ، أو دربوا في معسكرات خاصة ، انشئت في اوروبا لهذا الغرض . وكانت المنظمة الصهيونية العالمية تشرف بنفسها على انتقاء هؤلاء المهاجرين . وما كـان ليتحقق لها تنفيذ ما ارادت ، لو لم تكن الحكومة البريطانية ضالعة معها في هذا .

وفي ظل حكومة الانتداب : كان أجر العامـل اليهودى ضعف اجر العامل العربي . وكان الجيش البريطاني يمنح تعهداته الضخمة ، ومشترياته الكثيرة ، الى اليهود وحدهم . ومنحت المشاريع الكبرى ، كالكهربة وتجفيف البحر الميت ، الى المؤسسات المالية الانجلو سكسونية . وبهـذا وضعت بريطانيا السكان العرب في ظروف اقتصادية سيئـة .

ومن الناحيـة العسـكرية : قامت بريطانيا بتزويد اليهود بالمال والعتاد ، وملأت فلسطـين بالمنظمات الارهابية ، حتى أصبح لكل مستعمرة ميليشيا خاصة بها ، وفي كثير من الاحيان كان المدربون البريطانيون هـم الذين يشرفون علـى تدريب هذه الفئات عسكريا . ومن مجموع هذه المنظمات تكون ، فيما بعد ، ما عرف بجيـش اسرائيل الرسمي . وفي الوقت نفسه كانت حكومة الانتداب تفرض العقوبات الصارمة على كل عربي يحمل اى نوع من السلاح ، وقد تدرجت هــذه العقوبات من : السجن ، الى التعذيب الوحشي ، الى الحكم بالموت في المرحلة الاخيرة . ونستطيـع ان نصور مدى لا اخلاقية هذا الانتداب ، اذا تذكرنا ان الحكومة الانجليزية كانت تسكت عـن كل أعمال الارهاب التى كانت تقوم بها المنظمات الارهابية الغازية ، من مثل : الارغون ، وشتيرن .

ورغم كل هذا فان سكان فلسطين العرب لـم يسكتوا على هذا الظلم ، فقاموا بثورات عدة ، مـن أشهرها ثورات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، ١٩٣٤ . وتوجت هذه الثورات بثورة كبرى سنة ١٩٣٦ ، وهي ثورة تميزت باضراب دام ستـة اشهر ، وصف بانه « أطول اضراب في التاريخ » .

ومنذ سنة ١٩٣٩ نشطت الولايات المتحدة في دعم الصهيونية العالمية ، بسبب ضغط الاوساط اليهودية البالغة النفوذ فيها . وكانت الولايات المتحدة الامريكية ، بدورها ، ترى في قيام دولة يهودية في فلسطين ، قاعدة عسكرية لحماية نفوذها المكتسب في المنطقـة ، وقاعـدة ضـد الاتحاد

السوفييتي ورأس جسر لتوسعها في منطقة الشرق الاوسط .

وخلال الحرب العالمية الثانية قامت بريطانيا ، ومعها امريكا ، بتضليل العرب وخداعهم ، كما حدث في الحرب العالمية الاولى : اذ أرسل تشرشل وروزفلت رسائل الى رؤساء العرب ، يتعهدان فيها بعدم اتخاذ اى قرار بشأن فلسطين ، دون موافقة الدول العربية ، وقد كشف النقاب ، فيما بعد ، عن ان روزفلت كان قد ايد قرار المنظمة الصهيونية العالمية ، الذى اتخذته في اجتماعها في صيف ١٩٤٢ ، وهو قرار ينص ضمنا على طرد السكان العرب من فلسطين . واخذ رؤساء الولايات المتحدة منذ روزفلت ، يؤيدون الصهيونية دون تحفظ ، حتى قال فيهم الكاتب الامريكي جون بيتي في كتابه « الستار الحديدى حول امريكا » ، الصادر سنة ١٩٥٠ ما يلي : « ان الرؤساء الامريكيين ، ومعاونيهم ، ينحنون امام الصهيونية، كما ينحني المؤمن امام قبر مقدس . ولقد بلغت الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة درجة من السلطان والطموح ، تجعل امريكا مهددة بأخطار متصلة ، وبحرب عالمية ثالثة » .

ولم تكن بريطانيا اقل خداعا للعرب من الولايات المتحدة : ففي ديسمبر (كانون الاول) من عام ١٩٤٤ ، اعلن حزب العمال تأييده للمواقف الصهيونية المتطرفة ، وفتحت الحكومة البريطانية ابواب فلسطين للمهاجرين اليهود ، رغم كل ما صدر عنها من اقوال مطمئنة للعرب ، حتى بلغت نسبة اليهود في فلسطين عام ١٩٤٦ / ٣٢٪ من مجموع السكان . يضاف الى هذا ان حكومة الانتداب هيأت السبل لليهود لشراء الاراضي .

★ ★ ★

وانتهت الحرب العالمية الثانية .

وفى عام ١٩٤٦ قررت الحكومة البريطانية ان توفد لجنة مختلطة ، من انجليز وامريكيين ، الى فلسطين لدراسة المشكلة ، فاذا باللجنة توصي بفتح فلسطين امام مئة الف يهودى يهاجرون اليها فورا ، وذلك استجابة لطلب الرئيس ترومان . ويذكر احد اعضاء هذه اللجنة ، وهو رتشارد كروسمان ، في كتابه Mission to Palestine ان بن غورين اعلن لاعضاء اللجنة عن استعداده لمنح بريطانيا قاعدة عسكرية في فلسطين ، ضد الاتحاد السوفييتي ، اذا هي ساعدت في انشاء الدولة اليهودية .

وتنفيذا للمخطط المرسوم ، قامت بريطانيا بعرض المشكلة على الامم المتحدة ، وقررت التخلي عن انتدابها على فلسطين ، ولم يكن هناك مايجبرها على ذلك ، وتحت الضغوط والتهديدات الامريكية، قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين : يهودية ، وعربية . وكان هذا في آخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ وحسب هذا القرار فان مساحة الدولة اليهودية ١٦٥٠٠ كيلو متر مربع ، فيها ٥٥٠٠٠٠ يهودى ، و ٥٠٠٠٠٠ عربي وهؤلاء العرب يملكون ٧٥٪ من اراضي تلك المساحة . ومساحة الدولة العربية ١٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، فيها ٦٠٠٠٠٠ عربي ، و ١٥٠٠٠ يهودى .

ولم يكد يعلن قرار التقسيم ، حتى انطلقت الجماعات الارهابية اليهودية تقتل ، وتبعث الرعب في النفوس ، بينما وقفت بريطانيا ، الدولة المنتدبة ، موقف المتفرج غير المحايد ، اذ انها زودت اليهود بالاسلحة ، وتركت لهم معسكرات الجيش البريطاني . وتدعي حكومة الانتداب انها قد قامت بحماية المواطنين العرب ، في هذه الفترة ، وحمايتها لهم تعني اخلاءها للمدن العربية من سكانها ، وترحيلهم !! وكانت النتيجة انه عندما ترك الانجليز البلاد في ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ ، كانت اكثر مدن فلسطين قد سقطت في ايدى اليهود . وليس بعد هذا من خيانة للامانة !!

وبعد عام ١٩٤٨ بقليل ، قام الكاتب اليهودى « هال ليهرمان » بزيارة للارض المحتلة ، فوصف ما رأى في العبارات التالية : « بعد ان جبت البلاد ، منطقة منطقة ، استطعت ان اتأكد ان الاسرائيليين كانوا بالغي الوحشية في مواقفهم ، حتى مع غير المحاربين من العرب . ان قرى عربية عديدة قد نسفتها المنظمات اليهودية ، وأخلتها من سكانها العرب ، رغم انها لم تشترك في الحرب . لقد كانت تطرد العرب من قراهم ، ثم تهدمها ، حتى لايستطيع اهلها ان يعودوا اليها ابدا » .

ومنذ قيام اسرائيل فى ارضنا المحتلة ، الى يومنا هذا ، وهي تعيش على المساعدات الخارجية،

التي لولاها لانهارت ، ويأتي جل هذه المساعدات من الولايات المتحدة ، حتى اصبح كقاعدة ان يكون وزير مالية الولايات المتحدة ، هو في الوقت نفسه رئيس لجنة جمع المساعدات لاسرائيل . ولكي يبرر الغزاة عملهم ، يختلقون الذرائع للايقاع بالابرياء ، من ذلك قولهم : « كل دولار يقدم لاسرائيل ، هو حجر في بناء القلعة المضادة للشيوعية . » ، و « اسرائيل تعني : ٢٥٠ الف جندي للدفاع عن الديمقراطية . » ... الخ

★ ★ ★

ان الذين القوا القنبلة الذرية على هيروشيما ، دون ان يردعهم عن ذلك وازع من ضمير ، هم انفسهم - مع حلفائهم - الذين شردوا شعب فلسطين الآمن الوادع . هذا الشعب الذي كان يعيش ، قبل الكارثة حياة سالمة ، في بلد مزدهر ، وكان قد بلغ على صعيد الاقتصاد ، والعلم ، مستوى اعلى بكثير من مستوى كثير من البلدان التي تعتبر متقدمة : فقد كان دخل الفرد الواحد يتجاوز ٣٠٠ جنيه استرليني ، وكان الانتاج الزراعي يفيض بنسبة ١٥٠٪ عن الاستهلاك ، وكان ٨٤٪ من السكان يعرفون القراءة والكتابة ، و ٩٢٪ من الاطفال ، بين السابعة والرابعة عشرة ، يتعلمون في المدارس . وهذه النسب ، كانت اعلى نسب في كل الشرق الاوسط .

لقد هزت هذه المأساة حتى ضمير بعض اليهود انفسهم ، فهذا الحاخام مافنس ، عميد الجامعة العبرية في القدس ، يقول : « ان عقاب الرب سينزل بنا ، لاننا نعبد الذهب ، وننشر الدعايات المضللة ، ونعشق الدم ، ونبث الرعب بين الناس . وهذا كله عند الرب حرام . وشعائرنا شاهدة على اننا كنا نلقى العقاب في كل مرة فعلنا هذا » .

والامر كله ، بعد هذا ، معتمد علينا : فيوم نقرر ان وطننا يستحق ان نفديه بالنفس والنفيس .. يومها فقط ستوهب لنا الحياة الكريمة ، في وطن حر . ■■■

محمود السمره



« يانفس لاتراعي »

تأليف : حسين ذو الفقار صبري - الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - مصر .

■ كتاب عن رحلة رسمية قام بها المؤلف موفدا من بلده الى امريكا الجنوبية . والرحلة استمرت ١٥ يوما فقط ولكن حدث في هذه الايام بالذات عدوان اسرائيل على البلاد العربية في حزيران ١٩٦٧ ، وقد صب المؤلف في وصف رحلته عصارة ذهنه وقلبه وحياته كلها . وقدم الاستاذ يحيى حقي للكتاب قائلا : « هذا كتاب فريد في ثرائه ، شان الاعمال الكبيرة ، فليست رحلته الى بلاد بعيدة كما يريد ان يوهمك ، وانما هي رحلة ايضا داخل النفوس ، بل داخل سرائر الاشياء الجامدة، واحشاء الطبيعة ، والتاريخ ، وعلوم الحرب والسياسة والدبلوماسية ، داخل غابات اللغة ودهاليز الفلسفة وهياكل الفن » .

وقد تعرض الكتاب ايضا لحرب الصحراء التي خاضتها الجمهورية العربية المتحدة فهو يصف لك ادق اسرار معارك الدبابات على بحر الرمال ويشبهها بمعارك الاساطيل فوق مياه البحار . وباسلوب صريح غير هياب يشرح المؤلف اخطاءنا وقصورنا . انه كتاب صغير الحجم ، كبير ، من قلم متمرّس قدير .

من سعير الهجر

تأليف : شفيق القيماقجي - الناشر : مطبعة شفيق - بغداد

● مجموعة قصائد مختلفة في اغراض شتى من الفنون الادبية في الغزل والوصف والوطنية .

شهيد الربذة ابو ذر الغفارى

تأليف : عبد الحميد حسن الحائرى ـ الناشر : منشورات مكتبة التربية في النجف الاشرف العراق

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث حياة احد صحابة الرسول المرموقين ومواقفه من الاسلام . ثم ترجمة كاملة لحياته وقد اورد المؤلف الكثير من اقوال الرسول وأهل بيته فيه والكتاب ثبت موثوق لكثير من كلماته وخطبه ووصاياه ، كما بحث المؤلف حياة ابى ذر في الجاهلية وايام النبى ومواقفه من الخلفاء الراشدين ثم نفيه الى البادية .

المعتدون اليهود
من ايام موسى الى ايام « ديان »

تأليف : محمد صبيح ـ الناشر :
مطبعة العالم العربى ـ القاهرة

● كتاب يناقش العدوان اليهودى على مصر والبلاد العربية ويرجعه الى أصوله العقائدية والتاريخية . ويحاول المؤلف ان يثبت بالنصوص أن وجود اليهود الحالى فى فلسطين لا يرجع الى اضطهاد النازيين او غيرهم ، ولكن يرجع الى تحقيق مخطط قديم ورد في التوراة والى حقد دفين تأصل في نفس اليهود ضد العرب منذ خمسة وثلاثين قرنا ويحاول الكاتب ان يسلط الضوء على ابعاد المشكلة الحقيقية . ثم دراسة عن الحرب النفسية التى يشنها اليهود على العرب والهجوم الجوى والبرى الذى حدث في ٥ يونيه ١٩٦٧ .

معجم ـ المورد القريب

المورد القريب ـ تأليف منير البعلبكي
دار العلم للملايين

هو معجم انجليزى عربي وجيز يشتمل على نحو ٢٥ الف مادة انجليزية مختارة من مواد « المورد » اى القاموس الكبير لنفس المؤلف ،وذلك الذى اشتمل على مائة الف مادة . وحجم هذا المعجم صغير فهو يكاد ان يكون معجم جيب . وهو نافع للطالب وكل من يريد ان يطلع اطلاعا عاجلا على ترجمة كلمة انجليزية .

المساومة الجماعية
في العلاقات الصناعية

تأليف : كامران حتى بدرخان ـ الناشر :
مطبعة الحداد ـ البصرة

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث المساومة الجماعية في العلاقات الصناعية واهمية هذه المساومة من حيث انها ابرز الاعمال النقابية ، ولما كان لهذا الموضوع اهمية كبيرة فقد اصدرت منظمة العمل الدولية كتابا موضوعه المساومة الجماعية جعلته على شكل دروس ، وغايتها زيادة الوعى النقابى ، وافادة المنظمات العمالية وتثقيفها .

لذلك قام صاحب الكتاب بترجمته الىالعربية، مع اضافة قسم تمهيدى يبحث موضوع العلاقات الصناعية ، ثم عرض للحركة النقابية وتعريف بمنظمة العمل الدولية .

خليج العقبة ومضائق تيران

تأليف : عبد البارى عبد الرزاق النجم ـ الناشر:
مطابع الجمهورية ـ الموصل ـ العراق

● بحث قيم يناقش المركز القانونى لخليج العقبة ومضايق تيران معتمدا على الاتفاقات والقوانين والاعراف الدولية ، وقد استعرض المؤلف الحجج التى تزعم اسرائيل والدول الاستعمارية بها ان مياه خليج العقبة مياه دولية وأن مضيق تيران مضيق دولى تستطيع سفن جميع الدول اجتيازه ، ثم وقفة يسيرة عند الاعتداء الثلاثى سنة ١٩٥٦ وكيف تم لاسرائيل ممارسة الملاحة لأول مرةفيمضايق تيران بعد مرابطة القوة الدولية ، وكذلك تطرق المؤلف الى المناقشات التى جرت في مجلس الأمن الدولى والجمعية العامة للامم المتحدة ، وكيف فشلت اسرائيل في الحصول على قرار من المنظمة الدولية يمكنها من ممارسة الملاحة في خليج العقبة ومضايق تيران .

الندبة الزرقاء

تأليف : يوسف يعقوب حداد . الناشر : منشورات مطبعة حداد ـ بصرة ـ العراق .

● مجموعة قصص عراقية قصيرة . ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

التوراة .. هل شوهت أم كتبت

● قرات مقال الاستاذ محمود الدش (اليهودوالحضارة الانسانية) المنشور في العدد ١٠٩ من مجلة العربي الغراء ..وورد فيه أقوال من التوراة« ان لم تطردوا سكان الارض من أمامكم يصبح الذين تستبقونهم منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الارض التى أنتم ساكنوها » وورد فيه أيضا « لا تقطعوا لهم عهداولا تبقوا لهم نسمة حية في الارض ، بل اهدموا المدن والقرى ولا تبقوا مقيما ولا شريدا ولا تتركواقباصة الا واستخدموها »

ومعروف ان التوراة احدى كتب الله ـ ومعاذالله ـ ان نرى مثل هذا الكلام في كتبه . فهل شوهت توراة الله ، أم كتبت توراة ثانية على أيدي اليهود . أرجو الايضاح فان شوهت فمن المشوه وفي اى زمن ؟ وان اصطنعت فمن المصطنع وفي أىزمن ؟ ولكم خالص الشكر .

حكمت الفرف
الجمهورية العربية السورية ـ اللاذقية

ـ التوراة التى تحدث القرآن عن نزولها على موسى عليه السلام وأمرنا بالايمان بها هي كتاب من عند الله كالانجيل والزبور والقرآن ، وكل هذه الكتب السماوية الاصيلة تتلاقى في مبادئها وتوجيهاتها الاخلاقية ، وليس فيها ما يتنافى مع المبادىء الاخلاقية الثابتة على مر الازمان ، ولذا كان الايمان بها جزءا من ايماننا بالقرآن : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه .. » (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة) .

وقد صرح القرآن بانه جاء مصدقا لما بين يديه وسبقه من التوراة والانجيل ، كما جاء فيه وصف لهما بانهما هدى ونور ، وان الله شرع لنا من ديننا ما شرعه في الاديان السماوية السابقة من الاصول والمبادىء : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى .. » (الآية ١٣ من سورة الشورى) .

ولكن القرآن صرح في آيات اخرى بأن اليهود حرفوا التوراة : « يحرفون الكلم عن مواضعه » (الآية ١٣ من سورة المائدة) .

وقال : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا .. » (الآية ٧٩ من سورة البقرة) .

والتحريف لم يتناول كل ما في التوراة : لان القرآن الكريم صرح ايضا بان في التوراة التي بين أيدى اليهود الذين عاشروا الرسول في المدينة حكم الله : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله .. » (الآية ٤٣سورةالمائدة) .والحادثة التي نزلت فيها الآية تفيد ان الحكم كان موجودا في التوراة ولكنهم تهربوا منه والتمسوا حكما آخر من الرسول ، فكان حكم الرسول من القرآن مطابقا للحكم الموجود لديهم في التوراة وتهربوا منه ..

وتاريخ التوراة يبين لنا ان الأسفار التي تنسب لموسى ويطلق عليها التوراة هي أسفار خمسة اطلق عليها أسفار العهد القديم . ولكن البحوث الحديثة أسفرت عن انها مكتوبة بلغة اليهود ،



توراة ثانية على أيدى اليهود ؟!

وأنها قد ألفت بعد موسى بعدة قــرون ، وقد ظهرت فيها مسحة أحوال اليهود وأخلاقهــم وأحقادهم في الأجيال المتأخرة عن موسى ، حيث جاء فيها الدعوة الى التفرقة العنصريـة التي لا يمكن ان يقرّها شرع الله في أي من الأزمان ، كما جاء فيها وصف الله بنقائص يستحيل اتصافه بها ، ونسبت للأنبياء والرسل معاصي وجرائم ينزه الله رسله عنها ، ولا يمكن عقلا ان يتصف بها رسل اختارهم الله هداة لأقوامهم . وهى بهذا تختلف عن التوراة الأصيلة التي تحدث عنها القرآن . لأنه اختلط فيها الحق بالباطل ، وما هو من عند الله بما دسوه . ولهذا أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه التوراة التي بايدى اليهود باننا نقف منها موقفا سلبيا لا تصدقها ولا تكذبها : « اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » أى فلا تصدقوا أن هذا من عند الله .. ولا تكذبوه .. لاختلاط الصـدق فيهـا بالكذب . وهذا في غير الأمور التي جاء القرآن بحكم فيها ..

هذا فيما يختص بالتوراة أي بالأسفار التي نسبت الى موسى ، وهي ما تسمى بأسفار العهد القديم .. ولديهم أسفار كثيرة أخرى ، كما أن لهم كتابا مقدسا آخر وهـو « التلمود » أى التعاليم ، وهو عبارة عن شروح وتعليقات على التوراة من الأحبار صارت على مر الزمن محل تقديس عندهم كالتوراة ، وقد كتبت بعد الميلاد من القرن الأول الى القرن السادس .. وفيها تجد الكثير من أخلاق اليهـود وغرورهم والطريقة الوحشية في معاملتهم لغيرهم .. مثل : (النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجة عن الصهيونية هى نطفة حصان) . ومثل (اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على الاسرائيلي أن ينجى امرأ من باقى الأمم من هلاك او يخرجه من حفرة يقع فيها) . ومثل (اذا كان للانسان ان يقتل حيوانا متوحشا في غابة دون وخزة واحدة من ضمير لكي يستولى على هذه الغابة فان لليهودى أن يقتل غير اليهودى ويطارده لكي يستولى على ما في يده) .

وكثير من مثل هذا اللون الذى يكشـف عن نفسية اليهود تجاه الأمم الاخرى .. والتي لا تظهر واضحة على حقيقتها الا حينما يملكون ويسيطرون وتصبح لهم قوة ينفذون بها ما يعتقدون ، ولـولا شيء من خشيتهم للرأى العام الآن لظهرت كل طبائعهم على حقيقتها كما ربتها فيهم النصوص المقدسة عندهم .. على أن ما ظهر منها الآن كاف لاظهار مدى تعلقهم بهذه الوصـايا الموجودة في كتبهم المقدسة ..

على أن مما ينبغي التنبيه اليه أن هذا اللون الوحشي من الوصايا لا يمكن بحال من الأحوال ان يكون واردا في التوراة الأصيلة المنزلة من عند الله، وحاشا أن يأمر الله او يوجه أحدا من خلقه مثل هذا التوجيه ، فاذا جاء في الأسفار القديمة التي يقال انها توراة موسى شيء من هذا ، فاننا نقطع أنه دخيل على الأصل .. ومن باب أولى ما عدا هذه الأسفار مما كتبه أحبارهم ..

ومع ذلك فاننا نستشهد به على طريقة سلوكهم وأخلاقهم ومعاملتهم لغيرهم ، لأنها واردة في كتبهم التي يقدسونها ..وكما قيل : « من فمك أدينك » وليس لأننا نعتقد صحة ورودها في التوراة الأصيلة المنزلة من عند الله .

عبد المنعم النمر



تمثال الحرية

● نقرا كثيرا من تمثال الحرية في امريكا .. فمتى اقيم هذا التمثال ؟ ومن الذى اقامه ولماذا اقيم ؟

عبد المعطي الخطيب ـ الاردن

ـ بدات فكرة اقامة تمثال الحرية في فرنسا ليكون تصبا تذكاريا لمولد الولايات المتحدة ورمزا للصداقة التى تربط بين شعبي فرنسا وامريكا .ولقد تبرع الشعب الفرنسي بمبلغ ٢٥٠ الف دولار ، وهي تكاليف جسم التمثال نفسه ، اماتكاليف قاعدة التمثال المصنوعة من الجرانيت والاسمنت المسلح وتبلغ ٢٥٠ الف دولار فقد جمعت من تبرعات الشعب الامريكي .

وقد اختار المثال الفرنسي فردريك اوجست بارتولدى « Fredric Auguste Bartholdei » والذى عهد اليه باقامة التمثال ، جزيرة بيدلو Pedloe ، والتى تبلغ مساحتها حوالي ١٢ فدانا ، وتقع في مدخل ميناء نيويورك لتكون موقعالتمثال الحرية . وقد غير اسم الجزيرة لتصبح « جزيرة الحرية » في عام ١٩٦٠ .

وقد تم تشييد التمثال في ٢٨ اكتوبر ١٨٨٦ .واصبح التمثال رمزا وطنيا في عام ١٩٢٧ . ويبلغ ارتفاع التمثال فقط ، والذى يمثل امراةترفع مشعلا بيدها اليمنى ١٥١ قدما ، بينما يبلغ ارتفاعه مع قاعدته ٣٠٥ر٥ اقدام . وقد غطي التمثال برقائق من النحاس . وعند راس التمثال توجد قاعة يصعد اليها الزائرون لينظروا من داخل التمثال ومن خلال عينيه الى المناظر المحيطة به من ارتفاع ٢٦٠ قدما فوق سطح البحر .

(م . ط)

مذهب التوحيد فى المسيحية

● قرات عن الكنيسة التوحيدية ، وعن انها من اكثر الكنائس المسيحية تحررا ، فمتى نشأتهذه الكنيسة ، وما هي اهم تعاليمها ؟!

ـ ننقل لك عن دائرة المعارف البريطانية .. ما يلي :

لقد نشا المذهب التوحيدى المسيحي نتيجة للدراسات التي قام بها الكثيرون من الفلاسفة ورجال الدين « للانجيل » في عهد الاصلاح Reformation وما بعده . وقد كان ميكائيل سرفيتوس Michael Servetus ، احد المفكرين الذين انتقدوا مذهب التثليث Trinity اى الاب والابن والروح القدس ، ونتيجة لهذا اعدم بتهمة الهرطقة والخروج عن اسس الدين المسيحي .

وقد سمي المذهب التوحيدى بهذا الاسم لان المذهب يقول بان الله واحد وهو الاب ، على عكس التثليث الذى تؤمن به بقية الكنائس المسيحية ، ولكن لايقتصر المذهب التوحيدى على هذا فقط ولكنه يتعداه الى الايمان بحرية الفرد في تفسير الكتاب المقدس كيفما يراه فليس هناك تفسير واحد محدد بالنسبة لهم . اهم شيء ان يتحدوا في عبادة الله وخدمة الانسان ، وحب الحق الذى كان يتميز به المسيح عيسي عليه السلام.

ويؤمن التوحيديون ايضا بالاديان السماوية الاخرى ، كما يسمحون لكل واحد يؤمن باى دين سماوى ان يتعبد في كنائسهم . فهم لايتعصبون ضد اى دين من الاديان .

وقد بدات الكنيسة التوحيدية في اقليم ترانسلفانيا Transilvania ، في وسط اوروبا بعد ظهور كتاب توماس آران Thomas Aran ، الذى يهاجم فيه التثليث في عام ١٥٥٨ . وقد اضطهد انصار المذهب التوحيدى في عام ١٦٩٠ ، وانقرضوا في القرن الثامن عشر ولكن عادوا الى الظهور مرة اخرى في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وانتشر المذهب التوحيدى بعد ذلك في كثير من البلاد واهمها الولايات المتحدة ، بريطانيا ، كندا ، المجر ، ترانسلفانيا .

(انتهي كلام الموسوعة البريطانية) .

(م . ط)

تفريقك فى معاملة أطفالك

● عندنا ولدان صغيران ، الأكبر منهما ، وهو البكر ، أذكى من أخيه ، ولهذا فانه يحظى من عنايتنا بأكثر مما يحظى به الآخر .. فهل في هذا ما يدعو الى التعقيد والتخلف في الطفل الاصغر وهل فيه ما تلام عليه ، كما يقول صديق لنا من ذوى الخبرة في شؤون تربية الاطفال .. ؟!

محمد رفيق الصلاح ـ عمان

ـ لسنا من رأى صديقكم هذا .. ولا نعتقد أن معاملتك لولديك ، كما وصفتها ، تسيء للاصغر منهما ، نظراً لما تنطوى عليه من مزيد عناية بابنكم الاكبر . فمن شان تلك المعاملة أن تبعث على غيرة الطفل الصغير ، ولكنها لا تؤدى الى تعقيد هذا الطفل أو تخلفه ما لم تكن معاملتك له سيئة بصورة مباشرة .

فلو درجت على ضرب الطفل الصغير ضربا مبرحا ، أو لو سخرت منه وهزأت به باستمرار وبحضور أخيه ، أو لو انكم اهملتم الابن الأصغر فحرمتموه الهدايا والالعاب التى تغدقونها على أخيه .. لو فعلتم هذا او ذاك لأسأتم الى ابنكم الصغير اساءة لا تغتفر ، ولأدت معاملتكم له الى تعقيده نفسيا وتخلفه كما قال لكم صديقكم الخبير ..

على أن صديقكم هذا يبدو وكأنه من الذين يعتقدون بمعاملة الأخوة معاملة من صنف واحد ، لا تفاوت فيها ولا اختلاف. وهذا صحيح فيما يختص بمشاعر العطف والحنان والمحبة التى لا مفرَّ من تقسيطها بين الأبناء اقساطا واحدة .. ولكنه غير صحيح فيما يختص بطريقة المعامله والاستجابة لمواهب الاطفال وأمزجتهم المختلفة . فالمعاملة الواحدة التى لا تراعى هذه الفوارق بين الاطفال والتى يدعو لها الكثيرون ، ظناً منهم انها اقرب الى العدل والانصاف ، معاملة غير ممكنة اصلا . وهي في رأينا غير مستساغة حتى ولو كانت ممكنة.

اما عدم امكان تلك المعاملة ، وهذا يصدق في الحالات التى يكون الطفل البكر طرفا فيها ، فيعزى الى المكانة الخاصة التى يحتلها هذا الابن البكر في نفوس كافة الآباء والأمهات . فثمةَ مشاعر واحاسيس يحدثها الطفل الاول في أبويه ، ويعجز بالضرورة عن احداثها أخوته الآخرون . ومن شان هذه المشاعر والاحاسيس أن تؤدى بالأبوين ،بوعى أو بغير وعى ، الى احاطة ابنهما البكر بمزيد من العناية والاهتمام . ومن شأنها أيضا أن تحول دون معاملة الطفل البكر واخيه معاملة من صنف واحد .

على أن الأهم من ذلك هو عدم استساغة تلك المعاملة حتى فيما لو افترضنا امكانها . ويعود ذلك الى المبدأ التربوى السليم الذى يكاد يجمع على صحته أكثر علماء النفس والمربين .

اذ ينبغى للاباء والمعلمين ، بموجب المبدأ الذى ذكرنا ، الا ينظروا الى الاطفال وكأنهم نماذج أو عينات صنعت بالجملة ، لشيء واحد ، وانما من حيث هم اشخاص يتميزَ كل واحد منهم بمزاجه الفريد ، وصفاته ومواهبه الخاصة ، فضلا عن مقومات شخصيته الفريدة. وعلى الآباء والمعلمين ، بموجب ذلك المبدأ أيضا ، الا يطمسوا في الاطفال معالم هذه الفوارق بمعاملتهم معاملة من صنف واحد ، بل على النقيض من ذلك ، عليهم أن يعاملوهم المعاملة المختلفة المتفاوتة التى تتطلبها تلك الفوارق . ■■

(ى. ز)



قصة

الأستاذ علم

بقلم : عدنان الداعوق

■ كانت نسمات الصبح الباردة تلفح وجهه وهو يسير على رصيف الشارع ووجهته غير معلومة .

ان جميع الناس ، واصحاب المحلات التجارية ، والمارة ، الفوا « الاستاذ عَلَم » والفوا مظهره المضحك وهو يسير صباحا منطلقا من شارع « الحميدية » مارا بالساحة العامة ، عابرا شارع « الدبلان » منتهيا عند آخر البساتين ... دون ان يعرف أحد الى أين ينتهي به المطاف صباح كل يوم .

و « الاستاذ علم » لا يكاد يشاهد الا صباحا ، في موعد يحرص عليه منذ زمن بعيد .. الثامنة تماما ، نفس الساعة التي ينطلق فيها الموظفون والطلاب والباعة واصحاب المحلات ، كل الى مسعاه .

وكان « الاستاذ علم » شابا في نحو الخامسة والعشرين من عمره .. أسمر الوجه ، تقاطيع قسماته تحمل صورة حلوة توضحها عيناه السوداوان وحاجباه الكثيفان ، ولكن صورته الشابة الحلوة لا تبقى يوما على ما هي عليه .. فسرعان ما يضيق « الاستاذ علم » ذرعا بخلقته ، فيسعى الى تغيير معالم وجهه بشتى الاشكال ومختلف الاساليب .

وقد الف رواد الشارع الذى ينطلق منه « الاستاذ علم » مظاهره المختلفة .. فيوما يطلق لحية سوداء غزيرة بلا تشذيب ولا تهذيب ، ومرة يتعمم بعمامة بيضاء تظهر وقاره وكأنه شيخ امضى العمر كله في المساجد واماكن العبادة والتقوى .. ومرات كان يبدو « متفرنجا » الى أبعد الحدود .. فيلبس بنطالا أزرق ضيقاً جدا ، وفوقه قميصا بالوان قوس قزح .. ويرسل القميص فوق البنطال بلا ادنى مبالاة . ومرات كان يبدو في صورة عادية جدا ، وأخرى في صور مضحكة

للغاية ، فيحلق ذقنه وشاربه ، ويدع شعره ينمو فوق رأسه كالتاج ويظل يعلو حتى يصير كالقبة فوق رأس صغير .

وبالاجمال كان غريب الاطوار .

وحين نقلت الى مدينة « حمص » لم أكن أعرف أحدا بالبلدة الجميلة .. فكنت أمضي أوقاتي ، بعد العمل ، في مقهى هادىء صغير يقوم عند آخر شارع « الدبلان » وهو أقرب الى المنتزه منه الى المقهى .. اذ كان يقوم على حديقة جميلة تظللها الاشجار وتسكنها العصافير ، وتؤمها جماعة قليلة من أهل الفن والفكر والمذاهب الانطوائية القليلة بين الشباب .

وكنت أجد غاية المتعة وأنا في المقهى هذا ، استرجع في خاطري ذكرياتي الفتية الشابة التي تركتها قبل أن تهرم وتشيخ في مدينتي « حلب » مخلفا ورائي صداقات مختلفة واحبة اعزاء .

والتفت حولي فاجد الجو هادئا جميلا فاسترسل في الذكرى واسترجع الايام .

أما في أيام العطلة الاسبوعية ، فكنت أبكر في الحضور الى مقهاي المفضل ، والمح – وأنا في وحدتي وذكراي معي – شابا أسمر الوجه مجعد الشعر .. مختلف الهندام من يوم لآخر .. ينطلق من أمام المقهى ، ويسير تجاه الشارع المؤدي الى البساتين التي يرويها نهر العاصي بعطف ورقة وحب منذ الأزل .

وكنت أعجب من مشية « الاستاذ علم » أيما اعجاب .. كان لا يتطلع الى أحد مطلقا ، يمشي مطرق الراس ويداه تنتظمان في حركة شبه عسكرية .. قدمه ثابتة ، وقامته مشدودة يزيدها احكاما زيه العجيب حينما يكون متهندما . أما نظراته فقد كانت دائما تائهة عند اقدامه .

حسبته بادىء الأمر معتوها ، به مس من خبل .

لكنني فوجئت اذ رأيته اكثر من مرة وهو يمر في نفس الوقت والميعاد .. حتى أن خادم المقهى نفسه ، كان ينظر الى ساعته ويعدل فيها حينما يلمح « الاستاذ علم » مارا .. وسألت خادم المقهى يوما سبب ضبطه الوقت والساعة عند مرور « الاستاذ علم » فقال :

– في الثامنة والنصف تماما من كل ... الاستاذ علم أمام المقهى .. ... لا يتغير اطلاقا .. صيفا أو شتاء ... ساعتي يوما .. أما الاستاذ علم ... أبدا .

ولم يفطن خادم المقهى انني أجهل « الاستاذ علم » جهلا كاملا ، لكنني سألت في كثير من الاستغراب :

– ومن هو الاستاذ علم هذا ؟ .

فنظر الخادم الي طويلا ، وكانت نظرته لا تخلو من عتاب مكبوت ، وقال :

– أفي المدينة كلها من يجهل الاستاذ علم ؟ .

قلت في سري : ربما أنا الوحيد الذي يجهله .

غير انني بعد أيام لم أملك نفسي من ان أسأل خادم المقهى :

– وهل اسمه الاستاذ علم .. أم انكم انتم من أطلق عليه هذا الاسم الكبير ؟ .

ضحك خادم المقهى ، وقد أدرك أنني بالفعل أجهل الكثير عن « الاستاذ علم » ، وقال :

– ان اسمه علم الدين ، وبالفعل هو استاذ .. وقد كان في يوم من الايام شيخ جامع في حي « باب تدمر » له صوت جميل ، وكان يؤذن بين الناس .. ورغم ذلك فالاستاذ علم عالم بكل فن وادب ، فهو يفهم شيئا من الموسيقى والشعر والغناء ، والفلسفة والأدب .. وكل شيء أيضا .

سألت محدثي من جديد ، وقد طلبت اليه أن يجلس الى جانبي ، ويحدثني عنه اكثر :

– وكيف أصبح الاستاذ علم هكذا .. ؟ أقصد ما الذي حوله وغير في أحواله ؟ .

فقال :

– أنا شخصيا لا أعرف عن الاستاذ علم الشيء الكثير .. بل كل ما أعرفه عنه انه كان يدرس الفقه ، ويؤذن في باب تدمر ، وكان يومها يلبس العمامة والقفطان العريض .. ويلم حوله جمعا من الناس يقص عليهم مختلف أحاديث الفقه والشعر والأدب . لكن الاستاذ علم سرعان ما خلع العمامة والقفطان ، وراح يرتدي الثياب الافرنجية ويبالغ فيها حتى لتبدو مضحكة في أغلب الاحيان .. غير

انه يحن احيانا لثيابه القديمة ، فيطلق اللحية السوداء ويترك علامات الاستفهام على وجوه الناس حتى اصبح ذلك مألوفا لدى الجميع .

* * *

سألت خادم المقهى « عُمَر » بعد أيام :

ــ أين يسكن الاستاذ علم .. والى أين ينتهي كل صباح ؟ .

اجابني « عمر » :

ــ انه يسكن في الحميدية ، وينام في غالب الاحيان في جامع باب تدمر .. واخيرا ينتهي عند بساتين «الجديدة» ، وهناك يستريح عند حافة نهر العاصي ، ويظل كذلك حتى يشاء .. دون ان يراه احد في طريق عودته .

وعجبت كثيرا من شخصية « الاستاذ علم » المتناقضة .. فانا لم اتصور انسانا استطاع ان يجمع بين الفلسفة والشعر والموسيقى والعمامة والقفطان العريض والبنطال الازرق الضيق والقمصان الملونة الزاهية كلها معا .

واحتل « الاستاذ علم » بالتدريج جزءا كبيرا من تفكيري ، وانشغلت بتصرفاته انشغالا كبيرا .

وفي يوم من ايام الجمعة ، كنت اجلس في المقهى ، واتطلع الى ساعة يدي بين لحظة واخرى .. فما ان اشار العقربان الى الثامنة والنصف تماما حتى لمحت « الاستاذ علم » يهل من اول الشارع .. فهيأت نفسي للقائه ومحادثته ، واستدعيت « عمر » وسألته :

ــ هل لي باستدعاء الاستاذ علم .. وهل يقبل الجلوس معي والتحدث الي ؟ .

قال « عمر » ببساطة :

ــ ولم لا .. انه انسان متواضع جدا .

الا انني لم اطمئن الاطمئنان الكافي لما قال « عمر » .. وجالت بذهني مختلف الافكار ..

انه متواضع جدا ..

ولكن اليس غريب الاطوار والافكار ايضا .. ومن يضمن لي معه جلسة هادئة سليمة .. ؟ ثم ما الحديث الخاص الذي سوف يطمئن اليه .. ومن اين ابدا معه بالكلام .. وكيف اخاطبه ؟ .

لكنني بسرعة مذهلة اقصيت كل هذه الافكار عن راسي .. عندما اقترب « الاستاذ علم » مني .

نهضت من مقعدي ، وتقدمت منه ، و « عمر » الى جانبه مبتسما ، وقلت :

ــ صباح الخير يا أستاذ علم .

نظر الي طويلا قبل ان ينطق .. واطال الصمت والنظر ، وخيل الي انه سيظل كذلك امدا طويلا .. الا انه قال اخيرا :

ــ صباح الخير يا سيدي .. كيف انت .. ؟

كانت لهجته حلوة وعبارته طرية ناعمة .

فمددت يدي لمصافحته وقد اطمأنت اليه نفسي .. فمد يده بمنتهى الوقار والاحترام .. ثم دعوته للجلوس لاتشرف بتقديم فنجان من القهوة له .

ولم يبد عليه اي امتعاض من دعوتي له ، بل قال بلهجة عذبة صافية :

ــ اهلا وسهلا . لا اظن انني قابلتك من قبل يا سيدي ؟ .

قلت له ، وقد زالت من نفسي كل مخاوفي وتصوراتي :

ــ ولا انا .. لقد قدمت المدينة حديثا ولم اشأ ان ابقى فيها جاهلا علَما من أعلامها واستاذا كبيرا فيها .

فابتسم عن اسنان صفراء متآكلة ، وقال :

ــ لقد اخجلت تواضعي يا سيدي الكريم .

وبرقت عينا « الاستاذ علم » فجأة ، وما لبث ان نادى « عمر » وطلب لنفسه قدحا من الشاي ، وقال لي نازعا التكلف بيننا :

ــ انا لا احب القهوة .. بل افضل الشاي .

وعندما كان « الاستاذ علم » يرتشف الشاي من قدحه ، كان يحدثني عن كل العباقرة والفنانين والعلماء معا .. ودون توقف .. تحدث طويلا عن « بيتهوفن » و « فان كوخ » و « موزارت » و « الشيخ محمد عبده » و « بيكاسو » .

وكان في حديثه معي غير متكلف ولا مفتعل .. وقد استغل جهلي به وبمعارفه وبعلمه ، وكأنه يريد ان يبرهن لي انه يعرف عن « ديكارت » مثلما يعرف عن « عباس بن فرناس » ويعرف عن « نيوتن » كما يعرف عن « ابن زيدون » .

وظل « الاستاذ علم » يثرثر طويلا حتى زحف الملل اليّ فى اسراع ..

وتركني بعد ساعة او تزيد من حديث تناول فيه الفن والموسيقى والشعر والرسم والدين والفلك والعلوم الطبيعية والطيران والصواريخ .. حتى ضرب لي مثلا واضحا لعبقريته وعلمه .

وترك فى نفسي اسئلة عديدة لم أجد لواحد منها اى جواب .

وكان لديه ، كل يوم جمعة ميعاد طبي ، فكان ياتي للاقاتي، ويجلس بقربي ساعة وبضع الساعة، ويتركني بعدها ووجهته البساتين .

وقررت يوما أن اتبعه . فمشيت خلفه دون أن يشعر بي ، وظللت اسرع الخطوات خلفه حتى وجدته يسير نحو النهر .. وهناك عند الطاحونة العتيقة وتحت ظل شجرة هرمة جلس ، وافترش العشب الأخضر ، وسرح بصره حتى غاب عن الدنيا كلهـا .

وقبعت فى ركن بعيد ارقبه محاولا أن اسكت فى نفسي فضولا غريبا يوصلني الى حقيقة « الاستاذ علم » عندما يكون وحيدا .

ومرت لحظات صمت خلتها ساعات طويلة مملة ، اخرج بعدها « الاستاذ علم » مزمارا من جيبه وراح ينفخ انغاما شجيةعذبة هي اقرب الى النواح الباكي الحزين .

ومر بي رجل عجوز يجر وراءه حماره ، وقد حمله كيسا من قمح اتى به الى الطاحونة ، وذهل الرجل اذ رآني مختبئا .. لكنني استوقفته اسأله :

ـ لا بد أنك تعرف ذلك الشاب الذى يجلس هناك ؟ .

فتطلع الرجل العجوز الي مستغربا ، وتمنى لو لم يجاوبني .. ولكنه لمح الالحاح بين شـفتي ، فقال :

ـ انه الاستاذ علم .. الجميع يعرفونه .. مأواه العزيز هنا حيث يمضي ساعات قرب النهر حتى يعييه النفخ ويتعب ثم يعود .

قلت للعجوز باستغراب أكثر :

ـ ولكنه ينفخ انغاما حزينة .. ؟

لكن الرجل لم يلتفت اليّ ، وجر حماره ودخل الطاحونة كأنه يريد ان يطحن فيها احزانه وعمره الثقيل الذى يهد ظهره .

* * *

ومضت أيام كثـيرة ، وتوطدت علاقتي بالمدينة الجميلة .. وعرفت « الاستاذ علم » جيدا وألفت مظاهره الغريبة والشاذة احيانا، والتي يبدو فيها كل يوم .

ولم اذهب مرة أخرى خلفه لاتعرف على المكان الذى يفضله .. فقد بت اعـرف عنه كل شيء تقريبا .

واستطعت أن اربط فى خاطرى بين « الاستاذ علم » وبين قصة سمعتها مرارا على لسان زملائي واصحابي من أهل المدينة .. وهي أن فتاة جميلة رائعة كانت تعشق شابا كان يدرس منذ سنوات علوم الدين والفقه ، وكان هذا الشـاب يحبها ، وكان متيما بها .. فتقدم لخطبتها من اهلها .. ولكن اهل الفتاة لم يرغبوا به لعدة اسباب منها انه شيخ معمم وابنتهم فتاة راقية متحضرة .. وانه فقير وهم من عِلية القوم .

وطردوا الشاب المعمم .. وافهموه أن ابنتهم لن تتزوج بشيخ ابدا .

وبعد أيام وجدت جثة الفتاة الجميلة الشابة غارقة فى نهر العاصي قرب البساتين وعند الطاحونة القديمة . فقد فضلت الانتحار عندما رفض اهلها زواجها .

واستطعت أن اسأل نفسي أكثر من مرة ــ وبكل صراحة وعزم ــ كلما رأيت « الاسـتاذ علم » فى الشارع بأزيائه المختلفة :

ـ أتراه كان هو الشاب الذى انتحرت من أجله فتاة جميلة رائعة ورمت نفسها فى النهر قـرب الطاحونة القديمة ؟ .

ثم اعود ، فانظر الىساعتي حين اراه فى الشارع، واعدل فيها بعض الدقائق والثواني .. فهو دائما لا يتاخر او يتخلف عن ميعاد . ■■

حمص ــ سوريا ــ **عدنان الداعوق**

طرائف عربية

سنابل فارغة

● قال احد الحكماء : وقفت يوما امام حقل من حقول القمح ، فاسترعى نظرى سنابلُ تطاولت في خيَلاء ، وسنابلُ احنت راسها في تواضع وحياء. ولكم عجبت حين تلمستها اذ رأيت الاولى فارغة ، وابصرت الثانية ملأى بحبات القمح فقلت .

كم في حقول الحياة من « سنابل » رفيعة الراس فارغة !!!!!!

خناقة على رأس

● قال عمرو بن ميمون : مررت ببعض طرق الكوفة فاذا برجل يخاصم جارا له . فقلت مابالكما تتخاصمان ؟ فقال احدهما : ان صديقا لي زارني واشتهى عليّ راسا ، فاشتريته له وتغدينا سويا ، فاخذت عظام الراس ووضعتها عند باب داري اتجمل بها عند جيراني ، فجاء هذا واخذها ووضعها على باب داره ليوهم الناس انه هو الذى اكل الراس .

بين البخل والسخاء

● قال الجاحظ للحزامي : اترضي ان يقال لك بخيل ؟

قال : لا ، اعدمني الله هذا الاسم ، لا يقال لي بخيل الا وانا ذو مال . فسلمْ لي المالَ وسمني باى اسم شئت .

قلت : ولا يقال لك سخي الا وانت ذو مال . فقد جمع الله لاسم السخاء المال والحمد ، وجمع لاسم البخل المال والذم .

قال : بينهما فرق عجيب وبون بعيد ، ان في قولهم « بخيل » سببا لمكث المال في ملكى ، وفي قولهم « سخي » سببا لخروج المال عن ملكى ، واسم البخيل فيه حزم ، واسم السخي فيه تضييع وحمد . والحمد ريح وسخرية وسمعة ومفاخرة . وما اقل غناء الحمد عنه . اذا جاع بطنه وعرى ظهره ، وضاع عياله ، وشمت به عدوه .

لأى شيء

● ذكر العتْبى قال : حضرتُ قينةً مجلسا ، فغنت فأجادت ، فقام اليها شيخ من القوم وجلس بين يديها وقال : كل مملوك لى حر ، وكل امراة لى طالق لو كانت الدنيا كلها صررا في كمى لقطعتها لك . فاما ان لم يكن فجعل الله كل حسنة لى لك ، وكل سيئة عليك على . قالت

حرص

● قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تنفق ، فان مالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه . قيل له : كأنك تؤمل أن تعيش الدهر كله ... قال : لا . ولكني اخشى الا اموت في أولـه ...

كل جديد الى بلى

● قال ابو المهلهل الخزاعي : ارتحلت الى الدهناء ، فسألت عن مي صاحبة ذى الرمة ، فدفعت الى خيمة فيهاعجوز شمطاء ، فسلمت وقلت لها : اين منـزل مي ؟ فقالت : ها انا مي ، فقلت : عجبا من ذى الرمة وكثرة قوله فيك . قالت لاتعجب ، فاني ساقوم بعذره . ثم قالت : يافلانة ! فخرجت من الخيمة جارية ناهد عليها برقع . فقالت لها : اسفرى ، فلما اسفرت تحيرت لما رايت من حسنها وجمالها . فقالت : عشقني ذو الرمة وانا في سن هذه ، وكل جديد الى بلى . فقلت : عذرته والله واستنشدتها من شعره، فانشدتني :

وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت ابكى عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه ... تكلمني احجاره وملاعبه

نبي مقيد

● ادعى رجل النبوة بالبصرة ، فاتي به سليمان بن على مقيدا فقال له : انت نبي مرسل ؟ فقال : اما الساعة فاني نبي مقيد . قال : ويحك ومن بعثك ؟ قال : ابهذا يخاطب الانبياء يا ضعيف ؟ والله لولا اني مقيد لامرت جبريل ان يدمدمها عليكم . قال : اذن المقيد لاتجاب له دعوة . قال : نعم ، الانبياء خاصة اذا قيدت لم يرتفع دعاؤها . فضحك سليمان وقال له : انا اطلقك ، وامر جبريل، فان اطاعك آمنا بك وصدقناك . قال : صدق الله « فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم » ، فضحك سليمان وسال عنه ، فشهد عنده انه ممرور ، فخلى سبيله .

تحمدينه ؟

جزاك الله خيرا ، فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا .

فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها : كل مملوك لى حر ، وكل امراة لى طالق ان كان وهب لك شيئا او حمل عنك ثقلا ، لان ما له حسنة يهبها لك ، ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فلأى شيء تحمدينه ؟

لماذا تجد أكثر من ١٢٠

أن تحصل على طائرة (هـ.س ١٢٥)

ان وقت رجال الاعمال ثمين في الاسواق التى تنمو وتصبح اكثر تعقيدا وحيث تشتد المنافسة . ان هذا التبرير الاساسي لصنع طائرة خاصة برجال الاعمال كما وان هذا هو السبب في كون الطائرة هـ . س ١٢٥ انجح بكثير من غيرها في هذا الميدان .

ان الطائرة هـ . س ١٢٥ استثمار مجرب وثابت ، فهي تخلق الوقت والحركة لرجال الاعمال . كما انها توفر اسرع الوسائل لرجال الاعمال للتحدث وجها لوجه كلما اضطرهم الامر الى ذلك .

لقد صنعت طائرة هـ . س ١٢٥ من قبل هوكر سيدلي ، هذه الشركة التى لها أطول خبرة في حقل صناعة الطائرات المدنية النفاثة . وهي ذات محركين رولس رويس برستول فايبر نفاثين ولها مدى يبلغ ١٧٥٠ ميلا (لندن ــ موسكو ــ باريس ــ اسطمبول : بون ــ لشبونة) وسرعة تبلغ ٥١٠ اميال ، كما يمكنها حمل عشرة ركاب متمتعين بكامل راحتهم ، كما انه بامكان الطائرة العمل على مدرجات قصيرة غير معبدة التى لايمكن للطائرات النفاثة الاخرى لرجال الاعمال من استعمالها .

واذا كنت تعتقد بأن اجبار كبار موظفي شركتكم بالتقيد بمواعيد اقلاع الطائرات للشركات المدنيــة تبذير فاحش للمال والوقت ، ما عليك الا أن تتصل بمدير المبيعات في مدينة هاتفيلد في مقاطعة « هارتفود شاير » على هاتف رقم (٦٢٣٤٥) فهو ــ عندئذ ــ سيرتب مع مجموعة الانتاج التابعة لنا على ان تحصلوا على تحليل شامل لوقت الطيران والكلفة . كذلك سيشرح لكم لماذا تجد اكثر من ١٢٠ شركة متقدمة تملك طائرة هـ . س النفاثة لرجال الاعمال ان هذه الطائرة هي الوسيلة الثمينة للتجارة والاستثمار التجارى .



العدد ١٢٦
صفر ١٣٨٩
مايو
(أيار) ١٩٦٩

نظرة وابتسامة .. ودعوة الى كسروان

جوائز
١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي ٢	ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا



من لوحات الفنانين العرب : قطف الزيتون وجمعه في لبنان

للفنان اللبناني عمر أنسي

عزيزي القارئ

● ليس في الجو العربي ما يغري بالحديث . الأحداث تكررت وتشابهت ، وانجمدت على اشكالها حتى صارت كانها بعض ظواهر الطبيعة ، وذلك الى الساعة التى تكتب فيها هذا : فتحُ النيران عبر القناة من جهتيها قائمٌ ، وكذا عبْر نهر الاردن . والفدائيون قائمون يزرعون في الارض المتفجرات ويقذفون العدو بالقنابل والصواريخ ، والضفة الغربية وغزة في تحدٍّ للأعداء قائم دائم . والدول الأربع الكبرى تجتمع وتنفض ، ولا خبر . وكلٌ منتظر .

● وهذا شهر أيارَ الذى يقول فيه ابو العلاء المعري :

تشتاق ايارَ نفوسُ الورَى   وانما الشوق الى ورده

وقد زرع فيه الانجليز الزرع الذى لم تزرع أمةٌ مثله نباتاً يملأ الأرض سموما ، ذلك وعد بلفور .

كتبتُ مرة عن انجلترا ، وسميْتها عقّادةَ العُقد . ذلك ان الذى يتابع تاريخها يجد انها ما حلت في أرض ، ثم غادرتها ، الا بعد ان عقدت فيها عقدة حار الزمان في حلها ، فكانت وبالاً على أهلها . وهي لا تزال تفعل حيث أزمعت ان تفادر ، فهل فطن العرب الى العقدة الجديدة التى هي قائمة بعقدها اليوم في وطنهم قبل ان تغادر ؟ .

٩ ابريل ١٩٦٩   المحـرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 126 May 1969 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ ــ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



تنقلك العربي في هذا العدد الى قضاء كسروان ، أحد الاقضية الخمسة والعشرين التي يتالف منها لبنان .. وتنحصر كسروان بين نهرين اسطوريين : نهر الكلب في الجنوب ، ونهر ابراهيم في الشمال .. وعند شلالات افقا حيث ينبع نهر ابراهيم وقفت هذه الصبية الجميلة تتأمل جمال الطبيعة .. (انظر استطلاع كسروان ابتداء من صفحة ٨٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



المسجد الاقصى

● ورد في العدد (١٢١) الصادر في ديسمبر ١٩٦٨ صفحة ١٤٢ أن المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين. ولكن المعروف ان الصلاة فرضت على المسلمين بمكة في ليلة الاسراء قبل الهجرة النبوية بنحو سنة ونصف السنة وان المسلمين كانوا يتجهون اذذاك الى الكعبة نظرا لقداستها عندهم . ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة أمر المسلمون بان يستقبلوا بيت المقدس استرضاء لليهود الذين كانوا كثرة في المدينة . وعلى هذا يكون المسجد الاقصى ثانية القبلتين لا أولاها .

حنفى محمد امين حنفى ـ الاسكندرية

العربى : لم يكن المسجد الحرام او الكعبة قبلة المسلمين الاولى ، بل كان قبلتهم الثانية التى صرفوا اليها بعد هجرتهم الى المدينة . وخير دليل على ذلك قوله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» (سورة البقرة الآية ١٤٤) .

عمان الداخل وعمان الساحل

● قرأت فى العدد ١٢٣ في مقال « بعد عشرين شهرا من الهزيمة» ، بقلم احمد السقاف فوجدت فيه ذكر عمان . ولم افهم بالضبط المعنى المقصود من هذا اللفظ . فالصحافة تقصر هذا اللفظ حينا على قطر وتتسع به احيانا حتى يشمل مناطق عديدة فما هو المفهوم الحاضر من لفظ عمان .

سالم الصالح ـ الاحمدى

العربى : سألنا أهل الذكر فعلمنا ان عمان تقسم حاليا الى قسمين : الساحل ويضم ابوظبى ودبى والشارقة وعجمان وام القيوين ورأس الخيمة والفجيرة والقسم الثانى ، عمان الداخل ، ويتكون من سلطنة عمان التى على رأسها السلطان سعيد بن تيمور . ومن هذه الامارات ينتج الزيت الآن في ابو ظبى ودبى ورأس الخيمة وقد بدا انتاجه في عمان الداخل أيضا .

صدى أعمال المقاومة والفداء فى البلاد الاسكندنافية

● انعقد في استوكهولم عاصمة السويد المؤتمر العربى الأول لنصرة الثورة الفلسطينية وذلك في ١٩ يناير (كانون الثانى) الماضي . وقد حضر ذلك المؤتمر ٣٥٠ عربيا ، من العرب المقيمين في البلاد الاسكندنافية . واتخذت في المؤتمر المذكور ثمانية قرارات نذكر منها ما يلى :

القرار الاول : تعتبر الثورة الفلسطينية المسلحة ثورة عربية انسانية عادلة ويعتبر العمل الفدائى الفلسطينى عملا وطنيا مشروعا ومساندته واجبا حتميا على كل عربى .

القرار الرابع : تعطى معركة تحرير فلسطين الاولوية على كافة القضايا العربية الأخرى ، ويعتبر الكفاح المسلح والحرب الشعبية (حربا) طويلة المدى كوسيلة حتمية لتحرير فلسطين .

القرار السادس : يطالب المؤتمر الحكومات العربية بالاستمرار في دعم الثورة الفلسطينية وعدم التعرض لثوار فلسطين ..

القرار السابع : يوجه المؤتمر نداءاته الى الجماهير العربية للعمل على تقديم المزيد من العون المادى والمعنوى للثورة الفلسطينية ..

رئيس المؤتمر ـ جواد عبد الرضا عيدان

أولى القبلتين

على أن الكعبة ، وان لم تكن قبلة المسلمين الأولى ، فقد كانت موضع التقدير بحيث أن الرسول (صلعم) كان حريصا على الا يستدبرها اثناء الصلاة بل يجعلها بينه وبين القبلة التى اتجه اليها المسلمون في تلك الحقبة الأولى من تاريخهم .

ولم تكن تلك القبلة الأولى سوى بيت المقدس، حيث الصخرة الشريفة وحيث أقيم المسجد الاقصى فيما بعد . فقد استقبلها المسلمون في صلاتهم منذ أن فرضت عليهم الصلاة بمكة والى أن أمرهم الله تعالى بالانصراف عنها الى القبلة الثانية ، الكعبة ، وذلك بعد الهجرة النبوية الى المدينة بمدة ١٧ شهرا[1] .

وحسبك أن تعلم أن اليهود كانوا يحاولون بث الفساد في صفوف المسلمين ويسعون الى اجلاء الرسول الأعظم عن المدينة والذهاب الى بيت المقدس ، لتدرك الباعث على صرف المسلمين عن بيت المقدس ، قبلتهم الاولى، الى المسجد الحرام قبلتهم الثانية .

اذا كان الدافع على ذلك تجنيب المسلمين ما تعرضوا اليه من فساد اليهود وفتنتهم ووقيعتهم ، ولم يكن طبعا ، استرضاء اليهود كما تزعم انت في خطابك .

وتجدر الاشارة الى أن اليهود أنكروا على الرسول هذا التحول من قبلة الى أخرى وحاولوا فتنته ثانية بقولهم انهم سيتبعونه ويسلمون اذا هو رجع الى استقبال بيت المقدس . وفي ذلك نزل قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » .

(راجع تفسير الالوسي الجزء الثاني ص ٣ وكتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ص ٢٢٧) .

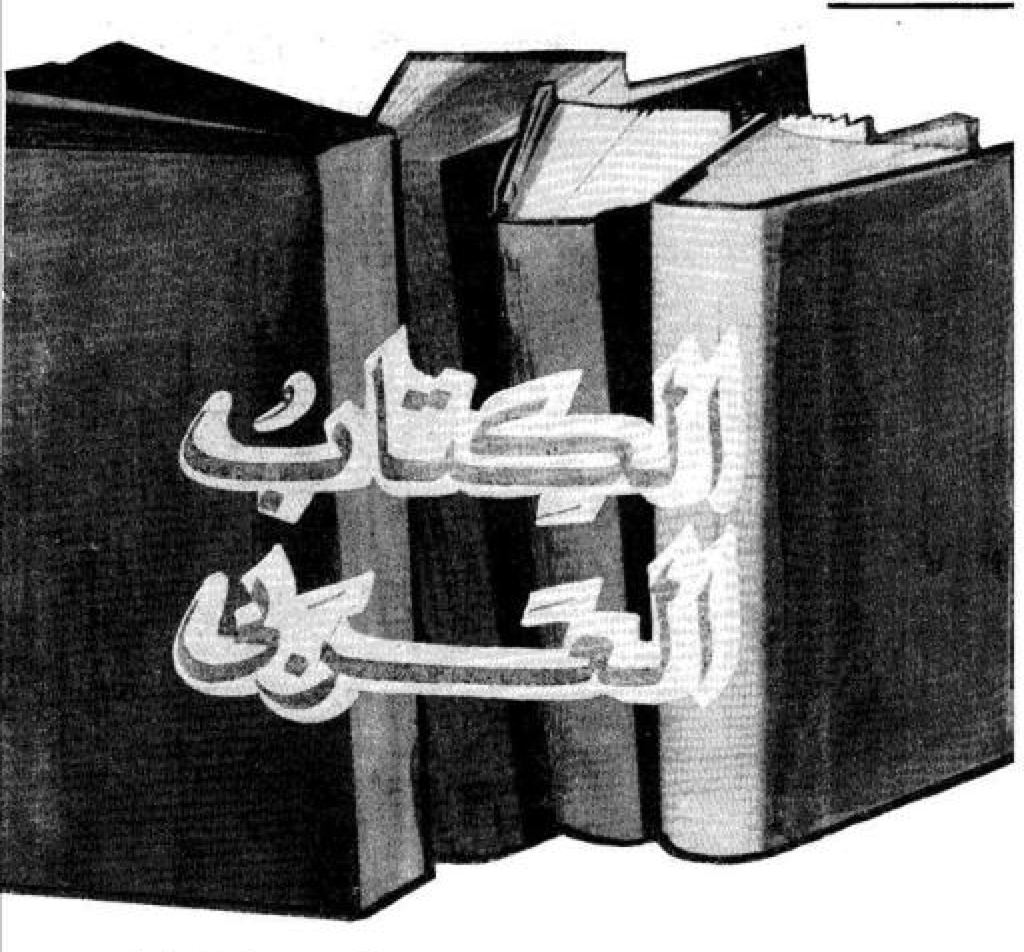
قضايا الساعة

● صادف ان بعثت للعربي بأسئلة كثيرة تتناول مواضيع وقضايا حساسة في السياسة العربية .. ولم يصادف ابدا انني قرأت في مجلة العربي تلميحا الى اى من تلك الاسئلة ، ولو بالاعتذار عن عدم الاجابة عليها ، نظرا لتجاوزها الحدود .. هذا اذا كنتم تعتبرون الأسئلة السياسيةالحيوية متجاوزة الحدود .. ولا يخفى أن من شان هذا الاغفال ان يحمل القارىء علىالاعتقاد بأن«العربي» تخشى الرد على اسئلة كتلك نظرا لان مثل هذا الرد قد يمس شعور بعض الدول المجاورة أو الصديقة .. أو الشقيقة ..

احمد موسى مرعي ـ الاردن

العربي : نقولها بصراحة ان هذه الشؤون وأمثالها ليست بغائبة عن العربي .. ولكنها من الامور التى تقع ضمن الاختصاصات العليا للسياسة العربية . ولا نبالغ اذا قلنا انها امور أخطر من أن تعالجها صحافة كانت ما كانت .. ومن هذه الشؤون شؤون عربية صرفة يفترض القراء أن من واجب العربي معالجتها .. وسكوت العربي عنها ليس معناه أن العربي ليس له في هذه الشؤون رأى قاطع فيها . ولكن نشر هذا الرأى قد يزيد الاشكالات الحالية اشكالا ، مما قد لا تتسع له الصدور اليوم وقد تتسع غدا .

حديث الشهر



■ في عيد الاضحى ، هذا الماضي ، حضر الى الكويت طلاب من سائر البلاد العربية ، يزورون آباءهم ممن يعملون في الكويت .. وكان ان التقيت بأخوين ، احدهما طالب في كلية طب ، والثاني طالب في كلية هندسة . وسألتهما كيف الحال حيث هما ؟ قالا : الحال خير .

ودخلنا نسوق الحديث في الدراسة ، فسألت طالب الطب ، وهو في السنة الثانية ، اى الكتب يدرسون ؟ فعلمت منه : ان لا كتب عندهم . انما هو كلام الاستاذ يلتقطونه من فمه التقاطا ، ويكتبونه على الورق . وان هذا هو مرجعهم الوحيد . وعلمت مثل ذلك من

سوق الكتب في الشرق ..

سَبَبُ التَّخَلُّفِ الحَضَارِيِّ

وَالتَّخَلُّفِ العِلْمِيِّ وَالتَّكْنِيِّ

فِى رَوْضَةٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعَةٍ

بقلم رئيس التحرير

طالب الهندسة : التقاط من فم الاستاذ ، تساعده مذكرات من الاساتذة مختصرة ، تطبع في الكلية ، وتوزع عليهم . وكان الله بالسر عليما . والكتب؟ وما فيها من شروح واسعة تفيض عما يتسع له وقت الاستاذ ، وتفيض مواضيع فوق ما يهدف اليه الاستاذ ؟ والرسوم الايضاحية ، والمداخل التاريخية ، والحسابات التفصيلية ، اين يكون مكانها ؟ لا شيء من ذلك . .

العلم كله في هذه اللقطات . والعلم كله في هذه المذكرات .

وذكرت زمنا ، هو الآن بعيد . . .

وذكرت زمنا ، هو الآن بعيد ، يوم

. . خَيْرٌ مِنْهَا سُوقُ البَلَحِ وَالبَطِّيخ

كنتُ طالبا في بلد من بلاد الغرب ، فوق خط الخمسين من خطوط العرض، في شمال الارض ، فذكرت شيئا عجبا .

ذكرتُ انا ، نحن الطلبة ، كنا نحضر المحاضرة ، ونستمع الى المحاضر ونلقط، ونملأ الاوراق البيض نقاطا . ويؤكد لنا الاستاذ ان محاضرته هذه ليست الا تمهيدا لما سوف نقرأ في كتبنا ليلا . انه في محاضرته انما يبيّن لنا الخطوط العريضة للموضوع الذي يتحدث فيه . يرسم لنا الطريق السلطاني ، ويدع الشوارع التي تتفرع عنه للكتب تتحدث عنها . ان ساعة حديث واحدة لا تكفي . ان النهار للاجمال ، والليل بيننا وبين الكتب التفصيل .

ويأتي الليل ، فأراني قاعدا ، وعلى الطاولة امامي كتابان كبيران ، كل منهما عمدة .. وامامي لقطاتٌ لقطتها من لفظ الاستاذ تهديني الى تعرّفي طريقي في هذين الكتابين . ثم كراسة هي كراستي لهذا الفرع من العلم ، انقل اليها المحاضرة التي اجمعها لنفسي بنفسي، من مصادر ثلاثة ، لسان الاستاذ صباحا ، وحديث هذين الاستاذين المؤلفين الكبيرين اليّ ليلا .

واحتفظتُ بكراستي هذه ، مثلا ، للنظافة ، والكفاية ، وأساسا للمراجعة كلما حان امتحان . واحتفظت بكراساتي هذه فأريتها لتلاميذي بعد ذلك في الجامعة ، لأقول لهم على هذا النهج الذي تعلمناه سيروا .

انه الكتاب والاستاذ معا ، وان كان لا بد من خيار ، وجاز الخيار ، لقلت : الكتاب اول ، وللاستاذ المحل الثاني . ذلك ان الكتاب استاذٌ عمدة ، تحدّث ، ثم صمت ، والكتاب سجلٌ حديثه . وانا اذ تخيرته انما تخيرت الاستاذ الغائب ، الحاضر ، الذي يتسع لي من وقته ما اشاء . اما الاستاذ الحيّ فنافع هاد لا محالة ، وفيه الحياة ، والحياة كالنار فيها الدفء وفيها الحركة .

خطر الكتاب في التعليم الجامعي

واسمع من يقول : ان التعليم الجامعي العربي لم يتقدم على السنين بالنسبة التي يرجى لكل انتاج آخر ان يتقدم بها . ولا استطيع ان اثبت او انفي . ولكني احس بالطامة الكبرى ان يصدق هؤلاء . فالتعليم العالي رأس الحربة في كل تقدم . واطلب الأدلة ، فيكاد يقوم ما سمعت من غيبة الكتاب الجامعي عن فتى الجامعة وفتاتها دليلا .

فقر الطالب وغلاء الأثمان وتعسر التاليف كلها أخفت الكتاب الجامعي

ولغيبة الكتاب الجامعي، واستعصاؤه، اسباب كثيرة .

اولها الفقر ، فقر الطالب .

وثانيها غلاء الأثمان .

وثالثها ، تعذُّر التأليف باللغة العربية او تعسُّره .

اما فقر الطالب فعلاجه عند الدولة .

ان لا تخرّج الدولة جامعيين وفنيين، خير من ان تخرّج انصاف جامعيين او انصاف فنيين . انهم صانعو الدولة في غدها ، ولا نريد دولة نصف مصنوعة ، فيها الأطباء ، ولكنْ انصاف، والمهندسون ولكنْ انصاف . والفزيائيون والكيميائيون والذريّون ولكنْ انصاف وارباع او اخماس والدولة التي تجعل التعليم بالمجان جديرة بأن تجعل الكتب بالمجان على صورة ما .

ان كتاب تشريح ككتاب Grey ثمنه اليوم ستة دنانير او سبعة . وكتاب الطب الباطني المعتمد خمسة جنيهات استرلينية او تزيد . وكتب العلوم جنيهان او ثلاثة أو اربعة . وكلها افرنجية

وكلها بالعملة الصعبة ، وجيب الطالب العادي العربي لم يألف الا الدراهم تملؤه لا الدنانير .

وهناك من يقترح تأليف الكتب بالعربية . وتدريس العلوم بالعربية سيحين يومه . ولكنه يوم سوف يظل بعيدا . ومتى حل سوف لا يمكن قطع ما بين العربية واللغات الأجنبية من صلات . والاصول الأجنبية سوف تكون الموارد الكبرى الى حين يطول . وأرجو ان لا يتحدث في هذا الأمر من ليس من اهله . فالمسألة ليست مسألة مساومات وطنية ، او مسابقة في نعرات عربية وغير عربية ، انما هو حكم الله الذى أراد بكم هذا . .



صحيفة من الورق ، كتبوا عليها بالحبر ، وهى مما كتب الصينيون في عام ٧٧٤ ميلادية . والصينيون ابتدعوا الورق ، الذى يعرف اليوم ، في القرن الثاني الميلادى .

الكتاب ، والكتاب الجامع

وذكرت التدريس ولم اذكر التأليف . فالتأليف بالعربية يسهل لو تسهلت له كل العقبات ، واصعبها المصطلحات ، ثم ألفة الناس لها . والتأليف بالعربية يسهل ، والهدف نقل معارف الى عدد من الطلاب في فصل بمدرسة او حتى في جامعة . ولكن غير هذا الكتاب الجامع . وهنا يجب ان نفرق بين الكتاب والكتاب الجامع ، كما نفرق بين المسجد والمسجد الجامع . الكتاب الجامع عمدة ، ويتعدد مؤلفوه ، وهو لا يؤلف للقطر الواحد ، وسوقه انما هى ندوات العلماء في الدنيا الواسعة . ومن هنا كان اختيار اللغة التى يحسن بل يفترض ان يظهر بها .

غلاء الكتاب مشكلة عامة

ومسألة الكتاب الجامعي ، لا سيما العلمى ، وغلاؤه ، مسألة لا يحسها العرب وحدهم ، انها مسألة تحسها كل امة نامية . وأخص بذلك الهند . ويحسها حتى اهل الغرب .

ويحسها اكثر دول العرب والدول النامية تلك التى هى قليلة الحظ من العملة الصعبة ، لا سيما والقائمون على توزيع الحصيلة الكافية من هذه العملة ، على سائر حاجات البلاد ، لا يدركون تمام الادراك خطر الكتاب الجامعى في بناء الدولة .

مغامرة بعض الناشرين

ولقد احس جماعة من الناشرين في اهل الغرب بحاجة اهل الشرق من هذه الكتب فابتدعوا تجربة يرخصون بها الكتاب ، فطبعوه حيث يكون الطبع ارخص ، فكان ذلك في اليابان . ووقعت بين ايدينا كتب ناشرها امريكى ، والطابع يابانى ، والمشترى هندى . وامعانا في طلب الارخاص طبعوه صغير الحرف ،

فهو في العين تعب ، وجرّدوه من كثير من الصور والايضاحات ، فهو اقل عونا على فهم ، وجلّدوه من ورق مقوّى ، فصار بذلك أقرب الى سد خلّة الطالب الفقير الدارس ، واكثر الطلبة الفقراء .

مشروع عربى امريكى لم يتم

ولقد كان لى حديث من سنوات لعلها اربع ، مع الأخ المرحوم جلال العروسي ، مستشار شركة فرنكلن ، وهى الشركة التى قامت في البلاد العربية بترجمة الكتب الكثيرة النافعة للعرب ، الرافعة في نفس الوقت من قدر كاتبيها والمحدّثة بفضل امتهم ،فهى نفع ودعاية ازدوجا، اقول كان لى حديث في امر هذا الكتاب الجامعى ، ولا سيما العلمى ، وقلت له : ان معونة في هذا السبيل تساوى كل ما كان صنع أصحابه من خير ويصنعون . وكم سرنى عندئذ ، علمى بمشروع عندهم يجمع بين شتات الحاجات في الدول العربية يهدف الى مثل ما هدف اليه المشروع اليابانى ، ويهيىء لطلاب الجامعة نسخا رخيصة من كتب طلاب جامعات الغرب . وقام اختلاف اللغة الغربية عند الشعوب العربية عقبة ، فهى تارة انجليزية ، وهى تارة فرنسية . وتطرقنا الى اللفظ العربى الذى يجب ان يصحب اللفظ الأجنبى في هذه الكتب تمهيدا لتعريب العلوم . حديث طوته الأيام فيما طوت من اعمار . ورحم الله الفقيد .

وكان مما يغرى بهذا المشروع انه يهيىء لكل جامعى أن لا ينتهى من دراسته الا وقد اجتمع له في بيته حصيلة من كتب ، هى متاعه هو وحده ، لا يشاركه فيها احد ، وهى مرجعه في مهنته التى امتهن .

ان بيتا ، لا يعمر بالكتب ، بيت خراب

ان البيت الذى ليس فيه مكتبة ، ولو مكونة من عشرة من الكتب فعشرة ، انما هو بيت خرب . وليس طبيبا من لا تجد في بيته كتابا عمدة في التشريح ، وكتابا عمدة في علم وظائف الأعضاء . وكتابا عمدة في الطب الباطنى ، وكتابا عمدة في كل اختصاص من تلك الاختصاصات التى يمسها وهو يدور بمرضى الناس في الاصباح والامساء على السواء .

وليس مهندسا من لا يكون في بيته مثل ذلك من شتى اختصاصاته . وكدت اقول ومن غير اختصاصاته . وليس مدرسا ، ولا عالما ولا مؤرخا ، ولا فقيها، ولا مثقفا كانت ثقافته ما كانت ، لا تزحمه ، ولو في ركن من بيته ، فيضيق بها ، طائفة من كتب ، في العلم الذى فيه اختصاصه ، ولا أزيد .

اشتات من قوم لا يقراون

زرت طبيبا ، وتحدثنا ، وطلبت كتابا طبيا من الكتب السيارة نرجع اليه في أمر كلمة ، فلم اجد عنده كتابا . قلت هذا طبيب لم يزد على ما تعلم منذ خرج من جامعته حرفا . وتخيلته ، وتخيلت أمثاله ، يصفون للناس الداء ولا داء ، ويدخل اليهم الرجل الصحيح السليم فيخرج على المدى القصير محمولا على آلة حدباء . ويموت ولا يعرف احد سبب موته الا انه قضاء الله . وكم من ستَر في قضاء الله . .

وهذا المهندس ، زرته . وجدت عنده بضعة كتب في الهندسة قديمة رثة ، مما يصفه جماعة الأدباء فيقولون : « ان الزمان اكل عليها وشرب » . فهذه فيها علم في البناء قديم لا ينفع اليوم شيئا .

ومدرسا في مدرسة ثانوية زرته . كان مدرس أدب ، بل تاريخ أدب . ووجدت عنده من امهات الكتب القديمة شيئا . فحمدت الله . وحمدت له الله على ما وجدت عنده . فطالعنى بأنه لم يجد له حاجة فيها . انها الدروس العشرون أو

الثلاثون ، صنعها منذ سنين، فهو يلقيها على طلبته كل عام . والأدب الحاضر ، والأدباء الحاضرون ؟ ليس لهم عنده خطر كبير . والحق انه لم يقرأ لهم . وسائر زمانه كيف يقضيه ؟ انه رب أسرة ولها أكثر زمانه .

هذا رجل صريح صادق . واذكره لانه مثلُ كثير من المدرسين الذين اتخذوا من عملهم مورد رزق ، لا همّ حياة ، ولا متعة عيش . الدرس حاضر ومطبوع ، فما عليه الا ان ينفض عنه التراب كلما جاء أوانه . وهو خريج جامعة . وهو في جامعته لم يتعود ان يقرأ الا الضروري . وألف الملخصات كثيرا ، وألف الكتب قليلاً . ولعله لم يقرأ كتابا واحدا كاملا .

رجل طيب يؤدي واجبه. الا الواجب الأول الذي هو الغاية من الدرس ، ذلك تعريف الطالب بالكتاب حتى يتقمص روحه . ان المدرس يزول . والكتاب يبقى . والمدرس الذي لا يقرأ ،وليست القراءة عنده متعة ، وليست خلة طاغية، لا يستطيع ان ينقل حب هذه المتعة الى طلبته ، كما ينقلها المدرس الفرنسي اذا هو تحدث في ادب بلده . ان المدرس الفرنسي الذي عرفته مستهام بأدب بلده، فهو اذا القى درسا ، ألقاه بلسانه وقلبه وكل عصب من أعصابه . وهو يستقي لتلاميذه من بحر زاخر . ويزدحم عليه الفيض من كل جانب، فلا يدري ما يأخذ وما يدع . ولم يكد كتاب يخرج الى السوق ، في الأدب الفرنسي ، الا علمه . عمله رزق ومتعة . ومن اجل هذا كان ما وجدناه فيمن استقى الأدب من استاذه الفرنسي . ان الأدب عنده هو الأدب الفرنسي . ودارس الأدب الفرنسي ، ولا سيما دارسته، لا تجد في غيره من الآداب خيرا منه . وانا احكي عمن اعرف .

والسبب ؟ المدرس والكتاب . بل الكتب وثراؤها .



هذه الصورة منقولة عن كتاب أوروبي عتيق . وهي تريك كيف كان الرجل الروماني او الاغريقي يقرأ لفة الورق المصنوع من البردى . انه كلما فرغ من عمود من الكتابة طواه بيده اليسرى ، وبسط طرف الورقة الآخر بيده اليمنى .

والكتاب في غير جامعة

ان الكتاب والقراءة صنوان .

اذا تحدثتُ عن الكتاب ، فقد تحدثت عن القراءة . واذا تحدثت عن القراءة فقد تحدثت عن الكتاب .

والتخلف الكتابي ان كان خطره بينا في المراحل العليا من التعليم ، فهو ليس أقل خطرا فيما قبل ذلك من مراحل ، كثيرا ما يقف عندها الدارسون .

والشائع في المجتمعات العربية ان الناس لا تقرأ .

والقراءة مناقلة فكر ، ومناقلة رای ،

ومناقلة علم وثقافة ، وكل ما هو خطير لازم لحياة الانسان الراتبة ، وكذلك لخطوات هو لا بد خاطيها ليسير مع الركب الانساني على مستوى الأيام والسنين .

والذين لا يقراون يتخلفون .

ولا يشك احد في ان الأمية متفشيّة في الدول العربية مجتمعة ، فالكثرة الكبرى لا تقرأ . وليس كل من فك الخط بقارىء ، وليس كل من خرج من أميّته بقارىء كتاب .

اهل الغرب
كم فيهم من اميّين،وكم فيهم من قارئين

وتحضرني في ذلك احصائية اجروها تنير لنا السبيل فيما نحن فيه .

وجدوا في بلاد كبلاد النرويج وهولندة ان الأمية تكاد تكون معدومة . ووجدوا ان اكثر من ٩٠ في المائة من اهل اكثر البلاد الصناعية الحديثة يقراون .

ووجد الاحصائيون في الآلاف العديدة من الذين اختاروهم للتحدث اليهم من البريطانيين،واختاروهم اخلاطا متنوعين، ان نصفهم كان يقرأ فعلا كتابا حين التقوا بهم .

ووجدوا ان قراء الكتب في السويد والنرويج والمانيا الغربية ، وكذا في استراليا ، يبلغون ما بين ٣٠ الى ٤٥ في المائة من سكانها .

اما في الولايات المتحدة فهبط قرّاء الكتب الى ٢٠ في المائة ، ولكنهم وجدوا انه في العشرين من السنوات الماضية قرا نحو ٦٠ في المائة من سكان الولايات البالغين مجلة واحدة على الاقل وبانتظام ، وقرا ٨٥ في المائة منهم كل يوم صحيفة واحدة او اكثر .

والقراءة قراءة ، في كتب او مجلات او صحف .

فهذا مثل من مستويات القراءة عند الغرب ، جاز ان يكون مقياسا ترّد اليه مقاييسنا عندما نحصل عليها . ولا فائدة من مقاييس نحصل عليها الآن في هذا الصدد والأمية غالبة غلبة كبرى .

عوائق تعوق الكتاب العربي
ان يحتل مكانه في منازلنا

وعلى قلة الكتب العربية التى لدينا ، منسوبة الى كتب الغرب ، من حيث الحداثة ، ومن حيث استيعاب الكثرة من فروع المعرفة ، نجد عوائق تحول دون رواج الكتاب العربي بعضها التليد وبعضها الطارف .

كثير من الكتب الخاطف

انك ، من حيث العدد ، تستطيع ان تأتى لى بالعدد الوفير من الكتب المنشورة حديثا ، من كل مطبعة ، وفي كل بلد . ولكن اكثر هذه الكتب لا عمق فيه . انها الكتب الضحلة التى هى من الضحالة بحيث اذا سرت فيها لم تحتج الى ان ترفع ثيابك عن مائها رفعا كبيرا ، وقد تجد مع الضحالة الطين ، والذين كتبوها انما كتبوها خطفا . واذا انت وزنتها بميزان العلم شالت .

واني لا اشير بذلك الى كتب القصص، فهذه هى المختبر الاول الذى يجرب فيه كثير من شباب الكتاب اقلامهم ولا ينتجون الا عبثا . وينتجون العبث بحكم انها تجارب . وقد تنضج من بعد ذلك . وانما اشير الى الكتب التى توحيها عنواناتها بجدّيتها .

وتحدثت الى رجل ممن يقومون بتشجيع هذا الانتاج الضحل . قال :ان الكتاب كان بالأمس للخاصة ، وهو اليوم

للعامة ، فمن أجل هذا كانت الضحالة ومن اجل ارخاص ثمنه كان الخطف .

وقبلت رأيه . فالشعب الذى خرج من أميته حديثا لا بد ان يقرأ . وان يقرأ الضحل الخاطف خير من ان لا يقرأ شيئا.

منطق سليم ، يعوزه تقويم ما في هذه الكتب من نفع. البعض نافع على قصوره لا شك في هذا. والبعض ضار في مجونه. والبعض يقراه القارىء ، ولا ينتفع منه شيئا الا بالقدر الذى ينتفع به من قام بتمرين رياضي في ناد أقتصر نفعه على عضلاته . وفي حال القارىء اقتصر نفعه على مران من قراءة يبعده عن الأمية الى حين .

ولكنه منطق يعوزه احصاء يبرر صدقه : كم يوجد لهذه الكتب من قراء. كثيرون ؟ أم ان المطابع انما تطبع لتمتلىء بكتبها أفاريز الشوارع ؟

كذلك هو منطق يعوزه منطق آخر يكمله ، ذلك انه يجب أن يكون الى جانب الكتاب الخاطف ، الكتاب غير الخاطف . الكتاب المتئد. الكتاب العميق. وان يكون الكتاب الخاطف لطبقة من طبقات الديمقراطية هى من حيث الثقافة دنيا، يجب أن يكون الكتاب ، بل الكتب ذات الثقل والوزن لطبقات الديمقراطية التى هى في الثقافة عليا ، والأخرى التى هى بين بين . فالناس طبقات في الفكر عدة ، وكلها تجوع وتظمأ ، وكلها تطلب الرى والشبع .

ولدينا ثروة من الكتب قديمة عظيمة ولكنها كالصناديق المغلقة لا مفاتيح لها

ونعنى بالمفاتيح الفهارس المرتبة على الحروف الهجائية . انها الدليل الذى به تستطيع في ثوان ان تصل من صحائف الكتاب الى الموضوع الذى تريد . وبغير هذا الدليل ، لا بد لك من تصفح الكتاب صفحة صفحة حتى تقع على ما تريد . او انك تدور على محتويات الكتاب ، من فصول وابواب ، وتخمن في أيها تجد ضالتك . وتفتح الكتاب عند هذا الباب او ذاك لتقرأ ، فقد تجد ، وقد تأسف على وقت أضعته في البحث سدى .

الزمن ، الزمن .

واليسر ، اليسر .

شيئان لا بد من مراعاتهما في كل كتاب عربى يؤلف .

وما سبق من تآليف عربية فلا يعاد طبعه الا وقد استكمل له فهرسه الهجائي .

صرخة من الصرخات بدأت في هذا القرن واستجاب لها الكثيرون. وبسببها صار لبعض أمهات الكتب العربية القديمة فهارس هجائية. صار للأغاني، والأمالي، والحيوان ، والعقد الفريد ، والجمهرة، وعيون الأخبار، ومعجم البلدان ،ومعجم الادباء ، والسلوك للمقريزى ، والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، صار لها كلها فهارس . أما الكتب العربية التى قام بتحقيقها المستشرقون فكلها مفهرسة . ومن أجل هذه الأعمال ما قام به المستشرق الالمانى فلوجل Flugel بادئا بفهرسة الفاظ القرآن التى يستمتع بكتابها اليوم سائر المسلمين . ثم فهرس الفاظ الحديث الشريف الذى يقوم به اليوم جماعة من المستشرقين، وقد علمت، فيما علمت ، انه فهرس أوشك على التمام .

وبقى مع هذا كتب غاية في الثراء تنتظر من يفهرسها . من ذلك نهاية الأرب ، وهو يتجاوز الثلاثين جزءا ، وكذلك صبح الأعشى ، وهو اربعة عشر جزءا .

ونحن في هذا نقلد الافرنج لا محالة ،

فقد ظهرت عندهم امثال هذه الفهارس اول ظهور في القرن الخامس عشر ، والمطبعة التى تطبع الكتب اكتشفت في القرن الخامس عشر ، اى انهم ما طبعوا حتى ادركوا الحاجة . واليوم صار الفهرس الأبجدي في آخر الكتاب الافرنجي كالذيل للقط ، يولد به خلقة .

ونتبع ، وما احرانا ان نتبع والمتبوع صالح .

الكتاب
وعاء الثقافة
لا يلبس الملبس الخشن

ويتانق الناس في ملابسهم ، ويتانقون في اثاثات مساكنهم ، يطلبون النعومة والجمال فيها، حتى اذا جاءوا الى الكتاب لم يبال طابعوه والمسئولون عن امداده بالمال ان يكون خشن الملمس لخشونة ورقه ، كاسفا لكسوف لونه ، حقير المظهر تقتحمه الاعين عندما تراه .

انهم يفرضون في طالب العلم ان لا يطمع في الدنيا ، وان الزهادة في متع الحياة بعض صفاته . وان جاز هذا في الأقدمين، فما هو جائز في الأحدثين . ان الجمال مرغوب حيثما كان، في ثياب على جسد، في صورة على حائط ، في رسم على فنجان شاى ، واذن فما يصح ان نأتي الى وعاء من اوعية الثقافة ـ الى كتاب ـ فنخصه بالقبح وسوء الحال .

عوّدوا الناس على الكتاب الجميل مظهرا ، الجميل مخبرا . وعوّدوهم على ان يكبروا الجمال ، ومع هذا ان ينكروا الترف في الكتاب المترف ، وعلموا الطابعين ان الجمال قد يشترى بأبخس الاثمان ، وان الكتاب ، كامراة هذا العصر الحديث ، اجمل ما تكون وهي في ابسط الثياب .

وسبقت لبنان سائر البلاد العربية في الطبع ، وفيما تخرجه مطابعها . فان صح هذا فيكون مرجعه الى وفرة ما في اسواقها من خامات يصنع منها الكتاب، ومن آلات ومطابع ، ولكن كذلك لحس بجمال الكتاب ودرجة من الحسن لا تنزل به دونها . فلبنان لم تحاول ان تقتصد على حساب الرونق . واقتصدت بأن استبدلت بقديم مطابعها احدث ما اخرج الغرب من مطابع ، وزادت فجعلتها ، في كل خطوة منها ، حتى يظهر الكتاب جاهزا للسوق ، عمليات متواصلة ، تجرى الواحدة منها بعد الاخرى آليا دون تدخل يد الانسان ، الا عند الضرورة . وكان من جراء كل هذا ارخاص الكتاب بحيث يستطيع شراءه الكثير من طلابه ، وافادت لبنان من تلك الصناعة كثيرا ، فقد بلغ راس المال المستغل اليوم عندها في الطباعة ومتفرعاتها ... ... ٨١ ليرة لبنانية ، وذلك بزيادة ... ... ٢١ ليرة عن العام الذى سبق .

ولكن لا يفوتنا ان نقول ان لبنان ، التى نفعت الكتاب العربي صناعة ، انتفعت بما كتب العرب في سائر بلادهم وبما ألفوا ، وانتفعت بالتراث العربي القديم .. وكتاب الله طبعت مطبعة صغيرة في لبنان منه ... ٧٥٠ نسخة حتى الآن ، هي غاية في الجمال ، بعثت بها الى افريقيا الاسلامية .

سوق الكتب في الشرق
خير منها سوق البلح والبطيخ

انها سوق لا يربطها رابط .

ان الكتاب لا بد له من مؤلف ، ولا بد من طابع وناشر ، ولا بد من موزع ،



هؤلاء صبية يجدون في خزانة الكتب هذه متعة اى متعة . يغريهم الكتاب الجديد ، وتفرحهم الصورة ، ويحفزهم على القراءة الفهم السهل . انها دنياهم الجديدة يستطلعونها ويعودون الى الكتب القديمة يقرأون كانما يلتقون بصديق قديم .

وليس بين هؤلاء رابطة واحدة معروفة منشورة تربطهم .

اما المؤلف فاقل هؤلاء حظا من كتابه . والذى يعطاه من مال نظير تأليفه يكاد يعده المعطي تبرعا ، الا ان يكون الكتاب كتابا مدرسيا مقررا .

واما الطابع فنسمع عن طابعين يطبعون الخمسة الآلاف من الكتاب ، ولكن لا يدخل دفاتر حساباتهم غير الفين او ثلاثة . ولقد عرفت مؤلفين ، يريدون طبع كتبهم على نفقتهم ، ويعجزهم الوصول الى الطابع الذى به يثقون . والامناء بين الطابعين كثيرون، ولكن احتمال وجود قلة بينهم تثير الشكوك، وتجعل الشك في الناس شائعا . والعجيب ان بعض الحكومات العربية ترى ان في هذه الاساءة اساءة شخصية، على صاحب الشأن ان يثبتها ثم يأتي بها الى المحاكم ، لا سيما ان كان صاحب الشأن ليس من اهل البلاد . ومنهم من ينظر اليه على انه كسب حلال

و « شطارة » ، وما اكثر ما تشيع في المجتمع الفاسد « الشطارات » . ان هذه الاساءة في نظري جرم يأتيه جارمه الى الثقافة ، والثقافة ليست من شأن فرد بذاته ، هو المؤلف ، ولكن من شأن امة ، هى التى يراد بها الخير عن طريق كتاب .

واما الناشر فالذى الفناه في البلاد العربية ان يكون الطابع والناشر شيئا واحدا .

ويأتى بعد ذلك الموزع ، وهو في الغالب الأغلب صاحب مكتبة في سوق من اسواق البلاد . وتدخل المكتبة ، حيث انت ، فتطلب كتابا ، فمرة قد تجده ، ومائة مرة لا تجده ، تبعا للبلد الذى انت فيه ، أمدينة هو ام قرية ام عاصمة . ثم لا تجد بعد ذلك وسيلة للحصول على الكتاب الا الوعود غير الوافية . وتصبح ، وانت في بلد كالكويت او العراق ، أسهل عليك ان تحصل على كتاب من لندن او باريس ، من ان تحصل على كتاب من القاهرة او الرباط .

ان بلاد العرب شتيتة ، وان بلاد العرب متباعدة ، وتفصلها الرمال المترامية ، وكان من واجب العروبة الاول اصلاح ما افسدته الطبيعة من هذا .

وكان من اول ما تعنى به العروبة في هذا السبيل من شئون ، شأن الكتاب العربي ، وسهولة تداوله بين مشرق ومغرب ، ولكنها لم تفعل .

ليس في البلد العربي الواحد رابطة لتوزيع الكتاب . وليس بين البلاد العربية رابطة واحدة لتوزيع الكتاب .

ومن الناس من يخشى الكتاب ان يدخل ، ويخشاه اكثر من دخول جيش محارب . ولكن عند هؤلاء قوة المنع من دخول ، ولهم ان يسمحوا او يمنعوا الا ان يروا ان كل كتاب ثقافة خطر على البلاد .

ثم اثمان الكتب . ان اكثر البائعين يطبقون عليها قانون العرض والطلب ، فأحيانا هو عشرة ، واحيانا هو عشرون وثلاثون .

انها الحال التى كانت قائمة في اوروبا في اواسط القرن التاسع عشر في أمر الكتب . روابط مفككة ، وفوضى ، اسموها بالحرية ، كانت طاغية .

حتى اذا جاء هذا القرن الحاضر ، فاعيد ربط المفكوك ، وزيدت العقد التى لم تكن قد انفكت وثاقة .

ونضرب مثلا ببريطانيا . انشئت بها في اواخر القرن الماضي رابطة بائعي الكتب Associated Booksellers وفي اول يناير عام ١٩٠٠ صدر عنها الاتفاق الاول لتنظيم الأسعار ، وثلاثة اتفاقات اخرى . كان آخرها اتفاق عام ١٩٥٧ .

ان خللا يظهر في توزيع اللحم او السمك ، او العدس او البصل ، يحس به الناس على الفور ، لأن عواقبه تأتي الناس سريعة . وهي غذاء اجسام . ولكن الكتب غذاء ارواح ، وعواقبه بعيدة المدى ، ولكن الانسان تميز عن الحيوان ، بأن الحيوان يدرك الخطر القصير المدى ، ولكن الانسان يدرك الخطر ، قصر مداه او طال .

والله المستعان على ما نحن فيه من خبال .

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٢٤

سؤالان تركهما القراء

أسماء الفائزين بالجوائز التي بلغ مجموع قيمتها ١٠٠ دينار

■ تميزت هذه المسابقة بكثرة عدد المشتركين، كما تميزت بالعدد الكبير من القراء الذين فشلوا في الاجابة على السؤالين الخامس والتاسع ... وفيما يلي الاجابات الصحيحة للأسئلة العشرة :

١ ـ عبد القادر الجزائرى (الجزائر) ـ عمر المختار (ليبيا) ـ عبد الكريم الخطابي (المغرب) ـ احمد عرابي (مصر) ـ عثمان دقنه (السودان) ـ ابراهيم هنانو (سوريا) ـ عبد القادر الحسيني (فلسطين) .

٢ ـ يوجد اكثرمن ١٥ ميناء عربيا ، نورد هنا اسماء ٢٤ ميناء عربيا ، هي :

اغادير ـ الدار البيضاء ـ الرباط ـ طنجة ـ وهران ـ الجزائر ـ عنابة ـ بنزرت ـ تونس ـ صفاقس ـ طرابلس الغرب ـ بنغازى ـ طبرق ـ الاسكندرية ـ بيروت ـ طرابلس لبنان ـ اللاذقية ـ بورسعيد ـ السويس ـ العقبة ـ بورسودان ـ جدة ـ الحديدة ـ عدن ـ المكلا ـ مسقط ـ دبي ـ الدوحة ـ البحرين ـ الخبر ـ الدمام ـ الاحمدى ـ الكويت ـ البصرة .

٣ ـ الكويت .

٤ ـ المملكة العربية السعودية .

٥ ـ جامعة القرويين (فاس بالمغرب) ـ جامع القيروان (مدينة القيروان بتونس) ـ جامع الزيتونة (بتونس العاصمة) .

٦ ـ البحرين

٧ ـ يتكون شط العرب من التقاء نهرى دجلة والفرات .

٨ ـ ياقوت الحموى (معجم البلدان) ابو الفرج الاصفهاني (الاغاني) عبد الله بن المقفع (كليلة ودمنة) .

٩ ـ سنة استقلال الجزائر هي ١٩٦٢

١٠ ـ دمشق ـ بغداد ـ القاهرة

واجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ، ففاز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا ، فازبها :

ـ علي عبد الله القرني ـ سوق البرنو/مكة المكرمة

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا ، فاز بها :

ـ عبد الواحد الملا/الشارقة

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فاز بها :

ـ علي عيسى محمد علي/عربي مغترب في بانكوك تايلاند

٨ ـ جوائز مجموع قيمها ٤٠ دينارا : كل منها ٥ دنانير ، فاز بها كل من :

١ ـ هناء سعود عبد العزيز المر / الكويت .

٢ ـ فوزى مهدى احمد التجاني/جزيرة آبا / السودان .

٣ ـ سيد صابر محمد موسى مهدى / بلدة شيبة النكارية / ج٤٠٤٠ع.

٤ ـ حسين محمد عبد الله / حماة / سوريا .

٥ ـ حنان محمد شاكر/عمان/الأردن .

٦ ـ ناظم كامل فتاح/كركوك/العراق .

٧ ـ زائدة عبد الرحمن/الجزائر .

٨ ـ محمود جميل سعيد بزى / بنت جبيل لبنان الجنوبي .

وسوف ترسل الجوائز الى الفائزين .

■■■

غَزْوَةُ خَيْبَر ...

والعِلاقاتُ بَيْنَ العَرب واليَهُود

■ يتالف مجتمع المدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ، من اليهود الذين هاجروا الى شبه الجزيرة العربية من بلاد الشام على أثر الاضطهاد الذى لاقوه من الامبراطـــور الرومانى (ادريان Hadrian) وكذلك من بعض القبائل العربية ، التى هاجرت اليها من جنوب شبه الجزيرة العربية ، والتى من اشهرها قبيلتا الأوس والخزرج .

وقد كانت مقاليد الأمور بيد اليهود في بداية الأمر ، وكانت الاراضي الزراعية الخصبة بايديهم ، بالاضافة الى اشتغالهم بالتجارة وبعض الصناعات اليدوية البسيطة التى تتطلبها حاجات ذلك العصر. وقد استطاعت القبائل العربية أن تنتزع زمام السلطة الفعلية في المدينة من يد اليهود في نهاية القرن الخامس الميلادى ، وذلك بعد صراع مرير. وقد كان اليهود ينقسمون الى قبائل متعددة ، من اشهرها « بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو زريق ، وبنو ثعلبة ، وبنو حارثة وغيرهم » .

اما العرب فكانوا ينقسمون الى قبيلتى الأوس والخزرج بالاضافة الى بعض البدو الذين كانوا يسكنون حوالى المدينة .

وكثيرا ما كانت المصـــادمات تقع بين اليهـود والعرب بسبب الاستيلاء على السلطة الفعلية في المدينة ، أو بسبب تفاخر اليهود على العـرب لكونهم اصحاب ديانة سماوية واصحاب علـم ومعرفة ، أو بين العرب انفسهم بسبب العصبية القبلية . وآخر الاصطدامات المسلحة بين قبيلتى الأوس والخزرج (يوم بعاث) الذى انتصر فيـه الأوس على الخزرج .

ونستطيع أن نستنتج من هذه المقدمة أن الوضع الاجتماعى في المدينة كان مفككا ، وكانت الحـالة تنذر بالخطر والانفجار المستمر بسبب هذا الوضع الشاذ ، ولقد سئم السكان هذا الوضع المتأزم ، وابلغ دلالة على ذلك ما رواه ابن هشام في سيرته، على لسان قسم من سكان المدينة الذين قـابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة بقولهم « انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم .. الخ » .

كما نستنتج أن المدينة كانت تفتقر الى الزعامة المخلصة التى تستطيع أن تجمع الشمل ، وتنبذ العداوة ، وقد هيأ الله لهم ذلك بعد هجـرة الرسول اليها .

هجرة الرسول الى المدينة وسياسته فيها

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة بعد أن امرهم الله سبحانه وتعـالى

المعركة التي وقفت الجزيرة العربية تنتظر نتيجتها فكانت خيرا

القضاء على النفوذ السياسي والأدبي لليهود في الجزيرة العربية

اليهود قوم عقدتهم الظروف التاريخية التي مرت بهم

بقلم : عبد الصاحب جعفر جمال الدين

بالهجرة اليها ، وما ان استقر بهم المقام حتى رأى الرسول بثاقب بصيرته ما آلت اليه الحال في المدينة ، من التفكك بسبب الحزازات القبلية التي سبقت مجيئه . ففكر تفكير السياسي المحنك في ايجاد الحلول الناجعة التي من شأنها ان توفق بين هذا الخليط العجيب من السكان الذى اصبح يتألف من المسلمين (المهاجرين والانصار) والمشركين واليهود .

واول خطوة خطاها هى المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، ثم أخذ يسعى لتنظيم العلائق الاجتماعية العامة بين المسلمين وبقية السكان. فاستن صحيفة « أو دستوراً » جعل فيه السكان امة واحدة وعلى قدم المساواة في الحقوق والواجبات العامة ، وجعل رابطة المودة والاخاء محل العصبية القبلية وكفل لجميع السكان « بما فيهم اليهود » حرية المعتقد والرأى وحرية ممارسة شعائرهما والدعوة اليهما . كما نص الدستور على حرمة الحياة والمال ، وحرمة المدينة .

والحق يقال ان هذه الوثيقة السياسية التى وضعها الرسول والتى وقعها جميع الاطراف المعنية ، والتى تقر (حرية العقيدة والرأى ، وحرمة المال والحياة ، وحرمة المدينة ، وتحريم الجريمة) تعتبر فتحا جديدا في الحياة السياسية والمدنية لم تألفه شبه الجزيرة العربية من قبل.

وان دل هذا العمل الجبار على شيء فانما يدل على ان محمدا لم يكن نبيا ورسولا فحسب وانما كان سياسيا محنكا ومصلحا اجتماعيا ، وعبقريا قلما تتمخض عنه الفترات التاريخية المضطربة .

وقد رحبت اليهود في أول الأمر بمقدم الرسول وابدوا مودتهم له ، ظنا منهم أن في مقدورهم استمالته وادخاله في حلفهم والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب ، حتى تقف في وجه النصرانية التى اجلت اليهود عن أرض الميعاد .

دسائس اليهود ومؤامراتهم على المسلمين في المدينة واسباب ذلك

استمرت الحال فترة من الزمان تسير بموجب نصوص هذا الدستور الذى وضعه الرسول الكريم لتنظيم الشؤون العامة في المدينة ، ولكن اليهود أول من اخل ببنود هذا الدستور ، وذلك بالالتجاء الى بث روح التفرقة بين السكان عن طريق اثارة الأحقاد والضغائن ، فكانوا يؤلبون الخزرج على الأوس بتذكيرهم « بيوم بعاث » ، والمشركين على المسلمين ، والانصار على المهاجرين ، ولكنهم فشلوا في ذلك بسبب ادراك المسلمين لمقاصدهم ومراميهم . ثم التجأوا بعد ذلك الى أسلوب المجادلات والمناقشات الكلامية « وتحريف الكلام » على أمل أن يفتنوا المسلمين عن دينهم .

واذكر هنا مثالا اورده القرآن الكريم للدلالة على ذلك هو قوله تعالى « ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .. » سورة البقرة آية ١٠٩ . وحتى هذا الأسلوب لم يفد بسبب رسوخ العقيدة في نفوس المسلمين .

واسباب دسائس اليهود ونقضهم لبنود الدستور ترجع الى فشلهم في استمالة الرسول الكريم الى جانبهم ، ثم حسدهم للرسول الكريم والمسلمين على اثر انتشار هذا الدين الجديد بين السكان انتشارا واسعا ، في حين انهم لم يستطيعوا اقناع سكان المدينة باعتناق دينهم ، بالاضافة الى هذا انهم راوا في هذا الدين خطرا كبيرا على عقيدتهم اشد من خطر الدين المسيحي .

وقد حاول الرسول الكريم اتخاذ اسلوب الاقناع معهم عن طريق الحجج والبراهين والأدلة المنطقية، ولكن ذلك لم ينفع ، مما اضطر الرسول الى التفكير في اتباع سياسة جديدة معهم .

طرد بني قينقاع

اتبع اليهود أسلوب المقاومة والمعارضة السرية للمسلمين في بداية الامر . ولما راوا عدم جدوى ذلك التجاوا الى اسلوب المعارضة الفعلية العلنية (المسلحة احيانا) وذلك في السنة الثانية للهجرة وعلى اثر انتصار المسلمين على المشركين في (بدر) حيث قال قائلهم وهو كعب بن الأشرف اليهودي لما علم بمقتل سادات قريش في بدر « هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها » . ولم يكتف بهذا بل ذهب الى مكة واخذ يثير قريشا على المسلمين ، ثم اخذ يهجو الرسول وكبار الصحابة بشعره بالاضافة الى انه شبب بنساء المسلمين ، مما ادى باجماع المسلمين على ضرورة التخلص من شره .

واول القبائل اليهودية التي اخرجت من المدينة هي (بنو قينقاع)، وسبب ذلك يرجع الى اخلالهم بالشروط المعقودة بينهم وبين المسلمين ، حيث قتلوا احد المسلمين عمدا ، ولما طلب منهم الرسول ان يكفوا عن اذى المسلمين استخفوا به واجابوه « لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة . انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » ، مما حدا بالرسول الى محاصرتهم في ديارهم في داخل المدينة وقاتلهم خمسة عشر يوما ، وانتصر المسلمون عليهم وتم اجلاؤهم من المدينة ، ففر قسم منهم الى خيبر وفر القسم الباقي الى بلاد الشام .

اخراج بني النضير من المدينة

ثم كانت غزوة احد في السنة الثالثة للهجرة ، وكان المفروض وبموجب بنود الدستور ان تهب المدينة باكملها في حالة مداهمتها من قبل عدو خارجي ، وكان المفروض في اليهود ان ينصروا المسلمين على العادين ، ولكنهم خذلوهم في آخر لحظة ، وعادوا الى المدينة ، مما سبب انتصار قريش على المسلمين .

ولم يكتف اليهود (من بني النضير) بخذلان المسلمين بل اخذوا يشمتون بهم ويشنعون عليهم ، واظهروا الفرح والاستبشار لما اصاب المسلمين من اذى ، اضف الى ذلك كله أن بني النضير حاولوا اغتيال الرسول الكريم ، وذلك بالقاء حجر كبير على راسه من فوق سطح احد دورهم اثناء ذهابه للتفاوض معهم (باعتبارهم حلفاء) بشان دية قتيلين قتلهما أحد المسلمين خطأ .

ونتيجة لكل هذه الأسباب استقر رأى المسلمين على وجوب التخلص منهم ، فبعثوا اليهم ان اخرجوا من دياركم لما بدا منكم من الغدر ، فاجابوهم « انا لا نخرج من ديارنا فاصنعوا ما بدا لكم » . فما كان من المسلمين الا أن بادروهم وحاصروهم ثم قاتلوهم مدة عشرين ليلة ، ثم اخرجوهم من ديارهم بعد قتال مرير ، فخرج قسم منهم الى اذرعات في بلاد الشام، أما اشرافهم وساداتهم فقد التجاوا الى خيبر في شمال المدينة.

القضاء على بني قريظة

ولم يبق من اليهود في المدينة غير بني قريظة وهم الذين تم القضاء عليهم بعد موقعة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة ، لانهم اخذوا يثيرون حفائظ القبائل العربية ، وخاصة قريشا على المسلمين وتحالفهم مع قريش والاحزاب على غزو المدينة ومدهم جيش الأحزاب بالمؤونة والعتاد ، هذا مع العلم بانهم حلفاء للمسلمين وذلك بموجب (بنود الدستور) الذي استنه الرسول ووقع عليه

ساداتهم واشرافهم . ولانهم اخـذوا يشهرون بالمسلمين ويتهجمون على العقيدة الاسلامية حتى انهم فضلوا عبادة الاوثان على الدين الاسلامى الذى يوحد الله ، هذا الى ان الرسول الكريم لم يامن غدرهم وتواطؤهم مع اعدائه في حالة غزو المدينة مرة اخرى والعدو الداخلى اشد خطرا من العدو الخارجى ، لانه يعرف مواطن الضـعف والقوة ، ناهيك عن انهم اصبحوا جواسيس للاحزاب عند غزوهم المدينة ، وهذا شان اليهود في كل زمان ومكان .

حصون خيبر

خيبر واحة يهودية تقع على بعد ثمانين ميلا الى شمال المدينة ، وعلى مسيرة خمسة ايام بالنسبة لذلك العصر وتشتهر خيبر باراضيها الزراعية الخصبة ، وبنخيلها وبساتينها المثمرة ، وقـد سكنها اليهود منذ بداية القرن الخامس الميلادى على اثر هجرتهم من بلاد الشام . كما تشتهر ايضا بحصونها وقلاعها الحربية المنيعة المحاطة بالخنادق التى بناها اليهود لكى يلتجئوا اليها فيما لو داهمهم خطر خارجى ، وقد كانت جموع اليهود في خيبر من اقوى القبائل اليهودية في شبه الجزيرة العربية باسا ، واوفرها مالا ، واكثرها سلاحا ، وامنعها ديارا .

اسباب غزو خيبر

يرى قسم من المستشرقين المتشيعين لليهـود مثل « مارغليوث » ان سبب غزو المسلمين لخيبر هو « الحصول على ما فيها من غنائم » انظر Margoliotn:«Muhommad the Rise of Islam» وهذا الراى مردود عليه، وذلك لاننا لو تصفحنا سير الصحابة لوجدنا ان اغلب الصحابة الذين هاجروا من مكة الى المدينة كانوا من الاثرياء ، واذكر هنا امثلة لذلك ، ابا بكر ، وعثمان ، وعبدالرحمن بن عوف، وغيرهم ، فاذا كان الدافع الذى دفع هؤلاء وامثالهم لغزو خيبر هو « الطمع » فلماذا تركوا ديارهم واموالهم وفروا بدينهم الى المدينة ؟؟ . ولماذا ترك صهيب وهو الرجل الرومى تجارته وامواله لقريش ؟؟ او لم يفاوضهم على ان يخلوا بينه وبين عقيدته ويترك لهم امواله ؟؟ اولم يقل عنه الرسول حين سمع بما فعل « ربح البيع ابا يحيى، ربح البيع ابا يحيى » .

اولم تنزل في حقه وحق من اشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله الاية الكريمة « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد » سورة البقرة الاية ٢٠٧ .

ويرى القسم الاخر امثال « جان باجوت غلوب» في كتابه الفتوحات العربية الكبرى ص ١٣٨ بان سبب غزو الرسول لخيبر هو (لازالة ما لحق بالمسلمين من خيبة امل في صلح الحديبية) وهذا الراى مردود ايضا ، اذ اننا لو تطلعنا الى بنود صلح الحديبية لوجدناها انتصارا للمسلمين لا خيبة امل كما يقول « غلوب » اذ انها اعترفت بالمسلمين كطرف مساو لقريش صاحبة الزعامة والنفوذ في شبه الجزيرة ، ثم انها اعطت المسلمين الحق في نشر دينهم ، وهذه غاية ما يبتغون ، بالاضافة الى انها أعطتهم الحق في التحالف مع من شاؤوا من القبائل العربية ، او لا يكفى بند من هذه البنود التى ذكرناها لاقناع « غلوب » بان صلح الحديبية ، كان بمثابة الانتصار للمسلمين لا خيبة امل كما يقول .

على اية حال ان اسباب غزو الرسول لخيبر هي ابعد مرمى ويمكننا ايجازها فيما يلى :ـ

اولا : فكر الرسول بعد صلح الحديبية ومهادنة قريش له في توحيد الجزيرة العربية تحت راية الاسلام ، ، ووجد أن من الصعب عليه تحقيق هذه الآمال والخطر لا يزال جاثما في شمالى المدينة، واقصد بذلك « تجمع اليهود في خيبر » اذ بلغ مسامعه ان اليهود الذين فروا من المدينة الى خيبر ويهود خيبر وتيماء وفدك ووادى القرى عقدوا تحالفا فيما بينهم وبين احدى القبـائل العربية (غطفان) تحت زعامة (سلام بن مشكم اليهودى) للقضاء على هذا الدين الجديد الذى اعتبروه خطرا كبيرا يهدد عقيدتهم ، هذا بالاضافة الى اخذهم الثار من المسلمين الذين اجلـوا مواطنيهم عن ديارهم في المدينة . وقد وجد الرسول ان من المحال ان يعقد معهم صلحا كصلح الحديبية الذى عقده مع قريش ، وذلك لانه سبق ان جرب اليهود والتحالف معهم يوم كانوا في المدينة فلم يلق منهم غير الغدر والخيانة والتآمر .

ثانيا : ان الرسـول لم يامن غدر اليهود

وخياناتهم ، اذ ربما يعقدون تحالفا مع الرومان او مع الفرس لغزو الجزيرة العربية ، او قد يعقدون تحالفا جديدا مع قريش « شبيها بتحالف الاحزاب » لغزو المدينة .

ونتيجة لكل هذه الأسباب التي ذكرتها فكر الرسول بمبادرة « تجمع اليهود في خيبر » قبل ان يبداوه واستعد الطرفان للحرب ووقفت قريش وكل قبائل الجزيرة العربية تنتظر نتيجة هذا الصراع الذى سيؤدى لزوال احدى القوتين اللتين لهما وزنهما في شبه الجزيرة .

مسيرة الرسول الى خيبر

وفي المحرم سنة ٧ هـ . سار الرسول بالف واربعمائة راجل ، معهم مائتا فارس الى خيبر ، واستخلف على المدينة « سباع بن عرفطة الغفاري» ونزل في « الرجيع » لكى يحول بين خيبر وحليفتها غطفان . ولما امن عدم نصرة غطفان لخيبر سار في جيشه حتى بلغ خيبر عند منتصف الليل بعد مسيرة ثلاثة ايام بلياليها .

فتح خيبر

علمت يهود خيبر بتقدم المسلمين ، فتاهبوا للقتال ، واستعدوا وأناطوا زعامتهم (لسلام بن مشكم) الذى أشار عليهم بوضع عيالهم واموالهم في حصنى الوطيح والسلالم ، ودخول المقاتلة حصنى نطاة وناعم وبقية الحصون . وابتدات الحرب عند حصن (نطاة) وكان وقع القتال شديدا على المسلمين في اول يوم من الحرب حتى جرح منهم خمسون رجلا ، ومع هذا استبسلوا واخرجوا اليهود من (نطاة) ، وقتل زعيمهم (سلام بن مشكم) فتولى قيادة اليهود «الحارث ابن أبى زينب » صاحب حصن ناعم . وسلم الرسول رايته البيضاء الى على بن أبى طالب الذى اظهر البطولات الخارقة في ذلك اليوم ، واستسلم حصن ناعم وقتل الحارث . ثم توجه اليهود بعد ذلك الى اقوى وامنع حصونهم ، وهما حصنا « الوطيح والسلالم » ، ولبثوا امام المسلمين في بداية الأمر تحت قيادة « مرحب بن ابى مرحب اليهودى » الذى خرج وهو يرتجز ويقول :

قد علِمتْ خيبرُ أني مَرْحَبُ
شاكي السلاحِ بَطَلٌ مُجرّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ
إذا الليوثُ أقبلتْ تحرّبُ
كان حِمايَ للحِمَى لايُقرَبُ

وخرج اليه على بن ابى طالب صاحب لواء رسول الله وهو يرتجز :

أنا الذى سمتنى أمِّى حيدرَه
أكيلكم بالسَّيف كَيْلَ السَّنْدَرَه
لَيثٌ بغاباتٍ شديدٌ قَسْوَرَه

« فاختلف هو وعلى ضربتين فضربه علىّ على هامته حتى عضّ السيف منها باضراسه ، وسمع اهل العسكر صوت ضربته » .

ولما قتِل مرحب واخوه ياسر الذى قتله الزبير، استسلم اليهود ، وتم فتح حصنى الوطيح والسلالم .

واقعة خيبر من اشد المواقع الحربية بين اليهود والمسلمين في التاريخ

تعتبر واقعة خيبر من اشد المواقع الحربية التى نشبت بين المسلمين واليهود خلال العصور التاريخية ، وقد استماتت اليهود في الدفاع عن حصونهم ، وكانوا لا يسلمون شيئا من اراضيهم الا بعد ان يرووه بدمائهم . ومع هذا لم تستطع تلك القلاع المنيعة المحيطة بالخنادق ان تثبت امام بسالة المسلمين الذين لم يجربوا من قبل حرب الحصون ، كما لم تستطع تلك الالاف المؤلفة من اليهود ـ حيث كان عددهم كما يروى «اليعقوبى» ج ٢ ص ٤٢ عشرين الف مقاتل ـ الوقوف امام فئة لا يتجاوز عددها الفا وستمائة مقاتل .

وبهذا الانتصار العظيم استطاع الرسول ان يأمن غدر اليهود وشرهم ومكرهم ، واستطاع ان يرهب قريشا وغيرها من القبائل العربية « التى كانت تراهن على انتصار اليهود » والتى ظنت بأن اليهود مانعتهم اعدادهم وقلاعهم . وقيمة هذا الانتصار تكمن في انه قضى على اليهود باعتبارهم قوة سياسية يحسب لها حسابها في شبه الجزيرة

العربية ، كما ان قيمته تكمن في القضاء على نفوذ اليهود الادبى في شبه الجزيرة .

معاملة الرسول والمسلمين لليهود

يرى كثير من المستشرقين ان الرسول حاول عن طريق الاكراه والاجبار ادخالَ اليهود في نطاق هذا الدين الجديد « الاسلام » كما ان كثيرا من المستشرقين يرون ان المسلمين اذلوا اليهود واساءوا معاملتهم لاتفه الأسباب وان الرسول قلب لهم ظهر المجن بعد رسوخ الدعوة الاسلامية وزيادة عدد اتباعه بينما الوقائع تدحض مثل هذه الافتراضات.

فالرسول قد امره الله تعالى بان يتبع اسلوب الاقناع لا الاكراه في نشر الدعوة ، وابلغ الدلائل على ذلك ما ورد في قوله تعالى « وقل للذين اوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » سورة آل عمران الآية ٢٠ ، كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبرهم اصحاب ديانة سماوية واصحاب كتاب منزل ، ولذلك كفل لهم حرية المعتقد والرأى ، وحتى حرية الدعوة اليهما ، ولم يكن عنيفا في جداله ومناقشاته معهم، بل كان يتبع اسلوب الاقناع ، وهذا واضح من قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » . « سورة العنكبوت الآية ٤٦ » .

اما أن الرسول والمسلمين اساءوا معاملة اليهود في بداية الأمر فهذا بعيد عن الواقع . واورد هنا نصا لمستشرق منصف هو (السير توماس ارنولد) حيث قال : « وقد حاول محمد استرضاءهم (اى اليهود) بوسائل كثيرة ، فداب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة ، وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق السياسية ، ومنحهم الحرية التامة فى اقامة شعائرهم الدينية ، ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية » . « انظر الدعوة الى الاسلام – توماس ارنولد ص ٤٧ » .

لقد كان الرسول يتودد اليهم ، ويظهر بالغ عطفه لهم ، كما أنه قرب كبارهم واشرافهم ، وعقد تحالفا معهم ، ولم يسمح لاتباعه بالتعدى على حقوقهم ، ونهى المسلمين عن التعرض لهم .

اما الشيء الذى حدا بالرسول الى تغيير سياسته تجاههم في آخر الأمر فهو نقضهم العهود وخيانتهم له ، لانهم اعتبروا الدين الاسلامى خطرا على عقيدتهم ، ثم ان اليهود قوم معقدون ، عقدتهم الظروف التاريخية العصيبة التى مرت عليهم أيام الاشوريين وأيام البابليين الذين سبوا منهم ما يقارب الأربعين الفا وجعلوهم ينوحون على شواطىء الفرات على عهد « نبوخذ نصر » وأخيرا الرومان وما فعله معهم (ادريان) ، وكل هذه الظروف العصيبة التى ذكرناها جعلتهم لا يثقون باحد ، وجعلت طابعهم البغضاء والحقد والكراهية للانسانية جمعاء ، وجعلت منهم اقواما لا يتورعون عن التحالف مع الشيطان في سبيل مصلحتهم الشخصية .

وأورد للقارىء الكريم هنا بعض الأمثلة على تسامح الرسول والمسلمين معهم ، والى اى حد بلغ هذا التسامح وخاصة بعد انتصار الرسول عليهم في موقعة خيبر ، حتى يكون على بينة من ان المستشرقين لم ينصفوا الرسول والمسلمين في بحثهم عن العلاقات بين المسلمين واليهود .

اولا : ان الرسول لم يهرق دماءهم بعد انتصاره عليهم في خيبر .

ثانيا : انه ترك اراضيهم يفلحونها بانفسهم على أن يؤدوا له نصيبا مما يزرع .

ثالثا : انه امر المسلمين برد قسم من(صحائف التوراة) التى غنمها المسلمون الى اصحابها ، وهذا عكس ما فعله (ادريان) الذى احرق كتبهم ومزاميرهم .

رابعا : ان الرسول أراد ازالة البغضاء والحقد من نفوسهم فقرر أن يصاهرهم حيث تزوج من بنت احد اشرافهم وهى صفية بنت حُيَيّ بن اخطب .

خامسا : انه عفا عن زينب بنت الحارث التى اهدت له شاةً مسمومة ، وقَبِلَ لها عذرها بعد الذى اصاب اباها وأخاها .

سادسا : انه تغاضى عن اليهود الذين رجعوا الى ديارهم واراضيهم في المدينة بعد سقوط خيبر.

وأخيرا فقد بقيت معاملة المسلمين لليهود حسنة على مر العصور التاريخية ، فكانوا يسمحون لهم بمزاولة طقوسهم وشعائرهم الدينية في الوقت الذى لم يسمح لهم الرومان ولا غيرهم بمزاولة طقوسهم في السابق ■■

عبد الصاحب جعفر جمال الدين

فَتىً قَلْقِيلْيَة

مهداة الى الطفل الذي سالته : االنت من قلقيلية . فاجاب : انا من هناك ، بيتي وراء الحدود ، واشار اليه وبكى

■ وسألتُ طفلا في الطريق أأنت من أهل المدينة
فأجاب مرتعشا وفي عينيه آفاق حزينة
يا ألف مأساة تَمثَّلُ في مشاعره الدفينة
أنا من هناك ، تُرَى أتبصر أرضنا ؟ وروى حنينه
ضاعت مرابعنا ، وقال أبي : لقد أضحت سجينه
أتُرَى تعود ؟ وألهبت خدّيه أدمعه السخينه
فوجمتُ ، أي فتى يحدّثني ؟ ولم أدرِك شجونه
هو للنعيم وليس للآلام تستهوي أنينه
هو لابتسام العمر لا للحقد تنمو والضغينه
لكنّ معترك الحياة طوى بأعماقي سنينه
ولمحت عار هزيمتي قصصا مدنّسةً لَعينه
ما ذنبه يُسقَى الحياة دما ويُطعمها عيونه ؟
عرف التشرُّدَ والضياع وذاق أكؤسه الخؤونه
وأفاق يسأل عن هداه وعن شواطئه الأمينه
ويقص والده عليه حكاية نَشرت ظنونه
كانت لنا دارٌ هناك وكرمةٌ فيها مصونه
والبرتقال يحوطها ويَمدُّ مزهُوًّا غصونه
وعريشةُ العنب الشهيّ تسلقت أطُرا حصينه
والبركة الفضيّةُ الأمواه تَستجلي فتونه
حصباؤها غارت من العنقود فابتدعت فنونه
وكلاهما كاللؤلؤ المكنون ما أشهى رنينه
وأنا وأمك يا نعيمُ نَشيد أحلاما رزينه



وسعاد أختك تملأ الآفاق إشراقا وزينه
وتطل أنت ، فيا نشيدا كنت منتظرا لُحونه
وتزغرد الدنيا فقد وافيت جوهرة ثمينه
حتّى إذا انقضت الشهور تبدلت تلك السكينه
يوم استفاقت أرضنا مِزقا مروّعة مَهينه
والبغي ويل البغي يُبدي من نواجذه جنونه
الأرض تَهدر والرصاص يذيق قريتنا منونه
والجو يعصف يا لمجزرة الوضاعة والرعونه
أنّى التفت رأيت أشلاء مبعثرة مبينه
وحرائقا شبت وآمادا مُعربِدة دخينه
وسمعت أمك تستغيث ، فجئتها ، فهوت طعينه
ناديتها فرنت إليك ، فديتها أما حنونه
وسعاد قُربكَ جثةٌ والموت مدّ لها يمينه
وبقيت أنت لي العزاء عزاء قصتي المُشينه
ومشيت في الركب المشرَّد والأسى يطوى متينه
في كل يوم تصلب الأبعاد من ركبي عيونه

■■■

نم يا نعيمُ فأنت نَذْرى للمرابع والرهينه
لا لن نكون الخزى يوم الثأر لا لا لن نكونه
سنعيد للشعب الأبي غدًا مرابعه حصونه
إنى نذرتُك يا بنى لكى تعيد له عرينه ■■

حماة / سعيد قندقجي



مُشكِلَة عَالَمِيَّة

بقلم : كريم مناحي الصريفي

■ ان مشكلة الامتحانات ، مشكلة معقدة ، مستعصية لم يستطع الباحثون بالرغم من الدراسات الكثيرة الهادفة الى حلها ، الوصول الى شكل ذهبي متفق عليه من قبل الجميع. فالاختبارات جميعها ، التقليدية منها والحديثة ، لها مزاياها ولها عيوبها .. فهي عرضة للنقد من جهة ، وللاستحسان من جهة اخرى . وسنحاول في دراستنا المقتضبة هذه التعرض لانواع تلك الامتحانات ومزايا وعيوب كل منها والموقف الراهن منها مع القاء بعض الضوء على وضعها في المدارس العربية .

يمكن حصر انواع طرق الامتحانات بما يأتي : ـ

١ ـ الاختبارات الشفوية .
٢ ـ الاختبارات التقليدية او اختبارات المقال.
٣ ـ الاختبارات الموضوعية .

اولا ـ الاختبارات الشفوية :

تعتبر الاختبارات الشفوية من اقدم الاختبارات ومن اكثرها شيوعا وهي ضرورية لقياس مدى تحقيق بعض الاهداف التربوية ، كسلامة النطق، ومهارة القراءة ، والقدرة على التعبير والخطابة . وهي تقتصر على توجيه سؤال او اكثر لكل تلميذ في الفصل . وهي اكثر نجاحا في الفصل الذي يضم عددا قليلا من التلاميذ .. وكذلك فيما اذا كانت يومية . اذ انها تتيح الفرصة لتقييم التلاميذ تقييما مستمرا سليما .

مزايا الاختبارات الشفوية :

١ ـ تتيح الفرصة للمدرس ليقوم بعملية التعليم اثناء الامتحان عن طريق تصحيحه للاخطاء بعد ظهورها مباشرة .

٢ ـ ان انتقال المدرس بسؤاله من الطالب الذي اخطأ الاجابة الى الطالب المجاور له من شأنه أن يحفز الطالب الى عدم نسيان الاجابة في المستقبل.

٣ ـ من شان الاختبار الشفوي أن يجعل



الطالب يقظا منتبها الى السؤال ، حريصا على سماع أجوبة الآخرين عليه ، عاملا على تنظيم جمع شتات اجوبته لكي يتمكن من التفوق على اقرانه .

عيوب الاختبارات الشفوية :

١ ـ ان الاختبار الشفوى يتطلب وقتا طويلا خصوصا اذا كان عدد التلاميذ كبيرا .

٢ ـ ان المدرس يحكم على اجابة التلميذ مباشرة وهذا من شأنه الا يتيح له الفرصة لتقييمها تقييما دقيقا .

٣ ـ ان هذا النوع من الامتحانات قد يضلل المدرس اذ أنه لا يمنحه الفرصة لمعرفة عمق فهم الطالب لجميع أجزاء المادة الدراسية وذلك لاقتصاره على عدد قليل من الأسئلة تدور حول أجزاء قليلة من المادة .

٤ ـ ان الأسئلة التى تحتاج الى تفكير عميق والى اجابة مطولة معقدة لا يمكن تحقيقها فى هذا النوع من الامتحانات .

هذا بالاضافة الى العيوب التى تشترك بها مع اختبارات المقال التى سيأتى الكلام عنها .

ثانيا : الاختبارات التقليدية أو اختبارات المقال :

ان الاختبارات التقليدية من أكثر الاختبارات شيوعا في مدارس العالم منذ زمن بعيد وحتى يومنا هذا . فهى صاحبة المقام الرفيع فى تقييم نجاح التلميذ وتقدير كفاية التعليم ، على الرغم من الانتقادات الشديدة التى وجهت ولا تزال توجه اليها . وهى ضرورية لقياس مدى تحقيق بعض الاهداف التربوية كقدرة الفرد على الانشاء والتعبير والتنظيم .

مزايا الاختبارات التقليدية :

١ ـ تظهر مدى قدرة التلميذ على تنظيم افكاره المتصلة بموضوع معين .. والتعبير عنها .

٢ ـ تتيح للتلميذ التعبير عن آرائه وافكاره الخاصة .. وتفريغ انفعالاته والتعبير عن عواطفه.

٣ ـ تقلل من فرص التخمين عند الاجابة .

٤ ـ تظهر مدى قدرة التلميذ على التمييز بين النقط الهامة وغير الهامة في الموضوع .

٥ ـ من السهل صياغتها واعدادها من قبل الممتحن .

عيوب الاختبارات التقليدية :

١ ـ تتأثر تأثرا كبيرا بذاتية المصحح فلا تتوقف درجة الطالب على ما كتبه بقدر ما تتوقف على التقدير الشخصي للمصحح ، وعلى وضعه النفسي في وقت التصحيح .

٢ ـ تضع الامتحانات التقليدية الطالب في حيرة وشك من عمق الاجابة والتفاصيل التى يبتغيها واضع الامتحان .

٣ ـ لا تشمل أسئلة الاختبارات التقليدية أجزاء المادة كلها وانما تقتصر على مواضيع معينة منها لانها تحتوى على عدد قليل من الأسئلة مما يتيح للصدفة أن تلعب دورا كبيرا في الاجابة . فقد يتفق أن يكون احد الطلاب قد استعد للموضوعات التي تدور حولها الأسئلة بينما لم يستعد للأجزاء الاخرى من المادة فيتفوق على اقرانه في حين يصدف ان طالبا آخر قد استعد لجميع المواضيع ما عدا التي تدور حولها الأسئلة فيتعرض الى الاخفاق في الاجابة .

٤ ـ الحكم على درجة صعوبتها وسهولتها يتوقف على التقدير الشخصي لواضعها .

٥ ـ صعوبة الاعتماد على نتائج هذه الاختبارات في المقارنة بين فصل وآخر ومجتمع وآخر .

٦ ـ تسمح بالخروج عن موضوع السؤال الى استطرادات غير ضرورية او ثانوية .

٧ ـ يلعب أسلوب الطالب دورا كبيرا في رفع درجته او خفضها فقد يحصل أن يكون احد الطلاب يجيد الكتابة الانسيابية فيطغى أسلوبه على مشاعر المدرس ويأخذ بلبابه ، فلا يلتفت الى مدى عمق افكار الاجابة فيمنح التلميذ درجة محترمة على الرغم من ضآلة افكاره . وقد يحصل العكس مع طالب آخر .

٨ ـ صعوبة التصحيح اذ أنه يتطلب وقتا طويلا ، وجهدا كبيرا .

البحث عن مقياس جديد :

ونظرا لتلك العيوب الكثيرة التى تتصف بها الاختبارات التقليدية برزت الحاجة الى البحث عن مقياس اكثر كفاءة ودقة وثباتا في النتائج .. بعد ان برهنت الكثير من الدراسات ، التى اجريت على الامتحانات التقليدية على وجود اختلافات عظيمة بين المصححين في تقديراتهم لدرجات الاوراق الامتحانية. ونود هنا أن نذكر بعض تلك الدراسات ليلمس القارىء بنفسه مدى تأثر النتائج بشخصية مصحح المقال :

١ ـ أرسل الأستاذان « ستارش ، اليوت » مجموعة من أوراق الامتحانات النهائية لمرحلة التعليم الثانوى ، في موضوع اللغة الانكليزية الى (١٤٢) أستاذا من المختصين في المادة نفسها . وطلب من كل واحد منهم أن يصحح الاوراق جميعها فتراوحت درجات المصححين بصورة عامة بين (٥٠ ـ ٩٨) ووجد ان احد المصححين أعطى لدفتر من الدفاتر درجة (٦٤) بينما قدر له فاحص آخر درجة (٩٨) .

٢ ـ كذلك أرسل الأستاذان المذكوران في المثل الأول . دفترا من دفاتر الامتحان النهائى في مادة الهندسة الى (١٨) مدرسا من مدرسي الهندسة فتراوحت درجات المصححين بين (٤٢ ـ ٩٠)

٣ ـ كذلك أرسلا دفترا من دفاتر الامتحان النهائي في التاريخ الى (٧٠) مدرسا مختصا فتراوحت درجات المصححين بين (٤٢ ـ ٩٠) درجة .

٤ ـ تقرر أن يقوم ستة أساتذة اكفاء في احدى الجامعات الامريكية بتصحيح دفاتر امتحان اقيم للتاريخ وقد جرى الاتفاق على ان تمر الورقة التى ترسب عند احد المصححين على افراد المجموعة الآخرين لابداء رأيهم فيها . وكان احد الأساتذة قد عمل نموذجا للاجابة يستعين به في التصحيح وقد صادف ان خلط هذا النموذج مع الاوراق الراسبة ، وعند مرورها على بقية المصححين تعرض الأستاذ الى الرسوب من بعض زملائه .

فقامت مجموعات من رجال التربية وعلم النفس في امريكا واوربا بدراسات واسعة بهدف الوصول الى اشكال جديدة من الاختبارات تمدنا بمقاييس عادلة سليمة، يمكن الاطمئنان اليها .. فتمخضت بعض تلك الدراسات عن « الاختبارات الموضوعية»

ثالثا ـ الاختبارات الموضوعية :

لقد وصلت الاختبارات الموضوعية الى درجة لا يستهان بها من الدقة والاتقان والعدالة ، بعد سنوات عديدة من تطبيقها في قياس تحصيل التلاميذ في مختلف الموضوعات وفي مختلف الاعمار والصنوف .

والواقع أن الاختبارات الحديثة استطاعت ان

تلافى الكثير مما يؤخذ على الامتحانات التقليدية من مساوىء وعيوب .

ولكي يطمأن الى نتائج الاختبار الموضوعي ، يجب أن تتوفر فيه ستة شروط مهمة ، هي : ـ

١ ـ الصحة Validity : اي ان يكون الاختبار قادرا على قياس ما وضع لقياسه .

٢ الثبات Reliability : اى أن تكون نتائج الاختبار واحدة عند تكرار استعماله على نفس المجموعة في نفس الظروف ، وكذلك تكون نتائج تكرار تصحيحه .

٣ ـ الموضوعية Objectivity : يعتبر الاختبار موضوعيا متى كانت نتائج تصحيحه واحدة مهما اختلف المصححون .

٤ ـ سهولة التطبيق : أن يتصف الاختبار بالسهولة في اعطائه وجمعه وتصحيحه .

٥ ـ الشمول : أن يكون الاختبار ممثلا لجميع أجزاء المادة ، مع مراعاة التوازن بين اهمية هذه الأجزاء .

٦ ـ التميز : أن يكون الاختبار صالحا لقياس الفروق الدقيقة بين الافراد .

انواع أسئلة الاختبارات الموضوعية

١ ـ أسئلة الصواب والخطأ :

وهى الاسئلة التى يطلب فيها من الطالب الحكم على صحة العبارة او خطئها بوضع علامة او كلمة صح امام العبارة الصحيحة وخطأ امام الاجابة المغلوطة . ويتميز هذا النوع بسهولة الصياغة والتصحيح ، وقصر الوقت اللازم للاجابة عنها الا ان عيبها يكمن في كونها تعطى فرصة كبيرة للتخمين غير أن هذا العيب يمكن التغلب عليه بطرح درجة الاجابات الخاطئة من درجة الاجابات الصحيحة والناتج يكون الدرجة الحقيقية ويجب هنا تنبيه الطلاب الى ذلك الاجراء لكى لا يلجأوا الى التخمين لانهم سوف يحاسبون .

٢ ـ أسئلة الاختيار من اجابات متعددة:

تعطى للسؤال الواحد ما لايقل عن أربع اجابات ، ويطلب الى الطالب تشخيص الاجابة الصحيحة ولهذا النوع من الاسئلة صورتان : صورة تضم اجابة صحيحة واحدة يطلب الى الطالب تعيينها ، وصورة تضم اكثر من اجابة صحيحة واحدة ويطلب الى الطالب تشخيص تلك الاجابات الصحيحة ووضع ارقامها امام السؤال .

٣ ـ اختيار احسن اجابة :

يختلف هذا النوع من الاسئلة عن اسئلة الاختيار من متعدد في أن جميع اجاباته الاربعة صحيحة ، لكن واحدة منها اكثر صدقا من غيرها فيطلب الى الطالب تشخيص تلك الاجابة الاكثر صوابا ووضع رقمها امام العبارة التى تناسبها .

٤ ـ اسئلة التكميل :

وهى عبارة عن جمل أو عبارات حذفت بعض كلماتها فيطلب الى الطالب تكملتها بالكلمات او الجمل المحذوفة . والتكملة على انواع فقد يكون المطلوب تكملة صورة او شكل او خريطة . ولهذا النوع من الاسئلة عيب خطير اذ انه من المستحيل في بعض اسئلته أن تتفق اجابات جميع الطلاب مع الاجابة المطلوبة التى حددها واضع الاسئلة لان لمعظم الكلمات أو الجمل مرادفات قريبة منها ، ولكن يمكن التغلب على هذا العيب الى حد ما بالتزام الدقة عند وضعها .

٥ ـ اسئلة المطابقة والتوفيق :

يتألف هذا النوع من الاسئلة من مجموعتين : الاولى للاسئلة ، والثانية تضم الاجوبة مرتبة بصورة عشوائية ويطلب الى التلميذ وضع رقم الجواب المناسب امام السؤال المطابق له .ويفضل ان تضم احدى المجموعتين عبارات اكثر مما تضمه المجموعة الاخرى لكى تقل فرص التخمين .

٦ ـ أسئلة المطابقة والتوفيق :

مثل ما هى العناصر التى يتكون منها الهواء ؟ .

٧ ـ أسئلة الاستدعاء :

تثبيت عدد من التواريخ المهمة ويطلب الى التلميذ ان يربط بكل منها حادثة مهمة ، مثل :ـ
أ ـ ١٩٥٨ م ، ب ـ ١٩١٤ م ، هـ ـ ١٩١٧ م
د ـ ١٩٤٨ م .

٨ ـ اختبار المقابلة :

وذلك بان يذكر للتلميذ جزء له علاقة بكل ويطلب منه ان يذكر ما يقابله بالنسبة لغيره من الأمثلة التى بعده ، مثل : ـ
البصرة بالنسبة للعراق مثل :
أ ـ القاهرة بالنسبة لمصر .

ب ـ دمشق بالنسبة لسوريا .
جـ ـ بورسودان بالنسبة للسودان .
د ـ صنعاء بالنسبة لليمن .

٩ ـ أسئلة الرسوم والخرائط :

كان تعطى الى الطالب خريطة لبلد من البلدان خالية من تاشير مواقع المدن ويطلب اليه تثبيت مواقعها على الخارطة .. أو يطلب اليه التعرف على أجزاء أخرى منها .

١٠ ـ اختبار الحذف :

وذلك بان يطلب الى التلميذ حذف الحقيقة التى لا علاقة لها بالحقائق الاخرى وفقا لمبدأ خاص ، مثل :

موز ، تفاح ، برتقال ، باذنجان ، عنب .

وهناك أنواع أخرى من الاختبارات الموضوعية مثل : أسئلة اعادة الترتيب والأسئلة الحرة وأسئلة التميز . والواقع أن هذا ليس آخر ما يمكن الوصول اليه من الاختبارات الموضوعية اذ بالامكان ابتكار أنواع جديدة . كما أن المدرس يستطيع أن يستخدم أكثر من نوع واحد في الامتحان الواحد .

وعند وضع الاختبارات الموضوعية يجب مراعاة خمسة مبادىء عامة هي : ـ

(١) تحديد الهدف من الاختبار (٢) انتقاء عناصر الاختبار من المادة (٣) وضع عناصر المنهج في شكل اختبار (٤) ترتيب الأسئلة (٥) اعداد نموذج للاجابة .

مزايا الاختبارات الموضوعية :

١ ـ انها موضوعية Objective لا تتأثر بالعوامل الشخصية عند التصحيح مما يجعل نتائج تصحيح الامتحان واحدة مهما اختلف المصححون .

٢ ـ تمتاز بكثرة أسئلتها بحيث تغطى أجزاء كبيرة من المادة المعطاة للطلبة مما يزيد من عدالتها ودقتها .

٣ ـ لا تفسح المجال لتاثير المصحح بالعوامل الثانوية كحسن الخط أو القدرة على التعبير والترتيب .

عيوبها :

١ ـ فيها مجال لتخمين بعض الاجابات ، والاستدلال على خطأ الاجابة أو صحتها من الألفاظ الواردة في السؤال أو من طريقة صياغتها .

٢ ـ لا تسمح بقياس المادة المعقدة أو التى تحتاج الى تفكير عميق .

٣ ـ تحتاج الى وقت طويل وجهد كبير عند صياغتها .

الموقف الراهن :

نؤكد مرة أخرى بان الامتحانات وأشكالها كانت ولا تزال مشكلةقائمة،مجال أخذ ورد بين مختلف المربين في مختلف البلدان . على أن عددا كبيرا من المؤسسات الأوروبية والامريكية تأخذ بالامتحانات الموضوعية . وتعتبرها أفضل أنواع الاختبارات المستعجلة. ولكن هذا ليس معناه الغاء الامتحانات التقليدية الغاء تاما اذ أن لها أهميتها في تقييم بعض صنوف المهارة التعليمية كما ليس معناه أن الاختبارات الموضوعية خالية من العيوب تماما ، وانما تتصف بقدر كبير من الدقة والعدالة ، وأقل قدر من العيوب .

الوضع في المؤسسات التربوية العربية

على الرغم من ان اغلب المؤسسات التربوية في البلدان المتقدمة تأخذ بالأساليب الامتحانية الحديثة جاعلة منها وسيلة لغاية ، لا تزال المؤسسات التربوية العربية تتمسك تمسكا أعمى بالامتحانات التقليدية متخذة منها غاية لا وسيلة : « .. واذن فالصبى منذ يدخل المدرسة مُوجّه الى الامتحان أكثر مما هو موجّه الى العلم . مُهيّأ للامتحان أكثر مما هو مُهيّأ للحياة » .

ويقول المربى السورى فاخر عاقل بهذا الصدد: « من عيوب مدارسنا الثانوية أنها مدارس يسيطر عليها الامتحان سيطرة تامة ، فيمسخ سنتها المدرسية ، ويشوه غايتها الحقيقية ويقتل روح الابتكار والاقدام في طلابها .. فلا بد لنا من أعمال النظر في الامتحانات ـ ولا سيما العامة منها ـ وتخفيضها والاقلال منها » . ويقول المربى العراقى محمد جواد رضا بنفس الصدد : « تكاد مشكلة الامتحانات ان ترتفع الى مستوى الأزمة في النظام التربوى العراقى المجرد من المرونة والتنوع وحرية الاختيار .. واذا كانت التربية الغربية تقول بمسؤولية النظام التعليمى عن اختيار المدرسة للتلميذ لا التلميذ للمدرسة فاننا قد ذهبنا وراء الحد المقبول في المحافظة التربوية فاصبحنا نختار التلميذ للامتحان » . ■■

العراق ـ كريم مناحى الصريفى
بكالوريوس في التربية وعلم النفس

بقلم : عبد الستار فراج

■ لا يستطيع احد أن يعين الزمن الذى وجدت فيه الأبجدية العربية مجتمعة في «ابجد ، هوز ..» والذى لا شك فيه أنها كانت في الجاهلية ، وكان من العرب من يكتب .

وللرواة في منشا أبجد هوز .. اقوال متضاربة واكثرها اوهام .

وهذه الأبجدية العربية تتفق مع ابجدية الشعوب السامية في « ابجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت » ، وعددها ٢٢ حرفا ، غير أن الحروف العربية تزيد ستة احرف ، اذ فيها الثاء والخاء ، والذال ، والضاد ، والظاء ، والغين . فاضيفت للابجدية العربية ثخذ ، ضظغ .

وعلى هذا الترتيب بنى الحساب المعروف بحساب الجمل الذى عليه تبنى التواريخ الشعرية .

حساب الجُمّل

ونظامه هكذا على التوالى : « ابجد هوز حطى » ، فالالف = ١ ، والباء = ٢ ، والجيم = ٣ ، والدال = ٤ ، وتنتهى الى الياء وتساوى ١٠ .

ثم تتوالى العشرات هكذا على التوالى : « كلمن سعفص » . الكاف = ٢٠ ، واللام= ٣٠ ، والميم = ٤٠ ، وهكذا الى أن تجيء الصاد وتساوى ٩٠ .

ثم تبدأ المئات « قرشت ثخذ ضظغ » فالقاف = ١٠٠ ، والراء = ٢٠٠ ، والشين = ٣٠٠ ، وهكذا على التوالى الى الغين وحسابها ١٠٠٠ .

لكن المغاربة يختلفون في ترتيب بعض الأبجدية ، ويختلف تبعا لذلك حساب الجُمّل عندهم .وهذا هو ترتيبهم « أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش » ، فهم متفقون في مواضع ٢٢ حرفا وحسابها ومختلفون في ستة هى الصاد والضاد والسين والشين والظاء والغين .

أ ، ب ، ت ، ث ...

وفي القرن الأول من الهجرة جاء نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هجرية فرتب الحروف العربية على الطريقة التى نسير عليها الآن . وهى أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، الى آخرها ، مراعيا أن تكون الحروف المتشابهة الرسم متجاورة .

أما الخليل بن احمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ . فهو عند وضعه منهج معجمه « كتاب العين » رتب الحروف على مخارجها ، ولكنه أخر الهمزة ، لأنها تسهّل فتصير كالالف ، وكان ترتيبه هكذا : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ى .وعلى هذا الترتيب والمنهج سار الأزهرى المتوفي سنة ٣٧٠ هـ وهو صاحب كتاب « التهذيب » في اللغة ، كما سار على بن سيده المتوفي سنة ٤٥٨ في كتابه « المحكم » في اللغة .

وعلى طريقة ابجد هوز نجد أن الحروف ٢٨ ، وعلى طريقتنا الآن نجد الحروف ٢٩ والسبب في ذلك انه في « ابجد هوز » جعلنا الألف المهموزة تقوم مقام الهمزة والألف الممدودة معا ، اما في « أ ب ت ث الخ » فاعتبرنا أن « ا » هى حرف يرمز للهمزة وحدها ، وهى تفتح وتضم وتكسر بالشكلة تأتى فوقها ، واذن وجب أن يكون لدينا حرف آخر يرمز للالف الممدودة ، فلما جعلنا « ا » اشتبهت برمز الهمزة ، وهى عدا هذا لا يمكن النطق بها الا مع حرف ساكن كالجيم أو الباء أو اللام ، فاخترنا اللام ، وجعلنا « لا » هى رمز للالف الممدودة (أو ان شئت فالفتحة الممدودة) ، ووضعناها بين الواو والياء فى آخر الحروف ، وذلك لأن الواو تقوم مقام الضمة الممدودة ،والياء تقوم مقام الكسرة الممدودة . ■■

عبد الستار فراج

مسابقة العربي

امتحن ذكاءك ومعلوماتك ..

١٠ أسئلة .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ يكفي أن تجيب على ثمانية من الأسئلة العشرة التالية، اجابة صحيحة، لكي تفوز بجائزة.

١ ـ اكبر الحيوانات وزنا ، هو :
١ ـ الفيل (٢) الغورلا (٣) الحوت (٤) وحيد القرن .

٢ ـ اللغة التي تكلم بها السيد المسيح ، كانت :
١ ـ العبرية (٢) الارامية (٣) الكنعانية (٤) السريانية .

٣ ـ اذكر: ست دول لها حدود مشتركة مع فرنسا ..

٤ ـ رائد الفضاء الذي سيهبط على سطح القمر قد يلبس حذاء نعله مصنوع من :
١ ـ الخشب (٢) الجلد (٣) الرصاص
فاي هذه المواد انسب لحذاء ذلك الرائد واصلح لمشيه على سطح القمر ..

٥ ـ تتصل الرئتان اتصالا مباشرا :
١ ـ بالقلب (٢) بالكبد (٣) بالمعدة

٦ ـ زجاجة ملأناها بالماء ووضعناها في الثلاجة فانفجرت ، فلماذا كان ذلك ؟

٧ ـ ما اسم النهر الذي يحظى بتقديس اهله اكثر مما يحظى به اي نهر آخر من أنهار العالم .. !

٨ ـ من هو الخطيب اليوناني القديم الذي بدأ الخطابة فاشلا ثم نجح فيها واصبح من مشاهيرها والذي يقال ان سبب نجاحه انه كان يضع في فمه حصوة ويتمرن على الخطابة وهو على هذه الحال .

٩ ـ التنفس بواسطة الانف خير من التنفس بواسطة الفم ..
١ ـ لان التنفس بواسطة الفم ضار باللوزتين والاسنان (٢) لان التنفس بواسطة الانف يضمن تدفئة الهواء وتنقيته قبل وصوله الى الرئتين .

١٠ ـ اذا قطعت نملة ٩١٤ سنتيمترا في ٥ ثوان فكم من الياردات تقطع في الساعة .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي .
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١٢٦ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر يونيه (حزيران) ١٩٦٩ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .





الغجر في المراجع العربية

بقلم: الدكتور مصطفى جواد
كلية التربية ـ جامعة بغداد

● اذا كنا في سبيل ان نامل صدور موسوعة علمية عربية كما بشر به العلامة رئيس تحرير « العربى » لم نجد بدا في الاحيان من اتمام بحوث تحقيقية على النحو الاكاديمى الموسوعى فقد قرات جوابا حسنا لمجيب فاضل عن حقيقة الغجر في العدد ١١٥ من « العربى » ، ولكنه غير كاف ، فوددت اتمام البحث بالرجوع الى المراجع العربية ايضا فانها اوعى واوعب لتاريخ الغجر فاقول :

اسم الزُط

ان اقدم تسمية عربية للغجر هى « الزُط » بضم الزاى وتشديد الطاء ، قال الفيروز ابادى في القاموس : « الزط بالضم : جيل من الهند معرب جَتّ بالفتح،والقياس يقتضي فتح معرّبه ايضا، الواحد زُطى » . وهذا الجيل اى الشعب قد عايش العالم العربى القريب منه مرة ثائرا ومرة متجندا وثالثة متعيشا .

الزُط ايام الحجاج

وكانت اول نقلة للزط الى العراق في ايام الحجاج بن يوسف الثقفى في الربع الاخير من القرن الاول للهجرة اى اوائل القرن السابع للميلاد ، قال البلاذرى : « حدثنى روح بن عبد المؤمن ، قال حدثنى يعقوب بن الحضرمى عن سلام قال : اتى الحجاج بخلق من زط الهند ، واصناف ممن بها من الامم ، معهم اهلوهم واولادهم وجواميسهم فاسكنهم باسافل كسكر (١) ، قال روح : فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها ، ثم انه ضوى اليهم قوم من أُبّاق العبيد وموالى باهلة وخولةِ محمد بن سليمان بن على (العباسى) وغيرهم فشجعوهم

(١) كسكر على وزن عسكر اسم لمنطقة العراق الاوسط بين دجلة والفرات وهي اقرب الى الجنوب ، وهي اليوم بين لواء الكوت ولواء الناصرية اى لواء المنتفق ،وقد نسي الاسم قديما.

على قطع الطريق ومبارزة السلطان (١) بالمعصية ، وانما كانت غايتهم قبل ذلك ان يسالوا الشيء الطفيف او يصيبوا غرة من أهل السفينة فيتناولوا منها ما امكنهم اختلاسه . وكان الناس في بعض أيام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم ، وانقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل اليها من البصرة في السفن . فلما استخلف المعتصم بالله (٢١٨ هـ = ٨٣٣م) تجرّد لهم وولّى محاربتهم رجلا من اهل خراسان يقال له عجيف بن عنبسة وضم اليه من القواد والجند خلقا ، ولم يمنعه شيئا طلبه (٢) ، فرتّب بين البطائح ومدينة السلام خيلا مضمّرة ملهوبة (٣) الاذناب ، وكانت اخبار الزط تاتيه بمدينة السلام من النهار او اول الليل وامر عجيفا فسكّر عنهم الماء (٤) بالمؤن العظام حتى اخذوا فلم يشذ منهم أحد ، وقدم بهم الى مدينة السلام في الزواريق فجعل بعضهم بخانقين (٥) وفرق سائرهم في عين زربة (٦) والثغور (٧) » .

وقال ياقوت في الكلام على هذه المدينة : « قال الواقدي : ولما كانت سنة (١٨٠) امر الرشيد ببناء مدينة عين زربا وتحصينها وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم واقطعهم بها المنازل ثم لما كانت أيام المعتصم نقل اليها والى نواحيها قوما من الزط الذين كانوا قد غلبوا البطائح بين واسط والبصرة فانتفع اهل الثغر بهم » .

وسيأتي من الاخبار ما يوضح أن الروم اى الرومان قد سبَوهم من هناك .

الزط عند الخوارزمي

وقال أبو عبد الله الخوارزمي في الكلام على طبقات الناس بالهند : « الاشراف هم البراهمة وهم العباد ، واحدهم برهمي . السّودية هم اصحاب الزراعة . والبيشية هم الصناع ، السنداليّة هم اصحاب اللحون . الزط هم حفاظ الطرق وهم جنس من السند يقال لهم جتان (٧) » . والظاهر لنا انهم قبائل .

الزط عند المسعودي

وقال أبو الحسن المسعودي ـ وهو يعد فتوح المعتصم ـ : « ثم اجلاؤه الزط عن البطائح وما كانوا غلبوا عليه مما دون البصرة ومما بين البصرة وواسط وقطعهم السبيل وسفكهم الدماء ، وكانوا خلقا عظيما كثيرا ناقلة عن ناحية الهند لغلاء وقع هناك فتنقلوا في بلاد كرمان وفارس وكور الاهواز الى ان صاروا الى هذه المواضع فسكنوها وغلبوا عليهم وعظم امرهم واشتد باسهم ، فانزلهم بلاد خانقين وجلولاء من طريق خراسان (٩) وبلاد عين زربة من الثغر الشامي ، ومذ يومئذ صارت الجواميس بالشام ولم تكن تعرف هنالك . وقيل ان بدء الجواميس بالثغر الشامي وسواحل الشام من جواميس كانت لآل المهلب ببلاد البصرة والبطائح والطفوف فلما قتل يزيد بن المهلب نقل يزيد بن عبد الملك بن مروان كثيرا منها الى هذه النواحي (١٠) » .

وهذا القول الاخير أقرب الى الصحة من الاول .

الزط عند الطبري

وذكر ابو جعفر الطبري في حوادث سنة ٢٠٥هـ = ٨٢٠م « وولى المأمون العباسي عيسى بن يزيد الجلودي حرب الزط » (١١) ، ثم قال في حوادث سنة ٢١٩هـ = ٨٣٤م : « وفي هذه السنة وجه المعتصم عجيف بن عنبسة في جمادى الاخرة منها لحرب الزط الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة فقطعوا فيه الطريق واحتملوا الغلات من البيادر

---

(١) السلطان بمعنى الخليفة ، في هذا العصر . (٢) يعني من العدد الحربية .

(٣) كذا ورد وهو مصحف ، مهلوبة الاذناب أي مستأصل شعر أذنابها بالجز .

(٤) لانهم كانوا يعتصمون بالمستنقعات الطويلة العريضة الناشئة من ملتقى دجلة والفرات ، المسماة « البطائح » .

(٥) لا تزال من مدن العراق العامرة قرب حدود ايران .

(٦) سماها ياقوت « عين زربا » وقال : بلد بالثغر من نواحي المصيصة .

(٧) فتوح البلدان « ٢٦٧ طبعة المطبعة المصرية بالازهر » .

(٨) مفاتيح العلوم « ص ٧٤ » طبعة مطبعة الشرق بالقاهرة .

(٩) يعرف اليوم بلواء ديالى في العراق الحديث. (١٠) التنبيه والاشراف « ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ » طبعة دار الصاوي بالقاهرة .

(١١) تاريخ الامم والملوك « ١٠ : ٢٥٧ » طبعة المطبعة الحسينية المصرية .

بكسكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل ، ورتب الخيل في كل سكة من سكك البَرْد تركض بالاخبار ، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل الى المعتصم من يوم ... ومضى عجيف في خمسة آلاف الى بَرْدُودا (١) فاقام عليه حتى سده ، وسد أنهارا أخر كانوا يدخلون منها ويخرجون فحصرهم من كل وجه وكان من الانهار التي سدها عجيف نهر يقال له العروس ، فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم وأسر منهم خمسمائة رجل وقتل منهم في المعركة ثلاثمائة رجل ، فضرب أعناق الاسرى وبعث برؤوس جميعهم الى باب المعتصم ، ثم اقام عجيف بازاء الزط خمسة عشر يوما فظفر منهم بخلق كثير . وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان ، وكان صاحب أمره والقائم بالحرب (سماق) . ومكث عجيف يقاتلهم - فيما قيل - تسعة أشهر » (٢) وواصل الطبري حديثه قائلا : « ثم دخلت سنة عشرين ومائتين . ذكر ما فيها من الاحداث : فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط الى بغداد وقهره اياهم حتى طلبوا منه الامان فامنهم ، فخرجوا اليه في ذي الحجة سنة ٢١٩ على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم وكانت عدتهم فيما ذكر سبعة وعشرين الفا ، المقاتلة منهم اثنى عشر الفا ، وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين الف انسان بين رجل وامرأة وصبي ، ثم جعلهم في السفن واقبل بهم حتى نزل الزعفرانية (٣) فاعطى اصحابه دينارين دينارين ، جائزة ، واقام بها يوما وعباهم في زواريقهم على هيئتهم في الحرب ، معهم البوقات ، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة (٢٢٠) والمعتصم بالشماسية (٣) في سفينة يقال لها (الزو) (٤) حتى مر به الزط على تعبئتهم ينفخون بالبوقات فكان اولهم بالقفص (٥) وآخرهم بحذاء الشماسية واقاموا في سفنهم ثلاثة ايام ثم عبر بهم الى الجانب الشرقي فدفعوا الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين زربة فاغارت عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم احد (٦) .

والذي نراه أنهم سبوا عامتهم وبقيت منهم بقية في تلك النواحي . يدل على ذلك ظهور اسمهم في التاريخ تارات مع جند عضد الدولة سنة (٣٦١) ومع غيره سنة (٣٩١) هـ وقال المستشرق المعاصر لنا « شارل بلات Ch. Pellat » : « للمستشرق دي خوى - يعني M.J. de Goeje - بحث طريف حاول فيه ان يتتبع هجرات (الفجر) في آسيا مظهرا لقرائه اهمية (الزط) في منطقة البصرة الذين يعدون أسلافا للفجر المنتشرين حاليا في أنحاء العالم » . ويقول دي خوى بعد ايراد الخبر : « تلك هي العصابة الاولى من (الفجر) التي دخلت المملكة البيزنطية (٧) » . ونحن نرى أن منهم من بقي على الاسم القديم « الزط » ومنهم من تغيرت اسماؤهم . وقد علمنا من بعض كتب الادب ان من اولئك الزط الذين سفكوا الدماء ونهبوا الفلات ونشروا الرعب في البلاد من كان الصلب عقابا لهم . قال دعبل بن علي الخزاعي يصفهم :

لم أرَ صفًّا مثل صفّ الزُّطِّ
تسعين منهم صُلِبُوا في خطِّ
من كلّ عالٍ جذعه بالشَّطِّ
كأنه في جذعه المشتطِّ
أخو نُعاسٍ جَدَّ في التمطِّي
قد خامر النوم ولم يَغِطِّ (٩)

---

(١) ذكر الطبري نفسه أنه نهر يحمل ماءه من دجلة .

(٢) تاريخ الامم والملوك المذكور « ١٠ : ٣٠٦ »

(٣) من المواضع التي لا تزال تعرف باسمها القديم وذلك نادر في مواضع العراق ، وهي ارض بين بغداد ونهر ديالي على دجلة فيها مغارس لمديرية الزراعة ومزارع .

(٤) تعرف اليوم بالصليخ في شمال الاعظمية المتصلة ببغداد من الشمال .

(٥) ضرب من السفن الصينية .

(٦) قرية كانت مشهورة ببساتينها وخمرها ومتنزهاتها تقرب ما يعرف اليوم بالطارمية اي الدارمية .

(٧) التاريخ المذكور « ص ٣٠٦ » .

(٨) الجاحظ « ص ٧١ - ٧٤ من الترجمة العربية ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني » . ولم نطلع على مقالة دي خوى .

(٩) الكامل في الادب للمبرد « ٣ : ١٤ طبعة المطبعة الازهرية بالقاهرة » .

ونحن نذهب الى ما ذهب اليه المستشرق دي خوي : أن هذه هي الطالعة (١) الاولى الى البلاد الغربية من الفجر ، فان الطبرى صرح بان الروم اغاروا عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم احد . واما الطالعة الثانية فهي طالعة « القفس » منهم وبها سمى الانجليز هذه الناقلة الى البلاد الغربية Gypsy كما نرى نحن وغيرنا . ولا نرى صلة بين هذا الاسم و Egypt كما زعمت دائرة المعارف البريطانية ، فكان كاتب المادة في دائرة المعارف المذكور اراد ان يصم المصريين بوصمة تاريخية ، على عادتهم في اختلاق الوصمات ، على الشرقيين . وقد ذكر ياقوت « القفس » قال : القفس بالضم ثم السكون والسين المهملة ، واكثر ما يتلفظ به غير اهله بالصاد وهو اسم عجمي .. قال الليث : القفس جيل (٢) بكرمان .. قال الرهني : القفس جبل من جبال كرمان مما يلي البحر وسكانه من اليمانية (٣) ثم من الازد بن الغوث ... لم يكونوا في جزيرة العرب على دين العرب للاعتراف بالمعاد والاقرار بالبعث .... واني وجدت الرحمة في الانسان وان تفاوت اهلها فليس أحد منها يغار من شيء منها ، فكانها خارجة من الحدود التي يميز بها الانسان من جميع الحيوان كالعقل والنطق اللذين جعلا سببا للامر والزجر ، ولان الرحمة وان كانت من نتائج قلب ذي الرحمة ، وذلك في هذه الخلة التي كانها في الانسان صفة لازمة كالضحك ، فلم اجد في (القفس) منها قليلا ولا كثيرا ، فلو اخرجناهم بذلك عن حد من حدود الانسان لكان جائزا ، ولو جعلناهم من جنس ما يصاد ويرمى لا من جنس ما يغرى ويدعى ويؤمر وينهى ، اذا ما كان على ما بان لنا وظهر وانكشف وشهر : انه لم يصلح على سياسة سائس ولا دعوة داع ، وهداية هاد ، ولم يعلق بقلوبهم ما يعلق بقلوب من مختار للخير والشر والايمان والكفر .. واردنا بذكر هذه الامور التي بيناها من (القفس) لتدل على انهم لم يكن لهم قط في جاهلية ولا اسلام ديانة يعتمدونها ، وليعلم الناس انهم مع هذه الاحوال يعظمون من بين جميع الناس (علي بن ابي طالب) ـ رضي الله عنه ـ لا لعقد ديانة ولكن لامر غلب على فطرتهم من تعظيم قدره ، واستبشارهم عند وصفه (٤) » .

وقال ياقوت : « وقال البشاري : الجبال المذكورة بكرمان : جبال القفص (٥) والبلوص والقارن ومعدن الفضة ، وجبال القفص شمالي البحر .. ويقال انها سبعة أجبل وان بها نخلا كثيرا وخصبا ومزارع وانها منيعة جدا والغالب عليهم النحافة والسمرة وتمام الخلقة ، يزعمون انهم عرب وهم مفسدون في الارض ، وبين اقاليم الاعاجم مفازة وجبال ليس بها نهر يجري ولا رستاق ولا مدينة مشهورة ، يسكنها الدعّار ، صعبة المسالك .. فرايت من الطرق والمعارج ما احصيه .. واقربها طريق كرمان وكلها مخيفة من قوم يقال لهم (القفص) يسيرون اليها من جبال لهم بكرمان ، وهم قوم لا خلاق لهم ، وجوههم وخشة ، (٦) وقلوبهم قاسية ، وفيهم بأس وجلادة ، لا يبقون على أحد ، ولا يقنعون بأخذ المال حتى يقتلون صاحبه ، وكل من ظفروا به قتلوه بالاحجار كما تقتل الحيات : يمسكون رأس الرجل ويضعونه على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتفدغ . وسالتهم لم تفعلون ذلك ؟ فقالوا : حتى لا تفسد سيوفنا . فلا يفلت احد منهم الا نادرا ، ولهم مكامن وجبال يمتنعون بها ، وقتالهم بالنشاب ومعهم سيوف .. وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش ، واكثر زادهم شيء يتخذونه من النبق (٧) ويجعلونه مثل الجوز يتقوتون به ، ويدعون الاسلام وهم اشد على المسلمين من الروم والترك . ومن رسمهم انهم اذا اسروا رجلا حملوه على العدو معهم عشرين فرسخا (٨) حافي القدم جائع الكبد . وهم مع ذلك رجالة لا رغبة لهم في الدواب والركوب

---

(١) أي ما يسمى اليوم « الموجه » .

(٢) الجيل : الشعب والامة .

(٣) هذه النسبة مشكوك فيها .

(٤) معجم البلدان في « القفس » .

(٥) قال ياقوت في معجمه : « القفص » بالضم ثم السكون وآخره صاد مهملة : جبال القفص لغة في القفس المذكور قبل هذا » .

(٦) وخشة بالخاء ادل على المعنى من «وحشة» العامية الشائعة .

(٧) النبق على وزن الكتف ثمر السدر . (٨) زهاء ثمانين كيلومترا .

وربما ركبوا الجَمّازات (١) ، وحدثني رجل من اهل القرآن وقع في ايديهم قال : اخذوا مرة فيما اخذوا من المسلمين كتبا فطلبوا في الاسارى رجلا يقرأ لهم . فقلت : انا ، فحملوني الى رئيسهم ، فلما قرات الكتب قربني وجعل يسالني عن اشياء الى ان قال لي : ما تقول فيما نحن فيه من قطع الطريق وقتل النفس ؟ فقلت : من فعل ذلك استوجب من الله المقت والعذاب الاليم في الاخرة. فتنفس نفسا عاليا وانقلب الى الارض واصفر وجهه ثم اعتقني مع جماعة . وسمعت بعض التجار يقول انهم انما يستحلون اخذ ما ياخذونه بتاويل انها اموال غير مزكاة وانهم محتاجون اليها فاخذها واجب عليهم وحق لهم » .

وقال : « وكان البلوصي شرا منهم فتتبعهم عضد الدولة حتى افناهم ، وصمد (٢) لهؤلاء – يعني القفص – فقتل منهم كثيرا وشردهم ، ولا يزال ابدا عند المتملك على فارس (٣) رهائن منهم ، كلما ذهب قوم استعاد قوما (٤) » .

وقال ياقوت : « القفص .. جبال القفص : لغة في القفس .. وكان عضد الدولة قد غزا أهل القفص ونكى فيهم نكاية لم يَنْكِها احد فيهم وافنى اكثرهم » .

ويهمنا كثيرا في هذا الخبر قول صاحبه « وشردهم » فالهجرة في العادة تتلو التشريد . والعجيب في محاربة عضد الدولة لهم انه استعان بالزط الاصليين الذين حافظوا على اسمهم القديم، وذلك في سنة ٣٥٧ هـ = ٩٦٧م وسنة ٣٦١هـ = ٩٧١م وهذا التاريخ يوافق ما ذكره المجيب المحقق الفاضل « م.ن » من انهم ظهروا في ايران سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد . ذكر مسكويه في حوادث سنة ٢٥٧هـ ما يفيد ان واليا انتهازيا اسمه ابو علي ابن الياس استولى على كرمان مدة وشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين من جهتهم مال عظيم (٥) . ثم ذكر في حوادث سنة ٣٦١ انه جرد عليهم قائدا من قواده اسمه عابد بن علي في عسكر كثيف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراد (والزط) والرجال السيفية فقاتلهم وانجلت الوقعة عن قتل الرجال المقاتلين منهم ، الا القليل وعن الاحاطة بحُرَميهم وذراريهم واملاكهم واسكن عضد الدولة مكانهم الاكَرَة المزارعين والمستورين من اجناس الرعية حتى طبقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معرة اولئك المفسدين (٦) ، ونقل هذا الخبر من تجارب الامم لمسكويه عز الدين ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ وغيره .

ويهمنا من هذا الخبر ان عضد الدولة استعان عليهم بفريق من الزط القدماء الذين عايشوا الشعوب الاسلامية ، وانها لعادة قديمة عند المتملكين بالحروب ان يستعينوا على الشعب او الامة بابنائها ، بوسيلة من الوسائل كاختلاف العقيدة والمذهب او بذل الفضة والذهب ، فلفظ القفس او القفص يشبه اللفظ الانكليزي «Gypsy» الا اننا نجهل زمن انتقالهم الى اوربة اى زمن طالعتهم الثانية ، اليها . والفرنسيون يسمونهم Tziganes تارة وتارة Bohémiens ظنا منهم انهم جاؤوا من بوهيمية في اوروبا الوسطى وهي تيشيكوسلافاكية ، ويسمون غجر اسبانية Gitano او Gitane وقد قدمنا آنفا قول الخوارزمي في مفاتيح العلوم في الزط : انهم جنس من السند يقال لهم (جتان).

وقال الاب انستاس ماري الكرملي اللغوي المشهور : « ان اسماء القفص تختلف باختلاف البلاد بل تختلف في البلاد الواحدة بحسب مناطقها ، فالفرس يسمون القفصي مثلا قره جي وسسماني وزنكنه (الكاف فارسية)وكوباز او كاوباز (الكاف فارسية) الى غيرها وذلك باختلاف ولاياتها وموطنهم الاصلي هو كما قلنا ديار القفص التي كانت من اراضي الهند مدة طويلة .. وعندنا ان الغجر لفظة تركية الاصل من كوجر (بجيم مثلثة فارسية) ، ومعناها الرجل لانا سمعنا بعضهم يسمونهم الى اليوم كوجر وذلك في شمالي الموصل ومنهم من يسمونهم القرج (بجيم فارسية) قال

---

(١) جمع الجماز على وزن العطار اى الجمال السريعة السير .

(٢) اى قصد بتصميم • ومن أتبع ألفاظ عصرنا استعمال « صمد » بمعنى ثبت واستعمال الصمود مع انه الصمد اى القصد بتصميم لا الثبات .

(٣) يعني منطقة شيراز وما اليها حتى البحر .

(٤) معجم البلدان مادة « القفس » .

(٥) تجارب الامم « ٦ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ » .

(٦) تجارب الامم « ٦ : ٣٠٠ » .

فى سر الليالي - يعني احمد فارس الشدياق - : انه لم يجيء في الكلام غجر ولكن أهل مصر يقولون غجر للطائفة التى يقال لها في بر الشام (نَوَر) وفى تونس دفازه واصلهم فيما قيل من الهند (١) ».

وقال : « أما تسمية السلف اياهم ببني ساسان فقد ذكرنا ذلك مع سائر اسمائهم وآدابهم واخلاقهم فى المشرق البيروتية ٥ : ٨٦٥ وما يليها فوقعت فى ٤٦ صفحة من المجلة المذكورة . وقد ذكرنا سبب تسميتهم بالكاولية (في العراق) فوافقتنا عليها بعد ذلك علماء المشرقيات في ديار الغرب (٢) » . « قال : والمعقول انهم من كابل (٢) » وقد كان قال : « الدوشنة جمع الدوشن والدوش يقابل (الكاولي) عند العراقين والنورى عند الشاميين والنجرى عند المصريين المعاصرين ، وبكلمة اخرى هو ما يسميه الفرنسيون Bohémien (٣) ومن غريب امر الدوشنة في اليمن : المناداة بامر الامام وحث الناس على الجهاد وتولي الخطابة فى خارج الجوامع وهذه المهنة عند اليمانين (٤) من الشؤون الشائنة فى نظرهم .. وترى من هذا ان اسماء بنى ساسان وهم هؤلاء القوم عند الاقدمين من السلف تختلف باختلاف الازمان والامكنة فيعرفون اليوم فى العراق بالكاولية وفى سورية بالنور (دزان سبب) وعند المصريين بالفجر وعند الحلبيين بالقرباتية وعند الدمشقيين بالزط الى غيرها (٥) » . وفي بغداد يصفون الغلام الوقح بالزطي والفتاة الوقحة بالزطية وقد قل استعماله. وقد حال مرضي الوبيل دون اطلاعي على مقالة الاب انستاس التى ذكر انه نشرها فى مجلة المشرق البيروتية وهو تقصير مهما كان سببه ، كما ان خشيتي من مفاجاة الموت بعثتني على نشر هذه التحقيقات قبل ذهابها بذهابي ، فنشرها خير من عدمها، ويؤيد أن الكاولي اى الفجرى جائية تسميته من « الكابلي » نسبة الى كابل في بلاد الغور اى افغانستان ما ورد فى قصيدة شيخ بنى ساسان الصعاليك وقدوة « الشحاذين » وهو قوله :

ومنا الكابليون ... ومن يلعب بالخَمْرْ
ومن يمشي على الحبل ... ومن يصعد بالبكْرْ
ومنا الزنج والزطُّ ... سوى الكباجة السُّمْرْ (٦)

وقد اشتهر الكاولية بالعراق اى الفجر بالفناء والرقص . وذكر الجاحظ رجز راجز يصف طنين البعوض :

أبيت بين خُطَّتَي مشتدَّهْ
من البعوض ومن التغطِّي
اذا تغنين غناء الزُّطِّ (٧)

وذكر الثعالبي لابي الحسن ابن سكرة الهاشمي شعرا في وصف غلام زطي زامر (٨) ، ومن المعلوم انهم اشتهروا فى البلاد الغربية بالغناء والموسيقى. واختم هذا البحث بما ذكره بعض الفضلاء من ان القفس او القفص معرب كفج او كوفج الفارسيةوان الفجر يعرفون فى البلدان المهمة بايران اليوم باسم (غرشمار) و (غريب زاده) و (غربال بند) اى صناع الغرابيل (٩) . ■■

مصطفى جواد

---

(١) لغة العرب « مج ٨ : ١١٣ ، ١١٤ » . (٢) المرجع المذكور .
(٣) ذكرنا آنفا ان الاسم الاصلي الغالب عندالفرنسيين هو Tzigane
(٤) الفصيح « اليمانين » بياء واحدة لان الالف عوض عن احد الياءين كما قالوا «واحسيناه» فصارت الالف عوضا عن الياء . فاجتماع الياءين فى « اليمانيين » لغة الشاعر المضطر .
(٥) لغة العرب « مج ٦ ص ٥٧٤ » .
(٦) يتيمة الدهر « ٣ : ٣٢٧ » طبعة الصاوي بالقاهرة . والكباجة : واللصوص .
(٧) كتاب الحيوان « ٥ : ٤٠٦ ، ٤٠٧ » طبعة عبد السلام محمد هارون » .
(٨) اليتيمة « ٣ : ٨ الطبعة المذكورة » .
(٩) محمد مهدى العلوى فى لغة العرب « ٨ : ١١٢ » .

لِقاءٌ لَمْ يَكُن ..

وقضيتَ ألاّ نلتقي ياسيدي
وقنعتُ بعد اليأس ألاّ نلتقي .. !

عفوا إذا كان اللقاء ..ولم يكن
في عرفكم أو عرف أهل المنطق .. !

أنا يا حبيبي منكَ فيكَ ومن
عينيكَ يامولاي نبعٌ يستقي

أنا أنت .. إذ بعضي لكلّك ينتمي
وإلى ذُراك .. إلى سمائك أرتقي !

أنا منكَ يامولاي نفحٌ من شذًى
أو قطرةٌ من فيضكَ المترقرقِ

أنا منكَ يامولايَ لمحٌ من سنًى
أو خفقةٌ من برقكَ المتألقِ

أنا أنتَ يامولاي سرٌّ مغلقٌ
أفديه من سرٍّ عزيز مغلقِ .. !

تفديكَ روحي لو قبلتَ بها فدا
تفديك لو يُرضيك منها مابقي .. !

عفواً إذا تعنو لعزكَ ذلتي
رُحماكَ إني أرتجيكَ وأتقي .. !

ألقاكَ ..؟لكنْ لا سبيلَ ..وإنْ يكن ! !
شتانَ بين مُغرّبٍ ومُشرّقِ .. !

رحُماكَ يامولايَ عبدُك ضارعٌ
بالباب فارحم ذُلّه وترفّقِ .. !

إنّي أخاف عليك من شطط الهوى..
أتراك تسمح للرفيقِ المُشفقِ ..؟!

إنّي أجلك أن تجور وأن أرى
لليأس منك على سبيل مُغلَقِ .. !

فوحقٌ من برأ الورى وبرى الهوى
وروى الجمال من الرحيق الريّقِ..!

لن ينتهي ما بيننا ياسيدي لن ينتهي !
أبداً سيبقى ما بقيتُ وما بقي .. !

عاتكة الخزرجي

كلية التربية ـ جامعة بغداد







بقلم: محمد كامل حته

■ قالت له نفسه الكريمة (١) :

« سر يارفيقي على هداك حتى تبلغ ، لست من هذا الناس ، ماأنت في الحياة الا عابر سبيل ! »

بذلك حدثت سعيد العريان نفسه ، وكذلك كان سعيد العريان في حياته حتى بلغ ...

حتى بلغ غاية الوفاء لدينه وأمته ورسالته ، وحتى بلغ غاية الحياة ... حيث رجع الى ربه مطمئنة نفسه ، راضية مرضية !

ولم يكن سعيد العريان وهو يعيش حياته بمنطق عابر السبيل ، رجلا سلبيا منعزلا عن الحياة منقطعا عن أسبابها ، ولكنه كان ملء الحياة .. يأخذ منها ويعطى ، يستمتع بثمراتها ويخوض غمراتها ، ويسهم بفكره وقلمه وجهده في تطوير الحياة من حوله وتحقيق رسالة الانسان على هذه الأرض .

أما شعاره الذى اتخذه في الحياة ، شعار عابر السبيل ، فهو الذى جعله يغلى قيمة الحياة ولا يرخصها كغيره من الناس .. وهذا هو مفتاح شخصية سعيد العريان ، يحدد اتجاهه ويفسر فلسفته في الحياة .

ان التزامه هذا الشعار هو الذى فرض عليه أن تكون نظرته دائما الى الامام ، فلا يقعده الحاضر عن المستقبل ، ولا يشده الواقع عن الانطلاق الى ما هو أفضل ، ولا تستبد به المتع العابرة فتقعد به عن بلوغ الآمال الكبار ...

ومن ذلك انه كان يرتفع ماأمكنته مغالبة النفس على الأحقاد وأسباب التحاسد والتباغض التى تقع بين النظراء أو تثيرها المعاملة بين الناس . ولقد كان في حياته العريضة كثير الحساد ، معرضا لالوان من الخصومات بقدر ما كان يحقق من نجاح وينهض بمسئولية ويتبوأ من صدارة في مختلف مجالات الأدب والسياسة والوظيفة . فما كان يقابل ذلك كله بغير الاغضاء أو الاحسان .

نشأته

مع اشراق عيد الفطر من عام ١٣٢٤ هـ (٢) ، كانت أسرة الشيخ احمد العريان في محلة حسن

---

(١) قصة « عابر سبيل » في كتاب « من حولنا » تأليف سعيد العريان .

(٢) يوم ٦ ديسمبر ١٩٠٥

العِرْيان

(٣) لتستقبل اول مولود ذكر للشيخ الكبير الذى قارب المائة من عمره ...

« وعاد الشيخ من المسجد يدب على عصاه ، في لسانه تكبير وتسبيح ، وفي قلبه صلاة قائمة ودعاء خاشع . واستقبلته ابنته بالبشرى : انه صبى يا ابت ، انه صبى !

« وادنى الشيخ من جبين الصبى فما يختلج بالشكر ، فقبله والدمع يترقرق بين اهدابه ، والكلمات تحتبس في لسانه . واطال النظر في وجه الوليد فقال : لقد ابطات طويلا يابنى حتىأدركنى الهرم ، ولكنى بك اليوم سعيد ! »(٤) .

وكان الشيخ عالما جليلا من علماء الأزهر ، يتصل نسبه بالشيخ العريان الكبير « حامى الحجيج » كما تصفه بعض المنظومات التى يستفتح بها الصوفية مجالس الذكر والعبادة .

وكان الشيخ احمد العريان يلقى دروسه في الأزهر حين نشبت الثورة العرابية ، فكان من خطباء هذه الثورة وشعرائها . فلما انهارت الثورة طارد اصحاب السلطان كل من اشتركوا فيها ، واضطر الشيخ الى أن يفر من القاهرة فيقطع الطريق الى طنطا على قدميه ، وهو يومئذ شيخ في الستين ..

قال الشيخ وهو يروى ذكرياته عن هذه الثورة لابنه سعيد وسنه وقتئذ تقارب خمس عشرة سنة:

« ... وأويت الى دار « القصبى » بطنطا حتى تهدأ الفتنة ويخف الطلب ، والشر يتربص بى ، اتوقعه في كل غداة وعشى . وقد استسلم كثير من الثائرين ومضوا يلتمسون الزلفى الى السلطان بالتوبة والندم ، ولكنى لم اسلم ولم استسلم ، وأيسر ما أتوقعه الذبح ...

« كنت على يقين بان الله لن يسلمنى الى شر ابدا ، فقد كنت على نية الخير اعمل بلا غرض ولا غاية ، فلم يرعنى التهديد ولا الارجاف مسلما أمرى الى الله ، ونجوت بنيتى وبراءة قصدى ، فقد شملنى العفو ولم أبذل شيئا من دينى ولا من ماء وجهى ، واستأنفت فى طنطا حياة جديدة ، واستبدلت بعمودى في الأزهر عمودا آخر في الجامع الأحمدى . »

ووعى الصبى هذا الدرس الذى تلقاه عن ابيه الشيخ ، وكانه يجمع له فيه خلاصة تجارب عمره الطويل ، ويوجز له فيه آخر وصاياه ... وفي هذه البيئة الدينية المكافحة تعلم تقاليد ظل امينا عليها في جميع مراحل حياته ، وكانت « تمده في كل معركة يخوضها بذخيرة كبيرة من الايمان بالله ! »

(٣) من أعمال المحلة الكبرى محافظة الغربية

(٤) كتاب « من حولنا » تأليف محمد سعيد العريان .

وفي هذه الفترة الباكرة حدث للصبي سعيد العريان حادث كان له في حياته اثر عميق ...

انه يوم الاربعاء ١٢ مارس سنة ١٩١٩ يوم امتدت نار الثورة المصرية فكان لها في طنطا لهيب عاصف ، وكان لها ضحايا وشهداء ...

في ذلك اليوم كان الصبي يشترك مع زملائه طلبة المعهد الأحمدي وغيرهم في مظاهرة صاخبة قابلها الجنود الانجليز بوابل من الرصاص . وشهد الصبي عشرات القتلى والجرحى يتساقطون وحين كتب عن هذه المعركة بعد ثلاثين عاما (٥) يصف أحداثها ويذكر شهداءها ــ كتب يقول :

« على هذه المناظر بدأ شبابي ، ولا زلت منذ ذلك التاريخ أحس القطرة الدافئة التي اندفقت في عروقي يومئذ ، جياشة تدفعني الى الثورة أبدا ، فلا يكاد يبرد دمي او تنطفىء الشعل الحمراء التي تراقص أمام عيني كلما هاجني الغضب ... »

تلك ذكريات استقرت في وعي الصبي ، وظلت تنمو في وجدانه ، وتنفخ في روحه ، وتزوده في مراحل حياته بزاد موصول من مسئولية العقيدة ، وروافد الثورة واحتمال أعباء الجهاد .

وكان الصبي قد أتم حفظ القرآن الكريم ، وحظا من الدراسة في المرحلة الاولى ، ثم اتجه الى المعهد الاحمدي بطنطا . وكانت في الصبي ارادة مبكرة ليست مما يطيقها من في مثل سنه .. انه ليستعجل مراحل الحياة ليبلغ في سنه المبكرة تلك مايرى انه جدير بهمته وارادته ، فهو يأبى الا ان يجمع اربعة اعوام دراسية في عام واحد ، وانه ليبلغ من ذلك ما يريد .. ولكن بعد ان يبلغ منه الارهاق مبلغا اوشك ان يخترم عوده النحيل ... وينتظم الفتى في دار العلوم .

وفي دار العلوم تنبثق مواهبه وخاصة في الادب ، وتكون محاضرته التي القاها بعنوان « كيف اختار زوجتي » شيئا جديدا في فكرته واسلوبه ، يثير في محيط الأساتذة والطلاب كثيرا من الجدل . ويعود الأستاذ الكبير احمد الزناتي في اليوم التالي مبكرا على غير موعده ليستقبل الفتى العريان على باب دار العلوم وهو يهتف به: اقسم لقد امتعتني يابني ليلة الأمس بزاد فكري لم استمتع بمثله طوال حياتي !

ويتخرج العريان في دار العلوم (٦) فينال اجازتها وهو أصغر زملائه سنا وأعلاهم درجة ، وبذلك رشح ضمن أعضاء البعثة « القومية » للدراسة في الخارج ، ولكن البعثة الغيت في ذلك الوقت لأسباب سياسية .

وعين سعيد العريان مدرسا بمدرسة شربين الابتدائية . وفي شربين بدأت مرحلة هامة في حياة سعيد العريان ، فقد كانت هوايته القراءة ، وبذلك أتاحت له خلواته في شربين ــ وقد مكث بها سنتين ان يقرأ كتبا كثيرة من أمهات الكتب ، ولذلك كان يقول (٧) : ان شربين هي مدرستي الحقيقية !

ومن هنا كانت صلة سعيد العريان التي لاتنفصم بالكتاب ، قارئا ومؤلفا وخبيرا في شئون الطباعة والنشر . وكان قوله : ان شربين هي مدرستي الحقيقية ... ولامر ما كان اول ما نزل في كتاب الله « بسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ ... » فكانت القراءة بذلك ــ عندي ــ أول فروض الاسلام ! » (٨) .

وفي هذه المرحلة يطالع سعيد العريان الناشئة بأسلوب جديد في التربية ، ويصدر مع زميليه محمود زهران وأمين دويدار مجموعة من « القصص المدرسية » كانت فتحا في أدب الطفل يقدم اليه طائفة من المعارف في أسلوب قصصي يحبب اليه القراءة ويربطه بالكتاب .

وكان من هذه المجموعة قصة « الراية الحمراء » التي تتناول فصلا من تاريخ الثورة المصرية عام ١٩١٩ ، وقد احدث صدورها ضجة لدى السلطات انتهت بمصادرة القصة والقائها طعاما للنار في فناء مدرسة المنيرة الابتدائية بالقاهرة ، بحضور مندوب من دار المندوب السامي البريطاني !

العريان والرافعي

وفي طنطا يتصل سعيد العريان بأديب العروبة والاسلام ، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي . وتلتقي روح بروح ، ويصنع القدر من هذا اللقاء قصة رائعة ...

وكانت بداية اللقاء في خريف سنة ١٩٣٢ حين ذهب اليه العريان في وفد ثلاثة يدعونه للاشتراك معهم في جماعة انشأوها بطنطا في ذلك الوقت باسم

(٥) مجلة « النداء » عدد ٩ مارس ١٩٤٨

(٦) عام ١٩٣٠

(٧) العدد الاول من مجلة الرائد يناير ١٩٥٦

(٨) المصدر السابق .

« جماعة الثقافة الاسلامية » تدعو فيما تدعو الى العمل على احياء الشعور بمعنى القومية الاسلامية العربية ... (٩)

ثم اتصلت بينهما الاسباب حين استصفاه الرافعي لصحبته بعد اختبارات غير مباشرة لمبلغه من العلم والأدب . وكان لهذه الصحبة اثرها في حياة العريان الشاب المؤمن بعروبته ، الحفيظ على اسلامه ، الأصيل في فنه وادبه ، فقد استروح العريان في صحبة الرافعي نفحات هذه المعاني ، وارتاد معه اجواءها السامية ، ونهل من ينابيعها الثرة ما شاءت له مواهبه واشواقه أن ينهل ، وكان للرافعي ــ كما يقول العريان ــ الفضل في أن سدد خطاه الى هدف مرسوم ، وجعل كفاحه للعلم والأدب الى غاية ...

وكذلك كان لهذه الصحبة اثرها في حياة الرافعي، فقد دخل ادب الرافعي منذ اتصل به ولزمه سعيد العريان في طور جديد . كان هذا الادب من قبل في عزلة اجتماعية وبيانية عن عامة القراء ، وكان التجاوب معه مقتصرا على طائفة قليلة منهم ، فاصبح من بعد أدبا متصلا بالحياة والأحياء ، متفتحا عن أجمل عناصره القومية ، وأروع خصائصه الفنية .

وقد تحدث سعيد العريان عن هذه الفترة فقال (١٠) :

« ... وقد ظل الرافعي عمره بعيدا عن قلوب كثير من الناس وعقولهم ، لان اهل جيله بطبيعة الحياة التي يحيونها والجو الذى يضطربون فيه ، كانوا بعيدين عن حقيقة النفس العربية المسلمة ، ولان الرافعي باعتزاله الذى فرضته عليه العلة التي قطعت ما بينه وبين أصوات الناس جميعا منذ الصبى الباكر ، كان بعيدا كذلك بلسانه وقلبه وعقله وضميره عن الجيل الذى يعيش فيه، فتباعد ما بينهما تباعدا انشأ في نفسه جفوة وفي نفوس الناس جفوة مثلها ، ثم كان انقطاعه عن الأصوات والاصداء سببا ثالثا جعله يلتمس لنفسه دنيا يعيش فيها وحده ، وكانت دنياه تلك التي اختارها لنفسه مرسومة في كتاب بعد كتاب في حجرة ذات أربعة جدر ...

« ولم يكن له صديق ياوى اليه كما ياوى كل ذى نفس الى ذى نفس ، اذ لم يكن جلساؤه الا بعض أهله ، أو بعض المعجبين به اعجاب العامة بكل زائد عليهم في فن ، أو بعض الزملاء من الموظفين وكتبة الدواوين ، فلم يكن يجد رجع الصدى الذى يكشف له عن نفسه وفنه كما هو في نفوس الناس .

فلما اتصلت أسبابه آخر الأمر ببعض من يستطيع أن يتحدث اليهم حديث النفس الى النفس في صدق واخلاص ، بدأ يسلك في فنه سبيلا آخر ، قرب به ما كان بعيدا بينه وبين الجماهير ، واتصل ما كان مقطوعا بينه وبينهم ، ورجع اليه الصدى من البعيد البعيد ، فسمع ما لم يكن يسمع ، ورأى ما لم يكن يرى ، وأحس ما لم يكن يحس من عواطف الناس وعواطف نفسه ، فلان بعد جمود ، وسلس بعد تعقيد ، ورن في الآذان رنين الموسيقى، ورف رفيف الزهر على القلوب ... » .

وقد اختلف النقاد في أمر هذه القصة التي صاغها القدر ، قصة الرافعي والعريان ...

فقال البعض : لقد أصبح العريان رافعيا .

وقال الدكتور طه حسين : لم يصبح العريان رافعيا ، ولكنه أصبح مدره الرافعي ..

وبالغ آخرون فقالوا : ان الرافعي هو الذى اصبح عريانيا !

ومهما يكن من امر هذا الاختلاف في الرأى ، فان هذه الفترة التي جمعت بين الرافعي والعريان ، كان لها اثر عميق في حياة كل منهما وفي انتاجه الأدبي ، وهي تؤرخ فصلا مستقلا في تاريخ الادب العربي الحديث .

ولقد كان وفاء العريان للرافعي بعد وفاته ، يتمثل في كتابه الذى أصدره عن « حياة الرافعي » وفي اخراجه للمكتبة الرافعية في طبعات متعددة .

★ ★ ★

دعابة الرافعي أدت الى زواج العريان

وقد كشفت صحبة الرافعي والعريان عن تحليل دقيق عرف به الرافعي مكان المرأة في حياة صديقه الشاب قبل أن يتزوج . وقد كان زواجه من بعد هو حبه الحقيقي وغرامه الوحيد في الحياة ...

وقد كانت للرافعي معابثة طريفة مع صديقه الشاب في هذا المجال ...

---

(٩) كتاب « حياة الرافعي » صفحة ٣٢٦

(١٠) مقدمة كتاب « قصص أسلامية » مختارات من كتاب « وحى القلم » .

قال سعيد العريان [11] : صحبت الرافعي مرة الى زيارة اسرة الآنسة « ق » وهي فتاة ذكية من اهل الفن والأدب ، وقد ألح عليّ يومئذ الحاحا شديدا أن أصحبه ، ولم اكن أعلم ما يقصد اليه بهذه الزيارة الا أن تكون تسلية بريئة

« وكنت في ذلك اليوم صانعا اغنية عامية في معنى من معاني الشباب تعبر عن حال من حالي في تلك الفترة ، ودفعتها الى الرافعي لينظر فيها ، فلما قراها طواها وجعلها في جيبه ...

... وصحبت الرافعي الى حيث يريد ، فاستقبلتنا الفتاة وامها وشاب من قرابتها ، ثم لم يكد يستقر بنا المجلس ، واهل الدار حافون بنا يبالغون في اكرامنا ، حتى أخرج الرافعي الورقة من جيبه فدفعها الى الفتاة ...

وقرات الفتاة الاغنية ، ثم ردتها الى الرافعي وهي تقول : « جميلة ! شعر عاشق ! » .

قال الرافعي وهو يشير اليّ مبتسما : انها اغنيته ! .

قالت : ايه .. اعاشق هو ! .

وقال الرافعي : نعم .. ومن أجلك صنع هذه الأغنية !

ومضت فترة صمت ، وصبغت حمرة الخجل وجه الفتاة ، وتولتني الدهشة مما سمعت فما استطعت الكلام ، ونظر الرافعي اليّ نظرة طويلة لم أفهمها ، وكان بي من الحياء اضعاف ما بالفتاة .. وكانت دعابة غير مالوفة ولا منتظرة ، اوقعتني في كثير من الحيرة والارتباك ..

ثم نهضت الفتاة الى الغرفة الثانية وعادت بطبق الحلوى فقدمته اليّ ، ثم الى الرافعي ، واتخذت مجلسها بجانبي .. وعاد الحديث الوانا وافانين بين الجماعة وانا صامت في مجلسي لا اكاد افهم ما يدور حولي من حديث !

وجعلت أسائل نفسي واكاد انشق غيظا : ترى ماذا حمل الرافعي على هذا القول ؟

فلما انفض المجلس وخرجنا الى الطريق نظرت الى الرافعي مغضبا أساله جلاء السر ، فضحك ملء فمه وهو يقول : قصة طريفة .. لقد عقدنا العقدة فانظر في طريقة للحل .. سيكون فصلا أدبيا ممتعا يا شيخ سعيد ، تكون أنت مؤلفه وعليّ ان أرويه ، لقد سئمنا الخيال فالتمسناك وسيلة الى بعض الحقيقة .

.. وضقت ذرعا بهذه الدعابة وثارت نفسي فاخشنت القول ، فزاد به الضحك وهو يقول : وهذه الثورة أيضا هي فصل من فصول الرواية !

ولقيت الفتاة بعدها مرتين فتناسيت ما كان ، ولم اسال نفسي عن شيء من خبرها . ومضى زمان ثم جاءني الرافعي يوما يقول : « ان بينك وبين صديقنا الأديب « ج » لشيئا ! » قلت : ماذا ؟

قال : أحسبه يغار منك على خطيبته الآنسة « ق » ، فانه ليعلم أن بينكما عاطفة !

وقال لي حميّ ، ولم تكن ابنته في داري بعد : أتراك كنت مع الرافعي أمس في زيارة فلانة ؟

فتوجست من سؤاله شيئا ..

وكادت تكون قصة كما أراد الرافعي ، ولكني حسمت أسبابها فرارا بنفسي ! »

أما رأي الرافعي في سعيد العريان فتصوره مقالته التي نشرها بمجلة الرسالة بعنوان « س.أ.ع » [12] وفيها يقول :

« هؤلاء ثلاثة من الأدباء تجمعهم صفة العزوبة ، ويحبون المرأة حبا خائفا يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فلا يقبل الا أدبر ، ولا يعزم الا انحل عزمه ..

ثم يتحدث عن أولهم « س » وهو سعيد العريان فيقول :

ـ فأما « س » فرجل كشيخ المسجد ، يكاد يرى حصير المسجد حيث وطئت قدماه من الارض .. ذو دين وتقوى ، ما يزال بهما يتقبض وينكمش ويتزايل حتى يرجع طفلا في الثلاثين من عمره .. وهو حائر بائر لا يتجه لشيء من أمر المرأة ، وقد فقد منها ما يحل وما يحرم، ولا جراة لنفسه عليه، فلا جراة له على الموبقات ، ولا يزين له الشيطان ورطة منها الا امتلس منه ، فان له ثلاثة ابواب مفتوحة للهرب : اذ يخشى الله ، ويتوقى على نفسه ، ويستحيي من ضميره . »

العريان يرثي زوجته

ولقد عرفت سعيد العريان ـ قبل أن ألقاه ـ رائدا من رواد أدب الأطفال فيما أصدر من مجموعة

(١١) حياة الرافعي صفحة ٢٦٢

(١٢) وحي القلم صفحة ٢٢٦

« القصص المدرسية » ثم أدبيا تنشر له مجلة الرسالة ومجلة الثقافة القصص القصيرة والمقالات الأدبية والتاريخيـــة والوانا من النقـــد الأدبي والاجتماعي ، وتلك الفصول الدامية التي كتبها عندما امتحن بفقد زوجته ، فراح ينزف الحانه الحزينة التي هزت مشاعر عشرات الالوف من قرائه في العالم العربي .

في وزارة المعارف

ثم كان لقاؤنا الأول في وزارة « المعارف » وكان يعمل وقتئذ بمكتب الوزير . وجمعتنا بعد ذلك مجالس في دور بعض الصحف التي كان يعمل بها او كنت اعمل ، وفي مراكز النشاط العربي بالقاهرة حيث كان يلتقى المجاهدون الأحرار من أبناء البلاد العربية . ولم تنقطع صلتي به في الفترات التي اقصي فيها عن عمله بالوزارة . حتى اذا كانت اواخر عام ١٩٤٩ وقد عاد مديرا لمكتب الوزير دعاني للعمل معه فلبيت . ومنذ ذلك التاريخ لم نفترق الا مرتين : الأولى حين أقصي الى «المنصورة» وأبعدت معه الى « كفر الشيخ » ، والأخرى حين سافرت الى جدة في اعارة لمؤسسة الطباعة والصحافة والنشر هناك .

العريان والعقد الفريد

وكذلك عرفت سعيد العريان أديبا محققا يقدم على عمل أدبي كبير احجم عنه الفحول من اساتذته، وذلك حين أخرج « العقد الفريد » لأول مرة في طبعة محققة مصححة « وقد حاول هذه المحاولة غير واحد من اهل التحقيق ثم ارتدوا جميعا على اعقابهم ، ومن هؤلاء من يعد رأسا في الآداب العربية منهم الأساتذة الاعلام أصحاب « مختـــار العقد » : محمد الخضرى وعبد الخالق عمر وعبد العـــزيز خليل وعبد الحكيم محمد . ولقد هم المرحوم الاستاذ المرصفي شيخ ادباء الجيل مرة أن يقــرأ العقد لتلاميذه ثم نكص ، اشفاقا من مشـــقة تصحيحه [١٢] . »

العريان والقصة

ثم عرفته من بعد رائدا من رواد القصة التاريخية يجلو فيها باسلوبه العميق الأنيق صفحات من تاريخ العروبة والاسلام ، تصب في عقول قرائها ودمائهم نبضات تلك الرسالة التي اشرق بها وجه التاريخ وتبدلت معالم الانسانية ، ليحملوا هذه الرســالة الى غايتها ، مزودين بعبر التاريخ وما يحويه من اسباب الهزائم والانتصارات ..

ومن مؤلفاته هذه : قطر الندى ، شجرة الدر ، بنت قسطنطين ، على باب زويلة . وقصة « على باب زويلة » هذه نشرت لأول مرة سنة ١٩٤٧ قبل ثورة ٢٣ يولية بخمس سنين ، فكانت كالرمز التوجيهي لأحداث توشك أن تقع ، وكان هـــذا سببا لاتهام مؤلفها بالتوجيه الثوري ، وهمت السلطات المصرية وقتئذ بمصادرتها . ولكنها رغم ذلك حازت الجائزة الأولى لمجمع اللغة العـــربية وكانت أكبر جائزة ادبية في الدولة حتى ذلـــك التاريخ .

ومن مؤلفاته « رحلات سندباد » التي نالت جائزة الدولة في ادب الأطفال . وسندباد هو اسم المجلة التي كان يراس تحريرها ، والتي انشات جيلا من ابناء الأمة العربية يؤمنون بعروبتهـــم وبوحدة امتهم ووطنهم ، وكانت مثالا لم يتكرر لما ينبغي أن تكون عليه صحافة النشء في الوطـــن العربي .

ومن آثاره المجيدة في ادب الأطفال كتب التربية الدينية التي ألفها وزميله حسن علوان لتلاميذ المدارس الابتدائية ، على نهج جديد وفريد ..

★ ★ ★

العريان والصحافة

وكذلك عرفت سعيد العريان كاتبا صحفيا يشرع قلمه في وجه الزيف والطغيان ، ويخوض معارك ادبية وسياسية ، كان يخوض بعضها وهو موظف فلا يعبأ بقيود الوظيفة ولا يثنيه عن الجهر برأيه وعد ولا وعيد ، وكان يخوض بعضها الآخر وهو مبعد عن الوظيفة حين يضعه أصحاب السلطان أمام أمرين عليه أن يختار احدهما : حرية القلم او قيود الوظيفة ، فكان يختار حرية القلم ويترك عمله بالوزارة غير مأسوف عليه ..

وكانت اشهر معاركه الصحفية مع اولى الأمر في وزارة المعارف ، معركة اشـــتهرت بعنوان « بيداجوجيا ... »

في نقابة المعلمين

وشهدت عن كثب جهاده المضني الدائب حتى

---

(١٢) العقد الفريد : الجزء الاول ــ تعريف بالكتاب ومؤلفه .

قام صرح نقابة المعلمين ، ثم قام كيان اتحاد المعلمين العرب الذى كان منطلق الحركات التحررية وعقلها الواعي في كثير من البلاد العربية ..

وصورة أخرى من عاصمة عربية كان يخوض شعبها محنة شعوبية أريقت فيها الدماء ، وكانت هناك محاولات للسيطرة على المنظمات المهنيــة ومن بينها نقابة المعلمين والانحراف بها عن الخط القومى . فلما حان موعد المؤتمر الثالث للمعلمين هناك في فبراير ١٩٦١ وجهت الدعوة كالعادة الى نقابات المعلمين في سائر البلاد العربية . وقــررت نقابة المعلمين بالقاهرة ايفاد سكرتيرها العام الاستاذ محمد سعيد العريان . ولكن السفارة رفضت ان تعطيه تاشيرة الدخول ، وطلبت باسم حكومتهـا ترشيح مندوب آخر لحضور المؤتمر . واصرت النقابة واصر سعيد العريان على السفر بـلا تاشــيرة دخـول وليكن بعـد ذلك ما يكون ..

وفي مطار بغداد ظل سعيد « محجوزا » من المغرب الى قبيل منتصف الليل حتى اذن له بالدخول .. وكانت مغامرة في الظلام ، في وقت يتخطف فيه المـوت أرواح القوميين العـرب بغـير حسـاب .

وكان رئيس الدولة قد شهد جلسة افتتــاح المؤتمر صباح ذلك اليوم ، وتحدث حديثا ..

وفي صبيحة اليوم التالى استقبل المؤتمر مندوب الجمهورية العربية المتحدة الذى تحدث حـديثا آخر ، كان له في نفوس المعلمين وقع أحبط المخطط المرسوم ..

وتكهرب الجو وتطايرت النذر ..

وفي جلسة المساء شهد المؤتمرون رئيس الدولة يحضر للمرة الثانية ، ويتقدم للكلام مرة أخـرى فيقول :

« .. ان الطامعين يرسلون الينا متسللين في الظلام ليشقوا صفوفنا . نستطيع أن نقتلهم .. أن نسحلهم .. أن نواريهم التراب .. أن نخفى آثارهم عن الذبان الأزرق ..

ثم أنشد أبياتا من الشعر بداها بقوله :

ودسوا مـن فوارسـهم علينـــا
فلـم نفـدر بفارسـهم لدينـــا

وكان سعيد العريان جالسا في مقعده يستمع ويبتسم ، فقد أدى مهمته وبلغ غايته ، فليس يعنيه اذن مثل هذا التهديد والوعيد ..

العريان والازهر

ولعل أخلد أعماله على وجه التاريخ ، جهوده الموفقة في مشروع تجديد الازهر وتطويره ، حتى يعود لاداء رسالته في العالم الاسلامى غير منعزل عن حياة شعوبه ولا متخلف عن ركب التقــدم العلمى والحضارى « وتخريج علماء عاملين متفقهين في الدين ، يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح ، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتاكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتاهيل عالم الدين للمشاركة في كل أسباب النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة في الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة (١٤) » .

ولقد لقى سعيد العريان في المراحل الاولى لتنفيذ هذا المشروع ـ بعد أن عين وكيلا لوزارة شئون الازهر ـ كثيرا من المتاعب التى ضاق بها صدره بعد كثير من الصبر والمصابرة ، حتى آثر الاستقالة من وظيفته وكان قد أرسى دعائم هـذا المشروع العظيم ..

سئل العريان ذات مرة

سئل سعيد العريان ذات مرة :

ـ ما هو الكتاب الذى تاثرت به أكثر من سواه ؟

فقال : لا أعرف في ذلك كتابا بالذات ..

وذكرنى هذا القول بالشاعر الالمانى جيته ، حين سئل مثل هذا السؤال فكان جوابه :

ـ لا أعرف كتابا معينا له الاثر في حياتى ، كما لا أعرف طعاما أو شرابا معينا قد أثر في جسمى . انى مثل أسد الغابة يلتهم كل حيوان يجده ، ولا يدرى أى هذه الحيوانات هو الذى جعل نور عينيه خاطفا ، وأيها الذى جعل أنيابه كالحديد !

وسئل العريان عن شعاره في مغالبة متاعب الحياة والناس فأجاب :

ـ كثيرا ما أتمثل قول الرافعى :

وكن رجلا كالضرس يرســـو مكانه

---

(١٤) المادة الثانية من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها .

ليطحن ، لا يعنيه حلــو ولا مـر ! !
وسئل عن الأمنية التي يتمنى تحقيقها فقال :
ـ أن يكون في كل مدينة ، وكل قرية ، وكل حي، وكل بيت .. مكتبة !

آخر لقاء بيننا

هذا وان الحديث عن سعيد العريان لا تنتهي أبعاده ولا تستوفى جوانبه في مقال مهما انفسح له المجال ، ولكنها صور من حياة واقباس من ذكريات، حسبي أن اختمها بما كان بيننا من حديث في آخر لقاء ..

فقد زرته بمستشفى المعلمين في الليلة التي كان يزمع أن يجرى في صبحها جراحة لم تكن تدعو اليها ضرورة عاجلة أو آجلة .. ولكنه القدر الذى يقول : لكل أجل كتاب ، ثم يدعنا نتخبط في الأسباب !

وكانت جلسة طويلة ، ولكنها على طولها لم تتجاوز ثلاثة موضوعات انحصر فيها الحديث :

● حدثنا عن رحلته الأخيرة الى الولايات المتحدة الامريكية في أواخر عام ١٩٦٣ بدعوة من منظمة الاتحاد الدولي للمعلمين . وكان قد زار من قبل الاتحاد السوفيتي بدعوة من اتحاد الأدباء هناك ، كما زار بعض البلاد الاوروبية والافريقية ، وتعرف من قبل ومن بعد الى معظم البلاد العربية ، فهو من هواة الرحلة ويعتبرها من أهم مصادر العلم والمعرفة ، ومن أقوى مقومات الشخصية .

وفي احدى حفلات الاستقبال التي أقيمت له في بعض بلاد الولايات المتحدة ، وكان يلقى في كل منها حديثا تعقبه مناقشة ـ سأله شخص مسئول:

ـ هل ترى ان اخراج مليوني يهودى من «اسرائيل» أمر يمكن تحقيقه ، والى أين يذهبون ؟

فأجابه سعيد العريان :

ـ أود أن تذكر أولا مأساة مليون عربي شردتهم الصهيونية والاستعمار عن وطنهم فلسطين ، ويجب أن يعودوا الى أرضهم والا يعيشوا حياتهم مشردين. أما أين يذهب مليونان من اليهود احتلوا فلسطين، فالأمر جد يسير : ان كل واحد من هؤلاء اليهود يحمل جوازين من جوازات السفر ، أحدهما من الدولة التي ينتمى اليها والآخر من اسرائيل ، فليستخدم كل منهم جواز سفره الاصيل !

● وانتقل الحديث عن المحنة التي يعانيها « فلان » وما آل اليه أمره .. وفلان هذا كانت له مواقف من سعيد العريان ، ومن شيوخه وزملائه .. فما زاد سعيد العريان على أن دعا له بالعافية ، وصرف الحديث الى وجهة أخرى .. فذلك لسانه العف وخلقه السمح وقلبه الكبير .

● اما الموضوع الثالث والأخير الذى تناوله الحديث ، فقد كان حول « الصراط العربي » الذى ظل سعيد العريان يحلم به ، ويكتب عنه ، ويدعو اليه في رحلاته المتعددة ما بين طنجة في أقصى المغرب الى الاسكندرونة في أقصى الشمال الشرقي للبحر الابيض المتوسط . هذه الرحلات التي بدأت برحلة الى فلسطين سنة ١٩٣٨ ، ثم تتابعت الى سوريا ولبنان، الى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

وفي مدينة «طنجة» منذ سنوات ، كان سعيد العريان يتحدث عن هذا الصراط العربي ، الذى اقام الاستعمار في بعض اجزائه قلعتين تحطمت احداهما في الجزائر ، وبقيت الأخرى لموعدها في فلسطين !

وعاد سعيد العريان الى القاهرة ، ليتقدم الى الجهات المسئولة بمشروع «جمعية الصراط العربي» للعمل على وصل الطريق الذى حاول الاستعمار منذ أكثر من قرن ونصف قرن أن يقطعه ، ليقطع الأواصر بين أبناء الأمة العربية على ساحل البحر العربي ..

وقبل أن أودع سعيد العريان في تلك الليلة ـ ولم أكن أدرى أنه الوداع الأخير ـ كان آخر حديثه الى أن اتصل بفلان وفلان للوقوف على ما تم من خطوات على الصراط العربي ، الذى يأمل أن يجتازه في يوم قريب من طنجة الى الاسكندرونة ، وقد زالت القلعة التي أقامها الاستعمار والصهيونية في فلسطين ..

كان هذا آخر حديثه الى ، ولم أكن أدرى وأنا أودعه الى لقاء تصحبه العافية ، أنه كان الوداع الأخير الذى ليس بعده على هذه الارض لقاء (١٥)!

رحمك الله يا سعيد وأكرم مثواك ، وأبقى في الخالدين ذكراك . ■■

محمد كامل حته

وزارة التعليم العالي ـ القاهرة

---

(١٥) توفي سعيد العريان في ١٢ يونيه ١٩٦٤ .

المؤرخون يتساءلون:

هَلْ .. تَغَيَّرَت الطَّبيعَة البَشَرِيَّة ؟

بقلم : علي أدهم

■ لكي نقرر أن الطبيعة البشرية قابلة للتغيير لا بد لنا من الموازنة بين حالة الانسان في الأزمنة الغابرة وحالته في العصر الحاضر ، واحسب انه يمكن أن نقرر بوجه عام أن الطبيعة البشرية في عصور مختلفة وبيئات متباينة كانت تعبر عن نفسها بطرائق متشابهة في جوهرها وصميمها ، وان اختلفت في مِشياتها وصورها ، ويمكن أن نستدل من الآثار التي كشف عنها البحث والتنقيب ، أن حياة الناس في مصر القديمة ومدنها كانت تشبه من وجوه كثيرة حياة الناس في المدن البابلية ، وان عقلية الاثيني المثقف المستنير لا تختلف كثيرا عن عقلية مثقفي العصر الحاضر ومستنيريه . واذا جردنا عصرنا من الاكسية الخارجية وتزاويق الحداثة وجدنا وراءها حياة الانسان كما كان يعيش منذ الاف السنين .

الانسان يستجيب لمؤثرات البيئة

والانسان بطبيعة الحال يستجيب لمؤثرات البيئة ، وهو يؤثر فيها ، ولكنها في الوقت نفسه تطبعه بطابعها وتوجه جهوده في المجرى الملائم ، فطبيعة سكان الجبال تختلف في بعض صورها عن طبيعة سكان الاودية والسهوب . وللتغيرات الطبيعية او الاجتماعية التى تطرأ على البيئة آثارها في دفع حركة التقدم او تعويقها .

وسواء كانت الطبيعة البشرية قابلة للتغيير والتقدم او كانت غير قابلة لهما فان بعض التغيرات التى يتمخض عنها الزمن قد يكون لها اثرها في رفع مستوى الحياة التى تحياها الافراد ، وحقيقة اننا لانستطيع ان نقطع بان ازالة العقبات القائمة فى طريق الانسان وتيسير اسباب الحياة له قد لا يكون لهما تأثير في تحويل طبيعته الا اننا لانستطيع ان ننكر ان التحسن الذى يطرأ على البيئة يهيىء للفرد الفرص المناسبة للتعبير عن نفسه ، واظهار مكنون مواهبه ، ودفين قدراته .

ويقول الفيلسوف البريطانى المعاصر برتراند رَسِل Russell في كتابه عن الحرية والتنظيم : « ان الذى عزم نابليون ثلوج روسيا واطفال انجلترا . والدور الذى لعبته الثلوج غير منكور ، لانه يمكن اسناده الى العناية الالهية ، ولكن



التاريخ يمر مر الكرام على الدور الذى لعبه اطفال انجلترا لانه دور يجلل انجلترا بالخزى والعار » . ويشير رسل الى المعاملة القاسية بل المفرطة في القسوة التى كان يجدها الاطفال في المصانع البريطانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر ، فقد كان صبيان الصناعة يدخلون ابواب المصنع في الساعة الخامسة او السادسة صباحا ويغادرونه في الساعة السابعة او الثامنة مساء على اقل تقدير ، والويل لمن كان يتاخر منهم عن الميعاد المحدد ، او يقصر في اداء عمله . ويقول رسل ان الرجال الذين حملوا وزر هذه الفظائع كانوا بشرا نشاركهم طبيعتهم البشرية . ولا نزاع في ان مثل هذه الظروف القاسية التى كان يعمل فيها هؤلاء الاطفال كانت تترك اسوأ الآثار في بنائهم النفسى ، وان تغيير هذه الاحوال السيئة كان له اثره في ابراء اطفال انجلترا من العلل النفسية . والانسان لايمكن ان يكون طبيعيا فى بيئة غير طبيعية . والعجيب في هذه الحالة انه ظهر في انجلترا حينذاك اهتمام خاص بالطفولة ، فقام الاديب البريطاني شارل لامب Charles Lamb واخته مارى بنظم اشعار للاطفال ، وكان السيد رينولدز Reynolds ، أقدر مصورى العصر مشغولا بعمل صور للطفولة البريئة !

وليس معنى ذلك ان ازالة المتاعب وسيلة لاطلاق خير ما في الطبيعة البشرية ، او ان الحياة الرافهة خير مدرسة لتهذيب طبيعة الانسان ، فالصعاب التى يصادفها الانسان في حياته قد تكون من وسائل شحذ همته وتقوية شخصيته ، ولكن لهذه الصعاب حدا اذا جاوزته جارت على الطبيعة الانسانية ، واشاعت فيها النقمة التى تسمم حياتها ، وتفسد عليها امرها ، واظن انه لاخلاف في ان الانسان الذى يعمل في ضوء الشمس المشرقة والظروف الملائمة يكون اقرب الى الانسان السوى من الذى يعمل في ظلام الغيران وسناج المداخن .

ولكن هل يدل هذا على ان الطبيعة الانسانية يمكن ان تتحسن وتتهذب ؟ اننا لا نستطيع انكار ان الطبيعة البشرية تنطوى على اشياء كثيرة منفرة بغيضة ، وهي حقيقة تقابلنا في كل منعطف وكل ثنية ، وفي مدونات التاريخ ومختلف القصص والروايات والتمثيليات والمسرحيات واشرطة الصور المتحركة وسائر مظاهر الحياة الانسانية في الماضي والحاضر ، ولكن هناك فريق من المتفائلين يذهبون الى أن طبيعة الانسان ليست طبيعة شريرة ، وانه ليس هناك من حاجة الى محاولة تغييرها ، وانه يمكن تدريبها وارشادها بالتهذيب والتثقيف وتهيئة الظروف المواتية والبيئة الصالحة . ويرى فريق آخر ان طبيعة الانسان الاصلية غير قابلة للتغيير ، وقد تعلم الانسان اشياء كثيرة ، ونوفق في تهذيب سلوكه الخارجي، ولكن وراء طلاء الحضارة وقشرة الثقافة تكمن طبيعة الانسان الاصلية غير القابلة للتغيير ، ومسالة هل الطبيعة الانسانية خيرة او شريرة من المسائل التى طالما شغلت الباحثين وتضاربت فيها الاراء ، ويتصل هذا الخلاف بمسالة اخرى هامة وهى مسالة حرية الارادة ، فهل الانسان حر في ان يكيف نفسه حسب مشيئته او انه مجبر مخير ؟ وهذه المسالة موضوع خلاف قديم بين انصار فكرة حرية الارادة وانصار فكرة الجبر ، ويذهب فريق من المفكرين الى ان الانسان من خلق الظروف ، وتاثير الوراثة من المسائل المعروفة المسلم بها ،

وهذا كله يدل على ان مدى محاولة تحسين الطبيعة البشرية جد محدود .

الوراثة ليست العامل الوحيد

على ان الوراثة وحدها ليست العامل الوحيد في بناء شخصية الانسان ، فقد يولد الناقصو العقل من آباء عاديين ليس بهم نقص ، وقد يولد ابناء عبقريون من آباء ليس لهم نصيب من الامتياز الفكري . وقد لحظ الباحثون تاثير الغدد والاحوال الطبيعية في نمو الشخصية ، ولكن اذا كان الجسم يؤثر في العقل تاثيرا عظيما فان تاثير العقل في الجسم كذلك عظيم ، وقد نتلقى رسالة تحمل الينا ما يسر من الانباء فيكون لها تاثير ملحوظ في جهازنا العصبي ، وقد يصلنا خبر مؤلم فيسبب لنا من الانزعاج ما يشل حركتنا ويفقدنا نشاطنا ، وجميعنا نعرف حالات القى فيها اناس حتفهم من جراء عاطفة قوية اثارتها حادثة مفاجئة .



ساكن الغابات باق في نفوسنا

ساكن الغابات باق في نفوسنا

ومما يشغل الفكر انه في اعماق حياتنا الشخصية المصقولة المهذبة الفخور لا يزال مقيما ساكن الغابات المتابدة القديم ، بميوله الفطرية ونزعاته الهمجية، وبرغم الحواجز المضروبة حوله والكوابح الموقوفة على مقاومته فانه لا ينى يحاول اظهار سيطرته . وهو جزء حيوى من جوهر الانسان ، وهو الذى يحدو بنا الى المحافظة على وجودنا ، ويدفعنا الى محاولة التكيف حسب مقتضيات البيئة ، ويثير في نفوسنا الحافز الجنسي . ونحن نحسب اننا ناكل لنعيش ، ولكن الواقع اننا ناكل لاشباع نهم من داخل نفوسنا . ويبدو تاثير ساكن الغابات القديم في حركات الدفاع عن انفسنا ، ومحاولة توطيد مكانتنا ، وحرصنا على الجمع والاقتناء والتحصيل . وهو الذى يبعث فينا الحرص على ابقاء النوع .

انها الغرائز الكامنة في نفوسنا والتي نشترك فيها مع الحيوانات الراقية . ولكن يكف من عادية ساكن الغابات الكثير من مواضعات الحياة الاجتماعية والتقاليد الحضارية . وقد أصاب ارسطو فى قوله ان سلوك الانسان رغبة يسيطر عليها العقل . ولكننا في العصر الحاضر لسنا واثقين ثقة تامة من سيطرة العقل على النوازع والاهواء والميول والدوافع . وكثير من اتجاهاتنا وميولنا الربة . وبعضها كان نافعا فيما سلف من الزمان ، ولكن تغير الاحوال جعله غير ملائم لعصرنا، ولكنه برغم ذلك لا يزال جزءا من طبيعتنا . وحضارتنا مكونة من افكار ومعتقدات ونظم خدمت الانسانية في الماضي ، ولكن فيها اليوم ما لم يعد صالحا ، ومن الاجدى على الانسانية القضاء عليه، لولا تشبث الانسان بما الف من العادات والمعتقدات والنظم والتقاليد .

العادات طبيعتنا الثانية

ويمكن ان نسمى العادات طبيعتنا الثانية ، وطبيعتنا الاولى هي الغرائز التى تاتي الى الدنيا

مزودين بها ولا حيلة لنا في الخلاص منها ، وان كان في وسعنا الى حد ما ان نقلل من طغيانها ، ونحد من سلطانها . وتتكون العادة من تكرر عمل الشيء ، والحياة ملأى بضروب الاعمال التي لا نفتأ نعاودها حتى تصبح لنا عادة ملازمة ، ونحن نكون عادات عقلية فكرية وعادات جسدية مادية ، وبعد أن نداب على معاودة تكريرها لا نستطيع أن نتخلى عنها . ويبدو ذلك في مختلف مجالات الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ومن الامثال المشهورة « حكّ جلد الروسي يظهر التتري ». والروس في رأى بعض علماء الأجناس من أصل تتري . ولكن هذا يصدق على البشر جميعا ، فالحضارة ليست سوى الجلد الظاهر الذى تكمن وراءه الطبيعة البشرية البدائية ، وهي مقيدة بسلاسل العرف والنظم الاجتماعية ، ولكنها عرضة من الحين الى الحين الى الارتداد والانطلاق ، ولو استطاع كل انسان أن ينظر في أعماق نفسه لرأى الجانب المظلم في نفسه خلف الناحية المشرقة اللامعة ! .

ونحن سلالة أبناء الغابات البكر والغيران الموحشة ، وفي الكثير من طباعنا ما لو لم يكن موجودا لكان خيرا لنا واجدى علينا ، وفينا من الميول والحوافز ما لو خيّرنا لما اخترناه ورضيناه لأنفسنا ، وهي غرائز ربما كانت نافعة لأجدادنا السالفين ولكنها ضارة بنا في ظروفنا الحاضرة .

موقف المؤرخ من الطبيعة البشرية

فما هو موقف المؤرخ من هذه الطبيعة البشرية التي لا نستطيع أن نبت في قابليتها للتغيير أو عدم قابليتها له ؟ .

المؤرخ يتحرى أن يروى قصة جماعات انسانية مرت بتجارب ايجابية وسلبية ، وقصة أفراد عاشوا في هذه المجتمعات واثروا فيها وتاثروا بها . ومعظم التاريخ يدور حول أخبار بنى الانسان . والمؤرخ وهو ينسق الحوادث ويربط بعضها ببعض ليتمكن من بناء القصة التي يروى احداثها ويسرد



أناتول فرانس يقول في أعماق نفوسنا أساس من الطبيعة البشرية قابليته للتغير قليلة .

اخبارها عليه أن يصور الناس في حالة العمل ، ومن خلال الأعمال التي يقومون بها يعزو اليهم الدوافع ويتعرّف البواعث ، ويطبّق ما يخاله سببا لسلوكهم وحافزا لهم . ومن الواضح أن الفرض الذى يتخذه ويرجحه يجب أن يقوم على معرفته بالطريقة التي يشعر بها الناس ، والأسلوب الذى يفكرون به ويتصرفون تبعا لاملائه . ولكن أين يجد المؤرخ هذه المعرفة ان لم يستمدها من اعماق نفسه ومن مشاهداته وتجاربه مع الناس في البيئة التي يعيش بها ، فهل يطبق هذه المعرفة القائمة على مشاهدات الطرُز المختلفة من النفسيات المعاصرة على القوم الذين مضى بهم الزمن السالف واحاطت بهم ظروف مخالفة وأحوال غير الأحوال الحاضرة ؟ انه لايستطيع ذلك الا اذا كان الناس في الماضي يشبهون الناس في العصر الراهن ، وما أشد غموض التاريخ وامتناعه على الفهم لو لم تكن الطبيعة البشرية ثابتة . ويغلب على الانسان الظن أن الطبيعة البشرية لحسن حظ المؤرخ لم تتغير ! وهو رأى كما قدمت ربما لا يمكن القطع به ، والمؤرخ بويك Powicke يقول « ما أشد التواء التاريخ على الفهم لو لم تكن الطبيعة قد ظلت على ما هي عليه » . وهو رأى في صيغة القطع ، ولكن ربما كان الرأى الذى أبداه اناتول فرانس Anatole France في كتابه المشهور

« حديقة ابيقور » اقرب الى القبول ، وذلك حيث يقول « في أعماق نفوسنا اساس من الطبيعة البشرية قابليته للتغيير اقل مما نظن ، ونحن في الواقع نختلف اختلافا قليلا عن اجدادنا ، ولاجل ان تتغير اذواقنا وعواطفنا تغيرا ذا بال فانه لا بد من تغير الاعضاء التي تحدثها ، وهذا عمل الأجيال، ومئات والوف من السنين لازمة لتعديل بعض خصائصنا تعديلا ملحوظا » .

وليس هناك تسليم مطلق بان الطبيعة البشرية قد ظلت ثابتة بلا تغيير ، والفيلسوف المؤرخ كولنجود Collingwood ، يرى ان الطبيعة البشرية قد تغيرت ، وانها لا يسعها الا أن تتغير ، وان كل الاشياء في تغير مستمر ، فلماذا تكون الطبيعة الانسانية مستثناة من هذا القانون الشامل ، وعند كولنجود ان الطبيعة البشرية ليست على نمط واحد ، وانها منوعة متعددة الأشكال ، وهي تختلف فى الزمان اختلافها في المكان ، وهي من ثم ليست شيئا يمكن كشف خصائصه الأساسية دفعة واحدة ، وانما هي شيء متغير تستلزم خصائصه بحوثا خاصة في حالاته الخاصة .

ويقول المؤرخ رينييه Renier ، في كتابه عن « التاريخ (١) هدفه ومنهجه » الرأى القائل ان الطبيعة البشرية قد تغيرت وان الناس قد تبدلت احوالها تبعا لذلك نتيجةلتقدمالنمو المطرد لا يبدو مخالفا للمعقول ، او ليس حقيقة او غير حقيقة ان العهد الكلاسيكي القديم يرينا رجالا اقوياء الاخلاق سليمى النية خالصى الطوية في تعلقهم بجماعتهم ، وان رجال العصر الوسيط سواء كانوا منالقديسين او الفرسان او الصناع ـ كانوا كانهم صبوا في قالب واحد ، وان رجال العصر الحديث قد أصبحوا طرزا منوعة متفردة الى حد الفوضى ؟ او لم تكن الأجهزة العصبية لرجال القرن السادس عشر الذين احتملوا التعذيب من اجلالدين مختلفة عن اجهزة رجال القرن العشرين الذين جعلهم علم المحافظة على الصحة واستعمال المخدرات مرفهين؟ وقد ترد على ذلك قائلين ان الفاشية والفلنجية (الفاشية الاسبانية) Falangism والشيوعية قد أتاحت الفرصة للكثيرين من الرجال والنساء ان يظهروا من الثبات والجلد في احتمال التعذيب مثلما اظهره شهداء القرن السادس عشر . والسنا نستطيع ان نقول ان الاختلافات بين رجال العهد القديم ورجال العهد الوسيط ورجال الحديث اختلافات في المظهر اكثر منها في الحقيقة ، وان تصورنا لرجال العهد القديم ورجال العهد الوسيط قد شوهته خصائص المعاصرين الذين كتبوا عنهم ؟ » .

وقد يدور نقاش ويحدث خلاف بين الفلاسفة وعلماء النفس عن الطبيعة البشرية ومشكلة هل اصابها التغيير اولا ، ولكن المؤرخ يلتزم حدوده بازاء هذا الخلاف ، واول واجباته هو رواية قصة الماضى ، وهو يتحدث عنه مفترضا ان الطبيعة البشرية لم تتغير ، او على اقل تقدير لم تتغير تغيرا جوهريا يتجاوز حدود معرفته . وهو لا يرى مناصا من التسليم بان الطبيعة البشرية في سالف العصور هي نفسها الطبيعة البشرية في عصره ، وهو يمضي في عمله على هذا الاساس ، وكان المؤرخ بيرن Pirenne ، كثيرا ما يقول « الطبيعة البشرية في المدى الذى يهم المؤرخ لم تتغير » .

كيف يحصل المؤرخون على فهم الطبيعة البشرية

ولكن كيف يحصل المؤرخون على فهمهم للطبيعة البشرية الذى يؤهلهم للقيام بمحاولة تفسير سلوك الناس في سالف الأيام ؟ انهم يستخلصون فكرتهم عن الطبيعة البشرية منوقوفهم على سلوك البشر ، لان طبائع الناس تتجلى في تصرفاتهم وضروب اعمالهم ، فاذا ارتكب أحد الناس عملا من اعمال القسوة فقد تتريث فى وصفه بالقسوة ، ولكن اذا كان هذا دابه ووكده فاننا نستطيع أن نثق بان القسوة من صفاته الأخلاقية ، وما دام قد صدرت عنه اعمال قاسية في الماضي فان المنظور أن تصدر عنه اعمال مما مثلها فيالمستقبل . فاذا اثبت الزمن

(1) History, its Purpose and method

صدق ظننا فمعنى ذلك أن حكمنا على أخلاقه قد أصاب شاكلة الصواب . واكتسابنا القدرة على فهم الطبيعة البشرية والسلوك البشري معناه أننا أصبحنا نحسن التكهن بما سيفعله زملاؤنا البشر ، ويمكن انماء هذه القدرة بملاحظة الناس في سلوكها ومختلف تصرفاتها ، وسعة الاطلاع على الآثار الادبية والاستعانة بالاطلاع على النظريات المختلفة التي بسطها علماء النفس .

والانسان بطبيعة الحال يراقب سلوكه الخاص تلقاء أحداث الحياة ، ويلاحظ كذلك سلوك غيره من الناس ، ومن حصيلة مراقبته لنفسه وملاحظته لسلوك غيره تتجمع تجاربه في الحياة ، وتتكون خبرته بالنفس الانسانية . وكلما كان عقله مدربا تدريبا علميا ، ومثقفا ثقافة عالية ، فانه يستطيع أن يتخلص في أحكامه من سلطة اهوائه ونزواته ، وتقترب أحكامه من أن تكون موضوعية . وتتفاوت قدرة الناس في هذا الصدد ، وقد رزق بعض الناس معرفة حدسية تجعله أكثر فطنة من غيره في فهم الاخلاق ووزن الرجال . كما يستطيع الانسان عن طريق الخيال العاطف أن يضع نفسه في ظروف وملابسات الناس الذين يحاول فهم دوافعهم واستبطان دخائلهم . والتاريخ بوجه عام يعرض لنا موكبا من اخواننا البشر ، ويطلعنا علىاعمالهم وتصرفاتهم ، وطريقتنا الى فهم حوافزهم النفسية هي نفسها طريقتنا في فهم نفسية المعاصرين لنا . ونحن ان كنا نفيد من الحاضر في فهم الماضي فاننا كذلك باطلاعنا على تجارب اسلافنا نمد من حدود خبرتنا ونوسع آفاق تجاربنا ، وسيظل العامل الذاتي لاحقا باحكامنا ، ولكننا نستطيع ان نقلل من تأثيره بموازنة أحكامنا باحكام غيرنا ، وتوطيد ثقافتنا .

علم النفس كشف النقاب عن غوامض الطبيعة البشرية

ولكن هل يستطيع العلم أن يخرجنا من حدود الذاتية التي تشوب أحكامنا ؟ ان العلم يراقب ويلاحظ ويقدم لنا تعميمات نافعة ، وعلمالنفس الحديث قد كشف النقاب عن كثير من غوامض النفس الانسانية وخفاياها ، ولكن اختلافنظريات كبار علماء النفس البارزين تجعل المؤرخ شديد الاحتياط في الاخذ بتلك النظريات الحديثة، ومهما يكن من الأمر فان اطلاع المؤرخ على الآراء الحديثة في علم النفس يمده بمعلومات قيمة عن النفس الانسانية تعينه في أداء مهمته ، والاقتراب من الحق التاريخي الذي ينشده ويعمل على بلوغه .

المتشائمون من المفكرين

والمفكرون المتشائمون مثل الفيلسوف الالماني شوبنهاور ومن لف لفه من المفكرين الالمان مثل هارتمان وباهنسن Bahensen ، يرون ان الطبيعة البشرية غير قابلة للتغيير ويسيئون بها الظن ، وكذلك كان رأى شاعرنا الكبير (١) ابي العلاء المعري وهو القائل :

لا يخدعنك ، أخرانا كأولنا
في نحو ما نحن فيه ، كانت الأمم

والقائل :

فلا تأمل من الدنيا صلاحا
فذاك هو الذي لا يستطاع

وعند شوبنهاور أن الانسان في أعماقه حيوان ضار وهمجي مستوحش ،والحضارة تكبح جماحه وتقلم اظفاره ، ولكنه يبدو على حقيقته من الحين الى الحين حينما يهتز نظام المجتمع خلال الثورات والانقلابات .

وموجز القول ان تغيير الطبيعة البشرية والقضاء على ما بها من نوازع وحوافز واثارة الحروب التي تهدد البشرية بالفناء لا تزال املا مرجوا وحلما يتطلع الحكماء المحبون للانسانية الى تحقيقه .

■■

علي أدهم

(١) سبق لي أن أوضحت موقف أبي العلاء من فكرة التقدم واتفاقه مع شوبنهاورفي كثير من اتجاهاته في كتابي « بين الفلسفة والادب » .

المرضُ الوهمي طريقٌ للهروب من صعوبات الحياة

■ سيدة في الثانية والاربعين من عمرها،متزوجة منذ ٢٠ عاما ، أم لفتى عمره ١٧ سنة ، وطفلة في التاسعة من عمرها .

السيدة ولنرمز الى اسمها ب « س » ظهر على وجهها الاصفرار ، وعلى بدنها النحول ، قلقة ، يبدو عليها الاضطراب والوجل . انها تنتقل من طبيب الى آخر تشكو ألما حادا في المرارة يهاجمها من حين الى حين .

كل الأطباء الذين ترددت عليهم أجمعوا بعد أن أجروا لها الفحوص الطبية والأشعات والتحاليل المخبرية انها غير مريضة على الاطلاق . ولكن نوبات المرض استمرت تهاجمها على فترات متقطعة بالرغم من انها اخضعت نفسها الى رجيم قاس يحرمها من كل ما لذ وطاب من طعام .

لم تقنع هذه السيدة بكلام الأطباء ، كيف لا تكون مريضة وهى تعانى آلاما مبرحة تهاجمها بين الحين والآخر ؟! بدات تشك في أنها تعانى من مرض خبيث . وازدادت حالتها سوءا على سوء .

وأخيرا قام احد الأطباء بتحويلها الى مركز العلاج النفسي(١) بعد أن تاكد له انها لا تعانى من اى مرض عضوى وأن هناك احتمالا كبيرا ان يكون مرضها مرضا نفسيا .

زوجي لا يهتم بي !

بدأ المحلل النفسي بسؤال السيدة « س » عن الوقت الذى بدأت تشعر فيه بالتهاب المرارة ، وذكرت المريضة أن أول نوبة مرضية حدثت لها عندما جاءت شقيقة زوجها لتعيش معهم لمدة عام كامل . ورأت أن زوجها يعير شقيقته اهتماما يزيد عن اهتمامه بها .

وتوالت جلسات التحليل النفسي وفي خلال هذه الجلسات روت المريضة قصة حياتها .. لقد فقدت والديها وهى طفلة صغيرة ، وكانت هى أصغر أربع شقيقات ، تزوجت شقيقتها الكبرى واخذتها هى وأختيها ليعشن معها . وذكرت ان طفولتها كانت سعيدة مع شقيقتها الكبرى .

وذكرت المريضة أنها قابلت زوجها في حفل من الحفلات وانهما تزوجا بعد ذلك زواجا مدنيا، ثم رزقت بابن منه وبالرغم من ذلك لم يفكرا في زواجهما المدنى ، وجعله زواجا مدنيا شرعيا ،فهو عندهم أثبت .

وقالت ان طفولة زوجها كانت تعسة فامه كانت من النوع المستبد المسيطر على زوجها وابنائها ، وان احدا منهم لم يكن يستطيع ان يعارضها في أى أمر من الأمور .

واشتكت السيدة « س » من أن زوجها يعامل ابنتهما معاملة افضل من معاملته لابنهما الفتى . ثم عادت وذكرت انه أيضا لا يعطيها الاهتمام الكافي الا اذا كانت مريضة ، أما في الايام العادية فانه يعاملها كانها قطعة من اثاث البيت تعود على أن يراها في مكانها كل يوم . وقالت ان العلاقات

(١) قصة هذه المريضة مستقاة من سجلات مركزآدلر للعلاج النفسي في نيويورك .

الزوجية بينها وبين زوجها على مايرام ، الا انها لاحظت في الفترة الأخيرة أنه بدأ يطارد النساء الأخريات !!

وذكرت المريضة أنها حملت منذ ٦ سنوات ثم تعرضت للاجهاض ، وبعد ذلك استولى عليها الخوف من الحمل مرة أخرى ، حتى أنها بعد الاجهاض بمام واحد شعرت بكل أعراض الحمل وعندما ذهبت للطبيب اتضح أن هذه الأعــراض كاذبة .

المحلل يصارح المريضة بحالتها

اكتفى المحلل النفسانى بهذه المعلومات التى استقاها من مريضته في الجلسات الأولى وشرح لها انه ما دامت البحوث الطبية المختلفة قد اثبتت بشكل قاطع خلوها من الأمراض العضوية التى قد تسبب التهاب المرارة ، فان أعراض المرض الذى تشعر به ليست الا اعراضا نفسية تنتابها لكى تجذب اهتمام زوجها بها .

وطلب المحلل من مريضته أن تحاول احضار زوجها في جلسة من الجلسات . ورفض الزوج أن يحضر الى المركز النفسي .

واستمرت جلسات التحليل النفسي . وبدأت المريضة تشعر بالثقة تنمو بينها وبين المحلل وبعد مرور ٦ اسابيع ذكرت لأول مرة أن زواجها الذى تحدثت عنه انما هو في الحقيقة الزواج الثانى بالنسبة لها .

وأنها حصلت على الطلاق من زوجها السابق بعد أن أحبت زوجها الحالى ، ولكن هــذا الحب الجديد تضاءل بعد عامين من زواجهما .

وقد كانت قد ذكرت للمحلل النفسانى أن زوجها يفرق في معاملة أبنائهما بتفضيــل الفتاة على الولد . واذا بها تعود لتزيد معنى التفرقة وضوحا فتقول ان الزوج يعامل ابنه بقسوة شديدة ، وانه يرفض مناقشة اى امر من أمور تربية أبنائهما معا.

ونصحها المحلل النفسانى أن تحاول أن تناقش زوجها في كل هذه الأمور بصراحة على أن تنتهز الوقت المناسب لذلك .

شفاء سريع

لم تمض ٨ أسابيع الا وبدأت حالة السيدة « س » تتحسن تحسنا ملموسا . نوبات المــرارة لم تهاجمها طوال هذه الفترة ، وذلك بالرغم من أنها قد تخلت عن « الرجيم » القاسي الذى كانت تتبعه في طعامها . اكتسبت ثقة في نفسها وقــالت للمحلل النفساني الذى يشرف على علاجها انها قد فكرت جيدا في كل ظروف حياتها وانها تؤمن بأن مرضها لم يكن الا ظاهرة تحاول عن طريقها أن تستدر عطف زوجها وان تكتسب اهتمامه .

وفى آخر جلسة من جلسات العلاج قالت انها اصبحت لا تخاف من أن تعبر عن رأيها لزوجهـا بشأن تربية أولادهما ، وان زوجها قد بدأ ينصت لآرائها ويقتنع بها . بل ان اهتمامه بها قد ازداد وأنهما قد اتفقا على أن يقوما بتوثيق زواجهما المدنى والزواج زواجا دينيا .

وبعد مرور عام بالضبط اتصل مركز أدلر للعلاج النفسي بالمريضة «س» ليتحرى عن حالتها، فوجد أنها تعيش في سعادة تامة مع زوجها ، وأن أمورهما قد استقرت بعد أن استعادت المريضــة ثقتها في نفسها ، وبدأت تواجه مشاكلها بواقعية بدلا من الهروب منها عن طريق المرض الوهمى .

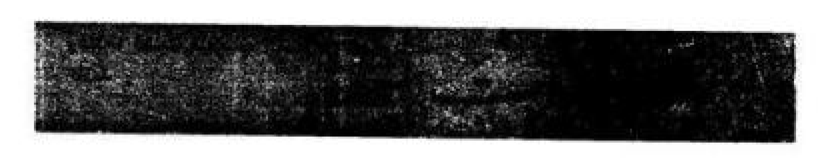
وحالة المريضة « س » حالة شائعة فكثيرا ما تؤدى الحالات النفسية العصابية الى الشــعور باعراض معينة دون أن يكون هناك في الحقيقة اى مرض عضوى . ويسمى الأطباء النفسانيون هذه الحــالات بردود فعــل جسمانيــة نفسانية Psychosomatic Reaction وكثيرون هم من يشكون من أمراض المعدة ، أو الجهاز التنفسي ، أو الصداع او اعــراض امــراض أخــرى كثــيرة ، ويتنقلون مــن طبيــب الــى طبيــب ، ومــن مستشــفى الــى مستشفى ، يجــرون الفحوص والتحاليل التــى تسـفر كلهـا عـن أن اعضاءهم سليمة تماما . ولكن بالرغم من هذا فالمرض لا يفارقهم ، ونوباته تهاجمهم من حين الى حين ويحتار المريض ويحس بأن الشفاء قد كتب عليه . وهو لا يعلم أنه بشكواه من المرض انما يجد لنفسه طريقا للهروب من مواجهة المشاكل التى تقابله في حياته.

وفي الحقيقة أن شفاء مثل هذه الحالات ليس عند الطبيب الباطنى أو الجراح ولكنه عند الطبيب النفسانى كما رأينا في حالة السيدة « س » .

■■

(م. ط)

رتشارد نكسون



بقلم: منير نصيف

■ كانت امه تريد له ان يصبح واعظا في الكنيسة او عازفا على الارغن !

اما ابوه فلم يكن يهمه ماذا يكون ابنه عندما يكبر ، بقدر ما كان يهمه ان يتعلم هذا الابن ، فقد كان الاب اميا لايعرف القراءة ولا الكتابة ، فلم يكن لهذا الاب أم ترعاه في طفولته ولا أب يعنى به ، فقدفقدهما طفلا ونشأ يتيما . .

ولعل شعور الاب بافتقاره الى التعليم ، هو الذى كان يدفعه دائما الى الاهتمام باعطاء ابنه ما حرم هو منه !

واما هو فقد كان يريد ان يصبح مهندسا .. وكان مثله الأعلى هو سائق القطار الذى يجرى على الخط الحديدى بين مدينتي لوس انجليس ، ونيدلز ، بولاية كاليفورنيا .. وكان يجد في صفير القاطرة وهي قادمة من بعيد ، اعذب موسيقى سمعها فى حياته .

ولكن لم تكن الآلة التى تدفع القاطرة هي سبب اختياره لهذه المهنة ، وانما حبه للسفر .. فقد كان يرى الناس وهم ينتظرون القطار على المحطة ، ثم يختفون فيه ، ليظهروا مرة اخرى من نوافذه يلوحون بايديهم لمودعيهم ، ولا يلبث القطار ان يتحرك من المحطة مبتعدا بهؤلاء السعداء الذين سيرون العالم .. فاحب القطار ، واحب الرجل الذى يقوده ، وتمنى لو انه اصبح مهندسا مثله !

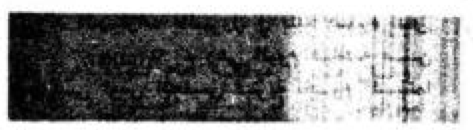
رجل خجول

انه رتشارد نيكسون ، الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية .. رجل خجول بسيط جاد في حديثه ، يكره الاضواء ويعشق القانون !

وربما كان بعده عن الاضواء وميله الى الجد دائما في مناقشاته وفي علاقاته مع الناس ، وشعوره بالخجل منهم في كثير من الاحيان من بين الاسباب المباشرة التى اخرت فوزه بمنصب الرئاسة ثماني سنوات كاملة ..

فقد رشحه الحزب الجمهورى الذى ينتمي اليه لانتخابات الرئاسة لاول مرة في عام ١٩٦٠ ، عندما كان نائبا للرئيس الامريكي الاسبق دوايت ايزنهاور . وبدات المعركة الانتخابية بين المرشح الجمهورى رتشارد نيكسون ومرشح الحزب الديمقراطى جون فيزجيرالد كنيدى John Fitzgerald Kennedy ، وكانت معركة حامية ، رجحت فيها كفة نيكسون في اكثر من مناسبة وفي اكثر من ولاية ، وكان من الممكن ان يفوز المرشح الجمهورى على منافسه لولا ذلك اليوم الذى ظهر فيه الاثنان في مجادلة طويلة في التلفزيون امام الشعب الامريكى كله !

● مَثَلٌ مِنَ التَّارِيخِ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ ،
يكونُ فقيراً فيغنى .
وغير نابهٍ فيُذكر .



فى السَّفحِ يكون ،
فإذا به على رأسِ الجبل ،
وكل ذلكَ بالمثابرة ،
والعزم الذى لا يكل .

فقد بدا نيكسون متعبا مهدودا ، بينما بدا منافسه ممتلئا نشاطا وحيوية ..

وقد كلفته هذه المفارقة كثيرا من الاصوات التى كان من الممكن ان تحمله الى البيت الابيض الامريكي ، هذا المنصب الذى ظل يتطلع اليه دائما منذ ذلك الوقت الذى خسر فيه معركة الرئاسة « بفارق شعرة » منذ عشر سنوات . فقد فاز منافسه كنيدى باغلبية ضئيلة من اصوات الناخبين .

قال نيكسون في كتابه الازمات الست « Six Crises » ، الذى وضعه عقب هزيمته في عام ١٩٦٠ : « لقد عنيت بالجوهر خلال حملتى الانتخابية ، اكثر من عنايتى بالمظاهر .. ووجهت اهتماما اكبر لما سوف اقوله واهتماما اقل لما كنت ابدو عليه اثناء حديثى للناخبين . وكانت النتيجة اننى خسرت المعركة » .

الطريق الى القمة

من هو نيكسون ، وما هي قصته ، وكيف ارتقى السلم الطويل الى القمة ؟

ولد ريتشارد ميلهوس نيكسون Richard Milhous Nixon ، فى بلدة زراعية تمتلىء باشجار الليمون ، اسمها يوربا ليندا « Yorba Linda » ، وهي تبعد حوالي خمسين كيلو مترا عن مدينة لوس انجليس بولاية كاليفورنيا الامريكية ، عن ابوين من اصل ايرلندى ، وهو ثاني اكبر ابناء الاسرة الخمسة . اما امه « هانا » Hannah ، فكانت سيدة متدينة ، تؤمن بمذهب الكويكرز Quakers ، او الرجافين ، الذين يرتعشون امام ذكر اسم الرب ، واما ابوه فقد كان تابعا للكنيسة الميثودية Methodist ، او

النظامية ، ولكنه ما لبث ان اعتنق مذهب زوجته بعد زواجه منهـا !

وكان الاب فلاحا يملك بستانا صغيرا للفاكهة ، يجمع محصوله على عربة صغيرة ، ويخرج بها الى السوق ليبيعه . ولكنه ما لبث ان اكتشف ان دخله من هذه التجارة لايكفي نفقات اسرته الكبيرة، فباع البستان ، واشترى محلا للبقالة ، ومحطة لتزويد السيارات بالبترول في بلدة صغيرة تدعى هويتير Whittier ، وهي اليوم ضاحية مـن ضواحـي لوس انجليس قـرية نجـوم السينما واصحاب الملايين في كاليفورنيا .

طفولة « ديك »

اما ديك الصغير ، كما اسمته امه ، فقد كان يذهب الى احدى المدارس الحكومية في البـلدة الصغيرة ، ويقضي كل اوقات فراغه في متجـر والده ، يعاونه في البيع ، وفي تزويد سيـارات الناس بالبتـرول ، حتى عندما كبـر والتحق بالمدرسة الثانوية .

وتعلم « ديك » العزف على الارغن ، وكانت امه وجدته العجوز تذهبان الى الكنيسة وترقبانـه وهو يعزف التراتيم اثناء الصلاة ..

كانت اسرة فقيرة ولكنها كانت سعيدة .. الام هانا تصحو من نومها في ساعة مبكرة من الصباح ، لتعد الفطائر التى سيبيعها الاب في متجره ، والابناء يذهبون الى المدرسة ، ثم يعودون الـى البيت في المساء ، حيث ينتظرهم عمل آخر عند صغار المزارعين ، الذين كانوا في حاجة دائما الى ايد تساعدهم في زرع الارض وحصدها وجنـي محصولها ، مقابل بضعة دولارات يعاونون بهـا اسرتهم على مجابهة اعباء الحياة ..

اقوى من الضرب !

كان الهدوء يسـود حيـاة الاسرة ، باستثناء تلك اللحظات التي يفقد فيها الاب اعصابه فيضرب احد ابنائه لانه اخطأ او اساء التصرف . اما الام فلم تكن مثل زوجها .. اذ كانت تتمتع بقـدرة عجيبة في السيطرة على اعصابها ، فلم تضـرب اولادها ابدا .. كانت تكتفي دائمـا بتقريعهـم وتوبيخهم .. اما الضرب فكانت تتركه للاب ! حدث يوما ان جاء شقيق ديك الصغير الى البيت ممتقع الوجه ، فلقيه شقيقه الذى بادره بقوله : « ماذا حدث » ؟

فقال بصوت يرتجف : « لقد شاهدتني امي وانا افعل شيئا ما كان يجب ان افعله ، ارجوك ان تتوسل اليها ان تضربني ، فانا لا اقوى على احتمال تقريعها !! ارجوك الا تدعها تتحـدث اليّ ! » .

هكذا كانت « هانا » .. وهكذا كان حديثهـا الهادىء وتقريعها لاولادها اقوى اثرا على نفوسهم من الضرب !

وظـل الحال كـذلك الى ان نزلت الكـارثة بالاسـرة ..

كارثة تحل بالاسرة

روى نيكسون في حـديثه للصحفي الانجليزي كينيث هاريس « Kenneth Harris » ، اثنـاء حملته الانتخابية في العام الماضي ، قبل انتخابـه باشهر قليلة ، تفاصيل تلك التجربة الاليمة التى تعرضت لها اسرته قال : « اصيب شقيقي الاكبر هارولد » بالسل الرئوى ، فنقلته امنا الـى اريزونا ، حيث الجفاف بعيدا عن جو كاليفورنيا الرطب . وهناك ادخلتـه المستشفى للعـلاج ، وبقيت بجانبه عامين كاملين تطهو الطعام لنزلاء الفندق ، وتغسل الارض ، حتى تستطيع ان تعول نفسها وتدفع جـزءا من نفقات العلاج ، التـى اضطرت والدى في النهاية الى بيع جزء من الارض التى كان متجره قائما عليها ، لكى يتمكن مـن سدادها ..

« ولكن شاء القدر ايضا ان يصاب شقيقي الاصغر « آرثر » بالالتهاب السحائي والسـل الرئوى ، في وقت واحد ، خلال غيبة امنا مـع هارولد في اريزونا ، وما هي الا بضعة ايام حتى كان المسكين قد فارق الحياة .

« وكانت صدمة قاسية علينا ، وعلى امنا ، التى ما لبثت ان عادت هي وهارولد ، ولم يكن

اخي قد شفي بعد من مرضه ، ولكننا كنا نامل ان يفارقه هذا الداء اللعين » .

مات هارولد

« وفي صباح يوم بارد ، وكانت صحة هارولد قد بدات تتحسن ، جاء الي يرجوني ان اصطحبه الى المدينة لانه يريد ان يشترى هدية لامنا ، واختار لها خلاطا كهربائيا . وفي طريق عودتنا الى البيت مررنا بالمدرسة ليرى اصدقاءه ، وتركته مع زملائه بعض الوقت ، وفجاة وقبل انقضاء خمس عشرة دقيقة على وصولنا ، جاء احد المدرسين مهرولا ليقول لي : « يجب ان تعود الى البيت فورا ، فقد مات شقيقك هارولد ! » .

« وتلقى والدى الخبر بشجاعة تثير الاعجاب ، وانني لاذكر حتى اليوم ما قالته امى في جنازة اخى : « من الصعب في بعض الاحيان ان يفهم الانسان ارادة الله ، ولكننا جميعا نعلم ان هناك طريقا رسمه الله لنا .. وسيكون لنا الخير في نهايته » .

اجمل شيء في حياتي !

يقول نيكسون : « قد لا اكون في مثل سلبية واستكانة والدتي ، وقد لا اكون مؤمنا تماما بفلسفتها ، ولكن شجاعتها ، وقدرتها على الصبر واحتمال الشدائد .. كل هذه الصفات كانت اجمل شيء عرفته في حياتي ، وقد كان لها اكبر الاثر في نفسي خلال المتاعب والازمات التى مرت بى ، وسيكون لها دائما هذا الاثر في مستقبل حياتى » .

وما اكثر الازمات التى عاشها نيكسون ، في طفولته وصباه وشبابه ثم في حياته بعد ان اقتحم ميدان السياسة .. فقد لعب نيكسون دورا هاما في الحكم اكثر من اى نائب رئيس سابق عندما اصبح رئيسا للولايات المتحدة الامريكية بالنيابة اثناء اشتداد وطاة المرض على الرئيس الاسبق ايزنهاور في اعوام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ .

ثم زار ما يزيد على ستين بلدا في وقت لم تكن علاقات امريكا دائما طيبة بدول العالم الخارجي ، فثاروا في وجهه وضربوه بالطماطم والبيض ..

وحملته احدى زياراته الى الاتحاد السوفيتي حيث اشتبك مع خروشوف رئيس وزراء روسيا حينذاك في معركة كلامية حادة في القسم المخصص لعرض ادوات المطبخ بالمعرض الامريكي الذى اقيم في موسكو عام ١٩٥٩ ، وسميت « بمناقشة المطبخ » .

وقال مبررا موقفه امام ثورة الرئيس السوفيتي : « لم استطع السكوت ، فانا لا احتمل الوقوف موقف المتفرج ، لقد تعلمت من فريق الكرة في المدرسة ، اننا لكي نصيب الهدف ونفوز ، فلا بد ان نرفض الهزيمة ! »

وقد رفض نيكسون الهزيمة دائما .. رفضها في عام ١٩٦٠ عندما خسر معركة الرئاسة .. ورفضها بعد ذلك في عام ١٩٦٢ عندما هزم في انتخابات حاكم ولاية كاليفورنيا امام امراة .. ثم رفضها قبل ذلك في عام ١٩٥٢ عندما لاكت سمعته الالسن فاتهموه بقبول اموال من احد كبار رجال الاعمال في ولاية كاليفورنيا ، وعندما سمع ايزنهاور بالتهمة الموجهة الى الرجل الذى اختاره نائبا له في الانتخابات ، اسرع اليه يطمئنه . وبكى نيكسون عندما اكد له ايزنهاور ان اسمه باق في بطاقة الترشيح ، وانه متمسك به !

حتى عندما اتم تعليمه الثانوى في المدرسة الحكومية بهويتير وصادفته بعض العقبات في طريق التحاقه بكلية الحقوق ، رفض ان يستسلم وصمم على دراسة القانون ، وقطع ٢٥٠٠ كيلو مترا ليلتحق بجامعة نورث كارولينا ..

احسن خطيب

لقد تعلم ان الكفاح المستمر هو الطريق الوحيد للنجاح ، فكافح وتفوق في المناظرات التى كانت تقام في مدرسته اثناء دراسته الثانوية ، حتى فاز بلقب احسن خطيب بين شباب بلدته . وكان ترتيبه الثاني عند تخرجه من المدرسة في عام ١٩٢٣ ، فحصل على منحة دراسية .. ولولا تفوقه لما استطاع ان يدرس الحقوق او ان يلتحق باى جامعة على الاطلاق ، فقد كانت الازمة

الاقتصادية تسود العالم فى ذلك الوقت من الثلاثينيات ولم يكن ممكنا ابدا ان يجد الشاب نفقات تعليمه عند احد من ابويه الفقيرين .

وعكف « ديك » على الدراسة ، فراح يواصل ليله بنهاره ، فيدرس في الصباح ويعمل في المساء .. فغسل الاطباق في المطاعم وباع الصحف في الشوارع ، حتى تخرج في عام ١٩٣٧ ، ونال شهادة الحقوق بمرتبة الشرف ..

وكان اول المهنئين له امه وجدته العجوز التى جاوزت عامها السابع والثمانين في ذلك الوقت .. لقد قطعت المرأتان المسافة الطويلة من كاليفورنيا الى نورث كارولينا وقدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلومتر بالسيارة لكي يشاهدا « ديك » في يوم تخرجه ، وقد أصبح محاميا .

قضايا الناس

وعاد نيكسون الى هويتير في مسقط راسه بولاية كاليفورنيا بعد ان فشلت محاولاته للحصول على وظيفة حكومية في نيويورك .. عاد ليعمل في مكتب يديره محاميان كبيران ، هما ونجرت Wingert وبويلى Bewley ، وكان من اقدم مكاتب المحاماة في البلدة التى لم يكن يزيد تعداد سكانها على ٢٥ الف نسمة في ذلك الوقت .. وفي هذا المكتب تلقى خبرته الاولى في المحاماة، ولو انها كانت بعيدة كل البعدة عن القضايا التى تمنى لو انه ترافع فيها ، فقد اسندوا اليه قضايا الطلاق .. !

ويصف نيكسون شعوره خلال هذه الفترة من حياته العملية فيقول : « لقد اتاح لي عملي الجديد فرصة التعرف على مشاكل العلاقات الانسانية ..»

وحتى ذلك الوقت ، لم يكن نيكسون يفكر في السياسة ، لا لانه يكرهها ، ولكن لانه كان مشغولا بشيء آخر لا يمت الى السياسة والسياسيين بصلة .. كان مشغولا بقلبه وبالحب الجديد الذى سيطر على كل تفكيره .. حب المراة التى اصبحت فيما بعد زوجة له ..

حب من النظرة الاولى

كانت فتاة صغيرة تدعى بات رايان Pat Ryan وقد فوجيء بها المحامى الشاب وهى تهبط الى بلدته هويتير في احد أيام الشتاء الباردة ، لتعمل مدرسة ..

وقدموها له قبل ان يراها ، وراح أصدقاؤه يعددون امامه محاسنها .. حتى جاء اليوم الذى تم فيه اللقاء .. وكان حبا من النظرة الاولى .. ولم يضيع نيكسون وقته ، اذ ما كاد اللقاء الثاني بينهما يتم حتى اقترب منها وهمس في اذنها قائلا : « بات يا عزيزتى .. قد لا تعلمين ذلك ولكننى سوف أتزوجك ! » .

وانقضت ثلاث سنوات على هذا الوعد الذى قطعه نيكسون على نفسه قبل أن يحتفل الاثنان بزواجهما في شهر يونيو من عام ١٩٤٠ .. على طريقة الرجافين او ال كويكرز ..

وفي شقة صغيرة فوق جراج للسيارات ، بمدينة هويتير ، اقام العروسان ، واستمرا في عملهما ، هى في التدريس ، وهو في النظر في قضايا الناس الذين لم يكن حظهم من الزواج كبيرا !! فقد كانا في حاجة الى كل سنت لسد نفقات هذه الأسرة الجديدة .. ولكن الحرب لم تترك الزوجين الشابين ينعمان بالحياة فى عشهما السعيد ، اذ سرعان ما دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الثانية واستدعى نيكسون للخدمة العسكرية ، فالتحق بالبحرية برتبة ملازم ، وما لبث أن أرسل على ظهر احدى البوارج الحربية الى مكان ما في المحيط الهادىء ..

كتاب التاريخ

ويتحدث نيكسون عن المشاعر التى كانت تتنازعه، وهو يستعد لخوض غمار هذه الحرب فيقول : « لقد كان من الممكن ان أكون اول المعارضين لدخول الحرب بفضل تعاليم مذهبى . لولا تاثرى بتاريخ بلادى .. لقد اهدتنى جدتى كتابا لتاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، عندما كنت صبيا في الرابعة عشرة ، وقرأته مرارا ، وتاثرت بما قرات . وكان لهذا الكتاب اكبر الأثر في نفسي ، فقد ادركت منه

الخطر الذى تتعرض لـــه بلادى اذا بقيت في عزلتها . »

هـــذه لمحة سريعة لحياة ريتشارد نيكســون الطفل والمحامى الشاب والزوج السعيد والملازم في البحرية الامريكية .. الرجل الذى كان مــن الممكن ان يظل محاميا من اشهر المحامين في أمريكا لولا تدخل القدر ليوجه اليه دعوة قادته الى المسرح السياسي لأول مرة ..

كان ذلك في عام ١٩٤٥ ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودته الى بيته وأسرته وبلاده ، عندما قامت حملة يتزعمها فريق من اعضاء الحزب الجمهورى الشبان ، ضد محترفي السياسة او الجمهوريين القدامى في الحزب ، في محاولة لتاكيد رايهم وتثبيت اقدامهم بين صفوف الحـــزب الجمهورى .

دعوة للاشتغال بالسياسة

وكان هدف هذه الحملة الرئيسي هـو البحث عن دماء جديدة ووجوه جديدة لقيادة الحـــزب وتوحيد صفوفه. وكان ان الف زعماء الحملة لجنة تضم مائة عضو منهم ، مهمتها اختيار الرجـــال المناسبين لترشيح انفسهم لانتخابات الكونجرس الامريكى عن ولاية كاليفورنيا ، ونشطت اللجنة في بحوثها ودراساتها لشخصية كل من تقدم مــن المواطنين المرشحين لهذه الانتخابات ، وخـرجت في النهاية بنتيجة هامة ، وهى أن الرجل الوحيد الذى يمكن الاتفاق على ترشيحه هو والتر دكستر، الذى كان مدرسا بمدرسة هويتير الثانوية ، ثم أصبح فيما بعد مديرا للتعليم بولاية كاليفورنيا وقت ثورة الشباب الجمهورى . ولكن دكستر اعتذر عن قبول الترشيح ، مفضلا عمله الاكاديمى على خوض ميدان السياسة ، الا انه لم ينس وهو يودع اعضاء اللجنة ، ان يرشح لهم تلميذا مــن تلاميذه القدامى بمدرسة هويتير .. ولم يكن هذا التلميذ سوى ريتشارد نيكسون ..

وفي مساء هذا اليوم دار حـــديث طويل بين نيكسون وزوجته في شقتهما الصغيرة فوق جـراج السيارات في هويتير .. وفي نهاية الحديث قالت الزوجة بات : « من حق الرجل ان يتخذ القرار الذى يناسبه في الحياة ، وعلى الزوجة ان تساند هذا القرار وتؤيده » .

وكان هذا اليوم هو بداية الطريق الطويل الذى أوصله الى البيت الابيض الامريكى ..

هذا هو نيكسون الذى تولى رئاسة الجمهورية الامريكية في الخامسة والخمسين من عمره ..

لقد ارادت له امه أن يصبح قسيسا ، فاصبح محاميا .. واراد له ابوه ان يتعلم فاصبح رئيسا للجمهورية .

★ ★ ★

نذكر له ما نذكره بحسبانه رجلا تفوق في امته، ولا بد انه كان جديرا بذلك . نقول ذلك ولا نبالى ما يكون من أمره فيما يتصل بشرقنا العربى . ■■

منـير نصيف

● يروى عن الشاعر حافظ ابراهيم أنه كان يلقى بعض قصائده في حفل كبير . وفي اثناء القاء القصيدة نهق حمار نهيقا عاليا ، فسكت حافظ . وقال أحـد الحاضرين : اسمعنا يا حافظ . فاشار حافظ الى ناحية النهيق وقال : بعد أن يسكت حضرة الزميل ؟

● في الأوتبيس ، قالت السيدة للشاب : شكرا لك يا سيدى على تنازلك لى عن مقعدك . فرد الشاب قائلا: العفو يا سيدتى..انما اردت ان ابرهن لحضرتك على كذب الذين يقولون اننا لا نقوم الا للفتيات الجميلات فقط !



■ لست ادري من ذا الذي قال ان الأديب ملك الأمة أول قائل ، ولكنني اتمنى لو أن القائل كان فصل بين الاديب الحيّ والاديب الميت فنظر في حال كليهما وحده . .

ان الاديب الحي سيد نفسه . . يعطي للمتطفلين أو الذين يريدون بحث أعماق حياته ما يشاء . . ويمنع عنهم ما يشاء . . يحاسبهم اذا افتروا عليه . . ويكتب بنفسه فيصحح لهم مايشاء لو زادوا أو نقصوا . .

أما الأديب الميت فجثة لاتملك من أمر نفسها شيئا . . تنبش خفايا حياتها وتغرس السكاكين فيها ولا من يحتج أو يعترض . .

ان الاديب الذي يريد أن يكون ملكا للأمة بعد وفاته هو ذاك الذي يكتب مذكراته ويضمنها أسراره لتنشر بعد موته . . أما ذاك الذي لا يفعل فكأنما قال صراحة ان أسراره هي ملكه . . وانها يجب أن تذهب معه الى قبره . . وارادة الميت تحترم دائما .

ان الذي لفتني الى هذا الأمر اني رأيت الكتب الكثيرة التي تنزل الى الاسواق ، فتنبش أسرار الاديب بعد موته . .وتشرّح تصرفاته الخاصة وتضعها أمام عيون القراء متسترة وراء الكلمات . . « الاديب ملك الأمة » .

ولقد عثر الباحثون بين آثار « ميّ » الأديبة على مئة رسالة غرامية ارسلت اليها من أدباء تعشقوها . . عربا واجانب . . وسروا بما عثروا عليه لانه يؤلف كتابا يجذب القراء ويضمن ايرادا جيدا . . ولكنهم فضلوا يومئذ استشارة فيلسوف الجيل المرحوم أحمد لطفي السيد .

وقال أبو الجامعة : لا . . قالوا : لماذا ؟ قال : ان أسرار « مي » هي أسرارها الخاصة . . وحتى من كتبوا هذه الرسائل لها لم يعد لهم الحق في التصرف بها .

قالوا : يا استاذنا . . ولكنك رجل مستنير سبق عصره بخمسين عاما .

قال بحزم : هذه مؤامرة على سرّ امراة وكفى .

قالوا : ولكن للتاريخ .

قال : ومن الذي جعلكم على التاريخ أوصياء في هذا .

حجة اخرى يسوقونها

ان أصحاب الرأى القائل ان الاديب ملك الأمة أو ملك قرائه يستندون الى حجة أخرى هي ان الكاتب انما يتأثر انتاجه بحياته الخاصة . . أى انه ينتج انتاجا عنيفا او رقيقا . . عاطفيا أو عقليا . . حسب الملابسات التى يكون فيها وقت الانتاج . . ومن حق من يقرؤون ان يعرفوا كيف كانت حياته عندما انتج هذا الكتاب أو ذاك .

واصحاب هذا الرأى يريدون ان يتأثرالقارىء لا بالكتاب ، ولكن بمن كتبه . . انهم ينسون الحكمة القائلة « انظر الى ما قيل لا الى من قال» . . أو طالع ما بين يديك مجردا من كل المؤثرات ليكون تأثرك انت بمقدار ما قرات من حكمة او عاطفة . . ولا تدع حياة صاحب القول ، حيا او ميتا ، تؤثر فيك .

نبش جثث الموتى

ولست ادري من اين جاءتنا هذه البدعة . . بدعة نبش جثة الميت من قبرها ثم وضعها على المشرحة وغرز السكاكين فيها . . بينما نحن لم نغرز هذه السكاكين وصاحب الجثة حيّ يستطيع

الدفاع عن نفسه .. ؟

لعلها جاءتنا من الغرب .

ان المألوف في الغرب ان يكتب الكتاب عن حياة الاديب الخاصة مايشاءون . وقد اخرجوا قبل اعوام قلائل كتابا عن مدام دوستايل de Staël وعشاقها الذين تمرغت في احضانهم .

ولكن من يحذون حذو الغرب في هذا المضمار ينسون فرق ما بين غرب وشرق ، ان الاديب الذى يعيش حياته مكشوفة هناك لا يخجل من مباذله حيا .. فهو لا يضيره اى شيء يقال عنه ميتا .. فمدام دوستايل مثلا عاشت حياتها مكشوفة لا تتورع .. كانت في الاربعين من عمرها تعايش على رؤوس الاشهاد شابا في الثانية والعشرين من عمره ، الى غير ذلك مما هو معروف عنها .. وفكتور هوجو Hugo ، صاحب البؤساء ، ترك زوجته وأولاده وعاش مع مدام دوريه .. ولما ماتت سار في جنازتها حاسر الرأس يتلاعب الهواء بشعوره البيضاء ووقف يتقبل التعازى عند ضريحها .

ان أدباء كهؤلاء لم يبالوا ما يقوله الناس عنهم وهم أحياء ، فاحرى بهم أن لا يبالوا ذلك وهم اموات .. انهم ليس لهم اسرار تفشى عندما يكتب الكتاب عنهم ، لان كل معاصريهم يعرفون كيف عاشوا .

ولقد عرفنا نحن العرب في فترة من التاريخ شيئا كهذا .. كان عندنا أدباء وشعراء يفاخرون بحماقاتهم .. فبشار بن برد مثلا ، كان في معظم أشعاره يفاخر بالفسق والفجور ، وهو قتل تلك القتلة الفظيعة بسبب فجوره .. وعمر بن أبى ربيعة عاش في غزلياته وفاخر بها .. هؤلاء وامثالهم لم يشنهم ما كتب الناس عنهم اذ ليس في حياتهم اسرار أو فضائح لم يفاخروا هم بها .

ولكن حالنا اليوم غير حال ذلك الزمان ، فمحيطنا العربى الآن فى دور البناء ، ونحن بحاجة الى كل خلقنا ومفاخرنا لتساعدنا على النهوض .. وليس من الخير ان نحكى الفضائح والمخازى عن أدبائنا على مسمع من نشئنا ليستسيغها ويقلدها ..

واذكر الأدباء وأخص الأديبات ، أولئك اللواتى لا يدرى أحد أى حرب قامت بين عقل الواحدة منهن وقلبها .. وأى جهاد جاهدت وتضحيات بها ضحت لتبقى على احترام الناس لها حية .. ثم هى تموت فيجيء من يعتدى على قدس اقداس نفسها غير راع للموت حرمة .

وقالوا ان الأديب ملك التاريخ

ولا أعلم من الذى قالها أيضا ولكنها تبدو غريبة على مسمعى .. ترى ماذا يهم التاريخ من حياة أديب .. حياته الخاصة ؟

هب أن دى موباسان de Maupassant مات مجنونا حقا ، وهول كين مضطرب الاعصاب حقا .. وآخر مصاب بالصرع الى غير ذلك .. ماذا يضر التاريخ أن لا تنكشف حياتهم الخاصة ما دام انتاجهم بين يدى التاريخ يضيف الى خزائن الأدب ثروات ثمينة ؟

ثم هب ان القول الذى قالوه حق ، وان الأديب هو ملك التاريخ ، فهل كل من حمل قلما ليكتب عن أديب ميت هو مؤرخ ؟

ان للمؤرخين صفات خاصة بهم وحدهم أولها واهمها التدقيق .. وفي كل ما قرأته عن دى موباسان او مى أو غيرهما لم أجد كاتبا واحدا قابل اطباء هذا الاديب المريض أو ذاك في المصح وعلم منهم بدقة نوع المرض واعراضه .. واستقصى عن شئون الكاتب ما خفى منها وما ظهر . فأين دقة المؤرخ الباحث في هؤلاء .

ثم ان التجرد عن كل هوى هو الصفة الثانية التى تلازم المؤرخ .. وأغلب ظنى أن هذه الصفات وامثالها التى أعوزت النباشين كانت أمام عينى لطفى السيد ، عندما جاءوه ، وقد وجدوا لمى مائة رسالة حب فاسرعوا ليستغلوها ، وعندها قال لهم ومن جعلهم أوصياء على التاريخ في مثل هذا ..

ان ابن ياقوت صاحب المعاجم الثلاثة الشهيرة وهى معجم البلدان .. ومعجم الشعراء .. ومعجم الادباء ، وكل معجم من هذه مكون من عشرة مجلدات .. قضى حياته يسير من بلد الى آخر على حماره .. وينام في خان بكل مدينة ينزلها .. ويبحث ويدقق في كل كلمة قبل ان يكتبها في معاجمه ..

وهيرودوتس Herodotus أبو التاريخ كان أيام الفراعنة يتنقل من قطر الى آخر على جواده برا .. وفي المراكب الشراعية بحرا .. وبعد البحث والاستقصاء يكتب « هذا ما رأيته بعينى رأسي » ، أو يكتب « هذا لم أره ولكن قيل لى عنه » ، فتصور نزاهة المؤرخ وتدقيقه . ■■

أسمى طوبى



بقلم الدكتور أحمد زكى

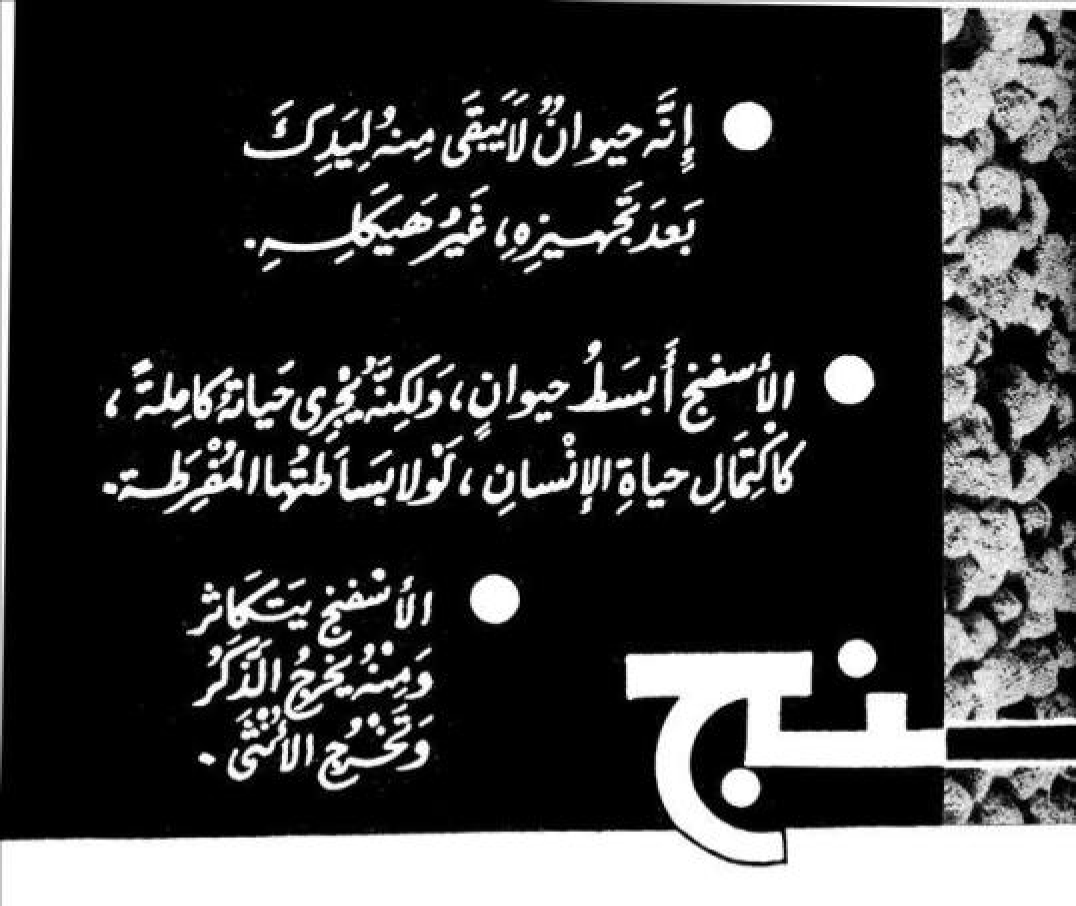
■ ماذا يصنع الصبى لو انك اعطيته قطعة صغيرة من اسفنج ؟

أغلب الظن انه يقوم فيغمسها في الماء ، ثم يخرجها منه ، ثم هو يعصرها ليخرج منها ماءها ، ثم هو يعود بها الى الماء ، ثم يعود الى عصرها وهكذا دواليك . وهو في كل هذا مستمتع بما يصنع . ان الصبى من دابه توسيع خبرته باختبار اشياء هذه الأرض ، وهو يجد في كل خبرة جديدة متعة ، يكررها فيجد فيها لذة اللعب .

والاسفنجة هي المادة الوحيدة الشائعة من مواد الأرض التي يتوسل بها الانسان الى مثل هذه الغاية ، يعطيها الماء فتشربه حتى لا يكون فيها موضع لمزيد منه ، ثم هو ينتزع الماء منها بسهولة واكتمال ، حتى لا تكاد تبقى منه قطرة .

وهكذا صنع الانسان واستفاد من الاسفنج من يوم عرفه . فان شاء استخدمه كوب ماء . وان شاء استخدمه فرشة دهان ، وان شاء فلنشر سائل على سطح ، او رفع زائد منه عنه ، وان شاء ففى غسل ما لا يريد له خدشا في مكتب او مطبخ او حمام ، او سيارة . وشئون كثيرة اخرى في الصناعات بعيدة عن مالوف الناس .

والسبب في ذلك ما به من مسام عديدة مختلفة المسالك .



شعبة الاسفنجيات

والاسفنج يؤلف شعبة من الحيوانات Phylum تعرف علميا باسم Porifera اي حاملة المسام ، ونسميها بالاسفنجيات Sponges ، وهي تسمية أخف . ولفظتنا العربية « الاسفنج » اخذناها مما أخذ سائر اللغات الأوروبية ، من اللغة الاغريقية والرومانية .

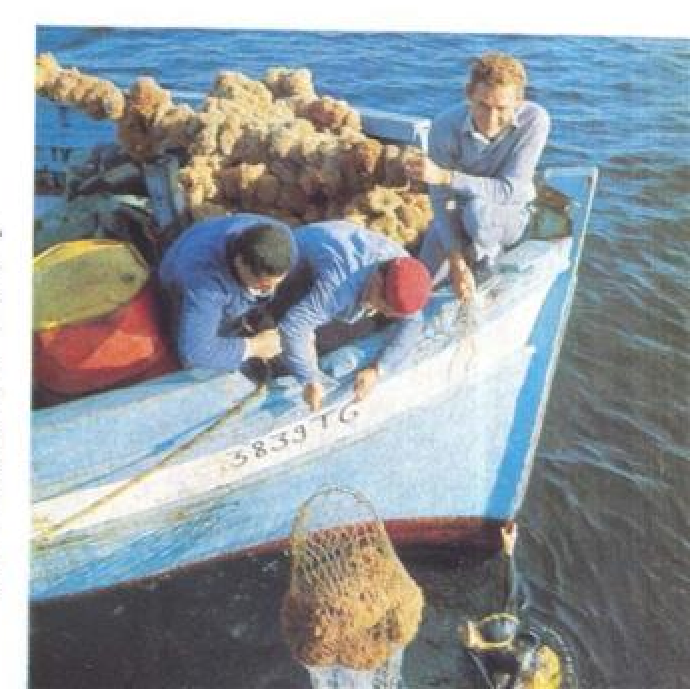
والاسفنج ، من حيث أنه شعبة ، هو ينقسم الى طوائف Classes . واخيرا الى انواع .

الاسفنج حيوان لا نبات

وقلنا ان الاسفنج يؤلف شعبة من الحيوانات . ويعجب القارىء من ان الاسفنج حيوان . وسيخف عجبه ويقترب ايمانه بما نقول اذا قلنا ان الحيوان الذى كان بالاسفنج وهو حى قد ذهب ، وان الذى بقى منه لنا انما هو هيكله . والقارىء يعجب لأنه لا بد علم ان الاسفنج يوجد في قاع البحر شيئا لا يتحرك . واذ لا يتحرك فأقرب ما يظن أنه نبات . فالسكون هو الصفة الاولى للنبات . وقد ظن ذلك الناس الى عام ١٧٦٥ ، ففي هذا العام كشف العالم البريطانى « السن » John Elliss عن صفة هذا الكائن الحى الحيوانية اول كاشف .

وستتضح صفة الاسفنج الحيوانية من وصف تركيب وحدة من وحداته .

هذه مجموعة من الصور قامت بعثة « العربي » باخذها ، في السواحل التونسية ، توضح كيف تجرى شئون هذه الصناعة ، صناعة الاسفنج ، في هذا البلد العربي الشقيق . وهنا في هذه الصورة الاولى نرى الغاطس قد استعد للغطس وتوسل بالوسائل الحديثة . فهو يلبس لباسا من الجلد الخفيف يقي جسمه ويمكنه من سرعة التنقل في قاع البحر بحثا عن مزارع الاسفنج . وهو يحمل فوق ظهره الاكسجين معبئا في انابيبه يكون هو وسيلة تنفسه الوحيدة ، وهو في الماء . يستطيع ان يبقى في الماء ساعة . وقد اخذ الشباب التونسي اليوم يحل محل الطليان والاغريق في الغوص وراء الاسفنج في البحار التونسية .



هذا الغطاس التونسي قد فرغ من جمع ما جمع من الاسفنج فشد حبلا خاصا يصل الى رجال السفينة فعلموا من ذلك ان الغطاس يريد الصعود ، فشدوا ما جمع من الاسفنج الذى اثقله الماء واعانوا الغاطس على الصعود ، وهو خرج من الماء ، وقد راى اخوانه قد نشروا الاسفنج على سطح السفينة ليجففوه . وفترة جمع الاسفنج تمتد من نوفمبر الى مارس، اى ستة اشهر .

تستمر عملية تجهيز الاسفنج فوق السفينة . ومنهم من يتمها فوقها فلا تكاد تحتاج بعد ذلك الا الى الأسواق

جلس هذان التونسيان وسط الآلاف من قطع الاسفنج يفحصان ما شاب شكلها .

الاسفنج يعيش في مستعمرات ولكل مستعمرة هيكل مشترك

وقلنا الوحدة الاسفنجية . ولا بد ان هذا التعبير أوحى للقارىء ان الاسفنج يعيش وحدة الى جانب وحدة الى جانب أخرى ، وانها وحدات تحيا معا في مستعمرة لها هيكل صلب مشترك يمسكها هي التى تفرزه .

والاسفنجيات يعيش أغلبها في المياه الضحلة للبحار والمحيطات ، والقليل في المياه العذبة .

وهياكل الاسفنجيات لها أشكال عدة ، فمنها المتماثل ، ومنها غير المتماثل وهو الذى يتفرع ويتمدد .

والهياكل منها ما يتكون من المادة الجيرية ، وهى هنا كربونات الكلسيوم ، او من السلكا Silica اى اكسيد السيلسيوم ، او من المادة البروتينية الجامدة المسماة اسفنجين spongin وهى المادة التى تتبقى في الاسفنج عندما يصل الى ايدينا بعد تصنيعه ونسميها الاسفنج ، وما هى الا هيكل لبعض طوائفه .

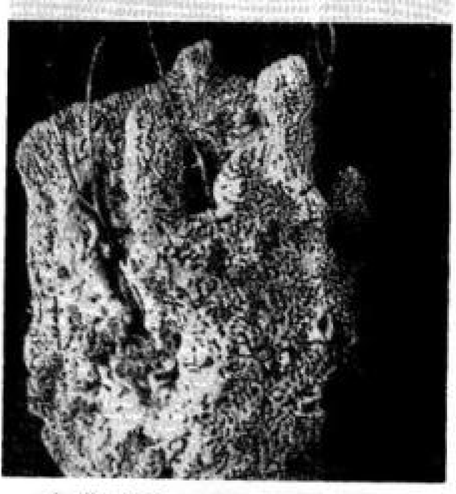
تركيب وحدة اسفنجية

ونبدأ بالصورة الايضاحية المنشورة اعلى الصفحة المقابلة ، والجزء الايمن منها يمثل الوحدة الاسفنجية البسيطة : ان لها شكل الدورق . وان بظاهرها في الرسم نقاطا هي مسام يدخل منها الماء الى جوف الوحدة متحملا بالبكتير الذى هو غذاء الاسفنج ، وكذلك بالاكسجين الذائب فيه وهو لازم لحياة الاسفنج وكل حياة . والحروف تدل على :

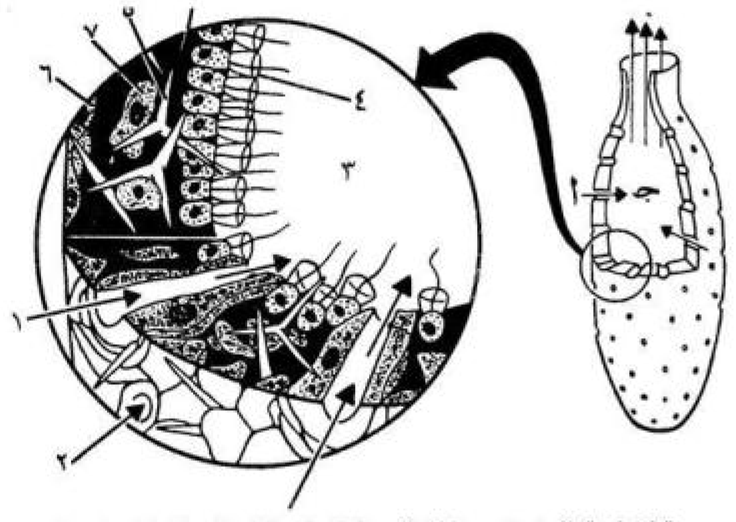
(أ) مقطع فى الجدار يظهر فيه أحد هذه المسام التى يدخل منها الماء .

(ب) فوهة الوحدة ومنها يخرج الماء بعد





صور ثلاث لأشكال ثلاثة من أشكال الاسفنج وهى في قاع البحر ، توحى مناظرها للوهلة الأولى بانها نباتات ، وما هى بذلك .

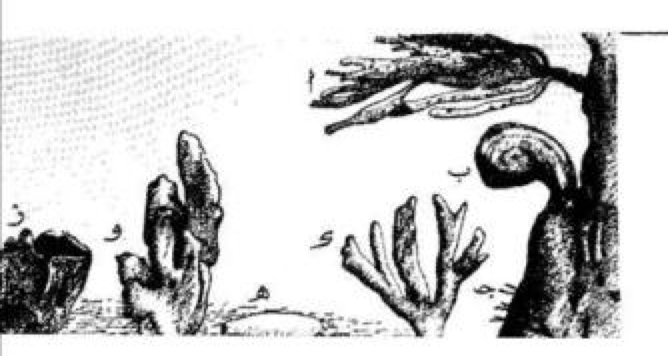


صورة ايضاحية،اليمنى تصور شكل الوحدة الاسفنجية اجمالا،ولها شكل الدورق ، واليسرى هى جزء اقتطع من جدار الوحدة الاسفنجية ، وكُبّر لتظهر فيه تفاصيله .

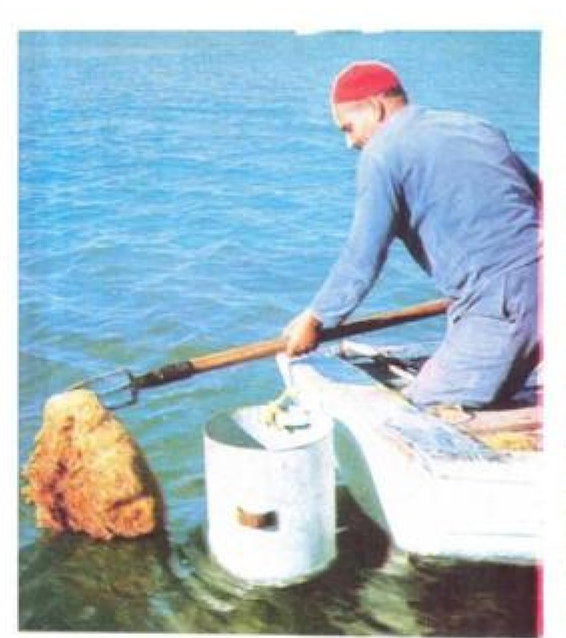
مروره بجوفها . (جـ) جوف الوحدة الاسفنجية وهو ملىء بالماء بالجاري .

وفي الجزء الايسر من الصورة جزء اقتطعناه من جدار الوحدة الاسفنجية وكبرناه ، وهذا وصف ما يحتويه : (١) فتحة مسامية يدخل منها الماء (٢) باب فتحة كالسالفة كما تظهر على الجدار من الخارج (٣) جوف الوحدة الاسفنجية الذى يحتوى الماء (٤) خلايا ذات ياقات تبطن جوف الوحدة الاسفنجية ، وترى فيها أشباه السياط التى تضرب الماءفتدفعه ليجرى نحو فوهة الوحدة الاسفنجية ليخرج منها (٥) أجسام كالأشواك والابر تصنع هيكل الاسفنج فتقيمه ويتماسك . (٦) خلية تغطى الوحدة من خارجها (٧) خلية كالأميبة تتحرك في مادة كالفالوذج (٨) المادةالفالوذجية التىتملأ الفراغالذى بين الخلايا التى تغطى الوحدةالاسفنجية من الخارج ، وبين الخلايا ذات الياقات والسياط .

من هذا يظهر أن العمل الأخطر لهذه الوحدة الاسفنجية انما هو دفعماء البحر فيها بقوة، وتساعد على دفعه السياط . وهذا الماء يخرج من فوهة الوحدة بقوة . والغذاء الذى بالماء تلتقطه الخلايا ذات الياقات ، وبعضه يذهب الى الخلايا الاميبية التى تتحرك بالفالوذج ، وهذه تنقله الى شتى اجزاء الجسم ، فهى دائمة الحركة . وبهذا يتغذى الحيوان . ويأخذ الحيوان اكسجينه من الماء ، فهو ذائب فيه .

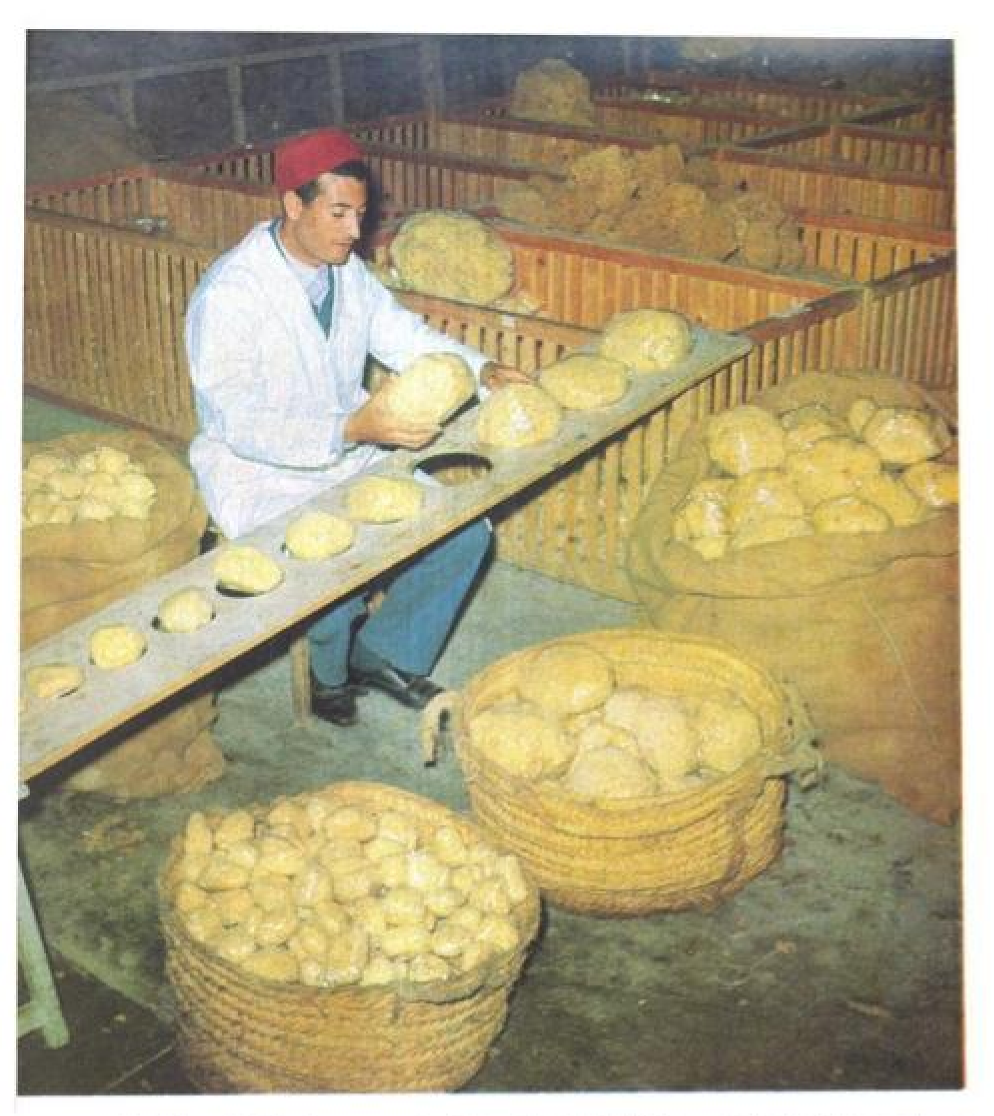


صورة تتمثل فيها ٧ انواع من الاسفنجيات التى موطنها البحار في المنطقة المعتدلة من سطح الارض ، ولها اشكال شتى .





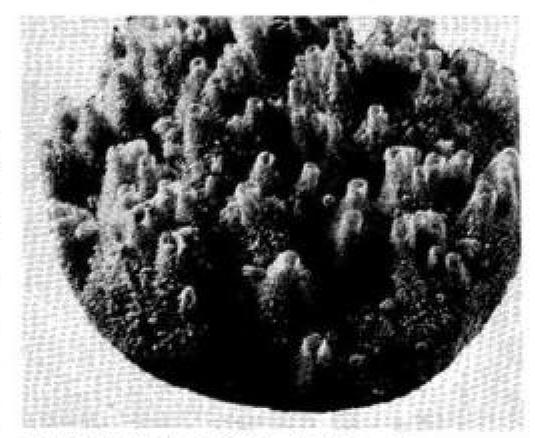
فوق : في المياه الضحلة في تونس . ان الصياد يمسك بما يشبه الدلو ، ولكن قاعه من زجاج . وهو يغطسه في الماء ثم ينظر فيه . وهو بذلك يستطيع الرؤية الواضحة التي تريه قاع الماء الضحل ، فيدرك منابت الاسفنج فيه . عندئذ يدلي في الماء بعصا طويلة في آخرها أطراف معقوفة يدخلها من تحت الاسفنج ، ثم هو ينتزعه من هذا القاع انتزاعا



فوق : يقوم هذا العامل التونسي بفرز الاسفنج احجاما من قياس واحد ، ووسيلته الى ذلك ، ذلك اللوح الطويل من الخشب الذي به فتحات متدرجة من الصغير الى الكبير . وهو يدير عليها قطعه لتنفذ منها وبها يتم الفرز المطلوب .

• • •

الى اليمين : بعد قص الأطراف الزائدة في كتل الاسفنج واخراج الاحجار والمواد الصلبة منه ، يغسل الاسفنج بالماء الصافي ، ثم يوضع في برميل كبير يعالج فيه بالكيماويات ، وينقل منه الى آخر فآخر . وهذه الكيماويات تذيب ما علق به من مواد جيرية ، وتقتل ما علق به من بكتير ، وهي أيضا تغير من لونه اذا كان غامقا فتعطيه لونا فاتحا مصفرا جميلا .



هذه صورة مستعمرة لنوع من الاسفنج ظهرت فيها وحداتها ، وفوهاتها ، ومن هذه الفوهات يندفع الماء خارجا .

الاسـفنج
حيوان يسعى الغذاء اليه

المستغرب في الاسفنج ، الحيوان ، انه لا يتحرك .

ان الحيوانات تتحرك لتسعى لرزقها، ولتجد غذاءها . اما هذا فقابع فيمكانه، ولكنه جعل الغذاء يسعى اليه ، بذلك التركيب الجثماني العجيب الذى صنع منه مكنة ، اشبه بالمضخة يصنعها الانسان ، لتضخ لهذا الحيوان الماء ، يجرى في جوفه بالغذاء ، لتلتهمه تلك الخلايا التى تبطن بها جوف الوحـدة الاسفنجية التى تعلمت كيف تصيد المكروب الجارى في الماء وغيره من صغير الأحياء قبل ان يعود الى البحر مـرة اخرى .

وفوق ذلك ، واعجب من ذلك ، كيف ان واجبات الحياة،يحتاج الانسان للقيام بها الى جهاز هضمي، وجهاز دم دورى، واعضاء من كل صنف واحشاء ، وغدد، واعصاب واحاسيس ، وكليتين تخلص الجسم من عوادم الحياة ، ثم يأتى هذا المخلوق البسيط ، هذا الاسفنج، فيقوم بواجبات هذه الحياة كاملة (ونعم ، على مستوى غاية فيالبساطة) بأقل الخلايا تخصصا في اعمالها . انه بها يأكل ، وانه بها ليهضم ، وانه بها ليمثل من طعامه مركبات عضوية أخرى،وانه بها ليتنفس، وان له لفضلات لا بد هو متخلص منها .

وللانسان الدورة الدموية ، ولهـذا المخلوق الصغير الدورة المائية !

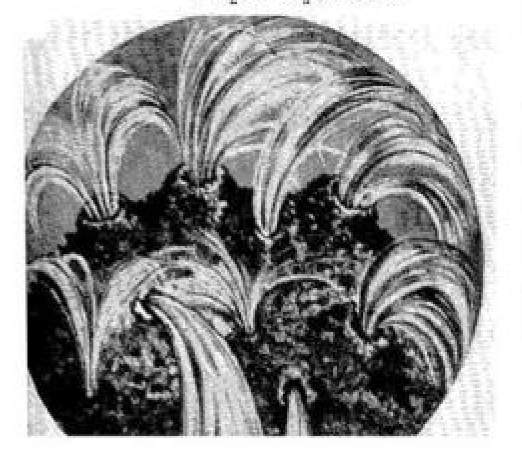
وليس للاسفنـج قلب . وليس به اعصاب .

استزراع الاسفنج

والاسفنج ، تقطع القطعة الصغيرة منه في البحر ، وتلصقها بالصخر فاذا به يكثر ويتكاثر ، ويصبح شيئا عظيما ، في نحو ٤سنوات .

وقد أجـروا تجارب كثيرة لهذا الاستزراع في اواخر القرن الماضي في فلوريدا بأمريكا ، وكذلك في تونس . وقامت كذلك الحكومة البريطانيـة

ان العمل الأخطر للاسفنج وهو في البحر انما هو جلب ماء البحر الى جوفه عن طريق ثقوب في ظاهر جسمه ، ثم طرد هذا الماء من فوهاته ، كما ترى في الصورة ، وهذا الماء يعطى للاسـفنج اثناء مروره فيه ما به من غذاء واكسجين ، ثم هو يحمل خارج الاسفنج كل ما نتج عنه مـن فضلات عمليات الحياة .



باستزراعه في الهند الغربية والبهاما .

وفيما بين عام ١٩٣٥ الى عام ١٩٣٩ كان في البهاما ١٤٠٠٠٠ اسفنجة . وزرعوا أكثر من ٧٠٠٠٠٠ قطعة اسفنجية في هندوراس البريطانية .

ولقد اثبتت هذه التجارب صدق الاستزراع وامكان نجاحه ، ولكن لذلك شروط محلية واخرى اقتصادية لا بد من توافرها .

تكاثر الاسفنج

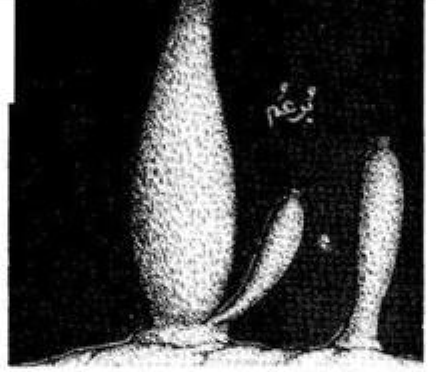
يتكاثر الاسفنج بطريقتين :

الطريقة الأولى : بأن ينتج الاسفنج الخلية الذكر . وهو ينتج كذلك الخلية الأنثى . ويتلقحان . ويتكون منهما وحدة من الاسفنج جديدة . والاسفنج الواحد يرمي بخليته الأنثى ، ويرمى بالذكر ، ولكن في غير الوقت الواحد . وان رمت هذه الاسفنجة بخلية ذكر ، رمت الاخرى بالأنثى ، فالتقيا ، فحصل التلقيح .

والطريقة الثانية : وهى البرعمة . يخرج من جسم الوحدة الاسفنجية فرع مثلها يطول حتى يكتمل ، وقد ينفصل عنها ، وقد يظل متصلا يزيد في حجم المستعمرة .

صيد الاسفنج

يستخرج الاسفنج من المياه الساحلية، التى لا يزيد عمقها على نحو ٢٠٠ قدم . وفي الماء الضحل القريب من الشاطىء يستخرج بواسطة سارية طويلة في طرفها خطاف ذو ثلاث شعب . ويعمل صاحب الخطاف من قارب صغير . فاذا هو لمح اسفنجا في القاع ، على عمق ما بين ٢٥ الى ٣٠ قدما ، انزل ساريته الى الماء ، ووضع الخطاف تحت الاسفنج ، ثم انتزعه من القاع ، ورفعه الى السطح .



شكل يمثل تكاثر الاسفنج بغير الذكر والأنثى كيف يكون . هذه وحدة اسفنجية خرج منها برعم من نفسها على شاكلتها . ويسمى هذا التكاثر بالتكاثر البرعمى . وغالبا ما يظل النسل الجديد متصلا بالاسفنجة الأم ، وقد ينفصل .

وهذه الطريقة بدائية وبسيطة ، ولا تنفع الا في ماء البحر الهادىء الرائق والا انعدمت الرؤية من هذا البعد .

ومن الغطاسين من لا يزالون يغطسون في طلب الاسفنج وهم عراة ، وذلك في اليونان ، وفي السواحل الليبية ، وكذلك في الفلبين .

وفي المياه الأعمق كالتى هى بالقرب من شواطىء اليونان وفلوريدا ونحوهما يحتاج الغاطس الى جهاز غير بسيط كثياب للغطس يحمى جسمه ، واداة تهيىء له انفاسه .

والاسفنج الذى يتجمع يقوم رجاله بتنظيفه على قواربهم او سفنهم ، او هم يلقون به في برك تقام على الشاطىء يبقى فيها الاسفنج حتى تفسد أجزاؤه الرخوة وتتعفن . ويتبقى هيكل الاسفنج ، فهذا يخرجونه من الماء ، ويعصرونه ، ويغسلونه ، بماء من البحر جديد ، ثم يعلقونه في حبل ويبقونه في الهواء ليجف . ثم يعرضونه للبيع في المزاد . ●●

احمد زكي

الصَّــدْر

وَفيــهِ الرِّئَتَـان
وَبَينهما القَلْب ، بَل القَلْبان
فَهُما نِصْفان غَيْرُ مُتَّصِلان

■ في الصورة الرئتان ، الرئة اليمنى والرئة اليسرى باعتبار ان صاحب هذا الصدر ينظر اليك ، فوجهه متجه اليك.

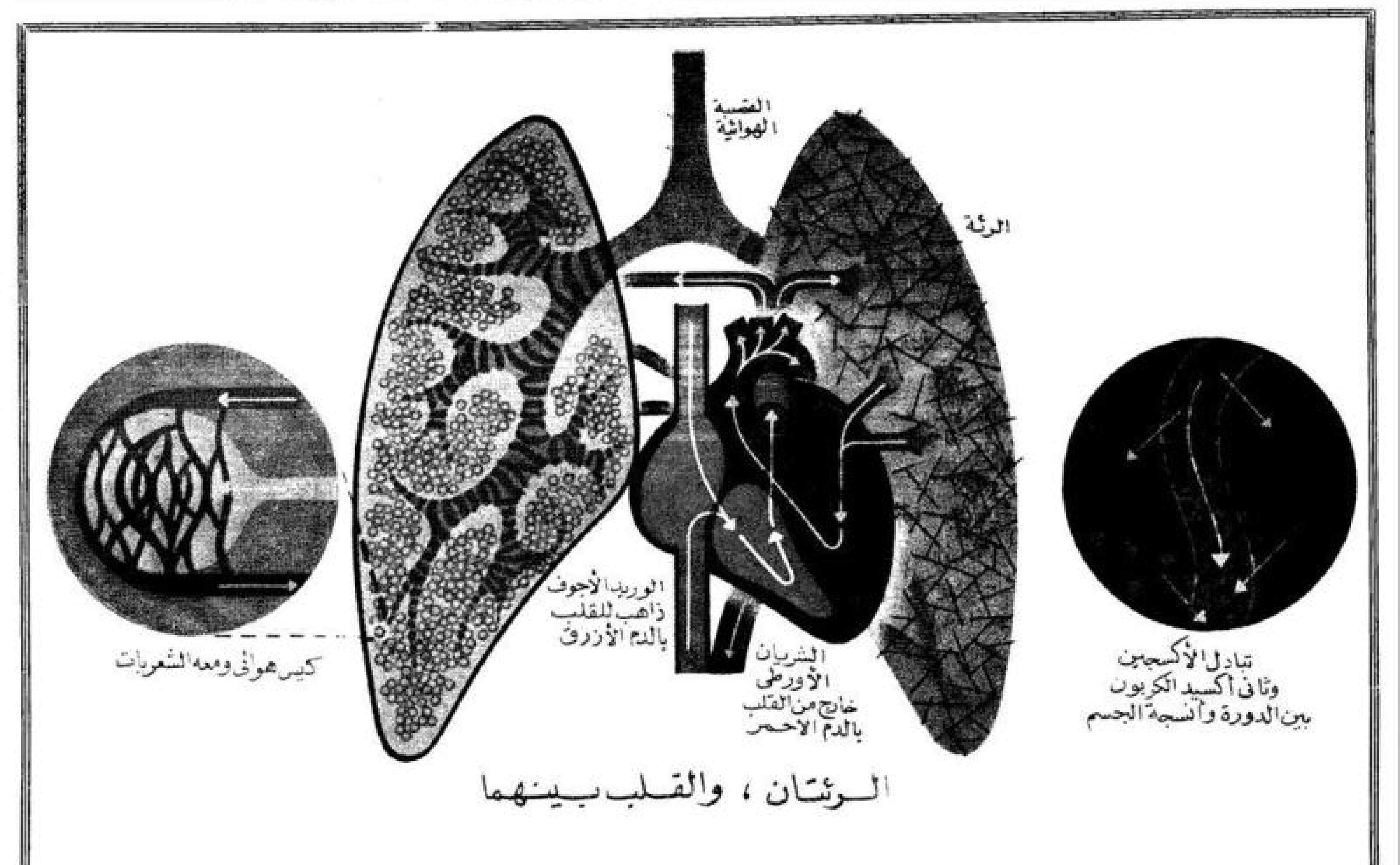
وبالصورة قلب ، ان قلنا انهما قلبان فقد صدقنا . من حيث انهما نصفان منفصل احدهما عن الآخر ، فلا يدخل دم من القلب الايمن الى الايسر ، ولا من القلب الايسر الى الايمن ، مباشرة . انهما كالبيتين ، بُني احدهما لصق الآخر ، ولكن لا تستطيع الدخول من احدهما الا اذا خرجتَ الى الطريق . والدم يخرج من القلب الايمن ، ليذهب الى القلب الايسر ، ولكن بعد ان يمر بالرئتين . ولا سبيل غير هذا .

التفصيل

ان الدم الوريدى (الأزرق) يعود من سائر انحاء الجسم ، بعد ان يكون امدُها بالغذاء واكسجين هذا الهواء ، فيدخل الى القلب الأيمن (الأزرق فى الصورة) عن طريقين ، واحد آت من أعلى الجسم ، والآخر آت من ادنى الجسم (كلاهما ازرق اللون) كما ترى فى الصورة . احدهما اسمه الوريد الأجوف العلوى ، والآخر الوريد الأجوف السفلي .

وهذا الدم يريد ان يذهب الى القلب الايسر ليضخه من جديد في الجسم لتتم بذلك الدورة الدموية . ولكن الجسم يرفض ذلك ، لانه دم غير صالح للدوران من جديد . اكسجينه قليل . وثاني اكسيد الكربون فيه كثير لأنه نتيجة احتراق الأغذية في الجسم ، فحمله الدم فيما حمل . اذن لا بد من تطهير الدم ، وتصحيحه قبل ان نذهب به الى القلب الأيسر (الاحمر فى الصورة) ليدور مرة اخرى .

وطريقة ذلك ان نذهب به الى الرئتين وفيهما يتطهر بهواء الأنفاس الداخلة اليهما والخارجة منهما . فهواء الشهيق يعطي الدم اكسجينا . وهواء الزفير يخرج حاملا عن الدم الفائض الضار من ثاني اكسيد الكربون . فالدم الخارج من الرئتين يتحول لونه (ازرق فى الصورة الى احمر) ، وهو على هذه الصورة



الرئتان ، والقلب بينهما

يعود الى القلب الأيسر ، مطهرا .(احمر اللون في الصورة) . فيقوم هذا القلب الأيسر بضخه في الشرايين (حمراء في الصورة) ، واكبر هذه الشرايين شريان الاورطة وما يتفرع اليه .

الدورة الصغرى

ورحلة التطهر هذه ، التي تبدأ من القلب الأيمن وتنتهي بالقلب الأيسر هي نصف الدورة الدموية ، ويسمونها أحيانا بالدورة الدموية الصغرى، لقصر المسافة التي تجرى فيها . ويسمون الأخرى بالكبرى ، لبعد مداها ، فهي تذهب الى اعلى الراس ، والى اوطأ القدم .

عند اتصال الرئة بالدم في شعرياته

والهواء يدخل الرئة بالتنفس عن طريق القصبة الهوائية Trachea ، ثم تنقسم هذه القصبة الى فرعين ، أو شعبتين Bronchi ، تدخل كل واحدة منهما احدى الرئتين ، ثم تتفرع الشعبة الأولية الى شعب ثانوية ، وتتفرع هذه الى شعيبات أصغر ، متوسط قطرها نحو مليمتر ، وتنتهي هذه الأنابيب بأن تدخل الى الأكياس الهوائية . والكيس الهوائي يتألف جداره من عدة « خلايا » هوائية ، تتصل من خارجها بحوائط الشعريات الدموية التي تحيط بها .

وفى الصورة ، الى اليسار ، كيس هوائي عزلناه عن الرئة وكبرناه بالذى احاطه من شعريات لتظهر فيه التفاصيل .

وترق الحوائط المتلاصقة جميعا حتى ليبلغ سمكها نحو ٠٠٠٤. من المليمتر ، وبذلك يتصل هواء الأكياس بدم الشرايين ، ويسهل انتقال الغازات بينهما ، فالكيس يعطي من هوائه الاكسجين للشرايين ، وهو يأخذ من دمها ثاني اكسيد الكربون ، وعلامة ذلك اختلاف لون الدم في الصورة ، فهو احمر بعد ان كان ازرق .

عند اتصال الدم بانسجة الجسم

اما الصورة الصغيرة ، التي الى اليمين ، فصورة شريان شعري صغير وصل الى نسيج من انسجة الجسم . يحدث فيه عكس ما يحدث عند اتصال الحويصلة الهوائية التي بالرئة بالذى حولها من شرايين .

ان الاكسجين هنا ينتقل من الشريان الى خلايا الجسم ، وينتقل ثاني اكسيد الكربون،نتاج احتراق الأغذية في الخلايا، الى الشريان الذى يصبح وريدا يحمل كل ما يحمل من ذلك الى الرئة ويتطهر . وقبل الرئة هو بالطبع يمر على الجهاز الهضمي وغيره ليتحمل بالغذاء الذى يوزعه على الجسم بالسوية .

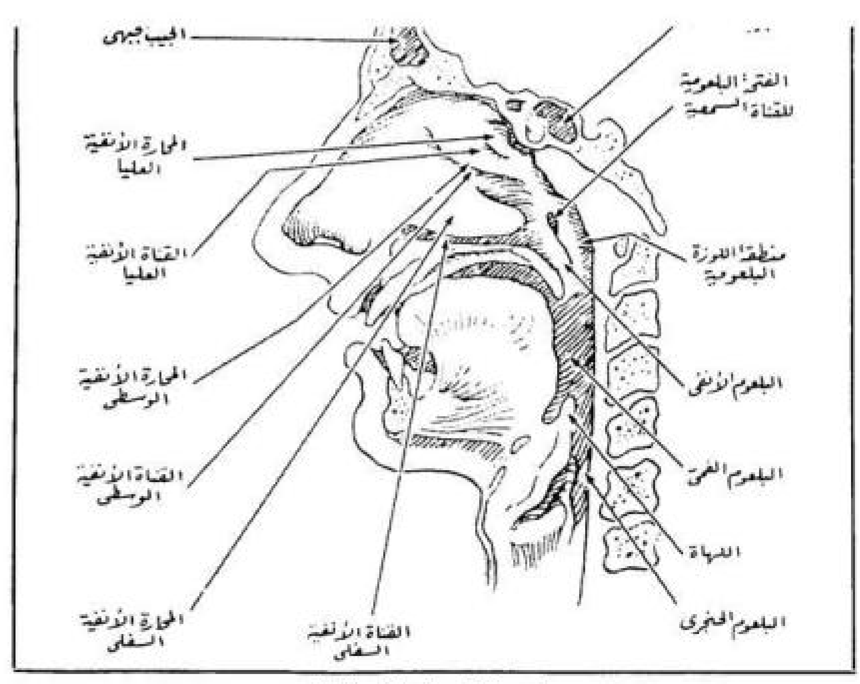
الأنفاس داخلة وخارجة كيف تتأثر بحرارة الجو

ان الانسان يستنشق الهواء الجوى، ويدخله الى جسمه ودرجة حرارته نحو ٣٧ درجة مئوية . والانسان يستنشق الهواء عن طريق الأنف . والأنف مبطن داخليا بخلايا تنفسية تدفىء الهواء الجوى الداخل ، فلا يصل الى الرئة حتى يكون اكتسب من الحرارة ما قارب درجة حرارة الرئة . فباطن الأنف اذن مدفىء . ولكن كذلك هو مبرد ، اذا تنفس الانسان هواء ، درجة حرارته فوق حرارة الجسم برده .

وهذا الأثر مهم فيما يختص بالسفر في الطائرات التي سرعتها تفوق سرعة الصوت . فهذه السرعة قد تؤدى الى رفع درجة حرارة الهواء بداخل الطائرة الى درجة غليان الماء تقريبا ، ولكن التجارب دلت على ان الهواء ، حتى لو بلغ درجة فوق درجة غليان الماء ، فهو لا يصل عن طريق الأنف الى خلف الحلق حتى تكون درجة حرارته قد هبطت الى نحو درجة حرارة الجسم .

ثم رطوبة الانفاس

والأنفاس عندما تخرج من الرئتين تخرج حارة . والهواء الحار يتحمل من بخار الماء أكثر من الهواء البارد . واذن



مجارى الانفاس في انف الانسان

فالهواء الداخل ، هواء الشهيق ، قليل الماء لأنه بارد نسبيا ، ولكنه لا يلبث ان يحتر بمروره بأغشية الأنف الداخلة . فاذا هو خرج من الرئة خرج حارا متحملا بكثير من الماء .

وكل منا يستطيع ايضاح هذا بالقاء انفاسه على سطح مرآة فى حجرة . انه لا يلبث ان يتغشى هذا السطح ببخار الماء الخارج مع الأنفاس .

والواقع ان الانسان يفقد ماء جسمه، لا عن طريق البول فحسب ، ولا عن طريق العرق فحسب ، ولكن كذلك عن طريق التنفس .

والانسان يفقد من ماء جسمه ، عن طريق الرئتين ، فى كل ٢٤ ساعة ، فى المتوسط ، نحوا من ٣٥٠ سنتيمترا ، وذلك وهو فى حجرة عادية الدرجة (٢١ درجة مئوية) عادية الرطوبة .

اختلاف تركيب هواء الشهيق عن هواء الزفير

لعل فى هذا الجدول غناء عن الكلام الكثير .

الغـــاز	هواء الشهيق	هواء الزفير	الهواء فى الحويصلة الهوائيةبالرئة
اكسجين	٢٠ر٩٦ ٪	١٦ر٣ ٪	١٤ر٢
آزوت	٧٩ر٠٠	٧٩ر٧	٨٠ر٣
ثاني اكسيد الكربون	٠ر٠٤	٤ر٠	٥ر٥

وكلها بالنسبة المئوية

وترى من ذلك ان مقدار الآزوت لم يكد يتغير ، انما الذى تغير هو النسبة المئوية لكل من الاكسجين وثاني اكسيدالكربون . وتصغر الأولى فتكبر الثانية ، او تكبر الأولى ، فتصغر الثانية .

●●

اعرف وطنك أيها العربي

كِسْرَوان

جبلُ الذِّكريات وجنَّةُ المتناقضات

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار مترى

كسروان .. قضاء في لبنان ، تعمل الحكومة على تحويله الى مركز سياحى عالمى معتمدة على شاطئه الجميل ، وجباله الرائعة .. ومدينة جونية هى عاصمة القضاء وجوهرته التى تشع الأضواء منها فتحيل ليلها الى نهار .. اما الفن فتجده في بلدة زوق مكايل حيث يقوم الفنانون بحياكة صورتك على الأنوال اليدوية بالحرير الملون





■ كسروان قطعة من لبنان .. ولكنها قطعة من المتناقضات : قمم شاهقة وأودية سحيقة .. مياه زرقاء دافئة تغسل الساحل ، وثلوج بيضاء ناصعة تغطي هامات الجبال .. طريق دولي رائع يخترق ساحلها بينما بعض قراها تشكو العزلة .. عاصمتها عاشت تكره الغريب فتحولت اليوم الى مركز للسائحين .. بعض سكانها يعيشون على الكفاف بينما اشقاء لهم ينعمون بأعلى مستوى عاشه الانسان !

الساحل والجبل

وطارت بعثة العربي الى كسروان في محاولة لنقل صورة حية عن هذه المنطقة اللبنانية الجميلة .. ونقول منطقة لان كسروان ليست مدينة ، وانما قضاء يضم ٦٩ مدينة وقرية ، وهو واحد من الاقضية الخمسة والعشرين التي يتالف منها لبنان الاداري ..

ويتميز قضاء كسروان بساحله وجبله ، فانت تستطيع في الشتاء ان تستحم في مياهه الدافئة ثم تنتقل مسرعا بسيارتك لتصل قمم جباله وتتزلج على ثلوجها .

مجرى نهر الكلب يسير في الوادي لمسافة ستة كيلومترات .. ويتلقى مياهه من مياه مغارة جعيتا ، ومن مياه نبع العسل ونبع اللبن ..



اجمل منظر في العالم

وليس في جبال لبنان مناظر جبلية تضاهي مناظر كسروان .. حتى انهم اقاموا لافتة رخامية قرب حريصا كتبوا عليها : « من هنا تستطيع ان ترى اجمل منظر في العالم » .. ونظرنا فرأينا امامنا اخاديد ووديانا ، ورؤوس جبال تنتشر عليها القرى الصغيرة الهادئة .. شهدنا عجلتون وريفون وبيت شباب وفيترون الشهيرة بصخورها البركانية المدببة المنقطعة النظير .

بين النهرين في لبنان !

اما وادي نهر الكلب فقد اشار السهم الى اتجاهه ولكننا لم نشهده .. ويكون هذا النهر الحدود الجنوبية لكسروان .. اما الحدود الشمالية فيكونها نهر آخر هو نهر ابراهيم ، او نهر ادونيس كما كان يسمى .. لقد جاءته هذه التسمية القديمة نتيجة قصة حب اسطورى خلده في ملاحم شعرية رائعة كبار الشعراء والكتاب العالميين امثال شكسبير وملتون ، ومن قبلهما فرجيل وهومير . انه قصة حب عشتروت وادونيس .

وتتلخص الاسطورة في ان عشتروت الهة النسل والخصب ووالدة كيوبيد صاحب الجعبة والسهام ، هامت في حب ادونيس الاله الفنيقي وابن بيبلوس الجميل الطلعة . وفي ذات مرة وبينما ادونيس يصطاد في احراش نهر ابراهيم ، هاجمه خنزير برى ، فقضى عليه ، وجاءت عشتروت مع زمرة من الصبايا واخذت تندب وتنوح طوال سبعة ايام دفنته بعدها في قرية الغينة على حافة النهر الذى اخذ اسم ادونيس وتضيف الاسطورة ان ادونيس اصبح الها وعاد الى الحياة على شكل زهرة شقائق النعمان .. وقد درج اهل المنطقة الاوائل على اقامة الشعائر والطقوس احياء



خريطة لبنان بأقضيته الخمسة والعشرين ، ويشير السهم الى قضاء كسروان ، الذي يدور حوله استطلاع هذا العدد .

لذكرى موت ادونيس وقيامه ، وذلك طيلة اسبوع كامل يبدأ في الربيع ، وهي الفترة التي تصطبغ فيها مياه النهر بدماء ادونيس القانية .. حسب اعتقادهم .

وظلت عبادة عشتروت وادونيس عبادة شائعة في لبنان حتى ايام الرومان ، وكانت ذكرى الاحتفالات الصاخبة تتناقلها الاجيال بعد الاجيال ، حتى جاء بعضهم فافسد خيال الاسطورة الجميل بقولهم ان سر اصطباغ مياه نهر ابراهيم باللون الاحمر انما هو الامطار التي تجرف التربة الحمراء من على سفوح الجبال من بعد فلاحة الارض ! !

اعيدوا الحياة الى الاسطورة

والواقع ان احياء اسطورة « عشتروت وادونيس » يمكنه ان يعيد الحياة ـ السياحية



الى اليمين : تحيط بجونية مجموعة من المصانع الكبيرة والصغيرة .. وهذا واحد منها ويختص بصب وتجميع اجزاء الثريات الكهربائية .. لقد اعلنت جونية مدينة سكنية عام ١٩٦٠ ولكن هذا لم يمنع وجود مناطق صناعية داخلها وخارجها ..

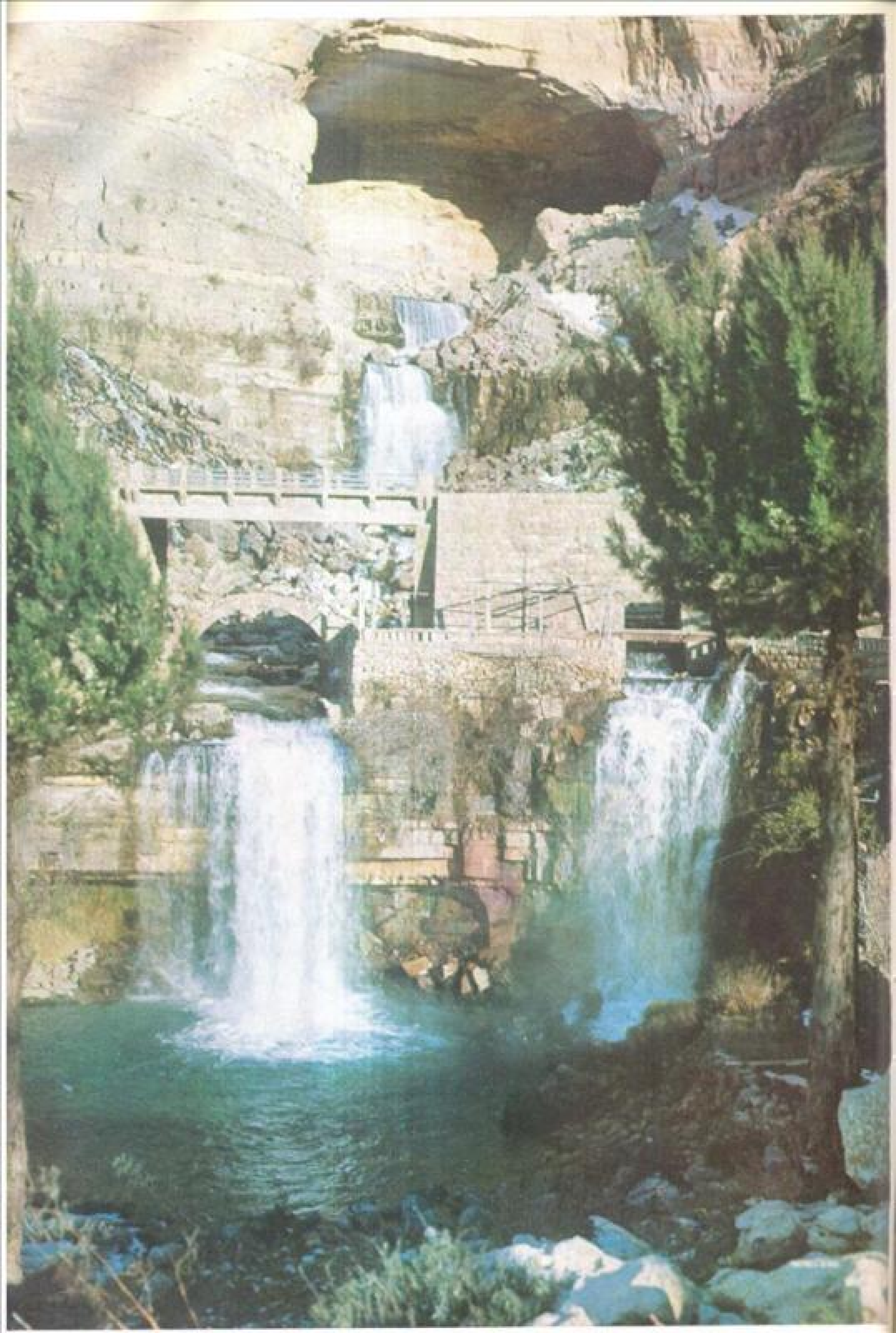
الى اسفل : على جانبي هذا الأوتوستراد الرائع - الذي يربط بيروت بشمال لبنان - بدأت مباني جونية الحديثة ترتفع .. وفي نفس الوقت ارتفعت اسعار الاراضي من خمس ليرات الى مائة ليرة للمتر المربع.





الى اليمين: جونية .. مدينة العلم في لبنان .. وهذه صورة من دار المعلمين والمعلمات ، ومجموع الطلبة بها ٣٥٠ منهم ٥٥٪ طالبات

الى اليسار : شلالات افقا الرائعة.. لقد سحرت الاقدمين بروعتها، فاقاموا عندها معابدهم ومنازلهم.. اما اليوم فالطريق الصعب المؤدي اليها جعلها خاوية مهجورة ، تتدفق مياهها في هدير صاخب .. لا يسمعه احد !





هذا الجزء الأيمن من خليج جونية هو الجزء الذى لا ينام الليل ، ان الفنادق والشواطىء وكازينو المعاملتين تقع فيه .. واليه يأتي السياح والأجانب لمشاهدة برامج الكازينو الاستعراضية الكبيرة.

على الاقل ـ الى تلك المنطقة المهجورة تقريبا والتى كانت فى يوم ما قبلة الانظار ومحط الرحال ..

المدن على رؤوس الجبال

ان لبنان القديم ، أو لبنان الأصيل ، كان يقوم على سلسلة رؤوس جبال لبنان الغربية الوعرة الكثيرة الأخاديد التى تتفجر المياه من صخورها فتنساب وتتلوى مع الوديان بين القرى والمنازل ذات السقوف المصنوعة من القرميد الأحمر ، التى تبدو لك وكأنها تخشي الوقوع او الانزلاق فتتمسك بصخور الجبال ، وتحتمى بغابات الصنوبر التى تكسو المنطقة وتغطيها ..

وفي هذا الجو الشاعرى كان يعيش اللبنانى من اهل كسروان .. كان ينظر من فوق رؤوس جباله الى الجيوش الغازية وهى تجول وتصول وتحتل الساحل عند اقدام جباله .. كان يطل عليها دون ان ينزل اليها او تصعد هى اليه .. فكانت منازله دائما بمنأى عن الهجمات ، ولهذا ساد السلم والازدهار فوق المرتفعات بينما عم الركود والخراب مدن السهول ..

مطلوب فندق للغريب

اما اليوم فقد انقلبت الآية وأصبح الازدهار مقتصرا على الساحل ، بينما راح الجبل يغط في نوم عميق ، لا يستيقظ منه الا مرة في السنة عندما ترتفع جلبة المصطافين الذين يؤمونه لقضاء شهور الصيف في ربوعه .

ويستطيع المرء أن يكوّن فكرة عن هذا التطور الكبير من فوق جبل حريصا ، فعند الساحل الذى ينحنى كالهلال تحت الجبل ، تربض مدينة جونية التى كانت قرية صغيرة هادئة للصيادين ، وكان اهلها يكرهون الغريب ولا يحبونه .. ويروى عنهم ان سلالةعائلة مكونة من أب وابن وحفيد ظلت تعيش بينهم فترة طويلة توفي خلالها الأب والابن ، وفي جنازة الحفيد سالوا أهل جونية : من هو المتوفي ؟ فاجابوا : « انه الغريب » ..

ولكن هذا الشعور بالانغلاق ضاع في غمرة هجرات اهل الجبل الى المدينة .. لقد استطاعت هذه المجموعات الجديدة أن تبدل الكثير من عادات اهل جونية القدامى ، ولكنها لم تستطع اقناعهم حتى الآن بافتتاح فندق واحد فيها ، بحيث بقيت



.. اما هذا الجزء الأيسر من الخليج فتقع عليه مدينة جونية ، التى تنام الليل وتستيقظ في النهار لأنها مدينة العلم والمعاهد ... ويبدو في الصورة الميناء الجديد الذى اوشك العمل فيه على الانتهاء .

فنادق المدينة بعيدة عنها ، على مسيرة بضعة كيلومترات خارجها !!

ولكن الذى لا شك فيه أن تعمير جونية ما زال في بدايته رغم التقدم الكبير الذى احرزه ..ولقد حقق هذا التعمير ارتفاعا خياليا في قيمة الارض، اذ قفز ثمن المتر من خمس ليرات الى مائة ليرة لبنانية ..

لقد تحولت قرية الصيادين ذات الأزقة الضيقة الى مدينة حديثة يقطعها الطريق الدولي (الاوتو ستراد) المؤدى الى خارج لبنان ... ويربطها بالجبل ، شريط فولاذى مكهرب ينزلق عليه التلفريك بغرفه الحمراء والزرقاء المغلقة ، وعددها ٢٨ غرفة ، ويقطع هذا الترام المعلق مسافة الميل والنصف ـ الفاصلة بين جونية والجبل ـ في تسع دقائق فقط ..

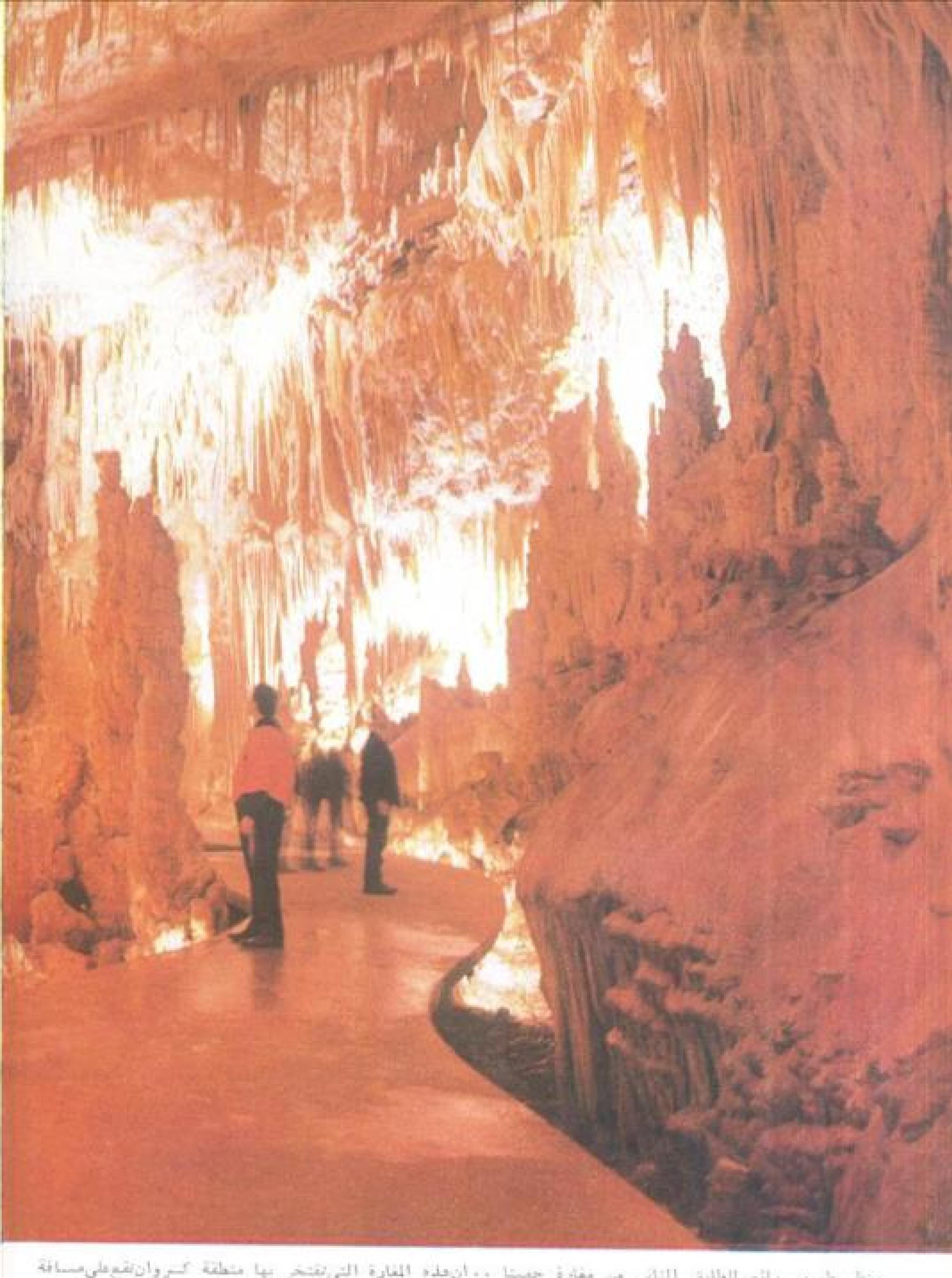
ولم يكتف أهل جونية بما أسبغه الله عليهم من طبيعة جميلة رائعة ، بل راحوا يقيمون ميناء جديدا ، أوشك العمل على الانتهاء في احواضه الثلاثة التى يُعد احدها لاستقبال ورسو جميع اليخوت السياحية ، التى ترسو حاليا في بيروت.

لمن تضاء الانوار ؟

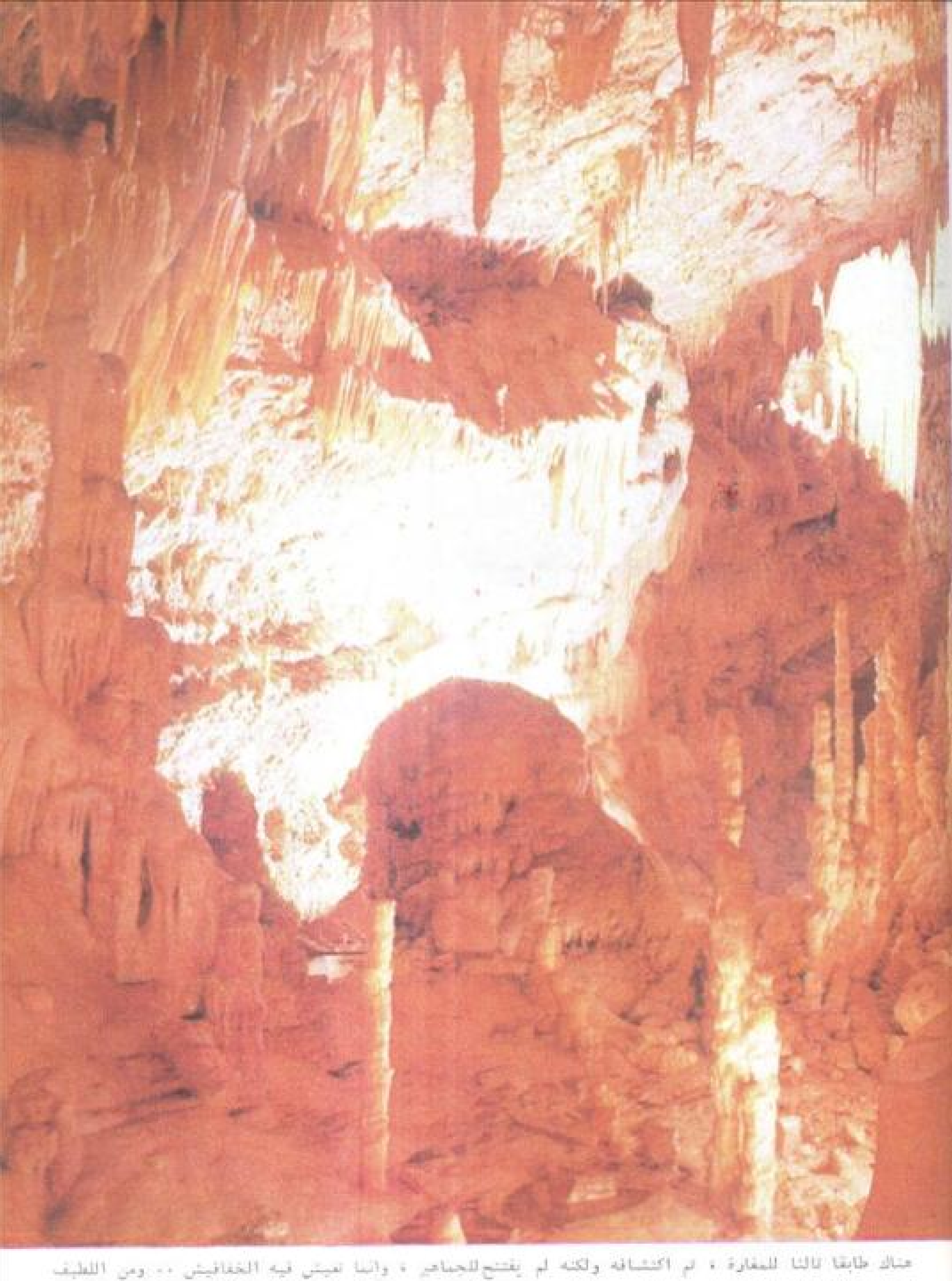
وتتحول جونية في الليل الى كتلة وهاجة تقلب ليلها نهارا ، ولكن هذه الأضواء والانوار لا تضاء لأهلها الذين لا يسهرون ، بل ينامون مع غروب الشمس أو بعده بقليل ، نظرا لأن اولادهم يذهبون مبكرين الى مدارسهم التى بلغت من الكثرة ما أصبحت جونية معه عاصمة من عواصم العلم في لبنان .. فأنت تجد فيها المعاهد بانواعها الى جانب دار للمعلمين وأخرى للمعلمات ، والكليات التى هى فروع من الجامعات ..

ولكن ليس معنى هذا أن المنطقة كلها تنام مع جونية عند الغروب ، فالناس يسهرون في المنطقة المعروفة باسم « المعاملتين » على الطرف الثانى لخليج جونية الهلالى الشكل ، مما جعل طرفي الهلال يمثلان طرفي نقيض .. طرف ينام مع الغروب وطرف ينام مع الشروق ..

وجونية التى تنام في الليل تبقى انوارها مضاءة فتخترقها السيارات المسرعة المتلاحقة وهى تتوجه الى كازينو المعاملتين الذى يضاهى أكبر ملاهى الليل في العالم .. وفي هذا الكازينو يوجد قسم



منظر طبيعي رائع للطابق الثاني من مغارة جعيتا .. ان هذه المغارة التي تفتخر بها منطقة كسروان تقع على مسافة ١٨ كيلومترا من بيروت .. لقد عرف العالم الطابق الاول من هذه المغارة ، حيث يجري – في سحر غريب – نهر داخلي من الماء ، اما الطابق الثاني فقد اكتشفه في عام ١٩٥٨ اعضاء النادي اللبناني للتنقيب عن المغاور .. ولا يقل الطابق الثاني عن الطابق الاول روعة ، الا انه يختلف عنه بالجفاف وعدم وجود الماء .. ومما يذكر ان

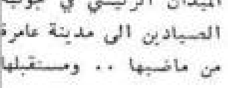


هناك طابقا ثالثا للمغارة ، تم اكتشافه ولكنه لم يفتتح للجماهير ، وانما تعيش فيه الخفافيش .. ومن اللطيف أن أهل المنطقة يطلقون على مغارة جعيتا اسم « بيت الجن » ، ويقولون ان الطابق الاول منه كان ملهى للجن يلعبون ويستحمون بمياهه .. والطابق الثاني ، الذي اكتشف حديثا كان للجن بيتا يسكنون فيه وينامون .. أما الطابق الثالث العلوي الذي لم يقتحمه الانسان بعد، فيقال ان الجن ما زالوا يعيشون فيه الى الآن ..



شاطىء خليج جونية الملىء بالحصى ... والمنزل القديم الظاهر في الصورة لا يستطيع احد هدمه لان لجنة المحافظة على المنازل القديمة تمنع هدم تلك المنازل ، حتى ولو كان في هذا تعارض مع جمال المنطقة .





الميدان الرئيسي في جونية
الصيادين الى مدينة عامرة
من ماضيها .. ومستقبلها

للمقامرة حرّم على المواطن اللبناني دخوله وأذن بدخوله للسائح غير اللبناني ، من عربي وغير عربي .

قصة المعاملتين

و « المعاملتين » كلمة مرتبطة بتاريخ المنطقة . فقد كان لبنان منقسما الى محافظتين ، او معاملتين كما كانوا يسمونهما : معاملة طرابلس في الشمال ، ومعاملة صيدا في الجنوب ، وكان الجسر الروماني القديم هو نقطة التقاء حدود هاتين المعاملتين ، ولهذا اطلقوا على المنطقة وعلى الكازينو الموجود فيها اسم المعاملتين .

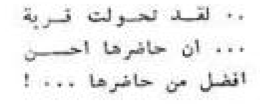
هجرة من الجبل الى السهل

وبعد تجوالنا على ساحل كسروان صعدنا الجبل ، نزور قراه وضيعاته .. وهالنا ان نرى الحياة وكأنها قد توقفت في هذه المناطق خلال شهور الشتاء الطويل .. ان اهلها يشدون الرحال ويهجرونها قاصدين بيروت العاصمة للعمل فيها ، تاركين النساء والفتيات وكبار السن في المساكن المتواضعة ، « يشربون القهوة ويدخنون النارجيلة ، ويتنقلون تينا يابسا وزبيبا مع الجوز واللوز » .. انها الحياة القديمة المريحة القانعة في شهور الشتاء والبرد فقط ..

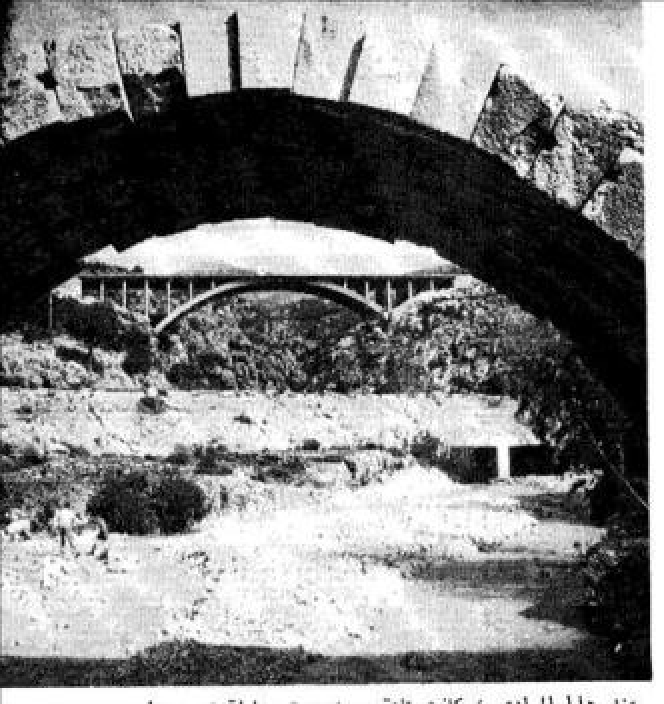
وتسبب هذه الهجرة قلقا بالغا للجيل القديم الذى عايش الروح المحافظة .. ان قلبه يعتصر وهو يرى الروابط التى تجمع أفراد عائلته وقد بدأت تتفسخ .. واصبح ابنه يتزوج من خارج نطاق العائلة وأصبحت ملابس الفتاة تختلف اختلافا كليا عن ملابس جدتها ، ولم يعد هناك ولاء للعائلة والأهل .. ولم يعد الشباب يهتمون بتقليم اشجار التفاح التى ورثوها عن اجدادهم .

ويجيب الجيل الجديد على قلق الآباء بقوله : ما الذى يمكنني عمله .. ان عصرى غير عصرهم ، لقد تعلمت وأصبحت توافا لرفع مستوى معيشتي





.. لقد تحولت قرية ... ان حاضرها احسن افضل من حاضرها ... !



عند هذا الوادى ، كانت تلتقى حدود « معاملة » صيدا مع حدود « معاملة » طرابلس ، لهذا سميت المنطقة « بالمعاملتين » .. والجسر الحجرى الذى في مقدمة الصورة ، شيده الرومان ، اما الجسر الحديدى فهو مشيد حديثا ، ويربط بين شمال لبنان وجنوبه ..

.. ان ارضي أصبحت قليلة الخصب ، وأنا لم أعد أؤمن بأنه يجب على أن أحفر الصخر بيدى لاحوله الى تربة زراعية .. فقد أصبح هذا من أعمال الآلات ، فضلا عن أن العمل في المدن أقل مشقة وأكثر ربحا .. أما عن تفاحي « وانجاصي » فيمكنني ان استأجر من يعنى بهما لقاء أجر زهيد ..

وسالنا مجموعة من الشباب : هل العثور على العمل في المدن أمر سهل ؟

فاجابنا احدهم ببساطة : اذا صعب عليّ العثور على عمل في بلادي فانى أهاجر الى احد بلاد البترول أو أمريكا ..

علاج الهجرة

وعندما سالنا : هل من علاج لهذا الحال ؟

اجابونا بحماس ، وكان الرد كان جاهزا في أذهانهم منذ مدة طويلة : « ان هجرة ابن الجبل مستمرة منذ أكثر من قرن من الزمان ، وقد بلغت ذروتها في الفترة بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩١٤ اذ انخفض عدد سكان جبل لبنان بنسبة الربع .

« أما علاج هذه الهجرة فيمكن تحقيقه في ايجاد موارد للعمل في فصل الشتاء تدر ربحا طيبا على غرار ما يحدث في موسم الصيف .. **ويتابع الأهالى كلامهم بقولهم :** « لماذا لا تعمل الحكومة على تشجيع انتقال المصانع الى الجبال ؟ لماذا لا تعطيها امتيازات واعفاءات خاصة اذا هي فتحت أبوابها في الجبال .. ان بيروت تكاد تختنق من كثرة المصانع المحيطة بها ، لهذا يجب عدم اعطاء تصاريح بمصانع جديدة الا بشرط اقامة تلك المصانع فى المناطق الجبلية » ..

لقد ثبت نجاح هذه التجربة في مدينتى بكفيا ودير القمر ، وقد اقاموا في الاولى مصنعا للسجاير يعمل فيه ٢٠٠ عامل وعاملة ظلوا مقيمين مع عائلاتهم في المدينة صيفا وشتاء .. واقاموا في الثانية أى مدينة دير القمر ، مصنعا للالومنيوم استطاع أن يُبقى ١٥٠ عائلة في الجبل شتاء وصيفا ..

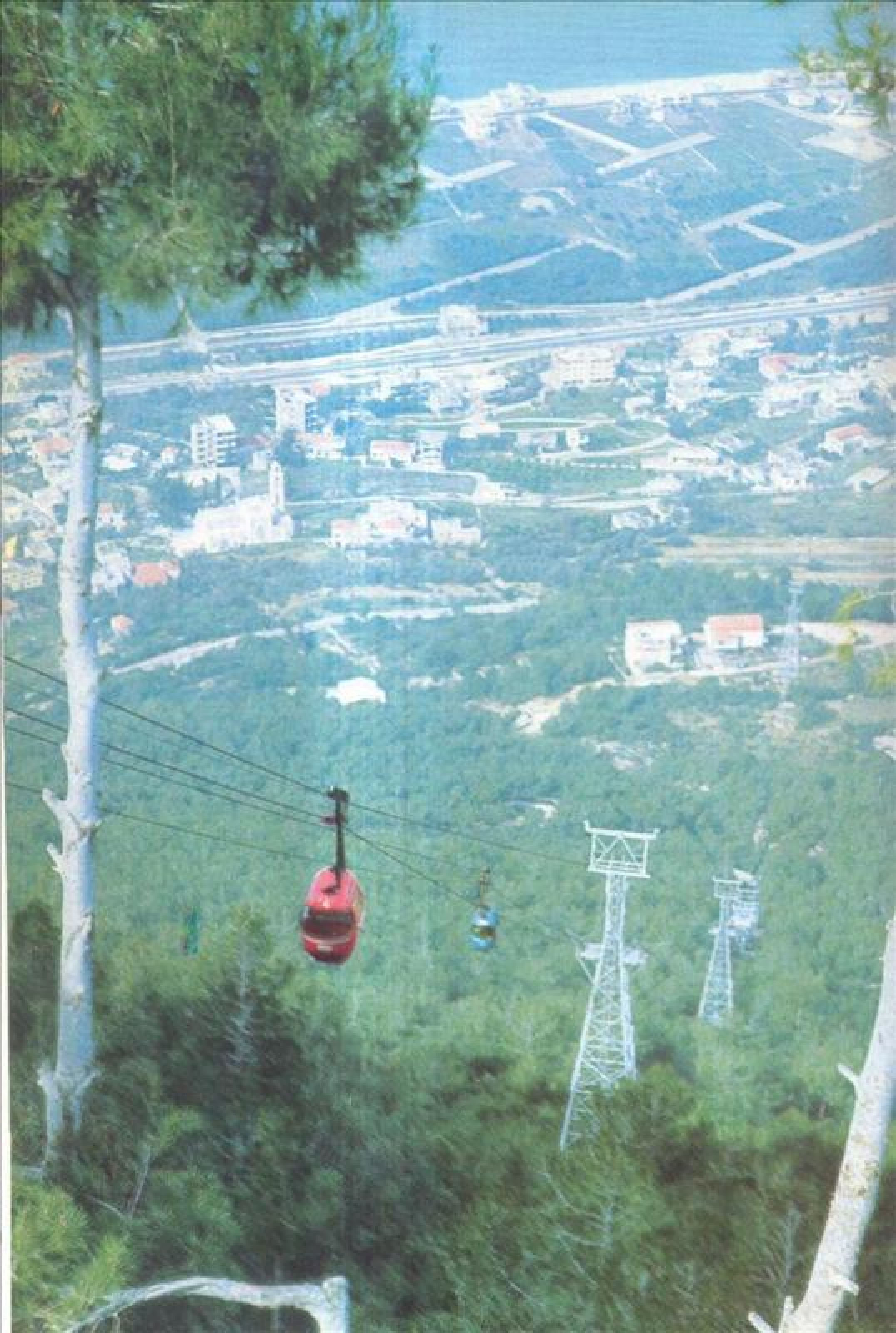


قمم جبال كسروان ، وقد تناثرت عليها القرى والضيعات .. ان الرجال يتركون قراهم ويهجرونها الى المدن .. وتبقى النساء مع الأطفال بلا عمل يتسكعون من منزل الى منزل عند الجيران .. اما لبنان فينقسم الى قسمين : المدينة اللبنانية التي يزداد غناها يوما بعد يوم .. والجبل اللبناني الذي يزداد فقرا فوق فقر كل يوم !!





الى فوق والى اليسار : اجمل الرحلات واسرعها .. من جونية تركب داخل هذه الغرفة الصغيرة التي تتسع لجلوس اربعة اشخاص ، وتصعد بها الى ارتفاع ٥٥٠ مترا في ٩ دقائق ، فتشاهد في طريقك مناظر تعد من اجمل واروع مناظر العالم .. ان هذا الخط الكهربائي يربط ساحل كسروان بجباله .. ويطلقون على هذه العربة الصغيرة اسم « التلفريك » . وقبل نهاية الخط تتوقف هذه العربة عند مقهى كبير ومطعم فخم ، وشرفات واسعة تطل على خليج جونية الساحر .. وبعدها يتابع المرء رحلته الى تمثال سيدة حريصا داخل نوع آخر من العربات يطلق عليه اسم فينكولير ، وتراه في الصورة الاولى فوق هذا الكلام .





انصات وتفكير من احدى طالبات دار المعلمين والمعلمات، في مدينة جونيه خلال احدى المحاضرات.



تشتهر بلدة زوق مكايل بصناعة العباءة والشال وهما يزخرفان بخيوط الحرير والذهب ان احدث الابتكارات اصبحت تخرج من هذه البلدة

فازدهر الجبل في هاتين المنطقتين بسبب بقاء ابنائه فيه على مدار السنة .

ويستطرد اهالي الجبل قائلين : لقد اقتلعنا أشجار التوت التي كنا نربي عليها دودة الحرير ، وزرعنا كل شبر بأشجار التفاح حتى زاد عدد هذه الاشجار في لبنان على ثلاثة ملايين شجرة ، وادخلنا أنواعا وصنوفا جديدة من التفاح الممتاز. ان مجهودنا هذا يجب أن تكون له نتائج ايجابية .. اننا نريد أسواقا عالمية لتصريف هذا التفاح بأسعار معقولة ، بدلا من أن نبيعه بأبخس الأثمان»

ويختتم الاهالي كلامهم بقولهم : « ومن العوامل التي يمكنها شد ابن الجبل الى أرضه أيام الشتاء ، مساعدته في انشاء جمعيات تعاونية وصناعات خفيفة ، كمنتجات الألبان ، وصناعة الفخار .. لقد استخرج أجدادنا الفحم الحجري ومعدن النحاس من قرية اهيج بكسروان ، فلماذا لا يكون في الامكان العودة الى استغلال الارض ؟

« وأخيرا هناك شيء آخر يمكن أن يساعد على ابقاء أهل الجبل في ديارهم ، وهو الغاء ضريبة البلدية التأجيرية عن المنازل ، فيما اذا أقام سكانها فيها خلال فصل الشتاء .. » .

التفاح على الخدود

وبعد أن تجولنا في القرى الجبلية اللبنانية عشقنا هذا الهدوء الشتوي ، ولم نشعر ببرد قارس كما كنا نتوقع ، لأن وجود الثلج لا يعني البرد دائما ، بل قد يعني التعرض لقربة الشمس نتيجة انعكاس اشعتها .

وشتاء الجبل يعني على كل حال الصحة والنشاط البادين على الأبدان والوجوه ، حتى يخيل لك أن التفاح الاحمر اللذيذ ــ وخاصة تفاح ميروبا الذي يقطر عسلا ــ قد انطبع لونه على خدود أهل الجبل !

لوحة حريرية !

لقد انعكس أثر هذه الهجرة على الصناعات

المحلية فكادت أن تندثر من جبال كسروان .. ومن بين الصناعات التى ما زالت تقاوم الاندثار صناعة فريدة فى نوعها تقوم فى بلدة زوق مكايل .. ففى هذه البلدة يأخذون منك صورتك ويحيكونهـــا بخيوط الحرير الملون فتأتى لوحة رائعة لا تقل عن اللوحة الزيتية جمالا واتقانا مع انها لوحة حريرية!

لقد كان عدد العاملين فى هذه الصناعة الجميلة يزيد على ٦٠٠ شخص قبل الحرب العالميةالثانية، ولكنهم انخفضوا اليوم الى ١٥ شخصا فقط !

نهر الكلب او نهر الذئب

ان الفنانين والرسامين يعشقون منطقة كسروان لانها ما زالت محتفظة بطابعها الجميل القديـــم المختلط بالقصص والأساطير .. فوراء كل صخرة قصة تنافس فى غرابتها قصص « ياقوت الحموى » التى تمتد جذورها الى نوح وآدم عليهما السلام .

ومن القصص الطريفة فى هذا الصدد قصة نهر الكلب ، أنه نهر كبير الاسم رغم أن طوله لا يتجاوز ستة اميال وينبع من عين مغارة جعيتا ، وروافده نبع العسل ونبع اللبن .. لقد أسماه اليونانيون باسم ليقوس Lycus أى الذئب ..ولكن الوثنيين جاءوا بعد ذلك ونصبوا عند مصب النهر تمثالا كبيرا من الحجر على هيئة كلب ، وقيدوا هذا التمثال بسلسلةمن حديد شدت الى الصخور، وجعلوا فى مكان فمه تجويفا للطعام ، وفى زعمهم أن الشيطان حل فى ذلك التمثال فصار عينا ساهرة، عندما ينبح فهذا يعنى تنبيها لأهالى كسروان حتى يستعدوا لمقاتلة الغازين من القياصرة وغيرهم ..

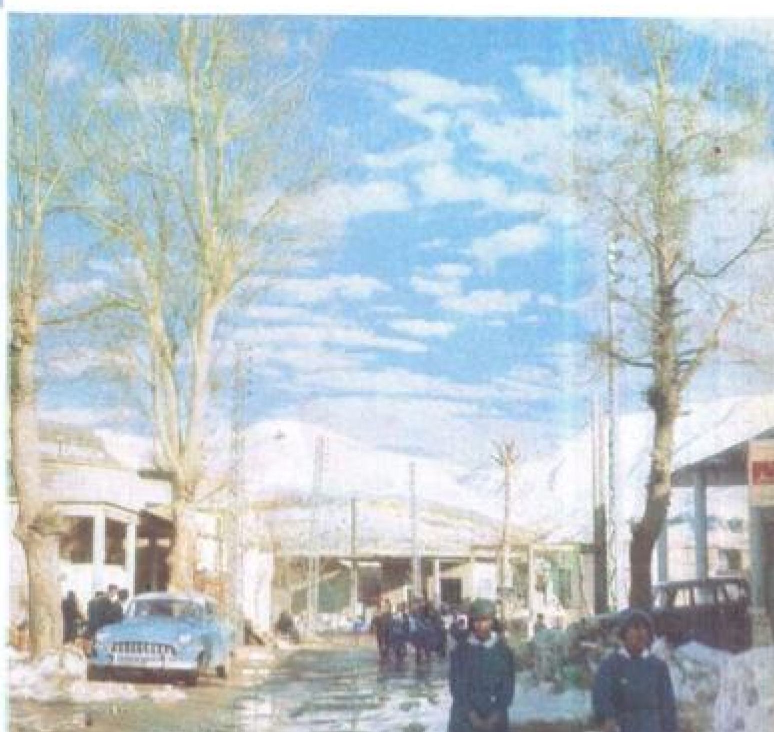


« قدامك سكة سفر .. فيه واحد فى طريقك لكنك رايح تتغلب عليه .. قلبك طيب .. فيه ناس دايما عينهم عليك .. » انها تسلية اهل الجبل فى الشتاء يقرأون فنجان القهوة ، ويدخنون النارجيلة .. ويطحنون البن ، ويجلسون حول الوبيا (المدفأة) التى تعمل بالمازوت .. انهم يقتلون ساعات الشتاء المملة فى انتظار عودة الحياة الى الجبل مع افواج المصطافين ..

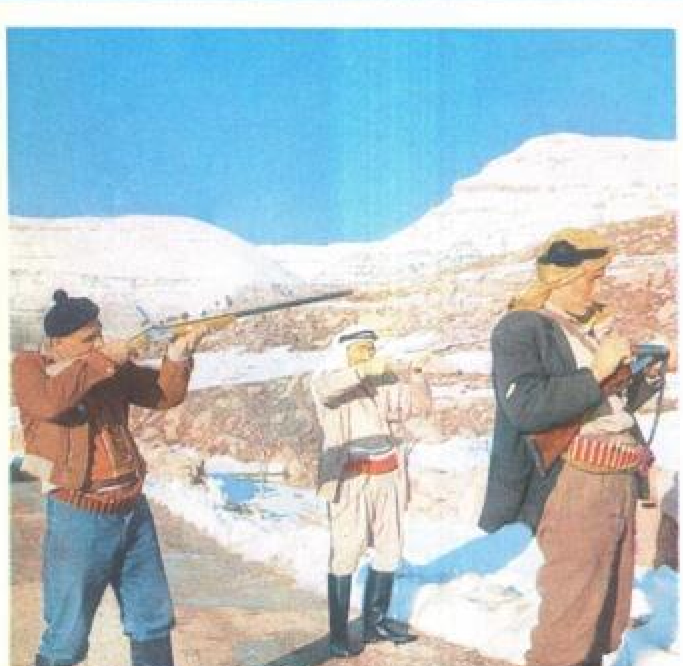




فاريا .. منطقة التزلج في كسروان ، وتبدو فيها « الشاليهات » التي يستأجرها الناس شتاء وصيفا .. لقد أصبحت فاريا المنافس الاكبر لمنطقة التزلج في الارز .. وكادت تتفوق عليها بسبب قربها من بيروت ..



الى اليمين: الشارع الرئيسي في « ميروبا » .. انها في الشتاء تصبح مدينة الطلبة والنساء .. اما تفاحها ذو الشهرة العالمية في الحلاوة والجودة ، فيخزنه الاهالي في البرادات ويبيعونه صيفا وشتاء .



يخرج الأهالي من الرجال الى الجبال يصطادون مختلف أنواع الطيور من حجل وسماني ودراج (الصورة اليسرى) .. أما الإطفال فيكتفون بمعارك الثلوج ، يلقونها على بعضهم البعض على هيئة كرات دائرية .. (الصورة العليا) ..

« وظل هذا التمثال باقيا على هيئته المذكورة الى ان القى به المماليك البحريون في الماء ، ثم زار المنطقة ، عام ١٩٠٧ م بعض التجار الافرنج وقطعوا راس التمثال وهوفي الماء وحملوه الى مدينة البندقية .. »

وظل التمثال المقطوع الرأس مغمورا في الماء حتى عام ١٩٤٢ عندما عثرت عليه وانتشلته فرقة من القوات الاسترالية كانت تعسكر في المنطقة .. واطرف ما يذكر انه تبين لهم انه لم يكن تمثال كلب ، وانما تمثال ذئب .. وهو محفوظ الآن في المتحف اللبناني الوطني في بيروت ..

رصيد سياحي ضخم

ان محافظة كسروان تحاول أن تتسم بطابع خاص تتميز به عن سائر محافظات لبنان ، وقد وجدت أن السياحة هي المجال الكبير الذي يمكن أن تصول فيه وتجول ، معتمدة في ذلك على مياه خليجها الذي لا تهيج مياهه ولا تثور .. ومتطلعة الى جبالها الشامخة وهي مطمئنة راضية ، لما فيها من كهوف ومغارات ابدعت الطبيعة في تنسيقها وفي مقدمتها مغارة جعيتا الشهيرة ، وقد افتتحت مغارتها الثانية منذ بضعة اشهر فقط ، فأصبح الذي يدخلها يشعر وكأنه حقا في عالم العجائب..

اما ينابيع المياه العذبة فهي من الكثرة بحيث تستطيع الشرب منها حيثما كنت ، اذ لا يخلو منها طريق من سلسلة الطرق الحديثة التي توصل بين الكثرة من قرى كسروان .. وتجدر الاشارة هنا الى طريق من تلك الطرق وهو الذي ينقلك مباشرة من شواطىء جونية الى بعلبك في البقاع عبر جبال كسروان ، دون الحاجة للمرور ببيروت .. ومثل ذلك يقال عن الطريق الممتد فوق الجبل من جنوب البلاد في اتجاه الشمال موصلا بين عاليه وحمانا وبعبدا وبكفيا والقليعات وفاريا



المسلة اللبنانية الحديثة للفنان بصبوص .. انها تحتل الميدان الجديد في « رَيْفون » المصيف الكرواني المعروف .. الذي يرتفع عدد سكانه في الصيف الى اكثر من ٢٠٠٠ نسمة ، لينخفضوا الى اقل من ٤٠٠ في الشتاء.



٣٢ تلميذا يتلقون تعليمهم في المؤسسة المهنية البولسية بجونية .. انهم يتعلمون مختلف مراحل الطباعة من صف الحروف وعمل الكليشيهات والطباعة والتجليد ... ومدة الدراسة ثلاث سنوات ، ويقوم بتدريس صف الحروف الافرنجية خبيرة سويسرية تعجبنا من رؤيتها فقالت ان ثلثي العاملين في مطابع اوروبا هم من النساء !

.. واذا ما امتد هذا الطريق الجبلي وفق المخطط المرسوم ، الى جبال الارز ، فانه سيوفر على الناس مشقة كبيرة طالما تجشموها عند نزولهم الى الساحل والسير بمحاذاته ، ثم صعودهم ثانية الى الجبل ..

★ ★ ★

ولا تسل بعد ذلك عن غابات الصنوبر ، او مراكز التزلج او الآثار التي يعود تاريخها الى اقدم الازمنة ، كل هذا موجود بكثرة في كسروان ، ومن شانه ان يجعلها من اكثر المناطق التي تجذب السائحين والمصطافين والمواطنين اللبنانيين الذين يعشقون كسروان ويفضلونها على سائر المصايف الاخرى ..

ان اهل كسروان يعرفون جيدا مواطن الداء في قضائهم ، ويدركون أن اكثر ما ينقصهم هو التخطيط الشامل للمنطقة .. التخطيط الذي ينقلها من مرحلة التغني بالاماني والآمال ، الى مرحلة التنفيذ وتغيير واقع الحال ..

ولكن يثمر التخطيط فلا بد أن يتحقق الاستقرار .. لا بد أن يستقر المواطن اللبناني في جبله على مدار السنة ، وهذا الاستقرار لن يتم الا اذا نفذت المشاريع الخاصة باحياء القرية من الفناء ! يومها فقط سيجد كل مواطن في كسروان المنزل اللائق . وما يحويه من تدفئة وماء ساخن وتليفون وتلفزيون وثلاجة كهربائية .. يومها فقط سيرتبط ابن كسروان بأرضه وجبله . وسيحفر الصخر بيديه ليرتزق ويعيش ! . ■■

سليم زبال



عيد ميلاد اوسكار وايلد

● يروى عن الكاتب الايرلندى المشهور أوسكار وايلد Oscar Wilde (١٨٥٤ – ١٩٠٠) ان جدته كانت تهديه كتابا جديدا في كل عيد من اعياد ميلاده منذ ان بلغ السابعة . وكان يجد متعة كبيرة في قراءة هذه الكتب ، الى ان بلغ الحادية والعشرين من عمره .. وراح ينتظر الكتاب الجديد الذى ستهديه اليه جدته هذه المرة ، ولكنه لم يتلق كتابا ، وانما رسالة قصيرة فضها فاذا بها تقول : « عزيزى أوسكار .. لعلك تساءلت أين الكتاب الذى تعودت ان اهديك اياه في اعياد ميلادك السابقة ؟ لا . لن تكون هناك كتب تختارها جدتك لتقراها انت .. لقد كبرت الآن يا بنى ، ولن تجد في كتبى المتعة التى كنت تجدها في الماضي ، فليس من المعقول ان تختار امراة جاوزت السبعين ، كتابا لشاب في الحادية والعشرين .. اذهب الى المكتبة واشتر ما يروقك من الكتب ، وسأتولى انا دفع ثمنها ! »

ويقول اوسكار وايلد ان هذا اليوم كان بداية انطلاقة كقارىء وكاتب معا !



البحر .. وتوسكانيني !

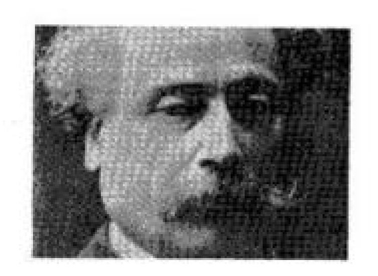
● يقول المؤلف الموسيقى الكبير توسكانيني (١٨٦٧ – ١٩٥٧) ، أن العازفين وحدهم لا يصنعون الموسيقى : فلا بد من توافر الجو الملائم ، لتنساب الالحان عذبة حلوة جميلة تهز مشاعر كل من يسمعها ..

ويقول الموسيقار الشهير انه لا يستطيع ان ينسى تلك الليلة التي عزفت فيها فرقته مقطوعة « البحر » لديبوسي Debussy ، في قاعة الموسيقى الكبرى في روما ، فقد شعر انه يكاد يختنق وسط جدران القاعة الكبيرة » .

فما كان منه في اليوم التالى الا أن حمل عصا المايسترو وحزم حقائبه وسافر هو واعضاء فرقته الى ميلانو .. وعلى شاطىء البحر ، اقام مسرحا مؤقتا في الهواء الطلق وفي المساء جاء جمهور غفير ليستمع الى توسكانيني .. وعزفت الفرقة «البحر» وارتفعت الأيدى تصفق بحرارة للموسيقار الكبير ! .

اما هو فقد نظر اليهم وقال : « لقد كانت رائحة البحر في المساء هي التي اوحت الي والى اعضاء فرقتي بهذه الروعة ! » .





بين الكسندر دوماس ووالده

● كان الكاتب والمؤلف المسرحي الفرنسي الكسندر دوماس الصغير Alexandre Dumas دائم الشجار مع والده ، لأن اباه كان دائما ينتقد سلوك ابنه وتصرفاته ويقول له : « ليتك كنت في مثل اخلاق والدك ! ولكن هكذا شاء القدر ، فلا حيلة لي الا ان ابتهل الى الله ان يصلحك ! »

وفي اثناء معركة من هذه المعارك الكلامية التى تنشب كثيرا بين الأب والابن كتب دوماس تمثيلية للمسرح ، ولكنه رفض لأول مرة أن يوجه الدعوة لأبيه لحضور حفل الافتتاح .

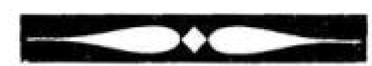
وعلم الأب بما حدث ، فما كان منه الا أن توجه الى الحفل واشترى تذكرة ودخل المسرح ليرى المسرحية الجديدة !

ولاقت مسرحية الابن اعجاب واستحسان الأب ، فاراد ان يبعث اليه برسالة تهنئة بشرط ان تحفظ الرسالة للأب كرامته ، وتظهر اعجابه بابنه في آن واحد، فكتب لابنه يقول : « سيدى العزيز .. لقد شاهدت مسرحيتك الجديدة واشهد انني اعجبت بها كل اعجاب ارجو لك التقدم دائما ! »

وقرا الابن الرسالة فكتب الى ابيه يقول :

« صدقني ياسيدى عندما اقول ، ان رسالتك الى كانت شرفا عظيما لا استحقه ، لأنها صادرة من رجل طالما سمعت ابي يتحدث عنه باجلال واحترام! »

ومنذ ذلك اليوم لم يتشاجر الأب مع ابنه ابدا .



قيصرة روسيا عشقت الزهور

● كان بسمارك في دور من ادوار حياته السياسية سفيرا لبروسيا (قبل وحدة المانيا) ، لدى بلاط سانت بيترسبورج ، وكان يجلس يوما مع الكسندر قيصر روسيا في حديقة القصر الملكى، وعندها شاهد السفير أحد رجال الحرس القيصرى يقوم بحراسة قطعة صغيرة من الارض يتوسطها نموذج لزهرة جميلة ، فكان الحارس يمشي خطوتين الى الامام ، ثم يدور حول نفسه ويمشي خطوتين أخريين الى الوراء !

واثار منظر الحارس دهشة بسمارك، فسأل القيصر : « ماذا يحرس هذا الرجل ؟ »

ولم يعرف القيصر بماذا يجيب ، فما كان منه الا ان امر باجراء تحقيق لمعرفة طبيعة هذه الحراسة غير العادية التى يقوم بها أحد رجال حرسه .

وانقضت ثلاثة اسابيع امضاها رجال قصره في نبش الملفات القديمة بالقصر ، واخيرا اكتشفوا السر . لقد عثروا على امر أصدرته كاترين الكبرى ، قيصرة روسيا بوضع حارس في حديقة القصر لحماية الزهور ، فلا يدع يدا تمتد الى اية زهرة تكافح من اجل الحياة في هذه الارض الباردة !

ثم ماتت كاترين فشيدوا نصبا في حديقة القصر يحمل ذكرى الزهرة التي رعتها القيصرة ، وذكرى عطف هذه المرأة على الزهور الضعيفة ! وبقى الحرس يتناوبون حراسة هذا النصب التذكارى حتى شاهده بسمارك مع قيصر روسيا.

ويجدر بالذكر ان هذا التقليد بقى ساريا الى عام ١٩١٢ .



أنباء الطب والعلم والاختراع

أجور رجال العلم

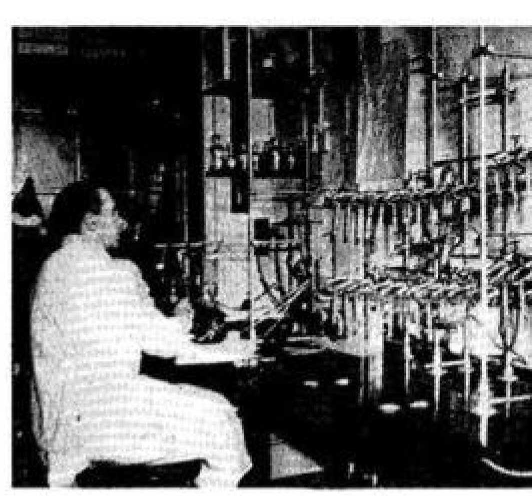
● الأجور التي تدفعها حكومة الولايات المتحدة لرجال العلم فيها اقل من الأجور التى تدفعها لهم الصناعة الحرة .

وقد قضت هذه الحكومة في السنة هذه الماضية بأن تعطى موظفيها مثل ما تعطى لهم الصناعة والأعمال الخاصة . وكان من نتيجة ذلك ، أن جرت بحوث واحصاءات منها الكثير النافع .

فمن ذلك أن خريج الجامعة الذى يحمل درجة في الكيمياء او الهندسة ، وليس له خبرة سابقة ، يحصل في دنيا الأعمال الحرة على أكثر مما يحصل عليه من الحكومة . فهو يحصل من الحكومة على اجر يصل الى ٧٤٥٦ دولارا اى ٢٦٨٤ دينارا كويتيا في العام (الدينار الكويتى يساوى جنيها استرلينا قبل تخفيض العملة) ، بينا هو يحصل من الصناعة بمعدل ٨٠٦١ دولارا اى ٢٩٠١ دينارا ان كان كيماويا و٩٠٢٣ دولارا اى ٣٢٤٨ دينارا ان كان مهندسا

واجر الوظيفة التى تعادل رئاسة قسم كبير من مختبر ابحاث حكومى ، يشغلها كيماوى مجرب أو مهندس مجرب تبلغ في المتوسط نحو ٢٢٠٠٠ دولار اى ٧٩٢٠ دينارا في العام، بينا هى في الصناعة الحرة تبلغ ٢٥٤١٦ دولارا اى ٩١٥٠ دينارا للكيماوى المجرب و٢٣٢٨٠ دولارا اى ٨٣٨٠ دينارا للمهندس المجرب .

ومن الاستعلامات التى جرت ما قامت به مؤسسة العلوم القومية بالولايات
National Science Foundation
فقد أرسلت الى رجال العلم (غير المهندسين) بالولايات استفتاء عما يتقاضون من اجور . واجاب من هؤلاء نحو ٣٠٠٠٠ . ومن هذه الاجابات ظهر ان متوسط ما يأخذه هؤلاء من اجور ، صغيرهم والكبير معا، شبابهم وشيوخهم، بلغ ١٣٢٠٠ دولار اى ٤٧٥٠ دينارا في العام ، وان عشرة في المائة منهم زادت



الكيماوى في مختبره

قرصة الثعابين
صار لها ترياق واحد

● اذا قرص ثعبان رجلا ، وجب أولا التعرف على نوع الثعبان ، ثم اعطاء المريض بالحقن ترياق هذا الثعبان على فرض انه موجود في مخازن الصحة ، وكثيرا ما لا يمكن التعرف على نوع الثعبان .

من أجل هذا عمدت مختبرات بمدينة ملبورن باستراليا هي Common Wealth Serum - Laboratories على صنع ترياق واحد ينفع لأنواع الثعابين المنتشرة في تلك البقاع .

وطريقة ذلك انها جاءت بسم من كل من هذه الثعابين ، وبدات بحصان صحيح قوى ، فحقنته بقليل من سم أحد هذه الثعابين . فلما احتملها، أعطته مقدارا قليلا آخر فآخر ، وهو أثناء ذلك يصنع جسمه المادة المضادة لهذا السم . ولما يصبح الحصان حصينا تجاه هذا السم ، يؤخذ بعض دمه ، ومنه تستخرج المادة المضادة لهذا السم .

ويصنع مثل ذلك في حصان آخر ، بحقنه بسم آخر .



كل ثعبان له ترياق خاص به

وهكذا دواليك .

وأخيرا مزجوا هذه المواد المضادة بعضها مع بعض ، وكان من ذلك المصل الذى هو ترياق سموم كل هذه الثعابين .

فاذا عض ثعبان في مدينة ملبورن ، او حولها أحد الرجال لم يضع رجال الصحة الوقت في البحث عن الثعبان للتعرف عليه ، (وقد يبحثون عليه لأغراض اخرى) ، وانما يحقنون المصاب بقليل من الترياق ،مرة واحدة ،فيشفى .

أجورهم على ٢١٥٠٠ دولار اى ٧٧٤٠ دينارا في العام ، وعشرة في المائة نقصت أجورهم عن ٨٥٠٠ دولار اى ٣٠٦٠ دينارا في العام . أو بلفظ آخر ٩٠ في المائة منهم زادت أجورهم عن ٨٥٠٠ دولار في العام .

واتضح لمؤسسة العلوم القومية ان هؤلاء الثلاثمائة الف من رجال العلم ، ثلثهم على التقريب يعملون في البحوث وأعمال التنمية ، و١٥ في المائة يعملون في بحوث العلوم البحتة ، و١٣ في المائة في البحوث التطبيقية . وكان التعليم الشغل الشاغل الاول لنحو ٢١ في المائة منهم .

واتضح كذلك أن الهيئات التعليمية تشغل ٤٠ في المائة من رجال العلم هؤلاء ، وتشغل الصناعة ٣٢ في المائة ، اما الحكومة الفدرالية فتشغل ١٠ في المائة فقط .

نظائر فيما وراء اليورنيوم
تباع لأول مرة
الرطل منها ببليون دولار ..

● قصة هذه النظائر المشعة اولا .

انها بدأت باليورنيوم ، وكان اثقل العناصر الكيماوية المعروفة في الطبيعة ذرة . كان وزنه الذرى ٢٣٨ ، او على الاوثق كان رقمه الذرى(اعنى ما تحتويه نواته من بروتونات) ٩٢. ثم بدأت البحوث تكشف عن ذرات عناصر اثقل . عناصر غير موجودة في الطبيعة بمقادير يمكن ان تحَسّ لو انها وجدت ، ولكنها عناصر صنعت في المختبرات .

وهي بدأت من حيث كان عنصر اليورنيوم .

واذا البحوث تكشف عن صنع عنصر رقمه الذرى ٩٣ ، هو النبتيونيوم Neptunium.

واذا البحوث تكشف عن صنع عنصر رقمه الذرى ٩٤ ، هو البلوتونيوم Plutonium الذى اعلن العلماء عن وجوده لأول مرة بتفجير قنبلة ناجازاكي باليابان .

وهكذا ، تكشف البحوث عن عناصر ٩٥و٩٦ الى ١٠٣ ،وتحاول ما وراءذلك.

وكلها عناصر مشعة .
وكلها عناصر حياتها قصيرة .
وكلها عناصر مصنوعة .

وهي في عمومها عناصر نادرة ، ما كان يظن أحد ان في الامكان صناعتها للبيع . ثم وقع غير المظنون .

فان وكالة الطاقة الذرية الامريكية عرضت للبيع كميات من العناصر المشعة الثلاثة ، وهي :

الكلفورنيوم Californium ورقمه الذرى ٩٨ ، والاميريكيوم Americium ورقمه الذرى ٩٥ والكوريوم Curium ورقمه الذرى ٩٦ .

وبأى ثمن عرضت هذه العناصر المشعة ؟

عرض الكلفورنيوم بسعر ١٠٠ دولار لكل جزء من عشرة ملايين جزء من الجرام . ومعنى هذا انه لو أمكن انتاجه لكان ثمن الرطل منه ٤٥٠ بليون دولار .

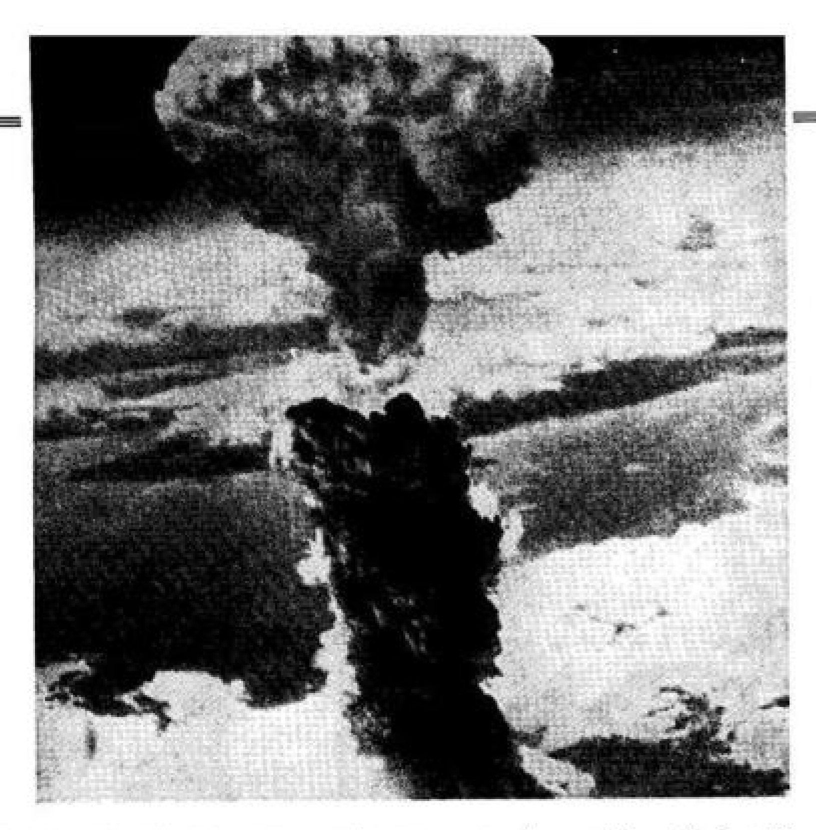
اما العنصران الآخران فأرخص .

لقاح
ضد مرض ذات الرئة

● مرض ذات الرئة ، وكثيرا ما يسميه الناس باسمه الافرنجي نيومونيا Pneumonia ، مرض ظل خطرا الى عام ١٩٤٠ .

ففي هذا العام اكتشف العلماء له لقاحا وصفه العلماء بانه نجاح رائع .

وفي نفس ذلك الوقت بالتقريب ، اكتشف البنسلين ، وكان هذا كذلك علاجا سريعا رائعا ، يقتل كل انواع بكتير هذا المرض . وباكتشاف هذا العلاج اعتبر الاطباء ، ومعهم المرضى ، ان عقدة هذا المرض قد حلّت ، وانه لم يبق هناك حاجة الى التوقي من هذا المرض بلقاح . وكان من نتيجة ذلك ان شركة اسكويب Squib ، وكانت تصنع



فالعشرة المليجرامات من ايهما سعرها ١٠٠ دولار . ولا يباع منهما الا مقادير تبلغ ١٠ مليجرامات او اقل من ذلك في الدفعة الواحدة .

والعناصر الثلاثة مصادر طيبة للنيوترونات ، تلك التى لا مصادر لها على الأغلب الا من الأفران الذرية او من اجهزة غالية الثمن .

والمرجو ان يكون استخدامها في بحوث السرطان اذ سيكون له فوائد جمة .

اللقاح للوقاية من ذات الرئة ، توقفت عن صنعه وسحبته من الاسواق لانه اصبح لا يشتريه احد .

ولكن التجارب والسنين اظهرتا ان العلاج لم يكن الحل الكامل المرتقب ، وان ذات الرئة ظلت حية في الناس ينتقل مكروبها بينهم ، وان بها يموت عشرات الالوف في العام .

ويصيح الدكتور اوستين Austin يحذر الأطباء منذ سنين ، وليس من سامع .

وبعد ١٦ عاما اصاخ اهل الحل والربط ، وعملوا على احياء ذلك اللقاح الذى اغفله الاطباء والناس من قديم . وهم يرجون ان يتم احياؤه وصنعه وطرحه في الاسواق بعد عامين .

وهو حين يعود الى الاستخدام سيعتبره رجال الطب عقارا مانعا محصنا ضد ذات الرئة ، يعطى لكل شخص مع الاحتفال بعيد ميلاده الخامس والخمسين ، وهو يعطيه وقاية من الداء تدوم من خمسة الى ثمانية اعوام .

تطوير
الطبيب العام
ليصبح من اهل الاختصاص

● الأطباء نوعان ، الطبيب العام ، والطبيب المختص .

اما الطبيب العام ، او طبيب العائلة ، فهو الذى يبدأ به المريض ، كائنا مرضه ما كان . ويشخص هذا الطبيب لمرضه ، فان نجح ، وان استطاع ، والا اكتفى هو من نفسه ، واكتفى منه مريضه ، واكتفى منه الفن الطبى انه عرف المرض اين يقع ، ونوع الطبيب المختص الذى يرسله اليه في المستشفى الكبير وغير المستشفى الكبير .

ومن اجل هذا سُمِّى الطبيب العام بطبيب الأسرة ، لأنه يعيش في الحى الذى هو فيه ، تهرع اليه الأسر عند الضرورة ، ويهرع هو اليها يزورها .

اما الطبيب ذو الاختصاص ، فليس دائما قريب المنال . والطريق اليه في الأمم كالأمة البريطانية ونحوها ، يكون عن طريق الطبيب العام . وهو لا يزور الأسر الا عند الضرورة . وهو لا يزورها الا لمرض يقع في اختصاصه فهو ليس بالطبيب العام .

وكان الأطباء العامون ، اطباء الأسر ، هم الكثرة في الأطباء في الجيل المنصرم ، ثم اخذ عددهم يقل ، واخذ دارسو الطب يميلون الى التخصص في العصر الذى اصبح فيه التخصص في كل شيء هو بدعة الزمان .

ولكن الذين يقدرون قيمة التخصص ، في الطب وغير الطب ، ينسون ، قيمة التعمم . الدنيا في حاجة الى هؤلاء وهؤلاء .



وفي الطب ، لا نفع لمتخصص في اورام المخ لرجل يشكو سوء الهضم . لهذا الرجل الطبيب العام أولا ، وهو يداويه . حتى اذا ظهر ان سبب سوء هضمه وآلامه وجود قرحة في معدته أو اثنى عشريّه ، ارسله ، لا الى المختص في أورام الراس ، ولكن الى المختص في قرح المعدة والامعاء .

وحدث في هذا الجيل الحاضر ان اختل التوازن بين اعداد الأطباء المتخصصين واعداد الأطباء العموميين . وشاع عند الناس ان الطبيب العام له المستوى الادنى . ثم يتضح انك لو ذهبت باوجاعك العادية الى طبيب مختص لما امكنه ان يعرف ما داؤك ، لان زمنه صرفه في غير ذلك .

ويريد رجال المهنة اليوم ان يجعلوا من الطب العام اختصاصا . فالرجل ، كما يختص بعلم كيلومتر من سطح الأرض ، وما احتواه هذا الكيلومتر من تحته من طبقات زاد عمقها على الف كيلو متر ، كذلك هو يستطيع ان يختص بعلم الف كيلو متر من سطح الارض لا يذهب عمقها في الارض غير كيلو متر واحد .

الأول سموه خاصا .

والثانى سموه عاما .

والثانى ، في عمومه ، اعرف بالروابط التى تربط هذه السطوح ، وهو يعرف منها اكثر مما يعرف الأول ، واكثر كثيرا .

واذن قد سنوا في الولايات ان الطبيب لا يسمى « طبيب اسرة » الا بعد ان يدرس من الطب ، بعد تخرجه ، ٣٠٠ ساعة ، يمتحن بعد ذلك فيما درسه فيها .

فان نجح ، اعطى لقب التخصص « طبيب اسرة » . ●●



مِنْ أَيْنَ تَشْرَب الكُوَيْت؟

- ٢٣ مليون جالون مِن الماءِ العَذْب تُقَطِّرها الكويت يَوميًا مِن مياه البحر.
- شبكة أنابيب لتَوْصيل المِياه إلى المنازل مُباشَرة.
- سيارات نقل المياه ستَخْتَفي مِنْ شوارع الكويت تَدْريجيًا.
- بُرْجُ مياه يُصْبح بُرْجًا سِياحيًا ارْتفاعه ١٧٠ مِترا.

■ بعد مضي ١٥ سنة خدمة تقـــرر اعفاء ٢٠ آلة تقطير ماء من العمـــل، وازالتها نهائيا من اماكنها التى احتلتها ابتداء من مارس ١٩٥٣، لقد قامت هذه المقطرات بدور طلائعي رائد انتجت خلاله ما يزيد على ستة آلاف مليون من جالونات الماء العذب المقطر (الجالون = ٤٫٥٤٦ لتر) .. وحتى يعرف الأبناء كيف بدأ الآباء عملية تقطير ماء البحر، تقـــرر الاحتفاظ بنموذج واحد من هذه المقطرات بقاعة خاصة في متحف الكويت الوطنى!

٤٣٠٠٠ تصبح ٨٠ فقط !

لقد توقفت السفن الخشبية عن جلب مياه شط العرب من العراق الى الكويت عندما بدات

هذه الوحدات في تقطر مياه البحر بمعدل مليون جالون من الماء العذب يوميا ..

كانت المضخات تدفع مياه الخليج العـــربى الشديدة الملوحة الى هذه المقطرات، فتمر داخل

المبخرات ونسبة ملوحتها ٤٢ الف جزء في المليون، لتخرج بعد عملية بسيطة ، وقد اصبحت نسبة ملوحتها ٨٠ جزءا في المليون !!

واذا شربت من هذا الماء الصافي المقطر وجدته ماسخا غير مستساغ ، لهذا تراهم يضيفون اليه ما تتراوح نسبته بين ٥ و ٧٪ من مياه الآبار الجوفية القليلة الملوحة ، حتى ترتفع نسبة ملوحة الماء المقطر من ٥٠٠ الى ٧٠٠ جزء في المليون .. وهي النسبة اللازمة لمياه الشرب ..

ولقد ولى الكويتيون وجوههم صوب البحر يسحبون مياهه ويقطرونها ، بعد ان نظروا الى ارضهم فبدت لهم صحراوية قاحلة ، بخيلة قاسية ، تكاد تخلو من كل اثر للمياه .. ومن هنا أصبحت الكويت دولة رائدة لدول العالم ، في اقامة اول محطة لتقطير مياه البحر المالحة على نطاق واسع ..

١٧ مليون جالون تشربها الكويت يوميا

والآن وبعد مضي ١٥ عاما على بناء هذه المحطة، وبعد أن تضاعف عدد سكان الكويت الى اكثر من ضعف ، أردنا الوقوف على التفاصيل الجديدة للدور الذي تقوم به الكويت لسد حاجتها المتزايدة الى الماء ..

وفي وزارة الكهرباء والماء وجدنا الجواب .. خبراء من الأمم المتحدة ومن البلاد العربية والاوروبية ينقبون مع أبناء الكويت عن كل قطرة ماء عذب يمكن اضافتها الى الـ ١٧ مليون جالون التي تشربها الكويت يوميا ..

مرحلة انتقالية

وجلسنا الى وكيل وزارة الكهرباء والماء السيد



صورة تذكارية لمياه الروضتين اثر تدفقها عام ١٩٦٠ وقد تجمع حولها الناس يملأون منها جرادلهم ، اما اليوم فقد اصبح عدد الآبار العاملة في حقل الروضتين ٥٢ بئرا يمكنها أن تنتج ما يزيد عن اربعة ملايين جالون يوميا ، توزع بالانابيب.



١٥ مليون جالون من مياه البحر ، تسحبها كل ساعة ، هذه الانابيب الممتدة الى داخل البحر ، وتوزعها على المقطرات والمكثفات ... والماء العذب الذى يحصل عليه من هذا الماء الملح هو بنسبة ١٤ في المائة.

محمد على الحمد نسأله ونستمع اليه وهو يقول:

— يهمنى أن أوضح لكم أن كمية انتاجنا من المياه العذبة تزيد دائما عن استهلاك البلاد .. بسبب تطورنا السريع مع أحدث المخترعات لتقطير المياه ، حتى أبحاث استعمال الذرة في تحلية ماء البحر ، نرقب تطورها بعين ساهرة ونشترك في أبحاثها ومؤتمراتها ..

« ان السياسة المالية فى الكويت تمر اليوم بمرحلة انتقالية حاسمة .. فنحن ننتقل من فترة توصيل المياه الى المنازل بواسطة السيارات ، الى مرحلة نقل الماء مباشرة داخل الانابيب الى كل مسكن في الكويت .

لقد تأخر تنفيذ هذا المشروع في السابق خوفا من ازدياد كمية الاستهلاك عن كمية الانتاج .. أما اليوم فلم يعد هناك مجال للتخوف .. وقد قمنا منذ عامين بايصال أنابيب المياه العذبة الى ثلاثة أحياء في الكويت ، هى كيفان والشامية والشويخ ب ، على سبيل التجربة ، نتعرف بموجبها على مقدار الزيادة في الاستهلاك اذا ما أوصل الماء رأسا الى المنازل ..

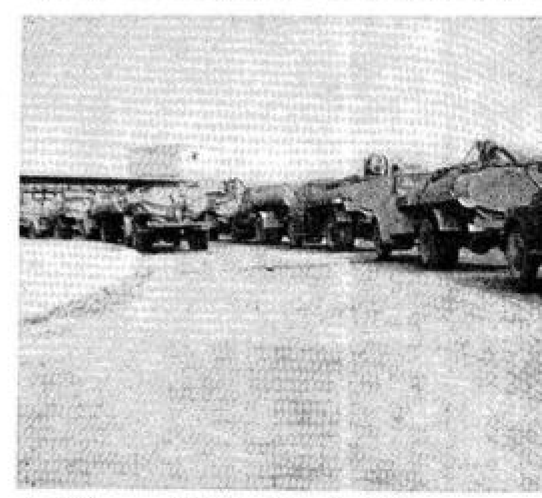
« ولاحظنا التجربة بدقة متناهية ، وكانت النتيجة زيادة في استهلاك الماء العذب تقل عن ضعف الاستهلاك العادى .. وكانت النتيجة مشجعة فواصلنا تمديد الانابيب في العام الماضي الى ثلاث مناطق جديدة هى الدسمة وبنيد القار والشويخ الجنوبى .. ولن ينقضي صيف هذا العام ١٩٦٩ الا وتكون أنابيب المياه العذبة قد أوصلت الى سبعة أحياء جديدة هى الفيحاء والقادسية والخالدية ، والدعية والشعب والعديلية الغربية والمنصورية .. » ولن يأتى عام ١٩٧٢ الا ونكون قد اتممنا ايصال جميع البيوت بالمياه .

٤٦٠ كيلو مترا من الانابيب

ويتابع وكيل وزارة الكهرباء حديثه بقوله :

« ان عملية تمديد أكثر من ٤٦٠ كيلو مترا من انابيب المياه ، عملية ضخمة معقدة تحتاج الى وقت طويل لاتمامها ..

« وسوف تحتاج هذه الشبكة الضخمة من الانابيب الفولاذية المغلفة من الداخل والخارج بمادة عازلة لمنع الصدأ والتآكل ، سوف تحتاج الى ست مضخات للضخ ، والى محطة للتنظيم والسيطرة على كميات المياه الموزعة على المستهلكين وتحديد الكميات المخزونة منها في الأبراج والخزانات الارضية التى سيبلغ عددها ٣٩ خزانا مختلفا ٣١ منها فوق الارض و٦ أخرى تحت الارض ..وسوف تكون محطة السيطرة مزودة بأحدث الاجهزة العلمية الالكترونية والاجهزة الحاسبة «كمبيوتر».



من المنتظر ان يختفي هذا المنظر مع نهاية عام ١٩٧٢ انه لواحدة من ثماني عشرة محطة توزيع لمياه الشرب المنتشرة داخل الكويت وضواحيها .. وتقوم هذه المحطة بتوزيع ثمانية ملايين جالون على السيارات يوميا ... وهذه بدورها تنقلها الى خزانات على اسطح المنازل .. ولكن مشروع مد الانابيب الى المنازل مباشرة سيقضي على هذه العملية تماما .

برج مائي .. سياحي !

ومما يذكر ان بين ال ٣١ برجا التى سترتفع فوق الارض ، برجين سيصبحان من اهم معالم الكويت في القريب ، فواحد من البرجين سيرتفع الى علو ١٧١ مترا عن سطح الارض وستبلغ تكاليفه مليونا و٨٠٠ الف دينار ، وسيحتوى على كرتين ضخمتين ، السفلى منهما ستكون خزانا للمياه سعته حوالى مليون جالون امبراطورى اما الكرة العليا فستكون مغلفة بالفسيفساء الخضراء ، والزجاج وبداخلها مطعم وحديقة واسعة، وتدور حول نفسها دورة كاملة كل نصف ساعة حتى يتمتع الموجودون في داخلها وعددهم ٢٠٠ شخص برؤية معالم الكويت وساحل الخليج العربى ، وهم جلوس فى الكرة المكيفة الهواء ..

اما البرج الثانى فسيحتوى على كرة واحدة سوف تستعمل خزانا لمليون جالون امبراطورى من الماء ..

وستتحول هذه المنطقة الواقعة في منطقة دسمان الى منطقة سياحية جميلة تضيئها في الليل الانوار المنبعثة من برج ثالث سيقام بجوار البرجين ..

وقد تم توقيع عقد بناء الابراج التى ينتظر ان ينتهى العمل فيها قبل نهاية عام ١٩٧٠ .

ماذا يفعل رطل البخـار ؟

وانطلقنا الى محطة التقطير لنرى ما الـذى حدث بعد ازالة العشرين مقطرة التى كانت تنتج مجتمعة ٢ مليون جالون في اليوم .. انها المقطرات الأولى التى ظلت تعمل بجد واخلاص منذ عـام ١٩٥٣ ولكن تكاليف انتاجها اصبحت غير اقتصادية، فصيانتها تكلف مبالغ كبيرة واستهلاكها من البخار كبير جدا ، فهى تستهلك رطلا من البخار لتنتج ٢ر٢ رطلا من الماء المقطر ، بينما يساعد رطـل

البخار الواحد في المقطرات الحديثة على انتاج ثمانية ارطال من الماء المقطر !

وفي نفس الوقت كانت آلة التقطير الواحدة القديمة تنتج ..١ألف جالون امبراطوري في اليوم، في حين ان العمل جار في انشاء مقطرة حديثة بامكانها ان تنتج بمفردها اربعة ملايين جالون من الماء يوميا .

وهذا الفرق الكبير الهائل مرجعه التطور العلمي السريع الذي تشهده صناعة المقطرات ..

ولكل هذه الأسباب بدأت المقطرات الحديثة تأخذ مكان المقطرات القديمة في محطة تقطير الشويخ حتى بلغ عددها اليوم ١٢ مقطرة تنتج ١٤ مليون جالون من الماء العذب يوميا ..

مشاريع بالجملة

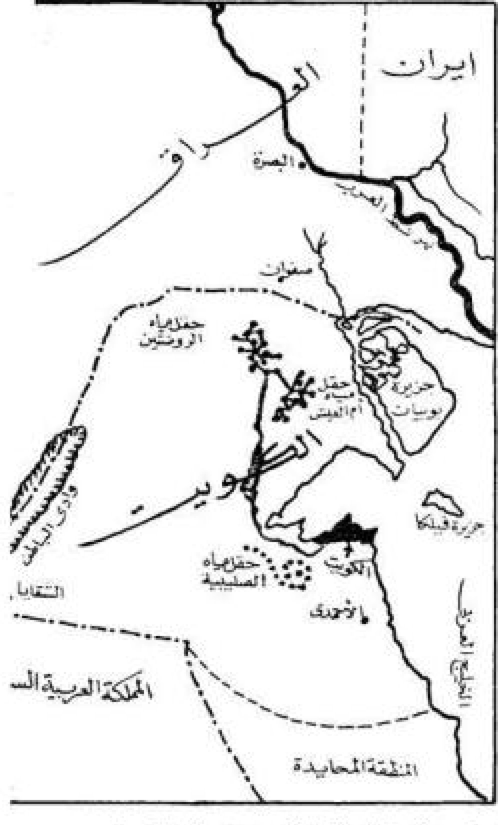
وليست محطة تقطير الشويخ هي المحطة الوحيدة في الكويت فهناك محطة تقطير اخرى اقيمت في عام ١٩٦٥ بمنطقة الشعيبة الشمالية ، تنتج تسعة ملايين جالون يوميا ..

اي ان مجموع ما تقطره دولة الكويت من ماء البحر يبلغ حاليا ٢٣ مليون جالون يوميا ... سترتفع في صيف عام ١٩٧٠ الى ٢٧ مليون جالون يوميا .

ومن المشاريع التي تحت الدراسة مشروع آخر كبير يهدف الى انشاء محطة تقطير ثالثة يمكنها بمفردها انتاج ٢٠ مليون جالون من الماء المقطر يوميا ..

برميل الماء .. وبرميل البترول

ان هذا الانتاج الضخم من الماء ، واستعمال المقطرات الحديثة التي تعمل آليا ، كانا من العوامل التي ساعدت على تخفيض تكاليف تقطير الالف جالون من الماء الى ١٩٥ فلسا بعد ان كانت تزيد عن الدينار في عام ١٩٥٤ ، وهذه التكاليف سوف تنخفض الى ١٦٠ فلسا في مشروع الاربعة



توضح هذه الخريطة اماكن وجود الماء التي تم اكتشافها الى اليوم .. وفي أقصى الطرف الجنوبي يبدو وادي الباطن ، الذي كان نهرا ثم جف في الاحقاب الاولى القديمة ..

ملايين جالون الجديد . وارتفاع تكاليف انتاج الماء في السابق هي التي دفعت بعض الصحفيين الى القول ان سعر برميل الماء المقطر في الكويت يساوي عشرة اضعاف ثمن برميل البترول !

الروضتين وام العيش

والسؤال الذي يطرح نفسه هو :
هل يعني هذا الكلام أن الكويت تشرب من ماء البحر فقط .. ؟

والجواب : لا . فهناك مياه جوفية عذبة اكتشفت بطريق الصدفة عام ١٩٦٠ ، عندما كانوا يمدون الطريق البرى المؤدى من الكويت الى البصرة .. فعلى مسافة ٨٦ كيلو مترا شمال العاصمة ، حفر المقاولون في منطقة الروضتين بئرا لاستخراج المياه الجوفية القليلة الملوحة الموجودة بكثرة في المنطقة ، وكم كانت دهشتهم عندما وجدوا أن مياه البئر حلوة عذبة صالحة للشرب ، وان معدل ملوحتها ٧٠٠ جزء في المليون، وهى النسبة المطلوبة لمياه الشرب ..

ومياه الروضتين هذه ، هى مياه أمطار تجمعت على عمق ٨٠ قدما تحت سطح الصحراء ، وهى موجودة بكمية كبيرة تكفى للضخ منها بمعدل خمسة ملايين جالون يوميا لمدة عشرين عاما ..

وتابعوا التنقيب والبحث في المنطقة فعثروا على حقل ام العيش وهو حقل آخر للماء العذب يقع على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوب شرق حقل الروضتين (انظر الخريطة) ، وعلى عمق ٥٥ قدما من سطح الارض وقدروا كمية مياهه بنحو ١٩ مليون جالون .

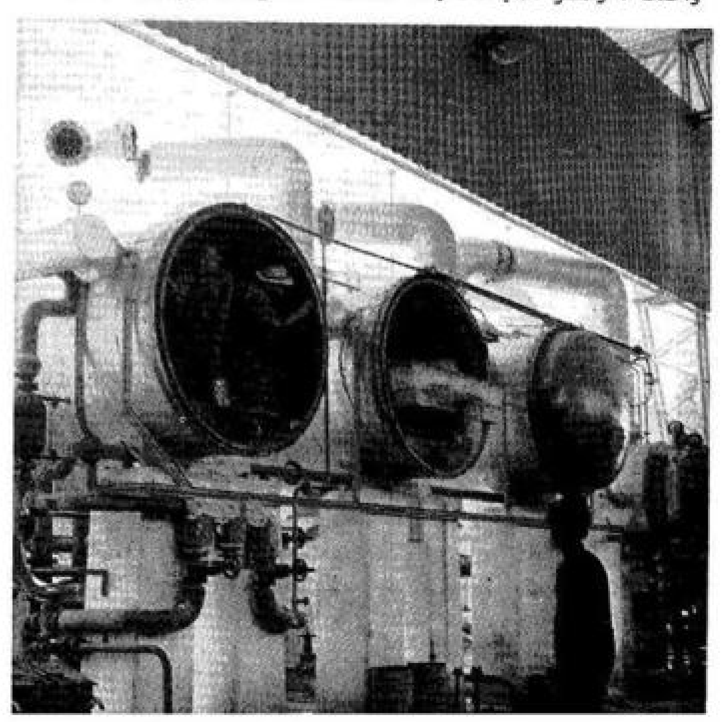
وسرعان ما اتصل الحقلان بانابيب المياه ، وأصبحت العاصمة تشرب يوميا نحو ثلاثة ملايين جالون من مياهها العذبة الجوفية .

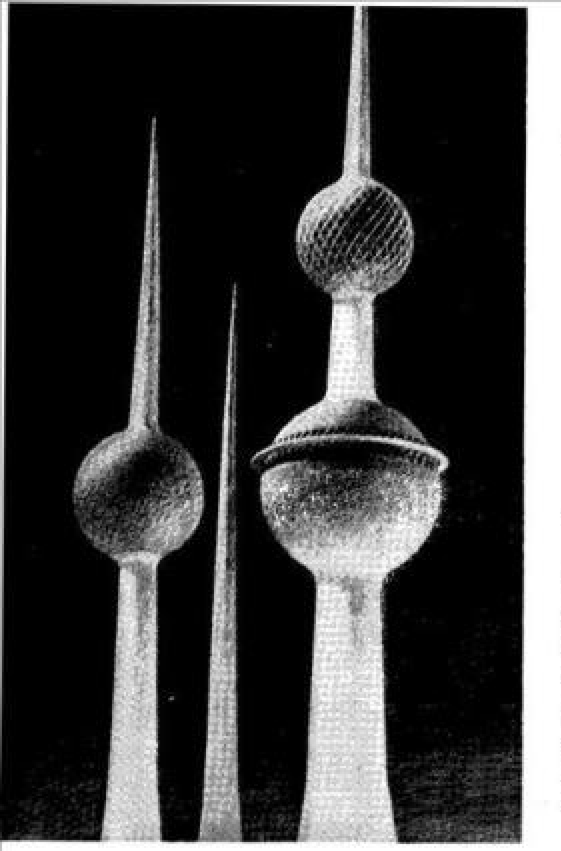
مدد لحقل الروضتين

ويحدثنا المهندس الكويتى الشاب عبد الله الشرهان ، المسئول عن المياه الجوفية فيالكويت فيقول :

ـ كانت مياه الامطار تتجمع فوق صحن حقل مياه الروضتين ولا تستطيع النفاذ الى داخله ، لوجود طبقة صخرية مانعة من نوع الجاتش عند سطح الحقل ، تحول دون تسرب هذه المياه الى داخل الارض ، فكانت المياه تضيع بالتبخر ،وبعد

صورة من الارشيف لاحدى المقطرات التى ظلت تعمل منذ عام ١٩٥٣ حتى ازيلت منذ عامين لقدمها وزيادة تكاليف صيانتها ، واقيمت مكانها وحدات اكبر واحدث ، والمنظر لعملية الصيانة الشاملة التى كانت تجرى لهذه المقطرات.





هذه هي الأبراج الثلاثة التي بدأ العمل في بنائها في مطلع هذا العام ، ومن المتوقع ان ينتهي العمل فيها عند نهاية عام ١٩٧١ وهذه الابراج ترتفع عن مستوى الارض بـ ١٧٠ و ١٣٤ و ٩٧ مترا ، واكبر هذه الابراج سوف تكون فيه كرتان كبيرتان : واحدة لخزن مليون جالون من الماء ، والاخرى التي فوقها ستكون مطعما سياحيا يدور حول نفسه ... اما البرج الثاني فيحوى خزانا للمياه فقط ... والبرج الثالث للاضاءة .

دراسات مطولة دقيقة قمنا بعملية حفر وقطع لهذه الصخور ووضعنا بدلا منها كمية من الحصى تسمح بتسرب مياه الأمطار الى الحقل لتغذيه بكميات جديدة من المياه .. وقد نجحنا في هذه العملية نجاحا كبيرا اذ استطعنا أن ندخل الى الحقل أكثر من ٣٠ مليون جالون من مياه الامطار التي هطلت عام ١٩٦٧ .. وهكذا تستمر الزيادة في مياه حقل الروضتين على مدار السنين بكميات متفاوتة تبعا لكمية هطول الامطار .. »

حديث آخر

والى جانب المياه العذبة الجوفية ، توجد كميات هائلة من المياه القليلة الملوحة .

لقد لعبت الصدفة دورها في اكتشاف حقل الروضتين في شمال الكويت ، ولكن العلم هو الذي لعب دوره في اكتشاف مخزن الماء الهائل في جنوب البلاد بمنطقة الشقايا .. والحديث عن هذه المياه يحتاج الى استطلاع آخر مستقل نامل في نشره قريبا ..

التحلية بالكهرباء

ان المياه قليلة الملوحة متوافرة تحت صحراء الكويت بمناطق كثيرة وبكميات كبيرة ، وهي تستعمل في الزراعة والاغراض المنزلية الأخرى

.. وقد اقامت الكويت مصنعا لتحلية جزء من المياه بواسطة الاغشية الكهربائية ، وهو مصنع تجريبي ينتج يوميا ربع مليون جالون من المياه العذبة المستخلصة من المياه الجوفية القليلة الملوحة ..

نهر صناعي

ان مشاريع المياه في الكويت كثيرة ومتشعبة ، والتحسينات الحديثة في هذا المجال تسير بسرعة مذهلة ، وكان وزارة الكهرباء والماء تعمل على ايجاد نهر صناعي يعوض عن النهر الطبيعي القديم ، الذي كان يمر في وادى الباطن جنوب البلاد .. والذي جف منذ عشرات الالوف من السنين ! ■■

س . ز



اللعثمة في مرحلة الطفولة

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ تطلق كلمة اللعثمة واللجلجة والتهتهة وغيرها من الكلمات على بعض عيوب الكلام الشائعة بين الاطفال . وسوف تستخدم كلمتا اللعثمة واللجلجة في هذا المقال بمعنى واحد تقريبا ، وذلك لتوضيح الحالة التى تصيب بعض الاطفال ، حين ينطق الطفل بمقطع من كلمة معينة او مخرج هجائي من هذه الكلمة ، ويظل يكرر هذا المقطع او هذا المخرج الهجائي كأن هناك قوة تمنعه من اخراج الكلمة من فمه . كما يبدو بوضوح الجهد الكبير الذى يبذله الطفل في الكلام .

والواقع ان اللعثمة واللجلجة تسببان ضيقا وحرجا كبيرا للطفل ، كما انهما تثيران القلق الشديد لوالديه . فعن طريق اللغة يعرض الطفل لآرائه وأفكاره . وعن طريق هذه اللغة يعبر الطفل عن نفسه . وعن طريق اللغة يستطيع الطفل ان يطلب من الكبار المحيطين به اشباع حاجاته الاساسية . فاذا اضطربت وخرجت الكلمات متعثرة من بين شفتى الطفل ، فلا شك أن هذا يؤثر على نظرة الوالدين والكبار اليه ، كما ان هذا قد يقلل من قيمة الطفل ومركزه بين الاطفال الآخرين .

والواقع ان اللعثمة واللجلجة ، ولو اننا نعرض لهما فى هذا المقال مركزين على مرحلة الطفولة ، الا ان هذه اللعثمة

٦ نصـائح لِلآباءِ الّذِينَ لَهُمْ أطفالٌ تَتَلَعْثَم وَاللَّجْلَجَةُ

كل فرد خبر اللعثمة واللجلجة في حياته

واللعثمة واللجلجة وان كانتا تعتبران مظهرا مرضيا يستحق العلاج في مرحلة معينة من مراحل نمو الفرد الا ان كل فرد قد خبر في حياته اللعثمة واللجلجة .

فالطفل في نهاية سنته الاولى يبدأ كلامه بمقاطع من كلمات او مخارج منها تتكرر على طريقة اللعثمة واللجلجة مثل با ـ با ـ با ـ با او دا ـ دا ـ دا ـ دا او ما ـ ما ـ ما ـ ما . ولكن هذه المقاطع عادة ما تثير شعور السعادة والارتياح في نفس الطفل ، وهذا الشعور يأتى من سماع الطفل لصوته ، وكذلك من رد الفعل الذى يحدثه هذا الصوت على الوالدين والكبار المحيطين به . فعادة ما يكون سرورهم عظيما عند سماعهم لهذه المقاطع التى ينطق بها الطفل ويشجعونه على ترديدها لمرات عديدة .

ولكن شعور الطفل الكبير عادة ما يكون عكس ما تقدم اذا تلعثم او تلجلج في كلامه ، لان ذلك لايجلب له سوى الاحراج والسخرية والالم .

واللجلجة اذا لم تواجها وتعالجا العلاج المناسب ، قد تستمران مع الطفل عندما يكبر ، وقد يستفحل الامر ويزداد سوءا .

ولا شك ان الوالدين عادة ما يكونان شديدى القلق حين يريان طفلهما يتلعثم او يتلجلج ، لعلمهما بأن اللعثمة واللجلجة قد تقفان حجر عثرة في سبيل مستقبل ابنهما المهنى . فالكثير من المهن اصبح التفوق فيها الآن يعتمد على اللغة والكلام . فالطبيب والمحامى والمعلم والمهندس والكاتب وغيرهم يستخدمون اللغة والكلام كوسيط لتوصيل افكارهم وخبراتهم ، وكذلك للتأثير على الناس .

اللعثمة واللجلجة سببهما نفسي

قد يتساءل البعض عن أسباب اللعثمة واللجلجة وهل سببهما عيب في اجهزة الكلام لدى الطفل . والجواب على ذلك ان اللعثمة واللجلجة سببهما نفسي . واكبر مؤيد لهذا الرأى ، ما لوحظ بأن الطفل الذى يتلعثم او يتلجلج في كلامه اذا انفرد بنفسه وجعل يكلم قطا او كلبا في المنزل ، او اذا استغرق في لعبة الايهامي في حديث بينه وبين دُمية او عروسة لديه ، فانه عادة لا يتلعثم ولا يتلجلج بل تخرج الكلمات سهلة منسابة . وهذا الطفل نفسه اذا تحدث مع غيره من الناس قد يتلعثم وقد يتلجلج . وهذا

يدفعنا الى تقصي ومعرفة الاسباب الحقيقية .

ولعل الموقف السابق ، يشبه الى حد كبير ما يحدث بالنسبة للكبار في حياتهم اليومية . فرئيس الكتبة اذا تكلم مع الكتبة الذين يرأسهم — فانه يتكلم بمنتهى الطلاقة والسهولة ، ولكن رئيس الكتبة هذا قد يتلعثم في كلامه اذا دخل في حديث مع مدير الشركة التى يعمل فيها ، خاصة اذا كان هذا المدير مستبدا وقاسيا ، وكان رئيس الكتبة غير واثق من نفسه ومن قوله .

فالظروف المحيطة بالطفل والجو النفسى الذى يعيش فيه ، وكذلك فكرة الطفل عن نفسه ومدى ثقته بها ، كلها امور تحدد احتمال اتجاه الطفل الى اللعثمة واللجلجة عندما يتكلم ، وليست اللعثمة أو اللجلجة بسبب عيب في أجهزة الكلام او قصور في الاعضاء التى تتعاون لاخراج الكلمة والصوت المسموع .

اسباب اللعثمة واللجلجة

للعثمة واللجلجة اسباب كثيرة متنوعة ولكن السبب الاساسي لهما هو الخوف . فقد لوحظ أن الكثير من الجنود والضباط الذين اشتركوا في بعض المعارك الحامية في الحرب العالمية الاخيرة واصيبوا بما يسمى « صدمة القنابل » Shell Shock ، اصبحوا يتلعثمون ويتلجلجون . وقد كان هؤلاء الجنود لا يعانون مثل هذه الاعراض قبل اشتراكهم في هذه المعارك . وقد امكن تخليص الكثير منهم مما يعانون منه عن طريق التحليل النفسي .

والخوف يعتبر السبب الاول للعثمة واللجلجة بين الاطفال . وهذا الخوف قد يكون مكبوتا فى اللاشعور بحيث يؤثر على سلوك الطفل ويؤثر على كلامه ، وهذا الخوف عادة ما يكون بعيدا عن ذاكرة الطفل . فقد يكون سبب اللعثمة واللجلجة بين الاطفال خبرات ماضية اثارت خوفا شديدا في نفوسهم ، وهذا يؤدى بالطفل الى اللعثمة واللجلجة . ومثل هذا الوضع يجعل الطفل يخاف الكلام حتى لا يتعرض لتأنيب او عقاب الوالدين اللذين يفرضان عليه ان يتكلم بأسلوب سليم . وكلما زاد الخوف اضطربت الكلمات التى ينطق بها الطفل .

والواقع انه يمكن من الخبرات العادية للشخص أن يلاحظ اثر الانفعال وخاصة الغضب او الخوف على الكلام واللغة . فعادة ما تتعثر الكلمات التى ينطق بها الشخص في حالة غضبه او خوفه وفي غيرها من الحالات التى يصحبها قدر كبير من الانفعال .

اللعثمة واللجلجة كاسلوب للدفاع عن النفس

كثيرا ما تستخدم اللعثمة واللجلجة بواسطة الطفل بطريقة لا شعورية لكى يدافع بها عن نفسه ، فالطفل عندما يتلعثم أو يتلجلج في كلامه ، كأنه يريد توصيل رسالة خاصة للوالدين والكبار المحيطين به مضمونها : « أنا طفل قليل القدر والشأن ضعيف الحيلة ، لذلك فانني استحق الرعاية والعناية والرحمة ، وعلامة ومظهر ضعفى انني اتلعثم واتلجلج في كلامى » . وهذا الاسلوب اللاشعورى للدفاع عن النفس كثيرا ما يحدث اذا كان الطفل يعيش في ظل ابويين قاسيين ، يكثران من توقيع العقوبات عليه لاقل الاسباب . فاللعثمة

واللجلجة في هذه الحالة تصبحان مجالا لاثارة الرحمة والشفقة بالطفل .

اللعثمة كمظهر للنكوص

قد يلجأ الطفل الى اللعثمة واللجلجة كمظهر للنكوص Regression . والنكوص يعني رغبة الفرد في ان يعيش في الماضي ، او ان يعود الى الوراء بحيث يعيش في مرحلة نمو سابقة ، هربا من الحاضر . وعادة ما يلجأ الطفل الى النكوص اذا كانت حياته الحاضرة غير سعيدة وغير سارة ، لذلك يحاول الرجوع الى الوراء ، ليعيش من جديد أيام طفولته . واللعثمة واللجلجة – كما سبق ان اشرنا – ترتبطان ارتباطا كبيرا بأيام الطفولة الاولى ، وترتبطان في نفس الطفل بالرضا والسعادة وبالذكريات السارة ، كذلك فقد يلجأ الطفل الى اللعثمة واللجلجة كاسلوب من الاساليب اللاشعورية التى تهدف للهرب من الواقع ، وتعتبران احدى صور النكوص .

وهذا النكوص الذى يأخذ شكل اللعثمة واللجلجة يساعد الطفل في اتجاهين :

اولا : ينقل الطفل الى ايام الطفولة الاولى الهادئة السعيدة .

ثانيا : يجذب اهتمام الوالدين للطفل ، حيث يزداد قلقهم عليه ، فيحصل بذلك منهم على مزيد من الرعاية والعناية .

وقد شهدت عيادات العلاج النفسي حالات اطفال بداوا يتلعثمون ويتلجلجون في كلامهم ، بعد ان حصل اخوهم – الطفل الصغير – على كل اهتمام وانتباه الاسرة . فكأن اللعثمة واللجلجة هما اسلوب يدافع به الاطفال عن اوضاعهم ، واسلوب يجذب به هؤلاء الاطفال مزيدا من رعاية الوالدين التى احتكرها اخوهم الاصغر .

اللعثمة واللجلجة اكثر انتشارا بين الذكور

لوحظ ان اللعثمة واللجلجة اكثر انتشارا بين الذكور . وقد يفسر ذلك ما اثبتته الدراسات المتصلة بالقدرات الانسانية من أن البنات عموما يتفوقن على البنين في القدرة اللغوية . والسبب الثاني – وهو الاهم – لزيادة انتشار اللعثمة واللجلجة بين البنين . ان الضغوط التى تقع على البنين لكى يتفوقوا ويمتازوا دراسيا وتحصيليا اكثر من الضغوط التى تقع على البنات . وهذا يجعل البنين اكثر قلقا على مستقبلهم التعليمي والمهنى ، كما ان هذا يجعلهم اكثر خوفا من الفشل . وقد سبق ان ذكرنا أن الخوف هو من الدوافع القوية للعثمة واللجلجة . هذا بالاضافة الى ان قلق الوالدين على طفلهم الذكر عادة ما يكون كبيرا اذا أصيب باللعثمة واللجلجة ، ذلك لان الكلام يعتبر الواجهة التى يستطيع بواسطتها ان يعرض افكاره وآراءه واتجاهاته في المستقبل . وهذا القلق الشديد من جانب الوالدين على طفلهم الذكر قد ينعكس على سلوك الطفل ، فتزداد مخاوفه ويضطرب كلامه بشكل اكبر .

ولهذا فاننا نلاحظ في حياتنا انخفاضا ظاهرا في عدد الاطفال الاناث وكذلك النساء اللائى يتلعثمن في كلامهن .

اللعثمة هل تستمر مع الفرد بقية ايام حياته ؟

قد يتساءل البعض هل اللعثمة واللجلجة ترتبطان بمرحلة نمو معينة مثل مرحلة الطفولة ، ام قد تستمران مع الفرد عندما يكبر . والواقع ان اللعثمة واللجلجة قد تصيبان الافراد من مختلف

الاعمار ، كما ان الطفل الذى يصاب باللعثمة واللجلجة قد يستمر على هذا النحو اذا كبر وقد تزداد الحالة سوءا اذا لم يقدم نفسه للعلاج النفسي المناسب .

نصائح للآباء

نقدم فيما يلى عددا من النصائح التى قد تفيد في علاج اللعثمة واللجلجة عند الاطفال ومن أهم هذه النصائح :

١ ـ اشباع حاجة الطفل الى الحب، واشعاره بقيمته وباهمية وجوده في الأسرة ، وعدم اهماله بأية صورة من الصور ، أو توجيه كل الاهتمام الى الطفل الأصغر .

٢ ـ البعد عن الأساليب القاسية العنيفة في معاملة الأطفال ، لأن القسوة الشديدة قد تخلق الخوف في نفس الطفل وهذا قد يدفع الطفل الى اللعثمة واللجلجة . فعادة ما نشاهد ان الآباء القساة يتلعثم أبناؤهم من الخوف اذا تحدث هؤلاء الأبناء معهم ، أو طلبوا منهم أى مطلب ، لهذا فانه من اللازم البعد بقدر الامكان عن الأساليب العنيفة، لأن هذه اللعثمة أو اللجلجة الناتجة عن الخوف قد تستمر مع الطفل في المواقف المختلفة .

٣ ـ اذا كان في الأسرة طفل يتلعثم او يتلجلج ، فيجب عدم توجيه اهتمام خاص اليه عندما يضطرب كلامه . فكثير من الآباء يضغطون على ابنائهم لكى ينطقوا نطقا سليما ، وكلما زاد الضغط على الطفل زاد قلقه وزاد خوفه من الكلام ، وقد تسوء حالته نتيجة لذلك .

٤ ـ يجب على الآباء الا يتكلموا عن مشكلة الطفل الذى يتلعثم أو يتلجلج في حضرته مع الأقارب والضيوف وغيرهم لأن هذا يثير حساسية الطفل لمشكلاته ويزيد من توتره وقلقه .

٥ ـ من المهم ان نجنب الطفل كل ما يثير مخاوفه ، وان نجعل حياة الطفل يسودها الأمن والطمأنينة . فهذا قد يساعده على التخلص من اللعثمة واللجلجة .

٦ ـ يجب ان ندعم ثقة الطفل بنفسه، والا نجعل اللعثمة او اللجلجة التى يعانى منها تؤثر على فكرته عن نفسه وتصوره اياها Self Concept ، وأن نشجعه على الكلام في مختلف المواقف دون ضغط، وان نتقبل كلامه مهما كان مضطرب المقاطع والكلمات .

واخيرا فانه يمكن القول بأن سبب اللعثمة واللجلجة نفسي في اغلب الأحوال، لذلك قد يفيد في بعض حالاتهما العلاج النفسي . هذا بالاضافة الى ان هناك افرادا أصبحوا الآن متخصصين في علاج عيوب الكلام ، وذلك عن طريق بعض التدريبات الخاصة بحيث يسير العلاج النفسي جنبا الى جنب مع هذه التدريبات . ومن اللازم أن يقوم بهذه التدريبات اخصائى لأن بعض التدريبات التى يحاول الآباء فرضها على الطفل لمساعدته على التخلص من اللعثمة واللجلجة قد تضره اكثر من ان تفيده ، لأنها قد تشعره بالفرق بينه وبين غيره من الأطفال ، وبالتالى تضيف الى صعوباته صعوبة جديدة . ولكن الأمر يختلف اذا شعر الطفل بأن الذى يقوم على تدريبه شخص متخصص . ■■

على احمد على

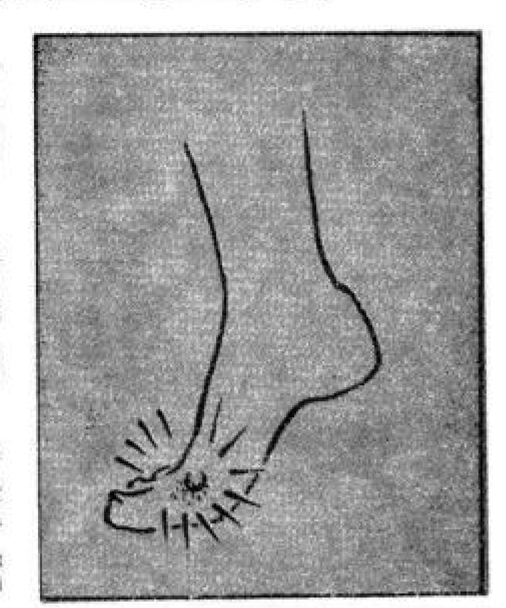
بتخطيط التعليم العالى ـ القاهرة



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الأطباء
وقد بدأنا فى هذا منذ عدد يونيو ١٩٦٨

مسمار القدم ((الكالو)) ..
ما هو علاجه ؟!

● اعاني من « كالو » مسمار القدم في أصابع قدمي .. وقد جربت الكثير من العلاجات التي اقرأ عنها في اعلانات الصحف ، والنتيجة راحة مؤقتة ، ثم عودة الى المعاناة من هذا « الكالو ». هل هناك علاج شاف ؟!



ـ الكالو « Corn » هو حدوث سماكة مخروطية بالجلد ، قاع هذا المخروط على سطح الجلد ورأسه داخل الجلد ضاغطا على الانسجة الملاصقة له محدثا الالم الشديد الذى يعانى منه أصحاب الكالو .

والكالو نوعان ، نوع يابس أو جاف Hard ، وهو يحدث على السطح الخارجي للاصابع وخاصة الاصبع الصغرى بالقدمين . ونوع رخو Soft ، وهو يحدث بين الاصابع ورخاوته نتيجة للعرق الموجود بين الاصابع .

وسبب الكالو هو الاحتكاك او الضغط المستمر على هذه الاماكن وذلك اما بسبب ارتداء الاحذية الضيقة او لوجود عيب بالقدم مثل القدم المفرطحة Flat Foot مما ينتج عنه عيب في طريقة المشي محدثا ضغطا على بعض الأماكن .



واضح مما تقدم ان العلاج الاساسي للكالو هو ازالة السبب وهو :

اولا : استعمال الاحذية المناسبة .

ثانيا : علاج عيب بالقدم . وهذا ما قد يفوت كثيرا على المريض ويجعل الكالو يعاوده مرات ومرات بعد علاجه بالعلاجات الموضعية .

كما انه في بعض الحالات المزمنة تحدث زوائد عظمية تحت الكالو وهذه يجب ازالتها بواسطة الجراحة حيث أنها تسبب الاوجاع التي يشكو منها المريض .

والعلاجات الموضعية كثيرة : اهمها وضع القدمين بالماء الساخن لمدة طويلة حتى تلين الطبقة السطحية للكالو ويمكن ازالتها بآلة حادة كما يسهل ازالة قلب الكالو . كما يستعمل حامض السليسيليك Salecylic Acid لبضعة ايام . وهذه تساعد على ازالته بسهولة .

وهناك بعض الطرق الاخرى الجراحية او استعمال الكهرباء في ازالته .

اعود فأؤكد اهمية وضرورة علاج السبب الاساسي وليس علاج الكالو فقط حيث انه بوجود السبب سوف يعود الكالو مرة ثانية .

التدخين

● **هل يؤثر التدخين والمعدة خاوية على قوة الابصار ؟ .**

ـ الافراط في التدخين عموما قد يؤثر على سلامة خلايا أعصاب الابصار في شبكية العين وبالتالي على ميدان النظر وقوة الابصار .

وتحدث هذه الحالة نتيجة للافراط في التدخين او مضغ التوباك وخاصة اذا كان مصحوبا بشرب كميات كبيرة من المشروبات الكحولية . وسبب ذلك هو حدوث حالة من التسمم بالنيكوتين او أحد نواتج تحلله وتحدث غالبا بين سن الخامسة والثلاثين والخمسين وتحدث في المدخنين المدمنين .

اما لماذا تحدث في هذه السن بالذات فالسبب غالبا هو ضعف المدخن جسمانيا في فترة من حياته نتيجة لمرض اضعفه او اضطراب في هضمه .

ويحدث التسمم النيكوتيني للنظر

مرض الصدفية Tsoriasis

● **سمعت عن مرض جلدي اسمه « الصدف » ارجو ان تذكروا لي اعراض هذا المرض . وما هي اسبابه ؟ وطرق الوقاية منه .**

ـ مرض الصدفية أو الصدف هو مرض جلدي ـ مزمن ـ غير معد ـ لا يؤثر على صحة المريض العامة ولايمنعه من مزاولة نشاطه العادي . وهو يتميز بظهور بقع حمراء مستديرة الشكل ـ ناشفة ـ مغطاة بقشور سميكة رمادية أو بيضاء فضية تشبه قشور السمك الصغير .

وهو يصيب الأماكن التالية عادة : وهي الراس والاطراف وخاصة على الكوعين والركبتين وعلى الظهر والأظافر . وتختلف مساحة البقع من نقط صغيرة الى مساحات كبيرة قد تغطي أجزاء كبيرة من الجسم . وهي تظهر عادة تدريجيا غير مصحوبة بأعراض مثل الحكة Itch او الحرقان Eurning وقد يصاحب هذه البقع التهاب بالمفاصل وخاصة المفاصل

وقوة الابصار



عادة في العينين الاثنتين وان كان قد يحدث في عين واحدة دون الاخرى .

شكوى المريض :

يشكو المريض من عدم وضوح الرؤية كما لو كان أمام عينيه ضباب ويقل هذا العرض وضوحا في الضوء الضعيف وفي المساء .

واكثر ما يتأثر هو النظر المركزى اى الجزء المركزي من ميدان النظر ، وهكذا تصبح القراءة صعبة وكذلك تدقيق النظر في الاشياء القريبة .

اما هل يؤثر التدخين والمعدة خاوية على قوة الابصار :

نحن نعرف ان الدواء او العقار يكون امتصاصه من الجهاز الهضمي اسرع اذا تعاطيناه على معدة خاوية وبالتالى يصل الى درجة تركيز في الجسم أسرع مما لو كانت المعدة ملآنة . وفي التدخين يذوب بعض النيكوتين ومشتقاته في اللعاب ويمتص من الجهاز الهضمي سريعا اذا كانت المعدة خاوية وهذا طبعا غير الذى يدخل مع الهواء الى الرئتين .

اما في حالة مضغ التوباك فجزء اكبر يصل الى الجهاز الهضمي ويكون امتصاصه أسرع اذا كانت المعدة خاوية .

العلاج :

علاج هذه الحالة هو طبعا الامتناع التام عن التدخين وتعاطى الادوية الموسعة للاوعية الدموية مع كميات كبيرة من فيتامين ب المركب وخاصة ب ١٢ .

الصغيرة مثل مفاصل الأيدي والأرجل .

ويتميز مرض الصدفية بالظهور ثم الاختفاء ثم الظهور مرة أخرى ، الا انه قد يختفى تماما في بعض الحالات . واحب ان اذكر ان البقع قد تظهر نتيجة لتعرض الجلد للاصابة مثل اماكن الجروح والعمليات والحروق ولذا يجب الاحتياط من ذلك .

اما عن سبب المرض فهو غير معروف حتى الآن ــ الا انه من الملاحظ حدوثه في أكثر من فرد في العائلة الواحدة وقد تصل النسبة الى ٣٠٪ اى انه قد يكون لعوامل الوراثة اثر في ذلك ــ كما يعتقد البعض انه نتيجة لحساسية شخصية للمريض تؤدى الى ظهور هذه البقع .

اما عن طرق الوقاية فليس هناك ما يذكر في هذا المجال الا ما سبق وان ذكر بعدم التعرض للاصابة التى قد تؤدى الى ظهور البقع في اماكن اخرى .

وعلاج مرض الصدفية هو تعاطى بعض الادوية مثل مركبات الكورتيزون ومضادات حامض الفوليك Folic Acid Antagonist والزرنيخ والأشعة السينية وغيرها .

اما عن العلاجات الموضعية فانفعها هى مركبات الكورتيزون وهى تاتى بنتائج مرضية ، او مراهم القطران او الزئبق او حامض السليسيليك او الانترالين .

زوجان تحت سقف

■ هل شعرت يوما ان زوجك مازال رجلا غريبا عنك رغم السنوات الطويلة التي قضيتها معه ؟

انه شعور غريب يثير قلق المرأة وحيرتها . فهي تبدأ حياتها الزوجية متوقعة فهم طباع رجلها ومزاجه، محاولة مشاركته في تفكيره ومشاعره وهواياته . ثم لا تلبث ان تكتشف انه مازال غريبا بعيدا عنها !

ولا شك ان كلا من الطرفين ، الرجل والمرأة ، يبذل جهدا في محاولة تفهم طبيعة الطرف الآخر وربما كان هذا الجهد من بين الاسباب التي تضاعف من الشعور بخيبة الامل ، عندما يأتي الرجل مثلا بعمل أو يجاهر برأى في لحظة من لحظات الغضب ، يجعل زوجته تشعر بأن هذا الزوج الذى احبته واخلصت له وتفانت في خدمته ، مازال لغزا غامضا ، لم تفلح محاولاتها في سبر اغواره رغم تلك الاعوام الطويلة التى قضياها معا . .

لماذا هو غريب ؟

فما هى اذن اسباب هذه الظاهرة التى يشك منها بعض الازواج والزوجات على السواء ؟

ثم ما هو العلاج لهذا الشعور الذى في بعض الاحيان ، بانها مازالت تعي غريب ، رغم الرباط الذى جمع بينها سقف واحد ؟

لقد اهتم علماء النفس بدراسة هذه الظاهرة وبحث اسبابها ، وخرجوا من دراساتهم وبحوثهم هذه ببعض النتائج التى قد تهم الازواج .

والبت البحث انه من بين الاسباب الاساسية التى تحول دون فهم المرأة لشريك حياتها، انشغاله عنها بمشاكل الحياة ومتاعبها . . فاسلوب الحياة العصرية وما يتطلبه من عمل متواصل من اجل توفير لقمة العيش ، لم يترك للرجل فرصة لاعطاء اسرته وبيته ما يستحقانه من وقت ، وما تحتاج اليه امراته من رعاية واهتمام ، فغدا اشبه ما يكون بآلة لا تكف عن الدوران الا عندما ينفد منها الوقود ، فتتوقف لتتزود به حتى تتمكن من السير والانطلاق من جديد !

تصور خاطىء

وقد البت بحث العلماء ان عددا كبيرا من



واحِــدٍ ...

قَدْ يَعيشَانِ غَرِيبَيْنِ بَعِيدَيْنِ .. بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ المَغْرِبِ والمَشْرِق ..

النساء اللواتي تصورن انهن يعرفن رجالهن ، قد اظهرن انهن يجهلن ابسط شيء يمكن ان تعرفه المراة عن زوجها .. وكذلك الرجل ، فقد فشل بدوره تماما في ان يفرق بين ما تحبه امراته وبين ما لا تحبه ، وذلك في اختبار بسيط اجراه الباحثون على عدد من الازواج والزوجات !

فقد جاءوا بخمسين رجلا ودعوهم الى متجر كبير امتلا بالهدايا ، كحقائب اليد للسيدات ، والحلى والمجوهرات ، والملابس التى تقتنيها المراة لكل مناسبة ، وادوات التجميل والزينة ، الى آخر ما هناك من الهدايا التى يقدمها الرجل عادة لزوجته فى الاعياد والمناسبات .. وطلبوا الى كل رجل من الرجال الخمسين ان يختار الهدية التى يعتقد ان زوجته تفضلها على غيرها وتسعد بها ..

خيبة امل

وجاءت النتيجة مخيبة للآمال .. آمال الزوجات بطبيعة الحال ، اذ لم يستطع رجل واحد من الرجال الخمسين ان يختار الهدية التي كانت تتوقعها امراته .. فقد قالت كل واحدة منهن لزوجها انها كانت تفضل لو انه اهداها شيئا آخر ، راحت تذكره بحاجتها اليه ورغبتها في اقتنائه .

وما حدث مع الازواج ، حدث للزوجات ايضا ، فقد ادخلوهن محلا تجاريا كبيرا ، امتلا بالهدايا التى تقدم للرجال . ولم تنجح واحدة من النساء الخمسين في اختيار الهدية التى تلائم ذوق زوجها ..

وليس معنى هذا بطبيعة الحال ان هؤلاء الازواج قد فشلوا في حياتهم الزوجية ، ولكن معناه انهم اخطاوا فيما تصوروا من انهم قد [illegible]لوا جهدا كبيرا في التعرف على اذواق بعضهم [illegible]س وميولهم واتجاهاتهم وطريقة تفكيرهم .. [illegible]مازالوا ابعد ما يكونون عن هذا الفهم الذى [illegible]ه وتصوروا انهم قد حققوه !



مشاكل الحياة

[illegible]لأن هناك ، كما ذكرنا ، الكثير من امور

الحياة ومتاعبها ، التى تستأثر باهتمام الرجل والمراة على السواء . وهي مشاكل تستغرق كل وقته او وقتها ، وتشغل كلا منهما عن الآخر ، حتى لينسى الواحد منهما ان عليه واجبا يؤديه نحو شريكه في هذه الحياة التى اجتمعا من اجل بنائها وازدهارها ..

هذا فضلا عن تباين طبيعة تلك المشاكل التى تثير اهتمام كل من الزوجين .. فالرجل مثلا يهتم بعمله ورزقه من اجل توفير حياة كريمة لافراد اسرته ، وهو في سبيل انجاح هذا العمل ، ينفق الجانب الاكبر من وقته وجهده في رفع مستواه الفكرى او الفنى ، فاذا كان رجلا مهنيا ، قضى معظم اوقات فراغه في القراءة والاطلاع ، واذا كان عاملا فنيا ، راح يتدرب على احدث الاساليب العلمية المتبعة في المصانع والشركات الاخرى التى سبقت مصنعه او شركته ..

متاعب البيت والاطفال

اما المراة ، فنجد ان مشاكل البيت والاطفال هي شغلها الشاغل . وهي تعطيها الاولوية دائما ، سواء كانت ربة بيت او عاملة .. فعلى عاتقها تقع مسئولية تربية اطفالها وتنشئتهم تنشئة صالحة .

وهذا التباين الواضح في مشاغل الرجل والمراة لا يتيح المجال للالتقاء والتقارب بين الزوجين .. وهما العامل الاساسي الذى يساعد كلا من الطرفين على التعرف على ميول واتجاهات بعضهما .

فاشتراك الزوجين في شيء .. اى شيء ، كان تكون لهما هواية واحدة مثلا ، تشدهما وتجمعهما وتتيح لهما وقتا اطول يقضيانه معا ، او كان يعملا فى مهنة مشتركة يتبادلان الرأى فيها بعد انتهاء ساعات العمل ، والعودة الى البيت .. مثل هذه المشاركة تساعد كلا من الزوجين على التعرف على شخصية الآخر ، وطريقة تفكيره واسلوب معالجته للامور . كما تنمى في الوقت نفسه روح الصداقة والتعاون بين الرجل وامراته ..

اسعد الازواج

وفى استفتاء اجراه الباحثون ، ثبت ان اسعد الازواج هم هؤلاء الذين يعملون في ميدان واحد ، ويحبون الاعمال الواحدة .. فالطبيب الذى يتزوج طبيبة ، او المدرس الذى يتزوج مدرسة ، او المحامي الذى يتزوج زميلته .. هؤلاء جميعا يجدون في زواجهم التعاون والصداقة والتفاهم ، التى ينشدها كل زوجين ، ولكن تحول مشغوليات كل منهما في مجال عمله واختصاصه ، دون تحقيقها ..

وقد ظهر من الاستفتاء ايضا ان الازواج في المجتمعات المحافظة التى لا تزال تتمسك بالتقاليد، اكثر الفة وانسجاما من الازواج في المجتمعات الحديثة .. ففي الاول يختار الرجل امراته عادة من نفس المستوى الاجتماعي والثقافي الذى ينتمى هو اليه ، وقد يرتبط الاثنان في احيان كثيرة برباط القرابة او النسب ، وهما دائما على مذهب واحد وجنس واحد .. ولا شك ان هذا التشابه بين الزوجين يساعد كثيرا على التقاء تفكيرهما ووجهات نظرهما ويقرب بينهما ..

اما الزواج في المجتمعات الحديثة المتحضرة فلم يعد يعترف بهذه التقاليد ، فيتزوج الغربي بشرقية ويتزوج المسلم بمسيحية ، ويتزوج العالم ببائعة الزهور التى اعجبته زهورها ثم ما لبث ان وجد نفسه مفتونا بجمالها ..

فالرجل عندهم يتزوج بالفتاة التى يلتقى بها ويحبها دون ان يهتم باصلها وفصلها ، او دينها وجنسها ، وربما تزوجا دون ان يكلف الرجل نفسه مشقة البحث عن ابويها والتعرف بهما وطلب يد ابنتهما ..

هوة بين الزوجين

ومن هنا نجد الهوة التى لا يلبث ان يشعر الزوجان بها في تفكير وعادات واهتمامات كل منهما .. وربما كان هذا من الاسباب الاساسية لتعدد حوادث الطلاق عندهم ..

غير ان هناك ايضا عوامل طبيعية تساهم هي الاخرى بصورة اساسية في اختلاف الرجل عن المراة .. فالتركيب الفسيولوجي للرجل يختلف بطبيعة الحال عن المراة ، فهما اذن يولدان مختلفين من الناحيتين الذهنية والجسمانية .. وهما بعد ذلك ينشآن غريبين .. كل فيمجتمع خاص به ، وكل في حياة لا تتصل بحياة الآخر بصلة ..

ثم يكون اللقاء عند النضوج او ما قبله ، ثم تكون الخطوبة فالزواج .

وقد يتساءل البعض : « الم تكن فترة الخطوبة كافية لان يعرف كل منهما الاخر ويفهم طباعه » ؟ والجواب بالنفي ، ففي هذه الفترة كثيرا ما يلبس العروسان قناعي المجاملة ، وهي اقنعة تبقى ما بقيت الخطوبة ، حتى اذا تم الزواج ، سقطت الاقنعة ، وتعرّى كل من الزوجين ، فظهرا على حقيقتهما بعد فترة طالت ام قصرت ، ولعل هذا واقع في الاغلب ، بعد شهر العسل او شهر الاحلام !

رعاية الزواج

ثم يتساءل السائلون : « الا تكفي تلك الساعات الطويلة التي يقضيها الرجل مع امراته لازالة الحواجز والتقريب بين امزجتهما وميولهما ، وخلق نوع من الصداقة والتفاهم بينهما ؟ »

والمفروض ان يتحقق هذا التفاهم بعد الزواج ، اذا اعطى كل من الزوجين ، لحياته الجديدة ما تستحقه من رعاية واهتمام . غير ان هناك مجموعة من المواقف التى تلعب دورا هاما في التقريب بين الزوجين ، او تغذية النفور بينهما .. فموقف عدم المبالاة ، او عدم احترام المشاعر من جانب احد الزوجين تجاه الاخر ، او عدم الشعور بالمسئولية ، واظهار عدم الاكتراث للاحداث التى تمر بالحياة اليومية مهما كانت صغيرة وتافهة .. مثل هذه المواقف تترك اثرها في نفس الرجل او امراته وتشعره او تشعرها بضعف الرباط الذى يجمع بينهما .. فالرجل الذى يعود الى بيته مثلا متعبا مرهقا من عمله ووجهه كله ينطق بما صادفه من مشاكل في هذا اليوم ، يتوقع من زوجته ان تلقاه بابتسامة رقيقة تخفف عنه متاعبه ، ولكنه بدلا من ذلك يجدها تتحدث اليه عن المشاكل التى صادفتها مع الاطفال والجيران ، ثم عن مواعيدها مع صديقاتها وزياراتها في المساء !

وكذلك الزوجة التى تقضى نهارها في عمل شاق متواصل في البيت ، وتتوقع من زوجها ان يصطحبها في نزهة او سهرة في المساء ، فاذا به يترك البيت لانه على موعد مع احد اصدقائه !

ولكن حتى القدرة على الادراك للمشاعر والاحاسيس بعمق واخلاص ، ليست في حد ذاتها كافية للتقريب بين الزوجين ، فهناك لحظات يجد فيها الزوجان نفسيهما يواجهان مشاكل ، لايستطيع كل ما في قلبيهما من اخلاص ايجاد حل لها .

وقد يتعقد الموقف في بعض الاحيان عندما يأتي احد الزوجين بتصرف معين ازاء هذه المشكلة ، يعتبره الطرف الاخر تصرفا غريبا وشاذا يثير دهشته ، ويصدمه في بعض الاحيان !

اختلاف وليس شذوذا

والدهشة هنا ليس سببها شذوذا واعوجاجا كما تصور الطرف المصدوم ، وانما هي انفعال للتناقض الذى بدا واضحا في موقف كل من الزوجين وطريقة معالجته للمشكلة التى صادفتهما ..

وقد لا يكون الطرف الاخر صاحب هذا التصرف ، اقل دهشة من صاحبه .. فالمسالة لاتعدو اذن ان تكون مجرد خلاف في الراى ..

فلا يجب على الزوجين ان ينزعجا لمثل هذا الخلاف ، طالما ان هدفهما في هذه الحياة هو معرفة كل شيء يتصل بتفكير كل منهما ومشاعره ازاء الاخر .. يجب الا ندع لمثل هذه المفاجئات ، الفرصة لتعكير صفو الحياة الزوجية .

العطف والحب

وهناك مجالات عديدة يستطيع كل من الزوجين ان يسعى من خلالها الى تضييق هوة الخلاف بينهما ، والسبيل الوحيد الى ذلك هو الاستمرار في المحاولة لايجاد نوع من الفهم المتبادل ، وبذل مجهود اكبر من اجل توضيح موقف كل منهما ازاء المشاكل التى تواجه الاسرة ، ثم شرح الاسباب التى ادت الى اتخاذ مثل هذا الموقف .

على ان هذا كله لن يتحقق الا اذا اظهر كل من الزوجين عطفه على وجهة نظر الآخر ومشاعره ومنحه من حبه واخلاصه ما يشعره بقربه اليه وتعلقه به .. هنا فقط يستطيع كل زوجين ان يحققا التفاهم المنشود ، مهما بعدت المسافة التى تفصل بينهما . ■■

(م ٠ ن)



بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ ترددت كثيرا في ان اكتب عن النحافة لعدة اسباب :

اولا : لان معظم اصحاب الجسم النحيف لايعانون من اى مرض .

ثانيا : من الناحية الاخرى نرى ان النحافة ونقص الوزن عرض لامراض تكون في بعض الاحيان هينة سهلة العلاج، واحيانا صعبة خطرة مستعصية العلاج ، وما اسرع ما يفكر الانسان منا في الخطير المستعصي فيضيق ذرعا بالحياة ، ولا اريد ان اكون الجاني على اولئك النحفاء الذين ينظرون الى الحياة بمنظار اسود .

ثالثا : كثرة الاسباب التي تؤدى الى النحافة وتعقدها وتشعبها لانها تشمل اعضاء الجسم المختلفة ، واجهزته العديدة ، واذا استرسلت في ذلك فاني احتاج الى عدة صفحات بل كتاب لنلم ببعض هذه الاسباب وليس كلها .

رابعا : خوفي الشديد من ان يتسلط اليأس على اصحاب الجسم النحيف عندما يأتون على آخر ما اكتب ويطيلون التفكير دون ان يصلوا الى ما يروق لهم . ويسيطر عليهم اليأس والحزن .

ولكن رغم ذلك وجدت انه لا بد لي من ان اكتب في هذا الموضوع لكثرة ما ورد لي من رسائل تقول ، بما انك كتبت عن السمنة فلماذا لا تكتب عن النحافة . ثم هذا يسال لماذا انا نحيف،وذاك يقول هل من علاج ناجع للنحافة ، وآخر تتسلط عليه الاوهام ويفكر في شتى الامراض .

وللنحافة اسباب عديدة ساضعها في قالب سهل راجيا ان لايستنتج كل نحيف مما اكتب انه من هذا الصنف او ذاك ، او ان يسمع كلام الناس فيقول هذه الاوصاف تنطبق علي . على انه اذا احس النحيف باى عرض يخشاه فمن الواجب عليه ان يعرض نفسه على طبيبه ليستوثق من الامر .

اولا : النحافة صفة من صفات الجسم وربما كانت وراثية

ان الشخص منا يولد وشعره اسود او اصفر ، وعيناه سوداوان او زرقاوان ، وبشرته فاتحة او داكنة ، ولا يسال عن ذلك،لان هذا استعدادشخصي او عامل وراثي يرثه الشخص عن آبائه واجداده ، ولا غرابة في شيء من ذلك . لاغرابة كذلك في ان نرى الشخص نحيف الجسم لانه ليس عنده الاستعداد لان يختزن دهنا في جسده ، فهذا الجسم يحرق كل ما ياكل من طعام . ومن العبث ان يسعى مثل هذا النحيف الى ان يزيد

في الاستجابة الى العلاج واقصر عند الجراحة مدة نقاهة . ومن امثلة ذلك الشخص النحيف عندما يصاب بالشلل النصفي ، فانه يكون اسرع من البدين تماثلا للشفاء وتحريك اعضاء جسمه. وكذلك حال النحفاء في امراض القلب وارتفاع ضغط الدم وغيرها . ولكن الذى احب أن ألفت النظر اليه خاصة هو ان لا يدع النحيف المرض ينقض عليه ويتركه مددا طويلة تأتي على جسده ويأتي الى الطبيب بعد ذلك جلدا على عظم وقد فقد جسمه كل مخزونه الذى يعيش عليه .

ثانيا : النحافة والاضطرابات النفسية

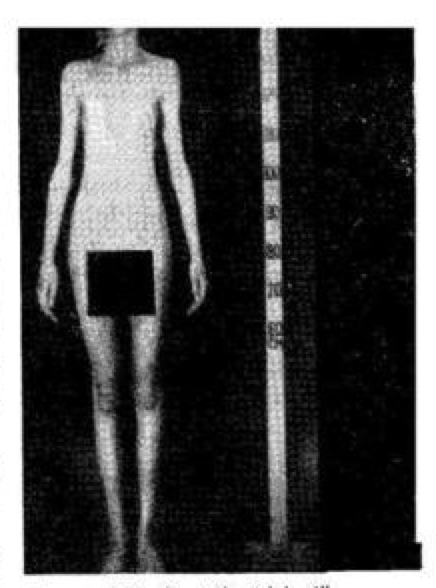
ان الاضطرابات النفسية صارت مشكلة العصر، والاقلاع عن تناول الطعام بسبب القلق ، والنحافة الناشئة عن ذلك اصبحت بعض سمات هذا الزمان .

انه الفشل . وانه الحظ النكد . وانها الفطرة التي ترى السعادة عند غيرنا والشقاء عندنا . وانه الحسد ـ والحقد ـ والخوف ـ والتذمر ـ والثورة على الاوضاع ـ وعدم القناعة ـ والارق ـ والشعور بالنقص ـ كلها أسباب تفقد الانسان شهيته ، فيرغب عن الطعام ، واذن ينقص وزنه ويصير نحيفا ، وقد تبلغ به النحافة حدا مخيفا . ولا علاج في هذه الحالات الا علاج السبب، والاصرار على تناول المريض طعامه بشتى الطرق ، ولو استدعى ذلك وقوف الطبيب بجانب المريض الى أن يتناول طعامه ، وتذليل كل عقبة تحول بينه وبينه . أعرف مريضة اضربت عن تناول الطعام حتى اصبحت عظما بلا لحم ، وكانت ترسل الممرضة التي تقف الى جوارها عندما تحضر لها الطعام لتقضي لها حاجة تخترعها ، وهي في اثناء ذلك تقوم وتقذف الطعام في دورة المياه ، وتقول للممرضة انها تناولته كذبا . فما كان منى الا ان وقفت بجوارها واقنعتها بتناول طعامها ووكلت الامر الى ممرضة لا تذهب حتى تأكل الطعام امامها الى أن تماثلت الى الشفاء .

ثالثا : النحافة وسوء التغذية

والنحافة قد تكون بسبب سوء التغذية .

ومن سوء التغذية أن الجسم لا ينال الكافي من الغذاء ، والكافي من صنوفه ، من بروتينات



الاضطرابات النفسية والقلق من سمات هذا العصر ، وهي تؤدى الى الاقلاع عن تناول الطعام وبالتالي الى النحافة.

من وزنه ما دامت النحافة قد ثبت انها طبيعية فيه . ان معالجة النحافة بعد ذلك بالحقن والعقاقير خداع للنفس، ولا جدوى منها الا التعلق بالامل الكاذب . وانا شخصيا احاول مع مرضاى، مرة او مرتين على الاكثر ، الادوية المفروض فيها ان تزيد من وزن الجسم وتقلل من احتراق الطعام وخزنه ، فاذا فشلت ، ألقيت السلاح وقلت للمريض : « هكذا انت ، فعش كما خُلقت » .

ثم لماذا الخوف والهلع من النحافة ما دام لا يوجد معها مرض يهدد الجسم ؟ اعرف اشخاصا عُمّروا طويلا ووزن الواحد منهم او الواحدة لم يزد على خمسين كيلو جراما . ان النحافة لم تكن يوما سببا في قصر الاعمار ، وعلى نقيض ذلك وجدنا ان النحفاء يتمتعون غالبا بصحة جيدة ويُعمّرون طويلا ، وهم أحسن حالا من اصحاب السمنة المفرطة الذين يهددهم المرض ومضاعفاته من آن لآن . وكأني بشخص يعترضني ويقول : لكن النحيف ليس عنده القدرة على مقاومة المرض كغيره من الاشخاص العاديين . واقول لهذا المعترض انى تعلمت من خبرتى ـ وهي خبرة ليست قصيرة ـ شيئا يشاركني فيه معظم الاطباء، ذلك ان النحفاء أسعد من غيرهم حالا عند المرض ، وعندما تجرى لهم جراحات ، فهم اسرع من البدناء



هزال بسبب سوء التغذية



هزال ناتج عن اختلال في الغدة الدرقية

ونشويات ودهنيات، وفيتامينات وأملاح. ومن سوء التغذية أن الجسم يأخذ الكافي لغذائه ولكنه لا يستفيد منه كما في حالات الاسهال الشديدة المزمنة، أو كالاصابة بديدان في الامعاء، هي التي تتغذى على غذاء الانسان، وكالديدان الشريطية أو الاسكارس أو الانكلستوما.

ومن سوء التغذية عدم تعويض الجسم عما يفقده في بعض الحالات كحالات الحمل والرضاع.

ثم لا ننسى النحافة التي سببها السيدات اللواتي يحاولن أن ينقصن وزنهن الى درجة مخيفة مع ما يعترى بنيتهن من ضعف شديد.

رابعا : الامراض التي تسبب النحافة

الامراض التي تصيب اجهزة الجسم المختلفة وتسبب ضعفا وهزالا ونقصا في الجسم وبعضها يسبب نحافة شديدة. وهنا لي وقفة لكي أوضح ما اقول ولاضع النقط على الحروف لكي لايلتبس الامر على القارىء، واكرر انه ليس كل نحيف يعاني من هذه الامراض. وليس على النحيف أن يسرع ويشخص مرضه بنفسه ويقول هاتذا في النهاية عندي سرطان او عندي هذا المرض او ذاك، كما أسمع من بعض مرضاي. فما اتعس من يعيش في وهم المرض - وياحبذا لو قطع الفرد منا الشك باليقين حتى يريح باله. وما هي الا زيارة لطبيبه ليعرف ما به اذ ان لكل مرض اعراضه وفحوصه، ويأتي في النهاية تشخيصه. وفي الوقت نفسه لا ارى داعيا للفرد النحيف أن يستسلم ويقول: « هكذا انا وهكذا جسمي »، ويدع نفسه فريسة للمرض يأتي عليه.

والأمراض التي تسبب نحافة ونقصا في الوزن كثيرة اسرد بعضها لاهميتها وشيوعها في منطقتنا التي نعيش فيها :

١ - امراض الجهاز الهضمي :

وتشتمل هذه على التهابات في المعدة والامعاء وقرحة المعدة والاثنى عشر وسرطان المعدة والمرىء والامعاء. والتهابات البنكرياس المزمنة. وتليف الكبد، وسرطان الكبد، والامراض الكثيرة التي تصيب الامعاء وتسبب اسهالا مزمنا مع فقدان للمواد الغذائية وسوائل الجسم. ولكل هذه الامراض اعراضها المختلفة وفحوصها الخاصة التي توصلنا الى التشخيص الصحيح وبالتالي الى العلاج.

٢ - أمراض الجهاز الدوري

وهو جهاز الدورة الدموية، ويشمل القلب والشرايين والأوردة وتوابعها. ويحدث الضعف العام ونقص الوزن اذا أصيب الانسان وهو حديث السن بمرض في هذا الجهاز، وكذلك اذا حدث مرض في القلب وهو في طور النمو، ويلاحظ ذلك كذلك في المصابين بمرض خلقي في القلب او بمرض روماتزم القلب.

٣ - الامراض الصدرية :

وعلى رأسها السل الرئوى. لذا كان من الواجب على كل نحيف يعاني من سعال لمدة طويلة أن تعمل له أشعة على الصدر للتأكد من خلوه من المرض. ولا يعفى من ذلك الصغير أو الشاب او المسن أو الذى يدخن او لا يدخن. ففي حالات كثيرة نتهاون في ذلك ونقول انه من التدخين وما هو « بالتدخين »، ولكنه في بعض الأحيان السل الذى اذا لم يعالج في اول امره استفحل وفتك بالجسم.

٤ - امراض الغدد الصماء :

وهي التي تفرز هرمونات في الجسم تساعد على نشاطه ونموه وقيامه بوظائفه الحيوية الهامة. ويأتي في مقدمة هذه الامراض مرض السكر البولي، وهو يقع نتيجة لنقص في مقدار الانسولين الذي تفرزه غدة البنكرياس، وهو الافراز الذي يساعد على تمثيل المواد السكرية واستفادة الجسم منها. فاذا لم يستطع الجسم الاستفادة من كل سكره بسبب نقص الانسولين، يخرج فائض السكر بغزارة مع البول. ويفقد الجسم بفقدان السكر مادة هامة يحتاج اليها في بنائه وفي طاقته الحرارية.

ويستعيض الجسم عن السكر باستنزاف ما يخزنه الجسم من دهن ثم من بروتين فينقص الوزن ويضعف البناء .

ومن الاعراض الظاهرة لمرض السكر التبول بكثرة ، وشرب الماء بكثرة ، مع نقص الوزن . وهذا يوحى الى الانسان بتحليل بوله ليكشف عن السكر فيه فيكشف عن المرض قبل ان يزيد عن حده ويسبب مضاعفات يكون من الصعب علاجها .

ومن أمراض الغدد مرض الغدة الدرقية ، وهو ما يسمى بالتسمم الدرقى ، وتصحبه زيادة في حجم الغدة التى هى في مقدمة الرقبة ، وغزارة العرق ، ورجفة اليدين ، والاحساس بالحرارة في الجسم ، وسرعة النبض ، وبالطبع نقص في الوزن . اعراض كلها توحى بزيادة افراز هذه الغدة . وهناك فحوص للتأكد من هذا المرض . والعلاج سهل ميسر .

ومن امراض الغدد ضمور في الغدة فوق الكلية أو ما تسمى بالكظرية وما يصحبها من ضعف وهزال ونقص فى الوزن وانخفاض في ضغط الدم وغيرها من الاعراض .

٥ ـ امراض الجهاز العصبي :

وهى عديدة ، واذا آلت في النهاية الى اضطراب في الأعصاب الموصلة للعضلات ، فان هذه العضلات تفقد حركتها، وبالتالى تضمُر من قلة استعمالها، وفي النهاية يصبح المريض مقعدا في فراشه ، به ضعف شديد وهزال ونحافة مفرطة .



يؤدى اضطراب الاعصاب الموصلة للعضلات الى أن تفقد هذه العضلات حركتها، وبتالي تضمر من قلة استعمالها . وبعد ذلك يصاب المريض بضعف شديد ونحافة مفرطة .

وهذه الأعراض لا تخفى على الطبيب ولا على المريض .

٦ ـ في الحميّات :

وتحدث النحافة في بعض الحميات التى تستمر مدة طويلة ، وفي الأمراض المختلفة التى تسبب ارتفاعا في درجة الحرارة ، وذلك مع الهزال الشديد والضعف العام ، وذلك بسبب فقدان الشهية واعتماد الجسم على الدهون والبروتينات المختزنة فيه .

هذه هى بعض الامراض التى تصيب الجسم وتسبب نقصا في الوزن مع النحافة . ولا يقلق القارىء النحيف بالا اذا هو لم يجد بنفسه عرضا من الأعراض التى ذكرناها . واذا قلق فعليه زيارة طبيبه مرة فان أكد له خلوه من المرض فليثق بأن النحافة طبيعية في جسمه . ولقد لاحظت في بعض الحالات أن نحافة مؤقتة كانت غالبا بسبب اضطراب بسيط في بعض الغدد الصماء ، ثم زالت بعد الزواج مثلا أو بسبب حالة نفسية تبدلت .

خامسا : العلاج

١ ـ يكون بالبحث عن أى سبب أدى الى هذه النحافة . ثم علاج هذا السبب .

أما اذا وجد أن المريض خال من الأمراض ، وعنده فقدان الشهية مثلا فيعطى أدوية مشهية وهى متعددة وكثيرة .

منها على سبيل المثال Vitaphos فيتافوس ، B.G. Phos ، أو مزيج الجنشيانا Mist Gentiona Co ، وتؤخذ قبل الاكل بربع ساعة ، وفي بعض الحالات تفيد اذا كان سبب النحافة قلة تناول الطعام .

وفي بعض الحالات يرتفع وزن المريض اذا أعطى المواد التى تساعد على تكوين انسجة وتقلل من تكسر المواد المكونة للخلايا وهذه منها Durabolin - Dianabo وغير ذلك .

ولكن اذا لم تؤثر هذه الادوية فلا داعى للقلق، وكما اسلفت لا داعى للاصرار على تناولها عندما لا تعطى الفائدة المرجوة . ■■

الكويت **محمد أبو شوك**

في الطريق إلى القمر

■ صوت من السماء ، هبط الى الارض ، مجلجلا ، قعد له الملايين من الخلق عند تلفازاتهم ، في دورهم ، يستمعون ، وينظرون .

انه صوت أحد رجال الفضاء الثلاثة الذين وصلوا الى القمر، واخذوا يدورون حوله . اخذ يتكلم ، وقد حوّل عدسة تلفازه ناحية القمر ، ينقل بها الى اهل الارض من صور سطحه ما ينقل .

قال فيما قال :

« اني ارى افق القمر هنا ، حرفا واضحا حادا قاسيا . والسماء سوداء كلون الزفت تماما . والشمس بيضاء تبين في اوسط هذا السواد ناصعة . والفوّهتان اللتان يتراءيان كفوّهتَي البراكين، تلكما اللتان أنتم ترونهما الآن ، هما فوّهة كسبار Casper وفوهة جلبرت Gilbert والجبال التي ترونها قادمة الينا من عند الافق ، افق القمر ، بها من الفوّهات العدد الكبير .. »

كان هذا صوت فرانك بورمان Frank Porman قائد بعثة « ابولو رقم ٨ لارتياد القمر » ، وذلك في الامسية التي كان صباحها عيد الميلاد ، ميلاد عيسى ابن مريم ، ذلك الماضي .

جاء واضحا في آذان الناس وضوح صوت الهاتف يأتي من جار لهم رفع سمّاعة هاتفه ليتكلم لهم من قريب .

وجاء وبين المتحدث وسامعيه أكثر من ٢٠٠٠٠٠ ميل من فضاءالله الواسع. فهو ابعد صوت سمعه مخلوق الا أن يكون ذلك وحيا .

ولأول مرة يرى انسان بعينيه سطح القمر ، وجها وظهرا ، وهو على ارتفاع منه يبلغ نحو ٧٠ ميلا .

ولأول مرة يبتعد انسان عن سطح الارض في سفر يمتد ٢٣٣٠٠٠ ميل حتى ينال ظهر القمر الذى لم يكن رآه رجل قط ، عن قرب ، أو عن بعد ، فالقمر لا يرينا من نفسه الا وجها واحدا .

ولأول مرة يركب انسان مركبة تسير بمثل هذه السرعة : سرعة ٢٤١٧٠ ميلا في الساعة ، وذلك عندما خرجت مركبة ابولو ٨ من مدارها حول الارض تريد القمر ، وسرعة ٢٤٦٢٩ ميلا في الساعة عندما عادت المركبة فدخلت جوّ الارض مرة اخرى .

ولأول مرة يقوم العلماء بمسح بحر الفضاء ، وهوبغير ماء ، كما يمسحون بحار الأرض، ويقدرون فيه ما يقدرون، ويرسمون فيه الطرق ، ويضربون المواعيد ، امكنةً وازمانا ، وتذهب المركبة الفضائية حيث ارادها العلماء ، وحيث قدّروا لها ، ولا تخلف ميعادا .

الرحلة

رفع المركبةَ ، ابولو رقم ٨ ، الى الفضاء ، الصاروخُ المسمى ساترن رقم ٥ Saturn 5 ، وساترن معناه زُحَل ، فاسمه كاسم الكوكب المعروف.

وهو اقوى صاروخ معروف .

وهو حمل المركبة برجالها في الساعة ٧و٥١ دقيقة من صباح يوم ٢١ ديسمبر ١٩٦٨ من « كاب كندى » بفلوريدا ،

رِحْلَةُ أبُولو رقم ٨

ذَهَبَتْ بالرِّجال

حَوْلَ القَمَر

وَرِحْلَةُ أَبُولو رقم ٩

تَجْرِبَةٌ تمهيديَّة

لَمْ تَخْرُجْ عَنْ نِطاقِ الأَرْض

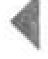
وهى منطلق المركبات الهوائية في الفضاء.

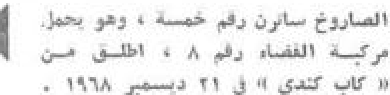
وصعدت المركبة ودارت في مدارها حول الارض على بعد نحو ١٠٠ ميل من سطحها ، وفي هذه الأثناء امتحن رجال الفضاء كل الآتهم للتحقق من سلامتها .

ثم هم اشعلوا صاروخهم مرة أخرى ليخرج بالمركبة عن مدار الارض ، ويقذف بها في مسار يتجه بها نحو القمر ، ويكون من شأنه ان يلتقى بالقمر حيث يكون بعد ٦٦ ساعة ، وهى المدة التى تستغرقها المركبة في الوصول الى موضعه هذا .

واذ تسير المركبة في مسارها الجديد، بسرعتها الجديدة ، تأخذ هذه السرعة تتناقص بفعل جاذبية الارض اذ تشدها اليها . ثم تقترب المركبة من حيث يكون القمر ، وتدخل في نطاق جاذبيته ، فتأخذ سرعتها في ازدياد .

عندئذ اطلق رجال الفضاء طلقة من محركهم الأصيل دخلوا بها في مدار

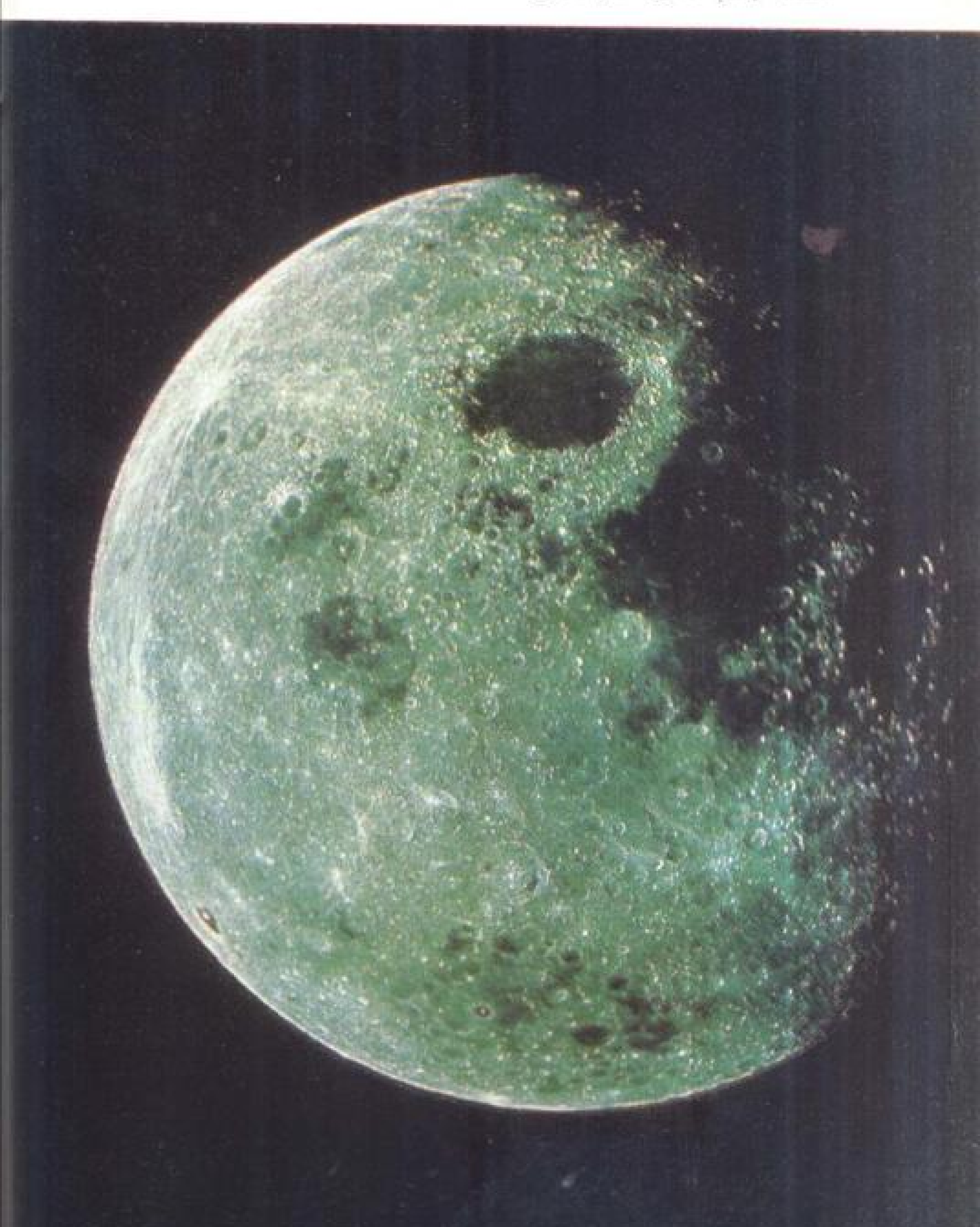


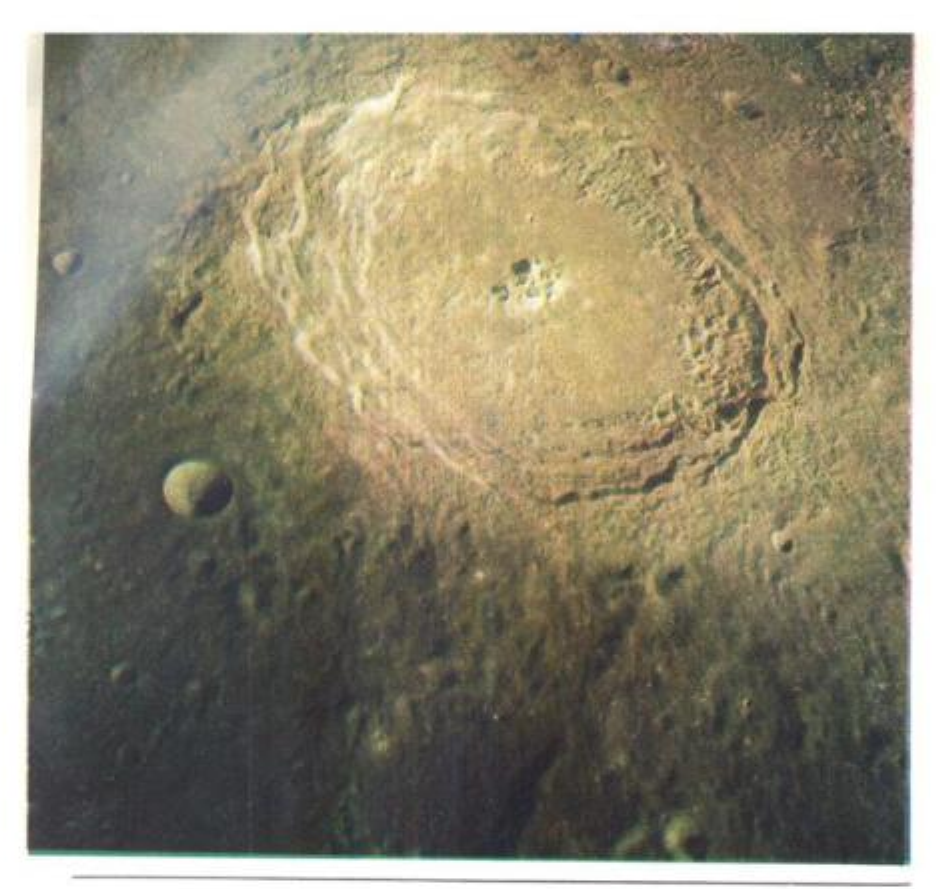


الصاروخ ساترن رقم خمسة ، وهو يحمل مركبة الفضاء رقم ٨ ، اطلق من « كاب كندى » في ٢١ ديسمبر ١٩٦٨ .

تحت : صورة للقمر اخذها رجال الفضاء وهم عائدون الى الارض

الى اليسار : الفوهة المسماة فوهة لنجرنس Langrenus ، رآها رجال الفضاء من نافذة مركبتهم وهم يدورون حول القمر . ان قطرها يبلغ نحو ١١٥ ميلاً .





للقمر . ولكنه كان مدارا اهليلجيا . وبعد دورتين في هذا المدار اطلقوا طلقة اخرى جعلت مدارهم حول القمر دائريا ، على ارتفاع ٧٠ ميلا من سطحه .

ودارت العربة ، ابولو رقم ٨ ، حول القمر ، بسرعة ٣٧٠٠ ميل في الساعة . فاتمت الدورة الواحدة في ساعتين .

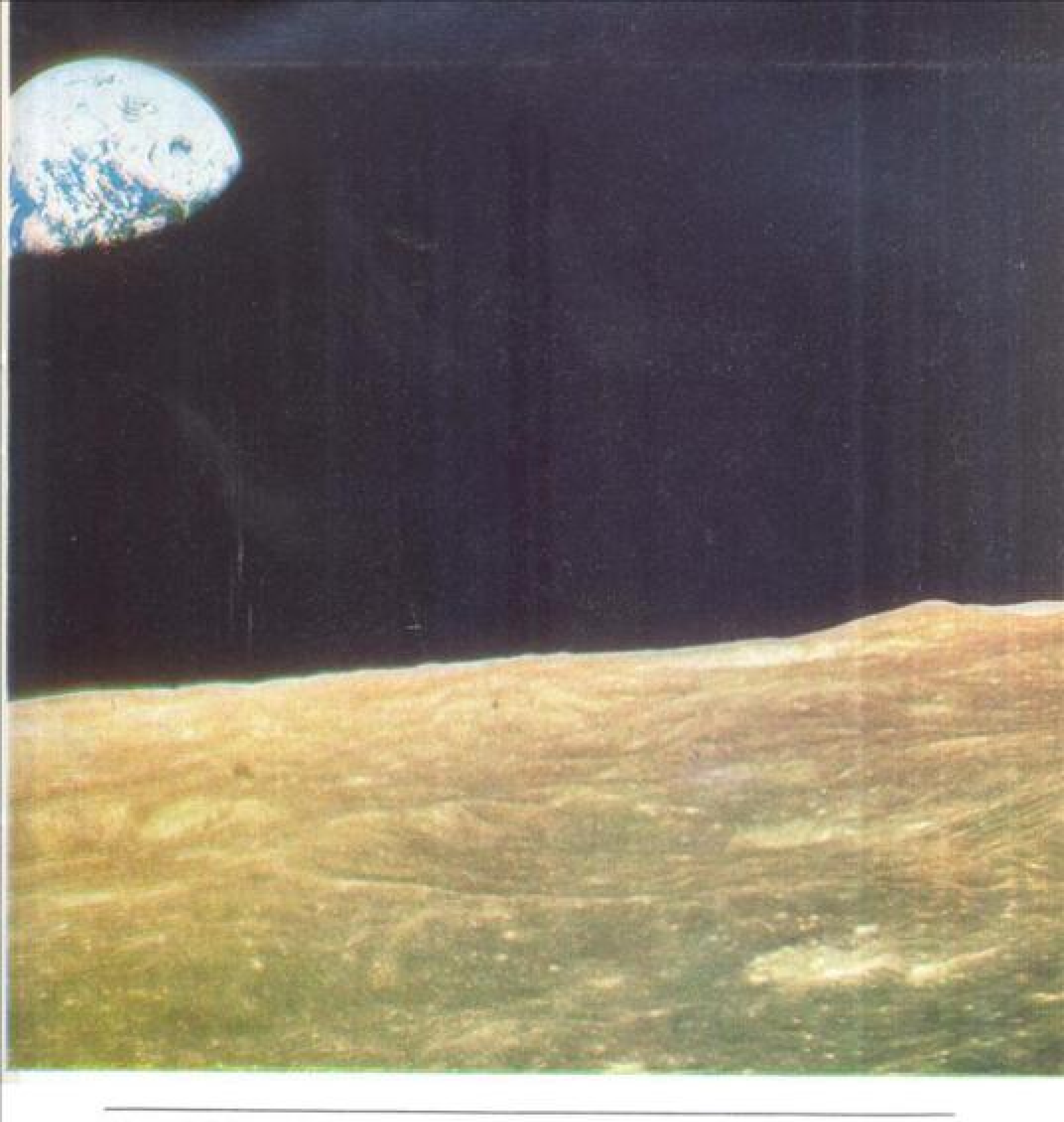
وبعد عشر دورات حول القمر صنعوا اثناءها كل ما هدفوا اليه من هذه الرحلة ، من نظر بالبصر وبالعدس بالتلفاز ومن تشغيل أجهزة وآلات ، اطلقوا طلقة من محركهم اخرجتهم عن نطاق القمر وركبوا بها سبيلهم الى الأرض .

وفي الساعة ٤ والدقيقة ٥١ من ٢٧ ديسمبر ١٩٦٨ ، هبطت المركبة برجال الفضاء في المحيط الهادى على بعد نحو ١٠٠٠ ميل من جنوب غربى جزر هاواى . وانتشل رجال البحرية الامريكية رجال الفضاء من مركبتهم ، وطاروا بهم الى الولايات حيث انتظرهم مئات من رجال الصحافة من كل انحاء العالم . وتحدثوا . وافاضوا .

وتحدث رئيس الحفل قال : نحن مجتمعون اليوم احتفالا بحدث تاريخى قليل النظير . لقد بدا الانسان يغزو الكون . ان حلما من احلام الانسان العظيمة قد تحقق . وليست مركبة الفضاء ابولو رقم ٨ بآخر المطاف . انها اول المطاف . انه مطاف يبدأ ثم لا ينتهى .

وبانصراف رجال الفضاء عن المركبة تفرغ لها الخبراء . دخلوا اليها فجمعوا منها عشرات اللفائف من الافلام التى حملت اعجب الصور ، وجمعوا كذلك آلات التسجيل بسجلاتها فيما يختص بالجاذبية وظواهر فضائية اخرى .

وسيظل العلماء مشغولين بفحص كل هذه الثروة العلمية عدة أسابيع ، قد



تمتد الى اشهر . كشوف تزيد علم الانسان بالقمر ، كيف نشأ ، ومن أى شيء نشأ . وتكشف لنا عن تلك الفوهات التي بسطحه .

حجرة القيادة

حجرة القيادة Command Module وهى جزء من المركبة الفضائية ابولو ٨ ، هى الحجرة الاساسية التى يعمل فيها رواد الفضاء الثلاثة ، ويعيشون فيها وينامون ويستيقظون ، وهى تتألف باجهزتها من نحو مليوني قطعة لها وظيفة تعملها . وللمقارنة نذكر ان السيارة المتوسطة بها نحو ٣٠٠٠ قطعة .

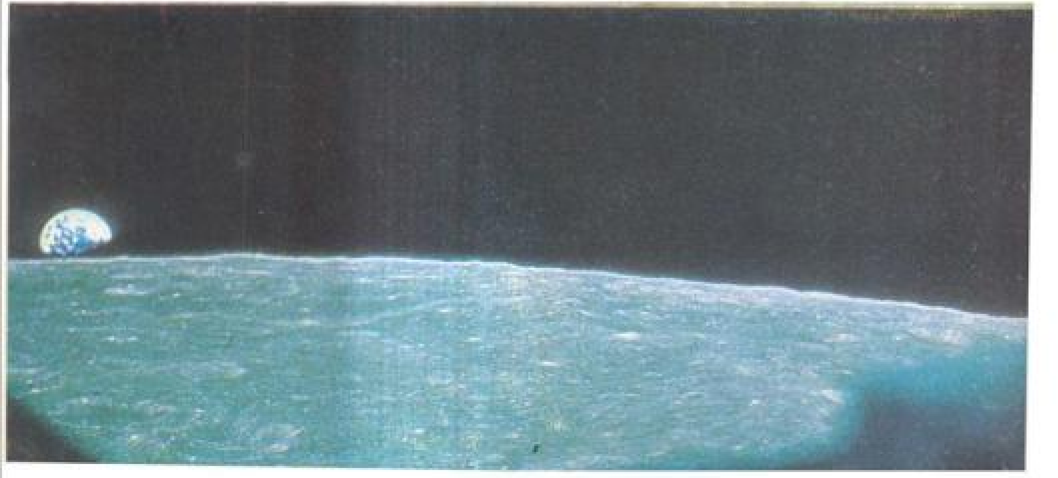
وحجرة القيادة شكلها مخروطى ، ارتفاعها ٣ر١٨ مترا وقطرها ٣ر٨٥ مترا . واذا قسمنا حيزها الداخلى بين الرجال الثلاثة لنال كل منهم ٢ر٠٦٧ مترا مكعبا .

وجدار حجرة القيادة بطانتها الاجهزة الكثيرة ، وبها نحو ٥٠٦ مفتاح يصل شيئا او يقطع شيئا .

وحجرة القيادة هى الشيء الوحيد

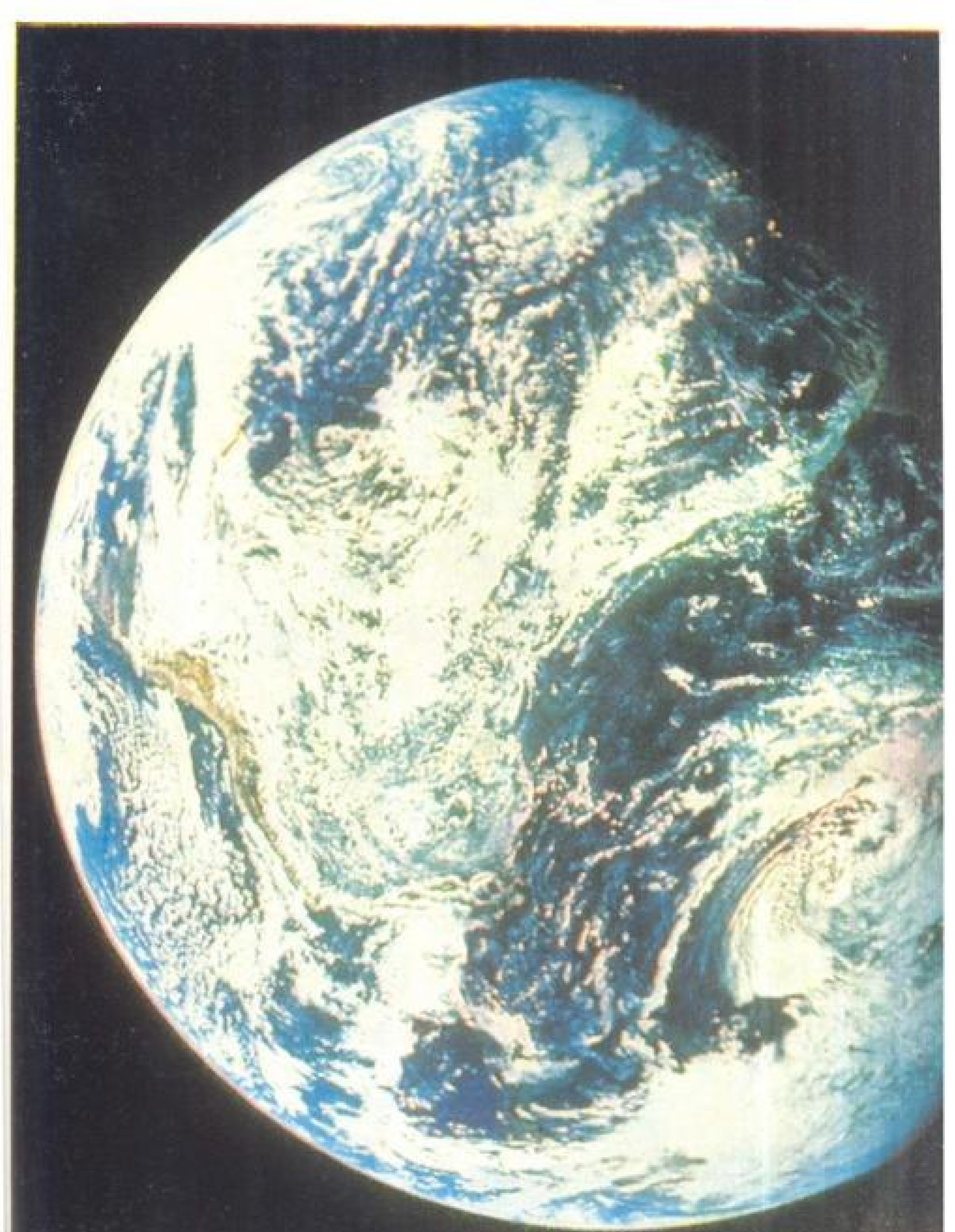
الى اليمين : في اول دورة لهم حول القمر ، نظر رجال الفضاء فاذا افق القمر طويلا عريضا امامهم ، واذا الارض تراءت لهم في السماء ، وقد انارت الشمس (ليست في الصورة) نصفها ، واظلم نصف . وكانت هذه الارض منهم على بعد نحو ربع مليون ميل في الفضاء البعيد . فصوروا هذا المنظر الفريد . واى منظر !

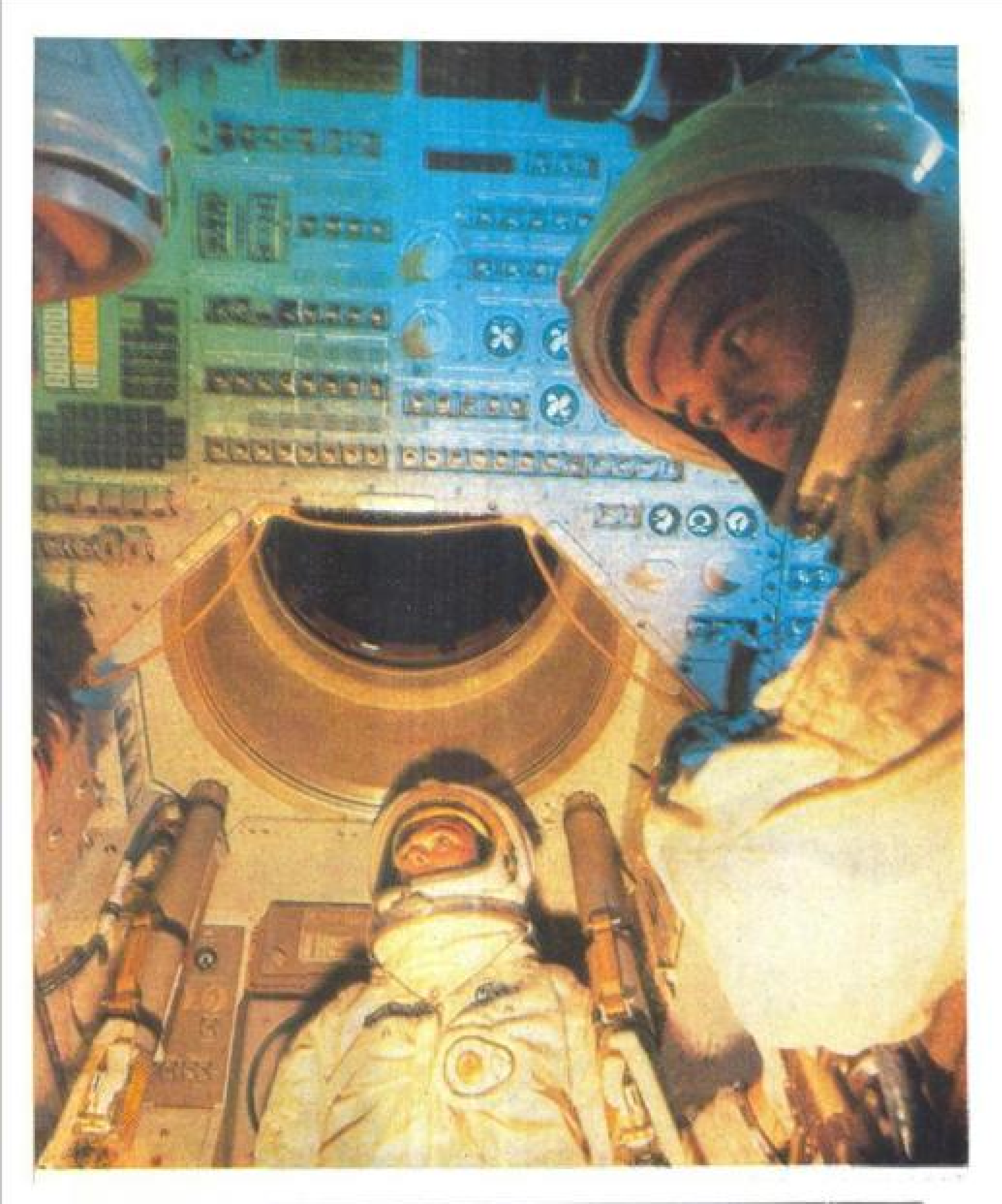
تحت : صورة للارض اخذها رجال الفضاء وهم يدورون حول القمر ، وقد بدت الارض تظهر فوق الافق القمري ، مشرقة تماما كما يشرق القمر لاهل الارض .



الى اليسار : رجال الفضاء الثلاثة وهم في حجرة
القيادة جميعا ، في مركبة الفضاء ابولو رقم ٨ .

تحت : صورة اخذها رجال الفضاء للارض ،
وهم في طريق عودتهم اليها من القمر





من المركبة الفضائية الذى يعــــود الى الارض بعد ختام الرحلة .

الصاروخ ساترن ومن فوقه مركبة الفضاء

والصاروخ ساترن Sa turn 5 الخامس (او زحل ٥) هو ، كما سبق أن ذكرنا ، اقوى صاروخ في العالم . ويبلغ طوله مع طول المركبة التى حملها كاملة ١١٠ من الامتار ، فهو كطول العمارة السكنية التى بها نحو ٣٠ طابقا . ووزنهما معا يبلغ أكثر من ٢و٨ مليون كيلو جرام ، وهذا يعادل وزن نحو ٢٠٠٠ سيارة .

والصاروخ في الثوانى المائة والخمسين الاولى من انطلاقه يستهلك من الوقود ١٥ طنا في الثانية الواحدة ، يحدث بها قوة دفع مقدارها ٣٧٥٠ طنا .

والصاروخ ، ٩٥ في المائة من وزنه من الوقود السائل .



محطة الفضاء في الغد ، كما تخيلها الرسام

عدد العلماء والفنيين الذين عملوا لهذه الغاية

لقد مضت عشر سنوات قضتها الولايات المتحدة في صنع مركبة الفضاء القمرية هذه حتى بلغت بها ما بلغت .

وقد اشتغل في بنائها نحو ٣٥٠٠٠٠ عالم ومهندس وفني وغيرهم ، استخدمتهم شركات مختلفة بلغ عددها اكثر من ٢٠٠٠٠ ، عملت في تصميم وبناء الصاروخ ، والمركبة الفضائية والاجهزة الملحقة بها .

رحلة ابولو رقم ٩

هذه الرحلة ، التى تمت في منتصف شهر مارس الماضى ، لم تخرج عن نطاق الارض . كانت رحلة تمهيدية يجرب فيها رجال الفضاء ما سوف يعتزمون اجراءه في رحلة لهم الى القمر قادمة ، ينزلون فيها الى سطح القمر نزولا .

والخطة التى يعتزمون اتباعها في رحلة القمر التى ينزل فيها الرجال الى سطح القمر أن يكون لمركبة الفضاء حجرتان ، حجرة القيادة التى وصفناها ، وحجرة قمرية ، وكلتاهما تصل الى القمر مربوطة بالاخرى .

اما حجرة القيادة فتطوف بالقمر ولا تهبط .

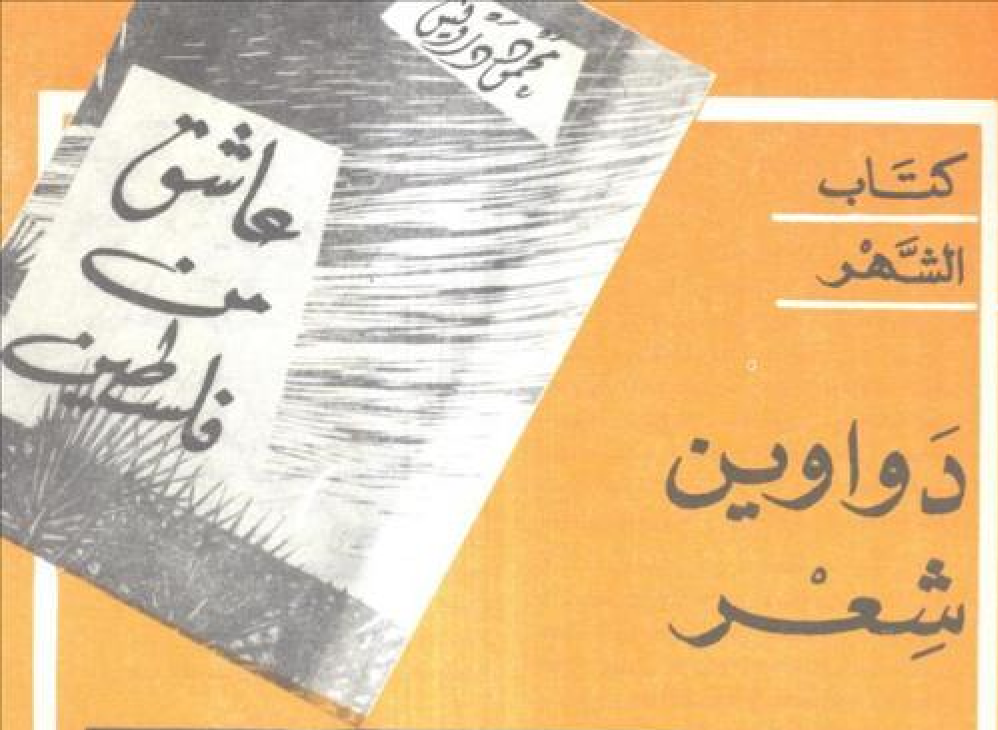
وأما الحجرة القمرية فتنفصل عن حجرة القيادة وتهبط . ثم يعود بها رجلها او رجالها الى حجرة القيادة الطوافة بالقمر .

والصعوبة الفنية الكبرى في هذا الاجراء هو فصل الحجرتين ، ثم وصلهما .

وكانت رحلة ابولو رقم ٩ لتجربة هذا الفصل والوصل ، لا في فلك القمر ، ولكن في فلك الارض . والصعوبة في الفلكين ان لم تكن واحدة ، فهي متشابهة .

وهذا على كل حال سوف يجرى مكتملا ناجحا ، في الرحلة الاخيرة ، عندما ينزل الرجال الى القمر ، ثم هم بحجرة القيادة وحدها يعودون الى الارض .

والمنتظر ان يتم هذا الحدث الاكبر في شهر مايو هذا .



كتاب الشهر

دواوين شعر

من الأرض المحتلة

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية

■ اذا كان الفدائيون يقاومون الغازى المحتل بالرصاص ، فان في ارض فلسطين شعراء يقاومونه بالشعر ، والكلمة الشريفة الهادفة ، وهكذا نجد اليوم الرصاصة الى جانب الكلمة ، ترد على باطل اقيم على القوة ، وتدافع عن الحق الذى ضيّعه التخاذل ، والانهزام . ولم تكن ، قبل حرب حزيران ، نعرف الا النزر اليسير عن هؤلاء الشعراء وشعرهم ، لأن عرب الارض المحتلة ظلوا طيلة عشرين عاما معزولين عن اخوانهم العرب ، وكان من نتيجة هذه الحرب الاخيرة أن اتيحت لنا الفرصة لنعرف الكثير منهم ، فاذا بنا امام شعر رائع ، عاصف ، ملتهب ، ينظمه شعراء يناضلون المحتلين بالقول والعمل ، ويسجنون ، ويضطهدون ، ويعذبون ، من اجل مواقفهم هذه .

وقد شاع هذا الشعر في انحاء العالم العربى ، وانتشر ، لانه يعبّر عن عنف المأساة ، وارادة لا تلين في محاربة المحتلين ، وايمان بان الليل لا بد ان ينفلق اخيرا عن صباح مشرق . وعندما انتشر بيننا هذا الشعر ، بعد حرب يونيه (حزيران) ، كان له اثر كبير في بث الثقة بالنفس ، في وقت كنا

فيه بحاجة الى ما يرفع معنوياتنا . واستجابتنا السريعة له دليل على وحدة الوجدان ، والشعور ، والفكر ، بين عرب الارض المحتلة ، والعرب في الاقطار العربية الاخرى . ويبدو لي ان استجابتنا وحماستنا ، لهذا الشعر ، مردهما ايضا الى اننا وجدنا فيه صورة للانسان العربي الجديد ،الذي طال انتظارنا ليوم مولده .

من جحيم الظلم ، والاضطهاد ، ومن ذل الاحتلال ، وُلِد هذا الشعر فطريا ، نقياً ، صافيا ، رغم الحصار الثقافي المفروض على عرب الارض المحتلة : فلا مدارس كافية لهم ، والتعليم الجامعي يكاد يكون محرّما عليهم ، ووسائل النشر محدودة . ونتيجة للظروف التي نشأ في ظلها ، كان هذا الشعر يساري الاتجاه فالسلطات الصهيونية لا تسمح للعرب بان يقيموا ايّ تنظيم ، ولهذا اضطروا الى الانضمام للحزب الشيوعي ، ليستطيعوا من خلال هذا الانضمام ، ان يدافعوا عن قضيتهم .

★ ★ ★

ومن ادباء المقاومة في الأرض المحتلة : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زيّاد ، وسالم جبران ، وراشد حسين ، وحنّا ابو حنّا ، وعصام العباسي ، وسليم يوسف جبران ، ونايف صالح سليم ، وميشال حداد ، وعيسى اللوباني ، وفتحي قاسم ، وعمر محمود الزغبي ، وطارق عون الله ، ويعقوب حجازي ، واميل حبيبي ، وهايل عساقلة ، ونبيل عودة ، ومحمد نفـاع ، وعفيف صلاح سالم ، ومحمد علي عطية . وقد صدرت عن ادب المقاومة بعض الكتب والدراسات ، وعلى رأس المهتمين به الأستاذ غسّان كنفاني .

وساحاول في هذا المقال أن أرسم الخطوط العريضة لهذا الادب ، من خلال شعر ثلاثة شعراء هم : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زيّاد . وقد اخترتُ هؤلاء الثلاثة ، لان شعرهم يمثّل القمة في شعر شعراء الارض المحتلة .

★ ★ ★

ونجد المعلومات الموثوق بها عن كل من محمود درويش ، وسميح القاسم ، في حديث اجرته معهما مجلة « الطريق » البيروتية ، في عددها الذي خصّصته لأدب المقاومة في فلسطين (تشرين الثاني ـ كانون الاول ١٩٦٨) .

في عام ١٩٤٢ ، وفي قرية البروة الواقعة الى الشرق من عكا ، ولد محمود درويش . ولا يذكر من أحداث صيف ١٩٤٨ ، سوى ان اليهود هاجموا القرية ، فاخذ يعدو في اتجاه احراش الزيتون السوداء ، فالجبال الوعرة ، مشيا على الاقدام ، وزحفا على البطون ، الى ان وجد نفسه اخيرا ، مع عائلته ، في لبنان . ومنذ صغره . تنقّشت في مخيلته كلمات جديدة هي : الحدود ، اللاجئون ، الاحتلال ، وكالة الغوث ، الصليب الاحمر ، العودة ، فلسطين .. وهكذا كانت طفولته نفسها ضحية عدوان . واحسّ منذ هذه السن المبكرة بالثورة على أمرين : على واقعه الجديد كلاجيء ، وعلى أولئك الذين احتلـوا وطنه .

وبعد سنتين من اللجوء ، قال عمّه ذات مساء : الليلة نعود الى فلسطين متسللين . وسارا في الليل يقطعان الوديان ، والجبال الوعرة ، وفي الصباح وجدا أنفسهما في فلسطين ، ولكنهما لم يعودوا الى قريتهما ، لان العدو كان قد نسفها ، ودكّها دكّا . واحسّ الصبي انه لاجيء ، مرة ثانية ، حتى في وطنه .

وقد تفتحت موهبة محمود درويش الشعرية في سن مبكرة ، حين كان في المدرسة الابتدائية ، وفي هذه السن بدأ ينشر شعره في الصحف . وعندما اصبح طالبا في المدرسة الثانوية ، اخذت كتابة الشعر تصبح هي همه الاول . وكان أكثر ما يؤلم الشاعر في دراسته الثانوية ، أنهم يعلمونهم عن هيرتسل اكثر مما يعلمونهم عن نبي العرب ، وابطالهم ، ويفرضون عليهم دراسة التوراة ، بينما القرآن الكريم لا وجود له في مناهجهم .

وفي سنة ١٩٦٠ ، وعمره ثماني عشرة سنـة ، صدر ديوانه الاول ، وهو « عصافير بلا اجنحة » وهو ديوان يدلّ على ان الشاعر لم يكن قد تمكّن من فنه بعد . وفي سنة ١٩٦٤ صدر ديوانه الثاني « أوراق الزيتون » ، وهو اول محاولة جادة للشاعر في الطريق الذي واصل السير فيه ، وفيه ثورة على واقع وطنه ، وتغنّ بالأرض ، والوطن ، والكفاح . وقد راج هذا الديوان بين عرب الارض المحتلة ، بحيث طبع مرتين . وفي سنة ١٩٦٦ صدر ديوانه الثالث « عاشق من فلسطين » ، وقدكتب الشاعر اكثره وهو في السجن . وكان آخر ديوان

له هو « آخر الليل » ، وقد أصدره بعد كارثة حرب يونية (حزيران) ، وقصائد هذا الديوان أكثر ايحاء ، وظلالا ، من دواوينه السابقة .

وقد حاربت السلطات الصهيونية الشاعر دون هوادة ، وفرضت رقابة شديدة على شعره ،وشعر زملائه ، وتفاديا لمنع شعره من أن ينشر ، لجأ الى استعمال الرموز . ومع هذا فقد حذفت الرقابة لهؤلاء الشعراء كثيرا من قصائدهم . ولم يستطع محمود درويش أن يحصل على اذن بنشر ديوانه « عاشق من فلسطين » ، الا عن طريق التحايل على الرقابة ، اذ قدم عنوانه بالعبرية للرقابة على أنه «عاشق من أرض اسرائيل » .

وفي كثير من الحالات ينشر الشاعر قصائده قبل أن يحصل على اذن من الرقابة ، ويضعها أمام الأمر الواقع ، ويكون مستعدا لتحمل النتائج . وهؤلاء الشعراء ينشرون شعرهم في جريدة «الاتحاد» غالبا ، وهي جريدة الحزب الشيوعي ، ومحمود درويش وسميح القاسم ، محرران فيها .

وتحاول السلطات الصهيونية أن تغرى هؤلاء الشعراء بالوظائف والمرتبات المغرية ، ولكنهم يرفضون ، وبسبب هذا يساقون الى السجون ، وتفرض عليهم الاقامة الجبرية .

★ ★ ★

اما سميح القاسم فهو من قرية الرامة بالجليل ، وقد ولد سنة ١٩٣٩ في مدينة الزرقاء ، حيث كان والده في الجيش العربي الاردني . وقد انهى دراسته الابتدائية في قريته ، وخلال هذه الفترة حدثت مأساة عام ١٩٤٨ . ثم انهى دراسته الثانوية في الناصرة . ومنذ أن شب سميح عن الطوق ، وهو يكافح ضد الطائفية ، فهو درزي ، وقد حاولت السلطات الصهيونية أن تستغل هذا الجانب ، لتمزق صفوف العرب المقيمين في اسرائيل .

وقد صدر لسميح حتى الآن الدواوين التالية : مواكب الشمس (١٩٥٨) ، اغاني الدروب (١٩٦٤) ، ارم (١٩٦٥) ، دمي على كفي (١٩٦٧) ، دخان البراكين (١٩٦٧) ، سقوط الاقنعة (١٩٦٩) . وقد صدر سميح ديوانه « اغاني الدروب » بالآية الكريمة : « ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليوم حديد » . وصدر ديوانه « دخان البراكين » بعبارة (بريخت) Brecht القائلة : « حين يفرغ الحاكمون من كلامهم ، فسوف يتكلم المحكومون » .

وأما توفيق زياد فهو من الناصرة ، وهو في حدود الخمسين من العمر ، وله بين يدي ديوان شعر بعنوان : « اشد على أيديكم » .

★ ★ ★

وقد وضع محمود درويش تعريفا لشعر المقاومة ، فقال : « شعر المقاومة ، كما أفهمه ، تعبير عن رفض الأمر الواقع .. معبّئا باحساس ووعي عميقين بلا معقولية هذا الواقع ، وبضرورة تغييره ، والايمان بامكانية هذا التغيير » . وهذا التعريف يصف بدقة شعر المقاومة في الارض المحتلة .

انهم يرفضون الأمر الواقع ، ويردون على المنطق الملتوى الذى يتذرع به الاعداء ، ويكشفون دجلهم ، فيقول محمود درويش في وصف ما فعل الصهاينة بالفلسطينيين :

وضعوا على فمه السلاسلْ
ربطوا يديه بصخرة الموتى
وقالوا : « أنت قاتل » !!

★ ★ ★

أخذوا طعامه ، والملابس ، والبيارق
ورموه في زنزانة الموتى ،
وقالوا : « أنت سارق » !!
طردوه عن كل المرافيء
أخذوا حبيبته الصغيرة
ثم قالوا : « أنت لاجيء » !!

★ ★ ★

يا دامي العينين ، والكفين
ان الليل زائلْ
لا غرفةَ التوقيف باقيةٌ
ولا زَرَدَ السلاسلْ !!
نيرون مات ، ولم تمت روما
بعينيها تقاتل !!

وحبوب سنبلة تجفُّ
ستملأ الوادي سنابلْ

وهم رغم كل هذا لن يرضوا بالواقع ، وسيستمرون في الكفاح الى آخر قطرة دم ، فيقول سميح القاسم في قصيدة طويلة بعنوان : « خطاب من سوق البطالة » :

ربّما تسلبني آخر شبر من ترابي
ربّما تطعم للسجن شبابي
ربّما تسطو على ميراث جدّي
من اثاثٍ .. واوانٍ .. وخوابٍ
ربّما تحرق أشعاري وكتبي
ربّما تطعم لحمي للكلاب
ربّما تبقى على قريتنا كابوسَ رُعبٍ
يا عدو الشمس ! .. لكن ، لن أساومْ
والى آخر نبضٍ في عروقي .. سأقاومْ

★ ★ ★

وشعرهم يدل على ارتباط عميق بالارض السليبة ، بترابها ، وحجرها ، وشجرها ، وكل ذرة فيها . انه شعر ملتحم ، كما يقول محمود درويش « بكل ذرة من تراب ارضنا الغالية ، بصخورها ووديانها ، وجبالها ، واطلالها .. وانسانها الذى يظل مرفوع الرأس ، رغم ما ينوء به كتفاه من أعباء ، وما يشد يديه وارادته من قيود .. انسانها الذى قاوم ولا يزال يقاوم ، الظلم ، والاضطهاد ، ومحاولات طمس الكيان والكرامة القومية والانسانية » .

ان هؤلاء الشعراء لا يكتبون عن المقاومة فقط ، بل يقاومون أيضا تحت أشرس الظروف . وانت تجد هذه المعاني كثيرة التردد في شعرهم ، فيقول توفيق زيّاد من قصيدة بعنوان « هنا باقون » .

هنا على صدوركم باقون كالجدارْ
وفي حلوقكم ،
كقطعة الزجاجِ ، كالصبّار
وفي عيونكم ،
زوبعةٌ من نار
هنا على صدوركم ، باقون كالجدار

ولتوفيق زيّاد قصيدة رائعة بعنوان « على جذع زيتونة » ، ويبدأها بالاشارة الى مدام لافارج ، التي كانت تحيك بالصوف أسماء أعداء الشعب الفرنسي عام ١٧٨٩ ، لتقتص منهم الثورة بعد انتصارها . وهذه هي القصيدة :

لأني لا أحيك الصوف
لأني كلَّ يوم عُرضةٌ لأوامر التوقيف
وبيتي عرضةٌ لزيارة البوليسِ
للتفتيش ، و « التنظيف »
لأني عاجز أن اشترى ورقا
سأحفرُ كلَّ ما ألقى
واحفرُ كلَّ أسراري
على زيتونة
في ساحةِ الدارِ
سأحفر قصتي ، وفصولَ مأساتي
وآهاتي
على بيارتي ، وقبور امواتي
واحفرُ كلَّ مُرٍّ ذقته
يمحوه عشرُ حلاوةِ الآتي
سأحفرُ رقمَ كلِّ قسيمةٍ
من ارضنا سُلِبَتْ
وموقعَ قريتي ، وحدودها
وبيوتَ اهليها التي نُسِفَتْ
واشجارى التي اقتلعت
وكلُّ زهيرة بريّة سُحِقَتْ
واسماء الذين تفنّنوا
في لوكِ اعصابي ، وانفاسي
واسماءَ السجونِ ، ونوع كل كلبشةٍ
شُدَّت على كفي
ودوسيهات حرّاسي
وكلُّ شتيمة صُبَّت على رأسي
واحفرْ : « كفر قاسم لست انساها »
واحفر : « دير ياسين تشرّش في ذكراها »
واحفر : « قد وصلنا قمةَ المأساة
لاكتنا ، ولكناها
ولكنّا وصلناها . »
سأحفرُ كلَّ ما تحكى ليَ الشمسُ
ويهمسه ليَ القمرُ
وما ترويه قبّرةٌ
على البئر التي عشاقها هجروا
لكي أذكرْ
سأبقى قائما احفرْ
جميعَ فصولِ مأساتي
وكلَّ مراحل النكبة
من الحبة

الى القبة
على زيتونة في ساحة الدار !!

★ ★ ★

واكثر ما يزعج شعراء المقاومة في الارض المحتلة، صنفان من الرجال : اولئك الانهزاميون الذين يودون لو انهم خلقوا في غير فلسطين ، واولئك الذين تركوا وطنهم للغريب المغتصب ، وفروا الى البلاد العربية الاخرى ، ليعودوا الى حياة الترف ، وكان شيئا لم يحدث . اما الصنف الاول من الرجال فقد اجاد تصويره محمود درويش في قصيدته « عن الامنيات » ، حيث يعرض اماني الانهزاميين ، ثم ينهيها بقوله :

يا صديقي !
كل نهر وله نبع ، ومجرى ، وحياة
يا صديقي ! ارضنا ليست بعاقر
كل ارض ، ولها ميلاد
كل فجر ، وله موعد ثائر !!

واما الصنف الثاني من الرجال ، فخير تصوير له تجده في قصيدة سميح القاسم « اليك هناك حيث تموت » ، وفيها يصور احد الافراد ، وقد ترك اسرته في الارض المحتلة ، ولجأ الى بيروت ، واثرى ، وعاش حياة مترفة ، ثم ارسل الى اخيه رسالة يطلب منه ان يترك وطنه ، ويأتي اليه في بيروت ، فيرد عليه هذا الأخ المتشبث بارضه ووطنه ، رداً قاسيا . والقصيدة رائعة بحيث تستحق ان نوردها كاملة ، ولكنا سنكتفي هنا بجواب الاخ في الارض المحتلة ، الى مَن في بيروت، وهذا هو :

رسالتك التي اجتازت الى الليل والاسلاك
رسالتك التي حطّت على بابي جناح ملاك
اتعلم ؟

حين فضضتها يداي تنفضت أشواك
على وجهي ، وفي قلبي !!
أخي الغالي !
اليك هناك في بيروت
اليك هناك ... حيث تموت
كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيّع المنبع
كاغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عمر
اليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
باكفان حريرية

اليك هناك ، يا جرحي ، ويا عاري
ويا ساكب ماء الوجه في ناري

اليك ، اليك ، من قلبي المقاوم جائعا عاري
تحياتي ، واشواقي

ولعنة بيتك الباقي !!

★ ★ ★

ولشعراء المقاومة في الارض المحتلة شعر رائع في كل ما يمس جوانب القضية الفلسطينية ، والقضايا العربية عامة ، فقد نظموا في حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، ومجدوا نضال شعب الجزائر ، وشعب اليمن، وتغنوا بالوحدة العربية التي هي بالنسبة لهم قضية بقاء امة او فنائها ، فهي المنقذ للعرب مما هم فيه . وفي شعرهم نهر من الحزن ، والحنين لاولئك الاحباب الذين ينتظرون عودتهم الى الوطن ، والذين عرفوا باسم « اللاجئين » .

وفي شعرهم بعد حرب حزيران ، الم لما حدث ، ونقد للذات ، وتحليل لاسباب الهزيمة . وهم يرون في الفدائي الامل والنور الذي اشرق في ظلام الكارثة ، ولمحمود درويش قصيدة بعنوان « وعاد في كفن » ، واخرى لسميح القاسم بعنوان « الرجل الذي زار الموت» ، وهما من خيرة قصائد شعر المقاومة .

★ ★ ★

ان الحديث عن شعر المقاومة ، وشعرائها لا يكفي فيه مقال واحد ، ولهذا فمن الطبيعي ان تبقى هناك اشياء كثيرة تستحق ان تقال ، ولكنها لم تقل .

« شعراء الارض المحتلة !
لو أن الشعراء لدينا
يقفون امام قصائدكم
لبدوا
اقزاما .. اقزاما !! »

محمود السمره



دراسات مقارنة في الاجراءات الجمركية

الناشر : مطبعة الجمارك ـ القاهرة

● كتاب يبحث في الرسوم الجمركية او الضرائب غير المباشرة وما لها من اهمية في تنمية الاقتصاد القومي ، والكتاب يتناول مواضيع فنية حديثة على المستوى الدولي اشتركت دول كثيرة في دراستها وبحثها . وقد قسم الكتاب الى ثلاثة اجزاء ، فقد اشتمل الجزء الاول على دراسات مقارنة للاجراءات الجمركية في مواضيع جمركية بارزة ، ويتضمن الجزء الثاني موضوع النقل الدولي بالعبوات الكبيرة لتطوير نظم نقل البضائع الحالية تطويرا جذريا يهدف الى تخفيض نفقات النقل ، اما الجزء الثالث فيشتمل على المصطلحات الجمركية الدولية التي تقرر تطبيقها في جميع الدول .

الراى العام وقوى التحريك

تأليف : سعد الدين خضر ـ الناشر : مطابع الجمهورية ـ الموصل ـ العراق

● دراسة عن الراى العام وقوى التحريك ، وما هي العوامل المؤثرة في تكوينه والمؤثرات التي تنصب عليه ؟ وما علاقته بالسلطة ؟ وما مدى فاعليته وتأثيره في الأحداث ؟ ثم دراسة عن الدعاية ما هي ؟ وما دورها وعلاقتها بالراى العام ؟ ثم الاشاعة وكيف تنطلق ؟ وتحت اى الظروف ، ثم اشاعات الحروب وكيف يمكن مواجهتها وابطالها.

ثقب في الجدار الصدىء

تأليف : عبد الرزاق المطلبي ـ الناشر : مطبعة القرى الحديثة ـ النجف ـ العراق

● قصة طويلة .

احكام الاسلام

مطابقة لفتاوى آية الله الحاج محمد الحسيني الشيرازي ـ الناشر مطبعة الآداب في النجف الاشرف ـ العراق

● دراسة موجزة في الفقه الجعفري وضعت لمن يريد التعرف على احكام الاسلام في مختلف ابواب العبادة والمعاملة وما شابهها مما لا يتعدى الأوليات التي يحتاج اليها كل فرد في حياته اليومية .

العالم العربي في ماضيه وحاضره

تأليف : احمد شيخ خميس ـ بيروت ـ لبنان

● فصول تاريخية متنوعة عن العالم العربي في ماضيه وحاضره وقد تناول المؤلف في الفصل الاول تاريخ الدولة العربية الاولى وايام الجاهلية ، ثم الانطلاقة الروحية على يد صاحب الرسالة الالهية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم فصل آخر عن الامبراطورية العربية وكيفية ارتقاء المبادىء الدينية والعلمية في ظلال هذه الامبراطورية وكيفية استفادة الغرب من تلك الحضارة ، ثم فصل عن النفسية العربية والنفسية الغربية . ثم فصل آخر يتناول مسئولية القائمين على التربية والتعليم ومحاولة بناء جيل سليم . اما الفصل الأخير فيدرس المغتربين في ديار الهجرة وما قدموه من خدمات لا تزال آثارها في اذهان العرب في الدنيا العربية الواسعة .

احزان البنفسج

تاليف : سعد البواردي . الناشر : دار الاشعاع ـ بيروت .

● مجموعة قصائد وطنية كتبت بعد النكسة .

■■

القاتل الذى لم يترك أثرا

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ بينما الضابط المتقاعد ـ هاوس ـ يجلس الى زوجته يحدثها بعد ان تناولا طعام العشاء ـ فى الساعة الثامنة من مساء ليلة ٢٠ ابريل سنة ١٩٤١ نفذت الى انفه رائحة غاز استصباح ،فذهب الى المطبخ ليطمئن . وفى نفس اللحظة سمعت زوجته طرقة فى المنزل الملاصق لمنزلها الذى تسكنه سيدة عجوز فى الثالثة والسبعين من عمرها ـ تعيش وحدها . ولكن لا الضابط ولا زوجته اعارا هذين الحادثين اى اهتمام .

وفى صباح اليوم التالى كانت المفاجأة . فقد استيقظ الضابط على رائحة غاز الاستصباح تزكم انفه فتتبعها ، فقادته الى مسكن مدام جليمار جارته ، وهاله ان راى من نافذة المطبخ ان عيون موقدها الاربعة موقدة .

وفتح باب جارته ـ بمفتاح اعتادت ان تتركه تحت ممسحة الباب ـ فوجدها مطروحة على الارض وقد وقعت نظارتها بجوار راسها ، وتبين من اول وهلة انها فارقت الحياة . فلم يلمسها ولا لمس شيئا من الاثاث . واسرع بخطر البوليس .

وسرعان ما اقبل المحققون ومعهم جميع معدات



التحقيق من آلات تصوير ورفع بصمات وطبيب البوليس ، وكان همهم الاول ان يتبينوا اذا كانت الواقعة حادثا (اى قضاء وقدرا) ام انتحارا ام ان في الامر جريمة .

وقال الطبيب - بعد فحصه المبدئي - انه قد مضت على الوفاة فترة يترجح معها ان تكون حصلت في الوقت الذى سمعت فيه زوجة الضابط هاوس حركة سقوط . ثم فحص رأس القتيلة وعنقها فلم يتبين اى اثر لمقاومة او عنف ، لا بجسمها ولا بملابسها . ثم عاين المحققون جميع غرف المسكن فوجد كل ما بها مرتبا وحتى ادراج المكتب والدواليب كانت في نظام تام لم يُعبث بها .

وهذا وضع اعتاد المحققون ان يروه في حوادث الانتحار . فقد جلست السيدة على كرسي امام موقد الغاز وفتحت الصنابير واخذت تستنشق الغاز حتى فقدت وعيها فانكفأت على وجهها وسقطت من فوق الكرسي ثم سقطت نظارتها من فوق عينيها وفارقت الحياة لسبب لم يتبينوه . وكان يمكن ان ينتهي التحقيق عند هذا الحد لولا ان كبيرهم ابى الا ان يستكمل ابحاثه لعله يصل الى ما يقطع الشك باليقين .

★ ★ ★

كان مما لفت انظار المحقق ان القتيلة حين عادت الى منزلها استبدلت بملابس العمل ملابس السهرة كأنها كانت تعتزم الخروج ثانية اواستقبال زائر . وهذا تصرف غريب ممن تعتزم الانتحار . ثم استرعى نظره ان وجد كيس نقودها على مائدة الطعام وبه دولار واقل من دولار فاستبعد فكرة ان تكون السرقة هي الدافع على القتل .

كذلك لاحظ ان السيدة برغم سنها حريصة على اناقتها وقد طلت وجهها بالمساحيق واخفت ما فيه من تجعدات واستكملت زينتها فاستبعد نهائيا فكرة الانتحار .

وعثر المحقق على مفكرتها اليومية فوجدها قد دونت بها جميع حوادث حياتها يوميا . من قابلتهم . ومن جاءوا لزيارتها . وجميع مصاريفها تفصيلا مهما كان المبلغ ضئيلا وكان آخر ما كتب فيها زيارة هربرت وادوينا . فاستفسر من الضابط هاوس عنهما فقال له انه ابنها وزوجته . الابن استاذ في احدى الجامعات وصل ظهر يوم الخميس مع زوجته لتمضية اجازة العيد وسافرا بالطائرة صباح يوم الاثنين اى صباح يوم الحادث المشئوم . وانها كانت فرحة بوجودهما ولكنها - بعد سفرهما - بقيت لمدة ساعات مكتئبة حزينة . لقد ملأ عليها فراغ حياتها ولذلك لم تكتب شيئا في مفكرتها طوال مدة وجودهما معها .. لعلها اذا لم تطق العودة لوحدتها بعد سفر ابنها وزوجته ؟.

وهكذا - ولمدة اربع وعشرين ساعة . اعتبرت وفاة السيدة جليمار انتحارا .

ولكن كبير المحققين ظل قلقا وقال للمدعي العام « لو انها تركت خطابا تعلن فيه عن عزمها على الانتحار لاثرت بحفظ التحقيق ؟ . صحيح ان كثيرا من المنتحرين لا يتركون وصية ولكن تصرفات السيدة ودقتها وحرصها على ان تقيد في مفكرتها اتفه الامور يجعلني اطلب تشريح الجثة . »

★ ★ ★

وكانت المفاجأة : ان السيدة لم تمت مختنقة بالغاز بل ماتت مخنوقة بيد قاتل اليم . اثبت التشريح ذلك وايده تحليل الدم فان نسبة اول اكسيد الكربون الذى عثر عليه بدمها هي النسبة العادية فقد كانت قد فارقت الحياة حين وُضعت امام الموقد .

وكان المحققون قد اغلقوا المسكن بالشمع الاحمر فعادوا وفتحوه وتبين لهم - من اول وهلة - ان الصحف التي كانت موجودة بجوار الباب والتي كان المظنون انها حشرت لتمنع تسرب الغاز - قد طارت بمجرد فتح الباب ولم تكن مطوية او محشورة في اسفله . وعندها اتجه الشك الى الضابط هاوس . وسألوه كيف فتح الباب ، فذكر لهم انه فتحه بالمفتاح الموضوع تحت ممسحة الباب وأكد الجيران صحة ذلك واطمأن المحقق ان لا يد له في الجريمة .

وفتش المحققون كل ركن من اركان المسكن وأخذوا عينات من الاتربة وبحثوا عن بصمات فلم يجدوا ما يمكن ان يفيد التحقيق . ووجدوا انفسهم امام جريمة كاملة لم يترك فاعلها اى اثر يستدل به عليه .

وجاء ابن القتيلة فلم يكن لديه ما يضيء الطريق امام المحققين . قال انه لا يعرف لأمه اعداء وليس لها مال يطمع فيه ولا ايراد غير ايراد جزء من منزلها تؤجره وانه سألها قبل سفره ان كانت

في حاجة لمال فقالت ان لديها ثلاثين دولارا تكفيها لحين ان تحصل ايجار المنزل وانه لا يتهم او يشك في احد .

فلما قال له المحقق انه لم يعثر في كيس نقودها الا على دولار واحد وبضع سنتيات قال ان من عادة امه ان لا تحتفظ في الكيس الا بالقليل من النقود وتخفي ما عندها في علبة من الصفيح في مكان مجهول ، وكان موضع التفكهة انها كانت تتحدى ان يتعرف احد على ذلك المكان .

وسئل تفسيرا لما كتبته امه في مفكرتها « بعد سفر ابني سويت الامور » فقال كل ما استطيع فهمه انها كانت حريصة على ترتيب الاثاث ووضع كل شيء في موضعه فلعلها قصدت ذلك .

وكان بين قيود المصاريف ٢٥ سنتيا للتامين فهل كانت مؤمنة على حياتها ؟ قال لا .

كما كتبت « كلفت المحامي بكتابة خطاب بخصوص الغرفة » فما هذا ؟ قال الابن اظنها تقصد جيري .

ومن هو جيري ؟ انه جيري كروفت . غلام ربي في منزلنا . كان والداه يسكنان معنا في الدور الثاني . ومات والداه في حادث . وبقي في المسكن. وكانت امي لا تطالبه بايجار بل وكانت تقرضه بعض المال لانه متزوج وامراته تنتظر مولد طفل . ولكنه ترك عمله واحست امي انه لا يسعى جادا في ايجاد عمل آخر فاعتقدت انه في حاجة لزجر وانها تضره بدلا من ان تفيده بما تقدمه له من مساعدة فنصحته ــ في الشهر الماضي ــ ان يذهب للاقامة مع اهل زوجته وطلبت من محاميها ان يخطره باخلاء الشقة .

وقال احد المحققين « هذا هو رجلنا » . وقال الابن لا تتسرعوا فانا اعرف جيري انه لم يقتل امي ولا يستطيع قتل احد .

وقال المحقق : « ولكن الباعث موجود . انه مدين لامك . ولا مال عنده . وزوجته تنتظر طفلا . ونحن لم نعثر على الثلاثين دولارا . »

ورد الابن : « ان المال ليس هو السبب . فان شقيق زوجته ــ ادوارد توماس ــ زار والدتي وسمعت الحديث الذي دار بينهما فقد علم بموضوع زوج اخته وجاء يسالها عن مبلغ الدين ويتعهد بسداده . ولكن امي كانت مشغولة بوجودنا فقالت ان ليس لديها وقت لجمع المبالغ وطلبت اليه ان يعود بعد اسبوع كما طلب هو منها ان لا تبلغ جيري بحضوره حتى لا يُحرج .

وتبين فعلا ان القتيلة ذكرت زيارة ادوارد هذا في مفكرتها ولكنها لم تذكر سبب الزيارة .

واستدعى المحقق جيري كروفت لاستجوابه . فاكد انه في ليلة الحادث كان مع زوجته في المنزل بعيدا عن مكان الحادث وقال في غضب : « لِمَ اقتلها وهي كانت في منزلة الام لي ؟ » .

لقد جرحت كرامتك حين طلبت منك ترك المسكن ؟

وقال : « ارجوكم ان تصدقوني فلا علم لي بموضوع الجريمة ولا يد لي فيها » .

ــ « ولكنك كنت تعلم انها تخفي اموالا في مسكنها ؟ »

ــ « طبعا كنت اعلم ولكنني لم اكن اعرف مكانها . لقد كانت كلما ارادت ان تعطيني مالا تطلب مني ان اصعد الى غرفتي ثم تستدعيني لتعطيني النقود . اما المبلغ الذي لها عندي فهو دين عليّ وساسدده .»

ــ « الهذا تعهد زوج اختك بسداده عنك ؟ »

وانفعل جيري غضبا « هذا كذب . ما دخله هو في هذا الموضوع ؟ انني غني عن مساعدته » .

وضيق المحققون الخناق على جيري ولكنه اصر على روايته وايدته زوجته التي قالت انه كان معها في المنزل بعيدا عن مكان الجريمة وقت ارتكابها .

ولكن شهادة زوجة لصالح زوجها لا تقنع المحققين . فافرجوا عن جيري ولكنهم ابقوه تحت الملاحظة .

وشهد احد الجيران انه راى رجلا مسنا يغادر مسكن القتيلة ــ في ليلة الحادث ــ بعد الظلام وانه ممن كانوا يزورونها . فاستدعوه . فاذا هو في سن القتيلة وانه يعرفها منذ اكثر من اربعين عاما . وقال انه كان فعلا يزورها ليلة الحادث وبقي عندها من الساعة السابعة والنصف الى تمام الساعة الثامنة .

وتذكر المحقق ان هذا هو الوقت الذي سمعت فيه زوجة هاوس حركة في مسكن القتيلة فقال له:

ــ « معنى ذلك انك آخر من رآها على قيد الحياة ؟ »

ــ « لا . القاتل هو آخر من رآها . فقد قالت لي انها تنتظر زيارة سيدة . فقلت لها انني

سامكث معها لحين موعد الزيارة . وبعد لحظة دق جرس الباب . »

ـ « هل رايت الطارق ؟ »

ـ « لم ار وجهه . »

ـ « ولكنك قلت انها كانت تنتظر سيدة . »

ـ « لم اقل الا ما قالته لى . ولكننى شعرت ان الطارق شاب وسمعتها تقول هالو ايدى او شيئا من هذا القبيل . »

وتبادل المحققون النظرات . ان اسم ايدى اسم شائع يقود التحقيق الى متاهات لا سبيل لحصرها.

★ ★ ★

وعرفت السيدة التى كانت على موعد مع القتيلة فاستدعاها المحقق وتبين انها صديقة العمر وقالت انها وصلت متاخرة عن موعدها . وصلت فى الساعة التاسعة والنصف وتبينت ان غرف المسكن مضاءة فدقت الجرس ولما لم يفتح الباب دهشت لعلمها ان صديقتها حريصة الا توقد الضوء الا بقدر ولكنها تذكرت ان ابن صديقتها وزوجته فى زيارة صديقتها فاعتقدت انها خرجت معهما وانصرفت .

واستبعد المحققون الزائر العجوز والزائرة الاخرى وانحصرت شكوكهم فى جيرى كروفت . وكانت المفكرة لا تزال فى يد كبير المحققين يقلب صفحاتها فلفت نظره اسم ادوارد توماس . وظهر انه شقيق الزوجة . وهو اسم يمكن ان يصغر الى ايدى . ولكن ما الذى يبعثه على قتلها ؟

وذهب المحقق الى أم ادوارد ـ وسالوها عنه دون أن يفضوا اليها بسبب السؤال فوجدوها حائرة قلقة بسبب الشكوك التى احاطت بزوج ابنتها وعلموا منها ان ابنها ايدى ـ كما قالت ـ كان عندها وخرج بعد العشاء وعاد بعد الساعة الحادية عشرة مساء .

ـ « هل تعلمين الى اين ذهب ؟ »

ـ « قال لى انه كان يتنزه » .

★ ★ ★

وانتشر المحققون يجمعون معلومات عن ايدى وقال لهم احد أصحاب محلات الحلوى انه بقى عنده فترة يتحدث اليه والى زوجته لم تناول كوبا من الايس كريم وانصرف الى منزله . انه شاب وديع طيب .

وانتظر المحققون عودة ايدى الى منزله وطلبوا منه أن يصحبهم الى نقطة البوليس فقبل عن طيب خاطر وقد تبين انه ميكانيكى يعمل فى احد مصانع الطائرات . مديد القامة . قوى البنية . وسالوه :

ـ « ما الذى جعلك تعرض أن تسدد دين زوج اختك ؟ »

ـ « لانه دين واجب السداد وقد قالت لى أختى انه نحو مائة دولار . ولم اشا ان يعلم جيرى بعزمى حتى لا يحرج » .

ـ « هل يدفعه هذا الى قتل مسز جليمار ؟ »

ـ « ان جيرى لا يمكن ان يقتل احدا . انه فى ضيق ولكن ازمته سوف تنفرج . ان أعصابه متعبة وقلق . ولكنه لا يقدم على جريمة . »

ـ « كفاك دفاعا عن زوج اختك . وماذا عن نفسك ؟ لقد وجدنا شاهدا يقول انك كنت بمسكن القتيلة مساء الاثنين . »

ـ « كنت أعتقد انكم تعرفون ذلك . فقد ذهبت استفسر عن مبلغ الدين وقالت لى مسز جيلمار انه مائة دولار واثنان . وقلت لها اننى بدات العمل وليس عندى ما اسدد به فورا وعرضت أن ادفع لها دولارين أسبوعيا فقبلت ولم امكث عندها الا عشر دقائق وانصرفت » .

ـ « لماذا لم تذكر لنا انك رايتها فى تلك الليلة مع انك تعلم اننا استجوبنا جيرى ؟ »

ـ « ظننتكم تعلمون ذلك ولم اقصد اخفاء الأمر . »

★ ★ ★

طلب المحققون منه أن ينتظر بغرفة الشهود وكان من بينهم جيرى وزوجته . ثم اخذوا جيرى الى نقطة البوليس . ورسخ فى ذهنهم أنه اذا كان ايدى يقول الحق فلا بد أن مسز جليمار كانت تنتظر زائرا آخر هو الذى قتلها . لعله جيرى علم أو استنتج زيارة ايدى الى مسز جيلمار فتبعه وانتظر خروجه ودخل وخنق السيدة بعد مناقشة عنيفة . ثم رتب أثاث الغرفة لعلمه بكل محتوياتها وصور جريمة الانتحار .

فلما واجهوه بذلك امتقع لونه وظهر عليه الغضب وصاح : « هذا جنون . لقد قلت لكم واكرر القول انه لا دخل لى فى هذه الجريمة . لقد كنت بمنزلى وقت ارتكابها » .. واخرجوه

من غرفة التحقيق وهو يكرر الاعتراض والانكار.

وقال كبير المحققين « لا اعتقد انه فعلها . لقد كانت دهشته صادقة حين قلنا له ان زوج اخته تطوع بان يسدد دينه عنه . وفي الحقيقة لماذا يعرض شاب في سن العشرين وفي بدء عمله ان يسدد دين زوج اخته . ان التصرف الطبيعي لمن كان في سنه ان يشترى اشياء لنفسه واذا فكر في تقديم هدية لاخته اشترى لها اشـــياء للطفل المنتظر . ولكن لماذا يقتل ادوارد توماس مسز جيلمار ؟ لعله المال الذى تخفيه ؟ انه لم يذهب اليها بقصد سداد الدين بل لإنه سمع انها كانت تبعد جرى كلما ارادت اعطاءه نقودا فلا بد انها ـ كما تصور ـ تخفي مبالغ طائلة . »

وقال احد المحققين : « ولكننا لا نستطيع ادانته لمجرد افتراض . لا بد لنا من دليل . »

وقال كبير المحققين : « ان كان توماس هو الذى فعلها . فان الطريقة التى حاول بها اخفاء الجريمة تدل على عقل سريع الخاطر . ومن كان هذا شانه فانه لا يستطيع التحكم طويلا في عواطفه . »

★ ★ ★

استدعى المحقق توماس . واعطاه مفكرة القتيلة وقال كمن يحدث نفسه :

« ان الانسان الحاد الذكاء يعتقد انه قـد احتاط لكل الظروف . ولكن الشيء غير المنتظر يظهر دائما . خذ مثلا قاتل مسز جيلمار . لقد كاد يخدعنا جميعا واتقن تمثيل الانتحار . ولكن امرا واحدا غاب عنه . انه لم يفطن الى مفكرتها ولم يدرك معناها في بادىء الأمر فتركها ولو اخفاها لكانت جريمته كاملة . ان المفكرة كصوت من وراء القبر يشير الى القاتل » .

واجلسه المحقق في غرفة الشهود بجوار ابن القتيلة وقال له المحقق : « هيا اقرا المفكرة . » وبدا توماس يقرا المفكرة بينما احد المحققين يوجه اسئلة لابن القتيلة . وكانت انظار المحققين متجهة الى توماس فلفت نظرهم انه كان يتوقف عن القراءة ليستمع الى الاسئلة والاجابات .

وبعد مضي ساعة استدعى توماس الى غـرفة التحقيق وقال له المحقق « اظنك تعرف » واخذ يحدق النظر في يدى توماس الغليظتين القويتـين . وكذلك فعل المحققون . وفجاة قال كبير المحققين في صوت هادىء لا أثر فيه للغضب « لماذا فعلتها؟»

وهب توماس واقفا وقد صعد الدم الى وجهه « مـاذا ؟ » وقال المحقـق « لماذا خنقتها ؟ » ـ « لم اخنقها . » ـ « بل خنقتها : لقد كتبت ذلك في مفكرتها . »

وفي غير احتياط قال القاتل : « كيف ذلك وهي قد ماتت ؟ » ثم ادرك خطورة الصيحة التى خرجت من بين شفتيه وهرب الدم من وجهه .

وقال المحقق : « من الخير لك ان تتكلم الآن »

وانهار القاتل واعترف وقال ان روايته الاولى صحيحة الى ان هم بمغادرة سكن القتيلة وانه اقترح عليها ان تجعل الدين رقما صحيحا ـ مائة دولار ـ ولكنها اصرت على المطالبة بالمبلغ كاملا واخذت تذكر له كيف انها دفعت هذا المبلغ يوما بعد يوم ربع دولار للتامين وخمسة عشر سنتيا للسجاير وكذا للانتقال وكذا للطعام . فلم استطع احتمال ذلك ولم اشعر بنفسي فخنقتها وطرحتها ارضا وبقيت اضيق قبضتي على عنقهـا حتى ماتت . ثم سحبتها الى المطبخ وفتحت صـنابير الغاز ورتبت المسكن كما كان وذهبت الى محل الحلواني .

وساله المحقق : « لماذا قلت لامك انك كنت تتنزه في الغابة ؟ » .

كنت اريد ان اتخذ منها شاهدة على انني كنت بعيدا عن مكان ارتكاب الجريمة . ولكنني فكرت فادركت ان الزائر العجوز ربما رآني فعدلت عن هذه الفكرة وفضلت ان اقول انها كانت سليمة حتى تركتها . »

★ ★ ★

ولم يعثر على علبة النقود ومع ذلك اصر توماس حتى النهاية انه لم يبحث عنها ولا وجدها .

وحين قدم لمحكمة الجنايات وسئل ان كان مذنبا او غير مذنب قال ان فكرة القتل خطرت له فجاة بغير اصرار سابق . وحكم عليه بالسـجن في سنج سنج لمدة تتراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة . اى ان اقلها عشر سنوات واقصاها عشرون الا اذا حصل ـ بحسن سلوكه ـ على تقصـير العشر سنوات الثانية .

وحل اللغز الذى بدا غامضا . ■■

حسن الجداوى

طرائف عربية

طبيب العرب عند كسرى

● وفد على كسرى ملك الفرس الحارث بن كلدة طبيب العرب ، فأذن له بالدخول ، فلما مثل بين يديه قال له كسرى : ما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها ، وقلة قبولها وسوء غذائها . قال : ذلك اجدر ايها الملك اذكانت بهذه الصفة ، ان تحتاج الى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ويسوس ابدانها .

قال كسرى : كيف بصرك بالطب ؟ قال :ناهيك . قال : فما اصل الطب . قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين . قال : اصبت ، فماالداء ؟ قال ادخال الطعام على الطعام . قال : اصبت . ثم قال : فما الجمرة التي تلتهب فيهاالادواء ؟ قال : هي التخمة ، ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت اسقمت . قال : فما تقول في شرب الدواء ؟ قال : اجتنب الدواء ما لزمتك الصحة . دعه ، فاذا احسست بحركة الداءفاحسبه بما يردعه من الدواء ، فان البدن بمنزلة الارض ، ان اصلحتها عمرت ، وان افسدتهاخربت . قال : فما تقول في الفاكهة ؟ . قال : كلتها في اقبال دولتها وحين اوانها ، واتركها اذاادبرت ، وتولت وانقضى زمانها ، قال : فما تقول في شرب الماء ؟ . قال : هو حياة البدن ، وينفعما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر ، وافضل المياه مياه الانهار العظام ، ابرده واصفاه،قال : فما طعمه ؟ . قال شيء لا يوصف . قال : فما لونه . قال : اشتبه على الابصار لونه ،يحكي لون كل شيء يكون فيه . قال كسرى : لله درك يا اعرابي . لقد اعطيت علما ، وخصصت بفطنة وفهم ، ثم امر له بجائزة وكساء .

بين الحجاج وهند بنت المهلب

● لما بنى الحجاج على هند بنت المهلب علم قبل الدخول بها انها تزوجته على كره منها الى حد انها اضمرت له السوء ، فطلقها وقدم لها على يد رسول نفقتها الشرعية ، وقال الرسول على لسان الحجاج :

ان الامير يقرئك السلام ويقول لك : كنتِ فبنتِ .

فقالت هند بنت المهلب للرسول : قل للأمير ، والله كنا فما فرحنا ، وبنا فما ندمنا ، وهذا المال الذى جئت به الينا خذه ثمنا منا لهذه البشرى .

أدب

● قال زياد بن أبيه لعجلون حاجبه. كيف تأذن للناس؟. قال :على البيوتات، ثم على الأنساب ، ثم على الآداب . قال: فمن تؤخر ؟ قال : من لا يعبأ الله بهم . قال : ومن هم ؟ قال : الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوةالصيف في الشتاء . ثم قال له : وليتك حجابتي

● قال حكيم عربى : لا خير في حق لا تدعمه قوة . وان الساكت عن حقه محروم،وان الدخول من باب الذل لا ينتج غير الذل،ومن لاينطق بحاجته يكون أولى بالخرس.

قول تحقق

● قدم عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك في رجال من اهل المدينة ، فلما دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها لهم ، ثم التفت الى عروة فقال له ألست القائل :

لقد علمتُ وخير القول اصدقه … بان رزقي وان لم آت ياتيني
اسعى له فيعنّيني تطلّبه … ولو قعدت أتاني لا يعنّيني

قال : بلى . قال هشام فما أراك الا وقد سعيت له . قال : سأنظر في امري يا امير المؤمنين .

وخرج عنه وجعل وجهته المدينة . وكشف عنه هشام بن عبد الملك فقيل له : قد توجه الى المدينة . فبعث اليه بألف دينار . فلما قدم الرسول بها قال له : ابلغ امير المؤمنين السلام وقل له أنا كما قلت قد سعيت وعنّيت في طلبه ، وقعدت عنه فأتاني لا يعنّيني .

حزم وسياسة

● قال عمرو بن العاص: رايت معاوية في بعض ايامنا بصفين خرج في عُدّة لم اره خرج في مثلها ، فوقف في قلب عسكره ، وجعل يلحظ يمنة فيرى فيها الخلل ، فيبدر اليه من يسدّه . ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة . فدخله زهو مما راى .

فقال : يا ابن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت : يا امير المؤمنين لقد رايتُ من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رايت احدا تأتى له من طاعة رعيته ما تأتي لك من هؤلاء. فقال : افتدرى متى يفسد هذا ؟ وفي كم ينتقض جميعه ؟ قلت : لا . قال : في يوم واحد . قال : فاكثرت التعجب. قال : اى والله وفي بعض يوم . قلت : وكيف ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال : اذا كذبوا في الوعد والوعيد ، وأعطوا على الهوى ، فسد جميع ما ترى .

الحجابة

وعزلتك عن اربع : هذا المنادى الى الله في الصلاح والفلاح، لا توقفه عنى ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل لاتحجبه، فشرٌ ما جاء به ، ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة . ورسول الثغر ، فانه ان ابطأ ساعة افسد عمل سنة. وصاحب الطعام فان الطعام اذا اعيد تسخينه فسد .

● قصة

الفراغ

بقلم : مازن محمد طلال

■ « أما الآن .. وقد تبينت حقيقة كبرى .. وهي أن هناك فراغا هائلا في نفسك ، فانه يجب عليك أن تبحث عن وسيلة لملء هذا الفراغ .. لانك ان تركته وبقيت مستسلما ، قتلت نفسك بيدك .. ورميتها للقدر بلا ثمن ... ! » .

كانت الساعة تقارب الثامنة عندما فتح عيسى عينيه . ونظر الى ساعته ، ثم هز كتفيه باستهانة :

« من المفروض الآن أن أكون في الجامعة .. لكن لا .. لا يهمني .. السقوط محقق ، والمستقبل معلق بخيوط من الاوهام .. » .

قام من فراشه بخمول ، وفتح النافذة . كانت الشمس تغمر الكون بضوء باهت يوحي بالكآبة .. ويوحي اليه بمعان تتجاوب مع حالته النفسية المتردية .

حتى الربيع لا يبدو ربيعا ! .. ضم ساعديه الى صدره وتنهد ، ثم نقل طرفه في المساحة الممتدة امام ناظريه . ركز بصره باحتقار على شرفة احد المنازل .. كانت هناك فتاة تجلس بطريقة فاضحة مثيرة وتتقلب حولها بوقاحة .

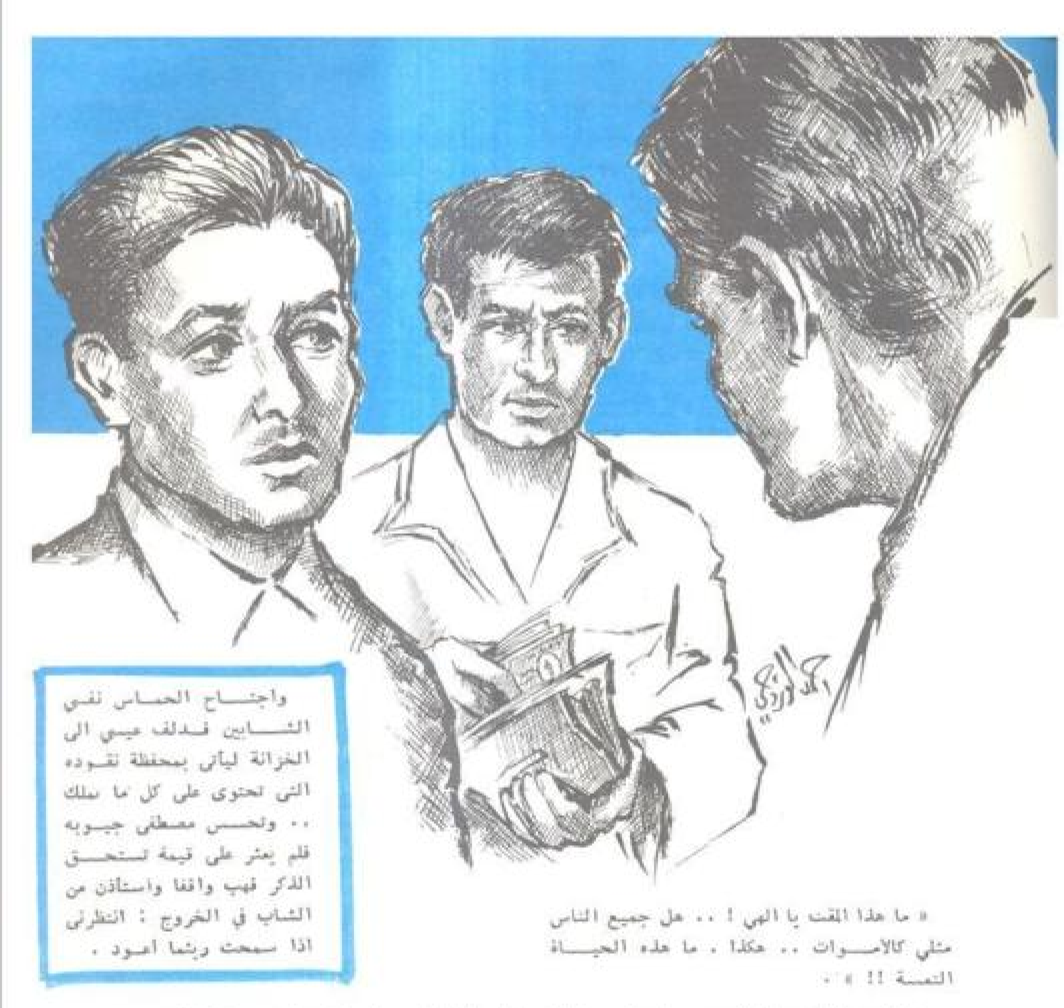
« آه أيتها العاهرة .. كل يوم تستقبلينني على هذه الصورة .. لا أستفتح الا بك .. هه .. » .

هز كتفيه باحتقار ، ثم أدار نفسه وصفق النافذة بشدة ، ودخل .. وتمدد على سريره لا يدري ماذا يصنع . تجمعت افكاره عفوا واستطاعت أن تتركز في ذهنه فتمنحه القدرة على التذكر .. نعم .. وانطبعت مع هذه الافكار صورة .. هزته هزا .. صورة اصبحت الآن في غياهب الماضي ولم يعد لها في الحاضر وجود .. اللهم الا اذا اعتبر الوهم حقيقة . وكاد يغوص في اوهامه ، الا أنه استدرك نفسه ونهض ، وراودته نفسه بالوقوف عند النافذة .. الا أن صورة الماضي انبعثت في نفسه فايقظت ضميره ..

اين الملاك من الشيطان ! .

ماذا يريد أن يفعل الآن ؟ .. أيبقى كالمنبوذ في حجرته لا يرى أحدا ولا يراه احد ؟ أخذ يفكر فيما سيصنع ، وتحسس ذقنه . عليّ أن احلق . لكن لا .. في يوم آخر .. سأغسل وجهي الآن .

أخذ يتمشى في الحجرة جيئة وذهابا بعد أن غسل وجهه . ثم انبعث في نفسه شيء من الحماس، فتقدم بجرأة وتناول كتابا من كتب الطب ، وجلس الى الطاولة يحاول ان يدرس ، الا أنه اصطدم بالحقيقة .. انه لا يفهم شيئا مما يقرأ . رمى الكتاب بعنف ولعن الدنيا ومن عليها وزفر زفرة حرى :



واجتاح الحماس نفس الشابين فدلف عيسى الى الخزانة ليأتي بمحفظة نقوده التي تحتوى على كل ما تملك .. وتحسس مصطفى جيوبه فلم يعثر على قيمة تستحق الذكر فهب واقفا واستأذن من الشاب في الخروج : انتظرني اذا سمحت ربما اعود .

« ما هذا المقت يا الهي ! .. هل جميع الناس مثلي كالأموات .. هكذا . ما هذه الحياة التعسة !! » .

وتناول مجلة قديمة اخذ يتصفحها .. فقرا قصيدة غزل له كان قد بعث بها الى المجلة قبل عام .. ونشرتها المجلة ، فقراها عساه يبعث الثقة في نفسه ، الا أنه زم شفتيه في النهاية : « كلام فارغ .. لقد ضاعت فلسطين الآن .. ان كنت شاعرا حقيقيا فلاكتب عن فلسطين.. فلسطين فقط .. الحب .. و .. شيء آخر .. ليس وقته الآن .. » .

لفظ هذه الكلمات مرغما نفسه على ذلك . اذ لو صارح نفسه بالحقيقة ، لوجدها تفتقر الى شيء عظيم .. الى ذلك الحب الذى يريد أن ينكره الآن ... لا يستطيع أن يمحو قصة طويلة عاشها بكل كيانه في احضان ذلك الحب . كان ذلك قبل النكسة ، وما هذه القصيدة التي يتصفحها الآن الا دليل كبير عما يملا حياته .. اما اليوم .. ومنذ اليوم المشئوم فلا يدرى عن فتاته شيئا .. لقد اخذها القدر في طريق واخذه في طريق آخر .. ولا يدرى كل منهما عن الآخر شيئا ! لقد بعث بقصائد الى مجلات عديدة .. عساها تنشر اسمه وعنوانه فيتمكن من الاتصال بها او تتمكن من الاتصال به ، الا ان تلك المجلات لم تنشر له شيئا مما افقده الثقة في ذاته . كان يقول لنفسه في بعض الاحيان .. لربما قضت .. ولكنه لا يطيق بعد ذلك تصور تلك الفكرة .. كان يهز راسه بشدة كأنما ينفي ما يرد على خاطره . وكان يقول في احيان اخرى .. لربما بقيت في الضفة الغربية .. الا انه ينفي هذا بشدة ، مؤكدا انها خرجت مع اهلها . لكن الى اين ؟ هذه هي المشكلة .

تنهد بعمق ، واحتضن وجهه بكفيه ، ثم اغمض عينيه ... « رباه انني اتعذب .. انني اعيش بلا معنى وبلا هدف ، لا طعم لشيء في هذه الدنيا ! هل هناك من علة يا ترى ؟ هل هناك من دواء ؟ .. انني في حيرة دائمة .. حيرة شلت توازني وسلبتني ارادتي .. اصبحت بلا احساس .. بلا وعي .. لو جاءني شخص وقال لي اريد أن اقتلك ، لما استطعت ان اميز قصده ولفغرت فمي ببلاهة كأنما اطلب منه أن يفسر لي ما يقوله ، نعم .. هذه حقيقتي بلا مبالغة ! » .

ارخى يديه وفتح عينيه ، وسقط بصره على صورة قبة الصخرة المعلقة وسط الحائط تحيط بها بعض المشاهد المأخوذة من عدة اماكن في فلسطين السليبة . « اذكر انني صليت هنا .. في يوم من الايام » . واجال بصره في ارجاء الغرفة ، فاحتضنت عيناه صورة كبيرة تمثل جميع افراد العائلة . واقترب بدافع لا ارادي وانتزع تلك الصورة وبسطها امامه واخذ يتمعن في كل شخصية من شخصياتها ...

هذا والده بلحيته البيضاء وسبحته الطويلة.. وهذه والدته بمنديلها الاسود . انه يذكر كلمة قالاها له وهو يودعهما الوداع الاخير .. « تعلم يا بني .. بالعلم تستطيع أن تطرد هؤلاء الدخلاء . اما نحن فسنبقى هنا . لا نريد أن نخرج من ديارنا .. سنصبر يا بني ، وما عليك انت الا ان تخوض غمار الحياة من أجل مستقبلك ومستقبل اخوتك . لا تقلق علينا .. سنقضي ايامنا هنا .. واملي يا بني أن تعود الينا وقد تطهرت البلاد . امسح هذه الدموع .. لقد اصبحت رجلا يا عيسى .. كان الله في عونك .. » .

ودمعت عيناه وهو يتذكر هذا الكلام .. وفاض حنينا الى اهله والى دياره..والى هؤلاء الاخوة الصغار . « آه ايها الاخوة الأعزاء .. انت يا سمير الآن قد جاوزت السابعة عشرة . اخشى أن يكون هؤلاء المجرمون قد تبغوا عليك واشتبهوا بك . وانت يا اختي الجميلة .. اخشى ان يكون جمالك نقمة عليك .. لا امان لقوم لا يعرفون الأمانة . اما انتم ايها الاخوة الصغار .. فلكم رحمة الله . ان مستقبلكم غامض لا يستطيع أن يرسمه لكم احد .. رباه !! .. » . واحس بلوعة . انه بحاجة الى اي خبر من اهله حتى يطمئن .. ان قلبه ليتمزق عندما يتذكر .. يريد ان يطمئن .. لم يصله اى خبر منهم منذ تسعة اشهر .. اى منذ ان غادرهم في اواخر شهر حزيران عام ١٩٦٧ . لقد بعث رسالة بواسطة الصليب الاحمر .. ولا يزال ينتظر ..

هز كتفيه بياس واغمض عينيه بشدة .. فسقطت دمعتان حارتان وامتزجت هاتان الدمعتان حتى شكلتا بقعة شفافة توسطت الصورة ..

« اصبحت الآن شريدا .. مقطوعا . لست ادري ماذا اصنع عندما افقد ما لدى من نقود . لم يبق معي من العملة الاردنية سوى خمسين دينارا فقط . انها لا تكفيني اكثر من شهرين أو ثلاثة . اذن لماذا لا ادرك هذه الحقيقة من الآن .. لماذا لا اتصرف على ضوء هذه الحقيقة .. اجل ! .. ليس لي اب .. ولا ام .. ولا من يعول .. ولا ...... » .

وفاضت لواعجه حسرة واستطاع ان يضبط نفسه بشدة حتى لا ينفجر باكيا .

قام من مكانه حتى لا يزداد هذا الكابوس من الهموم فوقه فيطرحه ثم يقتله . تلفت حوله في حيرة ، تقدم نحو النافذة وفتحها .. وتنفس بعمق . جال ببصره في ارجاء الكون ...

الضباب .. الضباب في كل مكان . لم تعتد هذه البلاد الضباب كما اعتادته هذه الأيام .. في كل عام تستبق الربيع في اواخر الشتاء .. اما في هذا العام .. فان الشتاء قد خنق الربيع وحظر عليه الانطلاق . سبحان الله ! .

تناول سيجارة منجيب (بيجامته) وكاد يشعلها فتذكر انه لم يتناول افطاره بعد . لا يهم . ودس السيجارة برغبة في فمه ، وتناول علبة ثقاب وفتحها فوجدها فارغة .. فتذمر وقذف بها الى الخارج ، ودلف يبحث عن اخرى الا انه لم يجد شيئا . ورمى السيجارة فوق الطاولة فاستقرت بالقرب من صورة اهله . اخذ الصورة واعادها الى وضعها السابق على الجدار وهو يتمعن فيها بنهم ، كأنما يحاول احتضان جميع اشخاصها في نفس اللحظة ، واحس بوخزة عميقة ، فتنهد .

بقي واقفا لا يدرى ماذا يصنع . ان الحيرة تسيطر عليه في كل حركة من حركاته ..

رباه ..!! ما هذا الفراغ ! هل افتقدت كياني واصبحت لا شيء ؟ اريد ان اتألم . لكن لماذا

اصلم . اريد ان اخرج . لكن لماذا اخرج .. واريد ان اعيش ولكن لماذا اعيش ؟؟؟ .

وازداد مقته وانهار الى المقعد ، واسند رأسه الى قبضتيه ..

« كنت اعتقد ان حالتي هذه عارضة ونتيجة تعكر مزاج . لكن ها قد مضى ما ينوف على ستة اشهر وما زلت متعكر المزاج .. هه .. انني مريض ولكن اين هذا المرض .. وما اسم هذا المرض . هذه هي مشكلتي الكبرى .. لا استطيع ان احدد حالتي . لو ذهبت الى طبيب فماذا اقول له ؟ .. لا استطيع ان اقول شيئا سوى ما احس به ، ولن يستطيع ان يفيدني بشيء .. » .

ولنهد مرة اخرى .. ثم ضرب الطاولة بقبضتيه كانما يستفزها بتقديم شيء له . وقام بلا مبالاة .. ووقف عند النافذة . لمح احد زملائه في كلية الطب قرب احد المحلات التجارية يساوم على شيء ، وكاد يناديه . الا انه استسخف فكرته « لماذا اناديه ؟ » وخطر بباله ان يخرج فيشترى طعاما لنفسه . انه لم يتناول افطاره ولم يفكر بانه سوف يتغدى بعد ساعة او ساعتين . ان الوقت الآن يقترب من الحادية عشرة وها هي ذي جماهير الطلبة ذاهبة آيبة كانما تسخر منه ومن جموده .

حسنا . تحسس ذقنه كانما صمم على الخروج ، ودلف الى الداخل ، ووقف وسط الغرفة لا يفعل شيئا . امن المعقول انه قد نسي ما يريد ؟! .

ارتمى على السرير وهو يقول : « ساخرج بعد قليل » . وضع يديه فوق جبهته واغمض عينيه في شرود .. ولم يصح من شروده الا على صوت خشخشة عند العتبة . قام باهتمام .. لقد اعتقد بان رسالة قد دسها ساعي البريد من تحت الباب . لكن .. كانت هناك ورقتان . تناولهما ببرود وعاد الى مكانه .. واخذ يقرا :

بلاغ عسكرى رقم ١٠٦ صادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة

١ ــ في الواحدة من صباح يوم ٦٨/٣/٢٠ .. وقعت سيارة مجرم الحرب موشى ديان في كمين .. على طريق تل ابيب يازور ...... وقد اصيبت السيارة وسقطت في منحدر ... ... و ....

٢ ــ في الخامسة والنصف من صباح ٦٨/٣/٢١ اجتاز العدو نهر الاردن بدباباته وآلياته وطائراته .... وقد تصدت قواتنا لها .... وتقدر خسائر العدو بمائتين وثلاثين قتيلا وما يزيد على ٣٠٠ جريح .

٣ ــ قام العدو بعملية انزال ضخمة لمظليين في منطقة الكرامة .. وجرى التحام .. ثم تطورت المعركة الى السلاح الأبيض .... وقد استطاعت قواتنا أن تنزل بالعدو سبعين قتيلا وحوالي مائة جريح من قوات المظلات .

٤ ــ .... اما خسائرنا فكانت خمسة وعشرين مناضلا بين شهيد وجريح ومفقود .

اصيب عيسى بالدهشة وهو يقرا هذه البيانات، فلم يملك نفسه من ان يعيد قراءتها .. واحس ببارق ينبعث في صدره ، وقام بشيء من الحماس .. وجلس الى طاولته كانما يريد ان يحلل ما يقرا .. وقرا البلاغ للمرة الثالثة ، وهز رأسه بانفعال ، ثم وقف بقوة .. واطل من النافذة . كانت تعابير وجهه تنطق بما يجيش به صدره . ولو ظهر له احد زملائه لما تردد في دعوته كما تردد قبل قليل .

اخذ يتمشى في غرفته جيئة وذهابا .. انه يريد ان يفعل شيئا الآن .. واحس برغبة في ان يعيد قراءة البيان عساه يعثر على شيء جديد ... ثم انبعثت في نفسه شبه ثورة .. وفتح درج مكتبه واخرج كل ما يملك من منشورات وكتيبات صدرت عن منظمة « فتح » وبسطها امامه . وكانت اول نشرة وصلت له هي العدد الثاني من مجلة الثورة الفلسطينية . وقد استطاع ان يحصل عليها بواسطة احد معارفه المقربين .. والذي سافر هذا العام لمتابعة دراسته في الولايات المتحدة . ومنذ ذلك اليوم وبيانات فتح تصله بانتظام .

نفض الغبار الذي تجمع على جبهة النقيب مجاهد (١) ، ثم تصفح المجلة . لقد قراها كلها في يوم من الايام .. وانه ليذكر فيها شيئا .. هناك في الصفحة الحادية عشرة ظهر اسم يعرف صاحبه جيدا .. « مازن أبو غزالة » وتمثلت في مخيلته الذكرى .. انه يكبره بعامين فقط . لقد كان من

---

(١) غلاف المجلة يحمل صورة هذا البطل .

ابناء الجيران في يوم من الايام .. وقد سافر الى القاهرة قبل عامين .. ثم .. ثم استشهد اخيرا . فليرحمه الله . لقد كان بطلا .

مضى عليه ما يزيد على نصف الساعة وهو لا يزال يتصفح بيانات منظمة فتـح . وكان كلما وقعت عيناه على بيان لاحق ازداد في نفسه الشعور الذى اثار نفسه في بيان سابق . وما زال يتصفح تلك البيانات حتى تضخم ذلك الشعور فملأ صدره. تحسس قلبه فوجده يخفق بشدة . تحسس جبهته فاذا بها تنفصد عرقا . وتحسس ذراعه فاذا به قوى ..

أعاد ترتيب البيانات .. ثم اعادها الى درج المكتب ، ووقـف بحماس وهو يفرك يديه « .. اريد ان افعل شيئا اجل ! .. » فكر في كتابة الشعر ، الا انه ثار على هذه الفكرة .. « لا اريد كلاما .. اريد ان اصنع شيئا .. ليس الآن وقت الشعر .. سأكتب فيما بعد .. عندما افعل ما سأقول .. اجل ! يا الهى !! لقد بدأت اشعر بوجودي » .

واخذ يخلع ملابسه بحماس ، وفتح باب الخزانة ليخرج بنطالا وقميصـا . وما كاد يتناولهما حتى اصاخ سمعه لطرقات على الباب . ادخل ساقيه بسرعة في البنطال .. ثم فتح الباب .

كان هناك شاب متوسـط القامة .. متجهم الملامح كان امرا هاما سقط عليه فجاة . ودخل هذا الشاب بلا استئذان وقذف بحقيبته الجلدية الى المكتب .. وارتمى على السرير . نظر اليـه عيسى بذهول .. وما لبث ان لفظ بتردد :

ــ مصطفى ؟!

نظر اليه هذا نظرة توحي بما لديه ثم اغمض عينيه في شرود .. فتقدم عيسى باهتمام ــ خير يا مصطفى .. ماذا حدث ؟ .

فتح هذا عينيه وقاس زميله بنظرته . ولفظ بانفعال :

ــ الم تصلك أنباء ؟ ..

ــ ابدا .

وتنهـد مصطفى .. وهـز راسـه كأنمـا يأسف على حدوث شيء ؟ ..

ــ أنباء !! .

لفظها كأنه يلفظ معها اهوالا :

ــ خير يا مصطفى !! .

ــ ليس خـيرا . لن أذهب الى الجامعة بعد اليـوم ..

ــ ماذا حصل ؟ .

ــ حصل كل شيء . ربما تراني غدا .. او بعد غد . وبعدها سوف لا تراني ..

ــ لمـاذا ؟

ــ من لا يعرف يقول لماذا ...

وساد هدوء رهيب .. قطعه صوت مصـطفى الذى تكلم فجاة :

ــ عيسى .. لقد جئت اليك في مسالة هامة .. ليس الآن وقت جدل .. هل تذهب معي ! .

ــ الى اين ؟ .

ــ الى المكان الذى طالما كنت تتحدث عنه .. الى الوطن .. اذا كنت صادقا في كلما تدعي من وطنية فلا اعتقد انك سوف تتردد ..

ولم يتكلم عيسى .. فازدادت ثورة مصطفى التي تمثلت في قبضتيه المضمومتين بشدة . وفي حركاته الغبائية المعبرة :

ــ اريد ان اثأر .. ان الثورة تملأ كياني .. اريد ان انتقم .. اريد ان اكون فدائيا .. لقد استشهد والدى في معركة الكرامة الاخيرة .. وصلتني برقية هذا اليوم .. ومع انها لم تعبر صراحة الا انني استنتجت الحقيقـة ... أجل .. الحقيقة .. فقدت كل شيء .. لا يوجد من يتكفل بالانفاق علي بعد اليوم .. لا يمكن ان اكون عالة على اقاربي .. لا اسمح لنفسي بذلك .. اريدك ان تتكلم يا عيسى الآن .. اريدك ان تثبت حقيقة ما كنت تدعي .. ليست الوطنية بكثرة الكلام .. ها هي الســـاعة قـد دقت .. وما عليك الا ان تنهض على صوت هذه الدقات ... لقد عرضت امرى على آخرين .. لكنهم .. ولم يبق الا انت .. اريدك ان تتكلم الآن .. انني قد حزمت امرى ..

راودت « فكرة » الفداء عيسى قبل مجيء زميله مصطفى ، وتجلت هذه الفكرة في حماسه وهو يقرأ البيانات المتتابعة لمنظمة فتح . كانت هذه الفكرة تختبيء في نفسه فتزوده بذلك الشعور

الذى استطاع أن ينقذه من تشاؤمه ويأسه . اما الآن .. وقد وجد نفسه يجابه هذه الفكرة مجابهة .. فان عليه أن يتصرف بالطريقة التي ترضي ضميره وترضي نفسه ..

اطرق عيسى برأسه كانما يفكر .. بينما مصطفى يتمعن فيه بلا مبالاة .. ثم رفع رأسه فجأة

كان هناك طرق خفيف على الباب . هب عيسى ليرى من الطارق . كان هناك شاب وسيم .. يطبع على شفتيه ابتسامة ويقف بادب كانما يستأذن في الدخول . وابتدر عيسى :

ـ صباح الخير ..

وافسح له عيسى :

ـ صباح الخير .. تفضل ..

وتردد الشاب في الدخول ..

ـ عفوا .. جئت ايها الأخ في مسألة ..

ـ ادخل أهلا وسهلا ..

ودخل الشاب والقى التحية على مصطفى الذى هب من مكانه واقفا .. ليفسح له بالجلوس .

أخرج الشاب دفترا سميكا من جيبه وفرده ، ثم تكلم بهدوء :

ـ ان الواقع العربي ايها الاخوان يحتم على كل فرد أن يساهم بالقدر الذى يستطيعه في خدمة امته وقضيته فلسطين .. وانتم كما تعرفون .. الجهاد انواع .. منه الجهاد بحمل السلاح ومنه بالمال .. ومنه بالقلم .. وغير ذلـــك . وثقتي كبيرة بان شبابنا الواعي يقدر كل هذا ولا يمكن ان يقصر اذا ما طلب منه العمل . ولهذا يا أخوان قد جئت في مهمتي هذه . أنا مندوب من منظمة « فتح » لجمع التبرعات .. وهذه هي الشيكات المختومة .

وناول الدفتر الى مصطفى .. الذى ناوله بدوره الى عيسى . واجتاح الحماس والوطنية نفســي الشابين فدلف عيسي الى الخزانة ليأتي بمحفظة نقوده التي تحتوي على كل ما يملك . وتحسس مصطفى جيوبه فلم يعثر على قيمة تستحق الذكر .. فهب واقفا واستأذن من الشاب في الخروج :

ـ انتظرني اذا سمحت ريثما أعود .

وهز الشاب رأسه ايجابا . وخرج مصطفى ، وعاد عيسى بمحفظته .. وفتحها .. وامتدت يده بانفعال وتناول كل ما معه .. وقذف به في يد الشاب الذى تطلع اليه في دهشة :

ـ ما هذا ؟! .

ـ أنا متبرع بكل هذا المبلغ ..

ـ دفعة واحدة ! .

ـ أجل .

وازدادت دهشة الشاب .. بل ازداد اعجابه وهو يسمع عيسى يقول :

ـ وسوف أقدم شيئا آخر .. لن أبخل به بعد اليوم .. سأقدم نفسي .. ■■

مازن محمد طلال
جامعة الجزائر

● كان الزوج يعمل في مصنع باحدى ضواحى لندن، وذات صباح هبت عاصفة ثلجية ، فنظر الزوج عبــر النافذة ، وقال لزوجته : ان الحالة الجوية سيئة الى حد أنه قرر الا يذهب الى عمله .. واستيقظ أبناؤه السبعة وجلسوا لتناول طعام الافطار .. وبينما كانوا يستعدون للذهاب الى المدرسة ، قال مذيع الراديو ان المدارس قد أغلقت في هذا اليوم .. وفجأة قرر الاب أن يغامر بالخروج والذهاب الى عمله ..

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

ارنولد توينبي

● أدلى ارنولد توينبي المؤرخ البريطاني الشهير بتصريح أشار فيه الى استحالة بقاء اسرائيل واستمرارها كدولة وسط العالم العربي ، فهل لكم ان تقدموا لنا نبذة عن حياة هذا الرجل ؟

صلاح عبد الحميد ـ عمان

ـ ليس هذا هو اول تصريح لتوينبي يؤيد فيه قضية عرب فلسطين . فقد سبق له ان كتب كثيرا في هذا الموضوع مؤكدا ان قيام اسرائيل في قلب الوطن العربي ، هو سبب اضطراب هذه المنطقة من العالم .

ولد توينبي المؤرخ الانجليزي المعروف في لندن في يوم ١٤ ابريل من عام ١٨٨٩ ، اي انه الآن في الثمانين من عمره وتلقى علومه في كلية باليول Balliol بجامعة اكسفورد حيث تخصص في دراسة التاريخ ، ثم ما لبث ان عمل استاذا بها ومنذ عام ١٩١٢ حتى عام ١٩٢٥ ، ظل توينبي يُدرّس التاريخ الدولي والتاريخ البيزنطي ، والتاريخ الحديث ، والأدب ، واللغة اليونانية التي كان درسها ، وعين استاذا في جامعة لندن ، ثم مديرا للدراسات بالمعهد الملكي للشئون الدولية .

ومن اهم اعماله كتابه المعروف دراسة في التاريخ Study of History الذي كتبه خلال فترة تزيد على العشرين عاما من سنة ١٩٣٤ حتى عام ١٩٥٤ ، وهو يقع في عشرة اجزاء . وقد اجمع النقاد على ان كتابه هذا يعتبر مساهمة قيمة في تصوير تاريخ الحضارة .

ويتميز توينبي في كتاباته بعين فاحصة مدققة ، ومعرفة واسعة اكتسبها بفضل قراءاته التي تبدا عادة في المساء وتستمر حتى الصباح .

اما النظرية التي اعتمد عليها دائما في كل كتبه ومؤلفاته فهي ان الحضارات تنمو وتزدهر بفضل الاستجابة بنجاح الى التحديات التي تواجه تلك الحضارات ، تحت زعامة خلاقة . على ان هذه الحضارات لا تلبث ان تنهار اذا فشل الزعماء في مواجهة هذه التحديات بصورة تتسم بالخلق والابداع لا بالمحاكاة والتقليد .

ولكن توينبي لا يرى ان موت الحضارات امر لا مفر منه ، فهو يعتقد انها قد تستمر وقد لا تستمر في الاستجابة للتحديات المتلاحقة . وهو يعارض في الوقت نفسه نظرية كارل ماركس القائلة بان القوى الاقتصادية هي التي تشكل التاريخ ، اذ يرى توينبي ان القوى الروحية اشد تاثيرا على التاريخ من القوى الاقتصادية .

وقد وضع توينبي كثيرا من المؤلفات التاريخية الاخرى ومن اشهرها الحضارة تحت الاختبار Civilization on trial والشرق والغرب East & West ، وهي خلاصة دراسات قام بها في رحلة حول العالم ، وتاريخ حضارة The History of civilization ثم ما صدر له في عام ١٩٥٩ بعنوان The West & The Arabs (الغرب والعرب) .

ثم هو بعد ذلك رجل سلام ، وكان عضوا في الوفد البريطاني لمؤتمري السلام اللذين عقدا في باريس بعد الحربين الاولى والثانية من عامي ١٩١٩ و ١٩٤٥ .


(م . ن)



قصة الدكتور جكل والمستر هيد

● ما هي قصة الدكتور جكل والمستر هيد ، وهل هي قصة واقعية أم خيالية ... ؟

خالد الحسن العثمان ، صيدا ، لبنان

ـ الاسم الكامل للقصة الانجليزية التي تذكر هو : '

قضية الدكتور جكل والمستر هيد الغريبة :
The Strange case of Dr. Jekyll & Mr.Hyde

وقد ظهرت هذه القصة المثيرة واشتهرت في اواخر القرن الماضي .

اما كاتب هذه القصة فهو روبرت لويس ستيفنسون (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) القصصي الاسكتلندي الذي كتب ، فيما كتب ، قصة جزيرة الكنز Treasure Island وهي لا تقل شهرة عن قصة الدكتور جكل ، في الاوساط المتوسية على الاقل .

ويذكر عن هذا الكاتب ، الذي طالما أمتع قراءه بقصصه ، انه لم يجد متعة تذكر في حياته . فقد حرم نعمة الاستقرار ، سواء في حياته العائلية أو في مكان اقامته ، كما حرم نعمة العافية ، وقد عانى من مرض السل في سنواته الاخيرة . والغريب أن هذه الظروف القاسية التي احاطت بحياة هذا الكاتب ، لم تنعكس ، بصورة مباشرة على الاقل ، على قصته التي تسألنا عنها، قصة الدكتور جكل والمستر هيد .

وتتلخص هذه القصة المثيرة في ان الدكتور جكل، الطبيب العالم ، الطيب القلب ، المرهف الحس ، ينجح في تركيب مستحضر عجيب خطر ، كفيل بتحويل المرء الذي يتناوله من انسان ينعم بالصفات الحميدة ، والخلق القويم ، الى مجرم أو شيطان رجيم .

وهذا بالضبط هو ما حدث للدكتور جكل نفسه، حينما تناول مركبه الخبيث . فقد تعرضت نفسيته لمثل التغير والتشويه الذي طرأ على جسمه ووجهه ، كلما تناول الجرعة الكافية من مستحضره ، فوقع تحت تأثيره .

ولعلك في غنى عن تفاصيل الأذى والضرر الذي احدثه الدكتور جكل ، أو بالاحرى المستر هيد.



دكتور جكل



مستر هيد

وتكفي الاشارة الى أنه ارتكب جريمة القتل آخر الأمر . الا أنه لم يسجن ولم يعدم . فقد اقدم على الانتحار في اللحظة التي كاد رجال الشرطة فيها أن يلقوا القبض عليه .

ولا يخفى أن قصة الدكتور جكل هذه قصة خيالية . ولعلها من القصص التي يضرب بها المثل على جموح الخيال الذي اتصف به القصاصون الرومانسيون ، ومنهم ستيفنسون ، وقد كثروا في أوروبا في القرن الماضي ، وفي مطلعه على وجه التخصيص .

على أن طابع الخيال، الذي ذكرنا لا يتنافى والحقائق الواقعة التي تنطوي عليها قصة الدكتور جكل والمستر هيد . من تلك الحقائق أن الشرور التي طالما عانت منها الانسانية لا تعزى الى البيئة أو الظروف الخارجية ، وما الى ذلك ، وانما الى نفس الانسان بالذات . فهي النفس الامارة بالسوء دوما وهي التي كانت وما زالت ، على حد قولهم ، ساحة حرب وصراع بين الخير والشر .

ي . ز

ليوناردو دافنشي

فنان .. ومهندس .. وعالم

● قرأت أن أول من اخترع « البراشوت » هو ليوناردو دافنشي ، فهل هو ليوناردو دافنشي الرسام المشهور صاحب لوحة الجيوكندا أم أنه تشابه أسماء بين هذا العالم والرسام .

م.ع ــ الجمهورية العراقية

ــ الحقيقة أن ليوناردو دافنشي لم يكن رساما مشهورا فقط ولكنه كان ايضا عالما ومهندسا موهوبا . وقد ولد دافنشي بالقرب من مدينة فلورنسا في عام ١٤٥٢ وكان ابنا غير شرعي لمحام شهير في فلورنسا . وكان من صغره يهوى الرسم وتتلمذ على يد أندريا فروشيو Andrea verrochio الذى كان رساما ممتازا وصانعا ماهرا . وكان فروشيو يعلم تلاميذه طرق تشغيل الذهب والنحت وكيفية اعداد السبائك والكيمياء . وكان عمل الفنان والصانع الماهر في العصور الوسطى أشبه بمصنع لان صاحب العمل يقوم بصنع ما يحتاجه من ادوات بنفسه .

وألم دافنشي بكل المعلومات المعروفة في ذلك الوقت عن الفنون وعن الهندسة ، وعشق الميكانيكا واخذ يبحث فيها ويسجل كل ما يجول في خاطره من افكار . وقد عمل بجوار عمله كرسام مهندسا في ميلان ثم كبيرا لمهندسي امارة بورجيا Borgia ، ولعل من أشهر ما تركه دافنشي من اعمال هندسية ما سجله هو نفسه في خطابه الشهير الى حاكم ميلان لدوفيكو سفورزا Ludovico Sferze في عام ١٤٨٣ يطلب فيه



ليوناردو دافنشي
فنان ومخترع .. أبدع في الفن والعلم

الكويكرز أو الرجافين

● قرأنا في الصحف أخيرا أن ريتشارد نيكسون الرئيس الامريكي الجديد ينتمي الى المذهب المسيحي المعروف بالانجليزية باسم « الكويكرز » . فما هو هذا المذهب ، ومتى تأسس ؟

محمد منصور ــ دمشق

ــ الكويكرز Quakers ، هو الاسم الذى اطلق على اعضاء الجمعية الدينية للاصدقاء Religious Society of Friends أو جمعية أصدقاء الكنيسة ، وهى جمعية مسيحية ظهرت فى انجلترا فى منتصف القرن السابع عشر ، نتيجة للثورة الدينية التى قامت على الأوضاع الكنسية التى كانت عند ذلك قائمة.

ويمثل اعضاء هذه الجمعية الجناح اليسارى المتطرف لحركة البيوريتان The Peurtinas او المتزمتين ، وهو مذهب بروتستانتى كان سائدا في انجلترا ونيوانجلند في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وهو يدعو الى تبسيط الطقوس



الجيوكندا

ان يعمل مهندسا لديه .

وفي هذا الخطاب يذكر دافنشي ان لديه نوعا من الجسور المتناهية في الخفة والمتانة ويسهل حملها وتركيبها للحاق بالعدو او الفرار منه في اى وقت . كما ان لديه طرقا جديدة لحرق جسور العدو وتدميرها . وانه يعرف ايضا انواعا من مدافع الهاون سهلة الحمل والاستعمال وبها يمكن قذف الحجارة الصغيرة فتحدث ما يشبه العاصفة ويلقى دخانها الرعب في قلوب الأعداء .

ويقول دافنشي في خطابه « ساصنع العربات المصفحة المتينة التى لا يمكن مهاجمتها ، والتى اذا اخترقت صفوف الاعداء مهما كان عددهم ، فلا بد ان تشتتهم وتقضي عليهم .

● انت تسال .. ونحن نجيب

ثم يستطرد قائلا : وفي ايام السلم اعتقد انني أستطيع أن انال رضاكم ، ولا يمتاز عني احد في فن العمارة وفي تشييد المباني العامة والخاصة ، وفي توصيل المياه من مكان الى آخر ، كما استطيع ان انحت التماثيل من الرخام والبرونز وان اصور كل ما يمكن تصويره ولا يفوقني في ذلك احد .

وقد اعطى ليوناردو في هذا الخطاب المكان الأول للهندسة الحربية والثاني للهندسة المدنية ولم يتكلم عن مؤهلاته كرسام الا عرضا .

وقد ترك ليوناردو وراءه ثروة فنية من اللوحات والتماثيل وكذلك ايضا خمسة آلاف صحيفة كتبها بخطه في بحوث علمية وفنية ، وكانت تحتوي على عدة رسائل في بحث موضوع عام كالطيران بطريقة منتظمة ، وعلى مئات المذكرات في مسائل متفرقة ، ولم تكن العلوم في ايامه محدودة تماما .

ويمكن القول بان بحوثه كانت في الهندسة والميكانيكا وعلم السوائل المتحركة وعلم الغازات وضغطها وحركتها وعلم التشريح . كما كانت له تجارب متفرقة في علوم الطبيعة والجيولوجيا والنبات ووظائف الاعضاء والظواهر الجوية . من هذا يتضح للقارىء ان دافنشي كان رساما مبدعا ومهندسا بارعا وعالما بحاثة . والجيوكندا وهى من اشهر الصور العالمية هى من رسم يده .

ودافنشي اسم ضخم من أسماء القرون الوسطى، زاده ضخامة اسم أسرته النابه ، وقد ضمت كثيرا من النوابه الذين كان لهم تاثير كبير في شمال ايطاليا في تلك العصور السحيقة . (م. ط)

الدينية والتمسك الشديد باهداب الفضيلة ..

اما مؤسس جمعية الكويكرز ، فهو رجل انجليزي يدعى جورج فوكس ، كان ابوه عامل نسيج من مقاطعة لسترشاير Leicestershire وقد واجهت دعوته الى هذا المذهب الجديد معارضة شديدة في بادىء الأمر ، وتعرضت بعثاته التبشيرية التى انتشرت في مدن أوروبا والامريكتين الى اضطهاد شديد ، ولكنها ما لبثت أن وجدت مؤيدين لها ومؤمنين برسالتها ، فجمعت حولها الالوف من الأصدقاء .

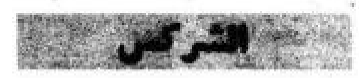
ويؤمن اعضاء هذه الجمعية بان كل عضو من اعضائها له صفة الكهنوت ، كما ينادون بالمساواة بين دوري الرجل والمرأة في العبادة وتنظيم الصلوات بالكنيسة . وهم يدعون الى السلام ويتمسكون بتعاليم الانجيل وينفذونها حرفيا .

روى مؤسس الجمعية جورج فوكس في مذكراته قصة هذه التسمية الغريبة لأعضاء جمعيته ، فقال : ان القاضي بنيت Bennett ، قاضي محكمة دربي ، كان اول من اطلق على جمعيتنا هذا الاسم ، لاننا نطلب الى اعضاء الجمعية ان يرتعشوا امام ذكر كلمات الله » .

ولو ان بعض كتب التاريخ تقول ان هذا الاسم قد اطلق على اعضاء الجمعية بسبب التصرفات التى كان الاصدقاء يأتون بها في اجتماعاتهم الدينية .

اذ كان المتحمسون منهم يرتعدون في هذه الاجتماعات، ويقومون بحركات اخرى لاظهار انفعالاتهم الدينية.
وفي احصاء اجري في عام ١٩٦٠، اتضح ان عدد اعضاء الجمعية بلغوا ٢٠٢ الف عضو في جميع انحاء العالم من بينهم ١٢٣ الفا في امريكا الشمالية، و٢٤ الفا في بريطانيا، وايرلنده، و٢٨ الفا في افريقيا والباقي في اوربا وآسيا واستراليا.

(م . ن)



● ارجو من «العربي» ان تذكر لنا معلومات سريعة عن الشركس، ومن اصلهم، واين نشأوا، وكم عددهم الآن؟

م.س — القاهرة

— الشركس شعب ينتمي لغويا الى المجموعة القوقازية الشمالية. ويقيم الشركس الآن في اقليم شركسيا بالاتحاد السوفييتي، وهي منطقة تقع جنوب شرق روسيا الاوروبية بين البحر الاسود ونهر كوبان من جهة، والقوقاز العظمى من جهة اخرى.

ويقول عالم الاجناس ث. ميللر، وهو من المتخصصين في منطقة القوقاز باللغات، ان الشركس كانوا يعيشون في نفس المنطقة التي يعيشون فيها الآن منذ ازمان بعيدة جدا، تعود الى عصور ما قبل التاريخ.

وينقسم الشركس الى قسمين رئيسيين، قسم يسمى آديجي Adyegi اي الشركس الاصليون، وقسم آخر يسمى كاباديانو Kabadiano

ويبلغ تعدادهم ٢٨٤,٠٠٠ نسمة حسب آخر احصائية سوفييتية في عام ١٩٥٩. ويوجد حوالي ٦٧ الف شركسي في الاناضول بتركيا. وهم من الذين هاجروا من بلادهم في القرن التاسع عشر بعد ان تنازلت تركيا عن اقليم شركسيا لروسيا في عام ١٨٢٩.

وقد كان تعداد الشركس يبلغ حوالي ٤٠٠ الف ولكن عددهم ظل يتناقص نتيجة للحروب والمقاومة العنيفة التي شنوها ضد حكم روسيا منذ عام ١٨٢٩ حتى عام ١٨٦٤.

ويدين الشركس بالدين الاسلامي ومعظمهم سنيون، ويشتهر الشراكسة بشجاعتهم وبسالتهم في الحروب، ولذلك كان من ضمنهم فئة كبيرة من المماليك الذين اشتراهم العرب في عصور الخلفاء واستفادوا بهم كمحاربين.

وقد جاء المماليك الى مصر في العصر الفاطمي (٩٦٩ الى ١١٧١م) واستطاع هؤلاء المماليك وفيهم الكثيرون من اصل شركسي ان يستولوا على حكم مصر في الاعوام من ١٢٥٠ الى ١٥١٧ م. ولكن الامبراطورية العثمانية استطاعت ان تقضي على سلطانهم في عام ١٥١٧، وان كانت قد ابقت عليهم كحكام خاضعين لها، الى ان جاء محمد علي الكبير وقضى عليهم حكاما في مذبحة القلعة الشهيرة في عام ١٨١١.

وفي العراق ظلت منطقة بغداد تحكم بواسطة المماليك الشراكسة منذ عام ١٧٤٩م حتى عام ١٨٣١.

م. ط

العقدة البحرية

● من المعروف أن سرعة السفن تقدر بالعقدة البحرية ... فما هي هذه العقدة؟

جورجيت شامي — الكويت

— العقدة Knot هي، كما ذكرت انت، الوحدة التي يقيسون بها سرعة السفن والمراكب. فهي ترمز الى المسافة التي تقطعها سفينة ما في ساعة واحدة من الزمن. ونضرب على ذلك مثلا بالسفينة البريطانية الجديدة، الملكة اليزابث الثانية. اذ تبلغ سرعتها ٢٨ عقدة، وهذا يعني انها تستطيع ان تقطع في الساعة الواحدة ٢٨ ميلا بحريا.

والميل البحري Nautical Mile هذا هو الآخر وحدة من وحدات القياس. الا انه وحدة طول، او مسافة بحرية، وهو اطول قليلا من الميل البري المعروف، كما يتضح من الجدول التالي:

	ياردات	امتار
الميل البحري	٢٠٢٧	١٨٥٢
الميل البري	١٧٦٠	١٦٠٩

ي . ن . ل

العربي

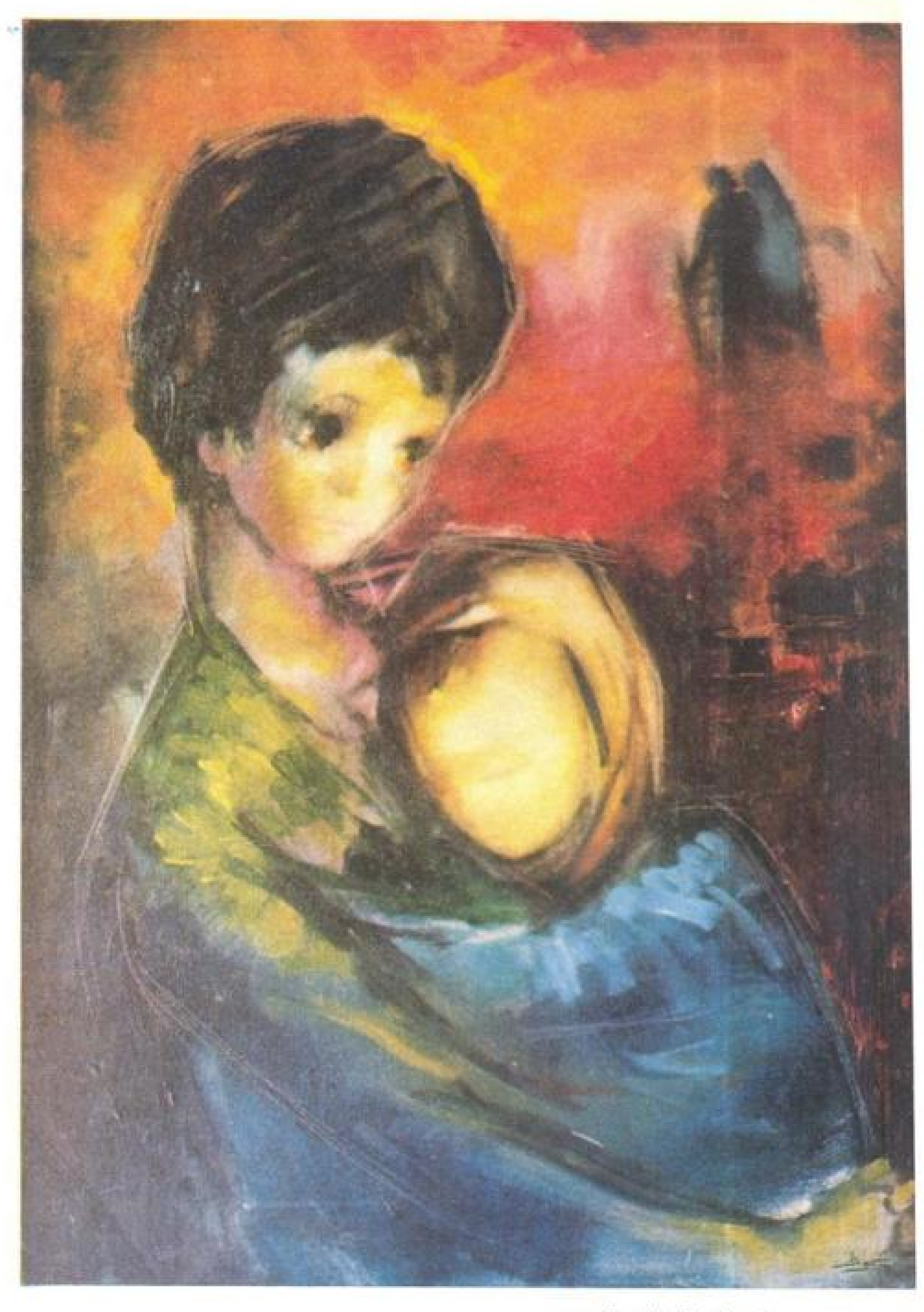
العدد ١٢٧
ربيع الاول ١٣٨٩
يونيو
(حزيران) ١٩٦٩

المرأة الحديثة في السودان



الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ [illegible]	[illegible]	[illegible]		



من لوحات الفنانين العرب

عزيزي القارئ

● لا يقع في هذه الأيام ، على الجبهات العربية الثلاث ، الا ما عرفتَ . ويكاد ناطق بخبر اليوم ، أن يعود فينطق به بلفظه ، في الغد ، ويصحُ الخبر .

● وزاد العدو فحاول الخروج من الرتابة القائمة ، فحاول ضرب نجع حمادى ، واخفق . وليست نجع حمادى هدفا عسكريا . ولكنها هدف اقتصادى . والذى ننتفع نحن منه ، من محاولته هذه ، أن نفهم أن الأهداف الاقتصادية ، لا الأهداف المدنية وحدها ، بالذى فيها من منازل ومدارس وأسواق ومساجد وكنائس ، هى هدف العدو .

● وخرج العدو عن الحركة الراتبة اليومية القائمة ، بأن ضرب بورسعيد . وقد علمتَ أن بورسعيد سبق أن أخليت من أهلها . ولكنى بقيتُ أذكر أن ميناءها لم يَخلُ بعدُ من السفن الحربية التى قيل انها قابعة فيه . أم هل صدر اليها الأمر بالاخلاء كذلك ، فخلا الميناء من سفنه ، كما خلت المدينة من أهلها ؟

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

لغة وآداب :

استطلاعات :

اسلاميات :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الأسرة والمرأة :

اقتصاد :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 127 June 1969 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٧١٤١ – تلغرافيا « العربي »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات



صورة الغلاف

● حتى عام ١٩٦٤ ، لم تكن المرأة السودانية تتمتع بأبسط حقوقها ، ولكنها استطاعت في أقل من خمس سنوات ، أن تمارس حق الانتخاب والترشيح للمجالس النيابية ، وان تغزو الكثير من مجالات العمل والرزق التي كانت مقصورة على الرجل وحده .. وفي « الثوب » وهو اسم لباسها التقليدي الانيق الذي لا ترضى عنه بديلا ، جلست هذه الفتاة السودانية تعمل على المبرقات ، ترسل بها البرقيات باللاسلكي في مصلحة التلغرافات ، احدى الهيئات الحكومية التي نافست المرأة فيها الرجل بجدارة .

(انظر الاستطلاع ص ٣٦)

تربية وعلم نفس :

عروبـــة :

شـــعر :

كتب :

قصص :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣ر٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ، ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .





حول رسالة المسيح

● عطفا على ما نشرتم في « العربي (عدد مارس ١٩٦٩) تحت عنوان « المسيح بين التوراة والانجيل » يهمنا ان نوضح لسيادتكم ان القول بأن رسالة المسيح كانت الى أهل الارض جميعا دعوى دون دليل .. فالقرآن الكريم والسنة المطهرة ينصان على ان رسالة المسيح عليه السلام كانت محدودة وخاصة ببنى اسرائيل وحدهم دون سواهم ، وليست عامة الى أهل الأرض أجمع ، كما ذكرت « العربي » ..

الدكتور احمد مهنا

مدير ادارة البحوث والنشر في الأزهر

العربي : **الذى ورد فى « العربى » في هذا الصدد ، كان : « اما المسيحيون فيؤمنون بان عيسي بن مريم عليه السلام هو المسيح الذى انتظره اليهود ، ولكن اليهود انكروا ذلك .. ومن أسباب انكارهم أن عيسى بن مريم حمل رسالة الى اهل الأرض أجمع .. »**

وواضح اننا نشير الى ما يقول به المسيحيون . وبالطبع ليس كل ما في القرآن الكريم يقول به المسيحيون ، ولا كل ما في الانجيل والتوراة يقول به المسلمون. ومن امثلة ذلك ان المسيحيين يقولون بصلب المسيح والقرآن ينفى ذلك .

على اننا طلبنا الى أحد رجال الدين المسيحيين ان يقول في هذا الشأن فادلى بما يلى :

« يتناول موضوع البحث رسالة المسيح في مفهومها اليهودى ومفهومها المسيحى . ولا مراء أن المسيحيين يعتقدون بأن عيسى بن مريم حمل رسالة الى اهل الارض أجمع ، وأن دعوته تنتظم الشعوب كلها ، وليس الشعب اليهودى فحسب . وذلك واضح وصريح في آيات كثيرة من الاناجيل التى يعتمدونها . وها نحن نورد هنا بعضها :

قال المسيح للحواريين : « هكذا ينبغى للمسيح أن يتالم وأن يقوم في اليوم الثالث من بين الأموات، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا في جميع الأمم » (لوقا ٢٤ : ٤٦) .

وقال لهم : «اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥) .

وقال لهم : « انى قد أعطيت كل سلطان في السماء والأرض .. اذهبوا الآن وعلّموا كل الأمم » (متّى ٢٨ : ١٨) .

وقال عن نفسه : « لم آت لادين العالم بل لاخلّص العالم » (يوحنا ١٢ : ٤٦ ـ ٤٧) .

شعر « شيلى » ..

● **انني ارى بعض النقص في المجلة ، وان كان غيرى لا يراه نقصاً . فلماذا لا تقدم المجلة قصص بعض المشاهير من الكتاب امثال دوستويفسكى ، وارنست همنجوى وتولستوى .. ؟ ويصدق ذلك على الشعر ايضا .. فنحن القراء نريد شعرا عميقا .. لم لا تقدمون لنا من شعر بيرون ووردزورث وشيلى وامثالهم ، وقد كتبتم عنهم وعن شعرهم فى « العربى » ..**

مجدى منير ـ الاسماعيلية

سير الخالدين

● نرجو أن تكتبوا لنا عن شخصيات عـربية خلدها التاريخ . فما أحوج الشباب في هذه الأيام الى استلهام القدوة من سير وآراء هؤلاء القدماء .

خليل الحسيبي ـ حمص

العربي : نفيدكم باننا قد سبق أن كتبنا عن شخصيات عربية كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

ابن سينا	في العدد ٩٨	الصادر في ١٩٦٧/١/١
البلاذري	في العدد ٩٩	الصادر في ١٩٦٧/٢/١
ابن سيرين وعلم النفس الحديث	في العدد ١٠٣	الصادر في ١٩٦٧/٦/١
ابو بكر الرازي	في العدد ٨٦	الصادر في ١٩٦٦/١/١
حنين بن اسحاق	في العدد ١٠٧	الصادر في ١٩٦٧/١٠/١
المؤرخ ابن حيان	في العدد ٨٨	الصادر في ١٩٦٦/٣/١
المقدسي	في العدد ٩٤	الصادر في ١٩٦٦/٩/١

البصرة في التاريخ

● يعتقد البعض أن البصرة أنشاها الخليفة عمر في القرن السابع الميلادي ، وانها لم تكن قبل ذلك الحين في عالم الوجود . وجلاء للحقيقة وخدمة للتاريخ الصحيح ، نقول :

كانت البصرة موجودة قبل ذلك الحين بقرون . وكانت تسمى « ميشان » وسكانها خليط من قوميات متباينة . وسماها بعضهم فرات ميشان ، وبرات ميشان ، وكرخاديشان ، وسماها اليونان خارك أو جارك . وسماها العرب دست ميسان وميسان .

وكان الخليفة الاول أبو بكر ، بعد أن أتم القضاء على فتنة الردة ودانت له الجزيرة العربية ، قد وجه في سنة ٦٣٢ م امرا الى القائد خالد بن الوليد أن يسير الى فتح العراق مبتدأ من الجنوب بامارة ميشان ، فتوجهت الجيوش العربية الى هناك وخاضت ثلاث معارك عنيفة مشهورة في التاريخ هي الحفير ، والثنبى (المذار) والايلة . وكان النصر حليف العرب . ثم فتحوا ميشان (البصرة) واخضعوها على عهد الخليفة الثاني .

وفي سنة ١٦ هـ ٦٣٧ م . حدث حريق بالبصرة ادى الى خرابها ، فامر الخليفة عمر ببنائها من جديد ، فبنيت مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة وبيوت فخمة ، وسكنها اشراف العرب من اهل البادية وكان على تنزيلها أبو الحرباء عاصم بن دلف وتولى عليها أبو موسى الأشعري ، وسميت « بالبصرة » منذ ذلك الحين لانها بنيت على ارض غليظة ذات حجارة بيضاء . اذ تسمى العرب مثل هذه الأرض « بالبصرة » .

الأب اسحق ساكا

وقصص « دستويفسكي »

العربي : اقتراحك وجيه ومعقول ولكنه ، في مجلة كالعربي ، غير مقبول . فهو راى طيب بالنسبة الى مجلة أدبية صرفة ، تختص بالأدب والشعر وتعنى بالقصص على نحو مركز . أما « العربي » ، وهو يحتوي على نحو بضعة عشر بابا تتناول شتى الوان المعرفة ، ويحرص على أن يملأ كل باب منها بمقال .. فلا يمكن أن تتسع صفحاته لهذا كله . وغير هذا ، فلماذا لم تذكر شيئا عن قصاص العرب وشعرائهم . ؟

حديث الشهر

ذِكْرَى الخامِس مِنْ حُزَيْران !

بقلم رئيس التحرير

■ قالوا هذا الخامس من حزيران ، قد عاد .

قلت: كان له فينا عودة أولى سبقت .

قالوا: وهذه عودته الثانية فهل تحيي ذكراها .

قلت : نعم نفعل .

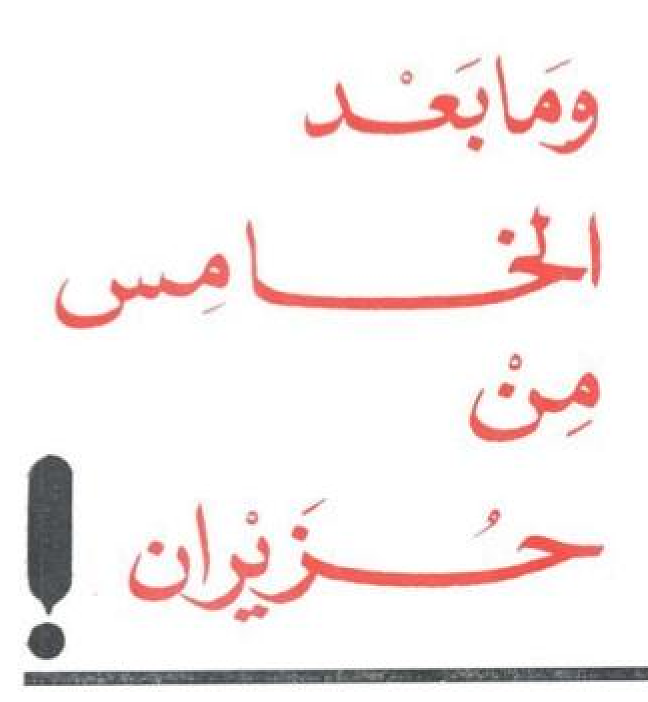
قالوا : ذكرى ميلاد ام ذكرى وفاة ؟ ونقيم مأتما ؟ وتندب فيه النادبات ؟

قلت : بل احياء ذكرى ميلاد ، ولكن بدون طبل ، وبغير ضجة ، فهو كالولد نزل سليما ، ولكن ماتت امه في الوضع .

نعم . فلقد كان يوم الخامس من حزيران ، يوم موت وميلاد في آن . موت ماض ، وانبعاث حاضر . اما الميت فنترحم عليه ، فما يشفي من لوعة بكاء . اما الحي فنبذل له كل عون مما يستطيع ان يبذله الأحياء .

بعد عامين

لقد انقضى الآن على النكبة عامان . تسع مئات من الأيام ، تلقف فيها كل عربي اخبار صباحه في الصحف ، واخبار مسائه في الاذاعات والتلفازات ، وتوترت اعصابه مما سمع احيانا ، وارتخت اعصابه وارتاحت احيانا . وظل يتناوبه الخوف والرجاء ، واليأس والأمل . واحيانا يتراءى المستقبل للعربي ، لاسيما العربي الشاب ، اسود مظلما ، واحيانا يتراءى له وقد انبعث بين طيات ظلماته المتكاثفة اشعة من نور .



ورويدا رويدا يتغير الحال . والصورة القاتمة تأخذ تتراءى انها اقل قتامة .

وانظر الى الأفق اليوم فارى في الافق حاجبا ، اريد ان اقنع نفسي بانه حاجب الشمس . فان صح ما ارى فالشمس لا بد بازغة غدا او بعد غد .

كنا في حزيران عام ١٩٦٧ ولم يكن امام الناظر الى الأفق المرئى غير التسليم .

واليوم ونحن في حزيران عام ١٩٦٩ ، والاردن ترد عبر نهر الاردن ، فتنال من العدو مثل ما ينال منها .

وفدائيو العرب ينالون من العدو فوق ما ينال العدو منهم ، وقد ازعجـوه ازعاجا .

وعلى القنال بدات الجيوش العربية في الجانب الغربي من القنال تنكر ان القنال هو خط وقف اطلاق النار ، وتعيد لتعبر . فان هي عبرت ، فقد انقلب الميزان في ايدى رافعيه .

ودليلي على ذلك ان بن جريون ينصح اهله باخلاء كل ما احتلوه من ارض العرب ، سوى القدس . وبن جريون ، رئيسهم السابق ، وشيخهم الحاضر ، وهو انفذ بصرا من شبابهم المقاتل ، واجدر في الأزمات ، ان قال هلم ، ان يكون له من ورائه عقول من اهله ، تفهمه وتتبعه ، كثيرة .

فضل العرب ، مجتمعين ، في ذلك

وفضل العرب ، مجتمعين ، في ذلك يجب ان لا ننسى ، اعني العرب وحدة



« وفدائيو العرب ينالون من العدو فوق ما ينال منهم . »

واحدة . وأقول هذا لا لأن الفضل يجب يذكر اهله ، ولكن قبل ذلك لأنه درس يجب ان يعيه الواعي : انه لا يخلّص العربَ في النكبات غير العرب ، وغير التمسك بالوحدة عندما تمهد النكبة للفرقة ، شريطة ان يكون عند كل بلدعربي ما يؤهله للوحدة . وحدة الهدف . الهدف الأقصى . الذي يبدأ حاجة في عقول ، ثم دفئا في قلوب،ثم هو لا يحتاج



بن جريون
« ودليلى على ذلك ان بن جريون ينصح اهله باخلاء كل ما احتلوه من أرض العرب » .

بعد ذلك الى اشهار في محكمة واشهاد ، أو اعلان من فوق منابر أو في صحف .

واختلف فضل العرب فيالذى يبذلونه من عون باختلاف ما عندهم من مكْنة . ولكن الطريف ان ما كان قام بين الدول العربية من اسباب خصومة مردُّها الى اشياء اخرى ، اختفى أمام النكبة ، نكبة الخامس من حزيران ، اختفاء . وأعان الكلُّ على هذا الاختفاء . ورجع الكل فيه الى ما كان وجب الرجوع اليه قبل حزيران وبصرف النظر الى النكبة . ولكن هكذا هو الانسان ، لا يعلّمه الا الزمان . ولا يسمع الا حين تعيد اليه الزلزلة سمعه من بعد صَمَم . ومن عجب ان تعيد الزلازل الى الصُّم السمع أحيانا ، وتعيد الى الخرس الكلام .

ودول ثلاث نخصها بالذكر أكبر الذكر ، تلك ليبيا والسعودية والكويت . فقددعمت هذه الدول الثلاث المجهود الحربى أكبر الدعم . وليس كالمال دعمٌ . وليس

كالسخاء بالمال سخاء . فالقنابل التي تطلق على العدو الآن جاز أن يكون على غلاف الكثير منها الأحرف الثلاثة : اللام والسين والكاف . او لعلها احرف تكتب على جرّارة أو على صاروخ .

وللذى ورّد المدفع والصاروخ والجرّارة الشكر

وهنا آتى الى موقف قد يتحرج منه بعض العرب ، ولكن لا يتحرج منه عربي كائنا من كان اذا ما ذكر أن في العروبة شهامة لا تنكر اسداء الشكر الى من يسدي الخير . ولا تتحرج أن تطلق الشكر اعلانا . والله قال حتى في الخمر ان بها (منافع للناس) .

وقد انتفعنا من الروس ، الدولة ، بمنافع ، وهي منافع صادفت هوى في نفوسهم كما صادفت هوى في نفوسنا . ولقد علِمتُ انهم لم يطلبوا منا دِيَة عما بذلوا . انما هي الصداقة السياسية لا غيرها ، تلك التي جمعت العرب واياهم ، كما جمعت الصداقة بين الصهاينة واهل الغرب فراح جونسن يكيل لاسرائيل من الأسلحة ما يكيل ، ثم يسالهم هل من مزيد ، فيقولون باسمين : اما الآن فلا .

ان صداقة الروس ، على السلاح ، صداقة دولة لدولة . والروس صادقوا فرنسا ، صداقة دولة لدولة . والروس خاصموا الصين خصام دولة لدولة .

واستطيع ان ازيد فاقول في هذا الصدد ما يرضي الغلاة من اهل اليمين واهل اليسار معا (ولست من اهلهما ، فقد نشأت اكره ان أجلس في اطراف المقاعد) ولكن الموقف أحرجُ من ان يتحدث فيه متحدث حديث محاضر في جامعة ، قد أُغلقت دونه الأبواب والنوافذ .

ماذا بعد حزيران

والناس الآن مشغولون بحزيران ، وما كان في حزيران وما يكون ، وكأني بهم



« فالقنابل التي تطلق على العدو الآن جاز أن يكون غلاف الكثير منها يحمل الأحرف الثلاثة : اللام والسين والكاف . »

عما قريب سيقفون موقفا يضطرهم الى النظر ، لا الى حزيران ، ولكن الى ما بعد حزيران .

ان الحرب الحاضرة لا بد ان تنتهي . وهي تنتهي على الأغلب بما لا يرضي احدا كل الرضى . فان لم تفعل فستظل حربا قائمة دائمة نعتادها حتى لتصير بعض الحياة ، كالشمس تشرق وتغيب ، ولا يمنع الناس شروقها أو غروبها من اجراء الحياة في سائر أشكالها ودروبها .

حتى ليخيَّل اليَّ انه قد يكون عندئذ

في كل دولة عربية حكومتان ، حكومة حرب ، وحكومة سلم . الحكومة الاولى توجه اكثر همها ناحية العدو، والحكومة الثانية تعالج شئون الحياة على السلم ، وهو سلم قد يتضمن في سبيل الاصلاح الداخلي جبهات من النضال اشد ضراوة من اى حرب خارجية تقوم .

ان الأمة ، اى امة ، تعرف عدوها الذي على الأبواب ، ولكنها لا تستطيع بسهولة أن تتبين أعداءها الذين هم فيها، مختفين بين طياتها . ذلك لأن أكثر هؤلاء الأعداء معان لا يستطيع أن يمسك بتلابيبها في يسر أحد . فالجهل عدو . والفقر عدو . والمرض عدو . والمحافظة على الجهل والفقر باعتناق ضروب من المذاهب عدو . والسذاجة في الاستجابة لكل صارخ، من يمين او يسار ، عدو . والكسل ، باسم التواكل والاعتماد على الله ، عدو.

والسياسي المحترف ، الذي ليس له حرفة رزق غير التجميع والتشتيت عدو . والكاتب الملتزم ، لقاء أجر سمين، لا عن أصالة رأى ، عدو . والطبيب الذي يزور جاره المريض ، لدقائق ، ويطلب خمسة دنانير ، عدو . والمدرس الذي هو أصغى لدقة الجرس منه لما يسأله الطلاب اياه ، عدو . والتاجر الذي يشتري بضاعته بقرش رجاء ان يبيعها بعشرة ، وعند اختفائها بعشرين ، عدو. والموظف العام الذي يطلب لعمل واجبه أجرا فوق أجر يومه أو أجر شهره، عدو. وذو الزرع الذي لا يبلغ بزراعته اقصاها فنا ، وابعدها انتاجا . ليأكل اهله ويأكل الناس، عدو . وذو الصناعة الذي يحسب انه انما يعمل لنفسه ويكتفي بالدون من انتاجها ، عدو . والمحامى الذي يتخذ من حذقه فنا يلبس فيه الحق بالباطل،عدو . والقاضي الذي لا يتحول عن قضائه ويرضى فيه بمواقف الريبة ، عدو .

مظاهر للسوء آلاف ، لا يستطيعها حصر .

وقد ينظر اليها الناظر وتصيبه كثرتها ويصيبه تنوعها باليأس .

والواقع غير ذلك .

انها فروع كثيرة لأصول قليلة . ولو بحثنا عن هذه الأصول ، واصلحناها ، وهى عشرات لصلحت بصلاحها الفروع ، وهى آلاف . انها الشجرة التى خبث جذعها ، فلما تفرعت ، وتفرعت فروعها، وصارت شيئا عظيما كبيرا ، شاع خبث الأصل فيها .

لا بد من أن تتعرى ، عُرى الحجيج في عرفات

وان بحثنا عن هذه الاصول وجب ان نبحث عنها في الأعماق . في جذور الأشياء . فيما بَطَن منها في الارض أكثرَ مما ظهر .

امة كالتى نصف لا بد ان تتعرى أولا، ثم تنظر ما تلبس .

تتعرى عُرى الحجيج في عرفات .

لقد اتخذ الحاجُّ من العرى مثلا للرجل ينسلخ من دنياه انسلاخا . يترك كل شيء وراءه من محمود الحياة ومذمومها . ويتوجه الى شيء واحد احد، هو وجه الله .

ولكم أتمنى أن يعرى العرب من كل ما لبسته أجسامهم ، ولبسته عقولهم ، ولبسته قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك ينتقون كل ما يلبسون . كل ما يلبسه جسم ، وعلى الأخص كل ما يلبسه عقل أو قلب.

وعندئذ سيعجبون ، اذا هم طلبوا الهدى من الله ، واستجاب لهم ، من كثرة عدد الأثواب التى بها يقذفون ثم لا يعودون اليها .

قالوا ان الايمان يبدأ بالشك .

وكذا الصلاح يبدأ بالارتياب . بالارتياب في كل شيء نحن فيه .

وأنا موقن آخر الأمر اننا سنسترد الكثير مما نحن فيه . فليس كل الذى نحن فيه خراب . ولكنَّ المزاجَ أطلب .



« أمة كالتي نصف لا بد أن تتعرى أولا ، عرى الحجيج في عرفات ، ثم تنظر ما تلبس »

مزاجَ الرجل القلق المهدَّد في حياته ، يعلم ان العَفَن في بعض ثوبه . فهو لا بد خالع كل اثوابه ليعلم أيها العَفِن وايها الطاهر المطهَّر .

وعلى الحكام العون

وعلى الحكام العون في كل هذا ، والا فانما نطلب المحال .

انى أعلم ، كما يعلم الكثيرون، ان حكم الشعوب شيء غير يسير . والحكم شيء عسير والشعوب مثقفة متقدمة . ولكنه أعسر، وأعسر كثيرا، والشعوب متخلفة .

ان حكم الشعب المثقف الواعي اشبه شيء بقيادة السفينة تدفعها الريـــح ويتقاذفها الموج ، ولكن في انتظام ، وعلى هوادة ، ويدرى الربّان كيف يصرف أجهزته ليستجيب لكل موقف . اما في الشعب المتخلف فالرياح تهب عاصفة والأمواج تثور هوجاء ضارية ، فتعجز الأجهزة عن السير بالسفينة في الطريق الذي يريده الربان ، فاذا بها تندفع في الخط الذي تسير فيه كل ريح . فتصبح السفينة ملكا للأنواء لا ملكا للربان ، ولا ملكا لأحد من ساكنيها .

وقد جرب الانسان ، في شرق وغرب، اساليب من الحكم شتى، في امم متخلفة، من ديمقراطية ودكتاتورية ، وما بين هذه وتلك من اشكال في الحكم متعددة ، وخابت جميعها ، والسبب في ذلك غياب الوعى في الأمة المتخلفة .

ضياع الوعى في الأمة المتخلفة

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة انها لا تعى انها أمة واحدة . كتَل من مصالح شتى،كلٌ يربط مصلحته بالوطن ربطا ، ويربطها وحدها ، ثم ينادى بتلك النهضة بالأوطان التى تنهض بمصلحته وحدها .

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة ، الجهل في شأن دين أو دنيا . والجهل دائما يُستغَل . وليس أسبق الى استغلاله من رجل سياسة . ورجل السياسة ، رجل من رجال اربعة : رجل يعمل لأمته لا لنفسه ، وهذا صنف من الرجال كالأنبياء نادر . او رجل يعمل لنفسه ولأمته معا ، وهذا خير ما يرجى. أو رجل يعمل لنفسه باطنا ولأمته ظاهرا. ومنهم من تتملكه الأحقاد ، فيقول عن



ديجول
«خرج ديجول من رئاسة فرنسا ، ديمقراطيا عظيما ، كما دخلها ، ديمقراطيا عظيما . »

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة ، نجاح قوم في السعى في الناس بالريبة ، حتى يصبحوا يرتابون في كل ما ينفعهم في دنياهم ، وكل ما يكسبهم القوة والعزة بين الأمم ، ويكسب العرب ، ويكسب الاسلام .

وكل هذا باسم « ان الدنيا متاع الغرور » .

الديمقراطية نجحت في الشعوب الواعية وحدها

من أجل كل هذا فشلت الديمقراطية في الشعوب غير الواعية .

ونجحت الديمقراطية في الشعوب الواعية ، بمقدار ما تستطيع نظم للحكم ان تنجح في اى بلاد يسكنها انسان .

نجحت الديمقراطية في انجلترا ، وفرنسا والمانيا وايطاليا ، وذلك بشهادة اهلها .

وحمد اهل هذه البلاد نجاحها حتى على الغرم .

ومن الغرم لفرنسا خروج ديجول من حلبة الحكم فيها .

خرج ديجول لأنه راى في الاصلاح رايا، راى ان لا ينفذه الا اذا رضيه الشعب . وهذه ديمقراطية صادقة .

وربط وجوده في رئاسة الدولة بنتيجة استفتاء الأمة الفرنسية، وهذه ديمقراطية غاية في السخاء .

وصوّت الشعب الديمقراطى ضده ، فاستقال .

ولم يَشُكَّ شاكٌّ من تزوير في التصويت ، وهذه صفة في الديمقراطية اصيلة .

وخرج ديجول بعد احد عشر عاما من رئاسة فرنسا «عظيما كما دخلها عظيما» .

قولة قالها خصوم ديجول قبل اصدقائه . وقالها الفرنسيون ، وقالها اشد من ذلك البريطانيون ، وكان ديجول خصومه ما قال شمشون : علىّ وعلى اعدائى يا رب .

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة ان يُخشى فيها الراى الحر . يخشاه الكاتب الحر ، ويخشاه الحاكم الحر ، وغير الحر على السواء. اما الكاتب الحر فيخشى الاعتداء عليه الذى قد يصل الى الضرب، وما هو اسوا من الضرب . واما الحاكم الحرّ فيخشى الازعاج الذى لم يستعد له . واما الحاكم غير الحرّ فيخشى ان يسبق هذا الراى الى قلوب الجماهير فيوقظهم ، وهو انما يَنعم بنومهم .

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة استمرارها في تخلفها . لأن الامة المتخلفة حصيلتها من العاطفة أكثر من حصيلتها من القدرة العاقلة ، واكثر كثيرا . وان قمتَ انت تدعوها بالمنطق الى وجه من وجوه الاصلاح قام رجل آخر يشجب منطقك كله ببيت من الشعر او بيتين . وقد يكون شعرا صادقا ، ولكنه وضع في الوضع غير الصادق . وهو دغدغ به العاطفة فشلّ بذلك العاقلة ، كما فعل المخدّر بالرجل المريض من قبل جراحة .

ومن ضياع الوعى في الأمة المتخلفة ميلها الى الخرافة وتصديق الخوارق من الأحداث . والخرافة ، والخوارق لها تجار تبيع منها وتشترى. يتعاملون مع الجن احيانا ، ومع الشياطين احيانا. ومنهم جماعة يحلو لها ان تفترى على الله، سبحانه . صناعة رزق ، هى الرزق الحرام وان كثر .

وقف يمنع دخولهم السوق الأوروبيـة المشتركة طويلا .

خسر ديجول من نفسه لنفسه .

ولكنه احتفظ بالديمقراطية لشعبه .

وكان شـعبا واعيـا ، فحق له بالديمقراطية احتفاظ .

أكثر العالم الحاضر قل فيه الوعي
وأكثر العالم فشلت فيه الديمقراطية

ذلـك لأن قلـة الوعى أفشـلت الديمقراطية .

والذى ينظر لرقعة العالم اليوم، والى الأمم كيف تحكم ، يرى الأكثرية الكبرى تحكم بنظـم غير ديمقراطية . غيـر ديمقراطية معنى . وان وصفوها احيانا بالديمقراطية لفظا . واحاول ان الوم ، فلا أدرى من الوم . احكاما الوم او محكومين . لقد حكمت الديمقراطية هذه الـدول ثم فشـلت . ثم حكمت غير الديمقراطية فلم تكن اقل فشلا .

ان الحكم اليوم ، واعنى الأمم المتخلفة خاصة ، فيأزمة . واكثر العالم متخلف.

مشكلة واحدة
والمشاكل مائة

فذاك مثل واحد من المشاكل التـى تواجه العرب من بعد حزيران . مشكلة الحكم . لشعب هو أم لغير شعب ؟ وكم لشعب ، وكم لغير شعب ؟ أم هو كلـه للشعب ؟ ونعلم ان الحكم كمحرك السيارة يتجه بها الف اتجاه . وقد يتجه بها الى العطب ، عن عجز أو سوء قيادة .

ثم الوعى . كيف نستعجل الوعى ، وهو ضمان الحكم الصالح ؟

الم يقل ابو بكر رضي الله عنه للرعية : « اذا أحسنت فأعينونى ، واذا أخطأت فقوّمونى » . فكيف تقوّم رعيةٌ غير واعية .

ثم الوعي ، ما أصوله ، وما حدوده ، وما قيمه ؟

والتربيـة

والتربية ، وهى تتصل بالوعى أكبر اتصال ، على اى نهج تكون ؟ والى اى القيم تستند ؟ ونحن في عصر تتغير فيه القيم وتتبدل الموازين حتـى لتنكفىء كِفافها بالذى فيها انكفاءً .

وكالتربية التعليم ، والتعليم صـار اليوم صنوفا كثيرة ؛ ومدارس متنوعة ، وأساتذة متخصصة . فعلى اى الأسس ينبنى كل هذا ، ولأى الغايات ؟ ومـا ضمان صلاح كل هذا حتى لا تصـبح مدرسة أو جامعة كالطاحونة التى قـال

« ان المدارس والجامعات يجب أن لا يخطط لها الا بعد تخطيط الاسواق وضمان الارزاق » .



عنها قائلها : « اسمع جعجعة ولا ارى طحنا » ؟

والتعليم يحضر لشتيت الغايات، ومن اول هذه الغايات الرزق، فكيف اضمن للشباب الرزق من بعد تعليم ؟ قيل ان المدارس والجامعات يجب أن لا تخطط الا من بعد تخطيط أسواق ، ولم يقل احد في هذا العصر الحاضر ، حيث البلاد تضيق بأهلها ، والزرع لا يكفي سد افواهها ، ان المدارس والجامعات تخطط قبل تخطيط اسواق . وذلك علما بأن البطالة شر . ان البطالة تذبح فيها كرامة الانسان ، ولا يعفيها من ذبح أن يقال لذى البطالة ان العمل حق ، وان البطالة جرم ليس هو صاحبه ..

والأسرة

ومن مشاكل بعد حزيران الاسرة ، ومشكلة الزواج والطلاق ، مشاكل ابدية الوجود يضاعف من خطورتها تحول مجتمعات نعيش اليوم فيها الى حال لم تكن تعرفها مجتمعات سبقت. مجتمعات اليوم صغرت أسرها ، وتفرق افرادها ، وضعفت العلائق فيما بينها . ان أسر اليوم لا تمت الى الوضع القبلي وأشباه القبلي بشيء . حتى أوضاع سادت في المدن ، من حيث صغر الأسر وتفرقها ، غلبت على الكثير من القرى . وقرانا سائرة آخر الأمر الى الحال المدني ، حال المدينة ، حال التفرق وضعف الروابط .

وهكذا هي الحضارة ، تضعف فيها اواصر الدم فتقوم فيها مكانها أواصر القوانين ، والولاء للدولة ، وولاء الدولة لأهلها . وليس في مقدور احد ان يدفع ذلك الا حديثا في صحف ، او خطبة من فوق منبر . وهي دعوات أشبه بالبكاء على الفائت ، وأنا في ذلك من اول الباكين. والناس تقول في التعزية عن ذلك انه حكم الزمان لا يستطيع وقفه انسان . وأنا اقول انْ لعله حكم الله في الأرض ، بل هي مشيئته، تجتاح المدنَ والقرى هكذا دولة بعد دولة .

فالعصر الصناعي هبط على الناس ولم يخطط له احد . ومن قبله دخل العصر العلمي الحديث. فردٌ من بعد فرد جاء بعلم جديد . ثم فرد من بعد فرد جاء بآلة جديدة او تكنية مستحدثة . واذا الأفراد تصبح طوائف ، واذا الطوائف تصبح حشودا هائلة . وعندئذ فقط بدأ الانسان يخطط وينظم ، لا الذى يكون، ولكن الذى كان .

وكان من ذلك أن طال زمن يقضيه الشاب في التعليم ، فبلوغ مرحلة الرزق، فالزواج . ومن هنا كانت متاعب الأسرة الحديثة ، والفتاة الحديثة ، والفتى ، في المجتمع الحديث .

متاعب لم يطلبها احد، ولكنها فرضت على الشباب والناس فرضا . فلا بد من التأقلم . ولا بد من التأقلم على الخير . ولا بد من اعمال الفكر ، وفي يد صاحب الفكر قلم وكتاب ، لا سيف وسوط .

مشاكل عدة

مشاكل عدة ، لو مضيت احصيها ما فرغت منها اليوم عدا .

تلك مشاكل ما بعد حزيران .

يجب أن يفسح المفسحون لدرسها ، في صحفهم، وفي كتبهم ، وفي شتى وسائل أعلامهم .

انها حرية القلم أن يكتب ، وحرية اللسان ان يقول، وحرية الناس ان تجتمع، شريطة ان تجتمع للدرس ، وعلى الخير ، فمن ضل ، فالقانون الصارم ، يحمي الحريات جميعا ، حريات لحاكم ومحكوم . ●●

احمد زكي



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ يشهد العالم العربى والاسلامى في الوقت الحاضر بأرض فلسطين الشهيدة ، مأساة من أشنع ما حدث فوق هذه الأرض القديمة ، ذلك ان السلطات اليهودية ، تمعن في التنكيل بالسكان العرب ، الذين شاء القدر أن تسيطر على أراضيهم بقوة السيف والعدوان ، وذلك سواء في حرب سنة ١٩٤٨ ، أو في حرب يونيه سنة ١٩٦٧ ، واشد ما يقع هذا التنكيل الآثم بسكان الارض المحتلة حديثا ، ولا سيما بمدينة القدس ، والضفة الغربية لنهر الاردن . وانه لما تنفطر له النفس أن يشهد العالم المتمدين ذلك التنكيل ، وتلك الوحشية التى تمارسها اسرائيل ضد السكان العرب الأبرياء العزل ، دون أن يرتفع صوت للاحتجاج على هذه البربرية المغرقة ، أو تنظيم اية محاولة دولية فعالة ، لوضع حد لهذا الاستشهاد المروع ، الذى يعانيه نحو مليونى عربى اغتصبت اراضيهم ، ووضعوا قسرا تحت سيطرة غاصبة ، يمقتونها كل المقت ، ويبذلون ارواحهم في سبيل مقاومتها وتحطيمها .

ان هذه المأساة لتحملنا اليوم على ان نستعرض صفحات من الناحية الأخرى ، ناحية معاملة الحكومات العربية والاسلامية لليهود ، ايام كانوا طوائف شريدة يعيشون في ظلها ، وان هذه الصفحات لتبدو اليوم في روعة اشراقها ، ازاء هذه الصفحات السود ، التى تكتبها اليوم اسرائيل ، بما ترتكبه من الاعمال والاجراءات الهمجية كل يوم ضد السكان العرب .

لقد ضربت الحكومات العربية والاسلامية ـ خلال العصور ، اروع مثل الرفق والتسامح في معاملتها لرعاياها من الذميين يهودا كانوا أم نصارى . واذا استثنينا بعض امثلة قليلة وقعت في ظروف وعصور خاصة ، فانا نستطيع أن نقول ان التسامح الدينى والاجتماعى ، كان سياسة مقررة ثابتة للحكومات الاسلامية . وان هذا التسامح ليبدو في اروع صوره بالأخص ازاء الطوائف اليهودية ، ذلك ، انه بينما كانت النصرانية تسود المجتمعات الأوروبية ، وبينما كانت هذه المجتمعات النصرانية ، تعيش آمنة قريرة العين ، في ظل حكومات نصرانية ترعاها وتحميها، وتسهر على أمنها ورفاهيتها ، كانت الطوائف اليهودية ، تعيش في ظل هذه الحكومات ، في عبودية مطلقة واضطهاد مستمر ، وكان اليهود خلال العصور الوسطى ـ وحتى القرن السابع عشر ، يعتبرون عنصرا بغيضا خطرا ، في أى مجتمع اوروبى يحلون فيه ، وكانوا معرضين لسائر التهم وضروب الأذى ، تطاردهم الحكومات والشعوب التى يعيشون بين ظهرانيها، وتنزل بهم أقسى العقوبات لأتفه الأسباب والظنون . كان هذا عصر اليهودية الحديدى ، كما ينعت في التاريخ . وكانت هذه الظروف المؤلمة ذاتها هى التى تجعل من تسامح الحكومات الاسلامية ازاء الطوائف اليهودية ، التى تعيش في ظلها ، خلال هذه العصور ، وتمتعها بسائر الحقوق والمزايا الاجتماعية،التى يتمتع بها باقى الرعايا، ظاهرة من اروع الظواهر الحضارية والانسانية .

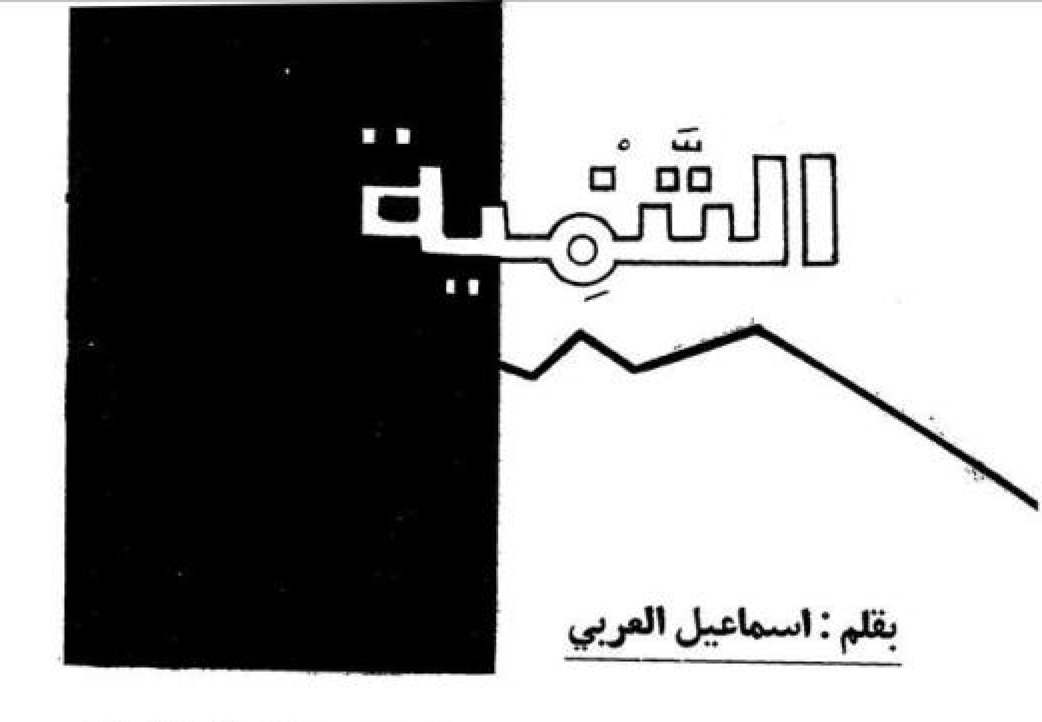
ولدينا الكثير من الأمثلة التاريخية لهذا التسامح المؤثر، الذى كانت تسبغه مختلف الدول الاسلامية على اليهود ، سواء في المشرق او المغرب . وفي كثير من هذه الدول ، كان اليهود يتبوأون مراكز النفوذ والثقة ، وكان منهم وزراءوسفراء ومستشارون ، للخليفة أو السلطان . ويقدم لنا تاريخ الأندلس بالأخص من ذلك صفحات مشرقة، فقد عومل اليهود منذ الفتح بمنتهى الرفق والرعاية ، وازدهرت أعمالهم التجارية والصناعية ، ووصلوا في ظل خلافة قرطبة الى ذروة النفوذ والرخاء ، وفي أيام عبد الرحمن الناصر ، تولى احدهم ، وهو العلامة حسداى بن شبروت ، الاشراف على الخزانة ، وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الناصر بخدماته الدبلوماسية ، وترجمته لكتاب ديسقوريدس عن الأعشاب الطبية، من اليونانية الى العربية ، وهو الكتاب الذى اهدى قيصر نسخته الى الناصر . وعمل حسداى كذلك طبيبا خاصا للناصر ، ثم لولده الحكم المنتصر من بعده . وفي ظل هذه الرعاية وفد كثير من العلماء والأدباء اليهود الى قرطبة أيام الناصر والحكم ، وقامت في ظل نشاطهم مدرسة قرطبة التلمودية ـ ومؤسسها الرابى موسي بن حنوش . وازدهرت في ظلها البحوث التلمودية . وكان يهود قرطبة، يرتدون الزى العربي، ويعتنقون العادات والتقاليد العربية ، ويمتازون بثرائهم ومظاهرهم الفخمة . واستمرت الخلافة الأموية ، ومن بعدها حكومات الطوائف على رعاية الطائفة اليهودية وتشجيعها . وتبوأ اليهود في ظل الطوائف مراتب النفوذ والثقة ، فكان في مملكة غرناطة مثلا ، يوسف بن نغراله يتولى الوزارة لباديس بن حبّوس ملك غرناطة وباديس يفوض اليه كل شئونه ، واليهود يستأثرون في ظله

بسائر الشئون والاعمال ، حتى قامت ثورة الشعب عليهم وبطشه بهم لما لقى منهم من عنت وارهاق . وكان المقتدر بن هود أعظم ملوك سرقسطة يعهد بوزارته الى ابى الفضل بن حسداى اليهودى المسلم ، ويوليه كل ثقته وعطفه ، لعلمه وادبه وبلاغته العربية . ولم يلق اليهود في اسبانيا المسلمة مطاردة أو اضطهادا الا في عصر الموحدين الذين كانت دولهم تصطبغ بصبغة دينية ، ومذهبية معينة . وفيما عدا ذلك فقد لبث اليهود في سائر عصور التاريخ الاندلسي ، وحتى نهاية مملكة غرناطة آخر دول الاسلام بالاندلس يلقون كل تسامح وعطف واخاء .

ولم يكن اليهود في الشرق الاسلامى ، اقل تمتعا بعطف الحكومات الاسلامية وتسامحها ، فكان منهم في ظلها جاليات نشيطة ناجحة ، تتمتع بالأمن والرخاء . ولم تنظم ضد اليهود أو الذميين بوجه عام ، حركات اضطهاد ، الا في ظروف قليلة خاصة ، كما حدث أيام المتوكل العباسي ، والحاكم بأمر الله الفاطمى . وكان اليهود يتبوأون في أحيان كثيرة أكبر المناصب ، ويغدون موضع ثقة الخلفاء والسلاطين . فقد كان وزير المعز لدين الله الفاطمي وولده العزيز من بعده يهوديا مصريا اعتنق الاسلام ، هو يعقوب بن كلس . وكان ابن كلس هذا من أولياء الدولة الفاطمية ، واعظم رجالاتها . وابعدهم نفوذا . وكانت الدولة الفاطمية تجرى على سياسة اصطفاء الذميين من اليهود والنصارى على نطاق واسع . وكذلك ازدهر اليهود في ظل الدولة الايوبية، وكان طبيب الملك الناصر صلاح الدين العلامة موسي بن ميمون اليهودى القرطبى ، وكان قد وفد على مصر فرارا من اضطهاد الموحدين للذميين في الاندلس، فنزل بها منزلا رحبا ، وأولاه السلطان عطفه وعينه طبيبه الخاص ، ورئيسا للجالية اليهودية . وكان ابن ميمون يدرّس الرياضة والفلك والطب بالجامع الأزهر . وفي أيامه ازدهرت الجالية اليهودية بمصر القاهرة ايما ازدهار ، وتمتعت بأقصى مراتب النفوذ والأمن والرخاء . واستمر اليهود طوال أيام الدولة المملوكية ، بل وحتى في العصر العثمانى ، يتمتعون في مصر ، بسائر الحقوق والحريات ، التى يتمتع بها اهل البلاد ولم يعرضوا لأى صنف من صنوف المطاردة والاضطهاد .

ان هذه اللمحات السريعة هى صحف مشرقة عن التسامح الذى كانت تتسم به الحكومات الاسلامية سواء في المشرق او المغرب ، ازاء الطوائف اليهودية ، تحملنا اليوم ، ونحن نشهد همجية السلطات الاسرائيلية في معاملة السكان العرب في المناطق المحتلة ، على التساؤل عما اذا كان حكام اسرائيل يعرفون شيئا من تاريخ أمتهم ، وما لقيته خلال عصور طويلة ، من كرم الوفادة وطيب الاقامة وحرية الشعائر ، حيثما نزلوا في أراضي العرب والمسلمين ؛ هذا بينما كان اليهود يلقون اشد ضروب العسف والذلة والارهاق في سائر البلاد الأوروبية . ولكن حكام اسرائيل اليوم ، حتى اذا عرفوا بهذا الدين الفادح ، الذى يطوق اعناق امتهم ، هم قوم تجردوا من الضمائر الحية ، ومن كل المبادىء الاخلاقية والانسانية ، ومن ثم فانه لا مجال لأن نطالب الأوغاد بشكر الصنيعة، أو ايفاء القرض الحسن . ■■

محمد عبد الله عنان



بقلم : اسماعيل العربي

■ كان غزو الدول الاستعمارية لآسيا وافريقية مظهرا من مظاهر ما كان يسمى بتوازن القوى ، ومن ثم ، فقد كانت الدولة المستعمرة التى تبحث عن الاسواق والمواد الخام والنفوذ السياسي ، لا تجد عائقا لفرض سيطرتها سوى جشع الدول المستعمرة الاخرى التى تضاهيها قوة ورغبة في السيطرة . وكذلك كان من سوء طالع كثير من المناطق في القارتين ان تجد نفسها وقد قسمت بين عشية وضحاها الى مناطق نفوذ والى بلاد لايقوم كيانها الا على اعتبارات سياسية بحتة ، دون مراعاة للطبيعة الجغرافية أو للأوضاع الاقتصادية والعلاقات البشرية .

وفي اطار هذا التقسيم الاستعماري تبلورت معظم البلدان المتطورة الى قوميات ضيقة فارتبطت مصالحها الاقتصادية والثقافية والتجارية بمصالح المستعمر الذى عمل على توفير المواصلات ووسائل النقل البحرية والبرية والجوية ، لكى يضمن لنفسه تبعية هذه البلدان وقتا طويلا حتى بعد استقلالها .. ولذلك اصبحنا نرى الآن بلدانا متجاورة يجمعها اطار جغرافي واقتصادى واحد ، ولكن تفصل بينها حدود وحواجز لاسبيل الى التغلب عليها لان منتجاتها لاتزال تتجه الى اسواق مستعمريها السابقين فلا تجد طرقا معبدة الى الاسواق المجاورة ، ولأن بنوكها وشركات التأمين فيها لاتربطها صلة بالمؤسسات المماثلة في البلدان المجاورة . وهذه الاعتبارات السياسية هى التى تفسر لنا ما نشاهده الآن من أن التبادل التجارى بين البلدان الافريقية ، لا يمثل الا ١٠٪ من مجموع تجارة هذه البلدان .

وهذا الخطأ في الاوضاع لايمكن تصحيحه الا بتكتل البلدان المتطورة في نطاق اقليمي يأخذ في الاعتبار جميع العوامل الطبيعية والتاريخية ، بل والسياسية ايضا الى حد ما . وذلك لان خلق الاعتماد الاقتصادى المتبادل يفترض حدا ادنى من التفاهم السياسي ليكون اساسا للتعامل مع الخارج ، وليكون مصدرا للثقة لدى شعوب البلدان المتكتلة بان ما تبنيه في المجال الاقتصادى والتجارى لن تطوح به الاعاصير الساسية يوما ما .

خصائص التعاون والاندماج الاقليمي

اصبح التعاون على المستوى الاقليمي للتنمية الاقتصادية من اهم مميزات النشاط الدولي في العصر الحاضر . وقد كانت النتائج الايجابية التى حققها التعاون الاقليمي في أوربا الغربية، ولا سيما في نطاق البانيلوكس والسوق الاوربية المشتركة ، حافزا مشجعا للبلدان المتطورة لكى تتكتل وتجمع

امكانياتها للتنمية في نطاق اقليمي او شبه اقليمي.

ومن الحقائق التي برزت بوضوح في غضون العقد الماضي ، انه اذا كان التعاون والاندماج نشاطا كماليا مفيدا للبلدان المتقدمة ، فهو بالنسبة الى البلدان المتطورة ضرورة ، وفي بعض الحالات ضرورة حيوية لدعم التقدم والتنمية الاقتصادية . فان ٧٢ بلدا من مجموع الـ ٩١ بلدا من المناطق المتطورة لا يزيد عدد سكان كل منها عن ١٥ مليون نسمة (اى مستهلك) . واقامة صناعة في اى من هذه البلدان على اساس الاسواق المحلية امر باهظ التكاليف ، بل ويكاد يكون مستحيل التحقيق . ولذلك يتحتم على كل صناعة تقوم في بلد من هذه البلدان ان تعتمد اما على اسواق البلدان المتقدمة ، حيث المنافسة حادة ، واما على اسواق البلدان المتطورة الاخرى التي قد تكون بدورها بصدد انشاء صناعات خاصة بها تحيطها بسياج من الحماية الجمركية وغيرها .

فالحل الذي تفرضه الضرورة اذا ، هو اقامة صناعات مشتركة على مستوى اقليمي تدعمها اسواق واسعة تجعلها قادرة على مواجهة المنافسة الخارجية ، وتوفر الظروف الاساسية لتنمية شاملة متكاملة . ومتى تم ذلك تصبح الاقاليم ، لا مجرد وحدات جغرافية ترتبط بمصالح مؤقتة ، بل كيانات اقتصادية تحسب الدول المتقدمة حسابها في المفاوضات التجارية وغيرها .

والتكتل لتحقيق التنمية على مستوى اقليمي عملية تتم بطريقة تدريجية وبواسطة اتفاقيات تحدد للتعاون اهدافا قريبة واهدافا بعيدة المدى . واهم الخطوات في طريق تحقيق الوحدة الاقتصادية على المستوى الاقليمي ، هو تحرير التبادل التجاري تدريجيا (وهذا يقتضي تعديلا في نصوص الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة) ، وتنسيق التشريعات القومية في مجال النقد والضرائب بين البلدان المتكتلة تنسيقا ياخذ في الاعتبار حاجات البلدان الاقل تطورا ، ويكون اساسا لسياسة جمركية وتجارية مشتركة مع الخارج . وكذلك يتحتم ان تعالج الاتفاقيات التي تعقد بهذا الشان مشاكل جوهرية اخرى في عملية التنمية مثل الاستثمار وحرية تنقل رءوس الاموال واليد العاملة وجميع وسائل الانتاج .

والافضل ان يبدأ الاندماج على مستوى شبه اقليمي وفي اطار جغرافي تتوفر فيه العوامل السيكلوجية والاجتماعية الاساسية مثل اللغة وتقارب المشارب الثقافية ووجود تراث تاريخي مشترك وبعد ذلك تندمج الكيانات الشبه الاقليمية في تكتل اقليمي واسع يصبح في الوقت الملائم طرفا في حوار على مستوى القارات .

ولكي يمكن لاجراءات التصنيع وتحرير التبادل التجاري على المستوى الاقليمي ان تؤتي ثمرتها ، يتحتم ان تشتمل الاتفاقيات التي تعقد بهذا الشان بين البلدان المتكتلة على الخطوط الاساسية لسياسة تستهدف تنمية القطاع الزراعي (والقطاع الصناعي والقطاع الزراعي يكمل احدهما الاخر) .

الفوائد والعقبات

ربما كانت اهم مزايا الاندماج الاقليمي هي كون هذا الاندماج من شانه ان يزيل الحدود القومية الاقتصادية ، وبالتالي ، يوفر اسواقا اوسع للصناعات القائمة وفرصا لاقامة صناعات جديدة . ومن المعلوم ان اتساع نطاق الاسواق يؤدي الى اتساع نطاق الصناعات ، بحيث تتمكن من استخدام الالات الكبيرة ومن شراء كميات كبيرة من المواد الخام ، وبعبارة اخرى الى نقص في تكاليف الانتاج وزيادة في القدرة على المنافسة .

ونحن نعرف أن من العوامل الرئيسية في ضآلة حجم الاستثمارات وبالتالي في نمو الصناعات ، خصوصا في افريقيا وآسيا ، صغر أسواق بلدان القارتين . وتأثير حجم الاسواق في نمو الصناعات حقيقة اقتصادية سبق أن لاحظ القدماء أهميتها . فمنذ نحو قرنين كان آدم سميث قد قرر ان حجم الأسواق هو القياس النهائي لتحقيق مستوى عال لتنمية الانتاج . وهذه الحقيقة تنعكس من جهة أخرى في مقدرة الصناعات على استيعاب التكنية.

وكذلك يمكن القول ، كما صرح الاستاذ تيبور سيتوفسكي Tibor Scitovsky بأن بلدا ما « يعتبر صغيرا طالما كان صغيرا من الناحية التكنية بحيث لا يمكنه ايجاد منفذ ملائم لانتاج مصانعه حينما تعمل بكامل طاقاتها » .

ومن جهة أخرى ، فان الاندماج الاقليمي يساعد على توسيع نطاق الانتاج ، لا بسبب ما ينجم عنه من اتساع الأسواق فحسب ، بل وايضا بسبب التحسن الذي يطرأ على مستوى المعيشة في المنطقة وزيادة الطلب للمنتوجات الصناعية . وأهمية

العامل الاخير تصبح واضحة لدينا متى ادركنا ان الفترة الشرائية في البلدان المتطورة ، حيث لايزال الطلب يدور حول ضروريات الحياة ، ضعيفة جدا . ولكن اتساع حاجات الجماهير بحيث تشمل الكماليات والمواد المصنوعة امر من شأنه ان يؤدى الى تشجيع الانتاج وازدهار الصناعة .

والصناعة التى تقوم في نطاق قومى تتمتع بالحماية الجمركية والمساعدة الحكومية ، وتبعا لذلك فان انتاجها لا يجد اية مزاحمة في السوق المحلية من حيث النوع والسعر ، وبالتالى فهى سرعان ما تتحول الى مصلحة ادارية تميل تدريجيا الى الركود وقلة الاكتراث بالتجديد والتحسين . وعلى العكس ، فان الصناعة التى تقوم على أساس اقليمى تجد في المنافسة الخارجية والداخلية حافزا منشطا للعمل على تدعيم نفسها وبعبارة اخرى ، فانه كلما كان المجال فسيحا لمنتجات البلدان المتطورة للتنافس فيما بينها ، كان مركز صناعتها اقوى لمنافسة منتجات البلدان المتقدمة .

وخلاصة القول ، كما اشار الى ذلك الدكتور سوثارد Southard نائب مدير صندوق النقد الدولي في خطاب القاه مؤخرا في جواتمالا ، ان البلدان المتطورة قد ادركت ان سرعة التقدم الاقتصادى في المناطق التى حققت اندماجا اقليميا، من شأنه ان يزيد من دخلها ويساعدها على المتاجرة بشكل فعال مع بقية بلدان العالم . وهذه النقطة هى التى يلتقى عندهما الاقتصاد الدولى والتكتل الاقليمى .

ولكن التكتل الاقليمى لا يخلو من عقبات ومضايقات لبعض البلدان . وربما كانت اهم المشاكل التى تنطوى عليها التنمية الاقليمية هي مشكلة توزيع الفوائد بصورة عادلة بين البلدان المتكتلة . وقد دلت التجربة على ان البلدان الاقل تطورا قد تواجه صعوبات خطيرة اذا لم تحصل على ضمانات خاصة تكفل مصالحها في نطاق التكتل الاقليمى مع جيرانها . وليس اقل هذه الصعوبات شأنا ان تلك البلاد ستصبح عاجزة عن حماية صناعتها الناشئة ضد صناعة جيرانها المتقدمة عنها ، هذا فضلا عن انها ستضطر الى دفع اسعار اعلى للبضائع التى تستوردها من جيرانها الاكثر تطورا بالمقارنة الى الاسعار التى تدفعها لنفس البضائع حينما تستوردها من البلدان المتقدمة . وكذلك ثبت ان توزيع الفوائد توزيعا عادلا في نطاق التكتل الاقليمي هو عملية أصعب في البلدان المتطورة منها في البلدان المتقدمة .

والواقع ان سد الثغرة التى تفصل بين البلدان الاقل تطورا والبلدان المتطورة التى سجلت تقدما في التنمية ، هدف لا يقل اهمية عن الهدف العام الذى تسعى منظمات التنمية الاقليمية الى تحقيقه الا وهو تقريب الشقة التى تفصل بين البلدان المتطورة والبلدان المتقدمة .

نماذج التنمية الاقليمية

لعبت اللجان الاقليمية التابعة للامم المتحدة دورا هاما في تشجيع التعاون والاندماج الاقتصادى على المستوى الاقليمى ، وذلك بتوفير الاطارات والمشورة التكنية ووضع الدراسات والمخططات والتعاون مع الحكومات في مختلف الميادين . وانه لمن سوء الحظ ان منطقة الشرق الاوسط ليس لها لجنة اقتصادية خاصة بها لتقوم بهذا الدور وقد كان من نتائج اعمال هذه اللجان تنسيق عملية التنمية بين مختلف القارات وزيادة التفهم للمشاكل التى تواجهها البلدان المتطورة . وفي السطور التالية نستعرض الخطوط الرئيسية لمختلف التنظيمات الاقليمية في القارات الثلاث .

امريكا اللاتينية

اتيح لبلدان امريكا اللاتينية من التراث الادبى المشترك ومن تقارب الاوضاع الاقتصادية ما لم يتم لغيرها من القارات ، وهى عوامل ذات أهمية في التنمية الاقليمية . وكذلك بذلت هذه البلاد جهودا محمودة في غضون العشر السنوات الأخيرة لرفع الحواجز الجمركية وتعزيز التعاون الاقتصادى بين حكوماتها

واهم المؤسسات التى اسفر عنها التعاون في المنطقة هي :

(١) بنك امريكا المشترك للتنمية :

مهمته الاساسية تشجيع الاستثمارات المتعددة الاطراف . وهو يساهم في التمويل المتوسط الاجل للمشروعات الصناعية .

(٢) السوق المشتركة لامريكا الوسطى :

تضم كوستاريكا والسالفادور وجواتمالا وهاندوراس ونيكاراجوا (عدد سكانها ١٢ مليون

نسمة) وهى تعتبر انجح مجهود للتنمية الاقليمية في البلدان المتطورة للاندماج الاقليمي . وقد عقدت معاهدة هذه السوق في سنة ١٩٦٠ ، وهى تقضي بالغاء الحواجز الجمركية بين البلدان الاعضاء فيما عدا ما يتصل ببعض المواد الزراعية، وباعتماد تعرفة جمركية مشتركة مع الخارج تشمل ٩٨٪ من الواردات . وكذلك قامت بلدان هذه السوق بانشاء عدة مؤسسات مالية مشتركة .

(٣) منطقة التجارة الحرة :

تضم الارجنتين وبوليفيا والشيلي وكلومبيا واكوادور والمكسيك والباراجواى والبيرو واروجواى وفنزويلا . وقد شكلت عقب مفاوضات قدمت خلالها الدول الاعضاء ترضيات متبادلة واسعة النطاق في نطاق اتفاقية دخلت في حيز التنفيذ غضون الفترة التى تمتد بين ٦٢-١٩٦٦. وهى تستهدف انشاء سوق مشتركة لامريكا اللاتينية برمتها .

افريقية

يوجد في القارة الافريقية اكثر من ٢٠ بلدا عدد سكانها اقل من مليونين ونصف ولا يتجاوز دخل كل منها السنوى ٢٥٠ مليون دولار . وهذه العوامل وامثالها هى التى تجعل التكتل والاندماج الاقليمى ضرورة حيوية لنجاح التنمية في هذه البلدان . ومن جهة اخرى ، فنحن نعرف ان افريقية قد عانت من « التفتيت » أكثر مما عانته اية قارة اخرى . وكذلك استمرت معظم بلدان القارة على علاقاتها الاقتصادية مع المستعمر السابق بعد زوال التبعية السياسية . وهذه العلاقات التى تشمل التجارة والعملة والمواصلات ، قد كانت ولا تزال عائقا خطيرا في طريق التكتل الاقليمى والاندماج الاقتصادى بين بلدان متجاورة . ومع هذا فان اتفاقيات عديدة عقدت على مستوى شبه اقليمي كانت اساسا لقيام بعض المؤسسات المشتركة مثل البنك الافريقى للتنمية ومثل :

● السوق المشتركة بين بلدان افريقية الشرقية

تضم كينيا واوغندا وتانزانيا ويبلغ عدد سكانها ٢٥ مليون نسمة ، وهى قائمة منذ سنة ١٩٢٥ ، حينما كانت هذه البلدان تشكل وحدة جمركية مشتركة ولكن عقبات سياسية اعترضت طريق هذا التعاون، فاصبحت الجهود التى تبذل في الآونة الاخيرة تنحصر في محاولة انقاذ هذه السوق .

● الاتحاد الجمركى لافريقية الوسطى

يضم التشاد والكامرون وجمهورية افريقة الوسطى وبرازافيل (١٠ ملايين نسمة) . ولهذه البلدان تعرفة جمركية مشتركة .

● الاتحاد الجمركي لافريقية الغربية

يضم ساحل العاج ودهومى والفولتا العليا ومالى وموريطانيا والنيجر والسينغال .

● المنظمة الافريقية المدغشقرية المشتركة

تضم ١٤ دولة من البلدان الناطقة باللغة الفرنسية . ومن أهم ما انجزته هذه المنظمة انشاء السوق المشتركة بين بلدان هذه المنطقة للسكر .

● اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب

تضم المملكة المغربية والجزائر وتونس وليبيا . ومهمة هذه اللجنة التى تلقت مساعدة فعالة من برنامج التنمية التابع للامم المتحدة Undp هى تنفيذ خطة اقليمية للتنمية ووضع سياسة مشتركة للتصنيع وسياسة مشتركة لتصدير المنتجات المغربية التقليدية والبحث عن وسائل خفض التعرفة الجمركية فيما بينها .

آسيا الجنوبية والشرق الاقصى

ان الجهود التى تبذل في مجال التنمية الاقتصادية على المستوى الاقليمى فى هذه المنطقة بطيئة . ومرجع ذلك الى الاختلاف الكبير بين سكانها من حيث الجنس واللغة والثقافة والدين والاتجاه السياسي العام ، وخصوصا في ظروف الحرب المدمرة التى لا تنفك تجتاح هذه المنطقة منذ نيف وربع قرن من الزمن . ولهذه الاعتبارات كلها نجد أن العلاقات بين البلدان الواقعة في هذه المنطقة ضعيفة بل وفي بعض الاحيان معدومة تماما، هذا اذا استثنينا تلك الروابط التى تربط بعض الدول في نطاق الكومنويلث البريطانية . وبالتالى فان هذه البلدان لم تتمكن حتى الآن من استنباط نماذج فعالة للتعاون الاقتصادى . وما حققته حتى الآن ينحصر في المجال الثقافي والتكنى ، ولكن محاولتين أو ثلاثا جديرة مع ذلك بالاشارة ، وهى تجرى على مستوى شبه اقليمى :-

● جمعية آسيا الجنوبية الشرقية

تضم الفليبين وتايلاند وماليزيا، وهى تستهدف اقامة تعاون بين هذه البلدان في المجال الاقتصادى والعلمى والتربوى كما تسعى الى انشاء منطقة حرة للتبادل التجارى .

● مشروع دلتا نهر الميكونج

يسعى هذا المشروع الذى يجرى تنفيذه بمساعدة فعالة من الامم المتحدة والذى يضم كمبوديا وتايلاند وفيتنام الجنوبية الى تسخير موارد الطاقة الكهربائية لفائدة ٥٥ مليون نسمة ، كما يعمل على تحسين الملاحة في نهر الميكونج وتوفير وسائل الرى الخ ..

● اتفاقية التعاون الاقليمي

وهى تضم باكستان وايران وتركيا ، وقد انشئت عام ١٩٦٤ . وهذه المنظمة تعتبر اهم خطوة في طريق التعاون الاقتصادى بين البلدان الاسيوية. والجدير بالذكر انها قد سجلت تقدما ملحوظا ولا سيما فى مجال الخدمات البحرية والمواصلات. وهى وان لم تكن قد رفعت الحواجز الجمركية بين هذه البلدان كمجموعة الا انها (اى البلدان الثلاث) ترتبط باتفاقية جمركية ثنائية .

منطقة الشرق الاوسط

تجمع بين بلدان هذه المنطقة روابط اللغة والدين والثقافة في نطاق حضارة تاريخية مشتركة، ولكن هذه الصلات التى تنطوى على امكانيات خصبة للتعاون والاندماج الاقتصادى على المستوى الاقليمى ، لا تزال مشوبة بالتوتر السياسي الذى يسود المنطقة كلها نتيجة لعدة عوامل ، وبالتالى فهى لم تتبلور بعد الى نتائج ايجابية .

وكل ما أسفرت عنه الجهود التى بذلت في هذا المضمار هو الاتفاق الذى انشئت بمقتضاه السوق العربية المشتركة في عام ١٩٦٤ ، تلك السوق التى ستتحقق في غضون الفترة التى تمتد حتى سنة ١٩٧٤ . وهذا الاتفاق ينص على خفض التعرفة الجمركية بنسبة ٢٠٪ على جميع البضائع المصنوعة تقريبا وبنسبة ٤٠٪ على المنتجات الزراعية . والدراسات لا تزال جارية في نطاق هذه السوق لوضع تعرفة جمركية مشتركة تجاه المستوردات من الخارج ولتنسيق مشروعات التنمية التى يجرى تنفيذها في البلدان الاعضاء.

مؤتمر دلهى والتنمية الاقليمية

كان مجلس مؤتمر التنمية والتجارة قد بحث باستفاضة خلال الدورة الخامسة التى عقدها في جنيف مسالة التنمية الاقليمية ضمن نطاق بحثه لجدول اعمال مؤتمر دلهى . وقد تم هذا البحث على ضوء الدراسات العديدة التى قدمتها السكرتيرية وعلى ضوء تقارير مختلف اللجان والمنظمات الاقليمية الى المجلس .

وكذلك وُضع امام المؤتمر من الدراسات والبيانات ما سمح له باستعراض مختلف جوانب المسالة ، مسالة التنمية الاقليمية والتعاون بين البلدان المتطورة وباصدار تصريح هام بهذا الشان (القرار — ٢/٢٣) .

جاء في هذا التصريح (الملحق ١ ص ٧٦) ان المؤتمر « يؤكد القول بان زيادة التبادل التجارى والتعاون والاندماج الاقتصادى بين البلدان المتطورة امور تعتبر عنصرا هاما في استراتيجية دولية شاملة للتنمية ، ومن شانها أن تسهم اسهاما جوهريا في تقدم تلك البلدان اقتصاديا » .

ومن جهة اخرى يعترف القرار بان مهمة تنظيم الاندماج الاقتصادى الاقليمى تقع على عاتق البلدان المتطورة نفسها كما يشيد بالتقدم الذى سجلته اجهزة التنمية الاقليمية الموجودة حاليا .

ولتشجيع التنمية على المستوى الاقليمى ، يوصي القرار البلدان والمؤسسات الدولية المتخصصة بان تتخذ اجراءات لمنح المساعدة المالية والتكنية الملائمة التى تسمح للبلدان المتطورة بتحقيق تقدم سريع فى طريق الاندماج الاقتصادى. ويختتم القرار بتسجيل تصريحات الوفود بشان ما انجز في مضمار التنمية الاقليمية في القارات الثلاث .

وخلاصة القول ان تكتل العالم الثالث الذى ارسيت قواعده في باندونج وتطور على أسس سياسية بعد ذلك حتى انتهى الى ما نشاهده الآن من القلق والاضطراب في صفوفه ، يمكن أن يجد في التكتل الاقليمى والشبه الاقليمى اساسا جديدا لدعم وجوده الاقتصادى اولا ووجوده السياسي بعد ذلك ، بحيث يستطيع أن يقف موقف الند للند امام التكتل الاقتصادى والسياسي الغربى والشرقى . وحينئذ فقط يصبح مبدأ « الحياد الايجابي » مضمونا ايجابيا حقيقيا . ■■

اسماعيل العربي



إيهِ بغدادُ..

والأحاديثُ شتّى

بقلم الشاعر : أحمد السقاف

■ لا تلمني فما يُفيد ملامي … انا مازلت سادرا في هُيامي

تعب العاذلون من كثرة العذ … ل ومل الواشون نقل الكلام

وتعدّى الهوى فؤادي فقد خا … مر لحمي ومهجتي وعظامي

لا تلمني فانما الحب اولى … ياصديقي من راحتي ومنامي

انا احيا به وما عشت يوما … بشراب يلذ لي وطعام

لاتلمني فلست املك سلطا … نا على وحي هذه الانغام

يرفض الرافدان شعرا اذا جا … ء عديم الخيال من نظّام

كل شبر من الشواطئ سفرٌ … ازلي يشعّ نورا امامي

سكر الشعر حين غنى لبغدا … د وبغداد ذروة الالهام

ولدى الكرخ والرصافة اسرا … ر لطاف لسوقة وعظام

ترجف الارض حينما يخرج المنـ … ـصور في جيشه الرهيب اللهام

والهتاف المهيب يعلو لهرو … ن اذا لاح وجهه للانام

يتحدى الغمام ان فات بغدا … د فدنياه طول دنيا الغمام

لم تغب حانة النواسي عن عيني … ولا غاب مجلس ذو مقام

كل شيء اراه حتى الخفايا … والزوايا بسحرها قُدّامي

★ ★ ★

ايه بغداد والاحاديث شتّى … غير ان المديح ليس اهتمامي

ما عهدناك في النوائب الا … فتكة الفجر في جيوش الظلام



حاش لله ان تبالي بموتو ... ر وان تحفلي بيوق انهزام
هدف يجمع القلوب وفيه ... نتلاقي على جبين الوئام
هدف ترتجيه معركة الثأر ... وآلام شعبنا المستضام
كم صبرنا على العدو كأنا ... نحن لاغيرنا ذوو احلام
فتمادى العدو حتى وجدنا ... اطيب الوِرْدَ في ورود الحمام
والاذى يطحن العظيم إذا كا ... ن الاذى من حثالة اقزام
عمي القوم ام تعاموا فما السلـ ... ـم الذى اعلنوا سوى استسلام
آسلام والارض تشكو احتلالا ... اجنبيا والشعب ضيف خيام ؟
اسلام والبغي ينصر بغيا ... والطغام العتاة عون طغام ؟
اسلام والقدس ، وانكبة القدس ، يقودونها الى الاعدام ؟
اسلام وكلما مر يوم ... حلم المعتدى بطول المقام ؟
لا وربي آن الاوان ايا عُر ... ب فكونوا الاسود في الاجام
انتمو قوة تضيق بها الار ... ض وتعنو لها ذُرا الاعلام
لو جمعتم صفوفكم ومشيتم ... لسحقتم صهيون بالاقدام
فانفروا للوغى وللشرف الا ... بى وشقوا جموعه باقتحام
حطموا ما بناه من نشوة النصـ ... ـر فبنيانه من الاوهام
لاتظنوا في مجلس الامن امنا ... وسلاما لدى دعاة السلام
كذبٌ نمقوه فانخدع النا ... س واخفوا رؤوسهم كالنعام
ألف هيهات نقبل الصلح ياعُر ... ب ومن ذا يهان بالارغام
نحن اقوى من الوعيد ولسنا ... سلعة في مخازن الاصنام
يالها من فجيعة ان رضينا ... بمصير ولا مصير السَّوام
لا يعيد البلاد الا جهاد ... ونضال يحطم البغى دامي
والفدائى صورة للبطولا ... ت تجلت في روعة الاقدام
صنعته الحياةُ من خالص البـ ... س وغذته من دموع سجام

واحتـواه الشـقاء حتى تلظّـى | بهـجير الشـقاء والآلام
هـو رعب يدب في قلـب صهيو | ن وخطـب مـروع بلشـام
تتشـى له الوهـاد إذا خـف | الى غـارة ومـوت زوءام
مارد يحطم المكـاره فـى الليل | وعمـلاق ثـورة والتحـام
رفـع الرأس بعد غـدر حزيرا | ن وآلـى على بلـوغ المـرام
واستفاقـت عوالـم فرأتـه | يطـلب الحق من جبـان حرامى

★ ★ ★

ايهـا المشتكى غليـل الأوام | هـات حدث عن الفريـق الهمام
عن شـهيد الوغى عن ابن رياض | عن حسـام يـفوق اى حسـام
حـين وفّى العُلَى وزاد فأعلـى | شـأن اخوانـه مـدى الايـام
ومشى في رجالـه يشحذ العز | م ويُذكـى الحماس كالضرغام
وقناةُ السويس تلتهـم الافـ | ق وتَغلـى من الوطيس الحامى
والاباء الصميم يهـزأ بالنـا | ر ولا يحتمـى ببعـض الركـام
فهـوى راضيا يـردد عـاش الـ | ـعرب والموت للغـزاة اللئـام
وسرى نعيه فهاجـت نفـوس | تتنزى لبطشـة وانتقـام
عربى وهذه صفـة العـر | ب فمرحـى للقائـد المقـدام

★ ★ ★

يابـنى العرب العـراق وقا كم | فتنةً ذو الجـلال والاكـرام
الرجـاء الحبيب يستصرخ الفجـ | ـر ويفديـه بالعيون الدوامـى
فاسـتعدوا كما يـريد المنـادى | وتصافـوا كما يريد التسامـى
• احذروا كيد ماكر يزرع الشـ | ـر وسـدوا عليه بـاب الخصام
فالعـدو العـدو لم يـرض يومـا | عن هـدوء يسودكـم ونظـام
ناصـح ليس لى سوى النصح في القو | ل وعـذرى مودتى وهيامى ■■

الكويت : احمد السقاف





بقلم الدكتور أحمد زكي

■ الخميرة والتخمير .

الفاظ لا بد عرفها الانسان منذ آلاف السنين .

انه يترك الشراب ، لا سيما الحلو ، في الهواء ، فلا يلبث أن يحذ ّق طعمه .

والفواكه الناضجة الطرية يتغير مذاقها ، وان كانت عصيراً جاء التغير الى طعمها سريعا .

وقال قوم ان الشراب فسد .

وقال آخرون بل انه اختمر .

الخمر

وآخرون عرفوا أن عصير العنب ، من سائر الفواكه خاصة ، يترك زمنا ، فيختمر . ويتغير طعمه ، ولكنه لا يسوء . بل هو يعذب ، وأعذب من غذوبته ، تلك النشوة التي يحسها شاربه من بعد اختمار . فكانت من ذلك الخمر .

وبالتحسس ، وعن طريق الاصابة والخطا ، عرف الانسان الظروف التي بها تنتج الخمر التى تطيب عند شاربيها ، وعارفيها ، مذاقا . وتجنبوا بذلك المزالق .

كل ذلك والعلم الطبيعي الذى لم نعرفه الا حديثا نائم يَغِطُ عبر القرون .

العجين

وشيء آخر اختمر . ذلك العجين الذي صنع الانسان منه الخبز . لا شك ان الانسان اكل الخبز كما لا يزال يأكله

صُوَرٌ مِنَ الأحياءِ صَغيرَة،
تتمثّل فيها الحياة كاملةً رائعة، كتلك التي في الأحياءِ الكبيرة.
إنَّها وَحدَة الحياة التي تهيمن على الكون.

فِلسطِين
بيعتْ في سُوقٍ مِنْ أسواقِ العِلم. اشتَراها
عَالِم "صُهيونِي" بخميرةٍ. يالهامِنْ خميرة!

اليوم الكثيرون من اهل الأرض ، كتلةً صَلْدةً لا يتخللها هواء . خبزا لم يختمر له عجين .

ثم لا بد انه بمحض الصدفة عرف الانسان أن العجين يختمر اذا هو ترك . ثم ادرك ما يكون بالخبز من خفة اذا هو خبز من بعد اختمار . واذن هو حرص ان يكون دائما في العجين اختمار .

ولكن العجين لم يكن يختمر دائما . واذن رأى انه عندما يختمر ، عليه ان ينتهز هذه الفرصة ، فيحتفظ من هذا العجين بقطعة صغيرة مختمرة ، يبدأ بها ، في خبز الغد ، او بعد الغد ، اختمارا .

وتكررت هذه الخميرة المقطوعة وتسلسلت .

انه لم يدر ما بها . ولكنه درى ان بها شيئا هو الذي اذا امتزج بالعجين ، ولما تركه الانسان ساعة ، زاد حجمُ العجين . انه انتفخ . ولكن بماذا انتفخ ؟ لم يفهم من ذلك الشيءَ الكثير عبر القرون .

الاختمار ، واسباب الاختمار ، والخمائر ، كل هذه الأشياء ظلت محجوبة عن اعين الناس وافهامهم حتى كشف عنها العلم الحديث .

الخمائر
احياء صغيرة
منتشرة في تربة ارض وفي هواء

واذا قلنا احياء ، وجب ان نقول حيوانات هي ام نباتات .

وهي نباتات . وهي تقع في « تقسيم النبات » ، او ان شئت من اقسام مملكة

النبات ، في اقسامها البسيطة الدنيا .

وتتألف من خلية واحدة .

وليس بها من صبغ النبات الأخضر المسمى باليخضور Chlorophyll شيء .

وقد نزيد لمن له المام بتقسيم النبات فنقول انها من الطائفة Class المعروفة بالفطر Fungi .

وقلنا انها صغيرة . ووجب ان نقول ان خليتها من الصغر بحيث لا تراها العين . انها لا ترى الا بالمجهر Microscope . انها مجهرية .

وشكلها كروى او بيضوى او اسطواني ، والنوع الشائع بين ايدى الناس منها يتراوح قطره بين ٢ الى ٨ مكرونات Micron وهو جزء من الف من المليمتر . ويتراوح الطول بين ٣ الى ١٥ مكرونا .

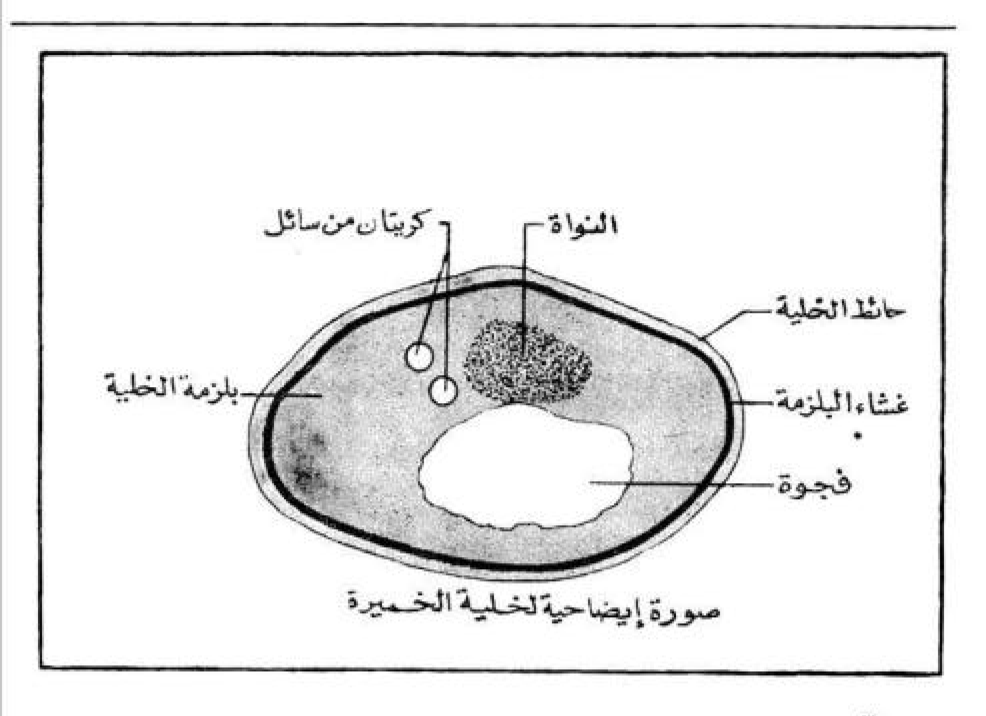
وتجد مع هذا الكلام صورة ايضاحية لخلية الخميرة .

اما اين توجد الخمائر ، فهي توجد في كل تربة بكل أرض تقريبا ، وتنشرها الحشرات في تنقلها ، فهي تحملها دون ان تشعر في اجسامها . وهذه الحشرات اذا وقعت على ثمرة مثلا لقحتها بهذه الخمائر وتركتها هناك تفعل بالثمر ما تفعل ، ومن حسن حظ الخميرة ان تقع على شيء حلو ، فهي تخمره لتصنع منه الكحول الذى هو روح الخمر .

وغير الحشرات من حاملى الخمائر الهواء ، فهو في تحركه يحمل الخمائر من مكان الى مكان .

الخمائر تحرص على الحياة

والخمائر ، في سبيل الحفاظ بالحياة تتحول الى بذور (وسيأتى ذكر ذلك) Spores بذور جرثومية تقوى على مغالبة



صورة إيضاحية لخلية الخميرة

الظروف غير المساعدة على حياة ، وقد وُجد انها على الجفاف قد تعيش السنوات الأربع . وهي لا بد ، اثناء هذا العمر الطويل ، واجدة مسرحا تلعب فيه ، تمارس الحياة الناشطة ، تخميرا .

ومن حسن محافظتها على الحياة انها تعلمت ان تحيا بدون اكسجين تلقفه من الهواء ، فهي تتكاثر بالطريقة التي سوف نصف ، في الأطعمة المناسبة ، حتى تلك التي علّبناها ، وحلنا فيها بالتعليب بينها وبين الهواء .

ولكن ، هل معنا هذا ان الاغذية المعلبة عرضة للتخمر ؟ والجواب : لا . لأن الخمائر تموت اذا سخناها الى درجة ٦٠ و ٦٥ مئوية بضع دقائق . والمعلبات نعالجها بالتسخين دائما .

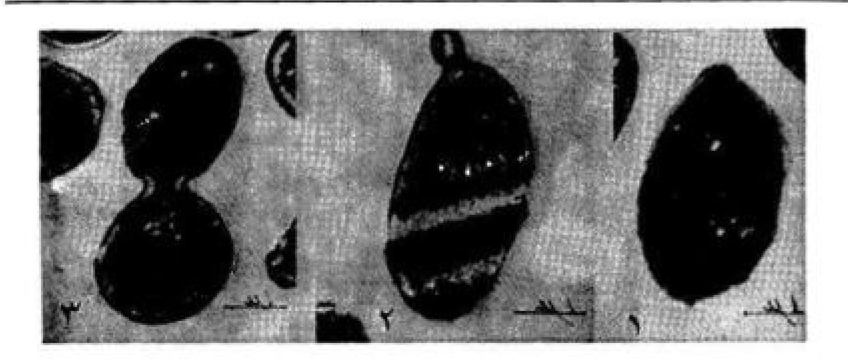
وكل عملية « بسترة » ، نسخن فيها الشيء الى درجة نحو ٨٠ مئوية . اعني تلك العملية التي ابتدعها العالم الحيوى الفرنسي بستور Pasteur • هذه العملية تقضي ، فيما تقضي عليه من الاحياء ، على الخمائر .

كيف تتكاثر الخمائر

تتكاثر الخمائر عادة بالتبرعم ، اذ يخرج من الخلية زر او بُرعم ، لا يلبث أن يكبر حتى يقاسم الخلية الأم ما احتوته ، ثم قد يستقل بنفسه .

والصور الآتية توضح ما يحدث ، ومعها الشرح الكافي .

وهناك طرق اخرى للتكاثر يصحبها تكون البذور المحفظية Ascospores • وتمثل لذلك بطائفة من خلايا الخمائر ، تجتمع في مستعمرة واحدة ، ثم تلتحم وتتحد نوياتها ، ثم يتلو ذلك انقسام هذه النواة الكبيرة الجديدة ، ثم انقسامها مرة ، فاخرى ، حتى تصبح اجزاء ، ويحيط كل جزء منها مادة • بلزمية



صور فوتغرافية ماخوذة بالمكرسكوب الالكتروني

(١) خلية الخميرة قبل ان يخرج منها البرعم (٢) الخلية وقد خرج منها البرعم في اعلاها (٣) الخميرة وقد زاد البرعم حجما حتى تقسمت الخلية نصفين ، ولا شك تقسمت كذلك نواتها . بعد ذلك تنفصل الخليتان . وكثيرا ما يتباطأ انفصالهما ، واذن تاخذ الخلية الام في التبرعم قبل انفصال ، وقد تاخذ الخلية الوليدة في التبرعم كذلك . وقد يحدث ان يجتمع بسبب ذلك وعلى هذه الصورة ما قد يبلغ ٦٤ خلية في فترة من الزمن قصيرة ، والأصل خلية واحدة .

لاحظ القياس الذى بالصور ، وهو يمثل طولا مقداره جزء من الف من المليمتر .

يلفها حائط غشائي . فيتم بذلك تكوُّن البذور .

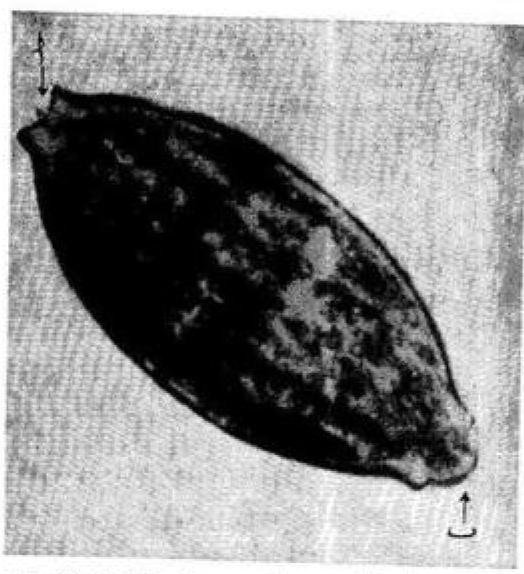
وقد تبقى هذه البذور في محافظها ، حتى يتيسر للبذور ان تعود الى التكاثر الخلوى العادى بتحسن البيئة .

ومن الخمائر ما يتكاثر بالانشقاق العادى المعروف . اذ تنشق النواة الى نواتين ، والخلية الى خليتين .

لا بد للخمائر من غذاء

ان الخمائر ككل كائن حيّ ، لا بد لها من غذاء .

ومن غذائها السكر والسكريات ، والمواد الآزوتية ، والأملاح المعدنية .



خميرة خرجت بالتبرعم من خميرة أم ، وانفصلت منها عند أ (وتركت سطحا محدبا) . ثم خرج منها برعم وانفصل ، فهي لهذا البرعم أم (وذلك عند ب حيث السطح مقعر) .

وهي تهضم ما تأكل .

والانسان يهضم ما يأكل بتكسير طعامه ، وتحويل المركب منه الى بسيط . وكذلك تفعل الخمائر . ان السكر والسكريات تتحول الى كحول وهو مادة ابسط . والى ثاني اكسيد الكربون ، وهو مركب اكثر بساطة . ولسنا ننسى ان ثاني اكسيد الكربون هو ابسط ما يتحول اليه غذاء الانسان .

والخمائر تصنع نفسها . تصنع بلزمة الخليّة ، وحائط الخلية ، ونواتها . وكلّ هذه مركبات عضوية ليست بسيطة . وهي أكثر تعقدا من غذاء هي تعيش عليه ، سكر واملاح . ومن هذه البسائط هي تصنع المركبات .

وهكذا يفعل الانسان . اذ يبني كيانه .

انها وحدة الحياة ، في ابسط درجاتها ، واعقد الدرجات .

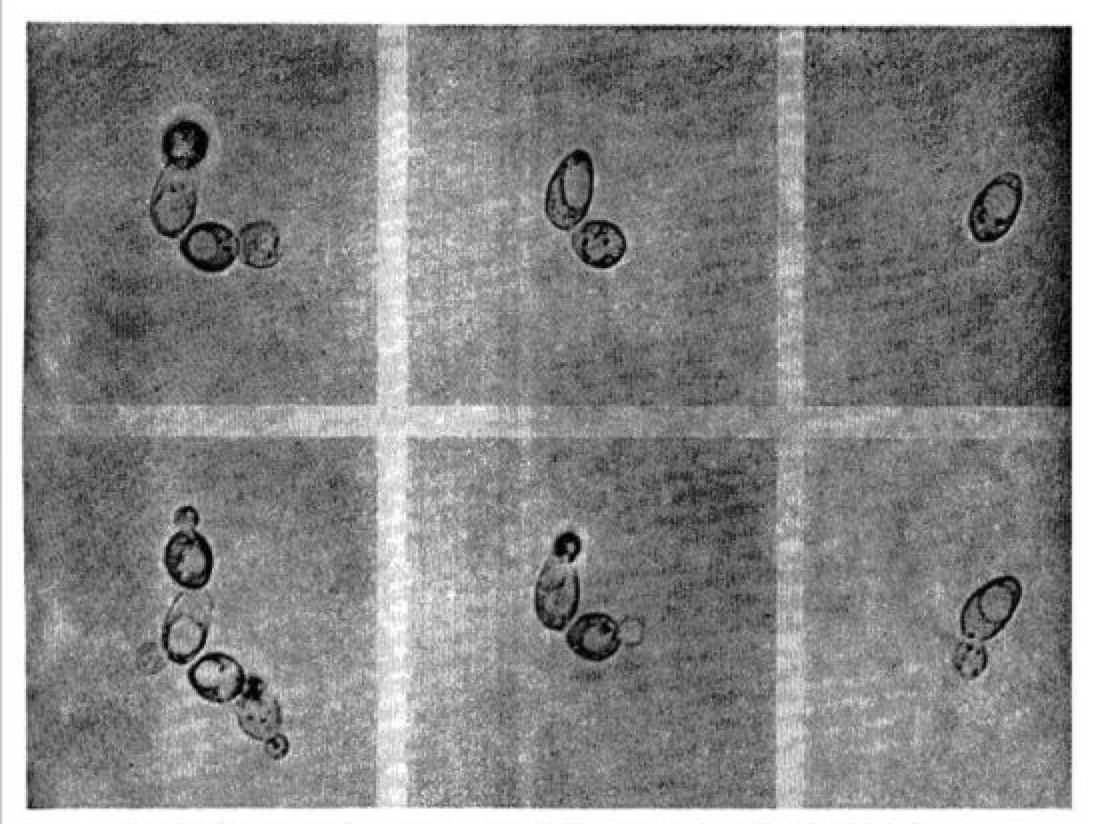
والخميرة تتوسل الى هذه العمليات بمواد عضوية معقدة هي تصنعها ، تعرف بالانزيمات Enzymes .

وقد عرفنا ما الانزيمات ، وما يصنع بها الانسان . في الهضم مثلا ، الببسين هاضم اللحم ، التربسين واشتات كثيرة عرفناها ودرسناها .

وما كان يخيل لنا ان احياء في هذه البساطة ، كالخمائر ، تتألف من خلية واحدة ، عندها هذه القدرة ، ان تصنع الانزيمات ، وتتوسل بها ، في عملية التخمير التى بها تحيا ، وفي ممارسة شتى ضروب عمليات الحياة .

ولقد يخال الانسان ان الخميرة تدرك انها تصنع لنا الخمر . وهى ليس لها في امر الخمر شيء ، ولا تدرى ما الخمر . انه شيء يجرى نتيجة ما اعطاه لها الله من اسلوب حياة .

ان كان في الأمر تخطيط ، وكان فيه



خميرة بدات تتكاثر بالتبرعم وبعضها تبرعم وانفصل البرعم منها . وبعضها تبرعم وقبل ان ينفصل البرعم اخذت تتبرعم مرة اخرى ... وهكذا دواليك .. وقد تتجمع من الخميرة اعداد كثيرة .

بين ضروب الحَيَوات الكونية موازنة ، فهو يقينا ليس من تخطيط الخمائر ، انما هو من تخطيط من هيْمن على الخمائر والأحياءِ جميعا ، ورسم للحَيَوات ، على اختلافها ، مجاريها ، ورسم لها اصولها والأهداف جميعا .

الخمائر تعمل في هواء وبمعزل عن هواء

ان الخمائر هي اول الأحياء التي عرفها الانسان تعيش وتحيا بمعزل عن الهواء .

وقد ادهشت هذه الحقيقة بستور Pasteur .

وهو الذى لاحظ ان الخمائر ، في غيبة الهواء ، تستهلك السكر لتنتج منه اساسا الكحول وثاني اكسيد الكربون ، اما والهواء حاضر ، فالناتج ثاني اكسيد الكربون والماء . وفي هذه الحالة الثانية تسرع الخميرة في التكاثر ، والخلايا الجديدة الناتجة تكون اكثر .

وتستخدم هذه الحقيقة في الصناعة .

ففي التحضير التجارى للخمائر ، بقصد بيعها ، يجرى التخمير في حضرة الاكسجين الكثير .

ولكن اذا كان الغرض من التخمير انتاج الكحول ، كما هي الحال في صناعة البيرة والنبيذ ، أجرى التخمير في غيبة الهواء .

انواع الخمائر

انها انواع كثيرة .

وهم يقسمونها احيانا وفقا لطريقة تكاثرها ، وعندئذ تتبع هذه الاقسام ابوابا مختلفة في التقسيم النباتي ، ولو انها جميعا فطر Fungi .

على ان اشهر هذه الخمائر واهمها في الصناعة هي التى تسمى Saccharomyces وان كان لا بد من ترجمة هذا اللفظ فهو الفطر السكرى Saccharo = سكر و Myces = فطر) .

الخمائر في الصناعة

اول ما يذكره الذاكر في أمر الصناعة التخمير الكحولي ، وذلك لقدمه . كان الانسان يمارسه منذ آلاف السنين، ولو انه لم يفهمه أحسن الفهم، ويطبقه احسن التطبيق ، الا منذ نحو تسعين عاما ، وذلك بعد ان كشف العلم سر التخمير .

وفي التخمير لصناعة البيرة تستخدم ضروب من Saccharomyces تعرف باسم Cereviciae ، وهي تنتج بيرة بها ما بين ٤ الى ٦ في المائة من الكحول .

وضروب أخرى من نفس الخميرة توصف بأنها Ellipsoideus ، توجد عادة على العنب، وهو على شجره، وعلى فواكه أخرى ، وهي تنتج من النبيذ ، نبيذا يحتوى نسبة تصل الى ١٦ في المائة من الكحول .

ومن الصناعات التخميرية صناعة الكحول الخالص نفسه ، وهي صناعة ليست بالصغيرة . ومع الكحول ينتج ثاني اكسيد الكربون ، وهو يباع على شكل Dry Ice او الثلج الجاف . وذلك انه يعطيك من البرودة ما يعطي الثلج ، ولكنه لا يبل ، لأن ثاني اكسيد الكربون يتطاير ، وليس به ماء .

وصناعة الجلسرين

وصناعة الجلسرين ، اكتشفوا قبيل الحرب العالمية الأولى ان وجود ثاني كبرتيت الصديوم في وعاء التخمير يغيّر من نتائج التخمير ، فينتج منه الجلسرين على حساب الكحول وثاني اكسيد الكربون ، وبحصيلة ٢٥ في المائة من الجلسرين ، واستخدم الألمان هذه الحقيقة في صناعة المفرقعات .

التخمير ونكبة فلسطين

وكان ويزمان Chaim Weizman ، الذي صار بعد ذلك أول رئيس لدولة اسرائيل ، قبل الحرب العالمية محاضرا في الكيمياء العضوية بانجلترا . وبدأ عمله بجامعة منشستر Manchester .

وكانت له بحوث في الكيمياء أغدقت عليه مالا . وعمل اثناء الحرب العالمية الأولى في مختبرات البحرية البريطانية ، ودرس طريقة انتاج الجلسرين من السكر بالتخمير ، فيسّر للحكومة البريطانية في امر المفرقعات مثل ما كان تيسر للألمان .

واشترط على الحكومة البريطانية ، وكان رئيسها اذ ذاك لويد جورج ، ان يكون ثمن ذلك وعد بلفور Balfour بالوطن اليهودى بفلسطين .

فوعدُ بلفور اشتراه ويزمان العالم الكيماوى الصهيوني الناجح بعملية في صناعة تخمير .

وهذا ما عرفته من افواه اصحاب له عرفوه وصحبوه ، في جامعة منشستر ، حيث كنت اتابع بحوثي الكيماوية في العشرينيات من هذا القرن . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٢٥

القراء .. وجغرافية العالم

■ مسابقة العدد ١٢٥ تضمنت ١٥ سؤالا عن جغرافية العالم وما تدرسه الجغرافيا من موان ومدن ومضايق وخطوط طول وعرض بأسمائها ومسمياتها .

واليك عزيزى القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة تليه قائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ بحر قزوين
٢ ـ الصحراء الكبرى
٣ ـ مدغشقر ـ ملجاسى
٤ ـ جرينلاند
٥ ـ ميناء عدن
٦ ـ نيوزلندا
٧ ـ خط التوقيت الدولي
٨ ـ مضيق ماجلان
٩ ـ فاسكودى جاما
١٠ ـ قناة بنما
١١ ـ شبه الجزيرة الاسكندنافية ـ النرويج ـ السويد
١٢ ـ ريودى جانيرو
١٣ ـ الاسكا ـ سيبريا
١٤ ـ طارق بن زياد ـ جبل طارق
١٥ ـ اليابان

● **الجائزة الأولى** : وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :
العروصي محمد ـ مكناس ـ المملكة المغربية .

● **الجائزة الثانية** : وقيمتها عشرون دينارا فاز بها :
توفيق سالم بازرعة ـ كريتر ـ عدن .

● **الجائزة الثالثة** : وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :
عامر اسويس اجيش . الخمس ـ ليبيا .

٨ **جوائز** مجموع قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ ابراهيم السليمان الضبعان ـ الرياض ـ السعودية .
٢ ـ اسماء خالد السلطان ـ العديلية الشرقية ـ الكويت .
٣ ـ محمد عبد الرحيم البدوى ـ الخرطوم ـ السودان .
٤ ـ محمد على ابراهيم ـ كربلاء ـ العراق .
٥ ـ حسان على اسماعيل ـ بيروت ـ لبنان .
٦ ـ خليل رستم ـ دمشق ـ سوريا .
٧ ـ سامية محمد حسن ابراهيم ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م.
٨ ـ فؤاد الطويل ـ روال بندى ـ باكستان الشرقية .

وسوف ترسل الجوائز الى الفائزين .



فوق : السيدة زينب فالح البدوى ، رئيسة رابطة الصحفيات السودانيات ومحررة صفحة المراة في جريدة الصحافة .. قالت : لقد حققت المراة السودانية في السنوات الخمس الأخيرة ، ما كانت تعجز عن تحقيقه في مائة عام .

المرأةُ الجَديدَةُ في .. السُّودان

قِصَّة كِفاح دامَ نصْف قَرْنٍ مِنَ الزَّمان !

قام بهذا الاستطلاع **منير نصيف**

وصوره **أوسكار مترى**



الى اليمين : المغنية السودانية «أم بلينه» تغنى امام الميكرفون فى برنامج يذاع على الهواء في التلفاز .. لقد كان الغناء في الماضي مقصورا على الرجل ، ثم غنت اول امراة سودانية في الثلاثينيات ، وكان اسمها « عائشة الفلاتية »

الأستاذة صفية محمد صفوت محامية ، درست الحقوق في جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، وتخرجت في ابريل عام ١٩٦٥ ، وتقوم الآن بتحضير دراسات عليا في القانون ، وهي متزوجة من محام أيضا .

تحت : الآنسة مريم محمد يس عملت صحفية ومندوبة متجولة للوكالة السودانية للأنباء ، ثم ما لبث التلفزيون أن استهواها ، فهجرت الصحافة لتعمل مقدمة برامج على الشاشة الصغيرة . ومريم من الجنوب ، وقد ولدت بمدينة واو عاصمة مديرية بحر الغزال ، وجاءت الى الخرطوم مع والديها .

■ ثقبوا لها انفها ليضعوا فيه دبلة الزواج الكبيرة . وصبغوا شفتيها بالابر عندما كان « وشم » الفم من صفات الجمال عند العروس ، فاصطبغت الشفتان باللون الازرق بعد ان هرب منهما بريق الحياة !

كانت تصرخ الما .. حتى لقد كرهت ذلك اليوم الذى كانوا يجيئون فيه ليزفوا اليها النبأ الذى يسعد قلب كل عذراء : « ستزفين غدا لرجلك ياعروس ! »

وكانوا يزفونها لعريسها دون ان تقع عليه عيناها مرة واحدة ، الا في ليلة زواجها ومن وراء حجاب كثيف .

وعاشت بين جدران بيتها تصنع « الكسرى*والملاح » .. وتنجب الاطفال وتربيهم ، وتعد الاناث منهم ليوم عرسهم ، تماما كما فعلت امها معها من قبل ! .. عاشت وسط مجتمع متخلف يحتويه الجهل ويفتك به المرض ويؤمن بالسحر والشعوذة ، ويخضع لسلطان الرجل ، الذى كان يملك كل شيء ، حتى حق الطلاق والزواج بلا قيود وبلا رقيب ولا حسيب !

ويطلق من يشاء وقتما يشاء وفق هواه .. وزوجة وام اطفاله تائهة ضائعة ، لاشيء يحفظ لها حقوقها ولا مال يؤمن لها مستقبلها ومستقبل اطفالها ..

من الظلمات الى النور

وانقضت قرون طويلة ، قبل ان تخطو المراة السودانية خطواتها الاولى في الطريق من الظلمات الى النور .. وكان ذلك منذ السنوات الاولى من القرن العشرين ، عندما ارتفع اول صوت ينادى بتعليم المراة .. وكان صوتا قويا له ثقله في المجتمع السوداني .. وهو صوت الشيخ الوقور بابكر بدرى ، الذى كان جنديا في جيش الثورة المهدية ، ثم ما لبث ان ترك الجندية وتفرغ للحياة المدنية ، فبنى لنفسه بيتا صغيرا في بلدة تقع جنوبي الخرطوم اسمها رفاعة ، ثم راح يزرع الارض من حوله ، وكرس وقت فراغه لله ، فحفظ القرآن ، ودرس اصول الفقه الاسلامي واللغة العربية ..

ولم تتوقف جهود الشيخ بابكر عند مجرد الدعوة لتعليم البنات فقد كان صاحب اول مدرسة اولية للبنات في السودان . وفي كتابه الذى روى فيه قصة حياته وكفاحه من اجل تعليم المراة ، كتب يقول : « في عام ١٩٠٤ » ، تقدمت بطلب لادارة التعليم في الخرطوم ، لافتتاح مدرسة اولية للبنات في مدينة رفاعة بارض الجزيرة ، على النيل الازرق .

« ولكن طلبى قوبل بالرفض » !

اول مدرسة للبنات

« وانقضى عام كامل قبل ان اتقدم بطلب جديد في عام ١٩٠٥ ، ومرة اخرى رفضوه .. ومع ذلك لم نياس ، ولم نستسلم ، فقد بقيت فكرة تعليم المراة تسيطر على عقولنا واذهاننا ، فلا يزيدنا



السيدة فاطمة احمد ابراهيم رئيسة الاتحاد النسائي ، وكانت اول امراة سودانية تنتخب لعضوية الجمعية التأسيسية في اول انتخابات تجرى بعد ثورة اكتوبر عام ١٩٦٤ .

* الكسرى ، نوع من الخبز يصنع من دقيق الذرة ، اما الملاح فهو خضار مطهو باللحم المفروم .



خرجت المرأة السودانية لاول مرة لتسير مع الرجل في المظاهرات الشعبية الصاخبة التي انطلقت من شوارع الخرطوم عام ١٩٦٤ لتعبر عن استيائها لنظام الحكم القائم قبل الثورة.. والصورة لفتاتين سودانيتين تهتفان بحماس في احدى هذه المظاهرات

تعنت الحكومات ، الا ايمانا بها واصرارا عليها »

حتى جاء عام ١٩١١ ، عندما هجر الشيخ بابكر الزراعة ليتفرغ للرسالة الكبرى التي حمل لواءها .. ففي هذا العام ، وبالرغم من الاصوات القوية التي ارتفعت تعارض تعليم المرأة بدعوى انها خروج على تعاليم الدين ، فتح الشيخ باب بيته الصغير في رفاعة ، ليجعل منه اول مدرسة اولية للبنات. واذهل الاقبال الشديد على المدرسة الجديدة المسئولين في حكومة السودان .. فقد امتلأت الفصول ببنات اهل البلدة حتى ضاقت بهم ، فخرجوا الى مزرعة الشيخ بابكر يتلقون العلم في ظلال اشجارها الوارفة .

الحكومة تبني المدارس

ثم كانت المفاجأة عندما جاء القوم يوما الى الشيخ بابكر يقولون له : « هل علمت ما حدث .. لقد بدأت الحكومة في بناء مدارس للبنات ! » وكان ذلك بعد انقضاء ثلاثة اعوام على قيام مدرسة الشيخ بابكر .. ففي عام ١٩١٤ افتتحت الحكومة مدرسة اولية في بلدة « الكاملين » القريبة من الخرطوم ، وفي عام ١٩١٧ شيدت مدرسة ثانية في « مروة » وثالثة في الأبيض عاصمة مديرية كردفان في العام الذي تلاه ، ثم مدرسة رابعة في دنجلا في بحر الغزال .

وبدأت جهود الشيخ بابكر تلقى تجاوبا من جانب قطاعات المثقفين في السودان ، وساعد على ذلك ما حققته المرأة من تقدم في شمال وادي النيل، حيث كانت المرأة في السودان ترقب خطوات أختها في مصر بزهو واعجاب ..

وتوالى بناء المدارس للبنات في طول البلاد وعرضها ، ولم تكن كلها مدارس نظرية ، فقد بدأ الاهتمام أيضا بالمدارس العملية، فافتتحت مدرسة لتخريج القابلات في أم درمان ، ثم مدرسة أخرى للتمريض ، وكان ذلك عام ١٩٢١ .

وبالرغم من هذا ، فقد بقي تعليم الفتاة متخلفا عن تعليم الفتى في السودان ، اذ كان المتبع أن تعود الفتاة الى حياتها الاولى في بيتها ووسط أسرتها ، بمجرد اتمامها مرحلة التعليم الاولى والابتدائي .

وكانت الفتاة تشعر بالفارق الذي نشأ بين تفكيرها هي بعد أن تعلمت القراءة والكتابة وبين بقية أفراد أسرتها بعد أن عادت الى حياتها الأولى .. حقيقة انها لم تترك اسرتها أثناء دراستها ، ولكن كتبها كانت تلهيها وتشغلها عما يدور حولها.

اسباب التخلف

ومضت الاعوام حتى كان عام ١٩٣٧ ، عندما نشر تقرير رسمي وضعته البعثة البريطانية التعليمية في السودان وجاء فيه : « ان من بين الأسباب الرئيسية لتخلف السودان ، عدم كفاية التعليم بالنسبة للمرأة » وأوصى التقرير بتوسيع نطاق البرامج التعليمية للمرأة السودانية . وفي عام ١٩٤١ وقفت الدكتورة بيسلي Dr. Beasley التي كانت مشرفة على البرامج التعليمية للمرأة السودانية تقرأ تقريرا أمام اجتماع عقده المسئولون في ادارة التعليم ، وطالبت في تقريرها بضرورة

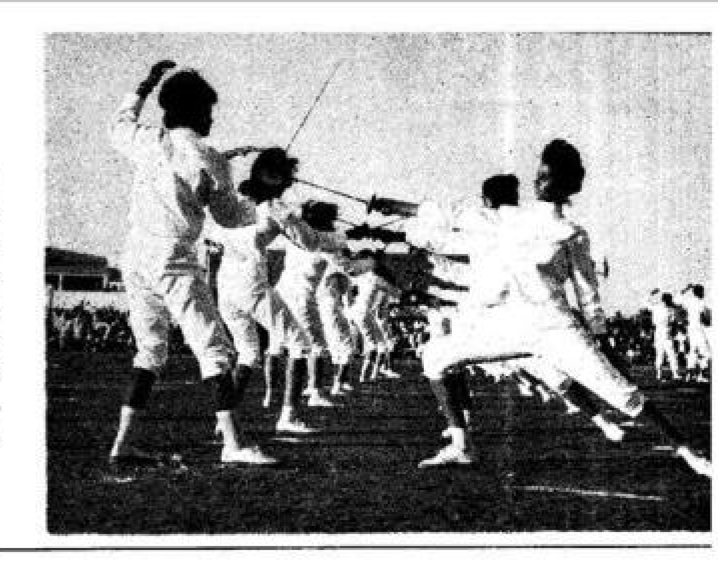
عاملة تليفون بمصلحة التليفونات ، وقد نظمت المصلحة تدريبات خاصة للراغبات في الالتحاق بهذا العمل ، بشرط أن يكن حاصلات على شهادة الثانوية العامة أو الشهادة المتوسطة . ومدة الدراسة شهران ، وتعين الطالبة بعد انتهاء تدريبها بمرتب ١٨ جنيها لحاملة الشهادة المتوسطة و٢٥ جنيها لحاملة الشهادة الثانوية

عاملة في مصنع للحلوى بالخرطوم بحرى ، ونسبة عدد النساء الى الرجال العاملين في المصنع هى ١ : ٢، ويقول مدير المصنع : « لقد ثبت أن المرأة أكثر احتمالا وأحسن تنظيما في عملها من الرجل »

درس في علم النبات ، وقد وقفت المدرسة مع اثنتين من طالباتها تشرح لهما خصائص جذور النبات ..
لقد أنشئت عشرات المدارس لتعليم الفتيات في السودان ، والتعليم بالمجان في جميع مراحله .



السيدة صفية الأمين
أو « ماما صفية » ،
وهي مقدمة برامج
الأطفال في التلفزيون ،
وهي أم لثلاثة أطفال ،
أحمد وأماني وأشواق،
ومرتبها ٥٦ جنيها
شهريا .



اللياقة البدنية ، جانب يلقى اهتماما كبيرا من المسئولين من الناحية التربوية.. وفي الصورة عضوات فريق الشيش باحدى المدارس الثانوية للبنات، وهن يقمن بعرض لهذه الرياضة أثناء المهرجان الرياضي الذى يقام سنويا وتشترك فيه جميع الفرق الرياضية للجنسين .

افتتاح مدرسة متوسطة للبنات . وقالت بين ما قالته في تقريرها : « ان الفتاة تدخل المدرسة في سن السابعة ، وتتركها في سن الحادية عشرة ، بعد انتهاء تعليمها ، ثم تنقضي بضع سنوات بين موعد تركها للدراسة وبلوغها سن الزواج ، وهذه المدة كافية لأن تعيدها الى الحياة الاولى التى تحياها أمها وجدتها وسط المجتمع المتخلف الذى عاشت فيه أسرتها » .

اصوات المعارضة

وفي هذا الاجتماع قدمت الحكومة الاعتمادات اللازمة لاقامة مدارس للتعليم المتوسط للبنات ، وفي نفس هذا العام ، عام ١٩٤١ افتتحت أول مدرسة متوسطة للبنات في أم درمان . ومن جديد ارتفعت بعض صيحات المعارضة الشديدة ضد هذا المظهر الجديد الذى زعموا انه من مظاهر الخروج على الدين ، وكم أصاب الأديان في كل العصور من جهل وقلة حكمة ، الا وهو خروج الفتاة عن البيت بعد بلوغها سن المراهقة ،وقالوا انهم يخشون على بناتهم من الفتنة في هذه السن.

ولكن الدكتورة بيسلى استطاعت بفضل مساندة ادارة التعليم لها ، أن تحول بين كل أب وبين محاولته اخراج ابنته من المدرسة بعد انتظامها في الدراسة ، وهو ما كان يحدث بالفعل بعد أن علت صيحات الاستنكار والمعارضة لاستمرار تعليم الفتاة بعد سن الحادية عشرة !

في موكب العلم

ولكن الفتاة مضت تسير في موكب العلم ، ولم تفلح العقبات والعراقيل التى بثها المتزمتون في وقف تقدمها ابدا .. الى أن جاء عام ١٩٤٥ ، عندما افتتحت أول مدرسة ثانوية للبنات..وبدأت الدراسة بعدد قليل من فتيات الأسر التقدمية التى أدركت الحاجة الى تزويد بناتها بسلاح العلم من أجل حياة أفضل ومستقبل أكثر اشراقا.

ثم كان عام ١٩٤٩ ، عندما تخرجت أول ثلاث فتيات من المدرسة الثانوية للبنات بأم درمان ، بعد حصولهن على شهادة اتمام الدراسة الثانوية .. والتحقت الفتيات الثلاث بجامعة الخرطوم .

الطريق الى الجامعة

وكان هذا العام هو نقطة تحول في حياة المرأة السودانية ، لا لأنها وصلت الى الجامعة فحسب، بل لأن هذا العام شهد أيضا مولد الحركة النسائية في السودان ، ممثلة في رابطة الفتاة الثقافية التى كونتها الاخت فاطمة طالب احدى أول ثلاث فتيات أتممن تعليمهن الثانوى والتحقن بالجامعة .

وقد جاءت فكرة اقامة هذه الرابطة من واقع الشعور بالهوة السحيقة التى تفصل بين الفتاة المتعلمة وبين المجتمع الذى تعيش فيه المرأة .. نفس الشعور الذى راود الفتاة وهى طفلة قبل أن تكمل تعليمها ، وقبل أن تصل الى مرحلة النضوج العقلى الذى أصبح يؤهلها اليوم لدخول الجامعة ..

مولد الحركة النسائية

من هنا أحست الفتاة السودانية المتعلمة بأن



حق الانتخاب ، من بين الحقوق التى حصلت عليها المرأة السودانية بعد ثورة اكتوبرعام ١٩٦٤ ، وفى الصورة لفيف من السيدات السودانيات وهن يدلين بأصواتهن فى أول انتخابات تجرى فى عام ١٩٦٥ .. وقد بلغت نسبة اللواتى مارسن حق الانتخاب أكثر من ٩٠٪ من مجموع عدد النساء اللواتى تتوافر فيهن شروط ممارسة هذا الحق ، وقيدن اسماءهن فى جداول الانتخاب .

امامها رسالة نحو هذا المجتمع المتخلف لرفع مستواه الثقافى والاجتماعى.وهكذا تكونت الرابطة، وكان هدفها الأول هو محو الامية بين النساء ، ورفع مستوى ربة البيت السودانية ..

وكانت هذه الرابطة هى النواة الأولى للاتحاد النسائى فى السودان الذى ما لبث ان اقيم فى عام ١٩٥٢ برئاسة السيدة فاطمة طالب نفس المرأة التى كان لها الفضل فى تأسيس رابطة الفتاة الثقافية . ولقى الاتحاد كل تأييد من جانب طبقة المتعلمين من الرجال بعد أن اعلن برنامجه واهدافه، وفى مقدمتها تحسين مركز المرأة السودانية وتشجيعها على الاشتراك فى الحياة العامة ،والاعمال الخيرية والدفاع عن حق المرأة فى العمل جنبا الى جنب مع الرجل ، والمطالبة بالمساواة فى فرص التعليم للجنسين ..

الحقوق السياسية

على أن نشاط الاتحاد لم يتوقف عند هذه المجالات الاجتماعية فحسب ، اذ ما لبث ان امتد ليشمل المجال السياسى ايضا .. فقد كان السودان بين الدول التى لم تمنح فيها المرأة حقوقها السياسية حتى هذا التاريخ .. بالرغم من صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى عام ١٩٥٢ الذى نص على أنه من حق المرأة ان تدلى بصوتها فى جميع الانتخابات على قدم المساواة بالرجل دون تمييز .

وبناء عليه رفع الاتحاد النسائى فى عام ١٩٥٦ أول مذكرة تطالب بحقوق المرأة السياسية ..حق الانتخاب وحق الترشيح للمجلس النيابى ، كما طالبت المذكرة ايضا بمساواة المرأة بالرجل فى الأجور .. وكانت المرأة تحصل على أربعة أخماس أجر الرجل .. !

ولنترك مذكرة الاتحاد ، ونترك مطالب المرأة السودانية ، فقد انقضت سنوات طويلة منذ عام ١٩٥٦ ، تغيرت فيها صورة المجتمع السودانى تغيرا جذريا .

ماذا حدث ؟

لقد طارت بعثة العربى الى الخرطوم لتسجل بالكلمة والصورة التطور الكبير الذى حدث فى حياة المرأة السودانية ؟

ومنذ اللحظات الأولى لوصولنا الى عاصمة هذا البلد العربى الشقيق ، وصورة المرأة السودانية الحديثة فى ثوبها الابيض الأنيق تطالعنا فى كل مكان نذهب اليه ، فى المكاتب الحكومية ، فى الشركات وفى المؤسسات .. فى المدارس وفى المستشفيات ومعاهد التمريض .. فى دور الاذاعة والتلفزيون والصحف .. لقد كانت دائما هناك ، التقينا بالمرأة الطبيبة والمرأة المحامية والمرأة الصحفية ، والمرأة المذيعة ..

التعليم بالمجان

قابلنا المدرسات اللواتى عهد اليهن بتربية الجيل الجديد من فتيات السودان ، طالبات اليوم وأمهات المستقبل .. وكن جميعا يتحدثن الينا فى ثقة بالغد .. ان تعليم الفتاة لم يعد مسموحا به فحسب ، بل لقد أصبح بالمجان فى جميع مراحله ، ولكن الطالبة فى المدارس الثانوية

تدفع خمسة جنيهات بصفة تأمين تستردها عند اتمام دراستها ، وثلاثة جنيهات ثمنا للكتب في بداية كل سنة دراسية ..

وقد اهتم المسئولون عن السياسة التعليمية في السودان بالناحية الاجتماعية للطالبات ، والمتفوقات منهن بصفة خاصة .. فانشاوا اقساما داخلية للطالبات اللواتي لا تساعدهن ظروف المعيشة في بيوت أسرهن على مواصلة الدرس والتحصيل . ولا تدفع الطالبة شيئا مقابل اقامتها ومأكلها في القسم الداخلي الذي يضم أيضا عددا من الفتيات المغتربات اللواتي حصلن على منح دراسية لتفوقهن ..

الثوب والطرحة

وتذهب الطالبات الى المدرسة « بالثوب » الذي تعتز به المرأة السودانية ، وهو لباس جميل تلف به جسمها كله لفا ، وتغطي به رأسها ! الا انه قد رئي أخيرا ان الثوب يعوق حركة الطالبة ، وخاصة في الاقسام العملية ، فصدر قرار بأن تستبدل الطالبة الثوب بالطرحة البيضاء ، داخل جدران المدرسة فقط فتصل في ثوبها في الصباح ، ثم تخلعه وتضع الطرحة فوق رأسها ، وتعود الى ثوبها عندما ينتهي اليوم الدراسي وتستعد للعودة الى البيت .. وقد طبق هذا التقليد بالنسبة للمرأة العاملة في المصانع أيضا .. فالمهم الا تمشي المرأة في الشارع بدون الثوب !

اللباس المميز للمرأة السودانية

اما المدرسات فلا يخلعن الثوب أبدا سواء داخل المدرسة أو خارجها .. وكلهن خريجات جامعة القاهرة ، وجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، والجامعة السودانية في الخرطوم .. وقد لازمها الثوب في جميع مراحل تعليمها ، وسيظل اللباس المميزة للمرأة السودانية،فهي لا ترضى عنه بديلا .

كيف حققت المرأة السودانية هذه الانطلاقة ؟

وبحثنا عن السيدة فاطمة أحمد ابراهيم رئيسة الاتحاد النسائي، فقيل لنا انها في رحلة في الخارج. وطلبنا مقابلة وكيلة الاتحاد فحددت لنا موعدين، ولكنها اعتذرت في المرتين لضيق وقتها ..

وقلنا : « لا بد أن نقابل أحدا . فليس من المعقول أن نكتب عن المرأة السودانية ، دون أن نلتقي بواحدة من هؤلاء اللواتي حملن لواء الحركة النسائية في السودان ! » .

المرأة والصحافة

قالوا هناك سيدة ، قامت ولا تزال تقوم بدور رئيسي في خدمة قضية المرأة السودانية ، وهي السيدة زينب الفاتح البدوي ، وقد كانت احدى العضوات العاملات في رابطة الفتاة الثقافية ثم في الاتحاد النسائي ، وهي الآن رئيسة رابطة الصحفيات السودانيات . وتكتب صفحة المرأة اسبوعيا في جريدة الصحافة ..

وفي فلة صغيرة أنيقة في قلب مدينة الخرطوم استقبلتنا السيدة زينب ، وعلى وجهها ابتسامة رقيقة ساعدت كثيرا على تخفيف الشعور بالحرج الذي كنا نشعر به ونحن نقوم بهذه الزيارة المفاجئة التي تمت مباشرة عقب حديث تليفوني قصير .. فقد كان الوقت ليلا !

ولكن السيدة الكريمة لم تترك لنا فرصة للاعتذار ، اذ قالت على الفور وهي تمد الينا يدها مصافحة : « انني أرحب بكم اخوة وزملاء».

ودخلنا ، ورحنا نجول ببصرنا في الحديقة الجميلة التي تحيط بالبيت الصغير الأنيق .. كانت هناك مائدة في ركن منها ، وفوقها مصباح كهربائي وكتابان ، أحدهما في الادب الانجليزي ، والثاني عن تطور حركة المرأة السودانية . وهو بالانجليزية أيضا ..

تطور المرأة السودانية

وكانت هي تقرأ في الكتاب الاول ، أما الثاني ، فقد جاءت به من مكتبتها قبل وصولنا لتقدمه لنا، وقالت في تواضع وهي تدعونا الى الجلوس : « انه كتيب صغير،وضعته انا باللغتين ،الانجليزية والعربية ، ولكن الطبعة العربية نفدت ، ولم يبق عندي سوى بضع نسخ من الطبعة الانجليزية. قد تجدون فيه شيئا عن الحرب التي خاضتها المرأة السودانية ضد التخلف والتقاليد ، ثم عن كفاحها من أجل نيل حقوقها المدنية والسياسية !

قلنا : « نريد أن نعرف شيئا عن نشاط المرأة السودانية ، منذ أن قدمت مذكرتها التي طالبت فيها بمنحها حقوقها السياسية في عام ١٩٥٦ ؟ »

وكان طبيعيا أن تستهل السيدة زينب حديثها

معنا عن نشاط المراة في ميدان الصحافة . قالت: « منذ ذلك التاريخ لم تتوقف انطلاقة المراة ابدا .. لقد خرجت لتغزو كل مجالات العمل .. رغم انف كل معارضة ، وفي مجال الصحافة ، اصبحت كل صحيفة تنشر صفحة للمراة مرة كل اسبوع .. واليوم توجد في السودان مجلتان نسائيتان ، هما « صوت المراة » و « المنار » وقد أدت الصحفية السودانية واجبها كاملا ، واقترن اسمها دائما بالتطور الاجتماعي للمراة .. »

الاستزادة من العلم

« وفي المجالات الاخرى .. في التعليم وفي الطب .. والمحاماة ، والتمريض وغيرها ، لم تكتف المراة بما حصلته خلال دراستها الجامعية في السودان بل سافرت في بعثات دراسية للخارج ، لتجتمع بزميلاتها واترابها ، وتقف منهن على احدث الوسائل التى توصل اليها العلم في هذه المجالات، ثم عدن الى بلادهن بخبرة أوسع وتجارب انفع لخدمة مجتمعهن الجديد » .

ومضت السيدة زينب تقول : « وقد وصلت المراة الى معظم المراكز التى كانت مقصورة على الرجل فاصبحت معيدة في الجامعة ومحاضرة وناظرة للمدارس الثانوية وطبيبة ، ثم محامية لاول مرة في السودان عندما تخرجت السيدة سنية مصطفى في عام ١٩٦٠ ، وكرمتها الدولة باعتبارها أول سيدة تمارس المحاماة في السودان . »

الجمعيات النسائية

ثم قالت : « وكانت هذه الطفرة الكبرى من اهم العوامل التى ساعدت على تقدم المراة السودانية التى اثبتت جدارتها في كل المناصب التى اسندت اليها ، ولو انه لابد لنا ونحن نستعرض نشاط المراة في السنوات الماضية ان نشيد بدور جمعية الهلال الاحمر ، والمرشدات السودانيات والجمعيات الثقافية والاجتماعية الاخرى التى كان لها اثر كبير في تقدم حركة المراة السودانية وتطورها » .

قلنا : « لقد حصلت المراة السودانية على حقوقها السياسية في عام ١٩٦٤ ، فكيف تحقق ذلك ، بعد أن ظلت المذكرة التى تقدم بها الاتحاد النسائي في عام ١٩٥٦ ، مهملة طوال هذه السنوات ؟ » .



فتاة سودانية تراقب جهاز ال Computer او العقل الالكتروني ، بمصلحة الاحصاء التابعة لرئاسة مجلس الوزراء السوداني ، وفي المصلحة ٥٤٠ موظفا بينهم حوالي ٦٠ آنسة وسيدة .



أعمال السكرتيرية كانت في مقدمة الوظائف التي اقبلت المراة السودانية على شغلها في المكاتب الحكومية والشركات والمؤسسات .. وفي الصورة سكرتيرة مدير احدى الشركات تراجع مع زميلتها بعض الاوراق الرسمية قبل عرضها على رئيسها .

المرأة في ثورة أكتوبر

قالت : « لقد حققنا في السنوات الخمس الاخيرة ، ما كنا نعجز عن تحقيقه في مائة عام .. وقد بدأت قصة اعطاء المرأة السودانية حقوقها السياسية في ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤ ، عندما خرجت المرأة لتسير مع الرجل في المظاهرات الشعبية الصاخبة التى انطلقت في شوارع العاصمة لتعبر عن استيائها لنظام الحكم القائم قبل الثورة .. فقد كان بين القتلى الذين سقطوا نتيجة للاصطدامات التى وقعت بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، امرأة .. كما امتلأت المستشفيات بعشرات الجرحى من النساء اللواتي نقلن مع المصابين من الرجال الى المستشفيات لاسعافهن بالعلاج ..

« وازاء هذا العمل البطولى الذى اشتركت فيه المرأة جنبا الى جنب مع الرجل ، لم يجد المسئولون في الحكومة الجديدة بعد أن استتبت لهم الأمور ، الا الاعتراف بالمرأة ، والا دعوتها للاشتراك في وضع نظام الحكم الجديد في البلاد ، ومنحها كامل حقوقها السياسية ، التى طالما كافحت من أجل الحصول عليها سنوات طويلة .. وهكذا ولأول مرة في تاريخ السودان أصبح للمرأة حق الانتخاب ، في الثامنة عشرة ، وحق الترشيح لعضوية الجمعية التأسيسية (البرلمان) عندما تبلغ عامها الثلاثين ..

المرأة في البرلمان

وتتابع السيدة الفاضلة حديثها فتقول :

« وقد دخلت المرأة البرلمان فى أول انتخابات اجريت في العام التالى لثورة أكتوبر في عام ١٩٦٥ عندما انتخبت أول امرأة سودانية لعضوية الجمعية التأسيسية ، وهى السيدة فاطمة أحمد ابراهيم رئيسة الاتحاد النسائى عن دوائر الخريجين . كما ثبت من الاحصائيات التى أجريت في لجان الانتخابات أن صوت المرأة كان له وزن كبير في الانتخابات ، اذ بلغت نسبة اللواتي مارسن حق الانتخاب ، أكثر من ٩٠٪ من مجموع عدد النساء اللواتي يتمتعن بحق الانتخاب .

« وعندما بدأت الحكومة في اختيار أعضاء اللجنة القومية لوضع الدستور الجديد للسودان، لم تغفل المرأة فقد اختارت سيدة لتشارك في وضع الدستور . »

وقلنا للسيدة زينب الفاتح : « هل معنى هذا أن المرأة السودانية قد حققت ما تصبو اليه من حقوق خلال تلك الفترة القصيرة ، وانه لم يعد هناك اى تفرقة في المعاملة بينها وبين الرجل ؟ ».

وقالت السيدة التى شاركت بدور فعال في الحركة النسائية في السودان منذ نشأتها .

« ما زالت هناك حقوق كثيرة تطالب بها المرأة، في مقدمتها المساواة من حيث عدد المدارس التى تخصص للاولاد والبنات وخاصة بعد أن ثبت من آخر احصاء اجرى عام ١٩٦٨ ، أن نسبة عدد الذكور الى الاناث هي ٥٠٫٥٪ الى ٤٩٫٥٪ من مجموع تعداد السكان الذى بلغ ١٤ مليونا و١٤٦ الف نسمة .

« ثم هناك مكافحة الأمية بين النساء المتقدمات في السن ، والقضاء على التقاليد البالية في الافراح والاحزان ، والحد من المغالاة في المهور ، التى كانت سببا مباشرا في أزمة الزواج التى يعانى منها المجتمع في السودان. وقد بدأ الاتحاد النسائى بالفعل في اعداد مشروع على غرار المشروع الذى وضعته الزعيمة النسائية في مصر درية شفيق ، لتسهيل الزواج .. »

طبيبة سودانية تتحدث الى أم جاءت تطمئن على ابنها المريض بالمستشفى الجنوبي بالخرطوم ، وهو مستشفى حكومي . ويتقاضى طبيب الامتياز رجلا كان أم امرأة ٦٠٠ جنيه سنويا ، ويرفع هذا المرتب بمعدل ٤٥ كل عام الى جانب بدل السكن..





فى موسم جنى القطن تخرج المرأة الى الحقول لتساعد الرجل فى هذه العملية التى تستغرق أسابيع طويلة وتحتاج الى كل الايدى العاملة . وفى الصورة ثلاث نساء يجنين القطن فى أرض الجزيرة جنوب الخرطوم .

وانتهى بذلك حديثها الممتع معنا !

ازمة زواج

ففى السودان أزمة زواج بسبب ارتفاع مهر العروس الذى يصل الى مائتى جنيه سودانى بالنسبة للعامل المهنى أو الموظف ، ومائة جنيه للعامل غير الفنى ، وهو مبلغ كبير لا طاقة للعريس به .

وثمة سبب آخر ، الا وهو ارتفاع تكاليف المعيشة ، وعدم زيادة الاجور بنسبة مماثلة ، ثم ازمة المساكن المستحكمة اذ يزيد ايجار الغرفة الواحدة فى بعض الأحيان على ستة جنيهات ..

قانون العمدة

ولقد تنبه اهالى جزيرة توتى ، وهى جزيرة صغيرة تقع وسط النيل حيث يتفرع مجراه عندها الى فرعين لا يلبثان أن يلتقيا مرة أخرى بالقرب من كوبرى أم درمان .. تنبه أهالى هذه الجزيرة الصغيرة الى ظاهرة ارتفاع المهور .. وكان عمدة الجزيرة أسرع من الاتحاد النسائى فى علاج هذه المشكلة ، اذ أصدر قانونا لتسهيل الزواج وتشجيع الشبان على اكمال دينهم . وقد حدد القانون الجديد مهر العروس بمبلغ ٦٠ جنيها تشمل نفقات العرس وجهاز العروس واثاث البيت وكل شيء .. حتى لو كان العريس متعلما ، وحتى لو كان مقتدرا .. فهو لا بد أن يخضع لقانون العمدة طالما أنه يعيش فى الجزيرة ووسط أهلها .. فاذا لم يعجبه القانون ، وشاء أن يؤثث بيتا جديدا وينفق مالا أكثر ، فلا بد له أن يرحل هو وعروسه ــ أو ــ وهذا حل آخر هدفه تيسير المشكلة على العروسين ، فله أن يفعل ما يشاء ببيته الجديد وماله، ولكن بشرط أن يكون قد مضى على زواجهما عام كامل .

وهكذا حل العمدة أزمة الزواج « بقانون قراقوش » !

ابو المرأة

وبعد .. هذه لمحة عن تطور المرأة فى السودان .. واذا زرت أم درمان العاصمة الوطنية ،طالعك بناء شامخ يشيرون اليه بأصابعهم ويقولون لك .. هذه مدرسة « أبو المرأة فى السودان » .. انها « مدرسة الأحفاد » نفس المدرسة الصغيرة التى افتتحها الشيخ بابكر بدرى الذى سبق أن ذكرنا قصته فى بيته الصغير بمدينة رفاعة ، لتكون أول مدرسة أولية للبنات .. لقد تحولت اليوم الى دار كبرى للتعليم فى جميع مراحله .. انها تقف اليوم شاهدا على العرفان بجميل الرجل الذى كان أول من نادى بحق المرأة فى التعليم منذ أكثر من نصف قرن من الزمان .

منير نصيف

ساطع الحصري

أقوى الدعاة للقومية العربية حجة

بقلم : أكرم زعيتر

■ « اليوم شعرنا بانفصال سورية عنا »

هذا ما قاله الكاتب التركي الشهير (عاصم اس) في صحيفة تركية معروفة اسمها (وقت) ، في مقال يودع فيه ساطعا الحصري ، حين غادر الاستانة الى دمشق منذ نصف قرن ليسهم في خدمة وطنه العربي المتحرر .

وكان قد شاع في عاصمة الخلافة ان ساطعا مزمع على الشخوص الى سورية ، فهبت الصحف التركية تتناول الموضوع في حدة واهتمام ، فهذه تقول :

« ان فيما ازمع عليه ساطع لعبرة لمن اعتبر ! الا تعتمد في امر على غير الاتراك والا تثق الا بالاتراك »

وثانية تقول :

« اننا نعرب عن عظيم آلامنا مما عزم عليه ساطع ! اننا نناشده ان يبقى بيننا . اننا نعده من رأسمالنا العلمي الاصيل » .

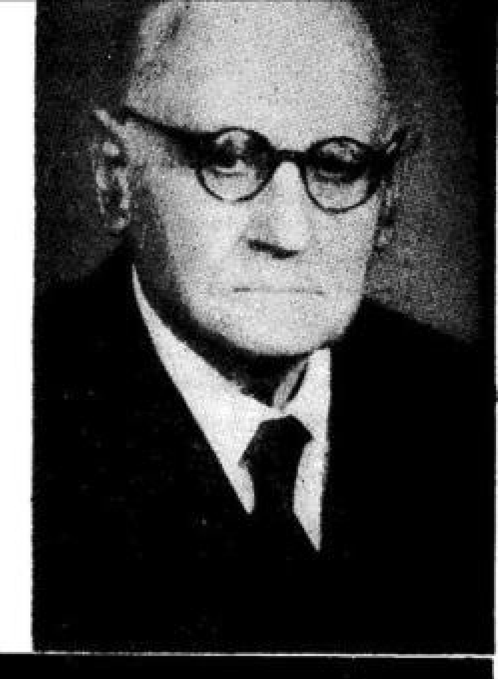
وراح مفتشو المعارف والاساتذة في استانبول يوقعون بيانا موجها الى ساطع يقولون فيه :

« ان انتقالك من تركيا الى بلاد العرب هو انتقال الفرسة اليانعة من التربة الخصيبة الى الصحراء الجديبة ، وان في ذلك لغدرا للطبيعة !»

ولكن من دأب ساطع اذا همّ بأمر ان يمضي عليه ..

السلطات المحتلة في العراق تكره ساطعا على مغادرته

وحدث بعد ثلاث وثلاثين سنة ان اكرهت السلطات المحتلة في العراق ساطعا على مغادرته ، وحار في تعيين المكان الذي يلجأ اليه ، وكنت في دار الهجرة في تركيا ، وكان كبار القوم الذين القاهم لا يفتأون يسألونني عن (البروفسور ساطي) ــ هكذا يلفظون اسمه ــ ويعتزون بالتلمذة له او لتلاميذه ، فكتب الى صديق لي ولساطع في حلب : « لماذا لايجيء استاذنا ساطع الى تركيا التي تجله وتقدره حق قدره ؟ » فاجابني على لسان ساطع : « لئلا يشمت به أولئك الذين نصحوه بالبقاء في تركيا ، وأولئك الذين وقعوا الرسالة الموجهة اليه . او ان يسمع من يقول له: أرأيت الام انتهى بك غدر الطبيعة » .



بدأ حياته العملية مدرسا للعلوم الطبيعية في يانية (مدينة يونانية على الادرياتيك) والف في اثناء ذلك في علم النبات كتابا تقرر تدريسه في مدارس الدولة العثمانية . ولما بدت عليه مخايل الكفاية الادارية والقدرة على التنظيم عين (قائما مقاما) في قضاء رادوفيشنه (من ولاية قوصوة البلغارية) فمناستيرلي (في يوغوسلافيا) .

وكان في اثناء ذلك يسهم في الحركة الدستورية ويظاهر اقطابها ويحرر في مجلتها الثورية السرية المسماة (نَيِّرة حقيقت) اى الحقيقة النيرة ، حتى اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ فاستقال من عمله الاداري ، ويمم استانبول لينصرف الى العلم، فاصدر مجلة (انوار علوم) وجعل همه دراسة اوضاع التربية والتعليم في الدولة العثمانية . وقد اوتي قدرة خارقة على الانتقاء ، فذاع صيته في هذا الشان وعين استاذا (لعلم الاقوام) في الملكية وفي

كتبَ إليهِ سائلٌ يقول : كيفَ يَغلِبُ الصَّهاينةُ العَرَب ونحن ٧ دُوَلٍ عربيَّة

فأجابه ساطع بقوله : إنَّما غلبَ الصَّهاينةُ العَرَب لأنَّهم ٧ دُوَلٍ عَربيَّة !

نشأته

ولد ساطع سنة ١٨٨٠ في صنعاء حيث كان ابوه محمد هلال الحصري رئيس محكمة استئناف فيها، وكان يعتزي الى حلب لأن أبويه حلبيان ، وقد تنقل مع أبيه من اليمن الى « أضنه » فأنقرة فطرابلس الغرب ثم عاد الى اليمن فقونيه فطرابلس الغرب ثانية . أتم الابتدائية فالاعدادية بالمدرسة الملكية ، ثم التحق بالتعليم العالي فأتمه في العشرين من عمره ، وكان تفوقه في العلوم الطبيعية سر التزامه التفكير العلمي طول حياته .

دار الفنون فمديرا لدار المعلمين في استانبول : والف في اثناء ذلك في التربية وعلم النفس وفي الطبيعيات ، ودارت بينه وبين اساطين التربية مناقشات في أصول التعريس وفي نظريات تربوية واصدر مجلته التربوية باسم « تدريسات مجموعه سي »

ودعي الى تدريس التربية في الجامعة وفي مدرسة دار الخلافة . ثم نشب بينه وبين وزير المعارف العثمانية (أمر الله افندي) خلاف فآثر الاستقالة. واسس مدرسة خاصة يطبق فيها آراءه ، ذات روضة عين لها معلمات ، فكانت سنئذ ، اول من

ابتدعها ساطع ، وفيها قسم (حضانة) سماه (جوجوق يوغه سى) اى عش الاطفال ، وانشا دارا للمربيات لتخريج المعلمات ، ويذكر مجايلو ساطع من الاتراك تلك المناقشات التي احتدمت بينه وبين ضياء كوك الب : الدماغ المفكر للحركة القومية التركية في مختلف المواضيع الاجتماعية ، وكانت الغلبة فيها لساطع . وبلغ من الشاو البعيد ان كلف طلعة باشا كبير الوزراء زعيم الشبيبة العربية ورئيس المنتدى الادبي عبد الكريم الخليل ـ وقد صلبه احمد جمال باشا فيما بعد ـ اقناع ساطع بالعمل مستشارا لوزارة المعارف فلم يفلح، ولكنه تولى رئاسة لجنة التربية في الوزارة (تربية انجمن) وقبيل نزوحه الى سورية تراس مؤتمر الصحافة .

ساطع يتعلم العربية

وكان ساطع لايعرف العربية،وان توقد في صدره حبها ، وغلت عروقه بدمها ، فما اسرع ما استجاب لصارختها ، ويمم دمشق في عهدها الفيصلي ، وانكفا يدرس العربية حتى اجادها كاتبا بليغا ومحاضرا مبينا !

وكان فيصل يعلم عن ساطع كثيرا وان لم يكن يعرفه شخصيا ، فولاه وزارة المعارف فنهض بها . عرب التعليم ووجهه وجهة تربوية حديثة ، وعقد مؤتمرات للاصلاح . ثم اغتالت فرنسة استقلال سورية ، وكانت ميسلون ـ ولساطع كتاب نفيس عن ميسلون ـ فنزح مع فيصل الى نابولى ، وباتفاق معه يمم ساطع تركيا لتحريض الكماليين على مناوشة الفرنسيين الغزاة .

ساطع في العراق

وبعد أن رجع ساطع الى القاهرة ظل على صلة بفيصل ، فما ان اختير ملكا للعراق سنة ١٩٢١ حتى بادر الى استدعائه الى العراق ، ولكن ساطعا حرص قبل الشخوص الى العراق على زيارةطائفة من المدارس المصرية ، واطلع على اساليب التعليم واتجاهاته ، وارسل مذكرة ضافيةالى وزير المعارف المصرية جعفر ولي حول النظام التعليميفي‌مدارسها جاءت مليئة بنظراته النقدية الصائبة .

وصل ساطع الى العراق ، فاتخذ منه فيصل مستشارا شخصيا له في شؤون المعارف ، وكان أول ما لحظه ان الانكليز قد نقلوا الى العراق النظام الذى وضعوه في مصر فراح يدرس سبيل العمل للخلاص منه . وقبل ان يتولى عملا رسميا في معارف العراق اتيحت لهلقاءاتلفارل البريطاني المهيمن على شؤون المعارف اقتنع فيها ساطع باستحالة الاصلاح الجدى قبل اقصائه ، فصارح فيصلا بذلك ، فوعده باقصائه حين يتولى ساطع عملا رسميا ،وحين تعين ساطع معاونا لوزير المعارف ، وشرع ينظم اجهزة الادارة والتفتيش ويصلح التعليم على اسس تربوية قومية وطنية وحدوية لقي من فارل معارضة انتهت باقصاء فارل عن معارف العراق ليعمل في معارف فلسطين المقهورة !

وتنقل ساطع ، لاسباب ليس هنا مجال تبيانها وبمحض ارادته وبوحي من اجتهاداته ، من معاون لوزير المعارف الى مدير عام للوزارة الى استاذ في دار المعلمين العليا ، الى مراقب تعليم ، الى رئيس لكلية الحقوق ومدير الاثار العامة معا ، الى مدير الاثار العام ، الى مدير التدريس والتربية العام، الى مدير الاثار القديمة ثانية ، وهو في اثناء ذلك كله : في عمله الرسمي وغير الرسمي ، لم ينقطع عن الدعوة الى وحدة الأمة العربية واشاعة الشعور بامجادها ، بالمناهج ، بالبلاغات الرسمية ، بالمعارض ، بالمحاضرات ، بالرسائل ، في همة عزّ نظيرها لدى ابعد الشبان همة .

ويمكن تلخيص التلخيص لبعض منجزاته في العراق بكونه انقذ المعارف من النظم الموروثة عن العهد البريطاني ، ووحد التربية والتعليم في مدارس الحكومة والمدارس الاجنبية والطائفية ، ووجه التعليم اتجاها وطنيا ، ورفع مستوى دار المعلمين العليا ، ودرس فيها علم النفس واصول التدريس والقى محاضرات فيعلم الاجتماع وفلسفة العلوم ، وانشا مجلة التربية والتعليم ، والف في اصول التدريس ومواضيع مدرسية اخرى حتى في القراءة الالفبائية واسمها (القراءة الخلدونية) واصلح التفتيش ، ووضع نظام المدارس الاهلية والأجنبية ، واصلح كلية الحقوق ودرّس هو فيها علم الاحصاء ، ووضع قانون الاثار . واسس ساطع متحفا للاثار العربية في بغداد ، وآخر للاسلحة ، وثالثا للازياء ورابعا في سامراء ، وخامسا في بابل ، وقطع دابر سرقة الاثار العراقية .

عروبة ولاية الموصل

ولعل من اجل ما أثر عن ساطع في العراق جهوده الضخمة في سبيل الابقاء على عربية ولاية الموصل وعراقيتها . فقد اقام البريطانيون في القسم الشرقي منها حكما غير مرتبط بالعراق وطالب الأتراك بجميع أقسام الولاية زاعمين ان استيلاء الانكليز عليها قد تم بعد توقيع الهدنة . وفي سنة ١٩٢٥ وفدت على العراق لجنة الفها مجلس عصبة الامم من رئيس سويدي وعضوين : مجري وبلجيكي ، فراح ساطع يواصل الاتصال بها ، ويُعد الوثائق التي لا تدحض وتؤكد عراقية الموصل . واستند في هذا الى كتب الجغرافية والتاريخ والاحصاءات التركية ، ودعا اللجنة الى عرض كشفي بارع كانت خاتمة تماريته رسم خارطة بشرية للعراق مع الحدود والرافدين ، وركز العلم العراقي فوق مكان مدينة الموصل ! وكان لجهود ساطع فضل كبير فيما انتهت اليه اللجنة من قرار يقضي بان ولاية الموصل تعود الى العراق جغرافيا واقتصاديا .

ومن أهم ما عرف عن ساطع ما كان يوم استدعت وزارة المعارف العراقية ـ وكان ساطع مديرا للآثار ـ لجنة باسم لجنة الكشف التهذيبي مؤلفة من اساطين رجال التربية في الولايات المتحدة الامريكية برئاسة بول مونرو سنة ١٩٢٢ ولم تكد تنجز عملها وتقدم تقريرها حتى انبرى ساطع للرد عليه وتبيين اخطائه والبرهنة على انه انما يعكس الاتجاهات الفكرية التي كان رجال المستعمرات يلتزمونها في تعليم ابناء المستعمرات ، ووجه الى رئيس اللجنة اثنتي عشرة رسالة كان لها دويها وحالت دون الاخذ بالكثير مما اقترحته اللجنة المذكورة .

في سورية في العهد الفرنسي

وحين تسلم الوطنيون في سورية مقاليد الحكم تولى ساطع دراسة انظمة التعليم في العهد الفرنسي فادهش الملأ في تقاريره بما كشف فيها عن اسواء تلك الانظمة . ثم عهد اليه بان يشرف هو مستشارا للمعارف على تنفيذ آرائه واجتثاث المفاسد القديمة .

في القاهرة
دعوته الى القومية العربية

وفي سنة ١٩٤٨ القى في الجمعية الجغرافية الملكية في القاهرة ، بدعوة من كلية الآداب لجامعة فؤاد الاول ست محاضرات نفيسات في نشوء الفكرة القومية تحدث فيها عن اشراق الفكرة القومية في اوروبا (بلغاريا ـ اليونان ـ رومانيا ـ يوغوسلافيا ـ البانيا) وفي البلاد العربية ، وكانت محاضراته تلك فتحا بينا في تاريخ الدعوة الى الفكرة العربية في مصر . وكان ساطع قبلئذ قد الف في القومية العربية مؤلفات عديدة منها (دفاع عن العروبة) و (العروبة بين دعاتها ومعارضيها) و (احاديث في الوطنية والقومية) وفيها عرف القومية ودافع عنها ورد اباطيل خصومها ، وفلسفها . وتحدث الناس عن كتابه (ما هي القومية) وهو دراسات في ضوء الاحداث والنظريات ملىء بالتعريفات الواضحة وفيه يناقش ساطع آراء لكبار المفكرين والمؤرخين في تعريف القومية امثال اشتراوس وموسن وترايتشكه (الالمان) ورينان وفوستل دولانج (الفرنسيين) . وكان بحثه في القومية والمصالح الاقتصادية القول الفصل في النظرية المادية ، وقد انتهى منه الى البرهنة على ان الاحاسيس الوطنية والقومية من النوازع والعواطف التي تسمو على الحسابات النفعية « ولو عمل الناس بسائق المنفعة دون ان يلتفتوا الى الامور العاطفية والمعنوية لتفككت جميع الروابط الاجتماعية من العائلية الى القومية ولانحطت البشرية الى مرتبة دون مرتبة البهائم » . وقد ابدع ساطع في مناقشة نظرية ستالين في القومية والحياة الاقتصادية ، وبلغ الغاية حين ناقش الماركسيين في نظرتهم الى القومية والراسمالية وانتهى الى الاقتناع والاقناع بان اس الاساس في تكوين الامة وبناء القومية هو وحدة اللغة ووحدة التاريخ « لان الوحدة في هذين الميدانين هي التي تؤدي الى وحدة المشاعر والمنازع ووحدة الآلام والامال ووحدة الثقافة . وبذلك كله تجعل الناس يشعرون بانهم امة واحدة متميزة عن الامم الاخرى، فاللغة روح الامة وحياتها والتاريخ يكون ذاكرة الامة وشعورها »

ساطع وابن خلدون

كان ساطع معجبا الاعجاب كله بابن خلدون وسمى ولده (خلدونا) وكانت كنيته الأثيرة ابا خلدون ، وقد الف عن ابن خلدون تاليفا عجيبا في عمقه ، فذا في اسلوبه ، وفيه اسهب الحديث البليغ عن مكانة ابن خلدون في فلسفة التاريخ وعلم

الاجتماع ، وقارنه باعلام فلاسفة الاجتماع ، كما قارن مقدمته بروح القوانين لمونتسكيو ، ولا يتردد قارىء ذلك الكتاب الانفس في الحكم بان ابن خلدون احق من اوغوست كونت بلقب مؤسس علم الاجتماع.

ومما الح فيه واصر عليه في كتابه البرهنة على ان كلمة (العرب) في مقدمة ابن خلدون ، وهي التي ولدت اغرب الالتباسات وانتجت أسوأ النتائج ، انما عنى بها البدو الاعراب ، وفي هذا رد على الشعوبيين الذين لايفتأون يستشهدون بابن خلدون انتقاصا للعرب ، وقد بلغ اهتمامه بهذه النقطة ان اصدر حين كان مديرا عاما للمعارف العراقية بيانا رسميا يدعو فيه المعلمين الى ازالة هذا الخطأ وافهام التلاميذ ان كلمة العرب « لا تدل على صنف من صنوف الخلق ، بل تدل على جميع افراد الامة » .

في الجامعة العربية

وحين عمل ساطع مستشارا للادارة الثقافية لجامعة الدول العربية جاءت حولياته الثقافية الاربع حول اوضاع التعليم في الاقطار العربية ومؤسسات الثقافة موسوعات تضم المعلومات والوثائق عن تاريخ المعارف واوضاع الثقافة واتجاهاتها في القرن العشرين . وفيها يقنعك « بان الفروق في نظم التعليم واتجاهات الثقافة لم تكن نتاج طبيعة البلاد الاصلية وحاجاتها الحقيقية وانما كانت من نتائج السياسات الاجنبية التي سيطرت على مقدراتها عن طريق الانتداب والاحتلال، والا مجال للشك في ان هذه الفروق ستتضاءل كلما تخلصت الدول العربية من النظم التي ورثتها عن عهود الاحتلال والانتداب ، وكلما عدلت النظم والاوضاع القائمة في بلادها وفق ما تقتضي مصالحها الحقيقية بنظرات شاخصة نحو المستقبل البعيد والمثل الاعلى الذى تنطوى عليه فكرة العروبة الخالدة . »

★ ★ ★

بقي علي ان اقول ان ساطعا كان اقوى من عرفت حجة واشد من عرفت التزاما بالمنطق في اسلوب اتسم بالوضوح التام ، وكان بحق ديدبانا ساهرا يحمي حمى القومية العربية ، يترصد خصومها ويستدرجهم الى المجادلة فيقدع باطلهم بحجته البالغة المشوبة احيانا بسخرية تمنح المناقشة العلمية نكهة لذة ! وما عرفت ان ساطعا قد استسلم مرة واحدة لحجة خصمة او تهرب من مجادلته حتى يخيل الي ان العناد صفة غالبة على سجايا ساطع.

ولساطع في مضامير النقاش جولات تستأهل ان يفرد لها مؤلف خاص ، واى متعة من ان نقرأ له ردوده على آراء لسعد زغلول ومصطفى المراغي وطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وشفيق غربال وعبد الرحمن عزام وفتحي رضوان وحسين مؤنس وانطون سعادة وغيرهم ؟

★ ★ ★

واذا نحينا آراءه التربوية والاجتماعية جانبا ، فان اقوى واحر واحمس ما دعا اليه ساطع هو الاتحاد العربي ،فعليه تدور معظم كتبه ومحاضراته واليه تهدف مساعيه ومناقشاته ،واذكر ان احدهم كتب اليه يوم نزلت بالعرب كارثة سنة ١٩٤٨ في فلسطين : « يا أستاذ .. كيف يغلب الصهيونيون العرب ونحن سبع دول عربية » فاجابه بجملة واحدة هي : « يابني لقد غلب الصهيونيون العرب لانهم سبع دول »

★ ★ ★

واكثر ما يسترعى انتباهي من مناقب استاذنا وشيخنا الاجل ساطع الحصرى تفاؤله وثقته بمستقبل الامة العربية ... فبينا كانت تخيم على اذهاننا في عز المحن سحابة من التشاؤم كان ساطع يكتب الى الاستاذ الدكتور احمد امين في مجلة الثقافة رسالة يقول فيها : « ولا اكتم أن آثار البعض من تلك الصدمات لاتزال تثقل كاهلي منذ عدة سنوات ، ومع كل ذلك فاني أؤكد لكم كل التأكيد بانني لم ار في هذه الامور والاحوال كلها ما يستوجب اليأس ابدا ولم استسلم من جرائها للتشاؤم او القنوط في يوم من الايام ، ذلك لانني اعتقدت ولا أزال اعتقد ان هذه الاختلالات الاخلاقية والاجتماعية التي نتالم ونشكو منها لا تخرج عن نطاق الازمات التي يجب أن تسمى شبه طبيعية لانها من نوع الاختلالات الجسمانية والنفسانية التي تحدث عادة في بعض الادوار من الحياة مثل الحميات والاختلالات التي ترافق الحمل والولادة والتسنن والبلوغ »

ويوم نعى الينا منذ شهور ساطع الحصرى وهو يؤلف ويملي في الثمانية والثمانين من عمره افتقدنا الطاقة العربية الهائلة التي قل ان يجود علينا الزمان بمثلها . ■■

اكرم زعيتر

صِيغَة اسْتَفْعَلَ

بقلم : عبد الستار فراج

■ الألفاظ العربية لها معان تتغير بسبب اختلاف صيغها ، فآكل غير آكَل ، غير تآكل ، غير استآكل . وقد تحتفظ بدلالتها الأصلية مع اكتسابها معنى اضافيا فى صيغتها الاخرى ، وهذا المعنى المكتسب نجده مرة ظاهرا لأول وهلة ، وأحيانا نحتاج في كشفه الى التأمل وانعام النظر ، وربما جاء اللفظ في الاستعمال بطريقة لا تتبين فيها فرقا عما كان عليه في صيغته الأولى ، أو نشعر انه غايره كل المغايرة .

ونقتصر هنا على صيغة « استفعل » المتفرعة عن صيغة « فعل » .

(١) « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا » .

(سورة نوح الآية ١٠)

أى اطلبوا الغفران .

« واذ استسقى موسى لقومه »

(سورة البقرة الآية ٦٠)

اى طلب السقيا .

« فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه »

(سورة القصص الآية ١٥)

اى طلب الغوث .

« فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه » .

(سورة القصص الآية ١٨)

أى طلب النصرة ، أو طلب منه الصريخ وهو المعونة .

ويلاحظ في هذه الصيغ انها أفعال متعدية . وكلها بمعنى الطلب .

ومنها اللازم : مثل استمات واستقتل ، أى طلب الموت والقتال . وفي حديث بدر « أرى القوم مستميتين » أى مستقتلين اى يقاتلون حتى الموت.

ومجمع اللغة العربية رأى أن صيغة استفعل التى تفيد الطلب ، قياسية .

(٢) « استنسر البغاث »

اى أن الطيور غير الجوارح وما لا يصيد منها صارت كالنسور .

« واستنوق الجمل »

اى صار كأنثاه الناقة .

« واسترجلت المرأة »

اى صارت كالرجل .

« واستحجر الطين »

اى صار كالحجر .

فصيغة استفعل هنا تفيد الصيرورة . وهى قياسية عند مجمع اللغة العربية في الدلالة على الصيرورة .

والصيغة قد تكون متعدية فتقول استصلح الأرضَ أى صيّرها صالحة .

(٣) استعظمته ،واستكبرته ، واستصغرته ، واستحسنته ، واستقبحته .

وهى صيغة تدل على انك وجدت الأمر عظيما أو كبيرا .. الخ .

(٤) استلأم أى لبس لأمته .

واستعبده أى اتخذه عبدا .

(٥) أرحته فاستراح

وأحكمته فاستحكم

الصيغة هنا تدل على المطاوعة .

(٦) « أن رآه استغنى »

(سورة العلق الآية ٧)

« الا كانوا به يستهزئون »

(سورة الحجر الآية ١١ ويس الآية ٣)

« فان استقر مكانه فسوف ترانى »

(سورة الاعراف الآية ١٤٣)

هذه الأفعال معناها معنى الفعل الثلاثى .

فاستغنى بمعنى غنى .

واستهزأ بمعنى هزئ .

واستقر بمعنى قرّ .

■■

طرائف غريبة

ماذا قالوا عن غزو الفضاء ؟

● يقترب الانسان بخطوات ثابتة الى القمر ، بعد نجاح التجارب الامريكية والسوفيتية الأخيرة في غزو الفضاء . وفيما يلي بعض التعليقات الساخرة التي نشرتها صحف العالم من مختلف الفئات على هذا الحدث العلمي الكبير ..

انصار السلام : اذا كنتم تستطيعون ان ترسلوا رجلا الى القمر ، فلماذا تعجزون عن وضع نهاية للحروب على الأرض ؟ .

الاطباء : الم يكن اهتمامكم بعلاج السرطان والانفلونزا ، اولى من ارسال رجل الى القمر ؟ .

الطلبة : « الم يكن الاجدر بكم ان تنظموا لنا رحلات على الأرض نرى من خلالها الدنيا ، قبل ان تفكروا في ارسالنا الى القمر ! » .

السياسيون في امريكا : سنصل قبل الروس ، وسترفع العلم الامريكي فوق القمر ، وسنقيم قاعدة لصواريخ الفضاء

السياسيون في روسيا : سنترك للامريكان القمر ، وسنتجه الى المريخ . فهو مركز استراتيجي اهم ! .

الشعوب : اتركوا الكون يعيش في سلام ، وكفاكم ما فعلتم بالأرض ! .

عندما يشغل الامر الصغير الرجل الكبير !

● يروى Ian Macleod ، ايان ماكلويد ، الذى كان وزيرا فى حكومة تشرشل ابان الحرب العالمية الثانية ، ان السياسي البريطانى الكبير كان رجلا عاطفيا ، يتاثر بكل ما يجرى حوله من احداث ، وما يراه من صور للحياة ، حدث مرة ان ذهب ماكلويد مع تشرشل الى احدى دور السينما في « شارتويل » Chartwell في صيف عام ١٩٤٠ ، لمشاهدة فيلم تجرى حوادثه في فينا عاصمة النمسا ، وهو يحكى قصة شاب احب فتاة جميلة ، ثم ما لبثا ان افترقا . ومضت السنوات قبل ان يلتقيا مرة اخرى ، وكانت هى قد اصبحت مغنية شهيرة في الأوبرا اما هو فقد أصبح فارسا في الجيش النمساوى ! وتصرخ الفتاة فرحة ، ولكنها لا تلبث ان تكتم صرختها قبل أن تناديه باسمه عندما تلتقى عيونهما ، ويشيح عنها بوجهه، وكانه لم يرها من قبل فى حياته .. وتنتهى القصة بعزف مقطوعة حزينة للموسيقار النمساوى شتراوس « Strauss »

وقال ماكلويد : وما كاد الفيلم ينتهى ، حتى نظرت الى وجه تشرشل ، فوجدته صامتا سارحا لا يتكلم ، وقد تدلت شفته السفلى وانهمك في تفكير عميق !

وقلت : « ماذا حدث ؟ »

قال : « لم استطع ان افهم ، كيف نسي هذا الشاب المغرور حبيبته الجميلة ! »

وبقى تشرشل يفكر طيلة ثلاثة ايام في مصير الفتاة الجميلة التى تاهت وسط الزحام ..



تشرشل

ومصير الفتاة الجميلة



سومرست موم

كتب نعيه .. !

طلب جنة الارض خشية أن تفوته جنة السماء !

● عندما بلغ الرسام الايطالى العالمى تنتوريتو Tintoretto الذى ولد وعاش في فينسيا (١٥١٨ – ١٥٩٤) عامة الخامس والسبعين شعر بعض شيوخ البلدة من اعضاء مجلس المدينة الكبير Great Council ، أن الفنان العجوز لن ينجح في رسم لوحة « الجنة » ، التى ستزين قاعة المجلس فقد بدات اصابعه ترتعش وجسده يهتز تحت وطاة السن الكبيرة .

وبناء عليه فقد دعا الشيوخ بعض الفنانين الشبان لاختيار احدهم لانجاز هذا العمل الفنى ، ووقع الاختيار فعلا على رسام ناشىء ، وتم الاتفاق معه على البدء برسم لوحة « الجنة » !

ولكن قبل الموعد المحدد بيوم واحد ، حدثت مفاجاة ، فقد دخل رئيس مجلس المدينة قاعة الاجتماع وصاح في الشيوخ قائلا : « لن يرسم هذه اللوحة سوى تنتوريتو ؟ » .

وتساءل الأعضاء : ماذا حدث ؟ وقد كان رئيس المجلس من اشد المتحمسين لاستبعاد تنتوريتو ؟ .

وفي هدوء ، وقف الرئيس يقرا رسالة قصيرة ، جاء فيها : « لم يبق لى من العمر سوى سنوات قصيرة ، فامنحونى فرصة لقاء الجنة على الأرض، لانى لست واثقا من الوصول اليها في السماء .. حققوا هذه الأمنية الأخيرة لرجل وهب حياته للفن ! « الامضاء تنتوريتو »

ورسم الفنان العجوز الجنة ، وجاءت عملا من اروع أعماله الفنية !

سومرست موم يكتب نعيه قبل وفاته !

● يقول الكاتب الامريكى المعروف جارسون كانين Garson Kanin ، انه كان يتناول يوما طعام الغداء على مائدة الأديب الانجليزى الشهير سومرست موم ، (١٨٧٤ – ١٩٦٥) ، ولفيف من اصدقائه القدامى في بيته الريفى في باريس عندما تناول الحديث اهمال الصحف في تحرى الدقة عند الكتابة عن حياة مشاهير الناس بعد وفاتهم .

ثم قال جارسون : « واحسست انه ليس من اللائق اثارة هذا الموضوع أمام المؤلف والكاتب الذى كان قد جاوز الثمانين وقتها .. فأشرت الى الحاضرين بتغيير دفة الحديث . وقد سادت فترة صمت قطعها موم بقوله : « لا داعى للسكوت .. فقد قرأت نعيى يا سادة . بعث به الى رئيس تحرير صحيفة الفيجارو لكى اتأكد من أن كل ما جاء فيه صحيح .. ولم أجد أخطاء ، ولكننى اكتشفت بعد قراءته انه ليس نعيا دافئا ، فأعدت صياغته بقلمى . اننى أستطيع الآن ان اموت وأنا مطمئن الى أن دموع اصدقائى ستجرى في سهولة ويسر ! »

والمعروف ان موم كان ينتظر الموت بعد بلوغه الثمانين ، ولم يكن راضيا عن أجله الذى امتد حتى الحادية والتسعين.

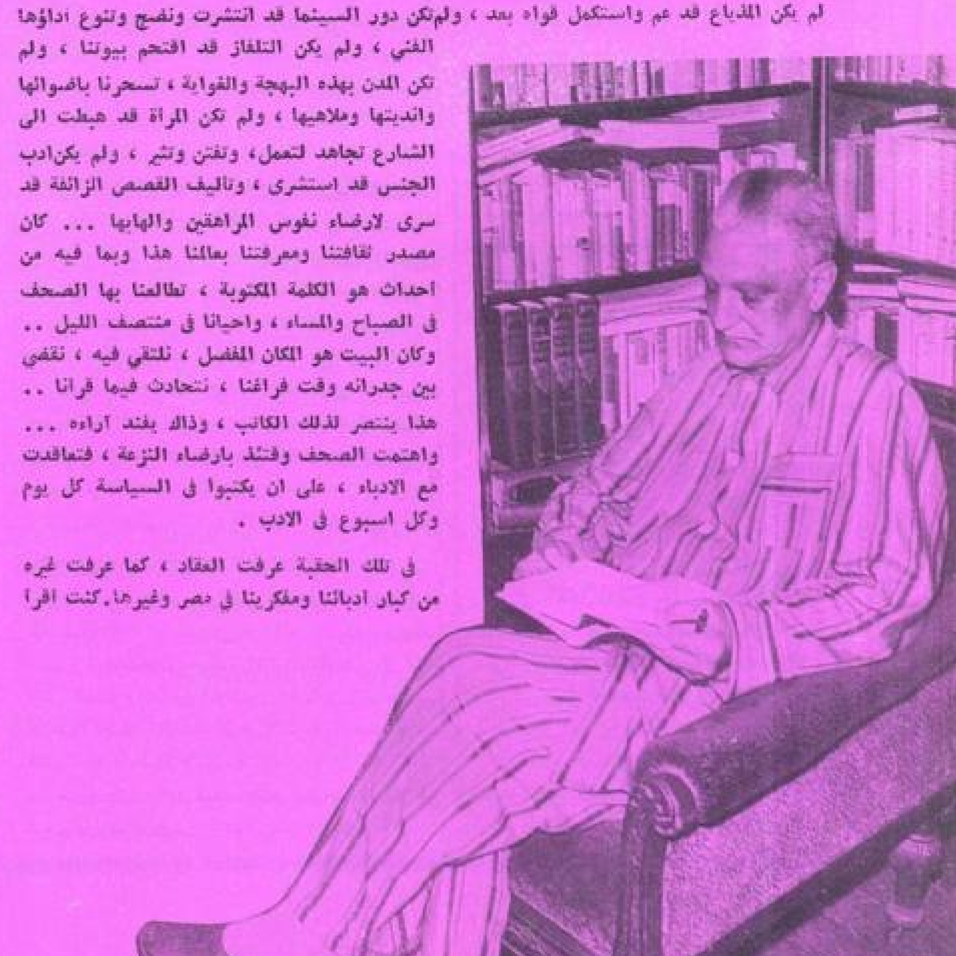
أَدَبُ العَقَّ

بقلم : جمال بهجت حسن

■ منذ أكثر من ثلاثين سنة ، كنت كغيرى من الشباب ، نلتمس راحة النفس ، وغذاء العقل ، بل التسلية الخالصة، فيما كانت تزخر به الصحف وتفيض به المجلات ، وفيما كانت تخرجه المطبعة بين الحين والحين . . وكانت حياتنا الخاصة الرتيبة تختلف عن هذه الحياة التي نحياها الان ، فلم تكن نجد نافذة نستروح منها نسيم الحياة ، غير تلك الكتب وتلك المجلات ، على الرغم مما كانت تحويه أحيانا من مهاترات .

لم يكن المذياع قد عم واستكمل قواه بعد ، ولم تكن دور السينما قد انتشرت ونضج وتنوع اداؤها الفني ، ولم يكن التلفاز قد اقتحم بيوتنا ، ولم تكن المدن بهذه البهجة والغواية ، تسحرنا باضوائها وانديتها وملاهيها ، ولم تكن المراة قد هبطت الى الشارع تجاهد لتعمل ، وتفتن وتثير ، ولم يكن ادب الجنس قد استشرى ، وتاليف القصص الزائفة قد سرى لارضاء نفوس المراهقين والهابها . . . كان مصدر ثقافتنا ومعرفتنا بعالمنا هذا وبما فيه من احداث هو الكلمة المكتوبة ، تطالعنا بها الصحف في الصباح والمساء ، واحيانا في منتصف الليل . . وكان البيت هو المكان المفضل ، نلتقي فيه ، نقضي بين جدرانه وقت فراغنا ، نتحادث فيما قرانا . . هذا ينتصر لذلك الكاتب ، وذاك يفند آراءه . . . واهتمت الصحف وفتئت بارضاء النزعة ، فتعاقدت مع الادباء ، على ان يكتبوا في السياسة كل يوم وكل اسبوع في الادب .

في تلك الحقبة عرفت العقاد ، كما عرفت غيره من كبار ادبائنا ومفكرينا في مصر وغيرها . كنت اقرأ



اد بين ...

السياسة والصحافة وفلسفة الحياة

له ولغيره ممن يعارضهم ويعارضونه، وكان هنالك شيء قوي يجذبني نحوه لاقرأه .. وربما كان هو هذا العنف العارم الذى كان يشيع فيما يكتب ، والذى كان يجد صدى فى نفس الشباب ، او ربما كانت تلك الفتوح الذهنية العجيبة ... او ربما كانت اصالة الطبع : وعمق التفكير ، ونفاذ البصيرة، والاحاطة الشاملة العجيبة .. او ربما كان كل هذا مجتمعا .. ولم يكن العناء الذى كنت اجده فى فهمه ليصرفني عنه .

الفاظ منتقاة

كان شوقي فى الشعر : وكان المنفلوطي فى النثر ، قد سيطرا على الاذواق ، وكان الشباب يترقبون بلهفة كلما جدت مناسبة ، او مات عظيم ، قصيدة تسحرنا باوزانها الناعمة ، والفاظها المنتقاة الحلوة وجرسها الفخيم الرخيم ... وكانوا يقراون ويتلذذون ما دبجه قلم المنفلوطي باسلوبه الذى يفيض سلاسة وعذوبة ورقة ، كان الطلاء يفتنهم اكثر من الجوهر ، وكانت صناعة الالفاظ والاوزان بضاعة مزجاة ، ولم تكن هنالك مقاييس للنقد الادبي ثابتة او واضحة تبرز وتبين الزائف .

مذاهب نقدية جديدة

وفجاة اخذت تزلزل عقيدتنا فى الادب السائد طلائع مذاهب نقدية جديدة ، عصفت بكثير مما كان مالوفا سائدا ، فبدلت من اتجاهاتنا في الادب وفي مقاييسنا فى النقد .. وكان عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازني فى الطليعة ... كانوا مدرسة استفادت وافادت الى حد كبير بالثقافة السكسونية خاصة ، وبكل مورد ثقافي عالمي ، وعلى هدى حصيلة هذه الثقافة درست كنوز ادبنا العربي القديم ، وعولجت قطوف ادبنا المعاصر .. وضع شعر شوقي على المشرحة . ومن الانصاف ان نقول ان نقد شوقي لم يكن موضوعيا خالصا : بل كان فيه شيء من الشطط . ولقد شرح العقاد فى مناسبات شتى هذا المذهب ، ولخصه بقوله ان الادب ليس وسيلة للتلهي والتسلية ، وان اعتبار الادب ملهاة وتسلية هو علة ما يطرا على الكتابة والشعر من التزويق والبهرج الكاذب والولوع بالمحسنات اللفظية ، والمغالطات الوهمية : وان الادب الصحيح هو ادب تمليه بواعث الحياة القوية ، وتخاطب به الفطرة الانسانية عامة ، وان الادب والحياة من مادة واحدة وانه لا حياة بغير ادب ، واننا نقرا الادب لنحيا ونوسع على انفسنا من الحياة، وان الاستعارة دليل الفاقة ...

وبدات معاول الهدم لما كان يسمى بالادب الزائف او ادب التكلف والصناعة اللفظية تعمل فى يد العقاد وبقوة لارساء قواعد جديدة لادب سليم صادق معبر ينبعث من وحي شعورنا بطبيعتنا وحياتنا، ويصور اشواقنا واماتينا ، وكان عنده ان اساس عبقرية الشاعر هو ان يكون صاحب طبيعة فنية ، وان الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق . وبدا هو نفسه يقدم نتاجه الضخم الخالد ليشبع الروح والعقل والضمير، وكان لهذا اثره، فتخلت المحسنات اللفظية وصناعة الكلمات عن مكان الصدارة للفكرة وللشعور ، ودالت او كادت دولة الشعر التقليدى، شعر الملق وشعر المناسبات ، وحتى شوقي نفسه اخذ يتجه لتاليف المسرحيات .

وقد تجاوز ادب العقاد ومذهبه فى النقد حدود

الاقليم المصرى ، وتلقفته نفوس ابنـاء العروبة يتدارسونه ويجـدون فيه غـذاء العقل والهام البصيرة وهداية الضمير .

كاتب مقالة

وقد بدأ العقـاد يشق طريقـه فى عالم الادب ككاتب مقالة،والمقالةتحتاج الى قدرة على التركيز والتنظيم ، والعرض السريع الموجز لمختلف الاراء لتفنيدها او اثباتها ، بلا حشو وبلا استطراد ، ثم هى تعتمد اكثر ما تعتمد على تقرير سريع للمقدمات، والوصول منها الى النتائج الحاسمة ... هى جولة سريعة لحوز نصر خاطف ساحق .. وكاتب المقالة لابد له من اطلاع شامل ، واتصال وثيق بالاحداث العالمية ، والتيارات الفكرية ، والمذاهب الاجتماعية والفلسفية ، ولا بد له من دراسة دائبة لما انتجه وينتجه الفكر والنفس الانسانية.. وموضوع المقالة دائما هو ما يشغل الفكر فى حاضره ، وما يجد من امور ، فكانت المطبعة لاتكاد تخرج كتابا حتى يتلقاه العقاد بالنقد ، ولايكاد مفكر او سياسي او اديب يموت او يحل موعد ذكراه حتى يكتب عنه العقاد مقالة او عدة مقالات وربما كتابا . .اخرج مرة المرحوم الاديب كامل كيلاني ديوان ابن الرومي ، فاذا العقاد يتوفر على دراسته ، ويخرج للمكتبة العربية ذخيرة عالية عن حياة ابن الرومى من شعره ، ويموت سعدزغلول فيكتب عنه العقاد سفرا ضخما، محللا مفسـرا للحياة المصرية فى فترة عصيبة . وقد كان لتأثر العقاد بكتابة المقالة سلطان ظاهر على ما الف من كتب ، وان كبر حجمها،وكثرت ابوابها وفصولها ، ولقد نستطيع ان ناخذ فصلا من كتاب له فنجده قائما بذاته ، مستقلا بفكرته .

امتزج بالحياة المصرية

وهكذا امتزج العقاد بالحياة المصرية واحداثها ، فكانت كتبه سجلا لتفاعله مع تلك الحياة واحداثها .. سجن مرة فاذا به يؤلف كتابا عن عالم القيود والسدود ، وظهر اتجاه الى دراسة تراثنا الاسلامى على اسس علمية جديدة ، اذ هو المصدر الاول لثقافتنا وتفكيرنا تزعمه الدكتور حسين هيكل ، فاذا بالعقاد يصدر فاتحة عمله فى هذا المجال ، وهو عبقرية محمد ، وكثرت دراساته وفاضت عبقرياته .

وتفاعل مع الاحداث العالمية

ولم يقتصر تفاعل العقاد وتجاوبه على الحياة المصرية العربية ، وانما تعداه الى الاحداث العالمية، حين عصفت بالعالم مذاهب النازية والشيوعية ، فلم يقف منها موقفا سلبيا ، فكتب عن النازيـة وهتلر ، وكانت جيوشه تقترب من حدودنا، وهجم على الشيوعية هجوما عنيفا ، على اساس ايمانه بالحرية الفردية ، واعتباره ان ما ينقص منها او يقلل من شعورالفرد بالتبعة انما هو هدم لانسانيته وكرامته ووجوده ، وان التقدم البشرى لم يقم الا على اساس من حرية الفرد ونهوضه بالتبعة .

فلسفة الحياة

وحينما تخلص العقاد او قل عمله فى الصحافة والسياسة اتجه الى معالجـة موضوعات شغلت وتشغل الفكر الانسانى ، هى من صميم فلسفة الحياة ، فكتب عن الله سبحانه ، وهو مصدر الخير والنور ، وكتب عن ابليس عميل الشر والغواية ، وطاف بالعقائد والديانات محللا مصححا ، وكما كتب عن محمـــد وأعــلام الاســلام كتب عن المسيح، وكأني به يعالج هذا ليصل الى ما يقنعه ويرضيه ، وقد وصل عن طريق الفلسفة الى ان الله موجود ، فهو يقول « ان العدم معدوم، فالوجود موجود.بلا أول ولا آخر ، لانك تستطيع ان تقول : كان العدم قبله ، او يكون العدم بعده ! وموجود بلا نقص ، لان النقص يعترى الوجود من جانب عدم ، ولا عدم هناك .. موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقص ولا قصور .. والوجود الكامل الامثل هو الله »

كلماته تخدم معانيه

وأسلوب الكاتب صورة لذهنه وتبيان لطبيعته وجلاء لسريرته ، وكثيرون يجدون المشقة فى فهم العقاد،اولا لان العقاد يشتق كلماته لتخدم معانيه، وهم قد الفوا الدارج من الالفاظ والتراكيب ،

حتى لو طمست المعنى المراد ، وثانيا لانه ، لا يهتم باعطاء قارئه راحة عن طريق التمهل والتكرار ، فالفكرة تتولد منها فكرة اخرى محدودة مركزة ، لا تزيد الكلمات المعبرة عنها كلمة واحدة لا حاجة اليها ، وثالثا لانه يتطلب ارتفاعا ذهنيا لفهم ما يعالجه ، ومستوى ثقافيا كبيرا . واني لاذكر أن الدكتور طه حسين لم يستسغ كلمة « الراووق » ولم ترض ذوقه في قول العقاد :

لا ارى الدنيا على نور الضحى
حبذا الدنيا على نور العيون

هي كالراووق للنور فلا
صفو الا صفوها العذب المصون

ورد العقاد متحدثا ان يأتي له بكلمة اخرى تعبر عما يعنيه وترضي ذوقه .

فالقوالب والصيغ عنده يجب أن تكون معبرة وبدقة وايجاز عن مضمونها ، يجب أن تكون ترجمانا صادقا امينا ، ولو كان في هذا تضحية بجمال الشكل والسلاسة ، ولعله كان يرى ان الجمال هو في الاحساس بالفكرة وعمقها وبجيشان الشعور وتهزئم العاطفة وصدقها ، وفي موسيقية المعاني وائتلافها ، اذ ليس التعبير الا اداة لتبيان المعاني المجردة ، والكلمة الزائدة ، أو التي يقل تعبيرها وايضاحها وان أتت لاستكمال موسيقى الشكل ليست مطاوبة ، اذ انها قد تعتم المعنى المراد .

ومما لاشك فيه ان اسلوب العقاد يذكرنا باسوان مسقط رأسه .. صخور صلدة ، وجنادل ، بينها او تحتها يندفع تيار الفكر أو الشعور المتلاطم الزاخر حاملا الخصوبة والحياة .

العقاد الشاعر

والعقاد شاعر بكل ما تعنى هذه الكلمة ، صور شعره ، خواطر ومشاعر نفسه العامرة الجياشة في أصدق تعبير وأجمل قالب ، وكان هو من ابرز الذين جعلوا أساس القصيدة في شعرنا العربي الحديث البواعث المرتبطة اوثق الارتباط بنفس الشاعر وخلجات نفسه ووجدانه ، بعد ان كانت تلك البواعث والدوافع مفروضة مستقلة عن نفس الشاعر ، لا يحسها لانها لا تنبع من اغوارها ، والقصيدة عنده وحدة متماسكة ، لها موسيقاها التى تتلاءم مع مضمونها ، وهي تقل أو تزيد بحسب مقتضيات الجوهر ، فهو قد يعبر عن خاطرة عابرة في بيتين ، وهو قد يشيد قصيدة تزيد على الثلاثمائة بيت ، ليستوفى التفاصيل ، وليحكم البناء .. وهو قد طرق موضوعات كونية شغلت نفسه العميقة المرهفة ،وذهنه المستوعب الصافي ، ووجدانه المتيقظ ، كما طرق موضوعات من صميم حياتنا اليومية ، فارتفع بها عن الابتذال وتفاهة الدارج المألوف ، لانها تجارب نفس ، وتفاعل وجدان . فمثلا حين انتاب الشاعر في اواخر الحرب العالمية الاولى الشك والغيظ ، وزلزلا عنده كل قواعد الرأى ، وشوها كل حالات الوجود الانساني ، كتب قصيدة الشيطان ، وهي في نسقها وبنائها وفكرتها ذخيرة فريدة . وحين يضيع قلمه الذى زامله يكتب عن هذا القلم . ويذهب الى خليج ستانلى بالاسكندرية فيكتب قصيدة هي آية في الروعة ، ونحن نسمع الكروان وشعراؤنا قد سمعوه ، ولكن العقاد هو الذى خلد هذا الطائر المصرى بديوان أهداه اليه ، نقتطف منه .

انا لا اراك ! وطالما طرق النهى
وحيٌ ، ولم تظفر به عينان

انا في جناحك حيث غاب مع الدجى
وان استقر على الثرى جثماني

انا في لسانك حيث أطلقه الهوى
مرحا ، وان غلب السرور لساني

انا في ضميرك حيث باح فما أرى
سر يغيّبه ضمير زماني

انا منك في القلب الصغير ، مساجل
خَفَقَ الربيع بذلك الخفقان

انا منك في العين التي تهب الكرى
وتضن بالصحوات والاشجان

وكثيرون قد جلسوا وراء صفحة من زجاج

يشاهدون المطر وهو ينهمر ، وهم يقرأون أو يتحادثون ، وكأنهم يسخرون من الطبيعة الثائرة ويمر العقاد بهذه التجربة فيصورها أروع تصوير بكل تفاصيله .

يومُ بيت لا يومُ خوض الدياجي
فاتحٌ ما بين صفحة وسراج

وجمال من النفوس يناجي
في أسارير وجهه ويناجي

مستهلين والطبيعة غضبى
وكلانا من هولها الصعب ناج

نتحدى الرياح والليل والأه
والَ طرا بصفحة من زجاج

فاذا ما يروع منها وينضني
نتلقاه هاهنا بابتهاج

كالذى يشهد الكوارث فنا
من فنون التمثيل والاخراج

ويمر العقاد بمصرف من مصارف ماء الري ، وطالما مررنا بكثير من المصارف ، وأحسسنا بخاطرة طوتها النفس فيما تطوى ، ولكنه لا يدع هذه الخاطرة ولا يهمل ما اثاره المصرف في نفسه من احساس فيخرج لنا احساسه ، ويربط بين هذا الاحساس واحساسه العميق بالوجود والعدم فيقول :

شبران من ذاك البناء
بيني وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصي في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا ، ولا ادنى على قرب المزار لمن يشاء
اعرفت آماد السماء ؟ !

وكان الرثاء بضاعة النادبين المأجورين أو المتزلفين ، يجرى به نظمهم ، وحاشا أن نقول شعرهم لان الشعر في الجوهر وفي صدق الشعور ، وليس في الالفاظ المرصوفة الخاوية ، ورثاء العقاد من ماتوا من احبائه ، وممن كانوا يمتزجون بنفسه، وهو يقول في رفيق صباه :

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا
وما كان اغلى ما بكيت واطيبا

وآذن فيك الصبر ان لايعينني
وآذن فيك الحزن ان يتغلبا

ثم يقول :

اليف الصبا لاتشك في الموت وحشة
فما زال ركب الموت احفل موكبا

تعاقبت الاجيال تحت لوائه
وان بعدوا دارا وعهدا ومأربا

وما الزمن المحضور الا بقية
من الزمن الماضي تلاقت لتذهبا

عليك سلام الله حتى يظلنا
سلام أظل الناس شرقا ومغربا

وهكذا فشعر العقاد صورة صادقة لحياته ، وفي شعره نحس بروحه وطابعه ، ونجد كل احساساته وخلجات سريرته وانفعالاته بكل مظاهر الحياة صغيرها وكبيرها ، ونحن كنا نتعلم في المدارس ان مواضيع الشعر هي الهجاء والمدح والرثاء ، وذلك مظهر للطابع التقليدي الذي هدمه العقاد ، فالشعر يجب ، أن يستوعب الحياة ، والحياة لا تخضع للقيود ، ولا تنحصر في قوالب ، ولا تقف عند أغراض .

وانا لنجد في شعر العقاد نزعة ميتافيزيقية ، وكثير من مشاعره واحاسيسه تتخذ صبغة فلسفية تجريدية ، بينما تتخذ تاملاته الفكرية لونا عاطفيا.

رحم الله العقاد ، لقد كان مدرسة عظيمة في النقد والادب والشعر ، كان لب ثقافته المعرفة والحكمة واصالة التفكير وعمق الشعور ، كان رجلا ماردا عبقريا ، خلق ليحكم على الناس والاحداث على هدى من بصيرته وعلمه وخلقه ، لا لتحكمه يصارع بقلمه ويحلق في كبرياء وانفه . ■■

مصر الجديدة — **جمال بهجت حسن**

أَسعِدْتَ مِثلَهما بِطِيبِ عِناق؟

■ كم بسمة لك في ضحى الإشراق تنساب في قلبي إلى الأعماق
يامهْرجان السحر، أيقظت الربى بلواعج الصَّبوات ، والأشواق
طيرُ الحمائل منك موصول الروى برحيق ذاك السلسل الرقراق
وعلى الهوى منها يرجِّع بلبل والشوق يحكي عن هوى المشتاق
وترفُّ من عطفيه بلبلة الهوى فيضمُّها لفؤاده الخفاق
والحبُّ يربط منهما قلبيهما أسعِدْتَ مثلَهما بطيب عناق؟
هل يكتم الصيْداحُ تحت جناحه ما شفه من جذوة الإحراق؟
رنَّمُ الهوى بين الضلوع يَشبُّه ضَرَما، فيذكي الوجد في الأعراق
ويذيع لحنا عبقريًّا مُشجيا أيكون لي بصداه رُقيةُ راق
ما للعبير يرق في نفحاته ؟ ما للورود سنيَّةُ الإشراق؟
ومواكب النجوى ترجع شدوهنَّ حمائمٌ دُرِّيَّة الأطواق
هامت بفردوس الجمال، وشاقها منه نسيم الكوثر الدفَّاق
يا أيها الطير اللهيف صبابة أتظل مشدودا بغير وثاق؟
تهتاجك النجوَى، وأنت بظلِّها في مهرجان باسِم الأحداق
أغراك بالحب الجمالُ ، وهل إليك إذا اصطليتَ بناره من واق
ولكم تلذ به الحياة، وربما شغفَ الفؤادَ ، وكان مُرَّ مذاق
وإذا صفا في الحب عيشٌ لم يكن إلا أذانًا للهوى بفراق

■■

محمد هارون الحلو



بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

■ كانت البحوث التى قدمناها قبل ذلك عن التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ... وكان ذلك أمرا لا بد من بسط القول فيه ، لأنه بمثابة حجر الأساس لكل ما يأتي من بعده .... وقد يكون من المفيد هنا ، وقد بدأنا هذا البحث منذ اكثر من سنة ، ان نستذكره في سطور .

استذكار ما سلف

لقد نزل القرآن عربيا مفهوما جملة للعرب ، وهذا شيء طبيعي ، لأنه نزل يخاطبهم ويتحداهم .. وكان ما يتصل منه بالعقيدة والاحكام واضحا ، وزاده الرسول صلى الله عليه وسلم وضوحا بقوله وعمله .. ولكن بجانب هذا آيات متشابهات ، وآيات تتحدث عن مظاهر الكون ، وعن قصص السابقين .

أما المتشابهات فقد أحجم الصحابة عن الخوض في السؤال عنها لأسباب شرحناها . واما مظاهر الكون فقد فهموها جملة واستمدوا منها العبرة على قدر فهمهم .

واما القصص فقد اكتفوا منها بالغرض الذى سيقت له وهو الاتعاظ والاعتبار او كما يقول الله تعالى « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » ولم تكن العبرة متوقفة على تفصيلات وراء ما ذكره القرآن .. والا لعنى بذكرها .. ولذلك لم يعنوا بالسؤال عما أجمله القرآن وطواه في ثنايا القصة ، لانهم لم يجدوا حاجة اليه في الاعتبار بها ..

لم يترك الرسول إلا أحاديث
قليلة جداً في التفسير
فمن أين كل هذه الروايات
التي تذخر بها كتب التفسير؟

المروى عن الرسول في تفسير القرآن قليل

هذه الاسباب والظروف كلها ساعدت مجتمعة على قلة المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن . والذى يرجع لكتب السنة المعتمدة يعرف ان المروى في ذلك لم يتعد بعض آيات قليلة ومتناثرة ..

والنتيجة التى وصلنا اليها هي ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك تفسيرا كاملا او شبه كامل للقرآن . ومعنى هذا ان القرآن ترك تفسيره وتوضيحه للمسلمين ، كل يفهم فيه بقدر عقله وعلمه في الحدود التي تدل عليها الفاظه ولا يتصادم مع نصوص صريحة فيه او في سنة صحيحة ثابتة ، او مع مبدأ مستقر من مبادىء الاسلام ..

بعد وفاة الرسول

واذا كنا قد عرفنا هذا كله ، فان سؤالا يطرح نفسه وهو : كيف كان الموقف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسير القرآن ؟

ونستطيع ان نقول اجابة عن هذا السؤال : ان موقف الصحابة من فهم القرآن أيام الرسول كما عرفناه ، قد استمر بقوة الدفع بعد وفاته زمنا كان من الممكن توفر الظروف فيه للاستمرار . واقول كان من الممكن توفر الظروف فيه للاستمرار لأن الظروف التى كانت في ايام الرسول لم تستمر كثيرا بعد وفاته كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد . وقد كانت خلافة ابي بكر رضي الله عنه بعد الرسول من اكبر العوامل واقواها للمحافظة على استمرار الوضع الذى كان ايام الرسول .. لانه كان رضي الله عنه أكثر الصحابة شدة في التزام الوضع السابق : فقال يجابه مانعي الزكاة ومن تراخى امامهم من الصحابة بقوله المشهور « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » ثم رفض بكل شدة ان يغير قيادة اسامة بن زيد للجيش الذى كان جهزه الرسول ، وولى اسامة قيادة الجيش وفيه كبار الصحابة ، تحرجا من تغيير وضع وضعه الرسول .

ومن هذا المنطلق نستطيع ان نقول ان ابا بكر رضي الله عنه حافظ بشدة على الوضع الذى كان ايام الرسول بالنظر الى الموقف من تفسير القرآن

كما ان الصحابة لم يكن عندهم فراغ او ما يمكن ان نسميه الآن ترفا عقليا ، للجرى وراء فروضات العقل ، وغريزة حب الاستطلاع ، فقد شغلهم امر الاسلام والدفاع عنه أمام اعدائه المتربصين به ، فوق مشاغلهم الخاصة بحاجاتهم اليومية والمعيشية ..

وهذا فوق انهم نهوا عن كثرة السؤال بنصوص قرآنية ، وتوجيهات نبوية ، وكان هذا بالطبع واردا فيما لا فائدة في السؤال عنه ، ترجع الى تصحيح عقيدتهم او عملهم ، ومع هذا كله شيء آخر هو انه لم يكن الصحابة كلهم قد حفظوا القرآن كله . بل الذين اختصوا بذلك منهم عدد قليل جدا ، وباقي الصحابة كان الواحد منهم يحفظ بعضا منه ، على تفاوت بينهم في هذا البعض قلة وكثرة ....

وطبيعى ان المرء اذا لم يكن حافظا للشيء لم تكن عنده دوافع ذاتية للسؤال عما أشكل عليه فهمه ، اللهم الا اذا سمع آية يتلوها غيره في بعض الاحيان ..

.. ولا سيما فيما يتصل بالمتشابه ، وما طوى من احداث القصص التي ذكرها القرآن .

المتشابه والقصص أهم ما شغل العقول

والمتشابه والقصص هما اهم ما شغل العقول بالكلام والسؤال ، لان مجال القول فيهما كان متسعا .. وذلك بخلاف ما يتصل بالعقائد والاحكام ، فقد كانت الآيات فيهما واضحة ، وكانت السنة النبوية ـ العملية والقولية ـ توضح المراد منها ، فوق ان علمهم هم في ايام الرسول بها جعل المراد من الآيات في هذا المجال غير بعيد عن افهامهم فكانوا يجيبون عن الاسئلة المتصلة بهذا الجانب ، وهم متأكدون من صحة ما يقولون ، معتقدين ان هذا جزء من تبليغ الدين ..وذلك بخلاف ما عداه مما لم يرد فيه بيان نبوي ، ولا تدعو الحاجة للخوض فيه فانهم تورعوا عن الكلام فيه محافظة على النهج الذي ساروا عليه أيام الرسول .. وقد روى ان ابا بكر سئل عن معنى آية من القرآن فقال « . أى سماء تظلني وأى أرض تقلني . اذا قلت في القرآن برايي ، او بما لا أعلم » .

وقد سبق أن ذكرنا أن عمر رضي الله عنه ضرب واحدا من المسلمين ضربا موجعا حتى كاد يودى بحياته وهو عبد الله بن صبيغ ، لانه كان يكثر من السؤال عن معنى « المرسلات والعاصفات والصافات » ولم يتركه حتى تاب ورجع عن هذا المسلك ..

ومع هذا روى ان ابا بكر أجاب لما سئل عن معنى (الكلالة) الواردة في موضعين من سورة النساء ، وان عمر أيضا سأل عن معاني بعض الكلمات التي كانت خافية عليه مثل (تخوف) في قوله تعالى : « او يأخذهم على تخوّف » في سورة النحل .

وهذا يدلنا على أن الكلام السابق لأبي بكر (أى سماء تظلني) الخ .. كان خاصا بناحية في القرآن ، وهي التي تتصل بالمتشابه أو بالمطوى من حوادث القصص ، لانه تحرج ـ جريا على النهج الرسولي ـ من الكلام في هذه الناحية . ولم يتحرج من تفسير معنى الكلالة الواردة في آيتين من آيات المواريث ، لأن ذلك يتصل ببيان أحكام عرفوها ، ولا بد لهم أن يبينوها .. اما تحرجه فيما تحرج عن الكلام فيه فلانه يحتاج الى نقل صحيح ، ولم يكن هذا النقل متوفرا لديه ، فعد الكلام فيه حينئذ من أبواب الكلام بالرأى .. ولا مجال له في هذه الناحية ، لأنها مقصورة على النقل .

وكان سلوك أبي بكر هو السمت الغالب على الصحابة في عهده وعهد عمر تقريبا .. وامتد بعدهما ولكن عند الورعين الذين ألزموا أنفسهم خشن الاتباع .

بدأت الظروف تتغير

ولو أن الاسلام ظل مقصورا على البيئة التي تركه الرسول فيها لكان من الممكن أن يظل النهج الرسولي تجاه التفسير سائدا مسيطرا على الناس الى زمن بعيد .

ولكن ذلك لم يكن ، فقد اتسعت رقعة الاسلام، ودخله اناس يحملون ثقافات وافكارا شتى ، ونفسيات مختلفة ، واختلطوا بالصحابة في المدينة، او ذهب الصحابة الى بلادهم ، ولم يكونوا جميعا عربا يفهمون العربية والقرآن بسليقتهم كالعرب ، فاحتاجوا الى بيان معنى ما يسمعون أو يقرءون ، ولم يكونوا ملتزمين بالنهج الذي سار عليه الصحابة مع رسول الله ازاء القرآن ، وكان من الضروري الاجابة عما يسألون أو يثيرون من شبهات ، أو يطلبون من بيانات ..

وكان من هؤلاء الداخلين في الاسلام جماعة ما زال ماضيهم يشدهم اليه فلم يكونوا مخلصين للدين الجديد فاخذوا يثيرون الشكوك ويزرعون الالغام في طريق المسلمين المخلصين حول القرآن والتعاليم الاسلامية بعامة ..

وكان بجوار هؤلاء نبت جديد في البلاد العربية او بتعبير العصر جيل جديد ، لا شك انهم كانوا أكثر تطلعا من الجيل السابق عليهم ، واكثر جراة وتطلبا لفهم ما يغلق عليهم فهمه من القرآن الكريم.

كما أن الاحداث العنيفة التي آثارها النزاع حول الحكم في وقت مبكر بعد وفاة الرسول ، قد شغلت المسلمين بها واضعفت فيهم المثالية

التى كانت سائدة من قبل ، واوجدت عند كل فريق رغبة فى التماس الحجة له من القرآن ..

ولم يكن الصحابة متسلحين بروايات عن الرسول يمكنهم بها تغطية كل ما يثار او يطلب من ايضاحات وتفسيرات ، لأن المروى في ذلك كان قليلا كما عرفنا .

وكان الموقف يقتضي الاقتصار على فهم الآيات بمقتضى أسلوبها العربى المفهوم لدى الصحابة أو تابعيهم من العرب مع الاستعانة في بعض الأحيان بما يكون قد روى عن الرسول .. ثم التوقف عن الخوض فيما لا يمكن الخوض فيه .. كآية متشابهة . أو حادثة مطوية في قصة . أو ظاهرة كونية . كالرعد والبرق مثلا ..

وهذا بالفعل ما تمسك به الورعون من الصحابة وتابعيهم الذين التزموا النهج الأول . فكانوا يقلون من تفسير القرآن ، ويتحرجون من الجرأة على الكلام فيه ، ويفوضون ما لم يعلموا رواية فيه عن الرسول ، أو لم يكن ظاهرا واضحا عندهم الى علم الله .. معتبرين السؤال عنه بدعة يجب على الانسان المؤمن البعد عنها . وهذا ما يبدو واضحا مما نعرفه من قول الامام مالك رضي الله عنه لمن ساله عن معنى الاستواء في قوله : « الرحمن على العرش استوى » فقال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » .

كان هذا الجواب يمثل مسلك المتحفظين الذين يتهيبون ابداء رأيهم الخاص في تفسير القرآن ، ولا سيما الامور المشتبهة فيه .. ولكن لم يكن من الممكن فرض هذا المسلك على المجتمع الاسلامى كله ، مع الظروف التى طرات عليه ، وسبق أن أشرنا اليها ، والتى ولدت تيارا جديدا في هذا المجتمع ، يفرض على العلماء فيه أن يتحدثوا عما يثار من أسئلة ، وعما تتطلع اليه النفوس من توضيح ما يشكل فهمه عليهم من القرآن ، والرد على بعض الشبه التى يثيرها المسلمون وغيرهم ممن اختلطوا بهم ..

بعضهم سد الثغرات بالرواية يرويها عن الرسول اختراعا

وهنا نجد الكثيرين ينشطون لسد هذه الثغرات، وازالة هذه الشبهات ، وارضاء هذا الفضول ، ولكنهم يسلكون الطريق الذى كان سائدا في ذلك الوقت ، وكان لذلك أكثر تأثيرا على المجتمع او الجمهور فيه ، وهو طريق الرواية .. عن الرسول أو عن الصحابة .. فيخترعون أقوالا ينسبونها الى الرسول أو الصحابة اذا لم يجدوا روايات صحيحة .

وبعضهم سد الثغرة بسؤال من أسلم من الاسرائيليين

وكثيرا ما كانت الأقوال مستمدة من الاسرائيليين الذين أسلموا ، ولجأ اليهم بعض الصحابة او التابعين ولا سيما في قصص الأنبياء والأمم السابقة – باعتبار هؤلاء الاسرائيليين اصحاب ثقافة قديمة ، وعندهم كتب تحدثت عن هؤلاء الأنبياء .. ويمكنهم ايضاح بعض ما طواه القرآن من أحداث السابقين ..

وكان بعض هؤلاء الاسرائيليين المسلمين يتمتعون بثقة الصحابة والتابعين دينيا . وكانوا حين يسألون لا يمسكون عن الاجابة ، بل يتحدثون بما يعرفون من قبل عن هذه القصص .. والسائلون يأخذون منهم الجواب ويتحدثون عن قصص القرآن .. والآخرون ينقلون عنهم ، وهكذا حتى يصبح كلام هؤلاء الاسرائيليين رواية رواها فلان عن فلان .. وتلتصق بتفسير القرآن ، وتصبح جزءا مهما من هذا التفسير ..

وهكذا أصبح من المتيسر لدى المتحدثين في تفسير القرآن أن يجدوا لدى كل آية روايات تفسرها .. مع أن الرسول لم يترك الا القليل جدا من تفسير القرآن ..

وكان المتبع في ذلك الوقت الحرص على الرواية، وذكر الأشخاص الذين اضطلعوا بها تحرجا من التفسير بالرأى الذى لم يكن ينظر اليه نظرة سليمة في ذلك الوقت ، فكان يمكن للنقاد البصيرين بالرجال أن يتتبعوا الرواة وينقدوهم ، ويرفضوا ما يجدون فيه سببا للرفض . وربما يكونون بذلك قد خرجوا من عهدة النقل ، لكنهم تركوا العبء على غيرهم ، واوقعوا قراءهم في لبس، ولا سيما من لم تكن عندهم خبرة بالرجال الذين رووا هذه الروايات ، وهم الكثرة الغالبة جدا من القراء .. وهذه التفسيرات – في رأيى – هي

التى وضعت حجر الأساس في نشر الروايات الاسرائيلية والمدسوسة الموضوعة وترويجها في الأجيال المتعاقبة .. ولا يشفع لهم أنهم ذكروا سند الروايات . فليس كل قارىء لها عليما بأحوال رواتها .. او غيورا على القرآن والاسلام يحرص على تنقيتها من الدخيل فيها .. وقد فتح هؤلاء بابا واسعا لمن أتى بعدهم في الاعتماد على مثل هذه الروايات ، فرأينا الكثيرين ممن اشتغلوا بالتفسير يتوسعون في سرد الروايات : الاسرائيلية منها وغير الاسرائيلية .

ووضعوا الاحاديث وضعا ليشدوا الناس الى القرآن

وزاد الطين بلة أن الأحاديث الموضوعة راجت وكثرت حتى كادت تطغى على الأصيلة ، وأن بعض المسلمين شاركوا مشاركة فعالة في هذا الوضع ـ وبحسن النية أحيانا مع الأسف ـ ليشدوا الناس الى القرآن ، كالأحاديث التى تذكر مع كل سورة لبيان فضلها وثواب قارئها ، ترغيبا في قراءة القرآن . لأن الناس في ذلك الوقت كانوا قد عنوا بالجدل والعلوم الأخرى ـ كما يقول وضاعو هذه الروايات ـ وانصرفوا عن العناية بالقرآن .

ولست أريد أن أشغل القارىء هنا بنقل النصوص الدالة على ذلك كله من الكتب التى عنيت بهذه المسائل لأن هذه القضايا أصبحت معروفة مسلما بها لدى المشتغلين بالتفسير (١) .

قاعدة تحتاج الى مناقشة

ومع أن المشتغلين بالتفسير الذين عنوا بتنقية الروايات وبيان الصحيح منها وغير الصحيح قد أبلوا في ذلك بلاء حسنا .. وقدموا لنا ذخيرة يمكن الاعتماد عليها ، الى حد ما ، فان هناك قاعدة من القواعد التى أقروها بصدد هذه الروايات ، أعتقد أنه دخل منها الكثير من غير الصحيح على الروايات المفسرة للقرآن ، وهى لهذا تحتاج الى مناقشة ..

هذه القاعدة المعروفة المسلم بها لدى النقاد جميعا هى المتصلة بالرواية الموقوفة على الصحابى ، التى لم يسندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : اذا كانت هذه الرواية أعنى موضوعها من الأمور الغيبية ، وتكلم بها الصحابى ، فمعنى ذلك أنه سمعها من الرسول .. ولو لم يصرح بذلك ، لأنه لا مجال للرأى والعقل فيها .. فهى في حكم المرفوع للرسول ..

وهذا الكلام الذى قالوه يمكن أن يصدق ولكن الى حد ما ، لأنى أعتقد أننا لو أخذناه قضية مسلمة وعلى اطلاقها ، فانه من الممكن حينئذ أن يدخل منها المدسوس على رسول الله . ولا سيما فيما يتصل بالتفسير ..

ذلك أن بعض الصحابة كانوا يطمئنون ـ ونقول أحيانا لنكون أكثر دقة واحتياطا ـ الى بعض المسلمين من أهل الكتاب ، واخبارهم ببعض الأمور من تفاصيل القصص وغيرها فينقلون ذلك عنهم . ويروى تلامذتهم (أعنى التابعين) عنهم .. وتصبح الرواية بذلك موقوفة على الصحابى .. فاذا أخذنا القاعدة السابقة قضية مسلمة على مثل هذه الروايات نسبنا الى الرسول بذلك ما لم يقله ، أو يكون هذا احتمالا على الأقل ..

ومن الواجب أن نحتاط الاحتياط الشديد في نسبة كلام الى الرسول عن مثل هذا الطريق ، لا سيما ونحن نعرف أن الصحابى كان يحرص الحرص كله على أن يسند الرواية الى الرسول ، اذا كان حقا قد سمعها منه ، ليزداد شرفا بالرواية عن رسوله من جهة ، وليكسب كلامه مهابة وتوكيدا من جهة أخرى ، ولا سيما في مثل هذه الأمور الغيبية التى تحتاج لتدعيم وتقوية .

فامتناعه أو عدم تصريحه حينئذ بروايته عن الرسول ، مع الحالة التى كانت قائمة بالأخذ عن بعض مسلمى أهل الكتاب في مثل هذه الأمور ، يوجب علينا أن نحتاط ، فلا نقبل رواية بهذا الشكل أعنى الرواية الموقوفة عند الصحابى التى لم ينسبها صراحة الى الرسول ونعلن أنها مروية عن الرسول . وان كان لنا أن نأخذها على أنها قول للصحابى خاضع للنقد .

---

(١) وأهم الكتب الحديثة التى تناولت هذا الموضوع ـ في رأيى ـ هو كتاب «التفسير والمفسرون» للشيخ محمد حسين الذهبى والبحث الذى تقدم لمجمع البحوث عن الاسرائيليات في القرآن . وان كنت لا أتفق معه في تحفظه في نواح من بحثه ..

وهذا – في رأيي – يختلف عن قول الصحابي أو عمله في حكم من الاحكام ، لانهم لم يكونوا يسمحون لانفسهم بمعرفة شيء من ذلك او من أصول العقائد عن مسلمي اهل الكتاب.. والرسول صلى الله عليه وسلم وضح كل ما يتصل بذلك قولا وعملا .. فاذا عمل أو تكلم الصحابة وكان موثوقا بصحبتهم وطول اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فان من الجائز حينئذ أن نفهم أن قولهم في الحكم او عملهم معتمد على عمل او قول منسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يصرحوا بنسبته الى الرسول .. وهذا – مضافا اليه عمل التابعين من أهل المدينة – ما كان يأخذ به الامام مالك رضي الله عنه في مذهبه مما عرف في الفقه عنده بحجية عمل أهل المدينة .. وان نازعه في ذلك بعض الفقهاء ممن لم يسلموا للامام مالك بهذه القاعدة .. والاستناد اليها في تقرير حكم من الاحكام ..

وبعض يقول : وما الضرر ؟

قد يقول بعض الناس : وما الضرر في أخذ مثل هذه الروايات اعني الموقوفة على الصحابي في أمور لا مجال للعقل فيها ما دامت لا تتصل بتقرير عقيدة او حكم شرعي ولكنها في زيادة تفاصيل لما ذكر مجملا من القصص مثلا ؟..

وأقول لهم : ان الضرر من هذا يرجع الى تقييد عقولنا بفهم أو تفصيل خاص باعتبار أن ذلك صادر عن الرسول .. وقد تكون تلك الرواية متصلة بأحوال الآخرة ، فتدخل ضمنا في تكوين عقيدتنا ، أو في تكميل الصورة عنها .

قد يكون هذا تشددا مني في أمور قبلها السلف وقرروها .. ولكني أرى أن من الأولى لنا الآن بعد أن قاسينا ما قاسينا من الروايات الموضوعة والمدسوسة والاسرائيلية أن نقابل كل هذا البلاء الذي بلينا به في أمر يتصل اتصالا وثيقا بالقرآن، وهو تفسيره ، وتوضيح معانيه ، والوقائع التي جاءت فيه . أقول من الأولى لنا أن نقابل كل هذا بشيء من التشدد حتى نجرد التفاسير مما علق بها وشوه فهمنا للقرآن ، ليبقى القرآن وحده امام عقولنا مع الأحاديث الصحيحة المرفوعة للرسول الواردة في كتب الأحاديث الصحيحة .

ولعلنا نقرب بهذا مما أراده الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه حين قال : ثلاثة لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي ، يعني لا أصل لها يرجع الى الرسول وعني بالتفسير هذه الكثرة الهائلة من الروايات التي رآها تنسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم . مع أنه لم يترك الا القليل جدا في هذه الناحية .

وشيء آخر يحتاج لمناقشة

ذلك هو قول مشاهير المفسرين ، مثل علي وابن عباس وابن مسعود من الصحابة رضي الله عنهم ومثل عطاء ومجاهد ومقاتل وغيرهم من التابعين ممن يستشهد بآرائهم في التفسير .

هل ما يقوله هؤلاء في فهم الآية كرأي لهم حين يصح النقل عنهم ، ونسبة القول اليهم يجب أن يؤخذ قضية مسلمة لا يصح لنا العدول عنها او مناقشتها باعتبار أن هؤلاء أقرب الى نور النبوة وأكثر منا فهما للقرآن ؟

وأقول – مع تقديري واجلالي لهم – ليس من الضروري أن نتقيد بفهمهم في الآية فلا نخرج عنه ، ولكل من جاء بعدهم الى ما شاء الله من الأزمان أن يعملوا عقولهم في فهم القرآن ، ويستخرجوا من ألفاظه المعاني التي تؤديها ، ما داموا أهلا لهذا الفهم ، دون تأويل بعيد ، أو شطط في الفهم يصادم نصا ، أو قاعدة اسلامية ، أو يتنافى مع روح الاسلام العامة ..

والكل يؤخذ منه ويرد عليه ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

واعتقد أن هذا لا يلقى جدلا كثيرا لان المفسرين الذين جاءوا بعد هؤلاء لم يتقيدوا بآرائهم ، وان كانوا قد حفلوا بها وعنوا بنقلها في صدر تفاسيرهم للآية ..

على انه مما ينبغي ملاحظته أن العناية بوضع كتب في التفسير على النسق الذي نراه الآن اعني مرتبا مع ترتيب القرآن ولكل آية فيه ، قد جاءت متأخرة وفي القرن الثالث الهجري ، ولذلك وغيره حديث يأتي فيما بعد . والله المستعان . ■■

الكويت **عبد المنعم النمر**



بيضة الأنثى
يلقحها الحيوان المنوى
خارج الرحم

● يجهل العلماء ماذا يحدث في رحم الأنثى من الحيوانات ذات الثدى عندما يتم فيها تلقيح البيضة ، ثم هى تأخذ تنمو لتصبح حيوانا جديدا . وسبب هذا الجهل اخفاقهم في الجمع بين هذه البيضة والحيوان المنوى الذى يلقحها ، وذلك في انبوبة الاختبار ، ثم النجاح في تحقيق هذا التلقيح بها . وكان من جراء ذلك أن ما كان يقوله العلماء في هذا الصدد انما كان حدسا وتخمينا .

ثم يحدث أن ينجح العلماء آخر الأمر فيما كانوا أخفقوا فيه .

ويأتى هذا الخبر من عند الدكتور وتنجهام David Wittingham بجامعة سدنى باستراليا . والدكتور وتنجهام قام بتجاربه على الفئران ، ولكن عنده انه ليس بين بيضة الفارة وبيضة المراة فرق أصيل .

لقد كانت العقبة في تحقيق التلقيح في انبوبة اختبار ، أن البحاث كانوا كلما وضعوا البيض في انبوبة الاختبار ، ثم اضافوا اليه حيوانات ماخوذة على الفور من حيوان ذكر ،ظهر عجز هذه الحيوانات المنوية عن اختراق البيضة الى داخلها ليتم التلقيح . ثم ظهر للدكتور وتنجهام (وكذلك للدكتور شانج Chang الذى كان يقوم بمثل هذه البحوث على الجرذان في امريكا) ان السبب في نجاح التلقيح في الرحم وخيبته في انبوبة الاختبار ، عامل مجهول موجود في الرحم ، وغير موجود في انبوبة الاختبار .

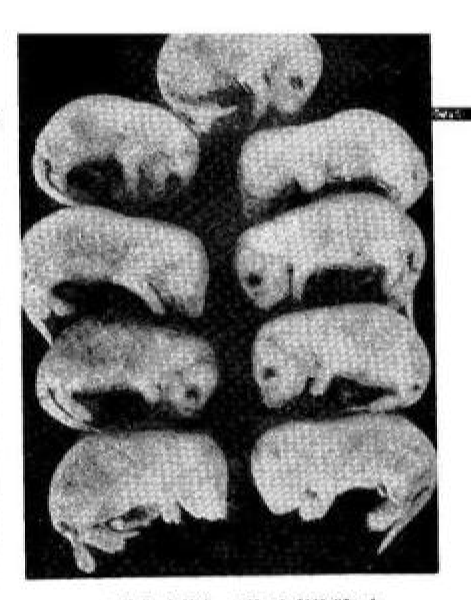
ولتفادى هذا النقص قام الدكتور وتنجهام بتحضير البويضات من فارة بطريقة هرمونية اصطناعية، ووضع هذه البويضات في وعاء زجاجي في سائل يضمن النماء . ثم هو قام يأتى بالحيوانات المنوية، يجمعها من رحم فارة جامعها فار منذ ساعتين . ووضع هذه الحيوانات المنوية من الذكر مع البويضات . وهذه الحيوانات المنوية، اذ كانت نشيطة بفعل البيئة الرحمية التى كانت بها ، ظهر نشاطها بعد ٤ الى ٦ ساعات من حفظها مع البويضات عند درجة ٣٧ مئوية .

ففى ٧ تجارب كهذه وجد انه من ١٠

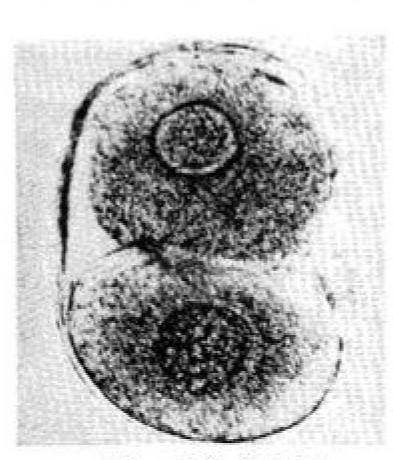
داء السكر السبب

● يقرر الباحثون انه يوجد في الولايات المتحدة اليوم اكثر من اربعة ملايين من الانفس مصابين بداء السكر . واكثر من نصف هؤلاء لا يعلمون انهم مصابون بهذا الداء .

ويرى العلماء ان نحو ٢٢ في المائة



أجنة الفئران التسعة النامية التي حصل عليها الدكتور وتنجهام



بيضة امراة ملقحة . هكذا بدت بعد ٦٠ ساعة من التلقيح .

الى ٤٠ في المائة من البيض قد تلقح ، وظهرت البيضة الملقحة وعليها حز التقسم الذي ازمعته ، أو هي انقسمت فعلا الى خليتين .

وقام الدكتور بوضع هذه البويضات الملقحة في رحم فأرة مستجدّة، حضّرها لاستقبال الحمل بجمعها بفأر ذكر عقيم .

وكان من نتيجة ذلك نمو ٩ من الاجنة نموا متقدما . وقد أخرجها من الرحم بعد ١٧ يوما .

والذي يجب توكيده هنا ان الجنين لم ينمُ الا في بيئته الطبيعية ، أي رحم الأنثى ، فمنه غذاؤه ، وفيه نماؤه .

ثامن المؤدى الى الموت

من سكان الولايات يحملون في كروموسوماتهم « الجين » الوراثي المتراجع Recessive الذي يجهز صاحبه لهذا الداء .

وعندهم أن داء السكر يمثل ثالث الاسباب التي تؤدي الى العمى ، وثامن الاسباب التي تؤدي الى الموت .

نشر هذا البحث في ديسمبر ١٩٦٨ .

وفي مارس ١٩٦٩ نشر بحث مثله يتعلق بتلقيح البيضة الانسانية،بالحيوان المنوى ، في أنبوبة اختبار ، بغير نجاح كبير .

وقد قام بهذا البحث ثلاثة بريطانيين، اثنان منهما من جامعة كمبردج ، وواحد من المستشفى العام لالدهام Oldham.

وهم حاولوا تلقيح ٥٦ بيضة ، ولكن لم يطّرد في النمو منها غير ٣٤ بيضة . ولكن لم يتلقح تلقيحا صحيحا منها بعد ٣١ ساعة غير ٧ .

وليس الهدف من هذا تنشئة الاطفال في أنابيب اختبار .

انما الهدف هدفان :

واحد منهما علمى اكديمى طبى ، هو فهم عملية التلقيح وكشف تفاصيلها .

والهدف الثاني معالجة بعض الأمهات اللائى يشكين من العقم . فبعض هؤلاء سببُ عقمهن هو ان اكياسهن Follicles تحبس البيض فلا ينطلق . ويكون العلاج هو اطلاق هذا البيض بالجراحة ، ثم تلقيحه بالحيوانات المنوية للزوج في انبوبة اختبار ، ثم رده الى رحم الأم لينمو فيه طفلا سويا .



الأينو لهم طرائق في صيد السمك متوارثة ، يحتفظون بها الى اليوم ، يهدفون منها فيما يهدفون الى جذب السياح اليهم .

الأَيْنو
جنس من الأجناس البشرية في اليابان قديم

اسرة من الأينو . وترى فيها شفاه النساء وقد وشمنها .



● علم الانسان علم يمس الانسان في الصميم ، فهو يدرس كيف كان الانسان القديم ، ليكشف عن كيف كان تطوره على الأزمان حتى وصل الى ما وصل اليه اليوم ، وان كانت اكثر الاجناس الانسانية القديمة قد انطوت ، وانطوت معهم آثارهم وثقافاتهم ، وحلت مكانها آثار وثقافات كادت أن تصبح نقائض لتلك الماضية التي كانت .

ولقد سهل درس الاجناس في علم الانسان بقايا من تلك الاجناس القديمة ، كمثل المعاوريين Maoris سكان نيوزيلندة الأصلاء ، والهنود الحمر سكان أمريكا الاقدمين .

ومن هؤلاء الأَينو Ainu ، من أهل اليابان اليوم .

وسموهم الأينو المشعرون . وليس الياباني بمشعر .

وقد قل تعدادهم في اليابان على السنين ، بسبب زواجهم بغيرهم من اليابانيين ، حتى كادوا أن ينقرضوا وتنقرض معهم معالمهم ، وهى تراث القرون . .

ومن اجل هذا اقامت جامعة هكايدو Hokkaido باليابان معهداً خاصا لدراسة الأينو وحفظ آثارهم .

اما اصلهم فأغلب الظن انهم جاءوا من الغرب ، من القوقاز ، وهم بيض البشرة زرق العيون . وعلى الأقل هم ، ان لم يكونوا قوقازيين ، فهم قوقازانيون .

وهم الآن لا يبلغ تعدادهم الا آلافا قليلة في جزيرة هكايدو ، وهى اقل جزر اليابان الكبيرة سكانا،وهم هناك يعيشون عيشة السلالة البشرية المستقلة على الرغم من انهم يتكلمون اللغة اليابانية الصحيحة .

وهم يعيشون على الصيد والسماكة البسيطة . والظاهر انهم قد زحمهم من جاء بعدهم من اليابانيين والصينيين والكوريين والمنغوليين وازاحوهم جانبا .

وقد بقى في الأينو الى اليوم بعض صور الحياة القديمة فيهم . فحكامهم يحكمون بمساعدةالأشياخ منهم . والنساء خاصة ما زلن يَشْمِن وجوههن ، ولا سيما الشفاه ، بالوَشم الأزرق . ولا يزال فيهم حتى اليوم نوع معقد من عبادة الحيوان ، فيها تتخذ الأوثان رمزا للعشائر ، وفيها المحظورات ، وفيها المراسم الدينية ، والحفلات الجماعية .

وبيوتهم تبنى من طبقة واحدة ، من قصب غاب ، أو من تركيبة تسقف بالقش . وفي كل بيت نافذتان صغيرتان مربعتان ، تغلقان في الليل بعارضة تتدلى من خشب . وهي نوافذ عندهم مقدسة يسمونها نوافذ الرب ، وعندها يجلس رجال القبائل عند الغروب يتعبدون .



الأينو : يطحنون قشر شجر الدردار Ehn Tree وهو يدق في هاون من الخشب ، ليصنعوا منه انسجة للسياح.

والاينو يؤمنون بالحياة من بعد الموت. واليابانيون يستغلون الأينو اليوم استغلالا،وذلك لأن قراهم تغرى السياح بالزيارة. وللأينو صناعات يدوية يغرون بها السياح ، ولهم رقصات خاصة بهم، وتخرج من بين اصابعهم انسجة جميلة.

ومما لا شك فيه أن المدنية الغربية سوف تغمر مابقي من الأينو ومن عاداتهم . ولكن من الحق أن يقال ان اليابانيين لا يدفعونهم الى التغيير دفعا . ومن يدرى، فلعلهم يبقون من عاداتهم وثقافتهم مثل ما استطاع اليابانيون ان يبقوه من عاداتهم وثقافتهم رغم فيض المدنية العارم .

على ان تأسيس معهد الدراسات الأينووية جاء في موعده .

الف الف طن
من مطاط السيارات القديمة
ماذا نصنع بها ؟

● هذا السؤال عرض على العلماء .
نعم مليون طن من مطاط السيارات ،من تلك الاطارات القديمة التي فرغ الناس من استخدامها بعد ان استهلكوها استهلاكا ، ثم ملأوا بها فراغا من الارض كلما نظر اليه الناظر نظر الى شيء لا خير فيه .

وجاء جواب العلم حثيثا .

وترى هذه البحوث اليوم قائمة في ذ ورها . وهي مبنية على ان يصنع العلماء بالمطاط ما يصنعون بالفحم الحجرى ، يسخنونه بمعزل عن الهواء ليتحلل ، وهو يتحلل ويعطى الغاز ، ويعطى الزيت ، ويعطى القطران .

وفي تجربة احموا فيها طنا من هذا المطاط ، بعد تقطيعه، لدرجة ٥٠٠ مئوية بمعزل عن الهواء ، حصلوا منه على ١٤٠ جالونا من سائل الزيت ، و ١٥٠٠ قدم مكعبة من الغاز . واحترق الغاز واعطى حرارة تقارن بمثل ما يعطى غاز البترول الطبيعي .



والكيماويات التى حصلوا عليها على هذا النحو من المطاط تشبه تلك التى يحصل عليها الكيماويون من تسخين الفحم الحجرى بمعزل عن هواء الجو ، فهى تحتوى على البنزين ، والتلوين ، والزيلين ، والنفثا .

● ان العين خلقت لترى .

وان الاذن خلقت لتسمع .

وان الأنف لتشم ، وان الجلد ليحس .

ومنعُ هذه الاعضاء من عملها هذا الطبيعي له نتائج وخيمة ، تراوحت وخامتها بين الخفيفة والثقيلة .

ولقد اجرى العلماء التجارب على متطوعين من الناس ، من جميع الاصناف ، يبحثون عن هذه النتائج . يضعونهم في خزانات لا يدخلها الصوت ، وتوضع على اعينهم نظارات سوداء تحجب الرؤية ، ويتركونهم هكذا ليعلموا كم من الزمن يستطيع هؤلاء القوم ، على اختلافهم ، ان يصمدوا للتجربة .

وقد اختلفت النتائج .

وكان اصبرهم عليها اولئك الذين لهم مزاج في الحياة مفتوح .

اما المنطوون على انفسهم فكانوا اسرع الى الضيق من غيرهم . وقد بلغت التجربة ببعضهم ان اصاب المرض نفوسهم .

ان الاحاسيس نوافذ مفتوحة على الحياة ، وهي نوافذ يجب ان لا تغلق .

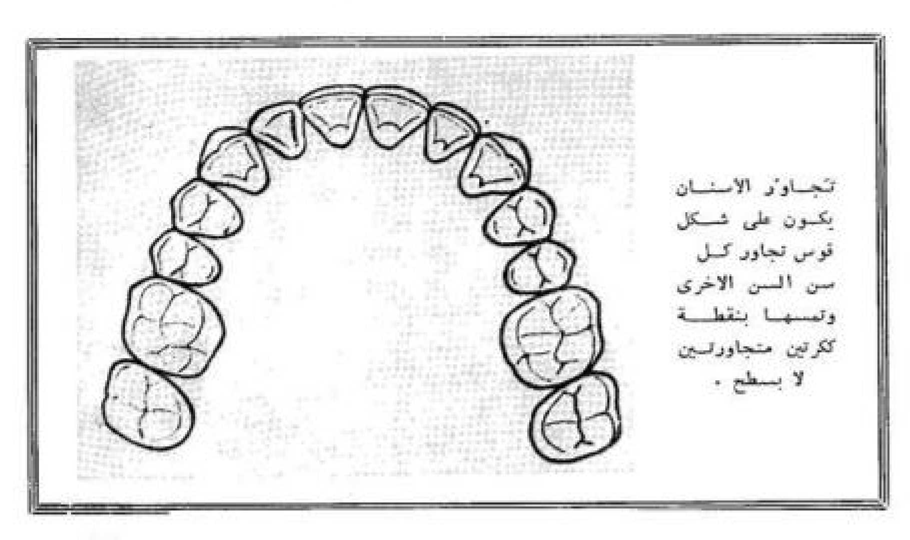
ومن هذا كان التروّح بالتجوال في الأرض واختلاف المناظر والمسامع . ●●

الـــرُّعـــال
أو

بقلم : الدكتور سعيد أفيوني

■ الرُّعال مرض يصيب الرعل بالفم، والرعل مجموعة أعضاء ثلاثة متجاورة متلاحمة هي رباط الأسنان ، وعظم الفك المغروزة به الأسنان ولثة الأسنان ، لذا جاءت الكلمة العربية المؤلفة من ثلاثة حروف « رعل » (رباط ، عظم ، لثة)(1). والمرض الذي يصيب الرعل هـــو « الرعال » والذي يسميه معظم الناس « البيورية » أو ما يقابلها بالافرنجيـــة Pyorrhia ، وهذا المرض منتشر في معظم أنحاء العالم يكاد لا يسلم منه الا النزر اليسير من الناس ، على ان اصابته تكون على درجات متفاوتة تكاد بدايتها لا تعتبر مـــن الامـــراض التى بحاجـــة لتدخل الطبيب ومعالجته ، أما اذا تقدم وتفاقم فلا بد من تدخل الطبيب .

(1) انظر صفحة الطب المصور حيث تجد صورة السن وأجزاءها .



تجاوُر الاسنان يكون على شكل قوس تجاور كل سن السن الاخرى وتمسها بنقطة ككرتين متجاورتين لا بسطح .

لمحة تشريحية

من المعروف أن جذر السن مغروز بعظم الفك ، ومثبت بحزمة من الاربطة الليفية الغائرة بجدار جذر السن من جهة ، وعظم الفك من جهة أخرى ، اما اللثة فتحيط بعنق السن فتكون هنا حرَّة غير ملتصقة لا بالعظم ، ولا بعنق السن .

رائحة بالفم
تخلخل بالأسنان
جيوب لثوية نازفة

اما القسم الثانى من اللثة فيكون ملتصقا بعظم الفك ، لذا فاللثة تنقسم الى قسمين ، أولهما اللثة الحرة وهى ما تحيط بعنق السن مكونة النتوءات اللثوية الظاهرة بين الاسنان ، وثانيهما اللثة الملتصقة بعظم الفك . وكلتاهما الحرة والملتصقة تشكل لثة الاسنان الوردية اللون والمميّزة عن لون الغشاء المخاطى المبطن للشفتين وقاع الفم وباطن الخدين .

اما تجاور الأسنان فيكون على شكل قوس منقند ، تجاور كل سن السن الأخرى وتمسها بنقطة كرتين متجاورين لا بسطح ، وهذا الوضع يسمح بترك فسحة بين الأسنان لخروج الطعام المتبقى بين الاسنان بسهولة من جهة ، ويساعد على مرونة السن وحركتها بمساعدة الرباط لتلقى ضربات المضغ والصدمات من جهة أخرى .

اما ان تماست الأسنان بسطح فينتج عن ذلك اعاقة الرباط عن وظيفته وتعطيل مرونته، وبالتالى لا بد للعظم واللثة من القيام بدور الدفاع الوظيفى الذى ينتج عنه امتصاص العظم وامتصاص اللثة، وتكو ن الجيوب الغائرة خلف أعناق الأسنان .

جيوب نازفة ورائحة خاصة بالفم

البيوربة تخرّب أربطة الأسنان ، وتمتص عظم الفك ، وتخلخل الأسنان ، بالاضافة الى ايجاد طلاوة بيضاء شاحبة وترسّبات كلسية تحيط باعناق الأسنان .

فالمريض يشعر صباحا بمرارة في الفم ويخرج مع بصاقه خيوطا لزجة صفراء هى مزيج من اشلاء الكرّيات البيض التى تنزّ بها الجيوب ما بين الأسنان نتيجة لامتصاص عظم الفك ، لذا فان كل هذه الأعراض لا بد وأن تصاحبها رائحة خاصة غير مستحبة هى رائحة الصديد .

على أن للبيورية مظهرين ، أولهما جاف والثانى رطب :

فالبيورية الجافة لا يصاحبها صديد ، الا أنها تنتهى الى ما تنتهى اليه البيورية الرطبة من تخريب للانسجة الرعْلية للاسنان ، وهذا النوع من أخطر انواع البيورية اذ أنها تفتك بدون علم المريض فلا يتسنى له عرض حالته على الطبيب .

أما البيورية الرطبة فمظهرها المميز خروجُ الصديد الممزوج بالدم من اللثة . غير أن المريض لا يكاد يرى هذا الصديد أثناء النهار نظرا لحركات البلع الدائمة . اما لو قُيّض له عصر لثته مباشرة بعد النوم فانه يرى كمية كبيرة من الصديد تخرج من بين أسنانه. ولقد دلت التجارب على أن المريض بالبيورية الرطبة يبتلع مقدار فنجان قهوة من الصديد كل أربع وعشرين ساعة تدخل لمعدته . ولو علمنا أن الصديد من أعسر المواد هضما واكثرها أذى لقدّرنا مدى الارهاق الذى يصيب المعدة واجهزة الهضم الخاصة والصحة عامة .

أسباب البيورية

لثة الأسنان ، وجذور الأسنان ، وأطراف هذه الجذور ، والرباط الذى يشدها بالعظم ، كلها أجهزة صغيرة دقيقة وحساسة تتأثر بما يتأثر به الجسم من أمراض عامة كآفات الدم «والسكرى» ونقص التغذية ، والنقرس ، والتهاب المفاصل ، واختلاف توازن الغدد الصم كما هو عند الحوامل، وغيرها من الأمراض التى تضعف أجهزة الرعل وتهيئه للاصابة بالرعال ـ البيورية ـ لذا ، فمثل هذه الأمراض العامة وغيرها ، ان لم تكن سببا رئيسيا للبيورية تكون عاملا مساعدا للاصابة بها ان تهيأت للفم الأسباب الموضعية التالية :

الترسبات حول أعناق الاسنان

تتكون بداية هذه الترسبات بسبب اهمال صحة الفم ونظافته ، وتكون على شكل طلاوة داكنة حول أعناق الأسنان لا تلبث أن تزداد سمكا ، اذ تترسب عليها ترسبات اللعاب الكِلْسية . فاللعاب يصب من قنوات موزعة على قاعدة الفم وتحت اللسان

وباطن الخدين . والحركات الحيوية للفم والبلع وحركة اللسان وتحريك الشفتين وعضلات الخدين لا تسمح للعاب أن تترسب أملاحه الا اذا توقفت هذه الحركات أثناء النوم ، واذا وجدت مناطق خشنة كالطلاوة حول الأسنان لتترسب عليهـا . وبزيادة اهمال صحة الفم ونظافته تزداد الطلاوة ثخانة ، وتتشكل الترسبات الكلسية التى تحيط باعناق الأسنان ، وتمتد لناحية الجذور والأربطة فتظهر حزاما بنيا حول الأسنان هو صفيحة القلح الهشة التى تسبب ابتعاد اللثة وامتصاصها وانحسارها ، وبالتالى تؤثر على أربطة الأسنان فتتكون جيوب ما بين الأسـنان . وباستفحـال الاهمال تظهر علامات البيورية .

سوء تنضيد الأسنان وتراكبها

من الطبيعى أن الأسنان المتراكبة وغير المنضدة تكون لثتها أيضا غير طبيعية، متضخمة في مواضع، وممتصة في مواضع أخرى ، حسب وضع الأسنان، وحسب تقهقرها وبروزها بالقوس السنى . لذا فكل هذه الظواهر التشريحية الشاذة تسمح لبقايا الطعام بالبقاء بين سطوح الأسنان وتحت اللثـة وتجعل تنظيفها امرا مستحيلا ، وبالتالى تختمر هذه البقايا فترتع الجراثيم بين أنسجة الرعل التـى لا بد مـن أن تمتص وتتليف مكوّنـة الجيوب اللثوية السائرة نحو الاصابة بالبيورية .

سوء أطباق الأسنان

تنطبق سطوح أسنان القوسـين السنّيين ، العلوى والسفلى ، في نقاط تشريحية مكوّنة من شقوق وميازيب ووهاد بحيث تقوم بوظيفتها بقطع الطعام وطحنه،وتكون القوى الواقعة على القوسين منتظمة بحيث تتحمل كل سنّ مع أجهزتها الرعلية الضربات الواقعة عليها ، فلو قُلعت احدى الأسنان أو سحلت السطوح التشريحية لمجموعة أضراس نتيجة لاعتياد الأكل على جهة واحدة ، أو تسوس سنّ وتهدم تاجها ، وبالتالى لو طرأ أى طارىء يفقد القوسين تماسهما التشريحى فستصبـح محصلة القوى واقعة على أسنان يتضاعف تحملها على حساب أربطتها والعظم المجاور لها مما يسبب تشوشا بالأجهزة الرعلية التى تمتص وتتليف مشكلة جيوبا لثوية تتطور غالبا للاصابة بالرعال.

هذا وتوجد أسباب عامة وموضعية من الصعب تفصيلها بهذا المجال ، الا اننا نكتفى بذكر ملخص للظواهر والاعراض التى يمكن للمريض مشاهدتها بفمه لتكون له دافعا لمراجعة الطبيب لعله يتمكن من اعطاء العلاج قبل استفحال المرض ومنها :

* تكون اللثة متضخمة أو ضامرة لونها أحمر قان، او احمر مائل للزرقة ، أما أعناق الأسنان فتكون داكنة متكشفة لظهور الملاط المغرّى من مينا السن الشفاف اللماع .

* اللثة تنزف عفويا أو عند أقل ضغط عليها ، والنزيف يكون اما صديدا صرفاأو صديدا ممزوجا بالدم .

* الجيوب بين الأسنان عميقة اذ يبلغ عمقها في بعض الأحيان حوالى ٣ ملم .

* الأسنان تهتز ويكون لونها شاحبا .

* القوس السنى غير منتظم والأسنان فيه تميل لجهة الخد واللسان بسبب عمق الجيوب وامتصاص العظم وتوسع مفارز الاسنان .

* رائحة الفم ممزوجة برائحة الصديد والدم النازف .

* حرارة ومرارة بالفم خصوصا عند القيـام من النوم .

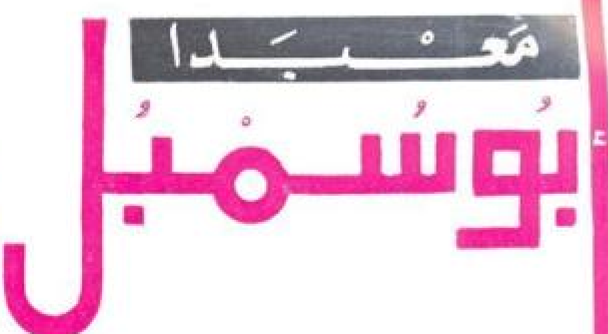
العـلاج

الأعراض التى ذكرناها ، وكذا اللمحـة التشريحية لتجاور الأسنان واطباق القوسـين السنّيين وعلاقة أجهزة الرعل بعضها بالاخـر ، تضعنا امام طريقين رئيسيين لمعالجة البيورية :

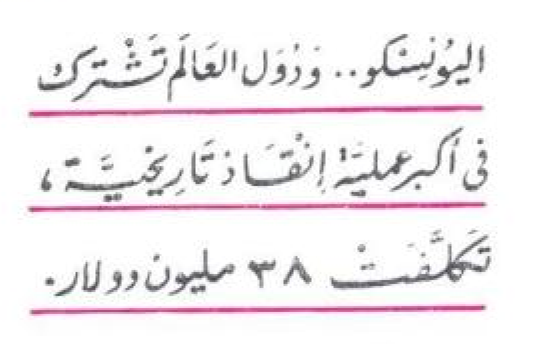
الطريق الأول وقائى شخصى وذلك باسـتمرار تنظيف الفم وعدم السماح للجراثيم المتّرضة بالتأثير على أجهزة الرعل واضعافها .

وكذا التدقيق والامعان بوضع الأسنانواطباقها، ووضع اللثة وحالتها ، وعلاقة كل تلك الأجهزة المتجاورة بعضها بالآخر ، لتدفعنا للطريق الثانى العلاجى المهنى بمراجعة طبيب الأسنان للقيـام بفحوص دورية وتداخلات وقائية وعلاجية لا بد منها للمحافظة على أفواهنا وأسناننا لتبقى سليمة قوية تقوم بوظيفتها خير قيام . ■■

سعيد أفيونى



مَعْبَدا أبُوسُمْبُل



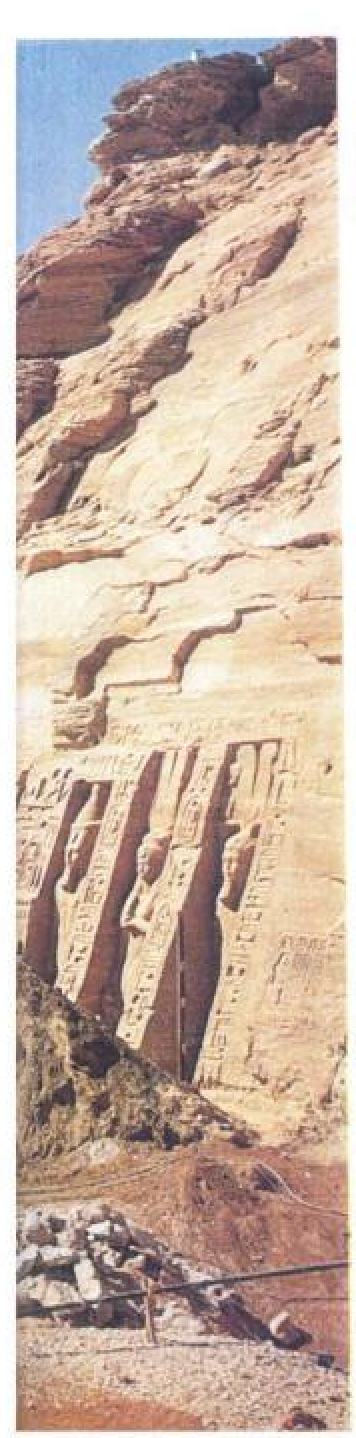
اليونسكو.. ودول العالم تشترك في أكبر عملية إنقاذ تاريخية، تكلفت ٣٨ مليون دولار.

بقلم : **محمد طنطاوى**

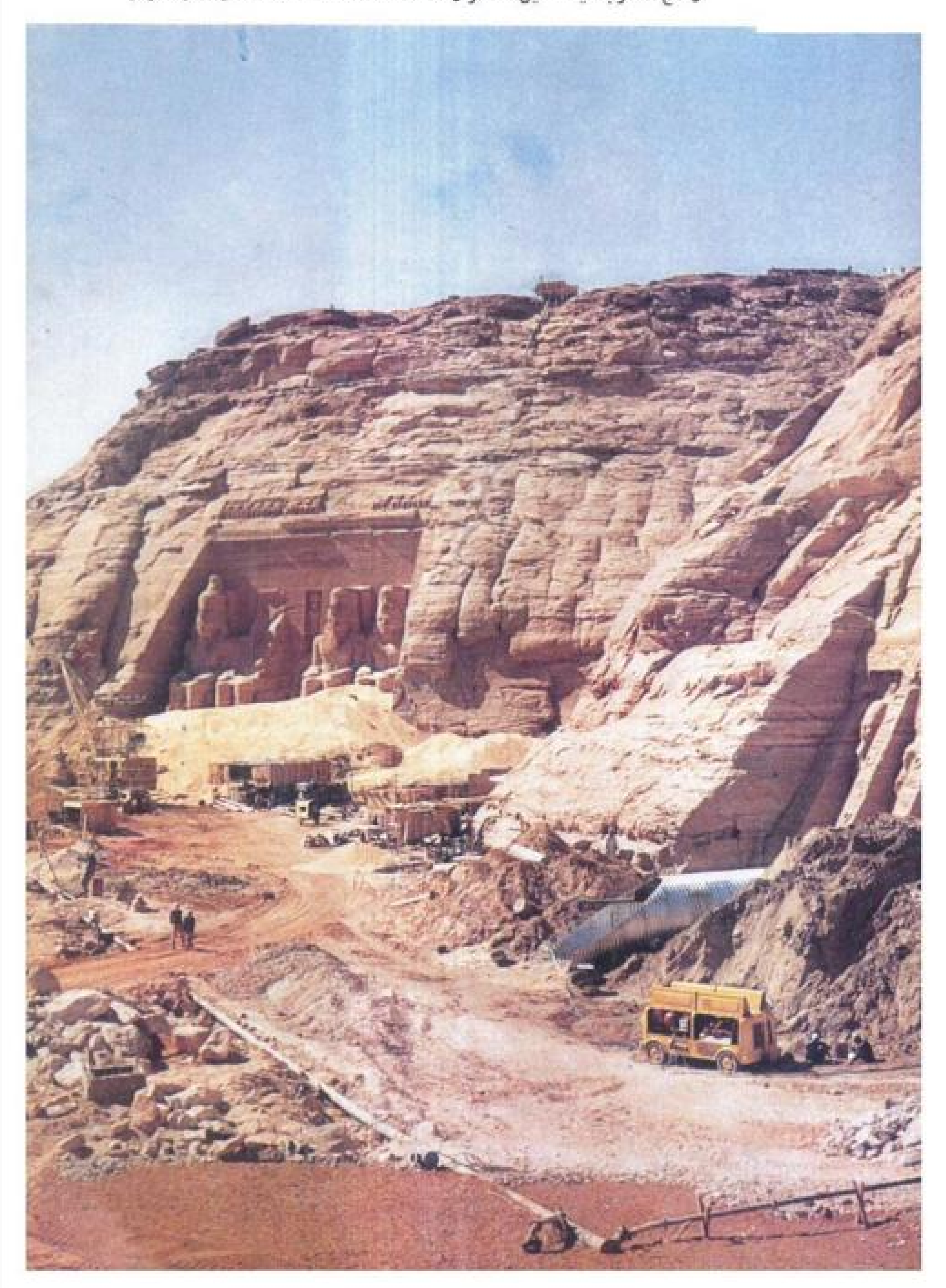
تصوير : **بيرلو أندرسون**

موميا رمسيس الثانى (١٣٠١ ــ ١٢٢٥ ق.م) ابن سيتى الاول ومؤسس الاسرة التاسعة عشرة . جلس على عرش مصر ٦٧ عاما ورزق بـ ١٢٧ ولدا من عدة زوجات . يعتبر معبدا « ابو سمبل » من آثاره الخالدة .





صورة التقطت لمعبدي «أبوسمبل» : الى اليسار معبد رمسيس الكبير والى يمين الصورة معبد نفرتاري بينما العمل يسير في بناء السد المؤقت لحماية المعبدين من ارتفاع منسوب مياه النيل المستمر،وقد تكلف انشاء هذا السد ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ دولار



بيرلو اندرسون مصور سويدي عالمي . وأستاذ فن التصوير في جامعة أوبسالا بالسويد . ومتخصص في الآثار الفرعونية القديمة . وقد قضى أندرسون ٥ سنوات في النوبة على فترات متقطعة قام فيها بتصوير أضخم عملية انقاذ للآثار في التاريخ الحديث ، خطوة بخطوة . وكانت هذه الصور لمعبدي « أبو سمبل » ولبعض اللوحات الفنية التي تزين جدران مقابر الفراعنة والتي اشترت « العربي » حق نشرها لتنقل لقرائها صورة حية من صور التعاون الدولي البناء في سبيل انقاذ اثر من الآثار الخالدة عبر آماد موغلة في القدم ، اثر يبلغ عمره ٣٢٨٠ عاما .

■ في عام ١٨١٢ اكتشف عالم الآثار بيركهاردت J. Burckhardt ، معبد « ابو سمبل » الذي بناه رمسيس الثاني في عام ١٢٥٠ قبل الميلاد (منذ ٣٢١٨ عاما) في صحراء النوبة وعلى الضفة الغربية للنيل الخالد جنوب مدينة اسوان .

وبعد محاولات عديدة لتطهير مدخل المعبد من الرمال التي تحيط به من كل جانب تم افتتاح المعبد في عام ١٨١٧ بواسطة مجهودات عالم الآثار « بلزوني » G. B. Belzoni .

وكان اكتشاف معبدي « أبو سمبل » من أهم الاكتشافات الأثرية في تاريخ النوبة .. ولم يمض سوى ١٤٣ عاما الا وابو سمبل يجذب أنظار العالم مرة أخرى لا كأثر تاريخي عظيم يمثل حقبة هامة من تاريخ العالم ولكن كمثل لما يمكن أن يحققه التعاون الدولي البناء في الحفاظ على التراث التاريخي الخالد في العالم اجمع وصيانته من الاندثار .

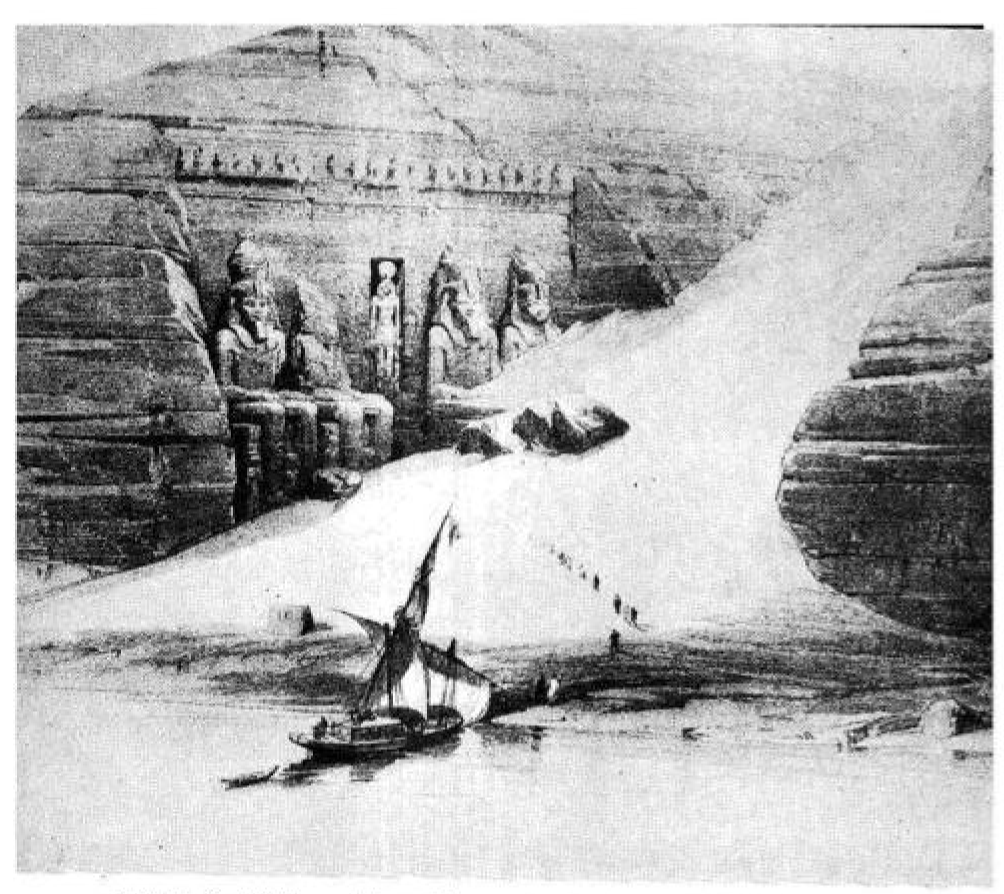
ولنبدأ قصة انقاذ آثار النوبة من بدايتها .

السد العالي وآثار النوبة

عندما بدأ تنفيذ مشروع السد العالي في الجمهورية العربية المتحدة أثبتت الدراسات أن منسوب مياه النيل سيرتفع وراء السد الى ارتفاع ٦٣ مترا ، مما سيؤدي الى غمر أراضي النوبة تحت مياه النيل مكونة أكبر بحيرة صناعية في العالم هي بحيرة ناصر . وتحت مياه هذه البحيرة الكبيرة ستغرق آثار النوبة التاريخية كلها ، تلك الآثار التي قالوا عنها انها احدى الآثار العالمية العظمى ، فهناك ٢٠ معبدا تختلف في الحجم وفي الأهمية الأثرية والتاريخية ولكنها تتفق في شيء واحد هو جمالها . وهناك ايضا بقايا مدن أثرية، وبقايا قلاع مصرية قديمة وآلاف المقابر الأثرية الفنية التي تعود الى عهود ما قبل التاريخ والى ايام الفراعنة .

والمنطقة المعروفة باسم النوبة لها اهمية تاريخية خاصة ، فقد كانت تمثل حلقة اتصال بين ثقافات البحر المتوسط المعروفة وثقافات افريقيا التي لم يعرف العالم عنها الشيء الكثير . واذا قيض للعالم أن يتعرف على هذه الثقافات وتاريخها فان مسح أراضي النوبة اثريا وتاريخيا يعتبر من أهم الخيوط الرئيسية لبدء مثل هذه العملية ذات الأهمية الثقافية والتاريخية . وانقاذ آثار النوبة الهامة يأتي في المرتبة الأولى من عملية المسح هذه .

اما اذا غمرت مياه النيل هذه المنطقة قبل انقاذ آثارها ودراستها ، فان هذا معناه ببساطة مؤلمة أن حقبة من تاريخ ثقافات افريقيا ستظل في دياجير الظلام



رسم بريشة المكتشف البريطاني داڤيد روبرتس يمثل معبد « ابو سمبل» الكبير في عام ١٨٢٢.
وقد نشر روبرتس مجموعة رسوم له عن « ابو سمبل » في ثلاثة كتب كبيرة في عام ١٨٤٦ .

ولن ترى النور ابدا . وبذلك يصبح تاريخ المنطقة ملفوفا بالغموض والابهام .

ولكن لم تكن الامكانيات المادية للجمهورية العربية المتحدة ولا للسودان تسمح لهما بالقيام وحدهما بهذا العمل الضخم الذي لم يرد له نظير في تاريخ حضارتنا من قبل .

وفي يوم ٦ ابريل عام ١٩٥٩ طلبت الجمهورية العربية المتحدة رسميا من هيئة اليونسكو مساعدات مالية وعلمية وتكنولوجية .

وقامت السودان أيضا بنفس الاجراء في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥٩ . وكان قرار هيئة اليونسكو، استجابة لهذه المطالب، ان التراث الثقافي للانسان معرض لخسارة فادحة اذا غرقت آثار النوبة القديمة ومواقعها الأثرية تحت مياه النيل . وفوض مجلس اليونسكو مديره العام ليتخذ كل الخطوات الضرورية لبداية عملية انقاذ عالمية لهذه الآثار .

نداء من اليونسكو

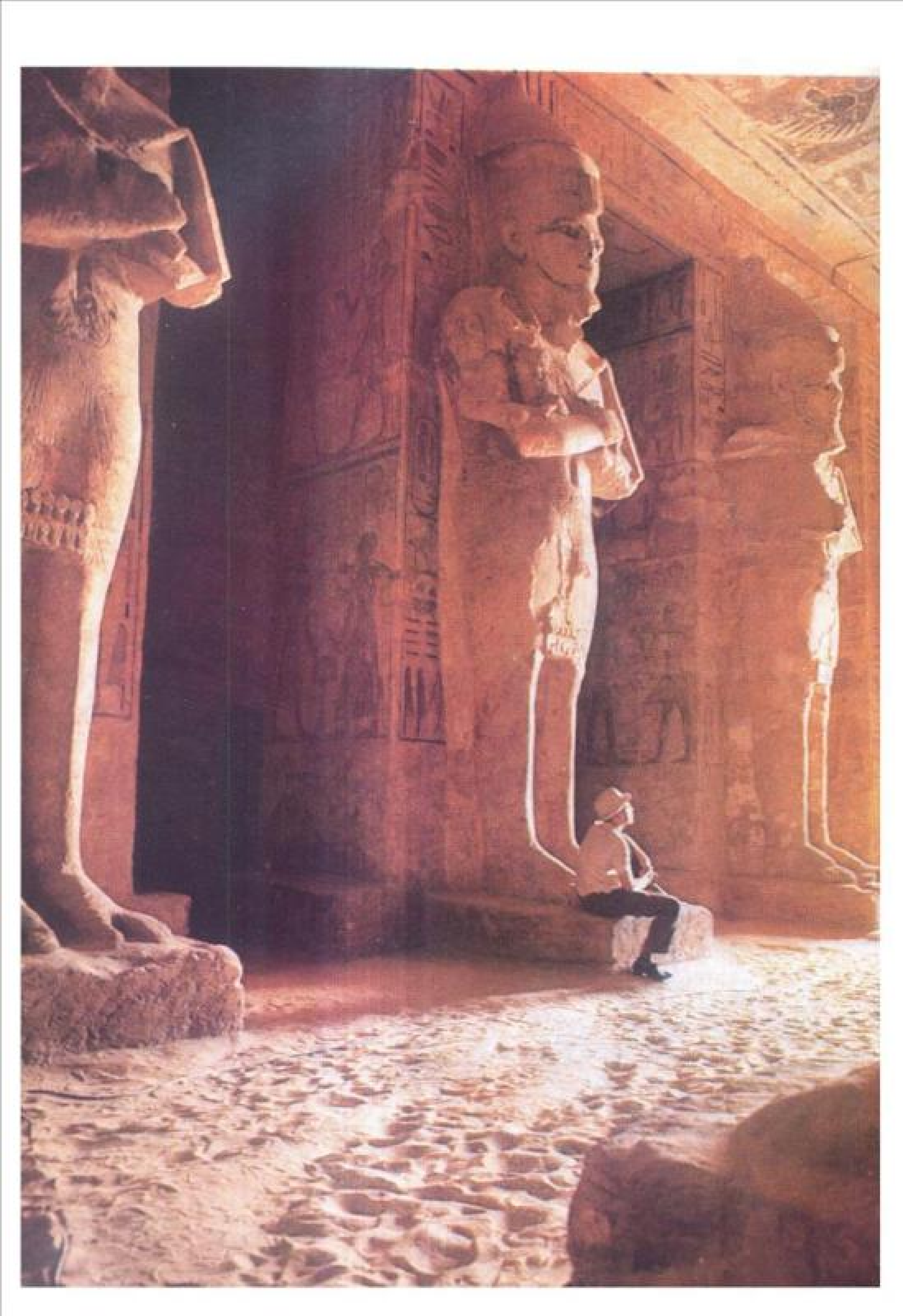
وفي ٨ مارس عام ١٩٦٠ وجه مدير عام اليونسكو نداء الى كل الدول الأعضاء في المنظمة الدولية لكي يظهروا تضامنهم



رسم على جدران معبد نفرتاري يمثل الملكة نفرتاري اثناء الاحتفال بتتويجها .. وقد اقام رمسيس هذا المعبد واهداه لزوجته وللالهة حاتور .



الى اليسار : ٨ تماثيل للاله اوزيريس نحتت في الاعمدة الصخرية لمعبد رمسيس في القاعة الكبرى لمعبد « أبو سمبل » الكبير ويبلغ ارتفاع كل تمثال عشرة أمتار ونصف متر .





يشاهد الداخل الى معبد رمسيس في « ابو سمبل » على جانبى المدخل وبالقرب من قاعدة تماثيل رمسيس الكبيرة هذا النحت الذى يمثل الأسرى يركعون على ركبهم بينما ربطت اعناقهم بألياف مصنوعة من سيقان البردى ، والكتابة الهيروغليفية المنقوشة فوق رؤوسهم تقول (ابن الشمس رمسيس محبوب آمون)

وتعاونهم بالمساهمة في انجاح عمليات انقاذ آثار النوبة .

وتم تعيين لجنة من شخصيات عالمية للاشراف على حملة الدعاية لانقاذ آثار النوبة وتولى رئاسة هذه اللجنة الملك جوستاف ادولف السادس ملك السويد .

والى جوار هذه اللجنة تم تأسيس لجنة تنفيذية عالمية لمشروع انقاذ آثار النوبة تضم الدول الاعضاء في اليونسكو .

التعاون الدولى في الميزان

ولأول مرة في تاريخنا الحديث يوضع التعاون الدولى من اجل مشروع ثقافي عالمى موضع التجربة .

وتكونت لجان فنية متخصصة لبحث النواحى العلمية والتكنولوجية والمادية ، وقد ادت هذه اللجان عملها بدقة تامة خلال السنوات الخمس التى استمر المشروع خلالها . وبالرغم من الصعوبات التى نشأت عن تشعب عملية انقاذ آثار النوبة وانقسامها الى عمليتين اولاهما : انقاذ الآثار الشهيرة المعروفة في النوبة . وثانيتهما التنقيب عن آثار جديدة لم تكتشف بعد ومحاولة انقاذ اكبر عدد منها .

ولكي نوضح ضخامة هذا العمل يكفى ان نعرف انه كان هناك في الجزء التابع للجمهورية العربية المتحدة من اراضى النوبة أكثر من ١٧ معبدا بين كبير وصغير ، بعضها مبنى بالحجارة ، والبعض الآخر منحوت في الصخر . وتعود أغلبية هذه المعابد والآثار الى عصرين مختلفين هما :

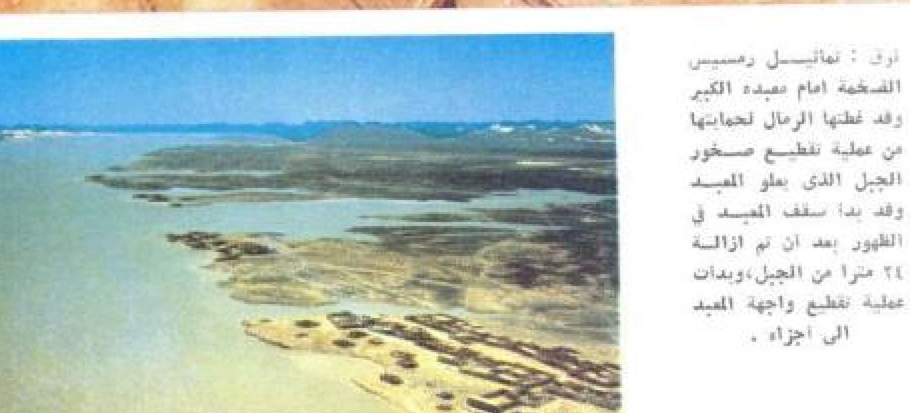
١ ــ عصر المملكة الجديدة وهو ذلك العصر الذى يقع ما بين القرن السادس عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد .

٢ ــ عصر البطالسة والرومان .

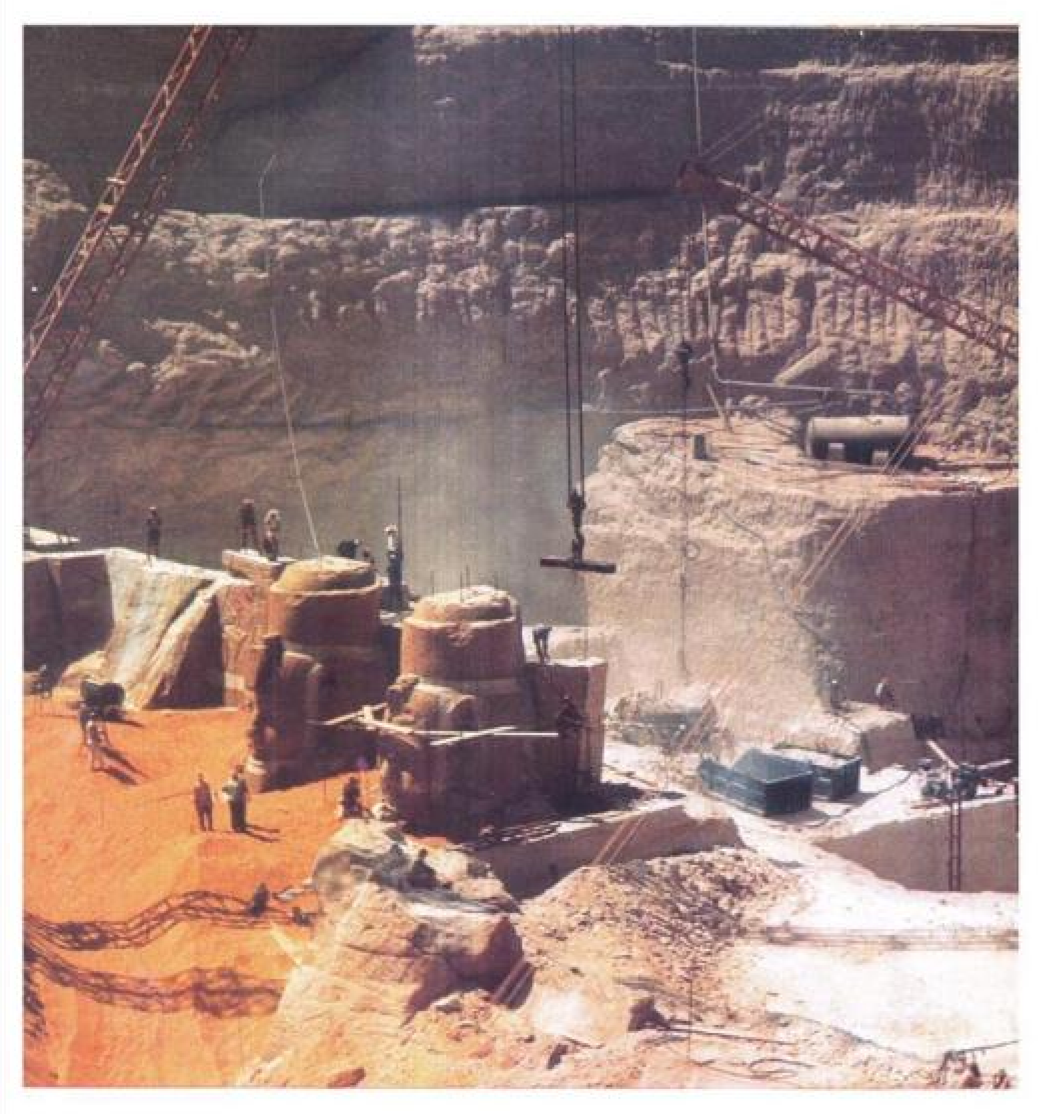
تمثال نفرتارى على واجهة معبدها في «ابو سمبل» التى نحت فيها ستة تماثيل ، أربعة منها لرمسيس الثاني واثنان يمثلان الملكة نفرتارى . ويبلغ ارتفاع كل تمثال ١١ مترا .

ومن أقدم هذه الآثار تلك التى تعود الى العصر الأول للامبراطورية الفرعونية تحت حكم تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت (١٥٠٠ ــ ١٤٥٠ ق . م) ومن بينها معبد عمارة . ويأتى بعدها معبد كلابشة الذى بنى في عهد امينوفيس الثانى (١٤٥٠ ــ ١٤٢٥ ق . م) ثم اول معبد حفر في صخور النوبة والذى بنى في عهد حورمحب (١٣٤٨ ــ ١٣٢٠ ق . م) وهو معبد ابو عودة .

ولم يبدأ بناء المعابد الكبرى في النوبة الا في عهد رمسيس الثانى (١٣٠١ ــ ١٢٣٥ ق . م) الذى بدأ باقامة سلسلة من المعابد تبدأ في شمال النوبة وهى معابد بيت الوالى ، وجرف حسين ، والسبوعة ، والدر ، ومعبدا « ابو سمبل » ، وتنتهى



فوق : تماثيل رمسيس الضخمة امام معبده الكبير وقد غطتها الرمال لحمايتها من عملية تقطيع صخور الجبل الذى يعلو المعبد وقد بدأ سقف المعبد في الظهور بعد أن تم ازالة ٢٤ مترا من الجبل،وبدأت عملية تقطيع واجهة المعبد الى أجزاء .



ترينا الصورة من خلف رؤوس التماثيل الضخمة الحفريات فوق حجرات المعبد الكبير ، ويبلغ مقدار دخول المعبد افقيا في الجبل ٦٤ مترا ، ويتكون من ١٢ حجرة ، وبعد هذه الخطوة يتم تقطيع رؤوس التماثيل الى قطع ويبلغ وزن وجه التمثال فقط حوالى ٢٠ طنا .

الى اليمين : غرق عدد كبير من قرى النوبة خلف السد العالى حتى وادى حلفا . وقد التقطت هذه الصورة في سبتمبر ١٩٦٦ عندما ارتفع منسوب المياه ٢٢ مترا .

في الجنوب بمعبد اكشا في السودان .

ويعتبر معبدا « ابو سمبل » اكبر معبدين بين معابد النوبة كلها .

٤٠ بعثة أثرية

ما ان اتخذت هيئة اليونسكو خطواتها التنفيذية لبدء مشروع انقاذ آثار النوبة حتى بدأت البعثات الاستكشافية الأثرية تأتي الى المنطقة التى اصبحت اشبه بخلية النحل . ففى المنطقة المصرية من النوبة تجمعت حوالى ٤٠ بعثة أثرية من ١٥ دولة مختلفة هي امريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والهند ، وايطاليا ، وكندا ، وهولندا ، وبولندا ، وسويسرا ، والاتحاد السوفييتي ، واسبانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، والمانيا الغربية ، والنمسا . كما وصلت الى المنطقة التابعة للسودان بعثات من الارجنتين ، والدنمارك ، وبريطانيا ، وفنلندا ، وفرنسا ، وغانا ، والنرويج ، وبولندا ، واسبانيا ، والسويد ، والولايات المتحدة الامريكية .

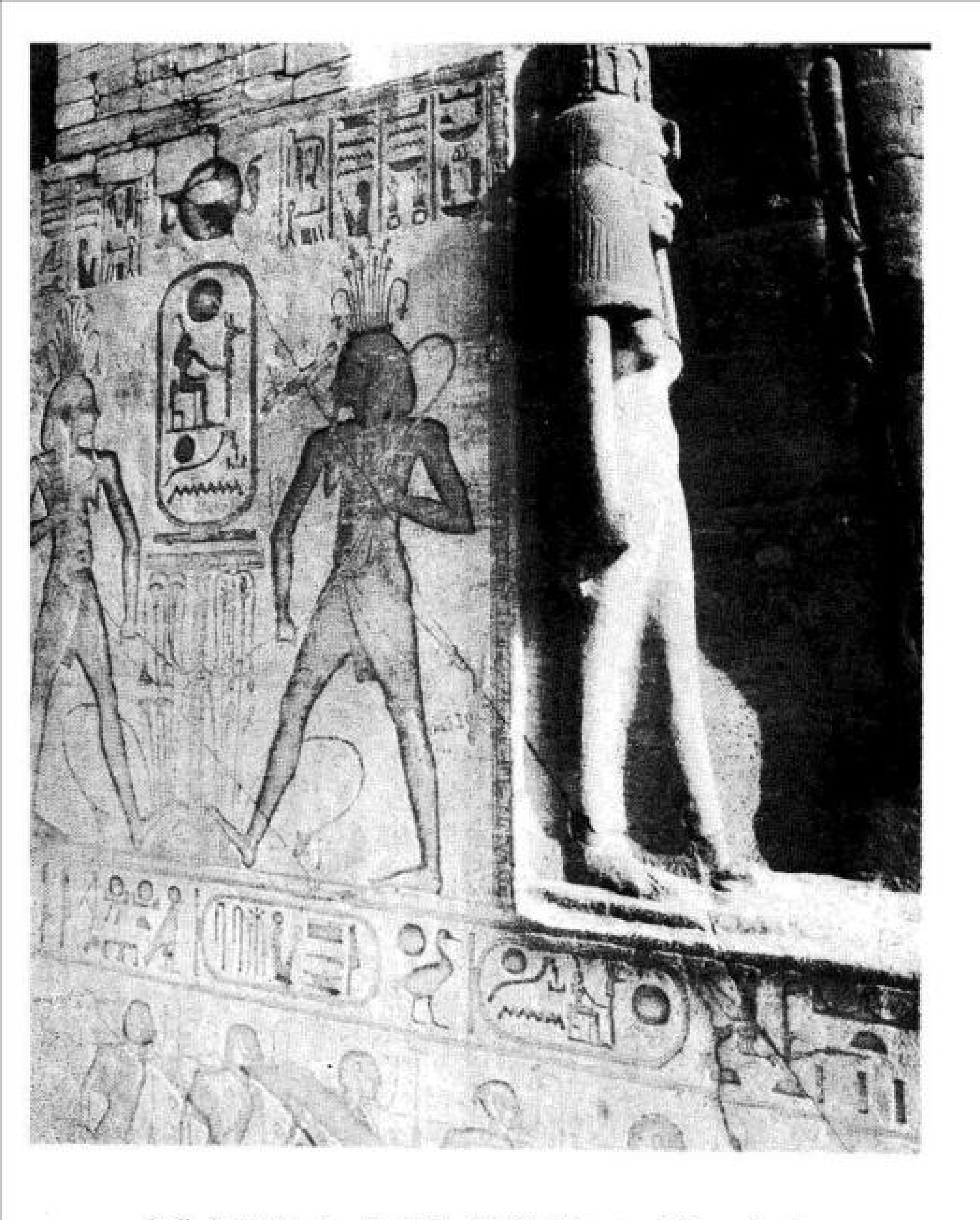
ولعل اصدق وصف لما كان يحدث في النوبة خلال الأعوام من ١٩٥٩ الى ١٩٦٥ انه لم يسبق من قبل أن اجتمع مثل هذا العدد من علماء الآثار والأخصائيين في مكان واحد .

نتيجة مذهلة

وجاءت نتيجة هذا التعاون الدولي الثقافي مذهلة .. اكتشفت آثار في غاية



عمليات التقطيع الدقيقة في معبدى «أبو سمبل» تمت كلها بواسطة مناشير يدوية لا كهربائية ، وكان الفنيون يقومون بنشر هذه القطع بدقة وحرص شديدين .



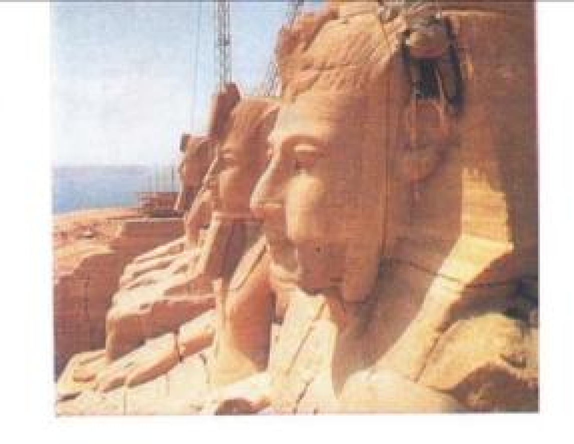
صورة داخل معبد نفرتارى تبين تمثال الملكة الفرعونية الى اليمين ، بينما نحت على الجدار صورة الالهين حابى مربوطين بجذوع اللوتس والبردى ، وكل منهما متوج باوراق البردى . ويرمز نبات اللوتس الى وحدة الوجهين القبلي والبحرى لمصر . كما يظهر في النحت على الجدار ايضا رسم رمسيس الثاني وهو جالس على عرشه .



الى اليسار : نفق من الصلب يبلغ طوله ٣٦ مترا ، استعمل كنفق لنقل الرمال التي دفنت تحتها التماثيل الكبيرة على واجهتي معبدي «ابوسمبل» وبذلك لوقاية الواجهتين من الصخور المتساقطة اثناء عمليات حفر الجبل الذى يقع فوق المعبدين .

تحت : تم تقطيع معبدي « ابو سمبل » الى ٩٦٣ قطعة يبلغ اقصى وزن لاية واحدة منها ٣٠ طنا . وفي الصورة وجه احد تماثيل رمسيس الضخمة اثناء عملية رفعه تمهيدا لنقله الى مكان المعبدين الجديد .

الى اليمين : **التماثيل الكبيرة في موقعها الجديد وهي تواجه شروق الشمس كل يوم . وكأنها تستقبل الاله رع اله الشمس مع اشراقة كل صباح**



تحت : **الخبراء والفنيون يقومون بعملية اعادة تجميع رؤوس تماثيل رمسيس الضخمة بعد ان تم نقلها الى موقع المعبد الجديد . انهم يعيدون وضع التاج على رأس احد التماثيل .**



بعد ان تمت عملية تجميع المعبدين في موقعهما الجديد اقيمت فوق كل واحد منهما قبة من الاسمنت المسلح لتتحمل ثقل الجبل الذى سيقام فوقهما . ويبلغ ارتفاع القبة التى

الروعة والجمال . ولكن لم يكن هذا هو النجاح الوحيد الذى حققته هذه البعثات التى أتت من جميع انحاء العالم ، بل حصلت هذه البعثات على نتائج علمية ذات اهمية قصوى تبين مجرى التاريخ الثقافي لهذه المنطقة وتلقى أضواء على معميات تاريخية ظلت تؤرق مضاجع علماء التاريخ كعلامات استفهام لا حل لها لمدة طويلة من الزمن .

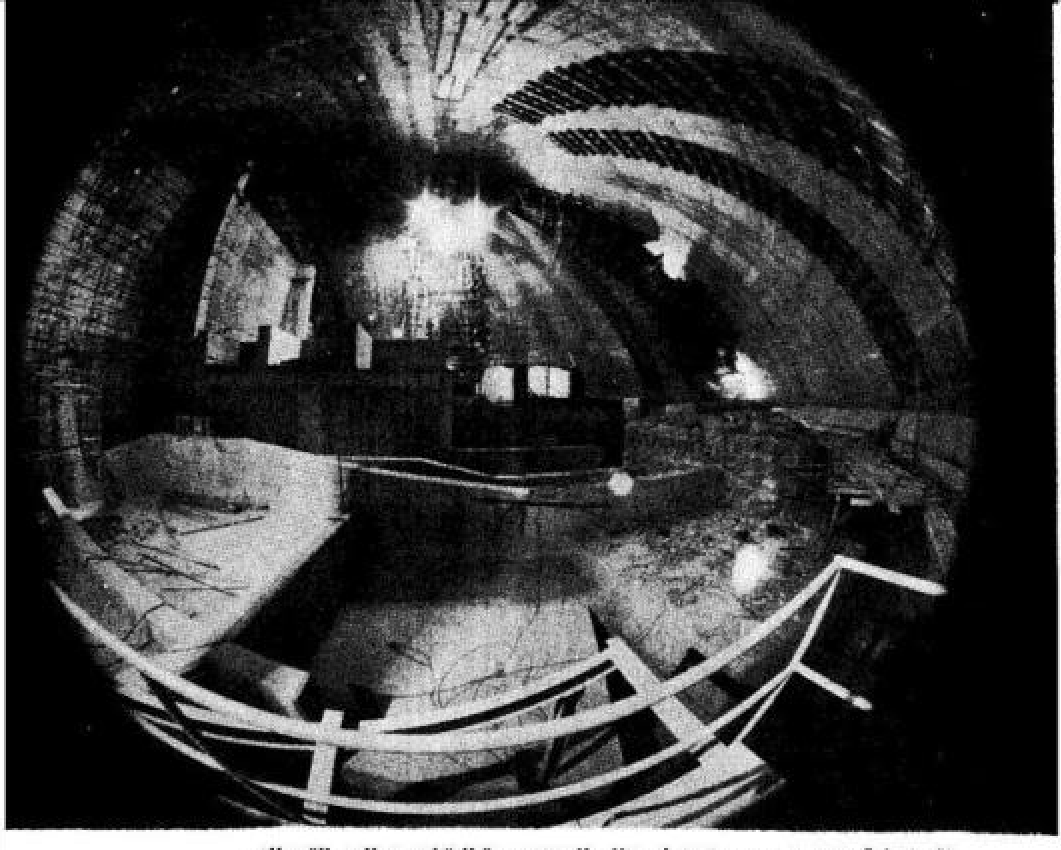
انقاذ « أبو سمبل »

لم ينته عمل اليونسكو والدول التى ساهمت في مشروع انقاذ آثار النوبة عند حدود عملية المسح الأثرى الشامل لمنطقة يبلغ طولها ٢٤٠ ميلا (٣٨٤ كيلو مترا) ، وكذلك عند انقاذ الآثار والمعابد الصغيرة في المنطقة ، بل بقيت أمام العالم مهمة أخرى صعبة ، وهى مهمة انقاذ معبدى « أبو سمبل » .

وقدرت تكاليف انقاذ هذين المعبدين بحوالى ٣٨ مليون دولار (حوالى ١٣ مليون دينار كويتى) وهو مبلغ يعتبر اكبر بكثير من المبالغ التى تم انفاقها لانقاذ بقية الآثار الأخرى كلها .

هل يساوى انقاذ « أبو سمبل » ٣٨ مليون دولار ؟!

وثار سؤال خطير .. هل يساوى انقاذ



اقيمت فوق معبد رمسيس ٢٠ مترا . والى اليمين صورة التقطت من الجو للقبه التى اقيمت فوق معبد رمسيس . بينما تمثل الصورة الاخرى القبة من الداخل

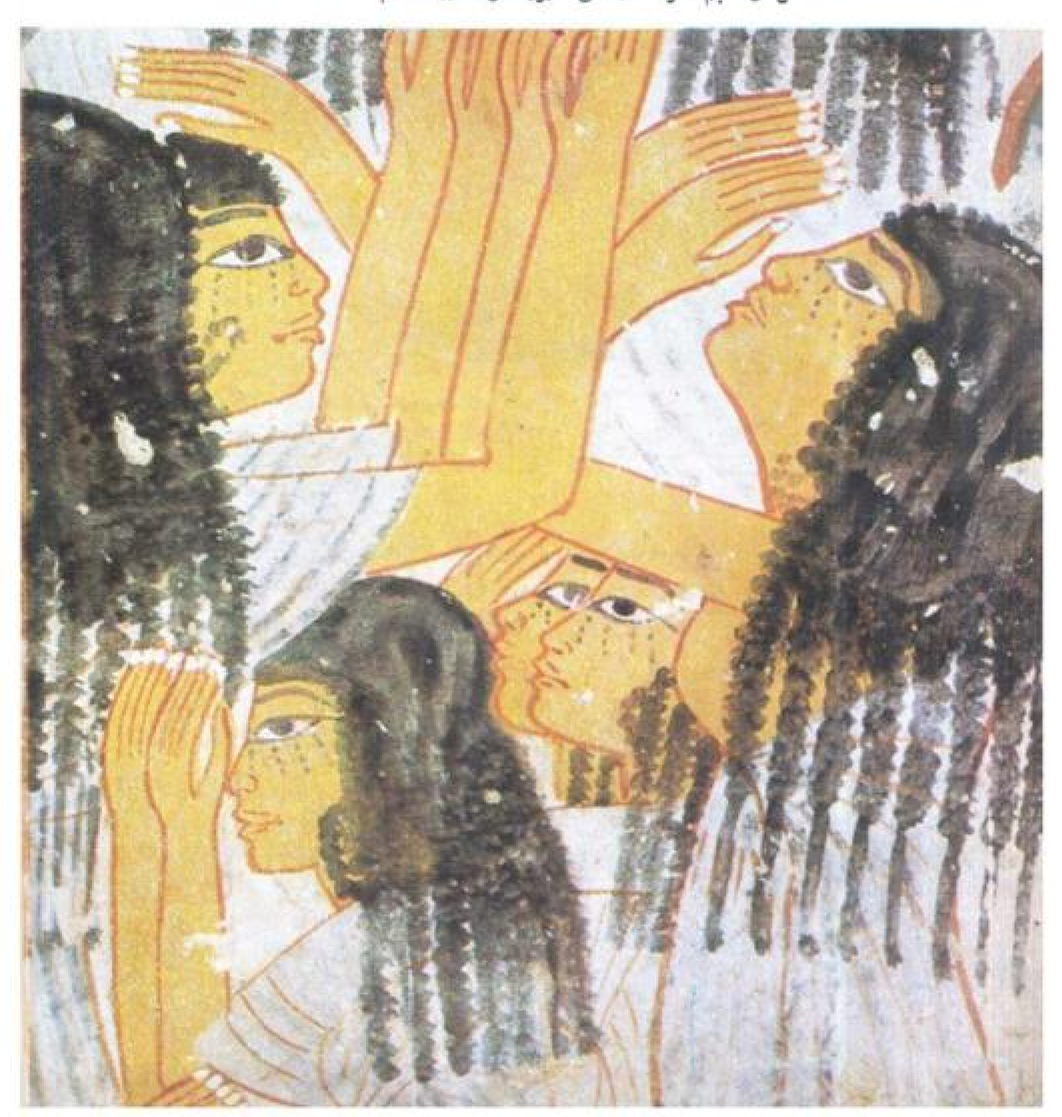
هذين المعبدين ذلك المبلغ الطائل من المال زائدا المجهود الضخم الذى سيبذل لنقلهما من مكانهما ؟! وما الذى سيجنيه العالم من عملية كهذه ؟!

والاجابة على هذال السؤال لم تكن صعبة بالنسبة للذين رأوا معبدى « ابو سمبل » راى العين وعرفوا عنهما الشيء الكثير ، فمعبدا « أبو سمبل » فريدان في نوعهما . ولا يوجد بين آثار مصر كلها ما يضارعهما روعة وجمالا . فعندما تبزغ الشمس في فجر كل يوم تتحول واجهة المعبدين الى لون احمر جميل . وقد صمم المعبد الكبير (معبد رمسيس) بطريقة هندسية بارعة تتيح لاشعة الشمس مرتين في العام وفي موعدين محددين ان تشرق مباشرة داخل قاعة الأعمدة التى يبلغ امتدادها افقيا داخل الجبل ١٧ مترا ويوجد بها ثمانية تماثيل لرمسيس على شكل الاله اوزيريس . ثم تنتشر في جانبى الممر الرئيسي حيث توجد رسوم تنطق بالحياة تمثل رمسيس الثانى كحاكم للعالم كله ورئيس للكهنة.

وتخترق اشعة الشمس قاعتين اخريين وتقطع ٦٠ مترا داخل المعبد

صُوَرٌ أُخرَى فِرعَونِيَّة

السيدات المعزيات لوحة في مقبرة راموس حاكم طيبة أيام حكم امينوفيس الثالث والرابع . وهى تمثل الاتجاه الاكاديمى في فن ذلك العهد . وقد راعى الفنان دقة التفاصيل وخاصة الحزن المرتسم على وجوه المعزيات وذلك بالرغم من ان حجم اللوحة الاصلى لا يزيد عن ٣٥x٢٥ سم .



فوق : قام الفنان المصرى القديم برسم رائع على حوائط مقبرة مينا الصغيرة في عهد تحوتمس الثالث في منتصف عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ويمثل هذا الرسم رحلة الموتى الى مدينة أوزيريس المقدسة . ويتميز القارب الجنائزى في هذا الرسم عن غيره بالرسوم الرائعة للرجل الميت وهو يرفع يده مودعا سيدات أسرته الثكالى وهو في طريقه الى المدينة المقدسة .



الى اليسار : مقبرة حورمحب ـ احد قادة جيش تحوتمس الرابع في الأسرة الثامنة عشرة ، وبها رسوم قام بها فنان مبدع يتضح منها كيف أن الفنانين المصريين القدماء كانوا يعالجون الموضوع الواحد بطرق فنية مختلفة. فالفنان هنا يقوم برسم المعزيات على طريقة الاسكتش ، مهملا بعض التفاصيل الدقيقة ، ولكنه في الوقت نفسه يعطى الجو والفكرة عن الجنائز



صورة من الجو لموقع المعبدين ٦٣ مترا عن مستوى المياه .

حتى تصل الى التماثيل الموجودة في قدس الأقداس والتى تمثل رمسيس متوجا كاله بين آلهة مصر الثلاثة المشهورة آمون ـ رى اله طيبة ، ورى حاراخت اله هليوبوليس ، وبتاح اله العاصمة القديمة ممفيس .

وتبدو اشعة الشمس في هذين اليومين المحددين وكأنها عند شروقها تقبل قدمى تمثال رمسيس وتماثيل الآلهة الثلاثة ، تقدم لهم فروض الطاعة والولاء .. !!

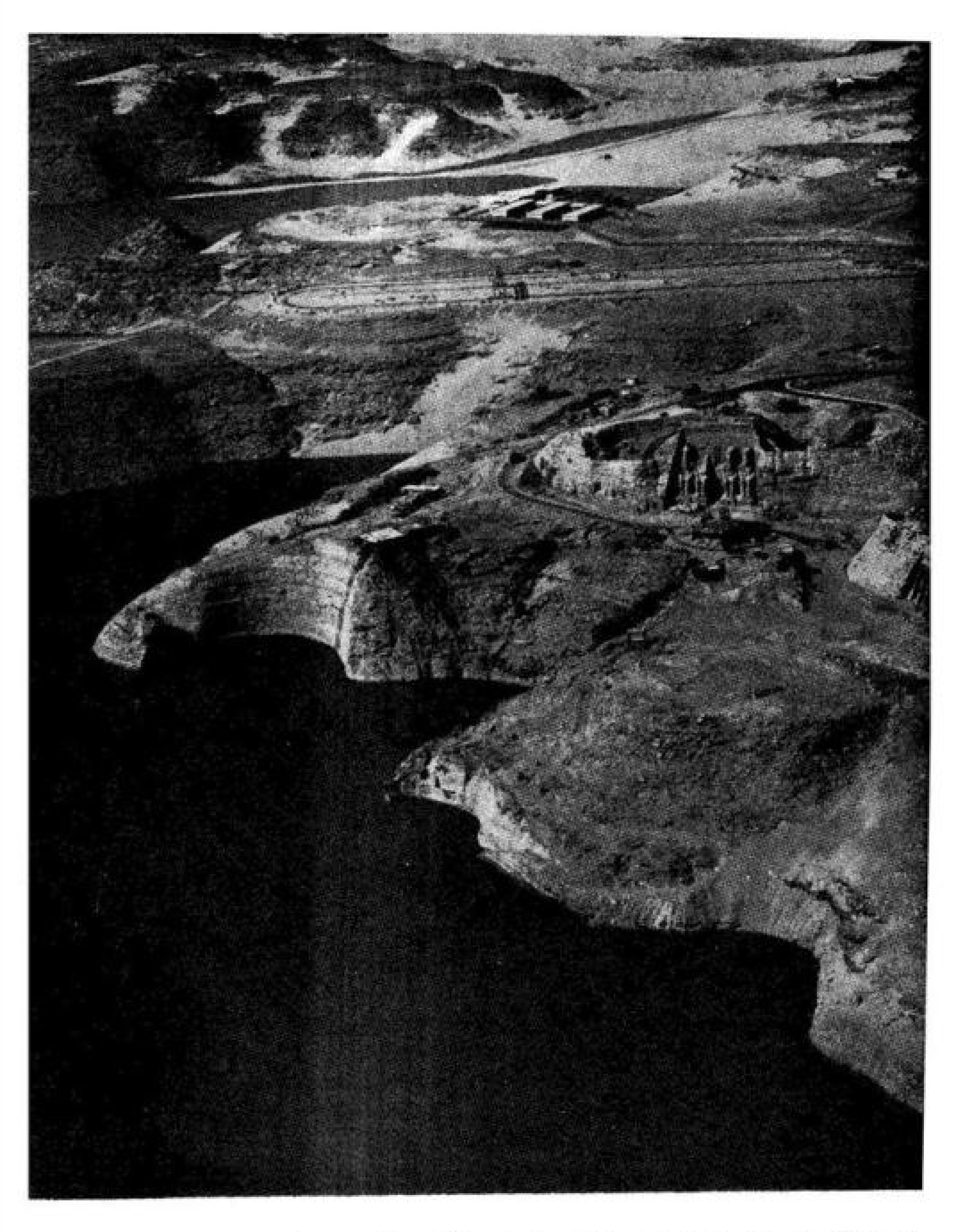
وفي واجهة المعبد المنحوتة في الصخر توجد ٤ تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى وهو جالس ويبلغ ارتفاع كل تمثال منها ٦٥ قدما . وتحيط بها رسوم منحوتة تمثل رمسيس ونفرتارى واولادهما . بينما تعلو هذه التماثيل تماثيل صغيرة منحوتة في الصخر لقرود تقوم بعبادة الشمس . ويتكون معبد رمسيس من عدة قاعات يصل امتدادها افقيا داخل الصخر الى ١٨٥ قدما .

وتوجد ايضا على بقية جدران المعبد رسومات حفرت في الصخر تمثل الحروب التى خاضها رمسيس الثانى في ليبيا وسوريا والنوبة، وكذلك تفاصيل معركة كاديش التى خاضها رمسيس ضد الحيثيين وهزمهم منقذا مصر من خطرهم .

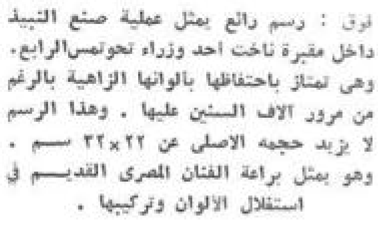
اليس من العار ان يترك العالم اثرا فريدا في نوعه كهذا فريسة للدمار وللمياه تغمره .. ؟! وهناك أيضا المعبد الآخر .. معبد نفرتارى الملكة المقربة للالهة حاتور الهة الحب .. وهو يمتاز بالرسوم المنحوتة داخله وبتماثيل نفرتارى وحاتور البديعة الصنع والتى تدل على عظمة الفن في العصر الفرعونى القديم .

اقتراحات .. ومناقشات

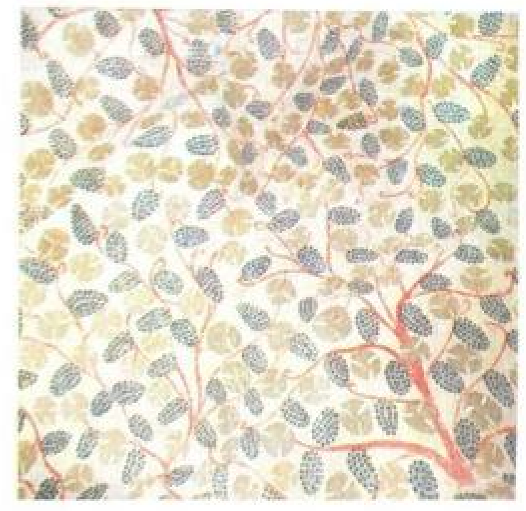
واثيرت عدة اقتراحات حول مصير



جديد بعد أن‌تم تجميعهما مرةاخرى ويبعد الموقع ۲۰۰ مترعن الموقع القديم ويرتفع
ظهر في مقدمة الصورة الى اليمين الموقع القديم وقد بدأت المياه تزحف عليه .



فوق : رسم رائع يمثل عملية صنع النبيذ داخل مقبرة ناخت احد وزراء تحوتمس الرابع. وهى تمتاز باحتفاظها بالوانها الزاهية بالرغم من مرور آلاف السنين عليها . وهذا الرسم لا يزيد حجمه الاصلى عن ٢٢x٣٢ سم . وهو يمثل براعة الفنان المصرى القديم في استغلال الالوان وتركيبها .



الى اليمين : غرفة الدفن في مقبرة سنوفر حاكم طيبة في عهد امينوفيس الثانى (الأسرة الثامنة عشرة) استوحى الفنان رسوماته التى قام بها لتزيين هذه المقبرة من الطبيعة ، والصورة تمثل تفاصيل لجزء صغير من كرمة عنب ، وهذا الجزء لا تزيد مساحته عن



الى اليسار : في مقبرة ناخت صورة رائعة للعازف الأعمى . ويبدو الموسيقى كأنه حي على حائط المقبرة

تحت : مقبرة المثالين نيبامون وابيوكي من الأسرة التاسعة عشرة ، وفيها يتمثل الفن المصرى القديم بروعته .

معبدى « ابو سمبل » ، كان من ضمنها اقتراح ان يترك المعبدان ليدفنا تحت مياه النيل التى بدات في الارتفاع ، ثم يتم بعد ذلك انقاذهما عندما تتاح الأموال اللازمة لمثل هذه العملية . ولكن دلت البحوث التكنولوجية أن هذا يعنى دمار المعبدين تماما ، فعندما ارتفع منسوب المياه الجوفية بعد بناء خزان اسوان القديم ووصلت هذه المياه الى اساس المعبدين تماما اتلفت اجزاء من الصخور الرملية التى يقوم عليها المعبدان . وهذا معناه ان هذه الصخور لا تحتمل مزيدا من تاثير المياه عليها .

بعد دراسة الامكانيات الفنية لهذا الاقتراح وثبوت ان ترك المياه تغمر المعبدين معناه تدميرهما تماما لم يبق سوى احتمالين ، اولهما : اقامة سد منيع يمنع المياه من اجتياح موقع « ابو سمبل » ، والاقتراح الثانى هو نقل المعبدين الى مكان آخر . واستمرت اجتماعات اللجان الفنية في دراسة الاقتراحين ، واخيرا وبعد اجتماعات عديدة قدمت الجمهورية العربية المتحدة في ابريل ١٩٦٣ اقتراحا بتقطيع المعبدين ونقلهما الى مكان آخر مرتفع بعيدا عن مياه بحيرة ناصر . وقدرت تكاليف هذا المشروع الذى قامت بدراسته من الناحية الفنية شركة سويدية بحوالى ٣٨ مليون دولار . وفي شهر نوفمبر ١٩٦٣ تم توقيع عقد مع عدة شركات عالمية للبدء في تنفيذ مشروع تقطيع المعبدين ونقلهما .

خلية نحل !

وبدا العمل . صراع رهيب مع الوقت . فكل دقيقة تمر تحمل قرب موعد ارتفاع مياه النيل وراء السد الى درجة الخطر . وصراع قاس آخر مع صعوبات فنية في عمليات التقطيع التى يجب أن تتم بحرص شديد نظرا لهشاشة بعض اجزاء المعبد المكونة من الحجارة الرملية ، أو لصلابة اجزاء اخرى فيه مكونة من الصخور .

وبدا تقطيع المعبد الى اجزاء .. وتم ايضا بناء سد مؤقت لحماية موقع العمل من مياه النيل التى ترتفع يوما بعد يوم . وبدا تقطيع صخور الجبل الذى يقع تحته المعبدان ، وبدا موقع معبدى «ابو سمبل» وكانه خلية نحل ، مئات من الخبراء والعمال من جنسيات مختلفة يعملون ليل نهار ، صيفا وشتاء ، تحت شمس محرقة ، او في جو صحراوى قارس البرودة .

وقد بلغ حجم القطع التى نتجت عن عملية تقطيع المعبد الكبير ١٢٥ الف متر مكعب ، اما معبد نفرتارى فقد بلغ حجم قطعه ١٧ الف متر مكعب .

وتم نقل قطع المعبدين الى الموقع الجديد الذى يبعد عن الموقع القديم بـ ٢٠٠ متر بعيدا عن شاطىء النيل ويرتفع ٦٣ مترا عن الموقع القديم .

واعيد تجميع المعبدين بحرص شديد وتم بناء قبة من الاسمنت فوق كل واحد منهما حتى يمكن حماية المعبدين من ثقل التل الذى سيقام فوقهما من الحجارة الرملية وذلك كي يعود المعبدان الى سابق شكلهما تماما . واعيد تكوين التل كما كان بالضبط .

وفي يونيو ١٩٦٨ احتفل العالم كله باتمام هذه المهمة التى استغرقت دراسات طويلة وعملا شاقا مضنيا . واقتضت تعاونا دوليا وثيقا لتنفيذها .

وهكذا اثبت التعاون الدولي البناء قدرته على انقاذ اثر من آثار العالم الخالدة . واثبت ايضا ان التعاون بين دول العالم يمكن ان يحقق المعجزات .

■■

محمد طنطاوى

مسابقة العربي

١٠ أسئلة.. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تتناول ١٠ أسئلة في موضوعات مختلفة ، وقد ذكرت الاجابة الصحيحة على كل سؤال بين اجابتين خاطئتين . وعليك أن تختار الاجابة الصحيحة على ٨ أسئلة على الأقل لكى تفوز باحدى جوائز المسابقة:

١ ـ من هو اول طيار عبر الاطلنطى بالطائرة :
زبلن ـ رايت ـ لندبرج .

٢ ـ الحدائق المعلقة .. احدى عجائب الدنيا السبع القديمة.. اين كانت:
الاسكندرية ـ صور ـ بابل .

٣ ـ كل كم سنة تقام الدورة الأولمبية :
٧ سنوات ـ ٤ سنوات ـ ٥ سنوات .

٤ ـ من هو هانيبال (هنيبعل) :
قائد روماني ـ قائد قرطاجنى ـ قائد من التتار .

٥ ـ ما عدد الألوان التى تذكر عادة في قوس قزح :
٧ ـ ١٠ ـ ١٢

٦ ـ اين تقع شلالات نياجارا :
في افريقيا ـ في جبال الالب ـ في أمريكا الشمالية .

٧ ـ من هو اول مكتشف لماكينة الطباعة:
جوتنبرغ ـ جلادستون ـ اديسون .

٨ ـ ما هو الاسم القديم لجمهورية غانا :
ساحل العاج ـ ساحل الذهب ـ مالابار .

٩ ـ ما هى عاصمة جمهورية بيرو :
سانتياجو ـ بيونس ايرس ـ ليما .

١٠ ـ ما هو اسم النهر الذى يلتقى مع النيل الابيض عند الخرطوم :
نهر السوباط ـ بحر الجبل ـ النيل الأزرق .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٧» .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٩ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■





الحافلات ساعدت على.. امتداد العمران..

٦٨٠ حافلة تعمل بدقة لاداء خدمة النقل العام ونقل طلبة المدارس في الكويت، وتراها هنا مستعدة للانطلاق، طبقا لجداول التشغيل ... وتتجمع هذه الحافلات بكراجات مجهزة بأحدث المعدات للصيانة والاصلاح.

- ١٢٠ ألف سيارة، بين خاصة وعامة، فى الكويت تستهلك ٣٥٠ مليون لتر من البنزين سنويا.
- ٣٣ مليون راكب تنقلهم حافلات شركة المواصلات الكويتية سنويا.
- خط برى يربط بين الكويت والعراق والأردن وسوريا ولبنان.

(تصوير: عبد الناصر شقره)



تمتد خدمة شركة المواصلات الى القرى الساحلية والاطراف النائية .. وقد حققت هذه الخدمات غرضها فاصبحت المدينة الام مرتبطة بخطوط تسير عليها الحافلات ، مخترقة مناطق غير مأهولة

...ن الكويت

بقلم : سليم زبال

■ سيارة خاصة لكل خمسة اشخاص يعيشون في الكويت ... هكذا اظهرت احصائيات عام ١٩٦٥ ومع ذلك لم تقف الكويت جامدة ، بل راحت تعمل على استكمال مظاهر تقدمها ، فاعلنت عن تكوين شركة للتنقل العام ، مهمتها تسيير الحافلات (١) الكبيرة داخل دولة الكويت ...

وانقسم الاهالي في كيفية تلقيهم هذا الخبر ... فالذين لا يملكون سيارات خاصة ، قابلوا الخبر بفرح زائد ، واعتبروه خلاصا لهم من تحكم سائقي سيارات الاجرة الذين استقبلوا خبر مولد الشركة بمثل ما كان بعضنا يستقبل به نبأ مولد الفتاة : وجوم ... واكتئاب .. وتشاؤم .

عذرهم الناس ، لان سيارة الاجرة كانت حتى ذلك الوقت هي المحتكر الوحيد لحركة التنقل بين مختلف مناطق الكويت .... « كان الاف الركاب يقفون على جوانب الطرق يلوحون لسيارات الاجرة بايديهم وارجلهم وبالسنتهم ايضا ، ولكن لا حياة لمن تنادي ... فاما ان تكون السيارة مرصوصة بالناس كعلبة السردين ، او تكون خالية من الركاب ، ومع هذا لا تقف ، بل ينظر سائقها الى الناس بتهكم وسخرية » ..

لهذا لم يفاجأ المسئولون عندما وصلتهم احتجاجات ٥٠٠ سائق اجرة يعلنون فيها ان

(١) اسموها الحافلات في سوريا والمغرب،واسموها الباصات في الكويت ، واسموها الاوتوبيس في مصر .. واسموها .. واسموها .. ويطلبون الوحدة العربية ، وما كان اولاها ان تبدأ باللفظ العربي .

سيارات النقل العام ستقطع عيشهم وعيش اطفالهم وعائلاتهم ، وستخرب منازلهم ...

سيارة الاجرة .. والحافلات

وجاء رد الشركة الناشئة واقعيا اذ قالت :

« نحن على أتم استعداد لتدريب سائق سيارة الاجرة ليصبح سائق سيارة نقل عام .. اننا في حاجة الى عدد كبير من السائقين ، لأن كل حافلتين تحتاجان الى خمسة سائقين لتشغيلهما يوميا ..

« ولكننا نستطيع أن نؤكد أن سيارات النقل العام لن تؤثر كثيرا على حركة سيارات الأجرة .. لان الحافلات سيتم تسييرها تدريجيا وعلى مراحل .. وستبقى مناطق كثيرة غير مرتبطة مباشرة بخطوط الحافلات مما يترك مجالا للعمل أمام سيارة الاجرة .. ولم نسمع أبدا بأية دولة انعدم فيها استخدام سيارات الاجرة بعد سير الحافلات .. فلكل منهما مجالها الخاص ، الحافلات تسير في طرق واتجاهات محددة ، بينما سيارات الاجرة لا تخضع لأية قاعدة ..

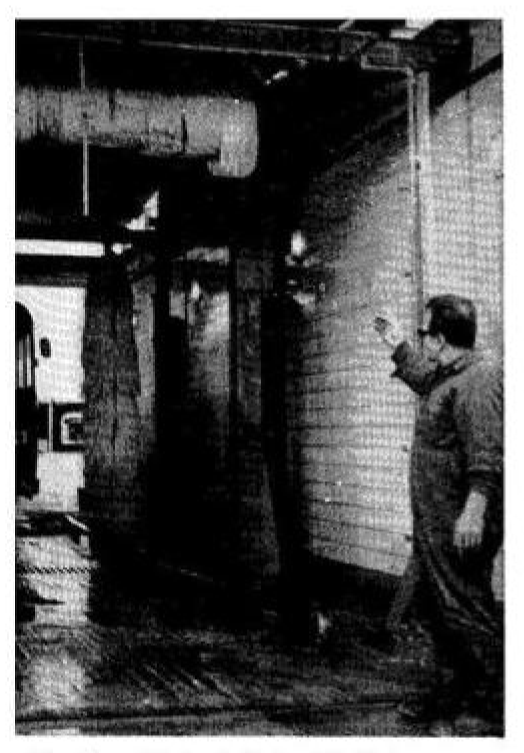
« أضف الى كل هذا أن كثيرا من العائلات والافراد في الكويت سيفضلون سيارات الأجرة لركوبهم وركوب عائلاتهم لانها تنقلهم مباشرة من الباب الى الباب .. »

وبعد ثلاث سنوات اتضح صدق نظرية شركة المواصلات ، اذ اثبتت الاحصائيات ان عدد سيارات الأجرة في الكويت لم ينقص ، وانما على العكس ارتفع من خمسة آلاف الى ثمانية آلاف سيارة أجرة تعمل حاليا في مختلف ارجاء الكويت !

الديزل والبنزين

وما كادت الشركة تنتهي من معركتها الاولى مع سائقي سيارات الأجرة ، حتى انتقلت الى معركة جديدة في قاعات مجلس الامة.. لقد وضعت شركة المواصلات التخطيط النهائي لمشروعها على اساس أن سياراتها ستزود بمحركات تسير بالديزل ، مراعية في ذلك اقتصاديات التشغيل ولعربة الركوب ..

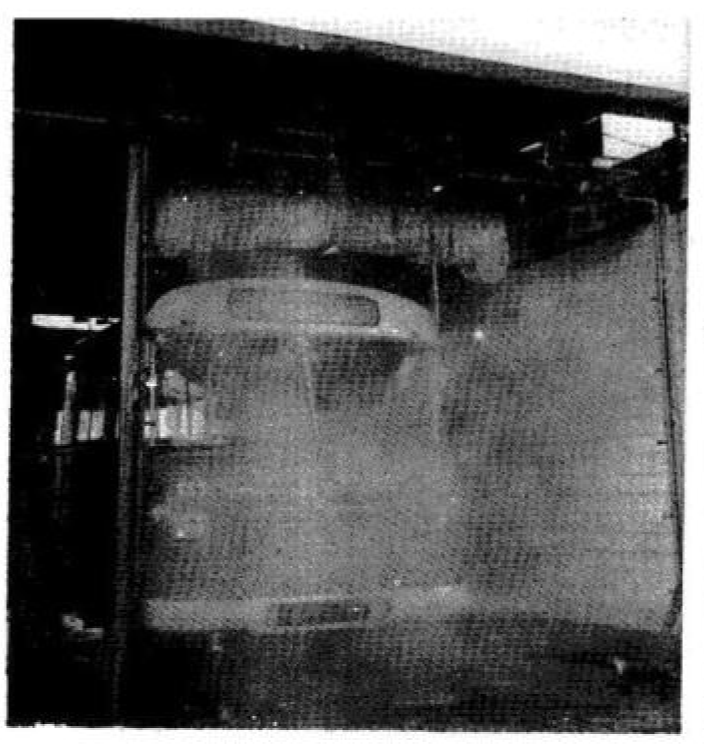
وعندما بلغ هذا الخبر مسامع بعض أعضاء مجلس الامة ، ثاروا على المشروع ، وقدم خمسة منهم اقتراحا يوصي الحكومة بعدماستيراد سيارات تسير بالديزل حفاظا على صحة المواطنين ..



يتم غسل الحافلات بطريقة اوتوماتيكية ، تبدأ بدخول السيارات في نفس المغسل فتنصب عليها مادة صابونية الخارجي للحافلة ، وبعدها تتعرض الحافلة لمياه قوية

وشعرت الشركة الناشئة بأن مولودها « يوأد قبل أن يولد » ، اذ أن الموافقة على مثل هذا المشروع تعني خسائر مالية فادحة ستنزلبالشركة نتيجة اعادة النظر في جميع العقود ، والمناقصات التي تم فتح مظاريفها وارساء عطاءاتها لشراء الحافلات .. وكلها مبنية على أساس استعمال الديزل (السولار) وقودا لها ..

وجند مجلس ادارة شركة المواصلات رجاله ، واتصل بالاتحاد الدولي للنقل العام في بروكسل الذي يضم هيئات ومؤسسات وشركات النقل في العالم مستفسرا عن رأى الاتحاد في استخدام محركات الديزل في « الحافلات » ومدى تأثير ذلك على صحة المواطنين . فرد الاتحاد الدولي بجواب مطول يمكن تلخيصه في أن استعمال وقود الديزل لسيارات النقل العام أصبح شيئا عاما ، نظرا لخفض تكاليف التشغيل المترتبة على استعماله ، وأن التحول من البنزين الى الديزل قد عم جميع الاقطار الأوروبية ، وفي أمريكا





..افلة الى المغسل (صورة ١) فتنصب عليها المياه من ١٥ رشاشا تحيط بها من كل جانب ، وتتقدم
به (بالشامبو) من ٨ انابيب ، وفي نفس الوقت تبدأ ثلاث « فرشايات » كبيرة بالدوران ومسح الهيكل
..ق عليها من خمسة عشر رشاشا (صورة ٢) ، تخرج بعدها الحافلة وهي تتألق من النظافة ...

بالذات بدأ هذا التحول منذ عام ١٩٣٢ ..

ويؤكد رد الاتحاد الدولي الحقيقة التي انتهت اليها الابحاث في مختلف البلاد : من أن غازات العادم المندفعة من محركات الاحتراق الداخلي ، وخاصة محركات الديزل ، ليس لها تأثير ضار على الصحة ، ولا يخشى منها من حيث تلوث الهواء ، وخاصة في الطرق المفتوحة والشوارع المتسعة (وهذا هو حال شوارع وطرقات الكويت).

وتجمع عند شركة المواصلات مجموعة من الابحاث والدراسات التي قامت بها معاهد عالية متخصصة في مشاكل تسمم الهواء وارتباطه بالآلات التي تعمل بنظرية الاحتراق الداخلي ..

وحمل مدير شركة المواصلات هذه الابحاث وقدم نسخا منها الى رئاسة مجلس الوزراء .. والى لجنة الشئون الصحية في مجلس الامة التي اجتمعت مرتين بحضور كبار اطباء وزارة الصحة في الكويت ، وبعد تبادل الآراء اصدرت اللجنة قرارا يوصي باستخدام سيارات الديزل ، لانه لم يثبت صحيا أن هناك ضررا من استعمالها ، واذا كان هناك احتمال ضرر على الصحة منها ، فانه يتساوى مع مخلفات احتراق البنزين .. وما دام هناك ٢٥٠٠ سيارة تعمل على الديزل في الوقت الحاضر في الكويت ، فان زيادة ٢٠٠ سيارة لشركة المواصلات الكويتية لن تؤثر على صحة المواطنين ..

اصعب المعارك

وما كادت شركة المواصلات تحصل على موافقة مجلس الامة حتى بدأت معركتها الثالثة مع ذاتها ، وكانت هذه اصعب المعارك ، فالدراسات والمواصفات والخطوات المقترحة كان عليها أن تتحول في هذه المعركة الى حقائق ملموسة .. الى حافلات ، وجراجات ، وسائقين ، وعمال ، وموظفين ... يخدمون عشرات الالوف من الركاب ..

وفي صباح يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٥ استيقظ



عندما ترغب شركة المواصلات الكويتية في شراء الحافلات الجديدة تعلن عن مناقصة عالمية ، تشترك فيها الشركات الكبرى ... وهذه الصورة التقطت اثناء توقيع عقد توريد حافلات جديدة .. ويرى فيها رئيس مجلس ادارة الشركة السيد فهد عبد المحسن النفيسي ، والعضو المنتدب السيد عبد الوهاب النفيسي ، ومدير الشركة الفني المهندس عبد السلام فهمي .

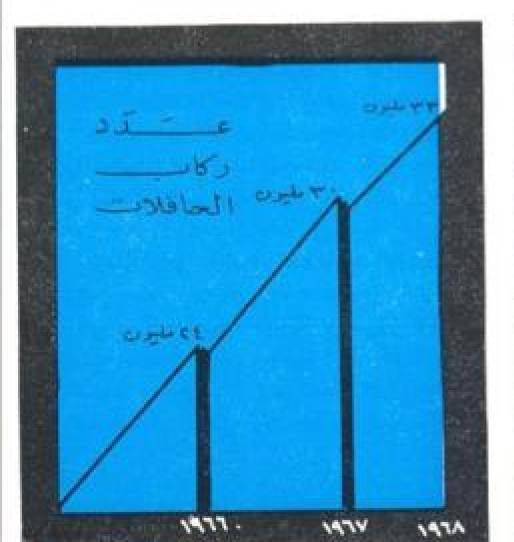
سكان الكويت ليشهدوا مولود شركة المواصلات يختال تيها في شوارع الكويت متمثلا في حافلاتها الكبيرة الزرقاء ، وهكذا ابتدأ عهد للنقل جديد..

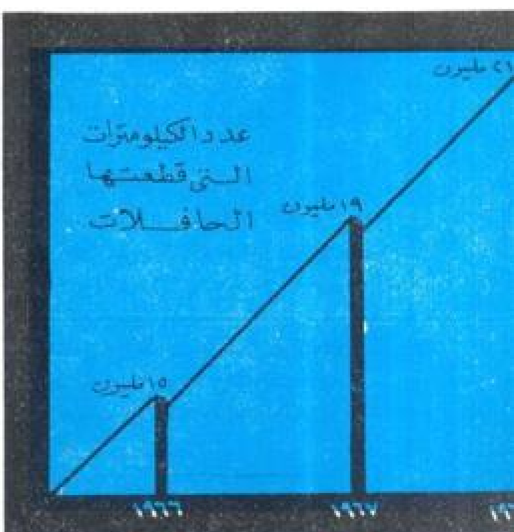
التخفيف عن العاصمة

.. ان الازدهار او التقدم الحضاري لأى بلد ، متصل اتصالا وثيقا بسهولة وسيلة تنقلاته .. وهذا ما حققته شركة المواصلات ، اذ استطاعت بعد فترة وجيزة من الزمان أن تربط العاصمة المزدحمة بالسكان بمناطق جميلة نائية .. وما كاد يتم الاتصال المنتظم حتى بدأت الضواحي المهجورة تزدهر نتيجة سهولة الوصول اليها في مواعيد منتظمة محددة ، تبدا مع الصباح الباكر حتى منتصف الليل تحت كل الظروف الجوية ، من مطر وعواصف رعدية ورملية .

اختناق ..

ان ازدحام شوارع الكويت بالسيارات جعلها في حالة تقرب من الاختناق ، وخصوصا في ساعات بدء وانصراف العمال والموظفين .. وكان المعتقد أن الحافلات الكبيرة ستخفف من شدة هذا الضغط ، لأن الخبراء يقولون ان الشخص الذى







يتنقل بسيارة النقل العام يشغل مساحة من الطريق توازى ٢٠/١ من المساحة التى يشغلها اذا انتقل بسيارته الخاصة ، فضلا عن توفير اماكن الوقوف والانتظار .. ولكن الذى حدث في الكويت كان عكس ذلك ، فانطلاق الحافلات في الشوارع لم يخفف الضغط ، بل زاده ، نتيجة تكاثر عدد السيارات الخاصة ، التى تتزايد بمعدل ١٠ آلاف سيارة في العام الواحد ! .. ويلعب وكلاء السيارات دورا رئيسيا في زيادة حمى انتشار السيارات ، فالدعاية التى تنشرها الاعلانات المختلفة تطبع في ذهن الاهالى قولا قديما مفاده : « ان السيارة في الكويت لا تعتبر من الكماليات ، وانما هى من أكثر الضروريات لزوما» .. أضف الى ذلك التقسيط المريح لثمن السيارة الذى يقدمونه للمشترين ..

وهكذا قفز عدد السيارات قفزات هائلة : من ٣٣ الف سيارة عام ١٩٦٠ الى ١٢٦ الف سيارة عام ١٩٦٨ .

عالم السيارات

ان حمى امتلاك السيارات الفخمة ، وابدال الطراز القديم بطراز حديث ، أصبحا بمثابة عدوى تصيب كل من يقيم في الكويت. والسيارات المستعملة لها سوقها الخاص « الحراج » تباع فيه بابخس الأثمان .

وكم من مرة وجهت بلدية الكويت انذارات على صفحات الجريدة الرسمية لأصحاب السيارات المهملة منذ مدة طويلة على الأرصفة العامة وفي الطرقات ، تنذرهم بأنها ستقوم بمصادرة هذه السيارات اذا لم يقم اصحابها برفعها خلال أسبوع واحد .

ان شكوى المواصلات من مزاحمة ما تسميه « الحافلات الصفراء » ليست شكوى بالمعنى المفهوم ، ولكنها صرخة لمنع منافسة غير واردة ، بعد ان منحت شركة المواصلات التزام تسيير خطوط النقل العام .. وتقوم هذه الحافلات الصفراء « باستخدام نفس الطرق واماكن الوقوف (المحطات) لحافلات الشركة ، واستجداء للراكبين المنتظرين ، مما يسبب مضايقات لحافلات الشركة ، وينعكس اثر ذلك في انخفاض ايرادات الشركة .. ومن العجيب انه في بعض المواقف الرئيسية داخل مدينة الكويت ، تكون كل حافلة للمواصلات مسبوقة ومتبوعة بحافلة صفراء لا تخضع لمواعيد او رقابة ... ويستثنى من ذلك الايام التى يكفهر فيها الجو وتقوم العواصف والزوابع ، اذ تستمر حافلات المواصلات في العمل ، رغم خلو الطرقات من المارة او الراكبين ، وتكون الحافلات الصفراء وسائقوها في اجازة وراحة ، بعيدا عن المشقة والمتاعب .

وعلى طرق الكويت الحديثة المعبدة المرصوفة التى يبلغ مجموع أطوالها ١٥٠٠ كيلو متر ، تتزاحم السيارات .. وتتسابق .. وتتصادم رغم ان أغلب الطرق أصبحت ذات اتجاهين .

ويأتى الخبراء ويضعون الآلات الحاسبة على الطرقات المزدحمة لمعرفة مدى الضغط على هذا الطريق أو ذاك .. وبعد ايام تجد العمال يعملون على اغلاق المنعطفات الجانبية ، وتوسعة الطرق

لافساح المجال امام الوف السيارات التى تنساب باستمرار ..

اقبال هائل غير متوقع

ووسط هذه الكتل المتحركة من الصفيح والحديد ، سارت الحافلات الضخمة ، واشفق الناس على شركة المواصلات ، وقالوا : ترى كم سيكون عدد الركاب في كل حافلة ؟

وسرعان ما جاء الجواب مذهلا محيرا ، اذ بلغ عدد الذين يركبون حافلات الشركة ١٢٠ الف راكب يوميا أى ما يوازى ٢٥٪ من مجموع عدد السكان.

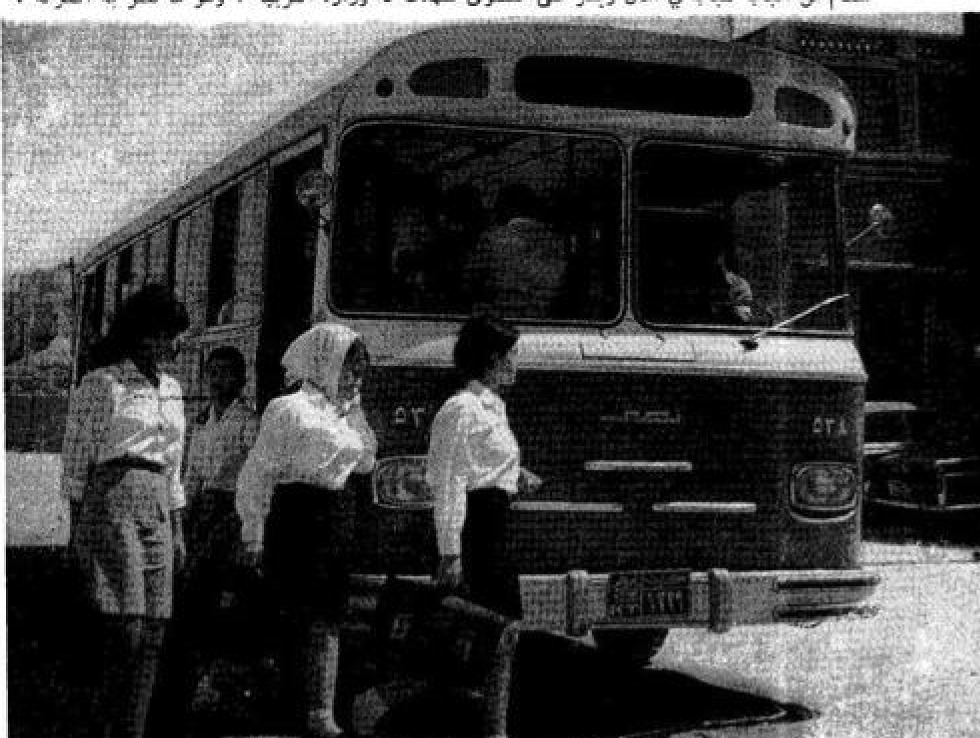
ان هذا الرقم فاق كل ما توقعته الشركة من اقبال .. كانت تقديراتها مبنية على أن أقصى عدد سيكون ٦٠ الف راكب يوميا يحتاجون الى ١٠٠ حافلة ٢٠ منها تكون بمثابة احتياطي ..

ولكن ما كادت تمر ٣ شهور من العمل حتى اضطرت الشركة الى شراء ٥٠ حافلة اضافية بصفة عاجلة لمجابهة الضغط المتزايد .. وفي عام ١٩٦٨ اضطرت الشركة مرة أخرى لشراء ٥٠ حافلة لمواجهة الزيادة الجديدة للركاب ، فاصبحت تملك اليوم ٢٠٠ حافلة تحمل ٣٣ مليون راكب سنويا ، وتقطع ٢١ مليون كيلومتر ، وتسير على ٢١ خطا مختلفا وتقف عند ١١٠٠ محطة ، وتستهلك ٦ مليون لتر من وقود السولار (الديزل) و ٨ آلاف اطار من المطاط سنويا ..

نقل ٨٠ الف شاب يوميا

ولكن هذه المائتى حافلة ليست هى كل أسطول شركة المواصلات .. ففى عام ١٩٦٧ طلبت الحكومة من شركة المواصلات أن تتولى نقل ٨٠ الف طالب وطالبة من منازلهم الى مدارسهم يوميا .. وكان هذا أعسر امتحان للشركة الناشئة ، ولكنها سرعان ما وافقت على هذه العملية رغم ما فيها من متاعب وتضحيات .. وبموجب هذا العقد الجديد ، تلتزم الشركة بتوفير ٤٨٠ حافلة جديدة يوميا لوزارة التربية طوال أيام الدراسة .. وهذا العدد قابل للزيادة في المستقبل .. ومدة العقد خمس سنوات . .

تعمل حوالي ٤٨٠ حافلة خصصتها الشركة لنقل طلبة المدارس ، وهي تنقلهم ، طلبة وطالبات ، طبقا لنظام من الباب للباب في أمان ويسر على مستوى شهدت له وزارة التربية ، وهو ما تعتز به الشركة .





في هذه الورشة يتم اصلاح محركات الحافلات ، من خراطة وبرادة وجلنخ وتنعيم واعمال ميكانيكية .. ولم تعد شركة المواصلات ترسل أية قطعة في السيارة لاصلاحها الى الخارج ، وانما تعتمد على ورشتها الكبيرة ، التي تقوم يوميا باصلاح نحو ٢٠٠ قطعة مختلفة ..

مساندة الحكومة للشركة

ولتمويل هذا المشروع اقترضت شركة المواصلات مبلغ مليونين ونصف مليون دينار من وزارة المالية لشراء الاربعمائة وثمانين حافلة واقامة المنشآت اللازمة لها ..

ان الحكومة تساند شركة المواصلات مساندة فعالة ، فهي الى جانب اشتراكها في ٥٠ ٪ من رأسمال الشركة ، تضمن تغطية الخسارة ، وتعطى ربحا مقداره ٥ ٪ للمساهمين من الأهالي ،وتقدم جميع الاراضي اللازمة للشركة بدون مقابل ، لتقيم عليها المباني والكراجات وغيرها من المنشآت ، كما تعمل على اقامة مظلات لانتظار الركاب في الشوارع ..

المواصلات كالماء والكهرباء

ويقول المهندس عبد السلام فهمى المدير الفنى للشركة : « ان مرفق النقل العام هو مرفق لخدمة المواطنين تماما مثل التعليم والكهرباء والماء والمجارى ، الهدف منه تقديم خدمة كاملة متطورة ومتحسنة باستمرار لمجابهة طلبات الجمهور .. اى أن الربح المباشر ليس من أهدافه .. وهذا هو العرف المسلم به في جميع دول العالم ، فانت تجد مرافق النقل العام في الدول المتقدمة تتقاضى اعانات من الدولة كما هو الحال في انجلترا وفرنسا » ..

لماذا نكره الجمال والنظافة ؟

ان متاعب شركة المواصلات في الكويت تشابه مثيلاتها في معظم بلادنا العربية ، ويحدثنا السيد عبد الوهاب يوسف النفيسي ، عضو مجلس الادارة المنتدب ، عن هذه المتاعب بقوله : « كانت حافلتنا تفتخر بمقاعدها الجلدية النظيفة الوثيرة التي وضعت من اجل راحة الركاب خلال رحلتهم .. كانت هذه المقاعد مثار اعجاب الجميع ، ولكنه مع الأسف لم تكد تمضي سنة ونصف ، الا وكانت جميع مقاعد الحافلات قد اتلفت بالموسى أحيانا ، وباطفاء السجاير فيها أحيانا أخرى .. وهكذا اضطررنا الى تبديل خمسة آلاف مقعد من الجلد والاسفنج ، الى الخشب والبلاستيك !! » .

منافسة الاهالي للشركة

ويتابع العضو المنتدب حديثه بقوله : « ومن الأمور التي تسبب لنا ازعاجا وخسارة كبيرة ، موضوع سيارات النقل الاهلية ذات اللون الاصفر .. كانت بعض هذه السيارات تقوم بنقل الحجاج من الكويت الى بيت الله الحرام . والبعض الآخر كان ينقل الركاب داخل المدينة

قبل ظهور شركة المواصلات ، وقد لاحظنا بعد سير حافلاتنا وتنظيم محطاتها زيادة كبيرة في عدد هذه السيارات الصفراء اذ وصل عددها الى ٤٠٠ سيارة ، والمهم في الموضوع أن هذه السيارات تستعمل مواقفنا ، وتترصد ركابنا ، وتسبق سيارتنا اليهم لتنقلهم بأجر أقل من اجورنا .. وطالما دعونا الى منع هذه المنافسة غير المشروعة ، التى تنعكس آثارها على ايرادات تشغيل خطوط الشركة وتجعلها تقل كثيرا عما يجب أن تكون عليه .. وقد استجاب المسئولون لدعوتنا ، فوقعنا في الشهر الماضي على عقد يعطينا حق امتياز ادارة مرفق النقل العام في دولة الكويت لمدة ٢٥ سنة » ..

الى فيلكا في نصف ساعة

ويتحدث السيد النفيسي عن مشاريع المستقبل فيقول : « لقد تقدمنا الى الحكومة بمشروع كامل مدروس لربط جزيرة فيلكا — التى يعيش فيها ستة آلاف مواطن — مع الارض الام .. ان المراكب الموجودة حاليا تقطع المسافة بين الجزيرة والعاصمة في ساعتين ، ولكن مشروعنا يرمي الى تسيير لنشين سريعين يخفضان المدة الى نصف ساعة فقط .. ان هذا المشروع لا يمكن أن يصبح مربحا للشركة ، لان متوسط عدد الركاب لا يتجاوز ٢٥٠ راكبا في الاسبوع ، ولهذا طلبت الشركة مساعدة الحكومة لتسيير هذا الخط .. الذي سيضاعف عدد الزوار الى هذه الجزيرة التاريخية » .

خط الكويت لبنان

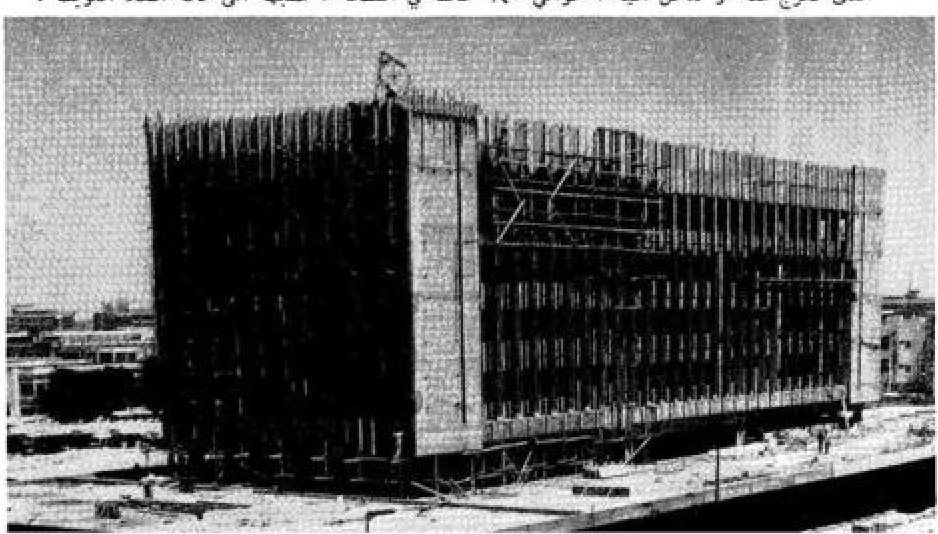
وينهي العضو المنتدب حديثه بقوله : « أما مشروعنا الكبير الذى نأمل أن تساعد الظروف على تنفيذه في هذا العام ، فهو تسيير خط للحافلات الفاخرة المكيفة يمتد من الكويت الى العراق والاردن وسوريا ، وينتهي في بيروت بلبنان ، ونتوقع ان تكون قيمة تذكرة السفر عليه ، في مستوى ومقدور العديد من المسافرين ، كما سيكون بقدرتها منافسة الاسعار الموجودة حاليا ، سواء كان السفر عن طريق الجو او عن طريق البر ..

ان هذا المشروع سيكون حلقة في سلسلة مشروعات الجامعة العربية الرامية الى ربط اقطار الوطن العربي بشبكة من المواصلات البرية .. » .

ان شركة المواصلات تعمل بحماس زائد لتحقيق آمالها الكبيرة .. وأهدافها البعيدة .. رغم الصعوبات العديدة . فلندع لها بالتوفيق . ■■

سليم زبال

مبنى شركة المواصلات الرئيسي ، وقد اوشك العمل فيه على الانتهاء . وقد روعي في تصميمه أن يشتمل على اربعة طوابق ، بخلاف الطابق الارضي الذى يضم مكاتب ومحال تجارية ، ومكاتب خدمات كالبريد والبرق ، وشركات الطيران ... وخلف هذا المبنى يقع المركز الرئيسي لتجمع حافلات الشركة ، الذى تخرج منه او تدخل اليه ، حوالي ١٤٠ حافلة في الساعة ، متجهة الى كافة انحاء الكويت .





■ لقد أحببتها .. وهذا هو كل ماأعرفه عن المرأة التى تزوجتها !

بهذه الكلمات البسيطة أجاب أكثرمن ألف زوج من الأزواج الذين اشتركوا في استفتاء أجراه فريق من علماء النفس شمل كل الفئات في عدد كبير من بلاد العالم في الشرق والغرب على السواء .. وكان بينهم الطبيب والمحامى ، العالم والفنان ، رجل الأعمال والعامل ، والجندى والمزارع .

وكان موضوع الاستفتاء : « ما هى الصفات التى تصنع الزوجة المثالية ؟ » سألوا كلاً منهم : « لماذا اخترت هذه المرأة دون غيرها لتصبح زوجة لك ؟ »

ولقد كان هناك شبه اتفاق بين عدد كبير من الأزواج الذين أجابوا على هذا السؤال ، على أن الرجل يشعر بعد أن يبلغ سنا معينة بأنه ليس من الصواب أن يبقى بلا زواج ، ولعل هذا الشعور هو الذى يسهل مهمة الزواج بالنسبة له ، فهو يتزوج أول امرأة تعجبه وتقبله زوجا !

مهمة يجب انجازها !

قال أحد رجال الأعمال، وقد انقضى على زواجه ثلاثة عشر عاما : « أعتقد أننى أدركت أن الزواج أمر واقع لا محالة بعد بلوغى سن الثلاثين ..والتقيت بها ، وكانت تصغرنى ببضع سنوات ،

وأحببتها ، فقلت لنفسي ولماذا لا تتزوجها ؟ وفعلت ، فقد كنت ارغب فى انجاز هذه المهمة ، لانجاز غيرها من مهام أخرى تتعلق بعملى ! »

ولكن يتضح مما تقدم أن الأزواج تهربوا من الاجابة على السؤال الذى طرحوه عليهم في هذا الاستفتاء ، واذن كان لا بد من أن يوضع لهم في صيغة أخرى . فعادوا يسالونهم : « ولكن ما هو هذا الشيء الذى جذبك الى امراتك .. لماذا فضلتها على غيرها من النساء ؟ » .

ولقد كان هناك اجماع بين كل الازواج ، على انهم وجدوا في نسائهم جاذبية لم تتوافر فى غيرهن .. ولو أن احدا منهم لم يستطع ان يحدد بالضبط موطن هذه الجاذبية ، وهل كانت في جمال الوجه او الجسد ، أم كانت فى حديثها ، أم في تصرفاتها ومسلكها ازاءه وازاء الآخرين ! كل ما يعرفه أن ثمة شعورا خفيا جذبه اليها ، وانه وجد فيها نوعا خاصا من الجمال لم يجده في اية امراة أخرى !

اعتراف وادانة

غير ان بعض الأزواج اكتشفوا في نسائهم نوعا آخر من الجاذبية ، وقد تطوعوا بذكره دون أن يشعروا أنهم بحديثهم هذا قد ادانوا انفسهم ، واكدوا ما سبق أن جاهر به رجال مثلهم من الباحثين في أعماق النفس البشرية ، بانانية الرجل وحبه لنفسه ، تلك التى كانت ولا تزال من الاسباب الرئيسية التى ادت الى تاخر المراة واضمحلال دورها في المجتمع حتى يومنا هذا ..

قال هؤلاء الأزواج ان الصفة التى جذبتهم الى زوجاتهم أكثر من غيرها ، هى روحها المرحة ، وقدرتها العجيبة على الضحك حتى في أحرج المواقف .

انانية الرجل

وفى هذا المعنى، شرح احد عمال السكة الحديد، وقد مضى على زواجه عشر سنوات ، وجهة نظره، فقال : « انني أعود الى بيتى متعبا مهدودا بعد عمل شاق، فاجدها دائما في انتظارى وعلى شفتيها نفس الابتسامة العذبة التى عهدتها منذ فترة خطوبتنا .. »

ولم يدر بخلد هذا الزوج الجهد الذى بذلته هذه الزوجة لكى تحتفظ بابتسامتها التى أعجبته، والتى تضعها على وجهها في كل مرة تلقاه ،بالرغم من المجهود الذى تبذله هى الأخرى في رعاية بيتها واطفالها !

وقال آخر : « ان الزوجة المثالية في رايى ، هى تلك التى تعرف كيف تسيطر على أعصابها .. هى العامل المهدىء في الثورات والأزمات ، هى التى تعرف كيف تخفى الجانب المثير من الاخبار عن زوجها ، هى التى تضع مشاكل زوجها والعناية بها في المكان الاول حتى قبل مشاكلها هى .. ثم هى التى تعرف بعد هذا متى يجب ان تتكلم ، وما الذى يجب الا تشغل بال زوجها به ! فاذا لم تسر الأمور على ما يرام في مكتب زوجها او في مصنعه ، كانت هى أول من يستطيع أن يكتشف ذلك ، فتبتعد عن طريقه حتى يهدأ ، ثم تحاول بعد ذلك أن تخفف عنه وتنسيه ما حدث » .

ولم يذكر زوج واحد ، لماذا لا يشارك زوجته هذه الصفات ، التى يفتقر اليها ويبحث عنها دائما في امراته !

المراة الذكية

ومرة اخرى تظهر انانية الرجل في حديثه عن المراة الذكية.فقد أجمع الأزواج على انهم يفضلون المراة التى وهبها الله نصيبا من الذكاء .. ولكن بشرط الا تكون في مستوى ذكاء زوجها .

فالزوج قد يكون اصغر سنا من زوجته ، او اقصر قامة منها ، أو اقل ثراء .. ولكن يجب أن لا يكون ابدا اقل ذكاء .. او على الأقل ، يجب الا تشعره امراته بانه دونها فطنة وذكاء .. فهذا امر لا يحتمله الرجل !

قال زوج يشتغل بالمحاماة وقد مضى على زواجه خمسة عشر عاما : « انني أعترف بان زوجتي اكثر ذكاء منى ، ولكنها لا تستخدم ذكاءها في اى ميدان تشعر أننى أهتم بالمنافسة فيه ! فهى مثلا لا تتدخل في عملى وفي شئونى الخاصة . ولكنها

تستنجد بكل ما حباها الله من ذكاء في الاشراف على تربية أولادها، وحملهم على استذكار دروسهم ثم في مساومة صاحب متجر الاحذية والملابس والجزار والبدال ! » .

والزوجة العاملة

وتظهر كبرياء الرجل وانانيته مرة ثالثة في حديثه عن الزوجة العاملة . ان معظم الأزواج الذين اشتركوا في الاستفتاء لا يمانعون في أن تحتفظ زوجاتهم بعملهن بعد الزواج . ولكنهم لا يحتملون أبدا أن تكسب زوجاتهم أكثر منهم . فالزوج لن يقبل بأى حال من الاحوال أن تتفوق عليه زوجته في مجال عملها ، لانه يريد ان يرضي كبرياءه ويشعر دائما انه الشخص الوحيد الذى تعتمد عليه الأسرة في اعالتها .

وظيفة الزوجة

وقد اعترف الأزواج بان عمل الزوجة سواء كانت طبيبة ام شاعرة ، رسامة ام حتى حائكة ملابس ، يوفر لها شعورا بالثقة في أنها تستطيع أن تفعل أكثر من مجرد انجاب الأطفال ، وان عمل الزوجة يوفر لها شيئا من الشعور بالاستقلال والاعتماد على النفس ، والثقة بالمستقبل . ولكنهم جميعا اشترطوا بالا يتدخل عملها بأى حال من الأحوال في وظيفتها الاساسية كزوجة وأم . ومعنى ذلك انه يجب أن توجه الزوجة عنايتها واهتمامها بأطفالها في سنى حياتهم الأولى ، أو بمعنى آخر، انهم يشجعون زوجاتهم على توسيع نطاق نشاطهن بحيث يشمل المجتمع الكبير من حولهن ولكن بعد أن يتأكدن من أن أطفالهن سوف يلقون الرعاية التى يحتاجون اليها !

وأجمع كل الأزواج على انه لا بد للزوجة ان تتلاءم مع العالم الذى يعيش فيه زوجها ، فتقرأ اذا وجدت أن زوجها يحب القراءة .. وتزرع الحديقة اذا اكتشفت أن الزراعة هى هوايته المفضلة !

ولم يذكر زوج واحد لماذا لا يحاول أن يقترب هو من عالم زوجته !

صفة تذكر بالفضل

وربما كانت الصفة الوحيدة التى يمكن أن تذكر بالفضل لبعض الأزواج الذين اشتركوا في هذا الاستفتاء هو حبهم للحياة التى تعودوها مع زوجاتهم وعزوفهم عن البعد عنها وتغييرها .. فقد قال هؤلاء ان الزوج قد يبدى اعجابه بكل ما هو جديد وحديث ، ولكنه لا يتخلى عن الحياة التى ألفها .. فمنظر الفتاة التى تلبس « الميني جيب» قد يثيره ، ولكنه لا يريد قطعا أن تشاركه احدى هؤلاء الفتيات حياته !

قال أحدهم ، ويعمل مديرا لاحدى الشركات ، فقد زوجته بعد حياة زوجية دامت لأكثر من عشرين عاما ، قال : « كنت قد جاوزت الأربعين بقليل عندما ماتت زوجتي ، وفجأة وجدت نفسي محاطا باهتمام عدد كبير من الآنسات اللواتى يعملن في مكتبي ، وكان واضحا أن كل واحدة منهن تسعى للتقرب الى وتحاول أن تحل محل زوجتي ! وقررت أن أختبرهن .. وتحدثت اليهن في محاولة لاكتشاف ما يدور في رؤوسهن .. فلم أكن أعرفهن غير ناسخات على الآلة الكاتبة وسكرتيرات ..

عالم آخر

وبعد حديث قصير مع ثلاث منهن ، اكتشفت أن هناك حاجزا كبيرا يفصل بيني وبينهن .. فلم أجد شيئا في حديثهن يثير اهتمامي .. ولم أجد أنا شيئا أقوله لهن .. كن غريبات عنى تماما .. لم أجد واحدة قرأت كتابا قرأته ، أو زارت مكانا زرته ، أو سمعت أغنية سمعتها .. كن جميعا ينتمين الى عالم جديد لا يمت الى عالمى بصلة ، فقد كان بيني وبين أكبرهن ستأكثر من عشرين عاما ! .

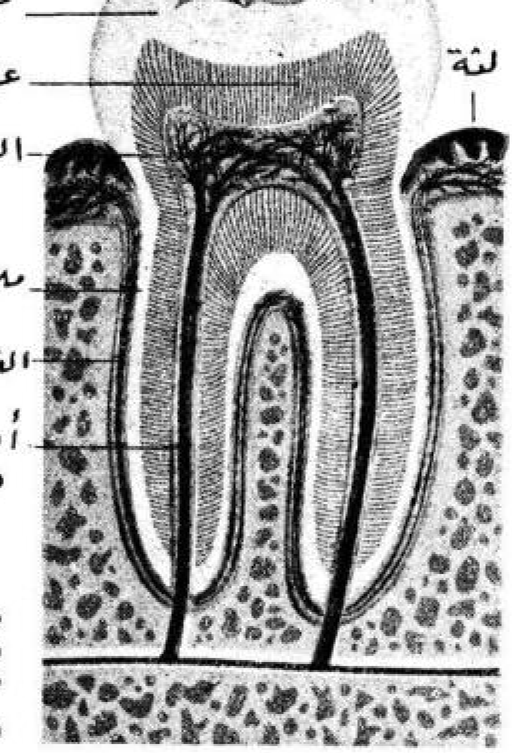
وبعد .. ان علماء النفس يؤكدون بعد هذا الحديث القصير مع الأزواج ، وبعد حديثهم السابق مع الزوجات (راجع العربي العدد ١٢٥) أن المرأة أعمق فهما وأوسع ادراكا فهى قد عرفت كيف تثير اهتمام الرجل ،وتغزو قلبه وتنتزع اعجابه .. أما هو فلم يفهمها قط .

■■

م ٠ ن

أسنان الانسان

مقطع رأسي لضرس من أضراس الانسان



الضرس تاج ، وهو ما ظهر فوق اللثة

والضرس جذر ، وهو ما اختفى تحت اللثة .

● الميناء Enamel هي المادة التى تغطي التـاج وهي اصلب شيء في جسم الانسان . و٩٦ في المائة من تركيبها معدني .

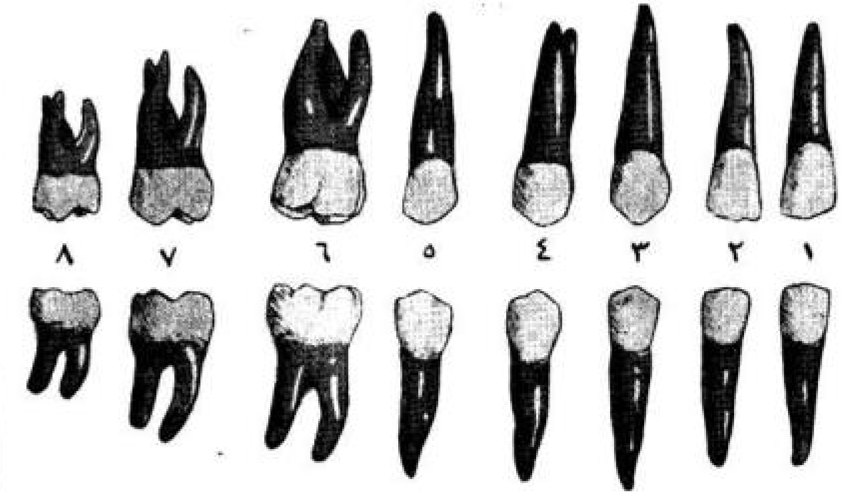
● عاج السن او الدنتين Dentine او السنتين هو الذي يؤلف باطن التاج ، وكذلك اكثر الجذر، وهو شبيه بالعظام ، و ٧٠ في المائة من تركيبه معدني .

والسن النامية يتالف اغلبها من الميناء والعاج .

● في اوسط العاج يوجد لب- السن ، وفيه الاوعية الدموية والاعصاب .

● ملاط السن ، وهو مادة تغطي الجذر من فوق العاج .

● وبين هذا الملاط وعظم الفك الذي فيه تستقر السن يوجد غشاء جامد رابط يربط ما بين جذر السن وعظم الفك ، ويعرف بغشاء ما حول الجذر Peridental membrane .



صورة من أسنان انسان في صفين
بالصف الاول نصف الفك الاعلى الايمن
وبالصف الثاني نصف الفك الاسفل الايمن

وذلك في فم رجل انت ناظر اليه .

وبكل صف يوجد :

- سنان قاطعتان Incisors (١ و ٢) تقضم بهما الكعك والتفاح .
- وناب Canine تمزق به اللحم (٣)
- وضرسان طاحنتان أماميان Premolers تطحن بهما الطعام قبل بلعه (٤ و ٥) .
- وثلاثة اضراس اخرى Molars لتكسير العظم والبندق (٦ و ٧ و ٨) والسن الاخيرة هي سن العقل Wisdom tooth .
- واسنان الانسان البالغ اذن ٣٢ سنا .

للانسان طقمان من الاسنان طبيعيان لا طقم واحد

■ وتسمى الاولى بأسنان اللبن .

واما الاخرى فبالاسنان المقيمة .

وهكذا ايضا الثدييات من الحيوانات ، اى لها طقمان من الاسنان .

ولو أن الانسان ودّ شيئا ، لودّ ان يكون له طقم ثالث ، وذلك بسبب السرعة التى بها يأتى التلف الى الاسنان .

والغريب ان الاسنان سريعة التلف في الانسان ، وهو حى ، ولكنه يموت ، فتكون الاسنان من اخلد الاشياء في قبره .

وسن الانسان لا تنمو بعد تمام نموها ، بينما نعرف ان قواطع الارانب تظل تنمو ، وهي تستعيض عما تستهلكه منها . وكذا الفيلة ، وما سنها الا بعض « القواطع » من اسنانها ، فهذه السن تنمو عاما بعد عام .

أسنان اللبن

يولد الاطفال وليس بفمهم أسنان ظاهرة ، ثم هي تأخذ تظهر بين منتصف الشهر السادس والشهر العاشر ، واغلبها حول منتصف الشهر الثامن .

وفي الجدول الآتي ترتيب ظهور هذه الاسنان ، وموعد ظهورها ، وهو من صنع الدكتور هارولد ستيوارت Harold Stuart .

ترتيب الظهور	موعد الظهور
القواطع الوسطى السفلى	٧ر٥ من الاشهر
القواطع الوسطى العليا	٩ر٥ من الاشهر
القواطع الجانبية العليا	١١ر٥ من الاشهر
القواطع الجانبية السفلى	١٢ر٠ من الاشهر
الاضراس الامامية الاولى العليا	١٥ر٥ من الاشهر
الاضراس الامامية الاولى السفلى	١٦ر٠ من الاشهر
الانياب العليا	١٩ر٠ من الاشهر
الانياب السفلى	١٩ر٠ من الاشهر
الاضراس الامامية الثابتة السفلى	٢٦ر٠ من الاشهر
الاضراس الامامية الثابتة العليا	٢٧ر٠ من الاشهر

وهذا جدول تقريبي جدا ، وقد يسبق الموعد ، وقد يتاخر اشهرا ، ولا يكون في ذلك ما يزعج . انه أمر طبيعي . انما الجدول يمثل المتوسط الغالب في الاطفال .

ويلاحظ ان اسنان اللبن ليس من اضراسها الا الاضراس الامامية . اما الاضراس الثلاثة الخلفية التي في كل طرف بعيد داخل من أطراف الفكين (وهي ٣ × ٤ = ١٢) فلا توجد بين أسنان اللبن .

واذن فعدد أسنان اللبن هي ٢٠ فقط .

الأسنان الاصطناعية

ولعل أول شيء يسأل عنه الانسان في أمر الأسنان الاصطناعية هو مصادرها .

ومن طريف ما يذكر أن جورج وشنجطن ، أول رئيس للولايات المتحدة ، صنعوا له طقما اصطناعيا من عاج الحيوان الضخم المسمى بفرس البحر أوجاموس البحر Hippopotamus وعلى الرغم من هذا لم يكن له بالطقم المريح .

وحدث في التاريخ أن اتخذوا للاطقم الصناعية مصادر عديدة ، منها الحيوانات ومنها العبيد والفقراء يسد المخلوع من اسنانهم ما خلت منه أفواه الأغنياء من اسنان .

وواقعة واترلو اتخذت مقابرها لسنوات عديدة مصادر للأسنان المصنوعة .

وبعد ٢٤ سنة من واقعة واترلو اكتشف جودير Charles Goodyear طريقة لتقسية المطاط Vulcanising Rubber فاتخذت من هذا المطاط الأسنان الصناعية ، فكان تشكيلها أيسر ووضعها في الفم أوثق .

واليوم تصنع الأسنان الاصطناعية من اللدائن (البلستيك) ، ومن الصيني Porcelain ، وهو يصنع خاصة لذلك . ونحو خمس الاسنان يصنع من اللدائن ، وسائر الأسنان من الصيني .

وطقم الأسنان المصنوع ينقصه سن العقل في كل من اطرافه الأربعة ، وذلك لضيق المكان .

وطقم الأسنان المصنوع صار شكله اليوم مقبولا عند الصانع الماهر ، وصار مريحا ، ولكن ينقصه الضغط عند المضغ والعض الذي تأذن به الأسنان الطبيعية ، فالطبيعية تأذن بضغط يبلغ ما بين ١٥٠ الى ٢٥٠ رطل ، بينا الاصطناعية لا تأذن بغير ما بين ١٠ الى ٣٠ رطلا .







بقلم : سنية قراعة

■ ضحكة بفيضة الاصداء .. ملعونة النغم .. بشعة الدوى .. منفرة المسامع.. كريهة الصدى. علت مجلجلة ، وانطلقت كزعازع الريح الهوج ، معربدة ، طائشة ، مجنونة ، فخرقت حجب السكينة وتهدلت أمام هبوبها ستائر الصمت ، فارجفت الافئدة ، وهلعت النفوس ، وحومت المخاوف ، والاصداء المنونة ما زالت تدوى وتتسع موجاتها وتتلاحق عبر الفضاء ، فاذا هي صخب ، وعواء ، وهدير ، ما لبث ان اغرق المشاعر ، وطواها في غياهبه ، فقضى على الاحساس !! .

وياللشعور الغامض يسود الناس حتى انهم ليتساءلون وهم في غمرات القلق ، وفقدان المشاعر .. ما الذى اعتورهم .. أهو الخوف قد دهم القلوب .. ام السعادة الطاغية قد تملكت الوجدان، واشاعت اضواء الفرح على الوجوه .. !! .

وعبثا وجد الحائرون الجواب الشافي الذى كانوا يتمنون سماعه ، فالضحكة الغامضة الترديد ظلت تدوى وقد أخذ دويها يهز المشاعر حتى سلبها الارادة والقدرة على التفكير والتصرف ، فانطلقت الافواه تضحك بدورها ، وهي لا تدرى ، أكان ضحكا ما رددته ، أم كان النشيج والبكاء !! .

انه الشيطان يضحك .. ومن واجبات الطاعة أن يستجيب لضحكاته هذه كل الغافلين !! .

ما للبشر جميعا من الشيطان .. يعدهم فيخلفهم، ورغم هذا يتابعونه ، ويواعدونه ويؤمنون بما يوسوس به ، لانه يحمل المعصية ، ويكسو الخطيئة، جلابيب الفتنة والجمال ، وما يعدهم في الحقيقة الا الشر والمعصية والهلاك ..

وانه اليوم ـ ولواء الجاهلية يرفرف عاليا ـ ليحب أن يجعل من قريش مستقره ، ومرتعه ، فهي قلب الجزيرة ومهوى افئدة الشعوب جمعاء ، وحرمهم الآمن ، ومطافهم العتيد ، الذى يجد اللعين فيه أعظم مجالاته الرحيبة ، خلال أعز المواسم واكثرها حبا وقداسة وتعظيما عند الناس ...

اى مجتمع هذا الذى غرق في لجج الخطيئة ، حتى فقد الاحساس بالخزى ، والشعور بالخجل وراح يباهي بالرذيلة ، ويفاخر بالخطيئة ، وكأنما هي أم الفضائل ..

انهم قوم اعتصرت الجاهلية كيانهم يفاخرون بالكبائر ، ثم يقولون بعد هذا انهم في السنام من الناس اجمعين ، وانهم وحدهم هم الناس ومن عداهم لا شيء على الاطلاق ...

على هذا الوهم عاشت قريش جاهليتها الاولى .. الانساب .. ولا شيء غير الانساب .. الانساب والعصبية هما الحمى .. وانهما للمعاقل الحصينة التي تتوارى خلفها المخازى ، وتستتر الفواحش .

مجتمع لعين لعمرى ، تعاظم فيه جلال هبل

واللات ، وتسامت العزى .. وتجبر وبطش بنو عبد الدار وعبد شمس ، وكلاب ، وبنو زهرة ، وبنو مخزوم ..

وعند بني مخزوم نقف طويلا .. ولوقفتنا هذه مدعاة ، وسبب .. انهم من اشرف بطون قريش ، واعزهم نسبا ، فلا اقل من أن نتوقف عندهم ، ونتعرف على بعض السادات منهم ..

ان أجلهم قدرا ، واعظمهم شأنا ، واعلاهم كعبا ، هو سخيهم عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .. وان لعبد الأسد هذا ابنين في الطليعة من قومهما ، والمقدمة من العشيرة ، هما أبو سلمة والأسود ..

وأبو سلمة هذا ، اسمه عبد الله بن عبد الأسد وكنى بابنه سلمة .

اما اخوه الأسود ، فقد تكنى هو الآخر بأسم ابنته فاطمة ، وهي موضع حديثنا في هذا المقال ..

وفاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد المخزومية ولدت في مهاد الشرف ودرجت في مدارج العز والتعالي ، والجاه العريض .. وارضعت لبان التجبر والكبرياء .. ثم عرفت ملاعب قريش طفلة .. وعرفتها مجالسها شابة نضرة ، تتابعها العيون، وهي قاصرة ، وتهفو اليها القلوب وهي مترددة حذرة ، ويتمناها كل حافل غارق في الترف ، يتوق الى أن يرتفع في المجتمع قدره ويتعاظم شأنه ..

وقد تعالت فاطمة المخزومية بنسبها ، وفاخرت بجاهها ، وطالما ارتفع صوتها الساخر في كل مجال ومقام ، لتقول للناس قاطبة ، انها العزيزة الجاه ، الرفيعة القدر ، الكريمة الأبوين ، فهي من بنات مخزوم ، وما أدراك ما بنات مخزوم الشريفات العزيزات العريقات الأصول ..

ومخزومية قاصرة التفكير ، محدودة الافق على هذه الصورة مثل فاطمة بنت الأسود ، لا بد أن التواء المسالك قد طاب لها ، واحبت من صميم فؤادها ان ترى الحقائق مقلوبة ، وعلى غير وضعها الطبيعي ، والا لوجدت من ضميرها ما قد يردعها أو يردها ذات مرة ، فتفكر بعقل سليم .

وبدأت فاطمة تنظر الى ما في يد غيرها ، على انه ملكها الخاص الواجب أن تسترده بأى وسيلة من الوسائل ، حتى تستشعر الهدوء ، وتطيب نفسها لعودته ..

وبدأت تستعير من غيرها متاعهم ، أو متاعهن دون أن تكون في حاجة اليه ، ثم تخفيه بعد ذلك عندها ، ثم تسوف وتؤجل في رده ، ثم تماطل ، وتراوغ ، ثم يطول الزمن ، ويمر الوقت فاذا هي تنكر أنها استعارت ، أو أخذت ! .

وهكذا سرقت فاطمة بنت الأسود .. سرقت أولا ما كانت تستعير من المتاع أو الرياش ، بأن كانت تحتفظ به لديها ، وتخفيه وتنكره ، ثم ... ما لبثت هوايتها الشريرة هذه أن تحكمت فيها مع الزمن ، فاذا هي بعد ذلك سارقة بكل جوارحها .. بكل تفكيرها .. بكل تصوراتها ..

ومجتمع مثل هذا المجتمع الضال الغارق في الاثم ، ما كان الله الحق ، جل وتعالى ، ليرضى عنه أبدا ، خاصة أن أهله هم جيران البيت العتيق .

لقد كان من اللازم والحالة هذه ، وأمام هذا التدلي المعنوى،والانحطاط الخلقي أن يحدث‌حدث له اثره ، وتأثيره،وله قوته‌ومقدرته التى تستطيع، أن تبدل ، وأن تغير ، وأن تسير بهذه الاوضاع المضطربة ، الى مكانها الصحيح ، فلا تعود مقلوبة ، ثم .. لا تستطيع بعد هذا أن تثبت حيث هي ، أو أن تستمر حيث شاء لها الهوى‌والضلال ان‌تكون..

ودوت صيحة الحق في جوانب مكة .. وتلالا النور الوضاء .. وعلا صوت محمد الهادى في جوانب البلد الأمين ذات يوم ينادي .

« يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد ..

وأسرع الناس الى حيث وقف البشير الهادى عليه صلوات الله وسلامه ، يستوضحونه الخبر ، ويسالونه سر دعوتهم واذا به صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ربه الواحد الاحد الذى لا شريك له ، قد أمره أن ينذرهم ، فهم عشيرته ، وهم اقرب الناس اليه ، وهم أهله ، الذين لا يملك لهم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا الا اذا كفروا بأربابهم الصماء هذه التي يعبدونها ، ونبذوا عبادة هبل واللات والعزى ، وشهدوا معه بانه لا اله الا الله وانه هو الصادق الأمين ، محمد رسول الله ..

واستولت الدهشة على أهل مكة وتولاهم الذعر أجمعين وراحوا ينظرون مرتاعين الى بعضهم بعضا ، فهم لم يسمعوا أبدا مثل هذا الحديث ، بل ما تصور أحد أن يسمعه ..

مجتمع قريش ... هذا المجتمع الذى عرفناه أيام بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هذا المجتمع الباغي ، الظلوم ، هل كان من الممكن ان يقال عنه انه مجتمع حقٍ يحب الحق ، ويهواه، لا فرق بين احمر واسود يقفون على قدم المساواة !!.

هذا المجتمع ... هل كان يرضى بدين قيم يدعو الى التمسك بالفضيلة والخلق الحسن ، ويحث على التحلى بالكمال الخلقي ويطالب بالتطهـر ، والخضوع التام لشريعة الله شريعة العدل والحق .. لا .. والف مرة لا ... ومن اجل الاستمساك بكلمـة ... لا ... هذه والاصرار عليها وقف السادة من اهل قريش فى جانب ، ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم فى جانب آخر بعيد .. ولكنها رغم ذلك عزت وتعالت وتعاظم امرها ، ونجحت حتى اسـتطاعت أن تمضى فى طريقها ، فعلت رايتها ، وآمن بها كرام بررة كثيرون ، وتمسكوا بها ، تمسكا جعلهم يهاجـرون من أجـل اصرارهـم عليها ليجدوا الأمـن والأمـان بعيدا عـن قـريش الباغية المستبدة .. وكان من هؤلاء المهاجرين الكرام ، عبد الله ابو سلمة بن عبد الاسد .

لقد راع فاطمة أن يخرج عمها على دين أهله ، وارباب عشيرته ..راعها هذا ، كما راع بنى مخزوم جميعا .. وآلمها أن يتمادى فى الاستمساك بدين الله الذى لا اله غيره ، ولا يعبأ بايذاء ، او تعذيب أو مقاطعة ، فيهاجر تاركا وراءه الوطن وأعز الاهل والاحباب !!

ان التاريخ يقف بنا فى هذه الفترة : موقـف المتردد لا يدرى أين يضع المخزومية !! هل مـع المؤمنات ، او المبالغات فى محاربة المسلمين ، أو المحايدات !!

تلك فترة لم يات فيها ذكر فاطمة بنت الاسود بخير ، أو بشر أبدا .. فلنعبرها فى سرعة تاركين المخزومية حيث هى فى مجتمع قريش ، تغتصب ثم تستعير ، ثم تنكر ما أخذت ، ثم تتطور بها هذه الهواية اللعينة وتستبد فتخطف وتسرق ، ويتركها مجتمعها لانها شريفة لا تحاسب ، وكريمة الاصل عريقة الحسب ، ليس عليها مهما فعلت ذنب ،ولن ينالها قصاص أو عقاب !!

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينه الى يثرب موئل الاسلام ، وعز المسلمين .. وترك قريشا السادرة فى الغىِّ ، واهلها عبدة الصنم .. تركهم الى عودة مظفرة شاء الله القادر أن تتم فى أكثر من صورة من صور الاشعار بالقوة وتعاظم شأن الدعوة المحمدية : وتعاظم امر المسلمين وتكاثر أنصار دين الله ..

ثم كانت كبرى العودات واعظمها واكثرها ثباتا واستقرارا ، وقد تمت يوم اراد الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يفتح مكة ، وأباح له دخول البلد الحرام الامين ليقضى على شوائب الجاهلية ، ويحطم الاصنام ، ويجمع القلوب ، كل القلوب على الوحدانية ، وشهادة ان لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله ..

وهنا .. وخلال عام الفتح .. وقد زالت دولة الشرك .. ودخل الناس فى دين الله افواجا ، ظهر من جديد اسم فاطمة المخزومية ، وقد أبت الا ان تكون فى هذه الفترة من فترات التحول الاعظم ـ شاغل المجتمع وموضع اهتمام من فيه ..

والرواة هنا يقولون ، ان فاطمة غلبتها هوايتها ، وراحت رغم اسلامها تقدم على السرقة فى جراة ، حتى انتهى بها الامر الى ان تسرق من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. !!

كانت نعرة الجاهلية قد ذهبت ، فكانت نخوتها قد تبددت ، ولم يعد هناك تحزب ، ولا طائفيـة ولا قبلية ، ولا شرف ولا حسب ، بل عمل .. وعمل صالح فقط والا ، فحد الله القصاص !!

وفاطمة المخزومية قد سرقت .. والمجتمع الذى طالما خشيها ، وتركها تفعل من قبل ما كانت تشاء ، هـو اليوم نفس المجتمع الذى يدفع بهـا الـى القصاص ، ويطالب بان تنال الجزاء ، ويطبق عليها حد السرقة كما اقرته شريعة الله !!

وجىء بفاطمة المخزومية الى رسول الله ، وهو القائم على الحدود ، المنفـذ للشريعـة .. جىء بالمخزومية الى النبي وهى فى حالة تلبس ، ومعها دليل جرمها ، وضدها شهود عدول ..

وثبتت جريمـة السرقة على فاطمـة ، بالبينة والبرهان والقرينة .. وبقى ان ينفذ فيها حد الله حيث يقول سبحانه .

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » ..

وضج مجتمع قريش مرة اخرى ، ضج اشراف مكة وسادتها وهم حديثو عهد بالاسلام ، وكبر عليهم ان تقطع يد فاطمة بنت الاسود بن عبد الاسـد المخزوميـة ، تنفيذا لما قضـت به شريعة اللـه

واستجابة لاوامره وطاعة لحدوده ، واسرعوا الى النبي لعله يستطيع بشفاعته ان يخفف من الحد ، ويهون من امر العقوبة الرادعة ، ولو أدى الامر الى دفع فدية عن الجريمة نفسها وقد صور لهم الوهم أن الفدية تسقط حد الله ..

واستمع محمد الى قريش .. وانصت الى رجائها ثم قال فى هدوئه وسماحته صلى الله عليه وسلم « تطهّر خير لها » ..

وكان هذا معناه ، أن الحد يجب ان يقام ، وان العقوبة من اللازم ان تنفذ فى المخزومية ، وان يدها التي امتدت بالسرقة الى ماليس لها من اللازم ان تقطع ، جزاء بما كسبت نكالا من الله ..

وحارت قريش ماذا تصنع ، وهذا حكم الله ، وتلكم شريعته ، وهذا امره جل وتعالى ولا تقبل فيه شفاعة ولا ضراعة ، ولا فدية ابدا ، وانصرف سادات مكة وقد خاب مسعاهم جميعا ، وضلت شفاعتهم طريقها ، وثبت لديهم ان الامس تولى الى غير رجعة وان فاطمة الشريفة المخزومية ، تتساوى الان مع غيرها ، وانها حين تخطىء ، وتقترف اثما فعليها اثم ما فعلت ، وانها ما دامت قد اقدمت على ارتكاب جريمة السرقة ، فلا بد ان تقطع يدها ..

ولكن .. هل كانت قريش تسلم بهذا ، وترضى به ، ومجال التحايل والشفاعات لم يزل مفتوحا امامها ، وله أكثر من باب !!

ان فاطمة ترجف وتولول وتستجير ولا مجير ، وتتشفع ولا شفيع ، وترجو ولا رجاء مقبول .

وتلفتت فاطمة بنت الاسود حواليها فى جزع .. ان من كانوا بالامس سادة قريش ، المتحكمين فى العرف ، قد وقفوا منها ومن مأساتها حيارى عاجزين ، لايدرون ما يصنعون ، وقد ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جوابه الوحيد « تطهر خير لها »

فماذا كانت تفعل فاطمة !! لقد مضى زمن الاجارة، ولم يعد احد يستطيع ان يتعوذ بعظيم او ان يستجير بشريف ، والحد هو الحد ، والشريعة هي الشريعة ، والناس قد اصبحوا اليوم سواء فى مجتمع لافضل فيه لأحمر على اسود ، ولا لعربي على اعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ..

ما العمل .. وقفزت الى خيال بعض من اهمهم امر فاطمة خاطرة اسرع يهتف بها ... واصغت المخزومية المرتاعة الوجلة التي احست انه لا مفر لها من ان تقطع يدها .. اصغت طويلا ثم هتفت فى حرارة وقد راقت لها الفكرة ووجدت فيها المخرج من مأساتها العصيبة ..

ان ام سلمة ، أرمل عبد الله بن الاسود المخزومي ، تحتل اليوم مكانا مرموقا فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. انها زوجه ام المؤمنين هند ام سلمة ، وان شفاعتها لديه صلى الله عليه وسلم لن ترد .

وهناك ايضا ابن ابى سلمة .. انه ربيب رسول الله « .. وانه لقريب اليه .. اثير عنده ..

واسرعت المخزومية تستجير ، بسلمة وبامه ام المؤمنين هند ..

اما ام المؤمنين ام سلمة فقد وقفت عند حدودها ولم تستطع ان تكلم محمدا فى شيء من امر فاطمة المخزومية ، ولكن ولدها فعل ذلك ، وخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الامر وألح عليه .

رفع محمد الكامل صلى الله عليه وسلم رأسه نحو سلمة ربيبه ابن زوجته ثم نظر اليه فى هدوء وقال :

— لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ...

وسكت رسول الله .. ولم يجد سلمة منفذا لمزيد من الكلام فسكت ، ثم خرج منكس الرأس ، فعرفت قريش ان وفادته لم تقبل ، وان سفارته قد خابت.

وعادت فاطمة المخزومية تقلب وجهها حواليها فى حيرة ، وثبت لديها انها لانجاة لها ، ولا وسيلة .

ولكن هاتفا ارتفع صوته ، وقد عاد يقول ، ولماذا لا تلجأ الى شفاعة اسامة بن زيد أحب الناس الى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ان اسامة ، هو رجلها ولاشك ، وهو وحده القادر على انقاذ المخزومية من عقوبة الحد ، لو قبل ان يتشفع فيها لدى محمد عليه الصلاة والسلام .

وهرعت المخزومية اليه ، متوسلة ترجو ، وتستنجد وتستجير وتتوسل ..

يا للعجب .. وما اغرب دورات الزمان .

فاطمة الشريفة المخزومية ، تقف اليوم موقف الرجاء ، امام اسامة بن زيد بن حارثة ... زيد.. الرقيق المشترى ، الذى لم تكن له صفة فى مجتمع قريش .. زيد هذا يعظم امره ، وها هو ذا ولده ، ينبه امره فى المجتمع الجديد يتسارع الى بابه الاشراف يطلبون تدخله وشفاعته !!

انها ولاشك قوة الدين ، وعظمة الاسلام ، وجلال شريعته السمحة .

وقبل اسامة ان يكون شفيع فاطمة المخزومية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام لفوره ليقوم بسفارته ، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في امرها ...

واصغى امام المرسلين الى اسامة ، الاثير عنده ، المقرب لديه ، وقد كبر عليه صلى الله عليه وسلم الا يفهم أقرب الناس اليه ، واخلصهم لدين الله ، ما يعنيه الحد ، وان اى تهاون فيه ، خروج صريح على الشريعة نفسها ما دام الله الحق ، قد حد هذا الحد ، واقره ، وامر بانفاذه ... وتغير وجهه صلى الله عليه وسلم ، واذا هو يقول لاسامة :

انشفع في حد من حدود الله !!

لقد كانت كبيرة فعلا ، أن يجسر مسلم ، مخلص لعقيدته ، أن يتشفع في حد من حدود الله ، فالامر لا يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا ، ولكنه امر يخص الله ، الشارع الاعظم الذى امر بحد الحد ، واوجب انزال العقاب ..

وتراجع أسامة في خجل ، ورهبة واضطراب ، وقد تملكه الاسى ، فقد استجاب لمن لم يكن من حقه ان يستجيب لهم ، واقحم نفسه على أمر ما كان له أن يقحم نفسه فيه ..

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا لن تسكت ، ولن تسلم بالاذعان لحد الله ، وانها ستحاول التشفع باخرين وآخرين ..

جمع صلى الله عليه وسلم الناس كلهم ،وتكلم فيهم ، وبعد حمد الله ، والثناء عليه جل وتعالى قال عليه الصلاة والسلام ..

« ايها الناس ، انما هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد .. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها !! »

وهكذا خرجت قضية فاطمة بنت الاسود الى مجال العلانية ، ووضح الامر ، وبان الرأى ،ونطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكم كما انزله الله ..

وامر صلى الله عليه وسلم بفاطمة بنت الاسود، فحضرت ذليلة ، مقهورة ، مهيضة الجناح كسيرة القلب تبكى أمسها ، وتشفق من غدها .. ووقفت تنتظر القصاص الذى حانت ساعته ..

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلال .. بلال العبد الحبشي الذى طالما آذته قريش وأسرفت في تعذيبه .. بلال المؤمن العظيم ،الرفيع القدر عند الله ، نظر اليه محمد عليه الصلاة والسلام وامره ان يقوم بقطع يد فاطمة المخزومية!!

ووجفت القلوب ، واحتبست الاهات في الحناجر .. واطاع بلال أمر رسول الله .. وانفذ في المخزومية الشريفة حد الله .. و .. قطع يدها !!

وران الصمت .. وخيمت السكينة على القوم، واحست المخزومية أن آثام الجاهلية اللعينة وشرورها وأوزار الماضي انما كانت تنزف مع قطرات دمها ، وأنها ذهبت عنها كلها .. قطعت هي الاخرى ، كما قطعت يدها ..

لقد كان الشر من قبل ، جزءا منها .. قطعة حية تحبها وتهواها ، أما الآن ، فقد قطع دابره .. وانتهى أمره ، وان قطع يدها ليحدد بداية نظيفة لحياة جديدة ..

ورفعت المخزومية رأسها ،ونظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في ذلة وتواضع ، هل لها ـ بعد أن نفذ فيها حد الله ـ من توبة ؟ واذا بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة في حنان الاب الراعى الشديد الحدب الكثير الاشفاق .

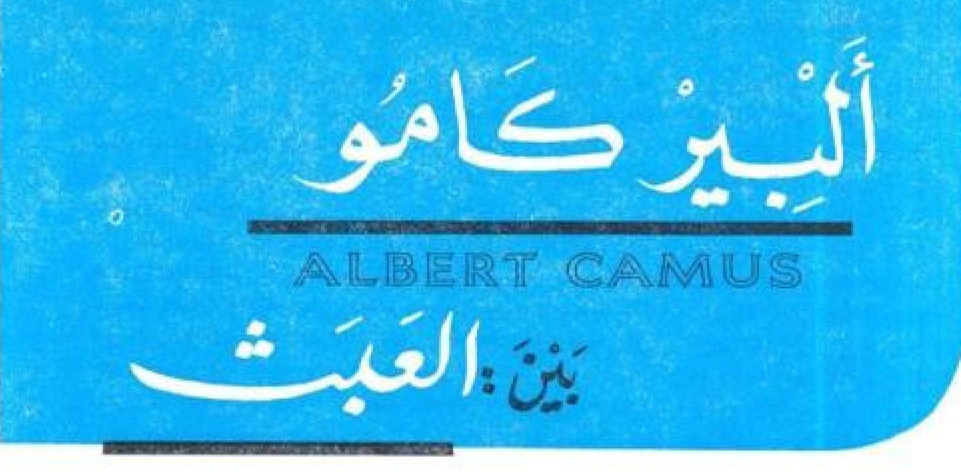
ـ « أى فاطمة .. انك اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » ..

ولم يقلها محمد من عنده ، ولا تطييبا لخاطر فاطمة ، أو تسكينا لفؤادها المرتاع ، أو تهوينا عما نالها ، بل قالها عن حق ، وهو الذى لاينطق عن الهوى .. قالها تطبيقا لحكم الله وأمره عز من قائل .

« فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه » .

وتابت فاطمة المخزومية عن صدق .. تابت واقلعت وبرات من ماضيها وسارت في طريق التوبة والصلاح ، مؤمنة عاملة ، صادقة ، تعرف معنى الفضيلة ، وتقدر العمل الحسن الصالح فتقبل عليه في صدق واخلاص ، وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى صدقها واخلاصها، فكان يرعاها ويصلها كثيرا ويوليها من رحمته مما جعل الامل يعرف طريقه الى قلبها الكسير ،فعرفت أن التوبة طريق الغفران ، وأن الغفران ، هو السبيل الى الرضا والعفو ، وأن الرضا والعفو هما طريق المؤمن الى جناب الله .. ■■

سنية قراعة





بقلم : حماده ابراهيم

■ مع أن المنية عاجلت « البير كامو » ، الكاتب الفرنسي ، فقضى نحبه عام ١٩٦٠ في حادث سيارة كان يقودها بنفسه ، وهو عائد من اجتماع بوزير الثقافة الفرنسي ، الذى عرض عليه في هذا الاجتماع أن يتولى أحد المناصب الادارية في وزارة الثقافة ، ومع أن النقاد يجمعون على أن « البير كامو » مات قبل أن يقول كلمته الأخيرة وأن مؤلفاته لم تتم وانما وقفها الموت ، على الرغم من ذلك كله ، وعلى الرغم من ضيق المساحة المخصصة لهذه الكلمة ، سنحاول أن نعرض أهم ما في مؤلفاته التى لم تكتمل وآرائه التى لم تتم . ذلك أنه على الرغم من الموت المفاجىء فان المفكرين المعاصرين يجمعون على أن « كامو » « ضمير من ضمائر هذا العصر الذى نعيش فيه » ، لأنه « سلط الأضواء على المشكلات التى تعرض لضمائر الناس في هذه الأيام » فكان جديرا بجائزة نوبل التى حصل عليها قبيل موته وذلك في عام ١٩٥٧ .

نشأته

وقبل أن نخوض في بحث آراء « البير كامو » وعرض فلسفته ، أجد من الأوفق والضرورى أن أتعرض لحياته في شيء من الايجاز ، وذلك لاقتناعى بأن « البير كامو » يعتبر من أكثر الكتاب التصاقا بحياتهم ، بمعنى أن سلوكه في حياته الخاصة والعامة لم يكن يختلف كثيرا عما تضمنته مؤلفاته من آراء وأفكار ، حتى الطريقة التى مات بها ، كانت الطريقة الوحيدة التى تتفق وآراءه في الحياة والموت وجاءت خير تأكيد لفلسفته قبل موته .

ولد « البير كامو » في الجزائر عام ١٩١٣ من أب فرنسي كان يعمل مزارعا . ومات أبوه في الحرب العالمية الأولى حرب عام ١٩١٤ ، فقامت على تربيته أمه وكانت من أصل اسبانى ، وذلك في مسكن حقير في أحد الأحياء الشعبية بمدينة الجزائر . وبعد أن حصل « كامو » على شهادة البكالوريا اضطر ، بغية مواصلة الدراسة في فرع الفلسفة ، الى القيام ببعض الأعمال المتواضعة في مجالات التجارة والادارة . وفي عام ١٩٣٦ تقدم للحصول على دبلوم الدراسات العليا بموضوع عن « العلاقة بين الروح المسيحية في مؤلفات الفيلسوف أفلوطين



والقديس اغسطين ». غير ان اصابته بمرض السل حالت بينه وبين اداء امتحان الاجريجاسيون في الفلسفة . ومنذ ذلك الحين ، كلِف « كامو » بالمسرح ، وقام بتكوين فرقة « الفريق » . ولقد اقتبس لهذه الفرقة عدة اعمال ادبية لكبار الكتاب مثل : « عصر الازدراء » لاندريه مالرو Malraux ، « وبروميتيه » لايشيل ، « والاخوان كارامازوف » لدوستويفسكى .

بعد ذلك عمل « البير كامو » صحفيا في مدينة الجزائر ثم في باريس . وفي عام ١٩٤٠ ، حاول أن يلتحق بالجيش . لكن صحته حالت دون ذلك. وفي ظل الاحتلال الالمانى ، كان البير كامو يشغل مركزا هاما في حركة تحرير فرنسا من الالمان المعروفة « بالمقاومة » . وفي عام ١٩٤٤ أصبح رئيسا لتحرير جريدة « المعركة » . ولقد جمعت فيما بعد المقالات الشهيرة التى كتبها في تلك الفترة ونشرت تحت عنوان « الاحداث الراهنة » عام ١٩٥٠ ثم عام ١٩٥٣ .

مؤلفاته بين العبث والتمرد

وطوال حياته القصيرة ، ظل « البير كامو » يناضل لنصرة الضعفاء والمحرومين والمطالبين بحريتهم .

والناظر الى مؤلفات « البير كامو » يجد انها بصفة عامة تنتظم حول قطبين اثنين: العبث والتمرد، متفقة في ذلك مع المرحلتين اللتين مرت بهما فلسفة هذا الكاتب .

سبق كامو الى أن الحياة لا معنى لها

والذى لا يجب ان يفوت القارىء ، تسهيلا للفهم واستساغة للآراء ، هو أن « البير كامو » قد ولد عام ١٩١٣ ، اى قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى ، ثم عاش أحداث الحربين العالميتين وعانى اهوالهما . فالحرب الاولى سلبته أعظم سند للطفل وهو أبوه ، والحرب الثانية سلبته أعظم سند للرجل وهم الأصدقاء . ثم ان اتجاه كامو ، منذ مطلع حياته الى الدراسات الفلسفية والمرض الذى اصابه في ريعان شبابه ، كل ذلك جعل « كامو » يعتقد في « خلو الحياة من المعنى » . ولقد قاده هذا الاعتقاد الى اعتقاد اخر وهو ان الانسان حر في تصرفاته ، حر في ان يسلك في حياته اى سبيل دون التقيد بأية مبادىء او النظر الى اية اعتبارات، وان على الانسان ان ينهل من مباهج الحياة ومسراتها ما شاء له أن ينهل . ولقد عرض « كامو » هذه الافكار في بحثه الفلسفى « اسطورة سيزيف » Le Mythe de Sisyphe ثم تناولها في رواية « الغريب » Létranger عام ١٩٤٢ ، وبعد ذلك في مسرحيتين هما « كاليجولا » Caligula و« سوء التفاهم » Le Malentendu نشرتا عام ١٩٤٤ .

ثم تكشف لكامو معنى أضفاه على العمل الانسانى

ثم تطورت افكار « البير كامو » عندما توصل الى اكتشاف معيار معين يضفى على العمل الانسانى « معناه » ويحدد أبعاده ، هذا المعيار هو الطبيعة البشرية . ولقد ظهرت هذه الفلسفة الانسانية في رواية « الطاعون » La Peste عام ١٩٤٧ وفي مسرحيتين هما « حالة حصار » L'Etat de Siege عام ١٩٤٨ و « العادلون » Les Justes عام ١٩٥٠ وذلك قبل أن تتضح في « الرجل المتمرد » L'Homme Révolté عام ١٩٥١ .

« كامو » والعبث

في مطلع حياته ، كان « البير كامو » ينتمى الى الفلسفة الوجودية . غير انه انفصل عنها الى فلسفة اخرى شخصية هى فلسفة العبث ، ولقد حدد كامو معنى هذه الفلسفة في بحث نشره عام

١٩٤٢ بعنوان « أسطورة سيزيف » أو بحث في العبث . ثم عاد فتناولها في رواية « الغريب »التى نشرت في نفس العام . ومن بعد ذلك عرضها على المسرح في عملين دراميين : « كاليجولا » و« سوء التفاهم » عام ١٩٤٤ . وقد ظلت هذه الفلسفة قائمة حتى كتب « الطاعون » عام ١٩٤٧ وذلك بعد تطور ملموس طرأ على افكاره وآرائه . ومن المهم بمكان أن نتناول هذه الفلسفة في « أسطورة سيزيف » وان نحاول تحديد معانى بعض الألفاظ التى تتردد في هذا البحث الفلسفى مثل : العبث، الانسان العبثى ، التمرد ، الحرية ، الشغف أو الولع . هذه الألفاظ التى نجد لها عند « كامو » رنينا خاصا ومدلولات معينة .

بدأ « كامو » بهذا السؤال : هل الحياة تستحق منا ان نحياها ؟

انه يرى أن الحياة ، بالنسبة للغالبية العظمى من البشر ، تنحصر في القيام بما تمليه العادة . واذا الانتحار يثير السؤال الرئيسي عن معنى الحياة . « عندما يقضي الانسان على حياته حرا مختارا يكون هذا اعترافا منه بسخف هذه العادة ، والافتقار الى سبب وجيه لمواصلةالحياة، وخلو هذه الجلبة اليومية من أى معنى بالاضافة الى عدم جدوى الألم والعذاب » .

وعند كامو أن ادراك هذه الحقيقة شيء نادر ، وشخصي ، ويصعب نقله الى الآخرين . وقد يتولد من الشعور « بالغثيان » الذى توحى به آلية الحياة ، هذه الحياة التى لا هدف لها . وقد يأتي هذا الاكتشاف نتيجة لشعور الانسان بغرابة الطبيعة وبانه غريب ف هذا العالم . وبعد ذلك تأتى فكرة الموت الذى لا يرد ، فتجلو فكرة العبث، عبث الحياة . ونتيجة لذلك ، فليس هناك معنى لأى مذهب أخلاقى أو مجهود بشرى ، أمام هذا المصير الاسود ، بل ان الذكاء نفسه يعترف بعجزه وقصوره عن فهم هذا العالم فيؤكد لنا بطريقته أن هذا العالم عبث في عبث وانه حافل بما «ينافي العقل ويجافي الصواب » .

والواقع أن العبث لا يكمن في العالم نفسه ، وانما هو في المواجهة القائمة بين طبيعة العالم المخالفة للعقل وبين الرغبة العارمة في الاستنارة والاستجلاء التى يدوى صداها في أعمق أعماق الانسان. فالعبث ليس في الانسان وليس فيالعالم، وانما هو في « وجودهما المشترك » . انه يكمن في « تناقضهما » وهو الرابطة الوحيدة بينهما ، فهو يلصق كلا منهما بالآخر كالحقد الذى يربط بين الناس . « ان اللاعقلى ، وحنين الانسان الى ما يتفق والعقل ، والعبث الذى ينشأ عن المواجهة بينهما ، تلك هى الشخصيات الثلاث في هذه الدراما التى لا بد لها ان تنتهى بكل ما تطيقه الحياة من منطق » .

وما دامت فكرة العبث أصبحت شيئا جوهريا في الحياة ، وما دامت هذه الفكرة هى الحقيقة الاولى التى توصل اليها الانسان ، فان اى حل للمعضلة يجب أن يحافظ على هذه الفكرة ويعترف بها . « كامو » يرفض مواقف الهروب التى تتمثل في الانتحار من جهة ، لانه الغاء للضمير ، ومن جهة اخرى النظريات التى تنقل آمال الانسان والأسباب التى تجعل للحياة معنى الى عالم آخر، والمقصود بذلك الايمان الدينى أو ما يسمى بالانتحار الفلسفى . « عند الوجوديين أمثال جاسبرس Jaspers وشيستوف Chestov وكيركجارد Kierkegard الذين يؤلهون اللاعقلى أو يجعلون من العبث دليلا للحق والصواب في العالم الآخر ، فيعتبرونه«قدم الارتقاء الى الخلود» ان « كامو » ، على النقيض من هؤلاء الفلاسفة جميعا ، يرى أن الانسان الوحيد ، الذى يضع لهذه المأساة حلها المنطقى ، هو ذلك الانسان الذى يقرر أن يحيا الحياة مع ما يعرفه عنها ، أى مع ادراكه الكامل لما يقوم بين العقل وبين العالم من معارضة لا أمل في التغلب عليها . وفي ذلك يقول « كامو » اننى أخرج من العبث بثلاث نتائج هى تمردى ، وحريتى وشغفى . وبوعيى وادراكى أحوّل ما كان دعوة للموت الى قاعدة للحياة ــ وارفض الانتحار » .

اذن ، فالانسان ، رغم اكتشافه لعبث الحياة لا يحاول التخلص منها ، وانما « يعيشها » . و « أن يعيش الانسان تجربة ما أو مصيرا معينا يعنى انه يقبل هذا المصير بعلاته . وهو لا يعيش هذا المصير ، مع علمه بعبثه اذا لم يفعل كل شيء ليجعل نصب عينيه هذا العبث . فالحياة اذن ، احياء للعبث ، واحياء العبث هو قبل كل شيء في استمرار النظر اليه . وهذا معنى « التمرد ».

انه مواجهة دائمة قائمة بين الانسان من جهة وبين غموضه من جهة أخرى . ومن شان هذا التمرد أن يحيل العالم الى أسئلة دائمة في كل لحظة من لحظات الحياة . والانسان المتمرد لا يامل في شيء ابعد من التمرد . ان تمرده بلا امل. ان في تمرده تاكيدا للمصير المهلك اكثر منه اذعانا لهذا المصير . وهكذا يرفض « كامو » الانتحار ويعارضه بحكم الاعدام . فالمحكوم عليه بالاعدام يدرك عبث الحياة ولكنه يرفض الموت . ان « كامو » يرى أن هذا التمرد هو الذي يجعل للحياة ثمنها ويضفي عليها عظمتها ويمجد ذكاء الانسان ويعظم كبرياءه وهو تحت سلطان اقوى منه واكبر . وهذا التمرد هو الذي يحدو بالانسان الى أن يستنفد كل ما في الحياة بل ويستنفد نفسه ، لانه يعرف انه بادراكه لهذه الحقيقة وبتمرده هذا المتصل ، فانه يبرهن على حقيقته الوحيدة ، تلك التي تكمن في التحدي .

والانسان العبثي لايهتم بمشكلة « الحرية في حد ذاتها » فهي غير ذات معنى الا بعلاقتها بالايمان بالله ، انه لايستطيع ان يشعر الا بحريته الشخصية في التفكير والعمل . فهو قبل ان يكتشف العبث ، كان يتوهم انه حر ، لكنه في الحقيقة كان عبدا للعادة او المعتقدات التي لم تكن تجعل حياته الا هدفا وهميا او قيمة خيالية . وما أن اكتشف العبث حتى يرى كل شيء بعين جديدة ، فقد اصبح حرا تماما منذ ان فطن الى وضعه الذي لا يرجو معه املا او ينتظر بعده غدا . وعندئذ شعر انه متحرر من القواعد العامة ، واذا هذا الشعور يدفعه الى ان يعيش حياته دون نظر الى عواقب او اعتبارات .

وحياة الانسان العبثي تحدوه الى ان يكثر من خبراته وتجاربه حتى « يكون في مواجهة العالم اكبر وقت ممكن » واذا كان « مونتيني » يلح على « كيف » الخبرات ، فان « كامو » يلح على « كمها » لأن « كيفها » يتحقق من وجودنا في العالم في تمام وعينا وادراكنا . « كل شيء مباح » هكذا يصيح كارامازوف . ومع ذلك فان « كامو » يرى ان هذه الصرخة تتضمن من المرارة اكثر مما تتضمن من السعادة ، وذلك لانه لم تعد هناك قيم تحدد اختيارنا او توجهه . فالعبث اذن لا يحررنا وانما يقيدنا . انه لا يسمح لنا بعمل كل شيء . وعبارة « كل شيء مباح » لاتعني انه ليس هناك محظور . ان العبث ينظر الى عاقبة العمل ونتيجته . وهو لاينصح بالجريمة ، لأن عاقبتها وخيمة ، لكنه يرى عدم جدوى التبكيت ووخز الضمير . ان حرية الرجل العبثي تمارس في اطار الممكن وداخل حدوده . والرجل العبثي يتحمل نتيجة عمله ، وهو مستعد لذلك . ان الانسان هو غاية نفسه ، غايتها الوحيدة . ولكن من بين افعاله ما يخدم الناس وما يضرهم ، وفي اطار هذا المعنى الانساني تتطور فلسفة « البير كامو » كما سنرى .

التمرد والانسانية

في عام ١٩٤٨ نشر « البير كامو » كتابا بعنوان « رسائل الى صديق الماني » . وكان قد كتب هذه الرسائل خلال فترة الاحتلال الالماني لفرنسا . وفيها يهاجم « كامو » آراء هذا الصديق القديم الذي يتخذ من عبارة « كل شيء مباح » مبررا لسياسة « هتلر » التي كانت تقوم على الغزو والارهاب . فيقول « كامو » : « لقد اخترت العدالة لكي اظل مخلصا للارض . ولا زلت اؤمن بان هذا العالم خلو من اى معنى سامي ، ولكنني اشعر أن لهذا العالم معنى ساميا هو الانسان ، لان الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يتمسك بان يكون له معنى في هذا العالم » . هذا الموقف الجديد يؤكده « كامو » في « الطاعون » La Pate ويتعمق في عرضه في « الانسان المتمرد » .

ففي « الانسان المتمرد » يدعونا « كامو » الى ان نتامل التمرد الذي تحدث عنه في « اسطورة سيزيف » والذي جاء نتيجة لادراك الانسان لعبث العالم وخلوه من القيم ، ذلك العالم الذي يعتبر فيه « كل شيء مباحا » .

ان العبد الذي يتمرد على سيده يقول لا ونعم : لا ، لانه يشير الى حد لايتعداه . ونعم ، لانه يؤكد حقا ، وحقيقة اكبر منه ، ويشترك معه فيها سائر البشر وهي الطبيعة البشرية : « انا اتمرد ، اذن فنحن موجودون » . وفي ذلك ينفصل « كامو » عن الفلاسفة الوجوديين . ان تحليل

التمرد يؤدي على الاقل الى التفكير في وجود طبيعة بشرية . كما هو الحال عند الاغريق ، وخلافا لمبادىء الفكر المعاصر . ما جدوى التمرد اذا لم يكن في الانسان شيء دائم باق يحافظ عليه ؟ ان العبد انما يتمرد من اجل سائر البشر . عندما يجد ان هذا الوضع او ذلك ينكسر فيه شيء ، شيء لا يخصه وحده ، وانما يشترك فيه معه سائر البشر ، حتى هذا السيد الذى يهينه ويضطهده . فبعد فكرة الانسان العبثي الذى كان يرى ان السعادة انما هي من الاكثار من التجارب والنهل من متع الحياة ومسراتها منفردا عن الآخرين ، بصرف النظر عن اى قيم ، بعد هذه الفكرة تاتي فكرة الانسان المتمرد فتضع ، كمبدأ للعمل ، « قيمة جماعية » هي الطبيعة البشرية التي تدعو الى التعاطف والمشاركة وخدمة الآخرين .

ان الانسان عندما يتمرد باسم الطبيعة ، فانه يمسك عن الحاق الضرر بهذه الطبيعة متمثلة في اى انسان آخر حتى ولو كان سيده الذى يضطهده والا خان نبل التمرد وطهره . ان كامو يحذر المتمرد الا يستجيب لدافع السأم او الهوس فينسى نبل التمرد ويندفع في طريق الارهاب والتقتيل (كما هو حال « الداديين » و « ساد » و « دوستويفسكي ») او في طريق الاستسلام والرضا بالشر . كذلك ندد « كامو » بالارهاب الذى مارسه الدكتاتوريون الفاشيون والهتلريون الذين كانوا يلجاون الى القتل كعمل انتقامي وكتطبيق لقانون الاقوى . كذلك ايضا هاجم « كامو » الارهاب الذى تمارسه الحكومات التي تلجا الى القتل على انه ضرورة مؤقتة تمهد لخلق مجتمع جديد يكون الناس فيه اسعد حالا وينتهي فيه الارهاب ، فهو لا يقبل الالغاء المؤقت للقيم البشرية في سبيل ان تحظى هذه القيم بالاحترام في يوم من الايام . هذه النقطة بالذات هي التي جعلت « كامو » ينفصل عن الحزب الشيوعي ، وكان في مطلع حياته مشايعا له ، كذلك هي التي جعلته ينفصل عن سارتر والوجوديين .

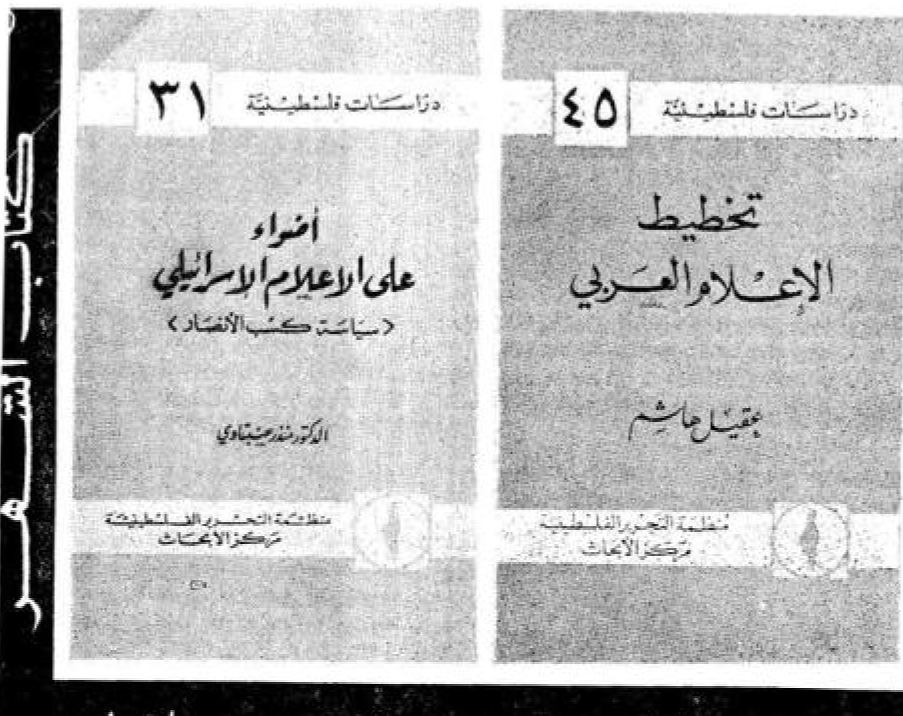
وفي النهاية يصل « كامو » الى ما يسمى «فكرة الظهر » او فكرة « الاشماس » . ان محاولة الوصول الى « المطلق » ، يحيل التمرد الى ارهاب وتخبط لان الانسان يعيش في عالم نسبي ، والتمرد هو الذى يعلمنا حدودنا وطاقاتنا ، فهو يعلمنا انه « لا بد من جانب واقعي في كل اخلاق ، فالحقيقة الخالصة مميتة . ويعلمنا انه لا بد من جانب اخلاقي في كل واقع ، فالمجون الخالص مميت . ان «كامو» يرفض الثورية الارهابية المتشددة ويضع في مواجهتها فكرة الاشماس أو «فكرة الظهر» تلك المنسوجةمن التوازن والنسبية، والتي توجه التمرد الى صالح الحياة فلا يكون ضدها . وهكذا يتضح معنى العمل الانساني وحدوده . فهناك عمل وتفكير ممكنان بالنسبة للانسان،فهما على المستوى المتوسط وهو مستواه، واى طموح مفرط يكون متناقضا مع طبيعة الانسان . فالمطلق لا يتحقق وخاصة على المستوى التاريخي » .

ان التمرد لا يدخر وسعا في مكافحة الشر . والانسان يستطيع أن يكبح في ذاته كل ما يجب أن يكبح ، ويصلح في الخليقة كل ما يجب أن يصلح . ولكن ذلك لا يمنع أن الاطفال سيموتون ظلما وعدوانا ، حتى في المجتمع الفاضل . فالانسان ، مهما بذل ، لا يستطيع الا أن ينقص آلام البشر « حسابيا »، ولكن الظلم والعذاب سيظلان قائمين، ومهما حد الانسان من انتشارهما فسيظلان عارا على العالم . ان صيحة « ديمتري كارامازوف » : لماذا ؟ سوف تظل تدوى الى الأبد لأن الفن والتمرد لن يموتا بموت آخر انسان .

ان ما في وسعنا ، مع ما يتطلبه هذا من العمل الدائب والجهد المتصل، يتلخص في هذه العبارة : على الانسان أن يتعلم كيف يحيا وكيف يموت ، وحتى يصبح انسانا ، عليه أن يرفض أن يكون اله جبارا .

فهذا كامو . مثل من الفكر حين ينطلق .رياضة عقلية لكل قارىء. وهي تؤكد بعض مظاهر الحياة. اما النتائج التى وصل اليها كامو فتحسب أن بينها وبين القارىء المدى الواسع .

حمادة ابراهيم



الإعلام الإسرائيلي والإعلام العربي

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب ـ الجامعة الاردنية

■ للاعلام في أيامنا هذه دور كبير في كسب الانصار والاصدقاء ، ويجب ان يسير جنبا الى جنب مع الاعداد والبناء الداخلي . وقد استطاع الاعلام الاسرائيلي المدروس المنظم ان يكسب التأييد العالمي الى جانبه ، رغم انه اعلام يزيف الواقع ، ويقلب الحقائق . وسياسة كسب الانصار بالغة الاهمية اليوم ، في عالم تقاربت اقطاره ، واجتمعت دوله في هيئة دولية ، لتحل مشاكلها بالسلم بدلا من الحرب ، وعن طريق التصويت .

واليوم نقدم كتابين : اولهما « أضواء على الاعلام الاسرائيلي » للدكتور منذر عنبتاوي ، والثاني « تخطيط الاعلام العربي » لعقيل هاشم . وهناك فرق واضح بين الكتابين : فالاول يعتمد الوثائق ، والثاني يستمد مؤلفه مادته من تجاربه واقامته الطويلة في هولندة ، حيث يعمل في القسم العربي من اذاعتها .

وليس في هذا القول مدح او ذم لأي منهما . وفي كتاب الدكتور عنبتاوي اخطاء نحوية بشعة ،

لا ادري كيف سها عنها مصحح البروفات !!! وبهذا تشوه هذه الاخطاء ما بذل المؤلف من جهد مشكور في تاليفه .

وكتاب « أضواء على الاعلام الاسرائيلي » في مقدمة ، وخمسة فصول ، وملحق . وتتناول الفصول الموضوعات التالية : دور الاعلام في تحقيق اهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية ، واستراتيجية الاعلام الاسرائيلي ومداخلها النظرية، والمداخل التطبيقية للاعلام الاسرائيلي ، وسياسة كسب الانصار في أمريكا اللاتينية ، وأدوات الاعلام الاسرائيلي . اما الملحق فيبحث في : الاسباب الحقيقية لقصور الاعلام العربي .

وكتاب « تخطيط الاعلام العربي » في سبعة فصول هي : اعلام عربي افضل من اوضاع متغيرة، وعبرة النكسة ، وماهية التغيرات والتفاعلات التي يشهدها الغرب حاليا ، وبرمجة مخططاتنا ومشاريعنا الاعلامية ، وموقف محدد من اليهود غير الصهيونيين ، والانسان الغربي بلارتوش ، والستراتيجية والتكتيك .

وهذان الكتابان مفيدان للقارىء العربي في ظروفنا المصيرية القائمة ، ولكنهما ليسا دراسة عميقة للاعلام العربي والاسرائيلي . وطابع الايجاز، وحشد المعلومات في نقاط ، واضح فيهما ، ولا سيما في كتاب الدكتور عنبتاوي . ويبدو ان السبب في هذا يعود الى أن الكاتبين مقيدان بعدد محدود من الكلمات .

ومن مجمل الاراء الواردة في الكتابين نقول :

يهدف الاعلام الاسرائيلى الى أن يرسخ في نفوس الدول والشعوب أن وجود اسرائيل ضرورى لسلام العالم وأمنه ، وهو لا يفرق في هذا بين حكومة صديقة لاسرائيل ، أو صديقة للعرب ، أو محايدة. ويسعى في الوقت نفسه ليجعل من اليهود المقيمين خارج اسرائيل ، رعايا يعيشون في المنفى ،ويدينون لها بالولاء . ومن أهداف الاعلام الاسرائيلى محاربة اندماج هؤلاء اليهود في البيئات التى هم فيها ، واضعا نصب عينيه الشعارين اللذين نادى بهما بن غوريون ، وهما : التأكيد على أن يهودية اليهودى لا تكتمل الا بالهجرة الى اسرائيل ، والتأكيد على أن الحليف المخلص الوحيد«لدولة» اسرائيل هم اليهود . ونجد هذا المعنى أيضا في كلام لاشكول يقول فيه :« انه ليس بمقدور الشعب اليهودى في المنفى ، أن يحافظ على هَويّته ، بعد قيام اسرائيل ، دون الارتباط بها ، والولاء لها ، والهجرة اليها . »

وتختلف السبل التى يسلكها الاعلام الاسرائيلى من دولة الى أخرى ، فهو بالنسبة لدول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ، مثلا ، يحاول دوما الاحتفاظ بدعمها المادي والمعنوى ، والتأكيد على على أن اسرائيل واحة الديمقراطية الغربية في المشرق العربى . وهو لا يكف عن تكرار ما قامت به من معجزات في فلسطين التى أهملها العرب حتى أصبحت قفرا !!! ولا ينى يذكر بان اسرائيل تحقيق لنبوءة دينية وردت في « العهد القديم » ، ويفيض في وصف ما لقى اليهود من اضطهاد ، عبر التاريخ ، وخاصة على يد النازية .

ويرسم الاعلام الاسرائيلى للعرب صورة قاتمة ، هى تلك الصورة التى استقرت في أذهان الغرب عنهم : فهم معادون لليهود نتيجة تعصب دينى وعنصرى ، وهم دوما يهددون « دولة اسرائيل » المسالمة ، بالتدمير !!

ويسلك الاعلام الاسرائيلى ، بالنسبة لدول أوروبا الشرقية ، سبيلا أخرى ، لان هذه الدول كفت عن دعم اسرائيل ، وقلصت علاقاتها بها . ورغم هذا فان اسرائيل حريصة على عدم قطع صلتها بدول الكتلة الشرقية ، وتعمل دائما من أجل تحسين علاقاتها بها ، ولو من أجل الاحتفاظ بتاييدها لوجود اسرائيل كدولة ، ومحاولة اقناعها بالسماح لليهود فيها بالهجرة الى اسرائيل .

★ ★ ★

وقد نشط الاعلام الاسرائيلى نشاطا ملموسا في القارة الافريقية ، فلاسرائيل بعثات دبلوماسية في ٢٨ دولة افريقية . وقد كانت اسرائيل بارعة في شق طريقها الى الدول الافريقية، وذلك بالترحيب الحار بكل دولة افريقية لتستقل ، وعرض المساعدات عليها ، وتشجيع الدول الاوروبية على التعامل معها . وفوق هذا كله ، فقد أعانها على تحقيق مآربها ، غياب الوجود العربى في القارة السوداء .

وتؤكد اسرائيل فى علاقاتها بالدول الافريقية ، على وحدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين اليهودى والافريقى ، فكل منهما قد عانى من

الاضطهاد الكثير . ولا نكاد نقرأ خطابا لزعيم صهيوني يوجهه لدول افريقيا ، الا ونقع فيه على المعاني : فتقول جولدا مائير في خطاب القته امام الكنيست في ١٩٦٣/٣/٤ : « اننا لنشعر بتقارب روحي وعاطفي قوي مع شعوب افريقيا .. وربما كنا نستطيع أن ندرك ، خيرا من اية امة أخرى ، ذلك الفيض الدافق من السعادة والفخر اللذين يعمان تلك القارة العظيمة اليوم . »

ويقول موشيه ليشيم Moshe Ieshem ، رئيس الدائرة الافريقية في وزارة الخارجية الاسرائيلية : « ان العلاقات المتينة ، التي تطورت خلال العقد الماضي ، بين اسرائيل والدول الافريقية ، انما تتصل اتصالا وثيقا بالروابط التي نشأت بين اليهود والافريقيين ، حتى قبل أن تتركز آمال الشعبين على كيانات اقليمية ، وسياسة مميزة ، ذلك أن جذور التعاطف والاندماج بينهما ، تتمثل أساسا في أن المدنية السائدة اعتبرت كلا من اليهود والزنوج أجناسا منحطة على حد سواء . »

وفي مخاطبة اسرائيل لمسلمي افريقيا ، تحاول ان تفرق بينهم وبين العرب ، وذلك باثارتها لموضوع تجارة العبيد ، ومن أقوالهم في هذا : « ان الاقطار الافريقية،التي يدين قسم كبير من سكانها بالاسلام، تقف من الاقطار العربيةموقفا يتميز بنفور طبيعي، نتيجة الصدمة التاريخية التي احدثتها تجارة العبيد . »

ولا يترك الاعلام الاسرائيلي مناسبة تمر ، دون أن يذكر بالدور الهام الذي يمكن أن تقوم به اسرائيل في مساعدة الدول الافريقية على النماء والتطور ، دون أن تكون لها اية أطماع سياسيه . وهذا التعاون بين الفريقين يعود عليهما معا بالنفع والفائدة ، فيقول اشكول في مقدمة للكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ : « اننا نذهب الى افريقيا لنشركهم معنا في الخبرة التي جمعناها خلال تجربتنا الانمائية ، دون شعور بالاستعلاء ، أو فرض شروط معينة ، أو رغبة في الاستغلال . »

ويؤكد الاعلام الاسرائيلي دوما ، على ان اسرائيل لا تريد الا أن تعيش بسلام ، وهي تتطلع الى الدول الافريقية لتعينها على تحقيق هذا السلام في منطقة الشرق الاوسط ، فيقول (ليشيم) : « انصداقة افريقيا هي عامل توازن قوى لصالح اسرائيل في العالم الافريقي والآسيوي ، وقد تكون ذات دور فعال في اقناع العرب بالتفكير في التعايش السلمي . » وهو يأمل أن تقوم الدول الافريقية بدورها « من أجل خلق جو من الانفراج والتفاهم ،بين اسرائيل والبلاد العربية ، كمرحلة اولى نحو اقامة علاقات منسجمة . »

واذا كانت اسرائيل قد نجحت في القارة الافريقية ، فانها فشلت في آسيا ، الى حد كبير ، فهي لم تستطع ، حتى الآن ، أن تقنع دولا كثيرة باقامة علاقات دبلوماسية معها ، ومن هذه الدول دول اسيوية كبرى كالصين ، والهند ، وباكستان، واندونيسيا ، ومع هذا فان اسرائيل لا تألو جهدا في محاولة تحسين علاقاتها مع هذه الدول . والدولة الآسيوية الكبيرة الوحيدة التي بينها وبين اسرائيل علاقات قوية هي اليابان ، وذلك بسبب النفوذ الامريكي الكبير فيها .

وللاعلام الاسرائيلي وسائله الكثيرة لكسب الأنصار لاسرائيل ، انطلاقا من أنه « ليس هناك من طريقة لكسب الاصدقاء المتازين أفضل من الحوار ، وجها لوجه ، في اسرائيل . » ومن هذه الوسائل الضيافة بانواعها ، كالضيافة الشخصية ، والرسمية، في المناسبات ، ودون وجود مناسبات. والمهم في الضيوف أن يكونوا من الأشخاص المرموقين، أو الذين ينتظر أن يكون لهم مستقبل مرموق في بلادهم . وعند ظهور آية بادرة تدل على فتور العلاقة بين اسرائيل وأية دولة صديقة لها ، تنشط أجهزة الاعلام لتحسين الجو : من ذلك انه عندما بدأت تتحسن العلاقة بين العرب وتركيا، قام الاتحاد العام للعمال اليهود في اسرائيل (الهستدروت) باستضافة وفد عن اتحاد العمال التركي ، وكان من بين اعضاء الوفد احد اعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد التركي ورئيس اللجنة العمالية البرلمانية . وعندما وقف رئيس الوفد التركي ليتحدث ، ذكر بما سبق أن قاله رئيس وزراء تركيا ، من أن التقارب بين العرب وتركيا لن يكون على حساب اسرائيل،ثم اضاف قائلا: « ان البحر الابيض ، وحب السلام ، يجمعان بين تركيا واسرائيل . »

ويذهب الاعلام الاسرائيلي الى أبعد من هذا ، فهو أحيانا يستغل أعياد الدول الرسمية لتوجيه دعوة لوفد منها ليقوم بزيارة اسرائيل : ومثال ذلك أن اسرائيل درجت على أن تدعو في عيد

النيروز من كل عام ، وفدا ايرانيا لزيارتها ، وقضاء عطلة العيد فيها .

وهي تحرص على تنظيم المؤتمرات والمهرجانات ، بحيث تجعل من اسرائيل مكانا لالتقاء الوفود من بقاع كثيرة من العالم ، وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٦ دعت الى (٢٢) مؤتمرا متخصصا ، حضرها حوالي سبعة آلاف مشترك . وتدعو وفودا من الدول النامية لحضور دورات في « المعهد الافريقي الآسيوي » في تل أبيب وقد وصف كاتب اسرائيلي الدور الذي يقوم به هذا المعهد ، بالعبارات التالية : « ان طلبة المعهد هم زبدة بلادهم ، فهم يدخلونه لحضور الدورة التي تستمر خمسة عشر أسبوعا ، ثم يعودون لبلادهم،وقد تغير دورهم . انهم يصبحون الأساتذة والقادة . وهكذا فان نفوذ المعهد ينتقل منهم الى جيل لم ير اسرائيل شخصيا ، ولا يعرف عنها الا نقلا عن آخرين . »

وهناك أيضا « مركز جبل الكرمل الدولي للتدريب » في حيفا ، الذي تقام فيه الندوات للبارزين ، ومن الذين حضروا ندوات هذا المركز : القاضية (مودي) Modi ، وهي أول امرأة تنتخب عمدة لمدينة بومباي ، والسيدة (دير) Dare أستاذة الاقتصاد في جامعة بومباي ، والسيدة (ستيوارت) عضو معهد الأبحاث في جمايكا ، والآنسة سوزا Sosa وزيرة التربية في جمهورية الدومنيك ، والسيدة اورتز Ortez مديرة أحد المعاهد التعليمية في هندوراس.. الخ.

وبالاضافة الى هذا فان اسرائيل تقوم بدعوة اليهود الذين يعيشون في « المنفى » لزيارتها ، وتحرص على أن يكونوا من الشباب ، ليعود كل واحد منهم الى بلده ، حاملا معه شيئا من روح اسرائيل ، وصدى منجزاتها ، ولهجة كلامها .» وقد بلغ عدد الذين زاروا اسرائيل من يهود الولايات المتحدة وحدها ....٣٢ر فتى وفتاة ، خلال المدة الواقعة بين سنتي ١٩٥١ و ١٩٦٦ .

وتعمل اسرائيل على تخليد صداقاتها بالدول ، والرجال البارزين ، عن طريقة تسمية الشوارع بأسمائهم ، وغرس الأشجار : فهناك « غابة أبطال برجوى » و « وغابة السلفادور » ، و« غابة دي فاليرا».وهنا تبدو براعة اسرائيل في المحاورة، وكسب الانصار ، فقد قامت بزرع هذه الغابات قبل أن يكون بينها وبين الدول المذكورة تمثيل دبلوماسي كامل . وتقوم اسرائيل باقامة الأنصاب التذكارية أيضا ، كالنصب الذي اقامته تكريما لذكرى جون كندي ، وتشييد المباني للغاية نفسها ، مثل « مبنى المكسيك » الذي انشيء في جامعة تل أبيب ، ليضم كلية الفنون الجميلة ، ومثل « بيت بلجيكا » في الجامعة العبرية بالقدس ، وهو نادي الجامعة . ورغم أن أموال هذين المبنيين قد جمعها يهود كل من المكسيك وبلجيكا ، الا ان اسرائيل قد اغتنمت الفرصة ، لتؤكد صداقتها للبلدين .

وبالاضافة الى هذا فانها تهتم بترجمة الأعمال الأدبية لبعض زعماء العالم النامي ، ومشاهير رجاله، ولهذا نجد ترجمة بالعبرية لأشعار وكتابات الرئيس الكيني (جومو كنياتا) ، ورئيس زمبيا (كنيث كاوندا) ، والرئيس السنغالي (سنغور) وملك نيبال (ماهيندرا) ، والشاعر الغاني المشهور (اتانج) Anang ، وهناك ترجمة أيضا لأشعار أحد سفراء فنزويلا السابقين في اسرائيل ،ومعظمها يدور حول مدينة القدس .

واذا كانت اسرائيل تهتم بالسياحة ، لأنها مصدر من مصادر دخلها القومي ، فانها تهتم بالسياح لكسب الأنصار ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، فان الاعلام الاسرائيلي يؤكد على اسرائيل باعتبارها « الأرض المقدسة » ، وبهذا يخلق رأيا عاليا يجعل وجود اسرائيل مرتبطا بوجود « الارض المقدسة» . وتشترك مكاتب الوكالة اليهودية في كافة أنحاء العالم ، في تنظيم السياحة الى اسرائيل ، والدعاية لها ، وتركز على « الكيبوتزات » باعتبار انها تجربة رائدة ، فيها يعيش الفرد من أجل المجموع .

★ ★ ★

ولا تكتفي اسرائيل بهذا كله ، بل تزيد فتصدر الخبراء للدول النامية . ويقوم هؤلاء الخبراء بالعمل جنبا الى جنب مع شعوب الدول النامية ، حتى في أدنى المستويات ، وذلك سعيا وراء خلق الصلات الشخصية المباشرة مع كل طبقات الشعب. وفي هذا المعنى يقول اشكول : « ان مبعوثي اسرائيل في الاقطار الافريقية ، يعملون بتفان واخلاص

ولا يحتقرون الأشياء الصغيرة . انهم يشمرون عن سواعدهم ، ويعملون . » ويقول (يشوع راش) : « ان السود واليهود في افريقيا ، كما في اسرائيل ، يعملون معا ، وعلى ابسط مستوى في الحقل والمزرعة ، وفي مراكز الابحاث والتجارب ، وفي التمريض .. » .

وفي هذين القولين دعاية مكشوفة ، لا تغيب عن بال أحد .

هذا طرف من أوجه نشاط الاعلام الاسرائيلي .

فما هو حال الاعلام العربي ؟

وهذا موضوع يناقشه الدكتور عنبتاوي فيملحق بالكتاب ، وهو ما يدور حوله كتاب السيد عقيل هاشم .

والملاحظة الاولى على الاعلام العربي ، غيابه في الداخل ، والخارج . وليس ارتفاع الصوت في الاذاعات العربية دليلا على وجود اعلام قوى ، بل لعل الاعلام الهادىء ابعد اثرا ، وانفذ الى النفوس ، ويخيل لي أن من أسباب غياب الاعلام العربي ، عدم وجود خطة عربية جادة نحو قضية العرب الاولى : فقد اكتفت الحكومات العربية في الداخل بأن تخصص لقضيتنا الأولى الحصة الاولى في المدارس ، كلما طلع علينا صباح الخامس عشر من مايو (ايار) من كل عام !!! وهذا ما تفعله ، بالنسبة لقضيتنا ، بل وتفعل اكثر منه ، دول صديقة مثل الباكستان والصين الشعبية ، وغيرهما . وكان الأحرى بالحكومات أن تثقف بالقضية ، وتعمل من أجلها ، في كل ساعات النهار.

واذا كانت اسرائيل تبذل الجهود من أجل جذب الأجانب لزيارتها ، واكتسابهم الى جانبها ، فاننا نسأل : كم هو عدد المواطنين العرب ، لا الأجانب، من غير ابناء الاردن ، الذى قصد القدس للزيارة؟! وكم جولة نظمتها الحكومات العربية لطلاب مدارسها، لترى هذه البقعة المقدسة من وطنها ؟!



والاعلام العربي يصدر عن فرضيتين خاطئتين : اولاهما أننا ، في صراعنا مع الصهيونية ، على حق ، وتبعا لهذا لسنا بحاجة لان نشرح قضيتنا للعالم الخارجي . وقد اثبت الواقع ان الاعلام النشيط المبرمج يستطيع أن يلبس الباطل لبوس الحق . وثانيتهما : اعتبار العالم الغربي ، عالما معاديا لنا ، سواء في ذلك حكوماته وشعوبه ، وتبعا لذلك فلا فائدة ترجى منه . ولكن الواقع أن من يدرس ما يقوم به الاعلام الاسرائيلي من نشاط على مستوى حكومات هذه الدول وشعوبها، يدرك بوضوح أن اسرائيل لم تكسب أولئك القوم الى جانبها ، الا بعد أن عملت الساعات الطويلة ، على مدى سنين طويلة ، لتنقل اليهم ما تريد أن يعرفوه عنا وعنها . واذا تذكرنا أن الغرباء مشغولون بقضاياهم ومشاكلهم ، أدركنا انالمبادرة يجب أن تأتي منا ، لا منهم .



ويضع السيد عقيل هاشم في كتابه مخططا لبرنامج اعلامي صغير ، تقوم الحكومات العربية ، والاجهزة المعنية ، بتنفيذه . ويمكن تلخيص هذا المخطط في : دعم المقاومة الفلسطينية ، لأنها الوجه المشرق لنا في الخارج . وانشاء مراكز توجيهية في العواصم العربية ، بالتعاون مع الجامعة العربية ووزارات الاعلام والخارجية ، تقوم بتدريس القضية الفلسطينية ، والقضايا العربية لأولئك الذين يختارون للعمل الدبلوماسي أو الاعلامي ، بحيث تكون هناك خطة اعلامية عربية موحدة ، فلا تصدر عن هذه الأجهزة آراء متناقضة في القضية الواحدة .

ويجب أن يكون التعاون وثيقا بين البعثات الدبلوماسية العربية ، ومكاتب الاعلام ،الموجودة في بلد واحد ، أو في بلاد متقاربة ، من أجل كسب الانصار . وتوثيق الصلة بالأصدقاء القدامى والجدد ، عن طريق الالتقاء المستمر بهم وتزويدهم بما يحتاجون اليه من وثائق ، وكتب ،ومعلومات.

وللطلبة العرب في الخارج ، وهم كثر ، دور هام في ميدان الاعلام ، اذا أحسن تنظيمهم ، وارشادهم الى أحسن السبل لخدمة بلادهم .

ونستطيع أن نقول بكلمة موجزة ان دراستنا للاعلام الاسرائيلي ، وما يسلك من سبل لتحقيق اهدافه ، يمكن أن تساعدنا في وضع مخطط لاعلام عربي ، نشيط ومؤثر . ■■

محمود السمره



مِنَ الكُتُب التي وصَلتنا

الاسلام دين الفطرة والحرية

تأليف : الشيخ عبد العزيز جاويش . الناشر : دار المعارف بمصر — القاهرة .

● كتاب يتناول بالدراسة تجاوب الاسلام مع الفطرة الانسانية والحرية العقلية واثر ذلك في طبيعة الاعجاز الذى صاحب الرسول وأيد دعوته . كما تناول الكتاب تحليل العناصر التي تجعل الاسلام رسالة عامة خالدة صالحة لكل زمان ومكان كما درس مكانة الاسرة في الاسلام ، وعرض لطائفة من احكامها تكشف عن مكانة المراة في الشريعة . ثم حديث عن الحرية والاخاء والمساواة وموقف الاديان من قضية الرق . ثم جولة في اطوار الفكر البشرى بين بلاد الاغريق والشرق الاقصى واثر القرآن في تحرير الفكر . وكل ذلك مع مقدمة مستفيضة عن حياة عبد العزيز جاويش وكفاحه .

الكويت ماضيها وحاضرها

تأليف : الدكتور حسن سليمان محمود . الناشر : منشورات المكتبة الاهلية — بغداد / العراق .

● دراسة عن الكويت في ماضيها وحاضرها تعطى صورة كاملة واضحة عن الكويت ، وقد قسم الكتاب الى عشرة فصول موزعة على ثلاثة اقسام ، هي الناحية الجغرافية ، والناحية التاريخية ، والنهضة الحديثة . تناول في القسم الاول دراسة الموقع والتكوين الجيولوجي ثم معالجة الحالة الاقتصادية وطرق المواصلات والموانى وصناعة السفن ثم موضوع البترول في الكويت .

اما القسم الثانى من الكتاب فتناول الكلام عن الناحية التاريخية للكويت منذ اقدم العصور حتى الآن وقد تضمن هذا القسم فصولا ثلاثة . اما القسم الاخير من الكتاب فتناول نهضة الكويت ويتضمن ثلاثة فصول . الفصل الاول الناحية الثقافية والادبية ، اما الفصل الثاني ففي الحالة الاجتماعية ، والفصل الثالث ويتناول الحكم والخدمات وما كان عليه نظام الحكم قديما وما هو عليه الآن .

((نساء وأفاعي))

تأليف : وديع ديب . الناشر : دار الريحاني للطباعة والنشر . بيروت / لبنان .

● مسرحية شعرية تقع في ثلاثة فصول .

روحانية العلم
او فلسفة العلم والدين

تأليف : نكلا رزق . الناشر : المطبعة التجارية الحديثة / القاهرة .

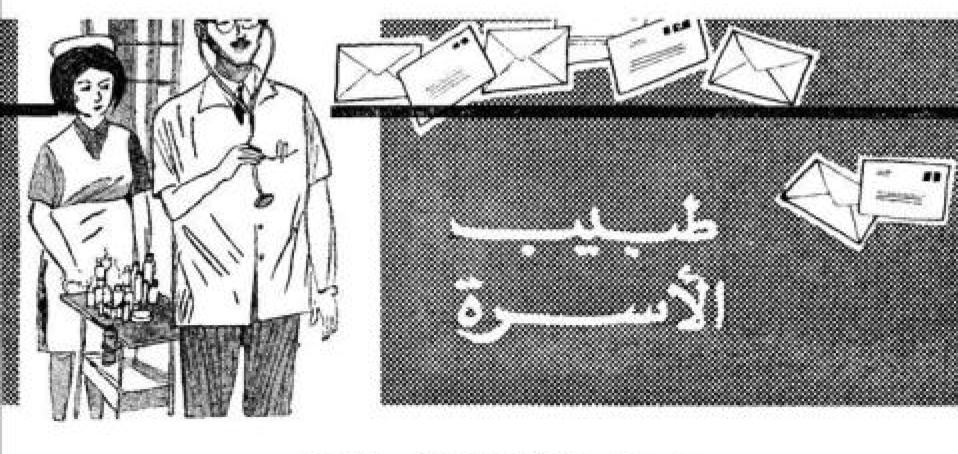
● كتاب منوع يضم معلومات متنوعة يرتكز على فهم العلاقة بين العلم والدين . والفصل الثاني يناقش العلاقة بين الجيولوجيا والدين ، والفصل الثالث يجمع ما بين البيولوجيا والدين من صله . والفصل الرابع يتناول الانسان القديم قبل الطوفان وبعده ومدنيته واكتشافاته واختراعاته وعقيدته من واقع علم آثار ما قبل التاريخ .

علم التشريح الانسانى

تأليف : الدكتور عبد الرحمن محمود الرحيم — الدكتور قيس ابراهيم خضر الدورى — الدكتور هانى طه العزاوى . الناشر : مكتبة الوعى — بغداد

● كتاب يتناول تشريح جسم الانسان والتراكيب الدقيقة لكل جزء من اجزائه . وقد قسم الكتاب الى قسمين كبيرين تناول القسم الاول التحدث عن التشريح السطحى للجسم ، ثم الجهاز الحركى . وتناول القسم الثانى دراسة الجهاز الدفاعى

(البقية على صفحة ١٥٢)



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء .
وقد بدانا في هذا منذ عدد يونيو ١٩٦٨

النمش Freckles وعلاجه

● **النمش ، كيف ولماذا يظهر على الوجه ، وهل هناك علاج له ؟**

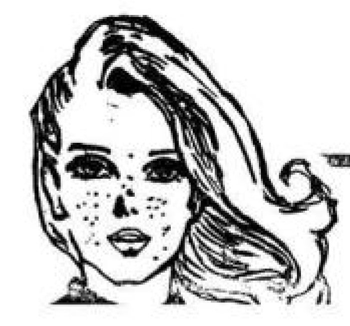
ــ هو ظهور نقط صفراء او بنية او سوداء اللون على الأجزاء المكشوفة المعرضة للشمس مثل الوجه وخاصة على الأجزاء البارزة منه مثل الأنف والخدين والأذنين ، كما يظهر على الرقبة وظهر اليدين ، كما تصاب كذلك الأجزاء المغطاة مثل الكتفين والظهر ، وهو أكثر حدوثاًفي الأشخاص ذوى البشرة البيضاء وخاصة « عبادى الشمس » الا انه قد يحدث كذلك عند ذوى البشرة السمراء ، وهو كثير الانتشار بين سكان جزيرة مالطة .

ويبدأ ظهور النمش غالبا في سن الطفولة بعد سن الخامسة كما أنه احيانا ما يظهر في سن متقدمة .

وينتج النمش نتيجة لزيادة الصبغة الموجودة في خلايا الجلد وهى مادة الميلانين Melanin نتيجة لتعرض الجلد لأشعة الشمس أو الأشعة الفوق البنفسجية أو الأشعة السينية كذلك يلاحظ زيادته في فصل الصيف وقلته في فصل الشتاء .

لذلك فانه من الدرجة الأولى في الاهمية من ناحية العلاج عدم التعرض لأشعة الشمس أو الأشعات الاخرى وخاصة في فصل الصيف وحماية الجلد بوضع المراهم الخاصة بذلك وهى كثيرة فى مستحضرات التجميل .

كما انه من الممكن علاج النمش بوضع بعض المركبات الكيماوية التى تزيل مادة الميلانين وهذه يجب استعمالها تحت اشراف أخصائى فى الأمراض الجلدية بسبب المضاعفات التى قد تحدث نتيجة لعدم استعمالها بالطريقة المفروضة ، كما أن هناك بعض الوسائل الجراحية التى تستعمل فى ازالة النمش .



الارتكاريا

● انا سيدة في الاربعين من عمري فوجئت منذ عام بنوبات من الهرش في جسمي يتلوها ظهور اورام محمرة اللون على اجزاء جسمي المختلفة ، ذهبت للطبيب فقال انها ارتكاريا وبالرغم من تناولي الدواء الذي وصفه ، عاودتني هذه الحالة .. فما هي الارتكاريا هذه وهل هناك امل في الشفاء ؟

— تتميز الارتكاريا بظهور درنات أو اورام مستديرة او بيضاوية او ليس لها شكل معين قد تكون كثيرة أو صغيرة . وغالبا ما تكون محمرة ولو أن لون وسطها يكون مبيضا . تظهر هذه الدرنات فجاة وتستمر لبضع ساعات وتختفي من منطقة لتظهر في منطقة اخرى وهكذا تنتقل من مكان لآخر في الجسم . وفي المناطق التي يكون فيها الجلد رخوا مثل حول العينين والصفن وتظهر الارتكاريا في شكل أورام مائية كبيرة .

وقد تصيب الأرتكاريا الأغشية المخاطية المبطنة للفم والمعدة والامعاء والمرارة والمثانة وفي مثل هذه الحالات تظهر على المريض اعراض تشير الى اصابة هذه المناطق مثل القيء والمغص واضطرابات المثانة .

وفي بعض حالات الارتكاريا قد ترتفع درجة حرارة الجسم .

وتستمر نوبة المرض في الاحوال الحادة بضعة أيام ثم تختفي الأرتكاريا ولكنها قد تستمر لفترة طويلة ، أو تعود بعد اختفائها كما يحدث في حالة الأرتكاريا المزمنة .

وفي اثناء نوبة الأرتكاريا الحادة او في الفترة ما بين النوبات — قد نشاهد على جلد المريض ظاهرة تعرف بال Derrо Graphism وهذا يعني انه اذا ضغطنا على جلد المريض بآلة صلبة يظهر عليه ورم أو درنة تشبه درنة الأرتكاريا ، كما ان من الممكن كتابة اى حرف او رسم اى صورة على جلد هذا الانسان . وقد تصادف هذه الظاهرة دون وجود ارتكاريا وقد تصادفها حتى في الاشخاص العاديين .

وهناك انواع اخرى من الأرتكاريا غير التي تكلمنا عنها مثل الارتكاريا غير الحبيبية وهذه كثيرا ما نصادفها في الأولاد .

والذي يحدث في حالة الأرتكاريا هو ان الشعيرات الدموية التي في الجلد تتفتح ويتسرب منها سائل الى انسجة الجلد ثم تتفتح الشرايين الدقيقة في الجلد ويزداد تسرب السائل الى الأنسجة الجلدية محدثا الدرنات أو الاورام التي تظهر على الجلد ، ويعزى تفتح الشرايين الدموية الى مادة تسمى الهستامين Histamine أو ما يشابهها .

والأرتكاريا هذه هي احد مظاهر الحساسية . تظهر نتيجة تفاعل بين مادة خارجية وبين مضاد لها داخل جسم الانسان الحساس . ولو أن عامل الحساسية هو العامل الاساسي في ظهور الأرتكاريا الا أن هناك عوامل أخرى بعضها موضعي وبعضها عام . هذه العوامل تؤهل أو تساعد على ظهور او احداث الأرتكاريا في الانسان الحساس .

فمن العوامل الموضعية مثلا التعرض لبعض النباتات — لدغ أو قرص بعض الحشرات ، احتكاك الملابس أو لمس بعض المواد الكيماوية والأصباغ ، التعرض للضوء او البرد او الحرارة وعوامل اخرى . ومن العوامل العامة تناول بعض انواع الأطعمة كالبيض والسمك والجبن والفراولة والموز والشيكولاتة وما الى ذلك او لبعض الأدوية كالاسبرين والسلفا والبنسلين او مواد التطعيم ضد بعض الأمراض .

وقد تظهر الأرتكاريا بعد عمل حقنة شرجية . أو تظهر اذا كان الانسان حاملا لبعض الديدان أو اذا كانت هناك بؤرة



طفلي يعاني من ((ضب))

● **لى طفل بلغ الخامسة من العمر يعانى من « ضب » بشوه منظر وجهه فهل هناك علاج لذلك ؟**

ـ كما ان التقدم والرقى لهما محاسن ومزايا فلهما كذلك مساوىء واخطاء .
فالرقي جاء لنا بالذات بانواع من الطعام طرية وقضى على الاكل اليابس مما لايحتاج لحركة ونشاط عضلات الفكين وينتج عن هذا اختلاف نمو الفكين من الحجم الطبيعي الى ضيق في الفك العلوى ونقص في نمو الفك السفلى، كما أن بعض العادات التى يمارسها الطفل مثل امتصاص الاصابع او العض على القلم او العض على غطاء الفراش اثناء النوم كل هذا قد يؤثر على الاسنان العلوية وينتج عنها بروزهذه الاسنان في الاتجاه الذى تضغط اليه ـ كما انه اثناء البلع او التنفس في بعض حالات الاطفال الذين عندهم التهاب دائم بالحلق واللوز ، او حالات الجيوب الانفية هذا كله يجعل الطفل يخرج لسانه الى الخارج عند البلع . اما في حالات صعوبة التنفس من الانف فيضطر الطفل الى التنفس من الفم ممايتنج عنه دفع اللسان الى الخارج في كل مرة ضاغطا الاسنان الامامية العلوية الى الخارج وينتج عنها ظهور الضب العلوى .

ولهذا يجب على الوالدين عند ملاحظة ان طفلهما يتنفس من الفم او يخرج لسانه عند البلع خارج الاسنان او يقوم بامتصاص اصابعه ان يقوما بعرضه على اخصائي لتقويم الاسنان حتى يمكن عمل اللازم له قبل ان تصبح مشكلة دائمة له سواء من مظهرها او صعوبة مضغ الطعام او الحالات النفسية التى ينتج عنها ، اما في الحالات التى قد ظهرت وفات الاوان على الوالدين حتى أصبح الطفل عمره عشر سنوات او اكبر ففي الامكان علاجه بواسطة تحريك هذه الاسنان من العظم الى مكانها الطبيعي وهذا يتطلب علاجا خاصا لمدة عام او اكثر عند اخصائي التقويم وقد يتطلب خلع بعض الضروس حتى يمكن ارجاع الاسنان البارزة الى مكان المخلوع منها .

تلوث في الجسم واهم هذه البؤرات الأسنان . واللوزتان . الجيوب الانفية . الأعور . المرارة . وغيرها، كما ان الحالة النفسية للمريض وبعض الأمراض المعروفة كامراض الكبد والكلى وامراض الدم والبول السكرى وامراض الغدد الصماء . كما تحدث فى سن اليأس واضطرابات الطمث الشهرية . كل هذه قد تتسبب في ظهور صور من الأرتكاريا لا تشفى بالعلاجات المعروفة ، الا اذا اكتشف السبب وعولج .

وعلاج حالات الأرتكاريا الحادة لايتطلب اكثر من الراحة في الفراش مع تفريغ الامعاء والامتناع عن بعض انواع الأطعمة والأدوية. هذا الى جانب بعض الأدوية التى يصفها الطبيب. اما في الأحوال المزمنة او المتكررة في مثل حالة المريضة السائلة فيجب البحث عن السبب وعلاجه وقد نلجأ الى عمل اختبارات الحساسية للوصول الى المادة المسببة للارتكاريا .

التَّنْوِيمُ

بقلم : الدكتور مصطفى أحمد فهمي

استاذ ورئيس قسم الصحة النفسية بجامعة عين شمس

النظرية (المزمرية) :

■ يعتبر التنويم المغناطيسي علما حديث النشأة ، اذ يرجع الى اواخر القرن الثامن عشر ، حين قام الطبيب النمساوى « انطون مزمر Anton Mesmer » (١٧٣٤ – ١٨١٥) بتقديم نظريته عن المغناطيسية الحيوانية ، والتى تتلخص في وجود قوة غامضة تنبعث من أجسام بعض الرجال ، وأن لهذه القوة تأثيرا علاجيا على المرضى . والفرق بين المغناطيسية الكامنة بقضيب من الحديد والمغناطيسية الحيوانية ، أن الاخيرة يمكن اكتسابها عن طريق الارادة وقوة التأثير .

كان (مزمر) يعتقد أن في يديه قوة مغناطيسية، يمكن انتقالها الى مرضاه عن طريق تمرير أصابعه على منطقة الالم ، فيشفى المريض من علته . ولقد صادف هذا الاسلوب العلاجي نجاحا كبيرا ، وصفه (مزمر) بانه علاج قاطع للمرض ، شاف من غوائله الى درجة مذهلة تبعث على الاعجاب ، وترتب على ذلك أن ذاع صيته فزاد الاقبال عليه التماسا لخدماته العلاجية ، مما جعله يقدم نوعا من العلاج الجمعى ، رغبة في اختصار الوقت . وكانت وسيلته في ذلك ، انه كان يضع في قدر كبير مملوء بسائل ممغنط عددا من القضبان يتناول واحدا منها فيلمس به احد المرضى ، ثم يتناول قضيبا آخر فيلمس المريض الذى يليه وهكذا .

اتهام (مزمر) بالشعوذة

نتج عن هذه التصرفات والوسائل غير العلمية ، ان كلفت الحكومة الفرنسية في عام (١٧٨٤) لجنة من العلماء لفحص بعض الحالات التى كان



انطون مزمر كان يضع عددا من القضبان فى قدر كبير مملوء بسائل ممغنط ثم يتناول قضيبا منها يلمس به أحد المرضى،مدعيا بذلك انه يشفيه من مرضه

نشأته

المغناطيسي : وتطوره التاريخي

استخدام التنويم في الأمراض النفسية

استخدام التنويم في الأمراض الجسمانية

(مزمر) يقوم بعلاجها ، فكان أن أصدرت هذه اللجنة حكمها عليه بالشعوذة ، وبان شفاء بعض مرضاه لا يرجع الى تأثيرات مغناطيسية ، بل الى عوامل فسيولوجية .

« جيمس بريد » ونظريته في التنويم

وفى عام (١٨٤١) اتجه الطبيب الانجليزى « جيمس بريد » « James Braid » بالتنويم المغناطيسي اتجاها جديدا ، يتضح من المفهوم اللغوى لكلمة Hypnotism المشتقة من اللفظ اليونانى القديم Hypnos ومعناه النوم Sleep .

كان « بريد » «Braid» اول من اكتشف انه من الممكن وضع انسان ما ، في حالة نوم ، او في حالة نشوة او غيبوبة Trance ، كما كان يطلق عليها ، اذا ما اتبعت الخطوات التالية :

× الايحاء الى النائم بانه متعب وانه سرعان ما يفقد السيطرة على اعضاء جسمه .

× خلو الحجرة من اى مؤثرات خارجية .

× يطلب منه التحديق في شيء مضيء حتى تتعب عيناه .

× امرار اصابع المنوم ببطء امام عيني المنوم .

× تكرار العبارات التى توحى له بالتعب ، كان نخاطبه بقولنا :

« انت عينك تعبانة ... اقفل عينك اذا كنت تشعر بتعب ..

سوف تشعر بالتعب .. ستفقد السيطرة على اطرافك » ...

والخلاصة انه عندما يصل المنوّم الى حالة النشوة السابق الاشارة اليها ، يستطيع المنوّم ان يوحى اليه ، بما يشاء من آراء وافكار تفيد في عملية العلاج .

« فرويد » والتنويم

استخدم « فرويد » التنويم المغناطيسي في علاج الامراض النفسية وخاصة الشلل الهستيرى [1] وذلك بعد دراسات طويلة في مدرسة (شاركوه Charcot) بباريس .

وقد كانت طريقته في ذلك ، ان يوحي للمريض اثناء النوم انه سليم وان مشكلته انما ترجع الى علة نفسية اكثر منها عضوية ، وانه يتخذ من هذا القصور وسيلة دفاعية تساعده على التغلب

(١) في حالة الشلل الهستيرى ، يكون العضو المصاب سليما من الناحية التشريحية (العضوية). ومن أمثلة ذلك الجندى الذى يصاب بالشلل في أصابعه عندما تصدر له الاوامر باطلاق النار في ميدان القتال ، وقد اثبتت الدراسات التشريحية في بعض الحالات ان التعطيل في العضو الذى يستعمل للضغط على زناد البندقية انما يرجع الى علة نفسية اكثر منها عضوية .

على موقف لا يرغب فيه ، او للخلاص من مازق حرج دفعته الظروف اليه .

الا ان « فرويد » بعد ممارسات متكررة استخدم فيها التنويم في علاج الشلل الهستيري ، لاحظ ان الشفاء الذي يتم في هذه الحالات انما هو شفاء مؤقت يزول اثره بعد حين ، فيعود الاضطراب بشكل آخر ، او يعود المريض الى حالته الاولى . كل ذلك كان دافعا قويا « لفرويد » للبحث عن وسيلة اخرى للعلاج تكون اكثر نجاحا . وقد أدى به هذا البحث الى اقامة نظريته في التحليل النفسي ، وهو اسلوب علاجي يختلف اختلافا كبيرا عن التنويم ، حيث يستهدف التحليل البحث عن مصدر الاضطرابات في الصدمات الانفعالية والخبرات والدوافع المكبوتة في الطفولة المبكرة .

استخدام التنويم في مجالات غير العلاج النفسي

يستخدم التنويم على نطاق واسع في المجالات التالية ، يقوم العلاج في حالة التنويم بزيادة قبول الايحاء من المنوم والتأثير عليه بفكرة معينة ، ومجالات العلاج كثيرة منها :

التخدير :

يستفاد بالتنويم المغناطيسي في عملية التخدير كبديل ، وان كان هذا لا يحدث الا نادرا . ويروى لنا احد الجراحين انه استخدم التنويم كمخدر قبل اكتشاف التخدير الكيمائي . وقد استخدمه في ٣٠٠ جراحه كبرى ، بينها حالات بتر ، وقد ظل بعضهم في سبات عميق طيلة العملية وكانهم جثث لاحراك بها .

ومن مزايا استخدام التنويم المغناطيسي في عملية التخدير كبدبل للبنج ، انه يفيد في حالة بعض المرضى الذين لا يمكن تخديرهم بالبنج بسبب مرض سابق او لوجود معوقات عضوية .

على ان للتنويم المغناطيسي مثالبه في هذا المجال، فهو قد لا يجدى مع الجميع ، كما ان هناك احتمالا أن يفيق المريض اثناء العملية ، وهذا امر له خطورته .

أمراض النساء

قد ينجح التنويم المغناطيسي في التحكم في الحيض ، اما بتأخيره بضعة ايام او بتفويت احدى الدورات . وهناك تقارير تشهد بأن العلاج عن طريق التنويم قد نجح في تغيير دورة الحيض من ثلاثة اسابيع الى اربعة اسابيع ، وذلك بصفة مستمرة دامت اكثر من عامين ونصف . وثمة تقارير اخرى تشهد بفضل التنويم المغناطيسي في حالة الحيض المصحوب بالم ، وكذا في حالة توقف الحيض . ويتم كل ذلك عن طريق الايحاء الى المريض بأفكار معينة اثناء عملية النوم .

السرطان

قد يدعو ادراج مرض عضوى بحت كالسرطان تحت هذا البحث الى الدهشة ، ولكن استخدام التنويم المغناطيسي في هذا المرض له وظيفته الهامة . اذ يفيد الايحاء اثناء التنويم في تخفيف حدة الم المصاب . وقد قدمت تقارير عدة تشهد بما يقدمه التنويم المغناطيسي من راحة لاولئك المرضى في الوقت الذى اخفقت فيه العقاقير في انواع شتى من السرطان ، مثل سرطان الثدى وسرطان الرحم وسرطان المعدة . ومما لاشك فيه ان هناك عدة مزايا لاستخدام التنويم في حالات السرطان من اهمها :

- × تقليل كمية الادوية المتعاطاة .
- × تخفيف الالم .
- × تخفيف الانقباض النفسي .
- × اطالة الحياة .
- × تسهيل الموت عند وقوعه .

ويجدر بنا أن نشير هنا ، ان خفة حدة الالم ، انما ترجع الى (الخدر المغناطيسي) اكثر من رجوعها الى خفة حدة المرض ، والدليل على ذلك ما كان من عودة الالم عندما كان التنويم المغناطيسي يوقف فجاة ..

الصرع

للتنويم المغناطيسي اثر في علاج الجانب النفسي للصرع والذى يرجع اساسا الى تلف يصيب المخ، اذ يخفف من حدة عامل يزيد من مرات حدوث التشنجات اثناء نوبة الصرع . وبلوغا لهذه الغاية ينبغي على الطبيب المعالج ان يتفهم بعض افكار المصابين بالصرع ، ذلك ان المصاب بالصرع يعتقد انه شخص تعس ، وانه لايستطيع ، او لا

يصلح له ان يتزوج ، وانه ان تزوج وقع اطفاله فريسة لهذا المرض ، وان التشنجات ، اذ تتقدم السن ، لا بد زائدة ، وان صحته ستتدهور كثيرا . على ان الحقائق العلمية تدحض كل هذه الظنون ، فان المصاب بالصرع يستطيع الزواج وليس من الضروري ان يصاب ابناؤه بالصرع ، وكلما تقدمت به السن قلت هذه التشنجات .

وما دام مريض الصرع نهبا للوساوس والاوهام، الامر الذي يسلبه الطمانينة النفسية ، فلا بد من اعادة توجيه افكاره وتخفيف حدة توتره ، سواء بالتنويم المغناطيسي او بغيره من وسائل العلاج النفسي ، وبذا تقل التشنجات او قد تزول تماما .

ادمان الكحوليات

للادمان اسباب مختلفة ، منها : تخفيف الالم او التخلص من آلام الوحدة ، او للتعويض عن الشعور بالنقص او لنسيان بؤسه او للرغبة في ان يكون اجتماعيا او للتغلب على الارق .

وعندما يلجا الى التنويم المغناطيسي لاغراض علاجية ، فمن الصواب ان تبذل المحاولات لمعرفة السبب الكامن وراء الادمان ، ثم يوحى الى المدمن انه لن يعاود الشراب . وقد يعقب هذا الايحاء ان يصير طعم الشراب لديه كريها ، أو أن يصيبه غثيان يصرفه عنه .

طب الاسنان

يلعب التنويم المغناطيسي دورا كبيرا في طب الاسنان ، فقد استخدم اطباء الاسنان الايحاء في عملهم منذ عام ١٨٣٧ .

ولا يستعمل التنويم في طب الاسنان هذه الايام كبديل للمواد الكيمائية المخدرة فحسب ، بل لخدمة اغراض شتى ، فهو يهدىء المريض المرتاع ، ويزيل الخوف من ابرة البنج في يد جراح الاسنان ، ويساعد على ابقاء الفم مفتوحا ، كما يعمل على استرخاء عضلات الوجه ، وبهذا ينفسح المجال للطبيب كي يزاول جراحته . وحتى اذا استعمل البنج ، فان اللجوء الى التنويم المغناطيسي قد يقلل الكمية المطلوبة منه . وفي كل هذه الاحوال يخف شعور الضغط على كلا المريض والطبيب . زد على ذلك ان الطبيب قد يستطيع ، اذ يلجا الى التنويم ، ان يوحى الى المريض بشعور من الراحة والطمانينة يصاحبه طويلا بعد الانصراف من عنده .

الارق

الشكوى من الارق شكاية عامة . ويلجا المصابون الى استخدام الحبوب المنومة ، وتزيد الحاجة الى مزيد من الحبوب رويدا رويدا ، الامر الذي يترتب عليه الخوف من الادمان على العقاقير او عدم تاثيرها بمرور الايام .

وعلى الرغم من ان التنويم المغناطيسي لا ينجح على الدوام في علاج الارق ، فانه يمتاز بخلوه من مخاطرة الادمان .

وقد دابت بعض المستشفيات اثناء الحرب العالمية الثانية ، على علاج الارق بالتنويم الجماعي بالعنابر ليلا ، وبذلك انخفضت كمية العقاقير المستهلكة ، بل واستطاعت ان تستاصل شافة الارق في بعض الحالات .

الولادة

ليس استخدام التنويم في الولادة بالشيء الجديد . وقد يستلزم الامر اللجوء الى هذه الوسيلة في حالة وجود اسباب تمنع من استخدام مخدر كيمائي كحالة ام مصابة بشلل في العمود الفقري او بسبب صعوبة التنفس الذي ينجم جزئيا من وضع الجنين .

وقد نما الى علمنا ان طبيبا قام باربعمائة عملية ولادة في السنتين الاخيرتين مستعينا بالتنويم المغناطيسي وهو يقرر ان من اهم فوائده ما يلي :

× تخفيف آلام المخاض الكاذبة ، بل والتخلص منها كلية .

× التقليل من المخاوف حول عملية الوضع .

× ضمان درجة اكبر من التعاون من جانب الام يفوق تعاونها في حالة المخدر الكيمائي .

× التخفيف من آلام الولادة او القضاء عليها كليـة .

× ضمان درجة اكبر من السلامة بالنسبة للام والطفل .

على ان هناك ما يحد من قيمة التنويم المغناطيسي في عمليات الولادة ، اذ لا يمكن استخدامه في جميع الحالات . ■

الكويت — مصطفى فهمي

طرائف عربية

عجوز عربية لاتتكلم الا بالقرآن

● جلست عجوز عربية لاتتكلم الا بالقرآن الى جذع شجرة في طريق الحج فاقبل عليها عبد الله ابن المبارك ، وهو في طريقه الى الحج ، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها : السلام عليكِ ورحمة الله ـ قالت : سلام قولا من رب رحيم

فقال لها : ماذا تصنعين هنا ؟ قالت : ومن يضلل الله فلا هادى له

فسألها عن وجهتها

ـ قالت : سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

فقال لها وكم لبثت هنا ؟

ـ قالت : ثلاث ليال سويا .

فقال لها واين طعامك ؟

ـ قالت : هو يطعمني ويسقين .

فقال لها واين ماء الوضوء ؟

ـ قالت : فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبـا .

فقال لها هذا طعام فكلى ؟

ـ قالت : ثم اتموا الصيام الى الليل .

فقال لها ليس هذا شهر رمضان ؟

ـ قالت : ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم.

فقال لها ورخصة الافطار فى السفر ؟

ـ قالت : وان تصوموا خيرلكم ان كنتم تعلمون.

فقال لها تكلمى بمثل لهجتى ؟

ـ قالت : مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد.

فقال لها ومن اى القبائل انت ؟

ـ قالت : لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا

فقال لها سامحينى فقد اخطأت

ـ قالت : لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم

فقال لها اتدركين القافلة على ناقتى ؟

ـ قالت : وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

فقال لها اركبى ، وقد اناخ الناقة

ـ قالت : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ، وسبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون .

ولما اخذ بزمام الناقة وصاح

ـ قالت : واقصد فى مشيك واغضض من صوتك

ولما اخذ يمشى الهوينا ويهزج ويحدو

ـ قالت : فاقرأوا ما تيسر من القرآن

ولما قال لها يا خالة هل لك زوج

ـ قالت : يا ايها الذين امنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم

بين المهدى

● كان عمارة بن حمزة مشـهورا بالكبرياء والاعتداد بالنفس ، فدخل على المهدى يوما ، ولما اطمأن به المقام نهض رجل كان المهدى اوعز اليه بالتهكم على عمارة وقال : مظلوم يا امير المؤمنين :

قال المهدى : ومن ظلمك ؟

قال الرجـل : عمارة هـذا غصبنى ضيعتى .

● قال عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه : يا أبت مالك لا تنفذ الامور، فو الله ما ابالي لو ان القدور غليت بي وبك في الحق . قال له عمر ، لا تعجل يا بني ، فان الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في المرة الثالثة . وانا اخاف ان احمل الحق على الناس حملة ، فيدفعوا جملة ، ويكون من ذلك فتنة .

ولما ادركوا القافلة سالها : هل من ولد او قريب يمت لك فيها ؟

فقالت له : المال والبنون زينة الحياة الدنيا

ولما سالها : وما عمل اولادك في القافلة .

فقالت له : وعلامات وبالنجم هم يهتدون « اى ادلاء القافلة » .

ولما سالها : عن اسماء اولادها قالت : واتخذ الله ابراهيم خليلا ، وكلم الله موسى تكليما ، يا يحيى خذ الكتاب بقوة .

ولما نادى عليهم باسمائهم لبوا مسرعين وقالت لهم : فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه .

ولما جاءوا بالطعام قالت لابن المبارك : كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية .

والى هنا انتهى هذا الحوار الممتع ، وقال اولادها لابن المبارك : ان امهم هذه تتكلم بالقرآن منذ اربعين سنة .

وعمارة بن حمزة

فقال المهدى : قم واجلس مع خصمك يا عمارة .

قال عمارة : يا امير المؤمنين ليس هذا خصمي ؟ فان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها ، وان كانت لى ، فقد وهبتها له ، ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين .

أقوال مأثورة

* معاشرة ذوى الالباب عمارة للقلوب .
* أحي معروفك باماتة ذكره ، وعظّمه بتصغيرك اياه .
* وعد الكريم تعجيل ، ووعد اللئيم مَطل وتسويف .
* لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا .
* القلم يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكت واقفا ، وينطق ساكتا ، على ارض بياضها مظلم وسوادها مضيء .

وليها الاشج فعدل

● قدم رجل من خراسان علي عمر ابن عبد العزيز حين استخلف فقال : يا امير المؤمنين اني رايت في منامي قائلا يقول : اذا وليها الاشج من بني امية يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . فولى الوليد فسألت عنه ، فقيل لي ليس باشج . ثم ولى سليمان فسألت عنه فقيل لي ليس باشج . ثم وليت انت . فكنت الاشج فقال عمر : اتقرأ كتاب الله ؟

قال : نعم ، قال فبالذى انعم به عليك، احق ما اخبرتني ؟ قال : نعم .

فأمره ان يقيم بدار الضيافة ، فمكث نحوا من شهرين ، ثم ارسل اليه عمر ، فقال : هل تدرى لم احتبسناك ؟

قال : لا .

قال : ارسلنا الى بلدك لنسأل عنك ، فاذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء . فانصرف راشدا .



هيرتسل وتوطين اليهود فى فلسطين

● هل حقيقى أن تيودور هيرتسل احد الاربعة الذين اشتركوا فى وضع البذور الاولى للفكرة الصهيونية لم يكن يتمسك بأرض فلسطين بالذات كمكان لوطن قومى فلسطينى ؟

نبيل شاكر ـ الجزائر

ـ تيودور هيرتسل بدأ حياته صحفيا وهو صاحب الكتاب المعروف « الدولة اليهودية » ، وفيه يرى أن اليهود يكونون شعبا واحدا ، وأن الحل الوحيد لمشاكلهم هو تمسكهم بقوميتهم وسعيهم الى اقامة دولتهم .

وقد بذل هيرتسل جهودا دبلوماسية كثيرة فى سبيل تهجير اليهود الى فلسطين وتوطينهم فيها وباءت جهوده كلها بالفشل . والجدير بالذكر هنا انه نجح فى مقابلة السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى فى ١٧ مايو ١٩٠١ بصفته صحفيا يهوديا

ايزنهاور المقاتل الذى دعا الى السلام

● مات ايزنهاور الرئيس الامريكى الأسبق ، والقائد العسكرى الكبير ، فهل لكم ان تقدموا لنا نبذة قصيرة عن حياة هذا الرجل ؟

رجب محمود / البصرة ـ العراق

ـ قال عنه تشرشل : « لقد كره السياسة ومن اجل ذلك كسب احترام العالم وتقديره !! »

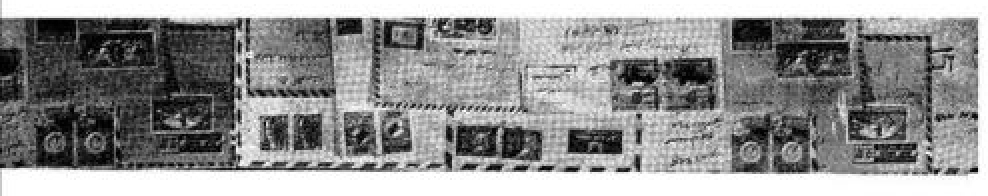
وقال عنه الفيلد مارشال مونتجومرى : « انه اعظم قائد عسكرى التقيت به فى حياتى ، فقد كان يسعى الى السلام ، رغم انه كان يحمل اقوى مدفع فى الميدان ! »

اما هو فقد قال عن نفسه : « لقد شاء القدر ان البس السترة العسكرية ، وان اجلس على اكبر مقعد فى بلادى ، ولكننى لست سوى مواطن مخلص يتفانى فى خدمة وطنه ! »

ولد دوايت ايزنهاور Dwight Eisenhower الضابط فى الجيش الامريكى ثم القائد الاعلى لقوات الحلفاء فى اوربا ابان الحرب العالمية الثانية ثم الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة ، يوم ١٤ اكتوبر عام ١٨٩٠ ، بمدينة دينسون بولاية تكساس لأسرة فقيرة ، فقد كان ابوه عاملا بسيطا فى السكك الحديدية . وكان ايزنهاور او « أيك » كما اسموه فيما بعد ، ثالث اكبر ابناء الاسرة السبعة وكلهم ذكور . ولم يكن تلميذا متفوقا فى دراسته الثانوية ، اذ كان مستواه فوق المتوسط بقليل ..

كان شابا رياضيا عشق كرة القدم «والبيسبول» ولكنه لم يكن طموحا ، فقد كانت كل امنيته بعد ان تخرج من الاكاديمية العسكرية فى «وست بوينت» ان يصل الى رتبة كولونيل قبل ان يحال الى التقاعد .

وفى عام ١٩١٦ ، التقى الملازم ايزنهاور بفتاة



بارزا . ولكن السلطان العثماني لم يعطه فرصة لبحث موضوع تهجير اليهود الى فلسطين ، وعاد هيرتسل الى مقابلة السلطان مرتين آخريين في فبراير ويوليو ١٩٠٢ وعرض هيرتسل على السلطان ان تمنح تركيا حقوقا للهجرة الى فلسطين مقابل ان تقوم الصهيونية العالمية بتسديد ديون تركيا ولكن السلطان العثماني رفض هذا العرض .

ولما راى هيرتسل انه من العسير فتح ابواب فلسطين امام اليهود ، اخذ يفكر في هجرة اليهود الى قبرص ثم تحول بفكره الى دراسة المشروع الذى عرضته عليه بريطانيا في اكتوبر ١٩٠٢ والذى عرف باسم « مشروع العريش » ولكن الحكومة المصرية رفضت المشروع .

وتقدم « جوزيف تشمبرلين » وزير المستعمرات في ذلك الوقت لهيرتسل بمشروع آخر عرف باسم « مشروع اوغندا » وقبل هيرتسل المشروع ولكنه فشل في اقناع زعماء الصهيونية الآخرين بقبول هجرة اليهود الى شرق افريقيا .

ومن ذلك يتضح ان «هيرتسل » اخفق في تمسكه بفلسطين فوجب عليه أن يتحول .

(م . ط)

والسياسي الذى كره السياسة

جميلة تدعى مامي جنيفا دود Mamie Geneva Doud وهي ابنة رجل اعمال ناجح ، وتزوجها بعد حب قصير وانجب منها ولدين ، مات احدهما بالحمى القرمزية ، وهو طفل لم يتجاوز الرابعة وعاش الثاني ..

ولقد لعب ايزنهاور دورا هاما في الحرب العالمية الثانية عندما اختاره الجنرال جورج مارشال ،



رئيس هيئة اركان حرب القوات الامريكية ،مساعدا لرئيس العمليات الحربية في الاركان . وبحكم هذا المنصب الجديد ، استطاع « أيك » ان يساهم في وضع خطة غزو اوربا في عام ١٩٤٢ ، بعد انقضاء بضعة اشهر على كارثة بيرل هاربور . ثم طار الى لندن ليبحث خطة الغزو هذه مع المسئولين البريطانيين ، دون ان يعلم انه سيعود اليها بعد اسابيع قلائل كقائد اعلى لقوات الحلفاء في اوربا.

ويقول المراقبون العسكريون للتاريخ،ان ايزنهاور استطاع بما اوتي من صفات قلما وجدت في امثاله من القواد العسكريين ان يقضي على الخلافات والانقسامات التي كانت قائمة بين الحلفاء ، وان يجمعهم في صف واحد امام الخطر المشترك .. فقد كان « ايك » رجلا امينا مخلصا متواضعا بسيطا في كل تصرفاته ، كما كان مؤمنا بالقضية التي يحارب من اجلها رغم كراهيته للحرب وما يكتنفها من ويلات وآلام .. حتى لقد قال يوما : « تمنيت لو اننا كسبنا هذه المعركة دون ان نطلق رصاصة واحدة ! »

وقد التقى ايزنهاور بالقائد الانجليزى الفيلد

مارشال مونتجومرى في عام ١٩٤٢ عندما قاد الجنرال الامريكي شخصيا حملة الغزو الناجحة ضد قوات روميل في شمال افريقيا ، وقت ان كانت جحافل النازى تتقدم صوب الاسكندرية . ووسط دوى المدافع ، وازيز الطائرات ، سمع ايزنهاور لاول مرة اصدقاءه العسكريين وهم يتساءلون : « لماذا لاتصبح رئيسا للولايات المتحدة ! » ويومها سخر الرجل من حديثهم ، دون ان يدرى ان القدر قد اعده ليقود بلاده بعد ذلك بعشر سنوات !

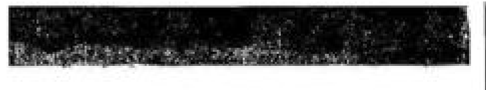
فما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها وما كاد ايزنهاور يترك الخدمة العسكرية في عام ١٩٤٨ ، ليصبح رئيسا لجامعة كولومبيا ، حتى بدأت نبوءة اصدقائه تتحقق .. فلم تنقض اربع سنوات حتى كان « ايك » الرئيس الرابع والثلاثين لامريكا .

ولم يكن غريبا ، وهو يقود حملته الانتخابية ضد المرشح الديموقراطى ادلاى ستيفنسون ، ان يكون اول شيء يتحدث عنه « رجل الحرب » ،هو السلام .. وقف يومها يعد امهات امريكا باعادة ابنائهن من كوريا .. وكانت الحرب الكورية وقتها تدور سجالا بين قوات الحلفاء من جانب ، وقوات كوريا الشمالية من ورائها الصين من الجانب الاخر .

وانهى ايزنهاور الحرب فعلا واعاد ابناء امريكا وحلفائها الى امهاتهم وزوجاتهم بعد مجيئه الى البيت الابيض باشهر قليلة .

هذاهو ايزنهاور الذى جلس على كرسى الرئاسة في امريكا ثماني سنوات كاملة ، لقد طلبوا اليه ان يعدل الدستور ليعيدوا انتخابه لمدة اربع سنوات اخرى ، فرفض تاركا المجال لغيره .. لقد كره ايزنهاور الحرب وبالرغم من ذلك اصبح قائدا عسكريا .. وكره السياسة .. وبالرغم من ذلك اصبح رئيسا للولايات المتحدة الامريكية ..

(م . ن)



● من الذى اكتشف القطب الشمالي ومتى اكتشف !!

عدنان احمد ــ دمشق

ــ تاريخ البشرية مليء بمحاولات عديدةلاكتشاف القطب الشمالى ، ويعود تاريخ هذه المحاولات الى القرن الرابع قبل الميلاد حين قام الرحالة اليونانى « بيثياس » Pytheas برحلة بحرية من البحر المتوسط الى بريطانيا ومنها الى مكان اسماه ثول Thule ، قال عنه انه نهاية العالم . (عرف بعد ذلك ان المكان الذى وصل اليه بيثياس لم يكن الا ايسلندا والنرويج في المنطقة القطبية) .

وفى القرن التاسع بعد الميلاد قام الفايكنج بالاستيطان في ايسلندا ومن هناك قاموا برحلات استكشفوا فيها جرينلاند Greenland .

وفي القرن السادس عشر بدأت رحلات لاكتشاف طريق بحرى للملاحة بين الشرق والغرب عن طريق القطب الشمالى وذلك لتشجيع التجارة بين بريطانيا والشرق . ولكن هذه الرحلات فشلت ونتيجة لذلك خفت الحملات الى المنطقة القطبية. وفي عام ١٧٧٣ قام الكابتن الانجليزى فيبس C.J. Phipps برحلة اكتشف فيها سبتسبرجن Spitsbergen ، وبعدها قامت رحلات كثيرة ولكن لم يتمكن اى واحد من المكتشفين من الوصول الى القطب الشمالى .

وفي عام ١٨٩٣ قام المكتشف النرويجى فريد تجوف نانسن Fridtjof Nansen ، ومعه

السفسطة

● من هم السفسطائيون ، وما هى السفسطة ، وهل هى الفلسفة نفسها ام انها مذهب من مذاهبها ؟

سلمى عثمان ــ الخرطوم

ــ السفسطائيون هم جماعة من المفكرين المعلمين ، ظهروا في اليونان في الزمن القديم ، ونشطوا في اثينا ، سيدة مدن الاغريق ، في القرن

زميلـــه أوتو سفـــردروب Otto Sverdrup بتجهيز باخرة اسمياها « فرام » Fram وابحرا بها الى سپتسبرجن ومنها على الزحافات حتى وصلا الى خط طول ٣٠ ١٣ ٨٦ شمالا .. وبعد هذه الرحلة التى استمرت ٣ سنوات عُرف ان القطب الشمالى يقع في البحر .

اما اول من وصل فعلا الى القطب الشمالى فهو الأمريكى روبرت بيرى Robert E. Peary وذلك بعد عدة رحلات بدات من عام ١٨٩١ . وفي رحلته الخامسة في عام ١٩٠٨ بدأ بيرى في رحلة بالزحافات من راس كولومبيا Cape Columbia ووصل الى القطب الشمالى في عام ١٩٠٩ وكان معه عند وصوله الى القطب ماتيوهنسن Matthew Hansen وهو زنجى امريكى كان يقوم بقيادة كلاب الزحافة ، وثلاثة رجال من الاسكيمو .

وفي نفس العام ادعى رحالة آخر اسمه فريدريك كوك Fredric Cook ، انه وصل الى القطب عن طريق شمال جزيرة اكسل هايبرج Axel Heiberg ، ولكن ادعاءه لم تثبتــه المستندات التى تقدم بها .

اما اول من وصل الى القطب بطائرة فهو ريتشارد بيرد R. Byrd ، ومعه قائد الطائرة فلويد بنيت F. Bennet ، حيث طارا من سپتسبرجن الى القطب وعادا في نفس اليوم في ٩ مايو ١٩٢٦ . (م . ط)



خريطة تبين منطقة القطب الشمالى وبعض رحلات الاستكشاف التى تمت من عام ١٨١٢ ويظهر على الخريطة ايضا رحلة بيرى في عام ١٩٠٩ والتى كانت اول رحلة تصل الى القطب .

والسفسطائيون

الخامس قبل المسيح .

واشتهر السفسطائيون في انهم احترفوا التعليم، وانهم علّموا من علموا لقاءً المال . وهذا يعني انهم لم يلبثوا ان اصبحوا اساتذة ابناء الطبقة الغنية القادرة على دفع اجورهم .

وقد لا يجد الواحد منا في هذه الايام غضاضةً في تقاضي المعلمين الاجور والمرتبات . الا ان الامر كان مختلفا في زمن اليونان . فقد درج الاغريق على عدم اعتبار التعليم سبيلاً لكسب المال ومهنةً كسائر المهن ، ودرج المعلمون فيهم بالتالى على عدم طلب المال وعلى عدم قبوله لقاء تعليمهم النشء. لذلك لم يكن غريبا ان يحمل افلاطون على السفسطائيين حَمْلته الشديدة في جمهوريته وسائر محاوراته . فهم في نظره قد تاجروا بالمعرفة وداسوا حرمتها واستحقوا لذلك نقده ونقمته .

على ان حملة افلاطون على السفسطائيين قد بعثت عليها اسبابا اخرى ، لعلها اهم من السبب

الذى ذكرنا . فالمنهاج الذى التزموه ، والهدف الذى سعوا اليه في تدريسهم الشباب ، قد عرضهم لنقد افلاطون وغير افلاطون . فقد علموا الطلاب الخطابة والبيان ودربوهم على الجدل والمناقشة ، وما الى ذلك ، ليس فقط بقصد تأهيلهم لنيل حقوقهم في المحاكم والمجالس الادارية التى قامت عليها حينئذ انظمة اثينا الديمقراطية. فهم استهدفوا ذلك بقدر ما استهدفوا تأهيل تلامذتهم للفوز في تلك المحاكم والمجالس سواء بالحق او بالباطل .

اما تعاليمهم وآراؤهم الخاصة فلعل ابرزها تلك التى نادى بها كبيرهم بروتاغوراس Protagarrs (٤٨٠ - ٤١١ ق.م.) وتتلخص تعاليم هذا المفكر الشهير في عبارة له مأثورة يقول فيها : « الانسان هو مقياس وجود سائر الاشياء الاخرى .. اى ان الرجل كالمرآة . وسائر الاشياء كالصور التى في تلك المرآة .. الا ان تلك الصور لا وجود لها خارج هذه المرآة .. »

وتدل هذه الآراء على أن السفسطائيين كان لهم او لبعضهم فلسفة او نظرات فلسفية . ولكن هذا لا يعنى طبعا ان السفسطة او السفسطائية هى نفسها الفلسفة . فالفلاسفة عشاق معرفة وحكمة، وطلاب حقيقة ، ولا يشترط فيهم كما يشترط في السفسطائيين أن يعلموا الشيء لقاء أجر من المال او أن يعلموهم الجدل والمناقشة بقصد الفوز على خصومهم بحق او بغير حق .

(ى. ز)

الكاريكاتور

■ تطالعنا الصحف السيارة كل يوم بصور يطلق عليها صور كاريكاتورية فهل لكم ان توضحوا لنا كيف نشأ هذا الفن من التصوير وأوائل الذين رسموا الكاريكاتور في بلاد الله ؟ .

الكويت / صالح عبد الحسين الرشيد

يقول العارفون ان فن الكاريكاتور ، او الرسم الساخر ، نشأ على يد الفنان الايطالى انيبال كاراكشي ١٥٦٠-١٦٠٩ حيث عرف عنه أنه أول من رسم في التاريخ الحديث صورا باعثة على الضحك : تمثل بعض الناس المحيطين به . ومن اسمه اشتق لفظ كاريكاتور .

ولكن استخدام المبالغة والمغالاة في التصوير سواء عن طريق الكلمة او الريشة كان معروفا منذ ازمان سحيقة فقد عرفه المصريون والاغريق ، ومارسه العرب عن طريق الصور الشعرية . فقد صور ابن الرومي . المقتر قائلا :

يقتّر عيسى على نفسه ... وليس بباق ولا خالد
ولو يستطيع بتقتيره ... تنفّس من منخر واحد

واول رسام كاريكاتورى استخدم الكاريكاتور كسلاح سياسي هو جورج تاونسهند الانجليزي ، ثم جاء بعده وليم هوجارث الذى كان رساما جديا موهوبا فقد استطاع ان يغير من طبيعة ذلك الفن وان يمنحه حيوية جديدة . ان رسوم هوجارث

الوحدانية قبل نزول الاديان السماوية

● يقول البعض ان التوحيد في الدين عرف في التاريخ قبل نزول الاديان السماوية ، فهل هذا صحيح ؟ وان كان الأمر كذلك. فأى العقائد في الزمن القديم كانت أقرب الى فكرة التوحيد ؟

محمد حسان - حلب - سوريا

- ظهرت فكرة التوحيد في الدين قبل نزول الاديان السماوية في عهد الملك امنحوتب الرابع ، او اخناتون ، وهو الاسم الذى اختاره هذا الملك الفرعوني لنفسه بعد ان هجر مدينة طيبه عاصمة آبائه واجداده ،ليقيم مع زوجته الجميلة نفرتيتي وافراد حاشيته في عاصمة جديدة بناها قريبا من تل العمارنة ، على حافة النيل الغربي ..

وينتمي اخناتون الى الاسرة الثامنة عشرة ،وهي الاسرة التي اسست المملكة الحديثة ، آخر الممالك الثلاث التي حكمت مصر الفرعونية القديمة (١٣٧٥ - ١٣٥٧ ق.م) .

وكان هذا الملك هو اول من ابتدع عقيدة جديدة

● انت تسأل .. ونحن نجيب



تصور في غير رحمة حقبة من التاريخ الانجليزي عندما كانت الخشونة والثقافة تتصارعان على السلطة ، كما تمكن من ان يعالج عيوب المجتمع في نقده المر للفساد والحماقة . كما انشأ هوجارث مدرسة انجليزية للسخرية كان من ابرز شخصياتها توماس رولاندسون ، وجيمس جيلراى وقد استخدمت هذه المدرسة الكاريكاتور كسلاح مباشر لمهاجمة خصوم احزابهم السياسية التي ينتسبون اليها . وقد كانوا يعرضون انتاجهم للبيع فكانت تؤدي رسالة الرسوم الكاريكاتورية السياسيةالتى تنشرها الصحف اليوم .

اما في فرنسا فقد بدأ فنان شاب يدعى شارل فيليبون في نشر الصور الكاريكاتورية في مجلة اسبوعية أطلق عليها الكاريكاتور . ثم أصدر صحيفة يومية باسم الشاريفارى سنة ١٨٣٢ وكانت معارضة لسياسة الحكومة وقتذاك فروقبت رقابة شديدة ولكنها استطاعت ان تشق طريقها وقد انشأت مدرسة قوية في الكاريكاتور كان من دعاماتها دوميية وجراند فيل .

وفي السنين الاخيرة انتشر الرسم الكاريكاتورى في معظم اقطار العالم واصبح اداة من ادوات النقد السياسي والاجتماعي وخصصت له مجلات وجرائد في كل مكان . ففي امريكا تنتشر الفكاهة والسخرية في كل ميدان وفي كل حقل فهناك رواة الفكاهات في الراديو والتلفزيون وهناك المضحكون في المسرح والسينما ثم الرسامون الكاريكاتوريون الذين يهدفون الى الاضحاك اولا واخيرا . وهناك افلام سينمائية تعتمد كل الاعتماد على الكاريكاتور ومنها افلام الفنان والت ديزنى الذى جعل من شخصية الفار بطلا عالميا .

اما في عالمنا العربي وخاصة في مصر فقد اصبح الكاريكاتور ركنا اساسيا في كل صحيفة ومجلة . فمن اوائل من ادخل الكاريكاتور في الصحافة المصرية يعقوب صنوع فقد كان يصدر مجلة نقدية هزلية تدعى ابو نظارة كان ينتقد فيها بقسوة حكومة الخديوى اسماعيل وكان يدعم نقده برسوم كاريكاتورية .

وحوالي سنة ١٩٢٥ جاء الى مصر فنان ارمني يدعى صاروخان قدم رسومه الاولى في مجلة الجديد واثبت انه استاذ في هذا الفن وانه على استعداد لتفهم الحياة المصرية والتغلغل فيها . وقد استطاع صاروخان ان ينشىء مدارس مصرية للكاريكاتور كان من ابرزهم عبد السميع ورخا وصلاح جاهين وغيرهم . (ص . ى)

في تلك التي كانت سائدة والتي كانت تقوم على عبادة الاوثان ، فقد اختار الشمس وعبدها وفرض على رعيته التسبيح بمجدها .

وليس معنى هذا أن قدماء المصريين لم يعرفوا الشمس ولم يعبدوها قبل اخناتون ، فقد كانت في الواقع محور العقيدة التقليدية الاولى ، ولكن صفة الالوهية لم تكن مقصورة عليها اذ كانت هناك اشياء ومخلوقات اخرى اضفوا عليها هذه الصفة وعبدوها .

اما اخناتون ، فقد غير اسم الشمس الذى عرفت به سابقا وهو « آمون رع » ، وجعل اسمها « آتون » واصبح قرص الشمس وهو مصدر اشعاعها ونورها موضع القداسة والعبادة دون غيره من الاشياء والمخلوقات ، وبهذا اصبحت الشمس الالهالوحيد الجدير بالتسبيحوالتمجيد.

وقد تجلت هذه العقيدة في ملحمة اخناتون الرائعة في توحيد الاله ممثلا في آتون . فقد قال بين ماقال :

« أيها الاله الاوحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه » .

« يامن خلقت الارض كما يهوى قلبك حين كنت وحيدا » ..

« كل ما على هذه الارض من خلقك وحدك » .

(م . ن)

شَنْدَوِيل ...

يَبْحَثُ عَنْ عَرُوس

قصة بقلم : محمود تيمور

■ كان « شندويل » جالسا القرفصاء ، معتمدا راسه براحتيه ، وقد ملكه تفكير مضطرب حائر .

وران على الدار هدوء ثقيل ، يشيع فيه هم وقلق ورتوب .

وجب أن يحسم « شندويل » الأمر على اى نحو يكون ... لم يعد طفلا ولا صبيا ... انه شاب مكتمل الشباب ، بل انه بلغ مبلغ الرجولة .

وانصرم الوقت ، و « شندويل » لم يغير جلسته ، يضرب فى متاهات لا يعرف لـه منها مخرجا ...

وبغتة الفى نفسه ينهض ، وعلى وجهه يرتسم عزم وتصميم .

واخذ سمته الى « أم فكرية » ...

★ ★ ★

« شندويل » هذا فلاح من قرية « المنشية » وهى من أعمال « شبين الكوم » ... رجل فى حالة





لا يعرف العيب ، ولا يجرى لسانه به ، مخلص امين ، طيب القلب ، لين العريكة ، ولكنه معروف بصراحته ، لا يدارى احدا .

نشا يتيم الأبوين ، لم تكتحل عيناه بمرآهما ، فكفله رجل خير ، مزارع له ارض تفيء عليه رزقا محدودا ، فضمه الى اسرته : زوجه وبناته الثلاث، وكان « شندويل » يكبرهن باعوام قلائل ، فاختلط بالأسرة كانه واحد منها ، يعمل معهم فى خدمة الدار والحقل والماشية .

وبعد سنوات دهم رب الأسرة مرض مفاجيء اودى به فى ايام ، فكانت فاجعة تجلدت لها الزوجة قدر ما تستطيع ، ووقفت حياتها على توفير اسباب العيش لبناتها الثلاث ، مع رعاية مرافق الدار والحقل والماشية ، يعينها الفتى « شندويل » احسن العون بما اوتى من قوة بنية ، وما طبع عليه من صبر ودأب ، وما تميز به من جد ونشاط.

وتواصلت الأيام ...

وكبر الفتى ، واشتد عوده ، وانتهى اليه عبء الحقل أجمع ، فنهض به راضيا بعمله ، مرضيا عنه ...

مع الصبح يخرج الى الحقل محبور النفس ، يسوق الماشية امامه ، وهو يردد اغانيه ، ويتابع العمل فى نشوة ، يحرث ويعزق ويروى ، ويعنى بكل شيء حواليه من زرع وضرع ، لا تهدأ له

حركة ، ولا يشغله عن عمله شاغل ، وتراه يستقبل بزوغ النبتة بفرحة غامرة ، فيظل يتحسسها ويتشممها كأنها من لحمه ودمه .

وعند الظهيرة تلوح « أم فكرية » وبناتها الثلاث، يحملن صحاف الطعام ، فيلقاهن « شندويل » بترحاب ، وبعد أن يمسح عرقه بطرف قميصه ، يهيىء لهن مكانا ظليلا من كثب من القناة ... وما هى الا ان يتحلق الجمع حول سماط الطعام ، مقبلين على الاكل فى شهية ... وتسأل « ام فكرية » :

ما خطب المحصول ؟

فيؤكد لها « شندويل » جودته ، ويبشرها بنمائه ، ويقسم لها انها ظافرة منه يوم الحصاد بما يحقق لها ولبناتها الثلاث كل ما تطمح نفوسهن اليه .

وربما طاب للأسرة أن تداعب « شندويل » فى أثناء الطعام بالنكات اللاذعة ، ليثور ثائره ، ويهيج غضبه ، بيد أنه لا يزيد على أن يشرق وجهه بابتسامة سمحة .

فاذا أرخى المساء سدوله ، أوى « شندويل » الى ركن فى الزريبة ، أعده مكانا مختارا له ، حتى يكون بمنأى عن حريم الدار ، وما أسرع أن يغشاه سبات عميق ، تتراءى فيه نواعم الاحلام .

على هذا المنوال سارت الأحوال رضية ندية ، وترادفت الأيام على الأسرة فى طمانينة وسلام ، حتى دب فى قلب « شندويل » شعور طارىء لم يكن له عهد به من قبل .

لقد نشأ الفتى ، وهو يجد نفسه فى مكان الأخ الأكبر للبنات الثلاث ، وفى مرتبة الابن لربة الدار ، فقنع بهذه العاطفة الحلوة الهادئة المحايدة ، يتلقاها ممن حواليه ، ويبادلهن اياها فى لطف وايناس ، ولكن الطبيعة لا تقر الهدوء والاتزان ، ولا تعرف الحياد ... ان لها نزواتها ، بل قل ان لها قوانينها ، وهكذا وجد « شندويل » نفسه على الرغم منه ينظر الى البنات فى ازدهار انوثتهن نظرة من طراز آخر ، نظرة ميل وانعطاف ، وراءها مشاعر تتوهج ... اما الرباط الأخوى المحض ، فلم يعد له وحده مكان !

وكانت البنات على نمط متشابه من الوسامة ، انتقل اليهن من الأم ، فكأنهن واياها نسخ مكررة ، الا فوارق تفرضها السن ، وما تتميز به بعضهن من الشمائل والخلال ... وقد شاع فى المنطقة نبأ أولئك الصبايا الملاح ، وطار صيتهن فى المناطق المجاورة ، وتهادت الألسن حديثهن المستطاب ...

فأما الكبرى فكانت أثيرة عند « شندويل » ، فازمع ان يخطبها ، وافصح « لام فكرية » عن عزمه ، فطأطأت رأسها فى صمت ، وقد تناولت عودا يابسا تنكت به الأرض حيالها ، فلما طال صمتها ، أعاد « شندويل » الافصاح عما طلب ، وقد حسب انها لم تسمع حديثه ، أو لم تدر فحواه ، فرفعت رأسها ، وكست محياها طابع جد ، فقلق « شندويل » أشد القلق ...

وبعد هنيهة ، قالت « أم فكرية » :

أأجد لابنتى أعز منك ؟ أنت ابن البيت ... كلك خير وبركة...ولكن سبقك غيرك يا « شندويل »..

ـ من تعنين يا خالة ؟

ـ المشرف يا « شندويل » ... المشرف الزراعى ... طلبها منذ أيام ... وعرض مهرا قدره مائة جنيه .

فغمغم « شندويل » وقد زاغت عيناه :

مائة جنيه ؟

ـ وعنده جنينة برتقال يربح منها الذهب !

ـ يربح منها الذهب ؟

وانجر « شندويل » الى الزريبة ، مثقل الخطى يكاد يتعثر ، وتوخى ركنه المختار ، متهالكا على الفراش يدفن فيه وجهه ، ويسلم نفسه للأنين والانتحاب .

وتم الزواج..وانتقلت الى دار المشرف الزراعى كبرى البنات فى مهرجان من الأغاريد والأضواء ، ينفح منه أريج البرتقال !

لم يجد « شندويل» مفرا من قبول الأمر الواقع، فشارك القوم فرحتهم ، وألفى نفسه ينهض بواجبه نحو حفل الزفاف على أكمل وجه فى صدق واخلاص .

وعادت الحياة الى سابق مساقها .

وعاد « شندويل » الى عمله فى الحقل بجد ويكد

... ولم يتغير من نظام الأسرة شيء الا ان عددها قد نقص فردا .

وأحس « شندويل » بقلبه على مر الوقت يخفق حبا للابنة الوسطى ، وقد اكتملت نضجا ونضارة ، فتملكته فكرة الزواج بها ، واختفت خيبته التي واجهته في التجربة الاولى ، واختفى معها كل تدبر وموازنة ومنطق ، فتقدم في براءة وبساطة الى « أم فكرية » يخطب وسطى البنات ... فطاطات راسها في صمت ، وتناولت عودا يابسا تنكت به الأرض حيالها ، ولم تلبث أن همهمت :

أأجد لابنتى أعز منك يا « شندويل » ... أنت ابن البيت ... كلك خير وبركة ... ولكن ...

ـ ماذا يا خالة ؟

ـ وكيل الجمعية التعاونية طلبها ، وعرض شبكة ثمينة ... سوارا مرصعا بالجوهر !

ومضغ « شندويل » كلماته ، يردد :

سوارا ... مرصعا بالجوهر ؟!

وانجر الى مكانه من الزريبة ، ودفن في الحشية وجهه ، وانخرط في بكاء مرير .

ومرة ثانية ، استسلم للأمر الواقع ، وكان الساعد الأيمن في حفل الزفاف الجديد ، وخطف بصره بريق السوار المرصع بالجوهر ، وزكمت انفه روائح ما حمل الزوج لعروسه من خيرات التموين ، وفي القصف العامر اوغل « شندويل » في الاكل حتى اتخم .

وطوى الزمن اياما واياما ...

وعادت الحياة الى مجراها في الدار والحقل ، وان نقص من عدد الأسرة اثنتان ، ولم يبق من البنات الا واحدة ... أتفلت هي الأخرى من بين يديه ؟ ... لن يكون ذلك بحال ... وأحس بحبه القديم للأختين السالفتين يتجمع ويتجدد في الثالثة على نحو مثير ، فاقسم أن تكون من نصيبه ... لينتزعنها انتزاعا من « أم فكرية » .

وتقدم اليها ثابت الجنان ، وخطب الفتاة الصغرى في جراة ... وكانت « أم فكرية » على وشك ان تطاطيء الراس ، وان تفزع الى عود يابس تنكت به الأرض ، فصاح بها مبادرا على غير ما الفت منه :

لا انا خير ولا انا بركة ... ولا انا ايضا ابن البيت ... انا « شندويل » .... « شندويل » وكفى ! ... جئت أخطب ابنتك الثالثة ، وساعمل جهدى على اسعادها .

ـ ولكن ... يا « شندويل » ...

ـ ماذا يا ست « أم فكرية » ؟

ـ لقد خطب البنت رجل ولا كل الرجال ... يسكن دارا جديدة على بحر « شبين » ، فيها ثلاجة وغسالة وجهاز اذاعة...عقبى لك يا « شندويل » !

فغص « شندويل » بريقه ، وهو يجمجم :

ومن ذلك الخاطب يا ست « أم فكرية » ؟

ـ سكرتير وحدة رعاية الأسرة وتنظيم النسل .

فما كادت الجملة تصك سمعه حتى خارت قواه، فاستند الى الحائط وهو يلتقط انفاسه ... انه يذكر عندما زار المدينة اخر مرة ، مدينة « شبين الكوم » ، أن مر بسرادق فخم يضم جمعا غفيرا من الناس ، وسمع خطيبا جهير الصوت يرفع عقيرته يهز بها السرادق هزا ، وهو يردد اقوالا عظيمة يستجيب لها الجمهور بالتصفيق والهتاف ، وحين سأل عن الخطيب أخبروه بانه سكرتير وحدة رعاية الأسرة وتنظيم النسل .

وتراجع « شندويل » الى مكانه المعهود في الزريبة ، والقى نفسه على الحشية يمرغ وجهه عليها ، ويشبعها بأسنانه نهشا وتمزيقا .

وتكفلت الأيام بتضميد جراح « شندويل » ، فكان مع الأسرة في حفل زواج الابنة الصغرى قلبا وقالبا ، وملا بطنه باطايب الطاعم ، وشنف سمعه بألحان الموسيقى واصوات الغناء .

وانقضت أيام ... بل اسابيع ... وخيم على جو الدار هدوء كثيف ، وانتشر صمت قابض ، وقل الحديث بين « أم فكرية » و « شندويل » حتى أصبح لايعدو الضرورى من الالفاظ ، كل منهما يحيا في ملالة وسهوم ...

واعد « شندويل » مرقدا لنفسه في الحقل بين شجيرات قليلة ، يتناول طعامه وحيدا ، ويمضي الليل ساهدا يرعى النجوم .

لقد تزوجت البنات ، وكان زواجهن ناجحا أيما نجاح :

المشرف الزراعي بمهـر مائة جنيه ، وجنينة برتقـال .

ووكيل الجمعية التعاونيـة بسـوار مرصـع بالجوهر .

وسكرتير وحدة رعاية الأسرة وتنظيم النسـل بثلاجاته وغسالاته وأجهزته الاذاعية .

شخصيات مرموقة ، تتضاءل بجانبها شخصية « شندويل » ، حتى لتبدو تافهة مهينة ... حقا انه فلاح ، فلاح مجد نشيط ، يستطيع بساعده ان يأتي بالمعجزات في حقل الزراعة الخصيب ، ولكن ما قيمة تلك المعجزات أمام تلك الأسماء الضخمة والمراكز الفخمة التي يعشي ضوؤها العيون ؟ ... ومن الملوم ؟ « شندويل » أو الأسرة التي كفلته ؟ لم يفكر هو لحظة أن يعمل لنفسه ... لم يفكر هو لحظة أن يقتني شيئا ... عجلة ... أو عنزة ... أو على الأقل دجاجة واحدة ... لم يهمه جمع المال وادخاره قدر ما همه اداء واجبه ... كان يسعى أبدا الى ارضاء من أحسنوا اليه ، لا يتطلع الى مزيد ... لقد اعتصر دمه في خدمة من آووه وكفلوه ... واخيرا يستبين له فقره ، وهوان شأنه ... فماذا افاد من طيبته ؟ وماذا أجدى عليه ايثاره ؟

ايقن « شندويل » الآن ان وجهة نظره في تقييم نفسه بين الأسرة كانت على خطأ من البدء ، أو كانت مبالغا فيها ... ماذا كان مصير الأسرة لولا هو ؟ لولا ما أسداه اليها من خير ، وما بذل من عون ؟ كان هو قوام البيت ، وراعي الحقل ، وحامي حمى الأسرة ... أليس هو جديرا بأن يأخذ مكانه عاليا بينها ؟

حان له أن يغضب ، وحق له أن ينصف نفسه ، وان له كرامة عليه أن يحافظ عليها ما وسعه أن يحافظ !

ووجد نفسه ينهض من فوره ، وقد ارتسم على وجهه جد واصرار ،واتخذ سبيله الى « أم فكرية ».

كان الصباح صفيا رخيا ، فتقدم « شندويل » من « أم فكرية » ، وهي في جلسـة مريحة أمـام طشـت الغسـيل ، فما رأته قادما حتى لملمت أوصـالها ، وأسدلت ثوبهـا تغطي ما تعرى مـن جسدها ، ونظرت الى الشاب تخاطبه :

خير يا « شندويل » ...

ـ أو قولي شرا يا ست « أم فكرية » ...

قال ذلك في جهامة ظاهرة ، وقد تصلبت قامته ، فغدت كجذع شجرة عتيقة... فنحت « أم فكرية » الطشت قليلا ، ومسحت يديهـا بطرف ردائها ، وقالت :

ماذا في الأمر يا « شندويل » ؟

فأجابها في صوت مجلجل :

لقد اعتزمت الرحيل .

فوضعت المرأة يدها على صدرها ، وقالت في دهشة :

أي رحيل تقصد يا « شندويل » ؟

ـ سأرحل يا ستي ... أرض الله واسعة ... بلاد الله لخلق الله ...

ـ كيف تفكر في أن تتركنا ؟

ـ على الرغم مني أفعل ...

فصمتت لحظات ، وهي تتفحصه ، فراعها تجهمه وصلابة ملامحه ، وما في صوته الرجولي الأجش من عزم وتصميم ... ثم قالت :

الم تعد الحياة تروق لك بيننا ؟

ـ لم يعد لي أمل في العيش في هذه الدار ... رحلت عنها الصبايا ، ولم أظفر بواحدة منهن ...

ـ قسمة ونصيب يا « شندويل »

ـ وقسمتي ونصيبي أن أرحل يا ست « أم فكرية » ...

ـ أتترك الدار التي فيها نشأت وربيت ؟ أتترك خالتك « أم فكرية » وحيدة بلا ساعد ولا معين ؟

ـ على الرغم مني أفعل ... سأبرح القرية الساعة ... ألتمس عيشي في بلد آخر ... بعيد كل البعد !

ـ هل ساءك زواج البنات الى هذا الحد ؟

ـ ثلاث صبايا كالأقمار ، ترفضين أن تزوجيني واحدة منهن ... والآن خلت الدار الا مني ومنك

... لم يعد في البيت سوانا يا خالة ... اسامعة انت قولي ؟

ـ سامعة ...

ـ السنة الناس طوال ... والكلام يتنقل على الافواه ...

ـ ما هذه الافكار الغريبة يا « شندويل » ؟

ـ هي الحقيقة التي يجب أن تقال ... لقد صرت رجلا يا خالة ... رجلا نبت له شارب محترم ... رجلا في طول النخلة وعرض الجميزة وقوة فحل الجاموس ... الم تريني وانا في « الزعبوط » الجديد ؟ الم تلاحظي كيف احسن لف الشال الأبيض على راسي فيغدو عمامة مهيبة تزرى بالرءوس العارية من اصحاب المراكز الكبيرة ؟

فارسلت المرأة ضحكة لينة ناعمة ، وهي تقول :

يخيلك ربنا يا « شندويل » ...

ـ لم يعد لي في الدار مكان ... « شندويل » الصبي ذهب لحاله ، واخذ مكانه « شندويل » الرجل ...

ـ انسيت يا « شندويل » اني في مقام امك ، وانك في منزلة ابني ؟

ـ يفتح الله يا خالة ... هذا كلام لا يعتد به احد...وانا أول من لا يصدقه ... لسنا ابنا واما ... بل نحن رجل وامراة ...

ورماها بنظرة ثاقبة ، ما كادت تلتقى بنظرتها حتى اضطرت أن تسبل جفنيها ، وتحجب بخمارها شطر وجهها ...

وعلاها سهوم ...

ـ اسمعي يا خالة ، وتفهمي قولي ... انني بصريح العبارة لا استطيع أن اعايشك ... شريعة الله لا ترضى بذلك ... انا مسلم موحد لله ... لا اقيم في الدار الا زوجا لك ...

فضربت صدرها بكفها تقول :

يا عيب الشوم ...

ـ لا عيب ولا شوم ... انه الحق الصريح ... لقد احببت بناتك الثلاث واحدة بعد اخرى ... لانهن يشبهنك ... احببتهن لانهن صور منك يا خالة ...

ورق صوته ، وهو يواصل الكلام ، فكان في منطقه كانه يغني :

نشات وانا اراك مثل البدر ... بناتك من نورك اخذن نورهن ... وكنت دائما بدرا منورا في سماء حياتي ، طفلا وصبيا ، ورجلا ... في كل مرحلة كنت أحس نحوك شعورا يلائم سني ... ولكن في كل مراحل حياتي كان هناك احساس واحد ، هو الحب ... الحب الغامر الفياض !

وندت من « ام فكرية » شهقة ، وهي تردد في صوت لين المكاسر :

الحب ... الحب ...

ثم قالت هامسة :

لقد تقدمت سني يا « شندويل » ... انا كبيرة بالنسبة لك ...

ـ ولكنك في نظرى في عمر بناتك ...

وصاح بصوت كله ايمان واخلاص :

والله في عمر بناتك ... بل احلى واجمل ... انت في نظرى طبق قشطة ... اعتبريني يا خالة خادما لك ، ومريني تجديني رهن ما تشائين ...

ـ ما عشت انا لتكون خادمي يا « شندويل » .

وغضت من بصرها ، وهي تواصل القول :

انت رجل البيت ... سيد الدار ... وانا خادمتك يا « شندويل » ...

واختلج كيانه بهزة عنيفة ، والفى نفسه يهرع اليها ، وينكب على يدها يلثمها ، والدموع تسح من عينيه سحا !

■■

محمود تيمور

من الكتب التى وصلتنا

(بقية المنشور على صفحة ١٣٠)

القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية

تأليف : عبد العالم سالم مكرم . الناشر دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● يعرض هذا الكتاب لمناهج مدارس النحو وتقويمها من خلال الاساليب القرآنية ، ثم ما بذله العلماء من جهد يتمثل في تنقيط المصحف . والكتب الكثيرة التى وضعت في علم التفسير ثم ازدهار الحركة النحوية في مدرسة الكوفة والبصرة . وقد مهد المؤلف لكتابه بالكلام عن القرآن وكيف تم جمعه والادوار التى مرت حتى كمل هذا الجمع ثم آراء بعض المستشرقين عن هذا الجمع . والباب الثاني من الكتاب تناول اثر القرآن في المدارس النحوية ومناهجها مع ذكر لطائفة من علماء النحو وتراجم موجزة لاشهر النحاة الى غير ذلك من البحوث النافعة .

ديوان « ليل الصب »

عنى بجمع قصائده وشرح مفرداتها : محمد علي حسن .

الناشر : مطبعة الايمان ـ بغداد / العراق .

● مجموعة معارضات لقصيدة ابى الحسن المصرى القيرواني المشهورة « ليل الصب » مع شروح لمفرداتها وترجمات وافية لحياة كبار الشعراء المعارضين . وهذه المعارضات لشعراء من كافة الدول العربية من تونس والعراق ومصر وقد جمعها ورتبها المؤلف حيث اطلق اسم القصيدة على الديوان .

هذيان قلب

شعر : محمود خليل المليجي . الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● ديوان شعر يضم مجموعة قصائد مختلفة في اغراض شتى من فنون الشعر العربي مثل الغزل والوصف والرثاء ثم بعض المقطوعات الوطنية .

طبيب الشيخوخة

تأليف : الدكتور غسان نحاس والدكتور ماهر الحمامى . الناشر : منشورات دار الكندى .

● كتاب في طب الشيخوخة يتناولها تشريحيا وغريزيا ومرضيا والامراض التى تعترى المسن . وقد قسم الكتاب الى عدة فصول يدرس كل فصل احد الامراض التى تعترى الشيوخ مثل امراض القلب والاوعية وامراض الجهاز العصبي وامراض الدم والعقد اللمفاوية ، وامراض الانف والاذن والحنجرة الى غيرها .

في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق

تأليف : الدكتور ابراهيم مدكور . الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● كتاب في الفلسفة الاسلامية التى تعتبر حلقة في سلسلة الفكر الانساني ، والتى اخذت عن الفلسفات القديمة ما اخذت ، ثم اسهمت في تنقيحها واضافة جديد لها ، فبعثت الفكر اليهودى من مرقده ،ودفعت بالفلسفة المسيحية دفعة قوية. وهذا الكتاب رسم لمنهج هذه الفلسفة ، وتطبيق لهذا المنهج على ثلاث من نظرياته الكبرى ، وهي نظرية السعادة ونظرية النبوة ونظرية النفس وخلودها ، درست هذه النظريات في بيئتها وظروفها، وشرحت على لسان القائلين بها ثم ربطت بما سبقها من اشباه ونظائر ، وبيان مالها من اثر في الفلسفات اللاحقة وقد يمتد هذا الاثر الى اليوم .

ديوان الفرطوسى

تأليف : عبد المنعم الفرطوسى. الناشر : مطبعة القرى الحديثة ـ النجف / العراق .

● ديوان شعر يقع في جزءين كبيرين يحوى مجموعة من القصائد والمقطعات ، وقد قسم الديوان الى عدة اقسام ، تناول في القسم الاول ما اوحته عواطف الولاء لآل بيت رسول الله من التهاني والمراثى ، اما القسم الثاني فيضم مجموعة من القصائد الوطنية والسياسية والتى شارك فيها المؤلف . واخيرا مجموعة من القصائد الاجتماعية واخرى في الغزل والوصف .

■■

العربي

ربيع الثاني ١٣٨٩
يوليو
(تموز) ١٩٦٩



انا عربية من ابها ..

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	درة ٢ شلن	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من لوحات الفنانين العرب

حى بن يقظان

للفنان السورى : نعيم اسماعيل

● حى بن يقظان .. قصة كتبها الفيلسوف العربى الكبير ابن طفيل .. وهى من أروع ما كتب الكاتبون فى القرون الوسطى ، ومن أحسن ما تفخر به الفلسفة العربية .. و « حى بن يقظان » تشتمل على فلسفة ابن طفيل وآرائه ونظرياته .. وتدور القصة حول « حى بن يقظان » ذلك الانسان الذى نشأ فى جزيرة من جزر الهند ، فى حضن ظبية قامت على تربيته وتأمين الغذاء له من لبنها ، وقد تدرج فى المشى يحاكى أصوات الظباء ، ويهتدى الى مثل أفعال الحيوانات بتقليد غرائزها ، حتى اذا كبر وترعرع استطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غذائه وأن يكتشف بنفسه مذهبا فلسفيا يفسر به سائر حقائق الطبيعة .. »

(أنظر مقال حى بن يقظان فى العدد السادس ، مايو ١٩٥٩ من العربى) .

عزيزي القارئ

هذا الصيف

والصيف فراغ

والفراغ متعة

■ وهو متعة لا بحسبانه حيزا لا يملؤه شيء، فالطبيعةالجامدة تأبى الفراغ بهذا المعنى . وكذلك الطبيعة الحية ، وكل صورة من صور الحياة . الحياة مشغلة . حتى النوم ، ان فقد فيه الانسان الوعى ، قامت الحياة غير الواعية تتم ما كان بدأ منها على اليقظة . انها « خِدمة » الليل لا بد منها لليقظة التى سوف تكون في صحوة النهار .

■ ان الفراغ متعة بحسبان انك تستطيع أن تملأه بالذى تشاء . ان حرية الاختيار هنا هى المتعة ، بعد ان تكون قضيت اشهرا تعمل فيما لم يكن لك فيه خيار . وما كان هذا بمانع من متعة .

■ ومن المتع القريبة أن تعود الى سابق صفحات العربى . فسوف تجد فيها الكثير القيم الذى فاتك .

■ ومن المتع القريبة الكتب ، فهى خزانة الثقافات ، فتزود منها ، واقرا ثم اقرا حتى ترتوى ، في الحين الذى عندك فيه سعة .

■ واقرا واقتصد ، ولا تنبت فان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

المحـرر

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 128 July 1969 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



● في مدينة أبها عاصمة عسير ، بالمملكة العربية السعودية . تلعب القهوة دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة . وبعد المغرب يجتمع أفراد العائلة حول « الدلال » ، الأطفال يشربون الشاى ، والكبار يشربون القهوة .. وهذه احدى فتيات أبها بكامل زينتها .. ان الجيل الجديد في أبها جيل متعطش للعلم ..

(انظر استطلاع أبها ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



المصلح الاجتماعي
ما هو بفيلسوف ولا عالم

● أتابع مطالعة العربي منذ سنوات . واشعر بوضوح بالفوائد التي جنيتها من قراءة شتى أبحاثه ومقالاته وبخاصة تلك التي تتناول مواضيع علمية وتكنولوجية . والسؤال الذي طالما أثارته هذه المواضيع في نفسي والذي ارجع به اليكم رجوع الطالب الى أستاذه هو :

« هل المصلح الاجتماعي في رأيكم هو الفيلسوف أو عالم الاجتماع .. »

عبد الله الجابر – بنت جبيل – لبنان

العربي : المصلح الاجتماعي ليس بالضرورة فيلسوفا أو عالم اجتماع . أي أنه قد يكون هذا أو ذلك وقد لا يكون . ذلك أن مهمة المصلحين الاجتماعيين ليست طلب العلم والمعرفة بالذات وانما العمل على تحقيق مثل أو قيم تنشدها مجتمعاتهم ، ويتحسسونها بأرهف مما يتحسسها سائر الناس . والأهم من ذلك أنهم يستجيبون لتلك القيم ويتفانون في سبيل الاصلاح أو التعديل الذي تقتضيه في مجتمعاتهم ، حيث يقف الآخرون من تلك المثل موقف المتفرج أو العالم أو موقف الفيلسوف أو غير ذلك . نكتفي بهذه الاشارة العاجلة ، فالمجال لا يتسع لأكثر من ذلك .

يساء الى العرب في ديارهم

● دأبت اذاعة صوت أمريكا في نشراتها الاخبارية على تسمية الفدائيين العرب بالارهابيين . وقد قرأنا في بعض الصحف اليومية أن الموظفين العرب في دار الاذاعة المذكورة احتجوا على ذلك أكثر من مرة ، دون أن تلقى احتجاجاتهم اذنا صاغية . ونحن نناشد السلطات اللبنانية المعنية أن تتخذ اجراء ما بهذا الصدد ، ما دامت استديوهات صوت أمريكا التي تذاع منها نشرات الأنباء موجودة كما هو معروف في لبنان .

علي ناصر – بيروت

مجلة العربي

● هل مجلة « العربي » ملك وزارة الارشاد والأنباء في الكويت ، تخضع لاشرافها وتتقيد بتعليماتها .. ؟!

محمد مصطفى بن عامر – بنغازي

العربي : ان مجلة العربي تصدر عن وزارة الارشاد والأنباء في الكويت ، كما هو مذكور في صفحة الفهرست من كل عدد . ولكن ثمة شيء آخر مذكور أيضا عقب هذه الجملة ، وبالحبر الأحمر ، وهو كالتالي :

ديجـــول وشجرة الليمون

● عطفا على مقالكم عن الجنرال ديجول (العدد (١٢٥) من العربى) ، يطيب لى ان ارّوى لقراء العربى حادثة طريفة وقعت فعلا لمملاق فرنسا اثناءوجوده في بيروت في الحرب العالمية الثانية . فقد جاءه صاحب الشقة التى كان يسكنها آنذاك وقدماليه والى الضباط الاحرار الذين كانوا في صحبته في البستان ، طبقا مملوءا بالبرتقال المقشر .واقبلالضباط على أكل البرتقال ، شاكرين ، وامتنع ديجول . ولما سأله صاحب الشقة عن سببامتناعه كان رد ديجول بأن قفز على احدى شجرات البرتقال فقطف برتقالة بيده ، ثم جعل يقشرهابيده أيضا ، وهو يقول : « هكذا يجدر بنا أكل البرتقال ما دمنا بعيدين عن وطننا وما دام وطنناتحت نير الاحتلال .. »

عواد عواد ـ بيروت

اعتراف العرب باسرائيل يؤدى الى اعتراف الدول الصديقة بها

● يجدر بالدول العربية أن تدرك انه في حالة اعترافها باسرائيل وبحقتها في العيش فى فلسطين بسلام ، فان الدول الصديقة التى اصرت حتى الآن على عدم الاعتراف باسرائيل ستجد نفسها ملزمة بأن تحذو حذو الدول العربية فتعترف هى الاخرى باسرائيل . ويترتب على ذلك ، كما لا يخفى ، تفاقم الدعاية الصهيونية في تلك الدول الصديقة واستفحال خطرها فيها . ويصدق ذلك اكثر ما يصدق على الباكستان حيث كان اعضاء اتحادنا في صراع مستمر مع تلك الدعاية ، وقد استشثرت بالرغم من تشبث الباكستان بعدم الاعتراف باسرائيل حتى الآن ..

الاتحاد العام لطلبة فلسطين
بيشاور ـ الباكستان

الى من تنبع ؟؟

« والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء»

وكلتا الجملتين صحيحة حرفا ومعنى . ولعلنا نزيد فنقول ، احقاقا للواقع ، أن أولى الامر تركوا للمجلة الحرية كاملة فيما تصنع ، ايمانا منهم بأن الكتابة الصالحة لا يمكن أن تتأدى الا في الجو الطليق . واستجابت ادارة المجلة على هذا بأن جعلت من نفسها على نفسها رقيبا . وقد تخطىء ، ولكن ما أسرع ما تتخذ من خطئها علما بطريق الصواب .

ما بين اللغة الآرامية والسريانية

● تصويبا لما ورد في مسابقة العدد ١٢٦ من العربى نقول بأن اللغة الآرامية واللغة السريانية لغة واحدة . اذ تغير اسم اللغة الآراميـــة الى السريانية بعد ظهور السيد المسيح ، وذلك وفقا لتغير اسم الآراميين واستبداله باسم السريانيين ، نظرا لاقتران الاسم الاول بالوثنية ..

سهيل زافارو ـ الجامعة الامريكية ـ بيروت

العربى : لعلك لست بعيدا عن الحقيقة . فالسريانية انبثقت عن اللغة الآرامية . ولكن لهجات أخرى غير السريانية قد تفرعت أيضا عن اللغـة الآراميـة . ويذكـر بعض الثقـات أمثلـة من تلك اللهجـات الأخـرى ، كلهجة الكلدانيين والآشوريين في شمال العراق ولهجة اهل جبال القلمون في سوريا . هذا وتجدر الملاحظة أننا لم نتعرض للغة الآرامية والسريانية فى بحث أو مقال وانما في معرض الشرح لمسابقة العدد (١٢٦) من العربى ، وذلك بقصد التنويه الذى اقتضته طبيعة تلك المسابقة .

بين الفتحة والكسرة اختلف المعنيان

● في العدد ١٢٦ صفحة ٢٠ وردت لفظـة (العِلاقات) بكسر العين والصحيح هو (العَلاقات) بفتحها . وورد كذلك في صفحة ٧٦ (فهما نصفان غير متصلان) والصحيح غير متصلين .

عاهد اللبدى ـ الكويت

العربى : أما عن السؤال الأول فالصحيح هو بفتح العين كما ذكرت . اذ أن (العِلاقة) بالكسر تفيد الشيء الذى يتعلق به شيء آخر ، كحلقة أو نحوها .

وأما عن الثانى فالخطأ مطبعى كما هو ظاهر .

حديث الشهر

القوّة القوّة

■■ درس القوه علينا من شاشة السينما .

اى والله . من شاشة الصور المتحركة .

كانت القصة المطروحة قصة رجل امريكى ، جندى ، اسموه في الاعلانات : « كستر بطل الغرب » .

لم تكن القصة من نسج الخيال ، فهى قصة ضابط في جيش الولايات المتحدة ، عاش في النصف الثانى من القرن الماضي ، ودخل حروبا كثيرة ، فارسا لا يخاف الموت ، ولا تحول دون وصوله الى غاياته عقبات . وذاع صيته ، واشتهرت انجازاته ، وارتقى في الجيش ارتقاء سريعا ، فاذا به على راس ثلة كبيرة من الفرسان.والفرسان كانت مطايا الحروب في ذلك الزمان . ويقتحم برجاله غمار

سَاسَةُ الأُمَمِ لا تعرف غَيْرَ القُوَّة

والقُوَّة عندهم فَوْقَ القَانون

والَّذِينَ بالمعَانِي الإنسانِيَّة يحتمُون ، قَوْمٌ مُسْتَضْعَفُون

وإنْسانُ هَذِهِ الأَرْض ، إمَّا آكِلٌ وإمَّا مَأكُول

والعَرَبُ تُساوِرهُم الذِّئابُ مِنْ كُلِّ جَانِب

فَهَلْ هُمْ مُسْتَيْقِظُون ؟

!

بقلم رئيس التحرير

اعدائه فيكون فيه اولا ، شاهرا سيفه ، صارخا كما يصرخ المجانين اذا سولت لهم انفسهم أن يقتحموا جبلا من نار اوقده الأعداء على سطح الأرض .

واشترك جورج ارمسترنج كستر George Armstrong Custer فهذا كان اسمه فعلا ، في الحرب الأهلية الامريكية في عهد ابراهام لنكلن . وانتهت الحرب الأهلية فوجهوه ، فيمن وجهوا ، لمحاربة قبائل الهنود الحمر ، وكانت لا تزال بهم قوة ولهم سطوة ومنعة في البلاد .

وكان اسم القبيلة التى وجهوه اليها قبيلة شاين Cheyenne ، وفاجاهم كستر في عقر ديارهم ، على غرة وهم في خيامهم نائمون . فقتل منهم جمعا كثيرا ، وحرق ديارهم ، وهزمهم هزيمة نكراء . كان هذا في نوفمبر عام ١٨٦٨ .

وهنا يأتى بيت القصيد .

نرى رئيس القبيلة العظيمة ، المهزوم ، على الشاشة ، وقد جاء الى مقر القائد الفارس المنتصر يريد أن يتحدث اليه . لا بد جاء يتحدث في شيء يدور حول السلام . أو لعله يريد ان يتحدث في



● الهنود الحمر . « وكانت لا تزال بهم قوة ولهم سطوة ومنعة في البلاد »

الارض التي انتزعها منهم هؤلاء الفرسان ، وهي ارضهم وارض اجدادهم منذ ان عرفوا الزمان .

ودخل عليه ، وكان رجلا في نحو الخمسين من عمره ، مستقيم العود ، مرفوع الرأس ، لا تزال فيه رغم الهزيمة بقية من شهامة تدل على انه لم يجيء ليطاطيء رأسا . ولكن غلبت عليه الحكمة ، وفرضت عليه التبعة ما فرضت ، فلم يرفع رأسه الى المستوى الذي يجعل لقاءه بهذا القائد المنتصر عبثا .

لم يكن بين الرجلين كلام يمهد للحديث ولا سلام . بادره القائد الامريكي يسأله هل يعرف الانجليزية ، فلما قال الرئيس الهندي الاحمر نعم ، تركه وذهب وقعد على كرسي مكتبه وبدأ موعظته . وسمعها الهندي واقفا ولم ينبس ببنت شفة . ثم خرج . لم يبق بعد هذه الموعظة موضع لكلام .

هذه العظة هي بيت القصيد الذي اليه هدفت .

قال الواعظ المنتصر للهندي المنهزم :

استمع الي . انا رجل عسكري لا يعرف شيئا غير السلاح والقوة . وقد كلفت بواجب وجب ان اقوم به الى اقصى غايته ، وليس يعنيني ما يصحب ذلك من اعمال ، اذا هي قيست بمقاييس اخرى ، غير مقياس القوة ، كانت غير مرضية . انا غالب وانت مغلوب ، وقد اقتضيتكم ثمن هزيمتكم . ولا تحدثني في الاخلاق ، ولا تحدثني في الحقوق ، فليست هي من شأن العسكري . اما عن ارضكم التي سلبناكم اياها ، فاذكر ان قبيلتك كانت تغير على القبائل الاخرى فتأخذ منها ما تأخذ من ارض ، ولا يخطر على بالها ان تسألها كم سنة كانت بقيت تعيش فوق هذه الأرض ، او كم مائة سنة او كم الف عام .

وما فرغ القائد من موعظته ، حتى استدار الهندي وتوجه نحو الباب .

★★★

الى هنا يكفيني ما اتيت عليه من القصة . ولكن لا بأس ان ازيد فأقول ان القصة انتهت بأن عادت قبيلة هؤلاء الهنود الحمر تتجمع من جديد ، وتتقوى وتتحصن . وعاد هذا القائد الفارس الأمريكي الذي لم يعرف الا القوة في الدنيا حكما ، يطلبهم ليحظى فيهم بنصر جديد . ولكنهم هزموه هذه المرة ، وقتلوه ،

وقتلوا رجاله عن آخرهم فلم يبق منهم الا فرس واحد ، ظلت الكتيبة الأمريكية السابعة للفرسان تحتفظ به ليمشي في احتفالاتها بغير فارس ، ذكرى لهذا الفارس الراحل الذى أعطى الشجاعة والاقدام فاستخدمهما في غير موضعهما.

وخرجت من دار السينما وأنا اقول لنفسي : كل هذا الفلم الطويل تركزت قيمته في تلك الدقائق القليلة التي التقى فيها رئيس قبيلة « الشيان » بقائد الأمريكان في مكتبه . تركزت قيمته في تلك الموعظة التى ألقاها غالب على مغلوب فأسكته .

وفي الصباح لقيني صديق فلسطيني فسألني ، وقد كان علم أني حضرت عرض هذا الفلم ، وكان حضره : هل ادركت مغزى الفلم الذى ارادوه غاية ؟ قلت متخابثا : أي مغزى ؟ قال : الدرس الذى القاه القائد في مكتبه لشيخ القبيلة . قلت نعم ، لم يدم غير دقائق كان فيها بلاغ .

سياسة بخلاق وسياسة لا خلاق لها

والحق انه ليس في هذا الدرس الذى وعيناه من الشاشة شيء جديد .

ان الفارس الأمريكي وصف نفسه بانه يقوم بتنفيذ واجب عسكرى . ولكن هذا الواجب العسكرى انما جاء امرا من مصدر سياسي . فهو اراد ان يقول انه كلف ببلوغ هدف سياسي ، وأن يصل اليه بقوة السلاح . وهو اراد ان يقول ان سياسة القوة ، متى بدات ، تقطع ما بينها وبين الانسانية من رباط ، وتجتث ما بينها وبين قواعد الأخلاق المرعية من صلات . فصاحبها لا يبالي كم نفس أزهق . وكم بيت أحرق ، وكم امراة ائم ، وكم طفل يتم ، وهو لا يبالى أن يبقر بطنا ، او ان يفقا عينا ، او ان يترك جريحا تسيل جراحه على الارض دما ، فسياسة القوة تسد في الأنفس مسالك الرحمة ، ويصبح الرجل في سورة الحرب يقطع رقبة الرجل كما يقطع رقبة الدجاجة أو يفصل راس خروف عن جسده . وربما انتشى بما يفعل .

انه لا يتريث لينظر صح ذلك عملا صالحا او لم يصح . فهو قد نحى القواعد والدساتير جانبا . انها قسوة الصراع وحدها ، ونشوة الغلبة ونشوة القوة . وعنده ان هذا كله من حق القوة ، والا فباى شيء يتفضل الأقوياء عنده الضعفاء .

القوة فوق القانون

ان الانسان سلك ، منذ ان دب على سطح هذه الأرض ، مسالك في العيش بلغت به على السنين والقرون مراتب من مراتب الحضارات بعضها فوق بعض .

انسان اليوم الحاضر ، به بقية غير قليلة من مزاج الانسان القديم الغابر .





● مكيافيلي ، وزير فلورنسا الشهير ، كان اول من سن للقوة شأنا في عصورنا القريبة .

● موسوليني ، اراد احياء الدولة الرومانية ، واخضع بالقوة الغاشمة ليبيا ، وغزا الحبشة، وهدم صرح عصبة الامم ، وعمل هو وصاحبه الالماني لقيام الحرب العالمية الثانية، على القوة



فهو ضبط في نفسه شراسة البهيم ، وهو هدأ في طباعه من عرام النهم ، وهو ألف وائتلف . واجتمع ، وصنع في المجتمعات القوانين ، ورأى فيها الخير آخر الأمر فأطاع .

ولكن بقيت من طباعه آخر الدهر بقية من تلك العهود البدائية الأولى ، يرتد اليها في الظروف اذا حزَبه منها مثلُ ما كان يحزبه منها والرأس غارق من شعره الطويل في لِبْدته ، والوجه مغمور في الكثِّ من لحيته ، والظهر لا يقيه من حر وبرد غيرُ فروته . ويعينه على ارتداده النفسيِّ هذا الى تلك العصور القديمة ، في هذه العصور الحديثة ، ما يحس به في يديه من قوة بالغة .

حتى بين الأفراد في مدن وريف ، يقوم القانون بمنع التعدّي ، ولكن هيهات . القويُّ بجسمه ، القويُّ بماله ، والقوى بعزوته ، والقوى بشره ، يأخذ من الضعفاء جزية الضعف ، ولا يكاد قانون يستطيع منع ذلك .

ولكن الحديث الذى نحن فيه يتصل بالذى بين الأمم ، اكثر مما يتصل بالذى بين الأفراد ، من علائق .

والذي بين الجماعات كالذي بين الأفراد سطوة القـوة

بين الأفراد يخرج الفرد ذو القـوة ــ وذو الجاه فمن الجاه قوة ــ علـى القانون . ولا تكاد تسول له نفسه بأن يجهر بذلك . وذلك بسبب ان هذا القانون اعترف الجميع باتباعه واحترامه ، وهو ينص على حقوق وعلى واجبات ، وهـو يقسّط العقوبات تقسيطا .

اما بين الدول فالدولة تخرج علـى الدولة ، بحكم القوة ، وتعلن هذا اعلانا ، يعينها عليه انه ليس بين الدول قـانون معترف به ، ووراءه محاكم وقوة مـن الشرطة تقوم على نفاذه .

حتى لصار للقوة أنصار في ساسة الأمم يقولون بها .

مكيافلي Machiavelli ، سياسي فلورنسا ووزيرها الشهير (١٤٦٩–١٥٢٧) كان اول من سن للقوة شأنا في عصورنا القريبة ، في كتابه (البرنس) ، بعد أن مارس من شئون السياسة والحكم ما مارس . وعمد في كتابه هذا الى ايضاح ان السياسة ، التى سمّاها واقعية ، هى سياسة القوة ، وسياسة الخدعة ، وسياسة المكر والتضليل ، وانها لاتتصل باصول الأخلاق التى يرضاها الافراد من قريب او بعيد .

وتبع مكيافلي من بعده ساسة .

وتبعه زعماء امم وقادة حروب .

والنازية والفاشية انما اشتقت منه .

ودخلت القوة الفلسفة ، فقامت عند كثير من الساسة ، مقام القانون ، ما تجيزه هو الحق ، وما تمنعه فهو الباطل .

وهل ابعد كثيرا اذا انا قلت ان القوة في هذه الأيام صارت هى حجر الركن في كل سياسة ترسمها الأمم .

من سادة الأرض ؟
انهم أصحاب القوة ، أصحاب السلطان

وان كنت في ريبة من ذلك فاسأل : من سادة الأمم اليوم في الأرض ؟ تسمعْ انهما دولتان ، الامريكان والروس . ولستَ في حاجة بعد ذلك ان تسأل لماذا . ان عندهما العلم ، وعندهما الصناعة ، وكلاهما مصادر القوة . ولكن عندهما شيء فوق هذا وذاك ، هو ذروة القوة : عندهما القنبلة النووية .

واسألْ عن بريطانيا ــ وقد كنت اقرأ قريبا لكاتب كبير في اوائل هذا القرن ، يتنبأ بتقسيم العالم نصفين ، نصف يتزعمه الروس ، ونصف تتزعمه بريطانيا ــ اسألْ عن بريطانيا ، اين هي اليوم ؟ ويأتيك الجواب انها تقلصت امام القوة



● هتلر ، ابو النازية ، تابع مكيافللي واضرابه، آمن بالقوة وحدها ، وكفر بسائر القيم .

العارمة ، ورضيت بان تلملم اطرافها ، وتعود الى جزيرتها ، قبل ان تفرض عليها مراكزُ القوى الجديدة اشياء هي فوق ما تستطيع .

وانظرْ الى الامم ، الى سائرها، وكيف وزِّعت ولاءها ؟ تجدْها وزعته على حيث تكون القوة هائلة . حتى المانيا الغربية تعمل وكأنها ولاية امريكية . لانها تفتقد الجيش وتفتقد الاسطول . وتفتقد القنبلة النووية . تفتقد القوة !

والصين تحاول أن تحيا . وهي تحاول أن تحيا باحياء أرضها ، وبتقويم صناعتها . ولكن ليس فى هذا مايكسبها القوة سريعا . واذن عمدت الى القنبلة النووية تصنعها . وقد صنعتها . القوة ! القوة !

ويخذِّلون الأمم المتخلفة اذا ما بدات ترتاد مصادر القوة فيسمونها امما تحب الحرب وتكره السلام . وهم لايسمون انفسهم بذلك وقد اختزنوا من وسائل الدمار ما يمكنهم من تدمير عشر

حضارات كهذه الحضارة الموجودة على ظهر هذه الارض .

نفــاق

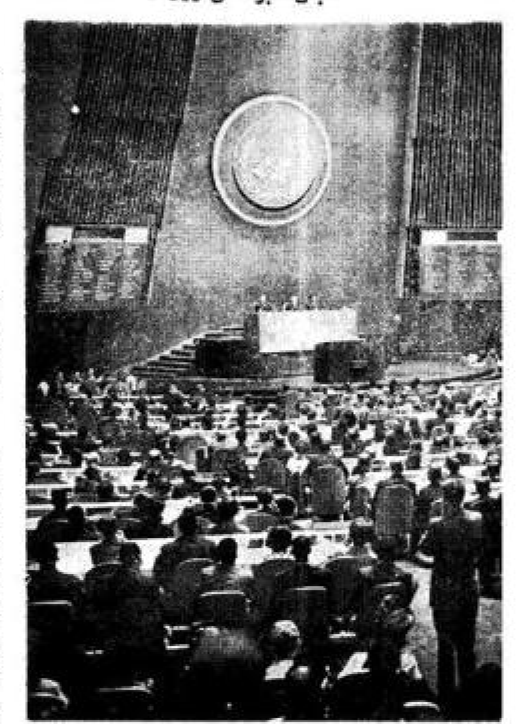
ان ساسة الامم جميعا يعلمون اصدق العلم كم تسهم القوة عند أمة ، حتى اذا هي لم تستخدمها ، في نيل مطالبها ، العادلة وغير العادلة على السواء .

وكل دولة ترضى للدولة الصديقة ان تستخدم قوتها ، اذا لم يكن بد ، في نيل مطالبهـا ، على شرط ان لا تورطهـا في الاعتراف بان القوة وسيلة معترف بها لنيل المطالب . بل هي قد تزيد فتمدُّها سرا بالسلاح .



● رئيس الولايات المتحدة ولسن ، اراد ان يسير بالصلح بعد الحرب العالمية الاولى مسير الرجل العارف بالله ، الذى عنده الحق والرحمة فوق القوة ، والتف عليه انصار القوة في اوربا يضللونه ، فصنعوا سلما كان سببا في الحرب العالمية الثانية .

● ماذا ينفع الامم التى افتقدت القوة ان تستنجد بهيئة الامم ، وهى تصدر القرارات لتبقى حبرا على ورق .



والدولة التي تستخدم القوة لنيل مطالبها ، عادلة او فاجرة ، تمهد دائما بنشر اسباب يخال الناس انها في الصميم من العدالة . . وفي الصميم من القانون ، فاذا ظهرت القوة وراء هذا الضباب فما ايسر ما يُعتذَر عنها بانه صبر الساسة ضاق عن احتمال .

والذى نلاحظه ان الامم التي تلهج في خصوماتها بذكر القوانين الدولية ، وبالمبادىء الانسانية،وتستنجد بالهيئات الدوليـة ، انما هي الامم التي افتقدت القوة .

وماذا ينفع الأمم اذا افتقدت القـوة ان تستنجد بالهيئات الدوليـة وفيهـا قبعت الدول ذات القوة ؟ ماذا نفع الدولَ العربية ، والدول الافريقيـة والـدول الاسيوية استنجادُها بهيئة الامم . هيئة الامم قد تشفي بعض غليل هذه الامم فتصـدر القرارات بالذى تريده هـذه الامم . وتبقى القرارات حبرا على ورق . لان القوى الكبيرة لم تشترك في صنعها . وانما صنعها اهل التقوى الضـعفاء ؛



● لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الاولى . لعبت خمرة القوة براسه ، من بعد نصر في تلك الحرب ، فاهان وفود الهند ، ووفود مصر ، وكل امة مستضعفة . كبر عليه ان يلقى احدا من ممثليهم .

اولئك الذين يؤمنون بسيادة القانون ، وسيادة العقل، وسيادة المنطق، وبمعان تتصل بالانسانية صاغها الشعراء أدبا رفيعا ، لها شميم رائع ، ولذة ، ولكن قصيرة العمر ، فهي كزهور هذه الارض لاتكاد تقطفها عن شجرها حتى يسرع اليها الذبول .

العرب والاستعمار والقوة

ان التاريخ يمر ، ولكنه دائما يخلف من الدروس ما يجب ان يحفظه الابناء والاحفاد .

ان الاستعمار ظل رازحا على صدر الامة العربية دهرا طويلا ، ثم ارتفع ؟

فهل وقف احد منا يوما يسأل نفسه كيف ارتفع ، وعن تفاصيل ما وقع من

ماوتسي تونج ، زعيم الصين ، طلب القوة لامته الهائلة سريعا ، فاختصر اليها الطريق ، فصنع القنبلة النووية .





« ان للحق معاني ، صاغها الشعراء ، أدبا رفيعا ، لها شميم" رائع ، ولذة" ، ولكن قصيرة العمر ، فهي كزهور هذه الارض لاتكاد تقطفها عن شجرها حتى يسرع اليها الذبول »

احداث حتى ارتفعت عن الصدور اثقالها ؟

لقد عايش كلُ عربي الاستعمار ، كلٌ في بلده . فان لم يكن فعل فقد عايشه ابوه . وكل يعلم كم حجة اثيرت لرفع هذا الاستعمار ، وكم صحائف كُتبت ، وكم بعثات ارسلت . وارسلت البعثات الى مؤتمرات الصلح التى كانت بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، زعما بان النفوس وهي تجتمع على صلح تكون اقرب الى معنى العدالة منها في غير ذلك الزمان . وباء كل الرسل بالخذلان .

والبعثة الهندية اهينت . رفض لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، حتى مقابلتها .

والذى فعلوه بالبعثة الهندية فعلوا مثله مع سائر البعوث .

هذا كله حدث فى هذا القرن .

ثم زال الاستعمار عن الارض جميعا او كاد . الاستعمار الذى عرفناه صغارا ، وعرفه منا آباء واجداد .

فكيف زال ؟

زال بالقوة . في مصر . في سوريا . في تونس . فى الجزائر . فى العراق . حتى لم يجد المستعمرون هداة ليل يغفون فيها .

والهند ، وقد كرهت القوة ، عمدت الى القوة السالبة : رفض التعاون مع المستعمر ، والتوصية بعدم دفع الضرائب . وامتلأت السجون مع هذا ، وكان تدمير . وما كان ساكنو الهند باهل عنف ولا تدمير . ولكنه الاستقلال ثمنه الدماء . وهو من الاشياء القليلة التى جاز فيها أن يكون الدم لها ثمنا . وهو ثمن باركه الله في كل ملة .

وهان العرب من بعد استقلال لما أعوزتهم القوة

وجاء الاستقلال فذهبت عن الناس روحُ القتال .

واعجبُ من نفسي ان تجيئني ذكرى « احُد » وقد بلغتُ من الكتابة هذا الحد .

نعم ذكرت هذه الساعة موقعة «احد» وما كان فيها للمسلمين من هزيمة .

كان الرسول صلوات الله عليه قد استعد هو واصحابه للقاء قريش . واستقبل الرسول المدينة ، وترك الجبل ، جبل احُد ، خلف ظهره ، وجعل وراءه الرُماة وامرهم ان يدافعوا عن الخيل بالنبل . وان يثبتوا مكانهم ان جرت الحرب لهم أو عليهم .

وبدا القتال . وهزم اهلُ التوحيد اهلَ الشرك . وهرب نساؤهم مصعدات الى الجبل . واغرت الغنيمة المسلمين

فدخلوا عسكر المشركين ينهبون . وتبعهم الرماة ، الا قلة قليلة قالت نطيع رسول الله ونثبتُ مكاننا .

ولما انكشف المسلمون من خلف ، رأى المشركون منهم ذلك ، فحملوا على أصحاب النبي من ورائهم ، فقتلوهم وهزموهم . وكسرت سنُّ النبي السفلي وشققت شفته . وقاتل دونه خمسة من الانصار ، ورمى سعد بن أبي وقاص بنفسه دون رسول الله .

★ ★ ★

ذكرني بواقعة أحد هذه لا شك ما فيها من مغزى ، ومن عبرة ، لمسلم وغير مسلم .

نصرٌ حاسم ، فسبقٌ الى غنيمة ، فهزيمةٌ منكرة .

وهذا هو نفسه ، وبهذا الترتيب ، ما وقع للعرب من بعد استقلال .

كان العرب ، وهم يدفعون المحتل المستعمر ، فيهم روح القتال ، وفيهم التضحية ، وفيهم القوة . وانتصروا . ورحل المحتل المستعمر مغلوبا على أمره . وفرغ الميدان للمقاتلين العرب ، فانصرفوا الى الغنيمة . الى الحكم . يقتسمونه . واختصموا عليه أنصبة . وكونوا الاحزاب زعماً بأن الحكم الديمقراطى لا يكون الا أحزابا . ونسوا أن من الاحزاب ما قد يتدهور فيصبح عصابات ، كل عصبة تطلب لنفسها من « غنيمة جبل أحد والأسلاب » أكثر ما تستطيع .

وكثيرا ما استبدلت دولٌ عربية ، نتيجة للنهم الحزبى والحقد السياسي ، استعمارا وطنيا داخليا ، بالاستعمار الخارجى الذى تزايل .

وانسى العربَ صراعُ الداخل صراعَ الخارج .

لم يخطر على بال أحد أن هناك حاجة الى جيش قد يستدعى للخدمة وراء الحدود ، فقد كفى أكثر السلطات أن يكون الجيش قادرا على الخدمة داخل الحدود . كان العدوُّ ، أكبر العدو ، في الداخل لا في الخارج . وهو عدو أعزل تكفيه بنادق من عهد نابليون .

وجاء عام ١٩٤٨ ، عام نكبة فلسطين ، وتسارعت الجيوش العربية تنجد بما لديها من عدد وعدد . ولأول مرة نسمع أن جيشا عربيا يخرج الى القتال بأسلحة فاسدة . ويشاء الله مع كل هذا أن تكون الغلبة للعرب ، لا لقوة فيهم ، ولكن لضعف في الآخرين . وتجوز على العرب لعبة الهدنة . وفي أثنائها تأتى الصهاينة الأسلحةُ سريعة من دولة ، هى اليوم في عداد أصدقائنا ، فتكون لهم الغلبة .

ويقضي الصهاينة بعد ذلك عشرين عاما

● « الهند ، وقد كرهت القوة ، عمد غاندى الى القوة السالبة: رفض التعاون مع المستعمرين » .

يؤلفون جيشا ، ويدربون رجالا ، فيزداد مواطنهم بدولتهم ايمانا . والايمان أول حاجة الرجل المحارب . ويقضي العرب ، اكثرهم ، بعد ذلك عشرين عاما في تفريق الأصدقاء ، وتشتيت الولاء ، وفي الدعاء الى الله ان ينصر عبده وأن يمده بقوة منه ان فاتته قوة من نفسه ، والله لا يكون في عون العبد حتى يكون العبد في عون نفسه .

لما صفق العالم لاسرائيل انما صفق للقوة

وكانت النتيجة ما عرفنا

وفي حزيران الشهير سرقت اسرائيل نصرا .

وصفق العالم لهذا النصر القصير السريع الباغت . وكان التصفيق بعضه لنصرة اسرائيل ، وبعضه لكراهة موروثة للعرب ، وكان أكثره اعجابا بالقوة ، وتمجيدا للنصر ، تلك البقية الباقية في قلب الانسان لا ينفيها ما تلهج به الألسن من كراهة للحرب وحب للسلام ، الا أن يكون سلاما يجنيه غالب من نصرة على مغلوب ، بالقوة .

ازمة الساعة ازمة قوة

واليوم وقد انقضت على حرب حزيران سنتان ، يطلب العرب السلم .

وتقوم اسرائيل ترفضه ، الا ان يكون سلمنا تسليما .

وتتحدث أكثر الصحف العربية بحصافة ، وتحلل الموقف المتأزم القائم بكل حنكة ، وتعزز ما تقول بما تقتبس من اقوال العظماء والحكماء ورجال السياسة وقادة الجيوش . وانظر الى الموقف المتأزم فأرى رأى رجل الشارع البسيط ، ان سبب هذا التأزم افتقار العرب : للطائرة .

العرب كما يتراءى لنا ، نحن الذين نرقب الأحداث من بعيد ، كما يرقب الفلكي اجرام السماء بمنظاره بعيد المدى ، العرب الآن من قوة الارض على شيء غير قليل ، ولكن تعوزهم قوة هواء .

وحظي الاسرائيليون بقوة الهواء فسيطروا على سائر الأجواء .

وصاروا بقوة أسطولهم الجوي ، وتدرب رجاله الطويل السابق ، يملكون من ناصية الأمور ما لا يملك العرب وصاروا يهددون كل جار لهم ويتوعدون .

ومن اجل هذا هم حريصون على الفانتوم ، وعلى الميراج ، حرصهم على الحياة . والنكبة كل النكبة عندهم ان تمنع عنهم الميراج ، او تمنع الفانتوم .

ازمة الساعة اليوم ازمة قوة .

وازمة الساعة غدا ازمة قوة .

وهي كذلك ازمة قوة بعد غد والى عدة من سنين وقرون .

فهل وعينا الدرس .

لا ارى دليلا على ذلك .

وانما الذي اراه ان كل امة ماكولة غدا ، يأكلها العدو ، ويأكلها الصديق ، على السواء ، ما دام فيها الضعف . فالضعف يناقض الحياة . والقوة هي الحياة . والعرب ماكولون غدا ، ما بقوا على ضعفهم . يأكلهم شرق ، ويأكلهم غرب . والحياة على المدنية صراع كصراع الحياة في الغاب ، الا انه صراع أخفى .

فلينتج العرب بانفسهم ، بطلب القوة . لا ليأكلوا الناس ، ولكن لكيلا يأكلهم الناس . فحيثما نظرت انا الآن وجدت حول العرب تحفزا وتوثبا .

والله المستعان على ما تحذر . ●●

١٩٦٩/٦/١٠ **احمد زكي**

نتيجة مسابقة العدد ١٢٦

ثلاثة أسئلة لم يوفق القراء في حلها

■ مسابقة العدد ١٢٦ من مجلة العربي اعتمدت اعتمادا كليا على المعلومات العامة والذكاء ، ولكن الغالبية من القراء لم يوفقوا في الاجابة على السؤال الثاني والسؤال الثامن والسؤال العاشر من هذه المسابقة ولا ندرى الصعوبتها ام ان القراء لم يتحروا الحقيقة عنها ؟

واليك عزيزى القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة لهذه المسابقة ، ثم ثبتا بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ــ الحوت اكبر الحيوانات وزنا .

٢ ــ الارامية هي اللغة التى تكلم بها السيد المسيح .

٣ ــ الدول الست التى تحد فرنسا هى :

اسبانيا ــ ايطاليا ــ سويسرا ــ المانيا ــ بلجيكا ــ لوكسمبرج .

٤ ــ رائد الفضاء الذى سيهبط على سطح القمر قد يلبس حذاء نعله من رصاص .

٥ ــ تتصل الرئتان اتصالا مباشرا بالقلب .

٦ ــ تجمد الماء فزاد حجمه عن حجم الزجاجة فانفجرت .

٧ ــ النهر المقدس الجانجس او الجانجز .

٨ ــ الخطيب اليوناني ديموستينس ؟؟ .

٩ ــ التنفس بواسطة الانف خير من التنفس بواسطة الفم لانه يضمن تدفئة الهواء وتنقيته قبل وصوله الى الرئتين .

١٠ ــ النملة المذكورة تقطع في الساعة ٧٢٠٠ ياردة .

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

■ محمد سالم محمد المشرخ ــ الشارقة ــ الخليج العربى .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

■ مصطفى عبد الحكيم احمد بشر ــ العجوزة / القاهرة .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :

■ جاد الله زين الدين . السويداء / سوريا .

٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ــ جمال الدين العربي عبد الرحيم ــ الابيض / السودان .

٢ ــ بشار عبد الرزاق شبيب / الكاظمية ــ العراق .

٣ ــ جميل عمر عبد الله عمان / الاردن .

٤ ــ عبد الكريم الحناشي تونس / الجمهورية التونسية .

٥ ــ عادل الحصرى ــ الجزائر / الجمهورية الجزائرية .

٦ ــ علي حسن المعيلى ــ دبي ــ الخليج العربي .

٧ ــ عبد اللطيف عبد العزيز جاسم صادق ــ الدسمة / الكويت .

٨ ــ سعود اسعد طه ــ برلين الغربية / المانيا .

خواطر حَوْلَ..

التَّعْليم الجامعيّ

بقلم الدكتور
حلمي اللحام

■ الجامعة مصنع عقول الشباب . ونفوسهم ، واذواقهم ، فيها تبنى الحياة، ويهيأ المستقبل . ولقد عني العرب منذ مطلع هذا القرن ، بوجه خاص ، بانشاء الجامعات ودور التعليم العالي ، متأثرين في ذلك خطى الأمم الراقية ، فبلغوا من ذلك ما بلغوا، ولا ريب أن من اليسير، متى تهيأ المال ، وحسنت النية ، أن تقام ابنية الجامعات، حجرا نحيتا مصقولا، وعمائر ذات بهجة ، تضم آلاف الطلاب الرافعي الهامات ، الشامخي الانوف ، وان تصاغ اجازاتها ، حين تصاغ ، في اطارات مزركشة مزوقة ، توزع في حفلات تموج بالأناقة والأبهة ، ولكنْ من حق المراقب الواعي أن يتساءل اذا كنا ، في اقطارنا العربية كلها ، قد عنينا بما وراء هذه المظاهر ، وادركنا ان الشأن كل الشأن ، هنا، هو في روح الجامعة ، وفيما تبثه في النفوس من يقظة الاحساس بقيم الحياة ، وتفتح الذهن على مغالق البحث، وتطلع العزيمة الى غد مشرق ، والى أجواء فكرية واسعة الآفاق ، خصبة الأنحاء ، يتصل فيها الفكر البكر بالعمل المنتج، وتنزع دائما الى الأكمل والأفضل.

حول روح الجامعة التي لم تعنَ بها، في اغلب الظن العناية الواجبة بعد ، تواردت على ذهني هذه الخواطر، اجرؤ فاسمح لنفسي أن اوردها كما سنحت ، فلعلها ، على هذا الوجه ، أن تكون اوفر حيوية ، واقرب الى الاساغة .

التفكير الحر:

١ ـ التفكير الحر : لا يمكن ان يكمل معنى الانسانية الا في الحرية ، وحرية الفكر هي اسمى الوان الحريات ، لأن الفكر ، وهو مبرر وجودنا ، لا يمكن ان يحيا الا في جو طليق . ومن اجل وظائف الجامعة أن تعلم الطالب حرية التفكير ، ولا يتحقق ذلك الا بأن يكون الاساتذة

انفسهم احرار الضمير والفكر، يروضون اذهانهم في مجال لا تكبله التقاليد ، ولا تعرقل سيره قيود المجتمع وسلاسله .. لا خصب ولا ابداع اذا لم تهيأ حرية الفكر .. « بروميثيوس » ، سارق قبس النار ، على الرغم من غضب الآلهة ، كان استاذ التمرد ، ومعلم الفكر الحر ، والأستاذ الحق سارق نار، موصل شمعة، مهدى قبس ، منشيء حوار . اذا انقطع الحوار أسِنَ الفكر ، واختنق المجتمع ، وخبت جذوة العقول العاملة . والفكر المصنوع في معامل السلطان ، او مكاتب

وَالمعَاهِدِ العُليا

الاساتذة لا ينشيء أمة ، والرأى العبد لا ينشيء حياة ولا شيئا يشبه الحياة ! .

الأستاذ قدوة

٢ ــ الأستاذ قدوة ، فما ينبغى أن يكون الطلاب حياله شاعرين انهم في مسرح ، وأن امامهم شخصا يمثل دورا خلال ساعة او ساعتين ، ليخلع قناعه ، ويعود الى طبيعته ومزاجه ونمط عيشه ، ولا يخيل اليهم أن ما يلوكه استاذهم في شدقيه ليس سوى كلام يلغو به ، وانما هو ، في الواقع ، ثمرة فكر يجهد جهدا شخصيا ، وسلوك يتبع الفكر ، وعصب يتمزق من ورائهما ..

العلم اساس الثقافة

٣ ــ العلم اساس الثقافة ، فلا يجوز أن يقف همه على ترقية العقل ، وانما يجب ان يكون حافزا على استخدام العقل ، فلقد يبدو ، كما يقول «سبنسر» : « ان معظم الناس يجعلون هدفهم ان يجتازوا الحياة ، دون أن يصرفوا سوى أقل جزء ممكن من تفكيرهم .. » والطالب الأصيل هو الذى نمت لديه ملكة الملاحظة الشخصية للاشياء والأشخاص والاحداث ، وملكة المحاكمة المتكئة على البحث والتحليل والاستنتاج ، فهو لا يستقبل ما يقع تحت عينيه وحواسه استقبالا سلبيا ، بل يشارك فيأخذ ويعطى ، ويسمع ويتحدث ، لأن العلم عنده ليس بابا الى الشهادة بمقدار ما هو منطلق الى الثقافة .

الكتاب هو المورد

٤ ــ الكتاب هو المورد : فعلى الرغم من أن « متنبينا » هو الذى قال : «وخير جليس في الأنام كتاب » ، ومن ان « جاحظنا » هو أبلغ من ابان منافع الكتاب فهو عنده ، « الخليط المنصف ، والرفيق المطيع ، والمعلم الخاضع » ، فنحن أمة لا تقرأ . لأن أساتذتنا ، في كثرتهم ، لا يقرؤون ، ولأنهم ، من أجل ذلك ، لا يبثون في نفوس طلابهم حب القراءة الخصبة المبدعة التى هى المورد الصحيح لكل ثقافة رصينة . وما دام الشاب عندنا ، ينصرف ، بعد حيازته الاجازة ، وظفره بالوظيفة ، عن كل مطالعة ، ما لم تدخل في نطاق المجلات المصورة المثيرة ، او الجرائد السياسية التى تهز الفكر هزا سطحيا تحت تأثير الأحداث العابرة ــ فانه سينسى ماتعلمه، وسيعود انسانا فارغا ، تافها ، تستهويه أمية الفكر ، بعد ان ودعته أمية الحرف ... وكم أحب ان توضع امام عينى كل طالب هذه الفقرة التى يصف فيها الشاعر الألمانى « ريلكيه » قراء مكتبة عامة ، في صورة اخاذة :

« أنا جالس ، اقرأ ديوان شاعر ، وحولي في القاعة اشخاص كثيرون ، ولكني لا أحسهم ، **انهم في الكتب** . وقد يتحركون

من وقت لآخر، **في وريقاتهم** ، فعل قوم نائمين يتقلبون في أسرتهم بين حلمين . **الا ما الذ** شعور من يكـون بين أناس يقرؤون ! »

هذه القراءة التي يخلو فيها المرء الى ذاته ، فيغيب معها عن العالم، هي القراءة المنتجة التي صلى لها الفيلسوف الفرنسي « باشلار »:« منذ الصباح ، أمام الكتب المكدسة ، على منصتي ، أتلو لاله القراءة صلاتي ، صلاة قارىء ، ملتهم : **اعطنا اليوم جوعنا اليومي ! »** ..

الجامعة خالقة الشخصية

٥ ــ الجامعة خالقة الشخصية والارادة وحب الجهد : ولتعلن كل جامعة الحرب على الذاكرة. فلقد يكفى ما يحشو به التعليم الثانوى الذهن من مواد لا حصر لها ، تتراكم لتمنع تسرب الهواء النقي ، وتصرف عن المبادهة . ولتجعل كل جامعـة من أولى وظائفها اطـلاق شخصية الطالب لتنمو صفاتها الذاتية، وتخرج من سجنها الضيق الى الفضاء الحر . عقلية « القطيع » يجب أن تختفي من الحرم الجامعي الى الأبد ، والأساتذة الذين يحبسون شخصيات طـلابهم في قماقم مختومة ، تتنفس بمقدار مايسمح لها ، ما أحرى أن يضموا الى المعاهـد العسكرية . لا نخش من الاختـلاف في الطبائع والأمزجة وانماط التفكير،وانواع الاحساس بل لنبحث عنه ، فلا خلق ولا ابداع الا في الانفراد ، والخروج على خط سير القطيع .

ولتلح الجامعة على ضرورة محبـة الجهد ، والاستمتاع بعذابه الحلـو ، والدعوة الى التامل والى الحلم ايضا ، ونظرة الى كل ما صنع في الماضي والحاضر من أعمال عظيمة ومن آثار رائعة ترينا انه كان وليد حجرات المتأملين الصامتين، فلم يصنع هذه الحضـارة هـؤلاء السياسيون الفارغون ، الذين يرون كل شيء من خلال منظار طموحهم الشخصي، ومنافع أحزابهم ، وانما صنعها اصحاب الفكـر المتأملـون الحالمـون ، والذين لا يحفلون بالثناء ولا بالبريق ..

ولتضـع الجامعة الطالب في درب تربية الارادة ، ليتمكن من السيطرة على ذاته ويجددها ، فلا تتنازعه عوامل الخير والشر ، وتلعب بميولـه العـادات المستحكمة والمحيط الخادع . فالبيئة وما انغرس فيها من تقاليد ، واللغـة وما حملته في الفاظها وتعابيرها من أوهام، والأمثال التي اتخذت هيئة الحكم الخالدة من مثل : « القناعة كنز لا يفنى » ، وما طار طير وارتفع الا كما طار وقع!!

كلها تبغض في العمل ، وتقتل المثل في مهدها ..

الجامعـة موقدة حرق في النفس من أجل فكرة سامية ، أو قضية نبيلة ، او مثل اعلى .

الجامعة خلق وتطوير

٦ ــ الثقافة الجامعية ثقافة خلـق وتطوير ونزوع الى الأفضل ، ثقافة تمور بالحياة .

وما اعنيه انا بها هو اسهام العناصر القادرة كلها ، في جهد مشترك ، في العمل الجدى الحازم ، من اجل ترقية الانسان العربي ، وتطوير المجتمع العربى ، دون اى اضطرار الى خنق انسان اليوم اكراما لانسان الغد ، ودون اللجوء الى نوع الهدم الذى يتعثر على اثره البناء .

الثقافة الجامعية افق انسـاني مديد

وافق الثقافة الجامعية افق انسانى مديد ، فالمثقف الجامعى لا يمكن أن يتصف بالاثرة ، والانطواء على الذات . مصير الانسان يدعوه، والمشكلات البشرية تهز أعصابه .

وهذا الأفق الثقافي لا يقف عنـد اختصاص بعينه ، وانما يتعداه الى فن او أكثر من الفنون التى تريق على الحياة

معنى روحيا، وتحول دون التقوقع ودون الرتابة واجترار ساعات الفراغ اجترارا كئيبا مملا . فبالموسيقى ، وهي صوت الروح العميق، تتجاوب الأرواح وتعتنق، وهي ، بعد ، انبل طريق الى الاتصال بالكون في مفارحه ومآسيه . والرسم الذي يقطف البسمة الوليدة على الشفة الحالمه ، ويلتقط الشعاعة من العين المتأملة . وينثبت لعب الضياء والظل في كنف شجرة منعزلة ـ يغسل البصر والبصيرة ويفتح امام الخيال ابعادا متجددة تمد آفاقه مدا . والشعر يسكب من سحره على صديد المادة ما يمنحه القا ، وتجد النفوس الظماى عند نبعته ما يلهم ، وما يفتح مغاليق الاحساس ..

واللغة الأم ، لا بد تحظى بعناية الجامعة

٧ ـ اللغة الأم ، ينبغى ان تحظى الى جانب الاهتمام باللغات الأجنبية بعناية الجامعة ورعايتها عناية ورعاية جديتين، فالثقافة مهما ترقَ ، تبق سلبية ، ولا تؤتى اكلها اذا لم يكن صاحبها متقنا لغته اتقانا يسمح له بالانتاج فيها ، كما ان عبقرية الأمة لاتزدهر الا باحتضانها اللغة، والجامعة ، وهى بعد صورة الوطن فى اسمى مجاليه ، لن تجلو صورتها سوى عبقرية اللغة . الجامعة التى تهمل اللغة الأم هى مؤسسة لا طابع لها ، ولا سمة ، والجامعى الذى لا يفقه لغة بلاده قراءة وانشاء يرقد علمه فى صدره، لان الفكرة ليست شيئا ما دامت هائمة كالذرات المتطايرة فى شعاع الشمس ، وما دامت لم تسكن قالبها من اللحم والعظم والدم.

الجامعة والبحث عن الحق

٨ ـ كل جامعة ، لا يمكن الا يكون فى خططها البحث عن الحقيقة والسمو بالانسان ، والدفاع عن الحق والخير ، ومن غير المعقول اذا ان يكون بين اية جامعة فى الدنيا واية جامعة ستار حديدى ، « سد صينى » ، فما بالك اذا كانت هذه الجامعات فى بلد واحد ! .. الجامعة حاملة مشاعل الفكر ، وليست حاملة الأفكار المعلبة ، ومتى كانت حقا صاحبة رسالة فكرية حرة كانت كل جامعة فى الدنيا اختها ، فالفكر ، من اى لون ، لا يمكنه الا أن يصافح الفكر .

مناشـــدة

.. فيا اخوتى الأساتذة : اناشدكم الا تفرضوا على طلابكم آراءكم ، مهما يكن فيها من نضج ، بل اكتفوا بأن تصقلوا عقولهم ، وتجودوا عليهم بخلاصة تجاربكم ، ليروا فيها رايهم ، في جو حر طليق .. لا تصبوا هذه العجائن الطرية فى قوالبكم لتخرجوا منها اصناما محنطة ، بل يسروا لها طرائق التكوين لتنشىء الحياة التى تلائم عصرها وذوقها، واغرسوا فى هذه النفوس الغضة المتكوكبة امام انظاركم حب الاعتماد على الذات ، وتحمل التبعة ، والجراة على مجابهة المستقبل بثقة وعزم .. هيئوا لهؤلاء الشباب الجو الذى تنمو فيه شخصيتهم ، وتستقل وتتفرد ، وخففوا عن كواهلهم ضغط التقاليد المرهقة ، وقهر المجتمع ، وحاولوا ان تعلموهم ، وان تتعلموا أيضا ، كيف يمكن الفرار من ضغط السلطة حين تقيد الحريات تقييدا لا طائل تحته .. لا تقترفوا ، حيال الأجيال الناشئة ، ما اقترفه الجيل الذى سبق جيلكم من تعلق بالسيطرة ، وولع بالهيمنة .. كونوا قدوة، ثقفوا عقولكم ثقافة مستمرة دينامية ، وضعوا طلابكم فى درب الثقافة الظامئة المتطلعة .. لاتملوا من التنبيه على ما يخلقه العمل العقلى من فرح عميق ، يمنع الحياة ان تفقد طعمها، وتصبح رؤيا محفوفة بالمزعجات، ويحول بين الفكر وبين الخواطر التافهة ، ويقوده الى المستوى الرفيع الذى لاتبلغه سوى العقول الممتازة، والنفوس الكبيرة. اليس كل جهد عقلي ، قبل أن يصل الى اية نتيجة ، هو لذة في ذاته ، لأنه هو الذى يجعلنا احرارا ، اوليس العمل نفسه ، بعد ، هو الحرية ! .. ■■

حلمى اللحام



بقلم الدكتور أحمد زكي

■ نبات الذرة من الحشائش النجيلية Grasses في تقسيم النبات ، وهو طويل الساق ، يبلغ ما بين ٣ الى ١٥ قدما .

والساق مجزعة ، وهي مصمتة ، وبها مقدار كبير من السكر ، والنبات صغير السن .

والاوراق كبيرة مكتنزة العرض ، وهوامشها متموجة ، وهي موزعة على الساق ، في صفين متقابلين من طولها ، على التعاقب وحيث لا تتواجه ورقتان .

وبالاضافة الى جذور الارض غالبا ما يكون للنبات عند قاع الساق جذور تظهر في الهواء .

ثم نأتي على الزهور ، فنجد أن به زهورا تحمل اعضاء التذكير واخرى تحمل اعضاء التأنيث ، والنوعان منفصلان ، ولكن يحملهما النبات الواحد .

اما ازهار التذكير فتوجد في الشرابة التي نراها في اعلى الساق . اما ازهار التأنيث فهي شواشي الذرة المعروفة لنا ونراها في كوز الذرة .

وتتساقط حبوب التذكير ، بفعل الهواء ، من اعضاء التذكير ، بالشرابة التي باعلى الساق ، وتسقط على اعضاء التأنيث التي بشوشة الكوز ، وهذه تحملها الى صفوف المبايض الموجودة على



أ ـ نبات الذرة كاملا . وترى فيه الجذر ، والساق ، والشرابة فى أعلى الساق ، وهى تتضمن أعضاء التذكير ، وترى الأوراق موزعة على الساق بالتناوب . وكيزان الذرة ، وتظهر منها الشواشي ، وهى أعضاء التأنيث .

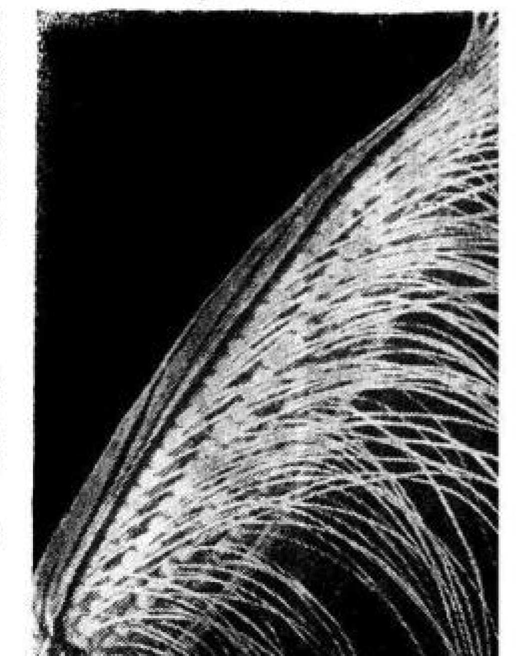


ب ـ أكواز الذرة موزعة على الساق بالتناوب ، تحميها أوراق من النبات . ومن الكيزان تخرج الشواشي، وهى الأعضاء التى تحمل ما يسقط عليها من غبار الطلع (الذكر) من الشرابة التى فى أعلى النبات ، فتحملها الى المبايض على قولحة كوز الذرة، فتلقحها ، فتنشأ عنها حبوب الذرة .



جـرة جنائزية وجدت في حفريات الآثار القديمة التى حفروا عنها في المكسيك .

كوز من الذرة ، انتزع عنه بعض أوراقه ، فظهر الحب ، وعليه خيوط الشوشة ، شوشة الكوز ، أو حريرته . وهى تتألف من خيوط تحمل ما يسقط عليها من غبار الطلع ، وهو يسقط من عنصر الذكر الذى بأعلى النبات ، فيخصب ما في الكوز من مبايض هى التى تصبح من بعد ذلك حبوب الذرة .



قولحة الذرة (المادة شبه الخشبية من كوز الذرة، ويسميها العامة قلاحة) فتخصبها، ومنها تنشأ البذور اي حبوب الـذرة صفوفا صفوفا على القولحة .

وشرابة النبات تستطيع أن تسقط الى المبايض من حبوب التذكير ، غبار الطلع ، بضعة ملايين منها . وهى صغيرة جدا ، فطولها نحو عشر المليمتر ، وهي بيضاوية الشكل ، وهى خفيفة تطير في الريح القليلة .

والمبايض منتشرة على قولحة الذرة مزدوجة في خطوط بطول القولحة ، ومن أجل هذا كانت صفوف حبوب الذرة التي في الكوز الواحد بعد النضج زوجية العدد فهى اما ١٠ صفوف ، أو ١٢ ، أو فوق ذلك الى ٣٦ صفا .

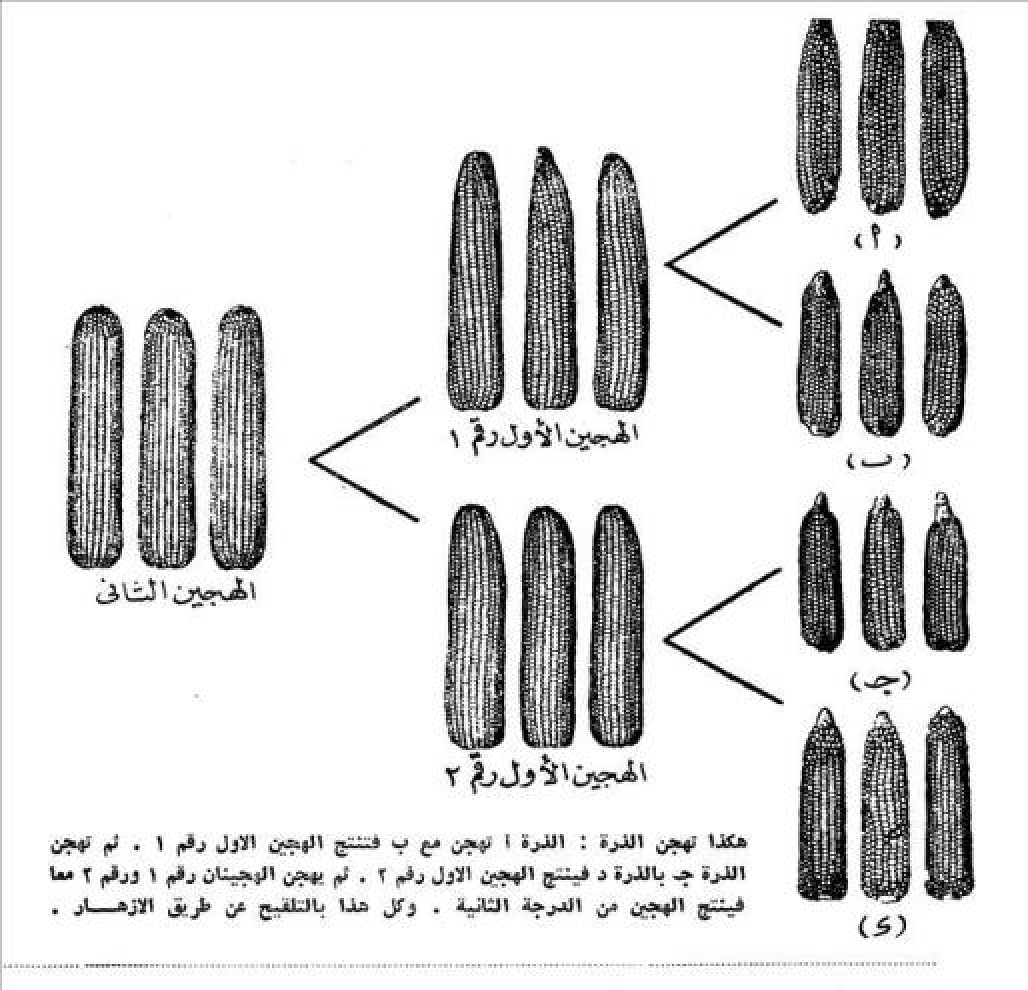
ثم حبة الذرة الناتجة . ويحصل عليها الانسان بعد رفع الأوراق الخضراء عن كوز الذرة ، وازاحة الشوشة .

والحبة تتألف من قشرة . وبداخل القشرة يوجد باطن الحبة وهو يتألف من شيئين ، الجنين ، والسويداء . اما الجنين فهو الذي يتحول الى نبات كامل عند وضعه في التربة وسقيه بالماء . واما السويداء Endosperm وهى تزن نحو ٧٠ في المائة من وزن الحبة ، فهي اسم لما صحب الجنين من مخزون غذائه ، ذلك الذى سوف يتزود منه وهو ينمو في الارض ليصير نباتا كاملا ، وقبل ان تتهيأ له الظروف ليقوم هو يزود نفسه بالغذاء والماء من ارض وهواء . وهـذا الغذاء يتألف أساسا من النشا ، ويزن نحو ٧٠ في المائة من وزن حبة الذرة .

الـذرة
حَبّ لم تعرفه العرب

الذرة من الحبوب الشائعة في افريقيا وآسيا. وفى مصر خاصة هى الحب الذى عليه يعتمد الفلاح لصنع خبز يومـه ، بعد خلطه بما يجعله صالحا لأن يتماسك من بعد خَبز .

والفـلاح لا شك يحسب أن الذرة وجدت من وقت ان وجد آباؤه في وادى



هكذا تهجن الذرة : الذرة ا تهجن مع ب فتنتج الهجين الاول رقم ١ . ثم تهجن الذرة ج بالذرة د فينتج الهجين الاول رقم ٢ . ثم يهجن الهجينان رقم ١ ورقم ٢ معا فينتج الهجين من الدرجة الثانية . وكل هذا بالتلقيح عن طريق الازهار .

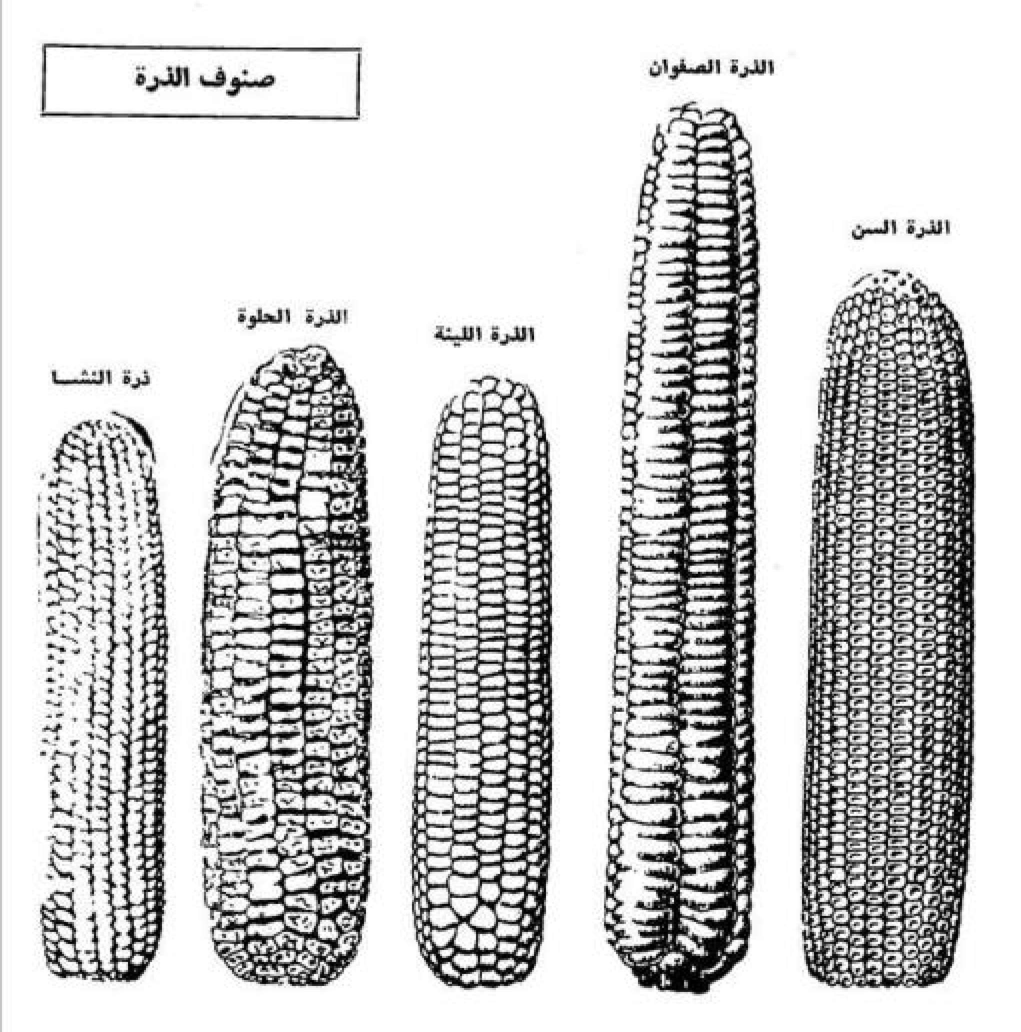
النيل ، وانها لا بد عرفت منذ أن عرفت الزراعة في ذلك الزمان القديم .

ولا شك انه تعلوه الدهشة، وتسرع به الى التكذيب، عندما يسمع العلماء من أهل الغرب يقولون ان الذرة ما عرفت في الدنيا القديمة ، اى في أوروبا وآسيا وافريقية، الا بعد عام ١٤٩٢م ، بعد ان فتح كولمبس امريكا . فبهذا الفتح انتقلت الذرة اول انتقال الى أوروبا ، ومن أوروبا حملها البرتغاليون في غزواتهم الى افريقية وآسيا .

والقصة تجرى بأن الذرة كانت عماد الغذاء في الدنيا الجديدة ، في أمريكا ، عندما فتحها كولمبس . وسماها أهل أوروبا ، النازحون الى الدنيا الجديدة ، اول ما رأوها ، بالحب الهندى Indian corn وذلك لأن هنود أمريكا الحمر هم زارعوها .

وتجرى البحوث فتكشف عن حضارات قديمة كانت في امريكا قبل ان ينزل بها كولمبس ، ثم بادت . ومنها حضارة الانكا Incas في بيرو Peru بأمريكا الجنوبية عند جبال الأنديس Andes ثم هى تكشف أن لعل زراعة الذرة انتقلت من جنوب امريكا الى اوسطها ، والي المكسيك ، حيث كانت الحضارة القديمة الأخرى ، حضارة الأزتيك Aztecs ثم امتدت شمالا .

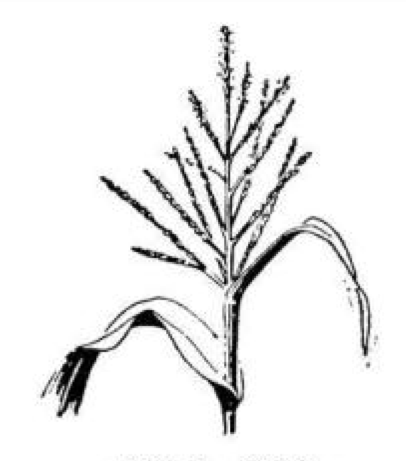
وكشف التاريخ العلمى الحديث باستخدام الكربون المشع ، وقد سبق



ان جاء وصف هذا في العربي) عن تاريخ بعض الحبوب التي كشف عنها الحفر ، فاذا بعضها تأريخه كان قبل ۱۰۰۰ سنة، والآخر تاريخه قبل الفي سنة .

ودخل كولمبس امريكا ، ودخل معه من اهل أوروبا من دخل، فوجدوا زراعة الذرة تمتد من مناطق البحيرات شمالا الى شيلي والأرجنتين جنوبا . فتحقق لهم ان الذرة كانت هناك عماد العيش .

ومن عجيب أمر الذرة أنها في فرنسا تسمى بالقمح التركي Blé de Turkie وفي ايطاليا تعرف بالحب التركي Granoturko وفي تركيا بالحب المصري، وفي مصر بالذرة الشامية Durra ولعل هذه الأسماء صيغت هكذا لأنها احتفظت بمصادر دخولها الاولى الى كل هذه البلاد .



ـ شرابة نبات الذرة ،
وهي تتضمن أعضاء التذكير .



د ـ خيط من شوشة كوز ، وقد سقط
عليه شيء من غبار الطلع (الذكر) .

اقتبس الأمريكان من الهنود الحمر زراعة الذرة وحصادها

واقتبس الفاتحون الأمريكيون من الهنود الحمر ، سكان أمريكا، كل ما يتصل بالذرة ، زراعة ، وحصادا ، واختزانا بعد ذلك واستعمالا . وطرقهم الى اليوم قائمة أساسا على ذلك لم تتغير كثيرا .

ومضى جيل على فتح امريكا فجيل ، فاذا الذرة تصل فيما تصل الى افريقيا والهند والتبت والصين ، وانتشر زرعها في الصين حتى جعل عليها امبراطور الصين ضريبة .

وظهر اول وصف نباتي للذرة في المصادر الأوروبية في عام ١٥٤٢ ، وفي المصادر الصينية في عام ١٥٧٨ ، وهي أول اشارة اليها في المأثور من المخطوطات .

ولقد بحثنا في المصادر العربية ، فوجدنا ذكر الذرة في مادة (ذ رو) وفيها أن الذرة « حب معروف » . ولكن هذا لا يدل على أن الذرة التي نتحدث عنها هنا هي ذلك « الحب المعروف » . فلعله حب آخر كان يسمى ذرة، من ذرا يذرو . فلما جاءت الذرة الهندية ، ولم يكن لها اسم أطلقوا عليها هذا الاسم ،اسم الذرة، فشاع عنها . وهي لا تمت لذلك الشيء القديم بصلة .

ويؤكد هذا ما ذكره صديقنا المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في كتابه «معجم الالفاظ الزراعية » قال عن الذرة انها من اصل أمريكي ، ولذلك لم تعرفها العرب وليس لها ذكر في كتبهم .

انواع الذرة

انواع الذرة عديدة .

فهي تختلف في طول الساق ، فمنها ما طول ساقه يصل الى قدمين ، ومنها ما طول ساقه يصل الى ٢٠ قدما .

ومنها ما ينضج في ٦٠ أو ٧٠ يوما ، ومنها ما يغيب نضجه فلا يتم الا في ١١ شهرا .

ويختلف عدد الورق على الساق . ويختلف عدد صفوف الحب على كوز الذرة الواحد ، فقد تكون ٤ وقد تكون ٣٦ صفا. وطول الكوز صغير حتى ليكون بطول ابهام اليد ، وقد يكون كبيرا جدا حتى ليصل الى القدمين طولا .

وكذا اللون يختلف ، في ساق وورق وشوشة ، من أخضر الى احمر الى بني اللون . والحب نفسه قد يكون أصفر اللون او أبيضه ، او به شيء من حمرة .

ومنذ عقدين من الزمان حصر العلماء سلالات الذرة فوجدوا أنها بين ١٠٠ و١٥٠ سلالة مختلفة في الدنيا .



هـ ـ جزء السنداة المحتوى على اللقاح (الذكر) وقد تدلى من بعض شرابة النبات وتهيأ ليفرغ ما به من غبار طلع الى اسفل .

ودخلت عملية التهجين الى الذرة ، مقصودة وغير مقصودة ، فكانت السبب في كثرة السلالات، وفي تحسينها وفي زيادة محصولها ، خصوصا لما دخل اليها التهجين العلمي الذي يتخير من الأنواع التي يجمعها على التهجين تلك التي هي اقمن باصابة الفرض منه .

ولقد انتهت الذرة الى نحو خمسة اقسام ، اشتهرت الآن في التجارة ، وهي صنوف تزرع فتنتج مثيلاتها صادقة وتجمعها الخمسة الأشكال التي في الصورة المرفقة . ونجمل وصف كل منها فيما يلي :

الذرة السن Dent Maize

وتتميز حبتها بحز في راسها تنشأ من ان النشا الطري والجامد في الحبة لم يجف كله جفافا واحدا . وساق هذا الصنف طويلة ، تتراوح بين ٨،١٥ قدما، ولا تحمل غير كوز واحد . ولكنه كوز كبير ، يصل الى ١٠ بوصات طولا ، ويزن نحو ثلاثة ارباع الرطل ، ويكون به صفوف عمودية من الحب قد تصل الى ٤٨ صفا .

ومن هذا الصنف تخرج اكثر ذرة التجارة في الولايات المتحدة ، في الحزام المعروف بحزام الذرة .

الذرة الصفوان Flint Maize

وسميت كذلك لقلة النشا الطري الموجود في الحبة ، تطوقه سويداء جامدة تلف الحبة. ولذا يختفي الحز الذي كان في الذرة السن .

وساق هذه الذرة تطول من ٥ الى ٩ اقدام ، ويغلب أن تحمل كوزين. والكوز طويل مستدير ، وحبوبه جامدة ملساء، تبلغ صفوفها العمودية ما بين ٨ الى ١٦ صفا .

وهذه الذرة سريعة النضج .

الذرة اللينة او الذرة الدقيق Soft or Flour Maize

وفي حبتها تختفي السويداء الجامدة اختفاء . وهذا الصنف هو الذي كان يزرعه الهنود الحمر بكثرة لأنه سهل الدق . وهو ينضج متأخرا . وهو لا يزرع في الولايات المتحدة بكميات تجارية.

الذرة الحلوة Sweet Maize

وحبتها فيها السويداء نصف شفافة او قرنية Horny ، ونشاها قد تحول كثيرا او قليلا الى سكر . والحبة لها شكل الخابور ، وسطحها متجعد تجعدا خاصا تعرف به .

وهذا النبات يصلح للمناطق التي هي اكثر برودة ، وهو النوع الذي يستزرع للتعليب .

ذرة النشا او الذرة المتفتقة Pop Corn

وحبتها في العادة متطاولة وبيضاوية الشكل ، وهي صغيرة ، وجامدة صوانية ذات قشرة صلبة . وسويداؤها اكثرها من النوع الجامد اللامع .

وهذه الحبات الجافة اذا تعرضت للحرارة الشديدة ، انفجرت وتحولت الى كتلة منتفشة خفيفة ناعمة لذيذة الطعم ، هي الفشار المعروف . ووجود الكثير من السويداء البيضاء في الحبة يمنع من هذا التفرقع .

الـذرة في الولايات المتحـدة

واستخرجوا من هـذه السلالات الخمس وغيرها مشتقات كثيرة .

وذكرنا ما ذكرنا اعتماداً على ما يجري في مزرعة العالم الأولى للذرة ، وسوقها الأولى ، تلك الولايات المتحدة . فهي تنتج أكثر من نصف انتاج العالم من الذرة .

والذرة في الولايات المتحدة هي أكثر المحاصيل انتشارا ، وهي تزرع ف نحو ٧٥ في المائة من حقول البلاد .

ومما تميزت به الولايات استخدامها للتهجين ، فبه زادت المحصول زيادة كبرى في السنوات الحديثة .

وباستخدام التهجين تضاعف انتاج الفدان كثيرا .

وقد بلغ متوسط انتاج الولايات المتحدة في منتصف العقد السادس من هذا القرن ، اى في منتصف السنوات الخمسينيات الماضية، نحو ٣٠٠٠ مليون بوشل في العام (البوشل مكيال للقمح يساوى ٣٢،٥ لترا) ، وانتاج البرازيل ٢٤٠ مليون ، والأرجنتين ١٩٠ مليون . والمكسيك ١٤٠ مليون .

استخدام الذرة في اطعـام الحيوانـات

وبدانا باطعام الحيوانات لأن ٨٠ في المائة من الذرة التي تنتجها الولايات المتحدة تستخدم في اطعام الحيوانات . ونصف ذلك لتربية الخنازير ، والباقي لتربية المواشي لألبانها ولحمها ، وتربية الخيول والبغال ; وكذا الدواجن .

وقد أحصوا ان رطلا واحدا من لحم البقر يحتاج انتاجه الى ما بين ١٠ و١٢ رطلا من الذرة . وان انتاج رطل واحد من لحم الخنزير يحتاج الى ما بين ٦ و٨ ارطال من الذرة . ولاطعام الأبقار يستخدم النبات كله .

ومن طريف الاحصاء ايضا انهم حسبوا فوجدوا انه ، في الحزام المعروف في الولايات بحزام الذرة ويشمل ثمانية من الولايات هي : اوهايو، وانديانا، والونوى، وايوا ، ومنسوتا ، وجنوب داكوتا ، وميسورى ، ونبراسكا ، انه في هـذا الحزام ينتج اكثر محصول الولايات من الذرة .

فقد اجتمع خصب الارض، الى التكنية الزراعية المتقدمة ، الى المزارع المثقف المتقدم، الى صنوف الذرة الممتازة ، ليخلق كل ذلك مدنية زراعية لم تعرفها الدنيا من قبل . فالمزارع الكافي الواحد يستطيع بمساعدة رجل واحد آخر ، ان يزرع من الذرة ما يتنشأ عنها من لحم الحيوان ما يكفي لاطعام ٣٠٠ الى ٤٠٠ انسان من سكان المدن .

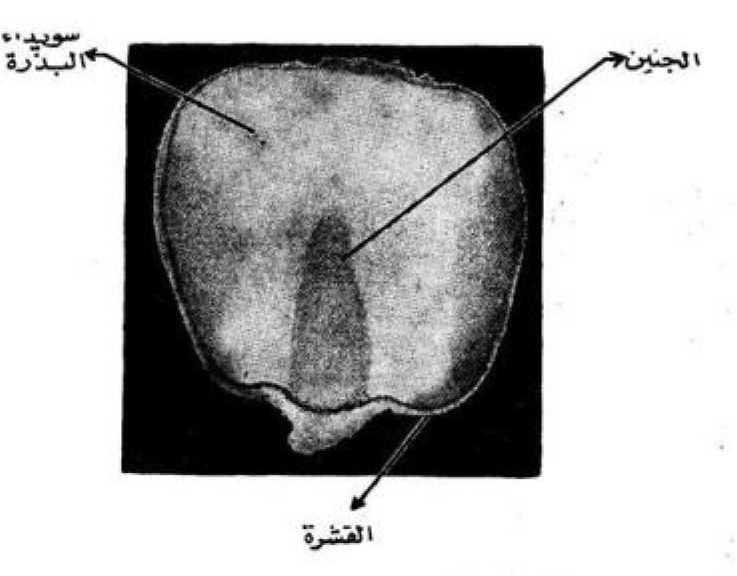
استخدام الذرة في اطعـام الانســان

تستخدم الذرة جزءا أصيلا للانسان فى كثير من الأقطار ، فهي كذلك فى دول امريكا اللاتينية ، وفي جنوب الولايات المتحدة ، وفي جنوب أفريقيا ، وفي الهند، وفي مصر وغيرها من البلاد .

ودقيق الذرة غير صالح لصنع الرغيف المتماسك الخفيف بسبب ما احتواه من هواء. وذلك لاعوازه «العرق» الذي يوجد في دقيق القمح ، ذلك البروتين المسمى بالجلوتين Gluten أو الغروين الذى يظهر، بعجن الدقيق بالماء ، وكأنه نوع من المطاط انتشر في العجينة فعمل كالمساك لها ، يربط بين اجزائها ، وعند التخمير يحتفظ بغازاته المتصاعدة التى تجعل الرغيف خفيفا من بعد خبز .

وفي صعيد مصر يصنعون من دقيق الذرة أرغفة صغيرة (البتاو) ، تتماسك على الجفاف فكأنها الحجر .

ولكن في مصر يصنعون من دقيق الذرة ارغفة رقيقة واسعة لينة متماسكة، وذلك



الجنين : ومنه يخرج النبات ويتشكل
والسويداء : وهي حشو الحبة ، وغذاء الجنين عند تنبته ، الى ان يخرج من الارض ورقا ، وفي الارض جذورا ، يستطيع بها تغذية نفسه .
القشرة : وهي تتضمن الجنين والسويداء .

بعد خلط هذا الدقيق بدقيق القمح أو الحلبة او هما معا. وهذا الخلط يكمل النقص الموجود في دقيق الذرة ، من حيث تزويده بالعرق ليتماسك ويصنع منه الرغيف ، ومن حيث استكماله لبعض الأحماض الأمينية البروتينية . فقد عرف ان الشعوب التي تكثر من اكل الأطعمة المؤسسة على دقيق الذرة مكان القمح تصاب بالمرض المعروف بالبلجرا Pellagra او الحصاف او هو مرض الذرة ، وهو من امراض سوء التغذية .

وفي غير مصر يخلط دقيق الذرة لهذه الغاية بدقيق القمح او دقيق الجودار Rye .

وفي غير الخبز يستخدم دقيق الذرة في سائر الأطعمة المطبوخة في امريكا وغيرها كالعصائد ونحوها ، وفي الفطائر واشباهها .

والذرة الخلوق، وهي ان تحصد الحبة في دور « اللبن » ، مصدر للغذاء طيب . وهي تؤكل طازجة او معلوبة او محفوظة مثلوجة .

وذرة الفشار لها آكلوها في المغرب والمشرق من الأرض كثيرون ، بعد أن تصبح فشارا .

الذرة في الصناعة

لا يعفى من نبات الذرة شيء لا يستفاد منه . كل له الى الصناعة طريق .

فالساق للورق وصناعة الألواح التي تكسى بها جدران الحجرات وسقوفها .

وقشر اكواز الذرة او ان شئت قشر عرانيسها ، فللحشو والقولحة للحريق ، او لصناعة الفحم ، أو استخراج المذيبات العضوية .

ثم عمليات صناعية هدفها الحبة نفسها ، ويستخدم في هذه العمليات في الولايات المتحدة نحو ٩ في المائة من المحصول . وهي تنتج النشا ، والأصماغ والزيوت ، ويستخدم التخمير لانتاج المشروبات الروحية من النشا وكذا الكحول الخالص .

●●

أحمد زكي

شعر : خالد محيي الدين البرادعي

■ يبكي التراب الراحلين .
فالى متى سنظل نحن مسافرين ؟
وبلا طريق راحلين ؟

★ ★ ★

ـ لا تسأليني يا ربابُ !
فالحزن يبتلع الجواب
ودموعنا تسقي الخراب
والقحط عشش في مراعينا الخصاب
فالصمت ـ ان لم تسألي ـ او تسألي،
عندي الجواب .
اني مَلِلتُ من العتاب .
مللَ الغَريق من الثياب .
وسئمت أهوال النوى ،
ونسيت معنى الاغتراب .
وعشقت ـ من طول اصطحاب ـ
هذا التفكك ، والتمزق والعذاب
ادمنتهـا
ادمنتها الاشياء في ظلم الرحاب .
ونسيت ما معنى الاسى .
ونسيت ما معنى الهزيمة والمصاب .

★ ★ ★

فلمن . دموع أهرقتْ ؟
لمن التوجع والانينُ ؟
والدار يحرسها غطيط النائمينْ
والوحش من خلف السياجْ
من خلف جدران الزجاجْ
متمتعٌ برؤَ ى الدماءِ
تراق في اعراسهِ .
والحاملو قيم الوجودِ
« اليومَ » من حرّاسهِ
مستبشرٌ ، حر ، طليقٌ
يهذي ، ينام ويستفيقْ
وتغسلت مأساتنا الحمقاء في سيل
جديدْ .
حمل القمامة والقشور وتنن موبوء
الصديد .
وغبار اقباء الظلام وطين احذية العبيد
وتمزقت مأساتنا
في خنجر العدْل الدقيقْ .
وغدا الجريح مهوّجا
في « سرْك » تجار الرقيقْ
وغدا القَتيل مغنيًا
في عرس قاتله الرفيقْ
وغدا الجريح بداره
مستجديا ،
مستعطفا
صدقاتِ سالبه الشفيقْ .
والوحش ينفثُ سمّه
متلونا كتلون الحِرباء في وجه الشروق

★ ★ ★

لا تسأليني يا رباب
الحزن قد اكل الجواب
والجرح ينزف تحت مكذوب الضماد
والنار تذكو تحت اكوام الرماد .

ومباضع الجرّاح تعرّض خلف
أستار المزاد .
والعادلون الطيبونَ ..
على الموائد يبحثونَ ، وبين ايديهم
كتاب .

★ ★ ★

ورجعت ، بعد الغيبة البلهاء من نفق
أغترابْ .
بعد السؤال بكل دربٍ ..
والوقوف بكل بابْ ..
بعد التسكّع ، والتذلل في «مقاصير
الحوار» .
بمعابد المتلذذينَ
بقطع اعناق الصغار .
بعد السجود ...
أمام قدّيس بقلب مُستعار .
الارض باكيةٌ خلوٌ الدار من ارج
الصحابْ .
ـ قال الكتابْ :
وتلهفَ المتشردون لهدم تمثال
العذابْ .
الحافرون بحربة القلق الطريقْ .
السائلون عن الشروق
والليل يدفعهم مع الاسلابِ
في النفق العميق

وسألت نفسي يا رباب:
او ما خلقتُ لكي اعيش على التراب ؟
واشم مسفوح الربيع ..
الحلو من صبح الشباب ؟
وتشقّق الوهم الكبير .
وتفجّر الماء الزلال من الصخور .
وتنفست رئة الكفاحْ .
وتنهدت تلك البراعم في عساليج
الصباحْ .
وتمزق الليل المبلّل بالنواحْ .
واشتد ساعده الصغيرْ .
وتفسخ الصبر المرير .
ليلوح درب العائدين الى الديار

★ ★ ★

لا تسأليهم يا ربابْ
الصمت أقمى ، تحت زمجرة الضرابْ
لا تسأليهم يا رباب
في النار في الالغام في ظمأ الحراب
كان الجواب
او تسألين أيا رباب ؟
ان الجواب مخبأ تحت الحراب
كالنار . خبأ وجهها الكبريتُ في
عود الثقاب . ■■

الكويت ـ **خالد محيى الدين البرادعي**

العربي : اتضح لنا ان الشاعر نجار ، وقد زارنا ، وحمدنا منه الجمع بين الصنعة والشعر ، ووجدنا فيما صنع نموذجا يحتذى ، لا سيما عند العرب ، فلا يزال عند بعض الاقوام العربية احتقار للعمل تقوم به اليد ، ورفع للعمل يقوم به الراس والقلب . والراس والقلب ، كاليدين من خلق الله جميعا .

صيغة « فُعَال »

(١) « فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار » . (صورة طه ٨٨)

صيغة « فعَال » مصدر دل على صوت . وتشاركها في هذه الدلالة « فعيل » مثل « هديل » .

(٢) في الشتاء يكثر الزكام والسعال والصداع .

صيغة « فعَال » .. هنا دلت على علة .

وربما جاء « فعَال » مصدرا غير دال على ذلك ، تقول سأل سؤالا .

(٣) « ان هذا لشيء عجاب » . (سورة ص ٥)

دلت صيغة « فعَال » على صفة مبالغ فيها . فانت تقول هذا امر عجيب ، فاذا بالغت قلت : هذا امر عجاب . وهكذا تقول : هو كبير وكريم وعظيم طويل .. فاذا بالغت في وصفه بالكرم والكبر .. فقلت : هو كرام وكبار وعظام وطوال ..

اما اذا اردت أن تصل الى منتهى المبالغة ، فانك تجيء بصيغة « فعّال » بضم الفاء ، وفتح العين المشددة . تقول هو طوّال وحسّان وجمّال . وفي القرآن « ومكروا مكراً كبّارا » (سورة نوح ٢٢) وفي حديث جويرية « وكانت امرأة ملاّحة » اى شديدة الملاحة .

ومن اسماء العرب صبّاح ، ومعناها الكثير الصباحة . والصباحة معناها الجمال ، فالصبّاح أكثر جمالا من الصبيح .

(٤) « يا بشرى هذا غلام » . (سورة يوسف ١٩)

« اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب » . (سورة المائدة ٣١)

« يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .
(سورة الرحمن ٣٥)

صيغة « فعَال » هنا ليست مصدراً ولا صفة ، وانما هى اسم جامد .

(٥) « وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه » . (سورة الحج ٧٣)

« فعَال هنا جمع فعالة » فالذباب جمع ذبابة .

وكذلك صيغة « فعّال » المشددة قد تأتي جمعاً ، مثل جهّال وزوّار . جمع جاهل وزائر .

(٦) « أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع » . (سورة فاطر ١)

صيغة « فعَال » هنا دلت على تكرار العدد ، اى ثلاثة ثلاثة ، واربعة اربعة .

وهذه الصيغة من الأسماء الممنوعة من التنوين في آخرها .

عبد الستار فراج

العقل في تراثنا العربي

كما استخدم العربي القديم عقله في إنتاج تراثنا القديم وجب على العربي الجديد أن يستخدم عقله في إنتاج تراثنا الجديد


ارسطو

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

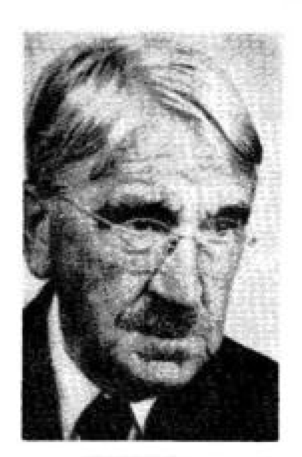
■ اما ان الأمة « العربية » لا تكون « عربية » الا اذا لحقت بثقافتها صفات تبرر هذه التسمية المميزة ، ثم لا تكون هذه الصفات مبررة للتسمية تبريرا كافيا ، الا اذا كانت هناك حلقة رابطة بين العربي اليوم والعربي بالأمس، فذلك قول يحمل صدقه في لفظه ، لا يحتاج منا الى براعة في التدليل ولا مهارة في البرهان ، والا فمن ذا الذي يطالبنا بالدليل واقامة البرهان على أن ما هو « عربي » لا بد أن يكون « عربيا » .

كيف تقوم الحلقة الرابطة بين أمسنا ويومنا

لكن الذي يتطلب منا العناية حقا ، ويقتضي شيئا من العناء والحذر ، حتى لا تزل القدم ، هو الجواب عن سؤالنا : « كيف » ؟ كيف تقوم الحلقة الرابطة بين امسنا ويومنا ؟ كيف تكون الصلة بين الأسلاف وبيننا ـ في مجال الفكر والثقافة ـ بحيث تجيء هذه الصلة طبيعية فيها نبض الحياة ، لا متكلفة ولا مصطنعة ، فنصون تراث الأسلاف من جهة ، ولا نطغى على شخصية الأحفاد من جهة أخرى ؟

قد يكون الجواب عن هذه الأسئلة قريبا ميسورا عند بعضنا . وهم أولئك الذين يحسبون أن اعادة طبع الكتب القديمة ـ مهما بلغ الجهد في تحقيقها ـ فيها الكفاية ، أليس « الجاحظ » قاعدا هنا على رف ـ هكذا أتخيلهم يقولون ـ و« التوحيدي» مستريحا هنالك على رف ؟ ألست ترى « الخليل وسيبويه » يعمران ذلك الركن ، و « الأمالي » و« العقد الفريد » و« نهاية الأرب » تعمر هذا





جون ديوى

الركن من أركان المكتبة ؟

اما كاتب هذه السطور فلا يرى الجواب عن سؤالنا : « كيف » ؟ بهذا القرب كله وهذا اليسر كله ، فاذا ما استوت كتب الأسلاف محققة على رفوف المكتبات ، فعندئذ « يبدأ » العمل ولاينتهي، عندئذ نطالع هذا التراث ، ونلم به ، لنسأل انفسنا بعد ذلك : كيف يتاح للعربى المعاصر أن يتابع أسلافه ليسير معهم على خط فكرى واحد ، فيصبح عربيا بقدر ما كانوا هم عربا ، ويحق له القول في صدق انه هو الحفيد وانهم هم الأسلاف؟

مثلان أسترشد بهما

وانني ليحضرني الآن مثلان ، أذكرهما لأسترشد بهما في تلمس الطريق الى جواب صحيح ، فأما أول المثلين فهو شرح ـ بين غيره من الشروح ـ النظرية الارسطية في الشعر (وفي الأدب والفن جملة) وهى النظرية القائلة بان الفن « محاكاة » للطبيعة ، وهنا يسأل النقاد الشارحون : ماذا قصد اليه أرسطو « بالمحاكاة » حين جعلها محورا



محمد اقبال

للادب وللفن كله ؟ كان بين الشارحين شارح فهم المحاكاة على انها محاكاة في طريقة الفعل والأداء ، لا على انها اعادة وتكرار للنتيجة التى انتهى اليها الفعل والأداء ، فقد أنتجت الطبيعة شجرة الورد ـ مثلا ـ وجئت انا الأديب أو الفنان ، وأردت محاكاتها ، فهل تكون المحاكاة أن أصف شجرة الورد كما وقعت في الطبيعة ، أو أن أرسمها باللون على لوحة ؟ ان هذا يكون اعادة وتكرارا لما هو كائن ، فلماذا أصف شجرة الورد ،وشجرة الورد نفسها قائمة هناك في بستانها لمن يشاء ؟ او لماذا أرسمها باللون على لوحة ، والأصل هناك أوفى من صورته ؟

لا ، ليست هذه هي المحاكاة المقصودة ، انما المحاكاة بمعناها المقصود هنا ـ وهو المعنى الخصب المفيد ـ هى ان ارى ماذا « تفعل » الطبيعة وهى تخلق نتاجها ، « لافعل » مثلها حين اخلق نتاجي ؟ فاذا رأيتها تسوى كائناتها تسوية تجعل من كل كائن وحدة عضوية تتصل اجزاؤها جميعا اتصالا لا يجعل أحدها يستغنى عن سائرها، ثم اذا رأيتها تسوى كائناتها تسوية تجعل من كل كائن فردا فريدا يستحيل ان يماثله كل المماثلة فرد آخرمن افراد نوعه،فضلاعن افرادالانواع الاخرى، اذا رأيتها تفعل ذلك ، ثم اردت محاكاتها في نتاجي من ادب وفن ، وجب ان تجيء القصيدة من الشعر ، او المسرحية ، او اللوحة ، او التمثال ، او القطعة الموسيقية ، بحيث تكون وحدة عضوية من جهة ، وبحيث تحمل الخصائص الفردة الفريدة التى تجعل الثمرة الناتجة كائنا لم يماثله ، ولن يماثله كائن آخر على طول التاريخ .

هذا أحد المثلين اللذين حضراني ، وأما المثل الآخر ، فهو جون ديوى حين اراد التجديد في الفلسفة على وجه العموم ، وفي المنطق على وجه الخصوص ، ليجيء تجديده مسايرا للعلم الحديث، ذكر لنا في كتبه كيف انه حين يخرج على التقليد الارسطي في تصوره للمنطق ، فهو لا يخرج على ارسطو نفسه ، بل يحاكيه ويقتفى اثره ، على ان

فهمه للمحاكاة واقتفاء الاثر هو ان يصنع لهذا العصر مثل ما صنع ارسطو لعصره ، لا ان يجيء قارئا آخر يضاف الى عشرات الالوف ممن قرءوا ارسطو ودرسوه ، ووقفوا عند هذا الحد ، كأنهم نسخات مضافة الى النسخات التى اخرجتها المطابع من مؤلفات الفيلسوف اليوناني . لا ، بل سأل جون ديوى نفسه ـ او هو كمن سأل نفسه : ماذا فعل ارسطو لعلم عصره لأفعل مثله لعلم عصرى ؟ آاذا كان ارسطو قد حلل علم عصره ، فوجده علما استنباطيا كله ، يقيم النتائج اللفظية على مقدمات لفظية توجبها وتحتمها ، ثم صاغ هذا المنهج الاستنباطي الذى « يقيس » النتائج على المقدمات ، صياغة كانت هي « المنطق » افيكون حتما علينا كذلك ان نفرض هذا المنهج القياسي اللفظى فرضا على علوم عصرنا ، وهي في تجاربها ومعاملها وحساباتها ومعادلاتها ؟ بل الاصوب ان « نحاكيه » فى الوظيفة التى اداها لعلم عصره ، بان نؤدى نظيرها لعلم عصرنا ، وفي هذا اجلال له وتعظيم ، وفيه متابعة السير على طريق شقها هو ولبث فيها اماما .

حضرنى هذان المثلان ، عندما سألت نفسي : كيف يواصل « العربي » المعاصر « العربي » القديم ، ليضاف الى التليد ، وليكون طريق السير موصولا فى تاريخ واحد ، لامة واحدة ؟ وكانت بداية الجواب عندى هى الاهتداء بهذين المثلين فى فهم « المحاكاة » ـ فما علينا الا ان نتعقب هؤلاء الاسلاف ، لنرى ماذا صنعوا تجاه دنياهم ، لنصنع نظيره تجاه دنيانا ، فعندئذ نحافظ على السمات الاصيلة التى تميزنا ، دون ان نقتصر هذه المحافظة على اعادة الناتج نفسه مرة اخرى فى نسخة اخرى .

ميَّز العربى القديم نظرته العقلية الى العالم

وانى لازعم هاهنا بان ابرز ما كان يميز العربي القديم وقفته تجاه العالم من حوله ، هو انه نظر اليه نظرة « عقلية » ، فاذا كان امره هكذا ، ثم اذا اردنا مواصلة السير على هدى من تراثنا لنربط حاضرا بماض ، لزمت علينا الوقفة نفسها تجاه عالمنا ، فلئن كانت مشكلاتهم غير مشكلاتنا ، واهتماماتهم غير اهتماماتنا ، فذلك لاينفى ان نصطنع « النظرة » التى اصطفوها ، فنتحد معهم من « وجهة نظر » ، وان لم نتشابه واياهم فيما ينظر اليه من مشكلات ومسائل ـ لكن الامر بحاجة الى شرح وتوضيح :

ماذا نريد بقولنا العقل

واول التوضيح هو ان نبين فى جلاء ، ماذا نريد بقولنا « عقل » ؟ فلا يجدينا شيئا ان نقذف بهذه الكلمات المحورية قذفا ، لنبنى عليها اقوالا على اقوال ، كأنما هي من الوضوح بحيث لايسأل عن تحديدها ، مع انه اذا لم تكن امثال هذه الكلمات غامضة مبهمة ، فاين نجد الغموض والابهام ؟

ولا حيلة لنا ـ فيما اظن ـ عندما نتعرض لتحديد لفظ هام عام كهذا ، تشعبت فيه الاراء ، الا ان نحدده نحن على الوجه الذى نريد له ان يؤديه ، ولغيرنا ان يحدده على الوجه الذى يريد ، اذ العبرة في هذه الحالات وامثالها هي بطريقة استخدامك للفظ ، فى سياق حديثك ، بحيث تتسق معك اطراف الحديث ، وبحيث يظل للفظ معناه الذى حددته له من اول حديثك الى آخره ، اما ان نقول ان فلانا حدد اللفظ بكذا ، وفلانا الآخر حدده بكيت ، فذلك « تاريخ » يصلح للقواميس ، لكنه ليس طريقا لاختيار معنى معين واستخدامه بالفعل .

ومع ذلك ، فمما تجدر ملاحظته في هذا الموضع ، انه مهما اختلفت تعريفات الناس للفظة « عقل » حين ارادوا استخدامها فى شيء من الدقة ، فانهم جميعا ـ فى عصرنا الراهن على الاقل ـ متفقون على ابعاد معنى لا يجوز ابدا ان ينصرف اليه مفكر واحد ، وهو المعنى الذى يتصور ان ثمة في عالم الكائنات كائنا ، مستقلا بذاته ، قائما برأسه ، اسمه « عقل » ، كما يشير اسم « هملايا » ـ مثلا ـ الى جبل معين معلوم ، فلتتعدد التعريفات كما يريد لها اصحابها ، على ان تلتقى كلها عند نقطة واحدة ، هي ان « العقل » اسم يطلق على فعل من نمط ذى خصائص يمكن تحديدها وتمييزها ، والفعل ضرب من النشاط ، يعالج به الانسان الاشياء على وجه معين ، فاذا كنت انفق مالي على اساس العقل ، فليس هنالك بالفعل الا طريقة تناول ، واسلوب فى التصرف والسلوك ، فكاننا اذ نسأل ماذا نريد « بالعقل » ـ نسأل فى الحقيقة : بماذا يتميز التصرف واوجه السلوك ، حين يوصف الموقف بانه قائم على « عقل » ؟

لقد كانت للشاعر الفيلسوف محمد اقبال ملاحظة جديرة بالنظر . اوردها فى كتابه عن

« التجديد في الفكر الاسلامي » ، مؤداها ان محمدا ــ عليه السلام ــ كان لا بد ان يكون خاتم الانبياء ، وان تكون رسالته آخر الرسالات ، لانه جاء ليدعو الى تحكيم « العقل » فيما يعرض للناس من مشكلات ، وما دمت قد ركنت الى العقل ، فلم تعد بحاجة الى هداية سوى ما يمليه عليك من احكام ، أليس العقل ــ كما يقول الجاحظ ــ هو وكيل الله عند الانسان ؟ (راجع رسالة المعاش والمعاد ، الجزء الاول من رسائل الجاحظ ص ٩١) ، « وانما سمي العقل عقلا » ــ كما يقول الجاحظ أيضا (رسالة كتمان السر وحفظ اللسان ، الجزء الاول من رسائل الجاحظ ، ص ١٤١) ــ « لانه يزم اللسان ويخطمه .. عن ان يمضي فرطا في سبيل الجهل والخطأ والمضرة ، كما يعقل البعير » .

فاما التحديد الذي اريد ان احدد به معنى « العقل » ــ حين استخدم هذه الكلمة في هذا السياق ــ فهو الحركة التي انتقل بها من شاهد الى مشهود عليه ، ومن دليل الى مدلول عليه ، من مقدمة الى نتيجة تترتب عليها ، من وسيلة الى غاية تؤدي اليها تلك الوسيلة ، واهم كلمة في هذا التحديد ، هي كلمة « حركة » ، فاذا لم يكن انتقال من خطوة الى خطوة تتبعها فلا عقل ، اذا ادركت شيئا دون ان « تنتقل » من هذه الحالة الادراكية الى حالة تليها وتتوقف عليها ، فلا عقل ، اذا حملقت ببصري في ثمرة صفراء ، فلا اجاوز منها الا انها شيء أصفر ، فلا عقل ، وانما يكون العقل اذا انتقلت من رؤية تلك الكرة الصفراء الى العلم بأنها شيء يؤكل ، اذا جاءني احد بنبأ ، فصدقته ايمانا ، ووقفت منه عند هذا الحد ، فلا عقل ، انما يكون العقل حين انتقل من ذلك المسموع الى ما يؤيده او ينفيه ، اذا زعمت ان حقيقة ما اشرقت على ذهني بلمعة مفاجئة ، لم يكن قبلها من مقدمات تؤدي اليها ، فلا عقل ، حتى ان صدقت تلك الاشراقة ، لان صدقها حينئذ يعتمد على اداة أخرى من ادوات الادراك ــ كالبصيرة مثلا او الالهام ــ غير اداة العقل ، فالعقل انتقالة دائما ، هو انتقالة من عبارة لفظية الى عبارة تلزم عنها ، اذا ما كنا في مجال « تستنبط » فيه حكما من حكم ، او هو انتقالة من شاهد محسوس الى واقعة تترتب عليه وتتبعه ، اذا ماكنا في مجال « نستقريء » فيه حكما من مشاهدات .

واختصارا ، فان حد « العقل » هو ان ينتقل الانسان من معلوم الى مجهول ، من شاهد الى غائب ، من ظاهر الى خفي خبيء ، من حاضر الى مستقبل لم يحضر بعد امام البصر ، او الى ماض ذهب وانقضى ولم يعد مرئيا مشهودا ، ومن ثم كان العقل هو الذي يتعقب الحدث الى اسبابه ، او الى نتائجه ، في الحالة الاولى يكر راجعا من الحدث الظاهر الى علة حدوثه وقد اختفت ، وفي الحالة الثانية يتشوف المستقبل قبل حدوثه ، مرتكزا في ذلك على الحدث الماثل في لحظته الراهنة ، واما ان ترى الشيء وقد انكشف وتجلى ، فلا عقل في ذاك ، بل لا فرق فيه بين عاقل ومخبول ، ويحلو لي ان استشهد بالجاحظ مرة اخرى ، في قوله عن الحكيم انه من يحسن الخطو الى الهدف الذي يبتغيه ، « ويبين اسباب الامور ويمهد لعواقبها ، فانما حمدت العلماء بحسن التثبت في اوائل الامور ، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب ، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم ، فاما معرفة الامور عند تكشفها وما يظهر من خفياتها ، فذاك امر يعتدل فيه الفاضل والمفضول ، والعالمون والجاهلون » (رسالة المعاش والمعاد) .

بهذا التعريف لمعنى العقل واجه العربي القديم العالم

بهذا التعريف الذي يحدد « العقل » قلنا ان العربي القديم قد تميز به كلما تأمل او نظر ، ومن شأن هذه الوقفة العقلية ان ترد الاشتات الى وحدة تضمها ضمة المبدأ الواحد لنتائجه المتفرعة ، او العلة الواحدة لسلسلة معلولاتها ، انه ــ وقد رأى العالم كثرة كثيرة من كائنات ــ لم يهدأ حتى التمس لها الرباط الموحد ، وحين رأى اللغة تجري على قواعد ، اقلقه الا يجد لهذه القواعد نفسها ما يعللها ، ولما رأى أحكام الشرع قد تشعبت ، اجتهد في ان يقع لها على فقه يجمعها في اصول قليلة مشتركة ، وهكذا طفق العربي يرد الكثرة الى وحدة تبرز ما فيها من تجانس ، وتميز المؤتلف بين وحداتها من المختلف ، وبذلك استطاع ان يهيىء لنفسه سبيل « الفهم » ــ وما « فهم » بشيء الا رده الى اصله ومبدئه الذي يفسره ــ فوقف من العلم ، ومن حياته وقفة بصيرة واعية ، وهكذا ينبغي ان تكون وقفة العربي المعاصر من عالمه ومن حياته ، اذا شاء ان يصل حاضره بماضيه ، وصلا حيا نابضا خصبا ولودا .

العرب وأرسطو

رسم ارسطو طريق العقل في سيره المحكم ، حين صنف رسائله المنطقية، والف ما سمي بالاورجانون، فمن ذا الذي يلقط الخيط من بعده اذا لم يلقطه العرب الاقدمون ؟ فقد كان ارسطو حين يحلل مراحل الفكر المسدد لقومه اليونان ، كانما يوجه تحليلاته تلك الى الفكر العربي من بعده ، ليجعلها هذا الفكر لا مجرد هداية يهتدى بها ، بل ليجعلها من اهم علامات المثقف في عصره ـ وعلامات المثقفين تختلف باختلاف العصور ـ فلا ثقافة لمثقف الا ان يتقن ـ فيما يتقنه ـ طرائق الاستدلال المنطقي السليم ، ولئن نعت ارسطو بانه المعلم الاول لمنطقه، فقد نعت الفارابي بانه المعلم الثاني لتقديمه ذلك المنطق الى العرب .

لماذا لم تستجب الهند ـ مثلا ـ للمنطق الارسطى استجابة العرب ؟ قل في الجواب ما شئت ، لكن جزءا من الجواب عندى هو ان وقفة العربي من الامور طابعها العقل ، ولو لم يسبقها ارسطو بمنطق يسدد خطاها ، لكان حتما على العرب انفسهم ان يستخلصوا لانفسهم تلك الخطى.

للادراك وسائل أخرى غير العقل

واكاد اسمعك تسائلني : اليس « العقل » بخطواته الاستدلالية تلك التي رسم ارسطو بعضها، وبقى على المحدثين ان يرسموا بعضها الاخر ، اليس هذا « العقل » طابع الانسان من حيث هو انسان ؟ هل تفيدنا شيئا اذا ميزت لنا العربي او غير العربي بما هو صفة للانسانية كلها ؟ فأجيبك بان للادراك وسائل اخرى غير العقل ، منها الادراك بالحس كالبصر والسمع ، ومنها الادراك بالحدس (اى بالبصيرة) ادراكا مباشرا لانحتاج فيه الى مقدمات وبراهين ، ثم تاتى الشعوب المختلفة بثقافاتها المتباينة ، كما تاتى العصور المتعاقبة المتميز بعضها من بعض بالروح التي تسودها ، فيكون لكل شعب ، أو لكل عصر ، ما يجعل له الاولوية من تلك الوسائل الادراكية ، فمنها ما يعول على تجربة الحواس قبل تأملات العقل ولمعات البصيرة ـ كالشعب الانجليزى كما نراه في فلاسفته ـ ومنها ما يعول على استدلالات العقل القائمة على مقدمات مفروضة او مشهودة ـ والعرب من هؤلاء فيما أزعم ـ ومنها ما يجعل الاولوية للادراك الحدسي ، قبل الحواس وقبل العقل ، كالذى نراه في ثقافات الشرق الاقصى ، بل كالذى نراه عند المتصوفة جميعا ، في كل عصر ، وفي كل شعب ، غاية ما هنالك ، ان هذه النزعة الصوفية الحدسية قد تكثر حتى تسود في شعب او قد تقل حتى يغض عنها البصر في شعب آخر .

حيرة الانسان بين أدوات الادراك الثلاث

ولماذا اذهب بعيدا ، وقد نرى الرجل الواحد ـ اذا اشتد به الوعي ـ مترددا متحيرا بين هذه الادوات الادراكية الثلاث ، بايها ياخذ اذا ما جد الجد وحزب الامر ؟ فهذا هو امامنا الغزالي يصف لنا مثل هذا التردد أدق وصف واروعه ـ في كتابه « المنقذ من الضلال » ـ وقد انبهمت معالم الطريق امامه ، ويحكى حكايته وكانما هو في حوار حى مع تلك الادوات الادراكية ، تناقشه ويناقشها ، « فاقبلت بجد بليغ ، أتامل في المحسوسات والضروريات وانظر : هل يمكنني ان اشكك نفسي فيها .. »

... « فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات ، فلعله لا ثقة بالعقليات ... فقالت المحسوسات : بم تامن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ، وقد كنت واثقا بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ؟ فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ... ولعل تلك الحالة ما يدعيه الصوفية انها حالتهم ، اذ يزعمون انهم يشاهدون في احوالهم التي لهم ـ اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم ـ احوالا لاتوافق المعقولات » .

هذا هو رجل واحد يداول الامر بينه وبين نفسه ليختار من وسائل الادراك وسيلة يطمئن اليها (وقد اختار آخر الامر وسيلة الحدس ، اى وسيلة المتصوفة في الادراك المباشر) فاى غرابة اذا قلنا ان الشعوب او العصور يتميز بعضها من بعض بسيادة وسيلة ادراكية على الوسيلتين الاخريين ؟ انه لا غرابة ، ولقد تميزت الثقافة العربية القديمة ـ فيما ازعم ـ باختيارها لوسيلة العقل ، برغم ما شهدته من متصوفة جاءوا كرد الفعل الذى يحدث شيئا من التوازن ، اكثر مما جاءوا ليكونوا هم اللسان المعبر عن وقفة العربي ونظرته .

بل انى لاعتقد ان الشعب الذى يتميز بالنظرة العقلية ، اذا ما رايناه ـ في بعض رجاله ، او في بعض حالاته ـ لاندا بطراوة الوجدان ورخاوته ،

من ضعف العقل وقسوته (والادراك الحدسي هو ادراك بالوجدان) فانما نرجح عندئذ ان قد اصابه شيء من الوهن والضعف ، فالركون الى حدس الوجدان كثيرا ما يغرى عامة الناس دون القادة الاعلام ، وهو يغرى عامة الناس في عصور التدهور.

الركون الى حدس الوجدان يعزى اكثر مايعزى للنساء (عندما كن مرتكزات على الغريزة وحدها) والاطفال وصنوف من الحيوان ، فهؤلاء جميعا لايحسنون ربط الاسباب بمسبباتها ، ولذلك يكثر منهم السلوك المفاجيء الطاريء غير المطرد وغير المتوقع ، واحيانا يكون هو السلوك المودى بصاحبه الى تهلكة ، ومع ذلك ، فاذا ما غلبت روح الانهيار جماعة من الناس ، كثر فيهم من يكاد يأخذ بلمحات الاطفال الحدسية ، قبل ان يأخذ بنتائج العلماء العقلية ، اعتقادا منهم ان الاولين انما يدركون بالروح الشفافة الصافية ، واما الاخرون فيدركون بالعقل الرذل الثقيل ، ومن هذا التشكك في قدرة العقل — في حالات الضعف والمرض والشيخوخة والهزيمة والجهل والفقر والسذاجة — تشيع الخرافة ، ويشيع الايمان بحدوث الخوارق المعجزة التى تقصر العقول العلمية المنطقية دون فهمها .

شهدنا هذه الحالة في فترة الظلام من تاريخنا الفكري — في الثلاثة القرون التي امتدت من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر — فكانت هي الحالة التي ركز عليها المصلحون ضرباتهم لتزول ، وعلى رأس هؤلاء كان الامام محمد عبده ، وليس الامر في ذلك بمقصور علينا ، فكذلك حدث في الفكر الاوروبي ان ظهرت دعوات قوية الى الركون الى حدس الوجدان ، قبل الاخذ باحكام العقل ، كما رأينا — مثلا — في برجسون وغيره ، وما ذلك — في رأينا — الا لخور اصاب الفكر الغربي ، فاستجار من العقل بالوجدان ، لعله يجد الطمأنينة في فترة سقوطه .

الشعر العربي
حقق المزاوجة بين العقل والوجدان

على ان الاعتراض الاقوى لما نزعمه من ان الروح العربي الاصيل روح عاقل ، قد يجيء من قبل الشعر ، اكثر مما يجيء من جهة التصوف ، اذ لامراء في ان سمة من اهم سمات الثقافة العربية القديمة ، سيادة الشعر واهمية مكانته ، وماذا يكون الشعر ان لم يكن صادرا عن « وجدان » ، فحتى الجاحظ ، الذى يمكن القول عنه انه نقل الثقافة العربية من شعر الى نثر ، تعبيرا عن انتقالها من بداوة الى حضارة ، حتى الجاحظ بكل نثره وكل عقله وكل منطقه ، لم يغمض عينه عن الحقيقة البارزة في ثقافة العرب ، وهي انها ثقافة شعر ، فيقول في ذلك ، وهو في معرض الموازنة بين الامم في خصائصها المميزة : « وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب» (الحيوان ، ج ١ ، ص ٧٥) ، وكذلك يقول في موازنة اخرى بين مميزات الامم ، ان العرب « وجهوا قواهم الى قول الشعر ، وبلاغة المنطق ، وتثقيف اللغة ، وتصاريف الكلام » (رسالة « في مناقب الترك ») .

وهذا هو ابو العلاء يكتب — في رسالة الغفران — عن الجنة والجحيم ، فاذا هو لايكاد يطلعنا منهما الا على زمرة من الشعراء ، يلتقى بعضهم ببعض ليتبادلوا نقد الشعر وروايته ، انك لاتصادف في جنة ابى العلاء احدا من رجال السياسة والحكم ، بل توشك الا تصادف فيها احدا من عباد الله الا الشعراء ، وحتى من غفر له من الشعراء ، فقد غفر له بسبب بيت أو ابيات من شعره ، ومن لم يغفر له منهم ، وزج به في الجحيم ، فانما كان — كذلك — لزندقة وردت فيما نظم من شعر ، وحين جيء بآدم عليه السلام في سياق الوصف ، فانما جيء به ليحكم في بعض قضايا اللغة والشعر ، بل حين يجعل ابو العلاء ركنا للجنيات والعفاريت ، فهو يجعل هؤلاء من الشعراء ، أو ممن خلده الشعر ،وفي جنته قيان ومغنون، لكنهم هناك لاحياء مأدبة دعي اليها الشعراء ، فجنة ابي العلاء — كما يقول نكلسون — « صالون » فخم اعد لطائفة عربيدة من الشعراء ، لكنها على عربدتها ظفرت بالخلود بسبب شعر قالوه فاجادوا ، الشعر هو كل شيء او يكاد ، في جنة ابى العلاء ، وكذلك قل في الجحيم ، فليس فيها من غير الشعراء الزنادقة الا ابليس — والا نفرا من جبابرة الملوك — وحتى ابليس هناك قد لبس شخصية الاديب حين ينفث الشر في ادبه ، وشعراء الجحيم : ومنهم امرؤ القيس ، وعنترة ، وعلقمة ، وبشار ، لم تشغلهم جهنم عن مناقشة بعضهم بعضا عن اشعارهم واشعار سواهم ، وكل منهم يدفع عن شعره عبث الناقلين واخطاء الرواة .

للشعر — اذن — مكانة عليا في الثقافة العربية ، فكيف نوفق بين صفة الشعر الغالبة ، وبين زعمنا بان العرب قد تميزوا بنظرة عقلية ؟

وانا أسأل هذا السؤال لاسد الطريق على من يسأله ، كأنما بين الامرين تناقض يحول دون ان يجتمعا معا ، فكم وقع لنا - في خبراتنا الشخصية المحدودة - من امثلة لرجال جمعوا بين العقل العلمي اذا ما كان المجال مجال عقل وعلم ، ووجدان الاديب كلما استثارت وجدانهم احداث الحياة ؟ واذا صدق هذا على افراد من الناس ، فماذا تكون الامم الا مجموعات من افراد ؟ وهو على كل حال اصدق في الامة العربية منه في اى امة اخرى مما نعرف ، فنحن هنا اذ نثبت للثقافة العربية حظها من العقل ، لايطوف لنا ببال ان ننفى عنها الوجدان الشاعر .

نقول ان هذا الجمع بين العقل والوجدان لايتمثل في تراث ثقافي بمثل الوضوح الذى يتمثل به في الثقافة العربية وتراثها ، فلئن غلبت ثقافة الوجدان على تراث الشرق الاقصى من هند وصين، وغلبت ثقافة العقل - فلسفة وعلما - على تراث اوروبا من يونانها فنازلا الى يومنا ، فقد كان في شرقنا العربي هذا الجمع المتزن بين عقل ووجدان ، ولست اقول ذلك عن زهو ودفاع ، وانما اقوله من وقفة المؤرخ للثقافة ، المحلل لخصائصها ، ينظر فيما قد حدث بالفعل ، وما قد نتج بالفعل ، ثم يصدر الاحكام .

لقد تمثلت الثقافة العربية فلسفة ارسطو بكل ما فيها من علم وعقل ، بنفس القوة التي تمثلت بها صوفية افلوطين بكل ما فيها من ركون الى الحدس بالوجدان ، ان الامر هنا لم يكن امر جوار ، بحيث نجد الفلسفة الارسطية في غرفة وفلسفة افلوطين في غرفة مجاورة لها ، بل الامر امر دمج ومزج في نظرة واحدة .

وان هذه المزاوجة الثقافية بين العقل والوجدان، لتلائم المزاج العربي ، واللغة العربية ملاءمة كاملة ، فبحكم ذلك المزاج يفصل العربي بين السماء والارض ، بين المطلق والنسبي ، بين اللانهائي والمحدود ، بين خلود الاخرة وفناء الدنيا ، يفصل بينهما ذلك الفصل الذى لا يجعل لكل عالم من العالمين اهلا غير اهل العالم الاخر ، بل عنده ان اهل هذا هم أنفسهم أهل ذلك ، غير ان الواحد تمهيد للثاني ، كما تكون المقدمة للكتاب ، فاذا اساغ غير العربي ان يكون لقيصر عالم ولله عالم ، وان تكون مملكة الارض غير مملكة السماء ، فالعربي يفصل ان يجعل العالمين كليهما لله ولقيصر ، ليكون الله حاكما في كليهما ، وقيصر محكوما في سجليهما ، وجاءت اللغة العربية فشاركت في هذه المزاوجة مشاركة عجيبة ، فهي حين تزخرف نفسها وتصقل بدنها ، يخيل اليك انها ليست لغة لاهل هذه الارض ، انما هي الى ملكوت السماء اقرب وادنى ، فاذا شاءت ان تمشي مع الناس في اسواق التجارة ودواوين الحكم والسياسة ، استقامت وكأنها قد بانت لغة اخرى ، ولا عجب بعد ذلك ان نحس شيئا من الحيرة حيالها : ألها من القداسة نصيب، أم انها اتفاق صرف تواضع عليه اصحابها ؟

على أن الشعر العربى لم يخل من لقطات مردُّها الى العقل

على انني - بعد هذا كله - كلما قرأت شعرا عربيا ، احسست بما لست احس نظيره اذا ما قرأت شعرا انجليزيا ، اذ يخيل الي عند قراءة الشعر العربي ، ان الشاعر يعمل عقله في التركيب والصياغة ، وان « الصنعة » جزء لاينفك قائما في بناء الشعر العربى ، مهما اوتى الشاعر من تلقائية الطبع ، نعم ، يخيل الي هذا دائما - وقد لايعدو الامر ان يكون خيالا عندى - لكنى اجد له في كثير من الاحيان ما يبرره ، فاولا - اجد في الشعر العربي من اللقطات الحسية - اعنى مما يقع عليه البصر او السمع فعلا في دنيا الاشياء - اكثر مما الحظه في شعر سواه ، واللقطة الحسية من الواقع المشهود ، هي اول خطوة في طريق العقل ، وثانيا - يحتوى الشعر العربي على قدر من « الحكمة » اكثر مما اجد في سواه ، والحكمة حقيقة موضوعية يعمم بها الشاعر حكمة على الناس والعالم ، لاتختلف في احيان كثيرة عن تعميمات علم النفس وعلم الاجتماع ، وثالثا - لم يكن نادرا بين شعراء العرب ان يقصدوا بشعرهم اهدافا غير الشعر نفسه ، اعنى ان الشعر قلما كان عندهم من اجل الفن الشعرى ، بل كان في حالات كثيرة وسيلة لغايات ، تتبدل تلك الغايات بين يوم ويوم فتتبدل معه الوسيلة ، وهذا من قبيل النشاط العقلي . اكثر مما يكون من دنيا الوجدان ، ولو صدق ظني هذا ، كان العربي القديم - حتى وهو شاعر - رجلا يملك العقل زمامه .

والعرب التمسوا ، حتى في لغتهم ، واللغات مسموعة ، العلل العقلية المفسّرة

قد كان لا يطعن في عقلانية النظر عند العرب ، الا ينظروا الى لغتهم النظرة التى تحاول أن تعلل

قواعدها على أسس منطقية لأن اللغة مسموعة منقولة بمفرداتها وقواعد تركيبها ، فلا ضير على قوم أن يقولوا عن لغتهم : هكذا سمعناها ونقلناها ، فقد نرفع الفاعل وننصب المفعول لغير علة مفهومة الا أن نجرى في ذلك مجرى الأسلاف ، دون أن يكون الاخذ بالتقليد في هذا الجانب مأخذا ينتقص من صفة العقلانية فينا ، فما بالك ـ اذن ـ أن تجد العرب قد حاولوا ـ حتى في جانب اللغة وقواعدها ـ أن يلتمسوا العلل المفسرة ؟ انه ايغال منهم في طلب العلة المعقولة حيثما صادفتهم ظاهرة ، اجتماعية كانت أو طبيعية .

وحسبنا ان نطالع في ذلك كتابا واحدا ، هو كتاب « الخصائص » لابن جني ، لنرى ـ ونعجب ـ كيف راح يبحث لكل وضع من أوضاع اللغة عن علة تفسره ، فهو يسأل ـ ابتداء ـ عن اللغة العربية أكلامية هي أم فقهية ؟ (راجع الخصائص ج ٨٨/١، وما بعدها) .

ويعني ذلك ما اذا كانت أوضاعها قابلة للتعليل أو غير قابلة ، بحيث يكون علينا ان ناخذ هذه الأوضاع بغير تعليل كما ناخذ ـ مثلا ـ عدد الركعات في الصلاة ، ثم يجيب قائلا : « اعلم أن علل النحويين .. اقرب الى علل المتكلمين ، منها الى علل المتفقهين » ، ومن هذا المبدا ينطلق باحثا فاحصا معللا بالمنطق لا بالنقل والتقليد ، فلماذا ـ مثلا ـ رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته . وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون » (ج ١/ص ٦٩) وهو يبين ان الضمة والواو ثقيلتان على لسان العربي، والفتحة والألف خفيفتان عليه(ج١/ص٦٩)

ولماذا يكثر الأصل الثلاثي في اللغة العربية ، دون الرباعي والخماسي ؟ الجواب هو : « لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه ، وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه اقل حروفا ، وليس الأمر كذلك .. واقل منه (من الثنائي) ما جاء في حرف واحد .. فتمكن الثلاثي انما هو لقلة حروفه ـ لعمري ـ ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذي هو عينه ، بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ولتعادي حاليهما ، الا ترى أن المبتدأ لا يكون الا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون الا ساكنا ؟ فلما تنافرت حالاهما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه »(ج ١ / ص ٥٥ ـ ٥٦) .

ومما هو ادخل في باب العقل ، عند النظر الى اللغة العربية وخصائصها المميزة ، ركونها الى المقاييس المعنوية أكثر مما تركن الى المقاييس اللفظية (الخصائص ، ج ١/ص ١٠٩) ، وأنهم عند اختلاف الرأى ليستمعون الى البرهان المنطقي الاقوى ، حتى ولو خالف ذلك ما أجمع الناس عليه ، وحتى لو لم يأت ذلك على لسان امام من أئمة اللغة الأسبقين ، أما الناس فقد « يجتمعون على الخطأ » (ج ١/ص ١٨٩) وأما عن الأئمة كالخليل وأبى عمرو بن العلاء ، فكل من اهتدى الى علة منطقية صحيحة ، والتمس في تدليله نهجا قويما « كان خليل نفسه ، وأبا عمرو فكره » ص (١٩٠) أعني انه يوضع في الامامة لنفسه موضع الخليل وأبى عمرو ، وليس لأحد أن يحتج على صاحب الدليل العقلي ، بأنه انما أقام دليله على شيء لم يعرف له نظير فيما قاله العربي ، لأنه « اذا دل الدليل ، فانه لا يجب ايجاد النظير .. لأن ايجاد النظير بعد قيام الدليل انما هو للأنس به ، لا للحاجة اليه ، فاما ان لم يقم دليل ، فانك محتاج الى ايجاد النظير»(ص١٩٧).

واستطيع أن أستطرد الى ما شاء الله في بيان أن فقهاء اللغة العربية قد حاولوا أن يجدوا لأوضاع اللغة وقواعدها مبادىء عقلية تفسرها ، وليس المهم في ذلك أن يوفقوا هنا وأن يخفقوا هناك ، بل المهم هو أنهم قد اختاروا الوقفة العقلية المنطقية .

واذا كانت تلك هي عقلانية العربي القديم فيما لم يكن يلزمه بالنظر العقلي ، فمن باب أولى أن نجد هذه الوقفة أوضح وأجلى فيما يستوجب عقلانية النظر ، كعلم الكلام ، والفلسفة ، فضلا عن العلوم رياضية كانت أو طبيعية ، مما نشير اليه هذه الاشارة العابرة ولا نطيل الوقوف .

الجواب عن السؤال المطروح : على العربي المعاصر أن يتبع العربي القديم في اتخاذ العقل وسيلة لحل كل مشكل جديد

ونعود الى ما بدأنا به ، وهو محاولة الجواب

عن سؤال طرحناه : كيف يتاح للعربي المعاصر أن يتابع السير على طريق العربي القديم ، لتجيء عصريته عصرية وعربية معا ؟ والاجابة المقترحة هنا هي : أن يكون ذلك باتخاذ الوقفة نفسها التي وقفها سلفه، لينظر الى الأمور بالعين نفسها، ألا وهي عين « العقل » ومنطقه دون الحاجة الى اعادة المشكلات القديمة بذاتها ، ولا الى الاكتفاء بالتراث القديم لذاته ، فاذا كانت قد عرضت للأقدمين — مثلا — مسألة « الكبائر » ومرتكبيها ، أيعدون كفارا لارتكابهم تلك الكبائر ، أم يظلون على ايمانهم برغم ما اقترفوا ؟ وذلك بمناسبة موقف الخوارج من جهة ، وموقف المرجئة من جهة أخرى ، حيال من اخذوا بالتحكيم بين على ومعاوية ، ثم اذا كان المعتزلى واصل بن عطاء قد اختار لهذه المسألة موقف العقل المتروى ، قائلا ان مرتكب الذنب الكبير ليس كافرا — كما يقول عنه الخوارج — ولا هو مؤمن — كما يقول عنه المرجئة — ولكنه في منزلة بين المنزلتين ، فلا هو مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، وتعليل ذلك عنده هو أن الايمان مجموعة كبيرة من الصفات ، فاذا ارتكب المؤمن ذنبا في احداها ، وبقيت له سائرها ، فانما يكون ايمانه قد نقص ولم يرتفع عنه ارتفاعا كاملا .. فهل يجوز للعربى المعاصر أن يقف من الأمر عند حد تلاوة هذا الخبر مرة ومرة وألف مرة ، ليزعم أنه بذلك يحيى التراث ؟ كلا، بل الاحياء الصحيح هو أن يأخذ العربى المعاصر من موقف العربى القديم صورته لا مادته ، فيأخذ مثل هذه الوقفة العاقلة المتزنة المتوسطة بين تطرفين ، ليطبقها بعد ذلك فيما يعرض له هو من مشكلات عصره ، كمشكلة الفرد والجماعة — مثلا — أنجعل الفرد محورا أولا وآخرا لنضمن له حريته ، أم نطويه في الجماعة طيا لنضمن العدل لبقية الأفراد ؟ فهاهنا قد يقف العربى وقفة عربية أصيلة ، ليقول : الصواب منزلة بين المنزلتين ، مثال آخر : أنرغم شبابنا على التزام التقاليد في بنائهم لعلاقاتهم الاجتماعية ،كالطريقة التى يقيم بها الزواج والأسرة ، والتى ينظم بها علاقة الكبير بالصغير والحاكم بالمحكوم ، والغنى بالفقير ، والمخدوم بالخادم ؟ بحجة أن التقاليد عرف أجمعت عليه أجيال متعاقبة ؟ ها هنا أيضا قد يقف العربى وقفة عربيةأصيلة — يأخذ صورتها — دون مادتها — من التراث ، فيقول ان مجرد اجماع الناس لايكفى أن يكون دليلا مقنعا ، لأن الناس — كما قال ابن جنى بالنسبة الى اللغة — « قد يجتمعون على خطأ » ، وانما العبرة بما يقوم على « عقل » ، والعقل — كما حددناه — هو القدرة على الانتقال من وسيلة الى هدف ، فاذا كان الهدف المقصود هو أن تزدهر في المجتمع صناعة — مثلا — ثم اذا كان هذا الازدهار مرهونا بأن تحطم بعض التقاليد، برغم الاجماع عليها — فلتحطم ، لتكون وقفتنا حيال المسألة وقفة عقلية ، على نحو ما وقف أسلافنا .

ولكننى ألحظ عكس ذلك تماما في حياتنا الجارية، ألحظ مقاومة للعقل وأحكامه ، واستقبالا حسنا للوجدان وميوله ، أو قيل لنا ان العلماء يحاولون بالعلم —والعلم عقل — أن ينزلوا انسانا على سطح القمر ، رأيتنا وقد لوينا الشفاه امتعاضا ،سواء أفصحنا عن امتعاضنا ذلك بالعبارة أو لبثنا صامتين ، كأنما جهاد العقل في هذا السبيل قد داخلته الأبالسة بالشر والخبث والدهاء ، أو اذا قيل لنا ان العلماء يحاولون بالعلم — والعلم مرة أخرى هو عقل — أن يحلوا قلوبا سليمة محل قلوب مريضة ، أو ما شابه ذلك ، هززنا الأكتاف بالسخرية ، وكأن تلك المحاولة فيها ما يشبه الكفر بمنزلة الانسان وقيمته .

وانما ضربت هذين المثلين ، لأننى رأيت بعينى، وسمعت بأذنى ، عالمين من علمائنا — وأقصد بالعلماء هنا علماء البيولوجيا والفزياء وما اليها— رأيتهما وسمعتهما (في موقفين مختلفين) يندد أولهما بمحاولة الوصول الى القمر ، قائلا ان ذلك قد يزحزح هذا الجرم السماوى عن فلكه الذى أراده له الله ، فيكون من الكوارث ما يكون، ويندد ثانيهما بمحاولة استبدال الأعضاء السليمة بالمريضة قائلا ان ذلك محال لأنه ضد طبائع الأشياء والكائنات ، واذا كان ذلك شأن رجال العلم منا ، فاترك لك أن تتصور موقف عامة الناس .

كان للعقل أعظم القيمة عند أسلافنا ، فذلك ما ينبغى أن يكون له بين المعاصرين ، لنقول ان الأمة العربية واحدة ، تاريخها الفكرى موصول بين الأولين والآخرين . ■

زكي نجيب محمود



بَيْنَ مَنْ قَالَ إنَّ الزَّوَاجَ تَضْحِيَةٌ..

وَمَنْ قَالَ إنَّهُ حَاجَةٌ وَتَعَاوُنٌ وَمَوَدَّة.

بقلم : منير نصيف



■ اى التضحيتين في الزواج اكبر ؟ تضحية الرجل ، أم تضحية المراة ؟ هذا اذا افترضنا ان الزواج تضحية كما يراه الازواج انفسهم ، وكما يؤكد علماء النفس والاجتماع .

فالزوج يرى انه قد ضحى بجانب كبير من حريته بعد الزواج ، والزوجة ترى ان تضحيتها لم تكن اصغر ولا اهون ! فهي ايضا قد ضحت ولا تزال تضحى بالكثير من وقتها وراحتها من اجل اسعاد الرجل الذى ارتبطت حياتها به .

ولقد اختلفت الاراء .. فقال البعض: « عندما يتزوج الرجل ، فهو يضحى باكثر مما تضحى المراة .. فالزواج بالنسبة له هو خاتمة المطاف .. انه القفص الصغير الذى امتلأ بالطيور ، ووقف هو خارجه يرقبها متمنيا لو انه اصبح واحدا منها ، فلما دخل القفص ، هاله ان يجد ان كل من بداخله يريد الهرب منه !

تضحية المرأة أكبر

وقال البعض الآخر : « بل المرأة هي صاحبة التضحية الكبرى .. » وعندما تتزوج المرأة يصبح زوجها وبيتها وأطفالها ، أهم ما تشغل به في حياتها الجديدة .. اما الرجل فنراه يوجه اهتمامه كله بعمله ومستقبله ، احساسا منه بالمسئولية الجديدة ازاء هؤلاء الذين ربطوا حياتهم بحياته ومصيرهم بمصيره ، فهو يعمل على تجويد مركزه ويبذل جهدا اكبر في سبيل مضاعفة دخله وتنمية موارده وتطوير شخصيته وقدرته .

فالزواج بالنسبة له حافز على استمرار الكفاح والعمل فى طريق النجاح ..

وعندما تتزوج المرأة تشعر انها حققت هدفها ، فقد بدأت تعيش الحياة التى اعدتها لها الطبيعة .. الحياة الحقيقية التى طالما ظلت تحلم بها مع رجلها منذ أنعرفت الفرق بين الأنوثة والرجولة !

هدف الرجل في الحياة

وقد يمر الرجل بهذه اللحظة نفسها ولكن ليس في الزواج ، فهو يشعر انه حقق هدفه في الحياة عندما يقبض اول مرتب ، او عندما يتخذ اول قرار بحكم منصبه التنفيذى الجديد ، او عندما يلقى اول درس على تلاميذه في المدرسة ، او عندما يترافع في اول قضية امام المحاكم ، او عندما يفرغ من اعداد اول كتاب من تأليفه .. وهذا هو الفرق بين المرأة والرجل .. فالزواج بالنسبة لها هدف .. اما هو فنجاحه وتخرجه وبدء حياته العملية هو هدفه الاول والاسمى الذى يمكن بفضله وعن طريقه تحقيق كل اهدافه الاخرى في الحياة .. ومن بينها البحث عن المرأة التى سيختارها لتشاركه هذه الحياة .

وقد يقال ان المرأة اليوم غير المرأة بالامس .. فهى تتعلم وتحصل على ارقى الدرجات العلمية وتزاحم الرجل في ميادين العمل والحياة .. تلك التى كانت مقصورة على الرجل وحده حتى عهد قريب .. فهل يعتبر الزواج بالنسبة للمرأة المتعلمة العاملة هدفا ايضا !

وظيفة المرأة .. والزواج

ويتطوع علماء النفس بالرد على هذا السؤال فيقولون : « وهل غير تعليم المرأة واشتغالها بمختلف المهن والحرف من طبيعة تكوينها الفسيولوجى ؟ » .. لقد خرجت المرأة وتعلمت ونافست الرجل في مختلف الميادين .. ولكنها بقيت بعد ذلك امرأة ضعيفة في حاجة الى ذراع قوى يحميها ويرعاها ويدفع عنها ذئاب الليل وخبايا الظلام » .

فالوظيفة لاتغنى المرأة عن الزواج .. وقد يبقى الرجل بلا زواج .. اما المرأة فهي تعتبر الزواج حماية ووقاية وتأكيدا لأنوثتها ولدورها في الحياة.

من هذا نستطيع ان نعرف اين يقف الرجل ، واين تقف المرأة من الزواج ، وايهما اكثر حاجة من اخيه للزواج .

وننتقل بعد هذا الى موضوعنا اليوم .. اى الزوجين اكثر استعدادا للتضحية ، قبل الزواج وبعده ، في سبيل اتمام واستمرار هذا الرباط الطبيعي ؟

وهو سؤال صعب ، حار العلماء فى الاجابة عليه بصورة يرضى عنها الرجل ، وتعترف بها المرأة في نفس الوقت ...

ابحاث ودراسات

ومن اجل هذا اكتفوا بسرد النتائج التى توصلوا اليها في ابحاثهم ودراساتهم دون مجاملة او محاباة لاحد الجنسين .. ولم ينسوا بعد هذا ان يتوجهوا بنصائحهم الى الزوجين .. الى الرجل والمرأة ، في كيفية التغلب على هذا الشعور الذى يراود كلا منهما في بعض لحظات الغضب او اليأس ، بانه قد ضحى ، وانها قد ضحت .. وبالها من تضحيات !

والذى لا شك فيه ، كما قدمنا ، ان الرجل يضحى عندما يتزوج .. والمرأة تضحى عندما تترك بيت اسرتها وتنتقل الى بيت الرجل الذى اختارها شريكة لحياته .. فهي قد انتقلت من الحياة في كنف والديها ، اللذين اغدقا عليها من حبهما ورعايتهما الكثير مما انساها اعباء الحياة ومسئولياتها ، دون ان يفكرا مرة في الدور الذى ستقوم به ابنتهما في بيت رجلها ، كما فعلت أمها من قبلها !

فهي في بيت ابويها ، لا تحمل هما ولا تشعر باية مسئولية الا بالقدر الذى يتصل بتصرفاتها وواجباتها في المدرسة او الجامعة او المكتب اذا كانت فتاة عاملة .. فهي تقضي وقتها في العناية بشعرها ووجهها واظافر يديها .. او في الجلوس امام البيانو تعزف عليه موسيقاها المفضلة، او في قراءة كتاب جديد ، او في الذهاب الى دور السينما والنوادي مع صديقاتها وزميلاتها ..

اخطاء الاباء

اما اعمال البيت ، فهي لا تعرف شيئا عنها ، ان امها لاتترك لها شيئا تفعله ، واذا وقفت ترقب امها وهي تعد طعام الغداء او تنظف البيت ، فمن النادر ان يتجاوز دورها ، دور المراقبة او المتفرجة !

واهمال الفتيات وتدليلهن ، وعدم الاهتمام باعدادهن للحياة الزوجية ، خطأ يقع فيه معظم الاباء .. ولكننا لسنا بصدد الحديث عن اخطاء الاباء فهي كثيرة ، ولا شك انها تؤثر تاثيرا مباشرا في ذلك الشعور الذى يصيب الفتاة بعد الزواج بانها ضحت تضحية كبرى لايحس بها احد سواها !

المهم ، ان هذه الفتاة نفسها ، لاتكاد تنتقل الى الحياة الجديدة في بيت زوجها ، حتى تفاجا بمسئوليات الزواج ، التى لم تكن تخطر لها على بال .. فهى لم تعد تصحو من نومها في ساعة متاخرة لتجد طعام الافطار في انتظارها .. اذ يتحتم عليها الآن ان تترك فراشها في وقت مبكر لكى تعد الافطار لها ولزوجها .

بعد الزواج

وهي لم تعد تجد الوقت الذى تستطيع ان تخرج فيه مع صديقاتها ، فلا بد لها ان تعد طعام الغداء وتعنى بشئون بيتها والا قضت يومها ، هي وزوجها بلا طعام !

حتى البيانو الذى قد تكون تعودت ان تعزف عليه كل يوم احدى المقطوعات الموسيقية التى طالما كانت تتوق لسماعها ، قد نسيت مكانه ، فعلاه التراب وغطى اسلاكه الصدأ ..

وتنظر الى يديها وتحاول ان تحبس دموعها وهى ترى الجفاف الذى اصاب جلد يديها والتشققات التى ملات أصابعها واظافرها التى كانت تلمع بالطلاء الجميل .. وتتراءى لها صورة أمها وهي تعمل وتكدح في البيت من الفجر حتى المساء وقبل ان تدرك مدى التغيير الكبير الذى طرأ على حياتها ، تكون هى الأخرى قد أصبحت اما .. وهكذا تتضاعف واجباتها ومسئوليتها .. ويزداد شعورها بالتضحية ..

رأى الرجل في الزواج

وننتقل الى الرجل .. ولقد قال احدهم يوما : « ان الزواج خاتم جميل في اصبع المراة وطوق من حديد حول عنق الرجل ! » ولعله بهذه الكلمة القصيرة ، قد عبر عن شعور أبناء جنسه من الزواج .. فالرجل يعتبر الزواج سجنا اختياريا ، حبس فيه حريته، فلم يعد يمارسها الا بمقدار ما يسمح به حارس باب السجن .. ولعل هذا هو السبب الذى يدفع الرجل في كثير من الاحيان الى الحنين الى تلك الايام التى عاشها أعزب طليقا لا يحمل من هموم الدنيا شيئا .. يدخل ويخرج ، ويلهو ويمرح .. اذا شاء امضى الليل بطوله ساهرا .. واذا شاء حزم حقائبه ورحل الى حيث اراد .. فلا رقيب ولا حسيب ، يعيش لنفسه وليومه .. ولا ينظر

الى غده ، فالغد دائما يوم جديد ، وليحمل له ما يحمل من مفاجئات ، ايا كان نوعها وايا كان اثرها .. فمن ذا الذى يعبأ به فيفرح لفرحه ، أو يحزن لحزنه !

بين الامس واليوم

ويتزوج هذا الرجل .. فيحس بالفارق الكبير بين حياته بالامس وحياته الجديدة اليوم .. فهى لم تعد ملكا له وحده ، فهناك شخص آخر ، اختاره هو ليشاركه هذه الحياة ، ومن حقه أن يعرف كل شيء عن حركاته وتصرفاته .. ومن حقه أن يعطيه بعض وقته واهتمامه . فاذا تأخر عن موعد عودته من عمله الى البيت ، فلا بد له أن يقدم حسابا عن أسباب تأخره .. لا بد من أن يذكر دائما ان هناك شخصا ينتظر عودته ..

ثم هو يشعر بعد ذلك ان الزواج التزام .. فهو قد التزم بالحياة مع امرأته وام أطفاله .. والتزم بأن يعيش لبيته وزوجته فقط .. فيخرجان معا ويدخلان معا ثم يقضيان معا كل أيام عمرهما على الارض ..

وهذا الالتزام هو الذى يدفعه الى أن يترك الجلسة الممتعة التى جمعته بأصدقائه ، ليسرع عائدا الى البيت لانه وعد زوجته بأن يصطحبها الى المسرح فى المساء .. وهو الذى يذكره بموعد قيام الحافلة التى ستقله من عمله الى البيت ، لانه وعد زوجته بتناول طعام العشاء مع الاسرة ..

وماله ايضا ، انه لم يعد حر التصرف فيه ، فمن حق زوجته أن تعرف أين ينفق مرتبه وما هي الالتزامات الجديدة التى تستنفد موارده .. ولا بد له أن يشركها معه فى وضع ميزانية البيت ..

وكما أن الرجل يعتبر امرأته « ملكا له » ، فان الزوج ملك لها ..

★ ★ ★

وبعد .. ان الزواج تضحية .. ولكن بالرغم من التضحيات التى يبذلها الرجل ، وتقدمها المرأة ، فانهما يتزوجان .. وفى كل يوم تعقد عشرات الالوف من الزيجات فى كل أرجاء الارض الواسعة ، فهذه سنة الحياة .. وهذا سر استمرارها .. فهل الزواج تضحية حقا ؟

نحن الذين جعلناه تضحية بأسلوبنا فى الحياة وطريقة تفكيرنا ومعالجتنا للامور .. ولو اننا تريثنا وتوقفنا وتأملنا الحياة من حولنا لوجدناها أجمل واسهل مما تصورنا ونتصور بكثير .. فالرجل يتزوج لانه يشعر بحاجته الى المرأة ولانه يشعر بحاجة أكبر الى حياة الاستقرار .. الى حياة البيت والاسرة والاطفال .. ولانه بعد هذا قد ملّ الحرية ، تلك التى يحن اليها ويتباكى عليها بعد الزواج ولانه يريد أن يشاركه حياته بكل ما فيها من انتصارات وهزائم وأفراح وأحزان ، شخص يحبه ويخلص له ويرتاح لصحبته .

والمرأة أيضا تتزوج لانها تشعر بحاجتها الى الرجل الذى يحميها ويصبح أبا حنونا لاطفالها ..

وتصرفاتنا هى التى تشعرنا بالتضحية فى الزواج .. تصرفات الزوجة التى تنصب من نفسها رقيبا على زوجها ، وكأنه طفل كبير فى حاجة الى اصلاح وتقويم .. وتصرفات الزوج الذى يهمل زوجته ولا يقيم وزنا لمشاعرها !!

ثم حياة الزوجين .. ومسلك كل منهما ازاء الآخر ، وكأنه يؤدى واجبا تفرضه عليه تقاليد هذا الرباط الذى جمع بينهما ..

كل هذه عوامل تغذى الشعور الذى يراودنا فى بعض الاحيان بأننا قد بذلنا الكثير من التضحيات من اجل الزواج ..

وليس هو الزواج .. وانما الزواج حب وصداقة وتعاون وتفاهم متبادل بين رجل وامرأة ارتبطا من أجل بناء الاسرة والمجتمع .. وكل بناء فى حاجة الى جهد وعرق وتضحيات ..

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

■■

منير نصيف



مرض السكر

مستترا... ومحتملا... وبسيطا.

بقلم الدكتور
محمد أمين عبد المالك

زميل اكاديمية الطب بفينا
لأمراض الغدد الصماء

■ لقد تقدم الطب في السنوات الأخيرة تقدما ملموسا في شتى المجالات من بحث وعلاج واستقصاء. ومع ذلك فان حقيقة مرض السكر وايجاد تعريف مكتمل له لا يزالان في مرحلة الدراسة.

ونظرا لأن السكر مرض واسع الانتشار، ولا يخلو منه بلد، فقد أصبح الاهتمام به يكاد أن يكون عالميا. وهكذا تشعبت الأبحاث واتسعت، وأصبح السكر علما قائما بذاته يصعب حتى على المتفرغ له ان يتابع بدقة كل ما يكتب عنه.

وتركز البحث في الحقبة الأخيرة على الفترة التي تسبق ظهور أعراض السكر المعروفة للطبيب عند الكشف. ولذلك استحدثت تسميات جديدة لأنواع من السكر خاصة بتلك الفترة مثل : حالة ما قبل السكر ، Pre diabetes السكر المستتر Latent Diabetes والسكر المحتمل Potential Diabetes.

ونحن لا نتحدث عادة عن حالة ما قبل السكر الا بعد اكتشاف المرض. فنقول مثلا ان هذا المريض كان في مرحلة ما قبل السكر طيلة الخمس السنوات السابقة للتشخيص. وهذه الفترة تكون عادة قصيرة في الأطفال والشباب، ولكنها قد تكون طويلة جدا في البالغين.

أما السكر المحتمل فيعتبر موجودا في :

١ ـ معظم الأشخاص الذين هم من عائلات سكرية.

٢ ـ في السيدات اللواتي يلدن أطفالا كبار الحجم (فوق عشرة أرطال) أو أطفالا موتى دون وجود سبب طبي يبرر ذلك.

وكذلك فان السكر المستتر يعتبر موجودا في الأشخاص الذين ظهر بهم السكر في فترة معينة، وفي ظروف خاصة كالسمنة المفرطة، الحمل، العلاج بمركبات الكورتزون أو أثناء التعرض لأزمة شديدة.

والسكر البسيط هو ذلك الذي يكتشف حديثا

وتكون نسبة سكر الدم بعد ساعتين من افطار عادى لا تزيد عن ١٨٠ ملجرام في كل مائة سم٣ من الدم .

وقد اصبح الاهتمام بهذه الانواع كبيرا في الفترة الاخيرة لأن معرفتها قد تفتح مجالات جديدة للوقاية من هذا المرض اما بالعمل على تاخير ظهوره او تقليل حدته او منع حدوثه .

واختلفت الآراء حول كيفية معاملة هؤلاء الناس فالبعض يرى الاكتفاء بالتنظيم الغذائى وممارسة الرياضة البدنية لاعادة استهلاك الجسم للسكر الى الحالة الطبيعية. والبعض يرى أن اعطاء علاج منشط لخلايا البنكرياس لفترة من الزمن أمر ضرورى للوصول الى نتائج افضل في تاخير ظهور السكر أو منعه .

وفي السنوات الخمس الاخيرة حاولت المقارنة بين النهجين المذكورين فقمت بهذه الدراسة .

الطريقة والنتائج

بدات الدراسة باختيار الأشخاص الذين تنطبق عليهم شروط الفئات المذكورة . وفي الثلاث السنوات الاولى بلغ عدد المرضى المصابين بسكر بسيط ثمانية عشر ، وكلهم فوق الثلاثين من العمر ودون الستين ما عدا أخا واخته ، فقد كان عمر الآنسة ثلاثة عشر عاما وعمر أخيها خمسة عشر. وفي جميع هؤلاء كان سكر الدم بعد ساعتين من وجبة الافطار ١٦٠ ــ ٢٠٠ ملجرام في المائة سم٣ .

وبلغ عدد المتوقع اصابتهم اثنى عشر شخصا منهم اربع سيدات تعرضن لكوارث ولادية لا تفسير لها. أما الثمانية الباقون فجميعهم من عائلات يتركز بها السكر ، وحضروا للتأكد من عدم اصابتهم بالمرض ، وكان سكر الدم في الجميع اقل من ١٤٠ ملجرام في المائة .

وبلغ عدد الذين اعتبروا مصابين بسكر مستتر ستة أشخاص ، وهكذا فان مجموع أفراد هذه الفئة بلغ ستة وثلاثين شخصا . وكان التاريخ العائلى ايجابيا في اربعة وعشرين وسلبيا في اثنى عشر .

وفي بداية هذا العام (١٩٦٩) كانت مدة المراقبة لهذه المجموعة تتراوح ما بين ثلاث الى خمس سنوات .

قسم الستة والثلاثون شخصا الى مجموعتين :

المجموعة الاولى : وتضم اثنين وعشرين شخصا ومن ضمنهم الفتى والفتاة. التاريخ العائلى للسكر ايجابى في سبعة عشر شخصا . اعطوا جميعا جرعات مناسبة من عقار التلبوتاميد .

Tolbutamide

(رستنون) أو عقار الكلوربروباميد

Chloroprobamide

(ديابنيز) أو عقار الاسيتوهكسمايد

Acetohexamide

(دايملود) . وقد ظهرت في بعضهم علامات نقص السكر . فلم توقف الجرعة ولكنها خفضت الى أدنى حد . استمر العلاج لفترات لم تقل عن ثلاثة اشهر ولم تزد عن تسعة وصاحب ذلك تنظيم غذائى مناسب . وقد اوقف العلاج حين أصبح سكر الدم ١٨٠ ــ ١٢٠ في المائة بعد ساعتين من الوجبة . اما الذين استمر سكر الدم عندهم مرتفعا (فوق ١٨٠ ملجرام) فلم توقف الجرعات عنهم .

انقطع عن التردد ثلاثة اشخاص اعتبروا انفسهم قد شفوا . اما الباقون فكانوا يخضعون لفحص الدم مرة كل ثلاثة أو ستة اشهر . وتم في اوائل سنة ١٩٦٩ فحص الجميع وكانت النتيجة كما يلى :ــ

اثنان تطور بهم السكر الى سكر واضح واستمر علاجهم بالأقراص المذكورة .

خمسة أشخاص ارتفع سكر الدم بعد سنتين الى ثلاث سنوات من وقف العلاج ولكنه لم يزد عن ٢٠٠ ملجرام بعد الوجبة . أعيد اعطاء جرعات صغيرة من الرستنون او الديابنيز لمدة ثلاثة الى ستة اشهر اخرى . وما زال مستوى سكر الدم ضمن الحدود الطبيعية .

اثنا عشر شخصا حالتهم جيدة طيلة مدة المراقبة أربعة منهم مضى على مراقبتهم خمس سنوات . وخمسة مضى على مراقبتهم ثلاث سنوات ونصف تقريبا . وثلاثة مضى على مراقبتهم ثلاث سنوات .

ومعنى هذا أن $\frac{١٢}{١٩}$ من هذه المجموعة لم يعاودهم السكر وهؤلاء يكونون اكثر من ستين بالمائة من المجموعة الأولى .

وان $\frac{٥}{١٩}$ أصيبوا بسكر بسيط عاد واختفى بعد فترة أخرى من العلاج وهؤلاء يكونون ٣٠٪ من المجموعة .

وان $\frac{٢}{١٩}$ تطورت بهم الحال الى سكر صريح وهؤلاء يكونون حوالى ١١٪ .

اما المجموعة الثانية : فقد كان عدد افرادها اربعة عشر شخصا . كان التاريخ العائلي للسكر ايجابيا في سبعة منهم . جميع أفراد هذه المجموعة لم يعطوا علاجا ولكنهم نصحوا باتباع نظام غذائي معين . وروقبوا بنفس الطريقة وكانت النتيجة كما يلي :

ستة اشخاص ظهر بهم سكر واضح بعد عام او عامين من بدء الملاحظة . اثنان منهم يعالجان حاليا باقراص الديابنيز ، اما الأربعة الباقون فيعالجون بالانسولين .

ثلاثة لم يظهر بهم السكر حتى الآن .

اربعة ظهر بهم سكر واضح بعد ثلاث الى خمس سنوات .

واحد لم يتردد منذ سنتين .

ومعنى هذا : ان $\frac{1}{4}$ لم يظهر بهم سكر واضح، وهؤلاء يكونون ٢٢٪ من المجموعة .

وبمقارنة هذه النتائج يتضح ان اعطاء جرعات منشطة من مركبات السلفونايل يوريا له أهمية واضحة في تحسين حال البنكرياس وثم في تاخير أو منع ظهور السكر .

مناقشة عامة

المعروف أن مرض السكر عرف للانسان منذ القدم ، وعرفت عن طبيعته ومضاعفاته واضراره اشياء لا تزال معلوماتنا عنها ثابتة ، ولوحظ ان انتقاله من شخص لآخر يتبع نظاما وراثيا محضا . وهاهو العلم الحديث يكاد يجزم باهمية عامل الوراثة في اسباب السكر . وهذا يعني ان عامل الوراثة انتقل من الاسلاف القدامى جدا الى ابناء العصر الحالي . لذلك فليس بغريب اذا افترضنا أن هذا العامل يجب أن يكون موجودا في معظم الناس بدرجات من التركيز متفاوتة ، تعتمد الى حد كبير على نظام التزاوج العائلي الذي كان ، وقد يكون الآن ايضا يتبع نظاما قبليا او عائليا محضا . وهكذا فلا بد وان يكون هذا العامل الموروث اكثر تركيزا في افراد العائلات السكرية ، والتي لا تزال تحافظ على نظام التزاوج العائلي . وبمعنى اكثر تحديدا فان أفراد هذه العائلات معرضون جميعا للاصابة بالسكر وقابلون لاعتبارهم من ذوي السكر المستتر في ظروف خاصة يتعرضون لها . وهذا لا يعني نقاوة المجتمع من هذين الصنفين ، ولكن كما ذكرت فان وجودهما في افراد هذه العائلات اكثر وضوحا وتركيزا .

ويعتقد الكثيرون اننا لو استطعنا التوصل الى المميزات الاولية لمرض السكر والتي بواسطتها نستطيع اكتشاف أفراد هاتين الفئتين ، فانه يصبح بالامكان عمل اي شيء لمنع ظهور المرض او للاقلال من حدته .

وقد استحدثت عدة فحوص مخبرية لهذا الغرض ولكن اهمها فحص الكورتزون والجلوكوز الذي قد يكون له شان عظيم في المستقبل لانه كما اتضح من هذه الدراسة ومن دراسات أخرى متفرقة في بلاد اخرى أن اعطاء جرعات بسيطة من عقارات السلفونايل يوريا الى هؤلاء الناس يحسن الى امد بعيد مقدرة الجسم على استهلاك السكر وافراز الانسولين . لذلك فان الوقاية من السكر ومقاومة انتشاره يجب أن تتم بالوسائل الآتية : –

١ – السيدات اللواتي يظهر بهن السكر البسيط اثناء الحمل يجب أن يعالجن وكانهن مريضات فعلا بالسكر ولو أدى ذلك لاستعمال الانسولين .

٢ – يجب دراسة حالة كل سيدة تلد اطفالا موتى او كبار الحجم . فاذا تعذر ايجاد سبب طبي مقنع فالافضل اعتبار هؤلاء السيدات مصابات بالسكر المحتمل .

٣ – الأشخاص ذوو السكر المستتر والبسيط يستحسن أن يعطوا جرعات بسيطة من أقراص السلفونايل يوريا مع تحديد كمية السكر في الطعام لمدة لا تقل عن ستة اشهر .

٤ – يجب الحد من التزاوج بين أفراد العائلات السكرية وهذا لا يتم الا بنشر وعي صحي قوي بكافة وسائل الاعلام . ان ابطال هذه العادة سيلوث المجتمع بعامل الوراثة ولكن هذا التلوث سيكون بعامل ضعيف يزداد ضعفه من جيل لآخر .

٥ – على جميع افراد العائلات السكرية غير المصابين بالسكر حاليا أن يراجعوا بانتظام مراكز او عيادات مقاومة السكر لأخذ النصائح اللازمة والعلاج اذا استدعت الحال . وعليهم المحافظة على اوزانهم في حدود المعدل والابتعاد عن حياة الكسل والخمول .

٦ – يجب العمل على اكتشاف حالات السكر المستترة ، وذلك باجراء مسح عام يبدأ في العائلات التي يكثر بها تواجد المرض ■■

محمد أمين عبد المالك

تشريعات

لا بلاغة وحدها



بقلم : الدكتور أحمد عبد المنعم البهى

استاذ بقسم الشريعة بكلية الحقوق والشريعة ـ جامعة الكويت

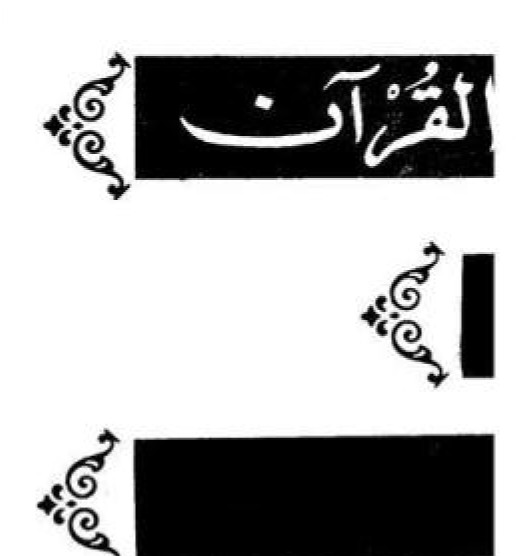
■ لا جدال في ان القرآن الكريم معجزة النبوة وآية رسالة محمد صلى اللهعليه وسلم ، وقد تحدى القرآن العرب حين نزوله على أن يأتوا بمثله او بعشر سوَر من مثله او بسورة من مثله فعجزوا ، وكان التحدى على مراتب .

المرتبة الأولى ان يأتوا بمثل هـــذا القرآن وكان هذا التحدي في قوله تعالى « قــل لئن اجتمعت الانس والجــن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » آية ٨٨ سورة الاسراء .

المرتبة الثانية أن يأتوا بعشر ســور مثله وكان هذا التحدى في قــول الله تعالى « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » . آية ١٣ سورة هود .

المرتبة الثالثة هى ان يأتوا بسورة من مثله وكان هذا التحدى في قــول الله تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » . آية ٢٣ سورة البقرة .

وما زال التحدى بالقرآن قائما الى يومنا هذا وما يأتى من مقبل الأيام الى أن تقوم الساعة لمن رابه شك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .



مجـال التحدى

ويمضي القرن الأول الهجرى أو أكثره والناس يتعرضون للمراد ، وهل هو تحد بالبيان والبلاغة والأسلوب والايجاز أو هو بهذا وغيره ، حتى يكتب العلماء في اعجاز القرآن فنرى اتجاها في كتاباتهم الى أن الاعجاز قائـم أولا ببلاغة القرآن وبعضهم يضيف الى ذلك أيضا الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة .

فنجد الامام أبا الحسن على بن عيسي الرماني المتوفي في سنة ٣٨٦ هـ . يذكر في رسالة خطية ان وجوه اعجاز القرآن تظهر من سبع جهات « ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة، والصّرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العـادة ، وقياسه بكل معجزة » .

ويعلق السيوطى من علماء القرن العاشر الهجرى في كتابه الاتقان في علوم القرآن على بعض ما جاء في رسالة الرمانى فيقول : « ونقض العادة » هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ، ومنها السجع ، ومنهـا الخطب ، ومنها المنثور الذى يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة ، لها منزلةفيالحسن تفوق بهكل طريقة» .

ويعنى بهذا أن أسلوب القرآن الكريم جـاء فريدا في مخاطبة الوجدان وايقاظ الحواس بغير أسلوب الشعر المألوف ، وفاقالنثر في طريقة تأثيره وتعبيره فكان بهذا معجزا لمخالفته المألوف والعادة .

ومن هذا الرأى أخذ بعض الباحثين المعاصرين قولهم أن القرآن ليس شعرا ولا يوصف بأنه نثر ويقسمون الكلام اليثلاثة أقسام،شعر ونثر وقرآن.

ويمضي العلماء في بحوثهم ودراساتهم عـن تحدى القرآن الكريم ويتجهون الى أن هذا التحدى قائم أصلا وبالذات على بلاغة القرآن ، ولا يعولون على أكثر من ذلك مع أن عالما جليلا منهم أشار الى نظرية جديدة في اعجاز القرآن ، وكانت جـديرة دون شك بانتباه العلماء والتفرغ لبحثها الا انهم فيما أعلم ومن مراجعة المؤلفات في عشرة القرون الأولى للهجرة التى تكلمت عن اعجاز القـرآن لم يلقوا بالا الى الاهتمام بما وجّه اليه هذا العالم وأشار اليه .

ففى القرن السابع الهجرى كتب الامام أبو عبد الله محمـد بن احمـد الأنصـارى القـرطبى والمتوفى سنة ٦٧١ هـ . في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » والمعروف بتفسير القرطبى عن اعجـاز القرآن ، وعدّ أوجها عشرة يرجع اليها اعجازه ومنها تشريعاته وفي هذا يقول : « ما تضمنه القرآن من العلم الذى هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وسائر الأحكام » (١) فيشير بهذا الى

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٧٥ ط. دار الكتبالمصرية .

اعجاز القرآن التشريعي الا ان هذا لا يجد اهتماما في محيط العلماء والباحثين .

وفي بداية القرن العشرين عنى الامام محمد عبده المتوفى سنة ١٩٠٥م. بشرح الأوجه العشرة التي عدها القرطبي وبيَّن جوانبها بشكل أوسع(٢) مع مراعاة الاختصار والايجاز ، كما عنون لهذا الموضوع ، ويعرض لاعجاز القرآن بتشريعاته في حدود ما التزمه من الاختصار والايجاز .

اعجاز القرآن بتشريعاته لا يمكن تجاهله

واهتمام هذين العالمين بهذه الدراسة او التوجيه اليها جدير دون شك بكل عناية ورعاية ، واذا كنا نسلم مقدما بان آيات القرآن الكريم ليست تشريعا كلها فانا ناخذ باعجازه التشريعي في الآيات التي فيها تشريع ونعول على الاعجاز البلاغي وغيره بها وفي الآيات الاخرى ، لأن اعجاز القرآن بتشريعه يجب ان يكون محط اعين الدارسين والباحثين .

وتبرز أهمية هذه الدراسة كلما تعمقنا في فهم اسرار التشريع وتقصي المصلحة من ورائه والحكمة منه .

واذا ادركنا أن تشريعات القرآن الكريم نزلت في وقت كان الناس فيه يهيمون في الجهالة والضلالة كما قال شوقي :

اتيت والناس فوضى لاتمر بهم
الا على صنم قد هام في صنم

اذا ادركنا هذا وادركنا ان تشريعات الكتاب الكريم منها ما هو تنظيم اجتماعي ، ومنها ما هو خاص بالسياسة والحكم ، ومنها ما هو خاص بحقوق الانسان ومسؤوليته في الحياة ، ومنها ما هو خاص بالعلاقات الدولية والمعاهدات ، ومنها ما هو خاص بالنظام المالي والأنظمة المدنية ، ومنها ما هو خاص بأمن الجماعة وسلامتها ، ومنها ما هو خاص بنظام الحرب والسلم ، وعلاقة غير المسلمين بالدولة الاسلامية ، ومنها ما هو خاص بعلاج الجريمة ومقاومتها ، ومنها ما هو خاص بمقاومة الرق والقضاء عليه تدريجيا ...

... اذا ادركنا هذا بدقة ووعيناه وفهمناه ، تبين لنا ان تشريعات القرآن الكريم هي باب عظيم من ابواب اعجازه للبشر وتحديهم به .

وجه التحدي في التشريع

ووجه التحدي في ذلك ليس كامنا وحده في ان هذه التشريعات جاءت على يد رجل امي في وقت كانت الانسانية فيه لا تحيط بها ولا تدرى من امرها شيئا ، ولا تعرف الا الأقل منها ، وانما وجه التحدي بها انه مرت عليها اربعة عشر قرنا كاملة ومع ذلك فان الانسانية لم تستطع مع الاشواط البعيدة من الحضارة والرقى ان تأتي بخير منها في اى جانب من جوانبها .

ومعنى هذا ان تشريعات القرآن الكريم باقية خالدة . فاى قانون من صنع البشر يتعدلون فيه او يحذفون منه ويدخلون عليه في عشرات السنين الشيء الكثير لانه لا يسعف بالحاجة ، ولا يحقق مطالب المجتمع ويظهر النقص فيه عند تطبيقه ، بينما الكليّات التي جاء بها القرآن الكريم قواما لاسس التشريع ما زالت رواسخ شامخة باقية على الزمن لاتبلى جدتها ، ولا يستطيع باحث منصف ان يقول ان الانسانية لاتجد فيها حاجتها ومصالحها ، او انها تخلفت لحظة عن ركب الحياة ومتطلباتها .

القرآن وحقوق الانسان

وهذا كلام لا نلقيه على عواهنه وانما بين يديه الدليل والبرهان فحقوق الانسان التى اعلنتها القرآن ضمن تشريعاته منذ اربعة عشر قرنا ، ووصفها بانها جزء من رسالة جاءت تضع عن الناس ما تنوء به كواهلهم من اغلال وقيود ، كما قال « ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » (٣) ، هذه الحقوق لقيت الانسانية في ظلها كرامتها ومكانتها عبر القرون المختلفة ، وما

---

(٢) راجع تفسير المنار جـ ١ ص ١٩٨ ـ ٢٢٠ تقريبا . (٣) آية ١٥٧ سورة الاعراف .

وجدت الحضارة اليوم جديدا تضيفه اليها ، بل لم تستطع حضارة اليوم ان تحققها وتحافظ عليها .

البيض والملونون

والى اليوم فما زالت الحقوق تختلف باختلاف الوان الناس وان كانوا من جنس واحد وشعب واحد كما هو حادث بين البيض والملونين في اماكن مختلفة من الارض .

اما القرآن الكريم فقد فصل في هذه القضية منذ اربعة عشر قرنا وجعل الناس سواسية في الحقوق والواجبات والمفاضلة بينهم بالعمل الصالح والتقرب الى الله ، قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم »(٤).

وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٥)

أثر هذه الحقوق في الدعوة الى الاسلام

بهذه المساواة التى لاتعرف جنسا ولا لونا وجد الناس في رحاب الاسلام الطمأنينة والسكينة وشعروا بكيانهم ووجودهم بفضل تعاليم القرآن وتشريعاته . واضحى بلال الحبشي وصُهَيب الرومي وسَلْمان الفارسي وأبوبكر القرشي سواء امام تعاليم الاسلام وهم اخوة في رحابه ، اخوة في الانسانية والبشرية .

ومن اجل ذلك لم يجد الدعاة المسلمون صعوبة في نشر الاسلام في افريقيا عبر القرون الاولى لظهور الاسلام وهي موطن من مواطن الملونين او غالبيتهم بينما تقارير المبشرين المسيحيين في هذه الارض تذكر ان الدعاة المسلمين قد وضعوا أمامهم العراقيل باعلان ان الاسلام يعطى الملونين مايعطى البيض ويسوى بينهم جميعا في الحقوق والواجبات .

ومثل آخر من تشريعات القرآن

وثمت تشريع آخر أرغمت الحضارة على قبوله وخالفت في ذلك تقاليدها وتعاليمها الموروثة واخذت بتشريع الكتاب الكريم فيه . ذلك ان القرآن الكريم بين ما للاسرة من مكانة ومنزلة ، ورسم طريق قيامها ، وبيّن ان علاقة الزوجية علاقة مقدسة بين الرجل والمرأة ، ولكن اذا اختلفت الطبائع وغدا من العسير دوام العشرة بين الزوجين فالانفصال في هذه الحالة خير من دوام حياة محطمة على هذا النحو . فشرع القرآن الكريم الطلاق لانهاء مثل هذه الحالات قال تعالى « وان يتفرقا يُغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » (٦) .

وركبت الحضارة راسها حينا من الدهر فجعلت الحياة بين الزوجين أبدية ثم عادت فوجدت انه لا مفر من اباحة الطلاق فاباحته .

هذا المثلان نسوقهما على ان تشريعات القرآن الكريم معجزة وحية بدليل ان البشرية لاتلبث مهما بعدت عنها ان تؤوب اليها وتأخذ بها ولن تجد خيرا منها مهما كابرت واعرضت .

أسلوب القرآن في التشريع

واذا كانت تشريعات القرآن الكريم معجزة كما رأينا فان أسلوبه في التشريع معجز ايضا . ذلك انه يعبر باللفظ الذى لايغنى عنه سواه في موطنه ، ويعبر أيضا باللفظ الذى يحتمل اكثر من معنى ومن ثم فان اسلوبه وعباراته التشريعية كانت موردا عذبا للفقهاء كل يصدر عنه برأى وفهم ، النص لاياباهما ، ولا يضيق بهما وهذا سر من اسرار عظمة التشريع القرآني .

مبادىء تشريعية

وقد ادى ذلك الى مبادىء ذات قيمة كبيرة في الفقه الاسلامي ومصالح الناس .

ونذكر على سبيل المثال هنا ما عَرَض للامام علي كرم الله وجهه من رأى عمل به مستعينا في ذلك بفهم في بعض نصوص القرآن التشريعية ذلك ان رجال الشرطة أتوا له في خلافته برجل ثيابه

---

(٤) آية ١٣ سورة الحجرات .

(٥) آية ١٠ سورة الحجرات .

(٦) آية ١٣٠ سورة النساء .

تقطر دما وفي يده سكين تقطر دما ووجدوه أمام قتيل لساعته في خربة .

وسأل الامام الرجل ، فاقر بانه القاتل .

عند ذلك أمر بقتله قصاصا ، عملا بقول الله تعالى « ولكم في القصاص حياة » .

واخذ رجال الشرطة الرجل ليقتصوا منه ولقيهم رجل مسرعا وسألهم ان يردوه الى عليّ ، فردّوه .

وتقدم الرجل وقال يا أمير المؤمنين : ما هذا صاحبه : انا القاتل .

ونظر علي للاول وتساءل : ما حملك على أن قلت انك القاتل ولم تقتل .

فاجاب : يا أمير المؤمنين ، وما استطيع ان اصنع ، وقد وقف العَسَس على الرجل يتشحط في دمه ، وانا واقف وفي يدى سكين ، وفيها اثر الدم ، وقد اخذت في خربة فخفت الا يقبل مني ، فاعترفت بمالم اصنع، واحتسبت نفسي عند الله.

ورد الامام بقوله : بئسما صنعت فكيف كان حديثك .

فاجاب : بانه رجل قصاب خرج في الغلس فذبح بقرة ، وبينما يصلحها اخذه البول ، فجاء الى هذه الخربة والسكين في يده ، فاذا بهذا المقتول ، فوقف ينظر اليه ، وما شعر الا ورجال الشرطة قد امسكوا به واحضروه ، ويقول الرجل في نهاية حديثه : فايقنت انك لا تترك قولهم لقولي فاعترفت بما لم آجنه .

وسأل علي الرجل الثاني : كيف كانت قصتك ؟ فقال :

اعرابي افلس فقتلت الرجل طمعا في ماله ، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة واستبقت هذا القصاب على الحال التى وصف واستترت منه حتى أتى العسس فاخذوه وأتوك به .

فلما أمرت بقتله علمت انى أبوء بدمه ايضا فاعترفت بالحق .

واسفرت هذه التحقيقات عن بريء وقاتل قتل نفسا ، وبريء نفسا ، فاخلى عليّ سبيل الاول ليتحقق براءته .

واستشار اصحابه فيما يفعل بالثاني فاشاروا بالقصاص منه لانه قتل نفسا حرم الله قتلها .

بيد ان الامام خالفهم وقال : لا . هذا وان كان قد قتل نفسا فانه قد احيا نفسا ، والله يقول « ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا » . واخلى سبيل الرجل ووَدَى القتيلَ من بيت المال (٧) .

وصنيع « علي » هذا أوجد في الفقه الاسلامى مبدأ تشريعيا لا يوجد في اى تشريع قديم او حديث ، ذلك ان الجاني كان مجهولا ، ثم جاء واقر بذنبه وترتب على اعترافه اخلاء سبيل متهم بريء . لا تنفذ فيه عقوبة الجرم ، ولفعل علي هذا سابقة في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اختلاف الواقعة والحادثة والجناية .

سعة التشريع القرآني لكثير من الافهام

ومسالة اخرى تدل على عمق التشريع القرآني وسعته لكثير من الافهام ذلك ان المولى سبحانه وتعالى قال في سورة يوسف عليه السلام « واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب » (٨) والقائل هو يوسف عليه السلام وهذه الآية تفيد ان الجَدّ يسمّى أبا ، وآية اخرى تفيد هذا « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا » (٩) فسمى الجد أبا .

فلما جدت أمام الصحابة مشكلة ميراث الجد مع اخوة المتوفى تعددت الآراء بشأنها فمن قائل بانه يرث التركه كلها ولا شيء للاخوة معه لانه أب

---

(٧) الطرق الحكمية لابن القيم ص ٥٥ ، ٥٦ ط . الاداب والمؤيد بمصر .

(٨) آية ٣٨ سورة يوسف

(٩) آية ١٣٣ سورة البقرة

والاب يحجب اخوة الميت من الميراث وما دام القرآن الكريم قد سماه أبا فله ما للاب من الحقوق في هذا المجال .

ومن قائل انه لا ياخذ شيئا من التركة من اخوة الميت لأن تسميته أبا في القرآن مجاز لا حقيقة ومن ثم فلا ياخذ شيئا معهم ويقتسمون التركة دونه .

ورأى عمر بن الخطاب اخيرا انهم يقتسمون التركة جميعا ووافقه على هذا زيد بن ثابت رضى الله عنهما ، وفي هذا يقول الامام الشافعي في الأم « واذا ورث الجد مع الاخوة قاسمهم الميراث ، ما كانت المقاسمة خيرا له من الثلث ، فان كان الثلث خيرا منها أعطيه . وهذا قول زيد بن ثابت وعنه قبلنا اكثر الفرائض ، وقد روى هذا القول عن عمر وعثمان ، وقد روى ايضا عن غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الاكثر من فقهاء البلدان ، وقد خالفنا بعض الناس في ذلك » (١٠) .

وسبب هذا الاختلاف في الفهم - كما ترى - هو تسمية القرآن للجد ابا ، وخلاف الرأى في هذه التسمية احقيقة هي أم مجاز .

اختلاف اسلوب القرآن في المنع والاباحة

هذا ويطول بنا المقام لو تتبعنا اسلوب القرآن في التشريع وما فيه من مجالات للافهام تدل على ان هذا التشريع معجز للبشر بمادته واسلوبه معا .

هذا ايضا الى جوار ظاهرة يتميز بها اسلوب التشريع القرآني ، ذلك ان المقنن او المشترع في كل وقت وزمان يلتزم صيغة معينة واسلوبا خاصا في ابانة الواجب او الممنوع او الذى يستوى فعله وتركه ، اما القرآن الكريم فله تعبيراته فلم يعبر عن الواجب في كل موطن بانه واجب فاحيانا يأتي الواجب في اسلوبه بصيغة الامر كقوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » آية ٩٠ سورة النحل ، وكما في قوله « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها » آية ٥٨ سورة النساء ، واحيانا يخبر بان الفعل مكتوب على المخاطبين كما في قوله تعالى « كتب عليكم القصاص في القتلى » آية ١٧٨ سورة البقرة ، وقوله تعالى « كتب عليكم الصيام » آية ١٨٣ سورة البقرة ، واحيانا يخبر بان الفعل على الناس عامة وعلى طائفة خاصة ، كما في قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » آية ٩٧ سورة آل عمران .

وهكذا نجد اسلوبه في الطلب او المنع او الاباحة اسلوبا مشوقا باعثا على القبول وحب الامتثال ، وكثيرا ما نجد الاحكام مسوقة ممزوجة بالتبشير والانذار والوعظ والتذكير ، او يورد الصيغ دالة على رضا الله تعالى عن الفعل أو سخطه على الفاعل .

★ ★ ★

وقد اخذ الفقهاء من هذه الصيغ على اختلافها الاحكام الخمسة وهى الواجب والحرام والمكروه والمندوب والمباح وعليها مدار التشريع .

★ ★ ★

وهكذا نجد ان التشريع في القرآن الكريم باب واسع من ابواب اعجازه في مادته واسلوبه ويضاف ايضا الى النواحي الاخرى التى قام بها اعجازه سواء ما ذكره العلماء او ما زال كامنا بعد وراء اسرار هذا الكتاب الكريم .

وما زلت ارجو ونحن في ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ان يتوفر العلماء على ابراز نواحى الاعجاز المختلفة في هذا الكتاب الخالد كما توافر الاسلاف رضى الله عنهم على ابراز النواحى البلاغية فيه .

وما أبعد مداول قول الله تبارك وتعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . ■■

أحمد عبد المنعم البهى

---

(١٠) الام جـ ٤ ص ٨١

الشاعر العربي الجاهلي. صاحب المتجردة
وصديق النعمان بن المنذر. والجامع
بين صحبة المناذرة والغساسنة
من أطراف الجزيرة. والذي قال
عنه عمر بن الخطاب انه أشعر العرب

بقلم الدكتور
محمد محمود الدش

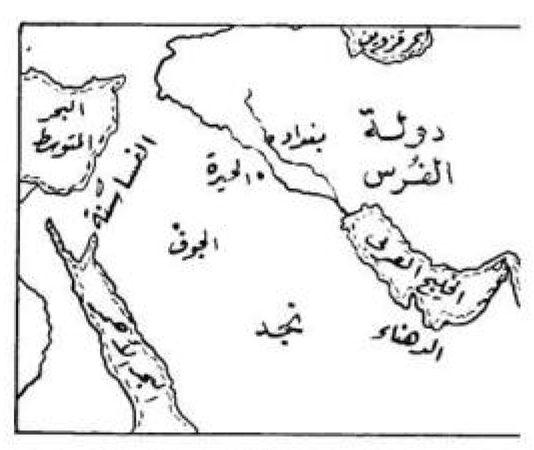


■ شاعر جاهلي النشأة انســاني النزعة ، حضري الطبع ، عربي النجار والظلال .

لم تكن حياته عادية النهج او السمت ، وانما حفلت بأحداث جسيمة كانت تدور على ايامه في البيئة العامة التي كان يعيش فيها ، وفي البيئةالخاصة التي كان يرتادها في هدأة من الليل او في صخب من النهار .

امتيازه على سائر شعراء عصره

ان هذا الشاعر الكبير ، ويقدر المؤرخون انه عاش في حدود سنتي ٥٢٠ ـ ٦٠٤ ميلادية او حوالي ذلك ، امتاز على ســائر شعراء عصره بمميزات شخصية ، فضلا عن مميزاته الفنية ، جعلت منه شــخصية قوية لهـا قيمتها ولهـا احترامها ، لا في قبيلته وبطونها ، أو في القبائل الأخرى المتصلة بها فحســب ، وانما في بلاطات الملوك الذين كانوا يحكمون الدولتين العربيتين المشهورتين في الجاهلية ، ونقصــد بهما مملكة المناذرة في الحيرة المتاخمة لدولة الفرس ، ومملكة الغساسنة (في جولان وغيرها) المتاخمة لدولة الروم ، ومعروف أن كل مملكة منهما كانت تابعة للدولة الملاصقة لها تحمى اطرافها من القبائل





العربية التي كانت تغير عليها من حين الى حين فتقض بذلك مضجعها وتشتت جهودها فى حروب لا تنتهى .

عصر حروب

وقد عاصر النابغة كثيرا من الحروب الدائرة على أيامه بين قبيلته وبين قبائل أخرى ، بل بين بطون قبيلته وعشائرها كحرب (داحس والغبراء) التى استمرت نحو أربعين سنة وكان من فرسانها عنترة بن شداد ، وكذلك الحروب التي كانت تدور بين قبيلته وبين المناذرة أحيانا ، أو بينها وبين الغساسنة أحيانا أخرى . وكثيرا ما كان يستغل مكانته وقوة شخصيته وحكمته فى السفارة بين الأطراف المتحاربة لايقاف دائرة الحرب واسترداد الأسرى والسبايا المأخوذين من قبيلته ، وفى أخباره وشعره كثير مما يدل على جهوده فى هذا السبيل ، كما يدل على أن عصبيته القبلية لم تكن من ذلك النوع المأثور عن التعصب الجاهلي الشديد ، وانما كانت شيئا متطورا متقدما فيه كثير من الخلق الحضرى الذى ينحو نحو خدمة القبيلة عن طريق السلام ودفع غوائل الحروب وشرورها عنها .

هذا الخلق ، وهذه الشخصية ، خلقتا له العديد من الحاسدين الحاقدين ، الذين كانوا ينفسون عليه منزلته ومكانته ، وخاصة فى بلاط المناذرة وبلاط الغساسنة ، حيث كانوا يتخذون منه جليسا ونديما وشاعرا ذا حظوة عالية ، ويغدقون عليه الهبات والهدايا الكثيرة الغالية التى جعلته صاحب ثروة طيبة ومكان مرموق محسود .

اختلاف مع المؤرخين

وأسرع فاذكر اننا سوف نختلف فى هذا الحديث مع كثير من المؤرخين للأدب والباحثين فيه حول طائفة من القضايا المهمة فى حياة النابغة الذبياني العامة والخاصة ، وفي حسابنا نفس المنهج الذى اعتمد عليه الباحثون الكرام ، وهو منهج الشك الذى اصطنعه ديكارت ، وكان أول من حمله الينا ، علما وعملا ، استاذنا الكبير الدكتور طه حسين ، ففتح بذلك طريقا عريضة ، وآفاقا جديدة الى الاستقصاء فى البحث عن الحقائق التاريخية والعلمية ، بغية الوصول الى اليقين أو ما يقارب اليقين فى آدابنا وتاريخها وخاصة فى قضايا الأدب الجاهلي وأشعاره ، التي دار حولها جدل عنيف ، بل معارك شديدة ، فى العقد الثالث من هذا القرن ، وهي معارك أدبية علمية نافعة على كل حال ، دلت على ظاهرة صحية حينذاك ، بما دفعت اليه من اعادة النظر والتدقيق فى تراثنا فى ضوء جديد ، وعلى نمط من البحث جديد أيضا .

ولنا بذلك الحق فى أن نشك فى الأحكام التي وصل اليها الباحثون ، حين تعتمد هذه الأحكام على مقدمات وروايات لا تسلم من التجريح ، اتخذوا منها أساسا للوصول الى نتائج قاطعة أو تشبه القاطعة .

عندما أسر الغساسنة ابنته

والمصادر تذكر أن اسمه هو زياد بن معاوية بن ضباب من يربوع من ذبيان من غطفان القيسية ، وامه من غطفان ايضـا ، وانه كان من اشراف قبيلته ، له كلمته وله رايه وله مكانته . وكنيته أبو امامه وأبو اثامه وأبو عقرب ، وهي أسماء لبناته ، وقد سجل شعره حادثة لابنته عقرب في حرب بين قبيلته ذبيان وبين الغساسـنة ، حين أخذت في الأسر ، فلما علم القائد الغساني النعمان بن وائل بن الجلاح انها ابنة النابغة كرّمها واطلقها ، كما اطلق سراح جميع الأسرى والسبايا اكراما لها ولأبيها ، وقال لها : والله ما احد اكرم علينا من ابيـك ، وما انفع لنا عند الملك . فشكر له النابغة هذا الصنيع الجميل في قصيدة ، ولم ينس أن يشـير الى اعتزازه بشخصيته وشعره الذى لا يوجهه الا الى طبقة الملوك فحسب :

لعمري لنعم الحي صبّح سربنا
وأبياتنا يوما بذات المـراود
دآب بأبكار وعُون عقائـل
أوانس يحميهـا امرؤ غير زاهد
يخططن بالعيدان في كل مقعـد
ويخبأن رمان الثُّدي النواهـد
ويضربْن بالأيدى وراء براغـز
حسان الوجوه كالظباء العواقـد
غرائرُ لم يلقين بأساء قبلهـا
لدى ابن جُلاح ما يثقـن بوافـد

فهو يثنى هنا على هؤلاء الغساسنة الذين اغاروا صـبحا على قومه في ذلك المكان (ذات المراود) ، فأسروا النساء من ذبيان وفيهم البكر والعوان والعقيلة ، وكان آسرهن غير زاهد يستطيع العبث بهن ، ثم يصور النابغة حالهن في الأسر في صورة جميلة وهن حزينات مهمومات يخططن بالعيدان في حياء شديد ، ثم يصور جمالهن الذى يجعل منهن مداعبات للبراغز أى البقر الوحشي كانهن مثلهن ملاحـة وبراءة وجمالَ عيون ، او كانهن الظباء اللطيفة التي تعقد اعناقها وتثنيها شعورا بالجمال ... ثم يقول :

فسكّنْتَ نفسي بعدما طار روحُها
وألبستَني نُعمى ولستُ بشـاهد
وكنتُ امرءاً لا أمدح الدهر سُوقة
فلستُ على خير أتـاك بحاسـد
علوتَ معـداً نائـلا ونكايـةً
فأنت لغيث الحمد أولُ رائـد

لقبوه النابغة

اما لقبه النابغة فقد أتاه لأسباب شتى : منها انه اشتهر بهذا البيت من الشعر :

وحلّتْ في بني القين بن جسـر
فقد نبغت لنا منهـم شئـون

وانه نبغ في الشعر وعلا كعبه في فنونه بعد أن كبرت سنة ومات قبل ان يهتر ويذهب عقله من الكبر . وبذلك نفهم انه نبغ بعد أن استقامت معه أصول الشـعر وقوانينه ، وتخلص مما كان يعتريه احيانا من اغلاط واقواء فنبغ شعره كما ينبغ الماء ويكثر في تدفق وسلاسة وسلامة ، وظل على هذه الحال حتى مات .

اتصاله بالملوك

ولقد اختلف الباحثون في أول اتصاله بالملوك ، فذهب بعضهم الى أن أول اتصاله كان بالمناذرة لأن دولتهم كانت عربية خالصة اللسان والوجه ، وما كانت دولـة الغساسـنة كذلك . ونحن لا نستطيع أن ننكر العلاقات التي يمكن أن تقوم نتيجة للمجاورة التي كانت بين قـوم النابغة والغساسنة ، ولكن الاتصال الفني بدأ بالمناذرة للسبب الذى ذكرناه الآن ، ولأن التاريخ يسجل اتصالا مبكرا في حياة الشاعر بملوك الحيرة يعود الى أيام الملك عمرو بن هند ، بل الى أيام أبيه المنذر الثالث ابن ماء السماء (حكم من ٥٠٥ الى ٥٥٤ تقريبا) والمعروف أن أقوى علاقة للنابغة بالمناذرة ، انما كانت مع النعمان بن المنذر ، حتى

ليقترن الاسمان ، النابغة والنعمان في كثير من روايات التاريخ وأخبار الأدب اقترانا يجعل منهما صديقين متلازمين ، وكذلك كان النابغة يحيا مع النعمان في فيض من عطاياه وهداياه ، وفي مجالسه اللاهية والجادة ، لا يستأذن في الدخول عليه ولا يحجب عنه بحال ، يأكلان معا ويشربان في صحاف وآنية من الذهب والفضة ، يسمران ما حلا لهما السمر ، ويسهران ما طاب لهما السهر . وفي الحق ان النعمان اشتهر كما يذكر التاريخ ، بهذه المجالس والمحافل التي كانت تضم اشراف القوم وزعماء القبائل ، كما اشتهر بكرمه الزائد وترفه الظاهر وأبهة ملكه التي جعلت بلاطه مقصد الشعراء من امثال لبيد والأعشى والربيع بن زياد وحسان بن ثابت وغيرهم ، فطارت شهرته كل مطار ، وذاع في القبائل كرمه وترفه واطف مجالسه . وما كان كذلك عمه عمرو بن هند الذي عرف بالشدة والعنف والفظاظة وكثرة غاراته وبطشه في قبائل الجزيرة العربية . وكان النابغة قد صور في شعره مبلغ الكرم الشديد الذي يناله من النعمان بن المنذر حيث يهبه مئات من النوق القوية والخيل الكريمة والجواري الحسان الناعمات ، ومن ذلك قوله :

الواهب المائةَ المعكاء زيّنها
سعْدان تُوضحَ في أوبارها اللبَدِ
والراكضاتِ ذيول الريْط فانقها
بردُ الهواجر كالغزلان بالجَرَدِ
والخيلَ تمزعُ غربا في أعنّتها
كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البَرَد
والأُدمَ قد خُيِّست فُتلا مرافقُها
مشدودةً برحالِ الحيرة الجُدُد

فهو لا يعطيه هدايا من النوق الا بالمائة ، والمعكاء هي الغليظة الشديدة ، التي أكلت من نبات السعدان الذي ينمو في ذلك المكان « توضح » فهي سمينة مزينة بأوبارها التي تلبدت بسبب نعمتها وترفها . ولا يعطيه من الجواري الا هؤلاء الحسان الرشيقات كالغزلان التي تجري في الجَرَد أي المكان الأجرد لا نبات فيه ، وهن منعمات في ملابسهن حتى ليطان ذيول هذه الملابس لفرط طولها . كما انه لا يعطيه من الخيل الا الشديدة السرعة الحادة النشاط كالطير الذي يفر من شؤبوب المطر البارد المتدافع ، وأما الابل فهي من النوع الأبيض الذي لا يتعب من السير وقد أهديت اليه وعليها سروجها الجديدة المشدودة .

ذلك بعض ما كان يصيبه من كرم النعمان وصداقته له ، فأية ثروة ونعمة كان يعيش في فيئها النابغة وأية مكانة ومعزة كانت له في قلب النعمان ؟ وأية دالة كانت له عند صديقه الملك ؟ .

ومع ذلك فنحن نرجح ان النابغة توطدت علاقته بالنعمان بن المنذر قبل أن يلي الملك . آنس فيه هذه الخلال الكريمة ، فلزمه وآلف صداقته ، وكان بينهما تقارب في السن والمشارب ، ففضل ملازمته على مجالسة الملوك الذين سبقوه وفيهم أبوه وعماه وجده .

قصة المتجرِّدة

وترجيحنا لهذه العلاقة المبكرة بينهما يحل لنا مشكلة مهمة في تاريخ صداقتهما ونقصد بها قصة « المتجردة » زوجة النعمان ، وهي القصة التي رفضها جمهور المؤرخين وانكروها انكارا شديدا لانهم رأوا من غير المعقول ان يصف النابغة في قصيدة طويلة زوجة صديقه النعمان ، ويصور منها دقائق جسمها وتفصيلات مفاتنها الظاهرة والباطنة .

نظرتْ بمقلة شادن متربّب
أحوى أحمِّ المقلتين مقلَّدِ
صفراء كالسِّيراء أكمل خلقُها
كالغصن في غُلوائه المتأوِّد
والبطنُ ذو عُكَن لطيفٌ طيُّه
والإتْبُ تنفجُه بثدي مُقعَد
محطوطةُ المتنين غيرُ مفاضة
ريا الروادف بضة المتجرِّد
نظرت إليك بحاجة لم تقضها
نظرَ السقيم إلى وجوه العُوَّد

زعم الهمام بأن فاها بارد
عذبٌ مقبَّلهُ شهيُّ الموردِ .

ونكتفي بهذا القدر من الابيات لان القصيدة مليئة بالوصف الفاضح والتصوير المكشوف ، الذى جعل النقاد يرفضون نسبتها الى النابغة ، ويستبعدون أن يصدر هذا القول الشائن عن شاعر له سِنّه ووقاره وشرفه ومكانه العالي بين قومه بل بين القبائل والملوك .

ونحن نستبعد مثلهم أن يصدر هذا القول في مثل هذه الظرُوف ، ولكنه يمكن أن يصدر في ظروف اخرى في مجلس من مجالس اللهو التي كانت تضم هؤلاء الشبان اللاهين من شباب الحيرة الناعمين المترفين ، الذين لا يجدون ما يشغلون به وقتهم ويزجّون فيه فراغهم ولياليهم سوى هذه المجالس بما فيها من شراب وطرب وشعر ، فيهم أولاد الملك ، أو واحد منهم ، ومعه اصدقاؤه من الشعراء النابهين أمثال النابغة الذبياني زياد بن معاوية ، والمنخّل اليشكري وغيرهما ، حين تلعب الخمر برؤسهم ، ويأخذ اللهو منهم كل مأخذ وتذهب النشوة بهم كل مذهب ، وتتساقط منهم أفكارهم وأمانيهم ونزواتهم على بساط العبث والسكر فى غير وعى ، كأن يذكر الفتى النعمان احساسه بجمال هذه الفتاة (المتجردة) وهي حينذاك واحدة من اللواتي تحت أبيه ، ولكنها تزهو عليهن بفرط جمالها ، وتدل بشعورها بهذا الجمال الذى يأسر قلوب الفتيان حين تمر بهم وتنكشف لهم عفوا او قصدا ، كما يحدثنا التاريخ نفسه ، بأن جمالها كان يخلب النعمان كما يخلب المنخل اليشكرى ويأسره ، فيطلب النعمان الى صديقه الشاعر النابغة أن يصف جمالها ، فينطلق الشاعر مصورا مفاتنها معدّدا محاسنها ، ويمعن فى هذا التعديد وذلك التصوير ، مرضيا بذلك نزوة صديقه ، وربما نزوته هو ايضا ، ونزوات الآخرين . ثم يصبح الصبح ويتذاكر القوم ما كان بينهم ليلة البارحة ، ويتذاكرون هذه الأبيات التي قالها النابغة فى المتجردة وجمالها مفصلا فى غير حرج ولا حياء ، فيضطرم قلب المنخل ، ويقول للنعمان « ما يستطيع ان يقول هذا الشعر الا من جرَّبه » غيرة من النابغة ، وايغارا للنعمان ، فقد كان المنخل يَهيم بالمتجردة حبا ، حتى اتُّهم بها ، وكان من أجمل العرب بخلاف النعمان الذى كان قصيرا ابرش دميم الوجه قبيح المنظر . قيل والمنخل هو الذى صنع الشعر ودفعه الى النعمان ، ونحن نرفض هذا ، لأن هناك فرقا واضحا واختلافا كبيرا فى السمات الفنية والخصائص الشعرية بين الشاعرين .

ويبدو أن المنخل ، لجمال شكله كانت له مغامرات غرامية شتى فى الحيرة وفى قصور المناذرة ، وهي القصور التي اشتهرت بجمال نسائها ، اذ يروى انه كان يهوى هندا بنت عمرو ابن هند ، وهي ابنة عم صديقه النعمان بن المنذر ، وكان مما قاله فيها :

ولقد دخلتُ على الفتا
ةِ الخدْرَ في اليوم المطير
الكاعبِ الحسناء تر
فُل في الدمقْس وفي الحرير
فدفعتُها فتدافعتْ
مشْيَ القطاةِ إلى الغدير
ولثمتُها فتنفّستْ
كتنفس الظبي البهير
وبدتْ وقالت يا مُنخَّـ
ـلُ ما بجسمكَ من فتور
ما مسَّ جسمي غيرُ حبـ
ـبك فاهدئي عني وسيري

※ (المقلة كرة العين ، والشادن ولد الظباء ، والاحوى الاحمر المائل الى السواد ، الاحم شديد سواد المقلة ، المقلد الذى قلد بالحلى ـ السيراء ثوب حريرى مخطط ، غلواء الغصن طوله وارتفاعه ، المتأود المتثنى من النعمة واللين ، يريد أنها صفراء من كثرة الطيب ـ المكن ثنيات لحم البطن ، الاتب ثوب ، تنفجه ترفعه ، مقعد قائم منتصب ، محطوطة المتنين أى أنهما مكتنزان املسان . غير مفاضة اى واسعة البطن ، الريا الممتلئة ، البضة الرخصة الرطبة ـ العوّد الذين يزورون المريض . والمقصود انها لم تقدر على الافصاح بحاجتها مخافة أهلها كالمريض ينظر الى عواده ولا يقدر على الكلام) .

يا هندُ هل من نائـــــــلٍ
يا هنـد للعانـــى الأسـير
وأحبُهــــا وتحبـنى
وتحب ناقتُهـــا بعـيرى

قال ابو الفرج في الاغانى : فبلغ عمرًا خبرُ المنخل فاخذه فقتله . وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب الثار به :

طُلٌ وسطَ العراق قتلى بلا جُـر
مٍ وقومى يُنتِّجون السِّخالا »

وهكذا انتهت مغامرات المنخل الغرامية في قصور المناذرة بقتله في عهد عمرو بن هند ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من ان قصة المتجردة حدثت قبل ولاية النعمان بن المنذر التي قامت بعد وفاة عمه عمرو المذكور ، بل بعد وفاة أبيه المنذر ، فلما مات أبوه تزوج المتجردة ، وسار سيرته التي اشرنا اليها وجعلت منه ملكا عظيما مشهورا في البلاد ، ولم تعد المتجردة تذكر الا على انها زوجة النعمان ، فجاء ذكرها في التاريخ على هذا النحو ، وانسيت صفتها القديمة حينما كانت زوجا لابيه المنذر .

النابغة يعود الى أهله ، ثم يتصل بالغساسنة

فلما استقامت أمور الملك للنعمان ، وتوطدت اركان قوائمه ، تذكر صديقه القديم النابغة ، وأراد ان تزدان مجالسه بهذا الشاعر الكبير ، وان يحتلى بلاطه وملكه بهذه الشخصية النابغة ، وان يعود الصديقان الى وصل ما انقطع ورأب ما انصدع . وكان النابغة قد ترك الحيرة كلها وعاد الى اهله ، جيران الغساسنة . ومن هناك توثقت صلته بملكين من ملوكهم هما عمرو بن الحارث الأصغر واخوه النعمان ، ومدحهما بشعره مدحا رائعا ، بما كان يؤمّن السلامة لقبيلته من هؤلاء الملوك وجيوشهم القوية ومن ورائها قوة الرومان .

النعمان يرسل في طلب صديقه النابغة

وأرسل النعمان في طلب صديقه النابغة ، والحّ في هذا الطلب ، ويبدو أن الظروف كانت تدعو الى عودة النابغة الى الحيرة ، بعد موت الملك الغساني النعمان بن الحارث ولعل المناسبة كانت حينذاك موالية صالحة لان يدعو النعمان فيلبّى النابغة الدعوة .

الجفوة بين النعمان والنابغة ، بسبب المتجردة،لم تكن اول الجفوات ولا آخرها

ونحن نذهب الى ان الجفوة والقطيعة ثم الوصل والمصالحة بين النعمان والنابغة امور كانت تتكرر بينهما ، ونرفض ان يكون ذلـك حدث في تاريخ علاقاتهما مرة واحدة فحسب ، ونذهب الى ان هذا هو ما جعل المؤرخين يسجلون اسبابا مختلفة للجفاء وعللا متنوعة للرضـاء . غير ان ترتيب هذه الجفوات والمصـالحات من الوجهة الزمنية عسير جدا لامور كثيرة منها ضياع تاريخ هذه الفترة ، واضطراب تسجيله ، وتشـابه الأسماء بين ملوك الحيرة وملوك غسان ، فلا نكاد نظفر باتفاق بين المؤرخين في ترتيب الأحداث او ترتيب الملوك او ضبط ازمانهم ، ثم تأخر التدوين حتى القـرن الثاني بعد ان ظل التاريخ والأدب يتناقلان عن طريق الرواية والذاكرة هذه السنين الطويلـة ، وما داخل هذا التدوين من عوامل الحذف والتحوير والزيادة لأسـباب ليس هنا مجال ذكرها .

حادثة المتجردة كانت أهم أسباب الجفاء بينهما

ومع هذا فاننا نرى أن حادثة المتجردة كانت أهم الأسباب واولها فيما اصاب العلاقة بين النعمان والنابغة في ذلك التاريخ المبكر لصداقتهما . وعلى الرغم من أن النعمان هو الذى طلب اليه أن يصف جمال المتجردة وان الأمر كان في ظروف غير طبيعية من السكر والانتشاء وفقدان العقل والاتزان ، بما يلتمس به العذر للنابغة فان المنخل وربما غيره معه ، استغل هذه الحادثة استغلالا سيئا بحيث استطاع ان يفســد العلاقة بينهما وأن يقطع الصداقة واحسب أنها لم تعد الى سابق عهدها بما كان فيها من تآلف كبير وخروج على التكاليف .

لم يكن في الامكان ذكر المتجردة في شعر يعتذر فيه النابغة للنعمان

ومما يزيد تأكيدا في وجهة نظرنا عن اهمية

حادثة المتجردة ، ذلك الغموض الشديد الذى نراه فى طائفة من اشعار النابغة حين يعتذر الى النعمان بحيث لا يكاد السبب الرابض وراء هذا الاعتذار يبين ، اذ نقرا شعرا رائعا وتصويرا جميلا ونحس بحرارة العاطفة وصدقها ولكننا لا نظفر بشيء من التصريح للدافع او الدوافع وراء هذا كلـه ، بما يدفعنا الى اتخاذ هذا الجـانب من الرأى ، فى ان حادثة المتجردة لم تكن شيئا يسهل التصريح به فى شعره بعد أن تضخمت وكبرت وبعدها حدث بسببها . والشيء الطبيعي المعقول ان يظل الأمر سرا يدركه النعمان من خلال الشعر الموجه اليه ويفهمه باللمحة والاشارة والايماءة . واقرا معي قوله :

أتانى أبيتَ اللعن أنك لُمتــــنى
وتلك التى أهتم منها وأنصـبُ
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبــةً
وليس وراء الله للمرء مذهــبُ
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عنى خيانةً
لمُبْلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ

الى ان يقول :

ولستَ بمستبق أخا لا تلمُّــــه
على شعَث ، أىُّ الرجال المهذّبُ
فان أكُ مظلوما فعبدٌ ظلمتَــه
وإن تكُ ذا عُتْبى فمثلك يعتبُ

وهذا الشعر وغيره مما هو على شاكلته فيه حديث عن الخيانة والوشاية ، ثم فيه تساؤل : اى الرجال المهذب ؟ وفيه ظلم واستعتاب ، وكلها معان وكلمات توحي الى ذلك السر وتومىء الى تلك الحادثة المعروفة بينهما .

قطيعة أخرى بين النابغة والنعمان سببها سيف مرّة القريعي

والروايات تمدنا بقطيعة اخرى او جفوة بين الشاعر والملك ، سببها حادثة اخرى ووشاية ، وان كان الرواة يخلطون بين هذه الحادثة وحادثة المتجردة . قال أبو الفرج فى الأغاني : « ان مرّة ابن سـعد القريعى الذى وشى بالنابغة كان له سيف قاطع ، يقال له ذو الرّيقة من كثرة فرنده وجوهـره ، فذكره النابغة للنعمان ، فاخذه ، فاضطغن ذلك القريعي حتى وشي به الى النعمان وحرضه عليه » . ويبدو أن شخصا آخـر هو عبد القيس بن خُفاف التميمي اشترك مع مرّة القريعى فى ايغار صدر النعمان على النابغة ، اذ صنعا شعرا فيه هجاء شنيع للنعمان ولأمه وزعما للنعمان أنه شعر النابغة ، كما يبدو انهما أثارا قصة المتجردة من جديد ليحبكا الوضـع بربط القصتين فيقوى بهذا الربط ايغارهما صـدره واشعالهما نار غيظه .

والظاهرُ أن خطة القريعي فى الايقاع بالنابغة والانتقام منه بسبب ضياع سـيفه من حوزته نجحت فى اغضـاب النعمان من صـديقه ، لان الاشارة الى هذه الحادثة تتردد فى قصائد اعتذاره للملك ، ومعها حرارة تقطر مع ذوب نفسه وفيض وجدانه وفرط آلامه . اذ يبدو النابغة فى هذه القصائد وقد هزته المحنة باخلاق الناس هـزا عنيفا ، كما يبدو كأنه تقطعت به السبل بعد موت عمرو بن الحارث الغساني وأخيه النعمان ، ولم يعد أمامه غير رضـا النعمان بن المنذر وعفوه ، ونلمح ذلـك فى قصـيدته التي تعد من أروع اعتذاراته وفيها يقول :

فكفكفتُ مني عَبرةً فرددتُهـــا
على النحر منها مُستهِلٌ ودامِـعُ
على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا
وقلت : ألمّا أصْحُ والشيبُ وازِع
وقد حال همٌّ دون ذلك شاغـل
مكان الشغاف تبتغيه الأصابـع
فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلــةٌ
من الرُّقش في أنيابها السم ناقــع

فنلمح هنا ألما شديدا فى نفسه وحزنا عميقا فى فؤاده ، حتى لتنحدر منه دمعتهعلى خده ، ويأخذه الأرق والسهد بما يساوره من همّ بسبب غضب النعمان ، ذلك الهم الذى تراءى له ليلا كأفعى ضئيلة دقيقة اللحم رقشاء فيها نقط بيض وسود وفى أنيابها السم القاتل . ولنتأمل هذا البيت الذى يقابل فيه بين الصبّا وملاهيه وبين الشيب ووقاره وكأنه ينصح النعمان ويسأله : الم يزَعه الشيب ويُنسه الصبا وما كان فيه من عبث

ومجون ومجالس كانا يحضرانها معا ، وكأنه يطلب اليه أيضا أن ينسى قصة المتجردة التي كانت سببا في كل ما نزل بصداقتهما من وشايات وهموم وبلاء . وعلى حين نجد النابغة يلمح من بعيد الى هذه القصة نجده يصرح بقصة القريعي ، في نفس هذه القصيدة ويقول :

أتاني أبيتَ اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستكّ منها المسامعُ
مقالةُ أنْ قد قلتَ : سوف أناله ... وذلك من تلقاء مثلك رائع
لَعَمري وما عُمري عليّ بهيّنٍ ... لقد نطقتْ بُطْلا عليّ الأقارعُ
أتاك امرؤ مستبطن لى بغضة ... له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهلِ النسجِ كاذب ... ولم يأتِ بالحق الذي هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ... ولو كُبِلتْ في ساعديّ الجوامعُ

فالشاعر يرفض بشدة ان يكون قد قال الشعر الذي هجا فيه مرّة بن قريع الملك ، كما ينكر على الملك ان يصدق ذلك فيلوم النابغة على شيء لم يصدر منه ، وينسى انه صدر من اعدائه وشانئيه ، فهو بذلك كذب وبهتان لا يمكن أن يقوله النابغة ولو كُبل بالحديد أو اودع السجن .

معلقة النابغة

وتعتبر معلقة النابغة من أروع اشعاره في مدح النعمان والاعتذار اليه ، كما تدل مقدمتها على تفوقه البعيد في فن الوصف حين يصف اطلال دار ميّة ، ويصف ناقته ويشبهها بثور في معركة مع كلاب الصيد ، ويبدع في تصوير ذلك كله أيما ابداع ، ومن أهم ما ورد في هذه المعلقة تلك المعلومات التاريخية التي ساقها الشاعر في مناسبات مختلفة منها ، كقوله في اطلال الدار :

أمستْ خلاءً وأمسى أهلُها ارتحلوا ... أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ

ولُبَد هذا الذى تزعم الروايات انه كان آخر نسور لقمان السبعة ، التي اختار ان يعمّر مثل اعمارها ، فكان آخرها موتا ، بعد أن عمر مائتي سنة . وبموته مات لقمان بعد ان عمّر كما زعموا ثمانمائة سنة . ونجد كذلك مثل هذه المعلومات التاريخية في القصيدة حين يمدح النعمان بقوله :

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ... ولا أحاشى من الاقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له : ... قم في البرية فاحدُدها على الفَنَد
وخيّس الجنّ إنى قد أذنتُ لهم ... يبنون تدمُر بالصّفاح والعَمَد
فمن أطاعك فانْفعه بطاعته ... كما أطاعك وادلُلْه على الرَّشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظّلومَ ولا تقعد على ضَمَدِ *

فمن الواضح أن النابغة يمدح صاحبه بانه خير الناس طرا ، لا يستثنى منهم غير سليمان عليه السلام ، وهو يذكر سليمان على سبيل اظهار العلم والمعرفة للنعمان من ناحية ، ومن ناحية أخرى على سبيل ضرب المثل وسَوق العبرة لكى يصفح النعمان عنه وهو المظلوم فيما نسب اليه ، بل هو الذى لا يبغى سوى الدخول في طاعته فان عصاه بعد ذلك له ان يعاقبه كما يعاقب كل مخالف عن طاعته أو عاص عليها .

ومن الباحثين طائفة ترفض نسبة هذه الأبيات الى النابغة ، معللة رفضها بأن النابغة كان وثنيا على دين قبيلته التى كانت تعبد العزّى ، وقد ذكر هو ذلك مرات في شعره . كما يذهبون — استمرارا لهذا الرفض — الى انكار الأبيات التي يذكر فيها لفظ الجلالة ، لأنهم يستبعدون

(* أحاشي ، استثني . احدُدْها على الفند : احبسها من الخطأ في القول والفكر . خيّس . ذلّل . الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة . العمد : السوارى الرخامية . الظلوم : كثير الظلم . الضمد : الذل والغيظ) .

أن يذكر وثني لفظة « الله » في شعره . وغير هذه هم رفضوا له أشعارا في المعلقة اخرى .

واذا مضينا مع هؤلاء الذين يرفضون هذه الابيات وغيرها فاننا في النهاية سوف نجد ان معظم المعلقة مرفوض ، واذا كان هذا الامر مع اشهر شعر النابغة وأروعه فكيف تكون الحال مع باقي قصائده وأشعاره . ونحن نعرف أن الذى روى ديوان النابغة هوالعالم المدقق الاصمعي الذى يعتبر من أدق الثقات وأصدقهم . والثقة فيه من علماء أجلاء تجعلنا نتخفف من نزعة الشك التي تساورنا في الشعر الجاهلي بصفة عامة ، وفي شعر النابغة بصفة خاصة ، فاذا اضفنا الى ذلك ما يرويه الناقد العربي الكبير ابن سلام ، وما يذكره العالم اللغوي الحجة ابن جني من ان « النعمان ابن المنذر قد جمع ديوان الشعر الجاهلي ، واحتفظ به ، وحافظ عليه ، وخاصة ما كان منه من اشعار الفحول وما مدح فيه هو واهل بيته » امكننا أن نبتعد عن مرحلة الشك ونقترب من مرحلة الثقة فيما يختص بشعر النابغة الذى لا نشك في انه كان مقدمة الاشعار التي جمعها النعمان وحافظ عليها .

النابغة كانت قبيلته وثنية ، ولكنه عاش في بيئة كتابية

وأما الذين رفضوا شعره الذى يذكر فيه لفظ الجلالة والذى يشير فيه الى الانبياء مثل سليمان ونوح عليهما السلام ، لان النابغة كان وثنيا على دين قومه ، فاولئك نسوا ، أو تناسوا، انالشاعر كان يعيش في بيئة كتابية ، سواء في غسان او في الحيرة . فالغساسنة كانوا مسيحيين ، وكذلك كان العباد سكان الحيرة الاصليون . والتاريخ يروى لنا ان هندا الكبرى ام عمرو الحيرى ، كانت من الغساسنة ، وهى التى تعبرت ابنها ، وان النعمان بن المنذر صاحب النابغة عمّد على مذهب النساطرة وتنصر اولاده كذلك ، وكانت اخناه هند وماريا قد سبقتاه ، وترهبنت هند وابتنت الدير المنسوب اليها . وقصة تنصير النعمان مشهورة في التاريخ ، بحيث كان لمستشاره وكاتبه ومربيه الشاعر النصراني المتعبد عدى بن زيد ، اليد الطولى والدور الاكبر فيها ، وكان شعر عدى هذا يملأ الحيرة وما جاورها ، بما فيه من اشارات الى المسيحية وروحها وشعائرها وعقائدها ، والتفاتات الى الماضي وما فيه من سير الانبياء واحداث وعظات .

كل هذا يعنى أن النابغة كان يعيش في بيئة تعرف الكتب السماوية السابقة وتحفظ ما فيها من قصص الانبياء ، ومنهم من ذكرهم في شعره مثل نوح وسليمان ، فهل يمكن القول بعد هذا بان وثنيته كانت تحول بينه وبين معرفة ما تتداوله البيئة وتتناقله وتتحدثفيه وتمارسه صباح‌مساء ؟ لا شك في ان النابغة كان يعرف ذلك كله ، وكان يقصد قصدا الى بث هذا الذى يعرفه في ثنايا شعره فهو من وسائله القوية في مخاطبة النعمان والتأثير عليه عاطفيا ودينيا ، ومن أدواته فيانتزاع الصفح منه والعفو عنه .

دعابات في طرق التصالح بعد جفاء ، بين النابغة والنعمان

وقصة الحمام وزرقاء اليمامة تعتبر ، فوق ما ذكرنا ، احجية او طرفة او دعابة من تلك الامور التى كانوا يتلهون بها ويتسلون في مجالس انسهم وشربهم ، ويبدو أن النابغة هنا يذكر صاحبه النعمان بتلك الايام التى كان الود فيها صافيا بينهما ، خاليا من السعايات والوشايات وكل ما يمكن ان يعكر ذلك الصفاء . ولا نزال نرى لونا من الوان هذه المداعبات بين الملك والشاعر في الطريق او الطرائق التى يعودان فيها الى التصالح ونبذ الجفاء . اذ يحدثنا حسان بن ثابت انه لما استعتَى النعمانُ صاحبه النابغة بعد الجفاء احتال النابغة بحيلة او قل دعابة يدخل بها الى الملك ، واستعانفيذلك برجلين فزاريين من خاصة النعمان ، وقينة من قيان القصر ، طلبوا اليها اذا اخلت الخمر الى الملك ان تغنيه من شعر النابغة (يا دار مية بالعلياء فالسند) ففعلت واطربته ، فقال : هذا شعر علوى ، هذا شعر النابغة. « ثم خرج في غب سماء فعارضهالفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء فقنأ خضابه ، فلما رآه النعمان قال : هي بدم كانت احرى أن تخضب » . فامنه واستنشده أشعاره وأفاض عليه من عطاياه . قال أبو عبيدة : « وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وابيه وجده لا يستعمل غير ذلك » .

وفي مرة أخرى احتال بمثل هذه الحيلة للدخول على النعمان ولقائه ، حين أوعز الى احدهم أن يرتجز حول قبة النعمان وهو جالس الى الشراب:

أصم أم يسمع رب القبه
يا أوهب الناس لعنس صلبه

والعنس الناقة القوية ــ ففهم الملك حيلة النابغة فاستدعاه ليشرب معه ويسمع شعره ويمنحه وينفحه .

وفي الجفوة الأخيرة بلغه ان النعمان عليل «فاقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه واشفق من حدوثه به » فاسرع الى الحيرة وعاتب حاجب الملك عصام بن شهبر لانه لم يخبره بمرض الملك ، في ابيات تنم عن فرط حبه وخالص وفائه لصاحبه القديم ، بما يتفق مع الخلق العالي والروح الحضرية والنزعة العربية الانسانية التي عرفت عن النابغة في سلوكه وشعره ، وليس ادل على هذه النزعة وتلك الروح فيه من اعتباره مسلك الاعتذار مبدأ يؤمن به ولا يحيد عنه ، لا عن ضعف ولا عن ذلة ، فقد كان يشعر بشخصيته شعورا قويا كاملا ، ويعاشر الملوك ويجالسهم وفيه هذا الشعور لا يتنازل عنه ، ويقدرونه له ويكبرونه فيه . ومدائحه فيهم تفيض بهذا الشعور الذي يملأ كيانه وشخصيته ، ولعل هذا من الاسباب القوية التي قللت من عدد مدائحه، وخاصة في صاحبه النعمان ، وهي المدائح التي لم يكن يصوغها الا للاهداف السياسية التي ذكرناها في مطلع هذا الحديث ، من توفير السلام لاهله وقبيلته ، وتجنبهم هم وغيرهم من العشائر ويلات الحروب وشرور الغارات والسبي والأسر، محتفظا لهم بهيبتهم ، محافظا على كرامته وكرامتهم .

« قيل لابي عمرو : افمن مخافته (اى النعمان) امتدحه واتاه بعد هربه منه ام لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمر الله ما لمخافته فعل ، ان كان لآمنا من ان يوجه النعمان له جيشا ، وما كانت عشيرته لتسلمه لاول وهلة ، ولكنه رغب في عطايا النعمان وعصافيره (اى كرائم ابله) » . بل كان حريصا على صداقته القديمة وفيا لهذه الصداقة ، محبا مخلصا لصديقه وان قلاه نتيجة نميمة. او وشاية كانت تغير الملك بعض الوقت ولكن اثرها لا يلبث ان يزول فيعود الى استدعاء صديق شبابه وانيس صباه .

النابغة ونزعته الحضرية

والنزعة الحضرية في سلوك النابغة التي غيرت من طبيعته وعصبيته العشائرية فطورتها وهذبتها ورققتها على نحو ما صورنا ، هي نفسها التي وفرت في شعره سهولته ورقته وعذوبة موسيقاه التي جعلت منه مختارات تغنى في عصور تالية ، لا زال صاحب الاغاني يحفظ منها أصواتا كثيرة للغناء مما كان يردد الناس في العصرين الاموى والعباسي ، ولا يزال حتى ايامنا هذه طلاب الشعر وقراء الادب يرددون له أبياتا يستسيغون ترديدها لسهولتها وجزالتها وجمال موسيقاها .

قيل لحماد الراوية : بم نقدم النابغة ، قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه . وقوله (اى الرجال المهذب) ربع بيت يغنيك عن غيره .

في سوق عكاظ

وكان النابغة يأتي سوق عكاظ فتضرب له قبة من ادم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها . وكان ممن يفدون عليه لذلك الاعشى وحسان بن ثابت والخنساء وغيرهم . وذلك لرهافة حسه ودقة شعوره بما توافر لهما من حضرية نشأته وطبعه وانسانية سلوكه وخلقه . وبهذا نستطيع ان نفهم رأى عمر بن الخطاب حين سأل : من اشعر الناس ؟

قالوا انت اعلم يا امير المؤمنين . قال من الذى يقول :

إلا سليمان إذ قال الإله له
قم في البرية فاحددها عن الفند

قالوا النابغة قال فمن الذى يقول :

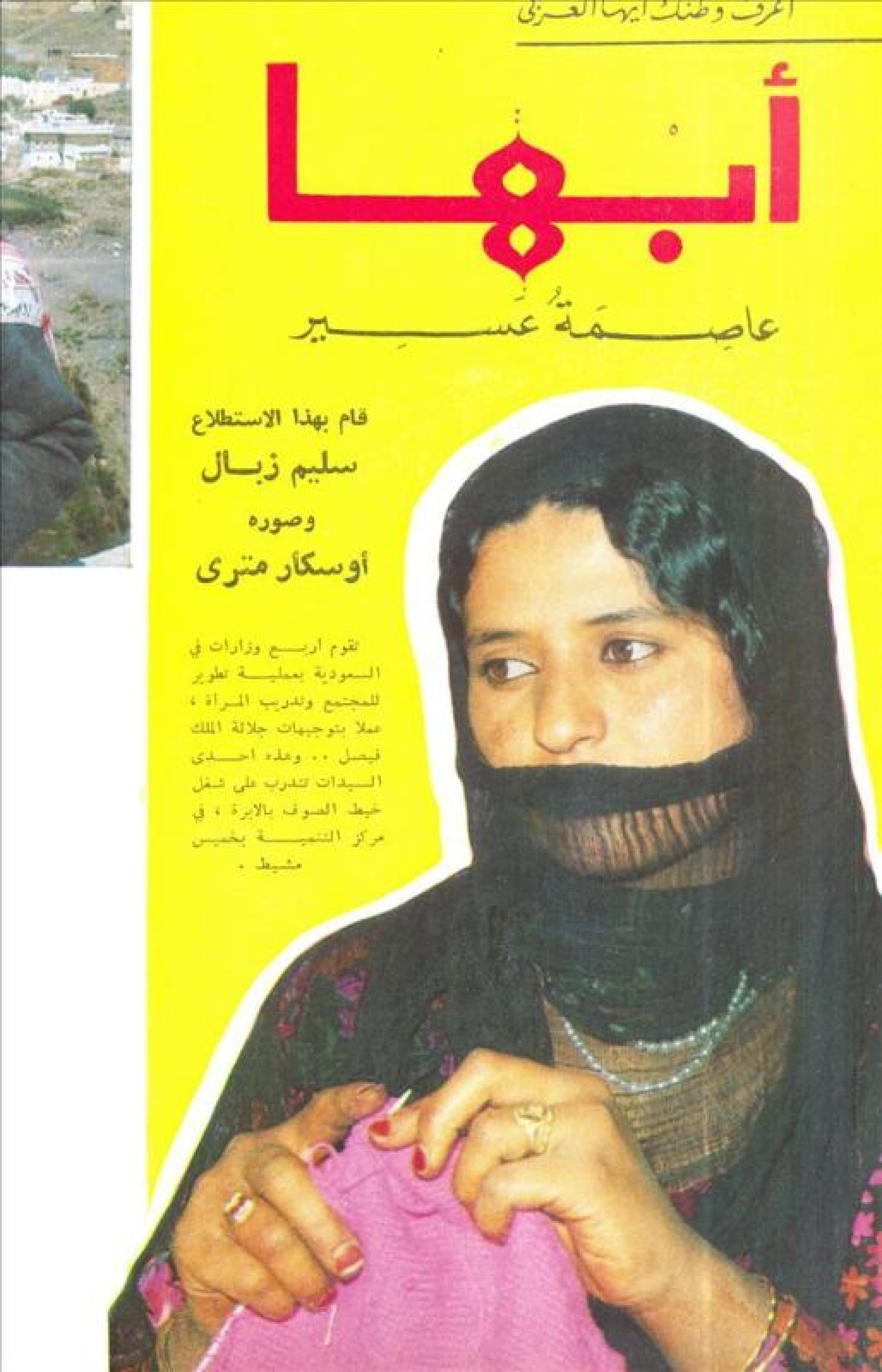
أتيتك عاريا خلقا ثيابى
على خوف تظن بى الظنون

قالوا النابغة . قال : فمن الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا النابغة قال : فهذا اشعر العرب . وامير المؤمنين عمر بن الخطاب كان من أبصر الناس بالشعر واقدرهم على تقويمه ووزنه . ■■

محمد محمود الدش



أبها

عاصِمَةُ عسِير

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
أوسكار متري

تقوم اربع وزارات في السعودية بعملية تطوير للمجتمع وتدريب المرأة ، عملا بتوجيهات جلالة الملك فيصل .. وهذه احدى السيدات تتدرب على شغل خيط الصوف بالابرة ، في مركز التنمية بخميس مشيط .

نظرة على ابها وعلى الوديان الخضراء المحيطة بها من كل جانب .. انها عاصمة منطقة عسير التي بدأت تستيقظ بعد نوم طويل ..

الى أسفل : في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب جلس الأمير حسن بن مشيط مع رجاله يتناولون « المندى » ، أى الخروف المطبوخ على البخار ..

■ مكثنا في الرياض العاصمة ، ساعات طويلة ننتظر الطائرة الوحيدة التى تطير الى أبها .. ومع تباشير الصباح ركبنا الطائرة قاصدين عاصمة عسير .. المدينة التى طالما حثنا القراء على التوجه اليها لاستطلاعها .. كانت قوافل الجمال تقطع المسافة بين الرياض وأبها في تسعة ايام ، ولكن الطائرة نقلتنا في اربع ساعات ، بدلا من الساعتين والنصف ، المدة المقررة ..

ان رحلة الساعات الاربع هذه ، نقلتنا الى عالم آخر .. فمن منطقة منبسطة صحراوية حارة ، انتقلنا الى قمم جبال مرتفعة باردة ، تهطل عليها الامطار وتغطيها الغابات الخضراء ..

انها المنطقة الجنوبية لجبال الحجاز ، تلك الجبال التى اسموها بالحجاز لانها تحجز ما بين الساحل المنخفض المطل على البحر الاحمر ، ويدعى تهامة .. وبين النجاد الشرقية المرتفعة نسبيا والمسماة : نجدا ...

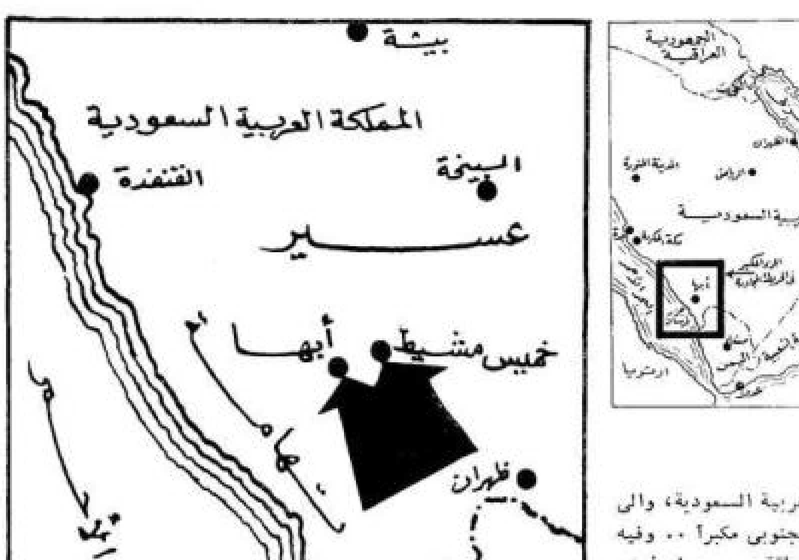
والذى يهمنا في استطلاعنا هذا هو منطقة عسير ، حيث تكثر الاخاديد والاودية ، فتقطع سلسلة الجبال وتجعلها اشبه بجزر متعزلة على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم ! .. ومن هنا قالوا ان اسم عسير مشتق من عسر التنقل بين تلك القمم ، وان كان البعض يقول ان اسم عسير منسوب الى عسير العدناني ، من السكان الاوائل في المنطقة ..

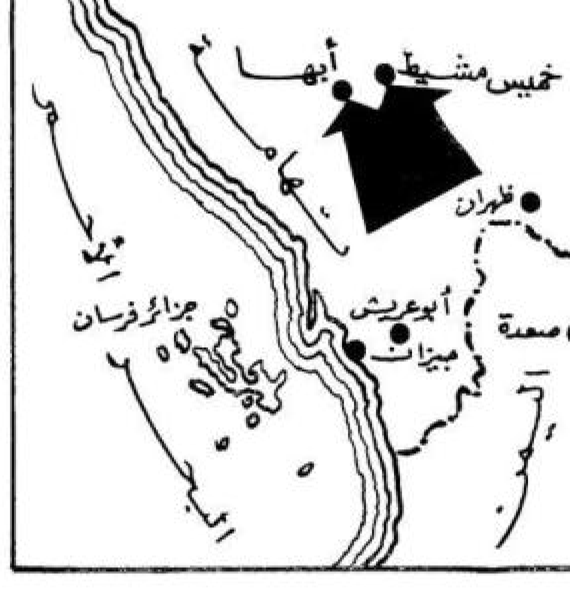
مدينة عالية .. متعالية

.. وهبطت بنا الطائرة .. ليس في مطار أبها ، لانه ليس في أبها مطار ، وانما في مطار منافستها الجديدة « خميس مشيط » التى بدأت تنازع ابها مكانتها كعاصمة للمقاطعة ..

واسرعنا في قطع مسافة الثلاثين كيلو مترا التى تفصل بين خميس مشيط وأبها ، ونحن نتلهف شوقا لرؤية أبها ، التى قال فيها الشاعر :

دعاني نحو أبها ما دعاني
فليس لغيرها في القلب ثان





خريطة المملكة العربية السعودية ، والى اليسار الجزء الجنوبى مكبرا .. وفيه تظهر أهم مدن منطقة عسير .. ان أرض المملكة السعودية كثيرة الاتساع ، حتى يخيل اليك أنك تنتقل داخل قارة عند سفرك من الرياض الى أبها ، فطبيعة الارض تختلف ، والمناخ غير المناخ ، والعادات غير العادات ..



الشارع الرئيسي في ابها .. وفيه تبدو المنازل التقليدية القديمة المزخرفة بالرَّقف .. والسيارات المستعملة في ابها هي سيارات الجيب ، واللاندروفر ، واللوريات .. وغدا بعد ان يتم تعبيد الطرق ستحل سيارات الصالون مكان سيارات الصحراء والجبال ..

بلاد كل ما فيها جميل
لها سحر ولا سحر الحسان

وما كدنا نقطع الطريق المهد المرصوف حتى تفتحت امامنا صورة ابها .. مدينة متعالية تربض في هدوء عميق على رأس ١٢ تلا ، تحيط بها الجبال على شكل دائرى من كل جانب ..

« الرَّقف » يحمى من المطر !

وتنقلنا بالسيارة وسط منازلها المخططة ، وكأنها الحمار الوحشي في رسمها ، انه طابعها الهندسي الجميل الذى تتفرد به فيميزها عن هندسة اى بلد عربي آخر .. فالطابق الاول من هذه المنازل مشيد بالاحجار الصخرية ، والطابق الثاني مبنى بالطين والتبن ، الذى ظلت حوافر الابقار تهرسه مدة يومين لتخلط بعضه ببعض ..

ولكن هذا الطين الممزوج بالتبن يعجز عن تحمل مياه الامطار التى تهطل بغزارة تصل الى ٣٠٠ ملم في السنة ، لهذا تجدهم يغرسون في الطين مئات الالواح من الصخر الرفيع ويسمونه « الرَّقف » يضعون بعضها بجوار بعض على هيئة خطوط لحماية المنازل من الامطار .. اما النوافذ فما هى الا كوات صغيرة تسمى « كَتْرة » (انظر الصورة صفحة ٧٣) .

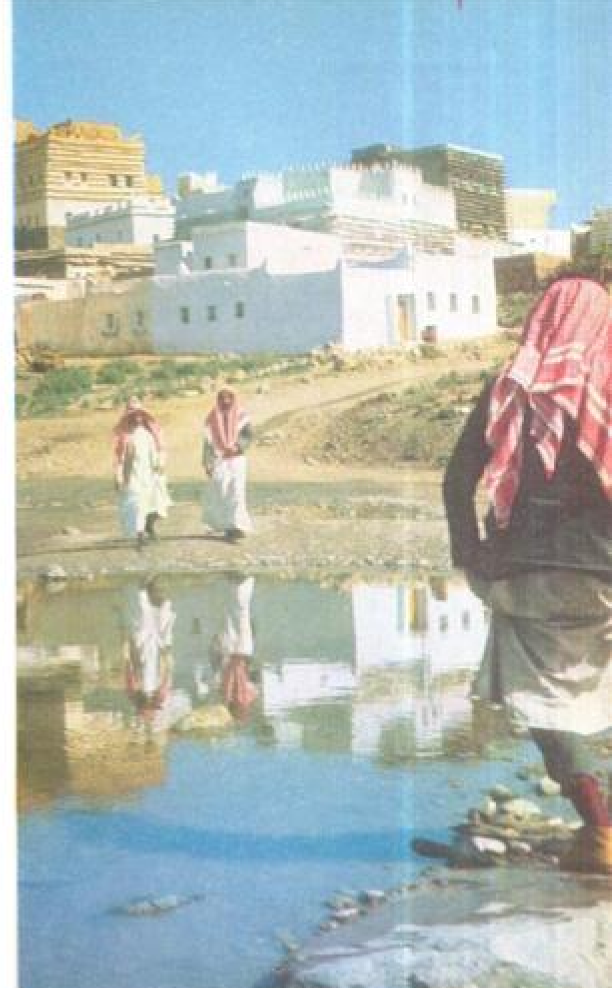
أمير .. وأمحصن .. وسمحة

ولم نسترسل فى تامل هذه الهندسة الفريدة ، اذ أن التقاليد تحتم على الزائر ، ضرورة التوجه مباشرة الى مقر الامارة ، للسلام على اميرها ..

واستقبلنا الامير عبد الله بن محمد الماضي بترحاب زائد فهو من قراء « العربي » المثابرين .. وسألنا عن برنامجنا .. فاخبرناه اننا سنمكث خمسة ايام في المدينة ، نعمل خلالها على نقل صورة حقيقية عن بلاده الى ابناء العروبة الذين يجهلون كل شيء عن خميس مشيط وابها ، وحتى عن عسير نفسها !

فعقب الامير بقوله : « لقد ظلت منطقتنا تعيش منطوية على نفسها على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم ، حتى جاء دورها ، فبدأت الطرق الفسيحة تمتد اليها ، ومع الطرق جاء الناس من كل مكان .. انها المصيف الطبيعي الاول للمملكة كلها » ..

الى اليمين : تنقطع المواصلات بين أحياء ابها عند هطول الأمطار ، اذ تمتلىء الأودية الثلاثة التى تتخلل المدينة بالمياه فتعرقل حركة المواصلات .. وفي الصورة اليمنى يظهر حي مقابل ، وهو من اقدم أحياء المدينة ، ويقوم على حافة وادى ابها .. ومن مشاريع المستقبل للبلدية انشاء جسر فوق الوادى ليربط بين حي مقابل ، وبقية احياء ابها ، وبهذا يتوقف انعزال هذا الحي القديم عن العالم عند هطول الأمطار .



الى اليسار : صورة عن قرب لالواح « الرَّقَف » ويتطلونها « الرَّجَف » انها على شكل زعانف السمك ، متراص بعضها الى جانب بعض في خطوط طويلة لا يقطعها سوى نوافذ صغيرة .. وهذا « الرَّقَف » هو الواح من الصخر الرقيق يغرسونه في الطين المصنوع منه الطابق الثانى من كل منزل .. والغرض منه حماية طين المنزل من مياه الأمطار الغزيرة التى تهطل على المدينة بمعدل ٣٠٠ مليمتر سنويا .. وتجلب صخور « الرَّقَف » من نواحى ابها .. ولدن « النقلة » الواحدة منه ٥٠ ريالا سعوديا ..

الى اليمين : منظر جميل لمنطقة « المحالات » ، انها المكان المفضل لأهل ابها ، يأتون اليها ايام الجمع يجلسون على أعشابها الخضراء ، وحول مياهها المتدفقة طوال السنة .. ان جمال المنطقة ينسيك وعورة الطريق ، الذى ينتظر تعبيده قريبا ..

الى اليسار : كانت ابها في السابق قرية صغيرة تدعى مناظر .. وفي عام ١٢٤٢ هـ . (١٨٢٦ م) تحولت القرية الى عاصمة لعسير بدلا من امسقا .. أما اليوم فأصبحت قرية مناظر حيا هو اقدم أحياء ابها الخمسة عشر .. ومنازلها كلها على الطراز القديم ، كما ترى في الصورة .



بعض طلبة المعهد الديني في أبها الذي يضم ١٩٦ طالبا ، يتلقى الواحد منهم مكافأة مقدارها ٢١٠ ريالات شهريا ، ويمكث خمس سنوات يصبح بعدها مؤهلا للتعليم العالي . ويقول حبيس العبد الله الحبيس مدير المعهد : **« ان الطلبة سيتعلمون اللغة الانجليزية في السنة القادمة وستزاد سنة دراسية على الثانوى .. »**



المهرجان الرياضي الكبير ، الذي تشترك فيه جم
المهرجان الوحيد الذي يقام في المنطقة ، لهذا ي

وظهرت على وجوهنا علائم الدهشة والاستغراب ونحن نستمع الى الامير وهو يتحدث بلهجة عربية سليمة عادية ، فسألناه : « الستم انتم الذين يحذفون (أل التعريف) من كلماتهم ويبدلونها بـ « أم » ؟ .. الستم انتم احفاد الذين سألوا الرسول الكريم : « هل من امبر امصيام في امسفر » فاجابكم بنفس لهجتكم بحديث شريف مشهور : « ليس من امبر امصيام في امسفر .. » فما الذي حدث لكم ، هل ابدلتم لهجتكم ؟ »

فاجابنا الامير : « اللهجة السائدة اليوم في عسير هى العربية الفصحى ، ولكن اللهجة التى تتحدثون عنها هي لهجة حميرية قديمة اصبحت مقصورة على افراد القبائل الرحل ، يتحدثون بها فيما بينهمفيقولون : امجمل عن الجمل .. وامثور عن الثور .. وامحصن عن الحصن .. وامبقرة عن البقرة .. وهكذا .. كما انهم يستبدلون الكاف بالشين للمفرد المؤنث ، كقولهم : ما حاليش .. بدلا من : ما حاليك .. وبعضهم يتشاءم من رقم ٧ فاذا وصل في العد الى هذا الرقم قال : سمحة .. »

وانهى الامير كلامه قائلا : « سنتابع حديثنا ثانية .. اما الآن فقد حان وقت البطون فتفضلوا » ..

اغلاق الباب على الضيف !؟

وعلى الاسلوب العربي القديم جلسنا على الارض حول الخوان الممدود يتوسطه خروف محمر يتربع فوق تل من الارز المخلوط بالزبيب واللوز والتوابل والبيض المسلوق .. ويسمونه المندى ..

وجلسنا مع الامير ، وحولنا كل شخص اراد الدخول ، لان الابواب مفتوحة للجميع .. وانتهينا من الطعام وشربنا القهوة والشاى .. وعدنا نسأل الامير مرة ثانية : « ولكننا عرفنا عنكم انكم تغلقون الباب على الضيف في غرفته ومعه طعامكم الشهي حتى يأكل على سجيته دون ان يزعجه احد ،



مدارس أبها الابتدائية والمتوسطة والثانوية .. انه الناس اليه من كل حدب لمشاهدته ..

ان تقلب الجو وبرودته في الشتاء يعرضان الطلبة للاصابة بأمراض الجهاز التنفسي .. ويدور التفكير حاليا لتقديم كوب حليب أو وجبة افطار ، لمساعدة الطلبة على التحمل ومقاومة الامراض ، لا سيما السل .. ويقوم طبيبان فلسطينيان ، وطبيب عراقي بالاشراف على صحة الطلبة ..

وانه يتوجب عليه الجلوس ثلاثة ايام على الاقل في ضيافتكم » ..

فقهقه الامير ضاحكا وقال : « يبدو أنكم قرأتم الكثير عن منطقتنا ، ولكن هذه العادات القديمة بدأت تندثر من المدن لتنحصر في القرى » ..

عبثا تحاول الاعتذار .. !

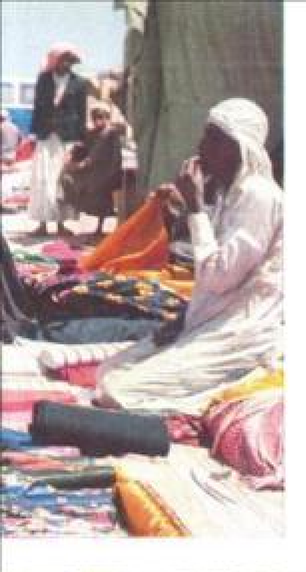
وهنا اشترك الشيخ محمد صالح الفواز مدير تعليم منطقة ابها ، في الحديث قائلا : « ان هذه العادات تسبب لنا ازعاجا زائدا في عملنا .. ففي احدى المرات كنت اقوم بجولة تفقدية تعليمية على المدارس في ضواحي ابها ، حتى وصلت الى قرية بني جرى ، وانتهت مهمتي ، وقمت لاودع الناس ولكني صعقت عندما اصروا على اني لن ابرح المكان واني اصبحت ضيفهم لمدة ثلاثة ايام ، وعبثا حاولت الاعتذار ، فقد كان اصرارهم يزداد كلما تمنعت .. واخيرا رضخت للامر الواقع ومكثت ثلاثة ايام كاملة بلياليها في هذه القرية المضيافة التى يتقاسم اهلها الضيوف لعدم وجود فنادق فيها » !!

المعارف تبنى ، وغيرها يهدم !

وتابع المسئول عن التعليم كلامه بقوله : « ولكن الكثير من عاداتنا القديمة بدا يتلاشى ويزول – كما قال سعادة الامير – نتيجة لانتشار التعليم .. ففي السنوات الاربع الماضية افتتحنا في منطقة ابها ٢٧ مدرسة بين ابتدائية ومتوسطة ، استوعبت اكثر من خمسة آلاف طالب جديد .. فاصبح مجموع عدد طلابنا ١٢ الف طالب .. كما افتتحنا ٢٢ مدرسة ليلية تضم ١٥٠٠ طالب » ..

قلنا للمسئول عن التعليم : « تقولون ان عدد الطلبة ١٢ الف طالب ، في حين يزيد عدد سكان المنطقة عن المليون نسمة ، فما السبب في هذه النسبة الضئيلة من المترددين على المدارس » ؟

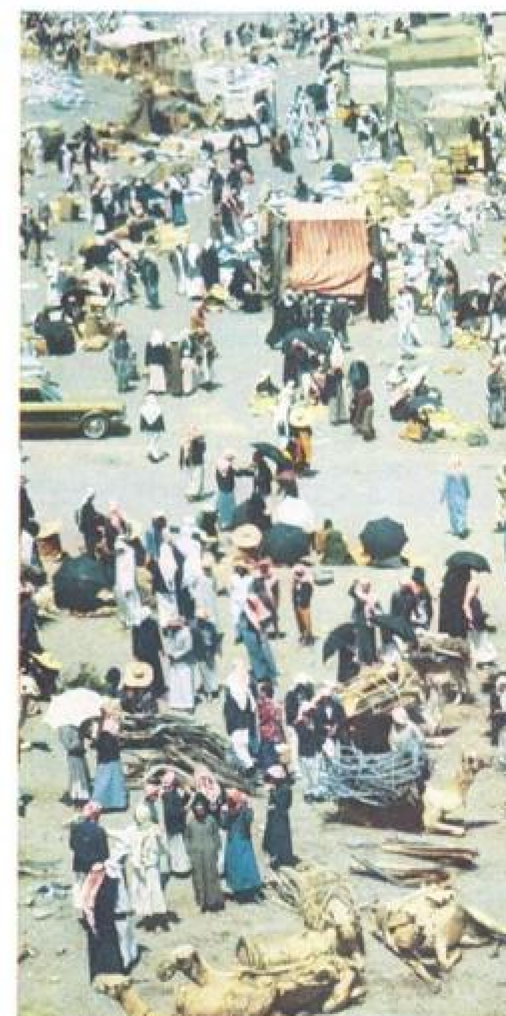
فاجابنا متحسرا : « يجب ان تعلم ان السكان





على مدار أيام الأسبوع تنعقد الأسواق العامة حسب تقسيم القبائل ، مثال ذلك : اثنين الباحة ، لقبائل ربيعة ورفيدة .. وخميس مشيط ، لقبائل شهران .. وأحد رفيدة ، لقبائل قحطان .. وسبت علي يزيد ، لقبائل بني مغيد .. أما ثلاثاء أبها فيضم جميع القبائل . ونرى في هاتين الصفحتين صورا من هذه الأسواق .. وتتفنن النساء البدويات في ارتداء أجمل أزيائهن المصنوعة من المخمل الأسود المطرز بمختلف الألوان ، كما نرى في الصورة العليا ، ويضعن على رؤوسهن القبعة الواسعة المصنوعة من سعف النخيل ، والتي تشبه قبعات أهل المكسيك ..





من تهامة والجبال المجاورة ، يأتي رجال القبائل الى الأسواق العامة حاملين معهم منتوجاتهم من تمر وذرة وعدس وحطب ، وأحيانا بعض حيواناتهم .. وسألناهم عن ثمن الجمل فأجابونا : « **يجولون ست** » .. أى : يقولون ستمائة ريال .. والخروف ١٤٠ ريالا .. والحمار ١٥٠ ريالا .. والمعزة ٨٠ ريالا .. وفوق هذا الكلام تبدو احدى النساء تحمل في سلتها ما اشترته من خضراوات وحبوب .. لاحظ اختلاف الموديلات في أزياء النساء .. حتى وصفهن أحد الكتاب : « **كأنهن النساء الاوروبيات في اناقتهن لولا طول الثوب !** » .

في عسير متعلقون بارضهم ، يعيشون على زراعتها وجنى خيراتها .. والطرق المؤدية الى قراهم صعبة للغاية ، ان لم تكن معدومة ، وهذه تشكل اهم عقبة .. اضف الى ذلك عدم تعاون « البيت » او عدم فهمه لاتجاه تعليم ابنه ، والقاءه العبء كله على المدرسة ، حتى اصبحت حالنا كقول الشاعر :

متى يبلـــغ البنيان يومـا تمامــه
اذا كنت تبنيــه وغــيرك يهــدم

« ولكن هذه الظاهرة بدأت تخف عاما بعد عـام ....

« وأحب هنا توضيح نقطة ذكرتها في احصائك ، وهي ان عدد السكان يزيد عن المليون نسمة ، وهذا صحيح .. ولكن يجب أن تخصم من هذا العدد ٦٠٪ وهي نسبة النساء في المنطقة ، لان المرأة التي تعيش في المدينة هي التي تتعلم فقط ، اما المرأة في البادية والقرية فلم تتعلم بعد ، وليس لوزارة المعارف دخل في هذا ، لان تعليم الفتاة يخضع لادارة خاصة مستقلة تتبع فضيلة مفتي المملكة العربية السعودية مباشرة ، في رئاسة مجلس الوزراء .. »

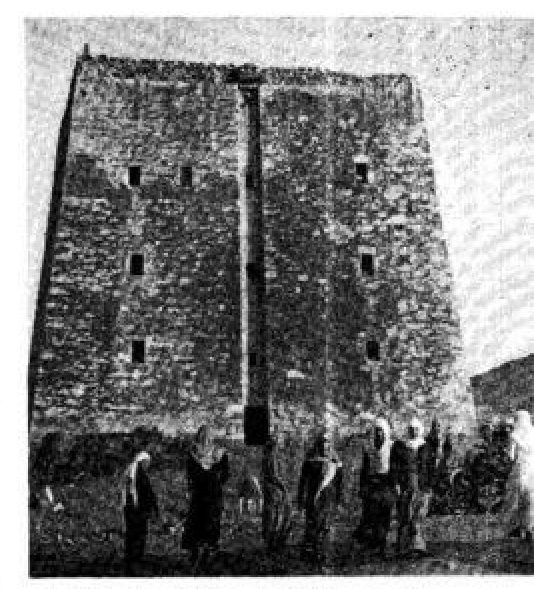
ضـغط هائل

وذهبنا الى رئاسة تعليم الفتاة في ابها ، حيث قابلنا الاستاذ سليم احمد الرشيد المسئول عن تعليم الفتاة في خمس مقاطعات كبيرة هي أبهـا وجيزان ونجران وبيشه والنماص ..

بدأنا حديثنا عن تعليم الفتاة عامـة فقال :
في الماضي كان اهل المناطق يرسلون طلباتهم الى رئاسة تعليم البنات ، يطلبون فيها فتح مدارس لتعليم بناتهم ، فكنا نفتح المدرسة بمجرد ورود الطلب الينا .. أما اليوم فقد تكدست عندنا طلبات فتح مدارس الفتيات حتى بلغت المئات .. وصلتنا من كل مكان بالمملكة .. ولكننا نعاني ازمة في مباني المدارس الصالحة .. وفي المعلمات المؤهلات اللواتي يتحتم عليهن التحجب .. ولكننا لا نتشدد في كشف الوجه والكفين لوجود اختلاف بين الفقهاء في هذا الشأن » .

مطلوب ١٠٠ مدرسة

قلنا : « وماذا عن تعليم الفتاة في أبها » ؟
قال : « لقد بدأ تعليم الفتاة اهليا في أبهـا



حول هذه القلعة الحجرية المسماة شدا التي أقامها أمير عسير محمد بن عائض عام ١٢٦٥ هـ قامت مدينة أبها القديمة ..



يتميز جو أبها بالفصول الأربعة : الربيـع ويستمر ٩٢ يوما ، والخريف ٨٩ يوما ، والصيف ٩٣ يوما ، والشتاء ٨٩ يوما .. ومن الطريف انهم علقوا على خشبة فوق محطة الأرصاد الجوية غرابا أسود ميتا ، لتبتعد الغربان الاخرى وتتوقف عن شرب الماء من حوض مقياس هطول الامطار !!

قبل ان يبدأ تعليمها رسميا في عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .. بدأنا بمائة وخمسين طالبة ، اصبح عددهن اليوم الف طالبة .. وقد رفضنا في هذا العام الدراسي قبول ٢٠٠ طالبة جديدة لعدم وجود اماكن شاغرة لهن .. اننا في حاجة الى عشر مدارس للبنات في مدينة ابها بمفردها ، والى مائة مدرسة جديدة لمواجهة الاقبال الهائل على تعليم الفتاة في منطقة عسير فقط » .

« لا مانع .. تفضلوا !؟ »

قلنا : « ما من شك ان عملكم يستحق كل اعجاب وتشجيع ، فهل يمكننا ان نترجم هذا المجهود الى صورة نلتقطها للتلميذات الصغيرات اللواتى بالصف الاول ، من ظهورهن » ؟

فقال المسئول عن تعليم الفتيات : « لا اسمح لاحد بالتقاط اية صورة .. ليس فقط بسبب تعليمات رئاسة مدارس البنات القاضية بمنع التصوير ، ولكنى لا اعتقد ولا أؤمن بفائدة التصوير » ..

فقلنا : « هل تسمحون لنا بالتقاط صورة لسيادتكم » ؟

فاجاب مرحبا : « لا مانع تفضلوا .. »

وكانت الصورة التى تراها بجوار هذا الكلام ..



٨٥ طالبا تحتضنهم الدولة في دار التربية الاجتماعية بأبها ، بعد أن فقدوا حنان الأبوين باليتم أو بالطلاق .. أما الفتيات اليتيمات فنقلن الى جدة او الرياض .. وتشرف الدولة على اليتامى حتى نهاية دراستهم الجامعية ، وتوفر لهم الوظائف المناسبة .. وهذا هو السيد عبد الرحمن الذييب مدير دار التربية الذى يقوم بدور الاب لهؤلاء اليتامى ..

قصة المراة في أبها

وقصة تطور المراة في ابها تختلف عن قصص تطور المراة العادية في مختلف بلاد العالم .. « كانت معظم نسائنا الى عشر سنوات مضت يسرن سافرات دون حجاب ، ويختلطن بالرجال في نطاق حدود العائلة ، وكانت ابها بمثابة عائلة كبيرة يسيطر عليها جو الاسرة الواحدة .. وكان عدد سكانها لايتجاوزون خمسة آلاف نسمة .. وذاع صيت ابها من ناحية طيب المناخ ، وارتفاعها الشاهق ، وكثرة غاباتها وجبالها المكسوة بالخضرة طوال السنة .. فضلا عن الاختلاط الاسرى الذى لم يكن له مثيل في اى مكان آخر بالمملكة السعودية .. وجاءنا الناس من كل مكان من القصيم ، والرياض ، والخرج ، وسدير ، والمدينة ، ومكة ،



فريجيدير أبها : وهو مصنوع من الطين المطلى بالأصباغ ، يوضع فيه الماء الذى ينساب من الحنفيات المدروسة في أسفله .. وتشرب أبها من آبار جوفية قريبة ، وتنقل السيارات وعربات اليد ، المياه الى المنازل بسعر نصف ريال سعودى لكل صفيحتين .. ان دخول الكهرباء وبناء سد ابها سيوصلان الماء الى كل منزل .

اللباس العربي هو زي الرجال الوحيد في منطقة عسير ، وليس هناك من يرتدي البنطلون او الجاكيت من الاهالي .. وبعد صلاة العصر يجلس الأمير عبد الله بن محمد الماضي في منطقة الحجلاء ، بين خميس مشيط وابها ، يجتمع بالمسئولين في المدينتين ، يتحدثون ويشربون القهوة العربية والشاي (الصورة العليا الى اليمين) وترى الأمير في الصورة العليا يسير في شارع ابها المرصوف مع المسئولين عن المدينة .. اما الصورة التي الى اليمين فيظهر فيها الشيخ احمد بن مفرح امير قبيلتي بني مغيد وبني نمار ، يعرض على بعض ضيوفه مجموعة من البنادق الاثرية التي كان يستعملها الآباء والاجداد ، وفي الصورة اليسرى صورة رائعة لوجه عربي اصيل من ابها .

والطائف ، ونماق ، وزهران .. جاء كل منهم الى ابها حاملا معه عاداته وتقاليده .. ومن بينها الحجاب يضعونه على وجوه نسائهم .. وبدلا من ان تنطبق عليهم عاداتنا وتقاليدنا ، فرضوا هم عاداتهم علينا .. ومن بينها حجاب الوجه .. فرضوه على كل امراة في ابها .. وفي السوق يقف بعض الرجال يفرضون الحجاب على البدويات السافرات القادمات من البادية على ظهور جمالهن »

« ألى الخلف .. سر »

وهذا التطور العكسي للمراة دفع بجريدة عكاظ المحافظة التي تصدر في الرياض العاصمة ، الى كتابة مقال جاء فيه :

« ..كانت المراة في ابها تشارك الرجل في عمله تزرع وتحطب وتسقى، وتتحدث مع الرجل في جراة وشجاعة ، كل هذا يتم في أدب واحترام متبادلين..



ما تكاد الأمطار تهطل على ابها ، حتى تضيع معالم طرقها الرملية الجبلية ، فتأتى سيارات البلدية لتزيح الطين المتراكم وتفتح الطريق

قيل عنها وقيل .. وأصبح ما قيل في حكم القصص، يحكيها الشيخ فيتحسر، ويتناقلها الشاب ويتأسف .. وتجمع الآراء على انهم فقدوا ذلك التقليد واضاعوا تراثا مجيدا وعادة طيبة كانت القبائل وبقية الاقاليم يحسدونهم عليها، وبدلا من أن يطوروا هذا المفهوم أصبحوا يعيشون على مبدأ « الى الخلف سر .. » وأصبحت المراة تفزع لقدوم الرجل .. أو تدارى نفسها وتشيح بوجهها .. ».

حصار

لقد أخرجت الحال التى آلت اليها المراة في ابها، جريدة عكاظ المحافظة عن وقارها .. لان مندوبها وكذلك اغلب أهل الرياض كانوا يعتقدون بما كتبه المؤلفون في جميع كتبهم من أن ابها هي المنطقة الوحيدة في المملكة السعودية التي تسير فيها المراة سافرة ..

وحول بعثة العربي كان المطوعون بخيزراناتهم الرفيعة وعشرات الأطفال ، يحصون علينا كل خطوة وكل حركة ، ويقفون سدا بشريا ليحولوا بين مصورنا وبين كل امراة تبيع في السوق .. (**انظر الصورة صفحة ٧٦** **) .**

٤ وزارات تأخذ بيد المراة

اما في مدينة «خميس مشيط» حيث التفتح على العالم أكثر بكثير من تفتح ابها ، فتقوم أربع وزارات سعودية هي الشئون الاجتماعية والمعارف والصحة والزراعة ، بمجهود رائع كبير من أجل تطوير المجتمع والنهوض بالمراة ، مسترشدة بتوجيهات جلالة الملك فيصل .. لقد انشات هذه الوزارات الأربع مركزا كبيرا للتنمية الاجتماعية في خميس مشيط انفقت على بنائه وتأسيسه ملايين الريالات .. وجلسنا الى مديره الشاب النشيط أحمد يحيى الفايز يحدثنا عن المركز بقوله :

« الهدف من انشاء مركزنا هو تغيير العادات القديمة الضارة، واكتشاف القيادات، وتطوير المجتمع والمراة وتشجيع الأهالي على المساهمة في هذه الجهود »

« ان بداية تعليم الفتاة في المملكة بدأت في فرع مركزنا بالدرعية .. ونحن هنا في خميس مشيط نقوم يوميا بتعليم المراة مختلف الأعمال من طهى وخياطة وتدبير منزلى وارشاد صحى واجتماعي ، وفي الصباح تذهب الأخصائية الاجتماعية والزائرة الصحية تقومان بجولة في المنازل تعملان خلالها



٢٥ ربة بيت يأتين يوميا الى مركز التنمية الاجتماعية في خميس مشيط ليتدربن على الخياطة والتطريز والطهي الى جانب الارشاد الصحي والاجتماعي ، وتعاونهن في ذلك أخصائيات متدربات ، ترى هنا واحدة منهن هي الآنسة سهام غيبة من سوريا .. ان المجهود الكبير الذي تبذله الحكومة السعودية من أجل رفع شأن المرأة يقابل باعجاب من الرجال ، ولكنهم ــ رغم هذا ــ ما زالوا مترددين في تعليم نسائهم .

على مساعدة « ست البيت » في ترتيب منزلها والعناية بطفلها .. كما تقوم الأخصائية الاجتماعية بزيارة مدارس الفتيات وتبحث حالتهن .

وينهي الشاب المتحمس أحمد يحيى الفايز حديثه بقوله : « والى جانب هذا عندنا في مركز التنمية الاجتماعية مكتبة عامة تضم أكثر من ٥٠٠ كتاب ، ومكتبة أخرى متنقلة بين القرى والمراكز يصحبها أخصائي في مكافحة الأمية .. ومن مشاريعنا القريبة افتتاح أول مدرسة لرياض الأطفال وأول جمعية تعاونية في أبها يساهم فيها الأهالي . »

مزاد !

والأهالي كيف يعيشون في أبها ؟ .. الواقع انهم يعيشون في حلقة هائلة من الفراغ ، متشبثين بآمال كبار .. أما عددهم الصحيح فمجهول والرقم الموجود تقريبي ، اذ لا يوجد احصاء رسمي للمملكة كلها ، فما بالك بأبها المدينة التي ظلت تعيش منعزلة عن العالم ؟ وعندما سألناهم عن تعدادهم أجابونا : « في عام ١٩٦٥ كان عدد المنازل في أبها ١٨٠٠ منزل ، يسكن في كل واحد منها خمسة أشخاص في المتوسط ، وبذلك يكون مجموع السكان ٩ آلاف نسمة .. »

ويحتج البعض على هذا الرقم ويقول : « لا ، ان عددنا ٢٥ ألفا » وترتفع أصوات أخرى لتقول : « .. بل ٣٠ ألفا .. » .

أسلوب .. وأسلوب

ويمر الشباب المتعلم في أبها بمرحلة دقيقة في حياته .. لقد تعلم في المدارس وتخرج وحصل على الشهادة وهو يريد خدمة بلاده بأسلوبه الجديد ، انه يتطلع حوله فيرى الأغلبية الساحقة لها أسلوبها القديم سارت عليه منذ مئات السنين ، حتى أصبح هذا الأسلوب القاعدة والأساس اللذين تقوم عليهما الحياة في مدينته ..

انه يرى بلديته ويسمع عنها .. ويقولون له انها أقدم بلدية في المملكة العربية السعودية .. ولكنه لم ير لها أي أثر محسوس .. انها لم تستطع ان تشق وتسفلت سوى طريق واحد خلال عمرها الطويل .. وميزانيتها ٢ مليون ريال ، ومع ذلك لم تقم بغرس حديقة عامة واحدة في المنطقة الزراعية الأولى في المملكة ، كما يقول البعض .. والكهرباء لم تدخل الى أبها الا منذ ٩ أشهر فقط .. وأشياء كثيرة أخرى يسمعها الشباب ويتعجب ..

في ميدان البحار ، وهو الميدان الرئيسي في ابها ، وتحت نظر الاهالي يزاول
طلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة تدريباتهم الرياضية استعدادا للمهرجان
السنوى الكبير الذى ينتظره بشغف أهل المناطق المحيطة بأبها .

الى أسفل : ٨٨ طالبا يتلقون تعليمهم الثانوى في المدرسة
الثانوية الوحيدة في منطقة ابها .. وهناك اربع مدارس أخرى
بين ابتدائية ومتوسطة تضم ١٥٢٧ طالبا في مدينة ابها فقط .



الى اليسار : ٢٠٠ طفلة لم تتسع لهن مدارس البنات هذا العام من فرط الاقبال الهائل على تعليم الفتاة .. ان فتيات ابها يتسلحن بالعلم والمعرفة استعدادا لمشاركة الرجال في العمل من اجل النهوض بالبلاد .. لقد انقضى العهد الذى كان يقال فيه « .. **ومن المفاخر عند العرب ان المراة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها الا للقبر** » .

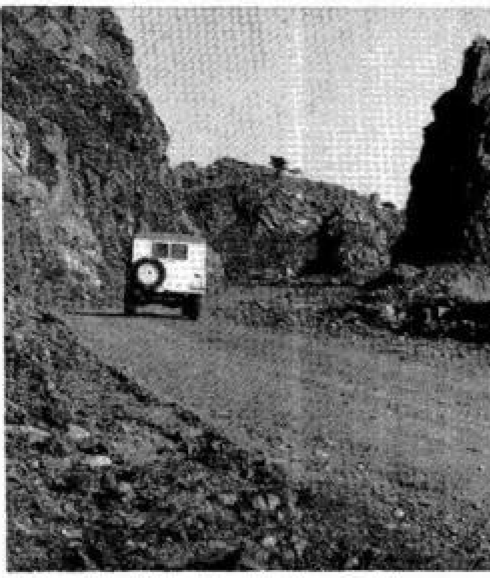
الى اسفل : اقدم مدرسة ابتدائية فى ابها .. ان مبانيها مشيدة على الطراز القديم ، الجزء السفلى من الاحجار ، والطابق الثانى من الطين المرشوقة فيه قطع « الرَّقف » .

لو تكلم السد ؟

والى موقع سد أبها يذهب الشباب ليتأمل تلك القاعدة الهائلة الصماء المصنوعة من ١٠ الاف طن من الخرسانة المسلحة .. لقد صبتها الشركة المقاولة ، وبعدها توقف العمل في السد .. ومرت سنوات طوال ، ولا أحد يدرى لماذا توقف العمل في السد ..

وأخيرا جاءت شركة ايطالية مكان الشركة الباكستانية ، وبدأت تدرس كل شيء من جديد .. وتجرى عمليات مسح شاملة للمنطقة ، ولا أحد يدرى متى ستنتهى من دراساتها ، وهل ستستعمل تلك القاعدة الضخمة الخرسانية أم ستنسفها ؟

ان سد أبها الذى سيتكلف ٦ مليون ونصف مليون ريال سيحجز ٣ مليون متر مكعب من مياه الأمطار .. ونتيجة لهذه البحيرة الصناعية التى ستتكون على ارتفاع ٧ الاف قدم ، سيرتفع منسوب المياه في الآبار وستتوفر المياه اللازمة لشرب السكان ، وسيمكن استثمار ١٢ الف دونم من الاراضي الصالحة للزراعة.. هذا عندما يتم انشاء السد !!



العقبة .. انه الاسم الذى أطلقه أهل أبها على هذا الجبل الذى كان يقف عقبة عثرة في سبيل المواصلات .. أما اليوم فقد شقوا هذه العقبة وفتح الطريق بين أبها ومنطقة تهامة المطلة على البحر الاحمر .. ان هذا الطريق اختصر المسافة من أربعة أيام الى أربع ساعات فقط !

في الصبح سوق .. وبعد الظهر ملعب

لقد بدأت المصابيح تضيء بعض طرقات ابها ، وبدأ الليل الموحش يتزاح عن المدينة ، ولكن الكهرباء لم تدخل بعد الى الناديين الرياضيين في ابها اللذين يجتمع الشباب فيهما على ضوء مصباح البترول .. ان مشكلة شباب الناديين الاولى هى الخوف من أن يطردوا من المبنيين القديمين في حالة وجود مستاجر يدفع ايجارا اكبر من الايجار الذى يدفعونه ..

ان هذين الناديين رغم قلة المساعدات التى يتسلمانها من ادارة رعاية الشباب ، يقومان بنشاط اجتماعى ورياضي كبيرين .. والشباب فيهما يتطلع الى أن يصبح له مبنى لائق ، وملعب رياضي حديث بدلا من ساحة المدينة الرئيسية التى تقام فيها المباريات والتمرينات وسط حركة الاسواق .. وتنقل الجمال !

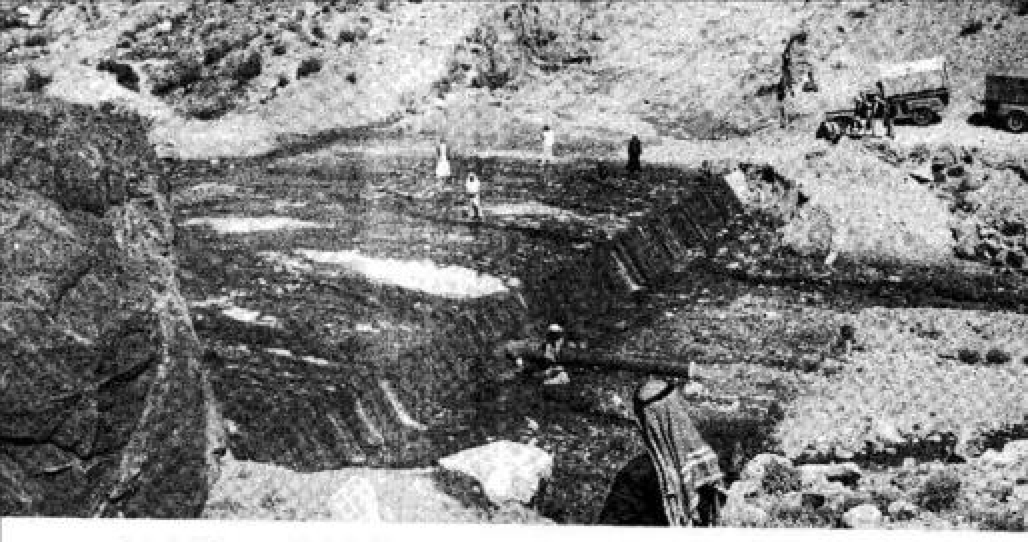
التلفاز .. التلفاز

وفي مقدمة الآمال الكبار التى يتطلع اليها الشباب يأتى : التلفاز ..

لقد اقيمت محطات تلفزة في مناطق جدة والمدينة والرياض والقصيم والاحساء.. وجاء الدور عليهم لتقام لهم محطة تلفزة في عسير .. ان اتصالهم الوحيد بالعالم يتم عن طريق الاذاعة والكتب والصحف القليلة التى تصلهم .. وهم الآن يتوقون شوقا الى رؤية التلفاز ، فالسينما ممنوعة في المملكة كلها ، والعود والكمان لم تسمعهما أبها من قبل ..

تأثير السينما والتلفاز

وتحدث الينا أحد الشباب قائلا : « اضطررت ذات مرة للقيام برحلة الى بيروت وأخذت زوجتى معى ، وكانت مشكلتى الاولى كيف ستسير سافرة في شوارع بيروت، والمشكلة الثانية كانت في ثوبها الطويل الذى تختلط أطرافه بالرمال .. وتغلبت على هاتين المشكلتين اثر محاولات اقناع عديدة .. وبعدها قررت المغامرة والذهاب الى السينما وذهبنا ، ولكننا لم نستطع المكوث الا لفترة وجيزة من فرط الانفعال ، فخرجنا الى فندقنا



هذه هي القاعدة الخرسانية لسد ابها .. لقد توقف العمل في السد بعد الانتهاء منها .. ومضت سنوات وسنوات.. واخيرا بدأت شركة ايطالية عمليات مسح جديدة.. ولم يتحدد بعد مصير هذه القاعدة الخرسانية هل ستنسف ، أم سيبنى السد الجديد فوقها ؟

ثانية .. ان دخول التلفاز الى منازلنا في ابها سيبدل طريقة حياتنا كما بدلها في معظم انحاء المملكة، حيث أصبحت بعض السيدات السعوديات يقفن على قدم المساواة ، ان لم يتفوقن على نساء كثيرات في البلاد العربية .. » .

السوداء .. ولبنان

ويتحدث اهل ابها بفخر واعتزاز زائدين عن ضواحي مدينتهم وعن اشجار الرمان والليمون والتين .. وعن الجبال الخضراء ..وعن المستقبل الهائل للسياحة في منطقتهم .. وبحثنا عن الرمان والتين والليمون ، فلم نجد سوى اشجار هزيلة متفرقة .

ويقولون لك : منطقة السوداء .. انها قطعة من لبنان .. يجب أن تراها **ويؤكدون قولهم ـ كعادتهم دائما ـ ببيت من الشعر يقول :**

فنسيم سوداء العسير معطر
وهواؤها يشفي عَصيَّ الداءِ

وركبنا سيارة الجيب وانطلقت بنا الى السوداء قاطعة مسافة ٣٢ كيلو مترا في ٣ ساعات !!

ووصلنا الى السوداء .. بضعة منازل حجرية متلاصقة على ارتفاع ٩ آلاف قدم ، لا أثر فيها لحياة .. تحيط بها اراض مساحتها ١٣ كيلومترا مربعا ، تغطيها أشجار العرعر .. كان رجال القبائل يتقاسمون أراضيها ويقطعون جذوع أشجارها ، حتى تم فتح فرع لوزارة الزراعة في أبها ، وعندها توقف قطع الأشجار وزادت الخضرة .. وشقوا طريقا ترابيا وسط الأشجار، وبدأ الناس يتسابقون لشراء الارض ، حتى أهل الرياض شعروا أن « السوداء » هي أرض المستقبل ، فاشتروا مساحات كبيرة منها .. ان وديانها تشبه كثيرا وديان جبال لبنان .. والمدرجات الخضراء تتعاقب على جانبي الجبال ، مزروعة بالقمح البعلي ، أي الذي يعتمد على الأمطار ..

حسرة ..

وانطلقنا الى ما وراء « السوداء » لتناول الطعام ، وكانت قد سبقتنا سيارة محملة باللحم والدجاج والارز والخضراوات .. ومدوا الغطاء الأبيض على البساط الأخضر ، وبدأ احضار الدجاج المحمر ، وتلال الارز مع اللحم المقدد .. وعلى غير انتظار اكفهر الجو وتلبد بالغيوم ، واحتجبت الشمس وسط النهار ، وأبرق الرعد ، وكأن مزاريب السماء قد تفتحت فهطلت الأمطار مختلطة بالبَرَد .. وحمل كل منا ما استطاع حمله من الأطباق الساخنة اللذيذة واحتمى بشجرة ، وراح يسد جوعه ، بينما المطر يزداد هطولا .. واضطررنا آسفين لترك الطعام للقرود

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» ، ان هذا الحديث الشريف يطبقه اهل ابها بافراط زائد ، حتى خيل لنا ان الواحد منهم سيذبح لنا خروفا في كل مرة نسلم عليه ...

تلعب القهوة دورا هاما في اكرام الضيف ، ويتم تحضيرها اثناء وجوده .. وفي المنازل، ركن يطلق





الدعوة لشرب القهوة بعد المغرب ، تعني انك ستجلس بعدها الى مائدة عامرة بمختلف أنواع الفواكه ، من تفاح وبرتقال وموز ، كما حدث عندما دعانا العقيد عيسى المشارى مدير شرطة ابها.

اسم « العشّلل » تجلس فيه العائلة كبيرها وصغيرها لشرب القهـوة والشـاى ...





والفهود والنمور التي تعيش في المنطقة ... وانطلقت بنا السيارة فوق طريق تحول الى مستنقع من الماء والطين الأحمر ، وكم من مرة دارت بنا السيارة ، وكأنها تتزحلق على الجليد ، ولولا رعاية الله لطاحت بنا في أحد الأودية مع السيول المندفعة الى تهامة ، في طريقها لمقابلة مياه البحر الأحمر !!

رمية حجر

وقالوا لنا لا يمكن أن تحكموا على بلادنا بعد زيارة السوداء فقط .. بل يجب أن تزوروا تمنية .. قلنا : « كم تبعد عن ابها » ؟ قالوا : « رمية حجر .. » ورمية الحجر عندهم تعني ٥٠ كيلو مترا ، قطعناها وكأننا نسير على رماح مدببة لوعورة الطريق واستحالة السير عليه .. ووصلنا الى جبل مرتفع ، تقبع عند قمته ، ثلاث قرى هادئة بعيدة عن العالم الصاخب ومشاكله .. ان مطالب الحياة بسيطة هنا ، حتى أن المهور ليست مشكلة في تمنية ، فعشرة ريالات تكفي عند الزواج فيما بينهم .. أما الغريب فلا يجب أن يفكر في عشرة ريالات ابدا .. وأهل تمنية يتبرعون بعشر محصولهم الزراعي يحفظونه أمانة عند رئيس القرية للصرف منه على المحتاج ، وعلى الضيف الذي يهبط عليهم دون سابق انذار !

البدء من الصفر

ان اهل تمنية يريدون تحويل منطقتهم الى مصيف لأهل المملكة ، ولكن اهل ابها يريدون تحويل « السوداء » الى جنة عالية للسياح !

ان طموح الابهويين كبير ما في ذلك من شك ، ولكن تحويل هذا الجبل الى مصيف عالمي يحتاج الى عشرات السنوات .. لأن كل شيء فيه يجب أن يعود ليبدأ من الصفر .. فهو جبل بكر .. قراه يجب أن تزال لتقام مكانها قرى حديثة .. مياهه لا يعرف أحد مقدارها .. طرقاته تحتاج الى اعادة تخطيط ورصف وتبليط .. الكهرباء ليس لها أثر فيه .. عمليات عديدة .. تحتاج الى زمان طويل



« ليس أمامنا أي عائق يحول دون تجميل مدينتنا بالاشجار ، فلماذا لا نعمل على تشجير المنطقة بجبالها وسهولها .. خاصة وأن التربة جيدة ، ومياه الأمطار متوفرة » هكذا تحدث ضابط الغابات في يوم الشجرة بأبها .. وبعدها انطلق المسئولون والاهالي يغرسون مئات الشجيرات على جوانب الطرق



تقاليد الزواج في عسير ما زالت تسير على الاسلوب القديم .. العريس لا يرى عروسه ، والعروس ليس لها حق الاعتراض على العريس ، انما ولي أمرها هو الذى يختار لها .. والمهر ليس للزوجة فيه نصيب انما هو لوليها .. وعندما يعجز العريس عن تكاليف الزواج ومآدبه ، يجتمع أهل الحى أو القرية فيلقون ما يجودون به من نقود على منصة خاصة ، يأخذها العريس .. وفى المساء يجتمع أهل الحى يغنون ويطبلون ويرقصون رقصة « الخطوة » الجماعية .

لتتحقق .. مثلها في ذلك مثل المنطقة الشمالية في العراق ..

ان المسئولين يجب أن يفكروا مرتين أثناء ادخالهم مظاهر المدنية الحديثة الى هذه المنطقة ان مشروع الطريق،الطائف ابها جيزان ، وطوله ٧٦٠ كيلو متر وتكاليفه ..٥ مليون ريال ، والذى تم حتى الآن رصف ..٢ كيلو متر منه ، هذا الطريق سيضاعف عدد النازحين الى المنطقة ، الذين سيقيمون فيها مظاهر حضارتهم دون مراعاة للحضارة القديمة التى ما زالت تعيش في هذا الجزء المغمور من العالم ..

البردق والخاشوجة والطماطيس !

لقد جاء الأتراك من قبل وتركوا بصماتهم في ابها وضواحيها ، فقلاعهم متناثرة في كل مكان ..وأشجارهم التى زرعوها من زيتون وكمثرى وسفرجل وتين اسطمبولى ابيض واسود ، تحولت الى اشجار برية لا تعطى ثمرا .

كلماتهم التركية ما زالت شائعة مستعملة بكثرة في المنطقة ففنجان القهوة يقولون له « بردق » .. والشوكة « الخاشوجة » .. والطماطم « طماطيس » .. والمحشي « الضوله » .. وغيرها الكثير من الكلمات ..

عسير في مضطرب عواصف التاريخ

لقد شهدت هذه المنطقة معارك ضارية بين أطراف كثيرة متعددة .. فابراهيم باشا ابن محمد على الكبير احتلها سنة ١٨٢٦ باسم الباب العالى بعد





٢٥ ألف شتلة أشجار فاكهة من عنب وتين ومشمش وبرقوق، وكمثرى وتفاح ، ولوز ورمان وسفرجل .. و١٠٨ آلاف شتلة أشجار غابات من كينا وصنوبر مثمر وخروب والكزورينا .. و ٣٥٠ ألف شتلة خضراوات .. هذه الأشتال كلها تم توزيعها بأسعار رمزية على المزارعين في أبها خلال العام الماضي .. ويقوم بمهمة اعادة الاخضرار الى المنطقة شابان في غاية الهمة والنشاط هما عبد الرحمن الفوزان وناجي جعفر .. وتراهما في الصورة أمام الخيمة يقومان بتوزيع الأشتال على الأهالي ..



هذه المدرجات الخضراء المتتالية ــ في الصورة العليا ــ تشبه كثيرا مدرجات جبال لبنان ، التى يزرعونها تفاحا وعنبا وانجاصا (كمثرى)، بينما يكتفون في عسير بزرع المدرجات بالقمح البعلي ، أى الذى يعتمد على هطول الامطار ..وفي قسم الزراعة بأبها تجرى التجارب لزرع انواع جديدةمن القمح ثبت أنها تعطى مقدارا مضاعفا من المحصول ، مع مناعة تحميها من رطوبة الجو ..وفي الصورة اليمنى الخبير الزراعى يبين لاثنين من الاهالى نتائج زراعة هذا النوع الجديد من القمح .



الى اليسار : تربية النحل من الاعمال الناجحة في عسير لطيب المناخ وكثرة النباتات البرية الرحيقية التي يزود النحل ازهارها .. وقد قامت مديرية الشئون الزراعية بأبها بتوزيع أكثر من ١٥٠ خلية حديثة على النحالين ، وخصصت موظفين فنيين لارشاد الاهالي الى فوائد الخلايا الحديثة .. وعسل النحل المستخرج في أبها له شهرة محلية عظيمة ، وهو على نوعين أبيض (مجرى) وأحمر (شوكة) .. ويقولون ان الشوكة الاحمر يشفي أمراض الجهاز الهضمي، بينما يكتفي المجرى الابيض بحلاوته الزائدة ..

١١ حملة برية وبحرية .. وسنة ١٨٤٠ سلم البلاد للشريف حسين الذى كان يحتل الثغور والموانىء تاركا الداخل بيد القبائل .. ثم جاء احمد بن ادريس يشيد حكما روحيا ، واستطاع الادارسة التغلب على الاشراف فى ابو عريش ، ولكنهم فشلوا في التغلب على الاتراك الذين كانوا قد توغلوا واحتلوا ابها .. وبعد الحرب العالمية الثانية جلت تركيا عن المنطقة وظلت عسير في مضطرب العواصف حتى استقرت ضمن مناطق المملكة العربية السعودية ..

٢ مليون شجرة زيتون برى تسمى « العتم » موجودة في منطقة عسير .. ويعمل مكتب الزراعة في أبها على اعادة الحياة الى هذه الأشجار البرية عن طريق تطعيمها بأنواع أخرى مستوردة من الاردن وسوريا .. وفي المزارع النموذجية للوزارة شهدنا اشجار الزيتون الاردنى المستورد ، والاشجار المحلية المطعمة ، نامية بشكل جيد يثبت نجاح التجربة .. والصورة توضح عملية تطعيم شتلة برية مع شتلة اردنية

اتلاف المراعى هو السبب

ان التغيرات العديدة التى شهدتها المنطقة ، والهجرة الى مدن البترول مع نقص الأمطار ، كل هذا ساعد على تدهور المراعى واتلافها ، والمراعى تلعب دورا هاما فى اقتصاد المملكة السعودية ، اذ عليها يقوم الانتاج الحيوانى .. وكانت المملكة السعودية من البلاد المصدرة للماشية ، اما اليوم ونتيجة لتدهور هذه المراعى فقد اصبحت المملكة بلدا مستوردا للماشية ..

الخوف من الذرة !

لقد شعر المسئولون في المملكة السعودية أن العالم يتقدم ، ويتطور ، وان احتمالات ظهور طاقة محركة غير النفط يمكن أن تصيب اقتصاد البلاد بضربة قاصمة، لهذا اتجهت مختلف الوزارات الى العمل من أجل تنويع مصادر دخل المملكة ووجهت وزارة الزراعة جل اهتمامها الى المراعى التالفة ، والى الثروة الخشبية الآخذة في التلاشي.

ويتحدث المسئولون في وزارة الزراعة فيقولون:

« ان معظم مناطق أشجار الغابات أصبحت في حالة سيئة للغاية ، فمنذ فجر التاريخ والانسان يستثمرها حسب مستلزمات حياته دون أن يفكر في زراعة شجرة واحدة جديدة بدلا من آلاف الأشجار التى تطعها .. أضف الى ذلك القطعان الهائلة من الماعز ، التى هى العدو الأول للغابات ، انها تأكل الشجيرات الصغيرة قبل أن تنمو .. » ..

لكل هذا وضع قسم الزراعة في ابها سبعة حراس على الغابات في محاولة لمنع رجال القبائل من قطع أشجار العرعر والعتم (الزيتون البرى) والطلح والسمر والسدر وغيرها من الأشجار التى تنمو في الغابات المحيطة بابها ..

اضبط .. الماعز !

وعندما سألنا مدير الشرطة العقيد عيسى الشارى ، عن الجريمة في ابها ، قال مستغربا :

« الجريمة .. ؟ منذ عشر سنوات لم تحدث جريمة قتل واحدة فى أبها .. والناس ينامون في المدينة وأبواب منازلهم مفتوحة على مصراعيها ، ولكنهم يغلقون باب الحديقة الخارجية ، حتى لا يدخل الماعز ويلتهم زهور الحديقة .. انها السرقة الوحيدة التى سجلناها في المدينة !! »




هاتان الصورتان توضحان مقدار التطور الكبير الذى تمر به منطقة عسير ..
الصورة اليمنى التقطت في قرية السقاء ، والصورة اليسرى داخل أبها ..

سلام على العرعر و « الرقف » !

ان التطور يدخل من بابه الواسع الى أبها ، التى تحوى ١٥٠ جهازا للتلفون ، وتستقبل وترسل ٣٠ ألف رسالة بريدية خلال شهرى رمضان وشوال، حتى طريقة بناء الطابق الثانى بالطين المخلوط بالتبن ، استبدلوها بالاسمنت والأحجار ، ولم يعد أحد يستعمل جذع شجرة العرعر في بناء سقف منزله ، ولا « الرَّقْف » لحماية الطين من المطر ..

الصناعة وخميس مشيط

وودعنا أبها ، واهل أبها الكرام ، واتجهنا الى خميس مشيط ، التى كانت سوقا يعقد يوم الخميس فتحول السوق الى مدينة اخذت اسمها من اسم مشيط بن سالم جد القبيلة التى كانت تقيم هذا السوق .

ان المستقبل الذى ينتظر خميس مشيط سيجعلها المدينة التجارية والصناعية الأولى في الجزء الجنوبى الغربى من المملكة .. اما أبها فستصبح المدينة السكنية السياحية ..

ربى .. زدهما تنافسا

ان وطننا العربى واسع وكبير .. فمن كان يعتقد ان هناك مدينتين تسميان خميس مشيط وأبها تتنافسان بكل هدوء في منطقة مغمورة اسمها عسير؟!

اننا نضرع الى الله ان يزيدهما تنافسا من أجل صالح المنطقة ومن أجل ازدهارها .. ولا ننسى ان السبب الخفى وراء هذه المنافسة يرجع الى المدينة الثالثة الجديدة التى شرعت الحكومة في بنائها على أحدث ما خططه مهندسو المدن ..

وركبنا الطائرة من أبها الى جيزان ومنها الى جدة ، وقطعنا المسافة في ساعتين ونصف ، تناول خلالها المضيف والطيارون الرطبات وطعام الغداء، ولم يقدموا للركاب حتى كوب ماء !؟

وهنا أحسسنا اننا قد عدنا الى عالم المادة والجشع ، وترحمنا على كرم اهل أبها ..وضيافة أهل أبها .. التى لا ينازعها فيهما اى بلد عربى آخر .. وتذكرنا قول الشاعر :

ومن كانت اقامته بأبها
فقد رزق الاقامة في الجنان

■■

سليم زبال

صفحة من الطب المصوّر

حركة الأجسام ٤



الذراع عندما تنثنى ناحية العضد

انها العضلة ذات الرأسين ، وموضعها العضد ارتبطت من أسفل بعظم الكعبرة من الساعد ، بواسطة وتر . فلما انقبضت فتقاصرت رفعت معها الساعد . وفي الدائرة صورة للالياف كيف تتجمع لتصبح عضلة .

عَضَلاتٌ وعِظَام

■ من صفة الحيوانات الأولى الحركة . وفي الجسم خلايا مخصوصة ، تجمّعت معا ، وغاياتها الأولى أحداث الحركة في الجسم .

ومن هذه الحركة حركة القلب ، وحركة الصدر في التنفس ، وحركة اليد في الرفع والخفض ، وحركة الرجل في المشي والجرى ، وحركة المعدة والامعاء في خلط الغذاء او دفعه رويدا رويدا الى أمام . وغير هذه من الحركات الشيء الكثير .

انواع العضلات

والعضلات انواع ثلاثة :

النوع الاول : عضلات هيكلية Skeletal، تحرّك عظام هيكل الجسم ، انها عضلات الجذع او الأطراف . ومنها يتألف لحم الانسان ، وهى تشكل نحو ٤٠ في المائة من وزن جسمه . والعضلة الواحدة منها تتألف من حزمة من خلايا عضلية ، هى الياف اسطوانية طويلة ، قطرها ما بين جزء من عشرة الى جزء من مائة من المليمتر ، وتطول الى نحو ٤٠ مليمترا . وهى تعمل بارادة صاحب الجسم ، فاذا شاء عملت ، واذا شاء سكنت . واغلب هذه العضلات لها طرفان مرتبطان بعظمتين ، كل بعظمة ، بواسطة وتر Tendon .

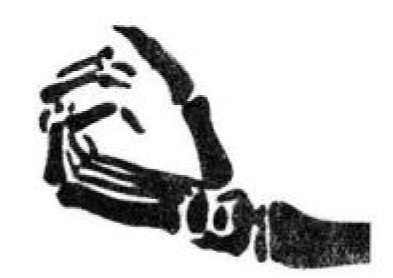
وتتقبض العضلة فتقصر ، وبذلك تشد اليها العظمة القابلة للتحرك ، وترى في الصورة الملونة العضلة ذات الراسين Biceps . وقد انقبضت ، فقصرت ، فشدت اليها عظمتى الساعد .

وحديثنا في هذه الكلمة يجرى اساسا على هذا النوع من العضلات .

والنوع الثانى من العضلات ، عضلات القلب ، ومنها يتألف القلب . وهى التى تضخ الدم في القلب بما تحدثه من انقباض فانبساط في تسلسل لا ينقطع ، به يستمر الدم في دورانه بالجسم .

والنوع الثالث من العضلات ، العضلات التى أسموها بالملساء Smooth muscles وهى التي توجد في جدار أعضاء الجسم الباطنة المجوفة كالمعدة والمعَى والمثانة والأوعية الدموية .

وعضلات القلب ، والعضلات الملساء ، لا تخضع لارادة صاحب الجسم . أما العضلات الهيكلية فتخضع لارادة صاحبها كما ذكرنا وذلك عن طريق شارات عصبية تأتى من المخ .



حركة الجسم لا تكون الا شدا

والعضلات تعمل وتحرك بأن تنقبض واذن فهى تعمل بالشد ، لا بالدفع .

وقد يهدم الانسان حائطا وتحسب انه انما هدمه بدفعه اياه ، وهو ما فعل . ان هندسة الجسم تقضي بقيام طوائف العضلات بالشد الذى يتجمع فيصبح على الحائط دفعا وهدما .

النواة

ليفة عضلة ملساء

اة

ليفتان من عضلة هيكل

ألياف عضلة قلب

انواع العضلات في جسم الانسان ثلاثة : عضلة هيكلية ، وعضلة القلب ، وعضلة ملساء .

قوة الأجسام

انها قوة عضل .

ولكن يجب ان نعلم ان العضلات ، كالأعصاب ، يتم تكونها في الطفل الوليد ، وهى تبقى هكذا في جهازه طول حياته . وهى تكتسب القوة بالعمل .

واذا انت قارنت عضلة في ذراع رجل حداد ، بعضلة في ذراع فتاة ، لوجدت عدد اليافهما واحدا ، ولكن اختلف النمو ، واختلفت بذلك القوة .

والقوة التى يستطيع الرجل ان يصل اليها ، بالحساب النظرى ، هى قدرة ٦ احصنة (راجع « العربي » لعدد اول يناير/١٩٦٩ لمعرفة معنى قدرة الحصان اصطلاحا) . ولكن القوة التى وصل اليها الرجل فعلا هى ٤ر٥ قدرة حصان لفترة قصيرة . والانسان يستطيع ان يبذل قدرة ٦ر١ من الحصان لمدة ٥ دقائق .

تقبض العضلات

والمؤثرات التى تجعل الياف العضلات تنقبض اربعة :

كهربائية ، وميكانيكية ، وحرارية ، وكيماوية .

انها المحرك الاول . وهى تعمل عن طريق الجهاز العصبى المركزى . رسالة احساس تذهب بوصف الحال تأتيها استجابة بما تعمل .

ولكن العضلة تعمل بالطاقة الكيماوية ، اذ تتحول هذه الى طاقة ميكانيكية . ولكن لا تنتفع العضلة في تقبضها من هذا التحول بغير ٢٥ في المائة من الطاقة المحتملة . اما الـ ٧٥٪ الباقية فتتحول الى حرارة . ومن اجل هذا يحترّ الجسم عندما يعمل . ومن اجل هذا يظل الجسم حافظا درجة حرارة ثابتة مصدرها ما يجرى في الجسم من تفاعلات كيماوية وتحولات ، منها تحول الطاقة الكيماوية في العضل الى حركة وتقبض وعمل .

ومعنى هذا أن كفاية Efficiency العضل عندما يعمل بالطاقة الكيماوية

تبلغ فقط ٢٥ في المائة من القدر الـذى جاز ان يحظى به الجسم ، لو بلغت الكفاية غايتها .

وهكذا هى قوة المحركات البنزينية كمحركات السيارات ، فيها تتحول طاقة كيماوية ، هي طاقة البنزين ، الى طاقة حركة، ولا تنتفع السيارة من هذه الطاقة بغير ٢٠٪ والباقى يضيع حرارة .

ما الذى يجرى عند انقباض العضلة

هذه بحوث حـديثة ، عويصـــة ، استخدمت فيها الكيمياء استخداما وثيقا مفصلا . واستخدمت المجاهر الالكترونية بقصد رؤية الخلايا وما تنتج وهى في مفاعلاتها الأصيلة الأولى .

ولا ينتفع بها الا الكيماوى المختص ، لا سيما في كيمياء البروتينات ، لو اننا جئنا على ما وجد البحاث .

ولكن لعله يكفينا أن نقول :

ان الألياف Fibres ، وقطرها نحو واحد من عشرة من المليمتر ، تتراءى تحت المكرسكوب الالكترونى ، وهو يكبّرها عشرات الآلاف من المرات ، تتكون من الياف أصغر منها ، تعرف باللـيَـيفـات Fibrils . وقد وجد الباحثون ان صفا من هذه اللـيَـيفات أسمكُ مـن صف آخر ، وأن بعضه يدخل في بعض كما ترى في الصورة الايضاحية المرفقة .

وعلموا أن اللـيَـيفات الأقل سمكا هى مـن البروتين المـسمى اكتين Actin واللـيَـيفات الأكثر سمكا هى من البروتين المسمى ميوسين Myocin .

واتضح لهم آخر الأمـر ان التقبض العضلى يحدث بتقارب أطراف اللـيَـيفات الاكتينية ، وبذلك تقصر العضلة .

والصورة الايضاحية ترينا موضـع اللـيَـيفات الاكتينية من الميوسينية في ٣ احوال .

(أ) والعضلة الهيكلية مبـسـوطة مشدودة Stretched .

(ب) والعضلة الهيكلية في استرخـاء Relaxed .

أ



حـ

صورة ايضاحية تصور كيف تتقاصر العضلة عند تقبضها . في شكل أ ، تجد ان الالياف القليلة السمك (وهى من البروتين المسمى الاكتين) ، متباعدة . ومعنى هذا ان العضلة مشدودة . وفي الشكل ب ، تجد هذه الالياف متقاربة بعض الشىء فالعضلة في حالة استرخاء . وفي الشكل ج ، تقاربت الالياف البيضاء حتى تماست، ومعنى هذا ان العضلة قد تم انقباضها وبلغت غاية ما تستطيع من قصر .

(جـ) والعضلة الهيكلية في انقباض Contracted .

التشنج العضلى Cramp

وهو يصيب الانسان في رجليه مثلا ، لا سيما الأشياخ في الليل . وقد يصيب السابح في الماء اذا بذل مجهودا كبيرا في البرد ، وعندما يفقد الجسم الكثير من ملحه .

وكل هـــذه تقلصات في العضـلات وتقبضات ، قد يكون سببها الجهـاز العصبى غير المتصل بالارادة العليا في المخ .

وهذه اعراض لا تزال أسبابها خافية ، وكذلك علاجها . ولكن تقبض العضل الاضطرارى أساسها . ●●

جاليليو

بقلم : علي أدهم

● عالم سبق عصره بكشوف لم يهضمها رجاله فاذاقوه العذاب ، باعتباره زنديقا ومهرطقا

● ● ●

● لم يزعزع ايمانه بالعلم احترامه للكنيسة ، وعزا ما أصابه الى خطأ المفسرين لا الى خلل في أصول الدين .

■ العالم الايطالي جاليليو Galilée (١٥٦٤ - ١٦٤٢) في طليعة العلماء الرواد ، واحد المغربين المعدودين الذين كان لهم الفضل في اخراج العالم الغربي من ظلمات العصر الوسيط ، وتبديد الكثير من الخرافات والأضاليل التي رانت على العقول ، ووقفت حجر عثرة في سبيل تقدم العلم وتطور الفكر . وميزته العظيمة قدرته على الجمع بين البراعة التجريبية والكفاية الأولية ، والقدرة على تضمين آرائه صيغا رياضية،وقوانين علمية ، وقد ختم برترند رسل حديثه عنه في كتابه « وجهة النظر العلمية » بقوله : « جرت العادة عند مدرسة خاصة من مدارس علم الاجتماع ان تقلل من أهمية الذكاء ، وأن تعزو الحوادث العظيمة جميعها الى أسباب غير شخصية ، وأعتقد أن هذا وهم باطل" البطلان" كله ، وأرى أنه لو كان قتل مائة" من رجال القرن السابع عشر في طفولتهم لما وُجد العالم الحديث . وجاليليو عميد هؤلاء المائة » . وفي تقديري أن الاجماع يكاد يكون منعقدا على وضع جاليليو في هذه المكانة العالية .

جاليليو واضع أسس علم الحركة

والمعروف أن جاليليو هو واضع أساس دراسة الديناميكيات أو القوانين المسيطرة على حركة الأجسام ، وقد درس اليونانيون قوانين القوى المتوازنة أو الاجسام وهي في حالة السكون ، وأخطأوا الخطأ كله في فهم قوانين حركة الأجسام، وبخاصة الحركة المختلفة السرعة ، وتابعهم في الخطأ رجال القرن السادس عشر . وكان المظنون أن الجسم يتوقف عن الحركة اذا ترك لنفسه ، في حين أن جاليليو أثبت أن الجسم يستمر متحركا في خط مستقيم بسرعة مطردة اذا لم يتعرض له مؤثر خارجي . وكان هذا الكشف هو الخطوة الأولى الاساسية في علم حركة الأجسام .

وقد استغل جاليليو هذا المبدأ في تفسير نتائج تجاربه في الأجسام الساقطة .

فقد ذهب ارسطو الى أن سرعة الجسم الساقط مناسبة لوزنه ، فاذا أسقطنا جسمين احدهما وزنه عشرة أرطال والجسم الآخر وزنه رطل واحد فان الجسم الذى لم يتجاوز وزنه الرطل يستغرق سقوطه عشرة أضعاف الزمن الذى يستلزمه سقوط الجسم البالغ وزنه عشرة أرطال .

وحينما كان جاليليو أستاذا في مدينة بيزا Pisa كان يصعد الى أعالي البرج المائل ويلقي بالاثقال ليدعم رأيه بالتجربة العملية ، ويكشف خطأ ذلك الرأى القديم لزملائه الأساتذة ويريهم أن الأجسام مهما اختلفت أوزانها تسقط في زمن واحد . والعجيب أن هذه التجربة لم تقنعهم ، وانما أثارت غضبهم على زميلهم الذى اجترأ على

تأثيره الحضاري ومأساة حياته

مخالفة الوارد في الكتب القديمة . وقد بذل جاليليو جهده ليظهر بطريقة درامية كيف كان من السهل أن يظل الخطأ ينتقل من جيل الى جيل خلال الفي سنة من عهد أرسطو الى عهد جاليليو، برغم ان ابسط محاولة او اهون تجربة كانت كافية لاظهار هذا الخطأ والقضاء على آثاره .

جاليليو والمنظار

وقد ضايق كشفه لقانون الاجسام الساقطة بطبيعة الحال المتنطعين في العلم ، ولكن لم يكن هناك مجال لتدخل ديوان التفتيش ، وكان المنظار هو الذي عرض جاليليو لوقوع الخلاف بينه وبين هذا الديوان الذي اضطهد الكثيرين من المفكرين ، وقضى على حياتهم .

فقد كان سمع جاليليو ان احد الهولنديين قد اخترع هذه الآلة ، فقام باعادة هذا الاختراع ، وسرعان ما كشف به الكثير من الحقائق الفلكية ، وكان اهمها في رايه وجود النجيمات الدائرة في فلك كوكب المشترى Jupiter ، وكانت اهمية هذا الكشف هي في انه صورة مصغرة للنظام الشمسي حسب نظرية العالم البولندى كوبرنيكاس Copernicus ، وكان كوبرنيكاس قد درس في جامعة كراكو Cracow ، ثم ذهب الى ايطاليا وهو شاب وقام بتدريس الرياضة في روما ، ولكنه عاد بعد ثلاث سنوات الى بولندة ، وقضى الفترة الممتدة من سنة ١٥٠٧ الى سنة ١٥٣٠ في تاليف كتابه عن دورات الاجسام السماوية ، ولم يظهر هذا الكتاب مطبوعا الا في سنة ١٥٤٣ قبيل وفاته وقد ذهب في كتابه الى ان الكواكب تطوف حول الشمس بحركة دائرية ، وقد كان كوبرنيكاس يعلم ان ارستارخاس Aristarchus الفلكي اليوناني الذى عاش على وجه التقريب من سنة ٣١٠ قبل الميلاد الى سنة ٢٣٠ ق‌م ، قد قال بهذا الفرض مما شجعه على المجاهرة بابدائه . وقد تريث طويلا في تقديم كتابه للطبع خشية اغضاب رجال الدين . ولما كان هو نفسه من رجال الدين فقد اهدى كتابه الى البابا . وقال ناشر الكتاب ان نظرية دوران الارض قد عرضت في الكتاب بوصفها فرضا من الفروض لا بوضعها مؤكدة . وكانت هذه الطريقة كافية للسكوت عن هذا الرأى الجديد حينا من الزمن .

ولكن حينما تناول جاليليو النظرية بطريقة اكثر تحديا ، وادق اسلوبا ، واقوى حجة ، بدأت المقاومة الرسمية الجدية للنظرية ، وقاومها الكاثوليك والبروتستانت معا ، واستنكرها مارتن لوثر المصلح الديني الشهير ، وعارضها كذلك صاحبه القس ميلانكتون Melanchthon ، والزعيم الديني كالفن Calvin ، ورفض انصار أرسطو النظر في المنظار وكابروا قائلين ان نجيمات كوكب المشترى ليست سوى وهم من الاوهام . واستدل من المنظار على ان القمر به جبال ! بل الذى بدا لمعارضي نظرية دوران الارض حول الشمس جد فظيع هو وجود كلف بالشمس ، فقد عد هذا نوعا من التجديف ، اذ معناه اظهار

عيوب في صنع الخالق ، ولذلك حرّم على الاساتذة في الجامعات الكاثوليكية أن يشيروا الى وجود الكلف في الشمس .

ديوان التفتيش يثور

اثار تأييد جاليليو لنظرية كوبر نيكاس في دوران الارض حول الشمس وتأكيده لها ثائرة المحكمة الدينيةالمعروفةبديوان التفتيش The Inquisition فقرر الديوان ان الرأى القائل بان الشمس هى المركز ، وانها لا تدور حول الارض رأى سخيف وباطل ، وفيه خروج على العقيدة الدينية ، لانه مناقض لما جاء في الكتب المقدسة . وتبع ذلك صدور امر من البابا باستدعاء جاليليو الى المثول امام ديوان التفتيش للتنصل من ذنبه والرجوع عن خطئه ، وذلك في ٢٦ فبراير سنة ١٦١٦ ، وقد استكان جاليليو للعاصفة ، ونزل عن رأيه ، ووعد جاداً بانه لن يؤيد رأى كوبرنيكاس، وانه سيمتنع عن تدريسه سواء بقلمه أو بلسانه ، ولم يكن قد مضى على حرق الفيلسوف جيوردانو برونو Bruno في روما بأمر ديوان التفتيش اكثر من ستة عشر عاما .

تحريم الكتب التى تقول ان الارض تدور

وامر البابا بان توضع في قائمة الكتب المحرمة جميع الكتب التى ذكر فيها ان الارض تتحرك حول الشمس ، وعاد جاليليو الى فلورنسا ، وعاش حينا من الزمن في هدوء وعزلة متحاشيا الاساءة الى خصومه المتحمسين .

ويقول العالم برترند رسل Russell ان جاليليو كان متفائلا بطبيعته ، وكان فيه ميل الىاستعمال ذكائه في السخرية من الاغبياء .

جاليليو وخصومته الثانية مع ديوان التفتيش

وفى سنة ١٦٢٣ صار صديقه ، الكاردينال باربريني Cardinal Barberini بابا ، ولقب اربان الثامن Urban ، وبعث ذلك شيئا من الطمانينة في نفس جاليليو ، ولكن الايام اثبتت ان هذا الشعور لم يكن قائما على اساس وثيق . واقبل جاليليو على تأليف كتابه « محاورات عن اعظم نظامين في الدنيا » . واتم الكتاب في سنة ١٦٣٠ . وطبع الكتاب في سنة ١٦٣٢ . وحاول في هذا الكتاب أن يعرض نظرية كوبرنيكاس ونظرية بطليموس القديمة متظاهرا بترك ترجيح احدى النظريتين على الاخرى . ولكن الكتاب كان في الواقع ينطوى على تقديم حجج قوية لترجيح مذهب كوبرنيكاس . وأرضى الكتاب العلماء الباحثين، ولكنه أثار ثائرة رجال الدين المتشددين. وفي خلال الفترة التى التزم فيها جاليليو الهدوء ولاذ بالصمت اغتنم خصومه الفرصة للاكثار من الحجج المناقضة لرأى كوبرنيكاس ، زاعمين ان القول بدوران الارض من أكبر الكبائر ، وانه يبعث على الشك في خلود الروح ووجود الله . وكان جاليليو عند ظهور الكتاب قد أنهكه المرض ونال منه ، ولكن خصومه لم يترفقوا به ، وقد اجترأ جاليليو في كتابه على ان يجرى بعض ملاحظات ابداها البابا على لسان المدعو سمبليسيوس Simplicius ، أحد المتحاورين في كتابه مما اغضب البابا الذى كان قبل ذلك يعطف على جاليليو.

وكان جاليليو تربطه علاقة صداقة بدوق فلورنسا، فلما استدعاه ديوان التفتيش للحضور الى روما هدّد الديوانُ الدوق بانه سينزل به العقوبة اذا اصر على حماية جاليليو . وكان جاليليو حينذاك قد بلغ السبعين من عمره ، وقد اشتد به المرض وكفّ بصره ، فارسل شهادة طبية اظهر فيها انه لا يستطيع احتمال مشاق السفر من فلورنسا. فهدّد البابا بارسال طبيبه الخاص لفحص حالة مرتكب الاثم واحضاره الى روما مكبلا بالقيود اذا ثبت أن مرضه لا يبعث على اليأس من حالته .

وكان البابا اربان الثامن قد أصبح من أشد خصومه وأعدى أعدائه . وقد بعث ذلك جاليليو على أن يبادر الى معاناة الرحلة دون أن ينتظر حكم مندوب عدوه الصحي . وحينما وصل الى روما زُجّ به فى سجون ديوان التفتيش ، وهدّد بالتعذيب اذا لم يرتد عن آرائه . وقرّر الديوان اعفاء جاليليو من العقوبات المعدّة للهراطقة اذا تاب توبة نصوحا . وأعلن جاليليو على رؤوس الاشهاد بنية خالصة وضمير سليم كراهته ولعنته لما تورّط فيه من خطأ ، وابدى سخطه على تلك الهرطقة . واصدر الديوان مرسوما بتحريم الكتاب ومنعه من الذيوع . وقضى الديوان انه في حالة توبته وتنكره لآرائه فانه سيحكم عليه بالسجن مدة يقدرها الديوان حسب ما يروقه ويتراءى له .

ولكي تكون التوبة خالصة لا رجعة فيها فان عليه في السنوات التالية ان يرتل مرة كل أسبوع الاناشيد السبعة الخاصة بالتوبة .

واضطر جاليليو ان يتلقى ، وهو جاثٍ على ركبتيه ، علنا ، البيان الذى أعده له ديوان التفتيش ، وهو يتضمن اعترافه بالخطأ ، وتورطه في الهرطقة ، وقسمه بانه لن يعود في المستقبل الى اجتراح هذا الاثم سواء بالحديث او بالكتابة ، ووعد بانه لن يقصّر في المستقبل في التبليغ عن الهراطقة الذين لا يزالون يقولون بدوران الارض. واعتقد رجال ديوان التفتيش انهم قد ارضوا الدين والاخلاق بارغامهم هذا الرجل العظيم على نبذ معتقداته ، وتطليق الراجح من آرائه ، وسمحوا له بان يقضي الأيام الباقية من حياته في عزلة وصمت . وحقيقة انه لم يدفع به الى غيابة السجن ، ولكن تحركاته كانت خاضعة للرقابة ، وكان محرما عليه لقاء اسرته او اصدقائه . وفقد الابصار فقدانا تاما سنة ١٦٣٧ . ومات في سنة ١٦٤٢ . وفي بعض الروايات انه قال بعد رجوعه عن رايه في دوران الارض حول الشمس وقد تملكته الرغبة في التصريح بما كان يعتقد انه الحق ، قال: « ولكنها تدور » . ولكن هذه الرواية ليست صحيحة ، والدنيا هي التى رددت ذلك وايدته لا جاليليو كما قال برترند رسل .

صراع بين العلم والتقاليد لا بين العلم والدين

وكثيرا ما يذكر هذا الخلاف بين العالم الكبير جاليليو ، وبين المتشددين من رجال الدين وديوان التفتيش ، على انه صراع بين العلم والدين ، ولكنه في الواقع صراع بين العلم والتقاليد الغالبة ، لان الدين في جوهره لا اعتراض له على الاتجاهات العلمية التى تنير للبشر طرائق الحياة ، وتعينهم على احتمال تكاليفها وتوسع آفاقهم الفكرية . وكثيرا ما يتسنى أن بعض ذوى العقول الراجحة والنفوس النبيلة قد أدركوا ذلك في الماضي ، وقد مكنهم هذا الادراك من احتمال الآلام والأحزان التى لولا هذا الادراك لوجدوها من وراء احتمالهم ، وفوق طاقتهم .

ومن الوقائع البارزة في حياة جاليليو ، انه ، لا الجهل الذى اظهره مضطهدوه ومعارضو آرائه ، ولا الآلام والكوارث التى المّت به ، أضعفت ولاءه للكنيسة التى ظل طوال حياته مخلصا لها ، ولا مسّت عقيدته الدينية واعتقاده في وجود الله ، وكان من بواعث اثارة الالم في نفسه أن يجد أن الآراء التى آمن بصحتها وصدقها من الناحية العلمية قد استلزمت وقوع خلاف بينه وبين رجال الدين المعاصرين له ، ولم يكن العلماء القائلون بدوران الارض من الملاحدة وانما كانوا من الحريصين على دينهم ، وكوبرنيكاس نفسه كان رجلا من رجال الدين .

ابنته مارى

وقد كشفت عن الآلام التى كان يعانيها جاليليو من جراء الخلاف بينه وبين ديوان التفتيش علاقته بابنته الصالحة الورعة ، مارى سيلست Marie Celeste . ففى خريف سنة ١٦٣١ انتقل جاليليو من بيلو سجواردو Pello Sguardo ، الواقعة في الجانب الآخر من مدينة فلورنسا لكى يكون قريبا منها ، وفي ابريل سنة ١٦٣٤ بعد عودته من المحاكمة في روما ، سلبه الموت هذه الابنة العزيزة ، فكتب الى صديقه ديوداتى Diodati في ٢٨ يوليو بعد موتها يقول : « لقد مكثت خمسة أشهر في منزل كبير الاساقفة في سينا Siena ، وبعد ذلك تغير سجنى الى الاعتقال في منزلى ، وهو ذلك الجوسق الواقع على مسافة ميل من فلورنسا ، مع تنبيهات مشددة بان امتنع عن الترحيب بالاصدقاء أو أن اسمح باجتماع الكثيرين في وقت واحد ، وانا اعيش هنا في هدوء تام وأتردد من الحين الى الحين على الدير المجاور ، ولى فيه ابنتان عزيزتان على ، والكبرى منهما بوجه خاص قليلة النظير في الصلاح وطيبة النفس ، وهى شديدة التعلق بى ، وهى امراة سامية المدارك ، وقد عانت الكثير من سوء الصحة ، ومما انتابها من الحزن في اثناء غيابى ، فقد كانت تشعر بالخطر الذى يتهددنى ، ولم تعر نفسها التفاتا يذكر ، واخيرا اصابها الاسهال الشديد (الدوسنطاريا) وماتت بعد ستة أيام من المرض وتركتنى في حزن عميق .»

كان لجاليليو من الأولاد ثلاثة : بنتان وولد

وهذه الكلمات البسيطة القليلة تكشف عن لواعج

الأسى التى كان يعانيها جاليليو بعد فقد هذه الابنة البارة الوفية ، والكثير من الرسائل التى كانت تبعث بها الى أبيها قد نجت من الضياع ، وحفظت بين أوراقه ، وكان له من الأولاد ثلاثة ، وهم بالسينا Palissena وفرجينيا Virginia وفنشينزيو Vincenzio ولم يكونوا ثمرة زواج شرعي،ولكن كون ماريا جامبا Maria Gamba لم تكن زوجة شرعية لم يكن مما يغض بسمعته حسب تفكير ذلك العصر ، فقد كانت أمثال هذه الحالة مألوفة كثيرة الشيوع ، وكانت ماريا من مدينة بادوا Padua ، التى سبق له أن درس بها وألقى محاضرات فيها ، ولكنها لم تصحبه الى فلورنسا . ولما كانت المحاكمات التى تعرض لها وتقلبات الحظ التى عاناها لا تجعل منزله مناسبا لبنتيه الشابتين فقد آثر أن يضمهما في دير اركترى Arcetri ، ويحتفظ بابنه معه فى المنزل الذى كان يقيم به في بيلوسجواردو .

حيرة ابنته مارى بين ولائها للكنيسة ولأبيها

وبالسينا ، أو مارى سيلست كما كانت تعرف في الدير ، ولدت سنة ١٦٠٢ ، وفرجينيا ، أو اركانجيلا ، ولدت سنة ١٦٠٤ ، وفنشيتزيو ولد سنة ١٦٠٦ ، وكان جاليليو في الثامنة بعد الثلاثين حينما ولدت له ابنته الكبرى . وكان الرجل شديد العناية بأولاده، دائم التفكير فيما فيه الخير لهم ، وكانت اركانجيلا تمتحن صبره بشراسة أخلاقها وسوء طباعها ، كما كان يضايقه فنشيتزيو بتهاونه واهماله . أما ماريا سيلست فقد ملكت عليه لبه ، واستأثرت بحبه وعطفه ، لعذوبة أخلاقها النادرة التى تكشف عنها رسائلها اليه . وبرغم ان هذه الرسائل توضح أن حبها لوالدها كان مصدر سرور عظيم لها الا انها تبين أن هذا السرور كان يشوبه الألم ، لأنها كانت شديدة التعلق بالكنيسة ، ولا يخالجها شك في القرارات التى تصدرها . ولكن الرجل الذى كانت تراه أرجح الناس عقلا ، وأنبلهم نفسا ، كان دائما معارضا لتلك القرارات ، وكان لابد ان يسبب لها هذا الموقف الكثير من الآلام المبرحة ، وكانت هذه الآلام الشديدة من الأسباب التى ساعدت على التعجيل بموتها في غضاضة السن ونضارة الشباب ، اذ لم تكن قد جاوزت الثانية بعد الثلاثين حينما مضى بها الموت واحتواها القبر .

رسائل مارى الى أبيها كشفت عن حياته العائلية

ولم يجد جاليليو في منزله ما يؤنس نفسه ، ويزيل وحشته ، وكان من بواعث ألمها عجزها عن مساعدته ، ولكن التاريخ قد افاد من ابتعاده عنها ، فانه لولا الرسائل التى كانت ترسلها اليه لما عرفنا شيئا عن حياته العائلية . ومما يدعو الى الأسف أن الرسائل التى كان يبعث بها اليها ردا على رسائلها اليه قد فقدت ، وربما كان سبب ذلك خوفها من ان يلحقه أذى من جرائها ، ويبدو من رسائلها اليه أنها كانت موضع ثقته التامة ، وتدل رسائلها على أن تدينها العميق وتقواها الخالصة لم يقللا من عطفها الانسانى ، فقد كانت لا تنفك تذكر لوالدها فرط ولائها له ، وشدة حرصها على سلامته ، وبذلها الجهد في العمل على توفير اسباب الراحة له ، وتقدم كل ما تستطيعه له من الخدمات والمساعدات .

وكانت كل راهبة من زميلاتها الراهبات تحتفظ بصورة قديس تناجيه بأفراحها وأحزانها ، أما هى فكانت تحتفظ بصورة والدها ، وكان هو كذلك من ناحيته شديد العناية بها ، ولا يدخر وسعا في مساعدتها .

وفي الرسائل التى كانت توافيه بها اشارات كثيرة الى ما كانت تقوم به له من الخدمات وما كان يقدمه لها من المساعدات المالية وغير المالية .

وكانت شقيقتها اركانجيلا مصدر متاعب لها لا تنتهى ، وكان يحزنها تهاون شقيقها وعدم اكتراثه بوالده برغم ما صنعه من أجله وبذله الجهد فى تهذيبه والعمل على تقويم أخلاقه ، ويفهم من بعض اشارات في رسائلها انه كان مصدر ألم لها ولأبيه.

وفي احدى هذه الرسائل تواسي أباها قائلة : « لا حب الأولاد ولا الميل الى المسرات ، والحرص على المال والثراء ، يمكن ان تهب لنا السعادة الحقة ، ونحن لا نجد الراحة الصادقة الا في رحاب الله الغفور الرحيم ، ويبدو لى الآن أنك يا سيدى العزيز ووالدى تسير في الطريق السوى لأنك تنتهز كل فرصة تلوح لك لتغمر بالهبات والعطايا المتتابعة كل من يقابل صنائعك بالجحود والنكران ، وهذا

العمل اكثر فضيلة وكمالا لانه اشق من غيره ، وهذه الفضيلة تدنيك من الله لانه جل شانه لايزال يجود علينا بالخير والبركات برغم اساءتنا اليه».

سرور ماري بتنصيب «اربان» بابا لروما ، وخيبة ظنها فيه

ولكن لا عيوب فنشينزيو ومساوئه ولا شراسة اخلاق اركانجيلا كانت سبب ماساة حياتها ، وانما كان يزعجها ويكدر خاطرها خوفها على سلامة والدها المحبوب ، وحزنها لما يلقى من شقاء ، وحيرتها بين الولاء له وحب الخير له وولائها للكنيسة واحترامها لقراراتها ، وكان مما شرح صدرها وبعث في نفسها الطمانينة اختيار البابا اربان في سنة ١٦٢٣ ، فقد كانت تربطه بوالدها علاقة صداقة في الماضي ، واعتقدت أن اختياره سيكون ابتداء تبلج عصر مشرق لوالدها ، وكتبت لوالدها تسأله أن يسمح لها بالاطلاع على رسالة التهنئة التي لا بد أن يكون قد وجهها الى نيافة البابا في هذه المناسبة ، ولكن رده عليها خيب ظنها ، وكان صدمة شديدة لها ، فقد كتب اليها يقول : « لقد تبينت جيدا من رسالتك المحبوبة معرفتي القليلة بأحوال الدنيا التي جعلتني اظن هذا الظن الذى جال بفكرى وهو أن تكتبي مباشرة الى مثل صاحب هذه الشخصية البارزة الذى أصبح في الواقع رئيس المسيحية الاكبر ، ولذلك اشكر لك الاشارة التي استرعيت نظرى بها واشعر شعورا اكيدا أن حبك لي سيميل بك الى الصفح عن جهلى ، وغير ذلك من الاخطاء التي اقع فيها . واني على ثقة من أن تحذيرك الدائم لي وتوجيه اللوم سيكسبانني معرفة وحكمة ، ولما لم يكن في وسعي بسبب الوعكة التي لا ازال اعاني عقابيلها أن اراك ، فعلينا أن نستسلم صابرين لارادة الله الذى يوجه الأشياء جميعها لما فيه الخير لنا ، واني احتفظ في عناية شديدة بالرسائل التي ترد الى منك يوميا ، وحينما لا اكون مشغولا باداء واجباتي اعيد قراءتها ، وهذا هو اعظم ما املك من أسباب السرور » .

جاليليو يقول : ان الكتب المقدسة لا تخطىء ، ولكن شراحها ومفسريها عرضة للخطأ

وفي رسالة تاريخها ١٢ اغسطس سنة ١٦٣١ اخبرته أن دارة قريبة من الدير خالية ، وأنها ترغب في أن يكون على مقربة منها ، وسرعان ما تم ذلك ، ولكن سرورها العظيم لم يدم طويلا ، وقد أشار عليه بعض أصدقائه بالامتناع عن تقديم كتابه عن المحاورات بين مذهب بطليموس ومذهب كوبرنيكاس للطبع ، ولكنه رفض هذه النصيحة وظهر الكتاب في يناير ١٦٣٢ وكان المتحاورون فيه ثلاثة ، سالفيات Salviate ، وهو الذى كان يعبر عن آراء جاليليو ، وساجريدو Sagredo وهو مستمع موفور الحظ من الذكاء ويستطيع متابعة النقاط الهامة المثارة خلال المحاورات ، وسمبليسيو Simplicio ، وهو انسان بطىء الفهم يجد صعوبة في ادراك دقائق الحوار ، وقد اقنع أعداء جاليليو البابا انه المقصود بتصوير هذه الشخصية الخيالية ، بما أثار غضبه وزاد في اعتقاده أن الكتاب جميعه ضرب من ضروب الهرطقة ، وانه لا بد من تقديم مؤلفه للمحاكمة أمام ديوان التفتيش ، وأصر البابا على حضوره الى روما برغم شفاعة دوق تسكانيا وممثله في البلاط البابوى المركيز نيكولينى Marchese Niccolini ولم يفهم جاليليو لماذا يحل به الاضطهاد ، فهو من ناحيته يؤمن بحركة العلم التقدمية ، وفي الوقت نفسه لم يتزعزع ايمانه بالله صانع الكون ، ولم ينقص اكباره للكنيسة ، وقد كان قد سبق له أن حدد موقفه في هذا الصدد ضمن رسالة أرسلها الى الأستاذ كاستلى Castelli ، احد أساتذة جامعة بيزا سنة ١٦١٣ وفيها يقول : « لقد احسنت في قولك ان الكتب المقدسة لا يمكن أن تخطىء وأن ما بها من الاحكام صادق ولا ينقض ، ولكني لو كنت مكانك لاضفت الى ذلك ان الكتب المقدسة ولو أنها لا تخطىء فان شراحها ومفسريها عرضة للخطأ في طرق كثيرة ، وغلطة واحدة بوجه خاص ستكون شديدة الخطورة وكثيرة التكرار اذا وقفنا دائما على التفسير الحرفي للكلمات واكتفينا به ، وفي هذه الحالة لا تظهر متناقضات كثيرة فحسب بل ستظهر كذلك ضلالات دينية جسيمة وكفريات ، ومن ألزم ما يلزم للشراح الحكماء ان ياتوا بالتفسير الحق والمعنى الحقيقى ، وأن يبينوا الأسباب التي دعت الى صياغتها في هذه النصوص .. وقد لا يكون كل المفسرين من الموهوبين الموحى اليهم ، وأرى أنه من حسن الفطن امساك الناس عن استعمال

بعض فقرات من الكتب المقدسة بغرض مساندة ما يناقض حواسنا أو البراهين الثابتة » .

ابنته ، من حوادثه ، بين اليأس والرجاء

ويبدو من هذه الرسائل القليلة التي سلمت من الضياع أن جاليليو كان لا يرى تعارضا بين العلم والدين ، وأن الدين لا يحتم عليه الاكتفاء باستمداد المعلومات الفلكية من الكتب المقدسة ، وقد حاول نيكوليني الذي كان يعطف على جاليليو اقناعه أن جو العصر لا يسمح باذاعة مثل هذه الأفكار ، فقد كتب الى صديق له في ٩ ابريل سنة ١٦٣٣ رسالة يقول فيها : « لقد نصحته بأن ينهي هذا الموضوع بأسرع ما يمكن ، وأن لا يعنى بتأييد نظرياته ، وأن يخضع لكل ما يطلبونه منه حتى ولو كان يستمسك ويعتقد بنظرية في حركة الارض ، وقد آلمته نصيحتي ايلاما شديدا ، وكلنا هنا نحبه أشد الحب » .

وكان هذا السفير وزوجته شديدي العطف على جاليليو ، ولكنه اخذ من منزلهما الى السجن ، وبلغت هذه الأنباء ابنته فكتبت اليه في ٢٠ ابريل « لقد علمت في التو واللحظة انك سجنت في الادارة المقدسة وقد احزنني هذا كثيرا لشعوري بانك قلق البال مضطرب النفس ، وربما تكون متعب الجسم، ولكني حينما اضع في حسابي الرفق الذي عوملت به وعدالة قضيتك قبل كل شيء وبراءتك اشعر بالارتياح، وآمل بعون الله جل شانه الذي لا ينقطع عن التوسل اليه أن تكون النتيجة خيرا وتوفيقا ».

وبدا لها أن ثقتها برفق السلطات الدينية قد تحققت حينما سمعت أنه قد سمح له بالعودة الى منزل السفير ، ولكن سرورها لم يطل امده فقد بلغها من أحد أصدقاء أبيها المقربين الثمن الغالي الذي دفعه للخلاص وانه اضطر الى الارتداد عن رأيه جاثيا على ركبتيه في حركة الارض ، وأن كتابه قد وضع في قائمة الكتب المحرمة ، وانه لن يسمح له بالعودة الى داره ،فكتبت اليه تحاول مواساته.

« أخبار متاعبك الجديدة ملأت نفسي حزنا ، ومما زاد في ألم وقعها أنها جاءتني على غير انتظار ، ولما لم يصلني منك خطاب في هذا الاسبوع فقد خشيت أن يكون لا بد من حدوث شيء ، وألححت على السيد جري Geri ، أن يخبرني ، وما سمعته عن القرار الذي اتخذوه معك ومع كتابك المني أشد الألم ، فلم أكن أنتظر مثل هذه النتيجة، فيا سيدي العزيز ويا والدي ان هذا هو الوقت الذي تعتمد فيه على ممارسة حكمتك التي اختصك الله بها وبذلك تحتمل هذه الضربات بثبات الروح الذي يتطلبه دينك وسنك ومهنتك » .

وكان موقفها حرجا محزنا ، فالبابا لا بد ان يكون محقا ، ووالدها لا يمكن أن يكون مبطلا ، وكانت سلواها الوحيدة هي انه في يوم ما سيحدث وفاق بين الرأيين ، ويصبح الحق واضحا ، وثقتها بهذا الأمل هي التي جعلتها تحاول مواساته حينما كتب اليها من منفاه وقد برح به الحزن قائلا : « ان اسمه قد محي من كتاب الأحياء » واخبرته أن اسمه لم ينس لا في البلاد الأجنبية ، ولا في بلاده، وأن السحب ستمر وتنقشع ، ويعود اليه السرور والابتهاج ، وتذكره بان البرج الذي كان يقوم فيه بتجاربه ويسجل ملاحظاته بأسى لطول غيابه عنه ، وقد كان لكلماتها اجمل وقع في نفسه لعاد الى اهتمامه بشؤون الحياة اليومية .

وفي ديسمبر ١٦٣٣ سمح له بالعودة على شريطة أن لا يدخل فلورنسا وأن لا يقابل في داره أكثر من صديق أو صديقين ، وأن لا يتحدث عن نظرياته البغيضة ، ولكنهم لم يطلبوا منه الشيء الوحيد الذي كان لا يستطيع احتماله وهو أن يضع حدا لزياراته لابنته ، وسروره بأنه سيحظى بقربها وتقرعيناه برؤيتها هون عليه فقد الكثير ، فلو أنها عاشت لكانت النقطة اللامعة المضيئة في سماء حياته المظلمة ، وغير عجيب أن الموت اغتالها في السنة التالية فان حزنها من أجله أضعف صحتها،وحملها من الصراع الفكري الدائم ما حرمها من الراحة ، وما لم تجد بنيتها له طاقة على احتماله، وكان اعتقاده انه سيلحق بها الى القبر فقد خذله بصره ورأيه بعد علة ، وصارت آلامه الجسدية مما يعز احتماله ، وبرغم ذلك كله واعتقاده بأنه ما يزال معرضا لألوان أخرى من الاضطهاد ، فان عقله لم يمتنع عن التفكير .

الشاعر الانجليزي ملتن عند جاليليو

وفي سنة ١٦٣٨ زاره الشاعر الانجليزي الكبير

ملتن Milton وآلمه أشد الألم ما يعانيه الرجل العالم الكبير من الآلام والاوصاب ، وأثار غضبه ، وجعله يحمد الله لانه ولد في مكان مكفولة فيه حرية الفكر .

جاليليو في منزل ابنه بعد وفاة ابنته

وبعد وفاة ابنته ماري سيلست اظهر نجله فنشينزيو اهتماما بحالة ابيه وعطفا عليه ، فطلب جاليليو من قاضي التفتيش في فلورنسا ان يسمح له بالانتقال الى دار نجله ، فزاره القاضي ليشاهد بنفسه احواله وفاجاه بالزيارة على غير انتظار ومعه طبيب اجنبي فوجده كفيف البصر ، وكان يامل ان يسترد بصره ، ولكن طبيبه كان يرى أن كبر السن يحول دون ذلك ، وعلاوة على فقدان البصر كان يعاني الما شديدا من فتق ، ويشكو من الارق الذي لا يمكنه من ان ينام ساعة واحدة نوما كاملا في الاربع والعشرين ساعة ، وتكاد تكون صورته اقرب الى جثة الميت منها الى الانسان الحي ، والدار التي يقيم بها بعيدة عن المدينة بحيث يصعب على الطبيب زيارته فضلا عما تكلفه هذه الزيارة من نفقات ، وحرمه فقدان البصر من مواصلة البحث والدراسة وان كان من الحين الى الحين يجد من يقرا له ، وقللت الناس من زيارته ، لان سوء صحته جعله دائم الشكوى من الآلام التي يعانيها والتحدث عن اعراض مرضية . واقترح قاضي التفتيش على ديوان التفتيش أن يقر طلبه ويسمح له بالانتقال الى دار نجله في فلورنسا ، وانه لا يخشى من اجتماع الكثيرين في الدار ، وانه اذا حدث ذلك فان اى نوع من الانذار يكفى لملازمته حدوده ، ووافق الديوان على انتقاله مشترطا عليه ان يتحاشى الحديث عن دورة الارض ، وكان المنزل الذي يقيم فيه مع نجله في ناحية بعيدة من المدينة تكاد تكون منعزلة عنها لبعدها عن المنازل المجاورة ، وامر ابنه بان لا يسمح لاى انسان يشتبه في امره بزيارة ابيه وان يوصي زائريه بعدم اطالة الزيارة ، واكد قاضي التفتيش أنه سيراقب الحالة من بعيد بنفسه ، ولا يسمح باية مخالفة .

برغم اضطهاد الكنيسة لجاليليو لم يفقد احترامه لها

وبرغم هذا الاضطهاد الذي تعرض له جاليليو من ناحية رجال الدين فانه ظل شديد التعلق بعقيدته ، محتفظا بصدق ايمانه بالله ، فقد كتب في فبراير سنة ١٦٣٦ يقول : « عندي منبعان لا ينضبان للراحة الدائمة ، اولا انه في كل ما كتبته لا توجد ادنى اشارة الى عدم احترامي للكنيسة المقدسة ، وثانيا شهادة ضميري التي أعرفها معرفة جيدة بعد الله في سماواته ، والله يعلم أنني في هذه القضية التي اشقى من اجلها برغم ان الكثيرين من الرجال كان يمكن ان يتحدثوا عنها بمعرفة أوسع من معرفتي فانه حتى الآباء القدامى لم يتحدثوا عنها بتقوى اكثر من تقواى ، او بحماسة للكنيسة المقدسة اكثر من حماستي » .

ومما جعله يحتمل حالته ويصبر لما حل به اعتقاده ان رجال الدين لم يشتدوا في معاملته بدافع من دوافع القسوة ، وانما لاعتقادهم بأن ما ورد في الكتب المقدسة هو الحق الذي لا مرية فيه ، وانه سيأتي اليوم الذي تستنير فيه بصيرتهم ويعرفون خطاهم .

ولكن الاجل لم يمهله ليرى ذلك الزمن ، ولما احس اقتراب الموت طلب ان يزوره قس الابرشية . وسمح للقس بزيارته ، ولكن حينما كان يسلم الروح في يناير سنة ١٦٤٢ وطلب ان يدفن في كنيسة سانت كروتشه أجيب بأن هذه الرعاية لا يظفر بها أحد الهراطقة الخطرين ، ودفن من أجل ذلك في قبر في آخر المشي الموصل الى غرفة الأشياء المقدسة وملابس الكهنة ، ومع ذلك فان المصالحة بينه وبين الكنيسة التي كانت تتطلع اليها ابنته الورعة التقية ماري سيلست والتي كان هو يرجوها جاءت بعد ذلك ، ففي سنة ١٧٢٥ رفعت أسماء كتبه من قائمة الكتب المحرمة ، وبعد ذلك بعامين اقيم له نصب تذكاري في صحن الكنيسة ووضع تحته التابوت الذي يحمل تجاليده ، ومن الناس من يلومون جاليليو ويأخذون عليه خضوعه للسلطة . ولكن التقدير العادل لهذا الرجل العبقري يرى فيه انسانا امينا مخلصا كانت مأساته انه سبق عصره الى استطلاع حقائق لم يكن عصره قد نضج بعد النضج الكافي لادراكها وتقدير اهميتها . ■■

علي أدهم

أنباء الطب والعلم والاختراع

الحصبة الألمانية
من الآن احذروها

● المنتظر اليوم ان يقوم للحصبة الالمانية (وهي غير الحصبة العادية) وباء ينتشر في عام ١٩٧٠ أو عام ١٩٧١ ، ومن اجل هذا ترى العلماء قائمين بجمع المعلومات عن كل الاختبارات الجارية الآن في شتى ارجاء العالم لاكتشاف قدرة الألقحة الواقية من هذا الوباء .

والحق أن هناك لقاحين أصيلين جرى عليهما نحو ١٠٠٠٠ اختبار، وقفت بهما عند باب الحكم النهائي لقبولهما أو رفضهما .

اما اللقاح الأول فهو اللقاح الذي حضروه باضعاف فيروس هذه الحصبة الذي أجراه الدكتور باركمان Parkman والدكتور ماير Meyer بقسم المعايير البيولوجية Biological Standards للمعاهد القومية للصحة وهي التي تأذن باستخدام اللقاحات في الولايات المتحدة .

وهذا اللقاح هو الذي نال اكثر عدد من الاختبارات .

اما اللقاح الثاني فهو المؤسس على السلالة الفيروسية الموسومة باسم Cendehill ، وقد لقح به ٢٥٠٠٠ شخص . وهو يستخدم في اللقاح الذي يعطيه الدكتور سميث كلين Smith Kline وكذلك المختبرات الفرنسية وفرعها البلجيكي ، تلك التي بدات بصنعه في عام ١٩٦٤ ، واختبر بعد ذلك في كل من الولايات المتحدة ، وأكثر دول أوروبا الغربية، وفي آسيا وافريقية ، وبورتوريكا وجميكا .

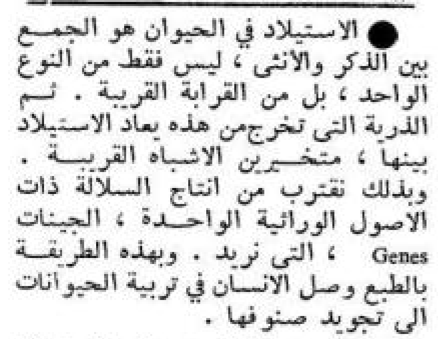
وتعتزم الصحة العامة بالولايات المتحدة أن تقوم بتلقيح جماهيري ينتظم ٢٠ مليون طفل وذلك قبل عام ١٩٧٠ ، ذلك العام الذي قدروه لبدء الوباء ، وسوف يكلف هذا الدولة ٢٥٫٦ مليون دولار ، وتقوم به الولايات ، كل منها على حدة .

والنتائج التي ظهرت الى الآن تفيد ان اللقاح يحمي صاحبه من الداء مدة ٣ سنوات .

والمعروف بالطبع أن الحصبة الالمانية خصيمة المراة الحامل فهي قد تشوه طفلها المولود .

ولهذا فمن المقرر أن لا تعطى المراة الحامل اى حقنة من اللقاح بقصد تحصينها . وهذا تحذير يجب أن تذكره كل النساء . ومن النساء من أصبن بهذه الحصبة وهن حوامل ، فاجيز لهن الاجهاض في ظروف خاصة ، خشية ولادة الطفل مشوها .





الاســـتيلاد

بين الاقارب من الحيوانات

● الاستيلاد في الحيوان هو الجمع بين الذكر والأنثى ، ليس فقط من النوع الواحد ، بل من القرابة القريبة . ثم الذرية التي تخرج من هذه يعاد الاستيلاد بينها ، متخيرين الاشباه القريبة . وبذلك نقترب من انتاج السلالة ذات الاصول الوراثية الواحدة ، الجينات Genes ، التي نريد . وبهذه الطريقة بالطبع وصل الانسان في تربية الحيوانات الى تجويد صنوفها .

ويسمى هذا الاستيلاء بالاستيلاد الداخلي .

والفئران من اسهل الحيوانات استيلاداً من اقارب .

ولكن ليس كذلك الأرانب .

الا ان العلماء في مختبر جكسن Jackson في بار هربر Bar Harbor نجحوا بعد ١٥ عاما في هذا الاستيلاد الداخلي Inbreeding بين الارانب .

فهم زاوجوا بين الأخ والاخت ، ثم زاوجوا على هذا المنوال بين الذرية الناتجة ، حتى اذا وصلوا الى الذرية العشرين حصلوا على ذرية اصولها الانسالية متطابقة بمقدار ٩٩ في المائة .

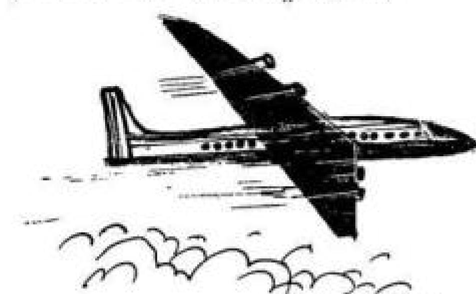
والطريف الجديد ان نقل الأنسجة من احد هذه الأنسال المتطابقة الى آخر ، يتقبله هذا الآخر فلا يرفضه ، على عادة الاجسام رفض الانسجة والاعضاء التى تأتيها من حيوانات غيرها ، ولو من نوعها .

وهذه حقيقة لها في الأمور الجارية من نقل الكلى والقلوب وسائر الأحشاء خطر غير خاف . وهو توكيد لما سبق ، من ان التوائم المتطابقة اقدر على قبول تبادل تلك الاعضاء فيما بينها .

حافلة الهـواء

● انها الحافلة الهائلة الاولى لأوروبا . كانت صممت اول الأمر لتحمل ٣٠٠ راكب ، فاذا بها يهبط بها مصمموها الى ٢٥٠ راكب .

والسبب في ذلك انها سوف تستخدم



المحرك رولز رويس ، — Rolls Royce - RB - 211 - 28 الذى كان صنع من اجل الحافلة الامريكية التى تجرى بين القارات ، وبذلك تقتصد نفقات تصميم محرك جديد او محرك اقوى .

وقد بلغ مقدار ما تقتصده هذه السياسة الجديدة مبلغا يساوي ثلث المبلغ الذى كان مقدراً لانشاء هذه الحافلة ، وهي تنزل بذلك بنفقات المشروع الى ٤٠٠ مليون دولار .

عهد الحافلات ، او ان شئت فبصئات الهواء ، قد بدأ .



الفار الأسمر

الفـأر الابيض
ومكانه من بحوث العلـم

● في عام ١٧١٤ ابحرت سفينة من المانيا ، وهدفها انجلترا ، وكان عليها شيئان متناقضان ، بيت هانوفر الذى حكم انجلترا ، وبدأ حكمه بتولى الملك جورج حكم انجلترا ، وحمولة من الفئران موطنها شرق آسيا ، سميت بالفئران النرويجية . كان لونها اسمر ، ولم تلبث بعد سنوات ان فازت بالكثرة في اوروبا محل تلك الكثرة التى كانت للفئران السوداء الأصيلة في القارة .

وفي عام ١٨٢٢ صار صيد الفئران رياضة محببة في كل من انجلترا وفرنسا ، ووقع الصيادون في هذه الأثناء على نوع من الفئران ابيض امهق Albeno ، فأعجب الصيادون بهذا النوع ، واحتفظوا به وربوه .

ثم دلت السجلات على بدء استخدام هذا الفار الأبيض الأمهق في البحوث العلمية ، في باريس ، في عام ١٨٥٦ .

وجاء عام ١٩٠٠ . وفي اوائل هذا القرن بدأ العالم الشهير جون وطسن John Watson بحوثه النفسانية ، تلك التى اتصلت بنظريات التعلم والتخلق في الانسان ، مستمدا اياها من بحث طرق تعلم الحيوان وتخلقه، وهو استخدم فيها هذا الفار الأمهق . وامتدت هذه البحوث اربعين عاما ، ورفعت من شان هذا الفار ، وجعلته بعض اجهزة كثير من المختبرات . وبالطبع مهرت المختبرات في تنسيل هذه الفئران حتى اصبحت متشابهة متطابقة ،



الفار الابيض الأمهق



الفار الاسود

او تكاد تكون ، من حيث وحدات انسالها وتوارثها المعروفة بالجينات Genes .

والبلوغ بهذا الحيوان الى هذه الدرجة من النقاء بالذى يعرف بالاستيلاد الداخلي In Breeding شيء يُحمَد في ذاته .

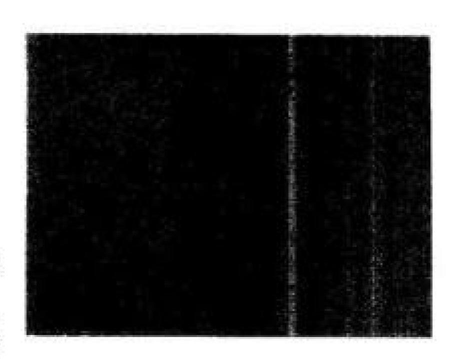
ولكن .. ولكن هذا الفار المخلوق الجديد ، اختلف بالطبع اختلافا كليا عن الفار الأسمر النرويجي البرى الذى خيل انه نشأ منه . ان البرىّ شرسٌ ، بينا هذا الأبيض وديع . وذاك البرى يخشى الانسان ، وهذا الأبيض لا خشية به منه ، والأبيض اثقل وزنا بنحو الخمس ، ولكن مخه وغدته الدرقية والغدد الفوق الكظرية اقل وزنا .

من هنا بدأت ثورة جماعة حديثة من علماء النفس تقوم تعارض استخدام هذه الفئران في البحوث النفسية . انها عندهم ليست فئرانا طبيعية ، دعْ دعوى انها تتخلق على نحو يتخلق على نحوه الانسان . انها عندهم سلالة غير طبيعية ، تكاد تكون اصطناعية ، افسدتها نعمة التربية ، وتلك الأجيال الطويلة من الانسال الداخلى .

« ويقول الدكتور لكارد Lockard : ان الفار الأبيض غريبُ الخلق غيرُ سويٍّ Freak لا ندرى كيف هبط في التوريث . ان البحوث التى تعتمد عليه مخاطرة ، لا سيما البحوث النفسانية » .

والسؤال : هل تؤثر هذه الحملة على هذا الفار في مكانته العليا التى يحتلها اليوم في البحوث العلمية ومختبراتها ؟ .

الجواب : لا بد ان ننتظر لنرى .



● أو العُدُّ كما يسميه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو في القاموس بثور تظهر في الوجه .

هذه الحبوب التى تظهر في وجوه الشاب والشابة ، وتستعصي على العلاج ، جاء الخبر بأن الطب في سبيله الى امتلاك ناصية العلاج فيها .

فقد قام الدكتور البرت كلجمان Kligman بمستشفى جامعة بنسلفانيا، واستخدم لعلاجها غسولا به حامض فيتامين أ Vitamin A Acid (مركب مخلّق له فعل هذا الفيتامين) وجرّبه في ٢٠٠ من المراهقين واشتفى به منهم ٧٢ في المائة ، كانوا جميعا جرّبوا ادوية اخرى لم تنفعهم .

وهذا الدواء يعمل بأن يمنع تكون السّداد الجاف الذى يسمى الرأس الأسود Black Head ، انه يتنفذ في الجلد فيهيجه قليلا ، وبهذا يجبر الخلايا الميتة على الخروج فلا تترك لتنسلخ من الجلد وحدها فتحدث من المتاعب ما تحدث .

وكانت النظرية تقول ان سر حبوب الشباب كامن في الزيت الذى يفرزه جلد المريض ، ولكن هذه النظرية أعلن الدكتور كلجمان بطلانها . ذلك انه اختبر هذا الزيت من كل وجه ممكن ، وقارنه بالزيت التى يفرزه جلد لا بثور فيه ، فلم يجد بين الاثنين فارقا كان ما كان . كل ما هنالك ان الشاب ذا الحبوب يفرز من الزيت مقدارا اكبر .

ليس الكحول وحده ، يُحرِّم على السائق سياقة السيارة

● البصر الكافي بالطبع شرط للاذن بالسياقة .

ولكن هناك اشياء كثيرة من عجز وامراض يجب ان تقف حائلا دون الاذن بسياقة السيارة .

مثال ذلك رجل في العام الحادي والستين من عمره اصيب بفقد الوعي ٤ مرات ، وكان ذلك بسبب قلة في الدم الواصل الى مخه ، يحدث له بغتة دون انذار . وجاء المستشفى ، ورفض اجراء عملية تزيد دمه الواصل الى المخ ، وداوم على السياقة مخالفا بذلك رأى طبيبه . والنتيجة ؟ لا شك كارثة .

وغير هذه : فمن السائقين للسيارات مصروعون . ومنهم مصابون بالذبحة الصدرية ، وآخرون بمرض الشريان التاجي ، وآخرون بالسكرى في احواله الخطرة ، وكل هؤلاء يجب ان يمنعوا من سياقة السيارة حفظا لحياة الجماهير .

ولكن يقف دون ذلك عداء الشعوب لما يحدّ من حرية الفرد ، لا سيما في شئون تتناولها الشرطة ، تختلط اهدافها احيانا باهداف لا تمت الى سلامة الشعوب بشيء . ان الشعوب الواعية تحرص دائما على حرياتها وفي سبيل ذلك تميل دائما الى تحمل الاضرار غير الكبيرة ولا المتفشية .



ضربة الشمس .. والعرق

● كثيرا ما نسمع عن اشخاص اصيبوا بضربات الشمس ، وربما ادى ذلك الى وفاتهم فهلا اوضحتم لنا ذلك؟ وما هى الوقاية خصوصا ونحن مقبلون على فصل الصيف ؟

ـ ضربات الشمس ويستحسن ان تسمى ضربات الحر هي عبارة عن مرض يصيب الانسان اذا تعرض لدرجة حرارة عالية ، ولم يكيف الجسم نفسه لهذا التغير الحرارى ، وذلك لخلل في مراكز المخ التى تسيطر على تنظيم حرارة الجسم وجعلها في المستوى الطبيعي « حوالي ٣٧ درجة مئوية » وكذلك لخلل في الغدد العرقية ـ فلا يعرق الجسم كالمعتاد عند التعرض لدرجة حرارة مرتفعة لان العرق من اهم الاسباب التى تلطف من حرارة الجسم عندما يتبخر . لذا نرى المصاب بضربة الحر ترتفع حرارة جسمه وربما وصلت ٤٠ ـ ٤١ درجة مئوية وجلده جاف ساخن محتقن ، لان الحرارة تتجمع داخل الجسم ويصحب ذلك اضطرابات في الجهاز العصبي منها الهذيان والدوار والصداع الشديد وربما قيء شديد في بعض الحالات ثم عدم الاستقرار وعدم التوازن ثم في بعض الحالات الشديدة تحدث تشنجات شديدة مع غيبوبة . واذا لم يسعف المريض بسرعة وطالت الغيبوبة ربما اودت بحياته . وانصح هؤلاء الذين لا يعرقون كثيرا ان لا يتعرضوا لدرجات الحرارة المرتفعة ويبتعدوا ما امكن من التعرض للشمس خصوصا وقت الظهيرة ويقللوا من العمل في شدة الحر عندما تكون درجة الرطوبة مرتفعة ويلبسوا ملابس فاتحة واسعة ويلطفوا رؤوسهم او اجسادهم بماء بارد من آن الى آخر اذا شعروا بارتفاع في درجة الحرارة .

واذا اصيب اى فرد بضربة حر واغمي عليه لا بد من نقله بسرعة الى المستشفى حتى لا يضيع الوقت . فكما قلت ربما اودى ذلك بحياته او في بعض الحالات اذا قدر للمريض أن يحيا فيتخلف عن ذلك مضاعفات شديدة منها الشلل النصفي او تأثر المخيخ مما يجعل المريض لا يمكنه التوازن عند السير او عند القيام باى عمل عضلي . وكذلك انصح ربات البيوت ان لا تتعرضن لحرارة المطبخ لمدة طويلة في الصيف خصوصا اذا لاحظت الواحدة منهن انها لا تعرق .

طبيب الأسرة

طفلى لا تخرج قطرة دمع من عينيه

● لى ابن في السابعة من عمره ، لا تخرج قطرة دمع من عينيه اذا بكى ، فما هو السبب ؟ وهل يؤثر ذلك على العينين ؟

ـ يفرز الدمع من الغدة الدمعية الموجودة في الحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) فوق المقلة وتجرى الدموع في قنوات هذه الغدة الى الملتحمة حيث تكون طبقة رقيقة امام العين تغسلها باستمرار ، ثم تمر هذه الدموع في المجارى الدمعية الى الأنف .

فاذا اصيبت الغدة الدمعية بضعف خلقى او تليف أو انسداد في القنوات الدمعية فان الدمع لا يفرز بكميته الطبيعية وخاصة أثناء الانفعالات النفسية كالبكاء .

تأثير الدمع على العين :

١ ـ اذا كان الدمع كافيا في الاوقات العادية وغير كاف في حالة البكاء فان العين تبقى سليمة .

٢ ـ اذا كان الدمع غير كاف في الأوقات العادية وفي الانفعالات النفسية فانه يؤدى الى جفاف الملتحمة والقرنية وقد يؤدى ذلك الى حدوث التهابات وتقرح بالقرنية ويعرض العين للانفجار والضمور وضياع قوة الابصار .

العلاج :

استعمال نوع خاص من القطرات مثل قطرة مثيل سيلولوز ١٪ التى تمكث في العين مدة طويلة وتحميها من الجفاف والتعرض للاتربة والتيارات الهوائية . وهناك عملية جراحية ليست مضمونة النجاح .

طفلى يمتص أصابعه

● انا ام لطفل صغير في الخامسة من عمره وهو دائما يمتص اصابعه . فهل هذا شيء طبيعي او غير طبيعي ؟

ـ امتصاص الاطفال لاصابعهم يعتبر شيئا طبيعيا حتى السنة الرابعة على الاكثر . والطفل يقوم بهذا العمل أو هذه العادة بسبب سوء الرضاعة والعناية التى تعطيها له الام . فان الحياة الجديدة الآن تستدعى ان تكون الام خارج منزلها معظم الوقت وعلى هذا تستعيض عن ارضاع طفلها بالرضاعة الاصطناعية . والطفل في حاجة الى الرضاعة الطبيعية لمدة ١/٢ ساعة في كل رضعة . واثناءها



تكون عضلات الفكين في حركة دائمة لازمة لنمو الفكين . اما الرضاعة الاصطناعية غير الصحيحة فهي تحرم الطفل تماما من اى حركات او نشاط لهذه العضلات وبالتالى ينتج عنها ضعف شامل في نمو الفكين والاسنان ولهذا يجب مراعاة الرضاعة الطبيعية باهتمام شامل . واذا لم يوقف الطفل امتصاص اصابعه في سن الرابعة على الاكثر يجب عرضه على اخصائي تقويم الاسنان قبل ان ينتج عنها تغيير دائم في النمو .

كيف يتم علاج جروح النابالم ؟

● اصيب شقيق لى بحروق شديدة نتيجة اصابته بقنابل النابالم في احدى غارات (اسرائيل) الوحشية على مدينة « اربد » في الاردن . وقد نقل الى المستشفى ولا يزال هناك بعد مرور أكثر من شهرين على اصابته . فهل لكم ان تفيدونا عن احتمالات شفائه . وكيف يتم علاج المصاب بالنابالم ؟



ــ ١ ــ اذا كان الحرق ما زال عميقا ويحتاج لعلاج بالمستشفى فغالبا قد يحتاج الى تغطية برقعة جلدية .

٢ ــ اية تشوهات قد تنتج بعد العلاج يمكن تحسينها بجراحة تجميل .

٣ ــ يفضل ان يعرض المريض على جراح تجميل لتقرير موعد هذه العمليات .

٤ ــ حروق النابالم تعالــج بنفس طريقة علاج الحروق من اسباب أخرى مع مراعاة أن الحرق عادة يكون عميقــا ويغطى مساحة كبيرة من الجسم .

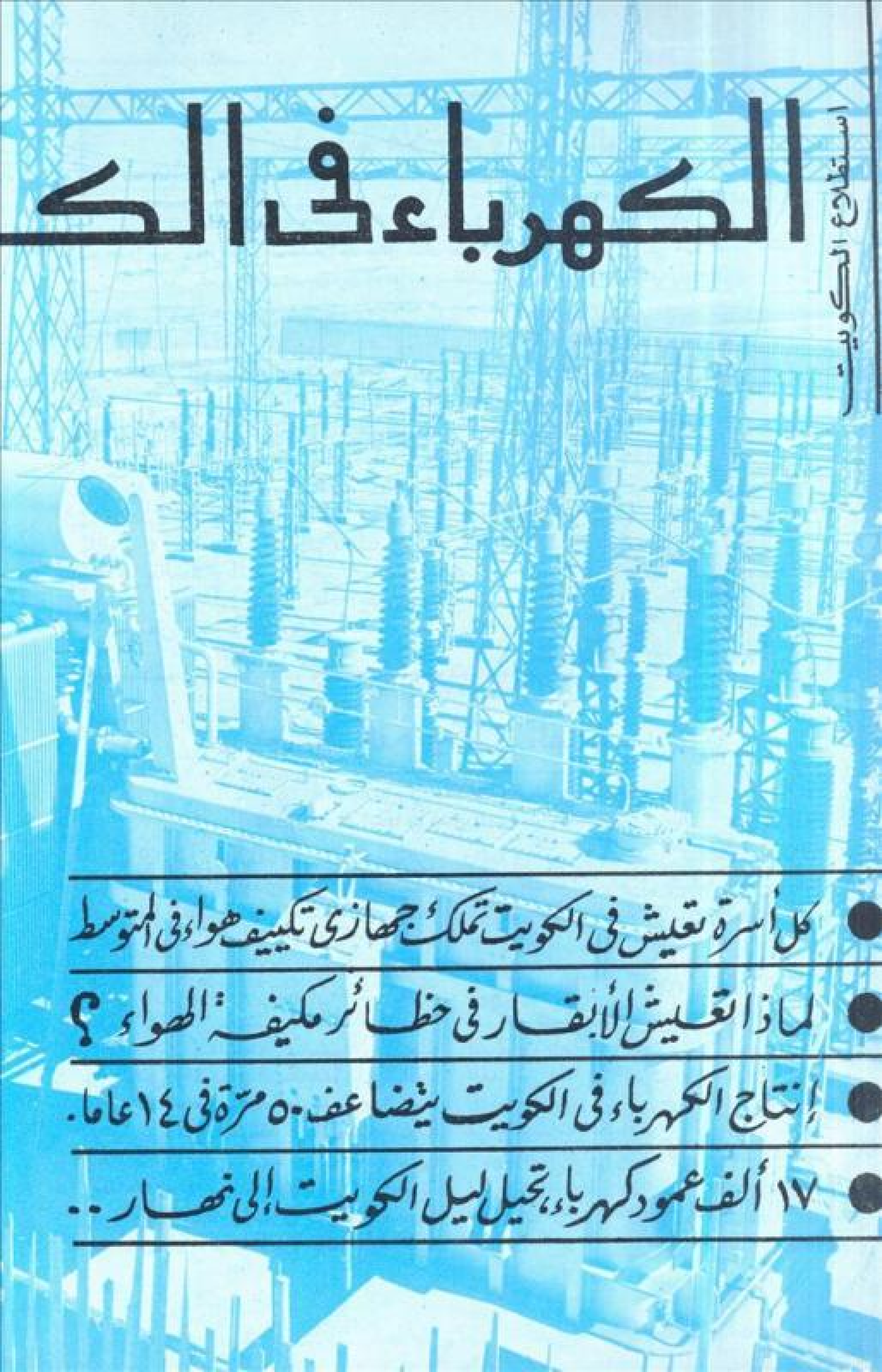
ضغط الدم وفصل الصيف

● أنا مصاب بارتفاع في ضغط الدم ــ فما هى الملاحظات التى يجب ان اتبعها في فصل الصيف بالنسبة لمرضي ؟

ــ اذا كان ارتفــاع ضــغط دمك من النوع الشديد ، والذى يؤثر على قلبــك وتعتريك نوبات آلام بالصدر مثلا عنــد قيامك بمجهود عضلى ، فانى انصحك بأن تقضي أجازتك الاعتيادية في الصيف في جو بارد بعيدا عن الحرارة الشديدة . وبهذه الطريقة تصيد عصفورين بحجــر واحد، اولا : الراحة النفسية والابتعاد عن العمل والاجهاد الشديد في الصيف . وثانيا :عدم تعرضك لفقدان العرق والانهاك الحرارى وضربات الحر واحتمال حدوث تجلطات في الدم وربما ادى بعضها الى انسداد في بعض الشرايين .

واذا كان الضغط من النوع المتوسط اى ليس بالعالى فانى انصحك أن تكون دائما في جو مكيف ليس شديد الحرارة، واذا وجدت انك تعرق بشدة فعوض ذلك بتناول عصير الفواكه وأن تجعل في طعامك بعض الملح أى ١/٢ ملح او ثلاثة ارباع ملح ــ بدلا من خلو طعامك من الملح كما تتبع أثناء الشتاء . واذا كنت تتعــاطى مدرات للبول مع حبوب ضغط الــدم فضع في طعامك الملح العادى لتعوض ما تفقد من ملح في العرق ويجب أن تأخذ الراحة الاسبوعية في جو هادىء بعيــدا عن منغصات الحياة .

وكذلك تداوم على علاج ضغط الدم ، وتراجع طبيبك على فترات قصيرة لمعرفة مدى ارتفاع ضغط الدم ، وتغيير العلاج اذا لزم الأمر . ■■



الكهرباء فى الك
استطلاع الكويت
كل أسرة تعيش فى الكويت تملك جهازى تكييف هواء فى المتوسط
لماذا تعيش الأبقار فى حظائر مكيفة الهواء ؟
إنتاج الكهرباء فى الكويت يتضاعف ٥٠ مرة فى ١٤ عاما.
١٧ ألف عمود كهرباء تحيل ليل الكويت إلى نهار..



أرخص كهرباء في العالم

■ لم يعد امتلاك جهاز تكييف الهواء من الامور الكمالية في الكويت ، وانما اصبح من اهم الضروريات في هذا البلد الذى وصلت اقصى درجة حرارة سجلت فيه ٥٠ درجة مئوية في الظل و ٧٩ درجة في الشمس !

لقد استطاع جهاز تكييف الهواء أن يقلب نمط الحياة في الكويت راسا على عقب .. فقديما كانت حرارة الجو الزائدة ، تدفع بالسكان الى مياه الخليج الهادئة ، يغوصون فيها حتى رقابهم هربا من سعير الهواء الساخن ، ولسع عواصف الرمال (الطوز) المتلاحقة ..

كانت هذه حال الكويت قبل أن يسبغ الله عليها نعمته ، ويرفع دخل الفرد فيها الى اعلى مستوى للدخول في العالم (حوالي ١٢٠٠ دينار سنويا ..)ومع هذا الازدهار المالى اصبح بمقدور كل فرد كويتي أن يكيف الهواء داخل منزله ، فيجعله حسبما يريد رطبا او جافا ، وساخنا او باردا ..

جهازان لكل عائلة

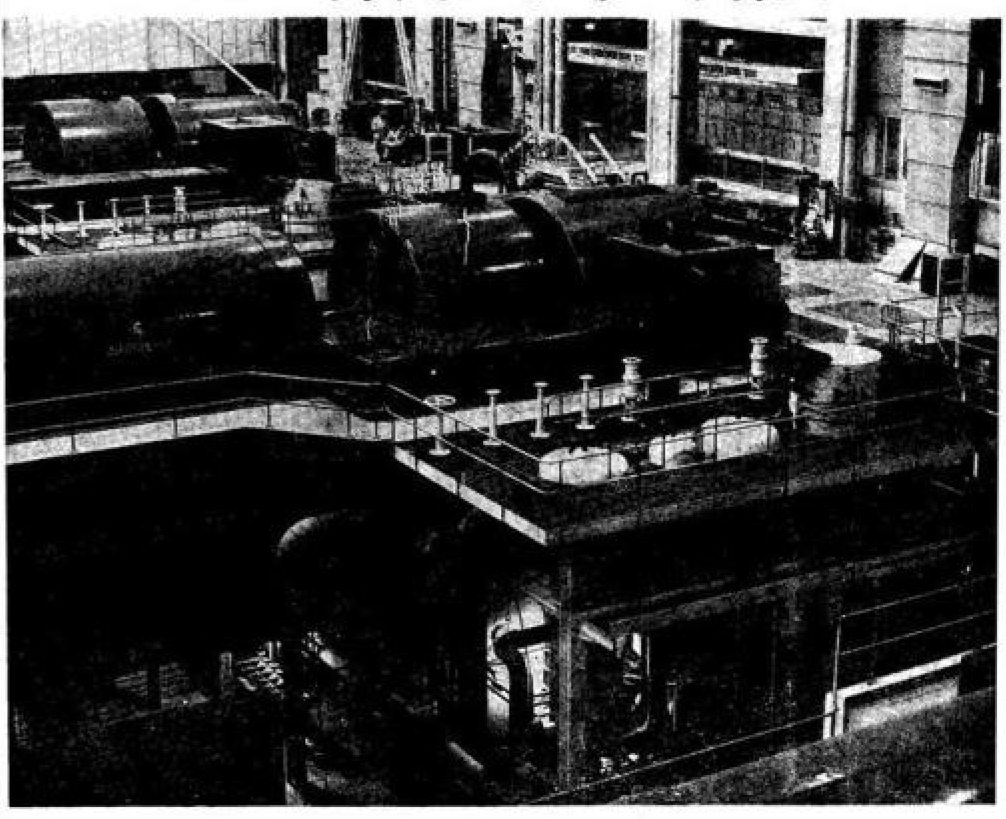
واحصوا عدد أجهزة التكييف في الكويت فوجدوها ..٢٠ الف جهاز استوردتها البلاد في السنوات العشر الماضية .. أي بمتوسط ٢٠ الف جهاز تبيعها ..٤ مؤسسة وشركة سنويا ، وهو أعلى معدل تصريف من نوعه في العالم ، اذا قورن بعدد سكان البلاد .. وحللوا هذه الارقام ، فتبين لهم ان كل أسرة في الكويت تملك جهازى تكييف في المتوسط ، مقابل ١٤ر. من الجهاز فقط ، تملكها كل عائلة في الولايات المتحدة ..

ولا يجب أن ننسى التكييف المركزى في الكويت ، الذى دخل عمارات باكملها ، بل ان هناك مدينة باكملها ، هي مدينة الاحمدى ، مكيفة الهواء تكيفا مركزيا ، أى مصدر التكييف واحد في قلب المدينة .

الحرارة وتأثيرها على الانتاج

لقد قدرت الحكومة الكويتية عامل الطقس ، والدور الكبير الذى يلعبه في زيادة الانتاج ، وتأثيره على الطاقة ونشاط السكان ، فعمدت الى تكييف الهواء في جميع مباني الوزارات والمستشفيات ومؤسسات الدولة ومصالحها العامة .. وحصرت في وزارة الكهرباء مسئولية اقامة وصيانة محطات التكييف المركزية الكبيرة والصغيرة ، ووحدات التكييف ومبردات المياه ، والثلاجات ومخازن التبريد .. وغيرها ..

تعتمد الكويت على الغاز الطبيعى الخارج مع النفط ، تستعمله وقودا لتوليد البخار الذى يحرك مولدات الكهرباء .. وهذه الصورة لبعض المولدات الضخمة ..



حبوب الملح

ان درجة الحرارة حين تصل الى منتهاها وهي ٥٠ مئوية في الظل و ٧٩ في الشمس تعني ان كل شيء يتحول الى قطعة ملتهبة .. عجلة قيادة السيارة لا تستطيع أن تلمسها .. السير في الشوارع لا يزيد على فترة بسيطة .. واذا بقيت طويلا في الشمس فقد تصيبك ضربة الشمس ، واذا زاد افرازك للعرق فلن ينقذك من الانهيار سوى ابتلاع كمية من الملح !!

لماذا تكيف حظائر الحيوانات ؟

واذا كان هذا حال الانسان ، فكيف يكون حال الحيوان ؟

لانه من بين ماشملته مظاهر النهضة الحديثة في دولة الكويت ، زيادة ثروتها الحيوانية من دواجن وابقار ،فقام الاهالي والحكومةباستيراد اعداد كبيرة منهذه المواشي، من بلاد الدانمرك وهولندة الباردة .. وحتىتعطى هذهالدواجن والابقار اقصى انتاج لها ، كان لا بد من تامين جو قريب لجو بلادها الباردة ، ولهذا السبب ادخل تكييف الهواء الى حظائر الماشية ، واصبحت البقرة التى تعيش فى الجو المكيف تدر ضعف كمية الحليب التى تدرها البقرة الموجودة في الجو الحار ..

التكييف في كل مكان ..

وانتشر تكييف الهواء في كل مكان بالكويت ، فشمل السيارات الخاصة ، والحافلات الكبيرة التى تنقل الركاب الى خارج الكويت ، والمتاجر، حتى باعة الخضراوات تجدهم يحفظون بضاعتهم داخل مبردات وثلاجات خاصة ضخمة ..

وفي مئات المصانع التى قامت في السنوات الخمس الاخيرة ، روعي أن تكون اغلب اقسامها مكيفة الهواء .. وأن تكون معظم الاتها من النوع الحديث الذى يدور بالكهرباء ..

شركة أهلية للكهرباء

ولمواجهة متطلبات هذه القفزات الجبارة نحو استعمال الآلات الحديثة ، كان لا بد من توفير قوة كهربائية هائلة ، في هذا البلد الذى لم يكن فيه اى اثر للكهرباء قبل عام ١٩٣٤ وهي السنة التى تاسست فيها أول شركة اهلية لتامين القوة الكهربائية اللازمة لعدد قليل من منازل مدينة الكويت انذاك ..

رقم خيالي مذهل ..!

واستمرت هذه الشركة الاهليةفي عملها المحدود، حتى تم تاميمها في بداية نهضة الكويت عام ١٩٥١ واسندت أعمالها الى ادارة الكهرباء العامة التى ساندتها الدولة بالاموال لتامين الطاقة الكهربائية بصورة تتناسب وتقدم البلاد .. وباشرت الادارة الجديدة أعمالها باقامة محطة تحتوى على مولدين يعملان بالديزل قوة الواحد منهما ٣٠ كيلووط .. اى ان مجموع انتاج الكهرباء كان ٦٠ كيلووط ساعة في سنة ١٩٣٤ اما اليوم فقد قفز انتاج الكهرباء الى رقم خيالي مذهل اذ وصل من الوحدات الكهربائية الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٠١٠ر٢ كيلووط ساعة..

الزيادة ٥٠ ضعفا

ان القاعدة المرعية في بلاد العالم المتطور تنحصر في ان انتاج الكهرباء يتزايد مرة ونصف مرة كل ١٤ عاما ، ولكنه في الكويت تزايد ٥٠ ضعفا خلال المدة الواقعة بين ١٩٥٣ و ١٩٦٧ .

استهلاك الفرد العربي من الكهرباء

ولمعرفة مقدار ضخامة انتاج الكهرباء في الكويت في السنة نورد كشفا بمقدار انتاج الكهرباء في بعض الدول العربية عن عام ١٩٦٨ ، كما جاء في نشرة مؤتمر المهندسين العرب الذين انعقد أخيرا في الكويت :

ج . ع . م	٦٨٠٠	مليون كيلو وط ساعة .
الكويت	٢١٠٠	مليون كيلو وط ساعة .
العراق	١٩٠٠	مليون كيلو وط ساعة .
سوريا	٧٠٠	مليون كيلو وط ساعة .
السودان	٣٦٠	مليون كيلو وط ساعة .
لبنان	١٠٠	مليون كيلو وط ساعة .



أى أن متوسط استهلاك الفرد الكويتي يبلغ ٤٢٠٠ كيلووط ساعة ، في حين يصل استهلاك الفرد الأوربى الى ٣٠٠٠ كيلووط ساعة ، ويرتفع هذا الرقم فى أمريكا حتى يصل الى ٨٠٠٠ كيلو وط ساعة . ويدخل في ذلك صنوف الاستهلاكات جميعا ومنها الصناعة والزراعة والمواصلات وغيرها.

مساقط الماء .. والفحم .. والنفط

لقد شهد القرن العشرون أوسع تقدم للمشاريع الكهربائية في العالم ، بعد أن تحول مصباح اديسون الكهربائى الى مصباح تجارى في مطلع هذا القرن .. ولم يكن هذا التوسع متساويا في كل البلاد ، فالولايات المتحدة وروسيا الغنيتان بمواردهما الفحمية والمائية والنفطية استغلتا هذه الموارد المتعددة الضخمة لاستعمالها كطاقة محركة لتوليد الكهرباء .. وفي ايطاليا والنرويج والسويد حيث الفحم والنفط قليلا الوجود، اعتمدت البلاد على مصادر مياهها لاستخراج الكهرباء .

أما في الكويت فقد اعتمدت البلاد على الغاز الطبيعى الخارج مع النفط ، استعملته وقودا لتوليد البخار الذى يحرك مولدات الكهرباء .. أما المناطق الكويتية النائية فتستعمل المولدات التى تعمل بالديزل ..

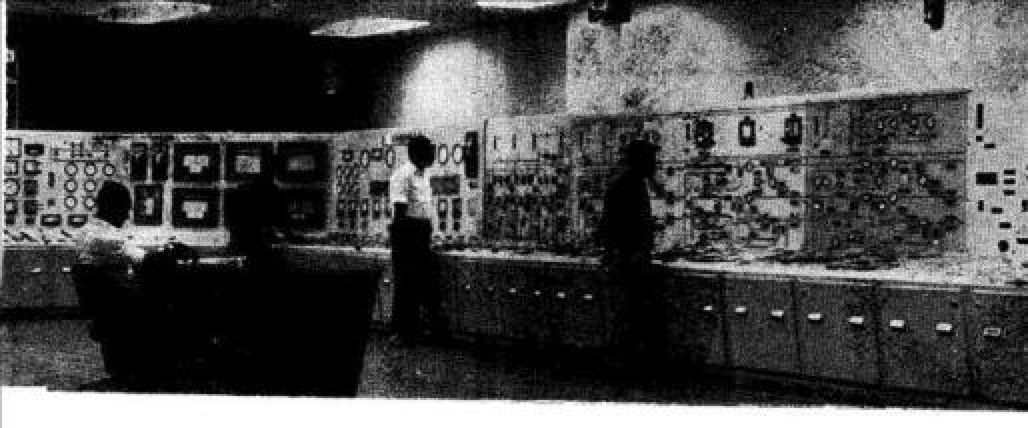
١٧٥ ضعفا ..

وتتم عملية نقل وتوزيع القوة الكهربائية في الكويت على أربعة ضغوط : ١٣٢ الف فولت و١١ ألف فولت و٤١٥ و٢٤٠ فولت وهو الضغط الذى يدخل المنازل وما اليها .. وبلغت اطوال الخطوط الكهربائية حوالى ١٢ ألف كيلو متر بعد أن كانت ٦٨ كيلو مترا فقط عام ١٩٥٦ اى انها تضاعفت خلال ١٢ عاما بما يزيد عن ١٧٥ ضعفا !!

٤ سنوات لبناء محطة

ان بناء محطات توليد الكهرباء ، ومد الشبكات الكهربائية ، ليست من الأمور الهينة السهلة .. وانما عمليتان تخضعان للتخطيط البعيد المدى ، لما تتطلبانه من مجهود ووقت ، فبناء محطة كهربائية كبيرة يحتاج الى فترة أربع سنوات من حين اقرار انشائها الى لحظة تشغيلها ..

ان الغاية من جميع الانشاءات والمشاريع التى تقوم بها وزارة الكهرباء هى توصيل الكهرباء لجميع مناطق الكويت الآهلة بالسكان .. حتى الجزر وصلتها الكهرباء، فقد أقيمت في جزيرة فيلكا محطة ديزل كبيرة لخدمة سكان تلك الجزيرة التاريخية الذين يبلغ عددهم ٦ الاف نسمة .



ضغط متواصل

حقيقة ان استهلاك الكهرباء في الكويت يصل الى ذروته في اشهر الصيف : يوليو - اغسطس - سبتمبر ، ولكن هناك زيادة مماثلة تحدث عندما يشتد البرد وتهبط درجة الحرارة الى نحو الصفر في شهور ديسمبر ويناير وفبراير .. وهكذا نجد ان استهلاك الكهرباء يتزايد صيفا وشتاء .. فلا يترك مجالا لصيانة المولدات الا في فترات الربيع القصيرة ..

بستة فلوس تدير المكيف لمدة ساعة !

ومن اهم اسباب زيادة استهلاك الكهرباء في الكويت ، السعر الرخيص جدا الذى تتقاضاه الدولة لوحدة الطاقة الكهربائية المستهلكة وهى الكيلو وط ساعة ، اذ ان هذا السعر ظل يتحرك نزولا من ٢٧ فلسا في عام ١٩٥٢ الى فلسين فقط في عام ١٩٦٩ للكيلو وط ساعة هذا بالرغم من ان الكيلو وط الواحد يكلف الوزارة ما بين انتاجه وتوزيعه ، حوالى خمسة فلوس ، ولكنها تبيعه بفلسين وتتحمل الفرق عن الجمهور . وبمعنى آخر انك اذا جعلت مكيف الهواء يعمل لمدة ساعة فان استهلاكه يصل الى ٢ر٧٥ كيلو وط ساعة اى ان سعر الكهرباء المستهلكة يقل عن ٦ فلوس ! .. وهذا ما يجعل سعر الكهرباء في الكويت اقل سعر في العالم .. ومع كل هذه الخدمات فان الجمهور لا يصبر . فما يكاد ينقطع التيار لفترة قصيرة بسبب خلل او عملية صيانة، حتى يتعالى السخط على وزارة الكهرباء .

١٧ ألف عمود كهربائي

ان القادم الى الكويت في الليل يرى المدينة وكأنها قطعة متوهجة من النور ، بعد ان اصبحت شوارع المدينة مضاءة بأكثر من ١٧ الف عمود كهربائي ترسل أنوارا صفراء وبيضاء ، طبقا للمصابيح الاسطوانية المتفلورة (فلورسنت) Fluorescent المستعملة .

مياه الخليج تزهو وتفخر

وعند الغروب ، وعلى ضوء أنوار المدينة الفتية تنساب السفن في القناة المؤدية الى ميناء الكويت. وينبهر البحارة الأجانب بالاضاءة المتلألئة ،وينتفخ الشراع الابيض لسفينة البوم التقليدية تيها وجلالا وتتراقص مياه الخليج العربي زهوا وافتخارا فقد انقلب سواد لياليها نهارا ، وأصبحت تعيش أعظم فترة في تاريخها .. ■■

س.ز

ليلى الأخيلية

نموذج رائع للتضحية والوفاء

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

■ عاشت ليلى في القرن الأول الهجرى ، في الوقت الذى كانت فيه الدولة الاسلامية الجديدة تكافح في سبيل نشر نفوذها السياسي والروحى ، في سائر بلاد العالم المعروفة وقتئذ ، وعاصرت الخصومات السياسية التى ثارت بين الجماعات والعصبيات والاحزاب حول الملك والخلافة ، وشاهدت انتصار بنى أمية السياسي ، وكفاحهم من اجل استقرار الخلافة في أيديهم .

وصاحب هذا النشاط السياسي نشاط" عقلى واسع ، فقد اخذت المدن الاسلامية كـ « مكة » و« دمشق » و « الفسطاط » و « البصرة » و « الكوفة » تبحث وتدرس ، وتعمل على نشر الثقافة والمعرفة ، واخذ بنو امية يمكنون لمجد العروبة والشرق والاسلام، ويضعون حجر الأساس في بناء الحضارة الاسلامية في « دمشق » وسواها من المدن الاخرى، ويرفعون للعلم والثقافة والمعرفة صروحا شاهقة ، كانت منارة الانسانية وشعلتها المقدسة التى تبدد ظلمات الحياة البشرية في ذلك العهد البعيد .

واشتركت في ذلك البناء جميع العناصر والاشخاص من مختلف الطبقات والاجناس والأديان، فكان ذلك الكفاح الفكرى والثقافي الذى دعم صرح هذه النهضة العظيمة .

كان الشباب يعيشون في نجد وما يحيط بها من بواد واسعة مترامية الاطراف عيشة فيها فراغ كبير ، امضوه في تمثيل أعمال البطولة العربية ، وفي الحب العذرى الذى يمتاز بروعته وقداسته، والوفاء له ، والتضحية من أجله ، واستعذاب العذاب في سبيله، عاشوا فراغهم في انشاد الشعر الذى يمثل قصص البطولة والحب في حياتهم الهادئة .

وكان للمراة العربية في البادية منزلة كبيرة ، فهى تسهم في الكثير من الوان النشاط الأدبى والاجتماعى بقسط كبير ، فهى جمال الصحراء وروعتها،وهى مغذية العواطف ، وموقظة المشاعر، وهى المشاركة في الأدب والشعر والبلاغة ، وهى التى تحمل اعباء الحياة وتقوم بها ، فتاة وزوجة واما ، مثلما يحتملها ويقوم بها الرجال .



نسبها

هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب بن معاوية وهو الأخيل بن عباد بن عقيل الذى ينتمى الى قبائل بنى ربيعة بن عامر . وهو بيت كبير له شهرته فى الشجاعة والشرف ، وفى الشعر والأدب .

نشأتها

كان قوم ليلى يعيشون فى البادية بنجد ، فى وسط قبائل قيس وفروعها الكبيرة ، وسواهم من القبائل التى لعبت دورا خطيرا فى حياة العرب قبل الاسلام وبعده ، ينعمون بالعيش الهادىء ، ويعتزون بروح العزة والبطولة التى ورثوها عن ابائهم واجدادهم .

وفى سنة ٢٥ هـ ، أو بعدها بقليل ـ على اصح الأقوال ـ ولدت ليلى فى نجد ونشأت واستقبلت الحياة ، وشاهدت كثيرا من مجد آبائها ، فملأها ذلك اعتزازا وثقة بنفسها ، وشبت فصيحة اللسان ، مطبوعة بفطرتها الشاعرة ، وبنشأتها البليغة ، وبأثر الوراثة فى نفسها على نظم الشعر واصبحت بعد قليل شاعرة القبيلة التى يهاجمون بقصائدها أعداءهم ، ويعتزون بها فى مجال الفخر والشرف ، قالت تفتخر بقومها :

نحن الأخايل لا يزال غلامنا
حتى يدبّ على العَصَى مذكورا
تبكى السيوف اذا فقدن أكفنا
جزعا ، وتعلمنا الرفاقُ بحورا

وقالت تمدح أبطال قومها :

لاتغزُونّ الدهرَ آلَ مطرِّفٍ
لا ظالما ابدا ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم
واسنة زرق تخال نجوما

ومخرّق عنه القميص تخاله
وسط البيوت من الحياة سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته
تحت اللواء على الخميس زعيما

وكانت ليلى الى جانب ذلك على درجة كبيرة من الجمال ، تتجلى على محياها فتنة الحسن العربي الأصيل ، كانت تمثالا رائعا للأنوثة ، وآية من آيات الذوق والخلق ، وهكذا استكملت ليلى كل عناصر الشخصية القوية من المجد والحسب ، والشعر والأدب ، والجمال والفتنة ، والذوق والأخلاق ، واصبحت حديث البادية ، وشاع ذكرها فيها ، وروى الناس شعرها القوى ، وتحدثوا عنها وعن فصاحتها وعن أدبها وحفظها لأنساب العرب وأيامهم وأشعارهم كافة .

لقاؤها بتوبة

خرج قوم ليلى في غزوة من تلك الغزوات التى ألفتها البادية ، ولما حان موعد عودتهم منتصرين ، خرجت ليلى ومعها نساء القبيلة يستقبلن الأبطال والفرسان ، وسفرت الفتيات والسيدات عن وجوههن في ضجة الفرح والسرور والاعجاب ،وكان المكان الذى يقف فيه توبة قريبا منهن واسمه توبة ابن الحمير بن حرام بن كعب بن خفاجة بن عمرو ابن عقيل الذى تنتمى اليه ليلى الأخيلية .فرأى ليلى ، وشاهد جمالها المشرق ، والتقت عيناهما صدفة ، فخفق قلبه ، واضطرب فؤاده اضطرابا شديدا ، فقد افتتن بها وأحبها من أول نظرة .

ان توبة شاب عربى وسيم ، وفارس وشاعر ، من أسرة كبيرة احتلت مركزا مرموقا بين القبائل العربية الكبيرة ، وعاش هو وقومه في بادية نجد ، وفطر على الخلق والبطولة .

ولد قبل مولد ليلى بخمس سنوات تقريبا ، ونشأ وترعرع وقضى حياته الأولى في البادية ،مجال البلاغة ، وموطن الشعر والالهام، وميدان الصراع والحب العذرى الطاهر. وكان مجد أسرته وقبيلته في الماضي والحاضر عاملا مهما في تكوين شخصيته ، فغذاه ذلك الطموح ، وأشاع في قلبه حب العظمة، والسمو والاعتزاز بالنفس، فانطلق يتلمس الحياة التى يظهر فيها بطولته ، فكانت الغارات التى يشنها هو واصحابه على القبائل الكبيرة في البادية، التى كانت تريد أن تستبد بمظاهر العظمةوالسلطان فيها ، واكثر توبة من هذه الغارات ، وكانت اكثر غاراته على القبائل التى بينها وبين قومه خصومات .

كان في سن الشباب ، وكان ممتلئا حياة ونشاطا وقوة وعزيمة،وشجاعة ، وكان لقاؤه بليلى العامل الوحيد الذى غير مجرى حياته ، وقلبها رأسا على عقب ، وبعث فيها النور والسعادة ، وكان قومه وقوم ليلى حلفاء ، فهم يغزون معا ، ويحلون ويرتحلون معا .

وصارت ليلى أمل توبة ونجواه ، وتحمل كل الآلام ، واستعذب شتى أنواع العذاب ، كل هذا في سبيل حبها ، ولكنه لم يستطع أن يصبر على غيبتها ، فاخذ يتردد على حيها لعله يحظى بنظرة، أو يظفر بتحية ، أو يستمتع بكلمة تخفف عنه ما هو فيه من ألم الحب وجرح الهوى .

نظم توبة في ليلى القصائد التى تصور عواطفه، والتى رأى أنها خير ما يترجم أحاسيسه ، وتناقل الناس ما قاله من شعر ، وأصبحت قصائده حديثا على كل لسان ، وحكاية في كل فم ، لقد شهر توبة بحب ليلى ، ودوت الصحراء بقصة حبه ، مثلما دوت بقصص مجنون ليلى وكثير عزة ، وجميل بثينة .

الاعتراف

ذهب توبة في يوم الى ليلى يبثها حبه وهيامه، وما يعانيه من الآلام في سبيل محبتها ، وكم كانت فرحته شديدة عندما انبأته ليلى بما تحمله له في صدرها من حب ووفاء . ان توبة من أكرم شباب البادية ، له مجده وحسبه ، وطموحه ، وشعره وشخصيته العالية ، وليلى هى الأخرى من أكرم فتيات البادية بما تجمعه في أعطافها من آثار المجد الخالد ، وبما يلوح على جبينها من سمات الجمال ، وبأدبها وشعرها وشخصيتها ، فهما اذن مثال نادر يمثل كثيرا من مظاهر الحياة في البادية،يجمعهما الحسب والمجد،والفن والبلاغة، والطموح والاقدام ، والعواطف المتبادلة .

توبة يخطب ليلى

لم يكن أمام توبة سوى طريق واحد يجعله أسعد خلق الله على الارض قاطبة ، ذلك الطريق هو خطبة ليلى ، فدعا وفدا من رؤساء قومه ليذهبوا معه الى والد ليلى ، ليخطبها منه ، ولكن والدها رفض وأبى بعد أن شهر توبة بابنته في شعره ، وعرف الناس قصة حبه لها . وحاول

توبة أن يغير من مجرى العزم والتصميم ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، فقد كانت أسارير وجه عبد الله والد ليلى تنطق باستحالة زواجهما. وصدم توبة ، فقد كان يأمل أن يقابل طلبه خطبة ليلى بالقبول ، وسمعت ليلى بما جرى ،فحزنت حزنا عميقا ، وودت ان لم تخلق ، ولم تر الحياة، حتى لا تشاهد مثل هذا اليوم .

وحرم توبة من رؤية ليلى ، غير أن صلات حبهما العذري ظلت وثيقة وقوية ، بل أوثق وأقوى مما كانت .

وجه يوما صديقا له الى حي ليلى ، وقال له : اذا أتيت حي ليلى فاختر مكانا مرتفعا ، واصعد عليه ، وانشد هذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة
من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

ففعل صديق توبة ما أمره به ، فسمعت ليلى صوت الرجل ، وعرفت في البيت رسالة توبة اليها ، فقالت :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله
عزيز علينا حاجة لا ينالها

ليلى تتزوج

ولم تمض فترة حتى سعى الى والد ليلى سوار ابن أوفى القشيرى الشاعر ، يخطب منه ابنته ليلى ، فوافق على الفور ، ولم تستطع ليلى أن ترفض ، بل ضحت بعواطفها وسعادتها في سبيل كرامة قومها ، وتقاليدهم المتوارثة ، ومنزلتهم الأدبية بين قبائل العرب .

وتم عقد الزواج ، وبقدر ما ساد قلوب اهل قبيلة ليلى من الفرح والسرور ، بقدر ما كان قلبها يشقى بآثار حبها لتوبة ، وتتابعت أمام عينيها صور آمالها التى عاشت لها وبها، وانتظرت تحقيقها ، ولكن هيهات ! فملأ وجهها الشحوب والأسى ، ولم تستطع أن تترجم عما في قلبها من ألم وحزن الا على هيئة دموع نزلت على خديها .

وخرج سوار بليلى من حيها الى حيه ، وتوبة واقف على البعد يتتبع ببصره الهودج الذى يحمل ليلى وهو يمضي بعيدا، وعيونه تخنقهما العبرات، فلا يملك الا البكاء وهو ينشد :

الا ان ليلى الأخيلية أصبحت
تقطع الأمن قشير حبالها

كأن مع الركب الذين اغتدوا بها
غمامة صيف زعزعتها شمالها

اذا التفتت من خلفها وهي تعتلى
على العيس جلّى عبرة العين حالها

خليلى هل من حيلة تعلمانها
فيدنى بها تكليم ليلى احتيالها

فان أنتما لم تعلماها فلستما
بأول باغ حاجة لا ينالها

وسقط على الارض مغشيا عليه .

الزوج الغيور

كان سوار زوج ليلى يغار عليها غيرة شديدة ، فقد منعها عن الناس وعن المجتمع في البادية ، حتى أنه منعها عن أهله وقومه ، فاذا اقتضى الأمر الرحيل من مكان لآخر ، رحل بها منفردا عن الناس ، واذا نزل في موطن نزل بها بعيدا عنهم، واحتملت ليلى تلك القيود التى قيدت بها حياتها في جلد وصبر ، وقوة احتمال .

وعاشت ليلى كالمسجونة ، فلا ترى الحياة ، ولا تخالط احدا ، تقوم بأعباء الزوجية ، وتتذكر توبة ، وتبكي على ما وصل اليه حاله .

توبة يتردد على حي ليلى

لم يستطع توبة أن يتحمل آلام فراق حبيبته ، فراح يتردد على حيها ، أحيانا زائرا ومحييا ، وأحيانا حزينا يائسا ، وعلم سوار بتردد توبة على الحي ، فاشتد في حجاب زوجته حتى لا تراه ، فقلق توبة حتى خامره الجزع ، وانتابته غيبوبة كانت تلم به في فترات متباعدة ، وكاد يموت من السقم ، وأخذ يتردد على الأماكن التى كان يراها فيها في الأيام السالفة ، ولكنه لم ينقطع عن الذهاب الى حي ليلى ، فسعى اليه اخوتها وناشدوه الا يتعرض لها ويعرضها لآلام جديدة ، ولكنه لم ينقطع عن زيارة الحي ، فشكوه الى قومه ، فلم يثنه ذلك عما هو عليه ، فلم يجدوا أمامهم سوى رفع أمره الى الوالى مروان بن الحكم، والى المدينة وما جاورها من أحياء نجد ، فأباح لهم سفك دمه ان وجدوه في حي ليلى وزوجها ، فامتنع توبة عن الزيارة ، وهام على وجهه حزينا باكيا، مشردا في الصحراء ، يميته الفراق والبعد، ويضنيه الشوق والسهد ، فقد ملأ الحب قلبه حتى ناء بحمله .

قالت مخافة بيننا وبكت له
فالبين مبعوث على المتخوف
لو مات شيء من مخافة فرقة
لأماتني للبين طول تخوفي
ملأ الهوى قلبي وضقت بحمله
حتى نطقت به بغير تكلف

ورجع توبة يتردد على حي ليلى في فترات متباعدة ، فاشتد سوار في منع ليلى من رؤية توبة وتربص به قومها ، فجعل توبة وليلى بينهما امارة ، اذا مر ووجدها مبرقعة فيستطيع ان يحدثها بلا حرج ولا خوف ، اما اذا رآها سافرة الوجه ، فعليه أن يتلمس سبيل النجاة ، فلما اشتد تصميم القوم في طلب توبة ، والفتك به ، جاء سوار الى ليلى واقسم لها ان لم تنبئه عن موعد قدوم توبة ليسفكن دمها ، فانبأته ، ثم جلست في يوم قدومه في مكان مرتفع بحيث يراها توبة من بعيد ، وعندما اقبل توبة ورآها سافرة الوجه ، مضى في طريقه بعيدا حتى وصل الى مكان فيه ظل ، فجلس ليستريح ، وعاودته اشجانه .

نأتك بليلى دارها لا تزورها
وشطت نواها واستمر مريرها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا
عيون نقيات الحواشي تديرها
يقر بعيني ان ارى العيس تعتلي
بنا كل يوم نحو ليلى نزورها
حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغوادي مطيرها
ابيني لنا لا زال ريشك ناعما
ولا زلت في خضراء غض نضيرها
وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت
فقد رابني منها الغداة سفورها
على دماء البدن ان كان بعلها
يرى لي ذنبا غير اني أزورها
واني اذا ما زرت قلت لها اسلمي
فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

وخرج توبة الى بادية الشام ، واقام بها فترة من الوقت ، ولكن نفسه كانت تتوق دائما الى رؤية ليلاه ، فكان يصعد على مرتفع وينظر تجاه ديار ليلى ويبكي بكاء مرا ، وظل على حالته هذه اياما ، لايهنأ له مقام ، ولا تلذ له معيشة ، فخرج مسافرا يريد حي ليلى ، فلما بلغه شاهد طفلا يلعب ، فاقترب منه وتودد اليه ، وساله : هل تعرف ليلى ؟ فاجاب الطفل بالايجاب ، فقال له : اذهب اليها وانشد .

وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت
فقد رابني منها الغداة سفورها

ثم ارجع الي وساعطيك جائزة ، فمضى الطفل وانشد ليلى البيت ، فقالت له : قل له انها الآن مبرقعة ، فرجع الطفل الى توبة واخبره بما قالته ليلى ، فاعطاه نقودا ، واقبل يجدد زيارتها ، وفي احدى زياراته وقبيل قيامه قال لها : مكنيني من تقبيل يدك ، فقالت له :

وذي حاجة قلنا له : لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وانت لأخرى صاحب وخليل

فادرك توبة أن ليلى قد داخلها شك من جهته ، فاعتذر لها ، واقسم انه لم يكن يريد بها شرا ، ثم ودعها ومضى في جوف الصحراء وهو يقول :

أأغبط من ليلى بما لا اناله
الا كل ما قرت به العين صالح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها
وقام على قبري النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها
وجاد لها دمع من العين سافح
ولو ان ليلى في السماء لاصعدت
بطرفي الى ليلى العيون الكواشح
ولو ان ليلى الأخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وتزوج توبة . زوجه قومه رغما عنه ، اشفاقا عليه ، وخوفا على حياته من الهلاك ، ولعلهم رأوا في زواجه الوسيلة التي يستطيعون عن طريقها شفاءه من الحياة المؤلمة التي يعيشها ، بيد انه ظل الوفي الأمين لعهد ليلى وذكريات حبهما العذري الطاهر .

مقتل توبة

كان بين قوم توبة وبني اعمامهم خصومة قديمة ، انتقلت الى نفس توبة وأبناء عمومته ، وحدث

ذات مرة أن اختصم الفريقان في بعض شئونهم الى شيخ العقيليين ، وكان توبة موجودا في مجلس الخصومة مع سادة قومه وكبار عشيرته ، وفي ثورة الخصومة وحدة المناقشة وثب « ثور » احد رجال بني عامر بن عوف العقيلي ، وضرب توبة بقطعة حديدية كانت في يده ، وعلى توبة درعه وخوذته ، فجرحت الخوذة وجه توبة ، فاستفحل الأمر ، وتفاقم الخطب ، وانتهى ذلك بان قتل توبة ثورا ، وجرح الكثير من قومه في معركة دامية ، فقام السليل بن ثور ياخذ بثار ابيه ، فقتله توبة ايضا .

وثارت عشيرة السليل ، بيد ان توبة لم يبال بثورتهم ، بل اخذ يغزوهم في عقر دارهم ، ويقطع الطريق على تجارتهم ، فهبوا للانتقام منه ، وتعاهدوا على ان يطلبوه في كل مكان ، وفي يوم شديد الحرارة صعد توبة الى هضبة ومعه شقيقه وابن عمته ، ليستريح من حر الظهيرة ، فحذره شقيقه من طلب القوم له ، ولكنه افهمه بانه قد اوصى ابن عمته بحراسته ، وبعد قليل كان حارسه يغط في نوم عميق ، وكان خصوم توبة له بالمرصاد ،فصعدوا الى الهضبة ، فنهض الجميع مذعورين ، وحاول توبة ان يركب فرسه ، ولكن الفرس نفر منه وجرى في الوضبة ، فامسك بسيفه وضرب به اول قادم عليه فقتله ، غير ان خصومه تكاثروا عليه وحاصروه ، فقاتلوم حتى قتل .

وفوجيء قوم توبة بخبر مقتله ، ووقع نبا مصرعه على ليلى وقع الصاعقة ، فبكته بكاء مرا ، وخلعت زينتها ، واخذ الناس يعزونها فيه ، ورثت ليلى توبة بشعر خالد ، يصور حزنها البالغ عليه وفجيعتها فيه .

لتبك العذارى من خفاجة كلها
شتاء وصيفا دائبات ومربعا

على ناشيء نال المكارم كلها
فما انفك حتى أحرز المجد اجمعا

لم تحاول ليلى أن تسرى عن نفسها بما تنشده من حكمة الحياة ، وشان المقادير في تقبلها ودورانها .

لعمرك ما بالموت عار على الفتى
اذا لم تصبه في الحياة المعاير

وما احد حي وان عاش سالما
باخلد ممن غيبته المقادر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا
فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

وكل شباب او جديد الى البلى
وكل امرىء يوما الى الله صائر

وكل اليفيْ الفة لتفرق
شتاتا وان ضنا وطال التعاشر

فلا يبعدنك الله حيا وميتا
اخا العرب ان دارت عليك الدوائر

فآليت لا انفك ابكيك ما دعت
على فنن ورقاء او طار طائر

ليلى في بلاط الأمويين

وفدت ليلى على اول خلفاء بني امية معاوية ابن ابي سفيان ، ومدحته ، وبكته حينما «واه الموت » ، وعاصرت يزيد بعده ، وعاشت حتى رات مروان بن الحكم يعتلي عرش الخلافة في « دمشق » ومروان هذا هو الذى كان واليا على المدينة وما جاورها من احياء نجد ، وهو الذى اباح لقومها سفك دم توبة ان وجد في حيها ، فرحلت الى بلاطه ، ومدحته ، وجرى بينهما حديث عن توبة ، قال لها مروان : ويحك ياليلى ، لقد بالغت في وصف توبة ، فقالت : والله ما قلت الا حقا ، ولم يكن الا كما قلت :

فتى لم يزل يزداد خيرا لدن مشي
الى ان علاه الشيب فوق المسايح

تراه اذا ما الموت حل بوِرْده
ضروبا على أقرانه بالصفائح

شجاع لدي الهيجاء ثبْت مشايح
اذا انحاز عن افرانه كل سابح

فعاش حميدا لا ذميما فعاله
وصولا لقرباه يرى غير كالح

ووفدت على بلاط الخليفة عبد الملك بن مروان ، فحيته بتحية الخلافة ، فهش لها ، وابتسم في وجهها واكرم وفادتها ، واحب ان يمازحها ، وكانت ليلى في ذلك الوقت قد جاوزت سن الشباب ، فقال لها : ياليلى ، ما الذى راى توبة فيك حتى احبك ؟ ، قالت : رأى في ما رأى الناس فيك حين ولوك الخلافة ، فضحك عبد الملك بن مروان حتى ظهرت له سن سوداء كان

يخفيها عن اعين الحاضرين في مجلسه اثناء كلامه او ضحكه .

واستنشدها الحجاج مرة شعرها ، واستمع له ، فاعجب به ، ولما انشدته قصيدتها التى تقول فيها :

اذا هبط الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القناة سقاها

قال لها الحجاج : لا تقولي غلام ، ولكن قولي همام ، ولعله أراد الا يسير شعر ليلى فيه بدون أن يصوره في قوته وبطشه ، غير أن ليلى لم تكن تريد الا الصدق في كلامها ، فنطقت بكلمة غلام ، لانها لاتبغي سواها .

ومع ما كانت تشعر به ليلى من شقاء في قرارة نفسها ، وحزن دفين يكاد يعتصرها ، لم تزهد في الحياة ، بل كانت دائما ضاحكة مبتسمة .

وفاة ليلى

كانت ليلى وزوجها قادمين من سفر بعيد ، ومعهما بعض الاصدقاء والاصحاب ، والذكريات لاتفارق خيال ليلى ، وصور الايام الجميلة الماضية تتتابع في مخيلتها ، وتمثل امام عينيها مصرع توبة وهو في شرخ الشباب .

أتته المنايا حين تم تمامه
واقصر عنه كل قرن يناضله
وصار كليث الغاب يحمي عرينه
فترضى به أشباله وحلائله
عطوف حليم حين يطلب حمله
وسم زعاف لا تصاب مقاتله

كان الركب يسير ، والجميع يتسامرون ويضحكون ويمرحون ، وهي واجمة ، صامتة كصمت الرمال المتناثرة فوق أرض الصحراء ، ونظرت ليلى امامها ، فاذا هي ترى على البعد فوق الاكمة العالية المكان الذى دفن فيه توبة ، وحيدا منفردا .

ان المكان كما هو ، لم يتغير فيه شيء ، انه كما رأته أول مرة بعد مصرع توبة ، وبكت ليلى بكل ما اوتيت من قوة ، بكت بكل مشاعرها وعواطفها ووجدانها ، وظلت تبكي منذ رأت القبر ، فهاجت بها الذكريات ، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التوجه لزيارة قبر توبة ، لقد كانت كالمساقة اليه وكأنما هناك قوة تجذبها ناحيته ، فطلبت من القوم ان ينتظروا قليلا حتى تسلم على توبة ، لكن زوجها منعها من ذلك بحجة أن النهار قد قارب الزوال ، وأن الظلام سيدخل عليهم بعد قليل ، والاجدر بهم أن يواصلوا السير حتى يصلوا الى مضارب خيامهم قبل انتهاء النهار ، غير أن ليلى صممت على أن تسلم على توبة ، وأخذت تصعد بجملها فوق الاكمة ، وزوجها من ورائها يمنعها وهي ماضية في طريقها لاتلوى على شيء ، ولا تعبأ بكلام زوجها ، ودنت من القبر ، وخفق قلبها ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وانفعلت عواطفها ، والقت على توبة السلام .

ولكنها لم تسمع ردا ، لماذا لايرد توبة عليها ؟ أليس هو القائل :

ولو أن ليلى في السماء لأصعدت
بطرفي الى ليلى العيون الكواشح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وبكت ، وازداد بكاؤها ، وكانت هناك بومة مختبئة في جانب من القبر ، افزعها ضرب الجمل برجليه في الاكمة من التعب ، فطارت في وجهه ، فنفر وذعر وجرى ، والقى بليلى من فوقه ، فوقعت على رأسها ، فماتت لساعتها ، (١) فاخذها من كان معها من فوق الرمال جثة هامدة ، وحفروا لها بجانب توبة حفرة صغيرة ، وواروا فيها جسدها ، وكأنما اراد القدر أن تموت ليلى بجانب من تحب ، وأن تدفن بجوار من تهوى ، وكانت وفاتها سنة ٨٠ هـ .

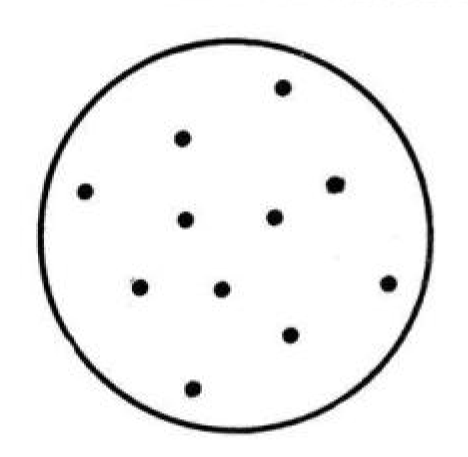
وهكذا انطوت صفحة امرأة عربية ، كانت نموذجا للتضحية والوفاء . ■■

محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

---

(١) روى أيضا انها ماتت في الرى أو في ساوة (العربي)

ارسم أربعة خطوط مستقيمة



لتفوز بجائزة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في هذا الرسم الذي يمثل دائرة تضم ١١ نقطة .. الثماني الخارجية منها على هيئة مربع ، والثلاث الداخلية على هيئة مثلث ..

والمطلوب منك رسم أربعة خطوط مستقيمة داخل الدائرة لتقسمها الى مساحات مختلفة متفاوتة .. مع شرط هام ، وهو ضرورة وجود نقطة واحدة داخل كل مساحة تنجم عن تقاطع الخطوط المستقيمة . ولا يسمح بترك مساحة فارغة دون نقطة .. ويمكن أن تتقاطع الخطوط المستقيمة مع بعضها دون ان تلمس ايا من النقط السوداء ..

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٨ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر أغسطس (آب) ١٩٦٩ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



"بدايات التجديد" في "الشرق الأوسط" (القرن التاسع عشر)

Biginings of Modernization in the Middle East

أشرف على تحريره : **وليام بولك وريتشارد تشامبرز**

بقلم : محمد طنطاوى

يتحرج الكثير من الكتاب والمؤرخين من الخوض في الاحداث التى وقعت في عصور قريبة وذلك لقربهم من هـذه العصور . وعادة اذا كتبوا فيها فهم لا يستوفون .

ومن أجل هذا قام قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة شيكاغو بعقد مؤتمر علمى ، في اكتوبر ١٩٦٦ ، لدراسة موضوع بداية التجديد في الشرق الاوسط في القرن التاسع عشر .

والقيت في المؤتمر بحوث عن هذا الموضوع قام بها دارسون من الولايات المتحدة الامريكية ، والجمهورية العربية المتحدة ، وتركيا ، ولبنان ، وتونس ، وايران ، والمانيا الغربية واسرائيل (فلسطين المحتلة) .

وقد انقسمت البحوث التى القيت فى هذا المؤتمر الى ستة أقسام هى :

١ ـ الشخصيات الشهيرة في منطقة الشرق الاوسط في القرن التاسع عشر والتى لعبت دورا في تجديد المنطقة سواء كمصلحين أو حكام .

٢ ـ التغييرات العقائدية Ideological Changes بين ديمقراطية ودكتاتورية وفوضوية .

٣ ـ الحركات الاجتماعية التى ظهرت في المنطقة .

٤ ـ التدخل الاجنبي في الشرق الاوسط في تلك الفترة من الزمان .

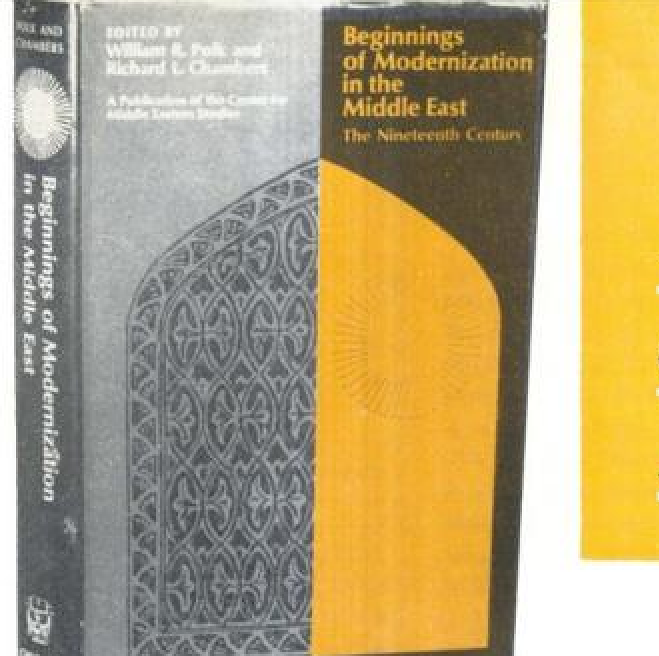
٥ ـ التعليم .

٦ ـ المشاكل التى أحاطت بعملية التجديد .

وقد رأى الدكتور وليام بولك استاذ التاريخ ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة شيكاغو والدكتور ريتشارد تشامبرز استاذ اللغة التركية في قسم اللغات والحضارات الشرقية في جامعة شيكاغو ، ان يقوما بجمع البحوث التى القيت في هذا المؤتمر ، ونشرها في كتاب ، لما لها من اهمية فى شرح الدور الذى لعبته كل العوامل الستة ، التى تناولتها هذه البحوث ، في عملية التجديد التى حدثت في القرن التاسع عشر بمنطقة الشرق الاوسط ، وكذلك لانها تتيح الفرصة للدارس في العودة الى جذور المشاكل التى تواجهها المنطقة الآن .

ما هي طرق التجديد ؟

ان تعريف التجديد وطرقه شيء يسترعي اهتمام



تناول: الأزهر في القرن التاسع عشر

ومجهودات علماء الاجتماع . وقد أدت النتائج المكتسبة من دراسات المجتمعات المعاصرة والتى يكون لدى الباحث فيها تحكم اوسع في طبيعة مصادره ، الى اجبار المؤرخين على العودة ليضعوا في اعتبارهم طبيعة التغير الاجتماعي والسياسي في الازمان الاولى .

وهذا هو ما فعله كل واحد ممن اشتركوا في مؤتمر جامعة شيكاغو لبحث بدايات التجديد في الشرق الاوسط .

ويتساءل محررا الكتاب عن التجديد . وهل هو كلمة مرادفة للتحول الى المدنية الغربية ؟ ام هو عملية توحيد وزيادة تحكم قوى معينة على المجتمع كله ؟ . وهل هو شيء يتحقق من اعلى المجتمع ام من الطبقات الدنيا ؟ وهل يحدث نتيجة تأثير خارج المجتمع نفسه أم أنه ينبع نتيجة تغييرات تحدث داخل المجتمع ؟!

والاجابة على هذه الاسئلة الكثيرة هي عندهم أن التجديد يحتوى على كل هذه العمليات والتأثيرات مجتمعة .

والتجديد أيضا شيء من الصعب تعريفه لانه عملية غير محددة في الحقيقة ، وليس من الممكن وضع حدود فاصلة بين التجديد والاحتفاظ بالتقاليد . فالذى يحدث في اغلب مجتمعات العالم ان التجديد والتقاليد يمتزجان سويا ليكونا الثقافة السياسية التى تستقبلها البلاد .

٢٠ بحثا

ويحتوى الكتاب على ٢٠ بحثا تتناول مختلف العوامل التى تؤثر على عملية التجديد ، ففي هذه البحوث نرى الباحثين يعرضون الامبراطورية العثمانية بكل نواحي الحياة فيها سواء كانت نواحي اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو دينية في تلك الفترة من الزمان .

التجديد بين شيوخ الازهر

ومع أن كل البحوث التى تضمنها الكتاب تعتبر بحوثا شيقة وهامة لكل من يريد أن يدرس التطور الحضارى لمنطقة الشرق الاوسط . الا ان المجال هنا لا يتسع لاستعراض اكثر من بحث واحد منها استعراضا تفصيليا ، وقد أخذنا لك من بينها بحثا عن بدايات التجديد بين شيوخ الازهر في الفترة ما بين ١٧٩٨ الى ١٨٧٩ نموذجا لسائر البحوث الاخرى . وقد قامت بهذا البحث عفاف لطفي السيد وهي باحثة مصرية .

ولعل من أهم اسباب اختيار هذا البحث

بالذات انه يجمع بين تأثير السياسة ، والحكام ، والدين ، والقوى الاجنبية والحالة الاقتصادية في ناحية من نواحي التجديد . فهو يعطينا صورة واضحة لتأثير هذه العوامل كلها في مؤسسة دينية تعليمية لها في التاريخ أصول عميقة ، وهي مصدر الاشعاع الاسلامي الذى ظل منيرا على اختلاف القرون . اشعاع قد يخفت حتى ينطفىء ثم لا يلبث ان يشع حتى يسطع ، وهكذا دواليك . والازهر هو حافظ اللغة العربية بحفظه القرآن ولغة القرآن للاقطار العربية جميعها .

لماذا فشلت محاولات التجديد ؟

بدات عفاف لطفي السيد بحثها باستعراض أسباب فشل محاولات التجديد في الازهر . واستعرضت موقف علماء الازهر في عصر المماليك ، وفي ايام الاحتلال الفرنسي ، ثم في عصر محمد علي. وانتقلت بعد ذلك الى استعراض محاولات التجديد والتطوير والاصلاح في الازهر والتى قام بها كل من الشيخ حسن العطار ، والشيخ مصطفى العروسى ، والشيخ محمد العباسي المهدى .

وتقول الكاتبة انه بالرغم من أن تجديد الازهر لم يبدأ الا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر ، الا ان الفترة ما بين ١٧٩٨ و ١٨٧٩ شاهدت محاولات وبدايات للتجديد داخل هذه المؤسسة العريقة . وتعود هذه المحاولات الى ثلاثة أسباب رئيسية حدثت في تلك الفترة :

١ ــ الاحتلال الفرنسي لمصر ، والذى مزق ستار الحالة الاجتماعية القديمة ، وأيقظ أفكارا جديدة في المجتمع المصرى .

٢ ــ بعد الاحتلال الفرنسي جاء الى الحكم محمد علي ثم اسماعيل ، وقد قاما باصلاحات وتجديدات في ميادين مختلفة . وان كانت هذه الاصلاحات لم تشمل الازهر شمولا كبيرا .

٣ ــ ظهور ثلاثة من شيوخ الازهر حاولوا تجديده واصلاحه هم :

الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ ــ ١٨٣٨) (١)
الشيخ مصطفى العروسى (١٧٩٨ ــ ١٨٧٦)
الشيخ محمد العباسي المهدى (١٨٢٧ ــ ١٨٩٧)

وهؤلاء حاولوا ادخال روح جديدة ، وأفكار متطورة على الازهر . ولكنهم فشلوا في مهمتهم ، مع ان التجديد كان قد بدا في ميادين أخرى من ميادين الحياة في مصر .

ولعل فشل هذه المحاولات لتجديد الازهر يعود ، عند الكاتبة ، الى ان العوامل المساعدة لحدوث التجديد لم تكن موجودة ، فالاصلاحات كان يجب أن تفرض بواسطة سلطة حاكمة ، ولو بالقوة اذا لزم الامر . أو ان يقوم عدد كبير من علماء الازهر بتأييد هذه الاصلاحات ، وحتى اذا كان مؤيدو هذه الاصلاحات وهذا التجديد ليسوا بالكثرة من ناحية العدد فان نفوذهم وتكتلهم قد يعوضان نقصهم العددى . وفي نفس الوقت تكون الجبهة المعارضة للتجديد مفككة ، غير منظمة ، تعاني من التمزق الداخلي ، وبذلك تصبح غير فعالة .

ولكن ما حدث في هذه الفترة من التاريخ لم يكن يساعد على حدوث تجديد في الازهر . لم تؤيد السلطة الحاكمة حركة الاصلاح في الازهر بالرغم من انها كانت ترغب في الاخذ بسبل التقدم في ميادين كثيرة . واغلبية علماء الازهر لم تؤيد التقدم بل على العكس كانت ضد حدوث اية تغييرات .

وبذلك ضاعت مجهودات شيوخ الازهر الذين حاولوا العمل على اصلاح الازهر في ذلك الوقت .

علماء الازهر والمماليك

منذ القرن السابع عشر والازهر يعاني من اهمال العلوم العقلية ، اللهم الا في النادر القليل ، وأدى هذا الى عدم ظهور أعمال ذات قيمة من داخل الازهر . ولكن العلماء كانوا راضين عن أنفسهم لما استطاعوا أن يحققوه من تزايد في الدور الاجتماعي والسياسي الذى يلعبونه نتيجة لعلاقاتهم القوية مع الحكام من المماليك ، والتى كانت تأتي في المحل الاول من اهتماماتهم . وقد اصبح العلماء في أواخر أيام المماليك قادة للشعب نتيجة لتوطد علاقاتهم مع الحكام . وبذلك كانوا يقومون بدور الوساطة بين الحكام والشعب ، وبين المماليك وبعضهم البعض . وأدت علاقاتهم القوية بالمماليك أيضا ،

---

(١) اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاة الشيخ حسن العطار .

الى ثرائهم ، وأصبح الكثير من العلماء يملكون « التزامات » (مزارع ، كثيرة ، قيل ان بعضها كان يتضمن عدة قرى . وبعض العلماء استغل امواله في العقارات ، بينما استغلها البعض الآخر في التجارة .

وترى الكاتبة انه نتيجة لامتلاك العلماء للاراضي، وممارستهم للتجارة ، زاد تأثيرهم على الناس . وبذلك كان الدور السياسي الذي لعبه العلماء في عهد المماليك دورا كبيرا له أهميته .

العلماء أيام الاحتلال الفرنسي

في بداية الاحتلال الفرنسي حاول نابليون أن يستخدم نفوذ العلماء بنفس الطريقة التي كان المماليك يتبعونها. وأبدى بعض العلماء استعدادهم لاستئناف الدور الذي كانوا يلعبونه أيام المماليك لصالح نابليون . ومن هنا توقع الكثيرون أن الاحتلال الفرنسي سيلعب دورا في التأثير علىعقول الطبقة المثقفة والتي تشترك نظريا في حكم البلاد مع قوى الاحتلال . لكن الحقيقة ان الاحتلال الفرنسي كان له تأثير بسيط لا يذكر ، من الناحية الثقافية على علماء الأزهر بالرغم من وجود بعثة من العلماء الفرنسيين مع قوات الاحتلال . ويعود هذا الى أن العلاقات الحسنة بين المسؤولين الفرنسيين وعلماء الأزهر لم تدم الا لفترة قصيرة لم تسمح للفئة القليلة من العلماء ، الذين كانوا على علاقة اجتماعية مباشرة بالفرنسيين ، أن يستفيدوا استفادة ذات قيمة من الثقافة الفرنسية . وتدهورت العلاقات بين الأزهر وبين قوات الاحتلال الفرنسي عندما بدأت الثورة ضد الاحتلال ، وقام الفرنسيون بالانتقام بانتهاك حرمة الجامع الأزهر . وبذلك قاوم علماء الازهر اية افكار فرنسية للتجديد والتطور .

العلماء في عصر محمد علي

بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، لعب علماء الازهر دورا أكثر ايجابية على مسرح السياسة المصرية . وكان لمساندتهم محمد علي دور كبير فعال في تمكينه من الحصول على الحكموالسلطان. ولما كان العلماء لم يمارسوا سلطة الحكم ممارسة فعلية من قبل ، فقد قبلوا أن يسلموا هذه السلطات الى محمد علي وأن يبتعدوا عن مسرح السياسة متفرغين لعملهم الاصلي داخل الجامع الازهر .

ولكن محمد علي بعد أن لمس تأثيرهم الكبير في الجماهير ، وكيف انهم بنفوذهم هذا قد استطاعوا ان يجلسوه على كرسي الحكم ، بدأ يشعر بخطرهم . ولذلك قام بتنفيذ مخطط من ثلاث نقط لتجميد نفوذ العلماء والحد من خطرهم .

وكانت الخطوة الاولى هي تحطيم قوتهم المادية عن طريق مصادرة الالتزامات والاوقاف التي يملكونها أو يتحكمون فيها وفي ريعها . وبذلك فقد العلماء مصادر ثروتهم وأصبحوا يعتمدون كلية على مرتباتهم وعلى رضاء الحاكم لكي يحافظوا على مصادر عيشهم .

اما الخطوة الثانية فقد اتبع فيها السياسة المعروفة بفرق تسد ، بدأ محمد علي في عزل العلماء الكبار المشهود لهم واحلال منافسيهم الذين لا يضارعونهم علما في وظائفهم . وقام محمد علي بتحديد اقامة الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الازهر وبنفي الشيخ عمر مكرم ، ثم نفى الشيخ محمد الدواخلي .

وعندما قام العلماء باختيار الشيخ المهدي شيخا للجامع الازهر بدأ محمد علي خطوته الثالثة،وذلك بالتدخل غير المباشر عن طريق الوعد والوعيد للعلماء ، وبذلك أوقف انتخاب الشيخ المهدي ، وانتخب بدلا منه الشيخ محمد الشنواني الذيلم يكن له اي نشاط سياسي .

بعد أن تم لمحمد علي ما اراده من الحد من سلطان علماء الازهر ، تعمد بعد ذلك اهمال اية اصلاحات في الازهر أو حتى المساعدة في اتمام اية تجديدات به . وظل الازهر مهملا في عهده الى حد بعيد .

وتناقش عفاف لطفي السيد في بحثها بعد ذلك ، ما يقال دفاعا عن محمد علي وعلاقته بالازهر ، بانه استخدم الازهريين كنواة للتعليم الحديث في عهده كما استخدم العلماء كمدرسين للغة العربية ومترجمين ومصححين ، وأن هذا يدل على انه حاول أن يقوم بعملية تجديد في الازهر . وتقول الباحثة ان هذا الكلام لا يدل على أن محمد علي كان يعمل من أجل تجديد الازهر ، ولكن الحقيقة انه لم يكن لديه اي مثقفين سوى خريجي الازهر وعلمائه ، ولذلك اضطر لاستخدامهم في مختلف

نواحي التجديد الفكري الذى أراد أن يحققه بعيدا عن الازهر . وفي نفس الوقت فان عملية هجرة الادمغة كانت تتم من الازهر الى المدارس الاخرى غير الدينية ، ولم يكن هنالك اية هجرة ادمغة من المدارس الى الازهر .

وبدا علماء الازهر يهاجمون الجيل الجديد من المثقفين الذين تأثروا بثقافات الغرب . الذين ، كنتيجة لنشاطهم في الترجمة ، اضطروا لخلق اصطلاحات عربية جديدة قال عنها علماء الازهر حينذاك انها عملية افساد للغة العربية .

محاولات الشيخ العطار لتجديد الازهر

في هذه الظروف جاء الشيخ حسن العطار بافكاره التى تعتبر بداية نسمة هواء التطور والتجديد التى هبت على الازهر بعد نصف قرن من الزمان .

وحسن العطار كان شاعرا ، وباحثا ، وعالما ، وواحدا من علماء الازهر الذين استفادوا من العلماء الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية على مصر . ويقول عنه صديقه محمد الدمشقي ، وهو ايضا الذى كتب سيرة حياته ، انه كان يجيد اللغات التركية والفارسية والفرنسية .

وقد اهتم العطار بدراسة العلوم العقلية مع العلماء الفرنسيين . وعندما تم جلاء الفرنسيين عن مصر خشي الشيخ العطار من نتائج علاقاته القوية بهم فسافر من مصر الى استانبول وسوريا في عام ١٨٠٢ حيث عاش هناك ثمانية اعوام ، وقام بدراسة الطب والتشريح والرياضيات والجبر . وعندما عاد الى مصر قام بالتدريس في الازهر . وقد كان زملاؤه يغيرون منه ويحقدون عليه بسبب ثقافته الواسعة وكذلك لانه كان صديقا لسامي باشا « باشمعاون » محمد علي من عام ١٨٣٢ الى ١٨٤١ ، والذى قدمه الى محمد علي شخصيا . وبلغ من عداوة علماء الازهر للشيخ العطار أن قاموا بتنظيم جبهة مضادة له عندما أصبح شيخا للازهر .

وتتلخص آراء العطار لاصلاح وتجديد الازهر في ناحيتين : الاولى تطوير المناهج الدينية .

والثانية تطوير العلوم العقلية .

وقد كتب العطار آراءه هذه في مجلدين ضمنهما محاضراته في علم « الاصول » ولكن الجرأة والشجاعة كانت تنقصه فكان يذكر رأيه بطريقة ملفوفة حتى يتجنب غضب العلماء عليه . ولعل الملحوظة الوحيدة الصريحة التى ذكرها دون لف أو دوران هي ان على مصر أن تتبنى التغير وأن تأخذ عن أوربا كل المعارف التى ليست لديها .

وكان امل العطار أن ينشىء جيلا جديدا من طلبته ، ونجح في ذلك جزئيا . اذ أصبح عدد من تلاميذه مترجمين ومصححين وعمل بعضهم معه في الجريدة الرسمية الوقائع المصرية .

وكان من بين طلبته رفاعه رافع الطهطاوى الذى حمل لواء التطوير في التعليم المصرى ، والشيخ الطنطاوى الذى قام بتدريس اللغة العربية في سانت بيترسبورج .

الشيخ مصطفى العروسي

في عصر الخديوى سعيد ، بدا تدخل السلطات في أمور الازهر يدخل مرحلة سافرة بعد أن كان هذا التدخل مستترا في عهد محمد علي . وبدأت الاحداث تتالى داخل الازهر لتدل على انه قد أصبح في حاجة عاجلة للاصلاح ، ليس فقط من الناحية التعليمية بل أيضا من الناحية الادارية . ففي ذلك الوقت كان النظام في الازهر يعتمد كلية على شيخ الازهر فهو الذى يقوم بتوزيع المخصصات على العلماء وهو الذى يتخذ الاجراءات التنظيمية وغيرها من الشئون الادارية .

وفي عام ١٨٥٣ كان يتولى منصب شيخ الازهر الشيخ ابراهيم الباجورى (١٧٨٣ — ١٨٦١) وكان مسنا فبدأ يفقد سيطرته على الازهر . وجاءت حركة تمرد الطلبة المغاربة ضد ما اعتبروه اجحافا بهم في توزيع المخصصات وبلغت الحركة من العنف الى اضطرار شيخ الازهر للالتجاء الى الشرطة لاخمادها . وبعدها حدث احتكاك بين الطلبة السوريين وطلبة من صعيد مصر أدى الى تدخل قائد القاهرة على رأس قوة من الجنود الالبانيين الذين دخلوا الجامع الازهر وهم يرتدون أحذيتهم !. وقام اسماعيل باشا والذى كان يتولى الحكم نيابة عن سعيد ، لوجود هذا الاخير في الحج في

ذلك الوقت ، بتعيين مجلس من ٤ وكلاء تحت رياسة الشيخ مصطفى العروسي لتولي تصريف شئون الازهر بعد ان اثبت الشيخ الباجورى عجزه. ولم تمض شهور حتى انتقل الشيخ الباجورى الى رحمة الله ولكن مجلس الوكلاء استمر في تصريف شئون الازهر .

وفي عام ١٨٦٤ اختير الشيخ العروسي شيخا للازهر بعد ان تولى الخديوى اسماعيل حكم مصر .

وكان العروسي ينحدر من اسرة كلها من مشايخ الازهر فابوه كان عالما وينسب اليه كلوت بك « Clot » (عالم فرنسي انشأ كلية الطب في مصر) انه كان يفكر في تدريس الطب بالازهر ولكنه مات قبل ان يتخذ اى اجراءات لتحقيق رغبته .

وامتاز العروسي بشدته حتى قيل في وصفه « خافته المشايخ والطلبة » .

وبدا العروسي حركة تجديد واصلاح في الازهر ، فاصدر امرا بمنع اى مدرس غير مؤهل من التدريس فيه ، ثم اصدر مشروعا باصلاح الازهر من الناحية الادارية في عام ١٨٦٥ . ولكن في عام ١٨٧٠ صدر بيان بعزله من منصبه جاء فيه « انكسرت من قبله جملة قلوب اهل العلم عموما » وكان هذا القرار الاول من نوعه بالنسبة لعزل شيخ من مشايخ الازهر بقرار من الحاكم .

ويبدو أن عزل الشيخ العروسي يعود في المقام الاول الى استياء العلماء والخديوى من مشروعه لاصلاح وتجديد الازهر ، ذلك المشروع الذى كان يتكون من ٢٧ مادة وهو أول محاولة جادة لتطوير الازهر . فالمواد ٤ و ٥ و ١٩ و ٢٥ كانت تهدف الى اصلاح طرق التدريس بالازهر . وتنص على انه لا يجوز لعالم تدريس اى كتاب الا اذا كان مؤهلا وكان فاهما لهذا الكتاب فهما تاما ، وانه لا بد من اخذ تصريح من شيخ الازهر قبل القيام بتدريس كتاب جديد الا اذا كان الذى يقوم بتدريس الكتاب من كبار العلماء . كما نصت أيضا هذه المواد على أن من واجب العالم أن يرى ان طلبته يفهمون محاضراته ، وان يقوم بالتدريس باسلوب سهل مفهوم حتى يستطيع طلبته الاستفادة من هذه الدروس استفادة كاملة . ونصت المادة الخامسة والعشرون على ان يكون هناك امتحان سنوى في نهاية العام الدراسي لكل طلبة الازهر .

الشيخ محمد العباسي المهدى

قام الخديوى اسماعيل بتعيين الشيخ محمد العباسي المهدى مفتى الديار في ذلك الوقت شيخا للازهر بدلا من الشيخ العروسي . ونسب للشيخ المهدى انه اول من استطاع تنفيذ اول مشروع اصلاحي في الازهر في تلك الحقبة من الزمان . فقد قام بتخفيف النص الخاص بالامتحانات في مشروع العروسي بأن حتم ضرورة اجتياز امتحان نهائي في ١١ مادة دراسية لاى دارس في الازهر ليصبح بعد ذلك عالما مؤهلا .

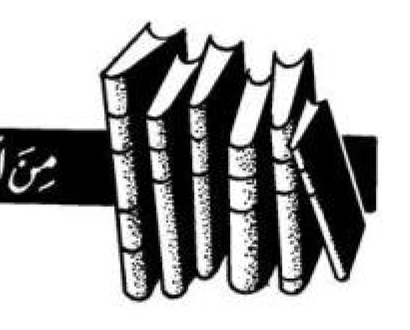
وتقول الكاتبة عفاف لطفي السيد انه بالرغم من ان معظم الكتب التى تتناول موضوع تطوير وتجديد الازهر تقول ان عملية التجديد هذه بدات باصلاحات الشيخ المهدى ، الا ان هذه الكتب تعترف أن اصلاحات المهدى كانت ذات حدين . فهذه الاصلاحات ادت الى تخفيض مواد الدراسة في الازهر في عام ١٨٧٢ الى ١١ مادة بعد أن كانت ٢١ مادة في عام ١٨٦٧ . وتمسك العلماء بعد ذلك بهذا العدد من المواد وعارضوا بشدة في ادخال اية مادة دراسية جديدة حتى وصلت هذه المعارضة الى حد اتهام أى عالم يحاول ادخال مادة دراسية جديدة بالهرطقة والخروج عن الدين !!

وتقول الكاتبة معلقة : وبذلك حقق أول اصلاح رسمي دخل على الازهر في هذه الفترة من الزمان تقدما ، ولكن الى الخلف !

★ ★ ★

وتختتم عفاف لطفي السيد بحثها بأن الازهر في القرن التاسع عشر كان هو العدو الرئيسي للازهر . وان حكم محمد علي اثبت انه كان كارثة على الازهر الذى احتاج الى قرن كامل من الزمان لكي يتخلص من عدم الثقة تجاه دوافع الحكومات في الاصلاح والتطوير والتجديد . ■■

محمد طنطاوى



من الكتب التي وصلتنا

ابعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي

تأليف : جميل كاظم المناف ، الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ العراق .

● كتاب يحاول ان يستقرىء ابعاد المعركة مع العدو الصهيوني من خلال الظروف والاحداث التي مرت قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ثم ماهية هذا الصراع العربي الاسرائيلي في كل سوحه وميادينه الدعائية والاجتماعية والدولية . ثم يعلل المؤلف الأسباب التي ادت الى نكسة حزيران ، فمنها اننا لم نتعامل مع الحقيقة تعاملا علميا مؤداه الصدق والأصالة وانالانسان العربي كانمسحوقا بظلم مجتمعنا ، لذلك يجب أن نبحث عن عيبنا وان نمنهج طريق انساننا . وان نقسو في قول الحقيقة، واننصنع الدولة العصرية بالتكنولوجيا والعلم .

كما يكشف المؤلف عن اهمية المعارك الدعائية التي يخوضها العدو الاسرائيلي السياسية والعسكرية ثم تحليل لاستراتيجية الحرب في حزيران تتجلى فيه الخطوط البيانية لاستراتيجية الحرب الخاطفة التي اتبعتها اسرائيل .

مبادىء البحث التربوى

تأليف : فرج موسى الربضي ـ على مصطفى الشيخ
الناشر : الدار العربية للطباعة والنشر ـ بيروت
مكتبة الاقصى ـ عمان ـ الاردن .

● مؤلف تربوى يبحث في أهمية الدراسة العلمية البعيدة عن الارتجال والعشوائية في التفكير وكذلك يزود القارىء بالمعلومات والمهارات والاتجاهات الضرورية لكتابة الأبحاث التربوية . ثم عرض عام لكل طريقة من طرق البحث التربوى وتقييمها وتبيين اهميتها وحدودها ومجالات استعمالها .

تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية

تأليف: الدكتور محمد اسماعيل الندوى ـ الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت

● دراسة عن العلاقات العربية الهندية منذ العصور الموغلة في القدم تبين مدى التجاوب بين هذين الشعبين في المجالات السياسية والتجارية والثقافية والفكرية ويقصد المؤلف بالهند في هذا الكتاب كلا من الهند وباكستان قبل التقسيم والمؤلف يستعرض تاريخ العلاقات بين الهند وبلاد العرب منذ الجاهلية ثم يبحث تاريخ الفتوحات العربية في الهند . ثم كيف انتشرت العلوم العربية في الهند مثل علم الفقه وعلم الحديث وعلم الفلك والتصوف ، ثم ينتقل الى ذكر تاريخ الهند في عصرى الأتراك والمماليك .

المرأة العراقية المعاصرة

تأليف : عبد الرحمن سليمان الدربندى
الناشر : وزارة التربية بغداد ـ العراق

● دراسة عن المرأة العراقية الحديثةونشاطاتها المختلفة في كافة المجالات . وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة ابواب كبيرة تناول في الباب الاول تاريخ المرأة العراقية في عهود الاحتلال، ثم المرأةالعراقية من حيث النهضة الفكرية وما تزودت به من تعليم وثقافة ، ثم المرأة العراقية وهى تعمل . أما الباب الثانى فيتناول المرأة العراقية من حيث الناحية الاجتماعية ودرجة تمشيها معتقدمالمدنية ثم المرأة والحركة الفكرية في العراق . ثم اشتراك المرأة العراقية بصورة فعالة ومساهمتها في توفير الخدمات الاجتماعية .

حكاية الايام الثلاثة

تأليف الدكتور عمر النص ـ الناشر : دار الأمانة بيروت ـ لبنان

● مسرحية نثرية تجرى احداثها في مدينة جالوق سنة ١٤٠٢ خلال غزو التتار لبلاد الشام.

فصول من تاريخ المدينة المنورة

تأليف : على حافظ ـ الناشر : شركة المدينة للطباعة والنشر ـ جدة

● فصول عن تاريخ المدينة المنورة يتضمن دراسة تاريخ هذه المدينة منذ العصور الموغلة في القدم . ثم تسجيل للاماكن الأثرية الاسلامية التى يزورها المسلمون ، ثم موجز عن قصة معركة احد والخندق ثم انتقل المؤلف في فصول أخرى عن تاريخ المدينة في الوقت الحاضر وبيان ابرز معالمها من الناحية العمرانية والانشائية والزراعية والاقتصادية .

الفتكونـج

تأليف : دجلاس بايك ـ ترجمة : خليل سليم . الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر/بيروت .

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث الاساليب التنظيمية والنضالية لجبهة تحرير فتنام ، مركزا على تنظيماتها ووسائلها في الدعاية والتحريض . ويعلل المؤلف اسباب صمود جبهة التحرير الفتنامية باعتمادها عقيدة واضحة تتيح لها تحليل الظروف الموضوعية التاريخية ، وقدرتها على الاستجابة لتغيير الظروف بمرونة ، ثم قدرتها على التنظيم حيث ان هذا التنظيم ينطلق من المضمون العقيدى ليحول الانسان الفتنامى ويغير نظرته الى الأمور ، بل يعبىء كل قـدرات الشـعب من خلال هـذه التنظيمات ، ووعيها بان الثورة التحررية ثـورة مركبة ، وان التخلف الذى يهيمن على بلدان العالم الثالث لا يمكن ان يتاتى الا عن طريق اقتران النضال التحررى بالنضال الاجتماعى .

تذكرة دعـاة الاسلام

تأليف : ابو الأعلى المودودي ـ الناشر : الدار العربية ـ بيروت

● طائفة من الاحاديث والكلمات التى القـاها الاستاذ ابو الأعلى المودودى امير الجماعة الاسلامية في باكستان وقد ترجمت هذه الاحاديث عن اللغة الاردية وتلك الاحاديث تنصب على الغاية التى يجب ان يستهدف تحقيقها دعاة الاسلام والمنهاج الذى يجب ان يتحلوا به خلال الطريق واثناء المعركة .

العلاقة الجنسية في القرآن الكريم

تأليف محمد مهدى الآصفى ـ الناشر : منشورات مكتبة التربية في النجف الاشرف ـ العراق

● يعرض هذا الكتاب لخطورة المشكلة الجنسية في حياة الانسان . وان هذه المشكلة لم تعد تحتل من حياة الانسان جانب الحياة العائلية فحسب ، بل انها تلتحم باكثر من جانب من جوانب حياة الانسان ، وقد عرض القرآن الكريم لهذه الخطورة البالغة وحدد الموقف الصحيح الذى يجب ان يتخذه الانسان من هذه المشكلة في عرض تشريعى يتناسق مع أبعاد المشكلة . وقد تناول المؤلف في كتابه الجذور التكوينية للمسالة واصول العلاقة الزوجية في الكون باعتبار الانسان جزءا من هذه الطبيعة ، كما يوضح وجهة نظر القرآن الكريم في ان العلاقة الجنسية نابعة من أصول العلاقـة التكوينية في الكون ، ومتصلة بقضايا المـرأة المعاصرة بشكل منسجم مترابط .

الاسلام في الشرق الاقصى

تأليف : قيصر أديب مخول ـ تعريب : الدكتور نبيل صبحى ـ الناشر : الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت

● كتاب يتناول بالدراسة الاسلام في الشـرق الاقصى باسلوب علمى تحليلى دقيق . والمؤلـف يرجع في بحثه بان العوامل المادية التى أسهمت في ظاهرة انتشار الاسلام في تلك الربوع لا تفسـر وحدها هذه الظاهرة ، فهناك العقيدة الربانية المتميزة الفاعلة لمقاييس التفسير المادى للتاريخ .

صراع مع اللصوص

تأليف : عبد الرحمن السامرائى ـ الناشر مطبعة التلغراف ـ بغداد

● كتاب يروى قصص الخارجين على القانون ، وما يدور بينهم وبين رجال الأمن من مصـادمات ثم شرح واف لتكتلاتهم المنظمة التى يقودها اناس قد حنكتهم تجاربهم الطويلة في ميدان الاجرام وما لهم من سلاح ارهابى في بث الرعب بين صـفوف الآمنين ونهب وسلب لممتلكاتهم . والأسلوب الذى يجب ان يتبعه رجال الامن وهو العمل السرى وبث العيون بين صفوف هؤلاء المجرمين . ■■

● قصـــة

مِنْ أَجْلِ ... الأَرْضِ وَالكَرامَة

بقلم : ألفـة الادلبي

■ منذ ظهروا على الساح اصبح للخوف مفهوم آخر ـ صار يتسلل الى النفوس حين يصمت دوي الانفجارات ، حين لا تسمع لعلة الرصاص ، أو أزيز الرشيش .

فاذا طال الزمن يومين او ثلاثة ، راح يَعم النفوس ترقب قلق ، ويبدأ التساؤل الملهوف .

امام دكان بقال اجتمع بضعة اشخاص جاءوا يشترون حوائجهم قبل ان يولي النهار .

قال رجل مقطوع الذراع بصوت خافت :

ـ ايش الخبر يا جماعة ، منذ اسبوع لم نسمع زغردة رصاصهم ؟

اجابه عجوز صلب العود بلهجة واثقة :

ـ لا تخف يا بني ، ان لم تسمعها اليوم فستسمعها غداً ، او بعد غد ، لقد وجدنا اخيرا السبيل الوحيد للخلاص ، وهو الا ندع هؤلاء الدخلاء يسترخون على ارضنا لحظة واحدة .

قالت امرأة نَصَف وهي تحمل مشترياتها من الدكان وتنصرف :

ـ صحيح يا اخي ، انا والله حين اسمع لعلعة رصاصهم تعتريني نشوة مثل صبية تتلقى اول رسالة حب .

ضحك شاب وهمس في اذن رفيقه :

ـ يظهر انها لم تنسَ تلك النشوة الى الآن ..

وابتسم البائع وهو يلف قطعة الجبن للشابة الواقفة امامه ، وقال بعد ان شمل زبائنه بنظره فعرفهم كلهم :

ـ انا والله حين اسمع دوي الانفجار تغمرني فرحة عارمة مثل متهم يهبط عليه العفو فجأة وهو في قفص الاتهام .

تناولت الشابة قطعة الجبن دون ان تبتسم او تشارك بالحديث .

كان يبدو على وجهها شيء من الامتعاض وعدم الرضا . ولو لم يعرفها البقال حق

المعرفة لشك في أمرها . كانت نحيلة طويلة ، لوجهها المعروق تقاطيع حادة ، ولعينيها الصغيرتين نظرات قاسية متحدية شملت بهما الشابين حين خرجت من الدكان . وراحت تسرع الخطى ، وهي تقول لنفسها :

ــ لم أعد أحتمل أمثال هذه الثرثرة .... لم لا يحمل كل واحد بارودة ، ويجعل الرصاص يلعلع في كل بقعة من أرضنا المحتلة . هذان الشابان ما بالهما يتسكعان ويضحكان ؟؟ تمنيت لو أصفعهما .

كانت الطريق موحشة تكاد تكون خالية ، وكان صوت خطواتها التي تقرع أسفلت الشارع بصورة رتيبة يضايقها ، كأنه صدى لأفكارها المقتضبة الحاسمة وحاولت أن تحدّ منه فلم تفلح . كان يتحتم عليها أن تسرع لتصل قبل أن يهبط الظلام، وكان عليها أن تقطع كيلو مترين كي تبلغ دارها القائمة على تخوم البلدة ضمن بيارة برتقال صغيرة . هذه أول مرة تترك فيها أمها المجنونة وحدها في البيت . اغتنمت فرصة نومها فجاءت تشترى بعض حوائجها الضرورية .

ــ ترى أيمرون بي مرة أخرى كما مروا قبل أسبوع ؟

حين أعطيتهم الخبز والجبن والزيتون ،اقترب مني أحدهم ولعله أصغرهم وهمس في أذني :

ــ هل لديك طبيخ ؟ أي شيء مطبوخ ، لقد مللنا المعلبات .

لم يكن لديها طبيخ ! ... تمنت حينئذ لو تطبخ له . كان يشبه أخاها شبها غريبا ، وفي مثل عمره حين استشهد منذ أعوام . تمنت لو تقبله ...

ــ لن أدع البيت بعد الآن خاليا من الطبيخ . لمَ لمْ أشتر بعض اللحم والخضار لأطبخه حين أصل ؟ قد يمرون بي الليلة أو غدا ، من يدري ؟

هذه المجنونة أمي أعمت بصيرتي ، لقد خاطني قدري اليها منذ كنت في ربيع العمر ، وأحسبني سأظل هكذا حتى النهاية . لا مهمة لي الا أن أرعى



امي المجنونة . عشرون عاما ونحن نعيش في دوامة، قتل ، وتشرد وجنون ، وانتهاك حرمات ، ولا نفعل شيئا سوى اننا نمثل المهزلة المأساة ، ايدينا مكبلة ، والسنتنا منطلقة ،وبهذا وحده نريد ان نكسب ضمير العالم ! ... هراء ! .. نحن نعيش على كوكب كافر عاهر، لا يعترف الا بمنطق القوة. حين نطلق ايدينا ، ونكم افواهنا نستطيع ان نهز ضمير العالم .

واقتربت من البيارة فرأت باب سورها مفتوحا فاعتراها شيء من الخوف :

ــ ترى هل استطاعت ان تفتح الباب وتخرج من البيت وحدها ؟

وراحت تتقدم متوجسة على مهل :

ــ من عساه يكون هذا الذى يستند على باب البيت ؟ ولم تلبث ان عرفته حين تبينت وجهه . انه خالها يقف امام الباب ، وامامه كيس كبير . ما كاد يراها حتى هرع اليها يسألها :

ــ ما الخبر ؟؟ منذ خمس دقائق وانا اقرع الباب ولا من مجيب . كيف تركتها وحدها ؟؟ اين ابو احمد ؟

ــ ماذا تريدنى ان افعل ؟ ابو احمد مريض في بيته ، لم اره منذ ثلاثة ايام . وانا مضطرة ان اذهب لاشترى ما يلزمني بنفسي .مسكين ابو احمد ! كان يرعاها اثناء غيابى عن البيت خيرا منى . لقد بدأ الرجل يشيخ وما ادرى من سيدبر امورنا من بعده ؟

اخرجت المفتاح من محفظتها وفتحت الباب . دلف هو قبلها حاملا الكيس ووضعه على الارض وجلس على مقعد في الردهة وقال :

ــ قد يفرض منع التجول في الشوارع بين لحظة واخرى ، وانت هنا بعيدة عن الأسواق .. آتيتك ببعض المؤن ، رز ولحم وسمن وغيره .

ــ لمَ تتعب نفسك يا خالي ؟ .. اننا ندبر انفسنا كيفما اتفق . قالت ذلك وهى تنظر من فرجة الباب الى سرير امها .

ــ الحمد لله انها ما تزال نائمة كما تركتها . انها تنام في النهار وتصحو في الليل وتروح تدور في البيت من غرفة الى غرفة ، ثم تقف ساعات طويلة امام هذا الباب الذى ما يزال ملوثا بدمائه تحدق اليه وتردد بما يشبه الأنين جملتها التى لم تعد تنطق من الكلام غيرها :

هذا دمه ، انظرى انه احمر وردى . انها تابى الا ان تراه احمر ورديا .

نظر الخال الى الباب ، كانت عليه بقع لم تكن حمراء ابدا ، كانت بنية مائلة الى السواد . قال:

ــ لا حول ولا قوة الا بالله .. ليس باليد حيلة .. احمدى الله يا ابنتى لان جنونها جاء من النوع الهادىء ، والا سببت لك ازعاجا فظيعا .. قالت :

ــ انها لاتدعنى انام من الليل ساعة واحدة ، ولا تدعنى انسى الفجيعة لحظة واحدة . كلما رددت جملتها اتخيل تلك الساعة الرهيبة يوم دخلوا بيتنا وقتلوه امامنا . لقد مضى على ذلك عشرون عاما ولكانه يحدث الآن امامى .

ــ لماذا اذن ترفضين ان تضعها في مستشفى ؟

ــ مستشفى ؟ معاذ الله ، لن افارقها ابدا .

ــ انت ايضا لا تريدين ان تنسي .. ليس امامنا الا ان نسأل الله لها الشفاء .

ــ بعد جنون عشرين سنة ؟

ــ ان الله يا ابنتي على كل شيء قدير .

وصمت الخال لحظة ثم قال :

ــ الا ترين يا ابنتى من الأنسب ان تأتي انت وامك الى دارى ما دام ابو احمد مريضا فليس لديكما رجل يحميكما . الصهاينة يفتحون البيوت على أصحابها متى شاءوا .

قبل أن يتم كلامه نشبت من مكانها كقطة متوحشة ووقفت امامه وقالت بحدة :

ــ ارجوك يا خالي لا تلفظ امامي كلمة الحماية هذه ، لا تلفظها ابدا .. ارجوك .. انها تسمني .. تقتلنى .. الم يصر ابى على اخى ان يترك المقاومة ، ويأتى الى البيت ليحمينا ؟ فكان ان لحق به الصهاينة . لم يستطع مقاومتهم وحده ، فتلوه امامنا .. هذا دمه ما زالت اثاره باقية على هذا الباب . ذكرى رهيبة لن أمحوها ابدا .. امي جنت . وابى مات كمدا ، وانا اغتيل شبابي منذ تلك اللحظة ، منذ كنت في الخامسة عشرة شعرت انى قد شخت . لا شيء يستحق الحماية سوى الارض . حين نحميها نحمى كل شيء .. انا لن اخرج من دارى هذه الا جثة هامدة . حين اخرج سيحتل العدو مكانى حتما . هذه هي الكارثة الكبرى ، وليس موتى ، او موتك انت ، او جنونها هى ، اواى شيء آخر مهما يبلغ من الفظاعة .

قم يا خالي . عدْ الى دارك قبل أن يدخل الليل ، ولا تخش عليَّ شيئا . انني أستطيع أن أحمي نفسي بنفسي .

لم يجد الخال ما يجيبها به فقام متثاقلا وودعها وخرج وهو يشعر انه تخفف من واجب ثقيل .

ما كاد يخرج حتى عمدت الى الكيس فافرغت ما فيه ووضعت كل شيء في مكانه ، ثم نظرت الى قطعة اللحم وفكرت قليلا .

ـ قطعة لحم كبيرة من اجلنا وحدنا ! .. انا وامي هذه المجنونة والذين يحاربون يعيشون على المعلبات ! .. لا .. ساطبخها مع الرز ، ولن اذوقها ابدا . ساطبخها واضعها في البراد . من يدري ؟ قد يمرون بي .. وقامت من فورها واشعلت البريمس واخرجته من المطبخ ووضعته في الردهة لتراقبه عن كثب ، وتناولت اكبر قِدْر لديها ، وضعت فيها اللحم ، وغمرته بالماء ووضعتها على النار ، ثم قعدت تنقي الرز . شعرت بشيء من الرضى والارتياح فراحت تدمدم بنشيد حماسي .

ـ آه لو استطيع أن أعمل شيئا ذا جدوى ، ان اشارك في عمل بالغ ما بلغ من الخطر . انني لا اشعر بالخوف مطلقا ، عشرون سنة وانا امضغ الذل مع كل لقمة ، واشرب الهوان مع كل جرعة ماء ولا افعل شيئا كانني تحنطت ..

غسلت الرز واسقطته فوق اللحم وتركته ينضج على مهل ، وراحت تتفقد امها . ما كادت تدخل الغرفة حتى دوى صوت انفجار هائل ، زلزل منه البيت حتى خيل اليها انه سيتداعى فوق راسها . اخذ جسدها يضطرب ولكنها لم تشعر بشيء من الرعب .

ـ لا شك انهم نسفوا المخفر الصهيوني القريب من دارنا . كنت كلما مررت من امامه أتمنى لو ان معي قنبلة لاقذفها في وجه رئيسه الذي كان يتحدى المارة بنظرات حاقدة لئيمة شامتة .

قفزت العجوز المجنونة من فراشها ووقفت في منتصف الغرفة وراحت تتلفت يمينا ويسارا وتتطلع حولها بنظرات هالعة زائغة وصدرها يعلو ويهبط .

ـ لا تخافي يا امي لا تخافي .. انهم يقتلون الذين قتلوا احمد .

اخذت شفتا المجنونة تضطربان وهي تنظر نحو الباب وتتمتم :

ـ احمد .. هذا دمه .. انظري انه احمر وردي .. وتشير الى البقع البنية المائلة الى السواد .

سحبتها من يدها واجلستها على حافة السرير وجلست الى جانبها واحاطت بذراعيها كتفيها وراحت تهدهدها كطفل صغير .

ـ لا تخافي ، لا تخافي ، ما عساه يحدث اكثر مما حدث .

مرت لحظات صمت بعد الانفجار ثم دوى صوت طائرة وجلبة سيارات .

ـ يا الهي . احمهم يا ربي .. هل فروا ؟ هل أصيب أحد منهم ؟ هل أصابوا هدفهم كما ينبغي ؟ هل يلجأ احدهم الى هنا .

واذا وقع اقدام ثقيلة في الخارج ، واضواء تلتمع ، تظهر من النوافذ كالبرق الخاطف .راحت تتسمع ثم تقول بأسى :

ـ آه .. ليسوا هم . انهم يأتون كالاطياف خفافا لطافا .

واذا طرقات عنيفة على الباب . تركت امها واتجهت نحو الباب ، فتبعتها المجنونة ، وما كادت تخطو خطوتين في الردهة حتى سمعت ضربة قوية على الباب انفتح اثرها على مصراعيه ، ودخلوا ..

وقفت أمامهم صامدة متحدية ، وأمها وراءها تتكيء على كتفها كانها تحتمي بها وتتطلع اليهم بنظراتها الزائغة الهالعة .

لم يتغير شيء ، انهم هم هم ، كما دخلوا هذا البيت قبل عشرين عاما ، منهم السمر والشقر ، ومنهم الطوال والقصار ليس بينهم شيء متشابه سوى نظراتهم القاسية ، الحاقدة . كان معهم هذه المرة امرأة ترتدي الزي العسكري ، كانت قصيرة بدينة ذات شعر أحمر ووجه مليء بالنمش . راحت تتأمل البيت والغرف ومحتوياتها بنظرات فاحصة شرهة ، وتتكلم هامسة مع احد الجنود.

قال رئيسهم بلغة عربية سليمة ، ولهجة مستعلية :

ـ من يسكن هنا غيركما ؟

ـ لا يوجد احد غيرنا ، انا وامي ، انها مريضة كما ترى ، لقد جنت يوم قتلتم ابنها امامها منذ عشرين سنة .

قال بسخرية لئيمة شامتة :

ـ وانت مالك ؟ لِمَ لمْ تجني مثلها ؟

ابتسم بعض الجنود . اجابته بتحد .

ـ أمر الله ، ما زلت قادرة على احتمالكم .

ـحسنا .. الم يختبىء عندك احد من هؤلاء المجرمين المخربين ؟

ـ أتقصد الفدائيين ؟

ـ أيتها الوقحة .. أتجرئين على تسميتهم بالفدائيين ؟ ، وأمامي أيضا ؟ وارتفعت يده وهوت على وجهها بلطمة اطاحت بها الى الارض .

فجأة صرخت المجنونة : بنتي ، بنتي ، وارتمت فوقها .

اعتدلت في جلستها وأجلست أمها ، وعانقتها دون أن تنبس بكلمة

ولم تنتبه الى ان امها نطقت بكلمة غير جملتها المعهودة .

قال الرئيس لجنوده :

ـ هيا فتشوا البيت ربما وجدنا بعض الأسلحة او المتفجرات .

انتشر الجنود العشرة في البيت ، دخلوا الغرف كلها ، نبشوا الفرش والوسائد وقلبوها عن أسرتها ومزقوا قماشها ، فتحوا الخزائن ونثروا محتوياتها على الارض . دخلوا المطبخ والحمام والسقيفة وكسروا كل ما وقعت ايديهم عليه ، ثم خرجوا وعلائم الخيبة بادية على وجوههم لأنهم لم يجدوا شيئا .

وظلت المرأتان قاعدتين على الارض مستسلمتين الى قدرهما بصمت ذليل .

قال الرئيس مهددا متوعدا .

ـ اياك ان تؤوى أحدا من هؤلاء القتلة ، والا نسفنا البيت من أساسه في لحظة واحدة وأمر جنوده بالخروج من البيت.

لم تنطق بكلمة كأنها لم تسمع ما يقول .كانت تغالب الدمع وتبتلعه خشية أن تثير شماتتهم .

كانت المرأة ذات اللباس العسكرى تتكلم مع الجنود وتشير الى القدر الكبيرة وتشير الى المرأتين كأنها تقول :

ـ أهذه القدر الكبيرة من أجل طعام هاتين المرأتين فقط ؟؟

ثم رفستها برجلها قبل أن تخرج فانكفأت القدر ، وانتثر الرز واللحم على أرض الردهة ، وفوقه الجنود .

ما كادوا يتوارون عن عينيها حتى انفجرت باكية بصوت عال غير آبهة بأمها التى كانت تنظر اليها هالعة ، تلوك الكلام فلا يسعفها النطق .

كان الباب ما يزال مفتوحا . واذا يد كبيرة سمراء ذات أصابع ثخينة تمتد مختلجة ببطء وتقبض على مصراع الباب . كان الدم يشخب من الاصابع على الباب فيغطى البقع البنية المائلة الى السواد بالأحمر الوردى . رأتها العجوز فصاحت بابنتها :

ـ انظرى ، هذا دمه ، أحمر وردى ، هل تستطيعين أن تقولى انه ليس أحمر ورديا .

هبت واقفة وقفزت نحو الباب فاذا هو أمامها وجها لوجه ، كان يجر رجليه بوهن ما كاد يراها حتى تهالك على كتفها . سحبته برفق وأجلسته على المقعد . نظر حوله وقال :

ـ الكلاب ! .. ما هذا الذى فعلوه بكما ؟

قالت :

ـ لا يهمك أمرنا ، اما انت هل اصابتك بليغة؟

ـ جرح بسيط في ذراعى ، وآخر في ساقى ، لم استطع أن ألحق بالرفاق . اختفيت بين كومة احجار . رأيتهم حين دخلوا عليكما ، ورأيتهم حين خرجوا ، خشيت أن يكونوا قد آذوكما .

ـ ليس أمرنا مهما . اطمئن لن يعاودوا تفتيش بيتنا مرة ثانية ، سأضمد جراحك ، لدى ضمادات ومطهرات ، ولكن آه كيف أعثر عليها بعد أن فعلوا ما فعلوا ؟ وقامت تنبش بين الأشياء المنثورة على الارض حتى عثرت على ما تريد ، وراحت تساعده على خلع معطفه وبنطاله الملوثين بالدماء ، ثم قعدت امامه تعالج جراحه . كان مستسلما اليها والى آلامه لا يئن ، ولا يتوجع . واذا العجوز تهتف مبتهجة :

لقد عثرت على ألبسة أحمد .. خذها يا ابنى انها تلائمك تماما ، وحين تسكن جراحك تنطلق الى حيث رفاقك .

ذهلت الابنة لحظة ثم صاحت :

ـ يا الهى ..وخرت ساجدة الى الارض ، ثم رفعت يديها الى السماء ضارعة :

ـ استغفرك يا الهى .. استغفرك وأتوب اليك .. حقا انك على كل شيء قدير . لقد تجمد شعورها عشرين عاما ، وهاهى ذى تسترد وعيها في لحظة حين ايقنت ان ضحيتها لم تذهب سدى، فما يزال الدم يبذل رخيصا من أجل الارض والكرامة .

دمشق ـ ألفة الادلبى

يقول لى [illegible]

أمر قرب بيته   فى غدوتى وجيئتى
أدير وجهى نحوه   وحجتى ... زميلتى
وأستدير نحوها   لكى يرى« تسريحتى »
جديدة جميلة   تزيد من نضارتى
أصفها - مصفوفة -   بأصبعى الرقيقة
يعرفها علامة   يرد لى تحيتى
ولا ينى يبسم لى   وأنتشى بالبسمة
وكلما ابتعدت عنـ   ـه قل طول خطوتى
أخرتنا يا ويلنا :   تخشنى رفيقتى
معلمى : لا تتعبن   هرولى يا ساعتى
يدق قلبى عندما   يدق جرس عودتى
أمضى وقد أنسيت من   شوق إليه شنطتى
ألقاه دوما فى الطريـ   ـق واقفا في العطفة
يقول لى يا طفلتى   يا وردتى يا فلتى
أواه يا مصيبتى   يا لوعتى يا حسرتى
حتى متى ينعتنى   بالطفلة الصغيرة ؟
أريد منه مرة   يقول يا حبيبتى
ألا يرى مقدار ما   قد زاد فى « جونلتى »؟
وكيف لا يفهم ما   تضمنته نظرتى ؟
ألم يلاحظ أنه   فى مثل طول قامتى ؟
أواه لو فى مرة   ينشق عرف زهرتى
لقال رغم أنفه   حبيبتى ... حبيبتى

■■

حسن الشريف

العربي: يا سيد حسن. فى شعرك تصوير دقيق، نود لو تنحو به ناحيةأخرى.

طرائف غريبة

تهنئة بعيد الميلاد !

● اشتهر ادلاى ستيفنسون المحامى والسياسي الأمريكي ومندوب بلاده في الامم المتحدة (١٩٠٠ ـ ١٩٦٥) بانه كان من اكثر الدبلوماسيين الأمريكيين عنادا واعتدادا برايه في معالجة المشاكل والأزمات الدولية . وفي احد الايام ، وقبل وفاته بأشهر قليلة تلقى السياسي الأمريكى بطاقة تهنئة بمناسبة عيد الميلاد . . وفض ستيفنسون البطاقة وراح يقرأها امام جمع من اصدقائه الدبلوماسيين في المنظمة الدولية في نيويورك ، فاذا بها تقول بالحرف الواحد : « كن هادئا وسط الصخب والضجيج ، ولا تتسرع في حكمك على الأمور ، لا تتشبث برايك . ثم اذكر دائما الراحة النفسية التى يجدها المرء في السكوت . . اننى لا اطالبك بأن تسلم براى الآخرين . . ولكننى أدعوك الى ان تكون دوما على علاقة طيبة بكل الناس . . جاهر برايك ولكن في صدق ووضوح وتواضع . . فاذا فرغت من حديثك اترك الفرصة للآخرين ليقولوا رأيهم ، حتى لو كانوا يخالفونك الراى . . وحتى لو كانوا دونك ذكاء وعبقرية . . فلكل رأيه ووجهة نظره . . ثم تذكر بعد هذا ان ذهب بلادك كله لا يمكن أن يعوض الشعوب عن كرامتها وأتمنى لك بعد هذا عيد ميلاد سعيد ! » .

عينا رئيس وزراء بريطانيا

● كتب احد الصحفيين الانجليز يصف هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا الحالى : « ان الدارس لشخصية هذا الرجل ، اشبه ما يكون بباحث في صفات سمك القرش . ففى راس ويلسون نفس العينين الباردتين الزرقاوين اللتين تنطقان بالمكر والدهاء ! »

وتوقع المراقبون السياسيون أن يثور رئيس الوزراء على هذا التشبيه الذى سبق أن نشرته احدى الصحف البريطانية .

وانقضت بضعة ايام قبل أن تنشر صحيفة أخرى كبرى خطابا مفتوحا من رئيس الوزراء للصحفى . . قال ويلسون : « اقترح ان تعود مرة أخرى الى المدرسة لدراسة خصائص سمك القرش ، فالثابت ان لون عينى هذه السمكة الكبيرة ليس أزرق كما تدعى !! » .

الشاعر . .

● يروى الشاعر والمؤلف والسياسي الانجليزى الشهير لى هانت Leigh Hunt (١٧٨٤-١٨٥٩) فى مذكراته ، قصة اغرب شخصية التقى بها في حياته الادبية . يقول : « في عام ١٨١٢ ، قدمت للمحاكمة بتهمة اهانة التاج البريطانى ،، وحكموا على بالسجن عامين ، وبغرامة قدرها خمسمائة جنيه استرلينى ، وتوقعت ان تنتهى حياتى وراء جدران السجن ، فلم اكن أتصور اننى ساعيش لارى النور مرة اخرى بعد ان منعونى من الكتابة .

وفي احد الايام جاءنى السجان « جونز » ، وكان رجلا ضخم الجثة تهتز الارض تحت قدميه كلما خطا بهما خطوة من خطواته الثقيلة التى كانت تثير الرعب في نفوس المساجين . . وتوجست شرا ، ولكن مخاوفي ما لبثت ان تبددت عندما اقترب منى جونز ودس في يدى قلما وورقا ، وقال وهو يبتسم ابتسامة مخيفة : « علمت ان الكتابة زادك وحياتك . . فاكتب الآن ، وسآتى اليك في

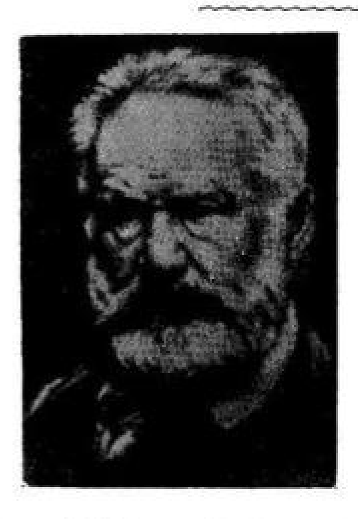
البؤساء.. وفيكتور هوجو

● كان قد انقضى ستة اشهر على صدور قصة البؤساء Les miserables ، للكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هوجو Victor Hugo ، دون أن يسمع المؤلف شيئا من الناشر هيتزل Hetzel الذى تولى طبع وتوزيع هذه القصة الخالدة في أسواق فرنسا . واخيرا قرر المؤلف ان يذهب بنفسه لمقابلة الناشر ، ليعرف ماذا حل بقصته !

وما كاد هيتزل يرى الكاتب الكبير يدخل حجرته حتى اسرع اليه معتذرا .. وقال فيكتور هوجو وقد بدا على وجهه القلق الشديد : « كل ما اطمع فيه هو بضعة فرنكات فقد خلا جيبي من المال تماما !! » .

وهنا صاح هيتزل في استنكار : « بضعة فرنكات!؟ يبدو انك لا تعرف ان الطبعة الرابعة من قصتك قد نفدت من الأسواق تماما .. خذ هذا نصيبك من الطبعات الثلاث الاولى ! » .

وامسك هوجو بالشيك الذى قدمه اليه الناشر ، وراح يحدق فيه ، ثم ما لبث ان سقط على الارض مغشيا عليه !



لقد كان الرقم الذى سجله الشيك هو مائة مليون فرنك فرنسي اى ما يوازى ..١ الف جنيه استرليني حسب سعر الفرنك القديم .

والسجان !

مساء كل يوم لتقرأ على ما كتبت ! » .

وكتب هانت اروع أعماله الادبية « قصة ريميني » « The Story of Rimini » وكانت مجموعة من القصائد التى خلدت ذكراه .. ويقول الشاعر الشهير: « وكنت اقرا ما اكتب على سجاني « الاديب » ، الذى لم يكن يعى كلمة واحدة مما اكتب واقرا له .. وبالرغم من هذا كان يعود الى في كل مساء حاملا المزيد من ورق الكتابة ، ثم يطلب الى أن اقرا له ما كتبت من شعر جديد !

وكانت المفاجاة عندما انقضت مدة العقوبة وتركت السجن عائدا الى بيتى ، فقد جاء جونز في عطلة نهاية الأسبوع لزيارتي ، ولم يطلب منى أن اقرا له ، وانما جلس هو يردد قصائدى الشعرية التى حفظها عن ظهر قلب .. وظل جونز يزورنى في بيتى مرة كل اسبوع ليسمع ويحفظ لمدة ثلاث سنوات، اختفى بعدها دون أن أعثر له على اثر !»

السياسة صداع ومغص وآلام !

● امام قصر كريستيان بورج Christian Borg ، أو مبنى البرلمان في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك ، توجد ثلاثة تماثيل من الحجر لوجوه ثلاثة رجال تنطق بالألم !

سألوا احد السياسيين : « ماذا يعنى وجود هذه التماثيل امام البرلمان ؟ قال: « انها وجوه لرجال ثلاثة كما ترون ، ولكنها وجوه تنطق بالألم .. الألم الذى يشعر به المصاب بصداع في الرأس ، والذى يعانى آلاما في أذنيه، والذى يشكو مغصا في معدته .. وقد اقاموها امام مدخل البرلمان لتكون تحذيرا لكل من يريد أن يشتغل بالسياسة .. ان مصيره حتما الاصابة بهذه الأمراض الثلاثة !!» .

أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيبُ

المهابهارتا .. أو القصائد الهندوسية الحماسية الكبرى

● سمعت اثناء ندوة عن الأدب القديم ومن الاعمال الادبية الخالدة ذكرا مقتضبا عن قصائد هندوسية كبرى يقارنون بينها وبين الياذة هوميروس والاوديسا . فهل لكم أن تذكروا لنا شيئا عن هذه القصائد الهندية القديمة ؟

جلال جادو ــ القاهرة ــ ج.ع.م

ــ المقصود في سؤالك هو قصائد المهابهارتا العظيمة والتي تعتبر من أضخم آثار العالم الأدبية فضلا عن كونها من أضخم آثار الهند الأدبية القديمة، وتشتمل المهابهارتا أو القصائد الهندوسية الحماسية الكبرى على ٢١٥٠٠٠ بيت شعر مع ان الالياذة لا تحتوى على أكثر من ١٥٠٠٠ بيت شعر ، ولا تحتوى الأوديسا على أكثر ١٢٠٠٠ بيت شعر . وتتألف المهابهارتا من خمسة عشر مجلدا عاديا يبلغ مجموع صفحاتها ٧٥٠٠٠ صفحة .

والمهابهارتا تلخيص لقصة شعب بهارتا الكبرى ، رجل واحد . وتقدر المدة التى انقضت بين وضع نصها الأصلي وآخر تصحيح فيها بألف سنة . ولا يمكن تحديد عمر هذه الآثار الأدبية بالضبط .

ولهذه القصائد الهندوسية أهمية عظيمة لدى الهندوس ، فهم يقدسونها تقديس المسلمين للقرآن ، والمسيحيين للكتاب المقدس . ويعتقد الهندوس ان المهابهارتا وضعت في السماء ، وان الآلهة انعمت بها على الناس .

والمهابهارتا تلخيص لقصة شعب بهارتا الكبرى ، وهى قصة صراع « الباندوا » و « الكوروا » فرعى اسرة البهارتيد القمرية التى استقرت بمدينة هستى نابورا القديمة .

وتبدأ هذه القصائد الحماسية بالأدعية والأنساب ، ثم تشتمل على قصة مؤلفة من استطرادات وتكرارات وايضاحات مطولة ، وتختلط فيها الروايات بالأساطير اختلاطا ، لم يفكر معه واضعوها في ربط بعض أجزائها ببعض .

وفي المهابهارتا نجد قصص أعمال البطولة ممزوجة بالخوارق، كما نجد اختلاط مسائل ما بعد الطبيعة بكثرة فيها . وهي ذات مسحة كهنوتية ارستقراطية، فلم يذكر فيها سوى الآلهة والكهان والملوك ، بينما لا توجد فيها اية اشارة الى الشعب أو الرجل العادى .

وفي هذه القصائد شعر رائع يمكن قياسه بأجمل أشعار هوميروس ، وقد وصفها دارسو الأدب الهندى القديم بأنها من روائع الآثار الادبية في العالم ، وان أدبها قد يكون أرقى من أدب الالياذة والأوديسا .

ومن المهابهارتا ننقل لك وصفا لرحلة «يودهيشترا» أحد أبطال هذه القصائد الهندوسية الى الجحيم ، ننقله عن كتاب « حضارات الهند » تأليف الدكتور جوستاف لوبون :

« تبع (يودهيشترا) رسول السماء الى العلياء بخطى واسعة ، فيا له من سقوط مشئوم ، ويا لها من رحلة هائلة ! ذلك هو مأوى الأرواح المجرمة الغارقة في ظلمات حالكة والمدثرة بنبات خبيث والمتنشقة رائحة الاثم الوبيء واللحم والدم ، ذلك هو المأوى المملوء بالجثث والعظام والديدان والهوام، ذلك هو المأوى الذى يرمي بالشرر الملتهم ، وتحلق فوقه الغربان والعقبان ، وغيرها من الكواسر المجنحة التى تهبط مبتورة مهيضة فوق الجبال .

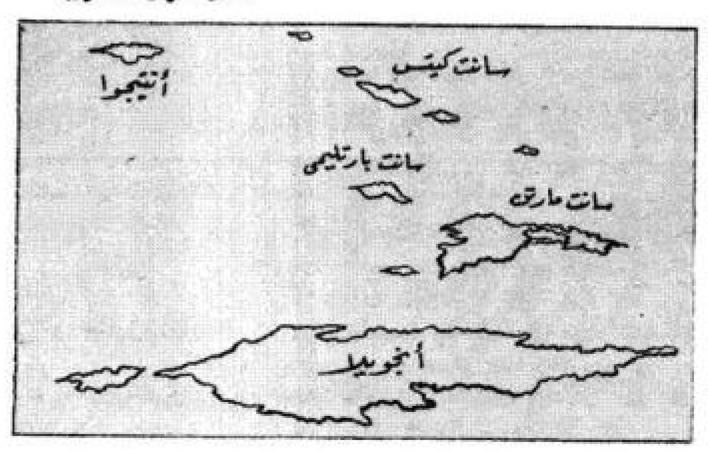
سار الملك خائفا بين تلك الجثث والرائحة النتنة، ورأى أمامه نهرا من الأمواج الملتهبة ، وغابة من النصال الحادة وصخورا من الحديد ، وخوابي مملوءة لبنا فائرا ، وزيتا حارا وعوسجا قائلا أعدت للمجرمين » .

(م . ط)

جزيرة انجويلا ..

● حملت لنا الأخبار أخيرا أنباء حملة بريطانية كبرى قامت بها حكومة بريطانيا بغتة على جزيرة اسمها انجويلا ، لم نسمع عنها من قبل ، ولا عن مشكلاتها شيئا ، فما هي هذه الجزيرة وما خطرها الكبير الذي دعا الحكومة البريطانية للقيام بمثل ما قامت به ؟

عدنان صوان ـ سوريا



ـ جزيرة انجويلا Anguuilla جزيرة صغيرة لا تزيد مساحتها على ٩١ كيلو مترا مربعا ، ولا تضم اكثر من ستة الاف نسمة . وهي احدى ثلاث جزر واقعة في الكاريبي ، بالقرب من جزر الهند الغربية . اما الجزيرتان الأخريان فهما سانت كيتس St. Kitts ، او سانت كريستوفر، وهي اكبر الجزر الثلاث اذ تبلغ مساحتها ١٧٦ كيلو مترا مربعا ، ويصل عدد سكانها طبقا لاخر احصاء اجرى في عام ١٩٦٠ : الى خمسين الف نسمة وجزيرة نيفيس Nevis ، وتضم ١٣ الف نسمة وتبلغ مساحتها ٣٦ كيلو مترا مربعا .

وقد اكتشف هذه الجزر الثلاث كريستوفر كولبس في عام ١٤٩٣ ، واستعمرها الانجليز في القرن السابع عشر عندما ضلت سفينة كان يستقلها فريق من القراصنة البريطانيين ،طريقها في مياه المحيط ، وكاد بحارتها يموتون جوعا وعطشا ، ثم لاحت لهم هذه الارض من بعيد ، فحطوا فيها ، وطاب لهم المقام : ورفضوا ان يغادروها منذ ذلك الحين . وكان سير توماس وارنر هو اول من اقام مستعمرة بريطانية فوق جزيرة انجويلا في عام ١٦٢٤ ، عندما شيد الانجليز قلعة ضخمة فوق جبل برستون ، ولاتزال هذه القلعة قائمة حتى اليوم .

وقد اشترك الفرنسيون في استعمار هذه الجزر مع الانجليز فترة من الزمن وتم تقسيمها مناصفة بينهما ، قبل ان تضم الى التاج البريطاني نهائيا في عام ١٨٧٣ .

ومعظم سكان انجويلا من الزنوج ، ويعملون جميعا في زراعة القطن وقصب السكر ، وهما المحصولان الرئيسيان فيها ، كما يقومون بتربية الماشية : اما الصناعات القائمة في الجزيرة فهي صناعة السكر ، والملح وصيد السمك ، ويصدر الجزء الاكبر من الانتاج الزراعي والصناعي لبريطانيا.

وفي انجويلا ٥٤ مدرسة ابتدائية وخمس مدارس

ثانوية تديرها جميعا الحكومة الوطنية ، كما يوجد بها مستشفيان و ٢٥ مركزا صحيا .

هذه لمحة سريعة عن انجويلا ، الجزيرة الصغيرة التي ارادت بريطانيا ان تنصب من نفسها حارسا عليها وحاميا للديمقراطية فيها .. لقد ارسلت اليها الحكومةالبريطانية فرقة « الشياطين الحمر» Red Devils معلنة ان هناك ثورة ولابد من اخمادها ، فلما شعرت ان كل اهالي الجزيرة قد التفوا حول زعيمها ورئيس حكومتها الوطنية وبستر Webster ، الذي وقف يطالب بالاستقلال لبلاده ، عاد الانجليز يؤكدون انهم اكتشفوا انيد عصابة « المافيا » الامريكيةالارهابية تلعب دورا خفيا في الاحداث الخطيرة التي كانت الجزيرة مسرحا لها ، وانها لن تسمح بامتداد نفوذ « المافيا » الى جزيرتها .. ثم مالبث الانجليز ان جلوا عن انجويلا بعد ان اعترفوا بحكومتهاالوطنية برئاسة وبستر ، نفس الرجل الذى اعتبروه ثائرا، واصبحت الجزيرة فيما بعد مستقلة .

وهكذا اسدل الستار على المسرحية التي مثلتها « الامبراطورية البريطانية » في غير حاجة اليها ، كما ثبت ذلك من اقوال الصحافةالبريطانية نفسها .

(م ٠ ن)

ثورة الزنج

● متى قامت ثورة الزنج ؟ ومن هم الزنج ؟وأين قامت هذه الثورة ؟ ومن هو قائدهم ؟ وهل نجحت ثورتهم ؟ وما أسبابها ؟

سليم العامر ــ الكويت

ــ يقول الأستاذ أحمد علبي في كتابه عن ثورة الزنج : « ان هذه الثورة قامت في القرن التاسع الميلادى ، وعلى وجه الدقة بين عام ٨٦٩ و٨٨٣ ميلادى .. ولمعرفة أسباب الثورة نذكر ان الخلافة العباسية كانت في ورطة مالية ، فلجأت الى اقطاع الأراضي للتجار الأثرياء ليحيوها ويستغلوها ، وبحث الاقطاعيون عن الأيدى العاملة الرخيصة ، فوجدوا ضالتهم في زنوج شرق افريقيا .. فجاءوا بهم الى البصرة ، وجعلوهم يعيشون في الدرك الأسفل من الحياة الانسانية ، يجففون المستنقعات ويزيلون الطبقة الملحية من الأرض ، وينقلون الملح ويستخرجون الدبس من التمر . ويخدمون في البيوت ، كل هذا مع طعام هزيل وتعرض للأمراض الفتاكة ، الى جانب حياة الغربة وابتعاد الزنجي عن عائلته وبيئته .

« لكل هذه الأسباب وغيرها ، وجدناهم يلبون بسرعة دعوة على بن محمد ، الرجل الذى ادعى الانساب العلوية فقام بثورة أخفقت في البحرين ، فهرب الى البصرة ، وبعد ارتحال الى بغداد وسامراء عاد الى البصرة ثانية ليقود الزنج في ثورتهم ضد الخلافة العباسية .. وكان الخليفة المعتمد في ذلك الوقت ضعيفا عاكفا على الملاهى مشتغلا بالملذات ، فغفل عن خطر الثورة ، وهذا ساعد الزنج على ان يوطدوا اقدامهم في منطقة البصرة .. وقد أبدى هؤلاء الزنوج الذين ذاقوا مرارة العيش شجاعة فائقة في ثورتهم عانت منها جيوش العباسيين والسكان الذين قاوموهم ، فقد اعملوا السيوف في رقاب أهل البصرة ، واستباحوا المدينة ثلاثة ايام حتى ذكر اليعقوبى انه لم يبق فيها منزل يسكن ، واتسعت فتوحات الزنج ، واستسلمت لهم عبادان خوفا من شر المصير ، وسقطت الاهواز تحت سيوفهم وهكذا بثوا الرعب حولهم .. وتمادى الزنج في توسعهم وصعدوا في فتوحاتهم شمالا فدخلوا مدينة واسط فاستباحوها وانتهبوها ، ودخلوا مدينة النعمانية عام ٢٦٥ هجرية ، واحرقوا سوقها وأكثر منازلها .. واصبحوا على مقربة ٧٠ كيلو مترا من بغداد .

« ونتيجة لهذا أصيبت الزراعة والتجارة بأفدح الاضرار ، لان العراق الجنوبى ظل خمسة عشر عاما عرضة للاضطرابات والتدمير والقتل والذبح .. ولكن « الموفق » شقيق الخليفة المعتمد تفرغ لمكافحة ثورة الزنج فانزل بهم الضربة وراء الأخرى حتى حاصرهم في عاصمتهم « المختارة » ومنع عنهم الطعام ، فعضهم الجوع ، وسقطت عاصمتهم عام ٢٧٠ هـ واحتز راس زعيمهم على بن محمد ورُفع على قناة .. ثم استسلم عدد كبير من الزنج بعد ان بذل الموفق الامان لهم ..»

السفن البخـارية متى بدأت تمخر البحار ؟!

● متى تحولت الملاحة من السفن الشراعية الى السفن البخارية ؟

ع. عبد الله ــ البحرين

ــ في نهاية القرن الثامن عشر ادخل جيمس وات James watt ، تحسينات كثيرة على الآلة البخارية . وبعد هذه التحسينات بدأ استعمال البخار كقوة محركة للسفن .

وكانت اول سفينة تزود بالة بخارية هي تلك السفينة التي قام ببنائها وليم سيمنجتون W. Symington في اسكتلندا عام ١٨٠٢ وهي سفينة صغيرة اسماها شارلوت دانداس Charlotte Dundas ، وكان الغرض من بناء هذه السفينة هو استعمالها في قطر قوارب الشحن الكبيرة عبر قناة فورث كلايد Forth Clyde ، ولكن السلطات المسئولة عن القناة اوقفت هذه القاطرة خوفا على ضفاف القناة من الحركة التى تنتج عن البدالات الموجودة في القاطرة .

وأصيب سيمنجتون بخيبة امل بعد ايقاف سفينته ، ولكن بدا رجل امريكى اسمه روبرت فلتون R. Fulton بشراء آلات بخارية من مصانع فلتون وشحنها الى الولايات المتحدة الامريكية وقام ببناء سفينة بخارية اسماها كلير مونت « Clermont » ، واصبحت هذه السفينة اول سفينة بخارية تعمل بانتظام على نهر الهدسون بين نيويورك والباني وكان ذلك في عام ١٨٠٩ .

وفي اسكتلندا قام هنرى بل H.Bell ، ببناء سفينة بخارية اسماها كوميت Comet ، وذلك في عام ١٨١٢ .

وبعد ذلك بدات السفن البخارية تعمل على نهر التيمز وعلى السواحل الجنوبية الشرقية لبريطانيا ، وعلى نهر الهدسون والميسيبى في امريكا .

وبدا التفكير في ان تقوم السفن البخارية بعبور الاطلنطى وكانت اول سفينة عبرت هذا المحيط هي السفينة الامريكية سافانا Savannah ، في عام ١٨١٩ وقطعت الرحلة في ٢٧ يوما . وقد استعملت الاتها البخارية لمدة ٨٠ ساعة فقط ثم نفد مخزونها من الفحم واضطرت الى استعمال الأشرعة لاتمام بقية الرحلة .

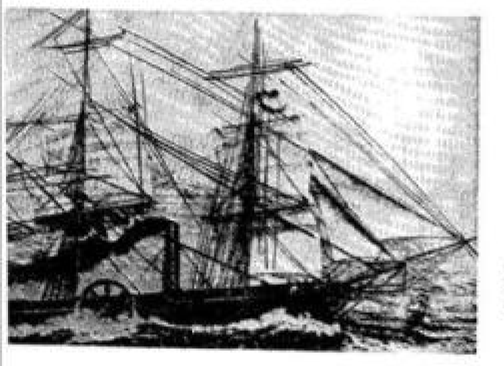
ولعل اول سفينة تعبر المحيط الاطلنطي مستعملة البخار دون الشراع هي السفينة الهولندية المسماة كوراكاو Curacao ، والتى بدات تسير بانتظام في عام ١٨٢٧ بين روتردام وجزر الهند الغربية . وفي عام ١٨٣٨ وصلت الى نيويورك سفينة بخارية حمولتها ٧٠٠ طن وتسمى سيروس « Sirus » بعد ان عبرت الاطلنطى في ١٨ يوما . وفي نفس اليوم وبعد ساعات فقط من وصول سيروس وصلت الى نيويورك سفينة اخرى قادمة من بريستول في انجلترا ، وكانت هذه السفينة واسمها جريت ويسترن Great western ، قد نجحت في عبور الاطلنطى في ١٥ يوما فقط !

واستمر ادخال التحسينات على السفن البخارية حتى أصبحنا الآن نرى عابرات الاطلنطى الضخمة تقوم بالرحلة في اسبوع واحد على الاكثر . وهي مزودة بكل وسائل الترف والراحة .

ويمكن اجمالا ان يقال ان القرن التاسع عشر هو قرن السفن البخارية .

(م . ط)

السفينة « سافانا » أول سفينة بخارية تعبر الأطلنطى .



طرائف عربية

كتاب فى القضاء

● كتب عمر بن الخطاب الى معاوية كتابا فى القضاء يقول فيه : اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة ، او اليمين القاطعة ، وادناء الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه . وتعاهدَ الغريب ، فانك ان لم تتعاهده سقط حقه ورجع الى اهله ، وانما ضيّع حقّه من لم يَرفق به . وآسِ بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يتبين لك فصل القضاء .

انه القلم

● « القلم احد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التدبير ، تخرس منفردات، وتنطق مزدوجات، بلا اصوات مسموعة ، ولا السن محدودة ، ولا حركات ظاهرة » .

بين صوفى وكافر

● سأل كافر صوفيا : ان كنت صوفيا فقل لى ، لم وصف الله سبحانه وتعالى بخير الرازقين ؟

فقال الصوفي : ذلك لانه اذا كفر به عبدٌ مثلك لا يقطع عنه رزقه .

ندم على فعلته

● ارسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمر بن سعيد الاشدق ، الى رجل كان يستشيره ، ويصدر عن رأيه اذا ضاق عليه الامر . فقال له : ما ترى ما كان من فعلى بعمر بن سعيد ؟ قال الرجل : امر فات دَرْكه . قال : لتقولنَّ . قال : حزمٌ لو قتلته وحييت انت . قال عبد الملك : اولستُ بحى ؟ قال : هيهات ليس بحى من اوقف نفسه موقفا لا يوثق منه بعهد ولا عقد. قال عبد الملك : كلام لو تقدم سماعه فعلي لامسكت .

بين أعرابى وولده

● غضب اعرابى على ولده ، فقال له: اتعصيني وتشمخ بأنفك يا ابن الامة ؟

فاجاب الولد : يا ابت هى والله خير لى

فقال الوالد : وكيف يكون هذا ، وهى امة وانا حر ؟

فاجاب الولد : ذلك لانها احسنتْ اليَّ فولدتني من حر ، وانت اسأت اليَّ او اخطأت الاختيار فولدتنى من أمة .

● **قال عمر بن عبد العزيز: الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه، وامر استبان ضره فاجتنبه، وأمر أشكل أمره عليك فرده الى الله.**

حلم يتحقق

● دخل احد الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان لما ولي الكوفة، فقعد بين السماطين، ثم قال: ايها الامير اني رأيت رؤيا، فأذن لي في قصها.

فقال: قل، فانشد:

اغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ	**في ساعةٍ ما كنتُ قبل أنامها**
فرايت انك رعتني بوليدةٍ	**مغلوجةُ حسن علي قيامها**
وببدرة حملت الي وبغلة	**شهباء ناجية يصر لجامها**

فقال له عبد الملك: كل شيء رايت فهو عندى الا البغلة، فانها دهماء فارهة. قال: امراتي طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء، الا اني غلطت.

رداء عمر بن عبد العزيز

● كان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئا، ولا يجرى على نفسه من الفيء درهما. وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم. فقيل لعمر بن عبد العزيز: لو اخذت ما كان يأخذ عمر ابن الخطاب؟ فقال: ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وانا مالي يغنيني.

واشترى له رَباح بن عبيدة قبل الخلافة رداء من خز مربع ذا اكمام بخمسمائة فاستخشنه وقال: لقد اشتريته خشنا جدا. ثم اشترى له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال: اشتريته لينا جدا.

أنا خير لكم

● خطب معاوية بن ابى سفيان يوما فقال: « ايها الناس. ان ابا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده، واما عمر بن الخطاب فأرادته ولم يردها. واما عثمان فنال منها ونالت منه. واما انا فمالت بي وملت بها، وانا ابنها، فهي امي وانا ابنها، فان لم تجدوني خيركم فانا خير لكم.

بين اعرابيين

● مات لاعرابي ولدٌ فحزن عليه حزنا شديدا فقال له اعرابي آخر يعزيه:

اجمل الله صبرك، ومدّ في حبل حياتك وساله: اكان ولدك يغيب عنك؟

فقال الوالد: نعم كانت غيبته اكثر من حضوره.

فقال الاعرابي: اذن فاصرف عن نفسك هذا الحزن وافرضه غائبا عنك، فان لم يتقدّم عليك قدمت أنت عليه.

من غرائب القضايا

قتلها وهو نائم ؟!

بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ وضع أصابع يديه حول عنقها واستمر يضغط عليه حتى فارقت الحياة . ثم حملها الى غرفة اخرى . وجمع ملاءة السرير والبطاطين . ووضعها في حوض الاستحمام . وصب عليها الماء لينقعها ويزيل ما بها من اثار الدماء ، ثم عاد الى غرفته ونام ـ نوم العافية ـ ولما استيقظ في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ألبسها الملابس التى كانت ترتديها ثم وضعها في عربته واتجه نحو غابة قريبة فاخفى الجثة وراء اكمة وفرك يديه مسرورا وكان شيئا لم يكن .

ثم لما عثر البوليس على الجثة ودلت التحريات على انها كانت بمنزله ، قال للمحققين الذين لم يصدقوه ، ثم قال للمحلفين الذين صدقوه ـ انه قتلها وهو نائم ـ ولا يدرى كيف حدث ذلك .

★ ★ ★

والمحلفون ـ عند من يأخذون بهذا النظام ـ هم حذام العرب .

اذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام

والأمر عندي ليس بهذه البساطة . وساعرض وقائع الدعوى وحجج الطرفين ـ الاتهام والدفاع ـ واترك لقراء « العربى » ان يحكموا بانفسهم ويحكموا عقولهم ويخرجوا بالنتيجة التى تستريح لها ضمائرهم .

★ ★ ★

في اليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٩٦٢ وفى الطريق الرئيسي بين مدينتى كامبردج وكولشستر بانجلترا اوقف سائق لورى محمل بالبضائع سيارته ليستريح قليلا بجوار شجرة برقوق . واذا به يلمح ـ على بعد خطوات منه ووراء شجرة اخرى ـ جثة فتاة شبه عارية . فسارع لابلاغ البوليس . وسرعان ما عرفت شخصية الفتاة . انها فتاة من العابثات اسمها جين كونستابل تبلغ من العمر عشرين سنة وتقيم في مدينة اسكس التى تبعد عن ذلك المكان بعدة اميال . ودلت التحريات على انها تركت منزلها في مساء يوم ٣١ ديسمبر بحجة انها مدعوة من بعض الاصدقاء لاحياء ليلة راس السنة معهم .

وكان اول ما لاحظه البوليس ان قدميها العاريتين نظيفتان مما يقطع بانها انما حملت الى هذا الموضع ولم تأت اليه سائرة . فقد امطرت السماء ليلة راس السنة وغطت الغابة بالوحل .

★ ★ ★

ودلت تحريات البوليس على أن القتيلة ترددت ـ في ليلة راس السنة ـ على بضع حانات وانصرفت آخر الليل بصحبة رجلين هما دافيد سولت ويلز اوجين بوشي .

اما الاول ـ دافيد سولت ـ فشاب اعزب في العشرين من عمره انجليزى مولدا واقامة . واما الثانى فامريكى حارب في كوريا في التاسعة والعشرين من عمره جاء الى انجلترا في اغسطس سنة ١٩٥٨ متزوج واب لثلاثة اطفال . طابت له الاقامة بانجلترا فاتخذها موطنا له ووجد عملا في قاعدة طيران امريكية . ولان زوجته اسكتلندية فقد ذهبت واطفالها لتمضية اجازة عيد الميلاد وراس السنة مع اسرتها في الشمال .

★ ★ ★

وقد ادلى دافيد سولت للبوليس بمعلومات ايدها في شهادته التى ادلى بها في جلسة محكمة الجنايات التى حدثت بعد اقل من شهر ونصف من ارتكاب الجريمة ، ملخصها :

« ذهبت في ليلة راس السنة الى احدى الحانات وهناك قابلت جين كونستابل ـ التى لم اكن

اعرفها من قبل ، ثم انتقلنا الى حانة اخرى ، فقدمتني الى بوشير الذى اقترح ان ياخذنا الى منزله . وافرطنا فى الشراب والرقص فى الحانة ثم ذهبنا الى مسكن بوشير . واستمررنا فى الشراب والرقص على نغمات الجرامافون (الحاكى ان شئت) . وتركنا - جين وانا - فى الغرفة . فاقتربت جين منى ، ووقع منا على البساط ما جئت وجاءت جين من اجله . ثم انتقلنا الى غرفة النوم ووجدناها خالية، فاعدنا الكرة على السرير. ثم جاء بوشير الى غرفة النوم وقال انه سينام فى غرفة الاستقبال . وفعلا اخذ مرتبة من غرفة النوم وطرحها امام المدفاة . وانتقلت وجين الى غرفة الاستقبال وقد لفت جين نفسها بغطاء السرير والقت جين بنفسها على المرتبة ونامت نوما عميقا . واستلقى بوشير على (ملاءة) بجوار المرتبة بينما نمت انا على حرف المرتبة بجوار المدفاة . وبعد فترة قصيرة شعرت بالتعب فقمت وارتديت ملابسى وايقظت بوشير وجين ، وسالت بوشير عن المكان الذى استطيع ان اجد فيه «تاكسي» وعرضت على جين أن اوصلها الى مسكنها ، ولكنها قالت انها متعبة وتفضل ان تبقى حتى الصباح . ولا ادرى كم كانت الساعة .



وتقدم الاتهام بشاهدة ـ جاويش في الطيران الامريكي ـ تسكن الشقة التي تعلو شقة بوشير ـ وقالت انها سمعت موسيقى صاخبة من جرامافون الى الساعات المبكرة من صبح يوم اول يناير . ولما توقفت الموسيقى ـ في حوالي الساعة الثانية صباحا ، سمعت صوت فتاة تبكي وتتشنج وسمعتها تقول الفاظا لم تتبينها تماما اشبه بقولها « انت تحبني » أو « انت لا تحبني » . وكانت الالفاظ مكبوتة كما لو أن المتكلمة تضع منديلا امام فمها .

★ ★ ★

كما تقدم الاتهام بشهادة الطبيب الذي كشف على الجثة فشهد بان جين ماتت باسفكسيا نتيجة ضغط باليد على العنق استمر حوالي ثلاثين ثانية ...

وعرضت المحكمة على الطبيب الشاهد اقوال المتهم انه فعل ذلك اثناء النوم فقال انه لا يتصور ان لا يحس المتهم بمقاومة الفتاة ولو كان نائما نصف نومة .

وساله القاضي « هل يستطيع المتهم ان يستمر في الخنق من غير ان يستيقظ ؟ »

فقال الطبيب « لا بد أن يستيقظ ولو جزئيا . ثم هناك الاثر على الضحية . فلو انها كانت نائمة لاستيقظت حتما لأن الانسان يدافع عن نفسه بحركة انعكاسية لاتحتاج الى ارادة اوتفكير . »

وساله ممثل الاتهام « هل تعتقد ـ بعد ان كشفت على الجثة ومن ملاحظاتك ان يكون المتهم قد قتلها وهو نائم بالطريقة التي يقول بها ؟ »

فكان رد الطبيب ـ على الطريقة الانجليزية التي تقول دائما اقل مما يراد قوله « أعتقد ان ذلك بعيد الاحتمال » فان الخنق يحتاج لوقت يقوم أثناءه القاتل بحركات ارادية لا تتفق مع قول المتهم انه وجدها قد ماتت فجاة ، ولا اعتقد ان ذلك ينسجم مع هذا النوع من الموت . »

ولاحظ محامي الدفاع ـ وهي من الاخطاء التي كثيرا ما يقع فيها المحامي المستجوب ـ ان الشاهد استعمل تعبير « بعيد الاحتمال » فقال الشاهد « التعبير الصحيح هو انه مستحيل » .

وحاول محامي الدفاع أن يصحح الوضع فقال « هل يمكن القول ان المسالة مرتبطة ـ بقدر كبير ـ على عمق نوم النائم ؟ » فقال الطبيب « للنوم العميق بعض الاثر . »

وحين وقف بوشير في قفص المتهمين ـ أو على الاصح حين جلس على كرسي الشهود ليدلي بشهادته في قضيته بعد حلف اليمين كالمتبع في القضاء السكسكوني قال :

« لاادري حتى هذه اللحظة كيف ماتت جين . لقد قابلتها في الحانة في ليلة رأس السنة مع سولت الذي لم أكن اعرفه وامضينا وقتا سعيدا في الحانة ثم دعوتهما الى منزلي لاتمام السهرة وتركتهما في غرفة الاستقبال ولما عدت سكبت اكوابا من الفودكا لثلاثتنا . ولا أعرف عدد الكؤوس التي شربتها بعد الكاس الاولى . ثم دعوتهما الىغرفةالنوموتركتهما فيهافترة.واعتقدت انهما سيستغرقان في النوم لما كان باديا عليهما من الاجهاد . فاخذت مرتبة ووضعتها أمام المدفاة في الصالون لانام أنا عليها فقد اعتدت ان أفعل ذلك حين يكون لدى ضيوف . ولم أفكر في التخلص من سولت لاني انا الذي دعوته . ولكن سولت وجين خرجا بعد فترة الى الصالون فقدمت لهما مزيجا من الفودكا والليمون . وكنا جميعا متعبين وانا خاصة لانني اكثرت من الشراب . ولفت جين نفسها بغطاء السرير وألقت بنفسها على المرتبة كما القى سولت بنفسه بجوارها . اما انا فنمت على البساط بجوار المرتبة . وبعد فترة استيقظت على صوتسولتيسالنيأينيجد تاكسيا فقلت له اين ستجد تاكسيا في هذا الوقت ؟ ولكنه أصر على الانصراف وعرض على جين ان يوصلها الى منزلها ولكنها رفضت . ولما انصرف سولت نمت انا على حرف المرتبة بجوار جين . « واستولى على النعاس فورا . »

وساله القاضي عن الملابس التي كان يرتديها فقال انه لا يذكر . واضاف انه لا يذكر بعد ذلك أي شيء الا انه استيقظ لانه أحس بشيء يجذبه من فمه فتنبه ووجد نفسه فوق جين ويديه حول عنقها وقد ماتت فجاة .

ثم قال ردا على سؤال القاضي « تولاني رعب شديد واخذت اجذب شعر راسها . ثم حملت الجثة الى غرفة النوم الاضافية وتركتها فيها بعد ان البستها ملابسها التي كانت ترتديها في الحانة . واخذت الملاءة والاغطية ووضعتها في حوض الاستحمام وسكبت عليها الماء وعدت الى

الغرفة ولم اقاوم النوم الذى استولى على .

وحاصر القاضى وممثل الاتهام ومحامى الدفاع بوشير باسئلة كثيرة فكانت اجاباته :

انه لا يدرى كم كانت الساعة وانه حين استيقظ فى صباح الغد ووجد الجثة خشي العاقبة واصابه الرعب من جديد وانه لا يدرى حتى الآن لماذا حمل الجثة وتركها حيث وجدت . وانه كذب على البوليس لانه كان خائفا . وانه لم يحصل بينه وبين القتيلة اى خلاف او حتى مجرد مناقشة . وانه لم يطلب منها فى اى وقت من الاوقات ان يتصل بها جنسيا . ولم يقصد ايذاءها او قتلها . ولا تفسير عنده للخدشات والجروح التى فى وجهه . ولا يدرى كيف لقيت جين مصرعها .ولا عنده ما يزيده على اقواله هذه.

ثم عاد وقال انه كذب حين أجاب على سؤال لمثل الاتهام انه لا يدرى لماذا حمل الجثة الى الحفرة التى عثر عليها بها . فهو يعرف الآن تماما لماذا فعل ذلك . لقد كنت احاول اخفاء جريمة اعتقدت اننى ارتكبتها » .

س ـ ما هى الجريمة التى اعتقدت انك ارتكبتها ؟

ج ـ الجريمة المفهومة .

س ـ فسر لنا ذلك .

ج ـ اننى قتلتها .

س ـ ولكنك لم تعتقد ان قتلك لها وانت نائم جريمة ؟

ج ـ اعتقدت ان القتل جريمة على اى حال .

واخيرا اعترف ان جين سبق ان جاءت الى مسكنه بدعوة من رجل آخر غير سولت .

★ ★ ★

وقال ممثل الاتهام للمحلفين ان عليكم ان تقرروا ما اذا كان المتهم يكذب حين يدعى انه كان مستغرقا فى النوم حين خنق ضحيته . فانه لا يمكن القول بانه كان تحت تأثير السكر الشديد وقت ارتكابه الجريمة لان تصرفاته بمجرد ان اكتشف انها ماتت تنفى ذلك . فلا دخل للخمر على الاطلاق . وتفسير ما وقع عندى ان بوشير عقب انصراف سولت راودها ، ولأمر ما امتنعت ، فقامت بينهما مناقشة ومشادة بدليل آثار الجروح التى فى وجهه . وامسك بها محاولا اسكاتها فماتت تحت ضغط يديه . وكل تصرفاته بعد ذلك تقطع بصحة هذا الاستنتاج .

وتركز الدفاع فى ان المتهم ارتكب ما ارتكبه وهو نائم . لقد كان مجهدا من طول السهر وكثرة الشراب بدليل انه استغرق فى النوم فى كل مرة ترك منفردا . نام الى ان ايقظه سولت حين قرر الانصراف فلم لا يكون قد عاد للنوم بمجرد انصراف سولت . ؟

★ ★ ★

وقال القاضي فى تلخيصه للمحلفين« قد تظنون ان المتهم بوضع يديه حول عنق الفتاة وضغطه عليها لهذه الفترة الطويلة اراد ان يقتلها او يحدث بها ضررا.وهولابد قد أدرك نتيجتها يفعله. وسأل المحلفين سؤالا استنكاريا « هل سبق لكم ان علمتم او سمعتم ان رجلا خنق امراة وهو مستغرق فى النوم ؟ الذى اعرفه انه لا توجد فى سجلات الاحكام ـ او الطب ـ سابقة من هذا النوع » .

وعلق الطبيب على ذلك ـ ولم يكن من حقه ان يفعل ـ ان ذلك ممكن تصوره . فنهره القاضى وصرف المحلفين الى غرفة مداولتهم ، بعد أن قال لهم اذا كان المتهم قد ارتكب جريمته وهو نائم ، فان عمله يكون بدون ارادة ، ولا جريمة بغير ارادة . واذا شككتم فيما اذا كان نائما كما يقول فان هذا الشك يجب ان يفسر لمصلحته ويتحتم عليكم ان تقرروا انه غير مذنب . اما اذا اقتنعتم اقتناعا لا يرقى اليه الشك ان روايته لا يقبلها العقل ويجب استبعادها فيجب ان يكون قراركم بانه مذنب . وليس امامكم اى خيار لاتخاذ قرار بين بين فهو اما « مذنب فى جناية قتل » او « غير مذنب »

★ ★ ★

وبعد ساعة وخمسين دقيقة خرج المحلفون من غرفتهم واعلن رئيسهم ان قرارهم بالاجماع ان المتهم غير مذنب .

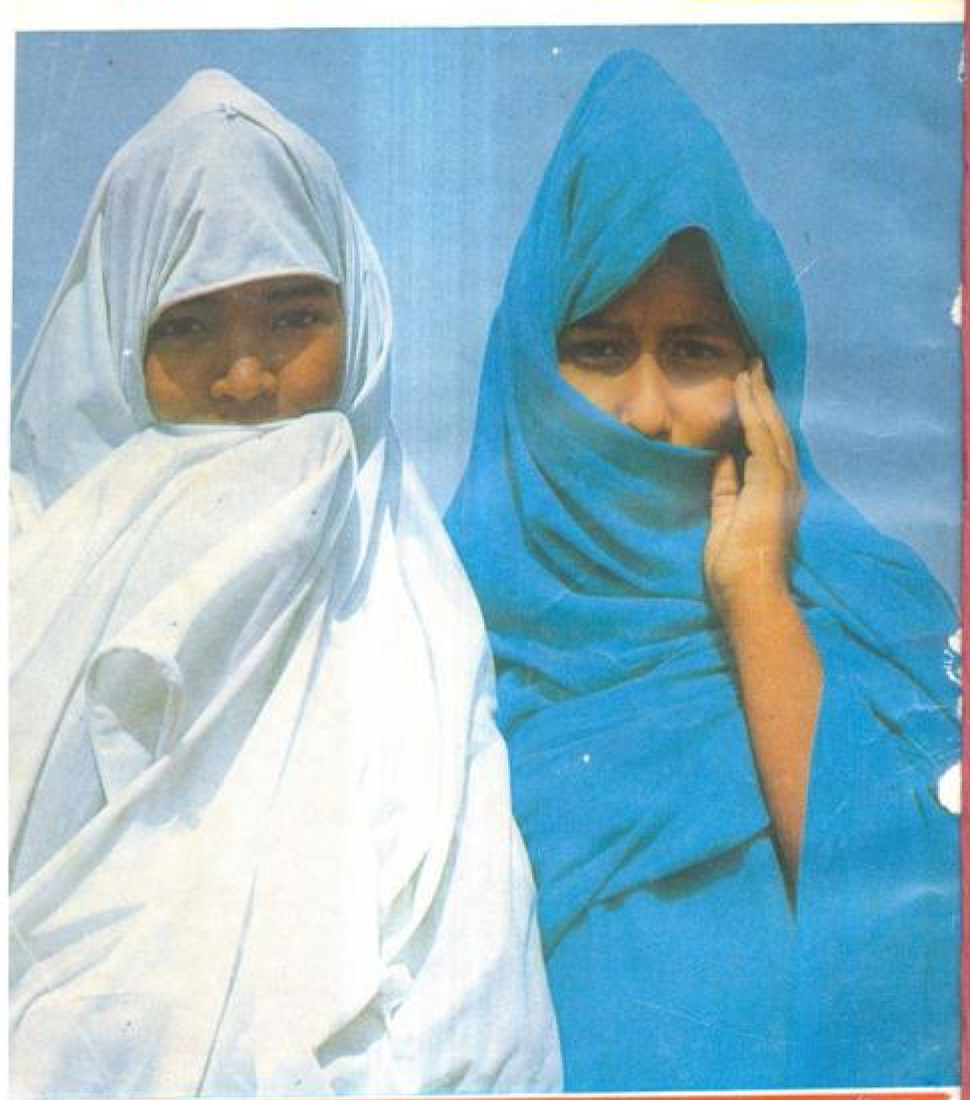
واذهل القرار جميع من سمعوه . حتى بوشير نفسه .. وبعد لحظة تمالك نفسه وقال « لقد وقفت زوجتى بجوارى طوال المحنة ولن انسى فضلها هذا » .

والكلمة الآن لقراء « العربى » . ■■

حسن الجداوى

العربي

العدد ١٢٩
جمادى الأولى ١٣٨٩
اغسطس
(آب) ١٩٦٩

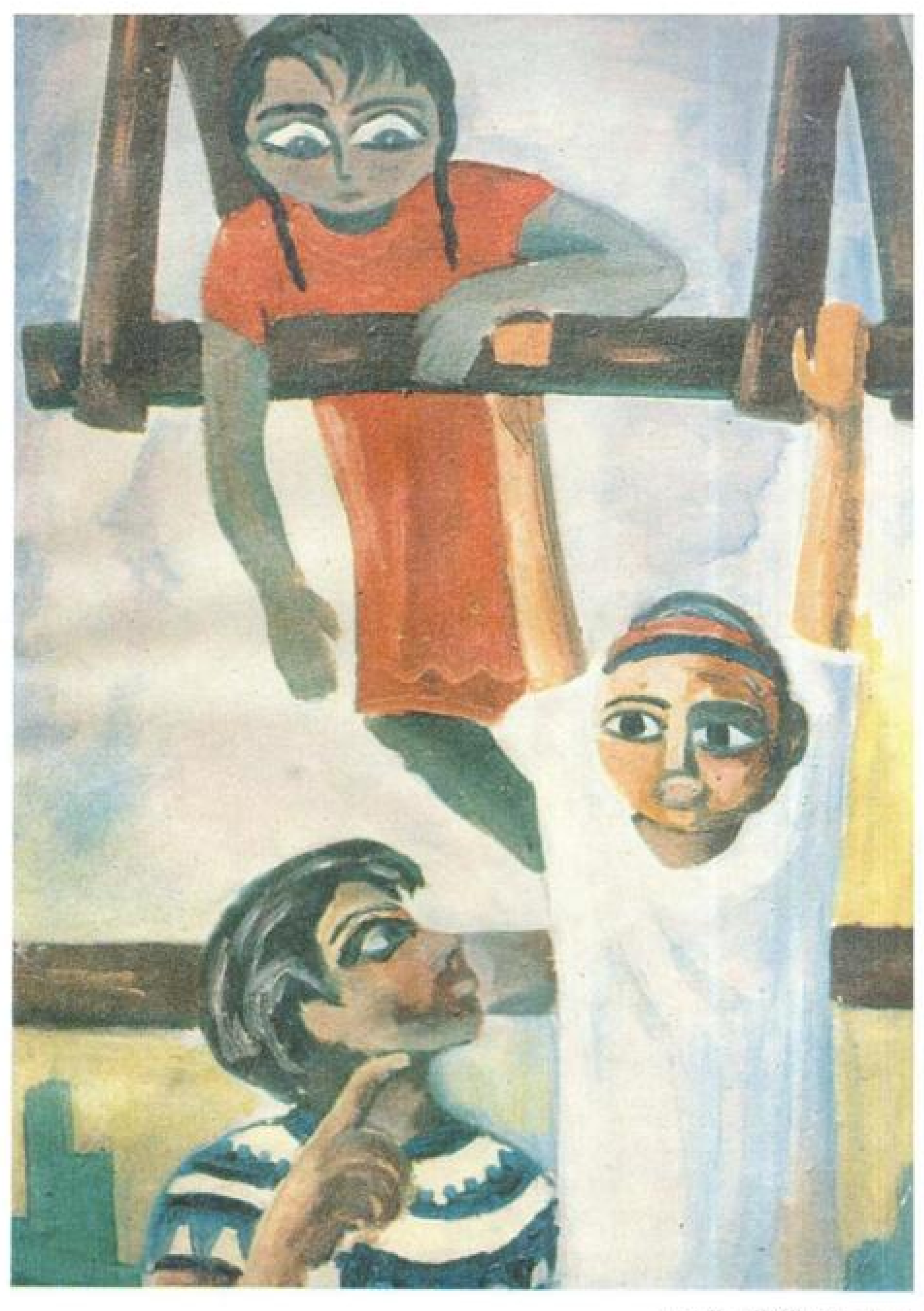


عربيتان من موريتانيا

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٥ر٢ شلن	[illegible]	١٠ قروش	[illegible]	[illegible]



من لوحات الفنانين العرب

طفولة ..
للفنان السوداني عبده صالح عبده

عزيزي القارئ

●● في هذا العدد أكملنا الاستطلاع عن قطر من أحدث الأقطار شروقا في سماء العرب ، ونعني به موريتانيا .

ونحن في استطلاعاتنا دائما نحترم الأوضاع القائمة لكل قطر . ونعلم ان هناك آمالا عربية كثيرة تتصل بالوحدة ، ونحن نزكيها ، ونحن من أول الداعين اليهـا ، ولكننا نفرق دائما بين الشيء المأمول في المستقبل ، والشيء الواقع الحاضر . فاذا كنا في النهار قلنا ان الشمس طالعة ، واذا كنا في الليل قلنا ان الشمس غاربة . ومن الناس من يود أن يرى الشمس في السماء دائما في نهار وفي ليل ! ونحن نود معهم ، ولكن الى أن يكون هذا لا بد أن نفرق بين ليل ونهار .

●● واذ نكتب لك هذه الكلمة ياعزيزي القارىء ، قبـل أن ينطلق رجال الفضاء الى القمر ، ندرك واياك ما في هذه التجربة القادمة من مكانة خطيرة في تاريخ البشر . فلهؤلاء الرجال الأبطال نرجو السلامة ، ونرجو النجاح . ونرجو أن تثبت أقدامهم على سطح القمر بحسبانهم رائدين . وأن تثبت من بعدهم أقدام رجال تابعين . وأن تنفتح السماء على أسرار عز انفتاحها لافهام الناس ، وهم قابعون محبوسون على ظهر هذه الأرض ..

المحـرر

١٩٦٩/٧/٨

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 129 August 1969 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

● عربيتان من بوتليميت .. مدينة العلم والمعرفة في موريتانيا .. ان المراة في موريتانيا تسير كاشفة الوجه واليدين ، ولكنها عندما تلمح غريبا تغطي فمها بطرف ملحفتها .. لقد نالت المراة الموريتانية حقوقها السياسية والاجتماعية على الصعيد الرسمي ، ولكن اهلها مازالوا غير مقتنعين باعطائها مثل هذه الحقوق ..

(انظر استطلاع موريتانيا الجنوبية ابتداء من صفحة ٨٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



البصرة في قديم الزمان

● وردتنا رسائل عديدة حول الكلمة التي نشرناها في هذا الباب من العدد ١٢٧ بعنوان « البصرة في التاريخ » للأب اسحاق ساكا . ونظرا لضيق المجال فاننا مضطرون للتركيز في هذا العدد على واحدة من تلك الرسائل ، هي رسالة الاستاذ عبد القادر باش اعيان . ونحن اذ نأسف لعدم تمكننا من نشر محتويات هذه الرسالة كلها لنرجو ان تتاح لنا فرصة مقبلة للكتابة المفصلة عن البصرة وتاريخها ، في باب آخر من ابواب المجلة ، او في استطلاع مصور خاص تقوم به بعثتها . يقول الاستاذ ، في رسالته :

« البصرة لم يكن اسمها ميشان ولا اسست على ارض ميشان . وبما انني اقوم بتاليف كتاب شامل بعنوان (تاريخ البصرة الكبير) فانني استطيع ان اوكد بان ما ذهب اليه الاب اسحاق ساكا في كلمته مخالف للحقيقة والتاريخ . »

« ان منطقة ميشان هي التي تسمى الآن (ميسان) ، وهي منطقة لا مدينة ، اسموها (العزير) سابقا ، وتمتد شرقا الى حدود (الحويزة) وجنوبا الى القرنة .

« ولو عدنا الى الوراء ، الى ما قبل الفتح العربي لاقليم العراق ، لوجدنا ان البصرة بلدة قديمة كانت تحمل اسماء غريبة وقديمة ، حتى تسنى للمسلمين فتح العراق بقيادة سعد بن ابي وقاص وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . »

« من تلك الاسماء (تدمر) او (تروم) او (ترون) وهي اسماء آرامية كانت تطلق عليها في عهد الكلدانيين ، على نحو ما يقول العلامة هارتمن .

« وفي رواية اخرى ان المثنى بن حارثة الشيباني ما انفك يشن الغارة بعد الغارة على بلدة (وهشتا باذا اردشير) وهي تسمية فارسية ، حتى خرّبَ تلك البلدة ، فلما قدمها العرب سموها (خريبة) ، تصغير خربة . »

« ومن تلك الاسماء لفظة (بصرياثه) الارامية وقد وردت في نبذة نقلها المستشرق (لسترانج) في عرضه لكتاب جغرافي لابن سرابيون . ولفظ (بصر) بالكلدانية يعني الجزء الضعيف (وبصرايا) و (بصربى) ، اى الاقنية ، و (بيت صربى) و (باصربى) و (باصرا) محل الاكواخ .

« وقد تعرضت البصرة ، قبل الفتح الاسلامي لغزوات الفرس المتتالية ، فاذا بها تسمى باللسان الفارسي (بسي راه) . ويقول الحمزة بن الحسن الاصبهاني في ذلك ان لفظة (البصرة) تعريب (بسي راه) اذ كانت البلدة ذات طرق كثيرة ومتشعبة .

« وقد اسس مدينة البصرة عتبة بن غزوان سنة ١٤ للهجرة الموافقة لسنة ٦٣٥ ميلادية » .

أكثروا من ذ...

● لقد اعجبني جدا حديثكم الشهري « الحرب اليوم علم وتكنية » العدد ١٢٤ نظرا لما تضمنه من معلومات مفيدة لكافة القراء ، من عسكريين وغير عسكريين .

يا حبذا لو اكثرتم من التعرض لمثل هذه المواضيع التى من شأنها أن تعرف العرب بحقيقة الأسلحة التى يحاربهم أعداؤهم بها ، والتى يجب

في الشراكسة

● كتب الينا عدد من القراء الشراكسة تعقيبا على ما نشره العربي عن الشركس في باب « انت تسال ونحن نجيب » في العدد ١٢٦ . ولضيق المجال نكتفي بايجاز بعض ما احتوته تلك التعقيبات ، على النحو التالي :

١ ـ يبلغ مجموع الشركس، سواء المقيمين داخل الاتحاد السوفيتي او خارجه ، نحو اربعة ملايين نسمة . والمناطق التي يعيش فيها شراكسة الاتحاد السوفياتي هي قفقاسيا الشمالية التي تشمل شركسيا وغيرها ، وجمهورية كابار الواقعة في جنوب شرق الاتحاد السوفياتي . ولعل هذه الجمهورية الاخيرة هي موطن الشراكسة الاصلي .

ف . ص . دمشق .

٢ ـ تقولون ان الشراكسة مسلمون وان اكثرهم سنيون .. ويستنتج من هذا ان من الشراكسة من ليسوا سنيين . والذى اعرفه منذ صغرى ـ وانا شركسي ـ ان الشراكسة كلهم سنيون !

خليل عبد الحميد خواده ـ قطر .

٣ ـ لم تذكروا شيئا عن الشراكسة الموجودين في سوريا والاردن ، وهم يتركزون في الاولى في مدينة اعزاز وخناصر في منطقة حلب وفي عدد من القرى من منطقة حمص ، فضلا عن مدينة القنيطرة في الجنوب وقد استولى عليها العدو الصهيوني كما هو معروف . ويبلغ عدد الشراكسة نحو ٠٠٠ر٤٠) في سوريا ونحو ٠٠٠ر٥٠ في الاردن .

منطوق بن صوقا من شراكسة حمص .

٤ ـ الشركس الذين يقيمون في البلاد العربية لا علاقة لهم بالمماليك اطلاقا . فالمماليك لهم قصة معروفة لا دخل للشركس بها .

هـ . م . ن . شركسي من الاردن .

الفجر هل هم الهكسوس ؟!

● قرات في العدد ٧٦ من العربي (مارس ١٩٦٥) ردا على سؤال للاخت عائشة اسماعيل من بيروت. وقد ذكرتم في جوابكم ان الفجر ليسوا من اصل مصري واكدتم انهم من الهند خلافا لما ذهبت اليه صاحبة السؤال من ان الفجر مصريون اصلا وانها قرات بحثا في مجلة انجليزية يقطع فيه كاتبه بان الفجر (Gypsies) من اصل مصرى وان اسمهم مشتق من اسم مصر (Eygpt)

وقد اطلعت في مجلة شركة الزيت العربية (ارامكو) في عددها الصادر في شهر مايو ١٩٦٩ مقالا للاستاذ عبد القدوس الانصارى يؤكد فيه ان الفجر او الهكسوس سكنوا مصر في التاريخ القديم وانهم عرب ، وان فرعون موسى واحد منهم وهو عربي مثلهم وانهم نزحوا اصلا عن العراق الى الشام ومنها انتقلوا عبر سيناء الى مصر حيث حكموا سنين بل قرونا عديدة .

محمود سعيد محمد قاسم ـ الاردن .

الفجر في حلب

● عدد الدكتور مصطفى جواد في مقاله الجامع عن الفجر (في العدد ١٢٦ من العربى) شتى الاسماء التي عرف بها هؤلاء في مختلف البلدان . وعطفا على ما ذكره كاتب المقال من ان الفجر يسمون (بالقرباتية) لدى اهل حلب ، نفيدكم بان ثمة حيا في اطراف حلب يسمى حي القرباط، يسكنه الفجر ويمارسون فيه صناعتهم التقليدية التي هي عمل المناخل والغرابيل والطبول وما الى ذلك . ولعل هذه التسمية الحلبية (القرباط) مشتقة من اسم جبال (الكربات) في بوهيميا ، وقد اشار الدكتور جواد الى صلة الفجر بهذه الجبال واشار الى تسميتهم (بالبوهيميين) او (التسيغان) عند الفرنسيين .

مدير مدرسة .... حلب

ذكر السلاح

ان يتوفر للعرب مثلها ، او ما هو اشد فتكا منها ، ليصبح في مقدورهم صد العدوان الصهيوني الغاشم .

وياحبذا لو استحدث العربي بابا جديدا ، خاصا بالشؤون العسكرية وبالاسلحة والذخيرة على اختلاف انواعها .

سيلان محفوظ عباد ـ حضرموت .



بقلم رئيس التحرير

■ اذا انا ذكرت لك لفظ الماء ، فهمت منه على الفور شيئا محدّدا ، ذلك لأنه جرم ملموس محسوس .

واذا انا ذكرت لك لفظ السائل ، فهمت منه ، على برهة من الزمن اطول ، معنى يجمع في طيه اشياء فهو الماء وهو الزيت ، وهو الخل وما أشبه . انه لفظ يدل ، لا على وجود جرم واحد ، ولكن على اجرام تعددت ، ولكنها جميعا ملموسة محسوسة .

وانتقل الى لفظ « العدل » . وبهذا اخرج عن الشيء الملموس المحسوس ، الى الشيء الذى لا شكل له ولا وجود ، الا صورا في العقل . ولعل اول ما يخطر على بالك مع ذكر « العدل » ذكر « الظلم » فهما صورتان في الذهن متكاملتان . ويزيد في استجلاء لفظ العدل ما قد ينبعث في ذهنك عند سماع هذا اللفظ من صور ملموسة محسوسة تتصل به ، كبناء محكمة وعلى راسها ميزان العدالة المعروف ، أو لعلها صورة لقاض والمتقاضون أمامه قاعدون صفا صفا .

الغاية ، انه لفظ ، لمعنى ، لشيء لا جسد له ، ومع هذا استطعت أن تتصوره على الفور ، أو ما هو قريب من الفور .

وآتي أخيرا الى لفظ « الحرية » .

انك اذ سمعته ، لم يثر عندك معنى واحدا واضحا ، وذلك بسبب انه يثير في ذهنك الف معنى . وهو يثير عندك غالبا ، وعلى البداهة ، ما يثير من قدرة على ان تفعل ما تشاء . فانت حر تقف او تقعد . وانت حر تتكلم او تصمت . وانت حر تستيقظ او تنام . وكل هذه صنوف من الحرية لا يخاصم فيها احد احدا . حتى الفكر . فانت حر في ان تفكر ، فتقول لنفسك انك تحب هذا الطعام ، او تكره ذلك الطعام ، او انك تحب هذا الانسان ، او تكره ذلك الانسان . ولك

فى ظِلِّ العادات ...
وفى ظِلِّ القانون .....

أن تنظر في الناس فتقضي بأن زيدا ملؤه الخير ، وعمراً ملؤه الشر ، وخالدا يستحق الشنق . وكل هذه حرية فكر تستطيع ان تتمتع فيها طول عمرك ولا تجد من يخاصمك فيها أو يمنعك منها .

انها حرية لك خالصة ، ما دامت بينك وبين نفسك .

ولكن غير ذلك ان تكون بينك وبين الناس .

فانت لا تستطيع ان تلقى رجلا، وتنظر الى وجهه ، وتقول له على الفور ان وجهه وجه قرد ، ولو كنت صادقا ، ثم تسمى ذلك حرية راى ، فى حين ان غيرك قد يسميها وقاحة راى .

وانت في المجتمع الذى تعيش فيه لا تلقى رجلا واحدا ، وانما رجالا . وتلقى مع الرجال نساء ، ومع الرجال والنساء اطفالا . أسرا آلافا ، واحياء مئات ، ومؤسسات لا تحصى ، وتنظما لا تعد . كلها بعض المجتمع الذى انت بعضه .

وتحكمها عادات ، وتحكمها قوانين ، سامحة آذنة ، او مانعة كابحة .

وهى عادات ، وهى قوانين ، انت فيها حبيس .

انها مجالات للحركة شتى ، منها ما يتسع ، ومنها ما يضيق . ولكن الصبى الذى يتحرك فيها على هواه ، وعلى الأخص الرجل البالغ ، لا يلبث ان يصل الى حدود من هذه المجالات : جدران سميكة رفيعة تقول لماشيها الى هنا يجب ان تقف الخطى .

حدود الحرية
نطاق من عادات . ونطاق من قوانين

ولكن ، ما يعسر على الصبية ان يفعلوه ، وما يصعب عليهم ان يتفهموه ، هو هذه العادات ، من يصنعها ، وكم تدوم ؟




ليس من الحرية ان تلقى رجلا ، وتنظر الى وجهه ، وتقول له على الفور انوجهه وجه قرد . ولو كنت صادقا

وهذه القوانين ، من المسئول عنها ؟ وهل عمرها هو عمر هذا الجبل الذى هو قائم بظاهر المدينة ؟ او عمر هذا النهر الذي يخترق ربوعها ؟ اى هـل هى ابدية سرمدية ؟ .

الحـرية في نطاق العادات ما دامت

والقول الحق ان العادات تدوم ما رضي بها اهلها . وتتغير الظروف المعاشية ، والأعمال المهنية ، والمسالك الاقتصادية ، والمجتمعات الانسانية ، فلا يلبث سكان المدينة او القرية ان يحسوا الحاجة الى التغيير ، فتتغيّر العادات رويدا رويدا . وفي التغيير استرضاء لمطالب الحـرية بتوسيع مجالات الحركة في العيش .

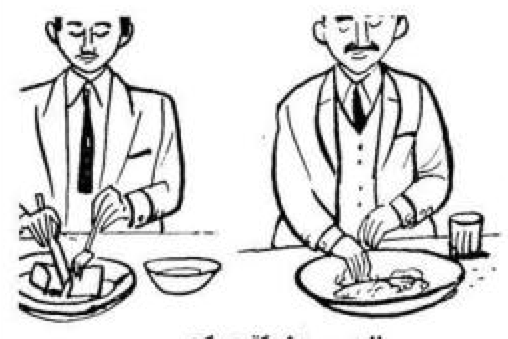
ان الناظر في هذه الأمور ، كالعادات وامثالها، يلجأ عادة الى التاريخ يستفتيه . وانا استفتي التاريخ فاجد فيه كل سند لما اقول في امر هذه العادات . انها تغيرت في اكثر البلاد العربية في هذا القرن، وهو في عمر الزمان قصير ، بحيث اختلف ما كان يراه الانسان منها في اوائل هذا القرن عما يراه انسان اليوم اختلافا عظيما . في ملابس اجسام ، في اغطية رؤوس ، في موائد طعام ، في عادات طعام وشراب ، في احتفال بزواج ، في جنازة اموات . كل شيء تبدل وتغير . وقد تجد في الدولة الواحدة ، راس هذه العادات وذيلهـا اجتمعا معا ، الرأس يقتحم عادات القرن الجديد ، فله ما يشبه القرون ، والذيل ما زال مثمورا تغمره اطرزة من عادات القرن الماضي والقرون التي سبقته .

ويحـاول أقوام أن يبدلوا العادات في الجماعات ، استعجالا للخير ، او ما يحسبون انه الخير ، فيفشلوا . وتنجح ظروف الحياة المتغيرة بعنفها وجبروتها ، وينجح تطوّر التعليم ، وينجح تواصل الأمم .

صورة المرأة في بعض البلاد العربية

في منتصف هذا القرن — في أول هذا القرن





اليد .. وشوكة وسكين
ولا تقل لي أى الاسلوبين خير .
انما ادللّ على التغيير كيف يفرضه الزمان

واضرب مثلا لذلك دولة عربية لا اسمّيها . زرتها ، وطلبت أن أزور بعض مدارسها ، وعنيت بزيارة مدرسة للبنات خاصة ، أي ّ مدرسة ، لاقتناعي بأن تعليم البنات ، الأمهات في هذه البلاد ، كان افعل في نهضتها من زيادة في تعليم الأولاد . وأسرّ الى أهل الاختصاص بأني سأزور معهم مدرسة للبنات هي الواحدة ، على أن لا أذكر اني زرتها ، أو اذكر اسمها . واخذوني اليها متسترا ، ولقيتني فيها سيدة أميرة ، كانت الحارسة ، وكانت الحامية ، وحسبتها من رواد الجيل حقا ، رجاحةَ عقل ، وسعة علم ، وتفتح قلب .

وأسفت عند ذلك أن يكون تعليم البنت اشبه شيء بتعاطى الأفيون ، يحاط بهذا الكتمان الزائد .

وجاءني في هذه الأيام رجال استطلاعاتنا بأن الحال في هذه البلاد قد تغير ، والتستر على تعليم الفتاة قد تبدل ، والنهر فاض حتى كسر السد ولم يجد المختصون من مدارس البنات التى أقاموها ، وقد اقاموا الكثير ، ما يكفى حاجة الناس . فحمدت الله . ولكن ما زلت آسف على تلك السنين التى ضاعت على فتيات مضين ، حرمن التعليم والعمر في ابّانه .

وتسألنى : وما علاقة هذا بالذى أقول من أمر العادات .

وجوابى أن فرض الجهل على المرأة عادة فكرية ، فهى كالعادات لم يكن من السهل تغييرها ، الا بعامل اعظم أثرا من الكلمات تقال أو تنشر ، يرجى بها تغييرها . اما ذلك العامل الأعظم فقد كان اتجاه الشباب المتعلم من رجال تلك الدولة الى الزواج من خارج بلادهم ، حيث يجدون الزوجة ومعها العلم ، فكسد بذلك سوق الفتيات أهل قرابتهم وبنات جلدتهم .

الحرية في نطاق القانون

وكالحرية في نطاق العادات ، تكون الحرية في نطاق القانون . ذلك انه لا يمكن أن يعيش مجتمع بلا قانون . وذلك بسبب ما للذى الافراد من حريات مطلقة ، هوجاء ، كتلك التى وصفناها في أول هذه الكلمة . ان حريات الأفراد لابد متناقضة ، متعاكسة ، متضاربة . لأن الحرية الفردية المطلقة أساسها الأنانية . وأنت ان كنت في جزيرة وحدك ، فلك أن تكون انانيا ما شاءت لك الأنانية . واغلب الظن أن هذه الأنانية لاتضرك . وهى عندئذ لا تكون من الأخلاق المحمودة أو السيئة المرذولة في شيء . وانما هى تصبح كذلك ، تحمد أو تذم ، اذا سكن مثلك في الجزيرة رجل ، أو رجلان أو الف رجل . عندئذ تتضارب الأنانيات ، وتصبح القوة الحكم . وهى القوة التى تحسم بين انانيات الدول وتسميها الحروب .

فالانسان في الجماعة لابد أن يأخذ لأنانيته وأن يعطى منها . واذن وجب أن يكون لهذا الأخذ والعطاء تنظيم ، يدرك منه الآخذ والمعطى ، من قبل أخذ واعطاء ، ما يأخذ وما يعطى ، وكم يأخذ وكم يعطى .

ونظر الناظرون في الدولة ، من فلاسفة وحكماء ، فقالوا ان الدولة State هى القانون ، وان لم تكن شيئا آخر .

القانون من عمل الجماعة وهو فوق الجماعة

والقانون قوة غاصبة . وهو قوة فوق الجماعة . ولكنها قوة تنشئها الجماعة برضاها ، بالطرق التى اسموها ديمقراطية . على ان تكون ديمقراطية حقا وصدقا . فالقانون الذى ترضاه

وتشريح جثث الموتى كان يساق فاعله الى السجن ، في غرب وفي شرق ، واليوم هو بعض ما يجرى كل يوم في مدرسة طب بجامعة .

واذا نزلنا بالأمثلة الى خصوص الأفراد ، ذكرت استاذ الجامعة الشاب الذىودع زوجته الشابة في قطار بمحطة عاصمة عربية كبرى فقبلها القبلةالمعروفة العابرة ، فساقه رجال الشرطة الى مركز البوليس ولم يفرج عنهما الا باظهار شهادة الزواج اثباتا لما بينهما . كان هذا في العشرينيات من هذا القرن . فاين هذا مما عليه الحال الآن في تلك العاصمة الكبيرة . والأستاذ المذكور صديق لنا يعرفه كل العرب . ورحمه الله .

معنى القبلة هذه تغير في حكم القانون، فالشرطة تجيزه . سواء رضيته انت او لم ترضه ، أو رضيته انا او لم ارضه . فذاك امر غير ذى موضوع .

ما قانون بثابت على الدهر ابدا

ان القانون لا يمكن ان يثبت بحذافيره، في مجتمع ، لان المجتمعات تتغير مع الزمان . ولعل الأمة العربية ، في شتى البلاد ، وهى تخرج الآن من تخلفها ، هى اليوم احس بالحاجة الى تغيير الكثير من قوانينها ، من اى ايام سلفت . فالنقلة الآن من التخلف الى التقدم ، كبيرة .

وليس معنى هذا ان الخير القديم سينقلب شرا ، والشر القديم سينقلب خيرا ، فمعاني الخير والشر اصيلة في الوجود الانساني ، وفي وجدانه ، فلن يمسها شيء .

ودين أكثر العرب اليوم الاسلام . والقرآن قانون المسلمين الذى لا يختلف فيه اثنان . وهو نظم الحياة الدنيا بأحكام شاملة ، هى اسس عريضة غالبا، كالمظلات التى يأوى تحتها أشتات من صنوف الخير كثيرة .

وان يكن كان للمسلمين في القرون الغابرة فقهاء كرام ، فيهم ذكاء ، وفيهم حكمة ، وفيهم صبر ، وفيهم تقوى ، وهم صنعوا للاسلام شريعة لا تكاد



روبنسن كروزو كان وحده في جزيرته ، فكان له من الانانية ما يشاء ، ولا يشكوه احد

الجماعة ، هو نطاق حريتها ، الا في الأزمات كالحروب . ومع هذا فالقانون نفسه يصف هذه الأزمات ، وقد رضيتها الجماعة وصفا .

ومع هذا فليس في الارض قانون مبرأ من خطأ . اساسه قد تكون ثابتة، ولكن تفصيله وتفريعه وتطبيقه قد يدخل اليه الخطأ ، أو حتى العبث. والأساس قد تتلون بلون عصر من العصور ، وتتوالى العصور وتختلف ، ويختلف تبعا لذلك ، لا الأساس ، ولكن تفهمه . استخلاص ما فيه من خير . واذن وجب ان يتغير فهمه .

الرق رضيه حتى فلاسفة اليونان ، واليوم اين هو من القوانين .

الحرق كان جزاء من يقول ان الارض تدور ، ودوران الأرض اليوم بعض ما يدرسه الأطفال في المدارس .

تضاهيها من حيث اتساعها ، وعمقها ، ورجاحة فيها ، اى شريعة اخرى ، اقول ان يكن كان للمسلمين في غابر ايامهم هذه الرؤوس الجبارة من مفكرى الاسلام ، ففي عصرنا الحاضر لا شك فقهاء كذلك كرام ، فيهم ذكاء ، وفيهم حكمة ، ولهم بصر بحاضرهم كمثل بصر الغابرين بماضيهم ، يستطيعون أن يستمدوا من القرآن ومن ثابت الحديث ، ومن حسن بصر الأئمة السابقين ، بما عرفوا من القرآن، وما عرفوا من مشاكل عصورهم، يستطيعون أن يستمدوا من كل ذلك بما يمدون به العرب ، واكثرهم كما قلت مسلمون ، بما هم في حاجة اليه من تطبيق آيات محكمات ، من قول الله ، في بيئات حديثة شاءت مشيئته تعالى أن يصنعها للحاضرين من عباده .

ان المسلمين المحافظين على نوعين :

نوع يحافظ على الأصول فى القرآن والسنة وما فرعه عنهما الفقهاء الأقدمون، وهم يقولون ان هذا صالح لكل زمان ومكان . وهو صالح للأمة العربية اليوم بحذافيره .

ونوع محافظ على الأصول ، ولكنه يريد أن تدرس الفروع التى هى من استنباط الفقهاء ، علما منهم أن هذه الفروع دخلها تأثير البيئات التى انطوت، والأجواء الفكرية التى انصرمت ، من اموية وعباسية وفاطمية وغير ذلك ، فهم يريدون في كل هذا تحقيقا جديدا ، تصحبه نظرة الى ما نحن فيه من هذا الزمان .

وقد اضر وقوف الفئة الأولى ، فئة المحافظين على كل شيء ، على الأصول وما فرع الفقهاء القدماء ، بالغاية التى هدفوا اليها ، تلك التى كان منها ان انصرفت اكثر البلاد العربية الى تأليف القوانين المدنية . ومنها من اقتبس من الفقه الاسلامي القديم الكثير ، ومنها من اقتبس القليل .

وعندى أن السبب في هذا موقف الغلاة .



فيساليوس (١٥١٤ ـ ١٥٦٤ م)
من اوائل من كفر بدراسة الطب من الكتب . لا بد عنده من الجثث ، ومن التشريح ، وبذلك فتح علم الطب على مصراعيه .

قوانين مدنية اصطنعتها الدول العربية

على انى لم اكن اقصد الى هذا عندما قلت انه « ما قانون بثابت على الدهر ابدا » .

لقد كنت اعنى تلك القوانين المدنية التى اصطنعتها البلاد العربية ، والتى تصطنعها البلاد الغربية ، وكل بلاد على سطح الارض .

هذه القوانين قد تولد شوهاء .

ومنها ما قد يولد استجابة لحالة طارئة ، ثم يبقى القانون بقاء الدهر .

والقانون ، في البلد الديمقراطى ، تحمله الى غايته الأكثرية ، واكثرية اليوم قد تكون غير أكثرية الأمس .

والشعب قد يضعف ، وتقوى الدولة، وفي هذا الظرف قد تصاغ القوانين وتستعجل ، ويتحمل الشعب تبعة ما لم يتحمل .

والدولة في ظل القانون القائم ، قد

لا تحسن تطبيقه عن عمد أو غير عمد ، ويحتاج الأمر الى تقنين لتصحيح .

وحاجات جدت ، لم تكن منظورة ، لا بد فيها من المنع ، أو لا بد فيها من الردع ، أو حتى الاباحة فيما جعل القانون القائم فيه التحريم .

وهل ادل على ان القوانين لا تثبت على الزمان من امتلاء برلمانات العالم كل عام بطائفة كبرى من القوانين كثيرا ما تعجز عن تيسير الوقت الكافي لاستيعابها.

من اجل هذا وغير هذا جاز لمواطن وحده ، او لمجموعة من المواطنين ، ان ينادوا بتغيير القانون ، وان يجعلوا من ذلك قضية تشرح للناخبين . وعلى الدولة الديمقراطية أن تسمع من هؤلاء ، وان تأذن فيسمع الناس ، بل وان تعين هي على اسماعهم . فالدولة فوق الخصومات . والذى يخاصم القانون ، في البلد الديمقراطى ، انما هو بعض الشعب ، ينادى بعضه الآخر ، أن يقرأ، وان يغير .

وهذا البعض الآخر قد يقتنع وقد لا يقتنع ، ولا تغيير بدون اقناع واقتناع .

فهذه هي حرية من اخطر الحريات تفسدها على الامم رؤوس لا يكاد يستقر فيها رأى معارض حتى تسخن الى درجة الحمى ، واذن هي تلجأ الى القوة ، او على الأقل تطالب بها سبيلا ، علانية او في خفاء ، لتحقيق الرأى الذى تراه . وهو رأى ان جاز انه جاء به ملك من ملائكة الله فقد جاز أيضا ان يكون نزوة من نزوات شيطان .

وليس للدولة أن تمنع الرأى المعارض من نشر،ومن شرح،بالقوة . وهى اذا لم ترضه ، عليها أن تعارض النشر بالنشر، وترمي الحجة بالحجة . هذا من بعض حقوق الدولة .

ان الدولة التى تمنع الراى بالقوة انما تسيء الى العقل، الذى منه استمدت قوتها في الحكم . والدولة التى تنفى العقل ،تنفي القدرة على الابداع ،والقدرة على التجديد ، والقدرة على السير قدما بالحياة . والدولة التى تجبر الناس على الصمت خشية العقوبة انما تنمي في الناس الجبن ، وتنمي فيهم الرياء والظهور بالرضي بينا حشوهم النقمة اكبر النقمة . ثم ان الرجل منا يطيع القانون ، ويطيع منه ما لا يرضاه، ويطيع ما لا يرضاه منه عن رضى ، لان القانون لم يصنع له وحده . صنع له ولألف غيره ، وكلهم مختلفون مزاجا، ومختلفون مصالح ، فهو يرضاه ارضاء للدولة وما تمثله الدولة من خير الأمة . وغير ذلك ان يحس أن الدولة تستعمل القوة لتقهر الناس على الايمان بما لا يودون ، وحتى لتمنعهم عن الصراخ عند الألم .

والدولة التى تمنع الراى بالقوة هى التى تخلق العصاة والخارجين .

وشر القهر الذى تقوم به الدولة قهر يتصل بخلق او دين ، فهذان يتصلان بالضمير .

وكما أنه ليس على الدولة ان تنذر صاحب راى باستخدام القوة ، فكذلك ليس على صاحب راى جديد ان ينذر معارضيه باستخدام القوة ، او يدعو اليها . فالقوة التى اقر ساسة الأمم جميعا انها لا تصح ان تكون حكما فيما ينشأ بين الدول من خلافات ، لا يجوز في حكم المنطق السليم ،ولا الخلق الطاهر، أن تكون حكما فيما ينشأ من خلاف بين بعض الشعب وبعضه : الضارب أولا ، والاقوى ضربة ، هو الأصح حكما ، والاهدى مذهبا !

بسبب هــذا امتلأت الدنيا بالثورات

انه بسبب الجنوح عن الأسلوب الديمقراطى في الحكم ،في اكثر بلاد العالم ، تكشف العالم اليوم عن بلاد لا ندرى اين يقع حكامها من رضى الشعوب التى هى تحكمها . واصعب من ذلك ان ندرى اين يقع حكامها من صلاح الحكم فيها رغم كره شعوبها اياها ، فالشعوب ، وهى متخلفة ، تكون كالأطفال تكره الطبيب لانه يجرح أذرعها بابرة اليمة ، او يعطيها




كان باتستا حاكم (كوبا) المطلق . حكمها لغير صالح اهلها بالحديد والنار . فلما حدث الانفجار ، وما اسهل ما حدث،نجا بحياته.وبدا عهد كسترو. ولسنا نحمد او نذم.ولكنا نقول لولا باتستا ماكان كسترو

الدواء شرابا مرا ، وهي لا تفهم حكمة الطب في ابرة او شراب .

الحكم في اكثر بلاد العالم الآن مهوش، والثورة هي اكثر ما ينتظم اليوم هـذه البلاد .

والسبب في ذلك ، او من بين اسبابه، قلة فهم الشعوب للأسلوب الديمقراطي ، ومع قلة فهم للاسلوب الديمقراطي قلة صبر عليه . والشعب ، متى اجاز الثورة سبيلا الى الحكم،اجاز غيرها من ثورات، حتى اصارت امريكا الجنوبية اليوم ام الثورات جميعا .

وشذت دول الغرب

وشـذت الأمم التى اسميناها دول الغرب .

فقد ثبتت الديمقراطية فيها ، على الوصف الذى ذكرنا ، بقدرة قادر .

وهي ثابتة على الأقل الى حين .

ولا يعنينا من امور هذه الدول ، دول اهل الغرب ، غير هذا الوجه من الحرية، في حدود القانون على الأسـلوب الذى نحن بصدده . وفي داخل هـذه البلاد لا خارجها . ولأهلها دون سائر الخلق . فلا يعنينا من هذه البلاد ، الآن ، ما يذكر من مساوئها في خارج حدودها .

واعان هذه الأمم على الاحتفاظ بهذا القدر من الديمقراطية الحرة داخل بلادها اسباب :

منها سبق الى التعليم ، والى التنور، والى الفهم السياسي .

ومنها سبق الى العلم ، والى التكنية ، والى ارتفاع مستوى المعيشة .

ومنها تاريخ عراك طويل مبيد ، دام فيهم قرونا ، بين الاستبداد والحرية ، بلغ الذروة في فرنسا عام ١٧٨٩ ،وسبقه في انجلترا في الثورة التى أسموها بالمجيدة Glorious Revolution في عـام ١٦٨٨ ، وفي الولايات المتحدة عام ١٧٧٥–١٧٨١ وعام ١٨٦١ – ١٨٦٥ .

وهذه الديمقراطيات ليست جنة الله على الارض ، وسـاكنوها من البررة الأطهار ، ولكنها اشكال من اشكال الحياة الانسانية استبقت شيئا غير قليل من كرامة الانسان لساكنيها . ودعْ غيـر الساكنين .

ومن هذه الكرامة الحرية .

ومن هذه الحرية حـرية الرجل في منزله وبين اهله .

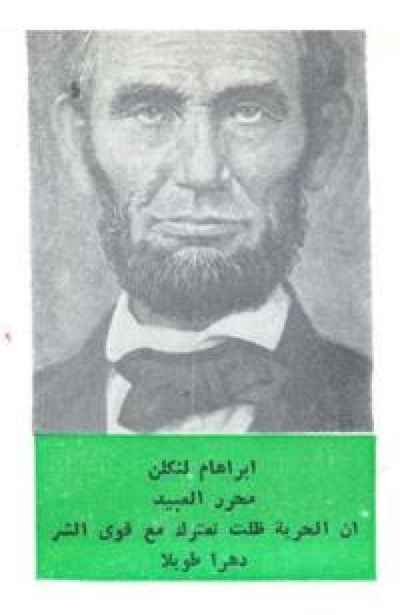
ومن هذه الحرية حرية الرجل في عبادة .

ومن هذه الحرية حرية الرجل من مشيئة رجل آخر ، املأ جيبا ، واقوى ساعدا .

ومن هذه الحرية حرية الراى ، يقول الرجل منا او يسمع ، فينصر ما رآه حقا ، ويبطل باطلا . ثم لا ننسى انه الراى يخطىء ويصيب .

وكل هذا في حدود القانون الـذى رضيته الامة حقا وصدقا .

وكل هذا في حدود الامكان ، فما بلـغ تنظيم في الأرض مبلـغ تنظيم في السماء ، وما كاد .



ابراهام لنكلن
محرر العبيد
ان الحرية ظلت تعترك مع قوى الشر دهرا طويلا



ولنضرب مثلا

ولنضرب مثلا بالبلد الذى اسـموه ام الديمقراطيات ، والذى ولد فيه ابو البرلمانات ، تلك انجلترا .

في القرن السادس عشر كان في انجلترا رقابة على كل مكتوب ومنشور . وكانت الرقابة من سلطة الملك ، يقيم مقامه فيها من يشاء . واقام الملك عندئذ شـركة اسماها شركة القراطيس Stationary Company ، كانت هى وحدها التى تنشر، وينشر اعضاؤها ، ومن تأذن لهم . والمطابع كان لا بد من تسجيلها .

وامتـدت الرقابة فشملت القـرن السابع عشر . حتى اذا كان عام ١٦٩٥ رفض مجلس النواب تجديدها . ومن ذلك الوقت لم تكن على الكتب والصحف رقابة ، ولكن في حدود هذه الكلمة التى نقتبسها من بعض ما جاء عن هذا الموضوع في القرن الثامن عشر :

« ان حرية الصحافة ضرورية لكل امة حرة ، ومعناها ان لا توضع عراقيل كائنة ما كانت تقيد النشر قبل وقوعه ، ولكن لا تعفى الناشر من تحمل تبعة ما ينشر من اشياء تدخل في نطاق الجريمة . ان كل انسان له الحق في ان يضع امام الجمهور كل راى يحسه في نفسه . ولكنه اذا وضع امام الجمهور شيئا غير لائق ، او شيئا فيه افساد ، او فيه خروج عن القانون ، وجب عليه ان يتحمل التبعة في كل ذلك » .

وجاءت الحروب فأعـادت الحكومة البريطانية الرقابة على الصحف ، ومن ذلك انها اغلقت صحيفة الديلى وركر Daily Worker ، في عام ١٩٤١ ، وانذرت الديلى مرر Daily Mirror بالاغلاق اذا هى تمادت فيما كانت فيه وذلك في عام ١٩٤٢ . وانتهت الحرب فرفعت الرقابة .

مجلس الصحافة

واليوم يوجد في انجلترا ما يسـمى بمجلس الصحافة Press Council .

انه مجلس انشأته الصحافة، مستقلة عن الحكومة ، ولكن باقتراح جاء من لجنة كونتها الحكومة في عام ١٩٤٩ لتنظر في شئون الصحافة وعلاقتها بالحكومة ، وعلاقتها بالجمهور . ودرست هـذه اللجنة هذه الشئون طويلا ، وخرجت بحقائق كثيرة مفيدة ، وخرجت بذلـك الاقتراح: « ان تقوم المؤسسات الصحفية



وصحافة اسموها صحافة « دفتر الشيكات » . تاتى الصحيفة للمجرم وتشترى منه قصة اجرامه ، للنشر ، مقابل مبلغ جسيم من المال . وتنشرها بعد تزويقهـا .

بانشاء مجلس لها يكون واسـطة بين الصحافة والجمهور خاصة ، وينظر في في شكاوى هؤلاء وهؤلاء ، على أن يكون خمس اعضاء المجلس من غير الصحفيين .

وبالطبع لا يكون للمجلس غير ابداء الراى فيما يعرض عليه من كل الأطراف ، ولا شيء غير هذا .

وقوة رايه يستمدها من مكانته الادبية ، ومن نشرها في الجمهور .

وقد كشف المجلس عن اخطاء كثيرة في الصحافة ، ومسالك لا تحمد عند بعض المغامرين الشبان من الصحفيين ، اذ يقتحمون بها حريات الأفراد والعائلات غير مبالين بما تفرضه اللياقات ، والعادات المرعية ، والقوانين .

وفي عام ١٩٦٤ بلغت الشكاوى التى تسلمها المجلس ٢٨٣ شكوى ، زادت ٧ في المائة في عام ١٩٦٥ . وفي الشكاوى التى تمكن المجلس من نظرها في هاتين السنتين قضى بموافقة أصحابها على أكثر من نصفها . وكانت الصحيفة اليومية ، الديلى اكسبرس اكثر الصحف حظا من شكاوى الجمهور .

ولعل اشد حملة وجهت الى الصحافة تلك الحملة التى جاءت بناء على شكوى قدمتها ملكة انجلترا ، الملكة اليزابيث ، تشكو فيها الصحيفتين ، الديلى اكسبرس ، والبيبل People بانهما استرقتا منها

ومن اختها الأميرة مرجريت صـورا ، وهما في حمام السباحة بقصر بالمورال ، ونشرتاها .

ومن الأشيـاء التى دمغهـا مجلس الصحـافة ما اسماه بصحـافة دفتر الشيكات . يعنى بذلك أن تاتى الصحيفة الى مجرم ليصف لها ما كان من اجرامه ، باجر ، ثم هى تنشر ما يقول ، وربما بعد تزويقه ، وتتخذ من ذلك متعة للقارئين والقارئات .

فهذا مثل مما بلغته العناية بحـرية الجمهور في بعض ما بقى من بلاد الدنيا .

ولكن كم يدوم هذا ؟

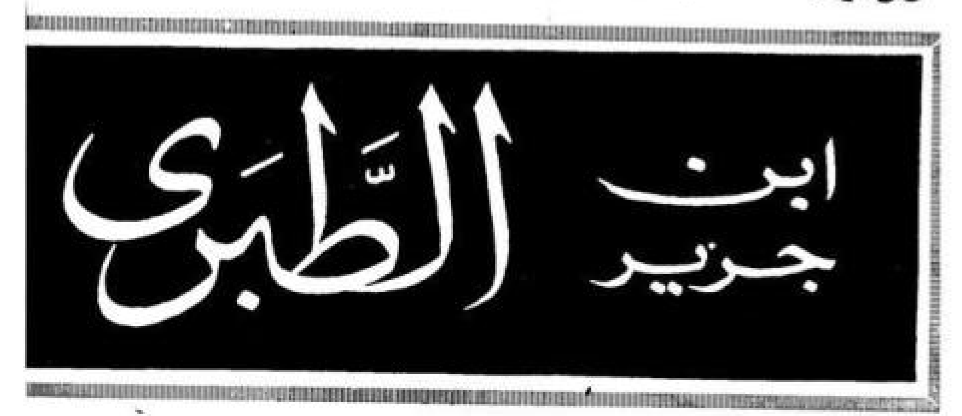
لا يدرى أحد .

انه طراز واحد في أصوله ، يزحف على الدنيا زحفا . يقول المتشائمون انه ينتهى بحيث لا يكون للجماهير ارادة فيما تصنع . ومن المتفائلين من يقول بهـذا ايضا وهم فرحون .

والظاهر أن الشقة ضاقت بين متشائم ومتفائل .

ومن يدرى ، فلعل الحرية التى يخص بها الفلاسفة الانسان ، شيء شاذ ، في كون كل مخلوقاته الحية لا حرية لها ! الا حرية الناب في الغاب . اما مخلوقاته الجامدة فهى عبدة تحكمها القوانين وهى راضية مطمئنة . ●●

احمـد زكي



بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

■ حين بدأت هذا البحث ، لم أكن أقدر أنه سيطول ويتشعب ، وبفطرنا تتبع الحقائق ، واستيفاء الكلام فيه،الى مزيد من الجهد والعناء، والوقت الذى قل أن يتوفر ، ولذلك كنت أريد بعد أن وضحت الأساس المهم للتفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، في البحوث الماضية ، أن أعطى القارىء بعد ذلك فكرة عامة عن أهم كتب التفسير المتداولة ،بحيث يعرف شيئا عن الخصائص المميزة لكل مفسر ، وما تركه من تفسير . وانتهى من هذا البحث في مقال أو مقالين .

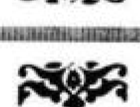
لكن قد يثاب المرء رغم انفه ، فان الأخ الدكتور احمد زكى ، لم يتركنى اتم هذا البحث على هذه الصورة ، كما لم يتركنى افلت منه أولا ـ حين حمتلنى عبء البدء فيه ـ بل أراد أن نتوسع ، ونخصص لكل مفسر مقالا على الأقل ، نعرض فيه المامة عن عصره وتاريخه العلمى ، وما تميز به ، ثم عن خطته في التفسير ، مع عرض نماذج تمثل هذه الخطة .. لنضع أمام القارىء في النهاية صورة شبه وافية عن كتب التفسير المشهورة ، ليستطيع على ضوئها أن يختار ما يروق له منها ، وتدفع بعض المهتمين بهذا العلم الى مزيد من العناية به ، وتقريبه للراغبين في الاستفادة منه ، والوقوف على معنى كلام الله .. « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ويتحقق به ما أراده الله منه « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » وهذا هو الهدف الحقيقى لعلم التفسير .

منهج اخترته

ولهذا كنت أضع هذه الغاية ـ دائما ـ نصب عينى ، وحددت على ضوئها الطريقة التى كنت أسير عليها في تدريسي بالأزهر لعلم التفسير ،وفيما سبق أن كتبته في مجلة الأزهر « وفي منبر الشرق» ، على صاحبها ـ الشيخ على الغاياتى ـ رحمة الله ، وفي العددين الأول والثانى من مجلة الوعى الاسلامى ، وفيما قدمته في التلفاز « مع كتاب الله » ، وبرغم ما تقتضيه هذه الغاية من دراسة وتنظيم ، وتشعب في نواحى الاطلاع ، ثم تقديم ذلك كله للقارىء في وجبة شهية سهلة الهضم .

فكنت أطوف بكتب التفسير ، وما فيها من بحوث متنوعة ، وروايات متعددة ، ثم أضع أمام عقلى وقلبى الروح العامة للآية والآيات ، وما تصبه في النهاية من معنى أو توجيه ، وربط ذلك

بَقِيَ تَفْسِيرُهُ ضَائِعًا بِضْعَةَ قُرُونٍ . ثُمَّ اكْتَشَفُوهُ كَامِلاً فِي أَوَّلِ هَذَا القَرْنِ .



« لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير الطبرى لم يكن ذلك كثيرا » .

أبو حامد الاسفراييني

• • •

«لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغنى عن كل كتب التفسير المتاخرة عليه » .

المستشرق نولدكه ١٨٦٠ م



ما امكن بحياتنا وواقعنا ، مع العناية التامة بالعيش الذهني في الجو الذى نزل فيه القرآن ، لنكون اقدر على استيعاب المعنى ، وتشرب الروح وفهم الخطاب .. ولم اكن اعنى كثيرا بالاعراب الا بالقدر الضروري اللازم في الفهم . مع التنبيه على المعنى البلاغي الدقيق ، الذى يزيد في قدر الطاقة الروحية للانسان حين يتامله . وكنت ازيح من امامي الروايات التى تتدخل في تحديد معنى الآية ، ما لم تكن رواية صحيحة ، فانني آخذها في اعتباري قطعا في الأمور الغيبية ، وفي الاحكام . وقد ابيح لنفسي في غيرهما فهم معنى آخر بجوار ما تفيده الرواية الصحيحة ، على اعتبار انها بينت معنى، قد تكون البيئة والظروف تدخلت لتحديده . وما دام اللفظ محتملا ، والمعنى لا يتصادم مع اصل آخر ، فلا باس به .

لكن هل معنى هذا ان اتصور أن هذا المنهج الذى ارتضيته اجتهادا منى ، مراعاة للظروف التي امامي ، هو المنهج الذى كان يجب على المفسرين ان يسلكوه قديما او حديثا ؟ لا ادعى ذلك .. فان لكل زمان ظروفه ودواعيه ، ومما لا شك فيه ان كل مفسر قد راعى ما امكنه ظروف الزمان حوله وكتب تفسيره ملائما او ملبيا لهذه الظروف ، مع شيء آخر لا بد أن نراعيه وهو استعداد المفسر ومذهبه وقدرته العلمية التى يركز فيها لان هذه الناحية الاخيرة هى التى كانت تغلب في النهاية .. ونرى تفسير المفسر صورة من علمه او مذهبه الذى اشتهر به ، أو معرضا يعرض فيه مهاراته ..

ومن اجل هذا تعددت صور التفسير ، لكنها كلها تشكل باقة حوت من كل زهور الحديقة ونباتاتها . فنجد من هذه الكتب ما يغلب فيه طابع الرواية ، او الطابع اللغوى والبلاغي ، او الفقهي ، او الكوني الفلسفي .. او الصوفي الرمزى .... وذلك حسب اتجاه المفسر وعنايته ..

وذلك كله ، مهما قيل فيه ، ثروة وذخيرة تنبيء عن همة اسلافنا ، مهما يتضايق المعاصرون الذين لا ينهض استعدادهم للتنقيب عنها . ثروة تركها لنا الاقدمون ـ وكم تركوا من ثروات ضاع اغلبها مع الاسف ـ ومن واجبنا نحن ان نعتز بهذه الثروة ، ونحافظ عليها ، ونحاول ان نجلوها ونصفيها ، ونزيل عنها بعض ما يشوبها ، ونحسن تقديمها .. بعد ان سهل الاطلاع وسهلت الطباعة .

ولاجل ان تقدر واجبنا هذا لا بد ان نعرف الظروف التي كتب فيها المفسرون تفاسيرهم ، هذه الظروف التي لم تكن لتساعد على تكوين هذه الثروة ، لولا الايمان والعزيمة اللذان تغلبا على كل الصعوبات التي يرهقنا الآن مجرد تصورها .. بعد أن آلفنا سهولة الكتابة والطباعة في ايامنا ...

ابن جرير الطبرى

واول مثال نقدمه من هؤلاء العمالقة الذين وهبوا حياتهم للعلم ، ولتفسير كتاب الله ، هو الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الذى ترك لنا تفسيره المسمى « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » المشهور باسم تفسير الطبرى ..

كانت ولادته سنة ٢٢٤ هـ ـ ٨٣٨ م في بلدة « آمل » عاصمة اقليم « طبرستان » وهى كلمة مؤلفة من مقطعين « طبر » آلة من آلات الحرب التى اشتهرت بصنعها المنطقة ، و « ستان » معناها أرض أو منطقة او بلاد ، مثل « كردستان » ـ افغانستان . (أى بلاد الكرد وبلاد الافغان) . فنسب الى المقطع الاول « طبر » صاحبنا « الطبرى » واشتهر به ..

وقد عاش خمسا وثمانين سنة حيث توفي سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣ م في بغداد ودفن بها .. أعني انه عاش في ازهى عصور الاسلام تقدما وانتاجا على كل المستويات الفكرية . وكان من الطبيعي لانسان موهوب من صغره ، محب للعلم متفان فيه كالطبرى ان يجد ضالته وغذاءه العقلى في هذا العصر الذى يعيش فيه ، لكن ذلك لم يتم له بسهولة .. فالعواصم الفكرية العلمية التى تزخر بالعلماء كانت بعيدة عن موطنه الاصلي ، فكان لا بد له من الارتحال اليها بعد ان درس على علماء منطقته ، وكان ابوه « جرير » من ورائه يمهد له الطريق وييسر له السبل ، منذ ان لمس في ابنه الصغير نبوغا غير معهود .

فسافر الطبرى الى بغداد والكوفة ، ثم ارتحل الى مصر والشام ، ثم استخفه الحنين الى رؤية موطنه فعاد اليه ، ولكنه لم يطل المقام فيه فرجع الى بغداد ، وعكف على التدريس والتأليف ، حتى آخر يوم من ايامه ، برغم ضعفه وكبر سنه ..

ولقد كان في كل بلد يحل فيه ، يلتقى بفطاحل علمائه ، ويأخذ عنهم ، ويعطيهم ، ولم يكن علم هؤلاء الاكابر مقصورا على فرع دون فرع ، بل كانوا كالموسوعة التي تجد فيها الوانا شتى من معارف ذلك العصر من تفسير وقراءات ، وحديث ، وعلم برجاله ، ورواياته ، ونحو ، وبلاغة ، وفقه ، وادب ، وتاريخ . فاخذ عنهم الطبرى هذه العلوم ، وبرع فيها ، وان اختلفت درجة هذه البراعة .. ولم يكن ذلك غريبا على رجل كالطبرى ، فقد وهب حياته للعلم ، وتخفف من كل اثقال الحياة وتبعاتها ، حيث قضى حياته دون زواج ، مع استعداد كبير للقناعة والرضا بالحياة وشظفها ، فكان انتاجه متساوقا مع نبوغه وفهمه وتفرغه ، فترك كثيرا من المؤلفات المتنوعة التي اوصلها بعضهم الى نحو الثلاثين ، والتي فقد اكثرها . واشتهر منها مؤلفان : تاريخ الامم والملوك ، وجامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الذى يقع في ثلاثين جزءا وهو يهمنا الحديث عنه الآن .

مقدمات سبقته وأثرت فيه

ولكن قبل أن نتحدث عن هذا التفسير لا بد أن نتحدث حديثا موجزا عما سبقه من مقدمات أدت اليه ، فان مثل هذا التفسير الجامع الكبير ، لا يمكن أن ينشأ دفعة واحدة ، دون محاولات ومقدمات ، ساعدت على ولادته عملاقا .. فقد وضع هذا التفسير في النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ولم يكن معنى ذلك ان السنين التي زادت على المائتين والخمسين قبله لم يكن فيها تفسير ، بل كان فيها تفسير ومفسرون اشتهروا بقولهم فيه ، واسسوا مدارس تفسيرية متميزة في كل عاصمة من عواصم العالم الاسلامي . في : مكة ، والمدينة ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، ومصر . وغيرها من المدن .. وكان الراغبون في التفسير يرحلون الى هؤلاء المشهورين ويأخذون عنهم ..

فالتفسير كان شأنه كشأن كل علم اسلامي في نشأته ، نشأ صغيرا مبعثرا ، ثم تجمع وكبر بمرور الزمن ، وبذل الجهود ، ونحن نعرف أن عصر التدوين للعلوم الاسلامية بمعناه الواسع ، لم يظهر الا في أيام الدولة العباسية ، وكانت هناك تدوينات سبقت هذا العصر ومهدت له في عهد الأمويين وما قبله ، ولكنها لم تأخذ المظهر القوى الذى أخذته في عهد العباسيين ، الذين نضجت في عهدهم العلوم الاسلامية المتنوعة ، وكان منها علم التفسير ..

وكانت الصفة البارزة للذين تعرضوا لتفسير القرآن ، تهيئهم من القول فيه بآرائهم،واعتمادهم على ما وصل اليهم من روايات يتناقلونها ، منها الصحيح ومنها الضعيف أو الموضوع أو المستمد من الاسرائيليات .. ولم يصل الينا من هذه التفاسير المتقدمة شيء منسق ، وان كنا عرفنا بعض اصحابها . مما تناقله الرواة عنها في الكتب المتأخرة عنها التي وصلت الى أيدينا .

وقد اثر هذا الجو على الطبرى ، فكانت عنايته البالغة بالرواية ، وان لم يمنعه هذا من أن يدلي برايه موافقا لها او مخالفا ، فكان تفسيره يمثل دائرة معارف ضخمة في كل العلوم التي كانت سائدة في هذا العصر ، وتتصل بتفسير القرآن ، وذلك بسبب نبوغ الطبرى واتساع دائرة معارفه واستفادته من الجو العلمي الناضج الذى عاش فيه ..

اندثر هذا التفسير زمنا طويلا

على أن هذا التفسير العظيم الذى أخذ شهرة واسعة ، وتقديرا عظيما من كبار العلماء عند ظهوره ، حتى ليقول أبو حامد الاسفراييني المتوفي سنة ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م عنه « لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا » اقول ان هذا التفسير على عظمته قد انطوى واندثر ، ونامت نسخه في بعض المكتبات .. فمرت قرون عليه دون أن يعرفه أحد ، اللهم الا بعض نماذج وورقات مبعثرة كانت تشير اليه ، وتثير تلهف العلماء عليه .. حتى نجد المستشرق « نولدكه » Noeldeke يكتب في سنة ١٨٦٠ م بعد أن اطلع على نماذج من هذا التفسير : « لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتب التفسير المتأخرة عليه ، ولكنه يبدو للأسف . مفقودا بالكلية . ولقد كان مثل كتاب التاريخ الكبير لنفس المؤلف نبعا لا ينضب ، استمد منه المتأخرون حكمتهم (١) » .

ثم ظهر أخيرا

وقد أراد الله لهذا الكتاب العظيم أن يبعث من جديد ، وفي عهد النهضة الطبعية ، اذ وجدت منه نسخة خطية كاملة ـ كما يقول « جولد تسيهر » في مكتبة أمير حائل . وأمكن الاعتماد عليها في طبعه بالقاهرة في أوائل هذا القرن .

ويقول العلامة الاستاذ محمود شاكر في مقدمته التي كتبها لهذا التفسير الذى حققه وعلق عليه ، هو واخوه العلامة المحدث المرحوم الشيخ احمد شاكر : « والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى لا تكاد توجد ، والذى منها في دار الكتب (المصرية) أجزاء مفردة من الجزء الاول ، والجزء السادس عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت في خمسة وعشرين مجلدا ، ضاع منها الجزء الثاني والثالث ... وهي على ما فيها تكاد تكون اصح النسخ ، وهي محفوظة بالدار تحت رقم ١٠٠ تفسير » .

ويقول جولد تسيهر في كتابه بعد نصه السابق « كما طبعت منه بعد ذلك طبعة منقحة سنة ١٩١١ » . ويقول الدكتور الحوفي الذى كتب عن الطبرى في سلسلة أعلام العرب « طبع سنة ١٩٢١ بالمطبعة الميمنية بالقاهرة ، وبمطبعة بولاق سنة ١٩٢٣ م ، ويطبع بدار المعارف الآن بمصر تحقيق الاستاذ محمود شاكر » .

وكم في بطون المكتبات الخاصة والعامة من ذخائر لنا ثمينة ، مثل هذا التفسير ، لما يقيض لها من يكتشفها بعد ..

وجدد آل شاكر شبابه

ولا بد لي من كلمة تقدير اقدمها للجهد العظيم الذى بذله الاخوان « شاكر » في تحقيق هذا التفسير ، والتعليق عليه .. في طبعة ممتازة ، تقوم بها دار المعارف بمصر ، وأصدرت منها بضعة عشر جزءا . وقد انتقل الشيخ احمد شاكر الى رحمة الله دون ان يتم طبعه ، ونرجو أن يمد الله في عمر أخيه الأستاذ محمود ، حتى يتم ما بدأه ، ويقدم للمكتبة الاسلامية ولهذا الكتاب القيم ، اجل ما يمكن أن يقوم به عالم الآن في خدمة تراثنا الاسلامي .

اني حين أردت الكتابة في هذا الموضوع لم أجد بدا من الاطلاع على هذه الطبعة التي احتفظ بما

---

(١) نقلا من كتاب مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسيهر تعليق المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٠٨ المطبوع ١٩٥٥ م بمطبعة السنة المحمدية ..

صدر منها في القاهرة ، وبحثت هنا في المكتبات العامة الرسمية وغير الرسمية في الكويت فلم أعثر عليه، وأخيرا وجدته في مكتبة وكالة المطبوعات ، فحمدت الله .. ذلك لأن تحقيق مثل هذه الذخائر ، واعادة طبعها على النسق الحديث طباعة فاخرة ، هو المفتاح الذي يمكن القارىء من الاطلاع بسهولة وانشراح صدر ... وهذا هو الذي نرجو الاكثار منه ، حتى نتيح لمحبي الاطلاع الاقبال على هذه الذخائر الثمينة والاستفادة منها .

لقد قام الأخوان مشكورين بتخريج الروايات التي وردت فيه وهذا أمر مهم جدا للقارىء (٢) .. وبتحقيق الالفاظ ، ونسبة الأشعار والأقوال الى اصحابها ،والمراجعة على النسخ الخطية والمطبوعة. وأهم من ذلك فتح مغاليق الجمل ، بما عنيا به من ترقيم وفواصل ، وذلك لكثرة ما جاء في كلام الطبري من جمل اعتراضية استطرادية ، وفواصل طويلة كانت تصد القارىء عن متابعة القراءة ، او تحول بينه وبين الفهم الصحيح ..

اسلوب الطبري

والواقع أن للطبري اسلوبا خاصا يحتاج الى مزيد من الصبر والأناة ، والتتبع الدقيق لمعانيه ، حتى اذا ألفه الانسان سهل عليه بعد ذلك أمره .. مثله مثل بعض كتابنا المعاصرين ، الذين لهم اسلوبهم الخاص ، الذي يحتاج الى قليل من الصبر على قراءته ، حتى يتعوده ، مثل المرحومين الرافعي والعقاد .. ولعل خير ما يعبر عن ذلك هو الأستاذ محمود شاكر العالم الدقيق حين يقول في مقدمته :

« كان يستوقفني في القراءة كثرة الفصول في عبارته ، وتباعد اطراف الجمل ، فلا يسلم لي المعنى ، حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثا .. وكان سبب ذلك أننا ألفنا منهجا من العبارة غير الذي انتهجه أبو جعفر ، ولكن تبين لنا أن قليلا من الترقيم في الكتاب ، خليق أن يجعل عبارته أبين ، فلما فعلت ذلك في أنحاء متفرقة من نسختي، وعدت بعد الى قراءتها ، وجدتها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقة » .

على أن الذي كان يجده الأستاذ شاكر ، وجده من قبله المفسرون الذين نقلوا عن الطبري في غير زماننا طبعا ، مثل السيوطي وابن كثير وأبو حيان والقرطبي . ولذلك وقعوا في بعض اخطاء في فهم المواد . كما يقول الأستاذ شاكر نفسه : « ولما راجعت كتب التفسير ، وجدت بعضهم ينقل عنه ، فينسب اليه ما لم أجده في كتابه ، فتبين لي أن سبب ذلك هو هذه الجمل التي شسفت عليّ قراءتها ، يقرؤها القارىء فربما اخطأ فهم أبي جعفر .. وربما أصاب » .

واذن ففي أسلوب أبي جعفر في تفسيره شيء من الصعوبة ، ليست مقصورة على الذين تعودوا منا الأسلوب المعاصر ، بل أيضا على القدماء من العلماء المفسرين أنفسهم ، مما كان سببا في أنهم اخطأوا فهم المراد من أبي جعفر .

وقد وقع لي كثيرا ، ما وقع للأستاذ محمود شاكر حين قراءة هذا التفسير ، فكنت اعاني شيئا في فهمه ، وتتبع افكاره ، ووصل كلامه بعضه ببعض . وكنت أضيق ذرعا بكثرة استطراداته وانتقاله حين الكلام على فكرة أو موضوع ، الى كلام آخر بين كلامه ، وان كان له صلة به ، الا أنه يعقد المعنى ويشتت الفكر ، بين الفكرة الأصلية ، وبين ما استطرد اليه وأضافه ، حتى ظهر الجزء الأول من هذا التفسير المحقق ، فسهل علي كثيرا مما كنت أجده من صعوبة ، كما وفر أيضا من الوقت .

نموذج من أسلوبه

ولأجل أن أشركك معي في هذا رأيت أن أضع امامك هذا النموذج من كلام الطبري في تفسير قوله تعالى « الله يستهزىء بهم » ومثله « يخادعون الله وهو خادعهم » و « نسوا الله فنسيهم » . بعد أن استعرض بعض الأقوال قال (٣) :

« والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا : ان معنى الاستهزاء في كلام العرب اظهار المستهزىء للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرا ،

---

(٢) وان لم يكن ذلك عاما بل رأينا المحقق يقتصر في الهامش على ذكر أن هذا الأثر مذكور في كتاب تاريخ الطبري أو الدر المنثور ، دون نقد له .

(٣) ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ جـ ١ تحقيق شاكر . وانظر أيضا تفسيره لقوله « ومتاع الى حين » ص ٥٤٠ ـ ٥٤١ .

وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا . وكذلك معنى الخداع والمكر .

فاذا كان ذلك كذلك = (٤) وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق فى الدنيا من الاحكام ـ بما اظهروا بالسنتهم ، من الاقرار بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند الله المدخِلهم (٥) فى عداد من يشمله اسم الاسلام ، وان كانوا لغير ذلك مستبطنين ـ احكامَ (٦) المسلمين المصدقين اقرارهم بالسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم ، وصحاح عزائمهم ، وحميد افعالهم المحققة لهم صحة ايمانهم ـ مع علم الله عز وجل بكذبهم ، واطلاعه على خبث اعتقادهم ، وشكهم فيما ادعوا بالسنتهم أنهم به مصدقون ، حتى ظنوا فى الآخرة ، اذ حشروا فى عداد من كانوا فى عدادهم فى الدنيا ، انهم واردون مَوردهم ، وداخلون مدخلهم . والله جل جلاله ـ مع اظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام المُلحِقتَهم فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة الى حال تمييزه بينهم وبين اوليائه ، وتفريقه بينه وبينهم ـ معد (٧) لهم من اليم عقابه ، ونكال عذابه ، ما أعد منه لأعدى اعدائه ، وشر عباده ، حتى ميز بينهم وبين اوليائه ، فالحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل = كان (٨) معلوما انه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم ـ وان كان جزاء لهم على افعالهم ، وعدلا ما فعل من ذلك بهم ، لاستحقاقهم اياه منه بعصيانهم له ـ كان بهم ـ بما اظهر لهم من الأمور التي اظهرها لهم : من الحاقه أحكامهم فى الدنيا باحكام اوليائه وهم له أعداء ، وحشره اياهم فى الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين ـ الى أن ميز بينهم دينهم ـ مستهزئا وبهم ساخرا .. الخ » .

فانت ترى فى هذا النموذج كثرة الاستطرادات ، وبعد جزأى الجملة بعضهما عن بعض بسطور بلغت اكثر من عشرة ـ فى احداها .. وقد وضحت لنا الفواصل التي وضعها الأستاذ محمود شاكر امكان الربط بين الجملة الواحدة ، ولذلك علق فى الهامش بقوله « اكثر الطبرى الفصل بين الكلام فى هذه الفقرة وسياق العبارة هو كما يلي « كان معلوما انه جل ثناؤه بذلك من فعلهم بهم ... كان بهم ... مستهزئا وبهم ساخرا » وما بين الكلام فى هذين الموضوعين فصل للبيان » .

والفصلة الطويلة جدا وهي من اول قوله « فاذا كان ذلك كذلك .. كان معلوما .. » وبين جزأى الجملة ما يزيد عن عشر أسطر فى طبعة الكتاب جاء بها لزيادة التوضيح ـ ومن الصعب جدا على غير القارىء العميق أن يصل الى فهم هذه الفقرة .. ولا سيما فى الطبعات التي لا توجد فيها هذه الفواصل ...

لكن لا تظن أن هذه الظاهرة تعم الكتاب كله ، فبجوارها تجد الاسلوب المشرق الذى يمكن ادراكه بسهولة ..

فهذا ما تسنى لنا القول فيه الآن . أما تفسير امام المفسرين ، وما كان فيه من عناية بالرواية وتهيب التفسير بالرأى ، فلنا فيه كلمة مستقلة ان شاء الله . ■■

عبد المنعم النمر ـ الكويت

---

(٤) لاحظ هذه العلامة : = هنا ثم لاحظها بعد عدة سطور ، لتعرف أن ما بينهما كلام معترض ، ووصل الجملة بعضها ببعض هكذا : فاذا كان ذلك كذلك كان معلوما .. الخ » !! ثم لاحظ علامة (ـ) لتعرف كثرة الجمل الاستطرادية فى هذا النموذج .

(٥) المدخِلهم صفة لكلمة « الاقرار » السابقة وما بينهما فاصل !! وقد نبه الاستاذ شاكر على ذلك فى الهامش ص ٣٠٣ .

(٦) علق الأستاذ شاكر هنا ليفيد أن «أحكام» مفعول لقوله « جعل لأهل النفاق » قبلها !! وما بينهما فصل .

(٧) علق الاستاذ شاكر هنا هكذا : « سياق العبارة . والله جل جلاله ... معد لهم .. » . فانظر الفصل الطويل بين المبتدأ والخبر !! .

(٨) فى الهامش « كان معلوما جواب قوله : فاذا كان ذلك كذلك .. فى أول الفقرة » .

نتيجة مسابقة العدد ١٢٧

اختلط الأمر عليهم بين لندبرج و رايت

■ كالعادة جلسنا لفرز مسابقة العدد ١٢٧ من «العربي» والملاحظ ان السهولة كانت طابع المسابقة ، والسهولة محببة الى القلوب لانها لا تحتاج الى كثير عناء والى اعمال فكر . ولكن الأمر اختلط على القراء في السؤال الاول ، فالكثير ذكر ان اول طيار عبر الاطلنطى هو رايت دون أن يتحرى الحقيقة ، والحقيقة صعبة المنال في كثير من الأحيان .

واليك عزيزى القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة . ثم قائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

★ ★ ★

١ ـ اول طيار عبر الاطلنطى بالطائرة ـ لندبرج

٢ ـ الحدائق المعلقة كانت فى ـ بابل

٣ ـ تقام الدورة الاولمبية ـ كل اربع سنوات .

٤ ـ هانيبال قائد قرطاجنى .

٥ ـ عدد الوان قوس قزح ـ ٧ الوان .

٦ ـ تقع شلالات نياجرا ـ في امريكا الشمالية .

٧ ـ جوتنبرغ هو اول مكتشف للطباعة .

٨ ـ ساحل الذهب هو الاسم القديم لجمهورية غانا .

٩ ـ ليما هى عاصمة جمهورية بيرو .

١٠ـ النيل الأزرق هو اسم النهر الذى يلتقى مع النيل الأبيض عند الخرطوم .

● الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها: عبد الرحمن عبد المطلب عبيد ـ مدنى جنوب ـ السودان .

● الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها: طارق فاضل خلف ـ بلد ـ العراق .

● الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فازت بها: لطيفة حسين آغا ـ طرابلس ـ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ الرقيب اول احمد يوسف اسعد ـ الجيش العربى السورى ـ سوريا .

٢ ـ محمد نور الدين مصطفى شكرى ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

٣ ـ محمد احمد عربي ـ طرابلس ـ ليبيا .

٤ ـ حسين محمد الحضار ـ جدة ـ السعودية.

٥ ـ انور احمد محمد باشا ـ عدن ـ اليمن الجنوبية .

٦ ـ عماد بدوى عباس ـ عمان ـ الاردن .

٧ ـ عبد الرزاق جاسم محمد ـ القادسية ـ الكويت .

٨ ـ ناظم محمود عبد العزيز ابو قياص ـ مدريد ـ اسبانيا .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها . ■■



النظام الاجتماعي

مفهوم الشباب الجامعي عنه وتقويمه له

«تجربة مع الألفاظ»

بقلم : الدكتور محمد جواد رضا

استاذ التربية المقارنة المساعد في جامعة بغداد
والمنتدب للعمل في جامعة الكويت

■ هذا فصل من تجربة نفذتها على مجموعة من طلبتي في كلية التربية بجامعة بغداد خلال العام الدراسي ٦٦/٦٧ في مادة فلسفة التربية التي كنت مسؤولا عن تدريسها . وقد دفعني اليها واملاها علي ما وجدته في طلبتنا الجامعيين في العراق ـ وربما امكن تمديد هذه الملاحظة الى اقرانهم في البلاد العربية الاخرى ـ من تعلق صوفي متشدد بالافكار والشعارات التي يظنون انهم يعتقدونها ولم يكن من المؤكد دائما انهم يحملون لها او عنها معاني محددة واضحة . وقد راعني اكثر من ذلك اني وجدتهم في كثير من الاحيان يجادلون فيها ويجادلون من دونها وقد يعطون حياتهم او مستقبلهم ثمنا لها في براءة المثالي الذي تستطيع ان تحصي عليه اخطاءه ولكنك لا تستطيع ان تلومه عليها لانك تعرف مقدما نبل الدافع الذي يحركه .

سؤال" ملحاح

لقد طرح علي هذا الموقف سؤالا ملحاحا : ترى ماذا في عقول شبابنا الجامعي وهم عدتنا للمستقبل وقادة مجتمعنا اليه ؟ هل هم متثبتون مما يعتنقون من المثل والافكار وما يرددون من الشعارات والمصطلحات في مجالات السياسة والاخلاق والدين والعلاقات البشرية الاساسية ؟ واذا كان ما يعتقدون ويرددون ـ وهو كائن حتما ـ تصويرا لوجودهم فهل هم يعون وجودهم حقا ؟ وعلى اي نحو ؟ واذا كان وعيهم لوجودهم مصدرا لدوافعهم فهل هم مدركون لطبيعة الدوافع التي تقرر سلوكهم في آخر المطاف وما هي نوعية هذا الادراك ؟ ثم ما مدى « الاتفاق » في افكار هؤلاء الشباب ؟

الكلمات كائنات حية

وكان الاحساس بوطأة هذه الأسئلة وخطورتها يصدر عن قناعتي بأن « الكلمات » كائنات حية ذوات طاقات عجيبة على تكييف تفكير الفرد وتقرير سلوكه ومواقفه حتى لقد اتجهت بعض الفلسفات المعاصرة الى اعتبار اللغة المكيف الأول لسلوك الأفراد والجماعات ، فعلى موحيات الالفاظ تتحدد مواقف الأفراد وقيمهم ، وعلى ضوء مواقفهم وقيمهم يتقرر سلوكهم ازاء الأحداث والآخرين .

يلاحظ الاستاذ هربرت فيجل H. Feigl (في كتابه الفلسفة المنطقية الايجابية Logical Positivism) أن كثيرا من الاخطاء والتدم الذى يعانى منه الانسان مرجعه الى غموض الالفاظ التى تكون اساسا لبناء افعاله كما أن كثيرا من المواقف اللاموضوعية التى يتخذها المرء والتى تكيف أوضاعه العقلية والعاطفية وتقويمه للآخرين والاشياء مرجعها الالتباس اللغوى والوهم الذى يحيق بعقل الانسان بسببه ، حتى اننا لنستطيع أن نكشف عن مواطن النقد في تفكير الفرد باختبار الاحتمالات المعنوية للكلمات التى تهيمن على عملية صوغ افكاره .

تجربة في ثمانين طالبا وطالبة

لقد كان هذا الاحساس بفاعلية اللغة في تقرير سلوك الانسان الدافع الرئيسي الى محاولة هذه التجربة التى تنقلت في ثمانين طالبا وطالبة اصطفى من أجوبتهم ستون انموذجا كاملا . وكان الأسلوب المعتمد للتجربة بسيطا . فقد اختيرت مجموعة من المصطلحات الفلسفية العامة ، وثيقة الصلة بالحياة الانسانية اليومية ، مثل « النظام الاجتماعى » و « الحق » و « الدين » و« الانسان » وغيرها .. وطلب الى التلاميذ ان يعكسوا مفهومهم عنها ثلاث مرات خلال السنة الدراسية (٦٦/٦٧) ، سميت كل مرة منها « محاولة » . وعلى هذا فقد كانت هناك ثلاث « محاولات » الاولى في ١٩٦٦/١١/٩ ، اى في مبتدا العام الدراسي ، والثانية في ٦٧/٢/٢٠ اى في مبتدأ النصف الثانى من العام الدراسي ، والثالثة في ٦٧/٥/٣٠ اى في مختتم العام الدراسي . وغير خفى ان الغرض من التكرار هو اتاحة الفرصة لمراجعة الذات والكشف عن كل الاحتمالات التى قد تسنح في تفكير الفرد والاذن لها أن تطفو على سطح الوعى الانسانى . كذلك كانت البساطة في أسلوب التجربة مقصودة تتوخى ضمان الحركة الحرة للعقل ــ أو حرية الحركة للافكار ــ تسليما بانه في تجربة كهذه قلما تفلح الأسئلة القياسية Standerdised في كشف كوامن التفكير عند الافراد والوصول الى ما تنطوى عليه ضمائرهم ، خصوصا عندما تتعامل التجربة مع مجموعة من الشباب الذكى المثقف كهذه التى نفذت فيهم وتطمح (أى التجربة) أن تتعرف على درجة النضج في الشخصية لدى الفرد المقيس عمله وتقدمه .

نتيجة التجربة

في الجدول التالى عدد الطلبة الذين ساهموا في تبنى شتى المواقف الأساسية في التجربة من النظام الاجتماعى Social Order ، كما تتناول الفقرات التى تلى هذا الجدول هذه المواقف المختلفة بالتحليل بناء على آرائهم المكتوبة المفصلة وقد اختلفت في المحاولات الثلاث .

طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع

الموقف الاول ــ موقف محافظ يقول بالقسر الاجتماعي

قرر اثنا عشر طالبا مشاركا في المحاولة الاولى ان العلاقة بين المجتمع والفرد قائمة اساسا على القسر . فالمجتمع اسبق في الوجود على الفرد ، وهو ارسخ منه قدما وامتن اساسا وله مثله قيمه الموروثة وعلاقاته الاقتصادية الفاعلة فيه ، وهو (اى المجتمع) يأذن للفرد بالدخول فيه والانتساب اليه على أساس احترام ما هو قائم عليه فعلا كما يطالبه بالولاء لما هو موجود فيه . والفرد لا خيرة له في ذلك غير التسليم والموالاة ، ان اراد العيش بسلام والانتفاع بالفرص التى يهيئها له حق الانتساب الى هذا النظام الاجتماعى ، والا فانه سيكون مهددا بالنبذ والحرمان لو قرر الخروج على ارادة الوضع القائم .

المواقف الاساسية من النظام الاجتماعي

	عدد القائلين به من الطلبة		
	في المحاولة الاولى	في المحاولة الثانية	في المحاولة الثالثة
طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع			
(١) الموقف المحافظ ـ القسم الاجتماعي	١٢	١٦	٩
(٢) الموقف الحـر ـ ارتباط الفرد بالجماعة مشروط بحرية الارادة	١٢	١٣	٢٣
(٣) الموقف المجرد ـ النظام الاجتماعي ضرورة اجتماعية	٢١	٢٣	١٠
تركيب القوة الاجتماعية			
(١) النظام الاجتماعي تمثيل للارادة العامة	١١	١٤	٦
(٢) النظام الاجتماعي تمثيل لارادة القلة	٥	٢	١
(٣) النظام الاجتماعي تعبير عن وضع طبقي داخل المجتمع	٢	٢	١
(٤) تفسير موضوعي لتركيب القوة الاجتماعية	ـ	ـ	١٤

واذن فالفرد مكره على الرضا بما هو داخل فيه ومنتسب اليه من هذا الوضع القائم ، وعلى هذا فان المجتمع من وجهة النظر هذه هو (مجموعة قوانين توضع لكي يسير عليها افراد المجتمع) و(قد لا يكون هذا التحديد في مصلحة الفرد غير انه ملزم به للحفاظ على مصلحة الجميع) و (من يسر وفق هذا النظام يعتبر جزءا من المجتمع وتتمثل فيه تقاليده ومن يشذ عنه يعتبر خارجا على النظام وتحل عليه نقمة الاخرين) وعلى هذا فليس امام افراد المجتمع غير (اطاعة النظام الاجتماعي وخدمته) رغم فرض المجتمع (القيود التي تحدد تصرف الانسان) و (تقيد حرية الفرد) . فالنظام الاجتماعي (يعاقب كل من يخرقه) ويعتبر (مخالفته جريمة) لا عاصم من العقوبة عليها الا (السير بموجب ما يفرضه) (وعدم الانحراف عنه) .

وقد ازداد هذا الموقف قوة في المحاولة الثانية من التجربة فاصبح عدد القائلين به ستة عشر طالبا اتفقوا على القول بان المجتمع (هو القواعد والقوانين التي يجب على الفرد ان يسير عليها وان لا يخالفها واذا خالفها اعتبر خارجا على الجماعة) . والفرد مسؤول بان يتمسك بهذه القواعد والقوانين (وان لم يكن مقتنعا بها) . ليس هذا فحسب بل ان سلامة الفرد العقلية والنفسية رهينتان باطاعة هذه القوانين والقواعد فهو يجب ان يسايرها (لكي يكون سويا ومطيعا) (١) وانما يلتزم الافراد بقوانين المجتمع وقواعده (ليحققوا التوافق مع مجتمعهم والا نبذوا واحتقروا من قبيله) . على ان هذا الموقف المحافظ يفقد كثيرا من قوته في المحاولة الثالثة فينخفض عدد القائلين به الى تسعة اشخاص فقط . الظاهرة الخاصة في موقف هؤلاء التسعة هو شرط التزام الفرد بارادة المجتمع بوجود قانون يضمن له التكافؤ مع بقية افراد الهيئة الاجتماعية (النظام الاجتماعي هو ما يعطي الحق للجماعة لاخضاع افرادها لها تحت ظل القانون فيكونون متساوين في الحقوق والواجبات) .

---

(١) ما أمتع هذا الربط بين الصحة النفسية وطاعة النظام الاجتماعي القائم .

الموقف الثاني ـ موقف حر يرى ان ارتباط الفرد بالجماعة مشروط بحرية الارادة

في هذا الموقف الثاني ينحسر ظل الاكراه والقسر ، ويبرز الاحساس بحرية الارادة الفردية قويا وواضحا . فالافراد هنا (يتحملون مسؤولياتهم) في النظام الاجتماعي لانهم يتنازلون مختارين عن قسط من حرياتهم للنفع العام وليس خضوعا منهم للاكراه الاجتماعي .فهم اذن من حيث الاساس احرار متعاونون ، وما النظام الاجتماعي الا (ما تعارفت عليه الجماعة من المبادىء والقوانين وارتضته دستورا يحدد لها معالم السلوك السوي) او هو بعبارة اخرى (الاسس التي يبنيها جماعة من الافراد ويرونها مناسبة فتسري في المجتمع ، اى ان الافراد يعملون بها جهد طاقتهم) بل هو في الواقع (شبه قوانين) يحترمها افراد المجتمع لان في اهمالها (بعض الاذى للفرد في بعض الاحيان) . واذا كان ذلك كذلك فالنظام الاجتماعي اذن هو (مجموع ما توصل اليه) و (اتفق عليه) مجتمع معين من (اخلاقيات ومثل وقوانين) . لقد كان الآخذون بهذا الموقف في المحاولة الاولى اثني عشر تلميذا صاروا في المحاولة الثانية ثلاثة عشر مؤكدين شعورهم بان (المجتمع هو نوع من التقاليد اقرته الجماعة واصبح نظاما يسير عليه افرادها) وهو بهذا (نوع من العلاقة يفرض على الفرد ان اراد ان يعيش مع الجماعة وبموجبها تحدد مسؤولياته تجاه الجميع ومسؤولية الجميع تجاهه) . وتتبلور هذه العلاقة في (مجموعة من القوانين التى تنظم المجتمع وينبغي ان تنبثق من المجتمع نفسه وان تخدم ذلك المجتمع) وتنبع هذه القوانين والانظمة (من الاكثرية دون تفريط بحقوق الاقلية) . اما في المحاولة الثالثة فقد ارتفع عدد انصار هذا الموقف الى ثلاثة وعشرين تميز موقفهم بدرجة عالية من الوضوح في الرؤية . فالنظام الاجتماعي عندهم هو (الطريقة) التى بموجبها (تنظم علاقات الافراد بعضهم ببعض في المجتمع الواحد) وهذا (يجعل من التعايش امرا ممكنا) ، ولن يكتب الدوام للنظام الاجتماعي الا اذا (كان نتيجة لاتفاق بين اراء الجماعة) وفي هذه الحالة يمكن اعتباره (معيارا معترفا به من قبل الجماعة) يكون الافراد مسؤولين امامه (لا خوفا ، وانما نتيجة باعث داخلي يقتضي الفرد ان يتصرف بسلوك خاص) وهكذا يتبلور موقف هذه الفئة من النظام الاجتماعي على اعتباره (اتفاق جماعة من الناس على نمط سلوكي) تكون قوته (مستمدة من سلطان المتفقين عليه) .

الموقف الثالث ـ موقف مجرد يرى في النظام الاجتماعي ضرورة اجتماعية

هذا فيما يبدو واحد من اقوى المواقف الثلاثة وقد بلغ اعلى ذراه في المحاولة الثانية حيث صار عدد القائلين به ثلاثة وعشرين طالبا بينما اخذ به في المحاولة الاولى واحد وعشرون طالبا وفي المحاولة الثالثة عشرة طلاب . ويتضح الاحساس بالضرورة الاجتماعية في المحاولة الاولى بتقرير المشاركين ان الغرض من الترتيبات الاجتماعية هو (تنظيم علاقات الافراد بعضهم ببعض) وعلى هذا فان النظام الاجتماعي (مختص بالعلاقات بين افراد المجموعة الواحدة وطريقة تنظيمها وحل مشاكلها)، وهذا يعني ان النظام الاجتماعي في الواقع ما هو الا (ضرورة اقتضتها الظروف الاجتماعية فلولا تلك الظروف لما كان النظام) ، لان غرض كل نظام اجتماعي هو (تجنيب افراده كل ما هو مصدر للفوضى) ومن هذا النظام يتعلم افراد الجماعة (كيفية التعامل والمعاشرة مع الآخرين) ، ويتمسك الفرد بهذا النظام الاجتماعي لكي يكتسب (قيمة شخصية مقيسة بالنسبة لسلوك الآخرين) ، وبهذا النظام يعرف الفرد (ما له وما عليه) .

في المحاولة الثانية ازداد هذا الاتجاه وضوحا ورصانة . فالنظام الاجتماعي هنا هو (مجموعة القوانين التى تنظم المجتمع وتجعله يسير على خطة صحيحة ليصبح صالحا وينفع نفسه بنفسه (حماية له من الفوضى) . ومن وظائف النظام الاجتماعي (حفظ التوازن بين الهيئات الاجتماعية المختلفة) بغية (تنظيم شؤونها وحل مشاكلها) . وبعض ما يتمخض عنه النظام الاجتماعي هو (الحد من الذبذبات السلوكية الفردية) . اما في المحاولة الثالثة فقد غدت الرؤية الاجتماعية اشد وضوحا منها في المحاولتين الاولى والثانية واختفت من الصورة النزعة المثالية (هدف

النظام الاجتماعي جعل الناس يتعاونون مع بعضهم تعاونا قلبيا ليس للانانية مكان فيه بل فيه كل القيم الاخلاقية الصحيحة والمثل العليا) لتحل محلها نظرة اكثر تماسكا وصلادة . فالنظام الاجتماعي هنا (يهدف الى جعل التعايش امرا ممكنا) وهو لا يظهر الا حين (تتعقد الحياة وتظهر الحاجة الى التخصص في الاعمال) والفرد نفسه (لا ينمو الا في مضمون اجتماعي) ، وهذا المضمون الاجتماعي (ينتج عن اتساع المجتمع وزيادة مسؤولياته وتعقد تبعاته وتشابك وظائفه كما ينتج عن توزيع الوظائف والمسؤوليات بين افراد ذلك المجتمع) وهكذا يصبح النظام الاجتماعي (ضرورة) في المجتمع (المعقد الذي يكون التخصص مظهرا من مظاهره) ، وهذه الظاهرة غالبا ما تستند الى (نظام اخلاقي معين) يتوخى (التغلب على الفوضى والمشاكل التي تهدد المجتمع من الداخل) .

تركيب القوة الاجتماعية

تكشف ردود الطلبة عن اربعة مواقف اساسية ازاء تركيب القوة الاجتماعية او توزيع القوة السياسية والاقتصادية داخل النظام الاجتماعي ، ثلاثة منها تكررت خلال المحاولات الثلاث وبرز الرابع مستقلا متميزا في المحاولة الثالثة فقط وكان لظهوره معنى خاص (يراجع القسم الثاني من الجدول) .

الموقف الاول ـ يقوم على القول بان النظام الاجتماعي تمثيل للارادة العامة .

قرر احد عشر تلميذا في المحاولة الاولى ان النظام الاجتماعي هو تمثيل للارادة العامة من حيث انه (مجموعة الوسائل التي يرسمها ابناء المجتمع ويحاولون تطبيقها) او ربما كان النظام الاجتماعي (طريقة مقبولة ومتعارفا عليها من قبل المجتمع) اى (من قبل الافراد الذين يكونون المجتمع) وهو ـ اى النظام الاجتماعي ـ (ينبع من الناس انفسهم فهم الذين يخططونه ويضعون نظمه وقوانينه) وهو يقوم (باتفاق اكثرية ابناء المجتمع على صلاحه) ، (ورضاها للسير وفقه والتمسك به ومحاولة تطويره) .

في المحاولة الثانية ارتفع عدد الآخذين بهذا الاتجاه الى اربعة عشر تلميذا وزادت فكرة تمثيل الارادة العامة وضوحا وتحديدا . فالنظام الاجتماعي هنا هو (مفهوم) (اقرته الجماعة) او هو (مجموعة القواعد والاصول التى يضعها مجتمع ما) والتى تنظم المجتمع (ويجب ان تنبثق من المجتمع نفسه) بحيث تكون تمثيلا (لراى الجماعة العام) . لقد اكد هذا الاتجاه وجوده بقوة وكثافة اكثر فى المحاولة الثالثة رغم انخفاض عدد القائلين به الى ستة فقط . فقد تاكد هنا ان النظام الاجتماعي هو (النسق الذى تقره جماعة معينة قد تكون طائفة او قبيلة او حزبا معينا او البشرية جمعاء) . فهو اذن (اتفاق) من الجماعة (على نمط معين من السلوك والحياة له شروطه) وهذا النمط السلوكي لا يكتب له الاستمرار ما لم يكن (نتيجة لاتفاق بين آراء الجماعة) .

الموقف الثانى ـ يقول بكون النظام الاجتماعى تمثيلا لارادة القلة .

مثّل هذا الموقف بخط بياني متنازل عبر المحاولات الثلاث من ٥ الى ٢ الى صوت واحد في النهاية وكانت التفسيرات المقدمة له متميزة بالتعميم . وجاء في المحاولة الاولى ان (النظام الاجتماعي يشرع من قبل اخصائيين اجتماعيين وسياسيين) او هو (تحديد تقره جماعة من الافراد لخير المجتمع) او (هو القوانين التي يضعها جماعة من الافراد في مجتمع ما ويعملون بها) او ربما كان (الاسس التى يبنيها جماعة من الافراد والتى يرونها مناسبة فتسرى في المجتمع) او هو ما (تفرضه السلطة العليا على المجتمع) . اما في المحاولة الثانية فقد كان الرايان المقدمان في تحبيذ هذا الاتجاه يقومان على القول بكون النظام الاجتماعي مجموعة من القوانين والتقاليد التى يسنها (افراد ؛ من الهيئة الاجتماعية او (الشرائع التى تضعها السلطة الحاكمة) . وفي المحاولة الثالثة كان هنالك صوت واحد الى جانب هذا الموقف يقول بصدور النظام الاجتماعي (عن اشخاص ذوى كفاءة ومقدرة علمية) .

الموقف الثالث ـ النظام الاجتماعي تعبير عن وضع طبقي معين داخل الهيئة الاجتماعية .

كان هذا الموقف اقل المواقف الثلاثة انصارا منذ البداية فلم يزد عدد الآخذين به عن اثنين في كل من المحاولات الثلاث . ومن الطريف ان صاحبي هذا الموقف ظلا في نظرتهما دون تبدل . وقد قال اول الاثنين في المحاولة الاولى ان غاية العلاقات الاجتماعية هي (تنظيم) (انتماء الفرد الى طبقة معينة) ثم اضاف في المحاولة الثانية (تنظيما يضمن عدم التجاوز على حقوق الآخرين) اي على حقوق الطبقات الاخرى ثم اختفى من الصورة في المحاولة الثالثة . اما الثاني فلم يتزحزح عن موقفه في المحاولة الاولى وظل يؤكده في المحاولتين الاخريين . وكان رأيه يقوم على القول بأن النظام الاجتماعي يرمز الى (الطبقة التي تحكم المجتمع وتسير شؤون الدولة من كافة نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية . والنظام الاجتماعي في تطور مستمر مع الزمن . وقد تكونت في الزمن القديم انظمة اجتماعية وكان الانسان في حياته الاولى يعيش كالحيوانات يأكل الاثمار ويعارك الحيوان من اجل العيش . ثم تكون نظام العبيد اذ استطاع نفر من اقوياء المنطقة الزراعية ان يرغموا افرادا آخرين على العمل تحت امرتهم مقابل معيشتهم وسمي هذا النظام بنظام الرق . واتى بعده نظام الاقطاع الذي يختلف عن نظام الرق من حيث ان الفلاح له حرية ترك الارض بعكس القن (١) . هذا من الناحية النظرية ولو انه من الناحية العملية قد نلاحظ ما يجابه الفلاحين من صعوبات في ترك الارض بسبب عدم وجود عمل او بسبب الديون او العقود مع الاقطاعيين . وبعد النظام الاقطاعي اتى النظام الراسمالي وهو ان يتملك افراد معينون المصانع ووسائل الانتاج الاخرى ويعمل عندهم عمال يتقاضون اجرا معينا وهؤلاء الراسماليون لهم سلطة في الدولة) ..

الموقف الرابع – التفسير الموضوعي لتركيب القوة الاجتماعية .

برز هذا الموقف في المحاولة الثالثة ولم تكن له مقدمات واضحة في المحاولتين الاولى والثانية وهو بهذا يمثل تحولا مهما في سير التجربة وكان عدد القائلين به اربعة عشر تلميذا وهو في جملته يكشف عن درجة عالية من الوضوح في الرؤية الاجتماعية وتثبت فيه الحقائق التالية عن النظام الاجتماعي :

١ – تنوع النظم الاجتماعية في العالم – فهناك (انظمة اجتماعية متعددة في عالمنا هذا قسم يعترف بنظام الطبقات وقسم لا يعترف بذلك بل يحاول مساواة افراد المجتمع واعتبارهم طبقة واحدة ويحاول احقاق العدل بينهم) .

٢ – النظام الاجتماعي ظاهرة حضارية – فهو يظهر (بتعقد البيئة او المجتمع الذي وجد هذا النظام من اجله . وهذا النظام يحمل احيانا معنى وجود الطبقات ، ومفهوم الطبقات يدل على وجود التفاضل بين الافراد . واحيانا يحمل النظام الاجتماعي معنى طريقة العيش بما فيها الملبس والعادات والتقاليد ونظرة الناس الى الحياة وبذلك يكون مشابها لمفهوم الثقافة) .

٣ – النظام الاجتماعي هو نظام في الثقافة – هو (الثقافة بمعناها الواسع) وهو (ينبع من التقليد القديم ويمكن تحويره للظروف المحيطة بالفرد) وهكذا يمكن اعتباره (ذلك الكل المعقد من الوظائف الفردية والاجتماعية وعلاقتها ببعضها ، والقوانين والاحكام التي تعمل على تحديدها ، بعبارة اخرى هو الفرد ينمو في مضمون اجتماعي) .

٤ – النظام الاجتماعي مسؤول عن العدل – فليس من حق النظام الاجتماعي مطالبة الفرد بالولاء له الا (تحت ظل القانون) وهذا يتطلب بطبيعة الحال ان يبرأ النظام الاجتماعي من (الازدواج) اي انه (يجب ان يعامل الجميع معاملة واحدة متساوية) .

٥ – الثبات عنصر من عناصر النظام الاجتماعي – فالنظم الاجتماعية (لا تتبدل بسهولة واحيانا تنمحي اجيال وتزول وبعض النظم الاجتماعية باقية) .

نتائج

ان نظرة كلية نلقيها على موقف المشاركين في

---

(١) القن جمعه اقنان وهو الفلاح الذي كان يعتبر جزءا من الارض الزراعية يباع ويشترى معها

التجربة من النظام الاجتماعي تبرز لنا الحقائق التالية :

١ ـ لم يرد ذكر للاستعمار كعامل من عوامل تكييف النظم الاجتماعية المعاصرة رغم كونه ظاهرة كبيرة من ظواهر العصر الذي نعيش فيه .

٢ ـ لم يبرز الدين في افكار الطلبة المشاركين كقوة من القوى الاجتماعية الا لماما . ففي المحاولة الاولى ورد ذكر الدين مرتين : مرة بوصفه مصدرا من مصادر النظام الاجتماعي (النظام الاجتماعي سلسلة من الحقائق الدينية و ....) واخرى باعتباره واحدا من معطيات النظام الاجتماعي نفسه لا من مقوماته (النظام الاجتماعي هو تنظيم افراد المجتمع ككل من الناحية الدينية والشخصية وكل ما يتعلق بحياة المجتمع اليومية) . وفي المحاولة الثانية ورد ذكر الدين ثلاث مرات باعتباره قوة من القوى المؤثرة في النظام الاجتماعي (هو الطريقة التي يتفق المجتمع على اتباعها والتمسك بها وفقا للدين والتقاليد والثقافة) (الدين والاخلاق مع الحقائق التي تنظم عيش الافراد) (كل القيم والاخلاق والديانات والاعراف والطبقات الاجتماعية التي تكون المجتمع) . اما في المحاولة الثالثة فقد ذكر الدين اربع مرات ، مرة بوصفه وسيلة من وسائل تنظيم العلاقات الاجتماعية (التي تنظم عن طريق الاعراف واللغة والدين) ، ومرة بوصفه واحدا من مقومات المجتمع (تربطهم صلة الدين والوطن واللغة) ، وثالثة بوصفه مؤثرا من المؤثرات في تكوين المعايير والمفاهيم الاجتماعية التي تتأثر (بالتقاليد والدين والعنصر والبيئة الطبيعية والاجتماعية) ، ورابعة بوصفه ركنا من اركان البناء الاجتماعي (المؤسسات والافراد والتنظيمات والاسس الدينية والاخلاقية والعرفية التي تشترك في اقامة المجتمع) .

٣ ـ تميزت اجوبة المحاولتين الاولى والثانية بالنزعة الخطابية والانفعالية (النظام الاجتماعي جملة من الاخلاق الصحيحة) (النظام الاجتماعي مجموعة من القوانين والنصوص وجدت لخدمة المجتمع ومعاملة ابنائه بالمساواة وازالة الفوارق الاجتماعية من بينهم) (هيئة اجتماعية تتولى ادارة الامور الاجتماعية وحل مشاكلها الاجتماعية كالفقر والمرض والبطالة) . اما في المحاولة الثالثة فقد اختفت هذه النزعة .

الكويت — **محمد جواد رضا**

العربي ـ كنا نود أن يكون عدد الطلبة المشتركين اكثر من هذا ، حتى يكون التمثيل اصدق

سنن عبد المطلب

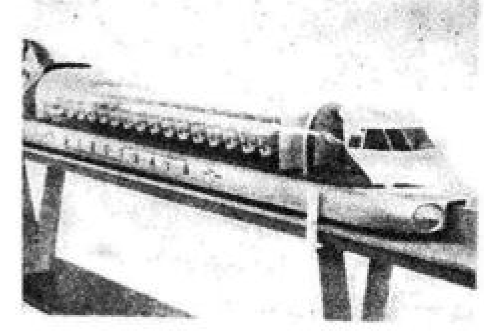
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ان عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن ، أجراها الله له في الاسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » . ووجد كنزا فأخرج منه الخمس ، وتصدق به ، فأنزل الله قوله « واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه .. الآية » ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج ، فأنزل الله قوله «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر .. الآية » .

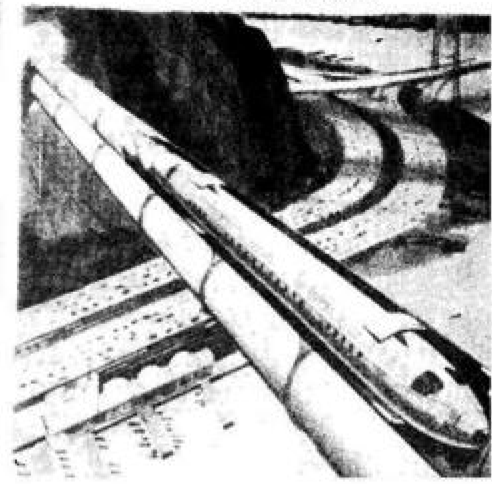
وسن في القتل مائة من الابل فأجرى الله ذلك في الاسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش ، فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الاسلام .

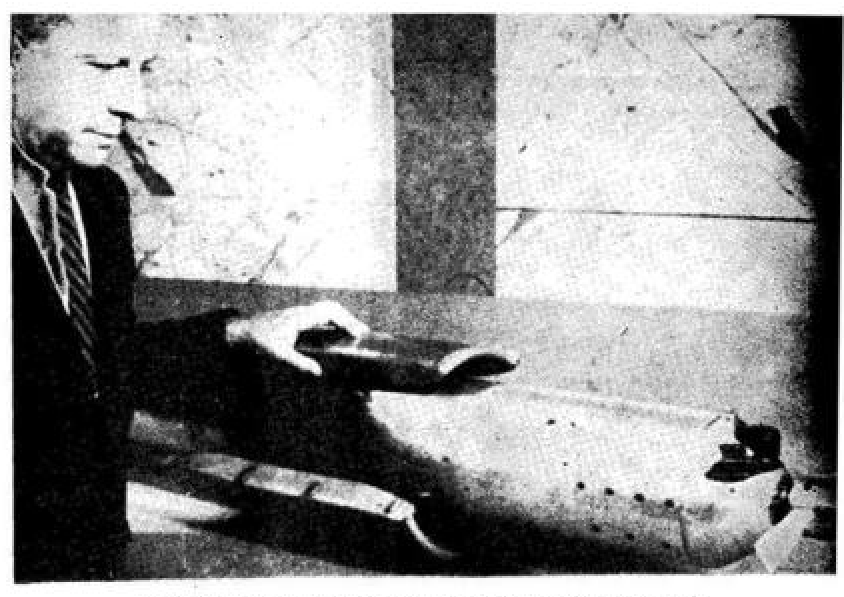
يا على ، ان عبد المطلب كان لا يستقسم بالازلام ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ، ويقول أنا على دين ابي ابراهيم .

أنباء الطب والعلم والاختراع

● ان قطارات اليوم تسير بعجلات من فولاذ .
وعجلات الفولاذ هـذه تسير على قضبان من فولاذ .
وبين الفولاذ والفولاذ « احتكاك » Friction ، هو الذى يجعل القاطرة ابطأ فى سيرها من الطائرة ، فالطائرة « قضبانها » من هواء .
وغير ذلك فالقطار محكوم بالسير على خطين ، عليه ان يلزمهما . وينتج عن ذلك مع الاحتكاك ، اهتزاز وارتجاف .
وهذا هو الذى وقف بسرعة القطارات عند ٢٠٠ ميل في الساعة .
وجاء عصر السرعة الذى لايرحم .
ولو امكن الناس جميعا ان يتهادنوا ، لاستراح الناس ، وبقيت السرعة فى حدود المعقول . ولكن كل الناس لايتهادنون ، وبعض يجرى . فلابد ان يجرى وراء هذا البعض سائر «البعوض» من الناس ولو لهثا .
وجب اذن ان يبحث العلماء والتكنيئون في الطريقة التى يصلون بها بالقاطرة وماتجره الى ان تكون لها سرعة الطائرة .
والطريقة واضحة : الاستغناء عن


القطار
يجري على فراش من هواء كما تفعل الحوامة


القطار
يجرى فى انبوب ويحمله الهواء



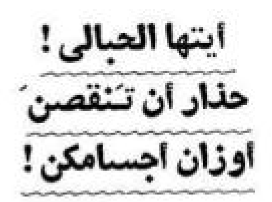
أحد العلماء أثناء تجربة نموذج لقطار يجرى في انبوب ويحمله الهواء

الاحتكـاك ، بالاستغناء عن العجـلات والقضبان .

والطريقة المبحوثة اليوم التى هي اقرب الى النجاح هي تسيير القطار بحمله على فراش من هواء ، ثم اطلاقه بقوة الى الامام بسرعة تفوق سرعة الصوت ، تماما كما فعلوا في المركبة الجديدة التى اسموها هوفركرافت Hovercraft واسميناها الحوامة

وهناك طريقتان لتثبيت هذا القطار الجديد في خط سيره حتى لا يخرج عنه، احداهما انه يجرى في انبوب اوسع منه، لا يمس شيئا من جدرانه وهو منطلق بسبب فرشة الهواء المندفع تحته بقوة من مضخات عارمة . اما في الطريقة الأخرى فتثبت القطار في مجراه سكين راسية تخرج من الارض، يمتطيها القطار امتطاء الفارس جواده . وهو في السير يبتعد عن هذه السكين وعن الارض برفع الهواء له فلا يمسهما .

والفرنسيون سموا قطارهم Airotrain • اى القطار الطائر .



أيتها الحبالى ! حذار أن تنقصن أوزان أجسامكن !



● من الشائع ان المراة الحبلى يجب ان لا يزيد وزنها عن الوزن الحالى لها عن ١٥ رطلا. ولكن الدكتور هوارد جاكبسن Jacobson ، استاذ الولادة وامراض النساء بجامعة كلفورنية يقول ان زيادة وزن الحامل الى ٢٤ و ٣٠ رطلا اقرب الى المعقول . وذلك لان الوزن الناتج من عملية الحمل يبلغ مجموعه نحو ٢١ رطلا.

فالمراة التى تحاول ايقاف زيادة وزنها عند ١٥ رطلا انما تفعل ذلك على حساب تغذية جنينها ، وهي اولى ان تعنى بـه عنايتها بنفسها .

الـزلازل

كم ينتظر منها في الثلاثين

من السنين القادمة

● ان المدن في البلاد المتحضرة تتزايد كل يوم. وانساتها يزيد . مساكنها تزيد مرافقها تزيد . مدارسها ، جامعاتها ، مختبراتها ، اسواقها ، مستشفياتها ، مصانعها ، وما شئت من عدد اجهزة ووسائل هي وسائل المدنية الحاضرة المتصاعدة ، كلها تزيد على الايام .

والزلزال الذي يقع في مثل هذه المدن يحصد الكثير من الارواح ، ويذهب بالكثير من العقار والعتاد ، ويوزع الخراب بما لم يكن بمستطاع توزيعه والمدنية ابسط من ذلك .

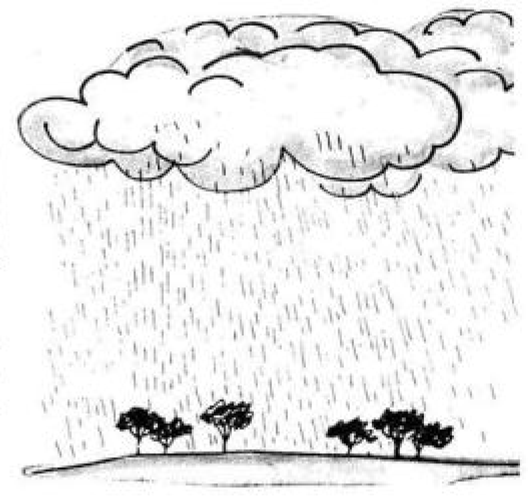
من اجل ذلك لم يغفل العلماء امر الزلازل التي قد تقع في شتى البلاد ، وشتى الاقطار والامم .

وقد لا يكون من المقدور ان يتنبأ العلماء تنبأصادقاً بموعد الزلازل اومواقعها،ولكن بين الصادق والكاذب من التنبؤ درجات .

فهناك ما يمكن درسه من هزات الارض ، وهي لا تفتأ تهتز ، ما يخرج به الانسان العالم بمعلومات كثيرة ، اذا هي لم تمنع الزلزال ، فلا اقل من ان تقلل اخطاره . ولا اقل مثلا من ان تحمل اهل السلطة على ان تنظر عند تصميم المنشآت في الاقطار المهددة ، ان تصممها على صور أكثر احتمالا للهزات ، بحيث اذا وقعت الواقعة ، كانت الأضرار اخف والضياع في الانفس اقل .

نقول هذا بمناسبة قيام الدكتور بيكورا Pecora باقتراح يقدمه الى البيت الابيض ، ان يتبنى برنامجا للزلازل قوميا هدفه الكشف عن المواقع التى هي اكثر احتمالا للتعرض للزلازل ، وعن الوقت الذى هو اقرب احتمالا لوقوعها ، وكذلك ينظر في تصاميم الابنية التى يجب أن تسود في تلك

اغراء السحب بالمطر



● انها الطريقة الشهيرة : تصعد الطائرة الى السحاب ، ثم يطلق راكبها فيه شيئا مثل ملح يودور الفضة ، بطريقة ينتشر بها دقائق غاية في الدقة ، تيسر لقطرات السحاب ان تتجمع عليها ، وتثقل ، وتسقط مطرا .

وقد جرى حول هذه الطريقة نقاش ، هدفه التحقق من صدق هذه الطريقة ، وانتهى النقاش بتكوين لجنة من رجال جامعة بركلى تنظر في نتائج التجارب التي



المناطق لتفلت من شدة الهزة عندما تقع ، وان تذهب في طريق تخفيف هذه الهزات حتى بالنزول الى الصخر وتشقيقه بما يفتت الصدمة اذا هي وقعت .

وقد قدرت نفقة هذا البرنامج لعشر سنين فكانت ٢٢.٠ مليون دولار .

وقد تضمن البرنامج انه لا يحتاج الى الرجال ، فالعلماء حاضرون . ولا الى الأجهزة ، فالأجهزة حاضرة ، ولكن يحتاج الى المال .

ويقول الدكتور دى نوير De Noyer ، رئيس بحوث المسح الجيولوجي في الولايات ، في تعضيد هذا المشروع ، ان الاجهزة الحاضرة لا شك يمكن تحسينها وزيادة دقتها، ولكن في الموجود منها الكفاية كل الكفاية للاغراض العلمية المطلوبة .

بنشر بذور للترسيب فيها

كانت اجريت لاسقاط المطر من السحب، في خمس سنوات ، ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٤ ، وذلك فى القسم الجنوبي من ولاية ميسورى .

وظهرت النتائج فاذا بها تدل على ان مقدار المطر الهابط فى الأيام التي بعثرت فيها هذه البذور فى السحب كان اقل من غيرها من الأيام وذلك بمقدار ٢٠ فى المائة من المطر الهابط ! ! .

الاطبـاء بينهم مدمنون

ولم لا يكون بين الأطباء مدمنون ، للخمر ، ولشتى العقاقير ؟ أليسوا هم بعض الناس ؟

ليس في هذا عجب . ولكن العجيب ان نسبة المدمنين بينهم في امريكا اضعاف نسبة المدمنين من الناس العاديين . او ان شئت ارقاما ، فعددهم بين الأطبـاء بلغ ما بين ٣٠ الى ١٠٠ ضعف من عددهم بين الجمهور .

هـذا ما يقولـه رئيس نيابة ولاية كلفورنية .

وجاء في احصاء لرابطة الأطباء في الولايات المتحدة انه يوجد بين الـ ٣١٦٠٠٠ طبيب من اطباء الولايات ، نحو ٦٠٠٠٠ من المدمنين .

وكثير من هؤلاء الأطباء مال بهم الى الادمان مزاج خاص بهم ، ثم العمل الكثير والاعياء والتعب، ثم قرب العقاقير من ايديهم .

ولكن جاء في التقرير أن في الكثير من حالات هؤلاء الأطباء يشفى المصابون بالعلاج . وأن العلاج أقدر على الشفاء وادمان الطبيب في أوائله .

ويقول التقرير ايضا أن ٩٥ في المائة من الأطباء الذين يكتشف تعاطيهم لهذه المخدرات ينذرون اولا ويراقبون ، وان ٨٥ في المائة من الذين يعودون الى ادمانهم يجمد التصريح لهم بالعمل اطباء او هو يلغى الغاء .

وقد ظهر بفحص ٨٥ حالة من حالات هؤلاء الأطباء في مستشفى واحد أن المخدر الأكثر استعمالا هو المرفين ، وكثير منهم يستعمل مـع المرفين البربيتورات Barbiturates ، والكحول .

في بطن الارض ..
مخازن لبخار المـاء

● انه الوادي المعروف بالامبراطوري بجنوب كلفورنية .

وهو يمتد من حدود المكسيك الشمالية ، ٧٠ ميلا الى الشمال ، اما عرضه فيتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ ميلا .

فتحت هذه المساحة من الوادي ، يوجد خزان عظيم من الماء ، درجة حرارته تقع بين ٥٠٠ الى ٧٠٠ درجة فهرنهيتية ، اى بين ٢٦٠ و ٣٧٠ مئوية .

كل ما نحتاج اليه انما هو حفر آبار تصعد منها الطاقة الحرارية من بطن الارض على صورة بخار . وهذا البخار يدير مولدات للكهرباء ، وهو يستكثف للحصول منه على ماء عذب للزراعة وللشرب . والحرارة الخارجة من البخار ، يمكن استخدامها بطريقة غير مباشرة لتحلية ماء البحر ، وبهذه الطريقة يمكن انتاج عشرة ارطال من الماء المحلى بواسطة رطل واحد من البخار .

ان هذا المستودع العظيم يستطيع ان يزود القسم الجنوبي من كلفورنيا بما يحتاج اليه من ماء وكهرباء لعشرات من السنين .

بعد خمسة وعشرين عاماً

إليها في أكرم جوار [1]

« أقسم الشاعر قسما غليظا فلم يف به . لانه بشر وفي البشر ضعف وهون »

بقلم : عزيز أباظة

■ قالوا لقد ضحك الحزينُ الأيّمُ
هل كان الا كالخليقة كائناً
أخذوا بظاهر ما يرونَ . فهل رأوا
ومآقياً غرقى ونفساً يغتلي
مالي وللوّامَ حسبي لوْماً
أأثِمتُ حين حنثتُ بالقَسم الذي
أغويتُ يوم هفا إلى قلبي الهوى
ما أهونَ الإنسانَ . إن وفاءَه
عظُمت على أخلاقه أكلافُه
نفض التراب الضعفَ في أعراقه
آنستُه بالأمس يقسم جاهداً
ويلي إذا سكَن الظلامُ فلفّني
ويلي من الهول الذي يعتادني

الجرحُ يَفغرُ فاهُ وهو مُسمّمُ
يطويه ناموسُ الوجودِ ويَحكم
قلباً يذوب وأضلعاً تتحطّم
فيها الضنى ونُفاثةٌ تتضرّم
همْ بين أطواءِ الجوانح جُثّمُ
أبرمتُ يوم هوى القضاءُ المبرَم
فصغا (٢) . ومن في قلبه المتحكّم ؟
إمّا اتقاءُ أذىً وإما مَغنم
وهو المَصيرُ في الحياةِ المُرْغَم
وابنُ الترابِ الصاغرُ المستسلم
والعجْزُ تسخر منه ساعةَ يُقسم
وأراح في ظل الرقاد النوّم
كالنار تَنشج ، والرياح تهزم

(١) الى زوجته التي افتقدها منذ ربع قرن من الزمان . ونشر للشاعر عقب افتقادها ديوان كله رثاء ولوعه ، كان أشبه برثاء الخنساء لاخويها .

(٢) صغا : مال

فإذا الوســادُ كأنــه متضـرِّمٌ   وإذا الفِــراش كأنــه مُتـذمِّم
وإذا الـكواسرُ مُقْعياتٌ جُثَّمٌ   وإذا الجوارحُ ضَاغيــاتٌ حُوَّم
وإذا الافــاعي الواغرات كأنما اصْ   طَرَعتْ على صـدري تَفِحُّ وتَرْزم
وإذا الطيـوفُ كأنهــا عن عبقـر   هبطت . توَهجَ في محـاجرِها الدم
فتقــول : قــد حُنيتْ على جَهنَّمٌ   وأقــول : بل أحنَى عــلىَّ جهنمُ
وأظل أسمــع جمجمات عزيفهــا   وأكاد أفهــم منــه ما لا يُفهم
يا صاحبَ القسم العظيم تملأْ الـ   ـكَيـدَ العـظيمَ وما تراخى أعظم
وأقــول حسبكُو فكشَّــر ضيغــم   عن نابــه حرِدا ونَضنْض أرقمُ
وأقــول ما جُــرمى علَيَّ بهيِّنٍ   لــكن بجنْبهــا لهــا أتقــدّم
فيقول قائلهــم : تعِسْت ألم تــزل   تتحيَّــفُ الحــبَّ السنيَّ وتظلم
ما الحبُّ – وهو تهذب الدنيا به –   إلا الوفــاءُ . أو الوفــاء التــوأم
وأدبُ للمصبــاح أُشــعله . فمــا   ألفى ســوى مُتنــدّمٍ بتنــدّمٍ
ما كان مسرجُهــنَّ إلا نفســهُ   وضمــيرهُ المتقلقــل المتُــبرم
أغرتــه ســابقةُ الهنــاءةِ فانــبرى   لنَــديَّــةٍ من مثلِهــا تتَوسّمُ

★ ★ ★

يا أختَ منضــورِ الشباب تحيــةٌ   مطلــولــةٌ في آهــة تتضــرَّمُ
مغنــاك قبلــةُ ناظرىَّ أروده   كالبيــت يأنس في ذُراه المُحْــرِم
ولكم سعيْتُ إليك في حرَم الدجى   فهبــطت خدرَكِ نازعا أتبسَّــم
كالعهــد بى والدارُ جامعةُ الهوى   والشملُ مؤتشِبُ الأواصر مُبرَمَ



أرنو إليك وللحياةِ بقيّةٌ … تنهلُّ في خَلَلِ الدموع وتَسجُمُ
ولكم دفعتُ إليك صدري حانياً … في غمرةِ الوهم الذي أتوهَّمُ
فهَصَرْتُ لَدْناً . واشتففتُ جَنَى فمٍ … نشوانَ دغدغهُ بقبلته فمُ
وأذبتُ في أُذْنَيْكِ حبّةَ مهجتي … شعرا تفجَّر في ملاحنه الدم
وتفُضّ غاشيةَ الخيال حقيقةٌ … سوداءُ تفجع كالفراق وتَدْهمُ
فإذا الرخامُ الجَهْمُ ما ناجيتُه … وإذا الشمائلُ ما أصُمُّ وأَبْكَمُ
يازينُ أنت الأول المُتقدمُ … وهداك بعدُ هو الهوى المتضرِّمُ
غاض الرُّفاءُ غداة بِنْتِ كأنما … أنت الرُّفاءُ ورَيْقُهُ المُتبسِّمُ
ما ذقتُ من حبٍّ فحبُّك أعظمُ … أو نِلتُ من عُشٍ فعُشُّك أكرم
هُبِّي أعاصيرَ الردى فاقذِفْنَ بي … بين الأحبّةِ ، أو قريباً منهمو
ماذا انتفاعي بالحياة وهذه … مُتَعُ الحياةِ دَرَجْنَ مذ دَرَجوا همو

■■

عزيز أباظة

الكـبد

■ هي أعظم غدة في الجسم ، وهي تزن في الرجل البالغ نحوا من جزء من اربعين من وزنه . فان قلنا انها تزن مابين ٣ و٤ أرطال ، لم نذهب بعيدا .

موضع الكبد من الجسم

وموضعها من الجسم في البطن ، على يمين الرجل ، تحت الحجاب الحاجز مباشرة ، وهي لصيقة به ، وفي المستوى الأسفل منها تأتي ثنية القالون الصاعد حين يصبح المستقيمُ المستعرض ، ووراءها تختفي الكلية اليمنى . وعلى يسار الرجل ، في مقابلة الكبد ، توجد المعدة . ويمتد طرف الكبد الأيسر (فصها الأصغر ، فهي تتألف من فصين) فيغطي المعدة .

والكبد تتألف من خلايا كبيرة خصيصة بها . ولونها أحمر بني داكن .

وتحتوي الكبد على نحو ربع دم الشخص والشخصُ مستريح . فاذا تحرك وعمل ، تدفق الدم منها الى سائر الجسم .

الدم له الى الكبد سبيلان

والدم يصل الى الكبد عن طريقين أصليين ، (الشريان الكبدي) Hepatic Artery ، ويأتي للكبد بما يغذيها ويحييها شأنَ سائر الأعضاء . ثم (وريد الباب) Portal Vein ويحمل اليها الدم القادم من المعدة والأمعاء بما امتصه من أغذية لتصنع به الكبد ما تصنع قبل ان يبلغ الدورة العامة فيصبح للجسم غذاء تاما .

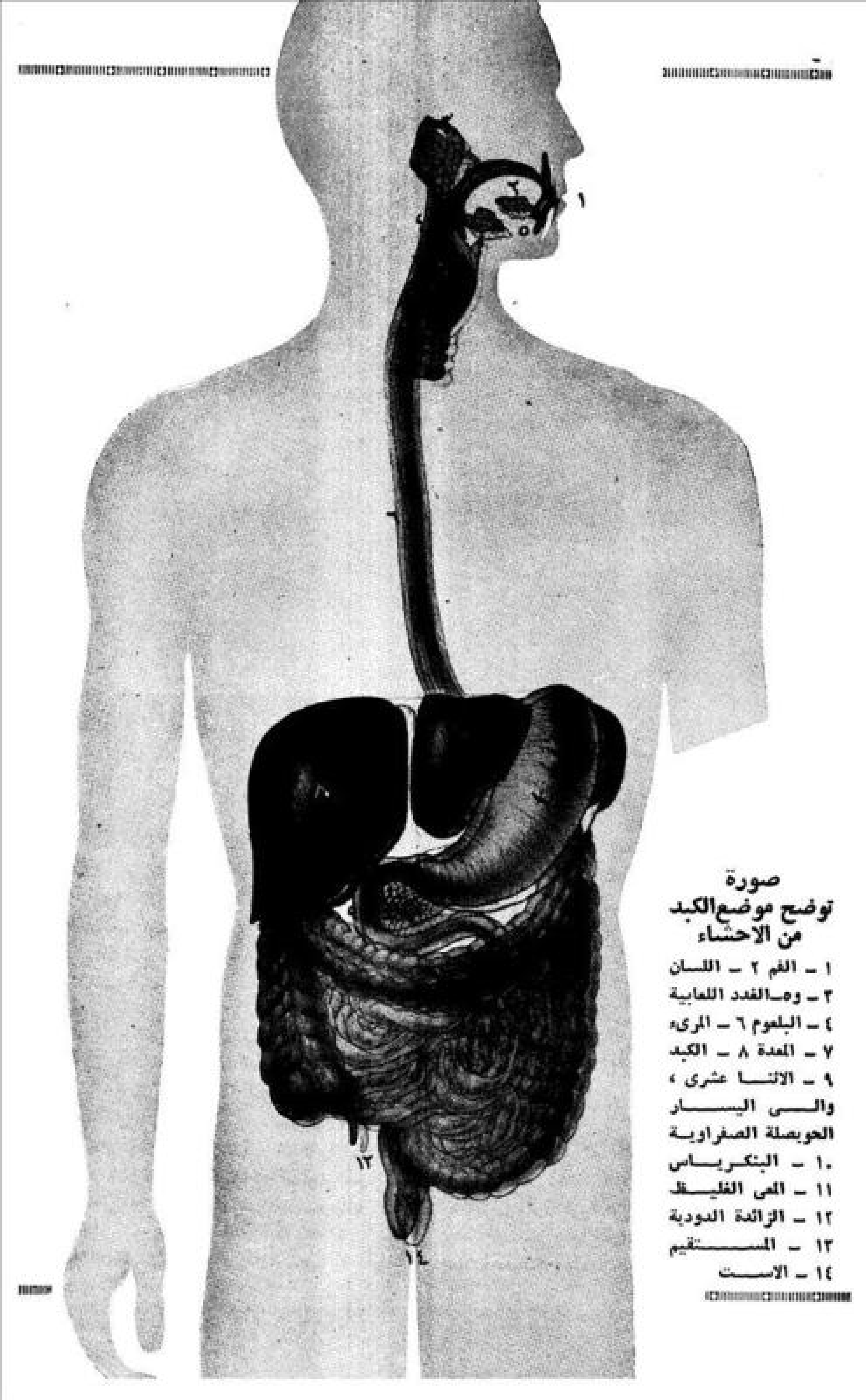
الكبد مختبر كيماوي فخم

وهنا يجب أن نقول ان الكبد هي مختبر الجسم الأكبر ، فيه تجرى من التغيرات الكيماوية رغم تعقدها ، على بساطة وفي سهولة تحمر لها خجلا سائر المختبرات العلمية الكيماوية التي صنعها الانسان . فالكبد تصلح الطعام الواصل اليها ، ومنه تصنع ما يحتاج الجسم لبعض بنائه من لبنات ، وهي تطيح ببعض ذرات من جزئيات مواد تأتيها ، لو انها بقيت كما هي ، لعملت في الجسم عمل السم فانطفأت بذلك شعلة الحياة .

والعمليات التي تقوم بها الكبد كثيرة نشير منها الى ما يلي :

(١) السكر والسكريات والنشا في الجسم تستحيل في الهضم الى جلوكوز يستخدم وقودا لابقاء شعلة الجسم مشتعلة . ولكن الانسان يأكل أكثر مما يحتاج لساعته، واذن تقوم الكبد باختزان الفائض ، لا على صورة جلوكوز (سكر العنب) ولكن على صورة سكريٍّ يصنع بدمج جزيئات الجلوكوز معا ويعرف باسم جليكوجين Glycogen . وهذا تختزنه الكبد الى حين يحتاجه الجسم فترده اليه .

(٢) ان (الوريد البابي) يأتيها من المعَى الدقيق مثلا باللحم وسائر البروتينات مهضومة جاهزة ، ومعنى ذلك أنها تكون عندئذ على صورة احماض عضوية أمينيّة . فالكبد تعود فتصنع من هذه بروتينات جديدة شبيهة بالتي كانت عليها وهي أطعمة . وهذه البروتينات الجديدة يحتاج الجسم ليبني منها نفسه . انها البروتينات التي منها تتألف بلِزْمة الخلايا في الجسم . وكذلك يصنع منها الألبومين (الزلال) وكذا الجلوبيولين Globulin .



صورة
توضح موضع الكبد
من الاحشاء

١ ـ الفم ٢ ـ اللسان
٣ ـ و٥ ـ الغدد اللعابية
٤ ـ البلعوم ٦ ـ المرئ
٧ ـ المعدة ٨ ـ الكبد
٩ ـ الاثنا عشرى ،
والى اليسار
الحويصلة الصفراوية
١٠ ـ البنكرياس
١١ ـ المعى الغليظ
١٢ ـ الزائدة الدودية
١٣ ـ المستقيم
١٤ ـ الاست

(٣) وهذه الأحماض الأمينية التى ذكرنا في (٢) ، منها ما يحتاجه الجسم وقودا للحياة . واذن وجب على الكبد ان تخلصه من الجزء الأمينى الذى به (ذرة آزوت معها ذرتان من الادروجين اى زيدم وذلك بأن تحوله الى بَوْلينة Urea (ز يدم . ك ا . ز يدم) لا الى نشادر (زيدم) ، فالنشادر سم ، والبولينة يحتملها الجسم بمقدار حتى تخلصه منها الكليتان .

(٤) والكبد تصنع المرارة . وليس بالمرارة انزيم هاضم ، وانما بها ما يساعد على هضم الغذاء وهو في المعى الدقيق . وقد سبق أن فصلنا ذلك في « العربى »

والمرارة تحتبس حويصلة الصفراء منها نحو العشر ، وقد سبق أن عالجنا أمر الحويصلة الصفراوية كذلك بما فيه الكفاية فلا نعود هنا الى ذكرها .

وانما قد نزيد فنقول ان حويصلة الصفراء هذه لا توجد في كل الحيوانات الفقرية . فهى لا توجد في الحصان ولا في الفئران، ولا في الأيلات واخرى غيرها. وحتى في الانسان ، قد تمتلىء الحويصلة بالحصى (هو غالبا ما يكون من الكولسترول Cholestrol) فيضطر الانسان الى استئصالها ويعيش بعدها في راحة من الحياة .

(٥) الكبد تهيىء الدهون الغذائية كيماويا ليسهل احتراقها عندما تذهب الى الخلايا ويستفاد منها وقودا للجسم . وذلك بتحويلها الى مركبات غير مشبعة .

(٦) والكبد تصنع مركب الهيبارين Heparin ، وهو المركب الذى يجرى طبعا في الدم فيمنع من تجلطه وتخثره ، وسدّ منافذه .

(٧) والكبد تصنع المواد المضادة للامراض العفنة لوقاية الجسم منها .

والكبد تصنع وتصنع ...

التعديد سهل .

ولكن اطرف منه ما يجب أن يفهم الكيماوى من ذلك كله . انه يعلم ما يجرى . ويفهم ما يجرى . ويعجز عن اجراء كثير مما يجرى . والذى نجح في اجرائه من ذلك سبقته الكبد بأنها تصنع ما تصنع بدون مصابيح ولا قوارير ولا مضخات ولا مصاهر ولا مقطرات ولا مرشحات . وتصنعه على الصمت . وعند الكبد كل الفهم ، وكل الحذق .

عندها ؟ عند من ؟

الكبد تجدّد نفسها

ومن عجيب أمر الكبد انها تجدد نفسها .

قطعوا نحو ٩٠ في المائة من كبد كلب، فاخذت العشرة الباقية تنتج المرارة على نحو المعدّل الجارى . وقطعوا ثلاثة أرباعها وظل الربع الباقى تنقسم وتتكاثر خلاياه بسرعة حتى تعود الكبد الى ما يقارب حجمها الأول بعد ستة أسابيع أو ثمانية !

الكبد عند الشعراء

واقرأ للشاعر العربى المحب يشكو فيقول :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبدا ليست بذات قروح

اباها علىّ الناس لا يشترونها
ومن يشترى ذا علة بصحيح

واقرأ لغيره فأجد أن القدماء اعتقدوا انه في الكبد تنتج الأصول التى تصنع للانسان صحته وتصنع مزاجه . والأمزجة كانت عندهم اربعة وسموها اخلاطا اربعة ، هى الدم والبلغم والصفراء والسوداء . والحب عندهم كان فشلا أنتج فيهم المزاج الصفراوى .

والحق انه ، لا الحب ، ولا الفرح ولا الحزن ، ولا شيء من ذلك له صلة بالكبد، الا أن يمرض الجسم فتمرض الكبد لانها بعضه .

●●



تفل فرنسا الآن بمرور ٢٠٠ سنة
لى مولده .
لرجل الذى ارتفع به الحظ والقدرة
سرعة كأنما ارتفع به صاروخ .
هبط من عل فى مثل تلك السرعة
انقضاض صخرة من الذروة العالية .

نابليون

بقلم : محمد طنطاوى

■ قصة حياة نابليون ملحمة عظيمة كتبها القدر ، ملحمة بدأت يوم مولده في ١٥ اغسطس عام ١٧٦٩ ، ولكنها لم تنته بوفاته في يوم ٥ مايو ١٨٢١ ، وهو في منفاه بجزيرة سانت هيلانة .

انها ملحمة خالدة تبين كيف يصنع القدر الرجال .. وكيف يقودهم الى المجد ثم الى الدمار .. !!

ونابليون الذى تحتفل فرنسا في هذا الشهر بذكرى مرور ٢٠٠ عام على مولده شخصية تجمع بين المتناقضات . ولن نحاول هنا أن نكتب عن تاريخه فهذا التاريخ مدون ومعروف ، ولكن سنحاول أن نلقى الضوء على بعض جوانب شخصيته التى حيرت الكثيرين من المؤرخين ومن السياسيين والعسكريين . ولعل في نشأة نابليون وطفولته وفي اقواله لقواده ومستشاريه وخطاباته الخاصة لزوجته جوزفين وخطاباته لحكام أوربا التى جعل من نفسه غازيا وفاتحا لها ، لعل في هذا كله ما يبدد بعض الظلام الذى يلف شخصية نابليون بونابرت المقامر الكورسيكى الذى نصب

نفسه امبراطورا للبلد الذي كان يكرهه كل الكره في طفولته وصباه وبداية شبابه .. !!

نشأة بين الفقر والهزيمة

كان الظلام داخل الخيمة الصغيرة التي نصبت في موقع جبلي بجزيرة كورسيكا يضفى على السيدة القابعة داخلها جوا من الرهبة والتوتر .. سيدة تتشح بوشاح أسود من الصوف تقوم باطعام طفلها الصغير الذي لم يتعد العام الأول من عمره، وفي نفس الوقت كان دوى طلقات الرصاص يتردد بين الحين والحين .. فهناك في سفح الجبل تدور معركة بين اهالى كورسيكا والقوات الفرنسية .. ومع كل طلقة من الطلقات كانت انفاس السيدة الصغيرة التي تطعم طفلها تكاد تنقطع .. فزوجها ووالد طفلها هناك في ميدان المعركة .. ولم يدم قلقها طويلا فمن باب الخيمة دخل رجلها الكونت كارلو بونابرت .. وقامت « ليتيزيا » ، بتسليم طفلها للمربية وجلست هى مع زوجها لتساله عن سير القتال ضد الفرنسيين .. ولكن أخبار القتال لم تكن في صالح كورسيكا وبين الأسى والحزن جلست ليتيزيا تواسي زوجها كارلو ..

ومع تباشير الصباح كانت ليتيزيا تحمل داخل احشائها طفلها الثاني الذي شاهد الدنيا في يوم ١٥ اغسطس ١٧٦٩ في بلدة أجاكسيو Ajaccio وقررت الأم أن تسمى ابنها نابليون ولم يكن احد يدرى أن هذا الاسم سيدخل التاريخ من اوسع ابوابه ..

نشأ نابليون بين الأسى والحزن المخيمين على اسرته وعلى ابناء بلده من الكورسيكيين ، ذلك الأسى المشوب بالرغبة في الانتقام من فرنسا ومن الجيش الفرنسي الذي الحق بهم الهزيمة واستعمر بلادهم . وفي نفس الوقت كان الأب كارلو بونابرت يعانى من ضيق في ذات اليد ، وكان من الضرورى أن تعيش الأسرة كلها في ضيق وضنك .

وازداد الضيق المالى ولجأ الكونت بونابرت الى ملك فرنسا ، لجأ الى عدوه لينقذه مما هو فيه ، وقرر الملك الفرنسي أن يمنح النبيل الكورسيكى الفى فرنك وأن يمنح ولديه منحتين دراسيتين . وسافر جوزيف ونابليون بونابرت الى فرنسا . والتحق نابليون وعمره عشر سنوات بمدرسة للنبلاء في بريين Brienne ، وفي هذه المدرسة كان زملاؤه ينظرون اليه كأنه نصف متوحش ، فهو أجنبى لا يعرف سوى كلمات قليلة من الفرنسية ينطقها بلهجة غريبة ، وطباعه تختلف عن طباعهم ، وهو في نظرهم ليس نبيلا مثلهم فهو من نبلاء كورسيكا لا من نبلاء فرنسا !!

بركان متفجر !

اما اساتذته في المدرسة فقد قال عنه احدهم : « ان الصغير يبدو وكأنه قد من الجرانيت ، ولكن يوجد بركان متفجر داخله » !

وكان نابليون الصغير يتعذب داخل نفسه وكتب الى والده قائلا : « لقد سئمت من كثرة تفسيرى للفقر الذي اعانى منه ، ومن تحمل سخرية هؤلاء الصبية الأجانب ، الذين لا يتفوقون على الا بنقودهم .. أما شعورهم بالنبل فهو اقل من شعورى بكثير . فهل يجب على حقيقة ان احط من قدرى امام هؤلاء الزملاء الذين ليس لديهم ما يفخرون به سوى محافظ نقودهم ؟! » .

وجاء الرد من كورسيكا مقتضبا حاسما : « ليس لدينا نقود . ابق حيث أنت » .

وبقى نابليون خمس سنوات في بريين ، وبدأت ثقته بنفسه تزداد بازدياد احتقاره لزملائه . ولم يكن متفوقا في دراسته اللهم الا في العلوم الرياضية والجغرافيا والتاريخ .

وكان تفكيره كله محصورا في تحرير بلاده كورسيكا من الاحتلال الفرنسي وفي يوم من الايام قال له أحد زملائه : « اذا كنتم انتم يا اهل كورسيكا شجعانا كما تقولون ، فلماذا تنهزمون ؟! »

ورد نابليون قائلا : لقد كان الواحد منا يقابل عشرة منكم ، انتظر حتى أكبر انا وسأقوم بطردكم أيها الفرنسيون ! » .

هذا السيف ملكى أنا

وفي سن السادسة عشرة أصبح نابليون مساعد ملازم في القوات الفرنسية وعندما تقلد سيفه لأول مرة قال : « ان حزام هذا السيف فقط هو الذي تملكه فرنسا اما هذا السيف فهو ملكى انا » !

وفي أكاديمية باريس كان همه الاول القراءة .. وخاصة السير التاريخية لعظماء الرومان وأباطرتهم .. تلك السير التي كتبها المؤرخ اليونانى بلوتارك Plutarch ، وكان نابليون يلتهم هذه السير التهاما ويترك لخياله العنان في التفكير في اعمال







البداية .. والنهاية

صورتان لنابليون الاولى عندما عين قنصلا اول لفرنسا في عام ١٧٩٩ .. والثانية وهو في منفاه بجزيرة سانت هيلانة بعد أن خبا نجمه ومنى بالهزيمة

هؤلاء الرجال العظماء . وكأي شاب صغير في ذلك العهد كان نابليون يهتم بالشئون السياسية والاجتماعية فاكب على قراءة كتاب الجمهورية لافلاطون ، وتاريخ انجلترا ، ودساتير فارس واليونان ، وفتوحات فريدريك الاكبر وتاريخ التتار والترك ، وتاريخ مصر ، وتاريخ الهند ، وتاريخ فرنسا ، وآراء مكيافيللي Machiavelli وميرابو Mirabeau وبافون[1] Buffon وكان نابليون يكتب مذكرات عن كل كتاب يقرأه في كراسة وقد بلغت هذه المذكرات عند طباعتها ٤٠٠ صفحة من الحجم الكبير !!

ومن بين هذه المذكرات ما نقله نابليون عن مصر بالذات « بالنسبة لموقع مصر بين بحرين ، وفي الحقيقة بين الشرق والغرب ، فان الاسكندر الاكبر اختار تاسيس عاصمة امبراطوريته في هذه البلاد وجعل مصر مركزا للتجارة العالمية . ان هذا الفاتح العظيم قد رأى أن الطريقة العملية لادماج كل فتوحاته في دولة واحدة يتم عن طريق استخدامه لمصر ، التي خلقت لتكون نقطة اتحاد بين افريقيا وآسيا وأوروبا » .

وكان نابليون يحفظ هذا الجزء الخاص بمصر عن ظهر قلب حتى انه كان يردده بعد تدوينه بثلاثين عاما .

ولعل ما دونه هذا وحفظه عن ظهر قلب كان له اكبر الاثر في حملته على مصر ومحاولته ضمها الى فرنسا فيما بعد .

امل لم يتحقق

في عام ١٧٨٩ بدأت الثورة الفرنسية .. وقام الملازم نابليون باطلاق نيرانه على الشعب الفرنسي تنفيذا لاوامر الضباط الملكيين ، ووجد في هذه الثورة فرصة لتحرير بلاده كورسيكا . وفي غمرة الاحداث سافر الى جزيرته بعد ان حصل على

---

(١) الكونت دي بوفون مؤلف الكتاب الشهير التاريخ الطبيعي Histoire Naturelle وقد ادى خدمات جليلة للعلم في عهده .

اجازة طويلة ، وهناك خاض ٣ مغامرات فاشلة لكي يصبح زعيما لبلاده بعد تحريرها من الفرنسيين واخيرا عاد مرة اخرى الى فرنسا منفيا من كورسيكا بعد ان فشل في محاولته الاخيرة التى قام بها لحساب الفرنسيين !!

وعاد نابليون الى الجيش الفرنسي .. وسنحت له فرصة العمر في مدينة طولون .. استطاع بعبقريته العسكرية في عام ١٧٩٣ ان ينقذ المدينة من الحصار البحرى البريطاني .. وبدا نجم جديد يحمل اسم نابليون يلمع في السماء .. !!

ومنحته الثورة الفرنسية رتبة بريجادير جنرال في فبراير ١٧٩٤ وعمره يقارب الخامسة والعشرين، وفي اغسطس من نفس العام سقط روبسبير وبسقوطه القى القبض على نابليون بونابرت وكاد هو الآخر ان يلقى حتفه تحت حد الجيلوتين ، ولكنه نجا بفضل اصدقائه وافرج عنه . ومرة اخرى بدا خياله يعمل في سبيل المجد الذى يتطلع اليه .. وسنحت له الفرصة عندما حدث خلاف بين زعماء الثورة ، وتحرك الحرس الوطني ضد الحكام وهم من رجال الثورة ولجا الحكام الى نابليون فقمع حركة تمرد الحرس الوطني بالقوة ، وبذلك نال حظوة عند زعماء الثورة وكتب الى اخيه يصف ما حدث : « واخيرا انتهى كل شيء ، وها انا ارسل اليك الانباء لقد اتخذت قواتي مواقعها عندما هاجمنا العدو في قصر التويلرى ، فقتلنا الكثير منهم ، اما خسائرنا فقد بلغت ثلاثين قتيلا وستين جريحا ، نزعنا سلاح الحرس الوطني وكل شيء هادىء . وكالعادة نجوت دون اى خدش » حاشية : « الحظ في جانبي » .

غرام ثم زواج

بعد أن اصبح نابليون قائدا للجيش الداخلي في فرنسا كتب الى اخيه يقول : « ساقوم باى شيء لمساعدتك ، ولن ادخر اى جهد قد يساهم في اسعادك » . وبهذه الروح استمر نابليون طول حياته ، لا يدخر جهدا في سبيل اسعاد افراد أسرته .

وفي هذه الأيام بالذات وقع نابليون في اول واكبر غرام له .. فقد كان الجنرال نابليون اصدر امرا يمنع حمل الاهالي للسلاح . وقامت حملات التفتيش عن الاسلحة وصادرت كل سلاح وجدته . وفي يوم من الايام جاء الى مكتب بونابرت طفل عمره ١٢ سنة طالبا اعادة سيف والده المتوفي الذى صادرته السلطات من منزل والدته .. ووافق نابليون على اعادة السيف . وجاءت والدة الطفل لتشكر نابليون على شعوره الطيب وكانت هي بعينها جوزفين . وقررت جوزفين ان تتلاعب بعواطف هذا الجنرال الشاب الذى يبدو قليل الخبرة بالنساء .. وبعد ان دعته الى بيتها قالت لاحد اصدقائها « لقد رايت الجنرال بونابرت في منزلي .. انه سيصبح قريبا ابا لابنائي اليتامى ، وزوجا لي . »

وقربت جوزفين نابليون من قلبها كل القرب ، الذى كتب اليها في اليوم التالي يقول : « انني في انتظارك ، ان نفسي مليئة بك ، صورتك وصورة ذلك المساء الذى لا ينسى لم تترك لحواسي اى سلام .. جوزفين الجميلة ماذا فعلت بقلبي ؟ هل انت غاضبة مني ؟! هل تبدين حزينة ؟! هل هناك ما يعكر صفوك ؟! .. انى شعرت بالراحة عندما اسلمت نفسي لعواطفي .. وعلى شفاهك ، وداخل قلبك شعرت بالنار التي احرقتني .. وفي ليلتنا الاخيرة وضح لي تماما ان صورتك لا يمكن ان تحل محلك انت . انك تستيقظين في الظهيرة ..وفي خلال ثلاث ساعات سأراك وحتى يحين ذلك الوقت لك حبي .. والف قبلة ! ولكن يجب ان لا تعطيني من قبلاتك لانها تحرق دمي .. ! »

وقبل زواجه بها قال لها يوما دون ان يفصح عن الخطط التي تدور داخل رأسه :

« ان هؤلاء الحكام يتخيلون انني في حاجة لحمايتهم . ولكنهم يوما من الايام سيعتبرون انفسهم سعداء لو حصلوا على حمايتي لهم . انني ساشق طريقي بالسيف ! »

وتم زواج نابليون بونابرت وجوزفين بعد ان تم تعيين نابليون قائدا للجيوش الفرنسية التي ستقوم بالحملة على ايطاليا ، وبدا الزواج بتزوير في عمر العروس ، وتزوير في عمر العريس .. ذكرت جوزفين ان عمرها ٢٨ عاما في حين انه كان ٣٣ عاما وذكر العريس ان عمره ٢٨ عاما في حين ان عمره كان ٢٧ عاما .

نابليون في ايطاليا

بعد الزواج بثلاثة ايام غادر نابليون باريس الى نيس Nice ليتولى قيادة الجيش الذى حقق به

امجاده العسكرية الاولى .. وفي الطريق ارسل ١٤ خطابا غراميا ملتهبا الى جوزفين ..

وفي « نيس » القى نابليون كلمة موجزة في جنود جيشه « ايها الجنود ، انكم نصف جوعى .. ونصف عرايا والحكومة مدينة لكم بالكثير ولكنها لا تستطيع ان تفعل شيئا لكم . ان صبركم وشجاعتكم وبسالتكم هى التى تشرفكم ولكنها لا تكسبكم مجدا او ميزة . انني سأقودكم الى اخصب وديان العالم . وهناك ستجدون مدنا مزدهرة وهناك ستحصلون على الشرف والمجد والثراء . ياجنود حملة ايطاليا ان المطلوب منكم الشجاعة والحزم » .

وفي خلال اسابيع استطاع نابليون ان يحقق وعده لجنوده وان يقودهم وهم ذلك الجيش الذى يعاني من الجوع وقلة الاسلحة والمعدات من نصر الى نصر .. وبذلك استطاع ان يكسب ثقتهم فيه واصبحوا يؤمنون به ايمانا اعمى !! وقد استطاع نابليون ان يحقق الكثير من الانتصارات لا بحد السيف ولكن بالدهاء وبالخطابات التى كان يرسلها لحكام المقاطعات مهددا باستعمال قوات كبيرة لم يكن يملك منها شيئا .. !!

وبقلمه ايضا استطاع ان يكسب شعبية كبيرة في باريس ، فتقاريره التي كان يرسلها الى فرنسا عن المعارك التي يخوضها كان يضفي عليها باسلوبه خيالا له وقع اشبه بالسحر في نفوس الناس .

قلق .. وخطابات غرام ملتهبة

وبالرغم من انتصاراته العسكرية فقد كان قلقا .. يفكر في جوزفين .

وفي ليلة احتفاله بدخول مدينة ميلانو دخول الفاتحين لم ينم . كان يفكر في جوزفين لماذا لم تحضر لتشاهد نصره ؟ هل هي مريضة حقا ؟ ام هل وجدت لها عشيقا ؟ ! .. انه يكتب لها يوميا .. وفي خطاباته كان يقول : « يجب ان تحضرى الي . انني اريدك في قلبي ، بين ذراعي ! اسرعي ! طيرى .. طيرى »

وكان قلق بونابرت من ناحية زوجته له مبرراته .. فهي الان في باريس تتمتع بمركز محترم كزوجة للقائد المنتصر في ايطاليا ويحيط بها المعجبون ولا تريد ان تترك هذا كله لتلحق بزوجها في ميدان القتال ..

وازدادت خطابات نابليون الى جوزفين حدة حتى انه كتب اليها يقول : « هل لك عشيق ، هل وجدت لك شابا في التاسعة عشرة ؟! اذا كان هذا قد حدث فعليك ان تخافي من قبضة عطيل ! »

وجاء رد جوزفين انها مريضة وانها قد تكون حاملا !! وكتب نابليون اليها « انني آسف ، لقد أمطرتك بشكواى وانت مريضة . لقد سلبني الحب عقلي واتزاني . سامحيني ولكنني اظن انني لن اكون عاقلا ابدا . ان حياتي حلم لا ينتهى . ان الهواجس المظلمة تكتم انفاسي ، لقد فقدت كل امل . اكتبي لي عشر صفحات لانه لا شيء آخر يعزيني . انت مريضة ، انت تحبينني ، انت مع طفلي .. وانا لا أراك ابدا . من الذى يعتني بك ؟! هورتنس ؟ انني احب هذه الفتاة الحلوة اكثر من ذي‌قبل عندما افكر انها تعتنى بك. قريبا ستحملين بين ذراعيك طفلا رائعا كروعتك . آه لو استطيع ان امضى يوما كاملا معك . انك تعلمين انني لو شاهدت عشيقا معك فانني سأمزقه فورا ! »

وفي نفس اليوم كتب الى شقيقه جوزيف قائلا : « ان زوجتى مريضة . انني لا اعرف ما اذا كنت اقف على رأسي او على قدمي . ان هناك هواجس مخيفة تعصف بقلبي . اني اتوسل اليك ان تكتب لي . اننا مرتبطان بعاطفة قوية منذ طفولتنا، افعل لها كل ما استطيع انا أن افعله لك . انك تعلم كم احبها ، وتعلم طبيعتها المتقدة ، وتعلم ايضا انني لم احب من قبل بكل عواطفي ، وان جوزفين هي المرأة الاولى التى اعبدها . ان احوالها تدفعني الى الجنون . ولكن عندما تصبح حالتها الصحية حسنة وتتحمل السفر يجب ان تحضر الي . انني يجب ان احتويها بين ذراعي . انني احبها الى درجة الخبل ولا استطيع العيش بدونها . اما اذا كانت هي لم تعد تحبني فلم يعد هناك لي شيء في العالم ، آه يا صديقي لا تحتجز الرسول اكثر من ٦ ساعات في باريس ارسله الي برد يعطيني حياة جديدة . كن سعيدا ، اما بالنسبة لي فقد حكمت على الطبيعة ان لا اكسب شيئا سوى انتصارات خارجية » .

وقام شقيق نابليون باجبار جوزفين على السفر الى‌ميلانو معه . ولكنها ايضا احضرت معها عشيقها الضابط الشاب هيبوليت Hippolyte !!

وأمضى نابليون مع زوجته يومين فقط ثم اضطر الى الاسراع الى ميدان القتال مرة اخرى .. ومن هناك كتب اليها يقول : « منذ ان تركتك وانا حزين . انني لا استطيع ان اكون سعيدا الا وانا

بقربك ، انني امضي وقتي كله افكر في قبلاتك ، ودموعك ، وغيرتك الجارفة . ان جمال وسحر جوزفين اللذين لا مثيل لهما يزكيان النيران في قلبي وحواسي ، متى ساصبح حرا ، حرا من الواجبات والمسئوليات ، حرا لكي اكرس وقتي كله لك ، ولا شيء في الدنيا سوى ان احبك . انني منذ عرفتك بدات افقدك يوما بعد يوم ، وهذا يرينا كيف كان بريير Bruyére مخطئا عندما قال ان الحب يجيء فجاة . ان كل شيء في الطبيعة يجرى مجراه ويزيد بدرجات . كوني اقل جمالا ، واقل حنانا ، وفوق كل شيء اقل غيرة . ان دموعك تحرق دمائي . الحقي بي بسرعة حتى نستطيع قبل ان نموت ان نقول : اننا عشنا اياما كثيرة سعيدة. مليون قبلة ، حتى لفورتينيه المرعب « (١) » .

وارسل نابليون ليحضر زوجته اليه ولكنها اضطرت الى العودة الى ميلانو بعد ان كاد الاعداء يأسرونها .

ووسط القتال العنيف الذيكان يخوضه نابليون كان مواظبا على الكتابة الى زوجته وبعد انتصاره في معركة كاستيليون « Castielione » كتب اليها : « ثلاثة ايام مرت بدون خطاب واحد منك . انني اكتب يوميا . ان هذا الفراق مؤلم . الليالي طويلة ولا طعم لها ، الايام مملة » . .

وكتب اليها بعد ذلك يقول : « العدو قد هزم ، يا حبيبتي ، اسرنا ١٨٠٠٠ والباقون قتلى او جرحى . لم يبق لدى ورمسر Wurmser (القائد النمسوى) سوى حصن مانتوا Mantua ، ان هذا هو اكبر نجاح حتى الآن . ايطاليا ، فيريولي والتيرول خاضعة لفرنسا الآن . وبعد بضعة ايام سنرى بعضنا بعضا مرة اخرى . ان هذه هيجائزة العمل والآلام . الف قبلة مشرقة ! »

وكتب اليها بعد ذلك مباشرة : « ان خطاباتك باردة ولهجتها تشير الى اننا قد مر على زواجنا نصف قرن على الاقل . الصداقة والشتاء . انهما شيئان كريهان .. ماذا اتوقع منك اكثر من هذا ؟! هل قل حبك لي ؟! انها قصة قديمة ، هل تكرهينني ؟ حسنا .. ان هذا ما اريده . ان كل شيء يتناقص ويزول الا الكراهية » .

انني اكرهك .. ثم مليون قبلة

وفي يوم معركة اركولا Arcola ، ووسط اليأس الذى كان يحيط به كتب الى جوزفين يقول : « انني لم اعد احبك ، انني اكرهك . انك كريهة ، غبية ، حمقاء . انت لا تكتبين لي، لا تحبين زوجك. ماذا تفعلين طوال اليوم يا سيدتي ؟! ما هي المشغوليات الهامة التي تجعل من المستحيل عليك ان تكتبي للرجل الذى يحبك ؟ من هو امير الاحلام الذى يأخذ كل وقتك حتى لا تستطيعى الكتابة لزوجك ؟! احترسي يا جوزفين ، فليلة من الليالي سينفتح الباب وساكون هناك ! وبجدية اقول لك انني متضايق يا جميلتي . اكتبى لي اربع صفحات مليئة بالكلمات الحلوة التي ستدفىء قلبي بالسرور والسعادة . وانني آمل بعد ايام قليلة ان احتويك بين ذراعي واغطيك بمليون قبلة حارة كخط الاستواء ! »

هذه الخطابات تبين كيف كان نابليون يمر بأزمة زوجية تماثل الازمة التى كان يمر بها في ميادين القتال !!

انه حائر بين الشك واليقين .. هل تخونه زوجته .. ؟ هل تحبه ؟! انه لا يدرى ما الجواب .. تماما كحيرته عن نتائج معاركه هل سينتصر ؟ هل سيهزم .. ؟ هل سيقتل في المعركة ؟ هل سيحقق المجد الذى يحلم به ، ام سيصبح قائدا مهزوما واسيرا ذليلا في يد الاعداء .. ؟!

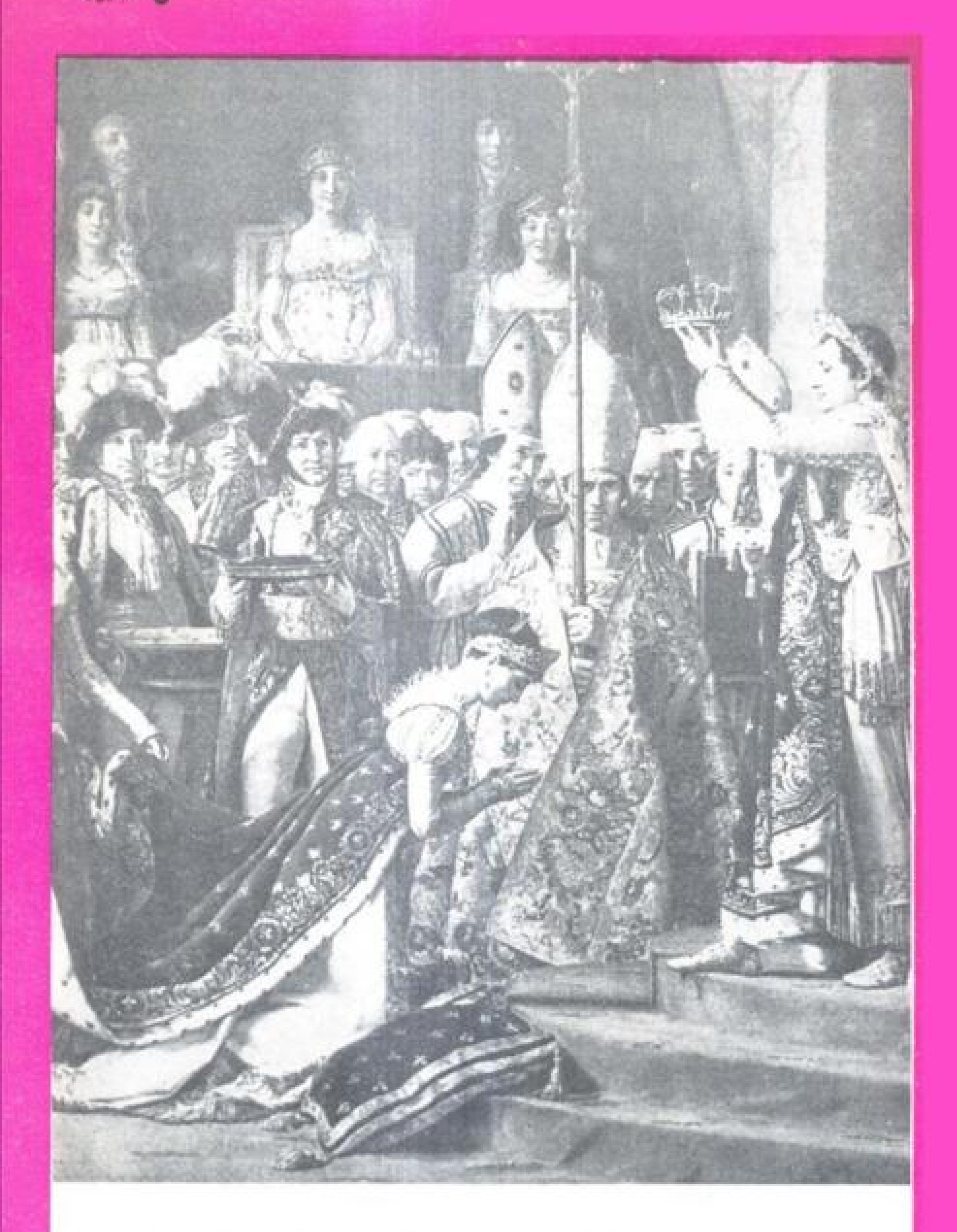
هكذا كان يعيش نابليون في تلك الفترة التى كانت من المع فترات حياته قائدا عسكريا .. ولكنه بالرغم من هذه الحالة النفسية استطاع ان يدير معاركه بدقة وحساب وتكتيك بارع .

رجل الحرب والسياسة

بعد ان هزم نابليون الجيوش النمساوية ، وبعد ان بدات دول اوربا تخشى من القائد الجديد . اظهر نابليون عبقريته السياسية الى جانبعبقريته العسكرية فكتب الى قائد عام الجيوش النمساوية وشقيق الامبراطور فرانسيس : « سيدى القائد العام ، ان جنودنا الشجعان يخوضون الحرب ويريدون السلام .. الم تدم الحرب ٦ سنوات ؟! الم نقتل عددا كافيا من الناس ؟ الم نجلب على

---

(١) فورتينيه : هو الكلب المدلل لجوزفين والذى كان يشاركها الفراش دائما . ولم يستطع نابليون ان يتخلص منه ابدا . وكان يعض نابليونفي قدمه في الفراش .



فوجىء الذين حضروا حفل التويج نابليون امبراطورا في كنيسة نوتردام عام ١٨٠٤ بالامبراطور الجديد يتناول تاج الامبراطورة ويتوجها .. ثم يتوج نفسه حتى لا يركع أمام البابا الذى جاء من روما لتتويج الامبراطور الجديد !!

البشرية ما يكفي من الشقاء ؟ ان هناك شعورا بالانسانية في كل مكان . وفي كل مكان تقريبا القى اعداء فرنسا باسلحتهم . ولكن بلدكم هو البلد الوحيد الذى لم يفعل ذلك . ان احتمالات المعارك القادمة احتمالات بشعة . انها قد تنتهي بأن نقتل منكم الافا وتقتلون منا الافا . وفي النهاية سنتفق على السلام ، لأن كل شيء ينتهي حتى الكراهية الشديدة . انت يا من تقف قريبا جدا من العرش وترتفع عن انفعالات رجال السياسة والحكومة الا تريد أن تكسب لنفسك لقب المنقذ للبشرية ، منقذ المانيا ؟ انني أعتقد أنه من المحتمل أن تنقذ بلادك بقوة السلاح ولكن بالرغم من ذلك فان المانيا ستقع صريعة .

انه لو امكن لهذه السطور أن تنقذ ولو حياة رجل واحد لشعرت بفخر أكثر من الفخر المدوى الذى تأتى اصداؤه من ميادين القتال . »

وبعد الخطاب مباشرة تقدمت قواته لتحتل بلدانا اخرى في الاراضي النمساوية كنوع من الضغط للحصول على السلام دون مزيد من اراقة الدماء !!

وعندما جلس نابليون مع مفاوضيه من النمساويين كان يوجد في القاعة الكبرى كرسي العرش وقد خُلِيَ ممن حق ان يجلس عليه فقال نابليون : « من الافضل أن تخرجوا هذا المقعد قبل أن نبدأ . انني لا استطيع ابدا أن أرى كرسيا عاليا دون ان اشعر بالرغبة في الجلوس عليه » !!

وعاد نابليون الى باريس .. حيث استقبل استقبال الفاتحين . ولكن الخمسة الكبار كانوا يخشون منه ومن تطلعاته الى الحكم . وسرعان ما رحبوا بعرضه الذهاب على رأس حملة عسكرية الى مصر . وفي مايو ١٧٩٨ أبحر نابليون وقواته الى الشرق .. وفي مصر استعمل نابليون دهاءه السياسي والعسكرى .. وجنح به خياله الى اعمال الاسكندر الاكبر .. والى غزو الهند .. والى تكوين امبراطورية عظيمة ..

وفي مصر وصلته اخبار خيانات جوزفين له وكيف انها تقيم في منزل واحد مع عشيقها هيبوليت .. وقرر نابليون ان يطلق زوجته .. وأراد أن يكتب لها ولكنه تردد خشية أن يقع خطابه في يد أعدائه الانجليز .. وكتب الى أخيه جوزيف يقول : « لا يوجد بلد في العالم أغنى من مصر في الذرة والأرز والخضر واللحوم . لا توجد نقود لدفع مرتبات الجنود . وفي خلال شهرين استطيع أن أعود الى فرنسا . أرجوك أن تقوم برعاية مصالحي ، انني اعاني من متاعب كثيرة في منزلي ، لقد انكشف القناع مرة أخرى ، لم يعد لي هناك أحد في العالم سواك . ان عواطفك نحوي ثمينة لدى . وهناك شيء واحد قد يزيد من المرارة التى أحس بها هو أن افقدك أو أن تقوم أيضا بدور الخائن . انه لمن المرعب أن كل عواطفي تتركز في شخص واحد . انك تفهمني ! ارجو ان تقوم بالترتيبات اللازمة لايجاد منزل ريفي بالقرب من باريس عند عودتي ، مكان أستطيع أن أقضي فيه الشتاء في عزلة تامة . ان الجنس البشرى أصبح يسبب لي قرفا وانا في حاجة للراحة والعزلة . العظمة أصبحت مملة لي كالموت . وينبوع الشعور جف داخلي . وفي التاسعة والعشرين من عمري اكتشفت أن الشهرة ليست الا غرورا . لقد وصلت الى نهاية كل شيء لم يبق لي سوى شيء واحد هو أن أصبح أنانيا أنانية مطلقة . سأحتفظ بمنزلي في باريس فلا تسلمه الى أحد !! »

وفقد نابليون اسطوله البحرى في معركة ابو قير .. ولكنه ظل يحلم بامبراطورية كبيرة في الشرق ولكن احلامه ضاعت على أسوار مدينة عكا التى لم يستطع احتلالها . وعاد الى فرنسا متسللا على ظهر فرقاطة صغيرة وسط الاسطول البريطاني الذى كان يترصد له . ولكن الحظ كان مرة أخرى في جانبه .

القنصل الأول !

في يوم ٩ نوفمبر عام ١٧٩٩ قام نابليون بتنفيذ خطته في الاستيلاء على الحكم وعزل الحكام الخمسة الذين يحكمون فرنسا . وعين نفسه قنصلا اول يتمتع بسلطات مطلقة في ٢٢ ديسمبر من نفس العام. وبدأ نابليون في تنظيم أجهزة الحكم . وفي هذه الفترة قيل عنه « انه حكم في ثلاث سنوات اكثر مما حكم ملوك فرنسا في قرن من الزمان » .

كان يعمل ١٨ ساعة يوميا وكان يجتمع باعضاء مجلسه الاستشارى الذين اختارهم بنفسه من الساعة التاسعة مساء حتى الخامسة صباحا .. وعندما يلاحظ انهم قد بدأوا يتثاءبون كان يقول لهم : « أيها المواطنون فلنبق مستيقظين ، انها الثانية صباحا فقط ، ويجب علينا أن نكسب مرتباتنا » .

وعندما كان يتناقش معهم في أمر من الأمور يقول لهم : « أيها السادة انكم لستم هنا لتوافقوني

على كل ما اقول ، ولكنكم هنا لتعرضوا وجهات نظركم ، وبذلك استطيع ان اقارنها بوجهات نظرى واقرر ايهما اصلح » وعلى الرغم من هذا فقد كان دكتاتورا في كل اعماله .

وفي هذه الفترة كان نابليون على وئام مع زوجته جوزفين . فبعد ان كان مصمما على الطلاق منها ، لم يتحمل توسلاتها ودموعها فنفر لها واستأنف حياته معها . وان كان الشيء الوحيد الذى ينغص عليه حياته معها انه لم يرزق منها باطفال .

اما في الحرب فقد استطاع القائد العسكرى نابليون ان يحقق انتصارات جديدة : فى ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ في مارينجو Marengo ، وفي عام ١٨٠٢ عين قنصلا اول مدى الحياة .

الامبراطور نابليون الأول

في ١٨ مايو عام ١٨٠٤ نصب نابليون نفسه امبراطورا لفرنسا ، لم ينصب نفسه ملكا بل امبراطورا لانه على حد قوله : « ان لقب الملك اصبح باليا. فهو يحمل معه افكارا عديمة الجدوى ولن يجعل منى سوى وريثا لامجاد رجال موتى . اننى لا اريد ان اكون عالة على اسلافي . اما لقب الامبراطور فهو اعظم من لقب الملك . ومعناه ليس واضحا تماما فهو لذلك ينشط الخيال » .

وفي حفل تتويجه امبراطورا والتى تمت في كنيسة نوتردام في يوم ٢ ديسمبر عام ١٨٠٤ بحضور البابا بيوس السابع ، فوجيء الذين حضروا الحفل بنابليون لحظة التتويج يقوم بتناول تاج الامبراطورة ويضعه على راس زوجته ثم يضع تاج الامبراطور على راسه وذلك حتى لا يركع امام البابا .. !! وكان نابليون يرتدى زيا اقرب الى ازياء اباطرة روما القدماء .. ! واخيرا حقق هذا المغامر الكورسيكى حلمه الذى كان يراود خياله بان يصبح كهؤلاء الرجال الذين قرا تاريخ حياتهم في كتب بلوتارك !

وعندما جلس نابليون على العرش همس في اذن شقيقه « جوزيف » آه لو اتيح لوالدى ان يرى هذا » !

وبعد عام من تتويجه امبراطورا اندلعت نيران الحرب مرة اخرى مع انجلترا واستمرت حتى عام ١٨١٤ حين بدا نجم نابليون الاول في الأفول !!

نابليون يبحث عن وريث !

لم تمر على نابليون الأول امبراطور فرنسا واوربا سوى شهور على اعتلائه العرش الا وبدأ يفكر في ان يكون له وريث من صلبه .. ونصحه افراد بلاطه بطلاق جوزفين والزواج من جديد .. ولكنه كان لايزال يحبها كل الحب . وان كانت له بعض المغامرات اثناء حروبه وخاصة في بولندا عندما وقع في حب فتاة بولندية شابة تدعى الكونتس والويسكا Waleweska وقد رزق منها بطفل غير شرعى . وعندما فوتح نابليون في امر طلاق جوزفين قال في اول الامر : « انه قد يكون من مصلحتى ان اطلب الطلاق . ولكن باى حق اتخلص من زوجة طيبة لا لشيء الا لانى قد اصبحت رجلا اعظم مما كنت عندما تزوجنا ؟!

انها كانت قد تتبعنى الى المنفى او السجن . والآن على ان اطلقها !! اننى لا اتمتع بالقوة الكافية لكي افعل هذا . فهناك قلب آدمى يخفق بين ضلوعى . وامى لم تكن نمرة !! »

ولكن الطلاق تم في يناير عام ١٨١٠ وتزوج نابليون من مارى لويز Marie Louise ، ابنة الامبراطور فرانسيس في ابريل من نفس العام ورزق منها بوريث للعرش في ٢٠ مارس ١٨١١ .

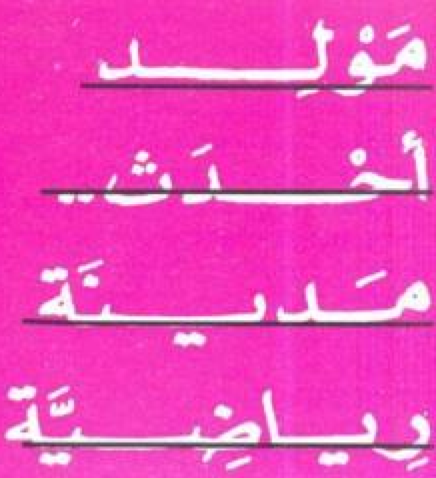
نهاية مؤلمة

ولم تمض ثلاث سنوات الا والهزائم تتوالى على الامبراطور ، ذلك الرجل الذى قال يوما في أوج قوته : « السلطة هي عشيقتى . لقد كلفنى غزو هذه العشيقة الكثير حتى اننى لن اسمح لاحد ان يسلبها منى ، او حتى يشاركنى فيها .. !! »

وافل نجم نابليون المغامر الكورسيكى الذى صنع من افراد عائلته ملوكا وحكاما واجلسهم على عروش اوربا . وخرج منفيا من فرنسا الى جزيرة البا . ولكنه عاد الى فرنسا مرة اخرى في مغامرة يائسة استمرت مائة يوم ليهزم بعدها في معركة واترلو الشهيرة .. ويستسلم النسر الى اعدى اعدائه وهم الانجليز الذين ينفونه الى جزيرة سانت هيلانة حيث يمضي فيها ٦ سنوات ويلفظ انفاسه هناك في ٥ مايو عام ١٨٢١ وهو في الثانية والخمسين من عمره !

وهكذا يختتم القدر ملحمته المسماة نابليون بونابرت . ■■

محمد طنطاوى



مولد أحدث مدينة رياضية



■ « اننا نخطط للدورة الاولمبية العربية التى ستقام عام ١٩٧٤ فى الكويت .. وانشاء مدينة رياضية متكاملة، هو المفاجأة التى نعدها للمشتركين فى هذه الدورة .. »

مسابقة عالمية

وتابع السيد احمد على الدعيج مدير عام مجلس التخطيط الكويتى حديثه : « لقد وجهت الدعوة الى اربع مؤسسات هندسية عالمية متخصصة فى تصميم المدن الاولمبية ، لتعد كل منها تصميما مبدئيا مصحوبا بخرائط تفصيلية مع نموذج مجسم يصور مدينتنا الرياضية المقترحة ويعكس ابعادها.

ولكل من هذه المؤسسات الهندسية شهرة عالمية خاصة .

فالمؤسسة الاولى هى التى صممت مدينة طوكيو الاولمبية ..

والثانية صممت مدينة المكسيك الاولمبية ..

والمؤسسة الثالثة صممت مدينة روما الاولمبية ..

اما الرابعة فقد صممت مدينة هيوستوك الرياضية ..

ست نقاط وملحوظتان

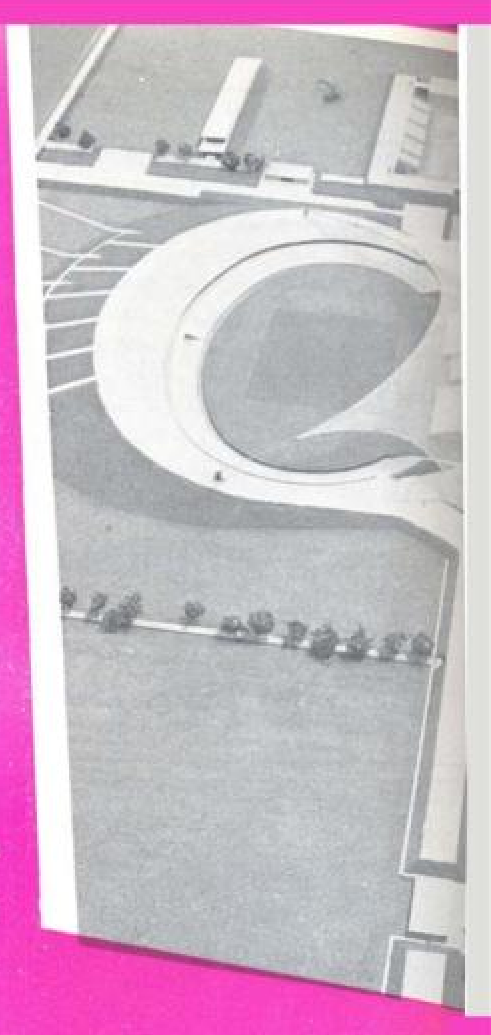
واشترطت الحكومة الكويتية على المؤسسات ان تشتمل تصاميمها على مواصفات خاصة حددت فى ست نقاط كالآتى :

١ ـ اقامة ساحة رئيسية للالعاب تشتمل على ٤٠ الف مقعد لجلوس المتفرجين ، مع امكانية زيادة العدد مستقبلا الى ٦٠ الف مقعد ، على ان يكون ١٠ الاف مقعد منها مغطاة لحماية المتفرجين من الشمس .. وهذه الساحة الكبرى ستكون

أربع مؤسسات هندسية عالمية تشترك في مسابقة تصميم المدينة .

النموذج الفائز استوحى خيمة الشعر ، فحولها إلى خيمة فولاذية !

المدينة الرياضية ينتهي بناؤها قبل عام ١٩٧٤ .



مخصصة لمباريات كرة القدم ، والمهرجانات الرياضية الكبيرة وغيرها ..

٢ ـ اقامة حوض للسباحة طوله ٥٠ مترا وعرضه ٨ أمتار ، مع حوض ملحق للقفز والغطس ، على أن تتسع جوانب الحوض لخمسة آلاف مقعد ، منها ٢٥٠٠ مقعد مسقوف لحماية المتفرجين من حرارة الشمس .

٣ ـ أما المبنى الثالث فيكون مغلقا مكيف الهواء تقام فيه مباريات كرة السلة ، وتتسع مدارجه لسبعة آلاف مقعد ، ممكن زيادتها الى عشرة آلاف عند استعمال الساحة لاقامة مباريات المصارعة والملاكمة والحفلات الموسيقية وغيرها ..

٤ ـ اقامة متاجر ومقاه يقصدها اللاعبون والمتفرجون .

٥ ـ اقامة ساحات للتنس والهوكي .. وملاعب لتمارين كرة القدم والسلة ، وكرة اليد وغيرها ..

٦ ـ ساحات تتسع لوقوف عشرة آلاف سيارة .

٧ ـ مناظر طبيعية من حدائق وبساتين .

« والى جانب هذه النقاط وضعنا الملحوظتين التاليتين :

الأولى : ضرورة مراعاة المستويات الاولمبية في جميع التصاميم .

والملحوظة الثانية : هي سؤال أكثر منها ملحوظة ، وتنحصر في أنه اذا استعملنا ساحة كرة السلة المغلقة لاقامة المعارض والمباريات الرياضية ، فكم سترتفع التكلفة ؟!

لجنة تحكيم عالمية

وينهي مدير عام مجلس التخطيط حديثه بقوله : « وفي نهاية شهر فبراير (شباط) ١٩٦٩ وصلتنا أربعة نماذج عالمية لأربع مدن رياضية .. ونظرا لأهمية المشروع ، والمستوى العالمي الكبير الذي

تتمتع به المؤسسات المشتركة في عمل التصاميم ، كان لا بد من تعيين لجنة حكام تكون على نفس مستوى المؤسسات المشتركة في المسابقة .. ووقع اختيار الحكومة على السير لزلى مارتن أستاذ العمارة بجامعة كمبردج، وعلى البروفيسور فرانكو البيني أستاذ العمارة في جامعة ميلانو ، وعلى الدكتور عمر عبد الرحمن عزام مستشار الامم المتحدة في شئون تخطيط المدن للشرق الأوسط ..

وقع الاختيار على هؤلاء الثلاثة ليحكموا على التصاميم الأربعة المقدمة ، ويرشحوا أفضلها ..»

مواجهة ...

واغلقت اللجنة الابواب على نفسها ، وبدات في دراسة التصاميم المقدمة، واجتمعت مع المتسابقين .. جاءها البروفيسور كنزو تانجي من اليابان .. والبروفيسور كانيالا من المكسيك ، والاستاذ فرقي من روما ، ومورجان وجونز ولويد من امريكا .. اجتمعت مع كل واحد منهم على حدة ليشرح لها تفاصيل مشروعه ..

٧١ في المائة شباب !

وقد يتساءل البعض عن السبب الذى يدعو الى اقامة مثل هذه المدينة الرياضية الكبيرة في الكويت .. وهل سيمكن الاستفادة منها في غير الدورة العربية ؟

والرد على هذا السؤال يدفعنا الى ضرورة معرفة اعمار اهالى الكويت .. ومن احصائيات تعداد السكان المقيمين في الكويت ، سواء من حمل الجنسية منهم ومن لم يحملها لعام ١٩٦٥ يتضح لنا أن عدد الذين تقل أعمارهم عن ٢٩ سنة يزيدون على ٣٣٥ الف نسمة ، من مجموع السكان البالغ عددهم ـ في ذاك الوقت ـ ٤٦٧ الف نسمة .. اى ٧١٪ من عدد السكان ..

انطلاقة الرياضة

وادركت حكومة الكويت ان عليها واجبا نحو العدد الكبير من الشباب فاعطتهم حقهم في الرعاية والتقدير .. وفتحت لهم في كل حي الاندية والجمعيات حتى بلغ عددها ٥٠ ناديا وجمعية

الى أسفل : اقبال هائل من الجماهير ، تشهده مدرجات ملاعب ثانوية الشويخ بالكويت ، في كل مرة يصل الى ٣٠ ألفا يتزاحمون ويتدافعون، ويتسلقون الاعمدة والاشجار لمشاهدة المباريات .. ان مدرجات



.. واقبل الشباب بحماس زائد على مختلف انواع الالعاب ، فكانت كرة القدم في المقدمة .. وتبعتها كرة السلة واليد والطاولة والتنس واتجه جزء آخر من الشباب الى العاب القوى والجمباز ورفع الاثقال والسباحة والملاكمة والشيش ، حتى الاسكواش والبولنغ والتزحلق على الماء أصبحت من الالعاب الشائعة في الكويت ..

واحتضنت الأندية الرياضية المباريات الدولية، فجاءت الفرق العربية والاوروبية تتبارى مع فرق الكويت .. واشتركت الحكومة في هذا النشاط ، فتبنت اقامة دورتين رياضيتين عربيتين في الكويت، الأولى الدورة المدرسية العربية ، والثانية دورة كاس العرب لكرة القدم ..

وقدم سمو أمير البلاد صباح السالم الصباح ، كاسا فضية ثمينة تتبارى عليها الفرق المحلية ، فزاد الحماس للرياضة .. وانطلقت الاتحادات الرياضية الى خارج الكويت فاشتركت في الدورة الأولمبية التى عقدت بالمكسيك ، وفي المسابقات العالمية لسباحة المسافات الطويلة ..

كانهم في يوم الحشر

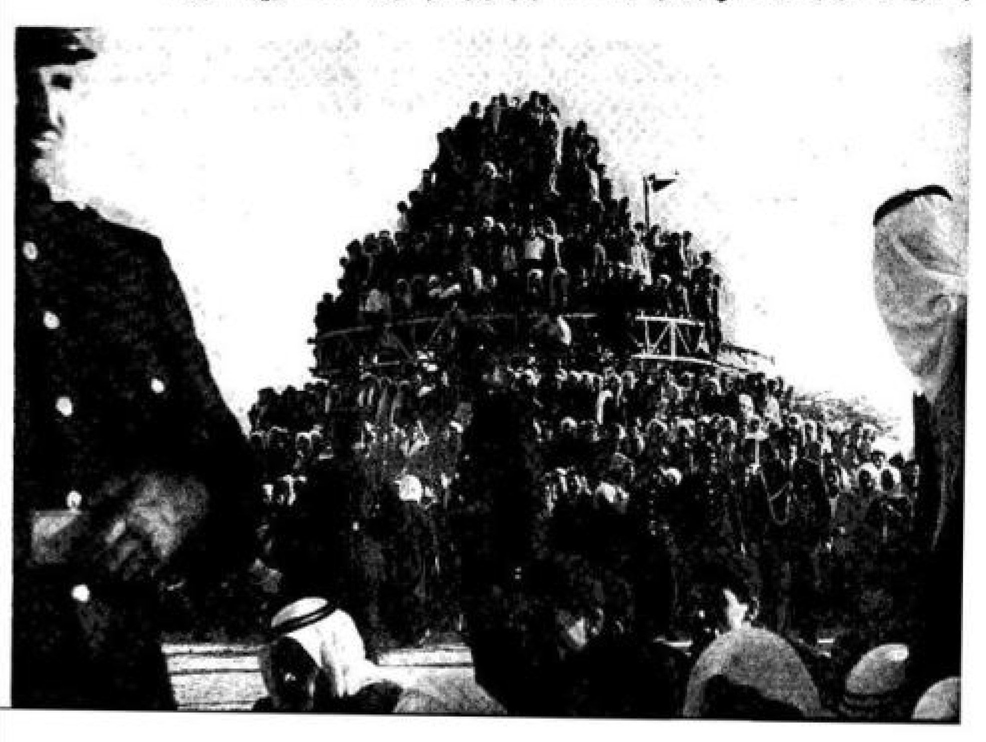
وفي كل عام تشهد الكويت بمناسبةالعيد الوطنى مهرجانا رياضيا فريدا في نوعه ، يشترك فيه طلبة وطالبات المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ويشهده عشرات الألوف من الناس ، فتكتظ بهم مدرجات ملعب ثانوية الشويخ ، التى تتسع لنحو ١٧،٠٠٠ متفرج فقط ، بينما يزيد عدد الحاضرين عن ٣٠ الفا ، تجدهم يتدافعون ويتزاحمون وكانهم في يوم الحشر ، لعدم وجود أماكن في هذا الملعب الذى هو أكبر الملاعب في الكويت ..

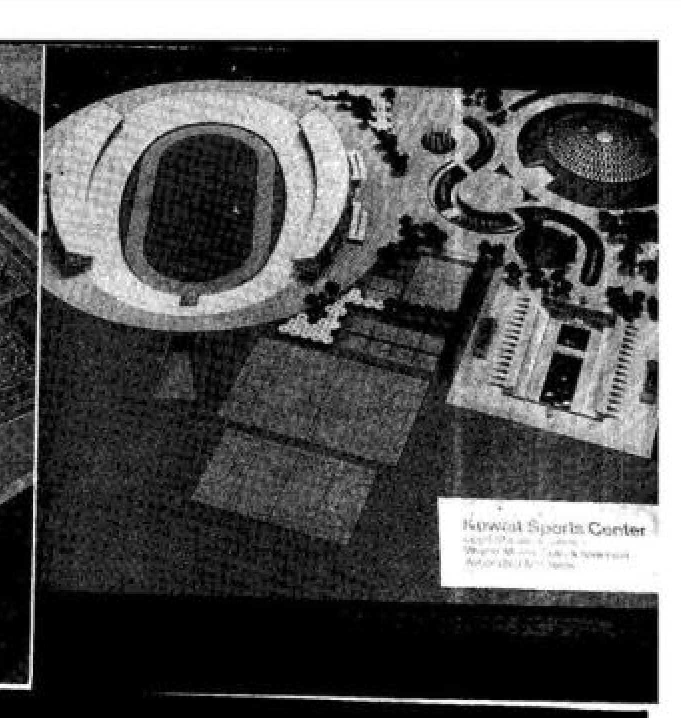
حيرة وسط أربع مدن رياضية

وبعد أن القينا النظرة الخاطفة على الرياضة في الكويت ، تعالوا لنرى النتيجة التى توصلت اليها لجنة التحكيم ، واى النماذج اختارت ؟

لقد وجدت اللجنة نفسها امام أربعة نماذج عالمية كل منها يصلح لان يكون الاساس الذى تقوم عليه المدينة الرياضية في الكويت ..

م فيها مهرجان رياضي كبير .. وتتسع هذه المدرجات لنحو ١٧ ألف متفرج ، ولكن عدد الحضور
ينة الرياضية المرتقبة سوف تتسع لجلوس ٤٠ ألف شخص، يمكن زيادتهم الى ٦٠ ألف شخص في المستقبل ..





ولكن الى جانب المزايا العديدة لكل مشروع ، كانت هناك اعتراضات وعيوب فى الجانب الآخر، لهذا وضعت لجنة التحكيم سبع نقاط رئيسية ، وبدأت دراستها لتختار النموذج الاكثر تجاوبا مع هذه النقاط ، التى انحصرت فى الآتى :

١ ـ ما هى علاقة المشروع بمنطقة المدينة الآخذة فى التطور والنمو ، وما مدى علاقته بالمناطق المجاورة له ؟

٢ ـ قدرة الطرق الموصلة الى المدينة الرياضية على استيعاب حركة المرور ، والتسهيلات الخاصة بأماكن وقوف السيارات ، وحركة مرور المشاة.

٣ ـ مدى سهولة الحركة فى مبانى المدينة الرياضية كل منها على حدة ، ثم كيف يتم الاتصال بعضها ببعض ! .

٤ ـ مدى ما اتخذ من اجراءات فى تشييد المبنيين الرياضيين الرئيسيين بصورة تلائم جو الكويت .. وكذلك التصميم الخاص بموقع المدينة الرياضية.

٥ ـ الأثر الذى تتركه هذه المبانى فى نفس مشاهدها ، عندما ينظر اليها من الخارج أو من الداخل . وهل تتمشى هذه المبانى مع المنطقة التى ستقام فيها ؟

٦ ـ هل يمكن تشييد هذه المبانى فى هذه المنطقة بتكاليف معقولة ؟ .

وشرح لنا ممثل لجنة التحكيم عملية الاختيار بقوله :

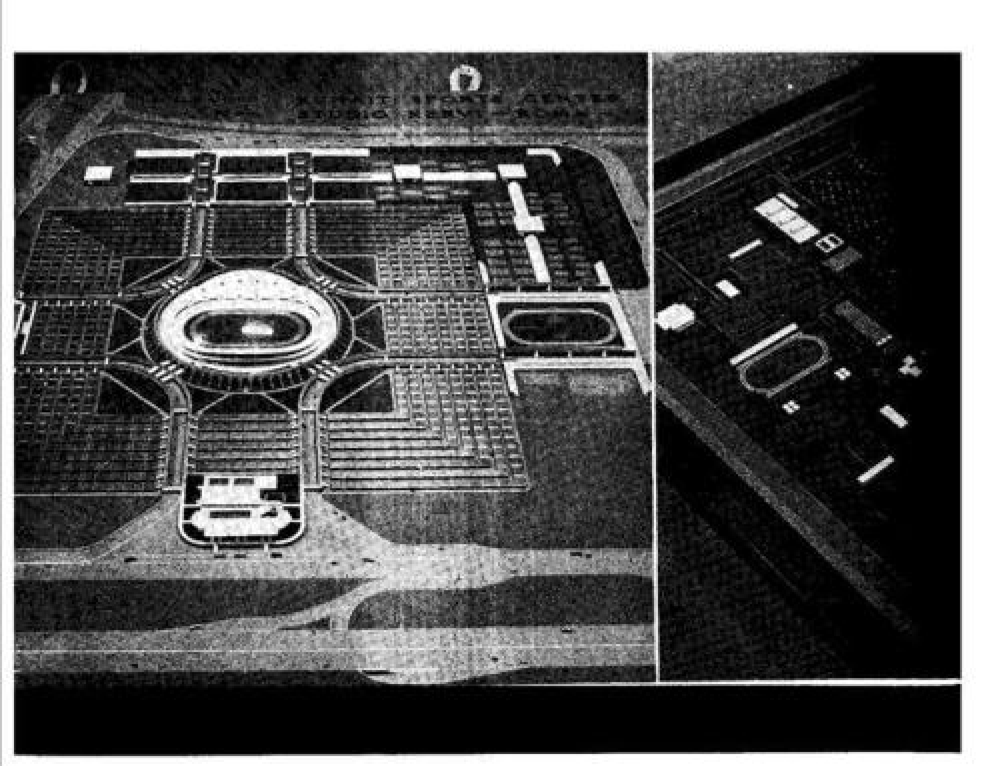
« لقد جلسنا حول كل نموذج ندرسه بدقة ونتناقش فى تفاصيله مع مصمميه ، الذين حضروا الى الكويت خصيصا لهذه المناسبة ..

وبعد دراسات مطولة توصلنا الى نتيجة اجماعية وهى التوصية باختيار المشروع اليابانى المقدم من البروفيسور تانجى Tange والذى اشترك معه فى اعداده المهندس الالمانى فراى اوتو ، العامل حاليا فى تصميم مدينة ميونيخ للالعاب الأولمبية القادمة ..

من أسباب الفوز

« لقد لاحظت لجنة التحكيم أن المشروع الفائز يعنى عناية خاصة بحلقة الاتصال التى قد تقام بين مدينة الكويت وبين « المدينة » الرياضية ، لهذا نجده يقترح اقامة قطاع زراعى أخضر على طول طريق الاحمدى ، بحيث تكون المدينة الرياضية نفسها من المناطق الخضراء التى ستلتحق بهذا الطريق الرئيسى ..

« كما ربط المشروع الفائز بطريقة واضحة للغاية،



بين حدود المدينة الرياضية والمدينة الجامعية المزمع اقامتها ، وكذلك مع حديقة الحيوانات التى ستمتد منطقتها الخضراء الى الجنوب ..

« أن تصميم المدينة الرياضية لن تقتصر فوائده على سد الاحتياجات البدنية فحسب ، وانما هو بناء قابل للتوسع مستقبلا ، وهذه نقطة اعتبرتها لجنة التحكيم في غاية الاهمية ، لان النموذج المقدم يسمح بتشييد المباني الآن ، مع مراعاة التغييرات والتوسعات التى يمكن ان تحدث فى المستقبل .. في حين أن بقية النماذج المقدمة أكملت المباني وجعلتها لستين الف شخص .. وقالت في تقاريرها نضع الآن ٤٠ الف مقعد ثم نزيدها عند الحاجة !

واحـة في المدينة الحديثة

« ومن العوامل الرئيسية التى انجحت المشروع الياباني ، انه خلق شريانا رئيسيا للمشاة بين مباني المدينة تقوم عليه مداخل المدينة والمقاهي والمتاجر، أي انه خلق واحة ترفيهية تتصل بالابنية مباشرة وتستظل بها .. بينما نجد النماذج الاخرى قد وزعت هذه « الواحة » وجعلتها متفرقة بجوار كل مبنى ..

من الشعر الى الحديد والصلب

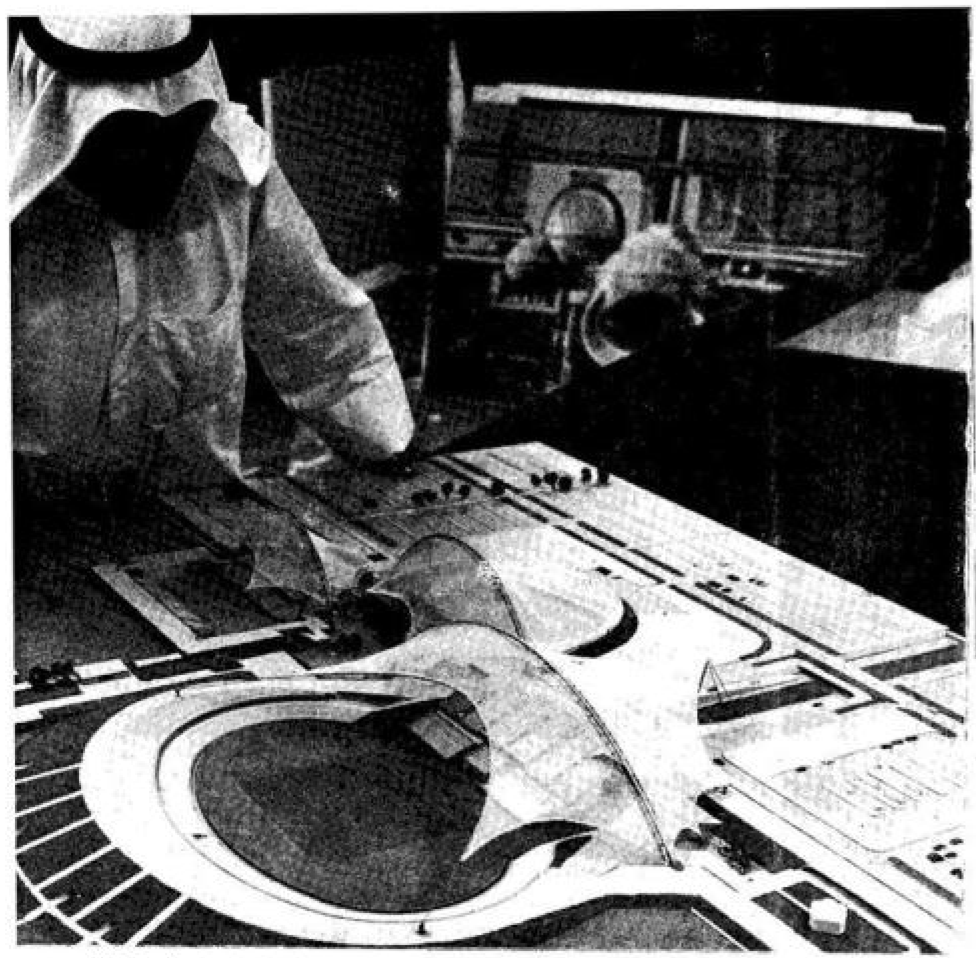
« واجمل ما في المشروع الفائز هو الايحاء الذى اقتبسه المصمم من خيام الشعر البدوية ، وتحويله اياها الى غطاء مبتكر حديث مصنوع من الصلب أو الحديد أو الالومنيوم، لتغطية الساحةالرئيسية وحوض السباحة .. مما اكسب المدينة تأثيرا داخليا وخارجيا في منتهى الروعة ..

تكاليف المشروع

« أما عن تكاليف المشروع فلم تحدد بعد ، ولكن خلو المباني من التعقيدات الهندسية ، والبساطة التى يتميز بها جعلت لجنة التحكيم تقول : « ان تكاليف المشروع الفائز ستكون معقولة جدا بالنسبة لمشروع كبير من هذا النوع .. ولن تتم معرفة تكاليف البناء الا بعد الموافقة النهائية على النموذج المقدم والبدء بالدراسات الهندسية لكل جزء فيه .. »

لجنة التخطيط الهيكلي توافق على المشروع

وما كادت لجنة التحكيم تنتهي من وضع تقريرها



السيد احمد على الدعيج ، مدير عام مجلس التخطيط الكويتي يلقى نظرة على نموذج المدينة الفائز ..

حتى رفعته الى لجنة المخطط الهيكلي لدولة الكويت التي يرأسها سمو الشيخ جابر الاحمد الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ،وتضم في عضويتها كل من وزير الاشغال العامة ، ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، ومدير عام مجلس التخطيط ، والمدير المساعد الفنى لبلدية الكويت، ومدير ادارة التخطيط الهيكلى في بلدية الكويت .

واجتمعت اللجنة ووضعت امامها النماذج الأربعة التى قدمها المتسابقون العالميون .. وشرح اعضاء لجنة التحكيم وجهة نظرهم في اختيار النموذج الفائز .. وبعد ان ناقشتهم لجنة المخطط الهيكلى مطولا ، اصدرت قرارها باعتماد قرار لجنةالتحكيم التى اختارت مشروع الدكتور تانجى كاحسن نموذج لمدينة الكويت الرياضية ..

هدوء مؤقت

ان منطقة « الدائرى السادس » التى تبعد ٢٠ كيلو مترا عن قلب العاصمة الكويت ، هى منطقة صحراوية هادئة الآن .. ولكن هذا الهدوء لن يستمر طويلا ، فقريبا سوف تنتقل اليها أضخم المعدات ، وياتيها الوف العمال لتحويل مليون متر مربع من رمال الصحراء الى واحة خضراء ، تضج بالحياة .. وفي عام ١٩٧٤ سياتى الى المنطقة ٤٠ الف شخص لمشاهدة اول دورة العاب اولمبية عربية تقام في الكويت . ■■

س . ز

أمراض شائعة

العرق وبعض الأمراض الشائعة في الصيف

بقلم : الدكتور محمد الشاذلي

■ الحديث عن الصيف والجلد يدعونا أولا الى الكلام عن العرق لأن أي اضطراب في افراز العرق سواء كان غزيرا أو قليلا يلعب دورا كبيرا في كثير من الأمراض الجلدية .

ومن المعروف ان جسم الانسان يتخلص من حرارته بوسائل عديدة اهمها :

١ ـ الاشعاع : وهو تسرب الحرارة من الجسم الى الاشياء الباردة المحيطة وكمية الحرارة التى تفقد بهذا الطريق تتوقف على مساحة الجسم وعلى الفرق بين حرارة الجسم وحرارة هذه الأشياء المحيطة .

٢ ـ فقد الحرارة بالتوصيل للجو الخارجي اذا كانت حرارة الجو اقل من حرارة الجسم فالهواء المحيط بالجسم ترتفع حرارته ويبتعد عن الجسم ويأتي هواء غيره بارد ترتفع حرارته ويبعد وهكذا .

٣ ـ فقد الحرارة بواسطة تبخر الماء ، فالمعروف أن ١ جم ماء يحتاج لأكثر من ١/٢ سعر حرارى ليتحول الى بخار ماء وبمعنى آخر كل كيلو جرام ماء واحد وهذا يعادل حوالى لتر ماء يلزمه نحو ٥٨٠ سعر حرارى ليتحول الى بخار ماء ـ وتبخر الماء من جسم الانسان يحدث بطريقتين :

(أ) من الرئتين : فالهواء الخارج في عملية الزفير يكون مشبعا ببخار الماء الناتج من الغشاء المخاطى المبطن لممرات الجهاز التنفسي . وكمية التبخر بهذا الطريق تتوقف على حالة الهواء الداخل الى الرئتين . اذا كان جافا فانه يأخذ كمية كبيرة من بخار الماء ، اما اذا كان رطبا فقل ان يأخذ شيئا وفي المتوسط تقدر كمية الماء التى تتبخر من الرئتين بحوالى ٣٠٠ سم٣ في اليوم وهذه تساعد على تسرب حوالى ٢٠٠ سعر حرارى من الجسم .

(ب) عن طريق الجلد : وهذا اما تبخر غير محسوس أو غير مرئى اى أن الماء يتسرب من خلال الجلد وليس عن طريق الغدد العرقية وهذه الكمية تتراوح بين ٦٠٠ ، ٨٠٠ سم٣ في اليوم وتساعد على تسرب حوالى ٤٠٠ سعر حرارى ـ والطريق الآخر، للتبخر من الجلد هو عن طريق العرق وهذه هى الوسيلة الوحيدة لتسرب الحرارة من جسم الانسان عند ارتفاع درجة حرارة الجو لأن العرق لكى يتبخر يلزمه حرارة وهذه يأخذها من سطح الجسم ، فالعرق اذن يساعد على تلطيف حرارة الجسم اذا ترك ليتبخر من على الجلد . اما اذا لم يترك العرق ليتبخر وجفف بمنديل مثلا ففى هذه الحال لن يخفض من حرارة الجسم ويكون عديم الفائدة ولن يزيد عن كونه صورة لضياع ماء الجسم . كذلك الحال اذا ارتفعت درجة حرارة الجو مع وجود رطوبة عالية . في هذه الحال لن يتبخر العرق من على سطح الجلد ولن تنخفض درجة حرارة الجسم .

هناك بعض الأشخاص الذين يخلو جلدهم من الغدد العرقية وهذه حالات وراثية ونادرة ،ومثل هذا الانسان يستطيع المحافظة على حرارة جسمه أيام الشتاء ، أما في الصيف فيكون عرضة للاصابة بضربات الحر .

وبعض الحيوانات يخلو جلدها من الغدد العرقية أيضا مثل الكلب ولهذا نجده يلهث كثيرا أيام الصيف لأن تبخر اللعاب من لسانه يلطف من حرارة جسمه .

وكمية العرق تزداد في أحوال كثيرة اهمها :

* ارتفاع درجة الحرارة سواء حرارة الجو أو حرارة الجسم .
* بعض الحالات النفسية تلازمها غزارة العرق من راحة اليدين والقدمين والابطين وقد تشمل الجسم كله .
* عند القيام بأى مجهود عضلى .
* أثناء القيء أو الشعور بالدوار كما يحدث عند ركوب البحر أو الطائرة أو السيارة وكذلك عند الاختناق وصعوبة التنفس .
* أثناء النوم العادى في الأطفال والبالغين .
* وتزداد أيضا كمية العرق بتعاطى المشروبات

الحارة او الاكثار من التدخين وتناول بعض الأطعمة والادوية .

وقد تصل كمية العرق في اليوم الواحد الى حوالى ١٢ لترا .

والعرق الغزير يعنى فقد كمية من الماء والملح من الجسم وهذه يجب تعويضها والا أصيب الانسان بضربة حر . فضربة الحر تنتج عن ارتفاع درجة حرارة الجسم علاوة على فقد الماء والملح ويمكن تعويض فقدان الملح بتعاطى اقراص ملح الطعام والا اصيب الانسان بتقلصات عضلية مؤلمة قد تشمل جميع عضلات جسمه .

وفي الأحوال العادية قد يشكو بعض الناس من زيادة افراز العرق اما من الجسم كله او من بعض المناطق فقط . اما زيادة العرق التى تصيب الجسم كله فهذه غالبا ما تكون مصحوبة بمرض عام مثل فقر الدم او مرض البول السكرى او اضطراب الغدد الصماء كما يحدث عند زيادة افراز الغدة الدرقية او اضطراب الغدد الجنسية كما يلاحظ في سن اليأس وانقطاع الطمث (العادة الشهرية) وتزداد كمية العرق ايضا في الامراض التى يصحبها ذبول عام وارتفاع درجة حرارة الجسم كما في حالات الدرن والملاريا والالتهابات الرئوية ، اما زيادة العرق الموضعى فهذه عادة تصيب راحة اليدين والقدمين وأعلى الفخذين والابطين والصدر والجبهة والرأس وتحت الثديين في الاناث . والأشخاص المصابون قد لا تبدو عليهم اية اعراض مرضية . وقد يعانى بعضهم من بعض الأزمات النفسية .

والعرق الغزير قد يكون مصحوبا برائحة كريهة ناتجة من تحلل العرق نفسه او تحلل المواد الدهنية او الكراتينية الموجودة بالجلد وقد تحدث هذه الرائحة نتيجة للتلوث ببعض الميكروبات او الفطريات التى تنتعش في مثل هذه الظروف وتنمو محدثة هذه الرائحة . وقد تتسبب هذه الفطريات ايضا في تغيير لون العرق الى الاحمر او الأسود او الأصفر وفي مثل هذه الظروف تكثر الالتهابات الجلدية المختلفة وتساعد السمنة على حدوث هذه الالتهابات .

ويتميز فصل الصيف بمجموعة من الأمراض الجلدية اهمها .

الطفح الحرارى Prickly Heat

تكثر الاصابة بهذا الطفح ايام الصيف كما يشاهد في البلاد الحارة وفي الأشخاص الذين يضطرهم عملهم الى التعرض لجو حار ورطب . وأكثر الناس اصابة به هم الأطفال والاشخاص الذين يلبسون ملابس ثقيلة وفانلات صوف كما تساعد السمنة على حدوثه .

كذلك يكثر في الاشخاص الذين لا تساعدهم ظروفهم على العيش في جو مكيف الهواء .

ومناطق ظهور هذا الطفح هى ثنايا الذراعين ومنطقة الصدر والبطن وتحت الثديين .

وقد يصيب ظهر اليدين وفروة الرأس وعموما قد يظهر على اية منطقة من الجسم ما عدا راحة اليدين والقدمين .

ولهذا الطفح صور مختلفة فقد يكون على شكل بثرات مائية ما بين صغيرة وسطحية او قد يظهر على هيئة بقع حمراء او حبيبات صغيرة او على شكل بثرات صديد مع احمرار ورغبة في الحكة مع شعور عام بالضيق وعدم الراحة مما يؤدى احيانا الى الأرق .

وفي المناطق الحارة قد يصاحب هذا الطفح أعراض عامة شديدة تؤدى احيانا الى فقد الوعى .

وسبب ظهور هذا الطفح هو انسداد فتحات قنوات الغدد العرقية مما يؤدى الى تسرب العرق الى انسجة الجلد المحيطة وتتوقف الصورة التى نصادفها على العمق الذى حدث عنده الانسداد وعلى المستوى الذى أخذ عنده العرق يتسرب الى انسجة الجلد المحيطة .

اما سبب انسداد فتحات قنوات الغدد العرقية فهو الطبقة العليا الكراتينية من سطح الجلد ، وتشبع الجلد بالعرق على هذا النحو يجعل منه مرتعا خصبا لانتعاش الميكروبات التى سرعان ما تنمو محدثة الالتهابات المختلفة .

وترجع اهمية الطفح الحرارى الى أن المريض يصبح عرضه أكثر من غيره للاصابة بضربة الشمس حيث أن الجسم لا يعرق ولا يفقد حرارته عن طريق تبخر العرق وتصاب المراكز العصبية التى تنظم حرارة الجسم بالاضطراب فتأخذ درجة حرارة الجسم في الارتفاع المستمر وتصاحب هذه الحالة اعراض مميزة .

وللوقاية من هذا الطفح :

١ ـ ارتداء ملابس قطنية بيضاء خفيفة فهذه تمتص العرق وتساعد على تبخره وكذلك تحمى الجسم من اكتساب الحرارة علاوة على أن الملابس البيضاء تعكس الحرارة ولا تمتصها . كما يجب

ان تكون هذه الملابس واسعة حتى تقلل من الاحتكاك الذى يساعد على ازالة المواد الدهنية التى تقى الجلد من الالتهابات كما يجب ازالة آثار الصابون الذى غسلت به هذه الملابس جيدا.

٢ ـ على الانسان ان يعطى لنفسه قسطا من الراحة ومراعاة الاقلال من المجهود العضلى أيام الحر والرطوبة والابتعاد عن الجو الحار الرطب ما امكنه .

٣ ـ تجنب الأغذية والمشروبات الحارة والمنبهات عموما مع الابتعاد عن التوابل والمشهيات.

٤ ـ الجلوس في جو مكيف الهواء .

حرق الشمس

وهو عبارة عن احمرار في الجلد مع احساس بالوخز او الحكة او الالم في اماكن الجسم التى تعرضت لاشعة الشمس وفي الحالات الشديدة يتورم الجلد وتتكون فقاقيع مائية ويشكو المريض عادة في مثل هذه الاحوال من بعض ارتفاع فى درجة الحرارة مع رعشة بسيطة .

وتتوقف درجة حرق الشمس على عدة عوامل منها :

١ ـ وقت التعرض للشمس . فشمس الصيف اشد من الشتاء وشمس الظهيرة اشد من شمس الصباح والغروب .

٢ ـ مدة التعرض للشمس فكلما طالت المدة كبرت درجة الحرق .

٣ ـ مكان التعرض للشمس . فالانسان الجالس على شاطىء البحر ينال اشعة الشمس بكمية مضاعفة لان البحر يعمل كالمرآة تعكس اشعة الشمس مرة اخرى على الجسم .

٤ ـ اصحاب البشرة البيضاء اقل تحملا لاشعة الشمس وكذلك الحوامل .

٥ ـ تناول بعض الادوية كالسلفا والميلادينين يزيد من حساسية الجلد لتأثير الشمس .

وفي الأحوال العادية يشفى حرق الشمس في مدى ٢٤ ـ ٣٦ ساعة اما في الأحوال الشديدة فقد يشفى في مدة أسبوع حيث يأخذ الجلد في التقشر ويصبح داكن اللون نسبيا .

ولتفادى حرق الشمس :

١ ـ على الانسان ان يعرض نفسه للشمس بالتدريج .

٢ ـ على السيدات اذا ذهبن للبحر اثناء النهار الا يستعملن مستحضرات التجميل .

٣ ـ تغطية الجسم بأحد الزيوت أو الكريمات قبل التعرض للشمس .

ولعلاج حرق الشمس فيمكن استعمال أحد مراهم الكورتيزون فهذه تؤدى الى شفاء سريع .

ومن الامراض الجلدية ما يساعد العرق على انتشارها في الصيف وأهم هذه هى التهابات الجلد الفطرية ونذكر منها :

* تينيا القدمين واليدين والاظافر Tinea Pedis, Manum, Unguium .
* تينيا اعلى الفخذين Tinea Cruris .
* التينيا Tinea Circluata .
* البهاق الكاذب Tinea Versicular .

وتينيا القدمين لها مظاهر كثيرة وتتفق جميعها في وجود تسلخات بيضاء بين اصابع القدمين كما قد تظهر على حافة القدمين فقاعات مائية او صديدية مصحوبة بتقشر في الجلد مع حكة شديدة.

وللوقاية من تينيا القدمين :

١ ـ تجفيف القدمين جيدا بعد الغسل .

٢ ـ تدليك القدمين بأى بودرة مطهرة فذلك يساعد على تجفيف وتنشيط الدورة الدموية بالقدمين .

٣ ـ عدم التعرض مباشرة للحيوانات الاليفة مثل الكلاب والقطط والماعز والبقر فقد تكون هذه حاملة لفطر المرض .

٤ ـ عدم المشي حفاة الاقدام خصوصا في الحمامات التى يجب تطهيرها دائما بمحلول ديتول او كريزول ٢٪ ويراعى قبل النزول لحمام السباحة غسل الجسم والقدمين وكذلك غمس القدمين بمحلول مطهر قبل النزول للماء مباشرة .

٥ ـ تطهير الجوارب بمحلول ليزول ٢٪ قبل الغسيل ثم كيها .

٦ ـ تطهير الاحذية بوضع قطعة قطن مغموسة في محلول فورمالين ١٠٪ داخلها لمدة ٢٤ ساعة ثم تعرض للهواء مدة ٢٤ ساعة اخرى .

٧ ـ علاج أى مرض بالقدمين يساعد على زيادة في افراز العرق بها مع مراعاة علاج تينيا أظافر القدمين ان وجدت حتى لا تكون بؤرة تعيد العدوى بعد العلاج .

٨ ـ علاج أى مرض عام يضعف من مقاومة الجسم ويساعد على الاصابة بهذه الفطريات مثل مرض السكر . ■■

محمد الشاذلى اخصائي الامراض الجلدية



اعرف وطنك أيها القارئ

١٤ دولة فى الجامعة العربية .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ تضم جامعة الدول العربية ١٤ دولة عربية ، لكل منها رسم جغرافي مختلف .. وفوق هذا الكلام تجد ١٤ رسما مختلفا، تمثل هذه الأقطار العربية الأربعة عشر .. وتحت كل رسم رقما مسلسلا ، والمطلوب منك ان تعرف اسم كل قطر وتكتبه في ورقة مستقلة الى جانب الرقم المذكور تحت الرسم .. وهنا لن نترك لك فرصة للخطأ ، لانه يجب عليك معرفة ال ١٤ دولة بكاملها ..

اما الخطوط التى صنعناها من شرائط فهى تمثل ماء البحر ، لتساعدك على التعرف على الدول .

٥

٧ ٦

١٢

١٤

١٣

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٩ » .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ .

٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .





■ هي الكاسرات من الطير .

وهي تؤلف رتبة Order من رتب مملكة الحيوانات عظيمة .

وتسمى برتبة الصقريات Falconiformes لأن الصقور المألوفة بين الناس بعضها ، فهذا الاسم من قبيل اطلاق اسم البعض على الكل .

واشهر الطيور التي تضمها هذه الرتبة هي النسور والعقبان والصقور ، وانساب لها في خلائق الطير واشباه كثيرة . والنسور والعقبان اكبرها أحجاما ، يليها الصقور والشواهين والحدآن ، تليها الطيور الجارحة الصغيرة كاليؤيؤ والعواسق .

وطيور هذه الرتبة تمتاز بأقدام قوية ، يقع الابهام فيها في مقابلة سائر الأصابع . وتنتهي هذه الأصابع بمخالب شديدة التقوس طويلة .

وكل الصقريات لها مناقير شديدة ، الفك العلوي منها معقوف على الفك الأسفل وهو مدبب الأطراف حاد الجوانب .

وكل الصقريات لها اجنحة قوية ، وقدرة على الطيران فائقة ، والكثير منها يستطيع أن يحلق في السماء عاليا .

ولقد تذكرنا هذه الصفات بصفات البوم ، فالبوم ايضا من الجارحات، ولكنه من جارحات الليل ، والصقريات من جارحات النهار . وكان العلماء قديما يضعون البوم عند التقسيم في الصقريات،



الطير

بقلم الدكتور أحمد زكي

ثم كفوا عن ذلك لما تبينوا أن البوم له ريش ناعم غير ريش الصقور ، وأن له هيكلا في بناء جسمه مخالفا لهيكل الصقريات كل المخالفة .

والصقريات تعيش على اكل اللحم ، وبعض يصطاده لنفسه ، وبعض يأكل الجثث والرمم ويكون له منها اكتفاء واشتفاء .

والصقريات لها بصر حديد ، يعينها علي رؤية فريستها ، حية او ميتة ، وهي طائرة على بعد غير قريب .

والجارحات تبيض القليل من البيض في المرة الواحدة، وتناسلها ليس بالسريع . ومدة فقس البيض تطول ، وكلها تحضن صغارها في أعشاشها .

والجارحات توجد في كل بقاع الارض تقريبا ، تستثنى من ذلك منطقة القطب المتجمد الجنوبي .

والرتب Orders في مملكة الحيوان تقسم الى فصائل Families كما هو معروف .

ورتبة الجارحات من الطير هذه Falconiformes تقسم الى خمس فصائل، وبعض العلماء يزيدها تقسيما . وبعض يضم منها المتشابه ، وبعض يفصل .

وسوف لا ندخل في تفاصيل هذه التقاسيم ، ولسنا نبغي استيعابا ، لهذا سوف نأتي بالأمثال من الشائع من الجارحات بين أهل الأرض . ومعها

صورها . والصورة تغني عن مائة كلمة من وصف .

اكبر الجوارح في الأرض احجاما النسور الأمريكية

American Vultures

وهي فصيلة Family اسمها العلمي Cathartidae .

ودعك من الاسم اذا لم تكن من أهل هذه الدراسات . أو لعلك تريد أن تعرف ما معناه . ومعناه المنظفات Cleaners ، ولعله اسم راجع الى ان هذه النسور تعيش على الرمم ، وهي اذ تنال الرمة لا تبقى فيها من اللحم شيئا . وتنظف الأرض منها . هي ان شئت كناسة الأرض ! وهو اسم بالطبع لا يشمل سائر خصائص هذه النسور . هو اسم وكفى . وتعريفه لا يكون الا بوصف المشترك في اشكال هذه الطيور ، ظاهرا وباطنا ، وفي عاداتها ، ووظائفها ، واختلاف ما بينها وبين غيرها من ذوات الشبه القريب .

واسمع ما يقوله العلماء من هذه الصفات المشتركة : ان النسور الأمريكية كبيرة ، تحلق عاليا ، ولها رؤوس عارية من الريش غير جذابة . واصابعها الطويلة ليست معقوفة في قوة تاذن لها بالقبض على الفرائس شأن غيرها من الجارحات . واصبعها الخلفية اعلى موضعا مما يجب ، والاصابع الثلاث الأمامية يربط بينها نسيج . وثقوب انوفها مستطيلة لا مستديرة . وهي لا صوت لها ، وانما هي تهس هسيسا واطئا . الى آخر ما يصفون .

ولا شك أن النسور الأمريكية هي احسن طيور الارض تحليقا في السماء . وهي من أكثر الطيور شراهة ، وهي تأكل ما تجد ولا تبالي ما تأكل ، ما كان لحما ودما . وهي تعوزها القوة والجراة والمغامرة ، التي توجد في كثير من الجارحات ، وندر أن تهاجم حيوانا صغيرا مهما صغر اذا توقعت منه مقاومة .

ومناقيرها من الضعف بحيث لا تستطيع ان تستخلص اللحم من عظمه ، الا ان يكون بدأ اللحم يتحلل او هو قد فعل .

وللنسور قوة ابصار عجيبة ، وهي تحلق في السماء على أبعاد شاهقة قد تبلغ مئات الأقدام، وذلك بحثا عن طعامها في الارض . وقد يرى النسر نسرا آخر ، على بعد ميل، يراه وهو هبط الى الارض، فيدرك من ذلك انه لا بد وجد طعاما . فما أسرع ما يتحول اليه هابطا .

نسران من اكبر ما عرف من نسور

(الصور في الصفحة التي بعد التالية)

وهما من نفس هذه الفصيلة ، فصيلة النسور الأمريكية العملاقة : واسمهما :

كندور كلفورنيا California Condor بأمريكا الشمالية .

وكندور جبال الأند Andean Condor بأمريكا الجنوبية .

وكلاهما يبلغ امتداد جناحيه معا نحو ١٠ اقدام ، وجناحاهما فوق ذلك عريضان ، ومعنى ذلك انهما يتمتعان بمساحة اجنحة كبيرة لها خطرها في الطيران .

ووزن النسر منهما يبلغ ما بين ٢٠ الى ٢٥ رطلا .

اما كندور كلفورنيا فمن اندر النسور اليوم ، فلا يوجد منه غير عشرات . قضى عليه امتداد العمران الأمريكي الى غرب امريكا وذهاب الحيوانات البرية نظرا لذلك ، تلك التي كان يعيش عليها هذا النسر .

وهذا النسر يبيض البيضة الواحدة . ولا يبدأ فيبيض الا بعد السنة السادسة من عمره على الأقل ، فهو قليل الذرية . ولكنه استعاض عن ذلك بطول العمر . فمن النسور التي عاشت في اسر حدائق الحيوانات ما عاشت ٥٠ سنة .

اما كندور جبال الأند ، فهو منتشر

في امريكا الجنوبية في اعالي تلك الجبال ، من فنزويلة وكولمبيا الى بتاجونيا Patagonea ، وهي مساحات بها من البرية شيء كثير يضمن لهذا النسر حظا من البقاء اكثر مما كان لذى قرابته، النسر الكلفورني .

ونسر ثالث نذكره من نسور امريكا ، نسور الدنيا الجديدة ، ونسورها تعد اقدم في الكون من نسور الدنيا القديمة ، وذلك بناء على دراسة حفريات أرض قديم الدنيا وجديدها .

وهذا النسر الثالث هو المسمى عندهم King Vulture اى النسر الملك . وموطنه يجمع بين أمريكا الشمالية والجنوبية . فمراده المكسيك مخترقا امريكا الجنوبية الى الارجنتين .

وراس هذا النسر عار من الريش ، ولكنه رأس ذو الوان زاهية ، صفراء وارجوانية . وهي تعطيه مسحة من حسن . وهذه الالوان لا تاتيه الا عندما يبلغ ارتياشه مداه ، وذلك في السنة الثالثة او الرابعة من عمره .

ونسر رابع وخامس من النسور الامريكية ، ولكن يكفي ما قدمنا .

نسور الدنيا القديمة

ونعني بالدنيا القديمة الدنيا بغير امريكا . اى آسيا وأوروبا وافريقية .

وصفات هذه النسور هي في عمومها صفات نسور الدنيا الجديدة . ضخامة اجسام ، وطول اجنحة ، ورؤوس عارية من الريش،وعيشها على الجثث والرمم . غير ان أقدامها أكثر انعقافا . وثقوب انوفها مستديرة لا مستطيلة ، ويظن العلماء ان لعل آباءها كانت اقرب الى العقبان منها الى النسور . ويعزز هذا ان بعضها يأكل الرمة ومع هذا قد يصيد لنفسه من صغار الحيوان ، مع ان البعض لا يمس الجثة اذا ظهر انه لا يزال بها حياة .

ومن اشهر النسور ، النسر المصرى ، وله شهرة في الناس قديمة، وقد وجدت صور منه في مقابر قدماء المصريين ، دقيقة صحيحة . وموطن هذا النسر ليس مصر وحدها ، وانما كذلك أفريقية والجزيرة العربية والهند . وهو نافع في تخليص هذه الاراضي من جثث الحيوانات . وقد قل قلة كبيرة الآن . وهو يعيش في اعالي الصخور، وفي المغاور وهو يبيض البيضتين الاثنتين ويقوم الأبوان على حضانتهما معا ٤٣ يوما .

ومن هذه النسور النسر المعروف بنسر جريفن Griffon ، ويسميه بعضهم بالنسر الاسمر ، وهو من النسور التى قد تجتمع معا في مستعمرة ، في رؤوس التلال او في جوف الكهوف . والأنثى تبيض البيضة الواحدة، وتفقس بعدها بين ٤٨ و ٥٢ يوما .

وتجد صورته وصورة النسر المصرى مع هذه الكلمة في الصفحات التالية . ومعهما صورة نسرين آخرين احدهما Eared Vulture والآخر النسر ذو الراس الأبيض White Headed Vulture .

العقبان

(صورها في الصفحات الملونة التالية)

وبانتقالنا من النسور الى العقبان ننتقل من الضخامة الى الضخامة ، ولكن ليست العقبان بضخامة النسور تماما .

وننتقل من آكلات الرمم ، تموت أو يقتلها غيرها ، الى آكلات الصيد الحيّ ، تصيده هي وتقتله بنفسها .

والصيد في شريعة الكون ، وشريعة



نسور العالم الجديد (أمريكا)

الاعلى : كندو الاند وهى جبال امريكا المعروفة Andean Condor وهو نسر يمتد موطنه من فنزويله وكولمبيا الى بوغاز ماجلان . طول جسمه نحو ٥٢ بوصة .

الاوسط : كندور كليفورنيا ، وهو نسر موطنه سواحل كلفورنيا ، طول جسمه نحو ٥٠ بوصة .

الادنى : النسر الملك King Vulture ، وهو نسر موطنه جنوب المكسيك الى الارجنتين . طول جسمه نحو ٣٢ بوصة .

نسور العالم القديم

الايمن : النسر ذو الراس الأبيض Wh'te-Headed Vulture وموطنه اواسط افريقيا في غيرمناطق الغابات . طول جسمه نحو ٣٣ بوصة ، من المنقار الى طرف الذيل .

الايسر : نسر جريفن Griffon Vulture ، موطنه جنوب اوروبا وجنوب غرب آسيا ، وجنوب افريقيا . طول جسمه نحو ٤١ بوصة .

الاوسط : النسر ذو الاذن Eared Vulture

الاصغر : النسر المصرى

الطبع ، وشريعة الله ، حلال لا مِرْية فيه .

والعقبان انواع كثيرة .

ولنضرب لها مثلا العقاب الذهبي Golden Eagle وهو اعزها وافخمها . وموطنه شمال آسيا واوروبا وامريكا ، وهو اكثر في الدنيا القديمة منه في الجديدة ، ومساكنه اكثرها الجبال .

وهو في الصيد امام ، ويأكل مما يصيد . ويصيد الأرنب والمرموط والسنجاب وسائر القوارض .

وقد اتخذه انسان آسيا وعلمه الصيد . وهو عندئذ يصيد له ما هو اكبر من الأرانب والسناجب . وتتر جنكيزخان علموه كيف يصيد الظباء وما اليها . وليس صحيحا انه حمل من اطفال بني الناس احدا . فهو لا يستطيع ان يحمل اكثر من ٦ ارطال .

والعقاب الذهبي طويل العمر . وانثاه تبيض البيضة والبيضتين في المرة الواحدة، تنفقسان بعد ٦ اسابيع، وتقوم الانثى بالرقاد عليهما اكثر الوقت . واذا قامت عنهما حل الذكر محلها . والصغار تبقى في اعشاشها ١١ اسبوعا او تزيد قبل ان تستطيع الطيران ، وهي تكون اثناء الطيران في رعاية ابويها .

والعقاب الذهبي يصنع لنفسه عشا من أعواد الشجر ، يتخذ له مكانا قاصيا منيعا في جرف من صخر عال . وهو يعود اليه كل عام ولا ينساه .

العقاب الأصلع

Bald Eagle

وهو طائر الولايات المتحدة القومي .

وهو يضاهي العقاب الذهبي فخامة مظهر ، ولكنه أصغر ، ولا يضاهيه سمو عادات . وهو طائر امريكي . ولا يوجد في غير امريكا .

انه يقوم ببعض الصيد لنفسه ، وهو يستطيع ان يصيد بعض فراخ الماء وارانب المستنقعات . ولكن أغلب طعامه السمك ، وهو يصيد بعضها . وبعضها



يلقطه ميتا على السواحل . وهو دائما قريب من السواحل .

ومن عاداته انه يتربص بصقر السمك Osprey أو Hawk Fish ، وقد رآه قد صاد لنفسه سمكة من الماء وطار بها، واذا به يتبعه فيرتفع اليه ، ويرتفع اليه . ويسد عليه مسالكه . حتى اذا ارهقه اضطر الصقر الى ان يسقط سمكته . فيهوى اليها العقاب كالسهم ويلقطها وهي في الهواء .

والعقاب الأصلع موطنه كل الولايات المتحدة . ولكنه قل الآن . واكثره يوجد في فلوردة وفي الاسكا .

اما وصفه بالأصلع فلأن ريش راسه أبيض . ولفظ Bald كانت ترمز قديما الى البياض . والصلع منه .

العقاب

Harpy Eagle

وعقاب ثالث جدير بالذكر ، ذلك هو العقاب Harpy Eagle

وهو يعيش في الغابات ، من جنوب المكسيك ، فوادى نهر الأمزون الى جنوب البرازيل .

وهو عقاب كبير ، قوى ، له عرف كعرف الديك Crested ، وله مخالب غاية في القوة .

العقاب اتخذته الامم رمز القوة لا النسر

خطأ لا ادرى كيف جاء العرب ، ترى صورة العقاب في اعلام الأمم ، وغير الاعلام، فيقول لك صاحبك ، انه النسر، رمز القوة .

والنسر Vulture ان يكن اكبر جسما ، فهو ليس اكبر قوة ، ولا اشجع نفسا ، ولا اكرم عادة .

والعقاب Eagle يأكل من صيده الحى ، والنسر Vulrure يأكل مما تفق من الحيوانات . فهو يأكل الجثث والرمم ، ويتجنب أصغر شيء يتوسم فيه اى مقاومة ولو ضعفت .

وهذا ليس من القوة التى تريد أن ترمز لها الامم في شيء .

وقد اتخذت الأمم العقاب رمزا لقوتها منذ آلاف السنين .

السومريون منذ ٥٠٠٠ عام اتخذوه رمزا لهم ، وصوروه ناشرا جناحيه وسعهما . وروما الامبراطورية اتخذته رمزا لها بعد ذلك بقرون عديدة .

وشرلمان حكم أوروبا واتخذه رمزا . ومنه انتقل الى الألمان ، حتى صار رمز هتلر .

وقبل هذا اتخذه نابليون رمزا .

والعقاب ذو الراسين ، وهما زيادة في القوة ، اتخذه البيزنطيون رمزا لامبراطوريتهم . واتخذته روسيا واتخذته النمسا رمزا وضعته على أسلحتها .

والولايات المتحدة اتخذت العقاب الاصلع رمزا قوميا . واتخذ الكونجرس الامريكي بذلك قرارا في عام ١٧٨٢ . وتوجد الى اليوم في خاتم الدولة صورة منه ، وهو ناشر جناحيه : في أحد مخلبيه أفرع من زيتون رمزا للسلام ، وفي المخلب الآخر حزمة من سهام رمزا للحرب .

صقريات اصغر من العقبان

العقبان أصناف كثيرة لم نات منها الا على اثنين او ثلاثة .

ومن بعد العقبان تأتي مجاميع أخرى من الصقريات كثيرة لا بد أن نمر عليها مر الكرام ، وهي :

(١) العقيبات : وهي مجموعة اصغر من العقبان ، وتعرف عند الافرنج ، باسم Buzzards . وهي تشبه العقبان الا أنها أصغر وأضعف وأقصر منقارا . والمنقار اشد انعقافا . ومن عادتها أن تحوم في الجو . والجناحان متوسطا

الطول ، والذنب عريض ومستدير . والرسغ عار من الريش .

(٢) الحدآن : وهي جمع حِدَاة Kites ، وهي انواع عدة ، وأجسامها متوسطة ورشيقة ، وأجنحتها لينة ، وهي تطير في الجو طويلا ، دون أن تضرب الهواء بأجنحتها . وذيل الحداة منفلق شطرين متميزين .

ولها بصر كالعادة حديد . اذكر قوما كانا يجلسون على حافة النهر على مائدة طعام . وكان على المائدة قطعة لحم جاء بها الخادم . فما هي الا لحظة حتى مرَّ بالمائدة شيء خاطف اختفت بعده قطعة اللحم . ولم يختف سواها . ولم يهتز بسبب ذلك فوق المائدة شيء ، حتى كوب الماء لم يندلق منه الماء .

اما السبب ؟ فحداة احسنت تصويبا، وهبطت وطارت في خفة وسرعة لم يعهدها أحد . انه الرزق تخلّق معه ضروب المهارات . والا فهو الجوع والموت .

(٣) البواشق Hawks (Accipiters) .

وهي ذات أجسام ليست بالكبيرة ، واجنحة لا طويلة ولا قصيرة ، وذيول مستقيمة . وهي سريعة الطيران تبنى اعشاشها في الأدغال الكثيفة . بلون ريشها زرقة او خضرة مع بقع بنية او داكنة .

(٤) الهَرَزات Harriers .

(٥) طيور وأجناس أخرى من الصقريات كثيرة .

ومن بعض هذه الصقريات يتخذ الصقّارون صقورهم لاستخدامها في صيد الطير وحيوان الارض . وكذا من غيرها .

الصقور

Falcons

وهي فصيلة من الطيور كبيرة ، تضم ما يعرف بالصقور الحقيقية ، ومنها الصغير الذي لا يزيد على نحو ٧ بوصات طولا ، والكبير الذي يبلغ ٢٤ بوصة طولا . ومنها النشيط السريع الطيران الجارح المكافح المعروف بالشاهين Peregrine Falcon ، ومنها البطيء الخامل الذى يتدنى الى اكل الرمم .

وتختلف هذه الفصيلة عن سائر الفصائل بين الجوارح بصفات يكشف عنها تشريحها الداخلى ، وتتميز كذلك ظاهرا بأجنحة طويلة مدببة الأطراف نسبيا . وبأرساغ اقدام واقدام عارية من الريش ، وبأفخاذ يكسوها ريش غير مكتنز يظهرها وكأنها تلبس بنطالات من ريش . وتوجد عادة بفكها الأعلى ثلمة تشبه السن .

والصقور الحقة لا تبنى لأنفسها اعشاشا . بعضٌ يتخذ من الارض عشا. ولكن أكثرها يعيش عند حافة الصخور وعليها يبيض بيضه في العراء . ومنها ما يتخذ من أعشاش غيرها من اجناس الطير عشا له .

والصقور الكبيرة منها تبيض من ٢ الى ٤ من البيض ، والأصغر من ٣ الى ٥ . وترقد عليها نحو ٤ اسابيع . وتقوم الأنثى بأكثر الرقاد، الا اذا خرجت للصيد فيقوم الذكر بالرقاد فوق البيض حتى تعود .

وافراخ الصقر تحتاج من ٤ الى ٦ اسابيع ليتم ريشها، ومع هذا هى عندئذ لا تستطيع ان تطعم نفسها لأنها لا بد بعد ذلك أن تتعلم كيف تصيد .

والعلماء يعدون لهذه الفصيلة نحوا من ٥٨ نوعا .

وهذه الفصيلة تحتوى على بعض الصقور التى يستخدمها الصقارون في صقارتهم ، وهى استخدام الصقر في الصيد ، سواء للقنص او للمتعة .

الصقارة والصقارون

الصقارة ، وهى استخدام الصقور بعد تدريبها على صيد الطيور والحيوانات في بنى الناس قديمة . فقد كانت



العقاب الأصلع

Bald Eagle وموطنه امريكا الشمالية ، والشمال الشرقي من سيبيريا . طوله نحو ٣٤ بوصة . وهو العقاب الذى اتخذته الولايات المتحدة، رمزا للدولة ، ووضعته على اختامها .

العقاب الذهبى

Golden Eagle وموطنه نصف الكرة الشمالي . وطوله نحو ٣٢ بوصة . وهو ملك العقبان جميعا ، واعزها وافخمها ، ورمز القوة عند الامم من قديم الزمان .

شائعة في آسيا وأوروبا وشمال افريقيا، وعرف أنها كانت تمارس في الصين منذ ألفين من السنين .

وفي اوروبا ، في القرون الوسطى ، كانت هواية الملوك والنبلاء. وجاء البارود وصيد الطير بالرصاص فقضى عليها ، ولكنها عادت الى اوروبا في القرن الثامن عشر ، واستمرت تمارس في انجلترا والولايات المتحدة بعد ذلك ، ولا تزال الى اليوم طائفة من شيوخ القبائل العربية والخليج العربى تمارسها .

وقد نشرنا في « العربى » بعدد ١٢٤ لاول شهر مارس ١٩٦٩ استطلاعا مصورا عن هذه الهواية ، ووصفنا فيه كيف يقوم الصقارون العرب، بصيد الصقور.

اما الصقور التى تستخدم في الصقارة فصنوف كثيرة ، منها الصقور الحقيقية True Falcon ، وهى الطويلة الأجنحة مثل الشاهين Peregrine والشوبهين Hobby والعوسق Kestrel ، واليؤيؤ Merlin وكذلك الصقور قصيرة الأجنحة مثل العقيب Buzzard ، والحدأة Kite والباشق Sparrow - Hawk والهرزة Harriers .

ولا ننسى اننا سبق أن ذكرنا ان من الملوك من آنس العقاب واستخدمه للصقارة .

المصادر

ومصادرنا في هذه الكلمة مصادر افرنجية . اما العربية فمصدران : الاول الحيوان للجاحظ، وقد تبينا فيه حقيقة ما بين النسر والعقاب ، وأن العقاب هو

السيد العزيز الجاسر الكاسر . يأكل الحي من صيد مخالبه ومنقاره ، فهو الجدير بالرمز الى القوة ، وباتخاذ الأمم اياه ، من حديثة وقديمة ، رمز الفخار والاستعلاء ، بقوة المخلب ، التي لا يكون بغيرها في الدنيا ، الى اليوم ، استعلاء . اما النسر ، وان كان اكبر من العقاب قليلا ، فهو لا يقاربه اقداما . وهو يأكل الجيف .

اما المصدر العربي الثاني فكتاب :

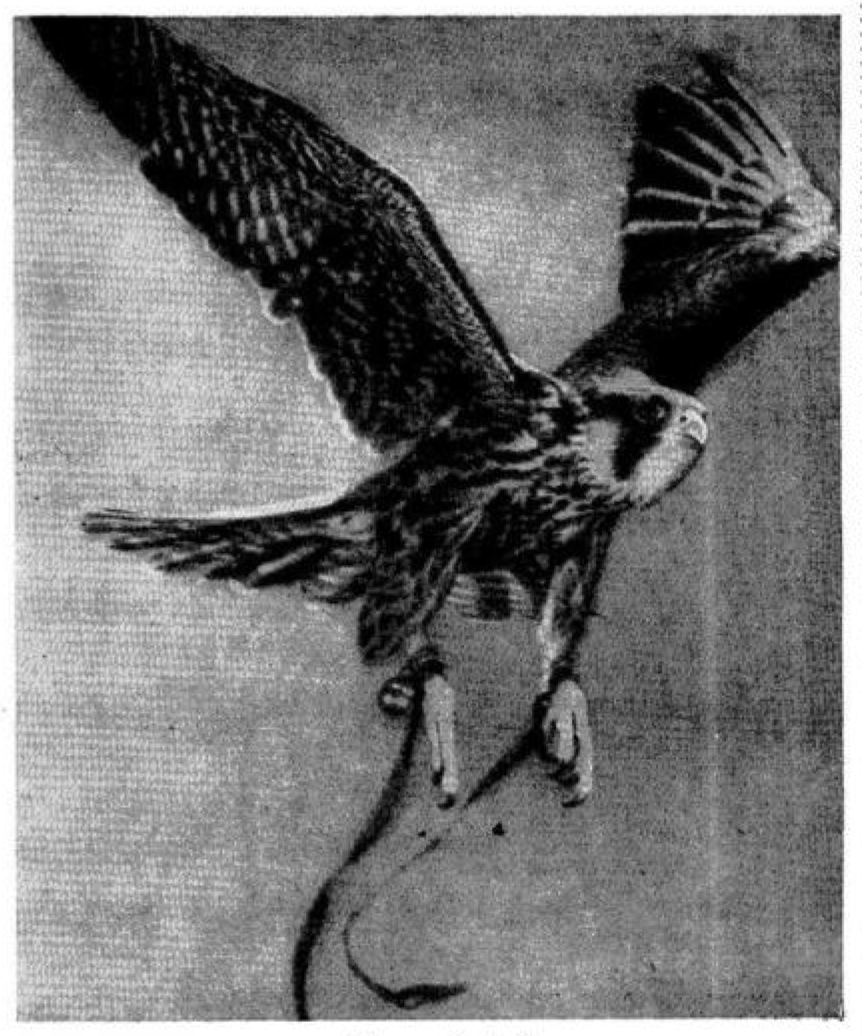
الطيور العراقية للاستاذ بشير اللوس بجامعة بغداد ، وقد افدنا منه في الحصول على بعض الأسماء العربية للاسماء الافرنجية . وهو كتاب جدير باقتناء لدارس الطيور .

تربية الصقور للصيد

انها تربية لا يقوم بها الا اهلها .

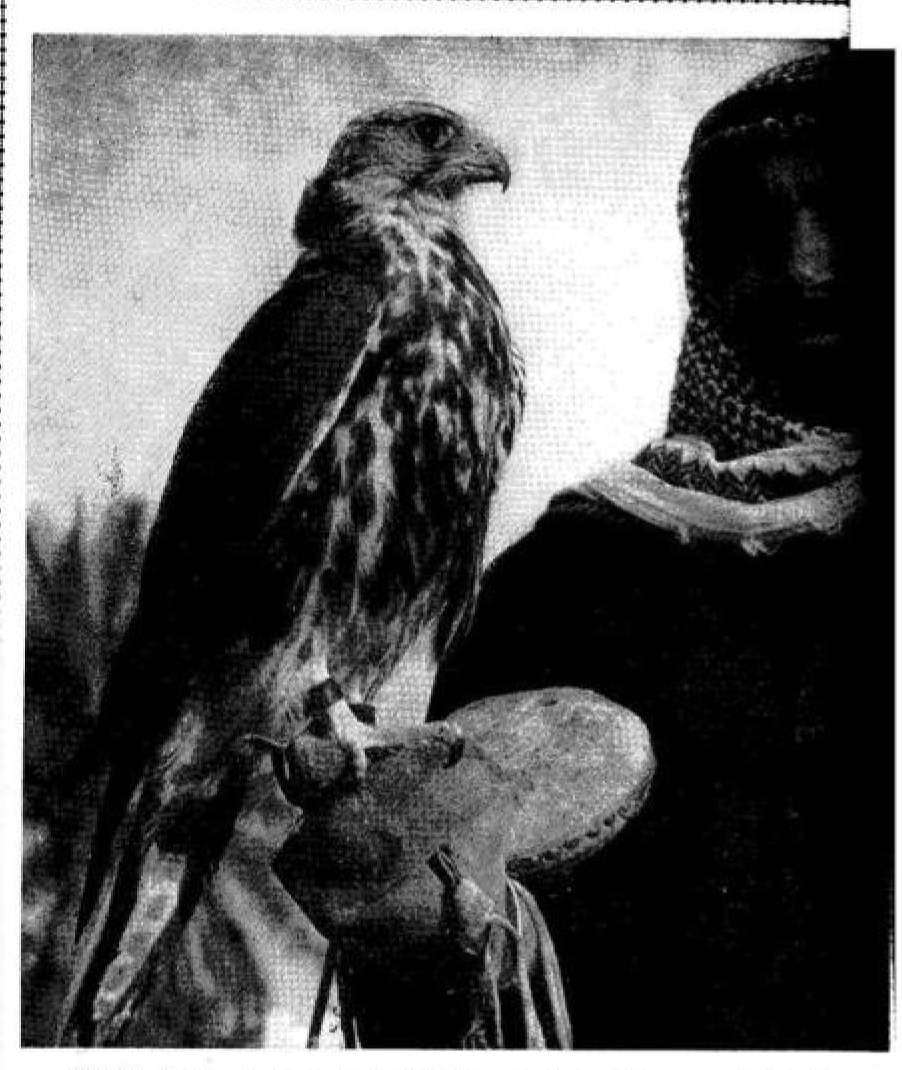
ويبدأ المربي بالصقر الصغير يستولى





الجارحات من الطير

الصقر المعروف بالشاهين Peregrine Falcon ، وهو من الصقور الصادقة الطويلة الأجنحة . يستخدمه الصقارون الافرنج في صيد الطيور . ويعرف كذلك بصقر البط Duck hawk . وهم هنا قد صوروه وقد انطلق يطلب فريسته ، ولعلها الطائر مالك الحزين . وترى بقدميه شريطين من جلد ارتبطا بمعصميه ، وبهما يمسك الصقار صقره عند النزول . وعند مربط الشريط ترى جلجلا ، الغرض منه أن يحدث أصواتا تدل على مكان الصقر عند نزوله بفريسته في الحقل . وسرعة هذا الصقر العادية ٦٠ ميلا في الساعة.ولكنها عند الانقضاض ترتفع الى ١٥٠ ميلا. وهو يعيش عيشته البرية على طير الساحل وفراخ الماء



الصقّار العربي ، يحمل الصقر على يده بعد أن انّسه ودربه على صيد طائر الحُبارى الشهي ... ومدة تدريب الصقر العربي تمتد من عشرة ايام الى شهر ، يقوم خلالها الصقّار ، وهو من البدو المتمرسين بعملية التدريب الشاقة. يبدؤها باختيار اسم للصقر ، ومن الضروري ان يكون الاسم مذكرا لا مؤنثا .. حتى ولو كان الصقر انثى ، ولا ندري لماذا ؟ .. ثم يبدا الصقّار باطعام الصقر من يده ، وبعد ان يالف الصقر هذه الطريقة في تناول الطعام يطلقه المدرب في الهواء ، بعد أن يربط ساقه بحبل طويل ... ثم يدعوه باسمه لتناول الطعام .. فيهبط الصقر الى الارض ... وتستمر هذه العملية حتى يتاكد الصقّار من ان صقره اصبح اليفا متمرنا .... فيبدأ في آخذه معه الى الصيد ..

عليه من عشه قبل ان يعرف كيف يطير، او هو ياخذه بعد ان استكمل وبلغ ، ثم يؤنسه . وهو في سبيل تأنيسه يضع له غِمامة تغطي رأسه وعينيه حتى لا يرى النور ، وشريطا من الجلد يوضع فوق الجناحين حتى لا يصفق بهما، وشريطين من الجلد آخرين خفيفين يربط كل طرف منهما بقدم ، ويترك الطرف الآخر للصقار يمسك به في يديه فيمنع الصقر من الطيران الا اذا هو أراد. وحيث ارتبط هذا الشريط بالقدم ارتبط معه جلجل يدق كلما تحرك الصقر ، فيدل على مكانه . وذلك عند ممارسة الصيد في الحقول والعراء .

ويوضع الصقر في مكان مظلم نحوا من



العقاب الهَرْبي

Harpy Eagle وهو اسم منسوب الى شخصية اسطورية من اساطير اليونان (هاربي وجسمها جسم امراة واطرافها أطراف أجنحة ومخالب طير) . وموطنه من جنوب المكسيك الى شمال الارجنتين. وطول جسمه نحو ٣٨ بوصة .

الصقر الأوزي

واسمه Goshawk ، وهو اسم مؤلف من Goose وهي الاوزة . و Hawk وهو الصقر ، وهو من الصقور التي تعيش على صغار الحيوانات الثديية ، وعلى الطيور . ومخالبها حادة ، وهي سريعة ، وتتراءى أجنحتها في الطيران مستديرة . وهذا الصقر استخدمه الصقارون من قديم الزمان . وطول جسمه نحو ٢٦ بوصة .





العقاب الصقر المزخرف

أما انه مزخرف فتدل على ذلك صورته . وموطنه من جنوب المكسيك الى شمال الارجنتين . وطوله نحو ٢٤ بوصة .

٧٢ ساعة ، ولا يترك وحده ابدا . فلا بد ان يكون معه في تلك الساعات انسان يحس له حركة فيأنس به ، او يدخن فيشم دخانه ويهدأ بهذه الجيرة .

ثم يأخذ المربى يدخل النور الى حجرة الصقر ، ولكن رويدا رويدا ، وذلك حتى يتعود الصقر على مكانه هذا الذى هو فيه وعلى بيئته هذه الجديدة ولا يجفل. ويتم هذا لكن ببطء شديد . وبعد هذا بقليل يأخذ الصقر يتعود على تناول الطعام من يد صاحبه الصقّار ، ويذهب عنه الخوف من سيده هذا الجديد ،

انه تدريب يحتاج الى مهارة والى صبر طويل . فهكذا يقول من ننقل عنه وصف هذا التدريب من أهل الغرب .

●●

احمد زكي

لا يصلح الناس فوضى

س : ارجو ان تخبرونا عن قائل الابيات المشهورة التي فيها :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سـراة اذا جهـالهم سادوا

ج : صاحب هذه الابيات هو الافوه الاودى ، كنيته ابو ربيعة ، واسمه صلاءة ابن عمرو بن مالك بن عوف . من بني أود بن الصعب بن سعد العشيرة من مذحج ، كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم .

والافوه في اللغة ، الغليظ الشفتين الظاهر الاسنان . وكان هو كذلك ، ولهذا لقبوه الافوه . يقول عنه البكرى في التنبيه على امالي القالي ... « وهو جاهلي قديم » ... اما الزركلي في الاعلام فينقل عن شعراء النصرانية انه مات قبل الهجرة بحوالي ٥٠ سنة . وهذا تقدير ليس عليه دليل . ويغلب على شعر الأفوه الحكم الدالة على التجربة وسعة المدارك والمعرفة بعواقب الامور .

اما الابيات فهي :

فينا مَعاشرُ لم يَبْنُوا لِقومِهـمُ وإن بَنَى قومُهم ما أفسدوا عادوا
لايَرْشُدونَ ولَنْ يَرْعَوْا لِمُرْشِدِهمْ فالجَهلُ منهم معاً والغَيُّ مُعتـادُ
والبيتُ لا يُبْتَنَى إلاّ له عَمَـدٌ ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتـادُ
فإن تَجَمَّعَ أوتـادٌ وأعمِـدَةٌ وساكِنٌ بَلَغوا الأمرَ الذي كادوا(١)
وإن تَجمَّعَ أقوامٌ ذَوُو حَسَبٍ اِصْطادَ أمرَهمُ بالرُّشْدِ مُصطادُ
لايَصلُحُ الناسُ فوضَى لاسَرَاةَ لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهم سادُوا (٢)
تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرُّشْدِ ماصَلَحتْ فإن تَوَلَّوْا فبالأشرارِ تَنقـادُ
إذا تَوَلَّى سَرَاةُ القومِ أمرَهـمُ نَمَا على ذاك أمْرُ القومِ فازْدَادوا

---

(١) « كادوا » معناها هنا « ارادوا » .

(٢) السراة : اهل الشرف والمروءة .

أَمارةُ الغيِّ أن تلقى الجميع لدى الـ — إبرام للأمر، والأذنابُ أكتادُ (٣)

كيف الرَّشادُ إذا ما كنتَ في نفرٍ — لهم عن الرشد أغلالٌ وأقيادُ

أعطوا غُواتهم جهلاً مقادتهم — فكلُّهم في حبال الغيِّ منقادُ

حانَ الرحيلُ إلى قومٍ وإن بعدوا — فيهم صلاحٌ لمرتادٍ وإرشادُ

فسوف أجعل بُعدَ الأرض دونكم — وإن دنت رحِمٌ منكم وميلادُ

إنَّ النجاةَ إذا ما كنتَ ذا بصرٍ — من أجَّة الغيِّ إبعادٌ فإبعادُ (٤)

والخيرُ تزدادُ منه ما لقيتَ به — والشرُّ يكفيكَ منه قلَّما زادُ (٥)

---

(٣) الاكتاد : جمع كتد وهو مجتمع الكتفين . وعلامة الضلال ان تجد جميع الناس مذعنين للاوامر في حالة يكون فيها الاذناب هم سادة القوم .

(٤) الأجة والأجيج صوت النار وتلهبها ، فجعل الغي كالنار

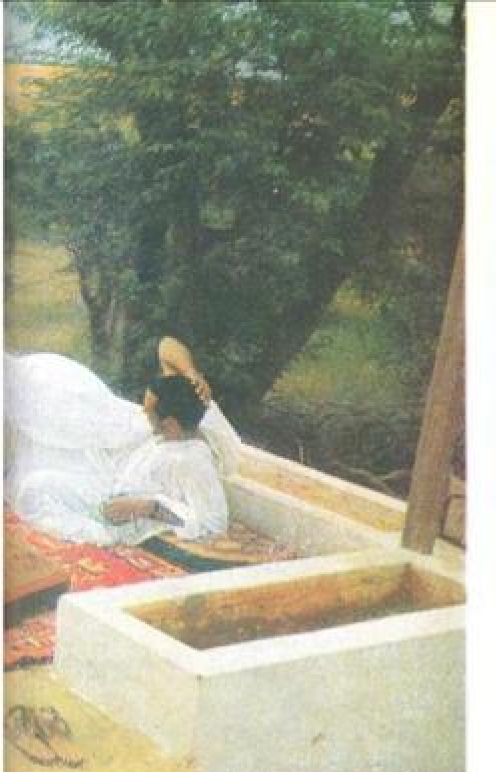
(٥) احرص على الخير والزيادة مما تجده منه . وتجنب الشر فان القليل كافٍ في ضرره .

ضربوه فعدل

● دخل خالد بن صفوان على السفاح في مجلسه ، وجرى ذكر النساء ، فقال خالد : ياأمير المؤمنين لقد ملكت على نفسك امرأة واحدة ، واقتصرت عليها ، فان مرضت مرضت ، وان غابت غبت ، وان غضبت حرمت . فاين انت ياأمير المؤمنين من الطويلة البيضاء ، والسمراء اللفاء ، والفتيجة الكحلاء ، ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة . واخذ خالد بعذوبة لفظه يشرح ويطول ثم انصرف .

وبقي السفاح مفكرا عامة نهاره ، فدخلت عليه ام سلمة المخزومية زوجته فانكرت عليه ذلك ، والحت عليه . ولم تزل به حتى حدثها حديث ابن صفوان . فغضبت غضبا شديدا ، وارسلت الى خالد بجماعة من مواليها وغلمانها وامرتهم الا يتركوا فيه عضوا صحيحا . فمكث خالد اياما مستترا في منزله . ثم دعاه السفاح يوما فمثل بين يديه ونظر فاذا خلف ظهره باب عليه ستور واحس بحركة خلفه ، فقال السفاح : يا خالد لقد وصفت لي يوم كنت عندي من امر النساء والجواري ما لم يخرق سمعي قط فأعده علي .

قال خالد : نعم اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضرتين من الضر ، وان احدهم لم يكن عنده من النساء اكثر من واحدة الا وكان في جهد وكد ، واعلمتك ان الثلاث من النساء كاثافي القدر تغلي عليهن . واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجموع لمن كن عنده ، انهن يهرمنه وينغصن عليه ويشيبنه قبل حينه . قال : ويحك والله ما سمعت هذا قط منك ، ولا من غيرك ! قال ، وقد سمع ضحكا شديدا وراء الستر ، نعم يا امير المؤمنين ، واعلمتك ان عندك ريحانة قريش ، وانه لا يجب ان تطمع نفسك الى شيء من النساء غيرها . ثم خرج من حضرته فما ان وصل منزله حتى وجهت اليه ام سلمة ثلاثة تخوت فيها انواع الثياب ، وخمسة آلاف درهم .

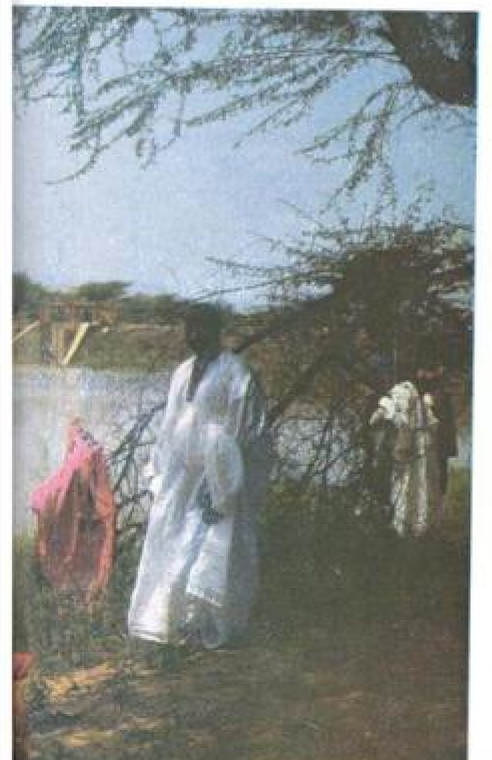


اعرف وطنك أيها العربي

موريتانيا الجنوبية

ام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار مترى



ثلاث صور تمثل الحياة في موريتانيا الجنوبية .. ولع بشرب حليب الناقة (الى أسفل) وجلسات لشرب الأتاى (الشاى) الأخضر تنعقد في العراء بعد الغروب ، يتبادلون خلالها أحاديث السمر والأدب ، غير عابئين بالخطر الذى يتهددهم من هجرة غير مشروعة تتسرب اليهم عبر نهر السنغال (الصورتان الى اليسار)



بلاد الهدهد المخطط .. والحمام الازرق .. والغراب الابقع ..!

■ بوتليميت .. ميدرِدْرة .. القوارب ..

اسماء لمدن مهملة .. لكل منها قصة .. ولكن قبل أن نعرف قصتها تعالوا نبحث عن مكانها على الخريطة .. انها بعيدة تماما عن مناطق التجمع المعتادة ، اذ تقبع بهدوء عند أقصى الطرف الجنوبي الغربي لوطننا العربي الكبير ..

ستجد على الخرائط الدقيقة اسماء بوتليميت وميدرِدْرة .. ولكنك لن تجد مدينة القوارب ، لانهم اطلقوا عليها اسما أجنبيا جديدا هو « روسو » Rosso .. فشاع هذا الاسم ونسي العالم كله الاسم العربي القديم : القوارب ..

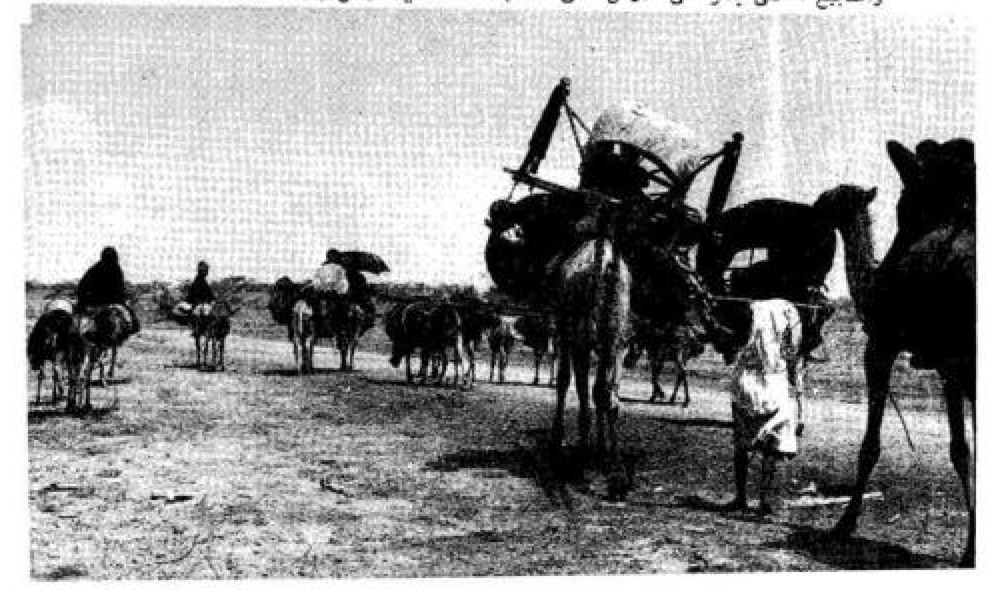
حقيقة انها مدينة صغيرة ، ولكن اهميتها تفوق حجمها مئات المرات .. فهي آخر المدن العربية في الجناح الجنوبي الغربي من وطننا الكبير .. تقع على الضفة الشمالية لنهر السنغال ، الذى هو الحدود الطبيعية الفاصلة بين موريتانيا والسنغال ..

لقد حمل الموريتانيون ، الى اهل السنغال بضائعهم وثرواتهم ، ومعها الاسلام فاعتنقه أهل هذا البلد الافريقي ، واصبح دينهم الرسمي ..

عين الحسود .. والساحرات السود !

لقد اتم أجدادهم نشر الاسلام في السنغال منذ مئات السنين ، ومازال اغلب أهالي موريتانيا يعيشون على هذا المجد العريق ، فهم يؤمنون بانهم رسل معرفة الى الاشقاء من ابناء أفريقيا .. وعلى هذا الاعتقاد ينامون ويستيقظون .. لا يفكر الواحد منهم في التطوير أو التبديل ، بل على العكس جَمَّدوا كتب اجدادهم المخطوطة داخل حقائب حديدية مقفلة لايفتحها احد .. واستكانوا الى حياة الدعة والخمول .. وقل العلم واختفى العلماء ، وانتشر الجهل وشاعت الخرافات واصبحوا يحيطون رقابهم بالاحجبة والتعاويذ لحمايتهم من عين الحسود ، ومن الساحرات السود !! واحتقروا الزراعة وقالوا لنا في تفسير

ان الحاضر قريب من الماضي في موريتانيا بشكل يوصلنا الى صميم الاجيال الغابرة .. وهذه صورة قافلة تجوب الصحراء باحثة عن الكلا والماء .. حاملة معها الاوتاد والحبال وخيمة الشعر .. فمتطلبات الحياة عند البدوى في منتهى البساطة : يطوى بيت الشعر ، ويضعه فوق جمله ويرتحل لمدة ايام واسابيع ، حتى يعثر على الارض التى تناسبه .. انه في الواقع يهرب من مواجهة الحياة الحديثة





الى اسفل : تعيش موريتانيا هادئة منسية في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من وطننا العربي الكبير .. والخريطة السفلى تبين موقعها بالنسبة للبلاد العربية .. اما الخريطة اليسرى فهي تكبير للجزء الصغير الاسود في الخريطة الاولى .. ويظهر عليها أسماء المدن والمناطق التي زارتها بعثة العربي .. ان نهر السنغال هو الحدود الطبيعية الجنوبية لموريتانيا .. ونواكشوط هي العاصمة .. وعدد سكان موريتانيا اكثر من مليون نسمة .. اصبحت عضوا في الامم المتحدة عام ١٩٦١ .. والحزب الوحيد دستوريا هو حزب الشعب الموريتاني .. ومساحة البلاد ١١٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع .



ذلك ان ابن خلدون نسب حديثا شريفا للنبي الكريم قال فيه : « ما دخلت هذه دار قوم الا ودخله الذل .. » وقال ابن خلدون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصد « بهذه » المحراث !! ❋

واتخذ الموريتانيون من البداوة والترحال والرعي اساسا للحياة .. يتنقلون مئات الكيلو مترات على ظهور الجمال وراء الكلا والماء ، يعيشون في فراغ هائل تحت خيام قائمة على اعمدة تشدها الحبال الى أوتاد ، يشربون حليب الناقة ، ويرتشفون عشرات الاقداح من الشاي الاخضر .. ويعتبرون المرأة قطعة من المتاع .

« لا تسلمونا للأجانب »

حياة غريبة ، منطوية قديمة ، يحياها أهل موريتانيا ، حتى أعلن استقلال بلادهم عام ١٩٦٠ ، وارتفع صوت مبعوثهم في لبنان يخاطبنا ويطلب مساعدتنا بقوله :

« أيها الاخوان العرب خاصة،والمسلمون عامة، أناشدكم الله .. أناشدكم بحق العروبة والاسلام، أن لا تسلمونا للأجانب .. اننا نمد اليكم يد الأخوة رغبة المساهمة في بناء الأوطان العربية ، ورجاء أن نستمد من اخواننا في شتى نواحي

❋ العربي رجعنا الى مقدمة ابن خلدون فوجدنا فيها صحة ما قاله اهل موريتانيا ، ولكن قرأنا أيضا في البخاري قول رسول الله : (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة) وقد روى هذا الحديث مع البخاري ، مسلم والترمزي وابن حنبل .. اما الحديث الاول فقد انفرد به البخاري وحده .

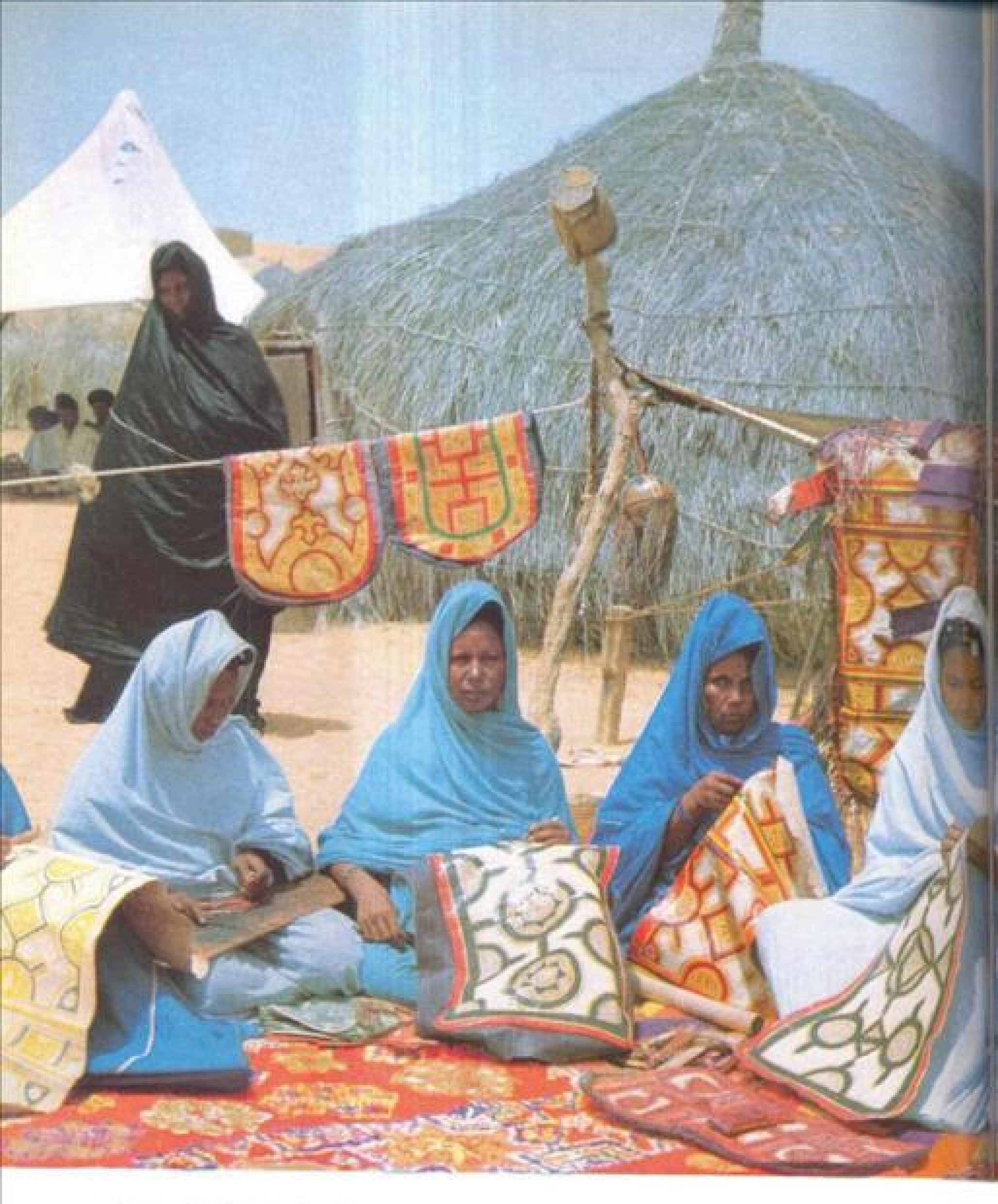




مجلس الشاي داخل خيمة الشيخ عبد الله ولد الشيخ سيدية في منطقة عين السلامة .. لاحظ الزخارف الملونة ، على سقف الخيمة ..

الى اليمين : في قدمي كل امرأة بموريتانيا خلخالان من الفضة .. تضعهما في قدميها منذ صغرها .. وتبيعهما عند الحاجة ... وثمن الخلخالين ١٥٠٠ فرنك افريقي ، أي نحو ٧ دولارات ونصف .. ومما يذكر أن الفضة المستعملة في صنعهما يجلبها الحجاج معهم عند عودتهم من السعودية على هيئة ريالات ...





بدات المرأة الموريتانية تشارك في بناء وطنها الى جانب الرجل بعد أن ظلت فترة طويلة تعيش فيها كما مهملا ، لا رأى لها ولا كلمة .. انها تتعلم في المدارس الابتدائية الى جانب الفتى .. ولكنها لا تلبث أن تنفصل عنه في فصول المرحلة الثانوية .. ان زيادة مدارس البنات وتعليمهن هو الكفيل بحل المشكلة .. ولكن ازمة المباني والمعلمات المؤهلات يجعل الحل صعبا .. وفي بوتليميت تعمل المرأة في زخرفة الجلود وصنع الوسائد والحقائب وسروج الجياد والجمال ، وتتوارث الفتاة هذه المهنة عن أمها منذ صغرها .. ويطلقون كلمة « ميكر°كيبّة » على الوسادة ، وتباع الواحدة منها بـ ٢٠٠ فرنك أى بدولار واحد ويستغرق عملها ثلاثة ايام . وتتجمع النساء حول الخيام والعشش ويشتركن في زخرفة الجلود وصنعها .

بلادهم، ما ينقصنا من حضارة مادية وثقافية..»

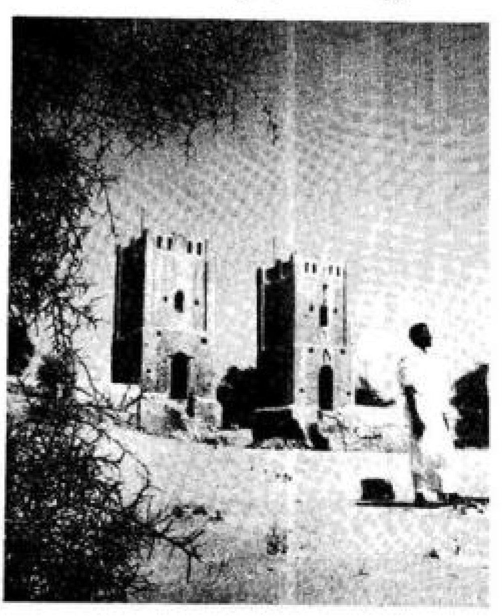
ووجه المختار ولد داده رئيس الجمهورية الوليدة رسالة الى اعضاء مجلس الجامعة العربية المجتمعين في بغداد عام ١٩٦٠ قال فيها :

« موريتانيا توجه الدعوة الى جميع الدول العربية الشقيقة من أجل التعاضد والتعاون مع الجميع».

لقد أرادوا بهاتين الكلمتين أن يطلقوا صرخة مدوية ، ولكن هيهات .. فلم تجد الكلمتان أى صدى لهما في الوطن العربي !؟

الحسنة .. بملايين أمثالها !

كان الموريتانيون في حالة فقر مدقع .. لم يكن عندهم مدارس أو مستشفيات او حتى مستوصفات، كانوا يعيشون حياة الفاقة والحرمان .. لم يكن عندهم شيء .. اى شيء .. ومع ذلك ادار لهم معظم العرب ، ظهورهم دون تفكير ، بينما فتحت لهم فرنسا ودول افريقيا الغربية أبوابها وقدمت لهم المساعدات والمعونات ..



اطلال مقر الحاكم العسكري الفرنسي السابق .. لقد اقاموا هذا البناء في بوتليميت عام ١٩١٠ على رأس تل ثم تركوه عندما غادروا البلاد .. وهو اليوم مهجور لا يسكنه احد ..

وحفظ الموريتاني العربي الاصيل هذا الجميل .. ولم يتأخر في رده بل اندفع المسئولون بقوة وبلا وعي ، يسددون ما اعتبروه دينا وجميلا يطوق أعناقهم.. فبدأوا بانكار ذاتهم ونفي صفة العروبة عن بلادهم ، فاسموها الجمهورية الاسلامية الموريتانية .. واندفعوا في انتقامهم من الذين اهملوا استغاثتهم ، فجعلوا من اللغة الفرنسية لغة البلاد الرسمية ، واكتفوا بجعل اللغة العربية لغة وطنية الى جانب خمس لهجات مختلفة . اى انهم جعلوا الدولة تنطق بالفرنسية، بينما الشعب يتحدث العربية !؟ .. ولم يكتفوا بهذا بل قدموا ثروات بلادهم الخيالية من حديد ونحاس وذهب واسماك ، قدموها هدية على طبق من الفضة ، الى الشركات الاجنبية تستغلها بشروط مربحة مجزية.

لماذا العودة

واليوم وبعد مضي نحو ثماني سنوات على استقلال موريتانيا نتوقف قليلا لنرى ما فعلته الاعوام بأهل تلك البلاد ، التى أسقطها العرب من حسابهم ..

لقد تحدثنا في استطلاعين سابقين عن شنقيط ونواكشوط العاصمة . فلماذا اذن العودة الى موريتانيا .. الم يكن كافيا ما سجلناه وقدمناه من صور للحياة في هذه البلاد ؟ والجواب على هذا انه كان لا بد من عودة الى الجزء الجنوبي من موريتانيا، لاننا في هذه البقعة الحساسة سوف نرى صورة جديدة تماما ، لا تمت بصلة الى ما سبق أن قدمناه .. انها صورة لما يحدث عندما تمتزج الحضارة العربية بالحضارة الافريقية ..

مأساتنا التقليدية تتكرر

لقد دخلت جيوش الاستعمار الفرنسي الى موريتانيا من جنوب البلاد عبر نهر السنغال عام ١٨٦٠ من بعد معارك مستمرة مع أهل ترارزة ، اى المقاطعة الجنوبية في موريتانيا .. كان الموريتانيون يعبرون النهر ويهاجمون القوات الفرنسية ببسالة فائقة ، رغم الفارق الكبير في العدد والعتاد .. وظلت المعارك تدور سجالا بين الطرفين ، وكفة العرب الراجحة .. ولكن قصتنا ، أو قل مأساتنا التقليدية المتوارثة ، بدأت تتكرر هنا على شاطىء نهر السنغال .. لقد ادارت خمرة النصر المبدئى الرؤوس ، فبدأت الدسائس والخلافات واتشغل العرب بخلافاتهم عن حربهم ، ممهدين بذلك الطريق



هجرة غير مشروعة تتدفق يوميا عبر نهر السنغال ، تحاول ان تطمس عروبة موريتانيا .. والعرب عنها غافلون ان الحل الوحيد للحفاظ على عروبة موريتانيا في الوقت الحاضر هو ايقاف التجنس وقفا تاما .. حتى يصبح للبلاد جهاز يحد من هذه الهجرة المريبة .. انها بداية فلسطين اخرى في اقصى الطرف الجنوبي الغربي من وطننا الكبير ..

امام المستعمر لدخول موريتانيا دون مقاومة الا في الأطراف الشمالية من البلاد .

غــزو جــديد

وعلى نفس الدرب الذى سلكته الجيــوش الغازية منذ اكثر من مائة عام ، شهدنا اليوم غزوا جديدا للبلاد ..هجرة عائمة على متن مئات القوارب .. جاءت تحمل أفواجا من مختلف الاجنــاس الافريقية ، تعبر بهم مسافة المائة متر ، من الضفة السنغالية لتنزلهم الى الضفة الموريتانية ، ثم تعود ثانية لترجع بافواج جديدة الى موريتانيا .. وهكذا طوال الليل والنهار .. فالدخول مبـاح دون تاشيرات او جوازات ، بين موريتانيا ودول اتحاد افريقيا الغربية !!

كل شيء من السنغال !!

لقد انقلبت الأوضاع كثيرا على هذا الطـريق الدولى النهرى ، فقديما كان كل شيء من اقمشة واسلحة وماشية وجلود وورق وشموع ،وسـكر وشاى وتوابل وغيرها ، كانت كلها تصدّر من موريتانيا الى السنغال .. أما اليوم فاصبحت أغلب الاشياء تأتى من السنغال الى موريتانيا .. حتى أهل السنغال أنفسهم يتركون بلادهم الى موريتانيا ليحتلوا ارفع المراكز بفضل اجادتهم التامة للغة الفرنسية ، التى هى اللغة الموريتانية الرسمية !

أوقفوا هذه الهجرة

والتف الشباب الموريتانى العربى حولنا يبثوننا مخاوفهم من هذه الهجرة غير المشروعة ويقولون :

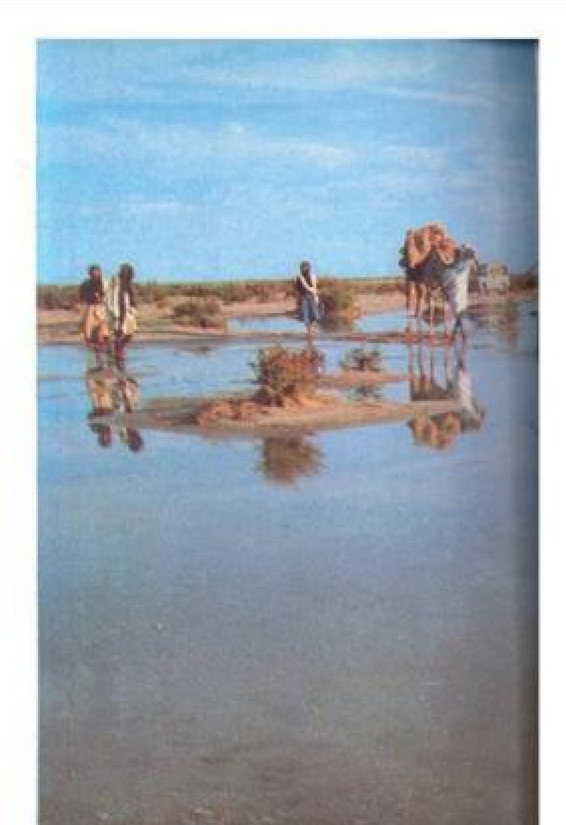
« على رغم ثقافتنا العربية العالية ، لا نجيـد اللغة الفرنسية ، لهذا نجد أبواب الوظائف مغلقة دائما في وجوهنا .. في حين أن القادم من جنوب افريقيا ، وساحل العاج ، والسنغال يحصل على الوظيفة في اليوم الاول من دخوله البلاد .. وفي اليوم الثانى يتزوج من زنجية موريتانية ليحوز الجنسية ، وفي اليوم الثالث يقول : أنا مواطن موريتانى .. وسرعان ما يتزوج ثلاثة أو أربعة وينجب الأطفال ويقول : هذه أرضنا وأنتم تزحتم اليهـا ..

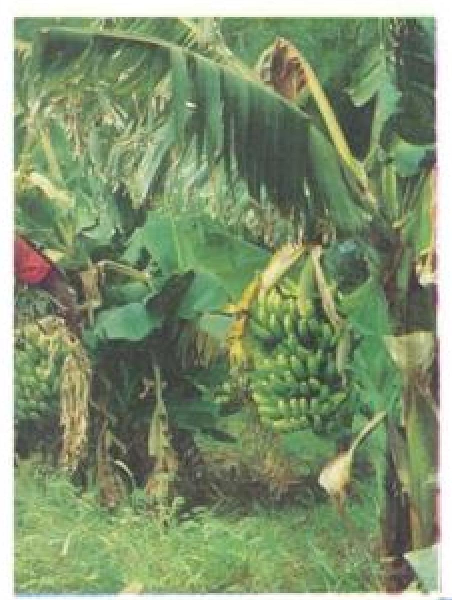
« انهم يتمركزون في المدن ، ونحن مشردون في البادية ..

« الوفيات بيننا كثيرة ، وبينهم قليلة ، لأنهم يقيمون بجوار المستشفيات ..

« كانت نسبتهم ٥ في المائة عام ١٩٦٠ فأصبحوا اليوم أكثر من ٢٥٪ .. وفي المدن ترتفع هـذه النسبة الى ٤٠ في المائة .. انه غزو منظم لتشريدنا من ديارنا ومنازلنا .. اننا سنؤكل خلال بضع

الى اليمين : الطريق الرئيسي من نواكشوط العاصمة الى مدينة القوارب .. طريق رملي طوله ٢١٤ كيلو مترا يتحول عندما تهطل الأمطار الى مستنقع كبير تسير عليه الجمال بحذر زائد .. ومما يذكر انه قد بدأت عملية رصف لهذا الطريق الحيوي .





يعتبر الجنوب الموريتاني من أخصب الاراضي الزراعية في العالم ، فهو يبعد ١٥ درجة عن خط الاستواء مما يجعله كثير الأمطار، أضف الى هذا مياه نهر السنغال التي ترويه .. وبالرغم من الوسائل البدائية المستعملة في الزراعة ، فان المحصول يأتي وفيرا ، كما ترى في الصورة العليا (الموز) ، أما الصورة اليمنى فهي لغابة أشجار العلك الصمغ العربي .. انها تنمو تلقائيا بدون عناية .. ويمكن لأي شخص أن يجمع الصمغ منها اذا خدش قشرتها بسكين .. ورغم انعدام العناية بهذه الأشجار التي يزيد عددها عن المليونين ، فان محصول موريتانيا من الصمغ الأبيض يصل الى نحو ٣٥٠٠ طن سنويا ..



الى اليمين : ليس هناك حرفة شريفة وحرفة حقيرة ... ان كل الحرف شريفة هكذا قال حاكم مدردرة لسكانها ، وبدأ هو باعطاء المثل لحمل الاحجار وبدأ يعمل مع العمال في بناء البلدة .. وسرعان ما تبعه السكان .. انها خطوة جبارة في سبيل القضاء على التقاليد البالية . التى تعتبر حجر عثرة في طريق تقدم البلاد

سنوات ، اذا لم تتوقف هذه الهجرة .. اننا فلسطين ثانية في الطرف الغربى من وطننا العربى الكبير » ..

أحفاد بلال ...

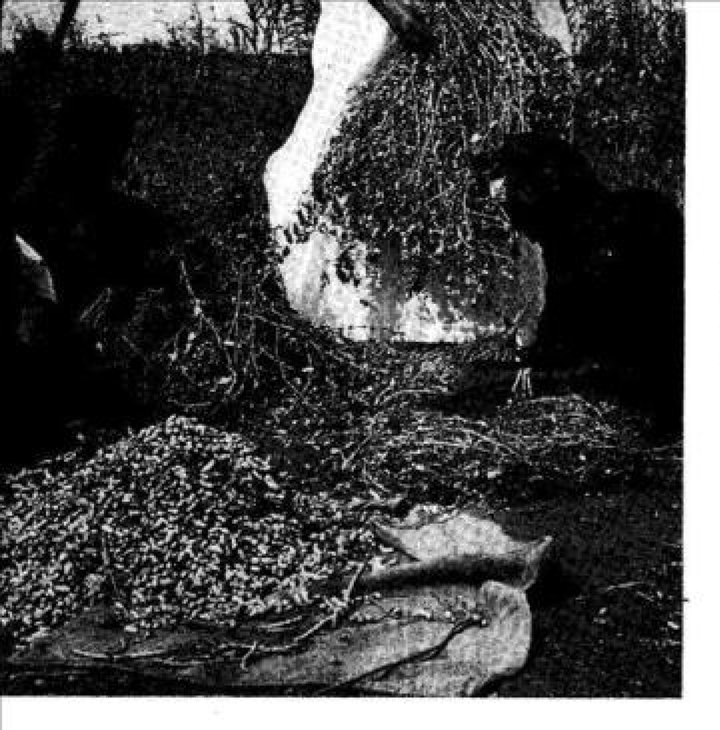
ونقلنا هذه « المخاوف » الى المسئولين .. فقال لنا ساموري ولند بيا ، حاكم مدينة القوارب (روسو) : « نحن نعيش في سلام آمنين مع اخواننا السنغاليين منذ عشرات السنين ..والقرى العربية تقوم بجانب قرى سنغالية .. وفي مدينة القوارب يعيش سبعة آلاف نسمة من عرب وسنغاليين في أمان وهدوء .. وفي داخل البلاد انصهر السود في البوتقة العربية .. انهم أحفاد « بلال » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم مواطنون صالحون يقومون بتأدية واجباتهم الوطنية في حدود القوانين .. والمعارضة الوحيدة التى يقومون بها هى معارضة المثقفين منهم لمبدأ فرض اللغة العربية عليهم .. »

منظمة الفرنك

وعلى شاطىء نهر السنغال وقفنا نتأمل «المعدية» الكبيرة ، وعشرات القوارب الصغيرة تنقل عشرات الافراد نظير عشرة فرنكات افريقية للشخص الواحد **(٢٠٠فرنك افريقى=دولارا واحدا). ان هذا الفرنك الافريقى هو العملة المتداولة في موريتانيا ، والسنغال ، وساحل العاج ، وداهومى ، وتوجو ، وفولتا العليا ، والنيجر .. ان هذه الدول ترتبط مع بعضها في اتحاد نقدى ، يسمح بتحرك الفرنك مع الافريقيين القادمين والمسافرين دون أية قيود.**

ومن المؤسف ان موريتانيا هى التى تدفع دائما .. فهى تدفع المرتبات للموظفين السنغاليين ، الذين يحولون نقودهم الى السنغال .. وهى التى تدفع ثمن ما تستورده البلاد ـ وكل شيء في موريتانيا مستورد ـ الباذنجان والكوسا والخضراوات ثانيها من دكار عاصمة السنغال .. والتفاح والانجاص والدراق (الخوخ) من فرنسا .. والفواكه من المغرب ودكار واسبانيا ..

وتعجبنا من هذا الوضع الشاذ ..فنهر السنغال الذى يشبه نهر النيل في غزارة مياهه التى تندفع بمعدل ١٨٠٠ قدم مكعب في الثانية لتضيع هباء في المحيط الأطلسي . هذا النهر لماذا لا يستفيد الموريتانيون منه ؟ .. ان الارض الطيبة الخصبة ، تمتد مسافة عشرة كيلومترات داخل موريتانيا بمحاذاة النهر .. وقد تجولنا فيها ، ولم نشهد موريتانيا « واحدا »يزرع، وانما العمال المأجورون هم وحدهم الذين يزرعون ..



الى اليسار : الفول السوداني أو (فستق العبيد) كما يسمونه ينمو بنجاح هائل على الساحل الموريتاني . ان السنغال قد صنّعت هذا الفول السوداني تستخرج منه الزيت للمائدة ، وتطحنه لتستخلص زبدة الفول .. اما موريتانيا فتكتفي بتصديره خاما بثمن بخس.

المشكلة رقم ١

ان مشكلة موريتانيا الأولى هى الحياة البدوية التى يحياها نحو ٨٠٪ من مجموع عدد السكان ، يتنقلون من منطقة الى أخرى ، داخل المليون كيلو متر مربع التى تتكون منها جمهورية موريتانيا.

وتحدث الينا وزير التربية والتعليم الموريتاني، السيد أعلى ولد علاف ، عن هذه المشكلة وأثرها على التعليم فقال : « بدأنا نفتتح مدارس في أماكن بالبادية،اعتقدنا أن البدو مستقرون فيها ، ولكنا فوجئنا بعد فترة بارتحال القبيلة بأكملها .. فبقيت المدرسة بلا تلاميذ ..

« ولكن وزارة التربية لم تيأس وانما عمدت الى خلق مدارس متنقلة ، تتكون عندما يتجمع عدد من الطلبة لا يقل عن العشرين فترسل الوزارة الى قبيلتهم أستاذا يتنقل معهم في ترحالهم وتجوالهم، ويعلّم أبناءهم دروس الفصلين الأول والثاني .. وبعدها يرسل الطلبة المتفوقون الى مدارس داخلية ثابتة في القرى والمدن ، بعيدا عن محيط العائلة المتنقلة ، حيث يتعلمون حتى نهاية دراستهم الابتدائية .. وتتولى البلديات مهمة الانفاق عليهم، وتأمين المأكل والمسكن للتلاميذ بالمجان ..

« وهذه المدارس المتنقلة مع البدو يقل عددها سنويا .. فقد بدأ الشعب يستقر في أماكن ثابتة، وبدأت القرى تظهر في أماكن عديدة من البلاد .. »

الى مدينة العلم والمعرفة

وفي الجنوب الموريتاني تقع مدينة بوتليميت تلك التى اشتهرت بمركزها الثقافي الكبير ، والتى تصفها النشرات الرسمية الموريتانية بقولها :
« .. ومدينة بوتليميت هى مدينة العلم والمعرفة ، وفيها معهد للدراسات العليا ، يتلقى فيه أكثر من ٤٠٠ طالب تعليما اسلاميا عربيا عصريا ثانويا .. »

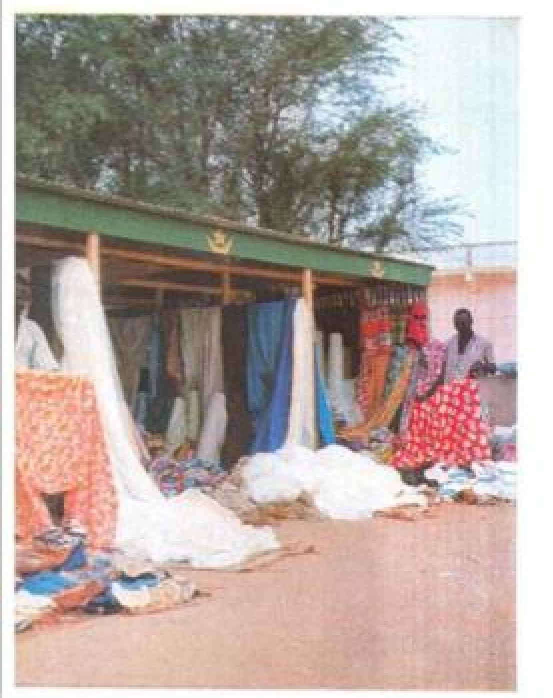
وانطلقنا الى مدينة العلم والمعرفة على الطريق الرملى الرئيسي المبتدىء من نواكشوط العاصمة .. ان جميع الطرق الرئيسية في موريتانيا غير مرصوفة .. وقد قدمت وعود كثيرة ، من دول مختلفة ، لتعبيد ورصف هذه الطرق ، ولكن حتى ساعة وجودنا هناك ، لم يكن أى وعد منها قد نفذ بعد !

ووصلنا بعد رحلة شاقة الى بوتليميت .. انها « قرية » تنزوى في هدوء بين « طموس » الرمال .. نصف مبانيها خيام ، والنصف الباقى منازل من طابق واحد ..

في موريتانيا ثمانية ملايين رأس ماعز وغنم .. ان « الموالي » الذين يرعون هذه القطعان أصبحوا يملكون عددا كبيرا منها بفضل عملهم وكدهم .. وما زالوا الى اليوم يأخذون معهم ماعز وأغنام الجيران للرعي مع قطعانهم مقابل مبلغ من المال .. ومما يذكر أنهم يخلطون حليب الماعز مع حليب الناقة وقليل من الماء والسكر ، يشربونه عندما يكون الجو حارا ، أما في الأيام الباردة فيشربون الحليب صافيا .

الى أسفل : مكتبة الشيخ عبد الله ولد سيدية أحد العلماء المرموقين في موريتانيا .. انها محفوظة داخل حقائب خشبية وحديدية .. اطلعنا على كتبها فوجدنا لسان العرب ، وتاج العروس ، والأغاني والكامل لابن الأثير ، وغيرها .. انها مكتبة شخصية ، ولكن الشيخ يقرض كتبها لمن يطلبها .

اقام اهل بوتليميت هذا الحفل الراقص ترحيبا ببعثة « العربي » .. انها أول مرة يصل فيها مندوبون عن مجلة عربية الى بوتليميت .. ويبدأ الرقص بدقات سريعة على الطبل الكبير تؤديها مجموعة من النساء ، ثم يدخل رجلان الى وسط الحلقة ، يحمل كل منهما عصا صغيرة ، يتقارعان بهما ، مثل رقصة التحطيب في صعيد مصر .. ويشتد حماس الحاضرين من نساء ورجال ، ويتعالى الغناء والتصفيق والزغاريد وضربات العصي ..



الى اليسار : السوق العام في مدينة القوارب .. ويبدو فيها اثنان من أبناء افريقيا يقومان ببيع الأقمشة الملونة للنساء القادمات عبر السنغال .. لان المرأة الموريتانية لم تزل بعد هذا النوع من الاقمشة الملونه الزاهية .

يحفظون ألفية ابن مالك

وطلبنا من حاكم المدينة محمد المويلد أن يحدثنا عن مدينته فقال : « عدد الأهالى في منطقة بوتليميت يزيد على ٦٠ ألف نسمة ، ثلاثة الآف منهم يعيشون في المدينة والباقى بدو رحل ... وجميع السكان عندنا يحفظون القرآن الكريم والفية ابن مالك .. وأغلبهم تجار ، وتزدهر عندنا الصناعات اليدوية من فضية وجلدية ..

« أما اسم بوتليميت فمشتق من كلمتين : «بو» وتعنى صاحب .. و « تليميت » اسم نبات قديم .

ضريبة على الجماهير وعلى الماشية !

ويتابع حاكم المدينة العام حديثه بقوله : « والبلدية في بوتليميت تكونت عام ١٩٦٢ وبدات كل شيء من الصفر ، وايراداتها تأتيها من الضرائب المفروضة على الجماهير والماشية .. وأهم مصروفات البلدية هى الـ ٣٥٠ فرنكا - أى أقل من دولارين التى تدفعها شهريا لكل طالب من الطلبة السبعمائة الذين يتلقون تعليمهم في مدرستين بالمدينة .. هذا فضلا عن معهدنا الدينى الثانوى الكبير .. »



نريد منحا دراسية عربية .. نريد ان نتعلم لغتنا الام على الطريقة الحديثة .. هذا ما قاله لنا طلبة المعهد الدينى فى بوتليميت وهو المعهد الذى ابدلت وزارة التربية اسمه الى المعهد الوطنى للدراسات العليا ، ودعمته بمجموعة من الأساتذة العرب الذين يعملون في ظروف صعبة للغاية ، لسوء حالة المعهد من الناحيتين الغذائية والصحية ..

المعهد الدينى يستغيث

واتجهنا الى المعهد الدينى ونحن مؤمنون باننا سنرى تعليما حديثا فى هذا المعهد الذى طالما سمعناهم يتفاخرون به .. ولكن للاسف رأينا التعليم يسير في معظم الحصص على نفس الأسلوب القديم ، ورغم محاولة تطعيم هيئة التدريس بأساتذة عرب الا أن عدد الطلبة كان متجها الى التناقص المستمر .. فمن ٤٠٠ طالب نزل العدد الى ١٥٠ طالبا ..

ان هذا المعهد الدينى الاسلامى الوحيد من نوعه في هذه المنطقة النائية يستصرخ الهيئات الاسلامية في جميع أنحاء وطننا العربى الكبير .. انه في حاجة الى كل شيء .. الى الأساتذة المتخصصين .. والى التبرعات والكتب .. حتى الملبس والمأكل الصحى هم فى حاجة اليهما .

الاهتمام بالموتى .. أولا !

ورحنا نتجول في شوارع بوتليميت ، نتأمل منازلها ونتعجب من أمورها .. وكادت بشاشة حاكم بوتليميت وحسن ضيافته ، تنسيانا صورة المدينة المتدهورة التى لم تعرف الكهرباء ولا آلات تعبيد الطرق .. ويبدو أن البلدية تفكر كثيرا فى حياة الآخرة قبل الحياة الحاضرة ، فاقامت مغسلة لغسل جثث الموتى ، قبل أن تقيم مغسلة ، أو حتى مرحاضا للاحياء ! .

« أقمار صناعية » حول مِدِرْدِرة !!

وودعنا بوتليميت الوادعة القانعة بنصيبها ، واتجهنا جنوبا صوب نهر السنغال ، فمررنا ببلدة صغيرة أنيقة نظيفة تدعى « مِدِرْدِرة » .. انها تبنى نفسها لترتفع الى مرتبة القرية فى القريب العاجل .. وان كانت الامال تهدف الى جعلها مدينة ... المسئولون فيها يشتركون مع الاهالى في حمل الاحجار وتشييد المبانى ، لقد اعطتهم





العِرْق العربي الاصيل انتقل بالوراثة الى ابناء موريتانيا ، الذى حافظوا عليه بغيرة زائدة فلم يختلطوا بعروق أخرى .. القامة الهيفاء المعتدلة .. والوجه الطويل .. والفم الصغير .. والشفتان الرقيقتان .. والانف الدقيق .. والعينان السوداوان .. والراس المستطيل .. والبشرة القمحية .. كل هذه الصفات تشهدها في هاتين الصورتين ، وهما لفتاة وشاب من موريتانيا .

الحكومة ٧ ملايين فرنك افريقي ليبنوا « مدينتهم » .. فقرروا تشييد مدرسة تتسع لسبعين طالبا ، ومستوصفا ، ومبنى للشرطة .. ان عدد سكان مِدِرْدِرة يقرب من الالف ، لكن هناك ٣٦ الف نسمة يدورون ويتنقلون حول المدينة ، دون ان يستقروا فيها . انهم اهلها من البدو الرُّحَّل الذين لم يستقروا بعد في قرى أو مدن ..

الشاى .. والقات !

ودعانا حاكم مدردرة محمد ولد خليل ، لشرب الشاى في منزله .. وجلسنا في الحديقة فوق الزرابى المتعددة الالوان ، لنشرب الشاى .. وما ادراك ماهو الشاى في موريتانيا . انها تستورد منه ١٠٠٠ طن سنويا .. والادمان عليه يكاد يشبه الى حد بعيد الادمان على « تخزين القات » في اليمن! كلاهما فيه مضيعة للوقت والجهد والمال..

وتبدأ عملية تحضير الشاى وسط الجالسين.. بوضع الفحم في الموقد ، ويبدأ « القائم » اى المشرف على تحضير الشاى ، بوضع الماء فوق الفحم حتى يغلى تماما .. فيسكبه في ابريق فضى به الشاى الاخضر ، ويضيف اليه النعناع والسكر المصنوع على هيئة قوالب (شكل مخروطى كبير) .. ثم يصب الشاى في الاقداح الصغيرة المتراصة امامه ، وما يكاد ينتهي من تعبئتها حتى يعاود تفريغها في الابريق الفضي ثانية،ليتم الامتزاج تماما بين الشاى والنعناع والسكر .. وبعدها يصب « القائم » جرعة من الشاى في قدح صغير، ويأخذ رشفة منه لمعرفة درجة جودته وحلاوته .. فاذا راى اضافة غصن نعناع او قطعةسكر اضافها، ثم يعاود عملية الخلط من جديد ، ويأخذ جرعة على سبيل التجربة ، فاذا وجده مستساغا حلوا سكبه في الاقداح الصغيرة وقدمه للجالسين ..

لقد استغرقت هذه العملية ٢٠ دقيقة كاملة ظننا بعدها ان « حفل الشاى » قد انتهى .. ولكن مرافقنا اومأ الينا بالانتظار .. وبدأت عملية غلى الماء من جديد .. وصبه على الشاى والنعناع القديم في الابريق الفضي .. وأعيد توزيع الاقداح



الى اليسار : لم تعد مبررات الحياة البدوية منطقية أو معقولة في عصرنا الحالي .. والصورة اليسرى توضح لك الخيام التي يعيش تحتها افراد ثلاث قبائل بالقرب من مدينة القوارب .. ان مشكلة المشاكل في موريتانيا هي في توطين وتدريب البدو .. وهذا لن يتحقق بدون مساعدة البلاد العربية ..

الى أسفل : وجوه عربية من موريتانيا .. ان تغطية الرأس ضرورية .. ويسمون غطاء الرأس اللثام أو الحولي انه قطعة قماش طولها خمسة أمتار ، يختلف لونها من الازرق الى الابيض الى الاسود حسب ذوق صاحبها .



الى اسفل : الفتاة الموريتانية الحديثة في بوتليميت .. ان نقاب الوجه واليدين لا وجود لهما ، وتكتفي المرأة بارتداء المِلْحَفة الزرقاء والبيضاء والسوداء ... لقد حصلت المرأة على حقوقها السياسية رسميا .. ولكن الأزواج يعارضون منحها هذا الحق .

الصغيرة فشربها الناس بنهم زائد .. وعندما بدأ غلى الماء للمرة الثالثة كادت أعصابنا تنهار، ولكننا تحاملنا وشربنا القدح الثالث حتى الثمالة !

« نجعدوا نتونسوا »

لقد اضعنا اكثر من ساعة ، فى هذه الجلسة نجرع اقداح الشاى الاخضر الواحد تلو الاخر ، ونستمع الى الاحاديث عن فوائد الشاى ، وكيف انه يفتح الذهن .. ان طعمه يتبدل في كل مرة تدور فيها الاقداح ، وخاصة عند القدح الثاني ، الذى هو القدح المفضل ..

ومن الناس من يقدم سبعة اقداح من الشاى فى الجلسة الواحدة ، يقتلون الوقت خلالها وهم يتحدثون بلهجة تسمعها لاول وهلة فتظن انك تسمع العربية ،ولكن سرعان ما تكتشف انها لهجتهم الحسانية التي يتحدثون بها بسرعة غريبة ..وهذا نموذج من كلامهم :

« احنا تبْغوا نِجْعِدوا نِتْونَسوا ونِحَاجوا اعل اتاى ساعة طويلة اياك يستراحوا خطارنا وينبسطوا .. »

ومعناها :

« نحن نرغب فى الجلوس نتسامر ونتحدث حول الشاى لفترة طويلة عسى استراحوا زوارنا وانبسطوا .. »

انها اللهجة الحسانية ، اى العربية التي اضيفت اليها مفردات بربرية وبعض الكلمات الفرنسية ، فجاء هذا الخليط من الكلام . ، والموريتانى يعشق الاحاديث والكلام بهذه اللغة ، حتى خيل الينا انهم يتكلمون اثناء نومهم !

حنين الى حليب الناقة

وتركنا ميدردرة تبنى نفسها وتشرب شايها الاخضر اللذيذ ـ !! ـ واتجهنا الى نهر السنغال فوق ارض تبدلت طبيعتها تماما .. من رملية صحراوية الى طينية حمراء تغطيها النباتات .

انها مراع مترامية فسيحة ، يسكنها عشرات الالوف من البدو الرحل ، انها جنتهم المفضلة ، يتنقلون فيها حسبما يريدون..حتى قال السعودى يصف البدو بقوله : « ان البدوى مَلَكَ الأرض ولم تملكه » .. والى هذه الارض الواسعةالخضراء يحن البدو الذين استقروا فى المدن ، فتجدهم يهرعون اليها مع عائلاتهم فى سياراتهم الستيروين



مجنون طليق !! فالذى يصاب بالجنون عندهم لايكون طليقا ابدا .. انهم يربطونه بالسلاسل الى جذع شجرة كبيرة بعيدا عن العقلاء الذين قرروا وحدهم انه مجنون .. فلا مستشفيات ولا اطباء يرعون هذه الانسانية المعذبة .. انها صورة من بوتليميت مدينة « العقلاء والعلماء والعارفين » .. ولكن كيف افلت هذا الصغير « المجنون » ؟ انهم يطلقونه مدة ساعتين فى اليوم ، يعود بعدها الى جذع الشجرة .. لانه ثبت لهم ان جنونه ليس من النوع الخطر !!! صيحة يطلقها هذا البرىء الى اطبائنا العرب

والبيجو والرينو الفرنسية ، يقضون أيام العطلات تحت الخباء ، يشربون حليب الناقة وياكلون الكسكسى مع الخروف او الماعز المشوى ، وهم فى غاية السرور والانشراح .. انهم يعودون الى طبيعتهم الاولى التى الفوها بعيدا عن التعقيدات والمجاملات والنفاق ..

لم تتعود على السيارات بعد

ووسط هذه الطبيعة الساحرة انطلقت سيارة اللاند روفر تقطع بنا الطريق الرملي .. وكم من مرة توقفت ونزل منها السائق ليزيح بقايا الطيور المسكينة التي كانت تندفع نحو مقدمة السيارة فتصطدم بها ، وتسقط صرعى .. انها لم تتعود على رؤية السيارات بكثرة فى المنطقة ..

ان الجنوب الموريتانى هو موطن الهدهد المخطط الشيرى .. والحمام الازرق الجمرى .. والغراب الابقع ، اى الذى تتخلل سواده دائرة بيضاء حول عنقه ..



يشتهر سكان بوتليميت بصناعة الفضة .. ومن الغريب انهم يشتركون مع اهل السعودية واليمن وعمان في طريقة صنعها ، رغم الوف الاميال التى تفصل بينهم .. يصهرون الريالات الفضية التى تأتيهم من العربية السعودية ويحولونها الى اباريق للشاى ، واساور وخلاخيل وغلايين للتدخين ..

آخر العنقود .. سكر « محروق » !!

وبعد رحلة طويلة شاقة وصلنا الى آخر مدننا العربية .. وصلنا الى القوارب او « روسو » .. وياليتنا ما وصلناها فهي مدينة تعافها النفس ، ينظر اليك اهلها نظرة كلها ريبة وشك .. وتظل تحت رقابة خفية لاتدرى سببها .. انها مدينة ذات حساسية زائدة فهى آخر بلد فى الطرف الجنوبي الغربي من وطننا العربي الكبير .. وفى هذه المدينة يتم اللقاء بين الحضارة العربية والحضارة الافريقية .. ويزيدهما امتزاجا رابط الدين الذى يجمع بين اهل السنغال واهل موريتانيا.

الزراعة طوال العام

وعدد سكان «القوارب» سبعة آلاف نسمة يعمل معظمهم فى التجارة .. أما الزراعة فيعمل فيها ابن السنغال كما سبق ان ذكرنا .. وفي محاولة من الحكومة لتحسين الوضع الزراعى جلبت الى البلاد بعثة من المزارعين الصينيين لعمل التجارب على محاصيل جديدة من قصب السكر والارز والذرة .. ان هدفهم من هذه التجارب هو معرفة مدى صلاحية الارض الطيبة لزراعة هذه المحاصيل الثلاثة طوال ايام السنة ؟!



هذه هى سيارة الاجرة في مدينة القوارب ، حصان يجر عربة صغيرة ، يجلس الركاب في مقعدها الامامى ، والسائق في المقعد الخلفى ..

نحن سنزرع !

وحدثنا رئيس البعثة الزراعية الصيني فقال :

« .. ان هذه الارض الطيبة الغنية يمكن ان تصبح مزرعة تمد موريتانيا واقطار اوربا بحاجتها من الخضراوات .. ان كل شيء ممكن زراعته هنا من برتقال وليمون ومانجو وموز وقطن وغيرها .. ولكن المشكلة هي : من يزرع ؟ »

وتحدثنا الى الشباب وطرحنا عليهم السؤال : لماذا لا تزرعون فاجابوا بصوت واحد : « نريد أن نزرع ولكن الفرصة لا تتاح لنا ان التدريب والامكانيات ينقصاننا .. ان الزراعة لم تكن في يوم ما مهنة حقيرة .. انها أشرف مهنة .. ولكن الذى نريده هو انشاء مدارس ومعاهد لتدريبنا على طرق حديثة لزراعة انواع جديدة تدر ربحا مجزيا .. وليس صحيحا اننا كلنا لا نزرع بل هناك أسر محترمة تحترف الزراعة .. وقد تستعين باليد العاملة لمساعدتها .. اننا نريد جمعيات تعاونية تؤجر لنا آلات الحصاد والحرث وتمدنا بالبذور والاشتال .. وعندها سنصبح جميعا فلاحين .. »

دمعة .. !

ان مدينة القوارب مدينة تدور فى حلقة مفرغة.. لقد فقدت شخصيتها .. اضاعتها وسط الوف الاجانب النازحين اليها .. انها اليوم تبحث عنها وتبذل محاولات فردية يائسة للعثور عليها ..

وعند الغروب ، وفى مساء كل يوم يقف الموريتاني العربى على ضفة نهر السنغال ينظر الى القوارب تنساب فوق المياه فى طريقها الى مدينته العربية « القوارب » حاملة معها مجموعات عجيبة من الخلق .. نساء بملابسهن النايلون الزاهية الالوان ، يحملن الاطفال خلف ظهورهن .. ورجال يرتدون قمصانا مفتوحة ، ويمسكون بمسواك يجلون به اسنانهم البيضاء .. ان هدفهم العمل فى موريتانيا ..والحصول على الجنسية الموريتانية .. كل هذا فى غفلة عن الشعوب العربية ..

اننا بتجاهلنا واهمالنا لموريتانيا نساعد فى القضاء على عروبتها ، وانسلاخها عن وطنها العربي الكبير .. محققين بذلك آمال المستعمرين ومكائد الاقتصاديين العالميين الذين يستغلون مواردها وثرواتها الطبيعية الثمينة بابخس الاثمان ..

هل ستجد صدى ؟!

وافقنا من تاملاتنا على دوى صفير « المعدية » وهي تقترب من شاطىء موريتانيا حاملة فوجا جديدا من النازحين الى هذا البلد العربي الاصيل .. ثم سكت صوت الصفير ليرتفع صوت مرافقنا ، يردد تلك الكلمات التي انطلقت بعد استقلال موريتانيا فى سماء العواصم العربية ، على لسان مبعوثها فى لبنان : « ايها الاخوان العرب .. اناشدكم الله .. اناشدكم بحق العروبة والاسلام .. الا تسلمونا للاجنبى .. » .

كان هذا منذ عشر سنوات ، ولم تجد كلماته يومها صدى .. ونحن نعود اليوم فنرددها .. ترى هل ستجد اذنا صاغية ؟!؟ ■■

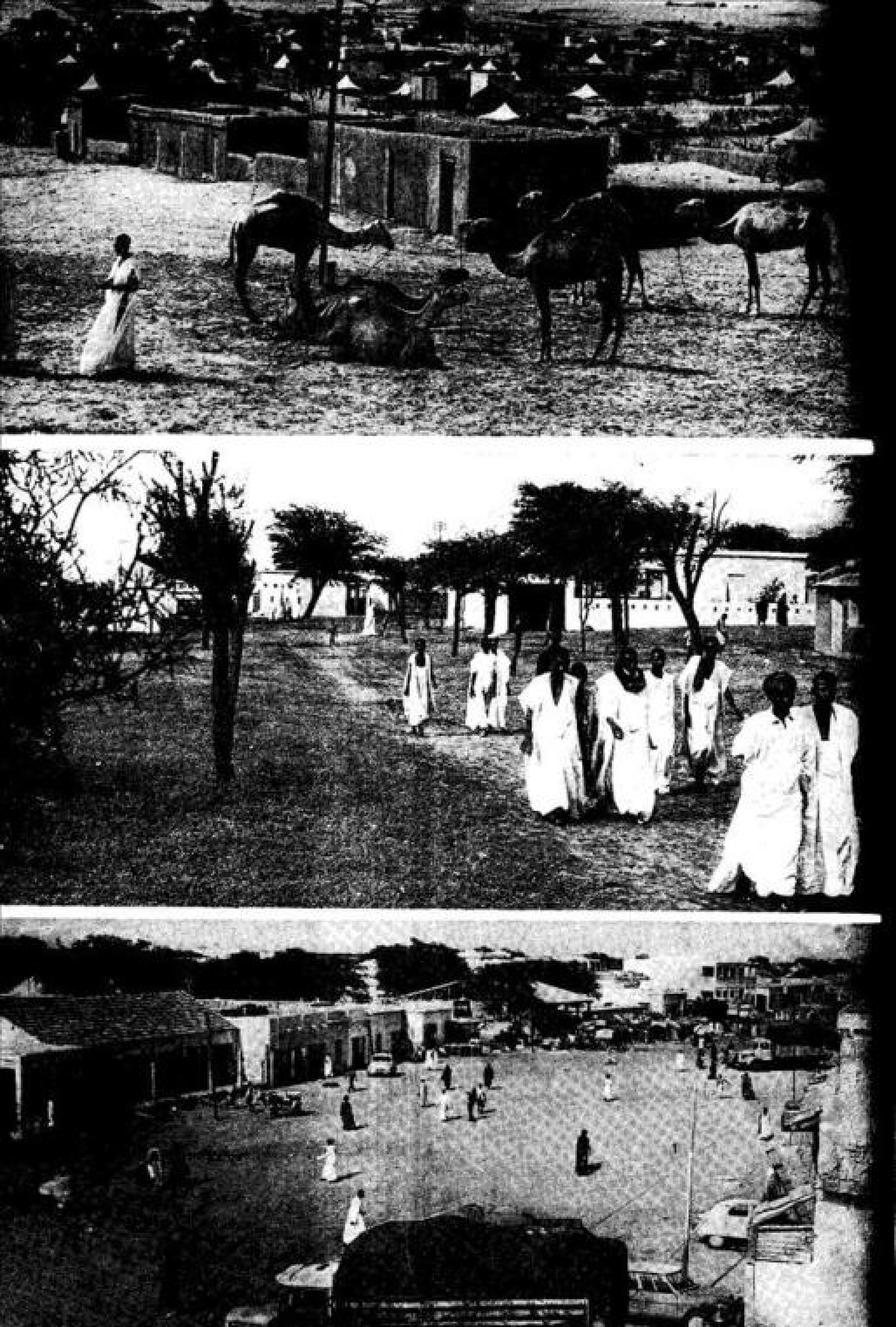
سليم زبال

الى اليسار : ثلاث صور من ثلاث مدن في جنوب موريتانيا :

١ ــ هذه هي مدينة بوتليميت او منارة العروبة والاسلام فى اقصى الطرف الغربي من وطننا الكبير .. ان اهلها يقضون الصيف تحت الخباء (الخيمة) .. والشتاء داخل المنزل الحجرى !!

٢ ــ الشارع الرئيسي في ميدَرْدرَة بلدة النظافة والاناقة .. وتخضع الملابس التى يرتديها الناس الى تقاليد وعادات ، فمن الناحية الشرعية ممنوع على الرجال لبس الحرير والذهب ، ما عدا الخاتم في الاصبع .. (لا بد أن يكون من الفضة حتى يكون مباحا) أما ملبسهم العادى فهو الدرّاعة المصنوعة من القطن او الكتان أو الصوف .. انها جلباب فضفاض ، فيه جيب ، يضعون فيه المحفظة ، و « الطوبة » و « المقلم » وهما نوعان من غلايين التدخين الصغيرة

٣ ــ هذه هي مدينة القوارب (روسو) آخر مدينة فى الجناح الجنوبي الغربي لوطننا الكبير ، تلتقى عندها حضارة العرب بحضارة افريقيا .. انها مدينة فقدت طابعها .. وكل شيء فيها يثير الاعصاب .



كيف تنسق واجباتها الثلاثة

بقلم : منير نصيف

■ هل تغير عالم المراة ؟

ان عالم اليوم غير عالم الأمس ، والعصر الذى عاش فيه آباؤنا واجدادنا قد ولى الى غير رجعة .. فزوجة اليوم غير زوجة الأمس ، وأم الجيل الجديد غير أم الجيل القديم .

لم تعد المراة زوجة وأما فحسب. ولم يعد دورها مقصورا على انجاب الأطفال وتربيتهم والاشراف على شئون البيت.. لم تعد امراة القرن العشرين تلك الملكة التى تجلس على عرش مملكتها الصغيرة داخل جدار بيتها الذى لا تبرحه .. فقد خرجت وتعلمت وعملت ، واصبحت تنافس الرجل في ميادين الحياة ..

أعباء جديدة

فقد نجحت المراة في انتزاع حقوقها ، ولكنها في نفس الوقت اضافت الى اعبائها ، أعباء جديدة .. وقد ادى هذا الى الحيرة التى تملكتها في كثير من الاحيان وهى ترى جهدها موزعا بين واجباتها كزوجة وام عاملة في وقت واحد .. وتطوع الكثيرون لمساعدتها بآرائهم وابحاثهم التى امتلات بها الصحف .. وصدرت الكتب العديدة التى تحمل آراء الباحثين والاخصائيين الاجتماعيين .. وكانت كلها تجيب على سؤالها الحائر :

« كيف استطيع ان اوفق بين واجباتى كزوجة وأم في البيت وبين عملى خارج البيت ؟ » .

تضحية .. ولكن

وقرات المراة ما قدموه لها من نصائح .. فاذا بها تحمل نفس الطابع التقليدى الممل :

« ليس لدينا يا سيدتى راى متفق عليه ، فلكل امراة ظروفها الخاصة .. ولا بد لها أن تكيف حياتها وفقا لهذه الظروف .. فاذا وجدت عملك خارج البيت يتعارض مع واجباتك في البيت ، فلا بد ان تضحى بعملك من اجل سعادة بيتك وزوجك واطفالك . »

وكان واضحا ان هذا الراى لم يجب على تساؤل المراة ، ولا هو قدم حلا لمشكلاتها ، وانما فرض عليها تضحية لا بد منها .. فهى تريد فعلا ان تعرف كيف تستطيع أن تنسق بين واجباتها الثلاثة .. ولكنها لم تشر اطلاقا الى استعدادها للتضحية باى من هذه الواجبات ! »

تفكير المراة

وقبل ان ننقل راى الاخصائيين فى هذه التضحية نتوقف قليلا لنستعرض تفكير المراة اليوم، ونعنى بها امراة القرن العشرين ، وكيف تنظر الى

مستقبلها وحياتها وسط هـــذا العالم المتطور المتغير !

لقد تمتعت المرأة ، بحق التعليم في جميـع مراحله ، وهي ليست على استعداد في الغالب ، لان تضحي بهذا الحق مقابل اى شيء ، حتى لو كان الزوج نفسه ، الذى كثيرا ما يحدث أن يدق بابها ، وهي بعد لم تكمل تعليمها الجامعى . فنجدها تقف موقفا مشرفا لها ولكل بنات جنسها، عندما تسر لوالديها برغبتها : « لا مانـع عندي من أن تعلن الخطوبة .. ولكنني أرى ألا يتـم الزواج ، قبل أن أكمل مرحلة تعليمي الجامعى !»

الزَّوْجَة

التعليم ضمان للمستقبل

فهي تشعر أن تخرجها وحصولها على شهادة جامعية ، هو خير ضمان لحياتها ومستقبلها حتى بعد الزواج : أو كما تقول الاخصائية الاجتماعية الدكتورة ماريون ليرد Marion laird ، : « أن التعليم وسيلة من الوسائل التى أعادت للمـرأة ثقتها بنفسها ، ونمت فيها تلك الرغبة التى طالما تاقت لتحقيقها ، وهى أن تسهم في تنمية وتطـوير مجتمعها . لا بانجاب وتربية الأطفال تربية صالحة فحسب ، بل وبالمشاركة في مختلف أوجه النشاط الاجتماعى والاقتصادى والسياسي أيضا .. تلك التى كانت مقصورة على الرجل وحده قبل أن تنال المرأة حقوقها ..

العمل قبل الزواج



وقد تلتحق الفتاة بوظيفة ، وتعمل قبل الزواج، وقد تستمر في عملها بعد الزواج ، وخاصة اذا وجد الزوجان ، أن دخل الزوج وحده لا يكفى متطلبات حياتهما الجديدة .. ولكنها لا تكاد تضع مولودها الأول حتى تشعر أن واجبها نحو طفلها ، أهم بكثير من وظيفتها وعملها ، حتى لو كانت في حاجة الى مرتبها من هذه الوظيفة !

ونعود الى التساؤل الذى طرحناه في بدايـة هذه الكلمة : « هل تستطيع مثل هذه الأم ان توفق بين واجباتها في البيت كزوجة وأم لطفـل رضيع ، وبين عملها خارج البيت ؟ »



اجازة وضع للأم

لقد أوصى الاخصائيون بمنح الأم اجازة وضع تتراوح بين ثلاثة واربعة اشهر ، ومنحوها اجازة اخرى طويلة بدون مرتب ، طالما ان طفلها في حاجة اليها .. ومعنى هذا انها تستطيع أن تستأنف عملها بمجرد أن يكبر طفلها ويصبح في سن تستطيع معها ان تطمئن الى تركه في دور الحضانة التى انشئت خصيصا لمساعدة الأم التى تضطر الى العمل اضطرارا نظرا لحاجتها الى المال وعجزها عن ان تجد احدا يمكن ان تطمئن له فتترك طفلها في رعايته اثناء غيابها عن البيت في عملها ..

آخر الحلول !

ولو ان الالتجاء الى هذه الدور كان دائما آخر الحلول التى تستعين بها الام ، نظرا لافتقارها الى جو الأسرة الذى تحرص كل أم على تنشئةطفلها فيه .. ولهذا نجدها تلجأ أولا الى أسرتها هى باحثة بين افرادها عن بديل لها ، يمكن أن يعطى طفلها الحب والحنان اللذين يحتاج اليهما في هذه السن المبكرة ، طوال فترة غيابها عن البيت .. فاذا أعياها البحث ، حملته وذهبت به الى دار الحضانة كملجأ أخير ..

على أنه اذا استطاعت الام أن تعتمد على هذه الدور في رعاية طفلها حتى يبلغ سن الذهاب الى المدرسة ، فهى قد وفقت في حل مشكلتها الأساسية .. مشكلة الجمع بين الأمومة والوظيفة في وقت واحد .. وربما هذا هو الذى عناه الباحثون عندما نصحوا الام بأن تضحى بعملها من أجل اطفالها ..

الجانب السيكولوجى للمشكلة

وقد تضطر الام الى هذه التضحية بالفعل وخاصة اذا وجدت تقصيرا او اهمالا في دور الحضانة قد يعرض حياة طفلها للخطر .. ولكن هناك جانب سيكولوجى للمشكلة، لا يجب اهماله، وهو شعور مثل هذه الأم نحو طفلها الذى كان وصوله سببا مباشرا في حرمانها من رزقها .. فقد يتحول هذا الشعور الى كراهية للطفل .

ولذلك ينصح علماء النفس كل ام تضطر الى ترك عملها بعد وصول طفلها ، بالعودة الى وظيفتها بمجرد ان تشعر انها قد اتمت واجبها الأول نحوه، وانه قد بلغ سنا تستطيع معها ان تأمن الى تركه في رعاية اقاربها او جيرانها ، أو بعد ذهابه الى المدرسة .

عودى الى عملك

فوصول الطفل لا يجب أن يعنى نهاية مستقبل الأم كامرأة عاملة ، وخاصة اذا كانت صاحبة مهنة .. فهى تستطيع دائما العودة الى نشاطها في أقرب فرصة ممكنة ..

وترتكب المرأة خطأ كبيرا اذا اهملت عملها ، واخلدت الى حياة البيت .. لأنها تستطيع أن تكيف حياتها بالظروف والتغيرات التى تطرأ عليها في عالمها المتقلب ..

حقيقة انها تعيش حياة تختلف اختلافا تاما عن تلك التى يعيشها الرجل .. وتكوينها الفسيولوجى وحده كفيل بأن يقلب كيانها كله راسا على عقب، وحسبنا تلك التغيرات التى تطرأ عليها قبل الزواج ومن بعده ، ثم في اثناء الحمل والوضع وخلال فترة الرضاعة ، ثم التغيرات التى تطرأ علىحياتها نفسها في بيتها ، عندما يمتلىء البيت بالأطفال ثم عندما يفترقون عنها لأول مرة ليذهبوا الى المدرسة ، ثم بعد أن يبلغوا سن المراهقة ، وبعد أن يكبروا ويتزوجوا ويغادروا البيت ليبدأوا حياة جديدة .

ادوار المرأة في الحياة

ولكن مع كل هذه التطورات والتغيرات،تستطيع المرأة أن تبقى دائما سيدة الموقف ، اذا عرفت كيف تقوم بادوارها المختلفة في الحياة دون أن تهتم بدور على حساب دور آخر .. فتكون الزوجة الدافئة عندما يحتاج اليها زوجها ، والام الحنون

عندما تشعر أن أطفالها في حاجة الى رعايتها ، والعاملة النشيطة عندما تترك بيتها لتذهب الى عملها ..

وتستطيع المرأة بعد هذا أن تجد السعادة في كل أطوار حياتها .. فعندما يكون أطفالها في السن التي يحتاجون فيها الى رعايتها المستمرة ، يجب الا تشغل نفسها بأي عمل آخر ، وخاصة في ساعات النهار ، عندما يزداد نشاطهم .. فعمل البيت يأتي في المرتبة الثانية ، لأنها تستطيع أن تتركه لغيرها ، أو أن تجد من يعاونها فيه .. أما الأطفال فلا بد أن ترعاهم وتشرف على شئونهم بنفسها ..

بين الزوج والأطفال

ولكن حذار أن تشعر الأم زوجها بأنها تهتم بأطفالها أكثر من اهتمامها به ! يجب أن تخصص جزءا من وقتها له .. يجب أن تشعره بأن لا شيء يمكن أن يشغلها عنه ، حتى الأطفال !

واذا استطاعت المرأة أن تجد من يرعى أطفالها في المساء ، أو اذا نجحت في أن تعودهم على الذهاب الى فراشهم للنوم في ساعة مبكرة ، تخرج بعدها هي وزوجها للنزهة وقضاء السهرة في الخارج .. فقد نجحت في اسعاد زوجها واسعاد نفسها ..

أجمل فترة في حياة الأم

ثم يبلغ الأطفال سن الذهاب الى المدرسة .. ويقول الباحثون وعلماء النفس ، ان هذه الفترة هي أجمل الفترات في حياة المرأة .. فقد أصبح وقتها ملكها ، خلال فترة الصباح على الأقل .. فهي تستطيع أن تمارس عملها أو مهنتها ، اذا شاءت ، أو تخرج للنزهة ، اذا لم يكن لها عمل .. وتستطيع أن تستريح أو تدعو صديقاتها لتناول قدح من القهوة .. ولو أنها قد تضطر الى قضاء معظم وقتها في رعاية أطفالها ومساعدتهم في استذكار دروسهم واعداد الطعام لهم منذ لحظة عودتهم الى البيت بعد انتهاء اليوم الدراسي ، حتى موعد نومهم في المساء ..

تأثير الأم على الأبناء

ثم يكبر الأطفال ، ويبلغون سن المراهقة ، وهذه هي الفترة التي يحتاجون فيها الى رقابة ورعاية خاصة ، لا من الأم وحدها ، بل من الأبوين معا ، ولو أن تأثير الأم على الأبناء أهم وأكبر من تأثير الأب لأنها أكثر قربا اليهم .. ولا بد لها أن تكون دائما على استعداد لمساعدتهم والتوجه بنصائحها اليهم ، دون أن تشعرهم بأنها تحاول فرض ارادتها عليهم .. وأن تكون بعد هذا من الحكمة بحيث لا تتوقع من أبنائها أن يفعلوا شيئا من أجلها .. فهذه هي السن التي يشغلون فيها بغيرها ..وهي السن التي ينزعون فيها الى الاستقلال عن البيت وعن الوالدين ..

بداية وليست نهاية

ثم تأتي المرحلة الأخيرة في حياة المرأة ، عندما يكبر الأبناء ويتزوجون ويتركون البيت،وهنا يتحتم على كل أم أن تعيد النظر في حياتها كلها .. لا يجب أن تكون هذه اللحظة هي خاتمة الحياة بالنسبة لها ، بل بالعكس فهي لحظة تستطيع فيها كل أم أن تبدأ حياة جديدة مع زوجها ووالد أبنائها بعد أن أديا رسالتهما .. كأن تقوم برحلة ترى فيها بلادها ، أو ترى فيها العالم اذا توفر لديها المال اللازم لذلك .

العودة الى المدرسة

ثم تستطيع بعد هذا أن تلتحق بإحدى المدارس الليلية لتتعلم شيئا جديدا ، أو أن تساهم في الأعمال الخيرية .. أو أن تلتحق بوظيفة اذا كانت قد عملت بنصيحة الخبراء والباحثين وتركت عملها في شبابها لأنها وجدت أن لا بد من التضحية من أجل سعادة بيتها وزوجها وأطفالها ..

ان عالم اليوم في حاجة الى المرأة الانسانة المثقفة التي تستطيع أن تؤدي كل عمل تتطلبه ظروفها ويمليه عليها دورها الجديد في الحياة .. ■■

منير نصيف

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

● هل أتيحت لك الفرصة يوما لان تلتقي بجماعة من اللاجئين ؟ انهم أناس فقدوا ديارهم وشردوا عن أوطانهم ، فاصبحوا لايعرفون سوى سماء الله الواسعة التي تظللهم أينما حطوا رحالهم ! ولكن ، هل تعرف فيم يفكر امثال هؤلاء اللاجئين ؟ انهم - بطبيعة الحال - لايفكرون الا في « العودة » ، ولكنهم - في انتظارهم الطويل - يعيشون معا ، ويتقاسمون العذاب سويا ، وكل منهم يروى للاخر قصة حياته! وما اظنك تجهل ان امثال هذه القصص لايمكن ان تكون مسلية أو مشوقة ، ولكن أصحابها سعداء بان يجدوا آذانا صاغية ، وعقولا واعية تحاول ان تفهمها .. انهم بشر معذبون لايعرفون من معاني الحياة سوى انها « طريق الآلام » الذى يخوضه « اخوة » قد جمع بينهم المصير الواحد المشترك !

الافراد منا ، عوالم مستقلة ، بينها ضرب من التواصل

والحق اننا نولد فرادى ، ونموت فرادى ، ولكننا لانملك سوى ان نحيا مع الاخرين ، نقاسمهم حلو الحياة ومرها ، ونبذل قصارى جهدنا في سبيل تحقيق ضرب من « التواصل » بيننا وبينهم. وكثيرا ما يخيل الينا اننا عوالم صغيرة مغلقة على ذاتها ، وان ثمة هوّات غير معبورة تفصل بيننا ، ولكننا سرعان ما نجد انفسنا مدفوعين الى الانغماس في ذلك « العالم المشترك » الذى لا بد لذواتنا من أن تتلاقى فيه مع ذوات الاخرين ، وعندئذ لا نلبث ان نتحقق من أن وجودنا الحقيقى هو ذلك « المصير الواحد » الذى تفرضه علينا طبيعتنا البشرية المشتركة . ومهما كان من امر تلك الخلافات التي قد تنشب بيننا ، بل مهما كان من امر تلك « المواجهات » المستمرة التي قد تضطرنا اليها فوارق الاجناس والطبقات والعصبيات والقوميات وما الى ذلك ، فاننا لا نكف لحظة واحدة عن التجاوب مع غيرنا من البشر في ارجاء العالم كافة ، واثقين من ان مصير اخوة لنا في فلسطين أو فتنام ، أو غيرهما من البلدان ، لا يمكن أن يكون بالنسبة الينا سوى « قضية انسانية » تمس كياننا في الصميم . وليس ثمة مبرر يسوغ لنا الياس من الانسان ، طالما

بقيت البشرية قادرة على تحقيق ضرب من « التواصل » بين بني الانسان في كل زمان ومكان. وحسبنا ان ندير ابصارنا الى ما يجرى في ارجاء العالم المعاصر من احداث لكى نتحقق من ان كل ما يمس الانسان في اى صقع من اصقاع العالم قد اصبح اليوم حدثا هاما لايمكن ان يلقاه احد بروح اللامبالاة او عدم الاكتراث . وربما كان هذا « الاخاء العالمى » أبرز سمة من سمات عالمنا المعاصر : فقد أصبح انسان القرن العشرين أقدر على فهم مواقف الاخرين مما كان عليه انسان القرن التاسع عشر أو غيره من القرون ، كما اصبح في الوقت نفسه اكثر استعدادا لتوسيع آفاقه الذهنية والنفسية

- "الأفراد منا، لا يطيب لهم عيش، إلا بالتواصل".
- التمرد البشري الذي تولده في نفوسنا الشفقة على الانسان، يعطي الحياة معناها.
- المنتحرون أكثرهم مثقفون، وهم ينتحرون بسبب ما تقطع بينهم وبين الحياة، وإنسان الحياة، من روابط.
- منطق القوة لا يعمينا عن الدراما البشرية المعاصرة التي تسير بالفعل في درب الإخاء.



مما كان عليه اسلافه فى القرون الخوالى . وليس من شك فى ان تزايد قدرة البشر على التواصل ، والتجاوب ، والتفاهم ، انما هو الدليل الساطع على ان البشرية ماضية فى سبيلها الى تحقيق المزيد من التوحد ، والتكتل والعالمية ...

الاتحاد ـ لا « الصراع » هو معيار التقدم البشرى

... ان البعض يظن ان الانسانية سائرة فى الطريق الى تزايد الفردية ، ولكن التاريخ يشهد بان كل تقدم حقيقى تحرزه البشرية لابد من ان يتجه بها نحو المزيد من التوافق والتماثل والاتحاد، لا نحو المزيد من التنوع والتفرد والانقسام . وحسبنا ان ننظر الى الاتجاه الحقيقى للترقى البشرى ، لكى نتبين ـ كما قال اندريه لالاند Andre Lalande ان الانسانية لاتسير فى الاتجاه نحو المزيد من التفاوت والتمايز ، بل هي سائرة فى الاتجاه نحو تحقيق قسط أكبر من التماثل والتوافق . فالمجتمعات الحديثة تسير فى طريق القضاء على الفوارق الطبقية الشاسعة ، وتتجه نحو الحد من شتى ضروب التفاوت القائمة بين الطوائف ، وتميل الى تحقيق المساواة بين الرجل

والمرأة ، وتنزع نحو التسوية بين الأفراد في الحقوق والواجبات .. وإذن فقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان معيار التقدم - في المجتمعات الحديثة - لم يعد هو استقلال الذات الفردية عن كل ما حولها ، او نزوع الشخصية الفردية نحو الاكتفاء بذاتها والاستغناء عن الآخرين ، بل لقد أصبح هذا المعيار هو تضامن الذات الفردية مع غيرها من الذوات ، ونزوع الشخصية البشرية نحو تحقيق ضروب اعمق من التواصل مع الاخرين .

وليس المقصود بالتعاون أو التضامن هنا اندماج الذات في قطيع متجانس ، بل المقصود هو تحقيق المشاركة الحقيقية بين ذوات حرة ، تعطي وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر .

ولا نزاع في انه لم يعد في وسعنا اليوم ان ننادي باصلاح الفرد ، متجاهلين تماما تلك العلاقات الاجتماعية التي تكون جوهر « وجوده الاجتماعي » لاننا لانعد « الفرد » اليوم « ذرة روحية » Monad. مستقلة عن غيرها من «الذرات الروحية» الاخرى، كما زعم من قبل الفيلسوف الالماني ليبنتس Leibnitz ، بل نحن نعده لبنة في البنيان الاجتماعي الكبير الذي يقوم على التماسك والتضامن والتآزر. واذا كان فلاسفة القرن التاسع عشر قد ظنوا ان « الصراع » هو السبيل الاوحد الى التقدم ، فاننا نجد لدى الكثير من فلاسفة القرن العشرين ايمانا ضمنيا بأن « الاتحاد » هو المظهر الاوحد للتقدم البشري. ولكن هذا « الاتحاد » أو «التوافق» ليس مجرد نتيجة حتمية لقانون طبيعي ، بل هو « معيار » نسهم نحن انفسنا بارادتنا في العمل على تحققه ، او هو « قيمة » نعمل نحن انفسنا بحريتنا على تثبيت دعائمها في عالمنا الانساني . والواقع انه هيهات للبشرية ان تحقق اى سلام عالمي ، أو ان تصل الى اى اخاء انساني ، اللهم الا بالعمل على التخفيف من غلواء ذلك الطموح الطبيعي الذي قد يدفع بالموجود الحي نحو القضاء على الآخرين ، من أجل اشباع لذاته الخاصة . فالاخلاق في صميمها معارضة للأنانية البيولوجية ، وانكار لامكان تحقق « خلاص » الفرد (او « نجاته ») باعتباره فردا مستقلا قائما بذاته . وكل ما من شأنه أن يعمل على احلال التوافق والمشاركة والاتحاد ، محل التنازع والصراع والاختلاف ، لابد من أن يمثل - في حركة التاريخ التقدمي للانسانية - عاملا فعالا من عوامل الترقي الاخلاقي .

مشاركة الانسان لاخيه الانسان عن طريق الآلام ..

وهذا البير كامي Albert Camus يصف لنا في روايته المشهورة : « الطاعون » مشهدا انسانيا يتلاقى فيه الطبيب ريو Rieux مع موظف عجوز من موظفي البلدية ، كانت زوجته قد انفصلت عنه .. لقد كان الزوجان متحابين حتى ذلك الحين ، ولكنهما آثرا في نهاية الامر ان يفترقا دون أى حقد من جانب الواحد منهما على الآخر . وينظر ريو الطبيب الى جران Grand - الموظف العجوز - وقد وقف متصلبا امام واجهة محل من المحلات ، وهو يتأمل الالعاب الخشبية الجميلة التي ملأت واجهة المحل .. كانت الدموع تسيل على خدي الرجل العجوز ! ولم يتمالك ريو نفسه لمنظر تلك العبرات التي كانت تنهمر على خدي جران : فقد كان يفهم معناها ، كما كان في وسعه أن يستشعر وخزها في حلقه الجاف كغصة أليمة ولوعة محرقة . لقد كان في استطاعته ان يتذكر اليوم الذي تمت فيه خطبة ذلك الرجل المسكين الى فتاة احلامه ، وكانت صورتها ما تزال ترتسم امام عينيه وهي واقفة تتطلع الى هدايا عيد الميلاد التي ازدانت بها واجهة المحلات .

كانت جان Jeanne تتكيء على كتفي جران وهي تقول له انها سعيدة .

ولاشك ان اصداء صوت جان العذب كانت ما تزال تتردد في اذنيه عبر تلك السنوات البعيدة ! ولم يكن « ريو » يجهل ما الذي كان يفكر فيه الرجل العجوز في تلك اللحظة . اجل ، لقد كان هو ايضا مقتنعا - مثله - بانه ، لو عدم الحب ، لكان عالمنا هذا عالما ميتا ، وكان واثقا ايضا بانه

لابد من ان تحين لحظة يسام فيها الانسان من العمل ، ويضيق ذرعا بالشجاعة ، لكي يبحث عن وجه موجود بشرى آخر ، وينشد في قلب هذا الموجود الاخر كل ما يفيض من اعاجيب الحنان ومعجزات الحب ! لقد شعر « ربو » بتعاسة « جران » كاتما هي تعاسته ، فلم يستطع ان يكتم في قلبه تلك الآنة الحزينة التى انبعثت من أعماقه ... انه الغضب الحاد الذى يغمر قلب الانسان حينما يرى العذاب الذى لابد للموجودات البشرية من ان تتحمله على ظهر هذه الارض !

وان القارىء ليعلم ان البير كامي ـ فيلسوف العبث ، والمحال ،واللامعقول ـ هو بعينه البيركامي ـ داعية المحبة ، والتآخي ، والمشاركة . فلم يكن في وسع الاديب الفرنسي الكبير ، الراحل ، ان يجعل من « العبث » الكلمة النهائية في دراما الوجود البشرى ، بل كان لابد له من ان يجد سبيلا الى « التمرد » على ما في الحياة الانسانية من عناصر المحال واللامعقولية . وهكذا وجد كامي في المشاركة التي تتم بين الموجودات البشرية المتألمة، خلال صراعها المستمر ضد المصير المشترك ، علاجا حاسما لمرض « العبث » الذى وصف لنا اعراضه في كتابه : « اسطورة سيزيف » Le Mythe de Sisyphe وحسبنا ان نعود الى رواية « الطاعون » لكي نتحقق من اننا هنا بازاء شخصيات مجاهدة تقف صفا واحدا في وجه الوقائع الاعتباطية اللامعقولة التي تحفل بها الحياة ، لكن تعمل سويا على مواجهة ما يتهدد الموجودات البشرية من ضروب الالم والعذاب والشر . وربما كان هذا « التمرد » البشرى الذى تولده في نفوسنا الشفقة بالانسان هو وحده الكفيل باضفاء « المعنى » على الحياة ...

«لن انتحر : لانني أحبك ايها الانسان» !

حقا لقد شهد القرن العشرون انتحار عدة شخصيات ممتازة ، مثل ستيفان تسفايج Stefan Zweig وارنست همنجواى Hemingway ، ودريو لاروشل Drieu Le Rochelle ومایاکوفسکی Mayakovsky وارنست تولر Ernst Toller وغيرهم ، ولكن من المؤكد ان كل هؤلاء ـ وغيرهم كثيرون ـ لم ينتحروا لمجرد احساسهم بما في الوجود البشرى من عبث وسأم وتفاهة ، بل هم قد انتحروا اولا وبالذات لانقطاع وشائج القربى بينهم وبين اخوة لهم في الانسانية .

فليس الاضطهاد ، او النفى ، أو العذاب ، او الفقر ، أو المرض ، أو اليأس هو السبب الحقيقي في اقدام الانسان على الانتحار ، بل ربما كان الادنى الى الصواب أن يقال ان الانسان لا ينتحر الا حين تحدث القطيعة بينه وبين غيره من بني البشر ! والواقع انه اذا شعر المرء بأن ثمة « علاقات اجتماعية » تربطه الى عجلة الحياة ، واذا أحس بان هناك « روابط انسانية » تجمعه بغيره من بنى البشر ، فانه لن يكون من العسير عليه ـ في مثل هذه الحالة ـ ان يمضي قدما في تحمل مسئولياته والاضطلاع بواجباته .

واما اذا احس بان احدا لاينتظر منه شيئا ، وانه ليس ثمة تبعات عليه الالتزام بها امام افراد مجتمعه فهنالك لابد له من أن يشعر بخواء وجوده، ومن ثم فانه قد لا يجد مشقة كبرى في الانحدار الى هاوية الياس !

وقد بين لنا العالم الاجتماعى الكبير اميل دوركايم Durkheim ، في دراسته المشهورة لظاهرة « الانتحار » ، أن نسبة اقبال المتزوجين على الانتحار اقل من نسبة اقبال كل من العزاب والمطلقين ، كما ان عدد المنتحرين من بين المتزوجين ذوى الاطفال ، أقل بكثير من عدد المنتحرين من بين المتزوجين الذين لم ينجبوا اطفالا ! وكذلك لاحظ دوركايم ان معدل الانتحار يتضاءل عند المندمجين في علاقات اجتماعية متنوعة ، كأهل الاديان واعضاء الجمعيات الدينية ، ورجالات النقابات والاندية ، واصحاب الاعمال والمسئوليات ..

واذا كان الانتحار يزيد لدى المثقفين عنه لدى الاميين والجهال ، فما ذلك الا لان الثقافة تزيد

من درجة تحرر الفرد ، فتتسبب احيانا فى انفصاله عن الجماعة ، وانقطاع وشائج القربى بينه وبين غيره من أفراد المجتمع .

وقد ثبت بالرجوع الى الاحصائيات أن نسبة الانتحار اعلى لدى الرجال منها لدى النساء ، وذلك لأن اندماج النساء فى الحياة الاجتماعية اقوى واعمق من اندماج الرجال فى هذه الحياة . فالعلاقات الاجتماعية عاصم للانسان من اليأس ، وسياج متين يحميه من التفكير فى الانتحار . ولا غرو ، فان الانسان الذى يعيش لنفسه فقط موجود ضعيف مهدد فى كل لحظة بفقدان مبررات وجوده ، فى حين أن الانسان الذى يعيش لنفسه ولغيره مخلوق ناضج قد تأصلت جذوره فى تربة الحياة الاجتماعية ، فليس من السهل على اعاصير اليأس أن تقتلع جذوره العميقة القوية الممتدة فى أغوار الحياة ! وربما كان من بعض افضال « المجتمع » على الفرد الانساني انه يمده بمبررات للحياة وحب الحياة ، فيجعله يشعر بانه لولا « الاخاء الانساني » ، لما استحقت هذه الحياة ان تعاش !

دور « التواصل » فى « دنيا الذوات الانسانية »

وهنا قد يقول معترض : « ان الناس غرباء يحتكون ولا يتلاقون ، ويتعارفون « على السطح » ولكن دون أن ينفذ احدهم الى « اعماق الآخر » ! وردنا على هذا الاعتراض ان الذات الانسانية ليست قوقعة صلبة يحيا فى داخلها موجود فردى قد كتب عليه ان يعيش فى عزلة شاقة اليمة ، بل هي حقيقة مفتوحة تدرك نفسها منذ البداية فى عالم الآخرين ، ومدى ما لديها من مقدرة على مواجهة شتى المواقف التي تتطلبها الحياة مع الآخرين ... وكلما زاد الشعور الموجود لدى الذات عن وجودها الحقيقى ، زاد بالتالى شعورها بالتزامها نحو نفسها ونحو غيرها من الذوات . ولا تدرك الذات نفسها بوصفها شخصا ، اللهم الا بقدر ما تؤمن بحقيقة وجود الآخرين ، وبقدر ما يؤثر هذا الايمان نفسه على صميم سلوكها . ولهذا يقرر احد فلاسفة الوجودية المعاصرة ــ الا وهو جبرييل مارسل Gabriel Marcel ــ ان الشعور بالمسئولية لايكاد ينفصل عن الشعور بوجود الآخرين .

بيد ان المرء حينما يفكر فى « الآخر » l' Autre بضمير الغائب ، اعنى بوصفه مجرد « هو » ، فانه عندئذ يحيله الى « موضوع » يحاول تعقله على نحو ما يتعقل الطبيعة او غيرها من الموضوعات . ولنضرب لذلك مثلا فنقول ان المرء حينما يجد نفسه فى عربة قطار ــ مثلا ــ وقد جلس امامه شخص غريب لايعرفه ، فانه ينظر الى هذا الغريب ، ويتأمله من الخارج ، ويحكم عليه عن بعد ، وكان حضوره هو نفسه ضرب من الغياب ! ولكن ، بمجرد ما تنشأ بينى وبين هذا الغريب الذى اراه للمرة الاولى بعض الاتصالات الشخصية ــ كان أعلم مثلا انه نازح من بلدتي ، او انه قد تتلمذ مثلى على يد استاذ واحد بعينه ، او أننا اشتركنا سويا فى معركة واحدة ، او أننا اتفقنا معا على الاعجاب بمؤلف معين ... فهنالك لايصبح هذا الشخص ــ بالنسبة لي ــ مجرد « هو » أتصرف بازائه كما لو كان غائبا تماما ، بل يستحيل الى « أنت » احادثه بضمير المخاطب ، وافكر فيه بوصفه حاضرا .

وحينما نكون بازاء الشخص المحبوب ــ فيما يقول مارسل ــ فاننا لانملك ان نجعل منه مجرد « هو » ــ حتى ولو كان غائبا ــ لاننا نفكر فيه دائما بوصفه « أنت » ، ومن ثم فان غيابه نفسه هو فى نظرنا حضور !

صحيح ان العلاقات الشخصية التي تقوم بين الافراد قد لاتخلو احيانا من مواجهة ، وتحد ، وصراع ، ولكن من المؤكد أن « التواصل » فى دنيا الذوات لايمكن ان يعنى الاندماج التام ، والانصهار الكامل ، والاتحاد المطلق . ومعنى هذا أن «الانا» لايكمن ان تذوب تماما فى « الانت » بل لابد لهذين القطبين من ان يبقيا مستقلين ، حتى تقوم بينهما علاقة المشاركة ، او التبادل ، او المحبة ... وتبعا لذلك فان الاخاء الانساني لايعنى الغاء الفوارق الشخصية ، بل هو يقوم اولا وبالذات على احترام « الشخصية البشرية » بوصفها حقيقة فريدة لامجال لتكررها ولا سبيل الى استبدالها بغيرها .

« الاخـــاء »
هو سبيل الانسانية
الوحيـــد
الى « البقاء »

بيد ان الكثير من دعاة التشاؤم قد يصيحون فى وجوهنا قائلين : كيف تجرؤون على الحديث عن اخاء انساني ،وكل الشواهد قائمة على ان الانسان ذئب لاخيه الانسان (كما قال الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز Th. Hobbes) وان الموجود البشرى هو الكائن الوحيد الذى يحدث آلاما لغيره من الكائنات لمجرد ولعه بايلام الغير (على حد تعبير الفيلسوف الالمانى شوبنهاور Schopenhauer وردنا على هذه المزاعم ان الانسان هو الكائن الاجتماعي الوحيد الذى ابتدع اللغة ،والفن، والعلم ، والفلسفة ، وشتى ضروب التواصل Communication لمجرد حرصه على اقامة جسور تربطه بالعالم الخارجي من جهة ، وبعالم الاخرين من جهة اخرى ، ولم تقم الحضارة البشرية منذ البداية الا على تلك الثقة الضمنية الكلية فى امكان تحقيق وحدة مشتركة بين الموجودات البشرية ، بوصفها كائنات حرة مسئولة . والحق اننا نشعر شعورا عميقا بحاجتنا الى الخروج من ذواتنا ، والعمل على التماس الحقيقة الدفينة الكامنة فى اعماق ذوات الاخرين . واذا كان ثمة دليل قاطع على الاخاء الانساني ، فما ذلك سوى ما يشهد به الواقع نفسه من امكان قيام « تواصل روحي » بين بنى البشر قاطبة فى كل زمان ومكان .

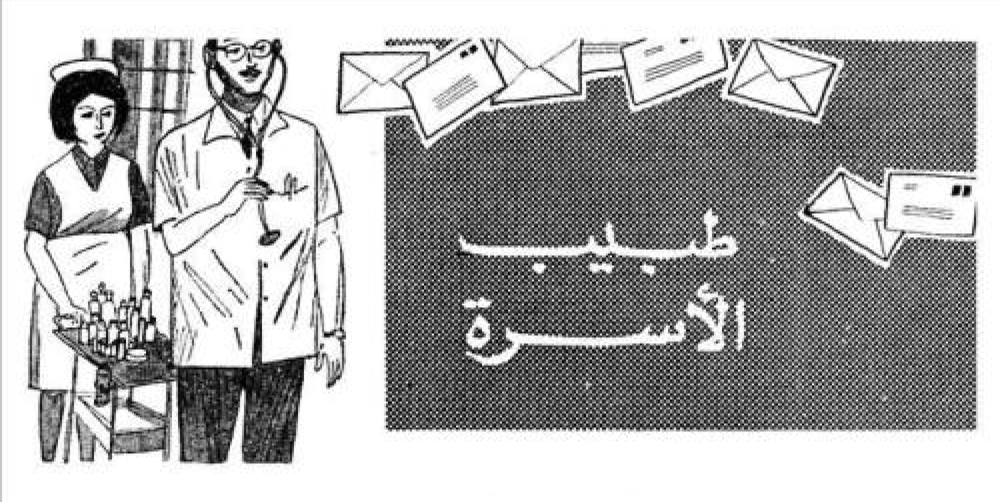
صحيح اننا مازلنا نشهد ــ فى عالم الانسان ــ منطق القوة ، ولكننا مع ذلك قلما ناخذ بمبدأ « العدمية » Nihilism الذى يوحد بين حركة التاريخ وقوة الجانب المنتصر ... والا ، فهل كان العرب على خطأ ، لمجرد انهم خسروا معركة ٥ يونيو (حزيران) الماضى ؟ أو هل كان مازينى Mazzini مجانبا للحق ، لمجرد انه لم ينجح فى حركته الثورية؟ او هل كان كل القادة الذين خسروا بعض المعارك الحربية أدعياء ضالين ؟ ... ان انسان القرن العشرين ليعرف بلا شك ان الحق لايصبح باطلا لمجرد ان صاحبه قد هزم ، فهو ليس على استعداد للعودة الى عبادة القوة ، كما انه ليس على استعداد للتسليم بأن الموتى والضعفاء هم دائما على خطأ .. ولو كانت هذه الكلمة فى النهاية لمنطق القوة وحده، لكان علينا ان نعد الخوف من القنبلة الهيدروجينية بمثابة خوف من « حق قوى » : حق اكثر اقناعا من كل ماعداه من الحقوق !

ولكن ، حذار ان يعمينا منطق القوة عن رؤية حقيقة الدراما البشرية المعاصرة : فان الانسانية ــ اليوم ــ قد سارت بالفعل على درب الاخاء . وما الحجر على الاجهزة التكنية الهائلة التي قد يصطنعها الانسان المعاصر فى حروبه واشتباكاته وشتى مظاهر صراعه ، سوى الدليل القاطع على انه اذا كانت الانسانية ما تزال على قيد البقاء ، فما ذلك لمجرد انها قد ظهرت بطريق الصدفة على مسرح الوجود ، بل لانها قد اتخذت قرارها وآلت على نفسها ان تظل على قيد البقاء . فليس ثمة « نوع بشرى » ، بل هناك « انسانية » قد اخذت على عاتقها ان تنصب من نفسها حارسة على القوى النووية ، وان تضطلع بمسئولية حياتها وموتها .. وما دامت الانسانية قد ارادت لنفسها البقاء ، فلم يعد امامها سوى أن تسير على درب الاخاء .. ■■

زكريا ابراهيم

★ ★ ★

● فقد المليونير كلبه الثمين، فاعلن في احدى الصحف المسائية عن جائزة قدرها ١٠٠ دولار لمن يعثر عليه . واقبل المساء ، ولكن الصحيفة لم تصدر ، فتوجه لادارة الصحيفة ، وهناك لم يجد غير الحارس الليلى : فقال له : هل ستصدر الصحيفة الليلة ؟! فقال الحارس : اشك في ذلك يا سيدى .. فقد ذهب كل المحررين للبحث عن الكلب !



نوبات المغص الكلوى .. والحر

● **انا مصـاب بحصى الكلى والاحظ انه في الصيف تكثر عندى نوبات المغص الكلوى فهل لى ان أعرف السبب في هذا ـ وما هى طريقة الوقايـة ؟**

ـ نعرف جميعا أننا نعرق في الصيف بكميات كبيرة ، اى اننـا نفقـد معظم سوائل الجسم عن طريق العرق ، لذا تقل كمية البول ، ويكون لونه أصفر شديد الصفرة لأنه في هذه الحالة يكون مركزا عكس ما نرى في الشتاء فان لون البول يكون أصفر فاتحا مائلا الى لـون الماء لأنه ليس مركزا ونتبول بكميـات كبيرة . واذا زاد تركيز البول في الصيف تركزت الأملاح الموجودة فيه وتحولت الـى حصـى في الكلـى وفي الجهـاز البولى وتكـون على هيئـة حصى صغير جدا ربما لا يسبب آلاما ، ولكن اذا كان الحصى كبيرا نوعا ما والبول مركزا فانه يحدث في بعض الحالات المغص الكلوى ويحس الشخص بحرقة في البول وفي بعض الحالات يتغير لون البول الى اللون الاحمر نتيجة لوجود كرات دموية حمراء من جراء تجريح مجرى البول اثناء مرور هذه الحصيات .

لذا كان من الواجب ان يكثر كل من عنـده استعداد لترسب حصـيات في مجرى البول من تناول السوائل بكثرة لتعويض الجسم ما يفقد من عرق ولتكون



كمية البول كبيرة لكى لا يتركز كثيرا وتترسب فيه الحصيات . ويتعود على اخذ عصير الفواكه في الصباح ويتنـاول الماء بكثرة أثناء تناول الوجبات وبينها . ويلاحظ تعويض ملح الطعام فيتنـاول الملح بكميات كافية في الطعام ، أو يأخذ اقراص ملح ، ولكن المهم أن تعـوض السـوائل ويجرى البول بالكميات التى يكون عليها في الشتاء .

أسنان طفلى كيف تصبح سليمة ؟

● **ماذا تصنع الام لكى تحصل على اسنان جيدة لابنها الوليد ؟**

ــ من المهم جدا الاعتماد على الرضاعة الطبيعية اى الرضاعة من صدر الأم فهى تكفل للوليد غذاء كاملا بما فيه الفيتامينات اللازمة للنمو . كما أنها تعطى لاعضاء الفكين التمرين والحركة التى تؤثر على نموها في الطريق الصحيح . ومن المستحب عند بزوغ الأسنان أن يعطى الطفل أشياء صلبة الى حد ما تساعده على ظهور اسنانه وكذلك ان تكون بعض المواد الغذائية التى يتعاطاها « ناشفة » وغير عالقة لاصقة . كما يجب الاقلال من السكريات المركزة والأحماض حتى يمكن تجنب التسويس عند بدء ظهور الأسنان . والاكثار من الفواكه والخضراوات مثل التفاح والجزر . ويجب عدم الاهمال بتفريش الأسنان منذ بدء ظهورها بالفرشة الصحية والمعجون ويكون بالطريقة التى ينصح بها الطبيب ، كما يجب مراجعة طبيب الأسنان كل ٦ أشهر حتى يمكن تفقد اى خلل بالأسنان من بادىء الأمر ويمكن التغلب عليه .



التهاب الزائدة الدودية والتهاب اللوزتين

● **لى طفل عمره ٦ سنوات أصيب بارتفاع في درجة الحرارة مع ألم شديد بالجانب الايمن لأسفل البطن مما ازعجنا كثيرا حيث اعتقدنا انه التهاب الزائدة الدودية . وعندما عرضناه على الطبيب الذى فحصه جيدا ، اكتشف ان الحالة هى التهاب اللوزتين، وليس للزائدة الدودية اى دخل في ذلك .**
فهل هناك علاقة بين اللوزتين والزائدة الدودية ؟ .

ــ اللوزتان هما عبارة عن تجمع للانسجة الليمفاوية ، على جانبى الفتحة التى تصل الفم بالبلعوم .

كما انه يوجد تجمع من انسجة ليمفاوية مماثلة حول الزائدة الدودية حتى ان البعض يسمونها لوز البطن Abdominal tonsils وفي بعض الحالات ، وخصوصا في الأطفال يكون التهابها مصاحبا لالتهاب اللوزتين الحلقيتين . وقد يكون الألم اشد بالبطن ومشابها تماما لالتهاب الزائدة الدودية . ومن هنا يكون الخطأ في تشخيص بعض الحالات ما لم يلق الطبيب نظرة على اللوزتين فيرى بهما التهابا صديديا حادا .

آلام في عضلات الجسم

● نعرف ان الالام الروماتيزمية كثيرا ما تحدث في الشتاء ولكن الاحظ انه تعتريني آلام في عضلاتي في فصل الصيف فما السبب ؟

ـ الآلام الروماتيزمية كما تقول كثيرة الحدوث في فصل الشتاء لأن الانسان يتعرض للالتهابات التى تعترى اللوزتين والجهاز التنفسي العلوى أكثر ، في فصل الشتاء ، وبالتالى تحدث الحمى الروماتيزمية في بعض الاشخاص وهي تصيب المفاصل وتنتقل من مفصل الى آخر مع ارتفاع في درجة الحرارة وآلام مبرحة في المفاصل ، وكذلك تزيد نسبة الآلام العضلية في فصل الشتاء لأن تعرض العضلات للبرودة يجعلها تتقلص بشدة وتحدث فيها الآلام ، وكثيرا ما نلاحظ ذلك في عضلات الظهر في أسفله والذى يسمى « باللمباجو » أو عضلات الصدر والاطراف . ونلاحظ عند تدفئة هذه العضلات أو تدليكها ان الآلام تتحسن وتزول .

أما في الصيف فلعل الآلام العضلية تزيد خصوصا عند الاشخاص الذين يستعملون المكيفات أو المراوح ، لأن العضلات تتعرض لبرودة شديدة . وخصوصا عندما يكون الشخص خارج بيته ويكون جسمه حارا ومغطى بعرق ثم يعرض نفسه بعد ذلك الى تلك التيارات الشديدة ، فتتقلص العضلات في شدة ، ولقد شاهدت اناسا يصيحون ولا يمكنهم أن يحركوا أجسادهم خصوصا في منطقة الرقبة وفي أعلى الظهر .

لذا انصح أن يبتعد الافراد عن هذه المكيفات والمراوح وتكون مواقعها في الحجرات بعيدة عنهم لكي لا يتعرضوا لتياراتها الشديدة .

رائحة كريهة في الانف

● منذ بضعة شهور وطفلي الصغير البالغ من العمر اربع سنوات عنده زكام وافراز دائم بالناحية اليمنى من الانف مع وجود رائحة كريهة جدا يضيق بها الجميع . وذلك بالرغم من استعمال مختلف القطرات والبنسلين وغيرهما . فهل أجد عندكم تفسيرا لذلك ؟ وما هو العلاج ؟

ـ هذه الصورة التى ذكرتها تنطبق تماما على وجود جسم غريب بالانف وهذا يحدث كثيرا في الاطفال حول هذه السن . حيث يحلو لهم اللعب بأشياء مثل الخرز والازرار وحبات البقول أو ما شابهها . وهذه يمكن أن تنزلق داخل الانف .

وقد لا يذكر الطفل شيئا عن ذلك لذويه في حينه ، اما سهوا واما خوفا . وتتهيج أنسجة الانف ويزيد افرازها الذى يتراكم في التجويف الانفي وبذلك يكون مزرعة صالحة لتكاثر الجراثيم المختلفة ومنها الجراثيم العفنة التى تنتج عنها هذه الرائحة الكريهة .

وهذه الحالة لا يمكن الشفاء منها الا اذا استخرج هذا الجسم الغريب وعادت المسالك الانفية الى حالتها الطبيعية . لذلك ننصح بعرضه فورا على الطبيب الاخصائي لعمل اللازم .



بقلم : سنية قراعة

■ ساعة الغروب في مكة ، وقد ساد الصمت الحالم كل شيء فيها ، وخيم الجلال على ربوعها القدسية ، فتلاشى الضجيج الصاخب الذى كانت أصداؤه منذ لحظات تتعالى في جوانب البلد الأمين الذى لا تهدأ له ضجة ولا ينقطع سيل زائريه والوافدين عليه من متباين الانحاء والجهات ...

وفتحت الدور أبوابها تستقبل العائدين ، او الوافدين ، او جموع الضيفان وقد أتوا مكة ، زائرين معظمين ، أو مارين بطرق قوافلها ذات الموعدين اللذين حددت لهما القدرة ، رحلتي الشتاء والصيف ، أو مرتادين لسوامرها التى طالما تحدث الناس عن لياليها وقيانها الساحرات .

وسكنت الطبيعة ، ورفت النسائم الهفهافة ، وقد بدت تتقدم مع هبوبها الناعس ألوية الظلام التي راحت تنتشر وتنشر الأمن والسلام والهدوء .

لقد خفتت كل حركة ... واقفر كل طريق ... وعاد العائدون الى دورهم الا هو ... وان عمه الطيب أبا طالب ليجلس في صحن داره يرقب عودة الأمين ...

ولم يطل بشيخ بنى هاشم ترقبه وانتظاره ، وانه ليسمع مع الحصباء وقع خطوات وئيدة متزنة ، كان صاحبها يتقدم شأن الواثق من مسيره ، العارف الى اين كان يمضى ، وأين يجب أن يستقر به المقام ...

وتهلل بالبشر والفرح وجه ابى طالب بن عبد المطلب ومحمد يتقدم الى الدار ، في هدوء عرف عنه ، ورزانة اشتهر بها ، وبشاشة حلوة ، وأدب جم جعلاه موضع التقدير والحب والاكبار ...

لطالما تمنى شيخ بنى هاشم لو تطول بابن اخيه عبد الله جلسته الى جانبه يحدثه مرة ، ويصغى اليه أخرى ، ويتناقشان ثالثة ، ثم لا يلبثان ان يتبادل كل منهما مع الآخر ما وصل الى علم كل منهما من أنباء قريش ، فيرددا احاديث الناس ، ويتناقلا اخبار اولئك الذين قدموا في قوافلهم التجارية ، واولئك الآخرين الذين كانوا يستعدون للخروج بها ... تماما كما تعود اهل مكة جميعا أن يفعلوا في مثل هذه الساعة من ساعات اوبتهم الى دورهم وقت الغروب ...

ولكن مثل هذا لم يحدث أبدا في بيت ابى طالب ، ومع ابن أخيه محمد بالذات ... وهو

نفس ما تكرر حدوثه مغرب ذلك اليوم ساعة أهل محمد على بيت عمه الذى كان يعيش فيه مع عيال ابى طالب تحت رعاية ذلك العم الطيب وفى كنفه منذ مات عائل محمد الاول جده عبد المطلب الذى كفله بعد موت عبد الله أبيه ...

وبقى أبـو طالب وحده ، وفى نفس مكانـه التقليدى ، بقى حيث اعتاد ان يبقى الساعات الطوال . ومضى محمد لشأنه ، وأن العم الطيب ليهز رأسه فى هدوء ، وهو يتبع بعينيه وفكره خطوات ابن أخيه ...

انه هو ... هو دائما ... محمد الذى لا يتغير أبدا ، ولا يبدل شيئا من طباعه مهما كانت الظروف ... هو العزوف عن كل مجلس ، المتباعد حتى عن مجالس أقرب الناس اليه وأحبهم عنده ، فلا يكاد يعود حتى يأوى الى عزلته التي تعشقها ، وتلمس وحدتـه التي طالما احبها ليهرع الى الصـمت والتأملات ..

وزفر أبو طالب شأن من أحس براحة نفسه ، واستقرار ضميره واستشعر الثقة فى كل ما كان يراه ، ثم غلبه احساس بالطمأنينة الوادعة ، وقد حـوى البيت أهليه ، وضـم أحباءه جميعا ، وخاصة محمد بن عبد الله ، يتيم الأمس ، الذى ركن الى وحدته كعادته دائما ...

وأن أبا طالب بعد هذا الهدوء الذى أحسـه ، ليشعر باحساس مبهم جرى به الى التفكير فى أمر محمد بالذات ، حتى لقد عجب فى نفسه اذ لم يسبق له أن اهتم بمثل هذه الخواطر التي جعلت تطوف كلها حول محمد الأمين ...

ان محمدا اليوم شـاب قد تعدى العشرين من سنى حياته ، وانه ليسير الى ما قبل الخامسة والعشرين بقليل ، وان مكة كلها لتتحدث اليوم عنه ، وتشيد بفضائله وكرمه وترفعه عن الدنايا وبعده عما يشين .

انه شيخ شاب ... وكهل فى ميعة صـبـاه النضير ، ولكنه شاب كامل الخلق ، نقى القلب طاهر السريرة ليس فيه من صفات مجتمعه ، الا انه قرشى كسائر اترابه من القرشيين ...

وراح أبو طالب فى غمرة تخيله ، واستسلامه الى افكاره ، يسائل نفسه ... لم اهتم مجتمع قريش بمحمد المتباعد بروحه ونفسه وافكاره عن ذلك المجتمع ... ولماذا أحبه القرشيون جميعا واجمعوا على التغني بصفاته وسجاياه ؟

هل احبوه لأنـه باعدهم ... ولكن محمدا لم يباعد قومه بما تعنيه كلمة التباعد ، ولم يجافهم ابدا ، فهو منهم . وانه لبينهم ، خاصة حين يَجِدُّ الجد ، ويتلمسون صاحب المشورة والرأى الثاقب فيجدون محمدا ابنهم الأمين الذى جعلهم فكره الثاقب وذكاؤه اللماح يَعْبُرون فى بساطة وادعة ، هُوَّةً سحيقة ، كادت العشيرة بأسرها أن تتردى فى أعماقها ، وقد اختلفوا أيهم يرفع الحجـر الأسود ، وهم يعيدون بناء الكعبة ، وأيهم يضعه فى مكانه المتعارف عليه ...

ان شأن محمد ليعظم بين قومه يوما بعد يوم ، وان اعجاب القرشيين بصفاته ليتزايد مع مرور الأيام ، حتى لقد راح الجميع دون تفرقة بين شيخ ورجل وشاب ، يتفاخرون بحسـن معاملته لهم ، وبره بهم وعطفه عليهم ، وغيرته على صـوالحهم ، وحبه الدائم الى ان يكون الاخاء رائدهم والسلام هدفهم ...

وابو طالب بعد هذا ، يعيش فى تصوراته هذه كلها ... ثم يهز رأسه وهو يصعد زفرات القلق ، فمحمد هذا الذكى ، البَرّ العطوف ، ليس ذا مال ، فيعمل على اكثار مالـه ، وتنميته بثاقب فكره ، وحسن تصرفه ، وقد عمل فى صباه وطفولته مع اترابه يرعى الاغنام ، فلم يتقن حرفة ، ولم يتوفر على عمل خالص ، وانه اليوم ليسير فى مدارج شبابه الغض ، ومن العدل ان يفكر عمه فى أمره ويتجه به اتجاها معيشيا يضمن له الاستقرار فيما بعد وحتى يستطيع أن يكوّن نفسه بنفسه ، وان يقيم صرح مستقبله بجده وعمله ، وان يحافظ على مستويات أهليه ، السادة البهاليل من بنى هاشم شيوخ العرب ، ورءوس قريش ...

وعاد أبو طالب يسائل نفسه ... ترى أى عمل يتخيره لمحمد ابن اخيه !! .

ان مجتمع قريش ، مجتمع تجـارة ، ورواج ، وعمل مستمر ، اما فى الاتجـار ، أو فى الخروج للتجارة مع القوافل التجارية ، المنطلقة بما تحمل، نحو الجنوب مرة ، أو الشمال مرة أخرى ، مرتادة الصحارى الشاسعة لتنزل بواحاتها العديدة ، أو تتجه الى الحضر والحياة الرغدة الهانئة فى مصر وبلاد الشام ، او الى فارس وما حولها من بلاد ...

ويرتاح أبو طالب الى مسير افكاره ، ويرى انها

تنطلق اليوم نحو وجهة صحيحةتماما ... وتستقر في هدف ركز العم أفكاره فيه بالذات ... فميدان التجارة كان الميدان العملي الصحيح لأى قرشي ، وان في محمد بعد هذا كله ما يؤهله الى أن يشق طريقه بنجاح في ذلك الميدان ، فهو شاب فيه فوق فوته وشبابه طموح ، وفيه فوق الطموح استقامة وامانة ، تجعله موضع ثقة كل ذى مال يرغب أن يقيمه على ماله ، او يأتمنه عليه ...

ووجد أبو طالب أن خير ما يجب أن يتجه اليه محمد ابن أخيه هو ميدان التجارة ، وانه وان عز عليه اليوم أن يتجر في ماله الخاص ، فانه لا شك سيجد من يستأجره ليخرج في تجارته وهو واثق فيه ، عالم بأن الربح سيكون على يديه ...

وصارح أبو طالب ابن أخيه بأفكاره هذه ، ولم يعارضها محمد ، فكان على العم ، وهو في العشيرة كلها في موضع السنام أن يجد المكان اللائق بابن اخيه ...

ووجد أبو طالب غايته ... ونصح محمدا أن يخرج في تجارة لخديجةبنت خويلد ، سيدة قريش، صاحبة الجاه ، والمجد ، والمال الوفير ...

تلك قصة نعرفها جيدا ، ونعرف كيف بدأت ، والى اين اتجهت ، وكيف وصلت بمحمد الى بيت خديجة ، أو بخديجة الى بيت محمد ، فتزوجها وهي التي كانت تكبـره ، وعاش معها حياة الاستقرار ، والدعة ، التي جعلته يتجه الى عمه ابى طالب بفكره ، وقد عرف مدى مسئولياته المعيشية وكثرة عياله فاحب لو يساعده بعض الشيء ويشاركه حمل بعض التبعات فكان أن أخذ ابن عمه عليا ليعيش معه ، عساه بهذا يخفف عن أبى طالب بعض تبعات الحياة ...

انا نعرف هذا جيدا ... نعرف ان محمدا استضاف عليا في بيته ... عليا فحسب ... ثم تقف السير المحمدية كلها وبما حوت من انباء عند هذه الاستضافة الكريمة التي اقتصرت على ابن العم النابه ، الذكى ، علي بن أبى طالب دون أحد غيره من أخوته ، أو أخواته ولكن ...

ولكن بعض الرواة يأبون هنا ، وفي هذا المجال بالذات الا أن يضعونا أمام مفاجأة يقولون فيها ان محمدا ، وقبل بعثته ، تقدم الى عمه ابى طالب ، يخطب ابنته « فاختة » التي قيل ان اسمها كان « هندا » (١) أيضا ، وهي التي عرفت بعد ذلك بكنيتها « أم هانيء » وهي الكنية التي لم يختلف فيها أحد .

لقد قال الرواة ، ان محمدا تقدمالى عمه يخطب ابنته فاختة ، وهذا أصح الأقوال في اسمها ـ وانه تقدم الى ابى طالب في نفس الوقت شاب آخـر يخطب ابنته هذه ، وهو « هبيرة بن أبيوهب » فلم يكن من أبى طالب الا أن رضى بهبيره هذا زوجا لأم هانيء ، دون ابن عمها محمد ...

والرواة يقولون بعد هذا ، ان محمدا قد آمضه ان يرفض عمه يده ، وانه فضل عليه غريبا هو هبيرة بن ابى وهب ، وان محمدا اسرع في هذا يعاتب عمه ، الا تركه هو ، وهو الذى يعرفه ويعرف اصله ونسبه ومكانته من العشيرة ، وزوج فاختة ام هانيء بهبيرة ... فلا يجد شيخ بنى هاشم غير أن يطيب خاطر ابن أخيه وهو يقول له :

« يا ابن أخي ... انا قد صـاهرنا اليهم ، والكريم من يكافيء الكريم ... » .

واقتنع محمد بالرد ولا شك ، فقد كان قويا مقنعا ، كما أن ابا طالب كان في موقف دقيق لـم يستطع أن يفضل فيه ابن أخيه على هبيرة فاسرع يترضى الغريب ليحكم صـلته القديمة باهله وعشيرته ، بصلة وزواج جديد ، ويرد من اجل ذلك محمدا ، وهو يعلم انه سوف يقدر مركزه ، ويجد له العذر فيما اقدم على فعله ، وقد كان ...

وهنا ... لا بد لنا من وقفة ... اجل، وقفة عارضة أمام ادعاء الرواة أن محمدا قد خطب فاختة ام هانيء الى عمه ... ولسنا في هذا المجال نناقش حقا من حقوق محمد في تقدمه يخطب من يشاء ، ولكن لنسأل متى كان هذا التقدم على وجه التحديد من ناحية محمد ليخطب بنت عمه فاختة بنت أبى طالب ... وهل كان هذا قبل أن يخطب خديجة بنت خويلد ؟

انا ... وامام هذا القول الذى أورده بعض الرواة من أن محمدا قد تقدم ليخطب الى نفسه فاختة بنت عمه قبل بعثته ـ نقف في مجال الحيرة والتردد ، فلا نستطيع ان نقبل القول بأن الخطبة من ناحية محمد قد تمت فعلا ، كما لا نجسر على رفض هذا الذى ذكره الرواة ... ولكنا نناقش الأمر ذاته في هوادة ومنطق هاديء ...

---

(١) قيل أيضا ان اسمها عاتكة .

فاذا قيل ان الخطبة لفاختة قد تمت فعلا ، ومحمد يعيش فى كنف عمه ، وتحت رعايته ، وقبل العمل فى تجارة خديجة وقبل زواجها ، فاننا نستطيع أن نرفض الرأى بان محمدا قد فكر حتى فى خطوبة فاختة وهو يعلم حقيقة مركزه المادى ، وانه يستعين بعمه على بعض ظروف حياته ، ويعرف ايضا ان عمه رجل كثير التبعات ، كثير العيال ، وليس من الحكمة ، أن يزيد تبعاته ويفرض نفسه عليه فرضا بعد خطبته لفاختة ابنته ، ثم زواجه بها بعد ذلك ...

لقد كان محمد الشاب ، الوادع ، الرزين ، وهو يسير نحو الخامسة والعشرين من عمره ، رجل تجارب وحكمة ... فكان بعيد النظر ، وكان يزن الأمور بميزانها الصحيح ، وكان دقيقا فى تفكيره ، يعرف أن ظروفه الحالية لا تسمح له ان يستمر فى رعى الاغنام ، ولا تسمح له ايضا ان يفكر فى الزواج قبل ان ينظم حياته ، ويعرف وجهتها .

ثم اتجه الأمين الصادق الى ميدان العمل فى التجارة ، ولحساب غيره ، وكانت خديجة بنت خويلد ، أول من استخدمه ، واول من اولاه الثقة الكاملة ... ومن عند نقطة بداية عمله فى تجارة خديجة يبدأ جهاده الأول فى حياته العملية ... حياة الجد والكفاح والدأب ، ليقيم اسس حياته المستقبلة بعد ذلك على دعائم ثابتة منتظمة .

وحدث بعد هذا الاستقرار المعيشي ان عرفت خديجة محمدا ، وانها ارتاحت اليه ، وفضلته على كثيرين من اشراف القوم ، واصحاب الثراء فيهم ، وتزوجته ـ فعرف الاستقرار الفعلى فى بيت وادع ، مدعم من شتى مناحيه ، لم يكد يدخله ، حتى فكر فى ابى طالب عمه ، واحب ان يخفف عنه تبعات مسئولياته العديدة بعض الشيء ، فاستقدم ابنه عليا وهو يومها صبي صغير ، ليعيش معه ...

وهذه فترة ولا شك ، رضي فيها محمد بزوجه خديجة ، وما كان له أن يفكر فى الزواج باخرى كائنة من كانت ، حتى لو كانت بنت عمه فاختة ، فمحمد فى تلك الفترة بالذات ، لم يكن يملك من امر نفسه شيئا ، بل كان فى فترة الاعداد لتقبل الرسالة ، وكان امره كله الى الله الذى أدبه فاحسن تأديبه ، ثم راح يعده لتحمل اعباء الأمر الخطير ...

بدأ محمد فى هذه الفترة بالذات تحنثه ، وتعبده بهدى من وجدانه ، وعلى ملة ابراهيم ... وتعود الذهاب الى غار حراء لفترة معينة من الزمان ، كانت خديجة تعينه عليها ، وكانت تتلمسه فيها احيانا ، وهى تشجعه مرة ، وتعينه اخرى ، ليستمر فى طريق الكمال ، حتى ياتي الله بامره فيه ...

ومحمد ، وهو فى هذه الفترة بالذات ، وهو مامور يسير فى طريق ممهد ، أعده له الله وقد تباعد عن الناس ، وانصرف عن شئونهم وشواغل الحياة ... محمد هنا ... وفى هذه الفترة على وجه التحديد لم يكن يفكر فى زواج ابدا ... وعلى هذا نستطيع ان نقول انه لم يتقدم الى عمه ابى طالب فى هذه الاثناء ، ليخطب فاختة ام هانىء ...

ونزل الوحى على سيد الخلق جميعا ، يوم شاء الله لهذا الوحى أن يهبط عليه ... وجاءه الروح الامين ليقرئه باسم ربه الذى خلق . ثم ...

ثم مرت بمحمد بعد ذلك فترة الانتظار والقلق والخوف من ان يكون الله ربه قد ودعه او قلاه ، وخديجة تهدىء من روعه ، وتؤكد له ان الله لن يخذله ابدا ، فهو يحمل الكل ، ويصل الرحم ، ويعين على نوائب الدهر ..

ويعود الروح الامين بعد ليثبت يقين محمد ، ويطمئنه ، ويؤكد له ان الله ربه الذى اصطفاه برسالته الكبرى ، خاتمة رسالات الرسل العظام ، ما ودعه ابدا ولا هو قلاه ، وان الاخرة خير له من الاولى ، وان الله ربه سوف يعطيه فيرضى ...

وقد أرضى الله سبحانه وتعالى عبده محمدا الذى اعده لتحمل اعباء كبرى الرسالات ، وامره بالخروج بدعوة انه لا اله الا الله وحده بلا شريك ، ولا صاحبة ولا ولد ، وانه هو ، محمد الصادق عبد الله ، ورسوله الهادى الى دينه ، وانه خاتم النبيين ...

وفترة الخروج بالدعوة ، والجهر بها ، فى مجتمع الضالين عبدة الصنم ـ كانت ولا شك فترة جهاد حق ، ونضال عسير ، تعرض محمد صلى الله عليه وسلم خلالها لكل صنوف الايذاء والمعارضة والتكذيب ، فما وهن ولا هو تراجع ، او خشى وقوف سفهاء قريش كلهم ضده ، بل مضى فى سبيله يدعو ، وينادى بدعوة الهدى والحق .

ولم يكن من المقبول أصلا ، أو المعقول فعلا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهذه الفترة

من فترات النضال ، ان يشغل نفسه بشيء آخر في الدعوة وانفاذ امر الله بابلاغها وانذار عشيرته الاقربين اليه اولا ، ثم انذار الناس جميعا من بعد ذلك ليتبعوا طريق الحق ، ويؤمنوا بما جاء به الرسول ، ويشهدوا بانهم وآباءهم انما كانوا على ضلال ، وانه لا اله غير الله وحده ، وان محمدا الهادى عبده ورسوله الصادق الامين ...

ان رجلا هذا مدى تبعاته ، وذلكم طريق جهاده الذى امره الله ان يتبعه ، ما كان له اصلا ان يتحول عن غايته ، او يقصر فى الامر باداء رسالته ، او ينصرف عن جهاده ويسمح لنفسه ان يفكر مجرد التفكير العارض فى زواج جديد ... !!

واذا ... وعلى هذا الاساس ... نقطع دون جدال بان ما قاله الرواة عن تقدم محمد صلى الله عليه وسلم ليخطب فاختة بنت عمه ابى طالب قبل ان يوحى اليه ـ قول لا يعتد به ابدا ، ومن الخطأ ان نشير اليه ، وان التعرض لتفنيده على هذه الصورة من صور المنطق ، يدفع بنا الى محاولة جديدة من محاولات تحقيق قول او ادعاء آخر ، جاء به بعض الرواة فى احاديثهم واقحموا فيه اسم فاختة بنت ابى طالب .

والادعاء الجديد ، وتفنيده ، لا يخرج بنا فى شيء عن الخط الاصلى الذى تابعناه ، وسرنا معه حتى وصلنا الى خروج سيدنا رسول الله بدعوة الحق ، وجهره بها ، وتصدى مجتمع قريش الضال له ، وتربصهم به فى كل طريق ...

لقد ظل محمد حيث اراد له الله ان يكون ... داعية الحق ، والجهاد ، يهدم ببقيته الباطل ، ويقيم صروح الحقائق فى اعماق قلوب آمنت به ، ولم يحول اصحابها عن معتقدهم تربص ولا تخويف ولا امعان فى الايذاء ...

ومرت الاحداث والحوادث مع مسير ركب الزمن وابو طالب الطيب السمح حيث هو بعيدا عن الحلبة ، نائيا عن الميدان ، يرقب ابن اخيه ويراقب تطور مدارج دعوته وآماد تأثيرها فى مجتمع قريش ، ثم فى اعماق قلوب من تابعوها وآمنوا بها ـ وهو من هذه الدعوة الكبرى بعيد بفمه وقوله ، قريب منها بخوفه على محمد ، واشفاقه عليه ، وتصديه لحمايته من سفهاء قريش واصراره على منع ابن اخيه من ان يصل اليه اذى ، او ان يلحقه شر ...

وتزوجت فاختة أم هانيء بنت ابى طالب ، او هند كما يصر على تسميتها البعض ... تزوجت قبل خروج ابن عمها بدعوته بسنين عديدة ، ودخلت بيت زوجها « هبيرة بن ابى وهب » ، وعاشت فيه بعيدة عن احداث مجتمع قومها ، حتى علا صوت محمد ذات يوم يدعو الى عبادة الله الخالق ، الرحمن ، الرحيم ، باسط الارض ، ورافع السماء ، الذى لا اله الا هو يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ...

واصغت فاختة مع المصغين الى صوت محمد ودعوته ، فلم تستجب لها ، ولم تسر فى طريق الهدى الذى سبقها اليه اخوها علي بن ابي طالب ، وبقيت مع قومها من القرشيين ، تأتيها انباء محمد يوما بعد يوم فتشفق عليه مرة ، وتأسى لما كان يتعرض له اخرى ، ولكن فى حدود البعد التام عن دينه ودائرة دعوته ، اذ بقيت فاختة حيث اراد لها زوجها هبيرة ان تكون معه ومع قومه الذين ابى عليهم الكبرياء ان يتابعوا محمدا على طريق الحق ، ويشهدوا بانه لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ...

وظل ركب الحوادث فى مسيره ، وصوت محمد يعلو ويعلو بدعوة الحق ، يهدم بها الباطل ويحطم دولة الصنم ... واشتد ايذاء قريش للداعية القوى الاعظم ، فما وهن ولا تراجع ، ولا انصرف حتى لقد بدءوا يخافون الدعوة التي كانت تنتشر وتمتد جذورها العميقة فى أحناء القلوب ، حتى فرقت العشيرة ، وسفهت الاحلام ، وهددت المجتمع نفسه بالهلاك والتفرقة ...

وطرق رءوس قريش باب ابى طالب يسالونه صرف ابن اخيه عن دعوته ، واستعداد القوم لتسويده عليهم ان هو كان يريد السيادة ، او اغراقه بالمال ان كان يريد الثراء ... وارسل ابو طالب يستدعي ابن اخيه ويعرض عليه الامر ، واذا بمحمد يقول انهم لو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره على أن يترك هذا الامر الذى قام يدعو اليه ، ويناضل من اجل انتشاره ، والايمان به ، ما فعل حتى يظهره الله ويرفع رايته عالية خفاقة ، او يهلك محمد دونه وهو راض سعيد ...

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق جهاده الذى اراده الله له ، يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة القوم بالتي هي احسن ، والقلة المستضعفة التي

تابعته يشتد عودها ، ويكثر عديدها ، ويتعاظم خطرها في الوقت الذي كان يتضاءل فيه شأن الكثرة المؤذنة شمسها الى غروب قريب ..

ومرت مواكب الحوادث ... ووافى ابا طالب بن عبد المطلب اجله المحتوم ... ومات شيخ بني هاشم ، ففقد محمد بموته العضد والساعد الذي طالما ذاد عنه ، وحماه ...

وقبل ان يفيق محمد من وقع مصابه في عمه ، لحقت ام المؤمنين خديجة بالرفيق الأعلى ، وانتقلت الى دار الخلد ، وجنات الرضوان ، لتعيش في بيت من قصب ، كما بشرها الروح الامين ...

يا لها كانت من صدمة ، فاقت الصدمة الاولى ... وخسارة احس محمد هولها باضعاف ما احس خسارته في عمه ، فقد كان موت خديجه خسارة لا تعوض ، اذ طالما كانت حامية محمد الروحية ، وطالما كانت مشجعته ومعينته على اوصاب الجهاد .

وبدأ محمد يلقى الأمرين من سفهاء مكة باضعاف ما لقي من قبل ، وهو صابر ، ماض في سبيله ليبلغ امر الله ...

لقد ظلت ام هانيء بعيدة عن الحلبة الدائرة ، حتى وجدنا انفسنا امام اسمها فجأة في عام الفتح ، وقريش مائجة مضطربة ، وقد دخلها رسول الله ، وأعلى كلمة الحق ، وحطم الاصنام التي طالما سجدوا امامها وسألوها الخير لهم وتوسلوا اليها ان تمنع الشر عنهم ... ووطئها صلى الله عليه وسلم بقدميه ولم يجد كفار مكة وسفاؤها غير ان يثوبوا الى رشادهم ، ويذعنوا للحق الصراح ويؤمنوا بالله ...

اقول في هذه الفترة الدقيقة التي كانت نهاية عهد ادبر ، وبداية عهد اقبل في عنفوان وقوة وحق وصدق ... في هذه الفترة ، قفز اسم فاختة ام هانيء وقد أعلنت اسلامها هي الاخرى في الوقت الذي ابى فيه هبيرة زوجها الا ان يبقى على كفره وضلاله ، وقد روعه وافزعه ، وحز في نفسه ، وامضه ان تتخلى عنه فاختة زوجته الحبيبة في تلك الفترة الدقيقة بالذات ، وهو الذي تمنى ان تواسيه وتشجعه وتقف الى جانبه ، لا ان تقف في صف غير الذي أصر هو على الوقوف فيه ، فامنت حيث شاء لنفسه ان يظل على كفره وأسلمت حيث أصر هو على ضلاله وموقفه العدائي من دين الله وكبر في نفسه ان تلقاه ام هانيء على صورة ما أحبها ، وان تجرؤ فتدعوه الى الاسلام ، وتطلب منه ان يؤمن بانه لا اله الا الله عن حق وصدق ، وان محمدا رسول الله المبعوث فيهم بدين الهدى والحق ، وان الدين عند الله الاسلام ،

عز هذا كله على هبيرة بن ابي وهب ، وثار وهدد ، ولكنه لم يستطع ان يحول فاختة عن رأيها او يردها عن دين الله الذي دخلته عن عقيدة صادقة ، وايمان راسخ ... وهانت لديه الدنيا ، وضاقت سبل الحياة ، وعلا صوته المزمجر ينشد قائلا في عتاب زوجته :

وعاذلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلومني
وتعذِلُني بالليل ، ضلَّ ضلالُها

وتزعم أني إن أطعت عشيرتي
سأردَى وهَلْ يُرْدِين إلا زيالُها

فإن كنتِ قد تابعتِ دين محمد
وقطَّعَتِ الأرحامَ منك حبالُها

فكوني على أعلى سحيقٍ بهَضْبَة
مُلَمْلَمَةٍ غبراءَ يَبْسٍ بلالُها ..

وعز على هبيرة بعد هذا ان يبقى بمكة ، وهرب الى نجران وهو متمسك بكفره وضلاله وقد راح يقول في تبرير هذا الفرار ، وهو رجل الحرب المشهور له بطول الباع :

لعمرك ماوليت ظهري محمداً
وأصحابه جُبنًا ، ولا خيفةَ القتلِ

ولكنني قلَّبتُ أمري فلم أجد
لسيفي غَناء إن ضَرَبْتُ ولانَبْلِي

وقفت ، فلما خفت ضيعة موقفي
رجعت لعود كالهِزَبْرِ أبي الشِّبْلِ

وفر هبيرة ... وبقيت فاختة في مكة ، وقد اضاء الله قلبها بنور الاسلام ، وشهدت زوال دولة الصنم ، ورأت بعينيّ يقينها كيف يعلى الله حقه النوراني ، على باطل المبطلين الضالين ، وكيف دارت الدائرة على قريش العابثة العاصية ، فلم

تبق على شيء من ضلالات اهليها : ولا من تراث معبوداتها التي تحطمت ، وســـويت بالتراب ووطئتها الاقدام ...

وجاء نصر الله ... وتم باذنه سبحانه وتعالى فتح الله الاكبر ... ودخل الناس فى دين الله افواجــا ... ولم يبق غير نفر قليــل من أهل الضلالات .. وهم أولئك الذين اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم ، وأمر بقتلهم حيثما كانوا ، حتى لو تعلقوا بأذيال الكعبة ، لان الكعبة لا تعصم عاصيا ، ولا تجير كافرا ...

وكان الحارث بن هشام وزهير بن أبى امية ممن اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهما ، فلما ضاقت بهما المسالك : وبدا شبح الهلاك ، عز عليهما ان تكون هذه هي نهايتهما واسرعا الى بيت ام هانيء فدخلاه مستجيرين بها .

وقبلت فاختة ام هانيء هذه الاجارة ، واصرت عليها ، ووقفت دون من احتميا بحماها فى عناد واصرار فلم تسمح لأخيها علي بن أبى طالب أن يصل الى الحارث بن هشام أو صاحبه زهير .

والرواة هنا يعودون الى الخيــال المفوت ، ويأبون فى غلواء حماستهم الا أن يجعلوا من فاختة ام هانيء بطلة يهابها الابطال ، تتميز بقوة خارقة الى حد انها امسكت بذراع اخيها علي بن أبىطالب فكادت تقتلها ، حتى لقد اصابته بشبه شلل ، فسقط سيفه رضى الله عنه من يده ، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه ...

ويتمادى الرواة فى مغالاتهم بعد هذا فيدعون ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت ام هانيء فى هذه اللحظة ، « وعلي » بين يديها فســألها الخبر ، فشكت اليه أن اخاها أبى عليها أن تجير الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية ، فابتسم صلى الله عليه وسلم ، وأقر اجارتها لهما ...

ان الحادث صحيح فى بعض مواضعه ، مبالغ فيه فى مواضع أخرى ، فام هانيء قد اجارت القرشيين المهدرى الدم : فلما جاء اخوها علي فى اثرهما منعته عنهما واغلقت الباب دونه ، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امّن كل من يغلق عليه بابه ، فلم يكن من حق علي بن أبى طالب أن يقتحم البــاب على المستجيرين باخته التي أسرعت الى رسول الله عليه الصلاة والســلام تشكو عليا وتطلب اقــرار اجارتها لمن اجارت ، فاقرها رسول الله وهو يقول لها :

ـ قد اجرنا من اجرت ...

ويأبى الرواة بعد هذا الا ان يتابعوا مواكب تخيلاتهم خاصـــة وقد أعلنت ام هانيء بنت أبى طالب اسلامها ، فادعوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها الى نفسه وقد فرق الاسلام بينها وبين زوجها هبيرة ، فقالت له :

« والله ان كنت لاحبك فى الجاهلية ، فكيف فى الاسلام : ولكني امرأة مصبية واكره ان يؤذوك » .

وام هانيء هنا تعتذر بأنها ذات أولاد ، وتخشى ان يؤذى وجودهم رســول الله ان هي قبلت الزواج به ، فتقصر فى حقــه كزوج لتلتفت الى رعاية بنيها ... كما قالت بعد ذلك :

« يا رسول الله ، لانت احب الي من سمعي وبصري ، وحق الزوج عظيم ، فاخشى ان اقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدى ، وان أقبلت على ولدى أن أضيع حق الزوج ...

فقال رسول صلى الله عليه وسلم « ان خير نساء ركبن الابل نساء قريش : احناه على ولد فى صغره وارعاه على بعل فى ذات يده » .

وانها بعد لروايات لا يعتد بها ، فبعد عام الفتح، ودخول أم هانيء الاسلام ، كان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الزواج بمن شــاء قد تحدد ، ولم نعد يحل ان يطلق او يتزوج غير من طلق وتزوج ، ولا ان يستبدل باحدى زوجاته زوجة اخرى ... وحكم الله فى هذا قاطع لاقوال الرواة ولا جدال ...

ولنسرع بعد هذا الى أم هانيء نفسها ... الى حقيقة دورها الذى قامت به بعد اسلامها ...

لقد كانت فاختة صحابية جليلة ذات مقام ، وذات صلة ورحم : وقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من أحاديثه ، ثم روى عنها الرواة بعد ذلك بعض هذه الأحاديث عن ابنها جعدة وحفيدها يحيى بن جعده وابنه هارون ثم روى عن هؤلاء من بعدهم كثيرون ...

تلكم كانت أم هانيء .. «فاختة بنت أبى طالب» المسلمة الخالدة التي آمنت فتقبل الله ايمانها ، وأسلمت فحسن اسلامها ، وكانت قدوة صالحة فى التعبد واتباع أوامر الدين . ■■

سنية قراعه

بعد يومي لن أغني

ياحبيبي انت حبي   وغرامي وحياتي
عنك لا يغفل قلبي   عند صحوي وسباتي
عند لغوي في حديثي   عند صمتي في صلاتي
عندما اذكر صحبي   عندما القى لِداتي
عندما أعبرُ نهرا   عند ضربي في فلاة
يا حبيبي لك حبي   وغرامي وحياتي

★ ★ ★

يا حبيبي كل وقتي   في مسائي وصباحي
انت حبي في سروري   انت حبي في نواحي
ثوبك المنقوشُ صيغت   منه ازهار الأقاحي
ثغرك الفاتن كأسي   فيه آهاتي وراحي
طيفك الحلو اراه   في غدوي ورواحي
انت من ادمى فؤادي   انت من يأسو جراحي

★ ★ ★

كيف تنأى اليوم عني   بعد ان اخلفتَ ظني
كيف اسلوك حبيبي   بعدما ظِللتَ تمني
ضقت عيشا بحياتي   كيف لا اقرع سني
ايها المعشوق رفقا   قد أضعت القلب مني
لن اصوغ الشعر يوما   بعد ان ودعتُ فني
ايها العود وداعا   بعد يومي لن اغني

★ ★ ★

يا حبيبي كنت بدري   كنت لي ضوئي وشمسي
كنت تصغي لأنيني   مثلما تسمع همسي
كنت لي ان نمت حلما   كنت لي وعيي وحسي
كنت لي بسمة عمري   كنت لي بهجة أنسي
هل ترى يزهر روضي   ام ترى يذبل غرسي
لن أرى ارشف خمرا   بعد ان حطمتُ كأسي

محمد علي مكي

عهد من الاستشراق جديد

أكثر إنصافا، وأنزه غاية

بقلم : عفت الشرقاوى

كتاب يسهل تعليم اللغة العربية لغة العرب، ينشره معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجل الشهيرة، بمدينة مونتريال بكندا

■ ازداد الاقبال على تعلم اللغة العربية بين الأجانب ، خلال السنوات الأخيرة بصورة ملحوظة ، وبفسر هذا الاقبال بعاملين أساسيين : الاول هو النهضة العربية الجديدة التى يمر بها الوطن العربى الآن في جميع انحائه ، والتى تستلهم فيما تستلهم تراثها الماضي لتبعثه من جديد ، وتتلمس فيه قيما ومثلا عالية تحييها لحاضرها المتطور الناهض .

لقد أثارت هذه النهضة المتوثبة انظار العالم الحديث الى واقع الأمة العربية الحى، فتجدد الاهتمام والمتابعة لأخبارها السياسية والثقافية ، وتطلعت الأعين الى مزيد من العلم بتطورها الحضارى ، ورغب كثيرون في دراسة لغة هذه الحضارة ليكون اتصالهم بها أوثق واشد صلة .

هذا هو العامل الأول .

واما العامل الثانى فهو الاتساع المطرد في دائرة الأبحاث الاستشراقية والتطور الناشيء عن محاولة كثير من المستشرقين المحدثين التخلص من صفتين أساسيتين ، صبغتا العديد من أعمال المستشرقين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

أولى هاتين الصفتين هي قصر العناية بدراسة حضارة الاسلام على الجانب الكلاسيكي وحده ، وثانيتهما هي ميل كثير من المستشرقين الى هوى ديني أو عنصري في تناولهم لحضارة الاسلام .

لقد وجد المستشرق الحديث ان تاريخ الاسلام حلقة متصلة ، وانه لا يمكن فصل حاضره عن ماضيه ، أو فهم احدهما بدون الآخر ، ووجد ثانيا انه لا سبيل الى فهم هذه الحضارة ، والرؤية الواعية لأعماقها الاصيلة ، من غير تعاطف انساني عميق مع صانعيها واصحابها ، وان الميل مع الهوى في تناول جوانبها لا يؤدي الا الى نتائج واهية ، تجافي روح البحث العلمي الحق ، كما يتطلبه قارىء القرن العشرين .

تطور النشاط الاستشراقي الى حد كبير خلال العقدين الماضيين من هذا القرن ، وتحول تبشير القرن التاسع عشر الى فلسفة حضارية راقية على يد كثيرين من المستشرقين المحدثين ، وهكذا اجتذب الاستشراق مئات من الطلاب ، واخرج العديد من الاساتذة الجدد ، وازداد تبعا لذلك الاقبال على اللغة العربية ، اللغة الأم للحضارة الاسلامية .

ازداد الاقبال على تعلم العربية ، وازدادت بذلك المحاولات من اجل اخراج كتاب يناسب الطالب الأجنبي الجديد ، ويجذبه الى هذه اللغة ، ويسهل عليه امر قراءتها وكتابتها . ومن احدث هذه المحاولات الكتاب الذي الفه الأستاذان : سلمان العاني ويعقوب شماس تحت عنوان « Phonoloyy and scr:pt ob literary arabic » (صوتيات اللغة العربية وكتابتها) ، وقد طبعه معهد الدراسات الاسلامية بجامعة ماكجل بمونتريال ـ كندا سنة ١٩٦٧ . والكتاب مدخل مبسط الى اللغة العربية : يقدم الحروف في مجموعات متتابعة ذات خصائص صوتية معينة ، يشرحها المؤلفان في دقة وبساطة وعلى أساس من علم الأصوات المقارن . يجعل الكتاب حروف الثاء والتاء والباء ، مثلا ، مجموعته الأولى التي يقدمها للطالب ، بادئا بالوصف الصوتي المقارن لكل حرف منها ، متبعا ذلك بتمرينات صوتية ، يقوم بها الطلبة ، تقليدا لمدرسهم ، أو متابعة لشريط التسجيل الذي اعده المؤلفان لهذا الغرض . ثم يقدم الكتاب بعد ذلك طريقة رسم هذه الحروف الثلاثة في اماكنها المختلفة من الكلمة ، مشيرا باسهم دقيقة الى حركة القلم أثناء الكتابة ، ثم يعطي اخيرا تمرينات منوعة على كتابة هذه الحروف ، تقليدا ، ثم اصالة ، في قاعة الدرس ، ثم خارجها .

ويمضي الكتاب في تقديم بقية الحروف في مجموعات متتابعة مؤجلا الحروف ذات المخارج الغريبة أو الصعبة على القارىء الغربي الى قرب نهاية الكتاب ، حيث يقدم الغين والعين في مجموعة ، ثم الخاء والحاء والجيم في مجموعته الأخيرة على نفس النمط السابق .

وفي الكتاب ـ بعد تقديم الحروف والتمرين الوافر على قراءتها في كلمات ـ ملحق بالقواعد الأساسية في القراءة ، مثل : لام التعريف ، والحروف الشمسية والقمرية ، وعلامات الاعراب ، والتنوين الخ ...

والكتاب في رايي مقدمة كاملة لقراءة العربية وكتابتها ، بحيث يستطيع الطالب ان يبدا بعد ذلك قراءة الجملة البسيطة ، متدرجا فيما بعد الى دراسة

نحو العربية المفصل ، وتحصيل معجمه اللغوى المناسب ، وتدريس هذا الكتاب قد يستغرق شهرين في فصل متوسط الاستعداد، ولكن يخلص الطالب والمدرس من مشكلات قرائية وكتابية كثيرة ، قد تنشأ فيما بعد ، اذا ما قدمت الحروف العربية على نحو آخر ، لا يقوم على منهج صوتي وكتابي مقارن ولا يراعي الامكانيات اللغوية للطالب الغربي .

في رايي ان هذا الكتاب كسب كبير في تاريخ تدريس اللغة العربية للاجانب ، ولا يعرف هذه الحقيقة الا من خبر تدريس هذه اللغة لهم وعرف طبيعة المشكلات التي تواجه كلا من الطالب والمدرس في هذا الصدد ، او قارن بينه وبين المحاولات السابقة في هذا المجال ، حيث تبدو اللغة العربية شيئا شاقا ، على الطالب ان يجهد في سبيله، ويتحمل كل ما فيه من عسر .

ومشكلة الكتاب الأساسية — في نظري — هي ان مؤلفيه اختارا لاخراجه تقديم هذه الحروف مكتوبة بخط اليد ، وقد اعتمدا في ذلك — كما هو واضح — على بعض الناسخين من غير ذوي الموهبة الخطية، فجاءت الكتابة خليطا من خطوط النسخ والرقعة والثلث ، من غير ملاحظة خاصة من المؤلفين تبرر ذلك، او توضحه. وفي وسع المؤلفين في طبعتهما القادمة ان يعتمدا على ناسخ موهوب او محترف في اخراج الكتاب ، حتى تكون نماذجه كفيلة برسم الصورة الجميلة لا الصحيحة فحسب .

وبعد ، فانه يبدو انه اصبح من الضروري على المسئولين في العالم العربي — بعد ان اصبحت اللغة العربية مادة دراسية في كثير من معاهد الغرب وجامعاته — ان يقدموا يدا لمن يقدم اليهم عقله ، ويكرس لحضارتهم مستقبله . ولقد طالت شكايتنا من تحيز المواطن الغربي ، او عجزه عن فهم قضيتنا الحضارية بكل آفاقها السياسية والاقتصادية والثقافية . وها نحن امام باحث ناشيء ، اختار ان يقرأ كلمتنا ، ويفهم لغتنا ، ليكون مؤلف الغد في مجتمعه ، ولعله اقدر على أن يسمعه صوتنا ، وان يبلغه كلمتنا ، وأن يعرفه بنا حق المعرفة ، فماذا قدمنا له ؟ في رايي ان سلسلة منظمة من الاعلام العربي، تأخذ في حسبانها معنى التطور ، وتقدر معنى الكلمة ، في مجتمع نشكو من صمت الكلمة العربية فيه ، يجب أن تسعى لكسب هؤلاء الباحثين الناشئين الى جانبنا بكل سبيل . ولعلها تبدأ باعادة طبع هذا الكتاب ، وتوزيعه بسعر مناسب — قد يغطي نفقات طبعه ويزيد — على من يرغبون في تعلم العربية في انحاء العالم .

تستطيع احدى وزارات التربية والتعليم ، او الثقافة والاعلام ، في الدول العربية تبني هذا المشروع البسيط ، ثم اتباع ذلك بنشر الأجزاء التالية من السلسلة التي اعدها المؤلفان للطبع .

وتستطيع ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية ايضا ان تقوم بذلك ، فتمد الى الطالب الغربي يد الصداقة ، عسى ان يمد اليها يوما قلب الصديق ، او عقل المنصف . وهي بلا شك قادرة على اخراج الكتاب في صورة افضل واجمل من صورته الحاضرة .

الكتاب نشر في عام ١٩٦٧ ، وثمنه ٢٫٧٥ دولار . ■■

عفت الشرقاوي

طرائف عربية

وصية

● روى أن أبا النجم العجلى كان يتردد على هشام بن عبد الملك ، ينشده الشعر وينادمه . وحدث أن انشده ابياتالم تعجب هشاما ، فأمر حاجبه أن يمنعه من دخول القصر . فتنسك ابو النجم واخذ يأوى الى المساجد ، ويصيب من فضول اطعمة الناس . وفي ليلة أرق هشام وأراد محدثا يحدثه فقال لحاجبه: ابغنى محدثا اعرابيا شاعرا يروى الشعر . فخرج الحاجب الى المسجد ولقى أبا النجم فاقتاده الحاجب الى القصر ، فمثل بين يدى هشام .

قال له هشام : ابو النجم هذا ؟ قال: نعم يا امير المؤمنين طريدك ، فسأله عن حاله ، وكيف عمل به الزمان . فقال : لي من الأولاد ثلاث بنات وصبى اسمه شيبان . وقد زوجت ابنتين وبقيت واحدة . فقال وما وصّيت به الأولى ، وكانت تسمى برة ، فقال :

أوصيت برة قلباً حرا	بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسامى ضربا لها وجرا	حتى ترى حلو الحياة مرا

فضحك هشام وقال : ما الذى قلت للاخرى قال :

سبّى الحماة وافترى عليها
وان دنت فازدلفي اليها
واوجعى بالفهر ركبتيها
ومرفقيها واضربى جنبيها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، قال : وما قلت في وصيتك للثالثة ، وكانت دميمة عانسا .

قال :

اوصيك يا بنتى فانى ذاهب
أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب
لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاحب
في الزوج ان الزوج بئس الصاحب

تظاهر

● حكى أن الحجاج انفرد يوما من عسكره في سواد واسط ، فمر ببستاني يسقى ضيعته ، فوقف معه وقال : يا بستاني ، كيف حالكم مع الحجاج ؟ فقال : لعنه الله ، المبيد المبير ، الحقود الحسود ، وعاء النقمة ، مزيل النعمة ، سافك الدماء بغير حلها ، المفرق بين الحبيبة وخلها ، جاعل النساء أيامى والولدان يتامى ، والروح شيئا معدوما .

● قال رسول الله: ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وان العفو لا يزيد العبد الا عزاً ، فاعفوا يعزكم الله . وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء ، فتصدقوا يزودكم الله .

بين علي ومنتقد

● مات لعلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، رضوان الله عليهم ولد فلم يحزن ولم يجزع عليه .

فقال له احدهم :

يا علي ، أيموت ولدك وفلذة كبدك ، واملك في الحياة ، وظهيرك فيها ، ولم تأبه لموته ولم تجزع ؟

فاجاب علي رضي الله عنه :

نعم ، لانه امر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره ، وفي هذا تسليم لقضاء الله عز وجل .

القلوب معك والسيوف عليك

● قال الفرزدق : خرجت اريد مكة ، فاذا بقباب مضروبة ، وفساطيط منصوبة . فقلت لمن هذه ؟ قالوا : للحسين بن علي ، فعدلت اليه ، وسلمت عليه. فقال الحسين : من اين اتيت يا فرزدق ؟ قال : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلت : القلوب معك والسيوف عليك .. والنصر من عند الله .

هفوة شاعر

● قـــال دعبل بن علي الخزاعي : اجتمعنا ثلاثة من الشعراء في قرية ذات بساتين واشجار وارفة الظلال تسمى طهياثا . فشربنا واستمتعنا بهذه البساتين والحدائق ، ثم قلنا : ليقل كل واحد منا بيتا من الشعر في يومنا هذا ، وفرحتنا تلك .

فقال الأول :

نلنا لذيذ العيش في طهياثا

فقال الثاني :

لما حثثنا أقدحا ثــــلاثا

فأرتج على الثالث واعجلناه ، فجـاء على لسانه قوله :

وامــرأتي طــالقــة ثــلاثا

ثم قعد يبكي وينتحب على تطليقه لزوجته ، وقعدنا نضحك منه ونتعجب مما أتفق .

بالجنون

عجل الله منه بالانتقام وصرف معرته ومضرته عن المسلمين والاسلام .

فقال له الحجاج : أتعرفني . قال : لا . قال : فانا الحجاج . فايقن البستاني ان دمه طائح وموته لائح ، فرفع عصا كانت بيده عليه وقال: اتعرفني؟ انا ابو ثور المجنون وهذا يوم صرعي ، وأزبد وأرغى . وهاج وعدا ، واراد ان يضرب راسه بالعصا . فضحك الحجاج وعفا عنه ومضى .

إسْعاف النَّشاشِيبي

أُسْلوبه وَأدَبه

بقلم : اكرم زعيتر

■ لم يكن اسعاف النشاشيبي اماما في نحو اللغة العربية وفي اكتناه اسرار بلاغتها ونبش كنوزها فقط ، بل انه اديب مدقق وكاتب بليغ يمكن أن يُصنَّفَ في صف كبار كتابها ، وان يُرَصَّ مع أعلام محققيها ، وله في الادب آراء استقل بها ومذاهب ذهب اليها .

اما اسلوبه فيمكنك اذا انت قرأت كتبه وتلوت خطبه ، وطالعت مقالاته أن تتبينه جليا ، حتى اذا عرض لك مقال لاسعاف غير موقع باسمه ، حزَرْت أو ضمنت انه له . وقد يوقع مقالا بتوقيع (ازهرى) ويجعل مصدره (المنصورة) ـ وقد فعل ذلك ـ فتخمَّنْ انه لاسعاف المقيم في القدس: جزالة الفاظ ، ترديد عبارات أو مطالع عبارات ، مترادفات توكيدية ، موسيقى ، جمل معترضة تتدخل في الكلام ، أدوات نداء : يا فتى ، يا صاح ، كما لو كان المقال خطبة ، طرافة فكرة ، ابتكار معنى ، نصاعة بيان ، حماسة في عرض الرأى واللود عنه ، استشهادا بقول شاعر أو ناثر ، او فيلسوف ، فهناك ابو تمام والمتنبى ونيتشه وجوته وهنريك ابسن وشكسبير واعلام امثالهم .

وفي اجتهادى أن الأستاذ النشاشيبى قد مر من حيث الأسلوب بدورين : أولهما منذ عاد من الطلب من بيروت في صدر يفاعته وراح يعب اللغة من معاجمها فجاءت كلماته بالغريب من الالفاظ وبدا عليها أثر التكلف ، وأدى اقحام غير المألوف في مقالاته الى اتهامه بما نسميه التقعر حتى صار يومئذ مضرب المثل ، ودارت حول ذلك طرائف منها أن حفلا أقيم لتكريم الشاعر المعروف الرصافي لمناسبة عزمه على مغادرة القدس وكان يدرس في دار المعلمين فيها ، وألقى اسعاف خطبة وداعية ثم جلس وهمس في أذن الرصافي : « أغلب الظن يا استاذ أن احدا من الحضور لم يفهم كلمتى الا انت وانا » فاجابه الرصافي : «العفو يا أستاذ ، ولا انا فهمتها » . وهذه حكاية موضوعة كما اعتقد ، لها دلالتها ،ولعل أسلوبه في دوره الاول جاء بينا في كلمته « سيرة العلم وسيرتنا معه . »

★ ★ ★

ولكن اسعافا ما لبث ، بعد أن تمكن من ناصية اللغة والادب ، وخاض عبابهما بقوة وداب ،وغاص في البحر حتى استخرج الدرر ، وغدا الصيرفي

وحوار طريف بينه وبين أمين الريحاني في اللغة : وسيلة هي أم غاية .

الحاذق ، بخبث الكليم وطيبه ، والذواقة المدركة والحفاظة الذى لا يدرك فى هذه المضامير شاوه اديب او متادب ، حتى تبدل اسلوبه فاتضح بيانه ، وراقت ديباجته ، وسلس مساقه ،ونبل كلامه وهو القائل : « والكلام يلؤم يا فتى كما يلؤم المرء » ، واذا جاءت كلمة اعوزك فهمها الى الرجوع الى القاموس فانما هى بنت سليقته فلا تكلف ولا تصنع ! ودونكها ينم على اسلوب اسعاف خطيبا قال : « وقد يبدع القول ، وقد يدهش القول ، وقد يسحر القول ، وقد يجتاز القول حدود الابداع والادهاش والسحر وكل ارتقاء ،وقد يخترق القول اطباق السماء ، وقد يتناهى القول: قد يصل الى موطن الانتهاء حيث لا سمو ولا علاء: حيث السدرة ، حيث الكرسى ، حيث الله فيجىء القول قرآنا ، وتلك آيات الكتاب. وان العربية لو لم تكن الابداع كله ، ولو لم تكن الجمال الأجمل، ولو لم تكن اللغة المصطفاة ، ولو لم تك لغة عجبا ما اختارها الدهر لقرآنها « الله اعلم حيث يجعل رسالته » !

ودونك اسلوبه فى الانشاء ، وهو خطاب فى الحديث عن عبقرية شوقى الشعرية : قال : « وليست العبقرية فى بيت أحكم سبكه وفصح لفظه ، وبلغ ايجازه وآنس السمع مجازه ،واضاء كالشمس معناه ، وساق مثلا وحمل حكمة .فكائن من أبيات قد اشتملت على هذى الصفات ، ولم تقترب من العبقرية قيد فتر . لكنها من وراء ذلك : انها روح القائل فى قوله ، انها الحياة سرت فى كلمات ، انها القول من كلام الناس وليس من كلام الناس . انها المقاصد قد يرمى فقرطس راميها ، وغزا فآب بفتح فى القول غازيها . انها العبقرية لا يد لصاحبها فيها ولا عمل ثمة لبيت او كتاب او مدرسة او كلية او جامعة ، ولو كان فى الجامعات خير كبير لخرج فى الناس عباقر كثير ، وقد يجلو الصقل جوهرا فيشع ويثير ، ولكن السيف ما لم يلف فيه صقل من سنخه لم ينتفع بصقال . انها العبقرية . انما تجىء من فوق . انها انماط تهبط من السماء « ان هو الا وحى يوحى » . انها العبقرية وانهم العبقريون صفوة البشرية وهداة الناس وقادة الامم وبناة الحضارة.

★ ★ ★

وفى معرض الحديث عن المعنى واللفظ والتفاضل بينهما ينعى اسعاف على القائلين قولهم بأن المعول على المعنى وحده وأن اللفظ ليس بذى بال ويتساءل: « أى المعانى يقصدون ؟ أيقصدون المعانى الأوروبية العلمية ؟ وهذه ان لم تسكن بيتا من الالفاظ مشيدا شيدا محكما سلتت او ماتت او عاشت كالأجرب والمجلوم يفر منها من آنسها ويضع اصابعه فى اذنيه ان نطقت .. انا لا تسالك الا الاحتفاظ بالتركيب العربى والهرب من ركة القول، ثم انت على المتخير فسر فى السبيل الذى تهواه، وتنكب عما لا ترضاه ، وان جنحت الى التجويد فنقحت جملتها وأرضتها أبصرت معانيك واتضحت ، وخلدت كتبك وتابدت . وهل أهلك الكتب المنقولة على عهد (محمد على) وخلفائه الا لحنها وسقم عبارتها ؟ وهل اخلد كتب العلم القديمة فى العربية الا صحة عبارتها وعروبتها ، ولو سخف كلام تلك لسحب الدهر عليها اذيال الاضمحلال . وما بقى المعانى من الدثور الا متانة الفاظها وما يخدمها الدهور الا تحقيق كلامها » وينتهى اسعاف الى القول : « وانما المعنى واللفظ شىء واحد فهما كالجسم والنفس . والجسم كائن فرد لا كائنات متباينات ، واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته » .

ولا أدل على خطأ الذين يرمون اسعافا بالقدامة والجمود من قوله فى كلمته فى اللغة العربية : «وان

المحققين لا يعدون الكلمات المشتقة او المولدة او المعربة من الانتخاب الطبيعى بل من الانتخاب الصنعى Selection Artificiel والانتخاب الصنعى في اللغة ضرورى اى ضرورى . وقد عول عليه الحكماء من السلف الصالح في القرنين الثالث والرابع واعسرهما . ولكن ليس لكل ان ينشيء مصنعا لغويا ثم يجعل القذف بالجملة او الكلمة الممسوخة المشينة . فالمقصود في الدنيا الخير لا الشر ، والحسن لا القبيح ، والجيد لا الردىء. ولا يجادل العاقل في ذلك ولا يرى الأشياء المتباينة متساوية الا فاقد التميز . وفي سياق الجدل حول القديم والجديد كان البعض يجعلونه امام دعاة القديم ، وكنت اسمعه يردد عن هؤلاء :

يقولون اقـــوالا ولا يعلمونهـــــا
وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا !!

وكثيرا ما احالهم على قوله في كلمته في اللغة العربية : « فليس كل جديد ينجم في الدنيا بجيد، وما كل قديم يضاره قدمه ، ولا يرضى الحكم عن الجديد الا اذا جاد ، والجيد لا يرفض بل يستجاد ، وما نبذنا الجديد لجدته : لكن لفقدان جودته ، فاقتدْ علينا بالجديد الجيد نتقبله ولن تجد هذا الا في معادن القديم الكريم ، فابحث عنه هناك وابن عليه » ، اما الاسلوب « فارجع يا فتى الى اسلوب القرون الثلاثة الاولى ، الى الاسلوب الطبيعى العربى ، الى الاسلوب البارسي ، الى اسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين ، وانبذ انبذ مقامات الحريرى ، ومقامات الهمذانى وما شاكلها ، ولا تتصفحها ، اما ابتغيت تعرّفهاه الا خائفا . وحذاريك ان يستعبدك متقدم في الزمان او متاخر ، واياك ان تقلد في القول احدا فالمقلد عبد ، ولا يرضى بالعبودية حر ، والعاقل لا يهب كينونته لسواه وان ساواه او علاه ! »

واذكرُ ان امين الريحانى كان يعيب على صديقه النشاشيبى التعقيد وقال له في رسالة : « ان الجمال اللغوى جمالك لمثل الجمال البدوى ، وان الفخامة في الفاظك لمثلُ الفخامة في صوت ابن البادية . احببت البدوى ولكننى لا احب ان أكون مثله ، واحببت كلمتك ولكننى لا استطيع ولو احببت ان اكتب مثلها . انني محبذ دعوتك للمحافظة على روح اللغة والصيغة العربية فيها ولكنك غاليت في حب القديم . غاليت يا رجل حتى نفترت ! » .

واجابه اسعاف : « .. لستُ مقلدا في القول احدا ، وانما هي الفاظ عربية مضرية عرفتها ، واسلوب عربى مبين عقلته ، وملكةٌ جادت . ثم كلام" هو ثوب روحى وابن نفسي وخليقتي وطريقتي. وفي الخلق شدة ، وفي النفس قوة ، وفيها وضوح، ظاهرها كباطنها ، وباطنها كظاهرها . فانا اشنأ التزويق في الكلام واشنا هذه الاستعارات المخسرات، وابغض بديع الجماعة فلا اعرج الا على القول المبين ولا يجيء منى الا الجملة البينة .. وما هـــذه الا الفاظ مضرية لا حميرية ولا يمانية . وليست من الفاظ حضرموت او الشحر ! فلا تذمنها يا اخا العرب ، واعرضها على السمع لا يمجنهـا ، وحرك بها اللسان فهو لا يستثقلها ، وما غرّب مثلتهـا الا تفهقـرُ امرٍ ، القـارىء في بدّوهـا وحضرها في الألف واحد . »

وقال الريحانى : « ان الانشاء فن ، والتجاوز بالكلف بالفن خسران . وان اللغة ذريعته ، واتخاذ الذريعة ضلال » .

فقال اسعاف: « الحق ان اللغة لم تكن الا ذريعة، ولكن المرء قد تفتن في هذه الذريعة (كما تفتن في ذرائع الشر) فجاء منها الفن : جاء الشعر وجاء النثر وجاءت تلك الصفحات الجيدة العبقرية .. فمن اللغة فن ، ومن انشائها فن . فلا تسالن الفصيح البليغ في المقال ان يذر فصاحته وبلاغته ، وذا الفن ان يهجر فنه وينزل من عليائه الى فينائه. دعه يفتن في الانشاء كيف شاء » . الى ان يقول: « .. فمرغبى ومرغب من يتراءى برأيى ان نصون هذا الرونق او هذه الديباجة كما يصون الكريم ديباجتيه فلا يبذلهما .» ويستطرد اسعاف الى الحديث عن لغة العلم قائلا : « ولغة هذا العلم عند العرب معروفة ، وهى لغة سهلة بينة صحيحة التركيب اللغوى ، قد آخت لغة الأدب الا في الديباجة ، والا في الفاظ ، اقتضاها الحال وعمل فيها الانتخاب الصنعى وكثيرا ما تنساب هـــذه

الالفاظ الى كلام الادباء وتقعد فيه وقلما طردها اديب اريب . »

★ ★ ★

واما بالنسبة الى الشعر فرأى اسعاف فيه هو رايه في النثر . لا يكره التجديد ما توافرت الجودة ، ولكنه يمقت السخف الذى ران على شعر الكثيرين من المحدثين ، وقد سماه الشعر البهرج الهزروفي (الهزروف هو بين الشعر والكلام) ، « ولكن الله لم يدخر السخف لهذا الزمان ولم ينتج عصرا من العصور من خلط وهذيان » . واذكر انني قرات عليه ذات ليلة مثل هذا الشعر « الهزروفي » في مجلة بيروتية فضحك من حلقه وانفه كانه يشخر وأملى عليّ : « انشد رجل ابا عمان المازني شعرا له ، فقال كيف تراه ؟ قال : « اراك قد عملت عملا باخراج هذا من جوفك لانك لو تركته لاورثك السل ! » وقال ابو العيناء : عرض رجل على الاصمعي شعرا رديئا ، فبكى الاصمعي، فقيل له : مايبكيك؟ قال : يبكيني أن ليس لغريب قدر . لو كنت، ببلدي بالبصرة ما جسر هذا أن يعرض على هذا الشعر واسكت عنه . »

ولا يظنن ظان ان الأستاذ يعرّض بالذين يرسلون القصائد ذات الأوزان المختلفة ، والقوافي المتعددة ، فهو قد جلّى في هذا المضمار حين قال راثيا شوقي :

عبقري الشعر ولى ، يا فتاة العرب ، فالبسي ثوب الحداد !

طرفةُ الدهر التي ضن بها الف حول ثم جاد !

(أحمد) عاد ، وعاد (البحتري) ، ورأى القوم (حبيبا) يبدعْ !

نورّ القرآنُ قولاً فعلا ، وسما صاحبه في القائلين !

انما القرآن هدًى الناطقين . انما القرآن نور العالمين .

غثةٌ قولٌ لم يهذّبه (الكتاب) !

كمْ من اهرام رستْ ثم عفت . وكلام عبقري لن يبيدْ .

رب احقاب تقضت،ما رأت عبقريا في شؤون أو فنون .

آه من دهر خبيث ناقد باخل بالعبقرين،ضنين!

ولكن اسعافا لم يقل عن نفسه انه شاعر ! وان في قوله عن المتنبى ما يشير الى نزعة التجدد فيه، قال : « لقد جاء المتنبي بما جاء به وهو من تلك القافية وذاك الوزن في سجن ، والقافية في اكثر الاحايين هي القائلة لا القائل ، والوزن هو الوازن لا شعور الشاعر ، فاكثر الشعر ليس لأهله ولكنه للوزن او للقافية ، انه مما وجد وليس هو مما قصد ، ولولا أن عبقرية في ابى الطيب انكرت الجرى على اساليب القوم وهو القائل : اذا كان مدح فالنسيب المقدم ، اكلُ فصيح قال شعرا متيم ؟! .

ولولا ذاك لاقام دهره من اتباع ابى تمام ياخذ باخذه ولا يجاريه ، ويكد روحه في أن يصوغ كما يصوغ فلا يساويه ، وحبيب في صوغه وغوصه لا يلحق » .

★ ★ ★

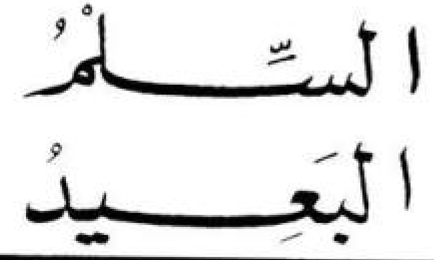
وبعد فقد ظن ظانون أن اسعافا يدعو الى الزهد في الحضارة الغربية فجئتهم بقوله في خطبته « قلب عربي وعقل اوروبي » فكان فصل الخطاب ، وكان مما أوردته من قوله عن المدنية الغربية « ذات التعاجيب . بل ينبوع التعاجيب ، والنظام تصحبه الهيبة ، والفن ان رآه الرائي بُهت » و« ان يوما في باريس خير من خمسين سنة في الصين ، وهناك الابتداع يليه الابتداع فيا اديسون هل هذا وحي يوحى ! . الى أن يقول : « تلكم مدنية الغرب فالخير كل الخير في أن نعرفها، والشر كل الشر في أن نجهلها ، واما اذا عاديناها وهي السائدة الساطية استعلتنا .. وهي مدنية غمرت الكرة الارضية فليس ثمَّ عاصم وان أويتُ الى المريّخ ! ولن ينجينا من عفاريت قومها غيرُها ولن يبعد عنا شرهم الا خيرُها » . ■■

اكرم زعيتر

Zionist / Arab problem

the evasive peace

John H. Davis



كتاب الشهر

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب ـ بالجامعة الاردنية

■ هذا كتاب يأتي على راس الكتب التي صدرت عن القضية الفلسطينية ، بلغات أجنبية ، لانه تتوفر فيه صفات ، لا تجدها عادة في الكتب التي تتصدى للحديث عن قضيتنا الأولى:فهو موضوعي، وصريح ، وجريء ، وكم أتمنى لو أن السفارات العربية في الخارج ، تتعاون على نشره واشاعته بين القراء الأجانب .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور جون ديفيز ، وهو من مواليد ميسوري Missouri عام ١٩٠٤ ، وقد درس الزراعة في الجامعة ، وكان لفترة من الزمن مساعدا لوزير الزراعة في الولايات المتحدة الامريكية . ولكنه كرس نفسه ، في السنوات العشر الأخيرة ، للقضية الفلسطينية ، ومن اجل هذه الغاية ، رضي بأن يكون المدير العام لوكالة الغوث الدولية ، التي تعني بالشؤون الغذائية،والصحية، والثقافية للاجئين الفلسطينيين . وهو اليوم رئيس جمعية امريكية تجمع المال من اجل تقديم العون للفلسطينيين .

والكتاب في مقدمة ، وثمانية فصول . وهو يبدأ القصة منذ بذرت بذور الشر الأولى في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ، ويقف عند شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ . وخير ما في الكتاب هو تحليله للموقف العربي ، والموقف الاسرائيلي ، من هذه القضية .

★ ★ ★

منذ اليوم الأول لاعلان الجمعية العامة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، بدأت الاضطرابات ، واعلنت هيئة كبار العلماء في الأزهر الجهاد . كما أعلنت الهيئة العربية العليا الاضراب لمدة ثلاثة أيام ابتداء من ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ .

وعمت الاضطرابات البلاد ، بينما وقفت القوات البريطانية تتفرج على ما يجرى . واخذت الاسلحة تتدفق على اليهود في فلسطين ، رغم الحظر البريطاني ، وهي اسلحة اشتراها الصهاينة الامريكان من تشيكوسلوفاكيا ، وارسلوها الى فلسطين . وببداية شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٨ تم اتحاد العصابات الارهابية : فانضمت منظمة (ارجون) الارهابية الى منظمة ارهابية أخرى هي (الهاجاناه) ، تحت قيادة الوكالة اليهودية . وهذه القوات الارهابية هي التي استولت في الأسابيع التالية على طبريا ، وحيفا ، والقدس الجديدة ، وصفد ، وبيسان . وقد لجأ قادة الصهيونية الى أبشع أنواع الوحشية ، من أجل جعل العرب يهجرون بيوتهم .

وقد استغل اليهود الى أبعد حد ، ما كنا عليه من تفكك ، وفوضى ، ولهذا فانهم كانوا يجمعون

قوائهم كلها ليوجهوا ضربة عنيفة لنا في موقع معين ، ثم ينقلوها الى مكان آخر ليوجهوا ضربة مماثلة . وقد حاول الشعب العربي الفلسطيني ان يقاوم ، ولكنه كان وحده في الميدان ، ولهذا لم يلبث ان سقط تحت شدة الضربات . وهكذا سقطت البلاد ، مدينة اثر مدينة ، وقرية بعد قرية ، وموقعا بعد موقع . وكان هذا كله نتيجة لانعدام الوحدة الوطنية ، والقيادة الواحدة .

وفي ١٣ مايو (ايار) أعلن أهل يافا استسلام مدينتهم ، وفي اليوم التالي كانت اسرائيل دولة ، وفي هذا اليوم دخلت الجيوش العربية من مصر ، والاردن ، والعراق ، ولبنان ، وسوريا ، الى فلسطين . ولم تكن البلاد العربية في هذا الوقت في حالة تحسد عليها ، اذ أن بعضها كان حديث الاستقلال جدا ، ولم يقف على قدميه بعد ، بينما كانت القوات الأجنبية ترابط على ارض بعضها الآخر . ويقدر الجنرال جلوب في كتابه « جندي

المنال

تأليف جون ديفيز

مع العرب » القوة العربية التي ارسلت الى فلسطين بنحو ٢١٫٥٠٠ جندي ، بينما كانت القوة اليهودية ٦٥٫٠٠٠ جندي . ولهذا فلا عجب اذا انتهت الحرب الى ما نعرف .

★ ★ ★

وفي سنة ١٩٥٦ ، تحالفت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا ، على اثر تاميم مصر لقناة السويس . وبتواطؤ مع هاتين الدولتين ، بريطانيا وفرنسا ، قامت اسرائيل في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) بغزو شبه جزيرة سيناء . وفي ٣١ اكتوبر دمرت طائرات هاتين الدولتين اهدافا عسكرية في مصر ، وردت مصر على هذا بان اغرقت سفنا في القناة لتحول دونهما وعبورها . وقصة هذه الحرب

معروفة ، وخير ما كتب عنها في رأيي : كتاب The Road To Suez لمؤلفه الكاتب والنائب البريطاني Erskin Childers ، وكتاب No End of a Lesson للوزير البريطاني Anthony Nutting ، الذي استقال من الوزارة البريطانية بسبب هذه الحرب .

وابرز ما في تاريخ هذه الحرب أن الشعور العالمي كان مع مصر . ولم يحل شهر مارس (آذار) ١٩٥٧ حتى كانت القوات الغازية قد انسحبت من الأراضي التي احتلتها أثناء هذه الحرب . ووضعت قوة طوارىء دولية على الحدود بين مصر واسرائيل ، وبقيت هذه القوة في مواقفها الى ان طلبت سحبها الجمهورية العربية المتحدة ، في مايو (أيار) ١٩٦٧ .

★ ★ ★

وزادت هذه الحرب في حدة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، فكانت الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٧ و ١٩٦٧ مشحونة بالتوتر المستمر على الحدود ، الى أن انتهت بحرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، وكان النصر فيها للصهاينة وقد استغلت اسرائيل هذا النصر الى أبعد حد ، فاغرقت الصحف ، والاذاعات ، والتلفازات ، في العالم بانباء هذا النصر . وأداتها في هذه الدعاية ، الصهيونية العالمية ، ومقابل هذا لم يكن العرب يملكون شيئا من وسائل الدعاية للعالم الخارجي .

هذه هي الأحداث الرئيسية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وهذا ما يعالجه مؤلف الكتاب باسهاب أكثر في الفصل الرابع .



والآن ، ما هي حقيقة اسرائيل ؟ .

وهذا هو ما يجيب عنه الدكتور ديفيز في الفصل السابع . وما نحاول ان نجيب عنه نحن ايضا .

ان الحقيقة الأولى عن اسرائيل هي انها قامت بجهود المنظمة الصهيونية ، فهذه المنظمة استطاعت أن تقنع الدول الكبرى بمخططها ، وجعلتها تعمل معها من أجل اقامة هذه الدولة ، بحيث انتهى الأمر بهذه الدول الكبرى الى أن كان لها الدور

الاول في قيام اسرائيل ، والمحافظة على بقائها . ونستطيع ان نقول : لو ان اسرائيل لم تحظ بهذا الدعم من الدول الكبرى ، لاجهضت وهي ما زالت بعد جنينا . ورغم أن وجود اسرائيل في وسط المنطقة العربية ، لا يعني انها باقية بقاء أبديا ، الا اننا لا نستطيع أن نقول انها غير موجودة ، وان كنا لا نعترف بهذا الوجود .

والحقيقة الثانية عن اسرائيل هي : انه لم يكن بالامكان ان تقوم، لولا اعتمادها على القوة والارهاب، في فرض نفسها على السكان العرب ، الذين قاوموا قيام مثل هذه الدولة بعنف وضراوة .

والحقيقة الثالثة هي : أن هذا الصراع المسلح بين الدول العربية واسرائيل ، هو نتيجة لاستعمال اليهود للقوة ضد عرب فلسطين ، ومن أجل فرض وجود دولة لهم ، على أرض لا يملكونها . وقد ساعدتهم الدول الكبرى في فرض وجودهم . وانتهى هذا الى طرد السكان العرب من بيوتهم واملاكهم ، فاصبحوا لاجئين ، واصبحت املاكهم يتصرف بها اناس لم يكن لهم قط صلة بفلسطين .

ولما كان اليهود اقلية في الأرض التي اقيمت عليها دولتهم ، فان سياسة الصهيونية كانت : طرد مئات الآلاف من العرب ، وجلب مئات الآلاف من اليهود ليحلوا مكانهم .

وهكذا اشتركت ثلاث قوى في الظلم الذى حل بعرب فلسطين ، وهذه القوى هي : الصهيونية العالمية ، وبريطانيا ، وامريكا .

والحقيقة الرابعة هي : ان اسرائيل ، حتى بعد قيامها ، اتخذت من العرب موقف التحدى ، مما زاد في حدة الصراع بينهما . وهذا واضح في احداث ١٩٤٨ و ١٩٥٦ ، وهو اكثر وضوحا في حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، وبعدها : حيث ضمت اليها القدس العربية ، ورفضت الانسحاب من الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، وسيناء ، والجولان. وهي لم تسمح للكثرة الكاثرة من لاجئي الضفة الغربية بالعودة الى ديارهم .

★ ★ ★

هذه هي حقيقة اسرائيل .

أما حقيقة الدول العربية ، فهي أنها تسعى الى القضاء على اسرائيل كدولة يهودية ، وبهذا تخلص عرب فلسطين من الظلم الذى حل بهم . والأرض ، قبل هذا وبعد هذا ، أرض عربية ، لا يرضى العرب أبدا أن يفرطوا فيها .

والحقيقة الثانية هي أن العرب أقوياء : فهم يملكون مساحات شاسعة من الأرض ، وفيهم كثرة في العدد وبلادهم غنية . وهذه كلها مجتمعة تجعلهم اقوى من اسرائيل بكثير . ولكن العرب لم يستفيدوا بعد، من كل هذه الامكانيات، بل انهم لم يستخدموا شيئا من هذه الامكانيات في صراعهم مع اسرائيل . وكان الموقف العربي دوما هو التحرك ساعة الخطر فقط ، او ترك الامور للزمن ايمانا منهم بأن الزمن الى جانبهم. وهم في كلتا الحالتين انما يخالفون الواقع ، ومنطق الحياة . وكانت نتيجة هذا الموقف العربي ان كان لكل دولة عربية سياستها الخاصة بها نحو اسرائيل ، مع تنسيق بسيط يظهر الى الوجود في اجتماعات الجامعة العربية ، او مؤتمرات القمة .

ومن الواضح ان مثل هذه السياسة تفتقر الى قيادة مركزية ، تجمع هذه القوى ، وتتحمل المسؤولية ، وتكون السلطة بيدها . وكان من نتيجة هذه الفرقة ، وما ترتب عليها من نتائج ، ان خسرت الدول العربية مزيدا من الأرض ، بعد كل حرب . يضاف الى هذا أنه لم يكن لدى العرب اعلام نشيط منسق ، موجه للعالم الخارجي ، وكان اعلامهم الداخلي يسيء اليهم اكبر اساءة ، وهذا كله جعل العالم الخارجي ، في كثير من دوله يقف ضدنا .

★ ★ ★

ورغم ما حل بالعرب في حرب يونيه (حزيران) ، الا انهم ، مجتمعين ، اقوياء ، بحيث يستطيعون أن يتصدوا لاسرائيل ، ويرفضوا الاعتراف بها ، ويرفضوا المحادثات المباشرة ، الا انهم رغم كل ما حدث ، ما زالوا متفرقين ، وبدلا من أن يوحدوا امكانياتهم لاجبار اسرائيل على الانسحاب ، نراهم يحاولون ــ عن طريق الدول الكبرى ــ اقناعها بالانسحاب ، ومثل هذا الموقف العربي ، يزيد من تمسك اسرائيل بالاراضي العربية ، ويشجعها على

ان تخطط لمستقبل ، تستطيع فيه أن تكسب مزيدا من الأرض والثروات .



ونحن لا نستطيع أن ننكر أن حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ اثبتت أن اسرائيل مصممة على البقاء كدولة في المنطقة ، وانها قد أعدت عدتها لذلك : فكل قادر على حمل السلاح جندي فيها ، وهي قادرة على حشد طاقات شعبها بسرعة فائقة ، وهي تعتمد على عنصر المفاجأة والضربة السريعة المركزة ، وبالاضافة الى هذا فهي دولة حديثة ، قائمة على العلم ، والتخطيط .

ولكن حرب يونيه (حزيران) لم تحل مشكلة اسرائيل الأساسية ، وهي الحصول على السلام ، والاعتراف بها من الدول العربية . بل ان الحرب جرت على اسرائيل مشاكل أكثر من السابق . وبدلا من أن يؤدى انتصار اسرائيل الى استسلام العرب ، نجد انه قد عمق الهوة بين الفريقين ، وزاد من عداوة العرب لها . ولا يبدو أن العرب قد وهنت عزيمتهم ، فهم قد رفضوا الاعتراف باسرائيل ، والدخول معها في مفاوضات صلح ، واصروا على وجوب انسحابها أولا ، ثم تسوى الأمور الأخرى عن طريق هيئة الامم ، لا بالمفاوضات المباشرة .

وهو موقف صلب ، بعد هزيمة كهزيمة يونيه (حزيران) .

وهكذا نجد أن اسرائيل فشلت في تحقيق ما طمحت اليه ، وما تريده اسرائيل في رأيي هو : أرض كافية لاقامة دولة عليها ، تستوعب ملايين اليهود الذين يمكن اقناعهم بالهجرة اليها ، واعتراف بها من دول المنطقة يحقق لها سلما دائما ، واذا تحقق لها هذان الحلمان ، فان النتيجة الحتمية لها هي سيطرتها الاقتصادية التامة على المنطقة بكاملها . ولا ترضى اسرائيل عن أى من هذه المطامح الثلاثة بديلا .

★ ★ ★

وتواجه اسرائيل اليوم مشكلة تقلقها في الارض العربية التي احتلتها ، وهي أرض تبلغ مساحتها أضعاف مساحة اسرائيل . انها تواجه مشكلة ادارة المناطق المحتلة ، وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، المكتظين بالسكان . ومما يجعل ادارة هذه المناطق عسيرة ، ان العرب فيها يحملون لليهود كراهية لا مزيد عليها ، وقد عبروا عن هذه الكراهية في كل مناسبة ، قولا وعملا . ولهذا السبب فان اسرائيل مضطرة للاحتفاظ بوحدات عسكرية فيها ، وهذا عبء على اقتصادها ، ويحرمها من الأيدى العاملة في الصناعة والزراعة ، لأن جيشها في أكثره من الجنود الاحتياطيين .

ويوجد الآن في المناطق المحتلة نحو (٧٥٠) ألفا من اللاجئين الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ . وهذه مشكلة أخرى . فاذا فكرت اسرائيل بضم هذه المناطق اليها ، فانها ستصبح في المستقبل القريب دولة ، فيها اليهود اقلية ، لأن نسبة المواليد بين العرب ، ضعف ما هي عليه عند اليهود . ولن تحل الهجرة المنتظرة مشكلة اسرائيل ، لأن الواقع اثبت أن اليهود عازفون عن الهجرة اليها ، اذا لم يستتب السلام في المنطقة .

وأمام معضلة ادارة مناطق معادية ، مكتظة بالسكان ، النشيطين في مقاومتها ، لم تجد اسرائيل سوى اللجوء الى الاساليب الوحشية : من سجن ، وتعذيب ، وقتل واعتقال جماعي ، ونسف للبيوت . وهذه الأعمال البربرية خلقت لها مشكلة جديدة أيضا : اذ انها ، بدلا من أن تخضع السكان العرب ، زادت من عداوتهم ، ودفعتهم الى أن يكونوا أنشط في مقاومتهم للاحتلال ، وهذا واضح اذا قارنا بين حال العرب بعد الاحتلال مباشرة وحالهم اليوم .

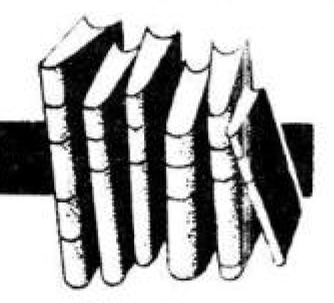


ومن المشاكل الحادة التي تجابهها اسرائيل ، نشاط المنظمات الفدائية : فالفدائيون اقضوا مضجع اسرائيل ، وجعلوها تضع عددا من قواتها في حالة استنفار دائم ، وهم أيضا فتحوا عيون العالم على حقيقة كانت خافية عليه : اذ استطاعت الدعاية الصهيونية أن توقع في روع العالم الخارجي أن اليهود أخذوا أرض فلسطين ، وهي أرض خالية من السكان . وقد بلغ من صفاقة رئيس وزراء اسرائيل السابق ليفي اشكول ، أن قال لمحرر جريدة

« نيوزويك » الامريكية ، ردا عن سؤال : « من هم هؤلاء الفلسطينيون الذين تتحدثون عنهم في هذه الايام ؟ انهم لم يكونوا سوى مجموعة قليلة العدد ، من البدو » . !!!

واكثر ما تخشاه اسرائيل ، ومعها بريطانيا وامريكا ، أن يعرف العالم الحقيقة ويدرك الظلم الذى حاق باهل فلسطين ، وكيف أنه كان ضحية للخداع والتضليل . ان الفدائيين يثيرون القضية من أصلها ، وقد أخذ العالم يدرك الادوار التي مثلها على مسرح الجريمة ، كل من الصهيونية وبريطانيا وامريكا . وسيعرف عنها الكثير بعد ، لان العرب بملايينهم المئة ، مصممون على أن يفضحوا المؤامرة والمتامرين ، ولا يمكن أن ينسوا ما حل بهم . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الوحدة الاسلامية

تأليف : زيد بن عبد العزيز بن فياض . الناشر : مطابع القصيم ـ الرياض

● مجموعة موضوعات اسلامية تتناول مسألة الوحدة الاسلامية واهمية بناء السياسة على قواعد اسلامية وعلى مستوى اسلامي شامل . كما يوضح الكتاب ان المسلمين في حاجة الى ان يخططوا سياستهم لتكون سياسة اسلامية واضحة وتأخذ جانب العدل والتعاون المثمر وتثبت كذلك ان الاسلام ليس منزويا عن الاحداث وليس دين جمود واهمال وانما هو دين عبادة وعلم وسياسة واقتصاد ينظم حياة البشر ويرشدهم لما فيه خيرهم وسعادتهم .

تطور النقود العربية الاسلامية

تأليف : الدكتور محمد باقر الحسيني ـ الناشر : مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد/العراق .

● دراسة موجزة عن النقود العربية الاسلامية وتطورها تاريخيا وعلميا ، منذ ابتداء تداولها ، ثم اهمية هذه الدراسة من حيث انها وثائق رسمية لايمكن الطعن بها بسهولة . وهي بذلك تعتبر من أهم مصادر التاريخ كما انها اهم شارات الدولة ، تتصل باقتصاديات الدولة وبسياستها وتشريعها وعلاقتها بالدول المجاورة ، كما تعد صفحة كاشفة عن حكومات الدول المتعاقبة .

بنو اسرائيل في القرآن والسنة

تأليف : الدكتور محمد سيد طنطاوى . الناشر : دار حراء ـ القاهرة .

● كتاب يقع في جزئين، يتناول الجانب الديني لليهود ، ويستمد موضوعه من كتاب الله ومن سنة رسوله والمؤلف يكشف عن أحوال بني اسرائيل وتاريخهم واخلاقهم واكاذيبهم وقبائحهم .

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثمانية فصول وخاتمة . نذكر من هذه الفصول فصلا عن تاريخ اليهود وأحوالهم منذ هجرتهم الى مصر الى التدمير الثاني لاورشليم على يد الرومان . ثم تاريخ يهود جزيرة العرب وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، ثم فصلا يتحدث عن مسالك اليهود للكيد للاسلام ووسائلهم الخبيثة لذلك ، وفصلا آخر عن لقاء السيف بين المسلمين واليهود وغزوات المسلمين لبني قينقاع والنضير وقريظة ، وفصلا آخر عن رذائل اليهود كما صورها القرآن . وآخر عن طائفة من العقوبات التي عاقب الله بها بني اسرائيل جزاء ظلمهم وبغيهم . ثم خاتمة عن فلسطين والغزو الصهيوني لها والاسباب التي ادت الى كارثة فلسطين .

من القصص العالمي

ترجمة : عيسى الناعوري . الناشر اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ عمان/الاردن

● مجموعة أقاصيص لقصاصين من أطراف العالم الغربي ، متنوعة الالوان والبيئات ، متنوعة الاقلام والاوطان ذات نزعة انسانية .

الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

تأليف : انور الجندى . الناشر : مطبعة الرسالة ـ القاهرة .

● دراسة قيمة عن ثقافة الاسلام وموقفه من تحديات الاستعمار والتيارات الضخمة التى انطلقت من دعوات ومذاهب مادية أو روحية ، سواء مايرمى الى التحلل من الدين ، او التحلل من قيد اللغة العربية الفصحى ، او بناء التصور العربى بعيدا عن الاسلام ، او عن الدين جملة ، أو ما يتصل بالدعوة الى الفرعونية او البربرية او الفينيقية ، ثم تلك الشبهات في مختلف مجالات الثقافة العربية الاسلامية ، فشملت الاسلام ورسول الاسلام والقرآن والفكر العربى ، والحضارة العربية الاسلامية وقيم الفكر العربى والسنة والتشريع الاسلامى والادب العربى والتاريخ .

هذه الدعوات التى كانت في أغلبها ردا مرحليا لهجوم مركز مقصود من النفوذ الغربى الذى يعمل لبعث الخلافات القديمة واحياء الشبهات المدفونة فحرى بنا ان ننظر الى ذلك في يقظة وحرص ونتفهم بواعثها وغاياتها ومصادرها .

ثم دراسة عن التغريب وزعمهم بانه وحدة الثقافة العالمية وزعمهم كذلك بانه الدعوة الى التمدين والتحضر للامم المختلفة . وسوق الناس الى الولاء والعبودية لسيادة الفكر الغربى واحلال قيمه ومفاهيمه مكان كل القيم الفكرية الثقافية التى يدين بها الشرق والعالم الاسلامى .

لغز ابى العلاء

تأليف : الدكتور محمد يحيى الهاشمى ـ الناشر : دار العرفان . صيدا ـ لبنان .

● دراسة تتناول ابا العلاء في بحثه عن المعارف الطبيعية من خلال المصادر العلائية . ثم دراسة مقارنة بين ابى العلاء وبعض الشخصيات العالمية مثل الفيلسوف كانت الذى وصل الى نتيجة متقاربة من النتيجة التى وصل اليها المعرى ، ثم نقاط تشابه بين الحكمين بوذا والمعرى ومحاولة لحل التناقض الذى نراه في تفكيره ، فمن شك مقلق والحاد ظاهر . الى يقين وايمان صادق .

خالد الفرج حياته ، آثاره

تأليف : خالد سعود الزيد . الناشر : المطبعة المصرية / الكويت .

● دراسة وافية قيمة عن حياة احد شعراء الكويت المرموقين تتناول حياته وآثاره الادبية والفكرية . وقد قام المؤلف بالقاء الضوء على حياة الشاعر وتنقلاته في الأمصار المختلفة وما اكسبته هذه الرحلات من تجارب وصقل لموهبته الشعرية . كما اورد المؤلف مختارات من شعره الذى نشر في ديوانه . كما نشر رسالة خالد الفرج « علاج الامية في تبسيط الحروف العربية » كنوع من نتاجه النثرى . ثم مقالات متفرقة لكتاب له مفقود باسم « رجال الخليج » تبين طريقة الشاعر في تحليله للشخصيات التى يدرسها .

ارشاد القارىء والسامع لكتاب الدرر اللوامع

منقولة بخط : الشيخ السنوسى محمد الغزالى ـ منشورات : دار الكتاب الليبى ـ بنغازى/ليبيا .

● كتاب في النحو العربى يتناول طائفة من مشاكله ويورد بعض الشواهد عليه مع تخريجات هذه المشاكل وهو ملخص من كتاب تحصيل المنافع للشيخ عبد الله بن احمد الحاج .

امارة بهدينان العباسية

تأليف : محفوظ محمد عمر العباسي . الناشر : مطبعة الجمهورية ـ الموصل / العراق .

● دراسة لتاريخ امارة منسية ، قامت بعد سقوط بغداد على يد المغول كان مقرها في العمادية . والاخبار عنها مبعثرة في الكتب ، وقلما تواجدت في كتاب جامع ، فقد وصف المؤلف هذه الامارة وصفا شيقا ثم تكلم عن الامارات العباسية التى قامت بعد سقوط دولتهم ، ومن قام فيها من الحكام وذكر أعمالهم وخدماتهم للعلم والدين ومنشآتهم العمرانية . كما تكلم كذلك عن الاكراد في بهدينان فوصف مجتمعهم وتقاليدهم ولغتهم وما شيدوا من جوامع ومدارس .

■■



السيرك

والمسرح الروماني القديم

● متى شيد أول سيرك في العالم ، ومن الذى شيده ؟

يوسف كريم ـ الكويت

● أجمع الكثيرون من المؤرخين على أن فكرة السيرك الحديث مستمدة من المسرح الروماني القديم . وقد كان أول سيرك اقيم في التاريخ القديم هو سيرك مكسيموس Circus maximus الذى أعاد بناءه يوليوس قيصر ، (١٠١ـ٤٤)ق.م)

وكان يتسع لاكثر من ٢٨٥ الف متفرج ، يجلسون فوق مدرج يحيط بحلبة السيرك من جهات ثلاث . ثم أجريت توسيعات شتى على سيرك مكسيموس خلال العهود المتعاقبة .. ثم كان أوسع وأضخم مسرح روماني بعد الميلاد هو الكوليزيوم الذى

القوزاق

● من هم القوزاق وأين كانوا يعيشون ، وما معنى هذه الكلمة ؟ .

اسماعيل محمد ـ عمان

ـ القوزاق اسم اطلق على قسم كبير من اهالي الامبراطورية الروسية القديمة ، وهو مشتق من التركية فهو في الأصل Quzzaq ، ومعناها المغامر .

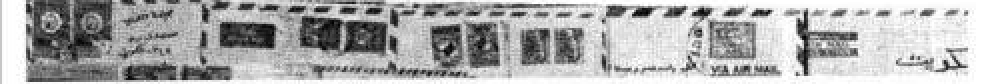
والقوزاق ينتمون الى عدة أجناس مختلفة ، بداوا يشقون طريقهم في أواخر القرون الوسطى ، ويستقرون في النهاية في المناطق الجنوبية والشرقية للحدود الروسية . وقد آمنوا بالديانة المسيحية الارثوذكسية التي كانت سائدة في روسيا في ذلك الوقت .

وقد اتخذ هؤلاء القوم من القتال حرفة ، ولم يقيموا وزنا للنفس البشرية ، وقد برعوا في ركوب الخيل وفي التخفي وفي شن هجمات خاطفة على اعدائهم دون أن يمكنوهم من الدفاع عن انفسهم .

وفي نهاية القرن السادس عشر ، تمكن القوزاق من تنظيم صفوفهم في ثلاث مجموعات تعيش في ثلاث مستعمرات فوق الجزر المنتشرة في نهر الدون ونهر الاورال ، وفي الدنيبر ، وقد حصنوا مستعمراتهم تحصينا قويا واخفوها عن اعين الغرباء بالأخشاب والأشجار ، وعاشوا في جو تسوده الحرية والمساواة ، وقد أصبح هذين المبدأين بعد ذلك دستورا وقانونا يحكم بينهم .

وكان لهم برلمان في كل مستعمرة اسموه رادا Rada ، يجمع نواب الشعب ، ويتمتع بسلطة منح الحياة أو سلبها بالنسبة لكل الذين يعيشون داخل حدود المستعمرة التي كان يرأسها « كوشيفوى » Koshevoy ، وهو لقب منحوه لرئيس الجمهورية أو المستعمرة ، الذى ينتخبه الشعب .

وفي عهد « ايفان الرهيب » Ivan the terrible في القرن السادس عشر ، تمكن القوزاق بقيادة زعيمهم تيموفيتش Timofeyitch من انزال



شيد في عام ٧٩ ميلادية ، وما تزال آثاره باقية حتى اليوم في روما ، وقد كان يتسع لأكثر من ٥٠ الف متفرج .

اما السيرك الحديث فلم يظهر الا بعد منتصف القرن الثامن عشر ، وفي عام ١٧٦٨ على وجه التحديد عندما وقف اول جمهور من أفراد الشعب البريطاني يصفق لجاويش سابق في الجيش يدعى فيليب استلى Philip Astley (١٧٤٢-١٨١٤) وهو يتشقلب على ظهر جواده وسط حلبة صغيرة، ويقوم بحركات بهلوانية والجواد منطلق بأقصى سرعته ، ولم يكن استلى صاحب فكرة عرض مهارته في ركوب الخيل على الجمهور ، اذ سبقه اليها فريق من الفرسان الذين كانوا يقفزون بجيادهم فوق الحواجز في الحدائق العامة فيلتف الناس من حولهم معجبين ومشجعين .. ولكن استلى كان أول من نظم هذا العرض ونقله داخل جدران لا يسمح لأحد بدخولها ، الا بعد أن يدفع الثمن .

والفرق بين السيرك القديم والحديث ، هو ان الاول كان حلقة للمصارعة بين الرجال المحاربين، الذين كانوا يدخلون في قتال حتى الموت .. أو بين الرجال والوحوش الضارية التي كانوا يطلقونها عليهم بعد تجويعها .. وفي الاحتفال الذى اقيم بمناسبة مرور الف عام على انشاء مدينة روما قبل الميلاد بأكثر من مائتى عام ، قتل في ساحة القتال ما يقرب من الفى محارب ، ومائتى وحش على الأقل .

وقد بدأ ظهور القتال بين المحاربين في عام ٢٦٤ قبل الميلاد واستمر حتى عام ٤٠٤ بعد الميلاد عندما تقرر الغاء هذه الفئة من المحاربين محترفي القتال .. وهى حرفة توارثها الرجال وفاخروا بها قرونا طويلة في روما القديمة .

(م. ن)

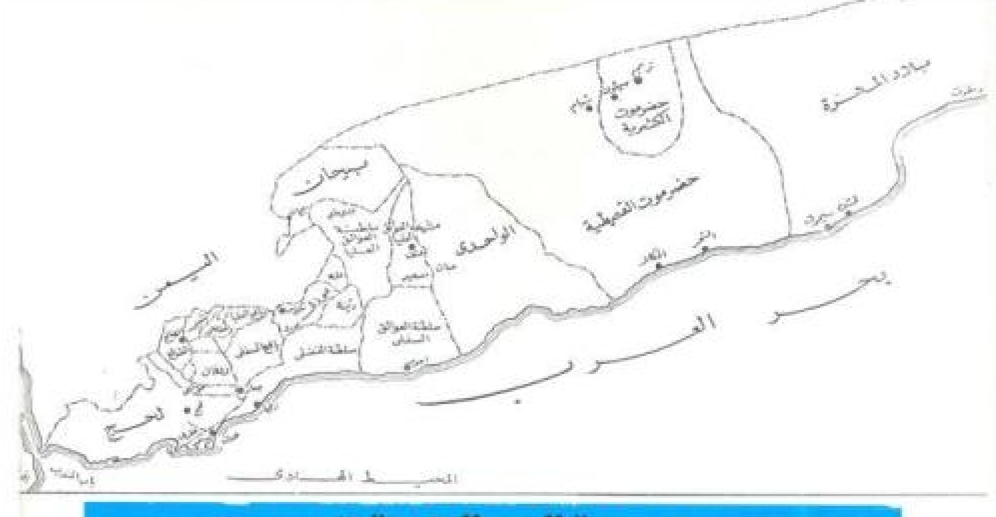


الهزيمة بالتتر ومد حدود اراضيهم الى سيبريا .

وقد ظل القوزاق يتمتعون بمزايا خاصة في روسيا القيصرية ، مقابل الاستعانة بخبرتهم العسكرية التى كانوا يؤدونها جميعا في عمر معين يبدأ من الثامنة عشرة ويستمر لمدة عشرين عاما .

وعندما نشبت الثورة البلشفية ، وفى خلال الحرب الأهلية التي اعقبتها ، استعان البلاشفة بالقوزاق وكونوا منهم وحدات القوزاق الحمراء . الا أن البعض منهم حارب فى صفوف الجيش الأبيض الذى كان يضم العناصر المعادية للثورة . وهكذا وقفوا وسط ميادين القتال ، يحارب بعضهم بعضا .. وعندما حلت الهزيمة نهائيا بالجيش الأبيض ، غادر ما يقرب من ٣٠ الف قوزاقي روسيا مع الوف الفارين من الاهالي الذين فضلوا الحياة خارج روسيا البلشفية .. وما لبثوا ان ذابوا في المجتمعات الغربية التى لجأوا اليها فى مختلف دول أوربا وآسيا .. وكذلك الذين بقوا منهم تحت الحكم السوفيتي الجديد بعد الثورة ، فلم يعد يعرف عنهم الا النذر اليسير ! .

(م . ن)

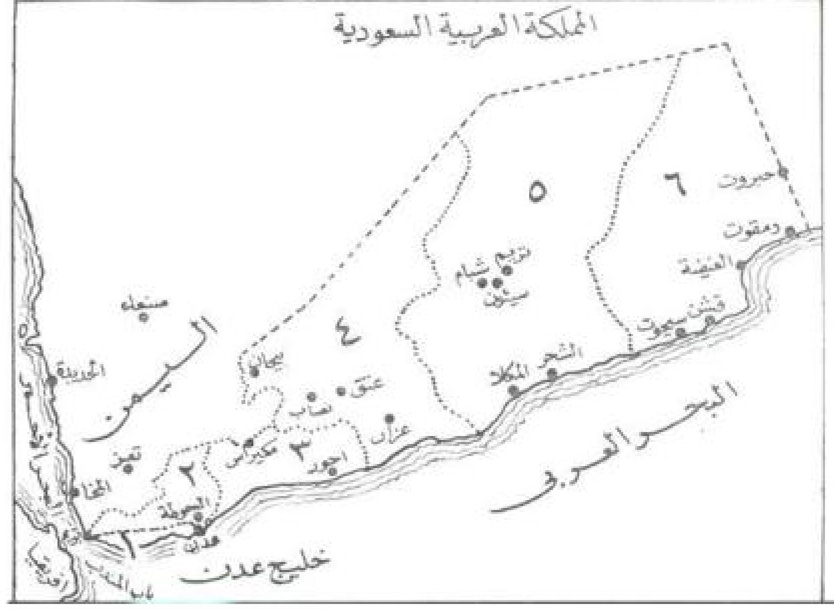


جمهورية اليمن الجنوبية تضم ٦ محافظات بدلا من ٢٤ مشيخة وامارة

● ما الذى حدث لامارات الجنوب العربى ، وهل ما زالت هذه الامارات تحمل نفس الأسماء السابقة ؟ وما هو التقسيم الادارى الجديد لجمهورية اليمن الجنوبية   أ . غ . دمشق

ـ كان الجنوب العربى يضم فى السابق ٢٤ امارة ومشيخة وسلطنة ، وكانت ١٤ فقط من هذه الامارات مشتركة فى اتحاد الجنوب العربى السابق .. ويمكنك أن ترى موقع واسماء هذه الامارات ، على الخريطة رقم (١) المنشورة فوق هذا الكلام.. أما التقسيم الجديد لهذه الامارات ، التى اصبحت تشكل جمهورية اليمن الجنوبية فيمكنك أن تراه فى الخريطةرقم ٢ اسفل هذا الكلام .. ومنه يتضح لك أن ال ٢٤ امارة وسلطنة قد انصهرت فى ست محافظات فقط تحمل ارقاما دون اسماء : اى المحافظة الاولى ، والثانية وهكذا ..

ومما يذكر أن المحافظة الثانية قامت مكان تسع سلطنات سابقة هى : لحج، والصبيحة، والضالع، والشعيب ، والحواشب ، والعلوى ، وردفان ، والمفلحى ، وحالمين .. واصبح للمحافظة الجديدة مركز ادارى واحد هو الحوطة .   (س.ز.)



مياه الخليج المالحة تهدد مياه شط العرب العذبة

● شط العرب : اسم النهر العربي الذي تردد ذكره كثيرا في الآونة الاخيرة ، هل يمكنكم اعطاؤنا نبذة عامة عنه ، وعن كمية مياهه التي يصبها في الخليج ؟

عمر بن عمر ـ الجزائر



ـ تلتقي مياه نهر دجلة بمياه نهر الفرات عند منطقة القرنة ، التي اخذت اسمها من اقتران مياه النهرين ، وبعد التقاء النهرين تسير مياههما في نهر واحد هو نهر شط العرب ، الذي يبلغ متوسط عرضه ٣٠٠ متر ولكنه يتسع وقت الفيضان فيصل الى ٥٠٠ و ٦٠٠ متر . اما طوله فيبلغ ١١٨ ميلا من عند التقائه في القرنة حتى مصبه في الخليج العربي .. ومياه هذا النهر هي التي تغذي أكثر من ٢٠ مليون نخلة تصلها المياه عبر ٦٥٠ قناة صغيرة .. ويخضع شط العرب لظاهرتي المد والجزر مرتين يوميا ، فترتفع مياهه بمقدار ٦ الى ١٠ اقدام في فترة المد ، وهذا الارتفاع عند المد يدفع بالمياه الى القنوات دون استعمال المضخات ، فترتوي مزارع النخيل ، وتنتظم حركة الملاحة ويصطاد الصيادون افضل انواع الاسماك ..

وتندفع مياه شط العرب فتنضم اليها مياه نهر قارون من الشرق ، وتسير كلها لتصب في الخليج العربي بكمية هائلة تصل الى ٣ ملايين قدم مكعب في الساعة ، وترتفع هذه الكمية في اوقات الفيضان حتى تصل الى ١٥ مليون قدم مكعب في الساعة..

وعند اندفاع مياه النهر تحمل معها الاف الاطنان من الطمي الذي يسد القنوات وممرات الملاحة ، لهذا تعمل الكراكات باستمرار لتنظيف قاع الممر المائي الذي تسير فيه السفن ذات القاطس الممتد الى ٢٣ قدما ، ولكن في فترة المد تستطيع السفن ذات القاطس الممتد الى ٣٢ قدما الدخول الى شط العرب .. ولهذا تحتاج السفن الكبيرة الى مرشد دائم لتسير في مياه شط العرب المؤدية الى ميناء البصرة ، مثلها في ذلك مثل الملاحة في قنال السويس .. وهناك ميناء للنفط عند مدخل شط العرب هو ميناء الفاو ..

ويقول الخبراء ان مياه شط العرب لن تستمر في عذوبتها طويلا ، فهي مقبلة على تغير كبير لأن مشاريع السدود الهائلة التي بدا تشييدها عند منابع نهري دجلة والفرات ستقلل من كمية المياه العذبة التي تندفع الى مياه الخليج العربي .. ونتيجة لهذا ستنقلب الآية ، اذ سوف تندفع مياه الخليج المالحة الى شط العرب وتحوله الى نهر مالح بدلا من نهر عذب !

(س.ذ.)

اتحاد ماليزيا

بلاد المطاط والقصدير

وما جرى فيها أخيرا من معارك دموية

● حملت لنا الصحف أخيرا أنباء الاضطرابات العنصرية الدامية التي وقعت في دولة ماليزيا واسفرت عن قتل واصابة المئات من أهل هذه البلاد . فما هو سبب هذه الاضطرابات . هل لكم أن تعرفونا بهذه الدولة ؟ .

سامي أحمد ـ عمان

ـ ماليزيا دولة اتحادية آسيوية تضم شبه جزيرة الملايو التي تتألف من ١١ ولاية ، كما تضم ساراواك Sarawak ، وصباح Sabah أو بورنيو الشمالية North Borneo ، وعاصمة اتحاد ماليزيا هي مدينة كوالا لامبور ، وهي في شبه جزيرة الملايو نفسها .

وعندما قام اتحاد ماليزيا في عام ١٩٦٣ ، كان يضم أيضا جزيرة سنغافورة، الا أن هذه المستعمرة البريطانية السابقة ما لبثت أن انسحبت من الاتحاد بعد ذلك بعامين في عام ١٩٦٥ . ويفصل بين اقليمي الاتحاد الرئيسيين مسافة شاسعة من مياه بحر الصين الجنوبي ، يزيد طولها على ٦٤٠ كيلو مترا ، وهناك حدود مشتركة لاراضي اتحاد ماليزيا مع دولة تايلاند أو سيام، ومع جمهورية اندونيسيا في جزيرة بورنيو .

اما سكان ماليزيا الذين يبلغ عددهم ، طبقا لآخر احصاء اجرى في عام ١٩٦٥ ، تسعة ملايين ونصف مليون نسمة ، فهم خليط من الناس ، فهناك أهل الملايو الاصليون او الملاويون وهم قريبو الشبه من الاندونيسيين ويشكلون ٤٧٪ من مجموع سكان الاتحاد ، ثم هناك الصينيون ويمثلون ٣٥٪ من السكان واخيرا الهنود والباكستانيون الذين لا تزيد نسبتهم على ١٠٪ من مجموع السكان . وبينما يدين معظم سكان البلاد بالاسلام الذى هو دين الاتحاد الرسمي ، نجد أن غالبية الصينيين يدينون بالبوذية أو الكونفوشية ، بينما يعتنق الهنود الديانة الهندوكية ويتبع الباكستانيون الاسلام .

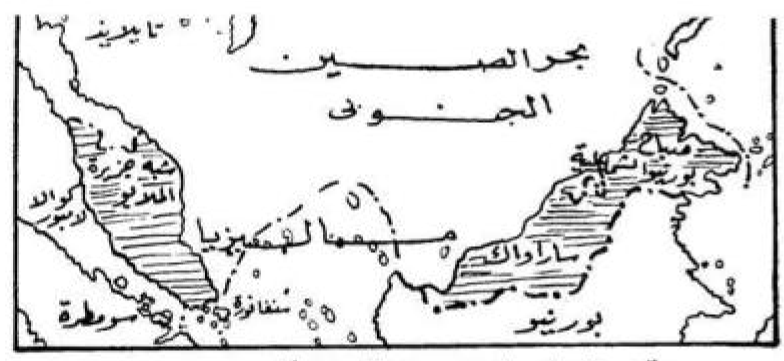
وكل طرف من هذه الاطراف يعتبر نفسه غريبا عن الآخر ، وينتمي الى جنس مختلف تماما ، فليس



هناك مواطن ماليزي ، بل هناك ملاوى وصيني وهندى وباكستاني . وقد تعددت لغاتهم ، فهم يتحدثون الملاوية والصينية والهندوكية، واضطرت الصحف ازاء ذلك الى الصدور باللغات الثلاث بالاضافة الى الصحف التي تصدر بالانجليزية ، وهي لغة يتحدثها عدد كبير من سكان هذه البلاد التي كانت مستعمرة بريطانية حتى عام ١٩٥٧ . حتى محطة الاذاعة والتلفزيون تصدر نشراتها الاخبارية وتقدم تمثيلياتها باللغة الملاوية أحيانا وباللغة الصينية او الانجليزية أحيانا اخرى .

وقد كانت هذه هي مشكلة ماليزيا دائما منذ قيام الاتحاد .

ونتيجة لذلك فقد اتفقت هذه الشعوب الثلاثة على وسيلة « للتعايش » سلميا ، وذلك عن طريق تكوين حزب الاتحاد وهو الحزب الحاكم الذى



اتحاد ماليزيا = الملايو + ساراواك + صباح

يراسه تنكو عبد الرحمن ، وتنكو بالملاوية معناها امير .. اما هذا الحزب فيضم ثلاثة احزاب مؤتلفة هي الحزب الملاوى ، والجمعية الصينية الماليزية ، وحزب المؤتمر الهندى ، وهو حزب الجالية الهندية ، ويحمل نفس اسم حزب المؤتمر الحاكم فى الهند ! .

وقد كانت المشكلة الأولى التي واجهت تنكو عبد الرحمن رئيس الوزراء الحالي منذ أن تولى الحكم ، هي التوفيق بين عناصر الاتحاد الثلاثة ، اذ كان الملاويون يشعرون دائما ان صيغة هذا الحكم ، تنطوى على استسلام للاجانب ، الذين هم فى رايهم الصينيون والهنود والباكستانيون ، وكان الصينيون بدورهم ، يعتبرونها تهاونا فى حقوقهم ، وهم الذين يشكلون القوة الاقتصادية فى الاتحاد ، فهم رجال الاعمال واصحاب البنوك والشركات ، وهم ملاك المشروعات الصناعية والتجارية والمطاعم والفنادق ووكالات السفر والسياحة .

وكان مما اثار العناصر الصينية فى الآونة الأخيرة ، تلك الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ، وغالبية وزرائها من الملاويين ، لحماية ابناء الملايو الاصليين ووقف الزحف الصيني ، وفى مقدمة تلك الاجراءات مطالبة تخفيض نسبة النجاح بالنسبة لأبناء الملايو وحدهم للالتحاق بالجامعة ، وفرض اللغة الملاوية على كل الطلبة الناجحين واجراء اختبار لهم فيها قبل دخول الجامعة ، ثم جاءت الانتخابات العامة الأخيرة التي اجريت يوم ١٠ مايو الماضي ، واسفرت عن هزيمة الحزب الصيني وابعاد الصينيين عن الاشتراك فى الحكم ، وعلى اثر ذلك قامت الاضطرابات التي كادت تتطور الى حرب اهلية شاملة فى الاتحاد لولا الاتفاق على صيغة جديدة للحكم تضمن استمرار الائتلاف الشكلي بين عناصر الدولة المتباينة ، وهكذا امكن انقاذ الاتحاد من التمزق ولو مؤقتا .

هذه بايجاز الاسباب الحقيقية للاضطرابات الاخيرة فى ماليزيا ، تلك البلاد الغنية التي يجلس على راسها ملك وحكومة برلمانية ، ولا تنتمي الى يمين ولا الى يسار ، ويعمل معظم سكانها فى الزراعة .

وعلى محصول اشجار المطاط ، وعلى مناجم القصدير الغنية ، يعتمد اقتصاد ماليزيا ، ولو ان الحكومة بدات تأخذ اخيرا بسياسة تنويع مصادر الدخل القومي ، وخاصة على اثر انخفاض اسعار المطاط فى السوق العالمية .

وقامت الحكومة بتنفيذ برنامج ضخم لاصلاح الريف ، فانفقت ما يربو على المائة مليون جنيه استرليني لاستصلاح ٥٦٦ ميلا مربعا من الاراضى التي تكثر فيها الاحراش ، ووزعت الارض على اكثر من ٢٧ الف اسرة من المزارعين المعدمين ، وشيدت القرى الحديثة والمنازل والمدارس التي دخلتها المياه والكهرباء لأول مرة ، واصبح دخل الفرد يصل الى ما يزيد على ٤٣٠ جنيها استرلينيا فى العام . وهو ثاني اكبر دخل فى آسيا بعد اليابان .

وعمدت الحكومة الى جانب توزيع الملكية على هذا النحو الواسع الى اشراك الشعب فى أسهم الشركات مثال ذلك ان شركة أسو أصبح يشاركها داخل البلاد اكثر من ٥٦ الف مساهم .

والى جانب ذلك شجعت الحكومة رؤوس الأموال الأجنبية ، وفى عام ١٩٦٥ بلغ مجموع رؤوس الأموال المستثمرة فى الاتحاد ما يربو على ٤٥٠ مليون جنيه استرليني .

قصة:

فاطمة عبد النور

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

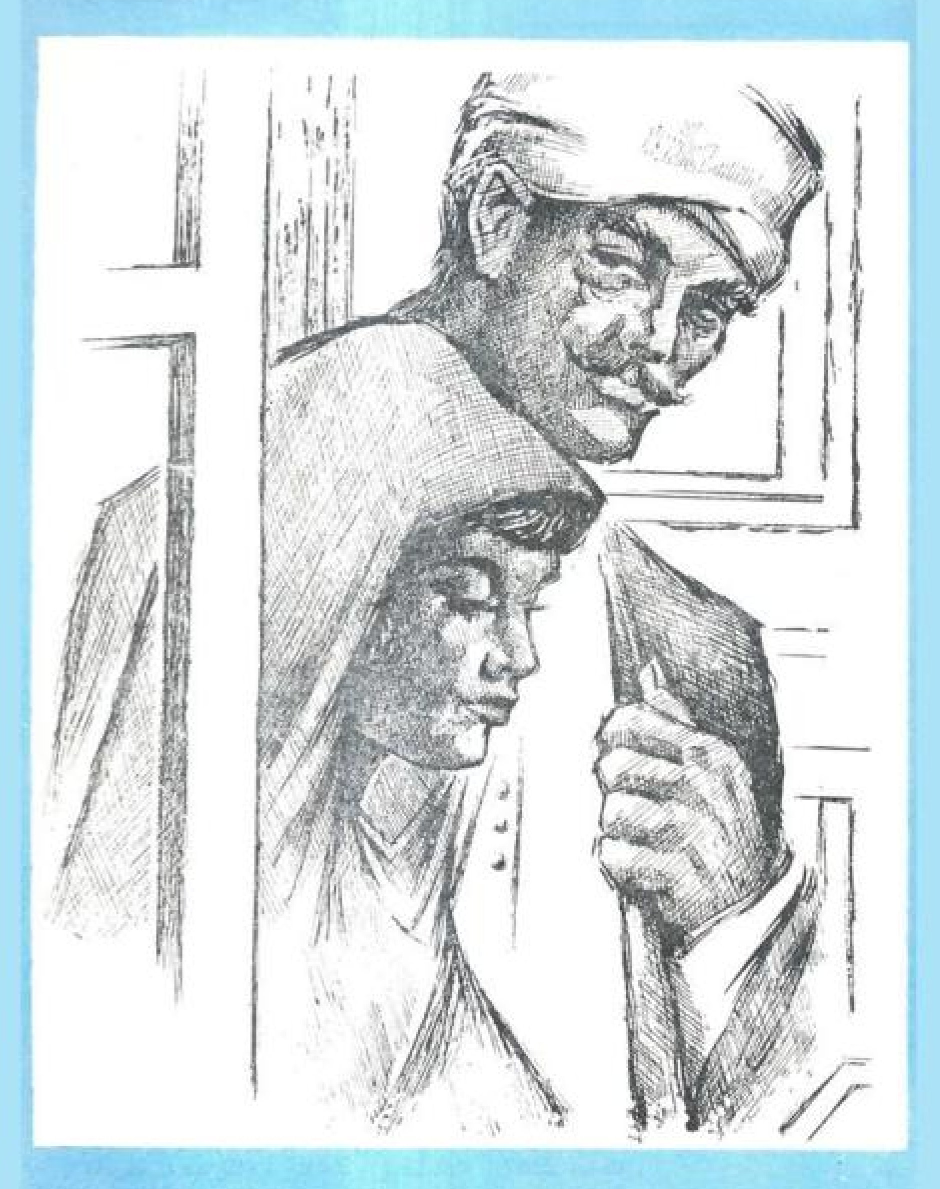
هنا يا سيدى في عالم الرجال ذوى الصلابة والجد والرجولة والشرف ، في عالم النساء السمراوات ذوات العفاف والكمال ، هنا .. أسوار البيوت العالية وخلف الحُجُب التى تستر الوجوه الفاتنة فلا يبدو منها الا عيون كلها رقة وسحر .. هنا يا سيدى يعيش الحب الصافى الذى لا تعرفونه أنتم .. حب هو النار والموت ... !

■ كان قطار الصعيد يخطف الارض في ظلام الليل كانه البرق ليقطع المسافة من جرجا الى نجع حمادى في نصف المدة المقررة . كان وقوفه في جرجا قد طال حتى خشي الناس ان يكون في الامر عطل طويل. كنا قد أخذنا القطار من اسيوط حوالى منتصف الليل ، فاغتسلنا واوينا مسرعين الى هذه الاسرة المصغرة التى يحشرونها في عربات الليل واحدا فوق الآخر . وما ان هبطت رؤوسنا على الوساد حتى سقطنا نياما والقطار يهز ابداننا هزا بوقفذ الاحجار .

ولكننا كنا مجهدين ، فقد قضينا يوما من ايام المحاكم القاسية : جلسنا الى منصة القضاء انا وزميلي القاضي عبد الرحمن فكرى عثمان ـ الذى يرقد في السرير الاعلى في هذه الخلية التى تنام فيها في القطار ـ وزميل ثالث من اجلاء القضاء ، وقد بكرنا في العمل لان زميلنا الثالث هذا من سكان القاهرة ، وهو حريص دائما على ان يعود الى القاهرة بعد الجلسة ، فظللنا في مكاننا حتى قرب الخامسة بعد الظهر ما بين مرافعات واستجوابات ومراجعة محاضر ومناقشات حتى بلغ بنا التعب مداه ، وما أن رفعت الجلسة واوينا الى قاعة الاستراحة حتى انطلق صاحبنا يعدو الى المحطة ياخذ طريق القاهرة .

اما نحن فقد استرخينا في مقاعدنا ريثما يفرغ زكى علام من ترتيب المائدة ، فانا اقيم في أسيوط وقد تعودت أسرتى أن ترسل الي الطعام في استراحة المحكمة لكي أتناوله مع من حضر من زملائي القضاء والمستشارين وقد كان زكى علام طباخى وكانت له شهرة كبيرة بين أهل القضاء .

واكلنا صامتين ، ثم مضينا نحتسى القهوة ، فاذا نحن في ذلك سمعت جرس التليفون ، وناداني رئيس كتبة المحكمة ، ونهضت الى مكان التليفون فاذا المتكلم وزير العدل نفسه ، فسالنى عن قضية العوامر وكيف تسير ، ولم تكن هذه القضية معى وانما كانت مع زميلى القاضي عبد الرحمن فكرى عثمان ، وكان الوزير يعرف ذلك ، ولكنه اراد ان يرجونى ان استحث عبد الرحمن للسير فيها بشيء من السرعة ، فقد تعرض الوزير لاستجواب عنيف



منها في مجلس الشيوخ في اليوم الاسبق ، وهاجمه بسببها خصمه السياسي راغب عدوى المحامى وعضو مجلس الشيوخ عن اسوان هجوما شديدا . وكان راغب محاميا مشهورا ذا باع طويل في القضايا والمحاكم ، وكان اصدقاؤه يقولون انه برلمانى ممتاز له صولات وجولات في مجلس البرلمان . ووعدت الوزير بان ابذل غاية جهدى في تحقيق ما طلب

فسألنى ان كانت لدينا جلسات بقية الاسبوع فقلت ان لدينا اربعة ايام استعداد ودراسة قبل الجلسة القادمة يوم الاحد القادم ، فطلب الى ان اذهب مع عبد الرحمن الى اسوان الليلة وان ابحث الامر معه ومع السلطات هناك ، وقال انه ينتظر منا نحن الاثنين تقريرا قبل السبت القادم فوعدته بذلك .

وعدت الى غرفة الاستراحة فاذا بعبد الرحمن مستوسن كما تركته ، فجعلت اتأمل وجهه الهادىء النبيل ، وكانت تربطني واياه صداقة حميمة وان كنت اكبره بنحو السنوات الخمس ، فقد تعاصرنا في الدراسة في باريس ، وكان لنا صديق ثالث هو هذا الوزير الذى كلمنى الساعة ، وكنا هناك لا نفترق ، نحضر الدروس معا ونقرأ نفس الكتب ونتقاسم نفس الاحلام ، ولم تكن احلامنا لتخرج عن ان نكون في يوم من الايام مستشارين في القضاء العالى ، وقد كنا بل اصبح واحد منا وزيرا . .

وطلبت باشكاتب المحكمة ورجوته ان يحجز لنا تذاكر السفر ، فقال لى ان المستشار عبد الرحمن لطفى حجز تذكرته من امس وحجز كذلك الاستراحة الحكومية في اسوان ، فرجوته ان يحجز لى تذكرة ثانية مع غرفة النوم وان يخطر القيم على الاستراحة الحكومية في اسوان باننى قادم ايضا واننا سنظل هناك الى يوم الجمعة .

دارت في ذهنى هذه الاشياء كلها وانا ارقد في فراشى والقطار يجرى كالمجنون في ظلمات الليل ، وازحت ستار النافذة في حذر ونظرت فاذا بالقطار يعبر النيل ، فلابد اننى اغفيت بعض الوقت فلم اشعر بوقوف القطار في نجع حمادى ، وكان نور خفيف ينفث في الكون كله ، ومن بعيد رأيت غابات النخيل الضخمة التى تحدد حافة الوادى في هذا الجزء من الصعيد الاعلى .

وبعد قليل احسست بحركة في السرير الاعلى فحسبت صديقى قد استيقظ ، ولكنه سكن مرة اخرى فعرفت انه لم يفق . انما كان يتقلب في فراشه ، وحسدته على هذا النوم الطويل الذى كان من خصائصه حياته كلها ، وكان هو فخورا بذلك لان القاضى المستريح البال هو القاضى العادل . هكذا كان يقول دائما .

★ ★ ★

وكانت القضية التى نحن ذاهبان من اجلها قضية عويصة ككل جنايات الريف التى تدخل فيها ثارات الاسر ومنازعات الارض والسلطان . ففى ليلة من ليالى ديسمبر ١٩٤٦ قتل اسماعيل عبد الحميد عامر عميد اسرة عامر وهو خارج في منتصف الليل من بيت عمدة قرية الرمادى قبلى مركز ادفو ، وكانت له فيها ضيعة كبيرة . وانقلبت الدنيا عقب ذلك ، لان العوامر كانوا اسرة خطيرة في المديرية كلها . كانوا تجارا اثرياء يتولون جانبا ضخما من تجارة مصر مع السودان ، وكان لهم الوكلاء والعملاء في الخرطوم وامدرمان واسيوط والقاهرة الى جانب اسوان طبعا . وكان في الاسرة اطباء ومهندسون ومحامون من خيرة الناس في القطر كله ، وكنت اعرف منهم عددا طيبا .

وحامت الشبهة ــ بداهة حول آل جاد الله عيسى ، وهم اسرة منافسة للعوامر ، وكانوا اعيان المزارعين من اهل مديرية اسوان ، وكان مركزهم قرية الجعافرة، وكانوا يقولون ان ولى الله سيدى جعفر المدفون في الطريق الزراعى المؤدى الى القرية هو جدهم لامهم ، وكان هؤلاء الناس ذوى جمع وقوة وثروة وحسب ، وكانت فيهم صلابة ونخوة وشهامة لاتقل عما كان لمنافسيهم . وكان في نسائهم ــ كما يقول الناس جمال آسر بديع ، وقد اشتهرن بشيوع العيون الخضراء فيهن ، وكان العوام منهم يقولون ان اصل جدتهم البعيدة حجازية ، وان عينها رمدت مرة فداواها سيدنا على بن ابى طالب بان وضع اصابعه على جفونها ، فشفيت للحال ، وعندما فتحت عينيها كانت خضراء كعينى قطة جميلة ، اما المتعلمون منهم فكانوا يقولون ان نفرا من المماليك ذوى العيون الخضراء لجأوا الى جدهم عندما طاردهم الفرنسيون ، ثم تزاوجوا معهم واورثوهم لون العيون الاخضر الجميل .

واخيرا افاق صاحبى وجلس في فراشه . وكان القطار اذذاك ينهب الارض نهبا في الطريق الى الاقصر ، وكان نور الفجر قد اخذ يخترق خلل الستر فازحت ستار النافذة الصغيرة قليلا وقلت .

ــ صباح الخير . .

فرد التحية ، ثم قال وكانه يخاطب نفسه

ــ اخيرا طلع النهار !

فقلت ضاحكا :

ومالك انت تشكو طول الليل ؟ لقد اغمضت عينك في اسيوط فلم تفتحها الا هنا قرب الاقصر . .

ــ هذا صحيح ، ولكن صدقنى اذا قلت لك اننى لم انس لحظة واحدة . .

ــ وكيف ذلك ؟انك لم تتحرك في فراشك الا مرة واحدة . .

كنت تراقبني .. معنى ذلك انك انت الاخر لم تنم

ـ اجل .. اظن انني اول الامر نعست اربع ساعات او خمس ساعات ..

ـ ولكن ، ماذا تريد اكثر من ذلك ؟ انك احسن مني بكثير ، بكثير جدا ..

ثم دلى ساقيه من الفراش وقفز الى الارض ومضى يبحث عن ادوات الحلاقة ، وقال وهو يتثاءب :

ـ لااظن انني سانام الا عندما تنتهي هذه القضية ..

وفتح صنبور الماء ووضع اصابعه تحته ينتظر مجيء الماء الساخن . ووقع ضوء النافذة على وجهه فراعني ما رايت : كان وجهه عابسا جدا ، متقبضا جدا ، وكان يتامل المنظر من خلال الستار وهو سابح مع افكار بعيدة ، فشعرت بخوف عليه ، لانني ذكرت ما كانت اساتذتنا يقصونه علينا من ان بعض المحققين الذين ينصرفون بكليتهم الى القضايا التي تستهويهم وتتحدى مهاراتهم وذكاءهم بتعقيدها فيندمجون فيها اندماجا يجعلهم يشعرون انهم الطرف الرئيسي في القضية والطرف الثاني هو المجرم المجهول ، ويصبح التحقيق والبحث صراعا عنيفا خطرا بين الجانبين ، لان القضية تصبح بالنسبة له مسالة كيان ، مسالة وجود : اما ان يجد القاتل او يتفكك كيانه كله . هناك محققون كثيرون في اوروبا استغرقوا في قضايا كهذه ، وعجزوا عن الوصول الى المجرم ، فاستقالوا ، لانهم شعروا انهم انهزموا وخسروا انفسهم في الصراع مع المجرم . في ايطاليا حدث مرة ان محققا ظل يؤلى العمل في قضية واحدة سنوات ، وتعلق بذهنه ان المجرم شخص معين ، ومضى يجمع الادلة في صبر طويل ، واقام الدعوى ، ثم تبين انه مخطىء وان المجرم انسان آخر ، فانتحر .

اشياء مثل هذه دارت بذهني وانا انظر الى صديقي وهو يحلق ذقنه في تكاسل وشرود ، فقلت له :

ـ لقد طالما نصحتنا بالا ناخذ القضايا باعصابنا ..

ـ وها انا الآن بحاجة الى من ينصحني ..

وفرغ من حلاقة ذقنه ، فقمت بدوري وقلت له :

ـ عبد الرحمن ، لماذا تاخذ القضية بهذه العصبية ، ان الجنايات بطبعها معقدة ومتعبة ، فلماذا لاتدعني اشاركك حمل هذا العبء .

ـ هذا يسعدني ويريح قلبي ، فقد اهلكتني هذه القضية ، وها هي قد تعقدت زيادة ودخلت فيها السياسة ، ومجلس الشيوخ ووضع راغب عدوي راسه فيها !

ساقص عليك الآن كل شيء ، ومن الآن فصاعدا نعمل معا خطوة خطوة ..

★ ★ ★

وكان القطار قد وصل الى محطة الاقصر واستقر فيها ، فاسرعنا باكمال ارتداء ثيابنا وخرجنا نتمشى على الرصيف ريثما يقوم الخدم بتحويل غرفة النوم الى غرفة جلوس كما هي العادة في القطارات ، ورآنا زكي افندي برسوم ناظر المحطة ، فاسرع يحيينا ويدعونا الى القهوة ، واضاف ان القطار سينتظر نحو نصف ساعة ، فشكرناه ومضينا الى بوفيه المحطة وطلبنا شايا وشيئا ناكله وقلت لعبد الرحمن :

ـ اين وصلت بالقضية الآن ؟

فنظر الي وعلامات الحيرة بادية في وجهه وقال :

ـ اظن ان هذه القضية دخلت منذ ايام قليلة في دور جديد يجعلنا نغير اتجاه التحقيق تماما

ـ لماذا .. ماذا حدث

ـ ثبت عندي ان القاتل ليس من الجعافرة .

ودهشت لهذا النبا ، فقد كنت اسمع من عبد الرحمن ان القاتل لايمكن ان يكون الا من هذه الاسرة ، فهناك دلائل كثيرة جدا تشير الى ذلك ، وقبل الجريمة بعام وبضعة شهور قتل رجل كبير من الجعافرة ، واشارت الاصابع كلها الى العوامر ، والى اسماعيل عبد الحميد عامر بالذات ، وكان هناك تحقيق وكلام كثير ، ولكن عبد الرحمن فكري عثمان الذي تولى التحقيق في قضية مقتل اسماعيل عامر بتكليف خاص من الوزير رفض رفضا قاطعا ان يقبض البوليس على احد من آل عامر ، كان من رايه ان اعمال العنف والقهر تضر بالعدالة : كان يراقب ويتابع ويحقق ويستجوب دون ان يسمح للبوليس بان يمس احدا ، وكانت طريقته تلك موضع ملاحظات ونقد كبير من رجال القضاء ..

وقلت له بعد لحظة تفكير :

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ خطاب من مجهول فتح لي الطريق كما هي العادة . خطاب من سطر واحد بخط لا يقرأ تسلمته من أسابيع يقول : يا سعادة القاضي : اسالوا عفيفى علوان وكيل شيخ خفر قرية الجعافرة . وبعد ان عصرنا هذا الرجل عصرا تكلم وقال ان عيسي جاد الله شيخ الجعافرة كان قد تصالح في السر مع اسماعيل عبد الحميد عامر شيخ العوامر ، كانت هناك مفاوضات واتصالات كثيرة بين الجانبين .

ـ ولماذا في السر ؟

ـ لان المسالة ...

وفي هذه اللحظة كان السفرجي يضع الاكل على المائدة ، ولاحظ صديقي انه يتمهل ليسمع شيئا ، فهو من اهل اسوان في الغالب ، ويريد ان يسمع شيئا ، فانتظرنا حتى فرغ ومضى ، فاسترسل عبد الرحمن يقول :

ـ المسالة فيها حريم .. نسوان . كانت لعبد النور احمد جاد الله عيسي ـ وهو ابن عم بعيد لجادالله عيسي ـ بنت يقولون انها غاية في الجمال، اسمها فاطمة سمراء فارعة الطول خضراء العينين ذات ملامح لم ار اجمل منها في حياتي ..

ـ رايتها ؟

ـ نعم ، واستجوبتها مرارا .. وستعرف كل شيء ، فلنسر على مهل .. فاطمة عبد النور احمد جاد الله هذه تزوجت مرتين . في المرتين مات الزوج قتيلا بعد الزواج بقليل ، فوقف سوق المسكينة وتشاءم الناس منها :

ـ لابد ان القاتل في الحالتين واحد .. رجل يريد ان يتزوجها هو ..

فضحك وقال بهدوئه الذى اعرفه فيه من سنوات بعيدة :

ـ اراك بدات تاخذ القضية باعصابك . هل تسمح لى بان اوجه اليك نفس النصيحة الآن ؟

فلم اتمالك ان ضحكت من نفسي ، وعدت مسرعا اسال :

ـ اذن من القاتل ؟

ـ لوعرفت القاتل لما كان هناك داع لهذه الرحلة . ..

سكت قليلا ، ورشف شيئا من الشاي ، واستطرد يقول :

ـ بعد بحث طويل تبين لي ان اسماعيل عبد الحميد عامر راى هذه الفتاة فاطمة ذات مرة ، لا ادرى كيف ، ولكن قيل لى انهما تلاقيا مصادفة عند تاجر مجوهرات في اسيوط

ـ تعتقد ان ذلك تم مصادفة فعلا ؟

ـ لا اظن .. هذه المسائل لها دائما اعماق وجذور ، ولابد ان تكون قد سمعت ان اسماعيل كان رجلا يعجب النساء . كان في السابعة والخمسين من عمره ، ولكنه كان ذا هيئة وطلعة ووسامة ، واخبار مغامراته الى تلك السن كانت كثيرة .. المهم انه لقى فاطمة هذه ووقع في غرامها للنظرة الاولى كما يقولون ،واعتقد انها هي الاخرى احبت بنفس العنف كما سترى بعد قليل .

وهنا اقبل ناظر المحطة برسوم افندى ينبهنا الى ان القطار على وشك الرحيل ، فعدنا اليه ، وتحرك في طريقه الى اسوان ، واسترسل صديقى يقول :

ـ اين كنا ؟ آه .. هل قلت لك انني تبينت بعد ذلك ان اسماعيل لقى فاطمة مرتين او ثلاثا بعد ذلك ؟ كانت لقاءاتهما قصيرة وسريعة في محل نفس الجواهرجى في اسيوط او في محل تاجر القمشة هناك ايضا .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ من فاطمة نفسها . انها امراة غريبة جدا : جميلة وعنيفة ونافرة كأنها فرسة شابة ترفض ان تقاد وان تستانس ، ذكية لماحة كانها عجوز طلعة لايفوتها شيء ، ورقيقة لطيفة انيسة اذا ارادت ووثقت .. انسانة غريبة .. فريدة في بابها دون شك ، لا ادرى ان كان ذلك الذى يترصد أزواجها ويقتالهم يعرف عن طبعها وخصالها ما أعرفه انا ..

ـ فاذا كان يعرف ..

ـ فانني اعذره في جنونه .

بعد أن تقابل اسماعيل وفاطمة مرتين أو ثلاثا كما قلت لك اتفقا على الزواج . لقد جن بها هذا الرجل جنونا جعله مستعدا لأى شيء في سبيل الحصول عليها ، ولكنه خاف من أولاده . انت تعرف حرص الأولاد الكبار على الارث والتركة وخوفهم الشديد من أن تدخل عليهم آخر عمر ابيهم امراة جديدة تنجب أولادا جددا ..

وقد خطر ببال اسماعيل أن يتغلب على هذه الصعوبة بالقول بانه يريد أن يعقد صلحا عاما بين العوامر والجعافرة ، واوصى الى اتباعه ان يذيعوا في المديرية كلها أن الأسرتين قد أصابهما شر كبير من وراء هذه الخصومة وأن الوقت حان للصلح والعقل وحقن الدماء والعيش في سلام ..

ثم سكت قليلا ، وابتسم ومضى يقول :

ـ حقا ان الحب شيء عجيب ! هذا الرجل الذى أضاع معظم عمره في حرب الجعافرة لم يعد لديه مانع من أن ينسى كل شيء ويغفر كل شيء ويصالحهم ويعانق رئيسهم الشيخ جاد الله عيسى .. كل ذلك من أجل الحب .. من أجل فاطمة عبد النور ..

وقد لقيت دعوة اسماعيل للصلح قبولا من عمدة قرية الجعافرة واسمه رمضان عبد الواق ، وهو رجل عاقل مسالم لا يريد معارك ولا ضرب نار . فاعلن انه يرحب بدعوة اسماعيل ويعرض أن يقوم بالوساطة بين الأسرتين ، وأسرع اليه اسماعيل وزاره في قريته ومركز عموديته ، وقال انه يفوضه للتفاهم مع بقية الجعافرة على الصلح ، ولكنهما كتما الأمر ريثما يتحدث رمضان عبد الواقي مع الشيخ جاد الله عيسى وبقية رؤساء الجعافرة ، وسارت الأمور سيرا بطيئا ..

★ ★ ★

وقد كتم الرجل موضوع فاطمة عبد النور عن أولاده ، ولكنهم ـ بطريقتهم ـ سمعوا به وأوجسوا منه خيفة ،ان له من الأولاد ثلاثة ومن البنات ثلاثا أيضا ، ومن الغريب أن هذا الرجل الضخم الفخم لم ينجب الا أولادا لا يسعد بهم قلب ولا تقر بهم عين ، صعاليك وصغار عقول لا هم لهم الا اللعب والجرى وراء بنات الليل في القاهرة ، ومن حسن الحظ ان ازواج بناته رجال محترمون يعتمد عليهم ولولا هؤلاء لساءت احوال هذه الأسرة الكبيرة كثيرا ..

وقد حدث في اكتوبر ١٩٤٦ ـ اى قبل الجناية بشهرين ان احدهم ـ واسمه كمال عامر ـ اتى الى أسوان مع نفر من أصحابه ليفرجهم على الآثار كما زعم ، وقد قضوا هناك ثمانية أيام أو تسعة ثم عادوا الى القاهرة .

بحثت طويلا عما اذا كان كمال عامر قد قابل اباه اثناء هذه الزيارة . فقالت لى أمه انه لم يره ولا نزل في بيت من بيوت الأسرة ، وانه قضى المدة مع أصحابه في الفنادق ، وهذا كلام لم أصدقه أبدا . وبحثت بعد ذلك عما اذا كان هذا الشاب قد قابل رمضان عبد الواقي عمدة الجعافرة ورسول الصلح فعرفت انهما تقابلا في احد فنادق أسوان. وقد أنكر كل من كمال ورمضان ذلك انكارا تاما ، ولكن الواقعة صحيحة وعليها شهود كثيرون .

وعن طريق رمضان عبد الواقي علمت أن اجتماعا عقد في بيته قبل الجريمة بثلاثة أسابيع ضم اسماعيل عبد الحميد عامر وجاد الله عيسى رئيسي العائلتين ونفرا من أنصار كل منهما ، وكان مجموع من حضر الاجتماع تسعة أنفار هم في الحقيقة سادة هذه المديرية وأصحاب الأمر فيها ..

وكان من الممكن أن تنجح خطة اسماعيل وتعود على الجميع بخير لو انه عرف كيف يصبر ويضبط نفسه قليلا ، ولكن الحب لا يعرف الصبر ، ويا ويل الشيخ اذ لعب بقلبه الهوى .

وفي أواخر اكتوبر الماضي دبر اسماعيل لقاء مع فاطمة ، ومن الغريب أنهما اتفقا على أن يكون اللقاء في القاهرة ، ولقد تعبت كثيرا حتى وضعت يدى على الخيط الذى كان يصل هذا الرجل بتلك المرأة في ذلك الصعيد الجوانى الذى لا يجرؤ رجل فيه على النظر الى امرأة ليست من أهله . لو درى صديقنا وزير العدل كم هى عسيرة هذه التحقيقات هنا .. ! بعد لأى ما استطعت ان اصل الى هذا السر فوجدت آخر الأمر أن الرسول بين الاثنين رجل صغير لا تكاد تأخذه العين : قطعة انسان تسمى «عنبر» ، وهو رجل يرتدى جلبابا أبيض ومعطفا أسود ويضع على رأسه طربوشا طويلا داكن الحمرة ، وتحت الطربوش ترى وجها صغيرا لطيف الملامح ولكنه شديد النفور والخوف حتى لا ينظر اليك في عينيك أبدا، وهو يحمل دائما حقيبة يد فيها أمشاط وبودرة ومساحيق وعطور ولهذا يسميه الناس «عنبر» ، وهذا الرجل يطوف بالمستشفيات ومدارس البنات وبعض البيوت يعرض على الممرضات والمدرسات والسيدات بضاعته ، وقد دهشت عندما تبينت أنه يتولى عملا ناجحا ، فانه يبيع في اليوم بما يتراوح بين سبعة جنيهات وثمانية ، وربما عشرة ، وأكثر من نصف هذا المبلغ مكسب له .

ولكن هذا لم يكن المورد الرئيسي لذلك الرجل الضئيل العجيب ، لأن مورده الحقيقي وشغله

الذى كان ينفق فيه ذكاءه ونشاطه هو التوسط بين المحبين، ولقد تكشفت لى عند استجوابه أشياء فى غاية الغرابة عن الحب والهوى فى ذلك الجزء المتزمت من بلاد الله ، أشياء لا يجوز ولا يليق ولا يحسن أن أذكر منها أدنى طرف ، ولم يدهشنى هذا فى شىء ، فان الناس هنا بشر كما هم فى أى مكان آخر على الارض، والبشر بطبيعتهم عرضة للحب وللضعف وللرغبة وللخطيئة وللزعل، والله سبحانه لم يخلق ابليس عبثا ، ولكن الذى ادهشنى أن يكون هذا الانسان الصغير الضعيف الذى يخاف من ظله هو الذى يتصدى لعمل كهذا كله مخاطر ، وتصور أنت ما يمكن أن يحدث له لو علم الناس بوساطاته وسفاراته ومهماته .

ـ على أى حال لقد انتهى أمره الآن ، ولن يدعه أهل الصعيد حيا .

ـ لا أدرى .. أنا شخصيا لن أكشف له سرا ، فقد أفضى الى بما عنده بعد أن أمنته على حياته وسمعته وتعهدت له بذلك بشرفى ، ولم يكن لى بد من أن أفعل ذلك .. بل اننى لم أكلف بالبحث عنه وكيل نيابة ولا مخبرا ولا رجل بوليس ، لانه كان من الممكن أن يختفى فلا نجد له أثرا .. انما كنت أنا الذى سعيت اليه بنفسى وتعقبت خطواته ودخلت عليه منفردا فى غرفة يسكن بها فى أسيوط ، وفيما عداى واياك وزملائنا المحققين لن يعلم انسان بامر هذا الرجل ، ولقد وعدنى وعد رجل بان يترك هذا كله من الآن، وان يعيش بعيدا جدا ، وبالفعل هو الآن فى بلد من بلاد القطر بعد العدة لافتتاح متجر صغير ..

ـ أين ؟

ـ هذا سر بينى وبينه لا يعلمه الا الله ..

المهم انه دبر لهما اللقاء فى بيت يملكه اسماعيل فى الدقى . ذهب هو قبلها بخمسة ايام واقام فى البيت دون أن يخطر خادما او حارسا ، ثم اتت هى فى سيارة أجرة يصاحبها عنبر ، ولم تمكث معه ـ فيما أكد لى هذا ـ الا ساعة ونصفا اتفقا خلالها على الزواج ، ثم خرجت الى سيارة أجرة أخرى كان عنبر قد اعدها لتذهب بها الى بيت قريبة لها فى بندر الجيزة . كانت الحجة التى تعللت بها انها أتت من الصعيد لتعرض نفسها على طبيب أمراض نساء ، وقد مرت فى الطريق بطبيب النساء وكشف عليها فعلا وكتب لها دواء ، كل ذلك بتدبير عنبر وتنظيمه الذى يثير العجب .

ولم يرها أحد فى الذهاب أو الاياب . وما شك فى أمرها أحد ، وكان من الممكن جدا أن تمر هذه المخاطرة بسلام ، ولكن اسماعيل كشف أمر نفسه بصورة تدل على نزق وعجز عن ضبط النفس : كان يعلم انها ستأخذ مع قريبتها تلك قطار الصعيد من محطة الجيزة فى الليلة التالية ، فذهب متسترا فى زعمه ـ ووقف فى ركن مظلم من المحطة ليراها وهى داخلة ، ودخلت ، ولا ندرى كيف حانت منها التفاتة الى الركن الذى هو فيه فرأته وأجفلت لحظة ثم استجمعت نفسها ، ونظرت قريبتها ناحيته وقالت : ما هذا .. من هذا ؟ وأسرع اسماعيل خارجا من المحطة ، وكان مع فاطمة وقريبتها رجلان من أهلهما فحسبا أن هذا المسرع بالخروج قد تعرض لنسائهما بشر ، فأسرعا خلفه وأخذا بتلابيبه ، ووقف الرجل واستدار ونظر اليهما فى سيادته الطبيعية وقال : ماذا تريدون ؟ وعرفه أحدهما فبدت الدهشة على وجهه وقال : اسماعيل عامر .. ماذا تعمل هنا يا اسماعيل عامر ؟ وريعت فاطمة فأخذت تصعد الى القطار وخلفها قريبتها واستقرتا فيه، وقام القطار وذهب. وكان من سوء حظ اسماعيل أن هذا الرجل كان من كهول الجعافرة يعرفهم ويعرف العوامر معرفة جيدة ، فثبت مكانه ونظر الى اسماعيل وقال :

ـ تجرى وراء نسائنا يا اسماعيل

ـ أنا أجرى وراء نسائكم يا محمود رحيمه ؟ أنا اسماعيل عبد الحميد عامر أنظر الى حرمة من الجعافرة ؟ ان الذى جرى بيننا كثير يا محمود ، لكن برضه أنتم أشراف واحنا أشراف ، والاشراف لا ينظرون الى نساء بعض .

وهدأت هذه الكلمات التى قالها اسماعيل عامر بثبات وفى صوت حقيقى أجش من غضب محمود رحيمه ، وأحس بشىء من الحرج فقال :

ـ اذن ماذا كنت تعمل هنا ؟

ـ أى شىء الا ما تظن .. مهما حصل بيننا فالجعافرة لحمنا ودمنا وشرفهم شرفنا .. تعالوا بنا من هنا .. لنجلس فى مقهى بعيد عن هذا المكان ولنخز الشيطان .

هذا الكلام قصه على محمود رحيمه نفسه وأضاف :

ـ أنا أعرف انك قد تفكر في اتهامي بقتل اسماعيل وانا لايهمني ان اتهم او ان يجرى لى اى شيء ، فانا صعيدى ابن صعيدى ، واحنا الصعايدة ناس من حديد ، واسماعيل عامر رجل ملء ثيابه ، انه عدونا هذا صحيح ، ولكنه عدو شريف ، وعدو الشريف شريف مثله ..

فقلت لصديقى :

ـ وهل قبضت عليه ؟

ـ لا يا سيدى انا لا اقبض على الناس في الصعيد . هؤلاء ناس أشراف أحرار اذا آذيتهم أو اهنتهم لم تحصل منهم على شيء. أسوأ مايعمله المحققون هنا انهم يسرعون بالقبض على الناس ، وفتح محاضر التحقيق ووضعهم في الزنزانة والتخشيبة وتركهم ينامون على ارضية الاسمنت متغطين بالبرش .. هنا لن يصبحوا بشرا ولن يصدقوك ابدا .. في هذه القضية انا لم اقبض على أحد ولا أرسلت العساكر يأتونني بأحد ولم أدع البوليس يضع يده على أحد ..

معذرة..ربما لهذا السبب لم نستطع الوصول الى المجرم ..

لا ادرى .. ولكنى اثق من ان هذا هو الطريق الوحيد لحل معضلة كهذه ..

ثم سكت .

وظللت انتظر أن يتكلم ، ولكنه اشعل سيجارة ونظر من نافذة القطار ثم عاد الى يقول :

ـ ماذا تنتظر .. قلت لك كل ما عندى .. هل تراه قليلا ؟

ـ بالعكس .. لقد وصلت الى معلومات كثيرة جدا ، ولكن القضية زادت تعقيدا ..

ـ هذا صحيح ، ولكن هذه هى الطريقة الوحيدة للوصول الى نتيجة . الجناية كانت أول الأمر كقطعة صخر لا يدرى أحد مم تتركب . ما عملته الى الآن هو انني كسرتها .. أصبحت قطعا صغيرة. تستطيع أن تقول انه صار لدينا بدل الحجر الواحد مائة حجر .. بدل المشكلة الواحدة مائة مشكلة .. ولكننا نرى داخل المشكلة .. نرى شيئا كثيرا جدا .

وسكت لحظة وعاد يقول :

ـ وأنت ، ما رايك ؟

ـ هناك ناس كثيرون ممكن أن تحوم حولهم الشكوك : محمود رحيمه مثلا .. أنا لا أستبعد أن يكون قد أذاع خبر حادث محطة الجيزة .. ولماذا تستبعد أن يكون أحد الناس قد أوصل الخبر الى أولاد اسماعيل .

فأسرع يقول :

ـ آه .. نسيت أن أقول لك ان عمدة الجعافرة قال لى ان اثنين من أولاد اسماعيل اتصلا بـه وقالا له انهما سمعا اشاعة تقـــول ان اباهما سيتزوج قريبته ، وحذراه من ذلك .

ـ منهم ابنه كمال عامر الذى حدثنى عنه .

ـ لا ، ولكن أخويه الاخرين ياسـين ، وسعد الدين .

ـ هل استجوبتهما ؟

ـ أكثر من مرة وشكوكى تحوم حول سعدالدين فهو شاب أصفراوى ولئيم وفي غاية القسوة .

ـ وأين يقيم ؟

ـ المفروض انه يقيم في أسوان ، ولكنه دائما في القاهرة .

ـ ولماذا تحوم شكوكك حوله .. ؟

ـ لانه ثبت لى انه تغيب عن امكنته المعهودة تسعة أيام من ديسمبر . وقد وقعت الجريمـــة خلالها ..

ـ هذا لا بد من القبض عليه ..

ـ اطمئن ، انه في أضيق من خلية السجن .. ان رجالي وراءه خطوة خطوة ، من شهرين تقريبا حاول الاتصال بفاطمة ، قال لاصحابه انه مستعد للزواج منها بدل أبيه .

ـ وماذا دار بينهما .. ؟

ـ لم ترض أن تقابله مرة واحدة .. انها مختفية تماما عن الأعين .. ولكنى أعرف بالضبط ماذا تعمل في كل لحظة من لحظات النهار أو الليل . وقد تبينت ان لسعد الدين عامر رجلا يتبعه مثل ظله ، وهو شرير معروف ، وهناك احتمال كبير جدا أن يكون هذا هو القاتل ..

ـ حققت معه طبعا ؟

ـ دون شك ، وقد امرناه بأن لا يغادر القاهرة، وهو تحت مراقبة دائمة .

وكان قد تعب من الحديث وتعبت انا من الاصغاء وحصر الذهن . فسكتنا ، ووصل القطار الى أسوان فخرجنا من المحطة صامتين ، واتجهنا الى الاستراحة ، كان الوقت ظهرا ، اتصلنا بوكيل

النيابة وبزميل له انتدبناه من القاهرة من شهور، واخطرنا رجال البوليس ، وتغدينا ، وأوينا الى الفراش لنستريح شيئا قبل أن نخوض الجولة الاخيرة من هذه المعركة ..

صحونا بعد راحة قصيرة وقد تجدد نشاطنا وأحسسنا اننا نستطيع مواصلة العمل حتى الصباح . كنا قد اتفقنا على أن أول ما نفعله هو الذهاب الى الرمادى قبلى للمعاينة ومراجعة الوقائع . لم نصدق أعيننا عندما رأينا عمدتها داخلا علينا . هل تستطيع أن تقول لى كيف تنتقل الأخبار في الريف ، دون تليفون ، دون تلغراف ، دون اذاعة ؟ .. قال لنا انه أتى مصادفة (وهل في ذلك شك) كان غرضه أن يبلغ وكيل النيابة المقيم انهم قبضوا على رجل غريب ثبت لديهم انه كان يحوم حول القرية ليلة الحادث، وانهم ضبطوا معه سلاحا ، وقد أتى معه بالرجل والسلاح للتحقيق والبحث والفحص .

للوهلة الأولى تبينت ان هذا الرجل لا يمكن أن يكون القاتل ، فقد كان المسكين ثلاثة أرباع اعمى . لكى يجلس على كرسي لا بد ان يتحسسه بيده أولا مخافة ان يجلس في الهواء . تبينت كذلك أنهم ضربوه ضربا مبرحا . كان ذلك باديا على رقبته الطويلة وفي صدره المفتوح . عندما كشفنا ثيابه رأينا عجبا . ما اتعس الضعيف في هذه الدنيا !

وقال العمدة :

ـ لقد اعترف بالجريمة يا سعادة البيه ... اعترف وبصم بأصابعه العشرة .

قلت له : لو فعلنا بك ما فعلتم به لاعترفت بقتل الحسين يا شيخ ..

وبعد لحظة قال عبد الرحمن :

ـ هذا الرجل لم يفعل شيئا .

ـ وصاح العمدة :

ـ ستطلقون سراح مجرم ؟

ـ أولا هو ليس مجرما .. لم يثبت ذلك على الأقل .. لن نطلق سراحه ولكننا سنعامله معاملة انسان لانسان .. فكوا قيود الرجل حالا ..

والتفت الى أحد مساعديه وقال :

ـ خذ هذا الرجل ودعه يغتسل ، وغير له ملابسه وأعطه عشاء ودعه ينم في احدى الغرف هنا ، سنحتاج اليه في التحقيق .

وقال للعمدة :

ـ لماذا لا تكتب تقريرا عن حكاية هذا الرجل يا عمدة .. ادخل غرفة من الغرف هنا واكتب كل شيء بالتفصيل .. اذا كانت الكتابة تتعبك فليساعدك احد الكتبة .

واستدعينا بعد ذلك ناسا كثيرين . سمعنا كلاما كثيرا جدا وكتب الكتبة محاضر تملأ مجلدات ثم نظر عبد الرحمن في ساعته وقال :

ـ الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل .. اظن انه قد آن ان نستريح .. سننام هنا ، هل عندك مانع ؟ الاستراحة الحكومية ليست أحسن من هنا على أى حال ..

وقال وكيل النيابة :

ـ هنا غرفة نوم فيها سريران .. أعدتها المديرية لحالات الطوارىء .

ـ حسنا .. ما كنا نعرف ذلك ..

وكان الخدم قد اعدوا لنا شيئا من الطعام في غرفة صغيرة ، فمضينا نتناول شيئا مما وجدناه على المائدة . كنا متعبين جدا ، ولكن اذهاننا كانت تطن وتوش كأنها خلايا نحل .

★ ★ ★

وعندما قاربنا على الانتهاء ، ولم يبق على المائدة الا وكيلا النيابة دخل خفير وعمل التعظيم المعروف وقال :

ـ سعادة البيه .. هناك حرمة تريد أن تقابلكم ..

ـ حرمة .. أى حرمة ؟

ـ حرمة لابسة اسود من فوق الى تحت .. يظهر عليها يا افندم انها من عيلة كبيرة ..

فنظرت الى زميلى والدهشة تملأ ملامحى ، وظللت انتظر أن يقول شيئا ، وأخيرا قال :

ـ هاتها ..

وبعد دقيقة كانت في الغرفة امرأة طويلة لم نر لها وجها ، لأنها غطت رأسها كله بخمار سابغ .. وسمعت صوتها يقول بثبات :

ـ اريد ان اتحدث الى القضاة وحدهم ..

ـ هذان يا سيدتى مساعدانا وهما وكيلا نيابة ، وما ستقولينه انت لا بد أن يسجلاه هما. فليس هناك اى معنى لاخراجهما .. من انت .. ؟

وقال الخفير :

ـ تعبت معها يا افندم .. لا تريد أن تقول :

ـ اذن فاخرج انت واغلق الباب وقف عنده ، لا نريد أن يدخل احد .. سمعت .. تفضلي يا سيدتي تفضلي اجلسي .

وسارت في خطا متزنة وجلست ، ثم كشفت عن وجهها . احسست في نفسي انني رأيت هذا الوجه قبل ذلك ، ونظرت الى عبد الرحمن فاذا به ينظر اليها صامتا واجما وقد فتح عينيه في دهشة كبرى ، وقالت السيدة :

ـ انا فاطمة عبد النور جاد الله عيسى .

وصمتت لحظة ، ثم عادت تقول :

ـ انا قتلت اسماعيل عبد الحميد عامر في ٦ ديسمبر من العام الماضي ..

وقال عبد الرحمن وهو لا يصدق ما يسمع :

ـ انت قتلتِ اسماعيل عامر ..

ـ نعم قتلته عند منتصف الليل وهو خارج من بيت قريبي رمضان عبد الواقي عمدة الجافرة .. قتلته بهذا السلاح ..

واخرجت من ثيابها بندقية ووضعتها على المنضدة . تناولها عبد الرحمن وفحصها ثم قال : ماوزر سبرنجفيلد عيار ٣٠ ـ ٦ صناعة أمريكية. بالضبط هذا هو السلاح الذى استعمل ..

ـ وهل كان العمدة يعرف بوجودك ؟

ـ لا .. لم يعرف الا خادمي برهوم عطية الذى قبض عليه العمدة وضربه ليقر .

ونظرت الى عبد الرحمن وقلت :

ـ هذا هو الرجل الذى امرت بمعاملته معاملة حسنى ، هاهو شريك في الجناية .. فقالت السيدة :

لا ليس شريكا ولا يعرف شيئا ،اتيت به ليدلني على الطريق ليس الا ، ولكي يحميني اذا حاول احد الاعتداء علي في ليل الريف والغيطان .

فسألها عبد الرحمن : ولماذا قتلت اسماعيل عامر ؟

ـ انتقاما لشرفي.كان قد وعدني بشرفه بالزواج. على هذا الأساس قبلت لقاءه على انفراد في بيت في حي الدقي بالقاهرة . هناك اتفقنا على ان يتم الزواج قبل أن ينقضي شهران . بعد ذلك بدأ يراوغ ويسوف . في ٢٠ نوفمبر أرسل الى يقول انه يرى انه لا بد من تاجيل الزواج ستة شهور . قال انه سيتصل بي ليشرح الموضوع . لم يتصل. أرسلت اليه رسولا فتهرب من مقابلته . لم يعد هناك شك في خيانته . لا يغسل الشرف الا الدم ، لهذا قتلته .

ـ كيف قتلته ؟

فاخرجت من صدرها مظروفا وناولته لعبد الرحمن، كان الظرف مفتوحا . اخرج منه حزمة اوراق كبيرة وقالت هي :

ـ هنا تجدون تفصيل كل شيء . انه اعتراف بخطي وامضائي كتبته خلال اليومين الماضيين .

وقال عبد الرحمن : هذا كلام كثير .. هذا يحتاج الى وقت لقراءته ..

ـ نعم . الى ان تقرأوه ، هل تسمحون لي بان آوي الى غرفة لأستريح ؟ لي ثلاثة أيام بلياليها لم أنم ..

واخذناها الى الغرفة التى كنا سننام فيها في الطابق الاعلى . لحسن الحظ كانت النوافذ كلها محصنة بالحديد . كلفت مساعدينا وكيلي النيابة بحراسة الغرفة. رجوتهما أن يقوما بذلك بالتناوب، والا يكلا ذلك الى احد وعدنا الى غرفتنا واسترخى كلانا في كرسيه محاولا اصطياد لحظة نعاس .

★ ★ ★

كانت الساعة الثامنة والربع صباحا عندما افقنا على أصوات تنادينا . دخل على وكيل النيابة مذعورا وقال :

ـ لقد انتحرت المتهمة .

ـ انتحرت ؟ كيف وانتم هناك ؟

ـ قطعت شرايين يديها بموسى كان معها ، وتصفى دمها كله طول الليل .

ـ نادوا الطبيب ، افعلوا أى شيء ، لا بد من انقاذها .

ـ لا فائدة .. الطبيب الشرعي هناك وهو يؤكد انها ماتت تماما من اكثر من ساعتين .. وصرخت دون وعي مني : ولكن لماذا انتحرت ..؟

وفي هدوئه المعتاد ، قال عبد الرحمن وهو يشعل سيجارة .

ـ لأنها تحبه أكثر من الحياة يا عزيزي .. قتلته ، وكان من الممكن أن يظل سرها مكتوما الى الأبد .. ولكنها لم تحتمل الحياة بعده .. ياالهي! كم ان الحب ظالم . ■■

حسين مؤنس

طرائف غريبة

هـ . ج . ويلز يذكر أمه !

● اصطحب الكاتب الانجليزى المعروف هيربرت جورج ويلز H. G. Wells (١٨٦٦ - ١٩٤٦) ، احد اصدقائه يوما ليريه بيته الجديد الجميل الذى بناه في احدى ضواحي لندن ، وعندما وصلا الى الطابق الثالث ، فتح ويلز بابا مؤديا الى غرفة صغيرة ، وقال لصديقه : « هذه غرفة نومى ! » .

وسأل الصديق في دهشة : « ولكن لماذا لا تستعمل احدى الغرف الواسعة الأنيقة في الدور الارضي ؟ » .

فرد الكاتب الكبير : لقد خصصت احدى هاتين الغرفتين للطباخ الذى يطهو لى طعامى، أما الغرفة الثانية فهى لخادمتى العجوز التى تسهر على العناية بشئون بيتى » .

وقال الصديق : « ولكن الخدم ينامون عادة في الغرف الصغيرة ! » .

وقال ويلز : « هذا صحيح ، ولكننى لا اريد لخادمتى ان تنام في غرفة صغيرة، لانها تذكرنى بامى التى طالما تمنت ان تنام في غرفة فسيحة !

والمعروف ان والدة الكاتب البريطانى كانت تعمل خادمة، وكثيرا ما كان يسمعها وهى تشكو من ضيق الغرفة الصغيرة الرطبة ، عندما كان يذهب لزيارتها وهو صبى صغير ! » .





ديجول قاد جيش فرنسا منذ طفولته

● لم يؤمن رجل ببلاده كما آمن شارل ديجول بفرنسا . جلس يوما يروى القصة التالية لفريق من مستشاريه في اوج الازمة الاخيرة التي اطاحت به وأنهت حكم اعظم رجل في تاريخ فرنسا . قال ديجول : « كنت في الثانية عشرة من عمرى ، عندما استيقظت ذات صباح فوجدت شقيقي اكسافيه Xavier ، وبيير Pierre ، يلعبان لعبة الحرب . وقد وقف الاول أمام جنوده الخشبية الصغيرة قائدا للقوات الايطالية ، بينما قاد بيير قوات بريطانيا ! » .

ووقفت ارقبهما بضع لحظات ، حتى اذا ما شعرا بوجودى صاحا في قائلين : « شارل .. شارل ، لماذا لاتشترك معنا في هذه المعركة » ؟

قلت : « سأفعل ! » .

وقال بيير : « لقد اعددنا لك جنودك » !

ثم سلمني علم فرنسا ، وقال وهو يبتسم : « نحن نعلم انك لن ترضى بغير قيادة جيوش فرنسا بديلا » !

وما كاد ديجول يصل الى هذا الجزء من روايته حتى مال بظهره الى الوراء في مقعده الكبير ، وقال في صوت خافت وكأنه يحدث نفسه : « نعم ، انى لم اكن ارضى طول حياتي بغير قيادة جنود فرنسا تحت العلم الفرنسي بديلا ! » .

رينوار والغزال الشارد !

● روى جان رينوار ، ابن الرسام الفرنسي الشهير اوجست رينوار Auguste Renoir (١٨٤١ – ١٩١٩) قصة الصداقة الغريبة التى نشأت بين والده وبين قطيع من الغزلان ، قال : « كان أبي يقصد غابة فونتنبليه Fontainebleau ، ليرسم الطبيعة من حوله ، عندما اقترب منه غزال شارد راح يتمسح فيه .. وتكررت زيارات أبى للغابة ، وتوطدت الصداقة بينه وبين صديقه الغزال الذى كان يحمل له بعض قطع الخبز الجاف ، ومنذ ذلك اليوم لم يفترق الصديقان ابدا . وكان اذا تأخر أبى عن موعده وجد الغزال واقفا في انتظاره في نفس المكان الذى تعود أن يلقاه فيه كل يوم .

الى أن جاء أحد الأيام عندما شاهد أبى صديقه الغزال يقود قطيعا من الغزلان التى احاطت به ، فأخرج لها كل ما في جيبه من قطع الخبز الجاف . ثم استدار بمقعده وجلس يسجل لوحته الشهيرة الغزلان !





عندما بكى تشرشل

● وقف ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق في اوائل شهر مايو من عام ١٩٤١ ،وكانت الحرب العالمية الثانية في اوجها ،يلقى احدى كلماته التاريخية في اجتماع لمجلس العموم البريطاني، قال :

« لقد انقضى عام كامل منذ أن وقف كل الرجال على مختلف نزعاتهم واتجاهاتهم ، صفا واحدا لخوض غمار هذه الحرب حتى النهاية ، وعندما اعود بذاكرتى الى المخاطر التى اجتازتها بلادنا ، والى الامواج العاتية التى مرت عبرها سفينتنا ، اشعر باننا لسنا في حاجة الى الخوف .. فلتعصف الرياح ولتشتد الامواج ما شاء لها أن تعصف وتشتد فنحن واصلون الى بر الامان في النهاية ».

وكانت هذه هى آخر كلمة القاها تشرشل في القاعة القديمة للمجلس النيابى الانجليزى ، اذ ما كادت شمس يوم ١١ مايو تشرق ، اى بعد القاء كلمته بأيام قليلة ، حتى تحول مبنى مجلس العموم الى ركام وانقاض تحت قنابل النازى .

وفوق انقاض المبنى الشهير ، وقف رئيس الوزراء يتأمل الدخان المتصاعد وسط الحطام ويتنقل بعينيه في حزن بالغ بين أكوام الأخشاب والاحجار المتهدمة ، وما لبثت عيناه أن اغرورقتا بالدموع ، وهو ينظر الى أحد المهندسين ، وكان يقف بجواره ويقول له : أريد أن تعيدوا بناء هذا المكان الى ما كان عليه ! ولا أريدهم أن يقولوا: « لقد غيرنا وجه الحياة النيابية في بريطانيا » .

وفي مساء هذا اليوم عاد تشرشل الى بيته ليسجل في مذكراته : « لقد احسست وانا ارى هذا الدمار أن ولدى الوحيد قد مات ! » .

العربي

العدد ١٣٠
جمادى الآخر ١٣٨٩
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٩

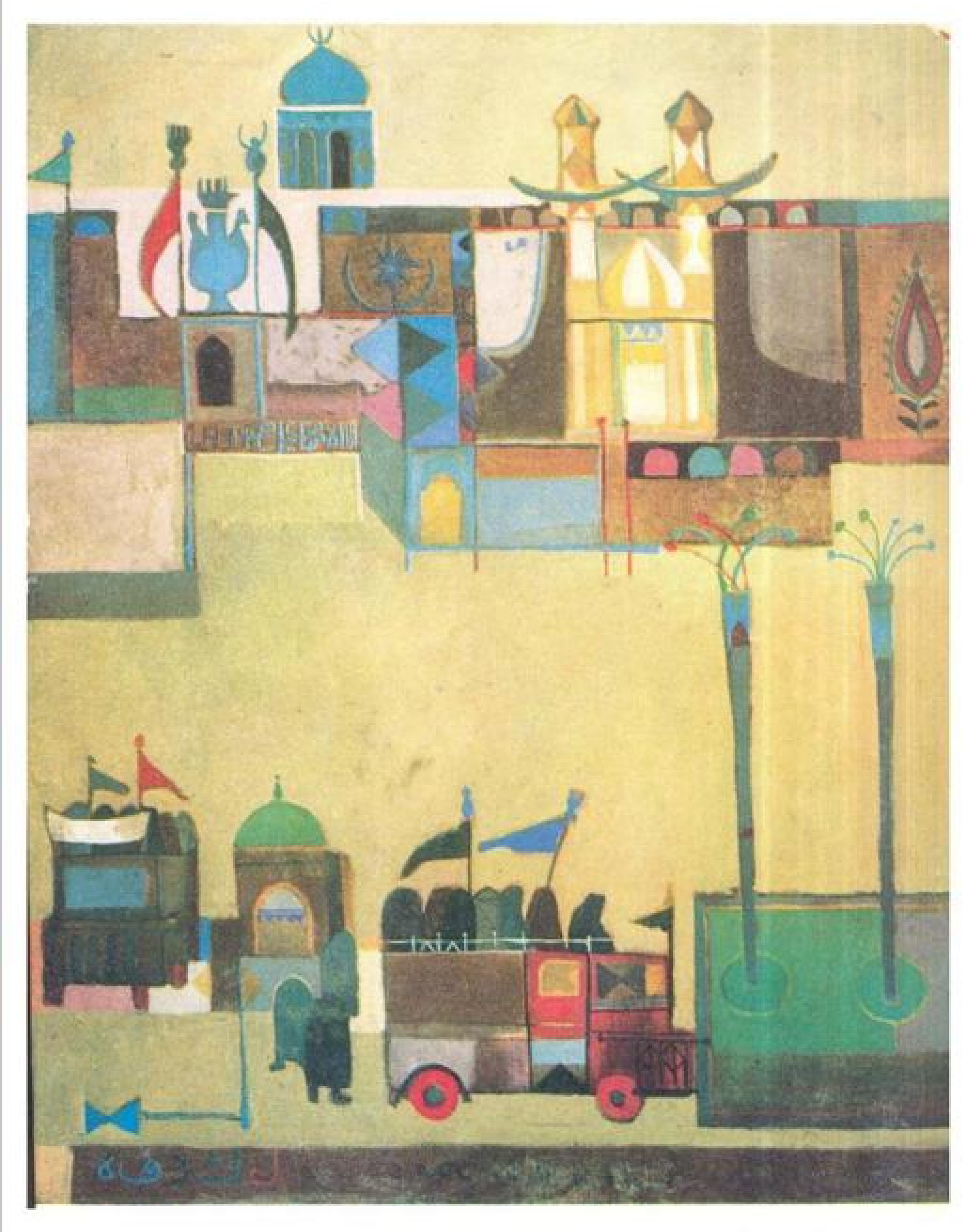


فتاة طرطوس تأخذ نصيبها من تصنيع البلاد

جوائز ١٢٠ ...نار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٢٫٥ شلن	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من لوحات الفنانين العرب

الكوفة ـ للفنان العراقى ضياء العزاوى

عزيزى القارىء

● من حق قارىء « العربى » ان يعلم شيئا عن آخر تقدير ادبى نالته مجلته في ميدان الثقافة الدولية .. فمنذ شهور قليلة حمل البريد الينا خطابا من شركة « مبادلة الوثائق في سويسرا Inter. Documentation Company Ag. Switzerland » . يقول :

« ادرج البروفسور جارى ليكومت الاستاذ بجامعة هارتفورد بالولايات المتحدة الامريكية اسم مجلتكم « العربي » ضمن قائمة أهم المراجع التى يُرجع اليها لاستطلاع امور الشرق الاوسط ، والتى يقترح اعادة طبعها بطريقة التصوير على افلام فوتوغرافية .

وهذا جزء من مشروع كبير يختص بالشرق الاوسط ويهدف الى ان يوفر للدارسين الكثير من المراجع الاساسية والدوريات الرئيسية والمصادر ... وكل هذا في صورة افلام فوتوغرافية .

ونحن نطلب منكم الاذن لنشر الاعداد السابقةلمجلتكم بهذه الصورة .... »

وتم الاتفاق بين شركة مبادلة الوثائق و « **العربي** » على تنفيذ هذا المشروع لما فيه من فائدة ثقافية كبيرة ، وهكذا حققت مجلتك عزيزى القارىء نصرا كبيرا ، نرجو دائما ان تعززه بانتصارات اكبر ، بفضل تشجيعك لها .

المحرر

...PANY AG SWITZERLAND

IDC

The Director,
Al-Arabi,
P.O.Box 748,
KUWAIT.

HJM/ef/IDC4111-12. Date April 4, 1969.

Dear Sir,

Professor Gary Lecompte of the University of Hartford, U.S.A., has listed your periodical "Al-Arabi" on the checklist of important periodicals on The Middle East, suggested for microfiche-reproduction.

This is part of a large project on the Middle East ... to make available for scholars ... literature, basic periodicals ... in the form of ...

...with the intent... of essential ... reference-works

...of your ... the sales. ...

...will make the ... also for the

...issues, we ... of the

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY — No. 130 September 1969 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



● في عام ١٩٦٧ قام الاتحاد النسائي في سوريا واصبح له فروع في كل المحافظات .. وخرجت المراة السورية لتشارك في بناء المجتمع الجديد .. واختفى النقاب او كاد .. والصورة لطالبة سورية تعمل في مصنع صغير اقيم في قرية بملكه الجبلية ، اثناء الاجازة المدرسية في الصيف .

(اقرا استطلاع طرطوس ص ٧٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



القوة ...

.. القوة.

● لقد اصاب الدكتور احمد زكي رئيس تحرير « العربي » في افتتاحية عدد يوليو ٦٩ كبد الحقيقة ، فان سياسة الأمم لا تعرف غير القوة والقوة عندهم فوق القانون ، والذين بالمعاني الانسانية اليوم يحتمون ، هم لاشك قوم مستضعفون ..

حقا وصدقا كل ماذكرت يادكتور .. وعلى الأمة العربية ان تفتح العين جيدا ، ولن يساعدها احد مساعدة حقيقية، وان مصيرها في يدها وحدها ان أرادت الحياة العزيزة الكريمة ، او ارادت ذلا واستعمارا يقهرها لسنين طويلة ، وكفى ما مضى ولتستيقظ الأمة العربية على الحقيقة ، والحقيقة وحدها ..

توفيق بازرعة — المحامي —/القاهرة

مسقط لا ترد ؟ ؟ !

● لم اجد اى استطلاع عن بلدى مسقط وعمان، التي هي جزء من الوطن العربي الكبير ، منذ ان صدرت « العربي » .. تلك المجلة التى نحرص في السلطنة على اقتناء اعدادها وقراءتها كل شهر .. ومن المؤسف حقا الا يظهر حتى الآن اى استطلاع فوق صفحات هذه المدرسة المتنقلة ، ونعتبر ذلك انكم لم تولوا اى اهتمام لبلادنا. فقد يحثكم مثلا على نشر بعض المعلومات عن آثارها التي تزهو بها في العالم العربي ...

السنا جميعا أبناء أسرة واحدة ، فما السبب ؟

سعيد جمعة/مسقط

« العربي » اننا نهتم بمسقط اهتمامنا ببقية اجزاء وطننا العربي .. ولقد طلبت « العربي » من المسئولين في مسقط ان يسمحوا لبعثتها باستطلاع المنطقة ... ولانزال في انتظار هذه الموافقة !

متى يستيقظ العرب ؟

● لقد قرات في العدد ١٢٧ قصيدة «ايه بغداد» للشاعر العربي احمد السقاف ، فاعجبت كثيرا بهذه القصيدة الرائعة ، من حيث انها تدعو العرب الى الدفاع ، بل الى الاسراع في الدفاع عن مقدساتهم وحرماتهم التى تداس وتهان يوميا من قبل الصهاينة اليهود الفاشمين ...

محمد بن معجب الزهراني
جدة/السعودية

جمع المصدر

● كثيرا ما نقرأ في الصحف والمجلات ونسمع من الاذاعات كلمة « امكانات » .

واذكر مما تعلمناه ايام الدراسة ان المصدر لا يجمع .. وان « امكان » وهي مصدر ، لا يجوز جمعها على « امكانات » .

واذكر ايضا انهم كانوا يقولون « امكانيات » وهي جمع « امكانية » وهذا جائز على ما اعتقد ، فما الرأى عندكم ولكم الشكر .

محمد غالب سالم — حلب .

العربي : يجوز جمع المصدر ، ومن ذلك امر وامور ودرب ودروب وعلم وعلوم .

اما امكانيات فيستغنى عنها بامكانات مادام جاز جمع المصدر .

اللغة العربية فى حاجة الى جديد من الالفاظ لجديد من المعاني

● نادى بعض المجددين في مطلع نهضتنا الحديثة بضرورة التطور في الادب واللغة بما يكفل لهما مجاراة التقدم العلمى .

ولم ينادِ اولئك المصلحون طبعا بالانحراف عن صلب اللغة ، ولم يشجعوا على الانفلات من قيودها النحوية والبلاغية بالرغم من مرحلة الجمود التي كانت تمر بها لغتنا .

الا ان ذلك الجمود الذى فرضته ظروف معينة كانت تمر بها الامة العربية منذ حين ، قد حمل بعض السطحيين على الدعوة الى التخلي نهائيا عن قواعد اللغة العربية وقيودها .. فما هو رأى العربي في هذه الدعوة وتلك ..

ابراهيم خليل العجلوني ــ عمان

العربي ان الدعوة الى تغيير اللغة العربية تأتي عادة من الضعاف في هذه اللغة الذين لم تأذن ظروف نشأتهم بالقدرة على التعبير فيها واذنت لهم بالقدرة على التعبير بلغات أخرى غيرها . فهؤلاء نعرف النظر عنهم وعن دعوتهم ..

ولكن في العرب الاقحاح من يدعونا الى تطوير اللغة وذلك بسبب ما فاتها بالذى تذكرونه من عصور الجمود التي مرت عليها ، وضياع الفاظ عديدة تتصل بالعلم والتكنية وبالمدنية ، وجب ان نسارع اليوم في ملء فراغها في اللغة حتى تستقيم الامور ، وهذه دعوة حقة لاغبار عليها .

ان الذى يدعو الى خلع لغته كالذى يدعو الى خلع جلده ... وما أظن كثيرا من العرب يستمعون الى من يدعون الى خلع الجلود ... !



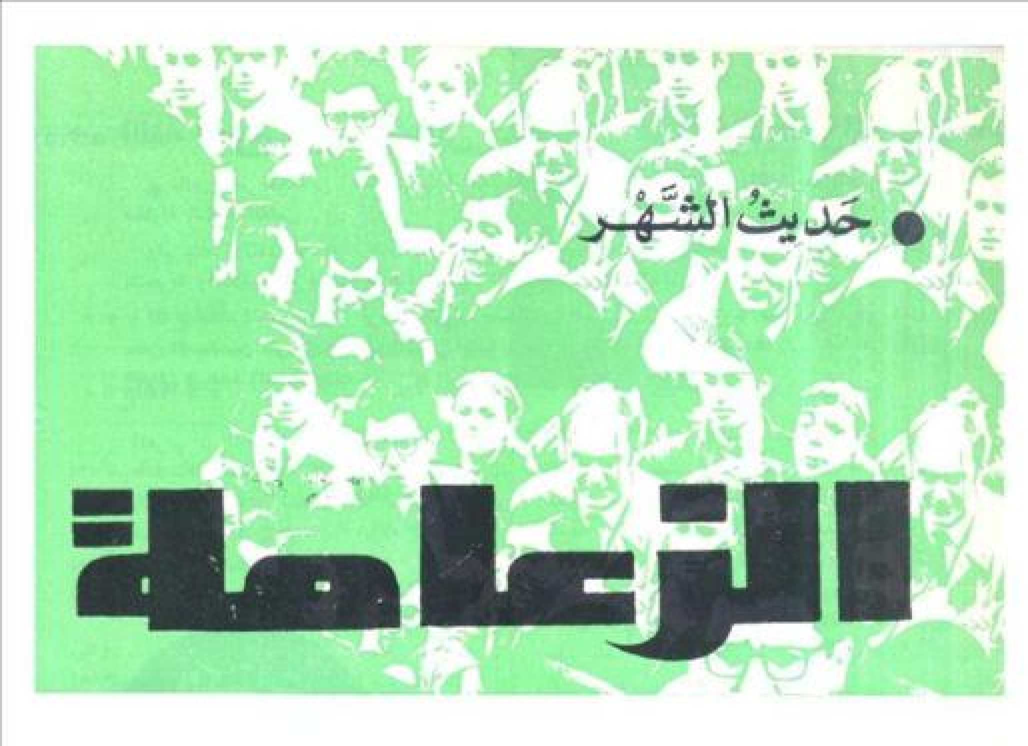
٣ آلاف نسخة شهريًا

● لاشك ان مجلة « العربي » هي المجلة الوحيدة التى تسمو فوق كل المجلات العربية حتى الآن من جميع النواحي الأدبية والعلمية والثقافية ، انها تجذب جميع الشباب والاولاد والشيوخ من الجنسين الى شرائها . بالغا ما بلغ ثمنها .. ونحن هنا في السعودية نشاهد في آخر كل شهر توافد الناس على المكتبات زرافات ووحدانا لشراء « العربى » وينفد العدد قبل اشباع رغبات كل القراء ، انك تجد بالمكتبة من يضرب كفا بكف كأنه وقد اصابته الكارثة او حلت به الرزيئة ، وتسأله: « ماذا دهاك ؟ » فيقول : « فاتني عدد « العربى » هذا الشهر .. « فتقول له » بسيطة « .. فيقول : « وكيف تكون بسيطة ، ومكتبتي الخاصة سيختل توازنها بفقد هذا العدد ؟ ! »

فمزيدا من « العربي » يارجال « العربي » ولو بلغ بكم الجهد حد الارهاق .. انكم تؤدون خدمة للجميع تشكرون عليها .. في السعودية نضطر الى حجز نسختنا من أول الشهر ..

المخلص
خالد محمد الحارقي
الخبر ــ السعودية

« **العربي** » تأمل قريبا ان تقضي على اسباب الشكوى من قلة الأعداد .. ويسرنا ابلاغكم انه قد تقرر زيادة كمية المطبوع من « العربى » بمقدار ثلاثة آلاف نسخة شهريا .. وقد بدأنا بهذه الخطة منذ ثلاثة شهور .. اى أن كمية « العربى » المطبوعة حاليا تزيد بمقدار تسعة آلاف نسخة عن الكمية المطبوعة منذ ثلاثة شهور .. وسوف تستمر هذه الزيادة الشهرية حتى تقضي على اسباب الشكوى ، ويجد كل قارىء العدد الذى يريده .



بقلم رئيس التحرير

■ المثقفون عندما يذكرون الرجال الذين هم عند اول الصفوف ، يقولون الزعماء ، ويقولون القادة . ويتاكد معنى الزعامة والقيادة في المجال العسكري او المجال السياسي ، أو المجال الاجتماعي . وهي مجالات تتسم عادة بالسعة والضخامة، وكثيرا ما تكون عند مستوى الدولة ، وعند مستوى المدينة .

ومع هذا ففي القرى زعامات وقيادات ، ولو انها لم تبلغ من الخطر بحيث يسمى اصحابها قادة ، ويسمون زعماء .

الزعامة بعض طبائع الأشياء

بل أنت قد تؤلف جماعة ، تلمها من هنا وهنا ، وتنيطها بعمل ما معا ، وتتركها وحدها . ثم تعود فتجد أنها تقسمت ، قادة ومقودين . زعماء ومزعومين . لا بسابق تدبير ، ولكن بحكم ان هناك عملا لا بد ان يعمل ،وان هناك جماعة لا بد ان تعمل،وأن الجماعة تالفت من افراد حية ، في طباعها شيء من طباع المواد الجامدة ، بعض اذا وضعته في الماء ثقل وهبط ، وبعض خف وطفا . افراد ، بعضهم يميل ان يكون عند راس الصف وهو يسير ، وبعض يجد اطمئنانه اكثر وهو في الذيل . بعض يامر ويستلذ امرا، وبعض يطيع ويستلذ الطاعة وقد اعفته من تفكير .

ولقد وصف علماء المجتمع القيادة بأنها شيء لا بد كائن" ما اجتمع معا نفر



من الناس . قال احدهم ان روبنسن كروسو Robinson Crusoe ، بطل الكاتب الانجليزى ديفو Defoe في روايته الشهيرة ، عندما ارتطمت سفينته وتحطمت على صخور الجزيرة ، هبط عليها واحدا فردا . وبقى فيها واحدا فردا الى ان انضم اليه صاحبه «جمعة» Friday . وزعم هذا العالم الاجتماعى انه من هذا اليوم اصبح روبنسن كروسو زعيما .

رئيس للمركب واحد لا رئيسان

وفي المثل العامى ان المركب الذى له رئيسان جدير بالغرق .

ومعنى هذا في لغة المجتمع ان السفينة لو اجتمع عليها قوم ، وجب ان يكون لها قائد . ان يكون لها زعيم . ووجب ان يكون واحداً ، والا غرقت السفينة .

وفي الشعر العربى

وفي الشعر العربى القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سُراة لهم
ولا سُراة اذا جُهالهم سادوا

وليس من يختلف في انه في غيبة القيادة لا تكون الا الفوضى .

الرجال قوّامون على النساء

والاسلام جعل الرجال قوامين على النساء .

انها الاسرة . وما الاسرة الا طائفة من الناس . واذن وجب ان يكون فيها قيادة ،



● في العواصم العربية الكبرى يقوم بتوزيع الصحف في احيائها مئات عدة من الباعة، لكل حي من هؤلاء زعيم واسمه عندهم «المعلم» ، ولفظ «المعلم» ما اشيعه دليلا على الزعامة ، فرئيس البنائين «معلم» ورئيس النجارين «معلم» ، كلهم زعماء ،وكلهم قادة ، يكونون زعامات صغرى هي الزعامات التي منها يتألف الشعب .

وان تكون زعامة . ووجب اذن ان يكون الرجل هو الزعيم او تكون المراة ، وكان طبيعيا ان يكون الزعيم هو الاقوى جسما والاقوى احتمالا . ومن النساء من يكرهن هذه الزعامة . وهن في الواقع لا يكرهنها زعامة ، ولكن يكرهن ما يحتمل أن يكون فيها من غلظ ومن سفه. وفي هذه الحالة لا بد من عزل الزعيم . ولو أن الدين جاء بتزعيم المراة لضاق بذلك الرجل .

فالمشكلة لها وجوه . ولكن وجهها الدائم ان الأسرة ، ككل جماعة انسانية ، لا بد لها من زعيم صالح .

«المعلم» الزعيم

ولكن اى الصفات تجعل من الرجال ، او من النساء ، زعماء صالحين وصالحات؟

الجواب على هذا السؤال عسير .

في العواصم العربية الكبرى يقوم بتوزيع الصحف في احيائها مئات عدة من الباعة ، لكل حي من هؤلاء زعيم . واسمه عندهم « المعلم » . انه اسم الزعيم القائد عند العامة . ويأتيني بائع الصحف في الصباح ، بالصحف الى المنزل ويذكر « المعلم » . واحيانا يذم . واحيانا يمدح . وادركت منه على مدى الأشهر ان المعلم شخص رهيب .

وحدث اني كنت ازور دار التوزيع بصحيفة في العاصمة شهيرة . وفي الردهة

رايت رجلا فحلا ، فوق راسه طاقية ، يلف حولها لفافة من حرير لمّاع في لون الفضة . وعليه قفطان عتيق ولكنه من حرير ، او هكذا خلته ، اعطـــاه شيئا من مهابة . ووجدته يمسك بذراع شاب عرفت انه بائع صحف في الطـــريق . ووجدته يكاد يقصف ذراعه ، ثم ينهال عليه بالضرب ، الا انه الضرب الهين . ثم استولى على ما في جيبه من نقود .

ودخلت عند الصديق في حجـــرته ورويت له ما رايت .

وعلمت ان هذا هو « المعلم » . وان بائع الصحف متخلف في دفع ما حصّل من بيع الصحف . وان المعلم يعالجـــه بطريقته المالوفة . اولها المهابة التى هـو عليها : جسم ضخم ، وقوة ساعد ، والتماع لفافة على الراس تحسبها مـن فضة . وهو اذاق الشاب بعض قوته عندما عصر ذراعه . واذاقه نوعا من سلطته المطلقة التى لا تجرؤ على الوقوف دونها الشرطة ، وذلك باخذ كل ما في جيبه من نقود .

ودخل المعلم علينا . فسالته عن هذه القسوة . قال ما معناه : انها قســـوة زعامة ، فلولا القسوة مع هذا الصنف ما دفع ، ولفشلت « الشغلة » كلهـــا . قلت : لويت ذراعه ؟ قال : ولكن بدون الم . وقلت : واخذت كل نقوده . فتطوع رجل كان يلازمه بأن قال : انها ديـــون متأخرة ، وهؤلاء الأولاد لا يدفعون الا للعين الحمراء . قلت : ومن اين يأكل يومه هذا ؟ قال المتطوع بالكلام : انك لم تحضر النهاية . المعلم ناداه ، وأعطاه بعض المال وطيب خاطره . المعلم قلبه سكّرة .

وهنا تدخل المعلم قال : « هؤلاء الشبان مساكين . وانا انما اظهر بالقـــوة معهم أحيانا لا كل حين ، وبذلك احميهم من الفشل في العمل الذى هم به قائمون . لان اكلهم اثمان الصحف بالباطل معناه البطالة لهم والتشريد . وعندكم في النحو يقولوا : وقتـــا ليزدجروا » .

وسالت عن هذا المعلم في مكتب التوزيع ، فقيل لى انه من انجح « المعلمين » .

ومضيت وانا اسال نفسى عـــن سر نجاح هذا الرجل الأمى .

وانتهيت على انه سر لن ينكشف . ولو انك جئت لهذا الرجل باستاذ فى علم النفس يحلل شخصيته ، ليكشف فيها عن سر نجاحه ، لكتب لك عشرات مـــن الصفحات ، تعدّد لك الشتيت مـــن النظريات ، وتأتى لك بعدّة من احتمالات ، ولا تخرج انت منها بشيء . ذلك لان شخصية الزعامة ليس فيها ما يوزن ولا ما يقاس . وقد تقول من شروط الزعامة معرفة الرجال ، ومن شروطها درس ما يحيط بالرجال من احوال ، ومن شروطها قلة الثقة بما تسمع وترى ، ومن شروطها القسوة تترادفها الرحمة ، ومن شروطها ومن شروطها ، ويكون هذا كله كلام انشاء تملأ به الأسطر ، جاز ان يكون وان لا يكون .

ولا يمكنك ان تقول أن من اســـباب زعامة هذا « المعلم » الثقافة . بل لعل من اسباب نجاحه فيها هى قلة الثقافة ، بين افراد من العمال غير مثقفين . ولعل من سبب نجاح زعامته انه ابن بيئتهم وان نشأته من نشأتهم . ودليلى على ذلك اننـــا لو وضعنـــا ذلك الأستـــاذ الجامعي الـــذى ذكـــرت ، وهـــو الخبير النفسانى ، مكان هذا « المعلم » الذى لم يعرف من مداورات الأنفس غير ما وقع عليه بالتجربة ، اذن لفشـــل الأستاذ فشلا ذريعا ، رغم ثقافته ، ورغم

انه عليم بالذى يدور في طيات الانفس، وما تخفى الصدور .

زعامات وضيعة وزعامات رفيعة

وسوف تقول ، لماذا بدات بزعامة رجل ليس هو حتى في المستويات المتوسطة في الأمة، دع المستويات الرفيعة العالية.

واقول ان هذه الزعامات الصغرى هى الزعامات التى منها يتألف الشعب ، ومن الشعب تتألف الأمة .

ولفظ «المعلم » ما اشيعه ، في أوساط هذه الشعوب ، دليلا على الزعامة . رئيس الفعلة الذين يحفرون الأرض معلم . ورئيس البنائين معلم ، ورئيس النجارين معلم . ورئيس الحدادين . والجزار في ملحمته ، بين صبيانه معلم . ومدرس المدرسة ، بين تلاميذه ، معلم . وحتى اللصوص ، لا بد لهم من رئيس يقودهم ويدبر لهم ، وينسق أعمالهم ، فهو معلم .

كلهم زعماء ، وكلهم قادة .

والزعيم الاعلى الذى يجيء من بعدهم ، ولا يتزعم الافراد فردا فردا ، وانما يتزعمهم جماعات ، جماعات . يتزعمهم « معلما » « معلما » .

واذا انت اردت أن تجس نبض الدولة لتعرف كم صحتها ، فلا تجس نبض ، من تطلق عليهم الزعماء، ولكن جس نبض هؤلاء .

وزعامات ارفع

والزعامات مستويات .

منها من ذكرنا ، من وضيع ورفيع .

ومنها ما هو ارفع ، بمعنى أن تبعاتها اخطر . وان تبعاتها اوسع .

فالخبير الاقتصادى زعيم لا شك فيه . ومدير البنك ، في البلد الحر ، زعيم لا شك فيه ، واتباعه الكثرة من مساعديه . وتتعطل زعامته اذا استقل بنفسه ، فهو اذن يقطع ما بينه وبين اتباعه ، والزعامة لا تكون الا برجل يسير ومن ورائه جمهور ، ولو عشرة رجال ، يشاركون ويؤمنون ويعملون . والمسئول عن صحيفته زعيم ، من ورائه جمهوره. وهو جمهوران، جمهور يقبع وراء المكاتب ويدور وراء الأخبار ، وجمهور يقرأ وينعجب ويود المزيد . والصحيفة التى تقطع ما بينها وما بين الجمهور لا زعامة لها .

ومن الهيئات زعامات .

الجمعيات العلمية زعامات . والجمعيات الطبية زعامات . وجمعيات القضاة والمحامين زعامات . ونقابات العمال زعامات . زعامات جماعية ولو نطق بها عنهم فرد واحد .

وتاتى بعد ذلك الزعامات العليا

وتاتى بعد كل هذه الزعامات العليا ، التى تطلق عليها الزعامات السياسية .

ولا زعامات سياسية ، الا من دونها زعامات ، من دونها زعامات ، من دونها زعامات ، حتى تاتى الى « المعلم » ، وليس هو فى سلم الزعامات آخرا .

والزعامة العليا ، كسائر الزعامات ، لاتسمى زعامة الا بشيء تتزعمه . فالزعيم الذى يجلس وحده على سن الحربة ، عند راس القمة ، زعيم نفى عن نفسه الزعامة ، لانه لا زعامة الا موصولة بالجمهور .

جسم امة حية ، الا امة اصابها الشلل، فعجز نصفها في اسعاد نصفها الثاني .

كم يملك الزعيم من امر نفسه

اني اسالك ان تعيد في ذكرك اسماء من كانوا زعماء في بلدك ، على شتى المستويات ، وان تنظر في مسالك هذه الزعامات ، اذن فسوف تجدها مسالك متعددة يجمعها الاختلاف اكثر مما يجمعها التشابه . ذلك انه لا يوجد طريق واحد معبد تستطيع ان تشير اليه وتقول ان هذا هو طريق الزعماء . والزعيم قد ينبت في الارض حيث لا يرتجي النبت .

واختلف اهل الراى فى الزعامة ، هل هي من صنع الزعماء ، واليهم ترد اعمالها ، فتحمد او تذم ، ام هي من محتمات التاريخ ، فكلما جاءت ازمة ، وضاقت حلقاتها ، وقال الناس اين المفر ، ظهر زعيم يأخذ بيد الناس الى مفر يخرجون منه ، او الى داهية دهياء ينكبون فيها ، كما فعل هتلر ، وصاحبه موسوليني .

ان امامي الآن رايين اقراهما :

اولهما : راى للكاتب الانجليزي توماس كارليل Thomas Carlyle (٧١٩٥ ـ ١٨٨١) جاء به فى كتابه الخالد الذى كتبه عن ابطال التاريخ ، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم . وثانيهما : راى للفيلسوف الروسي الشهير والمصلح الكبير تولستوى Tolstoy (١٨٢٨ ـ ١٩١٠ م) .

اما كارليل فيقول ان التاريخ العام ، تاريخ احداث هذه الدنيا ، هو فى حقيقته تاريخ ما صنع الرجال العظام هنا فوق سطح هذه الارض . وعنده ان القادة



توماس كارليل

(١٧٩٥ ـ ١٨٨١)

تاريخ احداث هذه الدنيا هو في حقيقته تاريخ ما صنع الرجال العظام هنا فوق سطح هذه الارض .

وهذه الزعامات العليا لا تصلح الا اذا صلحت من دونها الزعامات الدنيا ، من رفيعة ومن وضيعة .

انها زعامات آلاف، من فوقها زعامات مئات ، من فوقها زعامات عشرات ، من فوقها زعامة عليا . كالبناء يحمل بعضه بعضا . وهى تتفاعل فيما بينها اكثر ما تتفاعل اجزاء البناء ، لانها اجزاء حية في

الأبطال هم الذين اعطونا المخترعات العظيمة وكشفوا لنا الكشوفات الهائلة . وعنده أن القليل لا الكثير هم الذين غيروا من أوضاع المجتمع بالدرجة التي نراها . وهو يقول عن الديمقراطية انها جاءتنا بالملايين من المغفلين الذين يذهبون الى صناديق الانتخابات ، وجاءتنا بهذا العدد الأقل الذى يذهب الى البرلمانات ليملأ اجواءها كلاما ، وجاءتنا بهذه القلة النادرة من البشر ، التي استطاعت وحدها ان تعمل . يشير بذلك الى ابطال التاريخ وقادته .

ونحن نغفر لكارليل العظيم ما قال عن الديمقراطية .

ويقول تولستوى انه لم يجد من الناس من هو أسخف من الزعيم الذى يحسب انه يصنع التاريخ ، او يقال له انه يصنع التاريخ ، ثم هو يصدق ما يقال له .

وعند تولستوى أن زعيما كنابليون لم يكن له أى نصيب فى تغيير مجرى التاريخ . عنده أن نابليون انما كان اداة طيّعة لظروف اجتماعية قاهرة حملته حيثما حملته غصبا وقهرا .

وفى هذا الصدد يقول تولستوى أيضا : « اننا اذا درسنا التاريخ ودرسنا قوانينه، وهو انما يجرى على قوانين، ولو خفيت، لوجب علينا ان نصرف النظر عن كل ما يذكره الذاكرون من ملوك حكمت ، ووزارات استوزرت ، وقادة حاربت ، وان نبحث فى احشاء الأمم عن تلك المخلوقات الصغيرة التي كونت الجماهير الغفيرة ، فهي التي صنعت التاريخ ، وصنعت أحداثه ، وصنعت الزعامة والزعماء ، فجاءت أشياء محتومة على التاريخ ، مفروضة عليه ، ليست من



تولستوى
(١٨٢٨ - ١٩١٠)

لم يجد من الناس من هو اسخف من الزعيم الذى يحسب انه يصنع التاريخ ، او يصدق ما يقال له انه يصنع التاريخ .

صنع نفسها ، ولكنها من صنعه هو ، صنع التاريخ » .

انه معنى جميل اشبه بالمعنى الذى ذكرناه عن الزعامات الصغيرة العديدة ، التي تنتشر فى أعماق الأمم فلا يحس بها احد ، وهي انما هي هي التي تخلق الظروف مؤاتية وغير مؤاتية ، وتخلق الزعماء والزعامة ، هادئة وغير هادئة ، وتصنع التاريخ ، واليها يرد كل شيء ، وهي لا تدرك أنها مَرَدُّ كل الأمور .

الزعماء
ناس كسائر الناس

ولا نقول هذا ارخاصا لهم ، فالزعيم لا يصعد الى الزعامة على سلم وطيء الدرجات سهل المرتقى . اذن لصعد كل الناس اليها .

فهذا التفرد يحكى عن نوع من التفرد فى الخصائص .

ولكنا نشير هنا الى زعامات بدأ اصحابها عبيدا طيّعين خاضعين من عباد الله ، ثم يجرى العام بعد العام ، وكل عام يزداد الزعيم قوة ، ويزداد بنفسه ثقة . فاذا الكلمة المتواضعة كلمة مترفعة . واذا لغة اللين لغة العنف . واذا هو يتحدث الى الملايين من الاتباع ، من زالفين وغير زالفين ، لا الحديث القديم بالراى السليم الذى يجوز عليه الخطأ والصواب ، ولكن بالراى القاطع الحاسم الذى يجُبُ كل شيء فى الوجود . ويتدرج الزعيم من بعد ذلك الى حالة يخالها السامع درجة من النبوءة ، فيصبح الراى وحيا ، او هو كاد ان يكون .

ولقد سمعت هتلر يتحدث فى اوج سلطانه حديثا صارخا ، يختمه بأنه ارادة الله ، وحديثا آخر سمعته منه اختلط عليّ من قائله ، هتلر الذى كان يقول ، ام الله .

ولقد عرفت من الالمان ، من عبد زعيمهم هذا وهو فى اعز ايامه ، وهي اعز ايامهم ، عبادة لم تختلف كثيرا عن عبادة الله .

ويسمي علماء النفس هذه الحالة النفسية التى اتسم ويتسم بها بعض الزعماء بانها شيء شبيه بالمنح الالهية التي تمنح للقديسين فتقربهم من الله Charism . او هكذا هم يخالونها . فيصبح وجودهم بعض ارادة الله . والكلم يجرى على السنتهم هو بعض ما اجراه الله .

وساعد هتلر واضرابه ، وهم قلة فى الزعماء ، كثرة الاتباع المهللين في الناس ، وميل الجماهير دائما الى ان ترى يد الله تعمل فى الخلق .

ولا يمنع هذا الحال امثال هؤلاء الزعماء ان يأتوا لقومهم بالأعاجيب . وهكذا فعل هتلر . ولكن خانه الوحي ، فجاءه آخر الامر من الشيطان فاتبعه ، فهدم ما كان بنى .

وان ذكر هذا بشيء ، فقد ذكر بأن الزعامة الهتلرية ، التى بدات زعامة جماعية ، انتهت بزعامة فردية بحتة ، لم يستطع معها صديق واحد من اقرب اصدقائه ان يفتح عينه ليرى النور الاحمر القائم فى الطريق . واقترب النور الاحمر ، فما اسرع ما جاءه الدمار ، وما اسرع ما جاء امته .

ان الزعامة ضرورة ، لا شك فى هذا .

ولكن الزعامة مشكلة .

ومن اشكل اشكالها ان الزعيم انسان، وان القوة لا بد منها للزعيم ، ولكن زيادة القوة مفسدة ، لا للزعيم ، ولكن للانسان الزعيم ، لكل انسان .

ومن اجل هذا اعود فاقول ، ان الزعامة السياسية لا بد ان تقوم على زعامات فى الناس الف ، من زعامات وضيعة ، وزعامات رفيعة ، وزعامات ارفع .

وان طلبت الزعامة العليا لنفسها الامن ، فانما هي تطلبه للدولة . وانما هي تطلبه للأمة . وهي لن تجد امنا كالأمن الذى تجده بالنزول الى هذه الزعامات ، من صغيرة وكبيرة ، والجلوس بينها . بين النجار ، والمدرس، والطبيب،

وساعي البريد ، وصاحب القهوة ، وقاضي المحكمة، وممثل المسرح ، وعمدة القرية .

القادة السياسيون من أى الطبقات ينشأون ؟

قرات كلمة فى هذا الشان تقول ان الساسة الأمريكيين اكثرهم من المحامين. اما فى أوروبا فليس بين قادتها السياسيين كثرة من المحامين .

وفى انجلترا تركزت القيادة السياسية فى كل من كان ذا بيت شهير ومال وفير ، وذلك الى عام ١٩٤٥ .

وفى انجلترا استوزرت انجلترا من عام ١٨٠١ وعام ١٩٢٤ عددا زاد على ٣٠٠ وزير ، كان ثلثاهم من اهل الثروة الموروثة ، وعاش نحو الثلث الباقي من كسب ايديهم .

ومنذ عام ١٩٤٥ اعتمد كثير من محترفي السياسة فى انجلترا على معونات مالية ، وأعمال وكلتها اليهم اتحادات العمال .

اما فرنسا وايطاليا فقد غلب بين الساسة المدرسون والمثقفون . وقد وصفوا الجمهورية الفرنسية الثالثة بانها « حكومة الأساتذة » .

وفى المانيا غلب على برلمانها من قبل هتلر المحامون وعدد لا بأس به من الاقتصاديين ، ومن ممثلي اتحادات العمال وموظفي الحكومة .

وفى روسيا اخذ قادة الحزب يزيد فيهم رؤساء الصناعة الاداريون ، ورؤساء الزراعة والنقل ، وفقد العامل مكانه بينهم .

وفى الثورات

وجاءت الثورات السياسية الاجتماعية الحديثة فكان من مظاهرها ، لا سيما فى الدول الافريقية ، تنحية المثقفين ، واساتذة الجامعات ، وذوى الاقلام الشهيرة .

وكان طبيعيا ان تكون بالثورات خشية من هؤلاء . ولا ادخل فى سبب ذلك .

ولكن من الثورات التي اعرفها ، وتلك الأخرى التي قرات عنها ، ثورات نحت من رجال الفكر ، رجالا لهم كفايات ترجح بهم فى الموازين ، لو اذن لهم فى البقاء حيث هم ، فى العهود الجديدة ، لسهلوا الطريق ، ولكشفوا عن الأخطار ، ولنفعوا نفعا عظيما .

ولكن بدلا من هذا ركنت هذه الثورات فى كثير من الاحيان الى انصاف من الرجال لم يكن فيهم النضج الكافي ،

هتلر

كان يتحدث فى أوج سلطانه حديثا صارخا يختمه بانه ارادة الله ، وساعد هتلر واضرابه ، وهم قلة في الزعماء ، كثرة الاتباع المهللين في الناس .





● تخلصت افريقيا من الزعماء التقليديين عن طريق الثورات السياسية الاجتماعية الحديثة، ولكن كان من مظاهرها تنحية المثقفين ، وتعطيل المواهب ، حيث المواهب قلة .

ولا حتى الايمان بالجديد ، الذى خشيت الثورة أن يكون قليلا فيمن أبعدوا . ولم يكن فى الكثير ممن أبعدوا عن مشاركة ، نقص فى ايمان ، ولا عزوف عن جديد ، وكانت لهم قلوب مليئة بالنقمة على القديم ، ولكنها عادة فكر كان من شأنها النظر قبل القطع والاستماع الى الرأى الحر قبل ابداء المشورة .

ومضى هذا الزائر الأفريقي الكريم يحكي عن بلده ، قال :

ان تعطيل المواهب ، حيث المواهب قلة ، لا سيما فى بلادنا الافريقية ، جرم ليس بالقليل . جرم جنوه على صاحب الموهبة . وجرم جنوه على الأمة .

مثقفون
تقدميون ورجعيون

وتابع الافريقي حديثه قال :

وقسموا المثقفين الى تقدميين ورجعيين . واضحك عندما انظر الى من اختاروهم لثقة اولوها اياهم ، واعلم انهم ممن يولون من شاء اى ثقة شاء .

وقسموا المثقفين الى اقطاعيين وغير اقطاعيين . وان يكن معنى الاقطاعي انه الرجل صاحب الغنى ، فما عرفت مثقفا اقطاعيا أبدا .

قلت خاتما لحديث خلت انه طال :

وعدا هذا فالاقطاع كان له زمان ، وقد مضى وانقضى .

والزمان فى هذا الأمر لا يمكن أن يعود القهقرى .

فلنفتح الأبواب على مصاريعها ، ليدخلها الأهل جميعا ، خدمة طائعين ، يطلبون العيش كدا ، ويطلبون اللقمة عرقا ، ويطلبون الخير لكل من ظللته سماء ، وللوطن يطلبون المجد أرفع الأمجاد . ●●

احمد زكي

مسابقة العربي

أجب على ١٠ أسئلة

تربح جائزة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار

● مسابقة هذا العدد تتلخص في عشرة أسئلة ، مع كل سؤال منها ثلاثة ردود ، والمطلوب منك معرفة الرد الصحيح لكل سؤال ، وترسله الينا بالبريد لتفوز باحدى الجوائز التي مجموع قيمتها ١٠٠ دينار

الاسئلة :

١ ـ ما هي درجة تجمد الماء :
٥ مئوية ـ ٣٢ فهرنهيت ـ صفر فهرنهيت ـ ٣٢ مئوية .

٢ ـ من الذي ابتدع شخصية شارلك هلمز :
شارلس دكنز ـ آرثر كونان دويل ـ شكسبير

٣ ـ على أي نهر تقع مدينة بغداد ، عاصمة الجمهورية العراقية :
نهر الفرات ـ نهر الكلب ـ نهر دجلة .

٤ ـ ما اسم النهر الرئيسي في الباكستان :
السند ـ الندس ـ الجنج .

٥ ـ ما اسم العالم الذي قفز من الحمام وهو يصيح : وجدتها وجدتها :
جاليليو ـ نيوتن ـ ارشميدس .

٦ ـ ماهي البكترية :
حيوانات ـ نباتات .

٧ ـ ما اسم الجبال التي تفصل بين اوربا وآسيا :
الالب ـ البرانس ـ الاورال .

٨ ـ اي من هذه الدول ليس لها منفذ على البحر :
المجر ـ افغانستان ـ الاردن .

٩ ـ اين تقع مكتبة الاسكوريال الشهيرة :
الهند ـ البرتغال ـ اسبانيا .

١٠ ـ في اي بحر يصب نهر الفلجا :
البحر الاسود ـ بحر قزوين ـ بحر البلطيق.

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٠ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٩ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

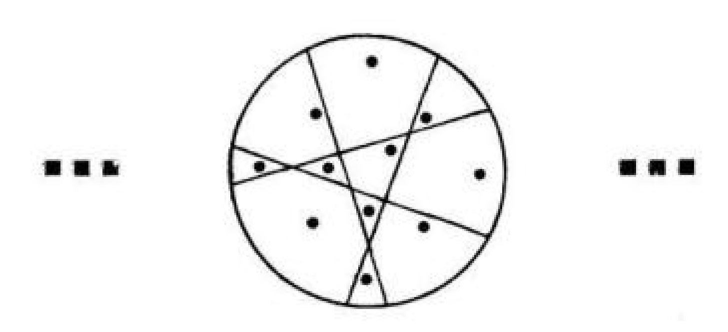


نتيجة مسابقة العدد ١٢٨

أربعة خطوط مستقيمة حيرت المشتركين بالمسابقة

■ تميزت مسابقة العدد ١٢٨ بصعوبتها بعض الشيء حيث كانت تحتاج الى مزيد من المحاولات العديدة لرسم اربعة خطوط مستقيمة لتقسيم الدائرة الى مساحات مختلفة متفاوتة على أن تحتوي كل مساحة نقطة واحدة فقط، لذلك فان الاجابات الصحيحة كانت قليلة على غير العادة في مسابقاتنا الماضية .

والرسم الذى أمامك عزيزي القارىء يمثل الحل الصحيح للمسابقة . ثم قائمة بأسماء الفائزين بهذه المسابقة :



الجائزة الاولى وقيمتها ـ/٣٠ دينارا فازت بها : أميمة عسيران / بيروت / لبنان

الجائزة الثانية وقيمتها ـ/٢٠ دينارا فاز بها جابر عبد الله محمد جمال / الشعب / الكويت

الجائزة الثالثة وقيمتها ـ/١٠ دنانير فاز بها جواد محيى الدين العرب / عمان / الاردن

٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

(١) حسن محمد العواد/الرياض/السعودية

(٢) الخطاب عمر القطان/طرابلس الغرب/ليبيا

(٣) حسن محمد ابراهيم/المحرق/البحرين

(٤) يوسف محمود خليفة/رأس غارب/ج.ع.م

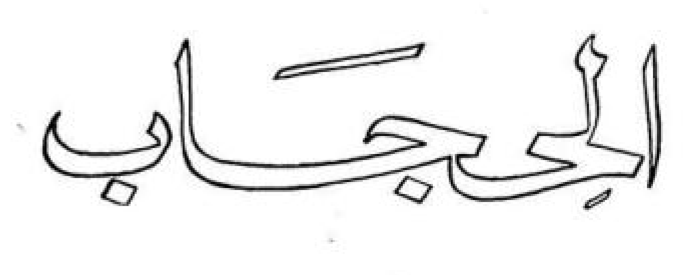
(٥) منيرة حمد عبد الله محمد / واشنطن / امريكا

(٦) بهجت اليوسفي / دوما / سوريا

(٧) اسماعيل عبد المجيد السامرائي/بغداد/ العراق

(٨) عثمان حسين الحاج/الخرطوم/السودان





عند العرب وفي الإسلام

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت

■ عرضنا في مقال سبق لحجاب النساء عند الشعوب القديمة (١) ، واليوم نعرض له عند العرب . ولنتبين موقف العرب منه لا بد ان نتابع ، في شانه ، مراحل تاريخهم المتعاقبة .

اولا ـ العصر الجاهلي

لم يعرف العرب في العصر الجاهلي نظام الفصل بين الجنسين بل كانت العلاقات بين الرجال والنساء طبيعية لا تخضع لتلك القيود الثقيلة التي يفرضها نظام الحجاب . وهذه حقيقة تبده كل من يعتني نفسه بالاطلاع على آثار هذا العصر واخباره . فالمراة في بيتها كانت تستقبل ضيوف زوجها او اخيها وتجير من يلوذ بها من الرجال .

ومن النساء من كانت تستقبل خطيبها او الراغب في الزواج منها فتحادثه وتناقشه لتتبين شخصيته وتتعرف على ذكائه وفطنته . وكانت النساء تساهم في وجوه النشاط العقلي المعروفة في ذلك العصر . فكنّ يَفِدن فيمن يفد الى اسواق الأدب في عكاظ وغيرها فيستمعن الى انشاد الشعراء وخطب الخطباء ويتطارحن الشعر ويتبادلن الاحاديث .

وفي الحروب والمعارك القبلية كانت المراة تخوض غمار المعركة وتكتوى بنارها . فكان منهن من يلحقن بابناء القبيلة يحرضنهم على القتال ويبعثن في نفوسهم النخوة والحمية ويقمن بسقاء العطشى وتمريض الجرحى (٢) .

---

(١) عدد مارس ١٩٦٩

(٢) راجع مجمع الامثال للميداني جـ ٢٤١ وبلاغات النساء لابن طيفور والاغاني لابى الفرج الاصفهاني جـ ١٤ ، ١٩ .



وعندما ظهر بشبه الجزيرة العربية نبي يدعو العرب الى دين غير دين آبائهم واجدادهم ، وينذرهم بترك عبادة الاصنام والاوثان الى عبادة اله واحد ، لم تقف المراة من هذه الدعوة موقفا سلبيا بل نجدها تسارع الى الانضمام اليها والدفاع عنها . فهؤلاء نسوة يثرب تبلغهن الدعوة الجديدة فيقدمْن على النبي (صلعم) مع من يقدم عليه من رجالها ويبايعنه فيمن يبايعه منهم . وهؤلاء مسلمات مكة يهاجرن الى الحبشة مع ازواجهن ، يشاركنهم متاعب السفر الطويل والآلام الاغتراب والبعد عن الوطن .

ثانيا ـ عصر النبوة

ظل الحال في عصر النبي (صلعم) على ما كان عليه من قبل فيما عدا فرض الحجاب على نساء النبي خاصة .فهناك مظاهر متعددة لاختلاط الجنسين في هذا العصر تكاد تتناول كل مظاهر الحياة الاجتماعية فيه . من ذلك ان النساء كن يقدمن على النبي لمبايعته وكان النبي يرسل من ينوب عنه في اخذ البيعة منهن . وكان النبي اذا مر بجماعة من النساء سلم عليهن ورددن عليه السلام . وكانت النساء يجئن الى النبي يسالنه في امور الدين عما اشكل عليهن او يعرضن عليه شكوى من اب او زوج او يقترحن عليه امرا . وكان النبي يزور بعض النساء في بيوتهن فيستقبلنه ومن معه ويقدمن اليهم الطعام . وكانت المراة على عهد النبي تخرج لقضاء حوائجها وتذهب الى المسجد،ولم يكن الامر مقصورا على صلاة الجمعة بل كان عاما بالنسبة لجميع الصلوات . وساهمت المراة في هذا العصر في تاسيس الدولة الاسلامية . فاشتركت في الغزوات . كانت تسقي المقاتلين وتمرض الجرحى ، بل قاتلت احيانا قتالا حقيقيا فضربت بالسيف ورمت بالقوس . ويكاد يتفق الرواة على ان سبب نزول آية الحجاب هو ما حدث غداة بناء النبي (صلعم) بزينب . فقد روى عن انس بن مالك انه قال « لما اصبح رسول الله عروسا بزينب دعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند النبي فاطالوا عنده القعود . فقام رسول الله فخرج وخرجتْ معه حتى جئنا حجرة عائشة . ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى دخل بيت زينب فاذا هم قعود . فرجع ورجعت معه حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا . فضرب بيني وبينه سترا ونزل الحجاب » . فسبب نزول الحجاب اذن ـ طبقا لما تدل عليه هذه الرواية ـ هو ما لقيه النبي من احراج ومضايقة نتيجة تخلف هذا النفر من الناس واطالتهم القعود رغم انصراف الآخرين ورغم ان مقتضيات المناسبة كانت تحتم عليهم الاسراع بالخروج والانسحاب .

وقد تكون هذه الحادثة السبب المباشر لنزول آية الحجاب لكنها ، اغلب الظن ، لم تكن السبب الوحيد . ذلك ان النبي كان لا شك يقاسي الكثير من عدم مراعاة بعض الناس حرمة البيوت وقلة احتفاله بآداب الزيارة . ولا شك ان النبي كان مضطرا الى استقبال الناس جميعا والى ان يهش ويبش في وجه كل قادم مهما اساء هذا القادم اختيار وقت الزيارة ومهما كان ثقيل الظل جلف الطباع . ولا شك انه كان يحدث احيانا ان ياتي اناس يطلبون النبي في بيته فلا يجدونه فتضطر نساؤه ، جريا على عادة العرب الى استقبالهم والحديث معهم وقد يكون منهم ضعيف الايمان فاسد الاخلاق . فاذا اضفنا الى ذلك ما كانت

عليه بيوت النبي من بساطة متناهية فهمنا مقدار الضيق والاذى الذى كان يصيب النبي والـذى انقذه منه او من بعضه نزول آية الحجاب . ثم ان نساء النبي لسن كاحد من النساء فهن امهات المؤمنين ومن كان هذا شانه وجب الارتفاع به عن كل شبهة والابتعاد به عن كل ريبة . ولذلك امرن بالقرار في بيوتهن وعدم مخاطبة الرجال الا مـن وراء حجاب .

ففرض الحجاب على نساء النبي والزامهـن القرار في بيوتهن تبرره ظروفهن الخاصة بهن . وقد كانت هذه الظروف سببا في اختصاصهن ــ دون غيرهن من النساء المسلمات ــ باحكام اخرى . فقد حرّم عليهن الزواج بعد النبي ، كما ضوعف لهن العذاب اذا اتين فاحشة ، وضوعف لهـن الاجر اذا عملن عملا صالحـا . فقد رُوى ان النعمان بن ابي الجون الكندى قدم على رسول الله مسلما فقال يا رسول الله الا ازوجك اجمل ايّم في العرب كانت تحت ابن عم لها فتوفي عنها فتايمت وقد رغبت فيك وحطت اليك . فتزوجها رسول الله على اثنتي عشرة اوقية ونش . قال فابعث يارسول الله الى اهلك من يحملهم اليك فاني خارج مع رسولك فمرسل اهلك معه . فبعث رسول الله معه ابا اسيد الساعدى . فلما قدما عليها جلست في بيتها واذنت له ان يدخل . فقال ابو اسَيد ان نساء رسول الله لا يراهن احد من الرجال . فارسلت اليه فيسرني لامـرى قـال حجاب بينك وبين من تكلمين من الرجال الا ذا محرم منك . فهذه الحـادثة تـدل على ان ابا اسيدفهم الحجاب على انه خاص بنساء النبي . فقد اعتـذر عـن عـدم الدخـول اليهـا بان نساء رسول الله لايراهن احد من الرجال . ومعنى هذا ان غيرهن من النساء يجوز ان يراهن الرجال . كذلك روى ان النبي توفي وقد ملك امراة من كندة يقال لها قتيلة فارتدت مع قومها فتزوجها بعد ذلك عكرمة بن ابي جهل فوجد ابو بكر من ذلك وجدا شديدا . فقال له عمـر « ياخليفة رسول الله انها والله ما هي من أزواجه ما خيّرها ولا حَجّبَها ولقد براها الله منـه بالارتداد» اذ ارتدتمعقومها.فابو بكر حين ظن ان هذه المراة تدخل في عداد ازواج النبي آله واحزنه ان ترتد وان تتزوج بعده . لكن عمر ازال آلمه وبدد حزنه حين اوضح له ان مثل هذه المراة لا تعتبر زوجة للنبى وايد قوله بادلة منها أن الرسول لم يحجبها . ومعنى هذا ان عمر كان يرى في الحجاب علامة مميزة لنساء النبي . (٣)

ثالثا ــ عصر الخلفاء الراشدين

استمر الحال في عصر الخلفاء الراشدين على ما كان عليه زمن النبى وقبل ظهور الاسلام . ففى عهد أبى بكر وعمر كانتالنساء تذهبالى المسجد. بل ان عمر نفسه كان ياذن لزوجته عاتكة بالذهاب الى المسجد ولو انه كان يحب لها الا تفعل لغيرته الشديدة التى كانت مضرب المثل . فكان عمر يقول لها اذا استاذنته الى المسجد قد عـرفت هواى في الجلوس . فتقول لا ادع استئذانك . وكان عمر لا يحبسها فلقد طعن عمر وهى في المسجد . وهناك شواهد على أن العادة كانت جارية بأن يرى الزوج زوجته قبل الارتباط معها بعقد الزواج . من ذلك أن بنتا لعبيد الله بن عمر بن الخطاب كانت متزوجة من ابراهيم بـن نعيم النحام فماتت . فاخذ عاصم بن عمر بيده فادخلـه منزله واخـرج اليه ابنتيه حفصة وأم عاصم فقال له اختر . فاختار حفصة فزوجها اياه . وما زال الرجال ينظرون الى النســاء ويتحدثون اليهن وما زالت المراة تجير اللائذ بها.

وفي عهد عمر قام العرب بفتوحاتهم العظيمـة في العراق والشام ومصر . وقد ادت النساء في هذه الفتوحات دورا عظيما . فقد كن يصحبـن المقاتلين ويقمن بتمريض المرضى وتضميد الجرحى وبث روح النخوة والحمية في صفوف المقاتلـين . بل ان منهن من اشتركن في القتال اشتراكا فعليا. من ذلك ما يروى عن بنت الأزور التى ابدت في موقعة اجنادين ضروبا من البطولة والشجـاعة النادرتى المثال . وفي خلافة على عنـدما انقسم المسلمون على انفسهم وتوزعوا شيعا وأحـزابا وتنازعت الشيع وتقاتلت الاحزاب لم تقف النساء من هذا النزاع موقف المتفرج بل سرعان مـا اختارت كل منهن الحزب الذى اعتقدت انـه الحق . وقد تميزت منهن جماعة من مؤيدي على لعبن دورا خطيرا في تحريض الناس على الانضمام

(٣) راجع كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨وبلاغات النساء لابن طيفور .

اليه والقتال معه والاستشهاد في سبيل دعوته . منهن عكرشة بنت الاطش التى وقفت يوم صفين وقد شدت وسطها وتقلدت بحمائل سيفها واخذت تخطب في الناس وتقول « ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب ، غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه .. » (٤) .

رابعا ـ العصر الاموى

احتفظت غالبية العرب ، في العصر الأموى ، بتقاليدها الأصيلة من حيث السماح للنساء بالاختلاط بالرجال .

ففي البادية كانت المراة تتمتع باكبر قسط من الحرية . فكانت سافرة الوجه تنظر الى الرجال وينظر الرجال اليها وكان هذا امرا طبيعيا لا يثير دهشة ولا يسترعى انتباها . وكانت تستقبل الرجال في بيتها وتقوم نحوهم بواجب الضيافة . وكانت النساء في البادية يجلسن للرجال يتجاذبن معهم أطراف الحديث يتذاكرون الاخبار ويتناشدون الاشعار . وقد أنجبت المدينة في هذا العصر شخصيتين نسائيتين لامعتين هما عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وكانت عائشة لا تستر وجهها من أحد . عاتبها زوجها مصعب في ذلك فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم . فما كنت لأستره ووالله ما فيّ وصمة يقدر ان يذكرني بها احد . وسكينة كانت عفيفة سليمة برزة من النساء تجالس الاجلة من قريش وتجمع اليها الشعراء . وكانت تجيء يوم الجمعة فتقف بازاء ابن مطير اذا صعد المنبر فاذا شتم عليا شتمته هي وجواريها فكان يامر الحرس يضربون جواريها .

وفي البصرة والكوفة كانت المراة تستقبل اقاربها الوافدين من الجزيرة العربية للتجارة وغيرها . وكانت تجلس الى الرجال وتتحدث اليهم وقد يروقها أحدهم فتعرض عليه الزواج . والمراة اذا خطبت اذنت لمن خطبها بالدخول اليها والحديث معها ولم تكن نساء الخوارج اقل منهم صدق عقيدة وحرارة ايمان وشجاعة في الحرب . وقد حفظ لنا التاريخ ذكر عدد منهن أبدين في المعارك مهارة وشجاعة فائقتين وواجهن مصيرهن في ثبات ورباطة جاش مدهشين . منهن غزالة الحرورية التى ثارت مع زوجها شبيب بن يزيد ، على عبد الملك بن مروان . فكانت تقاتل قتال الابطال حتى ان الحجاج اضطر في احدى المعارك الى الفرار منها وقد عيره الشعراء بذلك . فقال احدهم :

أسد علي وفي الحروب نعامة
ربداء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس
تركت مناظره كامس الدابر

غير اننا نلاحظ في هذا العصر اتجاه خلفاء بني امية الى اخضاع نسائهم للحجاب وقلدهم في هذا اشراف قومهم . لكن فرض الحجاب على نساء الخلفاء لم يتم دفعة واحدة ولم يتحقق في تاريخ محدد بالذات بل مر بتطور معين ككل نظام اجتماعي وليد واستغرق بعض الوقت حتى ترسخ قواعده .(٥)

خامسا ـ العصر العباسي

اذا انتقلنا الى العصر العباسي وجدنا العرب يتجهون شيئا فشيئا الى فرض الحجاب على النساء الحرائر . واغلب الظن أن السنوات الاولى من العصر العباسي كانت فترة انتقال ، لم يسد فيها بعد مبدأ الفصل بين الجنسين ولكن لم يعد الاختلاط بينهما العادة الشائعة . لكن الحجاب ما لبث بعد وقت معين ، أن أصبح نظاما وطيدا وتقليدا ثابتا يخشى الناس الخروج على قواعده ويرعى الرأى العام احترام مقتضياته .

ومن الذين حملوا لواء الدعوة الى الحجاب في بداية العصر العباسي كاتب فارسي الاصل حديث الاسلام هو ابن المقفع . فقد كتب يقول : « واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب خير لك من الارتياب ، وليس خروجهن باشد من دخول من لا تثق به عليهن ،

---

(٤) راجع كتاب الطبقات جـ ٨ وبلاغات النساء والأغاني جـ ٩ ، ١٤

(٥) راجع عيون الاخبار للدينوري جـ ٤ وبلاغات النساء والأغاني جـ ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٤ .

فان استطعن ان لا يعرفن غيرك فافعل(٦) ». فدعوة ابن المقفع الى حجاب النساء تفيد بمفهوم المخالفة ان النساء في زمنه لم يكن ملزمات به او على الاقل انه لم يكن بعد قد اصبح نظاما ثابتا مستقرا .

وقد راى الجاحظ – في بداية القرن الثالث – ما يدعوه الى وضع رسالة يوضح فيها ان النظر الى النساء والحديث معهن ليس حراما ولا عارا. ومن الواضح ان الجاحظ يرد في رسالته على فريق من معاصريه يتجه الى تحريم النظر الى الحرائر اى الى الزامهن بالاحتجاب ووضع النقاب . وقد صرح الجاحظ في رسالته بان هؤلاء اصبحوا ينظرون الى هذا الامر كانه حق واجب مع ان مبعثه في رايه غيرة مفرطة اقرب الى سوء الخلق .

وقد تابع الحجاب تقدمه حتى اصبح نظاما اجتماعيا عاما . فتاصلت جذوره في المجتمع العربي والاسلامي واصبح الجميع يتبعون سننه ولا يتعدون حدوده . ففي النصف الاول من القرن الرابع يتكلم ابو الفرج الاصفهاني في كتابه عن الاختلاط وحديث الرجال الى النساء بصيغة الماضي . فهو عندما يذكر خبرا او يروى قصة تتضمن لقاء او حديثا بين فتى وفتاة او رجل وامراة يقول مثلا « وكان اهل البدو اذذاك يتحدث الفتيان الى الفتيات » او يقول «والنساء اذذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ويبدون للرجال » . ومعنى هذا ان الحديث بين الرجال والنساء لم يعد يحدث في عصره كما كان يحدث في الماضي وقد راى المؤلف – وهو يكتب لجمهور يعيش في ظل الحجاب ولا يفهم معنى الاختلاط – ضرورة ان يضيف عبارات مثل لا يرون بذلك باساء او والعرب ترى ذلك غير منكر .

اسباب التحول

كان العصر العباسي اذن ، بالنسبة للمراة العربية ، عصر التحول من السفور الى الحجاب ومن الاختلاط الى الانفصال . وكانت لهذا التحول مقدمات افضت اليه واسباب اعانت عليه . منها الثقافة الاغريقية والتقاليد الفارسية وانتشار الرق .

فقد اخضع الاغريق ، في عصرهم الذهبي ، المراة للحجاب . وكانوا ينظرون اليها بوصفها مخلوقا ادنى من الرجل ، اقرب الى الحيوان منها الى الانسان ، وكانت هذه النظرة شائعة بينهم يتساوى فيها بسطاؤهم وعقلاؤهم جهالهم وفلاسفتهم . وعندما درس المسلمون علوم اليونان وفلسفتهم تاثروا – او بعضهم – بآرائهم في المراة واعتنقوا نظرتهم اليها . وليس من قبيل المصادفة البحتة ان يكون احد الدعاة الى الحجاب في اوائل العصر العباسي رجلا كابن المقفع درس علوم اليونان وآدابها ونقل منها الى العربية . وليس من قبيل المصادفة البحتة ان تقترن الدعوة الى حجاب المراة عند ابن المقفع بسوء رايه فيها . فهو القائل « اياك ومشاورة النساء فان رايهن الى أفن وعزمهن الى وَهَن » . وليس من قبيل المصادفة البحتة ان يكون الجاحظ – وهو كما راينا من انصار السفور – نصيرا للمراة مدافعا عنها . فكما وضع رسالة دافع فيها عن السفور وانتقد دعاة الحجاب وضع رسالة دافع فيها عن المراة ضد الحملات التى اخذت توجه اليها . فهو القائل في الاختلاط « فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والاسلام حتى ضرب الحجاب على نساء النبى خاصة .. ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ولم يكن نظر بعضهم الى بعض عارا في الجاهلية ولا حراما في الاسلام »(٧) . وهو القائل في الدفاع عن المراة « والمراة ايضا ارفع حالا من الرجل في امور » وهو القائل ايضا « ولسنا نقول ولا يقول احد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال او دونهن بطبقة او طبقتين او اكثر ، ولكنا راينا اناسا يزرون عليهن اشد الزراية ويحتقرونهن اشد الاحتقار ويبخسونهن حقوقهن، فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن » .

كذلك لعبت التقاليد الفارسية دورا هاما في ادخال نظام الحجاب الى المجتمع العربى .فعندما اختلط العرب بالفرس تاثروا بعاداتهم في حجاب النساء . وبعد ان استقر الحجاب في بغداد وهى مدينة غلبت على اهلها عادات الفرس وتقاليدهم

---

(٦) امراء البيان لمحمد كرد علي ص ١٣٨ .
(٧) رسالة القيان للجاحظ ص ٥٦ و ٥٧ .

ومفسره

الذين لعبوا دورا ملحوظا في صد هجمات المغول عن الشام ومصر ، وفي تاسيس دولة لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على التراث العربي الاسلامي .

ولقي صاحبنا حظوة عند سلطان المماليك ، واصبح مدرسا للنحو في جامع الحاكم سنة (٧٠٤ هـ) وصار منذ سنة (٧١٠ هـ) مدرسا للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور قلاوون في عهد السلطان القاهر الملك الناصر ، وتولى منصب الاقراء بجامع الاقمر احد جوامع العصر الفاطمي . وكان فيه خشوع ظاهر ، يبكي اذا سمع القرآن الكريم ، ويجري دمعه اذا سمع اشعار الغزل والحماسة .

وكان عظيم التقدير للطلبة الأذكياء يتقبل عليهم ويعظمهم ، ولعل ذلك راجع الى ذكائه وحدة ذهنه هو ، فقد اشتهر بهذه الصفة واثنى عليه الناس ، وبهذا الصدد يقول لسان الدين بن الخطيب : « كان اثير الدين ابو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاطلاع بعلم العربية والتفسير » (٢) .

بخل ابي حيان

وتصوّر المصادر ابا حيان رجلا بخيلا ويفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم . ولكن تلميذه الصفدي يدافع عنه ويبرر له هذا البخل فيقول بعد أن ذكر بخله : « قلت : والذى اراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه ، وتعب حتى حصّل المناصب تعبا كثيرا ، وكان قد جرّب الناس وحلب اشطر الدهر ، ومرّت به حوادث فاستعمل الحزم ، وسمعته غير مرة يقول : « يكفى الفقير في مصر اربعة افلس ، يشترى له بائتة(٣) بفلسين ، وبفلس زبيبا ، وبفلس كوز ماء ، ويشترى ثانى يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز »(٤) .

وكانت لأبى حيان علاقات بعلماء عصره ، ومن اشهر علماء عصره الذين كانت له صلة بهم ابن تيمية الحرانى امام أهل السنة في عصره . وكانت له فيه مدائح كثيرة ، ثم انحرف عنه ابو حيان فيما بعد ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب منها : انه قال يوما : « كذا قال سيبويه » ، فقال ابن تيمية « يكذب سيبويه » ، فانحرف عنه وعاد ذاما له ، وجعل ذلك ذنبا لا يغتفر .

وفاته

واذن الله ان يودع أبو حيان ايامه الأخيرة في القاهرة ، فتوفي رحمه الله بمنزله خارج باب البحر في يوم السبت بعد العصر، الثامن والعشرين من صفر سنة (٧٤٥ هـ) . ودفن في الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلى عليه بالجامع الأموى بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر . وكان لموت أبى حيان أثر بالغ ، فحزن عليه الناس وأصدقاؤه وتلاميذه ، فنظموا في رثائه القصائد ، ومن أشهر ما قيل فيه قصيدةتلميذه الصفدى التى مطلعها :

مات أثير الدين شيخ الورى
فاستعر البارق واستعبرا

ثقافة أبى حيان

وقد ذكر لنا أبو حيان في مقدمة تفسيره «البحر المحيط » العلوم المختلفة التى درسها على شيوخ عصره، وهي علوم : اللغة والنحو والبيان والبديع والحديث وأصول الفقه وعلم الكلام وعلم القراءات: المتواترة وغير المتواترة، وهذه العلوم يحتاجها منْ يتصدى لتفسير كتاب الله وتفهم مراميه . وقد

---

(٢) نفح الطيب ـ ٣٢٨/٢ .
(٣) البائتة يريد به الخبز البائت .
(٤) نفح الطيب ـ ٢٩٨/٢ .

سرد كذلك الكتب والمصادر التى حفظها او اخذها عن شيوخه في كل علم من العلوم الآنفة الذكر (٥).

ولم تقتصر ثقافة ابى حيان على علوم اللغة والدين والادب ، بل تعدتها الى علوم مختلفة ، فكان له اطلاع على كتب المتصوفة وكتب الاديان كالتوراة ، ولكنه ينفر من كتب الفلسفة والمنطق وعلم الهيئة ، وقد صرح بذلك في كتبه .

وكان على اطلاع واسع بلغات اجنبية كالحبشية والفارسية والتركية ، وقد الف في ذلك كتبا وصل الينا بعضها وضاع بعضها الآخر . اما شيوخه فكانوا نحو اربعمائة وخمسين شيخا واكثر من الف مجيز . وقد ذكر في اجازته مروياته وشيوخه عندما رد على كتاب الصفدى تلميذه .

وابو حيان في ثقافته وتحصيله العلوم المختلفة يرى رأى القدماء في ضرورة اخذ الدارس للعلم عن الشيخ دون الصحف والكنانيش (٦) .

وكان في اول امره مالكيا على مذهب عامة أهل المغرب والأندلس ، ثم اصبح ظاهريا ، اذ كان المذهب الظاهرى منتشرا في الاندلس وقتذاك ، وكان يقول فيه : « محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه » (٧) . ، ولكنه عندما قدم مصر وجد المذهب الظاهرى مهجورا فصار شافعيا. وكان فيه نفور عن الاعتزال والفلسفة والتناسخ والتجسيم ، وقد استغرب اشتغال اهل مصر بالفلسفة جهارا دون ان يستنكر ذلك منهم احد ، وكأنه يريد ان يقف المصريون من الفلسفة والمشتغلين بها موقف الاندلسيين بعامة حيث اضطهدوا وتنكل بهم . والايقاع بابن رشد الفيلسوف الاندلسي عندما اعتنى بمقالات الفلاسفة مشهور .

وكان لا بد لثقافة ابى حيان الواسعة العريضة ان تؤتى اكلها وتنتج لنا التصانيف العديدة المتنوعة . وقد الف صاحبنا كتبا كثيرة في علوم مختلفة ذكر بعضها في اجازته للصفدى . ومن اشهر آثاره النحوية واللغوية : تقريب المقرب ، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل ، وارتشاف الضَّرَب من لسان العرب ، ومن اشهر آثاره الدينية : البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، والنهر الماد في البحر المحيط . وله كتب في لغات مختلفة ، منها : الادراك للسان الأتراك ، ومنطق الخرس في لسان الفرس ، ونور الغبش في لسان الحبش . وله كتب عدة في القراءات .

منهجه النحوي : ـ

كان ابو حيان بصرى النزعة في النحو يذهب مذهب سيبويه ، وينهج منهج البصريين ويقتفى اثرهم ، ويرى آراءهم واصولهم هى الراجحة في كثير من الاحيان. ويكفى لدلالته على رجحان مذهب اهل البصرة أن يقول : « ذلك لا يكون عند البصريين » أو « هذا هو الراجح » . وان اراد أن يطعن فيمن يخالف البصريين فهو يقول : « هذه نزعة كوفية » . والمسائل التى وافق ابو حيان البصريين فيها هي معظم آرائه النحوية كما تقول الدكتورة خديجة الحديثى(٨) ، ومن امثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى :(فما لكم في المنافقين فئتين) (٩) . انتصب « فئتين » على الحال عند البصريين فيها هى معظم آرائه النحوية كما تقول الكوفيون الى انه منصوب على اضمار « كان » ، اى كنتم «فئتين »، ويجيزون : « ما لك الشاتم»، اى كنت الشاتم . وهذا عند البصريين لا يجوز لانه عندهم حال ، والحال لا يجوز تعريفها (١٠) .

واذا وقف صاحبنا موقف المؤيد للمذهب البصرى فلأنه يرجح ما يراه الأفضل ، ويرى أن البصريين لم يحصر العلم بهم ولم يقتصر عليهم ، ويصرح بأنه ليس متقيدا باتباع مذهب جمهور البصريين بل يتبع الدليل . وقد خالف البصريين في الاستشهاد بالقراءات ، فهو يستشهد بالقراءات السبع وبما

---

(٥) انظر البحر المحيط ـ المقدمة ـ : ٦/١ ومابعدها .

(٦) الكنانيش جمع كناشة وهى لفظة يستعملها المغاربة ومعناها أوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط .. أى كالشكول والمذكرات .

(٧) بغية الوعاة ـ ص ١٢١ ، والبدر الطالع : ٢٩٠/٢ ، والدرر الكامنة : ٣٠٤/٤ .

(٨) أبو حيان النحوى ـ ص ٢٨٧

(٩) سورة النساء ، الآية ٨٨ .

(١٠) البحر المحيط ـ ٣١٣/٣ .

تواتر منها ، ووقف أبو حيان من سيبويه موقف الاكبار والاجلال لحدّ انه ناصب العداء كل من عاداه وان كان من اخلص اصدقائه او من اجلّ شيوخه . وقصته مع ابن تيمية وما دار بينهما مشهورة وتقدم ذكرها . واعتبر رأى سيبويه هو الصحيح من بين المذاهب او هو المسموع من كلام العرب . ولا غرو في اعتماده على سيبويه واهتمامه به واخذه بارائه ، فقد كان (الكتاب) دستورَ النحاة على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ، ولم يسلم نحوى من التاثر به والاخذ عنه .

اما موقفه من الكوفيين فهو مختلف عن موقفه مع البصريين ، فهو يخطىء الكوفيين في اكثر المسائل النحوية ، ويرد عليهم باقوال البصريين او برأى سيبويه مبينا ترجيحه لرأى البصريين كما مر بنا انفا . وقد يرد على احد شيوخ مدرسة الكوفة ويضعف رايه في مسالة نحوية من غير ان يورد قولا للبصريين او لسيبويه .

ولكن ابا حيان لا يقف من المذهب الكوفي موقف المعارض دائما ، بل يوافقهم في بعض المسائل التي يرى انهم على حق فيها ، فيحتج بالقراءات التي تعد مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي ، وهو بذلك يخالف البصريين الذين لا يعتبرونها مادة اساسية من مواد الاحتجاج ، وانما ياخذون منها ما يوافق قواعدهم واصولهم ولو بالتاويل .

ولم يذهب أبو حيان مذهب الكوفيين في قبولهم جميع القراءات وقياسهم على ما تواتر منها وصحّ، وقبولهم ما شذّ منها وما خالف المجمع عليه . وهو بذلك يقف موقفا وسطا بين المدرستين : البصرية والكوفية ، فهو يحتج بما تواتر من القراءات ، ويعتمد على القراء السبعة ويدافع عنهم ، ويردّ على مخطئيهم .

وكان يحتج برأى الكوفيين لقراءة شاذة لانه يعتبر ان هذا الرأى له وجه من القياس . وقد ذهب مذهب الكوفيين في تجويزهم الفصل بين المضاف والمضاف اليه وبغير الظرف والجار والمجرور .

ان منهج ابى حيان النحوى يستند الى اصول المذهب البصرى في النحو ، ولكنه ليس بصريا دائما وفي كل الاحوال ، فهو يقف مع البصريين وياخذ بارائهم ويتعصب لهم ، ويقف تارة في وجههم حاملا عليهم مفتخرا بانه لا يتعبد اقوالهم دائما .

وسبب هذا كله اعتماد مذهبه على الاختيار والاستقلال في التفكير ، هذا الاستقلال الذى جعله يقف هذه المواقف المختلفة .

وكان صاحبنا يعتمد على السماع في الاخذ برأى او بمذهب ، ولم يختر رايا غير مستند الى السماع ، فما لم يجد نصا عن العرب او نقلا صريحا عنهم فانه يحاول ان يستقرىء الكتب القديمة ودواوين الشعر لعله يعثر على ضالته ، فان لم يجد يرجع الى القياس الثابت الصحيح.

وكان ياخذ بالقياس ولا يلغيه ، ويرى انه لا يجوز ان يقاس على شيء الا اذا ثبت وروده في لسان العرب،وياخذ بالقياس عند انعدام السماع، فان ورد السماع والقياس رجح السماع . وبهذا الصدد تقول الدكتورةخديجة الحديثى :«ابوحيان من هذه الناحية اقرب الى الظاهرية منه الى غيرهم ، فكما الغى ابن مضاء القرطبى القياس متابعا في ذلك فقهاء الظاهرية في الغائه ، الغى ابو حيان القياس او بعبارة اوضح لم يعتد به الا عند الضرورة او للاستئناس به كما يقول ، حتى انه ليدعو النحاة الى الاخذ به ، ويرى ان المختلفين في المسائل النحوية لو عملوا بالسماع واخذوا به لما اختلفوا ولما نشات هذه المسائل المعقدة الطويلة التى افسدتالنحو افسادا عظيما واساءت الى اللغة العربية واساليبها البيانية المشرقة » (١١) .

وكلّ ذلك قد جعله اهلا لان يصبح ذا شخصية نحوية مستقلة بعض الشيء استطاعت ان تنفرد ببعض الآراء والاجتهادات والاستدراكات .

منهجه في التفسير : ـ

عكف ابو حيان على تصنيف تفسيره « البحر المحيط » في اواخر سنة (٧١٠ هـ) ، وهي اوائل سنة سبع وخمسين من عمره ، وذلك عندما عين مدرسا لعلم التفسير في قبة السلطان الملك

(١١) ابو حيان النحوى ـ ص ٤١٤

المنصور قلاوون وتابع ذلك في دولة ولده الملك الناصر . وهو لم يؤلف تفسيره هذا طمعا في نوال او سعيا وراء شهرة ، بل الفه لوجه الله تعالى وللعلم . وقد قدم لتفسيره بمقدمة ذات فائدة عظيمة زادت على ثلاث عشرة صفحة من القطع الكبير . وفي هذه المقدمة يصرح بان اهم المعارف علم كتاب الله ، وان غيره من العلوم كالأدوات له . وذكر ما يحتاج اليه علم التفسير من العلوم العزيزة التى كان يحلم بها قبل ذلك ، وقد واتته الفرصة عندما اصبح مدرسا للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور قلاوون وفي دولة ولده الملك الناصر .

ورسم لنا طريقته في التفسير خطوة خطوة ، وذكر فيما يحتاج اليه علمالتفسير من العلوم والأدوات . وفي كل علم من هذه العلوم سرد المصادر التى اعتمد عليها والشيوخ الذين اخذ عنهم أو قرأ عليهم هذه العلوم . ثم ذكر الشروط والقواعد التى يجب أن تتوفر في كل من يريد أن يتصدى لتفسير القرآن ، والمآخذ التى أخذها على من سبقه من المفسرين . وتحدث عن أسرار اعجاز القرآن فذهب الى أن الاعجاز لم يكن بصرف الله تعالى اياهم عن معارضته ومماثلته . وأثنى على الزمخشرى صاحب الكشاف وابن عطية صاحب « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز » ، وتحدث عنهما بايجاز ، وذكر السند الذى به قرأ تفسير كل منهما .

وخطته في التفسير هى أن يبتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية التى يفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج اليه من اللغة والأحكام النحوية التى لتلك اللفظة قبل التركيب . واذا كان للكلمة أكثر من معنىذكر ذلك فى أول موضعفيه تلكالكلمةلينظر ما يناسب لها من تلك المعانى في كل موضوع تقع فيه فتحمل عليه . ثم يشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها اذا كان لها سبب،ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا أقاويل السلف عن الخلف في فهم معانيها ، متكلما عن جليها وخفيها بحيث لايغادر منها كلمة وان اشتهرت الا ويتحدث عنها مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان ، مجتهدا الا يكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة تقدم الكلام عليها ولا في آية فسرت ، بل يحيل في كثير منها على الموضع الذى اشار فيه الى تلك اللفظة او الجملة او الآية .

وان عرض تكرار فبمزيد فائدة ، ناقلا اقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآنى ، محيلا على الدلائل التى فى كتب الفقه أو كتب اللغة والنحو .

وربما يذكر الدليل اذا كان الحكم غريبا او خلافا مشهورا ، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ ، منكبا في الاعراب عن الوجوه التى ينزه القرآن عنها مبينا أنها مما يجب أن تعدل عنه ، وانه ينبغى أن يحمل على احسن اعراب واحسن تركيب ، اذ كلام الله تعالى افصح الكلام ، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة .

ثم يختتم الكلام في جملة من الآيات التى فسرها افرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا .

ثم يتبع آخر الآيات بكلام منثور يشرح به مضمون تلك الآيات على ما يختاره من تلك المعانى ملخصا جملها أحسن تلخيص . وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير .

وربما يلم بشيء من كلام الصوفية مما فيهبعض مناسبة لمدلول اللفظ ، مع تجنبه لكثير من أقاويلهم التى يحملونها الألفاظ ، وتركه أقوال المخرجين الألفاظ عن مدلولاتها في اللغة ، وهو الذى يسمونه علم التأويل . هذه هى الخطة التى وضعها أبو حيان لنفسه في مقدمة البحر المحيط لتفسير آيات الكتاب المبين . ومما يلفت النظر في تفسير أبى حيان ردوده الكثيرة على الزمخشرى

صاحب « الكشاف » وابن عطية الاندلسي صاحب « المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » .

وقد اعتمد أبو حيان على هذين التفسيرين اعتمادا كبيرا ، اذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات « البحر المحيط » من قول لاحدهما او لكليهما .

وقد مدح ابو حيان الزمخشري واثنى عليه حينا ، وذمّه وفنّد اقواله في كثير من الاحيان . والكشاف نموذج للتفسير الاعتزالي . ولذلك فمن الطبيعي أن يردّ ابو حيان على آراء المعتزلة من خلال ردوده على صاحب الكشاف .

ويمكننا حصر ردود ابي حيان على الزمخشري في هذه الجوانب :

١ ـ التنبيه على آراء المعتزلة في تفسير الزمخشري وتفنيدها واظهار بطلانها .

٢ ـ يحمل الزمخشري اللفظ ما لا يحتمله ، ويقدر تقادير وجملا محذوفة لم يدل عليها الكلام لأجل نصرة مذهبه ، وذلك عادته في غير ما كلام في تفسيره .

٣ ـ وصف كلام الزمخشري بانه نوع من الخطابة وبسط لكلام غيره من المفسرين المتقدمين .

٤ ـ اخذ على الزمخشري تلحينه القراءات المتواترة ، ووصفه بانه أعجمي ضعيف في النحو ، وأن سوء ظنه بالقرّاء الائمة غريب .

٥ ـ أخذ عليه تعرضه لمخالفيه من أهل السنة والجماعة بالسبّ والتشنيع .

٦ ـ أخذ عليه تكلفه في الاعراب وعدم تمكنه من النحو واللغة .

اما موقف أبي حيان من ابن عطية فمغاير لموقفه من الزمخشري ، أو قل" انه أخف وطأة من موقفه من الزمخشري . والسبب واضح، فابن عطية في تفسيره أميل الى اهل السنة منه الى اي مذهب آخر بشهادة ابن تيمية على ذلك (١٢) .

ونستطيع ان نقول بان ردود أبي حيان على ابن عطية تنحصر في هذه الجوانب :

١ ـ توجيه قراءة من القراءات .

٢ ـ أخذ عليه ترجيحه لقراءة متواترة على اخرى مثلها .

٣ ـ أخذ عليه رفضه ورده لقراءة من القراءات المتواترة .

٤ ـ أخذ عليه ما ذكره في تفسيره مما هو غير لائق بمنصب النبوة .

٥ ـ فيما يتعلق بالاعراب والمسائل النحوية .

٦ ـ في تفسير مستند الى رأى نحوى .

ومما يجدر ذكره انه لكثرة ردود ابي حيان على الزمخشري وابن عطية وتشديده النكير على الزمخشري بخاصة الف يحيى الشاوي الفاسي المغربي كتاب : « المحاكمة بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري » . وهذه المحاكمة تقريرات قصد منها توضيح الصواب في المناقشات التي جرت بين المفسرين الثلاثة في كتبهم . وفي مكتبة الازهر نسخة من هذا الكتاب منقولة عن نسخة المؤلف برقم (١٢٥٤) رافعي ، وهي برقم (٢٦٦٤١) تفسير ، وهي في (٢١٨) ورقة . وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة أخرى من هذا الكتاب مصورة عن نسخة مكتبة لاله لي برقم (٢٥٩) ، وهي مكتوبة سنة (١٠٧٩) هـ .

وكان أبو حيان في أحوال كثيرة يصدر في تفسير القرآن الكريم عن المذهب الظاهري مما جعله يُعْنَى بتفسير عبارات القرآن على ما يقتضيه ظاهر اللغة دون تأويل .

من هذا العرض الذي قدمناه نستطيع أن نقول بأن أبا حيان الاندلسي كان شخصية فذة نادرة في عصره استحقت الصدارة في النحو والتفسير . ■■

عبد المجيد المحتسب

---

(١٢) مقدمة في أصول التفسير ـ ص ٢٣ وما بعدها.

في ..

منظر عام لمدينة سالرنو

مَدْرَسَة سَالِرْنُو الطِّبِّيَة

بقلم : الدكتور فيصل دبدوب

عضو الجمعية المصرية لتاريخ العلوم

■ ان ماضي امتنا العربية زاخر بكنوز العلم غني بجواهر العرفان ، وان الطب العربي ـ الذي كان أثمن جوهرة في هذه الكنوز ـ كان له الأثر الأعظم في الطب عند الغربيين في العصر الوسيط . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر للميلاد .

قال دي فو Defoe : (ان الميراث الذي تركه اليونان في الطب لم يحسن الرومان القيام به، أما العرب فقد اتقنوه وعملوا على تحسينه وانمائه حتى سلموه الى العصور الحديثة)

وقال جورج سارتن Sarton : (لو لم تنقل الينا كنوز الحكمة اليونانية، ولولا اضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدة قرون) .

وقالت الدكتورة زيغرد هونكه Sigrid Hunke (انه لم يكن لأى قوم من الأقوام وفي اية بقعة من بقاع الارض اطباء اكفاء كما كان عند العرب).

انتقل الطب العربي الى الغرب من طرق ثلاثة

قلنا ان الطب العربي انتقل الى الغرب، ونضيف أنه دلف اليه في انتقاله من ثلاثة طرق هي :

١ ـ الاندلس ـ ٢ ـ صقلية ـ ٣ ـ الحروب الصليبية . وان من ثمار هذا الاتصال ـ بين الطب العربي وجامعات الغرب وشعوبه ـ « مدرسة سالرنو الطبية » التي كانت بمثابة نقطة تجمع للمعارف الطبية العربية ونقطة انطلاق لها ايضا ، لأنها شملت مع مرور الزمن معظم جامعات الغرب في العصر الوسيط .

الطب العربي في جامعة سالرنو الايطالية

قالت المستشرقة الالمانية الشهيرة زيغرد هونكه : (لقد غمرت مدرسة سالرنو علوم العرب في التطبيب والمداواة في سيل عرم .. ثم ما لبث هذا السيل

العرم من علم العرب أن فاض عن سالرنو وامتد الى شواطىء أوربة وخلجانها ومدنها فغمرها وأحال الصحراء جنة من نبتات الفكر الوارفة تتفيأ ظلالها الانسانية جمعاء) .

فللأهمية العظمى التي امتازت بها مدرسة سالرنو الطبية من الوجهة الحضارية والتاريخية وخاصة من حيث تراثنا العربي الغالي ، واستجابة للحافز العلمي الذي دفعني للتنقيب عن الأسس التي أقامت عليها هذه المدرسة بنيانها ، وتلبية للدوافع القومية الهادفة الى التعرف على مدى اسهام العرب والعلم العربي في علوم مدرسة سالرنو الطبية في القرون الوسطى . لكل ذلك كتبت هذا البحث .

مدينة سالرنو Salerno

لابد لنا ــ قبل الخوض في الحديث عن مدرسة سالرنو الطبية ــ أن نتطرق الى الحديث عن مدينة « سالرنو » التي احتضنت المدرسة المذكورة .

تسمى « سالرنو » بالافرنسية « سالرن » Salerne وباللاتينية « سالرنوم » واطلق عليها الرومان قديما اسم « سالرم » Salerm .

تقع المدينة في راس « خليج سالرنو » في البحر المتوسط على بعد (٣٠) ميلا من مدينة نابولي من جنوب شرقيها ، وتقع على نفس الخليج قرب سالرنو مدينة « امالفى » وآثار بوستم .

لقد تأسست مدرسة سالرنو ــ وهي اقدم مدرسة طبية في اوربا وأول مدرسة في الغرب درست الطب العربي ــ في مدينة سالرنو ومنها اقتبست اسمها الذى اشتهرت به وبقيت للمدينة شهرتها ما دامت مدرستها في نمو وازدهار ، ثم اصاب المدرسة التوقف، فزال عنها رونق الشباب ، ودلفت نحو الكهولة والشيخوخة رويدا رويدا . ومثل ذلك المدينة . وقد لفظت المدرسة انفاسها الأخيرة بعد صراع طويل بين الحياة والموت ، وكان اغلاق ابوابها على يد نابليون بونابرت عام ١٨١١ م . (انظر دائرة المعارف البريطانية ج١٩ ، ص٨٧٧) .

لقد بقيت مدينة سالرنو ــ بعد اغلاق مدرستها ــ تصارع الأحداث الى ان قصفتها مدافع الحلفاء بقنابلها في الحرب العالمية الثانية ، وهى الآن من مدن

ايطاليا الثانوية ، وليس فيها ما تفتخر به من تراث الا ذكريات مدرستها الطبية، وقبر البابا غريغوريوس السابع ، وما ينسب اليها من اختراع للبوصلة البحرية التي هي — كما يؤكد التاريخ الحضاري — من اختراع العرب .

مدرسة سالرنو الطبية

نشأت هذه المدرسة في مدينة سالرنو كما ذكرنا، وقد أطلق عليها بعض الكتاب اسم جامعة، وسماها بعضهم «مدرسة» وهذه التسمية الأخيرة « مدرسة » هي الأصح لأنه لا يمكننا القول بقيام جامعة بالمعنى المعروف في سالرنو كما يقول المؤرخ الشهير « راشدال » Rashdal ويؤيده في ذلك « الفرد كيوم » بقوله : كانت سالرنو مدرسة طبية بكل ما في كلمة مدرسة من معنى وبساطة ، فهي لم تكن جامعة لأن اقدم الجامعات المسيحية في مدينة بولونيا بايطاليا ، وباريس ومونبليه في فرنسا ، واكسفورد في انكلترا ، لم تنشأ الا في القرن الثاني عشر . (انظر كتاب تراث الاسلام ج ٢ من ص ٣٨٥ — ص ٣٩٤) .

تأكد لدينا اذا ان سالرنو كانت مدرسة وليست جامعة ، فما علينا الآن الا ان نستقصي أخبار تأسيسها .

متى تأسست مدرسة سالرنو ؟

ان المصادر المتعددة التي تكلمت على سالرنو وعلى نشأتها الأولى كانت على اختلاف وتباين، ذلك لأنها لم تستند على حقائق تاريخية ثابتة ، بل اعتمدت على ما حكته الأساطير ، فما دام الأمر كذلك فما علينا الا ان نسرد ما قالته المصادر لنلتقط من هنا ومن هناك ما نراه الأقرب الى الصحة فنضيف بعضه الى بعض .

قال كامبل : « ان بعض الأساتذة العرب استقروا بسالرنو منذ بداية القرن الثامن الميلادي » (انظر Arabian Medicine Campbel. P. 115 .

وقال محمد كرد علي : « ان مدارس الطب في الغرب أنشئت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام ومنها انتشر الطب في بلاد ايطاليا على يد أساتذة من العرب وغيرهم في جامعة سالرنو » . (انظر حضارة العرب والاسلام لمحمد كرد علي ج ١ ، ص (٢٧٢) .

وقالت « زيغرد هونكه » المستشرقة الشهيرة : « ان أصل سالرنو يضيع في دفق من الأساطير ، ولكن هذا الأصل كأشباهه من الأساطير فيه شيء من الحقيقة ، وهذه الحقيقة تقول ان أربعة رجال أسسوها ، وهم يوناني ولاتيني ويهودي وعربي ، والعربي يدعى Ada'a ويسمّيه المترجم « عضلة !؟ » وانا اقول بأن الأرجح اسمه « عبد الله » أو «عطاء الله » وليس عجبا في شيء ان يشترك عربي في تأسيس هذه المدرسة ، فايطاليا الجنوبية عرفت في القرن التاسع فتوحات عربية كثيرة بل وسلطة عربية على اراضيها ، ويكفي ان نذكر ايضا العلاقات المتبادلة بين صقلية العربية والشواطىء الايطالية ، هذه العلاقات التي ظهرت في أكثر من مناسبة » . (انظر شمس العرب تسطع على الغرب Allahs Sonne Uber Dem Abendland للمستشرقة زيغرد هونكه (ص ٢٩٢)) .

وورد في دائرة المعارف البريطانية : « ان اهمية سالرنو الطبية تتمركز حول مدرستها الطبية ، تلك التي بنى هيكلها العلمي اربعة أعمدة من الثقافات ، هي الثقافة اللاتينية والثقافة الاغريقية والثقافة العبرية والثقافة العربية » (انظر دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ص ٨٧٧) .

ويقول وول ديورانت «وربما كانت مدرسة سالرنو الطبية قائمة في أحسن المواقع، وكانت أحسن المدارس استعدادا للافادة من هذه المؤثرات ، فقد كان الاطباء اليونان واللاتين والمسلمون واليهود يعلّمون ويتعلمون فيها » (انظر قصة الحضارة لوول ديورانت ج ٦ من المجلد ٤ ص ١٨٨)

قال الدو ميلى Aldo Mieli :

« ان تاريخ نشأة مدرسة سالرنو مظلم حقا ، وترجع الأسطورة الفضل في تأسيسها الى اربعة اساتذة مختلفى الاوطان وهم : الأستاذ « هلينوس» وهو يهودى كان يقرأ على تلاميذه بالعبرية ، والأستاذ « بونتوس » الذى كان يقرأ باليونانية ، والأستاذ « عبديلا » ـ أقول هو (عبد الله) ـ الذى كان يقرأ بالعربية ، والأستاذ « سالرنوس » الذى كان يقرأ باللاتينية .

(انظر العلوم عند العرب لألدو ميلى) .

وقال الأستاذ الفرد كيوم : « وفي اوربة كانت « سالرنو » قد طار صيتها بوصفها جامعة .. الى ان قال : ان فاتحى صقلية من النورمان بسطوا رعايتهم على الدراسات العربية واقتبسوا العادات الاسلامية بصورة واسعة حتى صار من الصعب علينا أن لا نستنتج بأن الطب العربي كان له بدون شك نفوذ عظيم على تلك المدرسة ان لم يكن تأثيرا ابتداعيا خلاقا فهو على اقل تقدير تأثير تغذية وادامة » . (انظر تراث الاسلام ج ٢ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

وقال غوستاف لوبون : « لا احد يجهل أن هذه المدرسة ـ مدرسة سالرنو ـ التى غدت اول مدرسة في اوربا زمنا طويلا هي مدينة للعرب بشهرتها وذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من ايطاليا في اواسط القرن الحادي عشر من الميلاد احاطوا مدرسة الطب التى انشأها العرب بما احاطوا به المدارس الاسلامية من الاعتناء الكبير وان «قسطنطين الافريقى» الذى كان من عرب قرطاجنة عين رئيسا لها » (انظر حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ٤٩٣) .

وبعد : ـ

فانه يتضح للقارىء ـ استنادا الى الروايات العديدة التى تدور حول نشأة



خريطة تبين موقع مدينة سالرنو

مدرسة سالرنو والتى سقناها تباعا ـ ان العرب هم الذين انشأوا مدرسة سالرنو الطبية وحدهم أو بمعاونة علماء يونان ويهود ورومان ، ولا يخفى ان اليهود ـ ان صحّ انهم ساهموا في تأسيسها ـ كانوا عربا في ثقافتهم وعلومهم الطبية اذ لم تكن لهم آنذاك ثقافة أو حضارة طبية خاصة بهم ، لذا فان الفضل الأكبر في تأسيس مدرسة سالرنو الطبية يعود للعرب كما يعود لهم الفضل في تغذيتها وادامتها كذلك ، هذا وان الشهرة الواسعة الخالدة التى تدفقت من سالرنو لتدور العالم وتلفه لفا آنذاك، لم تكن ثمرة النبتة الرومانية او الاغريقية في ارض سالرنو الخصبة بل كانت ثمرة للتراث العربى الاصيل الذى حوول طمسه والقضاء عليه وعلى اسماء اعلامه ولكن دون جدوى ، اذ من بامكانه ان يحجب شمس الحقيقة الى الأبد .

■■

فيصل دبدوب

مدير مستشفى الامراض الصدرية

الموصل ـ العراق

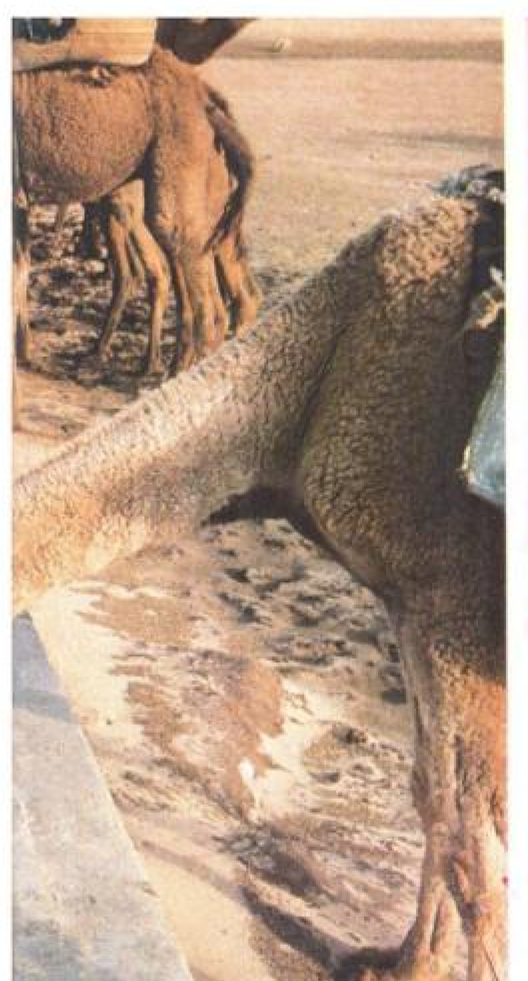
استطلاع الكويت

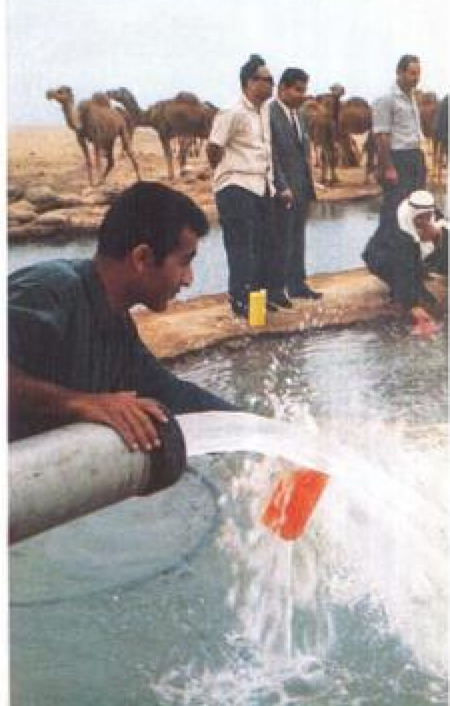
الشقايا

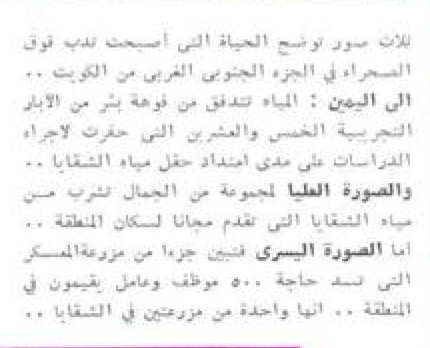
من أكبر حقول المياه في العالم

● صحراء الكويت تصبح واحة خضراء!









ثلاث صور توضح الحياة التي أصبحت تدب فوق الصحراء في الجزء الجنوبي الغربي من الكويت .. **الى اليمين** : المياه تتدفق من فوهة بئر من الآبار التجريبية الخمس والعشرين التي حفرت لاجراء الدراسات على مدى امتداد حقل مياه الشقايا .. **والصورة العليا** لمجموعة من الجمال تشرب من مياه الشقايا التي تقدم مجانا لسكان المنطقة .. أما **الصورة اليسرى** فتبين جزءا من مزرعة المعسكر التي تسد حاجة ٥٠٠ موظف وعامل يقيمون في المنطقة .. انها واحدة من مزرعتين في الشقايا ..

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال



تصوير اوسكار

■ **« لقد مضى علينا عشرة أيام ونحن نسير فوق الرمال الحارة مع جمالنا التي لم تشرب قطرة ماء » .**

ويتوقف البدوي المسافر عبر الصحراء عن الكلام ، وتتدافع عشرات الجمال تمد رقابها الطويلة حتى تلامس شفتاها صفحة الماء في الحوض الكبير . فالجمل الواحد يشرب **نحو ٢٠ جالونا** من الماء في المرة الواحدة ، يستريح خلالها قليلا ثم يعاود الشرب حتى تمتلىء معدته العجيبة التي يختزن فيها ما يكفيه من الماء والطعام لمدة اسبوعين تقريبا ..

ولقدقامت حكومة الكويت باعداد التسهيلات اللازمة لتزويد البدو والرعاة بما يحتاجونه من المياه بدون مقابل . ولكن أية مياه هذه التي تفجرت فجأة من تحت الرمال واصبحت سبيلا لكل عابر في قلب الصحراء ؟ .

ان هذه الارض العطشى التي بدأت تتحول الى واحة خضراء وسط الصحراء تدين بهذا التغيير الى العاملين في وزارة الكهرباء والماء في حكومة الكويت ، الذين استخرجوا المياه من حقول هي من اكبر حقول العالم للمياه الجوفية القليلة الملوحة . انه واحد من حقول منطقة الشقايا المتعددة .

بين العذب والمالح

ومياه حقول الشقايا تختلف عن مياه شبيهاتها المستخرجة من حقول اخرى ، والتي تزود الكويت حاليا بأكثر من ٣١ مليون جالون يوميا . ففي الوقت الذي ينتج فيه حقلا الروضتين وأم العيش مياها عذبة يشرب منها سكان الكويت بمعدل ٥ مليون جالون يوميا ، نرى أن حقلي الصليبية والعبدلية ينتجان مياها ترتفع نسبة الملوحة فيها الى خمسة آلاف جزء في المليون ، يستفاد منها في الزراعة وفي الأغراض المنزلية والصناعية . أما حقول مياه الشقايا فتتراوح نسبة الأملاح الذائبة فيها ما بين ٢٥٠٠ ــ ٣٥٠٠ جزء في المليون ، وهذه النسبة تجعل بالامكان شرب هذه المياه عند الضرورة .

قطرة الماء تتكلم !

ولكن قبل أن نسترسل في وصف هذه المياه الجوفية لا بد أن نعرف قصتها . لهذا نتخيل ان قطرة من هذه المياه تستطيع الكلام .. ترىما الذى ستقوله ؟ تعالوا نستمع اليها قليلا ... نستمع الى هذه النقطة من المياه تروى لنا قصتها :

« كنت قطرة صغيرة من المياه ، أجوب المحيطات والبحار مع الوف الملايين من شقيقاتي ... حتى وصلت الى بحر القلزم ، الذى تسمونه اليوم البحر الاحمر .

« اني ما زلت اذكر هذا اليوم ... كان الجو حارا والشمس عمودية ... وفجأة انتابني شعور غامض عجيب ... احسست اني انسلخ عن شقيقاتي واتحول الى بخار .. أصبحت خفيفة للغاية فبدأت اتصاعد وارتفع عالية في السماء حتى وصلت الى غمامة كبيرة ... لقد شعرت بالسعادة وانا انضم الى شقيقاتي ، فالغيوم ماء مكثف ، حيث اخذنا نتنقل ونتسابق في السماء الرحبة الفسيحةتزجينا وتؤرجحنا العواصفالباردة ...

« ولكن سعادتي لم تدم طويلا فقد جاءتنا الأخبار تروى مأساة الغمامة التي سبقتنا ، وكيف انها تضعضعت وسقطت قطرات ... وآن دورنا آت ... وقبل ان نستمع الى بقية القصة كانت غمامتنا تتفكك وتتهاوى ... وكان سقوطي على حصاة قاسية انزلقت من فوقها لأحتمي بظلها ، ولكني شعرت بأن قوة خفية تجذبني عبر الفجوات التي بين الحصى ... فاندفعت الى داخل الأرض ... الى الظلام الدامس ... » .

٤٠ قدما في السنة

وتجمع قطرة الماء اجزاءها وتتابع كلامها بقولها :

« لقد احسست بادىء الأمر بالرهبة والوحشة في هذا العالم المظلم المخيف ، ولكن هذا الشعور تلاشى تماما عندما اكتشفت أن هناك الوف الملايين من شقيقاتي ، قطرات الماء ، يتحركن ويتنقلن تحت الأرض بعيدا عن اشعة الشمس ...

« لقد نفذت الى عمق خمسة أقدام تحت الأرض ، وعشت وسط المياه اتطلع بذهول الى جذور الاشجار والاعشاب تسحب شقيقاتي وتمتصهن ...

« ولم يطل ذهولي اذ اندفعت بفعل جاذبية الأرض الى الأعماق السحيقة ... الى مئات الأقدام داخل القشرة الارضية ، حتى استقر بي المقام مؤقتا في خزان جوفي فسيح ، لم البث ان انطلقت منه في رحلة جديدة الى عالم مجهول ،



بعد أن ارتوت الجمال وخزنت كفايتها من المياه، بركت على الارض لتستريح .. وبدأ البدوى ينقل المياه الى القرب الجلدية التي تحملها .. انه ماء الحياة للرحلة الطويلة الشاقة عبر الصحراء

عبر تجويفات بين الصخور الجيرية والبركانية وغيرها مما تتكون منه قشرة الارض ...

« ومما اثار دهشتي اختلاف احجام « الطرق » التي كنت أسير فيها ، فمرة كانت تضيق لتصبح بحجم مسام الجسم ، ومرة كانت تتسع لتصبح بحجم كهف كبير ! .. حتى الطين كنت امر من خلال مسامه الدقيقة بشق الأنفس .. ولم تزد سرعتي خلال رحلتي عن نحو ٤٠ قدما في السنة ... وهذه السرعة تحسدني عليها الكثيرات من شقيقاتي اللواتي يسرن بسرعة تقل عن ذلك بكثير .

الصحراء الكاذبة !

وتلتقط نقطة الماء أنفاسها وتتابع حديثها قائلة :

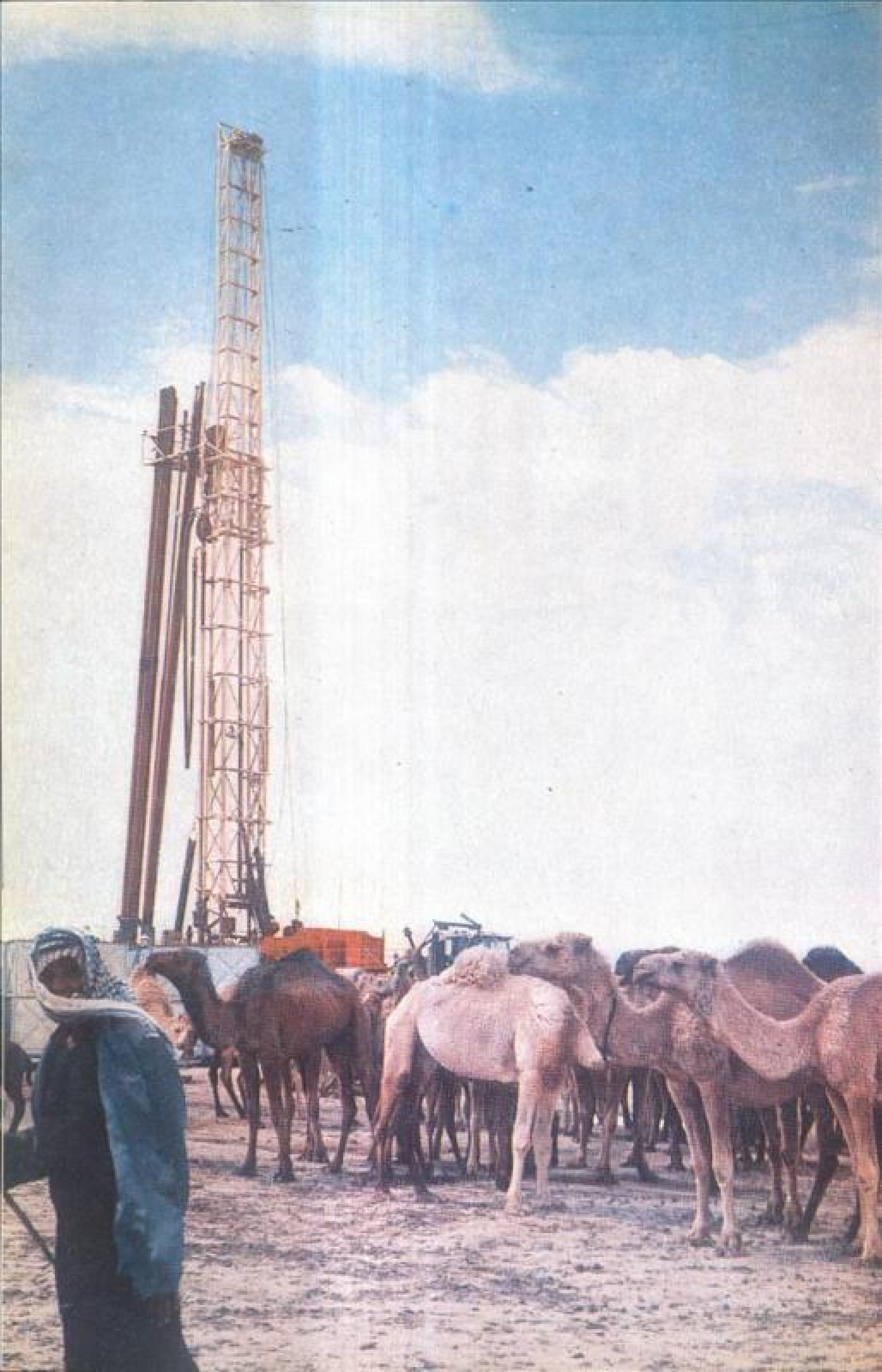
« ان الوقت في اعماق الأرض ، لا معنى له ، فالليل والنهار يتساويان .. لقد مضى علي نحو ٤٠ الف سنة وانا أتنقل من تجويف الى تجويف ... نعم ٤٠ الف سنة مضت عليّ وانا تحت الأرض .. حتى دخلت في حقل من اكبر حقول المياه الجوفية المعروفة في العالم ، لقد علمت من زميلاتي اللواتي سبقنني ، أن المنطقة التي تكمن تحتها هي منطقة الشقايا الكائنة في الجزء الجنوبي الغربي من الكويت .. انها في ظاهرها منطقة صحراوية قاحلة بينما نحن تحتها نتميز غيظا لأن أحدا لا يشعر بنا ... انها حقا صحراء كاذبة فالمياه متوفرة في باطنها تنتظر من يقوم باستنباطها .

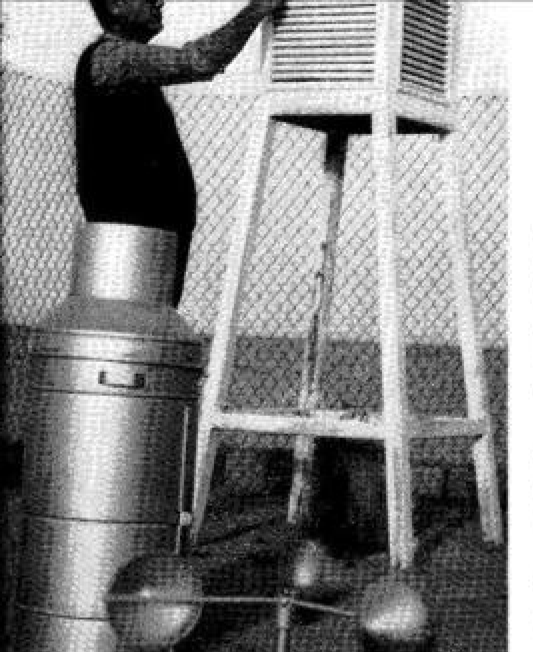
« ان مأساة اهل الأرض تكمن في أن عددا قليلا منهم يعلم ان حجم المياه الجوفية العذبة يفوق بمراحل حجم المياه السطحية التي تتدفق على شكل انهار وجداول ، فوق سطح الأرض ... » .



خبير الامم المتحدة الدكتور معيد الدين أحمد ، وهو بقميصه الابيض الى اليسار ، ويقابله الدكتور مهدى حنتوش خبير حكومة الكويت ومن أكثر العلماء دراية بالمياه الجوفية .. انهما يشرفان على عملية ملء أنبوب بماء الشقايا لارساله الى مختبرات خاصة في فينا بالنمسا لاجراء الدراسات اللازمة عليه .

الى أسفل : الاف الجمال تأتي كل يوم الى المنطقة لتشرب من مياه الشقايا ... **والى اليسار** بعض الجمال بجانب آلات الحفر التي تنقب عن الماء لتحول الصحراء الى جنة خضراء .





أقيمت محطة للارصاد الجوية في منطقة الشقايا ، لمعرفة درجات الحرارة ، ومقدار هطول الامطار على المنطقة التى ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٩٠٠ قدم .

منافسة بين الماء والنفط

وتنهي قطرة الماء حديثها الممتع بقولها :

« وبينما كنا في ظلامنا الدامس وسيرنا المتناهي في بطنه احسسنا برجة هائلة ودوى يصم الآذان ـ آذان البشر طبعا ! ! ـ وشعرنا بالسعادة عندما اخبرتنا شقيقاتنا الاكبر سنا .. ان هذا الدوى ناتج عن تفجيرات يقوم بها الانسان اثناء عمليات المسح الجيوفيزيائية التى يجريها بحثا عن المياه الجوفية ..

« ولا يمكن ان اصف لكم مقدار فرحتنا عندما وصل انبوب الحفر الى طبقتنا ... لقد تجمعنا حوله آملين رؤية اشعة الشمس ، وزاد املنا عندما بدأ يسحب كميات من الماء ..

« ولكن فرحتنا لم تدم طويلا ، فقد توقفت عملية سحب الماء ، واندفع المثقاب يحفر الارض متوغلا الى الاعماق السحيقة ..

« وتحسرنا على انفسنا .. ان الانسان لا يهمه الماء كثيرا .. وانما همه البحث عن النفط ، ولهذا اندفع المثقاب الى الاعماق البعيدة .. انه يتجه الى عمق يزيد عن ٦٠٠٠ قدم يبحث عن النفط والذهب الاسود ، بينما نحن على عمق يقرب من ٥٠٠ قدم من سطح الارض ..

« ان المنقبين عن النفط لم يعثروا عليه حتى الآن ، ولكنهم اكتشفوا وجودنا بكثرة في المنطقة منذ عشرين عاما اى في عام ١٩٤٩ .. ومع ذلك مكثنا منتظرين حتى عام ١٩٦٤ اى ١٥ عاما ، عندما بدأت الحفارات تثقب الارض من جديد وتبحث في هذه المرة عن الماء .. ولا شيء الا الماء .. وتدافعت مع شقيقاتي صوب فوهة بئر من الآبار الخمس والعشرين التى حفروها ، وكان نصيبي اني صعدت الى سطح الارض .. لاساعد في تغيير وجه هذه الصحراء القاحلة لتصبح ارضا خضراء يانعة نضرة .. » .

ممنوع دخول النساء

لقد صدقت قطرة الماء في كلامها .. فقد اصبحت الشقايا مدينة صغيرة ، فيها مزرعتان : واحدة خاصة مساحتها ٢٠ دونما (الدونم = ١٠٠٠ متر مربع) تزرع فيها بعض الخضراوات التى تصدر للكويت ، والثانية تابعة لمخيم وزارة الكهرباء والماء تمد نزلاءه الخمسمائة بحاجتهم من الخضراوات .

ان « مدينة الشقايا » هي مدينة الرجال فقط .. فالنساء لا مكان لهن فيها .. انها مدينة العمل والعرق .. والى جانب العاملين فيها ، طلبت الحكومة الكويتية معونة الامم المتحدة الفنية ، فارسلت خبيرا متخصصا هو الدكتور معيد الدين احمد الذى مضت عليه سنتان وهو يدرس حقول الشقايا وتطورها وافضل المناطق لانتاج مياهها .. لقد اصبحت هذه الحقول جزءا عزيزا عليه .

٥٠ مليون جالون يوميا

وسألنا خبير الامم المتحدة عن « الشقايا » فقال : **« ما من شك ان حقول الشقايا هي من اكبر الحقول من نوعها في العالم .. لقد قمنا بعملية مسح شاملة واجرينا العديد من التجارب لمعرفة حدود الخزان الجوفي وتكوينه الجيولوجي وكمية مياهه .. ونتيجة لهذه الدراسات والتجارب فان مساحة الحقول التى سيجرى استغلالها تقارب الـ ٧٠٠ كيلو متر مربع . وفي المنطقة الغربية قمنا بحفر ٢٥ بئرا منتجة و ٢١**

بئر ملاحظة ، فضلا عن آبار تجريبية في مناطق اخرى ، اجرينا على كل منها دراسة دقيقة لمعرفة سعتها الانتاجية ، ونسبة الاملاح الذائبة فيها . لقد تحقق لدينا ان المياه تقع على عمق ٤٠٠ قدم او اقل من سطح الارض ، وان بالامكان انتاج الكمية المطلوبة للمرحلة الاولى من مشروع استثمار مياه جنوب غرب الكويت ، والبالغة ٥٠ مليون جالون امبراطوري يوميا ، من سبعة حقول في وسط وجنوب الكويت . هذا عدا الكميات التى تنتجها الابار المنتجة المشار اليها اعلاه في غرب الكويت، والتى ستترك لسد حاجات المزارع المحلية في تلك المنطقة ..

«اما عن المستقبل فاذا وجد المسئولون ان الكويت لا تزال بحاجة الى كميات اضافية من هذه المياه القليلة الملوحة فانه لا بد من اجراء عمليات مسح اضافية لمناطق اخرى تتوفر فيها هذه المياه .

« ان حفر وانشاء هذه الابار ليس بالامر الهين اليسير فتنفيذها على طريقة صحيحة يحتاج الى خبرات متدربة ذات كفاءات عالية . »

خريطة الكويت موضح عليها حقول المياه الجوفية المختلفة ... الحقلان الشماليان : « الروضتين » و « أم العيش » يمدان الكويت بالميـــاه العذبة .. والحقلان الجنوبيان : « الصليبية والعبدلية » يمدانها بالمياه النصف مالحة .. وفي الطرف الغربي حقول الشقايا التى اكتشف فيها الماء بكميات هائلة .. كما ظهر في الصورة وادى الباطن ، الذى كان نهرا جاريا في الاحقاب الاولى للتاريخ ، ثم جف ..



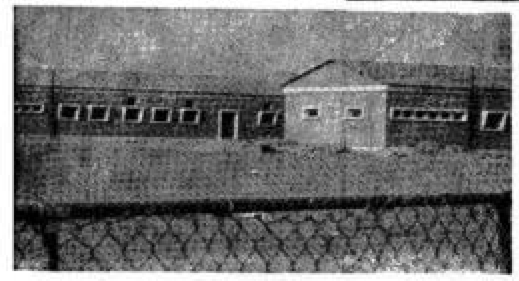
القديم والحديث يلتقيان في صحراء الشقايا .. تحية من البدوى راكب الجمل، الى المهندس الذى يبحث عن المياه تحت الصحراء ..

معهد للتدريب

ويتابع خبير الامم المتحدة حديثه بقوله :

« لقد انفقت حكومة الكويت مبالغ كبيرة لشراء احدث وافضل الالات لعمليات التنقيب ، كما قامت بحشد وتعيين مجموعة متمرسة في العمل في مشاريع المياه الجوفية وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور مهدى حنتوش الذى يعمل مستشارا لوزارة الكهرباء والماء والذى كان استاذى عندما كنت في جامعة نيومكسكو التكنولوجية . ان توفر مثل هذه الخبرات في الكويت يمكن ان يساهم في تدريب ابناء البلاد العربية الاخرى ليكتسبوا الخبرات اللازمة في هذا المضمار . لان المياه الجوفية موجودة في اغلب البلاد العربية تحت صحاريها ووديانها .. ولكن قلة اليد الخبيرة المتدربة ، يجعلها نسيا منسيا ، رغم شدة الحاجة اليها .. »

الكلأ والاعشاب متوفران في
من الاغنام لرعى الاعشاب

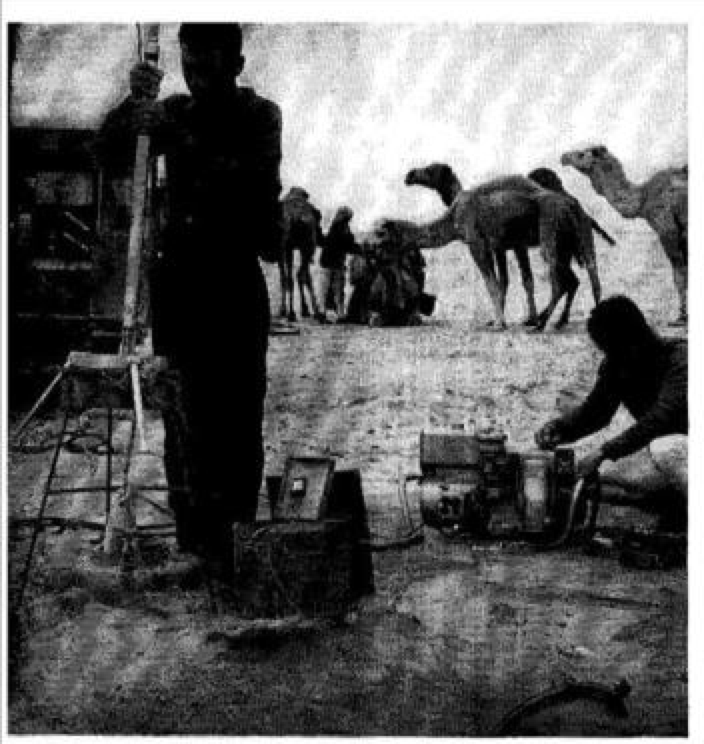


الشقايا الجديدة .. نواة المدينة التي بدأت تظهر فوق
وزارة الكهرباء لموظفيها وعمالها .. وتتسع لنحو

تسرب المياه الى الكويت بمعدل ستة ملايين جالون يوميا

وينهى الدكتور معيد الدين احمد حديثه بقوله : لقد حفر اول بئر عام ١٩٦٤ في منطقة الشقايا في اقصى الجنوب الغربي من الكويت ، فاخذ المشروع اسم الشقايا ، ولكنه في الواقع غير محصور في المنطقة وانما يمتد شمالها وشرقها مسافة ٧٠ كيلو مترا في كل اتجاه .

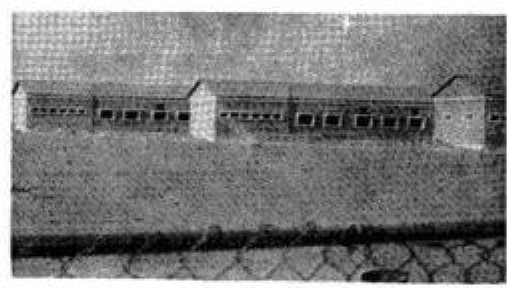
« ويستمد حقل الشقايا مياهه من تحركات جوفية تسير ببطء متناه .. ان هذه المياه تصل



هذا الجهاز الحديث القائم على فوهة البئر الظاهر في الصورة ، يستعمل في «الشقايا» لسبر أعماق المياه الجوفية ، ومعرفة مختلف خصائص الطبقات الارضية



منطقة الشقايا .. وهذا قطيع الخضراء في وادي « البابونج »



عمال الشقايا .. وهذه المنازل ـ وعددها ١٩ منزلا ـ أقامتها ٢٣٣ عاملا و ٣٢ مهندسا عزبا .. وعائلتين ! !

الى الكويت بمعدل ستة ملايين جالون يوميا ، فهي اذن ليست مياها ساكنة ، وقد يتصرف منها نحو ثلاثة ملايين جالون يوميا في الخليج نتيجة تحركها .. ومثل هذا التصرف ضروري لمنع تسرب مياه البحر المالحة الى الطبقات الارضية الحاملة للمياه الجوفية ، والتي تقع تحت ساحل الخليج .ونحن الان في سبيل القيام بدراسات علمية وعملية للتأكد من امكان اعادة حقن جزء من مياه الامطار في التجويفات والخزانات الجوفية لحقول المنطقة كلها . »

الصحراء الكاذبة تزول !

ان اكتشاف المياه الجوفية في وسط وجنوب وغرب الكويت ، وما اسفرت عنه الدراسات من نتائج ، قد فتحت افاقا جديدة للمستقبل في هذا الجزء الصحراوي من الكويت ..

لقد بدأت علامات الاستفهام تتلاحق :

هل تجعل من « الشقايا » مزرعة تمد المنطقة بحاجتها من الخضراوات والفواكه .. أو ننقل مياهها الى الكويت العاصمة داخل انابيب طولها ٧٠ كيلو مترا .. أو نقيم مدينة ثانية كبيرة في هذا الجزء المهجور من البلاد ؟ ؟

اسئلة يعكف المسؤولون على دراستها لتحديد اكثر الاجابات ملاءمة للكويت .. واضعين أمام أعينهم اعادة المياه الى هذا الجزء من العالم الذى كانت تكسوه الخضرة وتشقه الينابيع في يوم من الايام .. ويجرى فيه نهر كبير ، جف اليوم واصبح يدعى : وادى الباطن ! ■■

سليم زبال

أشياء هذه الحيَاة فيها الخشونة كثرةٌ وفيها النعومة قِلّةٌ

لولا الخشونة ما مشت قدمٌ على أرض
ولولا النعومة ما دار كوكبٌ حول شمس

■ في الحياة تقول هذا ناعم وهذا خشن .

وانت في الحياة تشير الى احد الناس فتقول انه ناعم الطبع ، والى آخر فتقول انه خشن الطبع ، ونميل بجبلتنا الى الناعم ونتحاشى الخشن .

والعيش نحبه ناعماً، ونكرهه خشناً.

وكما في الأشياء التي ندركها بالتعقل والتصور ، فكذلك في الأشياء التي ندركها بالحس واللمس . فارض الجبل وعرة خشنة . والطريق غير المعبد خشن . ونعبد ويطلى بالقار فيصبح اقل خشونة .

والمائدة ، وسطحها من خشب خام ، خشنة السطح . فاذا عالجت هذا السطح بفارة النجار تنعم . فاذا عالجته بالادهان صار اكثر نعومة . وكذلك هو ينعم اذا انت غطيته بلوح من زجاج .

السطوح اذن ، في منزل او سوق او طريق ، خشنة عادة حتى تدخلها الصنعة بالتنعيم . ونقول احيانا بالصقل ، وما الصقل الا زيادة تنعيم .

والسطوح كلما قلت خشونة زادت نعومة ، ولكنها لا تكاد تبلغ النعومة مائة في المائة في امور العيش التي نعرفها . واليك البيان .

في سبيل
موسوعة
علمية

ما احتك شيء بشيء وتحرك، إلا قامت ضد الحركة مقاومة احتكاك

بقلم الدكتور احمد زكي

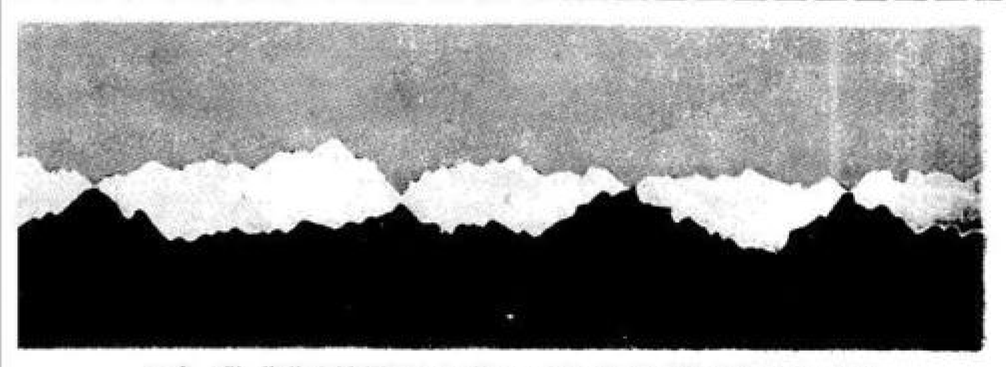
الاحتكاك
يسيطر على اشياء هذه الارض كالجاذبية تماما

هذا قالب من آجر . من قرميد ، من طوب ، وضعته على سطح هذه المائدة .

ثم انت تريد ان تحركه على هذا السطح يمينا او يسارا . انه لا يتحرك الا اذا انت بذلت له شيئا من قوتك بحركه . ذلك ان بين السطحين المتجانسين ، سطح الطوبة ، وسطح المائدة ، احتكاك بسبب ما بهما من خشونة ، يمنع من تحرك سطح على سطح . انها قوة مانعة لا تظهر الا عندما نريد تحريك سطح في اتجاه ، هو اتجاه ما بين السطحين .

وتستطيع ان تقدر هذه القوة اللازمة بان تربط الطوبة بكفة ميزان بخيط يدور حول بكرة . وتضع في الكفة من الاوزان حتى يأخذ قالب الطوب في التحرك . فالثقل الذى بالكفة (مع وزن الكفة) يمثل القوة التى لزمت لتقاوم قوة الاحتكاك . انه يساوى قوة الاحتكاك .

وان بلغت هذه القوة اللازمة لتحريك القالب الطوب ٥٠٠ جرام ، وكان وزن القالب ١٠٠٠ جرام ، كانت النسبة بينهما ٥ر. ، وسمى المهندسون وعلماء



هذان سطحان «أملسان» متماسان (الأسمر والأسود) ، اذا نظرنا بالمنظار المكبر ظهرت حقيقة هذه الملاسة . انه لا وجود لها . سطحان كأسطح الارض ، فيهما بروزات كرؤوس الجبال ، وانخفاضات الوديان (في الجزء الخالي الابيض) . فالقوة اللازمة للتغلب على ما بينهما من احتكاك هي التغلب على القوة التي تمنع بعض الأسطح بعضا من الحركة الافقية كالتي تراها في الرسم .

الفزياء هذه النسبة « معامل الاحتكاك » Friction Coefficient لقالب الطوب وسطح هذه المائدة .

وهي نسبة لا تتغير على اى شكل وضعنا قالب الطوب على سطح هـــذه المائدة . على جنبه الطـــويل ،او جنبه القصير ، او سطحه الكبير . القـــوة اللازمة لتحريكه واحدة ، لأنها تتوقف فقط على وزن قالب الطوب .

واذا نحن جئنا بنصف هذا القالب تماما ، اى بما وزنه ٥٠٠ جرام ، لزم لتحريكه ٢٥٠ جرام ، وكان معامـــل الاحتكاك هو $\frac{٢٥٠}{٥٠٠}$ وقد كان $\frac{٥٠٠}{١٠٠٠}$ اى انه دائما ، وفي حدود الدقة المرتجاة من التجربة ، يساوى ٥ر.

وكذلك لو اننـــا وضعـــنا قالبا فوق قالب ، يتضاعف الوزن ، وتتضاعف قوة الاحتكاك بالمثل ، ويبقى معامـــل الاحتكاك واحدا ، ٥ر.

ومعنى هذا أن المساحة التي يتماس فيها الطوب والمائدة لا تهم ، ولو صغرت حتى صارت سنتيمترا مربعـــا واحدا ، انما المهم هو وزن الطوب . ان القوة التي نحتاج اليها للتغلب على الاحتكاك واحدة ما بقي وزن الطوب واحدا ،مس المائدة في سنتيمتر او في مائة .

وهذه النسبة تختلف طبعا باختلاف نوع الأسطح المتماسة واختلاف موادها. فهذا القالب لو انك حركته على ثلج لهبط معامل الاحتكاك الى نحو ٢ر. اى خمس.

وعجلة السيارة ، وهى من مطـــاط ، لو انك سحبتها جرا على ارض مصنوعة من الخراسانة الاسمنت (لا دحرجة) فلربما احتجت للتغلب على احتكاك بينها وبين الارض الى قوة تساوى وزن العجلة. اى ان معامل الاحتكاك واحد صحيح .

فعل الزيت والماء

والماء والزيت والشحم وأشباه لها ، اذا وضعت بين سطحين بينهما احتكاك، زلقت الحركة بينهما، وسهلتها. ومعنى هذا انها نزلت بالقوة اللازمة للتغلب على

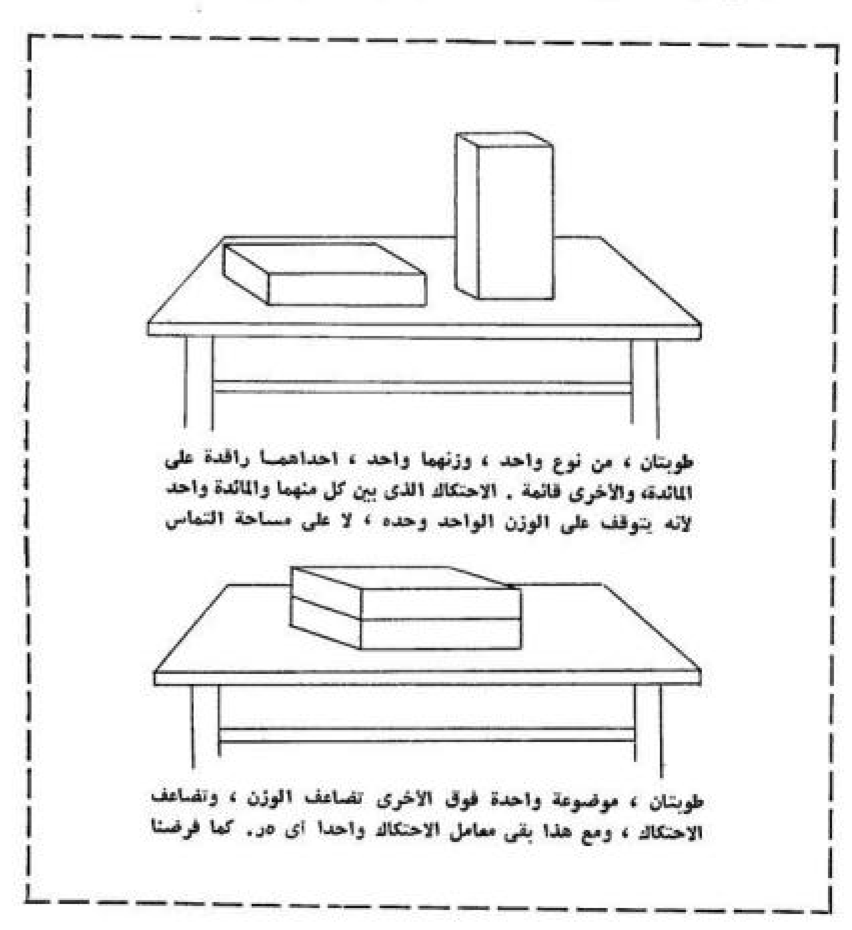
قوة الاحتكاك التى تقوم بينهما عند محاولة الحركة .

وينزل معامل الاحتكاك من ٥ر. مثلا الى ٢ر. والى دون ذلك .

وفي المكنات تجد الحركة قائمة بين سطحين افقيين متماسين من معدن ، أو سطحين مستديرين محتكين ، لو دارا بدون زيت لاهترآ ، ولتآكل السطحان .. من اجل هذا تزيت السيارات وتشحم ، لا ليزول ما بين السطوح من احتكاك ولكن ليخف كثيرا .

الاحتكاك عقبة قائمة دائمة تعوق الحركة

يتبين هذا عند النقل . عندما تنقل شيئا من مكان الى مكان جرا وزحفا . يعوق الحركة ما بين الشيء الذى تجره، والارض التى يجر عليها ، من احتكاك . وانت تتغلب على ذلك ، جرا ، بأن تبذل من القوة ما يتغلب على قوة الاحتكاك التى تقوم بين السطحين عند الحركة ، وهذا عدا القوة التى تبذلها فوق ذلك لتكسب الجسم سرعة يجرى بها بعد أن يتحرر من احتكاك .



طوبتان ، من نوع واحد ، وزنهما واحد ، احداهما راقدة على المائدة، والأخرى قائمة . الاحتكاك الذى بين كل منهما والمائدة واحد لانه يتوقف على الوزن الواحد وحده ، لا على مساحة التماس

طوبتان ، موضوعة واحدة فوق الأخرى تضاعف الوزن ، وتضاعف الاحتكاك ، ومع هذا بقى معامل الاحتكاك واحدا اى ٥ر. كما فرضنا

مثال ذلك كرسي تجره من ركن حجرة الى ركن آخر منها . انك تفضل حمله ، اى ترفعه من الارض التى يحتك بها لتتفادي الاحتكاك .

ومثال ذلك المكتب تغير موضعه في حجرة مكتبك ، من ركن الى ركن . انك لا تجره على الارض ، بل تستدعى من يحمله معك تفاديا لاحتكاك قد يضر بقوائمه .

والبضائع ، انك تحملها من مدينة الى مدينة ، ومن سوق الى سوق ، لا جرا في الطرقات ، ولكن ، اولا رفعا على عربات لتتفادى احتكاكها هى بالارض ، ثم ترفع العربات على عجلات (وسيأتى عمل العجلات بعد ، وما كان من خطورة اختراع العجلة فى هذه الشئون) لتتفادى ما بين العربات والارض من احتكاك لو انت جررتها على الارض زحفا .

والاحتكاك عقبة قائمة في سبيل حركة الأشياء لسبب آخر ، ان المجهود الذى تبذله في التغلب على الاحتكاك لا يؤدى ما يسميه المهندسون وعلماء الحركة « بالشغل النافع » Useful W rk لأن الجسم لا ينتقل به ، ولكنه يتهيأ فقط لانتقال ، والطاقة التى تبذلها في ذلك تتحول الى حرارة غير نافعة، تضيع في ارض أو في هواء .

ومع هذا فالاحتكاك ضرورة لازمة لكل حركة

وتدرك هذا على الفور عندما تفكر في كيف تمشي انت على الارض .

لولا خشونة الارض ما مشيت ، ولولا احتكاكبين قدميك وسطح الارض الخشن ما خطوت .

انك اذا مشيت في الوحل الناعم ما استطعت مشيا . أن قدمك تطلب في الوحل الناعم الارض الصلبة التى تمسك بها (تحتك بها) فلا تجد ، فلا تستطيع أن تتقدم بجسمك . وتنزلق فتسقط في الوحل . وتريد ان تقوم فتبحث عن جزء من الارض صلب ، غير وَحِل ، فان وجدته ارتبطت قدمك به ، (أى احتكت) واعتمدتَ عليه وقمت ، والا فانت في الوحل باق .

وكالانسان الحيوان . فلا الخيل ولا البقر ، ولا السبع ولا النمر ، ولا حى على الارض بمستطيع حركة لولا خشونة بينه وبين الارض . واذا قلنا بينه ؛ قصدنا على الأغلب موضع الحركة منه ؛ اعنى الأقدام .

ويا بؤسَ الجمل الذى يسير في المدينة ؛ في الشارع المعبَّد الزلق ، لا سيما من بعد مطر . ان خفه الذى تعود أن يمسك بالرمل ، يزلقه الوحلُ والماء في المدينة ؛ ولهذا يظل صاحبه يحذّره وهو سائر فيصيح به :

زَلَقْ ، زَلِقْ .

ولِمَ نذكر القدم وحدها ؟

لم لا نذكر اليد، وهي لا تمسك بالقلم، والكتاب ، ولا السكينة والملعقة ، ولا بالعصا ولا بالسيف ، ولا بشيء كان ما كان ، اذا لم يكن باليد خشونة ، وبما تمسك به خشونة ، ويجتمع الخشنان فيلتحمان ، الا ان يشاءا افتراقا ، فتَفتح اليد .

ولولا الاحتكاك ما استقر شيء على شيء

انا اكتب ما اكتب الآن بالقلم الرصاص . ومحوت كلمة بـ«المحاية» بالأستيكة . ورميتُ بالمحاية على المكتب . كانت تجرى عليه فتوقفت . ما الذى اوقفها ؟ انه الاحتكاك بينها ، وهى من مطاط ، وبين سطح المكتب ، وهو من زجاج .

وهذه المحاية سوف تستقر في موضعها هذا ابد الدهر ، بحكم هذا الاحتكاك . وما لم تعترِ المنزلَ زلزلةٌ تهده سوف تبقى المحاية حيث هى . ويبقى هذا



هذا الاسكيمو يدير هذا الثقاب، واحد طرفيه يدور في حفرة صغيرة في لوح من خشب . ويحتك هذا الطرف بالخشب فيحتر ، ويتناثر من الخشب دقيق يلتهب عندما تبلغ الحرارة درجة النهاية . ولهذا يحصل الأسكيمي على النار في غيبة الكبريت . وفي حضرة عود الكبريت ، لا بد من حكه ليحتر بالاحتكاك ويسخن . فوائد الاحتكاك تعم العيش .

المقعد ، وذاك ، كل شيء في الحجرة سيبقى حيث هو ، بحكم الاحتكاك .

وافتح النوافذ ، ويهب الريح منها رخيا أو غير رخي ، فما يكاد على عادته ان ينقل شيئا من مكانه لأن الاحتكاك يحفظ كل شيء في مكانه .

ولكن تصور ان الاحتكاك قد زال فيما بين هذه الأشياء ، فيما بين بعضها وبعض ، وهبت الريح ، حتى الرخاء ، اذن لما يبقى شيء في موضعه . كل شيء لا بد متحرك وساقط .

وان كان هشا فهو لا شك مكسور . ولن تجد كتابا فوق رف وقد ضاع احتكاك كان يحفظه على قاعدته بهذا الرف . والأثاث كله يصير في حركة دائبة ، يستجيب لحركة كل ريح تهب، فليس يحبسه على الارض احتكاك .

وهب ان الله رفع عن الأشياء خشونتها ، وذهب باحتكاكها ، وجلست انت على مقعد وثير . انك عندئذ ستجد نفسك في عناء من حفظ جسمك عليه ، او ان كان واسعا ، ففيه . انك تنزلق عليه ، وهو ينزلق على الارض . وانت ان حاولت ان تتمطى عليه ، فلن تلبث ان تجد نفسك على الأرض ، وربما أخذت تجرى عليها حتى يوقفك حائط . بل انت لا تستطيع ان تنال هذا المقعد ، فانت لا تستطيع ان تمشي اليه .

صورة من الخيال ، عند امتناع الاحتكاك ، عجيبة .

ولولا الاحتكاك ما كانت للسيارات كابحات

وكما انك لا بد أن تتغلب على الاحتكاك قبل ان تحرك جسما على سطح ، بما تبذله في ذلك من طاقة ، فكذلك اذا كان هذا الجسم سائرا ، فهو لا يتوقف حتى تعارضه قوة . وهذه القوة يستمدها سائق السيارة من كابحة السيارة . وتسمى في بعض البلاد الفرملة ، وتسمى الكابحة والكمّاحة Brake ، أو بالفرنسية Freim ، وما الكابحة غير سطح يضغطه سائق السيارة على العجلة الجارية (على عجلتى السيارة) ليتولد من ذلك احتكاك يمتص من طاقة الحركة فتتوقف السيارة .

وظاهرة تدخل الاحتكاك فى وقف الحركة ظاهرة شائعة فى العيش كثيرة الأمثال .

والعربة ، ولو يجرها الخيل ، تنزل في الطريق الجبلى ، فتزيد الجاذبية في سرعتها حتى تسبق الحصان وتغلبه ويحدث من ذلك ما لا يحمد ، ويقيم صاحب العربة على العجلات كوابح تعمل بالاحتكاك فتتحكم في سرعة العربة وهى هابطة ، اذ تمتص من طاقة هذا الهبوط فتعدل من سرعته .

اختراع العجلة لمعالجة الاحتكاك

انه من الاختراعات القديمة التى كان لها شأن في الحياة الانسانية عميق ، لا يضاهيه الا اختراع القلاع والأشرعة للسفن ، وربما كان اختراع العجلة أكبر خطرا . فالعجلة مكّنت للانسان ، في أمر النقل وحده ، من النقل على الأرض واختراق القارات ؛ والشراع مكّن للانسان من التنقل في البحر وعبور المحيطات .

والعجلة لم تخفف الاحتكاك الذى هو خصيم الحركة ، ولكنها خففته الى أقصى درجة .

احتكاك الجر واحتكاك الدحرجة

وللتفرقة بينهما اذهب الى جراج سيارات، او الى بائع عجلات ذات اطارات من المطاط ، واختر واحدة منها ، وقفها راسية على أرض من بلاط ، وقف عند مقدمتها وامسك بها من أقرب نقطة من اطارها ، وحاول ان تجرها سحبا على الأرض .

انك تحس بالحاجة الى قوة غير صغيرة لتحركها جرا وسحبا ، لتتغلب على « احتكاك الجر » ، «احتكاك السحب».

ثم عد الى نفس العجلة ، وقفها راسية. ومن نقطة عند خلفها زجها بيدك الى الأمام لتدحرجها .

انك تحس بالحاجة الى قوة ولكنها اصغر كثيرا من قوة تحريكها جرا وسحبا . انك هنا تريد أن تتغلّب على «أحتكاك الدحرجة» .

وهذا هو النصر الكبير في اختراع العجلة .



في اطارات السيارات، وهى من مطاط ، خيوط بارزة، بينها قنوات غائرة . فاذا فرمل السائق في الشارع المبتل طردت الخيوط الماء ناحية القنوات ، واذن تلتصق بارض جافة ، ذات احتكاك شديد ، يساعد على ايقاف السيارة.



عربة ملكية اشورية مرسومة بالنحت على حجر من القرن السابع قبل الميلاد ، وجدت في قصر الملك اشور بانيبال في نينوى عاصمة الاشوريين ، ونرى في الصورة العجلة ولها ثمانية أشعة .

ولا تنسَ ان هنا أيضا لا تستغنى العجلة عن الاحتكاك لتتحرك دحرجة . واذكر ان عجلات السيارات في الطريق الوَحِل قد تدور ولكن لا تتقدم ؛ لأن الوحل منعها من احتكاك .

كيف توصل الفكر الانسانى الى العجلة

كان النقل في عهد القدماء ، كالمصريين مثلا ، يحملون الأثقال على مزالق ، يدفعونها بأثقالها على الارض ويسهلون انزلاقها عليها بالماء يصبونه من تحتها . والظاهر انهم نقلوا أحجار الهرم العظيمة الثقيلة من جبل المقطم عبر النيل الى حيث الهرم الآن . ومن هذه الأحجار ما بلغ وزنه عددا من الأطنان كبيرا .

ثم لا بد خطر لهم أن يستخدموا جذوع الشجر بعد أن صنعوا منها اسطوانات هندسية ، فيضعوها تحت هذه المزالق المستوية ، واذن هم يزجون بها فوق الاسطوانات فتسير دحرجة .

ثم جاءت فكرة العجلتين تلحقان بطرفي هذه الاسطوانة ، وتكونان مثبتتين بها فهما بعضها . وكانت العجلة صفحة من خشب مستديرة لا خروق فيها . ثم خلخلوها ، فصارت أشعة تنتهى الى اطار في خارجها ، تلتقى عند شيء كالبطيخة في أوسطها ، يدخله طرف محور ، نجد في طرفه الآخر عجلة مثل هذه تماما مرتبطة به . انها العجلة كما نعرفها اليوم .

وبهذا تمت الفكرة .

ثم نالها على الزمان التحسين .

والعجلات اليوم هى عماد المكنات ، التى هى عماد الصناعات ، فهى ليست للتنقل والحركة على سطح الارض ولا شيء غير هذا .

احتكاك في المـاء وفي الهواء

والاحتكاك يتولد من الهواء ، يحس به كل عدَّاء .

والاحتكاك يكون في الماء ، يحس به كل سابح .

والسمك انسابت اشكاله لحكمة ، هي تقليل الاحتكاك الذي يجده وهو يسبح في الماء . انه يخترقه اختراق السيف .

وكذا الطير .

والطائرات بنوها مستوحين بشكلها شكل الطير تجنبا لاحتكاك الهواء .

والفضـاء غاب عنه احتكاك فمكن ذلك للكواكب أن تدور وللانسان على الأرض أن يكون

نعم ، غاب عن الفضاء احتكاك .

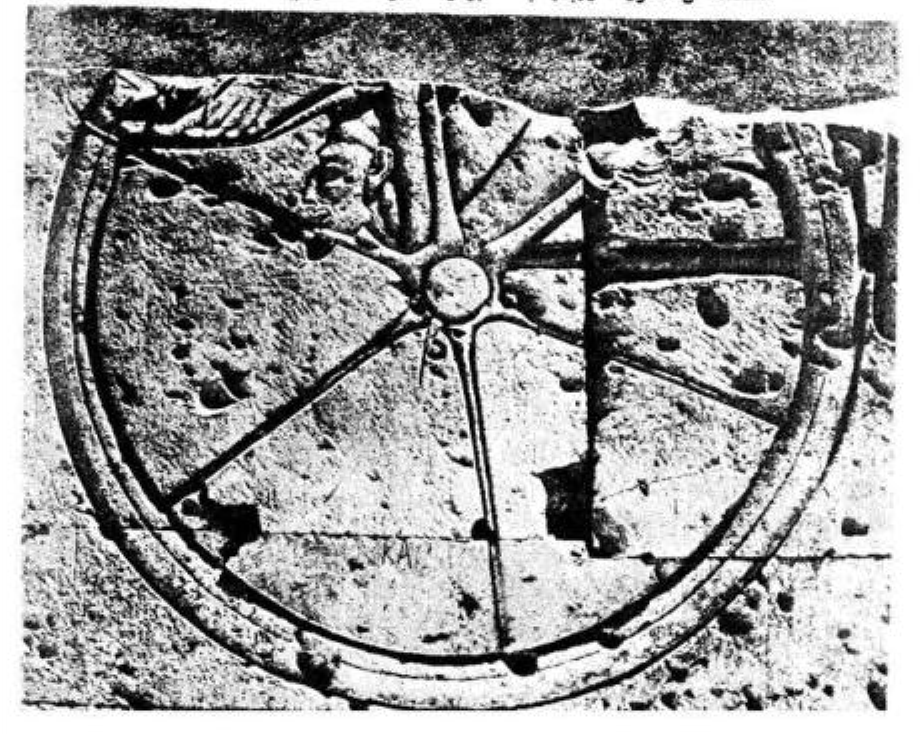
وقضى بضرورة غيابه المنطق البسيط .

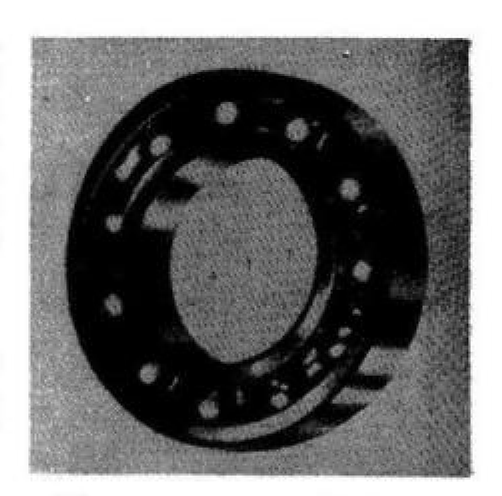
ان الاحتكاك خصيم الحركة، والكواكب ارادها الله كونية سرمدية ، فقد وجب اذن ان تعفى من احتكاك يظل يأكل من حركتها الدائرية حتى يسقط كلٌ ، على كلٍّ ما يدور حوله من جرم .

اذن لسقط القمر الى الأرض .

واذن لسقطت الارض والزهرة وعطارد والمريخ ، وسائر الكواكب الى الشمس .

عجلة بستة اشعة رُسمت حفرا في حائط بمعبد سيتو الأول بالأبيض ، على الشاطىء الغربي من النيل . كان هذا في نحو عام ١٣٠٠ قبل الميلاد . ويلاحظ ان العجلة كانت منفصلة عن المحور ، وربطها به الدبوس ، ويراه الناظر في الصورة .





الكرات الحاملة Ball Bearing ، وهى حلقة تتالف من كرات صغيرة ، توضع بين قرص يدور حوله قرص اكبر منه ، فتقوم تمنع سطحيهما أن يتماسا . انما تمسهما الكرات في نقاط فقط ، وهى تتدحرج بين السطحين والحركة قائمة . ان احتكاك التزلج او الجر او السحب يتحول الى احتكاك تدحرج فيخف كثيرا . والفرنسيون يسمون هذه الكرات Roulementà Billes ، اى بلى متدحرج ، وسمته العامة نقلا عنهم رمان بلى

ونرى هذا في الأقمار الاصطناعية ، فهى انما تدور حول الأرض بتأثير قوتين، القوة المركزية الطاردة لها عن الارض وتستمدها من سرعة دورانها عند ارتفاع لها من الارض معلوم ، ثم قوة جاذبية الارض لهذه الاقمار ، فهذه القوة تدفع القمر الى الأرض . وتتساوى القوتـان فيظل القمر الاصطناعى يدور في فلكه (سبق ان شرحنا هذا في العربى مرارا) .

ولكن لقرب أفلاك الأقمار الاصطناعية من الأرض لم تتلخص هذه الأقمـار الاصطناعية من الاحتكاك تماما . فـلا يزال عند تلك الأبعاد من الارض مقادير من الغاز ، قليلة جدا نعم ، وتسبب احتكاكا قليـلا جدا نعم ، ولكنه على السـنين يتراكم مفعولـه فيقلل من سرعة دوران القمـر الاصـطناعي . ومعنى هذا اقترابه بالتدرج من الارض . وكلما اقترب زاد الاحتكاك بزيادة الغاز . وهلم جرا .

واخيرا هو يهبط الى الارض .

ولقد هبط الى الارض من الأقمـار الاصطناعية التى اطلقت في اوائل عهد الانسان بالفضاء ، وبعد سنوات مـن الدوران ، ما هبط .

والقمر الطبيعى ، قمر الله لم يهبط .

ويدل هذا على اكتمال الفراغ هناك ، أو ما يشبه اكتماله . فان لم يكن مكتملا فهو لا شك واقع ، ولو بعد مليون عام . سنة الله التى جرت في الخلق ، وتجرى .

الكـون
فيه نعومة
وفيه خشونة

ونجمل القول فنقول :

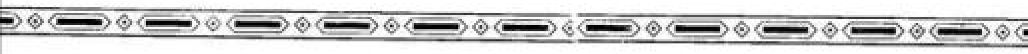
في الأرض خشونة في سطح الأشياء ، تسبب احتكاكا ، وهى الغالبة .

وفي الارض نعومة ، كنعومة الزيت والماء ، وهى غير كاملة وهى نادرة .

والخشونة ، على كراهة اسمها ، هى بعض الحياة ، لولاها ما استقام عيش انسان في منزل او طريق .

والنعومة ، التى بها خراب العيش على الأرض ، بها عمار الدنيا خارج هذه الأرض ، فلولاها لتهدم نظام الشمس وتهاوت الكـواكب ، ولحقت الارض بالشمس فاحترقت . ●●

احمد زكى



مَعَ البُنْدُقِيَّة

للشاعر : نور الدين أبو ريشة

صَحَوْتُ فلم أَعُد أصغِي للاحِي ... ولكنْ للقذيفةِ من سلاحي
إذا أطلقتوا استشعرت زَهْواً ... وقبضاً من أمانٍ وارتياح
فقد فجَّرْت فيها نارَ حِقْدي ... وأطلقتُ الحَبيس من البَرَاح
فما تَغفو لرشّاشي عيون ... بلَيْلِ مُدْلَهِم أو صباح
وإن يهجع فمُضطرّاً ولكنْ ... لِيحْلُم بانقضاضٍ واكتساح
يُلقّح بالدَّم المسفوك أرضي ... وتنتعش البطولة باللّقاح
فليس بغيره يشتدّ عُودي ... وليس بغيره يُرْجَى صلاحي
رَفيقُ الثائرين إذا تَداعَوْا ... أنيسُ الزاحفينِ إلى البطاح
ولولاه لما استَقْوَى جبان ... ولا استولى على حرمي إباحي

★ ★ ★

وعشْت معذّباً عشرين عاما ... ونَهباً للعواصف والرياح
غريبَ الدار لم أعدَم رجَاءً ... أسيراً بَعْدُ لم يُطْلَق سَرَاحي
وأين عروبتي .. بل أين قومي ... أطالوا في المَلامة والتّلاحي ... ! ؟
وأثلجَ خُلْفُهم صدرَ الأعادي ... وكان بكفّهم أمضَى سلاح
وكم ناشدتُهم أن يستعيدوا ... فما التفتوا ولا لَبَّوْا صياحي
وكانوا سادرين فما أفاقوا ... على دَمْعٍ يسيل ولا جِراح
وأَغْلَق كلُّ جارٍ عن أخيه ... نوافذه وعاشَ بلا انفتاح
ولمّا استفحلَ العُدوان كانوا ... على العُدوان أهْوَنَ من جَناح

★ ★ ★

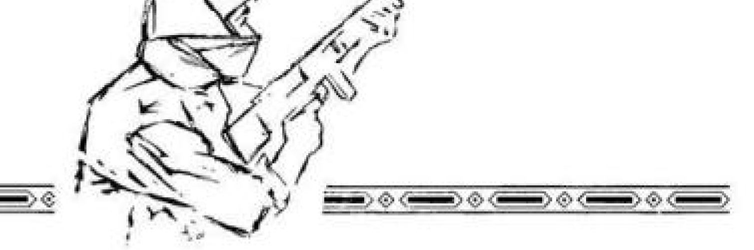
وكنْت من الفَجيعة في ضَياع ... وفِكري في شُرودٍ وانسراح
أطوّح في الشّعاب بلا دليل ... وأَخْبِط خَبْطَ مكسور الجناحِ

وما دَرْب الفـداءِ لمَن مَشاه ... بمأمـونِ المسالكِ والنّواحي
ومن يرجو الخلاصَ فلا يبالي ... أشَوْكاً ما يُعانق أم أقاحي !!
وما مثلُ السلاح لمُستَضامٍ ... يعانِي من هَوان واجتياح
إذا استعصَتْ على الحُسنَى أمورٌ ... تولَّى حَسْمَها دونَ اجتراحٍ
يَرُدُّ على سفاهةِ مَن تحَدَّوْا ... بألسنةٍ مُعبِّرةٍ صحاحٍ
ويُقْنِع كلَّ من يأبَى اقتناعاً ... ويَردَع كلَّ مسعور وقَاحٍ
يُؤكّد أنني استيقظتُ يوماً ... ولستُ بتاركٍ أبداً سلاحي
فعُدوانُ الغزاةِ إلى زَوالٍ ... وكابوسُ الطغاةِ إلى انزياح
وإيماني بقُدْرته عظيمٌ ... كإيماني بحقِّي في الكفاح
يَصون كرامةَ الوطنِ المفدَّى ... إذا ما حَلَّ عدوانٌ بساح
عَرفتُ بفضله أني أبِيٌّ ... وأني في غدٍ للعارِ ماحي
لئنْ أعمَى خُطايَ بهيمُ ليلٍ ... فإني في الطريق إلى الصَّباح
وشَعْبي عائدٌ للأرض يوماً ... وإن غطّى ثراها بالأضاحي
تَموتُ نفوسُنا في كلِّ يوم .... ولا مِنْ هَدْأةٍ أو مُستراح
حيَاةٌ يُكرَهُ الإنسانُ فيها ... ويُسْأَم من هَوانٍ واكتساح
فما أحلَى وُرودَ الموتِ فيها ... دِفاعاً عن ثرَى وَطنٍ مُباح

★ ★ ★

ولستُ بيائس مهما ادلَهَمَّتْ ... وأطبقَتْ الخطوبُ على جِراحي
سأنسى أنني استُخذيتُ يوماً ... وأمْضِي من جديدٍ في كفاحي !!

نور الدين ابو ريشة





بقلم : علي أدهم

■ بذلت جهود كثيرة لتفسير التاريخ من زوايا مختلفة، فحاول بعض الباحثين ان يجعل للبيئة والعوامل الجغرافية الأثر الاكبر في توجيه التاريخ ، وحاول باحثون آخرون ان يجعلوا للعوامل الاقتصادية المكانة الاولى في احداث التاريخ وتطوراته ، ورأى بعض المفكرين ان الأفكار الدينية او السياسية هي المحرك الخفي للحركة التاريخية ، والباعث الحقيقي وراء استحالات التاريخ واحداثه ووقائعه . وفي كل رأى من هذه الآراء جانب من الحق ، وجانب من الاسراف والمبالغة ، وفي اعتقادي ان الشخصية الانسانية هي المرجع الاول والأخير في احداث الحركة التاريخية .

وللعالم المؤرخ الانثروبولوجي في جوردون تشايلد V. Jordon Childe كتاب قيم عنوانه الانسان يصنع نفسه ، Man Makes Himself وهو عنوان ينطوي على شيء من التحدى ، ولكنه يفسر تاريخ الانسانية في مختلف ادواره تفسيرا يرينا كيف شق الانسان طريقه الوعر الحافل بالعقبات الى تكوين المجتمع الانساني وبناء الحضارة ، وسن القوانين والشرائع ، ووضع النظم والتقاليد ، ومكونات الثقافة المختلفة في مختلف الوانها .

الحق أن الموقف التاريخي نتيجة مجموعة من عوامل

واذا تأملنا حالة الانسان في اى موقف من المواقف التاريخية المأثورة نجد انه يعمل على الدوام ، على ان يلائم بين نفسه وبين موقفه التاريخي ، وكل موقف من المواقف التاريخية هو في الواقع نتيجة لمجموعة مختلفة من الاحداث مختلفة الألوان والسمات ، وليس نتيجة لحادث بعينه ، أو للون واحد من الوان الوقائع، فاذا تأملنا مثلا الموقف في فرنسا سنة ١٧٨٩ عند بدء هبوب الثورة الفرنسية

.. لها التأثير الأول فى الحركة التاريخية

عوامل كثيرة تصنع التاريخ، ولكن الانسان هو صانعه الأول.

نجد ان الرجال المغامرين الذين عاصروا هذه الفترة كانوا هم انفسهم ثمرة الموقف السابق ، فثقافتهم الفكرية واتجاهاتهم المذهبية واساليب تفكيرهم والعوامل الشعورية واللاشعورية التى كانت تعمل في نفوسهم ، ونفس لغتهم التى كانوا يتحدثون بها ويصبون فيها افكارهم ويصورون بها منازعهم ، كل ذلك تقتضي دراسته العودة الى الماضي ، والرجال الذين يعملون في اى وقت من الأوقات وفي كل مرحلة من مراحل التاريخ تحيط بهم ظروف قاهرة ، وملابسات موجهة حتى في اللحظة التى يظنون فيها أنهم قد خلصوا من تاثيرها ، وقطعوا الصلة بينهم وبينها .

الانسان عامل هام في الحركة التاريخية

ولكن علينا برغم ذلك كله ان نذكر دائما ان الانسان هو الذى يصنع التاريخ فنحن لا نجلس هادئين صامتين لنتلقى توجيه التقاليد ، ونحمل على تيار الأحداث مستسلمين خاضعين ، وانما تعمل عقولنا ونستغل ارادتنا ونشاطنا وحيويتنا للتاثير في سير الأحداث ،وذلك لأننا لسنا اشياء جامدة تجرى عليها احكام الضرورات بغير نقض ولا ابرام ،

وحقيقة ان المشكلات التى نتناولها نتيجة من نتائج الاحوال السالفة واثر من آثار الماضي البعيد والقريب ، ولذلك يمكن القول بأنه في كل وقت من الاوقات توجد حركة تاريخية، ولكن هذه الحركة التاريخية ان كانت تفرض شروطها على الانسان وتملى عليه احكامها فان ارادة الانسان في مستطاعها ان تناقش تلك الشروط ، وتنقض تلك الأحكام .

والظروف التاريخية قد تتناول الخامة الانسانية وتعمل على تشكيلها وصوغها بما يلائم طبيعة تلك الظروف وتصبها في القوالب المناسبة ، ولكن هذا كله لا يمنع كون الانسان عاملا هاما في الحركة التاريخية .

دارس التاريخ عليه أن يدرس الانسان اولا

والمؤرخ حينما يفسر لنا الاحداث السالفة يتناول بالبحث والدراسة اعمال الانسان في الظروف المحيطة به ، وخلال التيارات الموجهة لتفكيره والدافعة له الى ما يأتى من الاعمال ، اى انه يدرسه بوصفه متأثرا بمشكلات عصره ، واتجاهات التاريخ في زمنه ، ولكن الحكم الاخلاقى على الانسان يحاول ان يتعرف

دخائل عقله ، وخفايا نياته ، فالمؤرخ حينما يتناول حياة اى انسان يضعه في اطار عصره ، ويلم بنشأته ، وعوامل بيئته ومكونات ثقافته ، ويحدد مكانه في الحركة التاريخية ، وهو حينما ينتقل من سرد الأحداث بعد تمحيص الروايات يحاول ان يبين لنا تلك العوامل المؤثرة ، والظروف القاهرة ، ولو انها في الواقع ليست قاهرة للانسان كل القهر ، لان للانسان نصيبا من حرية الارادة لا يمكن انكاره ، واذا غالينا في انكاره سقطت من فوق كاهل الانسان التبعة الأدبية ، وانتفت مسؤوليته عما يتورط فيه من الآثام ، ويرتكب من الأخطاء ، وحقيقة ان الانسان واقع في شبكة احداث عصره ، ولكنه يملك اسباب التحرر من تلك الشبكة ، وهذه الحرية الممنوحة للبشر لا تجعلنا قادرين على التكهن بما قد يصدر عنهم من الأحداث لانهم ليسوا آلات مسيرة ، ولا جمادات مسلوبة الحركة والارادة ، عاجزة عن التفكير ، واعمال الراى . وهناك ظروف من غير شك تحيط بالانسان، ولكن الانسان ليس اسيرا لتلك الظروف ولا سجينا في اغوارها وكبولها ، وقد لا يستطيع الرجل الشرقي مثلا ان يفهم عقلية الغربي ، لان لكل منهما تقاليده التي شب عليها ، واساليب تفكيره التى الفها ، ولكن كلا منهما يستطيع ان يفهم عقلية الآخر اذا اراد ذلك ، وبذل جهدا ، وصدق المحاولة ، واخلص في الطلب ، والرجل الثرى الواسع الخيال القوى الحس يستطيع ان يدرك حالة الفقير المعدم الذى يعانى متاعب الخصاصة وآلام الحرمان ، ومعنى ذلك ان الناس ليست مقيدة بالحدود المضروبة حولها ، وان في وسع الانسان ان يستشرف آفاقا أوسع من الآفاق التى نشأ بها ، ويقدر عادات وتقاليد لم يكن لديه بها سابق عهد ، اذا بذل جهدا ، واحسن التفكير ، والذين يفسرون التاريخ تفسيرا اقتصاديا ينظرون الى العوامل الاقتصادية بوصفها دوافع لا يستطيع الانسان ان يغالب مؤثراتها ، ولا تكران ان العوامل الاقتصادية لها دورها المؤثر في سير الأحداث التاريخية. ولكن اى تفسير للتاريخ لا يقيم وزنا للشخصية الانسانية وتأثيرها في سير الأحداث لا يسلك الحجة الواضحة ، ويضل في تيه الأحداث المتنافرة .

وعلينا في الوقت نفسه ان نقدر الماضي برمته ، لأنه لازم لتفسير الحاضر ، واذا قيل ان الأسباب الاقتصادية هي العامل الوحيد المؤثر في الحركة التاريخية فان ذلك يحمل معنى ان الانسان يعيش بالخبز وحده ، في حين ان الأمر على نقيض ذلك، فالانسان حقيقة لكي يعيش لا بد له من الخبز ، ولا يتضمن ذلك بطبيعة الحال انه لا يعيش الا بالخبز وحده ! .

التاريخ الذى يعتمد على آراء العصر السائدة وحدها لا ينجو من خطأ

ولا نزاع في ان الأفكار من القوى المؤثرة في سير التاريخ ، ومن الأشياء الهامة في الدراسة التاريخية ان نتتبع مناشىء تلك الأفكار التى أثرت في التاريخ الانساني، ونحن معرضون دائما لان نعزو التأثير الذى يقع على الأفراد الى الأفكار السائدة في العصر ، ولكن الواقع ان الأفكار لا بد ان تتجسم ، فهى لا ترى مستقلة عن الآخذين بها ، والأفكار نفسها نتيجة من نتائج الحركة التاريخية قبل ان تكون سببا من اسبابها ، وعلينا ان نستعين بالتاريخ ليفسر لنا مسير الأفكار وما طرأ عليها من تغيير ، ولا خلاف في ان تأثير الأفكار من المسائل الهامة في التاريخ ، وقد تتجمد بعض الأفكار في ادمغة الناس في عصر من

العصور وتصبح من معوقات التقدم مثل الضرورات المادية ، وتقدمنا العقلي وتطور الحضارة بوجه عام قد يقف في سبيلهما بعض الأفكار الجامدة التي اصبحت مسيطرة على العقول ، ولكننا اذا اقتصرنا على دراسة الأفكار المؤثرة في سير التاريخ كونا لأنفسنا فكرة ناقصة عن سير التاريخ ، لأن الافكار لا تعيش بغير اجسام ، والتاريخ القائم على تتبع الأفكار وحدها ودراسة تأثيرها في سير الحضارة الانسانية عرضة للخطأ ، واذا تعمقنا في تتبع بعض الأفكار نجد مرجع بعضها الى تبدل في العوامل الاقتصادية، ولكن علينا مع ذلك الا ننسى ان العقل البشرى بمواده المحدودة يستطيع ان يعمل ، وسواء كنا ندرس الانتقال البارز من الحضارة التي غلبت عليها النزعة الدينية في العصر الوسيط الى الحضارة التي غلبت عليها النزعة العلمية التي مهدت لظهور العلم الحديث وهيأت الجو لنمو الديمقراطية ، فعلينا أن لا نكتفي بتصوير الموقف على انه صراع بين رجال اشرار ورجال تنزهوا عن المطامع ، او خلاف بين قوم متخلفين مخرفين وقوم اذكياء مستنيرين ، بل علينا أن ننظر الى الأحداث في اطار عمليات اجتماعية اوسع نطاقا واكثر تعقيدا .

التاريخ لا يسير في تقدم منطقي

وقد ادرك المؤرخون الذين تأثروا بالتفكير الماركسي ان التاريخ لا يسير في تقدم منطقي ، ولو انهم ليسوا اول من كشف هذه الحقيقة ، وأن الحركة التاريخية تحدث من جراء الموضوعات التي تنشأ في المجتمع . ومن شأن هذه الموضوعات والقضايا ان تؤدي الى صراع بين الطبقات او بين اجزاء من المجتمع ، وهذا الصراع او هذه المعركة تسوق الناس الى أنتاج شيء جديد يضع حدا للنزاع ، وهو يسمو فوق الخلافات لأنه يجمع بين النقيضين ، ويشق الطريق لظهور جماعات حديثة ، أو بلفظ آخر ان الصراع بين الموضوع والموضوع المناقض له يؤدى الى ظهور مركب يجمع بين النقيضين . وللمؤرخين الماركسيين الفضل في انهم استرعوا نظر المؤرخين الى البناء التحليلي للتاريخ ، فبدلا من الوقوف على الصراع بين الأفراد البارزين مثل الصراع بين شارل الاول ملك انجلترا والزعيم السياسي الحربي كرومويل على انه صراع بين ممثلي طبقتين ، جعلوا المؤرخين يتعمقون في اسباب هذا الصراع ، وينظرون الى الأسباب الاقتصادية والبواعث المادية التي كانت متوارية في الأعماق ، ومن طبيعة هذا التقصي في البحث عن مختلف الأسباب التاريخية ان يجعلنا اكثر تقديرا للعوامل المختلفة التي تعمل في بناء التاريخ ودفع حركاته ، واصح فهما لادراك تطوراته وتفسير دقائقه واحداثه .

عوامل مختلفة تتلاقى في بناء التاريخ

والمؤرخون الماركسيون يعزون التغيرات التاريخية الى الدوافع الاقتصادية ، وان اى تغيير في اساليب الانتاج لا بد أن يتبعه تغيير في الموقف التاريخي ، وفي ضوء التفسير يعلل ظهور نظام الاقطاع والنظام البورجوازى الحديث ، ولا نزاع في أن المؤثرات الاقتصادية لعبت دورها المأثور في ايجاد الموقف الحضارى الراهن ، ولكن النظرة الاوسع الى التاريخ ترينا كيف تتلاقى في بناء التاريخ العوامل المختلفة ،وتختلط الدوافع والمؤثرات ، وحينما نتأمل الأنسجة المختلفة التي يتكون منها التاريخ قد نعجب كيف يستطيع انسان ان يضع

يده على خيط من خيوط تلك الأنسجة ويبيح لنفســه أن يدعى انه العنصر الأصيل والعامل الهام الذى تطغى اهميته على سائر العوامل .

وما من شك في أن التفسير الاقتصادى للتاريخ يجعلنا ننظر الى التاريخ نظرة واقعية ، ومن عيوب المؤرخين القدامى انهم كانوا لا يعنون بالمؤثرات الاقتصادية او كانوا ينظرون اليها نظرة عارضـة ، وكانوا يوجهون عناية اكبر الى تأمل سير الأفكار ، وكأنهم كانوا ينظرون الى الافكار غير مجـدة وانها البادئة في كل شيء ، وكأنها ليست في الكثير من الحالات نتيجة للتغير . وللغلاة في تقدير العامل الاقتصادى في التاريخ عذرهم لانهم في الواقع يقدرون عاملا كثر اهماله ولم يلق الالتفــات الجدى الا في القرن التاسع عشـر . ولكن هؤلاء المؤرخين الذين يسرفون في تقدير العامل الاقتصادى قد يسوقهم ذلك الى الوقوع في الخطأ نفسه الذى وقع فيه المؤرخون القدامى الذين كان الكثيرون منهم يقيمون التاريخ على اساس مؤامرات القصور ، ودسائس رجـال الحاشية ، واوهام الحاكمين بأمرهم ، أو الذين اتاحت لهم الظروف شيئا من السيطرة على بعض الأحداث القليلـة الاهمية ، وامتلاك عنان بعض الظروف التى لا تقدم كثيرا ولا قليلا .

ليس بين التفسير الاقتصادى للتاريخ ، والمذهب المادى ، علاقة وثيقة

وهناك خطأ آخر كثيرا ما يعرض للذين يفسرون التـاريخ تفسيرا اقتصـاديا ، وهذا الخطأ هو ايجاد علاقة وثيقة بين هذا التفسير الاقتصادى للتاريخ والفلسفة المادية الخالصة التى تفسر الكون في ضوء المذهب المادى ، ولكن الواقع أن تقـدير العوامل الاقتصادية تقديرا صـحيحا سليما لا يقتضي أن يدين الانسـان بالفلسفة المادية المحضة ، ولا يقتضي قبولها بحذافــيرها . واذا ربطنا بين التفسير الاقتصادى للتاريخ وبين وجهة النظر المادية فان معنى ذلك أن العامـل الاقتصادى هو العامل الوحيد المؤثر في الحركة التاريخية ، ولا يخلو ذلك من تشويه للحركة التاريخية ، كما انــه يتضمن انكار جانب الشخصية الانسانية والدور العظيم الذى تقوم به في بنـاء التاريخ .

الشخصيات الانسانية من الصعب استجلاء بواطنها

ولكننى أود أن أقرر أننا حينما نذهب الى أن العامل الانسانى هو أهم العوامل في الحركة التاريخية لا نستطيع أن نزعم في الوقت نفسه أننا في ضوء هذا العامل نستطيع تفسير كل شيء تفسيرا كاملا ، والتفسير الذى نصل اليه بعد التعمـق في دراسة أى شخصية من الشخصيات الانسانية لا يعدو أن يكون تفسيرا للرجل الخارجى ، لأن المؤرخ الحق يعرف أن للنفس الانسانية مداخل لا يستطيع أن يستطلع خوافيها ويجلو لنا غوامضها ، وكل تفسير للشخصيات التاريخية يحوى ثقوبا ونوافذ نطل منها على العالم المجهول ، فليس هو تفسيرا فاصلا ، والانســان صانع التاريخ لا يكفى في تفسيره دراسة عصره ، والوقوف على ملابسات حياته ، لأن الكائنات الانسانية ليست مجـرد ثمرات لعصورها ، وكل شخصـية انسانية عرضة لأن تأتى بشيء جديد غير مسبوق ، واذا كان من الخطأ اهمــال الجانب الاقتصادى في تفسير التاريخ ، فان الاكثر ايغالا في الخطأ عدم تقـدير عامل الشخصية الانسانية وما تحويه من البواعث النفسية والكنوز الروحية .

■■

على ادهم



متاعب الأبناء من .. متاعب الآباء

■ ما اكثر الحالات التى تمتلىء بها عيادات الاطباء النفسانيين لاطفال يعانون من اضطرابات عصبية أو عقد نفسية او يأتون بتصرفات شاذة ، واعمال غير طبيعية .. اطفال منطوون على انفسهم لا يحبون الاختلاط بأحد واطفال مصابون بالخجل .. واطفال اعتادوا أن « يأخذوا » ما ليس لهم ، واطفال يبكون ويصرخون بلا سبب ، واطفال يخافون الظلام .. الى غير ذلك من اعراض ظاهرة وغير ظاهرة مما تسبب قلقا للاباء الذين يحارون فى تفسيرها ومعرفة دوافعها واسبابها ..

ترى ما اسباب هذه الظواهر غير المألوفة التى تصيب الاطفال وتكبر معهم ويستفحل خطرها ؟

الام هي السبب

يقول الدكتور فرديناند لندبرج Dr. Ferdinand Lundberg والدكتور فارنهام Farnham مؤلفا كتاب « المرأة الحديثة » ، ان الام هي السبب الاساسي فى تلك المتاعب التى يعانى منها الاطفال .. فالحقيقة التي لا يختلف عليها شخصان هي ان معظم هذه الحالات الشاذة تولد وتنمو وتتطور فى البيت !

فتصرفات الام ازاء ابنائها ، وطريقة ترجمتها لشاعرها ، وكيفية معالجتها لمشاكلهم .. كل هذا يؤثر تأثيرا مباشرا في نفسية الطفل الصغير وفى تطور شخصيته ومسلكه واسلوبه فى معاملته لاخوته واصدقائه وزملائه وفى نظرته للحياة نفسها ..

أربعة أنواع من الأمهات

وهناك انواع عديدة من الامهات .. هناك الام التى تلفظ طفلها لسبب او لآخر ، كأن تكون قد ولدته فى وقت لم تكن الاسرة فى وضع مادى واجتماعي يسمح لها باستقباله ، او لان وصوله حرمها من مواصلة عملها الذى كانت ترتزق منه لتعاون زوجها فى تحمل مسئوليات الحياة ، فتهمل طفلها وتبعده عنها ، وقد يتطور شعورها هذا مع الزمن الى كراهية ..

ومثل هذه الام تفعل ما تفعل دون ادراك منها لحقيقة مشاعرها ، وانعكاس تلك المشاعر على مسلكها ازاء طفلها .. ولو ان كل تصرفاتها تحمل معنى هذه الكراهية .. فهي دائمة الشكوى منه ، ثم هي لا تشعر بالسعادة التى تشعر بها اى ام اخرى لاى عمل او اية حركة يأتي بها طفلها .. ان كل حركاته وتصرفاته تثير الضجر فى نفسها وتغضبها ..

بكاء وصراخ وفشل

ترى ماذا يكون مصير هذا الطفل المسكين ؟ انه يصبح فريسة لشتى المشاعر التى تؤرقه

ونعذب نفسه الصغيرة .. فهو يشعر بانه غير مرغوب فيه،فقد افتقد الحب والحنان اللذين يحتاج اليهما كل طفل في سنه ، ويحاول بوسائله المحدودة ان يثير العطف عليه ، فلا يكاد يرى امه او احدا من اخوته ، اذا كان له اخوة ، حتى يرفع صوته بالبكاء !

وكثيرا ما نجده يستيقظ من نومه في الليل خائفا مذعورا بعد ان ينطفيء النور ويغرق البيت في الظلام ، او يصرخ فزعا اذا ترك وحده في غرفته لينام !

واذا كبر هذا الطفل ، تحول خوفه الى فشل ، فتراه يخشى كل شيء ، ويخاف من كل محاولة ، وتكون النتيجة ان يشب وقد تملكه شعور غريب بان العالم كله يضطهده ، وان الناس يناصبونه العداء ، فيتملكه اليأس ، ويكره نفسه ، ويكره الحياة ذاتها !

الام القلقة على اطفالها

وعلى النقيض من هذه الأم ، نجد تلك التي تبالغ في شعورها بالقلق على اطفالها ، فتوحي لكل من يلقاها بانها تضحي بنفسها من أجلهم .. فهي تهتم بكل صغيرة وكبيرة في حياتهم .. وهي دائمة القلق على صحتهم ، حريصة كل الحرص على الا يصيبهم مكروه ، أو ينال منهم مرض من تلك الامراض والميكروبات التي تتخيل وجودها في كل شيء وفي كل مكان .. انها تحاول دائما ان تكون درعهم الواقية ضد اى خطر منظور وغير منظور في البيت أو في المدرسة .. فاذا تأخر احدهم عن موعد عودته الى البيت طار صوابها ، وراحت تضرب اخماسا في اسداس ، وقد استبدت بها الهواجس ، وخامرتها الشكوك والاوهام .

الرغبة في السيطرة

ومثل هذه الأم تتصور أنها تمثل قمة التضحية، وتعتبر نفسها مثالية ، ولكن الدكتورة هيلين دويتش Helen Deutch مؤلفة كتاب « سيكولوجية النساء » ترى رأيا آخر ، فهي تقول ان الام التي تبالغ في رعاية اطفالها وحمايتهم ، انما تفعل ذلك بدافع الرغبة التي تسيطر عليها بامتلاكهم.. فهي تريدهم ان يتعلقوا بها .. أن يشعروا بانهم لن يستطيعوا الحياة قط بعيدا عنها .. وهي تفعل ذلك بدافع الغريزة دون ان تدرك انها بعملها هذا قد تقضي على شخصيتهم ، وقد تقتل فيهم تلك النزعة التي تراودهم بالجنوح الى الاستقلال عن الاسرة وبدء حياة طبيعية في بيت الزوجية متى كبروا وبلغوا سن الشباب .

وتكون النتيجة في النهاية ان يعجز هؤلاء الابناء عن مواجهة مشاكل الحياة عندما تكون لهم حياة خاصة بهم وحدهم بعيدا عن الأم وعن بيت الاسرة الذي نشأوا فيه . وكم من شبان وفتيات رأيناهم يتعلقون بآبائهم حتى بعد الزواج .

سيطرة مباشرة

على أن هناك من الأمهات من يفرضن سيطرتهن بصورة مباشرة على اطفالهن وهؤلاء قلما يلجأن الى اسلوب البذل والتضحية في سبيل بلوغ هذا الهدف في النهاية ، فمثل هذه الام تفرض شخصيتها على اطفالها منذ اللحظة الاولى التي يعون فيها معنى الحياة ، فهي تجعل منهم عرائس صغيرة تحركها من حولها كيفما شاءت وقتما شاءت ..

وتقول الدكتورة هيلين ان هذه الأم غالبا ما تغلب عليها طبائع الرجولة .. وقد يكون موقفها هذا من ابنائها وطريقة معاملتها لهم ، هو نفس موقفها من زوجها .. فهي التي تلبس البنطلون في البيت ، وهي التي تمسك العصا ، وهي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في كل امر وفي كل مشكلة تواجه الاسرة . انها تضع يدها على كل شيء ، ولا يمكن لاحد ان يتصرف في شيء الا باذنها ..

وغالبا ما تكون هذه الأم قد تأثرت بشخصية امها هي ، فتفعل اليوم ما فعلته امها معها ومع اخوتها بالامس !

من اجل الام

وفي كثير من الاحيان ، نجد أن هذه الأم المسيطرة تنزع الى الحصول على وظيفة اخرى خارج البيت الى جانب وظيفتها كام .. فاذا لم تكن مؤهلة للعمل ، وجدناها تحاول تحقيق رغباتها وبلوغ مطامعها عن طريق الابناء ، فهي تدفعهم دفعا الى العمل والى الكفاح من اجل الوصول الى هدفها هي .. وكثيرا ما يكون طموحها سببا في اقدامهم على القيام باعمال تفوق

طاقتهم وقدراتهم ، من اجل ارضاء هذه الام التى تقف لهم بالمرصاد ، ولا ترضى بغير النجاح بديلا .. وتكون النتيجة التى لا مفر منها ان ينتقل الابناء من فشل الى فشل !

الشعور بخيبة الامل

ثم هناك الام التى تشعر بخيبة امل دائمة ، لا بسبب فشل الابناء فى حياتهم الدراسية او العملية ، ولكن بسبب عدم الاستقرار العاطفي الذى تعانى منه الام نفسها ..

ومثل هذه الام غالبا ما تكون غير موفقة وغير سعيدة فى حياتها الزوجية . ومن اجل هـذا نجدها تنظر الى طفلها ثمرة هذا الزواج ، نظرتها الى زوجها الذى لم تعد تشعر نحوه باية عاطفة .. انها لا تحب زوجها لسبب ما ، كان يكـون زواجها به قد تم رغم ارادتها ، او لانه يقسو فى معاملته لها ، او لانها قد اكتشفت بعد الزواج ، انها تعاشر رجلا فى مثل سن ابيها ، الى غير ذلـك من اسباب ..

هذا الطفل ، كيف يكون حاله ؟ ان شعوره بكراهية امه المتزايدة له ، يجعله نمسا عصبيا يثور ويبكى لاى سبب ولاتفه سبب ، وتتطور هذه التعاسة ، فنجده يهرب من البيت باحثا عن الحب الذى افتقده وعن السعادة التى لم يشعر بها يوما فى حياته .. فاذا كان مـا زال صبيا صغيرا ، رايناه يكثر من التردد على بيوت زملائه من ابناء الجيران.. وكثيرا ما تتوطد صداقته بهم نتيجة عطف اصدقائه وذويهم عليه .

فاذا كبـر بحث عن الحب ، ولكن فى اماكن اخرى ، وقد ينتهي به المطاف الـى احضـان الغانيات وبائعات الهوى ..

الام الطبيعية

من هي الام الطبيعية اذن ؟ انها على النقيض من كل هؤلاء الامهات .. انها امراة واعية ناضجة عاقلة هادئة ، تحسن التصرف ، وتعرف كيف تعامل طفلها فى مختلف مراحل حياته .. فهـي تحيا حياة طبيعية ، مليئة باسباب الاستقرار ، لانها زوجة سعيدة ، تبادل زوجها حبا بحب ، فهى اذن ليست فى حاجة لان تعوّض نفسها عن الفشل العاطفي عن طريق السيطرة على اطفالها او اعطائهم الحب الذى حرمت هي منه .

انها لا تهمل اطفالها ، ولا تلفظهم لانهم سبب سعادتها ووجودها .. ثم هي ايضا لا تعانى من اى صراع يعتمل داخل نفسها ، ويؤثر بالتالى على مسلكها من اطفالها وتصرفاتها حيالهم .. انها لا تشعر مثلا انه كان من الممكن ان تعيش حياة افضل لو انها تزوجت رجلا آخر غير زوجها الحالى ، ولا تشعر انه كان من الممكن ان تكون اسعد حالا لو انها بقيت بلا زواج ..

قناعة وسعادة

انها لا تاسـف لاضطرارها الى تـرك وظيفتها خارج البيت ، لتتفرغ لوظيفتها الاولى كام فى بيتها ..

وباختصار هي تلك التى لا ترضى بحياتها وواقعها فحسب ، بل وتنعم بهذا الواقع وتجد فى كل لحظة من لحظات حياتها متعة ما بعدهـا متعة .. ولانها سعيدة فى حياتها نجدها تشعر بسعادة اكبر عندما ترى اطفالها يملاون البيت من حولها ، لانهم جزء لا يتجزأ من هذه الحياة .

وكل ام تستطيع ان تكون هذه الام ، اذا عرفت كيف تتخلص من متاعبها ، ومن المشاعر التـى تتملكها وتجعل منها امراة لا تصلح للقيام بدور الامومة . .

فكثير من الامهات يتصورن أن امومتهن وحدها كفيلة بان تجعلهن قادرات على القيـام بهـذه المسئولية الضخمة .. مسئولية تربية الاطفال وتنشئتهم . وهذا تصور خاطىء من اساسه .. واكبر دليل على ذلك ، تلك الحالات العديدة التى تمتلىء بها عيادات الاطباء النفسانيين ، ومحاكم الاحـداث ومستشفيات الامـراض العصبية .. حالات هؤلاء الابنـاء المنحرفين الذين يسرقـون ويدمنون الخمر ، ويرتكبون الجرائـم فى بعض الاحيان ..

ان مسئولية المراة الاولى ، عندما تصبح اُمّا هي ان تبحث داخل نفسها عن مواطن الاضطرابات، ايا كان سببها ونوعها ، فتخلص نفسها منها لكى تخلص ابناءهـا من خطر الانحراف والتشرد والفشل فى الحياة . ■■

م٠ ن



بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس

عميد دار العلوم سابقا

■ حين يعرض المحدثون من الدارسين لهذه الظاهرة يتناولونها من زوايا ثلاث :

١ ـ من حيث الأصوات أو الحروف .

٢ ـ من حيث التراكيب أو المسائل النحوية .

٣ ـ من حيث الألفاظ أو الكلمات .

ويتساءلون في بحثهم لظاهرة الاقتراض بين اللغات : هل تقترض لغة من لغة أخرى بعض الأصوات والحروف ؟ وهل تقترض لغة من لغة أخرى شيئا من قواعد النحو وتراكيب الكلام ؟

أما من حيث الألفاظ فيجمعون على امكان الاقتراض ، وعلى وقوعه فعلا قديما وحديثا ، ويقصرون تساؤلهم على مداه وعلى مسوغاته .

وتسميتهم كل هذا بالاقتراض هو من قبيل التجوز ، اذ أن الاقتراض في الحقيقة هو أن يأخذ المرء شيئا من آخر لينتفع به فترة من الزمن بعدها يعيده أو يعيد ما يماثله الى صاحبه الذى يُحرم من الانتفاع بما هو مقترض خلال فترة الاقتراض . وليس كذلك الاقتراض بين اللغات ، فاللغة التى تقترض لفظا من أخرى لا تحرم صاحبة اللفظ من استعماله ولا تعيده اليها . هو اذن في الحقيقة نوع من التقليد .

فريق يتحمس وآخر ينكر

وفي حديثهم عن اقتراض الأصوات أو الحروف وجدناهم فريقين : فريقا يتحمس له ويحاول جاهدا تأييد امكان وقوعه ، وآخر ينكره أو على الأقل يتشكك في امكانه . فأما الفريق الأول فقد جاءنا في هذا الصدد بنظرية سميت بنظرية الطبقات Substratum Theory فاللغة كما تبدو لنا الآن تشبه الطبقة العليا من القشرة الأرضية ، وتحتها طبقات تمثل كل منها عصرا من عصور التاريخ وقد أسس بعضها فوق بعض . فكل لغة تحل في بيئة جديدة وتستقر فيها وتأخذ شكلا جديدا من حيث الأصوات يستمد جذوره وسماته مما سبقها من لغات في نفس البيئة .

ويضرب لنا أصحاب هذه النظرية مثلا لذلك بحال اللغة الرومانية بعد أن استقرت في بلاد الغال (فرنسا قديما) ، وحلت محل اللغة « الكلتية » التى كانت سائدة هناك . فقد تأثرت اللغة الرومانية في أرض فرنسا الى حد كبير بأصوات اللغة « الكلتية » المندثرة . ودليل هذا ما نلحظه الآن بوضوح من خلاف صوتى بين الفرنسية وشقيقتها الايطالية والاسبانية . فبرغم أن كلا من هذه اللغات الثلاث يعد تطورا حديثا للرومانية القديمة ، قد اتخذت الفرنسية صورة



مباينة لما عليه اللغتان الأخريان في نواح صوتية كبيرة .

تأثير عنف الصراع بين لغتين

ويتوقف قدر التأثر الصوتي بين لغتين،احداهما غازية والأخرى مغزوة ، على عنف الصراع بينهما. فاذا اشتد الصراع بين اللغتين قبل أن تستسلم احداهما للأخرى كان الاقتراض الصوتي أوضح وابين . اما حين تستسلم اللغة المغزوة دونصراع عنيف فيلاحظ حينئذ انالتأثر الصوتي الذى قد تخلفهفىاللغةالغازيةيكون ضئيلا غير واضح المعالم. وقد كان الصراع بين اللغات التي كانت سائدة في ارض اسبانيا وقت ان غزاها الرومان بلغتهم ، ضعيفا نسبيا ، وسرعان ما استسلمت للغـة الرومانية . وبهذا يعللون ما لاحظوه من أن الاسبانية اقرب شبها بالايطاليةمن حيث الأصوات مع انهما غير متناخمتين كما هو الشأن معالفرنسية والايطالية . ولكن الصراع بين الرومانية والكلتية في بلاد الغال ، اى فرنسا ، كان عنيفا ضاريا .

واذا صحت نظرية الطبقات امكن أن نتصور ان اللغة العربية قد تأثرت من حيث الأصوات باللغات التي كانت سائدة في الأمصار قبل الفتوحات الاسلامية ، فقد حلت العربية محل الآرامية والفارسية في العراق ، وقهرت العربية كلا من السريانية واليونانية في الشام . اما في مصر فقد حلت العربية محل القبطية ، كما حلت محل البربرية في معظم نواحي المغرب . فهل تركت هذه اللغات المندثرة آثارا صوتية في كل اقليم من هذه الاقاليم ؟ لعل الدراسات في المستقبل تكفل تحقيق هذا الأمر .

ومن اشهر المؤيدين لهذه النظرية والداعين اليها العلامة اللغوى « بلومفيلد » ، في كتابه المشهور ، فقد ساق لنا عدة امثلة لتأييدهـا والبرهنة على صحتها[1] .

ويرى المعارضون لهذه النظرية انها نوع من الوهم والخيال . فالاسبانية في امريكا الجنوبية حلت محل لغة الهنود الحمر ، ومع هذا لم تترك لغة هؤلاء الهنود اى اثر في اصوات الاسبانية السائدة الآنفي مناطق شاسعة من امريكا اللاتينية. وكذلك الشأن مع الولايات المتحدة التي كانت منذ زمن طويلمقصد كثير من المهاجرين الاوروبيين، منهم الالماني ومنهم الفرنسي ومنهم المجرى ، بل ومنهم الروسي . ومع هذا لم تترك تلك اللغـات النازحة اي اثر صوتي في اللغـة الانجليزيـة الامريكية[2] .

اقتراض الظواهر النحوية

وفي حديث الدارسين عن امكان اقتراض الظواهر النحوية نرى الخلاف بينهم اشد واعنف ، وأن المعارضين لهذا اكثر عددا واقوى حجة . ومن ابرز هؤلاء المعارضين اللغوى المشهور « هويتنى » فله في ذلك قول حاسم ونصه (لم يتعرف دارسو اللغات قط على تلك اللغة التي قد تتضمن مزيجا من القواعد النحوية . وتبدو لهم مثل هذه اللغة مخلوقا عجيبا ، بل هي أحد المستحيلات) .

ويعقب « جسبرسن » على هذا القول مشيرا

(١) Language, By Bloomfield, P. 469

(٢) The Story Of Language, By Mario Pei, P. 149

الى ما فيه من مغالاة واسراف ، ثم يسوق عدة امثلة لتأثر اللغات بعضها ببعض في المسائل النحوية . ولكن « جسبرسن » مع هذا يعترف بان اقتراض الاجرومية بين اللغات قليل الوقوع. ويرى أن في كل لغة عناصر تعدّ عصية على الاقتراض كالضمائر ، واسماء الاشارة ، وأسماء الأصول ، والأعداد .

ومع أن اقتراض الأعداد من لغة أخرى أمر نادر نلحظ احيانا انه قد يتم حين تدخل احدى العاب التسلية بيئة جديدة مصطحبة معها طريقة العدّ والأعداد التى تستخدم معها في بيئتها الأصلية . فحين اقتبست بعض الأمم الاوربية رياضة « التنس » من الانجليز دخلت في بلادهم ومعها طريقة الانجليز في العد بالأعداد الانجليزية .

ولعل أوضح مثل لهذا ما نألفه في مصر من استعمال الأعداد الفارسية في أثناء اللعب بالنرد (يك . دو . دوسه . جهار . بنج . شيش) . ذلك لأن لعبة النرد قد دخلت بلادنا العربية مع الفرس واقترضنا معها طريقة الفرس في العدّ. ولما توثقت الصلة بين الفارسية والعربية اقترضت الفارسية من العربية طريقة جمع المؤنث السالم ، وجمعت بعض الكلمات الفارسية بهذه الطريقة العربية فيقولون مثلا : « ده » « دهات » ، «باغ» « باغات » . بل لقد اقتبس الفرس بعض الكلمات العربية مجموعة جمع تكسير من أمثال « أسرار ، امور ، مساجد » ، ولم يقنعوا باقتباسها منفردة ثم جمعها بطريقة الجمع الفارسية .

اقتراض الألفاظ

واما الذى يجمع الدارسون على امكانه فهو اقتراض الألفاظ . وقد يكون وليد الحاجة حينا ، أو الاعجاب حينا آخر . وينظر المرء عادة الى لغته على انها شيء ملك له ، وأن من حقه لذلك أن يزيد عليها ما يشاء من الفاظ لغة أخرى . فهو حين يتكلم بلغة أبويه قد يقحم في كلامه بعض الألفاظ الأجنبية ، في حين انه في أثناء كلامه بهذه اللغة الأجنبية لا يسمح لنفسه ابدا باقتباس شيء من الفاظ لغته ، خشية أن يوصف حينئذ بالعجز أو الضعف في السيطرة على تلك اللغة الأجنبية . وقد لوحظ أن بعض الكتاب والمؤلفين ممن أتقنوا لغة أجنبية وأصبحوا يكتبون بها في بعض الأحيان قد يقترضون اللفظ الأجنبى في أثناء كتابتهم بلغة أبويهم ، ثم لا يكادون يسلكون نفس المسلك في أثناء الكتابة باللغة الأجنبية . وقد كان هذا واضحا بين بعض مؤلفى الفرس في العصور الاسلامية ممن أتقنوا العربية مع لغتهم الفارسية، وكتبوا باللغتين . فقد لوحظ أن كتبهم المؤلفة بالفارسية مشحونة بكلمات عربية ، في حين أن ما كتبوه بالعربية لا يكاد يتضمن الفاظا فارسية الا في النادر من الحالات .

وسواء تمّ اقتراض الالفاظ بوساطة الأفراد او الهيئات ، فان كل لفظ منها يصبح ملكا للبيئة الجديدة التى اقترضته ، ومن حقها أن تشكله على حسب أصواتها وقواعد نبرها . وكان هذا هو مسلك الشعوب قديما مع ما اقترضته من الفاظ ، ولكن الاتجاه الحديث في اقتراض الألفاظ بين اللغات هو الابقاء على صورة اللفظ المقترض بقدر الامكان ، ولا سيما في المصطلحات العلمية .

وكان اقتراض الألفاظ بين اللغات امرا مألوفا لا غضاضة فيه خلال كل العصور التى شهدتها الحضارة الانسانية ، ينظر اليه على انه نوع من التبادل الثقافي ، وظلت الحال هكذا حتى العصر الحديث . غير انه حين نشأت القوميات في أوربا ، وتعصب لها أهلها ، بدأ بعض الزعماء والقادة يعملون جهدهم على تخليص لغاتهم من كل لفظ أجنبي أو مقترض . حاول هذا « هتلر » في المانيا النازية ، كما حاوله مصطفى كمال في تركيا . ولكن مثل هذه الحركات الانتكاسية باءت بالفشل في نهاية الأمر ، وأصبحنا الآن وليس منا من يزعم أو يدعى أن هناك لغة خالصة من كل شائبة أجنبية ، الا أن تكون احدى تلك اللغات البدائية المنعزلة في الأطراف النائية من الارض .

على أن اللغات الحديثة تتباين بعض الشيء في مدى استعدادها لقبول الالفاظ الأجنبية ، منها لغات قد يتحرج أهلها في قبول كل أجنبي من الكلمات قانعين بالقليل منها ، وأخرى ترحب بذلك الفيض الزاخر من الالفاظ المقترضة كالانجليزية مثلا فهى كما يؤكد لنا بعض الباحثين تتضمن من الكلمات الأجنبية الاصل ما يعادل نصف كلماتها مجتمعة (٣) .

ومن احصاءات التسلية التى قام بها بعض

(٣) The Story of Language, P. 151

الدارسين حين استعرض معجما فرنسيا عدد كلماته ٤٦٣٥ ، فوجد منها ٢٠٢٨ كلمة فقط من الأصل اللاتيني الذي يعدّ المصدر الأصلي للغة الفرنسية ، ووجد من اللغة اليونانية ٩٢٥ كلمة ، ومن الالمانية ٦٠٤ كلمة ، ومن الايطالية ٢٨٥ ، ومن الانجليزية ١٥٤ ، ومن العربية ١٤٦ كلمة .. الخ ..

اقتراض للضرورة واقتراض للاعجاب

والألفاظ المقترضة صنفان : منها ما دعت اليه الضرورة الملحة ، وذلك حين تتميز احدى البيئات وحدها بنوع خاص من الأشجار أو الازهار أو الحيوان ، أو حين تتميز بصنف معين من المأكولات أو المشروبات أو نحو ذلك . وهنا نلحظ أن البيئة الناهضة تسارع الى ذلك الجديد من الأشياء بمجرد الوقوف عليه وتفد اليها تلك الأشياء ومعها أسماؤها أو الألفاظ التي تعبر عنها . فاللغات الاوربية الحديثة لم تجد غضاضة في أن تقترض كلمة Tea من اللغة الصينية حين شاع شرب الشاي في اوربا ، واقترضت كذلك كلمة « القهوة » من اللغة العربية ، بل اقترضت كلمة « شيمبانزي » من لغات وسط افريقيا .

أما ذلك الاقتراض الذي لا مسوغ له سوى الرغبة في الافتخار وحب الظهور أو الذي كان نتيجة اعجاب شعب بشعب آخر والميل الى تقليده، فأمثلته كثيرة في كل اللغات قديمها وحديثها .

وقد بلغ من اعجاب الفرس والترك بالعرب وعقيدة العرب أن اقتبسوا قدرا كبيرا جدا من الكلمات العربية .

وقد يكون اقتراض اللفظ عن طريق غير مباشر، كأن تقترض الانجليزية مثلا كلمة عربية الأصل من لغة الملايو التي فيها كلمات عربية كثيرة . وهنا يأخذ اللفظ صورة جديدة بعيدة كل البعد عن أصله ، فلا يكاد الباحث يهتدي الى الأصل الأصيل الا بعد دراسة طويلة وعسيرة . فكلمة « سلام » العربية اقترضتها لغة الملايو وينطق بها هناك Salang ، ثم اقترض الانجليز نطق أهل الملايو وأصبح على ألسنتهم تلك التحية المشهورة So Long لا سيما عند الأمريكان .

ويذكرني هذا بقصة الشاب الياباني الذي أراد القيام باستقصاء الألفاظ الانجليزية التي دخلت اللغة اليابانية . ثم تبين له في آخر الأمر وبعد البحث المضني العسير أن بعض تلك الالفاظ التي ظنها انجليزية لم تكن الا يابانية في أصلها حملها البحارة الانجليز الى بلادهم واصطبغت بنسج الكلمات الانجليزية في أصواتها ونبرها ، ثم نسي هذا الأصل وعادت تلك الكلمات الى بيئتها اليابانية الأصلية على أنها انجليزية أصيلة . وهكذا ردت الى اليابان بضاعتهم في صورة ممسوخة لا يكاد يتعرف عليها أحد . ■■

ابراهيم أنيس

هل بالامكان نقل جبل من مكانه ؟!

كان احد الصينيين يعيش في بيت يقع خلف جبل شامخ ، وكان عليه ان يتسلق ذلك الجبل كلما اراد زيارة اقرباء له في الطرف الثاني من الجبل ، ولما شق عليه تسلق الجبل لكبر سنه جمع افراد عائلته وقال لهم :

ـ لقد قررت ان نعمل جميعا على رفع هذا الجبل من مكانه ليسهل علينا الاتصال باقربائنا ، فما رأيكم ؟

فتعجبت زوجته من هذا الطلب الخيالي وقالت :

ـ انك حقا لمجنون ، كيف نستطيع بهذه الاجسام الضعيفة رفع هذا الجبل الشامخ وازاحته من طريقنا ! فاجاب الرجل : ـ ان هذا الجبل سينقص حجمه كلما رفعنا حجرا منه ، واذا كانت العائلة لا ترى اليوم الذي سيزاح فيه الجبل بكامله فان الاجيال القادمة والاجيال التي بعدها لابد ان تنتصر ـ فاقتنع الجميع بهذا القول وشرعوا بالعمل .

لي تزو ـ حكيم صيني قديم

أمراض شائعة

العُقمُ بَيْنَ النِّسَـــاء

بقلم : الدكتور سامي عمران

■ يحدثنا التاريخ فيما يحدث من اخبار الزمان والناس كيف اعتبر العقم لعنة من السماء تصيب العاقر بالعار والخزى فيقتلها اهلها تخلصا منها ومن عارها ، اما المصريون واليونانيون القدامى فكانوا ـ على ما بلغوه من حضارة ورقى ـ يلجئون للرقى والتمائم والصلوات والقرابين ويسقون العاقر « جرعة الحب » عل كل ذلك يشفيها من دائها ويردها الى الاخصاب والحياة .

أنواع العقم :

العقم المطلق : Stsrility وهو العجز التام عن الانجاب عجزا كاملا .

العقم الثانوى : Secondary Sterility وهو ما يعقب فترة من الاخصاب لسبب او لآخر .

العقم الاختيارى : Voluntary وهو ما تمارسه كثير من النساء من منع او تأجيل للحمل .

العقم الوظيفي : Physiological كالذى يوجد قبل البلوغ واثناء الحمل والرضاع وبعد سن اليأس .

العقم النسبي : elative وهو عجز المرأة عن الاستمرار فى الحمل ، كالسقط المتكرر .

من كل هذه الانواع لايعنينا غير الصنف الاول وهو المقصود بكلمة العقم .

نسبة العقم :

تبلغ نسبة العقم بعد عشر سنين من الزواج من ١٠ ـ ١٥٪ بوجه عام فى العالم الغربى ولكن تقل هذه النسبة فى عالمنا الشرقى لارتفاع الخصوبة فى الشرق عنها فى الغرب .

وتختلف نسبة العقم باختلاف عمر المرأة عند الزواج فهى ٥٪ لمن تزوجن دون العشرين ، ١٠ ـ ١٥ ٪ بين العشرين والثلاثين ، ٢٠٪ بين الثلاثين والخامسة والثلاثين وفوق ٤٠ ٪ بعد الاربعين . اى ان نسبة الاخصاب تزيد ، وتبعا لذلك تقل نسبة العقم كلما صغر سن الزواج عند المرأة وتعتبر الفترة ما بين ١٨ ـ ٢٥ سنة هي فترة الاخصاب القصوى .

اسباب العقم عند النساء :

١ ـ اسباب عامة تؤثر فى الاخصاب :

ـ العمر : كما ذكرنا تزداد الخصوبة حتى سن الخامسة والعشرين ثم تهبط ببطء حتى سن الاربعين ، تهبط بعدها بسرعة شديدة لتصبح احتمالات الحمل ضئيلة جدا .

ـ امراض ذات تأثير عام على الجسم : كالدرن بانواعه والبول السكرى وتسمم الجسم نتيجة لتقيح مزمن فيه او الحميات .

ـ الاضطرابات النفسية والعصبية : قد تؤثر على الرغبة الجنسية .

ـ العمل والمهنة : فالمرأة التى تعمل فى الهواء الطلق كالريفية مثلا اكثر خصوبة من التى تمتهن عملا كتابيا فى مكان محدود مغلق .

ـ الغذاء : ثبت ان للغذاء تأثيرا واضحا على الخصوبة فامراض نقص التغذية Undernutrition

تؤدى الى ضعف الاخصاب ـ كما ان زيادة وزن الجسم زيادة كبيرة نتيجة لطعام غير متوازن قد تصيب المرأة بالعقم .

٢ ـ اسباب محلية موضعية :

فلكى يتم التلقيح يتعين على الحيوانات المنوية ان تصعد خلال قناة عنق الرحم الى التجويف الرحمى ومنه لقناة فالوب حيث يتم الاتحاد مع بويضة حديثة الخروج من المبيض في الثلث الخارجي منها بعدها تتوجه البويضة الملقحة بمساعدة اهداب القناة الشعرية الى الرحم حيث تلتصق بجداره مذيبة اياه ومهيئة بذلك لنفسها قرارا مكينا تنقسم فيه وتنمو وتستمد منه الغذاء والحياة وبذلك يتم الحمل،مما سبقنجد انه لكى يتم التلقيح ويتثبت الحمل لا بد من العوامل الآتية :

ـ مبيض طبيعي يفرز بويضة كل شهر بطريقة دورية منتظمة .

ـ بويضة صالحة للتلقيح خالية من العيوب .

ـ عنق الرحم سليم وخال من الموانع .

ـ قناة فالوب مفتوحة الطرفين سالكة المجرى.

ـ غشاء مبطن للرحم صالح لاستقبال البويضة الملقحة ويستجيب لهرمونات المبيض .

ـ مهبل سليم وخال من الالتهابات والاورام والافرازات الضارة .

ـ دورة هرمونية متوازنة تتحكم في معظم ما سبق .

لذلك تجد ان اسباب العقم الموضعية :

١ ـ عدم مقدرة المبيض على افراز بويضة صالحة التلقيح او افرازها بطريقة غير منتظمة او دورية وهذا العامل يشكل ٤٪ من كل حالات العقم ويكون عادة مصحوبا باختفاء الحيض Amenorrhoea .

٢ ـ التصاقات التهابية حوضية : تمنع مرور البويضة من المبيض الى قناة فالوب وهي تنتج عن التهاب الغشاء المبطن للحوض وخاصة ما كان منها مصاحبا لالتهاب الزائدة الدودية والتهاب ما بعد الاجهاض .

٣ ـ الانسداد الكلى او الجزئى لقناة فالوب :

وهذا يسبب ١٠٪ من حالات العقم وينتج عن التهاب سابق بقناة فالوب نتيجة لاحد الامراض التناسلية ـ التهاب ما بعد الاجهاض والولادة والدرن .

وما يتعلق ايضا بقناة فالوب :

تقلص عضلى او ضعف خلقي بها وكلاهما نادر الحدوث .

٤ ـ رفض الرحم للحيوانات المنوية او البويضة الملقحة :

وينتج عن عدم وجود الرحم اصلا او ضموره او ضعف تكوينه الخلقي لدرجة لاتسمح للحيوانات المنوية بالمرور خلاله وهذا يكون مصحوبا عادة باختفاء الحيض بالاضافة الى العقم .

ـ حالات درن الغشاء المخاطى للرحم .

ـ عدم استجابة هذا الغشاء للهرموناتالمبيضية لاستقبال وتغذية البويضة الملقحة .

٥ ـ رفض عنق الرحم للحيوانات المنوية :

ـ امتلاء عنق الرحم بمادة مخاطية سميكة ولزجة قد يمنع مرور الحيوانات المنوية .

ـ تغير تفاعل عنق الرحم الداخلى Endocervix المصاحب للالتهابات المزمنة .

ـ اختلال التكوين التشريحي لعنق الرحم نتيجة للتمزق الذى يصاحب الولادات العسرة او استئصال جزء منه جراحيا .

ـ اتجاه غير طبيعي لعنق الرحم كما في حالات انقلاب الرحم وسقوطه .

ـ ورم عنقودى Polyp او ليفي Fibroid في عنقالرحم (وهو سبب نادر) .

٦ ـ رفض المهبل للحيوانات المنوية وذلك في الحالات الآتية :

ـ الافرازات الصديدية المهبلية .

ـ حموضة عالية في المهبل .

ـ اورام مهبلية او اغشية تمنع مرور الحيوانات المنوية .

٧ ـ اورام حوضية مختلفة :

كالاورام الليفية او الطمثية Endomirriosis ، وقد لوحظ ان هذه الاورام تكون موجودة في ٥٪

من حالات العقم وغير معروف بالضبط هل تسبب العقم او هي نتيجة له .

٨ ـ اخطاء شائعة في العلاقات الزوجية الجنسية :

ـ كاستعمال الملينات الكيمائية ذات الاثر الضار على الحيوانات المنوية .

ـ ممارسة العلاقات الزوجية في غير وقت الاخصاب من الدورة الشهرية Fertile Period .

ـ من اليوم الثامن حتى الثامن والعشرين .

ـ البرود الجنسي للزوجة .

ـ طرد الحيوانات المنوية من المهبل مباشرة .

٩ ـ اسباب مختلفة :

ـ الخوف والقلق النفسي .

ـ اسباب وراثية : فبعض العائلاتاكثر خصوبة من بعضها الاخر والزوجة وحيدة ابويها هنالك احتمال كبير الا تلد غير طفل واحد (عقم الطفل الواحد) .

أبحاث العقم

متى يبحث الطبيب حالة العقم :

ثبت ان اربعا من كل خمس نساء يحملن خلال السنة الاولى من زواجهن الذى يباشرن خلاله العلاقات الزوجية بطريقة طبيعية والا يمارسن منع الحمل Contraception في اى وقت من الاوقات ، لذلك يعتبر عدم الحمل خلال سنتين من زواج طبيعي دافعا قويا للتحرى عن سبب او اسباب ذلك .

وفي حالة كبر سن الزوج (فوق الاربعين) او كبر سن الزوجة (فوق الثلاثين) فيبدأ البحث بعد سنة واحدة .

اولا : فحص الزوجين معا : ويشمل سؤال كل منهما على حدة عن العمر والمهنة والزيجات السابقة ـ مدة الزواج وفترة منع الحمل وهل حدث افتراق بينهما وما مدته ـ والامراض التي اصيبا بها في السابق والعمليات الجراحية كاستئصال الزائدة الدودية او جراحات بالجهاز التناسلي ـ التهاب البيريتون والدرن بانواعه وهل اصيب احدهما بمرض تناسلي ـ وعن التاريخ المرضي لعائلة كل منهما وخاصة الدرن ـ هل سبق للزوجة أن حملت من رجل آخر ، وعن العلاقات الجنسية الزوجية وذلك يشمل الطرق والوقت المتبع وهل يكون مصحوبا بالم يمنعه او يحد منه .

وهل تشكو الزوجة من اى اعراض مرضية خاصة بالجهاز التناسلي .

ويجب ان يفحص مني الرجل Semen بدقة .

ثانيا : ابحاث خاصة بالزوجة ولا تعمل الا بعد التأكد تماما من خلو الزوج من اى عيب او مرض .

١ ـ اختبار صلاحية قناة فالوب :

ا ـ بواسطة النفخ الهوائي Insufflation ، وذلك بتمرير غاز ثاني اكسيد الكربون في عنق الرحم تحت ضغط معين ليمر في قناة فالوب ومنها للتجويف البيروتوني الحوضي ، اذا كانت القناة مفتوحة الطرفين سليمة المجرى .

ب ـ حقن قناة فالوب بصبغة معينة ثمتصويرها بالاشعة السينية Hysterosolpingography لمعرفة مكان الانسداد بالضبط واى عيوب بالقناة او الرحم وهذان الاختباران لا يخلوان من أخطار ويمنعان منعا باتا في حالات التهاب القناة الحاد واثناء العادة الشهرية وبعد عملية الكحت Curettage او درن مشتبه في وجوده او التهاب في المجارى التناسلية السفلى واثناء الحمل .

ج ـ مشاهدة قناة فالوب مباشرة بواسطة المنظار البيروتوني او المهبلي الحوضي Peritoneoscopy & Culdoscopy .

٢ ـ توقيت خروج البويضة من المبيض بالطرق الآتية :

ـ القياس اليومي لدرجة حرارة الزوجة .

ـ فحص الافراز المخاطي لعنق الرحم ومراقبة اى تغير مفاجيء في خواصه الطبيعية .

ـ فحص عينة من الخلايا المتساقطة من المهبل Vaginal Smear .

ـ فحص عينة من غشاء الرحم Endomitrial Biopsy .

٣ ـ فحص افراز عنق الرحم بعد العلاقة الزوجية مباشرة : Huhner's Test ، .

ـ وجود حيوانات منوية وسط هذا الافراز .

ـ عن نسبة الحيوانات الحية والميتة .

ـ عن مدى نشاط الحيوانات وحيويتها .

ـ مدى التشوه الذى اصاب الحيوانات الميتة.

٤ ـ فحص الاعضاء التناسلية الحوضيةبواسطة المنظار البروتونى والمهبلى والحوضى اذا فشلت كل الوسائل السابقة فى استكشاف ومعرفة سبب العقم .

علاج العقم عند النساء

١ ـ العلاج الاول : ويشمل علاج اى حالة مرضية باطنية او جراحية تشكو منها الزوجة كعدل الرحم ان كل مائلا للخلف . علاج اى افراز مهبلي ضار وازالة الاورام الليفية فى حالات معينة .

٢ ـ العلاج العام : بواسطة التأكيد والايحاء وبث روح الامل والتفاؤل فى نفس الزوجة وربما كان هذا هو العلاج المطلوب . مع شرح مبسط لفسيولوجية الحمل والصعوبات والعقبات التى قد يواجهها الحمل حتى يكمل ويتم .

ـ شرح العلاقات الزوجية الجنسية الطبيعية وتصحيح اى خطأ او صعوبات واجهاها ويستحسن ممارستها فى فترة الاخصاب Fertile Period وهى التى تمتد من اليوم الثامن حتى الثامن والعشرين من الدورة الشهرية .

ـ الاهتمام بالصحة العامة للزوجة وعلاج الضعف العام ونقص الغذاء والانيميا .

ـ علاج اى مرض مزمن اذا وجد والتخلص من البثور الفاسدة فى الجسم Septic Foci .

ـ تجنب الارهاق فى العمل والقلق والاضطرابات النفسية والعاطفية .

ـ يقلل وزن الجسم اذا كانت الزوجة تشكو من سمنة مفرطة وربما ادى اتباع رجيم خاص الى الحمل .

ـ الاعتدال او الكف عن تعاطى المكيفات كالسجائر والقهوة والكحوليات .

٣ ـ القيمة العلاجية للنفخ الهوائي وصبغ وتصوير قناة فالوب : ثبت ان لهما فائدة علاجية مؤكدة ولو انها محدودة .

٤ ـ العلاج الجراحى :

ـ توسيع عنق الرحم قد يشفى ١٠٪ من الحالات .

ـ فصل وازالة الالتصاقات الالتهابية المحيطة بقناة فالوب قد يشفى ٣٠ ـ ٤٠٪ من الحالات .

ـ اعادة زرع القناة Reimplantation ، فى جدار الرحم بعد ازالة الجزء المسدود منها قد يشفى ١٠ ـ ٢٠٪ من الحالات .

٥ ـ العلاج الهرموني : فائدته محدودة ولا يستعمل الا فى نطاق ضيق الآن :

ـ بواسطة خلاصة الغدة الدرقية . (ابطل استعماله الآن) Thyroid Hormons .

ـ خلاصة المبيض Oestrogenic Hormone ، فى حالات الرحم الطفلى او اذا ثبت ان هناك افرازا سميكا ذا لزوجة عالية يسد قناة عنق الرحم .

ـ هورمون البروجسترون Progesterone قد يفيد فى الحالات التى يختفى منها الدور الافرازى للغشاء الرحمى المخاطى Secretory endomitrial Phase .

ـ خلاصة الغدة الكظرية Gonado Trophins وهو يعتبر ـ نظريا ـ العلاج المثالي لتنبيه المبيض لافراز بويضة ولكن عمليا لم تثبت له فائدة تذكر .

٦ ـ التلقيح الصناعي Artificial Insemination بواسطة منى الزوج او منى رجل آخر مجهول والاولى والثانية غير مقبولتين اجتماعيا او دينيا .

٧ ـ التبنى Adoption قد يعقبه حمل وولادة طفل حقيقى فى بعض الاحيان .

٨ ـ عقار الاخصاب : كلوميفين Clomiphene.

وقد اثار ضجة كبيرة فى الاوساط العلمية فى اوربا وامريكا فى السنوات الاخيرة لثبوت فائدته المحققة فى تنبيه مبيض العاقر لافراز بويضة قابلة للتلقيح بل ربما رفع اخصاب المراة الى درجة افراز عدة بويضات فى وقت واحد وذلك يؤدى الى انجاب توائم وقد وجد انه يشفى حوالى ٥٠٪ من المريضات اللاتي يعالجن به . ■■

سامى عمران
اخصائى أمراض النساء

المذاق عند الانسان

المذاق أربعة أنواع

■ المذاق امكن تحليله الى اصول اربعة ، الحلو ، والمر ، والحامض ، والمالح .

وقد يتأثر بها اللسان مجتمعة ،بعضها أو كلها ، فيحس مذاقا ليس بالطبع حلوا صافيا ، ولا ملحا صافيا ، ولا مرا ، ولا حامضا ، وانما هو حاصل ما اجتمع من هذه المذاقات . ولعل شراب الليمون من الأمثلة على ذلك ، فهو حلو ، وحامض ، قد يحتوى المر القليل والملح القليل .

أحاسيس المذاق

واحاسيس الذوق توجد في الفم ، وعلى الأخص على اللسان . وهي توجد كذلك في البلعوم، وفي الحنجرة وفي سقف الفم . وفي اللهاة . وفي الطفل توجد كذلك في الشدقين والشفتين ، وفي اللثة وفي الجانب الأسفل من اللسان .

براعم الذوق

وبراعم الذوق Taste Bucs توجد على الأخص على سطح اللسان العلوى ، في طرفه ، وعلى جانبيه ، وفي مؤخرته .

وشكل البرعم بيضوى ، ابعاده ٤٠ مكرونا × ٨ مكرونات . والمكرون جزء من الف من المليمتر . وبهذه البراعم تتصل اطراف اعصاب المذاق التى تصل في آخر مطافها الى المخ ، وكثير من هذه البراعم لا تظهر على سطح اللسان ، وانما توجد في فجوة هابطة بين حلمات Papilla اللسان الظاهرة .

ضعف المذاق مع تقدم السن

ان المذاق يضعف مع تقدم السن .

وقد وجدوا أن الانسان ، من الطفولة الى سن العشرين أو نحوها ، يوجد حول بعض حلمات لسانه نحو ٢٤٥ برعما . وهذه وجدوا انها تنقص الى ٨٨ برعما ما بين سن ٧٥ و ٨٠ ، وان كثيرا منها فقد وظيفته .

والأطفال بهم من البراعم ضعف ما للبالغين ، وهم لهذا اشد مذاقا للاشياء من البالغين .

ولعل من اجل هذا يقبل الأطفال على الأطعمة التى تصنعها لهم مصانع الأغذية وبها من المذاق ما بها ، ويتذوقها الآباء فلا يجدون لها مثل الطعم الذى يجده الأطفال بكثرة براعمهم .

لا طعم الا للشيء الذى يذوب

وليس قول من البداهة كهذا .

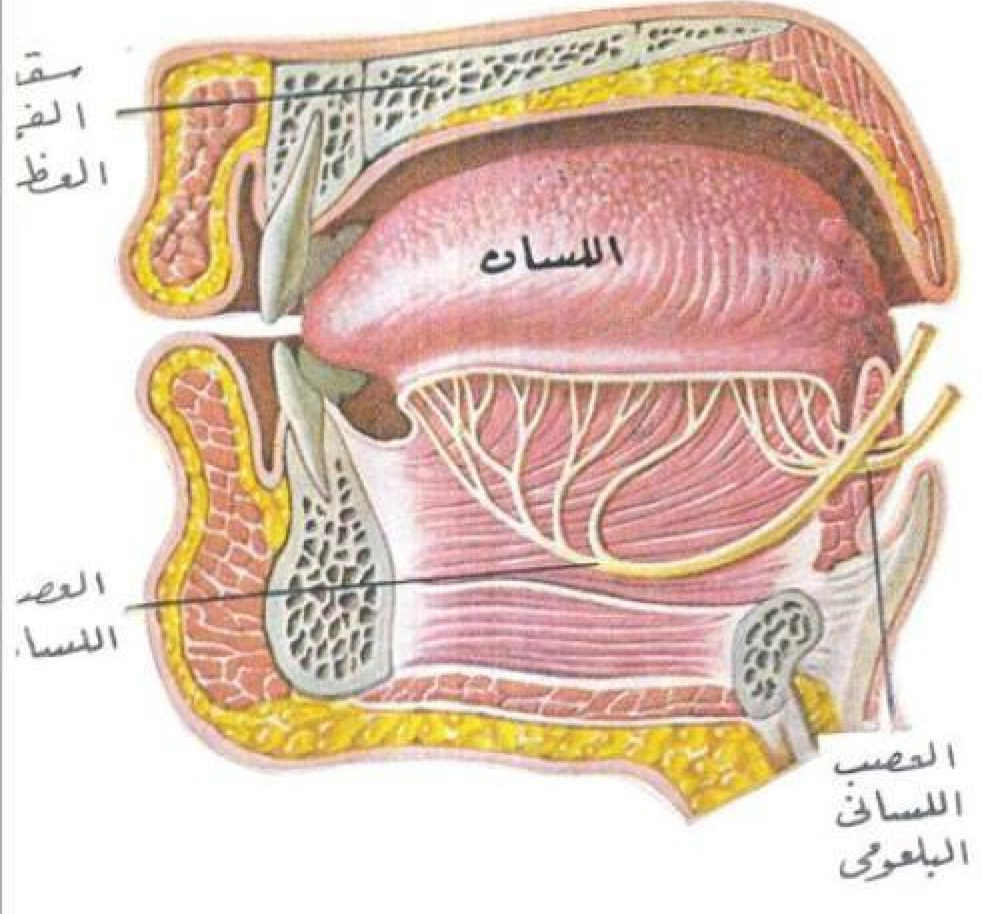
فالسكر يذوب .

والملح يذوب .

والخل سائل ذائب .

والذائب من هذه الأشياء هو الذى يؤثر في براعم الذوق . اما الصلب الذى لا يذوب فلا يصل فعله اليها ، فلا مذاق له . انه كالحجر وكالحديد .

وليس من احد يدرى كيف تحس براعم الذوق بهذه الأحاسيس على اختلافها .



المذاقات الأربعة ومواضعها من اللسان

اما الحلو فاحس موضع به من اللسان طرفه ، ففيه البراعم الأشد احساسا بالحلو .

اما الملح فالموضع الاحس به طرف اللسان وحرفاهما .

اما الحامض فالموضع الاحس به جانبا اللسان وحرفاهما .

واما المر ، فالموضع الاحس به الجزء الخلفي من ظاهر اللسان ، وكذلك البلعوم .

اما أوسط اللسان فلا براعم فيه ، فاذا مسه شيء له طعم لم يحس له طعما .

اللسان لا يحس المذاقات الأربعة بدرجة واحدة

ان اللسان يحس السكر الحلو وتركزه جزء من مائتين في الماء .

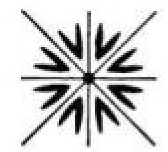
واللسان يحس الملح وتركزه جزء من ٤٠٠ في الماء .

واللسان يحس الحامض وتركزه جزء من ٢٠٠٠٠ جزء في الماء .

واللسان يحس المر وتركزه جزء من ٢٠٠٠٠٠٠ جزء في الماء .

والأنف في شمه أكثر احساسا من اللسان في مذاقه ، فالألف قد يشم الهواء وبه من المادة ذات الرائحة جزء واحد من القمليون جزء من هذا الهواء .

طرائف غربية



عزوف كوكتو عن الكتابة حول الآخرة !

● قالوا للكاتب الفرنسي المشهور جان كوكتو Jean Cocteau ، لقد تعمدت في كل كتاباتك أن تتحاشى الاشارة الى الآخرة ، فلماذا لا تحدثنا عن الجنة والنار ؟!

فقال كوكتو وهو يبتسم : « هذا موضوع شائك وانا لا أريد الخوض فيه لسبب بسيط ، وهو أن لي اقارب وأصدقاء في كل منهما فاعذروني ! » .



الشر والخير !

● قالوا للمؤرخ البريطاني برتراند رسل : « انك تدعو الى الخير والى السلام بين الشعوب،ولكن دعوتك كثيرا ما تضيع وسط صليل السيوف ، فما تعليلك لهذه الظاهرة ، لماذا ينتصر الشر على الخير في كثير من الأحيان ؟ » .

قال : « الحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها ، هي ان الاشرار يتحدون ويقفون صفا واحدا ، رغم ما في نفوسهم من كراهية بعضهم بعضا ، اما دعاة الخير ، فهم موزعون متفرقون ، وهذا هو سر ضعفهم ! » .

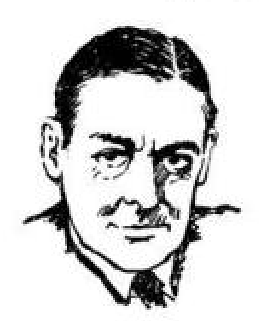
السعادة الكبرى

● كانت امنية ليمان فرانك بوم Lyman Frank Baum ، الكاتب الأمريكي في فترة شبابه ، أن يضع مؤلفا يكسبه الشهرة والمجد .. ولكن هذه الأمنية لم تتحقق ابدا .. وكاد اليأس يتطرق الى قلبه لولا تلك الأمسية التي تجمع فيها عدد من اطفال الحي الفقير الذي كان يعيش فيه بمدينة شيكاغو الامريكية .. وكان بين الأطفال ابناؤه الاربعة .. وطلبوا اليه ان يحكى لهم قصة .. وجلس بوم يروى لهم أسطورة من عنده ، بطلتها طفلة صغيرة اسمها « دوروثى » حملها اعصار الى ارض غريبة ، وما كادت تهبط فيها حتى التقت بأسد راقص ورجل من صفيح وخيال Scarecrow ثم مضى يروى لهم مغامرات دوروثى مع أصدقائها الثلاثة .

وفجأة سأله احد الأطفال : « وما اسم هذه الارض الغريبة ؟ » وحار بوم ، ولكن حيرته لم تطل فقد التقت عيناه صدفة بالحرفين الاولين من اسم الشركة التي صنعت الدولاب الحديدى في غرفة مكتبه وكانا (OZ) ! فاجاب على الفور : « اسمها ارض أز ! » وقرر بوم أن يسمى قصته الجديدة « الساحر أز » The Wizard Of Oz ونجحت قصته التي قرأها الأطفال في جميع انحاء العالم . واصبح الكاتب الفاشل من أشهر الكتاب الذين تخصصوا في كتابة قصص الأطفال .

كتب بوم يروى قصة نجاحه لشقيقته ، قال : « بالرغم من الشعور الذى انتابنى في بداية حياتى بأنى عاجز عن ان اقوم بأى عمل كبير ، فقد تعلمت ان اسعاد الاطفال ، هو اكبر سعادة يمكن ان يصنعها أى حدث بقلوب الكبار !! »

● شاعر الأمريكان وجمال المرأة ●



● قال الشاعر الامريكي توماس اليوت Thomas Eliot (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥) ان اكثر ما يثيره في المراة غموضها ، فالمراة التى تغلق فمها وتتحدث بعينيها ، اجمل واكثر جاذبية من المراة التى لاتكف عن الكلام حتى لو كان حظها من جمال الوجه والجسم اكبر من حظ صاحبتها الصامتة !

ويقول الشاعر الكبير :.. « ان المراة الجذابة اشبه بالفيلم السينمائي المثير الذى تجلس امامه متفرجا متشوفا لمعرفة نهايته ، فاذا اقتربت النهاية حرت في تفسير احداثه » !

« وهكذا المراة .. يجب ان يكون هدفها دائما اثارة جو من الغموض حولها ، بحيث يجهد الرجل نفسه في محاولة اكتشاف كل شيء عنها ، دون ان تضطر هي لان تقول له شيئا عن نفسها » !

هل توافق ايها القارىء على راى كهذا؟ ان يكن لك راى فاحتفظ به لنفسك !

خواطر همرشولد

■ الكذبة الناجحة، هى كذبة مزدوجة .. فهى خطأ لا بد من تصحيحه ، وهى اثقل عبئا على نفس صاحبها من قول الحقيقة .

■ اذا طردت من حجرة ، فلا يجب ان تتجسس من خلال ثقب المفتاح .. اما ان تحطم الباب وتفرض نفسك ، او تترك المكان وتذهب لحال سبيلك ..

■ لا تنظر الى الوراء ، ولا تتطلع الى المستقبل ، فالماضي لن يعود اليك ، والمستقبل سيبقى في عالم الغيب، فاعمل اذن ليومك .. ان عملك ومصيرك وحياتك مرهونة بتلك اللحظة التى تعيشها .

■ لا تحاول ابدا ان تتخلى عن رأيك وعن معتقداتك وتجاربك الخاصة ، ولا حتى في سبيل تحقيق السلام .

■ اذا كنت مدافعا عن قضية، وحاولت في الوقت ذاته ان تحقق كسبا خاصا لنفسك ، فثق ان النجاح لن يكون حليفك ابدا ..

« من مذكرات داج همرشولد السكرتير الراحل للامم المتحدة الذى مات في الكونغو في حادث سقوط طائرته، عندما سافر ليعلن هدنة في القتال الدائر بين قوات الأمم المتحدة وقوات كاتانجا المنشقة، لقد سجل هذه الخواطر لنفسه في مفكرته الخاصة ، دون ان يفكر في ان احدا آخر سوف يقراها معه في يوم من الايام » .



اعرف وطنك أيها العربي



أكبر نافذ
وَعِنْدَها تَنْتَهي

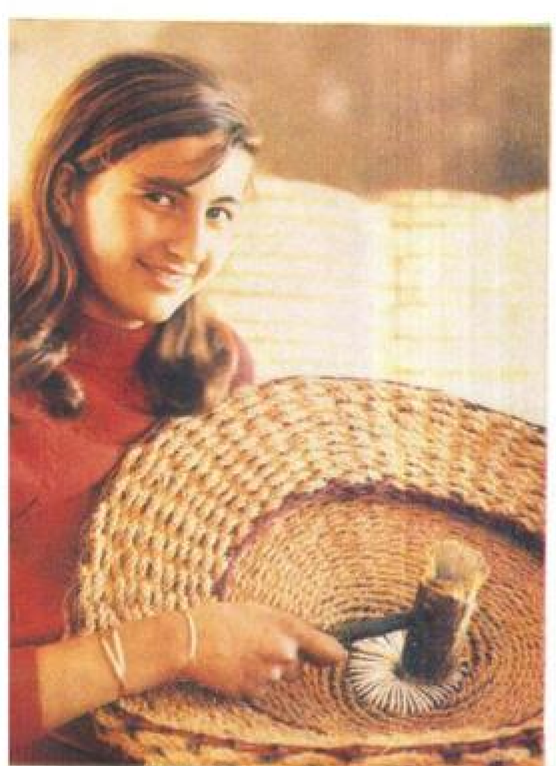
طَرْطُوس

لقد أصبحت طرطوس أهم ميناء لسوريا على البحر المتوسط .. وفي الصورة قطار السكة الحديد على رصيف الميناء بجوار السفن الشاحنة مباشرة .. والروافع تحمل البضائع المستوردة الى عرباته ، فينقلها الى جميع انحاء سوريا .

* * *

صناعة عصر الزيتون ، هى الصناعة الرئيسية في طرطوس .. وفي الصورة فتاة تصنع الخوص الذى يستخدم في معاصر الزيتون فى المصنع الوحيد من نوعه في هذه المنطقة .. وهى طالبة في المدرسة الثانوية تنتهز الاجازة الصيفية للعمل .





الشام على ساحل البحر المتوسط
أنابيب البترول السورى

قام بهذا الاستطلاع منير نصيف — وصوره أوسكار مترى

■ كانت بلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ١٥ الف نسمة منذ عشر سنوات او اقل قليلا .. تنام مع الغروب وتصحو قبل ان تشرق الشمس على شواطئها الهادئة حيث يبدأ أهلها في البحث عن رزقهم ، من الارض التى يفلحونها ويعيشون على خيراتها كلما سخت السماء .. ومن مياه البحر يجوبونها بشباكهم بحثا عن الاسماك ..

كان اهلها يعيشون عيشة رتيبة .. وكانت سبل العيش تضيق احيانا بالبعض منهم ، فيهجرون الارض والبحر بحثا عن الرزق اينما وجدوه في المدن الكبيرة التى تحولت الى مراكز للصناعةمع بداية عصر التصنيع في العالمالعربى..

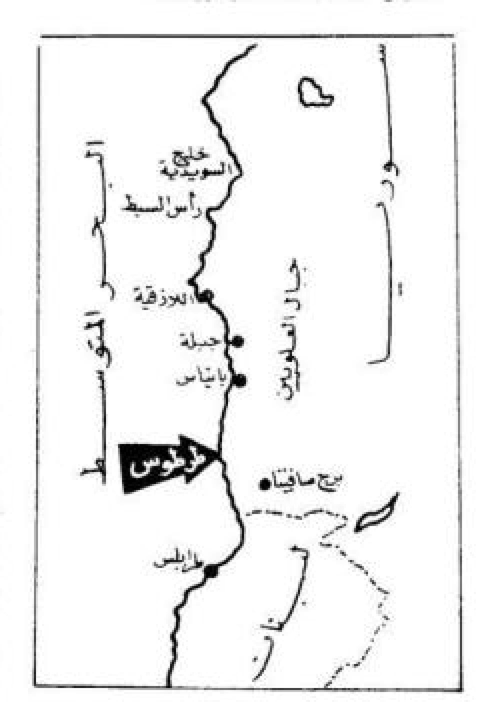
كان هذا حالها ، قبل ان تتحول الى ميناء من اهم واكبر الموانيء العربية في حوض البحر المتوسط .. ثم الى محافظة تضم بانياس وصافيتا وطرطوس (موضوع هذا الاستطلاع) ، واكثر من خمسمائة قرية يعيش فيها ما يقرب من ٣٥٠ الف نسمة ..

قصدنا اليها بالسيارة قادمين من دمشق .. انها منطقة جبلية غنية بمناظرها الطبيعية الجميلة . تمتد على طول ساحل البحر المتوسط ما بين مدينة بانياس شمالا، وطرابلس (في لبنان) جنوبا ثم النهر الكبير الجنوبي الذى يفصل بينها وبين لبنان الشمالي .. وتحدها جبال اللاذقية شرقا والبحر المتوسط غربا ..

وانطلقت من دمشق على الطريق المتعرج الطويل الذى يبلغ طوله نحو ٢٧٥ كيلو مترا .. وهو طريق ممهد تحف به الجبال من الجانبين في غالبية اجزائه ، وكان الطريق يضيق احيانا وسط الجبال ، ويتسع احيانا اخرى في السهول وبين الحقول الواسعة التى تحتضن القرى الصغيرة المتناثرة ، حيث يعيش الفلاح في بيته الريفي الصغير ، يزرع الفواكه والتبغ والحبوب واشجار الزيتون ، معتمدا في زراعته على مياه الامطار ، والمياه الجوفية التى تختزنها الارض الصخرية .. فاذا جاء موسم الجفاف ، راح يبحث عن هذه الخزانات الطبيعية ، ويقيم المراوح الهوائية لاستخراج المياه من باطن الارض ...

ومررنا بارض لبنانية

وفي الطريق الى طرطوس ، وقبل ان نبلغها بحوالي خمسين كيلو مترا. توقفت بنا السيارة فجأة



خريطة توضح موقع طرطوس على ساحل البحر المتوسط .

داخل الارض اللبنانية التى لابد للسيارات ان تمر بها قبل ان تعود الى الطريق الى طرطوس ، وقد ظهرت في الصورة بعض المحال التجارية التى اقامها اللبنانيون لبيع السلع لاهل سوريا .. ولكن الويل للسيارة التى تتوقف في الطريق . ان صاحبها يدفع غرامة تصل الى ٣٠٠ ليرة سورية .



امام مركز شرطة الجمارك والحدود ، وقد اقيم بجوار عارضة خشبية طويلة تسد الطريق .. واقترب منا ضابط الشرطة يسالنا عن وجهتنا .. ثم مالبث ان اصدر اوامره بفتح الطريق ..

واستانفت السيارة رحلتها .. وعلى بعد خطوات قصيرة قرانا لافتة تقول : « ارض لبنانية! »

وقلنا لمرافقنا : «ماهذا ؟ هل ضللنا الطريق ؟»

وقال وهو يبتسم : لا . وانما نحن لكي نصل طرطوس لابد ان نمر في ارض لبنانية

وعلى جانبي الطريق الذى يبلغ طوله حوالى اربعة كيلو مترات داخل الارض اللبنانية ، اقام اللبنانيون عددا من المحال التجارية لبيع بعض السلع المستوردة كالصابون والسجائر والاقمشة والبيبسى كولا وغيرها .. ولكن الويل للسيارة التي تتوقف في هذه الارض، حتى لو لم يشتر صاحبها شيئا .. فهو يتعرض لدفع غرامة تصل الى ٣٠٠ ليرة سورية (حوالى ٢٦ دينارا كويتيا) .

اكبر نافذة لسوريا

ووصلنا طرطوس اخيرا .. ونزلنا من السيارة نجول بين شوارعها ومبانيها ،محاولين ان نرسم صورة لهذه الحياة الجديدة التى سعت اليها سعيا ، فحولتها الى مدينة تنبض بالحركة والعمل

لم تعد طرطوس تنام مع الغروب ، فهناك عمل كبير يجرى اليوم على قدم وساق طوال الاربع والعشرين ساعة بلا توقف ، لانجاز مشروع المرفا الذى سيجعل منها اكبر واهم نافذة لسوريا على البحر المتوسط .

لقد فاجا المشروع الكبير المدينة في اوائل عام ١٩٦٠ ، عندما بدات عملية البناء في المرفا .. وكانت طرطوس ماتزال تغط في نومها .. وان هي الا بضع سنوات قصيرة ، حتى تغيرت معالمها ، وتغيرت صورة الحياة فيها .. حتى ابناؤها الذين هجروها منذ سنوات مضت عندما ضاقت بهم سبل الرزق ، عادوا ليشاركوا في بناء مدينتهم ..

ولم يكن ابناء طرطوس وحدهم هم الذين جاءوا اليها مع حركة البناء والتعمير التى رافقت مولد المرفا ومصب البترول وعشرات المشاريع الاخرى ، وانما نزح اليها ايضا المئات من التجار والمهنيين والموظفين الجدد ، وطالبو العمل في شتى المرافق.



العمل يجرى الان لانجاز مشروع الكورنيش ، او الاوتوستراد البحرى الذى يمتد بمحاذاة شاطىء طرطوس لمسافة ٣٥٠٠ متر ومن المنتظر ان ينتهى العمل فيه أواخر عام ١٩٧٠ .. ان تجميل المدينة اصبح اليوم في مقدمة المشاريع التى يجرى تنفيذها بعد ان اصبحت أهم ميناء لسوريا على البحر المتوسط .

٣٠ الف نسمة

وكانت النتيجة ان قفز تعداد سكان طرطوس من ١٥ الف الى ٣٠ الف نسمة .

ويقول رئيس بلدية المدينة السيد نادر يوسف: « اننا نتوقع ان يقفز تعداد سكان طرطوس الى ٥٠ الف نسمة في خلال السنوات الخمس المقبلة بعد الانتهاء من بناء المرفا » .

ونترك الحديث عن اهل طرطوس قليلا لنتحدث عن هذا المشروع الذى صنع الحياة في هذه البقعة من الارض العربية ..

الطريق البحرى

وعلى الشاطىء الهادىء الذى لم يكن اكثر من مجرد مرسى صغير لقوارب الصيد ، واللنشات التى تنقل اهل طرطوس الى جزيرة ارواد الرابضة على بعد ثلاثة كيلو مترات .. تلك الجزيرة الصغيرة التى قامت فيها حضارة من اقدم الحضارات التى ورد ذكرها في التوراة .. (انظر استطلاع العربي العدد ٩٩ . ص ١٢٤) .. على هذا الشاطىء رأينا بعض صور العمل الذى يجرى الآن في ميناء



اتب مرفأ طرطوس ، تعمل مجموعة من الفتيات
ريات خريجات جامعة دمشـــق ، وتتقاضى
ة الجامعة مرتبا يصل الى ٤٠٠ ليرة سورية
ا ، وهو معدل ما يعرف لخريجي الجامعات.



حركة الشحن والتفريغ لا تهدأ أبدا على رصيف
المرفأ حيث تصل سيارات النقل ، لتحمل ما
جاءت به السفن ، أو لتنقل اليها ما تصدره
سوريا للأسواق في الخارج

ق الأوتوســتراد الجديـد الذي يخـترق
ة في منتصفها تقريبا .. وقد قامت عليـه
لعمارات السكنية الحديثة والفنادق .

البواخر التجارية في ميناء طرطوس في انتظـار
شحنها بالبضائع المعدة للتصدير ، بعد الانتهاء
من تفريغ شحناتها ..



الكراكة المصرية ٢٦
يوليو التي تقوم
بتعميق ميناء
طرطوس ، وقوتها
٦٥٥ حصانا ، وهي
تقوم بحفر وتعميق
٧٥ الف متر
مكعب في الشهر
الواحد في المتوسط

طرطوس .. صورة الكورنيش او طريق الاوتوستراد البحري الذى يمتد بمحاذاة الساحل ، وسيارات النقل الضخمة تحمل الصخور وتلقي بها في الماء لتكمل عملية بناء الجدار البحرى على بعد ٣٠ مترا من الشاطىء ، وهو عرض الطريق الذى يبلغ طوله حوالي ٢٥٠٠ متر !

مليون ليرة سورية

لقد بدأ هذا المشروع في عام ١٩٦٧ ، وقامت احدى الشركات اليوغوسلافية بتنفيذ بناء الجدار الصخرى ، بينما تولت بلدية طرطوس اعمال الردم والتسوية .. ومن المنتظر ان يتم انشاء طريق الكورنيش في نهاية العام المقبل .. وقد قدرت تكاليف هذا المشروع بحوالي مليون ليرة .(الجنيه الاسترليني يساوى عشر ليرات سورية) .

وعلى الشاطىء شاهدنا البحيرة الصناعية او الحوض الكبير الذى تزيد مساحته على ٢ مليون وربع مليون متر مربع انه الاطار الخارجي لمرفأ طرطوس الذى وقع قرار انشائه ايام الوحدة بين مصر وسوريا ، وبدأ العمل فيه في ابريل من عام ١٩٦٠ ، كما ذكرنا ..

ودخلنا منطقة الميناء من الشاطىء ، وهي تبعد حوالي كيلو متر ونصف تقريبا عن قلب المدينة ويربطها بها خط أوتوبيس منتظم لنقل العمال من منازلهم الى مقر اعمالهم وبالعكس ..

صورة المشروع الكبير

وما كدنا نعبر السور الذى شيد حول المنطقة ، حتى طالعتنا صورة المشروع الكبير الذى يجرى العمل فيه ليل نهار بلا توقف .. صورة المرفأ وقد اكتملت مراحله الاولى ، والبواخر راسية على رصيفه ، والرافعات تنتقل باذرعتها الطويلة الجبارة من الباخرة الى عربات السكة الحديد ، وسيارات النقل ، التى وقفت على الرصيف لتحمل ما جاءت به البواخر الى مختلف انحاء سوريا ، فاذا تمت عملية التفريغ جاءت السيارات المحملة بالسلع والمواد المعدة للتصدير التى ستحملها البواخر في طريق عودتها الى بلادها ..

وعلى الشاطىء ايضا كانت الآلات تهدر ..

الآت تكسير الصخور وتفتيتها ، ثم الآت خلط الاحجار بالاسمنت لاستخدامها في عمليات الانشاءات المختلفة ..

وتوقفنا نتأمل سير العمل ، قبل ان نسأل :

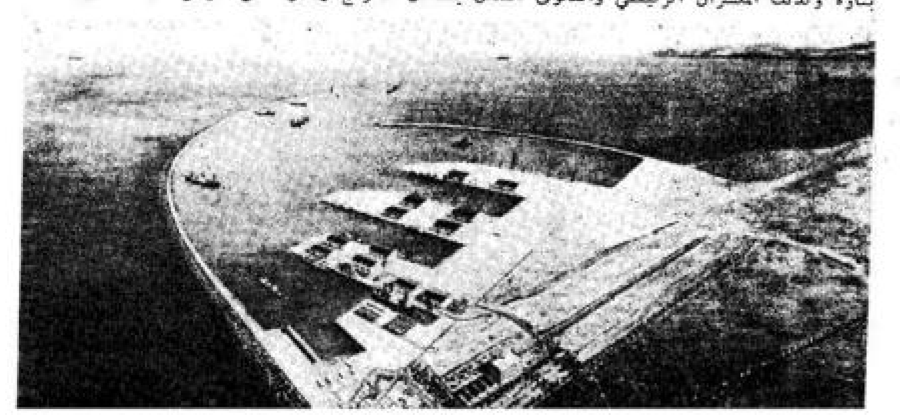
« ولكن لماذا لم تتجه الدولة الى توسيع ميناء اللاذقية ، ذلك الميناء القديم الذى يبعد عن طرطوس بحوالي ٩٠ كيلو مترا ، بدلا من انشاء هذا الميناء الجديد » ؟

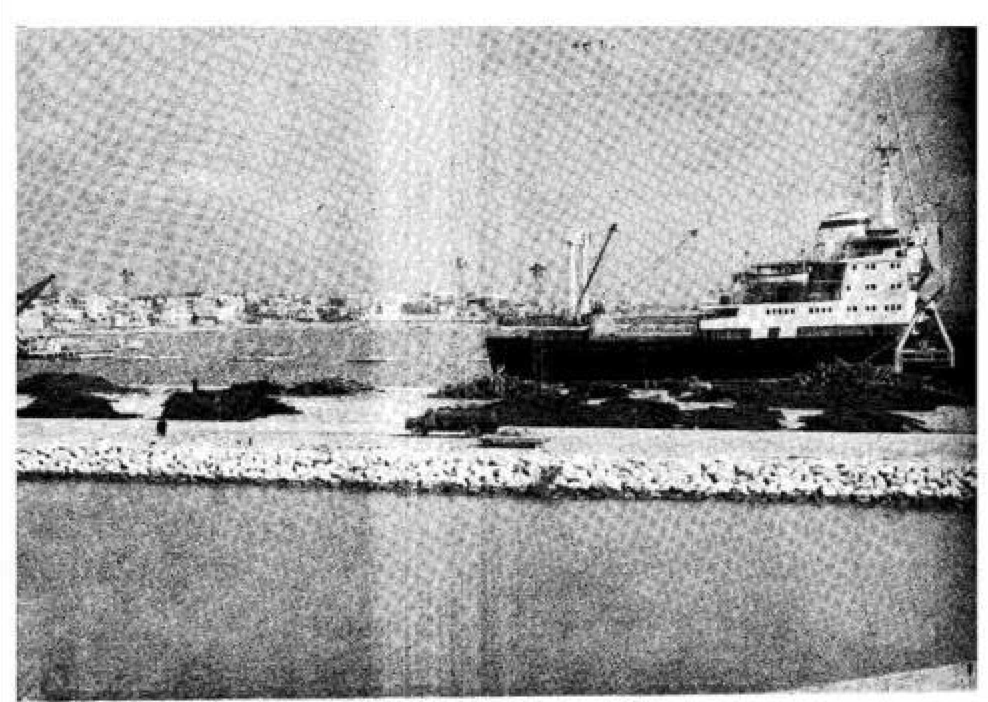
مرفأ طبيعي

وقال المهندس هشام الساطى بمؤسسة المشاريع الكبرى التى تشرف على بناء المرفق :

« كان لا بد من مواجهة حركة الاستيراد والتصدير التى تتزايد من سنة لأخرى ، وذلك عن طريق بناء مرفأ آخر بجانب مرفأ اللاذقية .. ومن هنا ولدت فكرة انشاء هذا المرفأ الجديد في مدينة طرطوس لتسهيل واستيعاب حركة

نموذج لمرفأ طرطوس بعد الانتهاء من اتمام جميع مراحله ، والرصيف الاسفل في الصورة : هو الذى تم بناؤه وكذلك المكسران الرئيسي والثانوى اللذان يصدان الامواج والانواء عن حوض الميناء الكبير .





منظر لجانب من مرفأ طرطوس ، وقد ظهرت البواخر راسية فيه ، ومن ورائها يبدو بعض مباني مدينة طرطوس التي تشرف على الشاطىء مباشرة !

الاستيراد والتصدير في المنطقتين الوسطى والجنوبية، بعد أن تأكد الخبراء من انه المرفأ الطبيعي لهاتين المنطقتين .

« هذا فضلا عن ان المرفأ الجديد يخفف من الضغط المتزايد على مرفأ اللاذقية الذي يخدم المنطقتين الشمالية والشرقية ، ويوفر حوالي ٩٠ كيلو مترا من مسافة النقل بالنسبة لهاتين المنطقتين، مما يؤدي الى خفض تكاليف النقل بنسبة ٣٠٪ . والذي لا شك فيه انه سيكون للمرفأ اهميته الكبرى في اقتصاد القطر السوري والاقطار العربية المجاورة كالعراق والاردن ، عندما يكتمل بناؤه .

« ثم لا تنسوا أن هذه المنطقة صالحة من الناحيتين الفنية والجغرافية لبناء المرفأ ، فهي محمية بشكل طبيعي أكثر من أي منطقة أخرى على الشاطىء ، بفضل وجود جزيرة ارواد التي تصد عنها الأمواج والانواء . وتلك حقيقة ثابتة اكتشفتها الحضارات القديمة التي قامت في هذه البلاد منذ مئات السنين ، عندما اتخذت من طرطوس مرفأ لها ، لا تزال آثاره تبدو واضحة حتى اليوم » .

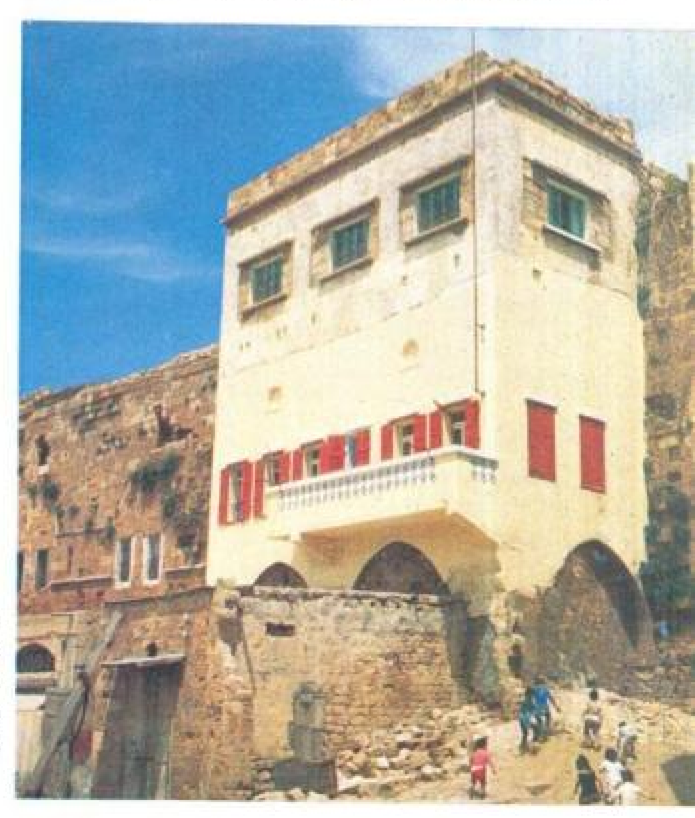
قلنا : « ما هي المراحل التي تم انجازها حتى الآن ، ثم كيف سيبدو المرفأ بعد اتمامه . وما هي تكاليف هذا المشروع ؟ » .

مراحل الانشاء

قال المهندس الساطي : « لقد تمت المرحلة الاولى من المرفأ في نوفمبر عام ١٩٦٥ وتضمنت انشاء مكسر رئيسي طوله ٢٦٥٠ مترا ، ومكسر ثانوي بطول ١٦٥٠ مترا ، وكذلك تم بناء رصيف عميق بطول ٢٠٠ متر وبعمق ١٠,٥ متر يستوعب البواخر حمولة عشرين الف طن، ورصيف متوسط العمق بطول ٣٠٠ متر وعمق ثمانية امتار، يستوعب البواخر حمولة سبعة الاف طن ، وكذلك رصيف قليل العمق بطول ٣٠٠ متر وعمق اربعة امتار « للمواعين » ، أي الصنادل .

وقد جهزت هذه الارصف بأربع روافع حمولة كل منها ثلاثة أطنان ، الى جانب خمس روافع أخرى « شوكية » متحركة . كما تم انشاء ١٢ مرسى عائما لرسو البواخر عليها، بحيث تتم عملية التفريغ والشحن بواسطة الصنادل . وكذلك مستودع لخزن البضائع يتألف من طابق واحد ، وتبلغ مساحته أربعة آلاف متر مربع .

بناء جديد شيد فوق أسوار مدينة طرطوس القديمة وجدران قلاعها ..
وهكذا اختلط القديم بالحديث .. ولكن مديرية السياحة تحاول الآن
أن تعيد لهذه الآثار التاريخية قيمتها ، وهي تدرس مشروعا لنزع ملكية
هذه البيوت التي بناها أصحابها في غفلة من السلطات المسئولة !



منظر عام لجانب من مدينة
طرطوس ، وقد ظهرت في
الصورة الشوارع الجديدة
والمباني الحديثة التي
قامت خلال السنوات العشر
الأخيرة ..



الجديد والقديم في طرطوس .. وفي الصورة الأولى (الى اليسار)
رجلان بملابس المزارعين التقليدية .. بينما ظهرت في الصورة الوسطى
ثلاث من نساء طرطوس ، استبدلت اثنتان منهن بالنقاب المنديل
الذي تلف به الرأس ، أما الثالثة فقد احتفظت بالنقاب ولكنه جاء
شفافا لا يخفي شيئا من وجهها على عكس ما ظهرت به السيدات
الثلاث في الصورة الثالثة الى اليمين .. فقد اختفت الوجوه
والرؤوس تماما وراء نقابهن السميك وملابسهن التقليدية القديمة !







السور الذى شيده الصليبيون في القرن الثانى عشر حول مدينة طرطوس القديمة .. لقد اصبح آيلا للسقوط.. وقد وضعت مديرية السياحة لافتة تحذر فيها الاهالى من الاقتراب منه خشية أن ينهار.

« وقد تم ربط المرفأ بشبكة من الخطوط الحديدية التى تصل الى حمص ومنها الى مختلف انحاء سوريا .. وساهم هذا المشروع الاخير في تسهيل نقل الالات والمعدات والمواد اللازمة لبناء سد الفرات ؛ الذى تعلق عليه سوريا آمالا كبارا في توفير مياه الرى للارض الظامئة وفي توليد الكهرباء ، وفي حل ازمة الفلاح مع أرضه .

فقد بدأ يهجرها ويفترق عنها ، وهو الذى ارتبط بها وربط حياته بترابها منذ الاف السنين .. لا لأن الارض تغيرت ، ولكن لأنه بدأ يمل الانتظار ..انتظار الماء الذى تجود به السماء .. فمساحات كبيرة من الاراضي الزراعية في سوريا تعتمد على مياه الأمطار .. »

أزمة الفلاح مع أرضه

فما الذى حدث اذن ؟ لقد نظر الفلاح حوله ، فوجد المصانع تقوم والمداخن تعلو ، فترك الارض وراح يبحث عن العمل والاستقرار بين آلاتها !

انهم اليوم يتطلعون الى سد الفرات بوصفه الطريق الوحيد لتأمين الاستقرار للفلاح وربطه بأرضه !

ونعود الى المرفأ .. لقد تكلف المشروع حتى الآن ٧٥ مليون ليرة سورية .. اما التكاليف الاجمالية بعد انجاز جميع مراحله فسوف تصل الى ٢٢٥ مليون ليرة سورية ..

وقد وفر الميناء الجديد العمل لمائتى عامل فنى عدا المهندسين الذين يشرفون على سير العمل فيه ويبلغ عددهم حوالى الثلاثين ..

تعميق ميناء طرطوس

والى جانب عملية البناء على شواطىء طرطوس تجرى الآن عملية اخرى ، لا تقل اهمية عن سابقتها ، وهى عملية حفر وتعميق الحوض المائى الكبير .. وتقوم بهذه العملية الكراكة المصرية ٢٦ يوليو ، التابعة لهيئة قناة السويس . وقد جاءت من ميناء الاسكندرية عن طريق البحر المتوسط مقطورة بالقاطرة مارد ، بعد أن رسا العطاء على الهيئة في مناقصة عالمية اعلنت عنها سوريا لتعميق حوض ومدخل مرفأ طرطوس ، على اساس ٥ر١٣ ليرة سورية للمتر المكعب الواحد .

وبدات الكراكة عملية الحفر في ٢٣ أكتوبر من عام ١٩٦٨ ، وقامت حتى يوم ٣٠ ابريل الماضي من هذا العام ، بحفر ٤٥٠ الف متر مكعب من

« ويجرى العمل حاليا لانشاء مستودع ثان على غرار المستودع الأول ، وكذلك مستودعين آخرين يتألف كل منهما من ثلاثة طوابق ، مساحة كل منها ١١ الفا و ٢٠٠ متر مربع .

« ومن المقرر ان ينتهى العمل من بناء هذه المستودعات في نهاية عام ١٩٧٠ » .

٢٥ باخرة في وقت واحد

ومضى ممثل مؤسسة المشاريع يقول : « وقد تقرر انشاء رصيف اضافي بطول ٣٠٠ متر ، وعمق اربعة أمتار ، كما سيلحق به رصيف آخر بطول ٢٥٠ مترا وعمق ١١ مترا يخصص لشحن مادة الفوسفات وتصديرها بمعدل ثمانية آلاف طن سنويا . وينتظر ان يتم انشاء هذين الرصيفين قبل نهاية العام المقبل .

« وسيحتوى المرفأ بعد اتمام جميع مراحله خلال السنوات القليلة القادمة ، على ستة ارصفة يبلغ طولها الاجمالى اربعة كيلو مترات ونصف(٤٥٠٠ متر) على مختلف الاعماق ، بحيث يتمكن الميناء من استقبال ٢٥ باخرة في وقت واحد . هذا الى جانب رصيف الفوسفات الذى سبق الاشارة اليه. وبذلك يصبح مرفأ طرطوس بعد اتمام عملية انشائه أكبر من ميناء اللاذقية .

الى ميناء النفط حيث ترسو ناقلات البترول التى تنقل النفط السورى الخام ، الفائض عن الاستهلاك المحلى ! »

مصب البترول

وركبنا لنشا صغيرا انطلق بنا في حوض الميناء حتى بلغنا المكسر الرئيسي وتجاوزناه ثم أصبحنا على بعد اربعة كيلو مترات من الشاطىء .. وهناك كان لقاؤنا بناقلة البترول الايطالية كوراجيو Corragio ، وحمولتها ٢٧ الف طن ، وهى راسية عند نهاية خط الانابيب التى تحمل البترول السورى من منطقة حقول البترول في كرتشوك ورميلان بالسويدية ، وكلها واقعة في منطقة الجزيرة باقصى الشمال الشرقي على الحدود التركية العراقية .

ان طول خط انابيب البترول يصل الى ٦٥٠ كيلو متر من المنبع الى المصب ، ويبلغ قطر الانبوب ٢٢ بوصة ، وهي تصب في ستة مستودعات اقيمت على شاطىء البحر سعة الواحد منها ١٦ الف طن .. وقد اقيمت كلها فوق تل مرتفع عن سطح البحر ، يمكن للبترول أن يتدفق منها فى الانابيب التى تمتد تحت الماء لمسافة أربعة كيلو مترات ، بلا ضخ .

أول شحنة من البترول السورى

وهكذا اصبحت طرطوس ايضا ميناء لتصدير البترول السورى الذى احتفلت سوريا بتصدير اول شحنة منه يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٨ ، عندما وصلت ناقلة البترول الفرنسية فان دمير Van Demir ، لتنقل أول شحنة منه وقدرها ٢٩ الفا و ٢١٣ طنا الى اوربا .

قال لنا السيد محمود السمان ، مدير الشئون المالية والاقتصادية بوزارة النفط السورى :

« لقد بلغ انتاج سوريا الكلى من البترول الخام خلال عام ١٩٦٨ ، مليون طن ، أى حوالى ٧ ملايين برميل ، فالطن يساوى سبعة براميل في المتوسط اذ قد يتغير هذا الرقم طبقا لكثافة البترول .

« وقد صدرت سوريا من بترولها خلال نفس هذه الفترة ٨٥٠ الف طن . وبلغ عدد ناقلات البترول التى شحنت البترول السورى الخام منذ افتتاح الخط في اول مايو سنة ١٩٦٨ حتى يوم ٩ مايو سنة ١٩٦٩ ، وهو موعد قيامنا بهذا



فريق من عضوات الاتحاد النسائي في طرطوس ، أثناء ندوة عقدتها في مقر الاتحاد الذى انشىء في عام ١٩٦٧ ، واصبح له فروع في كل محافظات سوريا .. سألناهن : لماذا تأخر نشاط المرأة ، وقد حصلت على حقوقها السياسية كاملة قبل ذلك بسنوات طويلة ؟ ! ، وتطوعت وكيلة الاتحاد بالاجابة على هذا التساؤل بقولها : «لان المرأة السورية بطبيعتها محافظة !».

حوض المرفا ، أى بمعدل ٧٥ الف متر مكعب شهريا في المتوسط .

عمل متواصل

ويعمل على الكراكة ستة مهندسين مصريين برئاسة المهندس شبلى جابر بركات ممثل هيئة قناة السويس في سوريا ، و٦٥ عاملا فنيا مصريا و٤٠ عاملا سوريا ، يتناوبون العمل لمدة ٢٤ ساعة متواصلة بلا توقف .

وعلى بعد ٥٠٠ متر من الشاطىء داخل الحوض المائى ، رأينا الجزيرة الصغيرة التى صنعها ناتج الحفر الذى تحمله مواسير ماصة عائمة قطر الواحدة منها ٧٠ سنتيمترا ، وتلقى به على بعد ٧٥٠ مترا من مركز عملية التعميق .. وقد كان المفروض أن تلقى المواسير بهذا الناتج على الشاطىء ، الا أن شركة المرفا رات استغلاله في توسيع رصيف الميناء لاقامة المنشآت الجديدة عليه .

وهكذا ظهرت هذه الجزيرة التى بلغت مساحتها حوالى عشرة الاف متر مربع على عمق ٥ أمتار وارتفاع حوالى أربعة أمتار عن سطح الماء ..

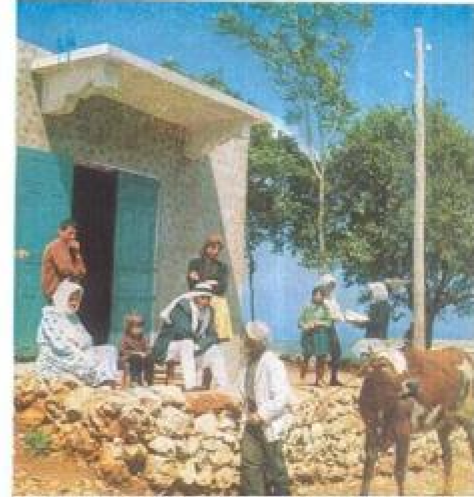
قال لنا مرافقنا : « نستطيع الآن أن نتوجه

الريف في طرطوس وأشجار الزيتون تنتشر على جانبي الطريق الجبلي الطويل .. وفي الريف يظهر دور المرأة واضحا .. ولعلها سبقت أختها بنت المدينة في الخروج والعمل بجانب الرجل ..

جلسة عائلية أمام بيت ريفي صغير في قرية قريبة من طرطوس .. الأب والأم يعملان أما الأبناء فيذهبون الى المدرسة

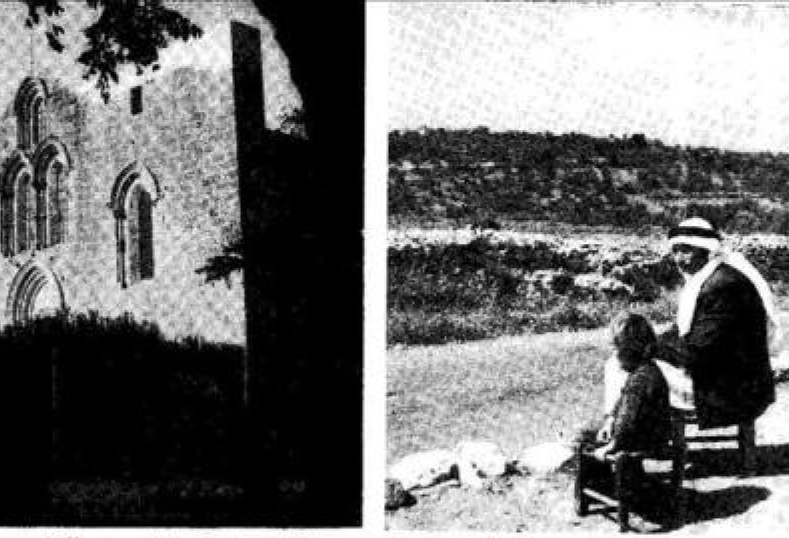
صيد السمك صناعة قديمة في طرطوس وفي جزيرة ارواد التي لا تبعد عن شواطئها بأكثر من ثلاثة كيلومترات







ناقلة الزيت الإيطالية كوارجيو وهى راسية عند مصب البترول السورى في طرطوس .. وفي الصورة السفلى ، أنبوب البترول بعد أن تم توصيله بالخزانات الضخمة في بطن الناقلة في انتظار صدور الاشارة ببدء عملية ضخ النفط .



مزارع سوری يجلس امام بيته الريفي . بقرية الشيخ سعد التي تبعد عن المدينة بحوالي كيلو مترين .. وقد ظهرت اشجار الزيتون التي تنتشر في وديان طرطوس وفوق جبالها .. فالزيتون هو المحصول الرئيسي في هذه المنطقة التي اسموها « صفاقس الشام » ،وهم يعصرونه ويصدرون زيته لمدن سوريا كلها ..

صورة أخرى لمتحف طرطوس من الخارج .. وقد كان في الاصل كنيسة شيدها الصليبيون في عام ١١٢٣ ميلادية ،ثم تحولت الى مسجد في عهد صلاح الدين الايوبى ، وبقيت كذلك الى أن جاء الفرنسيون ، وحاولوا اعادتها الى ماكانت عليه .. وفي النهاية اصبح المبنى متحفا يضم آثار محافظة اللاذقية ومنها طرطوس ..

الاستطلاع ، ٦٨ ناقلة ، شحنت ما يربو على المليون و ٧.٧ الاف و ٥.٦ اطنان من البترول الخام الى ايطاليا ويوغوسلافيا وبلغاريا خلال هذه الفترة .

بترولنا لنا من منبعه لمصبه

لقد بدأ التنقيب عن البترول في سوريا قبل اكتشافه في العام الماضي ، بأربع سنوات تقريبا ، فلنا نسأل السيد السمان : « هل لكم أن تشرحوا لنا عبارة « بترولنا لنا من منبعه الى مصبه »وقد قرأناها في كثير من اللافتات التي ارتفعت فوق الجسور وعلى الأعمدة الكهربائية في مختلف ارجاء طرطوس وفي غيرها من مدن سوريا . »

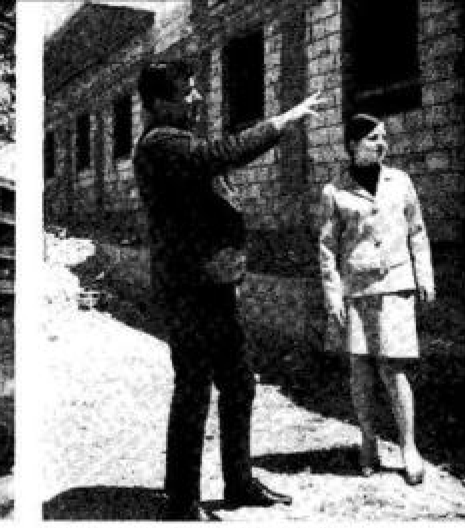
قال : « ان المؤسسة العامة للنفط السورى ، احدى مؤسسات القطاع العام ، هى التي باشرت وحدها اعمال التنقيب ، وهي التي تقوم باستثمار النفط السورى ، معتمدة في عملها على أبناء سوريا من الخبراء والفنيين ، الى جانب بعض الخبراء الأجانب الذين قد ترى المؤسسة الاستعانة بخبراتهم في حقل التنقيب .

« وكذلك المعدات والآلات كلها ، ملك للمؤسسة وقد اشترتها من مختلف دول العالم ، حتى خط انابيب البترول من المنبع الى المصب ، وقد تكلف أكثر من ٢٠ مليون جنيه استرليني ، قامت المؤسسة وحدها بمده .. وهكذا ترون أن العملية كلها منذ استخراج البترول حتى شحنه وتصديره، وتسويقه ، وكذلك تكرير ما تحتاج اليه البلاد للاستهلاك المحلي في مصفاة حمص تتم كلها تحت اشراف المؤسسة وحدها دون مشاركة من جانب اية شركة من شركات البترول الأجنبية » .

صفاقس الشام

وتركنا الميناء ، ومصب البترول في طرطوس ، وعدنا الى المدينة نتجول في شوارعها ونتحدث الى اهلها ، ونحاول أن نرسم صورة للحياة فيها ..

ان طرطوس تحاول اليوم أن تحدد معالمها الجديدة ، فهي ميناء ، وهي مصب للبترول السورى ، وهي بعد هذا مصيف يمكن أن يصبح من أجمل مصايف سوريا على البحر ، ثم هي أيضا موطن لزراعة الزيتون ، واستخراج الزيت منه ، حتى انهم سموها « صفاقس الشام » نسبة



في قرية بملكة ، وهي قرية صغيرة تقع فوق قمة جبل يبعد عن مدينة طرطوس بحوالى ١٢ كيلومترا وقف هذا الشاب السورى مع عروسه امام مبنى الفندق الذى بناه بأمواله التى جمعها من المهجر .. لقد هاجر الى هايتى منذ سنوات طويلة مضت ، وعندما تجمع لديه مبلغ من المال ، عاد الى قريته ليبنى فيها فندقا ، وليبحث بين بناتها عن عروس

المساكن الشعبية التى شيدتها بلدية طرطوس مساهمة منها في حل أزمة المساكن التى تعانى منها سوريا كلها .. وتقوم البلدية بتمليك الشقق في هذه الوحدات السكنية لذوى الدخل المحدود .. ويجرى بناء وحدات جديدة لاستيعاب العدد الكبير من الوافدين الى الميناء الجديد بحثا عن العمل .

الى « صفاقس تونس » التى تعتبر موطن الزيتون في شمال افريقيا ..

ولعل الصناعة الرئيسية الوحيدة في طرطوس اليوم هى عصر الزيتون في المعاصر العديدة المنتشرة في المدينة وضواحيها والتى يزيد عددها على مائتى معصرة ..

خمسة آلاف طن سنويا

قال لنا السيد محمد بشير هيكل الذى قضى اكثر من نصف قرن في صناعة زيت الزيتون في طرطوس ، ان انتاج المدينة من الزيت سنويا يتراوح بين اربعة وخمسة الاف طن . ويبدأ موسم جنى الزيتون او قطافه ثم عصره في منتصف شهر سبتمبر ويستمر حتى نهاية العام أو بداية العام الذى يليه . وتصدر طرطوس زيت الزيتون الى مدن الشام الداخلية والى بعض الدول العربية والأوروبية ، عندما يتعرض السوق العالمى لنقص في الانتاج .

وتركنا الزيت والزيتون ، وجلسنا نتحدث الى رئيس البلدية عن مستقبل هذه المدينة التى ولدت من جديد .

الاهتمام بالسياحة

قال لنا رئيس بلدية طرطوس : « اننا نتوقع أن تقفز المدينة قفزة جديدة بعد تنفيذ المشروعات التى تعد الآن في مختلف المجالات ، وبصفة خاصة في مجال السياحة .. وقد قامت البلدية بتنفيذ عدد من المشاريع السياحية ، وفي مقدمتها بناء مجموعة من الشاليهات على البلاجين اللذين أعدا للاصطياف والسياحة .. ويحوى كل شاليه غرفة نوم فسيحة تتسع لأربعة اسرة ، ومطبخا وحماما ، ولا يزيد ايجاره في اليوم الواحد على ١٥ ليرة سورية .

ثم قال رئيس البلدية : « وتجرى الآن دراسة لتنفيذ مشروع بناء مدينة سياحية برأسمال وطنى وعربى في المنطقة الجنوبية من مدينة طرطوس ، حيث يتم تقسيم الارض الى مقاسم سياحية تباع بأسعار رمزية لا تزيد على خمسمائة ليرة سورية لقطعة الارض التى تبلغ مساحتها ١٢٠ مترا مربعا، بشرط أن يتقيد صاحب الارض ببناء الشاليه طبقا لمواصفات معينة تحددها البلدية لشكل المبنى الخارجى .. وستعرض قطع الارض للبيع



طالبات ثانوية طرطوس بملابس الفتوة . وفي طرطوس ثلاث مدارس ثانوية واحدةمنها مخصصة للفتيات ، أما المدرستان الاخريان فالتعليم مختلط .

• • •

وحش بحري محنط اصطاده صيادو طرطوس .. رأسه يشبه رأس النمر ، وليس له زعانف وانما ذراعان يعتمد عليهما في سيره على الارض . ويحتفظ به أحد أصحاب المطاعم بعرضه لجذب الزبائن .



في رياض الأطفال ، وقفت المدرسة تداعب أطفالها وتعلمهم كيف يستخدمون لعباتهم الصغيرة .

• • •

أرض الساحل السورى غنية بآثارها التى يرجع عهد البعض منها الى ٥ آلاف سنة قبل الميلاد ، وقد تقرر حفظ هذه الآثار في هذا المتحف الذى ترى صورته وهو في طرطوس ..

للمواطنين السوريين والعرب من اى بلد عربي شقيق ، وسوف يعلن عنها في جميع الصحف والمجلات العربية قبل نهاية العام الحالي .

« وفي نفس الوقت بدا العمل في بناء فندق سياحي من الدرجة الاولى ، يليق بمركز طرطوس الجديد » .

ثم تحدث رئيس البلدية بعد هذا عن الطرق الجديدة التى تم تعبيدها ورصفها ، فقال ان البلدية نفذت ما يقرب من ٦٠ الف متر طولى في المدينة من تعبيد ورصف خلال السنوات الأربع الماضية . كما تم تنفيذ شبكة المجارى في ٩٠٪ من احياء طرطوس، حيث تصب المجارى خارج شواطىء المدينة .. اما مياه الشرب التى تستخرج من أربعة آبار ارتوازية، فقد وصلت الى كل بيت في طرطوس وهى مياه جوفية صالحة للشرب بعد تقطيرها ، وتكفي لتغطية التوسع المرتقب في المدينة .

ازمة المساكن

وانتقل رئيس البلدية بعد هذا الى الحديث عن



سماحة مفتي طرطوس الشيخ عبد الستار السيد ، قال لنا : « ان نقاب المراة ليس من تعاليم الاسلام في شيء .. وقد قال الرسول « صلعم » : استوصوا بالنساء خيرا « وقال : » لا يكرمهن الا كريم ، ولا يهينهن الا لئيم .. خيركم ، خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي » .

ازمة المساكن في طرطوس .. وهى ازمة تعانى منها سوريا كلها ، وقد بلغت أوجها في السنوات الأخيرة، لاسباب عديدة في مقدمتها استمرار هجرة أهل الريف الى المدن ..

وقد اهتمت بلدية طرطوس بهذه المشكلة فشرعت في بناء مجموعات من الوحدات السكنية ، وتم تشييد مجموعتين منها ، حيث بدا تمليكها لذوى الدخل المحدود .. والى جانب هذا اعدت البلدية مشروعا لاقامة مقاسم شعبية وبيعها للاهالى بالتقسيط المريح ، مساهمة منها في حل أزمة السكن .

وتجرى في الوقت الحاضر دراسة جديدة لاعادة تخطيط المدينة على ضوء المشاريع التى ستنفذ مستقبلا ، وذلك لايجاد مناطق سكنية جديدة ..

هذه لمحة سريعة عن طرطوس الجديدة .. تلك المدينة التى اسماها اليونانيون قديما انترادوس ، ومعناها الوجه البرى للجزيرة .. اى جزيرة ارواد .. ومنها اشتق اسمها الجديد ..

لقد استولى عليها العرب أيام خلافة عثمان بن عفان ، في عام ٢٣ هـ ، وعنى معاوية بن ابى سفيان والى الشام يومئذ بتجميلها . ثم احتلها الصليبيون في عام ١٠٩٩ م وشيدوا فيها قلعة منيعة ،واحاطوها بسور عال ، قبل ان يستردها العرب مرة أخرى بقيادة صلاح الدين الأيوبى ..

القديم والجديد

قصدنا لنرى طرطوس القديمة فاذا بنا نقف امام صورة من صور الحياة غريبة .. فقد اندثرت القلعة الأثرية واختفى سور المدينة القديمة او كاد .. وزحفت المنازل الحديثة الىهذا الأثر التاريخي الذى يحكى فصلا من تاريخ سوريا .. فقد شيد الأهالى بيوتهم فوق أسوار المدينة القديمةوجدران قلعتها وأقاموا فيها مسجدا وساحة للعب ومحالاً للتجارة .. وعاشوا بعد هذا وسط التاريخ يطل عليهم عبر القرون ..

كيف ومتى حدث هذا الزحف الذى اختلط فيه الجديد بالقديم، لا احد يدرى ! ولكن الذى يعرفه المسئولون في طرطوس أن هناك مشروعا سيكلف ٥٠ مليون ليرة سورية لنزع ملكية هذه البيوت .. فيبقى الحديث حديثا والقديم على قدمه . ■■

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

لقاح الحصبة

● من اكبر المعارك التى انتصر فيها العلم على المرض ، هي المعركة التى اكتشف فيها الطب لقاح الحصبة ، ذلك اللقاح الذى يحمى منها قبل أن تصيب الاطفال .

وقد أجيز استخدام هذا اللقاح لاول مرة في الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ ، وهو الى اليوم سائر على احسن ما يرام .

وكان القصد الاول من ابتكار هذا اللقاح انما هو مغالبة داءات تأتي الاطفال عقب الاصابة بالحصبة ، ومنها التهاب في الدماغ خطير Encephalitis . وكان هذا الالتهاب يقع في حالة واحدة من كل ٣٠٠٠ حالة يصاب فيها الاطفال بالحصبة .



واليوم يحدث ما يعكر صفو الاطباء في انجلترا ، فقد قامت السلطات في مايو عام ١٩٦٨ بحملة لنشر هذا اللقاح ، لقاح من صنع انجلترا ، في الناس ، وقد تلقح به اكثر من ٣٠٠٠٠ طفل كل اسبوع . ثم حدث ان ظهرت ثلاث حالات من هذه اللقاحات اصيب فيها الاطفال بمرض التهاب الدماغ . واذن أوقفت السلطات هذا اللقاح .

ونقول هذا اللقاح ، لأنه يوجد في انجلترا لقاحان ، احدهما تصنعه شركة Burroughs Welcome Co. ، وهذا هو الذى اوقف لاشتباه فيه ، وثانيهما تصنعه شركة Glaxo ، وهذا لا يزال يجرى به التلقيح .

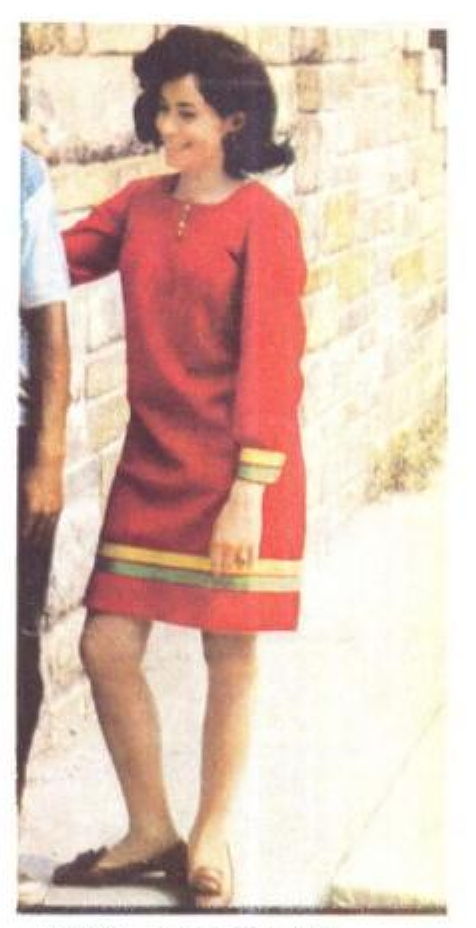
واللقاحات تحضر من فيروس الحصبة .

ولعل وجود هذا اللقاح الثانى هو الذى جعل انجلترا اسرع الى ايقاف اللقاح الاول الذى اشتبهوا فيه . والبحث اليوم جار في شأن هذا اللقاح المشبوه .

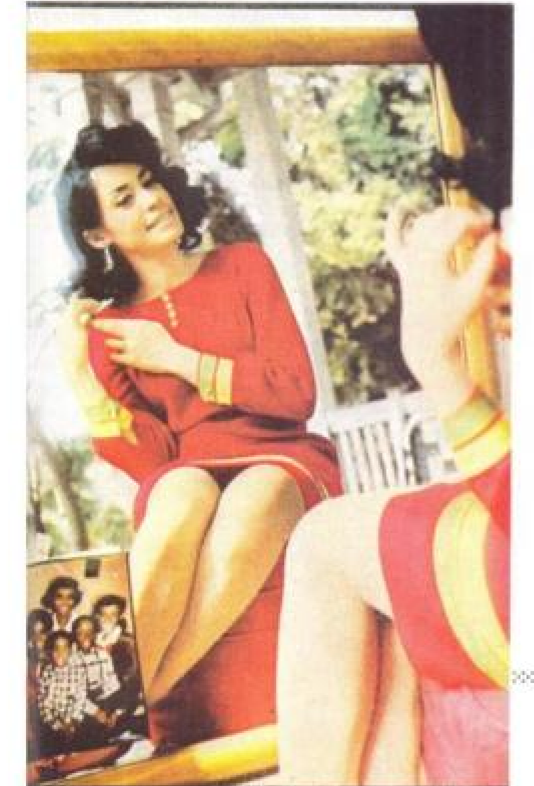
على ان هناك من يرى ان ظهور ٣ اصابات مع لقاح يستمر أكثر من عام ، تعطى في كل اسبوع منه عشرات الالوف من اللقاحات ، ما كان يدعو لهذا الحذر البالغ . ولكن كما قلنا يسّر هذا الحذر وجود لقاح بديل حاضر .



جوانا تقارن لونها بلون احد اقاربها .



الفتاة جوانا بعد ان تم بياضها انه بابيضاض جلدها اصبح سوق العمل مفتوحا لها ، في امريكا .



ـ الفتاة جوانا امام المرآة



فتاة زنجية أمريكية
أبيض جلدها من بعد علاج

● يقول الدكتور ستولار Stolar ، وهو طبيب جلد شهير من اطباء الولايات المتحدة ، انه اصبح تحويل لون الجلد الاسود الى اللون المعروف بالابيض امرا ميسورا . وانه اذ تيسر فهو سوف يفتح الباب لحل تلك الأزمة القائمة اليوم في الولايات ، بسبب وجود قلة نسبية من الزنوج ، بين كثرة من البيض ، اذا امكن تطبيق هذا العلاج ، اى تحويله من حالات فردية الى حالات جماعية .

وقد اعلن الدكتور ستولار هذا الامر الذى اهتدى اليه من تبييض السود ، في مؤتمر للأطباء . واذ حسب ان الكثيرين سوف ينكرون ما صنع ، فقد حمل الى المؤتمر صورا مما صنع ، وحمل كذلك الشاهد الحيّ لما صنع ، فتاة كانت سوداء البشرة فتحولت بشرتها الى بشرة بيضاء في جسمها كله . لم يبق بها من زنجيتها الا ما قد يتبقى به من تقاطيع ، والا الشعر الذى لونه السواد .

وهو لم يحوّل لون هذه الفتاة وحدها . انه صنع هذا بعشرات من الاشخاص .

بدا الدكتور عمله هذا عندما جاءته فتاة سوداء اصابها البهاق ، وهو زوال الصبغة من الجلد ، تلك التى تلونه باللون الاسود او الاسمر ، وانفتاح لونه وابيضاضه تبعا لذلك . وحاول الدكتور في أول الأمر ان يعالج الحال ولكنه لم يلبث ان احس بالعجز ، واذن ترك الطبيعة تتقدم دون عائق .

وكان في دستور الادوية الامريكية غسول مؤسس على المادة Ether Mono-benzilo Hydroquinone يستخدم عادة في الحروق التى تصيب بعض الناس فتترك بعد الشفاء ندوبا قاتمة اللون على الجلد .

ثم حدث في عام ١٩٤٥ انهم اكتشفوا ان السود الذين كانوا يعملون في مصنع للجلد تتقشر جلودهم ويذهب لون اذرعهم وايديهم . وحلل المحللون المواد التى تستخدم في الدباغة ليصلوا الى معرفة المركب الذى يصنع بالعمال هذا ، فوقعوا على ان السبب موجود في مركبات بالقفازات التي يلبسونها في ايديهم وهي من مطاط اصطناعى .

وباستخدام هذا الغسول الذى ذكرناه آنفا ، ولمدة ٢٤ شهرا ، على جسم احد هؤلاء المصابين تحقق الامر الذى خالوه . فقد ذهب عن الرجل كل الذى كان في جلد جسمه من لون .

وعندئذ بدا الدكتور ستولار يجرب هذه الطريقة في الاصحاء . وكان من بينهم القادة الجذابة جوانا بـرك Juana Burke .

انه علاج يكلف ٥٠٠ دولار . ولكن ظهر طبيب آخر يحاول ان يذهب بالسواد من اللون باستخدام اقراص تتدخل في تخلق الصبغة التي في الجلد ، رويدا رويدا تفقدها القدرة على التكون .

ان السواد والسمرة ، وحتى البياض (وليس في بياض الجلد بياض خالص مائة في المائة) انما سببه ما في جلد الانسان من صبغة اسمها ميلانين Melanine ، الجلد يصنعها كثيرا فتجعله اسود ، او قليلا فتجعله اسمر ، او أقل من القليل فيكون ما يعرف بالبياض .

والبهاق ، وهو ظهور بقع بيضاء في جلد السمر والسود ، وحتى البيض ، سببه عجز هذه البقاع من الجلد عن تكون هذه الصبغة ، « الميلانين » ، كما سبق ان ذكرنا في العربى اكثر من مرة .

فالبهاق ليس بمرض ، الا اذا عد ابيضاض الشعر الاسود (الشيب) مرضا .

الروس
عند كوكب الزهرة
وما خرجوا به من نتائج

● اخيرا ، وبعد اشهر طوال ، وصلت المركبتان الروسيتان الحاملتان للاجهزة العلمية الروسية الى كوكب الزهرة ، واسم الاولى فينيرا رقم ٥ ، وتلتها في اللحاق بها فينيرا رقم ٦ . كان هذا في الشهر الخامس من هذا العام .

وقضى الروس بعض الوقت لتفسير ما وصل اليهم من المركبتين من المعلومات عبر هذا الفضاء البعيد .

والمعروف ان جو الزهرة ملىء بالغاز ، وان به ضغطا غير قليل . وان جو الزهرة حار .

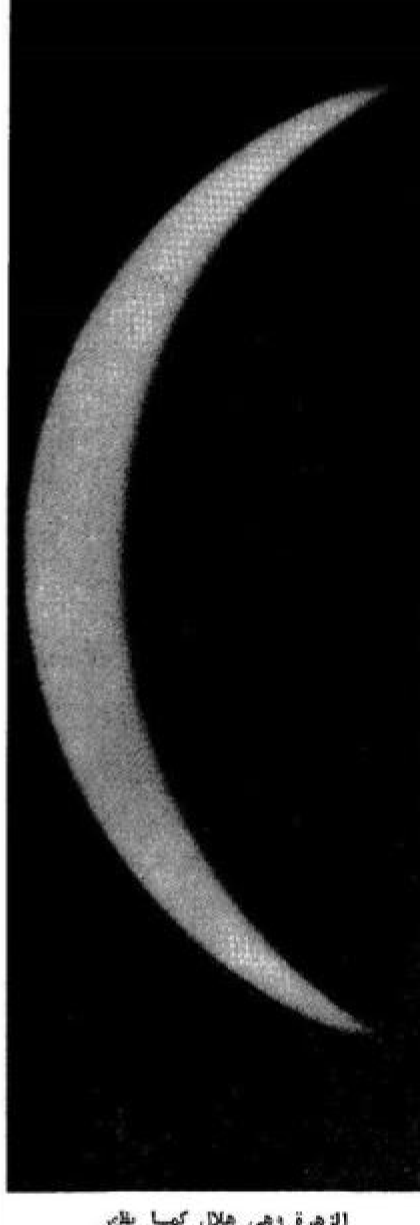
ومن اجل ضغط الغاز صمموا مركبة الفضاء فينيرا رقم ٥ بحيث تتحمل ضغطا مقداره ٢٧ ضغطا جويا من ضغوط الارض . وكذلك فعلوا في فينيرا رقم ٦ ، جعلوها تتحمل ضغطا أقصاه ٢٧ ضغطا من ضغوط الارض .

وسجلت المركبتان ما تعرضتا له من ضغوط وهما يدخلان جو الزهرة ، وكان اقصى ضغط سجلتاه هو ٢٧ ضغطا من ضغوط الارض . ومعنى هذا انهما لم يصلا الى ارض الزهرة ، وانما غلبهما بعد هذا التسجيل ضغط الجو هناك ففجرهما قبل وصولهما الى سطح الزهرة وانتهت بذلك التجربة .

وعند هذا الضغط سجلت فينيرا رقم ٥ انها على علو ما بين ٢٤ الى ٢٦ كيلو مترا ، من سطح الزهرة ، وارسلت هذا العلم الى علماء الارض .

واما ما يختص بالحرارة فكان أقصى ما سجلته فينيرا ٥ هو درجة ٣٢٠ مئوية .

واذن فهذه الحرارة هي الحرارة التى سجلتها عندما سجلت أن الضغط كان



الزهرة وهي هلال كما يظهر لعين الناظر اليها بالتلسكوب

٢٧ ضغطا جويا ، وسجلت علوا مقداره ٢٤ الى ٢٦ كيلو مترا من سطح الزهرة . وبناء على هذا قدر العلماء ان درجة

الجوهري ، من علماء القرن الرابع الهجري ، لا يعرف عام مولده ، وكذلك اختلف في عام مماته، ولكنه محصور بين ٣٩٣ و ٤٠٠ هجرية .

اصله من مدينة فاراب ، بفارس ، وخاله اسحاق بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ من علماء اللغة ايضا وله كتاب فيها اسمه « ديوان الادب ».

وقد سافر الجوهري الى العراق ، وبها تلقى علوم العربية ، على أبي علي الفارسي (٢٨٨ - ٣٥٦) وأبي سعيد السيرافي (٢٨٤ - ٣٦٨) ، ثم سافر الى الحجاز متنقلا بين القبائل ، فهو اذن قد اخذ اللغة العربية عن طريق الدراية ، وعن طريق الرواية . ثم سافر الى نيسابور . وفيها الف كتابه المشهور عند الناس باسم « الصحاح » .

ويبدو ان حاله في نيسابور لم تكن مرضية ، او كانت كذلك في أول امره بها ، فهو يقول .

وها أنا يونسٌ في بطنِ حوت
بنيسابورَ في ظلِّ الغمام
فبيتي والفؤادُ ويوم دَجْنٍ
ظلامٌ في ظلام في ظلام

ونجد شعرا له قليلا يذكر في ترجمته منه :

يا ضائع العمر بالأماني
أمَا ترى رونق الزمانِ
فقم بنا يا أخا الملاهي
نخرجْ الى نهر « نشتقانِ »
لعلنا نجتني سرورا
حيث جَنَى الجنتين دانِ
كأننا والقصور فيها
بحافتَيْ كوثرِ الجِنانِ
والطيرِ فوق الغصون تحكي
بحسن أصواتها الاغاني

ومن شعره :

لو كان لي بدٌّ من الناس
قطعتُ حبلَ الناس باليأس
العزُّ في العزلة لكنه
لا بدَّ للناس من الناس

وياقوت الحموي ، المتوفي سنة ٦٢٠ هـ ، يقول عن الجوهري : بحثت عن مولده ووفاته بحثا متناهيا فلم أقف عليهما ، وقد رايت نسخة من الصحاح بخطه عند الملك المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق وقد كتبها (اى الجوهري) في سنة ٣٩٦ .

وفاته

ونهاية الجوهري كانت عجيبة . فقد قيل انه اعترته وسوسة في آخر أيامه ، فمضى الى الجامع القديم بنيسابور . ويروى انه قال بعد أن صعد السطح : أيها الناس ، انى عملت في الدنيا شيئا لم أسبق اليه ، فساعمل للآخرة أمرا لم أسبق اليه . وضم الى جنبيه مِصراعَي بابٍ وتابطهما بحبْل وزعم انه يطير فالقى بنفسه من أعلى مكان في الجامع فمات .

منهج الصحاح

ان الحروف الهجائية بترتيبها المعروف لنا هى « الهمزة ، فالباء ، فالتاء .. » الخ ..

والكلمات العربية يحدث فيها تصريف كثير ، اغلبه بالزيادة ، وهذا يكثر في أول الكلمات ووسطها ، فمثلا كلمة « فتح » تقول فيها « فاتحٌ، تفتّح ، انفتح ، استفتح ، فاتحٌ ، مفتوح ، متفتح ، فواتح ، مفتاح .. » ففي كل هذه التصريفات لزم حرف « ح » مكانه في آخر الكلمة ، بينما نجد الفاء صارت مرة ثانية ، ومرة ثالثة ، ومرة رابعة . وكذلك حرف التاء صار مرة ثالثا ، ومرة رابعا . على انه قد يحدث أن نزاد بعد الاخير بعض الحروف فتقول « فاتِحَةٌ وفتاحة » .

وقد اختار الجوهري ان يكون الحرف الاصلى الاخير من الكلمة هو الذى يدور عليه ترتيب كتابه، وسماه « بابا » ، ولعل اختياره هذا راجع الى ما يحدث للحرف الاول والثاني من تغيير موضعيهما بكثرة في تصريفات الافعال والمصادر .

وقد يكون اختياره راجعا الى قصد التيسير على الشعراء طلبا للقوافي ، والى محترفي السجع ، فان ما يهم هؤلاء واولئك هو آخر الكلمات ، فكان جمع كل ما ينتهي من الكلمات بحرف واحد تحت باب واحد سبيلا الى التيسير .

واول حروف الهجاء هو الهمزة ، فجعل الجوهري كل الكلمات المنتهية بحرف الهمزة في الباب الاول ، وهو « باب الالف المهموزة » ، ثم رتب هذا الباب ترتيبا هجائيا ايضا ، بحيث ينظر الى الحرف الاول الاصلى من الكلمة مبتدئا بالهمزة ايضا ، فيسمى الاول فصلا ، ويرتب الكلمات ناظرا الى الحرف الثانى على حسب حروف الهجاء ، فاذا انتهى ما أوله همزة بدأ في

ما أوله باء أي « فصل الباء » مع « باب الهمزة » فاذا انتهى بدأ فيما اوله تاء ، وهو فصل التاء مع باب الهمزة وهكذا الى ان تنتهي حروف الهجاء الى الياء .

ثم يجمع الكلمات المنتهية بحرف الباء ويسميه « باب الباء » ويبدأ في النظر الى اول الكلمات ، فيبدأ بما أوله همزة ، ويسميه « فصل الهمزة » ايضا « مع باب الباء » ، وهكذا يستمر في ترتيب الكلمات ناظرا الى الحرف الاول حتى ينتهي من « باب الباء » ، ثم ينتقل الى جمع كل الكلمات المنتهية بحرف التاء ويسميه « باب التاء » ويبدأ الترتيب من الاول بما أوله همزة ، وهو « فصل الهمزة مع باب التاء » . وهكذا متبعا النظام في كل الحروف .

الباب اولا ، وهو ما تنتهي به الكلمات ، ثم الفصل ثانيا وهو ما تبدأ به الكلمات .

ومن امثلة ذلك ان « أجا » هي في باب الهمزة فصل الالف المهموزة و « بابا » هي في باب الهمزة فصل الباء و « تاتا » في باب الهمزة فصل التاء .. ومثلا « أبب » في باب الباء فصل الالف المهموزة و « عرب » باب الباء فصل العين .

وآخر ابواب الكتاب هو باب الواو والياء . وآخر الفصول هو فصل الياء ونجد آخر مادة في الصحاح هي مادة « يدي » .

ثم بعد ذلك أضاف بابا آخر سماه باب الالف اللينة ، وهو يجمع الحروف والكلمات المبنية التي لا تصريف فيها مثل « آ ، اذا ، الى ، با .. يا » مفسرا استعمالات ذلك ودلالاته .

ولقد كانت هذه الطريقة الميسرة السهلة بالنسبة الى ما سبقه من المؤلفات سببا في ذيوع كتابه ، الى جانب قوله « اما بعد فاني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة .. بعد تحصيلها بالعراق رواية ، واتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية » .

فهو اذن كتاب فيه اختيار للكلمات الصحيحة . وان كان في الحق لم يستوف كل اللغة . ولا اكثرها ، ولا اكثر معاني الكلمات .

وقد لقى الصحاح اقبالا ومدحا من المعجبين فقال فيه أبو محمد اسماعيل بن محمد النيسابوري .

هذا كتاب الصحاح سيد ما
صنف قبل الصحاح في الأدب

تشمل ابوابه وتجمع ما
فرّق في غيره من الكتب

هذا واسم الكتاب كاملا هو « تاج اللغة وصحاح العربية » لكن الشهرة التي سارت بين الناس هي الصحاح ... وهذا اللفظ لك ان تنطقه بكسر الصاد باعتباره جمع كلمة « صحيح » مثل ظريف وظراف وكبير وكبار . ولك ان تنطقه بفتح الصاد باعتباره انه وصف مثل بَرِيء وبَرَاء .

مختصرات الصحاح المطبوعة

١ ـ « تهذيب الصحاح » . عمله محمود بن احمد بن محمد الزنجاني (٥٧٣ ـ ٦٥٦ هـ) وقد طبع في القاهرة في ثلاثة مجلدات طبعة جيدة محققة في سنة ١٣٧٢ على نفقة السيد محمد سرور الصبان من المملكة العربية السعودية ، وهذا الكتاب سار على ترتيب الصحاح مختصرا مواده الى الثلث .

٢ ـ « مختار الصحاح » . عمله محمد بن محمد ابن أبي بكر الرازي ، من اهل القرن الثامن الهجري وطبع أول مرة سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ويبلغ عشر ما في الصحاح تقريبا ، وكان مرتبا على ترتيب الصحاح .

ثم قام الاستاذ محمود خاطر ، الذي كان من موظفي مطبعة بولاق . بترتيب مختار الصحاح ترتيبا ينظر فيه الى الحرف الاول ، حسب ما نراه في المعجمات الحديثة ، وطبع ذلك سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) مع حذف بعض الالفاظ التي رأى انها غير لائقة في السماع ، وهذا في الحق تفكير عجيب في المعاجم التي لا يرجع اليها الا من ارتفع مستواهم وحسن فهمهم ، وكانت طباعة مختار الصحاح التي رتبها محمود خاطر مضبوطة وعلى ورق مصقول ، وسهلة ، وصارت وزارة المعارف « التربية الآن » ـ توزع هذه الطبعة على التلاميذ مجانا ، فاكتسب مختار الصحاح بهذا شهرة كبيرة بين المتعلمين ، مع انه لا يفي بغرض ولا يسعف في حل كثير من غوامض الكلمات .

واذا كان الصحاح قد اختصر وكثرت مختصراته فانه قد تعقبه علماء أيضا بالنقد واستدراك ما نقصه،واشهر هؤلاء هو ابن برى أبو محمد عبدالله المتوفى بين ٥٧٦ ، ٥٨٢ . والثاني هو الصاغاني الحسن بن محمد بن الحسن المتوفى سنة ٦٥٠.

■■

عبد الستار فراج



مِنْ آفاق العِلْم الحَدِيث

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ لقد شهد العالم ، فى العقد الاخير ، ثورة عارمة فى اساليب البحث العلمي وذلك بفضل ما ابتكره العلم من وسائل واجهزة وادوات ذات فعالية ، لم يعرفها العلماء من قبل ، فقد كان ظهور المجهر الالكترونى ، الذى يكبر الكائنات الدقيقة مئات الالوف من المرات ، ثم يعاد تكبيرها مرة اخرى الى ملايين المرات . مما جعل المجهر العادى لايعد شيئا مذكورا اذا قورن به ، ومما أضاف الى معلوماتنا عن المادة وعن تركيب هذه الكائنات من فيروسية وبكتيرية وعن تركيب الخلية والنواة ، وما بهما من جزيئات ومواد وحبيبات، لم نكن نعرف الكثير منها الاحدسا واستنتاجا .

وهذه الاقمار الصناعية والاجهزة الالكترونية ، التى تحملها سفن الفضاء ومراكبه ، تهيىء السبيل الى دراسات لم يكن لنا بها عهد ، وتضيف الى معلوماتنا من الوان المعرفة ، ما كان ادخل فى باب المستحيلات ، أو لعله كان ضربا من الخيال فاذا بهذه الوسائل تحيله حقائق ملموسة ومؤكدة واذا بمجالات جديدة للبحث والدراسة ، تغير من مفهومنا الذى ألفناه في بعض القضايا العلمية .

ولا مراء فى ان دراسات الفضاء ، قد ألقت هى الاخرى بثقلها في المكتشفات الحديثة فمنذ حطت مراكب الفضاء في رفق واناة على سطح القمر ، ثم على سطح الزهرة ، واننا لنسمع كل يوم جديدا من النظريات والاراء العلمية .

مجال المغناطيسية الارضية

ولعل مجال المغناطيسية الارضية ، انما هو من الموضوعات التى تعرض مفهومها لتغيير كبير نتيجة للوسائل العلمية والتقنية الجديدة . وقد استعمل حديثا اصطلاح الكرة المغناطيسية للدلالة على المنطقة بين الكواكب التى يتبدى فيها تأثير المجال المغناطيسي للارض . فمنذ اوائل القرن العشرين ، سادت نظرية المدارات ذات الجسيمات المشحونة فى المجال المغناطيسي للارض ، وان الجسيمات التى تأتي من مسافات شاسعة كالشمس مثلا ، سوف تلفظ من جهات معينة قرب الارض بسبب المجال المغناطيسي لها ، اما تلك التى تصل الى قمة الغلاف الجوى ، فسيقودها المجال المغناطيسي الى مناطق الشفق القطبي ، ثم تطورت هذه النظرية لشرح الأثر الوقائى لهذا المجال على الاشعة الكونية ، ثم ظهرت نظرية اخرى عن المجال المغناطيسي تكهنت بتولد فجوة البلازمة الشمسية التى تمر بها الارض . ومع ذلك فان هذه النظرية لم تثبت بالتجربة الا فى العقد الاخير. وبدات الكرة المغناطيسية للارض تأخذ شكلها الواقعي الحقيقى . وبينما تمتد هذه الكرة المغناطيسية الى مسافة تبعد من عشرة الى خمس عشرة مرة قدر نصف قطر الارض من الناحية المضيئة من الارض ، فانها فى الجهة المظلمة تدفعها الرياح الشمسية الى مسافات شاسعة تشبه بالذيل الذى لم يحدد طوله بعد ، وان وصلت الى ما وراء القمر وقد أعطى احد الاقمار الصناعية الكاشفة (١٣) بيانات عن هذا الذيل للكرة المغناطيسية من مسافة ١٥٠,٠٠٠ ك.م خلف مدار القمر ، كما بيَّن المستكشف الرائد (٧) أثر الارض على الرياح الشمسية على بعد ٦,٠٠٠,٠٠٠ ك.م من الارض وتتصل بدراسة الكرة المغناطيسية ، دراسة الشفق القطبي ، والزوابع المغناطيسية والاضطرابات المغناطيسية واضطرابات المواصلات اللاسلكية ، وتقلبات الطقس ، وكذا فضاء ما بين الكواكب والنشاط الشمسي . وسنعرف من هذه الدراسات كيف تتحكم الشمس فى جو الارض .

وكذلك امتدت دراسة جيولوجيا الارض لتشمل الكواكب الاخرى من المجموعة الشمسية فلم يعد يقنع الجيولوجي بدراسة كوكب الارض . ولكن بصره معلق بالكواكب ، يريد أن يجوس خلالها ، وأن يطبق معلوماته عن الارض على الزهرة او المريخ ، مبتدئا بالتابع القريب المطواع وهو القمر. وانه ليستخدم الان الاجهزة الالكترونية التلقائية فى الحصول على معلومات وتحليلات على أعظم جانب من الاهمية . وسيذهب غدا بنفسه الى القمر والكواكب ليطبق ما تعلمه على الارض من نظريات وخبرات ، وما استعمل من أجهزة وادوات وما طرأ عليها حديثا من تحسين وتطوير ، ولاشك انه سيستفيد كذلك من هذه التحسينات فى بحوثه ودراساته على الارض .

وثمة دراسات مقارنة لما يغلف هذه الكواكب من اجواء ، من ايونوسفير ، ومن كرات مغناطيسية ، مما يزيد فى معلوماتنا وفهمنا لنظائرها على الارض. فالعلاقات التي درسناها بين الارض والشمس ، يمكن أن ندرسها الان بين الشمس والكواكب الاخرى .

واذا كان صحيحا ما يقال من أن مادة كوكب المشترى ، تمثل المادة الاساسية التى صنعت منها المجموعة الشمسية . فان دراسة المشترى ، ستساعد على مزيد من التفهم لتكون بقية كواكب واقمار المجموعة الشمسية ، وكذا مزيد من المعرفة بارضنا .

ولاشك ان فكرة وجود كرة مغناطيسية حول الارض توحى بامكان وجود كرات مشابهة حول الكواكب الاخرى . وتؤدى دراستها الى مزيد من المعرفة عن العلائق بين كواكب المجموعة الشمسية ومع ذلك فان مركبي الفضاء مارينر (٢) ومارينر (٤) لم يتبينا اى مجال مغناطيسي حول كوكبي الزهرة او المريخ ، مما يدل على انه بفرض وجوده ضعيف .

وكذلك يستدل على عدم وجود مجال مغناطيسي، بعدم وجود اى كرة مغناطيسية كتلك التى تغلف الارض . على حين أن انبعاث موجات راديوية من المشترى يدل على أن هذا الكوكب تحوطه كرة مغناطيسية كبيرة . تمتد ملايين الكيلومترات بعيدا عن الكوكب نفسه وبتقدير شدة الانبعاث الرايوى من كوكب المشترى ، يبدو أن الاحزمة الراديوية حول المشترى اقوى الف مرة من تلك التى تحوط الارض .

ويبدو من الصواب أن نفكر فى أن أرضنا تدور داخل كرة مغناطيسية شمسية وقد يمكن تقسيم الفضاء بين الكواكب الى نطاقين ، كرة مغناطيسية

شمسية تغلف الكواكب القريبة ، والاخر بعيد يصل الجموعة الشمسية ، حيث تسود ظروف الفضاء السديمى . ومن المسائل الملحة في بحوث الفضاء ايجاد الحدود الفاصلة بين هذين النطاقين.

ولا مراء فى أن ما استفاض من الانباء آخيرا من وصول مركبة فضاء الى كوكب الزهرة ، ونزولها على سطحها هادئة وادعة سليمة . وانها لتحمل من الاجهزة والادوات ما يسجل تلقائيا ما يرصد وما يرى . بل وتنقل الى الخبراء المختصين من أهل الارض ما يسمع ويرى . مما يستطيع المختصون بدورهم فهمه وترجمته كل ذلك سيضيف الى معلوماتنا الكثير جدا من البيانات العلمية التي تضاف الى رصيدنا من المعرفة .

دراسات مقارنة بين القمر والارض والكواكب

وثمة أثر آخر لبحوث الفضاء ودراساته ، يدل على جديد من آفاق العلم الحديث ، ذلك هو توثيق الصلات بين علوم الارض والفلك والطبيعة ، وتسخيرها جميعا لدراسة هذه العلاقات الشمسية الارضية ، وتلك الدراسات المقارنة بين القمر والارض والكواكب ، فقد كانت دراسة القمر والكواكب ، من اختصاص علم الفلك والفلكيين وحدهم . أما وقد وصلت اليها أجهزتنا وادواتنا الارضية ، فقد دخلت فى مجال علوم الارض فعلا . وقد استطاعت المناظير الحديثة أن تدلنا على تفاصيل دقيقة ، لم نكن نعرفها عن سطح القمر . كما أن الصور التى التقطتها الاجهزة الحديثة التى حملتها مراكب الفضاء التى حطت على سطح القمر اودارت على مسافة قصيرة منه، قد امدتنا بخرائط ورسوم لم يكن للعلم بها عهد . واستطاع «رانجر» أن ينقل الينا صورا تفوق مادار بخلد الفلكيين القدامى ألف مرة ، سواء كان أرسطو او بطليموس من العصر القديم ، أو البيرونى وابن يونس من العصر الاسلامي الوسيط . أو جاليليو وكوبرنيق من عصر النهضة الاوربية ، أو حتى من علماء النصف الاول من هذا القرن العشرين الذى نعيشه.

وقد استطعنا التحقق من اشياء على سطح القمر لايزيد قطرها على نصف المتر ، وذلك من الصور التى التقطها « رانجر » أو « لونر » . وعندما تصل هذه الصور الى الارض فانها تكبر الف مرة فتستبين أدق تفاصيلها .

وعندما هبطت مركبة الفضاء على سطح القمر، فانها بما تحمل من اجهزة وادوات قد حققت فعلا التلاحم بين علوم الارض والفلك والطبيعة .

وكذلك فان دراسة الاشعة الكونية والبلازمات والمجالات المغناطيسية فى الفضاء ومدى تاثرها بالكرة المغناطيسية حول الارض ، قد وثق الصلات بين علوم الطبيعة وعلوم الارض ، فقد وجد علماء الطبيعة فى الكرة المغناطيسية والفضاء بين الكواكب معملا عملاقا ، يستطيع العلماء أن يباشروا فيه تجاربهم ، ودراساتهم عن البلازما والايدروديناميكا المغناطيسية فى ظروف ليست مهياة لهم على الارض. بل انهم يستطيعون اجراء تجارب على معجلات الجسيمات الطائرة فى الطبقات العليا ، وقياس تاثيرها على الكرة المغناطيسية وطبقات الجو العليا.

ومن المعروف أن عنصرى الباريوم والصوديوم ، يتلاشيان فى طبقات الجو العليا ، وعلى ذلك فمن الممكن استغلال هذه الابعاد الفضائية لتسجيل مشاهدات على الكيمياء الضوئية او كيمياء التصوير فى الجو ودراسة المجالات المغناطيسية والكهربائية فى الفضاء . ومعالجة مثل هذه الموضوعات ، فان عالم الطبيعة انما يعالج فى الوقت نفسه موضوعات بالغة الاهمية بالنسبة لعلوم الجيولوجيا والجيولوجيين .

ولعل اهم ما تقدمه علوم الفضاء ، من آفاق العلم الحديث ، بالنسبة لعلم الطبيعة أنها تهيىء هذا المعمل الفضائي الضخم لاجراء البحوث ، حيث الفراغ ، وانعدام أثر السطوح المختلفة مما لا يمكن توافره على الارض . ففى الفضاء يمكن استغلال البلازمات والمجالات المغناطيسية التى تهيئها الشمس في دراسة الايدروديناميكا المغناطيسية او موجات التصادم واللاتصادمية ، وغيرها من ظواهر تستحيل دراستها على الارض . ثم ان الانسياب الفضائى فيما بين الكواكب على الارض انما هو اشعة كونية سديمية ذات طاقة أعلى بكثير من تلك التى يمكن توليدها على الارض فى أى معجل على الارض ، فهذه الدقائق والجسيمات انما هى فى ذاتها موضوعات بحث ، لعالم الطبيعة الباحث فى موضوعات الطاقة العالية ، والتركيب النهائى للمادة .

وقد أمكن بوساطة الاقمار الصناعية ومراكب الفضاء اجراء تجارب فضائية مجالها المجموعة

الشمسية ، ومع تقدم الوسائل التقنية ،استطاع الانسان ان يجرى بنفسه تجارب وقياسات دون أن يعتمد علىالاجهزة التلقائية وحدها،واستطاعت الاقمار الصناعية التي تحمل الساعات النووية والجيروسكوبات الدقيقة ، أن تحقق بعض مظاهر النظرية النسبية التى يمكن تحقيقها على سطح الارض .

وكذلك يقول العلماء ، ان طبيعة الجاذبية الارضية ، ما تزال غير مفهومة تماما . ولذلك فان وضع اجهزة دقيقة على سطح القمر ، تدار عن طريق الليزر على الارض من شأنها ان تحدد بدقة بالغة المواضع النسبية للارض والقمر ، مما يهيىء لنا استعمال نظام (الارض ــ القمر) لتقرير ما اذا كان تمدد الكون له أثره علىثابت نيوتن للجاذبية.

فى علوم الفلك

ويمكن القول بأن أثر علوم الفضاء على علم الفلك مماثل ان لم يفق أثرها على علم الارض . فقد كان علم الفلك طوال تاريخه القديم يكاد ينحصر فى هذه المشاهدات التى تجرى بالمناظير والادوات الاخرى على سطح الارض.وفى بضع عشرات السنين الاخيرة شاع استعمال بعض الامواج الراديوية فىمشاهدات أخرى ، وقد وضعت نظرية علمية فلكية رائعة على أساس هذه النتائج.وقد أكدت هذه النظرية بعض المعلومات الهامة على الوسط السديمى ، وان بعض العمليات مثل نشأة وتطور بل واندثار بعض الاجرام السماوية ، انما هي عملية مستمرة فى أطوال أمواج الاشعة السينية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء التى يمنعها الهواء الجوى من الوصول الى الارض . والواقع أن تسجيلات الصواريخ ومشاهداتها ، قد أثبتت وجود عشرات من مصادر الاشعة السينية على الكرة السماوية. ولم تكن النظريات الفلكية تقدر هذه المصادر او تعترف بها . وأصبح وجودها يثير أسئلة صعبة عديدة حول هذه المصادر القوية للاشعة السينية التى صار الكشف عنها من موضوعات العصر .

فالكشف عن مصادر الاشعة السينية والسدم الراديوية وأشباه النجوم بوسائل التقنية الارضية يعتبر من أعظم البحوث الفلكية اهمية فى عصر الفضاء ،ولا مراء فى أن التعاون بين التقنيةالارضية والتقنية الفضائية ، قمين بالاضافة الهائلة الى معلوماتنا عن الكون .

فى علوم الحياة

وكذلك لعب عصر الفضاء دوره على مسرح علوم الحياة . فى وقت كانت بعض الأسئلة الاساسية الملحة عن طبيعة وكيمياء الحياة ، ما تزال تفرض نفسها. فما هو دور البروتينات والاحماض النووية فى العمليات الحيوية والقوانين الوراثية ، وطبيعة الذاكرة فاذا كشفت الحياة عن كوكب آخر من كواكب المجموعة الشمسية ، فلا شك أنها ستنير الطريق امام الباحثين فى علوم الحياة على الارض ، فضلا عن آثرها الفلسفى الكبير ، فالحياة علىسطح الارض متصلة ومستمرة وهى منتشرة على سطح الارض فى كل مكان، وخاصة الكائنات الدقيقة التى توجد فى أجف المناطق الصحراوية ، وفى أحر وابرد الجهات والاجواء وانه حتى فى أنهار الجليد والثلاجات تعيش بعض الديدان والنباتات .

وقد ظهرت الحياة على الارض منذ آباد بعيدة ، وقد كشفت حفريات بكتيريةومجهرية بانها منذ اكثر منثلاثة بلايين من السنين.ويعتقد العلماء ان الحياة مستمرة منذ هذه الاحقاب السحيقة ،وبعض أحياء اليوم تشبه أسلافها التي ظهرت منذ نصف بليون سنة وبعض بكتيريا اليوم ، تمثل ما كان يعيش من أسلافها منذ آباد ، ولعل بعضها يكون محتفظا بكل مظاهر الحياة منذ ذلك التاريخ السحيق ، لانه يعيش فى بيئة ملائمة كجو من النشادر مثلا ، وبعضها كان متجمدا ، وكأنما بعث الى الحياة عندما وضع فى الماء . ان كيمياء الحياة تسير وفق نظام سوى ، انها عمليات كيميائية بالغة التعقيد تجرى فى جسم الكائن الحى ، من نبات أو حيوان ، على نسق لا يعرف له نظير فى معاملنا ومختبراتنا ، المعروف ان كثيرا من الجزئيات العضوية ذات صور اساسية فى المادة الحية وهذا المركب المعقد الذى اصطلح على الاشارة اليه بالرمز (د . ن . أ) هو الذى يختزن الخصائص الوراثية فى خلايا الكائن الحى ، ويسيطر على عمليات النمو . ومن المعروف ان كثيرا من الجزيئات العضويةذات صور يمينية وأخرى يسارية . ومن الحقائق العجيبة ان العمليات الحيوية لم تستعمل الصورتين ابدا ،

فكل الكائنات الحية ، تستعمل الصور اليسارية للاحماض الامينية . والخلاصة أن كيمياء الحياة على الارض ، تدل على انها لو أعطيت الظروف البيئية الملائمة والوقت الكافى ، تتبدى مظاهر الحياة ،باذن الله. فان كيمياء الحياة واحدة حيثما وجدت هذه الحياة . ذلك هو الاطار الذى يعمل فيه العلماء فى مجال الحياة على الارض مع استفادة من بحوث الفضاء ودراساته . فاذا أرسلنا أنواعا مختلفة من الكائنات حية الى الطبقات العليا فى الفضاء ، فاننا ندرس تأثير الظروف الارضية كالجاذبية ودورة الليل والنهار على الحياة وعملياتها كما نعرفها ، وهو نفس الاطار الذى نبحث فيه عن امكان وجود صور للحياة على الزهرة او المريخ . فقد تكون الظروف البيئية على المريخ ملائمة للحياة ، رغم أن عدم وجود الماء هناك يثير شكوكا هائلة لدى العلماء . ثم ان ارتفاع درجة الحرارة على سطح الزهرة فوق درجة انصهار الرصاص مما تستحيل معه الحياة فى تصورنا . ولكن من رأى البعض أن تقديراتنا لهذه العوامل عن قرب ، باستغلال سفن الفضاء ومراكبه ، قد يؤيد ما يذهب اليه البعض من انها تقديرات مبالغ فيها جدا . وأن درجة الحرارة اقل بكثير مما يعتقد معظم العلماء وأن درجة الحرارة على جبال الزهرة أو عند قطبيها قد تكون ملائمة جدا للحياة وعلى كل فحيثما تكون على أى من هذه الكواكب، ففى مفهومنا أن لها نفس الكيمياء التى نعرفها على الارض ، على انها قد جرت تحت ظروف تختلف عن تلك التي على الارض . فان الحياة التي توجد بعيدا عن كوكب الارض قد تكون مختلفة جد الاختلاف ، ويستتبع ذلك بطبيعة الحال اختلاف عن البيولوجيا الارضية ، وتطبيقاتها فى الزراعة والطب وما اليها ، ويستتبع ذلك أيضا اننا سنتعلم كثيرا عن كيمياء الحياة على كوكب آخر دون أثر لاحياء الارض . وانه حتى اذا لم توجد حياة على الزهرة أو المريخ فان الدراسة الكيميائية ستكون ممتعة ومفيدة .

عشرة آلاف باحث

ونظرا لتشعب موضوعات بحوث الفضاء ومتطلباتها ، فان أكثر من مائتى كلية ومعهد وجامعة يعكف علماؤها على البحث العلمى فى مجال الفضاء، ولا يقل عدد هؤلاء العاملين فى بحوث الفضاء عن عشرة آلاف باحث ، وذلك عدا خمسة آلاف آخرين من طلاب الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراه تختص رسائلهم ببحوث الفضاء ودراساته تضمهم عشرات الكليات والاكاديميات ، وهم يضيفون كل يوم الى معلوماتنا جديدا عن الفضاء .

عودة الى الماضى

ولنعد خمسة وعشرين قرنا الى الوراء ، حين قال سقراط أبو الفلاسفة «اننا نحن سكان الارض» انما نعيش كالضفادع فى قاع البركة ، واذا استطاع الانسان أن يعلو قمة الهواء ، فهو وحده الذى يستطيع ان يعرف الارض على حقيقتها ، وبالتالى يعرف حقيقة الدنيا التى نعيشها . وما أظن ان سقراط قد تبين عظم نبوءته عندما نطق بهذه العبارة منذ اكثر من الفين واربعمائة من السنين لاننا لم نكد نتسنم قمة الهواء ونحلق فى الفضاء الا منذ سنين .

وقد تبين الكثير منا الدور الذى تلعبه الاقمار الصناعية فى مجالات المواصلات والارصاد الجوية ولكننا لم نكد نتبين اهميتها فى علوم الجيوديسيا ، والجيولوجيا وعلم الحياة ، والملاحة الجوية والاقيانوغرافيا والطيران والخرائط الجوية،ونقص الموارد الطبيعية فى الارض . ومع ذلك ، فينبغى أن نسلم أن علم الفضاء ما زال فى دور الطفولة .

فى الجيوديسيا

لقد ظل التقدم فى تحديد شكل الارض بطيئا ، وقد قال الاغريق بكروية الارض منذ ستمائة سنة قبل الميلاد ، كما قدروا محيطها بدرجة لا بأس بها من الدقة . وقد شايع العرب بطليموس فى دراساته الفلكية . وفى القرن السابع عشر ، لاحظ نيوتن تفلطح الكرة الارضية عند القطبين . وكان على التقدم الحقيقى فى معرفة شكل الارض أن ينتظر حتى عصر الفضاء الذى بدأ منذ نحو عشر سنين وحقق فى هذه الحقبة القصيرة هدفين هما وضع نظام جيودسى عام ، وتحقيق مجال جاذبية الارض

بدقة . وقد استطاعت الاقمار الصناعية ان توجد نظم دراسة شكل الارض وتحديد المواقع الرئيسية التى تؤدى الى معلومات يقينية بالنسبة لشكل الارض وحجمها ومجال الجاذبية فيها بل وتركيبها. اذ المعروف ان الارض ليست متماثلة في الكثافة في جميع اجزائها ، ولعل التغير في شكلها عند القطبين او عند خط الاستواء أو شكلها الكمثرى، انما يعزى الى التباين في تركيبها وبيئتها .

في المواصلات الملاحية

ولقد استطاع العلم تسخير الاقمار الصناعية في نقل الرسائل اللاسلكية والصور التلفزيونية عبر القارات جميعا ، وبذلك حلت هذه الطريقة محل الطرق التقليدية القديمة من نقل عبر قيعان البحار والمحيطات، وسيرى المستقبل القريب تعميم هذا النظام في المواصلات اللاسلكية مما يعم نفعه وترخص كلفته .

وهناك فائدة اخرى محققة ، هى الاستفادة من هذه الاقمار الصناعية ومحطات الفضاء في تامين مواصلات الطيران عبر اجواء الفضاء ، وكذلك المواصلات البحرية في خلال اعالي البحار والمحيطات، وذلك بتحديد الممرات المامونة في البحر أو الجو ، طبقا لما تعلنه هذه الاقمار من معلومات ورصدات عن حالة الجو والبحر ، مما يجعل الرحلة اكثر متعة وامانا . وثمة اموال ضخمة ترصد في الوقت الحاضر لدى الدول المتقدمة لتعميم هذا النظام وتطبيقه في اسفار البر والبحر والجو ، فضلا عن الافادة منها عبر اجواز الفضاء العليا للسفر بين الكواكب ، ثم العودة الى الارض . ويمكن تصور مدى الفائدة التى تعم قطان الارض، من طلاب مدارس، وفلاحين في قراهم وبحاث في معاهدهم ، ومسافرين في مركباتهم من نشر هذه المعلومات الصوتية والمرئية اولا باول ، بل ومشاهدين للتلفاز في منازلهم . ويرى البعض امكان تحقيق كل الامال في العشر السنوات التالية ، بل واستغلال هذه المعلومات الراديوية او التلفازية في التعليم . وحبذا لو زامن هذا التقدم التقنى ، تقدم آخر ، في ايجاد لغة عالمية يمكن ان تفهمها كل الاجناس في كل رجا من ارجاء العالم ، وما اجمل ان يستغل هذا المورد العلمى الثمين .

في الارصـــاد الجوية

وفي مجال الارصاد الجوية ، تجلى تطبيق علوم الفضاء ، باجلى صوره ، حيث تعطى المعلومات الصادقة السريعة عن هذا التغير الديناميكي لجو الارض في الرياح والاعاصير والزوابع واتجاهاتها وسرعتها مما يسمح باتقاء اخطارها وعدم التعرض لها . وقد كان من الممكن التكهن بحالة الجو من ناحية الاعاصير والزوابع من مرتبة الدوارات و « الهاريكان » قبل وقوعها بيوم أو يومين . اما في الوقت الحاضر فمن الممكن التكهن على نطاق اوسع وبصورة ادق وأوفى . كما يمكن أن يقال انه قد يمكن التكهن بالاعاصير الرعدية «والتورنادو» التى لا تستمر طويلا في الوقت المناسب وذلك نتيجة للتسجيلات المستمرة والرصدات والصور التلقائية التى توافينا بها الاقمار الصناعية في كل وقت وآن. وعلى ذلك نحصل على صورة صادقة واقعية لقياسات الضغط والحرارة والرطوبة وسرعة الريح على الارتفاعات المختلفة في فترات متقاربة كل بضع دقائق ، وفي كل مكان على سطح الارض .

الموارد الطبيعية في الارض

ولا مراء في أن حاجتنا الى كل ما تزخر به ارضنا من موارد طبيعية تزداد تبعا لزيادة السكان ، ومن هذه الموارد الهواء والجو والمحيطات والماء العذب والثلاجات والغابات والمعادن والارض القابلة للزراعة ولا يمكن استغلال هذه الموارد استغلالا كاملا بمجرد كشفها وادارتها . ولكن كشف تلوثها أصبح من الاهمية بمكان ، وذلك حتى لا نتعرض لاخطار التلوث الذرى . وقد اصبح هذا الكشف والحماية منه ضرورة لا معدى عنها في بعض الجهات وقد غدا ذلك ميسرا في عصر الفضاء والواقع اننا منذ سنين واننا لنستغل مراكب الفضاء واقماره ،

سواء منها ما زود باشخاص ، او ما يعمل تلقائيا في الكشف عن مزيد من موارد الثروة الطبيعية في الارض وبحارها وقد نظمت برامج (جيمني) وغيرها لارتياد الفضاء وتصوير الارض من الجو مما يسر كثيرا من الجهد ويوفر كثيرا من النفقة ويعطي صورا اكثر دقة واعظم شمولا وتباينا لمواضع الثروة ومواردها في الجبال والغابات والصحارى مما لا تتيحه صور فردية صغيرة من الارض .

الزراعة والماء العذب

وفي مجال الزراعة تتبدى اهمية التصوير الجوى للاراضي المختلفة ، وتستطيع الصور الفوتوغرافية بالاشعة تحت الحمراء أن تبين ظهور مرض اشجار الغابات ، نظرا لان الاشجار المريضة تغير درجة الحرارة مما يسجل على الفلم الخاص بهذه الاشعة . وكذلك يمكن استقراء حالة المحاصيل والاراضي من صور فوتوغرافية .

وفي مشكلة الماء العذب ، تستطيع علوم الفضاء ودراساته أن تقدم الكثير ، فلون الماء ، انما يعزى الى ما به من كائنات حية واملاح ورواسب ومحتويات أو تلوثات فيمكن استغلال التصوير بالاشعة تحت الحمراء لتحديد مواضع الماء العذب الذى يتسرب هنا وهناك . ويقدر هذا المتسرب الضائع بنحو سدس كمية الماء العذب المتاح . وكذلك أمكن بهذا التصوير تحديد المواضع المتسرب فيها الماء العذب في باطن الارض . ولا ننسى أن الثلاجات في قنن الجبال ، انما هى مصدر هام من مصادر الماء العذب ، ويمكن رصدها وتصويرها من الفضاء الخارجي ، وتقدير مدى امكان الاعتماد عليها في مدنا بالماء العذب .

الثروة السمكية والملاحة البحرية

وكذلك استطاعت اجهزة الاقمار الصناعية أن ترصد الخصائص الحرارية للمحيطات والمعروف أن هناك علاقة وثيقة بين تجمع الاسماك والحرارة الملائمة في المحيطات . وأسماك المحيطات هى المعين المرجى للغذاء البروتيني للسكان المتزايدين . وكذلك تؤيد الصور الفضائية لـ (جيمني) اهميتها للملاحة سواء في أعالي البحار أو الانهار في رصد الامواج العالية والاعاصير البحرية . وبالجملة فان جهات كثيرة متعددة يمكن أن تفيد من هذه البرامج الفضائية او ما تقدمه اجهزتها من معلومات ليس الى تقدير اهميتها من سبيل .

الخلاصة

والخلاصة أن العلم والتقنية ، قد أصبحا عنصرا اساسيا من عناصر الثقافة والحضارة الحديثة . انهما يتركان طابعهما العميق الاثر على كل مجالي المدنية في الفنون ، ويضيفان الى معاني الانسانية أبعادا وتعبيرات لم نكن نعرفها من قبل ، ويمدانا بأجهزة وآلات أفضل للموسيقى ووسائل سمعية افضل ، مما يتيح متاعا روحيا عاليا ، ويقدمان للفنان مواد افضل لعمله ونتاجه ، انهما يزودان الانسان بفهم أوسع واعمق لنفسه وامكانياته ومكانه في الطبيعة . انهما يعطيان العالم سواء كان مؤرخا أو مختصا بالآثار كل ما من شأنه أن يحقق معلوماته وآراءه ويدعمها بالاجهزة والادوات والكيماويات والتحليلات يستطيع عن طريقها أن يؤرخ للمواد ، وأن يميز المصادر والموارد . ومع الزمن ينعكس كل ذلك على الادب والاجتماع والسياسة والاقتصاد وتطبيقاتها في الحياة اليومية للانسان .

لقد أصبح معروفا للكافة اليوم أن دنيانا ، ما هى الا جرم في المجموعة الشمسية التى تسبح في مجرة هى واحدة من ملايين المجرات ، وتزيد وسائل الاعلام التى ابتدعها العلم من فهم مشترك قد يؤدى الى سيادة السلام .

وكذلك تمتد آفاق العلم الحديث لتحيط بالتقدم الانساني في مختلف المجالات في سبيل الخير المشترك للانسانية جمعاء .

■■

القاهرة — عبد الحليم منتصر



بقلم : الدكتور عبد الله ناصر

مدرس علم النفس في الجامعة الاردنية

عصرنـا عصر تقدم فى العلـم والتكنيـةولكـن :

■ لقد احرز الانسـان فى العقود الخمسـةالماضية من هذا القرن تقدما علميا وتكنيا أكثر مما احرز فى جميع العصور التي مرت به . فملك زمامالطبيعة التي حوله وكشف الكثير من أسرار الكون المحيط به ، وقهر الكثير من الأمراض البدنيـةالمستعصية التي لازمته خلال مراحل تاريخه . ولم يعد الانسان المتحضر ، أو على الأقل الاكثريةمن الناس عرضة للمجاعات والأوبئة كمـا كانوا عرضة لها فى الماضي .

ولكن هذا التقدم العلمي الهائل جلب معه جيشا من الأوبئة النفسية والمشاكل الاجتماعية كالانزعاج والقلق والوهم والشك والعطل والتشرد والصراع القيمي والتعصب العنصرى والمنافسة الشديدة على المادة . والتهديد الدائم من خطر نشوب حرب ذرية شاملة ، واصبح الانسانيواجه من المشاكل ما يفوق طاقتـه ، واصبحت القيم والمعتقدات التقليدية غير واضحة وغير مفهومة عنده كما كانت واضحة ومفهومة من قبل ، كما انـه فقد الايمان المطلق الذى كـان يوفر الأمن والاستقرار لاسلافه وفى نفس الوقت فان تقدمه فى فهم نفسه وكشف اسرارها يختلف كثيرا عن تقدمه فى العلوم الطبيعية . فهو يعرف الكثير عن الالات وأسلحة الفناء ، ولكن معرفته غير كافية عن المحبة والعطف والقيم التي يحتاجها من أجل توفير حياة ذات معنى يتحقق له فيها الامن والاستقرار.

ونتيجة لذلك فهو يتعثر وسط خليط من المسالك الفلسفية والنظم لعله يجد الطريق التي ترضيه .

اذا فلا عجب اذا راينا فى كل مكان اناسا قلقين تبدو عليهم أعراض كثيرة من سوء التكيف عند مواجهتهم لمشاكل الحياة وشدائدها ، ويفقدون مقدرتهم على العمل والانتاج . فمن المذهل مثلا ان نعرف أن الاضطرابات النفسية والعقلية تسبب من العطل عن العمل والانتاج عند الناس أكثر مما تسببه المشاكل الصحية الأخرى مجتمعة ، وان عدد المضطربين عقليا يبلغ نصف عدد المرضى الذين يحتلون أسرة المستشفيات فى أكثر البلاد تقدما .

ولذلكفان معرفتنا للسلوكاللاسوىمفيدة خصوصا فى هذه الظروف الحرجة ، فهي تساعدنا على فهم أنفسنا وعلى تحسين مقدرتنا علىالتكيف للمشاكل، كما تساعدنا على تخفيف تلك الضريبة الباهظة

فى ... فهم ..
السلوك غير السوى
فى عصرنا الحاضر .

من البؤس والشقاء والانتاج الضائع الذى يفرضه سوء التكيف على مجتمعنا .

السلوك اللاسوى كما يراه عامة الناس :

اعتاد الناس عموما أن ينظروا الى الاضطرابات النفسية والعقلية نظرة خوف وفزع متأثرين فى ذلك بالخرافات من ناحية وبالأمثلة المتطرفة التي وردت فى التاريخ لحالات شاذة مخيفة من ناحية أخرى . وسنحاول القاء نظرة سريعة على بعض حالات الاضطرابات العقلية التي جاءتنا من التاريخ والأدب لانها ستزيدنا فهما لطبيعة ذلك السلوك خصوصا وأن معظم أنواع الاضطراب العقلي التي نشاهدها اليوم قد لوحظت فى العصور الماضية .

بعض الحالات التي وصلتنا من التاريخ :

يروى لنا التاريخ حالات مثيرة عن الأشخاص المضطربين عقليا . فمثلا شاؤول ملك بني اسرائيل فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد كان مصابا بنوبات الهوس والاكتئاب . ففي احدى نوبات الهوس خلع جميع ملابسه فى مكان عام ، وفى نوبة أخرى حاول قتل أخيه جوناثان .

وكان قمبيز ملك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد مدمنا على الخمر . ففى احدى المناسبات دون أن يقوم بتجهيز جيشه هجم على الاثيوبيين الذين أثاروا سخطه بتسميتهم الفارسيين آكلي روث الماشية . ولكنه تقهقر امام المقاومة الاثيوبية ورجع الى مدينة ممفيس حيث وجد الناس يحتفلون بعيد آبيس فثار غضبه لظنه انهم يحتفلون لفشله وأمر بقتل جميع من اشتركوا فى ذلك الاحتفال . وفى مناسبة أخرى اتخذ ابن صديقه هدفا للرماية ليبرهن على أن الخمر لم تؤثر على قوته العقلية ، فحقق هدفه وقتل الصبي مبرهنا بذلك ... على اختلال عقله ! ! .

وكان كثير من مشاهير اليونان والرومان أمثال سقراط وديمقراطيس والاسكندر الكبير ويوليوس قيصر يقاسون من نوع أو آخر من الاضطرابات العقلية .

وفترة العصور الوسطى مليئة بالأمثلة على الاضطرابات النفسية والعقلية . فمثلا تروى كتب الطب حالة مثيرة لأمير من أمراء أسرة بويه مرض بالميلانخوليا وتوهم أنه أصبح بقرة . فكان يخور كما تخور الابقار ، ويصيح طالبا ذبحه وطبخ لحمه ، وامتنع عن الطعام وساءت حاله . ولما أعيا الأطباء شفاؤه دعي ابن سينا لعلاجه . وكان أول ما صنع ابن سينا أن أرسل الى المريض رسالة يخبره بأن الجزار قادم لذبحه ففرح الأمير بذلك كثيرا . ولما حضر ابن سينا دخل على المريض

وبيده سكين وأمر بربط يديه ورجليه وطرحه على الأرض لذبحه ، وتقدم منه واخذ يجس جسمه بدقة ثم التفت الى أهله قائلا : ان البقرة نحيفة ولا تصلح للذبح ويجب أن تأكل حتى تسمن . وعندئذ أقبل المريض على الطعام بشهية فتحسنت صحته وقوى جسمه وتخلص من وهمه .

وكان الفاتح تيمورلنك مضطرب العقل ، وقد ظهر ذلك في غرامه الشديد بسفك الدماء وبناء أهرامات من جماجم القتلى وقد شملت بعض تلك الاهرامات ما يزيد على اربعين الف جمجمة .

وفي العصور الاكثر حداثة نرى أن جورج الثالث ملك انجلترا كان مصابا بنوبات الهوس والاكتئاب. فكان ينتقل في حديثه بسرعة من موضوع الى آخر ويسأل مستمعيه اسئلة دون انتظار جواب . وكان يأكل طعامه بشراهة عجيبة ، وكان مغرما بقتل الخيول ، فكان يركب حصانه ويرغمه على الركض ساعات طويلة حتى يسقط الحصان ميتا من التعب .

وكان الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو مصابا بجنون العظمة في أواخر أيامه . فكان دائما يبدي مخاوفه من أعداء سريين يعتقد بأنهم سبب شقائه ومتاعبه . وكان يظن أن فرنسا وانجلترا والمانيا متآمرة عليه . ومن القصص الطريفة التي تروى عنه أنه في زيارة للندن هرب تاركا حقيبته ونقوده في الفندق ولما وصل الى الشاطىء وجد الريح غير مساعدة على سير السفينة فرأى في ذلك مؤامرة من الربان والبحارة ضده . وعندما عاد الى باريس ظن أن أعداءه افسدوا بائع القهوة والحلاق وماسح الأحذية وحرضوهم عليه وأخيرا عندما فقد ثقته بالناس لجأ الى الله فكتب اليه رسالة وذهب ليضعها على مذبح كنيسة نوتردام ليضمن وصولها ، ولكنه وجد الباب مغلقا فتوهم أن الله أيضا متآمر عليه .

والقائمة التي يمكن ذكرها في هذا المجال طويلة ومشهورة . فبيتهوفن كان على الرغم من فقره البائس يغير احياءه السكنية فيضطر الىدفع ثلاثة أو أربعة ايجارات في المرة الواحدة . وقطع فان جوخ احدى اذنيه في نوبة صرعية وارسلها الى عاهرة . وكان كل من شوبنهاور وشوبان وجون ستوارت مل مصابا بنوبات الاكتئاب . وعندما نصل الى عصرنا تدخل القائمة اسماء هتلر وموسوليني وجورنج وكثير غيرهم .

ولكن من الجدير بالملاحظة في مراجعتنا لهذه الأمثلة التاريخية أنه على الرغم منكثرة الأشخاص المضطربين عقليا الذين لعبوا ادوارا هامة في تكوين التاريخ ، فقد كان الاشخاص السويون ذوو القدرة على التكيف الجيد هم الذين لعبوا الادوار الاكثر فاعلية في الاصلاح والتقدم .

بعض الحالات التي وصلتنا من الأدب :

عندما نتصفح الكتابات التي وصلتنا من الادب القديم . فاننا نجد كثيرا من التلميح الى السلوك اللاسوى . فيوريبيدس مثلا وصف في روايته « ميديا » انفعالي الغيرة والانتقام كما اظهرتهما أم قتلت اطفالها ، ووصف سفوكليس في روايتيه أوديبوس والكترا الدوافع الجنسية المحرمة مع الأقرباء .

وشكسبير يصف تطور الاضطراب النفسي تقريبا بنفس الدقة التي تصفها العيادات النفسية الحديثة . فرد الفعل للشعور بالاثم عند السيدة ماكبث بعد مشاركتها في قتل زوجها الملك دونكان واضح في أرقها ومشيها أثناء الليل وفي غسل يديها الرمزي المتكرر الذى فشل في تطهيرها من الشعور بالذنب .

وهل يستطيع اى شخص مر بفترة المراهقة المثالية أن لا يرى الفكاهةفيمخاطرات دون كيشوت الذى اغرم بقراءة كتب الفروسية حتىأصبح يعتقد بأنها واقعية فأخذ يقلد أبطال تلك الروايات الخيالية ويتجول في البلاد ليزيل الظلم ويدافع عن المظلومين .

ان الأوصاف التي نجدها في الأدب لا تعطينا فقط صورة عن نوع الاضطرابات العقلية الشائعة في فترة معينة ولكنها أيضا تعطينا فكرة عنالدوافع والمشاعر الداخلية للكتاب أنفسهم . فقد احتار الانسان منذ زمن طويل في تلك الدوافع اللاعقلانية

التي يبدو انها مدفونة في اعماق النفس ولكنها تظهر تحت تأثير الظروف غير العادية كتأثير المخدرات والتنويم . فاحلام دى كوينسي مثلا تحت تأثير المخدرات تكشف عن مثل تلك المشاعر الداخلية المكبوتة . ويطيب لنا احيانا أن نحاول تفسير الدوافع التي تختفي وراء بعض الكتابات الادبية . فمثلا يبدو أن السادية تكمن وراء أحلام اليقظة التي صور فيها جوناثان ادوردز التعذيب الوحشي في جهنم لأولئك الذين اعتبرهم مذنبين .

السلوك اللاسوى في حياتنا اليومية :

ان حوادث الاضطراب العقلي والنفسي التي نمارسها في حياتنا اليومية عادة اقل تطرفا وخطورة من تلك التي نسمع عنها او نقرؤها في الكتب . وهي عبارة عن طرق غير فعالة لحل المشاكل بدلا من كونها اضطرابات عقلية محطمة لفعالية الفرد . وهي تكون على عدة مستويات من الخطورة . ففي اقل الحالات خطورة يعتبر الفرد غريب الاطوار فقط ، كحالة الطالب الذكي المقصر في مدرسته الذى يشكو من عدم مقدرته على التركيز في دراسته ، والموظفة الشابة التي تشكو من الصداع المستمر الذى ليس له سبب عضوى واضح ، والشاب ذو الاحساس المرهف الذى يحمر وجهه خجلا كلما أصبح مركزا لانتباه الناس ، والرجل المتوسط العمر الذى يركز كل نشاطه على مطاردة النساء . وهناك حالات يظهر فيها وجود نقص واضح كحالة الشاب الاعزب الذى يرفض قبول الترقية في عمله لانها تتطلب القيام برحلات بين الحين والآخر بعيدا عن أبيه وأمه ، والطالبة التي تشعر بالضيق وتكثر من البكاء دون أن تبدى سببا لذلك ولا تستطيع مواصلة الدراسة واخيرا تترك المدرسة . والزوج الشاب الذى يعامل زوجته بقسوة ثم يهددها بالانتحار اذا هي صممت على تركه . والرجل الناجح في عمله الذى يصر على انه فاشل بائس ولا يستطيع الاستمرار في العمل ، والفتاة المراهقة التي تسرق النقود من أهلها لتدفع ثمن ما تشتريه من حاجات .

واخيرا توجد حالات تبدو لكل الناس أنهـا اضطراب عقلي . كالشاب الساخط على الناس الذى يصر على أن اعداءه أعدوا له جهازا كهربائيا ليسيطر على أفكاره . والرجل الذى يلاحق الاطفال بشكل مريب مع انه في اواسط عمره . ومدمن الخمر الذى يتراجع منكمشا على نفسه من الخوف امام مجموعة من الصراصير . والشخص الذى يتوهم انه مظلوم ومضطهد فيحاول الانتقام من اناس أبرياء يظن أنهم متآمرون عليه . والشاب الذى يقتل عددا من الفتيات بعد اغتصابهن ثم يمثل باجسامهن أشنع تمثيل .

بعض المعتقدات الخاطئة عن الاضطرابات النفسية والعقلية :

لقد كسب الناس على ممر العصور كثيرا من المعتقدات والمفاهيم الخاطئة عن الاضطرابات العقلية نظرا لمعرفتهم السطحية التي حصلوا عليها من القصص والروايات التاريخية والادبية ، أو محاولاتهم علاجها في الحياة اليومية بالطرق البدائية . ومن المؤسف أن تلك المعتقدات لا تزال منتشرة بيننا ، فهي تعرضنا الى المخاوف من المرض العقلي وتسبب لنا كثيرا من الشقاء الذى لا محل له . فهناك اشخاص يعتقدون أن كل الناس أصحاء الا هم انفسهم ، وينزعجون لأى سلوك أو اتجاهات نفسية تبدو منهم ويلاحظون بمزيد من الالم والخوف أية بوادر تبدو عليهم من القلق أو التعب او الارق او الصداع أو فقدان الشهية ، وبالاختصار يبدون وكأن عندهم جميع أعراض الأمراض التي يقرؤون عنها . وهنا نذكر بشكل خاص طلبة الطب وطلبة علم النفس الذين يميلون الى التصور بأن عندهم جميع أعراض الأمراض البدنية والعقلية التي يدرسونها . ان احدى الطرق الفعالة في مداواة هذه المخاوف التي لا لزوم لها هي أن يتأكد الشخص بأن معظم الناس ان لم يكونوا جميعهم يشاركونه هذه المشاعر في وقت من الأوقات خلال حياتهم ، فكل انسان يشعر احيانا بالانزعاج والقلق والصداع وضعف الشهية واضطراب المعدة . ان التأكد من مشاركة الناس لنا في المشاكل والصعوبات التي تواجهنا يساعد على ازالة مشاعر الانفراد بالمصائب والآلام التي تلعب دورا هاما في بعث مخاوفنا من تلك الامراض وفيما يلي سنذكر بعض المعتقدات الخاطئة المنتشرة في مجتمعنا لأن ذلك

سيساعد على جلاء الغموض الذى يحيط بمفهوم السلوك اللاسوى وعلى طرد تلك المخاوف العالقة بأذهاننا عنه .

الاعتقاد بأن المرض العقلي عار :

كثير من الناس يخجلون من استشارة علماء النفس او اطباء الأمراض العقلية فى مشاكلهم مع انهم لا يترددون في استشارة طبيب العيون أو طبيب الأسنان او غيرهم من المختصين بالأمراض البدنية .

ان هذا الخجل يسبب كثيرا من الحالات التي يتطور فيها الاضطراب العقلي الطفيف فيصل الى نقطة الخطر . ومن ناحية اخرى يمكن ان يمنع المصاب من أخذ العلاج الذى يخفف من آلامه ويعجل فى شفائه . كما انه يمنع بعض الاسر من ارسال مرضاها الى المستشفيات العقلية خوفا من العار امام الناس . ان المرض العقلي فى الحقيقة ليس عارا او شيئا مشينا اكثر من المرض البدني. فنحن لا نلوم اى انسان يضطرب جسمه ويعجز عن مقاومة جراثيم المرض . فلماذا نلومه اذا اضطربت نفسه وعجزت عن مواجهة المشاكل وتحمل الشدائد ؟ يجب أن نعلم بان لكل انسان حدا من التحمل لا يتجاوزه، ونقطة يضعف عندها ، عندما يواجه الصعوبات فمن حسن حظنا ان هذه الصعوبات ليست قاسية ومستمرة تستنفد طاقتنا وتحطم اعصابنا. وعلى الرغم من المحاولات لتصحيح تلك المفاهيم فان مجتمعنا لا يزال يرفض المضطربين عقليا وينظر اليهم نظرة خالية من العطف والاحترام حتى ان بعض المشتغلين فى هذا الميدان لا يزالون ينظرون هذه النظرة . ففي الوقت الذى نرى فيه معظم الناس يشعرون بعطف على الاشخاص المصابين بعاهات او امراض بدنية ، فاننا نراهم لا يشعرون بهذا العطف على المصابين بالامراض العقلية ! !

المرض العقلي شاذ ولا يمكن فهمه :

توجد فكرة شائعة فى مجتمعنا بأن دخلاء المستشفيات العقلية أناس شواذ يعيشون فى عالم مضطرب بعيد عن الواقع . ولكن الحقيقة هي ان الاكثرية من المضطربين يكونون على وعي بما يدور حولهم ويستطيعون مناقشة حالتهم بنفس الطريقة التي يخبر بها اى انسان منا الطبيب مثلا عن سوء الهضم الحاد الذى يشعر به . فاذا كنا نظن بأن الأفراد المضطربين يختلفون كلية عن الأفراد الذين يظهرون نجاحا اكثر فى تكيفهم لمشاكل الحياة ، فمن الطبيعى الا نفهم سلوكهم بنفس الطريقة التي نفهم بها سلوك السويين من الناس . ولكن اذا اعتبرنا كلا من السلوك السوى وغير السوى كمحاولات للتكيف لمشاكل الحياة بأساليب مختلفة وعلى درجات متفاوتة من النجاح ، عندئذ يمكننا ادراك المبادىء الاساسية للسلوك التي تنطبق على السوي وغير السوى مهما يبدى الاخير من الغرابة والشذوذ . فقد كان فهم الامراض البدنية بنفس الطريقة عندما اعترف الناس أخيرا فى عصر النهضة الاوروبية بأن تلك الامراض معرضة لنفس قوانين التطور والسببية التي تحكم الظواهر الطبيعية الاخرى ـ اى انها لم تكن عقابا من السحرة والأرواح الشريرة الخارجة عن نطاق الطبيعة فلا يمكن معرفة اسبابها والتحكم فيها .

ومن جهة اخرى فان هذا الاعتقاد له علاقة بعدم معرفة السلوك اللاسوى فى اشكاله الطفيفة ففي الواقع نجد ان المترددين على العيادات النفسية لا يختلفون عن اى نوع من الناس الا فى تلك الاعراض من سوء التكيف التي تبدو عليهم عند مواجهتهم للمشاكل . فكل واحد منا تقريبا شعر بالحزن والالم بعد حادثة حب غير ناجحة ، او شعر بالغم واليأس فى اعقاب فشل خطير .

اننا فى تلك الحالات لا نختلف عن سلوك المضطربين عقليا الا فى الدرجة فقط فمهما يكن المرض العقلي غريبا فانه يظل فى حدود مقدرتنا على فهمه .

المرض العقلى لطخة وراثية معدية :

يبدى بعض الناس خوفا من الاصابة بالمرض العقلي اذا ظهر فى تاريخ عائلاتهم أحد المضطربين

عقليا كما أنهم يظهرون عدم رغبة في الزواج لانهم يخشون أن يصبح أولادهم ضحايا تلك الأمراض . ولكن يمكن القول بصورة عامة حسب معرفتنا العلمية الحاضرة بأن ذلك الخوف لا أساس له من الصحة . نعم ، لقد ظهر أن بعض أنواع الضعف العقلي والتشويه البدني عند الاطفال يرجع الى عدم انتظام الصبغات عند أحد الوالدين أو كليهما. ولكن في استطاعة علماء الوراثة الان أن يحددوا عند أي من الوالدين يوجد ذلك الاضطراب في الصبغيات .

ومن ناحية أخرى ظهر أن العوامل الوراثية تلعب أحيانا دورا هاما في تطور بعض الأمراض العقلية كالفصام مثلا ، ولكن طبيعة ذلك الدور غير معروفة تماما . فمن المحتمل أن ينتقل المرض العقلي في العائلات التي يظهر فيها ، الى الاطفال بواسطة التعلم وليس بواسطة المورثات أي بواسطة الوراثة الاجتماعية لا الوراثة الفطرية . وذلك لان الوالدين أو غيرهم من الكبار سنا في تلك العائلات يكونون مضطربين بحيث لا يستطيعون توفير جو من المحبة والنظام لأولادهم ، فيتعلموا اساليب عائلاتهم المضطربة في التكيف للمشاكل التي يواجهونها .

الجنس يسبب المرض العقلي :

ان الاعتقاد بأن الاضطراب العقلي ينتج عن ممارسة العمليات الجنسية واسع الانتشار خصوصا فيما يتعلق بالعادة السرية . ويرجع هذا الاعتقاد من ناحية الى أن بعض المرضى يتعاطون العادة السرية علنا وبصورة متطرفة . ويرجع من ناحية أخرى ، الى أن اضطرابات الوظائف الجنسية منتشرة عند المضطربين عقليا . وعلى الرغم من التفسيرات المختلفة للعلاقة بين النشاط الجنسي والسلوك اللاسوي فقد أصبح الآن معروفا أن النشاط الجنسي في تلك الحالات غالبا ما يكون مصحوبا بالشعور بالذنب والنقص وعدم الجدارة الأمر الذي يزيد الضغط على الفرد فيصبح غير قادر على التكيف لمشاكل الحياة العادية . اذن ليس السلوك الجنسي في حد ذاته وانما الطريقة التي يقيم بها الفرد ذلك السلوك هي التي يعتقد الآن بأنها مسؤولة عن تطور بعض الاضطرابات العقلية . هذا بالاضافة الى أسباب أخرى لا مجال الآن لذكرها .

العبقرية قرينة للمرض العقلي :

يعتقد أغلب الناس أن العبقرية مرتبطة ارتباطا قويا بالاضطراب العقلي وأن العباقرة في العلوم أو الاداب أو الفنون أشخاص أقرب الى الشذوذ منهم الى التعقل . وقد جاء هذا الاعتقاد عن طريق بعض العلماء الذين قاموا في أواخر القرن التاسع عشر بدراسات للشخصيات التاريخية التي اظهرت نوعا من الشذوذ في محاولة لاثبات علاقة بين العبقرية والاضطراب العقلي . ولكن الدراسات التجريبية الحديثة لم تثبت وجود مثل تلك العلاقة وأظهرت بطلان ذلك الاعتقاد الخاطىء .

المرض العقلي لا يشفى :

وأخيرا يوجد اعتقاد شائع بأن المرض العقلي لا يمكن شفاؤه وأن الاشخاص الذين سرحوا من المستشفيات بعد شفائهم لا يزالون مرضى ، ولذلك ينظر الناس اليهم نظرة شك واشمئزاز . ان مثل هذا الاعتقاد الخاطىء يلحق ضررا عظيما بالاشخاص الذين استعادوا صحتهم العقلية حيث يقف حجر عثرة في سبيل تكيفهم الاجتماعي مع عائلاتهم وزملائهم ومستخدميهم ، كما أنه يمنع الناس من طلب العلاج . ويرجع هذا الاعتقاد الى أن بعض اشكال الاضطراب العقلي ، كذهان الشيخوخة المرتبطة بتلف في الدماغ لا يشفى بصورة كاملة ولكن في الحقيقة نجد أن الغالبية العظمى من أنواع السلوك اللاسوي يمكن شفاؤها الآن بواسطة العلاج . فقد أظهرت الدراسات الحديثة في هذا المجال أن حوالي ٨٠٪ من الذين يعالجون يتمكنون من الشفاء ويعودون الى ممارسة أعمالهم في المجتمع بصورة مرضية . وفي بعض الحالات يحصل بعضهم على درجة من الصحة العقلية وتكامل الشخصية أعلى مما كانوا عليه قبل المرض . ■■

عبد الله ناصر



قشرة شعر الرأس

● انا فتاة في السابعة عشر من عمرى أعاني من كثرة القشور في شعر راسي ، فهل هناك علاج لذلك ؟

ــ كثرة القشور ظاهرة عامة ومنتشرة ومن اهم العوامل التى تؤدى الى كثرتها ان تكون البشرة دهنية ، كما ان كثرة استعمال المواد الكيماوية للشعر فالمواد المستعملة في فرده او اعطائه شكلا معينا Permanent ، أو Waving ، أو الاصباغ أو المثبتات Fixative Spray ، تساعد على كثرة ظهور القشور كما ان استعمال غطاء دائم للراس وعدم تعرضه للشمس والهواء ، هذه ايضا تساعد على حدوث القشرة .

وقد يساعد على ظهورها ايضا الخمول وعدم التريض وتناول بعض الاطعمة . والعلاج يتلخص بالآتي :

١ ــ الاكثار من تناول الخضراوات والفواكه .

٢ ــ الرياضة وتعريض الراس للهواء واشعة الشمس .

٣ ــ المحافظة على نظافة الادوات الشخصية المستعملة في السفر مثل الفرشاة والمشط والفوط وعدم السماح للغير باستعمالها كما يلاحظ الا يكون المشط او الفرشاة حادة الاسنان .

٤ ــ يراعى عند غسل الراس شطفه جيدا لازالة اى اثر للصابون ويستحسن اضافة قليل من عصير الليمون او الخل على الماء لازالة قلوية الصابون التى قد تساعد على حدوث القشرة .

٥ ــ يعمل حمام زيت للشعر على الاقل مرة كل اسبوع ويفضل خليط من اللانولين وزيت الزيتون واللوز والخروع ويبقى الزيت على الراس مدة طويلة لاتقل عن ثلاث ساعات ثم يغسل بالماء الدافيء المضاف اليه الخل او الليمون .

٦ ــ هناك كثير من الادوية التى تستعمل لعلاج القشرة مثل الـ Selsun Pragmata كما ان هناك ايضا مركبات اخرى محلية وكلها ذات اثر فعال في العلاج غير ان ازمان الظاهرة راجع الى سهولة العدوى حيث ان تغير صفة الجلد بزيادة افراز المادة الدهنية يساعد على نمو ميكروب معين .

والاصابة بالقشور قد تكون شديدة الوطاة فقد تسقط من الراس على الحاجبين والرموش وتحدث التهابات بهذه الاماكن كما قد تحدث التهابا حول الاكتاف والصدر والظهر لهذا كان علاجها ضروريا .

ثقب في طبلة الاذن

● شاب عمره ٢٢ سنة تقدم للتطوع بالقوات المسلحة ، واثناء توقيع الكشف الطبي عليه قرر الطبيب ان عنده ثقبا بطبلة الاذن . علما بان اذنه خالية من الافراز الصديدى وقوة سمعه جيدة. فكيف يمكن ذلك ؟ وما هو العلاج ؟

ـ في بعض الاحيان تشفى الاصابة او المرض الذى نتج عنه ثقب بطبلة الاذن مع تخلف هذا الثقب جافا او جزء منه بدون التئام . وقد لا يلحظ المريض ذلك او يذكر عنه شيئا وخصوصا اذا حصل ذلك في طفولته المبكرة . الى ان يكتشف ذلك مصادفة كما حدث في هذه الحالة .

واذا علمت ان طبلة الاذن السليمة الكاملة مسؤولة فقط عن اقل من ٣٠٪ من قوة السمع ، فانك تستطيع أن تقدر مدى تأثر قوة السمع بفقد جزء صغير من طبلة الاذن مع عدم وجود اى مضاعفات او امراض اخرى بالاذن . وبالتالي كيف يمكن ان يكون غير محسوس بالمرة . اما عن العلاج فان هناك من يرى أن تترك الاذن بدون تدخل طالما ان المريض لا يشكو بها .

وهناك من يرى اجراء عملية ترقيع للطبلة . وفرصة النجاح في مثل هذه الحالة كبيرة .

(ع . ز)

أهمية الاسنان اللبنية

● لماذا نعتنى بالاسنان اللبنية للاطفال مادام مصيرها التغيير بالاسنان الدائمة . ؟

ـ سلامة الأسنان الدائمة الى حد كبير تعتمد على سلامة الأسنان اللبنية . فانه في كثير من الحالات قد يتأثر الضرس الدائم الذى يوجد اسفل الضرس اللبنى الذى به تسويس أو التهاب أو خراج مما تكون نتيجته خلع الضرس اللبنى والضرس الدائم كذلك .

كذلك فائدة الأسنان اللبنية هى استعمالها في طحن الطعام حتى يسهل على المعدة القيام بواجبها دون اجهادها اكثر من اللازم . كما أن عدم الاهتمام بالأسنان اللبنية قد يؤدى الى خلعها قبل الميعاد المقرر وينتج عن فقدانها ان الاسنان التى تقع امام الضرس او السن المخلوعة تميل وكذلك تميل ايضا الاسنان التى تقع خلف الضرس المخلوع ويفقد القوس السنى ارتباطه ببعضه وتتفرق الأسنان ويحشر الأكل وتتراكم فضلات الطعام بين الاسنان المتفرقة وتلتهب اللثة وتظهر اورام بها وتصبح دائمة الجروح وسهلة النزف لأى احتكاك بها .





انهاك نتيجة التعرض للحر الشديد

● ما هو الانهاك الحرارى الذى نسمع عنه فى الصيف وما طرق الوقاية منه ؟

ـ الانهاك الحراري هو عبارة عن فقدان شديد لسوائل الجسم عندما يتعرض الانسان لحرارة الشمس او عندما يتعرض لموقد شديد الحرارة . ومع فقدان السوائل فى العرق الغزير يفقد الجسم كلوريد الصوديوم اى الملح في الجسم ـ كل هذا يسبب هبوطا عاما فى الجسم مع هبوط فى ضغط الدم وضعف فى النبض ، والانهاك الشديد عندما يقوم الانسان بعمل عضلى بسيط والشعور بالدوخة والغثيان والقىء فى بعض الحالات . ويكون الجلد مغطى بعرق غزير ويكون باردا شاحب اللون وتقل كمية البول ـ ومع فقدان الملح من الجسم تحدث تقلصات شديدة فى العضلات خصوصا في عضلات الساق السفلى « سمانة الرجل » .

والوقاية هنا هي عدم التعرض للحرارة الشديدة واذا تعرض الانسان لذلك مع فقدان عرق شديد وجب عليه ان يتناول كميات كبيرة من السوائل ليعوض ما فقده ويكثر من تعاطي الملح فى الطعام ـ واذا كان ذلك لا يمكن وجب عليه ان يأخذ السوائل ومعها اقراص الملح .

احمرار الانف سببه البشرة الدهنية

● انا فتاة في الثامنة عشرة من عمري اعاني من احمرار في انفي يصاحبه ظهور لبعض البثور ، وهذه البثور تتفيح من آن لآخر ، مما يشوه منظر وجهي ، وقد استعملت كثيرا من الدهانات بدون فائدة ، فهل هناك علاج لحالتى هذه ؟

ـ هذه الحالة غالبا ما تكون التهابا دهنيا أصاب الأنف مما يؤدى الى احمرار المكان ثم ظهور بعض البثور والدمامل وهي تحدث غالبا فى اصحاب البشرة الدهنية ، لذلك غالبا ما تكون مصحوبة بقشر الراس ، وبأعراض مماثلة على الخدين والذقن والجبين وقد تمتد الى اعلى الذراعين والكتفين والظهر والصدر .

وهى غالبا تحدث في اكثر من فرد واحد بالعائلة وقد تمكث فترات متفاوتة ثم ما تلبث أن تختفى حيث تقل افرازات الغدد الدهنية التى هى اساس هذا المرض .

ويمكن التغلب على هذه الاعراض بالعناية بالصحة العامة والاقلال من تناول الدهنيات والنشويات والشوكولاته والجوز واللوز وغيرها حيث ان هذه المواد تؤدى الى زيادة الأعراض .

كذلك ننصح بغسل الوجه بالماء والصابون عدة مرات يوميا بصابون مطهر .

وكذلك عدم استعمال مواد التجميل مثل البودرات والكريمات حيث ان هذه تؤدى الى زيادة الالتهابات الموجودة ، ووضع بعض المستحضرات المطهرة المرطبة للجلد مثل ٢ ٪ كبريت فى غسول كلامينا مرتين يوميا . ■■



كتاب الشهر

السِّلْم في الشرق الأوسط

للدكتور محمد مهدي (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية

■ مؤلف هذا الكتاب ، الدكتور محمد مهدى ، عراقي ، درس في أمريكا ، ونال شهادة الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة كلِفورنيا ، وعمل مديرا لمكتب الجامعة العربية في سان فرنسيسكو ، ودرس فى جامعات امريكية . وهو الآن امين عام لجنة أمريكية ـ عربية تدافع عن حق العرب فى فلسطين . وهو من أكثر العرب نشاطا في الدعاية للقضايا العربية في الولايات المتحدة الامريكية ، ومن اقدر العرب على مخاطبة الامريكان بالطريقة التى يفهمونها .

وقد سبق أن قدمنا للدكتور مهدى ، في هذا الباب ، كتابه « أمة من الاسود .. مقيدة » (العربي العدد ٦٥) ، ويعني بهذا ان الامة الامريكية أمة من الاسود ، ولكنها مقيدة بقيود المعرفة الخاطئة والدعايات المضللة ، وعليها ان تحطم هذه الاغلال .

وصدر للدكتور مهدى حديثا ، كتابان هما :

---

(1) M.T. Mehdi, Peace In The Middle East.

« السلم في الشرق الاوسط » وهو الذى نقدمه ، وكتاب آخر عن سرحان وكندى .

هذا الكتاب في سطور

ان هذا الكتاب رد على كتاب هيرتسل : « الدولة اليهودية » الذى نشره سنة ١٨٩٦ ، والذى دعا فيه الى اقامة دولة يهودية في فلسطين . ومنذ هذا التاريخ تتالت المؤامرات على الامة العربية ، وعلى الشعب الفلسطيني خاصة : ففي سنة ١٩١٧ ، أصدرت بريطانيا ، لا عرب فلسطين ، وعد بلفور ، الذى به تمنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين . وعندما اصدرت بريطانيا هذا الوعد بشيء لاتملكه ، كان ٩٣٪ من سكان فلسطين عربا ، و ٧٪ يهودا . وكان عدد سكان فلسطين سنة ١٩٢٢ ، وهي السنة التى عهد فيها لبريطانيا بالانتداب على البلاد ، يبلغ ٧٥٢٫٠٤٨ ، ليس فيهم من اليهود سوى ٨٣٫٧٩٠ .

وفي هذا العام ، عام ١٩٢٢ عهدت عصبة الامم لبريطانيا بالانتداب على فلسطين ، دون أخذ رأى أهلها . وفي عام ١٩٤٧ اقرت هيئة الامم تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، دون موافقة أهلها الاصليين .

وهكذا نرى ان عرب فلسطين لم يوافقوا في يوم من الايام ، على أى من هذه الاجراءات ، بل انهم قاوموها جميعا .ومع أن موقف العربى العدائى ، من كل القوى التى تحاول السيطرة عليه ،وتحاول سلبه وطنه ، واضح وعادل ، فان كثيرين جدا في العالم الغربي لا يدركون عدالة القضية العربية ، ويذهبون الى ان العرب لابد وان يكونوا سعداء بوجود اليهود فى فلسطين ، وقيام اسرائيل ، التى ستكون مصدر رخاء وتقدم للمنطقة كلها . ويذهب آخرون الى أبعد من هذا ، فيرون أن العرب سيقبلون باسرائيل أخيرا كدولة من دول المنطقة، وسيحمدون لها انها نقلت اليهم ديمقراطيةالغرب، وعلمه ، ومن هؤلاء هارى ترومان ، الذى يقول في مذكراته انه تحمس لقيام اسرائيل لانها ستكون المركز الصناعي في الشرق الاوسط ، الذىتصب فيه المواد الخام الغنية بها المنطقة ، ثم تصبح المنطقة بدورها السوق المستهلك لهذه الصناعات. وفي هذا القول ، يصدر عن رئيس سابق للولايات المتحدة ، اساءة بالغة للعرب ، سكان المنطقة ، لانه يفترض انهم عاجزون عن الاستفادة من خيرات بلادهم ، وتصنيعها . وهو قول يدل في الوقت نفسه على سذاجة ما بعدها سذاجة !!

وتمر السنون واذا بها تكذب أحلام الحالمين : فالعرب ما زالوا اشد مايكونون تمسكا بوطنهم ، وتصميما على تحريره ، ومقاومة للغزاة . وما زال السلم بعيد المنال ، والحرب هي الاحتمال الوحيد .

ان هذا الكتاب رد على كتاب هيرتسل « الدولة اليهودية » . لقد ظن هيرتسل ان قيام الدولة اليهودية سيحل المشكلة اليهودية . ولكنا نرى اليوم خطأ ما قدر ودبر : فبعد أكثر من عشرين سنة على قيام هذه الدولة ، مازالت القضية اليهودية على حالها ، اذ عجزت هذه الدولة عن اغراء يهود العالم بالهجرة اليها .

هذا هو المخطط العام للكتاب .

ثم نأتي بعد هذا بشيء من التفصيل ، ونوضح الآراء التى مر بها المؤلف مرورا عابرا في هذا الكتيب .

العرب والصهيونية

ان لب المشكلة يكمن في هجرة أعداد كبيرة من اليهود ، جلهم من أوروبا ، الى فلسطين ، دون موافقة أهلها العرب ، الذين هم سكانها منذ قرون طويلة جدا . وقد ساعد اليهود في هجرتهم هذه بريطانيا ، ثم امريكا . ولهذا فاننا نستطيع أن نقول ان الصراع في المنطقة ليس بين العرب واليهود عامة بل العرب من ناحية ، والصهيونية وانصارها من ناحية أخرى .

والاساس الذى تقوم عليه الصهيونية هو ادعاؤها ان فلسطين أرض يهودية ، وتسوق في هذا السبيل حججا ، منها : ان اليهود كانت لهم في الماضي السحيق دولة فيها ، ثم طردوا منها ، ومن حقهم اليوم أن يعودوا اليها . ومنها : ان التوراة وعدتهم بالعودة الى فلسطين بعد تشرد ، فعودتهم هذه اذن تحقيق لامر الهي . وحجة ثالثة يسوقها الصهاينة ، هي : ان اليهود قد اضطهدوا وعذبوا في أوروبا ، ولهذا فان من الواجب مساعدتهم على ايجاد وطن لهم ، يعيشون فيه بحرية وأمان . وحجة رابعة هي : ان اليهود متقدمون على عرب فلسطين ، وقد استصلحوا

الاراضي ، واقاموا المصانع ، ولهذا فهم احق بالبلاد من أهلها الاصليين .

وهناك حجج أخرى كثيرة ، وسنقف الآن عند بعض هذه الحجج ، لنرى كيف انها حجج واهية، لا تعتمد على اى اساس سليم .

الحق التاريخي

ان الحجة الاولى التى تعتمد عليها الصهيونية في مطالبتها بفلسطين ، هي ان بعض اليهود عاشوا فيها ، قبل الفين من السنين . وهذه حجة لا تعتمد على منطق ، ويرفضها العرب ، كما يرفضها أى شعب يقف مثل هذا الموقف . ولو أخذنا بهذه الحجة لوجب ان نغير خريطة العالم . وانطلاقا منها يستطيع بعض الروس ان يطالبوا بالاسكا . ويحق للمكسيك ان تدعي أن لها الحق بكليفورنيا ، والهنود الحمر بالولايات المتحدة الامريكية كلها ، والعرب بأسبانيا ...

ومن الواضح ان ادعاء من هذا النوع ، ليس له سند من قانون ، أو منطق ، ولا يمكن للعرب ان يقبلوه،ولا ينتظر منهم ان يقبلوه.وهذا الادعاء، ليس ضارا بالعرب وحدهم ، بل باليهود الموزعين في انحاء العالم ايضا ، والذين يعتبرون مواطنين في البلاد التى يقيمون فيها ، ويحملون جنسيتها. وهؤلاء اليهود لاصلة لهم بفلسطين ، كما انه لاحق للكاثوليك الامريكان بروما ، او للامريكيين من أى أصل جاؤوا ، بالبلاد التى هاجر منها اجدادهم ، أو آباؤهم . ولا يسمح للامريكي الذى هو من أصل ايرلندى ، مثلا ، بدخول ايرلندة ، ما لم تسمح له السلطة التى تمثل الشعب الايرلندى ، بالدخول . ومثل هذا أيضا ، لا يجوز للامريكي المسلم أن يزور مكة ، الا باذن من السلطات السعودية ، وهذا ينطبق أيضا على أى مسلم في أى بلد كان .

وهذا المنطق الواضح يكذب ادعاء اليهود بالحق التاريخي ، أو بالرابطة الدينية : وانطلاقا منه لا يجوز لأى يهودى أن يذهب الى فلسطين دون موافقة شعب فلسطين . وشعب فلسطين العربي لم يوافق على دخول اليهود الغرباء الى بلاده .

نبوءة التوراة

وتعتمد الصهيونية في اثبات حقها بفلسطين ، على ان التوراة وعدتهم بالعودة اليها . ومع ان الكثرة الساحقة من الصهاينة لا دينية"ملحدة ، الا انها مع هذا لا تتورع عن استخدام الدين لخدمة اغراضها. ولو سلمنا جدلا بهذه"النبوءة التوراتية" فان كبار الثقات من المتخصصين بالدراسات التوراتية ، قالوا : ان الرب وعد ابناء ابراهيم بفلسطين . ومن أبناء ابراهيم ، العرب ، سواء أكانوا مسلمين ام مسيحيين . وبكل تأكيد ليس من أبنائه الغربيون المتهودون،من أمثال بن غوريون، وابا ايبان ، واشكول ، الذين يتحدرون من أصول سلافية ، وبولونية .

والتاريخ يحدثنا ان كثيرين من عرب فلسطين ، هم ابناء قوم عاشوا في فلسطين ، قبل أن تطأ قدم أول يهودى ارضها . واذا كان ادعاء اليهود بفلسطين يعود الى انهم سكنوها قبل أربعة الاف سنة ، فان روابط الفلسطينيين بوطنهم تعود الى اكثر من خمسة الاف سنة .

وعلى هذا فانه ليس من المعقول ان نفهم من نص التوراة انه يقول : ان للغربيين المتهودين حقا بفلسطين ، أكثر من سكانها الذين عاشوا فيها الاف السنين . وهل الممثلة اليزابيت تيلور، والمغني سامي ديفيز ، اللذان تهودا قبل سنوات قليلة ، احق بفلسطين من سكانها الذين ماعرفوا ، لا هم ولا اجدادهم ، وطنا لهم غيرها ؟ !!

وحتى لو سلمنا جدلا بأن الغربيين المتهودين ، هم من نسل ابراهيم ، فان هذا لا يعطيهم الحق باعتبار فلسطين وطنهم ، ولا يبيح لهم الذهاب اليها ، دون موافقة اهلها العرب ، كما لا يجوز للامريكي أن يدعي ان من حقه ان يذهب الى أى بلد اوروبي ، لانه تربطه به رابطة تاريخية ، هي ان اجداده جاؤوا منه !!

اليهود أقدر على استصلاح الارض

ومن الدعايات التى تنشرها الصهيونية ،وتعتمد عليها في تثبيت حقها بفلسطين ، ان اليهود اقدر من العرب على استصلاح الارض ، وان العرب متاخرون حضاريا .

وهذا القول يعني أشياء كثيرة : انه يعني ، مثلا ، ان من كان أقدر على استغلال ثروات أى بلد ، فهو أحق به من أهله . وهذا النمط من الدعاية عرفناه عن النازية : فعندما غزا هتلر بولونيا ، اشاع انه سيرفع من القدرة الانتاجية

في البلاد ، وسيستصلح الارض التي اهملها البولونيون . وواضح ان مثل هذا القول لا اخلاقي ، وهو حجة واهية يسوقها الغزاة والمستغلون ، لتبرير استغلالهم ، والعجيب بعد هذا ان نجد بعض كتاب الغرب ، يهاجمون النازية لانها ساقت هذه الحجة لتبرير غزوها ، بينما لا يتورعون ، هم انفسهم ، عن أن يسوقوا الحجة نفسها لتبرير الغزو الصهيوني لفلسطين ! !

ويمكن الرد على هذه الدعوى الصهيونية من ناحية اخرى ايضا : فاليهود في فلسطين اقدر من اهلها العرب على استصلاح الارض ، لا لانهم يهود ويتمتعون بمزايا فائقة ، بل لانهم غربيون جاؤوا اليها يحملون معهم علم الغرب وتكنيته . والدليل على ذلك ان اليهود الشرقيين ليسوا اقدر من العرب على استصلاح الارض ، وهم بكل المقاييس لا يفضلون العرب الذين عاشوا بينهم ، في شيء . وهؤلاء اليهود الشرقيون يعانون في اسرائيل الوانا من التمييز العنصري .

ولا يغيبن عن البال ان اليهود لم يستطيعوا ان يفعلوا ما فعلوا بفلسطين ، الا بسبب ملايين الدولارات التي انهالت عليهم ، وهي اموال لو وضعت بين ايدي عرب فلسطين ، لفعلوا بها ايضا الكثير .

ونعود الى لب المسألة لنسأل : وهل الارض مقدمة على الانسان الذي يعيش عليها ؟ وهل البشرية تستريح الى فكرة تشريد الانسان مالك الارض ، من اجل ان يحل مكانه انسان آخر اقدر منه على استصلاحها ؟ !

وتستطرد الصهيونية لتقول : وما الضير في اخذها جزءا من الارض العربية ، ما دامت هذه الارض شاسعة واسعة ، واجزاء كثيرة منها غير مسكونة ؟ .. وهذا منطق عجيب غريب ! ! لا يصدر الا عن المستعمرين المستغلين . ولتوضيح تفاهة هذا المنطق نقول : لو ان لصوصا هاجموا احد اثرياء نيويورك ، وسلبوه ماله ، ودمروا ارضه .. ايحق للصوص ان يحتجوا بان من حقهم ان يفعلوا ذلك ، ولا يجوز للمعتدى عليه ان يحتج ، ويطالب بامواله ، لان في نيويورك كثيرين غيره ، من الاغنياء ؟ وبالمنطق نفسه : ايحق لروسيا ان تحتل الاسكا ، بحجة انها كانت في يوم من الايام لها ، وبحجة ان في الولايات المتحدةالامريكية اراضي فسيحة ليست مسكونة ، ولا مستغلة ؟

ان اعتماد مثل هذا المنطق باد فيه السخف . ولكن العجيب الغريب انه مقبول عندما تعتمد عليه الصهيونية في دعايتها ! !

ان كون الوطن العربي مترامي الاطراف ، لا يبرر اطلاقا ان يسلب جزء من مواطنيه ارضهم ، واملاكهم ، واموالهم . هذه حقيقة لا تحتاج الى دليل ، ولكن المنطق الصهيوني يقودنا حتى الى مناقشة المسلمات .

اسرائيل واحة الديمقراطية

وتدعي الصهيونية ان اسرائيل هي واحة الديمقراطية ، في منطقة كل دولها مستبدة ، وشعبها متخلف . وما ابعد هذا القول عن الصدق : فاسرائيل دولة قامت على التعصب الديني ، وهو مفهوم ليس من مفاهيم عصرنا ، بل من مخلفات القرن السادس عشر . وقامت ايضا على العرق ، وهو مفهوم غير ديمقراطي ، عرفته المانية النازية . وتحاول اسرائيل ان تقيم الدليل على ديمقراطيتها بان هناك عربا في برلمانها . وحقيقة الامر ان العدد القليل جدا من العرب في الكنيست ، لم ينتخبوا ممثلين عن العرب ،ولم ينتخبهم العرب ، بل انتخبتهم الاحزاب التي ينتمون اليها ، مثل حزب الماباي ، والمابام ، والحزب الشيوعي . وهؤلاء الاعضاء العرب في الكنيست ، كثيرا ما صوتوا ضد مصلحة اخوانهم ، ووطنهم .

وتدعي اسرائيل ان من مظاهر ديمقراطيتها انها سمحت لاقلية من العرب بالبقاء فيها ، ليكونوا مواطنين . ولنناقش هذا الادعاء في ضوء مفهوم الديمقراطية . ان التعريف المعاصر للديمقراطية هو : حكم الاكثرية ، واعطاء الحق كاملا للاقلية بان تصبح اكثرية ، اذا استطاعت ذلك بالطرق الديمقراطية . وبمناقشة ادعاء اسرائيل ، في ضوء هذا المفهوم ، نجد انها بعيدة جدا عن ان تكون دولة ديمقراطية ، اذ انه في نص دستور هذه الدولة ، انها يهودية ، ولا يحق للاقلية ان تصبح اكثرية . فاذا كانت هناك ديمقراطية في اسرائيل ، فانها لليهود وحدهم ، دون العرب . وهذه الديمقراطية نفسها ليست مطبقة بالتساوي بين اليهود انفسهم ، فاليهود الشرقيون لا يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها اليهود الغربيون ، الذين هم الحكام الفعليون للبلاد .

والغريب العجيب ، بعد هذا ، ان تنفى

الصهيونية بديمقراطية اسرائيل ، وتقدمها ، ويشايعها في هذا انصارها من كتاب الغرب .وهل من الديمقراطية ان يطرد شعب ، ليحل مكانه في وطنه شعب آخر دخيل ؟

اضطهاد اليهود في أوروبا

ونحن نرى الاوروبيين يعطفون على اليهود ، بسبب ما قاسوا من اضطهاد على يد النازية . ولكن حل مشكلة اليهود يجب الا يكون على حساب شعب آخر آمن مسالم . واذا كان لليهود من حق ، فان على المانيا ان تدفعه لهم ، لا عرب فلسطين .

ولا بأس هنا من أن نستعيد شيئا من التاريخ : لقد اضطهدت اسبانيا اليهود في القرن السادس عشر ، فوجد اليهود المضطهدون مأوى آمنا بين عرب شمال افريقية . كما رحب عرب الشرق الاوسط باليهود الفارين من ظلم روسيا القيصرية لهم ، في القرن التاسع عشر . وقد فعلوا هذا بدوافع انسانية . والتاريخ يحدثنا ان كثيرين من اليهود تسنموا المناصب العالية ، في ظل الحكم الاسلامي ، فكان منهم الاطباء ، والعلماء ، والمؤرخون . وبلغ كثيرون منهم درجة ان يكونوا وزراء للخلفاء . أبعد هذا من تسامح ، في عصر لم يكن يعرف فيه الغرب التسامح ؟ !

أما ان يطلب من العرب بان يقبلوا الصهيونية الغازية ، التي تريد ان تطردهم من وطنهم ، فهذا مالا يقبله العرب ابدا . ولا شك ان من وضعوا للصهيونية فلسفتها ، يجهلون العرب ، ونفسيتهم، وتاريخهم ، وانهم لا يمكن ان يقبلوا ، باى حال من الاحوال ، غزاة يدعون أن لهم حقا في فلسطين.

لا يمكن ردّ عقارب الساعة الى الوراء !

ومن الحجج الخبيثة التي تسوقها الصهيونية : انه لا يمكن رد عقارب الساعة الى الوراء ، وكل ما يمكن عمله هو تناسى ما مضى واسكان اللاجئين في ارجاء الوطن العربي الواسع الارجاء.

وليس هناك ما هو أوهى من هذه الحجة !

كيف تريد الصهيونية من عرب فلسطين ان ينسوا وطنهم الذى غادروه من سنوات قليلة ، بينما هي لم تنس ادعاء لها في فلسطين يعود الى الاف السنين ؟ ! ان الصهيونية ترى أن من المنطق رد عقارب الساعة الفين من السنوات ، الى الوراء ، ولا ترى من المعقول رد هذه العقارب عشرين سنة ! !

اللاسامية

ومن الاساليب التي تلجا اليها الصهيونيه لاثاره العطف عليها ، ادعوها ان الكثيرين يكرهون اليهود ، بسبب مافي « شعب الله المختار » من ميزات . وقد اطلقت الصهيونية على عداءالاخرين لليهود اسم « اللاسامية » اى كراهية من كان من اصل سامي .

والرد على هذا الادعاء من ناحيتين : فالكثرة الساحقة من اليهود ليست من اصل سامي ابداء بل من اصول اوروبية ــ كما بينا ــ ولعل اليهود العرب ، هم وحدهم اليهود الساميون . ولا شك ان العرب ساميون ، لا اشكول او بن غوريون ، او جولدا مائير .. الذين هم من أصول سلافية . اذن فلا يمكن اتهام العرب بانهم لا ساميون .

اما الناحية الاخرى من الرد فهي : ادعاء اليهود انهم « شعب الله المختار » ، وهذا الادعاء يكمن وراء كراهية الامم لهم ، لان مثل هذا الاعتقاد قاد اليهود الى نوع من العزلة في حياتهم الخاصة في البلاد التي هم من مواطنيها .

وكيف يجوز القول ان أمة من الأمم هي الأمة المختارة ؟ واليهود انفسهم ، اليس منهم الكثيرون جدا من القتلة ، واللصوص ، والمتاجرين بالرقيق الابيض ، والمخاتلين ، والخداعين ... ؟ !

ان من المسلّم به انه لا يوجد في ارض الله شعب مختار ، ولكن يوجد افراد مختارون ،بمعنى انهم افراد وُهبوا من الكفاءات اكثر من غيرهم . ومثل هؤلاء الافراد موجودون في كل شعب وامة.

★ ★ ★

وما دام هذا هو واقع الصهيونية ، فما الحل للقضية الفلسطينية ؟

وما الطريق الى السلم ؟

في رأينا انه لا حل ، ولا سلم ، الا بعودة الغرباء الى أوطانهم : عودة الغزاة الأوروبيين الى البلاد التي جاؤوا منها ، وعودة الفلسطينيين الى فلسطينهم .

وهذا هو الحل ، ولا حل غيره . ■■

محمود السمره



مع الكتب والمجلات

تأليف : عبد الله زكريا الانصاري /الناشر : المكتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع/الكويت

● مجموعة من المقالات كتبت في اوقات متفرقة، وفي مواضيع مختلفة . منها ما يتناول الادب ومنها ما يتناول الاجتماع ومنها ما يتناول السياسة ، وهذه المقالات كتبت في مجلة البعثة التي كانت تصدر عن بيت الكويت في القاهرة خلال ثماني سنوات . ثم مقالات اخرى في النقد وملاحظات وخواطر عرضت للمؤلف اثناء قراءته لبعض الكتب المختلفة الى جانب كلمات نشرت في مجلات كويتية مثل مجلة كاظمة ومجلة البعث ومجلة الكويت ومجلة البيان . وهذه المقالات تصور فترة من حياة الكويت الادبية والاجتماعية والسياسية قد يستفيد منها الدارس لهذه الفترة من تاريخ الكويت .

رحلات الى العراق
الجزء الثاني

تأليف : سروليس بدج . ترجمة : فؤاد جميل .
الناشر : مطبعة شفيق ــ بغداد

● كتاب من كتب أدب الرحلات لعلم من أعلام الآثار والتنقيبات والالسنيات ، يحكى قصة رحلته الثالثة الى العراق سنة ١٨٩٠ـ١٨٩١ والتنقيبات الأثرية التي أجراها في منطقة الدير ، ثم ما حصل عليه من مخطوطات ثمينة في الموصل .

كما الحق بالكتاب ملاحق تناولت حصيلة رحلاته السابقة الى العراق ، ثم ثبت بالمخطوطات التي حصل عليها في الموصل وما جاورها . ثم تناول دراسة عن اليزيدية ومعتقداتهم الدينية التي هي مزيج من مذاهب وديانات مختلفة . كما يرد عن نفسه دعوى تهريب الآثار العراقية الى المتاحف البريطانية ويزعم أن ما فعله هو حرصه على الحفاظ على هذه الآثار في خزانة امينة .

كبرى
اليقينيات الكونية
وجود الخالق ووظيفة المخلوق

تأليف : الدكتور سعيد رمضان البوطي .
الناشر : دار الفكر ــ بيروت/لبنان .

● كتاب يتناول الادلة والبراهين العلمية على وجود الله ، والمؤلف يعرض للنظرية المادية لاصل الأشياء ، وقصة التطور والنشوء والمذاهب الجديدة في تفسير الفكر والوجود ، والانبهار الذي تركته الاكتشافات العملية في بعض الرؤوس ، وهي شبه لايوجد لها سلطان في موازين العلم وبراهينه وانما سلطانها منبعث من معين التوسم والحدس والاسترداد ، ثم ان عوامل العصبية والاهواء والاغراض جعلتها موازين عملية يقينية . فيجب ان نضع هذه الشبه الجديدة تحت مجهر العلم والعقل المجردين بنفس الموازين الفكرية التي يعتد بها اصحاب هذه الشبهة .

ومن اجل ذلك لابد من الكشف عن منهج البحث في مقومات العقيدة الاسلامية وبراهينها كي لاتلتبس اليقينيات بالظنيات او الوهميات .

وقد بدأ المؤلف في كتابه بتمهيد مفصل عن منهج البحث عن الحقيقة بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي ثم بدأ بعد ذلك فقسم مباحث العقيدة الى أربعة اقسام أولها الالهيات فعرض للدليل العلمي على وجود الله بدءا من نقطة الصفر . ثم تحدث عن النبوءات فشرح معنى النبي والرسول وخصائص الانبياء ، ثم شرح ظاهرة الوحي وتحليلها ومعنى المعجزات وحقيقتها، ثم بحث في الكونيات تحدث فيه عن الانسان والملائكة والجان وقانون السببية في الكون ثم حديث عن الغيبيات وبدأ بشرح معناها والمنهج العلمي للوصول الى امر يقيني بشأنها .

صلوات للفجر الطالع

تأليف : خالد المحادين .
الناشر : المطبعة الهاشمية ــ عمان / الاردن .

● مجموعة قصائد متنوعة .

يا ليلة دانه

تأليف : عبد الله الدنان . الناشر : الدار الكويتية للطباعة والنشر – الكويت

● قصة كويتية تتناول قصة الغوص على اللؤلؤ وصراع الانسان مع المحار الكامن في الرمال وبين الصخور في قاع البحر . والمؤلف يشرح في هذه القصة تقاليد البحارة وعاداتهم وسبل معيشتهم في رحلاتهم الشاقة هذه . ثم آمال هذا الانسان واحلامه مع كل اندفاعة له الى قاع البحر بحثا عن اللؤلؤ والمحار الكامن في اغوارها انه نموذج رائع للانسان الذى يقترب من حافة الهلاك كل يوم ثم يعاود هذا الاقتراب مرات ومرات يدفعه الى ذلك غريزة الحياة وحب البقاء ، وهو مع ذلك يغنى لليل وللبحر وللموج ياليلة دانه .

الامراض الجلدية وعلاجها

تأليف : الدكتور محمد الحمداني

الناشر : مطبعة حداد – البصرة – العراق

● كتاب يتناول دراسة عن الجلد والامراض الجلدية بمختلف أنواعها ، توضح كيفية حدوث هذه الامراض وكيف يستطيع الانسان ان يدرأ خطرها ويتحاشى كثيرا منها . كما وضع الكتاب كي يكون مرجعا لشبان وشابات التمريض كي يتعلموا كيفية معالجة المصاب بالامراض الجلدية .

كتب صادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية

● صدرت عن منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، من سلسلة دراسات فلسطينية ، الكتب التالية من رقم ٤٢ الى رقم ٥٢ وهي : في الاستراتيجية الاسرائيلية تأليف الدكتور محمد فاروق الهيثى ، التغلغل الاسرائيلى في افريقية تأليف : رياض القنطار ، دافيد بن جوريون تأليف : تهانى هلسة ، تخطيط الاعلام العربى عقيل هاشم ، اخطار التخطيط الصناعى في اسرائيل تأليف : يوسف مروة ، الصهيونية وحقوق الانسان العربى (جزءان) تأليف : الدكتور اسعد رزوق ، الوضع القانونى للمقاومة العربية تأليف : الياس حنا ، اليسار الصهيونى تأليف : عزيز العظمة ، اوراق سجين تأليف : اسعد عبد الرحمن ، قضية القدس تأليف : الدكتور عز الدين فوده

تاريخ الأزهر في الف عام

تأليف : سنية قراعة

الناشر : مكتب الصحافة الدولي للصحافة والنشر بالقاهرة

● يتناول الكتاب تاريخ الأزهر في الف عام . وتقول المؤلفة في مقدمتها ان « الأزهر » رمز لمدلول عظيم عزيز ... اذا سمعناه قفزت الى الاذهان صورة المسجد العتيق الشامخ ذى القباب والمحاريب ، والأبهاء والعمد ، والصحن والايوان ، والابواب العديدة ، والحارات المتفرقة ، والمنائر العالية التي تشرف على القاهرة وما حولها في زهو واعتداد ..

هذا هو الأزهر كما يتصوره اغلب الناس ويعرفونه ... وهو تصور ساذج ، ومعرفة ناقصة .. فليس الأزهر مجرد مسجد جامع ، أو مدرسة للفقه وعلوم الدين ، أو منابر ومحاريب وابهاء ومنائر ... بل هو قطعة حية تنطق بتاريخ مصر الحديثة ، وتشير الى حوادثه وفترات الجهاد فيه ، وما اكثرها حوادث ، وما اجلها فترات .

ان كل حجر في بناء الأزهر يحدد تاريخا ، وكل زاوية تختى رواية ، ولكل شبر فيه قصة .

وقد تناولت الكاتبة تاريخ الأزهر بأسلوب روائي مبسط مدعم بالحقائق التاريخية لهذا الجامع الذى يعتبر من اقدم جامعات الدنيا .

التكييف الدستورى لنظرية الحكومة فى الاسلام

تأليف : محمد عبد الساعدى

الناشر : مطبعة الازهر – بغداد

● يقول المؤلف فى مقدمة كتابه ان هذا البحث وان تعرض لبعض المفاهيم (كالخلافة والطاعة) بالدرس أو النقد فان ذلك ليس هو مقصود البحث ، وهدفه ، بل ان هذه الدراسة ستعين البحث على التعريف بموقع الامامة الالهية ، وتحديد مصطلحها الشرعى في سبيل استنباط مفهوم واضح الرؤية بين المعالم (للحكومة الالهية في الارض) .

وفكرة البحث هي كشف صورة شرعية لمنصب الحاكم زمن المعصوم وبعده ، ورسم تصوير دستورى لصلاحياته ، ومركزه القانونى فى الدولة

(البقية على صفحة ١٥٢)

أغرب القضايا

الببغاء الشاهد

"أو الببغاء الذى أرشد عن صاحبه"

بقلم : حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ كان ماكس جيلير يمتلك مطعما فى نيويورك. وكان يملك ببغاء كبيرا اخضر موضع اعجاب رواد المطعم لانه لم يكن ببغاء عاديا محدود الكلمات التى ينطق بها بل كان ببغاء ـ طويل اللسان ـ بذىء الالفاظ لا يمل الكلام ويمطر الزائرين بالفاظ سباب يحسده عليها اوباش الامريكيين .

وكان من عادته ـ بين الفينة والفينة ـ أن يصرخ بأعلى صوته « جريمة قتل » فيهب الجالسون على المقاعد فزعين يريدون الهروب من المطعم ثم لا يلبثون أن يجدوا رواد المطعم يضجون بالضحك فيعودوا الى مقاعدهم ويطلبوا مزيدا من الشراب والمأكولات. واصبح للببغاء فضل كبير في رواج المطعم . وعرف المطعم باسم « مطعم الببغاء الاخضر »



وقد أعد ماكس للببغاء مكانا في مدخل المطعم حيث يجلس هو أيضا وحيث يريان كل قادم. وكان الببغاء يعرف اسماء عدد من المترددين يوميا على المطعم . فاذا حضر احدهم صرخ الببغاء باسمه ثم أمطره وابلا من الشتائم يضحك لها القادم ويضحك معه ـ او عليه ـ الحاضرون .

وفى يوم الاحد ١٢ يوليو ١٩٤٢ فى الساعة السادسة مساء اخطر اثنان من رجال الدورية القريبان من المطعم بالاسراع الى المطعم اذ سمع فيه صوت اطلاق اعيرة نارية ولما وصلا وجدا ان ماكس جيلير ملقى على الارض وقد اطلق عليه عيار اخترق زوره وقطع لسانه فلم يعد قادرا على الكلام، وقد فقد الوعى بينما بعض الرواد يحاولون اسعافه والبعض الآخر قد انتحوا جانبا من المطعم يتهامسون متهيجين .

وقوبل رجلا البوليس ورجال المباحث الذين وصلوا على أعقابهم بذلك الحائط من الصمت الذي يقابل به المحققون عندما يحاولون معرفة الحقيقة في مثل تلك الاوساط ، أوساط معتادى الاجرام . فالجالسون حول الموائد قالوا انهم لم يروا كيف وقع الحادث ، وحتى الذين كانوا جالسين حول البار ـ وقد تبين من البار الدماء أن القتيل ، أطلق عليه النار خلف البار ـ زعموا انهم كانوا مشغولين في الحديث ولم يروا القاتل . والمعلومات القليلة التى استطاع المحققون الوصول اليها تضاربت . فمن الشهود من قال ان رجلا دخل الى المطعم شاهرا مسدسه واطلق النار . ومنهم من قال انهم شاهدوه يتحادث مع صاحب البار وان صاحب البار انحنى كمن يريد ان يتناول سلاحا من تحت البار وعندها اخرج القادم مسدسه من جيبه واطلقه عليه . وقال احدهم انه راى القاتل يلف حول الخزينة وامثن بعض الشهود على اقواله .

واعتقد المحققون انها جريمة سطو . خاصة وقد لفت نظرهم احد الرواد الى الالفاظ التى كان يتفوه بها البيغاء فقد كان هائجا يصيح « روبار .

وأسرع رجال المباحث الى بالتيمور ينتظرون وردية نصف الليل ومع كل منهم صورة فوتوغرافية للمتهم فلما واجهوه بالتهمة انكرها وقرر انه غادر منزله لخلاف مع زوجتـــه .



روبار . ويتبع ذلك بسلسلة الشتائم المعتادة . وسمعه رجال المباحث يصيح « جريمة قتل روبار روبار » Robber. Robber اى لص . لص .

وقال رجل المباحث الاول « ما اغربها من جريمة . مصاب لايقدر على الكلام . وعشرون شاهدا لا يريدون الكلام . وببغاء هائج لا يكف عن الكلام .؟»

★ ★ ★

وعبثا حاول المحققون الحصول على وصف دقيق للقاتل . فهو طويل في قول ، قصير في قول آخر . ولم يستطع أحد ان يقول ان كان حليق الذقن ام لا . له شارب ام لا . ولما حاول المحقق ان يعرف ماذا كان القاتل يرتدى نظروا اليه في بلاهة واستغراب .

ووجد البوليس شهودا بانهم رأوا عقب اطلاق النار رجلا يجرى في الشارع ممسكا بمسدس في يده ولكنهم لم يستطيعوا ان يدلوا باوصاف دقيقة .

★ ★ ★

واستبعد البوليس فكرة السرقة — برغم صيحات الببغاء — لانه تبين بعد مراجعة الخزينة ان المبلغ الذى نقص منها لايزيد على عشرة دولارات : ولو ان اللص قد فتح درج الخزانة لما واكتفى بهذا المبلغ.واقتنع البوليس انه من الجائز أن يكون ذلك نتيجة خطأ في الحساب أو مبلغ صرفه صاحب البار ونسي ان يقيده .

★ ★ ★

وطرق البوليس جميع الابواب دون جدوى . قبض على جميع المشتبه فيهم وفحص جميع مسدساتهم وثبت له ان ايا منها لم يستعمل في الحادث . وأكد اهل القتيل انه ليس له اعداء ولم يصله اى تهديد . ولا خلاف بينه وبين عماله او نقاباتهم . ولا هو يشترى من السوق السوداء . والخلافات البسيطة التى وقعت بينه وبين الرواد انتهت بسلام . صحيح ان طبيعة ماكس انه يتحدث بصوت مرتفع ولكنه سرعان ما يهدأ ويسود الصفاء .

ومع ذلك اتجه التحقيق الى هذه الناحية حين تبين ان اثنين من رواد المطعم سبق لهما ان اختلفا مع صاحبه لم يعثر عليهما البوليس فابرق باوصافهما واسمائهما للبحث عنهما .

وتولى احد اعوان النائب العام التحقيق فاستدعى جميع الشهود ووضعهم في صالة كبيرة ملحقة بمكتبه وصار يستدعيهم واحدا بعد الآخر . وطال التحقيق وادرك المحقق التعب وخرج يستنشق الهواء الى القاعة التي بها الشهود فلفت نظره سيدتان تتحدثان بلهجة غريبة وكان هو ملما بعدة لغات ورغبة منه في معرفة اللغة التي يتحدثان بها استرق السمع فاكتشف انهما من مدينة كويبك يتكلمان الفرنسية القديمة وسمع السيدة البدينة منهما تقول للاخرى « تذكرى ان تقولى عندما يدعونك لغرفة التحقيق انك لم ترى ولم تسمعي شيئا ، والا سيحجزوننا طوال الليل ويكتشف زوجانا اننا لم نذهب الى السينما كما ذكرنا لهما . وانت تعلمين مصيرك اذا اكتشف زوجك انك كذبت عليه » . وامسكت السيدة الاخرى بيد زميلتها في رعب وقالت « لا . لا . يجب ان لا يعرف » .

وافضى المحقق بما سمعه الى رجال المباحث وكان التفكير يتجه باديء الامر الى سؤال السيدة النحيفة ولكن المحقق فضل استدعاء البدينة ليفاجئها بما سمع .

سألها عما تعرف فانكرت كل شيء . وقال لها كما لو كان يسألها سؤالا عابرا « بخصوص صديقتك . هل حقا يضربها زوجها ؟ » .

وحملقت الشاهدة فيه ولم تفه باى رد . فقال لها يبدو لي انك لم تدركي سؤالي باللغة الانجليزية وكرر لها السؤال بالفرنسية بلغة القرن السابع عشر وقالت له :

« لقد فهمت اذا ما كنا نتحدث عنه ؟ » وانطلقت في البكاء وافرغت هي وصاحبتها ما في جعبتيهما فقد التفتنا حين سمعنا صاحب البار يصرخ ووجدنا رجلا يخرج مسدسه من جيبه ويطلقه عليه وقالا ان القاتل كان يبدو عليه انه من رواد المطعم ، وكان يرتدى سترة لامعة ذات خطوط بيضاء وسوداء ، أشيب الشعر .

ولكن كيف العثور على شخص بهذه الاوصاف في وسط مدينة عدد سكانها ثمانية ملايين . اسهل من ذلك العثور على ابرة في كومة من القش .

طلب المحقق مساعدة مفتش مباحث جديد على القضية رغبة منه فى ادخال دم جديد وفكر جديد اذ كثيرا ما يكتشف الشخص الذى لم يتابع القضية من اولها شيئا لم يتنبه له الذين انغمسوا فى التحقيق . وجاء ضابط المباحث الجديد وأخذ يتردد على المطعم ويصغي باهتمام لصيحات الببغاء بل وحاول ان يعلمه أن ينطق باسمه .

وذات يوم ذهب الى المحقق وقال له « اعتقد ان الببغاء كان يملي علينا اسم القاتل . قد اكون مخطئا ولكني اعتقد ان الببغاء لم يكن يقول « روبار . روبار – اى لص لص فان ذلك يكون فوق مستوى عقل الببغاء . ولكنه كان يصيح باسم يعرفه (روبيرت . روبيرت . !» أو شيئا من هذا القبيل » .

ولاقت هذه النظرية قبولا حسنا لدى رجال المباحث واتجهوا ببحثهم فى هذه الناحية ، فالقاتل لا بد ان يكون معروفا من رواد المطعم – زملائه – وهم لذلك لم يدلوا باسمه . وحققوا مع كل من يكون اسمهم الاول روبيرت او اسما يمكن ان يتحول فى النطق الى ذلك الصوت الذى كان الببغاء يصيح به . وبعد ان استبعد البحث جميع من يحملون اسم روبيرت تبين ان احد الاثنين من الرواد اللذين اختفيا عقب الجريمة اسمه روبيرت شولتز . وانه كان يعيش فى غرفة مفروشة وانه فى احدى الليالي حزم امتعته وانصرف . وان هناك روبرت آخر اسمه روبيرت بتلر قالت زوجته انه كان غير راض عن عمله وهجر المنزل ذات يوم بغير عودة . ولكن لفت نظر رجال البوليس ان زوجته لم تبد اى قلق عليه .

وشدد البوليس البحث عنهما .

اما روبيرت شولتز فقد عاد برجليه الى الغرفة التي كان يقيم فيها وحقيبته فى يده وسأل ان كان يستطيع ان يعود الى غرفته . واسرعت صاحبة المنزل وابلغت البوليس وظهرت عليه الدهشة حين عرف انه متهم بقتل ماكس واكد انه لم يكن يعلم انه قتل . وقال انه تعب من سكنى نيويورك وعاد الى قريته فى وسط الغرب ، ولكنه بعد مدة اكتشف انه لا يستطيع احتمال الهدوء فعاد . وقد ثبت انه وصل الى قرية ابيه فى اليوم التالي لارتكاب الجريمة فما لم يكن قد وصلها بطائرة فانه كان فى القطار وقت ارتكاب الجريمة .

☆ ★ ☆

وانحصر اهتمام البوليس فى البحث عن بتلر وهو سائق تاكسي كان يتخذ له موقفا بجوار المطعم . وحصل البوليس على عينة من خطه من الطلب الذى قدمه للحصول على رخصة قيادة . واذن القاضي لمصلحة البريد بأن تسلم المباحث بيانا عن الخطابات التي تصل لزوجته . وظهر ان السائق المختفي لا يحاول الاتصال بزوجته عن طريق البريد .

وحقق البوليس مع جميع اصدقائه ولكنهم جميعا انكروا انهم رأوه او يعرفون مكانه . ومضى عام والجريمة لا تزال سرا غامضا بالرغم من ان البوليس بعث بأوصافه الى جميع مراكز البوليس فى جميع انحاء الولايات .

وفى اكتوبر سنة ١٩٤٣ عقد المحقق اجتماعا – كونسولتو – ولفت نظرهم ان زوجة بتلر لا تبدى اى قلق لغياب زوجها . فلا بد انها تسمع منه او عنه بطريقة ما . ولكن كيف وهو بغير تليفون وبريدها كله مراقب . لا بد اذا ان احدا يتلقى الاخبار وينقلها اليها . فمن يكون ذلك الصديق لنبحث عنه ونضع بريده تحت المراقبة .

وتبين ان ذلك الصديق كاتب فى احدى الشركات وقبلت مصلحة البريد ان تراقب الخطابات الواردة اليه . ووصل للرجل خطاب فى اول نوفمبر من مدينة بالتيمور لا يحمل اسم راسله او عنوانا لرده اذا لم يسلم . وقرر المحقق ان يطلع على ما فى الخطاب من غير اثارة شكوك المرسل اليه .

وكانت الحيلة التي لجأ اليها البوليس ان قبض على الصديق فى الطريق العام بحجة ان أوصافه تنطبق على رجل متهم بسرقة باكراه وانه يجب ان يبقى بقسم البوليس حتى يستدعي المجني عليه ويعرض عليه .

وانكر الكاتب بشدة وخفف احد رجال البوليس من حدة غضبه وقال له « لا داعي للقلق طالما انك برىء » . ثم قال له انه لا مفر من تفتيش جيوبه

للتاكد من عدم وجود شــيء من المسروقات . واسرع الرجل بافراغ كل ما في جيوبه مؤكدا ان خطا كبيرا قد وقع . وكان خطاب بالتيمـور من ضمن ما في جيوبه واستطاع احد رجال البوليس ان يطلع عليه ويعيده ضمن الاوراق من غير ان يشعر صاحبه . وكان الخطاب يحمل توقيــع روبيرت ويقول مرسله ان وردينه تغيرت وانه الآن في وردية نصــف الليل في مصــنع الحديد في بالتيمور .

★ ★ ★

وبعد لحظة تقدم احد رجال البوليس بحسبانه المجني عليه ونظر الى الكاتب وقال انه ليس هو الذى اعتدى عليه ، وقال له رجل البوليس « ألم اقل لك انه لا داعي للقلق ؟ ان هذه المســائل تحصل مع الأسف : يشكو شخص من اعتداء وقع عليه ويدلى لنا بأوصاف ثم يتبين ان الاوصاف ليست دقيقة ؟». وقبل الكاتب الاعتذار وانصرف مسرورا شاكرا وحمد الله على ان المجنى عليه لم يتعرف عليه .

واسرع رجال المباحث الى بالتيمور ينتظرون وردية نصف الليل ومع كل منهم صورةفوتوغرافية للمتهم فلما واجهوه بالتهمة انكرها وقرر انه غادر منزله لخلاف مع زوجتــه وقبل ان يذهب مع البوليس الى مدينة نيويورك . وفي الطريق بدأ حديث بين رجال البوليس والمتهم .

وقال بتلر « لماذا تعتقدون انني الذى فعلها ؟ »

وقال له المحقق « ما رأيك في ببغاء جيلبر ؟ »

فقال « عظيم » .

فقال له المحقق « انه هو الذى ابلغنا بفعلتك . ما كان يجب ان تعلمه النطق باسمك . لقد اخذ يردد اسمك بعد الجريمة ولذلك بحثنا عنك » .

وفغر بتلر فمه ونظر الى المحقق وقال « لم أكن احب هذا العصفور قط » . ثم اعتــرف بانه القاتل .

وساله المحقق عن سبب حمله للمسدس فقرر انه في الصباح دخل الى محل مقامرة بالنرد وكان هو الرابح الوحيد . فلما انتهى اللعب طلب منه عدد من اللاعبين ان يقرضهم بعض المال ولعلمه انهم لن يردوا ما يقترضون رفض . فهدده عدد منهم فامسك بعصى وافلت منهم . ثم سمع في نهاية النهار ان عددا من المقامرين قد دبروا الاعتداء عليه .

فذهب الى منزله وحمل مسدســه للدفاع عن نفسه . واكثر من الشراب لانه كان خائفا .

ومن الغريب انه ثبت للبوليس صحة أقواله .

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٤ حكم على بتلر بالسجن المؤبد في سنج سنج . ■■

حسن الجداوى المحامي
لدى محكمة النقض

القردة والكستنة

كان لاحدهم ولع في تربية القردة وقد جمع عددا منها في بيته ، وكان التفاهم سائدا بينه وبينها دوما ، وقد اعتاد ان يطعمها بما تدخره العائلة من طعام وفواكه ، وكان للقردة ولع كبير في أكل الكستنة ، الا أن ما عنده منها اخذ في النقصان ولم يجد في السوق ما يشتريه لها منها ، فجمعها وقال لها : (يؤسفني أن أعلمكم بأنني لن أتمكن بعد الآن من اطعام كل واحد منكم بأكثر من ثلاث كستنات في الصباح واربع في المساء ويجب أن تكتفوا بذلك). فهاجت القردة واحتجت على هذه الكمية القليلة . فقال لها : (لا باس ، لا باس سوف أجعل حصة كل منكم اربع كستنات في الصباح وثلاثا في المساء ، فهل انتم قانعون ؟) فسكتوا وانصرفوا مقتنعين أن قد زادت حصتهم الآن ،

(وهكذا يستطيع العقلاء بحكمتهم اقناع البسطاء) .

لي تزو – حكيم صيني

حلم التمرّد

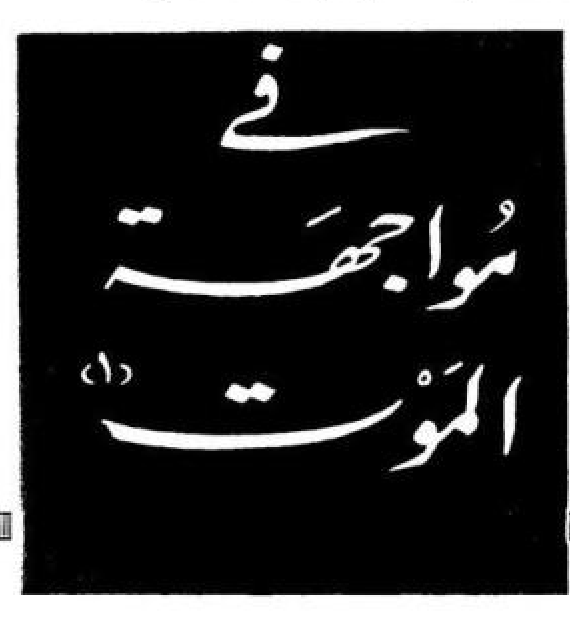
بقلم : محمد ابو عبيد

وفي ليلة من ليالى الشتا ... ءِ وقد غاب عن وجه يافا القمر
ولفَّ الظلامُ بيوت المدينـ ... ـة وانفض من كل يافا السمر
ونافذةٌ فوق تلك الطريـ ... ـق يدق بعنف عليها المطر
وريحٌ تدمدم في وحشة ... وتصفع في الحقل هام الشجر
تراءى لأحمد في نومه ... خيالٌ يمرُ بشتى الصور
فهذا جريح على ربوةٍ ... وذاك شهيدٌ على المنحدر
وآخر يمضى بدرب الفدا ... ء يدوس بصمتٍ حقول المطر
وأرملةٌ عينها في البعيـ ... ـد تحدّق في غدنا المنتظر
وطفل يتيم يموت يَمُو ... تُ كبرْ كَان حقد بدا ينفجر
تراءى له شعبه في الضيا ... ع وكيف يعيش بلا مستقَر
حرائره في دروب الهلا ... ك تعيش وتدفن بين الحفر
وأرض القداسة فيها الذئا ... ب تَعيثُ تزيّتْ بزِيّ البشر
تحرّكَ في قلبه كامنٌ ... وأشعل فيه لظىً مُستعر
وبات يعاف حياة القيو ... د فقد آن للقيد أن ينكسر
وراح يُغِذُّ الخطا في الظلا ... م ليُهدى فلسطين أغلى العُمُر
جميع الرفاق رآهم هنا ... ك يشقون درب الحياة الوَعِر
فهذا سمير ، وهذا حسا ... مٌ وهذا نزارٌ وهذا عُمَر
وهذا رماضٌ ، وهذا جميـ ... ـلٌ وهذا نبيلٌ ، وهذا خضير
إذا ما تكاتف كل الرجا ... ل بشعب فلا بد أن ينتصر

محمد أبو عبيد



● قصة قصيرة من ألمانيا



في مواجهة الموت (١)

■ منذ فترة وجيزة ، تمت اجراءات حصرهم ، فكان هو سادس من في الصف ، وتطلع الى العمد الثلاثة المثبتة في الارض على بعد عشرين خطوة منه ، ثم حطت عيناه على الوجوه غير المكترثة ، وجوه الجنود ، ثم حدث نفسه قائلا : ما هي الا لحظات حتى أموت .

كان الرعب الذى يشعر به أمام هذا الشيء الذى لن يلبث أن ينقض عليه ، يقبض حلقه ، ويجعل من تنفسه عملية صعبة عسيرة . وعندما تقدم القس ورفع الصليب فى ابطاء حتى بلغ فمه ليقبله ، لاحظ ان شفتيه جافتان كورق البردى .

كان يخيل اليه ان صوت القس يجتاز مناطق نائية قبل ان يبلغه . ولم يكن يشعر نحو هذا الكلام بأدنى اهتمام ، ولم يكن يعيره سوى انتباه شارد . كانت فكرة النهاية الوشيكة تشغل عليه فكره كله بحيث لم يكن مستعدا لان يفرط جزء من نفسه في أمور خارجة : انه الآن بصدد الاستئذان من الحياة ، من حياته هو ، فلم يشأ خلال الفترة الوجيزة الغالية التى تبقت له ، أن يزعج نفسه بالاستماع الى كلام أجوف لا طائل من ورائه .

وعاد بذاكرته الى الوراء باحثا عن شيء يأسف عليه أو عمل يندم على اتيانه ، لكن ذاكرته لم تسعفه بشيء ، ولم يجد شيئا . كل ما هناك انه استيقن أن حياته كان من الممكن أن تكون أكثر ثراء ، وانه كان من الممكن ان يعمل اكثر مما عمل .

وتدفقت الذكريات وتزاحمت أشلاء حياة في نظرة منه خاطفة . وتذكر عندما كان طالبا بالكلية الحربية ثم ضابطا .. أجل كان على حق عندما ترك الجيش ، وأدار ظهره لتلك المهنة التى كانت

---

(١) تجدر الاشارة الى أن هذه القصة انما نسجت حول ما حدث للكاتب الروسي دوستويفسكى Dostoievsky وقد صدر عنه العفو في اللحظات التي كان ينتظر فيها تنفيذ حكم الاعدام فيه وفي أقران له.



تاليف : هورست جرانوالد

تخنق كل ما كان يشعر به من دوافع وحوافز . لقد ادرك هذه الحقيقة بمنتهى السرعة . انالحياة في نظره يجب أن تكون شيئا آخر غير تلك .

ومنذ تلك اللحظة الماضية لم يستطع ان يتخلص من الشعور بالقلق والسخط . كان يريد أن يمسك بالحياة ، فكان يتشبث بها بكل ما اوتى من طاقة وقوة . وكان يقف ملتاعا مضطربا امام لجج نفسه متاملا فوضاها تلك التى كان عليه أن ينظمها . عندئذ بدأ يكتب . كتب صفحات وصفحات . وظل يكتب حتى نسي الجوع الذىكان يصرخ في أحشائه .

وشيئا فشيئا ، تكشف له مصيره في وضوح وجلاء . فاذا شخصيته الحقيقية تتراءى له ، ويرى امامه نورا باهرا ياخذ ببصره ، وينفتح أمامه الطريق الجديد ، طريقه : لقد عاهد نفسه على أن يجعل من شخصه المدافع عن جميع الاذلاء والمستضعفين على وجه الارض.فاخذ يكتب ويكتب بلا انقطاع .

كان يضيف السطور الى السطور ، وكان كل سطر ينبثق من سيل حياته العارم الذى كان يتدفق في أعماقه . كان أشبه بالموج الذى طال احتباسه . فانتهى به الامر الى تحطيم كافة الحواجز التى كانت تحول دون انطلاقه .

لم يعد هناك ما يروعه . لا القانون ولا العرف. كان في صراع أشبه بصراع الملاك والشيطان . وكانت ساحة القتال هي نفس الرجل .

وذات يوم ، ادرك انه نال الوطر ، وانه بلغ درجة الحب المجرد عن الفرض ، المستعد لجميع الوان التضحيات ، المتاهب لكافة أنواع النضال . وتساءل : أمن الممكن أن غيرى من البشر يبلغون هذه المرتبة أيضا ؟ والانسان ، منذ اقدم العصور ، الم يكن ميالا الى حب المظاهر اكثر من حبالحقيقة المجردة التى تختفى وراء هذه المظاهر ؟ وأى انسان كان من الممكن أن يعترض على المظهر الخارجي للاشياء ، ولكنه ما ان يحاول النيل من الروح والجوهر ، الم يكن يرد عن ذلك في الحال ؟

وجعل يبحث عن امثلة سابقة ، فوجدها في

المسيح ، وأدرك ان الذى صنعوه به كان عملية لا يمكن تجنبها ، ومع ذلك فقد واصل السير في الطريق التى خطها لنفسه .

وذات يوم ، طلب اليه الناقد « بيلينسكي » ان يمر عليه في مكتبه . وكان هذا الناقد قد قرأ مخطوطاته . وكان صاحبنا يتوقع منه كل سخاء ، من هذا الناقد المعروف بذكائه وتشدده وقسوته . كان يتوقع كل سخاء الا ماحدث فعلا .

فما ان دخل مكتب الناقد ، حتى نهض « بيلينسكي » واسرع نحوه وضمه بين ذراعيه وقال له وهو في قمة نشوته :

ـ آه ! هذا انت يا صديقي ! هل انت مدرك تماما ما كتبت ؟ أمن الممكن ان تفهم كل هذا وانت في سن العشرين ؟ ان « ديفرسكين » الموظف بطل روايتك ، قد تحول الى آلة متحركة . ولقد قطع في هذا الطريق شوطا كبيرا بحيث انه، وهو في قمة الذلة والمسكنة ، لا يجرؤ على مجرد « التفكير » في انه بائس ، ويعتبر أبسط الشكوى دليلا على التفكير الحر المنطلق والوعى الثورى ، ان القارىء لا يمكن أن يتعاطف مع مثل هذا الانسان . بل ان كل ما يشعر به نحوه لا يعدو البغض والاشمئزاز .

لقد وضعت يدك على الداء من اول وهلة ، ونفذت الى قلب المشكلة . يجب أن تظل كما انت، صريحا نحو نفسك ، ولسوف تصبح كاتبا عظيما .

تذكر المحكوم عليه بالاعدام كلام الناقد الشهير فاحس بآخر شعور بالعزة والافتخار ، فساعده ذلك في التغلب على الخوف والفزع . واقسم ان يظل صريحا نحو نفسه حتى امام الموت ، والا ينهار ، والا يخضع للقدر . كانت تلك رسالته ، وكانت تلك الرسالة تستحق أن يضحى من اجلها بحياته . لم يكن يكره شيئا اكثر من كرهه للكذب المبتذل الذى تخوض فيه الغالبية العظمى من البشر . ولقد قبض الاشمئزاز حلقه لمجرد التفكير في ذلك .

لم يكن يجهل الجريمة التى قادته الى هذه الساحة التى ينتظر فيها الاعدام ، صباح يوم قارس البرد من أيام ديسمبر . فقد جرؤ على الثورة ضد نظام يتصرف في البشر وكانهم قطيع من الابقار.

وحاول أن يتصور انه بعد دقيقتين او ثلاث سيصبح شيئا هامدا لا حياة فيه . كان من العسير عليه أن يصدق ذلك . وتساءل : « الامَ يصير حالي بعد اعدامي ؟ هل هناك حقا ما يستحق المعرفة فيما وراء هذا العالم » ؟

كان لا يزال يميز الجنود الذين كانوا يشكلون ثلاث فرق صغيرة أمام العمد . ومن بعيد جدا ، كان يبلغه صوت القس مترنما بالصلاة والدعاء ، ومن قريب جدا ، كان يبلغه صوت الضابط ملقيا بالاوامر الى الجنود . كان صوته عاليا رنانا ، ومع ذلك فلم يكن واضحا مفهوما .

وعلى مسافة مائتى متر تقريبا ، كان يلمح أمامه احدى الكنائس . وكانت قبة الكنيسة مغطاة بطبقة ذهبية اللون تعكس أشعة الشمس . فطفق يتاملها في امعان واهتمام كانما هذه الاشعة تمثل فجر حياة لن يلبث أن يسفر من أجله ، او كانما عليه أن يذوب فيها بعد لحظة من الزمن .

وصادف صعوبة شديدة اذ حاول أن يصرف نظره عنها . وعندما حطت عينه على الجنود ، نزلت في قلبه سكينة كبرى ، فكرة واحدة هي التى كانت تضايقه : « آه ! لو لم يكن مقضيا علي بالموت بعد لحظة ، لو أُرُدّ الى حريتي ، فما اعظم ما كنت ساقوم به من أعمال ! آه لو حدث ذلك ، لجعلت من كل لحظة قرنا من الزمن ، ولاحصيت كل دقيقة من عمرى كما يحصي البخيل امواله ، ولوعيت قيمتها وادركت عظمتها فلا اضيع منها ذرة واحدة » !

لو قدر له أن يعيش .. لو قدر له أن يعيش لاستطاع أن يقرأ من جديد «بوخين» و «جو جول» وسائر الكتاب الآخرين الذين كان يحبهم ، ولاستطاع أن يحتسي نبيذ القوقاز ، ويتسكع في شوارع « بيتر سبورج » وعلى رصيف « نيفا » ، ولاستطاع أن يقرأ على وجوه الناس سر بؤسهم وعذابهم . لو قدر له أن يعيش ، لعاش معهم ، ولتحدث طويلا مع السكارى وبائعي الكتب القديمة ، ولعلم عندئذ انه موجود ، وانه يحتسي الحياة

في كل اشكالها والوانها كما يحتسي الظمآن كوبا من الماء البارد .

الحياة ! ان يكون الانسان على قيد الحياة افضل بكثير من ان يرقد جثة هامدة بلا حراك ولا فائدة ، تحت التراب ... ان يفتح عينا شغوفة على الاحداث والناس ، وينفعل بالمشكلات ويشارك الناس افراحهم واتراحهم ، ومخاوفهم والامهم ، ودموعهم وضحكاتهم . وان يستشعر حرارة الشمس ولسعة البرد ، هذه هي الحياة ...

وما دام الانسان على قيد الحياة ، فهو يستطيع أن يترنم باسم مُحبّب الى قلبه ، فيقول مثلا : « امي » ويستطيع ان ينطق باسم شقيق له او شقيقة ، او صديق له او قريب . ويمكنه ، اذا شعر بالضيق ، ان يخرج الى الطرقات . ويمكنه ان يضحك لنكتة ، او يداعب شعر امراة جميلة ، ويتناول ذقنها الجميل في راحة يده ، ويرفع راسها ويجبرها على التطلع اليه ... مادام على قيد الحياة ، يستطيع ان .. يستطيع أن يسقى الازهار ، وينصت الى طنين النحل ، ويستلقى فوق العشب ، ويرقد على ظهره ، ويتامل مسيرة السحب في السماء ، ويكتشف لها اشكالا جديدة لا حصر لها ...

ان الانسان ، وهو على قيد الحياة ، يشعر بانه يعضد سائر البشر ويساندهم ، ويأخذ على عاتقه مسئولية اعمالهم ، ويشاركهم تبعة جرائمهم . لانه مثلهم ، لانه يكون مذنبا عندما يكونون مذنبين ، لانه يتشبث بالحياة مثلهم . أجل يستطيع الانسان أن يفعل أى شيء ، عندما يشعر بالرغبة في ذلك . المهم ان يدرك تمام الادراك مدى امكاناته ولا يضيع فرصة واحدة للعمل .

وعندما تصور كل ما سيسلبه الموت اياه ، انتابه غضب شديد وقال لنفسه : « آه ! ليتهم يسرعون باعدامي » ولكن سرعان ما روعته هذه الفكرة .

وضغط قبضتيه في قوة خارقة بحيث ان أظافره المت راحة الكفين . واضطر الى بذل جهد كبير لكي يكتم غضبه . كان هو سادس من بالصف . اذن فالثلاثة الماثلون على يمينه (كان لا يجرؤ على النظر اليهم) سيموتون اولا .

وارهف السمع ، فبلغت اذنه الطقطقة التى تحدثها أحذية الجنود فوق البلاط الذى يبس بتأثير الجليد ، فالتفت الى الجهة التى كانت تنبعث منها الضوضاء ، فرأى جنودا أربعة يجتازون الميدان ويتجهون نحو المذنبين ، في ابطاء وهدوء ، وبلا ادنى انفعال او تأثر .

وما ان اصبحوا على بعد خطوة منهم ، حتى توقفوا ، وصاح واحد منهم قائلا : « رقم واحد واثنين وثلاثة .. اخرجوا من الصف» كان يتحدث من انفه ، وكان صوته كريها بغيضا .

وقامت نظرته قليلا عندما رأى الصف يقصر .

وسار الرجال الثلاثة يحوطهم الجنود الاربعة ، كان يتبعهم بعينيه ، فشعر كانما يجرون اقدامهم جرا ، عندئذ ادرك الخوف المريع الذى يستولى عليهم . ولقد شعر هو ايضا بالخوف امام عجز هذه الاجسام التى لن يلبث الرصاص أن يغوص فيها دون أدنى مقاومة او عائق .

وحدس ما يدور بخلدهم من خواطر ، واستيقن ان هؤلاء الرجال يلعنون القدر الذى خصهم بأن يكونوا اول الراحلين ، كما استيقن انهم مستعدون لان يهبوا كل ما يملكون على هذه الارض في مقابل ان يكونوا في الطرف الآخر من الصف .

ولقد اضطرب لهذا المشهد ايما اضطراب ، فاغمض عينيه وطاطا رأسه ، واجتهد في أن ينسى ما رآه . وفي خياله المشحوذ ، ارتسمت شخصيات اخرى ، واطارات أخرى . لم تكن في بادىء الامر سوى اشكال غامضة وشيئا فشيئا ، جعلت ملامحها تتضح وتفرض عليه نفسها . وشعر بالم عميق عندما تذكر ان الوقت لم يسعفه ليقول للبشرية الجزء العاشر من رسالته .

واستعرض جميع الكتب التى كان سيكتبها ، لو توفر له الوقت لذلك . وعندما أدرك انه لن يستطيع ان يكتب شيئا ، وانه لن يستطيع أن يعبر عما يشعر به من حب وعطف نحو البشر ،

وان المشاعر التى يفيض بها قلبه والافكار التى تملأ راسه سترحل معه الى العدم ، عندئذ ضغط على فكيه من فرط الالم .

ماذا سيقول التاريخ عن هذا الطالب الذى دفعه الفقر الى الانصراف عن الدراسة وقتل عجوز مرابية بالبلطة ؟ ومن ذا سيتحدث عما اعتمل فى نفسه من تبكيت وصراع عندما تساءل عما اذا كان قد فعل فعلته كأى قاتل مجرم او انه فى ذلك كان ينتمى الى اشباه نابليون ، الى تلك الصفوة من الناس التى تملك حق التصرف فى أرواح البشر ومقدراتهم ...

ومن ذا سيصور العواطف التى تعتمل فى أعماق المقامر عندما يسمع طقطقة الكرة فوق طاولة اللعب، وعندما يقبض باصبعه فى حركة محمومة على أول مكسب له ... ثم عندما تتوالى المبالغ المدفوعة وتختفى تباعا ، فيزداد عناء المقامر ، ثم لا يبقى له شيء سوى تلك الكرة التى تتراقص فوق الطاولة .. وعندما ينتهي ويغادر مائدة اللعب ، ولا يبقى له شيء ، حتى ولا ذرة من نفسه . فيخرج والابتسامة على شفتيه ويحيي الحارس تحية عابرة قائلا له : « الى اللقاء غدا » !

ومن ذا سيهتم بمصير الأطفال الذين ألقى بهم بلا رحمة ولا شفقة فى عالم تعتبر الدماء الجارية فيه مشهدا معتادا ، عالم لا تعتبر الرذيلة فيه مصدر خجل او عار ، وانما تنتشر فيه وتستشري فى حرية تامة ، عالم يصبح فيه كل شخص فى هذيان هستيرى طالبا شيئا من الانسانية ، وهو لا يدرى أن الزجاجة قد فرغت وليس هناك من يتفضل بملئها . وما من شك فى ان كل فرد يريد أن ينهل من الزجاجة مرة بعد مرة ، ولكن عندما يطلب اليه أن يهب شيئا من ذاته ، فان الامر يختلف .

كان يعرف انه لا يمكن أن يرى الاشياء كما تراها الجماهير . لقد شاءت له الاقدار أن يظل الى الابد يوجه الى نفسه الاسئلة بعد الاسئلة ، وان يظل الى الابد يجتهد فى محاولة الاجابة عليها . هل كان ينتظره غير ذلك . ومع ذلك كان سيرضى ويسعد بجنى الثمار فى غير هذا المكان الذى ينتظر فيه الاعدام رميا بالرصاص .

وانبثقت فى راسه رؤيا زاهرة ... راى نفسه عندما كان فتى جميلا اشبه بالامير .. كان نبيلا كريما . وكان يقدم للعالم الدليل على طيبة قلبه وحبه الغامر وايمانه العميق بعظمة الانسان . كان ينتمى الى عائلة كريمة ، وكان الوحل الذى يتمرغ فيه بقية الناس من حوله لاينال من طهره وعفته . اجل .. كان ذلك الفتى سيلقى الاحتقار والازدراء من أترابه ، لكنه كان سيظل يعطف عليهم . بل ان وجوده نفسه فى نظر الجماهير كان أمرا شاذا ، كان بالنسبة لها اشبه بتبكيت حى ، فاكتفت بادانته وحكمت عليه بالاعدام . كان كل من يصادفه يضعه امام التجربة ، وعندما وجد الناس انه يقدم لهم الحب بدلا من السوط ، اشاحوا عنه ووصفوه بالابله المعتوه .

كان المصير الاليم الذى يتعرض له هذا الفتى يسبيه ويفتنه بحيث انه انساه لمدى لحظة كل ما كان حوله . وقال يحدث نفسه : « أجل ، هذا موضوع كنت أحب أن أعالجه بالقلم » .

وبلغته صرخة مروعة انتزعته من أفكاره ، وما ان رد الى واقعه الحاضر ، حتى شعر بأن العرق كان يتصبب من جبينه وصدغيه ورقبته ، وان حبات العرق كانت تتسرب الى ظهره من فتحة الياقة .

واضطر الى فتح عينيه على سعتهما ، لكنه شعر بسعادة غامرة عندما وجد ان ستارا رقيقا معلقا امامه يحجب عنه المشهد الذى كان يجرى فى الميدان على بعد خطوات منه ، ومع ذلك فلم يحول عينيه .

وعندئذ شاهد الجنود وهم يقبضون على ذراعي المذنب الاول ويجذبانهما خلف ظهره فى قسوة ووحشية ثم يقيدون قبضتيه تقييدا محكما ، ثم يضغطون ويضغطون حتى اضطر الجسم الذى أضناه الالم والارهاب الى أن ينتصب معتدلا . ولاح ان الرجل ينتصب قامته عزة وافتخارا . ولقد تكرر هذا المشهد ثلاث مرات . ورأى ان الجنود يعصبون أعين المذنبين . ثم يسحبونهم الى العمد فيقيدونهم اليها فى احكام شديد بحيث لا يستطيعون أن يتزحزحوا قيد انملة .

وحاول أن يتذكر ملامح وجوههم التى رآها أمامه منذ لحظات ، لكنه لم يتمكن من ذلك . وانتهى به الامر الى أن أخفى جبهته بذراعه لانه لم يعد يحتمل هذا الانتظار ، ولم يعد يطيق عجزه هذا أمام النهاية الوشيكة . . .

حتى ذلك اليوم ، لم يكن فكر في أنواع الموت المختلفة . ولقد فات الاوان الآن ، فلن يسعفه الوقت لذلك ، والرصاصة التى كتب لها أن تضع حدا لنهايته قد صهرت منذ وقت طويل . كان يراها داخل الجراب الجلدى الذى يعلقه الجنود على صدورهم، قطعة صغيرة من المعدن، مستديرة، مصقولة في مهارة وبراعة .

وكم من عناء تجشمه صانع الرصاصة ليكون لها هذا البريق ، وكم كانت متعة الجندى وهو يتأملها أمام عينيه .. لكن ذلك الجهد كان بلا طائل ، ومتعة الجندى كانت فارغة . فبالنسبة له هو ، الذى سيتلقى الرصاصة في صدره ، فان الامر سيان : أن تكون الرصاصة صدئة أو لامعة .

وعلى حين فجاة ، سمع شخصا يسعل ، وشاهد الضابط الذى قام ، قبل ربع ساعة ، بقراءة حكم الاعدام ، يبتعد عن الجنود ويشير بيده الى القس بالابتعاد عن العمد .

وفي الحال ، سمع صوتا ، صوتا كان يبدو انه يخرج من عالم الاموات يأمر الجنود بالاستعداد .

واخذت الطبول تدق خفيفا في بادىء الامر ، ثم تشتد شيئا فشيئا ، فاعتقد ان رأسه لن يلبث أن ينفجر .

ووسط ضوضاء الطبول ، استطاع أن يميز الصوت الذى تحدثه البنادق عند تعميرها . عندئذ ايقن انه ، بالنسبة لهؤلاء الرجال المقيدين الى العمد ، فان اللحظة الاخيرة قد حانت . وانتظر سماع الطلقة الاولى ..

واذا ضوضاء الطبول تصم الاذان . وفي هدوء ، حول رأسه ، خشية أن يصاب بالجنون لو طال أمد هذا الانتظار .

وخيل له ان الضابط ينحنى على أحد الجنود ، وخيل له انه رأى شفتيه تتحركان ، لكنه لم يميز أى صوت . وشاهد الجندى يندفع نحو المذنبين المقيدين الى العمد . لكنه أدرك ان الهلوسة تعبث به وانه يجب أن يثوب الى رشده بأى ثمن . ليته فقط يستطيع أن يكف عن سماع ضوضاء الطبول .

ماذا ؟ هل سينهار تماما ، في اللحظة التي يواجه فيها الموت ، هو الذى طالما أراد أن يحافظ حتى النهاية على رباطة جاشه ، وان يظهر للناس جميعا انه يستطيع أن يثبت انه رجل حر ، حتى أمام الموت ؟

ورأى الجندى وهو ينزع العصابة من فوق عيني المذنب الاول ، ثم الثاني ، وأخيرا عصابة الثالث . وبعد ذلك حل القيد الذى كان يربطهم في العمد والقيود التى كانت في معاصمهم ، ودفعهم أمامه واجتاز بهم الساحة في اتجاه مضاد ، ثم عاد الرجال الثلاثة الى أماكنهم في الصف .

لم يعد يحاول أن يفهم ، ومكث جامدا في مكانه، وقد حلت محل عقله فتحة كبيرة سوداء . وكان قد فقد القدرة على الاندهاش ، بل حتى على التألم . ولم يفكر حتى في الصياح أو الهروب وهو لا يزال قادرا على ذلك .

وفجاة كفت الطبول عن الدق ، وكانها فقدت كل قوتها . ولم تطلق أية رصاصة ، الامر الذى لم يزد من دهشته .

ثم سمع اسمه متبوعا بكلمات لم يفهم منها شيئا لحظة سماعها . وعندما تحرك طابور المذنبين وانتظم في صفين وأدار ظهره لميدان سيميونوث واتخذ طريقه الى السجن ، استعاد صاحبنا جزءا من عقله . وفيما كانوا يمهلون السير لينخرطوا في منعطف الطريق ، لمح رأس أول المذنبين ، ذلك الذى كتب له أن يكون أول الراحلين ، والذى كان يسير أمامه . وعندئذ كفت ركبتاه عن الارتعاش . واذا به يستعيد الكلمات التى سمعها منذ قليل فكانت : « فيودور ميخايلو فتشي » ينال عفو القيصر ويقضي أربع سنوات في سيبيريا .

■■

ترجمة : حمادة ابراهيم

أنت تسأل .. ونحن نجيب

لندن تبيح الاجهاض

سيل النساء الحوامل الأجنبيات

عمليات الاجهاض ترتفع من ١٠ آلاف عملية إلى

● سمعنا أن بريطانيا توشك ان تصدر قانونايبيح اجراء عملية الاجهاض دون قيد او شرط .. فما هو مدىذلك من الصحة وماهي المعلومات التيتستطيعون تزويدنا بها حول القانون المذكور ..

ممدوح احمد حسنين ـ اسكندرية ـ ج.ع.م

ـ قانون الاجهاض البريطاني قد صدر بالفعل واصبح سارى المفعول منذ حين . فمنذ ان وضع هذا القانون موضع التنفيذ في اواسط السنة الماضية وعمليات الاجهاض في بريطانيا تجرى على اوسع نطاق ، وقد بلغ عددها في الشهور الثمانية الاولى التى مضت على صدور القانون ٢٢ر٢٥٦ عمليـة . ويقـدر العارفـون ان عـدد هذه العمليـات سيتضاعف في المستقبل القريب حتى يبلغ ٣٥٠٠٠ ـ ٥٠٠٠٠ عملية في السنة الواحدة .

ولو ذكرنا ان عمليات الاجهاض التى اجريت في بريطانيا قبل صدور القانون المـذكور لم تزد في المتوسط على ١٠ر٠٠٠ عملية في السنة لادركت خطورة ما اقدمت عليه بلاد الانجليز في هـذا الصدد . هذا وبريطانيا في طليعـة دول الغرب محافظة" على العادات وتمسكا بالتقاليد .

والغريب ان قانون الاجهاض البريطاني الجديد يتنافى كليا وما سبق لبريطانيا ان طبقته في هذا المجال من قوانين . ففي قانونهـا الاول الصادر سنة ١٨٠٣ لم تقف بريطانيا عند منع الاجهاض وانزال عقوبة السجن او الغرامة بمرتكبيه .. بل انها ذهبت الى اعتبار الاجهاض جريمة قتل كبرى وعاقبت عليه بالاعدام اذا تم بعد تكون الجنين .

وادخل على القانون المـذكور تعديله الاول في سنة ١٨٣٧ .وقد الغى هذا التعديل عقوبة الاعدام الا انه لم يلغ اعتبار الاجهاض جريمة ، بل تجاوز القانون الاصلي في تحريم كافة عمليات الاجهاض سواء تم اجراؤها بعد تكون الجنين أو قبله .

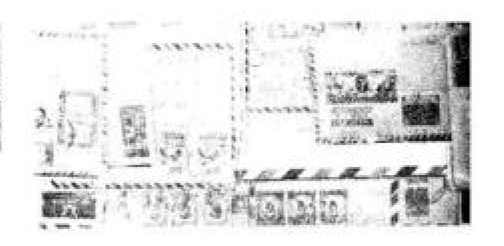
وسارت الامور على هذا المنوال طول ٩٢ سنة ولم تقدم بريطانيا على تعديلها الثاني لذلك القانون الا في سنة ١٩٢٩ . على ان هذا التعديل لم يأت بتغيير كبير . فقد ابقى على تحريم الاجهاض في كـل الحـالات ولم يُبحـه الا في تلك الحالات الاستثنائية التى يكون الاجهاض فيها السبيل الوحيد لانقاذ حياة الحامل من موت محقق .

ومضت تسع سنوات اخرى قبل ان يطرأ على قوانين الاجهاض في بريطـانيـا أى تحول خطير .

كانذلك في سنة ١٩٣٨ حينما اقدمالدكتور اليك وليم بورن على اجراء عملية اجهاض لفتاةعلىالرغم من أن حياة تلك الفتاة لم تكن في خطر بسوجب اجراء تلك العملية . ولكن الفتاة كانت في الرابعة عشرة من عمرها وكانت قد حملت نتيجة اعتداء وحشي على عفافها اشترك فيه عدد من الرجال ، بل الذئاب الكاسرة . وشعر الدكتور بـورن بما هدد حياة تلك الفتاة من مخاطر نفسية واجتماعية فلم يتردد في اجراء عملية الاجهاض لها ، ضاربا عرض الحائط بالقوانين المرعية في سبيل تلـك الفتاة المسكينة . وكان هذا الطبيب من الشجاعة ان قدم نفسه بعد ذلك الى المحكمة ... !

الا ان الحكم الذى اصدره المحلفون بحقه في غضون اربعين دقيقة لم يقض بادانته بـل قضى بتبرئته . وكان ذلك سابقة" قضائية" قامت مقام التعديل التشريعي لقوانين الاجهاض التي كانت سـائدة في بريطـانيا آنـذاك . وأصبح المسوّغ الشرعى لاجراء عملية الاجهاض بعد ذلك اقتناع الطبيب بضرورة اجرائها ، كانت الاسباب الموجبة في رأيه ما كانت .

وقـد بقيت تلـك القاعـدة نافـذة المفعول طول ٣٠ سنـة انتهت بصدور قانون





الاوبك والمنظمة العربية للنفـط

● سمعنا بمولد منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط ، فما هي هذه المنظمة ، ومن هم أعضاؤها وشروط الالتحاق بها .. وهل هناك تعارض في أهدافها مع منظمة الاوبك ؟

تماضر السيد ـ طنطا ـ ج.ع.م

ـ منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط هي منظمة حديثة، انشئت في التاسع من يناير (كانون الثانى) ١٩٦٨ وهدفها كما جاء في اتفاقيتها هو « تعاون الاعضاء في مختلف أوجه النشاط الاقتصادى في صناعة البترول ، وتحقيق أوثق العلاقات فيما بينهم في هذا المجال ، وتقرير الوسائل والسبل للمحافظة على مصالح اعضائها المشروعة في هذه الصناعة ، منفردين ومجتمعين ، وتوحيد الجهود لتامين وصول البترول الى اسواق استهلاكه بشروط عادلة ومعقولة ، وتوفير الظروف الملائمة لرأس المال والخبرة المستثمرتين في صناعة البترول في اقطار الاعضاء .. »

وبمعنى آخر أن هدف المنظمة يمتد الى جذور كثيرة ، فهي تهدف الى تنسيق السياسة النفطية، وتحقيق تعاون مشترك ، مثل انشاء اسطول مشترك لناقلات النفط العربية ، واقامة المشاريع الصناعية المشتركة، وفي مقدمتها صناعة الكيماويات البترولية التي تحتاج الى تعاون شامل حتى تتكامل مع بعضها بدلا من تنافسها ..

وتنص اتفاقية منظمة الاقطار المصدرة للنفط ، على أن عضويتها مقصورة على أي قطر عربي يكون البترول هو المصدر الرئيسي والأساسي لدخله القومى .. والأعضاء المؤسسون لهذه المنظمة هم دولة الكويت والمملكة العربية السعودية ،والمملكة الليبية .. ومقر المنظمة الدائم هو الكويت .

وعلاقة منظمة الاقطار المصدرة للنفط بمنظمة الاوبك علاقة تعاون وثيق، ذلك لان نشاط المنظمتين يسير في خطين متوازيين ولا تعارض بين أهدافهما .. فمنظمة الاوبك تضم تسع دول عربية وأجنبية مصدرة للبترول هي: فنزويلا والعربية السعودية، والكويت ، وايران وليبيا ، والعراق ، واندونيسيا ، وابو ظبي ، وقطر ، في حين أن منظمة الاقطار المصدرة للنفط لا تضم الا الاقطار العربية ، كما يتضح من اسمها .. (س . ز)

يتدفق على بريطانيا ٥٠ الف عملية سنويا !

الاجهاض البريطاني الجديد .

ويقوم هذا القانون على ركنين اساسيين اولهما الا يجرى عملية الاجهاض الا طبيب مرخص ، والثانى الا يجريها هذا الطبيب الا اذا وُجد طبيب واحد آخر على الاقل يشاركه الاقتناع بضرورة اجرائها . والى جانب ذلك فقد اشترط القانون الجديد هذا ، الشروط الثلاثة التالية :

١ ـ ان يترتب على استمرار الحمل مخاطر على حياة الحامل اشد من المخاطر المترتبة على اجراء عملية الاجهاض .

٢ ـ ان يترتب على استمرار الحمل مخاطر اشد قد تعود على الحامل ، أو على أي فرد من افراد عائلتها ، بالاذى الجسدى أو العقلي (والنفسى) .

٣ ـ ان يكون في استمرار الحمل مجازفة لا يستهان بها ويحتمل معها ان يصاب الطفل (او الجنين) بآفات جسدية أو عقلية .

وهكذا يتضح لك ان قانون الاجهاض الجديد في بريطانيا ، وقد مضى على صدوره اكثر من سنة ، قد اباح اجراء عمليات الاجهاض اباحة تكاد تكون تامة . على ان للقانون الجديد هذا جانبا هاما آخر غير مرونته الواضحة في الشروط المطلوبة لاجراء تلك العمليات . فقد اغفل حصر هذه العمليات بالنساء البريطانيات أو المقيمات في بريطانيا .وكانت النتيجة ان تدفق سيل النساء الحوامل الاجنبيات على بريطانيا من مختلف اقطار العالم يطلبن الاجهاض وقد تعذر او استحال في بلادهن ، واصبح مباحا في بلاد الانجليز ، وذلك لقاء رسوم لا تزيد باي حال على ١٥٠ جنيها وقد تقل حتى تبلغ الاربعين . وكانت النتيجة ايضا ان اصبحت لندن تسمى بحق عاصمة الاجهاض .

(ى . ز)

البيروني : الطبيب المؤرخ الجغرافى الفلكى الرياضى العالم!!

■ اثناء مطالعاتي لكتب التراث الاسلامي تكرر اسم البيروني صاحب التصانيف الكثيرة وانه كان عالما بالرياضيات والعلوم الطبيعية بل كان ملما بعلوم كثيرة ، فارجو كتابة نبذة عن حياته وعلمه وفى أي العصور الاسلامية وجد ؟ .

موسى محمد حسن الحربي
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

ـ يذكر المؤرخون ان ابا الريحان محمد بن احمد البيروني ولد فى خوارزم سنة ٣٦٢ هـ وحين بلغ العشرين من عمره كان قد نهل من بحر العلوم الكثيرة ، وتفتح عقله على مجالات شتى فى المعرفة، فرحل الى جرجان والتحق ببلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، حيث كان بلاطـه يحفل بالعديد من العلماء والاعلام . وقد كتب فى هذه الفترة كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وهو كتاب يبحث فى تقاويم الامم القديمة واعيادها ومواسمها .

والطابع المميز للبيرونى انه احد العلماء القلائل الذين تنوعت اهتماماتهم العلمية وحالفهم التوفيق فى كل باب طرقوه من ابواب العلوم المختلفة . فقد كان البيروني طبيبا فلكيا رياضيا جغرافيا مؤرخا عالما بالطبيعيات وكانت له اليد الطولى فى كل علم من هذه العلوم .

وقد حرص البيروني على الاطلاع على ثقافات الأمم الاخرى من مصادرها الأصلية فقد درس السريانية والعبرية وعنى بوجه خاص باللغـة السنسكريتية ، وعن طريقها تعمق فى دراسـة الثقافة الهندية ، التي لم تكن حتى عصره تحظى بكثير من عناية العلماء العـرب . فالف كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة » ، ولا يزال حتى اليـوم كثير الفائدة لطلاب الدراسات الهندية .

وقد قام البيروني بعمل جداول فلكية دقيقة بناء على ارصاده كما ابتكر الاصطرلاب الاسطواني الذى استخدمه فى تحديد أبعاد الاجسام البعيدة وارتفاعاتها عن سطح الارض كما حـوى كتاباه « القانون المسعودى » و« التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » الجانب الاكبر من ابحاثه الفلكية .

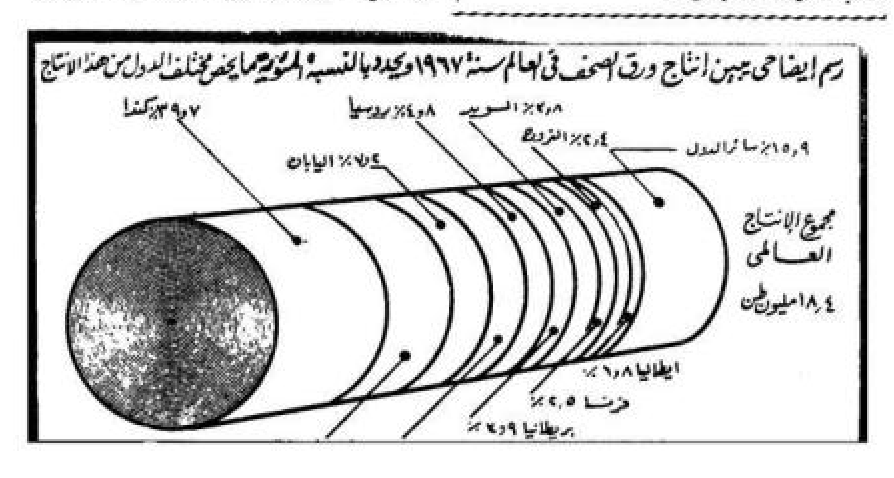
اما فى حقل العلوم الطبيعيـة فقد ادرك ان سرعة الضوء تزيد على سرعة الصوت زيادة هائلة . كما شرح القوانين المائية التي تحكم العيون والآبار

كندا تنتج أكبر كمية من

● انا طالب في المدرسة الثانوية ولى عـم يشتغل في تجارة الورق ولا سيما ورق الصحف وهو دائما يستورده من السويد وفنلندة ، فهل معنى هذا أنه لا توجد في أوربا أو أمريكا مصانع للورق أكبر من تلك المصانع الاسكندنافية ؟

خليل الاسكندراني ـ القاهرة

ـ لا يا عزيزى .. فالدول الاسكندنافية التى ذكرت ليست في طليعة دول العالم انتاجا لورق الصحف . فهذه المكانة الأولى انما تحتلها كندا ، وقد بلغ انتاجها من الورق الذى ذكرت ٤٠٪ من



الارتوازية ، وتعرض لشرح ظاهرة الزوجية في عدد اوراق الزهور . على أن أبرز سبق علمي حققه البيروني يتمثل في تحديده للكثافة النوعية لعدد من المعادن والاحجار تحديدا دقيقا لا يختلف عن الكثافة النوعية لهذه المعادن في الوقت الحاضر الا اختلافا يسيرا وله مقالة في النسب بين الفلزات والجواهر في الحجم .

وقد أبدع البيروني كذلك بالجغرافيا الرياضية، وبالاخص تحديد خطوط الطول والعرض ، ومسافات البلدان وعلم هيئة الارض ثم فن رسم الخرائط وله طرق كثيرة في كيفية نقل صورة الارض الكروية الى الورق المسطح وكذلك كيفية رسم الخرائط الفلكية للسماوات . وله كتب عديدة في هذا المجال نذكر منها كتاب « تسطيح الصور وتبطيح الكور » وكتاب « تحديد المعمورة وتصحيحها في الصورة » .

أما في علم الجيولوجيا وعلم المعادن فقد كان البيروني من المبرزين ، وقد درس عددا من المعادن والاحجار ، ووصفها من النواحي الطبيعية ، ومن ناحية استغلالها في الصناعة . أما كتابه في ذلك فهو كتاب «الجماهر في الجواهر» وقد سار في كتبه على المنهج العلمي التجريبي فلم يكن البيروني يتخذ اقوال الاقدمين حجة : ولم يكتف بالاستنتاج النظرى المجرد وانما كانت التجربة العلمية الدقيقة مدار استنباطاته واساس نتائجه العلمية.
وقد تتبع الاب جاج بوالو الدمنكى مؤلفات البيروني فاخرج قائمة تحوى مائة وثمانين عنوانا ما بين موجود ومفقود ، ووصف كل مؤلف مشيرا الى موضوعه ومكان وجوده كما صنفها بحسب فنون العلوم المختلفة التي تناولها .

(ص . ي)

ورق الصحف فى العالم ..

مجموع الانتاج العالمى . ونحن نعتمد في حكمنا هذا على آخر الاحصائيات التى أجراها المختصون لسنة ١٩٦٧ ، والتى شملوا فيها الدول العشر الأولى في العالم من حيث انتاج ورق الصحف Newsprint ، على نحو ما ترى في الرسم الايضاحى المنشور مع هذا الكلام .

ولعلك تستغرب الا تاتى الدول الاسكندنافية ، بما فيها النرويج أيضا ، في المرتبة الثانية أو حتى الثالثة بين الدول التى تناولتها هذه الاحصائيات . فالولايات المتحدة الأمريكية كما ترى ، الدولة الثانية ، وقد بلغ ما انتجته من ورق الصحف فى سنة ١٩٦٧ التى ذكرنا ما يقارب ١١٪ من مجموع الانتاج العالمى .

وليست الدولة الثالثة ، كما تلاحظ ، سوى اليابان التى طالما فاجأتنا بمعجزاتها الصناعية فتفوقت على غيرها من الدول حتى في الصناعات التى عزت خاماتها الأولية عليها فيما توفرت تلك الخامات لدى الدول الاخرى بكميات كبيرة . ويصدق ذلك على صناعة الأقمشة والصناعات الحديدية كما يصدق على صناعة الورق وبخاصة ورق الصحف . فعلى الرغم من أن اليابان تفتقر الى الاحراش والاخشاب وتستورد الخامة الضرورية لصناعة الورق من الدول الاسكندنافية وغيرها فان هذه الدولة الشرقية العظيمة قد تمكنت من القفز بصناعة ورق الصحف والتفوق بكثرة انتاجها اياه على أكبر الدول الاسكندنافية انتاجا له .

اذ بلغت حصة اليابان من انتاج ورق الصحف العالمى ٧ر٢٪ ، فكانت بذلك الدولة الثالثة كما تبين الاحصائية ، في حين لم يزد نصيب فنلندة من هذا الانتاج على ٦ر٦٪ ، فكانت بذلك الدولة الرابعة .

اما السويد والنرويج فلا تحظيان بين دول هذه الاحصائية بغير المرتبتين السابعة والتاسعة ، وقد بلغت حصة الأولى ٨ر٣٪ ولم تجاوز حصة الثانية ٤ر٢٪ من مجموع الانتاج العالمى .

نرجو أن نكون قد أعطيناك فكرة واضحة عن انتاج ورق الصحف في العالم .

(ي. ز)

بحر قزوين يتقلص

● بحر قزوين ، جاء ذكره مرات كثيرة في مسابقات العربي ، والواقع اننا نجهل كل شيء عن هذا البحر ، فيما عدا أن أسماكه يستخرج منها الكافيار الثمين ، فهل لكم أن تزيدونا معلومات عن هذا البحر ؟

احمد التهامي ـ قنا ـ ج.ع.م

ـ بحر قزوين Caspian Sea هو اكبر بحر مغلق في العالم ، الجزء الأكبر منه يقع في الاراضي الروسية، والجزء الجنوبي يقع في الاراضي الايرانية ، ويتعرج ساحل البحر على شكل حرف S اللاتيني.وطول البحر من الشمال الى الجنوب ٧٥٠ ميلا ، بينما يتراوح عرضه من ١٠٠ الى ٢٧٠ ميلا .. والغريب في هذا البحر أن مستوى مياهه (من عام ١٨٣٠ حتى عام ١٩٢٩) كان منخفضا عن سطح البحر العادى بمقدار ٨٤ قدما ، وكانت مساحته ١٦٩٣٠٠ ميل مربع .. ولكن حدث ، ابتداء من عام ١٩٢٩ حتى ١٩٥٩ أن انخفض هذا المستوى بمقدار ٨ اقدام ، فاصبح بحر قزوين منخفضا ٩٢ قدما عن سطح البحر ، وبالتالى تقلصت مساحته الى ١٥٢ الف ميل مربع فقط ..

نيوزيلندا : أول دولة منحت المرأة حق الانتخاب

● أي الدول كانت السباقة في منح المرأة حق الانتخاب ؟

محمد فريد ـ اللاذقية ـ سوريا

ـ بدأت المرأة تطالب بحق الانتخاب في القرن التاسع عشر ، وبالرغم من ان كفاح المرأة من أجل انتزاع هذا الحق السياسي ، كان على اشده في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، الا ان هاتين الدولتين لم تكونا اول من اعطى المرأة حق الانتخاب في الانتخابات الوطنية والمحلية فقد كانت اول دول منحت المرأة هذا الحق هى نيوزيلندا في عام ١٨٩٣ ثم تلتها استراليا في عام ١٩٠٢ ، ثم فنلندا في عام ١٩٠٦ فالنرويج في عام ١٩١٣ .

وفي الفترة الواقعة بين عامى ١٩١٤ و١٩٣٩ ، حصلت المرأة على حق الانتخاب في ٢٨ دولة أخرى، ثم حذت خمس دول أخرى حذوها بين عامى ١٩٤٠ و١٩٤٥ . وفي العشرين سنة التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية انضمت ٦٩ دولة جديدة الى الدول التى اعترفت بحق المرأة في الانتخاب . ثم ارتفع عدد الدول التى اعترفت بحقوق المرأة السياسية الى ١١٤ دولة في عام ١٩٦٦ ، وذلك بعد صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٥٢ ، وهو ينص على منح المرأة حق اعطاء صوتها في جميع الانتخابات التى تجرى ، على قدم المساواة بالرجل ، دون أى تمييز .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم الدول الصغيرة التى حصلت على استقلالها عقب الحرب العالمية الثانية حرصت على ان ينص الدستور فيها على المساواة بين الرجل والمرأة في انتخابات المجالس النيابية . وكانت آخر الدول التى منحت المرأة حق الانتخاب ، هى السودان ، وكان ذلك عقب ثورة أكتوبر من عام ١٩٦٤ .

ولا تزال هناك ثماني دول لا تتمتع فيها المرأة بحق الانتخاب .

(م. ن)

اليهود في نيويورك أكثر عددا

● سمعت أن أكبر جالية يهودية في أمريكا تعيش في مدينة نيويورك بالذات، فهل هذا صحيح، وكم عدد اليهود الذين يعيشون في نيويورك ؟ وهل هم فعلا يتحكمون في الكثير من أمور هذه المدينة الأمريكية ؟!

محمد احمد عبد الرحمن ـ القاهرة

ـ ان عدد اليهود الذين يعيشون في مدينة نيويورك لا يمثل فقط العدد الاكبر من يهود امريكا بالنسبة للمدن الأمريكية الاخرى ، بل انه يفوق عدد اليهود الذين يقيمون في فلسطين المحتلة الآن .

ويبلغ عدد اليهود الذين يعيشون في نيويورك وضواحيها ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة وهم يمثلون نصف

وينخفض عن سطح البحر !



اما العرب القدامى فقد عرفوا بحر قزوين بأسماء متعددة اشهرها بحر الخزر وبحر الخراساني والجيلي، والدوارة الخرسانية وبحر الخوارزمي.

ومما يذكر أن متوسط ملوحة مياه هذا البحر هي ١٣ في الالف ، وهذا يعنى أن كل الف رطل من مياهه بها ١٣ رطلا من الملح .. في حين أن مياه المحيطات والبحار بها نسبة ملح ترتفع الى ٣٥ في الالف .. وقلة الملح في هذا البحر ترجع الى مياه نهر الفولجا العذبة التى تصب فيه ، ولهذا تزداد ملوحة المياه كلما اتجهنا جنوبا بعيدا عن مصب نهر الفولجا ..

واجود انواع الأسماك التى تصاد في بحر قزوين هو سمك Sturgeon ، ومنه يستخرج الكافيار الروسي والايرانى .. وأشهر الموانيء على بحر قزوين هى باكو واستراخان على الجانب الروسي ، وبهلوى وبندرشاه على الجانب الايرانى .

وقد اجريت اخيرا دراسات لانقاذ هذا البحر من الجفاف .. وفي مقدمتها مشروع جبار يهدف الى تغيير مجرى الأنهر الواقعة في شمال الاتحاد السوفيتي لكى تنصب في حوض نهر الفولجا .

والمشروع الثانى جريء جدا ، ويهدف الى جر المياه من بحر ازوف الى بحر قزوين بحفر قناة بينهما .. علما بان مستوى بحر آزوف اعلى من مستوى بحر قزوين بنسبة ٢٨ مترا ..

(س . ز)

من اليهود في فلسطين المحتلة

عدد اليهود الذين يعيشون في امريكا تقريبا . (يبلغ تعداد مدينة نيويورك ٧٫٧٨١٫٩٨٤ حسب آخر احصائيات) .

ونيويورك هى المركز الرئيسي لمئات من الجمعيات اليهودية الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية . وفي هذه المدينة الامريكية الكبرى تظهر جرائد باللغة اليدية Yiddish ، وهى لهجة من لهجات اللغة الالمانية تكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية وتكتب بحروف عبرية . وارقام توزيع هذه الجرائد تعتبر من اكبر أرقام التوزيع بين صحف ولاية نيويورك كلها .

وفي نيويورك يوجد عدد كبير من رجال البوليس اليهود وعددهم يزيد عن عدد رجال البوليس في تل أبيب .

اما عدد المدرسين اليهود في نيويورك فهو يفوق عدد المدرسين في فلسطين المحتلة كلها . ويوجد ١٦٠٫٠٠٠ طفل يهودى في نيويورك يدرسون اللغة العبرية في مدارس خاصة اقامها اليهود هناك .

ويتحكم يهود نيويورك في بورصة الأوراق المالية وفي مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية . وبالرغم من أن نيويورك ليست هى امريكا كلها ، الا أن نيويورك بالذات لها تأثير كبير على الولايات المتحدة الامريكية كلها اقتصاديا وسياسيا . ويهود نيويورك لهم مجتمعهم الخاص بهم وتقاليدهم اليهودية القديمة ، وان كانوا قد خرجوا من « الجيتو » أى الأحياء المغلقة عليهم الى مختلف الأحياء الا أن عاداتهم هى هي وتعصبهم هو هو . ■■

(م . ط)

من الكتب التى وصلتنا

(بقية المنشور على صفحة ١٣٣)

اسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية

تأليف : جمال الدين الالوسي

الناشر : مطبعة اسعد ـ بغداد ـ العراق .

● ترجمة لحياة اسامة بن منقذ توضح بطولاته وحياته وثقافته وشعره ، كما توضح سيرة بطل محبوب ، نحب فيه الصدق والصراحة وخفة الروح ، والنجدة والفروسية بآدابها المتعارف عليها . كما عرض المؤلف بعض الفقرات من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ حيث يحتوى هذا الكتاب على قصص ممتعة توضح المعارك التي خاضها اسامة ، فيها الفروسية وآدابها ، وفيها نظرات اجتماعية تحليلية لذلك المجتمع المصطرع ، واخبار تلك الحروب الصليبية التي اهاجها الطمع والتعصب ، وشهوة الاستعمار ثم الصلات التى كانت تقوم بين المسلمين والافرنج وكيف تطبع هؤلاء بطباع المسلمين وهذبتهم البيئة الاسلامية العربية .

الآثار الاسلامية بمصر

تأليف : حسن عبد الوهاب ـ طبع بالقاهرة .

● دليل موجز لمجموعة من اهم الآثار الاسلامية فى مصر وتمثل عصورا مختلفة . وهذا الدليل يحتوى على صور لهذه الآثار ومعلومات تاريخية موجزة عنها .

قبائل العرب فى ليبيا الجزء الاول

تأليف : محمد رجب الزائدى

الناشر : دار الكتاب الليبي بنغازى ـ ليبيا .

● يحوى هذا الكتاب توطئة فى علم الأنساب ، واسماء القبائل فى اصطلاح العرب والبناء القبلي فى ليبيا ، ثم قصة هجرة قبائل هلال وسليم الى افريقيا باحداثها واسبابها ونتائجها . كما يحوى الجزء الثاني عمائر وبطون وافخاذ وفصائل هذه القبائل . ثم دراسة عن قبائل البربر والطوارق .

العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الاجانب

تأليف : نجدة فتحي صفوة

الناشر : المكتبة العصرية / صيدا ـ لبنان .

● مذكرات لعدد من الدبلوماسيين الاجانب الذين عملوا فى العراق في ازمنة مختلفة ،تضمنت هذه المذكرات فصولا عن عملهم في العراق والاحداث التى عاصروها والرجالات الذين اتصلوا بهم . ولما كانت اقامة الدبلوماسي طويلة واتصالاته واسعة ونظراته اعمق فى دراسته لهذه البلاد واتصاله باهلها وزعمائها فىالحكم والمعارضة وتتبع سياستها واقتصادياتها ، لذلك فان هذه المذكرات تتضمن آراءهم الصريحة وترينا كيف ينظرون الينا وكيف يحللون سياستنا ، وكيف يقيمون رجالنا ، لذلك تعتبر هذه المذكرات مصادر اولية للتاريخ لما تمتاز به من نواح شخصية وتفصيلات جزئية وانطباعات آنية ولاحقة .

ثم ان الكتاب يحوى مذكرات لثمانية دبلوماسيين من مختلف الجنسيات عن العراق خلال ستين عاما من ١٨٩٨ الى ١٩٥٩ من امثال فريدريك روزن ، والدكتور فريتز غروبا ، والسير موريس بيترسن ثم روبرت مورفي .

نطاق المسؤولية المدنية التقصيرية والمسؤولية التعاقدية

تأليف : الدكتور حسن الخطيب

الناشر : مطابع حداد ـ البصرة ـ العراق

● اطروحة نال بها المؤلف الدكتوراه في القانون ، وهى دراسة مقارنة لنطاق المسؤولية المدنية التقصيرية والمسؤولية التعاقدية في القانون الفرنسي والشريعة الاسلامية والقانون المدنى العراقى الصادر في ١٩٥٣ فقد عرض المؤلف النظريات العامة المستقرة وتقريب المبادىء الاسلامية العامة التى تحكم موضوع المسؤولية المدنية .

والكتاب مقسم الى قسمين كبيرين تناول في القسم الأول عناصر المسؤولية التعاقدية في القانون الفرنسي وفي الشريعة الاسلامية وفي القانون المدنى العراقى .

اما القسم الثانى فتناول الفوائد العملية من التفريق بين احكام المسؤوليتين التقصيرية والتعاقدية في القانون الفرنسي والقانون الاسلامى والقانون العراقى .

مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام

تأليف : يوسف القرضاوى ــ الناشر : مكتبة الاقصى بالاردن ، والدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع فى لبنان .

● يعالج الكتاب مشكلة الفقر وعلاجها ، ورعاية حقوق الفقراء ، وضمان حاجاتهم ، وصيانة كرامتهم فى المجتمع المسلم ، وفى ظل الشريعة الاسلامية . ويقول المؤلف فى مقدمة الكتاب ان نظرة الاسلام الى الفقر وعلاجه له ، ووسائله فى علاجه ، ورعايته لحقوق الفقراء ، وكفالته لحاجاتهم المادية والادبية تجعله مذهبا متميزا عن كل مذهب آخر . ان للاسلام نظرة الى الحياة والى الانسان ، والى العمل والى المال ، والى الفرد والى المجتمع ، تخالف فى مجموعها نظرة المذاهب الاخرى يمينية ويسارية . انها نظرة منفردة مستقلة لا شرقية ولا غربية بل ربانية انسانية .

غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام

تأليف : الشيخ ياسين خير الله العمرى الخطيب الموصلى ــ الناشر : دار منشورات البصرى ــ بغداد

● كتاب فى تاريخ بغداد فى العصور المتاخرة يوضح النواحى الاجتماعية والسياسية ويصور ادب العصر الذى عاش فيه المؤلف من شعر ونثر . ويجد القارىء بعض الفصول من حياة بغداد خلال فترة طويلة من حكم الولاة العثمانيين ومعاناة الشعب العربى فى بغداد خاصة والعراق عامة كنموذج لنفس المعاناة فى كل اجزاء الوطن العربى ، كما يوضح الكتاب كذلك الكثير عن أسلوب حياة الناس ورجال الفكر والأدب والحكام .

شرح الصحيفة السجادية

بقلم : السيد محمد الشيرازى

الناشر : مطبعة النعمان ــ النجف ــ العراق

● مجموعة من الأدعية المختلفة منسوبة الى الامام زين العابدين أحد أئمة الشيعة الاثنى عشر وهذه الأدعية تمتاز برصانتها اللغوية وقوة سبكها وقد قام الشارح بتيسير مفرداتها الصعبة وعنونتها، وتقريبها الى القارىء .

أسس الادارة العامة

تأليف : ميخائيل جيمان

الناشر / مطبعة الجميل ــ عمان/الاردن .

● كتاب يعرض لاسس الادارة ومبادئها واصول الاشراف ومبادئه ، فقد عرض المؤلف لتعريف الادارة ، وكيف نشأت ، ثم نبذة تاريخية عن الادارة وبيان الفروق الرئيسية بين الادارة والادارة العامة ، وبين الادارة العامة وادارة الاعمال ، واعطاء القارىء معلومات اولية عن رواد الادارة العامة ، وعن طبيعة علم الادارة العامة ومجاله ووضعية الاحتراف الادارى ثم البحث عن عناصر الادارة وهى التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة وربطها بواقع الحياة العلمية فى الأجهزة الادارية .

ثلاثة من اعلام الحرية جمال الدين الافغانى محمد عبده سعد زغلول

تأليف : قدرى قلعجى

الناشر : دار الكاتب العربى

● فى منتصف العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، كان يلتقى على مقاعد مقهى متاتيا الخشبية بجوار حديقة الازبكية فى القاهرة ثلاثة من رجال الفكر ، تختلف منابتهم وتتباين أعمارهم ، أحدهم فى الاربعين من عمره ، والثانى فى الثلاثين ، والثالث فى العشرين ، ولكن القدر الذى جاء بكل منهم من نبع وجيل ، اراد ان يجعل من كل واحد منهم رمز قوة جبارة ومشعل ثورة طارت شرارتها فى كل افق .

هؤلاء الثلاثة هم جمال الدين الافغانى حكيم الشرق، ومحمد عبده مصلح وطنه والاسلام والرجل الذى كان يؤمن بانه ليس فى روح المدنية او ثمرات العلم ما يناقض الاسلام الصحيح .. وسعد زغلول زعيم وطنه مصر ذلك الرجل الذى أعطى النضال الوطنى فى الشرق العربى لاول مرة مفهومه السياسى الحديث .

وقد جمع الكتاب بين اولئك الهداة الاوائل مع سلاسة فى الاسلوب ، وعمق فى الدرس واستخلاص للعبر . ■■

طرائف عربية

شراب الحمير

دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فانشده تتفا من قصائده فلما انتهى قال : يا مولاي قد يبس حلقي فمر من يسقيني . فقال : **اسقوه ماء . فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير !**

قال : اسقوه لبنا . **قال : عن اللبن فطمت !**

قال : فاسقوه عسلا . **قال : شراب المريض .**

قال : فتريد ماذا ؟ **قال : أريد خمرا يا أمير المؤمنين .**

قال : ويلك اعهدتني أسقي الخمر لاأم لك ، لولا حرمتك بنا لفعلت بك ما فعلت .

فخرج فلقي فراشا لعبد الملك **فقال له: ويلك ان أمير المؤمنين استنشدني وقد يبس حلقي فاسقني شربة خمر ،فسقاه رطلا** . فقال : أعد لي آخر . **فسقاه آخر . فقال : تركتهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثا . فسقاه. فقال : تركتني امشي على ثلاث أعدل ميلي برابع** فقال: قد عدلناك برابع وجعلناك تمشي على اربع فارجع الى شراب الحمار خير لك.

يمدحه بقدر

دخل ابن دارة على عدى بن حاتم فقال : اني مدحتك ، قال : امسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه ، فاني اكره الا اعطيك ثمن ما تقول ، لي الف شاة والف درهم وثلاثة عبيد ، وثلاث اماء وفرس ، فامدحني على حسب ما اخبرتك ، فقال :

تحن قلوصي في معد وانما
تلاقي الربيع في ديار بني ثعل
وابقى الليالي من عدى بن حاتم
حساما كنصل السيف سل من الخلل
ابوك جواد لا يشق غباره
وانت جواد ما تعذر بالعلل

قال له عدى : امسك ، لا يبلغ مالي اكثر من هذا . . .

فر

لما حضر عبد الله بن على العباسي دمشق ، وكان يدعو الى العباسيين سرا، اختلف اليمانية والمضرية من اهلها ، اختلفوا وتلاعنوا في المساجد . واقتتلوا بالأيدي والسباب .

وفي مدة ذلك الخلف نصبوا في الجامع قبلتين ومنبرين ، هؤلاء يخطبون لبني هاشم ويصلون لهم ، واولئك يخطبون لبني امية ويدعون لهم .

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم اذا فسد نساؤكم ، وفسق شبابكم . ولم تامروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟قيل له : ويكون ذلك يا رسول الله . فقال: نعم، وشر من ذلك . كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتهم عن المعروف ؟ قيل : يارسول الله ويكون ذلك ؟ قال : نعم . وشر من ذلك . كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا .

حيلة صائبة

● كان بالكوفة امراة لها زوج قد عسر عليه المعاش . فقالت زوجته : لو خرجت فضربت في البلاد ، وطلبت من فضل الله رجوت أن ترزق شيئا . فخرج الى الشام ، وكسب ثلثمائة درهم ، فاشترى بها ناقة فارهة وركبها قاصدا الى الكوفة ، وكانت الناقة زعرة ، فأضجرته واغتاظ منها . فبدر لسانه فيها بأن حلف بطلاق امراته ان يبيع الناقة يوم دخوله الكوفة بدرهم .

فلما رجع الى الكوفة ، ندم أشد ندامة واغتم لذلك ، فقالت له زوجته : اى شيء جنيت معك ؟ قال : لا شيء ، فقالت له : فهذه الناقة لمن ؟ قال : لا ادرى لمن تحصل له . وحدثها بحديثه وما جنى عليه لسانه . فقالت له : انا احتال لك حتى لا تحنث ولا تخيب . وعمدت الى سنور فأخذته وعلقته في عنق الناقة وقالت : ادخلها الى السوق وناد عليها : من يشترى هذا السنور بثلثمائة درهم ، والناقة بدرهم ولا افرق بينهما . فجاء أعرابى يدور حول الناقة وجعل يقول : ما أسمنك ، وما افرهك وما احسنك ، وما أرخصك لولا هذا المشارك الذى في عنقك .

بين المأمون واديب

● اقبل احد الادباء على المأمون وساله حاجة ، فرده ردا غير جميل ، فقال له الاديب :

انى أدخر لك شكرا ، وثناء حرا ، ومدحا بكرا يا امير المؤمنين .

فاجاب المأمون : وهل مثلى يحتاج الى مثل شكرك ؟

فقال الاديب : ايها الامير — لاتحرك لسانك لتعجل به

فلو كان يستغنى عن الشكر مالكٌ
لكثرة مال او علوٌ مكان

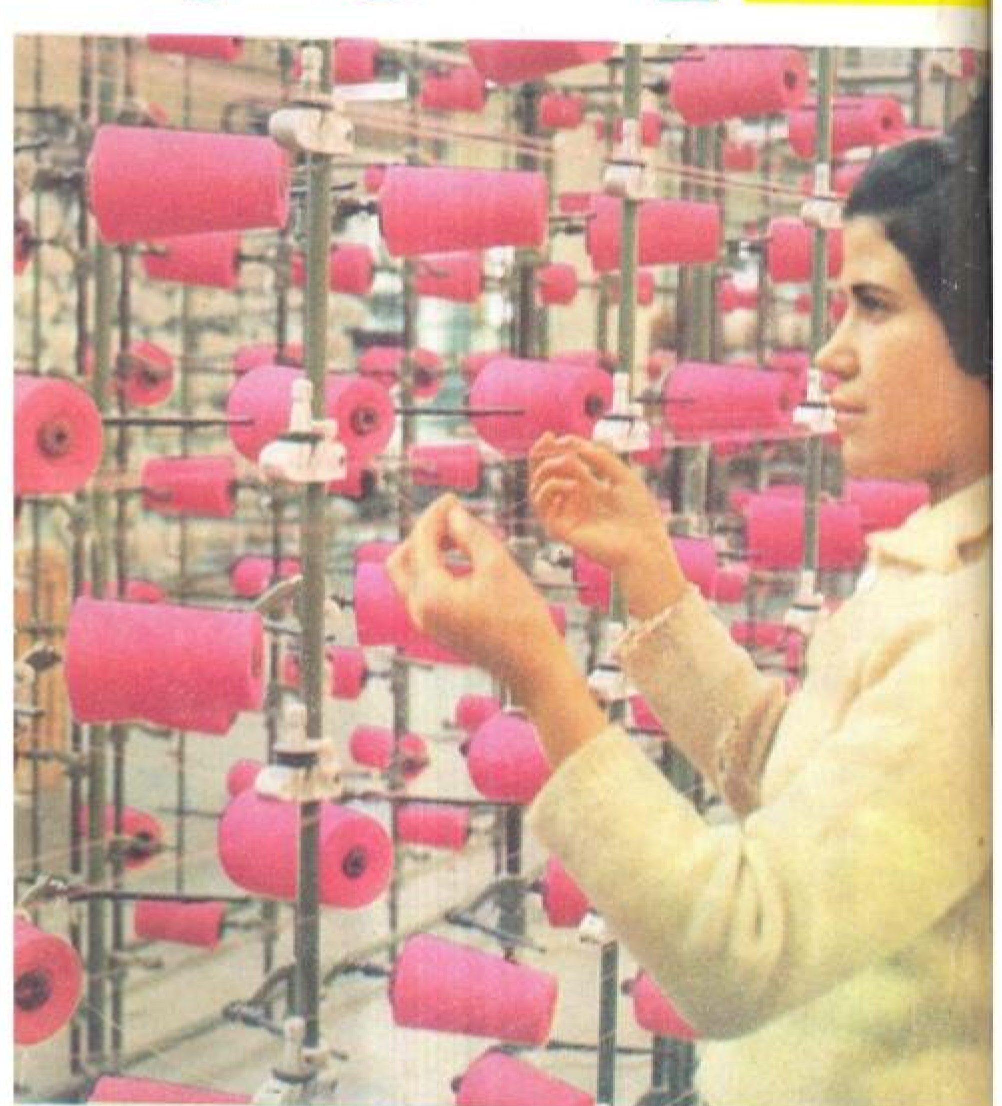
لما ندب الله العباد لشكره
وقال (اشكرونى ايها الثقلان)

قـــة

فأقبل شيخ لهم يوما فقالوا له : قم واخطب وعير الناس بالفرقة ، وحثهم على الجماعة والالفة ، وذكرهم بالله تعالى والاسلام، وصلة الرحم . فصعد الشيخ المنبر ، وكان مغفلا فأخذ يحضهم على الالفة والصلح والجماعة ، ثم قال : كما قال الله تعالى : فريق في الجنة وفريق في السعير، فتضاحكوا منه وتفرقوا عنه.

العربي

العدد ١٣١
رجب ١٣٨٩
اكتوبر
(تشرين اول) ١٩٦٩



الفتاة اللبنانية .. تنسج اقتصاد بلادها

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبيات	لبنان	١٥٠ قرشا	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	١٢٠ فلسا	سورية	١٥٠ قرشا	الجزائر	٢٠٠ [illegible]
اليمن	٢٫٥ شلن	ج٠ع٠م٠	٢٠ قرشا	المغرب	٢ [illegible]



لوحات الفنانين العرب

رقصة العارضة ..

للفنان الكويتي ابراهيم اسماعيل



● من صناعة حرير دودة القز أيام الأمير فخر الدين الكبير ، تطورت الصناعة اللبنانية بصورة سريعة وكبيرة ... واحتلت الآلات الحديثة مكان الصانع التقليدي القديم ... ولكن هذا التطور الكبير يصادف يوميا عقبات وعراقيل قاسية ، تنصب عليه من داخل البلاد وخارجها .. وهذه الصورة لفتاة تعمل في مصنع للنسيج في طرابلس بشمال لبنان (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٧٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢ر٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



الشعر غير النظم

● يذهب بعض الكتاب الى ان القرآن الكريم لا يخلو من الشعر ويستشهدون على ذلك بآيات بينات نذكر منها : « فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا . فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريـم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هـرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا . فاشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا .. » وهذه آيات من سورة مريم كما لا يخفى .

واصارحكم القول بان هذه الايات الكريمة تقع من نفسي موقع الشعر دون ان اجيز لنفسي اعتبارها شعرا وقد جاء في القرآن « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فما هو الصواب في رأيكم ؟

البنان حسن محمد ــ ليبيا .

العربي :

هذا يتوقف على ما تفهم من معنى لفظ الشعر . والذي يقول ان في هذه الآيات شعرا انما يقصد الى انها معان تثير المشاعر . والمشاعر من الشعر ، ولا شك مطلقا في ان اللغوى الذواقة لا يستطيع ان يأتي على هذه الآيات الكريمة الا ويقف عندها . ثم هو يتلوها . ثم هو يتلوها . ثم هو يتلوها . وفي كل مرة يشعر بلذاذة في نفسه . فذلك هو الشعر . والشعر غير النظم وكم من نظم تقرأه فلا يحرك منك ساكنا وكم من نظم تقرأه فتود لو انك لم تفعل !!

القمر.. وهبوط.

● ... ووصل الانسان الى القمر . ومشى عليه بخطى ثابتة .. وهز الحدث التاريخي العالم كله من اقصاه الى اقصاه .. وحملنا التلفاز مع رواد القمر منذ لحظة انطلاقهم في الصاروخ الجبار الى الفضاء اللانهائي حتى عودتهم مرة اخرى الى مياه المحيط .. وقرانا وسمعنا الكثير عن هذه المعجزة ولكننا لم نشبع . ان هناك العديد من المعلومات العلمية التى ما زالت خافية علينا ... ثم ماذا بعد وصول الانسان الى القمر ؟ اننا نتوجه بهذا السؤال الى مجلتنا « العربى » ، والى رئيس تحريرها ..

محمود عبد الخالق ــ عمان ــ الاردن



● ارجوكم ان تقدموا لنا موضوعا تفصيليا عن المركبة الامريكية ابوللو ١١ وعن هبوط اول انسان على سطح القمر . وهل يعود هذا الانجاز العلمي باى نفع على البشرية ؟ ثم ماذا بعد القمر ؟

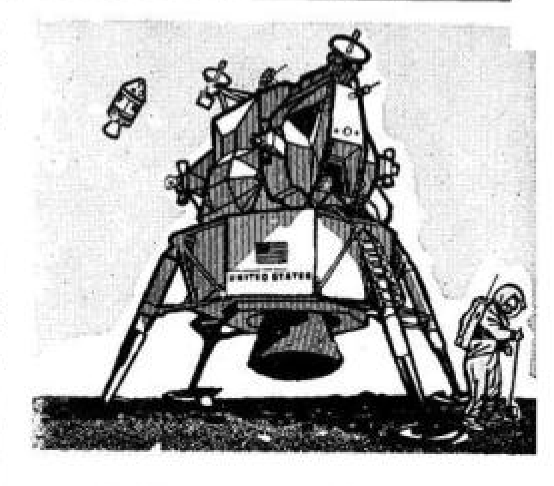
صموئيل شاشو ــ حلب ــ سوريا

استطلاع الكويت

● اطلعت فى العدد رقم ١٢٢ على استطلاع مدينة الكويت والخطوات الجبارة التى خطتها خلال العشر السنوات الماضية .. فلماذا لاتقوم مجلة « العربى » بعمل استطلاعات كبيرة مشابهة فى انحاء الوطن العربي ، عن الاعمال الجبارة وحياة التطور والمشاريع العمرانية التى شيدت فى خلال نفس الفترة ، حتى يعرف شعبنا عن النهضة الشاملة التى تحققت في كل شبر من وطنه الكبير .

احمد دويحى/السعودية

أول إنسان على سطح القمر



● لقد كان يوم الاثنين الموافق ٢١ يوليو ١٩٦٩ هو يوم هبوط اول انسان على سطح القمر .... وفي الساعة الثانية عشرة من مساء ذلك اليوم المشهود في تاريخ البشرية ، خرجت اضرب على غير هدى في شوارع مدينة القاهرة .. ثم تطلعت الى وجه القمر الذى طالما اطل علينا بضوئه الشاعرى الجميل ، وقلت وكاني اناجيه : احقا يدب عليك الآن اثنان من الامريكان .. ! اكتبوا لنا عن هذه الرحلة التاريخية ، فوالله لن نمل ابدا قراءة كل جديد عن غزو القمر .. وخاصة اذا كان هذا الجديد على صفحات « موسوعتنا العلمية » « العربي » .

سعيد اسماعيل ـ القاهرة

★ ★ ★

● تعددت المصادر في وصف الحدث التاريخي العظيم . ونعني به غزو الانسان للقمر ... والتبس علينا الامر في الكثير من المعلومات التي نشرتها الصحف والمجلات .... لهذا اتقدم اليكم راجيا ان تقدموا لنا استطلاعا مصورا تفصيليا يتضمن برنامج الرحلة كلها من الفها الى يائها ... وانا على ثقة من ان اقتراحنا هذا سوف يلقي قبولا ، فقد عودتمونا على الالتجاء الى « العربي » في كل امر يصعب علينا فهمه .

فهد احمد علاء الدين ـ بيروت

العربي : لقد دعي رئيس التحرير الى الولايات المتحدة الامريكية لحضور هذه الخطوة العلمية التكنية الانسانية الجبارة ، وسيكتب في القمر استطلاعا مصورا عندما يعود ، يلحقه بحقائق علمية تتصل بهذا الحادث الجلل على الشهور التي تلي .

كتاب « العربي » !

● لو قدر لنا ان ندرس كتابا واحدا يضم معلومات علمية وادبية وفنية ، فليس هنالك خير من كتاب « العربى » . فانا مثلا كنت لااعرف شيئا عن « ابها » ، اما الآن فاعرف عنها كل طريف ومفيد ، بعد اطلاعى على الاستطلاع المنشور عنها فى العدد الاخير ..

وكنت لا اعرف شيئا عن مصب النيل، فعرفت عنه عندما نشرتم استطلاع « رشيد » .. فلكم منا الف شكر .

و . ش/الكويت

الرياض ... و « العربي »

لم تنشروا اى حرف عن مدينة الرياض منذ صدور « العربي » ، فماذا تسمون هذا العمل ؟ هل هو تقصير من المجلة ؟ ولماذا لاينشر استطلاع عنها ؟

عبد الله محمد العيوف/الرياض

العربى : يبدو أن القارىء الكريم قد فاته الاطلاع على العدد الصادر فى شهر فبراير عام ١٩٦٠ من « العربي » ، وفيه استطلاع كبير عن الرياض بقلم رئيس التحرير .

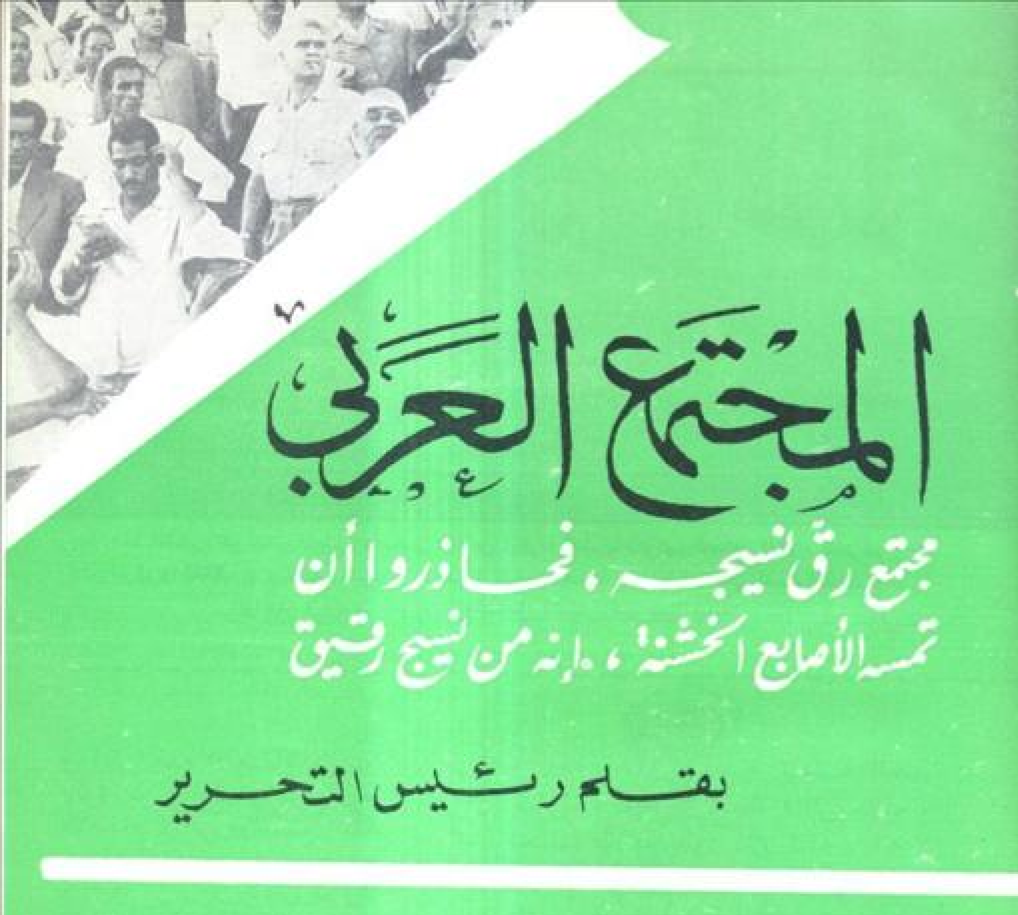
حَديثُ
الشَّهْر

المجتمع العربي

كم فيه من وعي ، ومن عدل ،
ومن تعاطف ، ومن رباط وثيق

● جلستُ على قارعة الطريق يوماانظر من علٍ الى الشارع ، شارع المدينة المزدحم ، والناس تجرى فيه كما يجرى الماء في مجاريه ، سوى اختلاف ظاهر . فالماء صنف واحد والناس أصناف . والماء يجري في انضمام ، والناس تمضي في تفرّق . والماء يجرى كله سرعةً واحدة ، والناس بين مسرع ومتباطىء . واختلف الناس وجوها ، فما تجد وجهاتماما كوجه . واختلف الناس أثوابا ، فما تجد ثوبا تماما كثوب . فلو ان« غير انسان » رآهم ، لظن أن لكل منهم دنيا غير دنيا الآخر ، وان لكل منهم عالماهو له خاصةً ، وان وجودهم في هذا المجرى الواحد ، في هذا الشارعالواحد ، انما كانمصادفة من مصادفات الزمان .

وهذا المخلوق « غير الانسان » لو انهكان علِمَ انه سوف ينظر الى « بني الناس » ، ولو انه كان علم ان « بنيالناس » هؤلاء تجمعهم مجتمعات تعرف



المجتمع العربي

مجتمع رق نسيجه ، فحاذروا أن تمسه الأصابع الخشنة ، إنه من نسيج رقيق

بقلم رئيس التحرير

بالمجتمعات الانسانية حيثما وجدوا . اذن لظن انه انما اخطأ السبيل الى بني الناس ، او ان الخطأ كان ما سمع عنهم . ذلك لان هؤلاء الذين يراهم في هذا الشارع من الاحياء المتحركة لا يتراءى له انه يجمعهم جامع ، دع عنك مجتمعا . ان كلا ماض في سبيله لا يكاد يعرّج احد على احد . وهو يصبر ليرى اين يتجه القوم فماذا يجد ؟ يجد واحدا يمضي قدما وآخر يعرّج يمينا ، وثالثا يلوى يسارا ، ورابعا يختفي في بناء . فيزداد « غير الانسان » حيرة فيما يرى .

كل شيء يدل على روابط سمع بها ، لا وجود لها على ما يظهر له . فهذا الذى يرى ليس هو من المجتمع والمجتمعات في شيء .

ويخطىء « غير الانسان » هذا فيما يزعم .

ذلك لان هذه الروابط التي طلب ليست بالروابط التي تراها العيون . ولو انه قدّر له ان يعلم أن هذه الاقدام التي يراها ماضية في طريقها انما تسيّرها



هذا الشارع هو بعض المجتمع ، يمضي فيه من الأفراد ألف ، تحركهم اهداف الف ، ظاهرهم تفرق واختلاف ، وباطنهم التقاء وائتلاف ، يلتقون جميعا عند غاية ، هي احياء المجتمع الواحد ، وتدبير أموره ، وتسهيل العيش فيه لهم جميعا .

في اعلى هذه الأجسام كرات تسمى بالرؤوس ، داخلها مواد رخوة تعرف بالأمخاخ ، هي موضع التفكير ، وهي موضع التدبير ، وهي موضع التوجيه ، وانه ما من رجل يمضي مسرعا أو متأنيا الا لغاية، وان هؤلاء القوم ، على اختلاف وجوههم ، واختلاف ثيابهم ، واختلاف أوضاعهم ، واختلاف مذاهبهم ، تترابط غاياتهم جميعا لتعمل متعاونة لوصل شيء واحد يسمى بالحياة ، اذن لادرك « غير الانسان » هذا ان المجتمع الذى سمع به موجود ، وان الروابط التي خال ، قائمة ، وانه تعثر في فهم ، وضل غاية ، لانه طلب شيئا حسب انه تراه العيون ، وانما هو مما تدركه الأفهام دون الأبصار .

الناس ، على تفرقها الظاهر ، تعمل مجتمعة :

ساعي البريد

ولنأخذ نتعرف على بعض المارة في هذا الطريق ، في هذا الشارع .

هذا رجل في بذلة كبذلة الجند صفراء ، يحمل « شنطة » الى جانبه ، تحملها علاقة تدور على كتفه . انه لا شك ساعي بريد . انه يدور هو وأمثاله بالرسائل البريدية آلافا ، كتبها من الناس آلاف ، ليقرأها من الناس آلاف. ووراء هذا الساعي بالبريد وأمثاله ادارات للبريد تعمل ، وقطارات على السكة الحديد تجرى وتحمل ، وطائرات تشق الهواء ، البريد من بعض غاياتها .

آلاف من الناس تعمل لصالح آلاف مؤلفة من الناس ، جمعت بينهما رابطة الخدمة العامة . وكل هذا الذى ذكرناه اجمالا لا تفصيلا ، وذكرناه اسلوبا ، يجرى في المجتمع ولا يكاد يحس به أحد . ان أكثر الناس لا يحس برابطته بساعي البريد . ان أكثرهم لا يراه . وتخفى عنهم هذه الرابطة الاجتماعية خفاء ، فهم لا يكادون يذكرون في يومهم منها الا الخطاب والصندوق الذى احتواه . حتى

اذا شكا ساعي البريد من قلة أجر ، وسمع بهذه الشكوى الناس ، قلّ منهم من يدرك ان حامل خطاباته اليه كل يوم هو هذا الذى يشكو قلة الأجر . وقلّ منهم من تعاطف .

وشاب صحفي

ولنترك ساعي البريد الى هذا الرجل الآخر من بين من يراه الرائي في هذا الشارع . انه رجل دخل دار صحيفة معروفة ، وهو شاب يحمل اوراقا وكاني به احد شباب الجريدة قد عاد من تطوافه على الدور الحكومية ، او لعلها المؤسسات التجارية ، او لعلها مخافر الشرطة ، او دور المحاكم ، وفي حقيبته الأخبار الكثيرة . ونقرأها ونحن الآلاف ، اسطرا منشورة في صباح الغد ، بعد ان يقوم عليها رجال آخرون بالنقد والرد ، وبالجمع والضم ، ويقوم عليها بالتوزيع آلاف من رجال وصبية في نواحٍ من المدن والبلاد كثيرة . واقرأها انا في الصباح ، وتقرأها انت ، ولا نكاد نذكر رابطة واحدة من تلك التي ربطتنا بهذا الشاب الصحفي الذى خرج وجمع ، ولا بالآخر الذى صف وصحح ، ولا بالآخر الذى حمل ووزع . وَعَينُنا لا يستيقظ الا بالمقدار الذى نتعرف به وصول الصحيفة وقراءتها ، فكأنما هي هبطت علينا من السماء هكذا جاهزة حاضرة بقدرة قادر .

وآخرون في الطريق

ولنترك ساعي البريد ، وهذا الصحفي الشاب الى غيره من رُوّاد هذا الشارع . لا بد فيه من كل ذى مهنة . ولا بد فيه من كل ذى صنعة . وانظر الى هذا الرجل البعيد فأخاله للذى حمل مدرسا . وانظر الى ذاك فأخاله مما حمل من عُدّة ، سمكريا يدور على الابواب . وأرى آخر فأحسبه وهو يدور على زبائن المقهى على رصيف الشارع خادماً فيه .

رجال لبعضهم في المجتمع الموضع الرفيع ، ورجال لهم في المجتمع الموضع الوضيع . وكل رفيع ، وكل وضيع ، يمسك بطرف من اطراف هذا المجتمع يعمل فيه وينخيبه .

المدرّس

المدرس مثلٌ لألوف من مثله، يقومون



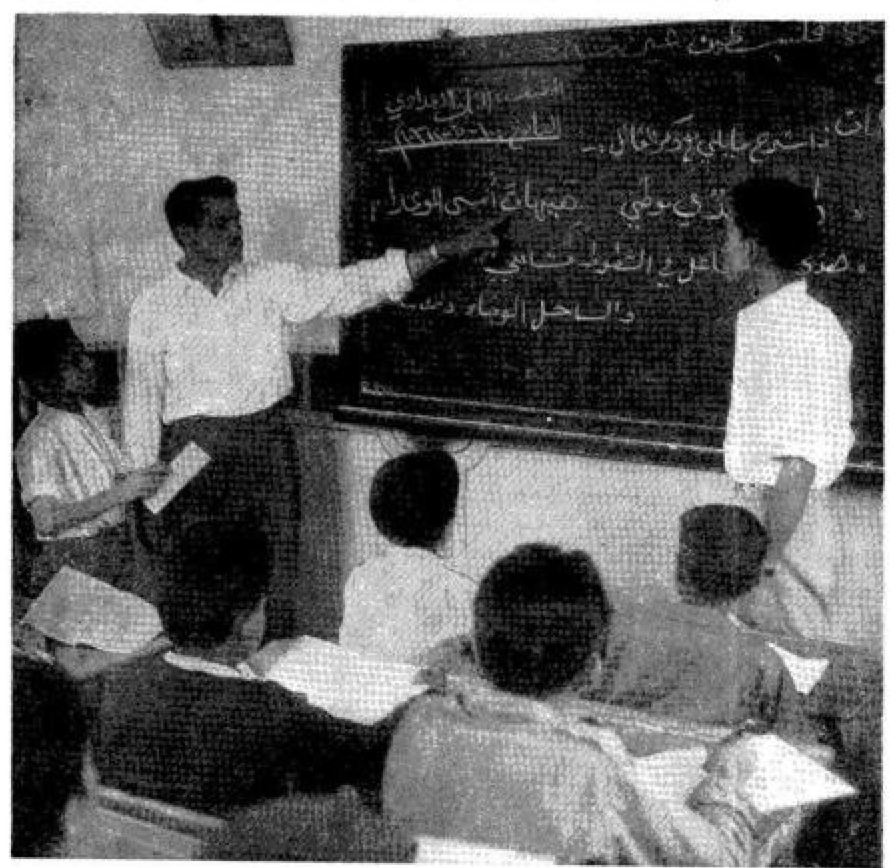
ساعى البريد

قلّ ان يحسّ الناس بالرابطة الاجتماعية الوثقى التى تربطهم بساعى البريد .

جميعا بتثقيف جيل ناشيء ، وتعريفهم بشئون حياة هم داخلوها ، ليحلوا من بعد ذلك محل جيل اقترب من باب الخروج ، او هو في سبيل اقتراب . انها ثقافة لا بد أن تورّث ، كما تورث الأرض وسائر العقارات ، ولكنها لا تورّث الا كدًا ، والاّ على السنين الطوال . والقائمون على توريثها هم المدرسون . ان المجتمع لا يفتأ يلقي الى الأضرحة بالجثث ، وهو لا يفتأ يعوّض عما فقد بالذى تلقي به الأرحام من الأحياء .

ولكنه تعويض غير كاف ولو صحبته كفاية من شراب وطعام . ان الانسان عقل ، وان الانسان لسان ، ولا بد ان يمتلأ عقل الطفل بمثل ما كان امتلأ به عقل ابيه ، ولا بد أن يجرى لسانه بمثل ما كان جرى به لسان ابيه وامه لتطّرد الحياة ويطّرد المجتمع . والمدرس هو مالىء عقله ، والمدرس هو المجرى لسانه . فكم بالله لدينا من وعي بكل هذا . وكم نحسُّ بهذه الرابطة من بين الروابط الألف التي تربطني انا وأنت ، بصنوف من اهل هذا الوطن الف ، كلهم

المدرس يحضّر الجيل الجديد ليحل محل الجيل القديم الراحل .
كم منا من يدرك خطورة ما يقوم به المدرس في المجتمع للمجتمع ؟



قائم مثلي ومثلك بوضع لَبِنَةٍ واحدة ، أو عشر ، في بناء الأوطان .

والسمكرى

والسمكرى ، هل أغفله لصغر ما يقوم به ؟ وهل حقا هذا الذى يقوم به في بيتي وبيتك بالشيء الصغير ؟ انا ندرك خطورته في اليوم الذى تنسدُّ فيه في المنزل مسالك الماء ، أو تنخرق فيه الأنابيب فتجرى في الدار فيضا الى حيث لا يجب أن تفيض ، أو تخرج الصنابير عن عادتها وعن سلاستها فلا تجد من يعيدها الاّ هذا السمكرى البسيط . وعند بناء المنازل من يقيم دورة المياه غير هذا البنّاء ، هذا السمكرى ؟ .

وخادم المقهى

وخادم القهوة ، ما وجود القهوة بدون خادمها . ان خَدَم المقاهي اذا غابوا أغلقت المقاهي ، والمقاهي في الشرق بعض حياته . وهي صُوَر من صور المجتمع نحييها ما رضيناها . وخادم القهوة يأتيك بالقدح ، وتدفع له ثمنه ، ويذهب عنك ولا تكاد تحس أنه بعض مجتمعك ، وانه يده كيدك ، قائمة في نسج ناحية من نواحي هذا الثوب العظيم .

صانعو المجتمعات

واريد ان امضي ، اعدّد ناسجى هذا الثوب العظيم ، فيمنعني من ذلك كثرة من سوف أعدُّ منهم .

ثم لو اني بدات بالعد ، فقلت : انه القاضي ، وانه المحامي ، وانه رجل النيابة ، وانه رجل الشرطة، وانه واضع القانون وصانعه ، وانه الطبيب ، وانه المرض والممرضة ، وانه الصيدلي، وانه صانع العقاقير ، وانه المهندس ، وانه



خادم المقهى
لولاه لأغلقت المقاهى أبوابها ، وانفضت بذلك ندوات هى ندوات الشعب فى الشرق عامة .



جاء الليل فخلت الطرقات من الشعب على اختلاف افراده . وتعدد صنوفه ، فاين ذهب ؟ آوى الى الدور . وهنا تظهر حقيقة الشعب . انه وحدات من اسر لا تظهر للعين كمثل ظهورها عند دخول الظلام .

البنّاء ، وانه النجار ، وانه الحدّاد ، وانه كاسر الحجر ، وانه صانع الجير ، وانه صانع الاسمنت ، وانه صانع الاصباغ ، وانه صانع الأثاث ، وانه قائد القاطرة ، وانه موظف السكة الحديدية، وانه بائع التذاكر ، وانه القائم على جمعها ، وانه زارع القطن ، ومربّي الضأن ، والبائع في السوق ...

لو اني بدأت هكذا بالعدّ ، فمتى انتهى ؟ وأنا انما امسّ بهذا التعداد رؤوس مواضيع وأعمال ، المذكور منها جزء من ألف من غير المذكور .

فهؤلاء هم صانعو المجتمعات كما نعرفها اليوم .

المجتمع في الليل

هذا هو المجتمع على اختلاف اعماله ، واختلاف صنوف رجاله، وعلى تفرقهم، فكلٌ من ارض المجتمع في ناحية .

هذا في النهار .

فماذا ترى من المجتمع في الليل ؟ .

ترى ان هذا المجتمع الذى كان قد تفرّق نهارا ، قد تجمّع . كان مكانه ، والشمس طالعة ، الشوارع ، والأسواق ، والبنوك ، والمحطات ، والمصانع ، والمزارع ، وبيوت اعمال شتى . فلما دخل الليل أوى المجتمع الى الدور .

المجتمع العظيم المختلط تقسم الى وحدات ، كل وحدة في دار .

انها الأسرة .

انها وحدة المجتمع الأصيلة الكبرى . وانها الوحدة التي نشأت منها الوحدات فكان المجتمع .

ان من البذرة الواحدة ، وهي خلية واحدة ، نشأت الشجرة ، وهي الف الف خلية . وكذلك من الأسرة تكوّن المجتمع الف الف اسرة .

والمجتمع بدأ اسرة ، تجمعها وحدة الدم . وكبر المجتمع ، وظلّ مع ذلك اسرة ولو كبيرة ، او مجتمعا صغيرا دهرا طويلا ، وجب ان يقوم فيه كل ما ينبغي قيامه في المجتمعات لتنظيمها وتدبير امورها .

شيخ هندى احمر ، يتحدث عن الأسرة وخطرها

وقصة حكاها استاذ في علم الانسان Anthropology تكشفت له في بعض ابحاثه .

كان يزور قبيلة من قبائل الهنود الحمر ، منعزلة ، في الغرب من الولايات المتحدة . والتقى بشيخ القبيلة ، وهو رجل مسنّ زاد عمره على المائة عام . وساله عما رآه قديما في ماضيه الطويل في قبيلته ، وما يراه اليوم في حاضره وقد احاطتها مدنية عصرية قوية نشيطة .

واخذ الشيخ الهرم يحكي ، واخذ الاستاذ يسجل .

قال الشيخ الهرم في بعض ما قال عن الأسرة :

« ما الانسان ؟ الانسان لا شيء بدون اسرة . انه ، بيننا ، بلا اسرة كمثل الحشرة هذه التي تعبر الطريق . ان الرجل بلا اسرة لا يجد من يساعده ، واول مشكل يقع فيه يقتله اعداؤه فيه لانه لا اسرة له تحميه . وهو اذا طلب الزوجة لم ترضه امراة زوجا . اما انتم أهلَ البياض فالأسرة عندكم ليس لها هذا الخطر الكبير ، فرجال الشرطة ورجال الجيش يحمونكم ، والمحاكم تقضي حقوقكم ، ومكاتب البريد تحمل رسائلكم ، والمدارس تعلّم ابناءكم . اما عندنا ، نحن الحمر ، فالأسر تقوم بكل هذا . لم يكن عندنا محاكم ، ولا قضاة ، ولا مدارس ، ولا شيء من الأشياء الكثيرة التي عندكم ، ولكن مع هذا فقد جرت بنا الحياة خيرا مما جرت بكم . الأسرة عندنا كانت كل شيء ، ولم ينسَ احد منا هذا . كل واحد منا كان لا قيمة له فردا ، ولكنا كنا مجموعة ربط بينها الدم فكانت تقوم بنصرة كل فرد فيها . انه الترابط والتعاضد واحساس الاخ باخيه كان قويا عندنا ، وهو اليوم ضعيف عندكم » .

وعند هذا الحد أقف من حديث الشيخ .

لقد سمعنا عن القبائل ، وما كان بينها من ترابط وتعاطف أسروي ، واحساس بالتضامن شديد ، ولكن كنا نسمع ذلك استماعا لتاريخ يحكى . وجاء هذا الشيخ الهندى الأحمر ، وقد حضر في

قومه زمانا أشبه بزمان الجاهلية الأولى رغم قربه ، جاء يتحدث حديث الرجل الذى حضر هذا العهد وعرف ومارس ما مارس من تعاطف وتضامن .

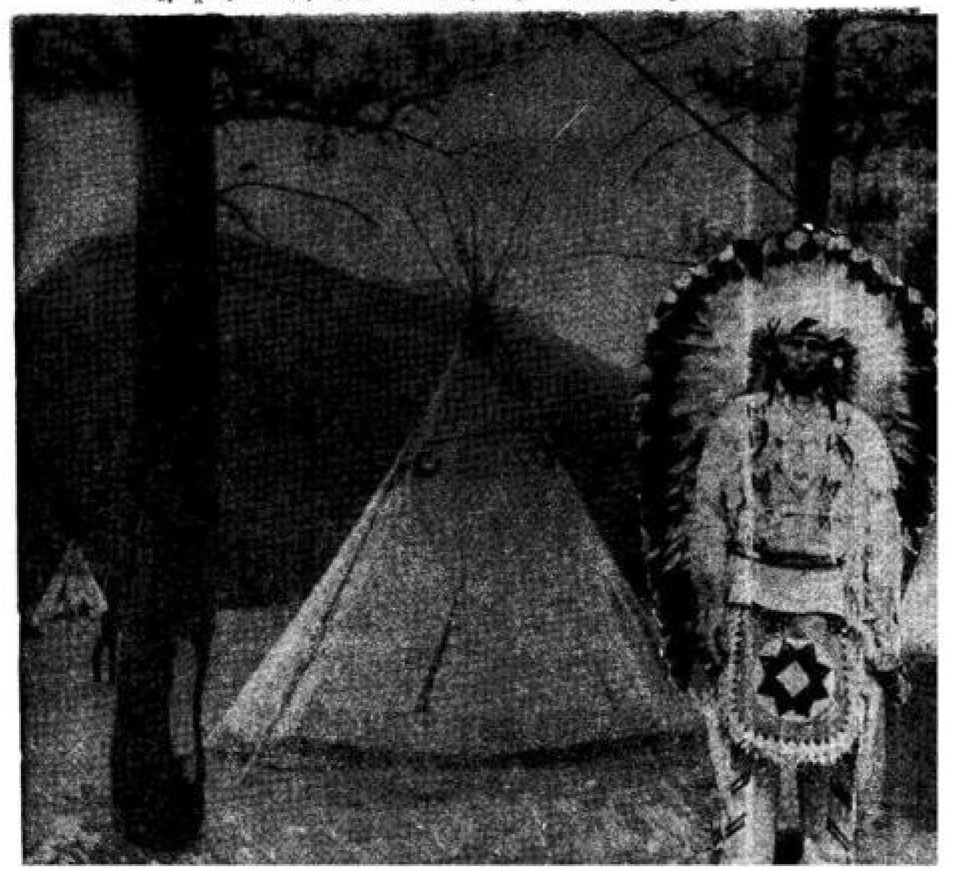
روابط المجتمع رقت حتى كادت ان تنقطع

فهذه هي الأسرة التي تشعبت ، ونتج عنها المجتمع ، وانساح ، وانداح ، فطالت روابط الدم فيه ، وبعدت ، فضعفت ، كحبل من المطاط اذا انت مددته وأطلته رقّ وكاد ان ينقطع .

ومن اجل هذا قام رجال في المجتمعات يؤكدون في دعوى غير صادقة وحدة الدم في الشعب ، في الأمة ، احياء بسبب التضامن القديم الذى كان في الأسرة الكبيرة (ولا يزال الى يومنا هذا في كل أسرة) . وهم يؤكدون صدق التاريخ ، كذبا ، في صدق الأنسال ووحدتها رغم تقادم العهد ، ويحيون أمجادا مضت من تراث رائع لتفيض من بعض زخرفها على انسال من بني الناس حاضرة .

ثم يدل البحث التاريخي الصادق ، فوق كل هذا ، على ان الأنسال اختلطت،

شيخ من الهنود الحمر ، جاوز المائة ، يشيد بعهد الأسرة في قبيلته .



وأرومات الدم تعكّرت حتى زاد عكرها على صفائها .

عندئذ يقوم رجال في المجتمعات يبحثون عن أصول للتضامن في المجتمع غير أصل الدم وقربى النسب، فيذكرون وحدة اللغة ، وهي وعاء الثقافة الأول ، ويذكرون أسلوب العيش الواحد ، ويذكرون التاريخ الواحد لا بمعنى ان الحاضرين هم ابناء أعمام الغابرين، ولكن بأن السنين والقرون لها ارحام كأرحام النساء تلد في البلد الواحد وشائج من قربى في العيش لعلها اقوى من وشائج الدماء . وهم في كل ما يصلون اليه في البحث من هذا صادقون .

سبب التضامن الأول

ومع هذا ، يبقى بعد كل هذا ، ومن وراء كل هذا ، سبب التضامن الأول ، ذلك الذى بدانا به هذه الكلمة :

تلك الروابط الألف التى تنتظم نسيج الشعب ، نسيج الامة ، وهي ليست من خيوط سدى ولحمة ، في اتجاهين ، ولكنها نسيج له لحمته وسداه في كل اتجاه ، وعلى اية زاوية .

انها الشركة القائمة التى قضى بها توزيع الأعمال ، وتخصيصها ، وتفريغها بين افراد المجتمع ومنها حياتهم ، ومنها اصول رزقهم والابقاء على وجودهم، هى هى الحقيقة الأصيلة الاولى التى بنيت وتبنى عليها المجتمعات ، يضاف اليها ما تشاء من وحدة لغة ، ووحدة ثقافة ، ووحدة تاريخ ، ووحدة آمال ، ووحدة اخطار ومخاوف .

ماذا اريد ان اقول ؟

واذ بلغت من كلمتى الى هذا الحد ، ساءلت نفسي ماذا اريد ان اقول وان اخلص به للعرب من كل هذا . ووجدت هدفي في امرين :

الأمر الأول : ان اذكر المجتمع العربى، واذكر مقدار حظه من التضامن على الأسس الذى ذكرت .

والأمر الثانى: ان احذر من أن نسيجا عظيما هائلا متشابكا كنسيج المجتمع يكون من بلاء الأيام ان يقوم غير خبير بالنسج يلعب فيه بأصابع خشنة ،حاسبا انه يصلح منه ، فاذا بهذا النسيج الدقيق الرقيق قد تحول في يديه الى خيوط مفكوكة متشابكة متعاثرة ضاع ما كان بينها من رباط .

الوعى المجتمعى في المجتمع العربى

اما عن الأمر الأول ، ذلك الوعى في المجتمع العربى بمعنى التضامن الذى يكون في الأسرة الواحدة ، فاترك لكل عربى ان ينظر كم منه موجود في بلاده ، وكم هو من بلاده ينتظم ، وهل ينتظم أهل البلاد كلها أم هو كالخيط جمع بعض حبات العقد وترك اكثر حبات العقد تدحرجها الريح تائهة في كل ناحية عند كل هبّة منها سانحة .

ثم لينظر كل عربى على اى الاسس يقوم هذا التضامن الأسروى في بلاده . وهل هى اسس صحيحة يرضاها الجيل المثقف الحديث ، أم هى أسس مزوّرة كان هدفها القديم احياء العواطف الوطنية في القلوب كذبا وزورا ، فاذا هى لا تصمد للاخطار الكبيرة عندما تنزل بالبلاد النوازل .

ثم لينظر كل عربى كم في بلاده من

عَدْل ، من كل صنف ، فالمحبة العامة بين الناس والظلم لا يجتمعان في ارض واحدة .

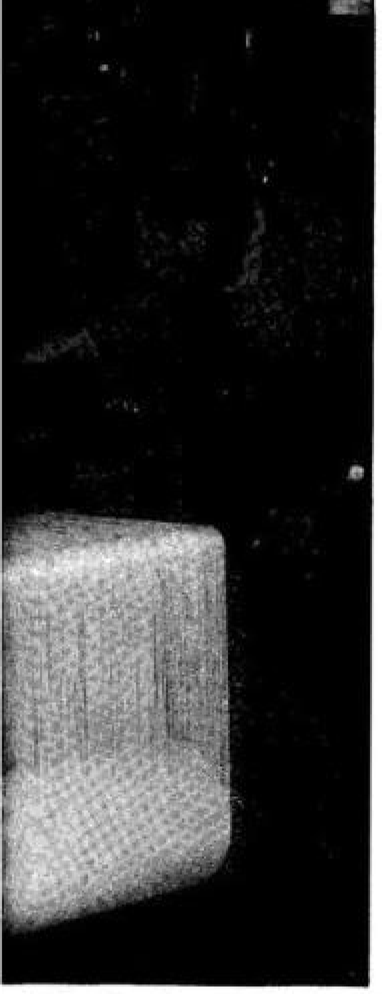
ولينظر كل عربى في بلاده كم يعطف الغنى على الفقير ، وكيف ينظر رئيس الشرطة الكبير الى خفير القرية الصغير ، وكم في قلب المدرس من احساس دافيء من ابوّة نحو الصغار من تلاميذه ، وكم يسرع السابلة الى معونة الرجل الذى يسقط في الطريق ، وكم يحب الجار لجاره من خير ، وكم يأسَى حيٌ في المدينة لحيٍّ آخر فيها نزلت به كارثة وكم يسعى على الفور لانجاده . واختصارا كم يدرك العربى الحديث من معانى القربى ، غير قربى الدم ، تلك المعانى التى اوجدتها وابتدعتها المجتمعات الحديثة بحسبانها تآخيا انسانيا ، وتعاونا اجتماعيا ، وترابطا بألف خيط من مادة وروح جمع بين هذا الجمع المتجانس من بنى الناس الذى شاء ربك ان يسكن من سطح هذا الكوكب ساحة الى حين .

ثم الاصابع الخشنة

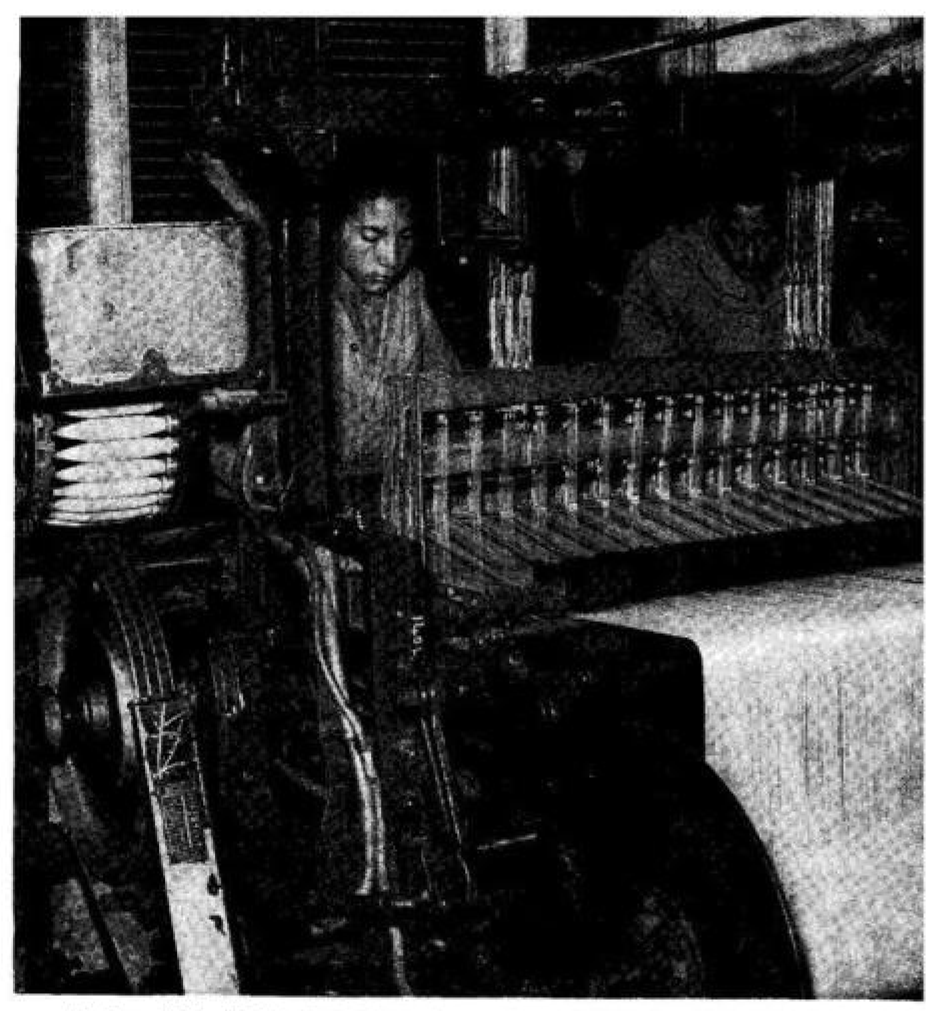
اما الأمر الثانى فيتصل بتلك الاصابع الخشنة التى تلعب بنسيج المجتمع ولم يكن لها سابق علم بنسج . انها ترى النسيج قد تقادم عليه العهد ، وقد يكون قد اصابه البلى ، فيتراءى لها أن تفك خيوطه حتى تعيد نسجه . حتى اذا تفكك وتفرق وأصبح كومة متشابكة من خيط ، لم تدر هذه الأصابع الخشنة ما تصنع به وقد بلغت به الى هذا الحال .

وتشبه المجتمع بالنسيج ، وهو أعقد واعصى على كل معالج من اى نسيج . انه نسيج اجسام وارواح .

ان كل مجتمع في حاجة الى تغيير وتبديل ومسايرة للزمان . وليست المجتمعات العربية بأقل حاجة الى تعديل وتهذيب من سائر المجتمعات الانسانية . بل لعلها أحوج الى جراحات كبرى ترفع عنها ما قد تراكم في بعض شئونها من مواد عفنة لا تجنى الأجسام منها الا الأمراض لا سيما بعد التخلف الذى طال . ولكنها جراحات يجب ان لا يقوم بها الا جرّاحون مهرة ، درسوا الطب قبل جراحة ، وعرفوا من ذلك ان الجراحات تخف وتثقل ، وان من الجراحات القاتل .



المجتمع الانساني نسيج عظيم هائل ، الا انه



دقيق رقيق ، اذا مسته أيد خشنة لا عهد لها بالنسيج ، احالته الى كومة متشابكة مختلطة من خيوط .

اما ان يدخل الى حجرة العمليات جزار مكان جراح ، وان يستبدل بالمشرط الساطور ، فهذه مجزرة اولى بها مسالخ الحيوانات .

وقى الله الانسان شر الانسان .

وحمى الله ذوى النيات الطيبة من الجهل غير الطيب .

وفي العرب اليوم لاشك قادة مصلحون قادرون ، نرجو الله أن يزيدهم كثرة ، وان يزيدهم شوكة ، وأن يحميهم في غدهم من شر ما يصيب القائد المصلح ، ذلك الغرور الذى يتمثل له فيه ، وقد صارت اليه كل الأمور ، انه الواحد الأوحد ، والربُّ الصمد ، الذى اذا قال كان قوله الفصل ، واذا راى كان رايه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه أو خلفه . ●●

من وراء البحار
٢ / سبتمبر / ١٩٦٩

احمد زكي



التفسير والمفسرون

الطبرى

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

■ قلنا في بحثنا السابق عن الطبرى ان عصره الذى عاش فيه ، كان له أثره فى العناية بالرواية ، وذلك لما ساد العلماء فيه من تهيب التفسير بالرأى ، ومن التورع عن الخوض فى بيان معنى كلام الله دون رواية مأثورة .. والحق ان هذا فتح الباب واسعا لدخول الحشد الهائل من الروايات غير الصحيحة ، تناقلها الناس ، وكسبوا من ورائها منزلة ومالا ..

وجاء الطبرى فحشدها فى تفسيره ، وكنا نحب الا تنقل الى ما بعد عصره .. والا تحويها الكتب ، حتى تموت بموت من يحملونها ولو تدريجيا ، ولكن وجودها مع ذلك يعطينا جانبا من صورة الجو الفكرى الذى راجت فيه رواجا جعل الطبرى وامثاله يعنون بتدوينها ..

موقف الطبرى وموقفنا منها

ولقد كان الطبرى يورد هذه الروايات ، وهو عالم بما فيها من تناقض أو كذب أو ضعف ثم ينقدها أحيانا ، ويأتي ايضا بالكثير منها ويتركها بلا نقد .

وبعض النقاد يميلون الى تبرئة ساحة أبى جعفر من النقد ، لسياقه هذه الروايات دون نقدها ، قائلين : انه ذكر لك السند ، وعليك انت ان تبحث عن صحته أو كذبه أو ضعفه .. ، راوين العبارة المشهورة بين علماء الحديث (من أسند لك فقد حمّلك) يعنون أن من ذكر لك سند الرواية فقد برئت ذمته ، وحملك أنت مسئولية البحث عن صحته ..

ومع أن هذا الكلام صحيح فى حد ذاته ، وربما كان محتملا للخاصة أو خاصتهم ، الا انه يحمّل القراء امانة فوق طاقتهم ، فليس كل قارىء عارفا بالرجال ، أو بأساليب النقد ، حتى يستطيع التمييز بين المقبول وغير المقبول ، وليس كل قارىء عنده الرغبة أو الامانة التى تحمله على التوقف حتى يتبين .

على أن هذا ان كان ممكنا في زمن كثرت فيه الكتب المطبوعة المتداولة ، التى عنيت بالرواة ونقدهم ، وبيان غثهم من سمينهم ، فانه لم يكن متيسرا من قبل شيوع هذه الكتب . ومن أجل هذا كان الارتفاع بهذه الروايات التى كانت

جاء في تفسيره بأشتات من الروايات وهو يعلم ان منها الموضوع والمكذوب فترك لضعاف العقول عقلية خرافية تراودهم مدى الدهر

متداولة فى أيامه ـ ومعروف بين العلماء أنها كانت بضاعة القصاص للتكسب والرواج عند العامة ـ أقول كان رفعها الى مقام التدوين ، ووضعها بجانب كلام الله على أنها تفسير له ، مما ساعد كثيرا على اشاعة الخرافات والاضاليل فى نفوس المسلمين ، ملصقة بتفسير كلام الله ، فقد جاء بعض المفسرين بعد الطبرى ونقلوا هذه الروايات فى كتبهم فأتاحوا لها جوا أوسع من الذيوع والانتشار ، والسيطرة على الافكار .

بل اني أقول أكثر من هذا فيما يتصل بالروايات التى نقدها . وهي امنية تمنيت ان لو كانت قد تحققت فى ذلك الزمن المبكر من وضع التفسير . كنت أتمنى أن لو اقتصر الطبرى وأمثاله على الروايات الصحيحة في تفاسيرهم ، وجردوها من الروايات الباطلة التي كرّوا عليها بالنقد .. لانها كانت ستموت فى زمنها ، أما بعد أن دونت ووضعت بجانب التفسير ، فقد فتحوا الباب للقصاص وأصحاب الهوى أن يطلعوا عليها ، ويستندوا اليها ، فى حكاياتهم للعوام لجذب انتباههم ، وكسب اعجابهم .. وابتزاز أموالهم.. كما نرى الكثير فى أيامنا ممن يدورون فى الارياف وبين العوام أو متخلفي الثقافة ، يتحدثون فى التفسير أو الدين ، ويستولون على ألبابهم بهذه الروايات الخيالية الخرافية ، دون خوف من الله ، ولا حرج من أصحاب العقول والفهم . ولا مراعاة لما يجب أن يكون عليه تكوين الامة العقلى والفكرى .

ولقد روى لنا كيف أن الخرافيين ممن كانوا يعتمدون على هذه الروايات كانوا يستولون على قلوب العامة ويهيجونهم ضد العلماء الذين ينكرونها ، حتى يوجعوهم ضربا واهانة ، ومع ذلك عنّي الطبرى بتدوينها !!

اننا نجني من هذا وذاك الآن الكثير من المر ، والكثير من التهجم على الاسلام وكتابه .. ولقد كونت هذه الروايات عقلا خرافيا فى أوساط المسلمين ، نحتاج الى كثير من الجهد والوقت للقضاء عليه . وبعض أعداء الدين من المسلمين أنفسهم مع الأسف ممن تمذهبوا بمذاهب وافدة يتخذون من هذا نكأة لرفض الدين كلية . ومع أنهم مبطلون الا أنهم اصحاب هوى ، يستغلون الضعف عند عدوهم ، لينقضوا عليه ، ونحتاج نحن الى دفاع والى جهد كبيرين لتطهير عقول الناس من هذه الخرافات ، والروايات الاسرائيلية المضللة .

أفما كان من الاولى لهؤلاء السلف الطيبين أن يكونوا بعيدى النظر ، فيريحوا أنفسهم والاجيال التى بعدهم من هذه الخرافات والاضاليل ، ويذكروا لنا ما صح سنده ، وما رأوه بعقولهم الناضجة ؟ .

نعم كان من الاولى .. ولكن ماذا نفعل الآن وهذا هو الذى كان .. ولعل لهم عذرا ؟

واجبنا الآن هو التجريد

ان هذا يحملنا الآن مسئولية ضخمة ، وان لم تكن عسيرة او صعبة .. ولكنها تحتاج الى همة وغيرة وجهد يتكاتف فيه العلماء مع الحكومات التى تعنى بهذه الناحية ..

هذه المسئولية هي تجريد هذا التفسير وامثاله من كل رواية غير صحيحة .. سواء اكانت اسرائيلية او موضوعة .. واخراج الكتاب بعد ذلك للناس بريئا من هذه العيوب .. ثم جمع كل النسخ الاصلية من الاسواق ووضع ما أمكن منها فى المكتبات العامة ، ويحظر الاطلاع عليها لغير الخاصة ، كما يحظر نقل ما لم ينقل منها فى التجريد ..

بذلك نقضى على هذه الخرافات والاسرائيليات من العقول ، ولا بد بجوار ذلك من جهد آخر هو عدم السماح بطبع أى كتاب آخر فيه شيء من هذه الأضاليل .. فقد تسربت من كتب التفسير وكتب التاريخ كذلك الى كتب اخرى بعناوين اخرى ، وتحتاج الى المتابعة المستمرة .. واذا كانت هناك رقابة على المطابع في الامور السياسية فمن الواجب أن تفرض هذه الرقابة فى مثل هذه الامور التى تتدخل تدخلا قويا فى تكوين عقلية المسلمين والى اجيال ، وتفسد تصوراتهم عن القرآن وعن الحياة .. وهذا شيء ليس بالقليل ، بل هو من الخطورة بمكان ، كما سبق ان اشرنا اليه ..

ولا اظن ان فينا من يعارض مثل هذا المشروع بحجة صيانة التراث او بحجج اخرى .فالتراث سيظل لمن يريد الاطلاع عليه . على اننا سوف نقدم التراث الفعلى حقيقة ، ولا نحرم المطلعين من شيء له فائدة ، بل نحول بينهم وبين سموم هذه الخرافات ، ونقيهم اضاليلها .. ونشجع المطلعين على الاطلاع . ونقدم الكتاب فى حجم اقل كثيرا من حجمه الحالي .. وبثمن اقل من ثمنه .. مما يغرى بالشراء والاطلاع ..

دفاع أو اعتذار

ولقد اراد الاستاذ محمود شاكر الدفاع عن الطبرى او الاعتذار عنه ، لما رواه من الاحاديث والروايات الغريبة والمنكرة التى لم يكن من المستحسن روايتها .. فذكر في هامش صفحتي ٥٣ ، ٥٤ من الجزء الاول ، دفاعا لا اعتقد الا انه التماس عذر له ، فهو يقول :

« تبين لي مما راجعته من كلام الطبرى ان استدلاله بهذه الآثار التى يرويها باسانيدها ، لا يراد به الا تحقيق معنى لفظ او بيان سياق عبارة » . الى ان يقول « وهذا مذهب لا بأس به فى الاستدلال » .

ويقول : « فاستدلال الطبرى بما ينكره المنكرون لم يكن الا استظهارا للمعاني التي تدل عليها الفاظ هذا الكتاب الكريم كما يستظهر بالشعر على معانيها ، فهو اذن استدلال يكاد يكون لغويا .. الخ » .

وهذا الذى يقوله العلامة محمود شاكر لا بأس به فى الدفاع ، لكنه مع ذلك ليس قاطعا ..

فما كان اغنانا عن هذه الروايات ، وعندنا ما يكفى فى الدلالة على معناها من كلام العرب من شعر ونثر ، على ان الاسرائيليات ــ وما شابهها ــ لا تقطع بمعنى لفظ فى القرآن الكريم .. وفيها ما فيها من الخطر على فهمه ، ثم اننا نجد الروايات الاسرائيلية على ما فيها من تناقض تتدخل لفهم شيء مغيب عنا لم يعن القرآن ببيانه فجاءت هذه الروايات تفسر المراد منه ، وهو ليس من باب الاستدلال على معنى الكلمة عند العرب ، كما يستدل بالشعر .. ، بل من باب التدخل في معرفة امور غيبية لم يعن بها القرآن لعدم الفائدة منها . واكتفى هنا بمثال .

ما المراد بالشجرة ؟

ففى ص ٥١٨ من الجزء الاول الذى حققه يروى الطبرى عن ابن عباس قولا فى المراد بالشجرة فى قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) ، بأنها : البر ، أو السنبلة . ويعدد الروايات عن ذلك القول ، ويروى فى احداها صراحة ان اهل التوراة يقولون : هي البر ! ! ثم روى روايات اخرى عن المراد بالشجرة ، ومنها رواية عن ابن عباس نفسه

بأنها : الكرمة ! ! (ص ٥١٩ فقرة ٧٣٠ وما بعدها) ، ثم يروى رواية ثالثة واخيرة بأنها : التينة ص ٥٢٠ فقرة ٧٤٠ .

وقد أتى بهذه الروايات التى شغلت حيزا كبيرا بعد ما ذكر قبلها : «الشجرة فى كلام العرب : كل ما قام على ساق ، ومنه قوله جل ثناؤه « والنجم والشجر يسجدان » يعنى بالنجم ما نجم من الارض من نبت ، وبالشجر ما استقل على ساق » فذكر بذلك المراد بالشجرة فى كلام العرب . ثم بدأ فى بيان المراد منها عند اهل التأويل .. وذكر هذه الروايات الغريبة التى تعتبر كلها خبطا بدون دليل ولا بينة ؟

فما الفائدة ـ اذن ـ من كل هذا السرد ، وهو لا يكشف عن معنى الكلمة عند العرب ؟ !

انه حقيقة ـ أعنى هذا السرد ـ يكشف لنا عن نموذج من تفكير الخاصة فى فهم القرآن ساد ذلك الزمن .. لكننا كنا نود أن لو طوى عنا هذا النموذج ، الذى لا اساس له من كلام العرب ، ولا من بينة يوثق بها ، ما دام يحمل معه هذه الخرافات .

على أن الطبرى روى فى هذه الروايات روايتين عن ابن عباس . رواية تقول المراد بالشجرة : البر ، ورواية عنه تقول انها : الكرمة ! ! فهل كان لابن عباس راى ، او رايان ، أو لم يكن له راى ، ولكن الرواة قالوا عن لسانه ؟ ! ومن اين لابن عباس بهذا الراى أو ذاك ؟ ذلك ما كنا نحب ان يضمه ابو جعفر فى حسابه ويريحنا ويريح نفسه ..

راى الطبرى

ومع هذا التعب كله فى معرفة المراد بالشجرة عن طريق الروايات نجد الطبرى فى النهاية يضرب صفحا عن هذه الروايات كلها ، ولا يثق بشيء منها ، ـ وكأنها معرض تحف قديمة بالية ـ ويشق الطريق الى الراى الذى يرتضيه ويراه معه أهل العلم والعقل المتزنون ، وهو نموذج لخطته فى التفسير حين يكشف عن رأيه .

والحق انها خطة ممتازة تكشف عن عقليته الفذة ، العقلية العلمية المؤمنة ، التى لا ترضى بالكلام الجزاف ، والتى تحافظ على العقول أن يملأها الحشو والخرافة وما لا جدوى منه .. وحبذا لو التزم هذه الطريقة فيما سرده من روايات . اقرأ معى رأيه المراد من الشجرة بعد سرد الروايات :

« قال أبو جعفر (يعنى نفسه وهذه طريقته) : والقول فى ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه ، اخبر عباده أن آدم وزوجته أكلا من الشجرة التىنهاهما ربهما عن الاكل منها ، فأتيا الخطيئة ، التى نهاهما عن اتيانها ، بأكلهما ما أكلا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الاكل منها ، وأشار لهما اليها بقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها . ولو كان لله فى العلم بأى ذلك من أيّ رضا ، لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها ، يصلون بها الى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك فى كل ما العلم به له رضا » .

« فالصواب فى ذلك أن يقال : ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن اكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا الى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها ، كما وصفهما الله جل ثناؤه به ، ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على اليقين ، لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ، ولا فى السنة الصحيحة ؟ فأنى يأتى ذلك ؟ وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها . وذلك علم ، اذا علم لم ينفع العالم به علمه ، واذا جهله جاهل لم يضره جهله به » (١) اهـ ..

هذا الذى قاله الطبرى هو الذى يستريح اليه العقل والقلب . وهو يكفينا جدا فى فهم كلام الله ، ولو اقتصر أبو جعفر عليه لكان خيرا له وللمسلمين .. وهذا النموذج من التفسير هو الذى ادعو الى الاقتصار عليه فيما دعوت اليه من تجريد لتفسير الطبرى ولغيره مع نقد ما يستحق النقد ..

---

(١) ص ٥٢٠ ، ٥٢١ جـ ١ تحقيق الاخوين :شاكر .

خطته فى المبهمات

والخطة التي سار عليها الطبرى فى تفسيره من عدم الجرى وراء معرفة اشياء مبهمة لم يبينها القرآن ولا السنة ، ولا ضرر من عدم معرفتها ، هذه الخطة هي المثلى فى تفسير القرآن ، وقد سار عليها ، وهاجم الذين يتعبون انفسهم فى الجرى وراء معرفة نوع الشجرة كما قرأت سابقا ، كما هاجم الذين يحاولون معرفة ماذا كان على مائدة عيسى : أسمك ام غيره ؟ فى أواخر سورة المائدة ، ومعرفة عدد الدراهم التى بيع بها يوسف : أهي عشرة أم عشرون أم اكثر ؟ .. وأمثال ذلك في القرآن ، ملتزما قاعدة : العلم بها غير نافع ، والجهل بها غير ضار . ولو كان العلم بها نافعا لبينه الله .. وبذلك سد الباب على الفضوليين الذين يخبطون فى مثل هذه الامور خبط عشواء ، ويضيعون أوقاتهم فيما لا يفيد(٢).

ومع ذلك تجد الطبرى يذكر الروايات المتعددة حول هذه الاشياء ! !

وانني اعتقد ان هذه الروايات كانت رائجة فى ايامه ، فذكرها ليكر عليها بخطته ، ويبين انه لا فائدة من الاشتغال بها .. لكنها بذلك اكتسبت البقاء عبر القرون ، تطغى على التفكير ، وتحتل مكانا لها فيه . بل تاخذ صفة الصدارة ، فما تسال انسانا الان عن نوع هذه الشجرة ، الا قال لك قولا مما نقله الطبرى ثم استهجنه – وقليل من العلماء من يقف عند خطة الطبرى ويقتدى به فيها – لان الفضول كثيرا ما يودى بأصحاب العقول ..

على أن بعض من جاء بعد الطبرى من المفسرين ربما اقتصر على ذكر نوع الشجرة كأن ذلك أمر ثابت يقرؤه الطالب المبتدىء فى الازهر او غيره ، ويقرؤه انصاف العوام ، فيأخذونه قضية مسلمة. ترسخ فى عقولهم من الصغر ، لتستمر غالبة على تفكيرهم في الكبر ! ! واسال من شئت من العلماء الآن عن نوع الشجرة تجد منه الجواب سريعا بتحديدها .. فاذا قلت له : من أين لك هذا ؟ قال : كتب التفسير التى درسناها ! ! دون التاكد من صحة ما ذكرته هذه الكتب عن طريق حديث صحيح .. وهكذا ! !

هل هو تفسير بالمأثور او بالراى ؟

لقد لاحظت فى تفسير الطبرى وفيما اشتهر عنه بين العلماء أشياء لا بد من الوقوف عندها لتمحيصها .. وقد يدعو تتبعها الى الاطالة فلذلك أكتفى بواحدة منها ..

فالعلماء والدارسون يضعون هذا التفسير على قمة التفسير بالمأثور ، وكثير منهم يرد سبب هذه التسمية الى عناية الطبرى بالروايات الكثيرة التي تشغل الحيز الأكبر منه ..

ولكنه بقليل من التتبع لآراء الطبرى فى تفسيره الخاص به ، نجد أنه لم يلتزم بهذه الروايات عندما اخذ يبدى رايه فى تفسير الاية ، لانه احيانا يذكر أولا معنى الكلمات عند العرب ، ثم اعرابها مع ذكر الشواهد على ذلك من شعر أو نثر ، ثم يذكر الروايات الواردة فى تفسير الاية ، صحيحة وغير صحيحة ، ثم يكر على هذه الروايات أحيانا بالنقد أو النقض ، ثم يأخذ في بيان رايه فى تفسير الاية غير ملتزم بما ذكره ، الا اذا كان صحيحا ثابتا ، ويبدى رأيه فيما يؤخذ منها من احكام ، غير متقيد غالبا برأى امام فقيه معين ، مع أنه كان شافعيا ، حتى عرف عنه انه كان صاحب مذهب فقهي خاص به لكنه اندرس لعدم شيوع تلامذة له ينتصرون لآرائه ، ويجادل مع ذلك المتكلمين من اصحاب المذاهب الكلامية ملتزما خطة السلف مدافعا عنها .

ومعنى ذلك كله أن الرجل كان له راى واتجاه بارزان ، وتفسيره الخاص به الذى يبدؤه بقوله : « قال ابو جعفر .. أو بقوله والراى عندنا ، او ، والتأويل عندنا ، او مثل ذلك . يبين هذا الاتجاه الاستقلالى بوضوح ..

---

(٢) ومع هذا النهج الذى نهجه الطبرى هنا نجده يخالفه فى مكان آخر ، فيميل الى تصديق هذه الروايات فى أن الشيطان دخل في جوف حية(انظر تفسيره لقوله تعالى : فأزلهما الشيطان عنها) فى سورة البقرة والروايات التى رواها عن دخول ابليس الجنة عن وهب ابن منبه وغيره وغيره ثم تعليقه بعد الروايات بما يدل على أخذه بها ، وليس فيها حديث صحيح مرفوع الى الرسول ، وهى من الامور الغيبية التى لا يصح القول فيها الا بحديث صحيح مرفوع .

فهو لم يكن ـ اذن ـ أسير الروايات الكثيرة التي ذكرها ، ولا اسير اقـوال العلماء الذين سبقوه ، لأنه أحيانا يرد عليهم وينقض قولهم .. فهو مفكر مستقل ، له رأيه فى معنى الآية ، وفيما يستنبط منها من أحكام ، وآراؤه فى غاية الاتزان العقلى ، ولاسيما عندما يتناول بعض الاشياء التى كثر الجدل فيها ، كالاشياء التى ذكرناها وكالمتشابهات مثل اليد والعين ...

والطبرى بهذا يوضع فى مقدمة أهل الرأى فى التفسير ، اذا فهمنا الرأى على أنه الذى ينتهي اليه الانسان بعد دراسة عميقة ، متجردة من الأهواء التى كانت تعصف بعقول العلماء ، وتحملهم على ليّ عنق الكلمات القرآنية ، لتوافق أهواءهم أو مذاهبهم ..

فالذين يفهمون اذن أن تفسير الطبرى من التفسير بالمأثور ، بسبب كثرة الروايات الواردة فيه ، غير دقيقين في الفهم ، لانه لم يتقيد بهذه الروايات ، ولم يكن أسيرا لها ...

اما اذا فهمنا (الرأى) على انه اخضاع الآيات للمذاهب الخاصة ، والشطط فى تأويلها ، وعدم التقيد بالحديث أو تأويله كذلك ، فان الطبرى ليس من هذا النوع ، ولا يعد تفسيره على هذا من التفسير بالرأى ، لان الرجل التزم خطة التحفظ فى التأويل ، والحفاظ على منهج السلف ، والدفاع عنه ، فيما يتصل بالله وصفاته والمتشابهات عموما فى القرآن .. وكل ما تتوقف معرفته على أخبار موثوق بها عن الله سبحانه ، أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولو قلنا حينئذ ان تفسيره تفسير بالمأثور لكنا محقين .. لانه لم يتأثر بالمذاهب الكلامية التي سادت المجتمع الاسلامي فى عصره ، ولكنه التزم الخطة السلفية المأثورة عن الصحابة ..

الرأى المذموم

ولو تأملنا فيما ورد من كراهة الصحابة للرأى فى التفسير ، وما ورد فى ذلك من ذم لفهمنا أن الرأى المذموم فى التفسير هو الذى يخضع للاهواء ولعصبية المذاهب ، ولم يقم على دراسة محايدة متأنية . أما الرأى الذى يبديه الانسان فى التفسير مستندا الى معاني كلام العرب ، والى ما ورد من حديث صحيح ، غير متأثر بمذهب مستحدث أو عصبية طارئة ، حتى يصل الى المفهوم الـذى يستريح اليه عقله وقلبه ، فذلك لا يمكن أن يذم بحال من الاحوال ، والا ما كان هناك معنى لدعوة القرآن المسلمين لتدبر آياته والاتعاظ به ، وأخذ احكامهم منه ..

وقد تحدث عن ذلك الامام الطبرى فى مقدمة تفسيره ، كما تحدث فى هذه المقدمة عن موضوعات لا بد من الاحاطة بها لكل من يفسر القرآن مثل اتفاق معانى القرآن ، وما اتفقت فيه ألفاظ العرب والعجم ، واللغة التى نزل بها القرآن . ونزوله على سبعةأحرف وما قيل في النهى عن تأويل القرآن بالرأى ، وفى الحض على العلم بتفسير القرآن ، وآراؤه فى المفسرين الخ ..

اشعر أن الشوط قد طال مع الامام الطبرى فى هذه الدراسة العاجلة ، بالرغم من أن هناك جوانب باقية تستدعى الحديث عنها ، لكن ليس هنا مجالها الآن . وما قدمناه فى هذا المقال والسابق عليه يكفى في اخذ صورة عامة عن امام المفسرين .

فقط بقيت كلمة لا بد من بيانها فى ختام هذا البحث هي كلمة (تأويل) التى جعلها الطبرى فى عنوان كتابه : « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » والتزمها عندما يأخذ فى ابداء رأيه فى الآية ..

هل تأخذ هنا معنى غير معنى كلمة تفسير التى استعملها غيره من المفسرين ..

والجواب : لا .. فان المراد بها هو المراد بكلمة تفسير .

ويكفى هذا دون الدخول في تفاصيل ما قيل عن معنى كلمة تأويل الواردة فى القرآن من معان اخرى لم يقصدها الطبرى فى استعماله لها ..

ورحم الله رائد المفسرين وامامهم وجزاه عنا خيرا . ■■

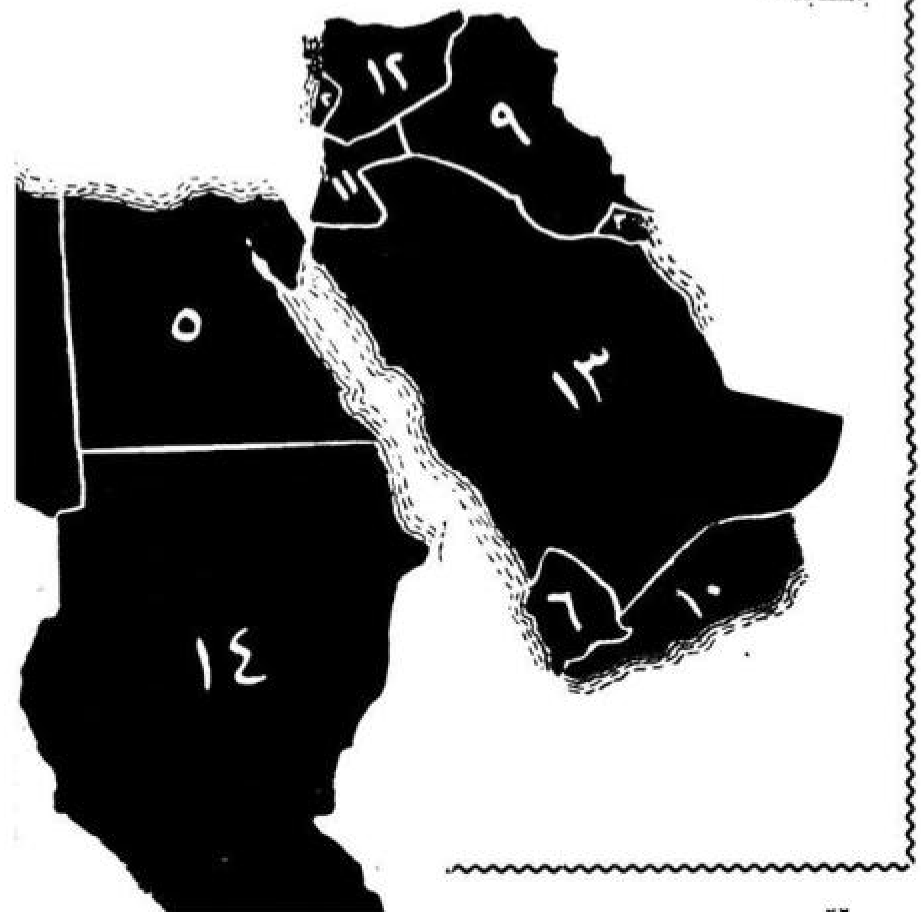
عبد المنعم النمر ـ الكويت

نتيجة مسابقة العدد ١٢٩

خريطة دول الجامعة العربية

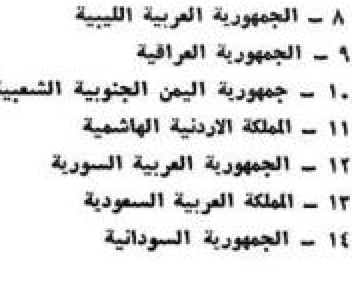
● بين اكوام مسابقة العدد ١٢٩ جلسنا سويعات طويلة نفرز الوف الاجابات الصحيحة لكثير من القراء الذين حالفهم التوفيق في معرفة الرسوم المختلفة لحدود الدول العربية المشتركة في الجامعة العربية ، ولم يكن الامر يحتاج الى كثير عناء ، فالرجوع الى خريطة للعالم العربي مقسمة تقسيما سياسيا ، كان هو الطريق لمعرفة الاجابة الصحيحة .

واليك عزيزي القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم قائمة باسماء الفائزين بالمسابقة :



لم يخطئ فيهـا أحـد

١ ـ الجمهورية التونسية
٢ ـ الجمهورية اللبنانية
٣ ـ دولة الكويت
٤ ـ الجمهورية الجزائرية
٥ ـ الجمهورية العربية المتحدة
٦ ـ الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ المملكة المغربية



٨ ـ الجمهورية العربية الليبية
٩ ـ الجمهورية العراقية
١٠ ـ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية
١١ ـ المملكة الاردنية الهاشمية
١٢ ـ الجمهورية العربية السورية
١٣ ـ المملكة العربية السعودية
١٤ ـ الجمهورية السودانية



الفائزون هم :

■ الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : حبيب عبد المجيد حبيب/بصرة/العراق

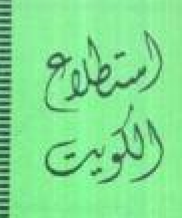
■ الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها : ربحي عيسى/دمشق/سوريا

■ الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : عبد الجبار ابراهيم صالح/المنامة/البحرين

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

يحيى محمد حسن الزلباني / الابراهيمية / الاسكندرية
عبد الله محمد باسودان/الرياض : السعودية
ابراهيم احمد العيسى/النقرة/الكويت
صالح بكار نجم / بنغازى / ليبيا
آمال حكمت جمال نورس /الزرقاء/الاردن
محمد خالد عيد/طرابلس/لبنان
احمد يوسف مسلم / ابو ظبي
ابراهيم علي زيدان/بلغراد/يوغسلافيا

■■



المرحلة الثانية

مجموعة من خريجي الكلية الصناعية فى الكويت أثناء
مرورهم بمطار نيويورك فى طريقهم الى جامعة تكساس

• خريج كلية الهندسة يزيد راتبه ٥٠ فى المائة عن

بعد البناء والتعمير



« ان الكويت بعد ان قطعت تلك الخطوات الجبارة نحو التقدم ، أصبحت اليوم امام مرحلة أخرى ، أو على الأصح المرحلة الثانية من البناء والتعمير .. انها المرحلة الأهم والاصعب من الأولى .. فهى تطلب من أبنائها علما ومعرفة ، وتصميما وثباتا ، وسعة في الأفق تستوعب الكثير .. ان المرحلة القادمة هى المحك لصلابتنا .. وهى الامتحان لحيويتنا .. وهى البرهان لامكانياتنا ».

بهذه الكلمات كان سفير الكويت في لندن الشيخ سالم صباح السالم ، يتحدث الى ١١٩ طالبا وطالبة من الكويت يتلقون تعليمهم في انجلترا .. انهم جزء من نحو ألف طالب كويتى يكملون تعليمهم العالى في مختلف جامعات العالم ..

ان البعثات الطلابية الكويتية أصبحت موزعة بين ثمانى دول مختلفة ، ثلاث منها عربية هى : الجمهورية العربية المتحدة ولبنان والعراق .. وخمس دول أجنبية هى : فرنسا والمانيا الغربية والنمسا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية .

● ألف طالب كويتى يكملون دراساتهم فى جامعات العالم

راتب خريج الآداب !

● الكويت تعمل على توجيه طلابها لدراسة العلوم والفنون .

ملازمة العلماء ..

« .. ولكن حال بعثاتنا بالأمس كان يختلف تماما عن حالها اليوم .. » هكذا قال لنا الاستاذ عبد الله المفرج مراقب عام البعثات بوزارة التربية والتعليم ، الذى استطرد قائلا : « لم تكن الحياة العلمية حين بدايتها في الكويت تتسع او تتمكن من ارواء غليل اى مواطن شغوف بتحصيل مزيد من المعرفة .. فكان المتطلعون للعلم يقصدون البلدان المجاورة للكويت مثل العراق والاحساء والحجاز بالسعودية ، وقد يتجاوزونها في احيان قليلة الى مصر .. ولم يكونوا على اى حال سوى أفراد قلائل ، قد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ، يقومون برحلاتهم تلك بصفة فردية خاصة .. وكانت دراساتهم تتمثل فى الاجتماع ببعض العلماء والاستماع اليهم ، أو ملازمة احدهم والتتلمذ عليه في الدراسات الدينية والعربية .. ومدة الدراسة كانت تتراوح بين الستة شهور والسنتين في غالب الأحيان .. »

أول بعثة طلابية

ويستطرد الأستاذ عبد الله المفرج فيقول : « واول بعثة طلابية اوفدتها معارف الكويت الى الخارج كانت فى عام ١٣٤٣ هـ . (١٩٢٤) م . وكانت تتالف من سبعة طلاب على رأسهم المرحوم الشيخ فهد السالم الصباح ، التحقوا جميعا بالكلية الأعظمية في بغداد .

بعثات للجميع

« وبدأت البعثات بعد ذلك ترسل في أعداد قليلة الى مصر ، حتى كان عام ١٩٤٥ عندما اعلنت الحكومة ان كل طالب كويتي حاصل على الشهادة الثانوية العامة له الحق في اتمام دراسته العالية في الخارج على نفقة الحكومة .. وهكذا دخل نظام البعثات طورا جديدا في تاريخه ، وفي عام ١٩٤٥ افتتح « بيت الكويت » في القاهرة ليسهل أمور طلبة البعثات الكويتية .. ولم يكن عدد الطلبة الكويتيين فى الجامعات يزيد عن ١٣ طالبا فقط حتى نهاية العام الدراسي ١٩٥١ .

أول بعثة نسائية

« ولم تشترك الفتاة الكويتية في اى بعثة تعليمية رسمية الا فى بداية عام ١٩٥٦ عندما ارسلت أول بعثة من الطالبات الكويتيات الى القاهرة بعد اتمام دراستهن الثانوية بالكويت ..

حرية اختيار الكلية

« وظلت الفرصة متاحة امام كل طالب كويتي انهى دراسته الثانوية ، ليكمل تحصيله العالى في الخارج ، مع ترك الحرية له في اختيار الكلية التى يرغب في الالتحاق بها ، لان البلاد ـ في ذلك الوقت ـ كانت في حاجة ماسة الى كل المهارات والكفاءات التى يمكن ان يحصل عليها الشاب الكويتى » .

توجيه البعثات ..

وينهي السيد عبد الله المفرج حديثه بقوله : « اما اليوم فقد تبدلت الأمور ، واصبحت الحكومة توجه ابناءها للالتحاق بالكليات التى ترى ان البلاد في حاجة الى خريجيها بالدرجة الاولى .. ولم يعد يقبل في البعثات الا الخريجون ذوو الارقام العالية الممتازة .. » .

حدث علمي ضخم

وفي يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ مرت البعثات الطلابية الكويتية بنقطة تحول هامة .. ففى ذلك اليوم شهدت البلاد حدثا علميا ضخما تمثل فى افتتاح أبواب أول جامعة في الكويت ..

التقدم الاجتماعى أسرع من التقدم العلمي !

لقد أقيمت هذه الجامعة لتستوعب الأعداد المتزايدة من الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة،



بعض طلبة الكويت ينزلون من سلم الباخرة التى اقلتهم الى الولايات المتحدة للالتحاق بجامعاتها..



بعض الطلبة والطالبات الكويتيين الذين يكملون دراساتهم العالية في جامعات انجلترا ، يحيطون بالشيخ سالم الصباح السالم سفير دولة الكويت في انجلترا

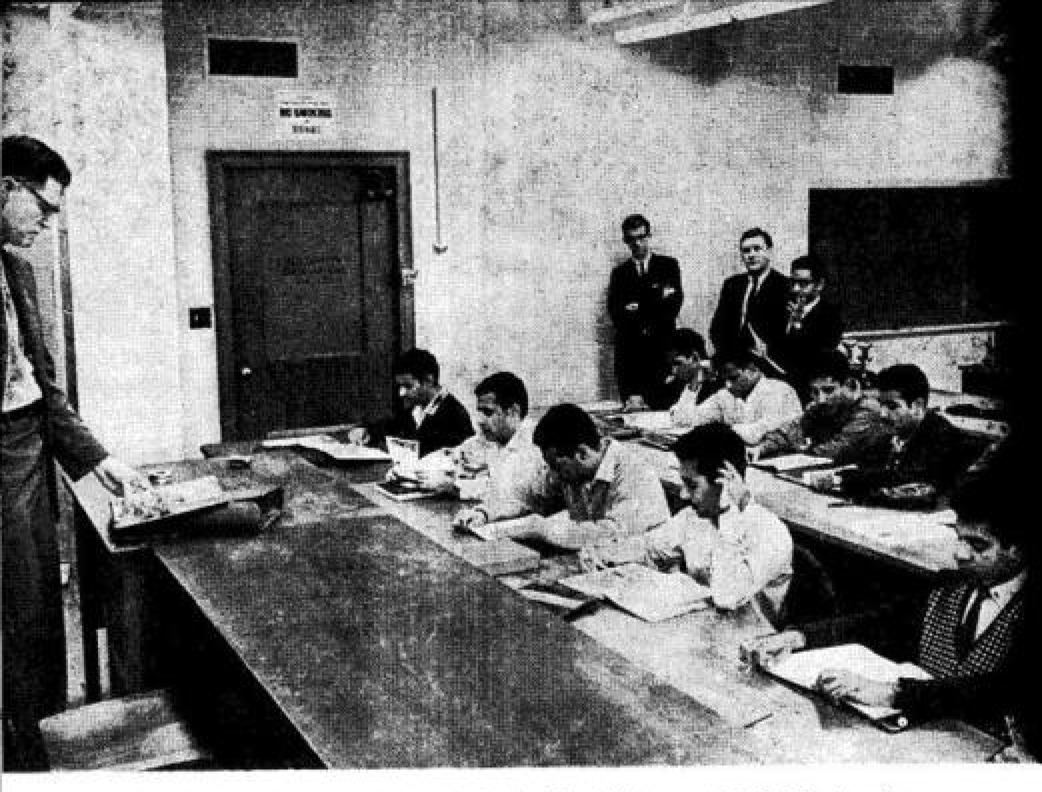
والمتعطشين الى العلم .. ان السرعة غير العادية التى يتقدم بها المجتمع الكويتى ، كانت أكبر من السرعة التى يتم بها اعداد ابناء الكويت من الخريجين لمواجهة هذا النمو .. ان عدد المتخرجين من الثانوية العامة كان ٥٠٠ طالب وطالبة من الكويتيين في سنة افتتاح الجامعة .. زادوا في العام التالى الى ٦٥٠ .. وفي العام الذى يليه الى ٨٥٠ وتشير الاحصائيات الى أن عدد هؤلاء الخريجين سيصل الى ٥٢٥٠ طالبا في عام ١٩٧٧ اى أنه بعد سبع سنوات سوف يقف على أبواب الجامعة نحو ٤٠٠٠ طالب وطالبة كويتيين سنويا ، وهؤلاء ، بالاضافة الى ابناء المقيمين في الكويت ، لن تتسع لهم الا جامعة تستطيع استيعاب حوالى ١٥ ألف طالب وطالبة ..

من أهداف الجامعة

لقد كان من أهم اهداف انشاء جامعة الكويت مواجهة الاعداد المتزايدة من خريجي المدارس الثانوية ، وتفادى مشكلة عدم وجود أماكن لهم في الجامعات والمعاهد الخارجية نظرا لكثرة عددهم .. ومن الاهداف الاخرى التغلب على مشكلات ايفاد افراد البعثات في سن مبكرة ، وما تؤدى اليه ، من ارتفاع نسبة الفشل والضياع ماديا ووجدانيا ، بسبب الابتعاد عن الأهل والبيئة في سن مبكرة .

في انتظار تكامل الجامعة

ان عدد طلبة وطالبات جامعة الكويت حاليا هو



خمسون طالبا كويتيا يدرسون الهندسة بجامعة ولاية تكساس في مدينة أوستن بالولايات المتحدة الامريكية .. وترى بعضا منهم أثناء محاضرة في فن الرسم الهندسي

١٣٥٠ طالبا وطالبة ، ٨٥٪ منهم من أبناء الكويت وهؤلاء كان المفروض أن يتجه عدد كبير منهم الى الالتحاق بالبعثات التعليمية في الخارج ، ولكن افتتاح الجامعة جعل باستطاعتهم تكملة علومهم العالية فى بلدهم ووسط أهلهم .. الا أن جامعة الكويت ما زالت في مستهل حياتها .. وانشاء جامعة متكاملة بجميع كلياتها لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة حتى ولو توفرت الامكانيات المادية ، فهناك المبانى والتجهيزات وتوفير الطاقة البشرية القادرة على حمل أعباء العمل العلمى والادارى فيها .. وحتى تستكمل الجامعة كافة كلياتها ، فان البعثات الطلابية للخارج اصبحت شبه مقصورة على الكليات التى لم تفتح أبوابها بعد في جامعة الكويت .

مشكلة الوطن العربى ، تعالجها الكويت

ان الكويت تعاني في نهضتها مثل ما تعانيه بقية دول وطننا العربى الكبير .. اتجاه هائل نحو الدراسات الادبية ، مع احجام عن الدراسات العلمية !!

وجندت وزارة التربية خبراءها واستعانت بخبراء عالميين لدراسة المشكلة ، ومنذ عامين وقف الاستاذ صالح عبد الملك الصالح وزير التربية في مجلس الأمة ليقول : « ان الحكومة تعمل على الترغيب لا الاكراه في توجيه الطلاب ناحية العلوم والصناعة .. وقد رأت أن تمنح الطالب الذى يتخصص في النواحى العلمية شروطا ومرتبات افضل بكثير من خريجى اقسام الآداب ، فاصبح

كل من يتخرج من الكليات الفنية كالهندسة وما شابهها يحصل على بدلات تتراوح بين ٢٥ و ٥٠٪ تضاف الى مرتبه .

« اما الذى يتخرج من كليات الطب بانواعه البشرى والاسنان والبيطرى ، وكلية الصيدلة ، فيحصل على بدلات تتراوح بين ٢٥ و٤٠ ٪ من المرتب الاصلى ، تضاف الى المرتب الـــــذى يتقاضاه ..» .

الطلبة يتجهون نحو الدراسات العلمية

ان هذه السياسة بدات تعطي ثمارها المرجوة ، فقد ارتفع عدد الطلبة الكويتيين الذين يدرسون الطب والصيدلة والهندسة واقتصاديات البترول في الجامعات العربية والجامعات الاجنبية الى اعداد لا باس بها ، يبينها الكشف المنشور مع هذا الكلام :

٩٠٠ خريج في ٢٧ عاما

ويقدرون مجمـوع عـدد الخريجين الكويتيين الذين تخرجوا خلال السبعةوالعشرين عاما الماضية بنحو ٩٠٠ خريج .. اما اليوم فان التخطيط الجديد للتعليم سيقفز بعدد الخريجين الى ألف خريج خلال السنوات الخمس القادمة .. وسيظل الرقم في تزايد حتى يصل الى الف خريج سنويا بعد عشرة أعوام من اليوم ..

الكويت تعتمد على ابنائها

ان الكويت تمر بالمرحلة الثانية بعد البنـــاء والتعمير ، وكلها ثقة في أبنائها .. انها تعتمد عليهم في انطلاقتها نحو حياة افضل تعتمد على العلوم والكفاءات التى بداوا يتسابقون عليها ..

■■

	طالب	طالبة	المجموع
ا ـ عدد الطلبة الذين يدرسون الطب البشرى	٦٦	١٥	٨١
ب ـ عدد الطلبة الذين يدرسون طب الاسنان	١١	٠٧	١٨
ج ـ عدد الطلبة الذين يدرسون دراسات طبيـة مختلفة (وتشمل التمريض ، والتحـاليل الطبية والعلاج الطبيعى ، والعلاج بالأشعة، والمستوصفات .)	٢٣	٠٦	٢٩
د ـ الصيدلة	١٣	٠٦	١٩
هـ ـ الهندسة بفروعها المختلفة : وتشمل المدنية والمعمارية والميكانيكية والتعدين والكهرباء واللاسلكي والكيمائية) .	٢٤٠	٠١	٢٤١
و ـ هندسة البترول .	١٣	٠٠	١٣

هل ابن البط عوام ؟

شاهد رجل شخصا يحمل صبيا بين يديه ويحاول رميهفي النهر والصبى يصرخ طالبا النجدة . فاوقفه عن عمله هذا وساله ما جناية هذا الصبى الذى يريد اغراقه . فكان الجواب : الا تعلم ان والد هذا الصبى أشهر سباح في القرية . ـ فقال الرجل : ولكن كيف يجوز لك أن تفترض أن ابن السباح هذا عوام !!

لو بو دي ـ حكيم صيني

مسابقة
العربي



وجوائز مجموع قيمتها ١٠٠ دينار

■ المطلوب منك في هذه المسابقة ان تتعرف على أسماء ٨ جزر من الجزر المرسومة على الصفحتين التاليتين . وقد وضعنا شرحا موجزا لمساعدتك في التعرف على اسم الجزيرة .. وبعدها عليك أن تكتب اسم الجزيرة أمام كل رقم وترسله الينا ، لتشترك في عملية الفرز التي ستجرى بين الاجابات الصحيحة للفوز باحدى الجوائز :

١ ـ أكبر جزيرة في العالم .

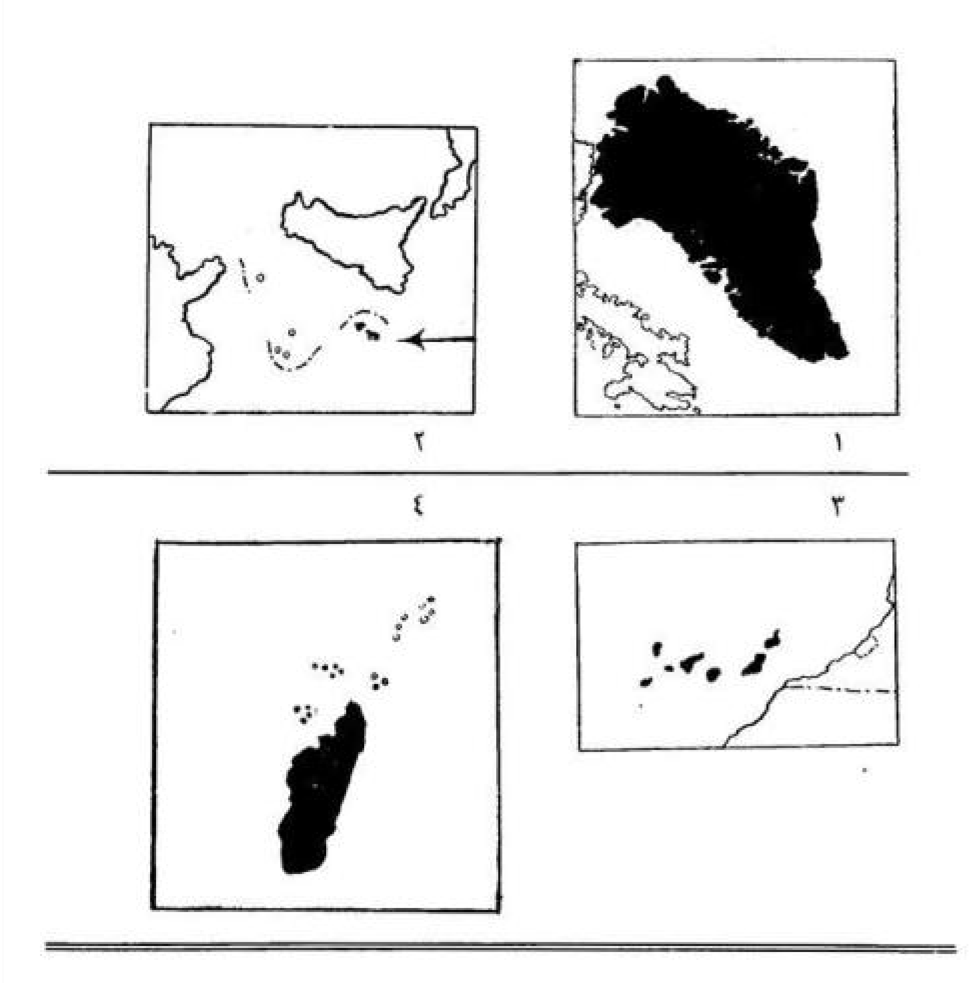
٢ ـ أصغر جزيرة في أوسط البحر المتوسط ، ظلت مركزا للاستراتيجية البحرية البريطانية دهرا طويلا .

٣ ـ جزائر ، اسمها اسم طائر ، في المحيط الأطلسي .

٤ ـ جزيرة في المحيط الهندى ، نفى الانجليز اليها زعيم مصر سعد زغلول هو ورفاقه عام ١٩٢١ .

٥ ـ هذه الجزيرة الواقعة في البحر المتوسط فتحها واحتلها أسد بن الفرات عام ٢١٢ هـ. وظل العرب فيها ما يقرب من قرنين ونصف قرن .

٦ ـ جزيرة في وسط البحر المتوسط ظهرت فيها حضارة قديمة جعلتها أول دولة بحرية سادت في هذا البحر قبل الميلاد بالفى سنة تقريبا .. ولكن هذه الحضارة سرعان ما اندثرت ، وجاء الرومان فاحتلوا الجزيرة عام ٦٦ق.م. ولكن العرب أخذوها منهم واحتلوها عام ٨٢٥ ميلادى ولم يخرجوا منها الا في عام ٩٦٢ م . ثم جاء محمد على ، والي مصر ، فاخضع الجزيرة ثانية عام ١٨٢٤ وظلت الجزيرة تابعة لمصر حتى عام ١٨٥٢ .



٧ ـ جزيرتان من اكبر جزر البحر المتوسط يفصل بينهما مضيق عرضه ٩ أميال ،والسكان في كلتا الجزيرتين يتكلمون الايطالية،والجزيرة الجنوبية هي قطعة من ايطاليا، أما الشمالية فتمتلكها فرنسا التى اشترتها عام ١٧٦٨ من جمهورية جنوة الضعيفة .. وفي هذه الجزيرة الاخيرة ولد نابليون امبراطور فرنسا الشهير.

٨ ـ جزيرة نفي اليها زعيم الثورة العرابية في القرن الماضي احمد عرابي باشا ورفاقه الستة ومن بينهم محمود سامي باشا البارودي الذى جادت قريحته ، في هذه الجزيرة بشعر مؤثر في الحنين الى الوطن، مما يعد آية في البلاغة.

٩ ـ جزيرة تقع على مسافة ٦٠ ميلا من ميناء اللاذقية بسوريا كانت في السابق تحت امرة الفينيقيين ثم المصريين ثم الفرس واليونان والبيزنطيين والبنادقة والأتراك والانجليز .. واليوم تعيش في الجزيرة طائفتان مختلفتان ، دائمتا التناحر ، فما اسم الجزيرة؟ والجزيرة شهيرة من قديم بخامات النحاس .

١٠ـ الى هذه الجزيرة الواقعة جنوب شرقى افريقيا نفي الملك محمد الخامس ملك المغرب .. وكانت هذه الجزيرة ضمن الاسرة الفرنسية ولكنها استقلت عام ١٩٦٠ وابدلت اسمها .. فما هو هذا الاسم القديم او الجديد ؟

٧ ٦ ٥

١٠ ٩ ٨

شروط المسابقة

١ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ _ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي _ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣١ » .

٤ _ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩.

٥ _ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

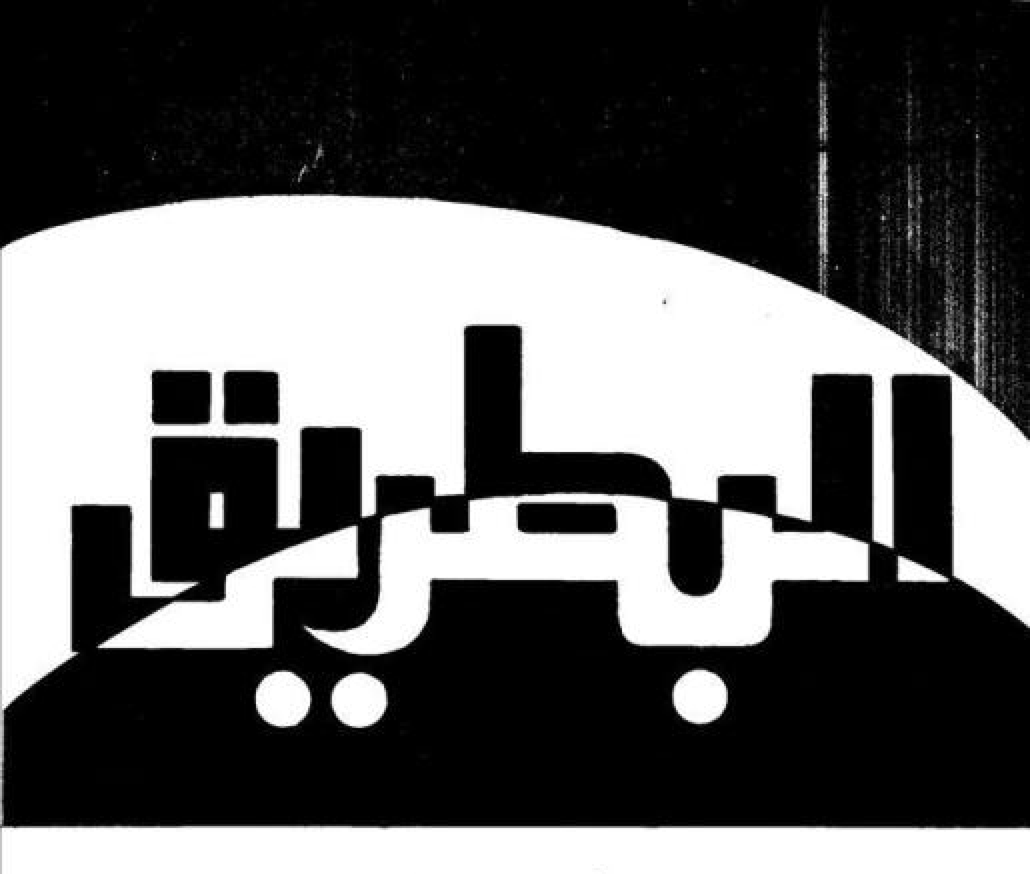
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .





البطريق

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ انه البطريق

اسمه بالانجليزية بنجوين Penguin .

واسمه بالفرنسية منشو Manchot .

وهو طير لم ير تلك البلادَ قط . فلا البلادَ العربيــة راى . ولا البــلادَ الانجليزية . ولا الالمانية ولا الاوروبية . ذلك انه طير لم يخــرج عــن النصــف الجنوبي من الكرة الارضية ليرَى ، او ليراه أحدٌ من اهل هذه البلاد .

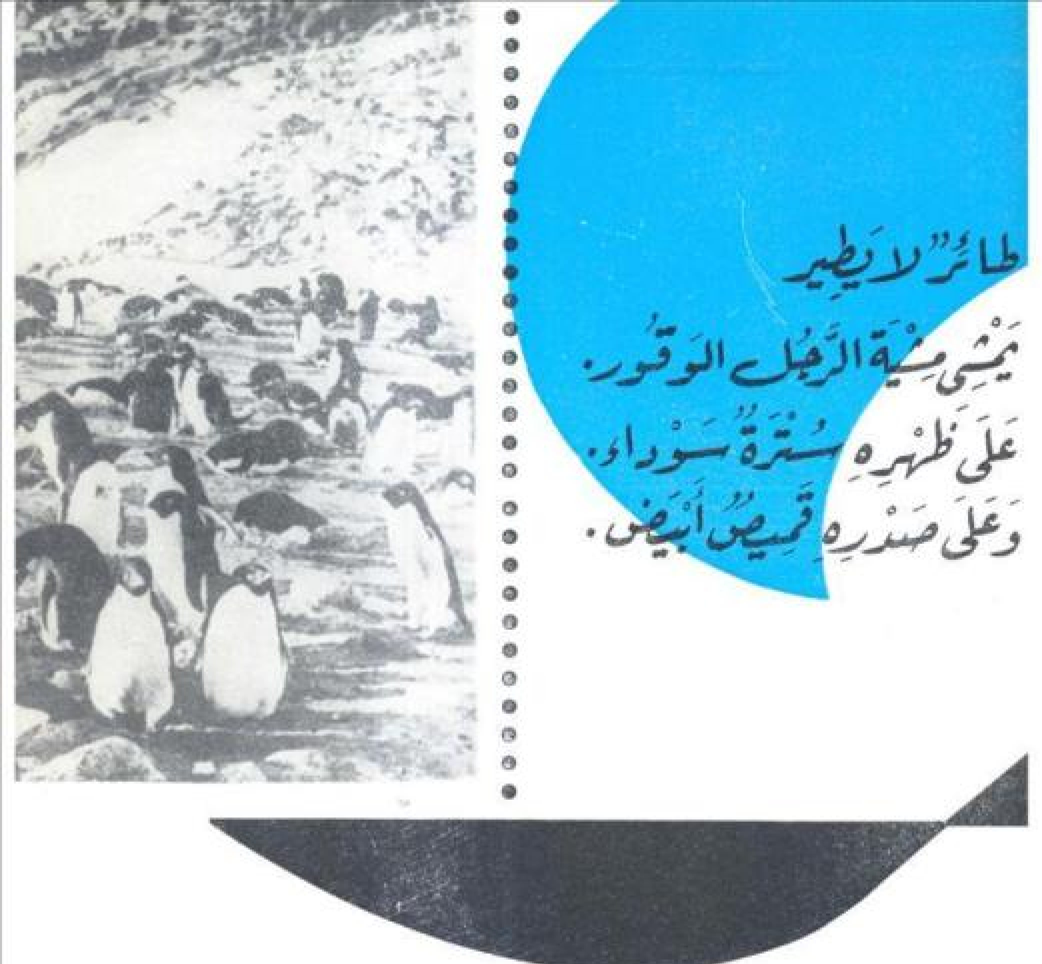
طير لا يطير

واعانه على ان يقبع حيث هــو مــن مواطنه ، فيما اعان ، انه طير لايطير .

ان له جناحين ولكن بغير قوادم يطير بها . وهما جناحان ضيقان يستخدمهما للتجديف بهما فى الماء .

وقد قيل فيما قيل سببا فى عجز هذا الطائر عن الطيران انه كان يطير فى سابق الزمان ، فلما استقر على الارض ، ووجد غذاءه كلَّ الغذاء وايسره فى الماء ، مــاء البحر ، حيث استقر على شاطئه ، لم تعد به حاجة الى الطيران . وبالتدرج فقد القدرة عليه .

وقيل غير ذلك .



طائرٌ لا يطير

يَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ الوَقُورِ . عَلَى ظَهْرِهِ سُتْرَةٌ سَوْدَاء . وَعَلَى صَدْرِهِ قَمِيصٌ أَبْيَض .

وهو يتزل من الارض منازل بعيدة عن العمران ، فى المناطق الباردة ، وعلى ثلوج القطب الجنوبى ، فوق القارة التي تعرف اليوم بقارة القطب الجنوبى . ومنه صنوف تذهب شمالا . ولكنها قلة قليلة منه تلك التي قد تصل الى خط الاستواء ، وخاصة الى جزائر جالاباجوس Galapagos ، فى المحيط الهادى ، قبالة بلاد اكوادور .

وهي فى مساكنها هذه الواسعة ، المنعزلة ، تعيش وتتوالد . وتهبط الى البحر تطلب رزقها ، وتسبح فى الماء خيرا مما يسبح السمك ، وتغطس خيرا من غطسه ، وتسابقه فتسبق ، فهي فى السباحة ماهرة . ووجب ذلك ، لان السمك طعامها، وطعام ما خلفت وراءها على الارض من صغار ينتظرونها .

والطير البطريق يجتمع على الارض زمَرا زمرا ، قد تبلغ مئات الالوف عددا ، وذلك فى المقفدة الواحدة Rookery ، وهي المكان الذى فيه تجتمع هذه الطيور وامثالها وتتوالد .

والطائر البطريق تراه واقفا فتكاد تحسب انه يمثل ابن آدم بقامته المديدة

المستقيمة . ووقعت قدماه من جسمه الى وراء ،فزاد ذلك فى شبهه بالانسان. وحمل على رأسه السواد فكأنما هو قبعة ، وعلى ظهره السواد أو الزرقة الداكنة فكأنها المعطف . وابيضّ صدره فكأنه القميص الابيض . ومشى فنقل قدما من بعد قدم ، فى تؤدة ، وفى رزانة ، وحمل جسمه أثناء ذلك فى احترام يغريك بالضحك لما بين ملبسه هذا ، وقوامه وحركاته ، من شبه لامثالها فى الانسان .

وللكاتب الفرنسي الكبير اناتول فرانس Anatole France ، قصة خيالية زعم فيها ان احد الخطباء وقع ، وبصره ضعيف ، فى مجموعة من هذا الطير ، حسبها بعض خلق الله ، فانبرى يخطب ، ثم انجلى الكلام فاذا به يخطب لقوم غير من عرف .

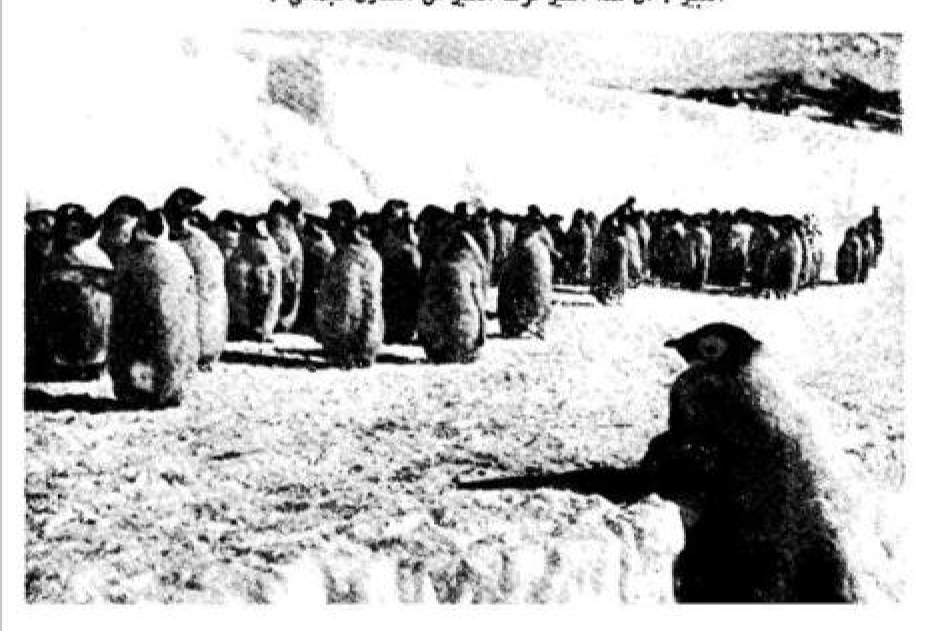
ويزيد فى اعجابك بهذا الطير انه يبدو دائما هادىء النفس لاتزعجه الاحداث .

توالـده

وفى هذه المنادف يبيض الطير ، بيضة او بيضتين ، تسقطهما الام فى حفرة صغيرة كائنة ما تكون من الارض . وتتفقس البيضة عن فرخ صغير مغطى بالزغب ، فى حاجة الى عناية طويلة حتى يشتد . وتقوم على ذلك الام والاب معا. وكثيرا ماتاتي الجيران فتطعم الفرخ .

وبلغ التعاون فى مجتمع البطارقة ان الكبار تخرج الى البحر تصطاد بعيدة عن مساكنها ، ولكن يبقى مع الصغار نفر من الرجال يقومون على حراستها . وتنظر الصغار قائمة منتظمة هادئة صفا صفا فتحسب انها المدرسة ، حدائق الاطفال ، قد سبق هذا الطير الى اصطناعها .

مدرسة هذه ، وهذا استاذ ؟! نعم ، كادت ان تكون . ان الافراخ الصغيرة من البطارقة الاباطرة ذهب آباؤها وامهاتها للصيد فى البحر ، وتركوها فى خفارة هذا البطريق الكبير . ان هذا الطير عرف الكثير من التعاون الجماعي .





طائفة من البطريق الاديلي عادت الى شطئانها المعتادة للتوالد وذلك في اكتوبر (هو الربيع في النصف الجنوبي من الارض) وذلك بعد أن قضت شتاءها على الثلوج في أواسط المحيط .

انواع البطريق

انه انواع كثيرة

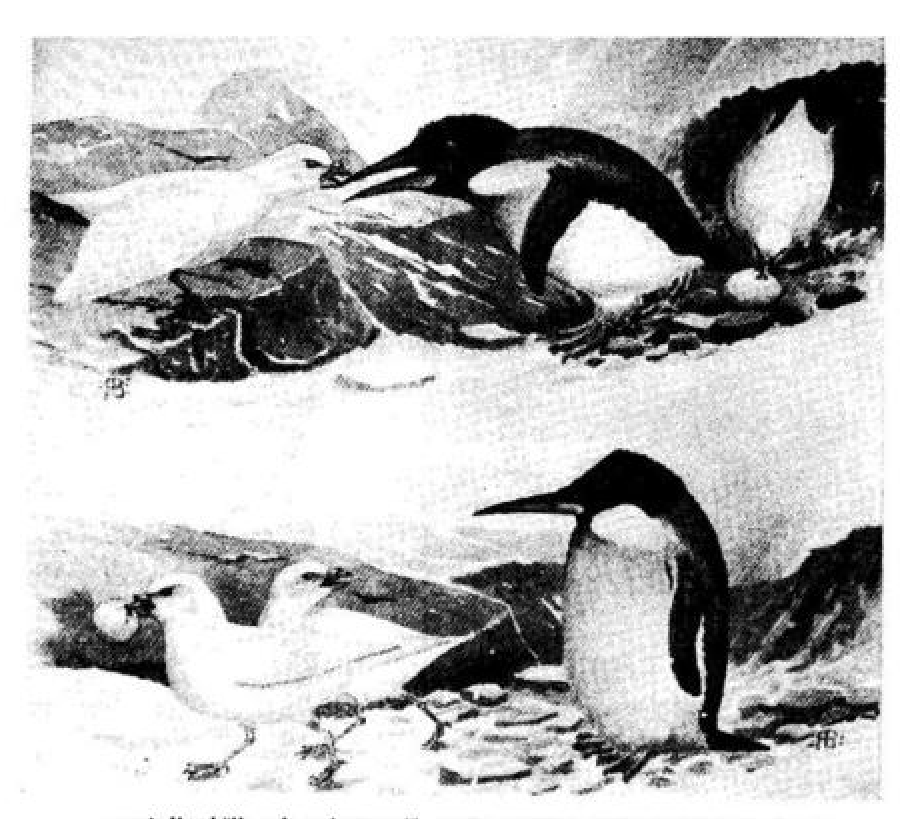
اكبرها البطريق الامبراطور Emperor Penguin ، ويبلغ طوله بين ٣و٤ اقدام ، وانثاه تبيض البيضة الواحدة ، وهى تتفقس في ثلوج القطب الجنوبي والشتاء في اشده ، حين تكون درجة الحرارة هبطت الى نحو ٤٠ درجة تحت الصفر . ذلك ان الانثى تضع بيضتها في مايو حين يكون ليل القطب الجنوبي بلغ غاية في التقاصر .

وعندما تبيض الانثى البيضة يتولى امرها الذكر . انه يضعها فوق قدمه لتدفأ ، ويعينها هناك على الدفء ريش البطن المتدلي فهو يغطيها . ويظل يحتضن البيضة شهرين حتى تفقس يكون فيها غالب الريح وذاق المرّ ، وفقد ٢٥ رطلا من وزنه ، وهي نحو الثلث ، وعندئذ فقط تأتي الأم ، وقد طعمت حتى اشتدت ، لتحل محل الاب وتعفيه مما هو فيه . وتطعم فرخها .

ومن غريب امر هذا الطير ان حاضن البيض ، اذا تعب ، وكان امامه طير

بطريق من شواطىء جنوب افريقيا Humbolt Penguin





هذا طير البطريق، جاءه هذان الطائران الابيضان يسرقان ، وهما من طيور القطب الجنوبي . واحتال احد الطائرين فذهب يناوش البطريق من امام . فلما تحرك البطريق يطارده ، كشف عن عشه فعن بيضته . فانتهز الطائر الابيض الاخر هذا الوضع وسرق البيضة . وذهب اللصان مطمئنان بما كسبا . وبقي البطريق المسكين لايكاد يدرى مما حدث شيئا . اما الطير السارق فاسمه Sheathbill وهو يسرق ولا يدرى انه فعل مالا يحمده الخلق الكريم . ان فى الطير قانونا غير قانون البشر .

ليس له بيض ، دحرجَ اليه بيضته فتلقاها هذا الآخرُ وقام بحضانتها .

ويأتي بعد البطريق الامبراطور ، البطريقُ الملِك ، وهو الثاني فى صغر حجم . وهو يبيض البيضة الواحدة كالامبراطور ، وعوائده مثله عموما .

الا انه يسكن فى مساكن اقرب الى الشمال لهذا كان اقرب ان تناله يد الانسان .

ثم صنوف اخرى عديدة من هذا الطير ، تصغر هذين ، وتمتد مساكنها شمالا . ومنها مايوجد فى جنوب افريقيا .

ومن اصغر هذا الطير البطريق الصغير الذى يعيش فى البحار حول استراليا ونيوزلندة، ويبلغ من الطول قدما واحدة، وريشه الذى على ظهره ليس اسود وانما رمادى ازرق .

على انه يوجد فى مناطق الثلوج بالقارة القطبية الجنوبية بطريق صغير ، منتشر هناك ، وعلى الجزر التى حول القارة ، وهو المعروف بالبطريق الاديلي Adelie Penguin وهو اسم شاطىء هناك ●●

احمد زكى



حديث الحجر

"وقفة في ميدان الباستيل"

بقلم الشاعر عزيز اباظه

مُعتقَلٌ نطاقٌ مرفوعَ الذُّرى … دُكَّ فانقضَّ فأمسى خبرا

جعلَ القومُ عليه آيةً … نُصُباً يروى الأمورَ الكُبَرا

حجرٌ يلحظهُ الدهرُ إلى … يومَ يُطوى ضارعاً مُنبهرا

خضخضَ التاريخَ فاهتزَّ كما … هزَّت النكباءُ غُصناً ثمِرا

فهفا يخفضُ في حضرتهِ … رأسَه مُختشعاً منعفرا

قال والنَّشوةُ في غُرَّتهِ … كافحَ الإنسانُ ثم انتصرا

كان حتى أمسِ عبداً بشَرا … فاستوى اليوم إلاهاً بشَرا

★ ★ ★

حجرٌ أزرقُ قد تفرَّستَ به … لم تَشُمْ عيناك إلاَّ حجَرا

أدكنَ اللونِ وفي دُكنتهِ … ألَقُ النورِ إذا النورُ سَرى

يا لأشلاء عليه ودمٍ …. … أنشرا الحقَّ وكان اندثرا

ليس حياً ضارعٌ منخذلٌ … موثرٌ دون مُناهُ الحذرا

إنما الحيُّ من انصبَّ على … ظالميه حمماً مُنصهِرا

يتحدَّى كلَّ من دافعه … عن مقام الحرِّ حتى القَدَرا

★ ★ ★

طُفتُ حوليهِ أناجيه كما … طفتُ في بطحائها مُعتمرا

إنه منها ! ألم يهدِ الورى … فاهتدى بالمُثُل العليا الورى

قلت حدثني فإنا أمة — نفضت حاشدة عنها الكرى

ومضت تسعى إلى غاياتها — تركب اليسر لها والعسرا

قال لي ثورتكم نقدرها — كرمت فرعا وطابت عنصرا

ثورة كانت دماها وشلا — وهي في الثورات تجري غدرا

لم نكن في كرهنا مثلكمو — بل ركبناه عراما أشرا

فقتلنا ونفينا زمرا — وهتكنا وفضضنا سترا

وأكلنا في سعار كلب — محسنا أبلى ونذلا غدرا

كانت التهمة - إن يقذف بها — وهي خرقاء - دليلا سفرا

ثم دب الذعر في أقطابها — فطوى كل لكل غررا

ثم أفضينا لما تعرفه — فندمنا الندم المستعرا

قلت ما هذا الذي أنشده — لم تزد عمنا وعينا خبرا

قال هل يبذل نصحا حجر — قلت قد تقدر مصر الحجرا

إنها تقرأ في أهرامها — سورا مزدحمات صورا

عزة جللها الفن سنا — وكساها الظلم وشيا نضرا

يجرم الظلم فإن خلد في — جرمه فخر القرون اعتذرا

قال لا تنحرفوا عن كرم — إن في إهداره المنحدرا

إنما الثورات في ميلادها — رجفة الكبت إذا ما انفجرا

فإذا أوفت إلى أهدافها — فاحطموا الناب وهضوا الظفرا

ادفنوا الماضي . من في دهره — لم يسىء . كل جواد عثرا

لا تقولوا فئة ظالمة — إن فيهم - قد علمنا - غررا

أو تقولوا أوجه مخلقة — يعتق الخمر فيزكو سكرا

ليس يجديكم ولا يكرمكم — أن تشلوا الكافي المقتدرا

ليست الخبرة إلا ثمرا — للتجاريب فصونوا الثمرا

لا تبيتوا بصدور تغلت — لن يحل الفضل صدرا وغرا

فاقرنوا الصفح إلى العدل فما — صفح العادل إلا كبرا

واحشدوا أمتكم في نسق — واجمعوا الشمل وشدوا بالعرى

واركبوا الصبر إلى مطلبكم — تبلغوه والفتى من صبرا

غلب الأيام من عايش في — سفرها أحداثها فاعتبرا

★ ★ ★

هكذا قال فأثبت وما — ساق لي إلا الحجى والبصرا ■■



بقلم : الدكتور علي أحمد علي

عميد المعهد التجارى بالزقازيق

■ يطلق لفظ « جماعة Group » على مجموعة من الأفراد يتعاملون ويتفاعلون سويا في سبيل تحقيق هدف مشترك . ويختلف عدد افراد كل جماعة ، فقد تتكون جماعة من فردين ، في حين تتكون جماعة أخرى من الوف الأفراد . وقد يكون الهدف الذى تسعى الجماعة الى تحقيقه ظاهرا واضحا ، وقد يكون الهدف مضمرا ولكنه مفهوم في غير تصريح .

كل فرد عضو في عدد من الجماعات في وقت واحد

وكل فرد يكون في العادة عضـــوا في عدد من الجماعات في وقت واحد . وقد تتغير عضوية الفرد في هذه الجماعات بمرور الأعوام وتقدمه في السن . فالطفل الصغير عضو في جماعة هي الاسرة ، وقد يكون عضوا في جماعة هي فصله في المدرسة . والشخص الراشد يعتبر عضوا في الجماعة التي يعمل معها ، وقد يكون عضوا في جماعة النادى الذى اليه ينتمي ، وذلك فوق عضويته في الجماعة التي ننتمي نحن اليها جميعا ، التي هى الاسرة. في حين قد يكون شخص آخر عضوا في جماعة سياسية أو جماعة دينية أو جماعة علمية بالاضافة الى ما تقدم ذكره من جماعات .

والجماعات تؤثر تأثيرا كبيرا على الفرد . فهي تؤثر على سلوكه وتفكيره ، كما تؤثر على اتجاهاته وانتاجه المادى والعقلي ، وهو ما سنوضحه تفصيلا في هذا المقال .

وأثرها على الفرد

أنواع الجماعات

هناك أنواع كثيرة من الجماعات ، تختلف حسب أهدافها ، أو عدد أعضائها أو طول مدة بقائها .

من الجماعات ما هو أولى وما هو ثانوى

وخير ممثل للجماعة الأولى — Primary Group هي الاسرة . وتتميز الاسرة كجماعة بقلة عدد أفرادها ، وبأن التفاعل يتم بين أعضائها بصورة مباشرة . كما أن التعامل بين أعضاء الاسرة تسوده التقاليد عادة .

والاسرة كجماعة أولية لها أثر كبير في الأفراد لان الفرد يقضي فيها معظم سنوات حياته الأولى ، لذا تؤثر الاسرة على نمو الفرد الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي Emotional . كما أنه عن طريق الاسرة يكتسب الفرد الكثير من قيمه في الحياة واتجاهاته فيها .

اما الجماعات الثانوية Secondary Groups فمن أمثلتها جماعة المدرسة وجماعة النادى وجماعة العمل وغير ذلك من الجماعات .

ومن الجماعات ما له صفة الكلية أو صفة الجزئية

فالجماعة الكلية هي التي ينتمي اليها الفرد وتؤثر فيه تأثيرا كليا وتاما . فمثلا لاعب كرة القدم المحترف ، يعتبر فريق كرة القدم الذى هو عضو فيه ، جماعة كلية بالنسبة له . فاللاعب عن طريق انتمائه الى هذه الجماعة يحصل على شهرته ومجده وغالبية دخله الكبير . ولهذا فان هذه الجماعة الكلية لها تأثيرها الكبير على اللاعب . فهي تحدد سلوكه وأسلوب حياته واتجاهاته ، وكثيرا ما تتحكم هذه الجماعة حتى في طريقة مأكله ومشربه ونومه .

فالجماعة الكلية هي تلك الجماعة التي ينتمي اليها الفرد بحيث تكون هذه الجماعة هي كل شيء تقريبا بالنسبة له ، وتستحوذ على شخصية الفرد بأكملها .

اما الجماعات الجزئية فهي التي تشمل الفرد شمولا جزئيا ، فالكثير من الجماعات التي ينتمي اليها الفرد تعتبر من الجماعات الجزئية . فالنقابة أو النادى تعتبر من الجماعات الثانوية بالنسبة للمعلم مثلا ، وعادة ما يكون تأثيرها عليه محدودا لدرجة كبيرة .

ولا يتوقف وصف الجماعة بالكلية أو الجزئية على الوقت الذى يقضيه الفرد فيها . فقد تكون الجماعة كلية بالنسبة لشخص معين بالرغم من انه لا يقضي في هذه الجماعة الا جزءا ضئيلا من وقته ، لكن يكون الفرد متشبعا بآراء هذه الجماعة واتجاهاتها ، وقد يكون منغمسا في نشاطها بالرغم من قصر الوقت الذى يقضيه فيها .

ومن الجماعات ما هو دائم وما هو وقتي

فالجماعات تختلف في درجة دوامها . فالأمة كجماعة أكثر دواما واستقرارا من غيرها من الجماعات . في حين نجد أن الجمهرة Crowd تعتبر من الجماعات المؤقتة ، فالناس يتجمهرون

معا لوقت قصير قد يكون دقائق أو ساعات ، ثم ينصرف كل منهم الى حال سبيله ولا يرى الواحد منهم الآخر بعد ذلك . كجمهرة تتألف في الطريق بسبب وقوع حادث سيارة، او نار شبت في عمارة. ويتجمع الناس ، وقد يحدث بعضهم بعضا . وينصرفون ولم يعرف حتى بعضهم بعضا .

والواقع أن الجماعة كلما كانت اكثر استقرارا ودواما كان اثرها على أفرادها كبيرا .

الدور الذي يلعبه الفرد في مختلف الجماعات

لا شك ان كل فرد عضو في جماعة له دور Role يقوم به في هذه الجماعة . وقد تزيد وتتعدد الأدوار التي يقوم بها بعض الأفراد ، اذ نجدهم يقومون بدورهم كآباء وكعاملين ، كما قد يقومون بدورهم كأعضاء في بعض الجماعات الرياضية والدينية والسياسية وغيرها .

وبعض هذه الأدوار التي يقوم بها الفرد في الجماعة قد يكون بسيطا ، بحيث لا يحتاج من الفرد الى قدر كبير من الذكاء أو المهارة أو الاعداد .

ولعل أسهل الأدوار التي يمارسها الفرد في الجماعة هو ما كان قائما على مجرد عضوية الجماعة ، دون أن يتحمل الفرد أي مسئولية محددة في نشاطها .

وقد يعرض الفرد جوانب مختلفة من شخصيته عندما يخرج من أحد الأدوار لكي يدخل دوراً آخر ، وذلك عندما يخرج من جماعة الى جماعة فالعامل الماهر عند قيامه بهذا الدور يتصرف في مصنعه ويظهر بمظهر العامل النشيط الذي يعرف جيدا واجباته وحدود عمله ، كما يبدو مطيعا لرئيسه ، ينفذ الأوامر والتعليمات بمنتهى الدقة والسرعة . ولكن مثل هذا العامل عندما يكون في بيته ، وعندما يمارس دوره كرب الاسرة قد يظهر جوانب اخرى من شخصيته . فهو في البيت السيد المسيطر الذي يريد من جميع افراد أسرته طاعته دون مناقشة . وهو الذي يتخذ القرارات الهامة في البيت . وهذا العامل قد يظهر جوانب اخرى من شخصيته عندما يحضر اجتماع النقابة كأحد الأعضاء ، أو يحضر اجتماعا لمجلس الآباء في مدرسة ابنه .

والدور الذي يلعبه الفرد في أية جماعة يترك آثاره في شخصية الفرد ، لذلك فاننا نتوقع أن يتصرف الطبيب كطبيب ، والواعظ كواعظ ، والوالد كوالد . وهناك من يقول بانه يستطيع ان يتعرف على مهنة شخص ما من مظهره وكلامه وسلوكه ، اذ ان المهنة تترك بصماتها على شخصية الفرد .

والفرد عندما يخضع لقوانين ونظام الدور الذي يلعبه يتبنى الكثير من عادات وطرق التفكير والاتجاهات وأساليب السلوك السائدة بين الأفراد الآخرين الذين يقومون بمثل دوره . فالجندي يتصرف بما اصطلح عليه الجند من تصرف . والعامل يعمل وفق المستويات والمعايير السائدة ، ويتبنى اتجاهات وقيم غيره من العمال ويتفاعل معهم كما يتفاعلون معه .

العوامل التي تحدد الادوار التي يقوم بها الفرد في جماعة ما

هناك عوامل كثيرة تحدد دور الفرد في جماعة ما . وبعض هذه العوامل كامن في الفرد نفسه ، وبعضها موجود في الوضع الاجتماعي نفسه Social Situation .

مثال ذلك العمر ، فهو يحدد الدور الذي يلعبه الفرد . فالطفل الصغير ادواره التي يقوم بها في محيط الاسرة او في محيط رفاق اللعب ، اقل من ادوار الصبي الأكبر منه عمرا .

وكلما تقدم الانسان في العمر ، تعددت وتنوعت الأدوار التي يستطيع الفرد القيام بها في الجماعة .

والأفراد في اختيارهم للادوار التي يقومون بها في مختلف مراحل حياتهم عادة ما يكونون مقيدين بحدود ذكائهم وقدرتهم وتعليمهم وخبرتهم وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك . ولكن هناك ظروفا تحدد الدور الذي يلعبه الفرد ، دون أن يكون للفرد ، أو قدرته يد فيها . فقد يضطر الفرد للحصول على عمل معين لا يناسبه ، لأنه محتاج فعلا لهذا العمل ولا يوجد غيره . وقد ينتخب

شخص لعضوية حزب سياسي لا بسببقدر كفايته ولكن لان والده احد المؤسسين لهذا الحزب . وذلك يوضح كيف أن بعض الأدوار قد تفرضها الظروف على الفرد فرضا .

فالفرد فى حياته كالممثل على المسرح ، يقوم بتمثيل ادوار كثيرة متنوعة ، وقد يتقن بعض هذه الادوار دون غيرها . وعادة ما تترك هذه الادوار التي يقوم بها الفرد فى حياته بصماتها وآثارها على شخصية الفرد .

كيف تؤثر الجماعة فى الفرد ؟

تستطيع الجماعة ان تؤثر فى الفرد تأثيرا كبيرا عن طريق التوافق والتطابق Identification فالطفل فى الاسرة يكتسب الكثير من العادات والاتجاهات والقيم وأساليب السلوك عن طريق التقليد فالمطابقة بين نفسه وابيه . فالطفل مثلا قد يقلد شخصية والده بمعنى انه يحيا حياة ابيه فى بعض النواحي ، فيمشى مشيته ، ويتحدث حديثه ، ويسلك سلوكه ، وينفعل انفعالاته . فمن طريق هذه المطابقة يكتسب الطفل الكثير من الصفات عن طريق الاسرة . وعن طريق المطابقة تفرض الاسرة ـ وهي من الجماعات الأولية ـ اثرها فى الطفل .

وهكذا فى مختلف نواحي الحياة فان الفرد يأخذ من شخصية الجماعة التي ينتميإليها سواء أكانت هذه جماعة عمل ، ام جماعة سياسة، أم اجتماعية ام غير ذلك ، وعلى هذا فكل جماعة تترك آثارها فى سلوك الفرد واتجاهاته وتفكيره .

فالشخص الذى ينتمي الى جماعة الاطباء أو المحامين أو المعلمين عادة ما يتبنى الاخلاق والآداب السائدة بين افراد هذه الجماعة ، كما انه يحمل نفس مشاعرهم ويسعى لتحقيق اهدافهم المشتركة . وقد يؤدى انتماؤه الى هذه الجماعة ايضا الى أن يصبح هذا الفرد متفقا مع الجماعة الى حد كبير فى اتجاهاتها نحو الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية والتي تتصل بالمهنة .

والجماعة لها ضغوطها الخاصة التى تفرضها على اعضائها اذا هم انحرفوا او ابتعدوا عن معايير الجماعة . وهذه الضغوط الاجتماعية Social Pressures تدفع اعضاء الجماعة الى الخضوع للمستويات الموضوعة بواسطة الجماعة للسلوك والتفكير .

تجربة فى اثر الجماعة فى سلوك الفرد

ومن بين التجارب المعروفة التي اجريت لبيان اثر الجماعة فى سلوك الفرد وتفكيره وتقديره للمواقف ، تلك التجربة التي اجراها احد علماء النفس الاجتماعي بالولايات المتحدة على جماعة مكونة من عدد من الاشخاص . وتتلخص التجربة فى عرض بطاقة على الجماعة مرسوم عليها خط مستقيم بطول معين ، ثم تعرض على الجماعة بطاقة اخرى مرسوم عليها ثلاثة خطوط،بحيث يكون احد هذه الخطوط مساويا فى الطول للخط المرسوم على البطاقة الأولى . ويطلب من الشخص أن يميز الخط الذى يساوى فى الطول الخط الأصلي .

وكانت الجماعة موضوع التجربة تتكون من عدد من الافراد ، جميعهم سوى واحد منهم فقط ، قد وُجهت تعليمات اليهم قبل اجراء التجربة بان يعطوا حكما واجابات غير صحيحة ، وعلى هذا لم يترك فى المجموعة سوى شخص واحد عليه ان يصدر احكامه حسب ما يعتقد أنه الصواب والصحيح . وقد كان هذا الشخص لا يعرف شيئا عن التعليمات التي صدرت لزملائه باعطاء احكام واجابات خاطئة .

وقد بدات التجربة بأن طلب من كل فرد من افراد الجماعة أن يحدد من بين الثلاثة الخطوط الموجودة على البطاقة الثانية الخط الذى يساوى فى الطول الخط المرسوم على البطاقة الأولى . وقد صممت التجربة بحيث يذكر جميع افراد المجموعة الاجابة والحكم الصحيح فى المحاولتين الأوليين . وقد ظهر من هاتين المحاولتين أن حكم الشخص الذى ترك بلا تعليمات لكى يقدر الموقف حسب ادراكه كان صحيحا فى كل مرة .

وعندما عرضت على افراد الجماعة ازواج أخرى من البطاقات ، بدأ افراد الجماعة ـ كما سبق أن اتفق ـ فى اعطاء اجابات خاطئة واحكام غير صحيحة عن الخطوط المتساوية فى الطول . وقد ترك هذا الوضع الشخص الوحيد الذى لم يتلقَ تعليمات فى حيرة

من أمره ، وبدا عليه الارتباك والحيرة لأنه وجد ان اجاباته جاءت غير متفقة مع جميع أفراد المجموعة الآخرين وظهر عليه الاحراج . فقد كان فى صراع بين ما يراه بعينيه حقيقة وبين ما يقرره جميع افراد المجموعة الآخرين .

وقد بدأ هذا الشخص يعدل ويغير من اجاباته الصحيحة ويعطى اجابات خاطئة حتى تأتي متفقة مع آراء الجماعة .

وقد تكررت نفس التجربة السابقة مع جماعات اخرى . وقد لوحظ أن هناك فروقا فردية بالنسبة لخضوع الأفراد لرأى الجماعة وحكمها .

وقد أثبتت التجربة السابقة وغيرها من التجارب أن خضوع الفرد لرأى الجماعة عادة ما يكون أكثر احتمالا اذا كان جميع أفراد الجماعة بلا استثناء يوافقون على هذا الرأى، وكذلك اذا كان عدد أفراد الجماعة الذى يجمعون على هذا الرأى كبيرا . فاتفاق جماعة فيها عدد كبير من الافراد على رأى معين يجعل من الصعب على أحد أفرادها الخروج على هذا الرأى أو معارضته حتى لو اعتقد فى عدم صحته ، ذلك لأن ضغط الجماعة على الفرد فى هذه الحالة عادة يكون كبيرا .

وأثر الجماعة فى انتاج الفرد بالتيسير والكبح

لا شك أن المجتمعات الحديثة تهتم بالانتاج فى العمل ، وتعتبر الانتاج هو السبيل لتحقيق الرفاهية ومستوى معيشة مناسب لجميع المواطنين ، لذلك فانه يهمنا أن نتعرف أثر الجماعات على انتـــاج الأفراد .

وقد لوحظ ان الانتاج اليدوى الذى يعتمد على العضلات الكبيرة ، ولا يحتاج الى قدر كبير من الدقة والتركيز يزداد عادة اذا ما مارسه الفـــرد فى وجود عدد من الزمـــلاء الذين يقومون بنفس العمل . وقد لوحظ أيضا ان سرعة الانتاج وزيادة كميته تزداد عادة نتيجة لرؤية الزملاء الذين يقومون بأوجه نشاط مماثل أو سماع أصواتهم . ولا ترجع هذه الزيادة أساسا الى عامل المنافسة ولكن ترجع الى عوامل الاثارة .

ويطلق على عملية ازدياد كمية النشاط الذى يقوم به الفرد نتيجة لوجوده مع غيره من الافراد كلمة التيسير الاجتماعي Social Facilitation .

واذا كان التيســير الاجتماعي يعنى ازديادا فى السرعة أو فى كمية النشاط ، الا أنه لا يتضمن عادة تحسنا فى مستوى الأداء . فقد أثبتت التجارب أن الاعمال التى تتطلب دقة كبيرة تتم بصورة افضل عندما يقوم بها الفرد بمفرده بمعزل عن غيره، وكذلك الحال بالنسبة للأعمال التي تتطلب تفكيرا وتركيزا خاصا .

وهناك عملية مضادة للتيسير الاجتماعي ويطلق عليها الكبح الاجتماعي Social Inhibition وهي تتمثل فى هبوط مستوى اداء الفرد نتيجة لوجوده فى الجماعة . فالفـــرد كثيرا ما يعجز عن التفكير الهادىء اذا وجد فى وسط عدد كبير من الأفراد . وغالبا ما نجد الكثيرين من الأفراد لا يستطيعون التفكير الجيد المنظم اذا وقفوا بين جماعة من الناس لالقاء خطبة فيهم . وقـــد لوحظ أن لاعب كرة السلة يستطيع عادة أن يصيب الهدف بدقة أكبر أثناء فترة التدريب أكثر مما يستطيعه أثناء مباراة حقيقية بين جمهور كبير من المتفرجين .

ويختلف مدى تأثر الفرد بالكبــح الاجتماعي باختلاف درجة الحساسية الانفعالية للفرد ، ومدى قابليته للايحاء والتأثر الاجتماعي .

ومن آثار الجماعة على انتاج الفرد ما لوحظ من اتجاه انتاج الفرد الى الاقتراب من المستوى العام Standard لانتاج الجماعة . وعلى هذا يتجه الفرد الى الابطاء اذا كان انتاجه أسرع بكثير من المستوى العام لانتاج الجماعة . وعلى العكس فان الفرد الذى يقل انتاجه كثيرا من المستوى العام يعمل عادة على الارتفاع بانتاجه حتى يصـــل الى المستوى العام . وقد يرجع ذلك الى ضـــغط الجماعة على الفرد . ولكل جماعة أساليبها المختلفة التي يمكنها عن طريقها الضغط على الفرد واجباره على اتباع معايير الجماعة والوصول بانتاجه الى المستوى الذى تحدده الجماعة. ولا شك أن ضغوط الجماعة تكون أكثر فاعلية عندما تكون متماسكة ، وعندما يكون انتماء الفرد لها مصدر اشـــباع لحاجاته .



اثبتت التجارب أن الاعمال التى تتطلب دقة كبيرة تتم بصورة افضل عند ما يقوم بها الفرد بمفرده بمعزل عن غيره

لوحظ أن لاعب كرة السلة يستطيع عادة أن يصيب الهدف بدقة أثناء التدريب أكثر مما يستطيعه أثناء مباراة حقيقية بين جمهور كبير .

الفرد أيضا يؤثر فى الجماعة

واخيرا لنا ان نتساءل : اذا كانت الجماعة لها هذا الأثر الكبير فى الفرد ، فما هو أثر الفرد فى الجماعة ؟ .

الواقع ان الجماعة تتكون من مجموعة من الأفراد قل عددهم أو كبر . فاذا صلح هؤلاء الأفراد صلحت الجماعة ، واذا فسدوا فسدت الجماعة . ولا شك أن قوة الجماعة فى قوة أعضائها. فالجماعة التي تتكون من أفراد على مستوى من الوعى والمسئولية والثقافة ، افضل ولا شك من جماعة يتكون أعضاؤها من مجموعة من الأميين قليلى الثقافة والمقدرة .

والفرد يؤثر فى الجماعة ايا كان موقعه فيها . وسواء أكان فى موقع القيادة أو فى الاتباع فالدور الذي يقوم به فى الجماعة يؤثر فى الجماعة كلها ، ويؤثر بالتالي فى جميع أفرادها .

وهذا يقودنا الى المناقشة التقليدية فى مدى التعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وخلاصة هذه المناقشات التي امتدت عبر القرون ، انه فى حقيقة الأمر وجوهره لا يوجد أى تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . وانه اذا تحققت مصلحة الجماعة تحققت بالتبع مصلحة الفرد .

وكذلك فان فى تحقيق مصلحة الفرد واجابة مطالبه المشروعة واشباع حاجاته الأساسية ، قوة للجماعة التى ينتمي اليها الفرد . فافراد القوم أو الجماعة هم أساس هذه الجماعة ان هم سعدوا سعدت الجماعة .

يجب أن يسود الجماعة جو صحي

وهذا الجو الصحي يتمثل فى اعطاء كل فرد من افراد الجماعة الفرصة للتعبير عن رأيه ، وفى اشعار كل فرد من أفراد الجماعة بقيمته فى الجماعة ، واتاحة السبل أمامه لكى يصل بآرائه وأفكاره الى كل المستويات فى الجماعة . كما أن كل فرد من أفراد الجماعة يجب أن يشعر أنه يستطيع أن يسهم ولو بجهد ضئيل فىخدمة الجماعةورفاهيتها، وأن يوضح امامه طريق بذل هذا الجهد .

ولا بد من الاهتمام بالقيادة فى الجماعات ، وتحقيق ديمقراطية هذه القيادة ، اذا اردنا أن يسود الجماعة جو صحي ، يؤدى الى توجيه جهد الجماعة وتماسكها فى سبيل تحقيق أهدافها المشتركة ، واذا أردنا رفع الروح المعنوية لأعضاء هذه الجماعة ، وتعبئة طاقاتهم وجهودهم . ■■

علي أحمد علي



قصة كاتب موريسكي

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ من الشخصيات البارزة فى الادب الموريسكى شخصية كاتب يمتاز بحياته الغريبة ، المشنجية ، وانتاجه الادبي القديم .

من هم الموريسكيون

ولا بد لنا ان نعرف أولا ان الموريسكيين Mouresques هم العرب المتنصرون من بقايا الامة الاندلسية المغلوبة ، وهم الذين عاشوا تحت الحكم الاسباني ، بعد ارغامهم على التنصر زهاء قرن من الزمان ، مذ سقطت غرناطة آخر حواضر الاسلام فى الاندلس فى ايدى الاسبان سنة ١٤٩٢ ، حتى اصدرت اسبانيا قرارها الشهير بنفيهم من اراضيها فى سنة ١٦٠٩ م . وفى خلال هذه الحقبة الطويلة عانى أولئك الموريسكيون ، الوانا مروعة من الاضطهاد المدني والديني ، ومن مطاردة ديوان التحقيق الاسباني ، وارغموا على ترك لغتهم العربية ، واتخاذ القشتالية لغة للتخاطب والتعامل ، واتخذوا لهم لغة سرية خاصة هي لغة « الالخميادو » الشهيرة وهي القشتالية المحرفة تكتب بحروف عربية، ليستطيعوا ان يحتفظوا بتراثهم الديني القديم .

ولهؤلاء الموريسكيين او العرب المتنصرين ادب خاص بهم ، « بالقشتالية والالخميادو » ومنهم من استطاع ان يحتفظ خلال الاضطهاد الغامر كذلك بلغته العربية القديمة .

هو احمد بن القاسم ، المعروف بالشهاب الحجرى

ومن هؤلاء كاتب لا نعرف اسمه الموريسكى النصراني ، ولكنه يتقدم الينا باسمه الاندلسي ، وهو احمد بن القاسم ابن احمد الفقيه قاسم بن الشيخ الحجرى ويعرف بالشهاب الحجرى ، ويعرف كذلك بآفوقاى ، وهو موريسكى من احواز غرناطة ، استطاع ان يغادر الاندلس حسبما يحدثنا في سنة ١٠٠٧ هـ ، (١٥٩٨ م) أعنى قبل النفى بأحد عشر عاما . وقد كانت مغادرة الموريسكيين لاسبانيا يومئذ من الامور الصعبة الخطرة . وكانت السلطات الاسبانية تتخذ كثيرا من اجراءات الحراسة المشددة للثغور والشواطىء تحوطا من فرار الموريسكيين الى الشواطىء المغربية . ومن ثم فقد كان فرار الشهاب الحجري من اسبانيا مغامرة مثيرة . ومن حسن الحظ ان الشهاب قد حكى لنا قصة فراره فى كتابه الذى سماه « رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب » . والاحباب هنا هم فيما يبدو اخوانه المسلمون فيما وراء البحر في عدوة المغرب .. ولكن هذه الرحلة لم تصل الينا مع الأسف ، ولم يصل الينا منها سوى شذور يسيرة نقلها بعض الكتاب المغاربة المتأخرين ، ومن هذه الشذور قصة فراره ، نقلها

.. والموريسكيون هم العرب المتنصرون فى الأندلس بعد أفول نجمهم فى تلك البقاع

الينا لحسن الحظ كاتب مغربي متأخر فى كتاب مخطوط عنوانه « زهرةالبستان ـ فى نسب اخوال سيدنا المولى زيدان »(١) وهى التي ننقلها فيما يلي . ومن المحقق ان رحلة الشهاب المفقودة هذه كانت تحتوى على معلومات هامة نفيسة عن احوال مواطنيه العرب المتنصرين ولعل البحث يظفر بها يوما ما .

استعد الشهاب سنين طويلة للفرار من اسبانيا

وقبل ان ننقل قصة فرار الشهاب الى المغرب ، يجدر بنا ان ننقل اولا ما يقصه علينا عن كيفية استعداده لهذا الفرار مدى اعوام طويلة خلال اقامته فى اسبانيا . وهو يقص علينا ذلك فى خاتمة كتابه المخطوط « العز والمنافع » الذى سوف نتحدث عنه فيما بعد وذلك على النحو الآتي :

« واقول اعلم ان أول ما تكلمت به ببلاد الاندلس كان بالعربية وكانت النصارى.. تتحكم فيمن يجدون يقرا العربية . فتعلمت القراءة الاعجمية للاخذ والاعطى ـ ثم الهمنى الله سبحانه ان اخرج من تلك البلاد الى بلاد المسلمين لما تحققت ان ... كانوا فى الثغور ، يبحثون عن كل من يرد عليهم لعلهم يجدونه اندلسيا مخفيا ليحكموا فيه ، لأنهم كانوا منعوهم من الثغور لئلا يهربوا الى بلاد المسلمين . فجلست سنين لتعلم الكلام والاخذ فى كتبهم ليحسبوا انى منهم ، ـ اذ امشى الى بلادهم للخروج منها لبلاد الاسلام . ولما ان جئت الى البلاد التي هي على حاشية البحر ، حيث هو الحرس الشديد ، وجلست بينهم ، فلم يشكوا فىّ بما راوا مني من الكلام والحال والكتابة ، وجئت من بينهم الى بلاد المسلمين . وبهذه النية تعلمت وبلغت فى كتبهم ولكل امرىء ما نوى . ثم رايت ان بسبب التعليم انه كان بنية القرب من الله ببلاد المسلمين ، فتح بذلك العلم المنهى عنه بيبان الملوك المسدودة عن كثير من الناس » .

قصة فرار الشهاب من اسبانيا

والآن فلننقل قصة فرار الشهاب من اسبانيا الى المغرب حسبما نقلها الينا من رحلته صاحب « زهر البستان » في اواخر كتابه قال :

« ففي رحلة شهاب الدين الحجرى الاندلسي المعروف بافوقاى قال : لما تغلب العدو .... على جزيرة الاندلس واستولى .... على من بها من المسلمين وبقوا تحت عقد النصارى ..... ، وفتنوهم فى دينهم،خرج متخفيا مجاهدا

(١) يوجد من كتاب « زهر البستان » نسخةخطية بخزانة الرباط الملكية تحفظ بها برقم ٢٢٧٤. وتوجد منه نسخة اخرى بخزانة الرباط العامة تحفظ بها برقم ٢١٥٢ وقد عولنا فى النقل على مخطوط الخزانة الملكية .

بدينه يطلب النجاة من بلاد النصارى الى بلاد المسلمين ، وذكر ما جرى فى طريقه الى ان ركب فى سفينة بمرسى شنتمرى (١) جاءت بالزرع للبريجة فرحل اليها . قال وصلنا الى البريجة فى يومين .

قال ، ودخلنا عند القبطان ، وسالنا من اين جئتم . واخبروه بأنهم من نصارى اشبيلية ، وانهم وقع لهم ما اوجب الخوف على رقابهم فهربوا الى البريجة (٢) قال ، وطلبنا منه الاذن في الرجوع الى بلادنا متى اردنا ذلك ، وكنا عزمنا على الهروب منها لبلاد المسلمين — وهنا نود أن نلاحظ أن قول الشهاب انهم وصلوا من شنتمرية الى البريجة في يومين هو قول لا يعتد به لان المسافة بين البلدين لا تقل عن ستمائة كيلو متر فى البحر ، وهذه المسافة يقتضي لقطعها بالسفينة البطيئة اسبوعين على الاقل لا يومين ، ولا بد أن هنالك تحريفا فى النص — .

يقول الشهاب : « فلما رأينا منعتها « اى البريجة » ، بالسور الذى عرضه ثلاثة عشر ذراعا والبحر دايرها من جهتين ، وخندقوا عليها من الجانبين الآخرين ، قال استعملنا الحيلة فى التخلص منها ، وبقينا فى استعمال الحيلة من الاقامة بها حتى جاءت سفينة من بلاد الاندلس وعزمت على الرجوع فقلت للقبطان ، أحب ان ارجع الى بلادى فى هذه السفينة ، واذا احتجت شيئا فى بلاد الاندلس ، اعطنى زماما ابعث به اليها ، قال فخرجت مع صاحباى عشية النهار بجميع ما نحتاج اليه من الطعام فى السفر ، ووجدنا قاربا صغيرا بالمرسى ينتظر من يركب فيه يمشى الى السفينة، فاعطيته الطعام وحوايج اللباس ، وبقينا ننتظر التاجر صاحب السفينة الى ان خرج من البريجة ستة من النصارى عيونا يتجسسون ليلا .. ويرجعون صبحا ، فمروا بنا ومضوا الى سبيلهم ، ونحن ننتظر التاجر حتى اظلم الليل ، فصلينا العشاء وقلت لصاحبى هذا وقت الخير ، ننجو فيه بأنفسنا ، من .... الى بلاد المسلمين ، فعدلنا عن الطريق التى نمشي فيها لأزمور مخافة ان تلحقنا خيل النصارى ، اذا احسوا بهروبنا ، ومشينا على حاشية البحر من جهة اليمين . ثم رأينا صومعة ببلاد المسلمين في رابطة تسمى طيط خالية من اهلها .

ولما بدا انشقاق الفجر اخلوا في البريجة النفض الكبير ، وخرج النصارى عن آخرهم فى طلبنا ، فدخلنا شجرة من الدروا ، وظللنا النهار كله حتى رجعوا ، وبقينا يوما نسمع حس البارود ، حتى ايسوا منا . ولما سمع قايد ازمور ، وهو القائد محمد بن القايد ابراهيم الشعيانى حس النفض الكبير ، علم أنه حدث في البريجة شيء عند النصارى ، وامر الفكاك ان يمشى عندهم ليتكلم فى بعض الاسارى ، ويعرف ما حدث عندهم . فلقيهم بالفحص وسالوه عن نصرانيين هربا من اشبيلية للبريجة ثم هربا من

---

(١) شنتمرية الغرب Sta. maria de Algarve هى ثغر اندلسى قديم يقع فى جنوبى البرتغال على شاطىء المحيط الاطلنطى وقد حل محلها اليوم ثغر « فارو » الحديث .

(٢) يجب أن نعرف ان اسم البريجة كان يطلق على الثغر الذى انشأه البرتغاليون فى سنة ١٥٠٦ على شاطىء المغرب الغربى على مقربة من غربى ازمور وهو الذى عرف فيما بعد باسم مازاجان Mazagan ، وقد كان يومئذ بيد البرتغاليين وقد انشأوا له اسوارا كثيفة من الحجر ويطلق عليه اليوم اسم « الجديدة » وهو يعتبر ثغر مدينة مراكش وولاية دكالة . ويبعد عن شمالى مراكش نحو مائة وخمسين كيلومترا .

البريجة لبلاد المسلمين فقال لهم الفكاك بلغوا عندنا صبحا . وانما قال لهم الفكاك ذلك ليقنطهم .. وبقينا في الشجر الى الليل وسرنا قاصدين ازمور ، وبسبب الغيم لم نر نجوما نهتدي بها بجهة ازمور وبقينا جل الليل سايرين في الفحص الى ان وصلنا عين ماء وشربنا منها ، وجلسنا هناك الى ان صلينا الصبح .

ثم سرنا لجهة أزمور . وبسبب الغيم لم نر الشمس الى ان كانت في وسط السماء . وكنا نطلب الماء من شدة الحر ، فوجدنا هنالك آبارا يابسة ، ورأينا شجرة كبيرة ، فمشينا اليها ، وصلينا العصر ، واسترحنا بظلها من حرارة الشمس . فلما استرحنا سمعنا موج البحر ففرحنا ، لانا اذا كنا في حاشيته ، نعرف الطريق، فوصلنا اليه عند المغرب، وعلمنا اننا بين طيط والبريجة .

فقال لي صاحبي نمشي الى طيط لنشرب من آبارها ، فقلت له ان مشينا الى طيط لم تبق لنا قوة على المشي من هناك ، لما لحقنا من الجوع فخالفني ثم رجع الى رايي ، وولينا على طيط ووجدنا طريقا متسعة ، وصرنا الى نصف الليل، فتحققنا انها طريق البريجة . ووقفنا على الموضع الذي تقف فيه طلائع النصارى . وجزنا من ذلك الموضع وتركنا البريجة عن شمالنا ، ووصلنا الى حاشية البحر ، ومشينا الى جهة أزمور وطلعنا على جبل راينا المسلمين مشغولين فيه بالحصاد .

عند المسلمين

ولما راونا جاءوا الينا باسلحتهم فقلنا لهم نحن مسلمون . ففرحوا بنا واعطونا الماء والخبز . وكان عهدنا به منذ ثلاثة ايام ، ومشينا معهم لأزمور فادخلونا على القايد محمد بن ابراهيم الشعياني ففرح بنا واكرمنا ؛ وقال لنا أين كنتم هذه ثلاثة ايام ، فقد بعثنا في طلبكما ، ولم نر منكم خبرا ؛ وتكلم معنا في أمور الديانات فاجبته عنها . وكتب للسلطان مولاي احمد الذهبي رحمه الله بذلك ، واخبره بحالنا ، فاجابه السلطان ان يستصحبنا معه في حضوره العيد مع السلطان .

وكان عيدالاضحى (من سنة ١٠٠٧هـ) قرب فخرجنا مع القايد محمد،متوجها الى مراكش ، لحضور العيد مع السلطان مولاي احمد رحمه الله ، فنزلنا من موضع فيه سوق بدكاله ، فقال القايد محمد لبعض اصحابه اركب معهما الى ان يراهما اهل السوق ، فكان السوقة يتركون بيعهم وشراءهم ويأتون الينا ، يتعجبون منا ، ويسالون عن حالنا ، يحسبوننا نصارى فيقولون لنا اشهدوا شهادة الحق ، فسكتنا عنهم حتى اكثروا علينا ، فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، قالوا والله انه قالها خيرا منا ، فمشوا عنا مسرعين ، ثم رجعوا الينا بالتمر والخبز والدراهم . فقلنا لهم لانأخذ لكم شيئا ، فلما رجعنا الى القايد محمد ابن ابراهيم قال لنا ما ظهر لكما في سوق المسلمين قلت خيرا والحمد لله .

« ثم وصلنا الى محلة السلطان مولاي احمد الذهبي ، وهي مخيمة بتانسيفت بسبب وباء كان بالمدينة ، وكان استصحبنا في طريقنا الى مراكش مع القايد محمد بن ابراهيم اكثر من الف فارس من سفيان بثياب بالية رثة خلقة . ولما قربنا من محلة السلطان امر القايد المذكور باعطاء كل فارس قنباز وملف وعمامة ، وذلك كله بالزمام ، فخرجوا

يوم العيد كانهم شقائق النعمان ، وكل قايد من قواد مولاى احمد اعطى لأصحابه يوم العيد مثل ما اعطى القايد محمد بن ابراهيم لأصحابه فتبدلت علينا أحوالهم . وظهر لنا منهم ما لم تكن نعرفه قبل . وعندما تكتبت كتايب المسلمين يوم العيد ، وتجندت الأجناد ، جاء من عند السلطان مولاى أحمد الذهبي رحمه الله كاتب يحسب على كل قايد واصحابه . يعملهم في ديوان ويعرضهم على السلطان . فسالت الكاتب عن نهاية ما بلغ في العدد ، فقال لى تسع وعشرون الفا ، فقلت لو ان السلطان ذهب بمن معه من الجيش لاستنقذ بلاد الأندلس من يد النصارى » .



السلطان أحمد المنصور الذهبي

كان ملك المغرب يومئذ هو حسبما تقدم السلطان أحمد المنصور الذهبي . وكان قد ولى الملك في جمادى الأولى سنة ٩٨٦ هـ (اغسطس سنة ١٥٧٨) عقب موقعة القصر الشهيرة ، وهى التى لقى فيها البرتغاليون على يد المغاربة هزيمتهم الساحقة وقتل ملكهم سبستيان وكان اخوه السلطان عبد الملك قد توفي قبيل المعركة بقليل ، فبويع مكانه اخوه السلطان أحمد ، ولقب بالمنصور تيمنا بالنصر العظيم الذى احرزته جيوش المغرب المجاهدة ، على جيوش الاستعماريين المعتدية .

وكان المنصور ملكا عظيما وافر الهمة والعزم ، وكان عصره من أعظم عصور المغرب قوة وعزة ورخاء . وكان حينما وفد عليه الشهاب الحجرى قد قطع في الملك اكثر من عشرين عاما . فلما قدم اليه قائده محمد بن ابراهيم الشعياني ، وكان اثيرا لديه وموضع ثقته وتقديره لما ابداه في حكم منطقة ازمور من حزم وبراعة اشاعت فيها النظام والأمن ، لمّا قدم اليه هذا الأندلسي الفار ، ووقف على قصته وما يتمتع به من كفايات ادبية ولغوية ، اولاه عطفه ، وامر بتعيينه مترجما للبلاط وكان هذا اقصى ما يطمع اليه الشهاب . وابدى الشهاب براعة في اعمال الترجمة من العربية الى الاسبانية ومن الاسبانية الى العربية ، واسبغ عليه لقب « ترجمان سلاطين مراكش » . وكان السلطان فوق ذلك يستعمله للسفارة عنه في بعض البلاد الأوروبية . ولما توفي السلطان احمد المنصور في سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) استمر الشهاب في عمله بالبلاط المغربى خلال الحرب الأهلية التى تلت وفاة المنصور ثم مدة اخرى في ظل ولده السلطان مولاى زيدان .

الشهاب في تونس

ورحل الشهاب في أواخر حياته الى الشرق وأدى فريضة الحج ولما عاد نزل بتونس وقرّبه اميرها يومئذ وهو الداى مراد . وهنالك توثقت اواصر الصداقة بينه وبين زميل موريسكى مهاجر يسمى باسمه الأندلسي الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي وهكذا نرى من حالة الشهاب وابن غانم ان الموريسكيين او العرب المتنصرين لم ينزلوا عن اسمائهم الأندلسية العربية الصميمة ، وانهم كانوا يحتفظون بها سرا ، حتى تتاح لهم فرصة الفرار من اسبانيا فيعودوا الى الاسلام ويتسموا بها على الفور . وكان الرئيس ابن غانم هذا فيما يبدو من زعماء الجند ، وقد الف بالاسبانية (او الأعجمية) كتابا

غريبا في فن الجهاد بالمدافع : فقام الشهاب الحجرى بترجمته الى العربية وسماه « كتاب العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع » . وقد انتهى هذا الكتاب الفريد الينا . وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالمغرب والقاهرة . وقد ذكر في صفحة عنوانه « انه من تاليف الرئيس ابراهيم بن احمد ابن غانم بن محمد بن زكريا . كتبه بالأعجمية وترجمه له بالعربية ترجمان سلاطين مراكش احمد بن قاسم بن احمد الحجرى الأندلسي » . وهو كتاب ضخم يحتوى على خمسين بابا في وصف البارود والآلات الحربية القاذفة ، حسبما كانت معروفة حتى أواخر القرن السادس عشر ، وطريقة تركيب المدافع واختلاف اصنافها ووصف اجزائها وادواتها ، وطرق تعميرها والرمى بها الى غير ذلك من التفاصيل الفنية والعسكرية . ويتخلل ذلك عدة رسوم توضيحية جيدة لمختلف اجزاء المدفع ومختلف نماذجه .

قوة اللغة العربية عند المورسكيين

ويبدو من الأسلوب الجزل الذى ترجم به الشهاب هذا الكتاب والذى قدمنا منه نموذجا فيما نقلناه منه في بداية هذا البحث ، أن العربية كانت ما تزال قوية عند المورسكيين المثقفين ، وذلك بالرغم من كل ما فعلته اسبانيا ، وفعله ديوان التحقيق الاسبانى ، لقتل العربية والتراث الأندلسي العربى . ويشير الشهاب في كتابه المذكور الى المقرى مؤرخ الأندلس والى كتابه الجامع « نفح الطيب » في قوله : « وقد صح من كتب التواريخ التى جمعها العلامة الشيخ احمد المقرى في كتابه بمصر في الكتاب الجامع للتواريخ على بلاد الأندلس اعادها الله الى الاسلام » . وقد عاش الرجلان في نفس العصر .

والظاهر ان الشهاب الحجرى قد لقى المقرى بمصر خلال مروره بها في طريقه الى الحج او خلال العودة منه ، وذلك في نحو سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣١ م) قبيل وفاة المقرى بقليل .

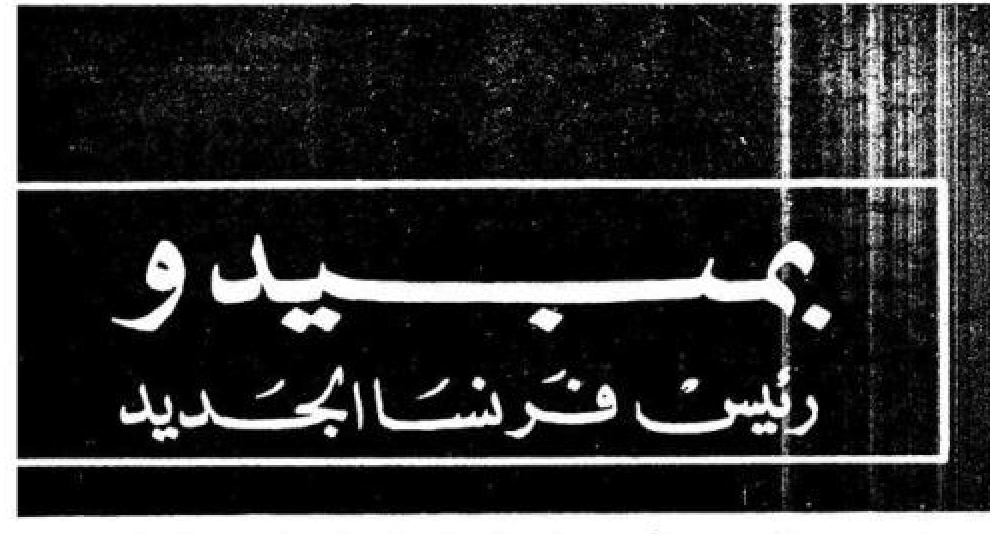
رأى الشهاب في استرداد الأندلس

وقد اشرنا من قبل الى الرحلة التى كتبها الشهاب الحجرى بعنوان « رحلة الشهاب الى لقاء الأحباب » . والأحباب هنا فيما يرجح هم اخوانه المسلمون فيما وراء البحر اى في عدوة المغرب ، التى لجأ اليها وقضى بها بقية حياته ، وقلنا ان هذه الرحلة لم تصل الينا ولم يصل الينا منها سوى شذور يسيرة ، نقلها الينا بعض الكتاب المتاخرين ، ومنها قصة فراره من اسبانيا وهى التى نقلنا فيما تقدم عن كتاب « زهر البستان » . ومما يلفت النظر ايضا من اقوال الشهاب عن احوال اسبانيا يومئذ ما نقله الينا صاحب كتاب « نزهة الحادى » ، من الرحلة المذكورة وهو : « ان جزيرة الأندلس استردادها .... سهل ، واسترجاعها .... قريب . ولما دخلت في ايام المنصور مراكش وجدت عنده من الخيل نحو ستة وعشرين الفا ، فلو تحركت هذه لفتحتها واستولت عليها في الحين » .

هذه هى قصة الشهاب الحجرى الأندلسي ، وهى نموذج لهذه الطائفة الغربية من كتاب الأندلس المغلوبة التى ارغمت على نبذ دينها ولغتها ، وكل تراثها القديم ، ومع ذلك فقد استطاعت بالرغم من قرن كامل من الاضطهاد المطبق والقمع الذريع ، أن تحتفظ بقبس اخير من لغة الآباء والاجداد ، وان تكون لها ادبا خاصا هو الأدب المورسكى .

■■

محمد عبد الله عنان



سعت اليه السياسة ولم يسع اليها!

بقلم : منير نصيف

■ وقف يوما يلقى درسا في الأدب الفرنسي على تلاميذه الجدد ، وفجأة توقف الأستاذ عن الشرح ، ثم وجه سؤالا الى الطلبة ، وراح يتطلع اليهم باحثا عن الاجابة على تلك الوجوه الجامدة .. ولكنه لم يجد أصبعا واحدا يرتفع .. لقد جلسوا شاردين يحدقون في وجهه !

وأخيرا صاح الأستاذ في لهجة يشوبها الغضب: « تبا لكم أيها الشياطين .. أليس بينكم واحد جاء ليتعلم ؟ »

ورفع أحدهم أصبعه ، وكأنه يقبل هذا التحدى وقال التلميذ في صوت قوى : « أنا يا سيدى .. أنا يا مسيو بمبيدو ! » .

وضج التلاميذ بالضحك !

وكانت الحصة على وشك الانتهاء ، فخرج الأستاذ عائدا الى بيته .. ومضت الشهور ، وانتهى العام الدراسي ..

لماذا ضحكوا !

وفي مذكرة صغيرة في درج مكتبه سجل المدرس تجربته مع تلاميذه ، قال : « لقد نجحوا كلهم .. ولم أدهش لهذه النتيجة ، فقد كانوا مولعـون بالأدب .. ان حاجبى الكثيفين هما المسئولان عما حدث لى في أول لقاء بهم .. فقد شغلهم منظر هذين الحاجبين الغريبين عن الدرس ..

« أما سر ضحكاتهم ، فقد كان ذلك الاسم الطويل الذى تحمله أسرتى .. هكذا أكد لى « جوستان » Gustan ، ذلك التلميذ النحيف الذى يجلس في الصف الأمامى .. لقد حدثنى بصراحة بعدأن نجحت في ازالة الكلفة بينى وبينه، قال : « لقد ذكرنا وجهك يا سيدى بالشاعر الفرنسي سيرانو دى برجراك » .

شاعر وأديب

ولم يكن غريبا أن يعشق تلاميذ بمبيدو الأدب، فقد كان هو نفسه أديبا ، يحفظ ما لا يقل عن عشرة آلاف بيت من الشعر لكبـار الشعراء



مدرس شاعر أديب

الفرنسيين ، ويعرف كيف ومتى يستخدمها .. وفي احدى خطبه الاخيرة اثناء الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية نقل بمبيدو ستة ابيات شعرية لستة شعراء فرنسيين في نفس المعنى ..

نشأت بينه وبين الشاعر الافريقي ليوبولد سنغور Leopold Senghor ، صداقة ومودة ، عندما التقيا بمعهد لويس الكبير في باريس ، قبل أن يعود سنغور الى بلاده ليصبح رئيسا لجمهورية السنغال .

وكتب بمبيدو في مذكراته عن هذا اللقاء يقول :

« لقد كان حاجباى الكثيفان مرة أخرى ،السبب في هذه الصداقة التى نشأت بينى وبين سنغور ..

فقد كنت معجبا بهذا الفتى الضائع بين الباريسيين ، وكان تقديرى عظيما لهذا الرجل الذى جاء باريس ليرتشف الثقافة الفرنسية من ينابيعها .. لقد كانت صداقتي له هي بداية الشعور بالعطف نحو الشعوب المكافحة النامية ».

أسرة من المدرسين

اسمه بالكامل جورج جان ريمون بمبيدو George Jean Raymoed Pompidou ، رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد .. الرجل الذى خلف ديجول قائد فرنسا وعملاقها ..

كان والده يعمل مدرسا في احدى المدارس الصغيرة ببلدة افرن Auvergn ، بمقاطعة مونبديف Montboudif ، وكذلك كانت امه .. وكانت امنية الوالدين أن يصبح ابنهما الوحيد مدرسا مثلهما .. وتحققت هذه الامنية عندما اكمل جورج تعليمه الثانوى والتحق بكلية المعلمين العليا حيث تخصص في دراسة الأدب ، وكان من أكثر المعجبين بأعمال فيكتور هوجو Victor Hugo ، الذى قاد الحركة الرومانسية في فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر .. وكان يصفه دائما بالشاعر والأديب الخلاق الذى بلغ الذروة فى تصويره للمشاعر الانسانية شعرا ونثرا ..

وما أن جاء عام ١٩٣٤ ، حتى كان جورج ، أو « بومبون » Pompon ، كما كان يحلو لزملائه أن يسموه قد تخرج في كلية المعلمين ، ثم بدأ يستعد للسفر الى مرسيليا ليدرس الأدب في معهد القديس شارل .

هــواية بومبون

غير أن «بومبون» ، كان له هواية اخرى بجانب دراسة الأدب وتدريسه .. فقد كان يؤمن بأن العمل وحده لا يمكن أن يصقل شخصية الرجل .. اذ لا بد له أن يرى ويعيش حياة النـاس من اصحاب المهن الأخرى ..

وكان بمبيدو يجد دائما الوقت الذى يمارس فيه هوايته هذه متنقلا بين ريف فرنسا ومدنها .. حيث يلتقى بالناس ويعقد معهم صداقات جديدة .. فعاش حياة المزارع في بيوت اقاربه واصدقائه .. والتقى بنجوم المجتمع الفرنسي في صالونات باريس ، ومعارضها ومتاحفها ، ثم في الـندوات والاجتماعات السياسية التى كان يحرص على حضورها والاشتراك في المناقشات الدائرة فيها ..

يكـره العزلة

وربما كانت هذه الهواية . وكراهيته للعزلة التى اعتادها زملاؤه من المدرسين ، وتمرده على هذه الحياة الرتيبة التى يعيشونها بين البيت والمدرسة .. وبين تصحيح دفاتر التلاميذ وقراءة الكتب واعداد الدروس .. ربما كان خـروجه على هذا الروتين هو السر في نجاحه في كل عمل من الاعمال التى قام بها ، رغم ما في هذه الأعمال من تناقض واضح .. فقد ترك بمبيدو التدريس ليعمل موظفا في الدولة ، ثم مديرا لبنك روتشلد ، قبل أن يشتغل بالسياسة ..

كيف تزوج ؟

وفى ريف فرنسا ، وبعد تخرجه بعام واحد كان لقاء بمبيدو بالمرأة التى اصبحت فيما بعد زوجة له في عام ١٩٣٥ .. كانت فتاة جميلة تدعى كلود كاهور Claude Cahour ، وكان بمبيدو يتردد على والدها الطبيب ، خلال زياراته المتكررة للريف ولكنه لم يكن قد التقى بها بعد ، الى أن جاء يوم رآها فيه تدخل عليهما مندفعة في غرفة مكتب والدها ، وقد ظنته يجلس وحده مع كتبه ، كما يفعل دائما ، ثم انهالت على أبيها بالقبلات ، قبل أن تزف له نبأ نجاحها !

قال بمبيدو فيما بعد : « لقد اصطبغ وجه كلود بحمرة الخجل ، عندما فطنت الى وجود رجل غريب مع والدها .. وعندما مدت الىّ يدها تصافحني بعد أن قدمنى لها صديقى الطبيب ، قالت : « لا بد انك تقدر اذن فرحة النجاح ! ولم تمض بضعة اشهر حتى كنا نحتفل بزواجنا ! ».

ملازم في الجيش

ولكن الحرب العالمية الثانية لم تترك العروسين ينعمان طويلا بحياتهما الجديدة ، اذ سرعان ما التحق بمبيدو بالجيش عقب نشوب الحرب مباشرة في سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، تاركا زوجته الجميلة تنتظر عودته ..

وعاد الملازم بمبيدو ، ولكن بعد سقوط فرنسا وهزيمتها أمام جيش المحور في عام ١٩٤٠ .. عاد ليخلع السترة العسكرية ويستانف عمله كمدرس .. ومضى الأستاذ يؤدى رسالته في هدوء حتى تحررت فرنسا من الاحتلال النازى في عام ١٩٤٤ ..

في موكب النصر

وعندما دخل الجنرال ديجول باريس منتصرا ، كان بمبيدو يقف بين عشرات الالوف الذين خرجوا يستقبلون قائد التحرير بالهتاف بحياته وحياة فرنسا ..

وكان هذا اليوم ، هو بداية الشعور بالاعجاب الشديد الذى احس به نحو هذا القائد العظيم ..

قالوا له يوما : « الم يكن يجدر بك أن تنضم الى حركة المقاومة السرية اثناء فترة الاحتلال ، وقد كانت فرنسا في حاجة الى كل رجل قادر على حمل السلاح ؟ » .

التعليم والمقاومة

فقال بمبيدو : « لقد اقنعت نفسي أن ميدان التعليم لا يقل شأنا عن ميدان القتال .. فقد كنتم تدربونهم على المقاومة ، وكنت أنا أعلمهم كيـف يكرهون النازية ! » .

وحتى هذه اللحظة .. لحظة اللقاء مع موكب النصر التى وقف فيها استاذ الأدب الفرنسـى يصفق ويهتف مع غيره من الألوف من ابناء فرنسا .. لم يكن أحد يتصور أن بمبيدو سوف يترك مهنة التدريس .. حتى زوجته نفسها ، فقد كانت تقول : « قد لا تشرق الشمس في الخريف ، ولكن « بومبون » لا يتأخر ابدا عن موعد ذهابه الى تلاميذه في الصباح ! » .

ولكن بمبيدو كان قد اتخذ في هذا اليوم من عام ١٩٤٤ ، قرارا هاما ، كان بمثابة نقطة التحول في

حياة الرجل الذى مضى يرتقي السلم الطويل حتى بلغ قمته ..

اعجابه بديجول

لقد قرر أن يعمل مع الجنرال شارل ديجول الذى تولى رئاسة الحكومة في عام ١٩٤٥ ، وان يبقى بجانب الرجل الذى بلغ اعجابه به حد العبادة.

وتشاء الصدف ان يلتقى بمبيدو بزميل له قديم في الدراسة يدعى رينيه بروبليه ، وهو اليوم يشغل منصب سفير فرنسا لدى الفاتيكان ..وكان رينيه يومذاك يعمل معاونا لرئيس ديوان الجنرال ديجول .. فالحقه بوظيفة معه في رئاسة مجلس الوزراء ..

كيف أثار اهتمام ديجول ؟

ولم تكد تنقضي بضعة أسابيع على عمله حتى كان ديجول يسال عن واضع صيغة تلك الخطابات التى ترفع اليه للتوقيع .. فقد كانت قطعا أدبية تختلف تماما في أسلوبها وطريقة عرضها للامور ، عن تلك التى اعتاد قراءتها ..

وبدأ الموظف الجديد يثير اهتمامه وما لبث هذا الاهتمام ان تطور الى صداقة ، فكان رئيس الوزراء يدعو بمبيدو الى مكتبه ويستشيره في كثير من المسائل الادارية التى اظهر في علاجها مهارة تستلفت النظر ..

وقليلون هم الذين يعلمون أن بمبيدو أصبح فيما بعد مديرا لاعمال ديجول الخاصة بعد أن ترك الجنرال رئاسة الحكومة بعد فترة قصيرة من توليه لها في شهر يناير من عام ١٩٤٦ .

مدير أعمال القائد

لقد ظل بمبيدو يذهب الى مكتبه في رئاسة مجلس الوزراء ويؤدى عمله على الوجه الاكمل ، حتى اذا جاء المساء توجه الى بيت رئيسه السابق في قرية كولومبى ، ليشرف بنفسه على ادارة جميع شئونه واعماله الخاصة، وفي مقدمتها ادارة المؤسسة الخيرية التى انشأتها زوجة ديجول او « العمة ايفون » كما يدعوها الفرنسيون ، تخليدا لذكرى ابنتهما « آن » .

مدير بنك روتشلد

ثم ما لبث بمبيدو أن ترك وظيفته الحكومية ليعمل مديرا لبنك روتشلد . وكان هذا هو لقاؤه الاول بالارقام .. وقد اكسبه عمله الجديد خبرة في المسائل المالية والاقتصادية .

قال فيما بعد للذين توجهوا اليه بالنقد لقبوله ادارة هذا المصرف الكبير : « ان عددا كبيرا من ساسة امريكا بداوا حياتهم في مزاولة الاعمال التجارية ! »

ولكن منصبه الجديد لم ينسه ولعه الشديد بالأدب .. بل لقد استطاع في تلك المرحلة من حياته ان يجمع في أوقات فراغه كتابه الذى سماه « مختارات من الشعر الفرنسي » .

وظل طوال هذه المدة على اتصال دائم بالجنرال ديجول الذى توطدت صداقته به . حتى عاد ديجول الى الحكم في عام ١٩٥٨ ، واضعا بذلك نهاية للجمهورية الفرنسية الرابعة ..

اتصال تليفونى

وفى صباح أحد أيام شهر مايو من هذا العام ، دق جرس التليفون فى مكتب بمبيدو ، ورفع مدير بنك روتشلد السماعة ، فاذا بالمتحدث صديقه ديجول ، يعرض عليه وظيفة رئيس ديوانه الخاص.

وكان أول عمل كبير يقوم به بمبيدو،هو تلك المهمة الخاصة التي كلفه بها ديجول باجراء اتصالات سرية مع زعماء جبهة التحرير الجزائرية لاقرار السلام فى الجزائر .. وقال ديجول وهو يودع مبعوثه الخاص : « انني ارسل اليهم بمبيدو ، فهو توقيعي وخاتمي » .

في عربة الرئاسة

وعندما احتفلت فرنسا بتنصيب ديجول رئيسا للجمهورية فى عام ١٩٥٩ ، وقع حادث طريف لم ينسه الفرنسيون أبدا .. فقد فوجئوا بسيارة رئيس الجمهورية وهي تقف حيث كان يقف بمبيدو بعد ان وضع الرئيس الجديد اكليلا من الورد على قبر الجندى المجهول أو قوس النصر Arche De Triomphe ، ثم ما لبث أن نزل سائق السيارة وفتح الباب فاطل ديجول برأسه ليدعو صديقه بمبيدو الى الركوب معه .. بينما تعمد الرئيس الجديد ان يترك الرئيس السابق رينيه كوتى ، وكان قد وصل معه فى السيارة ، يمشي حوالي مائة متر ليستقل سيارة احد أصدقائه ..

وانقضت بضعة أعوام ، عاد فيها بمبيدو الى مزاولة الأعمال التجارية ، وقراءة كتب الأدب بينما

شغل ديجول بمشاكل فرنسا ومتاعبها فى الداخل والخارج .

ثقة الملك !

الى ان كان عام ١٩٦٢ ، عندما وجه ديجول الدعوة الى صديقه بمبيدو لرئاسة وزارته الجديدة خلفا لوزارة ميشيل دوبريه . وكان رئيس الحكومة حتى هذه اللحظة شخصية مجهولة فى الميدان السياسي الفرنسي ..

ويومها لم يجد بعض ساسة فرنسا المحترفين ، سوى عبارة واحدة علقوا بها على هذا الاختيار . قالوا : « انه لا يعدو ان يكون الرجل الذى يتمتع بثقة الملك ! » .

وكان واضحا انهم ارادوا بهذا التعليق ، التحقير من شأن رئيس الحكومة الجديد والتقليل من قيمته .. ولكن بمبيدو اثبت لهم بعد ذلك مدى الخطأ الكبير الذى وقعوا فيه ، فقد تجلت مواهبه كمجادل بارع فى مناقشات الجمعية الوطنية الفرنسية .. وكانت صدمتهم أشد عندما جلسوا لأول مرة أمام أجهزة التلفزيون يستمعون اليه وهو يتحدث .. لم يكن حديثه مقنعا فحسب .. بل لقد كان صوته مؤثرا ، وقسمات وجهه معبرة عما يؤمن به من حلول للمشاكل الملحة التي تعيشها فرنسا ..

رقم قياسي

ثم كانت الصدمة الكبرى لمحترفي السياسة فى فرنسا عندما سجل بمبيدو رقما قياسيا ببقائه اكثر من ست سنوات رئيسا للوزارة فى بلد شهد اكثر من ست عشرة حكومة تعاقبت عليه فى أقل من اربعة عشر عاما .

وفى خلال تلك الأعوام الست التيقضاها بمبيدو رئيسا للوزارة الفرنسية ، حقق ديجول أهم انجازاته السياسية والاقتصادية .. وفى مقدمتها ممارسة الفيتو او الاعتراض ضد دخول بريطانيا السوق الأوربية المشتركة ، وانسحاب فرنسا من حلف شمال الأطلسي ، والتقرب الى العالم الثالث،واقامة علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتي .. وأخيرا تحقيق استقلال فرنسا اقتصاديا وسياسيا ..

دور بمبيدو

ترى ماذا كان دور بمبيدو فى كل هذه الانجازات التى حققها عملاق فرنسا قبل اختفائه عن المسرح السياسي ؟ لا احد يدرى على وجه التأكيد !

فالبعض يقول انبمبيدو كان وراء كل سياسة خطط لها أستاذه ورئيسه شارل ديجول .. والبعض الاخر يؤكد ان بمبيدو كان بعيدا عن هذه القرارات التى غيرت صورة السياسة الفرنسية امام العالم كله .. ربما يكون ديجول قد اطلع رئيس وزرائه على خططه ومشروعاته باعتباره اقرب الناس اليه .. ولكن من المستبعد جدا ان يكون الرئيس الفرنسي السابق قد سمح لاحد ان يبدى أى رأى او اعتراض على اية سياسة معينة .. حتى لو كان هذا الاحد هو بمبيدو نفسه .. فقد كان ديجول من هذا الطراز من الزعماء الذين يؤمنون بالانفراد بالسلطة ..

افول وبزوغ

هذا هو جورج بمبيدو رئيس فرنسا الجديد .. الرجل الذى اختفى عن المسرح السياسي قبل اختفاء ديجول نفسه بعام كامل تقريبا ، وهو فى قمة النجاح السياسي باعتراف ديجول نفسه..

فقد كان بمبيدو هو الذى انقذ فرنسا من الاضطرابات الدامية التى قام بها الطلبة والعمال فى عام ١٩٦٨ ولكن ما كاد الهدوء يعود الى البلاد .. حتى فوجئت فرنسا بديجول يقيل صديقه رئيس الوزراء ، ويعين كوف دى مورفيل وزير الخارجية لرئاسة الحكومة الجديدة ..

وخرج بمبيدو من أوتيل ماتينيون ، Hotel Matignon ، او مقر رئاسة الوزارة الفرنسية واعتكف فى بيته ، او هكذا بدا للفرنسيين فى ذلك الوقت .. وعندما ذهب اليه الصحفيون يسألونه عن رأيه فى هذا الذى حدث ،قال لهم : « سأظل ادين بالولاء للجنرال ديجول الى آخر لحظة فى حياتى ! »

على ان بمبيدو لم يختف عن المسرح السياسى ، كما تصور البعض ، وانما راح يتصل باصدقائه ومؤيديه من الديجوليين ، ويعد العدة معهم لهذا اليوم الذى كان يراه يقترب كلما تجمعت سحب المتاعب فى سماء فرنسا ، فوق رأس الجنرال الكبير .. وصدق ظنه فقد جاء اليوم الذىينتظره باقرب مما كان يتصور ..

واصبح جورج بمبيدو رئيسا للجمهورية الفرنسية .. ■■

منير نصيف



لسان العرب لابن منظور

بقلم : عبد الستار فراج

■ لو ان انسانا قرأ كتاب « الأغاني » الذى تبلغ مجلداته الآن ٢١ ، « والعقد الفريد » الذى تبلغ مجلداته فى بعض طبعاته ٦ « وتاريخ دمشق » لابن عساكر الذى تبلغ مجلداته المخطوطة اكثر من ٤٥ ، لكان له من الثقافة والمعلومات ما يسلكه في عداد الأدباء . أما اذا هو اختصر كل هذا ورتبه ، واختصر أضعافه المضاعفة من كتب الحديث والأدب واللغة والتاريخ والطب وغيرها ، فانه يُعَدُّ من البارزين ، وبخاصة فى عهود لم يكن فيها النور الكهربائي موجودا .

واذا بلغ مقدار ما خلفه هذا الانسان بخطه من الكتب المختصرة والمرتبة والمؤلفة حوالي خمسمائة مجلد ، فهذا هو النادرة العجيبة . واذا قلنا ان كل مجلد كتب فى شهر فمعنى ذلك أن العمل فى التاليف والاختصار الذى قام به كان فى أكثر من ٤٠ عاما .

ان الذى قام بهذا كله هو محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري المشهور بابن منظور ، صاحب « لسان العرب » الذى يعد من أكبر أمهات اللغة . قال الصفدى « لا أعرف فى الأدب وغيره كتابا مطولا الا وقد اختصره » ، وذلك فى كتاب مستقل .

و « لسان العرب » ، هذا الذى جمعه ابن منظور ، ويقع الآن فى طبعته المصرية فى عشرين مجلدا من القطع الكبير انما هو حصيلة خمسة كتب ، يبلغ مجموع مجلداتها حوالى ٤٠ ، وهي التهذيب للأزهرى ، والصحاح للجوهرى ، والمحكم لابن سيده ، وحواشي ابن بَرّى على صحاح الجوهرى ، والنهاية لابن الأثير فى غريب الحديث .

وللتهذيب والمحكم نظام ، وللصحاح وحواشي ابن بَرّى نظام ، وللنهاية نظام . ولكنه قرأ كل هذا واخضعه لنظام موحد هو ما سار عليه الجوهرى فى كتابه الصحاح .

حياة ابن منظور

ولد ابن منظور في سنة ٦٣٠ هجرية (١٢٣٢م) . ولم يذكر أكانت ولادته في مصر أم في موطنه الأصلي افريقية التي كانت تطلق قديما على المنطقة من برقة الى طنجة . واذا علمنا انه تعلم القرآن وهو صغير على مرتضى بن حاتم ، ومرتضى كان في مصر، وكذلك على عبد الرحيم بن يوسف بن الطفيل ويوسف بن المخيلي الاسكندراني ، استطعنا ان نقول ان اباه مكرما ـ على الأقل ـ انتقل الى مصر او جاء بابنه محمد اليها وهو طفل صغير . ويحدثنا ابن منظور نفسه في كتابه لسان العرب عن نسبه وذلك في مادة (جرب) فيقول : « رويفع ابن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الانصار كما رأيته بخط جدي نجيب الدين والد المكرم أبي الحسن علي بن احمد بن أبي القاسم .... من بني مالك ابن النجار ، سكن مصر واختط بها دارا ، وكان معاوية رضي الله عنه قد امره على طرابلس سنة ست واربعين ، فغزا من طرابلس افريقية سنة سبع واربعين ، ودخلها وانصرف من عامه ، فيقال مات بالشام ، ويقال مات ببرقة ، وقبره بها ...»

اجمع المترجمون لابن منظور صاحب لسان العرب انه كان محدثا فقيها ، شافعي المذهب ، مع مزج ذلك بالتشيع لآل البيت رضوان الله عليهم ، وانه ولي القضاء ، وحدث بدمشق ومصر، وانه كان أيضا من رؤساء القاهرة ، وأماثل كتاب الانشاء ، وانه مات بالقاهرة سنة ٧١١ هجرية عن اكثر من ثمانين عاما .

وقد وقع احمد بن فارس الشدياق في خطأ كبير حينما نقل في مقدمة لسان العرب انه ولد سنة ٦٩٠ وتوفي سنة ٧٧١ ، فذلك تحريف في التاريخ ، وقد كتبت ترجمته صحيحة مختصرة بعد ذلك في اول الكتاب وفي آخر الجزء الاول .

طريقة اللسان

ان الطريقة التي شرحناها في مقالنا عن الصحاح هي التي سلكها ابن منظور أيضا في اللسان . وذلك بانه كان ينظر الى الحرف الاخير من الكلمة، فيجمع كل ما كان آخره همزة اصلية ويجعله في « باب الهمزة » ثم يرتب ذلك ، ناظرا الى الحرف الأول الاصلي من الكلمة ويسميه « فصلا » ، فاول الفصول فصل الهمزة من باب الهمزة ، ففصل الباء من باب الهمزة ففصل التاء من باب الهمزة ، وهكذا الى ان ينتهي الى فصل الياء من باب الهمزة ، ثم يجمع كل ما كان آخره باء فيجعله « باب الباء » ، ثم ينظر الى الحرف الأول الأصلي من الكلمة ويرتبه فصولا : فصل الهمزة من باب الباء ، ففصل الباء من باب الباء ، ففصل التاء من باب الباء ... الى آخر ما شرحناه ..

واللسان حافل باقوال اللغويين والنحاة وشراح الدواوين والمجاميع الشعرية ، وقد توهم بعض الباحثين انه رجع الى الجمهرة لابن دريد وبعض الكتب الأخرى . وهذا ما لم يرجع اليه بنفسه في تاليفه للسان ، وانما جاء عن طريق المحكم او « التهذيب » ... ذلك ان ابن منظور نص في مقدمته للسان انه جمع كتبا خمسة هي «التهذيب» و « المحكم » . « والصحاح » ، والحواشي لابن بري عليه ، « والنهاية » لابن الأثير .

ومما لا شك فيه أن الذي يطلع على كل هذه الكتب، التي كانت موسعة ، ويقرؤها ويلخصها ، تكون له مكانة لدى الناس ، ويصل الى ارفع المناصب ويجزيه الله بخلود الذكر وحسن الثناء.

ومما لا شك فيه ايضا ان هذا الاطلاع يجعله حسن النظم ويأتي بالمعاني الجميلة ، ولم نعثر الا على بعض مقطوعات لابن منظور رقيقة عذبة ، فمن شعره الذي رووه له :

النّاس قد أثِموا فينا بظنّهِـــــمُ
وصدّقوا بالذي أدري وتَدرينا

ماذا يَضُرُّكِ في تصديق قولِهِـــمُ
بأن نُحقِّقَ ما فينـــا يَظنّونـــا

حَمَّلَــي وحَمَّلْتُكَ ذنباً واحداً ثِقَةً
بالعفو أجملُ من إثم الورَى فينـــا

وقال ايضا في معناه :

توهّم فينا الناس أمرًا وصمّمَتْ
على ذاك منهم أنفسٌ وقلـــوبُ
وظنّوا وبعضُ الظن إثم وكلُّهُمْ
لأقواله فينا عليــــه ذنُـــوب
تعالَىْ نُحقّق ظنّهــمْ لنُريحهمْ
من الإثم فينــا مرّةً ونتـــوب

وقد عقب على الأبيات صاحبُ فوات الوفيات بقوله : اخذه من قول القائل حيث يقول :

قُمْ بنا ، تَفديـكَ نَفْســـى
نَجعلِ الشَّـكَّ يقينَــــا
فإلى كمْ يا حبــــــــبى
يأثـــم القائــلُ فينــــا

واخذ هذا من قول الأول :

إن أنْسَ لا أنْسَ قولَها بمِـنًى
وَيْحَكَ إن الوُشــاة قد علِمـوا
ونمَّ واشٍ بنا ، فقلتُ لهـــا
هل لك يا هنـــدُ في الذى زعموا
قالت لماذا تُرَى ؟ فقلــت لها
كيلا تَضيع الظُّنُـــونُ والتُّهَـــمُ

المطبوع من اللسان

هذا وقد طبع لسان العرب مرة اخرى في بيروت بحيث كانت الصفحة على عمودين ، كما اعيد طبعه في القاهرة بطريقة الأوفست في عشرين مجلدا .

والحق ان ضخامة المادة وغزارتها في اللسان ، بسبب دمجه عدة كتب فيه ، قد تجعلان بعض المواد تتجاوز عشرين صفحة ، والكلام دون فواصل ، ودون اوائل سطور ، ودون ترتيب فنى كان في عهد المؤلف غير مستطاع ، كل هذا يجعل القارىء في اشد العنت والارهاق عند بحثه عن معنى كلمة لغوية تعرض له في قراءته للنصوص الادبية وقد يصادفه عرضا مستترا بين السطور .

وقد كان يراد اخراج اللسان في القاهرة محققا مصوبا ما فيه من اخطاء في الطباعة واخطاء غلبت المؤلف في عصره لنقله عن مخطوطات ، لكن الامر توقف ثم اكتفى باخراجه مطبوعا بالاوفست صورة لما طبع اولا مع ما فيه . ■■

عبد الستار فراج

الثعلب والنمر

خرج نمر يبحث عن فريسة له في الغابة ، فعثر على ثعلب ، وعندما هجم عليه ليفترسه صاح الثعلب : (قف ايها العظيم ، لا تفعل ذلك ، ان الآلهة عينتنى ملكا على هذه الغابة ، وان كنت لا تصدق قولى هذا فاتبعنى لتجد كيف تخافنى الحيوانات جميعها وتحترمنى) .

فسار الثعلب في الغابة وخلفه النمر وكانا كلما مرا بحيوان هرب من امامهما موليا الادبار خوفا من النمر لا من الثعلب . فعندئذ صدق النمر كلام الثعلب وتركه ومضى .

(فكم من ضعيف يتظاهر بالقوة مستغلا قوة سلطان ظالم يسنده) .

شنك يى ــ حكيم صينى

أنباء الطب والعلم والاختراع

الطب البريطاني ينتقل الى المتر، والقياس العشرى

● الامة البريطانية امة محافظة، وهي في الاوزان محافظة ، فأوزانها الرطل الانجليزى ويقسم الى ١٦ جزءا يسمي الجزء منها بالاونس ، وهلم جرا . وفي القياس الياردة والقدم عندهم هما اساس القياس ، وتنقسم القدم الى ١٢ جزءا يسمى كل منها بالانش اوالبوصة .

ويحاول اهل التقدم من الانجليز من زمن بعيد ان ينتقلوا بأمتهم الى الاوزان العشرية ، الى الجرام والكيلو جرام ، والى القياسات العشرية المتر والسنتيمتر والمليمتر والكيلومتر لانها اسهل عند الحساب ، ولينسجموا مع سائر الامم في ذلك ، ولكنهم لم ينجحوا ، الا في الاوزان العلمية وقياساتها ، وكان هذا اضطرارا ، لان العلم شركة بين الامم ، فمن خالف فانما عزل نفسه ، والعزلة في العلم خسران .

ولقد بدات جهود هؤلاء الداعين للتغيير النافع تثمر رويدا رويدا .

ومن ثمرتها اليوم ان القياس العشرى دخل الطب ودخل الادوية وصناعة الادوية ، فأهل الصناعة اليوم يصنعون زجاجات الدواء لا لتسع مثلا الى ٨ اونسات، ولكن الى ٢٥٠ سنتيمتر مكعب او نحو ذلك .

وفي الادوية السائلة وضع صانعوها معالق سعة ٥ سنتيمترات مثلا مكعبات، واذا وصفوا تعاطي هذا الدواء لم يقولوا خذ منه مقدار ملعقة شاي او شربة ولكن قالوا خذ منه كذا سنتيمترا في الجرعة الواحدة .

الانسان والحيوان أنابيبهما داخل أجسامهما وكذلك وجب أن تكون المدينة

● ان كل شيء في جسم الانسان والحيوان داخل الجسم ،وذلك للوقاية.

وقد قام اخيرا جماعة من المهندسين يستوحون من دروس الطبيعة ، فهم يضربون مثلا لذلك الاوعية الدموية ، من شرايين واوردة ، كلها داخل الجسم . والاعصاب ، هي ايضا داخل الجسم .

اذن وجب ان تكون انابيب المرافق في المدن ، تحت سطح الارض . وانابيب المياه ، وانابيب المجارى ، والاسلاك الكهربائية ؟ تحت سطح الارض . والاسلاك التلفونية ؟ تحت سطح الارض.

ولم ينسوا طرق المواصلات . فهذه وجب ان تكون تحت الارض مهما تكلفت من مال . وهم يضربون لذلك مثلا ، طوكيو ، عاصمة اليابان . فهذه المدينة بنوا تحتها ماكاد ان يكون مدينة اخرى مصغرة جرت فيها شبكات من المواصلات الكهربائية عظيمة .

الحافلة الطائرة

● لقد دعا الى صنع هذه الحافلات، او البصات الجوية، كما سبق أن ذكرنا، ازدحام مدن أوروبا بالسكان ، وقصر المسافات التى يجب أن تقطعها الطائرات بينها، وهى مسافات تقل عن ٥٠٠ ميل.

اذن فهى حافلة دعت الحاجة والنمو اليها .

ولكن قام دونها انه قل من دول أوروبا من تستطيع القيام بنفقات تصميمها ونفقات انتاجها وحدها . ويسبق هذا بالطبع ابحاث كثيرة النفقة . ولا بد للأمة الواحدة ان قامت بها وحدها أن يكون عندها من الموارد المالية والموارد الفنية ما يضمن لها الانتاج السريع،وارخاصه، حتى يمكن ان يكون للمشروع عائد معقول .

وعقبة اخرى تقوم في سبيل المشروع، تلك القومية . فالحافلة الطائرة سيتحتم عليها ان تطير من هدف في دولة الى هدف في دولة اخرى ، بل ودول اخرى . وعليها أن تخترق الحدود وأن تعمل في اكثر من مجال قومى . واذن وجب أن يقوم المشروع على أكتاف امم أوروبية كثيرة لا امة واحدة .

ملابس تمنع اختراق الرصاص

● ابتدعت شركة Norton ، بمدينة ورستر Worcester بماساشوست ، بذلة يلبسها اللابس فتقيه من الرصاص من عيار ٣٠ر. ، فهو يقف عندها فلا يخترقها الى جسم اللابس فيقتله .

أما البذلة فمصنوعة من نوع من الألياف الهندسية جديد . انه مصنوع من الياف مصنوعة من المركب الكيماوى كربيد البورون Boron Carbide Fibers

والمفهوم ان البذلة الواقية تزن نحو ٦ ارطال لكل قدم من المساحة مربعة .

ان كربيد البورون الواقى استخدم الى اليوم لوقاية الاجزاء الهامة لطائرات الكبتر من القذائف التى تنالها ، ولكن هذا الوزن الخفيف سيفتح الباب للجنود فيلبسون البذلة وقاية لهم .

والمشروع بدأ على أن تقوم به، مشاركة كل من المانيا وفرنسا وانجلترا . ثم بدأ مركز انجلترا يتأرجح . وهى لو خرجت وتم ذلك نهائيا بحيث لا يمكن اغراؤها بالعودة ، حل محلها آخرون من أوروبا، وفي طليعة هؤلاء ايطاليا وهولندا والسويد .



الحافلة الطائرة .. دعت الحاجة والنمو اليها





صورة لشبه جزيرة سيناء التقطها التابع جيمنى ١١ في ١٤ سبتمبر عام ١٩٦٦.

عرف أهل الارض «كاب كندى»

انهما محطتنا اطلاق الصواريخ في الولايات المتحدة ، الاولى شرقية ، والاخرى غربية . الاولى في فلوريدة ، والاخرى على ساحل كلفورنيا .

الاولى لاطلاق الصواريخ للاهداف المدنية .

والثانية لاطلاق الصواريخ للاهداف الحربية .

وكلتاهما محطة للتجارب عظيمة

« وكاب كندى » Cape Kennedy ، مفتوحة للزوار ، وللسياح ، ولا تكاد ان تكون فيها اسرار يخشى افتضاحها حين تفتح للزائرين ، الا القليل .

أما محطة فاندنبرج Vandenberg ، فمحطة مغلقة ، كلها اسرار ، لا يؤذن لزائريها، القليلين ان يصوروا شيئا منها، غير السيارة التى تقلهم اليها ، وغير الحائط الحجرى الطويل الممتد كالحارس الذى يحميها

وتسمى كاب كندى بالمرمى التجريبي الشرقي Eastern Test Range ،

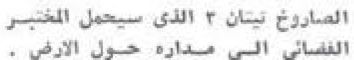
وتسمى فاندنبرج بالمرمى التجريبي الغربي Western Test Range ،

ويقيم بهذه القاعدة السرية الغربية ٢٠٠٠٠ شخص ، في ١٩٨٣ مبنى . وبالقاعدة من الطرق ما طوله ٥٢٦ كيلو متر ، وبها ٥٠ تركيبة لاطلاق القذائف .



مختبر فضائي به رجال سترسله امريكا الى الفضاء ليدور حول الارض مرتين كل يوم .




الصاروخ تيتان ٣ الذى سيحمل المختبر الفضائي الى مداره حول الارض .

يعرفوا بنفس المقدار « فاندنبرج »

اما مساحة القاعدة فنحو من ٥٠٠ مليون متر مربع .

ولا شك ان القاعدة الشرقية ، قاعدة كاب كندى ، هى القاعدة التى انجزت فيها انجازات الصواريخ الاولى ، ولكن اختبارها كان عندئذ للسهولة والراحة التى تعطيها . ثم حوّل التطور الصاروخى العمل الى القاعدة الغربية قاعدة فاندنبرج .

ولا ننسى محطة ثالثة تعرف بمرمى القذائف في وَيْت ساند White Sand Missile Range ، وهى أقدم من السابقتين ، ولعلها اكثر خفاء ، وأرضها تنبسط فتضم اجزاء من اربع ولايات من الاتحاد الامريكى . وهى تطلق في العام نحو ٣٠٠٠ قذيفة او تزيد ، ليس بينها قمر اصطناعى واحد . انها للقذائف الصغيرة وللمتوسطة التى يمكن اطلاقها من فوق الأماكن المأهولة بالسكان ، أما القذائف الذاهبة الى الفضاء فمكان اطلاقها « كاب كندى » أو فاندنبرج .

ثم كلمة عن جاسوسية الفضاء .

ان عناية الولايات المتحدة اتجهت الى الانتفاع بأقمارها الاصطناعية ، بتلك التوابع التى ترسلها لتدور حول الارض . ومن ذلك أنها كانت الأولى في ارسال تابع للمواصلات البعيدة Telecommunicatione يدور حول الارض . ترسل اليه الاذاعات والصور والبرامج ، ثم تعاد اذاعتها الى

اهل الارض . وكانت الأولى في ارسال اول تابع يصور بالفوتغرافية سطح الارض وما عليها ، وهو يدور حولها Photo - Reconnaissance ، اى تابع استطلاع فوتغرافي ، وكانت الأولى في اطلاق تابع يهدى السفن في البحار ، وتابع يكشف عما يتفجر فوق سطح الارض من تفجرات نووية .

أن الرئيس الأسبق للولايات، الرئيس ايزنهور ، كان قضي بأن تكون كل هذه الأمور من اختصاص هيئة في الولايات مدنية هي الهيئة القومية لملاحة الهواء والفضاء National Aeronautics And Space Organisation وكان قضي بذلك لأغراض سياسية . ولقد دخلت هذه الهيئة غصبا عنها في الاستطلاعات الفضائية حتى اصبح غير خاف أن صبغتها المدنية لم تمنع الأمم بأن تتهمها بالجاسوسية .

ولهذا تبدأ محطة فاندنبرج ، ويبدأ رجالها وهم ينتمون الى الجيش والدفاع، في القيام بالاستطلاع الفضائي عن طريق التوابع التى تدور حول الأرض علانية وقريبا .

وفي الصور المرفقة صورة أخذها التابع جيمني ١١ Gemini 11 لشبه جزيرة سيناء في ١٤ سبتمبر عام ١٩٦٦ (سبق ان نشرنا مثلها) ، وفيها من الدقة الشيء الكثير ، مما لا تظهره هذه الصورة بالذات . وسوف ترسل الولايات الى الفضاء مختبرا فالكا ، به رجال . وتراه بالصور المرفقة ، يدور حول الأرض ، من قطب الى قطب ، مرتين كل يوم ، فيرى مناطق الارض مرتين كل ٢٤ ساعة، ويصبح لاتفوت رجاله اى حركة تتحركها جيوش على سطح هذه الارض .

اما الصاروخ الذى سوف يرسل هذا المختبر الى الفضاء فمن نوع تيتان ٣ Titan 111 ، وهو مع الصور .

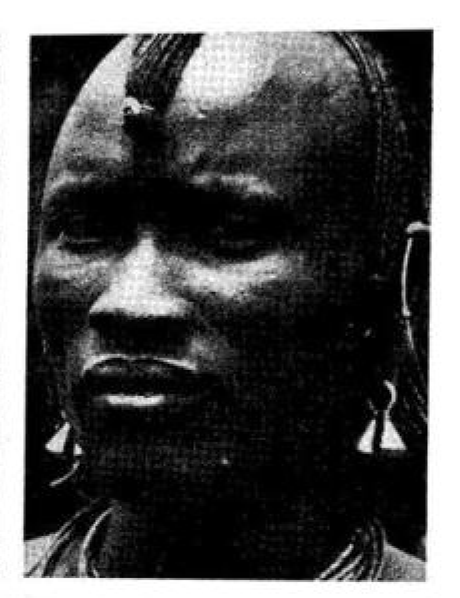


التوابع الاصطناعية تهدى السفن

● ان السفينة الانجليزية الجديدة الكبيرة المسماة الملكة اليزابث الثانية Elizabeth 2 ، وحمولتها ٦٥٠٠٠ طن ، تلك التى صنعتها ودشنتها انجلترا لتقوم مقام سفينتها السابقة العجوز اليزابث الأولى ، هي اول سفينة سوف تستخدم القمر الاصطناعي الامريكي المسمى Transit لهديها الطريق التى تسير فيها في المحيط ، وذلك على النظام الجديد الذى يبدأ يوم ٢٩ يولية ١٩٦٩ .

فبمقتضى هذا النظام سيرسل التابع الاصطناعي ، الى كل سفينة مؤهلة لهذا النظام ، بموقعها من البحر ، كل دقيقتين ، بحيث لا يقع في تقديره من الخطا اكثر من عشر ميل .





الطبع أم التطبع ؟

● انها زوبعة كبرى اثارتها مقالة لاستاذ في جامعة كلفورنيا ، بمدرسة التربية فيها ، نشرها في مجلة جامعة هرفرد الشهيرة ، يرفع فيها من اثر الوراثة في نصيب الطفل من الذكاء ، ويخفض فيها من اثر البيئة .

وهي مقالة في مائة وبضع وعشرين صفحة .

ويعود الاستاذ الدكتور جنسن Arthur Jensen ، في مقالته هذه الى اجناس البشر ، ولاسيما الى الزنوج السود ، والى الهنود الحمر ، فيقول ان لهم ذكاء هم ورثوه ، ويصل بهم من الانجازات الى حد لا يتعدونه . ثم هو يرى ان الفقر وسوء الحال قد يؤخرهم في انجازات الحياة عن الوصول الى هذا المستوى الممكن الذي سبق ان قدرته الوراثة . فاذا نحن اغنناهم بنقلهم الى بيئة ارحم وانعم واكثر رفاهة واكثر تعليما فسوف يبلغون من الذكاء المستوى المقدر لهم ، ولكنهم لا يزيدون .

وعلم اكثر العلماء اليوم انما هو قائم على ان الفروق بين سلالات الامم انما هي فروق بيئة ، فروق فقر وغنى ، وفروق جهل وعلم ، وفروق مدنية وتخلف عن مدنية ، وفروق انطلاق في حياة وجمود فيها وانعزال ، ولكن عند صاحبنا هذا ان الفروق فروق جنس واجناس .

وقد رات المجلة المذكورة ، وهي تصدر مرة واحدة في الفصل الواحد من فصول السنة الاربعة ، ان تستدعي الدكتور « كاجان » Kagan ، بجامعة هرفرد أن يكتب مقالا في عددها القادم يفند فيه ما قال الدكتور جنسن من ان اثر الميراث اقوى من اثر البيئة اضعافا مضاعفة .

وقد كان الدكتور « كاجان » أجاب على ما قرا من مقال الدكتور جنسن فضرب مثلا ، الهنود الحمر في جنوب امريكا وفي اوسطها . منهم رجال في المدينة ، ومنهم من نفس الجنس رجال في البرية على الفطرة . ورجال المدينة أطول من رجال البرية . والمدينة والبرية بيئة . والطول والقصر شيء موروث . اذن فالبيئة تؤثر في الموروث .

اذن فالبيئة تؤثر في الذكاء ، فهو موروث .

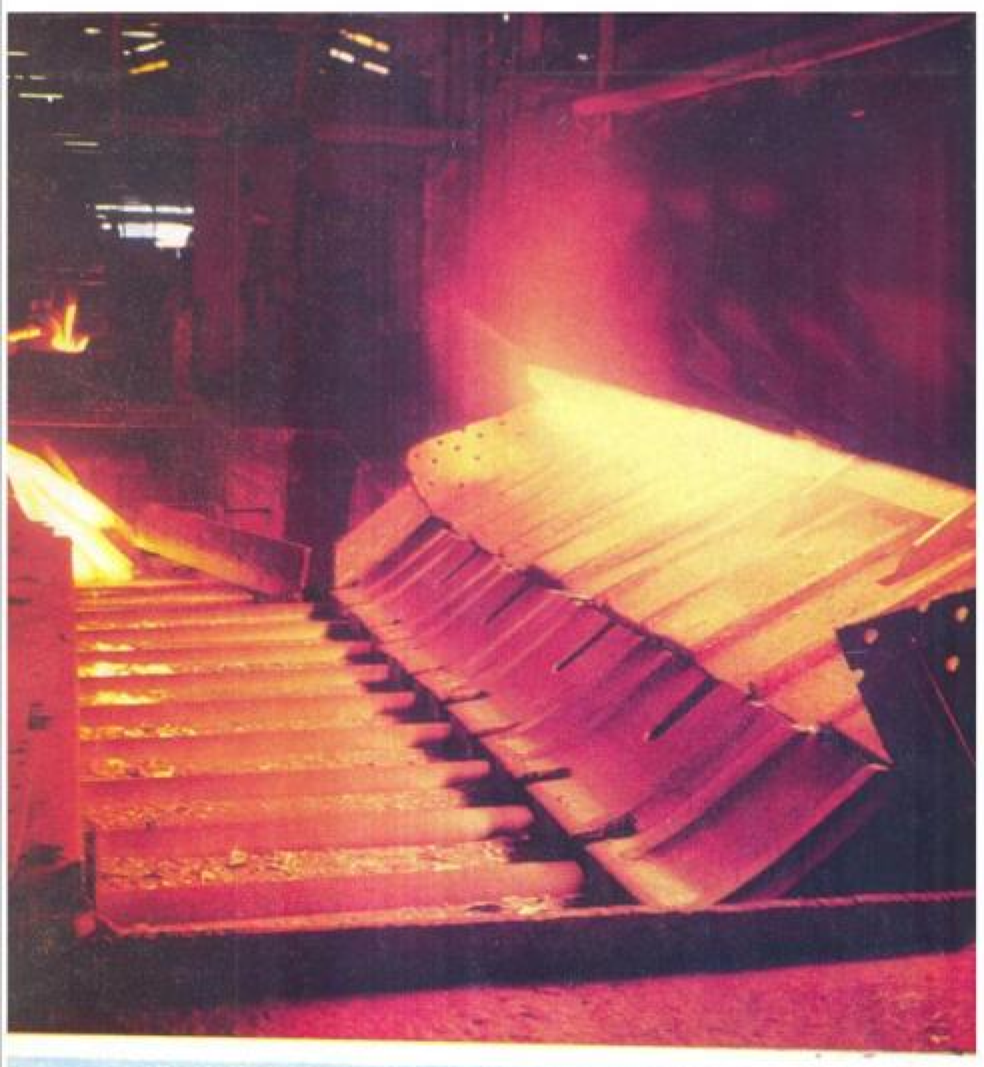
منطق لطيف .

ولكن امتع ما في الموضوع ان خلافا غير سياسي يثير زوبعة عند هؤلاء الاقوام .

●●

طا لبنان في السنوات
لأخيرة خطوات جبارة في
عيم كيانه الصناعي ..
على هاتين الصفحتين ثلاث
ور : الأولى لمصنع
لمبات الكهربائية ..
الثانية لفرن السبائك
لحديدية .. والثالثة
تاة في مصنع للنسيج ..





اعرف وطنك أيها العربي

لبنان في ميدان..
الصناعة

استطلاع

تصوير

قصـــة ((التاجـر الصـــانع)) الــذى يحـارب نفســـه !

أمريكـــا تحمـــى انتاجهـــا مـــن المصنوعات اللبنانية!

١٢٠٠ مليـــون لـــيرة رأسمـــال الصناعة في لبنـان

■ منذ خمس سنوات خرجت الصحافة العربية تحمل العناوين المثيرة التالية :

● **مولد السوق العربية المشتركة .**

● **حرية التجارة والتنقل بين خمس دول عربية ...**

● **السوق العربية المشتركة اصبحت حقيقة واقعة .**

واطنبت صحافة لبنان فى بيان أهمية هذه السوق العربية التي تهدف الى تحقيق **حرية** انتقال الاشخاص ورؤوس الأموال ... **وحرية** تبادل البضائع والمنتجات الوطنية ... **وحرية** الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى ... **وحرية** النقل والترانزيت .. **وحرية** استعمال وسائل النقل والمرافىء والمطارات المدنية ...

اعفاءات بالجملة !

وشعر تجار لبنان الأذكياء أن أبواب الرزق الحلال قد فتحت مصاريعها أمامهم ، فانطلقوا بقوة ناحية الصناعة والتصنيع ... التاجر الذى كان يستورد البضاعة ، بدأ يجلب موادها الخام ويصنعها داخل المصنع الذى انشاه خصيصا لهذا الغرض ... أما صاحب المصنع القديم فاخذ يجدد الاته ويزيد فى طاقتها ليضاعف انتاجه ... واشترك الراسمال الأجنبي في اقامة صناعات حديثة لم يكن يعرفها لبنان من قبل ...

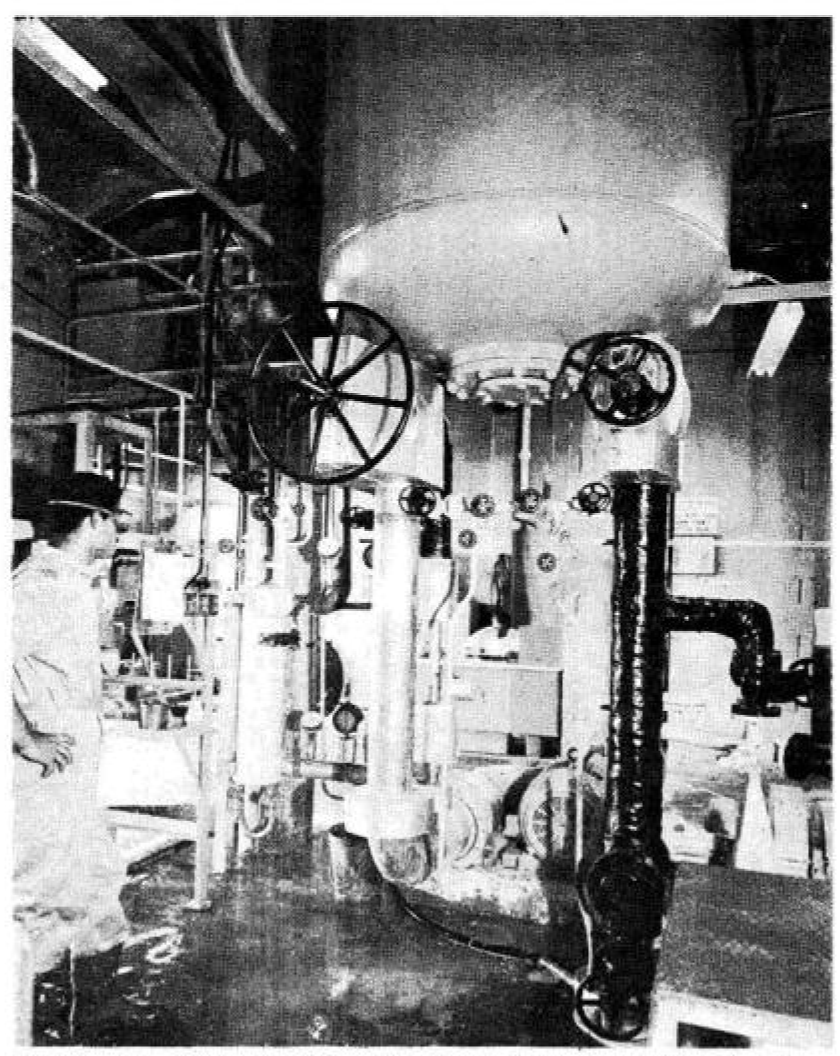
وباركت الحكومات اللبنانية المتعاقبة هذا الاتجاه نحو التصنيع ... فاصدرت القوانين والتشريعات تعفي بموجبها المصانع الجديدة من ضريبة الدخل لمدة ست سنوات ، اذا اقيمت فى الفترة بين عام ١٩٦٤ و ١٩٧٠ ، أما التي تقام فى المناطق الريفية والجبلية فتعفى لمدة عشر سنوات من ضريبة الدخل ...

ولم ينسوا المصانع القديمة ، بل قرروا اعفاءها من ضريبة الدخل لمدة ست سنوات اذا جددت نفسها ، وبدات تنتج انواعا جديدة ...

٦٦٠٠ مؤسسة صناعية

وقد ترتب على هذه الاعفاءات وهذا التشجيع الحكومي ، والمكاسب الواسعة المتوقعة ، ان قطعت الصناعة شوطا واسعا وخطت خطوات حثيثة ... فاصبح لبنان يمتلك اليوم نحو ٦٦٠٠ مؤسسة صناعية ، منها ٢٠٠٠ مصنع تستخدم اكثر من (٢٥) عاملا ... ونحو مائة مصنع تستخدم اكثر من ١٠٠ عامل .. ودلت الاحصاءات الرسمية على أن الراسمال المستثمر فى تلك الصناعات يبلغ ١٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة لبنانيـة (الف ومائتي مليون ليرة لبنانية) .

لقد انتقلت الصناعة فى لبنان اذن من طابع الحرفة اليدوية الخفيفة ، الى طابع استعمال المكائن الحديثة ... وترتب على ذلك هجرة داخلية واسعة من الحقل الى المصنع ، ومن الريف الى المدينة ...



كان صاحب هذا المصنع يستورد الصابون المسحوق من الخارج ، وعندما شعر أن استهلاك لبنان لهذا النوع قد تضاعف عشرات المرات ، قام بانشاء هذا المصنع الكبير الحديث الذى أصبح يغطي ٨٠٪ من حاجة لبنان . ويعمل فيه ٣٥ شابا لبنانيا ، تدرب بعضهم في أمريكا على أحدث الآلات التى تعمل أوتوماتيكيا .

هل الصناعة بخير ! ؟

ورغم الهزتين الخطيرتين اللتين أصيب بهما اقتصاد لبنان : الأولى عند توقف بنك انترا عام ١٩٦٦ والثانية نكسة ١٩٦٧ ، رغم هذه وتلك ، انطلق لبنان وانتعش وتضاعفت قيمة صادراته نحو ثمانية اضعاف في ثماني سنوات ، اذ ارتفعت من ١٨ مليون ليرة الى ١٤٠ مليون ليرة .

ولكن ... هل أصبحت الصناعة بخير في لبنان ؟

هذا هو السؤال الذى راحت بعثة « العربي » تبحث عن اجابته بين مصانع بيروت وطرابلس وجونية وكفر شيما والبقاع ... لقد تحدثت الى

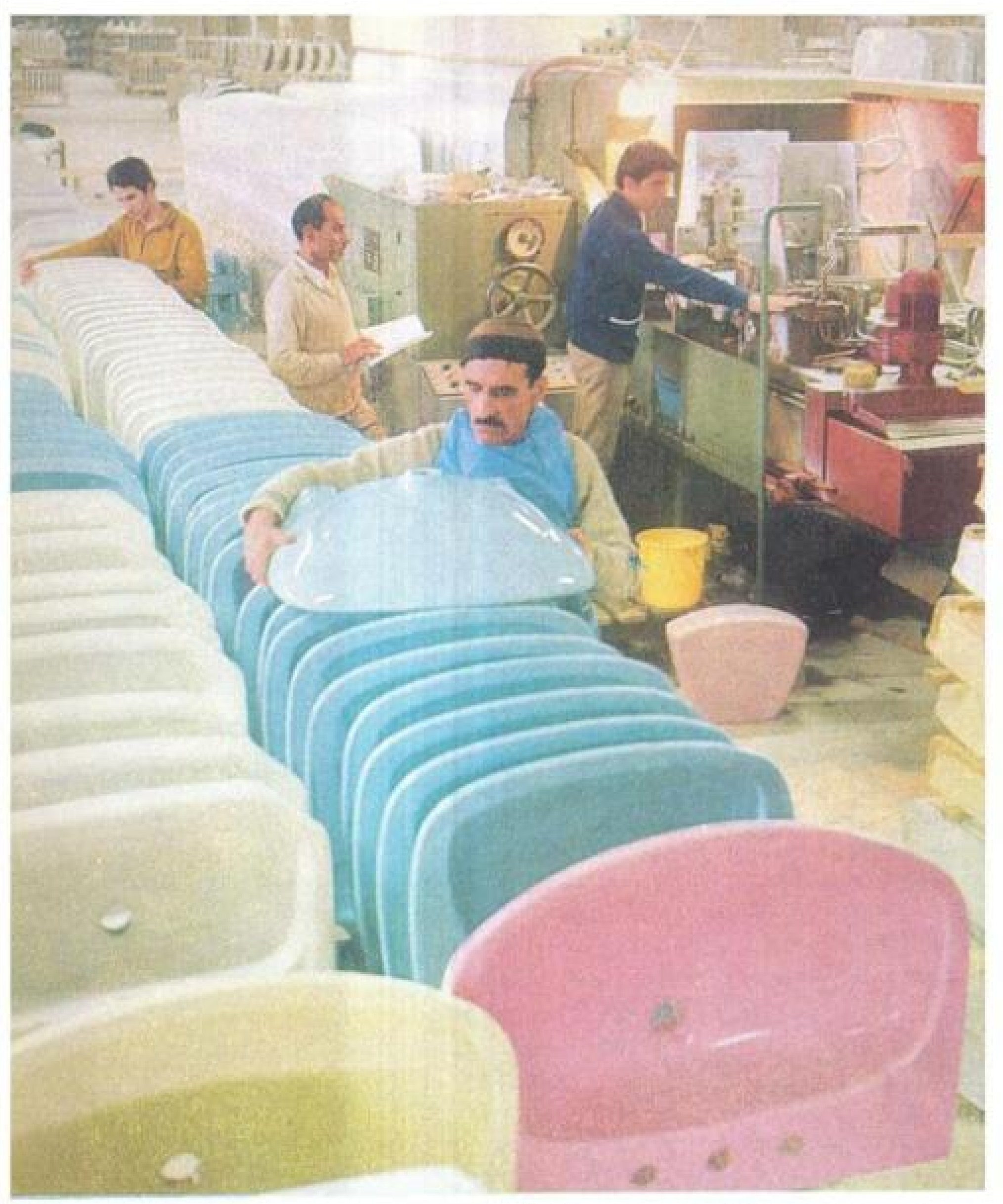


فتاتان تعملان فى تصفيف بلاط البورسلين (الكاشى) المزخرف ، الذى اكتسح اسواق لبنان،حتى بلغ انتاج مصنع كفرشيما من مختلف انواعه ما يزيد عن ٢٠٠٠ متر مربع يوميا

الى اسفل : الميلامين والبوليتيلين .. نوعان من ٧٥٠ نوع من اللدائن (البلاستيك) المصقول ذى المناعة القوية ضد الكسر ، التى ينتجها مصنع الميلامين فى ضواحي بيروت.. انه ينتج حاليا ٥٠٠ طن سنويا من مختلف المنتوجات ويعمل ٨ ساعات فقط ، بدلا من ٢٤ ساعة لعدم وجود الاسواق اللازمة لتصريف انتاجه الذى يتفوق على الانتاج الاجنبي..



انتاج هذا المصنع اللبناني نافس الانتاج الامريكي .. افتحوا الابواب العربية لاستيراد منتوجاته ..



ما من شك ان الصناعة في لبنان اجتازت مرحلة التأسيس والتجربة والاختبار .. وهي المراحل الاولى الصعبة ، وبدأت تسير في طريق الرسوخ والاستقرار بعد ان اصبح لها كيانها الخاص المستقل .. والصورة العليا تمثل بعض انتاج مصنع الخزف في كفرشيما ، لقد انشىء هذا المصنع عام ١٩٦٣ بالتعاون مع الخبرات الالمانية التي عملت على تدريب ٢٤ عاملا فنيا لبنانيا في المانيا ، واليوم اصبح هؤلاء الشبان مع ٢٢٥ عاملا آخر ، يديرون المصنع بكل كفاءة دون حاجة الى اي خبير اجنبي .. لقد كان رأسمال المصنع ٨ ملايين ليرة عند تأسيسه ، اما اليوم فموجوداته تقدر بأكثر من ١٤ مليون ليرة .. ان انتاجه يوفر للبنان ٢ مليون ليرة سنويا من العملات الصعبة ، فهو ينتج سنويا ٢٠٠ الف قطعة من الادوات الصحية البورسلين .. وهذا الانتاج يزيد عن حاجة البلاد ، وبامكان انتاج المصنع تغطية حاجة الكثير من البلاد العربية ..

العشرات من أصحاب المصانع ، فلم تجد أيا منهم راضيا .. رغم أن معظمهم من أصحاب الملايين ... انهم يخشون الا يحققوا أرباحا كالتى جنوها من التجارة .. انهم يقولون : —

« .. ولكن هذه الملايين جمعناها عندما كنا تجارا ، ونحن نستثمرها اليوم فى المصانع ، ونرجو ان تعطينا ارباحا مثلما أعطتنا التجارة .. » .

دكتور جيكل فى لبنان ... !!

ومن هنا نشأ فى لبنان انسان عجيب .. انسان يجمع بين التجارة والصناعة فى آن واحد ... لقد توقف عن استيراد البضائع التي كان يتاجر بها ، بعد أن أصبحت مصانعه تنتجها .. وتخلى عن صفته التجارية ، وحاول ان يتفرغ لصناعته .. ولكن شيئا اقوى منه كان يربطه بماضيه التجارى .. وبعد فترة قصيرة زاد حنينه الى التجارة والربح السريع ، فعاد يتاجر ويبيع انتاج مصنعه بنفسه ضاربا عرض الحائط بمصالح التاجر التقليدى !! .

واصبح هذا الانسان المزدوج «التاجر-الصانع» يعاني من صراع مرير داخل نفسه .. فهو بصفته تاجرا يعارض فرض آية ضرائب على البضائع المستوردة ... ولكن بصفته الجديدة كصاحب مصنع ، يصرخ عاليا : « لا يمكن للصناعة فى أي بلد ناشىء أن تعيش وتزدهر دون حماية جمركية !! » .

التجار يعلنون الحرب على الصناع

وعندما اعتقد هذا « التاجر — الصانع » أن بامكانه الامساك بزمام الصناعة والتجارة فى آن واحد ، قامت عليه قيامة التاجر التقليدى العادى ، وأعلنها حربا على الصانع ومصنعه ، ولم يكتف بالامتناع عن شراء انتاج المصنع المحلي ، بل عمد الى استيراد نفس البضاعة من بلاد المعسكر الاشتراكي ، مغرقا بها الأسواق بأسعار متدنية للغاية .

والتجار فى لبنان متفوقون بمراحل على الصناع، فنسبة اسهام التجارة فى الدخل القومي تصل الى ٣٢٪ فى حين لا يزيد اسهام القطاع الصناعي عن ١٥٪ من مجموع الدخل القومي ... لهذا نجد أن كلمة التجار هي الكلمة النافذة على المدى البعيد ...

وخير دليل على هذا هو ثورتهم على القانون الذى رفعت الحكومة بموجبه ضريبة الحماية الجمركية من ١٥ الى ٢٥٪ على منتجات الصاج ... لقد ثاروا وعينوا محاميا ظل يتتبع الموضوع الى ان صدر قانون جديد أنزل الحماية الجمركية الى ١٥٪ كما كانت .

وتكررت القصة عندما منعت وزارة الاقتصاد الوطنى تصدير « الخردة المعدنية » من لبنان حتى تستهلكها المصانع المحلية ... وثار تجار الخردة على « الصناعيين الاحتكاريين الذين لا حدود لجشعهم » كما وصفتهم احدى الصحف اللبنانية.

درس من أمريكا

ورغم هذه المصاعب والمحاربات المحلية ، لم يسقط فى يد هذا الانسان المزدوج (التاجر — الصانع) بل اتجه يطرق أبواب أسواق افريقيا والولايات المتحدة وأوروبا الشرقية ... وبدا مصنع الخزف اللبناني يصدر للولايات المتحدة ، البلاط الموازييك (الكاشي) والأدوات الصحية ... واستطاع أن يوطد اقدامه وينافس البضائع الأمريكية المحلية من ناحيتي الجودة والسعر ... وتنبهت السلطات الأمريكية الى منافسته لبضائع بلادها ، وفى الحال فرضت ضريبة ٧٥٪ على مختلف أنواع المصنوعات الخزفية اللبنانية الواردة الى الولايات المتحدة .. وكان هذا درسا قاسيا ، فامريكا التي تعتبر أكبر الأسواق العالمية الحرة ، لم تتورع عن فرض الضرائب لحماية مصنوعاتها الوطنية !! .

« سوقنا العربية حلقة مخجلة ! »

وارتكازا على اتفاقية السوق العربية المشتركة حاول الصانع اللبناني أن يضاعف انتاجه ليزود الأسواق العربية بحاجتها،وكم كانت خيبته مريرة عندما وجد ان قصة هذه السوق ما هي الا اسطورة لم يتحقق منها اى شيء حتى الآن ... بل على العكس ، وُضعت القيود القاسية على تنقل البضائع العربية ... حتى مرور سيارات الترانزيت اصبح مشكلة المشاكل فى بلادنا العربية، تفرض عليها الرسوم ، وتجبى من اصحابها الضرائب .. ! .



الى اليسار :
ثماني ساعات تجلسها الفتاة يوميا امام آلات صنع المصابيح الكهربائية في بيروت دون حركة او كلام !! انها ميزة المرأة على الرجل ، في قوة تحملها للعمل الرتيب المتشابه .. وينتج هذا المصنع ثلاثة ملايين مصباح كهربائي سنويا ، تستهلك كلها في أسواق لبنان.. ويتعرض هذا الانتاج لمنافسة قاسية من المصابيح المستوردة من هنغاريا ، والتي يباع المصباح الواحد منها بسعر ٣٠ قرشا لبنانيا ، في حين ان ثمن المواد الأولية الخام المستعملة في صنعه يصل الى ٢٩ قرشا ! ولكن حاجة دول المعسكر الاشتراكي الى العملة الصعبة ، تجعلها تبيع انتاجها بأقل من سعر التكلفة .. وقد تقدمت جمعية الصناعيين اللبنانيين بطلب الى الحكومة لزيادة الحماية على هذه الصناعة ، ولكن وزارة الاقتصاد رفضت الطلب.. ومما يذكر ان المصنع يعمل بمقدار ٥٠٪ من قوته .



ثلاثة محابس عائلة صنعت في لبنان ، م
العذبة التي يجري مدها في الكويت ..



العامل المثقف فنيا هو وحده الذي يستطيع تحريك هذه الماكنة الحديثة ،
التي تثقب الحديد والفولاذ لولبيا ، في تسع مناطق مرة واحدة

الى اسفل : كانوا ٣٦ عاملا عندما بدأ المصنع عمله ، فأصبحوا اليوم ٥٠٠ عامل ينتجون نحو ٧ الاف
طن من مصنوعات الحديد والنحاس ، ٦٥٪ من الانتاج يصدر للخارج



اجل استعمالها في شبكة انابيب المياه ويزن المحبس منها ١٧٠٠ كيلو جرام





صناعة المصاعد الكهربائية في بيروت ، جعلت بالامكان الحصول على مصاعد ذات احجام خاصة حسب الطلب

الى اسفل : تحت ظلال جبل لبنان ترتفع مصانع الاسمنت اللبناني .. تنتج سنويا مليونا ومائتي الف طن .. انها الصناعة الوحيدة **تقريبا** في لبنان التي تستعمل مواد اولية محلية

ان سوقنا العربية المشتركة هي ـ كما وصفتها الصحافة الأردنية ـ : « احدى الحلقات المخجلة التي يقاسي منها وطننا العربي » ... ووصفتها صحافة الجمهورية العربية المتحدة بقولها : « آمال زاهية .. ونصوص رائعة ، ظلت حبرا على ورق ، تنقصها الحياة والتطبيق ... » شأن معظم الآمال العربية ...

أردناها مجموعة حريات ..

ان كل دولة عربية تفتقر الى مقومات القوة الاقتصادية المتكاملة ... هنا أيد عربية فنية متدربة ... وهناك مواد أولية متوفرة ... هنا أسواق استهلاكية مزدهرة ... وهنا مصانع ومعامل تنتج ولا تجد الأسواق اللازمة .. وهكذا يتبين لنا ان دول وطننا العربي الكبير تكون مع بعضها سوقا كاملة مترابطة ... ورغم موافقة ٥ دول عربية ، من مجموع ٢٥ دولة وامارة عربية (!) ، على اقامة هذه السوق المشتركة فيما بينها ، فان شيئا لم يتم تنفيذه عمليا حتى الآن ، وما زال المبنى الفاخر لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية في جاردن سيتي بالقاهرة خاويا من الموظفين ، اللهم الا الأمين العام فقط !!

لقد اردناها سوقا عربية نموذجية كاملة تسمح بجميع أنواع الحريات : من نقل وتجول وعمل .. وكم كان حرى بنا ان نبدأها بتأمين حرية تنقل البضائع والمصنوعات العربية ، ثم نتبعها ـ في حالة نجاحها ـ بحرية تنقل الافراد والجماعات... حتى تستطيع هذه السوق ان تجابه التحديات والتكتلات الغربية، كالسوق الأوروبية المشتركة..

ولكن رغم تعثر السوق العربية المشتركة ، فان الصناعة اللبنانية تبيع اكبر نسبة من انتاجها في الأسواق العربية ، ولكن هذا الانتاج ممكن ان يتضاعف عدة مرات في حالة تطبيق اتفاقية السوق ...

الحد الأدنى ١٧٣ ليرة

وتعتمد الصناعة في لبنان على اليد العاملة الفنية التى تمدها بحيوية دافقة .. وتؤدى المرأة العاملة نفس الدور الذى يؤديه الرجل العامل ، بل وتتفوق عليه فى الأعمال التى تتطلب المثابرة والجلد والدقة ..

هذه الآلة الحديثة تنتج يوميا طنين ونصف الطن من الشيكولاتة بطريقة أوتوماتيكية دون ان تلمس يد العمال الستة الذين يديرونها ، أي قطعة منها .. لقد ازدهرت صناعة الشيكولاتة في لبنان ـ التى تضم حاليا ٢٧ مصنعا ، تنتج ١٥ طنا يوميا من الشيكولاتة يستهلك محليا ٧٥٪ منها ، والباقي يصدر للخارج ـ ازدهرت بعد أن فرضت الحكومة حماية جمركية مقدارها ٢٦٥ قرشا لبنانيا على كل كيلو جرام من الشيكولاتة الاجنبية المستوردة .. ولكن أصحاب المصانع قالوا لنا : «ان هذه الحماية لم تعد ضرورية ، فقد استطعنا كسب ثقة المستهلك بفضل التحسين المستمر في انتاجنا .. أضف الى ذلك ان بضاعتنا طازجة دائما ، بعكس الشيكولاتة المستوردة . »

ويتمتع العامل اللبناني بقانون يكفل له مرتبا حده الأدنى ١٧٣ ليرة شهريا اى نحو ٥٥ دولارا .

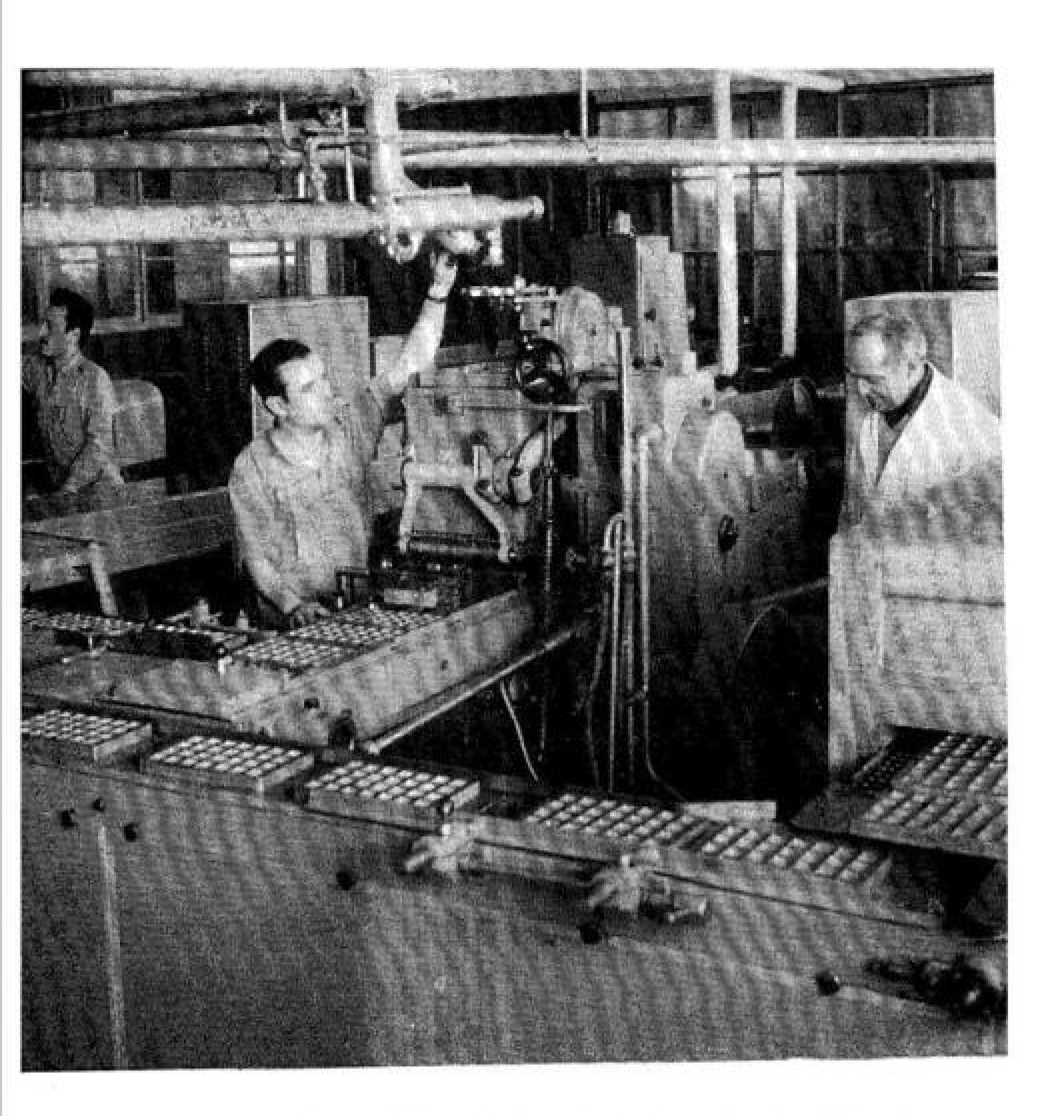
مشكلة العامل غير الفني ؟

وهجرة اليد العاملة الفنية الى الخارج لاتسبب ازعاجا كبيرا لأصحاب المصانع ، فقد سألنا واحدا منهم : «هل تجد صعوبة في العثور على العمال ؟ »

فأجابنا :« العامل الفنى اللبنانى متوفر .. وبكثرة ، ولكن مشكلتنا الكبرى هي كيفية الحصول على عامل غير فنى ... !! »

ان ارتفاع نسبة التعليم الى نحو ٨٦٪ وكثرة المعاهد المهنية والصناعية في لبنان خلقا جيلا من العمال المثقفين الفنيين ، اقل من نصفهم يعمل في لبنان ، والباقى يعمل في المهجر والبلاد العربية المختلفة ..

وفي حديث آخر ،قال لنا احد كبار الصناعيين: « لم تعد الزيادة في عدد العمال هي مقياس نجاح المصنع ... خذ مثلا مصنعنا ... اننا ننتج حاليا ما تقرب قيمته من ١٢ مليون دولار سنويا ،



وعدد عمالنا ٨٠٠ عامل ... وقريبا سوف تبدأ آلاتنا الحديثة في الدوران ، وسوف نتمكن من مضاعفة كمية الانتاج خمس مرات عما هي عليه الآن .. ومع ذلك فان عدد العمال سيظل على ما هو عليه ، وقد نضطر الى الاستغناء عن بعضهم .. والسبب هو التجهيزات الآلية الحديثة التي اصبحت تقوم بدور عشرات العمال في وقت اقل ، وبدقة اكثر » ..

محاربة الصناعة

وفي كل مصنع زرناه كان لنا حديث مع صاحبه .. وفي مصنع الخزف بكفر شيما قال لنا مديره:

كان بلاط البورسلين الأبيض (الكاشي) يباع في لبنان بسعر ٨ ليرات للمتر المربع ، وعندما بدأ انتاجنا يعرض في الأسواق انخفض سعر المتر الى اربع ليرات ونصف .. وتكررت القصة عندما بدأنا في بيع انتاجنا من الأدوات الصحية ... حتى السماد الكيماوي ، ما كاد الانتاج المحلي ينزل الى الاسواق حتى انخفض سعره الى النصف ..

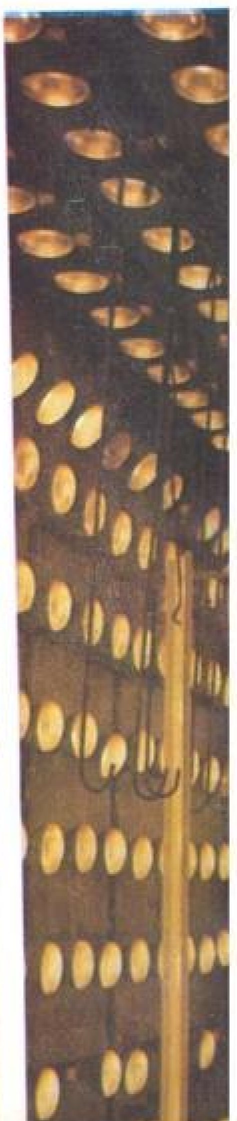
« واستبشرنا خيرا .. ولكننا فوجئنا بأن هذا الهبوط بالأسعار هو هبوط مصطنع .. صنعه التجار المستوردون حتى يصيبوا المصانع الوطنية بالافلاس ... لقد استوردوا البضائع من دول المعسكر الاشتراكي ، التي تبيع انتاجها بأقل من



الى اليمين : الى جانب الصناعات الاساسية، قامت صناعات تكميلية ، مثل صناعة علب الكرتون الكبيرة والصغيرة التي يحتفظ بالانتاج الصناعي داخلها .. **والى اليمين:** احدى الماكنات التي تنتج ٢٠ الف طن من الكرتون سنويا ..



الى اسفل : في هذه الغرفة المجهزة بستمائة مصباح ذات الاشعة تحت الحمراء ، يتم تجفيف الاصباغ ، التي طليت بها المصنوعات المعدنية



٤٨٠ مليون بيضة تنتجها مزارع الدواجن في لبنان سنويا .. وعلى هذا الانتاج الضخم قام مصنع ينتج ٥٠٠ مليون صينية من الكرتون الخاص بتعبئة البيض !!

صناعة الثلاجات أو البرادات الكهربائية .. وينتج هذا المصنع ٢٠ الف براد سنويا ، يمكن زيادتها الى ٦٠ الفا .. نصف الانتاج يستهلك محليا ، والباقي يتم تصديره .. وقريبا سيبدأ انتاج مكيفات الهواء



سعر مواده الاولية الخام ... حتى أصبح لبنان وكأنه سوق حرة تتحكم فيها الاسواق الموجهة ..

الصناعة .. وشجرة الصنوبر !

وينهى مدير مصنع الخزف كلامه بقوله :

قد يقول البعض ان هذا في صالح المستهلك ... وهذا حق ، ولكن بناء نهضة صناعية ،وبناء اقتصاد وطني ، يحتاجان الى رعاية حكومية .. ان هذه الصناعات التى تقوم اليوم سيجنى ابناؤنا ثمارها تماما كما فعل اجدادنا عندما زرعوا اشجار الصنوبر ، لم يزرعوها ليجنوا ثمارها ، وانما من اجل ابنائهم .. وهكذا صناعتنا ... ان حماية انتاجنا من المنافسة غير المشروعة ومن السياسة الاغراقية Dumping هو الكفيل باستمرار نموها وتقدمها



العامل اللبناني المبدع ، يقوم بعمل قوالب الجص اللازمة للمصنوعات الخزفية .

رجل الأعمال لا يرتاح الى التخطيط !

وسألنا المسئولين في وزارة الاقتصاد عن التخطيط الصناعي في لبنان .. فوجدناهم يتهربون من الاجابة ، لان هذا النوع من التخطيط الحيوى غير موجود ... ونسأل عن السبب .. فيقولون :

« ان اقتصاد لبنان قائم على الحرية والمبادرة الفردية وسياسة الباب المفتوح ... اى ان قانون العرض والطلب هو الذى يحكم لبنان اقتصاديا ... أما التخطيط فلا يرتاح له رجل الأعمال ، لخوفه من أن يكون فيه نوع من التوجيه والسيطرة » .

ومنذ بضع سنوات ، قامت بعثة اقتصادية هي بعثة ارفد الأمريكية ، باجراء دراسة عن الوضع الاقتصادى في لبنان ، وجاء في تقريرها هذه الفقرة :

« ان أوضاع لبنان لا تسمح له بالتهرب من اتباع سياسة التخطيط ، اذ لم يعد بوسعه ان يأمل في متابعة العيش في الظروف الراهنة التي تبدو متفائلة في ظاهرها ، ولكنها في الحقيقة متداعية الى درجة الخطورة .. » .

وما من شك أن غياب التخطيط الصناعي .. وانخفاض نسبة ضريبة الحماية الجمركية .. وارتفاع قيمة الفائدة على القروض الصناعية .. والاعتماد على النشاط الفردى للصانع .. كل هذه الأسباب تعمل على تقليص الصناعة بدلا من الانفتاح والانطلاق ..

التجسس الصناعي !!

وكم من مرة رفض اصحاب المصانع السماح لمصورنا بالتقاط اية صورة لمصانعهم ، خوفا من التجسس الصناعي .. نعم التجسس الصناعي !! .. لقد وصلت المنافسة والتضارب بين هذه المصانع الى درجة السرقة والتجسس ، بعضها على البعض ..

وفي مصنع الادوية بمدينة جونية استقبلنا مدير المصنع بالترحاب ، وجلسنا نتحدث معه حتى وصل الحديث الى طلب الاذن بالتصوير ..

● الصناعة في لبنان

هذا العامل الشاب الذى يعمل في تركيب محرك الثلاجة الكهربائية في مصنع التبريد ، هو واحد من ألوف العمال اللبنانيين الذين أثبتوا كفاءة منقطعة النظير في مجال الصناعة ..



وعندها اختفت الابتسامة من على شفتيه ، وقال: « مستحيل .. » **ولكنه استدرك .. ورفع سماعة التلفون .. ونادى السكرتيرة .. وخرج من الغرفة .. ثم عاد .. وجلس على المكتب ، وقال لنا :** « اكراما لمجلة « العربي » التي نحترمها ونقدر رسالتها سمحنا لكما بالتصوير ، على أن يرافقكما خبير المصنع ليبين لكما الآلات التي يمكنكما تصويرها .. »**وبدأ يحدثنا عن مصنعه بقوله :** « ان مصنعنا هو فرع من مصنع كبير للأدوية في كندا : يرسل لنا المواد الأولية ، فنقوم بتصنيعها ومزجها ، ونرسل لهم نماذج منها ليقوموا بفحصها في معامل الشركة الرئيسية بمونتريال بكندا ... وفي احدى المرات تلقينا منهم هذه الرسالة :

« لقد أجرى خبراؤنا مختلف التحاليل على على النماذج الخمسة التى ارسلتموها الينا .. وقد اتضح لنا أن هذه النماذج تفوق النوع الذى ننتجه في كندا نفسها .. ويسعدني أن أرسل لكم هذا التقرير » ...

١٢ مليون قرص دواء

ويتابع مدير مصنع الأدوية حديثه بقوله : « ان مصنعنا ينتج سنويا ١٢ مليون قرص دواء و ٤٤٢٥ لترا من قطرة الأنف والاذن و ٤٤ الف لتر من شراب « الكحة » و ٨١٥ كيلو جراما من المراهم .. انها نفس أنواع الانتاج الكندى بنفس الاسم والتركيب والمواصفات ... اننا نعمل ٨ ساعات فقط ، ويمكننا أن نزيد انتاجنا ثلاثة أضعاف في حالة العمل ٢٤ ساعة ... ان سوق لبنان يستهلك ٢٥٪ من انتاجنا ، و ٧٥٪ نقوم بتصديرها للبلاد العربية واليونان وقبرص وزامبيا ... » .

كل فرنجي برنجي !

« .. أما الانتاج المحلي الخاص بنا فهو معدوم لافتقارنا الى مركز للبحوث ، والى الاخصائيين ذوى الكفاءة لابتكار الدواء بنفس الجودة الأجنبية .

« على أنه من العبث أن نبدأ في انتاج الدواء المحلي حاليا ، لأن المشترى العربي تتحكم فيه عقدة « كل فرنجي برنجي » أى : كل أوروبي ممتاز ... والخطوة الأولى في هذا السبيل هي أن تكسب ثقة هذا المشترى بتحسين واجادة تركيب



الى اليسار : داخل احد مصانع الاصباغ والدهان .. نصف انتاجه يستهلكه لبنان ، والنصف الآخر يصدر للبلاد العربية وقبرص وافغانستان .. لقد هبطت اسعار الاصباغ في لبنان بمقدار ٣٠٪ بعد افتتاح مصانع الاصباغ فيها ...

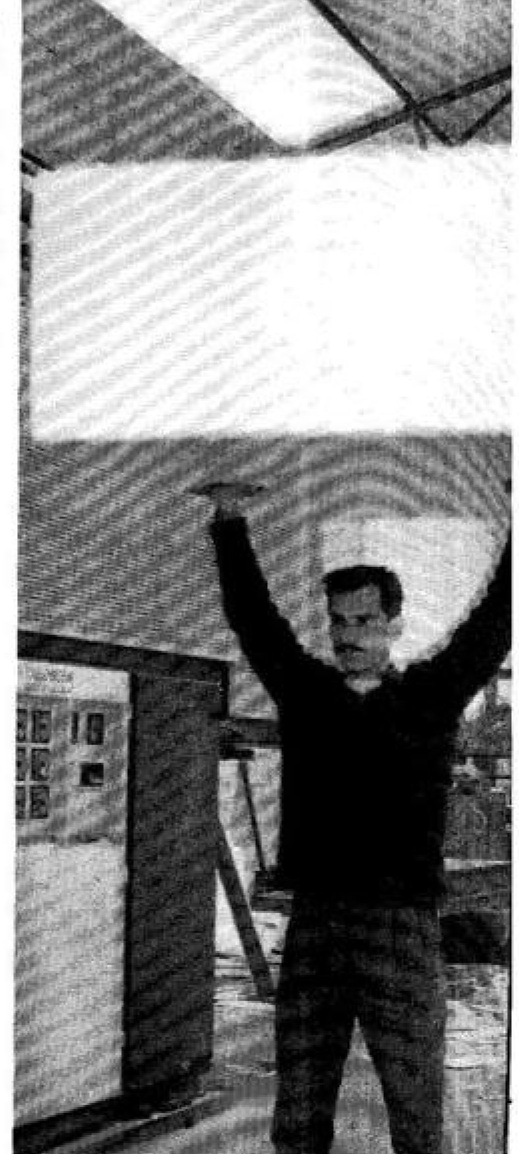
الى اسفل : لعبت الحماية الجمركية دورا اساسيا رائعا في ازدهار مصانع الشكولاتة اللبنانية ، التي بلغ مجموع انتاجها ١٥ طنا يوميا من افخر الانواع !

الى اليمين : دخلت المرأة ميدان صناعة الطباعة والنشر ، هذه الصناعة التي تعد من اعرق الصناعات اللبنانية ، وقد بلغ عدد مؤسسات الطباعة والنشر ٢٩٠ مؤسسة يعمل فيها ٢١٨٠ نسمة.

الى اسفل : ما من شك ان التجهيزات الحديثة والنظافة وتقدم اساليب الانتاج ، سوف تعيد الينا الثقة بانتاجنا العربي المحلي ، والصورة المثلى التي التقطت في مصنع الادوية بجونية ، خير دليل على ذلك



هذا الرجل ليس بطلا في رفع الأثقال كما تخيل لأول وهلة .. فهذه الكتلة الضخمة التي يحملها لا يزيد وزنها عن خمسة كيلو جرامات فقط .. فهي من مادة تسمى ستيروبور Styropor المشتقة من اللدائن البلاستيكية وتستعمل لعزل الحرارة والأصوات، وغير قابلة للاحتراق، كما أصبحت تستعمل في التغليف والزخرفة



الدواء الأجنبي ، وبعدها تنطلق في صناعة الدواء المحلي .. » .

ثورة صناعية .. ولكن !

والصناعة في لبنان قائمة على استيراد المواد الأولية الخام من الخارج ، لقلة موارد البلاد من هذه المواد .. ولكن الأسلوب العلمي الحديث ، والتجهيزات الآلية ، جعلت بالامكان ، تعويض الثمن المرتفع لهذه المواد .. فمثلا في عام ١٩٦٠ ارتفع الانتاج الصناعي بنسبة ٣٠٪ تقريبا ، ومع ذلك لم ترافق هذا النمو زيادة مماثلة في عدد العمال ، أو في راس المال .

ان لبنان في انطلاقته نحو الحياة الحضارية الحديثة ، يحاول ان يضفي على نفسه الطابع الصناعي الذى يميز حضارة هذا العصر ... لهذا ينادى الجميع بضرورة القيام بثورة صناعية ، ثورة لا تعنى اقامة مصانع فقط ، وانما سلسلة من التغييرات الجوهرية ... فاولا خفض سعر الوحدة الكهربائية والوقود .. فلبنان الذى الذى ارتفعت طاقته الكهربائية الى ٩٠٧ مليون كيلووط ساعة في السنة ، ما زال سعر الوحدة الكهربائية فيه مرتفعا ، وكذا الوقود ... وهذا الارتفاع في سعر الطاقة المحركة يشكل عائقا كبيرا في سبيل تقدم الصناعة .

مطار بيروت يستقبل ٩ ملايين نسمة

ومن مظاهر الثورة الصناعية تامين وسائل المواصلات ، مثل مد شبكة طرق حديثة .. وهذا يجرى اعداده حاليا في لبنان ، فقد بلغ مجموع اطوال الطرق نحو ٥٥٠٠ كيلو متر ؛ تم تعبيد ثلثيها على الأقل ، وهذه الطرق كافية لوصل المراكز التجارية بعضها ببعض ، وتامين الاتصال مع سوريا .

اما مطار بيروت الذى يستقبل يوميا ١٢٠ طائرة ، ويربط لبنان بمعظم دول العالم فيجرى الآن التخطيط لتوسيعه وتحسينه ليستقبل أحدث الطائرات ومعها تسعة ملايين مسافر في السنة .

ضرورة التعايش السلمي بين التاجر والصانع

ان مظاهر التحول الصناعي في لبنان عديدة ومتشعبة ، وهذا التحول يسبب ارقا مستمرا

للتجار ، الذين ينظرون الى الصانع نظرة المنافس والخصم .

ولقد حدثنا احد كبار فئة « التاجر ـ الصانع » عن هذه المشكلة فقال : « من الضروري ان يعيش التاجر والصانع بتفاهم تام في لبنان ، لان المصلحة المشتركة تربط بينهما .. ان واجب الصانع هو الاهتمام أولا وأخيرا بتحسين انتاجه ، وتخفيض سعر التكلفة ، بصورة تضمن مصلحة المستهلك ، وتنافس البضائع المستوردة ... وعلى الصانع الامتناع تماما عن بيع انتاجه مباشرة الى المستهلك .. لان واجبه يتحتم أن ينحصر في بيع ما ينتجه الى تجار هذا الصنف الذين كانوا يستوردونه من الخارج ، تاركا لهم ربحا معقولا يعيشون منه ..

« ان السير على هذه الخطة سيحول التجار من موقف العداء والمحاربة الى موقف التأييد الكامل للصناعة الوطنية ، لانهم ضمنوا الفائدة التي كانوا يحصلون عليها من استيرادهم لهذه الاصناف من الخارج ...

«وفي نفس الوقت يجب على التاجر التوقفعن استيراد الاصناف التي تنتجها الصناعة اللبنانية ، لأن هذا واجب وطني ..

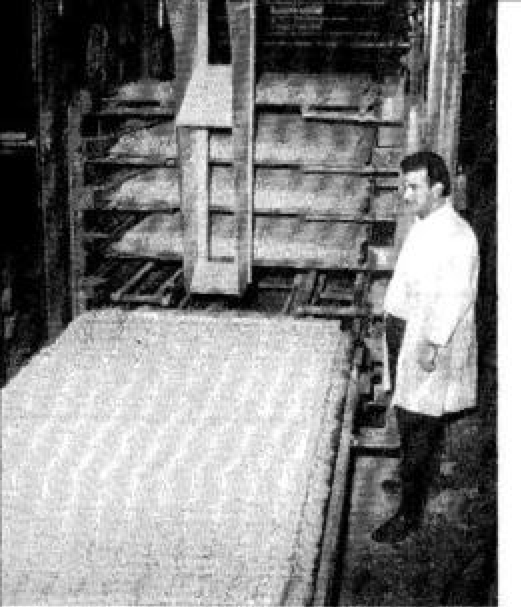
« أما اغراق الاسواق ببضائع من المعسكر الاشتراكي يقل ثمنها عن ثمن التكلفة ، فهذا أمر خطير يقضي تماما على الصناعة الوطنية ، ولا خلاص منه الا بتدخل الدولة والحكومة بفرض الضرائب المرتفعة على البضائع المستوردة التي تنتج مثلها المصانع المحلية » .

لبناني المهجر ينقذ الاقتصاد الوطني

ان الميزان التجارى اللبناني في عجز دائم ... انه بلد يستهلك اكثر مما ينتج .. وبمعنى آخر يستورد اكثر مما يصدر ... ولكن غطاء الليرة الذهبي الذى يبلغ ٨٦٪ من قيمتها ، وميزان المدفوعات الذى أمكن ضبط بعض ابوابه بفضل الأموال التي يرسلها اللبناني في المهجر والتي تقدر بعشرات الملايين من العملات الصعبة المختلفة سنويا ، ان هذين العاملين من العوامل الأساسية التى تساند الوضع الاقتصادى الغريب للبلاد ..

نظام نابع من البيئة

ولقد جاء الخبير العالمي فان زيلند الى لبنان



تطحن مخلفات الأخشاب القديمة ، وتخلط بالغراء قبل ادخالها الى هذا الفرن ، لتتحول مرة ثانية الى ألواح خشبية تستعمل في الصناعة .

.. عاش فيه ، ودرس أوضاعه الاقتصادية العامة .. وعند سفره ، سألوه في المطار : ما رأيك ؟ .

فأجاب : « انكم بلد غريب ، يعيش بأسلوب خاص تكوّن مع السنين ، وأصبح نظاما نابعا من البيئة ، لا يخضع لاى نظرية أو تخطيط اقتصادى ... وأى تعديل عليه معناه القضاء على ازدهاركم العجيب .. لهذا لا يوجد عندى أى نصيحة ، الا ان تستمروا على نفس هذا النمط الذى لا يمكن تسميته أو وصفه .. » .

رفقا بلبنان ..

لقد عجز الخبير المالي العالمي عن ايجاد الحل لمشاكل الاقتصاد اللبناني .. لأنه اقتصاد متحرر منطلق ، نابع من بيئة حرة،تكره القيودوالتخطيط والنظام،ويختلط فيها الاقتصاد مع مكائد السياسة المحلية .. والعربية .. والعالمية ... !! .

كان الله في عون لبنان ! . ■■

سليم زبال





الى اليمين : من غابات افريقيا الغربية ، تأتي جذوع الاشجار الضخمة الى مصنع الاخشاب في طرابلس .. وتوضع هذه الكتل الضخمة تحت ضغط البخار لمدة ٣٦ ساعة حتى تلين قشرتها ، وبعدها تنقل الى الماكنة التي تقشرها الى قشرة رقيقة ، تتراوح سماكتها بين مليمتر وثلاثة مليمترات.. وبعدها تمر القشرة على المجفف لتخفيض نسبة رطوبتها الى ٧٪ فقط ، ثم تدهن القشرة بطبقة من الغراء ، تنقل بعدها الى المكبس : حيث توضع ثلاث قطع من القشرة فوق بعضها بطريقة عكسية ، وتترك في المكبس لفترة خمس دقائق حتى تلتصق وتتماسك .. تصبح بعدها خشبا يسمى « المعاكس » أو خشب « الابلكاج » ، وتتراوح سماكة هذا الخشب من ٣ الى ٢٠ ملم .. وباستطاعة هذا المصنع بمفرده تغطية حاجة لبنان وجميع الاسواق العربية ، التي يصدر اليها حاليا والى اليونان وقبرص وانجلترا .. ولا توجد بضاعة اجنبية تنافس انتاج هذا المصنع لانخفاض اثمان انتاجه وجودتها الزائدة ..









ما كدنا ندخل مصنع عربضة للغزل والنسيج والصباغة في طرابلس ، حتى خلنا انفسنا في احد مصانع النسيج بالمحلة الكبرى ! مئات المكنات تنظف القطن الخام وتمشطه وتغزله وتجعله خيوطا رفيعة قبل ان تحوله الى ١٢ مليون ياردة من النسيج ، هي المجموع السنوي لانتاج هذا المصنع الذي يعمل فيه ١١٠٠ عاملة وعامل .. والذي يضم آلة للطباعة حديثة – الصورة اليمنى – يمكنها طبع ١٢ لونا مرة واحدة على القماش ، بسرعة ٥٠٠ متر في الساعة ! ومن الغريب ان معظم اهل لبنان يجهلون ان في بلادهم مثل هذا المصنع الكبير ، وغيره من الصناعات المتقدمة .



طرائف غريبة

كارليل .. والبنّاء
انه يصف آجرة طوبة فوق طوبة !

● كانت أحلك لحظة في حياة المؤرخ والمؤلف الاسكتلندى توماس كارليل Thomas Carlyle ، هى تلك التى فيها دخل عليه صديقه العالم الاقتصادى المشهور جون ستيوارت ميل John Stuart Mill ، في صباح احد الأيام ، وقال له : « لا اعرف ماذا اقول لك ، ولكننى فقدت اصول كتابك الذى اعطيتنى اياه لقراءته .. فقد استخدمت مدبرة البيت ورقه المخطوط في اشعال نار المدفأة ! » .

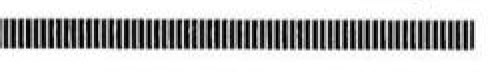
ويصف كارليل وقع هذا النبأ عليه فيقول :

« لقد انتابني في بداية الأمر شعور هو مزيج من الثورة والحزن، وانا ارى عصارة فكري وانتاجي تذهب وقودا للنيران .. ثم ما لبث ان احتوانى شعور باليأس قاتل !

« ثم مرت الأيام ، وانا في حيرة من امرى ، الى ان جاء يوم جلست فيه ارقب ما وراء نافذة حجرة مكتبى ، وفجأة شاهدت البنّاء الذى يعمل في تشييد البيت المواجه لبيتى ، فوجدته يمسك بقطع الطوب ، ويضعها الواحدة فوق الأخرى في هدوء .. حتى اذا ما جاء العصر ، كان الحائط قد ارتفع واكتمل بناؤه !

« وقلت لنفسي ، انا أيضا استطيع ان ابنى من جديد ما هدمته النيران ، وقمت الى مكتبى واخذت استعيد بذاكرتى ما كتبت ، ورحت اكتب الكلمة بعد الكلمة .. والجملة تلو الجملة .. حتى فرغت من اعادة ذلك الكتاب، «الثورة الفرنسية» The French Revolution اول واعظم اعمالى ! » .


كارليل





السعادة فى رأي شكسبير

● قال وليام شكسبير : اذا كانت سعادة الانسان مرهونة بوجود شخص معين ، أو بامتلاك شيء محدد ، فما هى بسعادة .. اما اذا عرف الانسان كيف يقف وحده في موقف عصيب ، مؤديا ما يجب عليه من عمل بكل ما في قلبه من حب واخلاص ، فهذا انسان قد وجد الى السعادة سبيلا ! » .



يسأل عن أصابع الخنزير

● كانت نانسي استور Nancy Astor اول امراة تدخل البرلمان البريطاني في عام ١٩١٩ .

وقد اثار جلوسها في مجلس العموم استياء عدد كبير من النواب المحافظين ، كما حاول الكثير من افراد الشعب البريطاني من الجنسين ، احراجها في الاجتماعات العامة ! ولكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل . فقد كانت هذه المراة من اذكى وابرع نساء بريطانيا !

حدث مرة ان وقفت ليدى استور تتحدث في اجتماع عام بدائرتها الانتخابية ، عندما صاحت احدى النساء تسألها : « هل تنوين اصلاح قانون الطلاق ؟ » وكان واضحا ان السيدة كانت تشير بهذا السؤال الى حادث طلاق ليدى استور من زوجها اللورد بسبب خيانته اياها !

وادركت النائبة الغرض الذى تهدف اليـــه السيدة بسؤالها وهو ان تعيرها بهذا الطلاق فما كان منها الا ان قالت في هدوء « يؤسفنى ان اعلم يا عزيزتى ان زواجك في خطر ! » .

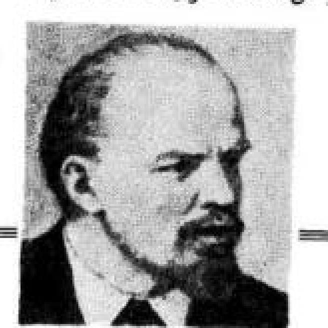
وفي اجتماع آخر ، سمعت ليدى استور رجلا يسألها : « هناك سؤال يحيرنى ايتها النائبة المحترمة ، هل تستطيعين ان تقولى لى كم عدد الاصابع في قدم الخنزير ! »

وابتسمت النائبة وهى تقول لصاحب السؤال : « لماذا لا تخلع حذاءك ، وتعد أصابعك بنفسك ، ستزول حيرتك حتما اذا فعلت ذلك يا صديقى ، ولا تنس ان تقول لي كم عددها ، ولكن بعد نهاية الاجتماع ! »

الرجل غريب الاطوار !

● تعرض آلان دالاس الرئيس الراحل للمخابرات الأمريكية لحملة نقد شديدة من الكونجرس الأمريكى بسبب فشل جهازه في كثير من المناسبات لأنه يضيع وقته في مقابلة شخصيات صغيرة تافهة، حتى أنه تصور في يوم من الأيام ان جاويشا سابقا في قوات كاسترو ، قادر على ان يقلب تلك الحكومة الثورية في كوبا !

ولم يتعرض دالاس في دفاعه عن نفسه لاتهام النواب الخاص بفشل جهازه ، ولكنه ركز كل دفاعه حول النقطة الثانية،

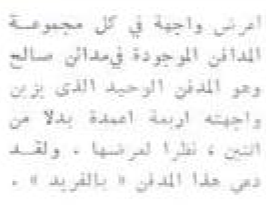


لينين

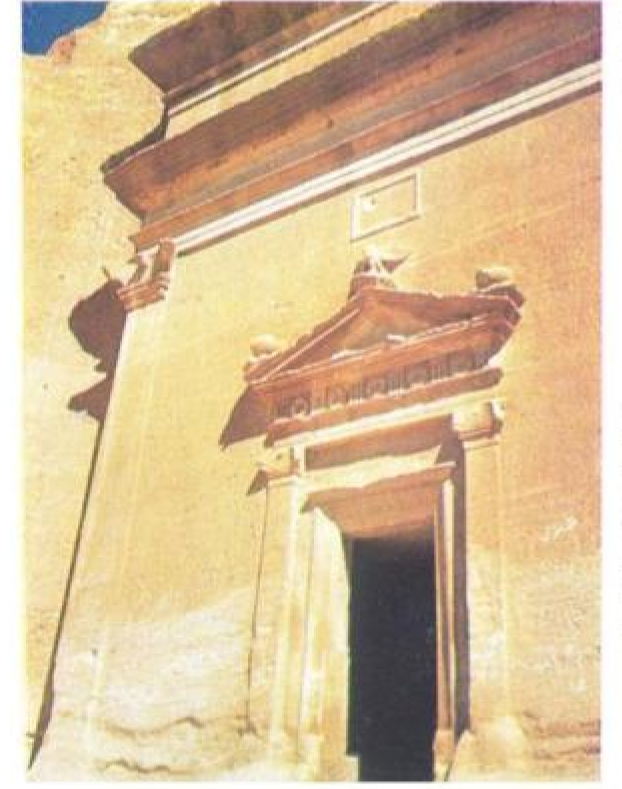
قال : « لقد تلقيت درسا لن أنساه طول حياتى . كان ذلك عندما أسند الى منصب دبلوماسي صغير في سويسرا في عام ١٩١٧ ، وفي أحد الأيام جاءنى صديق يدعونى لزيارة رجل غريب الأطوار يعقد ندوات خاصة في بيته الصغير بمدينة زيوريخ . ولكننى اعتذرت للصديق لأننى كنت على موعد للاشتراك في مباراة للتنس !!

وقال دالاس : « ومر اسبوعان على هذا الحادث عندما جاء الى صديقى يقول ان الرجل غريب الأطوار الذى دعوتك لحضور ندوته قد عاد الى روسيا في عربة مدرعة من عربات السكة الحديد، ليراس الحكومة الثورية في بلاده ، وان اسمه لينين !

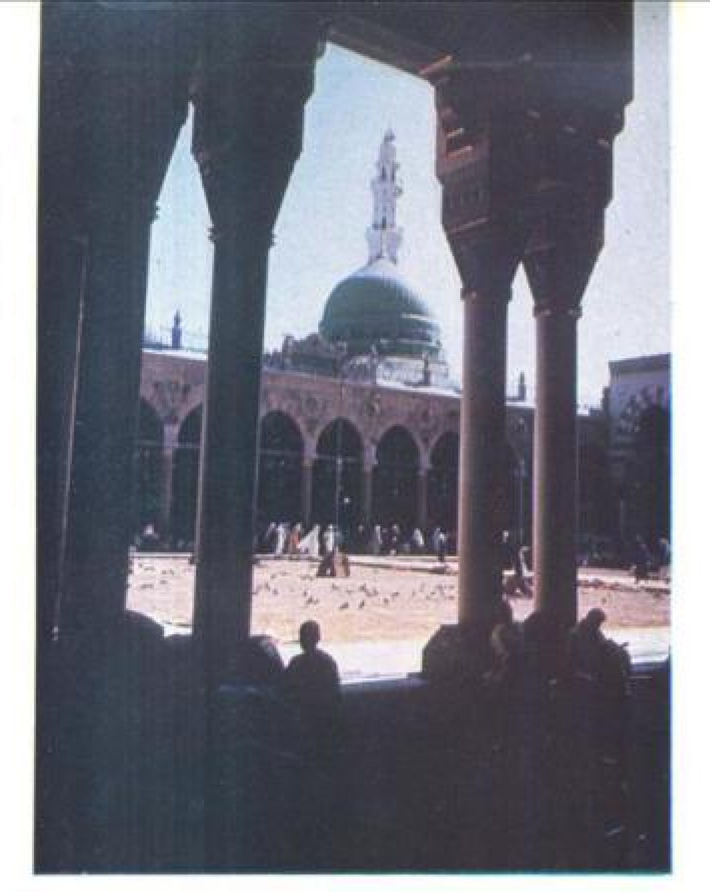
« ومنذ ذلك اليوم لم أرفض مقابلة احد مهما صغر !! » .



اعرض واجهة في كل مجموعة المدافن الموجودة فيمدائن صالح وهو المدفن الوحيد الذي يزين واجهته اربعة اعمدة بدلا من اثنين ، نظرا لعرضها ، ولقد دعي هذا المدفن « بالفريد » .



مدفن آخر من مدافن مدائن صالح يوجد على جانبيه عمودان داخلان ضمن الجدار ويبرزان بضعة سنتيمترات فقط . يجذب النظر فوق هذا الباب النسر الكبير الذي يعلوه والذي حافظ على شكلهبصورة جيدة ما عدا الراس الذي قطع .



باحة المسجد النبوي التي يكثر فيها الحمام الأليف الذى لا يمسه احد بسوء. وقد ظهرت احدى القباب الملونة واحدى المآذن المرتفعة وراءها .

من المدينة المنورة إلى.. مدائن صالح

بقلم : الدكتور خالد الصوفى

مدير المركز الثقافي العربي بدمشق

■ لم تكن الطائرة التى اقلتنا من الرياض الى المدينة المنورة نفاثة بل كانت عادية استغرقت رحلتها بين المدينتين ما ينوف على ساعتين بقليل . وما ان حططنا في مطار يثرب حتى اسرعت سيارة كبيرة لتقلنا الى مركز المدينة الذى وصلناه في اقل من ربع ساعة .

كان من حظنا ان الفندق الذى بتنا فيه يجاور المسجد النبوى تماما ولا يبعد عنه سوى قيد خطوات . أول ما يلاحظه زائر المدينة المنورة هو الهدوء الذى يخيم عليها .

وهذا الهدوء لا شك مبعثه ذلك الشعور العميق بالرهبة والتهيب الذى يداخل الانسان منذ ان

تطا قدماه مدينة الرسول التي هاجر اليها فنصرته ثم مات ودفن في ارضها .

المسجد النبوي

كل شيء في المدينة المنورة يدور في فلك المسجد النبوي . فالهدف الاول لكل مسلم يؤم المدينة هو زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم . لذلك فقد نمت الحياة التجارية والاجتماعية والعمرانية وترعرعت حول ذلك المسجد العظيم . فالاسواق قريبة اليه محيطة به ، ودوائر الحكومة لا تبعد عنه سوى القليل ، والاجتماعات والحلقات تعقد في باحاته الخارجية . اما منظر المسجد من الداخل فهو حقا رائع اخاذ لاتساعه وكثرة اعمدته وجمال نقوشه وزخارفه مما يجعله آية من آيات فن البناء واحد المساجد الاسلامية الاربعة الكبرى في العالم .

لم يكن المسجد النبوي في السابق على ما هو عليه اليوم من الاتساع والعظمة ، اذ ان الرسول عندما امر ببنائه في شهر ربيع الاول من السنة الاولى للهجرة (٦٢٢ م) لم يكن طوله يزيد على خمسة وثلاثين مترا وعرضه عن ثلاثين متـرا . ساهم الرسول بنفسه في بناء المسجد عاملا في نقل الحجارة وقطع القرميد .

كانت ركائز المسجد من الحجارة وجدرانه من القرميد بينما كان سقفه من سَعَف النخيل . كان له آنذاك ابواب ثلاثة ، احدها كان متجهـا نحو الجنوب بينما كانت القبلة باتجاه القدس وقبل أن تتجه نحو الكعبة ، الثاني كان اسمه باب مكة يتجه نحو الغرب والثالث باب العثمان .

في السنة السابعة للهجرة وبعد ان عاد الرسول من غزوته لخيبر ، امر بتوسيع المسجد في جهات ثلاثفوصلت بذلكمساحته الى ٢٤٧٥ مترا مكعبا.

المسجد النبوي في عهد الخلفاء ومن تلاهم

اما في عهد عمر بن الخطاب فقد زيد في توسيع الجامع فضم اليه منزل العباس واصبح طوله سبعين مترا وعرضه ستين . اما عدد الابواب فقد اصبح ستة ونظرا لاتساع المسجد فقد دعم البناء باعمدة من خشب حيث بقي على تلك الحال حتى السابعة عشرة للهجرة .

اخذ الخلفاء المسلمون يعمل كل منهم بعد ذلك في توسيع المسجد وتحسينه وادخال التعديلات على بنائه ، فكان عثمان بن عفان هو الذى اعاد بناء المسجد ووسعه في جميع الجهات ، وجعل اعمدته من الحجر المقوى بالحديد والرصاص ، كما شاد في داخله مقصورة صغيرة لا يزيد ارتفاعها عن المترين .

وهكذا كان مسجد الرسول يتطور مع الزمـن ويزداد اتساعا ، ساهم في ذلك كثير من خلفـاء الامويين والعباسيـين وسلاطين المماليـك والعثمانيين . وقد اندلعت النار في المسجد خلال ذلك مرتين على الاقل ، الاولى سنة ٦٥٤ هـ في عهد العباسيين ، والثانية سنة ٨٨٦ هـ في عهد المماليك .

المسجد النبوي في عهد آل سعود

حتى اذا وصلنا الى العصر الحديث الى زمن حكم الاسرة السعودية رأينا ان اعظم توسيع واكبر جزء زيد في المسجد النبوي كان على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

وقد وجه الملك عبد العزيز آنذاك اى بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) رسالة الى جميع مسلمي العالم اعلن فيها عن نيته في توسيع المسجد النبوي وبدا العمل فعلا في الثالث عشر من ربيع الاول سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م) وبعد ثلاث سنوات من العمل المستمر اصبح مسجد الرسول على الشكل الذى نراه عليه الآن . واحتفلت المملكة العربية السعودية والعالم الاسلامي بذلك الحدث الهام .

اما بالنسبة لقبر الرسول داخل المسجد فلقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعيش في حياته قرب المسجد في بيت معروف باسم بيت عائشة ، فلما توفي دفن في حجرة عائشة . ثم دفن ابو بكر فيما بعد الى جانبه ، ثم عمر .

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك قام واليه على الحجاز عمر بن عبد العزيز بضم المنزل الى بناء المسجد ، وامر بان يبنى حول القبور الثلاثة بناء خاص ، اخذ يتطور مع الزمن تطور المسجد حتى اصبح على شكله الحالي .

اعمدة اربعة تحدد منزل الرسول

يستطيع الداخل الى المسجد أن يرى بعض الاعمدة التي تحيط بقبر الرسول وموقع منزلـه القديم قد كتبت عليها اسماؤها فاحـدها دعى اسطوانة الوفود حيث كان النبى الكريم يستقبل الوافدين عليه . وآخر دعى اسطوانة الحـرس حيث كان يجلس من يتطوع لحراسته حينالحاجة.

وثالث دعى اسطوانة ابى لبانه ويعرف بالتوبة .
ورابع دعى اسطوانة عائشة .
وهذه الأعمدة كلها توجد في المسجد بالمكان المعروف « بالروضة » اذ يروى حديث شريف عن الرسول يقول فيه « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . وعلى هذا الأساس يهرع المصلون الى ذلك المكان بالذات لتأدية فريضة الصلاة فيه .

للمسجد النبوى ابواب ثمانية

للمسجد حاليا ثمانية ابواب كبيرة يدخل منها الناس للصلاة وقد خصص قسم من الصحن لصلاة النساء فلا يحرمن بذلك من تأدية تلك الفريضة في المسجد الحبيب الى قلوب الناس جميعا . الحق يقال ان الانسان عندما يجد نفسه في المدينة المنورة لا يشعر بالاكتفاء من زيارة المسجد النبوى والتردد عليه،ولكن كان في برنامجنا زيارات كثيرة اخرى داخل يثرب وخارجها ، لها الصلة الوثيقة بالتاريخ بالدرجة الأولى ، وكان علينا ان نقوم بها قبل أن يدهمنا الوقت .
في تلك المنطقة بالذات حدثت موقعة أحد وموقعة الخندق وغيرهما من الحوادث التاريخية الهامة ، فهل نغادرها دون أن نرى جبل احد ، وكيف دار خالد بن الوليد ليوقع بالمسلمين ، ودون أن نرى ذلك الخندق العظيم الذى حفره المسلمون وكان من اكبر دواعى نصرهم في المعركة ؟

عند جبل أحُد حيث وقفت الغزوة الشهيرة

اتجهنا من قلب المدينة نحو أحُد ، والمسافة لا تستغرق سوى دقائق معدودات . كان على يسارنا سقيفة بنى ساعدة وقلعة المدينة التى بناها جماز ابن شيحة .. حتى اذا وصلنا امام الجبل الطويل الاشم زرنا مقبرة الشهداء حيث يرقد حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش وعدد ممن لاقوا وجه ربهم في موقعة احد .
ولست هنا في سبيل استعراض مراحل المعركة وانما اردنا ان نرى فوق ارض المعركة كيف حدثت تطوراتها بالفعل وكيف انقلب نصر المسلمين الى هزيمة .
كانت امامنا المنطقة المسماة « بالصمغة » حيث نزلت قريش حين قدومها لغزو الانصار في المدينة ، وكان امامنا الطريق الذى مرت فيه بين الجبلين حتى وصلت الى تلك المنطقة ، والجبلان يعرفان باسم « العامر وأم خالد » .
امام جبل أحد وعلى بعد أمتار منه كانت توجد حرة العينين التى تحصن فوقها رماة المسلمين بانتظار وصول العدو . وبدات المعركة ورجحت فيها الكفة بشكل واضح الى جانب المهاجرين والأنصار مما اضطر النساء اللواتى كن يرافقن قريشا الى اللجوء الى طرف أحُد وصعوده للاعتصام به وهذا ما ادى الى اعتقاد المسلمين بان المعركة قد انتهت فنزل الرماة عن الجبل الذى كانوا يقفون فوقه لجمع الغنائم .
راى خالد بن الوليد ذلك ، ولم يكن قد دخل الاسلام بعد ، كما هو معروف ، فاراد أن يسير مباشرة من مكانه الى الحرّة التى تركها الرماة المسلمون ، ولكن كان بينه وبين الجبل بنو حارثة من أصحاب الرسول فاضطر أن يدور من وراء أحد الذى يبلغ طوله ثلاثة كيلو مترات ونصفا حتى وصل الى الحرة التى يقصدها ، فاحتلها وبدأ يرمى المسلمين مما غير الموقف تماما وجعل كفة قريش ترجح دون أن تنتهى المعركة الى نتيجة حاسمة اذ أن قريشا اكتفت بما فعلت فانسحب مقاتلوها .
ويظهر أن الرسول خشي أن يكون انسحاب قريش مؤقتا وأن يكون لها تفكير في العودة ، أو ربما أتاه خبر ينبئه بذلك فجمع أنصاره ولحق بقريش كي يثبت لها انه ما زال قادرا على القتال ، فلما راى القرشيون ذلك فضلوا الانسحاب والعودة الى مكة .

في مكان غزوة الخندق

انتقلنا بعد ذلك الى مكان غزوة الخندق فشاهدنا بوضوح بدايته ونهايته رغم أنه مردوم ردما يكاد يكون تاما . والمرجح أن ذلك الخندق يبلغ ثلاثة كيلو مترات ونصفا طولا، وقياس المسافة بالضبط ليس بالأمر المتعذر .
يقال ان المسلمين انفقوا في حفره أربعة وعشرين يوما ويقال ستين ، فقد كان الجيش يعد ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص وكلا الرقمين على هذا الاساس مقبول . اما عمق ذلك الخندق فهو غير محدد ، وبما انه قد ردم لم يكن بامكاننا قياسه في أى مكان من امتداده . ولكن من الطبيعى انه كان عميقا لا يقل عن ثلاثة امتار بدليل ان احد المشركين اندفع بفرسه يريد اجتيازه فلم يستطع وسقط فيه.

ثم لم يتمكن من الخروج منه .

وان دلنا ذلك على شيء فانما يدلنا على أن الخندق لم يكن عرضه اقل من اربعة امتار ، اذ لولا ذلك لتمكن الحصان من اجتيازه، ويدلنا ثانيا على عمقه لعدم تمكن الفارس من الخروج منه فيما بعد .

من مكان موقعة الخندق توجهنا نحو مسجد القبلتين وشاهدنا الاتجاه الذى كان يقف فيه المسلمون نحو المسجد الاقصى في القدس ، ثم كيف تحولوا الى ناحية الكعبة في أثناء احدى الصلوات. ولا زال ذلك المسجد مقصد الالوف من المسلمين الذين يؤمون المدينة المنورة .

في مسجد قباء

ثم قمنا اخيرا بزيارة مسجد قباء وهو أول مسجد للرسول ولا زال هـذا المسجد محتفظا ببساطته وروعته تعلو صحنه كتابة تقول : « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة » .

الى مدائن صالح

كنا نعلم انه كان لا يزال في المدينة المنورة كثير من الاماكن المقدسة والتاريخية يجب زيارتها ، بيد اننا اكتفينا هنا بان وصفنا ما شاهدناه بالفعل دون زيادة او نقصان لان وقتنا لم يكن يسمح لنا آنذاك بمزيد من الزيارات ، ولان القسم الثانى من رحلتنا كان يستغرق من وقتنا اكثر من القسم الاول ، كما انه كان على غاية من الاهمية والتشويق، وكنا جميعا نشعر برغبة ملحة للانطلاق في طريقنا نحو الشمال ، نحو منطقة « العلا » وآثار مدائن صالح .

كنا نسمع بمدائن صالح بالاسم دون أن نعرف عنها شيئا سوى القليل الذى ذكر عنها في القرآن الكريم وسوى بعض التلميحات التى وردت عنها في بعض الكتب التاريخية . ❋

طريق صعب

ان المسافة التى تفصل مدائن صالح عن المدينة المنورة تقدر بحوالى ٤٠٥ كيلو مترا . ومدائن صالح تقع على طريق تبوك ، على طريق الاردن ، على طريق دمشق اذا اردنا زيادة الايضاح . وعلى الرغم من قلة عددنا فضلنا أن نستقل سيارة كبيرة، لاننا افهمنا بانها تستطيع السير في تلك الطرقات احسن مما تستطيعه السيارات الصغيرة .

انبئنا حين وجودنا في المدينة المنورة انالطريق صعب ، غير مطروق الا القليل ، خال من الزاد والماء ، لذلك اتخذنا كل الاستعدادات اللازمة لذلك ، فتزودنا من الطعام بما يكفى لخمسة أيام ومن الماء بما يكفى ليومين .

وصولنا الى خيبر

كانت مغادرتنا للمدينة المنورة في السادسة صباحا ولقد سرنا ما يقرب من مائة وستين كيلو مترا من الطرقات المعبدة حتى وصلنا الى خَيْبر.

هذا الاسم مألوف لدينا طبعا فلقد كان مركزا من أهم مراكز اليهود في شبه الجزيرة العربية ، غزاهم الرسول في السنة السابعة للهجرة وانتصر عليهم .

بعد حوالى ثلاثين أو اربعين كيلومترا من خيبر أى ما يعادل مائتى كيلو متر من المدينة المنورة ، تنتهى الطرق المعبدة وتبدأ السيارة في طرق صحراوية كثيفة الرمل أو جبلية وعرة أحيانا .

لا أريد أن أبالغ في صعوبة الطريق وخطورته ولكنى أؤكد بانه يحتاج الى سائق جرىء قوى عارف بطرق المنطقة والا فانه يعرض نفسه ومن معه للضياع ، نظرا لان معالم الطريق غير واضحة في كثير من أجزائه ، فضلا عن أننا غصنا في الرمال عدداً من المرات ، فكنا نضطر الى جمع جهودنا كلها معا لنتضافر في اخراجها من الرمال التى كانت تأبى افلاتها بسهولة .

❋ لقد ورد اسمها في القرآن الكريم «الحجر»وذلك في قوله تعالى في سورة « الحجر » : « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنافكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين » .

كما ذكر القرآن الكريم تلك الأقوام التى عاشتهناك في سورة التوبة « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحابمدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » . وجاءفي سورة الفجر : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » .

وتابعنا الطريق

ان صعوبة الطريق التي نتحدث عنها هي التي كانت السبب في قلة ارتيادها ، وفي قلة عدد أولئك الذين زاروا مدائن صالح . فعلى الرغم من وجود بعض المسؤولين في المملكة العربية السعودية وعلى الرغم من سكان المنطقة نفسها ، لم يطرقها من الاجانب الا القليل القليل،غالبيتهم من المستكشفين الذين ذهبوا لغايات علمية أو اقتصادية أو غيرها .. مثل فيلبي ، ودوتي ، وبورتون ، وبرونو ، ودوماشفسكي ، وغروترز ، وجوسن ، وسافينياك، واخيرا بعض البعثات الاجنبية خاصة الامريكية لدراسة طبيعة الارض والتفتيش فيها عن البترول والماء العذب الذي لا تقل قيمته في المملكةالعربية السعودية عن البترول نفسه اذ يمكن للانسان كما نعلم أن يعيش بدون البترول ولكن لا يمكنه ان يعيش بدون الماء .

في منتصف ذلك الطريق الوعر شاهدنا سيارة نقل داخلي (بيك آب) واقفة وقد تعطلت وجلس الى جانبها حول نار موقدة رجلان وامرأتان .توقفنا عندهم وسألناهم عن أحوالهم وعرضنا عليهم المساعدة فشكرونا واخبرونا بان لديهم من الزاد والماء ما يكفي في الوقت الحاضر وانهم ينتظرون مرور احدى السيارات المتجهة من منطقة العلا (التي توجد فيها مدائن صالح) الى المدينة المنورة ليرافقوها اذا لم يتمكنوا من اصلاح سيارتهم . فتابعنا طريقنا .

كنا نمر حذاء سلاسل جبليةقليلةالارتفاع يميل لونها الىالسواد أو الىالاحمرارالداكن والتيكانها تضم من المعادن ما يشكل ثروات لا تقدر من مناجم الكحل والحديد والمغر والنحاس وغير ذلك.

عند المحطة الرابعة

قبل غياب الشمس بقليل وصلنا الى المحطة الرابعة . ولست أعني بها احدى محطات البترول بل أعني المحطة الرابعة لسكة حديد الحجاز قبل مدينة العلا عاصمة تلك المنطقة ، اي انه كان قد تبقى امامنا اجتياز أربع محطات حتى نصل الى هدفنا . وقد عرفنا آنذاك أن المسافة التي لاتزال تفصلنا عن العلا كانت مائة كيلو متر بالضبط طالما أن المسافة بين محطة واخرى كانت خمسة وعشرين كيلو مترا .

اذن حاذينا سكة حديد الحجاز على بعد مائة كيلو متر من منطقة العلا وعشرين كيلو مترا من مدائن صالح . فهدأت نفوسنا رغم كثافة الرمال لان ذلك الجزء من الطريق أصبح مطروقا أكثر من أجزائه السابقة فقذذنا السير .

وصلنا العلا

كان وصولنا الى العلا مع أذان العشاء أي بعد أن قضينا حوالى أربع عشرة ساعة في الطريق ، قطعنا خلالها اربعمائة وخمسين كيلو مترا وبشيء غير قليل من الحظ .

عشاء مع الأمير ومنظر للطبيعة خلاب

تناولنا طعام العشاء بدعوة من أمير المنطقة وبتنا في مدرسة العلا وعندما استيقظنا في صباح اليوم التالي شاهدنا من جمال الطبيعة في تلك المنطقة ما أدهشنا : كانت مدينة العلا وسط سهل فسيح تحيط به الجبال من كل جوانبه حتى يخيل للناظر أن تلك الجبال ملتصق بعضها ببعض ولا يوجد ممر بينها . والواقع أن الانسان لو اقترب منها لرأى أن هناك كثيرا من الممرات بينها ، لكنها لا تظهر للرائي عن بعد . وأروع ما في ذلك المنظر أشكال الجبال ، اذ لا يوجد اثنان منها لهما نفس الشكل ، بل كل منها يختلف عن الآخر تمام الاختلاف من جراء التآكل وعوامل الطبيعة .

هذا ومما يجذب النظر انه على ارتفاع ثلاثة او أربعة أمتار من الارض يظهر على مجموعة الجبال المحيطة بذلك السهل خط متساو يوحي للانسان بانه علامة لمياه كانت متجمعة في ذلك المكان وتشكل شبه بحيرة ، ثم ما لبثت تلك المياه أن انحسرت وغاضت .

هذا الاستنتاج لا يعدو أن يكون افتراضا شخصيا لا يستند الى مايثبته من البراهين العلمية. أما مدينة العلا نفسها ، فهي محاطة بالبساتين النضرة المليئة بالخضار والأشجار المثمرة مما يستغرب وجوده في منطقة صحراوية كتلك المنطقة. بيد أن الله حباها بست وثلاثين من عيون الماء الغزيرة قادرة على أن تسقي أكثر بكثير من المساحة المزروعة فيها .

منطقة أثرية

ويتوارد على خاطر الانسان تساؤل طبيعي وهو يسرح ببصره بين تلك الفياض والجبال ذات

الاشكال الزخرفية الهندسية : كيف ستكون احوال تلك المنطقة لو مهد الطريق الموصل اليها واعلنت منطقة سياحية ؟

الجواب دون شك انها ستكون منطقة اثرية رائعة ، يهرع اليها الزائرون من جميع انحاء العالم ليشاهدوا معالم طبيعية يندر وجود مثلها، وليطلعوا على حضارات في غاية القدم .

من العلا الى مدائن صالح

من العلا توجهنا الى مدائن صالح ولم تكن المسافة اكثر من عشرين كيلو مترا كما سبق ان ذكرت فسرعان ما وصلنا الى منطقة الآثار .

هناك في تلك المنطقة وبجوار تلك الجبال التي حفرت فيها المدافن القديمة تقوم الآن قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها بضع مئات من الناس يعيشون على الزراعة المحدودة ورعاية الماشية . وتنتشر الجبال الضخمة الواحد منها الى جانب الآخر وفي سفح كل منها نحت سكان تلك المنطقة من العرب الاقدمين عددا من المدافن .

كانوا يؤمنون بانه من الواجب عليهم أن يعدوا لانفسهم مكانا لائقا بعد الموت تستريح فيه اجسادهم من عناء الحياة ، وكانوا يؤمنون بأن مظهر القبر الخارجي يجب أن يكون على غاية ما يمكن من الزخرفة والزينة والبهاء والجمال لانه يدل بذلك على صاحبه . ومن هنا أتت فكرة تلك الرسوم الزخرفية والهندسية التي تملأ واجهات تلك المدافن، ومن هنا أتت ايضا دقة النحت التي يتميز بها عدد ضخم من تلك المنشآت .

وفكرة الحياة الآخرة والاعداد لما بعد الموت كانت معروفة كما نعلم لدى عدد غير قليل من الشعوب القديمة في الشرق الادنى ، فنرى ما يشبه تلك المقابر في البتراء Petra مثلا ، كما نرى أخرى اقل مماثلة لها في تدمر Palmyra ونرى الاهرامات في مصر ..

بيد اننا نلاحظ فرقا بين الاهرامات المصرية وقبور مدائن صالح ، يتلخص في ان المصريين الذين كانت تشغلهم فكرة الحياة الاخرى كانوا يحفرون في بطن الارض قصورا كان الوصول اليها يجب أن يحال دونه بكل الطرق الممكنة ، . كانوا ينحتون داخل تلك القصور المخبأة نقوشا وروائع في منتهى العناية والدقة ، ولكن لم يكن من الجائز أن تقع عليها عين انسان حي .

اما في مدائن صالح فالعائلات المالكة والأثرياء وكبار التجار وغيرهم ممن كانت تتوافر لديهم الثروة لبناء تلك المدافن ، كانوا يرغبون في اظهار ما هم عليه من النعمة المادية وما هم عليه من القدرة في بناء قبور عائلية فيطلبون من الفنان المكلف بانجازها أن يصب كل قدرته الفنية على الواجهة ، بينما لا يوجه سوى القليل من اهتمامه للداخل .

مدافن لا حصر لها

لم نحص عدد الجبال المنحوتة فيها تلك المدافن، كما اننا لم نحص عدد المدافن في كل تلك الجبال ، فلقد كانت تنتشر في منطقة واسعة ، بل كانت تنتشر في أكثر من منطقة ، ولذلك فان احصاءها كان على درجة كبيرة من الصعوبة .

ولكي اقدم على وصف تلك المدافن عليّ أن اقسم موضوعي الى قسمين : وصفها من الداخل، ووصفها من الخارج . واظن اننا نستنتج مما سبق ان الموضوع الثاني المتعلق بالواجهة الخارجية هو الأهم ، وان الموضوع الاول المتعلق بالداخل هو الاقل اهمية .

وصف المدافن من داخلها

داخل تلك المنشآت بسيط غير معقد ، لا يحتاج الى الكثير من الوصف . بعضها لا يحتوي على اي شيء مطلقا ، فهو ليس أكثر من غرفة مربعة او مستطيلة يختلف طولها وعرضها بحسب كبر او صغر البناء ، وكل ما يستطيع أن يعثر الانسان عليه فيه هو كمية كبيرة جدا من العظام البشرية التي لا يزال بعضها محافظا على شكله برغم تقادم الزمن . وبعضها الآخر يحوي بعض الرفوف الحجرية وهذا ما يدعو الى الاعتقاد بأن تلك المنشآت قد استخدمت في وقت من الاوقات للسكن، بيد انه يرجح أن تكون قد سكنت بعد العهد الذي نتحدث عنه .

بعض الغرف الداخلية قد حفر في أرضها عدة طبقات لا تعلو الواحدة عن الاخرى أكثر من نصف متر خصصت لوضع التوابيت أو لوضع الجثث . واحيانا حفرت الجدران بشكل طولي أو عرضي لنفس الغاية وعلى نفس النمط الذي يمكن للانسان أن يشاهده في مقابر البتراء وتدمر .

ويلاحظ زائر المنشآت احيانا أن مدفنين يتصلان معا بواسطة نافذة مفتوحة الجدار المشترك ولا بد ان يكون ذلك الاتصال قد أوجد في عصور متأخرة

لان ساكني المكانين قد رغبا في ذلك لسبب ما .

وصف المدافن من خارجها

اما من حيث الوصف الخارجي فهو اغنى بكثير ويحتوى على كمية من المعلومات والاوصاف والشروح اعرف جيدا انني لا أستطيع هنا ان أوفيها حقها، لذلك اكتفى بذكر شيء منها ربما يفيد في اعطاء فكرة واضحة عن آثار مدائن صالح .

يمكن تقسيم المدافن في مدائن صالح الى عدة فئات ، بيد انه يمكن جمعها كلها تحت فئتين كبيرتين هما : القبور التي يعلوها افريز مفرد او مزدوج أو متعدد ، والقبور التي تعلوها زخارف على شكل السلم . هذا وتجد فوق واجهة كل واحد من هذه القبور الى جانب الافريز او الى جانب السلم أو تحتهما اشكالا كثيرة أو زخارف متنوعة سابادر الآن الى ذكر امثلة عنها .

احد المدافن يرى فوقه حيوانان في حالة استراحة ، يواجه احدهما الآخر ، رأس كل منهما متجه نحو الوراء بشكل ملحوظ ، واحدى الرجلين الاماميتين موضوعة على اسطوانة يوجد في داخلها نجمة من ستة اضلع .

ارتفاع الحيوانين والاسطوانة اربعون سنتيمترا واما طول كل من الحيوانين فهو سبعة وعشرون سنتيمترا.هذان الحيوانان يشبهان اللبؤةبصورة عامة بينما يوحى الذنب المعقوف بانها صورة كلب.

لقد راى بعض علماء الآثار ان النجمة تحيط بها خيوط رفيعة من الشعاع لا تكاد عين الانسان تميزها مما دعاهم الى الاعتقاد بانها ربما كانت تمثل الشمس اكثر مما تمثل احد النجوم . لذلك يتساءل الانسان فيما اذا لم يكن الفنان النبطي الذى قام بنقش تلك الصور والزخارف فوق ذلك الضريح ، لم يستوح صورته من الاسطورة الاشورية التى تتحدث عن الأسدين اللذين كانا يحرسان باب الشمس .

مدفن ثان يلاحظ على جانبي بابه عمودان داخلان ضمن الجدار ويبرزان بضعة سنتيمترات فقط . يجذب النظر فوق هذا الباب النسر* الكبير الذى يعلوه ، والذى حافظ على شكله بصورة جيدة ما عدا الرأس الذى قطعه العرب المسلمون ، كما قطعوا معه جميع رؤوس الحيوانات المتمثلة في زخارف مدائن صالح ، لاعتبارهم ان الصور الكاملة غير مباحة .

هذا النسر الذى يمكننا ان نراه فوق كثير من تلك المنشآت اتى على الارجح من سورية ، على الرغم من ان علماء الآثار يستغربون وجوده في جنوب شبه الجزيرة العربية وعدم وجوده فوق مدافن البتراء الاقرب الى سورية والتى كانت تربطها علاقات وثيقة بها * .

على أى حال ان رمز النسر كان مستعملا بكثرة في سورية في الوقت الذى استعملته مدائن صالح ولذلك فانه يمكن الاعتبار بانه أخذ من سورية دون شك . بعض العلماء يقولون بانه يمثل الشمس عند بعض الشعوب وانه كان الطائر المفضل لجوبتر، اله الآلهة عند الرومان . *

تاريخ بناء هذا المدفن الذى نتحدث عنه هو اقدم تاريخ موجود على تلك المدافن وهو سنة ٩ من حكم الملك حريتات أى سنة ١ ق.م.

ابو الهول .. !

مدفن ثالث يرى فوقه رسم «أبو الهول» ويعتقد بانه كان يعتبر من تلك الكائنات الخيالية التى كان الانسان يتصورها ويرسمها فوق الابنية كما يرسم الأسود للزينة ولكنها تحتوى على فكرة رمزية ايضا.

بيد ان شكل ابى الهول في مدائن صالح لايسمح بالتاكيد فيما اذا كان ماخوذا عن مصر أم عن الفينيقيين الذين وجد مثل ذلك في بعض مواضعهم.

ضريح آخر يعلوه نسر* ذو حجم عظيم ناشر جناحيه كما لو كان على وشك الطيران تحته حيتان تضع كل منهما راسها في اذن رأس بشرى قد وضع بينهما ، والغاية من تلك الصورة اما زخرفية او على الاكثر رمزية لان الافاعى كانت غالبا ما تستعمل كرمز دينى .

مدفن خامس له اعرض واجهة في كل مجموعة المدافن في مدائن صالح وهو الوحيد الذى يزين واجهته اربعة اعمدة بدل اثنين ، نظرا لعرضها . ولقد دعى هذا المدفن بالفريد لانه انفرد بهذه الخاصة دون غيره كما يدعونه ايضا ببيت الشيخ.

وفي اعلى جانبي الباب يوجد كاسان كبيرتان وهي ظاهرة تتردد فوق عديد من ابواب منشآت مدائن صالح .

* نسر ام عقاب ؟ راجع مقال « الجوارح من الطير » في العدد ١٢٩ من العربي . والخلط الذى وقع فيه العرب الاحدثون بين المصنفين من الجوارح .

اما على جانبي باب الفريد فقد وضع في كل جهة عدد من الحجارة الكبيرة حار العلماء طويلا في تفسيرها وغلب الرأي القائل بانها امكنة جلوس لمستشاري البلدة وعلى هذا الأساس سمي ذلك المكان بمحل المجلس .

اكتفي بهذه النماذج الخمسة من الزخارف التي تزين واجهات منشآت مدائن صالح لانها تمثل اهم ما يمكن ذكره في هذا الموضوع .

اسطورة قصر البنت

هذه المنشآت قد اطلق على العديد منها اسماء تتناسب مع أمر يتعلق بها أو قصة جرت لها أو خاصة تميزها .. فقد مر معنا اسم الفريد أو بيت الشيخ بينما نرى بناء آخر يطلق عليه اسم قصر البنت وآخر اسم قصر الصانع وهكذا ..

ويقال ان قصر البنت سمي كذلك لأن له قصة لا يعرف اذا كانت اقرب الى الحقيقة أو الى الأسطورة : أحد مشايخ البلدة الشيخ حدري كان له فتاة في غاية الجمال اسمها بثينة . كان يخشى عليها من الرجال ومن عيونهم ومن محاولات اغرائهم، ولذلك اسكنها في قمة جبل من الجبال ، وسكن هو تحتها في بناء من أجمل الابنية التي تحدثنا عنها وهو قصر البنت . وعلى الرغم من تلك الاحتياطات التي اتخذها حيال ابنته تمكن أحد الصناع في البلدة من أن يرى الفتاة وأن يحدثها . وأولع الصانع بها واخذ يفتش عن الوسيلة التي يستطيع بها الوصول الى مسكنها . وفطنت بثينة الى خطة ، فلما جاء الليل عقدت من خصل شعرها الطويلة حبلا متينا استطاعت أن تمده الى أسفل فتمسك الصانع به وصعد اليها . وهكذا كان الصانع يقضي معظم أوقات الليل الى جانب حبيبته يغطيهما الظلام وينفصلان حين تلوح في الأفق أولى بوادر الصباح .

وحملت بثينة وشغلت بما فعلت وصارت تقضي الساعات الطويلة وهي تفكر بالمصير الذي ينتظرها لو علم أبوها بالامر وكانت تردد دوما في عزلتها :

ويل الحدري لو يدري
بثينة عثرت يدري
يا حدري ، لو انك تدري
ضربت راسك بالجدري

وحدث مرارا أن الجيران قد سمعوها وهي تردد تلك الكلمات قولا أو غناء فعرفوا السر ولم يكتموه عن حدري . وثار غضب الشيخ فاسرع للقبض على العشيقين وقطع راسيهما فوق قصر الصانع بالذات امعانا في الانتقام .

ولا تزال آثار الدماء ظاهرة تلطخ القسم العلوي من قصر الصانع ، وقد حاول الدليل أن يقنعنا بانها هي نفس الدماء التي سالت من عنقي بثينة والصانع منذ الفي سنة .

وعلى مداخل المدافن اسماء أصحابها والغاية منها

معظم هذه المنشآت التي تكلمنا عنها قد كتب فوق مدخلها اسم صاحبها والغاية من انشائها وتاريخ اقامتها . فهذا بناء نرى فوقه الأسطر التالية :

(هذا هو القبر الذي بناه حوشاب بن نفي بن الكوف من تيماء له ولاولاده ولامه حابو ولاخته رافه وعطية وأولادهما انه مقدس بموجب طبيعة الاشياء المقدسة عند النبطيين الى الأبد .

وان عشتروت تلعن كل من يدفن شخصا في هذا المكان عدا من سبق ذكرهم كما تلعن كل من يشتريه او يبيعه او يرهنه او يؤجره أو يعطيه أو يحجزه.

واذا ارتكب اي كان شيئا من هذا فانه يكون مدينا للالهة عشتروت بمبلغ ألف درهم كما يكون مدينا بمثلها للملك حريتات .

كتب في شهر شباط في السنة الثالثة عشرة من حكم حريتات ملك الأنباط الذي يحب شعبه) .

نلاحظ هنا أن شهر شباط كان يستعمل آنذاك كما يستعمل اليوم عندنا . ونرى في أماكن أخرى ذكرا لأشهر آذار ونيسان وأيار وغيرها .. تقريبا نفس التسمية التي نستعملها اليوم مع اختلاف يسير .

ونقرأ فوق مدفن آخر :

(هذا القبر بنته كمكم وابنتها وائلة لهما ولاعقابهما من بعدهما . وان الملكة كمكم وابنتها واللات وعموت وعشتروت والشرى تلعن كل من استعمل هذا القبر او دفن فيه أو أخرج منه جثة أو عظمة بغير اذن من كمكم وابنتها) .

تواريخ هذه المدافن

اما تواريخ هذه المدافن فتتراوح بين سنة ١ ق.م. و ٧٥ م. ويلاحظ أن أكبر عدد منها قد تم بناؤه وتزيينه في عهد الملك حريتات الرابع المعروف في كل النقوش باسم « حريتات المحب لشعبه » بين السنة التاسعة والسنة الاربعين من حكمه ،

مما يدعونا الى التساؤل فيما اذا كان ذلك الملك لم يفكر في أن يخلق داخل جزيرة العرب ، وفي وسط نبطي محض ، وخارج عن نفوذ أجنبي ، أن يخلق مركزا دينيا بل عاصمة تنافس البتراء ؟ على اى حال فان بداية ازدهار ذلك المكان تتناسب زمنيا مع وصوله الى العرش .

ولذلك فالقبور التى ترجع الى عهد هذا الاخير، تظهر كانها مهملة ليس فيها شيء من جمال وعظمة سابقاتها حتى النقوش التى تعلوها لم تعد دقيقة جذابة مما يبرهن أن الفنانين كانوا مسرعين في بنائها . كما أننا نلاحظ أن ثلثي هذه المدافن الاخيرة لم ينته بناؤها بصورة نهائية مما يدعونا الى الظن بان ثمة غارة ربما تكون قد وقعت على تلك المدينة او على المنطقة قبل أن تنهار المملكة النبطية نهائيا في سنة ١٠٦م .

ان أسلوب البناء والزخرفة في مدائن صالح كان يظهر بوضوح انه متأثر بعدد من أساليب الشعوب القديمة وحضاراتها وعلى رأسها اليوناني والآشوري والمصري وربما الفارسي .

حيث كانت تحلب ناقة صالح

في طريق عودتنا الى العلا مررنا بالمنطقة المسماة الخريبة واسمها يدل على وضعها الحالى اذ هى عبارة عن خرائب ، انما من الواضح انه كانت تقوم في موضعها مدينة كبيرة ، كما شاهدنا فيها الحوض المستدير الذي كانت تحلب فيه ناقة صالح ، تلك الناقة التى كان يخصص لشربها ماء القرية يوما ويخصص لأهل القرية كلوم يوما آخر فنحروها فغضب الله عليهم . ولقد جاء في القرآن الكريم في سورة الشعراء :

« كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجريَ الا على رب العالمين . أتتركون في ماهينا آمنين . في جنات وعيون . وزرع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون . قالوا انما أنت من المسحرين . ما أنت الا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم . فعقروها فأصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم » .

فترة قضيناها في مدائن صالح رائعة

لقد كانت الفترة التى قضيناها في مدائن صالح وبين آثارها القديمة وخرائبها وقصورها ومدافنها على الرغم من قصرها ، فترة رائعة حقا وممتعة ومفيدة . لقد كانت تنبسط أمامنا الاوابد التى تعود الى ما قبل عشرين من القرون . تجاورها مزارع ومنشآت الانسان الحديث الذى جهد وعمل لكى يبنى لنفسه في تلك المنطقة كيانا ، ولكى يلحق بركب الانسانية المسرع على درب الحضارة .

في طريق العودة

وآن أوان عودتنا من حيث أتينا فاتخذنا في الصباح طريق المدينة من جديد ورحنا نقطع الطريق الصعب انما بشيء كثير من الاطمئنان والثقة هذه المرة ، كأنما قد زال عنا خوف المجهول .

وكم كانت دهشتنا كبيرة حين صادفنا بعد مسيرة ثلاث ساعات من منطقة العلا سيارة النقل الصغيرة التى كانت معطلة لدى مرورنا للمرة الاولى باقية في مكانها وقد تحلق ركابها الاربعة حول نار أشعلوها لتقيهم برد الشتاء القارس . كان التعب قد نال منهم مناله ، وظهرت على وجوههم علامات الاعياء والجوع ، فما أن لمحوا سيارتنا حتى هرعوا نحونا يسألوننا فيما اذا لم يكن لدينا مانع من مرافقتهم لنا فرحبنا بهم كل ترحيب وأسرعنا بتقديم الزاد والماء لهم ما عدا سائق السيارة الذى رفض ان يترك سيارته وحدها عرضة لأى شيء يمكن ان يصيبها واكتفى بان أوصى سائقنا بان يرسل له مع أول سيارة تسير على ذلك الخط الادوات اللازمة لاصلاحها .

واعادت تلك الحادثة في أذهاننا من جديد موضوع الطريق الموصل الى العلا ومدائن صالح وتمنينا من جديد أن تعير الشقيقة السعودية مزيدا من الاهتمام ومزيدا من العناية للطرق الحيوية التى تصل المملكة بشقيقاتها العربيات الاردن وسورية وغيرهما كي تزدهر تلك المنطقة التاريخية العظيمة وكي تستطيع احتلال مكانتها اللائقة بين الاماكن الأثرية الاخرى في العالم . ■■

خالد الصوفي

الطُّحَال

■ وهو من أعضاء الجسم التى قل ان يذكرها الطبيب لمريض عندما يتحدث عن أمراض .

ولعل شوٰاء اللحوم في الأسواق اكثر ذكرا للطحال ، فهو غذاء عند من عرفه من الناس حلو مستطاب .

وهو عندئذ طحال أغنام غالبا .

والطحال عضو صغير ينتحي ناحية هادئة غالبا ، من نواحي البطن ، بين الأحشاء .

ونحن نقول الاحشاء . ونعني بها غالبا حشو البطن ، من معدة فمعاء فكبد ، وهي تتصل بالغذاء من حيث هضمه وامتصاصه وتحويله وتجهيزه ، وكذا الكليتين والمثانة وما اليها من أجهزة متصلة بأنتجة الغذاء وتخليص الجسم من فضلاتها .

فاذا جئنا الى الطحال وجدنا جسما من حيث عمله غريب بين سائر هذه الأحشاء ، فهو لا يتصل بالغذاء والتغذية من قريب .

وانت واجده في الركن الشمالي الأيسر من بطن الانسان ، وراء المعدة .

والطحال طوله نحو ١٥ سنتيمترا ، ويزن على الصحة نحو ١٧٠ جراما ، حتى اذا مرض او اصابته عدوى زاد وزنه زيادة كبرى . اما شكله فأشبه شيء بقبضة اليد . واما لونه فالحمرة الارجوانية .

للطحال وظائف اربع

فأولا : في الجنين يقوم الطحال بصنع خلايا الدم الحمراء والبيضاء على السواء ، ولكن بعد خروج الطفل من بطن أمه يتوقف صنع الطحال للخلايا الحمراء .

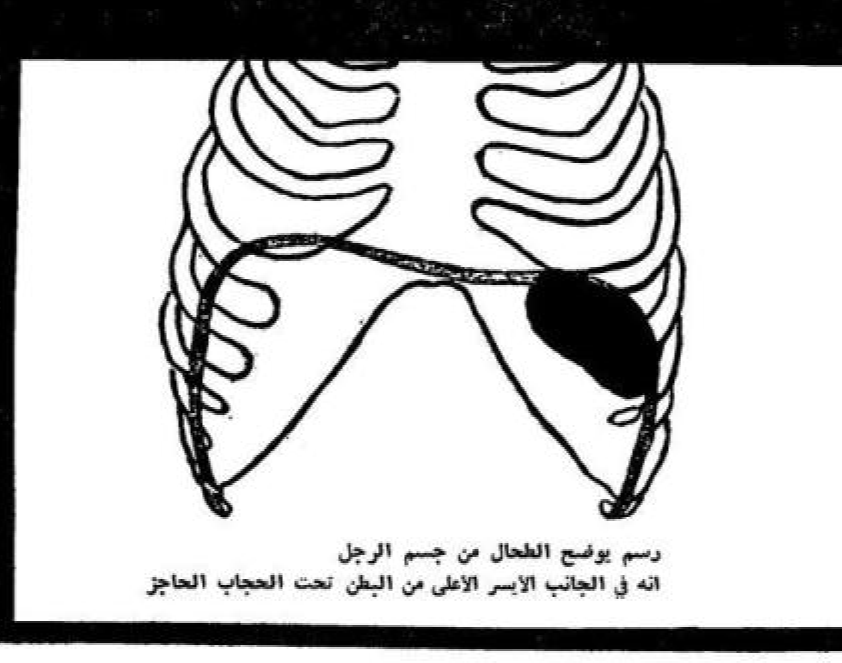
وثانيا : تقوم خلايا الطحال الكبيرة الشفافة بالقضاء على كرات الدم الحمراء القديمة التى وجب أن تزول لتحل محلها أخرى جديدة .

وثالثا : يصنع الطحال الخلايا اللمفاوية للدورة اللمفاوية (انظر ما كتبناه عنها في عدد ١١٨ من العربي) .

ورابعا : يقوم الطحال بتخزين مقدار من الدم يبلغ نحو ٥ في المائة من دم الانسان ، يفيض به على الجسم عند الحاجة .

الطحال بحسبانه مخزنا لكرات الدم الحمراء

ذهب عالم وظائف الأعضاء الانجليزى باركرفت Barcroft ، هو وجماعته الى جبال الاندس في بيرو Peruvian Andes بقصد اجراء تجارب تتصل بتأقلم الانسان في الارتفاعات المختلفة للجبال . وقام باجراء تجارب في الدم عديدة على أصحابه . وقد وجد أن صبغة الدم الحمراء ، الهيموجلوبين ، تزيد كلما جهدوا واقتربوا من القمم . وعند الهبوط عاد مقدار الصبغة الى حالته العادية . وعندها قضى العالم باركرفت بأن زيادة الهيموجلوبين انما هى زيادة في عدد كرات الدم الحمراء . وأن هذه الزيادة في هذه الكرات سببها عضو في الجسم مجهول ، واشتبه في انه الطحال . ثم اثبتت البحوث من بعده ان اشتباهه في الطحال كان صادقا .



رسم يوضح الطحال من جسم الرجل
انه في الجانب الأيسر الأعلى من البطن تحت الحجاب الحاجز

وأظهرت البحوث انه ، في أحوال الضيق التى تعترى الانسان ، يحدث بتأثير الأعصاب السمبثاوية - Sympathetic Stimulation أن ينضغط الطحال فيجود بالدم الذى به . ويحدث هذا كذلك عند ارتفاع درجة حرارة الجسم ، وعند انخفاض ضغط الدم ، وعند الرياضة الجثمانية . وكذلك في الحالات التى تستدعى الاستنجاد بفيض من الدم جديد .

ويتضح عمل الطحال،مخزنا لاحتياطى من الدم ، في الحيوانات ، كالكلب ، وكالقط واشباههما . وفي الرسم ايضاح لمقدار تصاغر طحال كلب عند رؤية قط، من بعيد ، ثم من قريب .

رسم يصور تقلص حجم طحال الكلب عند ملاقاة القط أو حتى سماعه .

عند المطاردة
عند مجرد الرؤية

الطحال

الطحال ، بسبب صغره ، لا يستطيع الطبيب أن يجسّه بيده كما يفعل بسائر الأحشاء . ولكن الطحال يزيد وزنه عند المرض حتى ليبلغ أرطالا . والطبيب يستطيع جسه عادة اذا زاد وزنه عن رطل .

ومن الأمراض الكلاسيكية التى يزيد عليها حجم الطحال الملاريا .

والطحال معرّض للتمزق والفتق والانفجار لا سيما وهو كبير الحجم ، ولا سيما في الحوادث ، ويخرج منه الدم الى الأحشاء .

والطحال يقتطع في الجسم في كل حالات التمزق ، ويقوم الجسم بعد اقتطاعه بما كان يقوم به الطحال من أعمال . ●●

في ذكرى نجيب الريحاني[1]
بعد عشرين عاما

بقلم : العوضي الوكيل

■ مرَّ عشرونَ ، ما مرَرْنَ نفادا ... تتأسَّى بما صنعتَ جهادا
ونشدُّ البناءَ بعدكَ يعلو ... شُرُفاتٍ ويستطيلُ عمادا
فيه من روحكَ الثرى وفيه ... أملٌ يملأ القلوبَ اتقادا
وعلى دربكَ الطويلِ مشينا ... لا نبالي الأوعارَ والأنجادا
وحملنا مما حملتَ وذقنا ... بعضَ ما ذقتَ: همةً واعتدادا
مرَّ عشرونَ بعدَ موتِ نجيبٍ ... والليالي كالخيلِ تجري طِرادا
والرعيلُ الذي تركتَ على العهـ ... ـدِ مقيمٌ ما كلَّ أو ما حادا
السمواتُ نهجُهُ ، وهُداهُ ... رائدٌ كانَ يسبقُ الروادا

★ ★ ★

أيها الفيلسوفُ يستوهبُ الكوْ ... نَ الخفايا ويسبقُ الآمادا
ويرى ما نرى ولكن بعينٍ ... كشفتْ عنهُ: فطنةً وانتقادا
في وجيزٍ من نظرةٍ وكلامٍ ... غشيَ الكونَ كلَّهُ أبعادا
وقليلٍ من لفتةٍ وابتسامٍ ... لخصَ الناسَ كلَّهمْ فأجادا
همسةٌ ثم لا تزيدُ وإغضا ... ءةُ طرفٍ حكى بها ما أرادا
رفدتها من الكريمِ هباتٌ ... قد توالى موهوبُها أمدادا
مضحكٌ ، قيلَ ، والدموعُ بعينيـ ... ـهِ جرتْ حكمةً وفاضتْ رشادا
ساخرٌ في مرارةٍ رائعُ السخـ ... ـرِ بليغٌ إمَّا غلا أو تمادى
شاعرٌ شعرُهُ طريفٌ من السخـ ... ـرِ وإنْ لمْ يصحْ به إنشادا
فضحَ الجهلَ والعمايةَ في النا ... سِ وصكَّ الهوى والاستبدادا
وأقامَ المنادَ من خطلِ الأفـ ... ـكارِ فيهمْ فلمْ يعدْ منآدا

عَجَباً للكَمِيِّ يَقْتَحِمُ الهَوْ ... لَ ولَمْ يَشْهَرِ الرِّقاقَ الحِدادا

إنَّها بَسْمَةٌ عَلَى شَفَتَيْـــهِ ... نَجَحَتْ خُطَّةٌ وَفَازَتْ جِلادا

فَخُذِ الفَنَّ حَيْثُما أصبحَ الفَـــنُّ لِمَنْ رَامَهُ شَرَاباً وَزَادا

وَخُذِ الفَنَّ حَيْثُمَا أصبحَ الفَـــنُّ كِفاحاً لأهْلِهِ وَجِهادا

وَخُذِ الفَنَّ حيثُما أصبحَ الفَـــنُّ هُوَ النَّاس: عُصْبَةً وفُرَادَى

وخذ الفن مُنَزَّهاً لكَ في الرَّوْ ... ضِ وَرَكْباً يَجُوزُ شَوْكاً قَتَادا

وَخُذِ الفَنَّ مَرَّ في الفَمِ طَعْمـاً ... أوْ تَذَوَّقْتَهُ فَكَانَ شِهَادا

لُبُّهُ الصِّدقُ والمُعَانَاةُ مُذْ كا ... نَ وَقَدْ جَلَّ أنْ يُرَى أفْتَادا

وَحُمَادَاهُ أنْ يَكُونَ وَجِيباً ... فِي فُؤادٍ وأنْ يَكُونَ اعتِقَادا

كَرُمَ الفَنُّ أنْ يُلِمَّ به التَّنْـ ... ـزِيفُ: الهُوًّا وضَلَّةً وفَسَادا

وَسَمَا أنْ يَكُونَ إزْجَاءَ وَقْـــتٍ ... أوْ نَجَاءَ المَسُودِ مَنْ قَدْ سَادا

يَبْعَثُ الفَنُّ في النُّفُوسِ مَعَانِي الْـ ... ـعَيْشِ مَجْلُوَّةً وَيُورِي الزِّنَادا

إنَّهُ الفَنُّ يُشْبِهُ النَّحْتُ والتَّصْـ ... ـوِيرُ فِيهِ التَّمثيلَ والإنْشَادا

إنَّهُ الفَنُّ سِرُّ مَا خَلَقَ اللَّـ ... ـهُ، جَمَالاً وحِكْمَةً وسَدادا

العوضي الوكيل

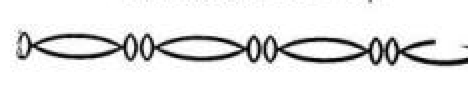
---

(۱) نجيب الريحاني ۱۸۹۱ ــ ۱۹٤۹

من اقدر ممثلى الكوميدى الذين ظهروا علىالمسرح العربي خلال النصف الاول من القرن العشرين . كان أبوه تاجر خيل ، استوطن القاهرةحيث ولد نجيب في حي باب الشعرية وتعلم في مدرسة الفرير بالخرنفش . هوى التمثيل منذصغره واشترك في فرقة التمثيل في المدرسة .

التحق بوظيفة بالبنك الزراعي في القاهرة حيث تعرف على عزيز عيد فتركا الوظيفة وكونا معا في عام ۱۹۱٥ فرقة للتمثيل الكوميدى كانت بطلتها روز اليوسف . انفصل عن عزيز عيد في عام ۱۹۱٦ وابتكر شخصية كشكش بك فى تمثيلية فكاهية قصيرة ولاقت نجاحا كبيرا . وكانت بدء ظهور نجمه . ويتميز الريحاني بنقده للمجتمع على طريقة موليير دون ان يكون مقلدا له .

وقد كان له في الجيل الماضي اثر كبير واضح لم ينسه المخضرمون الى اليوم .



أمراض شائعة

تضخم البروستاتا

بقلم: الدكتور على راضى

زميل كلية الجراحة الملكية بلندن وجلاسجو وايرلندا

■ البروستاتا غدة في حجم بيضة الحمامة تقع عند عنق المثانة وتحيط بمعظم الجزء الخلفى لمجرى البول في الذكر ، ولا نظير لها في جسم الانثى ، شكلها كالمخروط المقلوب قاعدته الى أعلى تجاه عنق المثانة وقمته الى أسفل ويخترقها مجرى البول من القاعدة الى نحو القمة ، وهذا الجزء من مجرى البول أكثر الأجزاء اتساعا ويبلغ طوله حوالى ٤سم (أى ٥ر١ بوصة) ، وينتهى به من كل جانب القناة القاذفة التىتحمل الافراز الخارجى للخصية، من هذا كانت اهمية البروستاتا في كونها بمفترق الطرق امام ما يخرج من بول مندفع أو منى .. وتعرضها للمرض انما يؤثر على عملية التبول والجماع الجنسى بدرجات متفاوتة ، ومرور القناة القاذفة بالغدة يقسمها الى ثلاثة فصوص ، فصين جانبيين وفص متوسط بين القناتين Middle Lobe

والبروستاتا لكونها غدة تفرز نوعين من الافرازات: الخارجى وهو ما يصاحب خروج المنى ويكون اكثر من ٦٠٪ من حجمه ، وفائدته المحافظة على سلامة الحيوانات المنوية وحيويتها Viability كما افرزتها الخصيتان واما الداخلى فهو هرمون لانسيابه في الدم مباشرة ويتميز باسم الفوسفاتيز الحمضى Acid Phosphatase وله اهمية قصوى في تشخيص وعلاج أورام البروستاتا .

بعد هذه اللمحة السريعة ، فهل تضخم البروستاتا ظاهرة مرضية ؟ وهل هناك أمراض اخرى تصيب هذه الغدة ؟ الواقع أن ذلك ما ابغى أن اشير اليه في تأكيد بان تضخم البروستاتا ليس ظاهرة مرضية تحتاج الى علاج الا اذا صاحبها اعراض مما نجمله بعد ، بل انها ظاهرة فسيولوجية تحدث كلما تقدمت بالرجل العمر فتتضخم الغدة الى حجم بيضة الدجاجة او البرتقالة .

أمراض البروستاتا

وأما عن أمراض البروستاتا فكثيرة يذكر منها :

١ ـ التهاب البروستاتا : وهو مرض يصيب الشباب في سن مبكرة ويأتى الالتهاب على صور مختلفة منها :

أ ـ الالتهاب الحاد الذى يسبب ألما بالحوض ، وصعوبة بالتبول مع مرور افرازات من الفتحة الخارجة لمجرى البول Urethral Discharge ويتعين فحص وتدليك البروستاتا Prostate Massage للتعرف على نوع الميكروب وتحديد المضاد الحيوى الفعال للقضاء على هذا الالتهاب ، ومن الميكروبات التى تكتشف عند الفحص ميكروب السيلان Gonococcus وباسيل القولون E. Coli والمنقودى Staphyl-abbus- Staphylococcus Aurous وكلها تغزو

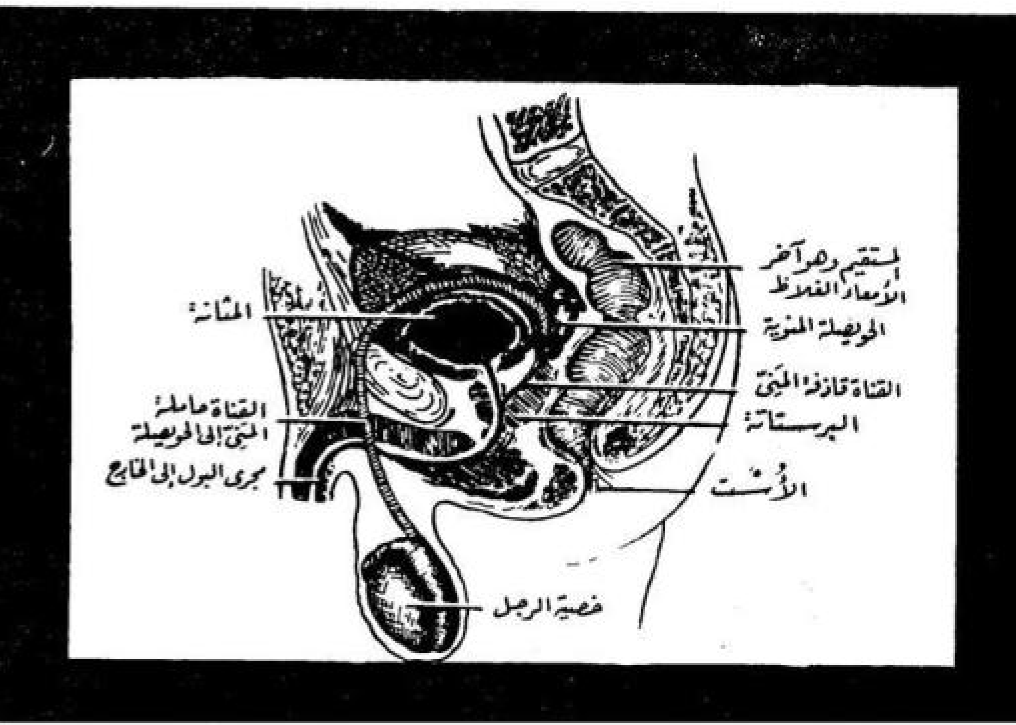
البرستاتا مع الافراط في الجماع الجنسي خصوصا اذا كان الجهاز التناسلي للمراة مصابا بتلك الميكروبات ــ والعلاج في هذه الحالة يوصف للذكر والانثى معا بعد فحصهما وعمل كشف حساسية Sensitivity Test .

ب ــ اما الالتهاب المزمن فهو أكثر الالتهابات انتشارا ويتخلف عادة عن التهاب حاد لم يأخذ حقه من العلاج السليم ، ويسبب صعوبة في البول ، وآلاما في الظهر والمفاصل واعتلالا عاما . وتشخيصه بمعرفة الطبيب عن طريق الفحص الشرجي وتحسس البرستاتا . والعلاج يستلزم فحص الافرازات لاعطاء المضاد الحيوى الفعال مع كثرة شرب السوائل وتدليك البرستاتا Prostatic Massage وتوسيع مجرى البول بواسطة موسعات خاصة Dilators .

٢ ــ تليف البرستاتا Prostatic Fibrosis وفيه تغزو البرستاتا الالياف الكثيفة وتتحول الى جسم ليفى ينعدم فيه شكل وقوام البرستاتا الطبيعية . ويسبب آلاما بالبول وثقلا بالحوض وهو نتيجة لاهمال علاج الالتهاب حيث تنتهى اليه. وعلاجه لا يختلف كثيرا عن الالتهاب .

٣ ــ أورام البرستاتا حميدة وخبيثة (سرطانية) الحميد منها يسبب التضخم الذى يأتى الكلام عليه تفصيلا ، والخبيث يسبب تغيرا في شكل الغدة وتصبح كالحجر الأصم في ملمسها Irregular, Hard ، ويصحب ذلك ارتفاع شديد في هرمون Acid Phosphatase الذى يساعد على التشخيص ــ كذلك يغزو الدم والعظام أورام ثانوية Secondary Deposits ــ ويشكو المريض بألم ونزف بالبول وربما يفقد قوة السيطرة على عملية التبول .

والعلاج الجراحى غير مجد الا في حالات قليلة جدا تقدر بنحو ٥٪ ويتم العلاج عن طريق الاشعة العميقة واعطاء الهرمونات التى تعطل نمو الورم وتكاثر الخلايا .



تضخم البرستاتا

بقي بعد هذا السرد السريع أن نتناول تضخم البرستاتا لأهميته اذ هو أكثر الظواهر التي تنتاب الغدة ، وتسبب المرض احيانا واقربها الى العلاج بنسب عالية في الشتاء بعد علاج الالتهاب الحاد . ويصيب التضخم المسنين، ونعود فنتساءل لماذا تتضخم البرستاتا مع حلول الشيخوخة ؟ والجواب سهل واضح . ان الغدة تقع تحت تأثير ميزان هرموني حيث تفرز الخصية النوعين من هرمون الذكر والانثى بنسبة معينة ، ولضعف وظيفة الخصيتين ما بعد الستين تختل هذه النسبة ويختل معها التوازن الهرموني الذي ينعكس على البرستاتا فتتضخم كل او بعض فصوصها ، والتضخم لا يقتصر على الانسان فهو قد يصيب بعض الحيوانات الاخرى . وقد وجد انه يسبب اعراضا بالشرج عند الكلاب المسنة .

وهناك تغيرات عديدة بالجهاز البولي نتيجة لتضخم البرستاتا ، يستطيل مجرى البول ويصاب بالانحناء او الضيق او الانسداد الكامل حسبما يكون التضخم جزئيا باحد الفصوص أو في جميعها ، ويزداد حجم المثانة تدريجيا لما يختزن من البول وراء الضيق او الانسداد ، وربما تصل المثانة في حجمها ارتفاعا الى منطقة السرة ،وتحوي داخلها أكثر من لتر من البول المختزن في حين ان سعة المثانة قبل المرض تصل الى حوالى ٣٥٠ سم من البول فقط . وعندما يتولد الضغط على الحالبين ثم الكليتين ، تهبط الوظيفة الكلوية تدريجيا Ch. Renal Failure ويتعرض المسن لتسمم البولينا الى جانب ارتفاع الضغط الدموي وتتكاتف كل تلك العوامل على تدهور الحالة الصحية العامة .

والتراكم البولي خلف العنق خلاف ما يسببه من ضغط يعاكس عملية افراز البول واستخلاص الفضلات ، انما يساعد كذلك على التهابات ميكروبية V.Infection وترسيب الحصوات Calaulus Formation ، ويكون لذلك ابلغ الضرر في أن يأتى على ما بقي من كفاءة كلوية .

ولما كان حديثنا الآن يتركز في تضخم البرستاتا المصحوب بأعراض ، فانه يمكن الاجمال بان أهم هذه الأعراض هو الاحتباس البولى عند المسنين الذي يظهر اما مفاجاة ويحدث انزعاجا في الأسرة أو يحدث تدريجيا على شكل صعوبة في التبول يصحبها ضعف في الاندفاع الطبيعي للبول وزيادة عدد مرات التبول مع قلة ما يمر في كل مرة ويضطر المريض لترك الفراش اكثر من مرة في جنح الليل استجابة لرغبة ملحة في التبول وبتكرار ذلك يحرم الانسان من لذة النوم ، في حين أن بعض الحالات تكتشف لأول مرة بعد مرور كمية مزعجة من الدم مع التبول ، أو أثناء الفحص لاجراء جراحة لتصليح الفتق الاربي ، فالحزق الذي يصاحب صعوبة التبول يؤدى مع ضعف جدار البطن الى ظهور الفتق لدى المسنين ، وما أسلفنا من أعراض لا بد وان يذكّر صاحبه باستشارة الطبيب الجراح ، ودون ادنى تأخير .

العلاج

ومهمة المعالج لا تقتصر على التشخيص اذ يمكن التحسس على البرستاتا من فحص الشرج وتقدير مدى التضخم المحسوس ونوعه وطبيعته . لكن ما هو اهم هو أن تقيم حالة المريض على قدر ما بها من تضخم وما ظهر من أعراض وما لحقها من مضاعفات على الجهاز البولي خاصة وعلى الصحة كلها عامة وذلك بالاستعانة بالابحاث المعملية والفحوص الطبية والراديولوجية (الاشعة) .. ثم بعد ذلك توضع كل تلك الاعتبارات في ميزان الحكمة والخبرة ليجيب المعالج على سؤالين هامين في حياة مريضه المسن : ما هو طريق العلاج ، بالتداوى ام بالجراحة ؟ وان لزمت الجراحة فاى العمليات انسب ؟

ويتبين أن خطة العلاج التى ينتهى اليها قرار الطبيب على تقييم سليم وحكمة بالغة يؤخذ فيها سائر الاعتبارات فان راى الجراح ان التدخل الجراحي طريق الشفاء وجب عليه أن يتخير انسب الجراحات معتمدا فى ذلك على الأصول الجراحية

الى جانب خبرته ومهارته،وهناك جراحاتمختلفة، ما ينهجه في حالة لا يجوز في أخرى . الا أن كلها تهدف الى استئصال البرستاتا Prostatectomy تفاديا لما احدثته من ضيق ومضاعفات .

وطريق العلاج بالتداوى انما يتبع في الحالات البسيطة التى لا تظهر فيها أعراض مزعجة او تضخم بالغ ولم تدب المضاعفات فيها بعد ، وهو يتلخص في اعطاء المريض هرمون الذكر أو في بعض الاحيان هرمون الأنثى تصحيحا للاختلال في الميزان الهرمونى للجسم وتحديده متروك للطبيب المعالج، بالاضافة الى المعاونة الصادقة من المريض فيتجنب الافراط في الجماع الجنسي ، والتعرض للبرد ، وتعاطى الخمور ، والامساك ، وعدم الانصياع لرغبة التبول فور الاحساس بها والسهر المضنى ، والوجبات الدسمة ذات الصعوبة في الهضم ، وعدم المبالاة بما سبق من نصح يؤدى الى الاحتباس البولى الحاد بما يصحبه من آلام وازعاج .

وفي مناسبة الحديث عن الخمور ، فقد عرف العامة خطأ أن البيرة تدر البول وتنظف المسالك البولية ، والواقع انها تلقى عبئا على الجهاز البولى الذى هدمت كفاءته وتزيد في احتقان البرستاتا الذى يصل بالضيق الى انسداد كامل يحتبس البول خلفه ، وقد لاحظت ازدياد حالات الاحتباس البولى التى تتردد على المستشفيات في أوروبا ليلة الأحد من كل أسبوع حين يتعاطى المسنون كميات كبيرة من البيرة بقصد قتل فراغ نهاية الاسبوع .

الاحتباس البولى الحاد

واود أن أفصل علاج الاحتباس البولى الحاد Acute Retention الذى قد يكون أول ما يظهر من أعراض تضخم البرستاتا ، والعلاج هو الا ينزعج المريض على نفسه ، فطمأنته ثم اعطاؤه مسكنا كالمورفين ونصحه بعمل حقنة شرجية بسيطة دافئة أو الجلوس في حمام ماء دافيء والتبول فيه .. فان فشلت تلك المحاولات ، ينقل المريض الى حجرة العمليات حيث يتم ادخال قسطرة وهى انبوبة رفيعة تجوس مجرى البول لتصل الى المثانة وتستخرج منها ما اختزن من بول . وما أود أن أشير اليه بكل تركيز واهتمام بانه محظور على الأهل وطبيب الأسرة كذلك محاولة ادخال القسطرة بمجرى البول فكا للاحتباس . لان ذلك لا يجوز أن يتم الا بمعرفة الطبيب وفي حجرة العمليات حيث التعقيم والامكانيات ، وقد عرفت في خبرتى حالات احتباس بولى ادخلت لها القسطرة بالمنزل بواسطة أهل المريض أو حتى بالمريض نفسه الذى تعود أن يحمل القسطرة في جيبه ويدخلها مجرى البول كلما تجمع البول داخله . وكان لذلك أوخم العواقب على حياة صاحبها وباعدت بينه وبين الشفاء . فضلا عن انه في بعض الاحيان يستحيل على الطبيب امرار القسطرة لتمام الانسداد البرستاتى Complete Prostatic Obstruction

وتملى الظروف في تلك الحالة ضرورة اجراء جراحة عاجلة بشق فوق العانة لاستخلاص البول وفك الاحتباس ، وبديهى أنذلك اوفق اذا كان المريض من باديء الأمر بغرفة العمليات .

واما عن خطورة الجراحةفيالمسنين فقد تناقصت عن ذى قبل بفضل تقدم التخدير ، وحسن اداء عملية نقل الدم ، والاستفادة من الدرس الجديد في الجراحة وهو الا يلازم المريض فراشه بعد العملية لفترة طويلة Early Ampulation حتى لا يكون فريسة للمضاعفات التى لا تحيق به الا اذا اذعن الى الراحة التامة بالفراش فالحركة المبكرة والتمرينات التنفسية كلها خطوات سريعة نحو شفاء عاجل يخلو من المضاعفات .

ومجمل القول بأن تضخم البرستاتا الذى يدخل في دائرة العلاج لا بد وأن يسبقه فحص كامل للجهاز البولى والصحة العامة ثم يتخذ القرار الحكيم علما بأن الجراحة قد زالت حدة خطورتها في عصر تقدم فيه العلم وعمقت فيه الخبرات . ■■

على راضي

زوجات بعض الرجال يشكون الوحدة والإهمال

بقلم : منير نصيف

■ هي : « لم اعد اراه .. ان عمله يأخذ معظم وقته ، لقد اصبح البيت بالنسبة له اشبه ما يكون بمحطة في الطريق ، يتوقف فيها ويعود اليها كلما شعر بحاجة الى الراحة ، او الى تناول وجبة دسمة تعوضه عن المجهود الذى بذله في عمله .. حتى اطفاله ، لقد كادوا ينسون أن لهم أبا .. انهم لا يرونه الا في الاجازات والعطلات الأسبوعية .. فهم يأوون الى فراشهم في ساعة مبكرة من المساء قبل أن يعود من عمله ، وفي الصباح يذهبون الى مدارسهم ، قبل ان يصحو من نومه » .

انها صرخة زوجة لرجل غائب دائما .. وما أكثر ما تتردد مثل هذه الصرخة في عالم اليوم ، حيث يعيش الناس في سباق مع الزمن ، وفي سباق بعضهم مع بعض .

بين الأمس واليوم

ان الحياة في عصرنا هذا لم تعد سهلة ميسورة، كما عهدتها الأجيال الماضية .. انها حياة شاقة لا مكان فيها للقاعدين.. فالعاملون وحدهم هم الذين يرتزقون. وزوجات المهنيين الذين يعملون برؤوسهم وأقلامهم أكثر شكوى من غيرهن .. فعمل الطبيب أو المهندس أو المحامى أو الكاتب أو الأديب ، ورجل السياسة والادارة والاعمال .. عمل كل هؤلاء وغيرهم كثيرون لا ينتهى بانتهاء ساعات العمل في مكاتبهم وعياداتهم .. فكثيرا ما تمتد ساعات عملهم حتى تكاد تملأ اليوم كله وجانبا من الليل أحيانا ، بعكس فئة الصناع الذين يعملون ثمانى ساعات في اليوم أو دون ذلك . فهؤلاء تنتهى مهمتهم بانتهاء ساعات عملهم في المصنع او المعمل الذى يشتغلون فيه ، وبذلك يجدون الوقت الذى يستطيعون أن يقضوه مع زوجاتهم واسرهم ، ولو أن هؤلاء أيضا كثيرا ما يبحثون عن عمل اضافي يضاعفون بهدخولهم ليتمكنوا من مواجهة اعباء الحياة التى ارتفعت تكاليفها ارتفاعا لا يتناسب مع الزيادة في الأجور والدخول في معظم بلدان العالم .

صيحة ربة البيت

ولو كانت الزوجة تعمل وتشارك في تحمل أعباء العيش ومسئوليات الحياة ، لاختلف الحال ، فهى بحكم وظيفتها وعملها قد تكون أكثر تقديرا لظروف زوجها ..

فصيحة الزوجة التى تشكو غياب زوجها عن بيته وأسرته ، هى صيحة صادرة اذن عن « ربة بيت » غير عاملة ، لا شيء آخر يملأ حياتها سوى بيتها وزوجها واطفالها ..

حياة الانتظار

وكل زوجة لكل رجل ناجح فى عمله تقضى حياتها كلها تنتظر .. تنتظر عودة اطفالها من المدرسة .. وتنتظر عودة زوجها من عمله ..

وتنتظر اوقات فراغه ليدعوها الى قضاء السهرة في الخارج ، وتنتظر العطلة الاسبوعية لتقوم معه بزيارات للاقارب والاصدقاء ، او الخروج في رحلات بعيدا عن روتين الحياة اليومية . وتنتظر اخيرا الاجازات السنوية ..

ولكن ما اكثر تلك المرات التي يضطر فيها الزوج الى الغاء اجازته بسبب ضغط العمل ، وما اكثر ما جلست تنتظر عودة زوجها من مكتبه ، ويطول انتظارها على غير جدوى ، فتجلس في صمت مستغرقة في تفكير عميق في هذه الوحدة التي تعيشها .. ثم لا يخرجها من صمتها وتفكيرها سوى جرس الهاتف وهو يدق ، فترفع السماعة ، فاذا به صوت زوجها الغائب يعتذر لان عمله لم يمكنه من العودة الى البيت في موعده .

باسرته . فما كفاحه هذا ، الا وسيلة لتامين حياة افضل ومستقبل اكثر اشراقا لهؤلاء الذين يعولهم .

ولو انه اهمل في عمله ، لكان هذا اكبر دليل على انه لم يعد يهتم باسرته !

ولذلك نجد الرجل يعتذر احيانا عن حضور الحفل الذى اقامته زوجته بمناسبة عيد ميلاد طفلهما الاول ، لانه مضطر لحضور الاجتماع المفاجيء الذى دعا اليه مدير الشركة التى يعمل بها .. او نجده يعتذر عن تناول العشاء مع زوجته واطفاله لانه سيجرى عملية جراحية عاجلة لمريض ساءت حالته .. او يعتذر عن اصطحاب زوجته لقضاء السهرة في الخارج ، كما وعدها ، لانه مضطر الى مراجعة اصول كتابه الجديد قبل ارساله الى المطبعة .

مفاضلة غير واردة

ترى هل اخطأ مثل هذا الزوج ؟ وايهما اكثر اهمية بالنسبة له عمله ام اسرته ؟ ومثل هذا الزوج لم يخطيء ، وانما الذى اخطأ هو واضع السؤال بهذه الصورة .. فالمفاضلة هنا غير واردة .. وبالرغم من هذا فالسؤال وارد . وهو يتردد يوميا على شفاه الكثير من الزوجات .

يقول الباحثون الاجتماعيون في محاولة للاجابة على هذا التساؤل ، انه ايا كانت مهنة الزوج ، سواء كان مهندسا ام طبيبا ، كاتبا ام محاميا .. رجل اعمال ام رجل سياسة ، فان كل وقته وكل طاقته .وكل قدرته نجدها موجهة الى عمله .. فلا بد له ان يحرص على بلوغ النجاح في هذا العمل ، وعلى التقدم والاستمرار فيه .. وفي الطريق الى ارتقاء سلم النجاح .. هذا السلم الطويل الذى لا سبيل الى بلوغ قمته . الا بالعمل المستمر والدراسة والكفاح ، نجد أن اهتمام الرجل كله يكون مركزا في عمله ..

انعكاس طبيعي

فهل يعنى هذا انه لم يعد يهتم ببيته واسرته ؟ ان العكس هو الصحيح ، فالاهتمام بالعمل والرزق هو انعكاس طبيعى لاهتمام الرجل الشديد



حتى عطلة نهاية الاسبوع ، قد يقضيها كلها جالسا امام مكتبه في البيت ، لاعداد القضية التى سيترافع فيها امام المحاكم في اليوم التالي ..

وتضيق الزوجة ذرعا بعمل زوجها الذى يحرمها من التمتع بملذات الحياة ، وخاصة اذا رأت صديقاتها وجيرانها يخرجن مع ازواجهن للنزهة ، ويدعونها لمرافقتهم ، فتعتذر هي الاخرى لان زوجها مشغول بعمله .

الغيرة من عمل الزوج

وقد يتطور شعور مثل هذه الزوجة في بعض الاحيان الى الغيرة من هذا العمل الذى يستأثر بكل وقت زوجها واهتمامه !

وفى استفتاء اجراه اخيرا فريق من الاخصائيين الاجتماعيين ، وشمل اكثر من مائة زوجة « عن المنغصات في حياتهن الزوجية » ، شكت ٣٢٪ من عمل ازواجهن ، وقلن ان عملهم لايترك لهم الفرصة للاهتمام بهن ، او حتى الشعور بمجرد وجودهن !

لقد ذهب بعض هؤلاء الزوجات الى القول بانهن يتمنين اليوم الذى يرقد فيه الزوج مريضا في فراشه .. فهذه هي اللحظة التى يشعر فيها بحاجته اليها اكثر من اى وقت آخر ، ثم هي اللحظة التى تشعر فيها ان زوجها ملك لها وحدها ، لا ينافسها عليه احد !

لا تعرف زوجها

وقالت بعضهن : « اننى انتظر اليوم الذى يحال فيه زوجى الى التقاعد حتى استطيع ان اعرف هذا الرجل الذى تزوجته ، فهو ما زال غريبا على رغم السنوات الطويلة التى انقضت على زواجنا .. اننى لا اكاد اراه لاكثر من ساعة او ساعتين في اليوم . فهو اما مرهق متعب نائم ، واما مشغول بعمله في مكتبه ! » .

دور الزوجة

كيف السبيل اذن للقضاء على شكوى امثال هؤلاء الزوجات ؟

يقول الباحثون ان المشكلة الاساسية في حياة الزوجة التى تشكو الوحدة والاهمال ، هي انها تعيش في عالم بعيد تماما عن عالم زوجها .. ولا سبيل الى القضاء على هذا الشعور الذى ينغص عليها حياتها ، ويهدد زواجها بالفشل الا الخروج من عالمها الضيق المحدود ، داخل جدران بيتها ، والاقتراب من هذا العالم الآخر الذى يعيشه زوجها ويقضى فيه عمره كله !

فزوجة الطبيب مثلا .. انها تعلم ان زوجها يستعين بممرضة في عيادته ، فلماذا لا تكون هي هذه الممرضة ! قد لاتمكنها ظروف عملها في البيت من العمل في عيادة زوجها في الصباح والمساء .. فليكن عملها اذن في الصباح فقط عندما يكون الاطفال في مدرستهم ، على ان تترك عمل المساء لممرضة اخرى تعمل نصف الوقت ، او العكس ..

وهذا يتطلب بطبيعة الحال ، دراسة فن التمريض ، فلا بد لها اذن ان تسارع بالالتحاق باقرب مدرسة للتمريض ، وهي لن تجد بعد تخرجها افضل من عيادة زوجها تمارس فيها هذه المهنة .

وبهذا تستطيع الزوجة مشاركة زوجها في عمله واهتماماته فيقترب منها ، وتقترب منه ، ولا يزيدهما العمل معا ، الا تفاهما وصداقة وانسجاما .. تلك المشاعر التى تنشأ دائما بين كل زميلين يتعاونان فى ميدان واحد .

قصة زوجة

روت زوجة طبيب وجراح القلب العالمى بول دادلى هوايت ، قصة طريفة تعكس اثر هذا التعاون في نفس الزوج ، قالت انها كانت تعمل ممرضة لزوجها بعد الزواج ، عندما وقف الجراح الكبير يوما يجرى عملية جراحية دقيقة في قلب احد مرضاه .. وفي اثناء الجراحة طلب اليها ان تناوله مشرطا معينا ، ولكنها ادركت على الفور بحكم تجاربها السابقة في مثل هذه العمليات ان زوجها اخطأ فسلمته مشرطا آخر غير الذى طلبه !

وتلاقت عيونهما ، وهي كل ما يظهر من وجوه الجراحين والممرضات المكممة في غرفة العمليات ، فوجدت عيني زوجها تلمعان ببريق يحمل كل معانى الامتنان . فقد صدق ظنها ، واتضح ان زوجها كان يريد هذا المشرط بالفعل الذى قدمته له بدلا من ذاك الذى طلبه ..

وفي صوت خافت ، قال الزوج هامسا في اذن زوجته : « هل تتزوجينني » ؟

وذهلت المرأة ، وتصورت ان مسا من الجنون قد اصاب زوجها فجأة ! ولكن عندما انتهت الجراحة بنجاح ، اقسم لها انه نسى تماما انها زوجته ، وتمنى في هذه اللحظة لو انها اصبحت زوجة له . فقد انقذت بسرعة بديهتها حياة مريض !

سكرتيرة لزوجها

وما يقال عن زوجة الطبيب ، يقال ايضا عن زوجة المحامي او الكاتب او المهندس او رجل الاعمال او السياسي .. فهي تستطيع ان تعاونه في عمله ، ان تكون سكرتيرة له ، تعد له ملفات قضاياه ، وتجمع قصاصاته وتحفظ له كتبه ومسوداته ورسوماته ، سواء في البيت او في المكتب ، بحيث تعرف مكان كل شيء ، وبحيث تستطيع ان تقدم له اى شيء يطلبه في اية لحظة ..

ويوم يشعر الزوج انه يستطيع ان يعتمد على زوجته في عمله ايضا ، فقد نجحت الزوجة في غزو حياته العملية ، فهي قد اصبحت زميلة له ، وصديقة لا غنى له عنها .. اذا بعدت عنه شعر بالضياع !

وهكذا تقضي الزوجة على الشعور بالوحدة ، لانها عرفت كيف تشارك زوجها في عمله ، فلا تضطر الى انتظار اليوم الذى يمرض فيه زوجها ، او تتعجل مرور الاعوام ، التى ستعيده اليها متعبا مقعدا وقد بلغ خريف العمر ..

دور الزوج

بقي دور الزوج ، فليس من المعقول ان نلقى بالمسئولية كلها على عاتق الزوجة وحدها ، فالزوج ايضا مسئول عما يصيب زوجته من شعور بالوحدة والاهمال .

ففي خلال تلك الساعات القصيرة التى يقضيها الزوج في بيته مع زوجته واطفاله ، يستطيع ان يصنع المعجزات ..

ان كلمة اطراء صغيرة للفستان الجديد الذى ترتديه الزوجة ، او للتسريحة الجميلة التى زينت بها شعرها ، او للستائر المزركشة التى وضعتها على نوافذ البيت .. مثل هذه الكلمة تعيد اليها ثقتها بنفسها وتملأ قلبها سعادة وهناء .

واطفاله ايضا ، لا يجب ان ينساهم ، ولا بد له ان يقضي جانبا من وقته في مداعبتهم والاستماع الى طلباتهم ، يجب ان يشعرهم بوجوده وسطهم وبدوره في حياتهم .. فاذا احسن احدهم كافاه وشجعه ، واذا اخطأ قرعه وعاقبه .

على ان هناك مناسبات يجب على الزوج الا ينساها ابدا ، كعيد زواجه ، وعيد ميلاد زوجته ، ثم اعياد ميلاد اطفاله .. وهي مناسبات يجب على الزوج الا يتركها تمر دون اقامة حفل صغير ، يكون هو ضيف الشرف فيه ، ثم يجب الا ينسى بعد هذا ان يحمل في جيبه دائما الهدية التى تنتظرها الزوجة وينتظرها الاطفال في هذه المناسبات .. ■■

(م ٠ ن)

الشراب الحامض والكلب

شكا بائع خمر امره الى احد الحكماء وقال ان الناس اخذوا يعرضون عن شراء الشراب من حانته ، وقد سمعهم يقولون ان خمره فاسدة وحامضة بينما هى من اجودانواع الخمور !! ولاأدرى سبب ذلك ـ فسأله الحكيم : « وهل عندك كلب شرس يقف في باب حانوتك ؟ » اجاب الرجل : نعم ، ولكن ما علاقته بالشراب ؟

فقال الحكيم : ـ ان الذى يقصد لشراء الخمر ويرىهذا الكلب مزمجرا في طريقه يبتعد عنك ويبث الدعاية ضد شرابك ، فابعده من الحانوت وسوف ترى كيف يتبدل عندك الامر ـ وهكذا حصل

هن في تزو ـ حكيم صيني

طرائف عربية

وذو الوجد القديم وان تعزّى

● بينما كان عمر بن ابى ربيعـــة يطوف بالبيت بعد ان تنسك في اخريات حياته، اذ نظر الى فتى من تميم يلاحظ جارية في الطواف ، فلما راى ذلك منه مرارا اتاه فقال له : يا فتى اما رأيت ماتصنع ؟

فقال له الفتى : يا ابا الخطاب لاتعجل على فان هذه ابنة عمى ، وقد سمّيت لي ، ولست أقدر على صداقها، ولا اظفر منها باكثر مما ترى ، وانا فلان ابن فلان ، وهذه فلانة بنت فلان . فعرفها عمر ثم قال له : اقعد يا ابن اخى عند هذه السارية حتى يأتيك رسولى .

ثم ركب دابته حتى أتى منزل عم الفتى ، فقرع الباب ، فخرج اليه الرجل فقال : ما جاء بك يا أبا الخطاب في مثل هذه الساعة قال : حاجة عرضت لي فى هذه الساعة قال : هى مقضية . قال عمر : فانى قد زوّجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان . قال : فانى قد أجزت ذلك .

ثم أرسل عمر غلاما الى داره فأتاه بألف درهم ، فساقها عن الفتى . ثم ارسل الى الفتى فأتاه . فلما ادخلت الفتاة على الفتى ، انصرف عمر مسرورا بما صنع وهو يتغنى بهذا البيت :

وذو الوجد القديم وان تعزّى مشوق حين يلقى العاشقينا

الدواء الذى لا داء معه

● قال الاصمعي : جمع هارون الرشيد من الاطباء اربعة : عراقيا ، وروميا ، وهنديا ، ويونانيا ، فقال : ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذى لا داء معه .

فقال العراقي : الدواء الذى لا داء معه حبّ الرشاد الابيض ، وقال الهندى الاهليلج الاسود . ، وقال الرومي الماء الحار . وقال اليوناني ، وكان اطبهم ؛ حب الرشاد الأبيض يولد الرطوبة ، والماء الحار يرخي المعدة ، والاهليلج الاسود يرق المعدة . لكن الدواء الذى لا داء معه أن تقعد الى الطعام وانت تشتهيه ، وتقوم عنه وانت تشتهيه .

شهادة

● كان بمكة رجل يملك خمارة ، وكان يجتمع فيها عدد من المجان والخلعاء ، فشكاه القوم الى عامل مكة ، فغرّبه الى الصحراء . فبنى بها منزلا هناك وارسل الى اخوانه . فقال : ما يمنعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه ؟ قالوا : وأين بك وانت بعيد المنال؟فقال : تكترون حمرا بدراهم معدودة. ففعلوا،فكانوا يركبون اليه حتى فسدت أحداث مكة.

فعاد القوم بشكايته الى والى مكة ، فارسل الوالى في طلبه فأتى به فقال : يا عدو الله طردتك من مكة فصرت بفسادك الى الصحراء . فقال يكذبون عليّ أصلح الله الأمير . فقال القوم :

● قيل لأحد الحكماء : الاغنياء افضل ام العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء ياتون ابواب الاغنياء اكثر مما ياتي الاغنياء ابواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الاغنيـاء بحق العلـم .

مساجلة

● قال هارون الرشيد للمفضـل الضبى : انشدنا بيتا ، اوله اعرابى في شملته هب من نومته ، وآخره مدنى رقيق ، غذى بماء العقيق . فقال المفضل هولت على يا امير المؤمنين، ذلك مما لا اعرفه . قال هارون : بيت جميل حيث يقول :

الا أيها النوام ويحكـم هبّوا — اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال له المفضل : فأخبرني يا امـير المؤمنين عن بيت اوله اكثم بن صيفى في اصابة الراى ، وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء ؟
قال له هارون الرشيد ما هو ؟ قال: هو بيت الحسن بن هانىء حيث يقول :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء — وداونى بالتـى كانت هى الداء

القوى الفاجر

● قدم رجال من الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن ابي وقاص . فقال عمر : لقد اعياني اهل الكوفة ؟ ان وليت عليهم التقي؛ ضعفوه ، وان وليت عليهم القوى فجروه . فقال له المغيرة : يا امير المؤمنين ، ان التقي؛ الضعيف؛ له تقواه وعليك ضعفه . والقوى الفاجـر لك قوته وعليه فجوره . قال عمر : صدقت . انت القوي الفاجر ، فاخرج اليهم ، فخرج الى الكوفة واليا . فلم يزل عليهم واليا ايام عمر وصدرا من ايام عثمان ، وايام معاوية ، حتى مات المغيرة .

ما عاب هذا مسلم

● قال الحسن البصرى لفرقد السنجي : بلغني انك لا تاكل الفالوذج ؟ قال يا ابا سعيد : اخاف ان لا أؤدى شكره ! قال : يالكع وهل تؤدى شكر الماء البارد في الصيف القائظ . والماء الحار في الشتاء القارس ؟ اما سمعت قول الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم » ثم قال : لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم

حمار

دليلنا ان تامر بحمير مكة فان قصدت منزله كعادتها فنحن غير مبطلين . فقال الوالى : ان في هذا لدليلا وشاهدا عدلا ، فامر بحمير من حمير الكراء فجُمعت ثم ارسلت من غير دليل فصارت الى منزله . فاعلمه بذلك امناؤه . فقال : ما بعد هذا شيء ، أقيموا عليه الحد ، فلما نظر الى السياط قال : لا بد اصلحك الله من ضربي؟ قال : نعم يا عدو الله . قال : ما في ذلك شيء هو اشد من ان يشمت بنا اهل العراق ويضحكوا منا ويقولوا : ان اهل مكة يجيزون شهادة الحمير. قال : فضحك الوالى وخلى سبيله .



التراخوما .. أسبابها وعلاجها

● ذهبت الى طبيب العيون بعد ان شعرت بالم في عيني ، وقال لي الطبيب بانني مصاب بمرض اسمه التراخوما فما هي اعراض هذا المرض ، وما هي اسبابه ، وطرق علاجه ، وهل له مضاعفات على العين ؟

ـ التراخوما او الرمد الحبيبي هو مرض مزمن يصيب الجفون والملتحمة والقرنية ولا يصيب اجزاء العين الداخلية . وتتسبب التراخوما بنوع من الفيروس Virus وهي الاحياء البالغة الصغر المعروفة ، وهو يعيش في خلايا الانسجة المذكورة ويتكاثر فيها ويحدث فيها الالتهابات المختلفة . وهذا المرض يصيب الاطفال في سن مبكرة وينتشر في عيونهم عن طريق العدوى باللمس أو الذباب واذا اهمل علاجه في مراحله الاولى فانه يزمن في العين حتى سن البلوغ حيث تظهر المضاعفات .

أعراضه :

في المراحل الاولى تظهر التراخوما على شكل رمد صديدي حاد حيث يشكو المريض كثرة الدموع والاحتقان والافرازات وعدم القدرة على مواجهة الضوء . وفي الاطوار المزمنة قد يشكو المريض من وخز في العين نتيجة حدوث الشعرة او اجسام غريبة كالرمل نتيجة ظهور الحويصلات أو الحبيبات في ملتحمة الجفن او آلام شديدة نتيجة حدوث التهاب او تقرح بالقرنية أو قد يشكو ضعفا في قوة الابصار نتيجة حدوث بعض المضاعفات في القرنية مثل السحابة او الجفاف .

مضاعفاته ، في الجفن :

١ ـ ارتخاء الجفن العلوى .

٢ ـ الشعرة بسبب تقوس حافة الجفن الى الداخل بحيث تحتك الرموش بمقلة العين .

في الملتحمة :

١ ـ التصاقات بين ملتحمة الجفن وملتحمة المقلة .

٢ ـ جفاف من اثر الالتهابات والتليف الذى يعقبها .

في القرنية :

١ ـ التهابات سطحية او عميقة .

٢ ـ قرح صغيرة سطحية في وسط القرنية او في حافتها .

٣ ـ سحابات غير ملتصقة واذا كانت مركزية فانها تضعف قوة الابصار .

٤ ـ جفاف القرنية الذى يؤدى الى هبوط شديد في حدة الابصار .



العلاج :

ينقسم الى ناحيتين . الناحية الوقائية والناحية العلاجية .

اما الناحية الوقائية فتتلخص في : ـ

١ ـ العناية بنظافة المسكن والملبس والمأكل والمشرب .

٢ ـ مكافحة الذباب .

٣ ـ عزل المصابين بالأرماد الصديدية الحادة .

٤ ـ نشر الوعي الصحى بين المواطنين عن طريق الاعلانات والندوات والحلقات الاذاعية والتلفزيونية .

٥ ـ وضع مرهم الاوريوميسين في عيون التلاميذ في المراحل الابتدائية والمتوسطة يوميا خلال العام الدراسي ضمن مشروع مكافحة التراخوما الذي حقق نجاحا باهرا في مدارس الكويت اذ أمكن القضاء على الأطوار الأولى من المرض في الأطفال وانخفضت نسبة الاصابة بينهم من ٨٠ الى ٢٠٪ خلال الخمس السنوات الماضية .

اما الناحية العلاجية فانها تتلخص في :

١ ـ علاج الحالات الحادة باستعمال غسيل البوريك ٢٪ وقطرات السلفا ومرهم الاوريوميسين أو الترامسين واقراص السلفا .

٢ ـ علاج الحالات المزمنة بمسح الجفون بنترات الفضة ٢٪ أو اجراء عملية كحت لازالة الحويصلات او اجراء عملية اللقط لازالة الحبوب من سطح الجفن الداخلى .

٣ ـ علاج المضاعفات : (١) اجراء عملية شعرة لتصليح تشوه الجفن .

(٢) علاج القرحة أو التهاب القرنية بمرهم الاتروبين والأدوية المضادة للحيوية واقراص السلفا . (٣) علاج السحابات اما بالأدوية الموضعية مثل مركبات اليود أو مشتقات الكورتيزون واما بعملية ترقيع القرنية اذا كانت السحابة مركزية وقوة الابصار ضعيفة .

أظافرى لا تطول وتتقصف !

● **اظافرى لا تطول ودائمة التقصف وذلك منذ حوالى سنتين مع ان صحتى جيدة وانا فى الثلاثين من عمرى . ماذا افعل ؟**

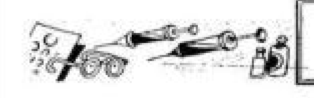
ـ الأظافر تعتبر زائدة من زوائد الجلد ، ولو انها اكثر صلابة منه ، الا انها عرضة لتغير طبيعتها ، وذلك نتيجة لاصابتها بالالتهابات المختلفة . وذلك اما لجوانب الأظفر أو الجزء الذى يرتكز عليه . وهذا يحدث غالبا من استعمال المواد الكيماوية المستعملة في تجميل الأظافر مثل المانكير أو المواد المستعملة فى ازالته ، كذلك الأظافر الصناعية كل هذه تؤدى الى ضعف الأظافر وتقصيفها وتكسرها .

كما ان سرعة تقصف الأظافر قد تحدث نتيجة لضعف الجسم العام مما يؤدى الى ضعف الأظافر .

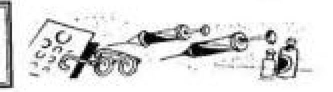
كذلك العمل اليدوى وتعرض الأيدى الى المواد القلوية والمواد المنظفة كما يحدث دائما للسيدات فى المنازل كل ذلك يؤدى الى ضعف الأظافر .

واخيرا وليس آخرا فان بعض الامراض الداخلية يؤثر على نمو الاظافر ويؤدى الى ضعفها .

لذلك يجب البحث عن سبب ضعف الأظافر وعلاجه وان ذلك يحتاج الى مدة طويلة حيث ان الأظافر تطول بمعدل ١ و. مليمتر فى اليوم . كذلك ننصح بتناول الجلاتين (الجلى) وتدليك الأظافر .



الم شديد فى الاذن



● اصبت بالم شديد في اذني منذشهور ،وعند مراجعتي للطبيب اخبرني انه نتيجة فطر بالاذن وقد عاودني اكثر من مرة بعد ذلك . فما هو هذا الفطر ، وهل من علاج شاف حتى لاتعاودني هذه الالام ؟

ـ الالتهاب الفطرى بالاذن Otomycosis والمعروف عادة باسم عش الغراب ينتج عن نمو بعض الفطر Fungus أو الخمائر Yeast في قناة الأذن الخارجية. وهذا الفطر ينمو فى شكل مستعمرات ، وعادة ما تمتد جذوره في طبقات الجلد .

ومصدر العدوى بهذا النوع من الفطر غير معروف تماما . ولكنه من الثابت ان الرطوبة تساعد على وجوده وتكاثره ، وكذلك فان عدم تجفيف الأذن من الماء الذي قد يدخلها يعرض الشخص للاصابة به ، كما ان حمامات السباحة غير المعتنى بها والتي يبقى بها الماء راكدا لمدد طويلة بدون تغيير تعتبر من اهم مصادر العدوى.

وتوجد نسبة كبيرة من الحالات يكون السبب فيها كثرة استعمال قطرات الزيت بواسطة المريض مع تغطية الاذن بقطعة من القطن لعلاج آلام الأذن، كما هي العادة المتبعة عند الكثيرين دون استشارة الطبيب . وهو لا يدرى انه بذلك يهيىء الظروف المناسبة للاصابة بهذا الالتهاب الفطرى .

اما عن العلاج الشافي فتوجد علاجات كثيرة . وعلى الطبيب المعالج أن يختار المناسب منها لكل حالة حسب نوع الفطر ومرحلة الالتهاب . ومن ناحية المريض عليه ان يواظب على العلاج الذى قد يستمر لمدد طويلة يتردد فيها على الطبيب للاحقلة الاذن حتى لا يسمح بنمو هذا الفطر ، الذى قد يكون كامنا فى طبقات الجلد بدون اعراض متحينا الفرصة المناسبة للنمو مجددا ، الى ان يقضي على اى اثر له تماما . والا فانه عائدلا محالة.

تفقد سناً عند الحمل

● الاحظ انني عندما احمل افقد احدى اسناني فما هو السبب في ذلك ؟

ـ الجواب على هذا السؤال طبعا يحمل في طياته عدم وجود اى علاقة بين فقدان الضرس والحمل، والسبب الوحيد لفقدان الضرس هو الاهمال بالعلاج والوقاية اللازمة حتى تصان الأسنان بحالة جيدة وبهذا نضمن صحة سليمة وخصوصا اثناء الحمل يجب الاهتمام بتنظيف الاسنان بالفرشة ، والمعجون بعد كل وجبة وان تستعمل المضمضة المطهرة كذلك ثلاث مرات يوميا . أما من ناحية التغذية وهي شيء أساسي اثناء الحمل فيجب الاكثار من شرب الحليب يوميا واخذ الفيتامينات اللازمة مثل فيتامين (د) المهم في تكوين الاسنان كما ان دهن السمك والبروتينات مثل اللحم والسمك والبيض من المواد المهمة التي يجب تناولها وكذلك الخضراوات الطازجة وما تحتويها من فيتامينات مثل الجزر والخس والطماطم والخيار وما اشبه ذلك . كما يجب على السيدة الحامل زيارة طبيب الاسنان باستمرار حتى تتجنب مضاعفات اورام اللثة والتهاباتها المتكررة اثناء الحمل .





والانفتاحُ على الدنيا سليقةٌ

بقلم : محمد جابر الانصارى

■ كل ادب من اداب الدنيا يمتاز بنزعات وخصائص تعطيه شخصيته وتميزه عن غيره من الاداب ، خاصة اذا كان ذلك الأدب أصيلا ونابعا من جوهر انسانى خصب .

نزعات وخصائص تميز أدب البحرين

وفي مكنة الدارس لأدب البحرين الحديث ـ بصفة خاصة ، وفي الشعر خاصة ، ـ ان يلمح فيه مجموعة من الخصائص المتلازمة التى تكون في مجموعها الصفة الجوهرية الدالة على روح الشعب والوطن ، المعبرة عن شخصيتهما الحضارية ، وعن مناقبهما الخلقية ، وتطلعاتهما واشواقهما ..

وليس معنى ذلك أن هذه الخصائص والنزعات لا توجد في اداب اخرى فهى موجودة بشكل متفرق في اداب عديدة ، ولكن انصهارها جميعا في ادب البحرين بصورة منسجمة واحدة هو الذى يجعل منها معبرة عن المحتوى الموضوعى والصفة الاساسية للادب العربي في البحرين .

واذا اردنا ان نجمل النزعات والخصائص المميزة لأدب البحرين وجدناها تنحصر في ظواهر ست هي :

١ ـ شعور الغربة والحنين الى الوطن
٢ ـ العناية بتصوير الاجواء المحلية
٣ ـ حس الالتزام والمشاركة الاجتماعية
٤ ـ النزعة القومية العربية الراسخة
٥ ـ نزعة التحرر الفكرى والتأمل الفلسفى
٦ ـ النزعة الانسانية المتسامحة

والحقيقة انه لا بد من عوامل موضوعية في المكان والارض وعوامل ذاتية في الشعب والافراد ادت الى ظهور تلك النزعات والخصائص . وهذه العوامل ـ كما نعتقد ـ تتلخص فيما يلى :

شعب البحرين شعب تجاري بحري دائم الاغتراب عن وطنه

١ ـ ان شعب البحرين شعب تجاري بحري ينزع الى الحركة والهجرة . فبلاده صغيرة لا تسع دوما طموح ابنائها ، والمتتبع لتاريخ الهجرات في مناطق الخليج سرعان ما يلاحظ كثرة العائلات البحرانية في العراق وشرق الجزيرة العربية ، وهذه العائلات تستطيب المقام في مواطنها الجديدة ولكنها لاتفقد حنينها لوطنها الاول ، أضف الى ذلك أن وجود جاليات أجنبية في هذه المنطقة من الخليج العربي يخلق ردة فعل نفسية لدى أهلها بالوجل والجفاء والحذر تجاه ما قد يطمح اليه المهاجرون غير العرب من أطماع ونوايا ، وهذا يسبب للمواطنين المقيمين نوعا من الشعور « بالغربة الداخلية » . ثم ان الادباء لا ينالون عادة ما يستحقون من تقدير في البلاد البادئة بالنمو ثقافيا ، كل تلك العوامل الذاتية والموضوعية تتفاعل لتخلق ظاهرة الغربة لدى الأديب الحساس ، غير أن الشاعر المنعزل أو المغترب سرعان ما يتعلق بوطنه نفسيا فيتشوق الى مرابعه ويحن اليه ، وهكذا يتحد شعور الاغتراب بشعور الحنين الدائب الى الوطن ليكونا النزعة الاولى التي اشرنا اليها .

٢ ـ والشاعر المتشوق الى وطنه يتلذذ دوما بوصف مرابعه ومناظره ومعالمه فهو يصف النخيل ويتشوق اليها ، ويتحدث عن البحر ويتوق الى نسائمه ، وهكذا تتولد النزعة الثانية الا وهي شدة العناية بتصوير الاجواء المحلية .

ارتبط شعر البحرين الحديث بالنهضة الثقافية

٣ ـ ارتبط ظهور الشعر الحديث في البحرين بالدعوة الاصلاحية والنهوض الثقافي والاجتماعي . وليس من قبيل المصادفة أن نلاحظ أن أوائل الشعراء في العصر الحديث كانوا على صلة وثيقة بالحركة الاجتماعية التعليمية الاصلاحية . فالشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، كبير أدباء البحرين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كان الى جانب صفته الشعرية نائبا لرئيس مجلس التعليم في البلاد . والشاعر عبد الله الزايد ، بالاضافة الى نشاطه الادبي الصرف ، كان سكرتيرا لأول ناد تأسس في البحرين، ومؤسسا لاول جريدة ظهرت في البلاد .

وكذلك الشاعر عبد الرحمن المعاودة قرن العمل الأدبي بالنشاط التربوي فأسس مدرسة أهلية وأشرف عليها بنفسه سنين عديدة . وينطبق هذا القول على وضع الاستاذ ابراهيم العريض الذي بدأ عمله في البحرين بانشاء مدرسة خاصة . لذلك ترسخت في أذهان الناس في البحرين العلاقة بين الشعر والاصلاح الاجتماعي، فتراهم لا يطربون للشعر الا اذا دعاهم لاصلاح ، أو أثار فيهم نزعة وطنية قومية ، أو حثهم على مشروع خيري ، او عبر عن رأيهم وانتقاداتهم في أمر من الامور العامة .

وعلى أساس هذه الظاهرة يمكن أن نفسر شعبية الشعراء الاجتماعيين والقوميين ، كما يمكن أن نعلل خفوت شهرة الأدباء الآخرين من الذين يتجهون الى نواح جمالية خالصة ـ حتى ولو ابدعوا وحلقوا فيها .

وهكذا فالانسان العربي في البحرين لا يقدر الشعر الا اذا جاءه ملتزما اجتماعيا أوقوميا محددا ، وهذه الظاهرة تدفع الشعراء الى مزيد من المشاركة الاجتماعية والقومية ، حتى ولو جاء ذلك ـ أحيانا ـ على حساب القيم الفنية الخالصة .

البحرين ، لأنها أقصى امتداد للبلاد العربية ، كانت شديدة التمسك بعروبتها

٤ ـ تمثل منطقة البحرين والخليج أقصى امتداد للأرض العربية في الشرق فهي على هذا الاساس « خط الدفاع الاول » عن الوطن العربي ضد التيارات الشعوبية والمؤثرات الهجينة المتسربة من بعض مناطق آسيا ، لذلك كان من الطبيعي أن يتشدد عرب المنطقة في تمسكهم بعروبتهم وبطابعهم العربي الاصيل وبنزعتهم القومية المتأصلة ، فتراهم يفاخرون بالمجد العربي ويطالبون بالحفاظ على الكيان القومي ويتغنون بالوحدة والتضامن والتماسك ـ وما الشعراء والأدباء في كل ذلك الا لسانهم الناطق المبين .

لذلك نجد شعر البحرين سجلا وافيا لأحداث العالم العربي ونكباته،من قضايا الوحدة والاتحاد، الى مسائل الاصلاح والنهوض ، الى مآسي الاراضي

السلبية ، ويندر جدا أن تجد شاعرا من البحرين لم يعالج تلك الموضوعات بشكل أو بآخر من الزايد الى المعاودة الى أحمد الخليفة الى غازى القصيبى الى قاسم الشيراوى ..

ولقد أملت النزعة العربية على كبير شعراء البحرين الأستاذ ابراهيم العريض خير أعماله الأدبية . فملحمة « قبلتان » ما هى الا تعبير عن الاعتزاز بالمجد العربى الذى تمثل أبهج ما تمثل في التاريخ الاندلسي ، وملحمة « أرض الشهداء » ليست سوى أعمق ردة فعل قدمها شعر البحرين العربى الحديث تجاه نكبة العرب الكبرى في فلسطين .

وهكذا تساير النزعة القومية العربية حس الالتزام والمشاركة لتكونا معا ابرز خاصية في أدب البحرين الحديث .

النزعة القومية البحرانية ليس طابعها التعصب والانغلاق

٥ ـ غير أن النزعة القومية لدى شعب البحرين وأدبائها لا تتخذ طابع التعصب والانغلاق ، فالانسان العربى في منطقة البحرين والخليج يقف بحزم تجاه المؤثرات بيد، ويتقبل باليد الاخرى التأثيرات الحضارية الطيبة الخيرة المسالمة ، والتيارات الفكرية البناءة ، وكل جديد مفيد بغض النظر عن جنسه ومصدره . ومجتمع البحرين الحديث يعكس تقبل الانسان العربى في البحرين للالوان الحضارية المستحبة الآتية من المجتمعات الأوروبية والمجتمعات الآسيوية الشرقية . واذ يعكس مجتمع البحرين كل ذلك فانما يبدو مخلصا لطبيعته الأصيلة كشعب بحرى تجارى عربى أخذ من العروبة روحها السمحة ، وأخذ من البحر انفتاحه ومن التجارة مرونتها وذكاءها . اضف الى ذلك ان تعدد العناصر وتنوع المعتقدات الدينية والآراء الاجتماعية (في نطاق عروبة البلاد وايمانها الاسلامى) خلق مناخا يساعد على التحرر الفكرى والنظر الفلسفى . وهكذا تتولد هذه النزعة الخامسة من نزعات أدب البحرين الحديث. والحق انها نزعة جديرة بالتأمل والعناية في هذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية حيث يسود اتجاه هو أقرب الى العزوف عن تيارات الفكر ونوازع الفلسفة .

ولقد تمسك أدب البحرين بنزعته هذه رغم المعوقات الكثيرة ، فالشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة دافع عنها في وجه معاصريه وزملائه من ادباء الاحساء المحافظين ، وعبد الله الزايد بشر بها على نطاق واسع مع رفيقه عبد الرحمن المعاودة الذى أثار ظهور « رباعيات » على طراز رباعيات الخيام في ديوانه الأول كثيرا من النقد والمعارضة .

ومنذ أكثر من ثلاثين سنة قام الأستاذ العريض بترجمة رباعيات الخيام كلها الى العربية ، بينما كان المرحوم محمد صالح يوسف يسير على نهج المفكر العربى الحر ، أبى العلاء المعرى ، في نظم القصائد الداعية الى النظر في الوجود والاشياء بمنظار العقل والنزعة الفكرية المتسائلة الباحثة .

وفي أدب الشباب تلمس هذه النزعة بوضوح وقوة عند غازى القصيبى وعبد الرحمن رفيع ومحمد الماجد وخلف احمد خلف وقاسم حداد وعلى عبد الله خليفة .

من طبيعة شعب البحرين عروبة متسامحة وفكر منطلق

٦ ـ ويتحد تأثير الموقع من طبيعة الشعب ، مع تسامح العروبة ، مع نزعة الفكر المنطلق في بوتقة واحدة لتتولد في أدب البحرين نزعة انسانية شاملة متسامحة تتعدى الأبعاد والحدود وتعانق الانسان في اصالته وجوهره . ويمثل هذه النزعة بقوة أدب العريض ورضى الموسوى ورفيع والماجد وبوحيمد .

والآن ننتقل لتتبع بعض الشواهد والأدلة على تلك النزعات التى بيناها وحللنا أسباب ظهورها، غير أن طبيعة هذه الدراسة المختصرة لن تسمح لنا بالاسهاب في ايراد الاستشهادات ، لذا سنكتفى بنماذج محدودة ، وبامكان من يعود الى نتاج ادباء البحرين أن يجد من امثالها الكثير .

نزعة الغربة والحنين

الحق ان هذه النزعة ليست طارئة او مستحدثة بالنسبة لأدب البحرين ونعنى بأدب البحرين الشعر خاصة ، فالجذور التى أوجدتها في النفسيات راسخة وثابتة منذ القدم .

يقول ابن المقرب العيونى ، من شعراء البحرين

في القرن السابع الهجري ، مشيرا الى اضطراره للاغتراب ، مبينا سبب ذلك :

لامعين لي من قومي ولا
جدتي تحمل جدي واجتهادي
واذا قربك لم تنفع به
في حمى قومك .. فأذن ببعاد

ولكن شعور الاغتراب عن الوطن يؤدي احيانا الى مزيد من الارتباط به ، كما يقول عبد الرحمن المعاودة من العصر الحديث .

وياوطني ان غالني فيك غائل
وعشت كئيبا فوق أربعك الخضر
فما كان لي الاك في الارض غاية
ولم ابغ الا من ترابك لي قبرا
واني ورب العرش فيك متيم
وراض ولو جرعتني العلقم المر

وحتى في حالة البعد والهجرة يظل الشاعر في حنين دائب وتمسك قوي بالوطن :

هو الماء لكن في لهاتي صاب
فهل لي للبحرين بعد اياب ؟
فيا موطنا لو استطيع فديته
بروحي .. ولو عندي عليه عتاب

ولكن هذه « المثالية » في شدة التمسك بالوطن رغم المصاعب ، تتحول الى شعور بالمرارة والتمرد احيانا .. فاذا بالشاعر مصر على الابتعاد والهجرة في أسف على ما خلف وراءه ... هذا الموقف تصوره لنا الابيات التالية لغازي القصيبي :

سأرحل عنكم لا العيون غريقة
بدمع ولا في القلب انة موجع
سأمضي بعيدا عن ربوع منحتها
شبابي ووجداني وشعري وادمعي
ولم ترمني غير اخلاص عاشق
ولم أر منها غير غدر مروع

الا اننا يجب الا ناخذ ما يقوله الشعراء دائما ماخذ الجد، فالشاعر يخضع لثورة شعوره احيانا فيبالغ على نحو من الانحاء ، ولعل هذا مرجعه الى ان الشاعر الفنان لاينال ما يستحقه من تكريم ورعاية في بلدان الشرق قاطبة فتراه يشعر بشيء من الاهمال والتجاهل ... يعبر عن هذا الموقف

مقطع من اقصوصة شعرية للاستاذ ابراهيم العريض بعنوان « التوأمان » (١) .

بني وطني الذين أتوا
زرافات ووحدانا
ليهنأ صدر أم أر
ضعت في الارض فنانا ...
لقد عاش الفقيد لنا
فلم نعرف له شانا
فخلف فنه أثرا
يذكرنا بما كانا
وغادرنا ليبقى من
وراء الغيب يرعانا
فان نعتد للفنا
ن فضلا بعد ما بانا
فذاك لانه بسبب
لنا عاني الذي عانا
ونحن اليوم نشرف وهـ
و بالاشراف احرانا
وبالاحساس اكملنا
على الاطلاق انسانا

ومن ناحية اخرى نجد تصوير البيئة المحلية يكون دائما مدخلا فنيا للحديث عن الحنين الى الوطن .

يقول ابو البحر الخطي :

ان انس لا انس الربيع بها وما
يجلوه من نوّاره والنور
روض يرق عليه ناجم زهره
كالصحف بين فواصل وعشور
آه وقل على « أوال » تأوهي
فاذا جننت بها فغير كثير
هل لي الى تلك المنازل عودة
يهدا بها نفسي وفرط زفيري

ويقول احمد الخليفة :

وطني ذكرتك والكؤوس هوازج
فحسوت ذكرك كوثرا وسلافا
وتمثلت أرض النخيل لناظري
صورا تثير الذكريات لطافا

---

(١) ابراهيم العريض . ديوان العرائس ، ص ٧٧

فرأيت أسراب العذارى في الضحى
تشوي تزود شواطئا وضفافا
فسكبتها قبلا وكدت من الهوى
والذكريات أعانق الأطيافا

ويقول عبد الرحمن رفيع :

تستقي ريشتي من اى الينابيـ
ـع ، ومن أيها أخط قصيدى ؟
أمن النخل في بطاحك تلهو
كالعذارى في ظل حلم سعيد ؟
ام من البحر وادعا وودودا
واذا ماج غاضبا كالرعود
ام من السامرين والأنجم الزهـ
ـراء تحنو عليهم من بعيد
انت يا درة الخليج عروس
بل ربيع من الشذى والورود

المشاركة الاجتماعية والقومية

قلنا ان هذه النزعة من اقوى نزعات ادب البحرين الحديث ، وهو مليء بالشواهد الدالة على ذلك ، وسنجتزىء امثلة قليلة في هذه العجالة تمثل مختلف جوانب النزعة المذكورة .

يقول المعاودة محددا وظيفة الشعر الاجتماعية :

حبذا الشعر حلية للنفوس
لاكتساب الفخار اسمى دروس
او كمجد على بياض الطروس
آية للجدود في الاحفاد
ليس شعرا ما لم يهز القلوبا
هزة الصب حين يلقى الحبيبا
ويولد بين العظام دبيبا
من شعور يرمى لعز البلاد
ذلك الشعر للنهوض نواة
وهو للشعب رفعة وحياة

ويقول عبد الله الزايد متخذا من شعره وسيلة للدعوة الى اصلاح المجتمع والنهوض به :

يعوز رقينا ابناء علم
شعارهم التعاون والولاء
وشبانا أولى حزم وعزم
يضيق ببعض همهم الفضاء
اذا ما فكروا اتضح المعمى
وزال اللبس وانكشف الغطاء
يعوز رقينا تعميم علم
تعم به السعادة والهناء
وتشييد المدارس حافلات
لها في القلب لا الارض البناء
شباب الشرق جدا واتحاداً
فان الامر جد واعتناء

ويقول احمد الخليفة متغنيا ببطولة المجاهد العربى الحديث الذى هو اليوم رمز العمل الوطني :

فتى في حب امته تفانى
فصان بلاده وحمى مقامه
فؤاد مستفيض العزم ثبت
وروح بالمعارك مستهامه
يهون عليه ان يرد المنايا
ولا تمسى العروبة مستضامة
اخا الصحراء ان الشرق أمسى
جريح العزم مهدور الكرامة
ونحن اليوم كالغرباء فيه
وهل طابت لمغترب اقامه ؟!

ويشير المعاودة الى الهدف القومى الاسمى ، هدف الوحدة ، فيقول :

الوحدة الكبرى هى الهدف الذى
نسعى لنبلغه صباح مساء
فنعيد دارس مجدنا ونقيم من
ماضي تمدننا الجليل بناء
سعيا الى ضم الصفوف فانه
بالجد يبلغ رائد ما شاء
فنوحد التعليم في دستورنا
وتزيل ثم حواجزا نكراء
شعب العروبة ان توحد شمله
وتقاسم السراء والضراء
اضحى وحيد الشرق في عليائه
واعاد عصرا لامعا وضاء

ويتحدث قاسم الشيراوى عن نكبة العرب الكبرى في فلسطين ، بقوله :

امنزل الرسل للهيجاء ميدان
وفي ربوع الهدى نار ونيران

في دَيْـر ياسـين َ اشـلاء ممزقـة
وفي سـواها تباريح وأشجـان
اليوم يـوم عصيب في حياتكـم
اما الفنـاء ، واما المجد والشـان
وما فلسـطين الا بـدء يقظتكـم
لعـل من بعدها لـم يبق وسنان

ويقول في موضع آخر :

مالي ارى العـرب هانوا في ديارهم
يقضى عليهـم ولا يقضون ما يجب
هـذى فلسـطين تدعوكم ومدمعها
يسـيل بالدم لا بالدمـع ينسكب

الميل الفلسفي والنزعة الانسانية

هذه النزعة كذلك ليست نزعة طارئة ، فقد بدأها طرفة بن العبـد ، أبرز شعراء منطقـة البحرين في الجاهلية بأبياته التأملية المعروفة في معلقته ، وظهرت لدى شعراء جاهليين واسلاميين عاشوا في هذه المنطقة . وفي العصر الحديث برزت بشكل ملحوظ . وغني عن البيان ان القسم الاعظم من أشعار التأمل الفلسفي والانطلاق الفكري تبقى محفوظة لدى أصحابها ولا تجد طريقها الى النشر بل تظل متداولة في دائرة المهتمين بالفكر وقد أتيح لي الاطلاع على قدر لا بأس به منها فلمست فيها آثار تلك النزعة واضحة .

وانا لنلمس تلك الآثار منذ القرن التاسع عشر في شعر الشيخ ابراهيم بن محمد . يقول الشيخ ابراهيم لاحد أصدقائه من أدباء الاحساء المحافظين وكان قد هاجم المعري :

رددتَ على المعري بعض قـول
ومثلـك مـن يكون بذا كفيـلا
وقـولي : ربمـا للشيخ عـذر
وفضـلك يقتضـي منك القبـولا

فالتصدي للدفاع عن المفكر الحر أبي العـلاء المعري في بيئة محافظة يكشف نوعا من الانفتاح الذهني والرغبة في تقبل الآراء المختلفة بصدر منفتح ...

وكان عبد اللـه الزايد يتصدى دوما لدعاة التحجر والجمود ويمثل بشعره في زمنه عنصرا تقدميا في الخليج العربي ويتعاضد في ذلك مع المصلحين المتنورين من امثاله كالمؤرخ الصحفي الكويتي عبد العزيز الرشيد .

يقول الزايد مخاطبا صاحبه [1] :

لا تحـاذر مـن خيـال زائـل
انهم مـن عمـرهم في الارذل
ان أدوار الـورى دائـرة
في ارتقاء رغم « قطب » أو « وَلِي »

فتراه يصرح أن المتحجرين في طريق الانقراض وان تطور الامم سائر في دوائر ارتقائه وان المدعين بانهم « اقطاب » تقوى و « أولياء » زهد لن يستطيعوا ايقاف دورته التاريخية الحتمية .

وفي شعر احمد الخليفة نلمس ظاهرة البحث عن الحقيقة والرغبة في فهم المعنى الحقيقي للحياة ، والابيات التالية تكشف لنا جانبا من معاناته الفكرية ـ النفسية تلك :

واضـرب في القفـر وحدي بلا
رفيـق أنـاجي الرُبـى والهضـاب
وتدفعنـي نحـوه مهجـة
تريـد عـن السـر كشـف الحجاب
ولكـن اذا جئت بالقـرب منـه
تلاشـى فألقـى بكفـي التـراب
فيـا ويـح في الارض حـال الاريب
فمـا نـال في الارض الا العـذاب
ويرتـاد بالـروح دنيـا الغيوب
فتربطـه رجلـه بالتـراب

فترى البيت الثاني يصور البحث الملح عن سر الحياة ، وترى البيت الاخير يصور غصة الانسان الكيانية حيث يتمزق ويتصلب بين روح في عالم الغيب وجسد يربطه التراب والمادة .

ولهجة التساؤل الدائب عن السر الحياتي نغم يردد صداه شعر الشباب في البحرين بكثرة هذه الايام ، فترى غازي القصيبي يقول :

---

(١) تاريخ الكويت ، لعبد العزيز الرشيد ، ص ٢٧٦

اين امضي ؟ يا سؤالا لم يزل
ظامئا ... يقرع سمع الأبد
هذه الرحلة ما اغربها ...
اترى ندرى ما مداها في غد ؟

ويجيب في مكان آخر بتشاؤم :

من نحن في هذا الوجود ؟
دوامة حمقاء تسرع ثم يطويها السكون
رَكْب من السارين لا يدرى الى أين المسير
ورَق يطير مع الرياح
ودُمىً يحركها القدر ..

اما عبد الرحمن رفيع فيقف حائرا امام اللغز ـ المأساة :

نهـاية كل الالــى أن تنـــام
بقبــر يفتـت اجســامها
ولكن يظـل السـؤال العظيـم
(الى اين ؟) يثقـل اقدامهـا
وقـد قـال قـوم بـدار النعيـم
وراحـوا .. فهـل نهلـوا جامهـا
وقـال انـاس يقينـا نـزول
ونشـبه في الارض انعامهـا

ويتساءل رفيع في موضع آخر بلهجة تشاؤمية أيضا :

سوف نحيا
فاذا ما لفنا صمت الختام
واحتسينا كاسنا حتى الردى
سيغنينا الصدى :
« يا ترى هل تستحق
بضع افراح قصيرة
كل آلام الحياة ؟ »

النزعة الانسانية

هذا فيما يختص بالميل الفلسفي والتجرد الفكرى ، أما النزعة الانسانية الشاملة الصافية فنلتقى بها في نتاج الاستاذ ابراهيم العرَيض ، في المظاهر التالية :

أ ـ بالرغم من ان المغزى القومى هو المحرك الرئيسي في ملحمتيه « قبلتان » و « ارض الشهداء » ، فان الطابع الانسانى كان واضحا فيهما من خلال المسلك الانسانى المثالى للابطال القوميين ومن خلال القيم النهائية التى اكدناها .

ب ـ في اقاصيصه الشعرية بديوانيه « العرائس وشموع » استقى العريض مادته من التراث الانسانى العام ، واستطاع ان يجسد فى فنه الشعرى القصصى قيم المحبة والوفاء والسلام والقضايا التى تهم الانسان في كل مكان (١) .

جـ ـ نرى العريض في نقده داعية للانفتاح على الأدب الاصيل اتى كان مصدره دون تمييز ، وللاقبال على التيارات الانسانية في الفكر والفن لاغناء الحضارة العربية المعاصرة بالمؤثرات العالمية الخيِّرة .

ومن شعراء البحرين ذوى النزعة الانسانية الواضحة كذلك الاستاذ رضى الموسوى، يقول في قصيدة له مؤكدا هذه النزعة :

اتمنــى ان ارى في امتــى
عالما يسمو الى فوق الحدود
يَتْبَـع الحـق اذا صـادفه
من فم المسلم او من فم يهودى
انمـا الحـق كنـور سـاطع
عم بالاشـعاع آفـاق الوجـود
انا انســان وانســانيتى
لـم تـزل بين كيـانى ووجودى
ففـؤادى خـافق في حبهــا
كفـؤاد الأم في حـب الوليـد
اكـره الظـالم والظلـم ولا
انثنـى عن حـب مظلـوم شهيد

■■

البحرين : محمد جابر الانصارى
ماجستير في الآداب

---

(١) راجع ديوانه « شموع » ص ١٠٥



أكثر الامم استهلاكا للورق

■ قرات في عدد سابق كلمتكم عن صناعة ورق الصحف وانتاجه وان كندا هي أولى الدول انتاجا له وان ثالثة الدول في انتاجه هي اليابان . فهل تتكرمون باخبارنا عن مقدار ما تستهلكه الدول من هذا الورق لنكون فكرة عن اقبال هذه الدول على اصدار الصحف واقبال رعاياها على قراءة تلك الصحف ..

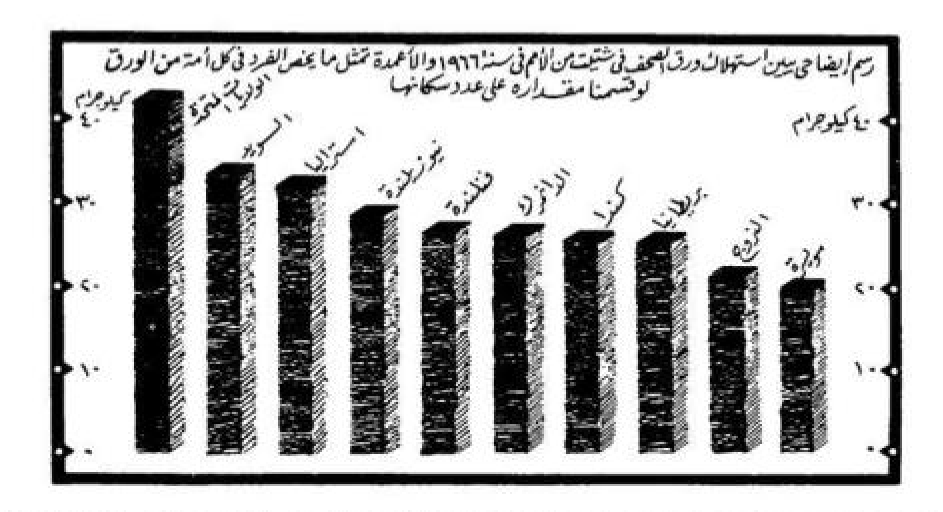
علي العلمي ــ عمان

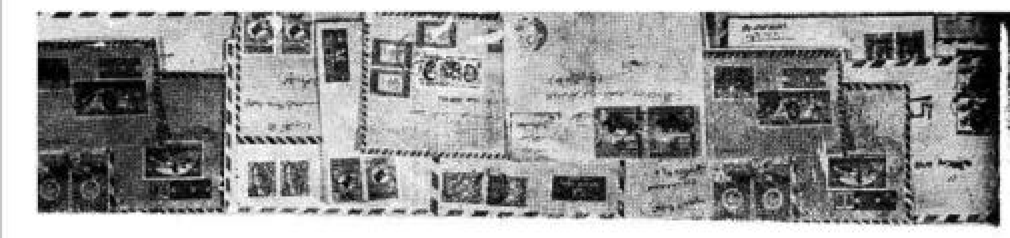
ــ لعلك تجد الجواب الشافي على سؤالك في الاحصائية الهامة التى اجراها المختصون مؤخرا وقارنوا فيها بين الدول العشر الاولى او المتفوقة على غيرها من حيث استهلاك ورق الصحف . فقد انتهوا الى ارقام واحصاءات لطيفة نشرتها احدى المجلات الرصينة وننقلها اليك مفصلة في الرسوم البيانية المنشورة مع هذا الكلام .

وتجدر الاشارة الى ان موضوع هذه الاحصائية ليس تماما الاقبال على اصدار الصحف اليومية او على قراءتها . فهي تتخذ من استهلاك الدول العشر المعنية لورق الجرائد الذى تصنع منه تلك الصحف (Newsprint) اساسا لها . ولعل في هذا الاستهلاك دليلا على مدى انتشار الصحف في الدول المشار اليها وبالتالي على مدى اقبال شعوب تلك الدول على قراءة تلك الصحف .

اضف الى ذلك ان الاحصائية لاتعتمد الكميات التى تستهلكها الدول من ورق الجرائد اجمالا وبصورة عامة . ولو كان الامر كذلك لتعذرت علينا المقارنة نظرا لتفاوت تلك الدول من حيث عدد السكان . فهي تظهر الكمية التى يستهلكها الفرد الواحد من سكان الدول المذكورة وتحدد تلك الكمية بالكيلو جرام في السنة الواحدة ، او بالحرى في سنة ١٩٦٦ التى هي موضع البحث .

وتلاحظ بعد هذا وذلك ان الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الاولى بين تلك الدول العشر وان سويسرا هي الاخيرة . وليس في هذا ما يفسر





ليست اكثر الامم انتاجا له

سويسرا وقد احتلت المكانة العاشرة بين دول العالم اجمع من حيث استهلاك ورق الصحف . فهي اسعد حظا من اليابان وروسيا وفرنسا وايطاليا التي لا تجد لها مكانا البتة في هذه الاحصائية . هذا بالرغم من أن هذه الدول الأربع تعتبر من الدول المتفوقة في صنع ورق الصحف في العالم في حين ان سويسرا لا تدخل في عداد تلك الدول المنتجة. ومثل سويسرا في هذا الشان كمثل استراليا ونيوزيلندة اللتين تحتلان المكانة الثالثة والرابعة بين الدول المستهلكة لورق الصحف واللتين لا ذكر لهما بين الدول المنتجة لذلك الورق .

وتلاحظ ايضا ان كندا وهي التي تنتج ٤٠٪ من ورق الصحف في العالم لاتحتل سوى المكانة السابعة في هذه الاحصائية . اما السويد وفنلنده والنرويج ، وهي الدول الاسكندنافية الشهيرة في صناعة الورق عموما فتاتي بالمرتبة الثانية والخامسة والتاسعة ، على التوالي ، حسبما ترى في هذه الاحصائية .

(ى . ز)

ملحمة الخلق .. تروى قصة بدء الخليقة

● سمعت البعض يتحدث عن « ملحمة الخلق» وعن انها اقدم الاساطير الدينية .. فما هي ملحمة الخلق هذه ؟

محمد سامح محمد كامل ـ القاهرة

ـ ملحمة الخلق هي تلك الاسطورة الدينية التي طغت على سائر حضارات ما بين النهرين وخاصة الحضارة البابلية القديمة . وتروى الملحمة قصة الحرب التى شنتها الهة الخير على عناصر التدمير والتخريب ، وكيف تحول العدم والفوضى اللذان كانا قائمين في ذلك الزمان الى خير ورخاء ، فبعد ان لم يكن هناك سوى التخبط على غير هدى وبعد أن كانت الهة العمى «تيامات» تحكم العالم وتعيث فيه فسادا ، تحول هذا كله الى خير عميم نتيجة لاجتماع كلمة كبار الالهة على محاربة الالهة « تيامات » .

وتصف الملحمة كيف أن الالهة اجتمعت بناء على دعوة من الاله « آيا » أكبر الالهة سنا ، واكثرهم حنكة ودهاء . وقام الاله « آيا » بابلاغ الالهة الاخرى حرصه على وضع حد لفوضى وطغيان الالهة « تيامات » . وتطوع اله شاب يتمتع بقوة خارقة اسمه « مردك » لكي يخلص العالم من «تيامات».

وتمضي الملحمة لتروى كيف تمكن « مردك » من ابادة الهة العمى بأن دفع عاصفة في فمها ، حتى اذا امتلأ جوفها وانفتح طعنها فيه طعنة نجلاء فانفجر ، وقام « مردك » بتقسيم جثمان « تيامات » الى قسمين فكانت الارض وكانت السماء .

ثم بدأ « مردك » بعجن الارض بدمائه فخرج الى الدنيا بنو الانسان الذين صاروا عبيدا للالهة وخداما لها .

وقد قالت الملحمة ان الانسان كان يعيش كالبهائم حتى جاء « اونس » الوحش الفيلسوف ، فعلمه ورفعه فوق مستوى الحيوانات . ولكن الالهة لم تلبث أن غضبت على بني الانسان لغرورهم ، ففجرت عليهم المياه واغرقتهم بالطوفان الذى لم ينج منه الا انسان واحد فقط ، ظفر برضى الالهة آخر الامر بعد ان قدم لها القرابين .

م . ط

البحر الاسود .. كان بحيرة !

● نسمع كثيرا عن البحر الاسود ، فهل يمكنكم اعطاؤنا فكرة عنه ، وهل عرفه العرب القدامى ، وماذا كانوا يسمونه ؟

شريف الامام ـ عمان ـ الاردن

ـ البحر الاسود هو مساحة كبيرة من الماء تحيط بها الاراضي الروسية من الشمال ، والرومانية والبلغارية من الغرب ، والاراضي التركية من الجنوب والجنوب الغربي .. وليس لهذه المياه من منفذ سوى مضيق البسفور في الجزء الجنوبي المؤدي الى بحيرة مرمرة ومضيق الدردنيل ، قبل ان يتصل بمياه بحر ايجه ومنها بالبحر الابيض المتوسط .. ويمتد البحر الاسود مسافة ٦٣٠ ميلا في اقصى اتساع له من الشرق الى الغرب ، في حين يصل اقصى اطواله ٣٢٠ ميلا من الشمال الى الجنوب .. ومساحة هذا البحر تقرب من ١٨٠ الف ميل مربع .. ويزداد عمق مياهه كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ، فقرب منطقة القرم مثلا ، يصل العمق الى ١٥٠ قدما تظل في ازدياد حتى تصل الى ٧٠٠٠ قدم قرب ساحل الاناضول.

ويقال ان البحر الاسود كان بحيرة قبل ان تنشق القشرة الارضية في الاحقاب الاولى وتوصله بالبحر الابيض المتوسط .. وملوحة مياه هذا البحر متقلبة ، فمياه سطحه تميل الى الحلاوة ، وهذا مرده للكميات الهائلة من المياه العذبة التي تصبها فيه مختلف الانهار ، وفي مقدمتها نهر الدانوب والدنيبر والدون ، عن طريق بحر ازوف الضحل ـ ٤٨ قدما ـ والذي تتجمد مياهه لمدة ٣ شهور في السنة ..

ومن اشهر موانيء البحر الأسود ميناءان اشتهرا في الحرب العالمية الثانية ، اولهما : سباستوبول التي ثبتت امام الحصار الالماني ، وثانيهما ميناء يالتا الذي عقد فيه مؤتمر يالتا الشهير عام ١٩٤٥ وحضره روزفلت وتشرشل وستالين .. وفي اقصى الشمال يقع ميناء اودسا..

وفي الجنوب ميناءا باطوم ، وطرابيزون ، وفي الغرب فارنا الشهيرة بكونها مصيفا بلغاريا .

وتهب على البحر الأسود عواصف هوجاء فجائية متقطعة ، مما يجعل الملاحة فيه صعبة .. وتقول

غرفة الغاز قد تكون اكثر وسائل

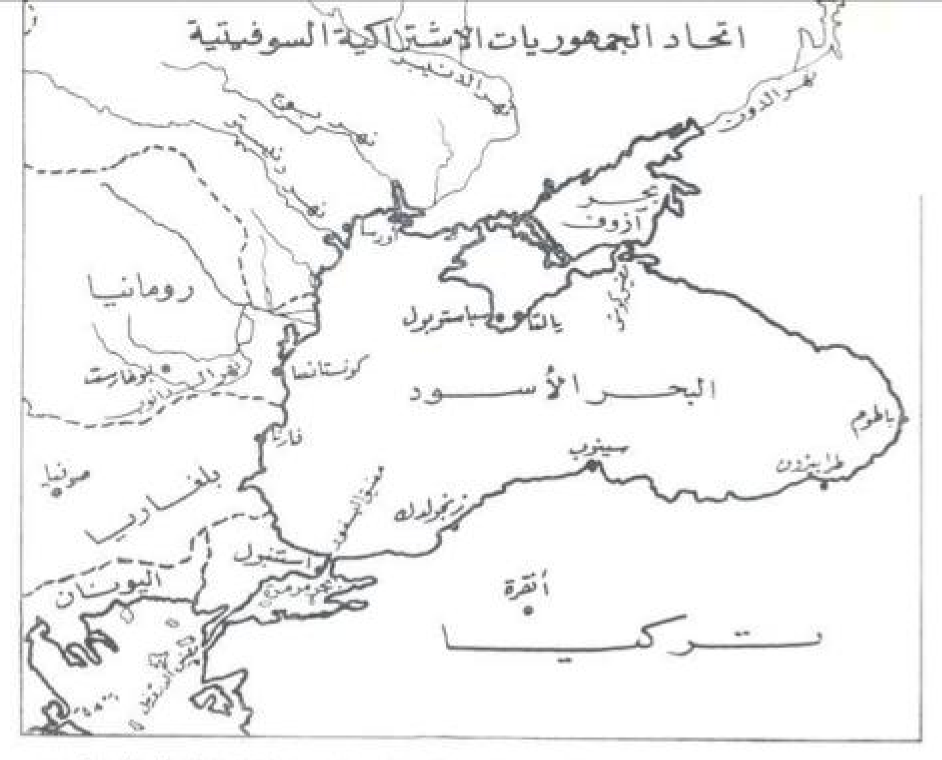
● سمعت ان حكم الاعدام سينفذ في سرحان بشارة سرحان عن طريق ما يسمى بغرفة الغاز .. فما هي هذه الغرفة ؟ وكيف كانت احكام الاعدام تنفذ قبل ذلك ؟

انشراح علي شعراوي ـ الكويت

ـ غرفة الغاز هي من احدث وسائل تنفيذ احكام الاعدام ، وقد بدأت هذه الوسيلة في ولاية نيفادا بالولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٢٤ . والغرض منها ان يتم اعدام المحكوم عليه بطريقة تجنبه العذاب والآلام . وغرفة الغاز عبارة عن غرفة صغيرة محكمة الاغلاق تطلق فيها غازات سامة (غاز السيانيد) ، ويوضع المحكوم عليه بالاعدام داخل الغرفة ويقيد في الكرسي الوحيد بها ، ثم تطلق عليه الغازات السامة . وعادة ما يموت المحكوم عليه بسرعة وبدون الم اذا استنشق هذه الغازات دون مقاومة . ولكن الذي يحدث في الكثير من الحالات ان المحكوم عليه بالاعدام يكتم انفاسه او يستنشق الغاز بانفاس مكتومة بقدر الامكان كمحاولة لا ارادية لمقاومة الموت فتكون النتيجة عذابا شديدا له .

وغرفة الغاز تستعمل الآن كوسيلة لاعدام المحكوم عليهم في ١١ ولاية امريكية من مجموع الولايات المتحدة الامريكية (٥٠ ولاية) ومن ضمن هذه الولايات ولاية كاليفورنيا التي سيتم فيها اعدام سرحان بشارة سرحان بتهمة قتل روبرت كنيدي .

وهناك ٦ ولايات فقط تستعمل طريقة الشنق حتى الآن . وولاية واحدة تخير المحكوم عليه بين الشنق والرمي بالرصاص ، وبقية الولايات تستخدم الكرسي الكهربائي .



الموسوعة البريطانية ان اسم البحر الاسود جاء من الاتراك الاوائل الذين كانوا يهابون هذه العواصف الهائلة فنعتوا البحر بالاسود لاكفهرار جوه .. اما العرب القدامى فاسموه بحر بنطش ، ولكن ياقوت الحموي يقول : «ان اليونانيين اسموه بحر بنطش» ، اما عندنا فيعرف ببحر طرابزندة» . والله أعلم ..

(س.ز)

الاعدام الحديثة تعذيبا للمحكوم عليه

اما عن بقية سؤالك الخاص بطرق الاعدام المختلفة فنوجز فنقول ان طرق الاعدام عديدة فحكم الاعدام حكم قديم جدا وكان هذا الحكم يطبق على جرائم عديدة خلاف القتل والخيانة والتجسس في كثير من بلاد العالم في العصور القديمة ، وكان تنفيذ هذا الحكم يتم عن طريق الحرق ، او الخنق البطيء ، او الصلب ، او ربط المحكوم عليه في عجلة وشد عضلات جسمه حتى يموت وخلاف ذلك من الطرق الوحشية والبربرية. وفي بداية العصور الحديثة تطور تنفيذ أحكام الاعدام الى استعمال طرق سريعة لا تؤدي الى تعذيب المحكوم عليه مثل المشنقة ، والرمي بالرصاص ، والكرسي الكهربائي والجيلوتين ، ولكن لا يزال الاعدام بالبلطة والسيف شائعا حتى الآن في بعض البلدان .

ولا بد لنا ان نذكر ان هناك الآن حركة كبيرة لالغاء أحكام الاعدام واستبدالها بالسجن مدى الحياة وقد قام كثير من البلدان بالغاء حكم الاعدام فيها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : السويد ، وفنلندا والنرويج ، والمانيا الغربية ، والدنمارك ، والنمسا ، وايطاليا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا . كما ان هناك ايضا حوالي ١٠ ولايات امريكية الغت عقوبة الاعدام داخلها . ولو ان هذا الالغاء لا يشمل الجرائم الفيدرالية والتي يتم فيها تطبيق القانون الفيدرالي .

ومن بين الامم أمم الغت عقوبة الاعدام ، ثم عادت اليها لما خاضت التجربة الاولى فتكاثرت الجرائم . ومن الدول ما تفكر الآن في النكوص .

(م. ط)

الولايات المتحدة الامريكية هل فيها فقراء حقاً ؟!

● كثيرا ما يتحدث المسؤولون في الولايات المتحدة عن مشكلة الفقر في أمريكا وعن البرامج التي أعدتها حكومتهم لحل تلك المشكلة . فهل للفقر وجود في الولايات المتحدة : أغنى بلاد العالم قاطبة ، وهل في وجوده هذا مشكلة خطيرة كما توحي بذلك تلك التصريحات والبرامج .. ؟

سميح هنداوي ـ بيروت

ـ الفقر والغنى حالات نسبية يختلف مفهومها ويتفاوت تحديدها باختلاف الزمان وتفاوت المكان. فقد يعني الفقر الجوع في الهند، ولا يتعدى مفهومه الحاجة الى بعض الكماليات في بلاد السويد على سبيل المثال . وقد يكون الأغنياء في نظر أهل القرون الوسطى مجرد فقراء في نظر أهل القرن العشرين . أضف الى ذلك أن الفقير من أهل مدينة ميلانو في شمال ايطاليا مثلا يدخل في عداد الأغنياء فيما لو انتقل بدخله وعمله الى مدينة نابولي في جنوب البلاد .

ومثل ذلك يقال في الفرد الذي يتمنى لو زاد دخله بنسبة (١٠٪) ويشعر باليقين من انه سيبلغ الكفاية وينعم بالقناعة فيما لو تحققت له هذه الزيادة ، ولكنه لا يلبث أن يكتشف بعد الحصول عليها أنها لا تضمن له القناعة ولا الكفاية بل لا يلبث أن يعود الى التمني والتطلع الى زيادة في الدخل اخرى ثانية ، وهكذا .

هذا هو الطابع النسبي في معنى الفقر والغنى الذي ينبغي اخذه بعين الاعتبار لادراك المقصود بكلامهم عن الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية ، أغنى بلاد العالم ، كما تقول في رسالتك .

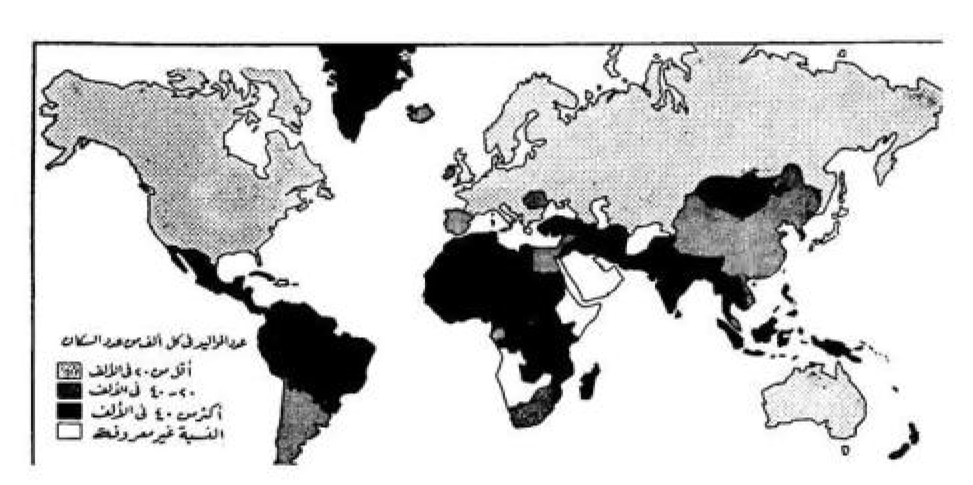
فالمشكلة اذن ليست في وجود الفقر في امريكا او عدم وجوده بقدر ما هي في المعنى الذي يفهمه الأمريكيون من الفقر وفي المقياس الذي يقيسونه به . ولعلك تجد في الرسمين التاليين الايضاح الوافي لمدلول الفقر ولانتشاره في أمريكا ، وقد اقتبسناهما لك من بين الرسوم الموثوق بها التي تعتمدها حكومة واشنطن نفسها .

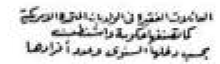
ويحدد لك الرسم الأول دخول العائلات الفقيرة ويذكر لك عدد افرادها . ولما كانت العائلات

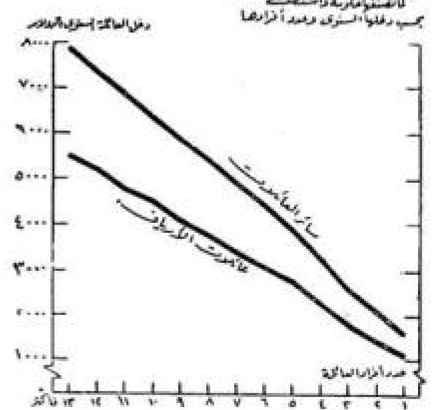
التوالد فى العالم

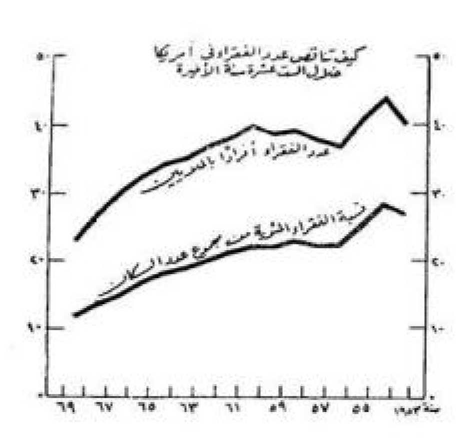
■ يقول البعض ان اعلى نسبة للتوالد في العالم توجد في الصين .. فهل هذا صحيح وما هي تلك النسبة وما هو عدد سكان الصين في الوقت الحاضر ؟!

محمد الكنفاني ـ دمشق









الفقيرة المقيمة في الارياف أشد فقرا من مثيلاتها المقيمة في المدن ، فقد ميز الرسم بين هاتين الفئتين من العائلات الفقيرة بان خص كل فئة منهما بخط خاص ، الادنى منهما لعائلات الريف والاعلى لسائر العائلات .

وانت تلاحظ بعد هذا أن العائلات الريفية التى لا يقل عدد افرادها عن ٥ اشخاص تعتبر فقيرة اذا بلغ دخلها السنوى حوالى ٣٠٠٠ دولار ، ويرتفع هذا الدخل الى ٤٥٠٠ دولار سنويا لتدخل العائلات غير الريفية في عداد الفقراء .

ويمضي الرسم في تصنيف العائلات الامريكية بين فقيرة وغير فقيرة آخذا بعين الاعتبار في كل الحالات عدد أفراد تلك العائلات فضلا عن الدخل السنوى الذى تجنيه .

واما الرسم الثانى فيبين لك عدد الفقراء في الولايات المتحدة الامريكية ويحدد كذلك نسبتهم من مجموع عدد السكان . ويفعل ذلك ابتداء من سنة ١٩٥٣ وحتى سنة ١٩٦٨ . فهو يظهر لك على سبيل المثال أن عدد الفقراء (بالمفهوم الذى اوضحه الرسم الاول) لا يزيد في الولايات المتحدة حاليا على ٢٢ مليون نسمة ، أى بنسبة لا تجاوز ١١٪ من مجمل السكان ، وقد بلغ ٤٠ مليون نسمة في سنة ١٩٥٣ وبلغت نسبته آنذاك نحو ٢٧٪ .

(ى . ز)

– يبلغ عدد سكان الصين في الوقت الحاضر نحو ٧٢٠ مليون نسمة . اى ان الصينيين يشكلون نحو خمس سكان العالم البالغ تعدادهم بموجب احصاء هيئة الامم الاخير نحو ٣٥٠٠ مليون نسمة .

على ان اعلى نسبة للتوالد في العالم لاتوجد في الصين . فنسبة التكاثر في الصين لاتزيد على ٢٠ – ٤٠ طفلا في كل الف من عدد السكان في السنة . والنسبة العليا في العالم لاتقل عن ٤٠ طفلا في الالف سنويا او تزيد . وتوجد هذه النسبة الكبرى في منغوليا التى كانت في الماضي مقاطعة من الصين . وتوجد كذلك في الهند واندونيسيا وفي اقطار من العالم اخرى عديدة ، تستطيع ان تتبينها في خريطة العالم المرفقة ، وقد اقتبسناها لك عن مصادر هيئة الامم المتحدة وهي المصادر المعتمدة في هذه الشؤون .

ولعلك لو دققت النظر في هذه الخريطة لرأيت ان النسبة العليا التى ذكرنا توجد ايضا في ايران وتركيا وفي اكثر الدول العربية ومعظم دول افريقيا . وهي توجد كذلك في كثير من دول امريكا اللاتينية . وقد تستغرب وجود هذه النسبة في جزيرة جرينلند الواقعة في النصف الشمالي من الكرة الارضية ، وهو النصف المعروف بقلة التكاثر بين سكانه ، وقد هبطت نسبة التوالد فيهم الى حدها الادنى ، وهو ٢٠ في الالف او دون ذلك .

والجدير بالذكر ان هذا الفرق في نسبة التوالد بين نصفي الكرة الشمالي والجنوبي يقترن بفرق آخر ، أخطر وابعد اثرا . اذ يتميز النصف الشمالي بتقدم دوله وغناها بخلاف نصف الكرة الجنوبي الذى يغلب على دوله الفقر والتخلف .

■■

(ى . ز)



■ هذا كتاب صدر أولا باللغة العبرية ، في حيفا ، عام ١٩٦٦ ، ثم قامت « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » بترجمته الى الانجليزية ، كما ترجمه « مركز الأبحاث » الى اللغة العربية في جزأين . والمؤلف محام فلسطيني من المقيمين بالأرض المحتلة أولا ، وعضو اللجنة المركزية لحركة الأرض العربية ، وهي حركة ألفها بعض العرب الواعين في اسرائيل ، لمقاومة المحتلين ، وفضح اعمالهم .

ويعتمد المؤلف في مادته على المصادر والوثائق الرسمية لحكومة اسرائيل . وكان لهذا الكتاب أثر كبير عند ظهوره ، لوضوح حجته ، مما حمل السلطات الاسرائيلية على مصادرته ، وملاحقة مؤلفه .

واحب ان اشير منذ البدء الى ان قضيتنا في فلسطين ، ليست قضية عرب مضطهدين تحت الاحتلال ، بل قضية غزاة يجب طردهم . ولكن العرب في اسرائيل جانب من جوانب قضيتنا نسلط الأضواء عليه ، لنكشف عن طبيعته الفاشية لهذا الاحتلال .

تأليف صبري جريس

بقلم: الدكتور محمود السمرة

عميد كلية الآداب ـ بالجامعة الاردنية

وكتاب صبري جريس يذكرنا بكتاب ، صدر بعده بقليل ، في الموضوع نفسه . والكتاب بالانجليزية وعنوانه هو العنوان نفسه الذي اطلقه صبري جريس على كتابه ، ومؤلفه استاذ بالجامعة العبرية هو يعقوب لاندو (٢) . ولا يتفق الكتابان في العنوان فقط ، بل انهما أيضا يتفقان في انهما يتناولان فترة زمنية واحدة ، تقف عند عام ١٩٦٦ .

ومع هذا فالكتابان مختلفان جدا في طريقة التناول : فنجد يعقوب لاندو يعتمد ، مثل صبري جريس ، على الوثائق الاسرائيلية ، ولكنه يأخذ منها ما يحب ويهوى ، ليبرز اسرائيل كدولة ديمقراطية ، ولهذا كان هذا الكتاب غير علمي ، ولا يعتمد عليه . أما صبري جريس فموضوعي في

---

(1) Sabri Jirgis, The Arabs in Israel.

(2) Jacob M. Landau, The Arabs in Israel.

فى إسرائيل «١»

بحثه ، وعرضه ، واستنتاجاته ، وان كنا لا نقرأه على بعضها . ويمكن أن نجد له العذر في انه وضع كتابه في ظل حكم ارهابي ، وهو يريد له أن ينشر .

ويقصر (لاندو) حديثه عن العرب في اسرائيل على الجانب السياسي ، وذلك لغاية في نفسه ، لانـه لا يريد أن يتطرق للجرائم الاسرائيلية في الميادين الأخرى .اما كتاب صبري جريس فيعطينا صورة كاملة واضحة عن العرب في اسرائيل : فهو يتحدث عن١ـ الحكم العسكرى ، و ٢ ـ استملاك الاراضي بالقوة ، و٣ ـ سياسةالبطش والارهاب، و ٤ ـ غربة العرب في وطنهم .

الحكم العسكرى

منذ قيام اسرائيل والحكم العسكرى مفروض على المناطق العربية في الجليل ، والمثلث ،والنقب، وفي سنة ١٩٦٢ جرت محاولة في الكنيست لالغائه، وجرى التصويت ، فتقرر الابقاء عليه .

ويعتمد الحكم العسكرى على قوانين عدة تمنح الحكام العسكريين صلاحية الاعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة ، لا يجوز الدخول اليها ، او الخروج منها ، الا بتصاريح . وهذه القوانين تجعل من صلاحيات الحكام العسكريين طرد أى انسان من بلده ، ونفيه ، ومنعه من العودة . وكذلك صلاحية مصادرة أو هدم ملك أى انسان. كما تجعل من حقهم اصدار أمر لسكان أى بلد بأن يقوموا باطعام رجال الشرطة المرسلين في مهمة مجانا ، طيلة مدة بقائهم في البلد .

وهكذا نرى أن القوانين تمنح الحكام العسكريين صلاحيات تكاد تكون مطلقة ، في هذه المناطـق العربية ، وكل هذا بحجة المحافظة على الأمن .

وقد وصف كاتب انجليزى هو « والتـر شفارتس » في كتابه « العرب في اسرائيل » الذى صدر في لندن سنة ١٩٥٩ ، هذه الحالة في مقابلة بينه وبين احد أبناء مدينة الناصرة : « انهم يأخذون أراضينا،لماذا ؟ ـ لأسباب تتعلق بالأمن!! وهم يمنعوننا من العمل ، لماذا ؟ ـ لأسباب تتعلق بالامن !! وحين نسألهم : كيف يحدث اننا نحن، وأراضينا ، ووظائفنا ، نشكل خطرا على أمن الدولة ، فانهم يرفضون الاجابة . لـماذا ؟ ـ لأسباب تتعلق بالأمن !! » .

★ ★ ★

ان سكان هذه المناطق الثلاث الخاضعة للحكم العسكرى، يقيم فيها ٧٥٪ من العرب في اسرائيل، البالغ عددهم ٢٩٠٫٠٠٠ ، أما الباقون فيعيشون في المدن مثل ، حيفا ، ويافا ، والرملة ، واللد .

ولا يستطيع العربي أن يغير مكان اقامته الا بموافقة خطية من الحاكم العسكري .

وقد أثار هذا الوضع بعض رجال الفكر في اسرائيل ، من المعارضين لسياسة الحكومة تجاه العرب . وهؤلاء المفكرون لا يزيد عددهم عن عشرات قليلة ، وهم على الغالب من أساتذة الجامعات والمثقفين ، ويصدرون مجلة شهرية باسم « نير » Nair يطبع قسم من محتوياتها بالعبرية والعربية معا .

وقد ورد في عدد يولية (تموز) ـ اغسطس (آب) ١٩٥٨ ، من هذه المجلة ، ما يلي :

« .. ان حوالى مئتي الف مواطن في دولة اسرائيل ، ينتمون الى دين وقومية أخرى ، لا يتمتعون بحقوق المساواة ، ويعانون من التمييز والاضطهاد . ان الأغلبية الساحقة من السكان العرب في اسرائيل ، تعيش تحت نظام عسكري ، يسلبهم الحقوق الأساسية للمواطن . انهم محرومون من حرية التنقل والسكن ، ولا يقبلون كأعضاء متساوي الحقوق والواجبات في نقابة العمال (الهستدروت) ، ولا كموظفين في اكثر المؤسسات . ان كل أسلوب حياتهم متعلق برغبات الحاكم العسكري ومساعديه .. ان سنوات التمييز والاضطهاد ، قد خلقت واخصبت حالة من اليأس والسوداوية والمرارة بين السكان العرب .. » .

مصادرة الاراضي

كان الهدف الاول للمنظمة الصهيونية ، عندما قامت في نهاية القرن الماضي ، هو استملاك الارض في فلسطين ، من أجل « انقاذ الارض » في أرض اسرائيل » . وبقيام اسرائيل زالت كل العقبات أمام استملاك الصهاينة للأرض العربية ، فقد ترك البلاد جل سكانها من أصحاب الأملاك الكبيرة ، والعناصر الوطنية . وليس أدل على هذا من ان اسرائيل هدمت ، سنة ١٩٤٨ ، ٢٥٠ قرية عربية ، واغتصبت اراضيها . ووالت اليها أراض شاسعة أيضا ، بعد توقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل والدول العربية .

وبعد هذا قامت اسرائيل باجراءات تعسفية ، امتلكت بموجبها أراضي عربية كثيرة . وصدرت قوانين خبيثة لتبرير أعمال المصادرة هذه ، وتمهيد لمصادرات جديدة . واعتمادا على هذه القوانين سلبت اسرائيل حوالى مليون دونم من أراضي العرب الذين ظلوا في البلاد . وهذه القوانين ، رغم جورها ، لم تكن كافية في نظر اسرائيل لمصادرة ما تريده من أراض ، ولهذا كانت تلجأ في كثير من الأحيان الى المصادرة بالقوة .

★ ★ ★

ومن أمثلة المصادرة بالقوة ما جرى في قرية « اقرت » في الجليل الغربي ، حيث نقل سكانها الى قرية الرامة . وبعد ذلك بعشرة أيام ، أخليت قرية كفر برعم من سكانها العرب . وبعد ذلك بثلاثة شهور ، طرد سكان قرية عنان من بيوتهم . وطوّق الجيش والشرطة الاسرائيلية ثلاث قرى عربية في الجليل ، هي حسام ، وقطية ، والجاعونة ، وطرد سكانها العرب بقسوة . ووصلت وحدة من رجال الجيش الى قرية القابسية ، واعلنت لسكان القرية أن عليهم أن يتركوا بيوتهم حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم . وطرد سكان قرية بطاط من بيوتهم . وتسلم سكان مجدل غزة أمرا بطردهم ، ونقلوا الى خطوط الهدنة ، واجبروا على الرحيل الى غزة ، واجلي سكان ١٣ قرية عربية في وادي عارة الى خارج اسرائيل . وطوّقت كتيبة عسكرية قرية البويشات ، قرب أم الفحم ، واخليت القرية من سكانها ، ثم نسفت بيوتها ، ومثل هذا حدث لسكان قرية أم الفرج ، قرب نهاريا .

هذه أمثلة فقط على الأساليب الوحشية التي لجأت اليها اسرائيل لمصادرة الاراضي العربية بالقوة ، بحيث أصبح العرب لاجئين ، حتى في وطنهم .

★ ★ ★

وحاولت اسرائيل أن تلبس مصادرتها لاراضي أخرى ، لبوس القانون ، وما أبعدها عن هذا !! ولأجل هذه الغاية اصدرت عددا من القوانين ، ومن هذه القوانين :

قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ : وحسب هذا القانون فان آلافا من العرب ، المقيمين في اسرائيل ، يعتبرون غائبين ، ويسلبون حق استعمال أملاكهم ، فكان وظيفة القيّم على أملاك الغائبين هي ان ينهب اكثر واكثر من الأملاك العربية . وكان سكان المثلث ، اكثر المتضررين من هذا القانون ، اذ أن نصف الاراضي التي صودرت بموجب هذا القانون ، كان من املاكهم .

وقد طبّق هذا القانون حتى على أملاك الوقف الاسلامي في البلاد، وهي أملاك تابعة لله، حسب القوانين الاسلامية. وتقدّر أملاك الوقف الاسلامي بمبالغ ضخمة: فقد جاء في تقرير لجنة التحقيق لفلسطين في سنة ١٩٣٦ أن ١ : ١٦ من المساحة الشاملة لفلسطين، تابع للوقف الاسلامي، وهي في مدن مثل يافا وعكا، تبلغ ٧٠٪ من مجموع الحوانيت في المدينة.

وقد وصف راشد حسين، أحد شعراء المقاومة، هذا الوضع في قصيدة، منها:

الله أصبح « غائباً » يا سيدي!
صادرْ اذن حتى بساطَ المسجدِ؟!
وبع الكنيسةَ، فهي من أملاكه؟!
وبع المؤذن في المزاد الأسود!!
حتى يتامانا أبوهمْ « غائب »
صادر يتامانا اذن، يا سيدي!!

★ ★ ★

لا تعتذر! من قال: انك ظالم؟!
لا تعتذر! من قال: انك معتدي؟!
حررْت حتى السائمات، غداة ان
أعطيت (ابراهام) أرض (محمد)!
فخيولنا فوق الجبال طليقة
والثور يستشفي أمامَ المذودِ
والحقل يقرئك السلام، فقمحه
شكرٌ، تجمّع في بحيرة عسجد
أو لم « تحرّر » عنقه من حاصد
قاس، ليصبح ملك « أمدن سيد »؟!
هل « شعبك المختار » «أمدن سيد»؟
أم «شعبك المختار» «أمدن معتدي»؟
أو لم « تحرّر » عنقه من حاصد
لرأيت منه دمي يسيل على يدي

وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة في مؤتمر المزارعين العرب الذي عقد في عكا في سنة ١٩٥٨، ثم نشرت بعد ذلك في جريدة « المرصاد ».

★ ★ ★

والقانون الثاني في سلسلة قوانين مصادرة الاراضي، هو القانون الذي يقوم عليه الحكم العسكري، والمعروف باسم: قوانين الدفاع. وقد أشرنا الى الصلاحيات المعطاة للحكام العسكريين بموجب هذا القانون.

ويسير مع هذا القانون قانون آخر يمنح وزير الدفاع صلاحية أن يعلن أن منطقة من المناطق « منطقة أمن » وبمجرد نشر هذا الاعلان يحظر على كل انسان لا يسكن بصورة ثابتة في منطقة « الأمن المذكورة »، أن يدخل تلك المنطقة، أو أن يوجد فيها، الا بتصريح خاص، كما يحق للسلطة المختصة أن تأمر ساكنا ثابتا في هذه المنطقة أن يخرج منها. وبعبارة أخرى فان هذا القانون يبيح لوزير الدفاع أن يطرد سكان كل قرية عربية توجد داخل « مناطق الأمن ». وفي بعض الحالات، كان رئيس الوزراء بن غوريون، يتنصّل من عمليات الطرد الجماعية هذه، ويدّعي أنه لا علم له بها. ونحن نعرف من تاريخ الصهيونية، أن زعماءها مستعدون لأن يكذبوا، اذا كان الكذب يخدم مخططاتهم. وتنصل بن غوريون هذا، يذكرنا بقضية أخرى حاول أن يدّعي أنه لا علم له بها، تلك هي قضية (لافون) المعروفة، فقد قام الوزير الاسرائيلي لافون بحبك مؤامرة تهدف الى نسف المؤسسات الامريكية والبريطانية في مصر، من أجل تعكير العلاقات بينها وبين هاتين الدولتين.

★ ★ ★

ومن هذه القوانين أيضا، قانون « استغلال الاراضي غير المفلوحة »، وتدعي السلطات أنها وضعت هذا القانون لتأمين فلاحة الاراضي، والواقع أنها قد وضعته من أجل مصادرة مزيد من الاراضي العربية. والدليل على هذا التطبيق العملي لهذا القانون. وقد طبّق على المناطق التي أعلن أنها « مناطق أمن »، فهذه المناطق تصبح بعد مدة أراضي غير مفلوحة، واعتمادا على هذا القانون تصادرها السلطات.

وهناك قانون « الاستيلاء على الأرض في ساعة الطوارىء »، وهذا القانون يبيح للسلطات مصادرة الأراضي من أجل أمن الجمهور، أو تأمين تموين ضروري، أو خدمات جماهيرية ضرورية، أو استيعاب مهاجرين، أو اسكان جنود مسرّحين، أو مشوّهي حرب.

ومنها قانون « استملاك الأراضي »، وهو قانون يمنح وزير المالية صلاحيات نقل أرض صودرت الى ملكية دولة اسرائيل. والتعويض الذي يدفع للعربي الذي تصادر أرضه يتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ ليرة للدونم (الليرة تساوي مائة فلس)، بينما

ينتج الدونم بين ٤٠٠ و ٥٠٠ ليرة في السنة . وقد رفضت الكثرة الساحقة من العرب الذين صودرت أراضيهم ، أن تقبل تعويضا .

★ ★ ★

وتبلغ مساحة الأراضي التي صودرت ، بموجب هذه القوانين ، نحو مليون دونم ، منها ١٣٦ الف دونم صودرت من أراضي ١١ قرية في منطقة المثلث.

وقد كان لقوانين المصادرة هذه آثار خطيرة :

فهي قد أحالت الآفا من العرب المقيمين في اسرائيل الى لاجئين في وطنهم ، يعيشون على بعد بضعة كيلومترات من قراهم واراضيهم .

وهي قد سببت ضررا كبيرا للزراعة العربية ، وخلقت بين العرب في اسرائيل جيلا من العاطلين، لأنهم لا يحسنون عملا سوى الزراعة .

سياسة البطش

واسرائيل لا تؤمن الا بسياسة اليد القوية في معاملتها للعرب فيها . ونأخذ مثالا عليها مذبحة كفر قاسم ، التي وقعت في ١٩٥٦/١٠/٢٩ ،وهذه القرية من قرى المثلث : فعشية حرب سيناء ، ألقي على احدى الكتائب أن تستعد للدفاع عن قسم من الحدود الاسرائيلية الاردنية . وأكد قائد المنطقة لقادة الوحدات أن تأمين حملة سيناء، يقتضي المحافظة المطلقة على الهدوء في المنطقة المجاورة للاردن .

وبناء على هذا فقد فرض منع التجول في كفر قاسم ، وأبلغ لمختار القرية في الساعة ٤،٣٠ من بعد ظهر يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ ليكون ساري المفعول في الساعة الخامسة ، أي بعد نصف ساعة . وكان العشرات من أبناء القرية موجودين في أماكن عمل مختلفة ، وليس هناك وسيلة لاعلامهم بفرض منع التجول . وعندما عاد هؤلاء العمال من عملهم في المساء، تصدى لهم رجال حدود دولة اسرائيل، وقتلوا منهم ٤٧ عربيا ، من بينهم سبعة أولاد وبنات ، وتسع نساء بين شابات ومسنات ، احداهن عمرها ٦٦ سنة . لقد أمروهم بالوقوف، وأنزلوا الراكب منهم عن ركوبته ، ثم اطلقوا النار !!

وبسبب ما دار حول هذه الجريمة من نقاش في الصحف ، اضطرت الحكومة الى تقديم المتهمين الثمانية الى المحاكمة ، وصدر الحكم فيها بعد سنتين من الحادث ، ولكن أي حكم ؟!! لقد حكمت المحكمة عليهم بالسجن مددا تتراوح بين ١٧ سنة و٨ سنوات ، لقتلهم عمدا ٤٧ عربيا . ومع هذا فقد وجدت بعض الجهات أن هذا الحكم قاس ، فتصدت المحكمة العسكرية العليا ، وخففت الاحكام ، وقام رئيس الدولة بتخفيض آخر من عنده ، وتبرعت « لجنة اطلاق سراح المسجونين » فأمرت بتخفيض الثلث من مدة السجن لكل واحد من المحكوم عليهم . وكانت نتيجة هذه التخفيضات أن أطلق سراح آخر واحد من المجرمين عام ١٩٦٠ . والادهى من هذا وأمر ، أن بلدية الرملة أعلنت في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ أنها عينت جبرائيل دهان للعمل فيها « مسئولا عن شئون العرب في المدينة » وجبرائيل دهان هذا هو الذي قتل في ساعة واحدة ٤٣ عربيا من قرية كفر قاسم ، وكان المسئول الأول عن المجزرة ، وبسبب هذا حكمت عليه المحكمة بالسجن ١٧ سنة !!

ولم ينس العرب في اسرائيل هذه المجزرة الرهيبة ، فهم كل سنة يخلدون ذكرى شهداء كفر قاسم ، وذلك بالاجتماعات والاضرابات ، والمظاهرات ، والاعلان عن الحداد في كثير من القرى العربية . وقد جرت هذه الأعمال دائما الى اصطدامات مع الشرطة ، وتقديم المشتركين فيها الى محاكمات عسكرية ، حتى اضطر الحكم العسكري أخيرا الى أن يغلق القرية في يوم الذكرى ، لمنع أبناء القرى الأخرى من الدخول اليها ، واحياء الذكرى التي تقام سنويا في مقبرة الشهداء .

★ ★ ★

وقد استثارت مجزرة كفر قاسم عواطف شعراء الأرض المحتلة وقرائحهم ، فنظموا فيها القصائد ، من ذلك قصيدة لسالم جبران، وقصيدتان لسميح القاسم . ولكنّ خير ما نظم فيها قصيدة لمحمود درويش بعنوان « أزهار الدم » ، وهي طويلة . وقد جعلها في ستة أناشيد ، هي : مغنى الدم ، وحوار تشرين ، والموت مجانا ، والقتيل رقم ١٨، والقتيل رقم ٤٨ ، وعيون الموتى على الأبواب ، وقد جعل محمود درويش عدد الشهداء خمسين ، لا سبعة واربعين .

يصف الشاعر القرية الحالمة الوادعة ، ثم كيف حصد شهداءها الطغاة ، ويصف أمه ،ويدعو

الى الحقد على القتلة ، والى المقاومة :

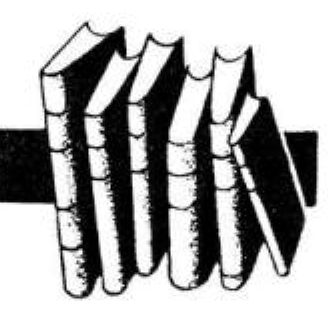
كَفْرُ قاسم
قرية تحلمُ بالقمح ، وازهارِ البنفسج
وباعراسِ الحمائم
... ...
احصدوهم دفعة واحدة
احصدوهم
... ...
... ... حصدوهم
كَفْرُ قاسم
انني عدت من الموت لأحيا ، لأغنّي
فدعيني أستعرُ صوتيَ من جرحٍ توهّج
واعينيني على الحقد الذي يزرع في قلبي عوسج
انني مندوب جرحٍ لا يساومْ
علّمتني ضربةُ الجلاّد ان امشي على جرحي
وامشي .. ثم أمشي .. واقاوم .

★ ★ ★

يا كَفْرُ قاسم !
لا تدفني موتاك !! خلّيهم كأعمدةِ الضياء
خلّي دمي المسفوكَ لافتةَ الطغاةِ الى المساء
يا كَفْرُ قاسم ! انّ أنصابَ القبور يدٌ تشدُّ
وتشدُّ للأعماق اغراسي ... واغراس اليتامى اذ تمدُّ
باقونَ ... يا يدكِ النبيلة ، علّمينا كيف نشدو
باقون مثل الضوء ، والكلمات، لا يلويهما المٌ وقيدُ
يا كَفْرُ قاسم !
انّ أنصاب القبور يد تشدُّ
يا كَفْرُ قاسم ! لن ننامَ ، وفيك مقبرةٌ وليلُ
ووصيةُ الدمِ لا تساوم
ووصيةُ الدمِ تستغيث بأن نقاوم
ان نقاوم !!
وليس بعد هذه الوصية من وصية .

■■

محمود السمره



عقيلة بنى هاشم

تأليف : على بن الحسين الهاشمى الخطيب
الناشر : مطبعة الاداب فى النجف الاشرف .

● كتيب يتحدث فيه مؤلفه عن السيدة زينب الكبرى بنت امير المؤمنين على بن ابى طالب . ويتحدث المؤلف عن نشاة عقيلة بنى هاشم وعن حياتها وكذلك يتعرض الكتيب للخلاف حول مشهد السيدة زينب وهل هو فى القاهرة ام فى الشام .

العربية في التاريخ

The Arabic Language, Its Role In History.

تأليف : انور ج. شجن Anwar G. Chejne
الناشر: جامعة منيسوتا بالولايات المتحدةالامريكية

● كتاب باللغة الانجليزية يتضمن الكثير عن اللغة العربية، ويحكي قصة تطورها من لهجة قبلية الى واحدة من اللغات القليلة التى تحمل ثقافة عالمية . ويشرح الكتاب علاقة اللغة العربية بالاسلام ، ودور اللغة أيضا في بناء القومية العربية في الحاضر . ومؤلف الكتاب هو أستاذ اللغة العربية ورئيس قسم لغات الشرق الأوسط في جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة الامريكية .

التربية في الاسلام

تأليف : الدكتور احمد فؤاد الاهواني . الناشر دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● كتاب يتناول التربية في الاسلام ، وهو يمس حياة خمسمائة مليون مسلم منتشرين في مختلف انحاء الدول الاسلامية ، وهذه التربية لها خططها ومناهجها واساليبها ، وكانت اداة صالحة لتربية المسلمين واطفالهم وتعليمهم اللغة العربية، وقد قام المؤلف بتحقيق وعرض كتاب تفصيل احوال المعلمين والمتعلمين لابى الحسن علي بن محمد القابسى وهو كتاب الف فى القرن الرابع الهجرى ، وقد عرض فيه للباحثين في التعليم وتاريخه عند المسلمين ، كما يصور حالة التعليم في عصره ، وقد عنى مؤلف الكتاب في بحثه بان يترجم للقابسى ، ثم عرض موضوعات كتابه عرضا جديدا وردها الى اصولها كما انه وازن بين مذهب القابسى وبين المذاهب الحديثة في التربية والتعليم .

دنيا على الشام

تأليف سليم الزركلي . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت/لبنان .

● ديوان شعر يحوى مجموعة كبيرة من القصائد المتنوعة فى اغراض شتى من الفنون الشعرية .

من اغاني المطر

تأليف : منذر لطفي . الناشر : دار الثقافة دمشق/سوريا

● مجموعة قصائد متنوعة .

جهاد الحسين ومصرعه

تأليف : محمد المهدى الحسيني الشيرازى . الناشر : مطبعة الازهر ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة مقتضبة عن موقعة كربلاء ومقتل الامام الحسين واهل بيته فى موقعة الطف ، وثبت باسماء الذين قتلوا واستشهدوا من اهل بيت النبى وانصار الحسين .

القانون الاسلامي والمشاكل المعاصرة

تأليف : احمد زكي اليماني وزير النفط والثروة المعدنية فى المملكة العربية السعودية ـ الناشر : دار النشر السعودية ـ جدة .

● كتيب باللغة الانجليزية يتحدث فيه المؤلف عن الشريعة الاسلامية وعن مشاكل العصر الذى نعيش فيه ، وعن القلق السياسي وعن الاشتراكية ويقول المؤلف ان هناك الكثيرين ممن يشيرون باصابع الاتهام الى الغرب ويلومونه بانه هو سبب انتشار الاشتراكية في العالم الاسلامي ، وفي العالم العربي ، كنتيجة مباشرة لمقاومة الغرب للتقاليد الاسلامية أيام الاحتلال الغربي لهذه الدول .

ويقول المؤلف ان الغرب ليس هو المسئول وحده ولكن المسلمين ايضا مسئولون عن ذلك ، فمنذ قرون مضت وقبل احتكاكنا بالغرب نشات حركات رجعية وأُقفل باب الاجتهاد واصبحت الشريعة جامدة ومقصورة على المذاهب الاربعة : الحنفية ، والشافعية ، والمالكية ، والحنبلية . واصبح استخدامالدين كوسيلة من وسائل القمع شائعا فى عدة فترات من تاريخ الحكام المسلمين . ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن التضارب بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع ، ومسئوليات المجتمع نحو الفرد ، وعن التامين الاجتماعي فى الاسلام .

تربية الانسان الجديد

تأليف : الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ الناشر : الشركة التونسية للتوزيع :

● مجموعة محاضرات في مبادىء التربية القاها المؤلف فى الجامعة التونسية . ويصف الدكتور الجمالى هذه المحاضرات فى مقدمة الكتاب قائلا : ان محاضراتى هذه تمثل خلاصة دراستى وتفكيرى في نوع التربية الذى يصلح لزماننا ويوافق احتياجات شعوبنا وينسجم مع اهدافنا وآمالنا في بناء حضارة جديدة ، حضارة تحفظ خير ماورثناه من اسلافنا،وتنمية ما تتفتق عنهعبقرياتنا الخلاقة وجهودنا البناءة » .

وقد القيت هذه المحاضرات بلغة مبسطة بعيدة عن التعقيد الفلسفى وهى تصلح لكل من يعنى بالثقافة العامة على اختلاف مشاربهم واختصاصاتهم .

● من الكتب التي وصلتنا

رحلة العبدري
المسماة
الرحلة المغربية

لابي عبد الله محمد بن محمد العبدري . حققه وقدم له وعلق عليه : محمد الفاسي /الناشر : جامعة محمد الخامس – الرباط / المغرب .

● احدى رحلات المغاربة المشهورة ، يصف بها المؤلف البلدان التى مر بها فى طريقه للحجاز ، ويهتم قبل كل شيء بالحالة العلمية لهذه البلدان، ثم يصفها وصفا دقيقا يبين عادات اهلها واخلاقهم وحالتهم الاقتصادية والاجتماعية واهم معالم هذه المدن التى زارها فهو يحرص على الوقوف عليها والدخول لخاباتها . كما تمتاز رحلة العبدرى بانها تحتوى على نقول ادبية نثرية وشعرية كثيرة، فهو يثبت ما انتجه الادباء والعلماء الذين لقيهم وما انشدوه اياه من انتاج معاصريهم . كما عرفنا المؤلف باغلب علماء القرن السابع الهجرى واورد في مقدمة كتابه دراسة مستفيضة عن حياة العبدرى ، والنسخ الكثيرة التى اعتمد عليها في تحقيقه لهذه الرحلة .

معارف الرجال
في تراجم العلماء والأدباء

تأليف : محمد حرز الدين – حققه : محمد حسين حرز الدين – الناشر : مطبعة النجف – العراق

● كتاب يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة، يتناول تراجم ودراسات لمجموعة من الادباء والعلماء المعاصرين وممن قارب عصرهم العصر الحديث، يدرس نتاجهم العلمى والادبى في العلوم الاسلامية المختلفة . وقد رتب الكتاب على حروف المعجم ليسهل الرجوع اليه .

عاشها كلها

تأليف : الدكتور كاظم الداغستاني . الناشر : دار الاندلس للطباعة والنشر – بيروت

● قصة حياة المؤلف بقلمه يروى فيها ذكرياته خلال سبعين سنة من حياته الحافلة ، حيث قضاها يتابع دراساته في الشرق والغرب وتولى خلال هذه السنوات وظائف كبرى فجاءت هذه الذكريات وحوادثها الطريفة الممتعة من صميم الواقع الذى عاش هو نفسه فيه .

أريستوفان
عصره وعمله المسرحى

تاليف : علي نور – الناشر : دار المعارف بمصر – القاهرة

● دراسة عن علم من اعلام المسرح الكوميدى ابان العصر الذهبى الاثينى في القرن الخامس قبل الميلاد وما يمتاز به اريستوفان من انه كتب للاحرار ونادى بالعدالة وهاجم الاستغلال ، وسخر من تركيز المال في ايدى العاطلين واشاد بتمجيد القوى العاملة كما نادى بالسلام . ثم تكلم المؤلف عن الاسكندرية وفضلها في الحفاظ عن نصوص مسرحيات اريستوفان ثم دراسة مقتضبة عن مسرحياته .

عمر بر عبد العزيز
في حكم الاقتصاد والقضاء

تاليف : المحامي محمد علي ضناوى – الناشر : الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .

● كتيب يقع في ٦٤ صفحة من القطع الصغير ، يعتبر محاولة من محاولات الكشف عن معطيات التاريخ الاسلامي من خلال حياة الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز . ويتكون الكتيب من اربعة فصول هي : عمر فى التاريخ ، وعمر فى الحكم ، وعمر فى الاقتصاد والمال ، وعمر فى القضاء .

اقاصيص الغرب والشرق

ترجمة : محمود سيف الدين الايراني – الناشر : اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر – عمان

● مجموعة اقاصيص مختارة من الشرق والغرب وهى متعددة الالوان والانماط والموطن ، تمثل اكثر من مذهب في مفهوم القصة القصيرة . فمن قصة رومانسية الى قصة رمزية الى اخرى سيكولوجية وتتناول هذه القصص مواقف لشخوص او نماذج انسانية متباينة الملامح والسمات ، ولكنها وان اختلفت باختلاف بيئاتها ومجتمعاتها فهى تتحدث عن الانسان في شتى مشاعره واهوائه وغرائزه وميوله ، وبالتالي فهى تفتح امام القارىء افقا يكسبه رؤية جديدة من رؤى الحياة وملامح من ملامح الانسان .

((البقية صفحة ١٥٠))



الأم

قصة للكاتب الروسي مكسيم جوركي

ترجمة : سهيل أيوب

■ الا فلنرفع أصواتنا تمجيدا للمرأة ، الأم ، ينبوع الحياة المنتصرة على الدوام ، الينبوع الذى لا ينضب له معين !

هذه هي قصة تيمورلنك ، الصواني القلب ، النمر الاعرج كما كان يلقبه اعداؤه ، قصة صاحب كراني ، الفاتح المحظوظ ، والرجل الذى تشدد تدمير العالم بأسره .

لقد جاب الارض طوال خمسين عاما ، ساحقا المدن والدول بعقِب رجله الحديدية مثلما تسحق قدم الفيل قرية من قرى النمل ، فتدفقت فى طريقه انهار من الدم الاحمر في كل حدب وصوب، وشيد ابراجا عالية من عظام الشعوب المغلوبة . لقد دمر الحياة . لقد نافس بقوته قوة الموت ، لانه كان يثأر لوفاة ابنه جهانجير .

ومن ذلك اليوم الذى توفى فيه ابنه جهانجير ولقي سكان سمرقند قاهر « الجوت » الاشرار المرتدين ثيابا سوداء وزرقاء وقد ذرُّوا الغبار

والرماد على رؤوسهم ، من ذلك اليوم الى تلك الساعة التي قهرته فيها المنية أخيرا في «أوتراف» بعد ثلاثين عاما . لم يبتسم تيمور ابتسامة واحدة. فقد عاش مطبق الشفتين ، مرتفع الرأس ، موصد القلب تجاه كل عاطفة ـ طوال ثلاثين عاما !

الا فلننشد تسابيح التمجيد للمرأة ، الأم ، القوة الوحيدة التي يحني الموت رأسه أمامها في اتضاع! الا فلنرو ههنا النبأ اليقين عن الأم وكيف حتى خادم الموت وعبده تيمورلنك الصواني؛ القلب ولعنة الأرض الدموية رأسه لها .

كان تيمورلنك قد أقام احتفالا في وادى « كانيغولا » الظريف المتوج بسحب من الورد والياسمين ، الوادى الذى أطلق عليه شعراء سمرقند اسم « وهدة الأزهار » ، وكانت منائر المدينة الكبيرة الزرقاء ، وقباب المساجد الزرقاء أيضا تلوح للناظر من هناك .



وهكذا وقفت أمامه امرأة ، كانت حافية القدمين ، ثيابها ممزقة ولم ترتجف يدها الممدودة الى الفاتح الأعرج

ان خمسة عشر الف خيمة دائرية قد انتشرت فى ذلك الوادى على شكل مروحة كانها خمسة عشر الف زهرة خُزامى . وخفقت فوق كل خيمة مئات الرايات الحريرية الصغيرة فى مهب النسيم .

ونهضت فى الوسط خيمة « غوروغان تيمور » اشبه بملكة بين حاشيتها . كانت مربعة الزوايا ، طول كل جانب منها مائة خطوة ، وارتفاعها ثلاثة رماح ، ووسطها مدعوم باثنى عشر عمودا من الذهب كل واحد منها يبلغ ثخانة رجل من المحاربين . وكانت قبة زرقاء شاحبة تتوج تلك الخيمة ، فى حين كانت جنباتها مصنوعة من حرير مقلم بالالوان السوداء والصفراء والزرقاء . وكان يثبّت الخيمة الى الارض خمسمائة حبل قرمزى لمنعها من الانطلاق الى السماء ، وقد انتصبت عند زواياها الاربع اربعة نسور من الفضة . وتحت القبة على دكة نُصبت وسط الخيمة ، جلس النسر الخامس ، ملك الملوك تيمور غوروغان ، او تيمورلنك .

كان مرتديا ثوبا حريريا فضفاضا سماوى اللون ، مرصعا باللآلىء ، بخمسة الاف لؤلؤة كبيرة ، وتستريح فوق حاجبيه المروعين الاشيبين قلنسوة بيضاء مستدقة ، فى قمتها جوهرة تتمايل الى الامام والخلف مثل عين محتقنة بالدم تراقب العالم .

وكان وجه الفاتح الاعرج اشبه بسكين عريضة الشفرة ، اصداها الدم الذى اغمدت فيه آلاف المرات . وكانت عيناه فتحتين ضيقتين لا تخطئان شيئا ، بريقهما اشبه ببريق الزمرد البارد ، احب الجواهر الى قلب العرب . وكان يتدلى من اذنيه قرطان من ياقوت سيلان ، يضارعان فى اللون شفتى عذراء بارعة الجمال .

وفى ارض الخيمة ، على سجاد رائع كل الروعة ، انتصبت ثلاثمائة جرة ذهبية ملأى بالخمرة ، وكل ما يليق باحتفال ملكى . وجلس الموسيقيون خلف تيمور . ولم يجلس احد الى جانبه . واما عند قدميه فقد جلس انسباؤه وجماعة من الملوك والامراء والزعماء . وكان اقربهم جميعا اليه كيرمانى المخمور ، الشاعر ، الذى ساله تيمور ذات يوم :

ــ يا كيرمانى ! بكم تشترينى ، يا كيرمانى ، لو عرضت فى سوق البيع ؟

فاجابه قائلا :

ــ بخمسة وعشرين .

فقال تيمور مشدوها :

ــ ولكن حزامى وحده يساوى هذه القيمة !

فرد عليه كيرمانى قائلا :

ــ انما كنت افكر بحزامك ، بحزامك وحده . فانت نفسك لا تساوى فلسا واحدا .

هكذا خاطب كيرمانى ، الشاعر ، ملك الملوك ، رجل الهول والشر . الا فليُرفع مجد الشاعر ، صديق الحقيقة ، فوق مجد « تيمورلنك » ابد الدهر !

الا فلنسبّح بحمد الشعراء الذين لا يعرفون غير اله واحد ، كلمة الحقيقة الجميلة التى لا تهاب احدا . ذلك هو الههم الى آخر الدهر !

وهكذا ، فيما كان المرح وذكريات المعارك والانتصارات قائمة على قدم وساق ، وفى غمرة الموسيقى الصاخبة والالعاب الشعبية الجارية تجاه خيمة الملك ، حيث ثمة جماعة لا يحصى عددها من المختلفى الالوان يقفزون الى الاعلى والاسفل ، وحيث الرياضيون يصطرعون ويتلاكمون ، والبهلوانيون ينثنون ويتقلبون بشكل يوقع فى روع المرء أن اجسادهم خلو من العظام ، وحيث سيوف المقاتلين المتصالبة تكشف عن براعة لا تضارع فى فن القتل ، وحيث كانت تمثل مشاهد مع الفيلة المصبوغة بالاحمر والاخضر ، بعضها يصب الرعب فى القلب وبعضها الاخر يبعث على الضحك ــ فى تلك الساعة البهيجة التى زجاها « تيمور » مع رجاله الذين اسكرهم الخوف منه ، والتفاخر بامجاده ، واهلكهم الكلال من الانتصارات والاسراف فى معاقرة الخمرة ــ فى تلك الساعة الضارية انطلقت صيحة امراة مدوية ، وسط الجلبة والفوضى على حين فجاة مثلما ينطلق خط من البرق وسط ركام من السحب فبلغت اذنى قاهر السلطان بايزيد ... كانت صرخة مالوفة لديه ، متناغمة الجرْس مع روحه الجريح ، روحه التى اثخنها الموت فهى قاسية على الاحياء .

واصدر امره الى رجاله بالبحث عن مصدر ذلك الصوت الحزين ، فاخبروه أن امراة ، مخلوقا مجنونا ، تتسربل بالغبار والاسمال اقبلت تطلب ،

باللسان العربي ، اجل تطلب ان تراه هو ، المهيمن على ثلاثة من اطراف المعمورة .

فامر الملك :

ــ جيئوني بها !

وهكذا وقفت امامه امراة . كانت حافية القدمين ، ثيابها الممزقة المهترئة قد نصلت الوانها بفعل الشمس ، وشعرها الاسود مرخي الضفائر بحيث يغطي صدرها العاري ، ووجهها بلون البرُنز ، وعيناها تشعان صلفا وكبرياء . ولم ترتجف يدها السمراء الممدودة الى الفاتح الاعرج .

نبرت مستفسرة :

ــ انت من قهر السلطان بايزيد ؟

ــ اجل ، لقد قهرته وقهرت كثيرين سواه ايضا ، ولما تمل نفسي الفتوح الى الان . فماذا تخبرينني عن نفسك ، يا امراة ؟

قالت :

ــ اعرني سمعك ! فمهما قدر لك ان تفعل فلن تعدو أن تكون رجلا . اما انا فام ! ، انت تخدم الموت ، وانا اخدم الحياة ، وقد اثمتَ في حقي ، ومن اجل ذلك جئت اسالك التكفير عن جريمتك . لقد اخبروني ان شعارك هو « في العدل تكمن القوة » ، ولست اصدق هذا . ويتعين عليك ان تكون عادلا معي لانني أم ؟ !

كان الملك من الحكمة بحيث استشف القوة الكامنة خلف هذه الكلمات الجريئة. فقال للمراة :

ــ استريحي وتكلمي . سوف اصغي لك !

واتخذت المراة لنفسها مجلسا على السجادة بين حلقة الملوك الخاصة، وانثالت تروى حكايتها :

ــ انا من مقاطعة سالرنو ، من احد اصقاع ايطاليا البعيدة : انت لا تعرف تلك الديار ! كان والدي صيادا ، وكان زوجي صيادا هو الاخر . كان جميلا الجمال كله مثل الرجال السعداء جميعا ، وكنت انا مَنْ منحه تلك السعادة ! وكان لي ولد ايضا هو اروع الصبيان في العالم كله !

فتمتم المحارب العجوز :

ــ مثل ولدي جهانجير !

واستطردت المراة :

ــ ان ولدي اجمل الاولاد وابرعهم ! كان في السادسة من عمره عندها هبط جماعة من قراصنة الشرق على شواطئنا فقتلوا والدي وزوجي وعديدا من الرجال الاخرين ، وحملوا ولدي معهم فانا ابحث عنه منذ اربع سنوات كاملة . وها هوذا الان عندك. وانا اعرف ذلك جيدا ، لان رجال « بايزيد » اسروا القراصنة ، وقهرت انت « بايزيد » واستوليت على جميع ممتلكاته . يجب ان تعرف اين ولدي ، يجب ان ترده الي !

وضحك القوم جميعا . وقال الملوك الذين يعتبرون انفسهم حكماء على الدوام :

ــ انها مجنونة !

وهذا ما قاله ايضا اخدان « تيمور » من امراء وزعماء ، وقد غلب عليهم الضحك .

لكن « كيرماني » الشاعر وحده حدّق في المراة في كآبة ، في حين تطلع تيمورلنك اليها مشدوها .

قال كيرماني المخمور في رفق :

ــ انها مجنونة مثلما تكون الام مجنونة !

وقال الملك عدو السلام :

ــ يا امراة ! كيف جئت الى هنا من تلك البلاد المجهولة ، عبر البحار ، والانهار ، والجبال ، وعبر الغابات والادغال ؟ كيف ان الوحوش والرجال ــ الاشد ضراوة في اغلب الاحيان من اكثر الوحوش ضراوة ــ لم يتعرضوا لك ؟ كيف استطعت ان تضربي في الارض وحيدة من غير سلاح ، والسلاح هو الصديق الاوحد للضعيف ، الصديق الاوحد الذى لا يخون صاحبه ما دام يجد القوة التي تمكنه من استخدامه ؟ ينبغي ان اعرف ذلك كيما اصدقك ، وكيما لا يحول عجبي دون فهمي ما تقولين !

الا فلترفع اصواتنا تمجيدا للمراة ، الام ، هذه التي لا يعرف حبها العقبات ، والتي غذّى ثدياها العالم باسره ! فكل ما هو جميل في الانسان لا يعدو ان يكون مستمدا من اشعة الشمس ومن حليب امه ! وذلك هو ما يتشرب نفوسنا حب الحياة !

واجابت المراة :

ــ لم اجد في تجوابي غير بحر واحد ، فيه جزر كثيرة وسفن صيد . وانما يسعى الانسان وراء مخلوق حبيب الى قلبه تنقاد له الريح دائما .

ومن يبصر النور ويكبر على ساحل البحر يستهين بالسباحة في الانهار . والجبال ؟ انا لم أصادف شيئا منها !

فقال كيرماني المخمور في طرب :

ـ ان الجبل ينقلب واديا في عين من يعمر الحبُّ قلبه !

واستتلت المراة قائلة :

ـ كان ثمة غابات ، أجل ، ولقد لقيت خنازير برية ودببَة ، وثيرانا مخيفة قد احنت رؤوسها. وتطلعت النمور اليّ مرتين بعيون مثل عينيك . ولكنْ لكل حيوان قلبا . وتحدثت الي الوحوش مثلما اتحدث اليك ، وصدقتني حينما اخبرتها انني كنت اما ، فمضت في سبيلها ترسل الزفرات رثاء لي ! افلا تعلم أن الحيوانات أيضا تحب اولادها وتعرف كيف تقاتل من أجل حياتها وحريتها مثلما يقاتل الرجال تماما ؟

فقال تيمور :

ـ جميل كلامك يا امراة . وغالبا ما تحب الحيوانات ـ وانا اعرف ذلك جيدا ـ تحب في قوة وتقاتل في عناد لا يرقى الرجال اليهما !

فاردفت المراة تقول ـ وكانها طفل ـ ذلك ان كل ام هي ، في الحقيقة ، طفل كبير ، طفل مضاعف مئة مرة في حنو القلب :

ـ الرجال .. الرجال ، دائما ، اطفال في نظر امهاتهم . ذلك ان لكل رجل اما ، وكل رجل هو ولد أم من الامهات ، حتى انت ، ايها الرجل العجوز ، ولدتك امراة . في استطاعتك ان تنكر الاله ، انما ليس في استطاعتك ان تنكر هذه الحقيقة ابد الدهر !

فهتف كيرماني الشاعر الذى لا يهاب :

ـ قول رائع ، ايتها المراة ! قول رائع ! فالثيران لا يمكن أن تنجب عجولا ، والورود لا تزهر من دون الشمس ، وليس ثمة سعادة من غير حب ، ولا حب من غير امراة ، ولا شعراء او أبطال من غير أمهات !

وعقبت المراة قائلة :

ـ ردَّ لي ولدى ، فانا امه ، واني أحبه !

الا فلننحنِ للمراة التيانجبتموسى، ومحمدا، ويسوع النبي العظيم .

الا فلننحنِ لها ، هي التي تنجب ، من دون ما تعب،عظماء الرجال!فارسطو ابنها، والفردوسي، وسعدى الحلو كالشهد ، وعمر الخيام الشبيه بالخمرة المزوجة بالسم ، والاسكندر،وهوميروس الاعمى ـ هؤلاء جميعا ابناؤها ، ارتضعوا حليبها ، فقادت كلا منهم ، ممسكة بيده ، الى العالم حينما كانوا صغارا كازهار الخزامى . ان فخر العالم باسره منبثق عن الامهات !

واستغرق مدمّر المدن الاشيب ، النمرُ الاعرج « تيمور غوروغان » ، تيمورلنك ، في تفكير عميق . وبعد صمت طويل قال للذين التفوا حوله :

ـ ايها الرجال اسمعوا لقولي تيمور ! انا ، خادم الله تيمور ، اقول ما ينبغي أن يقال ! هكذا قضيت حياتي ، تئن الارض تحت قدمي طوال سنين عديدة. وقد سلخت ثلاثين عاما وانا ادمرها ثارا لموت ولدي « جهانجير » وكيما اطفيء شمس الحياة في قلبي ! لقد قاتل الرجال ضدى في سبيل الممالك والمدن ، ولكن ايا منهم لم يقاتلني يوما في سبيل الانسان ! ولم يكن للانسان في نظرى اية قيمة في يوم من الايام ، ولم ادر قط من هو ولماذا يقف في سبيلي . لقد كنت ، انا تيمور ، من قال لبايزيد حينما هزمته : اوه ، يا بايزيد ، ينبغي أن تكون البلاد والمخلوقات لا شيء في نظر الاله ، لانه ـ كما ترى جيدا ـ يسمح لامثالنا ، انا الاعرج وانت الاعور ، في أن نهيمن عليها ! هذا ما قلته له حينما حملوه اليّ مغلولا ينوء بالاصفاد . هذا ما قلته له وانا ارنو اليه مسربلا بالبلاء ! لقد بدت الحياة ، في تلك اللحظة ، مريرة مثل الشيح ، عشب الدمار والخراب ! انا ، خادم الله تيمور ، اقول ما ينبغي ان يقال ! ههنا ، امامي ، تجلس امراة ، واحدة من عشرات الآلاف ، استطاعت ان توقظ في روحي مشاعر لم تقدَّر لي معرفتها من قبل قط . انها تتحدث اليّ حديث الندّ للند ، فلا تتوسل او تترجى ، ولكنها تامر . واني لارى الان ، اني لافهم الآن سر قوة هذه المراة الجبارة ـ انها تحب، ولقد علمها الحب أن طفلها هو شرارة الحياة التي تستطيع أن تلهب شعلة مدى أجيال عديدة . الم يكن الانبياء جميعا اطفالا ؟ الم يكن الابطال جميعا ضعافا ؟ ايه يا جهانجير يا ضوء عيني ، لعله كان مقدرا لك أن تنير الارض ، أن تزرعها سعادة . اما انا ، والدك ، فقد اغرقتها بالدم ، فغدت سمينة سمينة !

وران الصمت مرة اخرى على جلاّد الشعوب ، ثم عاود الكلام قائلا :

ــ انا ، خادم الله تيمور ، اقول ما ينبغي ان يقال ! يجب ان ينطلق فى الحال ثلاثمائة فارس الى اطراف ملكي ، ويجب ان يعثروا على ولد هذه المرأة . وسوف تنتظر هي هنا ، وانتظر انا معها . والفارس الذى يعود ادراجه حاملا ولدها على ظهر حصانه سيحظى بفوز عظيم . انا ، تيمور ، اتكلم ! هل تكلمت جيدا ، يا امرأة ؟

فردت المرأة راسها الى الوراء مبعدة شعرها الاسود عن وجهها ، وابتسمت قائلة :

ــ لقد تكلمت ، أيها الملك !

ثم نهض ذلك العجوز المهول ، وانحنى لها فى صمت . وهنا أنشد « كيرماني » ، الشاعر المرح ، فى ابتهاج عظيم :

اى شيء أجمل من أنشودة الازهار والنجوم ؟
جميعنا نعرف الجواب : انها اغنية الحب !
اى شيء انضر من أشعة شمس الظهيرة فى أيار ؟
ان الحب يجيب : انها الفتاة التي أحب !
آه ، حلوة هي النجوم فى سماء منتصف الليل ،
وجميلة هي شمس ظهيرة الصيف ،
لكن عيني حبيبتي أبهى من الازهار جميعا ،
وابتساماتها أرق من شعاعات الشمس والطف !
لكن اجمل الاغنيات لما تنشد بعد ،
اغنية بداية كل شيء على وجه الارض ،
اغنية قلب العالم ، ذلك القلب السحرى ،
الخافق فى صدر من تسميها ، على هذه الارض ،
امنا !

وقال تيمور لشاعره :

ــ أحسنت يا كيرماني ! ان الله لم يخطىء حينما اختار شفتيك لتمجيد حكمته !

فأجابه الشاعر النشوان :

ــ الله نفسه شاعر عظيم !!

وابتسمت المرأة ، وابتسم الملوك والامراء والزعماء . كانوا جميعا ، اطفالا ، وهم يحدقون اليها ــ الى الأم ! ■■

ترجمة : سهيل ايوب

من الكتب التي وصلتنا « بقية »

حلقة من الفلسفة الجزائية العربية النيابة العامة مؤسسة عربية الاصل لا فرنسية

تأليف : محمود اللبابيدى /الناشر : مطبعة الضاد ــ حلب /سوريا .

● محاولة لاثبات ان النيابة العامة مؤسسة عربية حيث عرفت عند العرب بمؤسسة الحسبة وواليها المحتسب وهى بلغة عصرنا الحاضر مؤسسة النيابة العامة لتعقب الفساد واستقصاء الجرائم وسوق مرتكبيها الى المحاكم المختصة وانزال العقاب بمقترفيها . والكتاب يتحدث عن ولادة مؤسسة النيابة العامة عند العرب ، ثم مؤسسة الحسبة واختصاصاتها ثم الفروق الجوهرية بين مؤسسة الحسبة ومؤسسة النيابة العامة .

رسائل فلسفية

لابى بكر محمد بن زكريا الرازى : جمعها وحققها: ب كراوس/ الناشر : المكتبة المرتضوية طهران/ايران

● كتاب يعرض لما بقي من التراث الفلسفي للفيلسوف الاسلامي الكبير ابى بكر محمد بن زكريا الرازى ، نشر فى هذا الكتاب رسائله الفلسفية المخطوطة من مختلف المكتبات ، ثم القطع التي عثر عليها المتاخرون من تاليفه المفقودة . منها ما لم يصلنا بلغته الاصلية بل جاء مترجما من الفارسية . ثم ان هذا الكتاب يحوى كتاب الطب الروحاني ، ومقالة فيما بعد الطبيعة ، ومن كتاب العلم الالهي ، والقول فى القدماء الخمسة ، والقول فى الهيولي ، والقول فى الزمان والمكان .

الامام الشاهرودى

تأليف : السيد احمد الحسيني ــ الناشر : مطبعة البيان ــ بغداد ــ العراق

● ترجمة لحياة احد اعلام فقهاء الشيعة الامامية تتناول نشاته ودراساته الاولى وما له من مصنفات وبحوث علمية واجتهادية .

ابن الكيزانى الشاعر الصوفي المصرى

تأليف : الدكتور على صافي حسين ــ الناشر : دار المعارف بمصر ــ القاهرة

● ترجمة لحياة احد اساطين الفكر الاسلامى وشيخ من شيوخ التصوف المرموقين ، واحد المصلحين من ائمة الدين ، وقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين رئيسيين تناول في القسم الاول عصر ابن الكيزانى من جميع نواحيه السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والادبية ، ثم دراسة عن حقيقة ملهبه الفقهى ورايه العقيدى وما كان له من اثر واضح في تطوير الفكر المصرى من العقيدة الفاطمية الى المذهب السنى .

اما القسم الثانى من الكتاب فقد تناول فيه المؤلف ابن الكيزانى وادبه بالشرح والتفصيل ، وبيان اصول مدرسته الأدبية ومنهاجه الشعرى ثم حديث عن شعر ابن الكيزانى وقصائده وشرح الفاظه واستخلاص خصائصه الفنية .

قاضى القضاة عبد الجبار بن الهمذانى

تأليف الدكتور عبد الكريم عثمان : الناشر ــ الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان .

● يعرفنا الكتاب بحياة القاضي عبد الجبار ابن احمد الهمذانى وهو من أكبر مؤرخى فكر الاعتزال والمعتزلة . وقد خلف القاضي عبد الجبار لنا ثروة من الكتب والمؤلفات حفظ معظمها فى اليمن ، وقد اطلع المؤلف على هذه المؤلفات واستخلص منها الكثير عن حياة هذا الرجل الكبير، الفكرية والعامة ، وايضا الكثير من فكر الاعتزال. كما حصل ايضا على صورة للحياة العقائدية فى فترة من اهم فترات الحضارة العربية والاسلامية وهي القرن الرابع الهجرى .

واستخلص المؤلف ان الكثير مما نعلمه عن المعتزلة يحتاج الى تدقيق واعادة نظر فيه .

الاغاريد

تاليف : محمد بن على السنوسي ــ الناشر : مطابع الاصفهانى ــ بجدة

● مجموعة قصائد متنوعة .

العربي

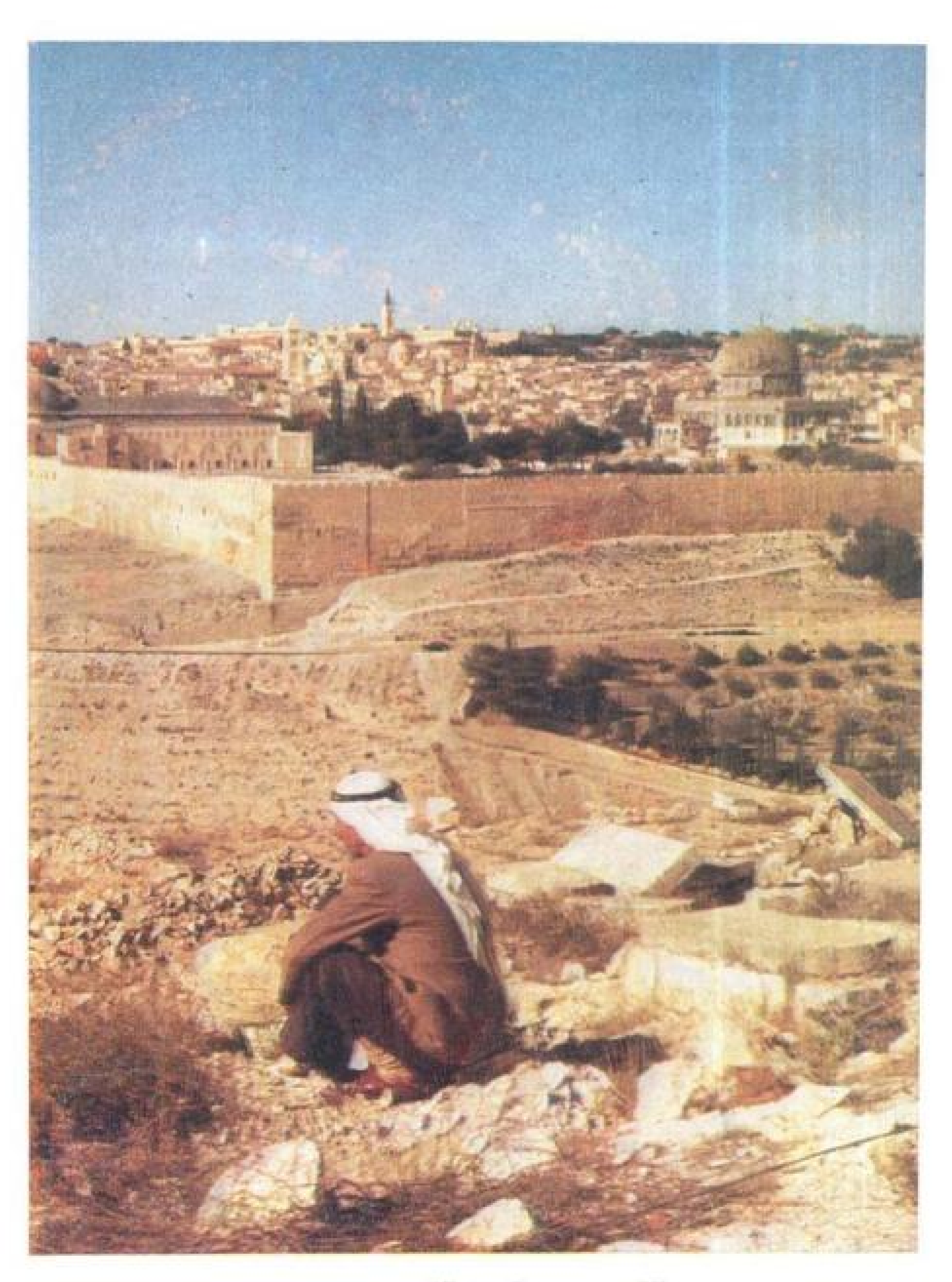
العدد ١٣٢
شعبان ١٣٨٩
نوفمبر
(تشرين ثاني) ١٩٦٩

فتاة الفتوة العربية من الشام

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٥ر٢ شلن	[illegible]	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم





القدس .. والحرم القدسي



عزيزي القارئ

هذا شهر رمضان على الابواب

* « أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

* « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخَر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبِّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

وكل عام وانتم بخير .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 132 November 1969 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



● في تلك اللحظات الحرجة التى يمر بها العالم العربي ، سارعت الفتاة العربية الى تادية دورها كاملا استعدادا لمعركة المصير .. فاقبلت على التدريب العسكرى الذى اصبح مادة تدرس في كل المدارس .. والصورة من مدينة طرطوس بالشام لطالبة بملابس الفتوة أثناء تحية العلم في طابور الصباح .. لقد أصبحت هذه الملابس ، هي الزى الرسمي لكل طالبي العلم في المدارس الثانوية في سوريا ..

تربية وعلم نفس :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمراة :

شعـــر :

كتـــب :

قصص وقضايا :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٫٥ شلن • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج.ع.م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٣٫٥ شلن • ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



نكشف عن سذاجة ويكتمون عن حرص وخباثة

● لماذا تحرص اسرائيل على التكتم وعدم الاعلان عن نواياها ابدا ، في حين لا تتورع اجهزة الاعلام العربية عن كشف اسرارنا وفضح خططنا .. ؟ هذا الاختلاف الخطير انما يعزى ، في رأيي، للفارق الكبير في المزاج والتفكير . فبينما تمضي اسرائيل في العمل وبذل الجهد ترانا نؤثر القول على العمل ونلهو بالكلام عن الجهاد . فمتى تتحول امتنا عن القشور ومظاهر الامور فتجابه الواقع وتعبيء الجهود وتمضي في العمل الدائب المجدى الذى يكفل لها الحفاظ على ما بقي من اراضيها ويضمن لها المستقبل الافضل .. ؟

عمر محمد العبد الله ـ تكساس ، امريكا

تقاليد المستشفيات منها المحمود ومنها غير المحمود

● كان عددنا ستة من مرضى السرطان في حجرة المستشفى ، لم يبق منهم على قيد الحياة الا انا وواحد آخر . وقطعا ستنتهي بي الاورام اللعينة الى نفس المصير الذى انتهت اليه بالاربعة الاخرين. فان لم اكن خامسهم فساكون سادسهم ....

..... الاسكندرية

العربي : لا ندرى ان كان من تقاليد المستشفيات المحمودة ان يجمع المقضي عليهم بالموت في حجرة واحدة فيرى بعضهم بعضا يجتاز حاجز ما بين الحياة والموت ، وتبقى منهم دائما بقية يتربص بهم نفس المآل .

★ ★ ★

نواعير حماة

● اقترح عليكم القيام باستطلاع مصور لمدينة حماة في سوريا حيث توجد النواعير التي يعود تاريخها الى ايام الرومان .

احمد القارى ـ حماة .

العربي :

يظهر يا أخ احمد انك لم تبدأ مطالعة العربي الا حديثا . فقد نشر العربي استطلاعا حافلا بالصور الملونة عن مدينة حماة ونواعيرها وذلك في العدد (١٢) نوفمبر ١٩٥٩ .

الايمان بالله ليس فى الدنيا

● انا مسلمة وطالبة في السنة الاولى من الجامعة .. وكثيرا ما اتساءل لماذا فقد اساتذتي ايمانهم بالله .. ! فهل كل من يزداد علمه يفقد ايمانه .. ؟

س . أ ـ العراق .

العربي : لا نظن ان رأيك فيما انتاب الاساتذة من فقدان الايمان رأى صادق . فقد تكونين تأثرت باستاذ واحد لم تعرفيه .. وقد تكونين استمعت لهذا الاستاذ ثم اخطأت فهمه .. ! وقد تكونين

من هو مكتشف رأس الرجاء الصالح ؟!

● ذكرتم في مسابقة العدد ١٢٥ خلاف ما ذكرتم في العربي الصغير الملحق بالعدد ١٢٧ ، وبتنا في حيرة حول مكتشف رأس الرجاء الصالح ، هل هو فاسكوديجاما كما قلتم في المسابقة ام هو بارثولوميو دياز كما بينتم في العربي الصغير ..

وليد زكي العبد ـ الاردن
سليم اباظة ـ سوريا

العربي :

لا اختلاف بين القولين . ذلك ان فاسكودي جاما هو الذى اكتشف الطريق البحرى الى الهند بواسطة الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، في حين ان دياز هو الذى اكتشف رأس الرجاء الصالح ، وعاد الى البرتغال بعد ذلك دون ان يكمل رحلته الى الهند . وجدير بالذكر ان دياز لم يكن اول من وصل رأس الرجاء الصالح فحسب ولكنه رافق فاسكودى جاما وكان له الفضل في ارشاد فاسكودى جاما هذا الى ذلك الرأس ايضا ..

العربى وشؤون الاقتصاد

● ياحبذا لو اولى العربي مزيدا من عنايته بشؤون الاقتصاد . اذ تختلط في عصرنا النواحي الاجتماعية بالنواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية كما لا يخفى ..

صقر جندية ـ الاسكندرية

العربي : لم تفتنا هذه الغاية وقد ظهر في العربي مقالات من كتاب لهم في الاقتصاد باع وستوافي القراء بالمزيد ان شاء الله .

ركن الفضاء والذرة

● وصلتنا عدة رسائل من القراء يعربون فيها عن رغبتهم الشديدة في ان يتناول العربي بالبحث مواضيع تتصل بالقمر والفضاء وبخاصة رحلة ابولو ١١ . ونذكر من تلك الرسائل على سبيل المثال رسائل عبيد محمد على من الدامر «الحديبة» في السودان واحمد علاء الدين من بيروت وفيصل الشربيه من اللاذقية .

ويرجو العربي ان يعيد اليه قريبا ركن «الفضاء والذرة» دراسات متوالية للقمر وشؤون الفضاء المختلفة .

☆ ☆ ☆

ما يثبته كالعلم الصحيح

فهمت من الدين شيئا وفهم الاستاذ من الدين شيئا آخر ، فظننت الذى قال خروجا ، وما اسرع ما تتهم القلوب الحساسة الفكر الديني المتحرر بالخروج .. ! اما عن العلم ، فالذى نعلمه انه ليس في الدنيا شيء يثبت الايمان بالله كالعلم .. وانت قد تسمعين لفقيه مسلم يتحدث اليك في الايمان حديث تقليد وتسمعين حديثا من عالم في الله حديث تجديد فتخرجين من الحديث الثاني اكثر علما بالله واوثق دينا .

هل العربي في حاجة الى اعلان

● استغرب اعلانكم عن العربي في الاهرام وغيرها وقد اصبح العربي معروفا ومنتشرا في اكثر من مكان .

حسين حسونه درويش ـ حلوان

العربي :

قد لا يحتاج العربي الى اعلان ولكن تاريخ وصوله الى القاهرة يحتاج الى بيان .

■■



بين مؤتمرين :

مؤتمر القمة ومؤتمر القمة

● اجتمع فى الفترة ما بين ٩ الى ١١ رجب عام ١٣٨٩ هجرية ، الموافق ٢٢ الى ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ ميلادية ، اجتمع اول مجتمع ضم دولا اسلامية كثيرة ، مثلها ملوكها والرؤساء ، وأطلق عليه مؤتمر القمة الاسلامي الأول .

انه حدث لا بد من تسجيله .

صفة المؤتمر

فمن حيث الاسم هو حدث يشمل لفظ «القمة» ، وهو لفظ جديد أستعير من مؤتمرات القمة السياسية . ولم يحدث فى تاريخ الاسلام ان كان هناك مؤتمر قمة،ولا شبه قمة ، فالقمة كانت على شتى العصور تتمثل فى خلافة المسلمين التي اندثرت باندثار آخر خليفة عثماني فى أوائل هذا القرن الحاضر .

والحدث من حيث واقعه ، هو حدث من نوع جديد طارىء ، فما هو بالحدث الديني الصرف ، فهو لم يجتمع لبحث

بقلم رئيس التحرير

الاسلامى العربى

يتعلق باحكام الزواج والطلاق فى الاسلام، ولا باحكام الزكاة والصدقات ، ولا بواجبات الراعي لرعيته ، ولا حقوق الرعية عند الراعي .

والحدث ليس بالحدث السياسي الصرف فقد حفز الى جمعه احراق الحرم الشريف ، المسجد الاقصى، احرقه اليهود ، وهم أهل دين . والحرم ثاني الحرمين او ثالثهما ، فى مراتب التقديس عند المسلمين .

مؤتمر ليس فيه معنى الائتمار الأسود

والمؤتمر دخله عنصر جديد رفع عنه معنى الائتمار الاسود ، والتعصب البغيض ، الذى اصطبغت به اكثر التكتلات الدينية فى سائر الأزمان ، فقد سعت الهند الى ان تمثل فيه ، وهى الدولة التي اكثر أهلها من الهندوس ، لتحافظ بحضورها على حقوق اهل دين بها من المسلمين ، بلغوا ستين مليون نسمة ، ترى من واجب الدوله الهندية ان ترعاهم فيما ترعى من سائر حقوق



الملك الحسن يلقي خطاب افتتاح مؤتمر القمة الاسلامي بينما ظهرت في الصورة اعلام الدول الاسلامية المشتركة في المؤتمر

اهلها . وأرسلت لبنان وفدها ، وكان رسميا ، أرسله رئيسها المسيحي،تمثيلا لما يحتويه لبنان من اسلام ومسلمين . وبهذا نسج لبنان على منوال نسجت عليه الهند ، وكانت لبنان أحق نسجا ، وكانت بعروبتها اقرب نسبا . وكلل هذا المعنى ، معنى الرحابة الدينية في هذا العصر ، رسالة جاءت من بابا روما يبارك بها المؤتمر ، فكانت أبعد غورا وأشد أثرا .

انه مؤتمر قمة اسلامي . مؤتمر دينى . الدينية فيه من نوع جديد لم يسبق لها على ما أعلم في الدهر وجود ، أنها دينية اسلامية لا تطلب اعتداء ، ولا تستنفر المسلمين الى ظلم،ولكنها تشيد بالأمم جميعا، وفيها من الأديان ما فيها ، أن تحفظ للأديان كلها حرمتها ، وتحمي قدسيتها . وتعلن على الملأ ان حرق المسجد الحرام كان اجراما لا يمكن ان يرضاه صاحب دين .

أعضاء المؤتمر

وللتسجيل نأتي بأسماء الدول التي اشتركت في المؤتمر ، وهي ، بالترتيب الذي صدر به البيان الختامي الرسمي للمؤتمر :

افغانستان. تشاد . غينيا . الهند . اندونيسيا . ايران . الاردن . المغرب . السعودية . الكويت . لبنان . ليبيا . ماليزيا . مالي . موريتانيا . النيجر . باكستان . السنغال . الصومال . جنوب اليمن . السودان . تونس . تركيا . الجمهورية العربية المتحدة . اليمن .



سمو امير الكويت وجلالة الملك الحسن في مؤتمر القمة الاسلامي

وحضر ممثلــون لمنظمة التحـرير الفلسطينية المؤتمر بوصفهم مراقبين .

ونقد نظرت في هذا الترتيب فادركت، انه انما وضع وفقا للحروف الأولى في أسماء الدول بالافرنجية .

اعضاء متغيبون

وتغيب عن حضور المؤتمر من الدول الاسلامية دول احتفظت لنفسها بالأسباب التي من اجلهـا تغيبت . ومنها دول جمعت بين الاسـلام والعـروبة . واحبشة ، ونصف سكانها في الجداول الرسمية مسلمون ، لم تسلك مسلك الهند ، لا شك لأسباب محفوظة لديها .

انه مؤتمر دعا اليه الداعي : ملـك المغرب ، وسيد الرباط ، مشـاركا اياه عاهل السعودية ، دعوة حرة ، يحضرها من يحضر ، ويتخلف من يتخلـف ، ولا عتب ولا ملامة .

قرارات المؤتمر

وتجرى العادة في ذكـر المؤتمرات ، بوصف ما جرى فيها اولا ، ثم أخـيرا يأتي الكاتب بما خـرج بـه المؤتمر من قرارات .

واود ان اعكس هنا ، فاذكر ما خرج به المؤتمر من قرارات رسمية ، ثم قد يكون الوصف والتعليق من بعد ذلك .

المبادىء العامة التى اعتمد عليها مؤتمر القمة الاسلامي

(١) اولها التزام بالقيم الاسلامية

وهي القيم الروحيـــة والاجتماعية



جلالة الملك فيصل والرئيس الباكستاني يحيى خان اثناء احدى جلسات مؤتمر القمة الاسلامي

والاقتصادية التي تبقى احد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم البشري وتعبيرا عن ايمان الأمم الاسلامية الراسخ بتعاليم الاسلام التي ارست قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين البشر .

(٢) وثانيها التزام بميثاق الأمم المتحدة

وثاني هذه المبادىء التزام الأمم الاسلامية المجتمعة بميثاق الأمم المتحدة وبالحقوق الأساسية للانسان التي ارست مبادئها واهدافها اساسا متينا للتعاون المثمر بين جميع الشعوب ، وحرصا منهم على توثيق الروابط الروحية التي تجمع بين الشعوب ، وحفاظا على حريتها وحضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ، ونبذ التفرقة العنصرية حرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقدم وتأكيد الحرية فى كافة انحاء العالم وعزما على توحيد الجهود بصيانة السلام والأمن الدوليين .

القرارات التي انتهى اليها المؤتمر

وقد انتهى المؤتمر الى القرارات التالية :

ستتشاور حكومات الدول المشتركة بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية والروحية وحيا من تعاليم الاسلام . وان تسعى الى تسوية المشاكل الدولية وفقا لمبادىء واهداف الأمم المتحدة .

ثم ان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية او ممثليهم بعد ان بحثوا العمل الاجرامى في حرق المسجد الاقصى والحالة في الشرق الاوسط يعلنون ما يلى :

ان الحادث المؤلم الذى وقع يوم ٢١ اغسطس ١٩٦٩ والذى سبب الحريق فيه أضرارا فادحة فى المسجد الأقصى الشريف قد اثار اعمق القلق فى اكثر من ٦٠٠ مليون مسلم فى سائر انحاء العالم وان الاعمال المتمثلة فى انتهاك حرمة مقام

يعتبر من اقدس المقدسات الدينية لدى البشرية وفى تخريب الأماكن المقدسة وخرق حرمتها : تلك الأعمال التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي المسلح لمدينة القدس الشريف وهي المدينة التي تحظى باجلال جميع معتنقي ديانات الاسلام والمسيحية واليهودية قد زادت فى حدة التوتر فى الشرق الأوسط واثارت استنكار سائر شعوب العالم .

وان رؤساء الدول والحكومات وممثليهم يعتقدون ان الخطر الذي يهدد المقامات الدينية الاسلامية بمدينة القدس انما هو ناتج عن احتلال القوات الاسرائيلية لهذه المدينة وان المحافظة على الصبغة المقدسة لهذه الأماكن وضمان حرية الوصول اليها والتنقل فيها تستلزم ان يسترجع القدس الشريف وضعه الذى اكدته ١٠٣٧ سنة من التاريخ .

وبناء على ذلك فانهم يعلنون ان حكوماتهم وشعوبهم مصممة العزم على رفض اى حل للقضية الفلسطينية ، لا يكفل لحرية القدس وضعها السابق لأحداث يونيو ١٩٦٧ كما انهم يطالبون جميع الحكومات وبصورة خاصة حكومات فرنسا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا ان تأخذ بعين الاعتبار تمسك المسلمين القوى بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الأكيد على العمل من اجل تحريرها وان شعوبهم وحكوماتهم لتشعر بقلق عميق من جراء استمرار الاحتلال الاسرائيلي للأراضى العربية منذ شهر يونيو ، ورفض اسرائيل اعارة ادنى اعتبار لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة والتي تدعوها لالغاء تدابير ضم مدينة القدس الشريف .

وامام هذا الوضع الخطير فان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية وممثليهم يهيبون بالحاح بجميع اعضاء الاسرة الدولية وخاصة الدول الكبرى التي تتحمل مسئولية خاصة فى الحفاظ على السلام الدولي كي تبذل المزيد من الجهود المشتركة والمنفردة لتحقيق الانسحاب السريع للقوات الاسرائيلية من كافة الأراضي التى احتلتها بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وذلك تمشيا مع المبدا الذى يقضي بعدم شرعية اكتساب الأراضي عن طريق الغزو العسكرى .

ونظرا لتاثرهم العميق بمأساة فلسطين فانهم يقدمون مساندتهم التامة للشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه المغتصبة ولمواصلة نضاله من اجل تحرير وطنه ويؤكدون تمسكهم بالحل السلمي بشرط ان يكون قائما على العدل .

احداث فى المؤتمر

وقد اجتمع المؤتمر عدة جلسات ، بعضها مغلق ، وبعضها مفتوح ، وقد وقعت فى كليها احداث جديرة بالذكر لأنها تعطي للقارىء بعض الأمزجة التي مازجت هذه الاجتماعات ، ودلت على بعض ما طوته الصدور من انفعالات ، منع الحزم ، ومنعت الحكمة بعضها من الظهور حينا ، ثم غلب بعضها حتى ظهر وانفجر .

وفد السودان يثير دور الأمم المعترفة باسرائيل

قال رئيس الوفد السوداني ، الاستاذ خلف الله بابكر : « ان السودان لا يرى

ان يكون للأمم التي لها علائق سياسية باسرائيل الحق فى الجلوس فى المؤتمر الحاضر » . وما ان قال رئيس الوفد السوداني ما قال ، حتى أهاج حديثه اعضاء المؤتمر ، ذلك ان الكثير من اعضائه لهم علائق قائمة باسرائيل،كما لهم علائق قائمة بالدول المسماة حينا بالامبريالية وحينا بالراسمالية . وادرك الملك الحسن خطورة الموقف فأوقف الجلسة .

وتمسك السودان ، وتمسكت ليبيا بهذا الراى ، وهو راى لا شك كان ينسف المؤتمر لو انه بقي ، ولكن تدخل ابو مدين وانور السادات والملك حسين وخالد الحسن ممثل (فتح) لاقناع السودان وليبيا بسحب الاقتراح ، واذ سحب عاد الهدوء .



امبراطور ايران والملك حسين وامير الكويت

تحفظ

وتحفظت السنغال على بعض القرارات ، وتحفظت تركيا ، وتحفظ شاه ايران ، تحفظوا على ما يظهر فيما يتعلق بدعم المقاومة الفلسطينية . وعتب انور السادات ، رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة، عليهم فيما تحفظوا فيه . قال للسنغال انها منذ ايام كان تأيدها فى اجتماع منظمة الوحدة الافريقية اقوى واعظم . وقال لتركيا : لماذا التحفظ ونحن فى امة اسلامية واحدة . وقال للشاه : ان اباه كان مناضلا عظيما فى محاربة اعدائه . واستطرد ممثل مصر يقول : لا نريد منكم سوى ان تقفوا معنا ، وتحسوا باحساسنا . نريد صوتكم العالي معنا .

وزاد انور السادات استطرادا وهو يخاطب عاهل ايران فيقول :لقد حضرنا، تاركين خلافاتنا خارج القاعة ، ودخلنا اخوانا تظللنا الأخوة الاسلامية . ولم نجيء هنا لنستمع الى نصائح من احد ، كما اننا لا نريد ان يمن احد علينا . وسنحارب معركتنا التي لا نعتمد فيها بعد الله الا على انفسنا . وأحب ان اقول للشاهنشاه انني عندما كنت اتعلم الفارسية حفظت بيتا من الشعر الفارسي هو :

هركه از عمل خيش خورد
منه از حاتم طائى نبرد

ومعناه : ان الذى يأكل خبزا من عرق جبينه ، لا يمن عليه أحد .

وضج المؤتمر بالتصفيق ، وكان فى اوائل المصفقين الشاه والوفد الايراني معه .

دعوة وفد الهند للحضور ثم الايعاز له بالتغيب بعد ان حضر

ومن هذه الأحداث ان الهند دعيت الى حضور المؤتمر بعد بدء اجتماعاته ،



يتتبعون باهتمام كلمة احد رؤساء الوفود

وذلك بناء على اقتراح الملك فيصل . وحضر وفد الهند . ولكن ما لبث عاهل باكستان يحيى خان ان اعترض على حضور وفد الهند جلسات المؤتمر . قيل انه رضي به اولا بحسبانه يمثل الـ ٦٠ مليون مسلم الذين يسكنون الهند ، لابحسبانه وفد الحكومة الهندية ذاتها ، وبين بلاده وبين الهند ما صنع الحداد وما لم يصنع . وزاد في حساسية هذا الأمر ما كان قائما في تلك الأيام في مدينة احمد اباد بالهند من مذابح بين الطائفتين الهندوسية والاسلامية ، ذكر فيما ذكر عنها ان ٥٠٠ مسلم راحوا ضحيتها .

رفض الملك الحسن لما أسماه بالارهاب

ومن الأحداث المذكورة وصف الملك الحسن لبعض الأعمال التي قام بها بعض الفدائيين بأنها اعمال ارهاب ، وضرب مثلا لذلك تفجير القنابل في دور السفارات الاسرائيلية ، وتفجير خطوط الانابيب التي تحمل بترول العرب ، وقد سببت للسعودية خسائر فادحة ، ورأى ان اعمالا كهذه تصدر عن تحمس غير متزن لا تخدم القضية الفلسطينية . وانما الذي يخدمها ما يقوم به الفدائيون من قتال في ارض المعركة .

وقد حضر ممثلون لمنظمة التحرير الفلسطينية هذا الاجتماع بصفتهم مراقبين . وقد القى ممثل المنظمة خطابه امام المؤتمر . ولما فرغ منه دعاه الملك الحسن الى الجلوس الى جواره تكريما له وتشريفا لما يقوم به الفدائيون في فلسطين المحتلة .

وفي المناقشات

وفي النقاش الذي جرى خرجت بعض الأساليب عن المستوى المتعارف عليه في المؤتمرات . ونسي بعض المؤتمرين ان الخلاف في الراى هو اول ظاهرة في كل اجتماع ، والا ما كان ائتمار ولا مؤتمرون ولا مؤتمرات ما دام هناك وفاق في الراى سابق .

بين نجاح المؤتمر واخفاقه

انعقدت مؤتمرات من كل نوع ، ثم انفضت . ثم انعقدت وانفضت . ولم اجد احدا احرص على الحكم بنجاح مؤتمر او اخفاقه كحرص بعض العرب وبعض المسلمين على الحكم فيما كان من مؤتمر القمة الاسلامي الأول .

انه ما من مؤتمر اجتمع ، في اى قارة ، ونجح نجاحا كاملا . وما من مؤتمر اجتمع ، في اى زمان ، واخفق اخفاقا ذريعا الاما ندر . والذي يقول بالنجاح



حديث هام بين سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح والسيد أنور السادات رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة حول اعمال مؤتمر القمة الاسلامي

الكامل موال منافـق . والذى يقـول بالاخفاق المطلق ذو ضغن كاره .

والحق الذى اراه ان المؤتمر الاسلامي نجح نجاحا وسطا . واذا نحـن نظرنا للظروف المحيطـة بالعـرب : وكذلـك الظروف المحيطة بالمسلمين ، لقلنـا ان المؤتمر نجح نجاحا اكثر كثيرا مما كان يرجى له زمنه .

وكالمؤتمر الاسلامي مؤتمر القمة العربي

ونحن نقول الدول العربية ، ونتوهم لصفتها العربية انهـا دول سواسية . والحقيقة غير ذلك . فالاختلاف بينهـا اختلاف يصل احيانا الى مثل اختلاف الليل والنهار . ولقد حاولت هذه الدول العربية ان تجتمع في مؤتمر قمة فما استطاعت ان تتفق . وهي لم تستطع ان تتفق لأن اكثرها يعلم انها لو اجتمعت لأخفق اجتماعها وانفض مؤتمرها ، وود كل بعد هذا الاخفاق المتوقع ان لم يكن هناك ائتمار ولا مؤتمر .

وقبل ذلك اجتمعوا وتخلف منهم من تخلف .

فالذين يغتبطون اليـوم بأن يقولـوا اخفق مؤتمر القمة الاسلامي ، وجب ان يذكروا انهـم لـم يستطيعوا حتى أن يجمعوا مؤتمر قمـة عربي . ولا ادرى كيف يجـوز لمسلم ان يغتبط لاخـفاق مؤتمر اسلامي ود الكثير من اخواننا حتى من اهل الكتاب ان لو نجح .

وآخرون حمدوا للمؤتمر « القليل » الذى حققه من نجاح . فقـد علموا ما بهذه الدول الاسلامية من علائق تمنعهم من ان يصلوا الى قرارات احسم وانفع واعنف . ولم ينسوا انهم هم كذلك لهم

من العلائق ما يمنعهم من ان يملأوا افواههم بكلمة الاسلام جهارا نهارا .

والدول الاسلامية ، ما الدول الاسلامية ؟

دول لا يعرف بعضهم بعضا ، الا ما درسه شبانهم طلابا فى دروس الجغرافيا فى مدارسهم . ولكل دولة مشاكلها . ولكل دولة مصالحها . ولكل دولة ارزاق تتصل بغرب احيانا ، وبشرق احيانا . دول متباينة الصفات ، متباينة السّمات، جمعوها بغتة ، وفى غفلة من الزمان ، على مؤتمر اسموه مؤتمر القمة الاسلامى ؛ كيف يمكنهم فى ثلاثة ايام ان يتعارفوا ، وان يتفاهموا ، وان يصدروا احكاما ترضى هذه الدولة او تلك .

ثم ماذا تعلم هذه الدول الاسلاميةعن الدول العربية ، وكم تعلم ؟

وتصرفتالدولالعربيةطوالهذا القرن ما تصرفت ، ورسمت قبل انتصاف هذا القرن ومن بعد انتصافه من الخطط السياسية ما رسمت ـ او هكذا حسبت انها خطّطت وانها رسمتْ ـ وتجهزت لحرب مرتين وثلاثا واخفقت ، وتحملت وحدها كل ما كان من تخطيط واخفاق . ولم يخطر للدول العربية يوما ان تسأل الدول الاسلامية حتى عن راى ، دع المعونة . ثم تأتي فى آخر الأمر ، حين لم يبق فى الدنيا من يعين ، فيخطر لها ان تستصرخ الدول الاسلامية للذى هي فيه .

والدول الاسلامية بدورها كان لها مصالح ، وكان لها مشاكل ، وكانت ازمات ، لم تعرها الدول العربية حتى الاذن الصاغية .

فاذا نحن اخذنا فى الحسبان كل هذا،

علماء المسلمين فى المغرب يتابعون جلسات مؤتمر القمة الاسلامي الذى عقد في الرباط



ونظرنا الى ما تحقق من « قليل » في مؤتمر القمة الاسلامي لوصفنا ما كان منه ، كما وصفه عاهل المغرب ، بأنه معجزة .

خشية وحذر

ومن العرب من يخشى أن ينعقد مؤتمر اسلامى .

وهؤلاء لم يخشوا ان ينعقد مؤتمر عربى .

وهؤلاء لم يخشوا ان ينعقد مؤتمر افريقى ، اكثر أممه لها باسرائيل اتصال وثيق .

وهؤلاء لم يخشوا ان ينعقد مؤتمر للدول غير الملتزمة ، وهم بواقعهم ، لا في نياتهم الحسنة ، ملتزمون الى حد غير صغير .

وتجتمع في العالم مؤتمرات قمة للأحزاب الشيوعية .

وتجتمع في العالم مؤتمرات للأمم الراسمالية .

وتجتمع في العالم مؤتمرات قمة يهودية .

وتجتمع في العالم مؤتمرات مسيحية ، ومنها ما تناول شئونا سياسية .

حتى اذا نودى باجتماع مؤتمر اسلامى ظهرت الخشية وظهر الحذر .

وما ذلك عن قلة اسلام ، وما هو عن قلة في صفاء نية .

وانما هو الحذر القديم من ان يقول العالم ، ان روح التعصب الدينى قد عادت .

وهو حذر نظرت فيه طويلا ، وخلت انه ، اليوم ، في غير موضعه .

فالأمم الاسلامية في تخلف ، وهى تريد ان تتقدم ، وهى تستعين بالمتقدمين ، واكثرهم مسيحيون ، سواء كانوا من غرب او شرق ، لتتقدم . وتقدُّم كتلة كبرى انسانية ، كالكتلة الاسلامية ، يهتمُّ به ، او يجب ان يهتم به ، كل انسان فوق ظهر هذا الكوكب ، لتتقدم . فما تتم سعادة في الأرض وعلى ظهرها تخلف وشقاء من اى نوع .

ثم ان المؤتمر الاسلامى ، عندما يجتمع ، انما يعلن عن نفسه بما يقول فيه ، وبما يعمل ، وبما يقرر . ولا يعقل اليوم ان يخرج عن مؤتمر كهذا ما يسيء الى مسيحى أو يهودى او هندوسي أو كنفوشي او غير هؤلاء . انه مؤتمر لتصحيح احوال ، ونشر علم مكان جهل ، والتعاون على ملء بطون لا تجد الكفاية التى تملؤها ، وتوثيق الايمان الصحيح بالله الذى لا يزال ركيزة الطمأنينة في قلوب اهل البشر .

والحركة الصهيونية حركة دينية ، لم تخش ولم تحذر ما خشيه بعض المسلمين من عقد مؤتمراتهم . وبالأمس زار وزير خارجيتهم بابا روما ، ولم يرمه احد بالخروج عن يهوديته . ولا رمى الحبرَ الاكبر بالخروج عن كثلكته .

واذا حضر المؤتمرَ اممٌ كالهند والحبشة ، وغيرهما كثير ، للنظر في امر ما بين رعيتها من مسلمين ، قلَّ الحرج الذى يضيق به المتحرِّجون ، وارتفعت الشبهات .

ان الدين اليوم في الدنيا لا تعصب فيه . والدينية اليوم كادت ان تكون جنسية . والاسلام يرميه اليوم اهل المدنية الحاضرة بكل قبيح كاذب . فأكثرهم يرى أن الاسلام دين الوثنية ، وما جاء الاسلام إلا لهدم الوثنية . والكثير منهم يرى ان الناس تعبد محمدا ، ولهذا سموا الاسلام بالمحمدية !! والاسلام عندهم دين الزواج بكثرة من النساء ، ودين الزواج اليوم والطلاق غدا . وقل منهم من يذكر الاسلام اذا هو تحدث عن الرقى



صورة للرؤساء العرب في مؤتمر القمة العربي الذى عقد بالخرطوم في سبتمبر عام ١٩٦٧ واتخذت فيه قرارات الدعم للدول العربيـة التـى تعرضت لعدوان اسرائيل

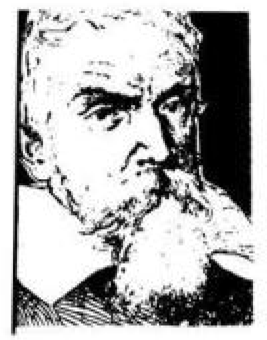
الانسانى ، بينـا هـو يذكـر الاغريقية والرومانية واليهودية والمسيحية ،وحتى البوذية ، ويقف عند ذلك .

فالمؤتمر الاسلامى الذى اتخيله فيه تعاون عالمى يرفع مقدرات كل من قال لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وانـه كـذلك عيسي وموسي وسـائر الرسل والنبيين . رفـع اقدارهم بين الأمم ، ووضعهم الموضـع الرفيع اللائق بهم . وانت تتحدث من موضعك الرفيع فيسمع لك العالم . وانت تتحدث من الموضع الوضيع فيذهب صوتك صرخة في الريح لا تصل الى اذن .

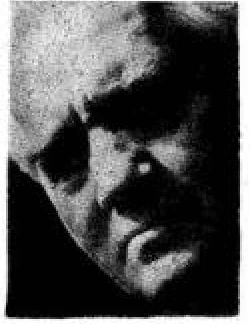
شيء واحـد أخشـاه من المؤتمـر الاسلامى ، وعليه ، ان لا ترتفع العقول المجتمعة فيه بنفسها الى المستوى العالى اللائق به ، وأن لا ترتفع القلوب ، فينظر اليه بعضهم نظرته الى رقعة الشطرنج ، يلعب ليكسب هو ، وليخسر الآخرون .

●●

احمد زكى



جاليليو



فليمنج

مسابقة العربي

١٠ أسـئلة و١١ جائـزة ..



■ نتابع في هذه المسابقة تقديم عشرة أسئلة تتعلق بمختلف نواحي الحياة ، وبجوار كل سؤال ثلاث اجابات ، والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لكل سـؤال :

الأسـئلة :

١ ـ أى هذه الدول ليس دولة اسكندنافية :

النرويج ـ السويد ـ هولندا ـ الدنمركة .

٢ ـ اين يقع متحف اللوفر الشهير :

روما ـ لندن ـ فينا ـ باريس .

٣ ـ ماذا اكتشف العالم اسكندر فلمنج :

الرديوم ـ مصل شلل الاطفال ـ البنسلين .

٤ ـ ما هي أكثر اللغات انتشارا في امريكا اللاتينية :

البرتغالية ـ الاسبانيـة ـ الفرنسية ـ الانجليزية .

٥ ـ ماذا كان روبنصون كروزو :

مكتشفا ـ رحالة ـ جنديا ـ بحارا على سفينة .

٦ ـ من الذى اكتشف الطريق البحرى المار باقصى الطرف الجنوبى لامريكا الجنوبية :

كرستوف كولمبس ـ فاسكو دى جاما ـ ماجلان .

٧ ـ ما الذى اخترعه جاليليو :

التلفون ـ التلسكوب ـ القطار .

٨ ـ جزيرة تاسمانيا ، هى ولاية في اى دولة :

نيوزيلندا ـ كندا ـ استراليا .

٩ ـ في اى من هذه السنوات انشئت الامم المتحدة :

١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ـ ١٩٥٧ .

١٠ ـ ما عاصمة جمهورية بيرو :

سانتياجو ـ بيونيس ايرس ـ ليما .

شروط المسـابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

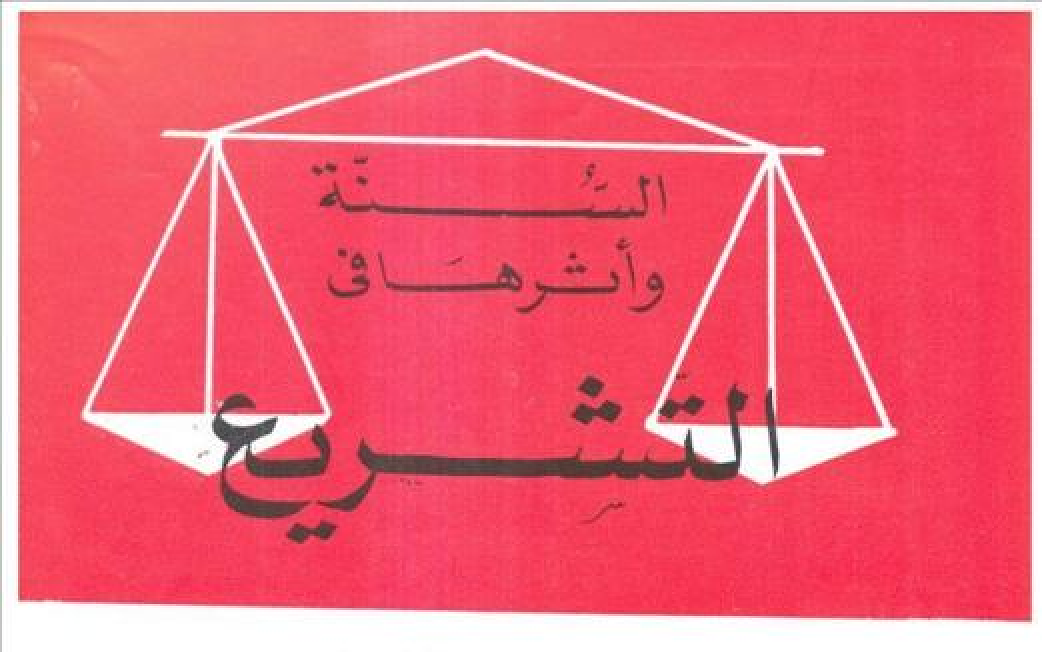
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة



بقلم : بدر المتولي عبد الباسط
عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر

■ يطلق لفظ السنة فى اللغة العربية على الطريقة ، حسنة كانت او سيئة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

ومن ذلك ايضا قوله تعالى فى آيات كثيرة : « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

ويطلق لفظ السنة عند الفقهاء على كل فعل حث عليه الشارع من غير الزام ولا تحتيم ، او بعبارة اخرى كل عمل يثاب الانسان على فعله ولا يعاقب على تركه وذلك كصلاة ركعتى الفجر واربع قبل الظهر ، والسواك عند الوضوء والتطيب عند الذهاب الى المساجد الى غير ذلك مما هو مدون فى كتب الفقه تحت عناوين « سنة الوضوء او الصلاة او الصوم ... الخ » او تحت عنوان « مندوبات الوضوء او الصلاة او غير ذلك » او تحت عنوان « آداب الوضوء » او غير ذلك .

نعم انهم يطلقون لفظ السنة على الافعال المؤكدة والمندوب على الافعال غير المؤكدة والادب على الافعال التي هي اقل تأكيدا ، وان كانت مستحبة ، ويطلق لفظ السنة عند الاصوليين على : ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير .

وذهب الشيعة الامامية الى ان السنة ما ثبتت عن المعصوم من قول او فعل او تقرير . وهذا التعريف الاخير يمكن قبوله عند اهل السنة لانهم يرون انه لاعصمة الا لنبى .

والقول فى اثبات العصمة لغير الانبياء ليس من مقاصد بحثنا ، هذا والمعصوم ـ عند الامامية ـ اعم من النبى او الوصى وهم الائمة الاثنا عشر عندهم .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام

ان اهل الحديث يطلقون الالفاظ الاتية على ما يقرب من هذا المعنى وهى : الحديث - الخبر - الاثر .

وقيل ان الحديث يرادف السنة الا انهم يتوسعون - قليلا - في تعريفه فيعرفونه بانه ما اضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة ، فالقول كقوله صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

والفعل كقول الصحابة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل كذا ، والتقرير كقولهم كنا نفعل كذا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، او قول بعضهم فعلت كذا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم . واما الصفة فكقول عائشة رضى الله عنها : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة وكان اجود مايكون في رمضان ». وكقول بعض الواصفين لخلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه ابيض مشرب بالحمرة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير القميء » . . . الى غير ذلك .

ومن هذا يتبين ان لفظ الحديث - عند المحدثين - اعم مدلولا منه عند الفقهاء والاصوليين ، وذلك لان بيان صفات الرسول الخلقية لايتعلق به غرض تشريعي .

واما الخبر فقد قيل انه يرادف السنة والحديث ، وقيل انه ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم او الى صحابي أو تابعي ، وقيل انه ما أضيف الى غير النبى صلى الله عليه وسلم .

ومثل هذا يقال في لفظ الاثر وان كان المتتبع لكتب السنة والحديث يرى ان لفظ الاثر أعم مدلولا من لفظ الحديث والخبر .

هذه مقدمة بين يدى بحثنا ليعرف القارىء مدلول هذه الالفاظ عند ورودها اثناء البحث .

مكانة السنة او الحديث في التشريع :-

مما لاشك فيه - عند المسلم - ان القرآن الكريم هو دليل الادلة الشرعية كلها لثبوته بالتواتر الذى لايرقى اليه الشك وهذا يفيد علما يقينيا بثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نقل محفوظا في الصدور والسطور جيلا عن جيل ، اما ثبوته عن الله سبحانه وتعالى فبالتحدي والاعجاز الذى يدل على انه من عند الله سبحانه وتعالى .

وقصة التحدى بالقرآن واعجازه للثقلين قصة مشهورة سجلها القرآن الكريم ، فقد تحداهم اولا - وهم أهل اللسن والفصاحة - ان يأتوا بمثله وذلك في قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء الاية ٨٨) . وقوله جل شأنه : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ، قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين » (القصص ٤٨:٥٠) . ثم تطور التحدى الى ان طلب منهم ان يأتوا بعشر سور مثله ، يقول جل شأنه : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (هود الاية ١٣) .

ثم بلغ التحدى غايته اذ تحداهم ان يأتوا بسورة من مثله وذلك في قوله تعالى : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . . ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (سورة يونس الآيتان ٣٧، ٣٨) .

وقوله عز من قائل : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. فان لم تفعلوا ـ ولن تفعلوا ـ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » . (سورة البقرة الآيتان ٢٣و٢٤) .

ومما يلاحظ ان ذلك التحدى الذى بلغ غايته كان فى مكة وكانت كعبة الكفر يومئذ ـ كما كان فى المدينة ـ وكانت دار اسلام وايمان يومئذ ـ فان سورة يونس مكية وسورة البقرة مدنية ، يدل على ان التحدى بالقرآن مستمر الى يوم القيامة .

ووجوه اعجاز القرآن كثيرة افردت لها المؤلفات وفى كل يوم يقوم دليل جديد على وجه جديد من وجوه اعجاز القرآن الكريم .

هذا الدليل الاول من ادلة التشريع وهو ـ كما قلنا ـ دليل الادلة نطق فى آيات كثيرة بوجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . فنذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » . (سورة آل عمران الآيتان ٣١،٣٢) .

وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا » . (سورة النساء الآية ٥٩) .

وقوله جل شأنه « فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (سورة النساء الآية ٦٥) .

وقوله تعالى «ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » (سورة النساء الآية ٦٩) . وقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (النساء ٨٠) والآيات فى هذا المعنى كثيرة ولا معنى لطاعة الرسول الا امتثال أمره ونهيه والاقتداء به فى قوله وفعله وهديه ، وهذا هو المعنى بحجية السنة والحديث فمن رفض السنة فهو كاذب فى دعواه انه محب لله لان الله جعل طاعة الرسول علامة على محبته وقرن طاعته بطاعته،واقسم برب محمد انه لاحظ من الايمان لمن لم يحكمه صلى الله عليه وسلم فى كل مشاكل الحياة .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ـ فى حياة الرسول وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى ـ لا يعدلون عن سنة رسول الله يحكمونها فيما شجر بينهم او عرض لهم من مشاكل الحياة المتجددة ان لم يجدوا نصا من كتاب الله . وسار على نهجهم التابعون ثم تابعو التابعين وهكذا كان الامر خلفا عن سلف .

وان منزلة السنة من الكتاب كمنزلة المذكرة التفسيرية من القانون يرجع اليها عند اختلاف النظر فى فهم القانون ، وهذا معنى قول بعض العلماء « ان السنة حاكمة على الكتاب » بمعنى ان الآية القرآنية اذا احتملت اكثر من معنى وجاءت السنة فرجحت بعض المعانى على بعض فيؤخذ بالوجه الذى رجحته السنة ، لامعنى ان السنة اقوى من الكتاب فى حجيته ، لان حجية السنة مستمدة من الكتاب كما اسلفنا وهذا المعنى يحتاج الى شيء من التفصيل والتوضيح . لايتسع له المجال فى هذا المقال . ■■

بدر المتولي عبد الباسط





■ حين كان يمر بي ذكر عمان الساحل ، كانت تسرح بي الذكريات بين الجبل الاخضر ومسقط ، وأعود مع التاريخ لأستعرض سلسلة من أمجاد اولئك المغاوير ، الذين قهروا امواج المحيط ، وغاصوا الى بعيد الاغوار فيه ، ليرصعوا الشاطيء الحالم هناك بالمدن العامرة ، التي تطفح بالخيرات وتغص بالنعيم ، وأما حاضر ذلك البلد، فلم أكن أعرف عنه شيئا ، قبل أن التقي بذلك الفتى العربي من عمان ..

هل سمعت بوادي عبقر .. ؟

انه ذلك الوهم الجميل ، الذي حلق اليه خيال شاعر عربي في اعماق الزمن البعيد ، فاذا هو الجنان اليانعة الخضر ، والاغصان الوارفة الظلال ، وخلال ذلك من قريب وبعيد ، انهار جاريات ، وقطوف دانيات ، وحدائق معروشات وغير معروشات . وعند معابر الدور ، وخلف نوافذ القصور ، عرائس الجن ، وقد تبدين بجمال فاتن أخاذ ، يعجز عن وصفه الواصفون .

ثم هل سمعت بالمدينة التائهة .. ؟

انها المدينة التي زعموا ان حجارتها من الفضة ، وان ابوابها من الذهب ، وان حصباءها من اللؤلؤ ، ثم شاء خيالهم ان يجعل لهذا الكنز الهائل اسوارا ، على نحو ما كانت عليه مدنهم في القديم الغابر ، فزعموا ان هذه الاسوار بنيت من الحديد والفولاذ ، لكي تقوى على حماية ما خلفها من نفائس ، يقصر عن الاحاطة بها كل حصر .

انها ارم ذات العماد ..

التي بناها في اعماق الزمن ، وخلف رمال الصحراء الواسعة ، خيال عبقري شاعر ، نبت فوق الشاطيء الجميل ، الذي اطل على دنيا من التهاويل ، واشتات من الأساطير ، حملتها اليها امواج بحر العرب ، من شواطيء الهند ،

بقلم : محمد سليم رشدان

ومجاهل افريقيا ، ومتاهات المحيط الواسع ، الذي يتمادى في الاتساع الى غير ما حدود .

بناها ذلك الخيال العربي الفذ ، وبنى معها (وادي عبقر) كذلك ، كما بنى معها الكثير الكثير من مثيلهما ، ومنها : (اساف ونائلة) ، و (هبل الاكبر) ، و (الشعريان) و (داسم) و (اناهيد) ، وغيرها .. وغيرها ، مما طواه تقادم العصور ، وتلاشى خلف ركام الاجيال .

انه شاطىء عمان الجميل ..

الذي كان موطنا لتلك الشاعرية ، ثم بقي موطنا لها على تطاول العصور ، ينبت الاحلام ، ويفيض بالخيال ، وتزكو في ظله البطولات النادرة ، التي جرت أماثيل ، يتحدث بها الرواة في كل جيل ، وينقلها الناقلون على كل لسان .

ذلك ما رايتني استعيده في الذاكرة جملة وتفصيلا ، وانا اجلس في الحديقة الظليلة ، التي تحيط بفندق المطار الكبير في مدينة الظهران ، والى جانبي ذلك الفتى الاسمر النحيل ، بقامته الفارعة ، وزيه العربي ، وقد اعتمر كوفيته وعقاله ، وجلس جلسة المسترخي على المقعد الوثير ، ومضي يستغرق في حديث لا ينتهي ، عن عمان الجميلة الساحرة ، من سيفها الى ريفها ، في اقصى الجنوب الشرقي من جزيرة العرب ..

وكان يتحدث بلهجته العمانية الاصيلة ، التي لم اكن اجد عناء في تفهم كل نامة فيها ، ويفيض بالحديث عن دنيا جميلة ، لم اكن اعرف شيئا عن حاضرها ، وان كنت اعرف الكثير عن ماضيها ، فرايتني اصغي اليه بكل جوارحي ، وانا استمتع بكل ما اسمع ، واحمد المصادفة الجميلة ، التي جعلت الطائرة السعودية النفاثة ، التي حملتنا من الكويت الى الظهران ، ونحن في طريقنا الى الرياض ، تصاب بعطب مفاجيء ، يكتشفه ربانها وهو بعد العدة للتحليق بحمولته الهائلة من المسافرين ، فيقطع رحلته ، ويطير الى جدة خفيفا دون ما حمولة ، ليصلح العطب هناك ، ويبلغ المسافرين جميعا ، ان عليهم الانتقال الى فندق المطار ، انتظارا لطائرة غداها تاتي خصيصا من اجلهم ، ليواصلوا عليها رحلتهم .

اجل ، رايتني احمد تلك المصادفة الجميلة ، وانا اصغي اليه بكل جوارحي — كما قلت — واستمتع بكل ما اسمع ، واتابعه وهو يسرد حديثه ذاك بحماس بالغ ، فيؤشر بكلتا يديه ، ويبدو في ملامح وجهه الكثير من مشاعره الصادقة ، التي تنم على انه يغترف من اعماق نفسه ويترجم عن مكنون فؤاده .

انه عيسى بن احمد الحياني ، احد ابناء الجيل الذي قدر له ان يرافق عمان الساحل وهي تخطو متعثرة متمهلة في طريق نهضتها الحضارية ، وعمان الداخل وهي تناضل نضال الابطال في سبيل

حريتها ، وتحطيم اغلال العبودية فوق جبالها الشاهقة ، وشعابها الوعرة المسالك .

ويمضي هذا الفتى المتاجج حماسا ، وانا أتابعه بكل انتباهي وهو يقول :

دعني لأطوف معك في عمان الداخل ـ اول ما نطوف ـ فنصعد في شعاب الجبل الاخضر هناك ، ذلك الحصن الاشم المنيع ، الذى استعصى على الغاصبين ان يجوسوا خلاله ، فاذا هو يشهد الوانا من البطولات ، كلها يفيض روعة وجلالا ، ولن اسرد لك جميع هذه البطولات ، فهي كثيرة لا يحيط بها حصر ، وهي مليئة بالصور المذهلة من المغامرة، التى تبلغ حدّ الأساطير في كثير من المواقف ، والتى يسهم فيها الكثيرون بين شيب وشبان .

نعم .. لن اسرد لك جميع ذلك فهو كثير ، ولكني سوف اقف عند صورة واحدة صغيرة من هذه الصور ، ولكنها رغم صغرها وبساطتها ، تنبئك عن جلال التضحيةفي اسمى صورها، التى يتصف بها شعبنا الباسل في عمان الداخل ، وفي بلاد الجبل الاخضر .

ولقد كانت مدينة (نزوة) حاضرة الجبل الأخضر ، مسرح هذه التضحية ، وكان ذلك على مقربة منها ، في معسكر للأعداء ، يقوم على رابية تشرف على المدينة ، وتسيطر على المداخل فيها والمخارج .

وفي ذات صباح ، ابصر خفير البابفي معسكر الاعداء ، حمالاً صغيراً يحمل على ظهره سلاً كبيراً امتلأ بالخضار ، وفي يده بطاقة كتب عليها بلسان ذلك الخفير ، ان السل وما فيه مرسل الى طباخ المعسكر ، ولم تداخل الخفير اية ريبة من ذلك الغلام الصغير الذى كان يكلمه بالاشارة ، حين عجز عن فهم رطانته ، فاذن له أن يدخل بسله الذى كان ينوء تحت ثقله .

وحين توسط المعسكر ، وعند مكان حددوه لذلك الغلام ، تفجر ما كان بالسل من قنابل أعدت لهذه الغاية ، وتطاير معها جسد الغلام الباسل المقدام اشلاء ، كما تطاير معها الكثير الكثير من المعسكر ومن فيه من جنود الاعداء وقادتهم .

انه الفتى عبد الرحمن ، الذى أصبح ذكره اغنية مجد وفخار ، ترددها الامهات في خدورهن للأطفال ، في كل مدينة وقرية في عمان ، وعلى امتداد الساحل من بلاد المهرة الى اعماق الخليج .

ثم دعنا لنفيض من الداخل الى الساحل ، ونحاذى شاطىء البحر ،حتى نبلغ (مسقط) ، حيث تطالعنا فيها الدور والقصور ، بعضها يظل الواناً من الكفاح المرير ، في سبيل الحصول على الرزق ، وبعضها الآخر تتجلى فيه صور من العيش الضاحك ، تمرح في مهاد من الدعة والنعيم .

وفي غمار هذه الطائفة الثانية ، يطل علينا وجه شاعر ، تحدثك ملامحه عن شاعرية اصيلة ، في طياتها الكثير من تراث الاجيال هناك ، تلك الاجيال التى ابدعت (وادى عبقر) كما ابدعت(ارم ذات العماد) . تلك الاجيال التى عاشت تحاذى شاطىء الصحراء من جانب ، يفيض عليها بالاحلام والاوهام ، كما تحاذى شاطىء البحر من جانب آخر ، فيفيض عليها بالعجائب والغرائب .

وهذا الشاعر الذى يطالعنا وجهه هناك ، هو السيد (هلال بن بدر الدين البو سعيدى) ، الذى شاء له الحظ الباسم أن ينشأ في احضان الترف ، ويتقلب في مطارف النعمة . فهو ينهل المعارف على يد مؤدبين في قصر ابيه ، لا يتكلف السعي اليهم ، ثم يخرج بعدها الى الدنيا الواسعة ، يطوف في انحاء اوروبا واميركا ، ويعرج خلال ذلك على مصر وسوريا والعراق ولبنان .

انه شاعر تفتحت عيناه للنور ، نور الحضارة ونور المعرفة . وبذلك تهيأ له

ان يقارن حال بلده عمان المتخلف ، بما هو عليه حال الناس في خارجها . الناس في اوروبا وأميركا ، بل الناس في مصر ولبنان وسوريا ، من وطن العروبة المتحضر، الذين رآهم في غدوه ورواحه. ولذا نراه ينحي باللائمة على أولئك الذين كانوا سبباً في تخلف عمان عن ركب الحضارة الجامح ، الذي لا يترقب احداً ممن تقاصرت بهم خطاهم ؛ فاذا هو يقول :

اعمان .. قادتك الألى .. لو انهم
فتحوا معاهد للعلوم وشيدوا
لغدوت حتى اليوم أكمل امة
من دون غايتها السها والفرقد
لكنهم حبسوا نبوغك برهة
فمضى عليه الدهر وهو مقيد

ويسجل هذا الشاعر مشاعره نحو الجمال ، ولكنه لا ينسى ان يذكر عراقة اصله ، فاذا هو يحول بينه وبين ان يتدنى الى حضيض الاسفاف والتبذل ، فاذا هو يقول في كثير من الاحتشام وفي كثير من الخشية والحذر :

انا لا اشتكي وان طال صد
من اخلاي او يطول اشتياقي
بين جنبي نفس حر ولكن
لذلي في هواهمو استرقاقي
انا عبد الجمال في كل دور
من حياتي .. وان زكت اعراقي

وهذا الشاعر .. نجده في شعره يخلص لفنه اخلاصاً لا يشوبه زيف ، ولا تخالطه صنعة ، فيترفع به عن الملق والرياء ، كما يترفع به عن التزلف الى من ينال عندهم اغراضه ومآربه ، وكانوا منه غير بعيد لو اراد .

ومن اجل ذلك كان يأبى ان يقول شعره الا صادقا ، فيصور مشاعره فيه على حقيقتها ، مستوحياً هذه المشاعر من البيئة التى عاش فيها ، وما اكثر ما في تلك البيئة من صور متنوعة مختلفة كلها تثير المشاعر وتوحي بالروائع من الشعر، وفي ذلك يقول :

اوقفت للفن احساسي وافكاري
وصغت من درر الافكار اشعاري
وجئت منها بما تصبو القلوب له
عذب الموارد .. مثل السلسل الجاري
والشعر .. ان لم يكن من فيض عاطفة
كبا بقائله .. في كل مضمار
حسبي من الشعر .. مايسمو الخيال به
لكل معنى .. بديع اللفظ .. سيار

وعند هذا المدى اقف بما تناهى الي عن عمان الساحل والداخل ، وقد سردته كما سمعته في جلستي الهادئة في الحديقة الظليلة ،على لسان ذلك الفتى العماني (عيسى بن احمد الحياني) الذى كان رفيق سفرى من الكويت الى الرياض ، حيث كنت متوجها اليها اجابة لدعوة كريمة من المسؤولين هناك ، للاطلاع على معالم النهضة في ذلك البلد الحبيب ، بينما كان هو في طريقه الى وطنه ، عائداً اليه من رحلة طال مداها في مصر وبلاد الشام .

ولما كنت حريصا على ان لا استأثر لنفسي بهذا الذى سمعت ، أتيت اعرضه على نحو ما سمعته ، ظنا مني بأن يكون هنالك من يجدون فيه مثل الذى وجدته من الطرافة والجدة والامتاع ، ما دام يحدثنا عن بلد بعيد عنا ، قلما وصلت الينا اخباره .

وحسبك انه الرقعة الجميلة النائية ، التى يتناهى عندها وطن العروبة الكبير، حين يمتد في سعته متيامناً نحو المشرق ، ليطل من هناك على المحيط الهندى ، فيقابل الطرف الآخر من ذلك الوطن ، وهو يمتد متشاملاً نحو المغرب ،ليطل من هناك على المحيط الاطلسي . ولما كانت النفس تواقة الى معرفة كل مجهول ، فان عمان في ساحلها وداخلها هي ذلك المجهول في حاضر العرب اليوم وان النفوس تواقة الى معرفة ذلك المجهول ■■

عمان ــ الاردن ــ **محمد سليم رشدان**

في سبيل موسوعة علمية

الحرارة

بقلم الدكتور أحمد زكي

● كنت اقرأ في كتاب اسمه « الاتوقراط على مائدة الافطار » ، للعالم الاديب الشهير الدكتور هولمز Oliver Windell Holmes (١٨٠٩ — ١٨٩٤) . فوجدته يقول :

« .... انها الاشياء التى لا وزن لها ، الحرارة والكهرباء والحب ، هي التي تحكم الدنيا » .

وقفت عند هذه العبارة ، ولفتني اليها ما خلت من سخرية فيها . ثم امعنت النظر ، فاذا هو قول حق ، لا سخرية فيه ولا مزاح .

فالحجر والورق والحديد والخشب ، كلها اشياء لها اوزان .

اما الحرارة فلا وزن لها .

واما الكهرباء فلا وزن لها .

واما الحب فلا وزن له .

واما ان الحرارة والكهرباء يحكمان الدنيا ، فذاك حق ايضا . ذلك ان الحرارة والكهرباء هما المصدران المحركان للتكنية الصناعية التي جعلت من الامم سادة ، وجعلت آخرين مسودين .

واما ان الحب يحكم الدنيا فاترك للقارىء ان يدلي برايه فيه ، واى حب اراد هذا الكتاب الاديب العالم .

الحرارة لا وزن لها

هكذا انت تقول اليوم ويقول معك من تعلم من الناس .

وبهذه السرعة حكمت وحكموا .

ولكن عند هذا الحكم وقف الكثير من الاقدمين متشككين .

هذا وعاء من ماء بارد . وهذا آخر مثله تماما من ماء ساخن كاد يبلغ حد الغليان . ايهما اثقل وزنا ؟

انتس ما تكون تعلمته في المدارس ، واذن تجد نفسك تميل طوعا مع من يقول ان الاسخن اثقل وزنا .

وهكذا فعل بعض القدماء .

ان للحرارة قصة طريفة ، بين قديم الزمان وحديثه ، نبدا بها عكسا . نبدا بالحاضر ، ثم نرجع بالزمن الى الوراء .

الحرارة

اننا الآن قد الفنا معنى الحرارة .

كيف تصوّرها الأقدمون
وكيف فضح سرّها الأحدثون

هذا كوز به ماء . نضع فيه الترمومتر ، فنقرا عليه درجة حرارة الماء ، فنجدها درجة ٥٠ مئوية . فنقول انها درجة في المنتصف ، بين درجة غليان الماء التى هي ١٠٠ درجة ، وتجمد الماء التى هي صفر .

وهذا كوز آخر به ماء ، ولكنه كوز اكبر ، الماء الذى به ضعف الماء الذى في الكوز الاول . ونقيس الدرجة فنجدها كذلك ٥٠ درجة . فنقول ان الماءين في درجة من الحرارة واحدة . ونخلط ماءهما ونقيس درجة الحرارة فنجدها ٥٠ درجة .

ولكنهما غير سواء في مقدار الحراره التى بهما . الثاني به ضعف الحرارة التى بالاول .

امور نؤمن بها اليوم ، كما نؤمن بأن النهار ابيض ، وان الليل اسود . انها بدائه عندنا اليوم .

الحرارة حركة

وتسأل مدرس الفزياء عن هذه الحرارة ، ما هي ، فتعلم منه ان الحرارة حركة .

ويضرب لك مثلا بالهواء ، او اى مادة غازية اخرى . ويذكرك بان الغاز يريد دائما ان ينتشر . ومعنى هذا انه متحرك . وانه مكون من جزيئات (تصغير جزء) غاية في الصغر ، لا تراها عدسات المكرسكوبات لشدة صغرها ، وان هذه الجزيئات دائمة الحركة ، يصدم بعضها بعضا ، وهي تصدم جدار الوعاء الذى هي فيه ، ونقيس مقدار هذا الصدام في المختبرات ونسميه ضغطا .

ونضغط الغاز في وعائه الى نصفه مثلا فتزداد حرارته ، لأن جزيئاته تضاعف عدد اصطدامها فيما بينها ، وفيما بينها وبين جدران الوعاء ، لقصر المسافات التى تقطعها قبل ان تصطدم . فزيادة الحركة هذه زيادة حرارة .

وانت تملأ اطار عجلتك التى تركبها بالهواء ، ثم تزيده ملأً ، وتحس الاطار وهو من مطاط بيدك فتجد انه زاد حرارة . لانك زدت مقدار الهواء الذى هو سبب الحركة ، فهو سبب الحرارة . زدته في الحيز الواحد ، فازداد ضغطا .

وعلى العكس من ذلك ، ان الغاز المضغوط ، اذا انت اطلقته في حيز اوسع ، لنزلت بدرجة حرارته ، لأن طاقته الحركية توزعت على حيز اكبر .

وانت تقف في ركن من حجرتك ، وتفتح زجاجة صغيرة ، بها زيت طيار طيب الرائحة ، ثم تغلقها ، فلا يلبث ان يتحول هذا القليل من الطيب الى غاز ، يظل ينتشر في الهواء ، ثم ينتشر ، صادمة جزيئاته كل ما تلقى من جزيئات هواء الحجرة حتى تبلغ المدى . وقد كانت المسافة بين الجزئ منها ، والجزيء ، مسافة صغيرة ، فاذا بها تطول حتى تصل الى ما يكاد يبلغ بين جدران الحجرة من مسافات .

والخلاصة ان المواد الغازية تتألف من

جزيئات حرة ، تنطلق ، وتطلب المزيد من الانطلاق ، وان مجموع ما في جزيئات غاز من حركة ، في حيز ما ، نحسه نحن ، بني الناس ، حرارة ، تزيد كلما زادت الحركة بتركزها في حيز أضيق ، وتقل كلما قلت الحركة بتوزعها على حيز اوسع وارحب .

وفي الأبعاد والاحجام

ولو أننا طرقنا باب الأبعاد والأحجام والمقادير في شئون الغازات وجزيئاتها لوجدنا شيئا عجبا .

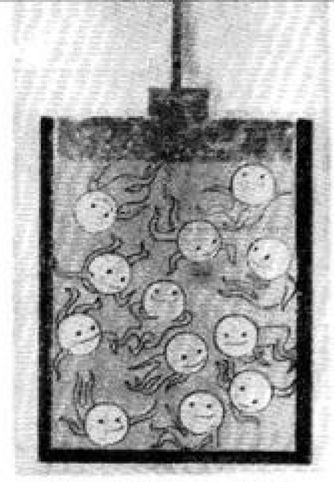
فعلماء الفيزياء يحدثوننا عن غاز الادروجين مثلا، فيقولون ان صفا واحدا من جزيئات الادروجين طوله بوصة واحدة ، يحتاج لاقامته الى ١٠٠ مليون جزيء من الادروجين ، يصف الجزيء فيه الى جانب الجزيء كما يصف الجنود. وذلك لأن الجزيء الواحد غاية في الصغر. وقطر اكثر الجزيئات يقع بين ١ على ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ و ١ على ٠٠٠ر٠٠٠ر١ من المليمتر .

والمسافة التي يقطعها جزيء الادروجين في حركته قبل أن يصطدم بجزيء منه آخر تبلغ في المتوسط ١٧٥٠٠٠٠ر٠ من المليمتر ، وهى مسافة غاية في الصغر في حسباننا ، ولكنها غير صغيرة اذا قيست بتلك الذرات الصغيرة الغاية في الصغر .

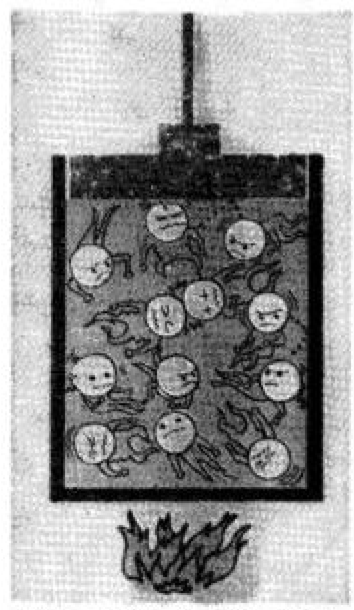
ان عالم الغازات عالم آخر غير عالمنا الذي ألفناه . عالم غريب الأعداد ،غريب المسافات ، غريب السرعات . يزيدك منه غرابة اذا علمت ان جزيئات الهواء تسير بسرعة اكثر من ١٠٠٠ ميل في الساعة ، في المتوسط ، قبل أن يصطدم بعضها ببعض ، أو يصطدم بحائط الوعاء فيحدث ضغطا .

والخلاصة ان هذه الحركة ، حركة هذه الجزيئات ، هى الحرارة .

انها الطاقة الحركية صنعت الطاقة الحرارية التي نحسها ونقيسها بالترمومترات .



جزيئات من الغاز في حالة برودة ، فحركتهامعتدلة نسبيا.



جزيئات الغاز وقد زدناها حرارة ، فازدادت حركة ، فهي تصطدم مع بعضها ، وتصدم الجدار فيزداد الضغط ، ضغط الغاز .

الحرارة في الأجسام الصلبة

ان الحرية التي في جزيئات الغاز ليس يوجد مثلها بجزيئات الاجسام الصلبة .

مواضعها هذه الثابتة ما بينها وبين اخواتها من تجاذب .

وعلى الرغم من تماسك جزيئات الأجسام الصلبة ، بعضها ببعض ، فانها جميعا في حركة دائمة . ولكنها حركة لا تخرجها عن مواضعها من مجموعاتها الصلبة الكبرى . وكل ذرة يمكنها ، حيث هي ، أن تغير من طاقة تتذبذب بها ، او طاقة تدور بها على محورها . وهذه الحركات تتغير اتجاها وتتغير مقدارا .

ومجموع ما في كتلة ما من حركة هي مجموع ما فيها من حرارة .

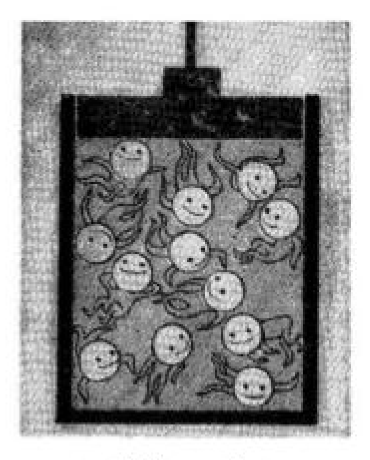
الحرارة في الأجسام السائلة

الأجسام السائلة وسط بين الأجسام الغازية والصلبة .

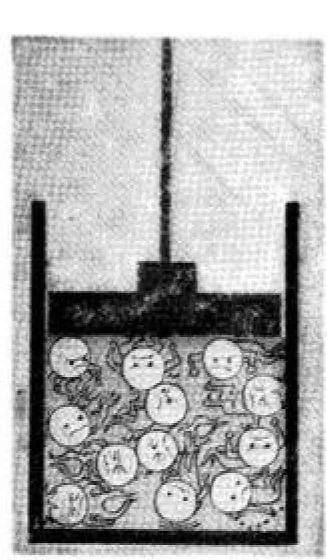
وانت اذا بدات تسخن قطعة من المواد صلبة ، أى تعطيها حرارة ، فان هذه الحرارة تزيد حركة الجزيئات والذرات التى بالجسم الصلب حتى يبلغ مقدارها حدا يصعب فيه على الجزيئات او الذرات أن تحتفظ فيما كان بينها من تجاذب ، وتزداد الحرارة ، فتزداد الحركة ، فيسيل الجسم الصلب .

ويصبح للجسم السائل من جراءهذه الحركة ضغط على الوعاء الذى هو فيه . والماء ، وهو سائل تتركه في الحر ، فيتبخر . انها حركة الجزيئات المائية خرجت بها من سطح الماء الى الجو .

ومع هذا فيبقى بين جزيئات الجسم السائل بقية من تجاذب ، تدركه اذا أنت سكبت قطرات من الماء فوق لوح من زجاج . انها قد تظل مستديرة لان الجزيئات ما زالت بينها من التجاذب القوة التى يمسك بعضها بها بعضا .



جزيئات من الغاز ، في حركة دائبة .



زحمنا الجزيئات في حجم اصغر ، فزاد دقها جدران الوعاء ، فزاد الضغط .

في الأجسام الصلبة ترص الجزيئات رصا ، بعضها جنب بعض ، وكثيرا ما تتخذ اشكالا هندسية واضحة نسميها بالبلورات . والذى يحفظ للجزيئات

معنى الحرارة كما يحضرنا اليوم

فهذا معنى الحرارة الذى يحضرنا اليوم ، وهذا هو كنهها الذى اهتدينا اليه ، والفناه او الفه كل ذى علم فلم يبق لأحد ريب فيه .

هذا المعنى ، معنى الحرارة ، كم من الدهر قضى العلماء في تحقيقه ؟

من اجل هذا لا بد ان نرجع في الزمن الى الوراء . ولا اجد حاجة الى الرجوع الى الوراء البعيد .

معنى الحرارة عند من سبقوا

ان القرن السابع عشر ، اذا نحن اطلقنا عليه عصر جاليليو Galileo وجب ان نطلق على القرن الثامن عشر عصر نيوتن Newton .

في هذين العصرين ، وهما لا يبعدان عنا بعيدا ، كان العلم الحديث في فجره الاول . وكان العلماء ينظرون الى هذا الكون على انه مصارعة بين قوى واجرام ، وتوازنا فكان ما نراه في هذا العالم من ظواهر تخالها هادئة رتيبة .

وادرك العلماء في سهولة معنى الاجرام، انها اشياء محسوسة ملموسة ، لو وضعت في الكف ، او لو امكن وضعها ، لتثقلت به . اذن فهي لها وزن توزن به في الموازين .

وادرك العلماء « القوى » : من حركة وحرارة ، ونور ، وكهرباء ، ومغناطيس، وما اليها . ادركوها بأحاسيس لا سبيل الى نكرانها ، ولكن ما اسرع ما ادركوا انها اشياء لا وزن لها . ولكن ، بما انها اشياء ، فلا بد لها من صور .

وتصوروا :

فالشيء يحترق فيخرج منه شيء اسموه فلوجستون Phlogiston .

والشيء يضيء فيحمل نوره الى الجهات كلها شيء يسمى بالأثير Ether .

والكهرباء سائل يجرى في الاسلاك (ونحن الى اليوم نقول التيار ، وهو لفظ بقى من المعنى القديم : ان الكهرباء سائل) .

وقد نعجب نحن، اهل القرن العشرين، كيف عجز آباؤنا ، اهل تلك القرون ، عن فهم ما نفهمه نحن الآن من هذه الاشياء .

لافوازييه ابو الكيمياء الحديثة

اما الحرارة فزعموا انها هي الاخرى سائل . فانت تسخن الماء مثلا او الحديد، فتعطيه زيادة من هذا السائل الحراري . وانت تبرده فتسلبه مقدارا من هذا السائل الحراري .

ومن زعم هذا ؟

زعمه لافوازييه Lavoisier ، الذي لا ينسى اسمه اي طالب درس الكيمياء . فهو الذي اطلقوا عليه ابو الكيمياء الحديثة ، وبحق فعلوا .

وسمى لافوازييه هذا السائل بالكالوري Calorie .

وتبع لافوازييه في فكرته هذه كثير من العلماء .

الكونت رمفورد

عارض لافوازييه الكونت رمفورد Count Rumford . وهو امريكي حضر حرب الاستقلال الامريكية ، وكان محافظا ، وبقى على ولائه لانجلترا . فسافر الى اوروبا ، ونجح فيها . وفي بافاريا انعم عليه بقلب كونت .

كان قائما بخرط ماسورة مدفع ، وهاله ما خرج في هذا الخرط من حرارة هائلة . ويوقف المخرطة ، ثم هو يجريها، فتعطيه من الحرارة المقدار الذي يشاء .

واجرى تجارب اخرى اقنعته ان الحرارة لو كانت سائلا تحتفظ به الاجسام الصلبة ، مقادير محدودة ، لفرغ سريعا . وهذه الحرارة التي تخرج من المخرطة لا حد لها ، ولا نهاية تنتهى عندها .

اذن .. ان الحرارة سائل اسموه الكالوري فكرة لا اساس لها من الصحة .

الحرارة لا وزن لها

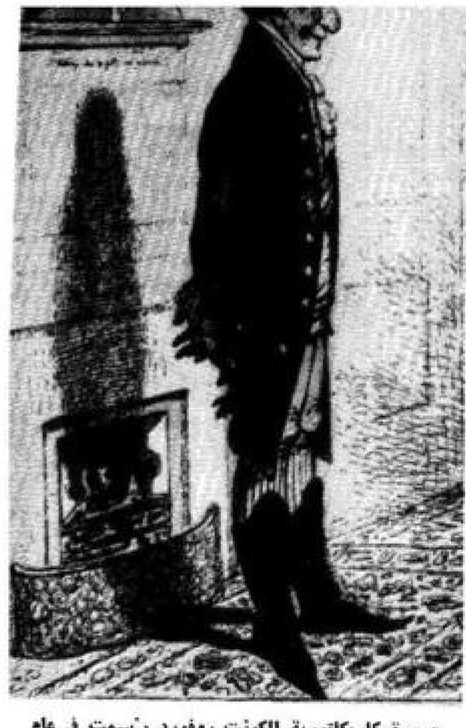
وخطر للكونت رمفورد خاطر آخر .

لم يكن للحرارة وزن . فان كان حقا ان بالاجسام حرارة ، هي سائل ،وجب ان يكون له وزن .

وصنع ميزانا غاية في الدقة ، ووزن



انطوان لافوازييه ، وزوجته في المختبر صورة زيتية رسمها الرسام جاك لويس دافيد قبل قيام الثورة الفرنسية



صورة كاريكاتورية للكونت رمفورد رسمت في عام ١٨٠٠ ، وفيها يستدفئ الكونت بمدفأة من اختراعه، وعلى رف المدفأة وعاءان للطبخ من تصميمه .

الأشياء باردة ، ووزنها حارة ، فلم يكن هناك فرق .

وبذلك هدم الفكرة التي قد تأتي الرجل الطبيعي الساذج : ان الاجسام الساخنة اثقل من الباردة .

واذ تحقق أمر الحرارة، كنها ، ودرجة، ومقدارا ، أطلق اللفظ الذى ابتدعه لافوازييه اسما للحرارة وهو Calorie (وهي لفظ لاتيني معناه الحرارة) أطلقوه اسما لوحدة الحرارة ، وهي مقدارها الذي يرفع درجة حرارة سنتيمتر مكعب من الماء درجة مئوية واحدة .

واتبعنا نحن العرب ، فسمينا هذه الوحدة سُعرا . والسعر في اللغة هو الحر .

لافوازييه على مقصلة الثورة الفرنسية

ولا أحسب ان احدا لم يسمع عن القدر الذى كان ينتظر لافوازييه ، وهو يجود للعلم الحديث بما يجود ، حتى اذا ذاع صيته ، وعظم مجده ، وزادت آمال العلم منه في المزيد ، جاء القدر بختام هذه الحياة فكان اشنع ختام .

انهم رجال الثورة الفرنسية ، حملوا الرجل حملا ، وانتهوا به الى ما لا بد أن ينتهى به من حملوا من رجال ونساء. مات على المقصلة ، لم ينفعه علم ، ولم تشفع له نباهة ذكر .

زواج مبارك

وتقدم الكونت رمفورد الى ارملة لافوازييه، يطلب يدها . وتزوجت منه . ومع هذا ظلت تحيي ذكر زوجها الأول لافوازييه ما أمكنت لها الذكرى، وطابت .

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٣٠

البكتريا نباتات وليست حيوانات

■ المعلومات العامة كانت طابع مسابقة العدد ١٣٠ والمعلومات العامة ينالها الانسان من مناهل شتى وموارد مختلفة لمن أراد أن يسبر غورها .

والملاحظ في هذه المسابقة ان القراء اخطأوا في معرفة ماهية البكتريا ، هل هي نباتات أم حيوانات ؟

واليك عزيزي القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، وأسماء من حالفهم الحظ ففازوا بهذه المسابقة :

١ ـ درجة تجمد الماء هي ٣٢ فهرنهيت .

٢ ـ الذي ابدع شخصية شرلوك هولمز هو آرثر كونان دويل .

٣ ـ تقع مدينة بغداد عاصمة الجمهورية العراقية على نهر دجلة .

٤ ـ اسم النهر الرئيسي في الباكستان هو نهر السند .

٥ ـ اسم العالم الذى قفز من الحمام وهو يصيح: وجدتها .. وجدتها ، هو ارشميدس .

٦ ـ البكتريا نباتات .

٧ ـ اسم الجبال التى تفصل بين أوربا وآسيا : جبال الأورال

٨ ـ الدول التى ليس لها منفذ على البحر هى : المجر وافغانستان .

٩ ـ تقع مكتبة الاسكوريال الشهيرة في اسبانيا .

١٠ ـ يصب نهر الفولجا في بحر قزوين .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى : وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها: حسن محمود رضوان محمد/الاسكندرية/ج.ع.م.

الجائزة الثانية : وقيمتها عشرون دينارا فازت بها : فاطمة متيع ناصر خليوى / القيصومة / السعودية .

الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير فاز بها: محمد ادريس بشير الازترى/طرابلس/ ليبيا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ خلف مصطفى غرايبة / الاردن .

٢ ـ طيبة احمد الفضل/الكويت .

٣ ـ حسين عبد الرحمن بارجاء/ اليمن الجنوبية الشعبية .

٤ ـ نزار عباس الكاظم/العراق .

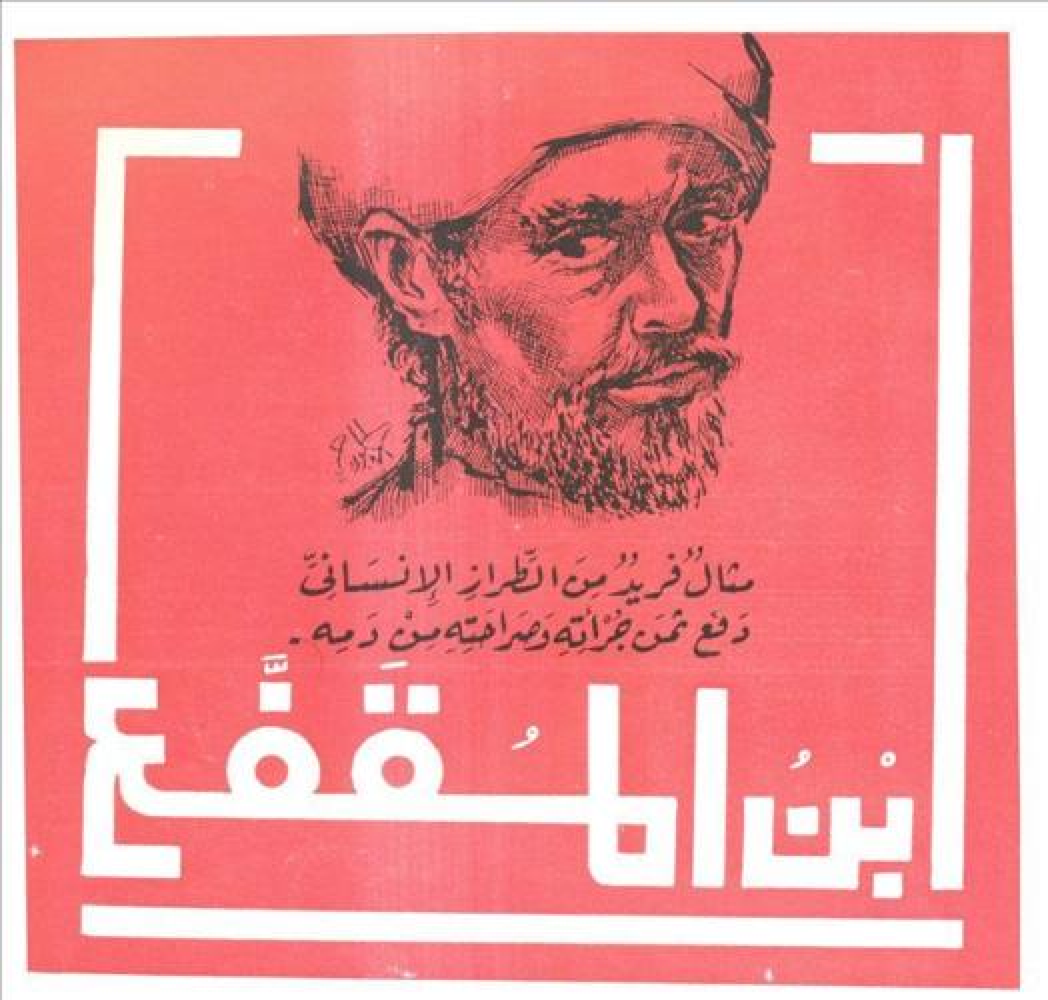
٥ ـ سهام بشير / سوريا

٦ ـ محمد محمد محمد / السودان .

٧ ـ احمد عباس الاشهب / لبنان .

٨ ـ عبد العزيز قرين / المانيا الغربية .

■■



بقلم
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

« سُئل عنه الخليل بن أحمد
فقال : ما شئت من علم
وأدب ، إلا أن عقله أكثر من علمه »

■ اسمه روزبه بن داذويه ، ويكنى أبا عمرو ، ثم تسمى بعبد الله ، وكنى بأبى محمد بعد اسلامه ، وهو فارسي الاصل ، من اهل « غورستان » المعروفة باسم « الاهواز » وهي قريبة من « البصرة » .

نشأته

ولد ابن المقفع فى « البصرة » سنة ١٠٦ هـ ، ونشأ في ولاء بنى الاهتم ، وكان ابوه قد تولى خراج بلاد « فارس » من قبل الحجاج بن يوسف ، فاحتجز شيئا من مال الخراج ، وعندما علم الحجاج

بذلك ضربه حتى تفقعت (١) يده، فلتقتب من وقتها بالمقفع ، وكان الموالي في عهد الدولـــة الاموية مضطهدين ، ليس لهم في الدولة جاه ، لأن الامويين بنوا سياستهم على الغض من شأنهم والزراية بهم، لذلك حرص المقفع على تربية ابنه وتنشئته تنشئة حسنة ، ليخرج صالحا لخدمة الخلفاء ، أو أهل بيتهم او وُلاتهم ، ولا يصل انسان الى هذا الوضع الا بدراسة اللغة العربية ، فيقرأ القرآن ويحفظ الخُطب ، ويروى الشعر ، بالاضافة الى معرفة علم الحساب وغيره مما كان يحتاج اليه الكاتب في تلك الآونة .

وقد كان لنشأة ابن المقفع (٢) في «البصرة» وولائه لبني الاهتم أثر كبير في بلاغته ، وما صار اليه من الشهرة ، ولأعماله من الذيوع والانتشـــار . و « البصرة » هي ذاك البلد الذى انشيء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ ، في مكان يتوسط ريف « العراق » وصحراء العرب ، فهوت اليها قلوب الكثير من القبائل العربية ، وخصها الله بقوم كانوا من اعظم علماء الفصاحة ، فكانت تعد من قديم مَثابَة الرواة ، ومجمع الأدباء ، ومنبت الشعراء ، وبها اقيم سوق « المربَد » على غرار سوق « عكاظ » ، وعرف من علمائها وشعرائها ، ومحدثيها ورواتها كثيرون هم قادة أهل العربية ورجالها الأجلاء .

ولا شك في أن ابن المقفع قد تعلم على أيدي علماء « البصرة » ، وان كان المؤرخون لم ينصوا على أحد من معلميه الا على أبي الجاموس ثور بن زيد الأعرابي ، الذى كان يفد الى « البصرة » ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة .

بيد أن فضل ابن المقفع يجعلنا نقول انه لم يترك علما الا تعلمه وعرفه ، ولا شاردة أو واردة في اللغة العربية الا وقف عليها ، ويكفي أن نقول انه وُزن بالخليل بن أحمد ، فقد قال محمد بن سلام : « سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليـــل بن أحمد ولا أجمع ، ولم يكن في العَجَم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع » .

ابن المقفع والدولة الاموية

عندما عرف ابن المقفع ، وظهرت له في فن الكتابة مخايل ، حرص الناس على الانتفاع بمواهبه ، فاتخذه داود بن يزيد بن هُبَيْرة كاتبا له ، وكان داود مع أبيه والي « العراق » من قبل مروان بن محمد ، فلما قتل مروان في ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ ، وقضي على دولة الأمويين في الشرق ، امتنع يزيد على بني العباس حتى آمنه المنصور ثم قتله ، لأن العباسيين كانوا يرون أن دولتهم لن يُضمَن لها الاستقرار ، ويُكتب لها الحياة الا بالقضـــاء على الامويين قضاء تاما . وبموت يزيد انتهى عمل ابن المقفع في الدولة الاموية ، ولم يعثر بين آثاره على شيء مما كان قد كتبه عن داود .

ابن المقفع والدولة العباسية

وفي عهد الدولة العباسية لقى ابن المقفع كل اعزاز وتكريم ، فاتصل بأعمام الخليفة أبي جعفر المنصور ، وكتب لعيسى بن علي أيام ولايته على « كرمان » ، وقد أسلم على يديه ، وتأدب على يديه بعض أبناء اسمـــاعيل بن علي ، ثم كتب لسليمان بن علي في أثناء ولايته على « البصرة » ، وقد مكث سلـــيمان في هذه الولاية حتى عزله المنصور سنة ١٣٩ هـ ، وولى مكانه سفيـــان بن معاوية الذى كان على يديه قتل ابن المقفع .

وفي أيام اتصاله بأعمام المنصور وصلته شهرة ابن المقفع ، فانتفع به فيما اراد من نقل علوم الفرس الى اللغة العربية ، فقد وجد فيه فارسيا أضاف الى اجادته لغته اجادة اللغة العربية ، فترجم الشيء الكثير والف عدة كتب .

اسلام بن المقفع

كان ابن المقفع زرادشتيا ، وتلك الديانة تنسب الى نبي الفرس زرادشت (حوالي ٦٦٠-٥٨٣ق.م)، وقد عامل العرب أهل هذه الديانة كمُعَاملَتهم لأهل الكتاب ، والمشهور من تعاليم زرادشت أنه يقول بوجود الهين يحكمان كل شيء في الوجود ، الاله الأول يسمى اهورا وهو اصل الخير ، والاله

---

(١) تشنجت .

(٢) انظر ابن المقفع في مجلة العربي العدد ٢٦ الصادر في يناير ١٩٦١ ، والعدد ٥٤ الصادر في مايو ١٩٦٣

الثاني يسمى اهرمن وهو اصل الشر . ولكل من هذين الالهين قدرة وتصرف ، فاهورا خلق كل شيء نافع سواء كان حيوانا او مادة ، واما اهرمن فقد خلق كل شيء ضار ، كالحيوانات المفترسة ، والحشرات الضارة المؤذية . والحرب لا يهدأ اشتعالها بين الالهين ، فالمؤمن من ينصر اله الخير على اله الشر ، فيعمل على تعمير الدنيا . وكان عامة الفرس يدينون بهذه الديانة الى الفتح الاسلامي ، فدخل في الاسلام من دخل ، وبقي على دينه من بقي ، الا ان « ماني » حرّف هذه الديانة ، فقد رأى ان تغلب الخير على الشر في هذا العالم المليء بالشرور والآثام غير مستطاع ، فحرّم الزواج وأوجب الصوم حتى يفنى العالم . وقد اعتنق هرمز ملك الفرس هذا المذهب . فلما خلفه بهرام قتل « ماني » وشرد اصحابه ، وبقيت مع ذلك تعاليم هذا المذهب .

ثم تفرع من ديانة زرادشت مذهب آخر هو مذهب مزدك ، الذي رأى ان الحياة يجب ان تعالج بالقضاء على البغضاء فيها ، ويرى ان خير وسيلة لذلك اباحة الأموال والنساء ، فهما سبب التباغض .

هذه هي الديانة الزرادشتية ، في اصلها وما تفرع منها من مذاهب ، وقد كان للفروع اتباع ولكنهم يعدون على الأصابع ، اما الأصل فكان عليه اكثر الناس .

وبعد ، فهل كان ابن المقفع يتبع الأصل او الفرع ؟ اعتقد انه كان يتبع الاصل ، لا بما جد فيه من مذاهب .

اسلم ابن المقفع ولم يذكر احد من المؤرخين ان احدا قد رغّبه فيه او حمله عليه ، وقد كان هذا شأن المسلمين في ذلك العهد ، فان استغناءهم بكثرتهم ، واعتزازهم بانفسهم ، لم يجعلهم يرون في الاسلام قلة تحتاج الى تكثير .

لقد هداه تفكيره ، ودله عقله على ان الدين الاسلامي هو اقوم طريق لمعرفة الخالق عز وجل ، وانه الوسيلة للنجاة في الدنيا والآخرة . ولو كان اسلامه قد حُمل عليه ، ما كان عيسى بن علي يرى فيه مفاجأة ، ويطلب منه التمهل الى اليوم التالي ليكون اسلامه على مرأى من المسلمين ، وليحتفل به في جمع من الرؤساء والقواد .

اتهامه بالزندقة

اما ما شاع بين الناس عن زندقته ، وما انبنى عليها من قتله بيد سفيان بن معاوية ، فيجوز ان يكون قد اتخذ ذريعة الى قتله .

لقد استدل الناس على زندقته بانه حين بات على نية الاسلام زمزم على الطعام ، فقال له عيسى: الست على نية الاسلام ؟ ، فقال له : اكره ان ابيت على غير دين ، وفي رايي انه ربما حمله على ذلك الفعل هي العادة ليس الا ، فلما انكر عليه عيسى ذلك احتج بهذه الحجة . وكذلك عدوا عليه انه مر ببيت نار المجوس فانشد :

يا بيت عاتكةَ الذى اتعزّلُ
حذَرَ العِدَا وبه الفؤاد موكّلُ
انى لأمنحك الصدود وانني
قسما اليك مع الصدود لأميلُ

واعتقد ان التمثل بهذه الأبيات لا يعد حجة على ندمه لتركه دينه ، اذ يكفي في التمثل عموم المعنى ، وانه ترك دينه الى دين الاسلام وهجره مثلما هجر الشاعر بيت محبوبته ، اما تطبيق جميع اجزاء المعنى فلا يعتبر ذلك شرطا في التمثيل .

ولقد تلمس له حساده المزالق ، فاخذوا عليه قوله في رثاء يحيى بن زياد .

رُزِئْنا ابا عمرٍو ولا حيَّ مثلَه
فلله رَيْبُ الحادثات بمن وقعْ
فان تك قد فارقتنا وتركتنا
ذوى خلّةٍ ما في انسداد لها طمع
لقد جرَّ نفعا فقدُنا لك اننا
أمِنّا على كل الرزايا من الجزَعْ

وارجعوا ذلك الى مذهب الزنادقة في ان الخير مخلوط بالشر ، اخذوا ذلك من قوله : « لقد جر نفعا فقدنا لك » ، وهذا احتمال بعيد جدا .

وبلغ من حسد الناس له ، ورغبتهم القوية في الحط من شانه والكيد له ، ان الف بعضهم كتبا في الالحاد ونسبها اليه ، غير ان سخافة عباراتها وانحطاط معانيها تدل دلالة واضحة على انه بريء منها .

ومهما يك من امر ، فان القول في اسلام امرىء او نفاقه ، يخفى على معاشريه والمخالطين له .

ان كثيرا ممن يتهمون ابن المقفع بالزندقة يبنون اتهامهم على أمور أتاها قبل الاسلام ، ولا يجوز أبدا لومه على هذه الأمور ، فاذا كان قد ترجم كتبا أو وضع حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل هذا قد أزاله اسلامه ، ويصبح من غير العدل محاسبته عليه .

أسباب قتل ابن المقفع

كان سليمان بن علي واليا على « البصرة » من قبل أبي جعفر المنصور ، وقد خرج أخوه عبد الله على الخليفة وقام بثورة ضده ، وحماه سليمان ، ولم يسلمه الى المنصور الا بعد توقيعه على الامان الذي كتب صيغته ابن المقفع ، واشترط فيه شروطا شديدة ، وافرط في الاحتياط لمولاه حتى لا يستطيع المنصور الغدر به ، فكان من الامان « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ، ودوابه حُبس، وعبيده أحرار ،والمسلمون في حل من بيعته » ، وعندما تمكن المنصور من عمه وضعه في السجن ، وعزل سليمان عن ولاية « البصرة » ، وولى مكانه سفيان بن معاوية ، وأغلب الظن أن المنصور ما فعل ذلك الا ليغيظ سليمان بما فعل من حمايته لعبد الله ، أخيه .

وقد ظهر من ابن المقفع اعتداء على سفيان واهانة له ، ولا أدري هل كان من هوان الرجل في نفسه ؟ ، أو لأن ابن المقفع كان يرى من وفائه لأصحاب نعمته أن يحتقر هذا الذي احتل مكانهم ، وانتزع سلطانهم .

كان يتندر على سفيان ويسخر منه ، لان انفه كان كبيرا ، فكان اذا دخل عليه قال : السلام عليكما ، وقال له سفيان يوما انه ما ندم على سكوت ، فكان رد ابن المقفع عليه : ان الخرس زين لك فكيف تندم عليه ؟ ، فكان سفيان : والله لأقطعنه اربا اربا ، وقد فعل .

وقد اختلفت روايات المؤرخين في الطريقة التي تم بها قتله ، فبعضهم يقول انه ألقى في بئر وردُم عليه بالحجارة ، وبعضهم يقول انه أدخل حماما واغلق عليه حتى اختنق ، وفريق ثالث يقول انه ألقي عضوا عضوا في تنّور حتى أتي عليه ، مستدلين على ذلك بقول سفيان : ما عليّ في هذه المثلة شيء ، فهو زنديق قد افسد الناس .

واني أميل الى هذا الرأي . وكان قتله في سنة ١٤٢ هـ ، وسنه آنذاك ست وثلاثون سنة .

لقد كثرت الزندقة في أوائل نشأة الدولة العباسية ، وقد اتخذها الناس وسيلة لاتهام الآخرين بها ، فكثيرا ما كانت تنشأ العداوة بين وزير وشاعر ، فاذا بالشاعر يقتل بدعوى الزندقة والالحاد ، كما حدث لبشار بن برد حين هجا يعقوب بن داود وزير الخليفة المهدي . فليس ببعيد أن تكون ضغينة سفيان على ابن المقفع هي التي جعلته يلصق به هذه التهمة . كما انه ليس ببعيد ايضا أن يكون المنصور قد تغير قلبه على ابن المقفع لتشدده في صيغة الامان الذي كتبه لعمه عبد الله ، وانه هو الذي جرأ سفيان على قتله ، وقد ظهر اثر ذلك حينما غضب سليمان وعيسى لقتله ، وذهب الشهود الى المنصور للشهادة على سفيان ، فقال لهم : أرأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت ـ وأشار الى باب خلفه ـ وخاطبكم، ماذا ترون أني صانع بكم ؟ ، أأقتلكم بسفيان ؟ ، فرجع الشهود عن شهادتهم . ولا مراء في أن هذا يعتبر تهاونا من المنصور في دم ابن المقفع وما دعاه الى ذلك الا نصر واليه على أعمامه ، وما سبق من حقد على ابن المقفع بسبب الامان .

أخلاقه

اذا كان شعر الشاعر أو كتابة الكاتب تعتبر انعكاسا لنفسيته ، ودليلا على صفاته ، فاننا نجد في كتابة ابن المقفع تمجيدا للفضيلة ، واشادة بذكرها ، واعظاما لشأن الصداقة ، وحثا على الوفاء ، ودعوة الى القناعة ، وترغيبا في بسط المعروف والكف عن الاساءة . ويتمثل هذا في كتابيه « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » ، فهما من تأليفه وليسا مترجمين ، ويعتبران أشبه شيء بملاحظاته في الحياة ، وتجاربه مع الأيام .

وتتمثل هذه النزعة أيضا في الكتب التي اختار ترجمتها ، فكتاب « كليلة ودمنة » مزيج من الأدب والحكمة ، ولا شك في أن بين خلق ابن المقفع وآثار قلمه نسبا كبيرا ، وما أدري هل كانت هذه الأخلاق طباعا فيه جعلته يتذكرها ويَحرص على نقلها الى الناس ؟ ، أم أن نشأته وتعليمه جعلاه على هذا النحو من تمجيد الفضيلة والترغيب فيها ، لكثرة

ما اكتسب من الأدب خلال مطالعاته ودراساته .

بيد ان الذى اود ان اثبته واقرره هو أن بين دين ابن المقفع القديم ، وتعاليمه التي تدعو الى نصرة الخير على الشر ، ومغالاة رؤسائه فى ذلك ، بل حصرهم كل خير موجود فى الدنيا فى الدين ، وكذلك قراءته لآداب لغته، وكلها مبنية على تمجيدالفضيلة والحط من شأن الرذيلة ، والاتعاظ من الحوادث ، وضرب المثل ، واستنباط العبرة ، ثم ما استفاده عندما دخل فى الدين الاسلامي وتادب بأدبه ، كل هذا مضافا الى طبيعته الهادئة ، ونفسه الطيبة ، جعلنا نرى فيه الرجل الذى يؤثر على نفسه ولو كانت به خَصاصة ، ويَفتدى صديقه بروحه لا ينافق ولا يداهن . وهناك احداث كثيرة تؤكد تمكن الوفاء من نفس ابن المقفع .

قصد سعيد بن سَلْم « الكوفة » ، فتصادف ان قابله ابن المقفع فرحب به ، وعلم منه انه فى ضائقة مالية ، وعليه بعض الديون ، فسأله : هل قصدت احدا ؟ فرد عليه سعيد بقوله : أتيت ابن شبرمة فوعدني انأكون مربيا لبعض أولاد الخاصة، فقال ابن المقفع : أف ! يجعلك مؤدبا فى آخر عمرك . اين منزلك ؟ فعرفه سعيد اياه . فلما جاء الغد قصده ابن المقفع فوضع بين يديه منديلا وتركه وانصرف ، وعندما فتحه سعيد وجد فيه ما مقداره اربعة آلاف درهم ، فاخذها سعيد وعاد الى « البصرة » ، وعاش بقية حياته فى استغناء عن الناس .

وقال ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) : بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره لتراكم بعض الديون عليه ، وكان يجلس (ابن المقفع) فى ظل داره ، فقال : ما قمت بحرمة ظلة هذه الدار ان باعها مُعدِما وبت واجدا . فحمل اليه الثمن وقال : لا تبع .

ويروى عنه أيضا انه كان يطعم الطعام ويوسّع على كل محتاج ، وانه كان يجرى على بعض وجوه « البصرة » و « الكوفة » ما بين خمسمائة درهم الى الفين فى كل شهر .

وكان فى ابن المقفع الى جانب هذه الفضائل فضائل أخرى من الوقار ورقة الشمائل وحسن السمْت ، فهو رجل مهذب كامل خلقا وثقافة .

علمه وبلاغته

لقد بلغ ابن المقفع منزلة كبيرة من تقريب الملوك واعتمادهم عليـــه ، واستشارتهم له ، وتدبيرهم امورهم بناء على رأيه ، كما فعل الامراء والولاة الذين استكتبوه ، فقد كانوا يصدرون قراراتهم بعد أخذ رأيه ومشورته ، فقد كان لهم بمثابة الوزير . ويؤكد ذلك اشتراكه فى الراى عند تسليم عبد الله بن علي الى الخليفة المنصور ، والنزول على حكمه عند ما راى انه من الواجب التشدد مع الخليفة وتوكيد الايمان عليه حتى لا يغدر به . وقد اعتمد عليه المنصور فى وضع دستور يسير عليه فى حكم الرعية ، ولا يصل رجل الى هذه المنزلة حتى يكون على درجة كبيرة من جودة الفكر وصواب الراى . ولا ادل على هذا من شهادة الخليل بن احمد فيه عندما سئل عنه فقال : « ما شئت من علم وادب ، الا أن عقله أكثر من علمه » .

ان مؤلفات ابن المقفع وما ترجمه من كتب تدل على انه كان يعرف المنطق ، وقد ترجم فى هذا العلم كتاب « ايساغوجي » لأبي جعفر المنصور ، فكان أول من اعتنى من المسلمين بترجمة الكتب المنطقية ، ومثل علم المنطق لا يستطيع الترجمة فيه الا كل من فهمه فهما دقيقا ، وكان ماهرا فى مسائله .

كذلك كان ابن المقفع أول من اخترع فى العربية طريقة التدوين فى التاريخ ، وذلك بترجمته كتاب « خداينامه » فى سِيَر ملوك العجم .

وأول ما عرف العرب السَّمَر المُلهي، والقصص المشتملة على الحكمـة ، كان على يد ابن المقفع ، وذلك عندما قام بترجمة كتاب « كليلة ودمنة » . وايضا لم يكن أحد من العرب قد كتب فى الأخلاق ، فعرفهم ابن المقفع الطـريق بكتابيـه « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » ، وان كان مـا فى الكتابين لا يعتبر بحثا فى الأخلاق بالمعنى المفهوم ، ولا يبين حدودها ، ولا يوضح طريقة تربية النشء عليها ، وانما كان تأليفه للكتابين يعد بمثابة نواة انضمت الى غيرها مما انتجته الترجمة للعلوم ، فألف العلماء فى الأخلاق بالبحث الفلسفي مثلما فعل ابن مسكويه .

اما بلاغة ابن المقفع فاننا نستطيع ان نلمس اسبابها ونتائجها بما لا يدع مجالا لشك فى ان نصيبه منها كان عظيما ، وحظه كان وافرا .

فاسباب بلاغته هي نشأته فى « البصرة » وولاؤه لبنى الاهتم ، وتقدم الزمن به الى القرن الثاني الهجرى ، فقد عاش فى شباب العربية،واما نتائجها فتتمثل فى كتبه الباقية الخالدة حتى الآن .

ان بلاغة ابن المقفع من النوع الذى يلتئم مع كل ذوق ، ويروج فى كل جيل ، ومر عليها قرون عديدة وهي ما تزال جديدة يشغف بها الناس على مدى الايام . ولا شك فى أن هناك سرا عظيما تشتمل عليه بلاغة هذا الرجل هو الذى جعلها مستحسنة مع تبدل الرغبات واختلاف الأذواق .

لقد كان موضوع كتابته دقيقا ، فهو حكمة وليس هناك أدق من الحكمة ، ومثل وليس أحوج منه الى حسن الوضع ، ومعان نفسية تخلق خلقا بدون مثال سابق ، فهي من أجل هذا تحتاج الى لفظ يوافقها فى دقتها . وقد كان ابن المقفع يتمهل فى اختيار الفاظه ، ويتأنى فيما ينشىء من عباراته ، لدرجة انه كان كثير توقف القلم ، وعندما سئل عن ذلك أجاب بقوله : « ان الكلام يزدحم فى صدرى فيقف قلمي لتخيره » .

واذا نظرنا فى عباراته نجد الفاظه جاءت وفق المعاني ، ونجد الطبع قد ارخى له عنانه ، فجرى على سننه ، فلا يلوى على سجعة يأتي بها ، ولا يحرص على فقرة يزاوج بها ، ولا يحسن اسلوبه بجناس او طباق ، فهو فى شغل عن كل هذا بتطبيق أصول البلاغة ، ولا يكون ذلك الا بتجلية المعنى ، والاتيان به واضحا لا يحول بينه وبين الفهم حائل .

وقد جاءت آثاره تشهد على انه كان قوى الملكة تام السليقة ، فلم يؤاخذ له على غلطة ، ولم تؤخذ عليه هفوة والهفوات فى الطباع مالوفة ، والعثرات فى الألسنة متوقعة ، خصوصا اذا كانت من مثل ابن المقفع الفارسى الأصل ، الذى تزاحم العربية فى ذهنه لغة آبائه واجداده التي يجيدها ويحكم اصولها . وقد قال عنه الأصمعي : « ما رأيت فيما كتب ابن المقفع لحنا الا فى موضع واحد ، وهو قوله : العلم اكبر من أن يحاط به فخذوا البعض» يريد ان كلمة بعض لا تدخل عليها اداة التعرف « ال » .

مؤلفات ابن المقفع وترجماته

١ ــ الادب الصغير .

٢ ــ الادب الكبير .

٣ ــ رسالة الصحابة .

٤ ــ اليتيمة فى طاعة السلطان .

٥ ــ كليلة ودمنة .

فاما « الادب الصغير والكبير » ــ وهما من تاليفه ــ فقد جمع فيهما كل ما وعاه قلبه من الحكم ، وما استقر في نفسه من كلام الفلاسفة . والحكم الموجودة في « الادب الكبير » اقرب ما تكون الى التبويب ، بخلاف الحكم الموجودة في «الادب الصغير » ، فهو لم يحاول أن يجعل لها نظاما ، واذا أردنا أن نتبين عن أى ثقافة كانا ، فاننا لا نستطيع الا القول بانهما مزيج من ثقافته الفارسية والعربية ، ففيهما حكم فارسية ، وحكم عربية .

أما « رسالة الصحابة » فهى عبارة عن بحث في أمور الدولة ، وما يجب أن يتبع في سياستها الداخلية والخارجية ، وتعد هذه الرسالة بمثابة دستور وضع للدولة العباسية الجديدة ، وانها لتقف جنبا الى جنب مع كتاب « العقد الاجتماعى» لجان جاك روسو ، وكتاب « السياسة » لارسطو وقد كتبها ابن المقفع للمنصور وان لم يصرح باسمه، وهى مترجمة عن الفارسية .

وقد تناول فيها الجند ، فأثنى على الجنود والخراسانيين ، وذكر أمورا في استصلاحهم ودوام طاعتهم ، وتناول أمر القضاء الذى تعددت أحكامه وتناقضت لدرجة أن صار القاضي في جانب من « الكوفة » مثلا يقضي في مسالة بغير ما يقضي به الذى في جانبها الآخر في المسالة ذاتها ، فكل يتبع رأيا وينتهى الى اثر عن النبى او عمل الصحابة ، فاشار على المنصور بأن ترفع اليه القضايا التى يختلف فيها القضاة مدعومة باسبابها ينظر فيها الخليفة ، ويرجع ما يراه ويدون ذلك ويامر بالعمل به ، ومعنى هذا ان يصبح للمسلمين قانون احكام يتبعه القضاة فى جميع أنحاء الدولة الاسلامية ،

وهذا هو الذى انتهت اليه المدنية الحديثة ، وقد اشار به ابن المقفع منذ أكثر من الف سنة .

وتناول اهلَ العراق فاثنى عليهم ثناء فيه تمجيد لهم ، فهو يعتبرهم عمود الدولة وبهم قام صرحها، واتسقت امورها ، ثم يستعطف الخليفة على اهل « الشام » لانهم من رعيته ، ويعتذر عن كراهيتهم للعباسيين .

وان العرب لم توصف في تاريخ الأدب العربى بابلغ واروع مما جاء في وصف ابن المقفع لهم في رسالته ، وقد اعتزت كتب العربية برأيه في العرب، فافرد له ابن عبد ربه فصلا كاملا في كتابه «العقد الفريد » تحت اسم « فضل العرب » .

ثم جاهر ابن المقفع باستيائه من السياسة الجديدة التى اتبعها الخلفاء العباسيون الذين ما جاءوا الى الحكم الا على اكتاف الخراسانيين الفرس ، وكان أجدر به أن يشجعها وهو الفارسي اصلا وثقافة ، ولكنه آثر العدل أينما كان ولو ادى به ذلك الى نتائج عكسية ، افلا يكون في هذا اوضح الأدلة على أن اتهامه بالشعوبية اتهام خاطىء ضعيف متهافت . ان ابن المقفع خدم الأدب العربى خدمة لا تقدر .

اما كتابه الرابع « اليتيمة في طاعة السلطان » فموضوعه طاعة السلطان ، وحملُ الناس على اتباعه ، وقد طبع « الأدب الكبير » يوما باسم « اليتيمة » خطأ ، حتى عثر في كتاب « المنثور والمنظوم » لابن طيفور على اسم هذه الرسالة وجزء منها ، وليس فيه مما في « الأدب الكبير » شيء .

اما كتابه الخامس « كليلة ودمنة » فقد ترجمه من اللغة الفهلوية الى العربية ، وصدّره بمقدمة شرح فيها الغرض من الكتاب ، وما يجب على القارىء أن يستنبطه من حكمته ، ويقال انه زاد في صلب الكتاب عدة فصول تشيع فيها الروح الاسلامية ، كقوله في باب الفحص عن أمر دمنة : « ولان تعذب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم مع الاثم » ، وكقوله : « وقد قالت العلماء : من كتم حجة ميت أخطا حجته يوم القيامة » .

واغلب الظن أن ابن المقفع لم يترجم كتابه « كليلة ودمنة » ترجمة حرفية يكون فيها حريصا على الأصل ، بل انه كان يمزج بين ما يترجمه وبين روح العصر ومزاج المترجَم لهم واعتبار اسلامهم ، فلم يرد في الكتاب شيء عن الوثنية التى يدين بها الهنود ،ولعل هذا هو ما دعا بعض العلماء الى القول بان الكتاب الفه ابن المقفع ولم يترجمه .

وقد اصاب هذا الكتاب شهرة عظيمة ، فنقل الى اغلب اللغات من الترجمة العربية ، بعد فقد الأصل باللغة الفهلوية ، وقد بلغ من عناية الناس به ان نظم عدة مرات ، واول من نظمه ابو سهل الفضل بن نوبخت ، وقد خدم المنصور والمهدى ، ثم أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، فعل هذا باشارة من البرامكة لتعليم أولادهم ، ومن هذا النظم قوله :

هذا كتاب أدب ومحنة
وهو الذى يدعى كليلة ودمنة
فيه احتيالات وفيه رشد
وهو كتاب وضعته الهند

وقد نظمه أيضا آخرون ، ولكن هذه المنظومات فقدت ، وقد عارضه كثيرون ، فالفوا كتبا على نمطه ، بيد أن الذى لا شك فيه أن ابن المقفع كان صاحب السبق في شيوع هذا الأسلوب على ألسنة الشعراء والكتاب ، ذلك الأسلوب الذى يعجب العامة من الناس ، ويلهى الخاصة .

وقد انتشر هذا النوع من الأدب في كل لغات العالم على أثر شيوع الترجمة العربية ، وان كان له أصل فيها ، فالعرب كانت تعرف في قصصها الجاهلية وأمثالها ذلك النوع الذى يجرى على لسان الحيوان ، والغرض منه موعظة الانسان ، ومن أمثالهم في ذلك « في بيته يؤتى الحكم » و « انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » .

هذا هو ابن المقفع ، الرجل المفكر ، والسخى الكريم ، والجرىء الصريح ، والصديق الوفي ، والانسان الكامل ، واحد المفكرين الذين يعجب بهم ويحذى حذوهم في جميع أدوار حياتهم .

■■

محمد رجاء حنفى عبد المتجلى



المقامرة

المقامرة مرض نفسي عصابي..

للمقامرة تاريخ عريق وطريف..

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ أدق مـــن وَصَـــفَ النفس البشريـــة واختلاجاتها، وأروع من كتب عن السلوك الانساني وغرائبه ، هم الادباء والشعراء والحكماء . كانوا « علماء نفس » قبل وجود كيان لعلم النفس . وبين ثنايا القصص ، وفي بطون الكتب ، ومـــع رفيف أجنحة الشعر .. كنوز وامثلة على خفايا النوازع والغرائز والاتجاهات البشرية التي ربما يستند عليها العالم النفساني والطبيب المعاصر لمقارنتها ومساواتها بمثيلاتها من وقائع مرضية تصادفه في مجرى معالجاته الطبية الواقعية ..

وعن المقامرة .. تحدث الكثيرون . الا ان اصدق وابرع من كتب عنها هم المقامرون انفسهم ، خلال اعترافاتهم وبثهم اشجانهم لخلانهم او معالجيهم. قال الشاعر الفرنسي (فرانسوا فيلون) في القرن الخامس عشر الميلادي :

لا أثق الا بما هو غير اكيد ..

فالاشياء الواضحة ، هي بالنسبة لي غامضة ، ولا تريبني الا الحقيقة ..

ولا أستمد معرفتي الا من صدفة عميـــاء ، فاذا ربحت كل شيء.. فسأتقاعد مع الخاسرين.

ولعل هذا ادق وصف لعدم وضوح النتائج امام المقامرين ، بل هو سر انجذابهم الى المقامرة .

ومن عشرات القصص عن المقامرين ، تقفز دائما رائعة ديستوفسكي (المقامر) ـ عام ١٨٦٦ ـ التي هي بالحقيقة تاريخ حياته وحياة كل مريض بالمقامرة . وفي احدى رسائله كتب ديستوفسكي الى صديق له يقول : « .. النقطة الاساسية ، هي اللعبة بحد ذاتها . واقسم بانني لست طامعا في مال ، على الرغم من حاجتي اليه ..» . وهذا يفسر رعشات المتعة والاثارة والنشوة في « لعبة » المقامرة بغض النظر عن الربح والخسارة .

المقامرة سلوك ضار

المقامرة مفتاح لكل الشرور .. هي التي تحرق اعصاب الشخصية الانسانية.. هي التي تنتزع

الإنسان ، هو الحيوان الوحيد الذي يقامر..

الفرد من حظيرة عائلته ومجتمعه السليم .. وتشجعه على الاستدانة وعلى الاختلاس أو التزوير، وربما الادمان أيضا . وفوق كل ذلك ، فهي تهدد اقتصاديات البلد . ولذلك كانت المقامرة موضع اهتمام الكثير من الملتزمين الاجتماعيين والفلاسفة وعلماء النفس . قال شوبنهور : « ان المقامرة اعلان افلاس الذكاء البشرى » . وقال فاوست : « تظن أنك المؤثر .. بينما أنت المدفوع ! .. »

وفي ١٥ آذار الفائت لهذه السنة (١٩٦٩) عقد في لندن مؤتمر عن المقامرة برعاية (مجلس الكنائس). وضم المؤتمر كل من عالج أو ساعد أو نصح أو أرشد المرضى المصابين بالمقامرة . وهكذا كان بين المؤتمرين مجموعة من علماء النفس والاجتماع والباحثات الاجتماعيات Social Workers والأطباء ، والمراقبين القانونيين للمحاكم Probation Officers ، وكذلك ضباط السجون Prison Officers . وخرج المؤتمر بقرارات مفيدة جدا . وكان انعقاد المؤتمر دليلا على خطورة هذا السلوك البشرى وازدياده ، وعلى آثاره الهدامة للأسرة وللأخلاق واقتصاديات المجتمع وانتاجه . وليس أدل على ذلك مما تورده الاحصائيات المتفرقة عن المقامرة .

ففي سنة ١٩٦٠ ، بلغ مجموع ما استعمل من مبالغ في عمليات القمار في انكلترة فقط ٥٠ الف مليون دولار ، وبلغ عدد الذين يقامرون ــ ولو مرة في حياتهم ــ من سكان بريطانيا الذين بلغوا سن الرشد ٤٨٪ من مجموع السكان ! . والذى روّع رجال الاقتصاد أيضا والاجتماع ، ما لمسوه من النقص الشديد في عدد النساء العاملات ، اذ أن قسما كبيرا منهن يعملن في مصالح ومؤسسات القمار بدل المصالح والمؤسسات المفيدة الأخرى كالمستشفيات أو المصانع . وما ينفق على جهاز المقامرة من اعلانات وطبع وأجور يستنفد حوالى ٦٥ مليون جنيه من الدخل القومى في انكلترة .

وفي تقرير لسنة ١٩٥٩ (صادر عن مجلس الكنائس أيضا) ، كانت مصاريف المقامرة على سباقات الخيل ٣٦٥ مليون جنيه ، وسباقات الكلاب ١٢٤ مليون جنيه وكرة القدم ٩٨ مليون جنيه ، ومتفرقات أخرى ٧ ملايين جنيه .

اما مطبوعات جهاز المقامرة فتحتل مساحات من الصحف والبطاقات والنشرات تقدر بخمسمائة فدان في الاسبوع الواحد ! وفي كل اسبوع ، يطبع ما يزيد على ١٢ مليون كوبون أو قسيمة توزع من قبل آلاف الافراد ، بالاضافة الى أعمال جهاز البريد الرسمى، والخسارة والتبذير في الأحاديث التلفونية وفي مراكز النقل والميكانيك .

للمقامرة تاريخ طريف وعريق

واذا كانت المدنية الحاضرة قد جعلت من المقامرة ممارسة جماهيرية شاملة وزودتها بوسائل تكنولوجية خلابة وسريعة العمل .. فانها كسلوك بشرى عريقة في القدم . والحفريات المتوالية والآثار المتوفرة الى الآن تدل على وجود المقامرة في أعماق التاريخ وفي مختلف الحضارات العريقة: قطعة (نرد) وجدت في أحد قبور الفراعنة المصريين يعود تاريخها الى ٣ آلاف سنة قبل الميلاد ! .. ولوحة العاب على شكل درجة أو (عتبة) في (الاكروبوليس) في أثينا .. وآثار رومانية متعددة.

ويذكر المؤرخون الموثوق بهم حكايات طريفة ومذهلة عن المقامرة . فالمؤرخ تاسيتوس Tacitus



مثلا يذكر أن قبائل الجرمان الاوائل كانوا يراهنون على زوجاتهم واطفالهم ، وحتى على انفسهم .. والخسارة تؤدى بهم الى الرق والعبودية .. وكذلك تفعل بعض القبائل الافريقية مثل الزونى Zuni والزولو Zolu ووجد القمار في الفرس القديمة والهند واليونان . ولعبة النرد قديمة جدا ، يؤرخها هيرودوتس منذ أيام (الليديين) .ووجدت في انكلترة بعد احتلال الرومان لها . وقيل ان الامبراطور الصينى (ياو) Yao ابتكر العاب الحظ منذ الفين ومائة سنة قبل الميلاد . وراهن صينى قديم على يده ، فلما خسر قطعها ! .

وفي (المهابهراتا) Mahabharata التي هي اعظم سيرة سنسكريتية في بدنا ، يمكن العثور على حكاية الملك الطيب (يودشتير) الذى لعب القمار مع الملك الخبيث (ساكونى) ، وهو الخبير في استعمال النرد المغشوش . ثم تروى الحكاية كيف بدا الملك الطيب يخسر الجولة بعد الاخرى .. الى أن افرغ خزائنه من الذهب والياقوت .. والى ان خسر الخيول والفيلة والمركبات والعبيد .. ثم كيف راهن على اخوته وعلى زوجته الملكة الفاتنة (دوربادى) فخسرهم جميعا .. واخيرا راهن على نفسه .. وخسر كل شيء !!

وكان القمار موجودا في اليونان ، ولم يعتبر « ممارسة محترمة » .. حتى أن ارسطو في كتابه (الاخلاق) صنف المقامرين فى طبقة اللصوص وقطاع الطرق .

وظهرت موجات وبائية من المقامرة ، كما حدث في منطقة المسيسيبى من امريكا ايام الاقتصادى (جون لو) John Law عام ١٨١٧ م ، وفي الحى الغربى (الوست اند) West End من لندن في القرن التاسع عشر الذى غص ببيوت القمار .

ومن طرائف المقامرة في الايام الغابرة ، المراهنة على سباق الحلزون Snail على مائدة صقيلة !. وقيل ان مقاطعة كورنول Cornwal في انكلترة وصلت الى مالكيها الحاليين عن طريق تلك المراهنة .. اذ حاول المالك الاولى ان يحفز حلزونه على الجرى بوخزه بالدبوس .. الا ان « مزاج » الحلزون آنذاك لم يستجب للوخز واستمر يزحف الهوينا دون اكتراث .. وتمت الخسارة !.

للمقامرة ركائز بدائية

وتاريخ المقامرة القديم ، مع العوامل النفسية التي تصاحبها ، تشير الى ان المقامرة ليست سلوكا بسيطا معزولا « نقيا » . واكثر ما ترتبط المقامرة في المجتمعات البدائية بالسحر والارواح الشريرة والرعب والخوف من المجهول والاعتقاد بالقوى الخارقة وبما وراء الطبيعة . وهكذا اصبح الشعور بالضياع والغربة دافعا لمعرفة البخت وقراءة المستقبل والحظ ، والى تقديم القرابين للالهة الوثنية .

فالمقامرة وسيلة بشرية للتحكم في المجهول وتحدى الشكوك ، وتلك هى نظرية السير ادوارد تيلور E. Tylor فقبائل الماورى Maoris تمارس القرعة ، وقبائل البولونيز Polynesians يدورون الجوز لاكتشاف اللصوص بين ظهرانيهم. وفي جزائر تورجا Torga يدورون جوز الهند لمعرفة هل سيشفى المريض الفلاني ام لا اذا مالت الجوزة ناحية أو اخرى . اى ان تلك الالعاب البدائية قد استخدمت للعرافة واستكشاف المجهول ، فاصبحت الخطوة الاولى للمقامرة ايضا، لأن نتائج المقامرة مجهولة وغامضة ومثيرة .

وهكذا نجد الى ايامنا هذه ان ورق اللعب (الكوتشينة) يستعمل لقراءة البخت كما يستعمل في مختلف العاب القمار . ان خلط الورق يوحى للفرد المعاصر بالفكرة البدائية المتوارثة ـ بانها تتم بأمر او بفعل قوى غير طبيعية تتحكم في النتائج. والسباق والمواجهة بين المقامرين ليس مجرد صراع قوى عمياء ، بل هو صراع بين الاقدار التي يتعلقون ويؤمنون بها . فالمقامرة حلم بالسيطرة على المستقبل ، وهو حلم بدائي ..

ومن طريف الافكار البدائية المتعلقة بالمقامرة وسحرها ، انها استعملت كعلاج للمرض العقلي الذي أصيب به الملك شارلس السادس ملك فرنسا عام ١٣٩٢ م .

والمقامرة على انواع ثلاثة :

١ ـ الالعاب التي تعتمد على مجرى الصدف البحتة ، كلعبة الروليت والنرد .

٢ ـ الالعاب التي تجمع بين الصدف ومجهود من الحذق والخبرة والحدس وقابلية الخدعة (البلوف) Bluff ، ومنها العاب الورق من بوكر وبريدج وسباق الخيل .

٢ ـ الالعاب التى تعتمد على التفكير العميق ، كالشطرنج . ويصر بعض الباحثين أن الشطرنج لا يخلو من صدف وحظوظ دقيقة غير منظورة .

العوامل النفسية للمقامرة

كل انسان يمكن أن يقامر يوما ما ولا يعد مقامرا بالمعنى الحقيقى للمقامرة . فقد يشترى انسان بطاقة يانصيب خيرية ، وقد يربح او يخسر ، لكنه مقامر عابر او مقامر محسن .وكل انسان يمكن ان يشترك فى لعبة وقتية للتسلية وقضاء الوقت . اما المقامرة الحقيقية فتتضمن عنصر المخاطرة والأمل بالربح من خلال عملية تتحكم فيها الصدفة او التلقائية أو شيء من الخبرة والقوانين الحسابية . وهذا لا ينطبق على الصفقات التجارية وعمليات البيع والشراء التي يمارسها ملايين الناس لان الربح او الخسارة نتائج طبيعية لها .

اما المقامر القهرى Compulsive Gambler ـ اى الذى يندفع الى المقامرة اندفاعا قهريا جنونيا ـ والمقامر المريض Sick Gambler والمقامر المعضلة Problem Gambler فهو بالحقيقة انسان مريض بالعصاب Neurosis وهو انسان يعيش اللعبة واثارتها، ويحارب الشك والغموض بالأمل الابدى بالربح . فالمقامر يشعر بما يشبه اليقين انه سيربح ، فاذا خسر مرة ، فامامه جولات ومناسبات ..

والمقامر المريض يتوق الى الانتحار البطيء عن طريق المقامرة . ومحاولات الانتحار بـ « اللعبة » الخطرة « الروليت الروسية » هي مقامرة مع الموت عن طريق استخدام آلة الموت،هي المسدس.

والمقامر ، كالمدمن على الخمر .. يؤكد ذاته بالهزيمة من الواقع على مائدة القمار . وهو يشعر بذكائه وحذقه ايضا ، وبقدرته على الربح ، وبان الحياة باجمعها مجرد مقامرة ! ، فهو كالمدمن ايضا يتوق الى الانتحار البطيء .

والمقامر ثائر ومنتقم .. ، يثار من اعدائه ـ الوهميين او الحقيقيين ـ بتحديهم في القمار . فالربح يجعله عظيما ، والخسارة تؤذى اعداءه . ويقول علماء النفس ان المقامر يضمر العداء لوالديه ، وهو يقامر تحديا لسلطتهم واذلالاً لمعنويتهم . وهذا السلوك يرجعه الى الشعور بالقدرة الجبارة الطفولية Infantile Omninotence او بجنون السيطرة على كل من يقف في سبيله .

ويفسر بيرجلر Bergler اصرار المقامر القهرى على اللعب بانه اندفاع لا شعورى نحو الخسارة. انه يقامر ليربح في وعيه، بينما هو يتمنى الخسارة في « لا شعوره » . والخسارة اللا شعورية هي سلاحه لتحطيم ذاته (انتحار بطيء) ، او تاكيد ذاته (بالرفض والتحدى لسلطة الوالدين أو من يمثلهما اثناء الطفولة) .

والمقامر العصابي لا يريد اكتناز المال ، انه بالحقيقة يتمتع بنشوة اللعب .. ، ويريد ان يخسر لا شعوريا ، وهو يخسر بالفعل في نهاية المطاف . وهذا هو عنصر الماسوشية Masochism في المقامرة ـ اى الاستئناس بالأذى والالم ـ . والمقامر يتعامل مع الصدف ، ويهوى اللعبة قبل المثل او الحب او اية هواية مجدية اخرى . فالمقامر اذن متفائل ظاهريا ، ولا يتعظ بالخسارة لانه يحب الخسارة باطنيا ، وخسارته اليوم أو ربحه لا تعني لديه اى شيء : فهناك الغد .. وبعد الغد . كان احد المرضى بالمقامرة يراجع طبيبه النفساني ثلاث مرات بالاسبوع للعلاج . ورأى مرة اثنين من المسافرين يقامران فى عربة القطار . وكان احدهما يغش في اللعب ويربح . وعلى الرغم من تاكد صاحبنا من ذلك ، فقد أغراه اللعب واستأسد فيه الداء فلعب مع الغشاش ذاته .. وخسر بالطبع ! .

وعلى هذا الاساس ، لا يتوقف المقامر اذا ربح، وهو البرهان على ان المقامر لا يمكن ان يصبح ثريا عن طريق القمار . ويقول بهذا الصدد مدير كازينو فرنسي شهير للمقامرة : « لولا استمرار المقامر على اللعب ، لما ربحنا نحن اى شيء ، اذ ان ربحنا نستمده من عدم توقفه عن اللعب سواء ربح ام خسر .. » .

والمقامر يشعر بالاثم الشعورى او اللاشعورى. واستمراره على الخسارة او تحطيم الذات هو جزاء شعوره بالخطيئة وعقاب لميوله العدوانية . وهكذا ، فالمقامر يجمع بين اللذة والالم ، بل هو يبحث عنهما فى اللعبة ، واثارة اللعبة ونتائجها هي مزيج من الاثنين : اللذة .. والالم وجهان للمرض أو لثنائيته .

والمقامر ثائر على والديه اذا كان من الاطفال المهملين المكروهين ، أو هو ثائر على «الاقدار » حتى لو كانت ثورته بحجم عاصفة في فنجان . لكنه يتحدى القدر لا شعوريا ، او كما يعترف مقامر ديستوفسكي : « .. كانت رغبتي الغريبة ان

اتحدى القدر .. ان اوجه لطمة على انف القدر ، وابرز له لساني استهزاء ! » .

واخيرا ، فالمقامرة ليست مهنة .. ، انها مرض نفسي خطير . ان درجة « الادمان » على المقامرة ترويها لنا قصة قديمة للكاتب هوفمان في سنة ١٨١٩ أسماها (حظوظ المقامر) : كان احد المدمنين على المقامرة قد تركها بعد جهد جهيد . الا انه عندما قارب الموت ، واثناء زيارة القسيس له قبل مماته.. ، كان اقرباؤه يلحظون باستغراب تلك الحركات اللا ارادية التى يقوم بها وهو في حشرجة الموت ، وكانت بالحقيقة حركات توزيع ورق القمار على المائدة مصحوبة بتمتمة من اصطلاحات وتعابير اللعب !! .

قوانين المقامرة

منذ ان ادرك الانسان مخاطر المقامرة وضع لها القوانين التى تضبطها . وارتبط القمار بالشرف والكانة . فالذى يخسر ، عليه ان يدفع « دين الشرف » ، ومن لا يستطيع الدفع او التعويض ، فقد اجاز له القانون البروسي ــ مثلا ــ ان ينتحر ! .

والمفروض في القانون ان يحمي صحة المجتمع العقلية والاقتصادية ، والقانون المثالي هو الذى يحقق تلك الحماية ويجعل الالعاب المعروفة مجردة عن عنصر المقامرة والاجرام وذلك بالتحكم بالارباح ، ويجعل الالعاب تتم في وسط محترم ، ويجردها من الجشع والاستغلال من قبل المحتكرين.

ونرى المحاولات الاصلاحية منذ القدم في بعض قوانين المقامرة . ففي انكلترة ، لم يسمح هنرى الرابع بالمقامرة بالورق الا في ايام عيد الميلاد ، ولم يسمح بخسارة تزيد على جنيه واحد ، ولم يسمح للناس العاديين بالمقامرة اذا كانوا اقل درجة من الفرسان ! .

وتمنع القوانين الحديثة المقامرة قبل بلوغ سن الثامنة عشرة . والحقيقة ان الاطفال قلما يقامرون قبل بلوغهم سن البلوغ . وتخاطر النساء باقل كمية من المال . اما الفتيات فيفعلن ذلك بعد الزواج .

والمقامرون اصناف ..

المقامرون اصناف طالما ان كل انسان يمكن ان يقامر يوما ما في حياته :

١ ــ المقامر العصابي المريض ، وهو المقامر القهرى ، والمعضلة ، الذى شرحنا تفاصيل انفعالاته وميوله الشعورية واللاشعورية .

٢ ــ المقامر العرضي : الذى لا يمارس المقامرة الا عرضا للتسلية او قتل الفراغ ، ثم يرجع الى اعماله الجدية السابقة .

٣ ــ المقامر المحترف ، Professional Gambler ، وهو الذى يتجنب المخاطرة لانه يريد الربح لا المتعة . يرتزق من المقامرين ويستغل المقامرة . ومن هؤلاء اصحاب ملاعب القمار ، وبياعو بطاقات اليانصيب ، والمتسكعون في ميادين السباق ، واصحاب مشاريع اليانصيبات الخ .

علاج المقامرة

وعلاج داء المقامرة ليس من الامور اليسيرة . وهو يتطلب تدخل القانون الذى يجب ان يحيل المقامرة الى لعبة بريئة مجردة عن الربح واستغلال المحتكرين ، كما ذكرنا ــ وهذا من واجبات الدولة بالطبع .

ويأتي دور الهيئات والمؤسسات الاجتماعية الاصلاحية التي تقوم بادوار التوعية والاعلان ضد المقامرة ، مع ابداء المعونة والعطف « للمقامرين التائبين » . ولذلك تشكلت جمعيات غير علنية للمقامرين Gamt ler Anonymous او (G.A.) اختصارا ، تضم الاعضاء المقامرين التائبين وتشعرهم بروح الجماعة الهادفة للخير ، وتهيىء لهم الاجتماعات والحفلات الهادفة والمسلية ، وتحارب فيهم الملل والخواء ، وذلك على غرار خطة جمعية التائبين عن ادمان الكحول والمخدرات غير العلنية ايضا Alcoholic Anonymons او (A.A.) اختصاراً .

كذلك يقوم علم النفس الحديث بمعالجة المقامرين المصابين والقهريين باحدى العلاجات النفسية الدارجة ، وهي

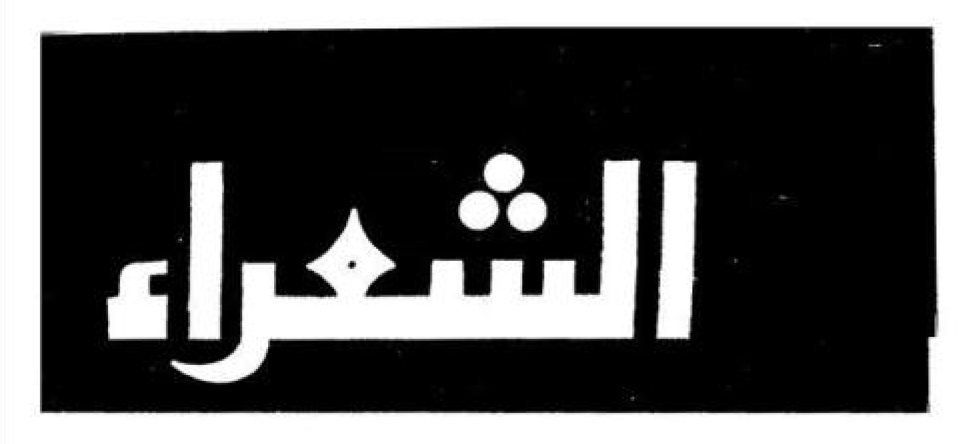
أ ــ التحليل النفسي الفردي للمصاب الواحد Individual Psychotherapy

ب ــ التحليل والعلاج النفسي الجماعي لجماعة من المقامرين Group Psychotherapy

ج ــ العلاج السلوكي التنفيرى Aversion Behaviour Therapy ، اى « بتعليم » المصاب بالمقامرة ان « ينفر » ويكره المقامرة بوسائل نفسية خاصة .

■■

دكتور فخري الدباغ



بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس

■ لقب خلعه بعض الدارسين للأدب على أحد بحور الشعر ، بل غلبت الفكاهة على هـؤلاء الدارسين فلقبوه أيضا بحمار الشعر . ولم يكن ذلك انتقاصا من قدر هذا البحر ، أو حطا من شأنه ، ولكن لاعتقادهم أن جميع الشعراء وفي كل العصور قد اكثروا النظم منه ، واصطنعوه في كل الأغراض . وكذلك لاعتقادهم فيما يبدو أنه أصل الأوزان أو أقدمها . فهم حين يتحدثون عن نشأة الشعر العربي ينسبون هذه النشأة الى وقع الخطا للابل فوق رمال الصحراء. وبذلك يوثقون الصلة بين حداء الابل وهذا الوزن الشعري . فيقول جورج زيدان مثلا في كتابه آداب اللغة العربية عن هذا الوزن (انه يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهوَينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكان العرب يحدونها به اذا أرادوا سيرها وئيدا ، وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته فيحدوها بأبيات منه).

أنواع الرجز متعددة

ذلك هو البحر الذي سماه الخليل بالرجز . وقد كثر حديث أهل العَروض عن الأنواع المتعددة التي يكون عليها في تفاعيله وقوافيه. فهو تام مرة ومجزوء مرة أخرى ، وهو مشطور أو منهوك أو مزدوج ، الى غير ذلك مما سنعرض له فيما بعد . كذلك يرى أهل العروض ان المولدين قد استحدثوا في وزن الرجز اشكالا لم يطرقها العرب القدماء . وجاء في حاشية الدمنهوري أن توسع المولدين في هذا الوزن انما كان (اعتمادا على كثرة توسع العرب فيه . قال ابن بري وغيره : للعرب تصرف واتساع في الرجز لكثرته في كلامهم ولسهولته) .

ويقول السيد توفيق البكري في مقدمة كتابه أراجيز العرب ما نصه : (الرجز بحر من بحور الشعر معروف . وتسمى قصائده الأراجيز ، واحدها أرجوزة . ويسمى قائله راجزا . وانما سمي الرجز رجزا لأنه تتوالى فيه حركة وسكون يشبه بالرَّجَز في رجْل الناقة ورعدتها ، وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن ويقال لها حينئذ رجْزاء) .

ويذكر مؤرخو الأدب أن الكلام قد يجيء على وزن الرجز دون عمد أو قصد انما بمحض المصادفة، ومن هذا ما جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حنين اذ قال :

أنا النبي لا كـذبْ
أنا ابن عبد المطلبْ

كما يذكرون أن الرجز كان ديوان العرب في الجاهلية والاسلام ، وأنه كان خزانة أنسابهم ومعدن فصاحتهم وموطن الغريب من كلامهم ، وأن الأئمة من السلف قد حرصوا عليه واعتنوا بـه حفظا وتدوينا .

ما وجدناه قليل

ومع هذا ، حين رجعنا الى ما رُوي من أمثلة الرجز في شعر القدماء وجدنا أنه يمثل نسبة ضئيلة من الشعر بالقياس الى بحر كالطويل أو البسيط أو الكامل . أما في العصر الجاهلي فلا نكاد نعثر على شيء ذي بال من أراجيزه . فأين

تلك العناية بروايته وتدوينه كما يحدثنا مؤرخو الأدب ؟ ثم لما كان عهد الأمويين اشتهر بالرجز قوم أطالوا في قصائده أمثال : أبى النجم ، وذى الرمة، والعجاج ، ورؤبة ، وسُمّوا بالرُّجاز . وكان شعراء ذلك العهد يرون هؤلاء الرجاز أحط منهم منزلة وأدنى قدرا ، بل كان هؤلاء الشعراء يترفعون عن تقليد هؤلاء الرجاز ويسْمُون بشعرهم الى ما فوق الرجز وأصحابه . فاذا تتبعنا أشعار الشعراء في عصور اللغة بعد ذلك رأينا أن ما نظم منها من بحر الرجز يمثل نسبة ضئيلة لا تتناسب وشهرته في الأدب العربى .

الرجز يمثل الأدب الشعبى

ولا شك أن الجاهليين قد نظموا من الرجز مقطوعات قصيرة شاعت حينئذ بين الناس وتناقلتها الألسن ، غير أنها لم تدوّن فيما بعد ، أو لم يرها الرواة مما يستحق أن يدوّن أو يتأدب به . وذلك لأنها تمثل الأدب الشعبى عند الجاهليين . أى أن الرجز كان القالب الذى آثره القدماء للآداب الشعبية أو أدب القبيلة . وربما كان موقف الرجز من الأدب الجاهلى أشبه بموقف الزجل في الآداب الحديثة . وأغلب الظن أن أراجيز الجاهلية كانت تشتمل على الصفات المحلية للهجات العرب ، تلك الصفات الصوتية التى فرقت اللهجات ، فجعلت المرء يستمتع بأراجيز قبيلته ولا يكاد يستسيغ غيرها من أراجيز القبائل الأخرى . فالأراجيز في العصر الجاهلى كانت تمثل الأدب الشعبى المحلى أبدع تمثيل ، وتصور حياة القبيلة وأصحاب اللهجة الواحدة خير تصوير .

ولما كان عهد تدوين النصوص اللغوية في العصور الاسلامية تبين أن معظم أراجيز الجاهليين قد اندثرت بموت أصحابها ، وأن ما بقى منها في ذاكرة بعض الناس كان قدرا ضئيلا . ومع هذا تحرج الرواة من رواية هذا القدر ، بل لم يروه مما يستحق أن يروى قانعين بنصوص تلك الآداب السامية الراقية التى اصطنعت فيها اللغة النموذجية المشتركة .

رُجّاز العصر الأموى

على أن رجاز العصر الأموى قد حاولوا أن ينهضوا بقدر الرجز ومكانته ، وأن يجعلوا منه منافسا لأوزان الشعر الأخرى ، فنظموا منه القصائد الطوال وشحنوها بالغريب الحوشي مما ربما اقتصر استعماله على قبيلة معينة ولا تكاد تعرفه سائر القبائل ، أو مما اخترعوه من ألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان ارضاء لبعض أولئك الرواة الذين كانوا يتلقفون الكلمات الجديدة الغريبة من أفواههم كأنما هى قطع من الماس أو الجوهر . ولكن أراجيز العصر الأموى على كثرتها وطولها لم تستطع أن تغرى الشعراء الذين جاءوا بعد هذا في عصور العباسيين وغيرها ، بنظم الرجز أو الاكثار منه . وظل وزن الرجز في العصور المتأخرة مهملا لا يلجأ اليه الشاعر الا في النادر من الأحيان ، وظلت نسبته في الشعر ضئيلة الى أن استعاد بعضا من المكانة في عهود الموشحات والأزجال . وقد وجده بعض الشعراء المحدثين أليق بمسرحياتهم الشعرية فاكثروا منه كثرة نسبية .

لا دليل على أنه أقدم الأوزان

أما قول بعض مؤرخى الأدب العربى ان الرجز أقدم الأوزان فليس هناك ما يؤيد هذا الزعم ، بل ان النظر في مقاطع هذا الوزن ومقارنتها بمقاطع بحر كالكامل مثلا تجعلنا نرجح أن الكامل قد سبق الرجز في الوجود . وليس ببعيد أن الرجز تطورٌ لبحر الكامل . ذلك لأن المقاطع العربية بوجه عام قد تطورت من النوع القصير المتحرك الذى يسميه الصوتيون بالمقاطع المفتوحة ، الى النوع المتوسط الساكن أى المقاطع المغلقة . ولذلك يقل حتى في الكلام المنثور توالى المقاطع القصيرة المتحركة . وكلنا نعلم أن تفعيلة بحر الكامل « متفاعلن » تتحوّل في كثير من الأحيان الى « مستفعلن » التى هى تفعيلة الرجز . هذا الى ان الرجز بوصفه وزنا شعريا قد تلاءم مع لهجات الكلام الخالية من الاعراب والتى فيها تسكن أواخر الكلمات ، فوزنت به الأزجال ، ولا شك أن فقد الاعراب من أواخر الكلمات في لهجات الخطاب ظاهرة حديثة . فاذا كان من الضرورى الاشارة الى أسبقية بعض بحور الشعر أو الى حداثة البعض الآخر ، قررنا ونحن مطمئنون أن تلك التى تكثر فيها المقاطع القصيرة المتحركة هى أقدم البحور . ولكن البحث في قدم البحور أو حداثتها نسبيا يتطلب نصوصا شعرية متوغلة في القدم ترجع مثلا الى ما قبل العصر الجاهلى بعدة قرون ، وهو مالا سبيل اليه .

الرجز الأموي والعباسي وما بعد ذلك

وقد تميزت اراجيز الامويين في اكثر حالاتها بالتزام قافية واحدة في كل اشطرها مما يجعل كل شطر اشبه بالبيت . وهذا النظام هو الذى سماه اهل العروض بالمشطور حين يكون من الرجز التام ، وبالمنهوك حين يكون من مجزوء الرجز . اى ان الوحدة في المشطور هى نصف بيت من الرجز التام ، والوحدة في المنهوك هى نصف بيت من مجزوء الرجز . اما شعراء العباسيين فمع انهم لم يهجروا طريقة الرُجاز الامويين ، قد بدأوا في العصر العباسي نظم الرجز على النحو المألوف في البحور الأخرى ، وذلك بأن تنتهى الأبيات لا الأشطر بقافية واحدة .

ونظم بعض المولدين الرجز بطريقة ثالثة سميت بالمزدوج وذلك بان التزموا قافية واحدة في شطرى البيت ، وغيروا القافية مع كل بيت تيسيرا على انفسهم ، او فرارا من التزام قافية واحدة في كل الابيات .

نماذج من الحديث

دعنا بعد الذى تقدم نلتمس من الشعر الحديث نماذج توضح تلك الحالات التى اشرنا اليها آنفا .
يقول شوقى على نسق الأراجيز الأموية تحت عنوان « توت عنخ امون والبرلمان » :

قمْ سابقِ الساعةَ واسبقْ وعدَها
الأرضُ ضاقت عنك فاصدعْ غمدَها
واملأْ رماحا غورها ونجدها
وافتح اصول النيل واستردَّها

★ ★ ★

الى ان يقول مشيرا الى توت عنخ امون وخروجه من قبره ، وما وجد عليه حالة مصر :

سافرَ اربعين قرنا عدَّها
حتى اتى الدار فألفى عندَها
انجلترا وجيشها ولوردَها
مسلولة الهندى تحمى هندَها
قامت على السودان تبنى سدَّها
وركزتْ دون القناة بندها

★ ★ ★

فهذه الأبيات مما يسمى بمشطور الرجز الذى وحدته نصف بيت من الرجز التام وقد التزمت قافية واحدة في كل اشطره ، فكأن كل شطر بيت مستقل .

ومن امثلة الرجز المنهوك وهو الذى وحدته نصف بيتمن مجزوء الرجز قول شوقى في مسرحية مجنون ليلى على لسان الجنّ :

هذا الأصيل كالذهبْ
يسيل بالمراى عجبْ
على الوهاد والكثبْ
الرقص يبعث الطربْ
هلمَّ يا جنَّ العربْ

★ ★ ★

ومن الرجز الحديث الذى يسمى بالمزدوج قول صاحب ديوان « صرخة في واد » تحت عنوان « عابس » :

يا لصباحٍ حائلِ الأديمِ
قد طعن الربيع في الصميمِ
امطاره قد شوَّهت آذاره
وريحه قد صوَّحت أزهارهْ
فقلتُ هل ضلَّ صباح اليوم
ام اغرقتْ شمس الضحى في النوم
ويحك يايتها الشمس اطلعى
يا ارض غيضي يا سماء اقلعى

اما الرجز الذى نظم من حيث القافية كالبحور الاخرى فقد روى منه قدر قليل في معظم عصور اللغة ، غير انا نلحظ فيما وقفنا عليه من شعر العباسيين أن الشاعر « مهيار الديلمى » وحده قد شغف بهذا الوزن واكثر من النظم منه فقد جاء ما يقرب من خمس شعره منظوما من بحر الرجز في الأجزاء الاربعة من ديوانه مثل قوله في قصيدة مطلعها :

ايقظنى للبرق وهو نائمْ
جهالةٌ ، والعربىُّ حازمْ

★ ★ ★

وحاجتى الى الزمان صاحبٌ
مساعد وقدرٌ مسالمْ
اكلُّ من كاشرنى(١) بوجهه
بشرا فوجهُ قلبه مُجاهمٌ(٢)
ما اغضب الناسَ علىَّ ؟! هل سوى
انى بدنياهم خبيرٌ عالمْ

■■

ابراهيم أنيس

---

(١) ضحك في وجهى .
(٢) مقطب متجهم .

تابع للمواصلات الحربية الامريكية يدور حول الارض

● انه ذلك القمر الاصطناعي الكبير الذى اطلقته الولايات المتحدة فى التاسع من فبراير عام ١٩٦٩ ليدور حول الارض ، وليصل بالاخبار والأوامر بين القواد القائمين فى حقول الحرب القائمة او التي تقوم ، وبين السفن والطائرات التابعة للدفاع . وقد اطلقته الولايات ليستقر حيثهو من مداره حول الأرض، بحيث يبقى فوق المحيط الهادى .

ويؤخذ من وضعه هذا أن له علاقة بالحرب القائمة فى فتنام .

وهذا التابع يستطيع أن يجرى عبره ١٠٫٠٠٠ محادثة تلفونية فى وقت واحد . وقد اقيم ليخدم ٣ جهات : السلاح الجوى ، والجيش ، والبحرية .

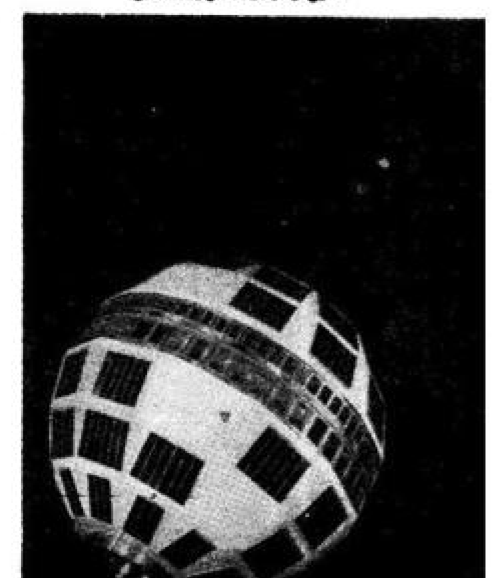
وقد سبق ان ارسلت الولايات ، قبل ارسال هذا التابع بثلاثة أيام ، تابعا للمواصلات اصغر هو الأول فى السلسلة Intelsat 3 ، ولكن لأغراض مدنية . وكفايته من حيث استطاعة نقل الأحاديث التلفونية تبلغ نحو ثمن كفاية التابع الحربي المذكور ، فهو يستطيع ان يقوم بوصل ١٢٠٠ مكالمة مزدوجة ، أو ٤ برامج تلفازية ، ووزنه أقل من نصف وزن هذا التابع .

ولا بأس أن نزيد فنقول ان التى تقوم على ادارة هذا التابع المدني للمواصلات هي الرابطة الدولية لتوابع المواصلات International Telecommunication Satellite Communication .

وتتألف من ٩٣ دولة . وهذا التابع يدور مع الأرض ، وسرعته تأذنله بالبقاء فوق المحيط الهادى . وهو يخدم الولايات المتحدة ، وهاواى ، وتيلاند ، واستراليا ، واليابان والفلبين .

وهناك سلسلة رابعة من توابع المواصلات تعرف باسم Intelsat 4 قدروا الآن ان يبدأ اطلاقها فى عام ١٩٧٠، على أن يكون مجموع ما تعالجه السلسلة ٤٢٠٠ حديث تليفوني في وقت واحد .

احد الاقمار الاصطناعية للمواصلات اللاسلكية لا يزال يدور حول الارض



ثورة فى صناعة الاقمشة

● صناعة الأقمشة ، سواء منها اليدوية القديمة ، او المكنية المستحدثة : تعتمد على شيئين ، الغزل ثم النسيج . فألياف القطن او الصوف ونحوهما ، تغزل أولا لتكون خيوطا ، ثم تنسج هذه الخيوط لتكون قماشا .

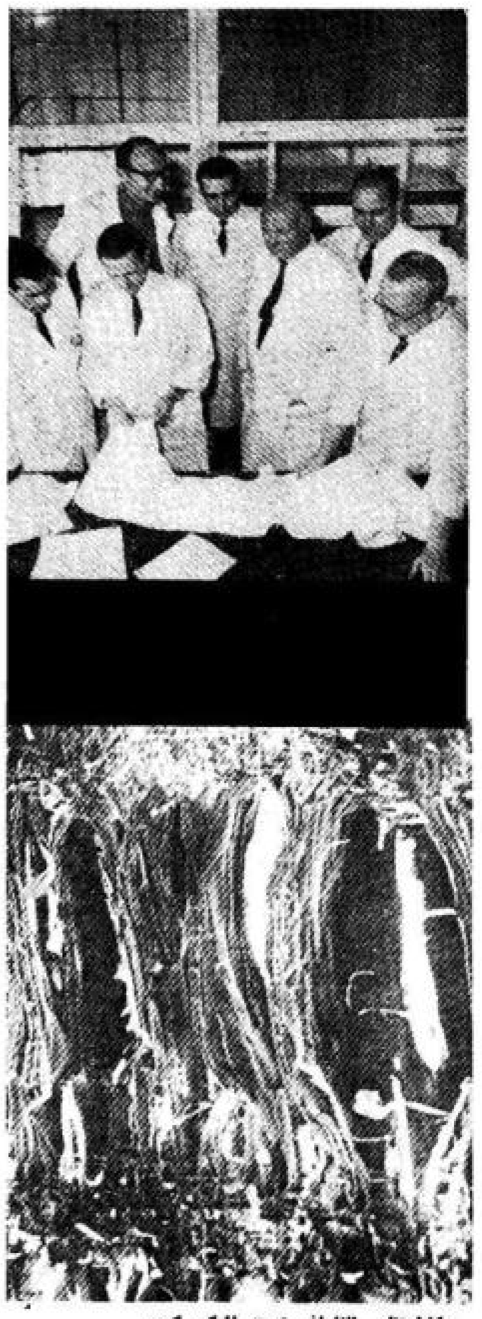
ثم دخلت على صناعة الاقمشة الخيوط الاصطناعية ، التي تصنع من الخامات الكيماوية ، لا التى تأتى من الزراعة او ظهور الحيوانات . ورويدا رويدا بدات هذه الخيوط الاصطناعية تحل محل الخيوط الطبيعية .

وزاد في نجاحها أنها خيوط رخيصة . مثال ذلك أن نوعا من النيلون (الكبرولكتام Caprolactam) يتكلف الرطل الخام منه ٢٠ سنتيما ، ولكنه بعد الغزل والنسج يصبح ثمن بيعه في السوق ٣٫٧٥ دولار للقماش الذى وزنه رطل واحد . فرق كبير هو ثمن الصناعة .

واليوم يهدد صناعة النسيج شيء جديد ، قد يدخل الى هذه الصناعة رويدا رويدا ، كما دخلت الألياف الاصطناعية ، حتى لم يكد يحس بها الناس حتى صارت حقيقة واقعة .

اما هذا الشيء الجديد فليس العامل الأول فيه ابتداع الياف صناعية جديدة ، ولكن الاستغناء عن عملية الغزل وعملية النسج اللتين ترفعان من تكلفة القماش بالمقدار الذى رأينا في المثل الذى ضربنا للنيلون والقماش المصنوع منه .

المعروف أن مادة اللدائن ، التى تخلق منها المستحدثات الجديدة ، كالنيلون وغير النيلون ، تبدأ على صورة احادية ، بها الجزئيات الاولية للمادة التى اختيرت للتصنيع ، التى تسمى بالمونومر Monomer



هكذا تظهر الالياف تحت الميكرسكوب

وهذه تحوّل الى سلاسل يرتبط فيها الجزئى الكيماوى بالجزئى الكيماوى، ثم يرتبط هذان بثالث ، ثم الناتج برابع، وهلم جرا ، والناتج وهو النيلون مثلا ، ويعرف بالبوليمار Polymer ، وان شئت فالجزئى الكيماوى الكبير المتسلسل او المتبلمر ، هو الذى يغزل ، ثم ينسج .

ولكن الطريقة الجديدة تبدأ من المونومر ، قبل السلسلة ، فتشكله فيخرج عبارة عن الياف شعرية ، بينها مسافات مكرسكوبية ضيقة جدا ، ثم وهى على هذه الحال ، بسبب خلطها بمركبات كيماوية ، « تتبلمر » فيخرج منها قماش جاهز كامل .

فاذن لا حاجة للغزل !

واذن لا حاجة للنسج !

اما صاحب هذه الصناعة الجديدة ، التى لم تخرج بعد عن دور المختبرات ، فالشركة الالمانية العالمية الشهيرة ،بادش انيلين اندسودا فبريك Badische Anilin-Und-Soda Fabric .

وتسأل أصحابها عن قوة القماش ، فيقولون قوى ، يقاوم التمزيق .

وتسألهم عن الأثمان ، والنفقات ، فيقولون ليس من شأن المختبرات أن تقدر الأثمان والنفقات .

انها عملية تنذر بالخطر شركات أخرى للاقمشة كثيرة .

ومن خصوم هذه العملية رئيس شركة Union Carbide العالمية ، قال تعليقا على هذه الأخبار : « ان هناك حوافز كثيرة لخلق تكنيّات في صناعة الأقمشة جديدة . ولكن يتعارض وهذه الحوافز ويناقض هذه الآمال ان الأقمشة التى تصنع من اللدين ، وهو احادىُ الجزئى (مونومر) ، أو وهو متعدد الجزئى (بوليمار) ، لا ينتظر منها ان تكون بمتانة الاقمشة من الخيوط المغزولة والمنسوجة من بعد غزل » .

أيهما أفعل اذا قامت حرب ، أو قذائف عبر القارات

● انقسم اهل الرأى فى الولايات المتحدة فى هذا الامر فريقين .

اما الفريق الذى يناصر الطائرات تحمل القنابل الى اهدافها فحجته ان الطائرات ، اشياء متحركة ، غير مرتبطة بالارض ، فهي اليوم هنا ، وهي غدا هناك . ومنها هنا اليوم عشرة ، وغدا مائة او لاشىء . وفى هذا تضليل للعدو فلن ينالها اذا هو حضر . وعند هذا الفريق ان القذائف التي تطلقها الصواريخ ، انما تصدر من مراكز ثابتة . فهي كالرجل الكسيح المرتبط بالارض لايستطيع فرارا ، يستهدفها الاعداء فى سهولة زائدة .

اما الفريق الذى يناصر الصواريخ تخرج من مخابئها الأرضية فى الولايات الى أهدافها عند الاعداء فيرى فى الاطلاق الأرضي لهذه القذائف ميزتين، طول المدى الذى تقطعه القذيفة ، ثم السرعة الفائقة التي تجرى بها ، وهذه تجنبها ان يصيبها اعداؤها .

وتغلب الفريق الاول فى أواخر السنوات الخمسينية من هذا القرن .

وبناء على توصيتهم تم صنع الطائرة الجبارة التي تحمل القنبلة النووية الى

الطائرة الجبارة صنعتها الولايات المتحدة لحمل القنبلة النووية الى الاعداء



قنابل نووية تحملها الطائرات تدفعها الصواريخ

اهدافها . تم بناؤهـا وطارت في عـام ١٩٦٤ .

واذا بالفريق الاخـر يقوم ويتزعمه المستر مكنمارا ، وزير الدفاع السابق ، ويطالب بعدم المضي فى انتاج امثال هذه الطائرة ، فقد تكلفت بحوثها وانتاجهـا ١٥٠٠ مليون دولار . واذن فالاسطول الذى يتكون من ٢٠٠ طائرة يتكلف مبلغا طائلا . وحجة ثالثة ، انه نشأت قذائف جديدة ضد الطائرات سـوف لاشك تصيب مثل هـذه الطائرة فى سـهولة زائدة .

ويحل عام ١٩٦٩ فاذا به يأتى بجديد .

طائرة كبرى ، تحمل اكثر من طائرة صفرى ، لها رؤوس مدببة لحمل القنابل النووية ، وبعض هذه الطائرات الصغيرة مزيف ، وبعضها صادق يحمل القنبلة الذرية . والطائرة الكبرى تطلق هـذه الطـائرات الصفرى عند اقترابها مـن العدو . واذن يحـار العـدو فى هـذه الطـائرات ، لا يعرف منهـا الصـادق والمكذوب . والطائرة التي تنطلق وبها القنبلة النووية مصنوعة بحيث تستطيع ان تقطع نحو الف ميل قبل ان تصل الى اهدافها ، وذلك بعد تركها الطائرة الأم.



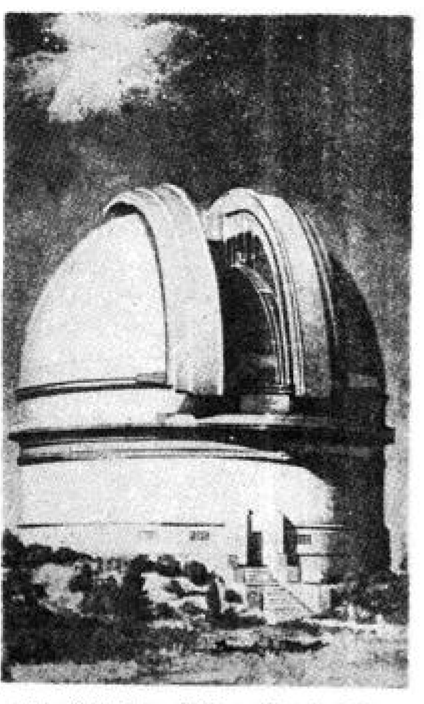
الصاروخ حامل القنبلة النووية

توفير ١٢ مليون دولار سنويا في صناعة الماس

● الصناعة الحالية لاستخراج الماس تقضي بأن يغسل الحصى المستخرج من المنجم ، وبينه الماس ، على طاولة مغطاة بالدهن ، وبالدهن يلصق الماس وحده ، وبذلك ينفصل .

اما الطريقة الجديدة فتتم باستخدام اشعة س . فتسلط هذه الأشعة على الحصى المستخرج حديثا من المنجم ،وبه الماس ، فاذا اصابت الأشعة الماس وهو سائر مع الحصى على سطح حزام متحرك ، برق الماس . وهذا البرق يوقظ خلية كهربائيـة ضوئيـة Photoelective Cell فتعمل ، وذلك بأن تشغل نافورة من الهواء المضغوط فينبعث منها هذا الهواء تحت الضغط فيقذف بالماسة بعيدا عن الحصى ، وبهذا يتم الفصل .

وقد قدروا أن هذه الطريقة توفـر على الصناعة نحوا من ١٢ مليون دولار في العام .



هكذا يكون المرصد الفلكي وهكذا تتفتح قبته ليعمل من فتحتها النظار الكبر

تلسكوب فى استراليا

● انه خبر له خطره عند علماء الفلك، وذلك لان تلسكوبات العالم مركزة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية .

والخبر يذكر ان الحكومة الاسترالية ماضية فى تنفيذ عقود هذا التلسكوب ، وهو مشروع تشترك فيه بريطانيا وكندا .

وستقوم انجلترا بصنع المرآة وصقلها ، وكذا بسائر الأدوات البصرية التي يحتاج اليها المشروع اما المرآة فقطرها ١٥٠ بوصة .

اما العقد الذى عقدته حكومة استراليا فقيمته نحو ٤ر١ مليون دولار استرالي، او هو ٥ر١ مليون دولار امريكى .

أمل للمصابين بالجلطة

● انه الأنزيم Enzyme ، المعروف باسم استربتوكيناز Streptokinase .

تاتي الأخبار بأنهم نجحوا بواسطته فى تحطيم الخثرة الدموية (الجلطة) التي تحدث بشرايين الفخذ ، ويسود الاعتقاد بأن النجاح لا يحدث اذا كان عمر الجلطة اكثر من خمسة أيام .

ومع هذا فقد أتى تقرير من مدرسة الطب بهانوفر Hanover ، بالمانيا الغربية، يفيد بأن هذا العلاج يعين حتى المرضى الذين سدّت الجلطة شريانهم ، فظلوا من اجل ذلك يعرجون فى مشيهم بضعة اشهر .

وتفيد التقارير ان ٢٧ شخصا ، من رجال ونساء ، تراوحت أعمارهم بين ٣٦ و ٧٧ عاما ، استطاعوا بهذا العلاج ان يمشوا بدون الم .

وحالات اظهرت الأشعة فيها انسداد الشريان الحوضي اليسارى ، وحالات احسّت فيها ارجل اصحابها بالبرد وبفقدان الحس ، كلها تحسنت على هذا العلاج . وسجل بعضهم ان زادت قدرتهم على السير بلا الم من ٥٠ ياردة الى ١٥٠٠ ياردة .

وقد اجريت ابحاث على الانسداد العميق للأوردة وذلك باستخدام هذا الانزيم فى مدرسة الطب بمستشفى كلية الملك بلندن ، اعطت نتائج أفضل مما يعطيها العقاران Heparin و Arvin .

وقد نشرت هذه البحوث المجلة الطبية البريطانية بعدد ٢٩ مارس من هذا العام . ●●



بطرس الأكبر ومكانته في تاريخ روسيا

بقلم : على ادهم

■ بيت من الشعر الروسي القديم يقول : « كانت روسيا ملفوفة في غياهب الظلام لمدة سنوات عدة ، وقال الله ، ليكن بطرس ، فكان الضوء في روسيا » .

ويقول الروائي المؤرخ الروسي كارامزين Karamzin (١٧٦٦ - ١٨٢٦ م) :

« اختيار احسن الأشياء عمل العقل المثقف . وقد اراد بطرس الاكبر ان يثقف العقل في كل ناحية من النواحي . وقد اعلن هذا العاهل الحرب على تقاليدنا القديمة ، لانها كانت قبل كل شيء فجّة وغير ملائمة للعصر ، وثانيا لأنها كانت تعوق استحداث تقاليد اخرى وتجديدات أجنبية اكثر فائدة . وكان لا بد من القضاء على العناد الروسي العتيد وكسر شوكته لجعل الروسيين اكثر مرونة وقابلية للتعليم والاستيعاب . ان التباكي على تغيير الخلق الروسي وفقدان روسيا السمات الأدبية التي كانت ليس سوى لون من الوان الهزال ، أو نتيجة لنقص التفكير السليم » .

اختلفت الآراء في عمل بطرس

وقد اختلفت الآراء في تقويم عمل بطرس الاكبر،

وتقدير رسالته لروسيا ، وهي سنة جرى عليها الناس في تقدير أعمال العظماء ، وربما كان هذا الاختلاف في الوزن والتقدير من الدلائل الواضحة على عظمة الشخصية، وضخامة مكانتها التاريخية.

فبعض نقاد بطرس الاكبر يقولون ان الاصلاحات التي فرضها على قومه وارغمهم على قبولها بدأت من الأعلى لا من الأسفل ، أي أن البناء الذي قام به لم يكن له اساس وطيد ، وانه طلاء خارجي ومظهر خلاب ، وانه لم يحمل الروسيين على التشبع بالروح الأوروبية الخالصة وانما شوه القومية الروسية ، وقص أجنحة العبقرية القومية، وعاقها عن السير في طريق التقدم التدريجي ، والتطور الطبيعي .

يفصل روسيا عن أوروبا ، وهذا الحائط لم يكن يقوى على هدمه سوى شمشون،وقد ظهر شمشون في شخص بطرس الاكبر . والأمم غير المتحضرة تصبح متحضرة بمحاكاتها بدون تحفظ الأمم المتحضرة . وأوروبا نفسها تثبت ذلك . وقد كانت ايطاليا تصف سائر أوروبا بأنهم همجيون . وهؤلاء الهمجيون أخذوا يحاكونها في كل شيء حتى في عيوبها . فهل كان على روسيا ان تبدأ من البداية وهي ترى النهاية ؟ لقد كان لنابليون نظير في العهد القديم وهو يوليوس قيصر ، ولكن بطرس الاكبر ليس له نظير ولا شبيه منذ خلق الدنيا ، وهو لا يشبه أحدا غير نفسه ولا يساوي احدا غير ذاته » .

رأي الناقد الروسي الشهير بلنسكي

ويرى الناقد الروسي الشهير بلنسكي Belinsky « أن عناية بطرس الأكبر بالمظاهر الخارجية مثل تغيير الملابس وحلق اللحى وبناء مدينة بطرسبرج كان ضروريا ، وان النزعة الأوروبية التي ادخلها وشجع الروسيين عليها لم تغير من طبيعة القومية الروسية ، ولم تنحرف بها عن الطريق السوي ، وانما امدتها بالقوة وأسباب الحياة ، وانه لم يهدم الروح القومية وانما طوّعها ، بل ان ظهوره نفسه يُعد مفخرة للقومية الروسية ، لان الشعب العملاق هو الذي يخرج امثاله من العمالقة ، فالشعب الروسي من حقه ان ينظر الى نفسه بالاحترام والاجلال لانه اخرج مثل بطرس الاكبر ! وقد مهد بطرس السبيل لأفكار جديدة ، واعمال جديدة ، واستنقذ روسيا من التخلف الآسيوي ، والهمجية التترية . وكانت هناك طقوس وعادات في الزواج تهبط بالكرامة الانسانية ذائعة ليس في الطبقات العادية فحسب بل في أسمى الأوساط فعمل على الغائها . وكان الرجال يتزوجون دون أن يعرفوا زوجاتهم ، ويضربون زوجاتهم ضربا مبرحا ليجعلوا منهن ملائكة عفيفات الذيل ، واذا لم يوفقوا في ذلك دسوا لهن السم القاتل . ويسرفون في الطعام والشراب . وكان هذا جميعه من تاثير الحكم التتري . وحالما فتح بطرس الاكبر ابواب روسيا لمؤثرات الغرب اخذ يتقشع ظلام الجهل ، ولم يعط الشعب الروسي الليّان لغيره واصبح شيئا لم يكنه قبل عهد بطرس الاكبر . ولقد كان هناك حائط

بناء بطرسبرج كان ضرورة لا بد منها

ويسترسل بلنسكي قائلا : « ان بناء بطرسبرج قد عابه الكثيرون على موجدها العظيم ، فقد أقامها فوق مستنقعات وفي جو قاس وضحى بحيوانات كثيرة ، وارغم الكثيرين ضد رغباتهم على أن يبنوا بها مساكنهم ، وفي كل هذا اساس من الصحة. ولكن المشكلة هي هل كان هذا العمل ضروريا ؟ وهل كان يمكن تجنبه ؟ لقد كان على بطرس ان يهجر موسكو وينشيء مكانا أمينا تسود فيه النزعة الأوربية ، ويطمئن فيه الوافد الأوروبي ، ويعمل على تبديد الجهل ، ومقاومة التعصب . وايجاد هذا الملاذ الأمين كان يقتضي تهيئة بيئة مستحدثة لا يجد فيها الروسيون مندوحة عن نبذ عاداتهم القديمة ، وتقاليدهم البالية ، وتتوثق العلاقات التجارية والاجتماعية فيها بين الروسيين والزائرين والوافدين من الاجانب . وقبيل معركة لسنايا Lesnaya اقام في مؤخرة جيوشه جماعات من القوزاق والكلمك Kalmucks وأصدر اليهم اوامر مشددة بان يقتلوا بغير رحمة كل من يحاول الفرار من ميدان المعركة ولو كان هذا الفار هو نفسه . وكذلك كان شأنه في محاربة الجهل والتخلف ، فقد نظم صفوف الأمة الروسية جميعها لمقاومته ، وسد في وجهه كل منافذ التراجع والهرب . أما النفوس التي ذهبت ضحايا جهوده ومشروعاته فسبب ذلك ان بطرس كان يصنع تاريخا ولا يكتب رواية مسلية ، وكان ملكا يسوس دولة لا رب اسرة ، وكانت التجربة من مختلف جوانبها اختبارا لقوة روسيا وقدرتها على

النهوض . وأمثال هذه الانتفاضات لا تتم بغير الضحايا واحداث مضايقات شتى للكثيرين من المعاصرين . وبطرس الاكبر كان لا يعترف بنواحي الضعف في الطبيعة الانسانية ، ولم يتاكد انه من الفانين الا وهو على فراش الموت ، فقد قال وهو يعاني الألم في اللحظات الأخيرة من حياته « الآن يمكن أن يدرك الناس من حالتي هذه اى مخلوق ضعيف هذا الانسان ! » .

جندى روسي ، يضع تمثال بطرس بين أيقوناته ، ويصلي له

ويروى بلنسكى أن احد الجنود القدامى واسمه كيريلوف Kirillov كان يملك صورة صغيرة مطلية بالميناء لبطرس الاكبر ، وكان يضعها بين ايقوناته ، ويشعل شمعة قبالتها ويصلى ، ونقل ذلك الى اسقف نجتي بفجورود ، وكان يعيش في بيته ، فقام الأسقف بتفتيش الحجرة الصغيرة التي يشغلها الجندى ، واشار الى صورة بطرس الاكبر وقال للجندى « أيها الشيخ أهذه صورة بطرس الأكبر الموضوعة بين الايقونات ؟ » فاجاب الجندى قائلا « نعم يا سيدى ، انها صورة ابينا » . فقال له الأسقف « انه كان ملكا عظيما وتقيا وجديرا بكل ولاء ، ولكن الكنيسة المقدسة لم تضع اسمه في قائمة القديسين ، ولذلك يجب أن لا تضع صورته بين ايقونات القديسين المباركة ، وتشعل الشمعة وتقيم الصلاة » . فاعترض الجندى قائلا في لهجة غاضبة « لا أقيم له الصلاة ؟ تقول يجب أن لا افعل ذلك ؟ انك لا تعرفه ، ولكني عرفته . لقد كان ملاكنا الحارس ، كان يحمينا ويحافظ علينا جميعا وعلى بلادنا من الأعداء ، وكان يقاسمنا متاعبنا في السير الى الحرب،ويأكل معنا من الثريد نفسه الذى نأكله ، ويعاملنا كانه واحد منا ، وكانه والد لنا ، وقد كرمه الله بالانتصارات ، ولم يسمح للموت أن يناله او للسوء أن يمسه ، وانت تقول انه يجب علي أن لا اصلي امام صورته » وكانت الدموع تسيل من عينيه وهو يقول ذلك .

وقد يكون في تقدير الناقد الكبير بلنسكي لمكانة بطرس الاكبر في تاريخ روسيا شيء من الاسراف والمغالاة ، باعثه فرط اعجابه بالجهد الذى بذله بطرس في حمل روسيا على الأخذ باساليبالحضارة الغربية ، وربما كان الطريق الاقرب الى التقدير الأدق أن نضع بطرس الأكبر في اطار تاريخ روسيا منذ ابتداء هذا التاريخ الى عصر بطرس ، والواقع اننا لا نستطيع ان نتبين موقف بطرس الأكبر في وضوح الا اذا ألمنا بعض الالمام بالتقاليدالتيكانت تسيطر على الأمة الروسية،واثر الأحداث التاريخية في التمهيد لخلق هذه التقاليد وتكوين العادات التي وجه بطرس جانبا كبيرا من عنايته الى ان يستبدل بها غيرها ، وقد كان للعادات والتقاليد بوجه خاص في روسيا اثرها البعيد المدى والذى ظل ساريا حتى قيام ثورة البلاشفة ، برغم ما بذل بطرس من جهد ضخم ، وما أحدث من اصلاحات ، وما ادخل من تغييرات .

تاريخ روسيا

والأحداث التى كونت تاريخ روسيا كان مجالها ذلك السهل الشاسع الأرجاء الممتد من شرق أوروبا الى اواسط سيبيريا ، ويحده في الشمال والشمال الشرقي البحر الأبيض والمحيط المتجمد الشمالي ، ويحده في الجنوب البحر الاسود وبحر قزوين وجبال القوقاز . وجبال اورال ليست في الواقع حاجزا بين أوروبا وآسيا ، وارتفاعها لا يتجاوز ستة آلاف قدم ، وبها كثير من الأودية والممرات التي تجعل الانتقال من الشرق الى الغرب او من الغرب الى الشرق سهلا ميسورا ، وقد جعل هذا الوضع الجغرافيين لا يستطيعون البت في مسألة اين تنتهي أوروبا واين يبدأ اسيا ،وساعد عدم البت هذا على خلق المشكلة الدائمة وهي مشكلة هل تعد روسيا جزءا من أوروبا او تعد جزءا من آسيا ، ورأى البعض الخروج من هذا المشكل باعتبار روسيا عالما قائما بذاته ، له خصائصه وسماته .

تحرك القبائل السلافية الى الشرق

ومهما يكن من الأمر فان القبائل السلافية بدات تغشى هذه المنطقة المترامية في القرن السادس الميلادى والقرن السابع واستقرت في السهول الروسية ، ولم تكن هذه القبائل السلافية اول الأقوام التي اقامت في هذه النواحي ، فقد عاشت فيها قبلهم قبائل بدوية خالصة وقبائل اخرى تغلب عليها البداوة ، مثل الحيثيين Steyhians والقوط والهون والافار والخزر .

وقد بدا تحرك القبائل السلافية الى الشرق

من جبال الكربات Carpathians في خلال هجرة الشعوب العظيمة في القرن السادس وساعد على ذلك موت اتيلا ملك الهون في سنة ٤٥٣ ميلادية وتصدع دولة الهون بعد وفاته ، وقد تدفقت القبائل السلافية في ثلاث شعَب ، فشعبة اتجهت الى نواحي نهر الالب والاودر والفستولا الادنى وهم اسلاف التشيك والسلوفاك والبولنديين ، وشعبة ذهبت الى شبه جزيرة البلقان وهم اسلاف البلغار والسربيين والكرواتيين ، وشعبة امت نواحي نهر الدينبر واعالي الفلجا وشواطيء بحيرة الن Ilmen ، وهم السلاف الروسيون .

« كان الخزر هم جيران الروسيين ، وكانوا كثيرا ما يشنون عليهم الغارات ، وكان هؤلاء الخزر من اصل تركي ، ودخلوا في الديانة اليهودية ، وكانت غزواتهم محتملة اذ كانوا يكتفون بتحصيل الجزية ، وكانت مملكتهم تكون مثلثا قاعدته ممتدة من بحر قزوين الى بحر ازوف،وضلعاه الفلجا ونهر الدون.

وكانت تمتاز هذه المنطقة السلافية الروسية بكثرة المدن المشتغلة بالتجارة ، وفي اثناء القرن التاسع الميلادي حاولت كل مدينة من هذه المدن ان تستولي على ما حولها من الارض ، وادى ذلك الى وقوع النزاع واشتداد الخلاف بين هذه المدن ، وكانت ضحايا هذا النزاع تحمل الى سوق الرقيق في القسطنطينية وتباع بها . وعجز السلافيون عن القضاء على دواعي الفرقة والخلاف وحسم الفوضى الناتجة عن هذا الصراع ، وتقول حوليات هذا العصر انهم فزعوا الى زعيم الفيكنج الوافدين من شبه جزيرة اسكنديناوه ، وسالوه انقاذهم من عناء الفوضى المستحكمة قائلين له « ارضنا عظيمة وغنية ولكنها تعاني فقدان النظام فليكن منكم امراء يحكموننا » .

صار الفيكنج جزءا من الامة الروسية

وفي سنة ٨٦٢ استولى روريك Rurik امير الفيكنج على مدينة نوفجورود العظيمة وكانت من اهم المدن السلافية ، ومات روريك سنة ٨٧٩ وخلفه اوليج Oleg وقد قاد حملة الى الجنوب في الطريق المفضي الى بيزنطة واستولى على مدينة سمولنسك ، وفي سنة ٨٨٢ استولى على مدينة كيف Kiev وحصنها وجعلها عاصمة لملكه .

وكان هؤلاء الفيكنج يجمعون بين التجارة والقرصنة ، ويغيرون على شواطيء فرنسا وانجلترا وايرلنده . وحوالي سنة ١٠٠٠ وصلوا في مغامراتهم الى شواطيء امريكا الشمالية .

ولم يمض اكثر من قرن حتى صار هؤلاء الامراء من الفيكنج جزءا من الامة الروسية ، ومن امثلة ذلك ان ايجور Igor ، الذي خلف اوليج اسمى ابنه بأحد الاسماء السلافية وهو سفياتوسلاف Svyatoslav .

وكانت عناية امراء كيف متجهة الى جعل طرق التجارة ممهدة ، وفي سنة ٩٠٧ قام اوليج بحملة على بيزنطة ، ونجح في الحصول على معاهدة تجارية من بيزنطة في مصلحة كيف ، وكان لهذه المعاهدة اثرها في تقوية العلاقات التجاريةوالثقافية بين كيف Kiev وبيزنطة ، وتمكن سفياتوسلاف من بسط نفوذه في حوض نهر الفلجا وفتح بذلك الطريق للتجارة مع الشرق ، وتغلب على دولة الخزر ، واستولى على مدنهم ، وتغلغل بجموعه وحشوده حتى بحر ازوف .

دخول المسيحية الى روسيا

وفي نصف القرن التالي ازدهرت حياة مدينة كيف الثقافية وسمت مكانتها في اوربا . ومما ساعد على ذلك ان فلاديمير الاول Vladimir بعد ان استعرض الديانة اليهودية والدين الاسلامي والكاثوليكية الرومانية استقر رأيه على اعتناق المذهب الارثوذكسي ، ولم يجد صعوبة في فرض هذا المذهب على رعيته ، وزاد ذلك العلاقات بين بيزنطة وكيف توثقا ، وقد تم ذلك سنة ٩٨٨.وقد امتد حكم فلاديمير من سنة ٩٨٠ الى سنة ١٠١٥ . وقد تزوج فلاديمير اميرة بيزنطية ، وهي الاميرة آن Anne ، وكثر تدفق الرهبان اليونانيين والصناع الى كيف حتى اصبحت حافلة بالمباني الفاخرة ، والكنائس الفخمة ، وكثرت الكتب المترجمة من اليونانية ، واكثرها تحتوى مواعظ واناشيد وأدعية دينية وأخبارا عن سير القديسين وكراماتهم وكان لذلك كله تاثيره الملحوظ في الحضارة الروسية.

وتبع مجيء المسيحية الارثوذكسية ظهورالكنيسة المنظمة تحت زعامة بطريق تختاره القسطنطينية ، وكان هذا البطريق في اغلب الاوقات يونانيا ، وكانت الكنائس تنشأ على الطراز البيزنطي. وحينما حدث الخلاف بين المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية سنة ١٠٥٤ لم يؤد ذلك الى انفصال كيف عن الغرب او عن اوروبا الوسطى . وليس ادل على

ذلك من علاقات النسب بين ياروسلاف حاكم كيف فى الربع الثانى من القرن الحادى عشر وملك السويد ، فقد تزوج ابنته كما تزوج ابناؤه من اميرات المانيات وبولنديات ، وتزوج ثلاثة من بناته وهن انا واليزابث وانستازيا من ملوك فرنسا والنرويج والمجر . وقد استطاعت انا زوجة هنرى الأول ملك فرنسا أن توقع باسمها ، فى حين أن زوجها الفرنسي كان أميا .

ولكن هذه العلاقات لم تمنع الاختلاف الشديد بين روسيا البيزنطية والمسيحية الغربية ، واتخاذ اللغة السلافية وسيلة للتفاهم جعل الروسيين اقل مشاركة فى الثقافة الأوربية المستمدة من اللغتين ، اللغة اليونانية واللغة اللاتينية . وقد عنيت الكنيسة الارثوذكسية الروسية بالتقوى والتدين اكثر من عنايتها بتوسيع نطاق المعرفة حتى صارت نزعتها معادية للتفكير . ومما اخذ عليها كذلك أنها وثقت علاقتها بالدولة توثيقا اقوى واشد من العلاقة التي كانت بين الدولة والكنيسة فى معظم الدول الغربية . وحينما جاء المغول وأسهموا فى تقوية الدولة المسكوفية كانت نتيجة ذلك كله تقوية الروح الجماعية على حساب الفرد .

وقد أراد ياروسلاف فى القرن الحادى عشر أن يجعل من كيف Kiev القسطنطينية السلافية ، ويروى احد زائريها فى تلك الفترة أن عدد الكنائس بها لم يقل عن اربعمائة كنيسة .

وقد مات ياروسلاف سنة ١٠٥٤ وبموته بدأ يدب الفساد فى حكومة كيف ، وكانت بوادر الضعف فى هذه الدولة الروسية الاولى ظاهرة ، فقد عرَّض نظام الحكم الذى أثره ياروسلاف وحدة الدولة وتماسكها للخطر ، فقد كان المبدأ الذى قرره وهو على فراش الموت أن يشترك فى حكم روسيا أولاده وحفدته جميعا . وارتقى أكبر ابنائه سنا عرش كيف ، وتلقب بلقب الأمير الكبير ، وتقلد اخوته الحكم فى البلاد الاقل اهمية ، وفى النواحي المجاورة . وحينما ادركت الوفاة الأمير الكبير ارتقى عرش كيف الأمير الذى بقى على قيد الحياة من اخوته ، وتبع ذلك تغيير كذلك فى الأمراء حكام المدن الأقل أهمية ، وكان حتما مقضيا أن يصبح هذا النظام باعثا على توسيع شقة الخلاف بين افراد الأسرة الحاكمة ، وافساد علاقاتهم بعضهم ببعض . وقد جعل هذا النظام الدولة الروسية عاجزة عن مقاومة قبائل البدو الهمجية القادمة من الشرق . كما أن تقدم التجارة بين الغرب والشرق عن طريق البحر الأبيض المتوسط اضعف مكانة « كيف » التجارية ، وما كسبته فى هذا السبيل جنوا والبندقية خسرته « كيف » ، وكان الاستيلاء على القسطنطينية فى الحملة الصليبية الرابعة ضربة شديدة الوقع أصابت تجارة كيف الخارجية فى الصميم .

وفى الوقت نفسه ظهر فى الشمال اعداء جدد للدولة الروسيةوهمالفرسان التيتونوالليتوانيون والسويديون . ومن ناحية الجنوب الغربى اشتد ضغط النمساويين .

غزو المغولالدولة الروسيةوظهور موسكو

وحينما غزا المغول الدولة الروسية فيما بين سنة ١٢٣٧ أو سنة ١٢٤٠ كانت الدولة مفككة الاوصال مصدوعة الوحدة ، وقضى هذا الغزو على اتصال السلافيين باوروبا ، ولم تستطع « كيف » ان تستعيد جانبا من مكانتها واهميتها الا فى القرن السادس عشر والسابع عشر ، وفى خلال سيطرة المغول على روسيا أخذت ولاية « موسكو » تثبت وجودها وتؤكد أهميتها حتى أصبحت نواة للدولة الروسية المقبلة ، ولم يحاول خانات المغول التدخل فى شؤون السلاف الداخلية الا حينما كان يحدث ما يعرض سيادتهم للخطر ، وكانوا يكتفون بتحصيل الجزية والاحتفاظ بحق تنصيب امراء الولايات ، وكانت جيوش المغول تقيم في المدن الرئيسية ، وتخمد بقسوة اية محاولة للثورة ، وقد جعل الحكم المغولى روسيا متخلفة من الناحية الثقافية ، وعزلها عزلة تامة عن اوروبا ، وقد استمر هذا التخلف حتى بعد ان انهار الحكم المغولى .

وكان تاريخ روسيا بعد ذلك محاولة دائبة لمعاودة الاتصال بالغرب ، وكان للحكم المغولى اثره فى توجيه روسيا الى الاخذ بنظم الحكم المطلق ، الاوضاعالاوتقراطية،وقد ظلتروسيا تعانيالطغيان المغولى من القرن الثالث عشر الى منتصف القرن الخامس عشر ، وقد تركزت حركة محاولة الخلاص من الحكم المغولى فى منطقة موسكو وما حولها ، وكان موقع منطقة موسكو الجغرافى يجعلها صالحة لانبعاث هذه الحركة . وكان امراء موسكو من سلالة روريك يصانعون المغول ، ويتقربون اليهم

بمختلف الوسائل ، ولم يظهروا العداء للمغول الا بعد ان توطدت مكانتهم ، وثبتت اقدامهم ، وظهرت بوادر الضعف والانقسام في الدولة المغولية .

اول شخصية تظهر من بين امراء موسكو

وقد حكم ايفان الثالث الملقب بايفان العظيم من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٥٠٥ وهو اول شخصية ظاهرة السمات تبرز من بين امراء موسكو ودوقاتها الكبار ، والمعروف عنه انه كان يؤثر اصطناع الحيلة واتباع الاساليب الدبلوماسية في معالجة المشكلات قبل ان يلجأ الى استعمال القوة في تحقيق اهدافه ، وهو يعد في طليعة من أسهموا في بناء الدولة الروسية المقبلة ، ويعد مقياس نجاحه ان المغول في آخر حكمه زال خطرهم على الدولة الروسية ، بل اصبحوا في موقف المدافع بعد ان كانوا من قبل في موقف المعتدى المهاجم ، كما ظهرت في عصره طبقة الملاك المحاربين التي كان لها اثرها في تاريخ روسيا السياسي والاقتصادى .

وقد كانت العلاقة بين الكنيسة والدولة منذ القرن الرابع عشر فى روسيا وثيقة واقوى مما كانت عليه العلاقة بين الكنيسة والدولة في غرب اوروبا ، وازدادت هذه العلاقة قوة في القرن السادس عشر حتى اصبح القيصر شخصية لها قداستها وسلطتها المطلقة ، وصار القيصر يعد ممثلا لله في الارض ، فكان القيصر يجمع بين السلطة السياسية التي لايشاركه فيها احد ، والسلطة الاقتصادية بوصفه مدعيا لملكية الارض جميعها ، والسلطة الحربية بوصفه القائد الاعلى في الحرب ، والسلطة الدينية لانه يحكم بالحق الالهي ولانه المتكفل بالدفاع عن حقوق العقيدة الارثوذكسية . ويمكننا ان نستبين في ذلك تأثر نظام الحكم في الدولة الروسية بالحكم المغولي من ناحية والحكم البيزنطي من ناحية اخرى ، وقد ساعد على ذلك زواج ايفان في سنة ١٤٧٢ بالاميرة زوى Zoe ، المعروفة في روسيا باسم صوفيا ، وهي من اسرة باليولوج البيزنطية التى انتهى حكمها سنة ١٤٥٣ حينما سقطت القسطنطينية في يد الاتراك العثمانيين .

عصر المتاعب في روسيا

وجاء بعد ايفان الثالث ابنه فاسيلي الثالث وحفيده ايفان الرهيب ، ويعرف عصرهما في التاريخ الروسي بعصر المتاعب ، وكانت المشكلة الكبيرة التي تواجهها روسيا هى أن تتخلص من التخلف الذى احدثه الحكم المغولي وتؤكد صلاتها بالحضارة الغربية الاكثر تقدما ورقيا ، وحينما مات فاسيلي الثالث كان ابنه ايفان في الثالثة من عمره ، وكانت الطبقة المعروفة في تاريخ روسيا باسم « البويار Boyars » وهم طبقة ارستقراطية مكونة من ملاك الارض ناقمة على القيصر فاسيلي الثالث ونزاعة الى المشاركة في الحكم ، واشتدت المنافسة على السلطة بين افراد الاسر المكونة منها هذه الطبقة مما جعل ايفان الرهيب منذ نشأته يضمر لها الكراهة ، وقد توج ايفان قيصرا في سنة ١٥٤٧ وهو في السابعة عشرة من عمره ، وقد اختار زوجة له انستازيا زاكارين ، وكانت متصلة باسرة رومانوف ، وقد مهد ذلك السبيل لمجيء هذه الاسرة الى عرش روسيا ، وقد سن ايفان قوانين تحد من نفوذ طبقة البويار ، وقد عمل على ايجاد طبقة تدين له بالولاء ليقاوم بها قوة طبقة البويار .

تيودور بن ايفان الرهيب

وقد انتهى فرع اسرة روريك في موسكو في نهاية حكم تيودور بن ايفان الرهيب ، وقد توج تيودور سنة ١٥٨٤ وهو في السابعة بعد العشرين ، ولم يكن له قدرة على مواجهة الموقف الذى خلقه له والده ، ومعالجة مشكلاته ، وبخاصة صراع طبقة البويار لاسترداد نفوذها ، واستدعى الموقف اختيار خاله نيكتين رومانوف ليكون نائبا عنه في حمل امانة الحكم ، ولكنه توفي سنة ١٥٨٦ وحل محله بوريس جودينوف ، وهو من الشخصيات الغامضة في تاريخ روسيا السياسي ، واصله من اسرة مغولية ، وادى تقلده السلطة الى حدوث مؤامرات كثيرة ، وفتن متلاحقة اضطر الى اللجوء الى العنف لاخمادها . وزاد الامور تعقيدا موت تيودور في سنة ١٥٩٨ ، واختير جودينوف بعده لعرش القياصرة ، ولكنه لقى معارضة شديدة من طبقة البويار ، كما حاول الانتقام من اسرة رومانوف اصهار ايفان الرهيب .

وحدثت مجاعة شديدة وقحط عام زلزل اركان حكمه وادى الى ظهور ديمتري الزائف الذى ادعى انه ولد ايفان الرهيب . وقد تكرر في تاريخ روسيا السياسي ظهور ادعياء العرش الزيفين . واتفق ان مات جودينوف فجأة في سنة ١٦٠٥ ، ويسر موته دخول ديمترى الدعى الى موسكو ، وتوّج

قيصرا في آخر شهر يوليو سنة ١٦٠٥ ، ولكنه لم يمكث في الحكم سوى اقل من عام وكانت طبقة البويار في طليعة العاملين على تقويض عرشه ، وقتله واحراق جثته .

احد زعماء البويار ينصب نفسه قيصرا

واقام فاسيلي شويسكي Vassily - Shuisky احد زعماء البويار نفسه قيصرا ، ولم يستطع شويسكي حسم الفوضى السائدة ، وظهرت محاباته لطبقة البويار التي جاء منها ، واسفرت الاضطرابات المتوالية والثورات المتلاحقة عن اختيار ميخائيل رومانوف احد افراد اسرة من اشهر الاسرات المنتمية الى طبقة البويار ، ولكنها اعتزلت الخوض في الاحداث الدامية التي وقعت في عهد المتاعب ولم يكن في هذا الاختيار ما يعد خروجا على التقاليد المرعية من كل النواحي للصلة التي كانت تربط اناستازيا زوجة ايفان الرهيب باسرة رومانوف ، وكان هذا الاختيار سنة ١٦١٣ .

بدأت اسرة رومانوف حكمها

ولم يضع اختيار ميخائيل رومانوف حدا للمتاعب ، فقد كان البولنديون والسويديون لا يزالون محتلين بعض اجزاء ولاية موسكو ، وكانت خزينة الدولة خاوية ، وعصابات اللصوص ما تنفك تهاجم المدن ، وفي مثل هذه الظروف الحرجة والمواقف المتازمة بدأت اسرة رومانوف حكمها ، ولم تتحسن احوال صغار المزارعين في عهد قياصرة هذه الاسرة . وقد وجه قياصرتها عنايتهم الى تنظيم الجيش واستعانوا في تنظيمه بضباط من الجنود المرتزقة الاجانب واوجدوا الفرقة المعروفة باسم فرقة سترلتزي Streltsy وهي فرقة مكونة من جنود يباشرون مهنهم العادية في المدن الشهيرة ويستدعون على عجل للانتظام في الجيش حينما تقع الحرب . وكان افراد هذه الفرقة يتلقون اجرا سنويا لقاء ذلك ، وارتباطهم بالعرش جعل لهم اهمية خاصة في تاريخ روسيا .

وقد خلف القيصر ميخائيل رومانوف ابنه الكسيس ، وفي عهده بدأت مؤثرات الحضارة الغربية تتسرب الى روسيا ، وكان من اوضح اساليب التجديد انشاء مسرح في احدى القرى الروسية ، وكان تمثيل اول مسرحية في موسكو سنة ١٦٧٢ ، وكانت مستمدة من الكتاب المقدس ، ولم تظهر النساء على المسرح الا بعد مرور قرن من الزمن . وكان موقف الكسيس من التجديدات الاوربية الغربية مترددا بين الاقدام والاحجام ، ولذلك حدث رد فعل رجعي بعد وفاته سنة ١٦٧٦ ولم يمنع ذلك بعض افراد طبقة البويار من الاقبال على الثقافة الغربية ، واقتناء المؤلفات الادبية المعاصرة في غرب اوروبا .

ولم تكن الهندسة الاقليدسية معروفة في روسيا ولا نظريات جاليليو وكيبلر وكوبرنيكس الفلكية ، وكان الادب كذلك متخلفا ، ولكن برغم ذلك كان هناك شعور يخالج النفوس بشدة الحاجة الى طلب الاستنارة والاستعانة بعلم الغرب وادبه وثقافته .

وقد خلف القيصر الكسيس ابنه تيودور ، وكان الكسيس قد تزوج مرتين ، وكانت زوجته الاولى ماريا ميلوسلافسكي ، والزوجة الثانية ناتاليانارشكين ، فلما مات في سنة ١٦٧٦ وجاء على العرش الروسي ابنه تيودور - وهو واحد من اطفاله البالغ عددهم ثلاثة عشر - وهو من زوجته ماريا ، ابعد عن مجال النفوذ ابنه بطرس البالغ من العمر اربع سنوات وكان اكبر اولاده من ناتاليانارشكين ، ومات تيودور في سنة ١٦٨٢ دون ان يترك عقبا . وكان بطرس في العاشرة من عمره ، واهمل حق اخيه لابيه المدعو ايفان ، وكان مصابا بالصرع ويكاد يكون كفيف البصر . واعتلى بطرس العرش ولكنه لم يمر على اعتلائه العرش سوى قرابة اسبوعين حتى هاجمت طائفة الجند المعروفة باسم طائفة الاسترلتزي Streltsy قصر الكرملين ومثلوا بالكثيرين من افراد اسرة نارشكين ، وكان بطرس ينظر الى هذه المجزرة وهو ملتزم الصمت لا يحرك ساكنا ، وكانت عقبى هذا التهجم الدامي اعلان اختيار اخيه ايفان مشاركا له في العرش ، واقامة اخته لابيه صوفيا وصية على العرش ، ولم يستطع بطرس الانفراد بالسلطة الا في سنة ١٦٩٦ وذلك في اعقاب عزل صوفيا وموت والدة بطرس واخيه ايفان .

تأثير الاحداث في بطرس في مطلع حداثته

والاحداث التي شاهدها بطرس في مطالع حداثته وغرة شبابه وما اوتي من فطنة حادة وبصيرة نفاذة وعزيمة قوية جعلته يمقت الاحوال الراهنة والفوضى السائدة ، والجهل الفاشي ، والتخلف الملحوظ في شتى النواحي فكان اشد القياصرة جراة وامضاهم عزيمة في طلب التغيير ،

وقد جعل هدفه ان يخلق روسيا خلقا جديدا ، ويسمو بها الى مستوى الدول الاوربية ، الراقية ، ومن اجل ذلك كان نصيبه من كراهة الشعب الروسي له في اثناء حياته اكثر من نصيب سائر القياصرة ، وقد لحقه نصيب من تلك الكراهة بعد موته فلم يعده بعض الروسيين منقذا او مخلصا بل اعتبروه نكبة على بلاده لانه احدث صدعا لم يتشعب في الثقافة الروسية ، واوجد تفرقة بين الآخذين بموازين الثقافة الغربية من الطبقة العليا وجماهير المزارعين الفقراء المتخلفين .

مولد بطرس

وقد ولد بطرس في الكرملين سنة ١٦٧٢ وفي الخامسة من عمره تلقى التعليم المألوف حينذاك لابناء القياصرة ، وكان يشمل مبادىء القراءة والكتابة والحساب والكتاب المقدس ، وفي سنة ١٦٨٢ ، ارغم على مبارحة الكرملين مع والدته الى احدى القرى الريفية وبدأ في الريف يمارس من الالعاب ما كان ينمّ على اتجاه تفكيره ،ومنحى ميوله ، وبخاصة فرط ولوعه بالالعاب الحربية مثل الاقواس والاسهم والمدافع والجنود الخشبية ، وتبع ذلك العاب اكثر جدية اذ كان ينظم رفقاءه كتائب وفرقا ويقوم بمناورات حول حصن قائم على نهر يوزا القريب من موسكو ، وكون بعد ذلك لنفسه فرقتين منظمتين ضباطهما من الاجانب ، واظهر اهتماما مبكرا بالمسائل البحرية . وقد وجد في احدى القرى سفينة شراعية قديمة ، وقد قال عنها فيما بعد انها والدة الاسطول الروسي . واستعان بعد ذلك بالبحارة الهولنديين على انشاء السفن ، وتلقى فنون الملاحة ، وقد تعلم اشياء كثيرة في تلك السنوات التي قضاها بعيدا عن جو موسكو الحافل بالدسائس والمؤمرات ، اذ مارس عمل الآجر والتعدين واستعمال حروف الطباعة ، كما تدرب على استعمال الفاس والبلطة ، وصار يتقن التجارة ، وتلقى دروسا في الرياضيات والهندسة وعلم حركة القذائف وفن التحصين واستعمال الاسطرلاب ، وكان اختلاطه بالاجانب الوافدين الى روسيا لممارسة مختلف المهن والصناعات اكثر من اختلاطه بمواطنيه الروسيين .

رحلة بطرس

ولم يكتف بطرس بذلك واعتزم في سنة ١٦٩٧ القيام برحلة ليستزيد من الخبرة والمعرفة، وصحب حاشية كان عدد رجالها مائتين وخمسين رجلا ، وقد رمى بذلك الى الوقوف على احدث الاساليب في بناء السفن ولقاء المتخصصين في المسائل البحرية والشؤون الحربية، وحاول أن يكوّن حلفا لمقاومة الاتراك ولكنه اخفق في ذلك لتقاعد الدول الغربية عن المضي في هذا السبيل .

بطرس في هولنده وانجلترا وفينا

وكان بطرس يعمل في امستردام مع زملائه في الرصيف الذي ترسو عليه السفن مع رفقائه ،وفي اوقات فراغه كان يزور المستشفيات والمصانع على اختلاف انواعها والمدارس ومراكز الاسطول والاسلحة الحربية ، وبعد ان قضى اربعة اشهر في هولندة ذهب الى انجلترا ، وابحر اليها في يخت اهداه اليه وليام الثالث ، ودرس في انجلترا احدث اساليب بناء السفن ، وزار كذلك اكسفورد ولندن والبرج ودار ضرب النقود والترسانة والاسطول ، وكان يسجل مشاهداته في يوميات يكتبها .

عودة بطرس فجأة الى موسكو

وبعد قضاء اربعة اشهر في انجلترا ارتحل الى فينا عن طريق هولنده ، ووافته بها رسالة من حاكم موسكو يوصيه بضرورة المبادرة الى العودة لان طائفة الاسترلتزى قامت بثورة ، وقد ساء هذه الطائفة نفي رجالها الى آزوف والحدود الجنوبية الشرقية . واغراهم اشاعة كاذبة بان بطرس مات في الخارج بان يفكروا في اعادة صوفيا الى الحكم . فعاد بطرس فجأة ، ونكل بهم تنكيلا شديدا ، وقد تولى بنفسه الاطاحة برؤوس بعض رجال هذه الطائفة ، وفي اليوم التالى لعودته من الغرب قام بنفسه بحلق لحى زعماء طائفة البويار ، وارغمهم على ارتداء الملابس الالمانية والنمساوية ، وفرض غرامة على من يخالف ذلك وقد لقيت هذه الحركة معارضة من الروسيين الذين كان الكثيرون منهم يؤثرون دفع الغرامة على فقدان اللحى .

وجوه اصلاحه

وشرع بعد عودته من الغرب في اصلاح الحكم المحلي والنظام المالى ، واعاد تنظيم الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة ، وعنى بتقوية الاسطول ، واعاد تنظيم الجيش مستعينا بخبراء

اجانب ، وكانت سياسته الخارجية قائمة على ايجاد مخارج بحرية لروسيا .

محاولة بطرس الوصول الى البحار

وكانت السياسة الخارجية الروسية في اواخر القرن السابع عشر قد اخذت تجاهد للوصول الى بحر ازوف والبحر الاسود وشواطىء بحر قزوين علاوة على سابق محاولاتها للوصول الى بحر البلطيق ، وقد استطاع بطرس الظفر بآزوف في سنة ١٧٠٠ ، وكانت السويد في عهد بطرس تعد من الدول القوية في شمال اوروبا ، واراد بطرس ان يتحدى نفوذها ، ولكن الجيوش السويدية التى كان يقودها ملك السويد شارل الثاني عشر اوقعت بالروسيين هزيمة ساحقة في معركة نارفا Narva ، ولكن هذه الهزيمة لم تفل عزيمته ، وبعثته على ان يقول كلمته المأثورة : « لقد غلبنا السويديون ولكننا سنتعلم منهم كيف نهزمهم » واعاد بطرس تنظيم جيشه وتدريبه وتزويده بالاسلحة المستحدثة ، واستدعى طائفة من الخبراء المتخصصين في الشؤون الحربية .

بطرس يدعو الأجانب الى روسيا ويؤمنهم

وفى سنة ١٧٠٢ اصدر منشورا يدعو فيه الاجانب الى روسيا ويعدهم بالمحافظة على حريتهم الدينية ، وانه سيعاملهم حسب القوانين المتبعة في بلادهم .

من ريع الكنيسة موّل الجيش

وصادر ما تحصله الكنيسة من ريع الاراضى التابعة لها ليستعين به في تمويل جيشه ، وانشا مدينة بطرسبرج سنة ١٧٠٣ ، وبنى حصن كرونشتادت لحمايتها من ناحية البحر ، وقد استطاع بطرس ان يهزم شارل الثاني عشر في بولتافا Boltava سنة ١٧٠٩ ، واضطر شارل الثاني عشر الى الهرب الى تركيا ، وكان معنى هذا الانتصار ان مدينة بطرسبرج قد توطدت مكانتها واستقر بنيانها . وقد اراد بطرس بعد معركة بولتافا بعامين ان يمد حدوده في الجنوب ، واشتبك في معركة مع الجيش التركى اسفرت عن هزيمته ، واسترداد الاتراك لمدينة ازوف ، وقد استطاع ان يمد حدوده في شمال آسيا حتى كامشاتكا .

ونهض بالصناعة وغيرها من أسباب التقدم

ولم يحجم بطرس الاكبر عن اتخاذ الاساليب الكفيلة بتحقيق اهدافه ، غير عابىء بالمعارضة ، ولكى يدفع امته دفعا في سبيل التقدم لم يتورع عن الاستعانة بالتجسس والمخابرات السرية علاوة على الاخذ بالشدة وانزال العقوبة الصارمة بالمخالفين ، وارهق الفلاحين بالضرائب . وقد تبع سياسة اسلافه في النهوض بالصناعة ، ولكنه وجه الجانب الاكبر من عنايته الى صنع الاسلحة والذخائر والمنسوجات التى تصنع منها ملابس الجند وصنع الورق اللازم للحكومات البيروقراطية ، وتقدم في عهده حفر المناجم وصناعة المعادن ، وجعل املاك الكنيسة تابعة لمجلس رؤساء الطوائف الدينية ، وكان هذا المجلس في عهده خاضعا لسيطرة الدولة، وانشا في موسكو وبطرسبرج عددا من المدارس لتخريج الضباط ، وكان البرنامج مقصورا على الرياضيات والملاحة والهندسة الحربية واستعمال المدافع ، واوجد اول جريدة روسية ، وشجع ترجمة المؤلفات الاجنبية ، وبخاصة المؤلفات التكنولوجية ، وارغم النساء على ترك الاحتجاب ، وقد قام بطرس الاكبر بحركته الاصلاحية برغم مقاومة الفلاحين والسادة الاشراف ورجال الكنيسة، ومعارضة ابنه الذى اضطر – في اغلب الروايات – الى قتله ، ونجح في جعل روسيا دولة لها اهميتها بين الدول الاوربية ، ولكنها ظلت مع ذلك تحمل الطابع البيزنطي ، الاصلاحات التى قام بها زادت الدولة قوة ، ولكنها لم توفر للشعب الرفاهة ، وقد كان يحب الفلاحين ، ولكنه لم يصنع لهم شيئا ، بل زاد اعباءهم ثقلا لاحتفاظه بجيش ضخم ، ووسع الهاوية بينهم وبين الطبقة الحاكمة ، وقد ركن الى العنف في حمل الروسيين على اقتباس اساليب الغرب ، ومحاربته للتقاليد القومية ساعدت على خلق طبقة تعطف على هذه التقاليد ، وتعادى الثقافة الغربية ، ومن الملحوظ ان عنايته بالمسائل العملية ، والمعرفة التجريبية كانت اكثر من عنايته بالاستنارة الثقافية .

وقد مات بطرس الاكبر سنة ١٧٢٥ ، وقالت عنه احدى النساء المعاصرات له « لقد كان رجلا طيبا الى اقصى حد وشريرا كذلك الى اقصى حد».

ولكن الامر الذى لا امتراء فيه هو انه كان رجلا عظيما ومن الرجال الافذاذ النوادر . ■■

علي أدهم

القاموس المحيط

بقلم : عبد الستار فراج

■ أبو القاسم اسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) الف كتابا في اللغة سماه « المحيط » .

وجاء ابن سيده علي بن اسماعيل (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ) فالف كتابا في اللغة وسماه « المحكم والمحيط الاعظم » .

ثم جاء الفيروزبادى (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) (١٣٢٨ - ١٤١٤ م) فالف كتابا في اللغة وسماه « القاموس المحيط » .

فلفظ « المحيط » جاء في هذه الثلاثة ، مستقلا ومعطوفا ، وصفة .

والقاموس معناه في اللغة معظم البحر او أبعد موضع غورا فيه. وعلى مر الزمن ، وباشتهار هذا الكتاب الذى الفه الفيروزبادى وسماه القاموس المحيط ، تناسى الناس المعنى اللغوى لكلمة « قاموس » ، واخذت هذه اللفظة في الاذهان اصطلاحا آخر هو بمعنى الكتاب الحاوى لمفردات لغوية مع شروحها ، وصار كثير من مؤلفي الكتب التى تجمع لغتين يطلقون عليها لفظ قاموس كذلك، مع الوصف او الاضافة : « القاموس العصرى » « قاموس سعادة » « قاموس الجيب » « قاموس عربي انجليزى » « قاموس انجليزى عربى » ..

وهكذا دخل في اللغة اصطلاح جديد ، كان سببه اسم كتاب ، بعد اختصار ما لحقه من صفة « المحيط » .

منهج القاموس المحيط

والقاموس المحيط الذى الفه الفيروزبادى ينظر الى الحرف الاخير من الكلمة فيجمع كل ما كان آخره همزة اصلية ويسميه بابا ، ثم ينظر الى الحرف الاول الاصلى من الكلمة ويسميه فصلا ، تماما كالطريقة التى شرحناها عند الكلام على « الصحاح » « ولسان العرب » .

هذا والقاموس اكثر موادّ من « الصحاح » ، والغزر معانى ، مع اختصار في العبارة ، وندرة في الشواهد اذ بلغت شواهده مائتين وخمسين ، اما بالنسبة الى لسان العرب فان القاموس لم يبلغ ما بلغه اللسان من السعة والاستيفاء .

وقد وضع الفيروزبادى في مقدمته قواعد ورموزا تدل على اغلب ما يريده من الضبط والتصريف .

وفي اوائل عصرنا هذا وما سبقه من عصور الى عهد الفيروزبادى كان الناس يعجبون بطريقة الاختصار التى قد تبلغ درجة التعقيد والالغاز ، وما كانت هذه العصارات التى يسمونها « المتن » وجمعها « المتون » الا لتسهيل الحفظ على طلاب العلم ، حتى قيل : « من حفظ المتون حاز الفنون » . وقد وهب الله للناس في تلك العصور القليلة الوسائل رغبة قوية فيما أتيح لهم من علم ومعرفة ، مع قلة المشاغل التى نشرتها وضخمتها المدنية الحديثة ، فعكفوا على النصوص « المتون » يحفظونها عن ظهر القلب لحكمة يعلمها الله ، لكى يصونوا لنا اغلب هذا التراث الذى لولاهم لضاع اكثره .

والفيروزبادى قال عن نفسه « لا أنام حتى احفظ مائتى سطر » ومعنى هذا انه كان يحفظ في المتوسط شهريا حوالى ستة آلاف سطر ، وفي السنة حوالي سبعين الفا ، اذا قدرنا له بعض المشاغل ، وما تنقصه بعض الاشهر القمرية ، لأنها هي الشهور والاعوام التى كانوا يبنون حسابهم عليها .

فلا عجب أن يظفر القاموس بالتقدير والمديح . وفيه يقول احدهم ممن عاصر المؤلف ، وهو جمال الدين محمد بن صباح الصباحي .

من رامَ في اللغة العلوَّ على السُّهـا
فعليه منها ما حَوَى قاموسُهـا
مُغْنٍ عن الكتب النفيسة كلِّهـا
جَمَّاع شملِ شتيتِها ناموسُهـا

فإذا دواوين العلوم تجمعت
في محفل للدرس فهو عروسها
لله مجد الدين خير مؤلف
ملك الأئمة وافتدته نفوسها

طبع القاموس وما حوله من مؤلفات

في سنة ١٢٨٩ هجرية ، ١٨٧٢ ميلادية ، ظهرت اول طبعة للقاموس المحيط في القاهرة اى بعد ظهور اول طبعة للصحاح . والقاموس الآن في اربعة اجزاء كبيرة تتجاوز صفحاتها جميعا ١٦٠٠ في طباعة جيدة متقنة الضبط ، كما الفه صاحبه .

وقد لقى القاموس من بعد تاليفه عناية واهتماما ، فبعضهم نقده ، وبعضهم زاد عليه ، وبعضهم شرحه أو شرح مقدمته ، ونتج عن كل هذه مؤلفات ضخمة مستقلة ، منها المخطوط ومنها المطبوع .

واهم ما ظهر من نقده هو كتاب « الجاسوس على القاموس » لمؤلفه احمد فارس الشدياق ، المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية ١٨٨٦ ميلادية ، وقد طبع سنة ١٢٩٩ هـ ، ١٨٨١ م ، في حوالى ٧٠٠ صفحة .

أما أعظم ما شرح به القاموس فهو « تاج العروس » لمؤلفه السيد محمد مرتضى الزَّبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هجرية ، وهو الذى تقوم وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت بنشره على احسن وجه من التحقيق والمراجعة والطباعة والاشراف الفني .

وقد كتبنا في مجلة « العربي » مقالا وافيا عن تاج العروس في العدد ٦٠ كما كتبنا في مقدمة الجزء الاول منه دراسة مستفيضة عن المؤلف والكتاب .

تعريف بالفيروزبادى

هذا والفيروزبادى هو ابو طاهر محمد بن يعقوب ابن محمد بن يعقوب بن ابراهيم ينتمى في نسبه الى ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد بكازرين (١) من البلاد الفارسية سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) وبها نشا ، وحفظ القرآن وهو صغير ، وكان سريع الحفظ . وانتقل الى شيراز ، وهو ابن ثماني سنين ، واخذ العلم عن والده وعن علماء شيراز ، ثم انتقل الى العراق ، ثم طاف بالبلاد العربية والاسلامية ، كالشام ومصر والهند وتركيا ، ثم سافر الى اليمن في سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣م) ، فتلقاه الملك الاشرف اسماعيل وبالغ في اكرامه ، وتولى قضاء اليمن كله مستقرا في زَبيد ، وقدم مكة مرارا والمدينة والطائف. وتزوج الملكُ الأشرفُ اسماعيلُ ابنته ،وقالوا انها كانت بارعة في الجمال .

ولقد لقى الفيروزبادى تقديرا وتبجيلا من الملوك، والسلاطين ، من كل انحاء البلاد العربية والاسلامية ، وحتى تيمورلنك ، مع عتوّه وتجبره ، أكرمه وبالغ في تعظيمه ، وأعطاه عند اجتماعه به مائة الف درهم أو خمسةآلاف دينار .

ولقد ظلّ متوليا القضاء حتى مات في سنة ٨١٦ هـ أو سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) وقد قارب على التسعين .

وقد الف كثيرا من الكتب في ثقافات عربية ودينية بعضها طبع وبعضها ما يزال مخطوطا .

وقد قام المستشرق الانكليزى ادوارد وليم لين Edward William Lane ، المتوفى سنة ١٨٧٦ م بتاليف معجم كبير ، كان اعتماده فيه على تاج العروس ، وسماه « مدّ القاموس » طبع منه خمسة أجزاء في حياته ، واكمله حفيد أخته استانلى لين بول Stanley Lane Poole ، المتوفى عام ١٩٣١ م ، في ثلاثة مجلدات عن مسوداته فصارت جملته ثمانية .

والمورد المهم الذى اعتمد عليه الفيروزبادى في تاليف القاموس هو كتاب المحكم لابن سيده وكتاب العباب للصاغانى،وما احاط بهمن سعة القراءات مع ادخال كثير من معرفته باللغة الفارسية وبعض المعلومات الطبية التى كانت سائدة في عهده .

وأولع في كتابه بتعقّب كتاب الصحاح، ومعنى هذا أنه قرأه بعناية فائقة ، جعلته يعرف مواضع نقصه وأماكن خطئه ، وكان ذلك سببا في أن يتلمس العلماء بعده أخطاءه هو وما فاته ، وان ينتصر بعضهم للجوهرى صاحب الصحاح . ■■

عبد الستار فراج

(١) كتب خطأ في الاعلام للزركلى أنه ولدبكازرون وذلك تبعا لمن يخطئون فيحرفون اسم بلده ، وقد نص الفيروزبادى نفسه في مادة (كرز) فقال كازرين بلد بفارس .. وبه ولدت ..

ضربات القلب

■ ونبدأ بذكر صمامات القلب لصلتها بهذه الضربات .

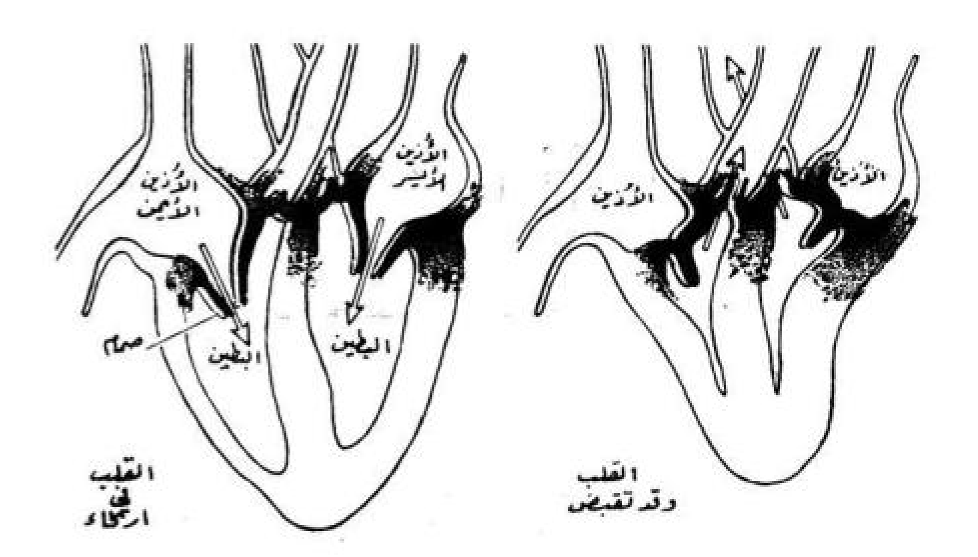
صمامات القلب

القلب كما ذكرنا قلبان متجاوران ، كالبيتين بينهما حائط واحد ، ولكن لا تدخل من أحدهما الى الآخر عبر هذا الحائط .

والقلب الواحد من ايهما عبارة عن خزانتين ، صغيرة عليا ، وكبيرة سفلى .

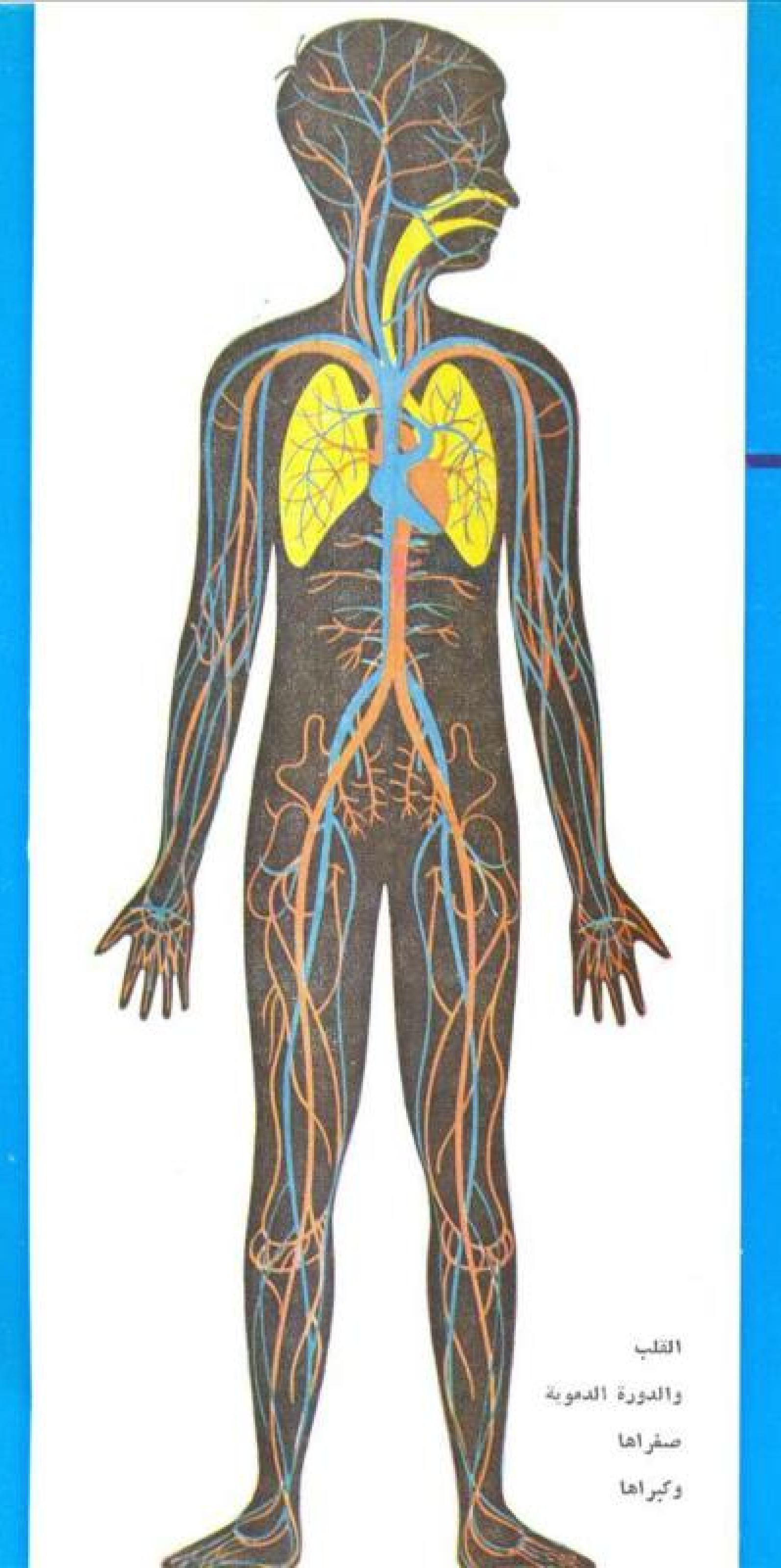
وتسمى الأولى بالأذين لأنها تشبه الأذن الصغيرة ، وتسمى الأخرى البطين كأنها البطن الصغير .

وأذين القلب الأيمن يتسلم كل ما يرد اليه من دم الجسم الوريدى بعد الانتهاء من وظيفته أثناء دورانه في الجسم . هذا الدم الوريدى لا يعود يدور في الجسم حتى يتنقى في الرئتين ، باخراج ما حمل من ثانى أكسيد الكربون فيهما . وهو يتزوّد من الرئتين بالجديد من الأكسجين . ولكن الأذين أضعف من أن يضخ هذا



القلب في ارتخاء

القلب وقد تقبض



القلب

والدورة الدموية

صغراها

وكبراها

الدم الى الرئتين ، واذن هو يتقبض ، ليعطيه فقط للبطين ، البطين الأيمن ، وهذا الأخير هو الذى يضخه ، عند انقباضه ، الى الرئتين .

اما في القلب الايسر ، وهو مكون من اذين وبطين ايضا ، فان اذينه يتسلم الدم من الرئتين بعد تنقيتهما اياه . وهذا الاذين اضعف من ان يضخ هذا الدم المنقى الى الجسم ليدور به في الجسم دورته الكبرى ، واذن هو يعطيه للبطين ، البطين الايسر ، وهذا هو الذى يضخه الى الجسم .

ولكن هذه الخزائن الاربع لا ينضغط فيها دم الا خرج من كل ابوابها ، مع ان الدم يراد به ان يسير في اتجاه معلوم واحد . اذن لا بد من صمامات تنظم مرور الدم حتى يكون في اتجاه واحد .

ان البطين الايمن له بابان ، واحد يصل بينه وبين الاذين الذى فوقه ، وباب يصل بينه وبين أوعية الدم التى تصله بالرئتين . وهذا البطين عندما يمتلىء بالدم الوريدى الذى يأتيه من الاذين يكون في حالة استرخاء ، ووجب أن يكن باب الأذين اليه مفتوحا ليمر منه الدم . ولكن يجب في هذه الاثناء ان لايخرج منه الدم مباشرة الى الاوعية الموصلة الى الرئة ، حتى يمتلىء . واذن وجب في هذه الاثناء ان ينسد الباب الى هذه الاوعية .

اذن هناك باب يجب فتحه ، وباب يجب اغلاقه .

فكيف يكون هذا ؟

باقامة صمام عند كل باب

ان الصمامات تفرض على السوائل ان تسير في اتجاه واحد ، لانها مصنوعة بحيث تنفتح في طريق الدم الجارى في الاتجاه المطلوب ، فاذا اراد الدم ان يعود ادراجه ، ضغط في هذه الحالة على اطراف الصمام فانضمت فانغلق الصمام .

والذى يقال في الاذين الايمن والبطين الايمن ، يقال في الاذين الايسر والبطين الايسر . صمام يقوم بين الاذين والبطين يأذن بمرور الدم من الاذين الى البطين ، وفي هذه الحالة لا بد من صمام بين البطين والاورطة يمنع الدم ان يجرى من البطين الى الاورطة في اثناء امتلاء البطين بالدم . فاذا انضغط البطين ليرسل دمه عبر الشريان الاورطى الى الجسم وجب ان ينفتح هذا الصمام ، في حين ينغلق الصمام الذى بين الاذين والبطين حتى لا يعود الدم القهقرى .

والصمامان يفعلان هذا بحكم تركيبهما ووضعهما عند هذه الابواب .

من هذا تتضح خطورة الصمامات الاربعة في القلب ، فبدونها يختل عمل القلب .

ومن ذلك ان الصمام اذا لم ينغلق انغلاقا تاما ، اذن للدم ان يتسرب منه وهو مغلق ، فاضر ذلك بالقلب ، او بالاوعية التى تمده بالدم او يمدها به ، فاصابها المرض . ومن الاضرار الظاهرة ، اذا زاد التسرب ، ان القلب لا يستطيع ان يمد الجسم بالقدر الواجب من الدم .

ولا بد ان نذكر ان الاذينين ، الايسر والايمن ، ينضغطان معا والقلب يضخ دمه . ويسترخيان فينضغط البطينان معا .

وكذا تفعل الصمامات ، فينغلق

صمامان معا ، بينما الاخران منفتحان معا .

دقة القلب الواحدة

ان ضربات قلبك تستطيع انت ان تعدها بان تمس بين اصابع يدك وابهامها شريانا نابضا ، فهو ينقل ضربات القلب نقلا صادقا . وهذا الشريان قد تختاره في رسغ اليد ، او القدم او حتى عند الصدغ الى جانب العين . وانت عندئذ تحس ضربات القلب دقات واحدة متشابهة .

اما اذا انت تسمعت ضربات القلب مباشرة باذنك ، او اذا انت استخدمت لسماعها سماعة الطبيب Stethoscope فانك ستجد ضربة القلب الواحدة تجمع بين دقتين متلاحقتين وتسمعهما اشبه شيء بلفظ المقطعين لب ــ دب .

والمقطع الاول اعلى صوتا ، واوطأ نغمة في السلم الموسيقى ، واطول مدى من الثاني . وهو صوت الصمامين ، اللذين بين الاذين والبطين في كل قلب ، ايمنهما وايسرهما ، وهما ينغلقان .

واما المقطع الثاني فصوت الصمامين ، بين البطينين ، ايمنهما وايسرهما ، وبين اوعيتهما الدموية (الموصلة الى الرئتين ، والاورطة) وهما ينغلقان .

ويتلو افراغ البطينين دمهما في الاوعية الدموية فترة قصيرة جدا يكونان فيها في حالة استرخاء يستعيدان فيها حجمهما الاول استعدادا لتلقى الدم ، كل من اذينه . وفي هذه الفترة لا يكون للقلب صوت يسمع ، وبهذا تكتمل ضربة القلب الواحدة . وهي تستغرق من الزمن نحو اربعة اخماس الثانية .

سرعة ضربات القلب

عدد ضربات القلب في الشخص السليم البالغ تقع حول السبعين ضربة في الدقيقة ، والشخص ساكن .

فاذا طلب من القلب بذل مجهود فوق ذلك زادت ضرباته ، وزادت كل ضربة ما تسوقه الى الجسم من مقدار دم . واذن يستطيع القلب ان يضخ في الجسم من الدم خمسة امثال ما يضخه وهو على السكون .

وسرعة الضربات تزيد في الانسان الصغير ، ثم تصغر كلما كبر ، ثم تأخذ تزيد على الشيخوخة .

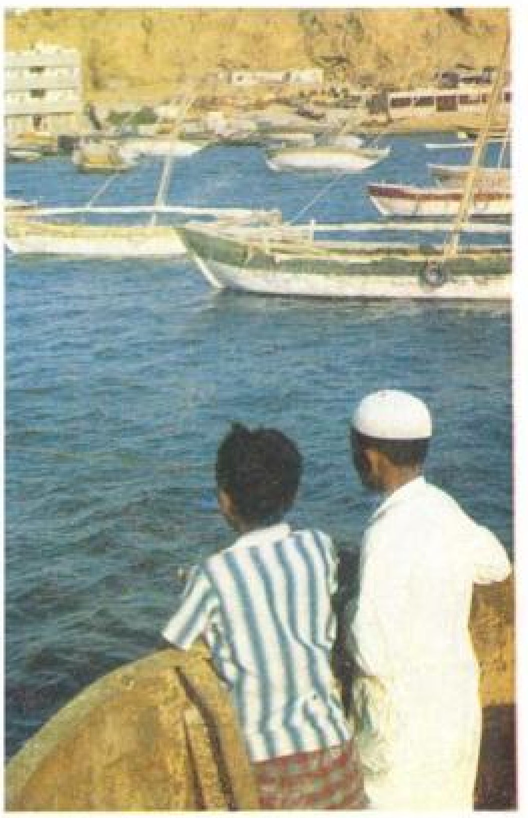
السن بالسنوات	ضربات القلب في الدقيقة
٣ الى ٤	١٤٠
٥ الى ١٢	١٢٠
١٣ الى ٢١	٩٠
٢١ الى ٥٠	٧٥
٥٠ الى ٧٠	٧٠
٧٠ الى ٩٠	٧٥ الى ٨٠

وهي تقريبية .

ويلاحظ انها كبيرة في الصغير ، وصغيرة في الكبير . وهذه هي القاعدة في الحيوانات الثدية .

ضربات القلب	في الدقيقة
الفيل	٢٥
الحصان	٥٠
الاغنام	٧٠
الانسان	٧٠ ــ ٩٠
الكلب	١٠٠
الارنب	١٥٠
الفار	٢٥٠ ــ ٣٠٠

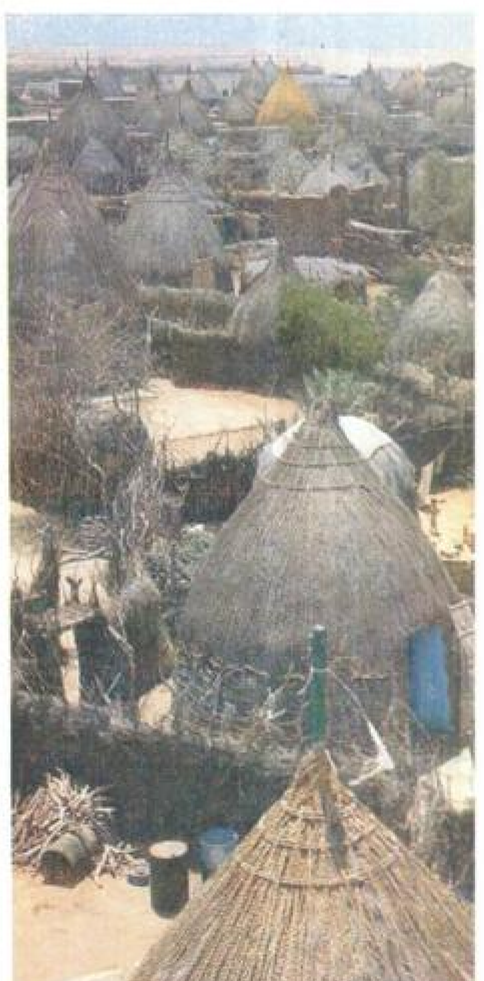
●●

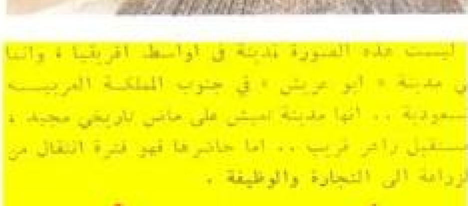


ميناء جيزان ، وقواربه التي تنقل البضائع من السفن ال

جـ

مـدينة فوق





ليست هذه الصورة لمدينة في أواسط افريقيا ، وانما
ي مدينة « أبو عريش » في جنوب المملكة العربيـة
سعودية .. أنها مدينة تعيش على ماض تاريخي مجيد ،
مستقبل زاهر قريب .. اما حاضرها فهو فترة انتقال من
لزراعة الى التجارة والوظيفة .



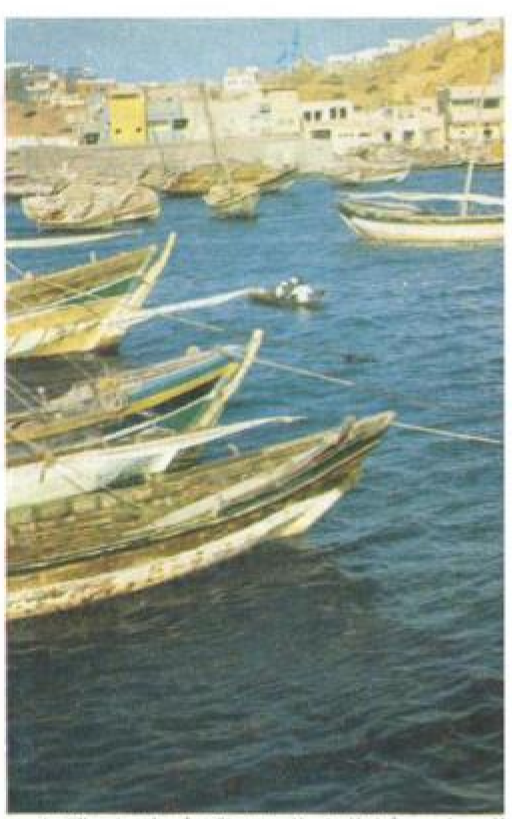
أبو عـريش

مَديـنة العشـيش

٣ مــدن في المملكة

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

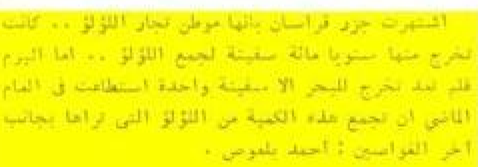


الرصيف ، أما الميناء الجديد فقد أوشك على الانتهاء

جيزان
جبل من الملح



اشتهرت جزر فراسان بأنها موطن تجار اللؤلؤ .. كانت تخرج منها سنويا مائة سفينة لجمع اللؤلؤ .. اما اليوم فلم تعد تخرج للبحر الا سفينة واحدة استطاعت في العام الماضي ان تجمع هذه الكمية من اللؤلؤ التي نراها بجانب آخر الغواصين : أحمد بلعوص .



فراسان
جزر اللؤلؤ التي هجرها أهلها

مجهولة
العربية السعودية

وصوره

أوسكار متري

■ طريق .. وسد .. وميناء ..

ثلاثة مشاريع ضخمة بدأت في ادخال حياة القرن العشرين الى منطقة نائية مترامية ، تعيش تحت ظلال تاريخها العاصف المثير ..

تاريخ كله مذابح وحروب متلاحقة ..

تاريخ خلف وراءه جراحا دامية ، جعلت المنطقة تنطوي على نفسها وتعيش وحدها وسط آلامها ..

لقد طارت بعثة العربي الى هناك .. الى منطقة وادي جيزان في اقصى الطرف الجنوبي من المملكة العربية السعودية ، لتنقل لك أول استطلاع عن هذه الارض المجهولة ..

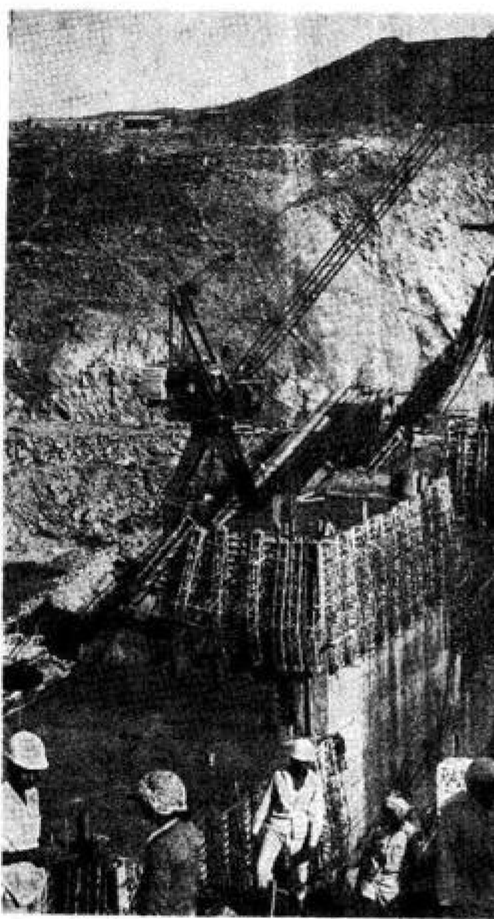
امواج المياه .. في الصحراء !!

وادي جيزان هو من فحول الاودية في المملكة العربية السعودية ، لأن مياه الامطار المتساقطة بغزارة فوق جبال عسير تتجمع في هذا الوادي الكبير وتنطلق منه بقوة عارمة مسافة ٥٠ كيلو مترا، حتى تصل الى ساحل البحر الاحمر فتضيع في مياهه المالحة ..

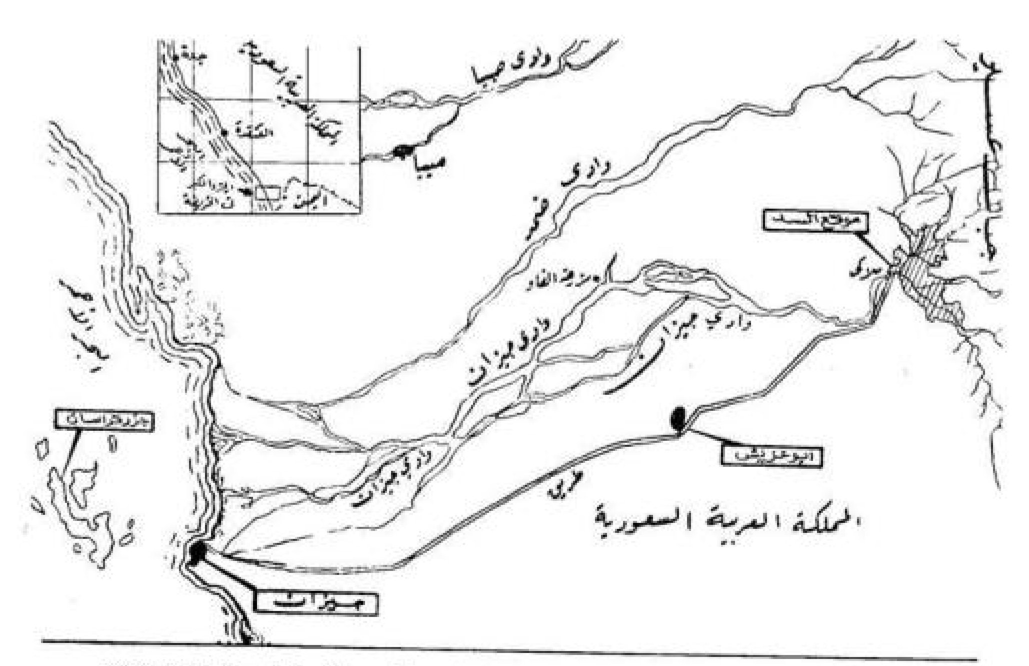
ومنذ عامين هطلت الامطار بغزارة على جبال عسير ، وامتلأ وادي جيزان .. وانطلقت المياه في موجة هائلة عرضها ١١٥ مترا وارتفاعها تسعة امتار ، انطلقت مكتسحة في طريقها جميع السدود البدائية التي شيدها المزارعون من الرمال الناعمة والطمى ، لتحويل مجرى المياه الى مزارعهم الواقعة على جانبي الوادى ..

جفاف .. وفيضان !

وظل ابن بلدة «ابو عريش» ومعه اهل ال ٢٣ قرية المحيطة بوادى جيزان ، يتحلون بالصبر ويتجلدون .. يعيشون عشرة شهور في جفاف دائم دون قطرة ماء ، ثم تأتيهم السيول المدمرة في شهري يوليو واغسطس .. وينهار كل شيء ، ولكن سرعان ما يقف ابن البلد على قدميه ويشترك مع اخوانه في اعادة بناء « العقوم » اى الحواجز الترابية البدائية .. يقيم منها ٤٠ « عقما » على شريط لايتعدى طوله ٣٠ كيلو مترا .. وبعدها يبدأ في غرس الذرة الصيفية التي تشكل زراعته الرئيسية التقليدية ، الى جانب الدخن والسمسم وبعض الخضراوات..كان يتحمل قساوة الطبيعة ومتاعبها



سد جيزان وقد أوشك العمل فيه على الانتهاء .. والهدف من بنائه وقف الفيضانات المتدفقة من جبال عسير الى البحر الاحمر .. وتنظيم توزيع هذه المياه بحيث يستفاد منها طوال السنة .. ويقع السد على مسافة ٥٠ كيلو مترا من ساحل البحر .. وارتفاعه ١٢٥ مترا عن سطح البحر .



خريطة لمنطقة وادى جيزان .. وقد ظهر الى اليمين موقع السد الذى سيقلب أسلوب الحياة فى المنطقة .. والمسافة من السد حتى ساحل البحر الاحمر ٥٠ كيلومترا ، فى وسطها تقوم مدينة « أبو عريش » .. اما جزر فراسان فيمكن اعتبارها مكملة لاراضي الوادى ، ولكن مياه البحر تفصلها عنه .. والخريطة العليا الصغيرة توضح موقع وادى جيزان بالنسبة للجزيرة العربية .

لانه لم يكن امامه عمل آخر يقوم به ويرتزق منه ، اضف الى ذلك عزلته ، وصعوبة مواصلاته مع سائرانحاء المملكة ..

ولكن ما كاد التعليم ينتشر على نطاق واسع ، وتبدأ الطائرات فى التحليق بانتظام ، وتسير السيارات على الطرقات المعبدة ، حتى ترك المثقف الجديد بيته وهجر ارضه وانطلق يبحث عن الوظيفة والتجارة ..

ومن نافذة الطائرة الصغيرة شاهدنا الرمال المتحركة تغزو الارض الطيبة حول وادى جيزان ، التي هجرها الجيل الجديد تحاشيا للصعوبات والمجازفات التي يتحتم بذلها لانجاح الزراعة ..

تدهور الزراعة ، وارتفاع الاسعار

ان نظرة على الاحصائيات ترينا مقدار التدهور الذى اصيبت به الزراعة .. والاحصائيات المتوفرة هي احصائيات الزكاة التي تمثل ١٠٪ من مجموع الانتاج ففي عام ١٩٦٤ ـ وهو آخر احصاء متوفر ـ انخفضت الارقام الى نسبة مفزعة اذا قورنت بارقام عام ١٩٥٢ فزكاة الذرة انخفضت الى ٢٥٠٠ طن بينما كانت ٨٧٠٠ طن عام ١٩٥٢ ..

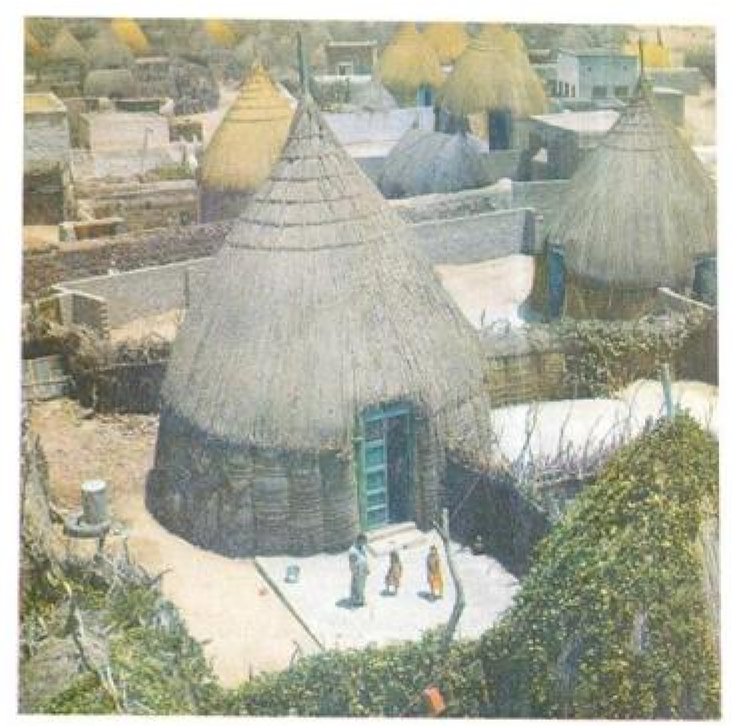
وزكاة الدخن اصبحت ٤٠ طنا بعد ان كانت ٤٢٠٠ طن ..

وزكاة السمسم ٢١ طنا فقط بعد انكانت ٣٠٠ طن .. والامثلة بعد هذا كثيرة .. ورافق هذا النقص ارتفاع فى أجر اليد العاملة وفى أسعار الحاجيات ، فالعامل اليمنى الذى كان يعمل بربع ريال سعودى فى اليوم ، ارتفع اجره حاليا الى ٧ ريالات فى اليوم .. وثمن مكيال الذرة ارتفع من ريال الى ٦ ريالات ..

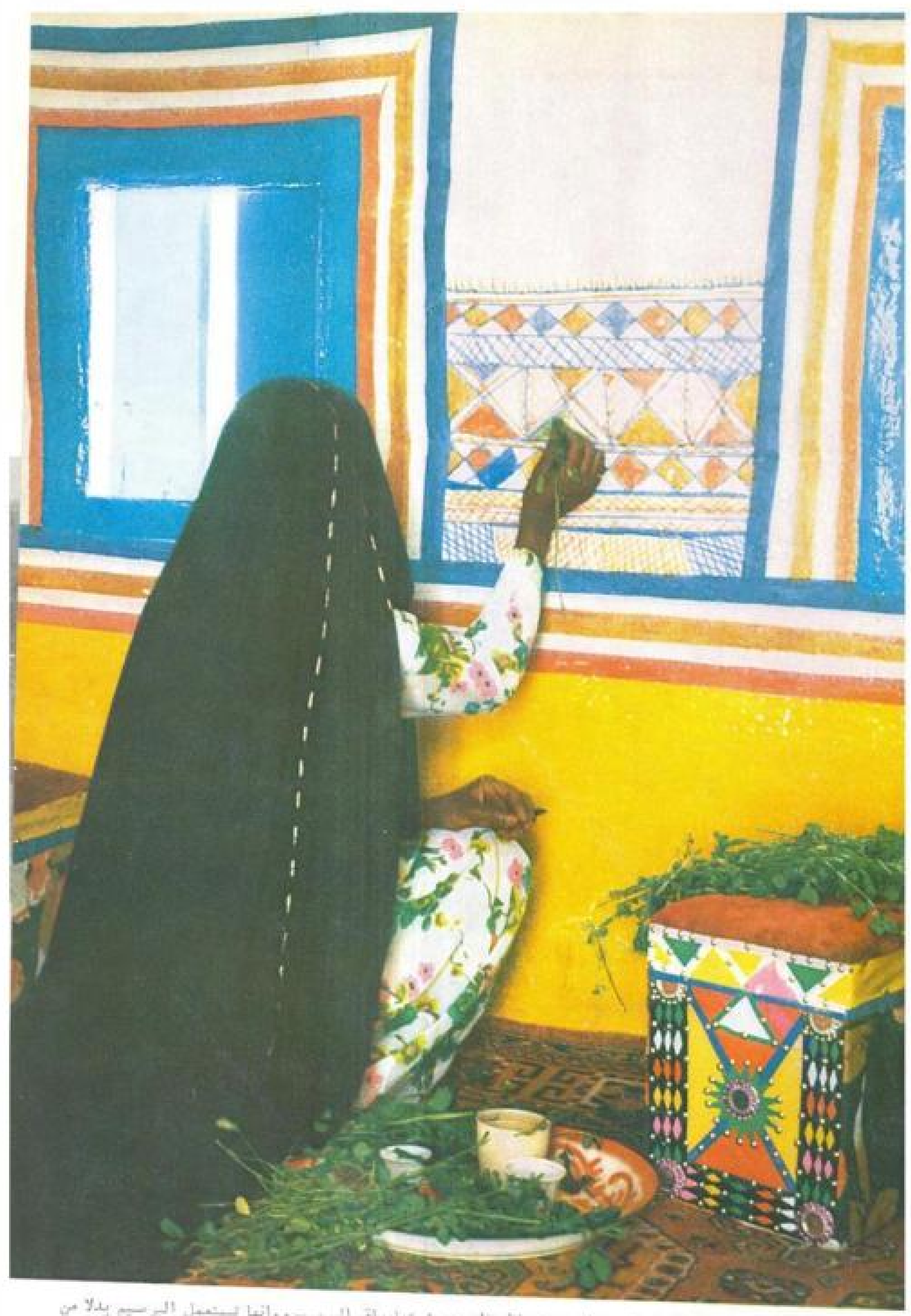
الاولوية لجيزان ..

حقيقة ان سكان المنطقة « اشتهروا بالجد والمثابرة كمزارعين مستقرين اعتادوا القيام ببعض اعمال الرى » ولكن هذا الوصف لم يعد ينطبق عليهم حاليا .. لقد انطلقت المنطقة من عصر الانغلاق الى عصر التفتح بكل معانيه .

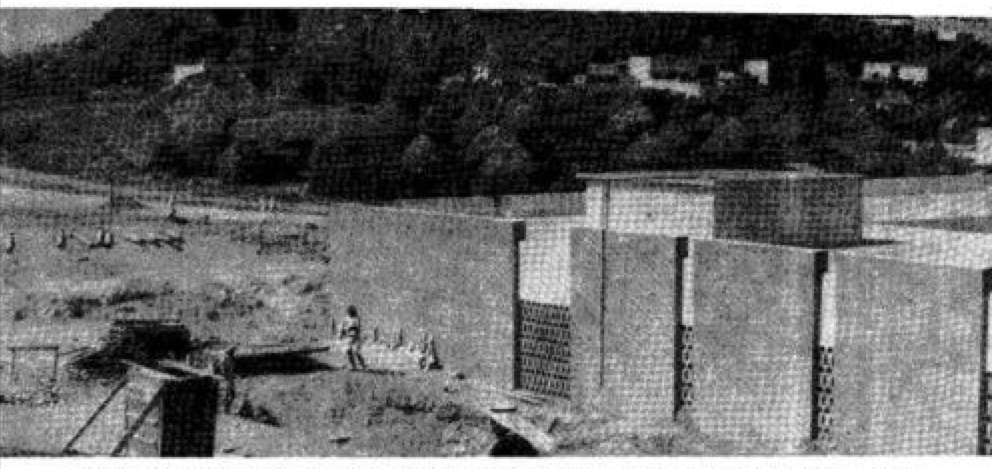
انطلق الاهالي صوب آفاق جديدة ، ومع هذه النهضة وهذا التفتح جاءت بعثة منظمة الاغذية



الى اليمن : هذه هي منازل « ابو عريش »ـ.. انها عشش ضخمة يصل ارتفاع بعضها الى ٦ امتار .. قاعدتها مصنوعة من خشب السرو،توضع على شكل دائري وتربط بالحبال .. لم تملأ بالاعشاب والحشائش ، وتخلط بالطين « والاسمنت البقري » ! وبعدها تدهن من الداخل بالنورة أي الجبس .. اما خارج العشة فيتزين بالحبال المصنوعة من الحلفا ، وهذه «تمسك الريح » وتجعل مياه الامطار تنساب عليها بسهولة .. اما داخل العشة فيتفنن اهلها في تزيينها ،يعلقون الاطباق الملونة من بلاستيك والومنيوم على جدرانها، وعند ما تهب الريح تحرك الصحون فتصدر اصواتا هي بمثابة الموسيقى لاهل العشة.. ويستغرق بناء العشة من ١٠ الى ١٥ يوما ، ويفضلها الاهالي على المنازل المصنوعة من الاحجار ، لبرودة الجو داخلها .. وفي حالة نشوب الحريق فان النيران تأتي على نحو ١٠ عشش مرة واحدة!



جلست هذه المرأة تزخرف جدران عريشها في «ابو عريش» باوراق البرسيم .. انها تستعمل البرسيم بدلا من اللون الاخضر .. لقد تخصصت بعض النساء في زخرفة الجدران، مستخدمات المساحيق والالوان الطبيعية .



العريش يحيط بجبل الملح في جيزان .. ويجرى التفكير حاليا لنقل العريش الذى يشوه منظر المدينة

والزراعة الدولية ، التابعة للامم المتحدة F.A.O. (الفاو) تدرس وادى جيزان .. وجاء تقريرها مؤكدا ان هذا السهل الساحلي ، ولاسيما الجزء الجنوبي منه هو افضل الاراضي الزراعية في المملكة واكثرها خصوبة .. وان اول مشروعات الرى ، وبالتالي التنمية الزراعية ، يجب تنفيذهما في وادى جيزان ..

سد كبير ينتظر شبكة الرى !

واستمرت عمليات المسح لانشاء سد كبير على الوادى من مطلع عام ١٩٦٢ حتى منتصف عام ١٩٦٤ وبعدها بدأ بناء السد ... واتجهنا الى مضيق ملاكي حيث يجرى العمل ، لنرى ماذا تم من السد، فوجدناه على وشك الانتهاء .. انه سد كبير ضخم ارتفاعه ٤٢ مترا وطوله ٣١٦ مترا يمكنه تخزين ٥١ مليونا من الامتار المكعبة من المياه ستتجمع في بحيرة كبيرة امامه ..

ان الهدف من بناء السد هو وقف الفيضانات المدمرة ومد المنطقة بكمية من المياه تندفع بقوة ٥٠ مترا مكعبا في الثانية طوال ايام السنة ، بدلا من السيول التي كانت تندفع بقوة ٣٦ مليون متر مكعب في اليوم الواحد ..

حقيقة ان العمل في هذا السد أوشك على الانتهاء ، ولكن فائدته ستكون محدودة جدا ، حتى يتم انشاء شبكة للرى خاصة به .. وانشاء هذه الشبكة يستغرق اربع سنوات ، ويكلف ٣٤ مليون ريال سعودى اى نحو سبعة ملايين ونصف مليون دولار امريكي ..

قطن طويل التيلة ..

وقد بدأت منظمة الاغذية الدولية (الفاو) باقامة مزرعة نموذجية على ارض مساحتها ٥٠ هكتارا ، وهذه المزرعة ستقرر الطريقة المثلى لتوزيع شبكة المياه ، كما ستقوم في الوقت نفسه باختيار محصولات اخرى غنية بدلا من الذرة والدخن والسمسم .. وقد بدأت تتردد اسماء محاصيل جديد مثل القطن والفول والطماطم والموز .. ان زراعة القطن الطويل التيلة في هذه المنطقة يمكن ان تحقق نجاحا كبيرا لملاءمة الاحوال الجوية ، مما قد يساعد على اقامة صناعة للغزل والنسيج ، بجوار حقول القطن مستقبلا .

خيبة امل لم تستمر !

ويمتد وادى جيزان مسافة ٥٠ كيلو مترا ، هي عرض الجزء الساحلي الممتد من سفح جبال عسير حتى ساحل البحر الاحمر (انظر الخريطة) وحول وادى جيزان توجد حاليا ٢٣ قرية ، في مقدمتها «ابو عريش» التي تكاد تصل الى مرتبة المدينة بفضل التسعة الاف نسمة الذين يعيشون فيها .. وما ان وصلنا « ابو عريش » حتى . شعرنا بخيبة امل كبيرة نتجت عن منظر منازلها الخارجي .. انها اشبه بقرية في مجاهل افريقيا منها بمدينة ، ولكننا ما كدنا نتعرف الى اهلها ، ونقيم تحت عشيشها ، حتى وددنا لو عشنا العمر كله مع هؤلاء الناس الذين يأسرونك بلطفهم وكرمهم وبشاشتهم، ومجالسهم العربية الاصيلة التى يتحدث فيها الآباء الى الابناء .. يقصون عليهم تاريخ مدينتهم

العريقة ، وخاصة سيرة الملك حمود الذى كانت ابو عريش عاصمة ملكة .. ان حياة هذا الرجل الذى ولد عام ١١٧٠ وتوفى عام ١٢٣٣ هـ (١٧٥٥ ـ ١٨١٨ م .) هي سلسلة من اعمال الشجاعة والبطولة الفائقة ، التي استطاع فيها هذا الامير والملك ان يقف في القمة من احداث زمنه وساسة عصره .. لقد خاض غمار حروب متالية ، كان ينهزم في احداها ليعاود الوقوف في الثانية اقوى مما كان .. حارب اهل الشمال واهل الجنوب .. والاتراك واليمنيين .. حتى اقاربه حاربهم وقاتلهم !! اختط مدنا ، وسك نقودا عليها اسم « ابو عريش » ..

وتدين « ابو عريش » باسمها الى رجل صالح ابتنى فى القرن السابع الهجرى « عريشا » اى عشة ، فقصده الناس لطلب العلم والهداية .. فنسبت اليه المنطقة واصبحت تعرف باسم « ابو عريش » ..

لاتوجد اماكن !

ان « ابو عريش » تعمل حاليا بهدوء من اجل



منظر عام لمدينة « ابو عريش » ، ان العريشة التي تتهدم ، يحل مكانها منزل من الاسمنت والحديد



الى اليمين : المزارع محمد داود زيلعي اكبر مزارعي جزر فراسان جالس امام كمية من الذرة الصيفية التى تنمو بنجاح زائد في الجزيرة .. ان هذه الذرة هي اساس اغلب المأكولات في الجزيرة ، يصنعون منها الخبز ، ..ويأكلونها مع الحليب عندما تكون خضراء .. ومما يذكر ان لهذا الفلاح خمسة أولاد : واحد يدرس في ايطاليا واثنان في جدة ، وواحد في جيزان ، وخامس يعمل في الشرطة .. انهم يأتون الى جيزان مرة في السنة ولا يريد اى منهم العمل في الزراعة ، « لانها مهنة الشقاء والمتاعب » على حد قوله .. ومما يذكر أن ارض جزيرة فرسان اخصب من ارض جيزان عدة مرات ولكن نقص المياه يجعلها لا تعطي ثمارها على الوجه الاكمل .. ان هذا المزارع الذى يعيش في بحبوحة من العيش ، لا يريد حفر بئر ارتوازية بل ينتظر الحكومة لتقوم له بهذا العمل !!

الى أسفل : حرث الارض في جزر فراسان يتم بنفس الاسلوب القديم الذى كان يتبعه الاجداد .. والمزارعون جميعهم من الذين تعدوا سن الاربعين .. اما الشباب فقد اتجهوا الى الوظائف الحكومية



العمل فى السد يسير على قدم وساق ..
وينتهز المقاولون فرصة هبوط حرارة الجو فى
الليل فيعمدون الى صب الخراسانة المسلحة
على ضوء الكهرباء ، تخلصا من حرارة الشمس
فى النهار .. ان هذا السد سوف يتكلف اكثر
من سبعة ملايين دولار .. وكذلك ستتكلف
شبكة قنوات الرى مبلغا مماثلا .. ولكن السد
سينتهى فى مطلع عام ١٩٧٠ بينما تحتاج
شبكات الرى الى اربع سنوات للانتهاء منها ..

● والصورة اليسرى تبين شابين من بدو
المنطقة يعملان فى السد ..



استعادة بعض امجادها ، سالكة طريق التعليم والمعرفة .. والاقبال على التعليم فيها يفوق كل وصف.. وهناك ٩٠٠ طالب فى المدرستين المخصصتين للطلبة ، فى حين بلغ عدد الطالبات ٥٠٠ طالبة .. ولم يستطع المسئولون ايجاد اماكن لجلوس مائة وعشرين طالبا ومائة وخمسين طالبة ، فاضطروا الى الاعتذار عن الحاقهم بالمدارس !!

المرأة مدللة محجبة !

المرأة فى « ابو عريش » معززة مكرمة مدللة محجبة ، لا تخرج الى الحقل ابدا ، وانما تعمل فى منزلها وتطبخ « المرسى » وهي الاكلة الشعبية المصنوعة من خلط العسل والموز والقمح بالسمن الطبيعي ..

وبعد الغروب تجتمع النسوة داخل « عريشة » احداهن ، وتتكرر الزيارات كل يوم فى عريشة مختلفة .. ويجرى الحديث فى الجلسات عن المشاكل المنزلية اليومية ، ولكنهن لا يكدن يتناولن المشاكل الزوجية ، حتى تسارع الفتيات بالخروج من قاعة الاجتماع ، حياء وتأدبا ..

والفتاة ليس لها رأى فى اختيار عريسها .. لان رضا الفتاة من رضا والدها .. حتى العريس لايرى عروسه انما يرسل أهله لرؤيتها ، وفى حالة تشككه يبيح له الشرع رؤيتها من مكان خفي يتم تدبيره مع ذويها فى غفلة عنها !!

تعدد الزوجات .. امر شائع !

ومن عادات الزواج وضع حزام سميك من زهور



بالرغم من صدور نظام الحكم المحلى وتحويل لقب « أمير المقاطعة » الى « حاكم المقاطعة » فان الأهالى ما زالوا يطلقون لقب أمير على الحاكم وعلى نوابه .. وفي الصورة يرى الشيخ صالح سليمان العيد « أمير » منطقة « ابو عريش » في مجلسه اليومى ..

الى أسفل : هذه المعصرة البدائية
لاستخراج الزيت منه .. الجمـ
اثقالا من الحجارة ، متصلة بمحـ
السمسم ، فينساب الزيت بعدساعـ
لبيعه، والمعصارة المتبقية تأكلها الدوا



الفل حول وسط العروس ، لهذا تجد في كل منزل شجرة فل .. وقد اشتهرت «ابو عريش» من قديم الزمان بجمال نسائها حتى قال فيهن الشاعر :

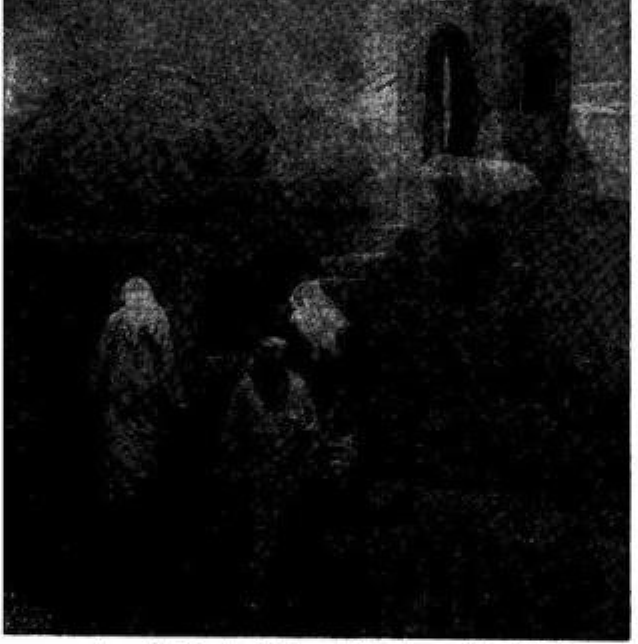
عج بوادى الهضاب فى الاسحار
وترنم هناك بالاوتار
بربا « بي عريش » حيث الغواني
لابسات الحجول والاسوار
الصبا والصبا بها يا معنى
وطلوع البدور والاقمار

وسالنا بعض رجال « ابو عريش » عن تعدد الزوجات وهل هو شائع عندهم .. فاجابونا : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. ومع أن هذا لا يدعو الى تعدد الزوجات الا ان اقل رجل فى « ابو عريش » متزوج من امراتين .. وكثيرون منا لم يتعدوا سن الثلاثين ومع ذلك تجدهم آباء لعشرة من الاطفال أو أكثر !! » .

تدخل بريشك تخرج من غير ريش !!

وخطر لي ان اتزوج فتاة جميلة من «ابو عريش» تضع الحزام الفل حول خصرها وتخطر في خطى الاميرات ، قلت : « هل تقبلونني زوجا لاحدى بناتكم ؟ » .

قالوا : « على الرحب والسعة .. ولكن يجب ان تعيش معنا تتعرف عليك اولا ثم نقرر بعدها مدى صلاحيتك كزوج » واستبعدت الفكرة ، فلم يكن وقتي يسمح لي بالعيش في «ابو عريش» ولاننا كنا علىموعد لزيارة جيزان.. وقلت ونحن نودعهم: « فى مناسبة قادمة باذن الله !! »



سألنا اهل « ابو عريش » : « من الذى بنى هذا المسجد الاثرى ؟ » وكان الجواب : « لا نعرف !! » ومن مكتبتنا عرفنا ان « الملك » حمود بن محمد هو الذى أنشأ هذا الجامع أيام توليه حكم هذه المدينة الذى امتد حتى عام ١٨١٨م .

ابو عريش » ، تقوم بعصر السمسم لسكين مغطى العينين ، يسحب خلفه لعصرة .. وهذه بدورها تضغط على ن الدوران .. يوضع الزيت فيصفائح





الى اليمين : صورة التقطت من البحر لميناء جيزان .. ان عدد سكان هذا الميناء غير معروف بالضبط لكثرة المهاجرين اليه .. ولكنهم يقدرونهم بنحو ٧٠ الف نسمة ..

الى اسفل : وجه معبر من جيزان ، وقد ظهرت من خلفه المباني ذات المشربيات التي ترجع الى عهد الاتراك .. لقد تبدلت عقلية ابن جيزان فقديما كان لا ينتقل من ارضه ويتمسك بها ، اما اليوم فاصبح يهجرها الى مختلف مدن المملكة ..

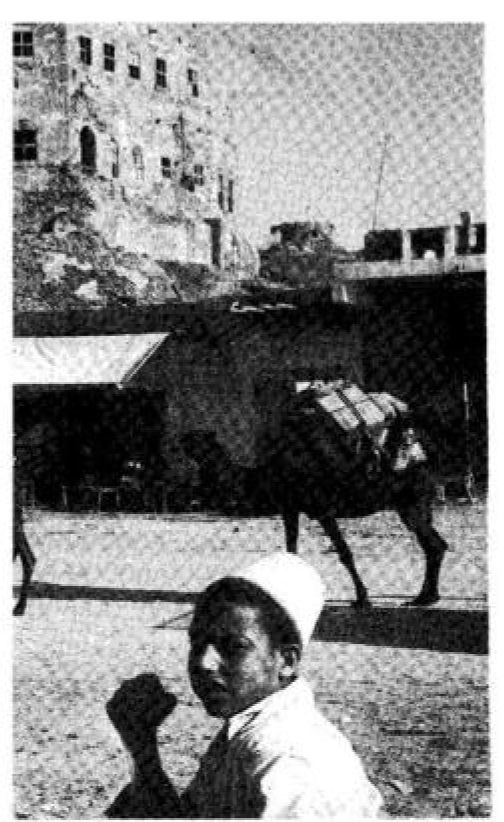


في وسط مدينة جيزان يرتفع جبل قليل الارتفاع صخوره ليست من الجرانيت او البازلت وانما من الملح الصخرى .. لقد قامت بعثة كندية بحفر الارض فوجدت الملح يمتد لعمق ٢٠ مترا تحت الارض .. وقدروا كمية الملح الموجودة بنحو ٥٠٠ مليون طن تمتد تحت مباني مدينة جيزان .. لقد تم توقيع اتفاقية مع شركة ايطالية لاستخراج هذا الملح وتصديره ، ولكن حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ واغلاق قناة السويس اوقفا المشروع .. ويقوم الاهالي حاليا بتفتيت صخور الملح ، وتعبئتها داخل اكياس من الخيش ، ويبيعون الكيس منه بريالين لاهل المنطقة ، الذين يفضلون الملح الحجرى على بقية الاملاح .. وتقول تقارير وزارة البترول والثروة المعدنية ان ربح استثمارات الملح في جيزان يساوى ٢٫٢٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال سعودى (الدولار = ٤ ريالات ونصف تقريبا)





امير جيزان محمد كريم بن تركي يفتتح معرض رسوم طلبة الثانوى وخلفه الأستاذ فؤاد العنقاوى مدير العلاقات العامة بوزارة الانباء



هذه الصورة تجمع بين مختلف المتناقضات : لتبيعه في جيزان .. وبعدها اشترى صاحبه .. بينما ظهر في الصورة احد ابناء المنطقة وقد

وهكذا خرجنا ولسان حالنا يردد قولهم :

ابو عريش ابو القنا والريش
تدخل بريشك تخرج من غير ريش

رمية عصا لمسافة ٢٨ كيلو مترا !!

وسالنا الشيخ صالح العيد امير المنطقة عن مدينة جيزان وكم تبعد عن « ابو عريش » ؟ .

فاجابنا : رمية عصا !!

وتركنا «ابو عريش» ورائحة الفل لا تزال عالقة بانوفنا .. وسرنا في الطريق الذى رسموه لنا ، فاذا برمية العصا هذه تبعد ٢٨ كيلو مترا ، قطعناها على طريق كان ممهدا في يوم من الايام ـ ولكن عوامل الزمن بدأت تعبث به ، فتشق فيه حفرا واخاديد في غفلة عن قسم صيانة الطرق ..

الجمال معدوم !!

وبعد رحلة شاقة وصلنا مدينة جيزان .. وياليتنا ما وصلنا .. ان اول ما يصدمك في هذه المدينة هو حرها الزائد ورطوبتها .. ورائحتها .. وذبابها .. ثم مبانيها .. واخيرا سخافة تعليل اسمها .. فقد قالوا لنا انها قديما كانت تدعى جازان ، فحللوه الى كلمتين جاء وزان اى جاء الزائن .. اى الذى اسس المدينة وزينها !

لقد بحثنا عن اى شيء جميل او « زين » في جيزان ، فلم نجد له اثرا .. حتى مبنى مدرستها الثانوية حوله الطلبة والمسئولون عن المدرسة الى مبنى قذر ، يعشش فيه الاهمال !!

وشهدنا جبل الملح في وسطها ، ورأينا منازل العشش التي يعيش فيها ابناء اليمن الذين نزحوا من بلادهم ، وقطعوا مسافة المائة كيلو متر وجاءوا



سيارة فارهة .. وجمال جاءت محملة بالحطب لسكر والشاى ليعود بهما الى أهله في البادية ختزن القات في فمه. كل هذا تحت قلعة الدوسرية.



هذا المصنع يقوم بطبع النقوش على الاقمشة الشاشية الخفيفة التى تلتحف بها المرأة .. انه الصناعة الوحيدة التقليدية في جيزان ..

ليستقروا فى جيزان .. حاملين معهم عادات وتقاليد اهل اليمن .

ان المدينة تعج بالناس .. انها ممر يعبر منه المسافر من الحجاز الى اليمن .. ومن جبال عسير الى البحر الاحمر ..

جيزان الامس

شتان بين جيزان اليوم وبين ما شهده فيها الرحالة لويس فارتيما البولوني الذى « قام برحلته البحرية فى مطلع القرن السادس عشر ، ودخل ميناء جيزان الجميل ، عَدّ فيه خمسا واربعين سفينة ، وادهشه ان فى البلد عنبا ودراقا وسفرجلا وتفاحا ورمانا وليمونا وبرتقالا في وفرة هائلة .

« ورأى فى جيزان كميات وافرة من اللحم والحنطة والشعير والذرة البيضاء التي يصنع الاعلون منها خبزا ممتازا .. وذكر ان الناس يمشون شبه عراة ، ولكنهم يعيشون مسلمين .. »

لقد لعبت جيزان دورا كبيرا فى تاريخ المنطقة ، فقد كانت احدى عاصمتي الادارسة.. « والادارسة جاءوا الى المنطقة عام ١٩٠٨ ليقيموا حكما روحيا سياسيا بعد ان ضعف حكم الاتراك ، وتضعضع حكم الاشراف فى « ابو عريش » . لقد استمر حكم الادارسة للمنطقة حتى عام ١٩٢٦ عندما عقدوا معاهدة حماية مع الملك عبد العزيز بن سعود .. ولكن فى عام ١٩٣٣ ضم الملك ابن سعود امارة الادارسة كلها الى دولته وبذلك انتهى امرهم.. »

جيزان عمرها ٥ سنوات !

ان تاريخ جيزان حافل بالمواقف والقصص المثيرة ، ولكن اهل المدينة مشغولون عن ماضيهم

مدرسة « ابو عريش » الإبتدائية .. قفز عدد طلبتها من ٦٠ الى ٧٥٠ طالبا .. ان الاقبال الهائل على التعليم جعل ١٢٠ طالبا ، و ١٥٠ فتاة لا يجدون لهم اماكن في مدارس « ابو عريش » ..

الى اسفل : ست آبار ارتوازية تخرج المياه من ارض « ابو عريش » لتنقلها العربات الى المنازل ، بريالين للنقلة .



العريس ابراهيم يحيى حوباني يتأمل مائدة الطعام السخية التي قام باعدادها والد عروسه احتفالا بزواجه من ابنته .. ويدعى الى حفل الغداء التقليدي جميع الاهل والاصدقاء ، وكان عدد المدعوين في هذا الحفل ٥٠٠ شخص .. كانوا يأتون افواجا افواجا .. تماما كما كانت الموائد تمد الواحدة بعد الاخرى، مزينة بالخراف واطباق الطعام المطبوخ مع كميات هائلة من التوابل الحارة !! ومما يذكر ان العريس لا يرى عروسه ، وانما يرسل اهله لرؤيتها واختيارها !!

بحاضرهم .. واتجهنا الى قصر الامارة ، وجلسنا الى اميرها الشاب محمد بن تركي نسأله عن حال المدينة فقال :

« حقيقة ان تاريخ جيزان يمتد الى سنين قديمة ، ولكن الواقع ان عمر المدينة لايزيد عن خمس سنوات .. لقد قطعنا خلال هذه الفترة شوطا طويلا ، ولكننا مازلنا فى البداية .. وقد رصدت الحكومة مبلغ ١٥ مليون ريال لتوسيع ميناء جيزان وتحويله الى بوابة لجنوب المملكة .. والاراضي التي عند مدخل المدينة ، قسمناها الى قطع مساحتها ٤٠٠ متر مربع نبيعها باسعار تتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ ريال .. لقد تمت تسوية الاحواض ومشاتل الزرع وقمنا بجلب التربة الزراعية من البادية ، ووضعناها فوق الارض السبخة المالحة التي تتكون منها التربة فى جيزان .. ان مشكلتنا هي انه عندما نحفر الارض نجد الملح ، ولا شيء الا الملح .. ان كميات الملح فى جيزان تقدر بنحو ٥٠٠ مليون طن ، واستغلال هذه الكمية يعطينا ربحا مقداره دولار على الطن.. اى ٥٠٠ مليون دولار صافي ربحنا من الملح .. »

لن نجد مجالا للنقد فى المستقبل

ويستطرد امير جيزان فى حديثه بقوله :

« ان منطقتنا مقبلة على نهضة كبيرة ، وعندما يتم مد الطريق الذى سيربط مدن الطائف وابها وجيزان وطوله ٧٧٥ كيلو مترا ، فان جيزان ستصبح مركزا لتصدير جميع منتجات عسير الفائضة عن حاجة سكان المنطقة .. ولايجب ان ننسى سد جيزان ، وهو السد الذى سيبدل ملامح منطقتنا تماما ..

انا ندعوك لزيارتنا بعد خمس سنوات .. ونحن على ثقة انك لن تتعرف على المنطقة بتاتا .. اننا نعيش نهضة عمرانية هائلة ستقلب صورة منطقتنا رأسا على عقب .. ولن نجد مجالا لاى نقد في المستقبل .. »

عروس البحر والنعامة فى مياه فراسان

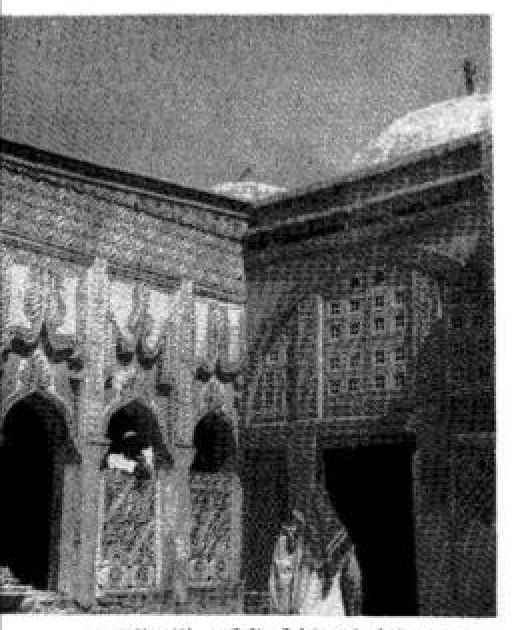
وفى جيزان طلبنا منهم ارشادنا الى وسيلة للانتقال الى جزر فراسان .. فتعجبوا من طلبنا لان جزر فراسان هي جزر لا يذهب لها الا اهلها والمساجين والمنفيون !!

وتحدث امير جيزان مع رجال خفر السواحل واتفق معهم على تهيئة لنش يقلنا الى جزر فراسان .. وقطع اللنش مسافة ٨٠ كيلو مترا بينما قائد سلاح الحدود وخفر السواحل القائد صالح بن مشيلح يحدثنا عن عجائب هذا البحر الغني بمختلف انواع الاسماك ومنها عروس البحر ، وهي سمكة كبيرة ضخمة امسك الصيادون باحداها، ولكنهم ما لبثوا ان اعادوها للبحر ثانية لانهم لا يأكلون لحمها .

ومن الانواع الاخرى : النعامة .. وهي سلحفاة طولها اكثر من متر ، تعيش فى البحر والبر ، رأسها على هيئة راس الصقر .. تضع ٩٠ بيضة عند ساحل البحر ، ثم تنزل للماء وتغيب مدة ٤٠ يوما تعود بعدها لبيضها ، الذى يكون قد بدأ فى التفريخ فتأكل بعض اطفالها ويهرب الباقون منها !

٣ أشخاص سكان الجزيرة

وبدأ اللنش فى تهدئة سرعته ليمر وسط جزر



مسجد فراسان، تحفة رائعة من الفن الهندسي .. كانت تقام فيه صلاة الجمعة سابقا ، ولكن هجرة السكان وقلتهم جعلتهم يغلقون أبواب هذا الجامع منذ ١٥ سنة ، والاكتفاء بجامع صغير في وسط المدينة

متابعة انها بعض جزر فراسان التي يقدر مجموع عددها باكثر من ١٢٠ جزيرة منها ٧ جزر فقط آهلة والبقية مهجورة ..واشهر الجزر المأهولة هي فراسان .. السجيد .. مما .. دمسوك..ابو غنم .. ديسان .. واخيرا « زفاف » التي لا يزيد عدد سكانها عن ثلاثة اشخاص ، !! ويقال ان شركة انجليزية اكتشفت البترول فيها عام ١٩٥٦ .

ثروة السكان من البحر !

وينطلق اللنش في طريقه بحذر زائد .. النوخذا يقف عند المقدمة ، يعطي تعليماته لقائد الدفة : « الى اليمين .. يمين .. امامك جزيرة .. هدىء السرعة .. » ان البحر ضحل وملىء بشعاب المرجان الخطرة .. وقد اشتهرت فراسان بان اهلها يجمعون ثرواتهم من قاع بحرها ،يستخرجون اللؤلؤ الكبير ، الذى بلغ ثمن اكبر حبة منه ٣٠٠ الف ريال سعودى .. ويغوصون الى الاعماق يستخرجون الاصداف الكبيرة يصدرونها الى افريقيا ، وقد بلغ من ضخامة كمية هذه الاصداف ان احتاج الامر في احدى السنوات الى ٣٠ سفينة شحن كبيرة لتنقلها الى مينائي مصوع وعدن ..

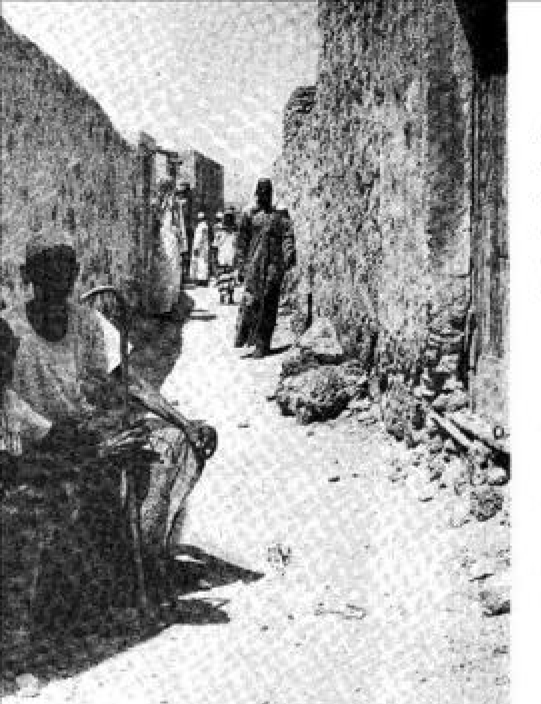
ويحدثونك عن الثروات الاخرى مثل القوقيان، والظفر المسمى فى مصر بام الخلول ، وهو الحيوان الصدفي ذو الفلقتين الذى يجففونه في الشمس ، ثم يضعونه على النار ، وبعدها يدقونه ويضيفون له الهيل ورائحة عطرية مثل الزباد .وهذا الخليط تستعمله النساء بكثرة على رؤوسهن .

ومن ثروات بحر فراسان ، الذى هو جزء من مياه البحر الاحمر ، الثروة السمكية .. وفى مقدمتها تأتي السلاحف الكبيرة ، التي كان ينطلق خلفها الصياد ويصطادها حية ..

الهجرة تقتل الجزيرة ..

كانت جزر فراسان تموج بالحياة فى الماضي ، البواخر لاتنقطع عنها .. اما اليوم فهدوء قاتل .. لقد توقف الناس عن الغوص واستخراج ثروات البحر ، ولم يعد احد يحفل بالسلحفاة .. لقد هجر الغواصون والصيادون جزيرتهم واتجهوا للعمل فى جده والرياض والمدينة المنورة والخرج والدمام ، يعملون موظفين ومقاولين وعمالا ..

لقد هالنا حال الجزيرة ، وخاصة عندما ذهبنا



العمرون اصبحوا يشكلون النسبة الكبرى من سكان جزر فراسان .. اما الشباب فقد هجروا الجزر لانعدام اسباب الراحةوالكسب.

الى مدرسة فراسان الابتدائية ، كان عدد طلبتها ١٥٠ طالبا انخفضوا اليوم الى ٩٥ طالبا فقط .. والسبب هجرة الاهل الى الحجاز وجيزان ..

وسألنا : « هل توجد مدرسة متوسطة ؟ »

قالوا : « لا .. وانما نضطر الى ارسال اطفالنا الى جيزان بمفردهم فى حين ان عمرهم لايتجاوز ١٢ عاما !! »

مسكينة المرأة فى فراسان

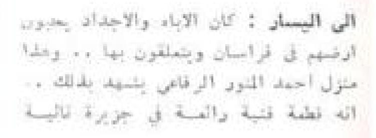
اما الفتاة فلم يبدأ تعليمها الا منذ عام واحد فقط .. لقد سجلت ١٠٠ فتاة اسماءهن للدراسة، ولكن عدد الحاضرات للمدرسة كان ٦٨ تلميذة فقط .. ان الرجل فى فراسان يعامل المرأة بنفس الاسلوب الذى كان متبعا فى العصور القديمة المتأخرة .. ليس لها اى حق من الحقوق الا باذن من رجلها .. وما تكاد تبلغ العاشرة من عمرها حتى يفرض عليها الحجاب وتقبع فى المنزل .. واذا حدث واضطرت للسير فى الشارع فان الرجال



هنا فوق هذه الاسرة نمنا .. انه قصر الامير في فراسان .. والنوم عنده في الهواء الطلق ، وكذلك غرفة الضيوف والطعام وكل شيء ، وكانت ليلة ليلاء لم يغمض لنا فيها جفن ، والسبب تلك المعارك الدائبة التي كانت تنشب بين الاثنتي عشرة قطة التي يربيها الامير في قصره !

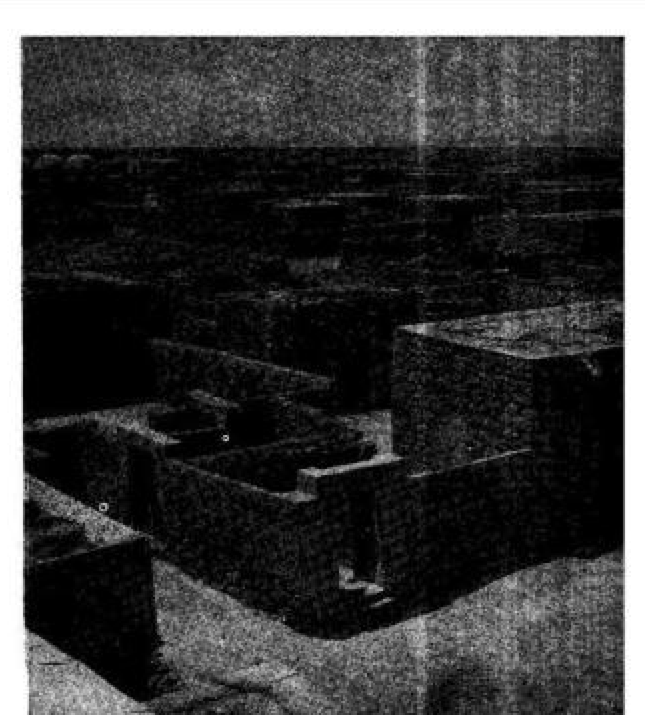


لا يوجد ميناء أو رصيف تقف عليه السفن في فراسان ، فيضطر الناس الى ركوب زورق صغير يتجهون به صوب مركب خفر السواحل الكبير «الذي يحاول المساعدة في حل مشكلة المواصلات بين جيزان وفراسان



الى اليسار : كان الاباء والاجداد يحبون ارضهم في فراسان ويتعلقون بها .. وهذا منزل احمد المنور الرفاعي يشهد بذلك .. انه تحفة فنية رائعة في جزيرة نائية

الى اليمين . انطلق الحمام الساكن الامن ، في جزيرة الشراع بفراسان ، يرفرف باجنحته عندما أحس بالخطر .. اما هذا الخطر فيتمثل في بعض الصيادين من أهل جيزان الذين يصطادون السمك ! ويسرقون بيض الحمام ويجمعونه في صفائح لبيعه



• • •

الى اليمين : هذه هى المدينة الوحيدة في هذه الجزر التى يطلق عليها اسم فراسان .. أن التقاط هذه الصورة تطلب منا مجهود نصف يوم .. لان الصعود على اسطح المنازل في فراسان ممنوع الا بعد التنبيه على جميع السكان بذلك .. وأثناء عملية « التنبيه » اتضح لنا أن أغلب المنازل كانت خاوية مهجورة بدون سكان .. لقد وصل عدد السكان في يوم ما الى ٢٠٠٠ نسمة ، أما حاليا فلا يعلم أحد كم هو عددهم .

• • •

يسيرون على الرصيف المقابل ـ آسف لاتوجد ارصفة فى فراسان ، وانما نعنى الجهة المقابلة لخط سيرها ـ ؟!

واردنا تصوير المدينة من فوق سطح منزل امير فراسان ، فظهر الامتعاض على الوجوه .. وتعجبنا .. فقالوا : « الصعود الى اسطح المنازل ممنوع منعا باتا في فراسان الا في حالة الضرورة الملحة ، وبعد التنبيه على الجيران واخبارهم بأن احدهم يريد الصعود الى سطح المنزل .. »

وسالنا من قبيل التفكه : « هل يمكننا تصوير التلميذات الصغيرات فى المدرسة ؟ »

فجاءنا الرد قاطعا كالسيف : « رئاسة تعليم البنات لاتوافق على التصوير .. ! »

وعندما سمعنا ان هناك معلمتين من نابلس هما رويضة وسمية رضاد حماد تقومان بتعليم الفتيات، طلبنا الاذن بمقابلة المدرسات للتحدث اليهن وتصويرهن .. فصدمنا برد غريب : مايصير ..

قلنا : ولكنهن لسن من بنات البلد ؟!

فاجابونا : « مادامو دخلوا جزيرتنا فانهن اصبحن خاضعات لعادات وتقاليد البلاد !! »

ان الرجال مع المسئولين فى فراسان يرون فى كل هذا امرا طبيعيا .. لانها اوضاع الفوها منذ اجدادهم !

ممنوع دخول الكلاب !

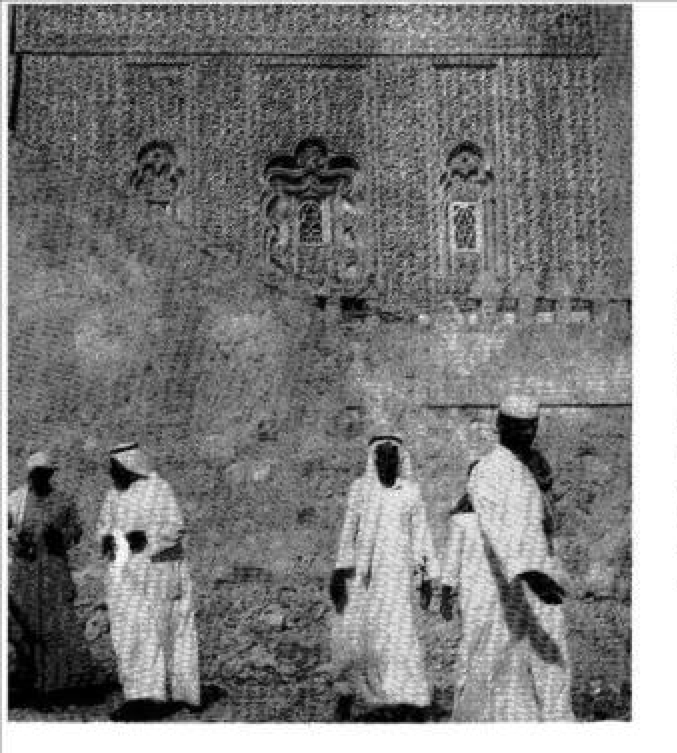
ويوجد بالجزيرة ١٢٠ قطة وثلاثة كلاب فقط ، كلها من الاناث .. ولهذه الكلاب قصة فقد استفحل حالها فى سنة مضت عندما عضها الجوع ، فهجمت على الاغنام والغزلان تنهشها وتأكلها .. فصدر الحكم باعدام جميع الكلاب فى الجزيرة .. ثم عاد الامير وجلب كلبة في مزرعته ، وتبعه اثنان من رجال البلد فاحضرا كلبتين .. واختاروها جميعا من الاناث حتى لا يحدث توالد !!

ان جزيرة فراسان تعج بالغزلان والحمير الوحشية ، حتى بالاغنام البرية التي تركها اصحابها ترعى وغادروا البلاد ..

الاهالى يتحدثون عن متاعبهم !

واجتمعنا الى عدد من شيوخ الجزيرة نسالهم : « لماذا هذه الهجرة ؟ وماسرها ؟ »

فقالوا : « اسباب عديدة تدفع الناس الى الهجرة من فراسان ، اولها : صعوبة الوصول



الى اليسار : كان اهل جزر فراسان يتميزون عن اهل الساحل بالنشاط وكثرة الاسفار ، كانوا يتاجرون باللؤلؤ وثروات البحر ، فاقاموا اجمل المنازل فى جزيرتهم ، مثل هذا المنزل الذى جلب له صاحبه الصناع والنجارين من اليمن والهند لبنائه وزخرفته .. اما اليوم فلم يعد أحد يهتم حتى ببناء عشة في جزر فراسان !!

اليها ... ان مدينة جيزان تبعد عن فراسان ٦٠ كيلو متر يقطعها المركب الشراعي في يوم او يومين حسب حالة الجو والرياح : ويتقاضى من ١٠ الى ١٥ ريالا .. ان الثمن لايهمنا ، ولكن التعب والارهاق هما العلة .. ومطار جيزان الصغير موجود لكن لاتصله الا الطائرات الخاصة بالشركات التي تبحث عن النفط وعن الملح وبقية ثروات المنطقة .. ان الجزيرة محرومة حتى من ميناء تقف عليه السفن ..

« كل هذا قد يهون .. ولكن مشكلة الماء هي اكثر ما نعاني ، ان صفيحتي الماء ثمنهما ريال .. في حين ان الماء موجود بكثرة تحت ارضنا .. لقد حفرت الحكومة ثلاث آبار ارتوازية ظهر تحتها الماء العذب .. واستبشرنا خيرا ، ومازلنا نرجو وصول المكائن التي ستوضع على فوهة الابار ..

ويتابع الاهالي كلامهم بقولهم :

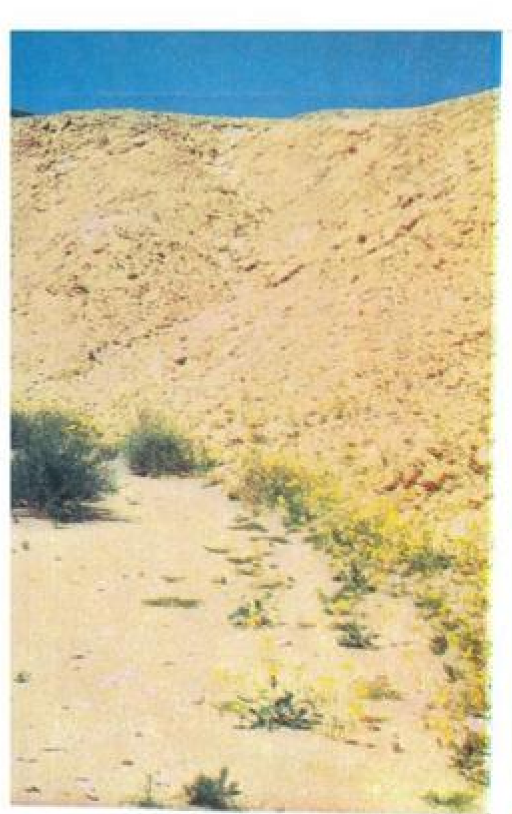
اما عن الكهرباء فهذا شيء نعتبره من الكماليات ولا نطمع او نفكر في الحصول عليها حاليا .. والسيارات التي تاتي الى فراسان وتصاب باى عطب تظل في موقعها لاتتحرك منه حتى تتاكل من فعل الرطوبة وحرارة الشمس . لانه لايوجد ميكانيكي واحد في فراسان » ــ عدد السيارات في فراسان ١٠ منها ٦ متعطلة عن الحركة !! ــ ..

مشكلة المشاكل !

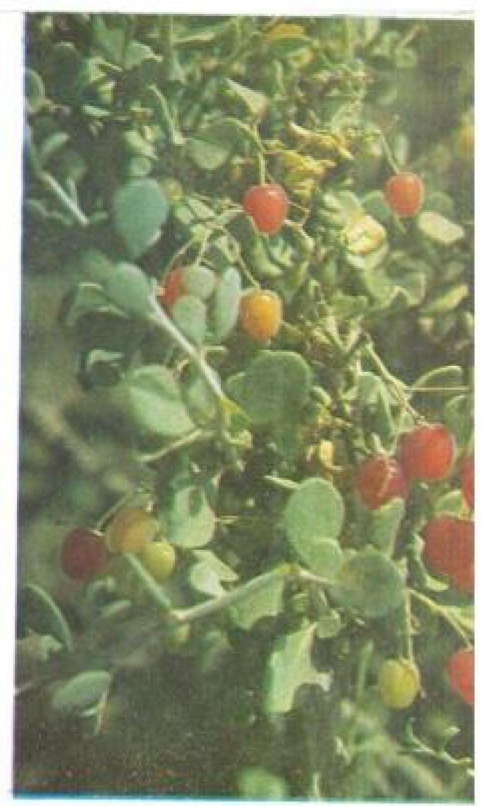
وعلى شاطىء فراسان الرملى جلسنا ننتظر المركب الصغير لينقلنا الى سفينة خفر السواحل .. وتسارعت الافكار ، وكانها شريط سينمائي : سد جيزان ومشاكل شبكة الرى .. « ابو عريش » ومشكلة اخراجها من ماضيها .. وجيزان ومشكلا اعادة بنائها وتخطيطها .. وفراسان ذات الالف مشكلة ومشكلة ..

والواقع ان الحكومة رغم مسئولياتها الكبيرة فى مختلف ارجاء المملكة التي تشبه القارة ، تعمل الكثير لمنطقة جيزان ، وترصد لمشاريعها ملايين الريالات .. ولكن الكسل والاهمال ياتيان من الاهالي ، انهم لايقومون باى مشروع ، تاركين كل شيء للحكومة .. حتى المجتمع يجب ان تتدخل الحكومة لتطويره .. انها الاتكالية التي اصيب بها شعب جيزان وفراسان .. وهذه هي مشكلة المشاكل فى هذه المنطقة المجهولة من وطننا العربي !! ■■

سليم زبال



انحسر نمو النباتات الصحراوية على جانبي التربة الصالحة .. بينما اصبحت



استطلاع الكويت



زهور صحراء

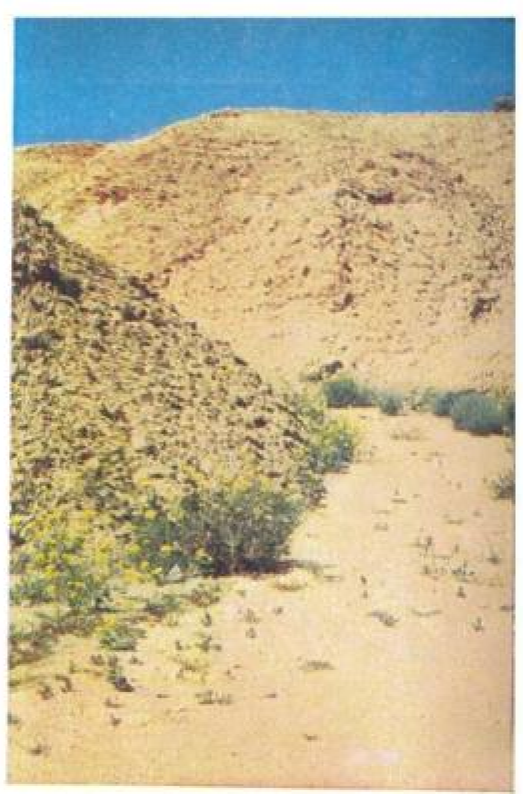
٣٥٠ نوعاً من النباتات

منها نباتات تعيش



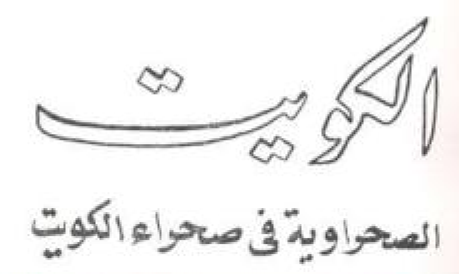
الى اعلى اليمين : انها ليست حبات كرز ، بل ثمار نبات القردق الذي ينمو على سواحل الكويت وترعاه الجمال ولا يتذوقه الانسان .. **والى اسفل** وردة





الوادي فقط حيث ما زالت هناك بقية من المرتفعات جرداء بسبب انجراف التربة ..

(من مجموعة صور ملونة للمهندس اسعد مقصد)



الكويت

الصحراوية في صحراء الكويت

في درجة حرارة ٨٥ مئوية



الى اعلى اليسار : زهرات الاقحوان انها من الحوليات التي تعيش لفترة قصيرة بعد هطول الامطار في الكويت .. وفي **الصورة السفلى** زهرة جميلة من فصيلة القرنفل .. انها نادرة الانتشار في الدلت

■ في قلب صحراء الكويت الحارقة الجافة استطاعت بعض النباتات ان تعيش في درجة حرارة وصلت الى ٨٥° ، مكتفية بأقل نسبة من مياه الامطار .. لقد طورت هذه النباتات حياتها مع الظروف القاسية التي اوجدتها طبيعة المنطقة.. فكيف استطاعت هذه النباتات ان تتنفس وتتغذى في هذه الدرجة العالية من حرارة الاشعاع الشمسي ؟!

خصائص فريدة

تتميز النباتات الصحراوية الطبيعية بخصائص فريدة :

١ ــ جذور طويلة متعددة تمتد تحت الرمال الحارقة بحثا عن الرطوبة ...

٢ ــ ونباتات تخزن المياه في اوراقها عقب نزول الامطار ..

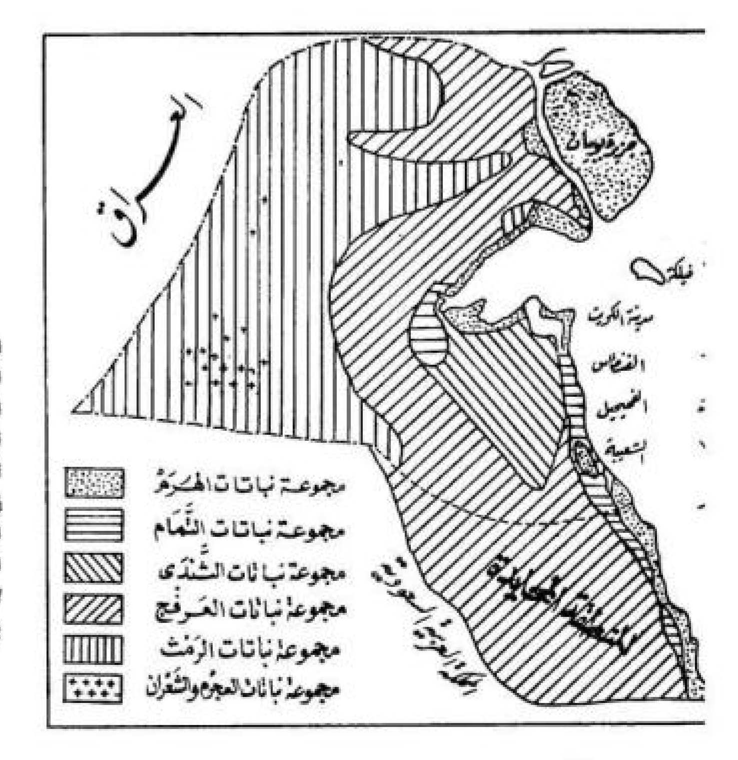
٣ ــ ونباتات تتساقط اوراقها في ايام الحر ، فتبدو وكأنها حزمة من العصي لتقلل من تبخر عصارتها ..

٤ ــ نباتات تغطي اوراقها بزغب او طبقة من الشمع او من الدهن ليمنع جفاف رطوبة اعضائها .. ان هذه النباتات او الشجيرات ، تعلم جيدا انها اذا لم تقتصد في اخراج مياهها فان الهلاك ينتظرها فوق الرمال الملتهبة ..

وهنا نتساءل : ما اهمية هذه النباتات الطبيعية) وما فائدتها ؟ .. وما الذى نعرفه عنها ؟

صحارى من صنع الانسان

الواقع ان الصحارى العربية تمثل نحو ٥٠٪ من مجموع صحارى العالم .. وفي صحارينا تكمن ثروة نباتية طبيعية مهدورة مجهولة .. تتناقص كل عام من فرط اهمالنا لها .. حتى قال بعض الكتاب الافرنج : « ان مساحات شاسعة من الصحارى العربية هي من صنع الانسان العربي



الى اليمين : خريطة النباتات الطبيعية في الكويت.. ومنها يتضح أن الرمث والعرفج هما أكثر النباتات انتشارا في البلاد .. ويعتبر العرفج من أهم النباتات الرعوية ، لاحتوائه على مواد بروتينية عالية ..



بعض الخراف ترعى في وادى البابونج بمنطقة الشقايا جنوب الكويت .. ان الغنم يقص النباتات كالمقص .. بينما الماعز يشكل العدو رقم ١ في جميع البلاد العربية نتيجة للضرر الذى الحقه ، وما زال يلحقه ، بالنباتات الطبيعية ، فهو عندما يرعى يقلع من الجذر .. وقد حان الوقت ليستبدل بالماعز حيوان آخر يحل محله ولا يكون له مضاره وسيئاته .

نفسه .. » والواقع ان ارضنا العربية تتعرض لمعاملة سيئة من سكانها وحيواناتها على حد سواء.

الانسان يقتلع النباتات الكبيرة ويستعملها للبناء والتدفئة ، وعلفا للماشية ..

والحيوانات تلتهم النباتات الخضراء الصغيرة التي بدأت تظهر فوق الرمال .. وهذا هو « الرعي الجائر » .. لانه يمنع النبات من الوصول الى مرحلة النضوج وانتاج البذور التي يتم بها ـ عادة ـ الاكثار والتجدد .. وبعد اقتلاع النباتات تصبح الارض جرداء فتتطاير حبات الرمال مع الرياح ، وتنجرف التربة ، وتكتسب الصحراء رقعة جديدة من الاراضي ، تضمها الى فيافيها المترامية ..

الكويت تهتم بحماية صحاريها

في عام ١٩٦١ بدأ اهتمام الكويت بثروتها النباتية الطبيعية بعد ان هالها سرعة انجراف تربتها وتحول ٩٩٪ من اراضيها الى اراض صحراوية رملية قاحلة ، حتى هرب الغزال والارنب من المنطقة لعدم وجود اعشاب او نباتات يعيشان عليها !!

لقد شعر المسئولون في قسم الزراعة بوزارة الاشغال ان صحراء الكويت قد تحولت من صحراء حية الى صحراء ميتة بعد ان تكاثر الرعى الجائر لاعشابها .. وفي الحال اتخذت الاجراءات لاقامة خمس مناطق محمية احاطوها بسياج ومنعوا رعى الحيوانات فيها ، وبدأوا في دراسة مختلف انواع النباتات الموجودة في هذه المناطق وتأثير نظام « الحماية » عليها ، وكانت النتيجة مشجعة للغاية ، فقد تكاثرت النباتات داخل المناطق المحمية بشكل مذهل ، في حين ضعفت النباتات خارج السور نتيجة الرعى الجائر لها ..

جذور اكثر من الاغصان !

ومن نتائج الدراسات اتضح ان النباتات الطبيعية المعمرة في صحراء الكويت تتمتع بجهاز

نبات الهالوك كان لوقت قصير مضى يعتبر من اخطر النباتات الضارة بالمزروعات لانه طفيلي يعيش على جذورها ويمتص منها المواد الغذائية فيضعفها .. وقد تبين انه يحتوي على زيت عطري زكي الرائحة ، بينما لساقه وجذره طعم يشبه طعم البطاطا الحلوة

هذه الزهرة البنفسجية الجميلة ، تنمو في صحراء الكويت خلال فصل الربيع ويطلق عليها اسم اليحق .. ان جمالها يجذب اليها النظر من بعيد

الى اسفل : زهرة السيساب من اجمل زهور صحراء الكويت ، التي يمكن استغلالها للزينة .. انها من الزهور النادرة وتنتشر في منطقة راس الجليعة .

جذري عميق ، يساعدها على مقاومة الجفاف ودرجة الاشعاع الشمسي التي تصل الى ذروتها في شهري يونيو ويوليو .. ويزيد حجم هذه الجذور المختفية تحت الارض من ١٠ الى ٣٠ مرة عن حجم الجزء الظاهر فوق الارض .. اى ان الجزء الذى يقوم بعملية امتصاص الرطوبة من اعماق التربة اكبر بكثير من الجزء الذى يقوم بعملية النتح والبخر .. ولهذا قالوا ان النباتات الصحراوية تدين ببقائها الى جذورها العديدة .

هجرة النباتات

وفي نفس الوقت الذى فرضت الكويت فيه الحماية على مناطق معينة ، كانت سيارة جيب خضراء تتنقل على الرمال الصفراء ، تقطع أرض الكويت شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، تبحث عن كل نبتة في الصحراء ، وما تكاد تعثر على واحدة حتى يهبط المهندس الزراعي من السيارة ويأخذ عينة من النبتة ، يضعها بكل عناية في ملفات خاصة مسجلا عليها التاريخ والمكان الذى أخذت منه .. وهكذا ظلت السيارة تسير في صحراء الكويت مدة ثماني سنوات .. وكانت الحصيلة رائعة ، اذ امكن عمل خريطة الكويت النباتية لاول مرة .. حددت عليها اماكن المجموعات النباتية المعمرة المهمة Flora Of Kuwait وقد لوحظ ان هذه الخريطة لن تستمر على صورتها الحالية ، اذ ان « الهجرة » التى تقوم بها مجموعة نباتية مكان مجموعة اخرى، تجعلها عرضة للتبديل المستمر .. فمثلا مجموعة نبات الثندى المنتشر حول مطار الكويت الدولى ومنطقة الاحمدى بدأت تغزو منطقتين : منطقة الساحل حيث ينتشر نبات الثمام ، ومنطقة الصبيحية حيث ينتشر نبات العرفج ..

٣٥٠ نوعا من النباتات

ونتيجة لعملية المسح النباتي تم تحديد ما يقارب ٣٥٠ نوعا Species من النباتات الطبيعية المختلفة التي تنمو في صحراء الكويت .. وهذه الانواع تنقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول النباتات العصارية Succulent : اى النباتات التى تختزن الماء في اوراقها وجذورها واغصانها .. وتعيش هذه النباتات على الساحل ، اى في التربة المالحة .. واكثر انواعها شيوعا هو الهَرْم ولهذا السبب دعيت باسمه ، اى مجموعة الهَرْم .



في هذه الخزائن تحفظ النباتات الطبيعية المجففة للمراجعة والدرس .. وقد بُدِىء بانشاء المعشبة الوطنية في الكويت لأول مرة سنة ١٩٦١ ، وتعتبر طريقة البراويز أحدث طريقة متبعة ، وترى هنا المهندس الزراعي أسعد مقصد المسئول عن شعبة ابحاث النبات ، يراجع بعض العينات داخل البراويز .

القسم الثاني : Xerophytes اى النباتات التي تعيش فى حالات الجفاف ، وتتميز بظواهر مختلفة تساعدها على تحمل الظروف الجوية القاسية ، اما بتحوير اوراقها الى حراشيف Scales او باحتوائها على شبكة جذور ضخمة تحت الارض ، او بالتفاف اوراقها على نفسها للتقليل من التبخر ، او بتساقط اوراقها خلال فصل الحرارة الزائدة .. واشهر مجموعات هذه النباتات هي الرمث والعرفج والثندى والثمام .

اما القسم الثالث : فهو الحوليات Ephemerals اى النباتات التي تكمل دورة حياتها فى فترة قصيرة من الزمن ، تمتد من نوفمبر حتى ابريل . وهو موسم الامطار ، وفى خلال هذه الفترة القصيرة تنمو الحوليات ، وتزهر ، وتكون حبا جديدا كثيرا ، قبل ان تذبل وكأنها تعرف جيدا ان حياتها قصيرة للغاية .. وهذه النباتات الحولية تتفوق على بقية النباتات من ناحية عدد انواعها ، وجمال منظرها ، وتنتشر فى كل انحاء الكويت ..

نباتات للاكل وللدواء

ونتيجة لعملية المسح النباتي امكن حصر فوائد قسم كبير من النباتات فى الكويت ، وقد اتضح ان نسبة ضخمة منها رعوية ، اى ترعاها قطعان الحيوانات من جمال واغنام وماعز .. وهذه النباتات يبلغ عددها اكثر من مائة نوع .. وهنالك النباتات الطبية ، وهي النباتات التي يستعملها البدو فى معالجاتهم الخاصة ، وقد تبين ان ١٩ نوعا منها تدخل فى تركيب الادوية الحديثة .. مثل العاقول وخروب الخنزير والبرواق والعاشور والحنظل والرمرام والحرملة والجعدة وغيرها ..

نباتات للزينة وللاكل

وهناك نباتات ذات ازهار جميلة فاتنة تصلح للزينة ، كنبات شموع الصحراء ، والاقحوان والحويزان ، والعنصل ، والجلاديوس الصحراوى وغيرها ..



شجرة الطلحة انها الشجرة الطبيعية الوحيدة في منطقة الزور في صحراء الكويت ، قدروا عمرها بعدة قرون .. نشأت حولها الخرافات والأساطير مما ساعد على حمايتها .. اذ يعتقد بدو الصحراء ان الذى يقطع جزءا منها سيحدث له اذى او يمسه الجن .. ان للخرافات مفعولا أقوى من أى تشريع أو قانون !



منظر لانجراف التربة نتيجة التعرية ، ولا يحدث هذا في الكويت وحدها ، بل في جميع البلاد العربية بسبب عدم صيانة النباتات الطبيعية مما أدى الى انعدامها وانجراف التربة .. وفي لبنان تقدرت الخسارة السنوية من خصب التربة المنجرفة بخصب تربة قرية بكاملها ، وقس على ذلك في بقية أقطار العرب .



شموع الصحـــراء ، من أندر وأجمـــل الزهور الصحراوية .. ومن المؤسف أن هذا النبات الفاتن الزهرة أصبح شبه منقرض في صحراء الكويت .



نبات الفجراف من مجموعة النباتات العصارية التى تعيش فى المنطقة الساحلية ذات الملوحة فوق العادية،وتعطى ازهاره،مشهدا جميلا لصحراءالكويت

ونوجد كذلك نباتات ياكلها البدو كالحميذان والعويهرة والسعدان .. ونباتات سامة قاتلة ، اهمها نبتة الغزالة التي تقتل اكلها فى الحال .. وهناك نباتات صالحة لتثبيت الرمال كالثمام والثندى والرغد ..

الاستعانة بالجامعات

وكان قسم الزراعة بوزارة الاشغال يأخذ النباتات غير المعروفة والمشكوك فى تسميتها ، يجففها ويضعها فى طرد خاص ويرسلها الى الخارج .. الى متحف العلوم الطبيعية فى النمسا .. والى قسم النبات بجامعة القاهرة .. والى الجامعة الامريكية فى بيروت .. والى استاذ النبات فى جامعـة بـال بسويسرا .. كان يرسلها الى كل هذه الجامعات ليستفيد من الخبرة العلمية المتوفرة لديهـا .. وكانت الردود تأتي حاملة اسماء هذه النباتات المعروفة دوليا .. وقد تبين ان فى تربة الكويت خمسة انواع من النباتات لم تجر تسميتها سابقا .. وهذا امر هام من الوجهة العلمية ..

هدية للجامعة

وعندما فتحت جامعة الكويت ابوابهـا عـام ١٩٦٦ بدأ التعاون بين شعبة ابحاث النبات فى ادارة الزراعة وقسم النبات فى الجامعة الفتية .. وقدمت الادارة نماذج من حوالي ٢٠٠ نوع من النباتات الكويتية المجففة هدية الى الجامعة .. وبدأت صفحة جديدة من الاستفادة من الخبرات العلمية المتخصصة فى جامعة الكويت ، وانطلقت

الرحلات المشتركة تجوب صحراء الكويت تمسح البيئات النباتية المختلفة ، وتجمع نماذج جديدة من النباتات .. وما زالت الابحاث مستمرة لاصدار دراسة علمية حول هذه الابحاث ..

وقف عملية التقهقر

وقد يتساءل الفرد : لماذا كل هذه المتاعب ، وما فائدة دراسة النباتات الصحراوية الطبيعية ؟ ويجيب المهندس اسعد مقصد المسئول عن النباتات الطبيعية فى ادارة الزراعة بوزارة الاشغال بقوله :

« ان البلاد العربية كلها تتعرض لعملية انجراف رهيبة .. انجراف لتربتها نتيجة تلاشى الغطاء النباتي باستمرار ، ولا يمكن وقف هذه العملية بدون دراسة النباتات فى البدء لاستخلاص انجع الوسائل العلمية لتطوير الغطاء النباتي وتنميته مع وقف لعملية التلاشي التي يتعرض لها حاليا .

« ان استمرار تلاشي التربة معناه استمرار استنزاف الخصوبة من هذه التربة ، وهذا ينعكس بدوره على الثروة الحيوانية فتنخفض نسبة المواشي التي تعيش على النباتات الطبيعية .. وبالتالي تنقص المواد العضوية المعادة الى التربة ، فيتأثر تركيبها الطبيعي وقدرتها على امتصاص مياه الامطار ، وتضعف خصوبتها وقدرتها الانتاجية ..

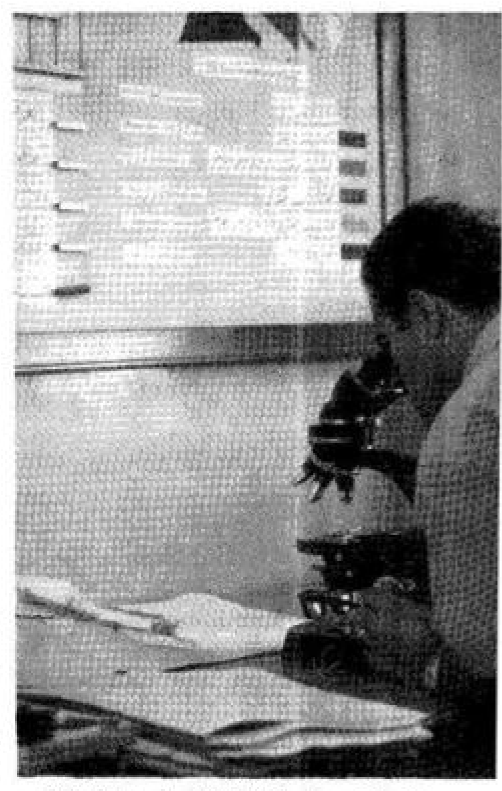
« وهكذا يختل التوازن المثلث الذى قوامه الارض والنبات والحيوان .. وتتجه الحلقة التي تربط الارض بالنبات والنبات بالحيوان من سيىء الى اسوا ..

ويتابع المسئول عن النباتات الصحراوية فى ادارة الزراعة حديثه بقوله :

« ان درس النباتات الطبيعية الصحراوية ـ ان كان فى الكويت او فى البلاد العربية الاخرى ـ هو عمل مهم للغاية لاننا بحاجة ماسة الى مزيد من المعلومات عن هذه النباتات التي استطاعت العيش فى الصحراء ، ومقاومة جميع العوامل الطبيعية القاسية ..

« ان النباتات المتبقية اليوم فى صحارينا ، والتي تعرضت لعوامل مختلفة ، تعتبر حصيلة اختبار طبيعي جرى خلال عشرات من القرون .. وان فهمنا لها يعتبر الخطوة الاولى فى تقدمنا نحو قهر الصحراء .

« ان دراسة النباتات الصحراوية ستفيد الى حد بعيد فى اختيار الانواع ذات الصفات المرغوب فيها لشتى الاغراض والاهداف التي نسعى اليها، حتى يجرى بعدئذ تحسينها وتهجينها واستخلاص اصناف جديدة منها كما حدث فى اوربا وامريكا واستراليا والاتحاد السوفيتي وجنوب افريقيا .. ان هذه الدول قد طورت ثروتها النباتية بشكل يدعو الى الذهول ، اذ انها تخرج كل عام اصنافا جديدة من الورود .. وهذه الورود الجديدة استنبطتها من ورود طبيعية تنمو فى بلادها ، بعد



عندما تجمع العينات النباتية يؤتى بها الى المختبر حيث يجرى التفريق بين الانواع المتشابهة بواسطة المجهر للتمييز بين خصائصها المورفولوجية

اسماء النباتات الطبيعية التى وردت بالمقال بالعربية واللاتينية

الغردق	Nitraria Retusa
العاقول	Alhagi maurorum
خروب الخنزير	Anagallis arvensis
البرواق	Asphodelus teniufolius
العاشور	Calotropis procera
الحنظل	Citrullus colocynthis
الرمرام	Heliotropium ramosissimum
الحرملـة	Peganum harmala
الجمدة	Teucrium polium
شموع الصحراء	Limonium spicata
الاقحوان	Anthemis deserti
الحويزان	Picris saharae
العنصل	Iris sisyrinchium
الجلاديوس الصحراوى	Gladiolus segetum
الحمبزان	Emex spinosa
الموبهرة	Orobanche aegyptiaca
السعدان	Neurada procumbens
الغزالة	Enphorbia cornuta
الثمام	Panicum turgidum
الثندى	Cyperus conglomeratus
الرغل	Atriplex leucoclada
العرفج	Rhanterium epapposum
البحق	Diplotax:s Acris
الهالوك	Cistanche Lutea
السيـاب	Limonium Thouini

ان قامت بتهجينها وتحسينها .. وصحراء الكويت غنية بانواع فائقة رائعة من الزهور مثل العنصل ، وشموع الصحراء ، والكشين والجعوان وغيرها من الانواع التي يتناقص وجودها عاما بعد عام .. لهذا يجب الاسراع باستغلالها قبل انقراضها .. »

اعادة الحياة النباتية الى الصحراء

ان اعادة الحياة النباتية الى الصحراء ليست بالامر السهل .. فهي تحتاج الى عمل متواصل مضن .. فالاهمال الذى لقيه النبات والارض خلال قرون متعاقبة ، لا يمكن اصلاحه في شهور او سنين ، وقبل هذا لا بد ان يقتنع القائمون بخطورة هذا العمل ، وبالايمان به .. فالايمان هو اول الحوافز التي تتم بها المشاريع ..

■■

س • ز •

أمراض شائعة

CHRONIC CHOLECYSTITIS

بقلم : الدكتور حسن العوضى

رئيس وحدة الجراحة بالمستشفى الاميرى
وزميل كلية الجراحين الملكية بلندن وادنبرة

■ في عالمنا العربي ـ نصادف الكثير من حالات حصوة المرارة . والالتهابات المزمنة بها ـ وخاصة بين السيدات .

هل الغذاء له علاقة بذلك ؟

ولماذا تتعرض له المرأة اكثر ؟! .

هل هى الحياة المتراخية ؟ وهل هو الغذاء الدهنى والنشوى ؟

وما هو دور الدواء والجراحة في العلاج ؟

وماذا قدمه العلم الحديث في سبيل العلاج والوقاية ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عليه في هذه السطور .

الحويصلة المرارية Gall Bladder ، هي كيس صغير الحجم . يلاصق الكبد ، ويختزن تلك المادة الصفراء التي تفرزها الكبد ، ويدفع بتلك المادة الى الامعاء بمجرد وصول الطعام اليها . حتى تختلط به . وتساعد فى عملية الهضم والامتصاص للمواد الدهنية .

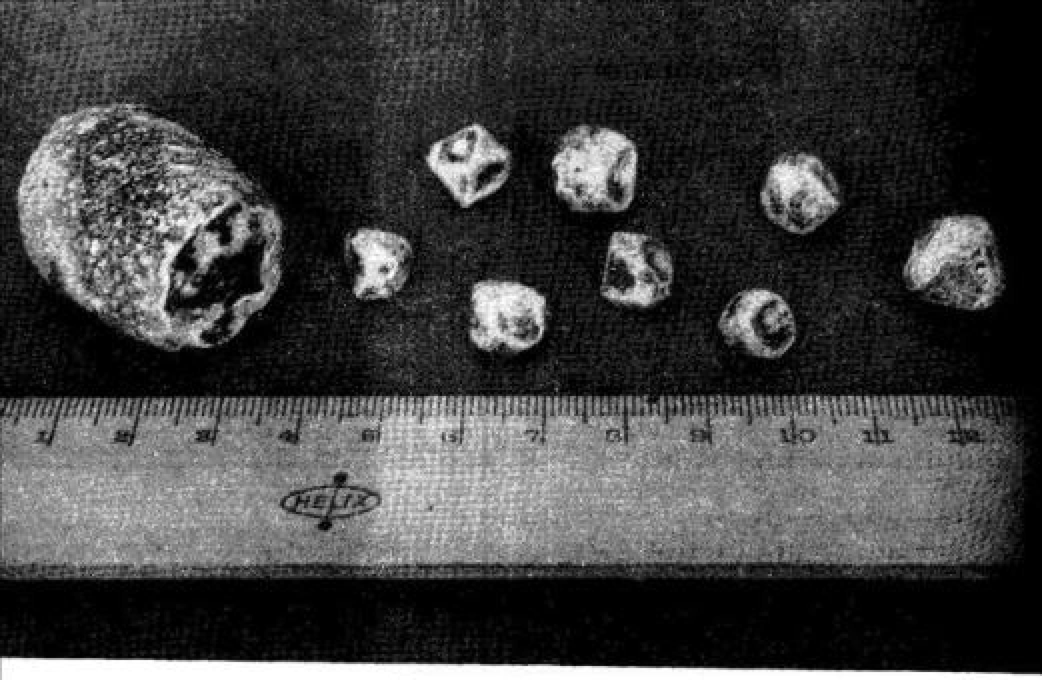
وحينما يصيب المرض كيس المرارة تعجز عن اداء وظيفتها هذه مما يؤدى الى اضطراب في الهضم والامتصاص ، وركود السائل المرارى بها . وذلك الركود يؤدي الى ترسب بعض المواد الموجودة به على هيئة حصوات .

أنواع حصوات المرارة

١ ـ حصوة الكولسترول Cholestrol Stone وهذه عادة تكون واحدة ، وكبيرة الحجم . صفراء اللون لا تظهر فى الاشعة العادية .



الحويصلة المرارية



حصوات مختلطة ذات أحجام مختلفة .

ومادة الكولسترول Cholestrol ، مادة عضوية كحولية وترتفع نسبتها في الدم بزيادة تناول المواد الدهنية . وقد تترسب تلك المادة في الشرايين مثلا وتؤدى الى تصلب الشرايين. وترسبها في المرارة يؤدى الى تكون الحصوات .

٢ ـ حصوات الكالسيوم Calcium Bilirubinate .وهي خضراء قاتمة اللون ـ صغيرة الحجم ومتعددة ـ وتتكون من اختلاط الصفراء ، مع املاح الكالسيوم

٣ ـ الحصوات المختلطة Mixed Stones ، او حصوات الالتهاب ، وهي تكون ٨٠٪ (ثمانين بالمائة) من حصوات المرارة . وهي متعددة ، ومضلعة الجدران . كثيرة العدد قد تصل الى المئات . وتتكاثر بسرعة داخل المرارة حتى تملأها تماما .

اسباب تكون الحصى والتهاب المرارة

يكثر ذلك خاصة في السيدات دون سن الاربعين، السمينات منهن اكثر من النحيفات . والكسولات منهن عن العاملات النشيطات ، والاكولات منهن عن معتدلى الشهية

أما لماذا يكثر في السيدات ؟ فلانتشار مرض السمنة بينهن وما السمنة الا زيادة في المواد الدهنية في الجسم . وهى مصدر الكولسترول الذى يترسب في جدار المرارة ، وفي داخلها مكونا ومساعدا في ترسب الحصى بها .

ولماذا يكثر بين الكسولات ؟ لأن النشيطات من السيدات بنشاطهن هذا يحرقن الكثير من دهنيات الجسم . وبذلك يتخلص الجسم منها ومن آثارها السيئة .

ولماذا يكثر بين الاكولات ؟ لانهن عادة يتناولن الكثير من النشويات والدهنيات ومعروف اضرار ذلك . ولكن بما انه ليس هناك قواعد جامدة في الطب ، فاننا قد نرى كثيرا من الرجال وصغار السن مصابين بمرض المرارة .

وقد تكون حصوات المرارة هي السبب المباشر للالتهاب المزمن بها ، وقد يكون العكس اى ان التهاب المرارة هو السبب المباشر لتكوين الحصوات

بها . وقد يكون كل ذلك ناتجا عن وصول الميكروب من البكتريا الى المرارة .

الاعـــــراض

أولا : عسر الهضم المزمن Dyspepsia ، وهو الشكوى من الانتفاخ بالبطن والامساك المزمن، وعدم الشعور بالارتياح بالبطن ، مع غثيان بعض الاحيان وخاصة بعد تناول المواد الدهنية او التى يدخل كثير من الدهنيات في تكوينها وتحضيرها .

ثانيا : الآلام باعلى البطن وهي من نوعين :

نوع مزمن Chronic ، في الناحية اليمنى من اعلى البطن . وتحت منطقة الضلوع مباشرة . وقد يصل الى الظهر ، او خلف الكتف . ويزداد بتناول الدهنيات .

ونوع حاد Acute ، في نفس المنطقة يسمى بالمغص المرارى Biliary Colic ، يجيء فجاة ويكون شديدا ، مصحوبا بعرق ، وشحوب بالوجه ، وقيء . وهبوط بالضغط وتبلغ شدته الى درجة لابد للمريض فيها من تناول المسكن . او المخدر وقد يصحب ذلك المغص او يعقبه ، اصفرار في العينين وتغير في لون البول حيث يصبح داكنا .

المضاعفات

أولا : اليـرقان الانسـدادى Obstructive Jaundice ، وذلك ينتج عن خروج احدى الحصوات من المرارة ومحاولة عبورها القنوات المرارية في طريقها الى الامعاء . وحيث ان القنوات المرارية دقيقة المسالك فان الحصوة قد تعترض بها وتتوقف وبذلك تسد الطريق امام الصفراء وتمنعها من العبور الى الامعاء .

وينتج عن ذلك عدم هضم الطعام وعدم امتصاص الدهنيات منه ، ثم تضخم الكبد وانتفاخها لانسداد الطريق امامها . وعدم تمكنها من تصريف المادة الصفراء الى خارجها . فتجد هذه المادة طريقها الى الدم الذى ينقلها الى كافة اجزاء الجسم وبالتالى يصير لونها اصفر . ويظهر ذلك في العنين على هيئة يرقان أو اصفرار واذا استمرت تلك العملية ، قد تصل الى مرحلة تعجز بها الكبد عن اداء وظائفها . وهذه من اخطر الامور على الحياة . وتسمى هذه الحالة بالصفراء وما اليرقان الا اسم لهذا المرض .

ثانيا : التهاب المرارة Acute cholecystitis ، وذلك ينتج أيضا عن انسدادها بواسطة الحصوات ووصول الميكروبات اليها . فيؤدى الى انتفاخها ، والتهابها . وقد تصل الى مرحلة الانفجار مثل التهاب الزائدة الدودية تماما. وهي من الحالات التى تتطلب دخول المريض

حصوة الكولسترول قد يبلغ حجمها أحيانا ٤ سم فأكثر .



المستشفى وقد تجرى له عملية جراحية عاجلة لانقاذ حياته .

العـــلاج

كما ان هناك حالات من التهـاب المرارة ، قد لايصحبها حصوات ، فمثل هذه الحالات ، لاتحتاج الى العلاج الجراحي بل تتحسن بالعلاج الدوائي ويتلخص فيما يلي :

١ ـ الامتناع او الاقلال من تناول المواد الدهنية، او التى يدخل في تحضيرها وتكوينها الكثير من الدهنيات .

٢ ـ محاولة انقاص الوزن . وتجنب السمنة وتخفيف العبء على الكبد ،ومنع ترسب الدهنيات الزائدة في المرارة .

٣ ـ مزاولة نوع من الرياضة . ومحاولة ان تكون الحياة اليومية مملوءة بالنشاط والحركة .

٤ ـ القضاء على بؤرات الميكروبات بالجسم ، مثل الاسنان والاذن الملتهبة ، والمبايض ، والزائدة الدودية . لانها قد تكون مصدرا لتزويد المرارة بالميكروبات التى تؤدى الى الالتهاب الحاد بها .

٥ ـ اعطاء بعض الادوية المضادة للالتهاب والتقلص ، والمدرة للسائل المرارى ، والتى تساعد المرارة على القيام بوظائفها .

اما اذا كان هناك حصوات بالمرارة ، فلابد من استئصال المرارة بحصواتها جراحيا ، وليس هناك دواء يستطيع اذابة حصوات المرارة كما يعتقد البعض . كما ان وجود الحصوات يؤدى الى الكثير من المضاعفات التى ذكرناها من قبل .

والطب الحديث ـ بما صحبه من تقدم ملحوظ في علم الجراحة والتخدير ـ قد جعل من استئصال المرارة امرا سهلا ميسورا ، خاليا من الخطورة وقد اصبحت المرارة حاليا تستأصل فى وقت قصير . كما ان بقاء المريض فى المستشفى اصبح محددا .

وقبل تحديد الجراحة للمريض يلزم القيام ببعض الاشعاعات للمرارة للتأكد من وجود الحصوات بها ، حيث يعطى المريض بعضا من حبات الدواء التي تمتص وتصل الى الكبد التي تبعث بها الى المرارة ، لتظهر معتمة في الصورة الناتجة ثم يعطى المريض بعضا من المواد الغذائية التى تؤدى الى انقباض المرارة .وتصويرها مرة اخرى بعد الانقباض لاعطاء فكرة للجراح عن مدى قدرتها على القيام بوظائفها .

وبعد تحديد وجود الحصوات . وتقرير العملية يدخل المريض الى المستشفى حيث يحضر لاجراء عملية في اليوم التالى . ويقوم طبيب التخدير بزيارة المريض واعادة الكشف عليه ، لتحديد نوع المخدر المناسب ، واعطائه المسكن قبل العملية اذا لزم .

وبعد استئصال المرارة يبقى المريض بالمستشفى مدة تتراوح من اسبوع الى عشرة ايام يخرج بعدها سليما معافى

وفى حالة انسداد القنوات المرارية Bile Ducts يقوم الجراح بعد استئصال المرارة باستكشاف تلك القنوات باجراء عملية دقيقة ، يفتح القنوات ويبحث داخلهـا عن الحصوات المعترضـة ، واستخراجها وتوسيع الطريق امام السائل المرارى Bile ، للمرور بسهولة الى الامعاء .

ويسأل الكثيرون ـ هل يمكن للانسان ان يعيش بدون مرارة ؟وهل يمكن ان يعيش طبيعيا بعدها ؟

والاجابة على ذلك واضحة ، فالمرارة الملتهبة المحتوية على الحصوات ، لافائدة منها ، بل هناك الضرر والخطر وهي عاجزة عن القيام بمهمتها ، وتحتوىعلى الحصوات . ولذلكفالتخلص منها امر بديهى ، ولايمكن استخراج الحصوات فقط وترك المرارة ، لان تلك المرارة سوف تكون حصوات اخرى ، كالمصنع تماما .

والانسان يعيش طبيعيا بعد تلك العملية ، لان السائل المرارى سوف ياخذ طريقه الى الامعاء ، وهذا هو المهم عن طريق القنوات المرارية دون المرور بالخزان السابق وهو المرارة ، والجسم يستطيعالتأقلم للظروف الجديدة بسهولة ..

■■

حسن العوضي



ركن الأسرة والمرأة

المنازعات الزوجيَّة
هَل هي ظاهـرة طبيعيَـة ؟
زواج بلا شجار .. طعام بلا ملح !!

بقلم : منير نصيف

■ ان الخلافات والمنازعات والمشاجرات تكاد تكون جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية ... فكل الازواج تقريبا يتنازعون ، ولو أن الكثيرين منهم يخجلون من الاعتراف بهذه الحقيقة أمام الناس..

وبعض الازواج يجفلون ، ويستبد بهم الهلع والقلق عندما يجدون انفسهم وجها لوجه امام أول خلاف ينشأ بينهم بعد الزواج .. ويذهب بعض الازواج والزوجات الى الاعتقاد بان هذه الظاهرة الخطيرة هي بداية النهاية !

فهل صحيح هذا الاعتقاد .. هل صحيح أن الشجار بين الزوجين ، هو اشارة الخطر التى تنطلق معلنة قرب ارتطام سفينة الزواج بالصخور ثم الغرق ؟

لقد قام ثلاثة من كبار علماء النفس ، هم ديكسون تيري Dickson Terry والدكتور السون سميث Alson Smith ودوريس كلوس Doris Klauss والأخيرة امراة تعمل مستشارة للازواج .. قاموا بدراسة من واقع التجارب التى مرت بحياتهم وحياة غيرهم من الناس ، وخرجوا بنتيجة هامة ، وهى أن المنازعات الزوجية ظاهرة صحية ..

الشجار ... بداية البداية

فهى ليست اذن بداية النهاية كما تصور البعض ، وانما هي في واقع الامر ، بداية البداية .. انها النقطة التى يبدأ عندها الرجل والمرأة في السعى جديا الى التنسيق بين طباعهما وميولهما واحتياجاتهما وطموح كل منهما في الحياة ..

ولكنّ .. قليلون هم الذين يدركون الاسباب والدوافع الحقيقية للمنازعات التى تنشب بين الزوجين ، وخاصة في السنوات الاولى للزواج .. وقد يكون هذا هو السبب في فشلهم في حل خلافاتهم ، وما يترتب على هذا الفشل ، من فشل الزواج نفسه ..

فالبعض قد يرى ، كما قدمنا ، فى هذا الشجار الذى يحدث بينه وبين شريك حياته لأى سبب ، كارثة تهدد زواجه ، وخاصة اذا وقع الشجار أو النزاع في الشهور الاولى للزواج ، بعد خطبة سعيدة دامت شهورا طويلة لم يتخللها اى شيء يعكر صفو العلاقات الطيبة بينهما .

الرجل أكثر من المرأة

وهذا الشعور بدنو الكارثة ، ينتاب الرجل



اكثر مما ينتاب المراة ، لاسباب عديدة ، في مقدمتها انه هو الذى اختار هذه المراة دون سائر النساء لكى تصبح زوجة له تشاركه حياته .. حقا ان زواجه بها لم يتم الا بعد اخذ رايها وموافقتها .. ولكن حرية الاختيار كانت له وحده ولم تتح لها هى .. فالرجل هو الذى يأخذ دائما بزمام المبادرة في الزواج .. هو الذى يتقدم طالبا يد الفتاة التى اختارها قلبه ، بعد أن تأكد ، او تصور ، انه تاكد من انها فتاة أحلامه التى مضى يبحث عنها سنوات وسنوات ..

اختلاف الطباع والميول

وكثيرا ما يصدق ظنه ، ولكن ما اكثر ايضا أن يخيب هذا الظن ، ويكتشف الرجل بعد الزواج ، أنه قد تزوج انسانة غريبة ، تختلف عنه كل الاختلاف في طباعها وميولها ونظرتها الى الحياة بصفة عامة !

ولكن حتى هؤلاء ، لا يجب أن يتصوروا أن حياتهم الزوجية قد انتهت من حيث بدأت .. فليس من المعقول ان يجد الرجل صورة طبق الاصل منه في شريكة حياته ..وهى وان استطاعت أن توهمه بهذا أيام الخطبة ، الا أنها قد عادت الى أصلها وطبيعتها ، وظهرت على حقيقتها بعد الزواج .. وهو شيء لا بد واقع في كل حال .

ان أبناء الاسرة الواحدة قلما يتشابهون وقلما تتفق امزجتهم وعاداتهم .. وما اكثر ما يتشاجرون ويتنازعون .. فما بالنا بأبناء الأسر الغريب بعضها عن بعض ، تلك التى لا يربط بينها سوى رباط المصاهرة وحده ؟

كيف نكيف حياتنا

ويرى علماء النفس ، أنه اذا أدرك الزوجان هذه الحقيقة ، واذا اقتنعا بان ما يحدث بينهما من منازعات وشجار ، أمر طبيعي لا يجب أن يبعث على الخوف او القلق، واذا أدركنا أيضا أن أفضل وسيلة للتخلص من الشعور بالغضب الذى ينتابنا في بعض الأحيان ، نتيجة لهذا الخلاف ، هى التنفيس عما يجيش في صدورنا من انفعالات ودفعها الى السطح .. اذا أدرك الزوجان هذا كله ، استراحا نفسيا وعرفا كيف يكيفان حياتهما الجديدة ، ويتخلصان من أسباب الخلاف بينهما ، التى كثيرا ما تكون صغيرة تافهة لا تستحق منا مجرد الوقوف عندها او حتى التفكير فيها ..

المناقشة بالمنطق والحجة

ولكن كيف ننفس عن غضبنا ، وكيف نعبر عنه؟ هذا هو السؤال الذى يجيب عليه علماء النفس الذين اهتموا بدراسة ظاهرة المنازعات الزوجية..

انهم يرون أن افضل وسيلة لتسوية اى خلاف ينشأ بين الزوجين ، هى المناقشة الهادئة بالمنطق والحجة .. فقد يختلف الزوجان مثلا في طريقة قضاء وقت الفراغ أو السهرة في البيت ، فتبدى الزوجة رغبتها في مشاهدة التلفاز ، بينما يرى الزوج أن البرامج التى تذاع غير جديرة بالمشاهدة وانه يفضل أن يقرأ كتابا جديدا في هدوء على ان يجلس امام التلفاز الذى يملأ نفسه ساما وضجرا ..

وتبدأ المناقشة في العادة في هدوء ولكنها لاتلبث ان تحتد مع اصرار كل منهما على موقفه ورغبته في تنفيذ ما أراد ..

كلاهما على حق

ونحن اذا ناقشنا موقف كل من الزوجين على حدة ، وجدنا أن الزوجة على حق فيما طلبت وارادت ، فهى تتوق الى تسلية نفسها بعد يوم شاق داخل جدران البيت .. ثم هى لا تجد هذه التسلية الا في برامج التلفاز ، حتى لو كانت سخيفة ..

والزوج أيضا على حق ، فهو يرى أن في قراءة كتاب جديد ، غذاء لفكره وروحه ، وهدوءا لأعصابه المضطربة بعد يوم حافل بالمناقشات مع الزملاء في العمل ..

ولو أدرك كل منهما ظروف صاحبه ، لما كان هناك سبب لهذا الخلاف الذى وقع بينهما .. ولو أمعن الطرفان النظر لاستطاعا بشيء بسيط من الحكمة وحسن التصرف ، أن يجدا حلا لخلافهما .. فتبقى الزوجة مع جهاز التلفاز في احدى حجرات البيت .. بينما ينتقل الزوج مع كتابه الى حجرة أخرى وتنتهى المشكلة !

أسوأ ما يحدث بين زوجين

ولكن ما يحدث بالفعل ، يختلف اختلافا كليا عن هذا الحل الذى قد يغيب عن الاذهان رغم بساطته !

وربما يكون قد خطر ببالهما أو ببال أحدهما ، ولكنهما يعزفان عن اللجوء اليه بدافع الرغبة منهما أو من أحدهما في فرض سيطرته على صاحبه !!

وهذا اسوأ ما يمكن أن يحدث بين زوجين ..

هذا مثل ، والأمثلة عديدة ومتنوعة لاسباب المنازعات والخلافات .. وهى تنبع ، كما قدمنا من اختلاف البيئة التى نشأ فيها كل من الزوجين ، واختلاف الطباع والعادات وغير ذلك .

عوامل أخرى خارجية

ولو ان هناك عوامل اخرى خارجية لها أثرها في تلك المشاجرات التى تحدث بين الزوجين ، كتدخل الاقارب في حياتهما والحموات بصفة خاصة اى والدتى الزوج والزوجة ..

ثم هناك بعد ذلك الأطفال ..

فوصول الطفل الاول قد يؤدى الى اشاعة جو من التوتر في البيت ، ويضيف أسبابا للخلاف نتيجة للجهد الذى تبذله الأم في العناية به وتربيته .. وما يترتب على ذلك من تعب وارهاق لها .. ثم هناك مشاكل المال وما أكثرها .

غيرة الزوج من طفله

وقد يؤدى انشغال الأم بمولودها الى نتيجة أخرى .. وهى اثارة الغيرة في نفوس بعض الازواج الذين يشعرون بأن اهتمام زوجاتهم بهم قد فتر ، بعد أن استأثر هذا القادم الجديد بكل وقتها ..

يقول استاذ علم النفس هارولد فلدمان Harold Feldman بجامعة كورنيل الامريكية انه قد ثبت من الدراسات التى قام بها أن الأزواج الذين يرزقون باطفال ، أكثر تعرضا للمنازعات من الذين لم ينجبوا أطفالا .. ولهذا فهو ينصح كل زوجين بالا يفكرا في انجاب الأطفال الا بعد أن يتأكدا من أنهما قد نجحا في تكييف طباعهما وأمزجتهما حتى لا يكون وصول الطفل عبئا جديدا عليهما وسببا من أسباب ازدياد خلافاتهما ..

التسليم بحتمية النزاع

ويرى الدكتور السون سميث أن الزوجين الحكيمين اذن ، هما اللذان يسلمان في أوائل عهدهما بالزواج ، بأن لا مفر من المنازعات ، ثم يتفقان على أسلوب الشجار بينهما والطريقة التى سيتبعانها في حل خلافاتهما .. فهناك فارق كبير بين أن يختلف رجل مع امرأته على موضوع معين ، ثم يجلس الاثنان ويبحثان خلافاتهما ، بهدف

الوصول الى حل لها .. وبين أن يختلف الزوجان، ثم يتضح ان السبب الأساسي لهذا الخلاف ، هو رغبة كل من الزوجين في فرض شخصيته أو كلمته.

الشجار امام الناس

واسوأ ما يمكن أن يحدث بين زوجين أن ينشب نزاع بينهما في مكان عام او امام الأقارب أو الاصدقاء .. وما قد يترتب على ذلك من افساح المجال للغرباء بالتدخل ونصرة رأى احد الزوجين على الآخر ..

فالنتيجة التى لا مفر منها في مثل هذه الحالة، هو ان يتمسك كل طرف برأيه ، في محاولة لحفظ ماء وجهه ، فضلا عما يثيره هذا التدخل من شعور في نفس الزوج والزوجة معا بانهما قد أصبحا غريبين .. وما يتركه من رواسب يكون لها اسوأ الاثر في مستقبل العلاقات الزوجية .

فاى شجار يحدث بين الزوجين يجب أن يسوى بينهما دون ان يتركا المجال لأحد ، مهما كانت علاقته بالطرفين ، بالتدخل لفض هذا النزاع ..

تجربة لازمة للاطفال

وبالرغم من أن الرأى قد اختلف فيما اذا كان يجب ان يسمح للاطفال بأن يروا ويسمعوا ما يحدث بين أبويهم من مشادات أم لا .. الا أن معظم النظريات العلمية الحديثة تقول بأن المناقشات ، حتى وان احتدت بين الوالدين ،امام الاطفال ، ليست بالشيء السيىء أو غير المحبب ، بل على النقيض من ذلك ، فهى تجربة طيبة ولازمة في حياة الطفل ، لانها تزيل الخوف الذى يساوره من نتائج الشجار ، طالما انه قد تعلم أن كل نزاع ينتهى نهاية سعيدة ..

ثم ان رؤيته لهذا الشجار الذى حدث بين والديه ، أفضل بكثير من محاولة اخفائه عنه ، لانها محاولة غير مجدية تفر به ، وتترك العنان لتخيلاته .

ولنتصور طفلا في الخامسة أو السادسة مثلا ، بدأ والداه مناقشة أمامه ، ثم ما لبثا أن شعرا أن صوتيهما قد ارتفع ، فتركا الطفل حيث هو ، ودخلا غرفتهما واغلقا الباب عليهما ، ريثما ينتهيان من تسوية ما بينهما من خلاف .. ترى كيف يكون حال مثل هذا الطفل ، وهو يسمع صوت ابيه وامه ، دون أن يدرى ماذا يحدث بينهما ؟ انه يصاب بعقد نفسية لا سبيل لشفائه منها ..

نبذ العنف

المهم في الأمر ،الا تتخذ هذه المناقشات والمجادلات طابع العنف أمام الاطفال .. يجب أن تكون دائما مناقشات بناءة .. الهدف منها أولا وأخيرا التقريب بين وجهات نظرهما وتسوية ما بينهما من خلافات حفاظا على كيان الأسرة ..

فلا يجب أن نتزعج اذن لما يحدث بيننا من منازعات .. فالشجار دلالة صحية .. وزواج بلا منازعات وبلا شجار ، هو زواج ميت .. أو هو أوشك على الموت .. أو هو اخيرا زواج يعانى من سوء التغذية العاطفية .

■■

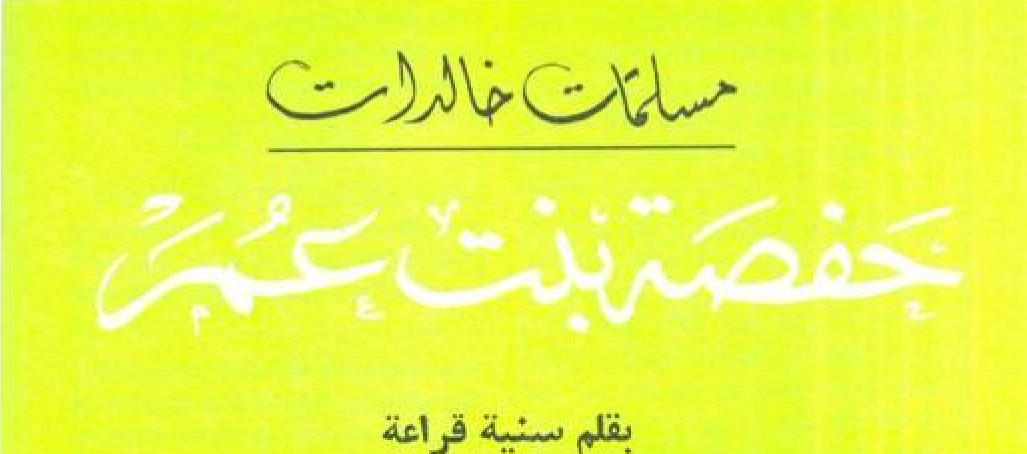
منير نصيف

العطف في غير موضعة مضيعة

رأى احد الأمراء طيرا جميلا يغرد في الحديقة فاراد أن يعطف عليه بصيده ووضعه في قفص من ذهب . فلما أحضروه أمر الموسيقيين أن يغنوا ويعزفوا له على آلاتهم الموسيقية . ليدخل الفرح والسرور في قلب طيره العزيز . ولكن الطير المسكين ظل ساكنا لا يتحرك واعرض عن الأكل والشراب حتى مات .

(فكم من رجل يعتقد أن ما يتذوقه ويحبه يطيب للاخرين ويتفق مع ميولهم وامزجتهم) .

شنك تزو ــ حكيم صينى



مسلمات خالدات

حفصة بنت عمر

بقلم سنية قراعة

■ عاد المسلمون من « بدر الكبرى » وقد أيدهم الله بنصره ، وأعلى مكانتهم ، فقويت شوكتهم ، ونبه شانهم ، في حين هان شان قريش العاصية التي لقيت اشنع هزيمة،وفقدت الجاه، وتساقط رؤوس الكفر من كبرائها ، بين صريع ملقى الجثة في القليب ، او اسير ينتظر ان يفتديه أهله بالمال الذى فرضه سيدنا رسول الله ...

وفي الوقت الذى خيم فيه الأسى على مجتمع قريش ... وران عليه صمت رهيب ، فلا صوت ولا حس ، ولا بكاء على صريع لقى حتفه ، او اهتمام باسير وقع ذليلا في أيدى المسلمين .

في هذا الوقت الذى جلل الحزن فيه مكة وكبراءها وقد فقدوا قادتهم ورؤوس عشائرهم — كان المسلمون في مدينة رسول الله في عيد سعيد ملىء بالزهو والفرحات ، فقد حقق لهم الله آية النصر ، وأعزهم ، وامدهم بجنود لم يروها ، فازدادوا ايمانا وثباتا ولهجت السنتهم بالحمد والثناء والشكران ...

ووسط مظاهر السعادة والفرح هذه ، حل العام الهجرى الثالث ، وبهجة النصر على سفهاء مكة لم تزل في قلوب المسلمين ، فكان مطلع العام ، طالع يمن وبشرى انتصار بعد انتصار ...

وسارت الحياة في المدينة المنورة سيرتها ... داب وعمل واقبال على العبادة والتفاف حول راية سيدنا رسول الله ، معلم الانسانية الاكبر ، وهادى العالمين الى الله رب العالمين ، ومرشدهم الى عز الدارين والسعادة والرضوان ...

وذات صباح .. والمدينة على حالها من العمل والتوثب والاستعداد لمزيد من النضال في سبيل الله ، سمع المسلمون صوت الناعي ، ينعي مسلما كريما هو « خنيس بن حذافة » زوج السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب عليه رضوان الله...

واسرع الناس يكرمون الراحل ... ويجهزونه وهم يستودعونه الله الذى لا تضيع عنده الودائع، ثم راحوا يقدمون العزاء في « خنيس بن حذافة » الى حميه « عمر بن الخطاب » الذى حزن لوفاة صهره ، وسأل له الرحمة ، وتمنى لابنته حفصة

.. وتزوج سيدنا محمد رسول الله ام المؤمنين حفصة على صداق قدره اربعمائة درهم . وسنها يومئذ عشرون سنة . وكانت رضي الله عنها من اوائل من دخلن الاسلام ، ومن اوائل من هاجرن من مكة الى المدينة . ودخلت حفصة بيت محمد صلى الله عليه وسلم .. واصبحت اما للمؤمنين ..

الصبر وقد ترملت وهي لم تزل بعد في ريعان الشباب ...

ومرت الايام ... وعادت الحياة تأخذ سيرتها الرتيبة في المدينة ... وبدأت السرايا تخرج لتنطس انباء قريش وتقصي احوالها ... ورفرفت من جديد راية الجهاد ... وراح المسلمون يعدون انفسهم لمزيد من الكفاح لنصرة الدين واعلاء شأن الدعوة الى الوحدانية الخالصة من الشرك والضلالات ...

ودارت عجلة الزمن دوراتها التقليدية .. وتولى الامس وما وفر به من ذكريات .. وعلى سنة الحياة .. نسي الناس خنيس بن حذافة .. وان النسيان لشريعة كل هذا الوجود ..

نسي الناس ميت الامس ، اذ انقطعت بالحياة صلته ، وطويت صفحته ، ولم يعد غير حديث يروى ، او زفرة تتعالى ، اذ ما طوفت بالفكر ذكراه ، ثم .. سار الوجود في مساره .. وتطلعت العيون الى الغد .. الى المستقبل بعد أن فات الامس وما كان فيه من حزن وافراح ..

وهز عمر بن الخطاب رأسه في أسى للراحل الذى استراح وترك في قلب أهله لوعتين .. أسى وفراقا .. وأرملة شابة كان التفكير في أمرها شغل أبيها الشاغل ومدار تفكيره العميق ..

لقد كان من تقاليد العرب منذ القدم ، أن يشغلوا ذواتهم بصوالح البنات .. وكان أهم ما يهتم له كل أب أن يرعى ابنته ، ويراها عزيزة في بيت سعيد مستقر ، وفي رعاية زوج كريم يقدرها حق قدرها ويكفيها مؤنة العيش ..

وكان عمر قد مر بهذه التجربة من قبل ، حتى تزوجت حفصة بخنيس الطيب ، وعاشت في كنفه ما شاء له الله أن يعيش ، وكفت اباها الكريم ، مشقة التفكير في امرها وأمر مستقبلها ..

اما اليوم .. فانه غير الامس .. لقد ترملت حفصة وأصبح على أبيها أن يفكر في امرها من جديد .. وأن يجد لها الزوج الحانى الجدير بها ..

واستعرض ابن الخطاب في ذهنه الكثيرين من شباب المهاجرين والانصار ، ممن كان يرى فيهم الكفاية لحفصة ، ولكنه لم يستقر على شخص معين بالذات ، اذ كلما فكر وفكر ، وتذكر وتذكر ،

اتسعت الرقعة امامه ، وتكاثرت الشخوص في ذهنه وتزاحمت الاسماء ..

وتوقف عمر فجأة أمام اسم صاحبه واخيه في السبق الى الاسلام .. عثمان بن عفان !!

هذا هو السيد الجدير بزواج حفصة ولا شك .. فهو اخو ابيها في الله .. وانه بعد لمن بيت عريق عال من أكرم بيوت قريش ، يتطاول وبيت ابن الخطاب ..

والاكثر من هذا والاهم ، أن عثمان بن عفان كان قد ترمل هو الآخر .. وكانت زوجته السيدة رقية بنت سيدنا رسول الله قد لحقت بربها عقب العودة من بدر فبكاها بدمع هتون وما نسيها قط ، ولا فكر من بعدها في مصاهرة او زواج ..

وارتاح عمر بن الخطاب ، اذ تذكر عثمان الطيب السمح الكريم .. ووجد فيه خير زوج يصلح لابنته حفصة .. واسرع اليه يحدثه في شأنها ويعرضها عليه شأن السادات الكرام ، ولكن عثمان رضي الله عنه انصرف عن صاحبه عمر وتركه وهو يقول له انه ليست به الى النساء حاجة خاصة بعد أن انقطعت صلة رحمه بسيدنا محمد رسول الله .

وعاد عمر بن الخطاب يفكر من جديد في أمر حفصة وأمر زواجها .. وعاد يستعرض الاكفاء لابنته .. فارتاح قلبه كل الراحة لتذكر صاحبه أبي بكر .. واسرع عمر اليه وهو واثق كل الثقة أن الصديق سيرحب بمصاهرته ايما ترحيب ، وسيسعده ولا شك أن تدخل حفصة بنت عمر بيته وتكون زوجة له ..

وتلاقى الرجلان الكريمان .. وتحدث عمر .. وتحدث .. وابو بكر صامت لا يريم وعمر في دهشة من امره فهو لم يخرج عن صمته الطويل بنعم أو .. لا ..

ثم انصرف أبو بكر وترك عمر في حيرة من أمر ذلك الصمت الغريب !!

ومرت أيام بعدها ثم .. اراد الله ، ولا راد لارادته أمرا .. وكما كرم سبحانه بالامس القريب الصديق ابا بكر فالحق نسبه بمحمد صلى الله عليه وسلم فزوجه ابنته ام المؤمنين عائشة .. كذلك أمر الله رسوله أن يضفي ذات الشرف على عمر بن الخطاب ويطلب اليه الزواج بالسيدة حفصة .. وذلك عندما ذكر عمر ما حدث مع الصديق ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم واضاف الى سمعه ما حدث من اعراض عثمان عنه ،

فقال له الرسول الكريم : قد زوج الله عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان .. فتزوج رسول الله حفصة ، وزوج ام كلثوم ابنته بعثمان بن عفان ..

لقد كان تكريما ايما تكريم .. وشرفا اثلج قلب عمر بالرضا والراحة ، حتى لقد أسلم نفسه الى احلام سعيدة راح خلالها يتصور الحدث السعيد والمفاجاة التي لم يكن يتوقعها ..

كان عمر يريد لابنته الزوج الكريم الذي يسعدها ويرعاها ويرفع قدرها .. واى زوج في الوجود أجدر من رسول الله في هذا ..

وتزوج سيدنا رسول الله ام المؤمنين حفصة على صداق قدره اربعمائة درهم . وسنها يومئذ عشرون سنة .

فقد ولدت رضي الله عنها قبل بعثة النبى بخمس سنين . .

وكانت رضي الله عنها من أوائل من دخلن الاسلام ، ومن أوائل من هاجرن من مكة الى المدينة ، اذ هاجرت مع زوجها الاول خنيس بن حذافة ، وبقيت معه هناك حتى لقى ربه ..

ودخلت حفصة بيت محمد صلى الله عليه وسلم .. واصبحت اما للمؤمنين .. وزوجة ثالثة لسيدنا رسول الله بعد زوجتيه سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت ابى بكر ...

وسعدت نفس عمر ولم يعد صاحب رسول الله فحسب ... بل حماه ايضا ، وصهره الكريم ، حتى لقد فاخر بهذه الصلة عندما التقى بصاحبه أبى بكر بعد زواج حفصة من الرسول فقال له :

ـ عرضت ابنتي حفصة على عثمان بن عفان فردني ، وقال انه لا حاجة له بالنساء بعد انقطاع صلة رحمه برسول الله ... ثم عرضتها عليك انت يا اخى ابا بكر فكان موقفك عجيبا ، اذ سكت ، ولم تجب بلا أو نعم ، فكان حزنى لسكوتك اضعاف ما سببه رفض عثمان لطلبي .

وزفر ابو بكر زفرة عميقة قال بعدها في هدوئه الجليل المحبب :

ـ اى أخي عمر ... الآن وقد دخلت ام المؤمنين حفصة بيت رسول الله وعلا بهذا قدرك وشرفت حسبا ونسبا ، فانى في حل من الكلام ... لقد عرضت على ابنتك وانا اعرف الناس بها وبك ولكن ... كان رسول الله قد ذكر لى عن ابنتك

شيئا ... وكان هذا سرا ، خشيت افشاءه خاصة وهو سر خاص برسول الله ...

وعاشت حفصة في بيت سيدنا رسول الله حياة وادعة ، هادئة ، يخيم عليها الصفاء ، ويرفرف الحب بين امهات المسلمين جميعا ، خاصة حفصة وعائشة . حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما معا في احدى غزواته ، وكان من عادته صلى الله عليه وسلم الا تخرج معه غير زوجة واحدة ولكنه ، امام الوفاق الذى جمع بين ابنتي صاحبيه ابى بكر وعمر ، صاحبهما معا ، كل واحدة في الهودج الخاص بها ، والرسول الكريم طوال الرحلة لا يفتأ يقترب من كلا الهودجين للاطمئنان على راحة كل منهما ...

ولاحظت حفصة ان زوجها العظيم كان يقترب من هودج أم المؤمنين عائشة اكثر مما كان يقترب من هودجها هى ، ويطيل مسارته معها ، فاستشعرت بعض الغيرة ، والغيرة طبيعة في النساء تكاد تكون متممة لوجودهن واحساسهن ...

وراحت حفصة تفكر وطال بها امد التفكير حتى اهتدت الى حيلة طريفة ضحكت لها طويلا واصرت على تنفيذها للتسرية عن زوجها الرحيم الذى كانت تعرف مدى حدبه وعطفه على نسائه ...

واسرعت حفصة الى هودج عائشة ... وأسرت اليها بفكرتها ... وضحكت عائشة طويلا وطابت لها الفكرة ، واحبت الدعابة البريئة ، وما اسرع مالبت مطلب حفصة وتبادلت كل منها مكان الاخرى ، في غفلة من العيون ، فاذا حفصة في هودج عائشة واذا عائشة في هودج حفصة واذا بالرسول الكريم يسرع كعادته فيقترب من كلا الهودجين للاطمئنان على صاحبته ثم يطيل البقاء الى جانب هودج حفصة وهو يظنها عائشة .

وظل الجيش في مسيره ، ورسول الله الى جانب هودج عائشة وحفصة بداخله ، حتى قاربت الشمس المغيب ، وكان على المسلمين ان يحطوا رحالهم حتى الصباح ...

وحطت عائشة بهودجها بعيدا وانتظرت ... وحطت حفصة بهودجها الى جانب رسول الله الذى لم يكد يراها حتى فطن للخدعة البريئة الساذجة وضحك لها وابى الا ان يستمر فيها الى النهاية فبقى سواد ليلته مع حفصة ولم يتركها ... وترك عائشة تقضي مع الغيرة ليلة مسهدة .. الا انها كانت ليلة سعيدة مرحة ، دللت على مدى الصفاء الذى كان يسود بيت محمد ويغمر قلوب أمهات المؤمنين !!

وعادت الحياة تسير ... وعاد رسول الله الى جهاده ونضاله ... واتسعت رقعة ذلك الجهاد ، ولم تعد قريش وحدها هى العدو الألد المتربص بمحمد ، بل كان هناك ثعالب اليهود ، الذين احبوا في بادىء الامر أن يهوّدوا دعوة محمد ، فردهم بالحسنى والبينة والكتاب المبين ودعاهم الى الاسلام ، فهو دين الفطرة ، دين ابراهيم ، وموسى وعيسى ، ولكنهم ابوا وعصوا وكشفوا عن وجوههم ، وكشروا عن انيابهم وراحوا يتآمرون على المسلمين ...

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قينقاع فضربهم وطردهم من ديارهم ، ولم يلبث ان الحق بهم ابناء عمومتهم بنى النضير فطردهم واخرجهم وملك الله المسلمين ديارهم واموالهم .

ثم ... والرسول في معمعة النصر الاكبر ... تطاولت قريش مرة ثانية بعد « احد » فزحف سفهاؤها من جديد ، وكانت موقعة بدر الصغرى ، وفيها لقوا هزيمة جديدة أطاشت لبهم وأطارت صوابهم فعادوا الى مكة يجرون اذيال الخيبة والهزيمة ...

وخرج محمد بعد هذا الى بنى غطفان ، ثم الى دومة الجندل فادب الخارجين .. وفرض الجزية ، وعاد الى المدينة منتصرا عزيز الجانب ...

لقد اصبح رسول الله اليوم قوة غلابة ، يحسب لها ألف حساب ... لقد ضرب اليهود ، وفرض عليهم الجزية والديات ، وغنم اموالهم وديارهم ... وبدات المدينة في خلال هذه الآونة تشهد لونا جديدا من الوان الحياة ...

وتصورت نساء محمد ان الرسول الكريم قد أصاب المال الجم ، وانه من واجبه بعد ان فتح الله عليه ، واغنمه المال ، ان ينفق عليهن عن سعة وان يغدق عليهن بلا حساب ... ورحن يتحدثن في ذلك ويتصورن الغد المشرق الباسم وما يحمل في طواياه من متاع وغنى ورياش !!

وطاب الخيال لحفصة وعائشة بصفة خاصة وما اسرع ماراحتا تتحدثان عنه مع بقية امهات المؤمنين وتسالانهن ان يتجمعن على النبى في صف واحد يسالنه السعة في النفقة في الحاح واصرار ...

واصغى رسول الله طويلا الى نسائه ثم سكت وكن جميعا جالسات حوله ... ودخل ابو بكر

وعمر ، وتولتهما الدهشة ، وكبر لديهما ان تقدم نساء النبي على سؤاله النفقة ، وان تكون حفصة وعائشة هما المحرضتين لهن على ذلك ...

ونهر عمر ابنته حفصة ، وكذلك فعل ابوبكر ، ثم قام كل منهما الى ابنتــه فوجا عنقها وعنفهـا وحذرها ان تسأل رسول الله مالا طاقة له به ..

وانصرف الرجلان الكريمان كل الى شأنه وقد ظن كل منهما ان الامر وقف عند ذلك الحد ولم يدر بخلدهما ان حفصة وعائشة اصرتا على موقفهما وعادتا تطالبان بالتوسعة ...

وحار رسول الله ، ولم يدر كيف يرد نساءه ويسكت حفصة وعائشة بصفة خاصة ، فسكوتهما هو حسم المطالبة والكف عنها ، ولكنهما اصرتا ، فاقسم رسول الله ان يعتزل نساءه جميعا ...

وشاع النبأ في المدينة وذاع ، وقيل ان محمدا قد طلق نساءه !! فذعر المسلمون اى ذعر ، وخشوا في اعماق نفوسهم ان يصح هذا النبأ الذى ـ ان صح ـ فسوف يكون سابقة خطيرة في الحياة الاسلامية الاجتماعية قد تودى بالمجتمع وتقضي على الصلات والتصاهر ، واسرع بعضهم الى بيت عمر يدق بابه في ذعر اقض مضجع الرجل الكريم ، حتى لقد خشي ان تكون قد نزلت بالمسلمين في مدينتهم نازلة ، واقبل يستوضح الخبر فاذا هو يعرف مع الحسرة واللهفة ان محمدا قد طلـق نساءه جميعا ...

وارتج على عمر ... انها نازلة كالقضاء المبرم لا تدفع ابدا .. وشرٌ ما توقع أحد حدوثه ... واسرع عمر الى بيت النبي وهو يقول في ذعر : « ما يعبأ الله بعمر بعد اليوم !! »

ثم دخل على ابنته أم المؤمنين حفصة فاذا هي ذاهلة تبكي هي الاخرى واذا هـي شاردة اللب حائرة ، فاقبل عليها يسألها ان كان رسول الله قد طلق نساءه حقا ، فحارت ولم تجب ، فعاد يسألها من جديد ، واذا بها تقول والعبرات تكاد تخنقها انها لاتدرى ان كان قد طلق نساءه ام لا ، ولكن الذى تدريه ان الزوج الكريم قد اعتزلهن جميعا ...

واسرع عمر يستأذن في الدخول على صاحبه العظيم ، وصهره الكريم ، فدخل غلام الرسول ثم عاد بعد فترة ليقول لعمر انه استأذن له رسول الله فسكت عنه ولم يجبه ...

ونكس عمر رأسه في اسى وتحسر ... وزفـر زفرة عميقة عن كبد حرى ثم نظر حواليه فـاذا الكآبة تخيم على البيت المحمدى ، واذا الصمت يجلله ، واذا لأمهات المؤمنين شهيق وزفرات فلم يحتمل هذا كله ، ووجد نفسه يسير في صمت الى خارج البيت ولكنه لم يكد يصل الى بابه ، حتى لحق به الغلام ليخبره انه صلى الله عليه وسلم يأذن لعمر بالدخول عليه ...

وتقدم عمر الى حيث كان رسول الله ، فاذا هو مضطجع على حصير خشن ، قد اثر في جسده تأثيرا ظاهرا .

ونظر عمر الى رسول الله ... الى جسـد الرجل الوادع الامين ، الذى أعزه الله وأعـز المسلمين به ، وتحدث الناس بذكره ، واقبلت عليه نساؤه يسألنه سعة النفقة والمتاع ، ورآه وهو على هذه الحال ، وقد اضطجع على حصير خشن كأنه حجارة مدببة ، فبكى تأثرا واشفاقا على صاحبه الزاهد في الدنيا ، الكاره لعرضها ، الذى يعمل في سبيل الله ونصرة دينه واعلاء شأن المسلمين ...

واقبل محمد في دهشة على صاحبه ابن الخطاب يسأله ، فلم يستطع أبو حفصة ان يكتم مشاعره واذا به يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما يبكي اشفاقا عليه لأن الحصير قد اثر في جسده ويعجب كيف تكون هذه حاله وهو رسول الله ومصطفاه المختار ، في حين يرتع الكفار في النعم الوفيرة والخير الكثير ...

وتجهم وجه محمد العظيم ، واقبل على عمر يقول : ويلك يا ابن الخطاب أفي شك انت من وعد الله الحق ؟ !! انما لنا الآخرة ، اما اولئك الذين تذكر فهم قوم عجلت لهم طيبات الدنيا ... ولسنا من اهلها ولا من طلابها !!

ونكس عمر رأسه راضيا ، وانحى باللائمـة على نفسه وراح في حرارة يستغفر الله لتطلعـه الى حياة الآخرين ، ثم اقبل على رسول اللـه ملاطفا يسأله ان كان طلق نساءه حقا ، فهز محمد رأسه بالنفى ، وكان في جوابه الصامت صلى الله عليه وسلم برد الهدوء على قلب عمر ... وسرعان ما استأذن النبى وخرج الى جموع المسلمين في المسجد يطمئن قلوبهم بأن رسول الله لم يطلـق نساءه ، فعاد الهدوء يغمر النفوس ، وقد عرف المسلمون انه انما اعتزل امهات المؤمنين فقـط لشهر كامل ، امعانا منه صلى الله عليه وسلم في ردعهن وتهذيبهن ...

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقط ، بل عزز الله هذا الزجر الرادع من عنده ، ليكون خاتمة الالحاح في طلب النفقة ، فنزلت في هذا آيات التخيير وفيها يقول جل وعلا :

« يا ايها النبي ، قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » !!

وامام التخيير الواضح ... تراجعت حفصة وتقهقرت عائشة واستغفرت امهات المؤمنين الله على ما بدر منهن ، وتخيرن الله ورسوله والدار الآخرة وهانت في عيونهن عروض الدنيا وزخرفها ، وندمن على ما فات !!!

وعاد الصفاء من جديد يغمر بيت محمد ويرفرف على أمهات المسلمين جميعا ، وقد اقبلن راضيات على الحياة مع رجل زاهد في متع الحياة اقبلت عليه الدنيا فاعرض عنها ، ودان له الزمان ، فولى وجهه عن مفاتنه واتجه بروحه وقلبه ووجدانه الى الله يطلب النصر والفتح والرضوان ..

وهدات ثائرة المسلمين جميعا ، وطابت منهم النفوس لنزول آيات التخيير ، التي زادت الحياة الاجتماعية الاسلامية رسوخا وتدعيما ، وزرعت القناعة في قلوب المسلمات ، وحمتهن من اغراء أطايب الحياة وزخارفها ..

واحب المسلمون في غمرة تلهفهم على تقصي حقيقة آيات التخيير ومعرفة من خصت من أمهات المؤمنين بوجه قاطع دون غيرها ... واذا بعمر رضوان الله عليه يحسم الامر ، ويعين المحرضة على طلب النفقة من رسول الله ، بل المحرضتين.. لقد كانتا حفصة وعائشة ولا شك وقد قلدتا في ذلك نساء الأنصار المدللات بعض الشيء ، واللاتي كن من عادتهن قبل الاسلام مراجعة أزواجهن ومغاضبتهم امعانا في الصد ورغبة في الاستجابة السريعة للمطالب التي كن يردنها ..

واكمل عمر حديثه الى ابن عباس في هذه الواقعة بالذات ، فقال انه لم يكد يعلم بأمر مغاضبة امهات المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسرع الى حفصة ابنته وقد اشتم بسليقته ان الرياح قد هبت من ناحيتها واسرع يسألها :

ــ يا حفص .. اتجرؤ احداكن على مغاضبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الليل ..

وتجيب حفصة : نعم ..

وثار عمر وغضب ، وعلا صوته الجَهْوَرِي مزمجرا يقول :

ــ ويلك يا بنت عمر .. اتجرئين على هذا .. خبت وخسرت والله .. افتغاضبين رسول الله ثم تامنين غضب الله ورسوله فتهلكين !! اياك اياك ان تعودي اليها .. واياك اياك ان تستثيريه صلى الله عليه وسلم او تغاضبيه أو تراجعيه في قول ... واياك ان تسأليه ما هو فوق طاقته ، وسليني انا ، فان اعانني الله اعطيتك .. واياك .. اياك ان تغرك وضاءة صاحبتك عائشة ، وقربها من قلب رسول الله ، فتفعلي مثلها ..

ولم تكن حفصه التقية الورعة المطيعة لله ولرسوله في حاجة الى نصح او ارشاد ، اذ سبقت كلمات ابيها ونصائحه ارادة الله ، ونزل في التخيير حكمه فاصبح امرا واجب الطاعة ، لا يقبل الجدل ابدا ..

ومر شهر الاعتزال .. وعاد محمد الى امهات المؤمنين ، واخذت الحياة بعد ذلك تسير مسيرها الطبيعي في البيت وخارجه ...

ومرت الايام ... وخرج المسلمون بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام الى غزو « بنى المصطلق » العصاة ، فنالوا عليهم النصر ، وفرضوا الجزية ، وعادوا الى مكة منتصرين مظفرين ... وكانت الصديقة عائشة مع رسول الله في تلك الغزوة ، فتاخرت عن ركب المسلمين بعض الوقت ، لامر من الأمور العارضة ، وكان تأخرها عليها رضوان الله مجالا لتقول بعض المنافقين ، فافتروا حديث الافك والضلال والبهتان ...

وكانت ازمة رهيبة مر بها المسلمون جميعا ، وحار فيها رسول الله ، وزاد في حيرته ان سكت الله عنه ، ولم يوح اليه بشيء يحسم تلك الفرية الظالمة ، ليضع المسلمين جميعا في اختبار عسير .

واقبل محمد يستشير ويستوثق ... واسرع يسأل عمر رأيه في عائشة ، فنفى عنها الاتهام وفنده ودافع عنها ... وسأل رسول الله بنت عمر ، أم المؤمنين حفصة ان كانت قد لاحظت عوجا في عائشة فقالت في حرارة المنكرة المحتدة المحتجة :

ــ احم سمعي وبصري يا رسول الله ... والذى بعثك بالحق هاديا وبشيرا ما رأيت على عائشة السوء قط ... وانها لبريئة مبراة ...

وصفع الله المنافقين والمشركين والمرجفين بأن انزل براءة عائشة من لدنه وهو العزيز الحكيم .. وبراها مما ارجف به اهل الضلال .. فعاد الهدوء يرفرف من جديد على بيت محمد ، ونال المرجفون جزاءهم ، وسكتت الألسن الكاذبة ...

وعادت الايام تمر ... وراية الجهاد تزداد زهوا وظلها الوارف ينتشر في كل البقاع ... ولم يكتف رسول الله باخراج السرايا ، وانفاذ الجيوش ، وفرض الجزية في سبيل نشر دعوته ، بل راح يرسل سفراءه الى الحكام والقادة ، ويبعث كتبه الى الأباطرة والملوك في شتى الامصار .

ودعا محمد كسرى وقيصر الى الاسلام ،وخاطب غيرهما من الاقيال والقادة ، ووصلت رسله الى هنا وهناك فهى مرة في فارس واخرى في القسطنطينية وثالثة في الحيرة ورابعة في مصر ...

وارسل كورش بطريرك الاسكندرية الملكانى الذى عرفه العرب باسم المقوقس ردا جميلا على رسالة محمد ، وبعث اليه طبيبا وجارية ، فرد الطبيب وقبل الجارية وهي « مارية القبطية» سريته صلى الله عليه وسلم ، التى رفعها الى مصاف الزوجات لما رزقت بابنه ابراهيم ...

ولقد لاحظت حفصة ان الرسول الكريم يولى مارية عطفا وحدبا ، ويخصها برعاية فائقة بل لقد حدث ذات مرة ان خصها بيوم من ايام عائشة .. وفي فراشها ..

ولم تستطع حفصة ان تكتم غيرتها لايثار الرسول مارية على نسائه ، وخاصة صاحبتها عائشة ... وصارحته بذلك ، بل واقسمت انها لا بد ان تبلغ عائشة بما حدث ، وتظاهرها عليه صلى الله عليه وسلم .

واستمع الرسول صلى الله عليه وسلم طويلا وفي اناة وصبر الى حديث حفصة ، فقد كان الزوج الحانى ، البار بنسائه ، المقدر لعواطفهن حتى انفعالات الغيرة في نفوسهن فلم يثر ولم يغضب بل ترفق في الحديث مع حفصة وراح يطيب خاطرها ويهدىء من ثائرتها لتقلع عن الغيرة ، ولا تبوح بشىء مما عرفت لام المؤمنين عائشة .. ونزل في ذلك قوله تعالى : « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما » .

وبالغ محمد صلى الله عليه وسلم في محاولته ارضاء حفصة والتخفيف من غلوائها .. واقسم لها ان مارية حرام عليه منذ اليوم .. ثم أسر اليها حديثا خاصا قيل انه بشرى بان اباها سيكون خليفته الثاني بعد أبى بكر ..

كل هذا .. ولحكمة ارادها الله ، لم يرض ام المؤمنين حفصة ، ولم يخف من غلواء غيرتها ، فلم يكد الرسول الكريم يتركها حتى اسرعت الى ام المؤمنين عائشة وصارحتها بما كان ، ولم تكتم عنها ايضا سر رسول الله الذى أوصاها بكتمانه ..

وتظاهرت حفصة وعائشة على رسول الله ، واجترأتا على مغاضبته ...

وشاءت ارادة الله ان تبين الحكمة مما حدث ، واذا ما ظنته حفصة تظاهرا على الرسول العظيم ، لم يكن غير خير دافق عم المسلمين جميعا ..

لقد ورث العرب في جملة ما ورثوه من تقاليد الجاهلية ، يمين التحريم ، وتمسكوا به رغم دخولهم الاسلام لان الله لم يقرر بشأنه شيئا ولم ينزل فيه قرآنا للتبيان والتوجيه ...

وكان اقدام رسول الله في لحظة من لحظات الرغبة في ارضاء حفصة ـ على تحريم سريته مارية على نفسه ، بعد ان رفعها الى مصاف الزوجات ـ تعزيزا لقوة يمين التحريم ، وعدم جبه أو فسخه واذا بالحكمة تبين واضحة ، واذا بالقادر سبحانه يعلم رسوله شيئا جديدا في التشريع الاسلامي بدفنهائيا قوة يمين التحريم ، وخفف من جبروت سلطانه ، ويسره أيما تيسير في قوله سبحانه وتعالى :

« يا ايها النبى ، لم تحرم ما أحل الله لك ، تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم ... »

والآية فيها توجيه بعتاب الرسول الكريم ، يذكره الله القادر فيه ، بانه قد احل له مارية القبطية فكيف يقدم هو على تحريم ما احله الله له ، ليرضى ازواجه وخاصة حفصة وعائشة .

وسارعت الآيات البينات بعد هذا تكمل بقية التشريع السماوى في قوله تعالى :

« لقد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم » ..

وبانت الحكمة العالية ، واتضح السر ، وأبى الله الا ان يخرج بمشكلة التحريم من حيزها الخاص برسوله الى المجال العام ، فلم يجعل له وحده تحلة ايمانه صلى الله عليه وسلم ، بل

رخصة للمسلمين جميعا ،فهو مولاهم ، وهو العليم الحكيم ...

لقد كانت يمين التحريم قبل هذا ، يمينا قاطعة، لا يحل بعدها ما حرمه الانسان على نفسه وكانت سلاحا بتارا طالما قضى على روابط وهدم صلات اجتماعية وثيقة في لحظات عصبية وغضب، فتداركته رحمة الرحمن الرحيم ، وخفف من قسوته ورخص فيه وجعل له تحلة ، حتى لا يظل سيفا مصلتا فوق الرقاب .

وهكذا رد النبى صلى الله عليه وسلم مارية الى عصمته ، وبقيت كما هي حلالا له ، لأن الله القادر قد اراد هذا وليس للرسول غير ان يعرف ويطيع ولا يقدم بعدها مرة ثانية لا هو ولا غيره من المسلمين على تحريم ما احله الله له ..

وكان هذا هو الشق الأول من المشكلة التى اوجدتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وقد قضى الله عليها ، ولم يعد لها في المجتمع الاسلامي سلطان ولا وجود .. وبقى بعد هذا الشق الثاني من المشكلة وهو ما تفرع عنها من تظاهر حفصة وعائشة على سيدنا رسول الله ومغاضبتهما له صلى الله عليه وسلم .. وفي هذا قال الحق لكل من السيدتين الجليلتين :

« واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به ، واظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير » .

اذا .. فقد اطلع الله رسوله ، على أسرار الحادث بالتفصيل .. ونباه سبحانه بكل ما كان من امر اتفاق حفصة وعائشة ، فلم يعد لايهما مناص من الاستغفار وقد وضح كل شيء وضوح النهار وان الله ليقول لكلا السيدتين بعد هذا :

« ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه ، فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » .

وبعد التوجيه السماوى السمح وهو الأمر بالتوبة عما كان وعدم العودة اليه ، جاء دور الزجر الرباني لحفصة وعائشة في قوله تعالى :

« عسى ربه ان طلقكن ، ان يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ، سائحات ، ثيبات وابكارا .. »

وهكذا ، حسم الأمر ، وعلم امهات المؤمنين درسا في الطاعة ، حتى لا يعدن لمثلها ابدا ...

وكما رخص الله سبحانه وتعالى بعائشة التيمم وبدل الوضوء ، واباح دخول الصلاة به ، كذلك رخص بحفصة يمين التحريم ، وجعل للمسلمين تحلة ايمانهم ..

واستقامت الحياة بعد ذلك .. وعرفت نساء محمد فوق ما عرفن ، آدابا وكمالا وخلالا تحتذى على كر العصور ، فكن القدوة ، وكن المثل الحسن لجميع المسلمات ..

وكان حب عائشة لحفصة معروفا غير خفي ، كما كان حب حفصة لعائشة شديد الوضوح ظاهرا للجميع ، وكانت كلتاهما محل ثقة صاحبتها وموضع سرها ، ومشيرها المؤتمن ..

وقد حدث ورسول الله في مرض موته ، ان غشيته غاشية وكان قد حان موعد الصلاة جامعة ورن في مسمعيه صلى الله عليه وسلم صوت بلال يدعو الى الصلاة ، فالتفت الى عائشة ، وهو في بيتها وقال لها :

ـ مرن ابا بكر فليصل بالناس

وكان في امره صلى الله عليه وسلم ما يعنى استخلاف ، ابى بكر على المسلمين ..

ولكن عائشة تلكات في تنفيذ الأمر ، والتفتت الى حفصة تسالها فيه فاسرعت حفصة تقول :

ـ اخشى ان يرى الناس اباك في مكان رسول الله فيكرهوه

وسالت عائشة حفصة :

ـ وما العمل اذا ..

وعادت حفصة تقول :

ـ قولى لرسول الله ان ابا بكر رجل رقيق الصوت ضعيفة لن يسمعه المسلمون فمر عمر ليصلى بالناس ...

وهمست عائشة براى حفصة في اذن رسول الله ، فعاد يقول في اصرار :

ـ مرن ابا بكر فليصل بالناس ..

وعادت عائشة تستشير حفصة التى تمسكت برايها بوجوب ان يؤم عمر المسلمين للصلاة ، ودعت كلتاهما بلالا وامرتاه بذلك ..

وابلغ بلال عمر بن الخطاب ان يصلى بالناس في مكان رسول الله ... وتقدم عمر الجهورى الصوت يردد في قوة وايمان :

ـ الله اكبر ..

ودوى رنين صوت عمر في مسمعي رسول الله ، وانتبه من غشيته ، وكبر لديه أن تمضي عائشة وحفصة أمره ، ونادى غاضبا .

ـ أين أبو بكر .. أين أبو بكر .. ان الله لا يرضى بذلك أبدا .. لا يرضي الله بذلك ولا رسوله .. أين أبو بكر .. مره فليصل بالناس ..

ووصل الامر الى عمر ، فتراجع ، وترك مكانه لخليفة رسول الله ، وهو كسيف البال شديد التأثر يقول :

ـ لم فعلت بي هذا يا بلال ..

وعلا صوت أبو بكر الخاشع يكبر .. وسمعه رسول الله فاشرق واستنار ثم التفت الىحفصة وعائشة وقال :

ـ يا صواحب يوسف ، تخفين في أنفسكن غير ما تبدين ..

وقبض رسول الله .. وسمت روحه الطاهرة الى الرفيق الاعلى .. وبدات بموته صفحة جديدة في كتاب حياة المسلمين ..

وخلف ابو بكر الصديق صاحبه محمدا الامين .. واصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحامل لواء الجهاد من بعده والامين على تنفيذ سننه ، واصول دينه ..

وواجه ابو بكر أول ما واجه اهل الردة ،ووجد نفسه في مركز لو اعتورته وهو فيه ابسط الهزات لكانت النكبة الكبرى ، فاذا بالصديق الطيب السمح البكاء الرقيق الصوت يتحول الى رجل كفاح ونضال مرير واذا به رضي الله عنه يسير الجيوش الى انحاء الجزيرة العربية لجمع الزكاة واشعار الخارجين والمرتدين أن الدين قوة ، وأن الدعوة عقيدة ثابتة في أعماق النفوس ، وأن المسلمين لن ينقلبوا على اعقابهم ويعودوا الى الجاهلية بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وضرب أبو بكر رضي الله عنه على أيدي المرتدين وكانت لجيوشه مواقع مظفرة عليهم .. وعرف رضي الله عنه كيف يقضي على دعوة مسيلمة كذاب اليمامة ، ومتنبئها ..

ولكن هذه الحروب كلفت المسلمين رجالا لهم القدم الراسخة في الاسلام . فمات منهم ومن اجلاء اصحابه كثيرون ، ورأى عمر بن الخطاب أن استشهاد هذا النفر وهم من حفظة القرآن خسارة سيبين أمرها فيما بعد لو مر الامر دون أن يأبه له أحد ، ولم يفكر ولاة الأمور في استدراكه ..

والاستدراك هنا هو جمع صحائف القرآن في مصحف واحد ، يكون المرجع للجميع ، والامام الهادي للقراء في شتى الأمصار التي بدأ الله يفتحها على المسلمين ..

واشار عمر على ابي بكر بجمع القرآن ، لأنه مهما طال الامد بالباقين على الحياة من حفظة الكتاب ، فانهم لن يكونوا مخلدين ، ومن الواجب ان يكون هناك المرجع الثابت الباقي الذي تتوارثه العصور ويرجع اليه الناس في شتى الازمان .

واقتنع أبو بكر برأى عمر وعهد الى زيد بن ثابت كاتب الوحي بان يجمع أجزاء القرآن من الرقاع التي كتب عليها متفرقا يوم انزل على سيدنا رسول الله فقام الرجل بمهمته خير قيام، وجمع الصحف الشريفة وآياتها من الحفاظ ومن قطع العسب وجريد النخل ، واللخاف «الحجارة البيضاء الرقيقة» ومن صدور الرجال ، وراجعها واعد منها نسخة كاملة أسلمها الى خليفة رسول الله ليحتفظ بها عنده ..

وظلت الصحف لدى ابي بكر طوال خلافته ، حتى لقي الله راضيا مرضيا عنهوبويععمر بالخلافة وصار أميرا للمؤمنين ، وانتقلت الصحف اليه فوضعها عند ابنته حفصة ام المؤمنين

ومرت السنون وعمر في مكان صاحبيه يناضل ويكافح ويسير الجيوش للفتح ونشر راية الاسلام واعلاء شان دين الله فتم فتحالشام وفارس ومصر، واخذت الرقعة الاسلامية تمتد في جميع انحاء العالم المعروف في ذلك الوقت ، وايد الله المسلمين بنصره وتوفيقه وحسن رعايته ..

وعاشت أم المؤمنين حفصة خلال فترات الجهاد الاسلامي هذه حياة وادعة هادئة مستقرة في بيتها كما أمرها الله ، بعيدة عن مجال الحياة اليومية للمسلمين لا تعرف غير شئون دينها وتعبدها ، ولا تعرف من أمور دنياها غير التخلف لماما الى بيت أبيها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لزيارته أو الاطمئنان عليه ..

واجترا الكلب المجوسي ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة ذات صباح مبكر فعقر عمر بن الخطاب اطول المسلمين باعا ، واتقاهم سريرة ، واعظمهم عدلا ، وكانت الطعنة قوية نافذة صار يتوجع

منها عمر رضي الله عنه وبش ، وزارته ابنته أم المؤمنين حفصة واقبلت عليه مواسية تخفف عنه ما يكابده من مواجع وجراح وتقول له في مسارة هامسة حنون :

«اي أبت .. ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لاحد عندك ، ومعى لك بشارة لا اذيع السر مرتين ، ونعم الشفيع لك العدل .. لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك ، وعفاف نهمتك ، وأخذك باكظام المشركين والمفسدين في الارض » ..

وارتاح عمر رضي الله عنه الى جميل مواساة ابنته الكريمة أم المؤمنين حفصة .. وكان يعرف أنه لابد ملاق ربه ، فالجرح خطير والطعنة رهيبة والنفس تتساقط يوما بعد يوم !!

ولقى ابن الخطاب ربه .. ولحق بصاحبيه العظيمين .. ونام الى جوارهما ..

وبكت حفصة اباها بأحر ما تبكى به بنت والدها .. فقالت :

« الحمد لله الذى لا نظير له ، والفرد الذى لا شريك له اما بعد ـ فكل العجب من قوم زين الشيطان افعالهم وارعوى الى صنيعهم ورب في الفتنة لهم ونصب حبائله لختلهم ، حتى هم عدو الله باحياء البدعة ونبش الفتنة وتجديد الجور بعد دروسه ، واظهاره بعد دثوره واراقة الدماء واباحة الحمى وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها ، فاضرى وهاج وتوغر وثار غضبا لله ونصرة لدين الله ، فاخسأ الشيطان ، ووقم كيده وكفف ارادته وقدع محنته واصعر خده لسبقه الى مشايعة اولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم الماضى على سننه ، المقتدى بدينه ، المقتص لأثره ، فلم يزل سراجه زاهرا وضَوْؤه لامعا ، ونوره ساطعا ، له من الأفعال الفرد ومن الآراء المُصَّاص ومن التقدم في طاعة الله اللباب الى ان قبضه الله اليه قاليا للدنيا اذ عرفها لافظا لها اذ عجمها وشانيا لها اذ سبرها .. عركها بالعزم الشديد حتى اجابت بالرأى الجليد فاقام فيها دعائم الاسلام وقواعد السنة الجارية ورواسى الاثار الماضيه واعلام اخبار النبوة الطاهرة حتى دعى فاجاب ونودى فأطاع .

ثم راحت تقول :

اكظم الغلة المخالطة القلـــب أعــزى وفي القــران عزائي

لــم تكن بغتة وفاتــك وجــدا ان ميعــاد من تــرى للفنــاء

وعادت حفصة بعد ذلك الى حياة العزلة والتعبد ..

وبويع عثمان بالخلافة ..

كانت رقعة العالم الاسلامي قد امتدت وكان المسلمون قد عظم شأنهم ، وتكاثر عديدهم ... وتعددت لهجاتهم ، واختلطت السنتهم ، وظهرت لهجة محلية على لهجة ، وعلا شأن قوم على قوم وراحت قراءات متعددة شتى لكتاب الله في كل مصر من الامصار ..

وانتبه عثمان رضى الله عنه الى ما يمكن ان يسفر عنه الاختلاف في قراءة كلام الله ، واسرع ليتدارك الامر ، فامر بان ينسخ مصحف ابى بكر الموجود عند حفصة بنت عمر .

وكان زيد بن ثابت مرة أخرى على راس القائمين بذلك فطلب المصحف من حفصة واسلمته اياه .. وبدأ الكاتبون اعمالهم فكان المرجع والملاذ والقدوة للصحف التى ارسلت الى الامصار .

ولحق عثمان بربه بعد هذا شهيدا .. وبويع مكانه على بن ابى طالب ، وما اسرع ما هبت رياح الفتنة بين المسلمين ، وتفرقت امورهم واسفاه .. وخرجت عائشة رضى الله عنها على امير المؤمنين على بن ابى طالب وطالبت بدم عثمان ..

وتراجعت أمهات المؤمنين ، وخشين مغبةالفتنة، ولم تقف مع عائشة في خروجها غير صاحبتها حفصة بنت عمر ، فصحبتها وهي خارجة بالناس لجهاد « علي » ونقض بيعته ، ولم تكد حفصة تبلغ مشارف المدينة حتى لحق بها أخوها عبد الله وارجعها الى بيتها الذى امرها الله أن تقر فيه..

وهكذا .. وعند هذه النهاية .. افترقتحفصة برغمها عن عائشة التى كان من امرها مع « علي » ما كان ثم عادتا لتتلاقيا من جديد بعد أن هدأت الفتنة ..

وشهدت حفصة خلافة معاوية .. ثم .. حان الحين عام ٤٥ من الهجرة ، ولقيت ربها راضية مرضيا عنها ، طاهرة الصفحة ، نقية النقيبه ـ وصلى عليها مروان بن الحكم والى المدينة ،وصلى معه ابو هريرة ثم دفنت بالبقيع وعمرها وقتذاك بضعة وستون عاما . ■■

القاهرة ـ سنية قراعة

أُغْنِيَةُ

■ لن أناديكَ ياحبيبَ النداءِ ... لِمَ أدعو من لا يُلبّي دُعائي؟
كلما هزّني للقياكَ شوقٌ ... صرختْ لهفتي وثار إبائي

★ ★ ★

يا عذاباً هيهات منه هروبي ... أفتديه بقلبيَ المشبوبِ
كل يوم يمر دون لقاءٍ ... هو في غيْبنا نذيرُ الغروب
وأنا مهجةٌ تذوب حناناً ... فاتّقِ الله في حنان القلوب

★ ★ ★

يا حبيبي ، ولاتزال حبيبي ... رغم خوفي ، والحبُّ رهن المغيبِ
آه لما دعا الهوى فالتقينا ... بعيونٍ أشواقُها من لهيب

★ ★ ★

أسكرتْني عيناك نجوًى وهمساً ... أسكرتْني ، وما تذوقتُ كأساً
بحديثٍ يحرك القلب شجواً ... ولحاظٍ تُحوِّل الليل شمسا
وحنانٍ معطَّرٍ بالأماني ... كيف أنسى عبيرَه ، كيف أنسى ؟

★ ★ ★

كيف أنسى جماله إذ دعاني ... ويداه عليَّ حانيتان
وعلى راحتيْه باقةُ وردٍ ... تحمل الشوق والرضا والأماني



حُبٌّ

للشاعر صالح جودت

أى شيءٍ يصبو إليه خيالى ؟ أنت حققتَ أجمل الآمال

أنا من فرحتى بقربكَ أخشى نظرةَ الغدر في عيون الليالى

لاتقلْ لى بعد اللقاء وداعاً بل سلاماً إلى اللقاء التالى

★ ★ ★

كم رويتُ الهوى بدمعة فرْحي كيف أرويه بعد هذا بجرحى ؟

بعد حلم الهناء في كل ليلٍ وجميل الضياء في كل صبح

★ ★ ★

الهوى فاتنى على شاطئَيْهِ آه من ظالمٍ أحن إليه

وأدارى عواطفى عنه حتى لا أذِلَّ الدموع بين يديه

رُبَّ ليلٍ بكيتُ منه ، فلمّا فاتَنى ظالمى ، بكيتُ عليه

★ ★ ★

يا حبيبى ، وأنت فرحةُ عمرى

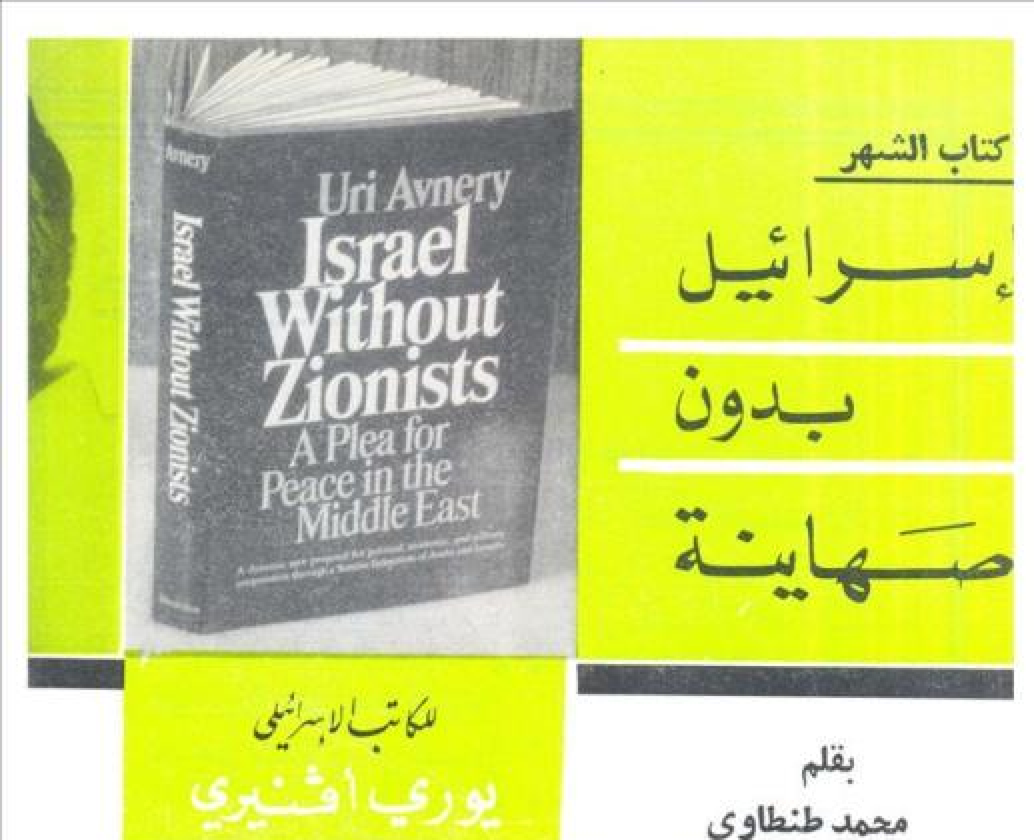
ومُنَى خاطرى ، وليلةُ قدْرى

إن مضى حبُّنا ، فقد ضاع شيءٌ

منك ، أما أنا ، فقد ضاع عمرى

■■

القاهرة ـ صالح جودت



كتاب الشهر

إسرائيل بدون صهاينة

للكاتب الاسرائيلي

يوري أفنيري

بقلم

محمد طنطاوي

■ قبل ان نستعرض هذا الكتاب الذى يعتبر من احدث الكتب التي نشرت في هذا العام عن قضية فلسطين ، ولعله من اخبثها مقصدا وغرضا ، يجب علينا ان نضع نصب اعيننا ثلاثة اعتبارات هامة :

اولها ان نعرف شيئا عن مؤلف هذا الكتاب يورى افنيرى . ولد يورى في المانيا عن اب يسمى اوسترمان Osterman وكان ابوه يعمل في احد البنوك بمدينة هانوفر .. وقد هاجر هو وعائلته الى فلسطين في عام ١٩٣٣ .

وفي فلسطين وهو في الخامسة عشرة من عمره انضم يورى الى منظمة « أرجون » الارهابية . ولكنه انشق عليها وكون جماعة سياسية اسماها « الشباب الفلسطيني » Young Palestenians . وكانت هذه الجماعة تنادى بان الدولة اليهودية الجديدة يجب ان تنتمي للشرق الاوسط وان تنضم الحركة القومية اليهودية مع الحركة العربية لتكونا جبهة سامية متحدة تقف في وجه المستعمر البريطاني .

وفي أواخر عام ١٩٤٧ نشر يورى افنيرى كتيبا اسماه « الحرب والسلام في المنطقة السامية » War and Peace in the Semitic Region يندد فيه بمشروع تقسيم فلسطين . ولكن الامم المتحدة وافقت على مشروع التقسيم واصدرت جماعة الشباب الفلسطيني نشرة تتنبأ فيها بان هذا التقسيم سيكون بداية لحرب طويلة بين اليهود والعرب .

واندلعت نيران حرب ١٩٤٨ وانضم يورى الى احدى فرق « الهاجانا »(١) وأصيب اصابات قاتلة ولكنه نجا من الموت بأعجوبة . وقام افنيرى بنشر مذكراته عن الحرب، ومن النقود التى

(١) الهاجانا هى واحدة من تلك الفرق العسكرية التى كونها الصهاينة في فلسطين لفرض سيطرتهم على البلاد بالقوة العسكرية وقد قام بانشائها حزب الماباى في الثلاثينات من هذا القرن .



جمعها من كتابه اشترى مجلة اسبوعية مغمورة اسمها « ها اولام هاذى » اى « العالم » .

وفي عام ١٩٦٥ استطاع يورى أن يخوض بنجاح معركة الانتخابات الاسرائيلية وأن يصبح عضوا في الكنيست الاسرائيلى.ولا يزال يحتل مقعده هناك. وقد بنى افنيرى سياسته على المناداة بتكوين اتحاد كونفدرالى يسمى الاتحاد السامى Semitic Union يضم كل دول الشرق الأوسط . ويقول أن هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق السلام في هذه المنطقة من العالم ! ويدعى افنيرى أن الصراع القائم في الشرق الأوسط هو نتيجة تصادم بين حركتين قوميتين ، حركة القومية العربية وحركة القومية الصهيونية !!

أما الاعتبار الثانى : فان المؤلف بالرغم من محاولته الاشارة في مقدمة كتابه الى أنه سيحاول التجرد من أى نوع من أنواع التحيز ليهوديته الا أنه يفضح نفسه بنفسه في الكثير مما يقوله ، وينسى كل الحقائق التى تدين اسرائيل في اعتداءاتها البربرية ضد العرب في فلسطين ، وينسى كذلك كيف اغتصب اليهود ارضا ليست لهم من أصحابها الأصليين .

والاعتبار الثالث : الذى يجب أن ننتبه اليه هو أن هذا الكتاب نشر بعد أن اتضح لاسرائيل أن نصرها العسكرى في عام ١٩٦٧ لم يحقق لها احلامها في كسر شوكة العرب وتحقيق الاستقرار الآمن في هذه المنطقة من العالم وتكوين امبراطورية تمتد من النيل الى الفرات على حساب الشعوب العربية في الشرق الأوسط .

العرب والدعاية !!

استعرض الكتاب حرب يونيو ١٩٦٧ في فصل كامل تحت عنوان « الحرب التى لم يردها أحد » وفي هذا الفصل يتعرض المؤلف الاسرائيلى للدور الكبير الذى لعبته الدعاية . فمن الناحية الاسرائيلية آمن الاسرائيليون أن العرب يريدون ابادتهم وذلك نتيجة لما تذيعه محطات الاذاعة العربية وتستغله الدعاية الاسرائيلية لترسيخ هذا الاعتقاد .

أما بالنسبة للعرب ـ على حد قول المؤلف ـ « فان الدعاية شىء معبود لديهم فهم يحبونها لدرجة كبيرة بالرغم من انهم لا يتوقعون اطلاقا أن تكون سردا أمينا للواقع . والعرب يحبون الكلمات كما يحب الايطاليون الموسيقى وكما يحب الفرنسيون الطعام الجيد . فالكلمات الجميلة التى تنساب من أجهزة الراديو تجعل معظم العرب ينسون الحقيقة التى لا تزال بعيدة عن ارضاء آمالهم وتطلعاتهم . وبذلك أصبحت الكلمات بديلا عن الحقيقة بالنسبة للعرب » !!

وبهذا يستخلص المؤلف أن الدعاية العربية الطنانة في مايو ١٩٦٧ قد جعلت الشعب الاسرائيلى يسرع الى حمل السلاح ليدافع عن نفسه وعن كيانه وهو ذلك الكيان الذى يعلم كل فرد اسرائيلى انه كيان لا يتحمل هزيمة واحدة .

ويحاول المؤلف هنا أن يصور أن الاسرائيليين شعب محب للسلام لم يحمل السلاح الا للدفاع عن نفسه . وقد نسى انه في هذا الفصل بالذات اعترف بأن اسرائيل كانت تعد العدة لشن هجوم



على سوريا وذلك كاجراء تأديبي ـ على حد قوله ـ ضد الفدائيين

الدائرة المفرغة

بعد أن سرد المؤلف تاريخ الحركة الصهيونية وبدايتها وذكر أن وعد بلفور الذى صدر في عام ١٩١٧ كان بداية لتحقيق الحلم الصهيوني قال الكاتب : « وبهذا بدأت الدائرة المفرغة التي تدور فيها العلاقات بين العرب والصهيونية والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا » . ويلخص الكاتب هذه الدائرة المفرغة في ٥ نقاط هي :

١ ـ بدأ الصهيونيون في زيادة مجهوداتهم لتشجيع الهجرة الى فلسطين والاستقرار بها .

٢ ـ رد العرب بعنف ضد ما اعتبروه تهديدا قاتلا لكيانهم القومي .

٣ ـ بحث الصهاينة عن حليف يساعدهم ضد التهديد العربي ويؤيدهم في المجالات السياسية والعسكرية ، ولم يكن من الممكن أن يكون هذا الحليف سوى قوة أجنبية تتعارض مصالحها تماما مع حركة القومية العربية التي بدأت فى الوجود .

٤ ـ أدى التحالف بين الصهيونية والقوى الأجنبية الى زيادة الكراهية والمرارة عند العرب مما جعلهم يزيدون من هجومهم ضد انشاء وطن قومي لليهود .

٥ ـ أدى ذلك الى حاجة الصهيونية الى حلفاء اكبر .

ويقول المؤلف « انها دائرة كاملة ، دائرة مفرغة، ظلت مستمرة منذ وعد بلفور حتى الآن .. »

ويستطرد الكاتب بعد ذلك ليذكر أن الولايات المتحدة الامريكية اصبحت الحليف الأهم للصهيونية منذ منتصف الاربعينيات من هذا القرن . وأن تحقيق بناء دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ لم يؤد الى كسر الحلقة المفرغة التي تدور فيها،وبذلك اصبح التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي عاملا فعالا هاما في الشرق الأوسط .

ثم يقول الكاتب : « قد يصل القارىء العربي بعد استعراضه لهذا التاريخ الموجز الى أن دولة اسرائيل قد خلقها الاستعمار ، وانها ستظل دائما معتمدة على هذه القوى ولا تستطيع أن تبقى بدون مساندتها . ولكن هذه النتيجة هي نتيجة غير حقيقية . فان اسرائيل هي نتاج حركة تحرير كبيرة اضطرت بسبب الظروف العجيبة التي صاحبت نشأتها الى الاعتماد على أحلاف امبريالية ولكنها لم تكن يوما دولة تابعة . بل على العكس كانت دائما شريكا يقطف ثمار تعاونه حتى بعد رحيل الشريك الآخر بزمن طويل . ومن المهم أن يفهم العرب هذا .. اولا لان سوء فهم الحقائق يؤدى الى سوء فهم خطير للواقع .

انه من الخطر الافتراض بأن اسرائيل ستختفي من الشرق الاوسط اذا اختفى شركاؤها الامبرياليون من المنطقة .. وهذا الافتراض وهم اشبه بالسراب .

ان الصهيونية حركة اصيلة لم يخلقها أحد سوى الصهيونيين انفسهم .. !! »

هذا الكلام الذى يقوله المؤلف يفضح نفسه بنفسه وليس بحاجة الى اى تعليق عليه ليوضح الغرض الدعائي الكامن وراءه .

بن جوريون .. والعرب !!

من فصول الكتاب التي تفضح شعور الصهاينة تجاه العرب ذلك الفصل الذى خصصه المؤلف لوصف تاريخ حياة دافيد افيجدور جرين David Avigdor Green أو دافيد بن جوريون كما أسمى نفسه بعد ان وصل الى فلسطين في عام ١٩٠٥ مهاجرا من بولندا بلده الأصلي ، كعادة الصهاينة في تغيير اسمائهم الاوروبية الى اسماء عبرية .

يقول الكاتب : « لقد تساءل بن جوريون عندما وصل الى يافا في عام ١٩٠٥ وعمره لا يزيد عن الثمانية عشر عاما هل هذه هي أرض الآباء الموعودة ؟! .. لقد كان المنظر الذى طالع عينيه وطرق اذنيه وانفه مقززا لدرجة القرف . روائح كريهة ، صوت اللغة العربية التي يتحدث بها عمال الميناء اشبه بالصوت النشاز لأذن مثقفة . المدينة قذرة ، المحلات التي بها ليس فيها نوافذ عرض ، المكان كله بؤرة قذرة تمتلىء بالضجيج !!

ولم يكن الشاب القادم منبولندا مستعدا لتقبل كل هذا . وكانت صدمة كبيرة له لم يتغلب عليها بن جوريون طوال حياته . لقد استطاع بنجوريون أن يتعلم عدة لغات بعد ذلك ولكنه ابدا لم يحاول أن يتعلم اللغة العربية . وحتى ابان العشر سنوات التي رأس فيها وزارة اسرائيل ، وعندما كان اكثر من ١٠٪ من مجموع الناخبين عربا ، لم يقم بزيارة

قرية أو مدينة عربية ، ولم يستقبل وفدا عربيا في مكتبه أبدا » .

والحقيقة التى لم يتعرض لها الكتاب انأغلبية الصهاينة يشاركون بن جوريون في شعوره هذا ضد العرب وهذا وحده يدل على طريقة معاملة الاسرائيليين للعرب داخل اسرائيل الآن ! وهذا وحده أيضا دليل كاف على العنصرية البغيضة التى تقوم عليها الحركة الصهيونية !

ويستطرد الكتاب في استعراض الاحداث التى تثبت نظرية الدائرة المفرغة .. وخاصة أحداث ١٩٥٤ مثل حادث لافون ، والاعتداءات على غزة ، والأعمال الانتقامية الرهيبة التى كان الجيش الاسرائيلى يقوم بها ضد المواطنين العرب . ويستطرد في كل هذه الاحداث بما فيها العدوان الثلاثى لعام ١٩٥٦ .

موشي دايان .. الذئب المتوحد

وينتقل الكتاب الى وصف حياة موشي دايان فيقول :

« ان الرجل الذى لعب أدوارا كبيرة في عام ١٩٥٤ ، والرجل المسئول مباشرة عن الهجوم على غزة . والغارات الانتقامية التى تلت هذا الهجوم ، الرجل الذى قاد الجيش الى حرب سيناء ١٩٥٦ والذى ظهر مرة أخرى فى بداية حرب ١٩٦٧ بعد عدة سنوات من الاختفاء . هذا الرجل هو موشي دايان . ان دراسة حياة هذا الرجل تستحق العناية ، ليس بسبب تأثيره على سياسة اسرائيل ، ولكن لأن دايان يعتبر نتاجا مثاليا للتاريخ الصهيونى .

ان دايان من « السابرا » Sabra ، اى من الاسرائيليين الذين ولدوا في فلسطين ، ولقد أطلق اسم « السابرا » على هؤلاء الاسرائيليين لأن هناك أسطورة تقول انهم قوم بسطاء العقول ، مستقيمون ليست لديهم أية عقد ، والاعتقاد الشائع عن دايان انه رجل من هذا النوع . وفي الحقيقة فان دايان رجل به الكثير من التناقضات ويتمتع بشخصية معقدة فوق التصور .

ان عصابة عينه السوداء وهى علامته التجارية التى تجعل من السهل تمييزه بين عشرات من زملائه ، هى نفسها رمز لتناقضه . فبالرغم من ان هذه العصابة السوداء لعبت دورا كبيرا في الدعاية لصاحبها الا آن دايان ليس سعيدا بها . ان من حقه ان يفخر بها فهى تعكس صورة لخدماته لاسرائيل . لقد جرح في عام ١٩٤١ عندما كان يعمل ضابط اتصال للقوات الاسترالية التى اجتاحت لبنان أثناء الحرب بينالقوات البريطانيةوالفرنسية الحرة ضد قوات حكومة فيشى في سوريا . وفي هذه الحرب بينما كان دايان يستعمل منظاره الحربى المكبر لاستطلاع المنطقة المحيطة بالقوات التى يعمل معها ، اطلق قناص فرنسي النار عليه وحطمت الرصاصة العدسة اليسرى لمنظاره فالتصقت بعينه اليسرى واقتلعتها . ولمدة عدة سنوات ، بعد الحادث ، استشار دايان عددا كبيرا من مشاهير أطباء العيون لكى يصنعوا له عينا صناعية ولكن بسبب الجرح العميق في مقلة العين كان هذا مستحيلا . ولا يزال دايان حتى الآنيعانى كثيرا من هذه الاصابة . فهو عندما يرتدى عصابته السوداء فانها تضغط على آثار الجرح وتسبب له ألما . ونتيجة لهذا فهو لا يرتدى العصابة في منزله او فيمكتبه ويضطر للمعاناة من التصرفات اللاارادية التى تبدو من زواره الذين يرونه بدونها .

ومن هذا اصبحت هذهالعصابة السوداء مصدرا للتناقض بالنسبة له ، فهو يعلم جيدا قيمتها الدعائية له ويقوم باستغلال هذه الناحية بلا تردد ، ولكنه بدون شك يعانى من حساسية تجاهها ويتلهف على اللحظة التى يخلعها فيها . ولذلك فهو يكره الاجتماعاتوالمؤتمرات والمحاضرات أو اى اتصال بالناس يجبره على وضع عصابته السوداء .

ويعتبر دايان رمزا للشباب داخل اسرائيل وقد دهش الكثيرون عندما قرأوا انه جد وانه احتفل بعيد ميلاده الثانى والخمسين قبل توليه منصب وزارة الدفاع فى مايو عام ١٩٦٧ . والسبب أن وجه دايان لا يفصح أبدا عن عمره الحقيقى .ولعل هذه التناقضات المظهرية تعكس لنا تناقضاته الداخلية . ان المعروف للجماهير أن دايان قادر على اتخاذ قرارات سريعة دون تردد ، ولكن دايان الحقيقى يختلف عن صورته الجماهيرية فهو حقيقة يتخذ قراراته بسرعة ولكنه في اليوم التالى يتخذ قرارا سريعا آخر يناقض قراره السابق تماما .

ومن الأشياء التى تجعله محبوبا للجماهير هو ظهوره بالميل الى الكلام المباشر الصادر من القلب عما يفكر به دون لف أو دوران . ولكن الحقيقة ان هذا التظاهر لا يمت الى الاصالة بصلة .

فموشي دايان لا يقول ابدا ما يفكر فيه حقيقة . فهو يستعمل الكلمات كاستعماله لأى نوع آخر من السلاح ليحقق به ما يريد أن يحصل عليه .

وهذه الصفة هى نتيجة لصفة أخرى قد تكون هى المفتاح الحقيقى لشخصية دايان وهى عدم قدرته على الاتصال بالناس . فهو ليست له علاقات وثيقة باحد سواء على المستوى العائلى أوالمستوى الاجتماعى ، وليس له صديق في العالم . ودايان لم يحتفظ اطلاقا بمستشارين له ولا ينتصح بنصيحة أحد ، لا لأنه لا يثق فى احد ، ولكن لانه لا يحترم احدا على الاطلاق ولا يحاول ان يخفى احتقاره للناس .

ودايان كغيره من بعض العسكريين والسياسيين الاسرائيليين يتطلع الى كرسي الحكم بلهفة شديدة ربما تفوق بقية زملائه من الطامعين بالرياسة . وقد وصف الجنرال ايزاك ساديه Yitzhak Sadeh ، ـ وهو احد الرجال الذين صنعوا كل قادة جيش اسرائيل ـ موشي دايان قبل موته قائلا : « انه أخطر رجل في اسرائيل ، ويجب على المرء ان يراقبه دائما ، فهو ليس لديه اى تردد او ضوابط او أخلاق تمنعه من فعل اى شيء » .

ودايان كان ولا يزال دائما محاربا للعرب ولعل الخطاب الذى ألقاه يوما في جنازة احد اعضاء كيبوتز « نحال أوز » بعد أن لقى حتفه على يد الفدائيين العرب قبل حرب ١٩٥٦ يمثل تماما شخصية دايان وشعوره تجاه العرب .

لقد قال دايان يومها بالحرف الواحد « اننا جيل من المستوطنين الجدد ، وبدون الخوذة الفولاذية والمدفع لن نستطيع أن نزرع شجرة أو نبنى منزلا .. ان هذا هو قدر جيلنا . ان علينا ان نختار بين أن نستعد ونتسلح ونصبح اقوياء أو ينزلق السيف من قبضتنا وتضيع حياتنا . »

وهذه فلسفة رجل يؤمن بان مجرد فكرة السلام ليست الا شيئا يضعف المعنويات .

ودايان لم يكن له تاريخ يذكر في حرب ١٩٤٨ بل على العكس كان عمله العسكرى في ذلك الوقت اقرب الى الفشل منه الى النجاح . ولولا بن جوريون لما كانت قد قامت لدايان قائمة بعد حرب ١٩٤٨ .

الخروج من الدائرة المفرغة

يقول المؤلف : « ان الصهيونية قد خلقت شيئا لم تكن تريده . خلقت شعبا جديدا . هو الشعب العبرى ، الذى يختلف عن الشعب اليهودى . فالشعب العبرى هو أولئك اليهود الذين يعيشون في اسرائيل ، والشعب اليهودى هو يهود العالم كله . والنجاح الذى حققه الشعب العبرى يجعل الصهيونية لا فائدة منها . فمبادىء الصهيونية تتلخص في :

١ ـ ان كل اليهود في العالم شعب واحد .

٢ ـ اسرائيل دولة يهودية ، خلقت بواسطة اليهود ولكل يهود العالم .

٣ ـ ان انتشار اليهود وتبعثرهم مسالة مؤقتة، وان عاجلا أو آجلا سيجيء كل اليهود الى اسرائيل بسبب الاضطهاد الذى يتعرض له الساميون .

٤ ـ ان تجمع اليهود المنفيين هو الأمر الواقع في اسرائيل وهو الغرض الاساسي الذى من أجله تخضع بقية الامور .

ولكن تفكير الجيل الجديد في اسرائيل بعيد كل البعد عن هذه المبادىء فهو وطنى ولكنه محدود بثروات اسرائيل ، وأراضيها وثقافتها وجيشها .

ان الجيل الجديد من العبريين قد شب في فلسطين وهو يعلم انه ينتمى الى شعب جديد ولد فى فلسطين ، فهو لا ينظر الى الشرق الأوسط من الخارج ولكن ينظر اليه من داخله ، وفي الحقيقة فان هذا الجيل قد الغى تعبير « الشرق الأوسط » من استعمالاته العبرية ، « فالشرق الاوسط » تعبير أوربى يفرض أن مركز العالم يقع في مكان ما بالغرب . ومن المستهجن أو الغريب بالنسبة لاسرائيلى ان يقول الشرق الأوسط عندما يريد أن يتكلم عن الجزائر أو عن مصر وهى تلك البلاد التى تقع الى الغرب من حدوده !!

وبما اننا ننتمى الى هذه المنطقة الآن فهذا يعنى أن نتعامل مع المشكلة الرئيسية لبقائنا وهى العرب وذلك عن طريق الوسائل العسكرية أو السياسية، ونحن الاسرائيليين الذين ولدنا داخل هذه المشكلة نعلم انه يجب علينا أن نجد لها حلا ، ونحن نعلم ذلك ابتداء من موشي دايان الذى يجد الحل عن طريق الحرب ، الى أناس مثلى يقفون ضد الحرب . ونحن لا نعصر عقولنا في محاولة ايجاد حل للمشكلة اليهودية حقيقية كانت أم خيالية . بل ان العمل الرئيسي امام جيلنا هو أن نجد مكانا

معترفا به لشعبنا في اطار المنطقة التى تعيش فيها. ان ظهور جيل من الشباب الوطنى الذى يخلف الصهيونية يخلق الأساس النفسي لايجاد حل لمشكلتنا . »

الاحزاب السياسية فى اسرائيل

قبل ان يعرض الكاتب أفكاره عن الحلول التى ينادى بها لقضية فلسطين يتعرض فى فصل كامل للأحزاب السياسية فى اسرائيل فيقول :

« ان هناك عددا كبيرا من الأحزاب فى اسرائيل . ففى انتخابات عام ١٩٦٥ فازت ١١ قائمة انتخابية بالتمثيل فى الكنيست ومن ضمنها قائمتان تضم كل واحدة منها حزبين !! واكبر حزب نال ٤٥ مقعدا من الـ ١٢٠ مقعدا فى الكنيست ، بينما فاز اصغر حزب بمقعد واحد فقط . ومن الصعب فى اسرائيل ان يحصل اى حزب مهما كان قويا على أغلبية مطلقة لأن نظام الانتخابات قائم على التمثيل النسبى اى ان مقاعد الكنيست تقسم بنسبة الأصوات التى تحصل عليها كل قائمة . وبالرغم من تعدد الأحزاب الا انه لا يوجد خلاف جوهرى بين الحزب والآخر.

والأحزاب السياسية فى اسرائيل تختلف عن الأحزاب السياسية فى العالم كله . ففى اى مكان يوجد فى الدولة أحزاب أما فى اسرائيل فان للاحزاب دولة !!

والسبب ان الأحزاب الاسرائيلية وجدت قبل وجود دولة اسرائيل . فاحدث حزب فى اسرائيل ولد فى العشرينيات من هذا القرن .

والحزب الصهيونى يختلف عن اى حزب فى العالم فهو قد وجد لينشىء دولة وهو لهذا يتحكم فى أعضائه بدلا من أن يتلقى توجيهاتهم .

وكل حزب صهيونى هو فى الواقع امبراطورية اقتصادية فمثلا يملك حزب المابام Mapam عشرات من الكيبوتزيم التى تغل مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية يعاد استغلالها فى الصناعة والاقتصاد وبصبح دخلها موردا للحملات الانتخابية للحزب.

والحزب الدينى الوطنى National Religious يملك بنكين وعدة مؤسسات اقتصادية كبرى علاوة على انه يوفر أعمالا كثيرة لآلاف من الحاخامات ورجال الدين والأعمال المتفرعة عنه وهؤلاء تقوم الحكومة بدفع مرتباتهم .

اما أحزاب اليمين فهي تتحكم فى الكثير من الأعمال الاقتصادية فحزب الماباى Mapai ، استطاع منذ عام ١٩٣٠ أن يركز قوى كبيرة فى حقول البنوك والمؤسسات الضخمة وكذلك الأعمال الأخرى الصغيرة . وقد قام هذا الحزب بانفاق ٥٠ مليون دولار على حملته الانتخابية فى عام ١٩٦٥ .

اتحاد فيدرالى فلسطينى

ينادى المؤلف فى هذا الفصل من الكتاب «بانشاء جمهورية عربية فلسطينية على شرط ان يتم اتفاق فيدرالى بينها وبين اسرائيل . وتضم هذه الجمهورية الضفة الغربية من الاردن وقطاع غزة . ويترك الباب مفتوحا للاردن للانضمام اليها اذا رغب أهله فى ذلك !!

وتصبح القدس المتحدة عاصمة الاتحاد ،وعاصمة البلدين أيضا وبذلك يوجد حل يعتبره المؤلف فى رأيه الحل الأمثل لمشكلة مستعصية . ويجب ان يسبق هذا الاتحاد اتفاقيات اقتصادية وسياسية وعسكرية .

وعندما ينشأ مثل هذا الاتحاد فهذا يعنى بداية السلام بالنسبة لاسرائيل وبداية تعاون فعلى بينها وبين دولة عربية . وبالنسبة للشعب الفلسطينى فهو يعنى نهاية للاضطراب النفسي ، ومكانا على خريطة العالم ، واستعادة للشخصية القومية ، وتأمينا للسيادة الاقليمية ، وأخيرا وضع نهاية لبؤس اللاجئين .!!

تهديد مبطن

ويختتم المؤلف كتابه بعرض سريع لفكرة الاتحاد الكونفيدرالى بين الدول السامية «اسرائيل والدول العربية المحيطة بها » بعد تحقيق الاتحاد بين جمهورية فلسطين العربية واسرائيل !! ويعدد الفوائد التى ستعود على المنطقة من هذا الاتحاد !

ولكنه لا ينسى أن يختم كتابه باشارة تهديد مبطنة فيقول : « ولكن للوقت أهميته . فهناك على الحدود يوجد قرار مهتز بوقف اطلاق النار ، قرار محفوف بالاخطار تخرقه الطلقات على فترات متقطعة .

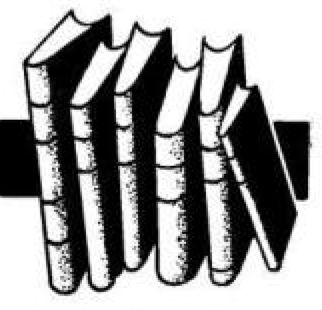
والجيوش التى تواجه بعضها البعض على جانبى خط وقف اطلاق النار تتسلح بسرعة . وكل منها يعتقد بأن نشوب حرب جديدة أمر مؤكد ولكن الشيء الوحيد غير المؤكد هو موعد نشوبها. ولكن الحرب القادمة أو الحرب التى ستجىء

بعدها ستكون حربا مختلفة بحيث ستبدو حرب ١٩٦٧ بالنسبة لها مجرد تدريب لم يخل من الانسانية .

فالأسلحة النووية ، والصواريخ بكل انواعها قريبةجدا من المنطقة السامية. واستخدامها حتمي. واذا لم تنته الدائرة المفرغة قريبا فانها ستؤدي الى كارثة تدفن تل ابيب والقاهرة ودمشق والقدس . فالاتحاد « السامي » هو البديل الوحيد للسلام السامي » !!

وبعد .. هذا هو ملخص سريع لآراء الكاتب الاسرائيلي . ويكفي ان نقول ان آراءه ودعوته تفضح ما وراءها من زيف . فانه لا يطالب بوجود اسرائيل بلا صهاينة كما يقول في عنوان كتابه ، ولكنه في الواقع يطالب بتطوير الصهيونية القديمة الى صهيونية جديدة تحقق حلم الصهيونيةالقديمة في انشاء دولة كبرى .. بطريقة ملفوفة تحت ستار اتحاد بين الشعوب السامية .. ! !

محمد طنطاوي



في الحضارة العربية صور عباسية

تأليف : الدكتور ناصر الحاني /الناشر : منشورات المكتبة المصرية ـ صيدا/لبنان

● دراسة تتناول اوجه الحضارة العباسية المادية ، فتدرس الندماء وما كانوا يلبسون من فاخر الملابس ، والمواصفات التي يجب أن تتوافر لدى النديم ، واشهر هؤلاء الندماء ، ثم كيف كان العباسيون يتحلونبالورد والرياحين وانواعها، واهم الشعراء الذين وصفوا الورد والرياحين ثم عن الثلج والثلاجين ووسائل التبريد في ذلك العهد ، والأمكنة التي كانوا يجلبون منها الثلج والمثلجات ثم حديث عن الاكل والنقل .

بحيرة العطش

تأليف : حسن عبد الله القرشي . الناشر : منشورات دار الآداب ـ بيروت

● مجموعة مقطوعات شعرية متنوعة .

الرغبة في وقت متأخر

تأليف : عبد الستار ناصر . الناشر : مطبعة القرى الحديثة ـ النجف ـ العراق

● مجموعة قصص قصيرة .

كلمة الرسول الاعظم

تأليف : السيد حسن الشيرازي ـ الناشر : دار صادر ـ بيروت ـ لبنان

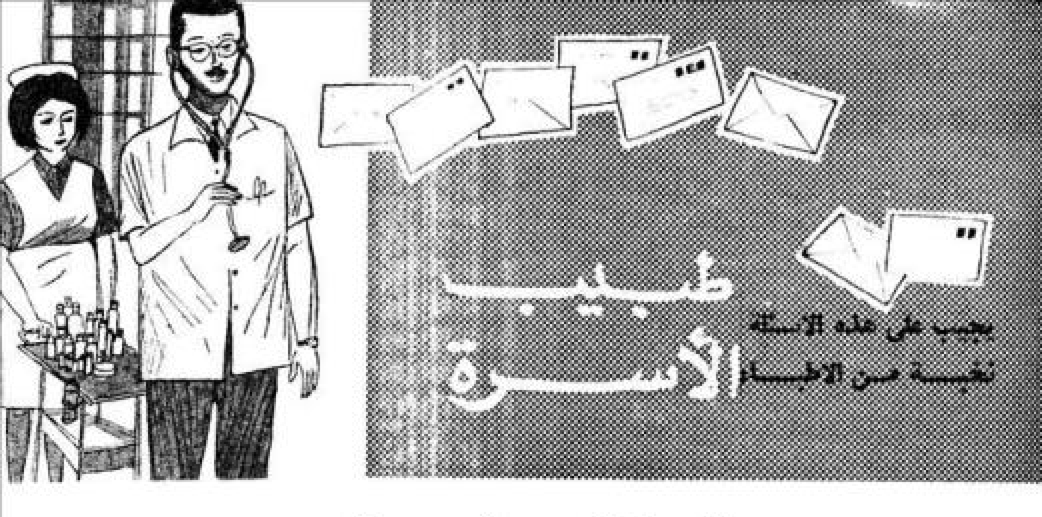
● دراسة عن أدب الرسول الأعظم ذلك الأدب الذي يعد في الحقيقة درة التراث الانساني ومن أخصب ما أنتجه الفكر البشري والذوق الاصيلين، ثم ما يمتاز به هذا الأدب من دقة منطقية وخيال واسع خفاق يأخذ المعاني الجافة البعيدة فيبلورها وينشر لها أجنحة ملونة تنساب مع النور . ثم ذلك الذوق الفني الرفيع الذي يعتبر أهم شروط البلاغة وهو الحس الذي يربط جميع الموجودات بشبكة واحدة شاملة عن الأسباب والمسببات . ثم تلك السلاسة العفويةالبالغة في رصف المعاني والالفاظ معا وموافقة كلامه لمقتضى الحال،فانشاؤه تام الانسجام بين الفاظه ومعانيه واغراضه ثم انه وزع ادبه على حاجات الانسان كلها سواء كانت دنيوية او اخروية فكان ادبا جما يضيء الدروب أمام الانسان أنى سار .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى عدة اقسام من الهيات ورساليات ومواعظ ووصايا ثم سياسيات ورسائل ثم متفرقات .

الزيتونة

تأليف : خالد الشواف ـ الناشر مطابع نيسان ـ العراق

● مسرحية شعرية .



ابني يشكو من مغص مستمر

● ابنى فى السابعة من عمره ودائمايشكو من الم ببطنه . وقد عولج مرات كثيرة ولكن ما زال يشكو . علما بانله اخا فى الثالثة من عمره ، وهـو في مدرسة خاصـة ويعتبر طفلا ممتـازاحسب رأى مربى الفصل ، فما رايكم فى هذه الحالة .

ــ ان الطفل الذى يشكو كثيرا بالم مغص فى بطنه ليست مشكلته سـهلة الحل بل فى رايي وراى كثير من اطبـاء الاطفال في العالم ، بأنها ظاهرة جديرة بالاهتمام والتحليل ولا يجب ان تبحث أو تعالج بطريقة سطحية كأى مـرض آخر .

من المعروف أن في ٥٠٪ من مثل هذه الحالة يعرف سبب المغص وفي الـ ٥٠٪ الباقية يظـل السبب مجهـولا وغير مكتشف .



ان الاسباب المعروفة للمغص فىالاطفال على سبيل المثال لا الحصر :

التهاب الزائدة الدودية ــ الانسداد المعوى ــ الطفيليات المعوية ــ التهاب الكبد المعدى او الوبائي ــ النزلات المعويـة والمعدية ــ التهابات الحلق والحنجرة ــ التسمم الغذائي ــ التيفود والباراتيفود ــ حساسية خاصة لبعض المأكـولات ــ الغازات والامساك ــ التهابات اللثـة والاسنان ــ المغص الكلوى وحصو الجهاز البولي .. الخ

ولكل من هذه الامراض اعراض ثابتة ومحددة ونتائج مخبرية حاسمة يعرف بواسطتها المرض ويعطى العلاج المناسب جراحيا كان أم باطنيا .

اما باقي الـ ٥٠٪ التى لا يعرف فيها السبب فهذه هي الجزء المحير فى هـذه المشكلة واعتقد أن ولدك منهم . ولكن تمكن فريق مـن الباحثين النفسـيين بالاشتراك مع بعض اطباء الأطفال مـن حصر عدة أسباب لهذا المغص الغريب

الذى ينتاب كثيرا من الأطفال من حين لحين وذلك بعد البحث والتقصى فى حياة الطفل الخاصة فى منزله ومدرسته وتوصلوا الى مجموعة من الاسباب النفسية وغير العضوية Functional هي السبب الرئيسي لهذا المغص واستدلوا على ذلك بتمكنهم من شفاء الطفل المريض بعد ازالة هذا السبب الخاص .

ومن هذه الحالات النفسية :

اضطراب حياة الطفل المنزلية : كالشقاق الدائم فى المنزل ، او وجود طفل آخر غيره يستأثر باهتمام وحنان والديه ، أو شدة الضغط على الطفل لتناول انواع من الطعام تعافها نفسه وتأباها شهيته ، أو وجود رغبات مكبوتة لدى الطفل يخاف الاعلان عنها .

كذلك اضطراب حياة الطفل المدرسية كعدم توفيقه فى فصله مع اصدقائه واترابه او اضطهاد المدرس له او تخلفه ذهنيا عن المستوى العام لصفه .

كل هذه الاسباب الخاصة والنفسية تلعب دورا كبيرا ومهما فى اصابة الطفل بالم البطن وشكواه المستمرة من المغص .

والطبيب الذى يغفل هذه الاسباب انما يغفل فى الواقع كثيرا من اسباب المغص الحقيقية ، المغص الذى لن ينقطع شكوى الطفل منه حتى تزال هذه الحالات النفسية بعد اكتشافها ومعرفتها .

● ● ○

اللوزتان والتهابات الحلق



● اجريت لى عملية استئصال اللوزتين منذ ثلاث سنوات ، ولكن لا تزال تعاودنى الالتهابات والآلام بالحلق مما جعلنى اظن أن العملية غير ناجحة .. وقد راجعت الطبيب الذى قرر أن العملية جيدة . فكيف يكون ذلك ؟ .

ـ كثيرا ما يعتقد المريض أن اللوزتين هما السبب الوحيد لآلام الحلق والبلعوم وهذا خطأ شائع فان التهاب البلعوم له أسباب عديدة مباشرة ، أهمها النزلات البردية والتهاب الجيوب الأنفية ، كما أن هناك أسبابا أخرى غير مباشرة قد لا تخطر على بال الشخص العادى مثل اضطرابات الامعاء والمصران الغليظ التي ينعكس اثرها على البلعوم في صورة احتقان والتهاب مزمن به مما يضيق به المريض ويجعله دائم الشكوى .

لذلك فان استئصال اللوزتين لايعنى انك لا تكون عرضة لالتهابات الحلق كما تقول .

انصحك بمراجعة الطبيب الأخصائى الذي قد يجد سببا موضعيا فيعالجه والا فعليك بمراجعة طبيب الأمراض الباطنية .

انتفاخ فى البطن ..
وأصوات مزعجة

● اشكو من الانتفاخ في البطن « غازات » من مدة طويلة . وهي تضايقني كثيرا ولو انى لا اشعر بالم ولكن الاصوات في بطني تزعجنى .. فما السبب فى ذلك وهل من علاج ؟

ــ نعرف أننا أثناء تناول الطعام وبلعه يدخل معه هواء اى الغازات الموجودة في الهواء ثم تسير هذه في البلعوم ثم الى المعدة وتذهب الى الأمعاء، وكذلك نتيجة لعملية الهضم يحدث تصاعد غازات كلها تتجمع في الأمعاء، وبتحرك الأمعاء تمتص هذه الغازات في الدم ويتخلص منها الجسم عن طريق الرئتين والذى يتبقى منها يخرج عن طريق فتحة الشرج .

في بعض الحالات يبلع الشخص كميات هائلة من الهواء أثناء تناوله الطعام ويزيد في ذلك الذين عندهم عادة « التجشؤ » وهى عملية يحاول الشخص فيها اخراج الهواء من معدته خصوصا بعد الاكل ويحس بعضهم بالراحة بعدها أو في رأى بعض الناس الاحساس بالشبع . ويشكر الله بعدها . ولكن ثبت علميا أن الانسان يخرج جزءا من الهواء ولكنه يدخل ما يعادل من خمسة الى عشرة اجزاء اى عشرة امثال ما يخرجه من فمه يدخل الى جوفه نتيجة لعملية شفط شديد بعد خروج الهواء يدخل بواسطتها الهواء الى المعدة وفي بعض الحالات الشديدة يملأها وتنتفخ ويحس الشخص بثقل شديد في منطقة المعدة Flatulence وربما ضغطت هذه على القلب وسببت اضطرابات شديدة فيه . وفي بعض الحالات الأخرى يسوء الهضم ولا يكتمل ويتولد عن ذلك غازات وانتفاخ كما هو الحال في كسل المرارة وعدم مساعدتها على هضم المواد الدهنية وفي بعض الحالات تكون المواد النشوية قد زادت في الطعام بكميات كبيرة وينتج منها غازات كثيرة في الأمعاء لا يمكن للجسم امتصاصها بداخله فتختزن في الأمعاء وينتفخ البطن ويخرج جزء منها عن طريق الشرج .

والامساك يساعد على تجمع الغازات في الامعاء وعدم الحركة ووجود أى انسداد في الأمعاء ولكن لكل منها أعراضه الخاصة .

ونصيحتى للقارىء

اولا ــ ان يقلع عن عادة التجشؤ واذا احس برغبة يبلع ريقه او يتناول قليلا من الماء .

ثانيا ــ ان يتحرك ويلعب رياضة ويمشي ويمنع حدوث الامساك بأخذ كميات كبيرة من الفواكه والخضراوات الطازجة واذا كان لا بد من اخذ شيء علاجى فليأخذ ملينا لا مسهلا مثل الاجارول أو زيت البارافين .

ثالثا ــ فى حالات سوء الهضم تؤخذ الأدوية الهاضمة مثل Festal وغيرها كثير .

رابعا ــ ان يلاحظ اى الأطعمة يسبب له غازات كثيرة ويقلل منها . ■■



طرائف عربية

نصائح فريدة

● لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد الى خراسان قال له : اوصيك بثلاثة : حاجبك فانه وجهك الذى به تلقى الناس ان احسن فانت المحسن وان اساء فانت المسيء . وصاحب شرطتك ، فانه سوطك وسيفك حيث وضعتهما فقد وضعهما . ثم عمال القدر . قال : وما عمال القدر ؟ قال : ان تختار من كل كورة رجالا لعملك فان اصابوا فهو الذى اردت . وان اخطأوا فهم المخطئون وانت المصيب .

أصلح ثم أفسد

● قدم ابن جامع السهمى مكة بمال كثير ففرقه على ضعفاء اهلها ، فقال سفيان بن عيينة : بلغنى ان هذا السهمى قدم بمال كثير . قالوا نعم . قال : فعلام يعطى ؟ قالوا : يغنى الملوك فيعطونه . قال : وبأى شيء يغنيهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول : فقال له فتى من تلاميذه يقول :

اطوف بالبيت مع من يطوف
وارفع من مئزرى المسبل

قال: بارك الله عليه ما احسن ما قال!
قال : ثم ماذا ؟ قال :

وأسجد بالليل حتى الصباح
وأتلو من المحكم المنزل

قال : واحسن ايضا احسن الله اليه.
ثم ماذا ؟ قال :

عسى فارج الهم عن يوسف
يسخر لى ربة المحمل

قال : امسك امسك ، افسد آخرا ما أصلح أولا !!

أسماء على

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لبعض جلسائه : ايها الناس ما الرقوب فيكم ؟ قالوا : الرجل يموت ولم يترك ولدا . فقال : بل الرقوب حق الرقوب رجل مات ولم يقدم من ولده واحدا يحتسبه عند الله ، وان كانوا كثيرا بعده . ثم قال : ما الصعلوك فيكم؟ قالوا : الرجل الذى لا مال له ، فقال :

قال أحد الحكماء : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الأحرار ، تسوسهم بالعطف واللين والاحسان . وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة . وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين

اختيار موفق

● تقدم سهيل بن عمرو وابو سفيان بن حرب لخطبة هند بنت عتبة بن ربيعة فدخل عليها ابوها واخبرها الخبر فقالت: يا ابت فسّر لى امرهما، وبين لى خصالهما حتى أختار لنفسي اشدهما موافقة لى .

فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال : أما سهيل فهو من خيار العشيرة ، وثروة من العيش ، ان تابعته تابعك ، وان ملت عنه حط اليك ، تحكمين عليه في اهله وماله .

واما ابو سفيان بن حرب ، فموسع عليه منظور اليه ، في الحسب الحسيب ، والرأى الاريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الطيرة ، لا ينام على ضعة . ولا يرفع عصاه عن اهله .

فقالت : يا ابت الأول سيد مضياع للمراة ، فما عست أن تلين بعد ابائها ، وتصنع تحت جناحه ، اذا تابعها أهلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساءت عند ذلك حالها وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد احمقت، وان انجبت فمن خطأ ما انجبت . فاطو ذلك عنى ولاتسمه لى .

اما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وانى للتى لا اريب له عشيرة فتغيره ، ولا تصيبه بذعر فتضيره ، وانى لاخلاق مثل هذا لموافقة ، فزوجنيه ، فزوجها من أبى سفيان بن حرب .

غير مسمى

بل الصعلوك حق الصعلوك من لم يقدم من ماله شيئا يحتسبه عند الله ، وان كان كثيرا بعده . ثم قال : ما الصرعة فيكم ؟ قالوا : الشديد القوى الذى لا يوضع جنبه ، فقال : بل الصرعة حق الصرعة رجل وكزه الشيطان في قلبه، فاشتد غضبه وظهر دمه ، ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه .

مداعبة

● قال الوليد بن عبيدة البحترى (الشاعر المعروف) : كنا عند المتوكل على الله يوما ، وبين يديه عبادة المضحك . فأمر به فالقي في بعض البرك في ايام الشتاء ، فابتل وكاد يموت بردا ، ثم أخرج من البركة وكسي ، وجعل في ناحية من المجلس . فقال له المتوكل ياعبادة ، كيف أنت وحالك ؟ قال : يا امير المؤمنين جئت من الآخرة . فقال له : كيف تركت اخي الواثق ؟ قال : لم امر بجهنم ، فضحك المتوكل وامر له بصلة .

من غرائب القضايا

كبير قضاة يرتشي

بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ لعل آخر ما يتصوره الانسان أن يجد ـ في قفص الاتهام ـ قاضيا من أكبر القضاة بل شيخا من شيوخهم متهما بافظع تهمة يمكن أن توجه لمن يحمل رسالة القضاء المقدسة : الرشوة . ولست أقصد ذلك القاضي الامريكي ـ عضو المحكمة العليا الامريكية الذى تحدثت عنه الصحف في هذه الايام وكشفت عن فضائحه فاضطر ـ بعد صفاقة ـ أن يقدم استقالته ويخرج بخفى حنين ـ بعد أن كاد يصل الى رياسة المحكمة العليا . ذلك ان أمره هين فهو صهيوني وليس بعد الصهيونية ذنب . ولكنني اعود بالقارىء القهقرى الى ثلثمائة وخمسين سنة مضت حين طلب مجلس اللوردات البريطاني مثول سير فرنسيس بيكون كبير قضاة انجلترا واحد كبار فلاسفتها وعلمائها ومشرعيها أمامه متهما بالرشوة والفساد .

★ ★ ★

كان فرنسيس بيكون أصغر أبناء سير نيقولا بيكون حامل أختام الملكه . وكان مولده في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة ١٥٦١ . وكان أبوه ـ بحكم عمله ـ يقيم في قصر يورك ـ قصر الملكة . وهكذا امضى ايام طفولته متنقلا بين أبهة الملك والمنزل الريفي لوالديه .

وقامت والدته ـ ابنة سير انتونى كوك ـ مربى الملك ادوارد السادس ـ على تربيته وتلقينه مبادىء القراءة والكتابة . فقد كانت أديبة ـ شديدة التدين ـ ترجمت من الايطالية مجموعة كبيرة من المواعظ الدينية وكثيرا ما كانت تستشهد في كتاباتها ـ وحتى في أحاديثها العادية ـ بجمل لاتينية .

★ ★ ★

وحين بلغ فرنسيس الثانية عشرة من عمره ارسله أبوه مع اخيه الاكبر انتونى الى جامعة كمبردج واختار فرنسيس دراسة الفلسفة واظهر ـ منذ اللحظة الاولى ـ نبوغه وطبيعة التحدى التى لازمته طوال حياته . فلم يكن مجرد تلميذ يتقبل ما يلقنه له المدرسون بل كان يحاججهم ويتحداهم ،بل بلغ به الامر أن يتحدى حملة مشاعل الفلسفة الاقدمين . فقد أضاءت السماء في عام ١٥٧٢ مجموعة من النجوم لمدة عامين ثم اختفت فجاة كما ظهرت فجاة . وقد وجد التلميذ الصغير الذى لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، في ظهور هذه النجوم واختفائها ، مبررا ليهاجم الفيلسوف الكبير ارسطاطاليس ـ الذى كان ولا يزال موضع التقدير والاجلال ـ لان هذا الفيلسوف قال في بعض كتاباته ان النجوم ـ في هذه المنطقة من السماء ـ ازلية لا تتعرض للتغيير أو التبديل .

★ ★ ★

وفي عام ١٥٧٥ التحق فرنسيس وأخوه بحانة جريز ان ـ وهي احدى المؤسسات التقليدية الاربعة التى يلتحق بها من يرغبون الاشتغال



بالمحاماة ، ومن أعرقها واقدمها ، حيث يسكن الطلاب ويخالطون كبار المحامين ويتناولون عددا من اصناف الطعام ، ويغذون أجسامهم وعقولهم ، حتى يقبلوا كمحامين مترافعين . ولكن فرنسيس واخاه لم يقبلا بوصفهما طالبين بل أعضاء عاملين لانهما ابنا قاض له مكانته الممتازة ومن أعضاء جريز ان الممتازين .

ولكن اقامة فرنسيس بالحانة لم تطل فقد وقع عليه اختيار سفير الملكة اليزابث لدى البلاط الفرنسي ليكون سكرتيرا له . ولولا وفاة والده فجاة لبقي فرنسيس في السلك السياسي حتى مداه ولكنه آثر أن يعود الى لندن فقد اكتشف ان والده قد بدد ثروته وثروة امه وتركه في سن العشرين في شبه فقر مدقع ــ على الحديدة ــ

مضطرا للعمل ـ الذى لم يكن يليق بالاشراف فى ذلك الوقت ـ لكسب قوت يومه .

وهكذا اقبل بيكون على دراسة القانون فى نهم المحتاج ورغبة الوصول وبعد أقل من سنتين قبل محاميا مترافعا (باريستر) .

ولم يكفه هذا فعمل حتى أصبح عضوا بمجلس العموم متخذا من السياسة طريقه للوصول .

★ ★ ★

وما كان لمثل بيكون أن يقنع بعضوية مجلس العموم ، فان أطماعه لا تقف عند حد فهو وصولي بطبعه ويعرف من أين تؤكل الكتف . وسبيل أكل الكتف ـ فى تلك العصور ـ هو الدخول فى زوارق الملكة واكتساب رضاها . وكان بلاط الملكة اليزابيث بلاطا غريبا . فجميع أعضاء الحاشية مرتشون ، دساسون ، لا يعرف الاخلاص طريقه الى قلوبهم ولا يتورعون عن الدنية فى سبيل احقاق أغراضهم ونيل المغانم . وكان كل شيء فى القصر خاضعا لمزاج الملكة . وهي امرأة داهية مغرورة سريعة التقلب تقصي عن حاشيتها كل ناصح غيور ويمتلك اذنها كل منافق متملق يظهر لها الطاعة العمياء ولا يرد لها طلبا . وتعتقد ان مصلحة الدولة هى مصلحتها بل وان مصلحتها الشخصية مقدمة على مصلحة الدولة . فهى ـ على تعبير لويس الرابع عشر ـ الدولة « الدولة هي أنا » .

★ ★ ★

اختار بيكون سبيل الملق ليكسب رضاء الملكة وكتب رسالة بعنوان« اقتراح الى الملكة اليزابيث» أوضح فيها السبيل الذى تستطيع الملكة أن تسلكه لحل الازمة التى كانت تتهدد كنيسة انجلترا . وكانت الظروف كلها مهيأة بالنسبة له لاكتساب رضاء الملكة . فهو شاب وسيم ارستقراطي المنبت ، أبوه حامل اختام الملكة السابق وعمه ـ لورد بروجلى ـ مستشار الملكة الاول . ولدى الملكة خطاب توصية بشخصه كتبه سفير الملكة فى باريس مشيدا بقدرات بيكون واستعداده ليضع نفسه فى خدمة الملكة ويوصيها به خيرا .

ومع ذلك فان الملكة ـ على غيرعادتها ـ لم تعر رسالته اية اهمية .

وسلك بيكون طريقا جديدا . فكتب الى عمه ـ لورد بروجلي ـ التماسا بذل فيه ماء وجهه يقول له انه سيكون اطوع اليه من بنانه وانه يضع كفايته ـ غير المنكورة ـ فى خدمته وان ترقيته لن تكون عقبة فى طريق ترقية لورد سيسيل ، ابن اللورد بروجلي . ولكن عمه ـ اما عزوفا عن مساعدة أى شخص الا ابنه ، أو احساسا منه بأن ابن اخيه لا يؤتمن ـ لم يشأ أن يتوسط له .

★ ★ ★

وولى بيكون وجهه نحو الشمس الطالعة شمس ايرل اسكس ، عشيق الملكة الذى لا ترد له طلبا . وجه اليه مدائحه وتزلف اليه بكل طرق التزلف واهدر ماء وجهه حتى قبله اسكس مستشارا له وصديقا . ولكن اسكس لم يستطع تحقيق مطمعه في الحصول على منصب المدعى العام أو مساعده . ولكن اسكس كان كريما معه فلما لم يستطع حمل الملكة على تحقيق مطمعه اقطعه أرضا تبلغ قيمتها الفين من الجنيهات ـ وكانت تمثل في ذلك الوقت ثروة ـ ليخفف من وطأة فشله .

وعندها وجه بيكون اهتمامه الى الزواج من سيدة ذات ثراء لعله يستطيع ـ بمالها ـ تحقيق اطماعه . وساعده اسكس ورشحه فعلا للزواج من أرملة سير وليام هاتون ولكنها لم تقبله زوجا .

واستطاع اسكس أن يحصل له على وظيفة كاتب بمجلس البلاط بمرتب ١٦٠٠ جنيه فى العام ولكن حياة البذخ أغرقت بيكون فى الديون حتى اشرف على الافلاس لدرجة ان احد دائنيه لم يستطع صبرا فاستصدر أمرا بالقبض عليه ، وكان القانون في تلك الايام يبيح للدائن القبض على مدينه . ونفذ أمر القبض على بيكون وهو فى طريقه الى مكتبه .. في خدمة الملكة . وانقذه اسكس من براثن دائنيه .

★ ★ ★

وأدرك بيكون ـ بثاقب فكره ـ ان العلاقة بين الملكة واسكس في سبيلها الى الزوال فبادر بالابتعاد عن صديقه وصاحب الفضل عليه . وحين قام اسكس بثورته الصبيانية ضد الملكة وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى في عام ١٦٠١ لم يتردد بيكون ـ صديق اسكس ومستشاره السابق ـ

ان يتولى توجيه الاتهام اليه وان يكيل له التهم ليثبت انه ليس خائنا فحسب بل كاذب ومنافق . ولم يكتف بتوجيه الاتهام مترافعا . بل خالف جميع قواعد مهنة المحاماة فادلى بشهادته أولا ثم ترافع بحماس شديد كان من اثره أن حكم على اسكس بالاعدام ونفذ فيه الحكم .

وتصرف بيكون هذا يكشف لنا عن جانب من خلقه ، او بالاصح عن انعدام الخلق عنده . لقد وازن بين مصلحته الشخصية ورغبته في الوصول وبين الاخلاص لصديقه وصاحب الفضل عليه فآثر مصلحته ولم يتردد في التضحية بصديقه وبمبادىء الشرف . لقد وجد نفسه في الاربعين من عمره وقد تخطاه في الوصول الى الوظائف الكبيرة من هم اصغر منه سنا واقل كفاية . ورأى الدائنين ـ الذين لا يرحمون ـ يتعقبونه وادرك انه امام فرصة ـ ان لم ينتهزها ـ تبددت كل آماله واحلامه ... فلم يتردد . وكان الثمن الذى قبضه لتلك الخيانة .. الفا ومائتي جنيه أى أقل بكثير من ثمن الارض التي وهبها له اسكس .

★ ★ ★

فقد بيكون كل امل في ان يحقق اطماعه عن طريق امكه ولم يبق أمامه الا أن ينتظر قضاء الله فيها ليتقرب الى وريثها ابنها الملك جيمس . وماتت الملكة ـ بعد سنتين ـ فاسرع بيكون يكتب للملك الجديد ليقول له انه لا يعتقد ان من بين رعايا جلالته من يحب هذه الجزيرة او من يسعى لتحقيق أمن جلالته وراحته ويضحي بنفسه في خدمته من خادمه المخلص المطيع ... فرنسيس بيكون .

ولكن الملك جيمس قابل هذا التزلف الحقير بحذر .

★ ★ ★

ووقع بيكون في أزمة مالية اخرى . وقبض عليه للمرة الثانية فلم يجد أمامه من يلجأ اليه الا ابن عمه لورد روبرت سيسيل . فكتب اليه يطلب منه اعانة مالية ليسدد ديونه واكد له ان نار الطموح قد خمدت في نفسه وطلب ـ في مقابل تخليه عن كل مطمح سياسي ـ أن يمنح لقبا شرفيا . وذكر انه مقبل على الزواج من ابنة احد اعضاء مجلس مدينة لندن الاثرياء .

وساعده ابن عمه على الخروج من أزمته المالية وتوسط له في الحصول على لقب سير بين مجموعة كبيرة من القضاة والمحامين والاطباء والتجار وافراد من الجمهور بلغ عددهم الثلثمائة والخمسين .

ولكن الزواج المرتقب لم يتم . ولا الوعد بالانسحاب من العمل السياسي .

★ ★ ★

فقد عاودته الاطماع . ولعلمه ان الملك جيمس يطمع في أن يضم الى عرشه عرش اسكتلندا بعث اليه ببحث مستفيض يحبذ ذلك الرأى ويقيم الحجج على امكانه وفائدته . وصادف البحث هوى في نفس الملك وأعجب به . وبدأ الحظ يبتسم لبيكون وانتهت ايام بؤسه . وحصل في عام ١٦١٣ على وظيفة المدعى العام التى كانت منذ شبابه محط انظاره .

ولكنه حصل عليها في الثانية والخمسين من عمره بعد ان أثقلت كاهله تلك السنوات الطويلة من اليأس والحرمان فلم يقنع بها واتجه بأطماعه الى وظيفة كبير القضاة التى اعتقد ـ بحق ـ انه اكفأ من يشغلها واتخذ لذلك سبيل تحقيق رغبات الملك واطماعه حتى لقد قيل عنه « انه لم يكن يعرف رأى نفسه الا بعد أن يتعرف رغبات الملك » . ولعل جهاده الطويل في سبيل تحقيق أغراضه ، واحساسه طول الوقت بأنه مهضوم الحق انحدر بالناحية الخلقية عنده الى أدنى مستوى وجعلت الوصول مقصده الاول والاخير وجعلته لا يقيم وزنا للنواحي الخلقية .

ووصل .

★ ★ ★

ففى عام ١٦١٧ عينه الملك كبيرا للقضاة وبعد عام واحد منحه لقب بارون واجتمع له النفوذ والثراء وانتصر على جميع خصومه وتخطى منافسه القديم المشرع ذائع الصيت سير ادوارد كوك . واحتفل اللورد الجديد بعيد ميلاده الستين احتفالا مهيبا رائعا كان من ضمن من حضروه الدكتور جونسون الذى كان تنازله بالحضور شرفا لا يدانيه شرف .

ولكن .

ما بين طرفة عين وانتباهتها
يغير الله من حال الى حال

فلم تكد تمضي اربعة أشهر حتى كانت النكبة . طار الطير وارتفع وكما طار وقع . فقد وجد بيكون نفسه متهما ومذنبا وفقد جميع مناصبه القضائية ومركزه الاجتماعي والسياسي وفقد ثروته كلها .

ترى كيف حدث ذلك ؟ لعله القدر وساعة القدر يعمي البصر .

ان بيكون الحريص القوى الملاحظة في جميع الامور لم يدرك قوة العداوات التي تجمعت ضده بسبب وصوليته وتفانيه في توسيع سلطات الملك واختصاصات مستشاره الاول وتحقيق اغراض الملك باسرافه في منح البراءات لمحاسيبه ومحاسيب أصدقائه من ذوى النفوذ بحجة ان الدولة هي المستفيدة آخر الامر .

وحين ادرك بيكون خطورة تلك البراءات فكر في الغاء عدد كبير منها قبل انعقاد البرلمان في يناير سنة ١٦٢١ . ولكن الملك - الذى منح تلك البراءات بناء على مشورة بيكون - لم يجبه الى طلبه وامر بعرض الموضوع على مجلس البلاط . وبذل بيكون كل ما في جعبته من حجج للحصول على موافقة المجلس على الغاء تلك البراءات ولكن أغلب الاعضاء كانت لهم مصالح مرتبطة باصحاب البراءات فلم يجيبوه الى طلبه . وهكذا اجتمع مجلس العموم وجميع البراءات سارية ومعمول بها.

★ ★ ★

وعين مجلس العموم لجنة - كان من ضمن أعضائها سير ادوارد كوك خصم بيكون العتيد - لبحث شكوى مقدمة من احد الاشخاص ضد احدى البراءات التى كان بيكون قد فحصها وقرر انها قانونية . واذا بقرار اللجنة يقول « انها ظلم فاضح في ذاتها وفي طريقة تنفيذها .» .

وكانت ضربة زاد من خطورتها ان الملك نفسه - وهو المستفيد الاول ان لم يكن الوحيد من اصدار البراءات التى افتى بيكون باصدارها على غير مقتضيات القانون ارضاء للملك - احس بالقلق فارسل بيانا لمجلس العموم يتنصل من تبعتها ويؤكد ان لا ذنب له لانه بنى قراره على نصيحة اشخاص ادخلوا الغش عليه . وهكذا ألقى الملك التهمة على بيكون وسحب البساط من تحت قدميه وفتح الباب على مصراعيه لخصوم بيكون .

وبعد يومين تقدم سير روبرت فيليبس ووضع على مكتب المجلس شكويين وصلتاه يتهم فيهما مرسلاها رئيس القضاة بانه قبل منهما رشوة . الاولى من شخص اسمه اودرى يقول فيها انه قدم لرئيس القضاة مائة جنيه اقترضها بشق النفس من مراب اشر ليحصل على تعجيل نظر قضيته وان بيكون تسلم المبلغ عن طريق شخص ثالث وطمأنه على ان طلبه سيجاب . والثانية ممن يدعى ادوارد ايمرتون يقول فيها انه قدم لبيكون هدية عبارة عن صينية من الفضة ثمنها اثنان وخمسون جنيها تعبيرا عن اعجابه وانه - وهو من المشتغلين بالقانون - جمع بعد ذلك اربعمائة جنيه قدمها لبيكون لشكره على المساعدات القيمة التي قدمها له وهو في منصب المحامي العام ، وان بيكون شكره على هذه الهدية التي طوق بها عنقه واكد له انه اصبح ملزما - او ملتزما على حد التعبير الجديد - بان يساعده من الآن فصاعدا في عمله القضائي .



وناقش مجلس العموم موضوع الشكويين وقرر احالتهما الى مجلس اللوردات .

وكتب الملك رسالة لمجلس العموم يبدى اسفه لما ظهر ويؤكد انه كان حريصا في ان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب ولكن ما من احد يستطيع ان يحتاط ضد الانحرافات ، ويقترح تشكيل لجنة من اثنى عشر عضوا من مجلس العموم وستة من مجلس اللوردات للبحث عن الحقيقة .



وفي هذه الاثناء كان سير روبرت فيليبس يجد في البحث عن تهم اخرى .. وتجمعت لديه اثنتان وعشرون واقعة رشوة منسوبة لبيكون وبلغ مجموع ما قيل انه قبضه ستة آلاف جنيه استرليني .

وحين وصل علم ذلك الى بيكون أصيب بصدمة شديدة اقعدته على فراش المرض فكتب للمجلس يعتذر عن عدم استطاعته الانتقال الى المجلس ويطلب منحه اجلا ليعد دفاعه ويقدم شهوده ويتمكن من استجواب شهود الاتهام وفقا لما تقضي به القوانين .

ولكنه حين اطلع على تفاصيل التهم ادرك ان لا جدوى من محاولة الدفاع . والتمس النجاة عند الملك فكتب اليه يحاول اغراءه بان يقبل استقالته من منصب كبير القضاة واعتبار هذه الاستقالة عقوبة كافية.ووصل به الغرور ان يقول في ملتمسه « ان الذى قبل الرشاوى يستطيع ان يقدمها . وانى اذا منحنى الملك راحة البال والهدوء ومد الله في عمرى اقدم لجلالته رشوة تاريخا لانجلترا فيما لا يستطيع غيرى كتابته ومجموعة كاملة من قوانين المملكة » .

ولما لم يتلق ردا من الملك كتب الى مجلس اللوردات يقول انه بعد ان درس الاتهامات الموجهة اليه وتفاصيل الادلة لم يبق له الا ان يتنازل عن تقديم اى دفاع ويضع امره بين ايديهم وانه ليس امامهم الا ان يدينوه ويؤنبوه . ثم اخذ يشرح لهم ان العقوبة الخفيفة ـ في مثل حالته ـ اقوى اثرا وتحقق نفس الغرض من العقوبة الشديدة .

* * *

وقرا رئيس مجلس اللوردات الخطاب على الاعضاء واحدثت تلاوته وجوما شديدا استطال لمدة دقائق . ثم تساءل رئيس المجلس « هل نكتفي بهذا الاعتراف لنصدر حكما بالادانة من غير اجراء تحقيق في الموضوع ؟ » وعندها قامت مناقشات حامية بين المؤيدين والمعارضين انتهت بان قرر المجلس انه ليس في الخطاب اعتراف صريح بوقائع الرشوة وانه يتحتم السير في تحقيق الاتهامات .

وحين علم بيكون بذلك بادر بارسال خطاب آخر اعترف فيه بجميع التهم الموجهة اليه ـ واحدة واحدة ـ محددا مبالغ الرشوة واسماء دافعيها واوقات دفعها . فارسل المجلس لجنة من اثنى عشر عضوا ليسالوه ان كان مصرا على ما جاء في اعترافه الاخير فكان رده . « ان الخطاب من عملى وخط يدى واملاء قلبى . وكل ما ارجوه ان ترحموا عزيز قوم ذل ... او ما في معناه » .

* * *

وطلب مجلس اللوردات من الملك ان يسحب خاتم الدولة من بيكون ويسلمه لسير روبرت هاتون. وصدر قرار المجلس ـ بالاجماع ـ بان رئيس القضاة مذنب . ثم اختلفوا في تحديد العقوبة التي يوقعونها . فخصومه يريدون حرمانه من جميع «القابه» ، واصدقاؤه يعارضون . ولكن الخصوم والاصدقاء اجمعوا على انه لم يعد صالحا للمنصب الكبير الذى كان يشغله . ولما عرض الحكم للتصويت لم يصوت ضده الا لورد واحد .

وكان نص منطوق الحكم

« ان اللورد فيسكاونت سانت البانز قاضي قضاة انجلترا السابق يلزم بدفع غرامة قدرها اربعون الف جنيه استرليني . ويحبس في برج لندن للمدة التى يراها جلالة الملك . ويحرم نهائيا من شغل اية وظيفة او منصب او عمل في المملكة ويحرم عليه ـ مدى الحياة ـ عضوية البرلمان او الاقتراب من دور المحاكم » .

وكان تنفيذ الحكم ـ وفقا للقانون ـ يشترط ان يمثل المحكوم عليه امام المجلس ليتلى عليه الحكم . ولكن المرض عاود بيكون ـ او هكذا قيل اكراما لعزيز قوم ذل ـ فاعفى بيكون من مزيد من الاذلال .

وفقد بيكون كل المال الحرام الذى اقتناه واستولى دائنوه على جميع ما اقتصده من مرتباته .

الا ان حالة جريز ـ نقابة المحامين التى كانت تعتبره المع جوهرة في تاجها ـ حنت عليه في محنته فاستضافته للاقامة في بيتها واستمر اعضاؤها يحيطونه بالمحبة والاحترام والصداقة . فكرس السنوات الخمس التي بقيت من عمره في البحث والتاليف وكانت اخصب ايام عمره ففيها الف تاريخ هنرى السابع وابحاثه الفلسفية المعروفة ومجموعة رسائل ومذكرات . وقال عن نفسه انه كان اعدل من ولى الحكم في انجلترا في الخمسين سنة الماضية وان الحكم الذى صدر عليه هو اعدل حكم صدر في انجلترا طوال القرنين الماضيين. ولعله صدق فيما قال . فقد اثبت الباحثون انه كان يقبل الرشوة ولكنه لم يكن ينحرف في احكامه .

ومن ضمن اقواله المأثورة ـ ولعله قصد بذلك شخصه ـ « كثيرون يصلون الى مراتب الشرف بوسائل لا تمت للشرف باية صلة . » ■■

حسن الجداوى

بيير و لوس

قصة للكاتب الفرنسي رومان رولان

ترجمة : سهيل أيوب

■ بيير أوبيه ابن عائلة بورجوازية صالحة ، مفعمة بعواطف الود والانسانية ، وهو في الثامنة عشرة من العمر ، رفيق الشمل ، طيب القلب ، ناحل البنية ، تعج نفسه ، في هذه السن الغضة بعدُ ، بالقرف والاشمئزاز والنفور من تلك الفظائع والارجاس ، والقذارات التي ترتكبها الطبيعة الخصبة اللاهية ، الا وهي الحرب ، كابوس الحياة والموت . وكان مدعوا ، مثله مثل ابناء جيله ، الى الخدمة العسكرية . فالوطن في حاجة الى لحمه ، والحرب تطالب بحقوقها فيه . وليس أمامه غير ستة شهور من الزمن ينفلت فيها طليقا من ثياب الحديد والدم .

ويوم تبدأ قصتنا كان بيير قد تهاوى في المترو في قلب جمهور محموم الحركة ، وغطس في ظلال الأضواء التي ترميها انوار المحطة ، واغمض عينيه فيما راحت القاطرة تطير به ، ولم يكد يفتحهما من جديد حتى كان ثمة فتاة ، لم يرها في القاطرة من قبل تنتصب غير بعيد عنه . لم ير منها غير صورة جانبية ، وخصلة من الشعر شقراء ،والخط الناعم الذي يرسمه الانف والشفة المرتفعة .. ودخلت هذه الفتاة ، من باب عينيه ، الى قلبه مباشرة .. دخلت بكليتها ، واغلق الباب بعدها . وسكتت ضوضاء القاطرة ، وخيم السكون والسلام . انها ههنا !

لم تتطلع اليه ، ولم تكن تدري وجوده بعد . وكانت في قلبه ! وكان يمسك بصورتها ، صامته ، بين ذراعيه ، ويخشى ان يتنفس كيلا تلفحها انفاسه .

وتبلبل الجمع في المحطة التالية ، وتهافت الناس على القاطرة ، واهتز بيير ، فمد يده يحاول اتقاء السقوط ، فامسكت بيد تلامسها ، فرفع عينيه ، فكانت هي ... ولم تتملص . بل راحت اصابعها ترد بلطف على ضغط اصابعه الفطرية .

ومن بعد استسلمت، فاذا يداهما أشبه بعصفورين يتعانقان في عش واحد . وفوق القبة ، في المدينة ، هنالك في الاعالي ، كانت انفجارات صماء .

وانطلق القطار طوال محطتين ، فحلت يدها من يده ، وانزلقت ذاهبة دون أن ترفع اليه عينيها . ورجع بيير في تلك الامسية الى بيته ممسكا بيد تلك المجهولة .

وولد الحب عنده تحت جناح الموت ، مثل شجرة فتية يستولي عليها الصقيع والجليد ، فاستسلم لاولى نداءاته . وقد تمت هذه الولادة من خلال الرعشات الصغيرة التي دبت في الاصابع التي تلاقت ببساطة تامة .

فاذا قلبه العريان الوحيد يحلم بدفء العش وحرارته ، وباريس تحصي خرائبها بعد غارة الالمان الاخيرة عليها ، وتلمس جروحها الطرية بعد . ولكن شيئا من هذا كله لم يعد يشغل بال المراهق ، اللهم غير ذلك الضيف العجيب الذي جاء يزوره . فراح الصغير يحاول أن يحدد شكل ملامح تلك التي صبت الحب في قلبه أو يستجلي لون عينيها أو صورة شفتيها. فلم يلف غير الانفعال المتماوج في باطنه . فانطلق يبحث عنها في شوارع باريس . في كل مكان ، وخلف سائر الاشكال . فيخال انه يراها وراء هذه الابتسامة العابرة ، أو تلك الرقبة البيضاء، او ذاك البريق في العينين، فيضرب قلبه في عنف ، وتتسارع خفقاته . انه يهواها . انه يعشقها ، انه يراها في كل مكان وتحت مختلف الاشكال ، فهي ابتسامة ، نور ، حياة، وهو يسعى الى الابتسامة، والنور والحياة.

وذهبت جهوده عبثا . افلن يراها ؟ لقد غدت مرفأه الامين في العاصفة، ومنارته في الليل الاغبش، والعش الذي يتشوق الى الراحة فيه . رباه ! يا ملاك الحب الطاهر ، اشفق علينا ، وفي هنيهات الموت لاتهجرنا !



وفي اللحظة ذاتها ، تحرك عمود الكنيسة الضخم الذى يستندان اليه ، وارتجفت الكنيسة بأسرها حتى اعمق أسسها ، فارتمت لوس ، وضربات قلبها تخنق فيها ضجيج الانفجار الصاخب وضوضاء صيحات المصلين ، وقبل أن تجد الوقت كيما تخاف على بير وتغطيه بجسدها ، مثلما تفعل الدجاجة بصغارها .. وجدته راقدا يبتسم سعيدا وهو مغمض الجفنين .. وضمت رأسه الحبيب الى صدرها ، ثم انحنت فوقه ، وفمها ملتصق برقبته ، فانكمشا ما استطاعا الى ذلك سبيلا .

وأتم العمود الضخم انهياره ، دفعة واحدة ، ووقع فوق جسديهما جميعا .

وذات يوم ، كان يطوي الدروب الممتدة على طول رصيف السين ، شارد الفكر ، مبلبل الخاطر ، فرفع عينيه بغتة فرآها . كانت تهبط سلم جسر الفنون تحمل حزمة من الورق المقوى . فاندفع يصعد السلم فيما هي تنحدر نحوه ، واستقرت نظرات كل منهما على الآخر ، ونفذت اليه . واذهلتها المفاجأة ، وتملكه الحياء . فتسمر في مكانه ، في حين هرولت خطواتها هي أكثر منهـــا قبلا . وما أن رفع رأسه أخيرا ، حتى كانت قد اختفت . ولم يجرب أن يلحق بها . بل قنع قلبه ، لحظتئذ ، بذلك القليل من المؤونة الجديدة.

وفي حديقة اللوكسمبورغ ، بعد حوالي اسبوع كامل ، كان بيير يحلم مفتوح العينين ، سعيدا ، عاشقا ، شارد الخطو ، تتمتم شفتاه اغنية لا نهاية لها . فخطر له ان ابتسامة عذبة مرت به اشبه بخفقان جناحي حمامة لطيفة بيضـــاء ، وتجاوزته . واستدار ، فرآها تلتفت اليه ، مفترة شفتاها عن ابتسامة عذبة ، فلم يتردد ، بل هرول اليها ممدود الذراعين يشيل به انطلاق ســـاذج فتى . وانتظرته ، دون أن يحس اى منهما بشيء من الضيق .

قــال :

ـ أنت تسخرين مني . يحق لك ذلك .

ـ انا لا أسخر أبدا . ياللشمـــس الصغيرة الحلوة !

ـ يا للربيع الوليد !

ـ أكنت تضحك له قبل قليل ؟

ـ ليس له وحده . لربما لك ايضا .

ـ كذاب صغير ! خبيث صغير ! أنت لا تعرفني بعد .

ـ لقد التقينا من قبل . كم مرة ؟ لست ادرى.

ـ ثلاث مرات ، اذا حسبنا هذه ايضـــا .

ـ أترين ؟ نحن صديقان قديمان اذن . فلنجلس عند حافة الماء ، ولنتحدث قليلاعن هذه الصداقة.

ـ لا أستطيع . ستفوتني الحافلة .

ـ كيف تسمين ؟

ـ لوس .

ـ يا للاسم الجميل .. جميـل مثل وضـــح النهار .

ـ واسمك ؟

ـ بيير . اسم مألوف جدا .

ـ اسم جريء . له عينان شريفتان صافيتان .

ـ ذلك انهما تنظران الى لوس .

ـ لوس ! يقولون آنسة .

ـ كلا ! أنت لست آنسة . أنت لوس ، وانا بيير .

وكثرت لقاءاتهما ، وراحا يتحدثان عن لقائهما الاول ، وعن خوفهما من الحرب ، وعن أنها تعمل بنسخ رسوم مصغرة لبعض اللوحات الشهيرة . كانت الصور مشوهة الالوان والتقاطيع ، وان كنت تجد هنا وهنالك خطوطا صائبة وجميلة في بعض الاحايين ، ثم تقع الى جانبها على أخطاء تلميذ ناشيء .

ـ لماذا تصنعين مثل هذه الاشياء ؟ اتتسلين ؟

فنظرت الى وجهه الانيس وعلى شفتيها ابتسامة سخرية حنون . واجابت بصوت مخفوض عذب .

ـ كيما اعيش . فالحياة "مشكلة" معقدة.والمرء يجب أن يأكل كل يوم . ثم لا بد من الثياب . يجب أن تكسو كل شيء ، رأسك ، وجسـدك ، ويديك ، وقدميك . وينبغي أن تدفع ثمن هذا كلـه .

ـ أأنت في ضائقة ؟ أفلا استطيع أن اساعدك ؟

ـ كلا ، كلا ، شكرا . أنت طيب القلب حقا . لقد وجدت أمي عملا تتناول عليه اجرا طيبا .انها تقبض اثنى عشر فرنكا يوميا من معمل للذخيرة . وهذه ثروة وربي !

ـ من مصنع للذخيرة ؟ هذا فظيع !

ـ المرء يأخذ ما يسنح له ، يابيير . يجب ان نعيش . وان نعيش دون تفكير . اذا فكرنا فلن نعيش أبدا . واذا عرض علي عمل في مصنع حربي لاكسب من مرتبه عيشي فسأقبل دون تردد .

ـ لوس . افلا تفكرين فيما يصنعون هنالك بين جدرانه ؟ كل ما يؤلم . ويثقني . كل ما يمزق ، ويحرق ، ويكيل العذاب لكائنات مثلك ومثلي .

ـ أعرف ذلك كله ، ولكني لا أريد أن افكر فيه. أريد أن أحيا ، لاني احب الحيـــاة . وأريد ، اولا ، أن اعيش ... و ....

وصمتت ثم اضافت :

ـ واريد ، ثانيا ، قليلا جدا من السعادة . فهل في ذلك شيء من الطمع ؟ وهل انا انانية ان طلبت هذين المطلبين ؟ ان لي شيئا من الحق في ذلك .

وتدفقت في فؤاده الصغير موجة عارمة من شفقة لامتناهية . لقد هزته الصرخة الصغيرة ، المسكينة، الساذجة ، الصادرة مـن القلب ، حتى اعمق اعماقه . وترقرقت عيناه بالعبرات . كانا جالسين جنبا الى جنب ، يحسان حرارة فخذيهما . واراد

ان يستدير اليها ، ان يحتويها بين ذراعيه ، فلم يجرؤ . فقال في صوت ملتهب خفيض :

ــ أواه ، ياجسدي الصغير العزيز ! أواه ياقلبي! لاود ان اضم قدميك الصغيرتين بين يدي ، الى فمي .

فردت عليه في صوت مهموس :

ــ أيها المجنون ! ايها المجنون الصغير ! لاتتكلم . اتوسل اليك .

واستدار وجهاهما ، على استحياء ، حتى تلاقت نظراتهما ، وانضم ثغراهما لحظة على خوف وعجل، ثم افترقا . ونهضت ، وانطلقت راكضة ، فعاجلها قائلا :

ــ لوس ! هذا القليل ، هذا القليل جدا من السعادة . قولي اننا الان نملكه معا !

وازداد لهيب الحرب المشؤوم اتساعا يوما بعد يوم ، والجو محموم يترقب طلة الربيع ، وينتظر قدوم الكارثة . كانت اسلحة ملايين الاعداء تتلاحم، في طول البلاد وعرضها ، مدمرة كل شيء . وكان الهجوم الالماني الكبير قد بدأ ، وراحت موجته العاتية تجتاح كل شيء ، وباريس ترتعش بانفعالات مستمرة ترهق الاعصاب . وظل بيير ولوس يرفضان معرفة اى شيء مما يحيط بهما . ووصل بيير حياته بلوس ، ووصلت لوس حياتها ببيير قبل ان تفصل بينهما وحشية البشر العمياء وقسوتهم الساحقة . وكانا يبكيان حنانا ، والارض تحت اقدامهما تصر بالزجاج المحطم والانفجارات المتوالية. وكان الليل والموت يربضان حول حبهما. اما فوق راسيهما ، هنالك في كبد السماء فكان ثمة قلب نجمة يخفق .

وصارا يلتقيان كل يوم تقريبا ، فيسعى بيير اليها في دارها عندما تكون امها رهينة العمل في مصنع الذخيرة ، ويقضيان الوقت في الحديقة الصغيرة الملحقة بالمنزل . لقد غدوا ينفران الان من باريس ، من الناس ، من الحياة ، فيطبق عليهما سكون شامل ، يغذيهما احساس غريب ويتملكهما خوف قاتل .. خوف يتفاقم بمقدار ما يقترب ذلك اليوم الذى سيهب فيه كل منهما نفسه للاخر . وكانا يزجيان الوقت في ثرثرة عذبة عن عشهما المقبل ، وعملهما المشترك ، ويرتبان سلفا جميع التفاصيل ، ويعينان مكان الاثاث ومحل كل شيء آخر. فيتذوقان الافراح اللذيذة اللطيفة التي سيحملها اليهما بيت الزوجية . وكانت شمس آذار الفتية تلعب من وراء السحب الراكضة عبر السماء ، تضحك تارة وتتوارى تارة اخرى .

انهما لايعرفان شيئا مما يدور في العالم. فالناس في باريس يعتقلون بدون حساب ، والمانيا توقع المعاهدات وتضرب بها عرض الحائط ، والحكومات تكذب ، والصحافة تشتم ، والجيوش تقاتل وتحمل الدمار اينما حلت . وطغى الموج الالماني الزاحف فاجتاز البلاد محطما كل شيء امامه .

كان بيير ولوس يشاهدان ذلك الظل الزاحف على المدينة ، فيروحان ينتظران ، واشعة الحرب تحوطهما ، نهاية كل يوم في شجاعة تامة .

وفي يوم الخميس المقدس ، انفلتا ، ولوس متعلقة بذراعه ، وهو ممسك بيدها ، عبر دروب الضاحية تحت وابل المطر. ومن ثم اتخذا مجلسهما في ظل جدار حديقة منخفض ، وانكمشا تحت مظلة بيير الصغيرة ، معتصمين بالصمت . ان فرحا عميقا يعمر قلبيهما .

قال بيير أخيرا :

ــ لم يحب بعضنا بعضا بهذا المقدار ؟

ــ آه ، يا بيير ، انت لاتحبني كثيرا ان رحت تسال السبب في هذا .

ــ اني اطرح هذا السؤال كيما ادفعك الى الاعتراف بما اعرفه انا وما تعرفينه انت .

ــ اذا كنت انت تعرف لماذا احبك ، فانا اجهل ذلك .

ــ تجهلين ذلك ؟

فضحكت :

ــ نعم . ولست في حاجة الى معرفته ايضا . عندما يستفسر المرء عن امر يجهله ، فان ذلك الامر يكون ليس حسنا اذن . وانا ، مادمت في الوقت الراهن احب ، فليس من حاجة الى لماذا ، واين ، ومنذ متى ، وكيف ، ولان ! ان حبي موجود والباقي موجود اذن .

وتعانق وجهاهما ، فتسلل المطر من تحت المظلة ومسح على وجهيهما ، فشربا من بين شفاههما قطرة صغيرة .

ــ ولكن الاخرين ؟

فردت لوس :

ــ اى آخرين ؟

ــ البائسون . كل من ليسوا نحن ؟

ــ فليفعلوا ما نفعل . فليحبوا .

وصمتا . المطر .. ان المطر يهطل ، والمساء يهطل معه .

ــ ياحبيبتي .. هل يؤذيك البرد ؟

ـ لا ، ابدا . ان كل شيء محبّب" اليّ . اني احب كل شيء . وكل شيء يحبني . المطر يحبني، والريح تحبني ، والسماء الرمادية والبرد ، ومجنوني الصغير بيير ايضا .

ظلت السماء مغمورة ، يوم الجمعة العظيمة ، بأستارها الرمادية الفضفاضة . وكان الجو عذبا هادئا . وسلك بيير ولوس ، وقد اتفقا على حضور قداس جناز السيد المسيح في كنيسة سان جرفيه، طريق اورفيفر الساكنة ، ومرا عند اسفل درجات نوتردام . وكان سحر المدينة يطوفهما بعذوبته النبيلة . وبلغا ساحة سان جرفيه ، فطارت بعض أسراب الحمام عند أقدامها ، وحلقت حول الكنيسه . وحطت احداها على رأس احد التماثيل التي تقوم في الساحة الواسعة. وبينا هما يتأهبان لدخول الكنيسة التفتت لوس فرأت ، عند قمة سلم الفناء ، على بعد خطوات قليلة منها ، في قلب الجمهور المحتشد ، بنية صغيرة شعرها احمر اللون،تناهز الثانية عشرة من العمر ، قد استندت الى البوابة الكبيرة ورفعت ذراعيها الى لوس وانشأت تتطلع اليها في لهفة وثبات . كان محياها دقيق الملامح ، تطوف فيه ابتسامة حلوة ، لطيفة ، عذبة ، مفعمة اسرارا . وردت لها لوس ابتسامتها، وهي تدل بيير عليها . وراحت نظرة البنية تمر من فوقها ، ثم جفلت بغتة وامتلأت رعبا .. وتوارت الصغيرة وقد اخفت وجهها بين راحتيها .

سألت لوس :

ـ ماذا اصابها ؟

فما اعطاها بيير من جواب .

ودلفا الى الكنيسة . كان الحمام يسجع بعذوبة فوق رأسيهما . انه آخر ما تبقى من ضوضاء الخارج . وشرعت اصداء باريس تخفت ، والهواء الحر يتبدد ، فاذا الحان الارغن ، والقبب العظيمة ، والجدران الحجارة ، هذه الامور جميعا تفصلهما عن العالم وما فيه .

واتخذا مجلسهما في احدى زوايا الكنيسة ، وربضا في ركن احد الاعمدة ،جالسين على السلالم، بعيدين عن بقية المصلين ، يتطلعان الى قمة مذبح جانبي .. وكانت التراتيل الجميلة العريقة تبكي كآبتها التعبدية ، وكان الصغيران قد شبكا يديهما، امام تمثال المسيح ،في الكنيسة المتوشحة بالحداد. وراح كل منهما يتمتم ، في صوت مهموس ، في وقت واحد :

ـ امامك انت ، ايها الصديق الكبير ، اني آخذه . اني آخذها . اجمع" بيننا ، فانت تعرف ما في قلبينا .

وظلت اصابعهما مترابطة .. كانا جسدا واحدا تجتازه امواج الموسيقى . وراحا يحلمان .

ورأت لوس ، في خيالها ، تلك البنية الحمراء الشعر ، فبدا لها ، بغتة ، انها شاهدتها في الحلم الليلة الفائتة . ولم تستطع ان تعرف ان كان ذلك حقا وصدقا ، ام كان اضغاث احلام . واستسلم تفكيرها الى التحليق في الاجواء البعيدة.

وكان بيير يفكر في الايام التي راحت من حياته القصيرة . فخال فترة تهب من السهل المغمور ضبابا باحثة عن الشمس . ما أبعدها ! ما اشد ارتفاعها ! هل ستبلغ يوما اليها ! هذا الضباب يزداد كثافة وجهمة ، ولم تعد هنالك ارض ، ولم تبق هنالك سماء ، وهذه القوى تتحطم مضعضعة.

وذكرتهما حركة من اصابعهما انهما يهيمان معا. وهاهما يلتقيان من جديد في ظل الكنيسة ، وقد التصقا ، يرهفان السمع الى الاناشيد الحلوة . ان قلبيهما ، الذائبين محبة ليبلغان ذروة الفرح ، الفرح الاكثر صفاء ونقاء . انهما يتمنيان الا يهبطا من هنالك ابدا .

وعلى غير انتظار ، رأت لوس ، مشدوهة ، فوق زجاج الكنيسة الاحمر ، وجه البنية الحمراء الشعر .. فهمّت" تعدو اليها من جديد ، صامتة خرساء ، ولكن جمّدها الرعب والذهول ، ذلك ان الصغيرة بدت ، من جديد ، وقد علت محياها تلك الملامح من الرعب الشديد والاشفاق .

وفي اللحظة ذاتها ، تحرك عمود الكنيسة الضخم الذي يستندان اليه ، وارتجفت الكنيسة بأسرها، حتى اعمق أسسها ، فارتمت لوس ، وضربات قلبها تختنق فيها ضجيج الانفجار الصاخب وضوضاء صيحات المصلين ، وقبل أن تجد الوقت كيما تخاف على بيير وتغطيه بجسدها ، مثلما تفعل الدجاجة بصغارها .. وجدته راقدا يبتسم سعيدا وهو مغمض الجفنين .. وضمت رأسه الحبيب الى صدرها ، ثم انحنت فوقه ، وفمها ملتصق برقبته ، فانكمشا ما استطاعا الى ذلك سبيلا .

واتم العمود الضخم انهياره ، دفعة واحدة ، ووقع فوق جسديهما جميعا ■■

دمشق ــ سهيل أيوب

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الكيبوتز أو المزارع الجماعية

في إسرائيل

● نقرأ في الصحف عن مزارع اسرائيل الجماعية التي يطلق عليها اسم « الكيبوتز » ، فما هي هذه المزارع ومتى نشأت ؟ ثم الا ترون ان مثل هذا السؤال يدخل في عنوان اعرف عدوك أيها العربي ، كما تقولون في مجلتكم « اعرف وطنك أيها العربي » ؟!

ق . ع ـ لبنان

ـ كيبوتز Kibbutz ، كلمة عبرية معناها الجماعة ، وهي الاسم الذى يطلق على نظام المزارع الجماعية التي اقامتها الحركة الصهيونية فى فلسطين منذ اوائل القرن العشرين لتكون قاعدة زراعية عسكرية لغزو فلسطين واقامة دولة صهيونية فيها .

وقد تأسس أول كيبوتز فى فلسطين فى عام ١٩٠٩ بالقرب من بحيرة طبريا وفى عام ١٩١٠ تم تحويل هذه المزرعة الصغيرة الى مستعمرة دائمة سميت دجانيا .

ويوجد فى اسرائيل الآن ٢٢٨ كيبوتز يعيش فيها ٨٨ الف نسمة ، ويتراوح سكان كل كيبوتز بين ٣٠ ـ والفى نسمة . ويقيم فى الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية وأوربا الوسطى والغربية ومن أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين . والمعيشة فى الكيبوتز تتميز بالتقشف، فالسكان يعيشون فى بيوت صغيرة متلاصقة مكونة من وحدات كل منها غرفة واحدة تخصص للعائلة ، المكونة من امرأة ورجل ، أما الحمام والمطبخ فتعتبر اماكن جماعية فلا يوجد حمامات خاصة مثلا ، بينما يتناول الجميع طعامهم فى صالة الأكل العامة ، ويتم تنظيف الملابس وكيها فى المغسلة العامة ، ويوجد أيضا مخزن عام ومكتبة عامة .

والحياة فى الكيبوتز جماعية ، فلا يوجد ملكية بالمعنى الصحيح للكلمة اذ انه من المفروض أن يتم الانتاج والعمل والاستهلاك على أساس جماعي ، وممنوع على أى فرد أن يقوم بنشاط اقتصادى فردى . وسكان الكيبوتز لا يحتاجون الى استعمال النقود داخل المستعمرة اذ أن حاجة الفرد فى الكيبوتز مؤمنة بمبدأ :

« من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته » (يراعى أن هذا هو الهدف الأخير الذى تقول به الشيوعية) .

وتنحصر السلطة فى الكيبوتز فى المؤتمر العام والذى يضم جميع أعضاء المستعمرة ، ويعتبر هذا المؤتمر السلطة العليا ويجتمع مرة واحدة اسبوعيا، وهذا المؤتمر يقوم بانتخاب اللجان والسكرتارية ، ويوافق على الميزانية ويناقش مختلف المشاكل والقرارات التي تواجه الكيبوتز .

ويبدو هذا التنظيم ديمقراطيا للغاية ولكنه فى الحقيقة ليس ديمقراطيا ، لأن أعضاء المؤتمر العام لا يقبلون على حضور الاجتماع الاسبوعي بانتظام بسبب اجهادهم فى العمل ، ويتجنبون أيضا عضوية اللجان لما فيها من عمل اضافى لا يتقاضون عنه أجرا .

وبذلك تتركز السلطات كلها فى يد سكرتير عام



المعيشةفي الكيبوتز معيشة جماعيةفالسكان
مطابخ .. تجميع سكان الكيبوتز يتناولون
الصورة جانبا من صالة الاكل ،

الكيبوتز ، وهو العضو المتفرغ الوحيد فى التنظيم كله .

وتوزيع العمل على سكان الكيبوتز يعتبر من اهم المشاكل التي تواجه هذا النظام ، فهو يعتمد على مبدأ اعتبار رغبات الفرد من العوامل الثانوية وبالتالي فان المسئول عن توزيع العمل هو صاحب الرأى الأول والأخير فى الموضوع وذلك حسب حاجات العمل اليومي والموسمي . وهذا يؤدى الى نشوب خلافات بين العاملين وبين المشرفين على توزيع العمل . ولا توجد فى الكيبوتز حياة عائلية بالمعنى المفهوم . ويتضح لنا من تاريخ هذه الحركة أن منشئيها كانوا يعتبرونالزواجمؤسسة برجوازية بالية لا تتناسب مع حياة الكيبوتز والاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية فيها . ولذلك اعتبر الجنس مسألة شخصية ، « والزواج » مسألة لا تحتاج الى مراسيم من قبل المجتمع سواء فى الزواج أو فى الطلاق . ان كل ما يحتاجه الرجل والمرأة لاعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرفة مشتركة والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق، ويصبح « الزواج » قانونيا عندما تحمل المرأة ، الا اذا عارض احدهما فى « قانونية » الزواج .

ونظام التعليم فى الكيبوتز هو نظام يسمى بالتعليم الجماعي وفيه يتربى الطفل في بيوت للاطفال بعيدا عن والديه .

ومؤسسة الكيبوتز التربوية تكون مسئولة عن تدريب وتثقيف الطفل منذ ولادته حتى سن الثامنة عشرة .

وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام فيوضع الطفل فى بيت للاطفال ويبقى هناك سنة تقوم أمه فيها بارضاعه بينما تتولى المربيات الاعتناء ببقية أموره .

وبعد بلوغ الطفل عامه الأول ينقل الى منزل آخر يبقى فيه حتى سن الرابعة ، وفى تلك المرحلة يسمح للأبوين باصطحاب طفلهما الى منزلهما لقضاء بضع ساعات معهما .

وفى سن الرابعة ينقل الطفل الى مدرسة الأطفال (حضانة) يبقى فيها حتى السابعة ليبدأ بعدها دراسته الابتدائية ، وفى تلك المرحلة يلقن الطفل العقيدة الصهيونية وأسس الحياة فى الكيبوتز والولاء المطلق للدولة وكراهية الأعداء . ويتضمن التعليم الجماعي ممارسة العمل اليدوى فى معظم فروع الكيبوتز .

اما المرحلة النهائية في الكيبوتز فهي المرحلة الثانوية ، ويؤهل نظام التعليم الثانوى الطلاب للالتحاق بالجيش ولكنه يجعل تاهيلهم لدخول الجامعات خارج الكيبوتز اقل من المستوى المطلوب .

وقد استغلت الحركة الصهيونية نظام « الكيبوتز » كمادة دعاية لجذب أكبر عدد من المهاجرين . ولجأ الصهاينة الى تقديم صور لحياة الكيبوتز حسب الحاجة الدعائية .

فالكيبوتزات الدينية تصور على أنها أفضل مكان لممارسة شعائر الدين . والكيبوتزات « اليسارية » تصور على أنها التجسيد العملي

نهر جيحون وماوراء النهر

● ما وراء النهر هو الاسم الذى كان يطلقه الأسلاف على منطقة كبيرة من الدولة الاسلامية ضمت فيما ضمت بخارى وسمرقند .. فاين تقع المنطقة المذكورة من خريطة آسيا في الوقت الحاضر ... ؟ مجموعة من القراء عنهم : محمد هاشم ، جدة ـ السعودية

تبين لك الخريطة المرافقة موقع منطقة ما وراء النهر التى تسالنا عنها . وتلاحظ أن النهر المقصود في هذه التسمية انما هو نهر جيحون الذى يصب في بحر أرال .

وتجدر الاشارة الى ان منطقة ما وراء النهر كانت قبل الفتوحات الاسلامية تحت حكم أمراء الترك والهون البيض ، وان القائد المسلم سعيد ابن عثمان كان أول من اغار على بخارى وسمرقند وذلك في سنة ٥٥ و٥٧ هجرية على التوالى (أى ٦٧٤ و ٦٧٦ ميلادية) .

ويذكر ايضا ان منطقة ما وراء النهر دانت للحكم الاسلامى ، ولو بصورة متقطعة ، اعتبارا من أيام الخلافة الأموية ، وذلك في اعقاب غزو قتيبة بن مسلم لها فيما بين سنة ٨٨ ـ ٩٧ هجرية (اى ٧٠٦ ـ ٧١٥ ميلادية) .

اما طشقند ، أو بنكث ، كما كانوا يسمونها قديما، فقد تاخر المسلمون في فتحها وبسط نفوذهم عليها حتى سنة ١٣٤ هجرية اى سنة ٧٥١ ميلادية.

(ى.ذ)





يعيشون في بيوت صغيرة متلاصقة ليس بها طعامهم في صالة الاكل العامة وتمثل كيبوتز جيفات حاييم « Givat Chaim »

الأسمى للمبادىء الاشتراكية . وأمام الشباب الذى يبحث عن المغامرة والملذات فالكيبوتز هو غاية المنى لأنه يبيح العلاقات الجنسية ولا يعترف بالزواج . وأمام المعدمين يمثل الكيبوتز المخرج من الفقر والحاجة .

وكما استغل الصهاينة الكيبوتز كوسيلة لجذب عدد كبير من المهاجرين اليهود من مختلف انحاء العالم ، استغلوه أيضا للدعاية للحركة الصهيونية في العالم كله . فصدرت كتب كثيرة عنه وجذبت دعاية اسرائيل لمشروع الكيبوتز انظار بعض الدول النامية ومنها بعض الدول الافريقية ـ مثل غانا ـ وعن هذا الطريق تسلل النفوذ الاسرائيلي الى هذه البلاد .

(م . ط)

● حدثتمونا في عدد سابق عن صنع السيارات وتصديرها وحصرتم حديثكم بست دول فقط من الدول التى تنتج السيارات في العالم ، وحتى روسيا وهي الدولة الصناعية الكبرى لم تحدثونا عن مقدار ما تنتج من السيارات نرجو التكرم باعطائنا فكرة عن صناعة السيارات في العالم تكون أشمل من تلك الفكرة الاولى ..

علي الجوخدار ـ دمشق

ـ حقا ان الدول التى تصنع السيارات في العالم كثيرة ، لا سيما اذا ادخلنا في حسابنا تلك الدول التى تقوم فيها هذه الصناعة على اساس تجميع قطع السيارات التى تستوردها من الدول الصناعية الاخرى . ولعلك تجد الجواب الشافي على سؤالك في الاحصائية التالية ، وهي ، كما ترى ، احصائية دقيقة شاملة فضلا عن ان ارقامها التى تصور لك صناعة السيارات في عام ١٩٦٧ هي احدث الارقام التى امكننا الحصول عليها من مصادرها الموثوقة . واستيفاء للفائدة فسوف تجد علامة فارقة الى جانب البلاد التى تعتمد أو تقتصر صناعة السيارات فيها على تجميع القطع المستوردة .

ولعلك تلاحظ لدى انعام النظر في هذه الاحصائية أن أكثر دول امريكا اللاتينية ودول آسيا لديها مصانع لتجميع السيارات . وهذا يعني انها في غنى عن استيراد السيارات من الخارج وانها توفر على خزينتها دفع قيمة تلك السيارات بالعملة الصعبة . ويصدق ذلك ايضا على الجمهورية

مصانع السيارات في العالم وكم

امريكا الشمالية

الولايات المتحدة	٧ر٤٨٩ر٤٧٨
× كنـدا	٧٢٠ر٨٠٧
المجموع	٨ر٢١٠ر٢٨٥

امريكا اللاتينية

× البرازيل	١٣٩ر٥٧٦
× الارجنتين	١٣١ر٧٧٨
× المكسيك	٨٨ر٥٧٧
× فنزويلا	٥٠ر٢١٠
× الشيلي	٢ر٥٠٠
× بيرو	٢ر٠٦٤
× كولمبيا	١ر٤٩٦
× كوستاريكا	٩٦٧
المجموع	٤١٧ر١٦٨

آسـيا

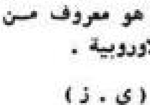
اليـابان	١ر٥٢١ر٠٢١
× الهنـد	٢٨ر٩٠٥
× الفيليبين	١٤ر٦٤١
× ماليزيا	٦ر٥٠٠
× تايلند	٦ر٣٤٧
× الصين الوطنية	٤ر٤٨٠
× كوريا الجنوبية	٤ر٤٥٢
× الباكستان	٣ر٨٠٠
× سنغافورة	٢ر١٧٥
الصين الشعبية	١ر٧٥٠
المجموع	١ر٦٠٤ر٠٧١

دول غرب أوربا

المانيا الغربية	٢ر٥١١ر٨٩٦
بريطانيا	١ر٥٩٥ر٥٣٣
فرنسـا	١ر٥٨٤ر٦٤٥
ايطاليا	١ر٤٦١ر٩٥٦
× بلجيكا	٤٥١ر٧١١

العربية المتحدة وقد بلغ عدد ما انتجته مصانعها من سيارات مجمعة في سنة ١٩٦٧ وحسبما ورد في الاحصائية ، ١٢٠٠٠ سيارة .

وتجدر الاشارة الى ان سيارات نصر هذه ،وهي السيارات العربية الرائدة ، يجرى العمل فيها على اساس اتفاقية ترخيص License Agreement معقودة مع مصانع شركة فيات الايطالية الشهيرة . ولا يخفى ان الاتفاقية التي ذكرنا تفسح مجال التدريب الفني لعدد من العمال العرب كبير ، وتضع تحت تصرف المصانع العربية شتى الخبرات الفنية والاساليب الصناعية التي توافرت لشركة فيات وهي كما هو معروف من اقدم واكبر مصانع السيارات الاوروبية .



(ى . ز)

صنعت من سيارات سنة ١٩٦٧

x اسبانيا	٢٨٠ر٥٠٩
السويد	١٧٢ر٨٤٩
هولنده	٧٧ر٥٤٢
x النمسا	٢ر٢٢٣
المجموع	٨ر٢٣٨ر٨٦٤

دول شرق أوربا

الاتحاد السوفياتي	٢٥١ر٤٤١
المانيا الشرقية	١١١ر٥١٦
تشيكوسلوفاكيا	١١٠ر٠٠٠
بولونيا	٢٦ر٥٠٠
x يوغوسلافيا	٤٥ر٠٠٠
x بلغاريا	٨٧٠
المجموع	٥٤٥ر٣٢٧

افريقيا

x اتحاد جنوب افريقيا	١٣٩ر٢٠٢
x نيجريا	٣ر٠٠٠
x كينيا	٦٠٠
x تانزانيا	٦٠٠
المجموع	١٤٣ر٤٠٢

الشرق الاوسط

x الجمهورية العربية المتحدة	١٢ر٠٠٠
x ايران	١١ر٤٢٣
x تركيا	٣ر٧٠٠
اسرائيل	٣ر٤٩١
المجموع	٣١ر٦١٤

x استراليا

x استراليا	٣١٢ر٠٦٢
المجموع العالمي	١٩ر٥٠٧ر٤٤٤

علامة (x) تعني ان صناعة السيارات في الدولة التي تظهر هذه العلامة بجانب اسمها ، انما هي صناعة تجميع . ■■

طرائف غريبة

الكاتبة الكسيحة !

● الكاتبة الدانيمركية المعروفة كارين بلكسين Karen Bliksen (١٨٨٥ ـ ١٩٤٦) وضعت اشهر مؤلفاتها وهي كسيحة عاجزة تماما عن الحركة ! فقد كانت كارين قد اجريت لها عدة عمليات جراحية في عمودها الفقري ، اعجزتها عن الجلوس او الحركة ، ولكنها لم تستسلم ، فقد صممت على الاستمرار في عملها ، فكانت تنام على الأرض وتملي على سكرتيرتها خواطرها التي جمعتها في كتاب « قصص الشتاء Winter Tales» وكم من مرة استبد بها اليأس وهي تشعر بدنو اجلها .. وبالرغم من هذا فقد مضت تكمل مؤلفها حتى فرغت منه . ولما امتد بها الأجل بضعة شهور اخرى، شرعت في وضع كتاب جديد ،واستطاعت ان تنجزه قبل وفاتها .

وتقول كارين : « لقد علمتني هذه التجربة ان لا شيء يقتل الالم الا العمل والا الأمل .. وقد امضيت آخر أيام حياتي اعمل ، ولم يفارقني الأمل لحظة واحدة ... لا الأمل في حياة جديدة .. ولكن في انجاز العمل الذى بداته ! »

★ ★ ★

الطعام الجيد واللوحة الجميلة

● قال الفنان الشهير تيتيان Titian ان صاحب اللوحة يستطيع ان يحكم على جمالها قبل ان يراها الناس ، تماما كما يستطيع الطاهى ان يتذوق طعامه قبل أن يقدمه للضيوف .

سالوه : وكيف تكتشف جمال لوحاتك ؟

قال : « المسألة في غاية البساطة ، فأنا لا أكاد افرغ من رسم لوحة ، حتى آتى بشيء من تلك الأشياء التي صنعها الله ، كزهرة جميلة مثلا أو فرع شجرة اخضر ، او قطعة من صخور الجبل ، او حتى طفل صغير جميل ، ثم اضع هذا الشيء بجانب لوحتي،فاذا استطاعت اللوحة أن تثبت وجودها امام هذا الذى تعجز عن صنعه يد الانسان ، فهى لوحة جميلة ناجحة. أما اذا وجدت ان الصورة الحية قد غطت عليها واطفأت بريقها وسرقت منها الاضواء ، فهى لوحة فاشلة ! » .

قــالوا ...

● الرجل بعمله..ولا يمكن للانسان ان يصنع شهرته على اساس عمل لم يخرج بعد الى حيز الوجود .

« ارنست هيمنجواى »

● ان الد الاعداء هم في الغالب هؤلاء الاصدقاء الذين كنا نتحدث اليهم يوما ما ، في ثقة وطمانينة ، كما يفعل اى صديق مع صديقه .

« كيركجارد »

● ان عظمة الرجل يمكن أن تقاس بمدى استعداده لان يكون رحيما ازاء اولئك الذين اخطاوا في حقه .

« فرانسيس يونج »





هدية غاندى

أغلى من جواهر التاج البريطانى !

● يروى ايرل ماونتباتن Earl Mountbatten الذى شغل عدة مناصب عسكرية وسياسية قبل احالته الى التقاعد في عام ١٩٦٥ ، يروى القصة التالية عن زعيم الهند الكبير المهاتما غاندى ، عندما كان ماونتباتن نائبا للملك في الهند عام ١٩٤٧ ، يقول : لقد كتب اليّ غاندى يوم اعلان خطوبة الأميرة اليزابيث (ملكة بريطانيا الحالية) ، للامير فيليب ، يقول انه سعيد لأن ابن اخي سوف يتزوج الملكة المقبلة ، ثم يعرب عن رغبته في تقديم هدية للعروسين بمناسبة زواجهما . ثم قال غاندى في نهاية خطابه: « ولكنك تعلم انني رجل فقير لا أملك من حطام الدنيا شيئا . فما الذى استطيع ان اقدمه لهما » ؟

وجلست أرد على خطاب صديقي العظيم غاندى وقلت : « من الذى قال انك لا تملك شيئا . ان لديك آلة لغزل الصوف . فلماذا لا تغزل للعروسين شيئا ! »

وغزل غاندى مفرشا للمائدة من صوف الماعز وأرسله اليّ ، فارسلته بدورى الى الأميرة اليزابيث مع رسالة قصيرة قلت لها فيها : «لا تنسي أن تضعي هدية غاندى مع جواهر التاج البريطاني، فهي لا تقل عنها قيمة !! » .

الخوف .. ملء الحياة !

● تلقى محرر بريد القراء في احدى الصحف الأسبوعية في بريطانيا خطابا من قارىء يقول فيه : « كيف يمكن لأى رجل عاقل أن يجد المرح والسعادة في عالم اليوم الذى يخيم عليه شبح القنبلة الهيدروجينية ؟ » .

وحار المحرر بماذا يجيب هذا القارىء ،واخيرا حمل الرسالة الى رئيس التحرير الذى جلس يرد عليه بقوله : « أنا شخصيا لا أخاف القنبلة الهيدروجينية ، لا لأن خطرها ليس حقيقيا ، ولا لأننى أنظر الى هذا الخطر ببساطة ، بل لأننى ارفض ان اترك نفسي نهبا للمخاوف ، لأننى أعتقد بأن الخوف الكبير يهدم النفس ويقتلها .. ثم لأن هناك مخاوف صغيرة تنتابنى في حياتى اليومية، مثل خوفي من عبور الشارع في الأماكن غير المخصصة لعبور المشاة ، ثم خوفي من ازدياد نسبة السكر في دمى .. وخوفي على ابنائى من حوادث الطرق ..

« صحيح ان الصواريخ قد تنطلق يوما من السماء حاملة رؤوسا ذرية وهيدروجينية تنشر الدمار والموت في العالم كله .. ولكن لا يجب ان ننسى ان هذه السماء التي قد تنطلق منها الصواريخ المدمرة مليئة ايضا بشتى الصور الجميلة ، فمنها تأتينا أشعة الشمس وضوء القمر والنجوم ..

« وصحيح ان جوا من التوتر يسود العلاقات بين الدول ، ولكن العالم ملىء بالضحك والحب والحياة !

« ان الرجل العاقل الذى تتحدث عنه يا عزيزى، ليس هو الرجل الذى يخاف من القنابل ، وانما هو الذى يبحث عن وجوه البشر ويكشفها لابنائه .. بهذا وحده نستطيع ان نحمى هؤلاء الذين نحبهم ! »



سدد ١٣٣
وال ١٣٨٩
ديسمبر
ن الاول) ١٩٦٩

ملب

يي الصغير

مذا العدد

جوائز

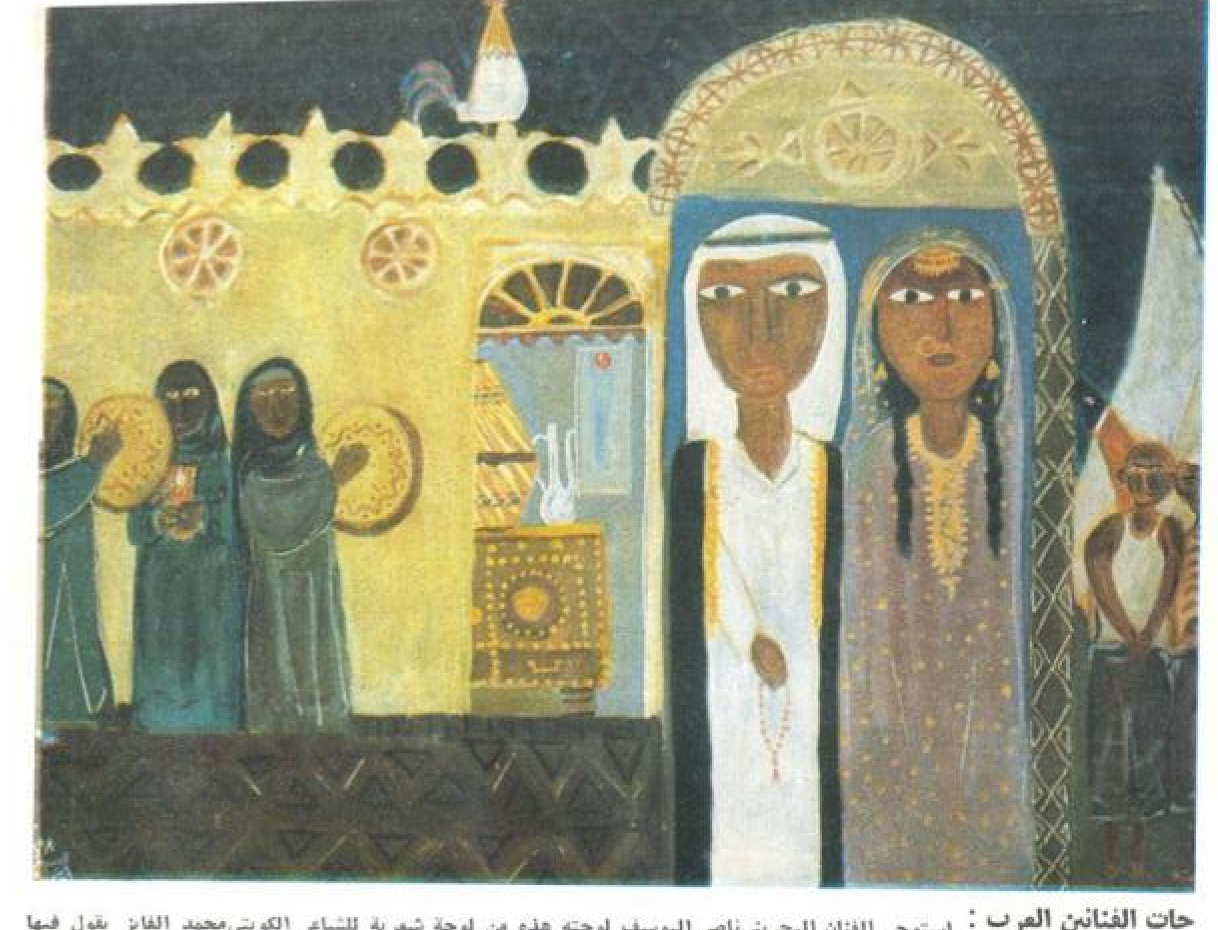
١٢٠

ار سنويا

جبال لبنان

الثمن

	١١٠	فلوس
لعربي	٢	ريالق
	٢	ريال
	٢٠٠	فلس ب
	٥ر٣	شلن
	١٢٠	فلسا
	١٠٠	قرش
	١٠٠	فلس
	١٠٠	قرش
	١٠	قروش
	١٠	قروش
	١٥	ق ٩ ١



حات الفنانين العرب : استوحى الفنان البحريني ناصر اليوسف لوحته هذه من لوحة شعرية للشاعر الكويتي محمد الفايز يقول فيها
« ساشـق دربي بينكن بثوبي العطر الجديد ,, وعباءتي السوداء حيث يدي تراقص خيط مسبحتي الطويل »

العدد القادم
٢٥٠٠٠٠ نسخة
تطرح في الأسواق

عزيزي القارئ

● هذا عدد اول ديسمبر عام ١٩٦٩ . وعدد اول ديسمبر عام ١٩٥٨ كان اول عدد من « العربي » . فهذا العدد الذى بين يديك هو في الواقع العدد الاول من سنة « العربي » الثانية عشرة .

واذن وجب اليوم الاحتفال بعيد ميلاد « العربي » الحادى عشر .

ولكنا تعودنا أن نرجىء هذا الاحتفال شهرا ليتفق عيد ميلاد « العربي » وعيد اول العام ، وجعلنا عدد أول يناير من « العربي » عدداً خاصاً احتفالاً بعيد الميلاد هذا .

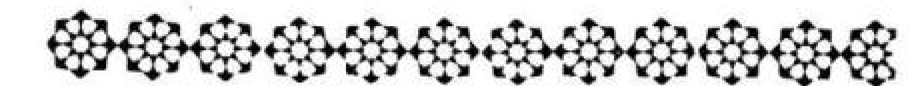
فالعدد القادم عدد ممتاز

وهو تميز باشياء كثيرة ، منها الحجم ، فصفحاته ٢٢٨ صفحة . ومنها الصفحات الملونة أربعة الوان ، فهي ٣٦ صفحة . ومنها فهرس مقالات « العربي » لعام ١٩٦٩ . ومنها رحلة الى القمر بالألوان مع رواده حتى هبط رائداه عليه . ومنها مقال مختار في كل باب من أبواب « العربي » . والى جانب ذلك هدية من « العربي » ، منفصلة عن العدد ، وتدخل في ثمنه . فلا تأخذ « العربي » أيها القارىء الا وهي معه ، فبيعها مستقلة تشين بائعها ، وتدمغ عروبته بالطمع الكريه .

اما ثمن العدد فكالمعتاد

● وهذا عيد الفطر قادم . فكل عام وأنتم بخير وعافية .

المحرر



العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

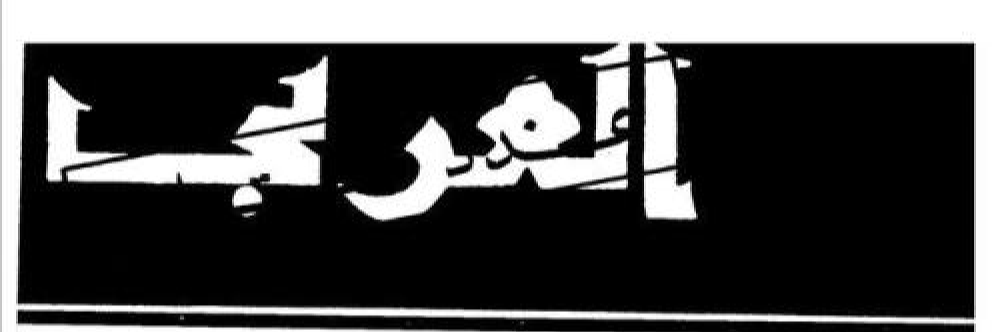
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 133 - December 1969 - P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



اريخ .. وتاريخ أشخاص :

معر .. وشعراء :

كن الاسرة والمرأة :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري • البحرين ٢٠٠ فلس بحريني • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج.ع.م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٢٫٥ شلن • ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراك : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي :





هل وصل الانسان حقا الى القمر ؟

● في أعقاب الحدث الخطير ، حدث وصـول الانسان الى القمر ، فاجانا امام الجامع الذى كنا نصلى فيه بخطبة مطولة ضمنها من الآراءالغريبة ما حيرنى أشد الحيرة .قال سيدنا الامام فيما قال : « لقد ادعى الأمريكان أنهم جلبواالتراب والحجارة من سطح القمر ، فعليكم أيها المسلمون الا تصدقوا هذه الخرافات ولا تنخدعوابهذه الادعاءات التى يروجها الاجانب فى اذاعاتهم وتلفازاتهم . فما ذلك الا كذب وبهتان » .. ولقداضاف سيدنا الامام الى ذلك قوله : « ان القمر نور وما هو بحجر ولا تراب .. » ثم قال : « واذاكان الأمريكان يعتزون بهبوطهم فوق سطح القمر ، وهو اعتزاز واه لا يقوم على اساس ، فأحرِ بنانحن المسلمين أن نعتز بصعود سيد المرسلين محمد عليه السلام الى سِدْرة المنتهى .. » .

فارجو التعليق ..

الحائر ع.م ـ وجدة ـ المغرب

العربي : تأسف لان يكون بين فقهاء العرب مثل هذا . وكثيرا ما فكر المفكرون في أسباب تأخر المسلمين ولا سيما في القرون القريبة السابقةوردوا ذلك الى جهل فقهاء المسلمين ، والى أنهم لم يرتفعوا بالايمان الى ما ارتفع اليه الاسلام .وزاد الطين بلة أنه يجرى وراء هؤلاء الجُهّـال من الفقهاء الكثير من جهلة الشعب،وهم معذورون،لأن الدين عندهم مثل أعلى وحق أن يكون . وهم لا يفرقون بين الاسلام وبين فقهائه . وصاحبك الـذى قـال ان القمـر نـور واسـتنتج من ذلك أنه لا يمكن أن يكون حجرا ليس له في فهم اللغة العربية وتعابيرها المجازية خبرة ومران . فالحجر يعكس النور ، واذن فأن القمر حجر وأنه أيضا نور حقيقتان غير متعارضتين . وفقيهكم هذا الذى ينفي ما رأته الدنيا عيانا لا بد أن يكون ليس أعمى البصيرة فقط ولكنه أعمى البصر ايضا . أمثال هؤلاء نكبة على الاسلام وهم جيل على كل حال ذاهب . ونرجو أن يكون الجيل الجديد من الفقهاء خيرا من الجيل الذى مضى ، ومع هـذا لا ننكر أن مثل هذا الفقيه قلة ، حتى بين فقهاء اليوم . فليس منهم من بلغ منه القصور الذهني ما بلغ من صاحبك . واذا نحن قلنا القصور الذهني فلا نريد السب وانما نذكر الحقيقـة الواقعة . والحقيقة الواقعة لو كان لها وقر في السمع غير مهذب الا أنها تجوز حين يكون الذى يرمى بسهمه انما يرمى قلب الاسلام في الصميم .

رشيد وسمك السردين

● اطلعت على استطلاعكم الشيق عن مدينة رشيد في عدد ابريل سـنة ١٩٦٩ واورد الملاحظات التالية تصحيحا لبعض ما ورد فيه واستكمالا للفائدة :

بالنسبة الى اختفاء سمك السردين من مياه رشيد بعد قيام السد العالى ، فقد ظهرت حديثا في المياه المذكورة نفسهـا أنواع اخرى من سمك السردين وبكميـات هائلة واحجام ممتازة وهى مطروحـة في أسواق القاهرة وباسعار مغرية .

دكتور عبد العال حجازى ـ ج . ع . م .

ابن خلدون والزراعة

● **قرات في العدد ١٢٩ استطلاعكم عن موريتانيا الجنوبية والحاشية التي اضفتموها في ذيل صفحة ٨٣ ، اذ تقولون:** ارجعنا الى مقدمة ابن خلدون فوجدنا فيها صحة ما قاله أهل موريتانيا من أن ابن خلدون هذا ينسب فعلا الى سيد المرسلين قوله : «ما دخلت هذه (السكة أو المحراث) دار قوم الا ودخله الذل .. » .

ولكنى قرات في البخارى ايضا قول رسول الله : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة .. » **وقد روى هذا الحديث مع البخارى كل من مسلم والترمذى وابن حنبل .. اما الحديث الاول فقد انفرد بروايته البخارى وحده.**

عبد الرحمن اسماعيل داود ــ الموصل

دوماس القائد غير دوماس الكاتب

● **قرات فى العدد ١٣٦ وفي ركن طرائف غريبة أن الكاتب والروائى الكسندر دوماس الصغير لم يدع اباه لحضور عرض احدى مسرحياته .**

والحقيقة هى ان الاب واسمه الكسندر دوماس ايضا قد توفي سنة ١٨٠٦ فكيف يمكن أن يكون ابنه قد دعاه لحضور احدى مسرحياته ، وقد تم اول عرض لمسرحيات الابن يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٢٥ واسم المسرحية هو العيد والحب .. ؟

احمد السوسي ــ تونس

العربى : الخطأ هو في انك توهمت أن الكسندر دوماس الأب قد مات كما تقول في عام ١٨٠٦ والحقيقة أنه مات بعد ذلك بنحو ٦٤ سنة ، أى في عام ١٨٧٠ . أما الذى مات في سنة ١٨٠٦ التى تذكر فهو دوماس الجنرال الفرنسي وقد اشتبه عليك الأمر . وجدير بالذكر أن الكسندر دوماس الأب كان كالابن من مشاهير الكتاب . ومن قصصه المعروفة : « الكونت دى مونت كريستو » و « الفرسان الثلاثة » . أما الابن فقد اشتهر بقصة « غادة الكاميليا » .

بين الطَّحال والطُّحال

● **قرات في العدد ١٣١ صفحة ١٠٦ موضوعا بعنوان (الطُّحال) بضم الطاء . والصحيح ان الذى من اعضاء الجسم هو (الطِّحال) بكسر الطاء . وهو غدة اسفنجية في يسار جوف الانسان وغيره من الحيوان . اما (الطُّحال) بالضم فهو داء يصيب الانسان كما جاء في معاجم اللغة العربية .**

عاهد اللبدى ــ الكويت

النقاب غير الحجاب

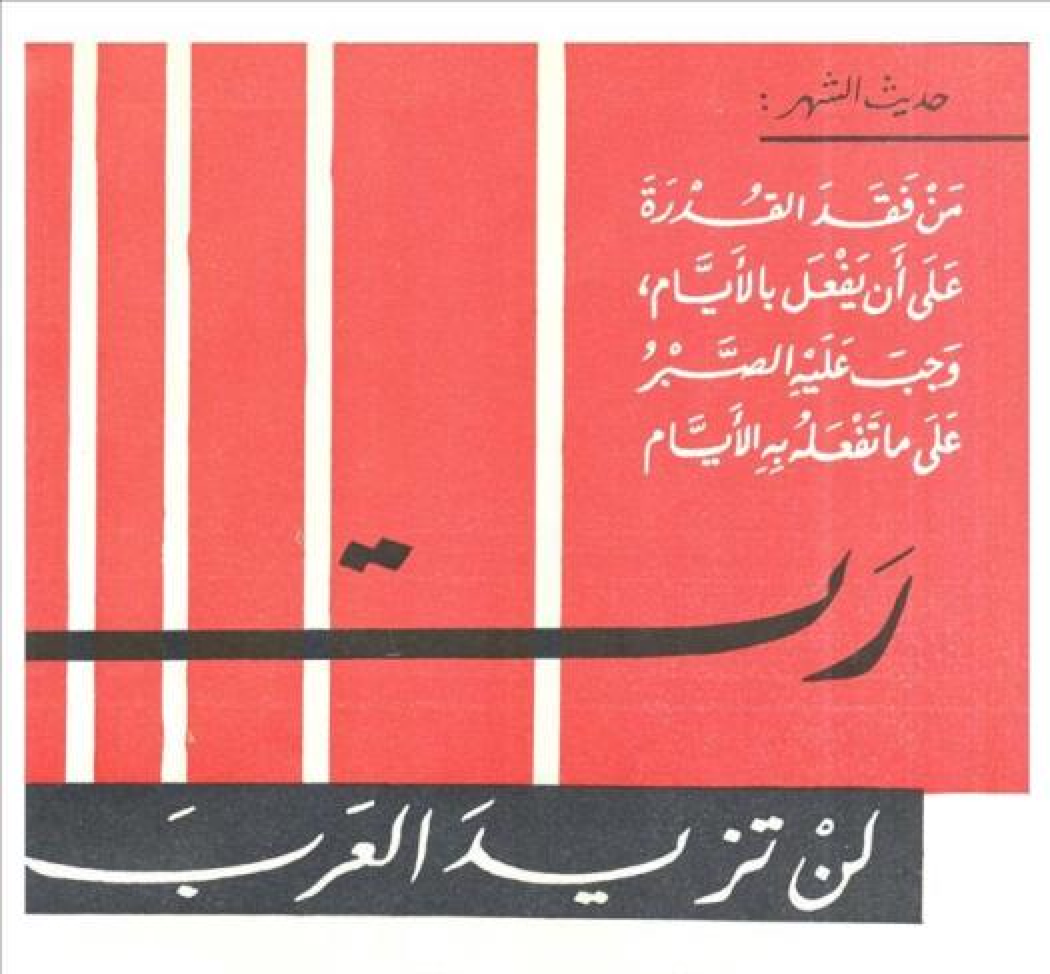
● **لقد اطلعت على العدد ١٣٠ وعلى الصفحة ٩٦ بالذات حيث نسبتم الى القول** « ان نقاب المرأة ليس من تعاليم الاسلام في شيء .. »

فاستغربت جدا ذلك ، حيث اننى لم اقل هذا الكلام ، والذى قلته هو ان الحجاب من الاسلام وذكرت اقوال العلماء فيه .

الشيخ عبد الستار السيد
مفتي طرطوس ــ سوريا

العربى : ننشر كلمة فضيلة الشيخ وتأكيده بأن الذى قال انما هو أن الحجاب من الاسلام . ويبقى أن نعرف رأيه في النقاب وموقف الدين الحنيف منه . اذ لا يخفى أن الحجاب اسم عام ويشمل كل ما يستر شيئا عن شيء آخر . أما النقاب فهو القناع تجعله المرأة على مارن أنفها لتستر به وجهها . فالمرجو من فضيلة الاستاذ التفضل برأيه في كشف الوجه ، والوجه وحده ، دون التعرض لسائر الرأس .

■■



بقلم رئيس التحرير

الاخبار العربية بلغت من الرتابة حدا لا يكاد يصدقه احد .

جاء ربيع هذا العام ، وتلاه صيفه ، وتلا الصيف الخريف ، والحديث عن الحل السياسي للمشكلة يقال دائما انه وشيك . ثم الوشيك يبعد . ثم هو لا يكاد يبعد حتى يقال لا سبيل الا الحرب . وتدق الصحف طبول الحرب اسبوعا او اسبوعين ، ثم ما تلبث ان تتراجع ، فتقول ان دق طبول الحرب ليس معناه رفض الحل السياسي . ثم تصمت الطبول ويأخذ الحل السياسي يملأ صفحات الجرائد مرة أخرى . ثم يقال انه وشيك . ويقال بل صيغت صيغته ، وعما قريب تجتمع الدول الاربع الكبار ليباركوها . ثم تأتي أخبار بأن اجتماع الاربع انفضّ ، لأنه لا سبيل الى اقتراب . وبعد اسابيع تطول ، يقال لقد عادوا فاجتمعوا ، وقد اتفقوا فعلا ، وان ما اتفقوا عليه سوف ينفذ على دفعات . وبينا قراء الصحف تصدق

ابةُ

إلاّ صمودًا

مَطالبُ الصّهاينةِ،
في "الحدودِ الآمِنةِ"،
سجلوها منذ سِتّينَ عامًا
مِنَ الزّمان.
وَهيَ عندهم ضَمّ سيناء،
وشرقِ الأردن، وسوريّة
حَتّى دمشْق، ولُبْنان.



كل هذا ، اذ الخبر يجيء بأن لم يكن هناك قط اتفاق ، بل كان اختلاف وتراشق .

وفي الصحف رتابة

وخرجت في هذا الصيف الماضي اطوّف في بلاد بعيدة ، لا تأتيها صحف عربية قريبة المنال ، وقضيت أسابيع طويلة وانا أتنقل بعيدا عن أحداث بلادنا. وعدت متلهفا على قراءة الصحف .

وبدات اقرا . واذا بي من غير وعى أقطع القراءة ، وابحث عن تاريخ الصحيفة التى اقرا ، فقد خيل الى انها صحيفة يوم من أيام يونية ، الذى مضي ، وأنها وقعت خطأ في يدى . ثم تأكدت انها لسبتمبر الذى انا فيه لا ليونية. واستبان لى بالطبع على الفور ان سبب شبهتى هو ان الأسطوانة التى دار بها فونغراف هذه الصحيفة في يونية ظلت دائرة تملأ الفراغ في سبتمبر .

ومع هذا فقد داخلنى شيء كثير من الاعجاب بالصحافة والصحافيين لأنهم استطاعوا ان يربطوا القراء بصحفهم رغم الرتابة المتطاولة ، واستطاعوا أن يغروهم ، بأن يهبوهم آذانهم دائما ، رغم الأنغام المتشابهة المتكاثرة .

وقالوا انظرونا لاكتوبر

وقالوا: بل انظرونا لأكتوبر، انظرونا لآخره ، فعندئذ تكون الانتخابات النيابية في اسرائيل قد تمت ، وعشية تتم ، لا بعدها ، سيجتمع الاربعة الكبار على الفور ، ليقضوا في امر هذا الخلاف القائم بين العرب والصهاينة ، ويكون قضاء على نور .

وانظرناهم . وانتظرنا .

وجرت الانتخابات التى ذكروا . وحسب الناس انها سوف تكون مجالا لاعتدال في القول ، واعتدال في المطالب . فاذا بها تجرى على نقيض ذلك . وزير حربهم « ديان » يؤكد انه لا يريد صلحا مع العرب ، ولا وثيقة امن ، وذلك لأن في الارض التى تحتلها الآن اسرائيل خير ضمان لأمنهم ، فهو لا يريد بديلا منها . ورئيسة وزرائهم تؤكد لاسرائيل حدودها القائمة اليوم عند الخطوط التى اسموها خطوط وقف اطلاق النار .

وحسب بعض الناس ان في هذه التصريحات من وزراء اسرائيل شيئا جديدا اصطنعوه لهذه الايام . والحق انها الرتابة بعينها تمتد وتتطاول . وهذه طالت أكثر من نصف قرن من الزمان .

والرتابة هى ان تكرر الشيء المرة بعد المرة ، ثم تسكت حينا ، ثم تعيد تكراره .

وانت تسكت حينا لينساه المغفلون من أعدائك .

وهكذا يفعل بالعرب الاسرائيليون .

وتسأل عن هذه الرتابة ، ما سببها ؟

فتعلم ان لها اسبابا عدة ، أولها وآصلها اننا افتقدنا القدرة على مباداة العدو ومبادرته ، والقدرة على الحسم .

ومن فقد القدرة على المباداة والمبادرة والحسم ، لم يكن له بديل من ذلك غير الصبر . وهذا صبر يتوارثه الأبناء والأحفاد واحفاد الأحفاد .

ان من فقد القدرة على ان يفعل بالأيام، وجب عليه أن لا يجزع سريعا مما قد تفعله به الأيام .

سنة الله !

اسرائيل الكبرى

ان اسرائيل الكبرى شيء مقرر عند الصهاينة من قديم .

اطماعهم في الأردن. اطماعهم في سوريا. اطماعهم في لبنان . اطماعهم في مصر . كل هذا حديث معاد .

من اجل هذا أزعجني غباء احد ساستنا ، ذلك السياسي الذى جاءنى يقول : لا تصدق ما يقوله اليهود عن الاحتفاظ بسيناء، انما هو حديث ممارسة وكل مفاوضة ممارسة ، تبدأ بالكثير وتنتهى بالقليل .

قلت له : ان يكن حديث ممارسة فهو بدأ حين بدأ هذا القرن الذى نحن فيه .

ان هؤلاء الساسة لا يقراون .

سيناء في مذكرات هرتسل
وغيره من زعماء صهيون

في٢٢ اكتوبر ١٩٠٢ زار هرتسل وزير المستعمرات البريطاني المستر تشمبرلن وبحث معه مخططات الصهيونية فيما يتعلق بقبرص والعريش وشبه جزيرة سيناء . فقد كانت سياستهم ترمي الى احتلال الأطراف ، فيما حول فلسطين ، ثم الانقضاض عليها . وتبقى هذه الأطراف بعد ذلك حامية للدولة الصهيونية الجديدة .

وكانت مقدرات مصر عندئذ بالطبع في يد بريطانيا تفعل بها ما تشاء .

ورأى المستر تشمبرلن فيما يتعلق بقبرص ان السكان المحليين في قبرص سوف يعارضون . قال هرتسل في مذكراته :

« وهنا كشفت عن خطتي الرامية الى خلق تيار ايجابي نحونا في قبرص ، وذلك بأن نبدأ بتأسيس الشركة اليهودية الشرقية برأسمال قدره ٥ ملايين جنيه لاقامة المستعمرات فيسيناء والعريش . وعندئذ يطالب القبارصة ان ينزل هذا المطر الذهبي على جزيرتهم ايضا وعندئذ هم يدعوننا اليها . اما المسلمون في قبرص (يعني الأتراك) فسوف يرحلون عنها ، واما اليونانيون فسوف يبيعون ارضهم لنا بسعر جيد وينتقلون الىاثينا او جزيرة كريت » .

وسجل هرتسل في مذكراته انه عرض على اللورد اليهودي روتشلد ، ممول المستعمرات اليهودية ، خطط المنظمة الصهيونية لاستعمار سيناء ، وقد كانوا اسموها « فلسطين المصرية » ، ولاستعمار قبرص ، وان روتشلد اقر هذه المخططات .

ويروى هرتسل انه ، في نهاية مقابلته للوزير البريطاني ، تشمبرلن ، وجه اليه سؤالا : « هل توافق على تأسيس



هرتسل

هرتسل Theodor Herzl (١٨٦٠ – ١٩٠٤) كاتب يهودي نمساوي ، ولد في المجر ، وعمل في فينا في صحيفة « الصحافة الجديدة الحرة » عام ١٨٩١ الى عام ١٨٩٥ ، ثم صار محررها الادبي . وهو مؤسس الصهيونية وصاحب كتاب Der Judenstaat اى الدولة اليهودية ، كتبه في عام ١٨٩٦ وفيه نصح باقامة دولة يهودية في فلسطين . وهو زعيم الحركة الصهيونية ، ونحن ننقل عن مذكراته ، عن كتاب المطامع الصهيونية التوسعية لعبد الوهاب الكيالي ، وهي الدراسة رقم ٢ من « دراسات فلسطينية » ، انها دراسات لا بد ان تقرأ .

مستعمرات يهودية في شبه جزيرة سيناء ؟ » فأجاب الوزير قائلا : « نعم ، اذا وافق اللورد كرومر » . وكان اللورد كرومر ممثل انجلترا في مصر، وحاكمها الفعلي في آن واحد .

وفي اليوم التالي قابل هرتسل وزير خارجية بريطانيا ، بناء على توصية من تشمبرلن ، ووافقه هذا على اقامة مستعمرات يهودية في وادى العريش ، وشبه جزيرة سيناء . وارسل هرتسل رسولا عنه الى مصر ، مزودا بخطاب من انجلترا موجه الى اللورد كرومر ، يوصيه فيه باجابة هذه المطالب .

وكتب هرتسل في مذكراته يقول :

« عاد جرينبرج (رسوله) من القاهرة ، حيث احرز نجاحا تاما . لقد كسب اللورد كرومر الى جانب قضيتنا ، كما كسب بطرس غالي باشا رئيس وزراء مصر » .

وسجل هرتسل خواطره عن كيفية ريّ صحراء سيناء بمياه النيل . ورأى كرومر في هذا الأمر ان يقوم الخبراء بدراسة هذا المشروع .

وفي السادس من مايو ١٩٠٣ تلقى هرتسل برقية من مندوبه في مصر يخبره فيها بمعارضة خبراء المياه لمشروع رى سيناء من مياه النيل لتعذر ذلك ، كما اخبره باصرار اللورد كرومر على رفض المشروع بناء على ذلك .

وكان هرتسل تقدم الى المستشار القانوني للحكومة المصرية (وكان انجليزيا) وطلب منه اجراء الترتيبات اللازمة للتوقيع على عقد لاستعمار سيناء والعريش مدته ٩٩ سنة ، ومَنح الحركة الصهيونية الضمانات والحقوق الاستعمارية على اساس أن هرتسل لا يريد ان يكون «تحت رحمة الشرقيين» في حال انسحاب انجلترا من المنطقة .

ورفض خديوى مصر ، عباس حلمي ، الشاب الذى لم يكن بلغ الثلاثين ، رفض منح الصهاينة الميثاق الاستعمارى المطلوب .

وفي ١١ مايو ١٩٠٣ كتب هرتسل في مذكراته ، تحت عنوان « نهاية مشروع » هذه الكلمات :

• « انني اعتقد انه ما من احد يستطيع ان يفعل الآن شيئا . خلاصة الأمر ان كل شيء قد انتهى » .

نعم . قال هذا في عام ١٩٠٣ .

لم يكن يدرى عندئذ انه في يونيو من عام ١٩٦٧ ، سوف لايحتاج الى ميثاق استعمار من خديوى مصر ، ولا الى اذن من لورد انجلترا . ذلك لأن القدر كان قد قضى لجماعته في كتابه المرقوم منذ الازل، ان يختصروا الطريق ويحتلوا من سيناء ما أرادوا ، في مدة لم تزد على خمسة أيام .

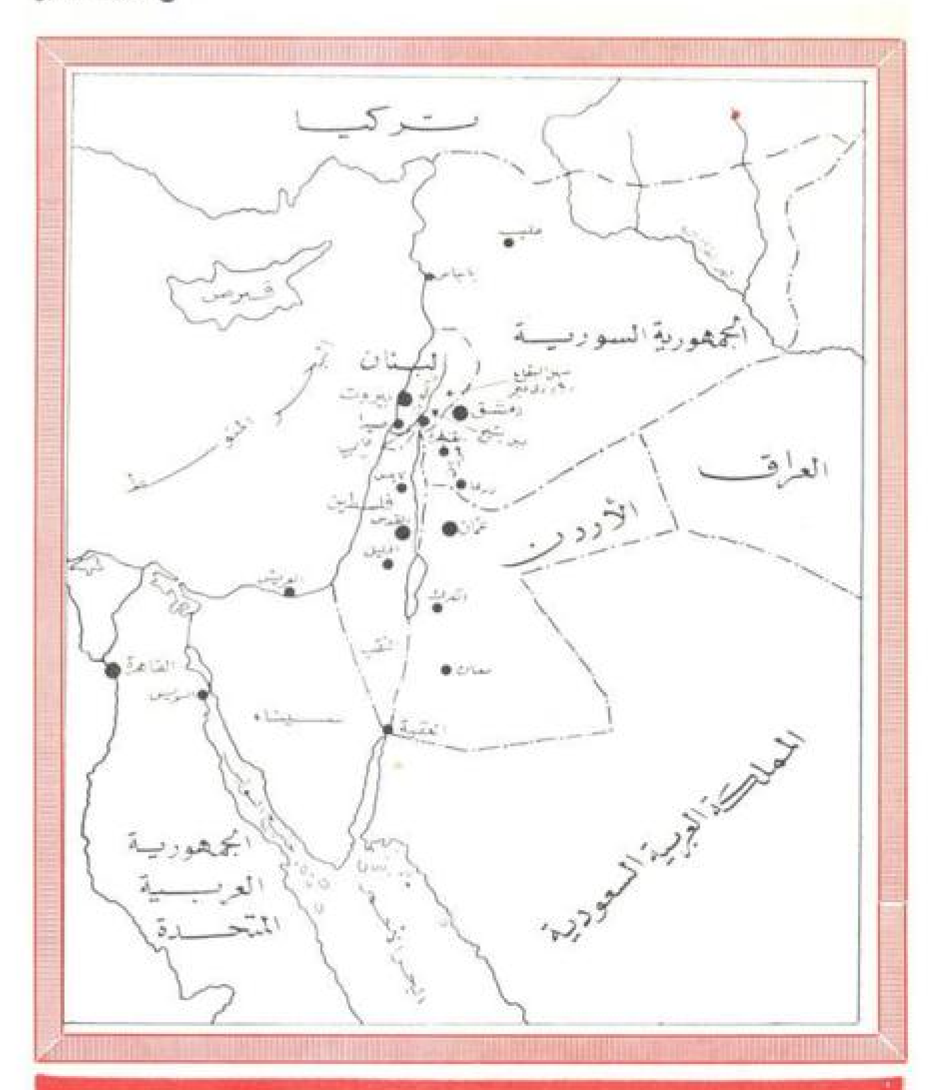
مطامع اسرائيل في غير مصر

ولم تقتصر مطامع اسرائيل على سيناء ، فقد شملت شرق الأردن ، ولبنان ، وسورية. وتصريحات الصهاينة قديما وحديثا في ذلك عديدة لايتسع لها المقام هنا ، وهي بدات مبهمات قصدوا بها الى التستر ، كمثل قولهم وهم يذكرون ما تكون اسرائيل «هذا بالاضافة الى الامتدادات الضرورية للحفاظ على وحدة الأرض وسلامتها » . وهذا التعبير القديم اتخذ هذه الأيام لفظا جديدا ، هو ما يسمونه اليوم « بالحدود الآمنة». فالحدود الآمنة ليست بالشيء الجديد الناتج عن حرب حزيران .

مطامع اسرائيل في شرق الأردن

في ٢٨ حزيران عام ١٩١٩ نشرت « فلسطين » ، وهي نشرة الصهاينة الرسمية ، مقالا تقول فيه :

« لشرق الأردن اهمية حيوية من



الشرق الاوسط

وفيها تظهر فلسطين المحتلة (اسرائيل) وسيناء والاردن وسوريا ولبنان ، وقبرص واكثر البلاد التي ذكرناها في المقال وطمع فيها اليهود ، وهى مناطق عزم الصهاينة في أول هذا القرن أن يستولوا عليها أولا ، ليتفضوا بعد ذلك على فلسطين ، وذلك قبل وعد بلفور ، وعندما كان الاستيلاء على فلسطين بعيد المنال . ويلاحظ انه قبل الحرب العالمية الاولى لم يكن لسورية والاردن ولبنان وفلسطين الحدود التي صارت لها بعد الحرب .

النواحي الاقتصادية ، والاستراتيجية ، والسياسية لفلسطين اليهودية . ان مستقبل فلسطين برمته يتوقف على شرق الأردن ، فلا امن لفلسطين الا اذا كانت شرق الأردن قطعة منها » .

والمنظمة الصهيونية قدمت لمؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الاولى مذكرة رسمية طالبت فيها بالأرض الواقعة شرق نهر الأردن .وقد جاء في هذه المذكرة :

« ان هذا البلد القليل السكان حاليا كان على أيام الرومان آهلا مزدهرا ، وهو قادر اليوم على استقبال المستعمرين على نطاق واسع » .

كرومر

المندوب السامي البريطاني في مصر وحاكمها الفعلي الى عام ١٩٠٨ يوافق على استعمار الصهاينة سيناء



ولما انشأت بريطانيا امارة شرق الأردن وفصلتها عن الأراضي الفلسطينية ، احتجت الحركةُ الصهيونية ، ولم تعترف بالوضع الجديد الذى حرم فلسطين من ثلثي مساحتها . وبررت ان امارة الأردن جزء من فلسطين بقولها :

« ان العقبة كانت ، منذ ايام سليمان فصاعدا ، نهاية طريق تجارى هام في فلسطين » .

مطامع اسرائيل في لبنان

كذلك مطامع الصهاينة فى جنوب لبنان امرها مفضوح من قديم .

اما مردُ هذه المطامع فالى ان منابع مياه الاردن ومجرى الليطانى ومصبه في تلك المنطقة . هذا غير خطورتها الحربية .

وفي عام ١٩١٩ حددت الحركة الصهيونية مطالبها في جنوب لبنان فقالت :

« ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للرى والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الأردن ، وثلوج جبل الشيخ » .

وفى مذكرات هرتسل وصفٌ لما جرى بينه وبين مستشار المانيا : قال :

« وسألني عن الأرض التى نريدها ، وهل هي تمتد شمالا حتى بيروت أو ابعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه ، والمساحة التى نطلبها تزداد مع ازدياد عدد المهاجرين » .

اطماع اسرائيل في سوريا

وفي ٢٣ حزيران نشرت « فلسطين »



بن جوريون

● هو احد مؤسسي دولة اسرائيل ، واول رئيس وزارة لها . ولد في بلونسك Plonsk في بولونيا ، في ١٦ اكتوبر ١٨٨٦ ولا يزال حيا. تفرغ منذ صباه للصهيونيةوالاشتراكية، وذهب الى فلسطين عام ١٩٠٦ عاملا عاديا ، وبدا في تاسيس حزب العمال ، وكذلك انشاء حرس لحماية المستعمرات اليهودية الزراعية هناك . ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى طرده الأتراك من فلسطين ، فذهب الى نيويورك ، وهناك انشا حزب عمال صهيونيا . وهناك ايضا التحق باللجيون اليهودى ، اى الكتيبة اليهودية التي انشئت هناك عام ١٩١٨ لتكون جزءا من القوات البريطانية في فلسطين . وهو من عام ١٩١٨ عاش في تل ابيب ، وتراس حزب العمال (الماباى) ، ذلك الذى صار اقوى قوة سياسية اقتصادية هناك . وبمرور السنين اشتدت ثقته في اقامةدولة يهودية ، فانشا لها قوة محاربة سميت بالهاجاناه ، وهي القوة ذات التاريخ الأسودفي الفظائع التي حلت بالعرب. وانشئت الدولة اليهودية في ١٤ مايو ١٩٤٨ في تل ابيب ،فقام بن جوريون يقرأ اعلان استقلالها ، وفي هذه الدولة ، صار بن جوريون رئيسالوزرائها ، ووزيرا لدفاعها ، وكان اكبر همه بعد ذلك هو جذب اكثر ما يستطيع منمهاجرى اليهود الى فلسطين . وفي العشر السنوات الأولى نجح في ادخال نحو مليونمهاجر .

مقالا مسهبا عن حوران الكبير استهلته بقولها :

« ما من منطقة مقدّر لها ان تكون اكثر تأثيرا ، في تطوير فلسطين جديدة ، من حوران » .

وفي نشرة اخرى قال بن غوريون :

« تضم فلسطين النقب برمته ، واليهودية والسامرة ، والجليل ، وسنجق حوران ، وسنجق الكرك بمعان والعقبة ، وجزء من سنجق دمشق اى اقضية القنَيطرة ووادى عنجر وحاصبيا » .

وفي مقال آخر قالوا في سبيل تحديد فلسطين اليهودية :

« تَحُدُّ فلسطين ، في الشمال ، الأميالُ الخمسة الأولى من مجرى نهر العوالى ، ومن ثم تعتبر دمشق حدًا شمالا ، هذا اذا تعذر الحصول على دمشق نفسها . انها اذن لخسارة كبرى . ولكنها خسارة تثير حقنا في التعويض في اماكن اخرى » .

هذا في ايجاز كثير ، بعض ما قالوه عن سورية ، ولكن الذى لم يقولوه ، ولم يحن قوله ، فاطماعهم في الاستيلاء على سورية كلها : « سكانها قليلون ، اراضيها الزراعية واسعة ، مياهها فيض عظيم »!!

هل يقرأ العرب ؟

اني اسائل نفسي ، هل قرأ العرب كل هذا ؟

واذا هم قراوا ، هل وجدوا فيما يقول به الصهاينة هذه الأيام الحاضرة شيئا غير الذى قالوا به منذ عشرات السنين ؟

واذا هم قراوا ، فهل هم قراوا هذا ، هذه الأيام فحسب ، ام قراوه عندما قيل ، في اوائل هذا القرن ، واذن قراه فيهم الآباء ، وقراه الأجداد .

وان كانوا فعلوا ، فهل فهموا ما كانوا قراوا ؟

وان كانوا فهموا ما قراوا ، فهل استيقظوا ؟

وان كانوا استيقظوا حقا ، فكيف ناموا نومة اهل الكهف ، من بعد ذلك ، لا يدرون كم ناموا ، وكيف ناموا .. !!

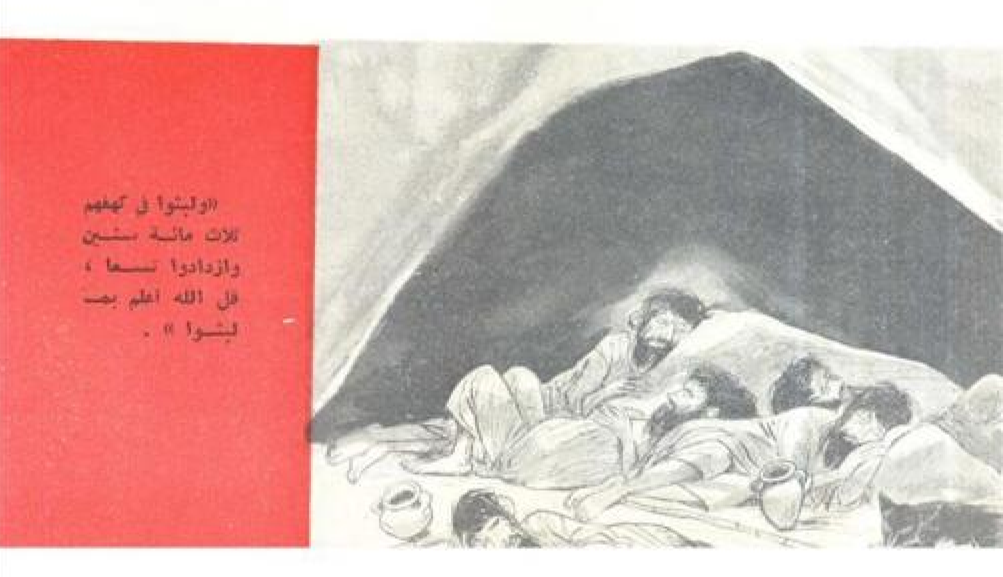
★ ★ ★

الحق اننا ، نحن العرب ، لم نقرأ .

ونحن لم نقرأ لاننا كنا اميين .

وكنا اميين لاننا كنا مستعمرين . كنا نباع ونشترى في سوق الاستعمار ثم يباع الارقاء في اسواق العبيد . « بلفور » يعد ان يعطي اليهود ارضا ، ولكن من غير ارضه . « وكرومر » يوافق على اعطائهم سيناء ، ويؤلف لجنة تنظر في احتمال مدها بالماء ، بالماء من نهر النيل لا من نهر التاميز .

واستقل العرب . استقلوا بلدا من بعد بلد . ونشأت في البلد الذى كان اسبق الى استقلال ، فاسبق الى استقرار . وخلنا اننا بعد ذلك سوف نجرى بالحياة فيه بسرعة ارنب لنعوض ما اصابتنا به سرعة السلحفاة الماضية من تخلف . وجرينا وكسبنا من الحياة ، ولكن ما اسرع ما تعوقنا . عوقنا اننا طلبنا الديمقراطية بدون ديمقراطيين . وعوقنا احزاب قامت طلبت لنفسها الغنم ولسائر الأحزاب الخسران ، واستخدمت اساليب الديمقراطية ببراعة ، فكنت تعد سمات الوجه فتجده ديمقراطيا ، ولكن تسمع نبضات القلب فتعلم انه ارستقراطى استبدادى خبيث . ومن الرؤساء من خدع حتى عن نفسه ، فظن ان الخير يأتيه هو ، خير لبلده ، والشر يأتيه هو ، شر لبلده .



«ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ، قل الله اعلم بما لبثوا » .

هو البلد ، وهو الشعب ، وهو السعادة ، وهو الشقاء . واحس نفسه مثل ما أحسها نابليون عندما اطل على الشعب من شرفة قصره ، وتساءل عن القانون ما يكون . واجاب سؤاله بنفسه . قال : القانون ؟ انا القانون Le Loi ? Cést moi .

في هذه الفترات التي عاشها شعب مصر ، وعاشتها لا شك شعوب العرب في كثير من الأرجاء ، خيِّل لكثير من الناس ان الاستعمار لم يذهب ، وانما هم استبدلوا بالوجوه المستعمِرة الحمراء وجوها مستعمِرة سمراء . ومن الناس من تمنى لو عاد دولاب الزمن الى الوراء . وسألت في ذلك من قال ذلك ، فكان جوابه : ان الاستعمار يأتي من غريب ، انت تحاربه على ثقة ، اما الاستعمار الخفي ، يأتي من قريب ، تحوطه الصرخات الكاذبة والشعارات الخادعة ، فلا تدرى من أين تأتيه .

سنوات ثمينة غالية ، جنت منها اكثر الشعوب العربية ثمرات ، اكثرها الشوك والحنظل . وطوى الزمن هؤلاء الرجال . ومنهم من ودعناهم وداع ابطال ، وصدّقنا . ومنهم من ودعناهم وداع ابطال ، وفي القلب ريبة كبيرة . وهم صاروا اليوم ترابا ، وكل تراب طاهر ، وليس شيءٌ كالموت مُطهِرا .

ونذكر الماضي لا لنبكي منه

اننا نذكر الماضي ، لا لنبكي منه ، فما يردُّ البكاءُ على الباكين شيئا مما افتقدوه . انما نذكر الماضي لكي لا نعود الى مثله . يجب ان نذكرَ النكسة ، ونعيد ذكرها حتى لانساها ، ولا يكفي ذكرُ النكسة وحدها ، ولا ذكر ما كان بعدها وحده ، فأقمنُ من ذلك وأحق بالذكر ما كان قبلها . حال الأمة العربية ، في اكثر مرافقها ، كان مليئاً ، في اكثر مما مضى من هذا القرن بالنكسات . ويريد الواعون ان يصرخوا فيأبى الآمرون عليهم حتى الكلام هَمْساً ، حتى اذا جاءت النكسة الكبرى ، بالصرخة الكبرى ، حسبوها رجماً ، هبط به القدر المتاحُ من السماء ، وما هو الا الرجم نشَ فيهم ، وتربّى وترعرع في حَنجورهم ، ثم انفجر .

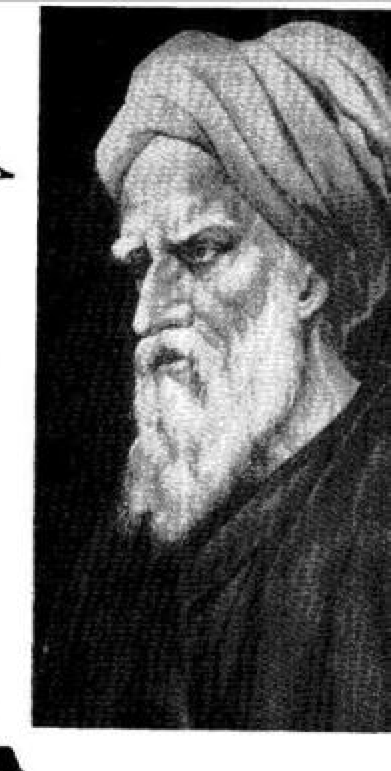
ونتركز على المستقبل

واذا ذكرنا الماضي مرة لنعتبر ، وجب ان نتركز على المستقبل عشرا ، نطلب الحياة فيه قوية عزيزة آمرة . ان الخطر يتهدد العرب في اصول عيشهم ، وهذه الحرب ليس يراد بها شيء غير استئصالهم ، وازاحتهم عن اوطانهم . وحيث لا تمكن ازاحة عن أرض ، فالمذلةُ تفرَض والمسكنة ، بالدبابة والصاروخ والطائرة . والدبابة لا يدفعها الا الدبابة ، ولا الصاروخ يدفعه غير الصاروخ ، ولا الطائرة غير الطائرة .

وكأني بالرتابة التي خيّمت على الأحداث طوَالَ الصيف ، وضَجِرتْ بها الأنفس المتوثبة للقتال ، قد تصدّعت . وكأني بهذا العدد لا يصل الى قرائه الا وتكون الأحداث قد استفحلت ، والمعارك اشتدت ، فشملت ارضا وبحرا وسماء .

وليس محاربا من يقول اف . فالحرب دماءٌ حمراء تجرى تحت الأقدام ، ونيران حمراء وصفراء تعصف فوق الرؤوس . وهي اليوم تخريب مدُن . وتخريب المدن جَبّانة ، اِنْ بداوها بداناها . والنصر للصابرين ●●

احمد زكي



في ذكرى مرور
ألف عام على مولد

ابن الهيثم

أعظم عالم طبيعة في زمانه ..

● احتفلت باكستان في شهر نوفمبر الماضي بذكرى مرور الف عام على مولد العالم العربى الكبير ابن الهيثم . ذلك العالم الذى وصفه المؤرخ العلمى الشهير جورج سارتون « G.Sarton » بانه « اعظم عالم طبيعة في تاريخ الاسلام وواحد من اعظم الدارسين في جميع الأزمان » .

ويصف المؤرخون ابن الهيثم بانه رجل عاش في القرن العاشر بعقلية رجال القرن العشرين . ويقول عنه العلماء انه ابو علم البصريات .

من هو ابن الهيثم

وابن الهيثم واسمه الكامل « الحسن ابو على ابن الحسن بن الهيثم » ولد في البصرة عام ٣٥٤هـ (٩٦٥ ميلادية) ، في الوقت الذى كان فيه العرب قد اتموا نقل الكثير من كتب الاغريق في الفلسفة والطبيعة والهندسة، وكذلك نقل بعض كتب الهند وفارس في علم العدد وعلم الفلك . وكان العلماء المسلمون قد قاموا بشرح هذه العلوم والتعليق عليها واضافة الكثير اليها .

وقد شهد ابن الهيثم عصرا مزدهرا في العلوم الفلسفية والعقلية والعلوم التعليمية ايضا .

وقد انكب ابن الهيثم على الدراسة ، فدرس كل ما وقعت عليه يداه من كتب المتقدمين ، مثل اصول اوقليدس «Euclid» ومقالات ارشميدس وبطليموس Ptolemy في العلوم . كما درس ايضا فلسفة ارسطو ، وطب جالينوس (١) .

واثناء انكبابه على الدرس كان العالم العربى الشاب يلخص ما يقرا ويضيف الى ما يلخصه ملاحظاته وآراءه ، وقد بلغ ما صنعه ابن الهيثم من تلك الكتب حوالى ٤٤ مخطوطا في الفلسفة والطبيعة ، و٢٥ مخطوطا تتعلق بالرياضيات ، ومخطوطا واحدا في الطب اعتمد في تصنيفه على كتب جالينوس .

---

(١) لم يذكر مؤرخو ابن الهيثم اى شىء عن الاساتذة العرب الذين تتلمذ عليهم ابن الهيثم في صغره وشبابه ، وكذلك لم يذكروا شيئا عن حياته الخاصة ، ولذلك كانت نواح كثيرة من حياته مجهولة تماما .

ابن الهيثم في مصر

وذاعت شهرة هذا العالم الشاب في جميع انحاء العالم الاسلامي . وبلغ امر ابن الهيثم الى الحاكم بامر الله الفاطمي ، حاكم مصر في ذلك الوقت ، فارسل اليه اموالا وهدايا ودعاه الى زيارة القاهرة ، وخاصة بعد ان بلغ الحاكم بامر الله ما قاله ابن الهيثم عن نيل مصر : « لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص . » (٢) .

ويروى القفطى : « ان الحاكم بامر الله استمهل ابن الهيثم اياما بعد وصوله الى القاهرة ثم طالبه بما قال في امر النيل » . ويروى ايضا ان ابن الهيثم قد سار على رأس جماعة من الصناع يتتبع

كتاب « المناظر » أهم أعماله

وبعد وفاة الحاكم بامر الله اطمأن ابن الهيثم على حياته وعاد الى ما كان عليه من الانقطاع للعلم والبحث فيه . وكان ابن الهيثم فقيرا يعتمد على نسخ الكتب العلمية وبيعها ليكسب قوته . واشتهرت الكتب التي كان ينسخها بجودة النسخ ودقتها العلمية الممتازة وكان الناس والعلماء يقدرونها ويعتزون بها ويفخرون باقتنائها . وعلى هذه الحال عاش ابن الهيثم ما بقى من حياته حتى توفي بالقاهرة في اواخر عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) .

وفي تلك الفترة بالذات قام ابن الهيثم بانجاز اكبر اعماله العلمية قيمة وأهمها شأنا وضمنها في كتابه « المناظر » . وهو ذلك الكتاب الذى

.. عاش فى القرن العاشر بعقلية القرن العشرين !

مجرى النيل من القاهرة الى جنوبي اسوان يدرسه ويعاينه . ولم يجد امر النيل متفقا مع فكرته الهندسية التي خطرت له . فعاد الى القاهرة وهو في اشد حالات الخجل والانخذال واعتذر الى الحاكم . وتظاهر الحاكم بقبول عذر ابن الهيثم ، وولاه منصبا من مناصب الدولة .

تظاهر بالجنون .. !

ولكن ابن الهيثم لم يكن يستسيغ اعمال الدواوين او يؤثرها على حرية البحث العلمي . وفكر في حيلة يتخلص بها من هذا المأزق دون ان يثير سخط الحاكم بامر الله عليه . ولم يجد وسيلة سوى ان يتظاهر بالجنون . واشاع ذلك عن نفسه . ووصلت هذه الاشاعات الى الحاكم بامر الله ، فعزله من منصبه وصادر امواله وعين عليه من يقوم بخدمته . ويقول ابن القفطى «وترك في موضع من منزله حتى توفي الحاكم في عام ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) .

تضمن نظرياته عن علم البصريات من انكسار الضوء ، الى كيفية الرؤية ، وغير ذلك من الأمور العلمية الخاصة بالبصريات والتى تعتبر اساسا للتقدم العلمي الحاضر في هذا المجال .

وقد كان ابن الهيثم اعظم علماء عصره . أقر له بذلك جميع مؤرخيه ولا يزال يُقرّ به كل علماء الطبيعة فى عصرنا هذا . ولكنه في نفس الوقت لم يكن مغرورا فقد كان لا ينسب لنفسه أعمال من سبقوه بل كان يذكر في كتاباته وبحوثه اسماء العلماء الذين استفاد ببحوثهم مثل ابولونيوس واوقليدس وغيرهما .

ومن اقواله التى ذكرها البيهقى : « اذا وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه الى نفسك واكتف باستفادتك منه . فان الولد يلحق بابيه والكلام بصاحبه . وان نسبت الكلام الحسن الى نفسك فينسب غيرك نقصانه ورذائله اليك . »

ومات هذا العالم العربى العظيم فقيرا معدما لم يترك وراءه مالا ، ولكنه ترك للعالم كله ارثا من العلم والمعرفة يفوق مال قارون . ■■

---

(٢) عن كتاب الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية ، تأليف الدكتور مصطفى نظيف عام ١٩٤٢ .



أضواء على مرحلة..

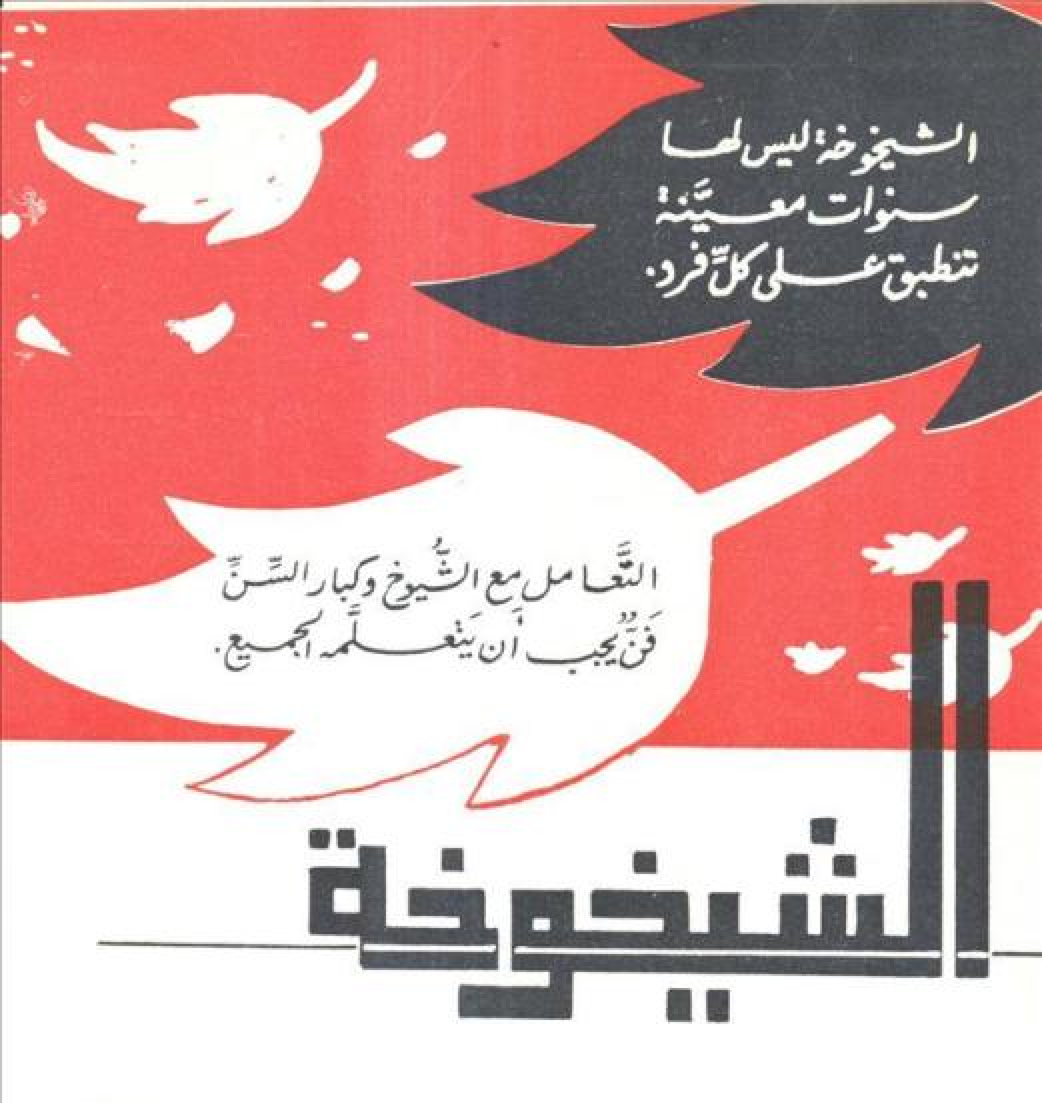
بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ **جاء وصف آخر أيام العمر بالنسبة للانسان في القرآن الكريم وصفا بليغا في عدد من الآيات منها :** « ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا » ، **وفي سورة أخرى جاء وصف الشيخوخة وصفا رائعا ، في هذه المناجاة بين الله سبحانه وتعالى وزكريا عليه السلام يسأل فيها الله أن يهب له وليا يرثه ويرث آل يعقوب ، خاصة وقد بلغ سن الشيخوخة وكانت امرأته عاقرا ، تظهر بعض الصور اللغوية الجميلة التي تصف مرحلة الشيخوخة :**

« قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . » .

ففي الآيات البينات السابقات جاء وصف الشيخوخة على أنها مرحلة يشتعل فيها الرأس بالشيب والبياض ، ويهن فيها العظم ويضعف ، كما استخدم في وصف الشيخوخة المتطرفة هذه الجملة البليغة : « وقد بلغت من الكبر عتيا » .

وذكرت الشيخوخة في القرآن الكريم على أنها نهاية مطاف الانسان في مرحلة تطوره على هذه الارض تمهيدا لرحلته الابدية الى العالم الآخر :



« الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » . فالانسان يبدأ من ضعف ثم ينمو ويشتد عوده ويقوى ، ثم يعود الى أصله بعد أن يبلغ ارذل العمر الى حالة من الضعف ، وبعد أن يصل الى نهاية ايامه على هذه الارض .

وقد جاء فى توجيه الله سبحانه وتعالى لرعاية الوالدين اشارة خاصة للوالدين كبار السن : « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » . وهذا التوجيه السماوى فى معاملة الوالدين يؤكد ضرورة رعايتهم خاصة عندما يكبرون ، حيث يصبحون اكثر حاجة للرعاية والعناية والشعور بالطمانينة والأمن بعد أن أدوا الرسالة تجاه ابنائهم واوطانهم ، وليس أقل من رد بعض جميلهم وفضلهم من جانب ابنائهم .

أهمية مرحلة الشيخوخه

تمثل مرحلة الشيخوخة نهاية مراحل تطور الانسان على هذه الارض وخاتمة مطافه فى هذه الدنيا . وكل فرد يريد ان يحسن ختامه وأن تحلو اواخر ايامه . وكل فرد يريد أن يصل الى مرحلة الشيخوخة وهو هادىء مطمئن البال ، وقد حقق الرسالة وادى الامانة . وكم يكون قاسيا لو وصل فرد ما الى سن الشيخوخة حيث يجد القلق

والاضطراب والضيق والعوز ينتظره ، اذ كيف لهذا الفرد ان يواجه هذه الظروف القاسية وقد وصل الى ما وصل اليه من ضعف ووهن .

ومرحلة الشيخوخة ليس لها سنوات معينة تنطبق على كل فرد . فمرحلة الشيخوخة عادة ما تبدأ متأخرة فى البلاد الأوروبية حيث يطول عمر الانسان نتيجة لعيشه فى مستوى صحي واقتصادى واجتماعى مناسب يمكنه من ان يحيا حياة هادئة مستقرة . وبعض الافراد يصلون الى منتهى شيخوختهم بعد سن المائة ، فى حين يصل آخرون الى هذه المرحلة وهم لم يتجاوزوا بعد سن الستين . ولهذا السبب يعارض الكثيرون ومنهم كاتب هذا المقال تحديد سن ثابتة للاحالة للمعاش والتقاعد Retirement ، فمن خبرة الكاتب وملاحظاته ، هناك افراد يجب احالتهم الى المعاش وهم لم يتجاوزوا بعد سن الخمسين لانهم بلغوا من الوهن العقلى والجسمى ما بلغوه فى هذه السن المبكرة ، كما ان اتجاهاتهم عادة ما تكون قد شاخت بالرغم من انهم ما زالوا بعيدين عن السن الرسمية للاحالة للمعاش (هذه السن تتراوح بين الستين والخامسة والستين فى معظم البلاد العربية والاجنبية) . فى حين قد نرى شيخا قد تجاوز الثمانين من عمره وهو يحتفظ بنشاطه وحيويته وتوقده الذهنى ، كما انه ما زال يحتفظ باتجاهات وروح شابة . هذا بالاضافة الى انه عادة ما يصل الى هذه المرحلة محملا برصيد كبير من الخبرة العلمية والعملية والفهم العميق للسلوك الانسانى من كثرة المواقف التي مر بها وخبرها طوال سنوات حياته الطويلة . وليس أثقل على نفس انسان نشيط فعال فى مجتمعه من ان نفرض عليه البطالة وان نلقى به فى غياهب سجون الكسل والنسيان . وليس اشد ايلاما لنفس الفرد وهو ما زال قادرا يستطيع أن ينتج ويضيف الكثير الى مجتمعه ووطنه من أن يقال له : « لقد استغنينا عن خدماتك » . ولا شك ان الأمر يختلف اذا اختار الشيخ لنفسه طريق الهدوء والسكون بعد طول عمل وكفاح ، فهذا قراره قد اتخذه بمحض اختياره ، لذلك فان ترك العمل عادة ما يكون فى هذه الحالة الأخيرة أقل ايلاما للنفس .

الظروف النفسية التي تصاحب الاحالة الى المعاش

عادة ما تكون مرحلة الاحالة الى المعاش شديدة الايلام للنفس خاصة بالنسبة لشخص كانت حياته مليئة بالنشاط والحيوية ، حيث يجد هذا الشخص نفسه فجاة يعيش فى فراغ كبير . وهذا الفراغ الكبير يحس به الافراد الذين يشغلون وظائف ادارية عادية او وظائف كتابية روتينية حيث يجدون صعوبة فى استغلال خبراتهم فى مجالات أخرى بعد الاحالة الى المعاش . والامر يختلف مثلا بالنسبة لأساتذة الجامعات والفنيين الذين يمكنهم ان يتابعوا اعمالهم فى جهات أخرى حتى بعد احالتهم للتقاعد والمعاش . وبالنسبة لمثل هؤلاء الافراد فان الاحالة الى المعاش أو التقاعد لا تمثل فى حياتهم تغييرا كبيرا .

والنساء عموما اكثر تقبلا للاحالة للمعاش والتقاعد وأكثر تكيفا للظروف الجديدة من الرجال . فالبيت مكان طبيعى للمراة لذلك لا تجد المراة العاملة غضاضة من ان يكون آخر مطافها فى مجالات الاعمال هو البيت . وليس هناك صعوبة كبيرة تصادفها المرأة عندما تستقر فى بيتها تقوم بمسئولياتها المعتادة فيه . واكثر ما يضايق المرأة هو معرفة الناس لحقيقة عمرها عندما تبلغ سن التقاعد والاحالة للمعاش .

ومرحلة التقاعد والاحالة للمعاش تأتى طفرة اذا كان الفرد يعمل لحساب مؤسسة حكومية او أهلية تحدد سنا معينا لترك العمل . ولكن التقاعد والاحالة للمعاش قد يكون باختيار بعض الافراد ، وهؤلاء الذين يعملون لحسابهم الخاص كالتجار والاطباء الخاصين والمحامين . فهؤلاء وغيرهم يتخذون قرار ترك العمل والتقاعد بمحض اختيارهم ، وهذا القرار عادة ما يتخذ عندما يجدون أن هناك صعوبات صحية وغيرها تحول دون متابعتهم لاعمالهم على اكمل وجه . وعادة ما يعمل هؤلاء على التقليل أو التعديل من نشاطهم المهنى قبل اتخاذ قرار التقاعد وترك العمل . فالطبيب الذى يعمل لحسابه الخاص عندما يقترب من سن الستين مثلا ، قد يقلل من عدد الزبائن الذين يكشف عليهم كل يوم ، وقد يكتفى بمقابلة خمسة فقط من زبائنه يوميا . وقد يقوم المحامى بتحويل مكتبه المخصص للمرافعات فى مختلف الدعاوى القضائية الى مكتب للاستشارات القضائية . وقد يقوم التاجر بتوكيل بعض الافراد للقيام ببعض نواحي النشاط الخاص به ، أو بتخفيض حجم نشاطه التجارى . كل هذا يحدث قبل أن يقرر اى من هؤلاء الاشخاص ترك العمل كلية والتقاعد .

المميزات الانفعالية لمرحلة الشيخوخة

لمرحلة الشيخوخة مميزات انفعالية معينة ، ولكن هذه المميزات الانفعالية تظهر عند بلوغ الافراد اعمارا تختلف من فرد الى آخر .

وتتسم مرحلة الشيوخة بشعور الفرد الشديد بالنهاية ، فما بقى من العمر أصبح بالتأكيد اقل بكثير مما مضى . وهذا الشعور بالنهاية يزيد من قلق الشيوخ ويزيد من توترهم وخوفهم من الموت، وكذلك خوفهم من المرض لانه قد يؤدى الى الموت الذى يخافونه ويرهبونه . وقد يصاحب ذلك نزعة دينية صوفية بين صفوف الشيوخ ، لذلك نجد دور العبادة تكتظ بنسبة كبيرة منهم .

وليس اثقل على نفس الشيوخ وكبار العمر من ان يجدوا الاعزاء وهم يرحلون الى العالم الآخر. وكثيرا ما تكون الصدمة الانفعالية للشيخ شديدة اذا توفيت زوجته الوفية شريكة العمر ، او ابنه الغالى العزيز ، وقد تؤدى به هذه الصدمة الشديدة الى الاكتئاب والاضطراب النفسى . وقد تقضى عليه مثل هذه الصدمة . وكلما رحل عزيز الى رحمة الله كلما زاد شعور الشيخ بالوحدة وزاد احساسه بقرب تذوقه لكأس الموت .

وعندما يبلغ الشيوخ من العمر ارذله تقترب انفعالاتهم من انفعالات الاطفال ، فيصبحون سريعى الانفعال . وكثيرا ما يخطىء هؤلاء الشيوخ فى ادراك الموقف المحيط بهم نتيجة للانفعالات الشديدة. وكثيرا ما يسود آراء الشيوخ نوع من التعصب وعدم تقبل آراء الآخرين ، وكثيرا ما يأخذ هذا الانفعال طابع التعصب الذى لا يقوم فى حقيقته على أساس ، فهم يتعصبون لجيلهم ولآرائهم ولعواطفهم ولكل ما يمت لهم بصلة .

وكثيرا ما تتسم انفعالات الشيوخ فى هذه المرحلة بسرعة التغير والانتقال بسرعة بين النقيضين: الغضب والحزن ، والرضا والفرح .

واذا بلغ الشيوخ درجة كبيرة من الشيخوخة اتجهت انفعالاتهم الى التبلد بحيث يفقدون الصلة بينهم وبين بيئتهم المحيطة بهم فلا يفرحهم ما يفرح الشخص العادى ، ولا يحزنهم ما يثير احزان الراشد العادى . ويصاب هؤلاء الشيوخ بما يسمى بالتبلد الانفعالى ، وكثيرا ما يقضى هؤلاء الشيوخ وقتهم فى نوع من الصمت والانصراف الكلى عن كل ما يحيط بهم ، وعدم الاستجابة لاى مثيرات محيطة بهم .

والكثير من الافراد لا يصلون فى حياتهم الى مرحلة التبلد الانفعالى ، وذلك لانهم عادة ما يموتون قبل الوصول الى هذه المرحلة .

الحالة العقلية والشيخوخة

عادة ما يدب الوهن فى جميع أجزاء الجسم وخلاياه بعد بلوغ الفرد سن الشيخوخة ، وفى مرحلة الشيخوخة هذه تزيد عوامل الهدم عن عوامل البناء . ولا يبلغ الوهن العظام والعضلات فقط ، ولكن قد يصل هذا الوهن الى المخ وخلاياه، فينخفض مستوى النشاط العقلى وتضعف الذاكرة.

ولكننا نود ان نشير هنا الى أن هناك بعض الافراد الذين ظلوا على مستوى عال من التوقد الذهنى والنشاط العقلى حتى بعد بلوغهم سن الثمانين ، ومن امثلة هؤلاء من مجتمعنا المعاصر : تشرشل واديناور وديجول وبرتراند رسل وغيرهم .

اما الذاكرة فعادة ما تتأثر بالحالة الجسمية والحالة النفسية للفرد ، وهناك اتجاه عام الى ضعف الذاكرة عند بلوغ سن الشيخوخة ، ولكن قد يتذكر بعض الشيوخ بعض الاحداث البعيدة القديمة نظرا لاهمية هذه الاحداث فى حياتهم ، او لارتباطها بالماضى الذى يحنون اليه ويتشوقون له ، وقد يكون تذكر الشيوخ لبعض الخبرات والمعلومات القديمة نتيجة لدوام استعمالها والتدرب عليها لفترة طويلة ، فتثبت بذلك فى الذاكرة .

ولكن الذاكرة قد يلحقها ضعف شديد عند بلوغ الفرد مرحلة الشيخوخة المتأخرة ، بحيث يصبح نسيان الكثير من المعلومات والخبرات الحاضرة امرا شاملا وشائعا .

التعلم والشيخوخة

عملية التعلم عملية متصلة : من المهد الى اللحد، فالانسان يمضى طوال أيامه يتعلم اشياء كثيرة . ويرد هذا الرأى على ما يشيعه البعض من ان التعلم يقف عند عمر معين . حقيقة ان الشيوخ قد يجدون صعوبة فى تعلم بعض النواحى ، وقد يرجع ذلك للاسباب الآتية :

(١) اتجاهات بعض كبار السن نحو تعلم اشياء جديدة ، فمثلا قد يقاوم الموظف الذى يقترب من سن الستين اكتساب خبرات جديدة متصلة بعمله ، ليس لانه لا يستطيع هذا التعلم

والاكتساب ، ولكنه يقاوم لانه لا يرى ضرورة لتعلم اشياء جديدة نظرا لانه قارب سن التقاعد ، او لاعتقاده الخاطيء بأنه يعرف كل شيء .

(٢) قد يجد بعض كبار السن والشيوخ صعوبة في تعلم أشياء جديدة اذا كانت تعتمد أساسا على الذاكرة ، ولكنهم عادة ما يكونون اكثر قدرة من الشباب على تعلم هذه الاشياء الجديدة اذا كانت تتطلب قدرا كبيرا ورصيدا من الخبرة والبصيرة ، والتفكير المنطقي .

الانتاج العقلي في مرحلة الشيخوخة

اثبتت الابحاث أن هناك عمرا معينا تظهر فيه الاعمال الابتكارية والاختراعات . فمثلا وجد أن سن الخلق والابتكار في العلوم الطبيعية يتراوح بين سن العشرين والثلاثين ، بحيث نجد أن معظم البارزين في هذا المجال قد ظهرت أبرز واهم اعمالهم في هذه السن ، وقد يستمرون بعد ذلك لسنوات يخترعون ويبتكرون . ولكن لوحظ ان الشخص الذي لا يخترع أو يبتكر في هذا المجال حتى يتعدى هذه السن ، لن يكون في زمرة المبتكرين والمخترعين .

اما الكثير من الاعمال الكبيرة في المجالات الادبية والاجتماعية فعادة ما تظهر في سن كبيرة قد تقترب من سن الشيخوخة لان القدرة في هذه المجالات تتطلب حساسية اجتماعية زائدة وخبرات كثيرة جمعت على مدى الايام والسنين .

كما أن اهم الكتابات والانتاج العقلي في المجالات القضائية والسياسية عادة ما تظهر في السن الكبيرة حيث يتطلب الامر خبرة كبيرة ودراية ، وممارسة طويلة .

رعاية الشيوخ وكبار السن

بعد أن استعرضنا بعض جوانب الحياة النفسية والعقلية للشيوخ وكبار السن ، كان علينا أن نتطرق الى أسلوب رعايتهم والعناية بهم ، فكبار السن الذين كافحوا وقدموا الى مجتمعاتهم واوطانهم ما قدموا من جهد وعرق ودموع ، ليس اقل من ان نهيىء لهم حياة هادئة سعيدة بقية أيام عمرهم .

وتتضمن رعاية الشيوخ وكبار السن جانبين :

الاول : الرعاية النفسية .

وهدفها تهيئة الشيوخ وكبار السن للتكيف للحياة الجديدة بعد تركهم واعتزالهم لاعمالهم ، وكذلك مساعدتهم على تقبل انفسهم كافراد لهم مكان في المجتمع الذين يعيشون فيه .

الثاني : الرعاية الاجتماعية والمادية .

كثيرا ما يصل الشيوخ الى مرحلة فيجدون ان معظم الاعزاء قد رحلوا عن هذه الدنيا الى العالم الاخر ، ويصبحون في وحدة من بعد صحبة تملأ عليهم حياتهم . لذلك يجب أن نهيىء لهم فرصة الاجتماع بغيرهم من الافراد الذين يقتربون منهم في الاتجاهات والميول والافكار . ومن هنا جاءت فكرة بيوت الضيافة المخصصة لكبار السن ، حيث يجدون فيها صحبة افراد في مثل سنهم وتفكيرهم، وحيث يجدون الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية . وهذه البيوت كثيرا ما تساعد على خروج الشيوخ وكبار السن من عزلتهم اذ ان الكثير من الشيوخ وكبار السن لا يجدون الراحة في العيش مع ابنائهم او احفادهم الذين يمثلون جيلا يختلف عن جيلهم في القيم والتفكير والاتجاهات ، وقد يفضل الشيوخ وكبار السن العيش وحيدين ، على صحبة هؤلاء الذين يمثلون جيلا غير جيلهم. ولكن الامر يختلف عندما يعيش الشيخ مع افراد في مثل عمره وحيث يشترك الجميع في وضع واحد ويعانون من مشكلات واحدة .

كلمة أخيرة

شيوخنا وكبار السن منا هم « الخير البركة » علينا ان نكثر الكتابة عنهم وأن نوجه ونساعد مختلف الافراد على رعايتهم وتقبلهم ، ولنعطي لهؤلاء من الاهتمام في كتاباتنا بعض ما أعطى من اهتمام للطفولة . وليتذكر كل واحد منا أن مصيره الى الكبر والشيخوخة ، فهذا يمثل اخر مرحلة في مطاف الانسان على هذه الارض ، وأن كل جهد يوجهه نحو رعاية كبار السن والشيوخ سيرتد اليه في يوم من الايام .

واخيرا فان التعامل مع الشيوخ وكبار السن فن يجب أن يتقنه الجميع ، وذلك حتى يمكن ان نهيىء لهؤلاء الشيوخ جو الهدوء النفسي والفهم المتبادل الذي يمكنهم من أن يعيشوا بقية أيام حياتهم في طمانينة وسعادة ، بعيدين عن كل ما يثير في انفسهم الصراع والاضطراب . ■■

علي احمد علي

عميد المعهد العالي التجاري للمعلمين ـ الزقازيق



بقلم : عبد الستار فراج

● الطريقة الحديثة في ترتيب المعاجم ، هي النظر الى الحرف الاول الاصلي من الكلمة ، مع مراعاة الثاني فالثالث فالرابع فالخامس .

وأول حروف الهجاء الألف المهموزة ، وثانيها الباء ، وثالثها التاء .. وهكذا الى الياء التي هي آخر الحروف .

تجمع الكلمات التي أولها همزة أصلية تحت باب واحد، وتجمع الكلمات التي أولها باء تحت باب واحد ، وتجمع الكلمات التي أولها تاء أصلية تحت باب واحد .. وهلم جرا .. ويرتب كل باب ترتيبا دقيقا ،يراعى فيه أن تكون الكلمة التي تأتي حروفها أسبق في الترتيب الهجائي هي الأسبق ، ويلحظ هذا أيضا في الحرف الثالث .

فالكلمة التي أولها همزة وثانيها باء (أبا) تأتي قبل الكلمة التي أولها همزةوثانيها تاء (أتا) والكلمة التي أولها همزة وثانيها باء وثالثها راء (أبر) تأتي قبل التي ثالثها زاي (أبز) ، وهذه تسبق الكلمة التي ثالثها سين (أبس) .

مبتكر الطريقة الحديثة في الترتيب

وهذه الطريقة الحديثة نجد الزمخشري اتبعها في كتابه أساس البلاغة ، ولكن ليس معنى هذا انه مبتكرها . فالحق ان هذه الفكرة بدأت عند أبي عمرو الشيباني اسحاق بن مرار المولود سنة ٩٤ والمتوفي حوالي سنة ٢٠٦ هجرية . وهو من اشهر علماء اللغة ، وأكبر رواة الأدب ، فهو الذي رتب معجمه المسمى « كتاب الجيم » ، والمسمى أيضا « كتاب الحروف » على النظام المعروف لدينا ، من حيث النظر الى الحرف الأول .

بدأ بما أوله همزة ، وجعله بابا ثم بما أوله باء وجعله بابا ، وهكذا ، لكنه لم يراع الترتيب الدقيق في الحرف الثاني والثالث ، بل يأتي بالكلمات كما يتفق له ، ويشرحها مستشهدا عليها، والمهم عنده هو الحرف الأول . وكتاب الحروف

هذا لم يطبع بعد ، وتوجد منه نسخة في مكتبة الاسكريال باسبانيا ، ويقوم الاستاذ المستشرق الفرنسي « شارل كوينز » Charles Queens بتحقيقه منذ اكثر من خمسة عشر عاما ، ولا ندري ما وصل اليه الى الآن ، مع ان الكتاب ليس من كبر الحجم بحيث يتاخر كل هذه الأعوام ، فان أوراقه لا تبلغ الثلاثمائة ، وأذكر ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة كان سيصدره ضمن مطبوعاته .

ومبتكر طريقة التقفية

ومما يذكر ايضا ان الاستاذ حمد الجاسر في مجلته الشهرية « العرب » في عددها السابع من السنة الأولى محرم سنة ١٣٨٧ نشر مقالا اثبت فيه ان الجوهري في « الصّحاح » ليس مبتكر منهج التقفية في المعجم العربي ، ذلك ان ابا بشر اليمان بن أبي اليمان البَنْدَنِيجِيّ المتوفي سنة ٢٨٤ هجرية ، الف كتابا في اللغة اسمه التقفية ، ومن النماذج التي نشرها نجد ان البندنيجي نظر الى الحرف الأخير ، لكن نظامه في اوائل الكلمات وفي وسطها على الأقل غير مرتب ، فهو كابى عمرو الشيباني في السبق بالفكرة الا ان الشيباني راعى الحرف الأول ، وهذا راعى الحرف الاخير ، ولعل صاحب الصحاح بنى منهجه الفنى المتكامل على فكرة البندنيجى .

فللشيخ حمد الجاسر الفضل الأول في تصحيح ما يكتبه المؤلفون عن المعاجم وازالة ما رسخ في الأذهان من ان الجوهري صاحب الصحاح هو مبتكر طريقة التقفية ، اى ترتيب المعجم اعتمادا على الحرف الاصلي الاخير .

اساس البلاغة معجم لغوى بلاغي

ويظن غير المطلع على اساس البلاغة انه ليس معجما في اللغة . والحق انه معجم لغوى وان كان غير مستقص للمفردات ، ولا موف لشرح الالفاظ . انه مرتب كما قلنا على الطريقة الحديثة التي تنظر الى الحرف الاول وتجعله بابا ، الا ان هدفه من تاليفه هو التوصل الى تَبَيُّن ما رسمه البلغاء والعثور على ما نظمه الفصحاء ، واختيار ما تداولوه من الفاظ ، وانتقاء ما انتخلوه واستجزلوه ، وترك ما كان ركيكا غير مقبول .

اهم ما يعنيه في المادة اللغوية تخير الجمل البلاغية المتجانسة ، وحين لا يشرح بعض الالفاظ انما يعتمد على انها معروفة لدى القراء .

فمثلا في مادة (الف) يقول :

« هو الفى وأَليفى ، وهم آلافى وأُلّافى . ولو تآلّف فلانٌ وحشيًا لآلِفَ .

قال :

ولو تآلّفتَ مؤتشيّا أكارعه
من وَحْش « شوْطرِ » بادنّى دَلّها آليفا

وهذه من اوالف الطير اى من دواجنها ، وهذه الطير قد الِفت هذا المكان . وهذه الف مؤلّفة اى مكملة . وفلان من المؤلفين ، اى من اصحاب الآلوف . وقد آلّفَ فلان : صارت ابله الفا » .

في حين انه ترك مثلا من المعاني التي جاء بها اللسان :

« ائتلفت الشيء تاليفا اذا وصلتَ بعضَه ببعض ومنه تاليف الكتب » .

وفي مادة (أحن) يقول :

« تقول ان الاحَنَ تجرُّ المِحَن ، وبينهما مضاغنة عظيمة ، ومؤاحنة قديمة » .

وعلى الرغم من أن صفحاته وكلماته تقارب نصف القاموس ، نجد شواهده الشعرية تتجاوز خمسة الاف شاهد ، الى جانب الاف الأمثال والحكم والجمل البلاغية ، أما القاموس فمواده اللغوية أضعاف أضعاف الأساس ، لكن شواهده لا تتجاوز ٢٥٠ شاهدا .

والشواهد الموجودة في أساس البلاغة أكثرها في لسان العرب فكلاهما ياخذ عن السابقين وبعضها انفرد به ، وقد ينسب الشعر الذى لا نجده منسوبا في غيره ، وقد يغفل ذكر قائله ، لهذا لا نقول ان كتابا في اللغة يغنى كل الغناء عن غيره ، وبخاصة في استقصاء المعاني وايراد الشواهد .

ولو ان كتابا الف في اللغة جمع من كلّ كتبها ، ثم ذكرت فيه كل الشواهد المتفرقة فيها دون تعقيد ولا تكرار ، ودون اختصار مخل ، ثم رُتّب ترتيبا فنيا حديثا ، لسميناه بحق « معجم المعاجم » ، الذى يغنينا عن ضياع الوقت في تصفح

عشرات الصفحات بحثا عن كلمة ضـــالة بين السطور .

طبعات الأساس

ظهرت أول طبعة لأساس البلاغة في سـنة ١٣٠٠ هجرية في القاهرة (١٨٨٢ م) ، وهي السنة التي بدأ فيها الطبع في لسان العـرب ، وكان ذلك في جزاين «وعلى عمودين» مع ضبط بعض كلماته ، وبحروف جميلة ، على ورق مصقول ، ثم أعيد طبعه بالأوفست في القاهرة مرتين احداهما مصغرة قليلا ، وأعيد طبعه مجموعا مرة أخرى في بيروت ، فالكتاب في متناول الأيدي . وفيه من الاستعمالات الأدبية ما يغرى بالقراءة والاقتباس من جمله وتراكيبه ، وان كان بعضها سجعا متكلفا ، وجناسا متعمدا ليس عفو الخاطر ، ولعله كان في عهد المؤلف متقبلا محبوبا .

مداخلته لبعض المواد

وهناك بعض الكلمات التي تزيد عن ثـلاثة أحرف نجد الزمخشري في أساس البلاغة يضمها مع الكلمات الثلاثية أحيانا ، وتكون غالبا متفقة مع الأحرف الثلاثة الأولى من المادة ، وتارة يجعلها في آخر مادتها ، وبعضها له عناوين مستقلة ، من ذلك مثلا مادة (خضر) جاء في نهايتها مـــادة (خضرم) ووُضع لها عنوان مستقل ومـــادة (فرن) جاء بعدها مادة (فرند) ووُضع لهـا عنوان مستقل ، في حين أن مادة (عجر) جاءت في نهايتها مادة (عجرف) واتصلت بما قبلهـا بدون عنوان أما مادة (سمد) مثلا فانه في خلالها تكلم على مادة (سمدع) ثم عاد الى مادة (سمد) فالقارىء يظن أنها لم ترد فيه لذكرها في الوسط . ولكن مثل هذا يقل فيه . وفي مادة (زحف) أدخل مادة (زحلف) ثم عاد الى الكلام عـن (زحف) وفي ختامها رجع الى (زحلف) ثـم بدأت مادة (زحل) التي كان في الامكان ان تعقبها (زحلف) حسب ترتيبه .

والزمخشري هو محمود بن عُمَر ، كنيته أبو القاسم ، ولقبه جار الله ، لأنه جاور في البيت الحرام بمكة ، وقد سبق ان ذُكرت له ترجمة في « العربي » في العدد السابع والثلاثين ، وذُكِر ان مولده كان في رجب سنة ٤٦٧ ووفـاته كانت سـنة ٥٣٨ هجرية بجُرجانية خُوارزْم ، بعد رجوعه من مكة ، وذُكِر أن بلده اسمها زمخشر، من قرى خوارزم .

ونذكر هنا انه حينما كان بمكة مجاورا ، ارسل الى الحافظ السِّلَفي ـ الذي كان بالاسكندرية ـ يقول له عن نفسه :

« المَولد : قَرْية مجهولة من قُرى خُوارزْم تسمى زَمَخْشَر ، وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول : اجتاز بها اعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له : زَمَخْشَر . والرَّدَّاد ، فقال: لا خير في شَرٍّ ورَدٍّ . ولم يُلْمِمْ بها » .

ونذكر أيضا انه كان للزمخشري شعر ، ويظهر فيه المحسنات البديعية ، وانه نظم علماء لا شعراء وان كانت الأبيات الأخيرة من هذه المقطوعة فيها طرافة .

ألا قلْ لسُعدى ما لنا فيك من وَطَرْ
وما تطلبين النُّجْلَ من أعيُن البقـرْ

فانّا اقتصــرْنا بالـذين تضـايقتْ
عيونهم والله يجزى من اقتصَــرْ

مليحٌ ولكنْ عنـده كلُّ جفـوة
ولـم أر في الدنيـا صفاءً بلا كدرْ

ولم أنس اذ غازلتُه قُـرْبَ روضة
الى جنب حوضٍ فيه للمـاء منحدَرْ

فقلت لـه جئني بوَرْدٍ ، وانمــا
أردت بـه وَرْدَ الخـدود وما شَعرْ

فقـال انتظرني رَجْعَ طَرْفٍ أجىءْ به
فقلت لـه هيهات مالِيَ منتظَــرْ

فقال ولا وَرْدٌ سوى الخَدِّ حاضـرٌ
فقلت له انى قنعت بما حضـرْ

مؤلفات الزمخشري

اما مؤلفات الزمخشري فكثيـرة ، واشهرها « الفائق في غريب الحديث » و « الكشاف في التفسير »و « المستقصى في الأمثال » و « المفصل في النحو » ، وكلها مطبوعة ، وهذا عدا كتابه أساس البلاغة الذي هو موضوع الحديث ■■

عبد الستار فراج



العجلة فى خدمة الانسان

من: الساقية رافعة
إلى: العجلة طاحنة
إلى: التربين صانع

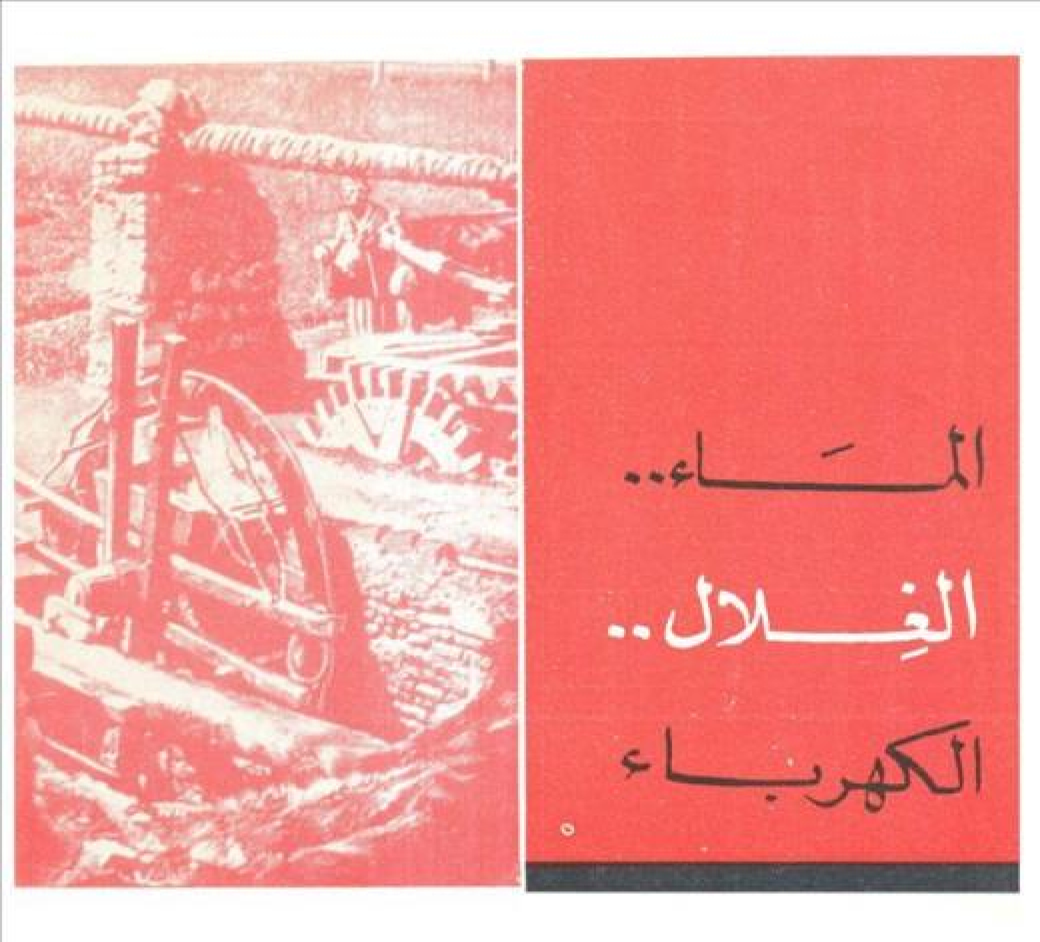
بقلم الدكتور أحمد زكى

التكنية
بدأت
من ساعة صنع الانسان من الصخر سكينا تقطع

■ يتحدث الناس الآن عن التكنية ، او التكنولوجية Technology ، التى هى سمة هذا الزمان ، والتى بها انقلب اسلوب العيش على هذه الأرض انقلابا لم يكن في الحسبان . ولكنهم يتحدثون عنها كأنما هى سمة هذا الزمان وحده ، وما هى لهذا الزمان وحده بسمة . ان

التكنية بدأت من يوم بدأ الانسان يمارس عيشه على هذه الأرض : شجر ذو ثمر يقطفه بيده ، لطعامه ، او هو يتسلق اليه بيديه ورجليه . وماء يجرى ينزل اليه في مجراه لشرابه ، او هو يتلقفه وهو هابط . وليس شيء يعينه في شيء من ذلك الا بصره ، والا سمعه وشمه وحسه ، والا عضله . وهو اذا اراد للتربة حفرا فليس لديه من آلة غير اصابع يديه .

وما أسرع ما وجد أن أصابعه اطرى



الماء.. الغلال.. الكهرباء

من أن تحفر ، واضعف من أن تضرب ، واقصر من أن تطول ، واذن اتجه نحو الطبيعة التى حوله يفتش فيما تستطيع ان تقدمه لمعونته . في خشبها . في حجَرها . ورويدا رويدا في صخورها والمعادن .

تلك هى الآلات الأولى .

تلك هى التكنية عند الفها وبائها . ولا يمنع من تسميتها تكنية ان تكنيتنا الحاضرة بلغت من درجات التقدم الى الراء والزاى ، وانها في طريقها قدما الى ما شاء الله أن يكون لها من أحرف تبلغها، آخرها الهاء والياء * .

فالسهم الذى اطلقه الرجل القديم تكنية .

والمِدق الذى كسر به الحجر تكنية .

وجذوع الشجر التى ضمها بعضا الى بعض ، برباط من شجر ، وجرى بها وهو فوقها ، فوق الماء ، فكانت اول سفينة ، هذه تكنية .

وتجرى السنون ، وتتابع القرون ، وتتعدد الأدوات ، أصنافا كثيرة، واهدافا كثيرة ، وغايات متنوعة . وعليها تبنى الحضارات القديمة . وتقوم حضارة ثم تختفي . وتقوم أخرى مثلها وتختفى .

---

* التكنية او التكنولوجيا كلمة بناؤها من المقطع اليونانى تكنو Techno ومعناه الصنعة او الحرفة.

وعماد كل حضارة من هذه ما كان عند أهلها من تكنية .

حتى اذا جاء العصر المسيحي ، قرأنا في التاريخ عن مهندس قديم يكتب في هندسة التكنيّة ، ويصنّف ما تجمع عند انسان هذا العصر من أدوات ، ويردها جميعا الى أصول ستة ، هي :

الرافعة	Lever
العجلة ومحورها	Wheel & Axle
البكـرة	Pulley
الأسفين	Wedge
اللولب(١)	Screw

اما المهندس القديم فهو هيرو Hero ذلك العالم الذي عاش في الاسكندرية في مطالع القرون الأولى للمسيحية؛ وكان من رجال المكتبة الشهيرة ، مكتبة الاسكندرية . ولم تكن مكتبة الاسكندرية مكتبة لحفظ الكتب فحسب ، وانما كانت أشبه شيء بالجامعة الحديثة ، بها الأساتذة ، وبها التدريس ، وبها تجرى البحوث ، وكانت لغتها الاغريقية ، وأكثر من فيها اغريقيين .

ولقد خلّف هذا المهندس ، هيرو ، مؤلفات لا تزال الى اليوم باقية ، في الأهوية ، وفي الميكانيكا وفي الهندسة وغير ذلك .

وهو لم يعدّد ما كان في عصره من أدوات ، ولكنه ردّها الى أشياء ستة عدّها أصولا لها . والفرق بين التعبيرين فرق ذو بال .

العجلة من أقدم الآلات التي عرفها الانسان

على أننا لو نظرنا الى هذه الأصول الستة لم نجد صعوبة في اختيار ما كان لا بد أقدمها زمنا . واذا نحن قلنا ان أقدمها زمنا كانت العجلة وما اتصل بها من محور تدور عليه ، لم نبتعد عن الصواب كثيرا . فقد عرف العجلة السومريون في أرض الرافدين من العراق ، وعرفها المصريون عند ضفاف النيل ، وكلاهما أقدم من عصر هيرو قدما كبيرا .

وقد اتخذت العجلات ، فيما اتخذت ، حاملة للعربات . وبين العجلتين محور تدوران عليه ، هو الحامل لثقل العربة وما فيها ومن فيها (٢) .

العجلة رافعة للماء

واذا نظرنا في حاجات الانسان الضرورية الأولى لم نعدم ان نقع على الطعام أول حاجة . واعتمد الانسان لطعامه الأول على ثمر الشجر القائم كما تعتمد القردة وأشباهها اليوم . واعتمد على الصيد . وما أوشك ما تعلم كيف يَنبت الشجر ، وانه من البذور ينبت ، وانه يحتاج الى التربة ، ومع التربة الماء .

ولم تعزّه التربة ولكن عزّه الماء . التربة ملء الأرض ، وليس الماء في كل أرض .

والماء في الأنهار الوطيئة يجرى ، أو هو في المجارى المنخفضة . فالماء لا بد من حمله الى التربة ، وحمله الانسان بعضلات ساعده وعلى عظام كتفه . أو هو حمله على ظهر كل ماشية لها أرجل أربع .

ثم جاء الوحى ، طبعاً ، وجاء ذكاء

---

(١) ــ أتينا بالاسم الافرنجي بعد العربي ، لأن الأسماء العربية تختلف من بلد لبلد . فاللولب مثلا هو لولب وبرغى وقلاووظ .

(٢) ــ راجع ما ذكرناه عن العجلة في مقالنا « أشياء هذه الحياة فيها الخشونة كثرة » بعدد أول سبتمبر ١٩٦٩ ، وذلك في حديثنا عن كيف تغلبت العجلة على ما بين الأجسام الثقيلة والأرض ، وهى تجرء عليها جرًّا، من احتكاك كان يعوق دائما كل حركة .

وفطنة ، وجاء قدَرا ، فجاءته العجلة وهى من خشب ، توحى اليه انْ لعلها تغنيه عن حمل الماء على اكتاف الرجال، او على ظهور الحيوان . فكانت الساقية.

الســاقية

وسميت ساقية لأنها تسقى الأرض والزرع .

والساقية عجلة ركبوا على اطارها (على محيطها) اوعية ، كالجرار ونحوها، عشرا أو اكثر او اقل . وتدور العجلة ، وهى قائمة في مستواها الراسي ، على محورها ، وهو في مستواه الأفقى. وتنال بجرارها السفلى وحدها الماء ، فتغرف هذه من الماء ما استطاعت، وتدور الجرار مع العجلة (الساقية) حاملة اياها الى أعلى . واذا كانت الجرة مثبتة في اطار الساقية ، وبلغت أعلى وضع لها على الاطار ، انقلب وضعها فصار افقيا . واذن فهى تصب ما بها من ماء في مجرى مستقل عنها يحمل الماء الى حيث يراد حمله ، الى التربة يسقيها ، والزرع ينبته ، ومن الزرع يخرج الطعام حبوبا وثمرات . (انظر الصورة الملونة العليا ص ٣٦) .

ولكن ، ما الذى يدير محور الساقية فتدور معه عجلتها ؟

انه الثور ، يديرها بواسطة عجلة او عجلات أخرى بطريقة لا نتعرض لها الآن ، فهى تكشف عن وظيفة اخرى للعجلة سيحين وقت استجلائها في موضعه . (أنظر كذلك الصورة الملونة السفلى ص ٣٦ فهى شبيهة بالسابقة).

العجلة يستمد الانسان بها القوة من الماء الجاري

في الساقية يستخدم الانسان الحيوان ليدير محور العجلة الحاملة للجرار ، والجرار تغترف من الماء كلما بلغته ، ثم ترتفع . والماء ساكن .

ولكن ما ظنك اذا لم يكن الماء ساكنا ؟

ما ظنك اذا كان الماء جاريا ، ولا سيما جارفا . ثم حملت العجلة ، بدل الجرار التى تغترف من الماء ، صفائح كأطراف المجاديف مثبتة في محيطها ؟

ان الماء الجارى يضرب الصفيحة منها، فتدير العجلة ، وترتفع بذلك الصفيحة لتحل محلها صفيحة أخرى ، يضربها الماء فترتفع وتدور العجلة .

وهكذا يحرك المــاء العجلة ، ذات الصفائح أو المجاديف القصيرة العريضة التى نسميها ريشا ، فيصبح الماء الجارى مصدرا للقوة ، للطاقة ، للحركة يكسبها العجلة التى كنا نسميها ساقية ، يكسبها اياها دورانا . يكسبها محورَها،فالمحور يدور على نفسه افقياً . ومن دورانه هذا نستمد القوة ندير بها ما نشاء على أساليب شتى .

الماء الجاري أمد أوروبا بالقوة ١٤ قرنا

وهذه القوة المستمدة من « عجلة الماء » Water Wheel هذه ، هى القوة الأساسية التى اعتمد عليها الرومان ، لا سيما عندما قل فيهم العبيد الأرقاء ، واعتمدت اوروبا ، مدة ١٤ قرنا ، في كل صناعة او عمل صناعى ، كضخ الماء ، وكسر الحجر ، وفي صناعة الورق ، وفي الدباغة ، وفي الحدادة ، وفي الغزل والنسج .

والخلاصــة

ان العجلة ، التى ابتدعت أول ما

ابتدعت لتسهل جر الأثقال ، وحمـل العربات ، لم تلبث في التاريخ ان اتخذت صورا أخرى لغايات أخرى .

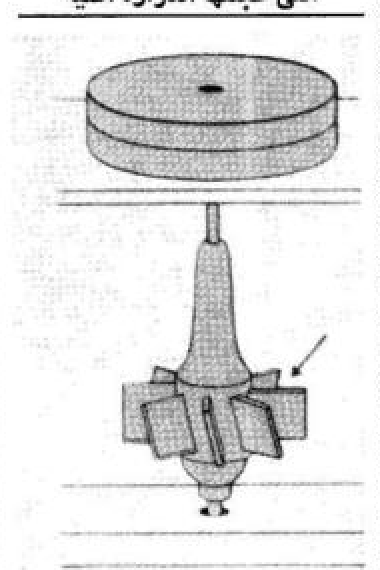
ومن هذه الغايات انها دارت في مـاء النهر أو ماء الترعة ونحوه ، وهو هادىء ساكن ، وادرناها بقوة الحيوان ، فرفعنا بذلك الماء ، فسقى الارض .

ومن هذه الغايات أنها دارت في المـاء الجارى ، فأدارها ، وأدار محورها ، فاكسبه القوة ، اكسبه الطاقة الحركية التى خدمت الانسان قرونا طويلة .

فهل وقف تطور العجلة عند هـذا الحد ؟

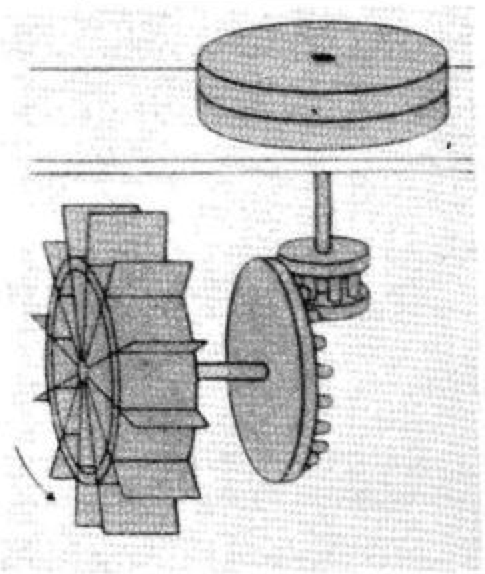
اننا لا نخطىء ابدا اذا نحن قلنا انه

رسم ايضاحي للطاحونة البسيطة التي عجلتها الدوارة افقية



رسم ايضاحي لمطحنة غلال بسيطة : حجرا الرحى اعلاهما يدور ، واسفلهما ثابت . واعلاهما يديره محور هو محور العجلة الدوارة التى في اسفل الصورة . يتوجه الماء الجارى الى ريش العجلة الدوارة ، وهي اذ تدور ، تدير الرحى . ولقد كانت هذه من اوائل المطاحن التي عرفت في التاريخ ، في الشرق الاوسط ، قبل نحو ٢١٠٠ عام ، ابتدعها سكان الجبال والتلال حيث يجرى الماء سريعا فيها من علٍ الى اسفل .

رسم ايضاحي للطاحونة المركبة التي عجلتها الدوارة راسية



رسم ايضاحي لمطحنة غلال ، فيها العجلة التى يدفعها الماء الجارى فيديرها قائمة في مستوى رأسي . وبما ان حجرى الرحى هما دائما في مستوى افقى ، وجب أن يتوسط بين العجلة التى هى مصدر القوة ، والرحى المستفيدة من الدوران ، عجلتان اخريان متعشقتان تحولان الحركة من حركة دوارة رأسية الى حركة دوارة افقيـة .

لولا العجلة ، ولولا استخداماتها ، ما كان على سطح هذه الارض ما نرى اليوم من مدنية .

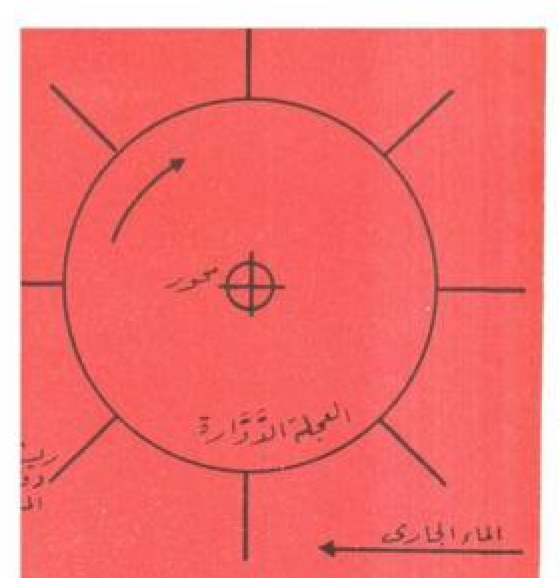
بقوة الماء الجارى طحن القدماء حبوبهم ومن الدقيق صنعوا خبزهم

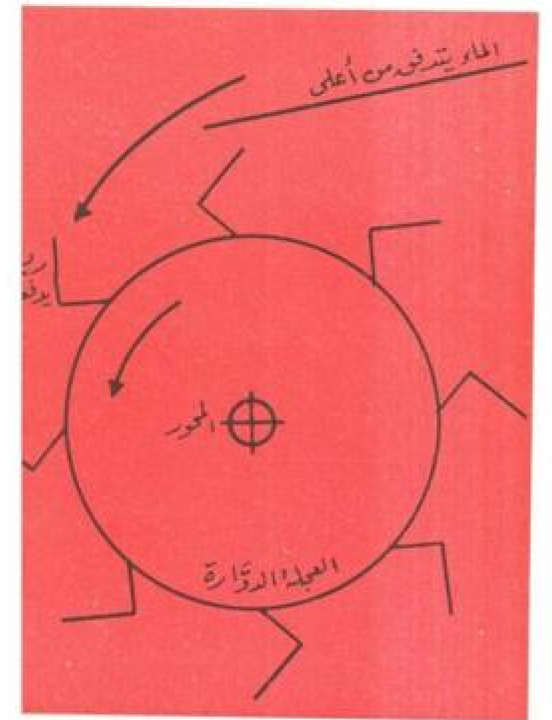
واستخدم القدماء قوة الماء الجاري ، على الصورة التي ذكرنا، فيما استخدموا، في طحن غلالهم .

ولعل اول طاحنة للغلال بسيطة هي التي ابتدعها سكان الشرق الأوسط ممن سكنوا البقاع الجبلية حيث ينحدر الماء انحدارا . وفي هذه المطحنة البسيطة، (كما في الرسم الذى على صفحة ٣٢) ، نلاحظ ان العجلة التى يديرها الماء الجارى ، في مستوى أفقى ، وكذا الرحى وحجراها ، وبين الحجرين يجرى الحب فيطحن . وبساطة هذه المطحنة نشأت من ان الاثنتين، العجلة والرحى، في مستوى افقى واحد ، فمحور دورانهما واحد .

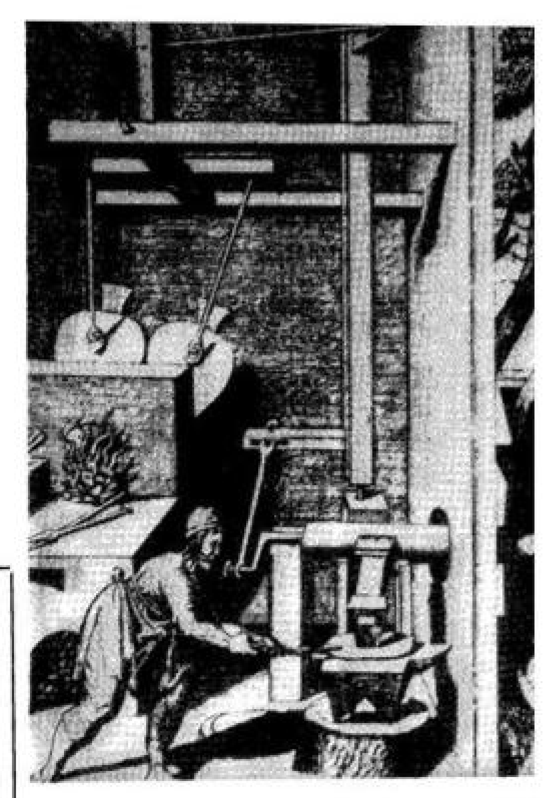
والرومان استخدموا لطحن الغلال مطحنة اقل بساطة ، لان عجلتها التي يديرها الماء ، في وضع راسي ، فالماء الجارى في نهر او نحوه ، يضرب ريشها فتدور . وتبقى الرحى في وضعها الطبيعي ، اى في المستوى الافقي . واذن وجب ان تتوسطهما عجلات تحوّل الحركة الدوارة من محورها الأفقي ، الى المحور الراسي (كما ترى في الرسم المرفق في صفحة ٣٢) .

وسمى قدماء الرومان هذه المطحنة بالفتروفية Vitruvian ، نسبة الى مخترعها المهندس الروماني Vitruvius وكانت تطحن ٤٠٠ رطل من الحب في الساعة ؛ بينا يطحن الرجلان في الساعة بقوة عضلهما ١٤ رطلا من الحب فقط ،





الماء الذى يدير العجلة اما ان يأتيها من اسفلها، كما ترى في الصورة العليا ، أو يأتيها من فوقها كما ترى في الصورة السفلى . وتصنع العجلة بالذى يتفق مع مصدر الماء الجاري في كل موضع بذاته.



مصنع للحدادة ، ترى فيه الحداد يطرق حديده ، بعد ان اخرجه احمر من موقد الفحم ، وذلك على سندانه . وترى المِدَقّ وقد هبط على السندان فدق الحديد . وتتساءل من هبط بالسندان فدق ؟ ونسأل من حرك المنافخين فنفخا الريح في الفحم فاشتد لهيبه ؟ ثم انت تنظر الى خارج مصنع الحدادة هذا فتجد سبب هذا كله : انها عجلة الماء الدوارة ، جرى الماء في اسفلها مندفعا فادارها . ومن دوران محورها استمد المصنع طاقته .

وهذا اذا واصلا العمل ساعة كاملة .

فهل وقف تطور العجلة عند هذا الحد ؟

بالطبع لا .

التربين
صانع الكهرباء

لم تبلغ القوة التي تقتبسها العجلة من الماء الجارى القدر الذى تتطلبه الصناعة السائرة في سبيل التقدم في اوائل القرن الماضي ، ولم تقتبس من الماء الجارى كل ما تستطيع مما به من قوة .

وفي عام ١٨٢٣ أعلنت الجمعية الفرنسية لتشجيع الصناعة القوميةعن جائزة تعطيها لمن يستطيع تحسين الشائع عند ذلك من عجلات الماء ،وزيادة ما تعطية من طاقة .

وبعد تسع سنوات تقدم مهندس شاب حديثالتخرج من جامعته بتصميم عجلة مائية قدرتها تساوى قدرة ٥٠ حصانا . وبها نال الجائزة .

وسميت بتربين * فرنيرون Fourneyron's Turbine .

والتربين يتميز عن عجلة الماء ، تلك التى تنقل قوة الماء الجارى الى المطحنة او المضخة او غير ذلك ، بأمرين :

(أ) ان الماء المتدفق الذى يحرك ريشات العجلة الدوارة ، يحتويه هو والعجلة الدوارة حيِّز مغلق بحيث لا تمضى قطرة ماء جارية وتفوت العجلة الا بعد دفعها ريشاتها واعطائها من طاقتها . وهذا يزيد في ارتفاع كفاية التربين وزيادة حصيلته من قوة .

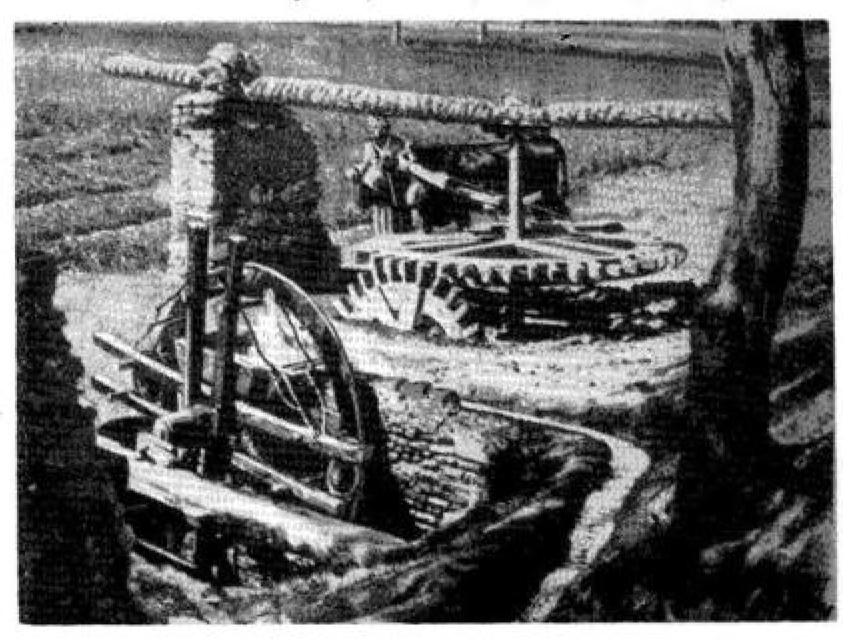
(ب) ان الماء المتدفق ، قبل ان يصل

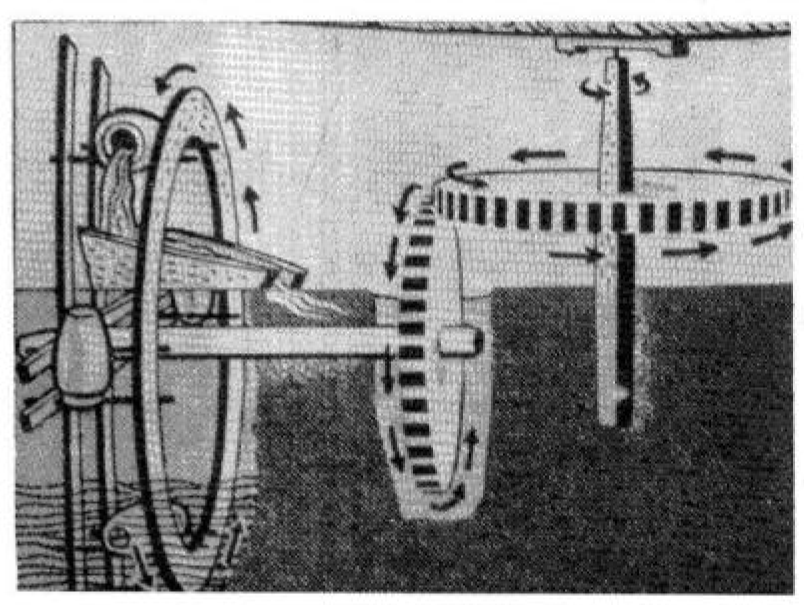
---

* والتربين Turbine لفظ افرنجى من اصل لاتيني معناه « ان يلف الشيء حول نفسه » كما تفعل النحلة يلعب بها الصبي . وهذا تفعله عجلةالماء هذه اذ يبلغ لفها حول محورها عددا من المرات في الدقيقة الواحدة كبيرا . وقد جاز انيسمى التربين اللفاف . ومن المتصدرين للمصطلحات العلمية من يؤنثه فيقول : التربينة .واذن فهو اللفافة .
ولكن اسم التربين شاع اليوم بين المهندسينشيوعا كبيرا .

الســاقية المصريــة

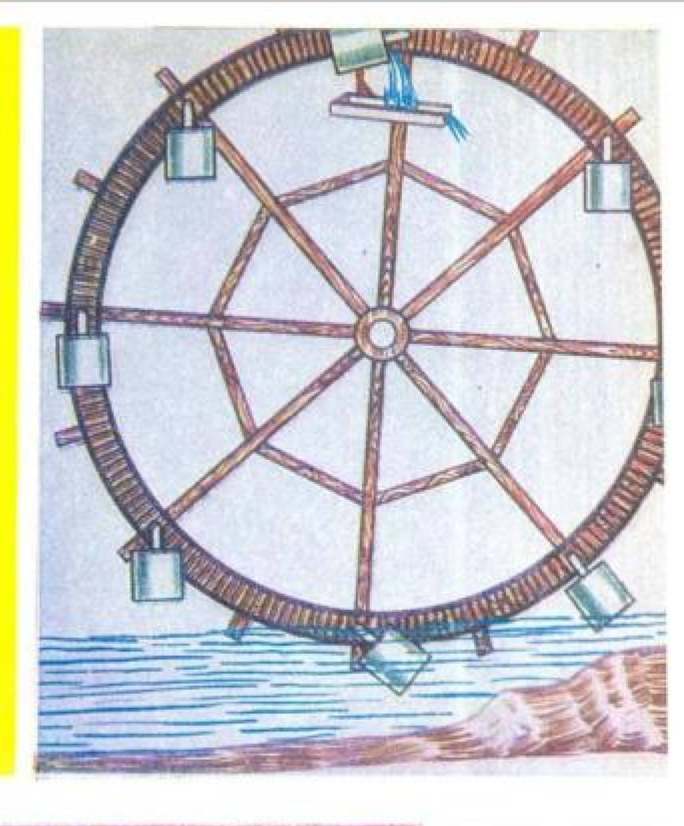
الساقية المصرية وهي أشبه شيء بتركيب المطحنة الرومانية المسماة بالفتروفية Vitruvian ، ذلك أن عجلتها التى ترفع الماء قائمة ، والعجلة التى يديرها الثور أفقية ، وإذن وجب أن تتوسط العجلتين عجلات أخرى لتغير اتجاه الدوران وترى فى الصورة الإيضاحية الثانية هـذه العجلات أكثر اتضاحا .





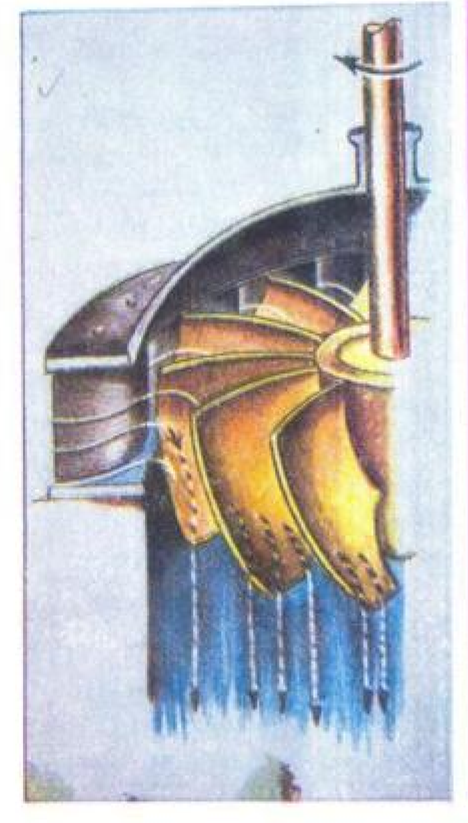
ساقية

وهي تدور بجرارها ، وتغترف الجرة من الماء ، وهي في اسفل ، وتفرغه في مجرى خاص ، وهي في اعلى . ولأن الجرار في الصورة اوعية معلقة على اطار الساقية ، فهي تظل راسية الوضع ، حتى اذا قاربت مجرى الماء الذي تفرغ فيه ، وجدت عنده عائقا يقلبها لتفرغ ماءها . اما الساقيةفيدير:ا محورها الدوار ، ومحورها تديره عجلات يديرها ثور . وليس من ذلك شيء ظاهر في الصورة .



ساقية لها شكل الطبلة

تنقسم الطبلة في داخلها الى اقسام كل له استقلاله ، ولكل قسم فتحته في اطار الطبلة . ويمتلىء القسم الواحد منها بالماء وهي في اسفل ، فاذا دارت الساقية بدا القسم الواحد يصب ما حمل من ماء عندما يبلغ الوضع الافقي، والماء عندئذ يجري من الأنبوب الظاهر في الصورة.



نرى عجلة مائية يديرها ماء خارج باندفاع شديد من فوهة . والعجلة والماء منغلقان في علبة . وتسمى هذه العجلة بعجلة بلتن Pelton وهو مبتدعها . وهي تنفع لمساقط الماء العالية التي مقدار مائها غير كبير .

الى اليسار : تربين يعرف باسم مبتدعه فرنسيس Francis . وهو شبيه بتربين الرجل الفرنسي فرنيرون (انظر نص المقال) . وفي الرسم نرى ريشات العجلة الدوارة فقط ينحدر عنها الماء بعد دفعها . اما الماء فيدخل اليها افقيا توجّهه ريشات" ثابتة لا نرى منها في الرسم غير ريشة واحدة الى اليسار .

الى ريشات العجلة الدوارة فيدفعها لتدور ، يمر بريشات ثابتة منحنية توجّه تيار الماء المتدفق ليصطدم بريشات العجلة الدوارة ، وقد جعلوا لهذه الريشات المتحركة شكلا منحنيا ، هو عكس انحناء الريش الموجّهة ، لتأخذ أكثر ما في الماء الدافق اليها من حركة .

وترى هذين الأمرين واضحين في الصور الملونة المنشورة على صفحة ٣٧ ؛ وهي لنوع من التربينات معروف يسمى باسم مبتدعه تربين فرنسيس Francis Turbine وقام آخرون من بعد الفرنسي فرنيرون يبتدعون . ونشأت عن ذلك صنوف من التربين كثيرة . ولكن لم يشتد الاهتمام بالتربينات الا فى العقد التاسع من القرن الماضي ، اى في الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، لما بدت الحاجة الى مصادر قوة لانتاج الكهرباء .

التربينات في انتاج الكهرباء

من المعروف الشائع الذى يعرفه كل مثقف الآن ان الكهرباء تولّدها مولّدات تعرف بالمولدات الكهربائية تتألف من حلقات تلفها اسلاك تعرف بالملفات . وهذه تدار في مجال مغناطيسي ناشيء عن مغناطيس قوى ، فتتولد في الأسلاك الكهرباء التى تضيء المدن وتمد المصانع وغيرها بالكهرباء ، ومن الكهرباء تستمد سائر الطاقات .

فانتاج الكهرباء يحتاج لقوة تدير هذه الملفات .

فكانت لها التربينات .

محاور التربينات تدير محاور الملفات بالمولدات الكهربائية فتنتج الكهرباء (انظر « العربي » بعدد يوليه ١٩٦٦ بصفحة ٢٤) .

ومن هنا جاء خطر التربينات فى العصر الحديث .

ومن هنا جاء خطر التربينات التي يديرها الماء حيث هناك مساقط للماء تديرها .

الكهرباء والسدود

ولا يسعنا هنا الا ان نضيف كلمة عن السدود التى يقيمها الانسان لحجز الماء على مستويات عالية ، ليتدفق الى اسفل ، ليلقى ريشات التربينات فيديرها ، وهذه تدير المولدات لتنتج الكهرباء .

وليس اليوم امة بها احتمال صنع سدود لحجز مياه تندفق من عل ، لصنع الكهرباء ، الا انتهزت فرصة ذلك .

فالولايات المتحدة تنتج من الكهرباء في العام نصف ترليون كيلو وط ساعة من الكهرباء ، نحو ربعها من مساقط ماء .

وبمثل ذلك قامت كندا والنرويج وروسيا وغيرها . واخيرا مصر من سدها العالي .

ولا تزال في العالم احتمالات هائلة للاستفادة من السدود ومساقط الماء لصنع الكهرباء .

ومساقط الماء متجددة على السنين فهي لا تفنى .

ويرجع الفضل في هذا ، فيما يرجع ، الى التربين . ولا يزال رجال الهندسة اليوم قائمون في تحسينه وانتاج مصانع للكهرباء مائية Hydroelectric Plants لا تفتأ تثير اعجاب العلماء . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٣١

١٠ جزر لها ماضٍ وتاريخ

■ كانت مسابقة العدد ١٣١ من العربى في الجزر ، والجزر هى تلك المساحات من اليابسة التى يحيط بها الماء من نواحيها المختلفة ، وهذه الجزر لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما في المناطق التى تقع فيها . والملاحظ أن اغلب القراء قد افلحوا في معرفة الاجابة الصحيحة لهذه المسابقة .

واليكم نموذجا للاجابة الصحيحة وقائمة باسماء الفائزين في هذه المسابقة .

١ ـ جرينلند
٢ ـ مالطة
٣ ـ جزر الكنارى
٤ ـ سيشل
٥ ـ صقلية
٦ ـ كريت
٧ ـ كورسيكا وسردينيا
٨ ـ سيلان
٩ ـ قبرص
١٠ ـ ملجاشي أو مدغشقر



الفائزون بالجوائز

● الجائزة الأولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :
عبد الله محمد بصعر ـ الحديدة ـ الجمهورية العربية اليمنية .

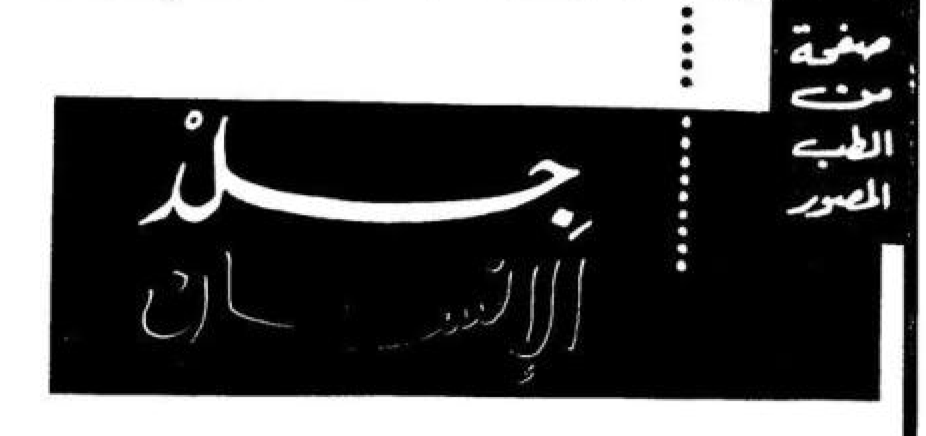
● الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها :
زكية على محمد ـ الخرطوم ـ السودان .

● الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :
محمد أحمد عبد الله الحيارى ـ السلط ـ الاردن .

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ حسين محمد نعمة ـ صيدا ـ لبنان .
٢ ـ رامى على قطان ـ الرميثية ـ الكويت .
٣ ـ احمد عيسى محسن ـ القطيف ـ السعودية .
٤ ـ نصرت عارف رؤوف ـ بغداد / العراق .
٥ ـ منور الهادى ـ البليدة ـ الجزائر .
٦ ـ فاطمة الزهراء محمد صقر ـ الاسكندرية ـ ج٠ع٠م٠
٧ ـ على محمد جمعة ـ الشارقة ـ الخليج العربى
٨ ـ سلمان نصر ـ ابدجان ـ ساحل العاج .
وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد .

■■



■ يتألف جلد الانسان في علم التشريح من طبقتين ، عليا وتعرف بالبشرة Epidermis ، واخرى من تحتها وتعرف بالأدمة Dermis . ويأتي تحت الأدمة آخر الأمر اللحم .

البشرة

وهي تتألف من طبقات من نسيج يحتوي على خلايا يختلف عددها باختلاف سمك البشرة . والبشرة يختلف سمكها من موضع في الجسم الى موضع آخر ، فهي اغلظ في راحة اليد ونعل القدم . وارق طبقات البشرة هي التي توجد عادة على طول السطح الواقع في وسط الأطراف من الجسم ، وفي الجانب البطني من جذع الانسان .

البشرة طبقات ثلاث

وحيث تكون البشرة سميكة تتبين فيها طبقتان اساسيتان ، الطبقة الخارجة الظاهرة وتسمى بالبشرة القرنية Stratum Corneum وتتألف من خلايا قرنية جافة ليس لها نواة . وهذه الطبقة تقوم مقام الغطاء الذي يمنع البلل ، وكذلك هي تحمي ما تحتها من انسجة .

وتوجد تحت هذه الطبقة القرنية طبقة تعرف بالنبّاتة Germinativum وسميت بهذا الاسم لان فيها تتنشأ الخلايا الصغيرة التى تأخذ في الكبر ، وفي الزحزحة الى اعلى لتحل محلها ، من تحتها ، خلايا ناشئة جديدة ، وهلم جرا .

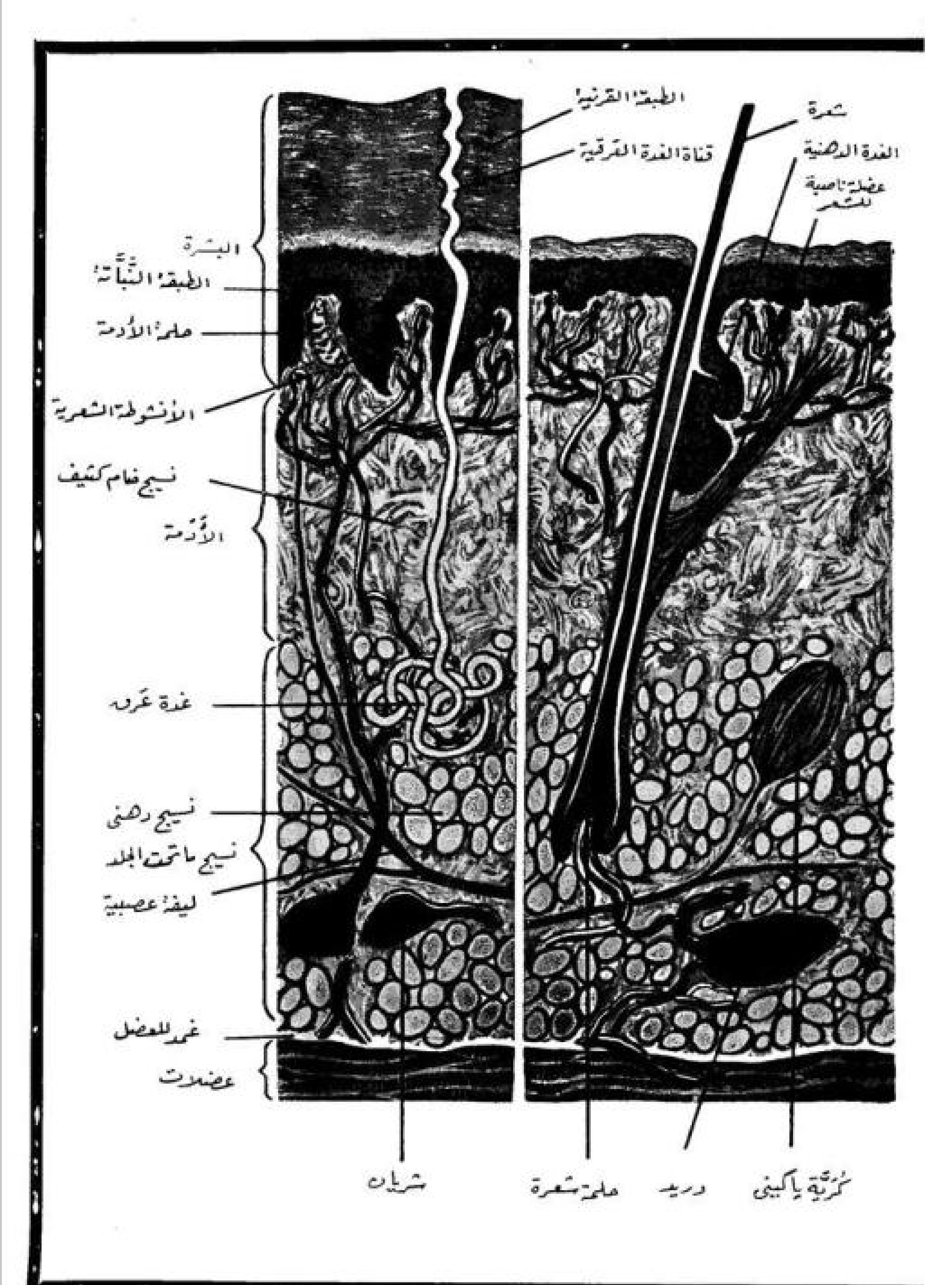
وفي هذه الطبقة النبّاتة ، تتولد صبغة الجلد المعروفة بالملانين Melanin ، وهي تزيد فتعطي الجلد لون السواد ، وتقل فتعطيه لون السمرة ، وتقل فوق ذلك فيصبح الجلد اقرب الى بياض .

والبشرة بجملتها Epidermis خالية من الأوعية الدموية ، واذن تؤول خلاياها الى الموت بسبب قلة الغذاء ، ثم هي تتجمد ، وتدخل في تأليف الطبقة القرنية التي لا تفتأ ان تتقشر وتسقط عن جسم الانسان .

الأدمة

والأدَمَة Dermis تأتي من الجلد تحت البشرة . وهي تتألف من كثير من الأوعية الدموية ، واطراف الأعصاب .

والطبقة العليا من الأدمة تتألف من نتوءات بارزة الى اعلى ، تتلاحق في سلسلة واحدة ، بينما انخفاضات كأنها الوديان والجبال . وتعرف هذه النتوءات بالحلمات Papilla . وهذه الحلمات


الطبقة القرنية
قناة الغدة العرقية
شعرة
الغدة الدهنية
عضلة ناصبة للشعر
البشرة
الطبقة النباتية
حلمة الأدمة
الأنشوطة الشعرية
نسيج ضام كثيف
الأدمة
غدة عرقية
نسيج دهني
نسيج ما تحت الجلد
ليفة عصبية
غمد للعضل
عضلات
شريان
حلمة شعرة
وريد
كرية باكيني

تأخذ في بعض اجزاء الجلد من الجسم أشكالا واضحة تتمثل في خطوط ظاهرة تراها العين ، هي التى تعطى بصمات الأصابع على الاوراق ، وهي ثابتة في صورها لا تختلف بازدياد الأعمار .

وفي أعماق الأدمة تنتشر الأوعية الدموية والأوعية اللمفاوية .

وفي الأدمة مقادير طيبة من الألياف المطاطة تجعل الأدمة سهلة التشكل والتمدد بما يتفق وحركة الجسم والاعضاء .

ما تحت الأدمة

وتوجد تحت الأدمة طبقة تعرف بنسيج ما تحت الجلد . Subcutaneous Tissue لا يفرقها عن الأدمة شيء ، وبها خلايا دهنية ، وبها خلايا خلّلية تسهّل حركتها فيما بينها .

والدهن الذى في أعماق الأدمة، وكذلك الذى في نسيج ما تحت الجلد ، يقى الانسان من البرد عند الحاجة . وهو يزيد في المناطق الباردة .

ويظهر من تحت هذا النسيج العضل .

الشعر

وتنبت كل شعرة من كيس صغير في قاع الأدمة هي نهاية غمد Hair Fallicle كغمد السيف يحيط بساق الشعرة حتى تخرج من الجلد .

وخلايا هذا الغمد هي من خلايا البشرة لا الأدمة ، ولو انها تبدأ في الجلد على عمق يصل الى ما تحت الأدمة .

وعند بدء الشعرة في عمق الجلد يتسع الغمد لحلمة تدخلها شعريات من الأوعية الدموية تغذى أصول الشعرة وتنميها .

ويتبع الشعرة غدة دهنية Sebaceous Gland تفرز الدهن Sebum ، يجرى في غمد الشعرة ثم الى سطح الجلد . وهذا الدهن يطرّى الشعر ، وكذلك يطرى الجلد . وهو كذلك يساعد على ضبط الماء المتبخر من الجسم . وكذلك على منع الجسم من أن يمتص اكثر مما يحتاج من الماء .

وهذه الغدد توجد على كل مساحات الجسم ، يستثنى من ذلك كف اليد ونعل القدم .

ويتبع الشعرة كذلك عضلة ناصبة Arrector Muscle ، وهى عضلة يؤثر فيها الخوف والبرد فتنقبض فتشد الشعرة فتستقيم بعد أن كانت مائلة في الجلد ، وعندئذ يظهر الجلد بالمظهر الذى يسميه أهل الغرب بجلد الأوز Goose Skin

غُدَد العَرَق

وغدد العرق Sweat Glands غدد : طويلة أنبوبية يلتف بعضها على بعض عند قواعدها في أعماق الأدمة فما تحتها ، وهي تفرز مما حولها من الأوعية الدموية العَرَق ، وهو يتركب من ماء وملح وبولينة وغير ذلك من نفايا الجسم .

والجسم ينضح بالعرق ويتبخر على الصحة ولا نحسّه ، وهو يعدّل من حرارة الجسم ، فاذا زادت زاد العرق وتبخر فاكسب الجسم برودة .

والعرق يزيد في الصيف ويقل في الشتاء . ويقابل ذلك قلة بول في الصيف وكثرة منه في الشتاء .

واكبر غدد العرق واكثرها يوجد في باطن الابط ، وفي الجبهة ، وفي الكف ، وفي نعل القدم .

الأظافر

والظفر وهو ينبت من البشرة ، فهو كالبشرة صفيحة جامدة منفرطحة تشبه خلايا البشرة .

الأعصاب في الجلد

وتنتشر في الجلد أطراف أعصاب حساسة شتى تعطى صاحبه الحس باللمس ، والضغط والألم والحرارة .

●●



عرس البطولة

■ **الى أمينة دحبور ، والى كل مناضلة فلسطينية تحولت عن العطر الى البارود وعن لبس العقود الى ارتداء أحزمة الموت أهدى هذه الأبيات ...**

كيفَ عافت يداك لبس الأساورْ   واستطابت حضن الرشيش الهادرْ

وتأبت على اللآلى وهامت   بالشظايا على طلاء الأظافر

بورك الكف فيه من عبق البا   رود طيب يزرى بعطر الحرائر

بورك العزم في عيونك ومضا   يعربيا يلوى بجنح المخاطر

بورك القلب كيف مزّقه الجر   ح فأضحى بالجرح أروع طاهر

ياعروسا زُفّت الى مهجة البذ   ل زغاريدها الرصاص الثائر

واكاليل عرسها ياسمين   من ندى الفداء غض ناضر

فجّرى يا أمينة الحقد نارا   واقحمى الموت لا ترُعْك المجازر

دربنا واحد فداء وبذل   وردى دونه الليالى فواغر

ان سجا الليل يا اخيّة حينا   واستباح الحمى جبان مغامر

واستكان الرجال للغاصب النذ   ل وغضّتْ جباههم والنواظر

واحتموا بالسلام حيلة نكس   عافه الموت فارتضته الصغائر

فلأنت الصباح يهزأ بالليل ويهدى للمدلجين البشائر

انت حقا على شفاه البطولا   ت نشيد غنى به كل شاعر

فارفعى الهام لن تضيع بلاد   انت منها ولن تذل لفاجر

■■

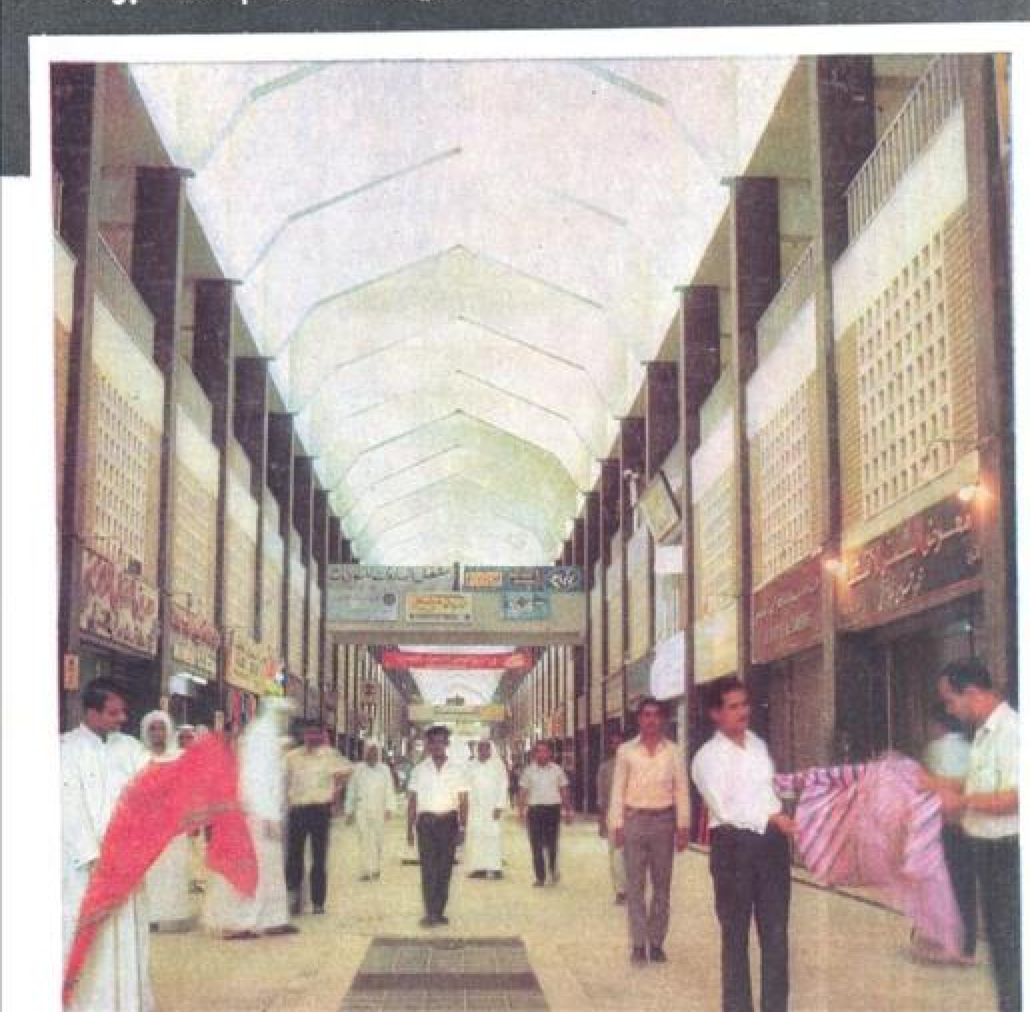
عونى قدوره ـ الكويت

أسواق الكويت

بين الأمس واليوم

صفحات من التاريخ باقية وصور من الحاضر حية زاهية

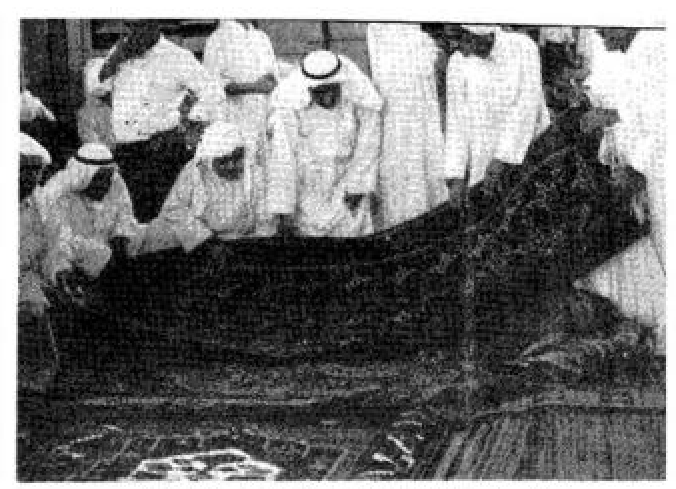
سوق الاقمشة والبطاطين .. تكلف بناؤه ثلاثة ملايين دينار ، ويضم ٢٤٠ متجراً .



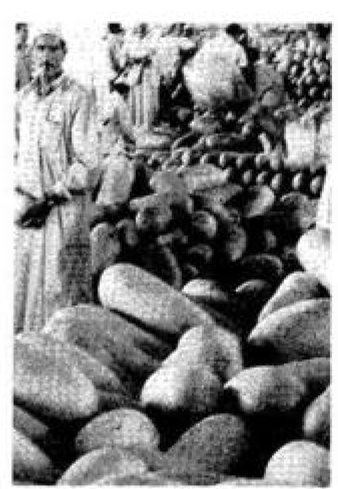


« المركز التجارى » على شاطىء الخليج .. ويضم مكاتب وكالات الشركات العالمية ..

الحاج عبد الله عبد الغني (٧٠ سنة) انهم يسمونه « شيخ سوق الاقمشة » ..
لقد امضى حياته كلها في التجارة .. وعاصر أسواق الكويت قديمها وحديثها ..



يباع السجاد بالمزاد العلني ، ويتجمع المزايدون حول السجاجيد التي تعرض للبيع ويشتد التنافس بينهم .. وفي هذا السوق تجد جميع أنواع السجاد الفاخر ، الشيرازي والصيني والعربي والاوروبي ..



سوق الخضراوات والفواكه .. هنا تـ
هائلة ، حمولتها من مختلف انو
بها من الاردن ولبنان وسوريا .. ويتق
بالجملة ، والقسم الآخر للبيع بالتجزئ
شاطىء الخليج ، ثم انتقل الى مقـ

■ قال لنا الشيخ الوقور الذي حنت السنوات ظهره وتركت آثارها واضحة حول عينيه الصغيرتين:

« لن اترك متجري الصغير ولن أرضى بغيره بديلا ، حتى لو جاءوا الي بالجنة ! »

بهذه الكلمات القصيرة المعبرة ، استقبلنا الحاج عبد اللطيف احمد جبر الغانم (٧٠ سنة) التاجر بسوق الغربلي .. وهو من اقدم اسواق الكويت ..

لقد امضى عبد اللطيف ما يزيد على ربع قرن من الزمان في هذا المتجر الصغير الذي يبيع فيه الخردوات والملابس .. ملابس الرجال وحدهم دون النساء ، لانه لايحب المرأة ولا يريد ان يبيعها شيئا ! ..

جزء من التاريخ

لقد اصبح هذا المتجر جزءا من حياته .. تماما كما اصبح سوق الغربلي ، وغيره من الاسواق القديمة الاخرى ، جزءا من حياة الكويت وتاريخها .. ووجها من وجوه هذا البلد العربي .

لقد قامت هذه الأسواق القديمة منذ ان كان هناك تجار ، وكانت هناك تجارة .. ثم مضت السنون ، وكانت انطلاقة الكويت الكبرى التي حولتها من لون من العيش تغلب عليه البداوة ، الى الحضارة .. وقامت الاسواق الحديثة ، وافتتحت المعارض التجارية الفخمة ، كجزء من النهضة العمرانية الهائلة التي شملت الكويت كلها ..

وبالرغم من هذا كله . فقد بقيت بعض الاسواق القديمة تلازم الكويت الحديثة ، وتحكي فاصلا من تاريخ هذا البلد العربي ..

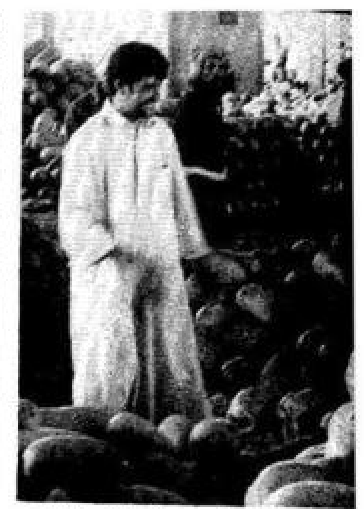
سوق وسبيل

بفي سوق الدعيج الذي انشاه المرحوم محمد الدعيج منذ ٨٥ عاما تقريبا في عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٥م) واقام في ساحته سبيلا ، يشرب منه الناس ويرتوون ، في وقت تندرت فيه المياه وتعسّر نقلها الى قلب صحراء الكويت الظامئة .. فكان العابرون يأتون الى السبيل ، حتى اذا وجدوا انفسهم في قلب السوق ، قصدوا متاجره ليشتروا منها حاجاتهم ..

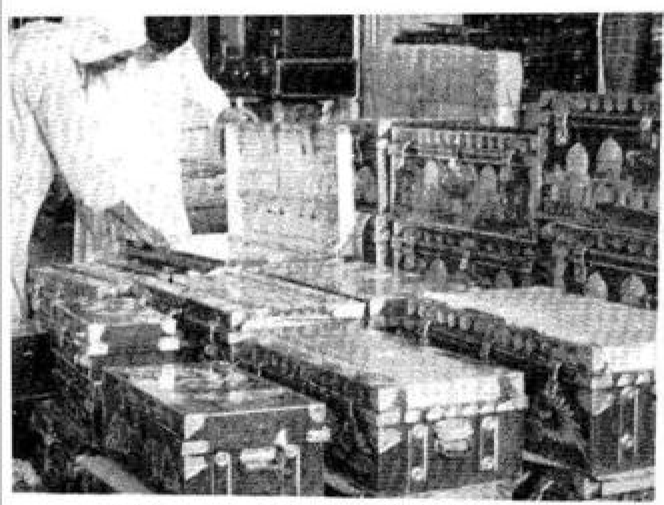
فلما مات الشيخ الكريم ، سارع ابناؤه الى الابقاء على ذكرى والدهم واحيائها ، فجددوا السوق وصانوا السبيل في عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م).

وفي سوق الدعيج ، جلسنا نستمع الى قصص الذين عاشوا تاريخه وعاصروا ايامه الخوالي ..

قال لنا الحاج صالح محمد الصالح ، تاجر الاقمشة : « كنت اتاجر في اللؤلؤ .. اشتريه من



سيارات النقل التي حولت الى ثلاجات لخضراوات الطازجة والفواكه التي تأتي لسوق الى قسمين ، قسم فيه البيع . وكان هذا السوق قديما يقع على لجديد في عام ١٩٦٤



سوق الصناديق أو الشنط ، وهو سوق قديم مزدحم دائما .. ولكن ليس كل من يجيئه راغبا في الشراء .. فالبعض يرتادونه للجلوس في الديوانيات واحتساء اقداح الشاي والدارسين والزنجبيل .

العواصين وابيعه للتجار الذين كانوا يأتون الى الخليج بحثا عن هذا الصيد الثمين الذي نجمعه من قاع البحر » .. !

« ثم تركت اللؤلؤ ، وتحولت الى تجارة الاقمشة ، فافتتحت هذا المحل الصغير في عام ١٩٥٠ ! »

ان الحاج صالح ناهز الخامسة والثمانين .. امد الله في عمره .. وهو اب لثلاثة ابناء وسبع بنات ، وجد لاكثر من خمسين حفيدا ..

ايام زمان

انه يترحم على ايام زمان .. ايام كانت كلمة الشرف ، هي الرقيب والحسيب ، وهي الكمبيالة والمستند بين البائع والمشترى .. لقد كانت ذمم الناس بخير ، والكلمة والوعد اغلى من كل صك !

ان سوق الدعيج ، سوق عربي قديم ، يضم مجموعة من المتاجر الصغيرة المزدحمة بالاقمشة المستوردة من كل جهة .. وقد علقها اصحابها فوق واجهات متاجرهم ، لتراها عيون الغادين والرائحين ، فلا تخطئها ابدا .

الباعة من النساء

وبقي سوق « واجف » ، وهو ايضا من اسواق الكويت القديمة .. وسمي بهذا الاسم ، لأن الناس كانوا يشترون ويبيعون فيه ، وهم وقوف .. اما اليوم ، فقد جلس البائعون ، وهم عادة من النساء ، وسط بضائعهم وسلعهم التي فرشوها على الارض ..

كان المشترى في الماضي يجد في هذا السوق كل ما يحتاج اليه من سلع مهما كان لونها ونوعها ، اما اليوم ، فقد قصر البائعون تجارتهم على الملابس الرخيصة والعطارة ..

وبقي ايضا سوق الحراج * حيث تنتشر المحال التجارية الصغيرة التي تبيع مواد البناء والادوات والمواد التي يستخدمها النجار والحداد على السواء .. وهو سوق طويل مزدحم يجد فيه الصانع كل شيء يحتاج اليه في حرفته من المسمار الصغير الى مختلف ادوات البناء والتعمير ، وهو ليس سوقا قديما بالمعنى المعروف وانما اقيم في منطقة الاسواق التقليدية القديمة ، وقد كبر السوق ونما مع نمو حركة التعمير والبناء في الكويت .

* والحراج في اللغة العربية وقوف البضاعة مع الدلال عند لمن لا مزيد عليه .. وسوق الحراج هو سوق الدلالة .



فوق : الاواني الفضية والكريستال في أسواق الكويت الحديثة .. وفي الصورة سيدة زائرة تنتقي احتياجاتها من المعروضات في أحد المحال التجارية الكبرى .

الى اليسار : سوق البشوت ، من أسواق الكويت القديمة ، وقد جلس الخياطون على الارض يصنعون البشت ، وهو لباس الرجل العربي التقليدي ..

فوق : أحد المحال التجارية الحديثة لبيع أزياء السيدات ، وفي الصورة مديرة المحل السيدة رجاء البدر تعرض « بدلة السهرة » على احدى المشتريات .

الى اليمين : انقرض سوق السلاح حيث كانت تباع البنادق والمسدسات والسيوف والخناجر العربية ، واكتفى التجار الآن ببيع الاجربة والاغمدة المزركشة، وهم يستوردونها من المملكة العربية السعودية .. سوق آخر قديم من أسواق الكويت التقليدية ،



العربي : العدد ١٣٣ ديسمبر ١٩٦٩

سوق البشوت

وبقي سوق « البشوت » جمع بشت ، وهو العباءة التي يلبسها الرجل ، ويستورد التجار في هذا السوق القماش الخاص بالبشوت من سوريا ، ومن السعودية ، ثم يقوم الخياطون بحياكتها .. وقد انشيء هذا السوق منذ اكثر من ثلاثين عاما ، ولا يزال على ما هو عليه حتى الآن ..

الخياطون يجلسون على الارض . ويفصلون البشوت ثم يزينونها بالشرائط المقصبة .. وبجوار كل خياط مقص كبير ومكواة ، ثم قطعة من الحصير جلس عليها القرفصاء .. ورص حاجياته من حوله ..

لقد اقيم هذا السوق ، وسط سوق الزل ، او السجاد ، وهو اقدم من السوق الاول ، ولو انه انتقل الى مكانه الجديد هذا بقيصرية الشيخ فهد السالم في قلب منطقة الاسواق القديمة منذ ٤٠ عاما او حول ذلك ..

وكان سوق « الزل » قبل هذا التاريخ يحتل مكانا بالقرب من مسجد السوق الكبير بالمباركية ، ولكن معول الهدم ما لبث ان شمله ، ليفسح المكان للمباني والاسواق الحديثة التي قامت في هذا الحي التجاري الكبير ..

قال لنا حسين محمد باقر (٦٠ سنة) ..

« اننا نستورد اجود السجاد في العالم من شيراز وتركيا والدول العربية الشقيقة واوروبا والصين .. وقد كنا في الماضي نبيع السجاد ونصنع البشوت في نفس الوقت ، ثم تركنا صناعة البشوت لغيرنا من الخياطين ، وتفرغنا نحن لتجارتنا في السجاد .. لقد امضيت ٣٦ عاما امارس هذه التجارة » ..

شارع فلسطين

وبقي كذلك سوق الغربلي .. وهو سوق كبير مسقوف ، يبلغ عمره اكثر من نصف قرن من الزمان .. ولكن عجلة التطور شملته .. فلم يبق فيه شيء يمت الى ماضيه بصله .. حتى اسمه تغير ، فلم يعد يسمى بسوق الغربلي ، نسبة الى سيد هاشم الغربلي ، اشهر تاجر افتتح لنفسه متجرا فيه .. وانما اصبح الآن ، شارع فلسطين ..

وفي شارع فلسطين تباع اليوم الملابس الجاهزة



الحاج عبد اللطيف
احمد جبر القانم

الحاج صالح
محمد الصالح

اربعة تجار واربع قصص

والاحذية والادوات المنزلية والعطور ، وكل شيء يخطر على بال الانسان ..

يقول الحاج عبد اللطيف احمد جبر القانم الذى اشتهر في السوق بعدائه للمراة ، وقد اشرنا اليه في أول هذه الكلمة : « لقد تغير وجه السوق .. كان في الماضي سوقا لبيع البيض والدجاج الذى تأتي به النسوة وتعرضه على قارعة الطريق .. اما اليوم فقد اقيمت فيه المحال التجارية الصغيرة والكبيرة معا .. وامتدت يد الاصلاح اليه في عام ١٩٥٠ ، فرصفت الشارع ، واضاءته بالكهرباء .. واصبح المشتري يجد فيه كل شيء يحتاج اليه باسعار تقل كثيرا عن اسعار المحال التجارية الرائعة في الاسواق والاحياء الحديثة .. والسر في هذا ان ايجار المتجر هنا في شارع فلسطين ارخص بكثير من ايجار مثيله في شوارع الكويت الحديثة » ..

وبقي سوق المقاصيص ، حيث تباع الثريات وادوات الزينة والزخرفة للمنازل ، ثم ادوات الطهو والطبخ ..

وكذلك سوق الطيور ، حيث يجد المرء كل انواع الدواجن والحمام وعصافير الزينة ..

اسواق انقرضت

ثم سوق السلاح .. ولو انه انقرض او كاد .. فقديما كانوا يبيعون فيه جميع انواع الاسلحة من بنادق ومسدسات وسيوف وخناجر .. وكانوا يستخدمونها في الصيد والقنص في اغلب الاحيان .. وقد اكتفى التجار الآن ببيع اجربة البنادق واغمدة السيوف والخناجر ، دون السلاح نفسه



حسين محمد باقر — الحاج ناصر الحسين الصايغ

من اسواق الكويت القديمة

.. وهي جميلة ومزركشة ، وتباع باربعة دنانير للجراب !

ديوانيات في السوق

واخيرا وليس آخرا ، سوق الصناديق والحقائب .. حقائب اليد والسفر .. حيث تباع الصناديق الملونة المصنوعة في الهند .. وهي التي كانت تحملها العروس معها الى بيت الزوجية وتضع فيها جهاز عرسها ..

وهو سوق مزدحم دائما .. يروح فيه الناس ويجيئون .. وتذيع اجهزة الراديو الاغاني الشعبية فينسى الناس البيع والشراء ، ويجلسون في الديوانيات ، يحتسون اقداح الشاى والحامض والقرفة والزنجبيل ، ويتناقشون في آخر اخبار العالم ومشاكل الساعة .

ولكن هل كانت هذه هي كل اسواق الكويت القديمة ؟

اقدم اسواق الكويت

والجواب لا : فقد كانت هناك اسواق اقدم منها واعرق .. كان اقدم اسواق الكويت هو سوق ساحة الصفاة ، الذى كان البدو يأتون اليه حاملين اغنامهم والبانهم وزبدهم ومحاصيلهم من اخشاب الوقود ونباتات الصحراء « كالكماة » .. تلك الثمرة البرية التى تشبه البطاطس في شكلها ، وهم يطهونها بالارز واللحم .. وتوجد بكثرة في صحراء الكويت والسعودية وسوريا ..

فكان البدو يعرضون للبيع ما حملوه معهم على ظهور جمالهم ، قاطعين المسافات الطويلة من قلب الصحراء الى وسط المدينة .. ويشترى اهل الكويت حاجتهم منها ، ثم يبيعونهم الاقمشة والتمر والسكر والشاى ..

اسواق كثيرة اخرى

وقد زال هذا السوق تماما ، ولم يبق منه اى اثر يدل عليه .. وقام مكانه اليوم ميدان فسيح .. هو ميدان ساحة الصفاة .. من أكبر ميادين الكويت ..

ومثل هذا السوق ، اسواق كثيرة اخرى اختفت تماما من الكويت الحديثة .. لقد ازيلت لتقوم مكانها الاسواق الجديدة في شارع فهد السالم ، اجمل واحدث شوارع الكويت اطلاقا ، وفي السالمية وفي المباركية وفي الاحمدى .. وفي غيرها كثير .. وانتشرت الجمعيات التعاونية في طول البلاد وعرضها ، حيث يجد المواطنون ، كل ما يحتاجون اليه من المواد الغذائية التى تصل الى الكويت من مختلف عواصم العالم العربي والخارجي .

المراة الكويتية الحديثة

وقامت المعارض الحديثة التى تبيع احدث ازياء الرجال والنساء ، في المتاجر الكبيرة التى اشرف على تصميمها خبراء في فن الديكور والزخرفة .. وفي هذه المعارض التقينا بالمراة الكويتية الحديثة .. لقد خرجت المراة الكويتية وتعلمت وشغلت مختلف المناصب واصبحت تنافس الرجل في شتى مجالات العمل .. وفي عدد من معارض الازياء للنساء ، وقفت المراة الكويتية تشرف على ادارة المعرض وتنتقى احدث ازياء الموسم ، قالت لنا السيدة رجاء البدر : « لقد سافرت خصيصا الى لندن بعد ان اكملت مرحلة تعليمي الثانوى بالكويت ، لاتخصص في اعمال السكرتيرية وادارة الاعمال .. وامضيت اربع سنوات في الدرس والتحصيل ، عدت بعدها لاتولى ادارة اعمال عمى » ..

ومثل السيدة رجاء كثيرات ، ممن تجحن في تاكيد وجهة نظرهن .. وهي ان هناك اعمالا لايمكن

لغير المارة الاضطلاع بها ..

١١ منطقة تجارية حديثة

وعلى انقاض مدينة الكويت القديمة ، قامت احدى عشرة منطقة تجارية ضخمة تكلف بناؤها ملايين الدنانير .. وخصص بعض هذه المناطق للبنوك والشركات ، وخصص البعض الآخر للمكاتب التجارية ووكلاء الشركات العالمية ، وكانت اكبرها اطلاقا المنطقة التجارية التاسعة ، التي انشئت منذ خمس سنوات تقريبا ، وهي اضخم واهم منطقة تجارية في الكويت ، وتعتبر الاولى من نوعها في العالم العربي كله .. وقد تكلف بناؤها ما يزيد على الثلاثة ملايين دينار كويتي ، وقامت الدولة بتوفير هذا المبلغ الكبير عن طريق بنك الادخار ، ثم وزعت المتاجر وعددها ٢٤٠ متجرا على تجار الاقمشة والبطاطين الذين ازيلت متاجرهم في الاحياء القديمة ، واصبح هؤلاء التجار هم اصحاب هذه المتاجر ، ويقوم كل منهم بسداد ثمن متجره الذي يتالف من ثلاثة طوابق ، تبدأ بقبو تحت الارض ، ثم معرض للاقمشة بمستوى الشارع ثم مكتب في الدور العلوي .. وتكلف المتجر الواحد حوالي ١٢ الف دينار ، يقوم صاحبه بسداد ثمنه على عشرين عاما !

شيخ السوق

وفي سوق الاقمشة بالمنطقة التجارية التاسعة ، التقينا بالحاج عبد الله عبد الغني (٧٠ سنة) .. انهم يسمونه « شيخ السوق » . قال الحاج عبد الله : « لقد عملت في تجارة الاقمشة منذ عام ١٩١٥ ، عندما كنت املك متجرا صغيرا بالقرب من مسجد السوق القديم عند مقهى « ابو ناشي » ثم تقرر ازالة هذه المنطقة في التخطيط الجديد لمدينة الكويت ، وانتقلنا الى سوق « السنجر » ، ولكن هذا السوق ايضا ما لبث ان ازيل فحزمنا سلعنا وانتقلنا مرة ثالثة الى سوق البنات ، الذى ما لبث ان وصل اليه معول الهدم ، ليقوم الجديد مكان القديم ، الى ان شيدت هذه المتاجر الحديثة فجئنا مع تجارتنا تكمل ما بقي لنا من عمر اذا كان في العمر بقية » .

هذه بعض صور القديم والجديد في اسواق الكويت .. فهل غيرت الحياة العصرية الحديثة وجه الكويت القديم ؟

مدير البلدية يتحدث

قال لنا مدير بلدية الكويت السيد جاسم المرزوق : « لقد كانت وجهة نظرى الخاصة دائما ، هي الابقاء على بعض الاسواق القديمة وصيانتها ، وتشجيع اصحابها على اعادة بناء ما تهدم منها ، بحيث تظل تحتفظ بطابعها القديم الذى تميزت به .. فهي جزء من تراثنا وتاريخنا » ..

« وهذا هو ما يحدث في كل بلاد العالم .. في لندن مثلا ، اقاموا الاسواق الحديثة والمراكز التجارية الضخمة ، ولكنهم ابقوا على القديم منها في سوق هاى Hay Market ، وفي باريس ايضا بقي حي مونمارتر وغيره من الاحياء الاخرى التى ظلت تحتفظ بطابعها التقليدى وتحكى فصلا من تاريخ فرنسا القديم » ..

« حتى عندنا هنا في عالمنا العربي ، والامثلة كثيرة على القديم الذى بقي بجانب الحديث .. في لبنان سوق سرسق ، وفي سوريا سوق الحميدية ، وفي مصر سوق خان الخليلي وسوق الموسكى ، وفى المغرب درب السلطان في الدار البيضاء وغيرها الكثير » .

« ثم لماذا نزيل القديم ؟ اننا نهتم بالسياحة ، لابوصفها صناعة فحسب ، بل لانها وسيلة من اهم وسائل التعارف وتدعيم الصداقة بين الشعوب .. فهل تعرفون أول شيء يحرص السائح الزائر على مشاهدته فى اى بلد يحط فيه .. انه سوقها وتاريخها القديم » ..

« انني أؤيد الابقاء على بعض اسواقنا القديمة التي تحمل الطابع التقليدى الذى يميزها على غيرها وأؤيد صيانتها وتجميلها وتنظيمها ، واقامة مواقف للسيارات بجوارها ، حتى تسهل على القادمين مهمة زيارتها والوصول اليها .. فنحن قد نستطيع ان نغير وجه الكويت .. ولكننا لانستطيع ان نمحو تاريخ هذا البلد العريق ... ثم ما هي الاسواق ؟ انها جزء من التاريخ » ■■



بالعمل الفدائي انتصر الإسلام في أول ظهوره

بقلم : عبد الله كنون

■ هذه الحركة الفدائية المباركة التى انبعثت في الارض المقدسة ، لتطهيرها من رجس الصهيونية ، حليفة الاستعمار وخليفة الصليبية ، اصبحت معقد الآمال لملايين المسلمين في غسل العار الذى لحق بالجيش العربي من جراء هزيمته النكراء امام جيش اسرائيل في ٥ يونية ١٩٦٧ .

وكما اطاحت الفدائية المغربية بصرح الاستعمار الفرنسي في المغرب والجزائر وتونس ، على عظم تجهيزاته وقوة استحكاماته ، فان حركة الفداء الفلسطيني قد هزت الآن كيان اسرائيل ، واصبح قادة هذه الدويلة يحسبون لها ما لم يكونوا يحسبونه لجيوش الدول العربية مجتمعة . وما ذلك الا للعزم والتصميم اللذين نزل بهما رجال هذه الحركة الى الميدان ، والثقة بالنفس ، واليقين في الله عز وجل ، وقطع الصلة بكل المعوقات والمثبطات ، واعظمها ما يسمى بالامم المتحدة ومجلس الامن والوسطاء السابحين في فلكهما . وبهذا سيكتب لها النصر بحول الله ، وستحرر وطنها من قبضة الاستعمار الصهيوني الماكر ، الذى تسانده جميع قوى الشر في العالم .

الفدائية في أول الاسلام

وقد كان للفدائية في اول ظهور الاسلام دور هام ، ضيّق الخناق على خصوم الدعوة واعداء النبي (ص) وعجل بالنصر في معارك كانت ستطول جدا وتحصد من النفوس عددا كبيرا .

وللعبرة والتاريخ نذكر بعض اعمال الفدائيين السابقين الاولين من الصحابة الكرام التى نصروا بها الاسلام وخذلوا المتربصين به من مشركين ويهود .

على بن ابى طالب اول فدائي في الاسلام

ولعل اول فدائي في الاسلام هو علي بن ابى طالب كرم الله وجهه . فكلنا نعلم ان النبي (ص) خلفه

لينام في فراشه ليلة الهجرة ، تضليلا للمشركين الذين اجمعوا امرهم على قتل النبي ، فكانوا ينظرون من خَصاص البيت فيرونه مسجّى على الفراش، فيطمئنون على وجوده هناك،حتى نهض في الصباح ورأوا انه عليّ فسُقط في ايديهم . وسالوه اين ذهب فقال لا ادري . ومما لاشك فيه انه عرّض نفسه في تلك الليلة لخطر مُحقق فداءً للنبي عليه السلام ، اذ كان من الجائز ان يكبسوا البيت ويقتالوا النائم على الفراش ، بل كان ذلك متوقعا في كل لحظة ، ولكن الله عز وجل حماه وهو نائم تحت مضارب سيوفهم كما حمى نبيه وهو بمرأى منهم ومسمع في الغار .

محمد بن مسلمة الانصاري ، فدائي استجاب لدعوة النبي

ومن الأعمال الفدائية التي وقعت علىعهده (ص) قتل كعب بن الاشرف اليهودي ، وكان يؤذي النبي والمسلمين بهجائه لهم وبتحريض قريش عليهم . فقال النبي من لكعب بن الاشرف ، فانه قد آذى الله ورسوله . فقام محمد بن مَسْلَمَة الانصاري فقال يارسول الله اتحب ان اقتله ؟ قال نعم قال فأذَنْ لي ان اقول شيئا (يعني مما يتقرّب به الى كعب وان كان بحسب الظاهر طعنا في الاسلام) قال النبي قل ما بدالك . فاتاه محمد بن مسلمة هو ونفر من الانصار فيهم ابو نائلة اخو كعب من الرضاع فقال ياكعب ان هذا الرجل (يعني النبي) قد سالنا صدقة ، وانه قد عنّانا ، واني اتيتك استسلفك . قال كعب وايضا والله لتملّنّه . قال محمد بن مسلمة انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى اى شيء يصير شانه . وقد اردنا ان تسلفنا وسقا او وسقين من تمر . قال كعب نعم ، ارهنوني . فقالوا اى شيء تريد ؟ قال ارهنوني نساءكم . قالوا كيف نرهنك نساءنا وانت أجملُ العرب ؟ قال فارهنوني ابناءكم . قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيُسَبّ احدهم فيقال رُهن بوسق او وسقين ؟ هذا عار علينا . نرهنك السلاح فقبل ، وواعده محمد بن مسلمة فجاءه ليلا هو واصحابه فدعَوْه وهو في حصنه ، فقالت له امرأته اين تخرج هذه الساعة ؟ فقال انما هو محمد بن مسلمةواخي ابو نائلة . وقال ابن مسلمة لأصحابه اذا ما جاء فاني آخذ بشعره أشمّه ، فاذا رأيتموني استمكنت منه فدونكم فاضربوه . فنزل اليهم وهو ينفح منه ريح المسك فقال ابن مسلمة ما رايت كاليوم ريحا اطيب . قال كعب عندي اعطر نساء العرب . قال اتاذن لى ان اشم راسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشمَّ اصحابه ، وذهب يفعل ثانية فاخذ براسه وقال دونكم .. فضربوه باسيافهم فقتلوه .

وعبد الله بن عتيك ، فدائي آخر

واغرب من هذه الواقعة واشد تمثيلا للاعمال الفدائية ، قصة قتل رافع بن ابى الحُقَيْق اليهودي ايضا . وكان صاحب حصن بارض الحجاز ، وكان يؤذي الرسول ويعين عليه .فبعث اليه النبي رجالا من الانصار، وجعل عليهم عبدالله ابن عتيك . فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله امكثوا أنتم حتى انطلق انا فانظر. قال فتلطفت لكي ادخل الحصن . وحدث ان رجال الحصن افتقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه. قال فخشيت أن أُعرَف ، فغطيت راسي ورجلي كاني اقضي حاجة . ثم نادى صاحب الباب « من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن اغلقه » . فدخلت، ثم اختبأتُ في مربط حمار عند باب الحصن . فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، ثم رجعوا الى بيوتهم . فلما هدأت الأصوات ولم أسمع حركة خرجتُ . قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع المفتاح في كوة ، فاخذته، ففتحت به باب الحصن ، قلت ان نَذِر بى القوم انطلقت على مهل ثم عمدت الى ابواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبى رافع في سُلّم ، فاذا البيت مظلم قد طفىء سراجه ،فلم ادر أين الرجل ، فقلت يا أبا رافع . قال من هذا؟ قال فعمدت نحو الصوت فاضربه بالسيف ،وصاح فلم تغن الضربة شيئا . قال ثم جئت كاني اغيثه فقلت مالك يا أبا رافع ؟ وغيرت صوتي .فقال الا اعجبك ، لأمك الويل ؟ دخل على رجل فضربني بالسيف . قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى ، فلم تغن شيئا . فصاح وقام اهله ، فجعلت أرفع السيف عليها ثم أذكر نهى النبي (ص) عن قتل النساء فاكف عنها.قال ثم ضربته فقتلته ،وخرجت دهشا حتى اتيت السلمأريد أن انزل فاسقط منه، فانخلعت رجلى فعصبتها ، ثم اتيت اصحابي

احجل ، فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله (ص) فانى لا ابرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان في وجه الصباح ، صعد ناعية فقال انعى ابا رافع تاجر اهل الحجاز ، قال فقمت امشي ما بى علة . فادركت أصحابى قبل ان يأتوا رسول الله (ص) فبشرته .

فهذا فدائى صميم ، دبر خطة ونفذها من غير أن يحتاج الى معونة من أصحابه . وكان ثبت الجنان حاضر البديهة بحيث لا تعييه الحيلة ولا يثنيه الدهش عن انفاذ ما مضى له ، وبه وبأمثاله انتصرت الدعوة الاسلامية على مناوئيها مع كثرتهم وقلة أنصارهم وضعفهم .

وطارق بن زياد

تلك بعض أمثلة من أعمال الفدائيين المسلمين الأولين ، في صدر الاسلام . وهى قدوة صالحة لفدائيينا الفلسطينيين الميامين ، كما كانت خير قدوة لمن سبقهم من فدائيى الاسلام عبر التاريخ .. .. فطارق بن زياد الذى نزل بأرض اسبانيا عاقدا العزم على فتحها وضمها الى ممتلكات الخلافة الاسلامية ، وليس معه غير اثنى عشر الف مقاتل ، لم يكن الا فدائيا عظيما في الايمان شديد الاعتماد على الله عز وجل ، حتى انه أحرق السفن التى عبّر عليها البحر ، قطعا لكل امل في الرجوع ، وخطب في جيشه قائلا « أين المفر ؟ العدو أمامكم والبحر من ورائكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » .

وأسد بن الفرات

وأسد بن الفرات الذى فتح جزيرة صقلية بجيش مثل جيش طارق ، هو كذلك فدائى كبير ، عرف أن العبرة بمعنوية المجاهدين لا بقوتهم المادية ولذلك غامر في حملته على الجزيرة المتمنعة ففتحها الله عليه .

ولعمر الفرياني قصة فى الفداء رائعة

وعلى ذكر صقلية فان من أغرب ما يسمع في



بطولة الفدائيين المسلمين وتضحيتهم : قصة تتعلق بالصراع الذى نشب بين مملكة هذه الجزيرة وبلاد المغرب العربى في خلال القرن السادس الهجرى وقت ان اشتدت وطأة الصليبيين على بلاد الاسلام في المشرق والمغرب، وبدات موجة الاكتساح الاوروبى ترتمى على الشواطىء المغربية والمشرقية. وكان ممن انبسط سلطانه فى تلك الأثناء هؤلاء الملوك النورمانديون الذين انتزعوا جزيرة صقلية من يد المسلمين وامتدت سلطتهم الى بعض بلاد افريقية وايطاليا ولا سيما في مدة عميدهم وداهيتهم « رُجار الثانى » الذى كان يوصف بالدهاء والتسامح الدينى ، ولما توفي خلفه في ملكه ابنه غليوم ، وكان سيىء السيرة فاسد التدبير ، فخرج عليه عدة حصون ومدن من صقلية وافريقية وغيرهما .

وكان اول من اظهر الخلاف عليه عمر بن أبى الحسين الفريانى صاحب مدينة صفاقس بالشاطىء التونسي ، وكان رُجار فيما يحدثنا ابن الاثير قد استعمل عليها لما فتحها اباه أبا الحسين وهو من العلماء الصالحين ، فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدى ، فاستعمله واخذ اباه رهينة الى صقلية . قال ابن الأثير فلما أراد المسير اليها قال لولده عمر انى كبير السن وقد قاربت أجلى ، فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل، ولا تراقبهم ولا تنظر في انى اقتل ، واحسبْ اننى قد متُّ . فلما وجد ابنه الفرصة ، دعا أهل المدينة الى الخلاف ، وقال تطلع جماعة منكم الى السور ، وجماعة يقصدون منازل الفرنج ويقتلونهم . فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك يخاف عليه ، قال هو امرنى بهذا . واذا قتل بالشيخ الوف من الأعداء فما مات . فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم . وكان ذلك اول سنة احدى وخمسين وخمسمائة .

ولم يسمع بقية الولاة بحركة عمر الفريانى حتى اتبعوه . فثار ابو يحيى بن مطروح بطرابلس ، ثم محمد بن رشد بقابس ، وسار عسكر عبد المؤمن ابن على وكان أول ما بدأ امره بافريقية الى بونة فملكها . وخرج جميع افريقية عن ملك الفرنج ما عدا المهدية وسوسة . وأرسل عمر المذكور الى أهل زويلة ، وهى مدينة بينها وبين المهدية ميلان ، وحرضهم على الوثوب بمن عندهم من الفرنج ، ففعلوا ، وحاصروا المهدية وقطعوا عنها الميرة . فاتصل الخبر بغليوم ، فاحضر ابا الحسن وعرّفه ماعمل ابنه وامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك . ويأمره بالعودة الى طاعته ويخوّفه عاقبة فعله . فقال ابو الحسن: مَنْ اقدم على هذا لا يرجع بكتاب. فارسل غليوم الى عمر يهدده ويامره بترك ما ارتكب ، فلم يمكنه عمر من دخول المدينة يوم ذلك. ولما كان من الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة ، والرسول يشاهدهم ، فدفنوها وعادوا . فارسل عمر الى الرسول يقول له ، هذا ابى قد دفنته ، وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ما أردتم. فعاد الرسول الى غليوم فاخبره بما صنع عمر ، فاخذ أباه وصلبه . فلم يزل يذكر الله حتى مات.

هذه قصة من اغرب ما يسمع كما قلنا في بطولة الفدائيين المسلمين وتضحيتهم من أجل تحرير الوطن والانتقام من الدخلاء المسيطرين . وغرابتها انما جاءت من كون الفدائى فيها أميرا والد أمير وفي سن متقدمة من عمره ، فلا الامارة اغوته ولا السن ثبطته . واذا كان لكل قاعدة شذوذ فان حال هذا الأمير الشهيد هو الشذوذ الذى يَرِدُ على القاعدة التي يشير لها الحديث القائل « يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » .

والحق ان هذا ليس شذوذا ، ولكنه الايمان الذى يزدرى بالدنيا وما فيها اذا تعارضت مع المطالب العليا للنفس الشريفة،وهو مقصد الحديث الذى خرج مخرج الخبر والمراد به الطلب اى الحض على عدم الحرص وعلى تقصير الأمل .

تحية وسلاما

وتحية وسلاما الى الشهداء الابرار والمناضلين الأحرار في سبيل اعلاء كلمة الله وانقاذ الوطن الاسلامى من سيطرة الأجنبى الدخيل ، في الماضى والحاضر . ■■

عبد الله كنون
طنجة ــ المغرب

يارَسُول اللّه

يارسول الله .. أدركْ .. عالمَا
يارسول الله .. أدركْ .. أمةً ..
يارسول الله .. أدركْ .. أمةً ..
أمةً عزّت وسادت حُرة
أمةً عاشت على الدهر .. هُدَى
ظن الاستعمار – وَهْمًا – أنه
ظنها ماتت !! وراحت دُورها
وانطلى الظن .. على أوهامه
يقتل الأحرار .. من أبنائها
فإذا الأفق ظلامٌ حالكٌ
وإذا أرض الرسالات .. دُجَى
وإذا الحق على الشوك مشى
وإذا القوم حيارى ، مثلما
فوق « سيناء » ، وفي أكنافها
في ربى « الفيحاء » ، يعلو صوتهم
يارسول الله .. أدرك .. أمةً
عجل النصر .. كما .. عجلته
فاستحال الذل .. نصرا رائعًا

يُشعل الحرب ، ويَصلَى من لظاها
في ظلام الشك ، قد طال سُراها
في متاهات الأسى ضاعت رُؤاها
دينها الحق .. ، وفي الله هواها
تمنح الحَيْران في الدنيا .. هُداها
قد أتى الناعى إليه .. ونعاها
في زحام الموت تنعى من بناها
فطغى في الأرض – كفرًا وسفاها
يقتل الأبطال – ظلما .. واشتباها
وإذا المَشرِقُ في الظلماء تاها
وإذا « القدس » توارت في دُجاها
وإذا الدنيا تُعانى من أساها
حارت الأُسد .. وضلت في فلاها
شهداء ، قد أضاءوا في رباها
هاتفًا بالثأر .. ممن قد سباها
في ظلام الشك .. قد طال سُراها
يوم « بدر » ، حين ناديتَ الإله
إن لله جنودًا ... لا نراها

عبد الفتاح عيسى



٢٠ شخصية و١٠٠٠ دينار

■ على هذه الصفحة تجد اسماء عشرين شخصية تاريخية .. والمطلوب منك ان تذكر صفة ١٥ شخصية منها على الأقل .. كان يكون سياسيا .. او قائدا حربيا .. او كاتبا .. او شاعرا .. او طبيبا .. او نحو ذلك .. ثم في اى قرن ماتوا .. ولك ان تختار القرون الهجرية او الميلادية في اجابتك .. وهذه هي اسماء العشرين شخصية التى ستختار من بينها ١٥ شخصية على الأقل:

١ ـ خالد بن الوليد
٢ ـ عبد الرحمن الناصر
٣ ـ صلاح الدين الايوبى
٤ ـ تيمورلنك
٥ ـ ابن جرير الطبرى
٦ ـ صفى الدين الحلى
٧ ـ جنكيز خان
٨ ـ الامام محمد بن عبد الوهاب
٩ ـ ياقوت الحموى
١٠ ـ عبد الرحمن المهدى
١١ ـ ابن الهيثم
١٢ ـ ابو فراس الحمدانى
١٣ ـ عنترة بن شداد
١٤ ـ الفيروزابادى
١٥ ـ الزمخشرى
١٦ ـ الجاحظ
١٧ ـ ابن المقفع
١٨ ـ عبد الحميد الكاتب
١٩ ـ على مبارك
٢٠ ـ عبد القادر الجيلانى

● شروط المسابقة ●

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٢ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ .

● الجوائز ●

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■





على مشارف الذكرى المئوية لميلاد أمير الشعراء

الطبيعةُ.. ضاحكةً في شعر

بقلم : صالح جودت

■ حديثنا هذا عن الطبيعة في شعر امير الشعراء ، الذى تحتفل الأمة العربية في مطالع العام الجديد بذكرى مرور مائة سنة على ميلاده .

ومن الطبيعي ان يخلو حديث الطبيعة من السياسة ، لأن الطبيعة خلقت قبل ان تخلق السياسة ويعيث فيها السياسون .

ولكن امير الشعراء يأبى ، وهو يتناول شطرا هاما من الطبيعة ـ هو شطر النبات والحيوان والطير ـ الا ان يشدنا الى حديث السياسة شدا لا هوادة فيه .

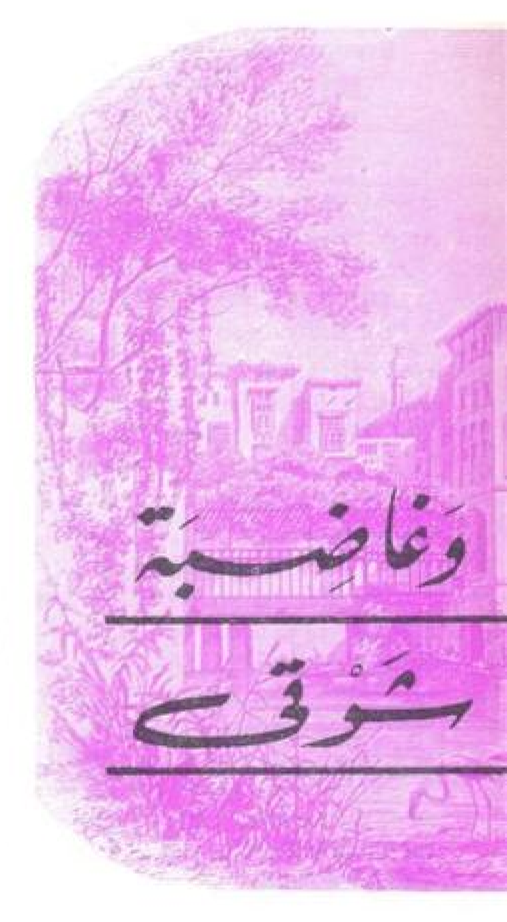
★ ★ ★

مما لا يختلف فيه اثنان ، ان امير الشعراء كان اسعد شعراء زمانه حظا عند الدارسين والنقاد ، فقد لقن شعره في المدارس والجامعات ، وترجم الى مختلف اللغات ، وصدرت عنه عشرات من الدراسات المتخصصة ، ولم يصدر كتاب من الكتب التي تتناول دراسة الأدب المعاصر ، الا كان لشوقي منه نصيب الأسد .

ومع هذا ، فقد نسي النقاد والدارسون ناحية من امير الشعراء تستحق دراسة تاريخية واعية ممحصة خليقة بأن تلقي ضوءا جديدا على حياته ونفسيته ووطنيته .

ان لشوقي اكثر من خمسين قصيدة ، يضمها الجزء الرابع من ديوانه ، تحت عنوان «الحكايات» .. بكل بساطة .. وبغير شماع من الضوء .

وهذه الحكايات ، اكثرها من ضرب الاراجيز ،



وغاضبة شوقي



وتتناول قصصا عن الطير والحيوان والنبات ، وقد أخذها الدارسون على ظاهرها السطحي ، أو على سطحيتهم في النظر اليها ، فحسبوا انها مجرد « حواديث » لتسلية الأطفال ، وهي في حقيقتها أجل وأكبر .. هي في حقيقتها ، للذين عرفوا الظروف التي فرضها القدر على شوقي ، من ان تكون جدته متخلية من مخظيات اسماعيل ، وان يولد هو على باب القصر كما قال في احدى قصائده :

الخون اسماعيل في أولاده :
ولقد ولدت بباب اسماعيلا ؟

وان يكون توفيق ، الخديو الضعيف الخائر ، صاحب يد عليه ، اذ هو الذى يوفده الى اوربا في بعثة طويلة الأجل وهو في اوج شبابه ، لينال اكرم العلم في باريس ، وليتجول بين شطآن الساحل اللازوردى ومفاتن الاندلس ومباهج لندن.مما يكون له ابلغ الأثر في تكوين شاعريته .. ثم ليكون بعد ذلك من أقرب المقربين الى عباس الثاني ، وهو فوق هذا صديق لرجالات الدولة على اختلاف مذاهبهم واحزابهم ونزعاتهم السياسية والطائفية وقريب الى مكان سعد زغلول ، وصهر لخصمه العتيد اسماعيل صدقي ، وخدين لعدلى يكن وعبد الخالق ثروت ، وهما عدوا الوفد .

كل هذه الظروف قد فرضت على أمير الشعراء فرضا ، فعاش في تيارها معذب الضمير بين حبه لوطنه من ناحية ، وبين ولائه لأولياء نعمته ومجاملته للجميع ، وهم يبذلون له كل مجاملة ، ويخلعون عليه كل تقدير هذا من الناحية الاخرى .

★ ★ ★

كان لا بد له في هذا الظلام المحيق به ، ان يجد لنفسه المصرية الثائرة متنفسا يستطيع أن يقول من خلاله ما يريد أن يقول ، ودون ان يغضب احدا ممن لا يعنون حكمة القول .

ولهذا نظم حكايات النبات والحيوان والطير ، فجاءت هذه الحكايات التي لم يتلفت النقاد والدارسون الى تطبيقها السياسي ، من أبدع نماذج الشعر الرمزى الساحر ، كما نرى في حكاية « نديم الباذنجان » .

كان شوقي خبيرا بقصة النفاق التي تعيش في كل قصر ، في كل عصر . ولقد عانى هو نفسه منها، اذ نافقه المنافقون طويلا لعلمهم بمكانته في القصر .

فلما رأوا غضبة الاستعمار عليه ، اشفقوا على انفسهم من ان يلحق بهم رشاش هذه الغضبة ، فانفضوا عنه ، حتى أنه حينما قرر الانجليز ابعاده

عن مصر ، ونفيه الى الاندلس ، وصل الى ميناء الاسكندرية ليركب البحر الى منفاه ، وتلفت حوله فلم يجد احدا ممن طالما مشوا اليه بالزلفى وهو في سطوته ، يجيء لوداعه في هذه اللحظة القاسية ، فقال في قصيدته المشهورة « بعد المنفى » مخاطبا أرض اندلس :

شكرتُ الفلك يوم حويت رحلي
فيا لمسافر شكر الغرابا
فأنت ارحتني من كل انف
كأنف الميْت في النزع انتصابا
ومنظر كل خوّان يراني
بوجه كالبغي رمى النقابا

★ ★ ★

وحكاية « نديم الباذنجان » هي صورة سافرة لندماء الملوك،الذين لا يملكون الا ان يؤمنوا على ما يقول سادتهم ، سواء كان قولهم الحق او الباطل.

هي حكاية سلطان جلس مع نديمه على خوان ، وكان الطعام باذنجان . فاراد السلطان ان يسخر من نفاق نديمه ، اذ هما ياكلان الباذنجان :

فأكل السلطان منه ما اكل
وقال : هذا في المذاق كالعسل
قال النديم : صدق السلطان
لا يستوى شهد وباذنجان
هذا الذى غنى به « الرئيس » (١)
وقال فيه الشعر جالينوس
يذهب الف علة وعلة
ويبرد الصدر ويشفى الغلة

وهكذا امتن النديم على قول السلطان وزاد عليه حتى رفع الباذنجان الى السماء فعاد السلطان يذم الباذنجان :

قال : ولكن عنده مراره
وما حمدت مرة آثاره
قال : نعم مر ، وهذا عيبه
مذ كنت يا مولاى لا أحبه
هذا الذى مات به « بقراط »
وسُمّ في الكأس به « سقراط »

فضحك السلطان ، وراح يسأل الحضور رأيهم في هذا النفاق ، فقال النديم ان مهنته هي المداهنة .. مداهنة السلطان ، لا مداهنة الباذنجان :

جُعلت كي انادم السلطانا
ولم انادمْ قطُّ باذنجانا

★ ★ ★

وحكاية « أمة الأرانب والفيل » لا تترك لذوى الفطن مجالا للشك في انه كان يرمز بأمة الأرانب الى مصر في ذلك العهد ، وبالفيل الى المستعمر .

وهو في سياق هذه الحكاية يسخر من فئة انصار الهزيمة ، الذين يؤثرون السلامة والاستسلام، ومن فئة الدعاة الى انصاف الحلول ، وكانت كثيرة يومئذ ، ويجهر بان السبيل الوحيد الى الخلاص هو وحدة الأمة وتماسكها في عمل جماعي كفيل باهلاك العدو .

الحكاية ، حكاية أمة من الأرانب ، حلت بارض طيبة المرعى ، غالها فيل ضخم هال الأرانب منظره ، فتفرقت جموعها شيعا :

وكان فيهم ارنب لبيب
اذهب كلَّ صوفه التجريب
نادى بهم : يا معشر الأرانب
من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الجافي
فالاتحاد قوة الضعاف

فلبت الأرانب دعوته ، واحتشدت في ساحة المرعى لتبادل الراى في شان مقاومة الفيل الغازى ، وانبرت منها ثلاثة ارانب — تمثل ثلاثة اتجاهات — لتقترح الحلول :

فنهض الأول للخطاب
فقال ان الراى ذا الصواب
ان نترك الأرض لذى الخرطوم
كى نستريح من أذى الغشوم

فاستنكر اكثر الارانب هذا الراى الذى يدعو الى الهزيمة والانسحاب ، ووقف الارنب الثاني :

ووثب الثاني فقال انى
أعهد في الثعلب شيخ الفن
فلندعه يمدُّنا بحكمته
ويأخذ اثنين جزاء خدمته
فقيل : لا يا صاحب السمو
لا يدفع العدوُّ بالعدو

وهكذا رفضت الارانب انصاف الحلول .. وجاء دور الثالث :

(١) الرئيس : ابن سينا .

وانتدب الثالث للكلام
فقال يا معشر الاقوام

اجتمعوا ، فالاجتماع قوة
ثم احفروا على الطريق هوه

يهوى اليها الفيل في مروره
فنستريح الدهر من شروره

ثم يقول الجيل بعد الجيل
قد اكل الأرنب عقل الفيل

فاستصوبوا مقاله واستحسنوا
وعملوا من فورهم فأحسنوا

وهلك الفيل الرفيع الشان
فأمست الأمة في امان

* * *

وحكاية ثالثة ، هي فيما ارى نقد لنظام التعليم في مصر ، حين كان صاحب الأمر فيه ، المستشار الانجليزي دنلوب ، وكان يوجه عقول النشء نحو تربية استعمارية تقتل وجداناتهم بذور الحرية . يصوغها شوقي في قصيدة عنوانها « البلابل التى رباها البوم » . ويروى فيها قصة خلاصتها ان النبي سليمان عليه السلام، الذى كان يكلم الطير ، اسلم مجموعة من البلابل الصغيرة الى البوم يسهر على تنشئتها ، حتى شبت عن الطوق خرساء لا تغني :

* * *

اصابها العي حتى لا اقتدار لها
بأن تبث نبي الله شكواها

فنال سيدها من دائها غضب
وود لو انه بالذبح داواها

فجاءه الهدهد المعهود معتذرا
عنها يقول لمولاه ومولاها :

بلابل الله لم تخرس ولا ولدت
خرسا ، ولكن بوم الشؤم ربّاها

* * *

اخترت هذه النماذج الثلاثة ، عن النبات والحيوان والطير في شعر شوقي ، لا كطراز لادب الطبيعة عنده ، بل كطراز لمهارته في استغلال الطبيعة كرئة للتنفيس عن عقد نفسية من المجتمع الذى عاش فيه : مجتمع الذلة والنفاق والكبت والاستبداد .

وللمقارنة بين شوقي حينما يستغل الطبيعة في التنفيس عن ذات نفسه بهذا الاسلوب الذى رأيناه ، وبينه وهو يستلهم واحدة من بنات الطبيعة استلهاما خالصا لوجه الشعر ، نتلفت الى قصيدته البديعة « مملكة النحل » وهى قصيدة فريدة في موسيقيتها ، معجزة في مقدرة شاعرها على تسخير بحرها القصير في اداء الصور الكبيرة الجبارة التى تحتويها هذه القصيدة .

من ناحية الطبيعة الخالصة، يبدع أمير الشعراء في وصف مملكة النحل وصفا دقيقا لا يترك منها سمة ولا شكلا ولا لونا ولا صوتا ولا حركة ، فيقول عن امة النحل :

تحكمهم راهبة ذكارة مغبرة

وذكارة : اى كأنها تذكر الله ، ومغبّرة ، من التغبير ، وهو ترديد الصوت بالقراءة ، وهذا وصف بديع لذلك الطنين الهادىء الذى ترسله لهاة ملكة النحل .. ثم يمضي في رواية التفاصيل الدقيقة لهذه الملكة قائلا :

عاقدة زنارها ، عن ساقها مشمّرة
تلثمت بالأرجوان وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارة مطيّره
ووقعت لم تختلج .. كأنها مسمره

ثم يتلفت لفتة عميقة الى الحياة في مملكة النحل ، وكيف تقوم على نظام مكين لا كرامة فيه لغير العمل ، ولا مجال للانحراف أو التقاعس أو الكسل :

اليس في مملكة النحل لقوم تبصره
ملك بناه اهله بهمة ومجدره
لو التمست فيه بطّال اليدين لم تره
تقتل او تنفى الكسالى فيه غير منذره

ثم يصف رسالة الملكة في خليتها ، من حماية الرعية بسلاحها وتدبيرها :

انثى ، ولكن في جناحيها لباة مخدره
ذائدة عن حوضها طاردة من كدره
تقلدت ابرتها وادّرعت بالحبره
كأنها تركية قد رابطت بأنقره
كأنها (جاندرك) في كتيبة معسكره
تلقى المغير بالجنود الخشن المنمره

الى ان يقول في وصف حياتها اليومية في بناء الخلية ونتاجها من الشهد :

صاعدة من معمل ، من معمل منحدره
واردة وسكرة صادرة عن وسكره
باكرة تستنهض العصائب المبكره
السامعين الطائعين المحسنين المهره
من كل من خط البناء او اقام اسطره
او شد اصل عقده او سده او قوره
او طاف بالماء على جدرانه المجدره

وهو في كل ذلك يتخذ من الحياة في مملكة النحل دروسا وعظات للحياة الانسانية ، كان يقول :

مخلوقة ضعيفة من خلق مصوره
ياما اقلَّ ملكها وما اجلَّ خطره
قف سائل النحل به بأى عقل دبّره ؟
يجبك بالاخلاق ، وهي كالعقول جوهره
ويرفع الله بها من شاء ، حتى الحشره

★ ★ ★

وعلى الرغم من ان نقاد العرب يضعون شوقي في مرتبة « الشعراء المؤرخين » وهم في كل عصر فحول الشعر ، الذين يسهرون على متابعة الحوادث ويؤرخون لها بمجرد وقوعها ، وهؤلاء الشعراء قلما يفرغون لرسالة غير هذه الرسالة ، فان عبقرية شوقي قد تجاوزت حدود الشاعر المؤرخ ، فالم الى جانب هذا بالشعر الذاتي والوجداني والصوفي ، وابدع في مجال الشعر الوصفي الذى انصب على الطبيعة في آثره ، واعانه على ذلك انه تجول كثيرا في فجاج الارض ، في مصر وخارج حدودها ، واستلهم الطبيعة في كل شبر ، بادئا بمصر .

وقصيدته في النيل ، التي تتغنى بها ام كلثوم ، تعد من اعظم الأعمال الشعرية في التاريخ العربي .

وهى طويلة ، تقع في مائة وخمسين بيتا ، وقد شهد الشاعر احمد رامي ميلاد هذه القصيدة ، وشهد ان شوقي نظمها جميعا في ليلة واحدة هبط فيها عليه الوحى سخيا رضيا ، وكان ليلتئذ مع رامى في حانة يقال لها « دلباني » على شاطىء النيل بالقاهرة . فكان شوقي يترك صاحبه في الحانة لنصف ساعة يقوم خلالها بجولة في العربة حول الجزيرة ، ويعود ليملى على صاحبه عشرين بيتا . وبعد قليل يهب هبة اخرى ، في جولة اخرى ، ليعود فيملى عليه عشرة ابيات اخرى ، أو عشرين ، او ثلاثين . وما زال طول الليلة يهب هبة ثالثة ورابعة وخامسة ، حتى انتهت القصيدة كلها قبل ان تنتهى الليلة .

وقد اهدى شوقى هذه القصيدة الى المستشرق المعروف الاستاذ مرجليوث ، مع رسالة يقول له منها

« هذه ، ايها الاستاذ الكريم ، كلمة قيلت .. قضاء لحق النيل الأسعد الأمجد ، ونسبتها اليك عرفانا لفضلك على لغة الادب ، وما انفقت من شباب وكهولة في احياء علومها ونشر آدابها .. الخ »

هذه القصيدة التى يبدأها امير الشعراء بداية رائعة بقوله :

من اى عهد في القرى تتدفق ؟
وبأى كفٍّ في المدائن تغدق ؟
ومن السماء نزلت ، ام فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق ؟

ثم ينسرب الى وصف ارض مصر السوداء ، اذ ينحسر عنها النيل في وقت التحاريق ، وكيف تخضوضر اذا جاء الفيضان :

تسود ديباجا اذا فارقتها
فاذا حضرت اخضوضر الاستبرق
والماء تسكبه فيسبك عسجدا
والارض تغرقها فيحيا المغرق

ثم يعتذر للفراعنة اذ عبدوا النيل وجعلوه الها منعما متفضلا ، بقوله :

دينُ الأوائل فيك دينُ مروءة
لم لا يؤلّه منْ يقوتُ ويرزقُ
لو ان مخلوقا يؤلّه ، لم تكن
لسواك مرتبةُ الالوهة تخلق

★ ★ ★

وفي قصيدة اخرى ، يهديها الى الروائي الشهير « هول كين » وقد حل ضيفا على مصر ، يصف امير الشعراء الربيع في وادى النيل ، ويحرض القصصي الكبير على ان يستوحى من حقائق الروائع المصرية تاجا يذاع على العالم :

يقول في مطلع القصيدة :

آذار أقبل ، قم بنا يا صاح
حيّ الربيعَ حديقة الارواح

ثم يصف الربيع مقبلا على ضفاف النيل كملك ينشر الوانه الزاهية على الخمائل :

مَلِكُ النبات ، فكلُّ ارض داره
تلقاه بالاعـراس والافــراح

منشـورة اعلامـه عن احمر
قـان وابيض في الـرُبى لمّاح

لبست لمقدمه الخمائل وشيها
ومَرحن في كنف لـه وَجنـاح

يغشي المنازل من لواحظ ترجس
آنـا ، وآنـا من ثغـور اُقاح

ورؤوس « منثور » خفضن لعزّه
تيجانهـن عواطـر الارواح

الورد في سُرَر الغصـون مفتح
متقابـل يثنـى على التفـاح

ضاحي المواكب في الرياض مميز
دون الزهور بشوكة وسـلاح

مـر النسيم بصفحتيه مقبلا
مر الشـفاه على خدود مـلاح

وتنساب الصورة انسيابا موسيقيا جميلا الى النهاية ، لا يترك فيها امير الشعراء مزيدا لقائل في ربيع النيل، من تفتح النسرين والياسمين والجلنار والبنفسج ، وسحوق السرو والنخيل ، في لوحات شاعرية ساحرة ، الى ان يقول لصاحبه « هول كين » يحرضه على الاستلهام :

« هول كين » .. مصر رواية لا تنتهى
منهـا يد الكُتـاب والشُـراح

فيها من البردى والمزمـور والـ
ـتوراة والفـرقان والاصـحاح

ومِنا ، وقَمبيزٌ ، الى اسـكندر
فالقيصرين ، فذى الجلال صـلاح

تلك الخلائق والدهـور خزانـةٌ
فابعثْ خيالـك يأتِ بالمفتـاح

★ ★ ★

وقد هام شوقي بالربيع حتى جعله اجمـل استهلال لاعز قصيدة في ذكرياته ، وهى القصيدة التى استقبل بها وفود الشرق والغرب يوم اجتمعت لتتويجه اميرا للشعراء ، قائلا :

مـرحبا بالربيـع في ريعانـه
وبانـواره وطِيـب زمانـه

رفـت الارض فى مـواكب آذار
.. وشـب الزمان في مهرجانه

نزل السهلَ ضاحكَ البشر يمشي
فيه مشي الامـير في بسـتانه

عاد حَلْيا براحتيه ووشـيا
طول انهاره وعـرض جنانـه

لف في طيلسـانه طُرَرَ الارض
... فطاب الاديم من طيلسـانه

سـاحر فتنه العيـون مبين
فصـل الماء في الربا بجمانـه

★ ★ ★

ومن تالق الربيع ، ينتقل شوقى الى وصف الصحراء الجافية ، في قصيدة يحيى بها الرحالة احمد حسنين بعد عودته من رحلة الصحراء التى كشف بها عن بعض الواحات المجهولة ، فيعقد شاعرنا مقارنة جميلة بين الحياة عامة ، والصحراء في تيهها :

كم في الحياة من الصحراء من شبه
كلتاهما في مناجـاة الفتى شَرَعُ

وراء كل سـبيل فيهما قدرٌ
لا تعلم النفس ما يأتى وما يَدَعُ

فلست تدري وان كنت الحريص متى
تهب ريحاهما او يطلع السـبع

ولست تأمن عند الصحو فاجئة
من العواصف فيها الخوف والهلع

ولست تدرى وان قدرت مجتهدا
متى تحط رحالا او متى تضـع

ولست تملك من امر الدليل سوى
ان الدليـل وان ارداك متبـع

وما الحياة اذا اظلمتُ وان خدعتْ
الا سرابٌ على صـحراءَ يلتمع

★ ★ ★

ولعل مما ادنى الطبيعة الى خيال امير الشعراء انه كان من هواياته دراسة الجغرافيا ، وله فى تحية المؤتمر الجغرافي الذى انعقد في مصر في بعض

السنين قصيدة عامرة ، يصف فيها هذا العلم الأثير عنده بقوله :

العلم يجمع في جنس وفي وطن
شتى القبائل اجناسا واوطانا

ولم يزدك كرسم الارض معرفة
بالارض دارا وبالاحياء جيرانا

علم ابان عن الغبراء فانكشفت
زرعا وضرعا واقليما وسكانا

وقسم الارض آكاما واودية
وفصل البحر اصدافا ومرجانا

وبين الناس عادات وامزجة
وميز الناس اجناسا وأديانا

وقد نقله حبه للطبيعة بين الف واد وواد ، فافتتن بسحر سويسرا ، وروعة الاندلس ، وجمال التيرول ،ولكن شيئا لم يجتذبه بعد طبيعة مصر ، قدر ما اجتذبته مشاهد الطبيعتين التركية واللبنانية .

وله في جمال المشاهد التركية اكثر من قصيدة من اجملها رباعياته عن البوسفور ، التي يستهلها بقوله ، والخطاب للفلك :

على اى الجنان بنا تمر
وفي اى الحدائق تستقر ؟

رويدا ايها الفلك الابر
بلغت بنا الربوع فانت حر

الى ان يصل الى ضفاف الدردنيل عند الفجر ، فيقول :

الى ان قيل هذا الدردنيل
فرت اليه والفجر الدليل

يجيزك والامان به سبيل
اذا هو لم يجز فالماء خمر

تسايرك المدائن والاناسي
وفلك بين جوال وراسي

وتحضنك الجزائر والرواسي
وتجرى رقة لك وهي صخر

واجمل منها قصيدته في وصف موضع بالآستانة، يقال له ماء « جكسو » .. اى ماء السماء :

تحية شاعر ياماء جكسو
فليس سواك للارواح انس

فدتك مياه دجلة وهي سعد
ولا جعلت فداءك وهي نحس

وجاءك ماء زمزم وهو طهر
وامواه على الاردن قدس

وكان النيل يعرس كل عام
وانت على مدى الايام عرس

وقد زعموه للغارات رمسا
وانت لهمهن الدهر رمس

اما لبنان،فقد كان للامير بطبيعتهاهيام العاشقين، وقد صاغ هيامه هذا في اكثر من شوقية تفردت باشياء لم يتفرد بها الكثير من شعره ، كما نرى في قصيدته التي نظمها في « بكفيا » ذات القافية العصية التي طوعها ايما تطويع ، ومطلعها :

السحر من سود العيون لقيته
والبابلي بلحظهن سقيته

ويقول فيها ، جاعلا للبنان المرتبة التالية لجنة الخلد :

لبنان والخلد اختراع الله لم
يوسم بأزين منهما ملكوته

هو ذروة في الحسن غير مرومة
وذرا البراعة والحجا بيروته

ملك الهضاب الشم سلطان الربى
هام السحاب عروشه وتخوته

جبل على آذار يزرى صيفة
وشتاؤه يئد القرى جبروته

وكأن ايام الشباب ربوعه
وكأن احلام الكعاب بيوته

وكأن ريعان الصبا ريحانه
سر السرور يجوده ويقوته

وكأن انداء النواهد تينه
وكأن اقراط الولائد توته

وكأن همس القاع في اذن الصفا
صوت العتاب ظهوره وخفوته

* * *

وان امير الشعراء ليتفوق على نفسه في هيامه بطبيعة لبنان ، فبعد هذا القصيد الساحر الذى نظمه في بكفيا ، يصل الى زحلة ، فيطلق عليها التسمية العذبة التي تعلقت بها حتى اليوم .

جارة الوادي .. وينظم فيها قصيدته الحلوة التى استهلها بوداع ايام الشباب :

شيعت احلامي بقلب باك
ولممتُ من طرق الملاح شباكي
ورجعت ادراج الشبابَ وَوَرده
امشى مكانهما على الاشواك

وهو يدلل زحلة في هذه القصيدة ، فيسميها « زحيلة » و « بنت البقاع » ويقول لها :

بنتَ البقاع وامُ بردونيها
طيبى كجلقَ واسكبى بردَاك
ودمشق جنات النعيم وانما
الفيت سدة عدنهن رباك
قسما لو انتمت الجداول والربى
لتهلل الفردوس ثم تماك
مرآك مرآه وعينك عينه
لم يا زحيلة لا يكون اباك ؟

وقد عرفت زحلة ، او زحيلة ، هذا الفضل ، وحفظت له يده عليها ، وردت اليه بعض الجميل اذ هى تقيم اليوم له تمثالا في قلب الوادى ، في نفس المكان الذى تعود ان يشهد سامره .

★ ★ ★

وكما هزت الطبيعة امير الشعراء في فتنتها ، هزته فى غضبتها، ومن الامثلة الرائعة في هذا المجال قصيدته في الاشفاق على طوكيو ، عاصمة اليابان ، حين عدت عليها غضبة من غضبات الطبيعة ، في صورة زلزال مدمر .

ومع ان اليابان ابعد بلاد الله عنا ، ومع انه لم يزرها في حياته ، ولم تربطه بها وشيجة الا وشيجة الانسان ، فقد اهتز وجدانه مع زلزالها ، فقال قصيدته المأثورة :

قف بطوكيو وطف على يوكوهامه
وسل القريتين كيف القيامه
دنت الساعة التي انذر الناس
... وحلت اشراطها والعلامه
قف تأمل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار « عاد » دعامه

الى ان يقول :

ثق بما شئت من زمانك ، الا
صحبة العيش او جوار السلامة

وهكذا يتسع هذا الوجدان العالي الكبير لآلام البشرية في غضبات الطبيعة عليها ، كما يتسع لها في تهلل الربيع وندى الفجر وغيث الشتاء .

ولكن الظاهرة التى يجب ان يتنبه لها الدارسون ، هى عمق الصوفية والايمان في الحالين .

فهو هنا اذ يتحدث عن الزلزال ، يذكر يوم القيامة ، ويستعيد يوم « عاد » .. الذى جاء في الذكر الحكيم ، ويذكر الناس بالساعة واشراطها وعلاماتها .

وهو فيما سقنا من امثلة احتفائه بالطبيعة الضاحكة ، لا تكاد تخلو قصيدة واحدة من قصائده من ذكر الله والمقدسات .

فهو في « الحكايات » التى بدانا بذكرها ، وذكرنا من بينها حكاية البلابل ، يذكر سليمان عليه السلام ويقول عن البلابل « بلابل الله » .

وهو في قصيدة النحل ، يصف ملكة النحل بانها « راهبة ذكارة مغبرة » وان الله سبحانه يرفع بالاخلاق شان من شاء من مخلوقاته حتى الحشرة.

اما الجنة ، فهي واردة في كل قصيدة له عن جمال الطبيعة ، فالنيل – في قصيدة النيل – نابع من الجنان جداولا تترقرق ، وهو في القصيدة نفسها يعتذر للفراعنة عن تاليه النيل ، ويقول : لو لم يكن هناك اله لكان النيل هو الاله .

وفى قصيدته المهداة الى هول كين ، يذكر ان مصر رواية لا تنتهى ، فيها بعد حكايات البردى ، حكايات مقدسة من مزامير التوراة ، والانجيل والقرآن .

وفي قصيدة « جكسو » يطوف بمياه زمزم وقدس الاردن .

وفي قصيدة «لبنان» يقرن جناتها بجنان الخلد.
وفي قصيدة زحلة ، ينمى جداولها لاصل في الفردوس .

هذه ظاهرة في شعر الطبيعة لامير الشعراء ، تكشف عن عمق ايمانه وصوفيته ، وتلح على الدارسين ان ينظروا الى شعره على ضوء جديد .

■■

صالح جودت

أنباء الطب والعلم والاختراع

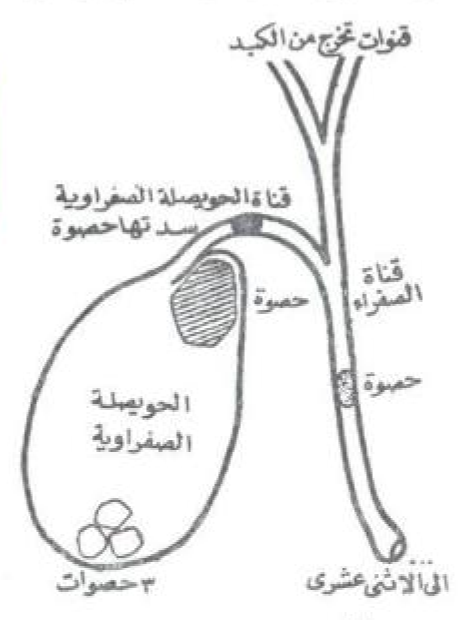
حصوة المرارة
هل قارب علاجها بالعقاقير

● ان كيس المرارة تتكون فيه احيانا حصوات من مادة الكولسترول Chole - sterol لايدرى الطب الى اليوم على التحقيق كيف تتكون . والكولسترول موجود ذائب فى الدم بالمرارة ، فاذا انفصل عنه ظهر حصى فى المرارة. والعلاج الوحيد القائم اليوم هو الجراحة .

ولكن ظهر ان الذين عندهم هذا الحصى ،توجد مادة الليسثين Lecithin فىدمائهم بنسبة اقل من النسبة المعتادة. والمعروف ان الليسثين يذيب الكولسترول ، واذن فلعل ترسب الكولسترول راجع لقلة مقدار الليسثين فى الدم .

واذن تراءى للبحاث ان يجربوا اطعام المرضى ليسثين فول الصويا Soybean Lecithin ، وفعلوا ، واثبتوا ان هذا يزيد فعلا مقدار الليسثين الذى بالدم واذن فهو لابد يذيب الكولسترول .

والهدف من هذا البحث الذى لم يتم بعد هو التعرف على امكان هذا علاجا للذين تكوّن في كيس مرارتهم حصى،هل يذيب حصاهم ، فان هو فعل ، كان هذا نصرا كبيرا .

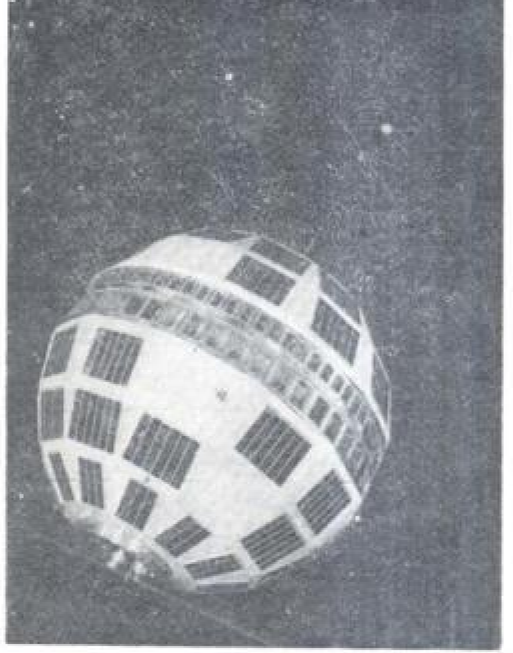


التلفاز الملون
يستخدم فوق سطح القمر

● لقد اجازت ادارة بحارة الهواء والفضاء الامريكية Nasa استخدام التلفاز الملون على سطح القمر من الآن فصاعدا ، والذى يذكره الناس ان التلفاز الملون استخدم على سطح القمر فقط لتصوير مركبة القيادة التي لم تهبط على سطح القمر Command Vehicle .

اما في الرحلة الثانية عشرة لابولو فيستخدم فيها التلفاز ايضا فى تصوير المركبة القمرية التي تهبط على سطح القمر Lunar Vehicle .

للاقمار الصناعية
آجال تنتهي عندها



انها الاقمار الاصطناعية، تلك التى جرت الولايات المتحدة وروسيا على اطلاقها لتدور حول الارض . انها لو دارت فى فراغ كامل لطالت اعمارها ما شاء الله ، كما طال عمر القمر الطبيعي اذ يدور حول الارض ، وكما طال عمر الأرض اذ تدور حول الشمس . وكما طالت اعمار سائر الكواكب .

ولكن الأقمار الصناعية لا تطير فى اجواء فارغة كل الفراغ . والقليل الأقل من الجزيئات التي تلقاها هذه الأقمار وهي تجرى فى افلاكها تحتك بها فتقلل من سرعتها على الزمن الطويل . وكلما قلت سرعة القمر الاصطناعي اقترب من الارض . واخيرا يهبط عليها .

ونعلم ان الولايات المتحدة اطلقت اول تابع دار حول الأرض، واسمه Explorer 1 فى ٣١ يناير عام ١٩٥٨ . واليوم تأتينا الاخبار بانه ساقط أو قد سقط الى الأرض .

ومعنى هذا انه قضى يدور حول الأرض أكثر من ١١ عاما .

العقاقير القاتلة

يقول رئيس لجنة العقاقير فى انجلترا ان عدد الذين يموتون بسبب العقاقير فيها يكاد يساوى عدد من يموتون بسبب حوادث الطريق .

فقد دل الاحصاء على ان الذين ماتوا عام ١٩٦٧ بسبب التسمم ، وكذا الذين ماتوا بغاز الاستصباح، بلغ عددهم ٦٧٠٠ شخص ، اكثرهم بسبب العقاقير ، وان الذين ماتوا بسبب حوادث الطرق بلغ عددهم ٧٤٠٠ .

ان الذين يريدون الانتحار يستخدمون هذه الايام العقاقير المسكنة Tranquilzers والاقراص المنوِّمة .

ومن طريف ما يذكر انه فى عام ١٩٦٧ كتب الأطباء لمرضاهم ٦ مليون وصفة من المسكنات، وهو مقدار يكفي لعلاج شخص واحد من كل عشرة اشخاص، ليستخدمه شهرا كاملا . وكتب الأطباء كذلك ٢٠ مليون وصفة من مركبات الباربتورات Barbiturates و ٥ر٥ مليون وصفة من سائر العقاقير المنومة غير الباربتورات .

الحشيش
صار اليوم عند أهل الغرب مشكلة

● انه لايعرف عندهم بالحشيش ، ولكن اسمه عندهم ماريجوانا Marijuana .

وتقرا عنه في دائرة المعارف البريطانية، فتعلم انه عقار مسكر مثير يستخدم في الولايات المتحدة وغيرها ، ضد القانون : وهو يوضع عادة في السجائر قبل تدخينها .

وتزيد دائرة المعارف فتقول : انه يستحضر من الأوراق العليا والأزهار لشجرة القنب الهندى Cannabis Sativa وهي تزرع في شتى بقاع الارض . وهذا العقار يستخدم من قديم الزمان ، وسوء استخدامه يؤدى الى نتائج طبية واجتماعية وخيمة في دول مختلفة . وقد دل البحث على ان كثيرا من الناس ذوى الانفعالات غير المستقرة صدرت عنهم جرائم كبرى ، واتضح بعد ذلك انهم من مستخدمي هذا العقار ، الماريجوانا او الحشيش .

ويصحب استخدام هذا العقار ظواهر جثمانية ، واخرى نفسية، ومنها العطش والجوع والتطلع الشديد للحلوى ، وموعان النفس ، والدوخة ، والم البطن، وحدة الطبع ، والميل للنوم ، واحساس بالعظمة احيانا ، واحيانا بالاوهام والاحلام .

والادمان يكسب صاحبه وخامة الفكر ثم مرض النفس .

والتوقف عن تعاطى الحشيش لايحدث في صاحبه ما يحدثه التوقف عن تعاطى المخدرات الاخرى بعد ادمانها .

ويغلب بعد ادمان الحشيش الانتقال الى ادمان العقاقير المخدرة الاخرى كالهيروين ونحوه .

من اجل كل هذا منعت الولايات المتحدة استخدامه بقانون .

والجديد في الأمر ان تعاطي الحشيش زاد في هذه السنوات الاخيرة ، لا سيما في الولايات المتحدة ، ولا سيما بين الشبان ، زيادة كبيرة ، حتى هال الأمر ولاة الأمور هناك .

صوت يعارض القانون القائم

واليوم يقوم رئيس المؤسسة القومية للصحة العقلية في الولايات المتحدة ، وهو يشغل منصبا من مناصب الطب عظيما ، يقوم بتفنيد كل هذه المزاعم التي شاعت عن الحشيش . فهو يشهد امام لجنة الكنجرس الأمريكي بأن الماريجوانا لا تحمل صاحبها على الادمان ، وهي لا تؤدى بصاحبها بالضرورة الى استخدام المخدرات الاخرى كالهيروين Heroin وهى لا تؤدى بمتعاطيها الى الاجرام، وهي ليست مثيرة للشهوة الجنسية .

ولقد شهد امام لجنة تنظر في انحراف المراهقين فقال ان زيادة القيود القائمة لمنع الماريجوانا غير ضرورية ، وان حبس

البعوض

● أما البلد الذى نعنيه فكلفورنيا .

فقد اصبحت مسالة البعوض مسالة عند اهله عويصة تزداد كل يوم صعوبة، وبما ان البعوض حامل للامراض ، فالعجز عن التحكم فيه معناه العجز في صد هذه الامراض .

يقول عميد كلية العلوم الزراعية في جامعة كلفورنيا :

« ان التغلب على انتشار البعوض اصبح مسالة تزداد كل يوم صعوبة



ورقة القنب الهندي

من نجد عندهم هذا العقار عمل لا يبرره المعروف من خواص هذا العقار .

وعنده ان هذا العقار من الخطأ ادخاله في زمرة المخدرات ، لا من الوجهة الطبية، ولا من الوجهة القانونية . ومع هذا هو احتاط ، فقال انه لا يوافق على ازالة كل الموانع القائمة دون انتشار العقار فقد يكون له عواقب وخيمة لدى المراهقين فهم اذا ادمنوه فقدوا القدرة على مجابهة الحياة . وكذا سائقو السيارات لا بد أن يمنعوا من تعاطيه .

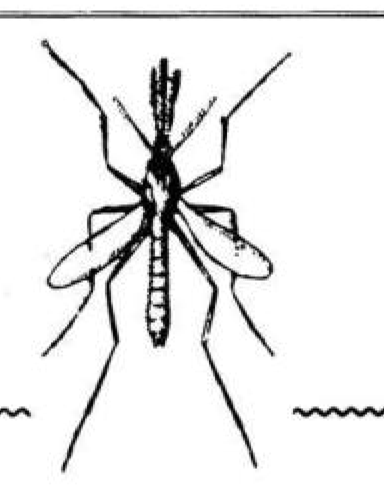
الحشيش في مختبرات البحوث

والحقيقة الظاهرة ان هذا العقار : بالرغم من معرفة الانسان اياه من قديم الزمان ، لم يعرف عنه العلم الشيء الكثير ، انها افكار شاعت في الجماهير ، قد يصدق الكثير منها ، وقد يكذب الكثير .

من اجل هذا بدأت البحوث تجرى على هذا العقار ، او بالاحرى على مركبه الفعّال ، واسمه في الكيمياء Tetrahydrocannibol . وهي تجرى الآن في عدة مختبرات .

وهذه البحوث سوف يكون لها صدى كبير في الشرق ، والحشيش من بعض مشكلاته . والحكومات تنفق الكثير في سبيل مطاردة مهربيه . وهو يزرع في بعض البلاد العربية ، ليهرب الى بعض البلاد العربية الاخرى ، والمهربون لا يهمهم ما قد يحدثه الحشيش من نفع او ضرر ، وانما همهم في الثروة التي يحصلون عليها ، وهي ثروة كبيرة بسبب غلاء العقار . وهو غال بسبب المنع . وقد حبّب الى الانسان كل ممنوع .

تزايد خطره في بعض البلاد



في ولاية كلفورنيا لأسباب عدة ، منها تكاثر السكان ، ومنها امتداد المشاريع المائية فهي تهيىء للبعوض مراقد للماء تتربّى فيها ، ومنها ان البعوض تزداد مقاومته للكيماويات القاتلة له » .

والولاية تنفق الآن ١١٢٠٠٠ دولار على البحوث الرامية الى التحكم في انتشار البعوض ، وذلك من الوجهة الكيماوية والوجهة البيولوجية ، وكذلك من بحث موضوع ازدياد حصانة البعوض في مقاومة المبيدات .

اذا لم تتحول الجامعات عن تخصصها الفاحش ،

فقدت مراكز القيادة فى المجتمعات الحديثة

● ليس هذا راى فرد واحد ، ولا هو راى استاذ واحد ، ولكنه راى مؤتمرات جامعية وغير جامعية رات في المنهج التي تسير عليه الجامعات الاوروبية والأمريكية خطرا على مراكزها القيادية الفكرية في مجتمعات هذا الزمان الأحدث .

ان الجامعات تأسست في اوروبا منذ نحو ثمانية قرون ، ثم اخذت ، كما يأخذ كل شيء حي، في التقسم فتقسمت الخلية الى خليتين والخليتين الى اربع ، وهكذا. والذى كان يسمى في أول الأمر فلسفة اصبح تاريخا ، واصبح علما سياسيا ، واصبح رياضة ، واصبح علم احياء ، الى ما هنالك من اقسام علوم كثيرة شتى .

ونتج عن هذا التقسم ، والتوزع ، والتشتت ، ان الجامعات اصبحت عاجزة عن حل المشكلات الحديثة كمثل التخلف الذى يحدث في المدن ، والتلوث الذى يصيب السكان من تحتهم في ارض ، ومن فوقهم في هواء ، في هذا العصر الصناعى التكنى الشديد السريع .

ان الأساتذة،وقد تقوقع كل في خليته، اعنى في قسمه الخاص في الجامعة ، اصبح عاجزا عن ان يجمع تلك المعارف الشتيتة المفرّقة البعيدة عن عنايته الأكاديمية البحتة ، تلك المعارف التي بها يستطيع حل معضلة اليوم،بل معضلاته.

ومن اجل هذا نشأت معاهد جديدة ، ليس غايتها الكسب،ولكن غايتها البحث، مستقلة عن هذه الجامعات ، ولكل هدف خاص من تلك الأهداف التى تمخضت عنها الحياة الحديثة ، ولم تجد في الجامعات استجابة لها . ومن هذه المعاهد معهد الدراسات المدينية ، او ان شئت فالمدنية . وهذه المعاهد تجتذب العلماء الشبان المتحفزين اليها، تجتذبهم من الجامعات،حيث نالهم السأم المتواصل في الدرب القديم الذى لا يتجدد . وفي هذه المعاهد المستحدثة تتفتح مواهبهم، وتلتذ عقولهم بحلول لأمور متصلة بأصول الحياة كما يعرفها الناس اليوم .

ان الأساتذة في جامعاتهم أسرى الفكر النظرى، فاذا نظروا الى الحياة ومعتقداتها تاهوا فيها . والناس اليوم تطلب من العلماء أو من بعضهم على الأقل ، حل عقد الحياة .

ولقد ظهر هذا جليا في علم الاجتماع ، فهو قسمان ، نظرى ، وتطبيقى . فلما درج القسمان فيهما التقيا حتى لم يعد يكون بينهما حائط حاجز .

اذا لم تتحول الجامعات عن تخصصها الفاحش ، فقدت مراكز القيادة في المجتمعات الحديثة





ركن الاسرة والمرأة

التوتر في الأسرة

كيف نقيس حدته .. ونخلص أنفسنا منه ؟

بقلم : منير نصيف

■ كل واحد منا .. الرجل في عمله ، والمرأة في بيتها ، والشاب في مدرسته او جامعته .. والفتاة وسط زميلاتها .. كلنا يعاني من التوتر لسبب او لاخر في حياته اليومية ..

وهذا الشعور الذى ينتابنا ، هو شعور طبيعي ، بل هو وظيفة من الوظائف الاساسية للحياة .. تماما كما نشعر احيانا بالجوع او العطش فنأكل لنشبع او نشرب لنرتوى ! انه رد فعل صحى يتولد داخل نفوسنا عندما نواجه خطرا يهدد سلامتنا ورفاهيتنا وسعادتنا ..

ومن اجل ذلك ، لايجب ان يكون احساسنا بالتوتر مدعاة لقلقنا ، رغم ما يتركه هذا الاحساس من أثر على تصرفاتنا ومسلكنا ازاء الاخرين .. وانما يكون القلق اذا عاودنا التوتر على فترات متقاربة واذا هزنا هذا الاحساس وقلب كياننا ، ثم اذا فشلنا تماما في التخلص منه او التخفيف من اثره !

كيف نعرف انفسنا

ولكن كيف نكتشف انفسنا ، كيف نعرف اننا نعاني من التوتر بهذا القدر الذى يجب ان يثير اهتمامنا .

يقول علماء النفس انه من السهولة بمكان ان يتعرف المرء على مدى حدة التوتر الذى يعاني منه في حياته اليومية ، لو انه امعن النظر في تصرفاته وفي طريقة تفكيره ، وموقفه من الاخرين .. وهم يطلبون منا الاجابة على بضعة اسئلة قصيرة ، اعدت بعناية ، بشرط ان تجيء اجاباتنا بعد ترو وامعان ، وان تكون اجابة امينة نضعها وحدنا او بالتعاون مع هؤلاء الذين يشاركوننا حياتنا في عملنا ، او في بيوتنا ، فكثيرا ما يعجز الانسان عن رؤية نفسه ؟

اجب عن هذه الاسئلة

وهذه هي الاسئلة :

* هل ترتبك اذا صادفتنا مشكلة صغيرة او احسسنا بخيبة امل لأننا لم نحقق امرا كنا نصبو اليه؟

* هل نجد صعوبة في التفاهم مع الناس ، وهل يجد الناس بدورهم صعوبة في التفاهم معنا ؟

* هناك اشياء صغيرة تمر بنا في حياتنا اليومية، ولكنها ،رغم صغرها وبساطتها ، تثير في نفوسنا ارتياحا وسعادة ، كابتسامة طفل مثلا ، عندما يلقانا عند عودتنا الى البيت من العمل ، او طبق الطعام المفضل ، الذى وجدناه يتوسط مائدة الغداء .. فهل تفشل مثل هذه الاشياء في اثارة اهتمامنا واسعادنا ؟

* هل نعجز احيانا عن التفكير فيما يساورنا من قلق؟او نشعر بالقلق دون ان ندرى سببا واضحا له؟

* هل تخشى الناس والمواقف التي لم تكن في الماضي تهزنا او تثير رهبتنا ؟

* هل نشك في اصدقائنا وفي نواياهم تجاهنا ؟

* هل نعمد الى تعاطى الحبوب المهدئة للاعصاب والاقراص المنومة ؟

ليست بكارثة .. ولكن

ويقول العلماء انه اذا كانت الاجابة بنعم على معظم هذه الاسئلة ، فصاحبها يعاني قدرا كبيرا من التوتر ، رجلا كان ام مرأة .. ولكنهم يؤكدون بعد ذلك انه ليس معنى هذا ان كارثة توشك ان تحل بهم،وانما معناه ان الحالة تتطلب علاجا سريعا..

فكيف يكون هذا العلاج .. ومن اين يبدا ؟

هذه بعض النصائح الذى يتوجه بها العلماء الى كل اب يعاني من التوتر .. وكل ام تشعر بالقلق .. وكل شاب وكل فتاة يسعى او تسعى الى التخلص من هذا الاحساس الذى يدفع بصاحبه الى هاوية سحيقة من الاوهام والتخيلات، ثم الى عيادات الاطباء النفسانيين في نهاية المطاف.

اناء يغلي بالغضب

اولا : اذا احسسنا بان هناك امرا يقلقنا ، وادركنا ماهية هذا الامر ، فلا يجب ان نكتمه في صدورنا ، لاننا بذلك نكون اشبه بوعاء ملأناه بالماء واحكمنا اغلاقه ، ثم وضعناه فوق نار ليغلي ..فهو لايلبث ان ينفجر ويصيب كل من حوله .

لابد لنا اذن ان نبوح بهذا الذى يقلقنا لشخص ما ، نرتاح اليه ونثق في نصحه وارشاده ،فالزوج يحدث زوجته ويطلب رأيها . والزوجة تلجا الى زوجها وتسر اليه باسباب قلقها،والابناء يتوجهون الى آبائهم او الى اى كبير في الاسرة .. وربما كان اقرب الناس اليهم في كثير من الاحيان هم مدرسوهم واساتذتهم ..

فالافضاء باسباب القلق ، يعرضها للضوء .. وكثيرا ما يساعد اخراجها على ايجاد حل لتلك المشاكل والعقبات التي اثارت في نفوسنا هذا الشعور .. ومجرد شعورنا باننا لانقف وحدنا يبعث في نفوسنا الراحة والطمأنينة !

الهرب من المشكلة !

ثانيا : ان العيش في المشكلة يضاعف من ارهاقنا ولهذا ينصح العلماء بالهرب منها ، فاذا استطاع المرء ان يغرق نفسه وتفكيره في شيء آخر لايمت الى مشكلته بصلة ، كان يستغرق في قراءة كتاب جديد، او يذهب لمشاهدة فيلم مثير ، او يشغل نفسه برياضة او لعبة مع زملائه واصدقائه ، فهو قد نجح في التخفيف من اثر الازمة التي يمر بها او المشكلة التي تواجهه ..

وقد يكون في الابتعاد عن مسرح الازمة ايضا ، بعض الاثر في التخفيف منها ، ورحلة قصيرة الى مكان قصى هادىء يمكن ان تغير من نظرتنا الى مشكلتنا ، وتعاوننا على التفكير بطريقة سليمة ، وتساعدنا في النهاية في التغلب على العقبات التى تعترض طريقنا بعد ان نكون قد استرحنا ذهنيا وعاطفيا ..

اما الوقوف في اماكننا بلاحراك ، فهو اشبه ما يكون بعقاب للنفس ، اخترناه بايدينا !

تجنب الغضب !

ثالثا : والغضب اسوأ السبل التي يمكن ان نطرقها للتنفيس عما يعتمل في صدورنا من ضيق وقلق .. لهذا يجدر بنا ان نتريث ونفكر مرتين قبل ان نطلق العنان لثوراتنا وليس معنى هذا ان نكتم غضبنا ، فكتمان الثورة ومنع خروجها الى السطح ، يضر بنا ويؤثر على حالتنا الصحية والنفسية ، ولكن معناه ان نهدىء منها بقدر ما نستطيع بحيث لا يشكل انفعالنا خطرا على من يحيطون بنا ، وما يترتب على ذلك من شعورنا بالاسف والندم بعد ان نهدا ونعود الى حالتنا الطبيعية .. وهناك عدة وسائل لكبح جماح غضبنا واحتوائه ، كان نترك المكان الذى اخترناه مسرحا للتنفيس عن ثورتنا ، ونبتعد عن الاشخاص الذين اعددنا العدة لان نجعل منهم ضحية لغضبتنا.. فنخرج في نزهة قصيرة مشيا على الاقدام . او نتذكر دائما ان العمر اقصر من ان نضيعه في الهياج والعراك .

الخطأ .. والصواب

رابعا : لابد لنا ان نضع اعصابنا فى ثلاجة فى مواجهة التحديات .. وحتى لو كنا نؤمن باننا على حق ، لا يجب ان نجاهر برأينا فى تحد واصرار.. لابد ان نفسح المجال لغيرنا لكي يبدى رايه بنفس الحرية التي اردناها لانفسنا .. ومن يدرى ، فقد نكون على خطأ رغم اقتناعنا بصحة ما نراه .. وليس هذا استسلاما .. فهناك فرق واضح بين الهدوء والخنوع .. والحجة القوية تفرض نفسها دائما فى اية مناقشة .. بهذا وحده نستطيع ان ننتزع احترام الناس لنا ، ونستطيع ان نجمع حولنا اكبر عدد من المؤيدين والاصدقاء ..

ولنتذكر دائما ان الاطفال وحدهم هم الذين يتمسكون برأيهم.. وهم الذين لايكفون عن الشجار مع زملائهم من الاطفال !

الفرد .. والمجتمع

خامسا : كثيرا ما نكتشف اننا نعيش لانفسنا فقط .. وهذا اسوا موقف يمكن ان يقفه انسان فى الحياة ، فالمجتمع قائم على التعاون .. ولا حياة بغير أخذ وعطاء..المهمان يعطى المرء بقدر ما يأخذ..

وهذا الاكتشاف الذى قد يتوصل اليه البعض منا ، فى بعض الاحيان ، يؤدى بنا الى الشعور بالعزلة وبالتالي الى ازدياد حدة التوتر ، عندما يجد المرء نفسه وحيدا وسط هذا العالم المغلق الذى اختاره لنفسه .. ولا سبيل للتخلص من هذه الحالة ، الا بالخروج والاختلاط بالناس ، ومساعدة المحتاجين منهم على قدر ما تسمح به قدراتنا وامكانياتنا ..

العمل .. والتوتر

سادسا : والعمل فى كثير من الاحيان قد يكون سببا فى شعورنا بالتوتر ، وخاصة اذا كان عملا ذهنيا يتطلب قدرا كبيرا من الدراسة والبحث والتفكير ، فاذا تراكمت علينا أعمالنا ، احسسنا بالارتباك ، ووقفنا امامها حيارى لا ندرى من أين نبدأ وكيف ننتهي ! .

والسبيل الى التغلب على هذا الشعور ، هو أن نحاول ان ننسى او نتناسى ، حجم هذا العمل الكبير المطلوب منا انجازه ، وأن نشرع فى تأدية اعمالنا بتأن وفى هدوء تام ، فنفرغ من اعداد الأهم ، ثم المهم .. وهكذا ، دون أن نعبأ بملاحقه احد لنا فما دمنا نعمل ، ونحرص على أن نستغل كل دقيقة من وقتنا فى عملنا ، فلا بد واصلون فى النهاية ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

طموح الحياة

سابعا : والشعور فى بعض الأحايين باننا لم نحقق ما كنا نصبو اليه من نجاح فى حياتنا العملية يثير القلق فى نفوسنا ، ويدفعنا الى محاولة الاجادة فى كل عمل نقوم به ، وهذه المحاولات اليائسة ، هى اولى خطوات الفشل .. فلا يوجد انسان يستطيع أن يجيد كل الأعمال ! وأول شيء يتحتم علينا أن نفعله ، هو ان نبحث عن العمل الذى نجيده ، فاذا وجدناه ركزنا كل طاقاتنا وخبراتنا وجهدنا فى سبيل اجادته وتجويده ،وبهذا نحقق الشعور بالارتياح الذى ننشده ونسعى اليه .

تلمس الاعذار للناس

ثامنا : وبعضنا يتوقع الكثير من الآخرين .. من الزوج أو الزوجة أو الأبناء أو الاصدقاء والاقارب .. ثم نفاجأ بان شيئا مما توقعناه لم يحدث..ومن هنا يتولد الشعور فى داخلنا بخيبة الأمل والتعاسة..

وأمثال هؤلاء ، سواء كان شعورهم حقيقيا ام مجرد أوهام وتخيلات ، يجب أن يتذكروا دائما ان لكل فرد حياته الخاصة ومشاكله ، ثم يسأل نفسه : « ماذا فعل هو ازاءه ؟ » .

وهو لكى يتخلص من هذا الشعور ، فلا بد له أن يتلمس الاعذار لهؤلاء الذين تصور انهم خذلوه أو تخلوا عنه ! .

الاجازات .. والترفيه عن النفس

اننا نعيش فى عصر يجرى فيه الناس وكأنهم فى سباق مع الزمن .. وكثيرون منا يعملون وينسون انفسهم فى غمرة الحياة وزحمة العمل ! من اجل هذا يجدر بنا أن نتوقف وأن نتذكر ان لأبداننا علينا حقا .. ونحن لكى نستطيع أن نستمر فى أعمالنا ، فلا بد لنا أن نستريح .. ونحن لكى نستريح فلا بد لنا أن نبتعد عن جو العمل وما فيه ومن فيه .. يجب أن نستغل كل دقيقة من اجازاتنا وعطلاتنا فى الترويح عن نفوسنا ، واراحة اجسامنا وعقولنا .. ■■

منير نصيف





عرف وطنك
ـيها العربي

لبنان تحت

تحت الصفر .. تبدأ الحياة من جديد فوق

الى اسفل : منظر رائع ساحر لغابة اشجار الارز تحتالثلوج .. لقد اتخذ لبنان من هذه الشجرة المعمرة شعا





الثلوج

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري

…م جبال لبنــان

، فاحترم الجميع مركزها وشيخوختها وجمالها.

وعقابُ لبنانٍ ، وكيف بقطعها
وهو الشتاءُ ، وصيفهن شتاءُ

المتنبي

■ في كل عام ننتظر حلول الصيف .. موسم الراحة والاستجمام ، لنبحث عن المتعة والنسمات المنعشة في المصايف على شواطىء البحر او فوق الجبال العالية .

ولكننا قل ان نفكر في الشتاء ،فالشتاء بالنسبة لنا موسم العمل . وموسم الدراسة .. من هنا ننسى انفسنا في البرد ، لاننا مشغولون باعمالنا وسط دوامة الحياة التي لا تكف عن الدوران ..

ولكن هل نحن حقا لا نريد ان نرفه عن انفسنا في الشتاء ايضا .. ؟

والجواب لا .. لانه كثيرا ما يجيء الوقت الذى نشعر فيه اننا نريد ان نبتعد عن جو الروتين - لا سيما اذا فاتنا استجمام الصيف - الذى يتكرر كل يوم في نفس الصورة ونفس الاسلوب ..

فاين نذهب لنستجم في الشتاء ؟ .. وكثيرا ما نتوقف عند هذا السؤال لجهلنا ببلادنا فنحن لانعرف الا القليل عن بلادنا العربية وما فيها من مَشْتاتٍ .. وما اكثر المشاتي في وطننا الكبير .. انها منتشرة في كل قطر من شاطىء الاطلسي حتى شاطىء الخليج .. بعضها اكتسب شهرة عالمية .. مياه دافئة يستحم فيها الناس بينما البرد والضباب يخيمان على أوروبا .. وبعضها الاخر تغطيه الثلوج وفي نفس الوقت تسطع الشمس عليه .. مما يجعلها مناطق نموذجية لمزاولة التزحلق على الثلج تلك الرياضة المفضلة في الشتاء ..

الثلج في وطننا

وكلمة الثلج لاتعنى الكثير بالنسبة للمواطن العربي ، الذى الف الحياة فوق الرمال الصفراء، التى تغطى ثلاثة ارباع أراضيه .. اما الثلج والتزحلق عليه فهما في اعتقاده أمران متروكان لاهل البلاد الباردة .. وهذا اعتقاد خاطىء مخالف للواقع ، فالثلوج تغطى مناطق مختلفة من وطننا العربي ، ففي المغرب والجزائر وتونس تهطل الثلوج على قمم سلسلة جبل اطلس فتغطيها .. وفي المشرق تهطل الثلوج على قمم جبال العراق وسوريا ولبنان فتغطيها هى الاخرى بسجادة ناصعة البياض .. وفوق هذه الكتلة البيضاء بدات الحياة تتفتح .. وبدات عملية استغلال لثروة سياحية وترفيهية عربية ظلت الى فترة قريبة مهملة منسية ، تهيبها ونتخوف منها ..

من ديسمبر الى مايو

وانطلقت بعثة العربي من الكويت الحارة الدافئة الى جبال لبنان العالية الباردة لتنقل لك صورة حية عن جبال لبنان في الشتاء ..

يبدأ موسم التزحلق على الثلج في لبنان من آخر ديسمبر (كانون اول) ولا ينتهى الا في أواخر مايو (أيار) من كل عام ..

ومع بداية هذا الموسم تعرض المحلات التجارية في بيروت مختلف الادوات والمعدات والملابس اللازمة لهذه الرياضة ، وتخضع هذه الادوات لتحسين وتطوير مستمرين ، فهي العامل الرئيسي في تحقيق الفوز اثناء مباريات التزحلق ، اذ لم يعد كافيا ان



اثبت الجنس اللطيف انه اقدر من الجنس الخشن في رياضة التزحلق ، ويعود ذلك الى مرونة اجسادهن ورشاقتها ..

تكون رياضيا جريئا ، بل يجب ان تكون مزودا باحدث معدات التزحلق ..

كيف تختار حذاءك ؟ ..

واختيارك لمعدات التزحلق يخضع لقواعد يعرفها المتزحلقون ، اذ يجب ان تكون متناسبة مع طول قامتك ووزنك ومستواك الرياضي .. وادوات الهاوى تختلف عن ادوات المحترف ..

والحذاء هو أول شيء يجب اختياره ، انه ليس بالحذاء العادى الخفيف ، انما هو حذاء ثقيل مصنوع خصيصا للتزحلق فقط ، ولا يحسن استعماله للرحلات الاخرى .. والحذاء الاصلح هو الذى يكون مطابقا تماما لقدمك ، دون اى اتساع زائد ، واذا كنت مبتدئا فاختر حذاء لينا بعض الشيء ، لأن حذاء الابطال الجاف سيضايقك اكثر مما يساعدك ..

ومن النصائح الغريبة التى يشيرون بها عليك عند شراء حذاء تزحلق جديد : ارتدِ حذاءك مع الجوارب وخذ بهما حماما ساخنا لاطول مدة ممكنة ، وعندما تخرج من الحمام اترك الحذاء في قدمك ولا تخلعه حتى ياخذ قالب قدمك تماما !!

عصاتك

اما العصاة التى ترتكز عليها اثناء التزحلق فاحذر أن تسميها بمكاز ، لأن هذا يجعلك اضحوكة بين الآخرين .. واختيارها يخضع لطول قامتك اذ يجب ان تكون بارتفاع مواز لثلاثة ارباع طول قامتك .

وكلما خف وزن العصا وصلابتها ، زاد حسن ادائها .. وقد كانت في السابق تصنع من خشب الجوز والخيزران ، ولكنها اليوم تصنع من مواد خاصة خفيفة ، كان آخرها الياف الزجاج..

كيف تختار الزحلوقة ؟

والزُحلوقة ، هو الاسم العربى للفظ الافرنجى Ski .. ، وهى عبارة عن قطعة مستطيلة متطاولة لكل قدم .. يثبت فيها المتزحلق حذاءه، وهى التى تمس الثلج وتنزلق عليه بشيء كثير من الامان لكبر مساحتها وطولها .. فهى تعمل كقاعدة تتحمل ثقل الرجل او المرأة ..



بعض هواة التزحلق يحملون «الزحلوقة» (السكى) فوق اكتافهم انهم ينتظرون فتح الطريق الى قاريا، بعد ان اغلقته الثلوج فى الليلة السابقة .

واختيار الزُحلوقة المناسبة فيه بعض الصعوبة، لانها على انواع مختلفة : منها الخشبي ، والمعدني ، والمصنوع من اللدائن (البلاستيك) .

اما النوع الخشبي فقد بدأ الاستغناء عن استخدامه ، والخير فى تجنبه .

والزحلوقة المعدنية بدأ استعمالها منذ ١٤ عاما فقط . والذى يجب ان تعلمه عنها ان بها من الخشب اكثر من المعدن .. ومن ميزاتها انها صلبة ، تستجيب للحركات المختلفة بسهولة ، ولا يتبدل شكلها ..

اما الزحلوقة البلاستيكية ، فهي المولود الجديد الذى لايزيد عمره عن خمس سنوات ، ومن مزاياه العديدة خفته الزائدة ، وصلابته ، وعدم تغير شكله .. وهو من ناحية سرعة التزحلق يتفوق بمقدار الضعف على الزحلوقة المعدنية .. وبالاختصار هو زحلوقة الغد .

كيف تقضي ليلتك وانت على ارتفاع ثلاثة الاف قدم فوق سطح البحر؟ .. الثلوج تحيط بالمباني من كل جهة « **الصورة السفلى الى اليمين** » . ودرجة الحرارة تنخفض الى اكثر من ٢٥ درجة تحت الصفر .. ومع ذلك تنطلق الحياة داخل الفنادق والشاليهات على نمطها المعتاد ، بفضل التدفئة المركزية المنتشرة في كل مكان « **الصورة اليمنى** ». ويميل بعض النزلاء الى اتباع هواياتهم الرياضية المفضلة ، فيخرجون الى الجبال، غير عابئين بالظلام او البرد القارس ، يتزحلقون حتى مطلع الفجر « **الصورة السفلى** » . ومما يذكر ان اغلب الفنادق ـ وعددها ثمانية في منطقة الارز ـ تقيم اندية ليلية « سنتريبو » يرقص فيها النزلاء حتى الصباح ..





كانت غابات الارز تغطي معظم جبال لبنان . ولكن الغزاة والفاتحين عمدوا الى قطع هذه الاشجار ، واستعملوا أخشابها في بناء قصورهم وسفنهم ومعابدهم .ونتيجة لعمليات التخريب تقلصت غابات الارز في لبنان ، وانحصرت في ثلاث مناطق .. منطقتان في الجنوب ، فوق بيت زحلتا ، ومعاصر الشوف .. ومنطقة ثالثة في شمال لبنان ، فوق مدينة بشري المشرفة على وادي قاديشا . وهذه المنطقة اشتهرت وذاع صيتها على جميع مناطق الارز الاخرى .. واول شجرة ارز تستقبلك في هذه المنطقة ، هي « الام » .. انها اضخم اشجار الارز واروعها على الاطلاق . يحترم الجميع شيخوختها ، اذ قدروا عمرها باربعين قرنا من الزمان .. ولا يمكنك أن تصعد الى منطقة التزحلق في الارز الا اذا مررت من تحت ظلها .. ولا يسمح اطلاقا لاي كان بأن يقطع غصنا من اشجار الارز .. ولكن يحدث في كل عام ان تتكسر بعض الاغصان بفعل الثلوج المتساقطة ، وهذه الاغصان المتكسرة يتم جمعها وبيعها لاهل المنطقة ، الذين يحولونها الى مصنوعات محلية ، يعرضونها على جانب الطريق لبيعها الى السياح والزوار ..







عند الاقتراب من منطقة التزحلق تتوقف السيارات ويقوم ركابها بوضع « الجنازير » الحديدية حول اطارات السيارات ، وذلك منعاً لتزحلق السيارات على الثلوج .

الثلج .. والضباب .. وسيارتنا تحاو
الثلوج تقوم بازالة اكوام الثلج عن الطري
ليل / نهار ، وبالرغم من ذلك تتغل

خمسة مراكز للتزحلق

ارتدينا الملابس الشتوية وتهيانا للصعود الى منطقة التزحلق ، وتساءل السائق : « الى اى منطقة تريدون الذهاب ؟ »

قلنا مندهشين : « الى ساحة التزحلق فوق جبل لبنان ؟ »

فقال : « لقد اصبح عندنا خمسة مراكز للتزحلق اقربها فى جبل صنين على مسافة ٤٢ كيلو مترا من بيروت ، وابعدها فى الارز ، على مسافة ١٢٥ كيلو مترا من هنا .. »

قلنا : « وماذا عن الثلاثة المراكز الاخرى ؟ »

اجاب : « توجد فاريا مزار وهي على مسافة ٦٥ كيلو مترا من بيروت ، واللقلوق على مسافة ٦٧ كيلو مترا وظهور البيدر على نفس المسافة تقريبا .. »

قلنا : « فلنصعد الى فاريا .. »

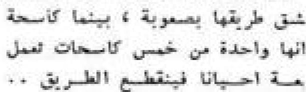
قال : « لايمكن ان تصعد قبل سماعنا لنشرة الاخبار المحلية،فهي التي ستبين لنا ان كان الطريق مغلقا ام مفتوحا .. »

ممنوع الصعود دون جنزير

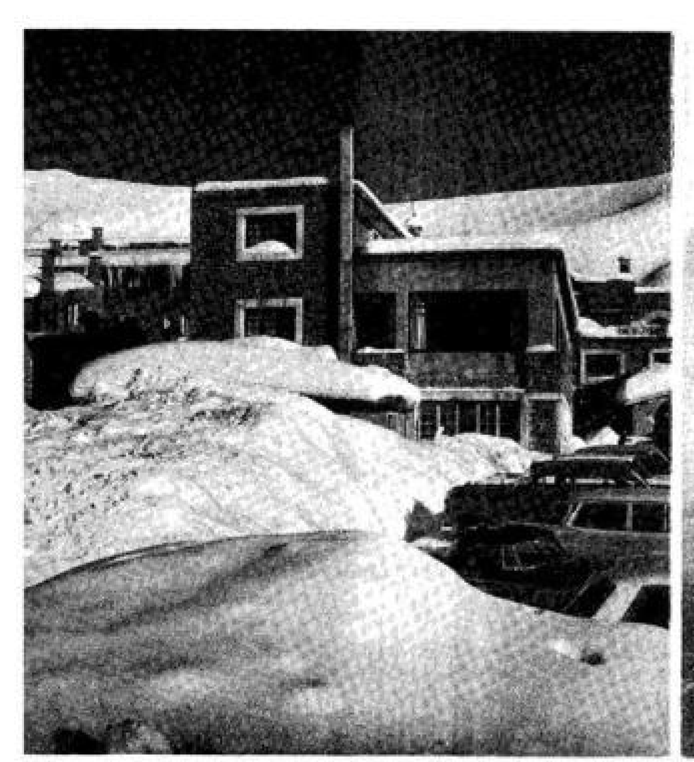
وفى السابعة صباحا قال المذيع من راديو بيروت:
« الجو اليوم غائم .. والطريق الى الارز وظهر البيدر واللقلوق مغلقة ، اما طريق فاريا فتجرى حاليا عملية ازالة الثلوج المتساقطة عليه ،وسيكون صالحا للسير بعد ساعات .. »

وقلنا لماذا لانذهب لنرى عملية ازالة الثلوج .. وانطلقت بنا السيارة الى فاريا .. وعند قرية صغيرة قرب نبع العسل اوقفتنا الشرطة وقالوا للسائق : اين الجنزير ؟ فاعتذر لعدم وجوده .. فقالوا له : مستحيل .. ممنوع .. على كل حال الطريق مازال مغلقا بالثلوج .

وشرح لنا السائق قصة هذا الجنزير بقوله :
« للصعود الى مركز التزحلق يجب ان يكون معك جنزير من الصلب تغلف به عجلات سيارتك منعا لتزحلقها على الارض الرطبة .. » (انظر الصورة)



شق طريقها بصعوبة ، بينما كاسحة
انها واحدة من خمس كاسحات تعمل
ـعة احيانا فينقطع الطريق ..



احد الفنادق فى منطقة الأرز ، وقد تراكمت
الثلوج حوله من جميع الجهات، فبدا كنقطة سوداء
انه واحد من ١٤ فندقا وبنسيونا تقوم في بلدة الارز

المخ مصدر الحركة

وجاء احد سائقى التاكسى من ابناء المنطقةوقال:
« انا مستعد لنقلكم الى مركز التزحلق .. »

قلنا : ولكن الطريق مغلق ؟

قال : .. ولو .. ماعليكم .. الله بيدبرها ..

وانتقلنا الى سيارته ، فانطلق بنا وسط طريق مشقوق فى الثلج .. نحن على ارتفاع ٢٠٠٠ متر.. الضباب يزداد تكاثفا .. والرؤية تكاد تكون معدومة .. وسمعنا هديرا عاليا مقابلنا ، فاوقف السائق السيارة ، قائلا : « انها كاسحة الثلوج تفتح الطريق . »

وتركنا السيارة واتجهنا لتصوير الكاسحة ، واقتربنا منها ، وفجاة وجدنا الثلج يتساقط علينا بكميات هائلة كادت ان تغطينا تماما ، لولا مسارعة السائق الى وضع حد لهذه المأساة التي بدأت دون مقدمات .. لقد بدلت الكاسحة اتجاهها ولم يتنبه سائقها لوجودنا فهطل علينا الثلج الذى كان يزيله من الطريق ..

واخرجونا من وسط الثلج ، ونحن شبه فاقدى الوعى : اطرافنا كادت ان تتجمد ، رغم انه لم يمض على وجودنا في الثلج اكثر من دقائق .. وكانت اشد الآلام فى فروة الراس الصلعاء .. وهنا تذكرنا مقالات رئيس التحرير التي تقول ان المخ هو مصدر الحركة فى الانسان .. ونضيف : ان المخ المثلج يوقف الحركة تماما !!

ودخلنا السيارة ونحن ننفض عن انفسنا ثلج الجبل !!

الارز يتسلل الى القلوب

وفى صباح اليوم التالى قررنا « غزو » منطقة الارز ، واستمعنا لاذاعة الصباح فجاءتنا الاخبار بان الطريق الى الارز مفتوح .

وكلمة « الارز » لها تأثير ساحر على اللبنانيين .. انها تدغدغ عواطفهم .. لهذا تراهم يحترمونها ويرفعونها الى درجة التقديس ويسمونها « ارزة الرب » .. ومن شدة احترامهم له ، انهم فى عام



التزحلق على الثلوج ،
رياضة الشتاء .. ان عدد
هواتها يتزايد عاما بعد عام
.. وفي لبنان خمسة مراكز
للتزحلـق مزودة بجميع
وسـائل الراحة اللازمة
لممارسة هذه الرياضة ..
والى أعلى اليمين ، احدى
الهاويات تنتظر دورهـا
لتصعد الى قمة الجبل ..
بينما اكتفت الفتاتان في
الصورة السفلى،باستعمال
الزحافة للتزحلق .





تنحصر رياضة التزحلق في الصعود الى قمة الجبل العالية ، ثم النزول منها.. وعملية الصعود تحتاج الى استعمال المصاعد الآلية . وعند محطة هذه المصاعد يتجمع الناس في انتظار دورهم للصعود ، كل شخصين مع بعضهما ، كما ترى في الصورة اليسرى.. اما النزول من القمة فيتم على المزحلقة اي «السكي» دون الاستعانة بالمصاعد..

١٨٤٨ اتخذوا شجرة الارز شعارا رسموه على العلم اللبناني وحفروه على اوسمة البلاد وعملاتها الورقية والمعدنية وعلى شارات الجنود وبزاتهم العسكرية.. حتى تسلل الارز الى قلب كل لبناني فاصبح قطعة منه ..

سر الارز

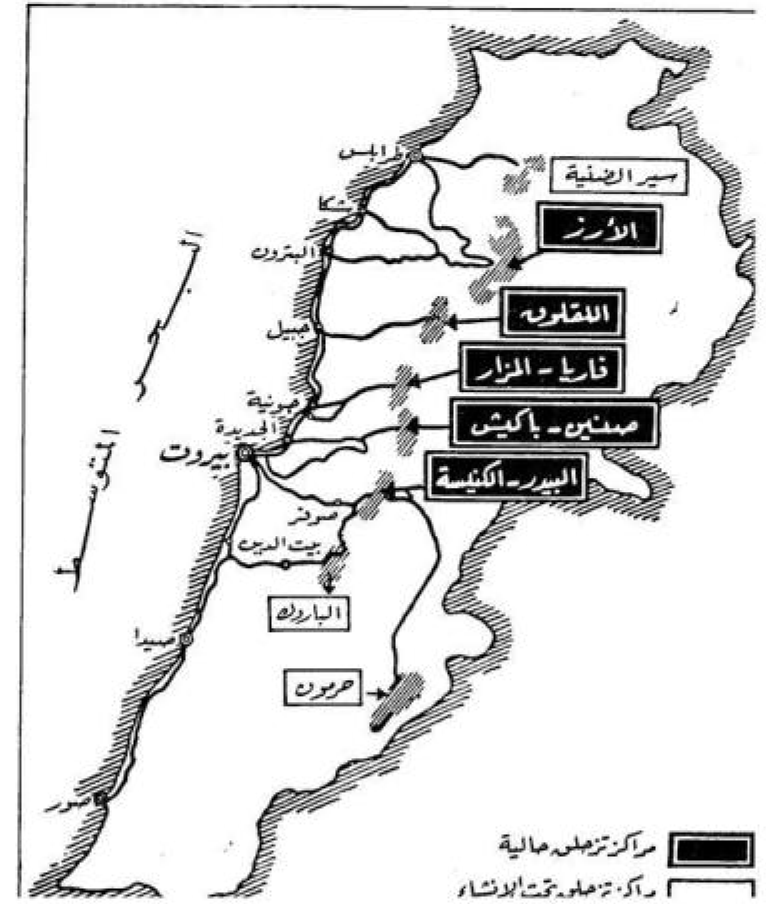
ووقفنا امام اشجار منه ضخمة نبحث عن سر عظمته وخلوده .. فاحسسنا كاننا اقزام نقف الى جانب عمالقة .. هذه شجرة منها محيط جذعها اكثر من ١٥ مترا وارتفاعها نحو الاربعين مترا .. وبحثنا عن الجمال في الارز فوجدناه في اغصانه ، انها تنمو بشكل افقي وتمتد الى مسافة ٢٠ مترا بعيدا عن جذعها ، وكانها تاج مستدير يحيط به .

صراع بين الثلج والارض

وتهطل الثلوج غزيرة في منطقة الارز ، وقد ساعد هذا على مضاعفة عدد زائري المنطقة .

فقد اصبح في وسع الزائر التمتع بمشاهدة المنظر الساحر للارز تحت الثلج ، وفي نفس الوقت يتابع طريقه الى اكبر ساحات الانزلاق في لبنان .

وانطلقت بنا السيارة .. القطيطة (الضباب) تسيطر تماما على الطريق .. السيارة تسير بسرعة ٣٠ كيلو مترا ، وهذه « السرعة » تثير ببطئها اعصاب السائق اللبناني .. اعمدة الكهرباء هي دليلنا الوحيد للرؤية .. الثلوج تبدو على هيئة خيوط بيضاء رفيعة تختلط بالاتربة الحمراء على جانبي الطريق .. الثلج تتزايد مقاديره التي على الارض فيصبح كتلا تتخللها شرائط من الاتربة ..



الى اليمين: خريطة للحاضر والمستقبل .. تبين مراكز التزحلق على الجليد في لبنان .. خمسة مراكز منها تعمل الآن .. وثلاثة مراكز اخرى جديدة تحت الانشاء ..



منظر رائع لمنطقة فاريا السياحية والثلوج تغطيها .. منذ سنوات لم يكن أحد يتردد على هذه المنطقة سوى فى الصيف .. اما الآن فعشاق التزحلق يأتون اليها من شهر ديسمبر الى نهاية مايو .. انها تبعد عن بيروت ٦٥ كيلو مترا ، وبها فندق فخم و ٧٠ « شاليها » للايجار وثلاثة مصاعد كهربائية

وينتهي الصراع بين الارض والثلج بسيطرة الثلج على المنطقة كلها ..

الحياة تتفتح على ارتفاع ٢٠٠٠ متر

واخيراً وصلنا الى بلدة الارز .. وكانت المفاجأة، لقد وجدنا كل شيء ينبض بالحياة فوق قمة هذا الجبل البارد التي تحولت الى كتلة من الجليد ، وكأنها تلال من القطن الأبيض المندوف ، تغطى كل شيء حولها ..

مئات من الناس يروحون ويجيئون بالزحاليق (السكى) البعض تعلم المشي بها فوق الجليد فهو ينطلق كالعصفور ، والبعض مازال يتخبط : يمشي خطوة ويقع على الثلج عشرات !

قلنا : «ما هذا ؟ ايمكن ان تقوم مثل هذه الحياة فوق الجبل البارد الذى عهدناه فى الصيف جنة خضراء نهرب لها تنعم بهوائها المنعش ، ومناظرها الساحرة الخلابة .. اين ذهب الصيف ، وجمال الصيف في الجبل ؟ واشجاره الخضراء اليانعة ..؟»

وهنا قال مرافقنا : « مهلا .. أليس هذا الذى نراه امامنا اكثر روعة وجمالا .. ان امامكما اشياء كثيرة رائعة سترونها فى جولتكما . »

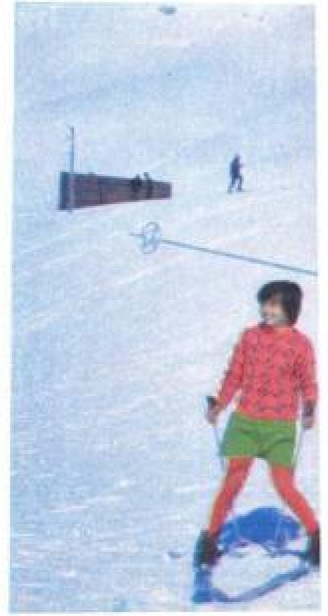






ابطال الغد .. يبدو أن سن ثماني سنوات ، هي السن الملائمة للبدء في تعلم التزحلق ، هكذا يقول خبراء التزحلق ، لان الطفل قبل هذه السن يصعب عليه التحرك بالحذاء الثقيل والادوات الاخرى .. وتقول أساتذة التزحلق : « ان الطفل في هذه السن يجب ان يقلد الكبار فقط ، ومن العبث اعطاؤه تفاصيل زائدة لان هذا سيجعله يعتقد ان التزحلق عملية صعبة شاقةومرهقة .. » .. ويلعب جسم الطفل دورا هاما في تدريبه ، فاذا كان جسمه رياضيا ، أي لا يميل الى السمنة سهل عليه الوصول الى مستوى يؤهله للاشتراك في بطولات التزحلق عندما يبلغ سن الثانية عشرة أو قبلها، كما نرى في الطفل الذى يقف على قمة جبل الارز ، في الصورة التي الى اليسار .. والغريب أن الفتيات في اوربا يتفوقن على الرجال في التزحلق لانه رياضة تحتاج الى المرونة والاتزان والرشاقة .. وفي الصورة اليسرى ، ثلاث فتيات مع مدربتهن عند قمة الجبل .. أما الصور الثلاث السفلى ، فهي لطفلة تتدرب لأول مرة على التزحلق ، انها تتابع حركات مدرستها ، ولكنها أخطات في الصورة الثالثة فوقعت على الثلج وهي تبتسم .. ان سعود هذه الطفلة الى مركز التزحلق بهذه الكيفية كان خطأ كبيرا ، لانها مرضت في اليوم التالي لصعودها .. عيناها تحولتا الى قطعة لهب أحمر ، لانها لا تضع نظارات واقية ، وزيها لا يتناسب مع هذه الرياضة فهي ترتدي تنورة بدلا من « البنطلون » .. !!





حرارة التكييف .. وحرارة الاستقبال

ووصلنا الى الفندق الذى كسته الثلوج فلم تترك منه الا مكانا للدخول .. انه واحد من ١٤ فندقا وبنسيونا منتشرة في بلدة الارز .. وجلسنا نتناول الحساء والعشاء الشهي .. ان متعة الاقامة في فنادق الارز لا تعادلها متعة ، لانك تشعر بانك ذو امتياز ، ففي الوقت الذى تهبط فيه درجة حرارة الجو الخارجي ـ حيث رايناهم يتزحلقون ـ الى ٤٠° تحت الصفر ، تعيش انت فى درجة حرارة ٢٥ فوق الصفر .. وتزيد حرارة استقبال صاحب الفندق لنزلائه من دفء الفندق ، مما يجعلك تشعر براحة نفسية عميقة لذيذة ..

لعبة الكراسي الكهربائية !

ونمنا ليلتنا وقد صممنا على ان نكون بين الذين يخرجون يتحدون البرد ويمشون فوق الثلج ..

وفى ساعة مبكرة من الصباح اتجهنا لمركز التزحلق الملاصق لبلدة الارز .. الناس متجمعون بالمئات حول محطة المصعد الكهربائي ، انه ليس بمصعد بالمعنى المفهوم ولكنه مقعد مربوط الى سلك كهربائي طويل ينقل المتزحلقين الى قمة الجبل العليا ..

وبلغ من شدة الاقبال على هذه الرياضة ، ان هواتها اصبحوا يقفون فى صف طويل انتظارا لدورهم فى ركوب الكرسي الكهربائي .. ووقفنا مع الواقفين لنركب هذا المقعد حتى نرى ماذا يحدث عند قمة الجبل ..

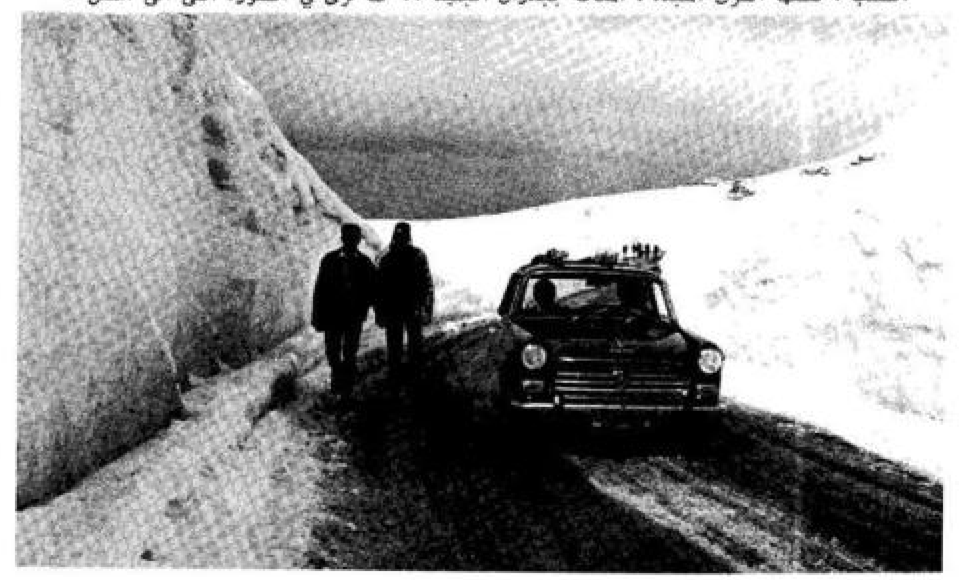
ان الكراسي الكهربائية تاتي متلاحقة وراء بعضها معلقة بسلك يدور صاعدا ثم هابطا .. وما يكاد الكرسي الفارغ منها يصل في نزوله الى المحطة حتى يندفع المتزحلق الى داخله ، وتنزل قطعة الحديد امامه لحمايته من الوقوع ..

وصعد بنا الكرسي فوق المتزحلقين والساحة الواسعة البيضاء .. انها متعة ما بعدها متعة .. لقد نقلنا من ارتفاع ١٩٥٠ مترا الى نحو ٣٠٠٠ متر .. توقف بعدها ، فنزلنا منه ، ووقفنا على قمة الجبل ، واطلنا النظر حولنا ، ان قمة الارز لها الحق فى التباهي بارتفاعها .. اننا نقف عاليا والسحاب من تحتنا ..

للصعود فقط !

ووقفنا الى جانب المتسابقين في المباراة

تهطل الثلوج بغزارة فوق جبال لبنان .. ويصل ارتفاعها فى بعض الاماكن الى اكثر من ثلاثة امتار ، مما يجعلها صالحة لرياضة التزحلق .. فهذه الثلوج تتراكم فوق بعضها لتصبح كتلة واحدة من الجليد الصلب ، تشقها الطرق المعبدة ، المحاطة بجدران الجليد .. كما ترى في الصورة التى الى اسفل .





تحولت محطة المصعد الكهربائي الى نقطة تجمع ، وانتشرت فيها المقاهي والمطاعم .. وعندها يتجمع المتزحلقون .. بعضهم هدّه التعب من عملية الهبوط ، فأخذ يلتقط انفاسه مسترخيا ، والبعض الآخر يستعد للاقدام على الرياضة المثيرة .. وكلاهما سعيد بهوايته ..

الاسبوعية .. انهم يندفعون في الهوة البيضاء الواحد وراء الآخر وكان كل واحد منهم « جلمود صخر حطه السيل من علٍ »مع الاعتذار للشاعر !! وتصل سرعة المتسابق منهم الى اكثر من مائة كيلو متر في الساعة .. واحسسنا بالرهبة وبقليل من الخوف ، فاتجهنا الى محطة الكرسي الكهربائي نريد العودة .. ولم ندر كيف نصعد الى الكرسي فسألنا احد الواقفين ، فاجابنا ببرود : «الكراسي المعلقة للصعود فقط ، أما النزول فعلى الارجل ، فوق الزحلوقة والزحافة ! »

الخوف ..

وبلعنا ريقنا ، وحاولنا أن نجد وسيلة لنتزل بالمصعد ، ولكن جميع وسائلنا باءت بالفشل .. ولم تكن معنا زحافات او زحلوقات .. ونظرنا الى انحدار الجبل .. وتملكنا خوف رهيب .. وقرر زميلي المصور المغامر النزول على قدميه فبدأ يهبط ورأيته يغوص مرة حتى ركبتيه ويرتفع أخرى .. بينما انا جالس افكر في حل .. وبدأت أسأل المتسابقين : « هل تخافون من الانزلاق ؟ » .

وكانت الاجابات غريبة اذ قال احدهم :

عملية الصعود الى مركز المصعد الكهربائي ، الذي ينقلك الى قمة الجبل العالية لتتزحلق منها .. ان السيارات تتوقف على مسافة قريبة من محطة المصعد ، وتتركك لتتسلق المسافة القصيرة على قدميك فوق الثلوج ، كما ترى .



الى اليمين : بالرغم من انخفاض نسبة عدد حوادث التزحلق الى ٣٠ بالمائة نتيجة لشروط السلامة المفروضة ، الا ان منع الحوادث تماما ضرب من المستحيل .. والصورة التي الى اليمين تبين احدى المصابات في حادثة سابقة ، وقد عادت الى مركز المتسابقين .. انها تنتظر شفاء ساقها لتعاود هوايتها المفضلة ..

كانت رياضة التزحلق مقصورة على جيران مراكز التزحلق .. اما اليوم فقد بدات هذه الرياضة تأخذ طابع رياضة شعبية واسعة الانتشار ، بعد أن تضافرت الجهود لإيصالها الى هذا المركز .. وفي أيام العطلات الاسبوعية تزدحم مراكز التزحلق بالشباب ، الذين يشتركون في المباريات المقامة في تلك المراكز ... وفي **الصورة التي الى اليسار** نرى بعض المتسابقين ينتظرون دورهم للانطلاق في السباق .. اما **الصورة السفلى** فيبدو المتسابق الفائز بالمرتبة الاولى يتلقى التهنئة من شقيقتيه بعد فوزه في السباق .. ان اقامة المباريات والحفلات ، هو الذى جعل مراكز التزحلق تنتعش وتزدهر ..



اكتفت هاتان الفتاتان بالحديث تحت المصعد الكهربائي ، الذى يحمل هواة التزلق الى القمة



« الخوف هو مشكلتنا الكبرى، ولكنه مثل الخوف من أخذ دش بارد .. تتهيبه في الاول ثم تتعوده وتستلذه » .

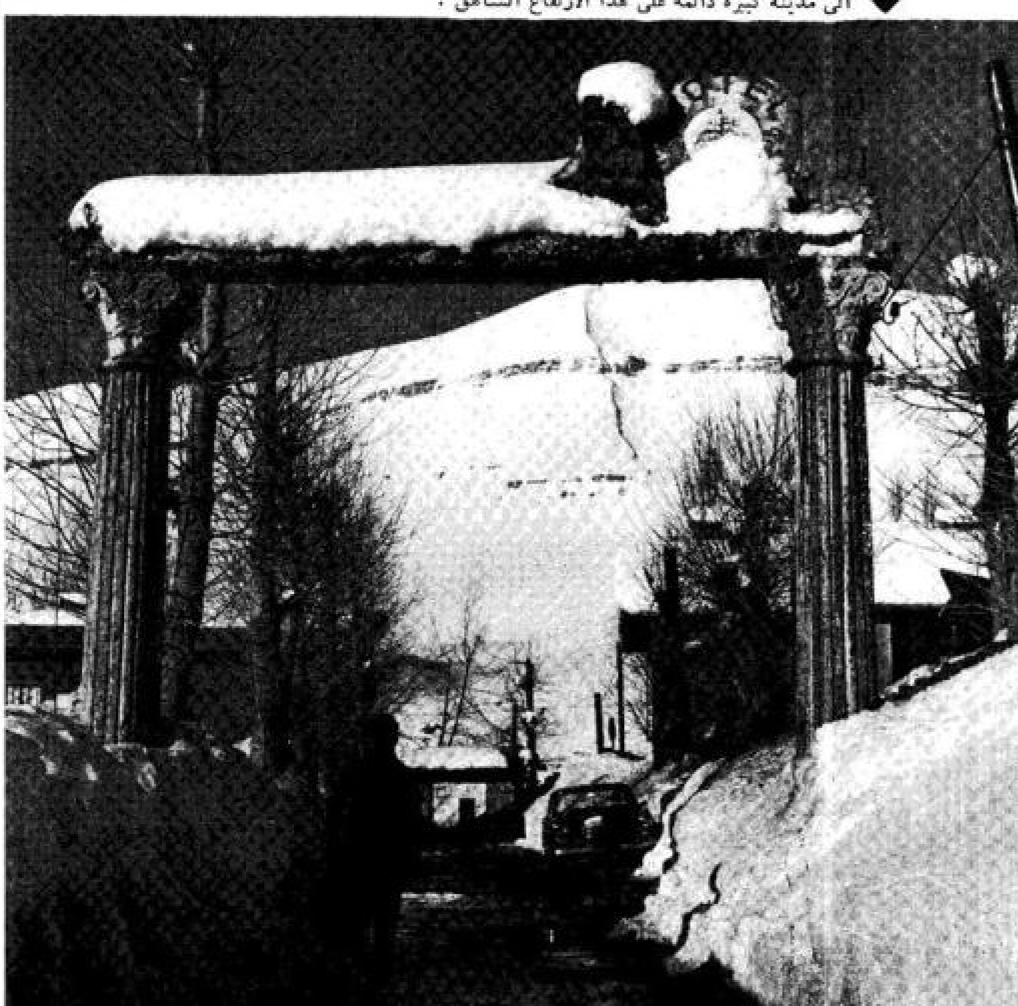
وقال ثان : « انا لا أحلل الخوف او أفكر فيه وانما اطرده وأنطلق بأقصى سرعة فأشعر بنشوة فائقة .. »

وقال ثالث : « الخوف .. ؟ انى أحمله معى في صدرى وانطلق به بأقصى سرعة ، ولذلك تجده يمكث هادئا حتى أصل .. » .

كارثة !!

وهنا شعرت بالعار .. فهؤلاء الشباب الذين لا يزيد عمر أكبرهم عن نصف عمرى يعطوننى درسا في الشجاعة .. ولم اقبل ابدا ان اقف هكذا .. وطلبت من احدهم اعارتي زحافته على أن أردها له مع أول قادم بالكرسي الكهربائى .. وجلست على الزحافة وودعت الجميع الذين التفوا حولى ، ثم طلبت منهم أن يدفعونى قليلا ، وكأنهم كانوا

قوس النصر الرومانى وقد غطته الثلوج ، عند مدخل بلدة الأرز على ارتفاع ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر .. ان الاقبال الزائد على سكنى هذه البلدة صيفا وشتاء ، جعل المسئولين عنها يخططون لتحويلها الى مدينة كبيرة دائمة على هذا الارتفاع الشاهق .



في انتظار هذه الاشارة ، فقد شعرت بالأيدى كلها تدفعني ، ووجدت نفسي انزلق الى ما لا نهاية .. الزحافة تندفع بسرعة مخيفة وكانى اقود سيارة بسرعة مائة وخمسين كيلو مترا دون ان يكون امامى زجاج !

وحاولت ان اوقف الزحافة فانزلت قدمى الى الارض فتدافع الثلج وكانه النافورة ، فملأ وجهى ، ولم اعد ارى شيئا امامى ، وضغطت بقدمى على الارض ثانية ، وكانت هذه الحركة كافية لتجعلنى اطير في الهواء واتدحرج فوق الثلج .

وسمعت صوتا من بعيد يناديني وازحت الثلوج عن عيني لأرى زميلى المصور يناديني ويضحك .. وتقدم نحوى والثلج يغطى ملابسه ، يغوص مرة ويطفو اخرى ، فبدات اضحك بدورى .. وقررنا الجلوس معا على الزحافة والنزول بها .. وتوليت قيادتها فقد أصبحت من ذوى الخبرة ، وسارت الأمور على أحسن مما كنا نتوقع وشعرنا بمتعة ونحن نتزلق بهدوء قبل وصولنا الى محطة المصعد ..

عَمَى الثلج ..

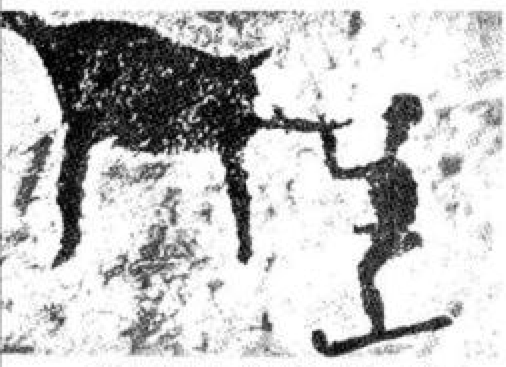
وذهبنا لابدال ملابسنا المبتلة وتناول الطعام .. وشعرت بعد الظهر بالم حاد في عيني .. ولم أعد ارى شيئا .. وجاء الطبيب وقال : « انه عمى الثلج » .. وارتعبت وتساءلت : « هل معنى ذلك انى سأصاب بالعمى ؟ » فكان رده : « التزحلق والصعود الى القمة يتطلبان بالضرورة نظارات معتمة ، وخاصة اذا كانت هذه أول مرة تصعد فيها الى الجبل .. وانت لم تضع مثل هذه النظارات .. ولكن لا تخف لغدا سوف ترى ثانية .. »

وبعد وضع مراهم وكمادات استيقظت ثانى يوم وانا في أحسن حال ..

وكان اول شيء فعلته هو شراء نظارات واستئجار حذاء خاص بالتزحلق ..

حياة حول المحطة

واتجهنا ثانية الى نفس المكان .. الى محطة المصعد الكهربائى ..



لوحة عمرها ١٢ الف عام عثروا عليها عند شاطئ المحيط المتجمد الشمالى .. وتمثل صيادا يصطاد حيوان الأيل ..

لقد قامت حول هذه المحطة حياة خاصة ، فيها المقاهى والمطاعم وساحة واسعة لأخذ حمامات الشمس .. نعم حمامات شمس فوق الثلج ، فالشمس الساطعة على الثلج يكون لها نفس تأثير للشمس الساطعة على شواطىء الاستحمام ..

واغلب مرتادى مناطق التزحلق هم من اهل لبنان وبعض السياح الأجانب .. وتتفنن المرأة في اختيار ألوان ملابسها ، وغالبا ما تكون الالوان الزاهية هى الالوان الأكثر انتشارا ..

التزحلق يصبح رياضة شعبية وللشباب خاصة

ان التزحلق في لبنان بدأ يأخذ طابع رياضة شعبية واسعة الانتشار .. والذى كان يمنع انطلاقته الكبيرة هو ارتفاع ثمن معداته .. ولكن هذا العائق لم يعد له وجود بعد ان اصبح بالامكان استئجار كل شيء من مراكز التزحلق نفسها بأرخص الأثمان .

وتعمل ادارة الشباب والرياضة اللبنانية على تشجيع هذه الرياضة الشتوية بتقديمها المساعدات الى « الاتحاد اللبنانى للتزحلق » وبتعيين المدربين العالميين لتدريب المدربين المحليين .. وفي أيام العطل والأعياد تضع سياراتها الكبيرة تحت تصرف الشباب لتنقلهم مجانا الى مراكز التزحلق .

اول من سار على زحلوقة

لقد عرفت لبنان التزحلق منذ قديم الزمان ، وفي قلب مدينة الأرز تشهد الآثار الرومانية العديدة تغطيها الثلوج ..



استراحة بعد انتهاء المباراة .. القفازان فوق العصى .. والمزحلقة (السكى) مغروسة حتى منتصفها في الثلج .. بينما قمم الجبال تغطيها الثلوج على مدى البصر ..

الى اليمين :
الثلوج تضفى على الطبيعة الميتة رونقا وبهاء ، رغم انعدام الحياة .. !



ضوء القمر يسطع على جبال لبنان في منطقة بشري ..
الثلوج تغطي كل شيء .. ولكن أشجار التفاح والاجاص ترتوي
من مياه هذه الثلوج ، لتعطي في الصيف أشهى الثمرات وأطيبها
.. وتستمر هذه الثلوج تغطي القمم العالية حوالي ستة شهور
في السنة .. وكثيرا ما تبقى كمية منها تغطي القمم العالية طوال
أيام السنة .. وفي شهور الصيف تتحول هذه المنطقة الثلجية الى
مصيف رائع تغطيه الأعشاب والأشجار الخضراء المورقة .. وتنحدر
مياه ثلوجه الذائبة على هيئة شلالات متدفقة .. ان الحياة بدات
الذب شتاء وصيفا عند قمم الجبال في لبنان ..



منظر عام لساحة التزحلق..وقد ظهر في وسطها المصعد الكهربائي (تلسكي) .. انه ينقل المتزحلقين الى القمة العالية ، ومن هناك تبدأ المغامرة ، فيهبطون من أعلى الجبل بسرعة تعادل مائة كيلو متر في الساعة .. وتتكرر عملية الصعود والهبوط حسب اللياقة البدنية لكل شخص ..

ولكن من هو أول من استعمل أدوات التزحلق على الجليد ؟

لقد عرف التزحلق منذ وجد الانسان على الارض .. فمنذ نحو ٣٠ الف عام كانت ارض أوروبا مغطاة بالثلوج ، وكان حيوانها الرئيسي ، هو الأيل ، وملاحقة هذا الحيوان السريع تحتاج الى زحلوقة للحاق به فوق الثلج .. ومن هذه الضرورة ظهرت أول زحلوقة(سكى) .. ومع تعاقب السنين انحصرت الثلوج في الجزء الشمالى من أوروبا ، وجاء أهل الجنوب سعيا وراء فراء الحيوانات القطبية ، وعادوا الى بلادهم في الجنوب ، وهم يتحدثون عن الرجل المارد ذى السيقان الطويلة ، والسرعة الخارقة على الثلوج ..

ولكن « السكى » لم يأخذ اسما وشهرة عالمية الا في عام ١٨٨٨ عندما استطاع المستكشفون النرويجيون عبور جزيرة جرينلند من الشرق الى الغرب ، فوق زحاليق ، ومن هذا التاريخ والتطور مستمر على هذه الأدوات ..

حسرة ..

ان التزحلق على الثلج هو رياضة كل الأعمار ، ويمكنك البدء بمزاولتها عندما تشتد عضلات اقدامك ..

ولكن اذا تجاوزت سن الأربعين فان البداية لن تكون سهلة وكذلك التقدم ، لهذا يجب ان تحتاط جيدا اذ أن كسر العظام في سن الاربعين لا يعود الى حالته الطبيعية ابدا .. ومن الأوفق اخبارك أن عهد الحماقات على الثلج قد انتهى بالنسبة لك .. مع الأسف !

■■

سليم زبال



.. مما تختص به المدرسة انشاء الطلبه على اتم صحة واكمل اجسام ..

التَّربِيَة الخُلُقِيَّة ومَسئوليَّة المَدرسَة فيها

بقلم: الدكتور
محمد صلاح الدين علي مجاور

■ هنالك اجماع أو ما يشبه الاجماع بين مجموع المربين والمشتغلين بالتربية، بل وبين الآباء، وبين افراد المجتمع، وبين المسئولين عن توجيه المجتمع، على أن هنالك فشلا ذريعا منيت به المدارس والجامعات في أن يسلك الشباب السلوك الخلقى الذى يرتضيه المجتمع، وأن تكون لديهم القيم الخلقية التى تدعم هذا السلوك وتوجهه . وليست المدرسة وحدها في الواقع هى المسئولة عن هذا الفشل، وليست مسئولة وحدها كذلك عن ايجاد تلك القيم ودعمها، فالمجتمع بكل مكوناته ومقوماته مسئول، والأسرة بجميع عناصرها مسئولة، ووسائل الاعلام وما تقدمه مسئولة، ولكن المدرسة هى أداة التعليم التى أوجدها المجتمع لتعليم ابنائه والسلوك الخلقى بما وراءه من قيم، متعلم ومكتسب : وعلى الرغم من العوامل الاخرى ذات الأثر فى توجيه السلوك، الا أن المدرسة تستطيع القيام بالعبء الاكبر في اكتساب التلاميذ تلك القيم وهذا السلوك .

المدرسة وحدها لاتستطيع ان تصنع الكثير

نعم ان طرق تربيتنا ونظام تعليمنا جزء من مجتمعنا ــ كما هو الحال في كل المجتمعات ،متقدمة ومتطورة ، متاخرة ونامية ــ الا ان تلك الطريقة وهذا النظام مرغوب تطوره ليحمل الى المجتمع عناصر لها من تماسك الخلق وصلابة القيم ما يمكنه من قوة التماسك ووحدة الاهداف ، وانه لمن الخطا ان نفترض أن المدرسة وحدها يمكنها أن تفعل الكثير لتعديل قيم المجتمع كلها او تغييرها . فالعالم من غير شك واسع من حولنا فيه الأخذ وفيه العطاء وفيه الحسن وفيه القبح . والانسان منا يتفاعل مع هذا كله ويتاثر سلوكه بهذا الذى يحيط به . فاذا كانت المستويات المادية تملأ البيت الذى جاء منه المتعلمون كما تملأ المجالات التي يذهبون اليها بعد المدرسة فالمدرسة لاتستطيع ان تعمل كثيرا كما يتوقع منها لكى تغير هذه المستويات او تعدلها .

المجتمعات النامية تعيش عصر انتقال

والذى يلاحظ الآن ان الجانب الخلقى ليس سويا لدى الكثير من الشباب وفي مختلف المجتمعات . وربما كان للتطور الحضارى الجارف فى مادته ، العنيف فى سرعته ، اثره الكبير فى هذا التخلف الخلقى . فالتقدم العلمي أوجد نوعا من ضعف الثقة في القيم والمعايير السائدة . وكذلك فالمجتمعات النامية تعيش عصور انتقال ، وفى تلك العصور يحدث اضطراب خلقى يشمل نواحى الحياة في المجتمع كله ، وربما كانت مشكلتنا الخلقية في مجتمعاتنا العربية أنها مشكلة انتقال ونوع من التخلخل الثقافي الذى يصاحبه ، فتتزعزع الثقة فى ما هو قائم وما هو سائد من معايير مما يجعل عبء المدرسة كبيرا ومسئوليتها في مواجهة عصور الانتقال هذه عظيمة . وذلك انه على الرغم من التسليم بمسئوليات اخرى تقع على غير المدرسة الا أن هذا لايعفى المدرسة من مسئولية الفشل في تسليح المتعلمين بالقيم والمعايير الخلقية .

التربية ، تحمى الميراث الثقافي ، وتحمى الثقافة من أن تكون ثابتة

وهناك في كل مجتمع مفكرون محافظون يصرون في قوة على أن تكون التربية في المدرسة محافظة ، فتلك عندهم هي الوسيلة للحفاظ على المتوارث من القيم والاخلاق والتراث الثقافي . ويدفع هؤلاء الى هذا الاصرار مايرونه من الانحراف في السلوك. ولكن من وظيفة التربية أيضا أن تحمى الثقافة من ان تكون ثابتة ، وهى في قيامها بهذه الوظيفة يجب أن تاخذ في اعتبارها ، ليس فقط أن تحفظ الماضي ، ولكن أن تنميه وان تطوره وان تطور الثقافة المعاصرة ايضا وتنميها ، وان تقدم للمجتمع المواطنين ذوى الضمير الخلقي ، ولا شك انه جزء أساسي من وظيفة التربية أن تقدم الفرد الواعى ذا الضمير .

وفشلنا في احداث هذا لا يرجع الى عامل وراثي في طبيعتنا وليس راجعا الى نقص في روحنا المعنوية ولكن المشكلة عميقة الجذور وجذورها اعمق من هذا كله .

وظيفة المدرسة في ارساء الاخلاق

ان وظيفة المدرسة ليس فقط أن تقدم للمجتمع الافراد الذين يقومون على الادوات الميكانيكية الضرورية للحياة الاقتصادية او للدفاع او العمل ، فهذا جزء مهم ، ولكن من المهم أيضا ان تقدم المفكرين ذوى الخلق الذين يعملون على حفظ المجتمع وحمايته من الامراض الداخلية التى تعتبر ادوات اكثر خطورة للتحطيم الذاتي . وانه لمهم اكثر من هذا أن تنمى قيم الحياة الانسانية نفسها وان تبقى على الجيد الشائع من القيم والمثل . ولا شك أن الكثيرين من الفتيان والفتيات يغادرون المدرسة او الجامعة من غير أن يجدوا متعة حقيقية فيما يتعلمون ولا يجدون في أنفسهم تزودا بالقيم الخلقية . واسباب هذا كله معروفة ولكن ربما كان هناك عاملان رئيسيان يظهران بوضوح أكثر من غيرهما :

الاول : الحاجة الى المعلمين الذين يعلمون موادهم ويحتفظون في الوقت نفسه بميلهم وحماسهم لهذه المواد .

الثانى : مسئولية اهتمام كل فرد بتنمية الكفاءة الخلقية التى هى مسئولية ضرورية لأى برنامج تربوى ولا خلاف في هذا بين العلميين والمشتغلين بالعلوم الانسانية .

الحكم الصحيح يعتمد على اشياء ثلاثة

واصدار حكم صحيح على الاشياء يعتمد على قدرات ثلاث .

القدرة الاولى : الفهم الواسع لمعنى الحرية . ليس فقط الحرية لانفسنا ولكن ايضا الحرية من انفسنا حتى تصدر احكامنا خلقيا وطبقا لقيمة خلقية معينة او معيار خلقي سائد ، وليس نتيجة الدوافع لرغباتنا الخاصة .

القدرة الثانية : تدريب ذكائنا حتى تستغل القدرة العقلية ويكون التفكير منطقيا وان يكون صدور الحكم على أساس من الاسباب .

القدرة الثالثة : فهم التفكير الفلسفي والسياسي والتاريخي الذى اعطى الاطار للتكوين الخلقي في المجتمع .

وليس هناك من يستطيع امداد البنين والبنات بهذه القدرات الثلاث غير المَدْرسة .

وليس هنالك من شيء من المعرفة او السلوك يصبح جزءا من النمط العام للمعرفة او السلوك ما لم يكن هنالك قبول عاطفي له وفهم تام لهذا الشيء .

حاجتان لهما قوتهما في الحياة الانسانية

ولا ننسى ان هناك من الحاجات الانسانية والتى لها قوتها في حياة الانسان حاجتين :

الاولى : الحاجة الى القبول الاجتماعي وهذه ترتبط الى حد كبير بالقيم الخلقية التى يتعامل مع المجتمع في ضوئها .

والثانية : الحاجة الى الاطمئنان في حياته فردا وسط مجتمعه .

وهذه الأخيرة ايضا تتاثر بنوع القيم الخلقية التى لديه ، فبقدر سلوكه خلقيا ورضاء المجتمع عن هذا السلوك يكون اطمئنانه . ومثل هذا القبول الاجتماعي له والاحساس به ، ومثل هذا الاطمئنان يمكن ان تبداه المدرسة في جوها العام ، وفي الفصل ، وفي مجالات النشاط المختلفة . ففى الجو الديموقراطى اذا ما تحقق ، واذا ما استغل المدرس مهارته لخلق الظروف التى تساعد المتعلم لاشباع هاتين الحاجتين ، والتى في ضوئها سيشجع النشاط الذى يمكن فيه التلميذ من التعبير عن نفسه ، يمكن تحقيق الكثير من هذا . اما اذا كان المدرس غير راغب في هذا فليس هنالك معنى لاية طريقة تتبع او اسلوب يعمل .

ما الذى نعنيه بالقيم الخلقية

فما الذى نعنيه بالقيم الخلقية والخلق الذى نريد ان نربط الفرد المواطن به ليكون مقبولا اجتماعيا ومطمئنا اجتماعيا ونفسيا ؟

يمكن أن يقال ان القيم مجموعات مختلفة من المعايير تحقق الاطمئنان للحاجات الانسانية . مجموعة من المعايير التى يحكم عليها الناس بانها حسنة والتى يريدونها ويبحثون عنها ويكافحون لتقديمها الى الاجيال القادمة والابقاء عليها ، والقيم المختلفة يمكن ان يفكر فيها على انها عوالم مختلفة التركيب . فليس هناك انسان يعيش فردا وحيدا . ومن ثم فالمتعلم يجب ان ينتقل باستمرار من قيمة الى اخرى ممارسةومعرفة . واذا كان لهم ان يصلوا الى اقصى درجات النمو اجتماعيا فيجب أن يكونوا مواطنين منتمين الى عالم القيم يدينون له بالولاء . والبيئة المدرسية بما فيها ومن فيها ، يمكنها ان تقدم الفرص المختلفة التى تحقق للتلميذ هذه المواطنة في عالم القيم .

عوالم القيم الرئيسية

ان عوالم القيم الرئيسية تتمثل فيما يلى : ـ

١ ـ عالم النشاط :

وهو عالم يحتاج الى قوة ، وبعبارة اخرى يتطلب فيما واتجاهات صحية . والذى يستطيع ان يحقق للتلميذ القيم المطلوبة لهذا العالم هو المدرسة .. نعم ان البيت الصحى والنوم والاكل والعلاج له اثره ، ولكن المدرسة يمكنها ايجاد القيم الصحية اللازمة لنشاط المتعلم وخلق الاتجاهات الصحية عنده . وهى التى يمكنها أن تبحث وسائل خلق هذه القيم وتلك الاتجاهات. مثلا هل هناك ضرورة لزيادة المعلومات الصحية ؟ واذا كان الأمر كذلك فما هى تلك المعلومات ؟ كيف يمكن ان يكتسب التلاميذ القيم والعادات والاتجاهات الصحية ؟ ما موقف المدرسة في التربية الرياضية ؟ كيف يمكن تنمية المنهج الصحى ؟ ما المؤسسات الصحية في البيئة وما دورها ؟ وما العلاج الذى في متناول الناس ؟ الى غير ذلك .

٢ ـ عالم المعرفة :

وهو عالم البحث عن الحقيقة وهو يحتاج الى القيم العلمية وغرسها لدى المتعلم . وربما كان دور المدرسة في عالم القيم هذه أبرز من غيره

فمثلا هل المتعلم لديه اتجاه للقراءة وميل اليها ؟ هل لديه كتب ويقرأ في البيت ؟ هل هناك تعاون في المنهج المدرسي ؟ ما الموقف المدرسي من ناحية الادوات والمكتبة والمعامل والافلام ؟ هل تتبنى المدرسة برنامجا للفرق الفردية وتؤكد نمو التلاميذ كما تؤكد التنافس العلمي بينهم ؟ هل برنامج المدرسة وظيفي او تقليدي ؟ كيف يوضع المنهج المدرسي ؟ اية طرق تعليمية تستخدم ؟

ما المؤثرات التربوية الأخرى كالبيت والى أى مدى تسهم في خلق تلك القيم ؟

٣ ــ عالم التقدير والمتعة :

وهو عالم القيم الجمالية . وهذا العالم بما فيه من قيم يشعر الفرد بالمتعة بما في الوجود حوله من جمال . والمدرسة دورها هنا خطير لا تقل خطورته عن دورها في غيره من عوالم القيم الاخرى فمثلا اية تعديلات يمكن ان تحدث في منهج التربية الفنية بالمدرسة بما في ذلك الشعر والموسيقى والادب وأنواع الفنون لجعله وظيفيا ، وليكتسب التلميذ التقدير والاستمتاع وحتى قيم الابتكار ؟ الى اى مدى يمكن استغلال المناظر الطبيعية في الكون لايجاد تلك القيم ؟

٤ ــ عالم الكفاية :

وهو عالم القيم الاقتصادية الذى يتطلب المام المتعلم بالقيم الاقتصادية التى يتعامل الفرد في ضوئها مع المجتمع تعاملا اقتصاديا فيه الأخذ وفيه الاعطاء ، فيه البيع وفيه الشراء ، مثلا ، هل تشجع المدرسة او الكلية عمل الطالب في فترة الاجازة ؟ هل يشجع التلميذ على حفظ المال وكسبه ليتعلم قيمة المادة،وان يكتسب الحكمة في التصرف في المال ؟ ما المعلومات التجارية والصناعية التى تقدم للمتعلم . ما أهم الصناعات في البيئة ؟ وماذا تقدم تلك الصناعات ؟

٥ ــ عالم المكانة والمنزلة :

وهو عالم القيم السياسية وهذا يتطلب أن يتعلم التلميذ التوجيه الذاتى والضبط الذاتى من خلال التنظيمات الديمقراطية داخل المدرسة . فمثلا هل الديمقراطية تمارس في المدرسة ؟ وهل معنى الحقوق والواجبات مفهوم لدى التلاميذ ؟ هل التعاون سلوك شائع ؟ هل المدرس او الناظر مستبد في رأيه وفي علاقاته بالتلاميذ ؟



.. ومن واجبات المدرسة تكوين الذوق الفنى والحسي بكل جميل عند كل طالب وطالبة ..

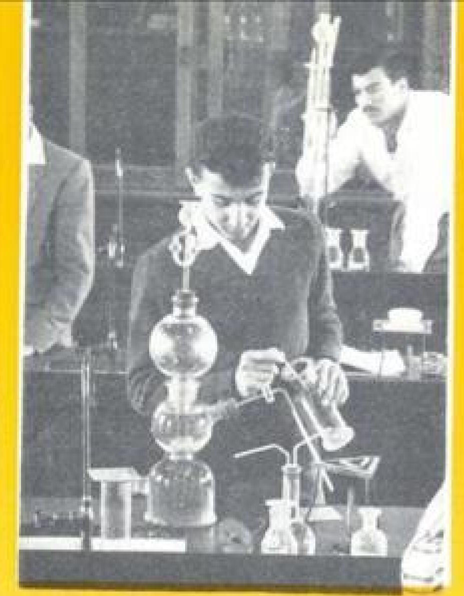
٦ ــ عالم القيم الاجتماعية :

وهو عالم المعايير التى يتعامل في ضوئها مع غيره وفي عمله وفي اسرته ، فمثلا هل تعطى المدرسة التلميذ جزءا من المسئولية ؟ هل يقوم بعمل يفيد الفصل او المدرسة او مجموعة من التلاميذ ؟ هل تقدم الخدمات النفسية للتلميذ ؟ هل يشترك التلاميذ في عمل جماعى او فردى لصالح المدرسة او البيئة ؟ ما المؤسسات الاجتماعية في البيئة وما مسئولياتها ؟

انه من الواضح أن القيم المعرفية تأخذ انتباها اكثر من غيرها في المنهجالمدرسي ولكن القيم الاخرى يجب الا تهمل .

تصارع القيم

وبما أن الناس يريدون نوعا من الاشياء ، والآخرون يريدون شيئا آخر ، فالقيم أحيانا تتصارع ، والمتعلم بين هذا الصراع يجب أن يتعلم ان يفهم وان يختار فهو في كثير من الاحايين يكون مضطربا لانه لا يعرف كيف يعبر الحدود من عالم قيم معين الى عالمقيم آخر . انه يسمعاحيانا نقدا



.. المعرفة هى اول ما تعطيه المدرسه للتلميذ فيها ، والمعرفة هى ابرز القيم واسهلها التى ينالها الطالب من اساتذته



.. والدين من اول ما تغرسه المدرسه فى الطالب لدعم القيم الروحيـة ، فالاديان هى اساس كل هذه القيم ..

لمنهج القيم الجمالية وعدم تقدير أحيانا للجوانب العلمية فكيف يميز بين الصحيح والخطأ ؟ فلكل عالم من القيم هنالك أشياء تعتبر صوابا ، وأخرى تعتبر خاطئة ، وليست هى دائما سواء فى عالم القيم . مثلا فى عالم المعرفة يعتبر الكذب خطأ بينما هو فى عالم القوة أو السياسة صحيح غالبا . والمتعلم يجب أن يكتسب معرفة بهذا كله وأن يحدث سلاما مع هذه القيم المختلفة التى يعيشها كلها ويتعامل معها كلها .. فاذا ما استعمل معيارا للحكم على قيمة معينة فى موقف معين يجب أن يفهم انه فى الوقت نفسه يمكن ان توجد هذه القيم فى مواقف أخرى ولا يصلح معها هذا المعيار . وهو اذا لم يفهم الموقف بكل ظروفه ومكوناته سوف يكون مضطربا . ومن المحتمل ان ينتج عن فشله استجابات غير سوية . فاذا فهم الموقف فهذا يساعده فى عملية التعلم الاجتماعى انه يجب أن يتعرف على طبيعة الخصائص والاتجاهات الضابطة التى تكون هى نظم القيمة عند الناس الذين يتعامل معهم ، وأن يتعرف على الموقف الذى يستخدم فيه المعيار للحكم على قيمة ما من القيم .

ولا ننسى القيم الروحية الدينية

٧ ــ عالم القيم الروحية (الدينية) :

ان القيم الدينية يقصد بها الوان من العلاقات الملائمة التى يتعامل الانسان فى ضوئها مع ربه ومع الناس . والاهتمام بهذه القيم يحقق للفرد فى الواقع نوعا من التكامل فى السلوك ونوعا من التوافق الاجتماعى . ذلك أن هذه القيم تقوم على أساس من الضبط الذاتى . ومن سيطرة الضمير على سلوك الانسان ، والله دائما يراقبه . وقد سبقت الاشارة الى ما يسمى بقيم الحياة والتى نوقشت فى الصفحات السابقة . وهناك ما يسمى بالقيم المساعدة وهى التى ترتبط بتقدير الفرد واحترامه وقيمته ، وهو محتاج اليها لرفع قيم الحياة الى اقصى طاقتها من أجل نفسه ومن أجل الاخرين ومن هذه القيم ما يسمى بالقوى الخلقية كالعدل مثلا والطاعة والاحساس بالواجب وتقدير المسئولية الى غير ذلك ومثل هذه القيم قد يظن انها غاية فى ذاتها ولكنها قيم فى ذاتها صحيحة وباتساعها تتجه الى ترقية قيم الحياة التى نوقشت من قبل .

والقيم الدينية فى تنظيمها علاقة الانسان بربه ،

وفي تنظيمها لعلاقة الفرد بغيره من الناس ، انما تعطى تقديرا خاصا واهتماما واضحا لما اسميناه بالقيم المساعدة . والهدف من هذا كله رفع مستوى قيم الحياة عن طريق رفع قيمة الفرد وتكريمه .

ولا شك أن المدرسة وغيرها من المؤسسات الدينية الاخرى يمكنها ان تفعل الكثير لدعم القيم الروحية والقيم المساعدة من أجل مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . وقيم الصحة والخطأ من اهم ما يجب أن تعلمه المدرسة بالوسائل التي يسهل على المتعلم اكتسابها بها ، وأن تقدم له فرصا متعددة وتشجيعا. وبالتدريج سيعرف مثلا ان قيم العدل والمروءة والشجاعة تمثل الطرق التي تذهب بقيم الحياة المقبولة الى ابعد مدى وهذا هو السبب في اعتبارها قيم صحة وخطأ . والمدرسة يمكنها كذلك بمساعدة المؤسسات الأخرى ان تساعد المتعلم في الكشف والتعرف على نمط القيم في الحياة والتي هي اعظم اهمية له وضرورية لاطمئنانه والتي تجعل للحياة قيمة لديه . وكثير من هذا النمط يقوم على أساس ديني .

القوى الخلقية ، وكيف نشأتها

وما نسميه بالقيم المساعدة او القوى الخلقية هو مجموعة من القواعد العامة والعادات التي تواضع عليها الناس وتوصلوا اليها بقصد تنظيم حياتهم الاجتماعية . وتمكين انفسهم من أن يعيشوا معايشة فيها اقل صراع ممكن .

وقد اختلف المفكرون في نشأة هذه القواعد فأصحاب النظرة الاجتماعية يرونها من صنع الانسان توصل اليها في أثناء صراعه لتنظيم حياته الاجتماعية مع من يشاركونه الحياة في البيئة . وقد ظهرت هذه المبادىء من محاولة الانسان الحصول على اللذة والألم ومن بحثه عن انواع السلوك لضمان الخير الاجتماعي . وآخرون يرونها مفروضة من القوى على الضعيف او هي من وضع الضعفاء ليحدوا من سطوة الاقوياء ويرى الفيلسوف « كنط » أن القانون الخلقي نبع من طبيعة الانسان ذاته بعيدا عن اى تأثير خارجي « وذلك لأن الخير في طبيعة الانسان » .

واصحاب النظرة الدينية يرون أن هذه المبادىء الخلقية من صنع الله فرضها على الناس . وايا ما كانت النظرة القائلة بنشأة تلك القوى الخلقية فالذى لا شك فيه أنها وجدت لتمكين الانسان من العيش في توافق ونجاح مع غيره ، ولا شك انها كذلك تهدف الى ترقية قيم الحياة عن طريق ترقية قيم الفرد نفسه . والمدرسة من غير شك يمكنها ان تقدم لهذا المتعلم بجانب القيم الدينية التي تربطه بربه الوانا من القوى الخلقية وذلك عن طريق الاهتمام الواضح الفعال بالتربية الدينية .

والدين من غير شك دعت اليه ظروف اجتماعية وخلقية للقضاء على فساد سرى أو خلق ضاع وبناء مجتمع خال من الشرور والآثام ، ومن ثم كان اهتمام الدين بالخلق بالغا وقويا لما لهذا من اثر في القضاء على الكثير من فساد المجتمع ، فالامانة والنزاهة مما يرفع قدر المرء نفسه ، وفي الوقت نفسه ترفع من قيم المجتمع . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ومن ثم كان تعليم الدين وغرس مبادئه شيئا اساسيا لغرس مبادىء الأخلاق وشيء اساسي لحياة المجتمع وسيره وتقدمه .

كيف تقوم المدرسة بواجبها ؟

والخلاصة أن دور المدرسة كبير في تربية الابناء خلقيا وله خطورته ومن الممكن ان يكون هنالك نوع من التنسيق بين المدرسة وغيرها من المؤسسات .

اما كيف تقوم المدرسة بواجبها ازاء هذه المشكلة فيتاتى ذلك بالطرق الآتية :

اولا : الاهتمام بالتربية الدينية اهتماما لا يقف عند دراسة النصوص او المعلومات الدينية ، ولكن يضيف اليهما تقديم الفرص والمناسبات التي تمزج بين الدين وفضيلة من الفضائل ، وتقديم القدوة الصالحة امام الناشئة ، والعمل على تحقيق الهدف الأسمى من الأخلاق . وهو تقدير الخلق من اجل مصلحة الفرد والمجتمع . ومعنى هذا ايضا ان يكون ما يدرس نظريا متفقا مع السلوك في المدرسة فلا يليق ان نعلم التلاميذ ان الكذب حرام ونكذب امامهم مثلا .

ثانيا : ربط التلميذ بعالم القيم وبخاصة في المرحلة الثانية في شتى صوره والمامه بالمواقف

المختلفة للقيمة وأن يعرف قيم الحياة المساعدة لها والقيم الدينية وأهداف كل منها .

ثالثا : امداد التلاميذ بسلطة الضبط الذاتي النابع من سلطة الضمير وذلك بدلا من السلطة الخارجية التي كان يفرضها المجتمع بما له من قوة . ومعنى هذا ان تزود المدرسة تلاميذها بشيء من ضبط النفس وصدق الحكم في المسائل الخلقية ليستغنى بها عن السلطة الخارجية وتكوين هذه السلطة الداخلية ليتأتى عن طريق الحياة الديمقراطية وغرس مبادئها في نفوس التلاميذ . فاذا ما خرج التلميذ الى المجتمع وهو يفهم ان كل شيء يمكن أن يقرر على أساس المناقشة وتبادل الرأى واحترام الآخرين تولدت في نفسه السلطة الداخلية التي تحمله على الايمان بهذه المبادىء .

رابعا : تكوين العادات الحسنة اما بالثواب واما العقاب . باللذة أو الألم واما بربط هذه العادات بميول التلاميذ .

خامسا : عن طريق الايحاء والمشاركة الوجدانية والقدوة الصالحة والتقليد .

سادسا : شخصية المدرس لها أثرها في تلاميذه فاذا ما ارتبط ارتباط الفة وتفاهم امكنه أن يؤثر فيهم تأثيرا كبيرا .

سابعا : الروح المدرسية والنشاط المدرسي فالمتعلم يمتص كثيرا من المثل العليا من روح المدرسة نفسها ومن أساليب النشاط . فالغرض من التربية الرياضية مثلا لا ينحصر في تربية الأجسام والترويح عن النفس بل يشمل أيضا تقوية الروح المعنوية وروح الجماعة والمثابرة والتعامل مع الآخرين . وأهم من هذا كله اكتساب الفضائل السامية التي ترمي اليها التربية الرياضية كالرجولة والشرف واحتمال المشاق . وكذلك الرحلات ونظام الأسر والجمعيات ، اذا اقيمت على أساس ديمقراطي سليم كان لها أثرها في رفع المستوى الخلقي لدى التلاميذ .

فاذا ما قامت المدرسة بدورها كاملا في هذا المجال امكن التغلب الى حد ما على ما نلاحظه من ضعف المستوى الخلقي لدى تلاميذنا . ذلك الذى اصبح ظاهرة خطيرة نراها في مجتمعاتنا وربما كان مرد ذلك الى العوامل الآتية :



١ ـ ليس لدى شبابنا قدرة على ضبط النفس ومعنى هذا أن المدرسة وغيرها من المؤسسات لم تزوده بهذه السلطة منذ حداثته . وربما كان السبب اننا لم نهتم بشخصية الانسان الفرد قدر اهتمامنا بتوصيل المعلومات اليه .

٢ ـ ان شبابنا لا يميل الى تحمل المسئولية والاستقلال في التفكير وربما كان ذلك لان الاب والمدرسة يضعانه تحت سلطة استبدادية ويتصرفان معه دون رأى منه .

٣ ـ لا يهتم شبابنا بالمصلحة العامة . وليس لديه القدرة على حل المشكلات، والاحساس بالواجب والمسئولية ضعيف لديه والمسئولية في هذا كله تقع على عاتق المدرسة فوظيفتها العمل على تحقيق الاتزان الخلقي حتى يكون شبابنا مستقرا من الناحية الخلقية .

ان ما قلناه عن دور المدرسة في انماء الاخلاق وربط المتعلم بعالم القيم فيه علاج الى حد كبير لمثل هذه العيوب التى تعانيها مجتمعاتنا . ■■

محمد صلاح الدين علي مجاور
دار المعلمين ـ الكويت



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ فى كثير من بلادنا العربية والاسلامية ، توجد مزارات الأولياء العديدة . ولهؤلاء الأولياء مقام ملحوظ، ومكانة يحوطها عادة كثير من الاجلال والتقديس ، وبالرغم من انهم لا يبلغون مرتبة النبوة ، فانهم مع ذلك يتمتعون احيانا عند العامة بما يتمتع به الأنبياء ، من زعم القدرة على اتيان الخوارق والمعجزات ، فيما يسمى تواضعا (بالكرامات) .

اثنان من أولياء الله

وفى تاريخ المغرب بنوع خاص ، يوجد عدد من الأولياء الذين يبلغون مرتبة أبطال التاريخ ، وذلك فضلا عن مكانتهم المرموقة كأولياء . وقد وقفت خلال طوافي بحواضر المغرب وخلال بحوثي التاريخية المغربية على سيرة اثنين من اولئك الأولياء ، الذين تمتزج سيرتهم فى الولاية ، بسيرتهم في ميدان العلم والاجتهاد ، وفي أحداث التاريخ ، هما ابو العباس احمد بن عاشر المتوفي سنة ٧٦٥هـ ، ومزاره في ثغر سلا ، وشعيب ابن الحسين الانصارى الشهير بأبى مدين المتوفى سنة ٥٩٤ هـ ومزاره بمدينة تلمسان .

ومن الغريب أن كليهما اندلسي ، عبر البحر الى المغرب ، واستقر به وثوى الى ارضه . وكلاهما يحظى منذ عصور ، بحج الناس الى مزاره والتماس البركة والدعاء منه ، وقد أرخ لهما ونوه بمقامهما، فى ميدان العلم والورع والزهد . كتاب ومؤرخون عظام ، مثل لسان الدين بن الخطيب ، وشهاب الدين المقرى .

سيدى ابو مدين

وأبو مدين ، أو سيدى أبو مدين :



ضريح ابو مدين فى ضاحية العبّاد بمدينة تلمسان ويظهر فى الصورة
ايضا المسجد الفخم الذى اقيم أمام الضريح ويعرف بمسجد أبى مدين

حسبما يشتهر فى سائر انحاء المغرب ، هو قطب أولياء المغرب كله ، ولا يتمتع أى ولى آخر بمثل مكانته ، او مثل هيبته وشهرته ، وهو بمزاره الذى يتوسط المغربَيْن الأدنى والأقصى مقصد الحاج من سائر الانحاء .

ومن الأسف ان صفة الولاية ، وغمر الاساطير والخوارق ، التي تتكدس حول سيرة ابي مدين ، وحول ورعه وزهده تكاد تخفى شخصيته العلمية الحقيقية ، وهي التى تحتل مكانها المرموق في تاريخ العلم الأندلسي ، وهو العلامة شعيب ابن الحسين الانصارى الاندلسي ، ويكنى بأبى مدين ، ولد سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) بحصن قنطلانة على مقربة من شمال اشبيلية ، وتلقى دراسته الاولى باشبيلية ، ثم عبر البحر فتى الى المغرب ، وتجول في سبتة ومراكش وفاس ، يدرس على شيوخها ، واستقر بفاس ، ودرس على قطبيها الشهيرين الشيخ الحافظ ابى الحسن بن حرزهم ، والشيخ ابى يعزى يلنور ، ولازمه وانتفع بعلمه . واشتهر ابو مدين بغزارة علمه ، وتفوقه فى علوم السنّة ، ثم مال الى التصوف وأخذ طرائقه على أبى عبد الله الدقاق وابى الحسن السلاوى قطبَى عصرهما .

سفره الى المشرق

ثم سافر الى المشرق وادى فريضة الحج ، والتقى فى مكة بالشيخ الورع المتصوف عبد القادر الجيلانى ، وقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث ، والبسه الجيلاني خرقة الصوفية ، وبث اليه كثيرا من اسراره ، ثم عاد الى المغرب ونزل بثغر بجاية يسبقه صيته فى العلم والورع والزهد ، فهرعت اليه الطلاب من كل صوب .

سعة علمه

وقيل انه تخرج على يديه الف تلميذ وذاعت شهرته فى كل مكان . وكان حجة لا يجارى فى الشريعة وعلوم الدين ، ولا سيما الحديث خصوصا جامع الترمذى . وكان يلازم كتاب احياء علوم الدين ، ويعكف عليه ، وترد عليه الفتاوى فى مذهب مالك ، فيجيب عنها فى الوقت . وله مجلس وعظ يتحدث فيه ، فتجتمع عليه الناس وكان متمكنا حسبما يقول مترجمه « من أسرار المعارف » فقصده الناس من كل مكان ، للاستقاء من علمه ، والتبرك بورعه وكراماته .

كراماته

وكرامات سيدى ابى مدين موضوع أحاديث كثيرة ، من مترجميه ، ولا سيما الشيخ ابى عبد الله محمد بن التلمساني في كتابه « النجم الثاقب » ، وابى يعقوب التادلى في كتابه « التشوف الى رجال التصوف » ، ويصف المقرى ابن تلمسان مقر مزاره « بشيخ المشايخ ، وسيد العارفين ، وقدوة السالكين » ،

ويقول لنا ان ابا مدين كان شيخ جده ، وانه دعا له ولذريته ، بما ظهر فيهم من القبول ، وانه زار ضريحه في العباد مئين من المرات .

ثم يحدثنا كذلك عن كراماته . ومما يقصه علينا فى ذلك ، ان ابا مدين مسح بيديه على عين اعمى فعاد بصره اليه فى الحال ، ومنها انه كان ماشيا ذات يوم على ساحل البحر ، فأسره الفرنج ، ووضعوه فى سفينة بها جماعة من اسرى المسلمين ، فلما استقر فى السفينة ؛ توقفت عن السير ولم تتحرك ، فقال بعضهم انزلوا هذا المسلم ، فانه قسيس ، ولعله من أصحاب السرائر عند الله ، فأبى ان يفعل حتى يطلق جميع من فى السفينة من الاسارى ، فاضطر الفرنج الى اجابته ، وانزل الاسرى جميعا ، فسارت السفينة فى طريقها .

الوشاية بأبي مدين

وقضى ابو مدين أعواما طويلة فى بجاية ، وشهرته فى صعود مستمر ، ترد عليه الوفود واصحاب الحاجات من مختلف الآفاق ، « ويخبر بالوقائع والغيوب » الى أن وشى به بعض شيوخ الظاهرية عند الخليفة الموحدى يعقوب المنصور ، وحذروه من نفوذ الرجل ، وتأثيره الروحي الواسع المدى ، وانه يكاد يشبه الامام المهدى (ابن تومرت) ، فى ذيوع تعاليمه وكثرة اتباعه ومريديه . فاهتم المنصور بالأمر أيما اهتمام ، وكان المنصور قد عاد يومئذ الى المغرب ، بعد ان احرز نصره الباهر على النصارى ، فى معركة الأرك العظيمة (٥٩١هـ ـ ١١٩٤م)، وبعد ان تم بناء المسجد الجامع باشبيلية وزينت منارته العظيمة بتفافيحها الذهبية . ووصل المنصور من اشبيلية الى مراكش ، فى شعبان سنة ٥٩٤ هـ ، وكان قبل ذلك بنحو عام فقط ، قد اصدر امره بمحاكمة طبيبه الخاص الفيلسوف ابن رشد وزملائه ، بتهمة الزيغ والخروج على شريعة الاسلام ، بناء على تحريض الفقهاء الموحدين ، وقضى بمعاقبته بالنفى ، ووقعت الوشاية فى حق ابى مدين ، وما يخشى من نفوذه فى هذا الجو المليء بالتهم والشكوك فاهتم بالأمر حسبما تقدم أيما اهتمام ، وبعث الى والى بجاية فى استقدام أبى مدين اليه ، ليختبره بنفسه ، واوصى بالاعتناء بشأنه ، وان يعامل خلال رحلته ، بمنتهى الرفق والرعاية ، فلما علم اصحاب ابى مدين وتلاميذه بذلك ، شق عليهم وتغيروا ، وابدوا اعتراضاتهم ، فهداهم ابو مدين وقال لهم « انه يشعر بدنو منيته ، وانه شيخ كبير ضعيف ، لا قدرة له على الحركة ، وان الله بعث اليه من يحمله برفق ، ويسوقه اليه احسن سوق ، وانه لن يرى السلطان ، ولن يراه » فهدأ روعهم ، وساروا به على أطيب حال ممكن ، حتى وصلوا الى

احواز تلمسان ، وبدت له رابطة العبّاد الى مقربة منها فقال لاصحابه « ما اصلحه للرقاد » . فلما وصل الى وادي يسّر القريب ، اشتد به المرض وتوفي في أواخر سنة ٥٩٤ هـ ، فحمله أصحابه الى رابطة العبّاد ودفن بها ، وكانت جنازته من المشاهد العظيمة ، اشترك فيها آلاف من اهل تلمسان .

ولم تمض اشهر قلائل أخرى ، حتى توفى الخليفة يعقوب المنصور ، وذلك فى الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ (يناير ١١٩٩ م) فخلفه ولده محمد الناصر لدين الله .

من شعر أبي مدين

وكان سيدى ابو مدين ، رحمه الله ، الى جانب علمه الدينى الغزير ، اديبا بارعا ، جزل الاسلوب، وشاعراً محسناً ، وله نظم كثير متداول . وقد أورد لنا المقّرى من نظمه الابيات الآتية :

بكت السحاب فاضحكت لبكائها
زهر الرياض وفاضت الانهار

وقد اقبلت شمس النهار بحلة
خضرا وفي اسرارها اسرار

واتى الربيع بخيله وجنوده
فتمعنت فى حسنه الابصار

والورد نادي بالورود الى الجَنَى
فتسابق الأطيار والأشجار

والناس ترقص والعقار تشعشعت
والجو يضحك والحبيب يزار

والعود للغيد الحسان مجاوب
والطار اخفى صوته المزمار

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا
مزمارنا التسبيح والأذكار

وشرابنا من لطفه وغناؤنا
نعم الحبيب الواحد القهار

والآن فلنذكر كلمة عن ضريح سيدى ابى مدين ومسجده ، وكلاهما يقع فى ضاحية العبّاد على مقربة من تلمسان .

عند ضريح أبي مدين

ولقد زرنا ضاحية العبّاد ، وقت زيارتنا لتلمسان عروس مدائن المغرب الأوسط ، وزرنا ضريح سيدى ابى مدين ، والمسجد الفخم المواجه له . ويقع ربض العباد ، فوق ربوة قليلة الارتفاع ، تقع على مقربة من غربى مدينة تلمسان، وتصل الى الضريح بواسطة طرق ضيقة صاعدة . ويقع الضريح فى نهايتها على جانبها الأيسر . وهو ضريح صغير الحجم ولكن مهيب فخم ، وقد أمر بانشائه لأول مرة الخليفة محمد الناصر لدين الله ، ولد الخليفة يعقوب المنصور . وكأنما كان يلتمس بانشائه تكفيرا عن الجزع ، الذى أوقعه ابوه الخليفة المنصور ، فى قلب العلامة الورع ، باستدعائه اليه ، ثم جدده السلطان الكبير ابو الحسن المرينى المتوفى سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) أيام سيطرته على تلمسان . وانشأ السلطان ابو الحسن كذلك قبالة الضريح ، من الجهة اليمنى ، على ارتفاع بضع درجات ، مسجدا فخما على الطراز الغرناطي ، يمتاز بجمال عقوده،وزخارفه وقناديله الغرناطية. وهو يعرف بمسجد سيدي ابي مدين . وانشأ الى جواره مدرسة لتحفظ القرآن الكريم . ويهرع الى هذه البقعة المقدسة الزوار من تلمسان ، ومن سائر انحاء الغرب ، لزيارة ضريح سيدى ابى مدين، والتماس بركته ودعائه وقد اسبغ وجود الضريح على هذه الضاحية ، جوا من المهابة والخشوع ، وشهرة عظيمة تطبق الآفاق .

■■

محمد عبد الله عنان

طرائف عربية

غلام لسن

● ذكر ان الحجاج سار يوما متفردا، فأتى موضعا فراى غلاما من غلمان العرب ومعه قوس يتصيد . وكان من اصبحهم وجهـا واحسنهـم شبابا ، فقـال له الحجاج : ممن انت ياغلام ؟ قال : من الناس ! قال : واى الناس ؟ قال : من ولد آدم ! قال : فمن ابوك ؟ قال : الذي ولدني ! قال : فاين ولدت ؟ قال : على ظهر الأرض ! قال : فاين نشأت ؟ قال : ما بين السماء والأرض ، قال : واسمك ؟ قال : وما تريد من اسمي ؟ قال : احببت ان اعرفك . قال : واللـه ماضرني انكارك اياى في سالف الدهر ، فينفعني اليوم علمك بي ومعرفتك لي ! قال : فانطلق معي افعل بك خيرا . فقال : والله ما ارى فيك شيئا من الخير فانطلق معك ! قال : ما اسفهك ياغلام ؟ قال : وما علمك بسفهي وانني سفيه وانت قد ذهب بك التيه وذاك بك شبيه . قال : ياغلام : سلني حاجتك ؟ قال : واللـه ما اسأل الا من انا وانت عنده في المسألة سواء ذلك الله ربي وربك .....

لا تزوجت اليه

● خطب سلمان الفارسي ابنة عمر ابن الخطاب فوعده بها ، فشق ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقى عمرو بن العاص فشكا اليه ذلك ، فقال له : سأكفيكه ، فلقى عمرو بن العاص سلمان الفارسي في بعض طرق المدينة فقال له : هنيئا لك يا ابا عبد الله ، هذا امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يتواضع لله عز وجل في تزويجك ابنته وهى من سيدات قريش. فغضب سلمان وقال : ايتواضع لله عز وجل في تزويجى ابنته ، وقد ساوى بيننا الأسلام . ثم اننا لآدم وآدم من تراب . لا والله ، لا تزوجت اليه ابدا .

بين أبيض

● حكى ان الحجاج اشترى غلامين احدهما اسود البشرة ، والثانى ابيض البشرة ، فقال لهما في بعض الأيام : اريد من كل واحد منكما أن يمدح نفسه ويذم رفيقه ، في ابيات شعرية : فقال الأسود:

الم تر ان المسك لا شيء مثلـه
وان بياض اللفت حمل بدرهم

● قال ابن المقفع في الأدب الكبير : مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد ، يهابه الناس ، وهو لمركبه أهيب !

حكمة الشعر والالحان

● كان معاوية بن ابى سفيان يعيب على عبد الله بن جعفر سماع الغناء ، فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناء فوقف ساعة يستمع ثم مضى. فلما انصرف آخر الليل الى منزله مر بدار عبد الله بن جعفر ، فاذا عبد الله قائم يصلي ، فوقف يستمع الى قراءته ، ثم نهض وهو يقول : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم .

فلما بلغ ذلك ابن جعفر اعد له طعاما ومجلسا للطرب ودعاه الى منزله ، واحضر ابن صياد المغنى ، فأخذ يغنى بشعر عدى بن زيد وكان معاوية يعجب به :

يا لبَيْنَى اوقدى النارا ان من تهوين قد جارا
رُبَّ نار بِتُّ آرمقها تقضم الهندى والغارا
ولها ظبى يؤججها عاقد في الخصر زنارا

فأعجب معاوية غناؤه ، حتى قبض يده عن الطعام . فقال له عبد الله بن جعفر : يا امير المؤمنين : انما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان ، فهل ترى به بأسا ؟ قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان .

واسود

وان سواد العين لا شك نورها
وان بياض العين لا شيء فاعلم

فقال الأبيض :

الم تر ان البدر لا شيء مثله
وان سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم
ولا شك أن السود أهل جهنم

فضحك الحجاج ، وأجازهما .

حبس من اجل ابن نوح

● قرا الحجاج في سورة هود « قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح » فلم يدر كيف يقرأ « عمل » بالضم والتنوين او « عمل » بالفتح .

فبعث احد حراسه وامره أن يحضر له قارئا فاتى به الحراس وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه ، فحبسه الحراس ونسوه ، حتى عرض على الحجاج حبسه بعد ستة أشهر ، فلما انتهى اليه قال له : فيم حبست يا هذا قال : فى ابن نوح اصلح الله الامير ، فامر باطلاق سراحه .

طرائف غريبة

اللور

● كان بالمرستون Palmerston ، السياسي الانجليزى ورئيس وزراء بريطانيا الاسبق (١٧٨٤ – ١٨٦٥) من اقوى المدافعين عن الحرية والحق والعدل في بلاده .. كان يسير يوما بعربته في احد شوارع لندن عندما شاهد احد اللوردات الانجليز يترجل عن جواده ثم يتجه الى الكناس الذى وقف يلتقط القاذورات من الشارع ويضعها في عربته ، وينهال عليه ضربا !

وصاح بالمرستون في سائق عربته طالبا منه التوقف ، ثم اتجه الى حيث وقف اللورد ، وقال يسأله في حدة : « لماذا تضربه » ؟

وقال اللورد : « لانه وضع عربته القذرة في طريق جوادى » !

● انني افضل اخطاء المتحمسين المتهورين على مواقف اللامبالاة من جانب الحكماء المفكرين .

« أناتول فرانس »

طفل يكتب الى مونتجومرى
« ظننت أنك مت !! »

● تلقى الفيلدمارشال لورد مونتجومرى ، القائد الانجليزى الشهير الخطاب التالى من تلميذ صغير في الثامنة من عمره .. قال الخطاب :

قد كنت اظن انك مت . الى ان قال لى أبى اخيرا انك ما زلت حيا ترزق ، ولكن من المنتظر ان تموت قريبا ، فقد تقدم بك العمر .. ! أرجوك أن ترسل لى توقيعك بسرعة ! »

التوقيع : وليام

وابتسم القائد العسكرى الكبير ثم امسك بقلمه وجلس يكتب خطابا للتلميذ الصغير ، قال فيه :

عزيزى وليام

اشكرك على خطابك، وستجد صورتى مع هذه الكلمة موقعا عليها بامضائى .



وثق أنك ستكون أول من يعرف بسبب رحيلى عن هذه الدنيا ، فقد أوصيت سكرتيرى الخاص بأن يبرق لك حال وفاتى ، لكى تكون بين المشيعين لجثمانى اذا شئت ! »

والكناس

قال رئيس الوزراء: «الم يخطر ببالك ان هذه العربة الصغيرة انقذتك انت وكل افراد اسرتك من القاذورات التى كان يمكن ان تتجمع وتؤدى الى انتشار اخطر انواع الاوبئة . اعتذر له حالا » !

ولكن اللورد رفض باباء وشمم ان يعتذر للكناس !

وهنا صاح رئيس الوزراء مهددا : « اذا لم تعتذر فسوف اطلب تقديمك للمحاكمة بتهمة الاعتداء على موظف رسمى اثناء تأديته عمله ! وامرت باعفاء كل الكناسين من جمع القاذورات امام بيتك » !

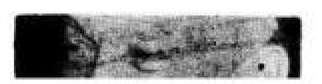
ولم يجد اللورد مفرا من الاعتذار !

وكانت هذه اول سابقة من نوعها في تاريخ بريطانيا !

آخر كلمات ايزنهاور « أحببت كل الناس !! »

● ما هو سر نجاح الرئيس الأمريكي الراحل دوايت ايزنهاور كقائد عسكرى وكسياسي ، ثم كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ؟ لقد وجه الصحفيون هذا السؤال اخيرا لأرملته « مامي » ، تلك السيدة العظيمة التى شاركت هذا الرجل الكبير حياته بكل ما فيها من انتصارات وهزائم ودموع وابتسامات . قالت مسز ايزنهاور : « لقد كان زوجي يحب الناس .. كل الناس ... وكثيرا ما كان يختلف معهم في الرأى ، ولكنه لم يكره احدا ، ولم يحقد عليه احد .. حتى عندما كان يتحمس لقضية ثم يفاجأ بان احدا من حوله لايشاركه هذا الحماس ، لم يكن يغضب او يثور ، ولكنه يتمسك برايه ، فلم يكن من السهل لثنيه عن عزمه !

ثم قالت : لقد كانت آخر كلمات ايزنهاور يوم وافته منيته في شهر مارس الماضي « لقد احببت زوجتي واحببت اولادى واحفادى..واحببت بلادى .. واحببت الحياة وكل الذين يحيونها !!! » .





وسام « الحذاء » لونستون تشرشل !

● وقف ونستون تشرشل السياسي الانجليزى الراحل في مجلس العموم البريطاني يسخر من هزيمته في الانتخابات العامة التى اجريت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .. قال : « كان لى صديق يزور مدينة زغرب في يوغوسلافيا عندما أعلنت نتائج الانتخابات العامة الأخيرة ، والتقى الصديق بسيدة يوغوسلافية عجوز ، فقالت له : « مسكين مستر تشرشل .. لا بد أنهم سيعدمونه رميا بالرصاص بعد أن لفظه الشعب ؟ » .

ثم قال تشرشل : « ولكن صديقي راح يطمئنها ويؤكد لها ان صاحب الجلالة لن يتركه يموت ، وانه سوف يتدخل حتما ليستبدل عقوبة الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة !! »

وضج المجلس بالضحك ..

وهنا وقف احد النواب من حزب العمال وقال : « يبدو أن الملك لم يكتف بالعفو عنك ، بل اراد أن يكرمك، فمنحك وسام ربطة الساق ! »

فقال تشرشل : « قد يسرك أن تعلم انى رفضت وسام ربطة الساق ، بعد أن منحنى الشعب وسام الحذاء !! » .

الجيوب الأنفية

والتهاباتها

بقلم : الدكتور على جميل الزيات

■ الجيوب الانفية عبارة عن امتدادات لتجويف الأنف . وهي تكون تجويفا في عظام الوجه وقاع الجمجمة . وتتصل بتجويف الانف بفتحات صغيرة تؤمن تبادل الهواء بين تجويف الانف وهذه الجيوب اثناء عملية التنفس . وكذلك فان هذه الفتحات تسمح للجيوب بالتخلص من الافراز المخاطي الذى تفرزه الأغشية المخاطية المبطنة لها بتوصيلها الى تجويف الانف الذى يدفعها بدوره الى البلعوم.

ومما يساعد على ذلك ان هذا الغشاء المخاطي من النوع الهُدبي - اى ذو الأهداب - المبطن للأنف ، اذ هو في الواقع امتداد له . وهذه الأهداب بحركتها المتموجة الدائمة تجعل الطبقة المخاطية الرقيقة التى تفرزها الخلايا المخاطية المنتشرة في هذا الغشاء في حركة دائمة كذلك وفى اتجاه الفتحات التى توصلها بتجويف الانف .

وفى الانسان يوجد سبعة جيوب انفية . منها ثلاثة مزدوجة - ايمن وايسر - وهي :

الجيوب الجبهية : Frontal Sinuses وتقع اعلى محجر العين واسفل الفص الامامي للمخ ، ويفصلها عن كل منهما طبقة عظمية رقيقة .

الجيوب المصفوية : Ethmoidal Sinuses وتقع بين محجر العين والجزء العلوى للجدار الخارجي للأنف .

الجيوب الفكية : Maxillary Sinuses وتوجد في عظمة الفك العلوى ويحدها من الداخل الجدار الخارجي للأنف ومن أعلى محجر العين ومن اسفل الفم والأسنان .

اما الجيب السابع فهو جيب مفرد - غير مزدوج - وهو الجيب الوتدى او السفيني Sphenoidal Sinus ويقع خلف الأنف من اعلى البلعوم الأنفي .

وتبدأ الجيوب الانفية في التكوين مع الشهر الثالث من عمر الجنين . ثم تاخذ في الكبر والاتساع حتى سن البلوغ حيث تصل منتهاها . ولكن آخرها في الظهور هى الجيوب الجبهية التى تبدأ في التكوين مع نهاية السنة الثانية من عمر الطفل.

وفى تمام نموها تتراوح سعتها بين ٦ سم٣ كما في الجيب الجبهي و ١٥ سم٣ كما في الجيب الفكي الذى يكون اكبرها سعة .

وظيفة الجيوب الأنفية :

١ - التقليل من وزن الراس مع احتفاظه



بالحجم الذى يبدو به ليكون متناسبا مع الجسم .

٢ ـ المساعدة فى عملية ترطيب هواء الشهيق وتدفئته قبل دخوله الى الرئتين . اذ انه من الثابت ان هناك تبادلا مستمرا بين الهواء الموجود في تجويف الانف والهواء الموجود بالجيوب الانفية اثناء التنفس .

٣ ـ امتصاص الصدمات الخارجية الموجهة الى الرأس ، وبذلك فهي تحمي الأجزاء الحساسة به كالمخ مثلا .

٤ ـ اعطاء الرنين للصوت وتقويته . وهي بذلك تقوم بدور مشابه لدور الصندوق الرنان في الآلات الوترية . ولهذا فاننا قد نلاحظ احيانا بعض التغيير في صوت الاشخاص المصابين بمرض في الجيوب الانفية .

التهابات الجيوب الأنفية :

الجيوب الأنفية تكون دائما عرضة للالتهابات التى قد تصيب واحدا منها او اكثر من واحد في نفس الوقت .

وهذه الالتهابات غالبا ما تكون صديدية غير نوعية .

وهناك بعض العوامل العامة التى تساعد على تهيئة الشخص للاصابة بهذه الالتهابات نذكر منها :

١ ـ التغيير المفاجيء في درجات الحرارة .

٢ ـ الاقامة في الأماكن الرطبة سيئة التهوية .

٣ ـ الارهاق الشديد وسوء التغذية مما يضعف المقاومة .

٤ ـ وكذلك فان الالتهاب المزمن باللوزتين وتضخم الزوائد خلف الأنف من العوامل التى لا يمكن اغفالها . اذ انها تجعل الشخص عرضة لالتهابات الجيوب الأنفية وخصوصا في الأطفال .

الالتهاب الحاد :

اعراضه : ارتفاع طفيف في درجة الحرارة مع اعياء عام وهبوط بالجسم (هذه الأعراض تكون عادة شديدة في الأطفال) . وانسداد بالأنف . وكذلك ألم بالرأس وصداع ، وخصوصا اذا كان هناك انسداد بفتحات الجيوب الأنفية . ومن خصائص هذا الألم انه يزداد مع اندفاع الدم المفاجيء الى الرأس كما يحدث اثناء العطاس مثلا او الانحناء بحيث يكون الرأس في مستوى منخفض عن الجسم ، كما انه في بعض حالات الالتهاب الحاد بالجيوب الأنفية قد تتورم الأنسجة فوق الجيب المصاب وخصوصا في الأطفال .

اسبابه :

١ ـ تعتبر النزلات البردية والتهاب تجويف

الانف الحاد المسئول الأول عن التهاب الجيوب الحاد وخصوصا اذا اهمل علاجها .

٢ ـ بعض امراض الأضراس العلوية مثل خراج الجذر Apical Absess الذى قد ينفجر داخل الجيب الفكي .

كما انه في بعض الأحيان عند خلع احد هذه الضروس فان تجويف الضرس قد يفتح مباشرة داخل الجيب ، وعن هذا الطريق تدخل الجراثيم من الفم والأسنان الى الجيب وتسبب التهابه .

٣ ـ الاختلاف المفاجيء في الضغط الجوى Baro Trauma مثلما يحدث في حالة الاقلاع والهبوط بالطائرة . فانه في حالة الاقلاع والارتفاع في طبقات الجو العليا يخف الضغط الجوى ويتخلخل الهواء داخل الجيوب الانفية ليتعادل مع الضغط الخارجي . اما في حالة الهبوط ـ وخصوصا اذا كان سريعا ـ فانه مع زيادة الضغط الجوى يندفع الهواء الخارجى عن طريق تجويف الانف الى الجيوب الانفية . وفي هذه الحالة اذا كان هناك افراز صديدى بالأنف فانه يندفع مع الهواء الى الجيب . لذلك ينصح المريض عادة بعدم السفر بالطائرة في حالة التهابات الأنف الحادة . ولحسن الحظ فان هذه الحالات اصبحت هذه الايام اقل كثيرا ، وذلك بفضل تقدم صناعة طائرات الركاب المتوازنة الضغط Pressurised .

٤ ـ الغطس فى حمامات السباحة الملوثة قد يسبب التهاب الجيوب الانفية بجانب غيرها من الأمراض .

٥ ـ كذلك فان حشو الانف لمدة طويلة ووجود الأجسام الغريبة (خصوصا فى الاطفال) بسبب ركود الافرازات بالأنف والجيوب الانفية مع عدم تهويتها مما يساعد على تكاثر الميكروبات داخلها مالم يتخذ الاحتياط اللازم باعطاء المضادات الحيوية .

العلاج :

ويكون العلاج فى هذه الحالة ذا شقين :

الاول : علاج عام : وذلك يستلزم الراحة التامة بالفراش مع استعمال المسكنات والمضادات الحيوية مثل البنسلين ومشتقاته .

الثاني : علاج موضعى : والغرض منه تأمين فتح المسالك الهوائية بالأنف وفتح فتحات الجيوب الانفية ليتسنى للمريض التخلص من الافرازات التى تزيد في هذه الحالة حتى لا تتراكم وتساعد على نمو الميكروبات الضارة وذلك باستعمال القطرات القابضة لأغشية الأنف مثل نقط الافدرين . وكذلك استعمال غسول للانف مما يساعد على سهولة التخلص من هذه الافرازات . وكذلك فان استنشاق بعض الأبخرة مثل بخار صبغة الجاوى يساعد على تهدئة الاغشية الملتهبة .

وهنا يجدر بنا ان ننصح المريض بالاهتمام بمعالجة الحالات الحادة معالجة تامة حتى لا تتحول الى التهاب مزمن قد يكون علاجه اكثر صعوبة ، وكذلك حتى لا يتعرض للمضاعفات التى قد تكون خطيرة احيانا كما سيأتى ذكر ذلك فيما بعد .

الالتهاب المزمن :

اسبابه : نستطيع ان نقول ان اكثر من ٦٠٪ من حالات التهاب الجيوب المزمن ناتج عن الحساسية بالانف . وتكون الأسباب الاخرى العديدة مسئولة عن باقى الحالات ، ومنها اعوجاج الحاجز الانفى وتضخم اغشية الانف والزوائد خلف الانف بين الاطفال .

الاعراض : انسداد غير دائم بالانف يتارجح بين النقص والزيادة مع ثقل والم غير حاد بالراس أو فوق الجيب المصاب . كما يشكو المريض من سرعة الارهاق مع فقدان الشهية للطعام .

وكذلك فانه يشكو من زيادة الافرازات بالأنف وخلفها وهذه الافرازات قد تكون صديدية في أحيان كثيرة .

ومن الاعراض الشائعة كذلك اعراض الحساسية او مضاعفاتها مثل الزوائد الانفية .

العلاج : فى هذه الحالة غالبا ما يكون موضعيا الا في حالات الحساسية التى لا يمكن ازالة اسبابها حتى يعطى المريض مضادات الحساسية .

والغرض من العلاج هو تامين تهوية الأنف والجيوب الانفية وتسهيل التخلص من الافرازات الراكدة بهما نتيجة ضعف الاهداب الموجودة بالغشاء المخاطى بسبب الالتهاب المزمن . ويكون ذلك باستعمال القطرات القابضة والغسول .

وقد يضطر الطبيب احيانا الى اللجوء لبعض الجراحات البسيطة لازالة الأسباب التى تعوق المسالك الهوائية . مثل تقويم الحاجز الانفى المعوج او ازالة الزوائد الانفية بانواعها ـ الامامية والخلفية ..

هذا ينطبق على الجيوب الانفية بصفة عامة الا

ان لكل منها خصائصه التي يجدر بنا ذكر بعضها.

الجيوب الفكية : وهي اكثرها عرضة للالتهابات كما انها اقلها خطرا . ولما كانت هذه الجيوب لها علاقة مباشرة بالاضراس العليا فان ١٠٪ من حالات التهاب الجيوب الفكية يكون السبب فيها مرض هذه الضروس . ويكون افراز الجيب في هذه الحالة كريه الرائحة بسبب العصيات القولونية Coli - ت التي تعيش بين الأسنان . كما أن الألم قد يكون محسوسا بالاسنان وتزداد حدته عند الانحناء او خفض الراس . كذلك فان البذل او غسيل الجيب يكون مستطاعا وسهلا في هذه الجيوب ويلجأ اليه الطبيب اذا وجد تجمعا صديديا بالجيب ولم يمكن التخلص منه بالطرق السابقة . كما انه يمكن عمل فتحة بين تجويف الجيب وتجويف الانف لتسهيل التخلص من هذه الافرازات وعمل غسيل للجيب عن طريقها .

وفي حالة فشل الطرق والعلاجات السابقة فلا بد من اللجوء الى جراحة اكبر حيث تعمل فتحة تحت الشفة العليا واستئصال جزء من عظام الجدار الأمامي للجيب للوصول الى تجويف الجيب وتنظيفه باستئصال جميع الاغشية التي اتلفها الالتهاب المزمن.

الجيوب الجبهية : وهي اقل عرضة للالتهابات من سابقتها ، وعادة ما تكون مصحوبة بالتهاب الجيوب الفكية والمصفوية ، وهي عادة ما تشفى بعد علاج الجيوب الاخرى . الا انه في بعض الحالات النادرة التي يحدث فيها التهاب بالعظام التي يتكون منها جدار الجيب او في حالة تكون كيس صديدي بالجيب يضطر الطبيب لعمل جراحة على الجيب المصاب تفاديا للمضاعفات .

الجيوب المصفوية : هذه الجيوب تتكون من خلايا هوائية متعددة قد تصل الى ١٥ او اكثر في كل جانب وتتميز بان الغشاء المخاطي المبطن لها غير ملتصق التصاقا متينا بالجدار العظمي للجيب. ولذلك فانه من السهل ان يتورم في صورة زوائد لحمية Nasal Polypi في حالات الحساسية والتهاب هذه الجيوب. والتهاب الجيوب المصفوية يكون اكثر شيوعا بين الأطفال . اما في البالغين فان الصورة الشائعة هي وجود زوائد انفية امامية متعددة وهذه كثيرا ما تعود للظهور بعد استئصالها. وكذلك فانه عادة ما يكون التهابها مصاحبا لالتهاب الجيوب السالفة الذكر . كما ان الالم الناتج عنها يكون محسوسا على جانبي الانف في المنطقة الواقعة بين العينين .

اما عن علاجها فانه اذا فشلت الوسائل العامة لالتهاب الجيوب فلا بد من فتح هذه الخلايا الهوائية وتنظيفها اما من داخل الانف أو عن طريق فتحة خارجية بجانب قنطرة الانف على الجهة المصابة.

الجيب الوتدي أو السفيني : التهاب هذا الجيب هو اندرها جميعا . وعادة ما يكون مصاحبا لالتهاب الجيوب الاخرى وخصوصا المجموعة الخلفية من الخلايا المصفوية . وغالبا ما يزول هذا الالتهاب مع علاج الجيوب الاخرى . اما في الحالات المستعصية فانه لا بد من تصفية الجيب وتنظيفه عن طريق الجراحة ، وهي هنا ادق من الجراحات السابقة .

المضاعفات

١ ـ التهاب العظام التي بداخلها الجيب Osteomyeletis ويكون اكثر حدوثا في التهاب الجيوب الجبهية . وقد يعجل بحدوث ذلك أو يساعد عليه الرضوض او اصابات الراس في هذا الجزء .

ولكون هذه الجيوب قريبة من المخ فانها تشكل خطرا على المخ واغشيته .

٢ ـ مضاعفات داخل الجمجمة . وهي كثيرة وخطيرة مثل التهاب اغشية المخ وخراج المخ .

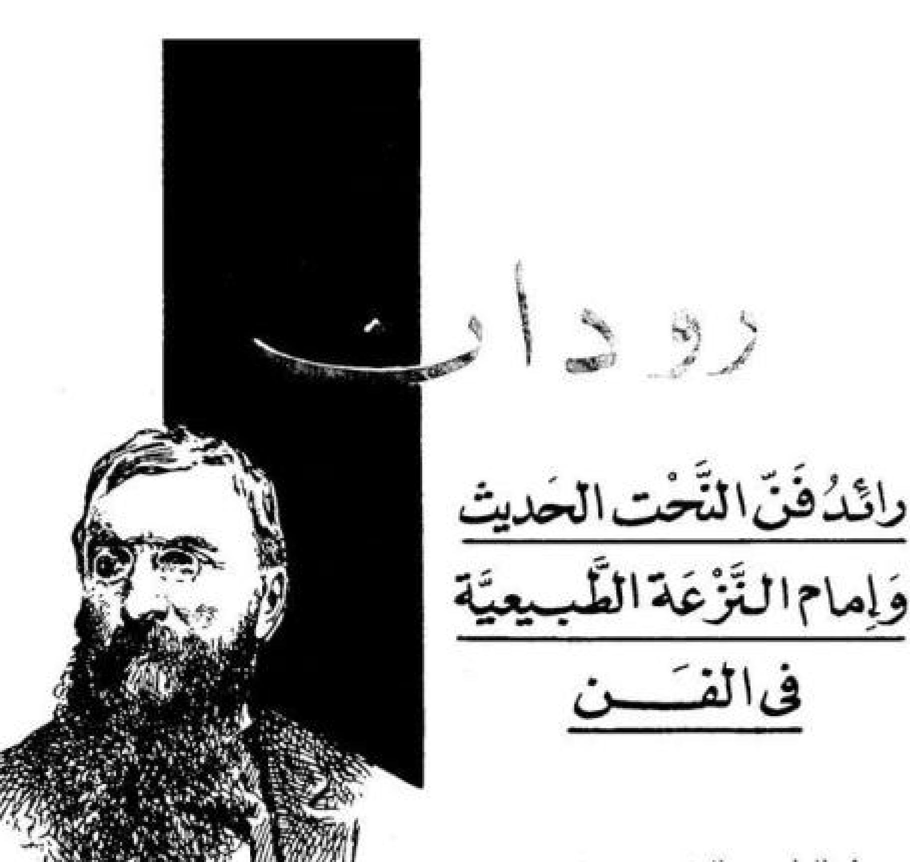
٣ ـ مضاعفات بمحجر العين ومحتوياته مما قد يؤدي الى فقد الابصار او امتداد المرض الى داخل الجمجمة .

٤ ـ مضاعفات عامة او بعيدة كان يمتد الالتهاب الى الاذن الوسطى عن طريق قناة استاكيوس التي تصل بينها وبين البلعوم الانفي . او التهاب المسالك الهوائية والرئوية او المعدة .

كذلك فان التهاب الجيوب الانفية المزمن قد ينتج عنه باعتباره بؤرة صديدية في الجسم التهابات في اماكن بعيدة مثل المفاصل او العضلات او الأعصاب .

بقيت نقطة هامة يلزم توضيحها هنا . وهي ان الجيوب الانفية هي المسئولة عن ٥٪ فقط من حالات الصداع الذي له أسباب لا حصر لها ومعظم هذه الأسباب يمكن اكتشافها وعلاجها . ■■

دكتور علي جميل الزيات



رائد فن النحت الحديث وإمام النزعة الطبيعية في الفن

■ في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٧ ، احتفل العالم بمرور خمسين عاما على وفاة المثال الفرنسي الكبير اوجست رودان Rodin : رائد فن النحت الحديث ، وامام النزعة الطبيعية المحدثة في الفن . وقد توفي رودان بميدون Meudon ، خارج باريس ، في السابعة والسبعين من عمره ، بعد حياة فنية طويلة استطاع خلالها أن ينجز من الأعمال الفنية العظيمة ما جعل الكثير من النقاد الفنيين يضعون اسمه على قدم المساواة مع المثال الايطالي الكبير ميكل آنجيلو Michelangelo .

الراهب الذى تحول فنانا !

كانت حياة اوجست رودان ــ منذ نعومة اظفاره ــ حياة العبقرى المجاهد الذى يشق طريقه بصبر وثقة وايمان . ولم يكن والداه على استعداد لقبول رغبة ابنهما الحادة في الاشتغال بالفن ، لانهما كانا يريدان له مستقبلا مضمونا لا تحفه المكاره والمصاعب . ولكن الشاب العنيد لم يستسلم لرغبات والديه ، ومضى في طريقه لا يلوى على شيء . وكانت اخته الكبرى مارى تشد عضده ، مشجعة اياه على مواصلة النشاط في المضمار الذى اختاره لنفسه .

ولم يكن الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة بباريس امرا سهلا ، فكان على رودان أن يحتمل قرار الرفض الذى قوبل به طلبه ثلاث مرات



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

متواليات ، وان يكن قد نجح في الالتحاق باحدى المدارس الملحقة بذلك المعهد ، فاستطاع أن يدرس بها أصول الفن لمدة خمسة أعوام . ولم يلبث رودان أن وجد نفسه مضطرا الى الاشتغال بحرفة « التزيين » ، فكان يقنع بعمل بعض « الديكورات المعمارية » في استديو المثال الفرنسي كاربيه ـ بلوز Carrier-Belluse ، وكان يقوم في الوقت نفسه بتصميم بعض الرسومات والنقوش للاواني الخزفية الشهيرة المسماة باسم سيفر Sevres ، ولكنه كان يقضي أوقات فراغه في القيام بجهود فنية خاصة ، فكان يحاول في مرسمه الخاص انتاج بعض أعمال النحت الصغيرة ، دون أن يعرض على الناس نتائج جهوده الخاصة . ولم يكن الأجر الذي كان رودان يتقاضاه على عمله في « الديكور » أكثر من خمسة فرنكات في اليوم الواحد ، ولكنه ظل يعمل خلال ثمانية عشر عاما قبل أن يتم قبول أول عمل فني له للعرض في أحد المعارض الرسمية .

وقد حدث عام ١٨٦٢ أن توفيت ماري ـ أخت الفنان ـ عقب دخولها أحد الأديرة ، على أثر قصة حب فاشل ، فكان لهذا الحدث وقع أليم في نفس رودان ، أدى به الى التردي في أزمة عاطفية‌دينية .

ولم يلبث رودان أن التحق بأحد الأنظمة الدينية ، وهو نظام « آباء السر المقدس » ، ولكن مؤسس هذا النظام ، الا وهو الأب بيير ـ جوليان ايمار : St. Pierre-Julien Eymard ، نصح رودان بترك الرهبنة للاشتغال بالنحت ، بحجة أنه

كان موهوبا للفن أكثر مما كان موهوبا لأى نشاط ديني ! وعلى الرغم من أن رودان قد ترك بالفعل حياة الخدمة الدينية ، الا أنه قد ظل مع ذلك ـ طوال حياته الفنية ـ صاحب احساس ديني عميق ، فلم تنقطع صلته يوما بالتراث الحافل بالقيم الروحية والجمالية .

ولعل هذا هو السبب في أن معظم أعماله الفنية قد بقيت عامرة باحساس ديني مرهف ، وعاطفة روحية جياشة ، خصوصا وقد قضى رودان أكثر من عشرين عاما في تقشف ديني صارم ! .

مغامرات رودان العاطفية ...

وفي عام ١٨٨٣ تغير أسلوب حياة رودان : فأصبح للمثال الفرنسي الكبير مرسم خاص يتردد عليه الكثير من المشتغلين بالفن ، وصارت صلاته بالمجتمع الباريسي أوثق وأوسع ، وكان من آثار هذه الحياة الاجتماعية الجديدة أن التقى رودان بالفنانة الفرنسية كامي كلودل Camille Claudel (أخت الدبلوماسي الروائي المشهور كلودل) ، وكانت هي الاخرى مثالة ممتازة .

وسرعان ما صارت هذه الفنانة الباريسية الجميلة تلميذة لرودان ، ومعاونة له ونموذجا (أو موديلا) للكثير من أعماله الفنية ، الى أن توطدت بينهما علاقة عاطفية ، فصارت كامي كلودل عشيقة لرودان خلال فترة دامت أكثر من خمسة عشر عاما .

ولم تنقطع هذه الصلة الغرامية العنيفة الا حين أبى رودان أن يتخلى عن شريكة حياته روز بيريه Rose Beuret التي كانت رفيقته المخلصة منذ عام ١٨٦٤ . ولم تستطع كامي أن تحتمل الصدمة ، فانطوت على نفسها انطواء تاما ، وبقيت حبيسة بيتها حوالي ثلاثين عاما قضتها في عزلة اليمة قاسية ، الى أن توفيت في أحد مستشفيات الأمراض العقلية عام ١٩٤٣ .

وعلى الرغم من أن رودان قد عرف الكثير من النساء ، خلال حياته الفنية الطويلة ، فانه قد بقي مخلصا لروز بيريه التي التقى بها لأول مرة اثناء اشتغاله بفن التزيين (الديكور) في مسرح جوبلان Gobelins وقد عملت روز ـ باديء ذي بديء ـ « نموذجا » (أو موديلا) لرودان ، ثم لم تلبث أن صارت رفيقة له ، فلم تفترق عنه لحظة واحدة ، كما كانت هي التي تشرف على تهيئة مراسمه ، وتنظيم أعماله الفنية ، والعناية بمنزله وحاجاته . ولئن تكن روز قد وهبت رودان ابنا عام ١٨٦٦ ، الا أنهما لم يتزوجا رسميا الا في شهر يناير عام ١٩١٧ . ومما يؤسف له أن العروس العجوز توفيت بعد خمسة عشر يوما فقط من عقد قرانها بشريك حياتها الطاعن في السن: أوجست رودان ! .

حياة رودان الفنية

أما عن حياة رودان الفنية ، فقد كانت حياة الفنان المبدع الذي كان يهتم بالصدق والاخلاص أكثر مما كان يحرص على التزيين أو التجميل . وقد قال هو نفسه في معرض حديثه عن فنه : « لقد بذلت كل ما في وسعي : لم أكذب ولم أغرر بمعاصري قط . لم ترق تماثيلي في أعين الناس ، لأنها على جانب كبير من الاخلاص،ولكن مما لا ريب فيه أن بها حسنة واحدة هي الصدق ، فليعوضهم هذا عن الجمال (١) » . والواقع أن الكثيرين من النقاد الفنيين قد حملوا على نزعة رودان الطبيعية المفرقة ، خصوصا وأنهم قد وجدوا في تماثيله الكثير من التبذل والوقاحة والصراحة الفجة . ولكن رودان لم يكن يعبأ بأمثال هذه الانتقادات : فقد كان لا بد له من أن يهتدى الى مناهج فنية جديدة تهزأ بشتى الأساليب الفنية التقليدية ، كما كان عليه في الوقت نفسه أن يفرض معاييره الفنية الخاصة على ذوق أهل عصره . ولم يكن من السهل ـ بطبيعة الحال ـ أن يتخلى معاصروه عن معاييرهم الفنية الكلاسيكية ، فكان على رودان أن يبذل قصارى جهده في سبيل حملهم على تذوق أعماله الأصيلة المبتكرة ، في ضوء ما اصطنع من قيم جمالية جديدة . ولم يكن « الموضوع » هو أحرص ما يحرص عليه رودان ، وانما كان كل ما يشغل باله هو تقديم « حضرة فنية » تفرض نفسها في قوة وعناد على أبصار الجمهور من متخصصين وغير متخصصين ! ولا غرو ، فقد كان الشغل الشاغل لرودان هو احالة « العمل الفني » الى

(١) A. Rodin : "L'Art", Ch. VII, P.116. Entretiens Reunis Par P. Gsell, Grasset, Paris, 1951.



تمثال لرأس بلزاك .. لم يلق قبولا من المسئولين عن الفن فاحتفظ به رودان لنفسه .

« موضوع جمالي » له كيانه الفيزيائي الخاص ، سواء تجلى هذا الموضوع على صورة « اثر » مكتمل محدد المعالم ، أو على صورة « عمل » ناقص جزئي غير مكتمل . ومن هنا فقد بقي الكثير من أعمال رودان الكبرى ــ خصوصا « أبواب الجحيم » و « حراس كاليه » ــ اعمالا فنية ناقصة ، ولكن هذا لم يمنعها من أن تكون آثارا فنية هائلة ، لم تلبث ان فرضت نفسها على « ذوق » الجمهور . وهكذا استطاع رودان ــ مثله في ذلك كمثل معاصره المصور الفرنسي الشهير مونيه Monet ــ ان يلزم معاصريه بمعاودة النظر في كل ما لديهم من افكار عن فن النحت ، كما الزمهم من قبل مونيه زعيم الحركة الانطباعية (أو التأثيرية) بمعاودة النظر في كل ما لديهم من افكار عن فن التصوير . ولكن موقف رودان مع ذلك كان مختلفا من بعض النواحي عن موقف مونيه ، نظرا لان حرفة المثال ــ بطبيعتها ــ اقرب الى حرفة المهندس المعماري منها الى حرفة الرسام أو المصور .

ومن هنا فقد كان على رودان أن ينجح في كسب ثقة القائمين على شئون النحت في الأوساط الفنية الرسمية ، حتى يزودوه بالنقود اللازمة لدفع ثمن البرونز والرخام وشتى المواد الفنية ، مع اضطلاعهم في الوقت نفسه بدفع أجور مساعديه من المثالين والحفارين والنقاشين .. الخ .

وقد استطاع رودان ــ بفضل هذه المساعدات الرسمية ــ أن ينجز الكثير من الأعمال الفنية الكبرى ، ولو أن البعض منها لم يلق قبولا من جانب أولي الأمر ، كالتمثال المشهور الذى نحته لبلزاك Balzac مما اضطر معه الفنان الى الاحتفاظ به لنفسه . وربما كان من أشهر الروائع الفنية التي قدمها لنا رودان تمثال « المفكر » وتمثال « الربيع » ، وتمثال « فولتير » Voltaire فضلا عن تماثيل أخرى عديدة أشرف رودان على تنفيذها ونحتها ، مثل التمثال المشهور « أورفيوس واوريديس » Orpheus & Eurydice (عام ١٨٩٣) وقد نحت رودان بنفسه الكثير من التماثيل الممتازة للعديد من نماذجه (موديلاته) ومن بينها تمثال رائع « للعجوز الشمطاء » أثبت فيه رودان أن « القبح الطبيعي » قد يستحيل على يد الفنان العظيم الى « جمال فني » .

ولم يكن رودان يتردد أحيانا في الاستعانة بمبدأ « الصب » Modelling ولكنه كان كثيرا ما يمهد لعمله الفني بدراسات تخطيطية كثيرة ، فكان يرسم اجزاء من الوجه ، واليدين ، والرجلين ، والقدمين ، كما كان ينحت تفاصيل عديدة من الموضوعات التي كان يعتزم نحتها . ولهذا فقد خلف لنا رودان العديد من المحاولات النحتية

والتصويرية ، كما ترك لنا دراسات فنية ممتازة للكثير من اجزاء الجسم البشري .

ولكن رسومات رودان (خصوصا لبعض النماذج العارية) كانت في حد ذاتها أشبه ما تكون بالتماثيل او الأعمال النحتية ، لدرجة ان المطلع على بعض هذه الرسومات قد يحسب انها صور لتماثيل خشبية . وقد كتب رودان يوما يقول : « انني حين أرسم جسم امراة ، فانني اكتشف عندئذ جمال الاواني الخزفية اليونانية الرائعة » .

ولكن رودان ـ مع ذلك ـ كان من اشد المعجبين بجمال « الجسم البشرى » في ذاته ولذاته ، فكان « جمال المراة » واحدا من اهم موضوعاته الفنية ، كما كانت « التعبيرات الجنسية » في مقدمة الموضوعات التي عالجها فنه . وليس من شك في أن شدة اهتمام رودان بمسالة الجنس والحساسية الجنسية (الى جانب مغامراته الغرامية العديدة) قد عملت على تزايد الاهتمام بانتاجه الفني في القرن العشرين ، خصوصا وقد جاءت نزعته الطبيعية الصارخة فاسهمت في الاطاحة بالكثير من التقاليد الاكاديمية المرعية في مضمار فن النحت ، وخلقت من صاحبها علما فذا من أعلام الفن الحديث في مطلع القرن العشرين .

رسالة الفن في رأى رودان ..

وقد كان لرودان أيضا ـ الى جانب روائعه الخالدة في مضمار النحت ـ الكثير من الآراء الصائبة في ميدان علم الجمال وفلسفة الفن . وقد كانت باريس كلها ـ في مطلع القرن العشرين ـ تجلس عند قدميه لكي تستمع في شوق ولهفة الى تأملات الفنان العجوز ذى اللحية البيضاء الكثة حول الفن والجمال ، وصلة الفن بالحياة ، ودور الفنان في المجتمع .. الخ . وقد جمع الصحفي الفرنسي جزيل Gsell بعض هذه التأملات في كتاب مشهور ضمنه أحاديث مسهبة جرت بينه وبين الفنان الفرنسي الكبير . ولعل من اهم ما ورد في هذا الكتاب قول رودان ـ في معرض الحديث عن رسالة الفن ـ : « ان الفن هو التأمل . انه متعة العقل الذى ينفذ الى اغوار الطبيعة ، لكي يستكشف ما تنطوى عليه من عقل يبعث فيها الحياة . انه فرحة الذكاء البشرى حين ينفذ بابصاره الى اعماق الكون ، لكي يعيد خلقه ، مرسلا عليه اضواء فاحصة من الوعي والشعور . الفن هو أسمى رسالة للانسان لانه مظهر لنشاط الفكر الذى يحاول ان يتفهم العالم ، لكي يعيننا نحن بدورنا على أن نفهمه ... ولكن الفن أيضا هو الذوق . انه ما ينعكس من قلب الفنان على كل ما يبتدعه من أشياء . انه ابتسامة الروح الانسانية للمنزل والاثاث. انه جمال الفكرة والشعور مجسما في كل ما ينفع الانسان ... » .

وواضح من هذه العبارة أن رودان لا يستبعد من دائرة النشاط الفني كل عنصر فكرى ، بل هو يرى في الفن ضربا من المعرفة ، أو التأمل ، أو النشاط الذهني ، دون أن يغفل ـ بطبيعة الحال ـ عنصر « الذوق » أو « الحساسية الجمالية » .

دور « الصنعة » في النشاط الفني

ان الكثيرون ليظنون أن الفن مجرد عاطفة أو انفعال ، ولكن الفن أيضا ـ في رأى رودان ـ صنعة أو مهارة . وهو يقول في ذلك بصراحة : « حقا ان الفن عاطفة ـ ولكن ، بدون علم الاحجام والنسب والالوان ، وبدون المهارة اليدوية ، لا بد من أن تظل العاطفة القوية الجياشة عاجزة خائرة مشلولة » . وعلى الرغم من « واقعية » رودان الشديدة ، فاننا نجده يأبى أن ينتقص من قيمة « الصنعة » في الفن ، لانه يرى فيها وسيلة أو واسطة لا غنى عنها للفنان : « ان الفنان الذى يهمل الصنعة ـ فيما يقول رودان ـ بعيد كل البعد عن بلوغ غايته ، الا وهي التعبير عن الشعور والافكار . وليس مثل هذا الفنان الا كمثل السائس الذى نسى ان يعلف جواده الشعير » ! ومهما كان من أمر الدور الذى يقوم به « الالهام » في توليد « الفكرة الفنية » ، فان من المؤكد ـ في رأى رودان ـ « انه لا يمكن أن يغنى الهام مفاجىء عن العمل الطويل الذى لا مندوحة عنه لاكساب العين القدرة على الالمام التام بالصورة والنسبة ، ولجعل اليد تنصاع لأوامر الشعور وتجرى مجراه » .

بيد أن حديث رودان عن « الصنعة » لا يعنى انه يغفل دور « الابداع » أو « الابتكار » في الفن.

صحيح أنه لا بد لكل فنان من أن يكون ملما باصول فنه ، كما أنه لا يمكن أن يستغنى عن طريقة شاملة او منهج دقيق يخفي تحته ما يبطن

ويعلم ، ولكن من المؤكد انه لا بد للفنان أيضا من أن ينسى أو يتناسى قواعد الصنعة . « وربما كانت الصعوبة الكبرى ، ان لم نقل اساس الفن الصحيح أن يرسم المرء أو يصور أو يكتب ، في سهولة وبساطة ويسر » .

النزعة الطبيعية عند رودان

وان رودان ليدافع عن النزعة الطبيعية في الفن بكل قوة وحماسة ، فنراه يقول موجها النصيحة الى شباب المثالين : ـ « لتكن الطبيعـة الهتكم الوحيدة ، ولتكن ثقتكم فيها مطلقة . ولتعلموا علم اليقين أن الطبيعة ليست دميمة على الاطلاق ، فحسبكم أن تقصروا كل همكم على الولاء لها ... ان كل ما في الوجود جميل في عيني الفنان : لأن بصره النفاذ يستشف في كل موجود وفي كل شيء ما فيه من (الشخصية) (أو طابع خاص) Caracters ، أعني تلك « الحقيقة الباطنة » التي تتبدى من وراء الصورة ، وهذه الحقيقة انما هي الجمال بعينه ... فلتكن دراستكم اذن بروح الايمان والتدين ، لأنكم عندئذ لن تعجزوا عن الاهتداء الى الجمال ، ما دمتم لا محالة واقفين على الحقيقة ... » .

ثم يستطرد رودان في حديثه الى الفنانين فيقول : « ليكن رائدكم دائما الصبر والاناة . لا تعتمدوا مطلقا على الالهام : فان الالهام امر قد لا يكون له وجود . واما الصفات الوحيدة التي لا بد من أن يتسم بها الفنان ، فهي الحكمة ، والانتباه ، والاخلاص ، والارادة . فلتنهضوا اذن باداء مهمتكم كصناع مخلصين ولتكونوا دائما صادقين . ولكن هذا لا يعني أن تتوخوا الدقة الباردة ، أجل ، فان ثمة « دقة وضيعة » Basse Exactitude ، وتلك هي دقة الصورة الفوتوغرافية من جهة ، ودقة الصب Moulage من جهة أخرى .

وأما الفن الحقيقي فانه لا يبدأ الا بالحقيقة الباطنة . فلتكن اذن كل صوركم والوانكم معبرة عن عواطف ... واعلموا أن كبار الفنانين انما هم أولئك الذين ينظرون بعيونهم الى ما رآه الناس جميعا من قبل ، فيعرفون كيف يدركون الجمال فيما لا يستلفت أنظار العامة من الناس لأنه في نظرهم عادي مبتذل .

... ان الفنانين العاجزين لهم أولئك الذين يستعيرون دائما نظارات الآخرين ! وبيت القصيد أن يهتز الفنان ، ويعشـق ، ويأمل ، ويرتجف ، ويحيا ! أو ، فلنقل : ان المهم أن يكون انسانا قبل أن يكون فنانا ! لقد كان بسكال Pascal يقول ان البلاغة الحقيقية لتهزأ من البلاغة ، ونحن نقول ان الفن الحقيقي ليسخر من الفن ! وهكذا نرى أن « النزعة الطبيعية » التي يدافع عنهـا رودان لا تعني الخضوع الأعمى لظواهر الطبيعة ومظاهرها الخارجية ، بل هي تعني النفاذ الى حقيقتها الباطنة ودلالتها الحقيقية ، من أجل ادراك كنه الوجود الطبيعي .

الجمال والقبح في الطبيعة والفن

وعلى الرغم من أن رودان قد جعل من «الطبيعة» مدرسة الفنان الكبرى ، الا أننا نراه يعود فيقرر أن الفنان حين يتولى بفنه علاج ما في الطبيعة من دمامة ، فانها سرعان ما تتحول على يديـه الى جمال رائع «وكأنما هو الساحر الذي يستطيع ان يحيل القبح ـ بلمسة من عصاه السحرية ـ الى فتنة اخاذة ! ويضرب لنا رودان مثلا بقصيـدة « الجيفة » لبودلير فيقول : « ليصف لنا بودلير جثة متقرحة قذرة لزجة ينخر فيهـا الدود ، وليتخيل عشيقته المعبودة في هذه الحالة المفزعة المروعة «فلن يكون هناك ما يداني في روعته ذلك التعارض الذي يصفه لنا بودلير بين هذا الجمال الذي نريده أزليا أبديا ، وذلك الفناء الأليم الذي ينتظره في خاتمة المطاف » .

ثم يورد رودان بعض أبيات من تلك القصيدة المشهورة ، لكي يخلص الى القول بأن « الجميل في الفن انما هو ما يحمل طابعا أو شـخصية . فالطابع أو الشخصية تمثل العنصر الضروري الذي يكون « حقيقة » المنظر الطبيعي ، جميلا كان أم قبيحا ، أو ربما كان في استطاعتنا أن نقول اننا هنا بازاء « حقيقة مزدوجـة » : لأن ثمة « حقيقة باطنة » تفصح عنها «الحقيقة الخارجية» أو لأن من شأن الروح والعاطفة والفكر أن تتجلى من خلال قسمات الوجه ، وحركات الانسـان ، وأفعال الموجود البشري ، وألوان السماء ، وخطوط الأفق .. الخ .

وكل ما في الطبيعة انما يحمل طابعا أو شخصية

فى نظر الفنان الكبير : نظرته الفاحصة النفاذة تخترق الأشياء فتمتد الى معانيها الكامنــة ، وتستجلي ما خفي من مدلولاتها . وكثيرا ما يكون طابع الشيء الدميم أظهر وأقوى من طابع الشيء الجميل ، لأن الحقيقة الباطنة قد تتجلى فى سهولة ويسر على أسارير وجه مريض ، أو قسمات سحنة خبيثة ، أو في كل ما هو مشوه أو ذابل أو عليل ، بينما هي قد لا تتجلى بمثل هذه السـهولة فى القسمات المنتظمة والأسارير السوية .. ولما كانت قوة « الطابع » هي الأصل فى جمال الفن ، فاننا نلاحظ فى كثير من الأحيان أنه كلما زاد قبح الموجود فى الطبيعة ، زاد جماله فى الفن . واذن فليس من قبيح في الفن ، اللهم الا ما خلا مـن الطابـع أو الشخصية ، أعني ما تجرد من كل حقيقة ، خارجية كانت أم داخلية ... أما بالنسبة الى أى فنان خليق بهذا الاسم : فان كل ما فى الطبيعة جميل ، لأن عينيه حين تتقبلان بشجاعة كل حقيقة خارجية، فانهما عندئذ لا تجدان أدنى صعوبة في أن تستشفا من خلالها ، ما يكمن وراءها من حقيقة باطنة ، وكأنهما تقرآن فى كتاب مفتوح ... » .

وهكذا نرى أن القبيح فى الفن (عند رودان) انما هو كل ما جاء زائفا غير طبيعي ، أعنى كل ما اقتصر على مراعاة المظهر الخارجي ، دون الاهتمام بالتعبير أو الحقيقة الباطنية .

بعض آراء لرودان فى فن النحت

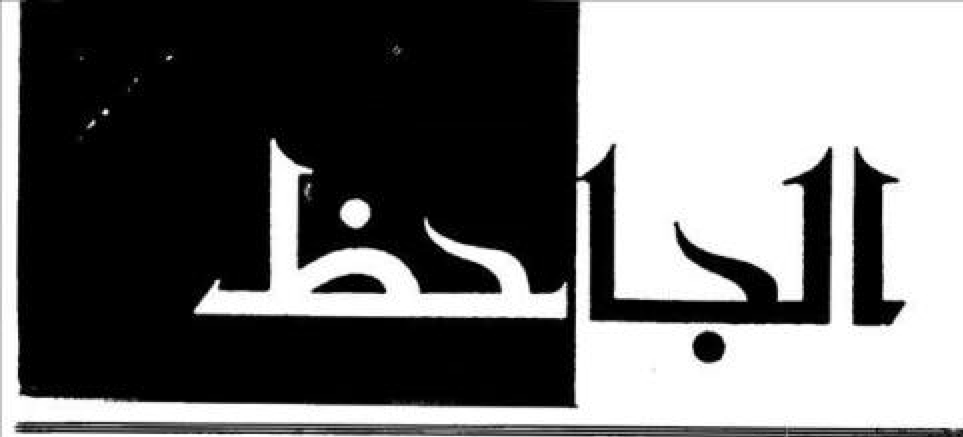
على أن اهتمام رودان بالفن قد تجلى على وجه الخصوص فى أحاديثه عن فن النحت . فهو يرى مثلا أن « اللون » ليس مجرد صفة من صفات « التصوير » فحسب ، بل هو أيضا صفة من صفات « النحت » . وهو يقول فى ذلك : « ان المثال العظيم لا يقل مهارة فى فن الألوان عن أكبر المصورين .. وذلك لأنه يتفنن بكل حذق فى كل ضروب التشكيل البارز وصنوفه ، ويمزج حدة الضوء بهدوء الظل ، فتجيء قطعة سارة ممتعة كأجمل الرسوم المنقولة عن ألواح النحاس » . ثم يتحدث رودان عن احدى قطعه الممتازة ــ الا وهي تمثال « الزهرة » ــ فيقول « انظر الى الأضواء القوية على الثديين ، والى الظلال الثقيلة فى ثنايا اللحم ، ثم الى هذه الصفرة الباهتة ، ثم الى تلك الألوان الأثيرية التي تخفق على أدق أجزاء هذا الجسم المقدس ، ثم الى تلك الأجزاء المظللة بظلال خفيفة حتى لتبدو كأنها تذوب فى الهواء وتندمج فيه . ماذا تقول فى كل ذلك ؟ ألا يخيل اليك أنها سـيمفونية مؤلفة من الأبيض والأسود ، أو من الأضواء والظلال ؟ » .

ولا يقتصر رودان على ابراز دور « التلوين » فى فن النحت ، بل هو يحاول أيضا الكشف عن عنصر « الحركة » فى هذا الفن الساكن ، وكأنما هـو يحاول أن يكشف لنا عما فى تماثيله الحيــة من « دينامية » ، وحيوية وتتابع زمني . وحسبنا فى هذه العجالة القصــيرة أن نحيل القارىء الى أحاديث رودان فى الفن ، حتى يقف بنفسه على التجديد الكبير الذى أدخله هذا المثال العظيم على فهمنا الجمالي الحديث لطبيعة « فن النحت » .

الانسان فى حاجة الى روح الفنان ..

وأخيرا نرى رودان الانسان يحاول أن ينتزع الدروس من رودان الفنان ، فيوجه الينا الحديث قائلا : « ان الفنان رجل يعشق مهنته ، وهو يرى أن أثمن مكافأة يظفر بها هي اغتباطه بتحقيق عمل جيد . ولكن ــ واأسفاه ــ انهم ليبثون فى نفوس العاملين ــ ويحهم ــ روح الكراهيــة لعملهــم والاستهانة به . ولن يظفر العالم بالسعادة الحقة الا حينما يتهيأ للناس أجمعين أن يكتسبوا روح الفنان ، أعني حينما يكون فى وسع كل واحد منهم أن يجد لذة فيما ينهض به من عمل . » .. ثم يستطرد رودان فيقول : « ان الفن أيضا درس رائع فى الاخـلاص Sincerité . فالفنــان الحقيقي يعبر دائما عما يجول بذهنه ، حتى ولو أدى به الأمر الى أن يطيح بشتى الآراء الذائعة . وهو بهذا يلقن أشباهه من الناس درســا فى الصراحة . ولن يكون أروع من ذلك التقدم الذى لا بد من أن تحرزه الانسانية لو قدر للصدق المطلق أن يسود بين الناس ! » . وقد كانت حياة رودان نفسه درسا فى الصـدق ، والاخـلاص ، والجرأة ، والصراحة ، فليس بدعا أن نرى العالم اليوم ــ بعد مرور أكثر من خمسين عاما على وفاته ــ يسترجع باجلال وتقديس ذكرى رودان « الانسان ــ الفنان » . ■■

زكريا ابراهيم



يحكي عن الأدب في زمانه..

وعن العلم في كل الأزمان

بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجويني

مدرس البلاغة بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

■ من أين نبدأ مـــع أديب العربية الاكبر الجاحظ ؟

من ادبه نلمح ظلال حياته ..

ام من حياته نتوضح جوانب من ادبه ..

ام من بيئته نتهدى الى عوامل ثقافته ومكونات فكره ؟

الحق ان كل اولئك من الزم ما يلزم لدرس الجاحظ والتعرف على أدبه ولعله يندر أن يصدق على اديب ما يصدق على الجاحظ من انك تلمح في ادبه مظاهر بيئته ، وتتراءى لك في بيئته صور حية تعايشك من ادبه .

سؤال ملح

على انه يبقى بعد ذلك سؤال ملح : فما قيمة الجاحظ التى يستاهل بها الدرس سواء في عصره ذاك منذ احد عشر قرنا ، ام في عصرنا نحن الدارسين ؟ اما الاقدمون فقد لفتهم الجاحظ بشخصيته العملاقة في الادب وفي العلم ، ورأوا فيه علما من أعلام مدرسة الفكر الاسلامى الحر الذى أنبتته المعتزلة . كان له راى في الادب لم يلتفت اليه ، لا أصحاب الفن القولى شعراء أم ادباء بعامة ، ولا تنبه اليه مؤرخو الادب حين كان الادب ترفا والتعبير حلية وزينة والنقد الادبى اهواء او شغلا بقضية لفظ دون معنى او اهتمام بمعنى دون لفظ . نادى بان الادب هو الالمام من كل شيء بطرف . كما يصدر في تعبيره عن فكرة عامة شاملة في المعرفة الانسانية ، في النظـــرة العلمية الى العالم ككل ، ويوجه همه الى المضمون والملاءمة بينه وبين الشكل في تنغيم جمالى ملتزم.

وقيمته في عصرنا انه من أصحاب الرســالات

الأدبية ، أو بتعبير العصر انه أديب ملتزم وهادف لا يخرج ابدا عن هذا التخطيط الادبي منذ نضج أدبيا الى أن غاب عن الوجود ..

الجاحظ موسوعى المعرفة

ثم قيمة أخرى .. ان جوانب الدرس في هذه الشخصية لا تنتهى ، فهو موسوعى المعرفة ، يمثل بيئة عقلية ذات خطر في الفكر الاسلامى . البصرة منها نبت الاعتزال ، ونشأ النحو وابتكر العروض ، وتجدد الأدب .. بل وهو يمثل أجيالا ثلاثة في تاريخ العقلية العربية وآدابها واجتماعها، منه نؤرخ للبلاغة والنقد ، وعنه نخطط بداية درسنا الأدبى ، واليه نرجع في الالمام بمسائل الكلام والاعتزال ، ومن كتبه نرى صورا من المباحث اللغوية والوانا من مناهج التفسير القرآنى ، ومواقف من تشريح متون الأحاديث ونقد سلسلة رواتها ..

ولا نعدد ما للرجل من قيمة ، فما أردنا الا اللفت الى أننا بازاء قمة شامخة في أدبنا العربى تتطلب منا جهدا في درسها وعمقا في فهمها ، وادراكا لما استهدفته هذه الشخصية من أهداف عملية يحققها الأدب في الحياة . فليس الأدب ترف المجتمعات وانما هو ضرورة تحتاجها ، اذا جمع الى فنية التعبير علمانية المحتوى .

نضرب موضوعين مثلا

ومحاولتنا هنا أن نتخير موضوعين له قد يتباعدان موضعا ولكنهما يلتحمان فكرا . حدث في أولهما عن الكتابة وفضلها ، ومس في ثانيهما فصل ما بين العداوة والحسد[1] . ولا يتبادرن الى ذهننا أن الموضوعين بهذه البساطة التى قد تعطيها ظواهر الالفاظ ، ولكن تحتهما أعماق من الفكر الانسانى الأصيل الذى قد يبلى صاحبه ويفنى زمانه ويبيد ناسه . لكن الفكر في ذاته حي أبدا جديد دوما يفرض نفسه على أجيال الانسانية .

المقابلة بين الانسان والكتاب

ومع الموضوع الاول في المقابلة بين الانسان وبين الكتاب ركز الجاحظ على نقاط يعلو فيها قدر الكتاب على الانسان .

فالكتاب طيع لك ليل نهار ، في سفر أو في اقامة ، لا يقلبه نعاس ولا يضعفه سهر . ثم هو معلم ليس من سماته خصائص البشر وما فيها من نقص: (لا ينقض عهده ان احتجت اليه ، ولا يمنعك فائدته ان قطعت عنه مادتك ، ولا يعصيك ان ذهبت دولتك ، وان تألب عليك الأعداء لم يصر معهم ، وأدنى صلة لك به تجعل منه مغنيا عن غيره ، ومؤنسا لوحشتك) . ثم يرى للكتاب فضلا يفرده بالتنبيه : فهو يمنع المرء من الجلوس على بابه يتعرض للمارة ينظر ويقول مخالطا اوشاب الناس مشاركا اياهم الفاظهم الساقطة ومتأثرا بخلقهم الدنىء . فهو يعرض بالنقد لطائفة من فراغ الناس في مجتمع عصره نعرف أمثالهم في مجتمع عصرنا تزدحم بهم المقاهى ويسوءون الناس بفاحش نظراتهم وخبيث ما ينشرونه من دعاواهم وقالتهم .

ويبدو أن الكتاب يعطى فوائده لمستحقيها ويضن بها على غير أهلها ، فلقد يتلهى الفراغ والفكهين بالكتاب نهارا أو ليلا غير أنه لا يؤثر فيهم ، لا خبرة بالحياة ، ولا نموا عقليا أو رقيا خلقيا. ولم ؟ اللجو الذى يحيطون به الكتاب ؟ أم للعقلية التى يتناولون بها هذا الكتاب ؟ للأمرين معا . ونحس هنا أن الجاحظ يحيط الكتاب بجو قدسي.

حوار بين العلم والفن

ومن هذه الصورة المقارنة بين دنيا الناس

---

(1) الحيوان جـ ١ ص ٧٢ — ٧٧ ومن رسائل الجاحظ جـ ١ ط . هارون ١٩٦٥م ص ٢٣٧ — ٢٣٨

ودنيا الكتب ينتقل الجاحظ الى اقامة حوار بين العلم والفن ، يبدأه الجاحظ بالحديث عن تخليد كل من العرب والعجم لمآثرها .

كانت وسيلة التخليد في الجاهلية عند العرب هى الشعر به يتميز فضل القائل وفضل المقول فيه .

اما العجم فخلدت مآثرها فى البنيان .

وهنا تبدأ محاورة صاحب العلم أو الحكمة اذ يقول ان كتب الحكمة وفنون الآداب والعلوم ابقى ذكرا واحسن نفعا . وفي مجال بقاء الذكر يعقد مقارنة بين خلود الكتاب وخلود البنيان ، ذلك أن البنيان يستطيع كل ملك أن يعبث فيه بآثار من قبله فيمحوها بالهدم والطمس .

مقارنة بين فنون الكتاب وفن الشعر

ثم اذ فرغ المحاور من هذه المقارنة بين البنيان والكتاب يلتفت الى صاحب الشعر ليعقد مقارنة بين فنون الكتاب وهذا الفن الشعرى الشفاهى ، فيرى أن الشعر حديث الميلاد ، وأن أصحابه قريبو العهد بالاسلام بما لا يَبْعد عن مائتى عام ، بينما كتب الحكماء كانت قبل بدء الشعر بالدهور والأزمان . وأن فضيلة الشعر مقصورة علىالعرب، وأن حسنه يضيع بترجمته وليس كذلك الكلام المنثور ، وان الحاجة الى فنون العلم والصناعة أشد وأعم منها الى الشعر .

ثم يعمد الى فن الترجمة فيرى أن صنوف الكتب لأمم ذات حضارات كالهند، وحكم اليونان، وآداب الفرس قد ترجمت فزادت الترجمة بعضها حسنا ، وترجمات ما انتقصت من معانيها شيئا. أما شعر العرب فلو ترجم لضاع من حسنه الوزن الذى به يفتخرون فالمعنى ليس فيه جديد لم تذكره العجم وهذه القضية خلافية بغير شك . وينهى حجاجه بان الكتب قد انتقل نفعها من امة الى امة حتى كنا آخر من ورثها .

ويرد صاحب الشعر فيثير قضايا منبتها صاحب الحكمة الى أن المترجم لا يكون دقيقا في نقل ما اراده صاحب التاليف .. لأنه لن ينقل المعنى وفق ما أريد به الا من كان كصاحبه أو كانه هو. وحين نعرض هذه القضية بما هو حادث الآن من ترجمات علمية وادبية نجد حقا أن فيها الكثير الغث ولكنا لا نعدم ذا القيمة .

وينظر صاحب الشعر فيما ينبغى أن يتاح للمترجم بأن يجمع الى البيان في الترجمة التخصص في المادة ، وهذا رأى سديد ، فلا يترجم قصاص مثلا كتابا في الطب ، وأن يكون علمه باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء . وينظر في حال من يلم بلغة او اكثر فيرى ذلك يضعف من قوة ترجمته وحدد مجال هذا القول كله بحدود كتب الهندسة والرياضة والموسيقى .

والحصيلة من المضمون الاجتماعى لحديث الجاحظ عن الكتاب أنه وسيلة حضارية خالصة في عصره لا يكدرها ما يكدر أدوات الثقافة الاخرى، وهو في عصر امتزجت فيه الفلسفة بالدين يرى في الكتاب منفعة دنيا وثواب آخرة .

للعلم قيمة حضارية كبرى

والجاحظ يلح في أن للعلم قيمة حضارية كبرى تفوق ما أخذت به العرب من فخر بموسيقية اللفظ ورواية الشعر ، وتفوق ما أخذت بهالأعاجم من تشييد البنيان واقامة الصروح . قلنا ولا

نفتا نردد ان الجاحظ اديب ملتزم يهدف بكل ما يخطه الى ما له شان فى الحياة .

رسالة ما بين العداوة والحسد

وتنطوى حديث الجاحظ عن الكتابة لتقلب صفحات خطها عن فصل ما بين العداوة والحسد وهى رسالة ألفها الجاحظ باشارة من أبى الحسن عبيد الله يحيى بن خاقان وزير المتوكل ثم المعتمد . وقد كان أبو الحسن يرعى الجاحظ زمن كبره وكانت له ميوله الادبية، يستحث الجاحظ كى يؤلف له الرسائل ويكتب الكتب الأدبية .

وللجاحظ رسالة أخرى في موضوع مماثل لهذا هى (رسالة الحاسد والمحسود) على هامش الكامل للمبرد .

والواقع ان الجاحظ بشفافيته النفسية يعرض لهذا الموضوع عرض خبير ممارس قد نالت منه السنون، بلا الناس فيها وادرك مطويات صدورهم. وتدور رسالتاه حول توكيد فكرة ، هى ان العداوة اشرف في نظره من الحسد . فهو يعرض عرضا تاريخيا شاملا لحالة العلماء يقابل فيه بين صنفين، عالم ، ومدع للعلم .

اما الأولون فلهم حال مع العلم وأهله دراسة للكتب ومعاناة للموافق والمخالف ونقد وتثبت .. وهؤلاء الصادقون في علمهم تلمح فيهم صورة المعتزلة ، ألموا بالمعارف ونخلوها ناقدين شاكين ، ثم أثبتوا ما يحق له الاثبات ، وبذلك أحاطوا بميادين العلوم وعرفوا حدودها . وكان لمثل هذا المنهج اثره في خلق علماء نقدة .. أذكياء احاطوا بالعلم والفن فكانوا فخرا لأهل امتهم ولاهل عصرهم ، يعرف ذلك لهم المتنئ بفضلهم . ولكن ذا الشان دوما مبتلى بالحساد .

وهؤلاء يعرض لهم الجاحظ محللا لسماتهم . ويصف الجاحظ حركة الحساد النفسية فيرى أنهم ادعوا لانفسهم صفة العلم باطلا ، وفي هذا السبيل موّهوا على الناس وخدعوهم باللبس بالطريقة الظاهرية في السلوك في اللفظة والنظرة في الحركة والاشارة ، وهم في ذلك يعنتون بالمظهر يغطون به قبح المخبر . واذن وقع في شراكهم العامة وجهلاء الملوك . وذوو السلطان في الاغلب يعادون اهل العلم حقا ، ومن هنا اتخذوا الزائفين عدة في حربهم للعلماء المحقين ، يخادعون بذلك العامة في رعايتهم للعلماء المزوّرين وعداوتهم للمحققين وهدف من ذلك ادعياء العلم الى الرياسة والسلطان على العامة وشجعهم في ذلك ميل السلطان اليهم واصغاء العامة لهم ومن ثم تجراوا فقالوا هذرا يكشف عن جهلهم وغباتهم ناسين حكمة ان الصمت ستر للجاهل وهكذا اختلط الامر على العامة فلم يميزوا بين الجاهل والعالم .

وبين العالم الحق والعالم المزيف ينشا الحسد توسلا للسلطان

ومثل هذه الطبقة لم يخل منها زمان ، وبها هلكت الامم السالفة ، فلا صلاح لامة يسوس امورها جهالها .

وعلى هذا النحو نجد الجاحظ قد رسم لنا خطين متقابلين علماء حق وعلماء ادعياء ، من الحاسد فيهما ومن المحسود ؟ وما الباعث على الحسد : حب الرياسة . فالعلم سيادة وقيادة . وحين فقد الحاسد ما به يسود ويقود توصل الى طرق اخرى غير العلم يحقق بها غايته في حب الرياسة وساعدته في ذلك ظروف مواتية .

وهدف الجاحظ من كل هذا بغير شك هو تنقية الجو العلمي من شوائب تمنع تقدمه وتعرقل تحضره فينا تسوء حظ امة يختلط الامر فيها على الحكام والمحكومين فلا يعودون يفرقون بين عالم ومدع للعلم .

كيف تموه البطانة عند السلطان عمل الادباء

ويرسم الجاحظ صورة لاولئك المحيطين بالسلطان يعرضون عليه ادب الاديب بوسيلة تضع منه ولا ترفع ، فيخفى المزايا ، ولا يعطى

قراءة النص حقها ، فتلتوى المعانى بالتواء التلاوة (وهذا موقف تحريف النص) .

ثم موقف آخر يتخذونه (هو الايحاء النفسى) بقول او اشارة توهم فساد المعنى وتشير الى سقوط الالفاظ من غير ان يبدى الموحى عداوة او حسدا لمؤلفها ، او يسجل عليه قول فى معاداة النص او صاحبه وهذه الطريقة مؤثرة وناجحة فى الاصابة والطعن .

واذا سلك الحاسد مسلك التحريف ثم الايحاء يخلو له الجو ، وقد ملك الميدان واثر على الحضور .

ويقص الجاحظ من واقع عصره ما حدث لكتاب بشر المريسى حين عرض على المامون . وينهى هذه القصة الواقعية بقوله للمامون ، ولعله يريد من وزيره ابن خاقان ، ان يتخذ مبدأ عاما فى نقد ما يقدم له من انتاج علمى او ادبى (ان الكتب عقول قوم وراءها ، عندهم حجج لها ، فما ينبغى ان يقضى على كتاب الا اذا كان له مدافع عنه ، وخصم يبين عما فيه ، فان ابناء النعم وأولاد الأسد محسودون) ويتمثل بالشواهد الادبية على ان ذا النعمة محسود .

تنحل الكتب لغير أصحابها

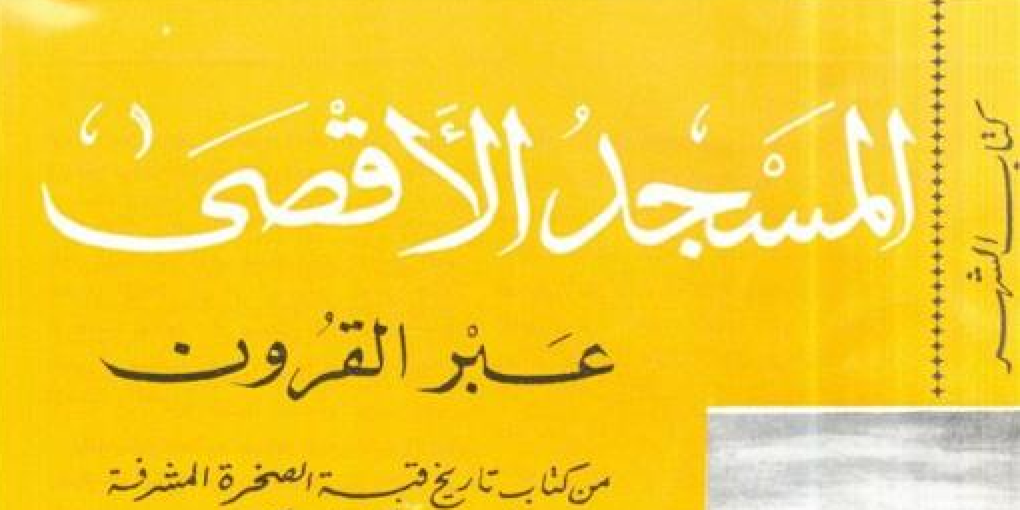
ويشير الجاحظ الى ان الحسد داء ابتلى به العلماء وهو يحكى فى هذا السبيل قصصا واقعية معاصرة ثم يدلف الجاحظ الى فنون المعرفة التى الف فيها : باحكام واتقان وفى براعة ونصاعة ويتلقى الحساد كتبه بالطعن ، ويزداد طعنهم ان قدم كتابه لملك يمنح ويمنع.وهم بين امرين اما الطعن فى الكتاب والا فى سرقته وتقديمه لملك آخر موسوما باسمهم . وازاء هذا خاض الجاحظ تجربة طريفة هى ان يؤلف كتبا اقل اتقانا وينحلها غيره من المتقدمين زمنا ، فتروج الكتب عند الحساد الطاعنين . وقد يخرج الكتاب من تحت يده كأنه قطعة منحوتة فيضن به الجاحظ ان ينسبه لغيره وان نسبه لنفسه حسده الحاسدون فيتركه غفلا .

ينطق المضمون الاجتماعى وراء هذا بزيف الحياة الادبية التى كانت ، فهى تعتمد الى حد كبير على رعاية الحاكم وحسن ادراكه . والرأى فى موقف الجاحظ هذا من عبثه بنسبة كتبه انه قد يكون تجربة ادبية مثيرة ولكنه اوقع التاريخ الادبى فى حيرة بالنسبة لانتاجه فكثير منه مجهول ، وما قد ظهر فمشكوك فى نسبته اليه ، مثل كتابى التاج والمحاسن والاضداد. أما المخطوط فهو محرف ولم يسلم لنا حتى الآن غير كتب الحيوان والبيان والتبيين وبعض الرسائل وكتاب البخلاء .

ويرتبط بزيف الحياة الادبية زيف الحياة النقدية فهى موصولة بكلمة يشى بها عالم الى الحاكم فيضع بها ويرفع ، وهى تصور ان النقد انما كانت بيئته القصور وساح الملوك ، وهكذا نجد أن الادب ارتبط بالقصر ، لان اقتصاد الامة كلها تركز فى يد الملك او السلطان ، اما الرأى العام فانا نفتقده فى هذا التصور للحياة الادبية . وفى مثل تلك الظروف تعمل الاهواء عملها فى نقد الاعمال الادبية والعلمية وتختل الموازين ولهذا يرجو الجاحظ ابن خاقان (فان قدح – جعلنى الله فداك – بالحسد قادح فيما اؤلفه من كتابى لك ، وسبق الى وهمك شك فيه ، أعلمتنى النكتة التى قدح فيها ، ثم قابلته بجوابى) . فالجاحظ لا يرجو الا ان يعلل الناقد لنقده ، وأن يتاح للمنقود أن يدفع عن نفسه وهو على ثقة من انتصار الحق .

.... قال الجاحظ بأن العلم قيمة حضارية ليست حكرا على أمة . وقال للترجمة دور فى اذاعة العلم بين الناس ودام على ذلك الحال ابد الدهر . وجاهر بزيف الحياة النقدية فى زمنه . وما أصدق مقالته فى عصرنا هنا حيثما اختلفت نظم الحكم وتباينت المجتمعات فيه ، فالهوى فى النقد اله معبود . وهكذا نجد الجاحظ يتخطى حدود مكانه وزمانه ويتألق نجما ساطعا فى سماء الانسانية المفكرة التى جاءت بعده بقرون . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى



المسجد الأقصى عبر القرون

من كتاب تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس

تأليف : عارف العارف

بقلم : محمد طنطاوي

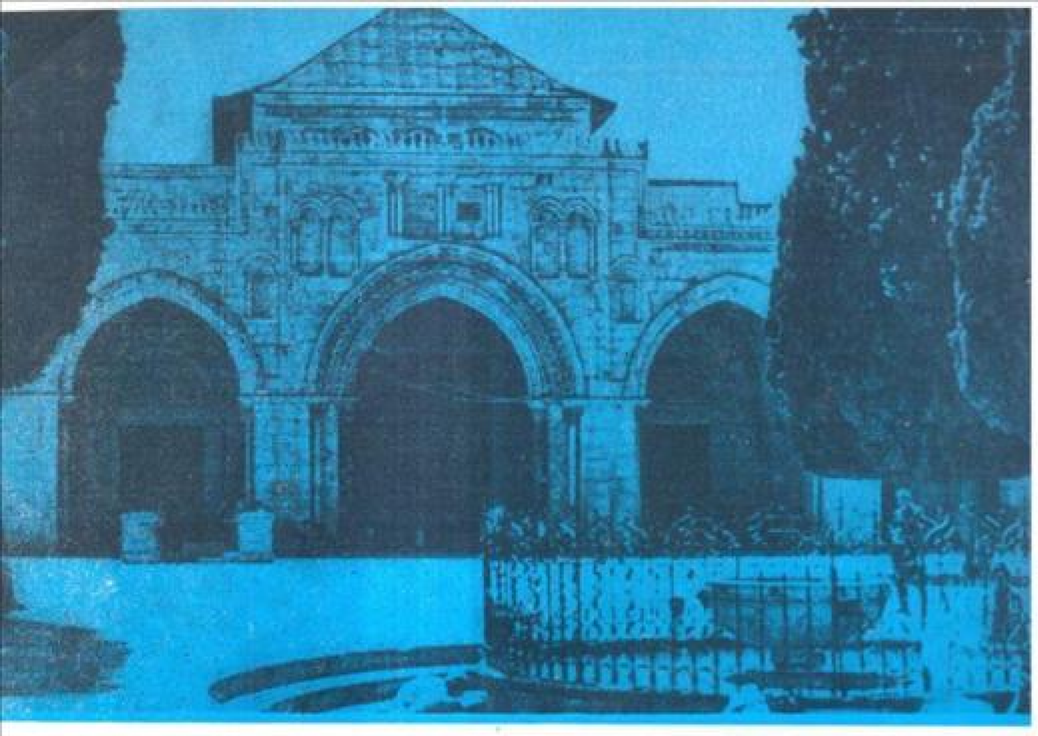
■ صراع عنيف تدور رحاه اليوم من أجل فلسطين بين قوى الشر والطغيان وقوى الخير والحق . وتلعب مدينة القدس دورا كبيرا في هذا الصراع ، فهي المدينة التاريخية القديمة التى توجد بها مقدسات الأديان السماوية الثلاثة . وعلى تلك المدينة يدور نزاع بين من لهم حق فيها وبين من يدعون لأنفسهم حقا ليس لهم . وتحاول قوى الشر ان تضرب ضربتها فتعمل اسرائيل على احراق واحد من أقدس المقدسات الاسلامية في مدينة المقدسات وهو المسجد الأقصى محاولة بذلك أن تزيل المقدسات الاسلامية من المدينة التاريخية .

وقد اخترنا لك هذا الكتاب لما فيه من حقائق تاريخية تستند الى أكثر من مصدر موثوق به . تلك الحقائق التى توضح لك تاريخ مقدساتنا الاسلاميه في تلك المدينة التاريخية .

لمحة عن تاريخ القدس

القدس مدينة تاريخية قديمة تعتبر من أقدم المدن التى عرفها التاريخ . وقد مرت بالقدس احداث عبر تاريخها فقد تعرضت للغزو مرات ومرات ، وحوصرت مرارا ودمرت تكرارا . واعيد بناؤها ثماني عشرة مرة منذ انشائها حتى الآن . لكن بالرغم من هذا ظل اسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان . ذلك لأنها مقدسة في نظر الأديان السماوية كلها .

ويعود تاريخ القدس المعروف الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد حين كانت تسمى (يبوس) نسبة الى اليبوسيين الذين هم من بطون العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية واستوطنوا هذه الديار . واسماها فراعنة مصر (يابيش) وقد ورد هذا الاسم في الواح تل العمارنة في عهد اخناتون (١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق.م) .



المسجد الاقصى وهو احد مقدسات المسلمين وفي الصورة تظهر روعة البناء وطرازه الفريد .

ومن الأسماء التى أطلقت على القدس ووردت أيضا في ألواح تل العمارنة (اورو ـ سالم) وهو اسم كنعاني معناه مدينة السلام . وقد أطلقه عليها حاكمها « عبد حيبا » عندما أرسل الى تحوتمس الأول فرعون مصر (١٥٥٠ ق . م) برسالة ناشده فيها أن يحميه من غارات أعدائه العبرانيين . ومن اسمائها الكنعانية « واروا ـ سالم » و (يرو ـ سالم) و (يروتسالايم) .

وقد اقتبس العبرانيون من هذه الأسماء (أورشليم) الذي اطلقوه عليها عندما نزلوا هذه الديار . ومن اسمائها في اسفار العهد القديم (يروشاليم) و (يروشالايم) .

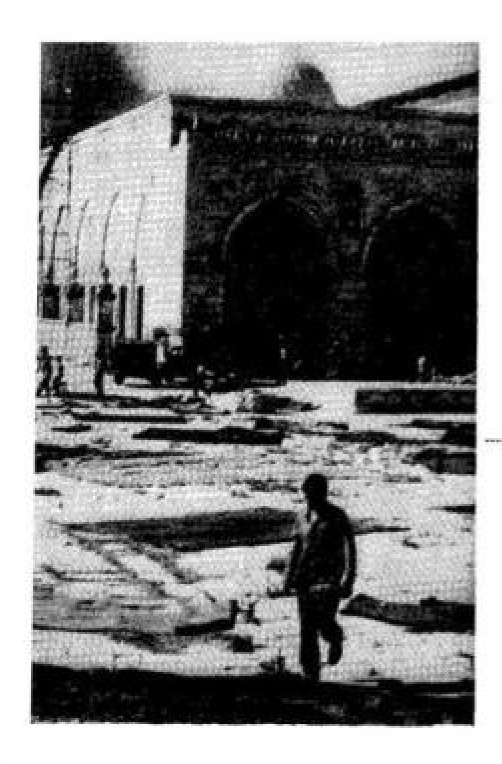
وفي عهد الملك داود (١٠٤٩ ق . م) سميت (مدينة داود) وسماها اليهود أيضا : (صهيون) . وعندما غزاها الاشوريون بقيادة ملكهم شلمنصر (٧٣٠ ق.م) اسموها (اور ـ سا ـ لي ـ او) . واحتلها البابليون بقيادة نبوخذ نصر (٥٩٩ ق.م) ودكوا أسوارها ودمروا الهيكل الذي بناه سليمان . وبهذا انقرضت مملكة يهوذا وكان البابليون يسمونها خلال تلك الفترة (اورو ـ سالم) .

واحتفظت القدس باسم (اورو ـ سالم) في عهد الفرس (٥٣٨ ق. م) ولما فتحها الاسكندر الأكبر (٣٣٢ ق.م) كانت تدعى (يروشاليم) .

واستغل الرومان الخلاف الذى كان قائما بين المكابيين واحتلوا المدينة (٦٣ ق.م) ولما دخلها بومبى كانت تدعى (هيروسليما) ولما حاصرها « تيطس » سنة ٧٠ ميلادية كانت تدعى (سوليما) وكانوا احيانا يسمونها (سوليموس) .

ولما تولى ادريانوس عرش الرومان (١١٧ ـ ١٣٨ م) أمر بتدمير (سوليما) ، فدمرت تدميرا تاما ، حتى لم يبق منها حجر على حجر . وأنشا بدلا منها مدينة جديدة أسماها (ايليا كابتولينا) . ظلت (ايليا) معروفة بهذا الاسم أيضا في زمن البيزنطيين (٣٣٠ ـ ٦٣٦ م) . وكذلك عندما احتلها كسرى (٦١٤م) وظلت محتفظة بهذا الاسم عندما عاد اليها هرقل وطرد منها الفرس (٦٢٧م) .

وفي عام ٦٣٦ م. ، دخلت جيوش المسلمين القدس بعد حصار دام ٤ أشهر وكان على رأس جيوش المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومن



الى اليسار : ألسنة اللهب التى اشتعلت في المسجد الاقصى صباح يوم ٢١ اغسطس (آب) ١٩٦٩ بسبب الحريق الذى حاولت به اسرائيل تدمير المسجد الاقصى .. والصورة الثانية توضح بعض الدمار الذى احدثه الحريق داخل المسجد الاقصى .

اسماء المدينة في الاسلام (بيت المقدس)و(القدس). وقد اختلف في تحديد التاريخ الذى سميت فيه بهذا الاسم الاخير . فقد ذهب كثيرون الى ان اسم (القدس) لم يطلق عليها الا في العهد التركى (١٥١٧ – ١٩١٧) . مع أن الكتاب والمؤلفين العرب ذكروها بهذا الاسم قبل ذلك التاريخ ومنهم ابو العلاء المعرى (١٠٥٧ م) الذى ذكرها في شعره فقال :

يا شاكى النوب انهض طالبا « حلبا »
نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس

واخلع حذاك اذا حاذيتها ورعا
كفعل موسى كليم الله في القدس

وفي عام ١٠٩٩ م احتل الصليبيون القدس واقاموا فيها الى ان جاء صلاح الدين الايوبى فأعاد فتحها في عام ١١٨٧ م. ودخلت القدس في حوزة المماليك في عام ١٢٥٠م وظلت تحت حكمهم حتى جاء العثمانيون في عام ١٥١٧ م واخذوها منهم وبقيت في حوزتهم ٤٠٠ عام وذلك الى ان احتل الجيش البريطانى القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧. ودام الاحتلال البريطانى للقدس وفلسطين كلها حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وتم تقسيم القدس عام ١٩٤٩ بين العرب واليهود وبقيت القدس مجزأة قسمين حتى جاء الصهاينة واحتلوها كلها في يونيو عام ١٩٦٧ .

مسجد الصخرة

تم بناء مسجد الصخرة في عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان وقد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين . وشرع البناؤون في البناء عام ٦٦ هـ – وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ (٦٨٥ – ٦٩١ م) وقد

تناوبت مسجد الصخرة الكثير من الأحداث منذ بناه عبد الملك بن مروان . فقد الم به تغييرات كثيرة بتأثير الزلازل والحرائق والرياح والأمطار،وبسبب الانقلابات السياسية والتطورات الاجتماعية .

وقد رمم مسجد الصخرة في عهد الخليفة العباسي المأمون (٢١٦ هـ – ٨٣١ م) كما أصيب المسجد نتيجة لزلزال حدث في عام (٤٠٧) هـ – ١٠١٦ م) وسقطت على أثره بعض أجزاء القبة الكبيرة ، وقسم كبير من السور . وتم ترميم هذه الاضرار في عهد الخليفة الفاطمى الظاهر في مصر (٤١٣ هـ – ١٠٢٢ م) وعادت الزلازل مرة اخرى في عام (٤٦٠ هـ – ١٠٦٧ م) وأدت الى اعادة ترميم مسجد الصخرة .

وفي عام (١٠٩٩ م) وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا مسجد الصخرة الى كنيسة . وبنوا على الصخرة مذبحا كانوا يسمونه Templum Domini أى هيكل السيد . وكسا الصليبيون الصخرة بالرخام لان قساوستهم كانوا يقطعون منها اجزاء يبيعونها للحجاج بوزنها ذهبا . وخشي ملوك الفرنج ان تزول الصخرة اذا استمر ذلك طويلا فقاموا بكسوتها بالرخام ابقاء عليها .



واعاد صلاح الدين بناء المسجد واعادته الى حاله القديم عندما فتح القدس وأجلى عنهـا الصليبيين .

وقد تمت عدة ترميمات وتعميرات في المسجد في عهد الظاهر بيبرس والملك الأشرف قايتباي وكذلك في زمن السلطان العثماني سليمان الثاني .

مسجد الصخرة وحرب فلسطين

حالت حرب فلسطين التى اشتعلت نيرانهـا في ٢٩ تشرين ١٩٤٧ دون اتخاذ اية خطوة في سبيل تعمير قبة الصخرة بناء على توصيات الخبـراء والمهندسين ،وزاد الطين بلة ان هذه القبة والقباب الأخرى الكائنة في أرض الحرم لم تسلم من أذى اليهود وعدوانهم . فقد راحوا يصوبون قنابل المورتر الى سطح المسجد وجنباته وفنائه . وقد أغار الاسرائيليون في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٨ على الحرم فبداوا بضربه في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم . وسقطت في الحرم ستون قنبلـة اصابت احداها مسجد الصخرة . وانتهت الغارة في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالى . وتتابعت غارات الاسرائيليين على المسجد والحرم بغرض تخريبهما وقد تسببت هذه الغارات في احداث اضرار كبيرة بالمسجد . وقد أعيد ترميم المسجد في عام ١٩٥٨ .

الصخرة ومكانتها عند المسلمين

تحت القبة وفي وسط المسجد تقوم الصـخرة وهى عبارة عن قطعة من الصخر غير منتظمة الشكل وكانت فيما مضى بمثابة قمة لجبل « موريا » . ويبلغ طول الصخرة من الشمال الى الجنوب ١٧ مترا و٧٠ سم وعرضها من الشرق الى الغرب ١٣ مترا و ٥٠ سم .

ويعود تاريخ الصخرة الى عهد اليبوسـيين وكان ملكهم « ملكي صـادق » يتردد عـلى هـذه الصخرة ويتقرب الى ربه بقرابينه عليها .

ولهذه الصخرة مكانة تاريخية ودينية عند المسلمين . ذلك لأن منها بدأ المعراج . ومن هنا جاءت الأحاديث التى تشير الى قدسيتها . فقد روى عن ابن عباس أن النبى قال :

«صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» وعن على ابن أبى طالب انه قال سمعت رسول الله يقول : « سيد البقاع بيت المقدس . وسيدة الصخور صخرة بيت المقدس » . وعن أبى هريرة انه قال : « المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة

بيت المقدس » . وعنه ايضا ان رسول الله قال : « صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة » .

ومن تاريخ الصخرة ان جد الأنبياء ابراهيم الخليل ، قدم ولده ضحية على هذه الصخرة . وهناك كانت تذبح القرابين .

وتوجد تحت الصخرة مغارة ينزل اليها من الناحية القبلية باحدى عشرة درجة ، وهى مربعة يبلغ طول كل ضلع من اضلاعها اربعة أمتار ونصف المتر ويبلغ ارتفاع سقفها ثلاثة امتار . وعند الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين وفي داخلها محرابان . كل محراب على عمودين من رخام .

وامام المحراب الأيمن صفة يسمونها « مقام الخضر » . وفي ركنها الشمالى صفة تسمى « باب الخليل » وارض المغارة مفروشة بالرخام .

المسجد الاقصى

كان هذا الاسم « المسجد الاقصى » يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله . وقد اقتبسه المسلمون من حادث الاسراء ، يوم أسرى بالنبى (صلعم) الى هذه الديار وفى ذلك نزلت الآية الكريمة :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله. » (سورة الاسراء الآية ١) .

كان هذا في اوائل عهد النبى ، وقبل أن يفتح بيت المقدس على يد المسلمين . وكان النبى(صلعم) فى السنة الأولى بعد الهجرة يولى وجهه وهو يصلى في المدينة ، شطر القدس . هذا عن «المسجد الأقصى » في عهد الرسول .

واما فى يومنا هذا فان اسم « المسجد الاقصى » يطلق على المسجد القائم فى الناحية القبلية من الحرم وعلى بعد ٥٠٠ متر الى الجنوب من مسجد الصخرة والذى بناه هو عبد الملك بن مروان فى عام (٧٤ هـ ــ ٦٩٣ م) وتم بناؤه في عهد ابنه الوليد .

اما مسجد عمر او كما يطلق عليه المسجد الاقصى الأول فهو الذى بناه عمر بن الخطاب . وقد اختلف المؤرخون فى تعيين الوقت والموضع



الذى بنى فيه عمر بن الخطاب مسجده ولكن من الأرجح أنه بناه بعد فتح القدس مباشرة سنة ١٥ هـ ــ ٦٣٦ م ، ومن الأرجح ايضا ان ذلك المسجد كان خشبيا وانه بني فى نفس الموقع الذى يقوم عليه المسجد الأقصى الآن .

وقد تعرض المسجد الأقصى لنفس العوامل التي تعرض لها مسجد الصخرة ، واعيد ترميمه عدة مرات ايضا .

الحرم القدسي وهيكل سليمان

يضم الحرم القدسي مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وما فيهما من مبان ومنشآت حتى الأسوار . وتبلغ مساحة الحرم الشريف ٢٦٠,٦٥٠ مترا مربعا . أما هيكل بني اسرائيل فقد كان قائما فوق سهل مرتفع كان فيما مضى يدعى « تل المريا » واسماه بعضهم « جبل مريه » وقد ورد ذكره فى سفر التكوين يوم أتى ابراهيم بولده الى هذا المكان ليضحي به . وهو أيضا المكان الذى كان فيه بيدر «ارنان» اليبوسي . فاشتراه



داود الملك بخمسين شاقلا من الفضة ليقيم عليه الهيكل . ولكن داود مات في عام « ١٠١٥ ق.م » دون أن يبلغ اربه . وجاء من بعده ولده سليمان ، وتولى بناء الهيكل بعد ان مهد الأرض وسواها وذلك في عام « ١٠٠٥ ق.م » .

وقد ظل هيكل سليمان قائما الى ان احتل ملك بابل نبوخذ نصر اورشليم ، فاحرق الهيكل (٥٨٦ ق.م) وطرد اليهود من هناك .

ولما تبوأ « كورش » عرش الفرس ، اذن لمن يشاء من اليهود بالعودة الى القدس ، فعاد فريق منهم (٥٣٨ ق.م) ليعيدوا بناء الهيكل ، وبناء السور من جديد . وتمكن اليهود بالرغم من مقاومة العرب والعمونيين والاشدوديين والحورونيين لهم من بناء السور وبناء الهيكل على يد نحاين (٤٤٥ ق.م) . وقد آل هذا الهيكل وهو المعروف بالهيكل الثاني الى الخراب أثناء الحروب التي أوقد نارها المكابيون (١٦٧ ـ ٣٧ ق.م) .

ولما استتب الأمر للرومان في هذه البلاد قام هيردوس بترميم بناء الهيكل وتم ذلك في عام ١٨ ق.م . وسمى هذا بالهيكل الثالث .

وفي عام ٧٠ م ، قام تيطس القائد الروماني باحراق هذا الهيكل الثالث وازال ما في منطقة الهيكل من عمارات . ولما اعتلى عرش الرومان ادريانوس أتى على ما تبقى من الهيكل وهدم اورشليم وأقام على انقاضها مدينة جديدة أسماها « ايليا كابتولينا » وانشأ ادريانوس في المكان الذي كان يقوم عليه الهيكل صنما يمثله هو وآخر يمثل المشترى . وطرد اليهود من اورشليم وحرم عليهم الرجوع اليها .

وفي العهد المسيحي ظلت منطقة الهيكل مهجورة خمسة قرون وقد كره المسيحيون هذه المنطقة وتركوها خرابا . ولما فتح الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس طلب من البطريرك أن يدله على مكان يبني فيه مسجدا للمسلمين ، فدله البطريرك على منطقة الهيكل . وذهب الاثنان معا الى ذلك المكان ، يرافقهما عدد من الصحابة والقسس وقادة الجيش . وكان المكان مهجورا بالمرة . ولم يكن فيه سوى الطلل الباقي من عهد الرومان . ولم يكن على الصخرة أى نوع من أنواع البناء . بل كانت الصخرة مغطاة بالأقذار . فدهش عمر . وراح ينضح التراب بكفيه ، وينقله بثوبه . وتبعه الصحابة ، فراحوا يرفعون عن الصخرة التراب ، الى أن بدت للناظرين ، فأمر عمر ببناء مسجد في ذلك المكان .

الحرم الشريف والمسلمون

اختلف المؤرخون في المكان الذى بنى فيه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مسجده ، أكان على الصخرة نفسها أو الى جانبها ، أو بعيدا عنها ولكن الذى لا شك فيه أن موضع الحرم القدسي الشريف مقدس في نظر المسلمين قاطبة . انه أولى القبلتين . فقد صلى المسلمون متوجهين اليه في بادىء الأمر نحو ١٧ شهرا قبل أن يتخذوا الكعبة قبلتهم . وهو ثالث الحرمين اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم .

المنشآت في الحرم الشريف

يصف الكتاب بالتفصيل المنشآت الكائنة داخل

أسوار الحرم الشريف . فيذكر قبابه ، ومآذنه ، واروقته ، وآباره ومياهه وأبوابه . ويجدر بنا هنا تلخيص ذلك الوصف :

القباب :

١ ـ قبة السلسلة : وتقع شرقي الصخرة وعلى بعد عدة أمتار من بابها المعروف بباب « داود » وبها صفان من الأعمدة ، الأول من الخارج ويتكون من ١١ عمودا ، والثاني من الداخل وبه ستة أعمدة .

٢ ـ قبة المعراج : غربي مسجد الصخرة الى الشمال . بنيت تذكارا لعروج النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء .

٣ ـ محراب النبي : غربي الصخرة الى الشمال بينها وبين قبة المعراج وفوقه قبة مفتحه الجوانب .

٤ ـ قبة يوسف : وتقع جنوبي الصخرة .

٥ ـ القبة النحوية : جنوبي صحن الصخرة الى الغرب .

٦ ـ قبة الشيخ الخليلي : في صحن الصخرة وعلى بعد امتار من قبة المعراج الى الشمال الغربي .

٧ ـ قبة الخضر : وتقع في الطرف الآخر لصحن الصخرة من الشمال الغربي .

٨ ـ قبة موسى : وتقع على مسطبة بين باب السلسلة والزاوية الجنوبية الغربية من الحرم .

٩ ـ قبة سليمان : وهي محكمة البناء وفي داخلها صخرة ثابتة ، وهي تقع الى الجنوب الغربي من باب الدويدارية شمالي الحرم .

مساطب الحرم :

وهنالك في فناء الصخرة وفي ساحة الحرم القدسي عدد كبير من المساطب اعدت للصلاة والتدريس في فصل الصيف منها :

مسطبة الكرك ـ مسطبة علاء الدين البصيري ـ ومسطبة المشاق .

مآذن الحرم :

للحرم القدسي في يومنا هذا أربع مآذن هي :

١ ـ مئذنة باب المغاربة .

٢ ـ مئذنة باب السلسلة .

٣ ـ مئذنة باب الغوانمة .

٤ ـ مئذنة باب الأسباط .

أبواب الحرم :

وللحرم القدسي عشرة أبواب كبيرة مفتوحة ، واربعة مغلقة . والأبواب المفتوحة هي :

باب الأسباط ـ باب حطة ـ باب شرف الأنبياء ـ باب الغوانمة ـ باب الناظر ـ الباب الحديد ـ باب القطانين ـ باب المتوضأ ـ باب السلسلة ـ باب المغاربة .

أما الأبواب المغلقة فهي :

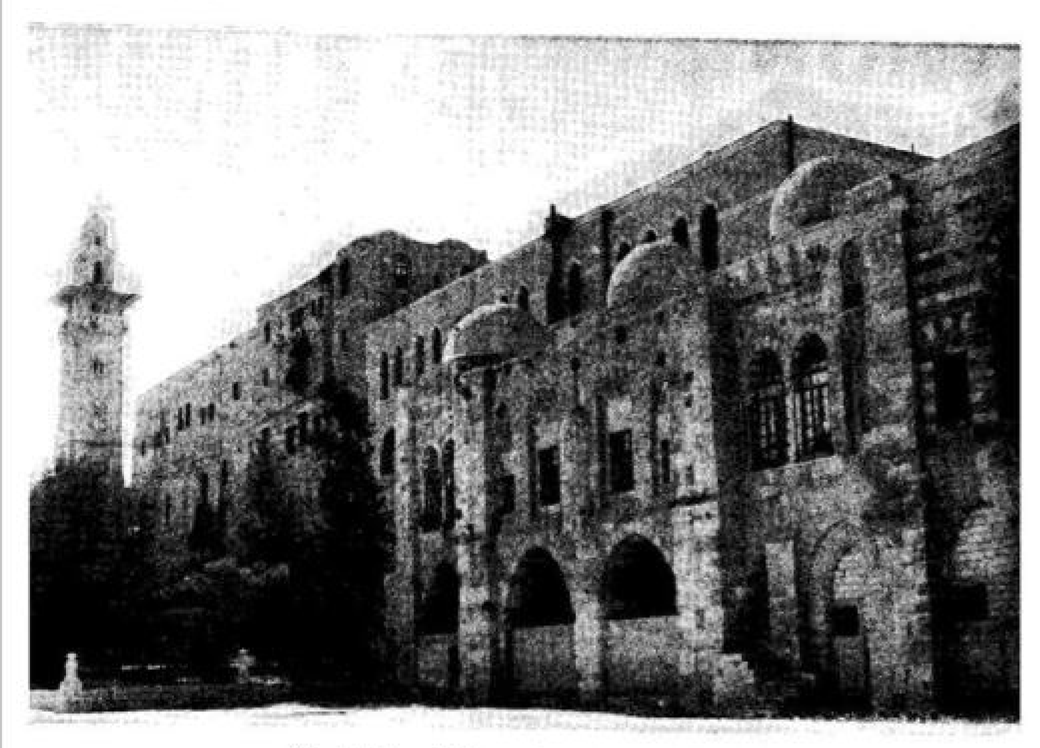
باب السكينة ـ باب الرحمة ـ باب التوبة ـ وباب البراق .

معتقدات وأساطير

ينهي المؤلف كتابه بفصل كامل عن المعتقدات والأساطير التي تحيط بهذا المكان المقدس فيقول : « ان جل هذه المعتقدات ، ان لم تقل كلها ، بعيدة عن العقل والمنطق ، ولئن عطفها الجهلاء الى الدين ، الا أنها في الحقيقة ليست من الدين في شيء . فقد استنكرها رجال العلم واساطين الدين ، واعتبروها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان . وانا لذاكرون منهم : ابن تيميه ، والبقاعي ، والجلال السيوطي ، وشهاب الدين أحمد بن حجر ، وابن القيم الجوزيه ، والامام المجمي .

ثم أورد الكتاب بعد ذلك بعض هذه الأساطير نذكر منها

* ان الصخرة معلقة في الهواء ! .. من اليوم الذي ارادت فيه أن تلحق بالنبي (صلى الله



الحرم القدسي الشريف يظهر منه الجانب الشمالي المطل
على باب الاسباط حيث تلتقي الاروقة والمآذن والمحاريب .

عليه وسلم) عندما عرج منها الى السماء . لولا الملاك جبرائيل الذى أوقفها ! .

* ان فى الصخرة لسانا بارزا !! باتجاه القبلة. يقولون انه سلم على النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة الاسراء . كما سلم على عمر بن الخطاب يوم فتح القدس .

* فى وسط قبة السلسلة من الداخل سلسلة ذات حلقات عديدة ، وان حلقة من حلقات هذه السلسلة تقع على راس الرجل الذى يمسها بيده ، اذا ما اقسم يمينا كاذبة . فتصعقه لوقته ! .

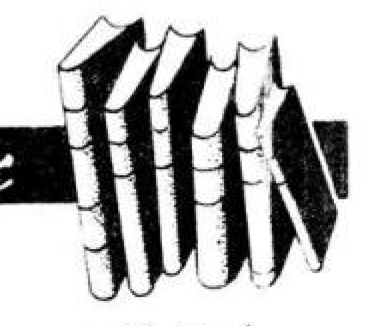
وتسأل عن السلسلة : أين هي ؟ فيقولون لك .. انها غابت عن الأنظار منذ أن جاء متهم يهودى كان قد اؤتمن على مئة دينار ذهبا ثم انكرها ، ولما الح عليه غريمه ، الا ان يقسم اليمين ويده ممسكة بالسلسلة . فعل واقسم انه رد الأمانة الى صاحبها . وكان هذا اليهودى قد صهر الدنانير ذهبا، وصبها فى عصاه ، وقبل ان يمسك السلسلة بيده ، سلم العصا الى غريمه ليحتفظ بها ريثما ينتهي من القسم ! .

ويعتقد الرواة أن السلسلة اختفت عن الأنظار بعد ذلك الحادث ، لشدة غضبها ، وحنقها على الكاذب !! .

* يعتقد البعض أن الصراط سوف ينصب يوم القيامة بين سور الحرم وجبل الزيتون فى بيت المقدس !! .

* ويسمى الناس ايضا المغارة الكائنة تحت الصخرة بمغارة الأرواح ويعتقدون ان الله يجمع فيها أرواح المؤمنين يوم القيامة . ■■

محمد طنطاوى



من الكتب التي وصلتنا

أبو جعفر المنصور

تأليف : على أدهم ـ الناشر :
المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة

● كتاب يتناول سيرة أبي جعفر المنصور ومكانته في التاريخ العالمي بوصفه المؤسس الحقيقي لدولة استمرت تحكم الجزء الأكبر من العالم الاسلامي مدة خمسة قرون . وكيف نهض بأعباء الحكم بعد أن صقلته الحوادث وأحكمته التجارب فانقادت له الصعاب ورضخت لأمره الممالك. وقد تناول في كتابه الثورات والأحداث التي خاضها ثم موقفه من العلويين ، وسياسة المنصور وادارته ، ثم دراسة عن المنصور ذاتية ، فهو الفقيه المتمكن والخطيب الحاضر البديهة ، والسياسي المحنك ، والقائد البصير .

الدفن بلا ثمن

تأليف : سهيلة الحسيني ، الناشر :
مطبعة راشد ـ بغداد

● مجموعة قصص قصيرة .

التخطيط الاقتصادي

تأليف : الدكتور محمود الحمصي /الناشر :
دار الطليعة ـ بيروت /لبنان .

● كتاب في التخطيط الاقتصادي يتناول موضوع التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية ، والتطوير الاجتماعي فيعرض لقضايا الاعمار ومفاهيمه ومتطلباته في ميدان اعادة تنظيم الحياة الاقتصادية على اساس السيطرة على الموارد الاقتصادية وتوجيهها لصالح التنمية والتطوير ، كما يبحث في كيفية تكوين الاجهزة اللازمة للقيام بمهمة التخطيط والتنمية ويستعرض اساليب التخطيط وتعبئة الموارد في حالة السلم ويبحث في كيفية تخطيط الموارد البشرية على أساس جعل التعليم بمختلف مراحله يواكب حركة الاعمار الاقتصادية .

فاطمة الزهراء أم أبيها

تأليف : فاضل الحسيني الميلاني ، الناشر :
مطبعة الآداب في النجف الأشرف ـ العراق

● دراسة قيمة عن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ولادتها ونشأتها في بيت النبوة والأحداث التي مرت عليها.
وقد قسم المؤلف كتابه الى أبحاث عديدة ، عنون الفصل الخاص بولادتها ونشأتها بـ « أهداب النور » ثم عن زواجها من على بن ابى طالب وتربيتها بـ « حجر الزاوية » ثم المصاعب التى قاستها بعد وفاة والدها بـ « في المعترك » ثم عن وفاتها وتشييع جثمانها بـ « اغفاءة » .

العمل العلمي ومؤسساته في البلاد المبتدئة

تأليف : شيت نعمان ـ الناشر :
دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت

● كتاب يتناول بالدراسة والبحث العمل العلمي غير التعليمي في البلد الناشيء وانه يقوم في الغالب على الاقتباس ويقوم كذلك على المحاكاة . ويقع الكتاب في اربعة اقسام. موضوع القسم الاول تكون العمل العلمي ويتناول مجالات العمل العلمي وأوضاع العمل العلمي في البلد المبتدىء ثم الشكلية في تكون العمل العلمي وفي سيره في مؤسساته . أما القسم الثاني فموضوعه فصول مؤسسات العمل العلمي من مختبرات ومعاهد للبحوث ومن مؤسسات للانماء ومن مختبرات علمية وتكنية في ميادين الانتاج . أما القسم الثالث فيتناول الاعداد الدراسي للعمل العلمي والقسم الاخر من الكتاب يتناول تخلف العمل العلمي في البلد المبتدىء وبيان منافذ هذا التخلف والسبل الى مواجهته .

لن يضيع الغد

تأليف : حسن عبد الله القرشي ، الناشر :
دار الآداب ـ لبنان

● مجموعة مقطوعات شعرية وطنية . ■■



في عيني حساسية

● انا شاب مثقف واقرأ كثيرا ولكن منذ زمن بعيد وانا أشعر في فترات معينة من السنة وخاصة عند ازدياد نسبة الغبار في الجو بحرقان في جفوني مع ميل لحكها ، وتحمر عيني ويهطل الدمع منها مدرارا كانما ابكي وقد ذهبت للطبيب فاخبرني بانني اشكو من حساسية بالعين ولم افهم ما المراد بكلمة الحساسية .

ـ ان الحساسية بالعين هي جزء من الحساسية العامة التى يشكو منها اغلب احياء هذا العصر ولا ندرى هل وفدت علينا مع هذا الزمان ام كانت قبل ذلك ولكن لم ينتبه اليها احد حتى تحسنت وسائل التشخيص والاكتشاف وطالت يد العلم فاستكشفت خفايا المجهول . سبب الحساسية غير معروف، كل ما نعرفه عنها انها تسبب رد فعل معين فى الجسم او النسيج عند تعريضه لعامل من العوامل الطبيعية او الكيميائية في شخص معين بحيث لو تعرض لها آخر لما سببت له رد الفعل هذا .



وحساسيتك هذه التى تشكو منها هي فى الاغلب عرض من اعراض حساسية عامة تشكو منها ايضا ولكن ربما لم تعرها التفاتا او انتباها كالزكام مثلا .

والاسباب هي :

× التهاب الجفون الناتج عن استعمال بعض المركبات الكيميائية كمراهم وقطرات العين او بواسطة اصابع شخص بها بقايا مضادات حيوية اذا لامست عين شخص حساس لهذا النوع من الدواء .

× حساسية لانواع الكريم والبودرة المستعملة لتجميل الوجه او صبغة الشعر .

× حساسية لبذور اللقاح Pollen Grains لبعض الاشجار .

× حساسية للغبار او ريش الطيور او

حملي لا يتم .. او الاجهاض المتكرر

○ انا سيدة في التاسعة والعشرين من عمري متزوجة من حوالي ستة اعوام احيا وزوجي حياة هادئة مستقرة ولكن لاينغص علينا حياتنا الا اجهاضي المتكرر . فحتى الآن حملت حوالي اربع مرات ولم يكتمل حملي في اي مرة منها فما ان يهل الشهر الرابع حتى يبدأمعه الالم الطاغي العنيف والنزف الاحمر القاني الذي لا ينقطع حتى اترك ماحملت والقي بفلذة كبدي الى مصيره المحتوم ثم اظل اجتر حزني والمي . وما ان تنتعش آمالي بحمل جديد حتى تتحطم مرة اخرى على صخرة الالم والدم .. حتى هزل جسمي وشحب وجهي .

— سيدتي :

ان هذا الذي تشكين منه هو الاجهاض المتكرر Habitual Abortion

واسبابه كثيرة وعلاجه يعتمد على السبب .

اما الاسباب فهي :

١) اسباب عامة تتعلق بالصحة والمرض عموما :

* مرض البول السكري Diabetes Mellitus والتهاب الكليتين المزمن وارتفاع ضغط الدم والحمل التسممي المتكرر .

* اختلاف فصائل الدم لدى الزوجين وخاصة معامل روسوس Rheusus Factor

* مرض الزهري Siphilis وقد يسبب اجهاضا بعد الاسبوع الثاني عشر للحمل .

* الانيميا المزمنة والحادة (بسبب الطفيليات في المناطق الحارة) .

* الامراض النفسية المزمنة والحادة

* اضطرابات الغدة الدرقية .

* اضطرابات الهرمونات المنظمة والمثبتة للحمل : كنقص افراز هرمون البروجسترون فانه يسبب اجهاضا في الاسبوع الثاني عشر .

بقية المنشور على الصفحة السابقة :

في بعض الاحيان حساسية لنوع من الطعام .

واعتقد انه لديك حساسية خاصة للغبار ، حسب ما أوردت .

والاعراض هي : حكة في الجفون واحمرار في العيون مع نزول الدمع احيانا .

التشخيص : بواسطة الاختبارات الجلدية للحساسية Dermal Tests

بواسطة اختبارات مشيمة العين للحساسية Conjunctival Teste .

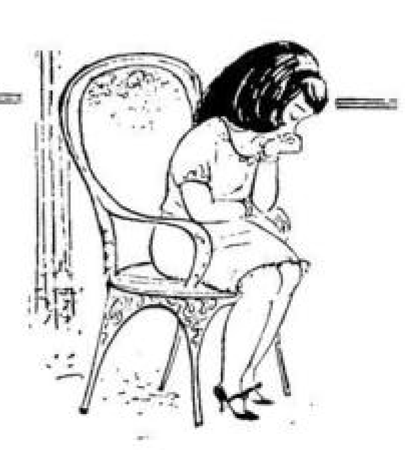
العلاج :

أولا وقبل كل شيء يجب ابعاد المريض عن سبب الحساسية : كالغبار او حبوب اللقاح او المراهم والدواء .. اذا امكن معرفتها وتحديدها .

ثانيا : مركبات الكورتيزون والهيدروكورتيزون ذات تأثير فعال في كثير من الاحيان .

غسول العين بمادة ذات تأثير مهدىء كمحلول البوريك وفوسفات الصوديوم وسلفات الزنك .

ثالثا : مضادات الحكة كالكمدات الثلجية والمحاليل المحتوية على التراكين Tetracaine ، وقد يحتاج المريض لنظارات سوداء اذا كان الضوء يؤذيه كثيرا .



٢) اسـباب محلية وموضـعية تتعلق بالرحم وماحوله :

❋ العيوب الخلقية للرحم Congenitat Anomalies وهذه تسبب اجهاضا بعد الشهر الثالث من الحمل .

❋ اتجـاه خاطيء للرحم كالانقلاب للخلف Retroversion وهـذا نادرا ما يسبب اجهاضا بين الاسـبوع العاشر والرابع عشر للحمل .

❋ الاورام الليفية او الاورام الحوضية الاخرى قد تسبب اعوجاجا للتجويف الرحمي او تؤثر على الغشـاء المخاطي المبطن للرحم مما يؤدى الى طرد الحمل .

❋ اتساع فتحة عنق الرحم الداخلية Incompetent Internal Os ، وهذا ينتج عـن بعض الولادات الصـعبة او عنـد توسيع عنق الرحم او استئصال جزء كبير من عنق الرحم جراحيا او بسبب عيب خلقي .

ولعلاج هذه الحالة يجب معـرفة السبب بالفحوص الآتية :

فحص مابين الحمل والحمل :

عد كريات الدم . تحليل بول . تحليل دم للزهرى والسكرى ومعامل روسوس .

فحـوص خاصـة بوظيفـة الكليتين والغدة الدرقية .

تصوير التجويف الرحمى وعنق الرحم من الداخل .

فحوص اثناء الحمل :

وتشـمل بعض الفحوص السـابقة (وليس كلها) مع فحص مهبلي كامل .

فحص عينـات مـن خـلايا المهبـل المتساقطة .

فحص الافراز المخاطي لعنق الرحم .

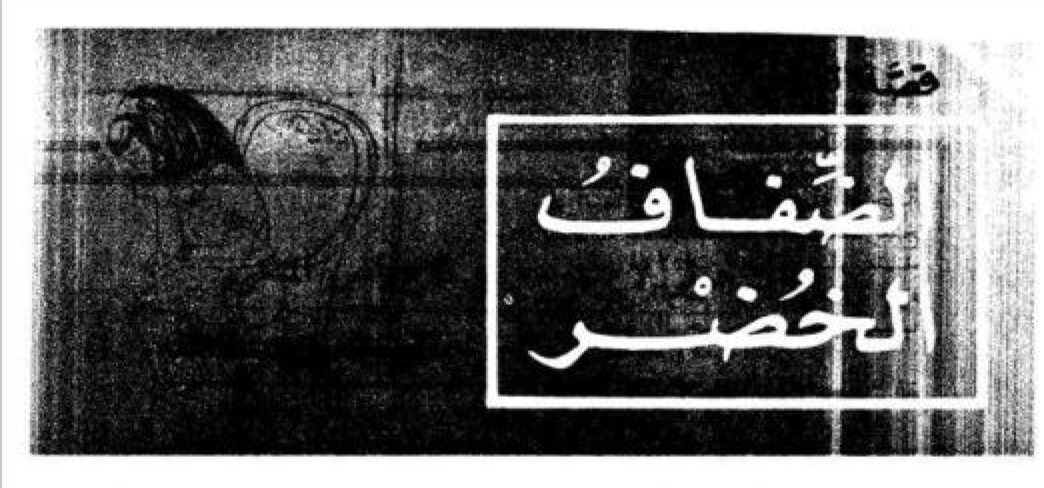
اما العـلاج فيكون بمداواة السبب تحت اشراف الطبيب المعالج .

التهابات ودمامل بفتحة الانف

● **انا في العقد الخامس من العمر . أصبت خلال السنة الماضية بالتهابات ودمامل بفتحة الانف وحولها اكثر من اربع مرات . لا اكاد اشفى من احدها حتى يعاودنى غيره مما اثر في حـالتي الصحية . فهل لذلك سبب ؟**

ـ اولا احب ان الفت الانتباه لخطورة الالتهابات بهذه المنطقة التى تسمى بالمنطقة الخطرة في الوجه Dangerous area لاتصالها الوثيق بالعين وتجويف الراس وبداخله المخ وذلك عـن طريق الاوردة الدموية . لذلك يجب اعطاؤها القـدر الكافي من العناية والعلاج .

اما عن حالتك ، فيجب أن تعـرض نفسك على الطبيب الاخصائي ، واذا لم يجد سببا موضعيا لذلك ، وجب عليك عمل تحليل للبول فقد تكون مصابا بمرض البول السكرى الذى يضعف مقاومـة الجسم للميكروبات ويجعله عرضة لمثل هذه الحالات ومما قد يؤيد هذا الاحتمال ما ذكرت عن تأثر حالتك الصحية . فان الدمامل في ذاتها لا تؤثر في الحالة العامة للمريض بعكس ما هو معروف من مرض البول السكرى الذى يسبب الضعف العام .



■ فمنذ أكثر من ساعة وهو واقف على رصيف الشارع وعيناه مركزتان على مدخل احدى العمارات التي تبعد عن المكان الذى كان يقف فيه بضع خطوات قليلة ...

وكان يسير بضع خطوات ثم يعود الى حيث كان ليعاود السير فى اتجاه آخر ثم يقفل راجعا الى مكانه الاول وهو ساهم ، عاقد الجبين لا يكاد يرى شيئا من صور الحياة التي تتدفق امامه فى تلك الساعة الباكرة من الصباح ، وكان يتفرس فى الأرض تحت قدميه ثم يرمى ببصره نحو مدخل تلك العمارة التي كانت تشتمل على قاعة كبرى تقام فيهـا المعارض الفنية .

وكانت تعصف برأسه فى وقفته تلك دوامات من الافكار المتصارعة ، كان يتوق الى رؤية لوحات المعرض المقام فى تلك القاعة منذ أيام ولكن اعتبارات كثيرة كانت تجعله يتهيب ذلك ، ويظل يروح ويجيء على أرض الشارع فى خطوات بطيئة متسكعة حائرة لا تنتهي الى شيء ... وكانت نسمات الخريف الباردة التي تسللت الى كيانه فى وقفته تلك قد استحثته الى أن يفعل شيئا ما فسار فى بطء نحو مدخل العمارة ثم توقف ثانية عند أحد أكشاك الصحف ودار من حول الكشك يتطلع الى عناوين المجلات التي تغطى جوانبه ثم وقف مرة أخرى وسأل نفسه :

ماذا لو ذهبت ؟؟ .

وسخر من نفسه فى مرارة ... لقد عوّل على ذلك منذ استيقظ من نومه ، وارتدى ملابسه ، وترك منزله لهذه الغاية وحدها ..

لقد استعرض فى ذهنه كل ما يمكن أن يحدث ، فقد يكسبه ذلك شيئا من المناعة والقدرة على مواجهة الموقف .

قد تكون هي هناك .. انه معرضها ولا بد أنها تســـتقبل الزائرين ، واذا حدث أن رآها هل يتفاداها أم يتقدم ويحييها؟وهل ترد تحيته أم لا ؟ وهل يتبقى لديه بعد ذلك من الهدوء النفسي والسيطرة على عواطفه ما يعينه على مشاهدة اللوحات المعروضة ودراستها ؟ وماذا يقول لها عن لوحاتها لو قبلت أن تحادثه ؟ بل ـ وذلك هـو الأهم ـ ماذا يقول لنفسه ؟ .

وكان قد قرأ فى بعض الصحف بعض ما كتب ، وسمع ضمن بعض برامج الاذاعة بعض ما قيل عن ذلك المعرض وادهشه ما ظفر به من تقدير كبير. ولم يغب عنه وهو يستمع فى احدى الاذاعات الى رأى الثقات ، ما يستند اليه الثناء والتقدير اللذان ظفر بهما ذلك المعرض من تحليل صادق فى استكشاف عناصر الجودة والتفوق . انه الفن الذى يمارسه هو أيضا ويعرف أسراره ...

كانت تلك الأفكار تحوم فى رأسه حين رآها ـ من وراء كشك الصحف ـ تدلف الى داخل العمارة ويداها فى جيبي معطفها الداكن ...

ان الزمن لم يغير منها الا القليل ..

انها « تحيه » ذاتها كما عرفها من ســـنتين ، مشيتها الوديعة المتئدة الهادئة،الصورة المحسوسة لقلبها الطيب ، المتفائل ، العطوف ، الكبير . لقد أصابها شيء من النحافة ، ووجهها تعلوه مسحة من الشحوب والحزن المترفع الخفيف .

وزادت رؤيتها من تهيبه وتردده ، وهتف به هاتف يقول :

ـ لعلك أنت السبب فيما تعانيه ...

ومر أمام ذهنه شريط الماضي كله فى لحظات خاطفة فزاد من ارتباك ذهنه وحيرته ولم يستطع



... واحست بثقل وطأة حديثها عليه

أن يعرف هل أحسن في الماضي أم أساء ، أخطأ أم أصاب ؟ .

... تحية تمر من أمامه ويتأملها خفية من بعيد وقد كانت يوما ملهمته وشريكة أيامه ولياليه .. بل صانعة شخصيته كفنان وعونه وسنده في أيام الجهاد الطويل من أجل الوصول ..

واحس بالبرودة تسري في أوصاله وهو واقف دون حركة وضوء الشمس يخفت شيئا ما ، ورفع بصره نحو السماء ورأى السحب الداكنة تزحف في بطء نحو قرص الشمس الذي سرعان ما توارى خلفها ، وهبت ريح خفيفة زادته احساسا بالبرودة. وتململ في وقفته وأحس برعدة خفيفة تهز جسده الرقيق ... ورفع بصره الى فوق مرة أخرى وكان هذه المرة يسأل السماء ماذا يفعل ؟؟ ان الجو القاتم كان دائما يملأه بالشجن والانقباض والحنين الى شيء لا يعرفه ولا يدرك كنهه ، والآن شيء ما في أعماق قلبه يقول له انه انسان تعس حزين ، حزين حتى الموت ،في قلبه حنين الى شيء مجهول يهمس به ذلك السحاب الداكن الهائم على وجهه في السموات التي لا أول لها ولا آخر. وتفعمه به تلك الرياح التي تهدر وتثور فجأة لم تهمد مرة أخرى لغير سبب معروف . ولكن هناك حنينا آخر يعصف بقلبه عصفا شديدا ويكاد يقتلعه ، حياته معها ... تلك التي لا يجد في نفسه الجراة على مواجهتها في حين يكاد يقتله الشوق الى رؤية لوحاتها ... تلك الحقبة من العمر التي انتهت ولم تنته ، انها ماض وحاضر ، انها تعيش في قلبه ، مثل الخلاصة المركزة ، يستعرضها من أولها الى آخرها في كل حين . أعوام عديدة تمر بخياله بكل تفاصيلها ليلة بعد ليلة بل ساعة بعد ساعة في سرعة مذهلة ، وكل صغيرة وكبيرة منها لم تعد الا الألم الأخرس الثقيل...لقد عرفها وعرفته قبل أن يلتقيا او تقع عين احدهما على صاحبه .

كان هو رساما ، وكانت هي رسامة ايضا ...

كانت ترى لوحاته في المعارض فتقف أمامها وقفات طويلة ، تتأملها بقلبها وروحها وتبارك تلك الأنامل التي انطقت الظلال والأضواء بمعانيها الظاهرة والخفية وجعلت من الألوان ألحانا تترجم في صمت بليغ عن أحلام واحساسات فتى رقيق الروح جياش العاطفة في قلبه مهرجان دائم لأفراح الطبيعة وشبابها الخالد المتجدد ..

وكانت تدرك أن أمامه خطوات كثيرة قبل أن ينضج فنه تماما ويخلو من المآخذ ، ولكنها كانت تشعر وهي تتأمل لوحاته ، أن قلبها يتسع ويتسع حتى يشمل كل ما في الكون من معان ... كان يبدو رقيقة حانية هزته من اغفاءته ونقلته الى يقظة تحتشد فيها الاحساسات الرقيقة والمشاعر المكتنزة حيوية وخصبا وجمالا .

أما هو فكان يتأمل لوحاتها في خشوع الصلاة وكان يسائل نفسه من أين لهذه الفتاة كل تلك الشاعرية المضطرمة التي تخفق في كل خط من خطوط لوحاتها ، ومن أين لها كل هذه الطاقة الضخمة من الاحساس الفني التي تتمثل في ألوانها الدسمة الزاهية ، ان لوحاتها تكاد تكون ترنيمة ابتهال للجمال المنبث في أرجاء الكون ، ومناجاة رقيقة غامضة ، لا تخلو من ألم ، للطبيعة الواضحة الغامضة ، الرقيقة القاسية ، وحوار عميق عميق مع هذا الكون المليء بالألغاز والأسرار .

كل منهما أحس انه يكمل صاحبه .. هو يسجل روعة الطبيعة الكامنة في الأضواء والظلال والألوان ، وهي تعهد الى لوحاتها بكل ما تثيره الطبيعة من أفراح وأشجان وأشواق وهمسات لا يدرك كنهها .

وظل كل منهما يحلم برؤية الآخر حتى حل يوم أقامت فيه تحية معرضا خاصا بها . وكانت تستقبل زوارها بنفسها ، وكان جلال بين أول من زاروا معرضها ، فلما التقيا وقدم لها نفسه أحس كل منهما بالصداقة العريقة العميقة الجذور تربط بين قلبيهما بعد أن ربطت بين روحيهما قبل اللقاء ، وراحت تطوف معه أرجاء معرضها وتشرح له أسلوبها ومذهبها في فن التصوير ، وقضيا معا ساعة من أحلى ساعات العمر .

وكان ذلك اللقاء هو الشرارة التي كانت تنتظر مثل هذه الفرصة لتشتعل ؟ .. لقد أحبها وأحبته حبا قويا كالعاصفة ، عفيفا رقيقا مثل ندى الصباح لا حد له مثل فضاء السموات .

وتكرر اللقاء وانتهى بأن طلب يدها للزواج .

لم تكن جميلة ... اللهم الا صوتها الذي كانت تسكنه روح باكية ، ولكنها كانت موسرة وتنتسب الى أسرة كبيرة .

أما هو فقد كان فقيرا لا يكاد يملك قوت يومه .. ولم تتردد تحية في التضحية من أجله ، ولم تأبه

لسخط والدها وتهديده اياها بحرمانها من الميراث بل من زيارته وحتى مجرد رؤيته ، وقالت لنفسها انها لا تضمن ان تسوق اليها الحياة مرة اخرى رجلا تحس أنها ولدت له وحده وولد لها وحدها . وتراءى لها ان تراجعها امتهان لنعم الحياة وتهاون في واجبها نحو نفسها ونحو فنها .

ونبذت الفتاة الفنانة حياة الترف . ضحت بالمسكن الفخم في الضاحية الجميلة الهاجعة على ضفاف الصحراء ، وما كان يتيحه لها المسكن من هدوء وراحة وسلام . وضحت بالمال وما يأتي به المال من طعام وملبس وما يحققه من رغبات وأماني. وضحت برضاء والديها والأهل والمعارف والأصدقاء.. وتقشفت ...

تقشفت من أجله ، لا من أجل الانسان وحده وان كانت قد احبت الانسان وفتحت له قلبها كله .. ولكن من اجل شيء آخر لم يكن يستطيعه الا هذا الانسان الفنان ، انها ترى زوجها في لوحاته مثلما ترى قسمات وجهها في المرآة ... شيء جديد ، حلو وغامض ، يدق قلبها عندما تحدق في الخطوط والالوان التي تصنعها انامله ... ولم يكن في طاقتها الاختيار ، لقد ضحت وهي سعيدة .... ضحت باشياء اصبحت تراها تافهة — وهي ربيبة الترف — من اجل ثروة الحياة التي تضعها السماء امانة في عنق الفنان كي يقدمها لمن يتوق اليها من الناس ..

واتفقا على ان تكون اول ثمرة لجهادهما المشترك هي اقامة معرض من أعماله وراحت تنفخ فيه من روحها وعزمها ... عاشا عيشة الكفاف ، من ايراد وظيفته الصغيرة وما كانت تستطيع بيعه من لوحاتها . كانا يشتريان خبزا ومعه أي شيء يتيسر لهما تناوله مع ذلك الخبز ، ويتفقان ما يتبقى لهما من نقود في شراء مواد التصوير من ورق وفرش والوان واطارات وغير ذلك .

ولأنها ذوبت روحها في روحه ركزت كل اهتمامها على لوحاته هو ... كانت تقف الى جانبه الساعات الطويلة ، تمتزج وتتلاقى العيون لتنهل من الحب ولتناقش وتجادل في الفن وتسأل وتجيب عن اسراره وقواعده وأساليبه ،وعندما كان ينالهما التعب كانت ترتمي في احضانه ، فيحيط صدرها اللاهث بذراعه وتغمض عينيها وهو يلتقط شفتيها بشفتيه .... كان الحب هو التربة الخصبة التي نما فيها الفن بل كان له الماء والهواء والنور ...

....وكم اسعدها وهي تشاهد لوحاته الجديدة ان ترى فيها شيئا لم تره من قبل .. معاني تسري في الالوان وتسري منها الى المشاهد فيحس انه يضيف الى حياته ثروات جديدة ...

وكانت اذا ما اخذها الحماس ووجدت نفسها مندفعة لأن ترسم شيئا ما تكتشف — وهي ترسم — ان ريشتها تنتج اشكالا جديدة كلها تفاؤل واستبشار وغلب عليها اللون الاحمر الذي كان يحبه هو كثيرا ولكن انتاجها كان قليلا ونادرا ما كانت تتحمس له بقدر ما كانت تتحمس لفن زوجها وانتاجه اذ كانت ترى في لوحاته وثبات روحها كلها ...

وكانت سعيدة كما لم يسبق لها مطلقا ان احست بالسعادة واصبحت كل غاية حياتها في تلك الفترة ان تقيم لاعماله معرضا جديدا ، وكانت العقبة هي المال ... ايجار الصالة وثمن الاطارات وبطاقات الدعوة وغير ذلك .

ولم تطل بها الحيرة .. باعت خاتما ثمينا كان باصبعها — ولعله الثروة الوحيدة التي خرجت بها من دار والدها — وراحا يعملان سويا في الاعداد للمعرض .. وتحقق الحلم واحست هي ان السماء راضية عنها بل فرحة بها عندما قرات لاكثر من ناقد ان زوجها اول مصري يحس بالضوء الساطع ... الصهد ... الذي تتميز به ارض مصر ، وأول مصري استطاع ان يعبر عنه تعبيرا فنيا ناجحا ... لقد رسخت مكانته في عالم الفن وتحددت معالم شخصيته ومميزات فنه وخاصياته .. لقد صار اسمه مرادفا لطابع معين .. تباشير مدرسة جديدة ، واصبح له معجبون ومعجبات يرغبون في أن يلتقوا به ويتعلموا منه ويحادثوه في اي شيء .. اي حديث ..

وامتلأ جلال ثقة بنفسه وجاشت نفسه بالآمال الكبار وباع بعض لوحاته بأثمان غالية وهكذا عرف المال طريقه الى جيبه لاول مرة ، ومع المال والنجاح ودلائل الاعجاب والتقدير اتضحت بعض سجاياه التي كان يطويها ويخفيها الفقر والجهاد في سبيل الوصول .

وذات صباح قالت له وعيناها تفتشان أعماق عينيه وكل قسمات وجهه :

— لقد صنعنا شيئا عظيما وفي عام واحد ..

انه الحب قطع بنا طريق الحياة وثبا ، سنة واحدة عشنا فيها عشرات الاعوام ... ولكن يبدو انك تعبت ، ومن حقنا ان نستريح ... لا بد ان نستريح قبل الخطوة التالية .

واحس هو انها قد فطنت الى ما يعانيه من ضيق وسآمة وملل .. ورغبة في الانطلاق .. وانطلقت هي تحلم :

ـ فترة من الراحة قبل الوثبة القادمة .. ثم دار صغيرة في ضاحية هادئة ... معبد للفن ... زيارة متاحف العالم ... اقامة معارض في العواصم الكبرى ، سنحقق كل شيء ما دمنا معا .. وحدقت في عينيه مرة اخرى تبحث عن الفرحة والحماس فلم تجد لهما اثرا ... واحس انها بوغتت.ولكنه كان يعرف أن مطامع اخرى بدات تستولي على مشاعره تماما ... مطامع لا يمكن ان تشاركه فيها زوجته ـ ... كان في حيرة من امر نفسه ولكن افكاره كانت تجرفه الى بعيد . واصبح عصبي المزاج حاد الطبع ، يثور لاتفه الاسباب ويعاملها بتكلف وبرود ...

وحاولت هي أن تكتشف اسباب ذلك الانقلاب وتتلمس الاسباب لعلاجه ولكنها فشلت وكانت كلما ازدادت وداعة وحنوا ازداد هو تمردا وشراسة ، وكان حين يحتدم النقاش بينهما يخطف لوحاتها من فوق الحامل الخشبي ويمزقها في عنف أو يركل الحامل بما عليه فيسقط الصورة التي لم تكن قد جفت بعد فتختلط الوانها وتتلف .

ودامت تلك الحال اشهرا انتهت بأن اعلنها بعزمه على الطلاق وقال لها في تفسير ذلك ان رجل الفن لا يستطيع ان يعيش لامراة واحدة ، انه يود ان يعرف النساء جميعا ، الطاهرة والدنسة ، الجميلة والمشوهة ، الساذجة والماكرة اللعوب ـ انه يود ان يحيا حياة الليل ويعرف الاثام جميعها يخالط كل فتيات المجتمع ويجرع كاس الخطايا حتى ثمالته ... اذا لم يكن مستهترا متقلبا عربيدا فلن ينتج فنا عظيما ابدا .

وكانت الصدمة قاسية ولم يكن امامها الا ان ترضخ لمشيئته وتتجرع الهم صامتة وتنفصل عنه.

وعادت الفتاة الى بيت ابيها كسيرة الخاطر محزونة الفؤاد واستقبلها أبوها الشيخ ـ وكان قد اصيب بمرض الزمه الفراش ـ في بشاشة وترحيب .

واحس جلال بان القيد قد انكسر ، وخاض بحر التجارب بكل امكانياته وظمأ شبابه المحروم وبكل ما اتسعت له موارده الجديدة وافكاره وطاقاته ، اتصل بالموسرين من اصدقائه الفنانين الذين كانوا يعطفون عليه ويشركونه احيانا في لهوهم وشرابهم وراح يفتش عن غذاء جديد لعواطفه في الحب والعبث والسهر ، وفي سبيل ذلك داس على كل المبادىء والحرمات وكان يقول لنفسه انه يعيش من أجل الفن وحده وفي سبيل الفن وحده يستطيع بل من حقه ان يتنكر لكل الاشياء .

ومرت الايام تتقاذفه موجات التجارب ومحنها دون ان يحس لمضيها اثرا أو ثمرة ...

ثم قرأ عن معرضها واستبدت به الحيرة ، وعاد ماضيه كله يلح عليه ويزاحم ـ في فكره ـ حياته التي يعيشها فعلا ... باى ميزان يزن تصرفاته معها ؟ هل اخطا ام اصاب ؟ ولاول مرة تطرق ذهنه عشرات من الاسئلة لم تخطر له من قبل على بال .

ترى بماذا يمكن ان يوصف مسلكه معها ؟ خيانة وعقوق ونكران للجميل ؟! أم هذه اعتبارات لا يأبه لها الفنان ؟ وسخر من نفسه في صمت وسخرية مرة واحتار ماذا يكون الجواب ..

وفجأة تنبه لنفسه ورفع ذراعه وصوب عينيه نحو معصم يده وحدق في ساعته ، الزمن يمضي وسفينة الذكريات تمخر بحر الماضي العاصف .. الا من سبيل الى راى قاطع يحسم به حيرته ؟ هل يعود ادراجه ؟ هل يتقدم ؟ ان الوقت يمضي وهو ثابت في مكانه ، ولقد سئم من استعراض تاريخ حياته الذى ما ينفك يجرى في وثبات لاهثة امام عينيه ..

وفي لحظة من لحظات اللا مبالاة التى يتساوى فيها كل شيء امام العقل استدار وتقدم نحو سلم العمارة وهو يمر براحته على جبينه ويهبط بها حتى ذقنه ، وعيناه منكستان تماما ، واخذ يصعد الدرج في تمهل وهو يتفحص ما تحت قدميه كأنه يقرأ شيئا عميق المعاني .

ووصل الى قاعة المعرض ، وكانت لحظة رهيبة حين وجدها في صدر القاعة جالسة الى مكتب صغير وقد احنت راسها تنظر في بعض الاوراق ، ولما احست بوقع قدميه ادارت راسها مستطلعة ..

غريب ذلك الهدوء البالغ الذى استقبلته به.

لقد ابتسمت في تحفظ وهي تهم واقفة ومدت له يدها ، وامعن كل النظر في وجه الآخر ثم ما لبثت ان اتسعت ابتسامتها وملأت وجهها ، ابتسامة كلها رقة ووداعة وسلام ، اما هو فقد ظل وجهه جامدا ... جامدا ... يغلفه ستار من الصمت الكثيف لا ينم مطلقا عن العاصفة التي تدمدم في اعماقه .

وما لبثت أن جلست ثانية بعد ان دعته ان يتقدم ويشاهد محتويات المعرض ، واحس هو بشيء يستيقظ في اعماقه وهو يسمع نبرات صوتها .. شيء طال العهد به .. احس في تلك اللحظة فقط انه قد ضيعه ، وعجب انه لم يفطن مطلقا الى انه قد ضيعه ... صوتها المشبع بالوداعة والمحبة والسلام .

وثمة شيء آخر .. عيناها .. لقد بقيتا كما كانتا ... العينان السوداوان بكل ما فيهما من سحر وعمق واسرار .. ابتسامتها التي يعبر بها قلبها الحنون عن السماحة والوداد . لقد احس بكل طاقات الماضي تتفتح ، واحس بانه قد قذف بكل ذلك الى هاوية العدم .. نبذه كله في لحظة دون أن يشعر انه قد ضيع شيئا ... والآن يكاد الشعور بكل هذا يسحقه سحقا تحت ثقله . وتقدم في خطى ثقيلة ...

رأى امامه اكثر من مائة لوحة معلقة على جدران قاعة المعرض ... دار ببصره دورة سريعة ثم وقف مستانيا يتأمل ويدرس بالقدر الذى تتيحه له اعصابه الثائرة ومشاعره المختلطة ولكن شيئا ما لم تخطئه عيناه وهو الخبير بالفن ..

هذه اعمال فنانة لم تسمح للحقد او الكراهية ان يتسللا الى قلبها او يعيشا فيه ... فتاة تحس بنار الوحدة تمزقها وتكويها والجزع يملأ قلبها يأسا وبؤسا ثم تمسك فرشاتها وتقول للوحاتها : لا استطيع ان اكفر بالحياة ... الحياة فيها اشياء كثيرة حلوة حتى لو اختفت وراء ستار كثيف من الشر والظلام .. هذه لوحات فتاة ليس لديها الا فنها تبثه كل شجونها المريرة واحزانها الموجعة ، تحوله ريشتها الى ترانيم ، ويزداد حبها لفنها اذ تجد انه يعينها على التفوق على الالم ويمنحها قدرا من السعادة الروحية تجعلها اقرب الى السماء منها الى الارض .

... هذه الصور فيها عواصف روح واعاصير قلب ... هل كانت تعني ان تصور عنف الحياة ام حيويتها ام قسوتها . وبعض الصور تجعل الرائي يحس انه ضال في اعماق غابة كثيفة الاشجار حالكة الظلام يتلمس السبيل الى مخرج من حيرته وظلامه فلا يجد ... ولكن البعض الآخر يشع شعورا صافيا عميقا ينبيء ان صاحبته تعيش في الاثير مع السحب والكواكب والاشجار والانهار والعصافير ... ومع الناس البسطاء اصحاب القلوب الصافية .

... هذه الاشجار في الربيع تعلوها زهور حمراء كأنها النار المتوهجة كلها نشاط وحيوية ... انها تبدو من فرط ما فيها من صدق التعبير كأنها قد خلطتها بدماء قلبها .

وهذه العذراء وقد اسندت رأسها الى حائط، تفكر وعيناها معلقتان بالمجهول المرتسم في الافق البعيد .. البعيد .

وطاف باجزاء المعرض وهو يفكر ثم وقف وقفة طويلة عند صورةصغيرة الحجم اسمها «الحزينة».

اهتزت نفسه هزة عنيفة حين وقعت عيناه على تلك الصورة ولم يستطع ان يحولهما عنها ... « الحزينة » هذا الاسى المكدس فوق القسمات والمتراكم في العينين ، هذه الرأس المائلة الى الامام قليلا تحت ثقل الاسى الذى لم يستطع ان يحنيها تماما ... انها تقاوم في اباء وعناد واصرار ، فيها حزن ولكن ليس فيها انكسار ولا استسلام ، هناك شيء أقوى من الحزن ، يتحكم فيه ويلزمه حدودا معينة ، ويجعله شيئا خصبا مثمرا ..

الصورة صغيرة صغيرة ، كأنها تريد ان تتوارى في ترفع وتأبى ان تعرض جروحها للعيون ، ومع ذلك احس انها توجه اليه الحديث ، تهمس ، ولكن الهمس كان يتحول في اذنه الى صراخ .. ان الصورة صورتها هي ، تقول له هكذا واجهت الايام بعد ان ذهبت انت . واستعاد في ذهنه وجه تحية يفيض هدوءا ووداعة وسلاما ... ولكن ما بال تلك الصورة تصرخ في اذنيه ..... انها تتحداه في اصرار عميق مترفع ...

وفطن الى انه يربط بين الصورة وبين صاحبتها وما كان منه معها وراح يحاسب نفسه مرة اخرى وعيناه مركزتان على الصورة .

انه لا يدري كيف حدث ذلك التحول الهائل في نفسيته ، وكيف استجاب ببساطة وسهولة بل باستهتار لما عصف برأسه من افرادات ؟ هل هم

رواد المعرض ـ معرضه هو ـ أو على الاصح زائراته وما سمع من ثناء وراى من اعجاب يشع من العيون الحلوة ؟ هل هو السحر والدلال والانوثة الرقيقة الدافئة التي حرم منها في نشاته العسيرة ، ثم بحكم استغراقه في فنه ولان زوجته لم تهبها الاقدار كل عوامل الاغراء ؟ هل هو المال الذى ملأ يديه فجأة بعد الفقر الطويل ؟ هل هو رواسب قراءاته الطويلة عن بوهيمية الفنان واستهتاره .... وان الفنان يجدد شبابه عن طريق الحب ....

وصفعه سؤال

ـ ولكن ما هو الحب ؟؟

واحس انه يتضاءل امام نفسه : لقد نهل حتى الثمالة من الاجساد الحلوه البضة الشهية .... وقضى الليالي الطويلة في السمر واللهو بانواعه . ارتاد الملاهي كلها وعرف كل انواع العبث ، ولكن شيئا ما ظل ينقصه ، وكلما انغمس في مغامراته ازداد احساسه بذلك الشيء المبهم الضائع الذى كثيرا ما حاول ان يتفهمه او يحدد معالمه .... شيئا ما كان يحرك اعمق اعماقه ، عرفه وذاقه في لحظات خاطفة ولكنه لم يستطع في هذه الفترة من حياته أن يستعيده ... بل لقد نسى هزاته واشراقاته الصوفية وما كان يمتلىء به قلبه من نشوة عندما كانت تفيض روحه بتلك الالهامات .. تلك الالهامات التي كانت تشع أحيانا من عينى تحية وتشيع في نبرات صوتها وقال لنفسه وقد ذهل عن المعرض وما فيه :

ـ لقد كانت روحي أرحب آفاقا ... وقلبي ابعد اعماقا واكثر حيوية .. كنت آخذ من الحب ومن الطبيعة والناس واعطي الفن ... ما الذى جرى لي ؟ لقد غطاني الصدأ ... كيف حدث ذلك ؟ وجزع وهو يوجه السؤال الى نفسه .

واعترته هزة من كبرياء فزم قبضتيه وجمع فكيه واحس بكل جارحة في بدنه تتوتر ، وقال لنفسه :

ـ ترى هل تفوقت عليّ ؟ اترانى لم ابلغ هذا المستوى من قبل ، سارسم وارسم وارسم واثبت اننى استطيع ما لا تستطيعه هي ولا حتى تفطن اليه ....

وعاد يتامل اللوحات وهو شبه محموم .... واتم جولته وهم بالخروج واستقبلته هي واقفة وتطلعت اليه مبتسمة :

ـ ما رأيك ؟

ـ شيء عظيم

ـ بعض افضالك

ماذا تعني يا ترى ؟ قالها لنفسه ولكنه لم يقلها لها الا بعينيه ، وتمهل برهة يستجمع شتات نفسه ثم قال :

ـ هذا ليس رايي وحدى ... الصحف والنقاد ... اكثر من مرة في الاذاعات .

ـ وانت كيف حالك ؟

شعر بالدموع تغمغم في عينيه وهو يسمع صوتها الحنون ، ومرة اخرى تدبر ماذا يقول .... ظل لحظات صامتا وهي تتطلع اليه بعينين كلهما صفح وغفران .

ـ ليست على ما يرام .

وسالته وكانها ارتاعت

ـ لماذا .... ؟

ولم يستطع الاجابة ... تمهل برهة ثم حول دفة الحديث

ـ انا الذى أحب أن اعرف شيئا عنك

ـ الحياة هي الحياة ...

وضحكت ثم اردفت

ـ اخي قتل في حادث ، أصيب والدى بعد ذلك بالشلل وهو الآن في فراشه لا يتحرك ... ثم ... لا ادرى ماذا أقول .... على كل حال لم استسلم ...

ـ ارجو ان تكوني كالعهد بك ....

ـ كما ترى ... هذا هو كل حياتي

واشارت بيدها نحو لوحاتها . واضافت

ـ لولا الفن لاصبت بالجنون

وبدا عليه ما يشبه الاختناق وهو يسمع كلماتها ولاحظت هي ذلك :

ـ لم يكن ذلك من تدبيرى ... اكذب عليك اذا قلت لك انه عمل من اعمال الارادة .. كل ما هنالك انني نفذت كثيرا من الافكار التي كانت تطوف ببالي في فترة الصمت

ـ الفترة التي عشتها معي

وابتسمت ابتسامة مريرة وهي تقول :

ـ لكل شيء ناحيته الطيبة ... الحقيقة ان الفن استحوذ عليّ تماما ورحمني من أشياء كثيرة ،

كنت اخرج الى المتنزهات ومجالي الطبيعة ، احببت الخضرة والزهور والطيور والاشرعة البيضاء تجرى فوق صدر النهر .... ثم انتقلت الى الحقول وفجاة اكتشفت الريف ... درست الاسواق ،انتقلت من الطبيعة الى البشر والحيوان ... هل تذكر الفنان الذى سأله ابوه لماذا يكثر من قراءة الكتب فقال له لا استطيع ان ارسم راسا الا اذا عرفت كل ما يدور بداخله من افكار ... درست البشر فاكتشفت عالما جديدا كبيرا ، لا تكفي الساعات والايام لاحدثك عنه ... عرفت الفطرة السليمة تفيض خيرا وطيبة ومحبة ، كانت كلمة « السلام عليكم » اسمعها عند اطراف المدينة من الفلاحين السذج البسطاء تنقلني الى عالم آخر لانها تعني السلام حقا ... كان قلبي يهدا وكل همومي تزول واحس انني مخلوق مختلف تماما ، اكثر عمقا وطيبة واكثر نبلا عندما تطأ قدمى تراب الريف وانامل قسمات الفلاحين ، تاملت السطور التي يكتبها الكفاح على وجوههم الطيبة، والامل والايمان في عيونهم ونبرات صوتهم ..

كل هذا رد الي ايماني بالحياة ، اصبحت الحياة كبيرة ... عميقة بلا حدود ، ولم تكن الصدمة ، اى صدمة ، الا نقطة صغيرة سوداء ... ذرة هباء تضيع في فضاء اللانهاية الازرق الصافي .. قد لا استطيع التعبير عن نفسي بالكلمة ولكن بحكم طبيعتي حاولت ان اجسد كل المعاني في لوحاتي ، كنت اشعر احيانا انني لا امسك بفرشاة مغموسة في الالوان بل اغترف بكلتا راحتي من داخل قلبي والقي فوق لوحاتي .. كنت احس انني اصلي وان السماء تقبل صلاتي وتحتضنني حتى اكاد اصبح قطعة منها، مرةاخرى لولا الفن لاصبت بالجنون ..

واحست بثقل وطأة حديثها عليه فقد تغيرت سحنته وعلتها الاكدار فاسرعت تقول :

ـ وانت ؟ الن نشاهد لك معرضا في وقت قريب ؟

ـ يحتمل ..

لم يستطع ان يعترف لها انه منذ ان افترقا لم يرسم شيئا البتة ، وشد على يدها وتركها وانصرف ...

وسار في الطريق لا يلوى على شيء ولا يدرى اين تحمله قدماه ، وظل يتنقل من شارع الى شارع وهو ساهم واجم لا يستطيع ان يجمع شتات نفسه أو يفكر في شيء ... وعرج على احد المحلات التي تبيع ادوات الرسم واشترى بكل ما معه من نقود ما يلزمه من خامات وادوات وعاد الى منزله ..

وسادته الحالة النفسية التي تعترى التائب ، واختلط في نفسه الندم بالكبرياء وجعل همه الاول ان يخرج من حالة الجمود الاخرس التي اصبحت تعتريه كثيرا في فتراته الاخيرة ......

حاول ان ياكل فلم يستطع .. حاول ان ينام فلم يتمكن اذ كانت افكاره مثل عش النحل الهائج، لا تني تلسع ضميره لسعات دامية متوالية ... ولكنه يريد ان يثبت لنفسه وللناس انه ما زال الفنان الذى لمع وكون مدرسة واسلوبا .

عندما ياتي الليل سوف تهدأ نفسه ويبدأ.. واستلقى على فراشه بقية النهار ...

وجاء الليل واعد عدته للعمل .. نصب لوحته فوق الحامل ، واعد الاقلام والالوان والفرش وغيرها ...

ووقف امام لوحته

وطالت وقفته وراح يجوب انحاء مسكنه وهو منكس الرأس يفكر ويفكر ..

وتناول الفرشاة بين انامله وخط بها خطا أو اثنين فوق اللوحة ثم تراجع الى الوراء وراح يتامل ما فعل وزم على شفتيه واسرع نحو اللوحة ومزقها ووضع غيرها مكانها .

وراح يجوب انحاء المسكن من جديد ... واضنى نفسه وفكره وهو يحاول ان يهتدى الى موضوع او يستجيش في نفسه عاطفة أو احساسا يملي عليه أو يوحي له ما يرسمه .. ومضى الوقت وحيرته تزداد

وطال الوقت وهو يذرع انحاء مسكنه في خطوات تزداد عصبية ، ثم ما لبث ان تناول اللوحة البيضاء من فوق الحامل ومزقها وركل الحامل الخشبي وقذف بالالوان الى الارض ..

وانهار على فراشه يبكي كالاطفال ...

وهدأ . وجلس على مقعده طويلا وهو يفكر . وكان مما فكر فيه . ليت شعرى ، تحية ، ما الذى هي قائمة تعمل فيه ، في هذه الساعة المتاخرة من الليل ■■

نصرى عطا الله

أنت تسأل .. ونحن نجيب

٦٠٠ ألف جنيه يتقاضى الخنافس عن كل أغنية لهم!

● كم تبلغ المرتبات التي يتقاضاها كبار رجال الحكم في العالم أمثال رئيس الوزارة البريطانية والرئيس الامريكي ورئيس الوزارة السوفياتية .. وهل في العالم من يتقاضى مرتبات أضخم من مرتبات هؤلاء .. ؟

سالم النقيب ـ تونس

ـ يبلغ مرتب رئيس الوزارة البريطانيــــة ١٠٫٠٠٠ جنيه استرليني سنويا . يضاف الى ذلك مبلغ اخر من نوع المخصصات المعفاة من الضرائب التي يخضع لها المرتب الذي ذكرنا . وتبلغ هذه المخصصات ٤٠٠٠ جنيه في السنة. على أن رئيس الحكومة البريطانية يتمتع بالسكن بلا مقابل في مقره الحكومي الشهير ، رقم ١٠ داوننج ستريت . ومثل ذلك يقال في القصـــر الريفي الموجود في بلدة تشكرز ، وهو يتردد عليه متى شاء بقصد الراحة والاستجمام. ولا يعرف بالضبط ما تنفقه الحكومة على سكن رئيسهـــا في هذين القصرين ، ولا ما تدفعه من أجور لمن يقوم على خدمته فيهما، ولا ما تتكلفه على الحفلات التي يقيمها فيهما في المناسبات وغير المناسبات . ويقدر المطلعون مجموعهذه التكاليف وتلك النفقات باكثر من ربع مليون جنيه استرليني في السنة ، أي أضعاف ما يتقاضاه المستر ولسون مـــن مرتبات ومخصصات .

وتتضاءل هذه المبالغ كثيراأو قليلا لدى مقارنتها بما يعود على الرئيس الامريكي . اذ يبلغ مرتب المستر نكسون في السنة ٢٠٠٫٠٠٠ دولار ، وذلك بعد أن ضاعفه الكونجرس له قبل حين .ويخضع هذا المرتب للضرائب المقررة بخلاف المخصصـات التي يقبضها الرئيس الامريكي ، وهي معفاة ، وتبلغ بمجموعها ١٠٠٫٠٠٠ دولار سنويا .

أما النفقات التي تدفعها الحكومة الامريكية على سكن رئيسها في البيت الابيض فتتجاوز بمجموعها السنوي مليون دولار في تقدير الخبراء .

ولعل هذه الأمور مختلفة في موسكو عما هي عليه في لندن وواشنطن . ولعل ما يقبضه المستر كوسجين اقل مما يقبضه المستر ولسون فضلا عن المستر نكسون . الا اننا لا نستطيع اجراء مقارنة دقيقة بين هذه وتلك نظرا لعدم توفر المعلومات لدينا عما يتقاضاه الزعماء السوفيت .

ونأتي الآن الى الشق الثاني من سؤالك حيث تسأل عما اذا كان في العالم مرتبات أخرى أضخم من مرتبات هؤلاء الزعماء والرؤساء الذينيضطلعون باضخم المسئوليات . والحقيقة هي أن في العالم فئات أخرى كثيرة تتقاضى من الرواتب اضعاف ما يقبضه كبار رجال الحكم فيه . ولعل اول ما يخطر بالبال من تلك الفئات الاخرى فئة مديري المصانع والشركات ، وهم يضطلعون ، كما لا يخفى باعباء جسيمة للغاية . فمن هؤلاء من يبلغ مرتبه السنوي ٤٥٫٠٠٠ جنيه استرليني في الســنة ، كمدير مصانع سيارات لايلاند البريطانية ، ومنهم من يتقاضى ضعف هذا المبلغ ، كمدير شركة مارلي تايل،وهي أيضا من كبريات الشركات البريطانية. غير أن هذه المرتبات ، على ضخامتها ، تتقلص كثيرا لو أنت قارنتها بمرتبات مديري الشركات الأمريكية ، وخاصة مدير شركة جنرال موتورز التي تصنع سيارات الشيفروليه والبويك وغيرها. اذ بلغ ما قبضه المدير المذكور عن سنة ١٩٦٧ وحدهامايقارب الثلاثة ارباع مليون دولار (بالضبط ٧٢٣٫٣١٦ دولار) ، بما في ذلـك المكافآت التي تنعم بها الشركات الامريكية على مديريها وموظفيها في أغلب الاحيان . ولعل هذا المرتب هو أعلـى ما يتقاضاه مدير من مديري الشركات في أي مكان.

بيد ان هذا المرتب ليسأضخم المرتبات فيالعالم على كل حال . ولا مناص من أن نتحول عن الفئات التي ذكرنا جميعا الى فئة أخرى بعيدة اذا اردنا الوقوف على أكبر مرتب يقبضه انسان . تلك هي فئة الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ، علما بأن ما يتقاضاه هؤلاء قد يكون اقرب الى الدخل المقطوع ، منه الى المرتبات .



ويلسون ١٠٫٠٠٠ جنيه استرليني

نيكسون ٢٠٠ ألف دولار

ونبدأ بالخنافس ، وقد أكرمتهم وأشادت بذكرهم ملكة بريطانيا نظرا لما دخل على الخزينة البريطانية بسبب ما كسبوه خارج بريطانيا من مبالغ بالدولار وبغيره من العملات الصعبة . ويبلغ ما يقبضه الخنافس عن الاغنية الواحدة من اغانيهم ٦٠٫٠٠٠ جنيه استرليني . والغريب أن احدا من هؤلاء الشباب الاربعة لم يصبح بعد من أصحاب الملايين ، بالرغم من كل هذا الدخل الكبير . ولعل لذلك صلة بأمزجتهم الخاصة ، بل الشاذة ، ولعله أوثق صلة بالغش والخداع الذى طالما تعرضوا له في عقودهم ومعاملاتهم في المرحلة الأولى من حياتهم . هذا بخلاف ممثلى السينما الشهيرين ، وقد تجمعت لحسابهم في المصارف الملايين الكثيرة التى حالت كثرتها بينهم وبين حصرها .

ويتقاضى بعض هؤلاء الممثلين الدوليين نحو مليون دولار عن كل فلم يمثل البطولة فيه . وتجدر الاشارة الى ان عدد ما يستطيع هذا الممثل تمثيله من تلك الأفلام في السنة الواحدة لا يقل عن ثلاثة .

وتأتى الممثلة البريطانية جولى اندروز ، بطلة فلم صوت الموسيقى Sound of Music ، في مقدمة أولئك الممثلين والممثلات من حيث ضخامة الدخول او المرتبات . اذ يبلغ ما تجنيه عن كل فيلم تمثله ١٫٥ مليون دولار . وقد ينكمش هذا الدخل الخيالى اذا ذكرنا ما دخل على الشركة المعنية من ايرادات فلم صوت الموسيقى ، وهو فلم جولى اندروز الاول ، وقد جاوز بمجموعه المائة مليون دولار .

بقى نقطة هامة لم نذكرها وهى ما تفرضه بلاد هؤلاء الرجال والنساء من ضرائب تصاعدية على ما يكسبونه ، تهبط بدخولهم الهائلة هذه وتذهب ببعض ضخامتها الخيالية .

(ى. ز)



■ « داء الملوك » لماذا سمي بهذا الاسم وما سبب هذا المرض ؟ ..

حسن عبد الامير ـ العراق

ـ « داء الملوك » هو الاسم الشائع الذى يطلق على مرض النقرس Gout . وهذا المرض ينشأ عن زيادة نسبة حامض البوليك Uric Acid في الدم وعجز الجسم عن التخلص من هذه الزيادة مما يؤدي الى تراكم هذا الحامض وترسبه في الجسم وخاصة في الاصبع الكبير للقدم . وينتج عن ذلك آلام شديدة قد تؤدى بالمريض الى حد الصراخ لعدم احتماله للآلام .

وقد سمي هذا المرض « بداء الملوك » لانه ينشأ عن الاسراف في أكل اللحوم التى ينتج عنها زيادة نسبة حامض البوليك في الدم . ولما كان اكل اللحوم يختص به أهل الغنى والجاه دون أهل الفقر والعوز ، فقد تفشى هذا المرض في الاغنياء والوجهاء دون الفقراء . علاوة على أن صاحب الغنى والجاه قليل الحركة والتريض مما يساعد الجسم على عدم التخلص من تراكم حامض البوليك في الدم وترسبه في عظام القدم .

(م . ط)

أنت تسأل .. ونحن نجيب

حوّاء عند اليونان

● قرأنا في « العربي » عن ملحمة الخلق عند البابليين . وقد قيل لنا ان لكل شعب من الشعوب القديمة قصة خلق من صنعه هي جزء من أساطيرهم . فهل كان لقدماء المصريين واليونان والرومان قصة خلق كالقصة البابلية .. ؟

كاظم سرحان ـ دمشق

ـ لعل قصة الخلق اليونانية هي القصة الجديرة باهتمامنا في هذا الصدد . ولعلها قصص كثيرة ، لا قصة واحدة . ولعل قصة باندورا هي اشهر تلك القصص وأجملها .

بندورا هي أم النساء ونظيرة حواء في اساطير اليونان . وقصتها الرائعة لها جانبان هامان . فهي تعبر عن نظرة الاغريق الى طبيعة المرأة وخلقها ، وهي نظرة غريبة ، وهي تروى لنا الحكاية التي تصورها اليونان واعتقدوا بها بصدد نشأة المرأة وخلقها ، وهي حكاية اغرب . ولو ذكرنا أن أساطير اليونان كأساطير غيرهم من شعوب العالم القديم انما شاعت وسادت قبل انتشار الاديان السماوية لما وجدنا غضاضة في الشطط الوثني الذي يغلب على أسطورة بندورا ، بل لشعرنا بمزيد من رغبة في معرفة الرواية التي تحكيها والآراء الطريفة التي تعبر عنها .

ونبدأ بزيوس ، سيد ابطال تلك الرواية وكبير آلهة اليونان وملكها الجبار الذي دانت له اعالي جبال اوليمبوس ، موطن تلك الآلهة ومسرح اعمالها ونشاطها . حقا لقد بسط زيوس هذا نفوذه على كل شيء تقريبا فتمكن من السيطرة على الرعد والبرق والتحكم بالقدر نفسه . الا ان سلطته لم تكن مطلقة ، بل كانت محدودة ، وقد تحداها اكثر من مرة الآلهة الاخرون ، ولا سيما بروميثوس Prometheus .

فقد عمد هذا الاله الى صنع الرجل أو الذكر من بني الانسان . خلقه من طين وأبدع في خلقه . واستوجبت جرأته هذه غضب زيوس فاستبد بجنس الرجال ، ثم حرمهم شعلة النار التي ترمز الى العلم في اساطير اليونان . ولم يرق لبروميثوس هذا الحرمان ، ولم يرض للرجل الذي خلق وتعشق آفة الجهل وهي ام الآفات . لذلك بادر الى تزويد الرجل بشعلة نار أخرى سرقها من اجله خلسة من نار السماء . ثم تمادى في تحديه لكبير الآلهة فمضى في تلقين الرجل وتدريبه حتى اتقن عددا من العلوم المفيدة والفنون النافعة .

ولم يقف بروميثوس عند هذا الحد ، بل تعداه فانعم على الرجل بما هو اهم من هذا وذاك . انعم عليه بالقدرة على ادراك الغيب ومعرفة المستقبل وهي الملكة التي انفرد بها « بروميثوس » وتميز بسببها على سائر الآلهة ، بدليل أن لفظة « بروميثوس » انما تعني المتنبئ في لغة اليونان .

ونفد صبر زيوس بعد ذلك فقرر الانتقام من بروميثوس المتمرد . ولكنه آثر النيل من المخلوق قبل انزال العقوبة في خالقه . وفكر زيوس فيما عساه أن يفعل لينغص على الرجل حياته ويبث الفتنة في نفسه ، فيحبط بذلك حصيلة جهود بروميثوس وثمرة ابداعه . ولم يجد زيوس وسيلة لتحقيق ذلك خيرا من المرأة .. فاصدر أوامره الى هيفاستوس احد الآلهة الموالين له ، فكانت بندورا .

مَنْ هُم الزَّنج ؟

● «كثيرا ما نسمع عن الزَّنج» في العراق وأنهم في عهد « أحمد بن طولون » قاموا بالثورات فأرسل الموفق طلحة أخو الخليفة العباسي يطلب من أحمد ابن طولون مساعدته للتغلب على الثورة ..

فمن هم « الزنج » وكيف سكنوا العراق ونحن نعرف أن أصل السكان من الشعوب السامية . ولماذا قاموا بالثورة في العراق ؟

ليلى حافظ ـ حولي

ـ سبق أن تحدثنا عن تاريخ الزنج وثورتهم في العدد رقم ١٢٨ من العربي ، صفحة ١٤٨ فنرجو الرجوع اليه .





بندورا وعلبتها كما تخيلها احد الفنانين

لقد صنعها هيفاستوس من نفس الطين الذى صنع منه الرجل . وامدها بشعلة من نار السماء وبالعلم الذى ترمز اليه هذه النار على نحو ما تم للرجل . الا أن هيفاستوس هذا لم يكن يتمتع بمثل الملكة التى فطر عليها بروميثوس . ولذلك فقد حُرمت بندورا نعمة البصيرة وكشف الغيب مما جبل عليه الرجل .

ولم يكد خَلق بندورا ان يكتمل ، حتى انطلقت الآلهة تتنافس في استكمال مواهبها وصفاتها . فنفخت الالهة الينا فيها الروح ، وعلمها هرمس بن زيوس التملق والحيل وأساليب الخداع .. ثم تفحتها ثالث الجمال ورابع الاغراء .. وهكذا .. حتى تجمعت لبندورا المفاتن كلها ، فاستحقت بذلك اسم بندورا وهو يعنى ، في لغة اليونان « المواهب كافة » .

ولم يقف كيد زيوس عند هذا الحد . اذ امر بتزويد بندورا بعلبتها الشهيرة قبل أن تدخل في حياة الرجل وتبدأ حياتها الجديدة . ولم تلبث بندورا ان انطلقت بعلبتها هذه حتى اذا اخذت مكانها الى جانب الرجل ، انفتحت تلك العلبة وتصاعد منها ما تصاعد . فقد انبعث من تلك العلبة المشاكل والشرور والمفاسد وخرجت منها أسباب الحروب والفتن . ولم تلبث هذه وتلك تتفشى في حياة الرجال حتى اقضت مضجع البشرية في كل زمان ومكان .

بيد ان ثمة شيئا واحدا بقى ثابتا في أسفل تلك العلبة . ولو تسنى لك النظر الى ذلك الشيء لعجبت لشعاعه الوضاء ولأيقنت انه الشيء الذى لولاه لما طاق رجل البقاء على قيد الحياة . اذ لم يكن ذلك الشيء سوى الأمل الذى منحته بندورا الى الرجل وعوضت به عما ملأ حياته بسببها من شرور وآثام .

هذا على الأقل حسبما فكر واعتقد قدماء اليونان .

(ى. ز)

تركيا .. وآسيا الصغرى .. والأناضول

● يطلقون على تركيا اسم آسيا الصغرى أحيانا ، والأناضول أحيانا اخرى .. فما أصل هذه التسميات ومن الذى أطلقها عليها ؟

جنيدى عثمان اوسو / الموصل

ــ الأسماء الثلاثة تمثل حاليا بلدا واحدا هو الجمهورية التركية .. ويُعتقد أن الرومان هم اول من اطلق اسم آسيا الصغرى على محافظتهم في آسيا ، للتمييز بينها وبين قارة آسيا الكبيرة .. وكان هذا في القرن الخامس بعد الميلاد .. اما في القرن العاشر الميلادى فقد اطلق عليها الامبراطور قسطنطين اسم اناطوليا Anatolia بدلا من آسيا الصغرى .. ثم اخذ الاتراك فيما بعد هذه الكلمة وحرفوها الى اناضول .. وارادوا بهذه الكلمة التعبير عن الاراضي التى اتخذوا منها وطنا لهم .

اما كلمة تركيا فجاءت من كلمة الترك ، والصينيون اول من اطلق كلمة الترك على الشعب البدوى الذى عاش في القرن السادس الميلادى داخل حدود امبراطوريته الكبيرة التى كانت تمتد من منغوليا وشمال الصين حتى البحر الاسود ..

(س. ز)

تشارلي تشابلن الصعلوك الشهير!

● احتفل الممثل الهزلي الشهير شارلي شابلن في ابريل الماضي بعيد ميلاده الثمانين . فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة عن حياة هذا الرجل الذى اضحك العالم طــوال نصـــف قرن من الزمان ؟ .

محمد عوض ـ بيروت

ـ ولد شارلي شابلن انجليزيا في أحد أحياء لندن الفقيرة يوم ١٦ أبريل عام ١٨٨٩ ، واسمه بالكامل تشارلز سبنسر شابلن Charles Spencer Chaplin ، وقد مات أبوه في أحد المستشفيات الخيرية وهو طفل صغير لم يتلق من التعليم الا الشيء القليل واصيبت امه بلوثة في عقلها ظلت تتردد بسببها على مستشفيات الأمراض العقلية سنوات طويلة قبل ان توافيها منيتها . وقد كان ذلك هو السبب في حياة الفقر التى عانى منها شارلي في طفولته متنقلا بين الملاجيء والمدارس الداخلية ، وكثيــرا ما كان يهرب من الملجأ او المدرسة ليحوم حول المسرح الصغير حيث وقف عليه لأول مرة مع والده الفنان الذى عشق المسرح والموسيقى ! .

فقد كان أبوه فنانا ، وكذلك كانت امه التي عــرفها الانجليز ممثلة جندت كل مواهبهــا في السخرية من مساويء المجتمع وعيوبه ، قبل أن يشتد عليها المرض ! .

وفي عام ١٩١٣ بدأ شارلي حياته الفنية في امريكا وكان شابا جاوز العشرين وتمكن بمساعدة ، أخيه الأكبر غير الشقيق ، ويدعى سيدني Sydney Chaplin ان يتعاقد مــع فرقة كيســتون Keystone ، الأمريكية الكوميدية على تمثيل سلسلة من الأفلام الهزلية باجر لا يزيد على ١٥٠ دولارا في الأسبوع ! .

وعندما وقف شــارلي لأول مرة أمام كاميرات التصوير في نيويورك ، احس بتاثير امه عليه ، فقد راح يقلدها في كل حركاتها ..

وعندما شاهده الجمهور لأول مرة على الشاشة في أول افلامه ، بقبعته الصغيرة وسترته السوداء الطويلة وبنطلونه الفضفاض الذى يتهدل فوق حذائه الكبير ، وعصاه الشهيرة التي لم تفترق عنه في كل افلامه .. قال الناس : « انه صعلوك بائس ! » واستبدت الحيرة بجمهور المتفرجين .. ترى هل يرثون لحاله ام يضحكون على حركاته .. !

ولم تطل حيرتهم فسرعان ما وجدوا أنفســهم يضجون بالضحك .. وكان هذا هو أول درجات سلم النجاح الطويل الذى ارتقاه شارلي قفزا .. وكان اسلوب شارلي هذا ، هو وسيلته في التعبير عن الفلسفة التي آمن بها ، واكسبته مجدا وشهرة قفزا باجره الى مليون دولار في عام ١٩١٦ ! .

لقد التقت كل افلام الصــعلوك الفيلسوف في هدف واحد ، هو الدعوة الى الحياة البسيطة التى ارادتها لنا الطبيعة ، فقد حارب الآلــة ، وحارب تجارية العصر الآلي الذى طغت فيه المادة على الانسانية ودعا الى السلام في المجتمعين الصغير والكبير وفي العالم باسره .. وقد تجسدت دعوته هــذه في افلامــه الناطقــة ، العصــر الحديث « Modern Times » (عام ١٩٣٦) والدكتاتور العظيم « Great Dictator » وغيرها ولو ان كثيرا من النقاد يرون أن شارلي فقد كثيرا من سحره عندما سمع الناس صوته لأول مرة ! .

تزوج اربع مرات ، واتهموه بالشيوعية ، فترك امريكا وهجر زوجته الثالثة ، وجاء الى سويسرا ليعلن : « أنا لست شيوعيا ، وانما انا مواطن ، وطني العالم » آخر زوجاته هــي أونا اونيــل « Oona O'neil » ابنة الكاتب المسرحي المعروف يوجين اونيل « Eugene O'neil » وهي تعيش معه الآن في مدينة فيفي Vevey بسويسرا ، مع أولاده وبناته الست حيث يشترك في اخراج وانتاج الكثير من الأفلام العالمية،وحيث قضىأكثر من عامين في كتابة « قصة حياتي » « My Autobiography » الذى صدر في عام ١٩٦٤ ■■

(م . ن)